فنقول وهذا لا يخرج هذا الفعل عن كونه فرض كفاية فيقال من يفعل هذا ويهمل الاشتغال بالواقعة مثله كجماعة
العطاش من المسلمين كحال المشتغل بالمناظرة في فروض كفايات مهملة لا قائم بها فأما الفتوى فقد قام بها
جماعة ولا تخلو بلد عن جملة من الفروض المهملة ولا يلتفت الفقهاء إليها وأقربه الطب إذ لا يوجد في أكثر البلاد
طبيب مسلم يجوز اعتماد شهادته فيما يعول على قول الطبيب فيه شرعا ولا يرغب أحد من الفقهاء في الاشتغال به وكذا
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو من فروض الكفايات وربما يكون المناظر في مجلس مناظرته شاهدا ملبوسا
ومفروشا وهو ساكت ويناظر في مسألة لا يتفق وقوعها قط وإن وقع قام بها جماعة من الفقهاء ثم يزعم أنه يريد
أن يتقرب إلى الله تعالى بفرض الكفاية **وقد** روي عن أنس أنه قيل يا رسول الله متى يترك الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر فقال عليه السلام إذا ظهرت المداهنة في خياركم والفاحشة في شراركم وتحول الملك في صغاركم
والفقه في أراذلكم **والثالث** أن يكون المناظر مجتهدا يفتي برأيه لا بمذهب الشافعي وأبي حنيفة وغيرهما حتى
إذا ظهر له الحق في مذهب أبي حنيفة ترك ما يوافق الشافعي وأفتى بما ظهر له كما كان يفعله الصحابة والأئمة فأما
من ليس له رتبة الاجتهاد وهو حكم كل أهل العصر فإنما يفتي به ناقلا عن مذهب صاحبه فلو ظهر له ضعف مذهبه
لم يجز له أن يتركه فأي فائدة له في المناظرة ومذهبه معلوم وليس له الفتوى بغيره وما يشكل عليه يلزمه أن
يقول لعل عند صاحب مذهبي جوابا عن هذا فلست مستقلا بالاجتهاد في أصل الشرع ولو كانت
مباحثته عن المسائل التي فيها وجهان أو قولان لصاحبه لكان أشبه فإنه ربما يفتي بأحدهما فيستفيد من البحث
ميله إلى أحد الجانبين ولا ترى المناظرات جارية فيها بل ربما ترك المسألة التي فيها وجهان أو قولان وطلب
مسألة يكون الخلاف فيها مبتوتا **والرابع** أن لا يناظر إلا في مسألة واقعة أو قريبة من الوقوع غالبا فإن
الصحابة ما تشاوروا إلا فيما تجدد من الوقائع أو ما يغلب وقوعه كالفرائض ولا ترى المناظرين يهتمون بانتقاد
المسائل التي تعم البلوى بالفتوى فيها بل يطلبون الطبوليات التي تتسع مجال الجدل فيها كيف ما كان الأمر وربما
يتركون ما يكثر وقوعه ويقولون هذه مسألة خبرية أو هي من الروايات وليست من الطبوليات فمن العجائب أن
يكون المطلب هو الحق ثم يترك المسألة لأنها خبرية ومدرك الحق هو الأخبار أو لأنها ليست من الطبول فلا نطول
فيها الكلام والمقصود في الحق أن ينقطع الكلام ويبلغ الغاية في القرب لا أن يطول **والخامس** أن تكون المناظرة في
الخلوة أحب إليه وأهم من المحافل وبين أظهر الأكابر والسلاطين فإن الخلوة أجمع للفهم وأحرى بصفاء الفكر
ودرك الحق وفي حضور الجمع ما يحرك دواعي الرياء ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسه محقا كان أو مبطلا وأنت
تعلم أن حرصهم على المحافل والمجامع وأن الواحد يخلو بصاحبه مدة فلا يكلمه وربما يقترح عليه فلا يجيب
فإذا ظهر مقدم أو انتظم محفل لم يغادر في قوس الاحتيال منزعا حتى يكون هو المختص بالكلام **والسادس**
أن يكون في طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه ويرى رفيقه معينا
لا خصما ويشكره إذا عرفه الخطأ وأظهر له الحق كما لو أخذ طريقا في طلب ضالته فنبهه صاحبه على ضالته في طريق
آخر كان يشكره ولا يذمه ويكرمه ويفرح به فهكذا كانت مشاورات الصحابة رضي الله عنهم حتى ردت
امرأة على عمر رضي الله عنه فأجابه فقال ليس كذلك يا أمير المؤمنين ولكن كذا وكذا فقال أصبت وأخطأت
وفوق كل ذي علم عليم واستدرك ابن مسعود على أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما فقال أبو موسى لا تسألوني
عن شيء وهذا الحبر بين أظهركم وذلك لما سئل أبو موسى عن رجل قاتل في سبيل الله فقتل فقال هو في الجنة
وكان أمير المؤمنين بالكوفة فقال ابن مسعود أعده على الأمير فلعله لم يفهم فأعاد وأعادوا الجواب فقال ابن
مسعود وأنا أقول إن قتل فأصاب الحق فهو في الجنة فقال أبو موسى الحق ما قال فهكذا يكون إنصاف طالب الحق ولو ذكر

[illegible] فيه لانكر واستبعد وقال لا يحتاج الى ان يقال الطالب فان ذلك معلوم لكل احد فانظر
الى مناظري زمانك كيف يسود وجه احدهم اذا اتضح الحق على لسان خصمه وكيف يخجل به وكيف يجتهد في مجاهدته
باقصى قدرته وكيف يذم من افحمه طول عمره ثم لا يستحيي من تشبيهه نفسه بالصحابة في تعاونهم على النظر في
الحق **السابع** ان لا يمنع معينه من الانتقال من دليل الى دليل ومن اشكال الى اشكال فهكذا كانت مناظرات
السلف ويخرج عن كلامه جميع دقائق الجدل المبتدعة فيما له وعليه كقوله هذا لا يلزمني ذكره وهذا يناقض كلامك
الاول فلا يقبل منك فان الرجوع الى الحق يكون مناقضا الى الباطل ويجب قبوله وانت ترى ان جميع
المجالس تنقضي في المدافعات والمجادلات حتى يقيس المستدل على اصل بعلة يظنها فيقال له وما
الدليل على ان الحكم في الاصل معلل بهذه العلة فيقول هذا ما ظهر لي فان ظهر لك ما هو اوضح منه واولى فاذكره
حتى انظر فيه فيصر المعترض ويقول فيه معاني سوى ما ذكرته وقد عرفتها ولا اذكرها ولا يلزمني ذكرها ويقول
المستدل عليك ايراد ما تدعيه وراءها ويصر المعترض على انه لا يلزمه ويتوخى مجالس المناظرة بهذا الجنس
من السؤال وامثاله ولا يعرف هذا المسكين ان قوله اني اعرفه ولا اذكره اذ لا يلزمني كذب على الشرع فانه ان كان
لا يعرف معناه وانما يدعيه ليعجز خصمه فهو فاسق كذاب عصى الله سبحانه وتعالى وتعرض لسخطه بدعواه
معرفة هو خال عنها وان كان صادقا فقد فسق باخفائه ما عرفه من امر الشرع فقد ساله اخوه المسلم ليفهمه
وينظر فيه فان كان قويا رجع اليه وان كان ضعيفا اظهر له ضعفه واخرجه عن ظلمة الجهل ولا خلاف ان
اظهار ما علم من علم الدين بعد السؤال عنه واجب لازم فمعنى قوله لا يلزمني اي في شرع الجدل الذي ابدعناه
بحكم التشهي والرغبة في طريق الاحتيال والمصارعة بالكلام لا يلزمني والا فهو لازم في الشرع فانه بامتناعه
عن الذكر اما كاذب واما فاسق فتفحص عن مشاورات الصحابة ومفاوضات السلف هل سمعت فيها ما يضاهي
هذا الجنس وهل منع احد من الانتقال من دليل الى دليل ومن قياس الى اثر ومن خبر الى آية بل جميع مناظراتهم
من هذا الجنس اذ كانوا يذكرون كل ما يخطر لهم كما يخطر وينظرون فيه **والثامن** ان يناظر من يتوقع الاستفادة
ممن هو مشتغل بالعلم والغالب انهم يحترزون من مناظرة الفحول والاكابر خوفا من ظهور الحق على
لسانهم ويرغبون فيمن دونهم طمعا في ترويج الباطل عليهم ووراء هذه شروط دقيقة ولكن في هذه الثمانية
ما يهديك الى من يناظر لله سبحانه ومن يناظر لعلة **واعلم** ان بالجملة ان من لا يناظر الشيطان وهو مستول
على قلبه وهو اعدى عدوه ولا يزال يدعوه الى الهلاك ثم يشتغل بمناظرة غيره في المسائل التي المجتهد فيها
مصيب او مساهم للمصيب في الاجر فهو ضحكة للشيطان وعبرة للمخلصين ولذلك شمت الشيطان به
لما غمسه فيه من ظلمات الآفات التي نعددها ونذكر تفصيلها

بيان آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الاخلاق

اعلم وتحقق ان المناظرة الموضوعة لقصد الغلبة والافحام واظهار الفضل والشرف
عند الناس منبع جميع الاخلاق المذمومة عند الله تعالى المحمودة عند عدو الله ابليس ونسبتها الى الفواحش
الباطنة من الكبر والعجب والحسد والمنافسة وتزكية النفس وحب الجاه وغيرها كنسبة شرب الخمر الى الفواحش
الظاهرة من الزنا والقذف والقتل والسرقة وكما ان الذي خير بين الشرب وسائر الفواحش استصغر الشرب
فاقدم عليه فدعاه ذلك الى ارتكاب بقية الفواحش في سكره فكذلك من غلب عليه حب الافحام والغلبة في
المناظرة وطلب الجاه والمباهاة دعاه ذلك الى اضمار الخبائث كلها في النفس وهيج فيه الاخلاق المذمومة
وهذه الاخلاق سياتي ادلة مذمتها من الاخبار والآيات في ربع المهلكات ولكنا نشير الى مجامع ما تهيجه
المناظرة فمنها الحسد **وقد** قال عليه السلام الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب ولا ينفك المناظر

عن الحسد فانه تارة يغلب وتارة يغلب وتارة يحمد كلامه وتارة يحمد كلام غيره فما دام يبقى في الدنيا واحد يذكر بقوة العلم
والنظر او يظن انه احسن منه كلاما واقوى نظرا فلا بد ان يحسده ويحب زوال النعم عنه وانصراف القلوب والوجوه
عنه والحسد نار محرقة فمن بلي به فهو في العذاب الدائم ولعذاب الآخرة اشد واعظم ولذلك قال ابن عباس
خذوا العلم حيث وجدتم ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم على بعض فانهم يتغايرون كما يتغاير التيوس في
الزريبة **ومنها** التكبر والترفع على الناس **وقد** قال عليه السلام من تكبر وضعه الله ومن تواضع رفعه
الله **وقال** حكاية عن الله تعالى العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته ولا ينفك المناظر
عن التكبر على الاقران والامثال والترفع الى فوق قدره حتى انهم ليتقاتلون على مجلس من المجالس يتنافسون
فيه في الارتفاع والانخفاض والقرب من وسادة الصدر والبعد منها والتقدم في الدخول عند مضايق
الطرق وربما يتعلل الغبي الى المكان الخداع منهم بانه يبغي صيانة عز العلم وان المؤمن منهي عن اذلال
نفسه فيعبر عن التواضع الذي اثنى الله تعالى عليه وسائر الرسل عليهم السلام بالذل وعن التكبر الممقوت
عند الله تعالى بعز الدين تحريفا للاسم واضلالا للخلق به كما فعل في اسم الحكمة والعلم وغيرهما **و**
منها الحقد فلا يكاد المناظر يخلو عنه **وقد** قال عليه السلام المؤمن ليس بحقود **وورد** في ذم الحقد
ما لا يخفى ولا ترى مناظرا يقدر على ان لا يضمر حقدا على من يحرك راسه على كلام خصمه ويتوقف في كلامه
فلا يقابله بحسن الاصغاء بل يضطر اذا شاهد ذلك الى اضمار الحقد وتربيته في النفس وغاية تماسكه
الاخفاء بالنفاق ويترشح منه الى الظاهر لا محالة في غالب الامر وكيف ينفك عن هذا ولا يتصور اتفاق جميع
المستمعين على ترجيح كلامه واستحسان جميع احواله في ايراده واصداره ثم لو صدر من خصمه ادنى سبب
فيه قلة مبالاة بكلامه انغرس في صدره حقد لا يقلعه ابدا الدهر الى آخر العمر **ومنها** الغيبة وقد شبهها
الله تعالى باكل الميتة ولا ينفك المناظر عن حكاية كلام خصمه ومذمته وغاية تحفظه ان يصدق فيما يحكيه عليه ولا
يكذب في الحكاية فيحكي عنه لا محالة ما يدل على قصور كلامه وعجزه ونقصان فضله وهو الغيبة واما الكذب
فبهتان وكذلك لا يقدر على ان يحفظ لسانه عن التعرض لعرض من يعرض عن كلامه ويصغي الى خصمه ويقبل
عليه حتى ينسبه الى الجهل والحماقة وقلة الفهم والبلادة **ومنها** تزكية النفس قال الله تعالى
فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى **وقيل** لحكيم ما الصدق القبيح فقال ثناء الرجل على نفسه ولا يخلو المناظر
من الثناء على نفسه بالقوة والغلبة والتقدم بالفضل على الاقران ولا ينفك في اثناء المناظرة عن قوله لست
ممن يخفى عليه امثال هذه الامور وانا المتفنن في العلوم والمستقل بالاصول وحفظ الاحاديث وغير ذلك مما
يتمدح به تارة على سبيل الصلف والتمدح مذموم شرعا وعقلا **ومنها** التجسس وتتبع عورات الناس
وقد قال الله تعالى ولا تجسسوا والمناظر لا ينفك عن طلب عثرات اقرانه وتتبع عورات خصمه حتى انه ليخبر بورود
مناظر الى بلده فيطلب من يخبره بواطن احواله ويستخرج بالسؤال مقابحه حتى يعدها ذخيرة لنفسه في افضاحه
وتخجيله اذا مست اليه حاجة حتى انه ليستكشف عن احوال صباه وعن عيوب بدنه وعساه يعثر على هفوة
او على عيب به من قرع او غيره ثم اذا احس بادنى غلبة من جهته عرض به ان كان متماسكا ويستحسن ذلك
منه ويعده من لطائف التسبب ولا يمتنع من الافصاح به ان كان متبجحا بالسفاهة والاستهزاء كما حكي
عن جماعة من اكابر المناظرين المعدودين من فحولهم **ومنها** الفرح بمساءة الناس والغم بمسارهم ومن لا يحب
لاخيه المسلم ما يحب لنفسه فهو بعيد من اخلاق المؤمنين وكل من طلب المباهاة باظهار الفضل يسره لا
محالة ما يسوء اقرانه واشكاله الذين يساوونه في الفضل ويكون التباغض بينهم كما يكون بين الضرات وكما

الضرة اذا رات صاحبتها من بعيد ارتعدت فرائصها واصفر لونها فهكذا ترى المناظر اذا راى مناظرا تغير
لونه ويضطرب عليه فكره وكانه يشاهد شيطانا او سبعا ضاريا فاين الاستيناس والاسترواح الذي
كان يجري بين علماء الدين عند اللقاء وما نقل عنهم من المواخاة والتناصر والتساهم في السراء والضراء حتى قال
الشافعي رضي الله عنه العلم بين اهل الفضل رحم متصل فلا ادري كيف يدعي الاقتداء بمذهبه جماعة صار العلم
بينهم عداوة قاطعة فهل يتصور ان ينتج الانس مع طلب الغلبة والمباهاة هيهات هيهات فناهيك بالشر
شرا ان يلزمك اخلاق المنافقين ويبرئك عن اخلاق المؤمنين والمتقين **ومنها** النفاق فلا يحتاج
الى ذكر الشواهد في ذمه وهم مضطرون اليه فانهم يلقون الخصوم ومحبيهم واتباعهم ولا يجدون بدا من التودد
باللسان واظهار الشوق والاعتداد بمكانهم واحوالهم ويعلم المخاطب والمخاطب وكل من يسمع ذلك منهم ان ذلك
كذب وزور ونفاق وفجور وانهم متوددون بالالسنة متباغضون بالقلوب نعوذ بالله تعالى منه **وقد**
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا بالالسن وتباغضوا بالقلوب و
تقاطعوا بالارحام لعنهم الله عند ذلك فاصمهم واعمى ابصارهم رواه الحسن وقد صح ذلك بمشاهدة **ومنها**
الاستكبار عن الحق وكراهته والحرص على المماراة فيه حتى ان ابغض شيء الى المناظر ان يظهر الحق على لسان خصمه ومهما
ظهر تشمر لجحده وانكاره والممارات باقصى جهده وبذل غاية امكانه في المخادعة والمكر والحيلة لدفعه حتى تصير
ذلك عادة فيه طبيعية فلا يسمع كلاما الا وينبعث من طبعه داعية الاعتراض عليه حتى يغلب ذلك على قلبه
في ادلة القرآن والفاظ الشرع فيضرب البعض منها بالبعض والمراء في مقابلة الباطل محذور اذ ندب النبي صلى
الله عليه وسلم الى ترك المراء بالحق على الباطل قال عليه السلام من ترك المراء وهو مبطل بنى الله له بيتا في
الجنة وقد سوى الله تعالى بين المفتري على الله كذبا وبين من كذب بالحق فقال ومن اظلم ممن كذب على الله وكذب
بالصدق اذ جاءه **ومنها** الرياء وملاحظة الخلق والجهد في استمالة قلوبهم وصرف وجوههم والرياء
هو الداء العضال الذي يدعو الى اكبر الكبائر كما سياتي في كتاب الرياء والمناظر لا يقصد الا الظهور عند الخلق
وانطلاق السنتهم بالثناء عليه **فهذه** عشر خلال من امهات الفواحش الباطنة سوى ما يتفق لغير المتماسكين
منهم من الخصام المؤدي الى الضرب واللطم وتمزيق الثياب والاخذ باللحى وسب الوالدين وشتم الاستاذين و
القذف الصريح فان اولئك ليسوا معدودين في زمرة المعتبرين وانما الاكابر والعقلاء منهم لا ينفكون عن
هذه الخصال العشر **نعم** قد يسلم بعضهم عن بعضها مع من هو ظاهر الانحطاط عنه او ظاهر الارتفاع عليه
او هو بعيد عن بلده واسباب معيشته ولا ينفك احد منه مع اشكاله المقارنين له في الدرجة ثم يتشعب
من كل واحد من هذه الخصال العشر عشر اخرى لم نطول بذكرها **وتفصيل احادها مثل**
الانفة والغضب والبغضاء والطمع وحب المال والجاه للتمكن من الغلبة والمباهاة والاشر والبطر وتعظيم
الاغنياء والسلاطين والتردد اليهم والاخذ من حرامهم والتجمل بالخيول والمراكب والثياب المحظورة و
استحقار الناس بالفخر والخيلاء والخوض فيما لا يعني وكثرة الكلام وخروج الخشية والخوف من القلب
واستيلاء الغفلة عليه حتى لا يدري المصلي منهم في صلاته ما صلى وما الذي يقرأ ومن الذي يناجيه ولا يحس بالخشوع من قلبه
واستغراق العمر في العلوم التي تعين في المناظرة مع انها لا تنفع في الآخرة حتى تحسين العبارة وتسجيع اللفظ
وحفظ النوادر الى غير ذلك من امور لا تحصى والمناظرون يتفاوتون فيها على درجات شتى ولا ينفك اعظمهم
دينا واكثرهم عقلا عن جمل من مواد هذه الاخلاق وانما غايته اخفاؤها ومجاهدة النفس بها **واعلم**
ان هذه الرذائل لازمة للمشتغل بالتذكير والوعظ ايضا اذا كان قصده طلب القبول واقامة الجاه ونيل الثروة

والعزة وهي لازمة ايضا للمشتغل بعلم المذهب والفتاوى اذا كان قصده طلب القضاء وولاية الاوقاف
والتقدم على الاقران وبالجملة هي لازمة لكل من طلب بالعلم غير ثواب الآخرة فالعلم لا يهمل العالم
بل يهلكه هلاك الابد او يحييه حياة الابد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اشد الناس عذابا يوم القيامة عالم
لم ينفعه الله تعالى بعلمه فلقد ضره مع انه لم ينفعه وليته نجا منه راسا براس وهيهات فخطر العلم عظيم
وطالب العلم طالب الملك المؤبد والنعيم السرمد فلا ينفك عن الملك او الهلاك وهو كطالب الملك في
الدنيا فان لم يتفق له الاصابة لم يطمع في السلامة بل لا بد من لزوم الذل في عامة الاحوال فان قلت في الرخصة في المناظرة
فائدة وهي ترغيب الناس في طلب العلم اذ لولا حب الرياسة لاندرست العلوم فقد صدقت فيما ذكرته من
وجه ولكنه غير مفيد اذ لولا الوعد بالكرة والصولجان واللعب بالعصافير ما رغب الصبيان في المكتب وذلك
لا يدل على ان الرغبة فيه محمودة ولولا حب الرياسة لاندرس العلم ولا يدل على ان طالب العلم بالرياسة ناج
بل هو من الذين قال عليه السلام فيهم ان الله ليؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وقال عليه السلام ان الله
ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وطالب الرياسة في نفسه هالك وقد يصلح بسببه غيره اذا كان يدعو
الى ترك الدنيا وذلك فيمن كان حاله في ظاهر الاحوال حال علماء السلف ولكنه قصد الجاه فمثاله الشمع الذي يحترق في
نفسه ويستضيء به غيره فصلاح غيره في هلاكه فاما اذا كان يدعو الى طلب الدنيا فمثاله النار تاكل نفسها و
غيرها **فالعلماء ثلاثة** اما مهلك نفسه وغيره وهم المصرحون بطلب الدنيا والمقبلون عليها واما مسعد نفسه
وغيره وهو الذي يدعو الى الآخرة وقد رفض الدنيا في ظاهره وقصده في الباطن قبول الخلق واقامة الجاه فانظر
من اي الاقسام انت ومن الذي اشتغلت بالاعتداد له فلا تظنن ان الله سبحانه وتعالى يقبل غير الخالص لوجهه من العلم
والعمل وسياتيك في كتاب الرياء بل في جميع ربع المهلكات ما ينفي عنك الريبة فيه ان شاء الله تعالى
الخامس من ربع العبادات من احياء علوم الدين للغزالي رضي الله عنه في ادب التعلم والتعليم فاما المتعلم
فآدابه ووظائفه الظاهرة كثيرة ولكن ينظم تفاريقها عشر جمل **الوظيفة** الاولى تقديم طهارة النفس عن رذائل الاخلاق ومذموم الاوصاف
اذ العلم عبادة القلب وصلاة السر وقربة الباطن الى الله عز وجل وكما لا تصح الصلاة التي هي وظيفة الجوارح
الظاهرة الا بتطهير الظاهر عن الاحداث والاخباث فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم الا بعد طهارته عن خبائث
الاخلاق وانجاس الاوصاف قال صلى الله عليه وسلم بني الدين على النظافة وكذلك هو باطنا وظاهرا قال الله
تعالى انما المشركون نجس تنبيها للعقول على ان الطهارة والنجاسة غير مقصورة على الظواهر المدركة بالحس فالمشرك قد
يكون نظيف الثوب مغسول البدن ولكنه نجس الجوهر اي باطنه ملطخ بالخبائث والنجاسة عبارة عما يجتنب
ويطلب البعد منه وخبائث صفات الباطن اهم بالاجتناب فانها مع خبثها في الحال مهلكات في المآل ولذلك
قال عليه السلام لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب والقلب بيت هو منزل الملائكة ومهبط اثرهم ومحل استقرارهم
والصفات الردية مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب واخواتها كلاب نابحة فانى تدخله الملائكة
وهو مشحون بالكلاب ونور العلم لا يقذفه الله تعالى في القلب الا بواسطة الملائكة وما كان لبشر ان يكلمه الله
الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا وهكذا ما يرسل من رحمة العلوم الى القلوب انما تتولاها الملائكة الموكلون بها
وهم المقدسون المطهرون المبرؤون عن الصفات المذمومة فلا يلاحظون الا طيبا [illegible]
تعالى [illegible]
وفرق بين [illegible]
الدقيقة فان هذا طريق الاعتبار وهو مسلك العلماء والابرار اذ معنى الاعتبار ان يعبر ما ذكر الى غيره فلا يقتصر

عليه كما يرى العاقل مصيبة بغيره فيكون له فيها عبرة ولا يعتبر غيره به كما ان يعتبر منها الى التنبيه لكونه ايضا معرض
للمصائب وكون الدنيا بصدد الانقلاب معبودة من نفسه العبرة ومن نفسه الى اهل الدنيا عبرة محمودة فاعتبر
انت ايضا من البنا الذي هو بنا الخلق الى القلب الذي هو بيت من بيوت الله تعالى ومن الكلب الذي ذم لصفته
لا لصورته وهو ما فيه من سبعيه ونجاسه والمدوح الكلبيه وهو السبعية **واعلم** ان القلب المشحون بالغضب
والشره الى الدنيا والتكالب عليها والحرص على التمزيق لاعراض الناس كلب في المعنى وكلب في الصورة ونور الابصار يلاحظ
المعاني دون الصور والصور في هذا العالم غالبة على المعاني والمعاني باطنة فيها وفي الاخرة يتبع الصور
المعاني وتغلب المعاني فلذلك يحشر كل شخص على صورته المعنوية فيحشر الممزق لاعراض الناس كلبا ضاريا والشره
الى اموال الناس ذئبا والمتكبر عليهم في صورة نمر وطالب الرياسة في صورة اسد وقد وردت بذلك الاخبار وشهد به الاعتبار
ومن طالب بتلك الاخلاق حصول العلم فهيهات فما ابعدك من العلم الحقيقي النافع في الاخرة الجالب للسعادة
فان من اوائل ذلك العلم ان يظهر له ان المعاصي سموم مهلكة وهل رايت من يتناول سما مع علمه بكونه سما انما الذي
تسمعه من المترسمين حديث يلفقونه يرددونه بالسنتهم مرة ويرددونه بقلوبهم اخرى وليس ذلك من العلم في شيء
قال ابن مسعود رضي الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم نور يقذف في القلب وقال بعضهم انما
العلم الخشية اذ قال الله عز وجل انما يخشى الله من عباده العلماء وكانه اشار الى اخص ثمرات العلم ولذلك
قال بعض المحققين معنى قولهم تعلمنا العلم لغير الله فابى العلم ان يكون الا لله ان العلم ابى وامتنع علينا فلم
ينكشف لنا حقيقته وانما حصل لنا حديثه والفاظه **فان قلت** اني ارى جماعة من الفقهاء المحققين برزوا
في الفروع والاصول وعدوا من جملة الفحول واخلاقهم ذميمة لم يتطهروا منها فيقال اذا عرفت مراتب العلوم وعرفت
علم الاخرة استبان لك ان ما اشتغلوا به قليل الغناء من حيث كونه علما وانما غناؤه من حيث كونه عملا لله تعالى اذا قصد
به التقرب الى الله تعالى وقد سبق الى هذا اشارة وسياتيك فيها مزيد بيان **الوظيفة الثانية**
ان يقلل علائقه من الاشتغال بالدنيا ويبعد عن الاهل والوطن فان العلائق شاغلة وصارفة وما جعل الله لرجل
من قلبين في جوفه ومهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق ولذلك قيل العلم لا يعطيك بعضه حتى
تعطيه كلك فاذا اعطيته كلك فانت من اعطائه اياك بعضه على خطر والفكرة المتفرقة على امور متفرقة
كجدول تفرق ماؤه فنشفت الارض بعضه واختطف الهوا بعضه فلا يبقى منه ما يجتمع ويبلغ المزدرع
الوظيفة الثالثة ان لا يتكبر على العلم ولا يتامر على المعلم بل يلقي اليه زمام امره بالكلية في كل
تفصيل ويذعن لنصحه اذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق وينبغي ان يتواضع لمعلمه ويطلب
الثواب والشرف بخدمته قال الشعبي صلى زيد بن ثابت على جنازة فقربت له بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فاخذ
بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله فقال ابن عباس هكذا امرنا ان نفعل بالعلماء والكبراء فقبل زيد بن
ثابت يده وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم **وقال** صلى الله عليه وسلم ليس من
اخلاق المؤمن الملق الا في طلب العلم فلا ينبغي للطالب ان يتكبر على المعلم ومن تكبره على المعلم ان يستنكف عن
الاستفادة الا من المذكورين المشهورين وهو عين الحماقة فان العلم سبب النجاة والسعادة ومن طلب
مهربا من سبع ضار يفترسه لم يفرق بين ان يرشده الى الهرب مشهور او خامل وضراوة سباع النار بالجهال
بالله اشد من ضراوة كل سبع فالحكمة ضالة المؤمن يغتنمها حيث يظفر بها ويتقلد المنة لمن ساقها اليه كائنا من
كان ولذلك قيل العلم حرب للفتى المتعالي كالسيل حرب للمكان العالي فلا ينال العلم الا بالتواضع والقاء السمع و
هو شهيد ومعنى كونه ذا قلب ان يكون قابلا للعلم فهما ثم لا تعينه القدرة على الفهم حتى يلقي السمع وهو شهيد حاضر القلب

فليكن المتعلم لمعلمه كارض دمثة نالت مطرا غزيرا فتشربت جميع اجزائها واذعنت بالكلية لقبوله ومهما اشار عليه
المعلم بطريق في التعليم فليقلده وليدع رايه فان خطا مرشده انفع له من صوابه في نفسه اذ التجربة تطلع على
دقائق يستغرب سماعها مع انه يعظم نفعها فكم من مريض محرور يعالجه الطبيب في بعض اوقاته بالحرارة ليزيد في
قوته الى حد يحتمل العلاج فيتعجب منه من لا خبرة له **وقد** نبه الله تعالى بقصة الخضر وموسى عليهما السلام حيث
قال الخضر انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ثم شرط عليه السكوت فقال فان اتبعتني فلا
تسألني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا ثم لم يصبر ولم يزل في مراودته الى ان كان ذلك سبب الفراق بينهما
وبالجملة كل متعلم استبقى لنفسه رايا واختيارا دون اختيار المعلم فاحكم عليه بالخسران **فان قلت** قال الله تعالى
فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون فالسؤال مامور به فاعلم انه كذلك ولكن فيما ياذن المعلم في السؤال عنه
فان السؤال عما لم يبلغ رتبتك الى فهمه مذموم ولذلك منع الخضر موسى عن السؤال اي دع السؤال قبل اوانه
فالمعلم اعلم بما انت اهله وباوان الكشف وما لم يدخل اوان الكشف في كل درجة من مراقي الدرجات لا يدخل اوان
الكشف السؤال ولا يعنته في الجواب ولا يلح عليه اذا كسل ولا ياخذ بثوبه اذا نهض ولا يفشي له سرا ولا يغتاب
عنده احدا ولا يطلب عثرته وان زل قبل معذرته وعليك ان توقره وتعظمه لله عز وجل ما دام يحفظ امر الله
تعالى ولا تجلس امامه وان كانت له حاجة سبقت القوم الى خدمته **الوظيفة الرابعة** ان يحترز الخائض
في العلم في مبدأ الامر عن الاصغاء الى اختلاف الناس سواء كان ما خاض فيه من علوم الدنيا او علوم الاخرة فان
ذلك يدهش عقله ويحير ذهنه ويفتر رايه ويؤيسه عن الادراك والاطلاع بل ينبغي ان يتقن اولا الطريق
الواحد عند استاذه ثم بعد ذلك يصغي الى المذاهب والشبه وان لم يكن استاذه مستقلا باختيار راي واحد
وانما عادته نقل المذاهب وما قيل فيها فليحذر منه فان اضلاله اكثر من ارشاده فلا يصلح الاعمى لقود العميان
وارشادهم ومن هذه حاله يعد في عمى الحيرة وتيه الجهل ومنع المبتدي عن الشبه يضاهي منع الحديث العهد بالاسلام
عن مخالطة الكفار وكذلك منع العاجز عن التبحر عن صف الكفار ويندب الشجاع له **ومن الغفلة** عن هذه
الدقيقة ظن بعض الضعفاء ان الاقتداء بالاقوياء فيما ينقل عنهم من المساهلات جائز ولم يدر ان وظائف الاقوياء تخالف
وظائف الضعفاء ولذلك قال بعضهم من رآني في البداية صار صديقا ومن رآني في النهاية صار زنديقا اذ النهاية
تؤدي الى [illegible] وتسكن الجوارح الا عن اداء الفرائض فيتراءى للناظر انها بطالة وكسل واهمال وهيهات
فذلك مرابطة القلب في عين الشهود والحضور وملازمة للذكر الذي هو افضل الاعمال وتشبه الضعيف به
فيما هو فيه كمن يلقي نجاسة يسيرة في كوز ماء فان اضعاف هذه النجاسات قد يلقى في البحر والبحر اعظم من الكوز فما
جاز للبحر فهو للكوز اجوز ولا يدري المسكين ان البحر بقوته يحيل النجاسات ماء باستيلائه الى صفته ومثل هذا
جوز للنبي صلى الله عليه وسلم ما لم يجوز لغيره حتى ابيح له تسع نسوة اذ كان له من القوة ما يتعدى منه صفة العدل
الى نسائه وان كثرن واما غيره فلا يقدر على العدل بل يتعدى ما بينهن من الضرر اليه حتى يجر الى المعصية لله
في طلب مرضاتهن فما افلح من قاس الملائكة بالحدادين **الوظيفة الخامسة** ان لا يدع طالب العلم فنا من
العلوم المحمودة ونوعا من انواعه الا وينظر فيه نظرا يطلع فيه على مقصده وغايته ثم ان ساعده العمر طلب التبحر
فيه والا اشتغل بالاهم واستوفاه وتطرف من البقية فان العلوم متعاونة وبعضها مرتبط ببعض ويستفيد منه
في الحال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله فان الناس اعداء ما جهلوا قال الله تعالى واذ لم يهتدوا
به فسيقولون هذا افك قديم **قال الشاعر شعر** ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا فالعلوم
على درجتها اما سالكة بالعبد الى الله تعالى او معينة على السلوك نوعا من الاعانة ولها منازل مرتبة في القرب والبعد

من المقصود والقيام بحفظه كحفظ الرباطات والثغور ولكل واحد رتبة وله بحسب درجته اجر في الاخرة
اذا قصد به وجه الله تعالى **الوظيفة السادسة** ان العمر اذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالبا فالحزم
ان ياخذ من كل شيء احسنه ويكتفي منه بشمه ويصرف جمام قوته في الميسور من علمه الى استكمال العلم الذي هو
اشرف العلوم وهو علم الاخرة اعني قسمي المعاملة والمكاشفة وغاية المكاشفة معرفة الله تعالى ولست اعني به الاعتقاد
الذي يتلقفه العامي وراثة او تلقفا ولا طريق تحرير الكلام والمجادلة في تحصينه عن مراوغات الخصوم كما هو
غاية المتكلم بل ذلك نوع يقين هو ثمرة نور يقذفه الله في قلب عبد طهر باطنه عن الخبائث حتى ينتهي الى رتبة ايمان
ابي بكر الذي لو وزن بايمان العالمين لرجح كما شهد له سيد البشر صلى الله عليه وسلم فما عندي ان ما يعتقده العامي
ويرتبه المتكلم الذي لا يزيد على العامي الا في صنعة الكلام ولاجله سميت صناعته كلاما كان يعجز عنه عمر وعلي وسائر
الصحابة حتى كان يفضلهم ابو بكر بالسر الذي وقر في صدره والعجب ممن يسمع مثل هذه الاقوال من
صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلم ثم يزدري ما يسمعه على وفقه ويزعم انه من ترهات الصوفية وان ذلك
غير معقول فينبغي ان يتئد في هذا فعنده ضيعت راس المال وكن حريصا على معرفة ذلك السر الخارج عن بضاعة
الفقهاء والمتكلمين ولا يرشدك اليه الا حرصك في الطلب وعلى الجملة فاشرف العلوم وغايتها معرفة الله
عز وجل وهو بحر لا يدرك منتهى غوره واقصى درجات البشر فيه رتبة الانبياء ثم الاولياء ثم الذين يلونهم
وقد روي انه رئي صورة حكيمين في مسجد وفي يد احدهما رقعة فيها ان احسنت كل شيء فلا تظنن انك
احسنت شيئا حتى تعرف الله عز وجل وتعلم انه مسبب الاسباب وموجد الاشياء وفي يد الاخر كنت قبل ان اعرف
الله سبحانه اشرب واظما حتى اذا عرفته رويت بلا شرب **الوظيفة السابعة** ان يعرف السبب الذي
به يدرك شرف العلوم وان ذلك يراد به شيئان احدهما شرف الثمرة والثاني وثاقة الدليل وقوته وذلك كعلم
الدين وعلم الطب فان ثمرة احدهما الحياة الابدية وثمرة الاخر الحياة الفانية فيكون علم الدين اشرف ومثل علم
الحساب وعلم النجوم فان علم الحساب اشرف لوثاقة ادلته وقوتها وان نسب الحساب الى الطب كان الطب اشرف
باعتبار ثمرته وملاحظة الثمرة اولى ولذلك كان الطب اجدر اشرف وان كان اكثره بالتخمين وبهذا تبين ان
اشرف العلوم العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله والعلم بالطريق الموصل الى هذه العلوم فاياك وان ترغب
الا فيه وان تحرص الا عليه **الوظيفة الثامنة** ان يكون قصد المتعلم في الحال تحلية باطنه وتجميله
بالفضيلة وفي المآل القرب من الله تعالى والترقي لجوار الملا الاعلى من الملائكة والمقربين ولا يقصد به الرياسة والمال والجاه ومماراة
السفهاء ومباهاة الاقران واذا كان هذا مقصده طلب لا محالة الاقرب الى مقصوده وهو علم الاخرة ومع هذا
فلا ينبغي ان ينظر بعين الحقارة الى سائر العلوم اعني علم الفتاوى وعلم النحو واللغة المتعلقين بالكتاب والسنة
وغير ذلك مما اوردناه في المقدمات والمتممات من ضروب العلوم ولا يفهم من غلونا في الثناء على علم الاخرة
تهجين هذه العلوم فالمتكفلون بالعلوم كالمتكفلين بالثغور والمرابطين بها والغزاة والمجاهدين في
سبيل الله ومنهم المقاتل ومنهم الذي يحفظ دوابهم اذا قيسوا بالكاسبين فلا تظنن ان ما نزل عن الرتبة
القصوى ساقط القدر بل الرتبة العليا للانبياء ثم الاولياء ثم العلماء الراسخين في العلم ثم الصالحين على
تفاوت درجاتهم وبالجملة من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ومن قصد الله عز وجل بالعلم
اي علم كان نفعه ورفعه **الوظيفة التاسعة** ان تعلم نسبة العلوم الى المقصد كيما يؤثر
الرفيع القريب على البعيد والمهم على غيره ومعنى المهم ما يهمك ولا يهمك الا شانك في الدنيا والاخرة واذا لم يمكنك الجمع بين
ملاذ الدنيا ونعيم الاخرة كما نطق به القرآن وشهد له من نور البصائر ما يجري مجرى العيان فالاهم ما يبقى ابد

الاباد

الاباد وعند ذلك تصير الدنيا منزلا والبدن مركبا والاعمال سعيا الى المقصد ولا مقصد الا لقاء الله عز وجل
ففيه النعيم كله وان كان لا يعرف في هذا العالم قدره الا الاقلون فالعلوم بالاضافة الى سعادة لقاء
الله عز وجل والنظر الى وجهه الكريم اعني النظر الذي طلبه الانبياء وفهموه دون ما يسبق الى فهم العوام والمتكلمين
على ثلث مراتب تفهمها بالموازنة بمثال وهو ان العبد الذي علق عتقه وتمكينه من الملك بالحج والاستعداد له
وعاقه في الطريق مانع ضروري فله العتق والخلاص من شقاء الرق فقط دون سعادة الملك فله
ثلثة اصناف **الاول** تهيئة الاسباب بشراء الناقة وخرز الراوية واعداد الزاد والراحلة والاخر السلوك و
مفارقة الوطن بالتوجه الى الكعبة منزلا بعد منزل **والثالث** الاشتغال باعمال الحج ركنا بعد ركن
ثم بعد النزوع عن هيئة الاحرام وطواف الوداع استحق التعرض للملك والسلطنة وله في كل مقام
منازل من اول اعداد الاسباب الى اخره ومن اول سلوك البوادي الى اخره ومن اول اركان الحج الى اخره
وليس قرب من ابتدا باركان الحج من السعادة كقرب من هو بعد في اعداد الزاد والراحلة ولا كقرب من
ابتدا بالسلوك بل هو اقرب منه فالعلوم ايضا **ثلثة** اقسام قسم يجري مجرى اعداد الزاد والراحلة
وشراء الناقة وهو علم الطب والفقه وما يتعلق بمصالح البدن في الدنيا وقسم منه يجري مجرى سلوك البوادي
وقطع العقبات وهو تطهير الباطن عن كدورات الصفات وطلوع تلك العقبات الشامخة التي عجز عنها
الاولون والاخرون الا الموفقين فهذا سلوك الطريق وتحصيل علمه كتحصيل جهات الطريق ومنازله
وكما لا يغني علم المنازل وطرق البوادي دون سلوكها لا يغني علم تهذيب الاخلاق دون مباشرة التهذيب
ولكن المباشرة دون العلم غير ممكن **وقسم ثالث** يجري مجرى نفس الحج واركانه وهو العلم بالله عز وجل
وصفاته وملائكته وافعاله وجميع ما ذكرناه في علم المكاشفة وههنا نجاة وفوز بالسعادة والنجاة حاصلة
لكل سالك الطريق وههنا نجاة اذا كان غرضه المقصد وهو السلامة **واما** الفوز بالسعادة فلا ينالها
الا العارفون فهم المقربون المنعمون في جوار الله عز وجل بالروح والريحان وجنة نعيم **واما** الممنوعون دون
ذروة الكمال فلهم النجاة والسلامة كما قال الله تعالى فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم
واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين وكل من لم يتوجه الى المقصد ولم ينتهض
له او انتهض الى جهته لا على قصد الامتثال والعبودية بل لغرض عاجل فهو من اصحاب الشمال ومن
الضالين فله نزل من حميم وتصلية جحيم **واعلم** ان هذا هو اليقين عند العلماء الراسخين اعني انهم ادركوه
بمشاهدة من الباطن اقوى واجلى من مشاهدة الابصار وترقوا فيه عن حد التقليد بمجرد السماع وحالهم
حال من اخبر فصدق ثم شاهد فتحقق وحال غيرهم حال من قبل بحسن التصديق والايمان ولم يحظ
بالمشاهدة والعيان فالسعادة وراء علم المكاشفة وعلم المكاشفة وراء علم المعاملة التي هي سلوك
طريق الاخرة وقطع عقبات الصفات وسلوك الطريق محو الصفات المذمومة وراء علم الصفات وعلم
طريق المعالجة وكيفية السلوك وذلك وراء سلامة البدن ومساعدة اسباب الصحة وسلامة البدن بالاجتماع
والتظاهر والتعاون الذي يتوصل به الى الملبس والمطعم والمسكن وهو منوط بالسلطان وقانونه في ضبط
الناس على منهج العدل والسياسة في ناحية الفقيه **واما** اسباب الصحة ففي ناحية الطبيب ومن قال
العلم علمان علم الابدان وعلم الاديان واشار به الى الفقه اراد به العلوم الظاهرة لا العلوم الباطنة [illegible]
لم شبهت علم الفقه والطب باعداد الزاد والراحلة فاعلم ان الساعي الى الله تعالى لينال قربه [illegible]
هو القلب دون البدن ولست اعني بالقلب اللحم المحسوس بل هو سر من اسرار الله تعالى لا يدركه الحس ولطيفة من

لطائفه تارة يعبر عنه بالروح واخرى بالنفس المطمئنة والشرع يعبر عنه بالقلب لانه المطية الاولى لذلك السر
وبواسطته والبدن مطيته والة لتلك اللطيفة وكشف الغطاء عن ذلك السر من علم المكاشفة وهو مضنون
به بل لا رخصة في ذكره وغاية المأذون فيه ان يقال هو جوهر نفيس ودر عزيز اشرف من هذه الاجرام المرئية وانما هو امر الهي
كما قال تعالى ويسئلونك عن الروح الاية وكل المخلوقات منسوبة الى الله تعالى ولكن نسبته اشرف من نسبة سائر
اعضاء البدن فلله الخلق والامر جميعا والامر اعلى من الخلق وهذه الجوهرة النفيسة الحاملة لامانة الله تعالى
المتقدمة بهذه الرتبة على السموات والارضين اذ ابين ان يحملنها واشفقن منها من عالم الامر ولا يفهم من
هذا انه تعريض بقدمه والقائل بقدم الارواح مغرور جاهل لا يدري ما يقول ولنقبض عنان البيان في
هذا الفن فهو وراء ما نحن بصدده والمقصود ان هذه اللطيفة هي الساعية الى قرب الله تعالى لانها من امر الرب
فمنه مصدرها واليه مرجعها **واما البدن** فمطيتها التي تركبها وتسعى بواسطتها فالبدن لها في
طريق الله عز وجل كالناقة للبدن في طريق الحج وكالراوية الخازنة للماء الذي يفتقر اليه البدن وكل علم
مقصده مصلحة البدن فهو من جملة مصالح المطية ولا يخفى ان الطب كذلك فانه قد يحتاج اليه في حفظ الصحة على
البدن ولو كان الانسان وحده لاحتاج اليه والفقه يفارقه في انه لو كان الانسان وحده ربما كان يستغني
عنه ولكنه خلق على وجه لا يمكن ان يعيش وحده اذ لا يستقل بالسعي في تحصيل طعامه بالحراثة والزرع
والطبخ وفي تحصيل الملبس والمسكن وفي اعداد الات ذلك كله فاضطر الى المخالطة والاستعانة ومهما اختلط
الناس وثارت شهواتهم تجاذبوا اسباب الشهوات وتنازعوا وتقاتلوا وحصل من تقاتلهم هلاكهم بسبب
تضاد الاخلاط من داخل وبالطب يحفظ الاعتدال في الاخلاط المتنازعة من داخل وبالسياسة والعدل
يحفظ الاعتدال في التنافس من خارج وعلم طريق اعتدال احوال الناس في المعاملات والافعال الفقه وكل
ذلك لحفظ البدن الذي هو مطية فالمتجرد لعلم الفقه او الطب اذا لم يجاهد نفسه ولم يصلح قلبه كالمتجرد
لشراء الناقة وعلفها وشراء الراوية وخرزها اذا لم يسلك بادية الحج كالمستغرق عمره في دقائق الاسباب
التي بها تحكم الخيوط التي تخرز بها الراوية للحج ونسبة هؤلاء من سالك الطريق اصلاح القلب الموصل الى علم
المكاشفة كنسبة اولئك الى سالك طريق الحج او ملابس اركانه فتامل هذا واقبل النصيحة مجانا ممن قام عليه ذلك غاليا ولم يصل اليه الا بعد
جهد شديد وجراءة تامة على مباينة الخلق والعامة في النزوع بمجرد الشهوة فهذا القدر كاف في وظائف
المتعلم

بيان وظائف المرشد المعلم

اعلم ان للانسان في علمه اربعة احوال كحاله في اقتناء الاموال
اذ لصاحب المال حالة استفادة فيكون مكتسبا وحال ادخار لما اكتسبه فيكون به غنيا عن السؤال وحال
انفاق على نفسه فيكون منتفعا وحال بذل لغيره فيكون به سخيا متفضلا وهو اشرف احواله فكذلك العلم
يقتنى كالمال فله حال طلب واكتساب وحال تحصيل يغني عن السؤال وحال استبصار يغني عن التفكر
في المحصل والتمتع به وحال تبصير وهو اشرف الاحوال فمن علم وعمل وعلم فهو الذي يدعى عظيما في ملكوت السموات
فانه كالشمس تضيء لغيرها وهي مضيئة وكالمسك الذي يطيب غيره وهو طيب والذي يعلم ولا يعمل به كالدفتر
الذي يفيد غيره وهو خال عن العلم وكالمسن الذي يشحذ غيره ولا يقطع والابرة تكسو غيرها وهي عارية وذبالة
المصباح تضيء غيرها وهي تحترق **قال الشاعر** ما هي الا ذبالة وقدت تضيء للناس وهي تحترق ومهما
اشتغل بالتعليم فقد تقلد امرا عظيما وخطرا جسيما فليحفظ ادابه ووظائفه **الوظيفة الاولى**
الشفقة على المتعلمين وان يجريهم مجرى بنيه قال صلى الله عليه وسلم انما انا لكم مثل الوالد لولده بان
يقصد انقاذهم من نار الاخرة وهو اهم من انقاذ الابوين ولدهما من نار الدنيا ولذلك صار حق المعلم
اعظم من حق الوالدين فان الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية ولولا المعلم لانساق ما حصل من جهة الاب
الى الهلاك الدائم وانما المعلم هو المفيد للحياة الاخروية الدائمة اعني معلم علوم الاخرة او علم الدنيا على قصد الاخرة
لا قصد الدنيا فاما التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك واهلاك ونعوذ بالله منه وكما ان حق ابناء الرجل
الواحد ان يتحابوا ويتعاونوا على المقاصد فحق تلامذة الرجل الواحد التحاب ولا يكون الا كذلك ان كان
مقصدهم الاخرة ولا يكون الا التحاسد والتباغض ان كان مقصدهم الدنيا فان العلماء ابناء الدنيا سالكون
الى الله تعالى وسالكون الى الطريق الدنيا وسنونها وشهورها منازل الطريق والترافق في الطريق بين
المسافرين الى الامصار التواد والتحاب فكيف السفر الى الفردوس الاعلى والترافق في طريقه ولا ضيق
في سعادات الاخرة فلذلك لا يكون بين ابناء الدنيا تنازع ولا سعة لسعادات الدنيا فلذلك لا ينفك عن
ضيق التزاحم والعادلون الى طلب الرياسة بالعلوم خارجون عن موجب قوله تعالى انما المؤمنون اخوة وداخلون
في قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين **الوظيفة الثانية** ان يقتدي بصاحب
الشرع صلى الله عليه وسلم فلا يطلب على افادة العلم اجرا ولا يقصد جزاء ولا شكرا بل يعلم لوجه الله تعالى
وطلبا للتقرب اليه ولا يرى لنفسه منة عليهم بل يرى الفضل لهم اذ هذبوا قلوبهم لان يتقرب الى الله
تعالى بزراعة العلوم فيها كالذي يعيرك الارض لتزرع فيها لنفسك زراعة فمنفعتك بها تزيد
على منفعة صاحب الارض فكيف تقلده منة وثوابك في التعليم اكثر من ثواب المتعلم عند الله تعالى ولولا
المتعلم ما نلت هذا الثواب فلا تطلب الاجر الا من الله تعالى كما قال الله سبحانه وتعالى قل لا اسئلكم عليه اجرا
فان المال وما في الدنيا خادم البدن والبدن مركب النفس ومطيتها والمخدوم هو العلم اذ به شرف النفس
فمن طلب بالعلم المال كان كمن مسح اسفل مداسه ونعله بمحاسنه لينظفه فجعل المخدوم خادما وذلك
هو الانتكاس على ام الرأس ومثله هو الذي يقوم في العرض الاكبر مع المجرمين ناكسي رؤوسهم وعلى الجملة الفضل
والمنة للمعلم وانظر كيف انتهى امر الذين يزعمون ان مقصدهم التقرب الى الله عز وجل بما هم فيه من علم الفقه
والكلام والتدريس فيهما وفي غيرهما فانهم يبذلون المال والجاه ويتحملون اصناف الذل في خدمة السلاطين
لاستطلاق الجرايات ولو تركوا ذلك لتركوا ولم يختلفوا اليهم ثم يتوقع المعلم من المتعلم ان يقوم له في كل نائبة
وينصر وليه ويعادي عدوه وينتهض حمارا له في حاجاته ومسخرا بين يديه في اوطاره فان قصر فيه ثار عليه
وصار من اعدى اعدائه فاخسس بعالم يرضى لنفسه بهذه المنزلة ثم يفرح بها ثم لا يستحيي ان يقول غرضي
من التدريس نشر العلم تقربا الى الله تعالى ونصرة لدينه فانظر الى الامارات حتى ترى صنوف الاغترارات
الوظيفة الثالثة ان لا يدع من نصح المتعلم شيئا وذلك بان يمنعه من التصدي لرتبة قبل
استحقاقها والتشاغل بعلم خفي قبل الفراغ من الجلي ثم ينبهه على ان مطالب العلوم القرب من الله سبحانه
دون الرياسة والمباهاة والمنافسة ويقدم تقبيح ذلك في نفسه باقصى ما يمكن فليس ما يصلح العالم الفاجر
اكثر مما يفسده فان علم من باطنه انه لا يطلب العلم الا للدنيا نظر الى العلم الذي يطلبه فان كان هو علم الخلاف
في الفقه والجدل في الكلام والفتاوي في الخصومات فيمنعه من ذلك فان هذه العلوم ليست من العلوم
التي قيل فيها تعلمنا العلم لغير الله فابى العلم ان يكون الا لله وانما ذلك علم التفسير والحديث وما كان
الاولون يشتغلون به ومعرفة اخلاق النفس وكيفية تهذيبها فاذا تعلمه الطالب وقصد به الدنيا فلا
باس ان يتركه فانه يثمر له طمعا في الوعظ والاستتباع ولكن يتنبه في اثناء الامر اذ فيه العلوم المخوفة
من الله عز وجل المحقرة للدنيا المعظمة للاخرة وذلك يوشك ان يؤديه للصواب في الاخرة حتى يتعظ بما يعظ به

غيره ويجري حب القبول والجاه كالحب الذي ينثر حوالي الفخ ليقتنص به الطير وقد فعل الله ذلك بعباده اذ خلق
الشهوة ليصل الخلق بها الى بقاء النسل وخلق ايضا حب الجاه ليكون سببا لاحياء العلوم وهذا متوقع في هذه العلوم
فاما الخلاف المحض ومجادلة الكلام ومعرفة التفريعات الغريبة فلا يزيد التجرد لها مع الاعراض عن غيرها الا قسوة
القلب وغفلة عن الله تعالى وتماديا في الضلال وطلب الجاه الا من تداركه الله برحمته او مزج به غيره من العلوم
الدينية ولا برهان على ذلك كالتجربة والمشاهدة فانظر واعتبر واستبصر لتشاهد تحقيق ذلك في العباد و
البلاد والله اعلم **وقد** رئي سفيان الثوري حزينا فقيل له ما لك فقال صرنا متجرا لابناء
الدنيا يلزمنا احدهم حتى اذا تعلم جعل عاملا او قاضيا او قهرمانا **الوظيفة الرابعة** وهي
من دقائق صناعة التعليم ان يزجر المتعلم عن سوء الاخلاق بطريق التعريض ما امكن ولا يصرح وبطريق الرحمة لا
بطريق التوبيخ فان التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف ويهيج الحرص على الاصرار **قال**
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مرشد كل معلم لو منع الناس عن فت البعر لفتوه وقالوا ما نهينا عنه الا
وفيه شيء وينبهك على هذا قصة آدم وحواء صلوات الله عليهما وما نهيا عنه فما ذكرت القصة معك لتكون
سمرا بل لتتنبه بها على سبيل العبرة ولان التعريض ايضا يميل النفوس الفاضلة والاذهان الذكية الى
استنباط معانيه فيفيد فرح التفطن لمعناه رغبة في العمل به ليعلم ان ذلك مما لا يعزب عن فطنته **الوظيفة
الخامسة** ان المتكفل ببعض العلوم لا ينبغي ان يقبح في نفس المتعلم العلوم التي وراءه كمعلم اللغة
اذ عادته تقبيح الفقه ومعلم الفقه عادته تقبيح علم الحديث والتفسير وان ذلك نقل محض وسماع وهو شان
العجائز ولا نظر للعقل فيه ومعلم الكلام ينفر عن الفقه ويقول ذلك فروع وهو كلام في حيض النسوان فاين ذلك
من الكلام في صفة الرحمن فهذه اخلاق مذمومة للمعلمين ينبغي ان تجتنب بل المتكفل بعلم واحد ينبغي ان
يوسع على المتعلم طريق التعلم في غيره وان كان متكفلا بعلوم فينبغي ان يراعي التدريج في ترقية المتعلم من رتبة
الى رتبة **الوظيفة السادسة** ان يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقي اليه ما لا يبلغه عقله فينفره
او يخبط عليه عقله اقتداء بسيد البشر صلى الله عليه وسلم حيث قال نحن معاشر الانبياء امرنا ان ننزل الناس
منازلهم ونكلم الناس على قدر عقولهم فليبث اليه الحقيقة اذا علم انه يستقل بفهمها قال عليه السلام ما احد
يحدث قوما بحديث لا تبلغه عقولهم الا كان فتنة على بعضهم **وقال** علي رضي الله عنه واشار الى صدره
ان ههنا لعلوما جمة لو وجدت لها حملة وصدق رضي الله عنه فقلوب الابرار قبور الاسرار فلا ينبغي ان يفشي العالم كل ما
يعلمه الى كل احد هذا اذا كان يفهمه المتعلم ولم يكن اهلا للانتفاع به فكيف فيما لا يفهمه **وقال**
عيسى عليه السلام لا تعلقوا الجواهر في اعناق الخنازير فان الحكمة خير من الجوهر ومن كرهها فهو شر من الخنازير
ولذلك قيل كل لكل عبد بمعيار عقله وزن له بميزان فهمه حتى تسلم منه وينتفع بك والا وقع الانكار لتفاوت
المعيار **وسئل** بعض العلماء عن شيء فلم يجب فقال السائل اما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من كتم علما نافعا جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار فقال اترك اللجام واذهب فان جاء من يفقهه فكتمته
فليلجمني وقد قال الله عز وجل ولا تؤتوا السفهاء اموالكم تنبيها على ان حفظ العلم ممن يفسده ويضره اولى وليس الظلم
في اعطاء غير المستحق باقل من الظلم في منع المستحق فمن منح الجهال علما اضاعه ومن منع المستوجبين فقد
ظلم **الوظيفة السابعة** ان المتعلم القاصر ينبغي ان يلقى اليه الجلي اللائق به ولا يذكر له ان وراء هذا
تدقيقا وهو يدخره عنه فان ذلك يفتر رغبته في الجلي ويشوش عليه قلبه ويوهم اليه البخل به عنه اذ يظن كل احد
انه اهل لكل علم دقيق فما من احد الا وهو راض عن الله عز وجل في كمال عقله واشدهم حماقة واضعفهم عقلا

هو افرحهم بكمال عقله وبهذا يعلم ان من تقيد من العوام بقيد الشرع ورسخ في نفسه العقائد المأثورة عن
السلف من غير تشبيه ومن غير تأويل وحسنت مع ذلك سريرته ولم يحتمل عقله اكثر من ذلك فلا ينبغي ان يشوش عليه اعتقاده بل
ينبغي ان يخلى وحرفته فانه لو ذكر له تأويلات الظاهر انحل عنه قيد العوام ولم يتيسر قيده بقيد الخواص
فيرتفع السد الذي بينه وبين المعاصي وينقلب شيطانا مريدا يهلك نفسه وغيره بل لا ينبغي ان يخاض
بالعوام في حقائق العلوم الدقيقة بل يقتصر معهم على تعليم العبادات وتعليم الامانة في الصناعات التي
هم بصددها ويملأ قلوبهم من الرغبة والرهبة في الجنة والنار كما نطق به القرآن ولا يحرك عليهم شبهة
فانه ربما تعلقت الشبهة بقلبه ويعسر حلها فيشقى ويهلك وبالجملة فلا ينبغي ان يفتح للعوام
باب البحث فانه يعطل عليهم صناعاتهم التي بها قوام الخلق ودوام عيش الخواص **الوظيفة الثامنة**
ان يكون المعلم عاملا بعلمه ولا يكذب قوله فعله لان العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالابصار وارباب
الابصار اكثر فاذا خالف العمل العلم منع الرشد وكل من تناول شيئا وقال للناس لا تتناولوه فانه سم مهلك
سخر الناس منه واتهموه وزاد حرصهم عليه فيقولون لولا انه اطيب الاشياء والذها لما كان يستأثر به ومثل
المعلم المرشد من المسترشدين مثل النقش من الطين والعود من الظل فكيف ينتقش الطين بما لا نقش فيه ومتى
استوى العود استوى الظل وان اعوج العود اعوج الظل ولذلك **قال الشاعر شعر**
لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم **وقال** الله تعالى اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم
ولذلك كان وزر العالم في معاصيه اكبر اذ يزل بزلته عالم كثير ويقتدون به ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر
من عمل بها ولذلك **قال** علي كرم الله وجهه قصم ظهري رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك فالجاهل يغر
الناس بتنسكه والعالم يغرهم بتهتكه **الباب السادس** من ربع العبادات من احياء علوم الدين للغزالي رضي الله عنه
في آفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء قد ذكرنا ما ورد في فضائل العلم والعلماء **وقد ورد** في العلماء
السوء تشديدات عظيمة دلت على انهم اشد الخلق عذابا يوم القيامة فمن المهمات العظيمة معرفة العلامات الفارقة
بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة ونعني بعلماء الدنيا علماء السوء الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل
الى الجاه والمنزلة عند اهلها **قال** صلى الله عليه وسلم ان اشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله
بعلمه **ويروى** عنه ايضا لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا وقال ايضا صلى الله عليه وسلم العلم علمان
علم على اللسان فذلك حجة الله عز وجل على ابن آدم وعلم في القلب فذلك العلم النافع وقال ايضا صلى الله عليه وسلم
يكون في آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق وقال صلى الله عليه وسلم لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولتماروا
به السفهاء ولتصرفوا به وجوه الناس اليكم فمن فعل ذلك فهو في النار وقال صلى الله عليه وسلم من كتم علما عنده
الجمه الله بلجام من نار وقال صلى الله عليه وسلم لانا من غير الدجال اخوف عليكم من الدجال فقيل وما ذلك فقال
صلى الله عليه وسلم ائمة مضلون **وقال** ايضا صلى الله عليه وسلم من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد
من الله تعالى الا بعدا وقال عيسى عليه السلام الى متى تصفون الطريق للمدلجين وانتم مقيمون مع المتحيرين فهذا
وغيره من الاخبار يدل على عظيم خطر العلم وان العالم متعرض اما لهلاك الابد او لسعادة الابد وانه بالخوض في
العلم قد حرم السلامة ان لم يدرك السعادة **واما الآثار** فقد قال عمر رضي الله عنه ان اخوف ما اخاف على
هذه الامة المنافق العليم قالوا وكيف يكون منافقا عليما قال عليم اللسان جاهل القلب والعمل **وقال**
الحسن لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ويجري في العمل مجرى السفهاء وقال رجل لابي هريرة اريد ان اتعلم
العلم واخاف ان اضيعه فقال كفى بترك العلم اضاعة له وقيل لابراهيم بن عيينة اي الناس اطول ندامة فقال

اما في عاجل الدنيا فضايع العمر فيما لا يشكر، واما عند الموت فعالم بسوء ظنه وقال الخليل بن احمد الرجال اربعة
رجل يدري ويدري انه يدري فذلك عالم فاتبعوه ورجل يدري ولا يدري انه يدري فذلك نائم فايقظوه ورجل
لا يدري ويدري انه لا يدري فذلك جاهل فارفضوه وقال الثوري يهتف العلم بالعمل فان اجابه والا ارتحل وقال
ابن المبارك لا يزال المرء عالما ما طلب العلم فاذا ظن انه قد علم فقد جهل وقال الفضيل اني لارحم ثلاثة عزيز قوم ذل
وغنيا افتقر وعالما تلعب به الدنيا وانشدوا عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ومن يشتري دنياه بالدين اعجب
وقال صلى الله عليه وسلم ان العالم ليعذب عذابا يطيف به اهل النار استعظاما لشدة عذابه اراد به العالم الفاجر
وقال اسامة بن زيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالعالم يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق
اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطوف به اهل النار فيقولون ما لك فيقول كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وانهى عن
الشر وآتيه وانما يضاعف عذاب العالم في معصيته لانه عصى عن علم ولذلك قال عز وجل ان المنافقين في الدرك
الاسفل من النار لانهم جحدوا بعد العلم وجعل اليهود شرا من النصارى مع انهم ما جعلوا لله سبحانه ولدا ولا قالوا
انه ثالث ثلاثة ولكن انكروا بعد المعرفة اذ قال الله تعالى يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وقال عز وجل فلما جاءهم ما عرفوا كفروا
به وقال تعالى في بلعام بن باعوراء واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها حتى قال فمثله كمثل الكلب وكذلك
العالم فان بلعم اوتي كتاب الله تعالى فاخلد الى الشهوات فشبه بالكلب اي سواء اوتي الحكمة او لم يؤت فهو يلهث
الى الشهوات وقال عيسى عليه السلام مثل علماء السوء مثل صخرة وقعت على فم النهر لا هي تشرب ولا هي تترك
الماء يخلص الى الزرع ومثل علماء السوء مثل قناة الحش ظاهرها جص وباطنها نتن ومثل القبور ظاهرها عامر وباطنها عظام
الموتى فهذه الاخبار والآثار تبين ان العالم الذي هو من ابناء الدنيا اخس حالا واشد عذابا من الجاهل وان الفائزين
المقربين هم علماء الآخرة ولهم علامات فمنها ان لا يطلب الدنيا بعلمه فان اقل درجات ان يدرك حقارة الدنيا وخستها
وكدورتها وانصرامها وعظم الآخرة ودوامها وصفاء نعيمها وجلالة ملكها ويعلم انهما متضادتان وانهما كالضرتين
مهما ارضيت احداهما اسخطت الاخرى وانهما ككفتي الميزان مهما رجح احداهما خفت الاخرى وانهما كقدحين احدهما
مملو فبقدر ما يصب منه في الاخرى حتى يمتلئ يفرغ الآخر فان من لا يعلم حقارة الدنيا وكدورتها وامتزاج لذتها
بالمها ثم انصرام ما يصفو منها فهو فاسد العقل فان المشاهدة والتجربة ترشد الى ذلك فكيف يكون من العلماء
من لا عقل له ومن لا يعلم مضادة الدنيا للآخرة وان الجمع بينهما طمع في غير مطمع فهو جاهل بشريعة الانبياء
كلهم بل هو كافر بالقرآن من اوله الى آخره فكيف يعد من زمرة العلماء ومن علم هذا كله ثم لم يؤثر الآخرة على الدنيا فهو اسير
الشيطان قد اهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته فكيف يعد من احزاب العلماء من هذه درجته وفي اخبار داود
صلى الله عليه وسلم ان ادنى ما اصنع بالعالم اذا آثر شهوته على محبتي ان احرمه لذيذ مناجاتي يا داود لا تسأل عني عالما
قد اسكرته الدنيا فيصدك عن طريق محبتي اولئك قطاع الطريق على عبادي يا داود اذا رأيت لي طالبا فكن له خادما يا
داود من رد الي هاربا كتبته جهبذا ومن كتبته جهبذا لم اعذبه ابدا ولذلك قال الحسن عقوبة العلماء موت القلب
وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة ولذلك قال يحيى بن معاذ الرازي انما يذهب بهاء العلم والحكمة اذا طلب
بهما الدنيا وقال عمر رضي الله عنه اذا رأيتم العالم محبا للدنيا فاتهموه على دينكم فان كل محب يخوض فيما احب وقال
مالك بن دينار قرأت في بعض الكتب السالفة ان الله عز وجل يقول ان اهون ما اصنع بالعالم اذا احب الدنيا ان
اخرج حلاوة مناجاتي من قلبه وكتب رجل الى اخ له انك قد اوتيت علما فلا تطفئن نور علمك بظلمة الذنوب فتبقى
في ظلمة يوم يسعى اهل العلم في نور علمهم وكان يحيى بن معاذ الرازي يقول لعلماء الدنيا يا اصحاب العلم قصوركم
قيصرية وبيوتكم كسروية واثوابكم ظاهرية واخفافكم جالوتية ومراكبكم قارونية واوانيكم فرعونية ومآثمكم جاهلية

ومذاهبكم شيطانية فاين المحمدية وانشدوا وراعي الشاة يحمي الذئب عنها فكيف اذا الرعاة لها ذئاب
وقيل يا معشر القراء يا ملح البلد ما يصلح الملح اذا الملح فسد وقيل لبعض العارفين اترى ان من تكون المعاصي قرة
عينه لا يعرف الله تعالى فقال لا شك ان من تكون الدنيا آثر عنده من الآخرة لا يعرف الله تعالى وهذا دون ذلك
بكثير ولا تظنن ان ترك المال يكفي في اللحوق بعلماء الآخرة فان الجاه اضر من المال ولذلك قال بشر حدثنا باب
من ابواب الدنيا واذا سمعت الرجل يقول حدثنا فانما يقول اوسعوا لي ودفن بشر بضعة عشر ما بين قمطرة
وقوصرة من الكتب وكان يقول انا اشتهي ان احدث ولو ذهبت عني شهوة الحديث لحدثت وقال هو وغيره
اذا اشتهيت ان تحدث فاسكت واذا لم تشته فحدث وهذا لان التلذذ بجاه الافادة ومنصب الارشاد اعظم من كل
نعيم في الدنيا فمن اجاب شهوته فيه فهو من ابناء الدنيا ولذلك قال الثوري فتنة الحديث اشد من فتنة المال
والولد وكيف لا يخاف فتنته وقد قيل لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا
قليلا وقال سهل العلم كله دنيا والآخرة منه العمل به والعمل كله هباء الا الاخلاص وقال الناس كلهم موتى الا
العلماء والعلماء سكارى الا العاملين والعاملون مغرورون الا المخلصين والمخلص على وجل حتى يختم له وقال
ابو سليمان الداراني اذا طلب الرجل الحديث او تزوج او سافر في طلب المعاش فقد ركن الى الدنيا وانما اراد به طلب
الاسانيد العالية او طلب الحديث الذي لا يحتاج اليه في طريق الآخرة وقال عيسى عليه السلام كيف
يكون من اهل العلم من مسيره الى آخرته وهو مقبل على طريق دنياه وكيف يكون من اهل العلم من يطلب الكلام ليخبر به
لا ليعمل به وقال صالح بن كيسان البصري ادركت الشيوخ وهم يتعوذون بالله من الفاجر العالم بالسنة و
روى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من طلب علما مما يبتغى به وجه الله سبحانه ليصيب به
عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيمة وقد وصف الله تعالى علماء السوء باكل الدنيا واذ اخذ الله ميثاق
الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه الى قوله ثمنا قليلا وقال في علماء الآخرة وان من اهل الكتاب
لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم الى قوله تعالى لهم اجرهم عند ربهم وقال بعض السلف العلماء يحشرون في زمرة الانبياء
والقضاة يحشرون في زمرة السلاطين وفي معنى القضاة كل فقيه قصده طلب الدنيا بعلمه وروى ابو الدرداء
انه صلى الله عليه وسلم قال اوحى الله تعالى الى بعض الانبياء قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل و
يطلبون الدنيا بعمل الآخرة يلبسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب السنتهم احلى من العسل
وقلوبهم امر من الصبر اياي يخادعون وبي يستهزئون لافتحن لهم فتنة تذر الحليم فيهم حيرانا وروى الضحاك
عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال علماء هذه الامة رجلان رجل آتاه الله علما فبذله للناس ولم ياخذ
عليه طمعا ولم يشتر به ثمنا قليلا فذلك يصلي عليه طير السماء وحيتان الماء ودواب الارض والكرام الكاتبون
يقدم على الله يوم القيمة سيدا شريفا حتى يرافق المرسلين ورجل آتاه الله عز وجل علما في الدنيا فضن به على عباد الله
واخذ عليه طمعا واشترى به ثمنا قليلا فذلك ياتي يوم القيمة ملجما بلجام من نار ينادي على رؤوس الخلائق هذا فلان بن فلان
آتاه الله علما فضن به على عباد الله واخذ به طمعا واشترى به ثمنا فيعذب حتى يفرغ من حساب الناس واشد
من هذا ما روي ان رجلا كان يخدم موسى فجعل يقول حدثني موسى نجي الله حدثني موسى نجي الله حتى اثرى وكثر ماله
ففقده موسى صلى الله عليه وسلم فجعل يسأل عنه فلا يحس له اثرا حتى جاءه رجل ذات يوم وفي يده خنزير وفي عنقه
حبل اسود فقال له موسى اتعرف فلانا قال نعم قال هو هذا الخنزير فقال موسى صلى الله عليه وسلم يا رب
اسألك ان ترده الى حاله حتى اسأله بم اصابه هذا فاوحى الله تعالى اليه لو دعوتني بالذي دعاني به آدم فمن
دونه ما اجبتك فيه ولكني اخبرك لم صنعت هذا به كان يطلب الدنيا بالدين واغلظ من هذا

معاذ بن جبل موقوفا ومرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم قال من فتنة العالم ان يكون الكلام اليه احب من الاستماع وفي
الكلام تنميق وزيادة ولا يومن على صاحبه الخطا وفي الصمت سلامة وعلم ومن العلما من يخزن علمه فلا يحب ان يوجد
عند غيره فذلك في الدرك [illegible] من النار ومن العلما من يجعل علمه وغرايب حديثه لاهل الشرف واليسار ولا يرى
اهل الحاجة له اهلا [illegible] من النار ومن العلما من يكون في علمه بمنزلة السلطان فان
رد عليه شي من علمه او تهاون [illegible] غضب فذلك في الدرك الثاني من النار ومن العلما من ينصب
نفسه للفتوى ويفتي [illegible] بعض المتكلفين فذلك في الدرك الرابع من النار ومن العلما
من يتعلم كلام اليهود [illegible] ليعزز به علمه فذلك في الدرك الخامس من النار ومن العلما من
يتخذ علمه مروة ونبلا وذكرا [illegible] فذلك في الدرك السادس من النار ومن العلما من يستفزه الزهو
والعجب فان وعظ عنف وان وعظ [illegible] فذلك في الدرك السابع من النار عليك بالصمت فيه تغلب
الشيطان واياك ان تضحك من غير عجب او تمشي في غير ارب وفي خبر ان الرجل لينشر له من الثنا ما بين
المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة [illegible] ان الحسن انصرف من مجلسه فحمل اليه رجل من خراسان
كيسا فيه خمسة الاف درهم وعشرة اثواب من رقيق البز وقال يا ابا سعيد هذه نفقة وهذه كسوة فقال الحسن
عافاك الله ضم اليك نفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك انه من جلس مجلسي هذا وقبل من الناس مثل
هذا لقي الله تعالى يوم القيمة ولا خلاق له [illegible] عن جابر موقوفا ومرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال لا تجلسوا عند كل عالم الا عالم يدعوكم من خمس الى خمس من الشك الى اليقين ومن الريا الى الاخلاص ومن الرغبة
الى الزهد ومن الكبر الى التواضع ومن العداوة الى النصيحة وقال تعالى فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون
الحيوة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون [illegible] الله خيرا لمن امن فعرف اهل العلم امانة الاخرة على
الدنيا ومنها ان لا يخالف فعله قوله بل لا يامر بشي ما لم يكن هو اول عامل به قال الله تعالى اتامرون الناس بالبر و
تنسون انفسكم وقال عز وجل في قصة شعيب عليه السلام وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه وقال تعالى
واتقوا الله ويعلمكم الله واتقوا الله واعلموا واتقوا الله واسمعوا [illegible] تعالى لعيسى عليه السلام يا ابن
[illegible] فعظ الناس والا فاستحي مني وقال [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة
[illegible] فقالوا انا كنا نامر بالخير ولا نفعله
عليه [illegible] العلما خير العباد وحيا ما العلما
الاوزاعي [illegible] يطوف على السنة التي هما انتم فيه
الفضل [illegible] من العلما يحاسبهم يوم القيمة قبل عبدة الاوثان [illegible] ابو الدردا ويل لمن لا يعلم مرة
وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات وقال الشعبي يطلع قوم من اهل الجنة على قوم من اهل النار فيقولون لهم ما ادخلكم
النار وانما ادخلنا الجنة بفضل تاديبكم وتعليمكم فقالوا انا كنا نامر بالمعروف ولا نفعله [illegible] حاتم الاصم
ليس في القيمة اشد حسرة من رجل علم الناس علما فعملوا به ولم يعمل هو به ففازوا بسببه وهلك [illegible] مالك بن دينار
ان العالم اذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما تزل القطرة عن الصفا [illegible] يا واعظ الناس قد اصبحت متهما
اذ عبت منهم امورا انت تاتيها [illegible] لا تنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم وقيل [illegible] الحكيم
اراه لم اللسانا في كلامنا فلم نلحن وعصينا في اعمالنا فلم نعرب [illegible] عبد الرحمن بن غنم انه قال حدثني
عشرة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انا كنا ندرس العلم في مسجد قبا اذ خرج علينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال تعلموا ما شئتم ان تعلموا فلن ياجركم الله عز وجل عليه حتى تعملوا وقال الاوزاعي اذا جا

الاعراب ذهب الخشوع وقال عيسى عليه السلام مثل الذي يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امراة زنت في السر فحملت
فظهر حملها فافتضحت فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله تبارك وتعالى يوم القيمة على رؤوس الخلايق وقال
معاذ احذروا زلة العالم لان قدره عند الخلق عظيم فيتبعونه على زلته وقال عمر رضي الله عنه اذا
زل العالم زل بزلته عالم من الخلق وقال ثلث بهن يهدم الزمان احديهن زلة العالم وقال ابن مسعود
سياتي على الناس زمان تملح فيه عذوبة القلوب فلا ينتفع يومئذ بالعلم عالمه ولا متعلمه فتكون قلوب علمايهم
مثل السباخ من ذوات الملح ينزل عليها قطر السما فلا يوجد لها عذوبة وذلك اذا مالت قلوب العلما الى حب
الدنيا واثارها على الاخرة فعند ذلك يسلبها الله تعالى ينابيع الحكمة ويطفي مصابيح الهدى من قلوبهم فيخبرك
عالمهم حين تلقاه انه يخشى الله سبحانه بلسانه والفجور بين في عمله فما اخصب الالسن يومئذ واجدب القلوب
فوالله الذي لا اله الا هو ما هو الا لان المعلمين علموا لغير الله تعالى والمتعلمين تعلموا لغير الله تعالى وفي الانجيل
لا تطلبوا علم ما لم تعلموا حتى تعملوا بما علمتم وقال حذيفة انكم في زمان من ترك فيه عشر ما يعلم هلك و
سياتي زمان من عمل فيه بعشر ما يعلم نجا وذلك لكثرة البطالين واعلم ان مثل العالم مثل القاضي وقد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم القضاة ثلثة قاض قضى بالحق وهو يعلم فذلك في الجنة وقاض قضى بالجور وهو يعلم
او لا يعلم فهو في النار وقال كعب يكون في اخر الزمان علما يزهدون الناس في الدنيا ولا يزهدون ويخوفون
ولا يخافون وينهون عن غشيان الولاة وياتون ويوثرون الدنيا على الاخرة ياكلون بالسنتهم يقربون الاغنيا دون
الفقرا يتغايرون على العلم كما يتغاير النسا على الرجال يغضب احدهم على جليسه اذا جالس غيره اولئك الجبارون
اعدا الرحمن وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الشيطان ربما يسبقكم بالعلم فقيل وكيف ذلك
يا رسول الله قال يقول اطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم فلا يزال في العلم قايلا وفي العمل مسوفا حتى يموت
وما عمل وقال سري السقطي اعتزل للتعبد رجل كان حريصا على طلب العلم الظاهر فسالته فقال رايت
في النوم قايلا يقول لي الى كم تضيع العلم ضيعك الله فقلت اني لاحفظه قال حفظ العلم العمل به فتركت الطلب
واقبلت على العمل وقال ابن مسعود ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم الخشية وقال الحسن
اعلموا ما شئتم ان تعلموا فوالله لا ياجركم الله حتى تعملوا فان السفها همتهم الرواية والعلما همتهم الرعاية وقال
مالك ان طلب العلم لحسن اذا صحت فيه النية ولكن انظر الى ما يلزمك من حين تصبح الى حين تمسي ولا توثرن
عليه شيا وقال ابن مسعود انزل القران ليعمل به فاتخذتم دراسته عملا وسياتي قوم يثقفونه مثل القنا
ليسوا بخياركم والعالم الذي لا يعمل كالمريض الذي يصف الدوا والجايع الذي يصف لذايذ الاطعمة ولا
يجدها وقوله تعالى ولكم الويل مما تصفون وفي الخبر مما اخاف على امتي زلة العالم وجدال المنافق في
القران ومنها ان تكون عنايته بتحصيل العلم النافع في الاخرة المرغب في الطاعة مجتنبا للعلوم التي تقل
نفعها ويكثر فيها الجدال والقال والقيل [illegible] الاعمال [illegible] الجدال مثل من يعالج مريض
به علل كثيرة وقد صادف طبيبا حاذقا في وقت ضيق يخشى فواته فاشتغل بالسوال [illegible] خاصية العقاقير
والادوية وغرايب الطب وترك مهمه الذي هو مواخذ به وذلك محض السفه وقد روي ان رجلا
جا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علمني من غرايب العلم فقال له ما صنعت في راس العلم فقال وما راس
العلم قال صلى الله عليه وسلم هل عرفت الله سبحانه قال نعم قال صلى الله عليه وسلم ما صنعت في حقه قال ما شا
الله قال صلى الله عليه وسلم اذهب فاحكم ما هنالك ثم تعال اعلمك غرايب العلم بل ينبغي ان يكون [illegible]
جنس ما روي عن حاتم الاصم تلميذ شقيق البلخي انه قال له شقيق منذ كم صحبتني فقال حاتم منذ ثلث

وثلاثين سنة قال فما تعلمت مني منذ هذه المدة قال ثمانية مسائل قال شقيق إنا لله وإنا إليه راجعون
ذهب عمري معك ولم تتعلم إلا ثمان مسائل قال يا استاذ لم أتعلم غيرها ولا أحب الكذب فقال هات
هذه الثمان مسائل حتى أسمعها قال حاتم نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد يحب محبوبا فهو مع محبوبه
إلى القبر فإذا وصل إلى القبر فارقه فجعلت الحسنات محبوبي فإذا دخلت القبر دخل معي محبوبي قال
أحسنت يا حاتم فما الثانية قال نظرت في قول الله عز وجل وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى
فإن الجنة هي المأوى فعلمت أن قوله سبحانه هو الحق فجهدت نفسي في دفع الهوى حتى استقرت على طاعة
الله سبحانه وتعالى **الثالثة** أني نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل من معه شيء له قيمة عنده ومقدار رفعه
وحفظه ثم إني نظرت في قول الله عز وجل ما عندكم ينفد وما عند الله باق فكلما وقع معي شيء له مقدار وقيمة
وجهته إليه ليبقى لي عنده **الرابعة** أني نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يرجع إلى المال وإلى
الحسب فنظرت فإذا هي لا شيء ثم نظرت إلى قول الله تعالى إن أكرمكم عند الله أتقاكم فعملت في التقوى
حتى أكون عند الله عز وجل كريما **الخامسة** نظرت إلى هذا الخلق وهم يطعن بعضهم في بعض ويلعن
بعضهم بعضا وأصل هذا كله الحسد ثم نظرت إلى قول الله عز وجل نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا
فتركت الحسد واجتنبت الخلق وعلمت أن القسمة من عند الله تعالى وتركت عداوة الخلق **السادسة**
نظرت إلى هذا الخلق يبغي بعضهم على بعض ويقاتل بعضهم بعضا فنظرت في قول الله تعالى إن الشيطان
لكم عدو فاتخذوه عدوا فعاديته وحده واجتهدت في أخذ حذري منه لأن الله تعالى شهد عليه وأخبرني
أنه عدوي فتركت عداوة الخلق **السابعة** نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة
فيذل فيها نفسه ويدخل فيما لا يحل له ثم نظرت إلى قوله تعالى وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها فعلمت
أني واحد من هذه الدواب التي على الله رزقها فاشتغلت بما لله تعالى علي وتركت ما لي عنده **الثامنة**
نظرت إلى هذا الخلق فرأيتهم متوكلين هذا على ضيعته وهذا على تجارته وهذا على صحة بدنه وكل مخلوق متوكل
على مخلوق فرجعت إلى قوله عز وجل ومن يتوكل على الله فهو حسبه فتوكلت عليه فهو حسبي **قال**
شقيق يا حاتم وفقك الله فإني نظرت في علم التوراة والإنجيل والزبور والفرقان فوجدتها تدور على هذه الثمان
مسائل فمن استعملها فقد استعمل الكتب الأربعة فهذا الفن من العلم لا يهتم بإدراكه والتفطن له إلا علماء الآخرة
وأما علماء الدنيا فيشتغلون بما يتيسر لهم اكتساب المال والجاه ويهملون أمثال هذه العلوم التي بها بعث
الأنبياء عليهم السلام **وقال** الضحاك بن مزاحم أدركتهم وما يتعلم بعضهم من بعض إلا الورع وهم اليوم يتعلمون
الكلام **ومنها** أن يكون غير مائل إلى الترفه في المطعم والتنعم في الملبس والتجمل في الأثاث والمسكن بل يكون
مذهبه الاقتصاد في جميع ذلك ويتشبه بالسلف ويميل إلى الاكتفاء بالأقل في جميع ذلك وكلما ازداد إلى
طرف القلة ميله ازداد من الله سبحانه قربه وارتفع في علماء الآخرة حزبه ويشهد لذلك ما يروى عن أبي عبد
الله الخواص وكان من أصحاب حاتم الأصم قال دخلت مع حاتم الري ومعنا ثلاثمائة رجل نريد الحج وعليهم الزرمانقات
وليس معهم جراب ولا طعام فدخلنا على رجل من التجار متقشف يحب المساكين فأضافنا تلك الليلة
فلما كان من الغد قال لحاتم ألك حاجة فإني أريد أن أعود فقيها لنا هو عليل فقال حاتم عيادة المريض فيها
فضل والنظر إلى الفقيه عبادة وأنا أيضا أجيء معك وكان العليل محمد بن مقاتل قاضي الري فلما جئنا إلى الباب
فإذا هو مشرف حسن فبقي حاتم متفكرا يقول باب عالم على هذه الحال ثم أذن لهم فدخلوا فإذا دار
قوراء وإذا بزة ومتعة وستور فبقي حاتم متفكرا ثم دخلوا إلى المجلس الذي هو فيه فإذا هو بفرش وطيئة وهو

راقد عليها وعند رأسه غلام وبيده مذبة فقعد الزائر وحاتم قائم فأومأ إليه ابن مقاتل أن اجلس فقال لا أجلس
فقال لعل لك حاجة قال نعم قال وما هي قال مسألة أسألك عنها قال سلني قال قم فاستو حتى أسألك
فاستوى قال حاتم علمك هذا من أين أخذته قال الثقات حدثوني به قال عن من قال عن النبي صلى الله عليه وسلم
وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن من قال عن النبي صلى الله عليه وسلم قال والنبي صلى الله عليه وسلم عن من قال
عن جبريل عليه السلام عن الله سبحانه قال ففيما أداه جبريل عن الله سبحانه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأداه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه وأصحابه إلى الثقات وأداه الثقات إليك هل سمعت في العلم
من كان في داره أميرا وسعته أكثر كان له عند الله عز وجل المنزلة أكثر قال لا قال فكيف سمعت قال سمعت من
زهد في الدنيا ورغب في الآخرة وأحب المساكين وقدم لآخرته كان له عند الله عز وجل المنزلة قال حاتم فأنت
بمن اقتديت أبالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الصالحين رضي الله عنهم أجمعين أم بفرعون ونمرود أول من
بنا بالجص والآجر يا علماء السوء مثلكم يراه الجاهل المتكالب على الدنيا الراغب فيها فيقول العالم على هذه الحالة
لا أكون أنا شرا منه فخرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضا وبلغ أهل الري ما جرى بينه وبين ابن مقاتل فقالوا له إن
ابن الطنافسي بقزوين أكثر شأنا منه فصار حاتم إليه متعمدا فدخل عليه فقال رحمك الله أنا رجل أعجمي أحب أن تعلمني مبتدأ ديني
ومفتاح صلاتي كيف أتوضأ للصلاة قال نعم وكرامة يا غلام هات إناء فيه ماء فأتي به فقعد الطنافسي فتوضأ ثلاثا
ثلاثا ثم قال هكذا فتوضأ فقال حاتم مكانك حتى أتوضأ بين يديك فيكون أوكد لما أريد فقام الطنافسي وقعد
حاتم فتوضأ ثم غسل الذراعين أربعا فقال له الطنافسي أسرفت فقال له حاتم في ماذا قال غسلت ذراعك
أربعا قال سبحان الله أنا في كف ماء أسرفت وأنت في هذا الجمع لم تسرف فعلم الطنافسي أنه قصد ذلك دون
التعليم فدخل البيت فلم يخرج إلى الناس أربعين يوما فلما دخل بغداد اجتمع إليه أهل بغداد فقالوا يا أبا عبد
الرحمن أنت رجل ألكن أعجمي ليس يكلمك أحد إلا قطعته قال معي ثلاث خصال بهن أظهر على خصمي أفرح إذا أصاب
خصمي وأحزن إذا أخطأ وأحفظ نفسي لا أجهل عليه فبلغ ذلك أحمد بن حنبل رحمه الله فقال يا سبحان الله
ما أعقله قوموا بنا إليه فلما دخلوا عليه قال يا أبا عبد الرحمن ما السلامة من الدنيا قال يا أبا عبد الله
لا تسلم من الدنيا حتى يكون معك أربع خصال تغفر للقوم جهلهم وتمنع جهلك منهم وتبذل لهم شيئك وتكون
من شيئهم آيسا فإذا كنت هكذا سلمت من الدنيا ثم صار إلى المدينة فاستقبله أهل المدينة فقال يا قوم أي
مدينة هذه قالوا مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأين قصر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
أصلي فيه قالوا ما كان له قصر إنما كان له بيت لاطئ بالأرض قال فأين قصور أصحابه رضي الله عنهم قالوا
ما كان لهم قصور إنما كانت لهم بيوت لاطئة بالأرض فقال حاتم يا قوم فهذه مدينة فرعون فأخذوه و
ذهبوا به إلى السلطان وقالوا هذا العجمي يقول هذه مدينة فرعون قال الوالي ولم ذلك قال حاتم لا تعجل
علي أنا رجل عجمي غريب دخلت البلد فقلت مدينة من هذه فقالوا مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
أين قصره وقص القصة وقد قال الله تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة فأنتم بمن تأسيتم أبرسول
الله صلى الله عليه وسلم أم بفرعون أول من بنى بالجص والآجر فخلوا عنه وتركوه [illegible] فهذه حكاية حاتم الأصم وسيأتي من
سير السلف في البذاذة وترك التجمل ما يشهد لذلك في مواضع والتحقيق فيه أن التزين بالمباح ليس
بحرام ولكن الخوض فيه يوجب الأنس به حتى يشق تركه واستدامة الزينة لا تمكن إلا بمباشرة أسباب في
الغالب يلزم من مراعاتها ارتكاب المعاصي من المداهنة ومراعاة الخلق ومراءاتهم وأمور أخر هي محظورة
والحزم اجتناب ذلك لأن من خاض في الدنيا لا يسلم منها البتة ولو كانت السلامة مبذولة مع الخوض فيها لكان

صلى الله عليه وسلم ايام لم في ترك الدنيا حتى نزع القميص المطرز بالعلم ونزع خاتم الذهب في اثناء الخطبة
الى غير ذلك مما سياتي وقد حكي ان يحيى بن يزيد النوفلي كتب الى مالك بن انس رضي الله عنه بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد في الاولين والاخرين [illegible] اما بعد فقد بلغني انك تلبس الرقايق وتاكل الدقاق
وتجلس على الوطا وتجعل على بابك حاجبا وقد جلست مجلس العلم وقد ضربت اليك المطي وارتحل اليك الناس
واتخذوك اماما ورضوا بقولك فاتق الله يا مالك وعليك بالتواضع كتبت اليك بالنصيحة كتابا ما اطلع عليه
الا الله تعالى والسلام فكتب اليه مالك بسم الله الرحمن الرحيم من مالك بن انس الى يحيى بن يزيد سلام عليك اما
بعد فقد وصل الي كتابك فوقع مني موقع النصيحة والاشفاق والادب متعك الله بالتقوى وجزاك بالنصيحة
خيرا واسال الله التوفيق ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فاما ما ذكرت اني اكل الدقاق والبس الرقاق
واحتجب واجلس على الوطا فنحن نفعل ذلك ونستغفر الله وقد قال الله عز وجل قل من حرم زينة الله التي
اخرج لعباده والطيبات من الرزق واني لاعلم ان ترك ذلك خير من الدخول فيه ولا تدعنا من كتابك فلسنا
ندعك من كتابنا والسلام فانظر الى انصاف مالك اذ اعترف ان ترك ذلك خير وافتى انه مباح وقد صدق فيهما
جميعا ومثل مالك في منصبه اذا سمحت نفسه بالانصاف والاعتراف في مثل هذه النصيحة فتقوى نفسه
ايضا على الوقوف على حدود الله تعالى في المباح حتى لا يحمله ذلك على المراة والمداهنة والتجاوز الى المكروهات
واما غيره فلا يقدر عليه فالتعريج على التنعم في المباح خطر عظيم وهو بعيد من الخوف والخشية وخاصية
علماء الله تعالى سبحانه بالخشية وخاصية الخشية التباعد من مكان الخطر ومنها ان يكون مستقصيا على السلاطين
لا يدخل عليهم البتة ما دام يجد الى الفرار عنهم سبيلا بل ينبغي ان يحترز من مخالطتهم وان جاووا اليه فان الدنيا
حلوة خضرة وزمامها بايدي السلاطين والمخالط لهم لا يخلو عن تكلف في طلب مرضاتهم واستمالة قلوبهم مع انهم
ظلمة ويجب على كل متدين الانكار عليهم وتضييق صدورهم باظهار ظلمهم وتقبيح فعلهم فالداخل عليهم اما ان
يلتفت الى تجملهم فيزدري نعمة الله عليه او يسكت عن الانكار عليهم فيكون مداهنا او يتكلف في كلامه لمرضاتهم
وتحسين حالهم وذلك هو البهت الصريح او يطمع ان ينال من دنياهم وذلك هو السحت وسيبين في كتاب الحلال
والحرام ما يجوز ان ياخذ من اموال السلاطين وما لا يجوز من الادرار والجوائز وغيرها وعلى الجملة فمخالطتهم
مفتاح الشرور وعلماء الاخرة طريقهم الاحتياط وقال صلى الله عليه وسلم من سكن البادية جفا ومن
اتبع الصيد غفل ومن اتى السلطان افتتن وقال صلى الله عليه وسلم سيكون عليكم امراء تعرفون منهم وتنكرون
فمن انكر فقد بري ومن كره فقد سلم ولكن من رضي وتابع ابعده الله قيل افلا نقاتلهم قال لا ما صلوا وقال
سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزوارون للملوك وقال حذيفة اياكم ومواقف الفتن قيل وما هي
قال ابواب الامرا يدخل احدكم على الامير فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه وقال صلى الله عليه وسلم العلما
امنا الرسل على عباد الله عز وجل ما لم يخالطوا السلطان فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم
رواه انس وقيل للاعمش لقد احييت العلم لكثرة من ياخذه عنك فقال لا تعجلوا ثلث يموتون قبل الادراك
وثلث يلزمون ابواب السلطان فهم شر الخلق والثلث الباقي لا يفلح منهم الا القليل ولذلك قال سعيد بن
المسيب اذا رايتم العالم يغشى الامرا فاحترزوا منه فانه لص وقال الاوزاعي ما من شي ابغض الى الله عز
وجل من عالم يزور عاملا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار العلما الذين ياتون الامرا وخيار الامرا الذين
ياتون العلما وقال مكحول الدمشقي من تعلم القرآن وتفقه في الدين ثم صحب السلطان تملقا اليه وطمعا لما
في يديه خاض في نار جهنم بعدد خطاه وقال سحنون ما اسمج بالعالم ان يؤتى الى مجلسه فلا يوجد فيه فيسال عنه

فيقال انه عند الامير قال وكنت اسمع انه يقال اذا رايتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت اذ ما
دخلت على هذا السلطان قط الا وحاسبت نفسي بعد الخروج فارى عليها الدرك وانتم ترون ما القى به من
الغلظة والفظاظة وكثرة المخالفة لهواه ولوددت اني انجو من الدخول كفافا مع اني لا اخذ منهم شيا ولا
اشرب لهم شربة ماء ثم قال وعلما زماننا شر من علما بني اسرائيل يخبرون السلطان بالرخص وبما يوافق هواهم
ولو اخبروه بالذي عليه وفيه نجاته لاستثقلهم وكره دخولهم وكان ذلك نجاة عند ربهم وقال الحسن كان
فيمن قبلكم رجل له قدم في الاسلام وصحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وذكره قال عبد الله بن المبارك عنى سعد
بن ابي وقاص كان لا يغشى السلطان فقعد عنهم فقال له بنوه ياتي هولا من ليس هو مثلك في الصحبة والقدم في
الاسلام فلو اتيتهم فقال يا بني اتي جيفة احاط الناس بها والله لئن استطعت لا اشاركهم فيها قالوا يا ابانا اذا نهلك
هزلا قال يا بني لان اموت مؤمنا هزلا احب الي من ان اموت منافقا سمينا قال الحسن خصمهم والله اذ علم
ان التراب ياكل اللحم والسمن دون الايمان ففي هذه اشارة ان الداخل على السلطان لا يسلم من النفاق
البتة وهو مضاد الايمان ذكر انه ضده وقال ابوذر لسلمة يا سلمة لا تغش باب السلطان فانك لا تصيب
من دنياهم شيا الا اصابوا من دينك افضل منه وهذه فتنة عظيمة للعلما وذريعة صعبة للشيطان لا سيما
من له لهجة مقبولة وكلام حلو اذ لا يزال الشيطان يلقي اليه ان وعظك لهم ودخولك عليهم ما يزجرهم عن الظلم
ويقيم شرايع الشرع الى ان يتلطف في الكلام ويداهن ويخوض في الثنا والاطرا وفيه هلاك الدين وكان يقال
العلما اذا علموا عملوا فاذا عملوا شغلوا واذا شغلوا فقدوا واذا فقدوا طلبوا واذا طلبوا هربوا وكتب
عمر بن عبد العزيز الى الحسن اما بعد فاشر علي بقوم استعين بهم على امر الله تعالى فكتب اليه اما اهل
الدين فلن يريدوك واما اهل الدنيا فلن تريدهم ولكن عليك بالاشراف فانهم يصونون شرفهم ان يدنسوه
بالخيانة هذا في زمان عمر بن عبد العزيز وكان ازهد اهل زمانه فاذا كان شرط اهل الدين الهرب منه فكيف
يستتب طلب غيره ومخالطته ولم يزل السلف مثل الحسن والثوري وابن المبارك والفضيل وابراهيم
بن ادهم ويوسف بن اسباط يتكلمون في علما الدنيا من اهل مكة والشام اما لميلهم الى الدنيا واما لمخالطتهم
السلاطين ومنها ان لا يكون مسارعا الى الفتوى بل يكون متوقفا محترزا ما وجد الى الخلاص سبيلا فان
سيل عما يعلمه تحقيقا بنص كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم او اجماع او قياس جلي افتى
وان سيل عما يشك فيه قال لا ادري وان سيل عما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط ودفع عن نفسه واحال
على غيره ان كان في غيره غنية هذا هو الحزم لان تقلد خطر الاجتهاد عظيم وفي الخبر العلم ثلاثة كتاب
ناطق وسنة قائمة ولا ادري وقال الشعبي لا ادري نصف العلم ومن سكت حيث لا يدري لله سبحانه فليس
باقل اجرا ممن نطق لان الاعتراف بالجهل اشد على النفس وهكذا كانت عادة الصحابة والسلف كان ابن عمر اذا
سيل عن الفتوى قال اذهب الى الامير الذي تقلد امور الناس فضعها في عنقه وقال ابن مسعود ان
الذي يفتي الناس في كل ما يستفتونه لمجنون وقال جنة العالم لا ادري فان اخطاها اصيبت مقاتله وقال
ابراهيم بن ادهم ليس شي اشد على الشيطان من عالم يتكلم بعلم ويسكت بعلم يقول انظروا الى هذا سكوته اشد علي
من كلامه ووصف بعضهم الابدال فقال اكلهم فاقة وكلامهم ضرورة اي لا يتكلمون حتى يسالوا واذا سيلوا
ووجدوا من يكفيهم سكتوا فان اضطروا اجابوا وكانوا يعدون الابتدا قبل السؤال من الشهوة الخفية في
الكلام ومر علي وعبد الله رضي الله عنهم برجل يتكلم على الناس فقال هذا يقول اعرفوني وقال بعضهم انما العالم
الذي اذا سيل عن المسالة فكانما يقلع ضرسه وكان ابن عمر يقول تريدون ان تجعلونا جسرا تعبرون علينا في

جهنم وقال ابو حفص النيسابوري العالم هو الذي يخاف عند السؤال ان يقال له يوم القيمة من اين اجبت و
كان ابرهيم التيمي اذا سئل عن مسئلة يبكي ويقول لم تجدوا غيري حتى احتجتم الي وكان ابو العالية الرياحي
وابرهيم والثوري وابن ادهم يتكلمون على الاثنين والثلاثة والنفر اليسير فاذا كثروا انصرفوا وقال
صلى الله عليه وسلم ما ادري اعزير نبي ام لا وما ادري تبع ملعون ام لا وذو القرنين نبي ام لا ولما سئل صلى
الله عليه وسلم عن خير البقاع وشرها فقال صلى الله عليه وسلم لا ادري حتى نزل جبريل عليه السلام فقال
لا ادري لما ساله الى ان اعلمه الله عز وجل ان خير البقاع المساجد وشرها السوق وكان ابن عمر رضي الله عنهما
يسئل عن عشر مسايل فيجيب عن واحدة ويسكت عن تسعة وكان ابن عباس رضي الله عنه يجيب عن
تسعة ويسكت عن واحدة وكان في الفقهاء من يقول لا ادري اكثر من ان يقول ادري منهم سفيان الثوري
ومالك بن انس واحمد بن حنبل والفضيل بن عياض وبشر بن الحارث وقال عبد الرحمن بن ابي
ليلى ادركت في هذا المسجد مائة وعشرين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منهم من احد يسئل
عن حديث او فتوى الا ود ان اخاه كفاه ذلك وفي لفظ اخر كانت المسئلة تعرض على احدهم فيردها الى
اخر حتى تعود الى الاول وروي ان اصحاب الصفة اهدي الى واحد منهم راس مشوي وهو في غاية
الضر فاهداه الى الاخر فاهداه الاخر الى الاخر وهكذا دار بينهم الى الاول فانظر الان كيف انعكس امر العلماء فصار
المهروب عنه مطلوبا والمطلوب مهروبا عنه ويشهد بحسن الاحتراز من تقلد الفتوى ما روي
مسندا انه لا يفتي الناس الا ثلاثة امير او مامور او متكلف وقال بعضهم كان الصحابة عليهم
الرضوان يتدافعون اربعة اشيا الامامة والوديعة والوصية والفتوى وقال بعضهم كان اسرعهم
الى الفتوى اقلهم علما واشدهم دفعا لها اورعهم وكان شغل الصحابة والتابعين في خمسة قراة
القران وعمارة المساجد وذكر الله تعالى والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك لما سمعوه من قوله صلى
الله عليه وسلم كل كلام ابن آدم عليه لا له الا ثلاثة امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله تعالى وقال تعالى
لا خير في كثير من نجويهم الايه وراى بعض العلما بعض اصحاب الراي من اهل الكوفة في المنام فقال ما رايت
فيما كنت عليه من الفتوى والراي فكره وجهه واعرض وقال ما وجدناه شيا وما حمدنا عاقبته وقال
ابو حفص ان احدهم ليفتي في المسئلة لو وردت على عمر بن الخطاب لجمع لها اهل بدر فلم يزل السكوت
داب اهل العلم الا عند الضرورة وفي الخبر اذا رايتم الرجل قد اوتي صمتا وزهدا فاقتربوا منه فانه
يلقن الحكمة وقيل العالم اما عالم عامة وهو المفتي وهم اصحاب السلاطين او عالم خاصة وهو العالم
بالتوحيد واعمال القلوب وهم ارباب الزوايا المتفردون وكان يقال مثل احمد بن حنبل مثل دجلة كل احد
يغترف منها ومثل بشر بن الحارث مثل بير عذبة مغطاة لا يقصدها الا واحد بعد واحد وكانوا يقولون فلان عالم
وفلان متكلم وفلان اكثر كلاما وفلان اكثر عملا وقال ابو سليمان المعرفة الى السكوت اقرب منها
الى الكلام وقال بعضهم اذا كثر العلم قل الكلام وكتب سلمان الى ابي الدردا وكان قد اخا بينهما رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا اخي بلغني انك قعدت طبيبا تداوي المرضى فانظر فان كنت طبيبا فتكلم فان كلامك
شفاء وان كنت متطببا فالله الله لا تقتل مسلما وكان ابو الدردا يتوقف بعد ذلك اذا سئل وكان انس
اذا سئل يقول سلوا مولانا الحسن وابن عباس يقول سلوا جابر بن زيد وابن عمر يقول سلوا سعيد بن
المسيب وحكي انه روى صحابي في حضرة مجلس الحسن عشرين حديثا فسئل عن تفسيرها فقال ما
عندي الا ما رويت فاخذ الحسن في تفسيره حديثا حديثا فتعجبوا من حسن حفظه وحسن تفسيره فاخذ

القطان كما نحصي ونعلم به وقال سلوني عن العلم وهذا الحبر من اظهركم ومنها ان يكون اكثر
اهتمامه بالعلم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق الاخرة وسلوكه وصدق الرجا في انكشاف ذلك من المجاهدة
والمراقبة فان المجاهدة تفضي الى المشاهدة في دقايق علم القلب تتفجر به ينابيع الحكمة من القلب اما الكتب و
التعاليم فلا يفي بذلك بل الحكمة الخارجة عن الحصر والعد انما تتفتح بالمجاهدة والمراقبة ومباشرة
الاعمال الظاهرة والباطنة والجلوس مع الله عز وجل في الخلوة مع حضور القلب بصافي الفكر والانقطاع
الى الله عز وجل عما سواه فذلك مفتاح الالهام ومنبع الكشف فكم من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على
مجاوزة مسموعه بكلمة وكم من مقتصر على المهم في التعلم ومتوفر على العمل ومراقبة القلب فتح الله عز وجل
له من لطايف الحكمة ما يحار فيه عقول ذوي الالباب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمل
بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وفي بعض الكتب السالفة يا بني اسرائيل لا تقولوا العلم في السما من ينزل به
ولا في تخوم الارض من يصعد به ولا من وراء البحار من يعبر ياتي به العلم مجعول في قلوبكم تادبوا بين يدي
باداب الروحانيين وتخلقوا الي باخلاق الصديقين اظهر العلم في قلوبكم حتى يغطيكم ويغمركم وقال
سهل التستري خرج العلما والعباد والزهاد من الدنيا وقلوبهم مقفلة ولم يفتح الا قلوب الصديقين
والشهدا ثم تلا وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو الاية ولولا ان ادراك من له قلب بالنور الباطن
حاكم على علم الظاهر لما قال صلى الله عليه وسلم استفت قلبك وان افتوك وافتوك وقال لا يزال العبد
يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا الحديث فكم من معان دقيقة من اسرار القران
يخطر على قلب المتجردة للذكر والفكر يخلو عنها كتب التفاسير ولا يطلع عليها افاضل المفسرين ولا يكشف
ذلك الا للمريد ولو عرض على المفسرين استحسنوه وعلموا ان ذلك من تنبيهات القلوب الزكية والطاف
الله تعالى بالهمم المتوجهة اليه وكذلك في علوم المكاشفة واسرار علوم المعاملة ودقايق خواطر القلب فان
كل علم من هذه العلوم بحر لا يدرك عمقه وانما يخوضه كل خايض طالب بقدر ما رزق وبحسب ما وفق
له من حسن العمل وفي وصف هولا العلما قال علي رضي الله عنه في حديث طويل القلوب اوعية فخيرها
اوعاها للخير الناس ثلثة عالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع اتباع لكل ناعق يميلون مع كل ريح
لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤا الى ركن وثيق العلم خير من المال العلم يحرسك وانت تحرس المال
والعلم يزكو على العمل والمال تنقصه النفقة محبة العلم دين يدان به يكسب الطاعة في حياته وجميل الاحدوثة
بعد موته العلم حاكم والمال محكوم عليه ومنفعة المال تزول بزواله مات خزان المال وهم احيا والعلما
باقون ما بقي الدهر ثم تنفس الصعدا وقال هاه ان ههنا علما جما لو وجدت له حملة بل اجد له طالبا
غير مامون يستعمل الة الدين في طلب الدنيا ويستطيل بنعم الله عز وجل على اوليايه ويستظهر بحجته على
خلقه ومنقادا لاهل الحق ينزرع الشك في قلبه باول عارض من شبهة لا بصيرة له في احنايه لا ذا ولا ذا او منهوما
باللذات سلس القياد في طلب الشهوات او مغرما بجمع المال والادخار منقادا لهواه اقرب شبها بهم الانعام
السايمة اللهم هكذا يموت العلم اذا مات حاملوه ثم لا تخلو الارض من قايم لله عز وجل بحجة اما ظاهر مكشوف
واما خايف مقهور لئلا تبطل حجج الله وبيناته واولئك الاقلون عددا الاعظمون قدرا اعيانهم مفقودة
وامثالهم في القلوب موجودة يحفظ الله عز وجل بهم حججه حتى يودعوها نظرايهم ويزرعوها في قلوب اشباههم
هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين فاستلانوا ما استوعر منه المترفون وانسوا بما استوحش
منه الغافلون صحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اولئك اوليا الله عز وجل من خلقه

وعالة في أرضه والدعاة إلى دينه ثم بكى وقال واشوقاه إلى رؤيتهم فهذا الذي ذكره أظهر وصف علماء
الآخرة وهو العلم الذي يستفاد أكثره من العمل والمواظبة على المجاهدة **ومنها** أن يكون شديد العناية
بتقوية اليقين فإن اليقين هو رأس مال الدين قال صلى الله عليه وسلم تعلموا اليقين ومعناه جالسوا الموقنين
واسمعوا منهم علم اليقين وواظبوا على الاقتداء بهم ليقوى يقينكم كما قوي يقينهم وقليل منه خير من كثير
من العمل وقال صلى الله عليه وسلم لما قيل له رجل حسن اليقين كثير الذنوب ورجل مجتهد في العبادة قليل اليقين
فقال صلى الله عليه وسلم ما من آدمي إلا وله ذنوب ولكن من كانت غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب
لأنه كلما أذنب ذنبا تاب واستغفر وندم فتكفر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة ولذلك قال صلى الله
عليه وسلم من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطي حظه منهما لم يبال بما فاته من قيام الليل
وصيام النهار **وفي** وصية لقمان لابنه يا بني لا يستطاع العمل إلا باليقين ولا يعمل المرء إلا بقدر يقينه
ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه وقال يحيى بن معاذ إن للتوحيد نورا وللشرك نارا وإن نور التوحيد أحرق
لسيئات الموحدين من نار الشرك لحسنات المشركين وأراد به اليقين وقد أشار الله تعالى في ذكر الموقنين في
مواضع دل بها على أن اليقين هو الرابطة للخيرات والسعادات فإن قلت فما معنى اليقين وما معنى قوته
وضعفه فلا بد من فهمه أولا ثم الاشتغال بطلبه وتعلمه فإن ما لا تفهم صورته لا يمكن طلبه فاعلم أن اليقين
مشترك يطلقه فريقان لمعنيين مختلفين أما النظار والمتكلمون فيعبرون به عن عدم الشك إذ ميل النفس
إلى التصديق له أربع مقامات **الأول** أن يعتدل التصديق والتكذيب ويعبر عنه بالشك كما إذا سئلت
عن شخص معين أن الله تعالى يعاقبه أم لا وهو مجهول الحال عندك فإن نفسك لا تميل إلى الحكم فيه بنفي ولا
إثبات بل يستوي عندك إمكان الأمرين فيسمى هذا شكا **الثاني** أن تميل نفسك إلى أحد الأمرين مع الشعور
بإمكان نقيضه ولكنه إمكان لا يمنع ترجيح الأول كما إذا سئلت عن رجل تعرفه بالصلاح والتقوى أنه
بعينه لو مات على هذه الحالة هل يعاقبه الله تعالى فإن نفسك تميل إلى أنه لا يعاقب أكثر من ميلها إلى العقاب
وذلك لظهور علامات الصلاح ومع هذا تجوز اختفاء أمر موجب للعقاب في باطنه وسريرته فهذا التجويز
مساو لذلك الميل ولكنه غير دافع رجحانه فهذه الحالة تسمى ظنا **الثالث** أن تميل النفس إلى التصديق بشيء
بحيث يغلب عليها ولا يخطر بالبال غيره ولو خطر بالبال تأبى النفس عن قبوله ولكن ليس ذلك مع معرفة محققة
إذ لو أحسن صاحب هذا المقام التأمل والإصغاء إلى التشكيك والتجويز اتسعت نفسه وهذا يسمى اعتقادا
مقاربا لليقين وهو اعتقاد العوام في الشرعيات كلها إذ رسخ في نفوسهم بمجرد السماع حتى إن كل
فرقة تثق بصحة مذهبها وإصابة إمامها ومتبوعها ولو ذكر لها إمكان خطأ إمامها نفرت عن قبوله **الرابع** المعرفة
الحقيقية الحاصلة بطريق البرهان الذي لا يشك فيه ولا يتصور التشكك فيه فإذا امتنع وجود الشك
وإمكانه يسمى يقينا عند هؤلاء ومثاله أنه إذا قيل للعاقل هل في الوجود شيء هو قديم فلا يمكنه التصديق
به بالبديهة لأن القديم غير محسوس لا كالشمس والقمر فإنه يصدق بوجودهما بالحس وليس العلم بوجود شيء قديم
أزلي ضروريا مثل العلم بأن حدوث حادث بلا سبب محال فإن هذا أيضا ضروري فحق غريزة العقل
أن تتوقف عن التصديق بوجود القديم على طريق الارتجال والبديهة ثم من الناس من يسمع ذلك ويصدق
بالسماع تصديقا جزما ويستمر عليه وذلك هو الاعتقاد وهو حال جميع العوام ومن الناس من يصدق به
بالبرهان وهو أن يقال له إن لم يكن في الوجود قديم فالموجودات كلها حادثة بالسبب أو فيها حادث بلا
سبب وذلك محال فالمؤدي إلى المحال محال فيلزم في العقل التصديق بوجود شيء قديم بالضرورة لأن

الأقسام ثلاثة وهو أن يكون الموجودات كلها قديمة أو كلها حادثة أو بعضها قديمة وبعضها حادثة فإن
كانت كلها قديمة فقد ثبت هذا المطلوب إذ ثبت على الجملة قديم وإن كان الكل حادثا فهو محال إذ يؤدي
إلى الحدوث بغير سبب فيثبت القسم الثاني والأول وكل علم حصل على هذا الوجه يسمى يقينا سواء حصل
بنظر مثل ما ذكرناه أو حصل بحس أو بغريزة العقل كالعلم باستحالة حادث بلا سبب أو بتواتر
كالعلم بوجود مكة أو بتجربة كالعلم بأن الطبيخ مسهل أو بدليل كما ذكرناه فشرط إطلاق الاسم عندهم
عدم الشك فكل علم لا شك فيه يسمى يقينا عند هؤلاء وعلى هذا لا يوصف اليقين بالضعف إذ لا
تفاوت في نفي الشك **الاصطلاح** الثاني للفقهاء والمتصوفة وأكثر العلماء وهو أن لا يلتفت فيه إلى
اعتبار التجويز والشك بل إلى استيلائه وغلبته على القلب حتى يقال فلان ضعيف اليقين بالموت مع أنه لا
شك فيه ويقال فلان قوي اليقين في إتيان الرزق مع أنه قد يجوز أنه لا يأتيه فمهما مالت النفس إلى التصديق
بشيء وغلب ذلك على القلب واستولى حتى صار هو المحكم والمتصرف في النفس بالتجويز والمنع سمي ذلك يقينا ولا شك
في أن الناس مشتركون في القطع بالموت والانفكاك عن الشك فيه ولكن منهم من لا يلتفت إليه وإلى
الاستعداد له وكأنه غير موقن به ومنهم من استولى ذلك على قلبه حتى استغرق همه بالاستعداد ولم
يغادر فيه متسعا لغيره فيعبر عن مثل هذه الحالة بقوة اليقين ولذلك قال بعضهم ما رأيت يقينا لا شك
فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت وعلى هذا الاصطلاح يوصف اليقين بالضعف والقوة ونحن
أردنا بقولنا إن من شأن علماء الآخرة صرف العناية إلى تقوية اليقين بالمعنيين جميعا وهو نفي الشك ثم تسليطه
على النفس حتى يكون هو الغالب وهو المتصرف وإذا فهمت هذا علمت أن المراد من قولنا أن اليقين ينقسم ثلاثة
أقسام بالقوة والضعف والخفاء والجلاء والقلة والكثرة فأما بالقوة والضعف لا تتناهى وتفاوت الخلق
في استعدادهم للموت بحسب تفاوت اليقين بهذه المعاني أما التفاوت بالجلاء والخفاء فلا ينكر أيضا في الاصطلاح
الثاني وفيما انتفى الشك عنه أيضا فلا سبيل إلى إنكاره فإنك تدرك تفرقة بين تصديقك بوجود مكة
مثلا وبين تصديقك بوجود موسى وبوجود يوشع مع أنك لا تشك في الأمرين جميعا إذ مستندهما التواتر
ولكن ترى أحدهما أجلى وأوضح في قلبك من الثاني لأن السبب في أحدهما أقوى وهو كثرة المخبرين وكذلك
يدرك الناظر هذا في النظريات المعلومة بالأدلة فإنه ليس وضوح ما لاح له بدليل واحد كوضوح ما لاح
له بأدلة كثيرة مع تساويهما في نفي الشك وهذا قد ينكره المتكلم الذي يأخذ العلم من الكتب والسماع ولا يراجع
نفسه فيما يدركه من تفاوت الأحوال وأما القلة والكثرة فذلك بكثرة متعلقات اليقين كما يقال فلان
أكثر علما من فلان أي معلوماته أكثر ولذلك قد يكون العالم قوي اليقين في جميع ما ورد الشرع به وقد يكون قوي
اليقين في بعضه فإن قلت قد فهمت اليقين وقوته وضعفه وكثرته وقلته وجلاءه وخفاءه بمعنى نفي الشك أو
بمعنى الاستيلاء على القلب فما متعلقات اليقين ومجاريه وفيما ذا يطلب اليقين فإني ما لم أعرف ما يطلب فيه
اليقين لم أقدر على طلبه **فاعلم** أن جميع ما ورد به الأنبياء عليهم السلام من أوله إلى آخره هو مجاري اليقين معرفة
عن عبارة مخصوصة ومتعلقة بالمعلومات التي وردت بها الشرائع فلا مطمع في إحصائها ولكني أشير إلى بعض
أمهاتها فمن ذلك التوحيد وهو أن يرى الأشياء كلها من مسبب الأسباب ولا يلتفت إلى الوسائط بل يرى الوسائط
مسخرة لا حكم لها فالمصدق بهذا موقن فإن انتفى عن قلبه مع الإيمان إمكان الشك فهو موقن بأحد المعنيين
فإن غلب على قلبه غلبة أزالت عنه الغضب على الوسائط والرضى عنهم والشكر لهم ونزل الوسائط في قلبه منزلة
القلم واليد في حق المنعم بالتوقيع فإنه لا يشكر القلم ولا اليد ولا يغضب عليهما بل يراهما آلتين واسطتين فقد صار

موقنا بالمعنى الثاني وهو الاشرف وهو ثمرة اليقين الاول وروحه وفايدته فهو ان يتحقق ان الشمس والقمر والنجوم
والجماد والنبات والحيوان وكل مخلوق فهي مسخرات بامره حسب تسخير القلم في يد الكاتب وان القدرة الازلية هي
المصدر للكل استولى على قلبه التوكل والرضى والتسليم وصار بريا من الغضب والحقد والحسد وسو الخلق فهذا احد
ابواب اليقين ومن ذلك الثقة بضمان الله عز وجل في قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها
واليقين بان ذلك ياتيه وان ما قدر له سيساق اليه ومهما غلب ذلك على قلبه كان مجملا في الطلب ولم يشتد حرصه
وشرهه وتاسفه على ما فوته واثمر هذا اليقين ايضا جملة من الطاعات والاخلاق الحميدة ومن ذلك ان يغلب
على قلبه انه من يعمل ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وهو اليقين بالثواب والعقاب حتى يرى نسبة الطاعات
الى الثواب كنسبة الخبز الى الشبع ونسبة المعاصي الى العقاب كنسبة السموم والافاعي الى الهلاك فكما يحرص على
الخبز طالب الشبع فيحفظ قليله وكثيره فكذلك يحرص على الطاعات كلها قليلها وكثيرها وكما يجتنب السموم قليلها
وكثيرها وصغيرها وكبيرها فاليقين بالمعنى الاول قد يوجد لعموم المومنين اما بالمعنى الثاني فيختص به
المقربون وثمرة هذا اليقين صدق المراقبة في الحركات والسكنات والخطرات والمبالغة في التقوى والتحرز
عن السيئات وكلما كان اليقين بان الله تعالى مطلع عليك في كل حال ومشاهد لهواجس ضميرك وخفايا
خواطرك وفكرك وهذا متيقن عند كل مومن بالمعنى الاول وهو عدم الشك واما بالمعنى الثاني وهو المقصود
فهو عزيز يختص به الصديقون وثمرته ان يكون الانسان في خلوته متادبا مساكنا متحفظا عن كل حركة تخالف
هيئة الادب ويكون في فكرته الباطنة اذ يتحقق ان الله عز وجل مطلع على سريرته كما يطلع الخلق على ظاهره
فيكون مبالغته في عمارة باطنه وتطهيره وتزيينه لعين الله تعالى الكالية اشد من مبالغته في تزيين ظاهره
لساير الناس وهذا المقام في اليقين يورث الحيا والخوف والانكسار والذلة والاستكانة والخضوع
وجملة من الاخلاق المحمودة وهذه الاخلاق تورث انواعا من الطاعات رفيعة فاليقين في كل باب من هذه الابواب
مثل شجرة وهذه الاخلاق في القلب كالاغصان المتفرعة من الاغصان فاليقين هو الاساس والاصل وله مجار
وابواب اكثر مما عددناه وسياتي ذلك في ربع المنجيات وهذا القدر كاف في تفهيم اللفظ الان ومنها
ان يكون حزينا منكسرا مطرقا صامتا يظهر اثر الخشية على هيئته وكسوته وسيرته وحركته وسكونه ونطقه وسكوته لا
ينظر اليه ناظر الا وكان نظره مذكرا لله تعالى وكانت صورته دليلا على عمله فالجواد عينه مراته وعلما الاخرة يعرفون
بسيماهم في السكينة والذلة والتواضع وقد قيل ما البس الله عبدا لبسة احسن من خشوع في سكينة فهي
لبسة الانبيا وسيما الصديقين والعلما فاما التهافت في الكلام والتشدق والاستغراق في الضحك و
الحدة في الحركة والنطق فكل ذلك من اثار البطر والامن والغفلة عن عظيم عقاب الله وشدة سخطه وهذا داب
ابنا الدنيا الغافلين عن الله تعالى دون العلما به وهذا لان العلما ثلثة كما قال سهل التستري عالم بامر الله لا بايام
الله وهم المفتون بالحلال والحرام وهذا العلم لا يورث الخشية وعالم بالله لا بامر الله ولا بايام الله وهم عموم المومنين
وعالم بالله وبايام الله وهم الصديقون والخشية والخشوع انما يغلب عليهم واراد بايام الله انواع عقوباته الظاهرة
ونعمه الباطنة التي افاضها على القرون السالفة واللاحقة فمن احاط علمه بذلك عظم خوفه وظهر خشوعه قال
عمر رضي الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وتواضعوا لمن تتعلمون منه وليتواضع لكم من يتعلم منكم ولا
تكونوا من جبابرة العلما فلا يقوم علمكم بجهلكم ويقال ما اتى الله عبدا علما الا اتاه معه حلما وتواضعا وحسن خلق ورفقا
فذلك هو العلم النافع وفي الاثر من اتاه الله زهدا وتواضعا وحسن خلق فهو امام المتقين وفي الخبر ان
من خيار امتي قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله ويبكون سرا من خوف عذابه ابدانهم في الارض وقلوبهم في السما

ارواحهم في الدنيا وعقولهم في الاخرة يمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة وقال الحسن الحلم وزير العلم والرفق
ابوه والتواضع سرباله وقال بشر بن الحارث من طلب الرياسة بالعلم وتقرب الى الله ببغضه فانه
ممقوت في السما والارض وروي انه في الاسرائيليات ان حكيما من الحكما صنف ثلثماية وستين مصنفا في
الحكمة حتى وصف بالحكيم فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل لفلان قد ملات الارض نفاقا ولم تردني من ذلك
واني لا اقبل من نفاقك شيا فندم الرجل وترك ذلك وخالط العامة ومشى في الاسواق وواكل بني اسرائيل
فاوحى الله تعالى اليه الان وافقت رضائي وحكى الاوزاعي عن بلال بن سعد انه كان يقول ينظر احدكم
الى الشرطي فيستعيذ بالله منه وينظر الى علما الدنيا المتصنعين للخلق المتشوفين الى الرياسة فلا يمقته
وهذا احق بالمقت من ذلك الشرطي وروي انه قيل يا رسول الله اي الاعمال افضل قال اجتناب المحارم
ولا يزال فوك رطبا بذكر الله قيل فاي الاصحاب خير قال صاحب ان ذكرت اعانك وان نسيت ذكرك قيل
فاي الاصحاب شر قال صاحب ان نسيت لم يذكرك وان ذكرت لم يعنك قيل فاي الناس اعلم قال اشدهم
لله خشية قالوا فاخبرنا بخيارنا نجالسهم قال الذين اذا رؤوا ذكر الله قالوا فاي الناس شر قال
اللهم غفرا قالوا اخبرنا يا رسول الله قال العلما اذا فسدوا وقال صلى الله عليه وسلم ان اكثر الناس
امانا يوم القيمة اكثرهم فكرا في الدنيا واكثر الناس ضحكا في الاخرة اكثرهم بكا في الدنيا واشد الناس فرحا
في الاخرة اطولهم حزنا في الدنيا وقال علي رضي الله عنه في خطبة ذمتي رهينة وانا به
زعيم من قول الله عز وجل انه لا يهيج على التقوى زرع ولا يظما على الهدى سنخ اصل
وان اجهل الناس من لا يعرف قدره وان ابغض الخلق الى الله عز وجل رجل قمش علما في جهال اغار في اغباش
الفتنة سماه اشباه الناس من الناس وارذالهم عالما ولم يعش في العلم يوما سالما تكثر واستكثر ما قل منه خير مما
كثر حتى اذا ارتوى من ماء اجن واكثر من غير طائل جلس للناس معلما لتخليص ما التبس على غيره وان نزلت به
احدى المهمات هيا حشو الراي من رايه فهو من قطع الشبهات في مثل غزل العنكبوت لا يدري اخطا ام اصاب
ركاب جهالات خباط عشوات لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا يعض على العلم بضرس قاطع فيغنم تبكي منه الدما
وتستحل بقضائه الفروج الحرام لا ملي والله باصدار ما ورد عليه ولا هو اهل لما فوض اليه اولئك الذين حلت
عليهم النياحة والبكا ايام حياة الدنيا قال علي رضي الله عنه اذا سمعتم العلم فاكظموا عليه ولا
تخلطوه بهزل فتمجه القلوب وقال بعض السلف من ضحك ضحكة مج من العلم مجة وقيل اذا اجتمع المعلم
ثلاثا تمت النعمة بها على المتعلم الصبر والتواضع وحسن الخلق واذا جمع المتعلم ثلاثا تمت النعمة به على المعلم
العقل والادب وحسن الفهم وعلى الجملة فالاخلاق التي ورد بها القران لا ينفك عنها علما الاخرة لانهم
يتعلمون القران للعمل لا للرياسة وقال ابن عمر عشنا برهة من الدهر وان احدنا يوتى الايمان قبل القران
وتنزل السورة فيتعلم حلالها وحرامها واوامرها وزواجرها وما ينبغي ان يقف عنده منها ولقد رايت رجالا
يوتى احدهم القران قبل الايمان فيقرا ما بين فاتحة الكتاب الى خاتمته لا يدري ما امره وما زاجره وما ينبغي ان
يقف عنده ينثره نثر الدقل وفي خبر اخر بمثل معناه كنا اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اوتينا الايمان
قبل القران وسياتي بعدكم قوم يوتون القران قبل الايمان يقيمون حروفه ويضيعون حدوده يقولون
قرانا فمن اقرا منا وعلمنا فمن اعلم منا فذلك حظهم وفي لفظ اخر اولئك شرار هذه الامة وقيل خمس من الاخلاق
هي من علامات علما الاخرة مفهومة من خمس ايات الخشية والخشوع والتواضع وحسن الخلق وايثار الاخرة على
الدنيا وهو الزهد اما الخشية فمن قوله تبارك وتعالى انما يخشى الله من عباده العلما واما الخشوع فمن

قوله تعالى خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا وأما التواضع فمن قوله تعالى واخفض جناحك
للمؤمنين وأما حسن الخلق فمن قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم وأما الزهد فمن قوله تعالى وقال الذين
أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن ولما تلا النبي صلى الله عليه وسلم فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام فقيل
له ما هذا الشرح فقال إن النور إذا قذف في القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل فهل لذلك من علامة قال نعم
التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله ومنها أن يكون بحثه في علوم الأعمال
عما يفسد الأعمال ويشوش القلب ويهيج الوسواس ويثير الشر فإن أصل الدين التوقي من الشر ولذلك قيل
عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه ولأن الأعمال الفعلية قريبة وأفضلها المواظبة
على ذكر الله تعالى بالقلب واللسان وإنما الشأن في معرفة ما يفسدها ويشوشها وهذا مما يكثر شعبه ويطول
تفريعه وكل ذلك مما يغلب مسيس الحاجة إليه وتعم به البلوى في سلوك طريق الآخرة وأما علماء الدنيا فإنهم
يتبعون غرائب التفريع في الحكومات والأقضية ويتعبون في وضع صور تنقضي الدهور ولا تقع وإن وقع
فإنما يقع لغيرهم لا لهم وإذا وقع كان في القائمين بها كثرة ويتركون ما يلازمهم ويتكرر عليهم آناء الليل و
النهار في خواطرهم ووساوسهم وأعمالهم وما أبعد عن السعادة من باع مهم نفسه اللازم بمهم غيره النادر
إيثارا للتقبل على التقرب من الله تعالى ولشرها في أن يسميه البطالون من أبناء الدنيا فاضلا محققا عالما
بالدقائق وجزاؤه من الله تعالى أن لا ينتفع في الدنيا بقبول الخلق بل يتكدر عليه صفو
الزمان ثم يرد القيامة مفلسا متحسرا على ما يشاهده من ربح العاملين وفوز المقربين وذلك هو الخسران المبين
ولقد كان الحسن رضي الله عنه أشبه كلاما بكلام الأنبياء عليهم السلام وأقربهم هديا من الصحابة
اتفقت الكلمات في حقه على ذلك وكان أكثر كلامه في خواطر القلب وفساد الأعمال ووساوس النفوس والصفات
الخفية الغامضة من شهوات النفوس وقيل له يا أبا سعيد إنك تتكلم بكلام ليس يسمع من غيرك من الصحابة
فمن ابن حذيفة قال خصني به النبي صلى الله عليه وسلم كان الناس يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر
مخافة أن أقع فيه وعلمت أن الخير لا يسبقني وقال مرة فعلمت أن من لا يعرف الشر لا يعرف الخير وفي لفظ آخر
كان الناس يقولون يا رسول الله ما لمن عمل كذا وكذا فيسألونه عن فضائل الأعمال وكنت أقول يا رسول
الله ما يفسد كذا وكذا فلما رآني أسأل عن آفات الأعمال خصني بهذا العلم وكان حذيفة أيضا قد خص بعلم
المنافقين وأفرد بمعرفة علم النفاق وأسبابه ودقائق الفتن فكان عمر وعثمان وأكابر الصحابة يسألونه عن
الفتن العامة والخاصة وكان يسأل عن المنافقين فيخبر بأعداد من بقي ولا يخبر بأسمائهم وكان عمر
يسأله عن نفسه هل يعلم فيه شيئا من النفاق فبرأه من ذلك وكان عمر إذا دعي إلى جنازة نظر إليها فإن حضر حذيفة
صلى عليها وإلا ترك وكان يسمى صاحب السر فالعناية بمقامات القلب وأحواله هو دأب علماء الآخرة لأن القلب
هو الساعي إلى قرب الله تعالى وقد صار هذا الفن غريبا مندرسا وإذا تعرض العالم لشيء منه استغرب و
استبعد وقيل هذا تزويق المذكورين ينبغي للوعاظ فأين المحققون ويرون التحقيق في دقائق المجادلات
ولقد صدق من قال شعر
الطرق شتى وطرق الحق مفردة ... والسالكون طريق الحق أفراد
لا يعرفون ولا تدرى مقاصدهم ... فهم على مهل يمشون قصاد
والناس في غفلة عما يراد بهم ... فجلهم عن سبيل الحق رقاد
وعلى الجملة لا يميل أكثر الخلق إلا إلى الأسهل والأوفق لطباعهم فإن الحق مر والوقوف عليه صعب وإدراكه شديد
وطريقه مستوعر لا سيما معرفة صفات القلب وتطهيره عن الأخلاق المذمومة فإن ذلك نزع للروح على الدوام
وصاحبه ينزل منزلة صاحب الدواء على مرارته رجاء الشفاء وينزل منزلة من جعل العمر صومه فهو يقاسي الشدائد

ليكون فطره عند الموت ومتى يكثر الرغبة في مثل هذا الطريق ولذلك قيل كان في البصرة مائة وعشرون
متكلما في الوعظ والتذكير ولم يكن من يتكلم في علم اليقين وأحوال القلب وصفات الباطن إلا ثلاثة سهل
التستري والصبيحي وعبد الرحيم وكان يجلس إلى أولئك الخلق الكثير الذي لا يحصى وإلى هؤلاء عدد يسير
ما يجاوز العشرة لأن النفيس العزيز لا يصلح إلا لأهل الخصوص وما يبذل للعموم فأمره قريب ومنها أن يكون
اعتماده في علومه على بصيرته وإدراكه بصفاء قلبه لا على الصحف والكتب ولا على تقليد ما يسمع من غيره وإنما
المقلد صاحب الشرع فيما أمر به وقاله وإنما يقلد الصحابة من حيث إن فعلهم يدل على سماعهم من
النبي صلى الله عليه وسلم ثم إذا قلد صاحب الشرع في تلقي أقواله وأفعاله بالقبول فينبغي أن يكون حريصا
على فهم أسراره فإن المقلد إنما يفعل الفعل لأن الرسول فعله ولا بد من سره فينبغي أن يكون البحث
عن أسرار الأعمال والأقوال فإنه إن اكتفى بحفظ ما يقال كان وعاء العلم ولم يكن عالما ولذلك كان
يقال فلان من أوعية العلم وكان لا يسمى عالما إذا كان شأنه الحفظ من غير اطلاع على الحكم والأسرار
ومن كشف عن قلبه الغطاء واستنار بنور الهداية صار في نفسه متبوعا مقلدا فلا ينبغي أن يقلد
غيره ولذلك قال ابن عباس ما من أحد إلا يؤخذ من علمه ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد كان تعلم من زيد بن ثابت الفقه وقرأ على أبي بن كعب ثم خالفهما في الفقه والقراءة وقال بعض السلف
ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلناه على الرأس والعين وما جاءنا عن الصحابة فنأخذ ونترك
وما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال وإنما فضل الصحابة لمشاهدتهم قرائن أحوال النبي صلى الله
عليه وسلم واعتلاق قلوبهم أمورا أدركت بالقرائن فسددهم ذلك إلى الصواب من حيث لا يدخل في الرواية
والعبارة إذ فاض عليهم من نور النبوة ما يحرسهم في الأكثر عن الخطأ وإذا كان الاعتماد على المسموع
من الغير تقليدا غير مرضي فالاعتماد على الكتب والتصانيف أبعد بل الكتب والتصانيف محدثة لم يكن
شيء منها في زمن الصحابة رضي الله عنهم وصدر التابعين وإنما حدثت بعد سنة مائة وعشرين من الهجرة
وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وجميع الصحابة وجلة التابعين وبعد وفاة ابن المسيب و
الحسن وخيار التابعين بل كان الأولون يكرهون كتب الحديث وتصنيف الكتب لئلا يشتغل الناس
بها عن الحفظ وعن القرآن وعن التدبر والتذكر وقالوا احفظوا كما كنا نحفظ ولذلك كره أبو بكر الصديق
رضي الله عنه وجماعة من الصحابة تصحيف القرآن في مصحف وقالوا كيف نفعل شيئا ما فعله النبي صلى
الله عليه وسلم وخافوا اتكال الناس على المصاحف وقالوا نترك القرآن يتلقاه بعضهم عن بعض بالتلقين
والإقراء ليكون هذا شغلهم وهمهم حتى أشار عمر وبقية الصحابة بكتابة القرآن خوفا من تخاذل
الناس وتكاسلهم وحذرا من أن يقع نزاع فلا يوجد أصل يرجع إليه في كلمة أو قراءة من المتشابهات فانشرح
صدر أبي بكر لذلك فجمع القرآن في مصحف واحد وكان أحمد بن حنبل ينكر على مالك تصنيفه الموطأ ويقول
ابتدع ما لم يفعله الصحابة وقيل أول كتاب صنف في الإسلام كتاب ابن جريج في الآثار وحروف التفاسير
عن مجاهد وعطاء وأصحاب ابن عباس ثم كتاب معمر بن راشد الصنعاني باليمن جمع فيه سننا مأثورة
ثم كتاب الموطأ بالمدينة لمالك ثم جامع سفيان الثوري ثم في القرن الرابع حدثت مصنفات الكلام
وكثر الخوض في الجدال والغوص في إبطال المقالات ثم مال الناس إليه وإلى القصص والوعظ بها فأخذ علم اليقين
في الاندراس من ذلك الزمان فصار بعد ذلك يستغرب علم القلوب والتفتيش عن صفات النفس و
مكايد الشيطان وأعرض عن ذلك إلا الأقلون فصار يسمى المجادل المتكلم عالما والقاص المزخرف كلامه

بالعبارات المسجعة عالماً وهذا لان العوام هم المستمعون اليه وكان لا يميز له حقيقة العلم عن غيره ولم يكن
سير الصحابة وعلومهم ظاهرة عندهم حتى كانوا يعرفون بمعاينه هؤلاء لهم واستمر عليهم اسم العلماء فتوارث
اللقب خلف عن سلف واصبح علم الاخرة مطويا وغاب عنهم الفرق بين العلم والكلام الا عن الخواص منهم
كان اذا قيل لهم فلان اعلم ام فلان فكان يقول فلان اكثر علما وفلان اكثر كلاما فكان الخواص يدركون
بين العلم وبين القدرة على الكلام هكذا ضعف الدين في قرون سالفة فكيف الظن بزمانك هذا وقد انتهى
الامر الى ان مظهر الانكار يتعرض للنسبة الى الجنون فالاولى ان يشتغل الانسان بنفسه ويسكت **ومنها**
ان يكون شديد التوقي من محدثات الامور وان اتفق عليه الجمهور فلا يغرنه اطباق الخلق على ما احدث
بعد الصحابة وليكن حريصا على التفتيش عن احوال الصحابة وسيرتهم واعمالهم وما كان فيه اكثر همهم أكان
في التدريس والتصنيف والمناظرة والقضاء والولاية وتولي الاوقاف والوصايا واكل مال الايتام ومخالطة
السلاطين ومجاملتهم في العشرة ام في الخوف والحزن والتفكر والمجاهدة ومراقبة الظاهر والباطن واجتناب
دقيق الاثم وجليه والحرص على ادراك خفايا شهوات النفس ومكايد الشيطان الى غير ذلك من علوم الباطن
واعلم تحقيقا ان اعلم اهل الزمان واقربهم الى الحق اشبههم بالصحابة واعرفهم بطريق السلف فمنهم اخذ
الدين ولذلك قال علي رضي الله عنه خيرنا اتبعنا لهذا الدين لما قيل له خالفت فلانا فلا ينبغي ان يكترث بمخالفة
اهل العصر في موافقة اهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم فان الناس رأوا رأيا فيما هم فيه لميل طباعهم اليه ولم تسمح
نفوسهم بالاعتراف بان ذلك سبب الحرمان من الجنة فادعوا انه لا سبيل الى الجنة سواه ولذلك قال الحسن محدثان
احدثا في الاسلام رجل ذو رأي سيء زعم ان الجنة لمن رأى مثل رأيه ومترف يعبد الدنيا لها يغضب ولها يرضى
واياها يطلب فارفضوهما الى النار وان رجلا اصبح في هذه الدنيا بين مترف يدعوه الى دنياه وصاحب هوى يدعوه
الى هواه وقد عصمه الله تعالى منهما يحن الى السلف الصالح يسأل عن افعالهم ويقتص اثارهم متعرض لاجر عظيم
فكذلك كونوا **وروي** عن ابن مسعود موقوفا ومسندا انه قال انما هما اثنتان الكلام والهدي والسمت والعمل
بالهدي فاحسن الكلام كلام الله تعالى واحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم الا واياكم ومحدثات الامور فان
شر الامور محدثاتها وان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة الا لا يطولن عليكم الامد فتقسو قلوبكم الا كل ما هو آت
قريب الا ان البعيد ما ليس بآت **وفي** خطبة النبي صلى الله عليه وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس
وانفق من مال اكتسبه من غير معصية وخالط اهل الفقه والحكمة طوبى لمن ذل في نفسه وحسنت خليقته وصلحت
سريرته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وانفق الفضل من ماله وامسك الفضل من قوله ووسعته
السنة ولم يعدها الى بدعة وكان ابن مسعود يقول حسن الهدي في آخر الزمان خير من كثير من العمل وقال
انتم في زمان خيركم فيه المسارع في الامور وسيأتي بعدكم زمان يكون خيرهم المتثبت المتوقف لكثرة الشبهات
وقد صدق فمن لم يتثبت في هذا الزمان وافق الجماهير فيما هم عليه وخاض فيما خاضوا فيه هلك كما هلكوا **وقال**
حذيفة اعجب من هذا ان معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى وان منكركم معروف زمان قد اتى وانكم لا تزالون بخير
ما عرفتم الحق وكان العالم فيكم غير مستخف به ولقد صدق فان اكثر معروفات هذه الاعصار منكرات في عصر الصحابة اذ من
غرر المعروفات في زماننا تزيين المساجد وتنجيدها وانفاق الاموال العظيمة في دقائق عمارتها وفرش البسط
الرفيعة فيها ولقد كان يعد فرش البواري بدعة وقيل انه من محدثات الحجاج فقد كان الاولون قلما يجعلون بينهم
وبين التراب حاجزا وكذلك الاشتغال بدقائق الجدل والمناظرة من اجل علوم الزمان ويزعمون انه من
اعظم القربات وقد كان من المنكرات ومنه التلحين في الاذان والقرآن ومن ذلك التنشف في النظافة

والوسوسة في الطهارة وتقدير الاسباب البعيدة في نجاسة الثياب مع التساهل في حل الاطعمة
وتحريمها الى نظائر ذلك ولقد صدق ابن مسعود رضي الله عنه حيث قال انتم اليوم في زمان الهوى فيه
تابع للعلم وسيأتي زمان يكون العلم فيه تابعا للهوى وكان احمد بن حنبل يقول تركوا العلم واقبلوا على الغرائب
ما اقل الفقه فيهم والله المستعان **وقال** مالك لم يكن الناس فيما مضى يسألون عن هذه الامور كما
يسأل الناس اليوم ولم يكن العلماء يقولون حرام ولا حلال ادركتهم يقولون مكروه ومستحب ومعناه انهم كانوا
ينظرون في دقائق الكراهية والاستحباب فاما الحرام فكان خبثه ظاهرا وكان هشام بن عروة يقول لا تسألوهم اليوم
عما احدثوا فانهم قد اعدوا له جوابا ولكن سلوهم عن السنة فانهم لا يعرفونها وكان ابو سليمان الداراني يقول
لا ينبغي لمن الهم شيئا من الخير ان يعمل به حتى يسمع به في الاثر فيحمد الله تعالى اذا وافق ما في نفسه وانما قال هذا لان
ما ابدع من الاراء قد قرع الاسماع وعلق بالقلب فربما يشوش صفاء القلب فيتخيل بسببه الباطل حقا فيحتاط
فيه بالاستظهار بشهادة الآثار ولهذا لما احدث مروان المنبر في صلاة العيد عند المصلى قام اليه ابو سعيد
الخدري فقال يا مروان ما هذه البدعة فقال انها ليست ببدعة انها خير مما تعلم ان الناس قد كثروا فاردت ان
يبلغهم الصوت فقال ابو سعيد والله لا تأتون بخير مما اعلم ابدا والله لا صليت وراءك اليوم وانما انكر ذلك
لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوكأ في خطبة العيد والاستسقاء على قوس او عصا لا على المنبر **وفي**
الحديث المشهور من احدث في ديننا ما ليس منه فهو رد **وفي خبر آخر** من غش امتي فعليه لعنة الله و
الملائكة والناس اجمعين قيل يا رسول الله وما غش امتك قال ان يبتدع بدعة يحمل الناس عليها وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملكا ينادي كل يوم من خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تنله
شفاعته ومثل الجاني على الدين مثل من عصى الملك في قلب دولته بالنسبة الى من خالف امر الملك في خدمة معينة
وذلك قد يغفر له فاما قلب الدولة فلا **وقال** بعض العلماء ما تكلم فيه السلف فالسكوت عنه جفاء وما
سكت عنه السلف فالكلام فيه تكلف وقال غيره الحق ثقيل من جاوزه ظلم ومن قصر عنه عجز ومن وقف معه
اكتفى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالنمط الاوسط الذي يرجع اليه العالي ويرتفع اليه النازل
وقال ابن عباس الضلالة لها حلاوة في قلوب اهلها قال الله تعالى وذر الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وقال افمن زين له سوء
عمله فرآه حسنا فكل ما احدث بعد الصحابة مما جاوز قدر الضرورة والحاجة فهو من اللعب واللهو **وحكي عن**
ابليس لعنة الله انه بث جنوده في وقت الصحابة فرجعوا اليه محسورين فقال ما شأنكم قالوا ما رأينا مثل هؤلاء
ما نصيب منهم شيئا وقد اتعبونا فقال انكم لا تقدرون عليهم قد صحبوا نبيهم وشهدوا تنزيل ربهم ولكن سيأتي
بعدهم قوم تنالون منهم حاجتكم فلما جاء التابعون بث جنوده فرجعوا اليه منكسين فقالوا ما رأينا اعجب من هؤلاء
نصيب منهم الشيء بعد الشيء من الذنوب فاذا كان آخر النهار اخذوا في الاستغفار فيبدل سيئاتهم حسنات
فقال انكم لن تنالوا من هؤلاء شيئا لصحة توحيدهم واتباعهم سنة نبيهم ولكن سيأتي بعدهم قوم تقر اعينكم بهم
تلعبون بهم لعبا وتقودونهم بأزمة اهوائهم كيف شئتم ان استغفروا لم يغفر لهم ولا يتوبون فيبدل سيئاتهم حسنات
قال فجاء قوم بعد القرن الاول فبث فيهم الاهواء وزين لهم البدع فاستحلوها واتخذوها دينا لا يستغفرون منها
ولا يتوبون عنها فسلط عليهم الاعداء وقادتهم اين شاء **فان** قلت من اين عرفت قائل هذا ما قاله ولم تشاهد ابليس
ولم يحدثك بذلك فاعلم ان ارباب القلوب يكاشفون باسرار الملكوت تارة على سبيل الالهام بان يخطر لهم على سبيل الورود
عليهم من حيث لا يعلمون وتارة على سبيل الرؤيا الصادقة وتارة في اليقظة على سبيل كشف المعاني بمشاهدة
الامثلة كما يكون في المنام وهو اعلى الدرجات وهي من درجات النبوة العالية كما ان الرؤيا الصادقة جزء من ستة واربعين

جزء من النبوة فاياك ان يكون حظك من العلم انكارا كلما جاوز حد تصورك ففيه هلك المتحذلقون من العلماء
الزاعمون انهم احاطوا بعلوم المعقول والجهل خير من عقل يدعو الى انكار مثل هذه الامور لاولياء الله تعالى ومن
انكاره للانبياء وكان خارجا عن الدين بالكلية وقال بعض العارفين انما انقطع الابدال في اطراف الارض
واستتروا عن اعين الجمهور لانهم لا يطيقون النظر الى علماء الوقت لانهم عندهم جهال بالله تعالى وهم عند انفسهم
وعند الجاهلين علماء قال سهل التستري رضي الله عنه ان من اعظم المعاصي الجهل بالجهل والنظر الى العامة واستماع
قول اهل الغفلة وكل عالم خاض في الدنيا فلا ينبغي ان يصغى الى قوله بل ينبغي ان يتهم في كل ما يقول لان كل
انسان يخوض فيما احب ويدفع ما لا يوافق محبوبه ولذلك قال تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع
هواه وكان امره فرطا والعوام العصاة اسعد حالا من الجهال بطريق الدين المعتقدين انهم من العلماء لان
العامي العاصي معترف بذنبه فيستغفر ويتوب وهذا الجاهل الظان انه عالم فانما هو مشتغل بالعلوم
التي هي وسيلة الى الدنيا عن سلوك طريق الدين فلا يتوب ولا يستغفر بل لا يزال مستمرا عليه الى الموت واذا غلب
هذا على اكثر الناس الا من عصمه الله وانقطع الطمع من اصلاحهم فالاسلم لذي الدين المحتاط العزلة والانفراد عنهم
كما سياتي في كتاب العزلة بيانه ان شاء الله تعالى ولذلك كتب يوسف بن اسباط الى حذيفة المرعشي ما ظنك
بمن بقي لا يجد احدا يذكر الله تعالى معه الا كان اثما وكانت مذاكرته معصية وذلك انه لا يجد اهله ولقد صدق
فان مخالطة الناس لا ينفك عن غيبة او عن سماع غيبة او عن سكوت على منكر واحسن احواله ان يفيد علما
او يستفيد ولو تامل علم المستفيد لعلم انه يريد ان يجعل ذلك آلة الى طلب الدنيا ووسيلة الى الشر فيكون معينا له وردا و
ظهيرا ومهيئا لاسبابه كالذي يبيع السيف من قاطع الطريق فالعلم كالسيف وصلاحه للخير كصلاح السيف
للغزو ولذلك لا يرخص في البيع ممن يعلم بقرائن احواله انه يريد به الاستعانة على قطع الطريق فهذه اثنتا عشرة علامة
من علامات علماء الاخرة تجمع كل واحدة منها جملة من اخلاق السلف فكن احد رجلين اما متصفا بهذه الصفات
او معترفا بالتقصير مع الاقرار به واياك ان تكون الثالث فتلبس على نفسك بابدال آلة الدنيا بالدين وتشبه سيرة البطالين
بسيرة العلماء الراسخين وتلحق بجهلك وانكارك بجملة الهالكين الايسين نعوذ بالله من خدع الشيطان
فبها هلك الجمهور فنسال الله تعالى ان يجعلنا ممن لا تغره الحياة الدنيا ولا يغره بالله الغرور

الباب السابع من ربع العبادات من احياء علوم الدين للغزالي رضي الله عنه في العقل وشرفه وحقيقته واقسامه

بيان شرف العقل اعلم ان هذا مما لا يحتاج الى تكلف في اظهاره لا سيما وقد ظهر شرف العلم من قبل العقل
والعقل منبع العلم ومطلعه واساسه والعلم يجري منه مجرى الثمر من الشجر والنور من الشمس والرؤية من العين وكيف
لا يشرف ما هو وسيلة السعادة في الدنيا والاخرة او كيف يستراب فيه والبهيمة مع قصور تمييزها تحتشم
العقل حتى ان اعظم البهائم بدنا واشدها ضراوة واقواها سطوة اذا رات صورة الانسان احتشم وهابه لشعوره
باستيلائه عليه لما خص به من ادراك الحيل ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشيخ في قومه
كالنبي في امته وليس ذلك لكثرة ماله ولا لكبر شخصه ولا لزيادة قوته بل لزيادة تجربته التي هي ثمرة عقله ولذلك ترى
الاتراك والاكراد واجلاف العرب مع قرب رتبتهم من البهائم يوقرون المشايخ بالطبع ولذلك قصد كثير من
المعاندين قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وقعت اعينهم عليه واكتحلوا بغرته الكريمة هابوه وتراءى
لهم ما كان يتلالا على ديباجة وجهه من نور النبوة وان كان ذلك باطنا في نفسه بطون العقل وشرف العقل
مدرك بالضرورة وانما القصد ان نورد ما وردت به الاخبار والايات في ذكر شرفه وقد سماه الله تعالى
نورا في قوله تعالى الله نور السموات والارض وسمي العلم المستفاد منه روحا ووحيا وحياة فقال تعالى وكذلك اوحينا اليك
روحا من امرنا وقال اومن كان ميتا فاحييناه حيث ذكر النور والظلمة اراد به العلم والجهل كقوله يخرجهم
من الظلمات الى النور وقد قال صلى الله عليه وسلم اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا به ما امرتم به وما نهيتم
عنه واعلموا انه ينجدكم عند ربكم واعلموا ان العاقل من اطاع الله وان كان دميم المنظر حقير الخطر شريف المنزلة حسن
الهيئة فصيحا نطوقا والقردة والخنازير اعقل عند الله تعالى ممن عصاه ولا تغتروا بتعظيم اهل الدنيا
اياكم فانهم من الخاسرين وقال صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله تعالى العقل فقال له اقبل فاقبل ثم
قال له ادبر فادبر ثم قال الله عز وجل وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا اكرم علي منك بك آخذ وبك اعطي وبك اثيب وبك
اعاقب فان قلت فان كان هذا العقل عرضا فكيف خلق قبل الاجسام وان كان جوهرا فكيف يكون جوهر قائم بنفسه
لا يتحيز فاعلم ان هذا من علم المكاشفة فلا يليق ذكره بعلم المعاملة وغرضنا علم المعاملة وعن انس رضي الله عنه
اثنى قوم على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم حتى بالغوا فقال كيف عقل الرجل فقالوا نخبرك عن
اجتهاده في العبادة واصناف الخير وتسالنا عن عقله فقال ان الاحمق يصيب بجهله اعظم من فجور الفاجر
وانما ترتفع العباد غدا في الدرجات الزلفى وينالون من القرب من ربهم على قدر عقولهم وعن عمر رضي الله عنه قال ما اكتسب
رجل مثل فضل عقل يهدي صاحبه الى هدى ويرده عن ردى وما تم ايمان عبد ولا استقام دينه حتى
يكمل عقله وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليدرك بحسن خلقه حتى يتم عقله فعند ذلك تم ايمانه
واطاع ربه وعصى عدوه ابليس لعنه الله وعن ابي سعيد الخدري انه صلى الله عليه وسلم قال لكل شيء دعامة
ودعامة المؤمن عقله فبقدر عقله تكون عبادته اما سمعتم قول الفجار لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب
السعير وقال عمر لتميم الداري ما السودد فيكم قال العقل قال صدقت سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما سالتك فقال كما قلت ثم قال سالت جبريل ما السودد فقال العقل وقال انس كثرت المسائل على رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال ايها الناس ان لكل شيء مطية واحسنكم دلالة ومعرفة اكثركم عقلا وقال ابو هريرة
لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم اما هاهنا فلا علم لكم به قالوا وكيف ذاك قال انهم قاتلوا على قدر ما قسم الله
تعالى لهم من العقل وكان نصرتهم ونيتهم على قدر عقولهم وروى البراء انه صلى الله عليه وسلم قال جد الملائكة
واجتهدوا في طاعة الله بالعقل وجد المؤمنون واجتهدوا من بني ادم على قدر عقولهم فاعملهم بطاعة
الله تعالى اوفرهم عقلا وقالت عائشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله بم يتفاضل الناس في الدنيا قال بالعقل
قلت وفي الاخرة قال بالعقل قلت اليس انما يجزون باعمالهم فقال يا عائشة وهل عملوا الا بقدر ما اعطاهم الله من
العقل ولكل قوم غاية وغاية العباد العقل ولكل قوم داع وداعي العابدين العقل ولكل تاجر بضاعة وبضاعة
المجتهدين العقل ولكل اهل بيت قيم وقيم بيوت الصديقين العقل ولكل خراب عمارة وعمارة الاخرة العقل
ولكل امرئ عقب ينسب اليه ويذكر به وعقب الصديقين الذي ينسبون اليه ويذكرون به العقل ولكل
سفر فسطاط وفسطاط المؤمنين العقل وقال صلى الله عليه وسلم ان احب المؤمنين الى الله تعالى من
نصب في طاعة الله ونصح لعباده وكمل عقله ونصح نفسه فابصر وعمل به ايام حياته فافلح وانجح وقال
صلى الله عليه وسلم اتمكم عقلا اشدكم خوفا واحسنكم فيما امر به ونهى عنه نظرا وان كان اقلكم تطوعا

بيان حقيقة العقل واقسامه اعلم ان الناس اختلفوا في حد العقل وحقيقته وذهل الاكثرون
عن ان هذا الاسم يطلق على معان مختلفة فصار ذلك سبب اختلافهم والحق الكاشف للغطاء فيه
ان العقل اسم يطلق بالاشتراك على اربعة معان كما يطلق اسم العين مثلا على معان عدة وما يجري هذا
المجرى فلا ينبغي ان يطلب لجميع اقسامه حد واحد بل يفرد كل قسم بالكشف عنه فالاول الوصف الذي

يفارق الانسان به سائر البهائم وهو الذي استعد به لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية
الفكرية وهو الذي اراده الحارث المحاسبي حيث قال في حد العقل انه غريزة يتهيأ بها ادراك العلوم النظرية
وكانه نور يقذف في القلب به يستعد لادراك الاشياء ولم ينصف من انكر هذا ورد العقل الى مجرد العلوم الضرورية
فان الغافل عن العلوم والنائم يسميان عاقلين باعتبار وجود هذه الغريزة مع فقد العلوم وكما
ان الحيوة غريزة بها يتهيأ الجسم للحركات الاختيارية والادراكات الحسية فكذلك العقل غريزة بها
يتهيأ بعض الحيوانات للعلوم النظرية ولو جاز ان يسوى بين الحمار والجماد في الغريزة ويقال لا فرق الا ان
الله تعالى يخلق في الحمار حركات مخصوصة بحكم اجراء العادة فانه لو قدر الحمار جمادا ميتا لوجب القول
بان كل حركة تشاهد منه فالله قادر على خلقها فيه على الترتيب المشاهد وكما وجب ان يقال لم يكن مفارقته
الجماد في الحركة الا بغريزة اختصت به عبر عنها بالحيوة فكذلك مفارقة الانسان البهيمة في ادراك العلوم
النظرية بغريزة يعبر عنها بالعقل فهو كالمرآة التي تفارق غيرها من الاجسام في حكاية الصور والالوان
بصفة اختصت بها وهي الصقالة وكذلك العين تفارق الجبهة في هيئات وصفات بها استعدت
للرؤية ونسبة القرآن والشرع الى هذه الغريزة في سياقها الى اكتساب العلوم بها كنسبة نور الشمس
الى البصر فهكذا ينبغي ان تفهم هذه الغريزة **الثاني** في العلوم التي تخرج الى الوجود في ذات الطفل
المميز بجواز قويت هذه الغريزة التي معناها العقل على اكتساب العلوم بالقرآن والشرع كما قويت
رؤية البصر بنور الشمس لان الانسان اذا اطبق جفنه اعقبت ظلمه عدم الرؤية وان كانت باقية في العين
فاذا ظهر نور الشمس قوي البصر وكذلك القرآن والشرع هداية للعقل على اكتساب العلوم وسياقها
الجائزات واستحالة المستحيلات كالعلم بان الاثنين اكثر من الواحد وان الشخص الواحد لا يكون في مكانين
وهو الذي عناه بعض المتكلمين حيث قال في حد العقل انه بعض العلوم الضرورية بجواز الجائزات و
استحالة المستحيلات وهو ايضا صحيح في نفسه لان هذه العلوم موجودة وتسميتها عقلا ظاهر وانما
الفاسد ان ينكر تلك الغريزة ويقال لا موجود الا هذه العلوم **الثالث** علوم تستفاد من
التجارب بمجاري الاحوال فان من حنكته التجارب وهذبته المذاهب يقال انه عاقل في العادة ومن لا يتصف
به يقال انه غبي غمر جاهل فهذا نوع اخر يسمى عقل **الرابع** ان ينتهي قوة تلك الغريزة الى ان يعرف
عواقب الامور ويقمع الشهوة الداعية الى اللذة العاجلة ويقهرها فاذا حصلت هذه القوة سمي صاحبها
عاقلا من حيث ان اقدامه واحجامه بحسب ما يقتضيه النظر في العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة وهذه ايضا
من خواص الانسان التي بها يتميز عن الحيوان فالاول هو الاس والسنخ والمنبع والثاني هو الفرع الاقرب اليه
والثالث فرع الاول والثاني اذ بقوة الغريزة والعلوم الضرورية يستفاد علوم التجارب والرابع
هو الثمرة الاخيرة وهي الغاية القصوى فالاولان بالطبع والاخران بالاكتساب ولذلك **قال** علي رضي الله
عنه رأيت العقل عقلين فمطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع اذا لم يك مطبوع كما لا ينفع الشمس وضوء العين
ممنوع والاول هو المراد بقوله عليه السلام ما خلق الله خلقا اكرم عليه من العقل والاخير هو المراد بقوله
عليه السلام اذا تقرب الناس بابواب البر فتقرب انت بعقلك وهو المراد بقوله لابي الدرداء ازدد عقلا
تزدد من ربك قربا فقال بابي انت وامي وكيف لي بذلك قال اجتنب محارم الله وادّ فرائض الله تكن عاقلا
واعمل بالصالحات من الاعمال تزدد في عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتنل بها من ربك القرب والعز **وعن**
ابن المسيب ان عمر وابا هريرة دخلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله من اعلم الناس

فقال العاقل قالوا فمن اعبد الناس فقال العاقل فقالوا فمن افضل الناس قال العاقل فقالوا اليس العاقل
من تمت مروته وظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته فقال ان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا
والآخرة عند ربك للمتقين ان العاقل هو المتقي وان كان في الدنيا خسيسا ذليلا وقال صلى الله
عليه وسلم في حديث آخر انما العاقل من امن بالله وصدق رسله وعمل بطاعته ويشبه ان يكون الاسم في
اصل اللغة لتلك الغريزة وكذا في الاستعمال وانما اطلق على العلوم من حيث انها ثمرتها كما يعرف الشيء
بثمرته فيقال العلم هو الخشية والعالم من يخشى الله تعالى فان الخشية ثمرة العلم فيكون كالمجاز لغير
تلك الغريزة ولكن ليس الغرض البحث عن اللغة والمقصود ان هذه الاقسام الاربعة موجودة بل هو الاصل
وهذه العلوم كانها مضمنة في تلك الغريزة بالفطرة ولكن يظهر الى الوجود اذا جرى سبب يخرجه الى الوجود
حتى اذا كان هذه العلوم ليس بشيء وارد عليه من خارج وكانما كانت مستكنة فيه فظهرت ومثاله
الماء في الارض فانما يظهر بحفر القنى ويجتمع ويتميز بالحس لا بان يساق اليه شيء جديد وكذلك الدهن
في اللوز وماء الورد في الورد ولذلك قال تبارك وتعالى واذ اخذ ربك من بني آدم من الاية فالمراد
اقرار نفوسهم لا اقرار الالسنة فانهم انقسموا في اقرار الالسنة والاشخاص ولذلك قال ولئن سألتهم
من خلقهم ليقولن الله معناه ان اعتبرت احوالهم شهدت به نفوسهم وبواطنهم فطرة الله التي فطر الناس
عليها اي كل آدمي فطر على الاسلام بالله بل على معرفة الاشياء على ما هي عليه اعني انها كالمضمنة فيها لقرب
استعدادها للادراك ثم لما كان الايمان مركوزا في النفوس بالفطرة انقسم الناس الى من اعرض فنسي
وهم الكفار والى من اجال خاطره فتذكر وكان كمن حمل شهادة فنسيها بغفلة ثم تذكرها ولذلك قال تعالى
لعلهم يتذكرون وليتذكر اولوا الالباب واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به ولقد يسرنا
القرآن للذكر فهل من مدكر وتسمية هذا النمط تذكرا ليس ببعيد فكان التذكر ضربان احدهما ان يذكر صورة
كانت حاضرة الوجود في قلبه لكن غابت بعد الوجود والآخر ان يكون عن غريزة كانت مضمنة فيه بالفطرة وهذه
حقائق ظاهرة للناظرين بنور البصيرة ثقيلة على من مستروحه السماع والتقليد دون الكشف والعيان
ولذلك تراه يتخبط في مثل هذه الآيات ويتعسف في تأويل التذكر واقرار النفوس انواعا من التعسفات
ويتخايل اليه في الاخبار والآيات ضروب من المناقضات وربما يغلب ذلك عليه حتى ينظر اليها بعين الاستحقار
ويعتقد فيها التهافت ومثاله مثال الاعمى الذي يدخل دارا فيتعثر فيها بالاواني المصفوفة في الدار فيقول ما لهذه
الاواني لا ترفع من الطريق وترد الى مواضعها فيقال له انها في مواضعها وانما الخلل في بصرك فكذلك خلل
البصيرة يجري مجراه واطم منه واعظم اذ النفس كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس اضر من عمى الفرس
ولمشابهة بصيرة الباطن لبصيرة الظاهر قال تبارك وتعالى ما كذب الفؤاد ما رأى وقال وكذلك
نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وسمى ضده اعمى فقال فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في
الصدور وقال ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا وهذه الامور التي كشفت للانبياء عليهم
السلام بعضها كان بالبصر وبعضها كان بالبصيرة وسمي الكل رؤية وبالجملة من لم يكن بصيرته الباطنة ثاقبة
لم يعلق به من الدين الا قشوره وامثلته دون لبابه وحقائقه فهذه اقسام ما ينطلق اسم العقل
عليها **بيان تفاوت الناس في العقل** اختلف الناس في تفاوت العقل ولا معنى للاشتغال بنقل
كلام من قل تحصيله بل الاولى المبادرة الى التصريح بالحق والحق الصريح فيه ان التفاوت يتطرق الى الاقسام
الاربعة سوى القسم الثاني وهو العلم الضروري بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات فان من عرف

ان الاثنين اكثر من الواحد عرف ايضا استحالة كون شخص في مكانين وكون الشي الواحد قديما حادثا وكذا ساير
النظاير وكل ما يدركه ادراكا محققا من غير شك **فاما** الاقسام الثلاثة فالتفاوت يتطرق اليها اما
القسم الرابع وهو استيلاء القوة على قمع الشهوات لا يخفى تفاوت الناس فيه بل لا يخفى احوال الشخص الواحد
وهذا التفاوت تارة يكون لتفاوت الشهوة اذ قد يقدر العاقل على ترك بعض الشهوات دون بعض ولكن
غير مقصور فان الشاب قد يعجز عن ترك الزنا فاذا كبر وتم عقله قدر عليه وشهوة الريا والرياسة تزداد قوة
بالكبر لا ضعفا وقد يكون سببه التفاوت في العلم المعرف لغايلة تلك الشهوة ولهذا يقدر الطبيب على الاحتما
عن بعض الاطعمة المضرة وقد لا يقدر من يساويه في العقل اذا لم يكن طبيبا وان كان يعتقد على الجملة فيه مضرة و
لكن اذا كان علم الطبيب اتم كان خوفه اشد فيكون الخوف جندا للعقل وعدة في قمع الشهوات وكسرها و
لذلك يكون العالم اقدر على ترك المعاصي من الجاهل لقوة علمه بضرر المعاصي واعني به العالم الحقيقي
دون ارباب الطيالسة واصحاب الهذيان فان كان التفاوت من جهة الشهوات لم يرجع الى تفاوت العقل
وان كان من جهة العلم فقد سمينا هذا الضرب من العلم عقلا فانه يقوي غريزة العقل فيكون التفاوت فيما
رجعت التسمية اليه وقد يكون لمجرد التفاوت في غريزة العقل فانها اذا قويت كان قمعها للشهوة لا محالة اشد
واما القسم الثالث وهو علم التجارب فتفاوت الناس فيه لا ينكر فانهم يتفاوتون بكثرة الاصابة وسرعة
الادراك ويكون سببه اما تفاوتا في الغريزة فيه لا سبيل الى جحده فانه مثل نور يشرق على النفس ويطلع
صبحه ومبادي اشراقه عند سن التمييز ثم لا يزال ينمو ويزداد نموا على التدريج الى ان يتكامل بقرب الاربعين
سنة ومثاله نور الصبح فان اوايله يخفى خفيا يشق ادراكه ثم يتدرج الى الزيادة الى ان يتكمل بطلوع قرص
الشمس وتفاوت نور البصيرة كتفاوت نور البصر فالفرق مدرك بين الاعمش وبين حاد البصر بل سنة
الله جارية في جميع خلقه بالتدريج في الايجاد حتى ان غريزة الشهوة لا تظهر في الصبا عند البلوغ دفعة
بل تظهر شيئا فشيئا على التدريج كذا جميع القوى والصفات ومن انكر تفاوت الناس في هذه الغريزة فكانه منخلع
عن ربقة العقل ومن ظن ان عقل النبي صلى الله عليه وسلم مثل احاد السوادية واجلاف البوادي فهو احس
في نفسه من احاد السوادية وكيف ينكر تفاوت الغريزة ولولاه لما اختلف الناس في فهم العلوم ولما انقسموا
الى بليد لا يفهم بالتفهيم الا بعد تعب طويل من المعلم والى ذكي يفهم بادنى رمز واشارة والى كامل تنبعث من
نفسه حقايق الامور دون التعليم يكاد زيته يضيء ولو لم تمسسه نار وذلك مثل الانبيا اذ يتضح لهم في باطنهم
امور غامضة من غير تعلم وسماع ويعبر عن ذلك بالالهام وعن مثله عبر صلى الله عليه وسلم حيث قال
ان روح القدس نفث في روعي احبب من احببت فانك مفارقه وعش ما شيت فانك ميت واعمل ما شيت
فانك مجزي به وهذا النمط من تعريف الملايكة للانبيا يخالف الوحي الصريح الذي هو سماع الصوت بحاسة
الاذن ومشاهدة الملك بحاسة البصر ولذلك عبر عن هذا بالنفث في الروع ودرجات الوحي كثيرة و
الخوض فيها لا يليق بعلم المعاملة بل هو من علم المكاشفة ولا تظن ان معرفة درجات الوحي تستدعي درجات
العدالة وان كان خاليا عنها فالعلم شي ووجود المعلوم شي اخر فلا كل من عرف النبوة والولاية كان نبيا ولا كل من
عرف التقوى والورع كان تقيا وانقسام الناس الى من يتنبه من نفسه ويفهم والى من لا يفهم الا بتنبيه و
تعليم والى من لا ينفعه التعليم ايضا ولا التنبيه كانقسام الارض الى ما يجتمع فيه الما فيقوى فيتفجر بنفسه
عيونا والى ما يحتاج الى الحفر ليخرج الى القنوات والى ما لا ينفع فيه الحفر وهو اليابس وذلك لاختلاف جواهر
الارض في صفاتها فكذلك هذا الاختلاف في غريزة العقل من جهة ما يروى ان ابن سلام سئل رسول

الله صلى الله عليه وسلم في حديث طويل في اخره وصف عظم العرش ان الملايكة قالت يا رب هل خلقت
خلقا اعظم من العرش قال نعم العقل قالوا وما بلغ من قدره قال هيهات لا يحاط بعلمه هل لكم علم بعدد
الرمل قالوا لا قال فاني خلقت العقل اصنافا شتى كعدد الرمل فمن الناس من اعطي حبة ومنهم من
اعطي حبتين ومنهم الثلاث والاربع ومنهم من اعطي فرقا ومنهم من اعطي وسقا ومنهم اكثر من ذلك فان
قلت ما بال اقوام من المتصوفة يذمون العقل والمعقول فاعلم ان السبب فيه ان الناس نقلوا اسم
العقل والمعقول الى المجادلة والمناظرة بالمناقضات والالزامات وهو صنعة الكلام فلم يقدروا على
ان يقرروا عندهم انكم اخطاتم في التسمية اذ كان ذلك لا ينمحي عن قلوبهم بعد تداول
الالسنة فذموا العقل والمعقول وهو المسمى عندهم فاما نور البصيرة الباطنة التي بها يعرف الله
ويعرف صدق رسله فكيف يتصور ذمه وقد اثنى الله تعالى عليه وان ذم فما الذي بعده يحمد فان كان المحمود
هو الشرع فبم علم صحة الشرع فان علم بالعقل المذموم الذي لا يوثق به فيكون ايضا مذموما ولا يلتفت الى
من يقول انه يدرك بعين اليقين ونوره وهو الصفة الباطنة التي يتميز بها الادمي عن البهايم حتى
ادرك بها حقايق الامور واكثر هذه التخبيطات انما ثارت من جهل اقوام طلبوا الحقايق من الالفاظ
فتخبطوا بتخبط اصطلاحات الناس في الالفاظ وهذا القدر كاف في بيان العقل والله اعلم تم كتاب العلم

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

كتاب قواعد العقايد وفيه اربعة فصول **الفصل الاول** في ترجمة عقيدة اهل السنة في كلمتي

الشهادة التي هي احد مباني الاسلام فنقول **الحمد لله** المبدي المعيد الفعال لما يريد ذي العرش المجيد والبطش
الشديد الهادي صفوة العبيد الى المنهج الرشيد والمسلك السديد المنعم عليهم بعد شهادة التوحيد بحراسة
عقايدهم عن ظلمات التشكيك والترديد السالك بهم الى اتباع رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم واقتفا اثار صحبه
الاكرمين المكرمين بالتاييد والتسديد المتجلي لهم في ذاته وافعاله بمحاسن اوصافه التي لا يدركها الا من القى السمع وهو
شهيد المعرف اياهم انه في ذاته واحد لا شريك له فرد لا مثيل له صمد لا ضد له منفرد لا ند له وانه قديم لا اول له
ازلي لا بداية له مستمر الوجود لا اخر له ابدي لا نهاية له قيوم لا انقطاع له دايم لا انصرام له لم يزل ولا يزال موصوفا
بنعوت الجلال لا يقضى عليه بالانقضا والانفصال بتصرم الاباد وانقراض الاجال بل هو الاول والاخر والظاهر والباطن
التنزيه وانه ليس بجسم مصور ولا جوهر محدود مقدر وانه لا يماثل الاجسام لا في التقدير ولا في قبول الانقسام
ولا تحله الجواهر ولا عرض ولا تحله الاعراض بل لا يماثل موجودا ولا يماثله موجود ليس كمثله شي ولا هو مثل شي
وانه لا يحده المقدار ولا تحويه الاقطار ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه السموات وانه مستو على العرش على الوجه
الذي قاله وبالمعنى الذي اراده استوا منزها عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال
لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون في قبضته وهو فوق العرش وفوق
كل شي الى تخوم الثرى فوقية لا تزيده قربا الى العرش والسما بل هو رفيع الدرجات عن العرش كما انه رفيع
الدرجات عن الثرى وهو مع ذلك قريب من كل موجود وهو اقرب الى العبد من حبل الوريد وهو على كل شي
شهيد لا يماثل قربه قرب الاجسام كما لا يماثل ذاته ذات الاجسام وانه لا يحل في شي ولا يحل فيه شي تعالى عن ان يحويه مكان
كما تقدس عن ان يحده زمان بل كان قبل ان خلق الزمان والمكان وهو الان على ما عليه كان وانه باين من خلقه

بصفاته ليس في ذاته سواه وانه مقدس عن التغير والانتقال لا تحله الحوادث ولا تعتريه العوارض بل لا يزال
في نعوت جلاله منزها عن الزوال وفي صفات كماله مستغنيا عن زيادة الاستكمال وانه في ذاته معلوم الوجود
مرئي الذات بالابصار نعمة منه ولطفا بالابرار في دار القرار واتماما بالنعيم بالنظر الى وجهه الكريم **القدرة**
وانه حي قادر جبار قاهر لا يعتريه قصور ولا عجز ولا تاخذه سنة ولا نوم ولا يعارضه فنا ولا موت وانه ذو
الملك والملكوت والعزة والجبروت له السلطان والقهر والخلق والامر والسموات مطويات بيمينه و
الخلائق مقهورون في قبضته وانه المنفرد بالخلق والاختراع المتوحد بالايجاد والابداع خلق الخلق واعمالهم
وقدر ارزاقهم وآجالهم لا يشذ عن قدرته تصاريف الامور لا تحصى مقدوراته ولا تتناهى معلوماته **العلم**
وانه عالم بجميع المعلومات محيط بما يجري من تخوم الارضين الى اعلى السموات بل يعلم دبيب النملة السودا
على الصخرة الصما في الليلة الظلما ويدرك حركة الذر في جو الهوا ويعلم السر واخفى ويطلع على هواجس
الضماير وحركات الخواطر وخفيات السراير بعلم قديم ازلي لم يزل موصوفا به في ازل الآزال لا بعلم متجدد حاصل
في ذاته بالحلول والانتقال **الارادة** وانه مريد للكاينات مدبر للحادثات فلا يجري في الملك والملكوت
قليل او كثير صغير او كبير خير او شر نفع او ضر ايمان او كفر عرفان او نكر فوز او خسر زيادة او نقصان طاعة او عصيان
الا بقضايه وقدره وحكمته ومشيته فما شا كان وما لم يشا لم يكن لا يخرج عن مشيته لفتة ناظر ولا فلتة خاطر
بل هو المبدي المعيد الفعال لما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضايه ولا مهرب لعبد عن معصيته الا بتوفيقه ورحمته
ولا قوة له على طاعته الا بمحبته وارادته لو اجتمع الانس والجن والملايكة والشياطين على ان يحركوا في العالم ذرة او
يسكنوها دون ارادته ومشيته عجزوا عنه وان ارادته قايمة بذاته في جملة صفاته لم يزل كذلك موصوفا بها مريدا
في ازله من غير تقدم وتاخر بل وقعت على وفق علمه وارادته من غير تبدل ولا تغير دبر الامور لا بترتيب افكار ولا تربص زمان
فلذلك لم يشغله شان عن شان **السمع والبصر** وانه تعالى سميع بصير يسمع ويرى لا يعزب عن سمعه مسموع وان
خفا ولا يغيب عن رؤيته ظلام يرى تعالى من غير حدقة واجفان ويسمع من غير اصمخة واذان كما يعلم بغير قلب
ويبطش بغير جارحة ويخلق بغير آلة اذ لا تشبه صفاته صفات الخلق كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق **الكلام**
وانه متكلم آمر ناه واعد متوعد بكلام ازلي قديم قايم بذاته لا يشبه كلام الخلق فليس بصوت يحدث من انسلال
هوا او اصطكاك اجرام ولا بحرف ينقطع باطباق شفة او تحريك لسان وان القرآن والتورية والانجيل والزبور
كتبه المنزلة على رسله وان القرآن مقرو بالالسنة مكتوب في المصاحف محفوظ في القلوب وانه مع ذلك قايم
بذات الله جل جلاله لا يقبل الانفصال والفراق ولا انتقال الى القلوب والاوراق وان موسى سمع كلام الله تعالى
بغير صوت ولا حرف كما يرى الابرار ذات الله تعالى من غير جوهر ولا عرض واذا كانت له هذه الصفات كان حيا
عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما بالحياة والقدرة والارادة والعلم والسمع والبصر والكلام لا بمجرد
الذات **الافعال** وانه سبحانه لا موجود سواه الا وهو حادث بفعله وفايض من فضله وعدله على احسن الوجوه
واكملها واتمها واعدلها وانه حكيم في افعاله عادل في اقضيته ولا يقاس عدله بعدل العباد اذ العبد يتصور منه
الظلم بتصرفه لغيره ملكا حتى يكون تصرفه ظلما فكل ما سواه من انس وجان وشيطان وملك وسما وارض
وحيوان ونبات وجماد وجوهر وعرض ومدرك ومحسوس حادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعا وانشاه
بعد ان لم يكن شيا اذ كان في الازل موجودا وحده ولم يكن معه غيره فاحدث الخلق بعد ذلك اظهارا لقدرته وتحقيقا
لما سبق من ارادته وحق في الازل من كلمته لا لافتقاره اليه وحاجته وانه متفضل بالخلق والاختراع و
التكليف لا عن وجوب ومتطول بالانعام والاصلاح لا عن لزوم فله الفضل والاحسان والنعمة والامتنان

اذ كان قادرا ان يصب على عباده انواع العذاب ويبتليهم بضروب الآلام والاوصاب ولو فعل ذلك لكان منه
عدلا ولم يكن فيها قبيحا ولا ظلما وانه عز وجل يثيب عباده على الطاعات بحكم الكرم والوعد لا بحكم الاستحقاق واللزوم
اذ لا يجب عليه فعل ولا يتصور منه ظلم ولا يجب لاحد عليه حق وان حقه في الطاعات لازم واجب على الخلق
بايجابه على لسان نبيه لا بمجرد العقل ولكنه بعث الرسل واظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة فبلغوا امره ونهيه
ووعده ووعيده فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاؤا به معنى **الكلمة** الثانية وهي شهادة الرسول
صلى الله عليه وسلم وانه بعث الرسول النبي الامي القرشي محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم برسالته الى كافة العرب و
العجم والجن والانس فنسخ بشرعه الشرايع الا ما قرره وفضله على ساير الانبيا وجعله سيد البشر ومنع كمال
الايمان بشهادة وهو قول لا اله الا الله ما لم تقترن بها شهادة الرسول وهو قولك محمد رسول الله والزم الخلق تصديقه
في كل ما اخبر عنه في الدنيا والآخرة وانه لا يتقبل ايمان عبد حتى يومن بما اخبر عنه بعد الموت واوله سوال منكر ونكير
وهما شخصان مهيبان هايلان يقعدان العبد في قبره سويا ذا روح وجسد فيسالانه عن التوحيد والرسالة ويقولان
من ربك وما دينك ومن نبيك وهما فتانا القبر وسوالهما اول فتنة بعد الموت **وان** يومن بعذاب
القبر وانه حق وحكمه وعدل على الجسم والروح على ما يشا وان يومن بالميزان ذي الكفتين واللسان وصفته في العظم
انه مثل طباق السموات والارض توزن فيه الاعمال بقدرة الله والصنج يومئذ مثاقيل الذر والخردل تحقيقا لتمام
العدل وتطرح صحايف الحسنات في صورة حسنة في كفة النور فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها بفضل الله
وتطرح صحايف السيات في كفة الظلمة فيخف بها الميزان بعدل الله تعالى وان يومن بالصراط وهو جسر ممدود
على متن جهنم احد من السيف وادق من الشعرة تزل عليه اقدام الكافرين بحكم الله تعالى فتهوي بهم الى النار
ويثبت عليه اقدام المومنين فيساقون الى دار القرار وان يومن بالحوض المورود حوض محمد صلى الله عليه وسلم
يشرب منه المومنون لم يظما بعدها ابدا عرضه مسيرة شهر ماوه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل حوله اباريق عددها
عدد نجوم السما فيه ميزابان يصبان من الكوثر ويومن بالحساب وتفاوت الخلق فيه الى مناقش في الحساب والى مسامح
فيه والى من يدخل الجنة بغير حساب وهم المقربون فيسال من شا من الانبيا عن تبليغ ومن شا من الكفار عن تكذيب
المرسلين ويسال المبتدعة عن السنة ويسال المسلمين عن الاعمال ويومن باخراج الموحدين من النار بعد الانتقام
حتى لا يبقى في جهنم موحد بفضل الله تعالى ويومن بشفاعة الانبيا ثم العلما ثم الشهدا ثم ساير المومنين كل على
حسب جاهه ومنزلته ومن بقي من المومنين ولم يكن له شفيع اخرج بفضل الله تعالى فلا يخلد في النار مومن بل يخرج منها
من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وان يعتقد فضل الصحابة وترتيبهم وان افضل الناس بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم **ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي** وان يحسن الظن بجميع الصحابة ويثني عليهم كما اثنى
الله ورسوله عليهم اجمعين فكل ذلك مما وردت به الاخبار وشهدت به الآثار فمن اعتقد جميع ذلك موقنا به
كان من اهل الحق وعصابة السنة وفارق رهط الضلال وحزب البدعة فنسال الله تعالى كمال اليقين والثبات
في الدين لنا ولكم ولكافة المسلمين انه ارحم الراحمين **الفصل الثاني** في وجه التدريج الى الارشاد
وترتيب درجات الاعتقاد ما ذكرناه من ترجمة العقيدة ينبغي ان يقدم الى الصبي ليحفظه حفظا ثم لا يزال ينكشف له
معناه في كبره شيا فشيا فابتداوه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والايقان والتصديق به وذلك مما يحصل في الصبي
بغير برهان فمن فضل الله سبحانه على قلب الانسان ان شرحه في اول نشوه للايمان من غير حاجة الى حجة وبرهان وكيف
ينكر ذلك وجميع عقايد العوام مباديها التلقين المجرد والتقليد المحض **نعم** يكون الاعتقاد الحاصل بمجرد
التقليد غير خال عن نوع من الضعف في الابتدا على معنى انه يقبل الازالة بنقيضه لو القي اليه فلا بد من تقويته

صنعة الجدل والكلام بل يشتغل بتلاوة القرآن وتفسيره وقراءة الحديث ومعانيه ويشتغل بوظايف العبادات
فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخا بما يقرع سمعه من ادلة القرآن وحججه وبما يرد عليه من شواهد الاحاديث وفوايدها
وبما يسطع عليه من انوار العبادات ووظايفها وبما يسري اليه من مشاهدة الصالحين ومجالستهم وسيماهم و
هيئتهم في الخضوع لله تعالى والخوف منه والاستكانة فيكون اول التلقين كالقاء بذر في الصدر وتكون هذه الاسباب
كالسقي والتربية له حتى ينمو ذلك البذر ويقوى ويرتفع شجرة طيبة راسخة اصلها ثابت وفرعها في السماء وينبغي
ان يحرس سمعه من الجدل والكلام غاية الحراسة فانما الشجرة بالمدقة من الحديد رجا تقويتها بان يكثر اجزاها وربما
يفتتها ويفسدها وهو الاغلب والمشاهدة تكفيك في هذا بيانا فناهيك بالعيان برهانا فقس عقيدة اهل
الصلاح والتقى من عوام الناس بعقيدة المتكلمين والمجادلين فترى اعتقاد العامي في الثبات كالطود الشامخ لا
تحركه الدواهي والصواعق وعقيدة المتكلم الحارس اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيط مرسل في الهوى تفيئه الرياح مرة
هكذا ومرة هكذا الا من سمع منهم دليل الاعتقاد فتلقفه تقليدا كما تلقف نفس الاعتقاد تقليدا اذ لا فرق في
التقليد بين تعلم الدليل او تعلم المدلول فتلقين الدليل شيء والاستدلال بالنظر شيء آخر بعيد عنه ثم الصبي اذا
وقع نشوه على هذه العقيدة ان اشتغل بكسب الدنيا لم ينفتح له غيرها ولكنه يسلم في الآخرة باعتقاد اهل الحق اذ لم
يكلف الشرع اجلاف العرب اكثر من التصديق الجزم بظاهر هذه العقايد فاما البحث والتفتيش وتكلف نظم الادلة
فلم يكلفوه اصلا وان اراد ان يكون من سالكي طريق الآخرة وساعده التوفيق حتى اشتغل بالعمل ولازم التقوى ونهى النفس
عن الهوى واشتغل بالرياضة والمجاهدة انفتحت له ابواب من الهداية يكشف عن حقايق هذه العقيدة بنور الهي
يقذف في قلبه بسبب المجاهدة تحقيقا لوعده اذ قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وهو الجوهر
النفيس الذي هو غاية ايمان الصديقين والمقربين واليه الاشارة بالسر الذي وقر في صدر ابي بكر الصديق حيث
فضل به الخلق وانكشاف ذلك السر بل تلك الاسرار له درجات بحسب درجات المجاهدة ودرجات الباطن في النظافة
والطهارة عما سوى الله تعالى وفي الاستضاءة بنور اليقين وذلك كتفاوت الخلق في اسرار الطب والفقه وساير
العلوم اذ يختلف ذلك باختلاف الاجتهاد واختلاف الفطرة في الذكا والفطنة وكما لا تنحصر تلك الدرجات فكذلك
هذه **مسألة** فان قلت تعلم الجدل والكلام مذموم كتعلم النجوم او هو مباح او مندوب فاعلم ان للناس في هذا
غلوا واسرافا في اطراف فمن قايل انه بدعة وحرام ومن قايل انه واجب وفرض اما على الكفاية او على الاعيان وانه افضل
الاعمال واعلى القربات فانه تحقيق لعلم التوحيد ونضال عن دين الله تعالى والى التحريم ذهب الشافعي واحمد بن حنبل
وسفيان وجميع اهل الحديث من السلف **قال** ابو عبد الاعلى سمعت الشافعي يوم ناظر حفصا الفرد وكان من
متكلمي المعتزلة يقول لان يلقى الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك خير من ان يلقاه بشيء من الكلام ولقد سمعت
من حفص كلاما لا اقدر ان احكيه وقال ايضا قد اطلعت من اهل الكلام على شيء ما ظننته قط ولان يبتلى العبد
بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من ان ينظر في الكلام **وحكى** الكرابيسي ان الشافعي سئل عن شيء من
الكلام فغضب وقال سل عن هذا حفصا الفرد واصحابه اخزاهم الله ولما مرض الشافعي دخل عليه حفص الفرد فقال
له من انا فقال حفص الفرد لا حفظك الله ولا رعاك حتى تتوب مما انت فيه وقال ايضا لو علم الناس ما في الكلام من
الاهواء لفروا منه فرارهم من الاسد وقال ايضا اذا سمعت الرجل يقول الاسم هو المسمى او غير المسمى فاشهدوا انه من اهل
الكلام ولا دين له **وقال** الزعفراني قال الشافعي حكمي في اصحاب الكلام ان يضربوا بالجريد ويطاف
بهم في العشاير والقبايل ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة واخذ في الكلام وقال احمد بن حنبل لا يفلح صاحب
الكلام ابدا ولا تكاد ترى احدا نظر في الكلام الا وفي قلبه دغل وبالغ فيه حتى هجر الحارث المحاسبي مع زهده وورعه

بسبب تصنيفه كتابا في الرد على المبتدعة وقال ويحك بدعتهم اولا ثم ترد عليهم الست تحمل الناس بتصنيفك
على مطالعة البدعة والتفكر في تلك الشبهات فيدعوهم ذلك الى الراي والبحث وقال احمد علما الكلام
زنادقة **وقال** مالك ارايت ان جاءه من هو اجدل منه ايدع دينه كل يوم لدين جديد يعني ان اقوال المتجادلين
يتفاوت وقال مالك لا يجوز شهادة اهل البدع والاهوا ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم وقد اتفق اهل الحديث
من السلف على هذا ولا ينحصر ما نقل عنهم من التشديدات فيه وقالوا ما سكت عنه الصحابة مع انهم اعرف
بالحقايق وافصح بترتيب الالفاظ من غيرهم الا لعلمهم بما يتولد منه من الشر ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم هلك
المتنطعون ثلاثا اي المتعمقون في البحث والاستقصا واحتجوا ايضا بان ذلك لو كان من الدين
لكان اهم ما يامر به النبي صلى الله عليه وسلم ويعلم طريقه ويثني على اربابه فقد علمهم الاستنجا وندبهم الى حفظ الفرايض
واثنى عليهم ونهاهم عن الكلام في القدر وقال امسكوا وعلى هذا استمر الصحابة رضي الله عنهم فالزيادة
على الاستاذ طغيان وظلم وهم الاستاذون والقدوة ونحن الاتباع والتلامذة واما الفرقة الاخرى احتجوا
بان قالوا ان المحذور من الكلام ان كان لفظ الجوهر والعرض وهذه الاصطلاحات الغريبة التي لم تعهدها
الصحابة فالامر فيه قريب اذ ما من علم الا وقد احدث فيه اصطلاحات لاجل التفهيم كالحديث والتفسير والفقه
ولو عرض عليهم عبارة النقض والكسر والتركيب والتعدية وفساد الوضع لما كانوا يفقهونه فاحداث عبارة
للدلالة بها على مقصود صحيح كاحداث آنية على هيئة جديدة لاستعمالها في مباح وان كان المحذور هو الشغب
التعصب والعداوة والبغضاء وما يفضي اليه الكلام فذلك محرم ويجب الاحتراز عنه كما ان الكبر والريا وطلب
الرياسة مما يفضي اليه علم الحديث والتفسير والفقه وهو محرم ويجب الاحتراز عنه ولكن لا يمنع من العلم لاجل
ادائه اليه وكيف يكون ذكر الحجة والمطالبة بها والبحث عنها محظورا وقد قال الله تعالى قل هاتوا برهانكم ان
كنتم صادقين وقال ليهلك من هلك عن بينة وقال هل عندكم من سلطان بهذا اي حجة وبرهان وقال قل
فلله الحجة البالغة وقال الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه الى قوله فبهت الذي كفر وذكر احتجاج ابراهيم ومجادلته
ومحاجته قومه في معرض الثناء عليه فقال وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات وقال يا نوح
قد جادلتنا فاكثرت جدالنا وقال في قصة فرعون وما رب العالمين الى قوله اولو جئتك بشيء مبين وعلى
الجملة فالقرآن من اوله الى آخره محاجة مع الكفار فعمدة ادلة المتكلمين في التوحيد قوله تعالى لو كان فيهما آلهة
الا الله لفسدتا وفي البعث قوله قل يحييها الذي انشاها اول مرة الى غير ذلك من الآيات ولم يزل الرسل
يحاجون المنكرين ويجادلونهم قال الله تعالى وجادلهم بالتي هي احسن والصحابة ايضا كانوا يجادلون ولكن عند
الحاجة اليه وكانت الحاجة اليه قليلة في زمانهم واول من سن دعوة المبتدعة بالمجادلة الى الحق علي اذ بعث
ابن عباس الى الخوارج فكلمهم فقال ما تنقمون على امامكم قالوا قاتل ولم يسب ولم يغنم فقال ذلك في قتال الكفار
ارايتم لو سبيت عايشة رضي الله عنها في يوم الجمل فوقعت في سهم احدكم اكنتم تستحلون منها ما تستحلون
من ملككم وهي امكم في نص الكتاب فقالوا لا فرجع منهم الى الطاعة بمجادلته الفان **وروي** ان الحسن ناظر
قدريا فرجع عن القدر وناظر علي بن ابي طالب رجلا من القدرية وناظر عبد الله بن مسعود يزيد بن عميرة في الايمان
قال عبد الله لو قلت اني مؤمن لقلت اني في الجنة فقال له يزيد بن عميرة يا صاحب رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذه زلة منك وهل الايمان الا ان تؤمن بالله وملايكته وكتبه ورسله والبعث والميزان
وتقيم الصلاة والصوم والزكاة ولنا ذنوب لو نعلم انها تغفر لنا لعلمنا انا من اهل الجنة فمن ذلك نقول انا
مؤمنون ولا نقول انا من اهل الجنة فقال ابن مسعود صدقت والله انها مني زلة فينبغي ان يقال كان خوضهم

فيه قليلا لا كثيرا وقصيرا لا طويلا وعند الحاجة لا بطريق التصنيف والتدريس واتخاذه صنعة فيقال اما
قلة خوضهم كان لقلة الحاجة ولم يكن البدعة تظهر في ذلك الزمان واما القصر فقد كان الغاية افحام الخصم
او الحاجة لطالت لا محالة الزامه وما كانوا يقدرون قدر الحاجة بميزان ومكيال بعد الشروع فيه
واما عدم تصديهم للتدريس والتصنيف فهكذا كانوا في الفقه والتفسير والحديث ايضا فان جاز
تصنيف الفقه ووضع الصور النادرة التي لا يتفق الا على الندور اما ادخارا ليوم وقوعها وان كان نادرا
او تشحيذ الخاطر فنحن ايضا نرتب طرق المجادلة لتوقع وقوع الحاجة بثوران شبهة وهيجان مبتدع او
لتشحيذ الخاطر او لادخار الحجة حتى لا يعجز عنه عند الحاجة على البديهة والارتجال كمن يعد السلاح قبل
القتال ليوم القتال فهذا ما يمكن ان يذكر للفريقين فان قلت فما المختار فيه فاعلم ان الحق فيه ان اطلاق
القول بذمه في كل حال او بحمده في كل حال خطا بل لا بد فيه من تفصيل فاعلم اولا ان الشيء قد يحرم لذاته كالخمر
والميتة واعني بقولي لذاته ان علة تحريمه وصف في ذاته وهو الاسكار والموت وهذا اذا سئلنا عنه اطلقنا
القول بانه حرام ولا يلتفت الى اباحة الميتة عند الاضطرار واباحة تجرع الخمر اذا غص الانسان بلقمة ولم
يجد ما يسيغها سوى الخمر والى ما يحرم لغيره كالبيع على بيع اخيه في وقت الخيار والبيع وقت النداء وكاكل
الطين فانه يحرم لما فيه من الاضرار وهذا ينقسم الى ما يضر قليله وكثيره فيطلق القول عليه بانه حرام
كالسم الذي يقتل قليله وكثيره والى ما يضر عند الكثرة فيطلق القول عليه بالاباحة كالعسل فان كثيره يضر
بالمحرور وكاكل الطين وكان اطلاق التحريم على الخمر والتحليل على العسل التفاوت على اغلب الاحوال فان تصدى
شيء تقابلت فيه الاحوال فالاولى والابعد عن الالتباس ان تفصل فنعود الى علم الكلام ونقول ان فيه منفعة
ومضرة فهو باعتبار منفعته في وقت الانتفاع حلال او مندوب اليه او واجب كما يقتضيه الحال وهو
باعتبار مضرته في وقت الاستضرار ومحله حرام اما مضرته فاثارة الشبهات وتحريك العقايد وازالتها
عن الجزم والتصميم فذلك مما يحصل في الابتداء ورجوعها بالدليل مشكوك فيه ويختلف فيه الاشخاص فهذا
ضرره في الاعتقاد الحق وله ضرر في تاكيد اعتقاد المبتدعة وتثبيتها في صدورهم بحيث تنبعث دواعيهم
ويشتد حرصهم على الاصرار عليها ولكن هذا الضرر بواسطة التعصب الذي يثور من الجدل ولذلك ترى
المبتدع العامي يمكن ان يزول اعتقاده باللطف في اسرع زمان الا اذا كان نشؤه في بلد يظهر فيه الجدل و
التعصب فانه لو اجتمع عليه الاولون والاخرون لم يقدروا على نزع البدعة من صدره بل الهوى والتعصب
وبغض خصوم المجادلين وفرقة المخالفين يستولي على قلبه ويمنعه من ادراك الحق حتى لو قيل له هل تريد
ان يكشف الله لك الغطاء فيعرفك بالعيان ان الحق مع خصمك كره ذلك خيفة ان يفرح به خصمه وهذا هو الداء
العضال الذي استطار في البلاد والعباد وهو نوع فساد اثاره المجادلون بالتعصب فهذا ضرره واما منفعته فقد
يظن ان فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ما هي عليه وهيهات فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف
ولعل التخبيط والتضليل فيه اكثر من الكشف والتعريف وهذا اذا سمعته من محدث او حشوي ربما خطر
ببالك ان الناس اعداء ما جهلوا فاسمع هذا ممن خبر الكلام ثم قلاه بعد حقيقة الخبرة وبعد التغلغل
فيه الى منتهى درجة المتكلمين وجاوز ذلك الى التعمق في علوم اخر تناسب ذلك نوع الكلام وتحقق ان
الطريق الى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود ولعمري لا ينفك الكلام عن كشف وتعريف و
ايضاح لبعض الامور ولكن على الندور وفي امور جلية تكاد ان تفهم قبل التعمق في صنعة الكلام بل
منفعته شيء واحد وهو حراسة العقيدة التي ترجمناها على العوام وحفظها عن تشويشات المبتدعة

بانواع الجدل فان العامي ضعيف يستفزه جدل المبتدع وان كان فاسدا ومعارضة الفاسد بالفاسد
تدفعه والناس متعبدون بهذه العقيدة التي قدمناها اذ ورد الشرع بها لما فيها من صلاح دينهم
ودنياهم واجمع السلف عليها والعلماء متعبدون بحفظها على العوام من تلبيسات المبتدعة كما تعبد
السلطان بحفظ اموالهم عن تهجمات الظلمة والغصاب واذا وقعت الاحاطة بضرره ومنفعته فينبغي ان
المتكلم يكون كالطبيب الحاذق في استعمال الدواء الخطر اذ لا يضعه الا في موضعه وذلك في وقت الحاجة وعلى
قدر الحاجة وتفصيله ان العوام المشتغلين بالحرف والصناعات يجب ان يتركوا على سلامة عقايدهم
التي يعتقدونها مهما تلقنوا الاعتقاد الحق الذي ذكرناه فان تعليمهم الكلام ضرر محض في حقهم اذ ربما
يثير لهم شكا ويزلزل عليهم الاعتقاد ولا يمكن القيام بعد ذلك بالاصلاح **واما العامي** المعتقد للبدعة
فينبغي ان يدعى الى الحق بالتلطف لا بالتعصب وبالكلام اللطيف المقنع للنفس المؤثر في القلب القريب
من سياق ادلة القران والحديث الممزوج بفن الوعظ والتحذير فان ذلك انفع من الجدل الموضوع على
شرط المتكلمين اذ العامي لو سمع ذلك اعتقد انه نوع صنعة تعلمها المتكلم ليستدرج بها الناس الى اعتقاده
فان عجز عن الجواب قدر ان المجادلين في مذهبه ايضا يقدرون على دفعه فالجدال مع هذا ومع الاول حرام
وكذا مع من وقع له شك اذ يجب ازالته باللطف والوعظ والادلة القريبة المقبولة البعيدة من تعمق
الكلام واستقصاء الجدل وانما ينفع في موضع واحد وهو ان يفرض عامي اعتقد البدعة بنوع جدل
سمعه فيقابل ذلك الجدل بمثله فيعود الى اعتقاد الحق وذلك فيما ظهر له من الانس في المجادلة ما يمنعه
عن القناعة بالمواعظ والتحذيرات العامية فقد انتهى الى حالة لا يشفيه الا دواء الجدل فجاز ان
يلقى اليه وفي بلاد تقل فيها البدعة ولا تختلف فيها المذاهب فيقتصر فيها على ترجمة الاعتقاد الذي
ذكرناه ولا يتعرض للادلة ويتربص وقوع شبهة فان وقعت ذكر بقدر الحاجة فان كانت البدعة شايعة
وكان يخاف على الصبيان ان يخدعوا فلا باس ان يعلموا القدر الذي اودعناه كتاب الرسالة القدسية ليكون
ذلك سبب الدفع تاثير مجادلات المبتدعة ان وقعت اليهم وهذا مقدار مختصر وقد اودعناه هذا الكتاب
لاختصاره فان كان فيه ذكاء وتنبه لذكائه في موضع سؤال او ثار في نفسه شبهة فقد بدت العلة المحذورة وظهر الداء
فلا باس ان يترقى منه الى القدر الذي ذكرناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد وهو مقدار خمسين ورقة وليس فيه
خروج عن النظر في قواعد العقايد الى غيره من مباحث المتكلمين فان اقنعه ذلك كف عنه وان لم يقنعه ذلك
فقد صارت العلة مزمنة والداء غالبا والمرض ساريا فليتلطف به الطبيب بقدر امكانه وينتظر قضاء الله تعالى
فيه الى ان ينكشف له الحق بتنبيه من الله تعالى او يستمر على الشك والشبهة الى ما قدر له فالقدر الذي يحويه
ذلك الكتاب وجنسه من المصنفات هو الذي يرجى نفعه فاما الخارج منه فقسمان **احدهما** بحث عن غير
قواعد العقايد كالبحث عن الاعتمادات وعن الاكوان وعن الادراكات والخوض في ان الرؤية هل لها ضد يسمى المنع
او العمى وان كان فذلك واحد هو المنع عن جميع ما لا يرى او ثبت لكل مرئي يمكن رؤيته منع بحسب عدده الى
غير ذلك من الترهات المضلة **والثاني** زيادة تقرير لتلك الادلة في غير تلك القواعد وزيادة اسئلة واجوبة
وذلك ايضا استقصاء لا يزيد الا ضلالا وجهلا في حق من لم يقنعه ذلك القدر فرب كلام يزيده الاطناب
والتقرير غموضا ولو قال قايل البحث عن حكم الادراكات والاعتمادات فيها تشحيذ الخاطر والخاطر آلة الدين
كالسيف آلة الجهاد فلا باس بتشحيذه كان كقوله لعب الشطرنج يشحذ الخاطر فهو من الدين وذلك هوس
فان الخاطر يتشحذ بسائر علوم الشرع ولا يخاف منه مضرة فقد عرفت بهذا القدر المذموم والقدر المحمود

من الكلام والحال التي تعم فيها والحال التي يحمد فيها والشخص الذي ينتفع به والذي لا ينتفع به فان **قلت** فمهما
اعترفت بالحاجة اليه في دفع المبتدع الآن فقد ثارت البدعة وعم البلوى وارهقت الحاجة فلا بد ان يصير القيام
بهذا العلم من فروض الكفاية كالقيام بحراسة الاموال وسائر الحقوق كالقضاء والولاية وغيرهما وما لم يشتغل العلماء
بنشر ذلك والتدريس فيه والبحث عنه لا يدوم ولو ترك بالكلية لاندرس وليس في مجرد الطباع كفاية
شبه المبتدعة ما لم يتعلم فينبغي ان يكون التدريس فيه ايضا من فروض الكفايات بخلاف زمان الصحابة فان
الحاجة ما كانت ماسة اليه فاعلم ان الحق انه لا بد في كل بلد من قائم بهذا العلم مستقل بدفع شبهة المبتدعة التي
ثارت في تلك البلد وذلك يدوم بالتعليم ولكن ليس من الصواب تدريسه على العموم كتدريس الفقه و
التفسير فان هذا مثل الدواء والفقه مثل الغذاء وضرر الغذاء لا يحذر وضرر الدواء محذور لما ذكرناه من انواع
الضرر فالعالم به ينبغي ان يخصص بتعليم هذا العلم من فيه ثلاث خصال **احدها** التجرد للعلم والحرص عليه
فان المحترف يمنعه الشغل عن الاستتمام وازالة الشكوك اذا عرضت **والثانية** بحجاجه فيخاف عليه من
ضرر الكلام ولا يرجى فيه نفعه **والثالثة** ان يكون في طبعه الصلاح والديانة والتقوى ولا يكون
الشهوات غالبة عليه فان الفاسق بادنى شبهة ينخلع عن الدين فان ذلك يحل عنه الحجر ويرفع السد الذي بينه وبين
الملاذ فلا يحرص على ازالة الشبهة بل يغتنمها ليتخلص من اعباء التكليف فيكون ما يفسده مثل هذا المتعلم اكثر
مما يصلحه واذا عرفت هذه الانقسامات اتضح لك ان الحجة المحمودة في القرآن انما هي من جنس حجج القرآن من
الكلمات اللطيفة المؤثرة في القلوب المقنعة للنفوس دون التغلغل في التقسيمات والتدقيقات التي لا
يفهمها اكثر الناس واذا فهموها اعتقدوا انها شعوذة وصنعة تعلمها صاحبها للتلبيس فاذا قابله
مثله في الصنعة قاومه وعرفت ان الشافعي وكافة السلف انما منعوا عن الخوض فيه والتجرد له لما فيه من
الضرر الذي نبهنا عليه وان ما نقل عن ابن عباس في مناظرة الخوارج وما نقل عن علي رضي الله عنه من المناظرة في
القدر وغيره كان من الكلام الجلي الظاهر وفي محل الحاجة وذلك محمود في كل حال **نعم** قد يختلف الاعصار في
كثرة الحاجة وقلتها فلا يبعد ان يختلف الحكم لذلك فهذا حكم العقيدة التي تعبد الخلق بها وهذا حكم طريق
النضال عنها وحفظها **واما ازالة** الشبهة وكشف الحقائق ومعرفة الاشياء على ما هي عليه وادراك الاسرار
التي يترجمها ظاهر الفاظ هذه العقيدة فلا يحتاج اليه الا المجاهدة وقمع الشهوات والاقبال بالكلية
على الله وملازمة الفكر الصافي عن شوائب المجادلات وهي رحمة من الله عز وجل تفيض على من يتعرض لنفحاتها بقدر
الرزق وبحسب التعرض وبحسب قبول المحل وطهارة القلب وذلك البحر الذي لا يدرك غوره ولا يبلغ ساحله
مسئلة فان قلت فهذا الكلام مشير الى ان هذه العلوم لها ظواهر واسرار وبعضها جلي يبدو اولا و
بعضها خفي يتضح بالمجاهدة والرياضة والطلب الحثيث والفكر الصافي والسر الخالي عن كل شيء من اشغال الدنيا
سوى المطلوب وهذا يكاد يكون مخالفا للشرع اذ ليس للشرع ظاهر وباطن وسر وعلن بل الظاهر والباطن والسر والعلن واحد
فاعلم ان انقسام هذه العلوم الى خفية وجلية لا ينكرها ذو بصيرة وانما ينكرها القاصرون الذين تلقفوا في اول
الصبا شيئا وجمدوا عليه ولم يكن لهم ترق الى شأو العلا ومقامات العلماء والاولياء وذلك ظاهر من ادلة
الشرع قال صلى الله عليه وسلم ان للقرآن ظاهرا وباطنا وحدا ومطلعا وقال علي رضي الله عنه ان ههنا علوما
جمة لو وجدت لها حملة وقال صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء امرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم وقال ما حدث
احد قوما بحديث لم تبلغه عقولهم الا كان فتنة عليهم وقال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا
العالمون وقال صلى الله عليه وسلم ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا العالمون بالله الحديث الى آخره كما اوردناه

في كتاب العلم وقال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فليت شعري ان لم يكن ذلك سرا منع من افشائه
لقصور الافهام عن ادراكه او لمعنى آخر فلم لم يذكره لهم ولا شك انهم كانوا يصدقونه لو ذكره لهم **وقال**
ابن عباس في قوله عز وجل الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لو ذكرت تفسيره لرجمتموني
وفي لفظ آخر لقلتم انه كافر وقال صلى الله عليه وسلم ما فضلكم ابو بكر بكثرة صيام ولا صلاة ولكن بسر وقر في
صدره ولا شك في ان ذلك السر كان متعلقا بقواعد الدين غير خارج منها وما كان من قواعد الدين لم يكن خافيا
بظواهرها على غيره **وقال** سهل التستري للعالم ثلاثة علوم علم ظاهر يبذله لاهل الظاهر وعلم باطن لا يسعه
اظهاره الا لاهله وعلم هو بينه وبين الله تعالى لا يظهره لاحد **وقال** بعض العارفين افشاء سر الربوبية كفر وقال
بعضهم للربوبية سر لو اظهر لبطلت النبوة وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم وللعلماء سر لو اظهروه لبطلت الاحكام
وهذا القائل ان لم يرد بذلك بطلان النبوة في حق الضعفاء لقصور فهمهم فما ذكره ليس بحق بل الصحيح انه لا
تناقض فيه وان الكامل لا يطفئ نور معرفته نور ورعه وملاك الورع النبوة **مسئلة** فان قلت فهذه الآيات
والاخبار يتطرق اليها تأويلات فبين لنا كيفية اختلاف الظاهر والباطن فان الباطن ان كان مناقضا للظاهر
ففيه ابطال الشرع وهو قول من قال ان الحقيقة خلاف الشريعة وهو كفر لان الشريعة عبارة عن الظاهر والحقيقة
عن الباطن وان كان لا يناقضه ولا يخالفه فهو هو فيزول به الانقسام ولا يكون للشرع سر لا يفشى بل يكون الخفي
والجلي واحدا فاعلم ان هذا السؤال يحرك خطبا عظيما وينجر الى علوم المكاشفة ويخرج عن مقصود علم المعاملة وهو غرض
هذه الكتب فان العقائد التي ذكرناها من اعمال القلوب وقد تعبدنا بتلقيها بالقبول والتصديق بعقد القلب
عليها لا بان يتوصل الى ان ينكشف لنا حقائقها فان ذلك لم يكلف به كافة الخلق **ولولا** انه من الاعمال لما
اوردناه في هذا الكتاب ولولا انه عمل ظاهر القلب لا عمل باطنه لما اوردناه في الشطر الاول من الكتاب وانما
الكشف الحقيقي هو صفة سر القلب وباطنه ولكن اذا انجر كلام الى الشريعة او الباطن يناقض الظاهر فهو الى
الكفر اقرب منه الى الايمان بل الاسرار التي يختص بها المقربون بدركها ولا يشاركهم الاكثرون في علمها ويمتنعون
عن افشائها اليهم ترجع الى خمسة اقسام **الاول** ان يكون الشيء في نفسه دقيقا تكل اكثر الافهام عن دركه
فيختص بدركه الخواص وعليهم ان لا يفشوه الى غير اهله فيصير ذلك فتنة عليهم حيث تقصر افهامهم عن الدرك
واخفاء سر الروح وكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيانه من هذا القسم فان حقيقته مما تكل الافهام عن دركه
ويقصر الاوهام عن تصور كنهه ولا تظنن ان ذلك لم يكن مكشوفا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان من لم يعرف
الروح لم يعرف نفسه فكيف يعرف ربه ولا يبعد ان يكون ذلك مكشوفا لبعض الاولياء والعلماء وان لم يكونوا
انبياء ولكنهم يتأدبون بآداب الشرع فيسكتون عما سكت عنه بل في صفات الله تعالى من الخفايا ما
تقصر افهام الجماهير عن ادراكه ولم يذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم منها الا الظواهر للافهام من العلم والقدرة
وغيرهما حتى فهمها الخلق بنوع مناسبة توهموها الى علمهم وقدرتهم اذ كان لهم من الاوصاف ما
يسمى علما وقدرة فيتوهمون ذلك بنوع مقايسة ولو ذكر من صفاته ما ليس للخلق مما يناسبه بعض
المناسبة شيء لم يفهموه بل لذة الجماع اذا ذكرت للصبي او العنين لم يفهمها الا بمناسبة الى لذة
المطعوم الذي يدركه ولا يكون ذلك فهما على التحقيق والمخالفة بين علم الله وقدرته وعلم الخلق و
قدرتهم اكثر من المخالفة بين لذة الجماع والاكل وبالجملة فلا يدرك الانسان الا نفسه وصفات نفسه مما هي
حاضرة له في الحال او مما كانت له من قبل ثم بالمقايسة اليه يفهم ذلك لغيره ثم قد يصدق بان بينهما
تفاوتا في الشرف والكمال فليس في قوة البشر الا ان يثبت لله عز وجل ما هو ثابت لنفسه من الفعل والعلم

والقدرة وجزء من الصفات مع الصديق فان ذلك الكل وان فرض فيكون معظم تحريه على صفات نفسه لا على ما
اختص الرب به من الجلال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك و
ليس المعنى به انه عجز عن التعبير عما ادركه بل هو اعتراف بالقصور عن ادراك كنه جلاله ولذلك قال
بعضهم ما عرف الله بالحقيقة سوى الله وقال الصديق الحمد لله الذي لم يجعل سبيلا الى معرفته الا بالعجز عن
معرفته ولنقبض عنان الكلام عن هذا النمط ولنرجع الى الغرض وهو ان احد الاقسام ما تكل الافهام عن ادراكه
ومن جملته الروح ومن جملته بعض صفات الله ولعل الاشارة الى مثله في قوله صلى الله عليه وسلم ان لله سبعين
حجابا من نور لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل ما ادركه بصره **القسم** الثاني من الخفيات التي يمتنع
الانبياء والصديقون عن ذكره ما هو مفهوم في نفسه لا يكل الفهم عنه ولكن ذكره يضر باكثر المستمعين
ولا يضر بالانبياء والصديقين وسر القدر الذي منع اهل العلم من افشائه من هذا القسم فلا يبعد ان يكون
ذكر بعض الحقائق مضرا ببعض الخلق كما يضر نور الشمس بابصار الخفافيش وكما يضر رياح الورد بالجعل وكيف
يبعد هذا وقولنا ان الكفر والزنا والمعاصي والشرور بقضاء الله تعالى وقدرته وارادته ومشيئته حق في نفسه
وقد اضر سماعه بقوم اذ اوهم ذلك عندهم دلالة على السفه ونقيض الحكمة والرضى بالسفه والحد ابن الراوندي
وطائفة من المخذولين بمثل ذلك وكذا سر القدر لو افشي لاوهم عند اكثر الخلق عجزا اذ تقصر افهامهم عن ادراك
ما يزيل ذلك الوهم عنهم ولو قال قائل ان القيامة لو ذكر ميقاتها وانها بعد الف سنة او اقل او اكثر لكان مفهوما
ولكن لم يذكر لمصلحة العباد وخوفا من الضرر فلعل المدة اليها بعيدة فيطول الامد واذا استبطأت النفوس
وقت العقاب قل اكتراثها ولعلها كانت قريبة في علم الله تعالى ولو ذكرت لعظم الخوف واعرض الناس
عن الاعمال وخربت الدنيا فهذا المعنى لو اتجه وصح فيكون مثالا لهذا القسم **القسم الثالث** ان يكون
الشيء بحيث لو ذكر صريحا لفهم ولم يكن فيه ضرر ولكن يكنى عنه على سبيل الاستعارة والرمز ليكون وقعه في
قلبه كما لو قال قائل رأيت فلانا يقلد الدر في اعناق الخنازير فكنى به عن افشاء العلم وبث الحكمة الى غير اهله
فالمستمع قد يسبق الى فهمه ظاهره والمحقق اذا نظر وعلم ان ذلك الانسان لم يكن معه در ولا كان في موضعه
خنزير تفطن لادراك السر والباطن فيتفاوت الناس بذلك **ومن** هذا قول الشاعر **شعر** رجلان خياط واخر حائك
متقابلان على السماك الاعزل ۞ لا زال ينسج ذا خرقة مدبر ۞ ويخيط صاحبه ثياب المقبل ۞ فانه عبر عن سبب سماوي
في الاقبال والادبار برجلين صانعين وهذا النوع يرجع الى التعبير عن المعنى بالصورة التي تتضمن عين المعنى او مثله
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ان المسجد لينزوي من النخامة كما تنزوي الجلدة في النار لاتصال اجزاء الجلدة وكذلك
قوله اما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الامام ان يحول الله رأسه رأس حمار وذلك من حيث الصورة قط لم يكن ولكن
من حيث المعنى هو كائن اذ رأس الحمار لم يكن بحقيقته لونه وشكله بل بخاصيته وهي البلادة والحمق وهذا المقصود دون
الشكل الذي هو قالب المعنى اذ من غاية الحمق ان يجمع بين الاقتداء والتقدم فانهما متناقضان وانما يعرف
هذا السر على خلاف الظاهر غير ممكن لقوله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن اذ فتشنا قلوب
المؤمنين وصدورهم طلبت فيها الاصابع علم انها كناية عن القدرة التي هي سر الاصابع وروحها الخفي وكنى بالاصابع
عن القدرة لانه اعظم وقعا في تفهيم تمام الاقتدار ومن هذا القبيل كنايته عن الاقتدار بقوله عز وجل انما قولنا
لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فان ظاهره ممتنع اذ قوله كن ان كان خطابا مع الشيء قبل وجوده فهو محال اذ
المعدوم لا يفهم الخطاب حتى يمتثل وان كان بعد الوجود فهو مستغن عن التكوين ولكن لما كانت هذه الكناية
اوقع في النفوس في تفهيم غاية الاقتدار عدل اليه واما المدرك بالشرع فهو ان يكون اجراؤه على الظاهر ممكنا ولكنه

يروى انه اريد به غير الظاهر كما ورد في تفسير قوله تعالى انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها الاية وان
معنى الماء هو القرآن ومعنى الاودية هي القلوب وان بعضها احتملت شيئا كثيرا وبعضها قليلا وبعضها لم يحتمل والزبد مثل
الكفر فانه وان ظهر وطفا على رأس الماء فانه لا يثبت والهداية التي تنفع الناس تمكث وفي هذا القسم تعمق جماعة
فأولوا ما ورد في الآخرة من الميزان والصراط وغيرهما وهو بدعة اذ لم ينقل ذلك بطريق الرواية واجراؤه على
الظاهر غير محال فيجب اجراؤه على الظاهر **القسم الرابع** ان يدرك الانسان الشيء جملة ثم يدركه تفصيلا
بالتحقيق والذوق بان يصير حالا ملابسا له فيتفاوت العلمان ويكون الاول كالقشر والثاني كاللباب والاول
كالظاهر والاخر كالباطن وذلك كما يتمثل للانسان في عينه شخص في الظلمة او على البعد فيحصل له نوع
علم فاذا رآه بالقرب او بعد زوال الظلام ادرك تفرقة بينهما ولا يكون الاخر ضد الاول بل هو استكمال
له فكذلك في العلم والايمان والتصديق اذ قد يصدق الانسان بوجود العشق والمرض والموت قبل
وقوعه ولكن تحققه به عند الوقوع اكمل من تحققه قبل الوقوع بل للانسان في الشهوة والعشق وسائر الاحوال
ثلاثة احوال متفاوتة وادراكات متباينة **الاول** تصديقه بوجوده قبل وقوعه والثاني عند وقوعه **و**
الثالث بعد تصرمه فان تحققك بالجوع بعد زواله يخالف التحقق به قبل الزوال فكذلك من علوم
الدين ما يصير ذوقا فيكمل فيكون ذلك كالباطن بالاضافة الى ما قبل ذلك ففرق بين علم المريض بالصحة وبين
علم الصحيح ففي هذه الاقسام الاربعة تتفاوت الخلق وليس في شيء منها باطن يناقض الظاهر بل يتممه ويكمله
كما يتمم اللب القشر والسلام **القسم الخامس** ان يعبر بلسان المقال عن لسان الحال فالقاصر الفهم يقف
على الظاهر ويعتقده نطقا والبصير بالحقائق يدرك السر فيه وهذا كقول القائل قال الجدار للوتد لم تشقني
قال سل من يدقني لم يتركني ورائي الحجر الذي ورائي فهذا تعبير عن لسان الحال بلسان المقال ومن هذا قوله تعالى
فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين فالبليد يفتقر في فهمه الى ان يقدر لهما حياة وخلق
لا وعقلا وفهما للخطاب وخطابا هو صوت وحرف تسمعه الارض فتجيب بصوت وحرف وتقول اتينا
طائعين والبصير يعلم ان ذلك لسان الحال وانه انباء عن كونهما مسخرتين بالضرورة ومضطرتين الى التسخير ومن هذا
قوله عز وجل وان من شيء الا يسبح بحمده فان البليد يفتقر فيه الى ان يقدر للجماد حياة وعقلا ونطقا بحرف
وصوت حتى يقول سبحان الله ليتحقق تسبيحه والبصير يعلم انه بوحدانية الله سبحانه كما يقال وفي كل شيء
له آية تدل على انه واحد وكما يقال هذه الصنعة المحكمة تشهد لصانعها بحسن التدبير وكمال العلم لا بمعنى انها
تقول اشهد ولكنها بالذات والحال وقال بعضهم في كل شيء له آية تدل على انه واحد في ملكه فكذلك ما
من شيء الا وهو محتاج في نفسه الى موجد يوجده ويديم اوصافه ويردده في اطواره فهو بحاجته يشهد
لخالقه بالتقديس يدرك شهادته ذوو البصائر دون الجامدين على الظواهر ولذلك قال ولكن لا تفقهون
تسبيحهم اما القاصرون فلا يفقهون اصلا واما المقربون والعلماء الراسخون فلا يفقهون كنهه وكماله
اذ لكل شيء شهادات شتى على تقديس الله تعالى وتسبيحه ويدرك كل واحد بقدر رزقه وبصيرته وتعداد
تلك الشهادات لا يليق بعلم المعاملة فهذا الفن ايضا مما يتفاوت ارباب الظواهر وارباب البصائر في علمه
وتظهر به مفارقة الباطن للظاهر وفي هذا المقامات اسراف واقتصاد فمن مسرف في رفع الظواهر انتهى
الى تغيير جميع الظواهر او اكثرها حتى حملوا قوله تعالى وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم وقوله وقالوا لجلودهم
لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء وكذلك المخاطبات التي تجري بين منكر ونكير و
في الميزان والحساب ومناظرات اهل النار واهل الجنة في قولهم افيضوا علينا من الماء زعموا ان كل ذلك

لسان الحال وعلى الاخرين بحسم الباب منهم احمد بن حنبل حتى منع تاويل قوله تعالى كن فيكون وزعموا ان ذلك
خطاب بحرف وصوت يوجد من الله تعالى في كل لحظة بعدد تكون كل مكون حتى سمعت بعض اصحابه يقول انه حسم باب
التاويل الا لثلاثة الفاظ قوله صلى الله عليه وسلم الحجر الاسود يمين الله في الارض وقوله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين
اصبعين من اصابع الرحمن وقوله صلى الله عليه وسلم اني لاجد نفس الرحمن من قبل اليمن ومال الى حسم الباب ارباب
الظواهر والظن باحمد بن حنبل انه علم ان الاستوا ليس هو الاستقرار والنزول ليس هو الانتقال ولكنه منع
التاويل حسما للباب ورعاية لصلاح الخلق فانه اذا فتح الباب اتسع الخرق وخرج عن الضبط وجاوز الاقتصاد
اذ حد ما جاوز الاقتصاد لا ينضبط فلا باس بهذا الزجر ويشهد له سيرة السلف فانهم كانوا يقولون امروها كما جاءت
حتى قال مالك لما سئل عن الاستوا الاستوا معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وذهبت طائفة
الى الاقتصاد ففتحوا باب التاويل وهم الاشعرية وزاد المعتزلة عليهم حتى اولوا من صفاته عز وجل تعلق
الرؤية به واولوا كونه سميعا بصيرا واولوا المعراج **وزعموا** انه لم يكن بالجسد واولوا عذاب القبر والميزان
والصراط وجملة من احكام الاخرة ولكنهم اقروا بحشر الاجساد وبالجنة واشتمالها على الماكولات والمشروبات
والمنكوحات والملاذ المحسوسة وبالنار واشتمالها على جسم محسوس محرق يحرق الجلود ويذيب الشحوم ومن
ترقيهم الى هذا الحد زاد الفلاسفة فاولوا كل ما ورد في الاخرة وردوها الى الام عقلية روحانية ولذات عقلية
ربانية عقلية وانكروا حشر الاجساد وقالوا تبقى النفوس وتكون اما معذبة واما منعمة بعذاب ونعيم لا يدرك
بالحس وهؤلاء هم المسرفون وحد الاقتصاد بين هذا الانحلال وبين جمود الحنابلة دقيق غامض لا يطلع عليه الا
الموفقون الذين يدركون الامور بنور الهي لا بسماع ثم اذا انكشف لهم اسرار الامور على ما هي عليه نظروا الى
السمع والالفاظ الواردة فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرروه وما خالف اولوه فاما من ياخذ معرفة
هذه الامور من السمع المجرد فلا يستقر له فيه قدم ولا يتعين له موقف واللايق بالمقتصر على السمع المجرد
مقام احمد بن حنبل والان فكشف الغطا عن حد الاقتصاد في هذه الامور داخل في علم المكاشفة والقول فيه
يطول فلا نخوض فيه والغرض بيان موافقة الباطن للظاهر ومخالفته له وقد انكشف بهذه الاقسام الخمسة
واذا راينا ان نقتصر بكافة العوام على ترجمة العقيدة التي حررناها وانهم لا يكلفون غير ذلك في الدرجة الاولى
الا اذا كان خوف تشويش لشيوع البدعة فيرقى في الدرجة الثانية الى عقيدة فيها لوامع من الادلة مختصرة
من غير تعمق فلنورد في هذا الكتاب تلك اللوامع ولنقتصر فيها على ما حررناه لاهل القدس وسميناه الرسالة
القدسية في قواعد العقايد وهي هذه * **الفصل الثالث من كتاب قواعد** العقايد في لوامع
الادلة للعقيدة التي ترجمناها بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين **الحمد لله**
الذي ميز عصابة اهل السنة بانوار اليقين واثر رهط الحق بالهداية الى دعائم الدين وجنبهم زيغ الزائغين
وضلال الملحدين ووفقهم للاقتدا بسيد المرسلين وسددهم للتاسي بصحبه الاكرمين ويسر لهم اقتفا اثار
السلف الصالحين حتى اعتصموا من مقتضيات العقول بالحبل المتين ومن سير الاولين وعقايدهم بالمنهج
المبين فجمعوا في القبول بين نتايج العقول وقضايا الشرع المنقول وتحققوا ان النطق بما تعبدوا به من قول **لا اله
الا الله محمد رسول الله** ليس له طايل ومحصول اذا لم تتحقق الاحاطة بما تدور عليه هذه الشهادة من
الاقطاب والاصول وعرفوا ان كلمة الشهادة على ايجازها تتضمن اثبات ذات الاله واثبات صفاته و
اثبات افعاله واثبات صدق الرسول وعلموا ان بنا الايمان على هذه الاركان وهي اربعة ويدور كل ركن منها على
عشرة اصول **الركن الاول** في معرفة ذات الله تعالى ومداره على عشرة اصول وهي العلم بوجود الله تعالى

وقدمه وبقايه وانه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وانه سبحانه ليس مختصا بجهة ولا مستقر على مكان وانه يرى
وانه واحد **الركن الثاني** في صفاته ويشتمل على عشرة اصول وهي العلم بكونه حيا عالما قادرا مريدا سميعا
بصيرا متكلما منزها عن حلول الحوادث وانه قديم العلم والكلام والارادة الركن **الثالث** في افعاله ومداره
على عشرة اصول وهي ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى وانها مكتسبة للعباد وانها مرادة لله تعالى وانه متفضل
بالخلق وانه له تكليف ما لا يطاق وله ايلام البري ولا يجب عليه رعاية الاصلح وانه لا واجب الا بالشرع وان بعثه
الانبيا جايز وان نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثابتة مؤيدة بالمعجزات الركن **الرابع** في السمعيات وهو
اثبات الحشر وعذاب القبر وسؤال منكر ونكير والميزان والصراط وخلق الجنة والنار واحكام الامامة فالركن
الاول من اركان الايمان معرفة ذات الله تعالى ومداره على عشرة اصول **الاصل الاول** معرفة وجوده
واولى ما يستضاء به من الانوار ويسلك من طرق الاعتبار ما ارشد اليه القران فليس بعد بيان الله بيان وقد
قال تعالى الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وخلقناكم ازواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا
وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا
لنخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا وقال ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي
تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السما من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف
الرياح والسحاب المسخر بين السما والارض لايات لقوم يعقلون وقال تعالى الم تروا كيف خلق الله سبع سموات
طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا والله انبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا و
الله جعل لكم الارض بساطا وقال افرايتم ما تمنون ءانتم تخلقونه ام نحن الخالقون الى قوله نحن جعلناها تذكرة
ومتاعا للمقوين فسبح باسم ربك العظيم فليس يخفى على من معه ادنى مسكة اذا تامل بادنى فكره مضمون هذه الايات
وادار نظره على عجايب خلق الارض والسما وبدايع فطرة الحيوان والنبات ان هذا الامر العجيب والترتيب المحكم لا
يستغني عن صانع يدبره وفاعل يحكمه ويقدره بل تكاد فطرة النفوس تشهد بكونها مقهورة تحت تسخيره ومصرفة
بمقتضى تدبيره ولذلك قال الله تعالى افي الله شك فاطر السموات والارض ولهذا بعث الانبيا لهم بدعوة الخلق الى
التوحيد ليقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله وما امروا ان يقولوا لنا اله وللعالم اله فان ذلك مجبول في فطرة
عقولهم من مبدا نشوهم وفي عنفوان شبابهم ولذلك قال عز وجل ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن
الله وقال فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم فاذا في
فطرة الانسان وشواهد القران ما يغني عن اقامة البرهان ولكنا على سبيل الاستظهار والاقتدا بالعلما النظار
نقول من جمع بديهة العقول ان الحادث لا يستغني في حدوثه عن سبب يحدثه اما قولنا ان الحادث لا
يستغني عن سبب فجلي فان كان حادث فهو مختص بوقت يجوز في العقل تقدير تقدمه وتاخره فاختصاصه
بوقته دون ما قبله وما بعده يفتقر بالضرورة الى المخصص واما قولنا العالم حادث فبرهانه ان اجسام العالم
لا تخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ففي هذا البرهان ثلاث دعاوي
احدها ان الاجسام لا تخلو عن الحركة والسكون وهذه مدركة بالبديهة والاضطرار فلا يحتاج فيه الى تامل
وافتكار فان من عقل جسما لا ساكنا ولا متحركا كان لمتن الجهل راكبا وعن نهج الحق ناكبا **والثانية** قولنا انهما
حادثان ويدل على ذلك تعاقبهما ووجود البعض منهما بعد البعض وذلك مشاهد في جميع الاجسام ما شوهد وما لم يشاهد
من ساكن الا والعقل قاض بجواز حركته فالطاري منهما حادث لطريانه والسابق حادث لانه لو ثبت قدمه لاستحال
عدمه على ما سياتي بيانه وبرهانه في اثبات بقا الصانع تعالى **والثالث** قولنا ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث

انه لو لم يكن كذلك لكان قبل كل حادث حوادث لا اول لها ولو لم ينقض تلك بجملتها لا ينتهي النوبة الى وجود الحوادث
الحاضر في الحال وانقضا ما لا نهاية له محال ولانه لو كان الفلك دورات لا نهاية لها لكان لا يخلو عددها من
ان يكون شفعا او وترا فاذ ذلك جمع بين النفي والاثبات اذ في اثبات احدهما نفي الاخر وفي نفي احدهما اثبات الاخر
ومحال ان يكون شفعا ووترا جميعا او لا شفعا ولا وترا فان ذلك جمع بين النفي والاثبات اذ في اثبات احدهما
نفي الاخر وفي نفي احدهما اثبات الاخر ومحال ان يكون شفعا لان الشفع يصير وترا بزيادة واحدة فكيف يعوز ما
لا نهاية له واحد ومحال ان يكون وترا اذ الوتر يكون شفعا بواحد فكيف يعوزها واحد مع انه لا نهاية لاعدادها
فيحصل من هذا ان العالم لا يخلو عن الحوادث فهو اذا حادث واذا ثبت حدوثه كان افتقاره الى المحدث مما يدرك
بالضرورة **الاصل الثاني** العلم بان الباري تعالى قديم لم يزل ازلي ليس لوجوده اول بل هو اول كل شي
وقبل كل ميت وحي وبرهانه انه لو كان حادثا ولم يكن قديما لافتقر هو ايضا الى المحدث وافتقر محدثه الى محدث
ويتسلسل ذلك الى غير نهاية وما تسلسل لم يتحصل او ينتهي الى محدث قديم هو الاول وذلك هو المطلوب
الذي سميناه صانع العالم وباريه ومحدثه ومبديه **الاصل الثالث** العلم بانه مع كونه ازليا ابديا ليس
لوجوده اخر فهو الاول والاخر لان ما ثبت قدمه استحال عدمه وبرهانه انه لو انعدم لكان لا يخلو ان ينعدم بنفسه
او يعدم بضاده ولو جاز ان ينعدم شي يتصور دوامه لجاز ان يوجد شي بنفسه فكما يحتاج طريان الوجود الى
سبب وباطل ان ينعدم بعدم من يضاده لان ذلك العدم لو كان قديما لما تصور الوجود معه وقد ظهر
الاصلين السابقين وجوده وقدمه فكيف كان وجوده ومعه ضده وان كان الضد المعدم حادثا كان محالا
اذ ليس الحادث في مضادة القديم حتى يقطع وجوده باولى من القديم في مضادة الحادث حتى يدفع وجوده بل
الدفع اهون من القطع والقديم اولى من الحادث **الاصل الرابع** بانه ليس بجوهر يتحيز بل يتعالى ويتقدس عن مناسبة
التحيز وبرهانه ان كل جوهر متحيز فهو مختص بحيزه ولا يخلو من ان يكون ساكنا فيه او متحركا عنه فلا يخلو عن الحركة
والسكون وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ولو تصور جوهر متحيز قديم لكان يعقل قدم جواهر
العالم فان سماه مسم جوهرا ولم يرد به التحيز كان مخطئا من حيث اللفظ لا من حيث المعنى **الاصل
الخامس** العلم بانه ليس بجسم مولف من جواهر اذ الجسم عبارة عن المولف من الجواهر واذا بطل كونه جوهرا مخصوصا
بحيز ومركب من جوهر وسيتحيل خلوه عن الافتراق والاجتماع والحركة والسكون والهيئة والمقدار وهذه
سمات الحدوث ولو جاز ان يعتقد ان صانع العالم جسم لجاز ان يعتقد الالهية للشمس والقمر ولشي اخر من اقسام
الاجسام فان تجاسر متجاسر على تسميته جسما من غير ارادة التاليف من الجواهر كان ذلك غلطا في الاسم مع الاصابة
في نفي معنى الجسم **الاصل السادس** العلم بانه تعالى ليس بعرض قائم بجسم او حال في محل لان العرض ما يحل الجسم
وكل جسم فهو حادث ويكون محدثه موجودا قبله فكيف يكون حالا في الجسم وقد كان موجودا في الازل وحده
وما معه غيره ثم احدث الاجسام والاعراض بعده ولانه عالم قادر مريد خالق كما سياتي وهذه الاوصاف يستحيل
على الاعراض بل لا يعقل الا لموجود قائم بنفسه مستقل بذاته وقد يحصل من هذه الاصول انه موجود قائم بنفسه
ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وان العالم كله جواهر واعراض واجسام فاذا لا يشبه شيا ولا يشبهه شي بل هو
مقدره ومصوره والاجسام والاعراض كلها من خلقه وصنعه فاستحال القضا عليها بمماثلته ومشابهته
الاصل السابع العلم بان الله تعالى منزه الذات عن الاختصاص بالجهات فان الجهة اما فوق واما
اسفل واما يمين واما شمال او قدام او خلف وهذه الجهات هو الذي خلقها واحدثها بواسطة خلق الانسان
اذ خلق له طرفين احدهما يعتمد ويسمى رجلا والاخر يقابله يسمى راسا فحدث اسم الفوق لما يلي جهة الراس

واسم السفل لما يلي جهة الارض حتى ان النملة التي تدب منكسة تحت السقف تنقلب جهة الفوق في حقها تحتا
وان كان في حقنا فوقا وخلق للانسان اليدين واحدهما اقوى من الاخرى في الغالب فحدث اسم اليمين للاقوى
والشمال لما يقابله وسمى الجهة التي تلي اليمين يمينا والاخرى شمالا وخلق له جانبين يبصر من احدهما ويتحرك اليه
فحدث اسم القدام للجهة التي يتقدم اليها بالحركة واسم الخلف لما يقابلها فالجهات حادثة بحدوث الانسان
ولو لم يخلق الانسان بهذه الخلقة بل خلق مستديرا كالكرة لم يكن لهذه الجهات وجود البتة فكيف كان في الازل
مختصا بجهة والجهة حادثة او كيف صار بجهة بعد ان لم يكن ابان خلق العالم تحته وتعالى ان يكون له تحت
اذ تعالى عن ان يكون له رجل والتحت عبارة عما يلي جهة الرجل فكل ذلك عبارة يستحيل في العقل ولان
المعقول من كونه بجهة انه مختص بحيز اختصاص الجواهر ومختص بالجواهر اختصاص العرض وقد ظهر استحالة
كونه جوهرا وعرضا فاستحال كونه مختصا بالجهة وان اريد بالجهة غير هذين المعنيين كان غلطا في الاسم مع
المساعدة على المعنى ولانه لو كان فوق العالم لكان محاذيا له وكل محاذ لجسم فاما ان يكون مثله او اصغر منه
او اكبر وكل ذلك تقدير يحوج الى مقدر ويتعالى عنه الخالق المدبر فاما رفع الايدي عند السؤال الى جهة السما
فهو لانها قبلة الدعا وفيه ايضا اشارة الى ما هو وصف المدعو من الجلال والكبريا تنبيها بقصد جهة العلو على
صفة المجد والعلى فانه تعالى فوق كل موجود بالقهر والاستيلا **الاصل الثامن** العلم بانه تعالى
انه مستو على عرشه بالمعنى الذي اراده تعالى بالاستوا وهو الذي لا ينافي وصف الكبريا ولا يتطرق اليه سمات
الحدوث والفنا وهو الذي اريد بالاستوا الى السما حيث قال في القران ثم استوى الى السما وهي دخان
وليس ذلك الا بطريق القهر والاستيلا كما قال الشاعر **شعر** قد استوى بشر على العراق من غير سيف
ودم مهراق واضطر اهل الحق الى هذا التاويل كما اضطر اهل الباطل الى تاويل قوله وهو معكم اينما كنتم اذ
حمل ذلك بالاتفاق على الاحاطة والعلم وحمل قوله صلى الله عليه وسلم قلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن على القدرة
والقهر وحمل قوله صلى الله عليه وسلم الحجر الاسود يمين الله تعالى في ارضه على التشريف والاكرام لانه لو ترك على ظاهره
للزم منه المحال وكذا الاستوا لو ترك على الاستقرار والتمكن لزم منه كون المتمكن جسما مماسا للعرش اما مثله او اكبر
او اصغر وذلك محال وكل ما يودي الى المحال فهو محال **الاصل التاسع** العلم بانه تعالى مع كونه منزها
عن الصورة والمقدار مقدسا عن الجهات والاقطار مرئي بالاعين والابصار في الدار الاخرة لقوله تعالى وجوه
يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ولا يرى في الدنيا تصديقا لقوله تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار ولقوله
في خطاب موسى لن تراني وليت شعري كيف عرف المعتزلي من صفات رب الارباب ما جهله موسى وكيف سال
موسى الروية مع كونها محالا ولعل الجهل بذوي البدع والاهوا من الجهلة الاغبيا اولى من الجهل بالانبيا
واما وجه اجرا اية الروية على الظاهر فهو انه غير مود الى المحال فان الروية نوع كشف وعلم الا انه اتم واوضح
من العلم فاذا جاز ان يرى الخلق من غير مقابلة وكما جاز ان يعلم من غير كيفية وصورة جاز ان يرى كذلك
من غير كيفية وصورة **الاصل العاشر** العلم بان الله تعالى واحد لا شريك له فرد لا ند له انفرد بالخلق
والابداع واستبد بالايجاد والاختراع لا مثل له ولا يساهمه ويساويه ولا ضد له فينازعه ويناويه وبرهانه
قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وبيانه انه لو كانا اثنين واراد احدهما امرا فالثاني ان كان
مضطرا الى مساعدته كان هذا الثاني مقهورا عاجزا ولم يكن الها قادرا وان كان قادرا على مخالفته ومدافعته كان الثاني قويا
قاهرا والاول ضعيفا قاصرا ولم يكن الها قادرا **الركن الثاني** العلم بصفات الله تعالى ومداره على عشرة
اصول **الاصل الاول** العلم بان صانع العالم قادر وانه في قوله تعالى وهو على كل شي قدير صادق لان

العلم محكم في صنعته مرتب في خلقه ومن رأى ثوبا من ديباج حسن النسج والتأليف متناسب التطريز والتطريف
ثم توهم صدور نسجه من ميت لا استطاعة له او انسان لا قدرة له كان منخلعا عن غريزة العقل منخرطا في
سلك اهل الغباوة والجهل **الاصل الثاني** العلم بانه تعالى عالم بجميع المعلومات الموجودات ومحيط
بكل المخلوقات لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء صادق في قوله وهو بكل شيء عليم ومرشد الى
صدقه بقوله الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ارشدك الى الاستدلال بالخلق على العلم لانك لا تستريب في
دلالة الخلق اللطيف والصنع المزين بالترتيب ولو في الشيء الحقير الضعيف على علم الصانع بكيفية الترتيب
والترصيف بما ذكره الله هو المنتهى في الهداية والتعريف **الاصل الثالث** العلم بكونه حيا فان من
ثبت علمه وقدرته ثبت بالضرورة حياته ولو تصور قادر عالم فاعل مدبر دون ان يكون حيا لجاز ان يشك في
حياة الحيوانات عند ترددها في الحركات والسكنات بل في حياة ارباب الحرف والصناعات وذلك انغماس
في غمرة الجهالات **الاصل الرابع** العلم بكونه مريدا لافعاله فلا موجود الا وهو مستند الى مشيته وصادر
عن ارادته فهو المبدئ المعيد الفعال لما يريد وكيف لا يكون مريدا وكل فعل صدر منه امكن ان يصدر منه
ضده وما لا ضد له امكن ان يصدر منه ذلك بعينه قبله او بعده والقدرة تناسب الضدين والوقتين
مناسبة واحدة فلا بد من ارادة صارفة للقدرة ولا بد من ارادة على كل حال لوقوع الشيء دون ضده
او لوقوع ما لا ضد له في وقت مخصوص وقد يمكن وقوع الضد ووقوع ما لا ضد له قبل ذلك الوقت او بعده
لان القدرة لا تنفعل ذلك فلا بد من ارادة تخصص احد الامرين على الآخر للاحد المقدورين ولو اغنى العلم عن
الارادة في تخصيص المعلوم حتى يقال انما وجد في الوقت الذي سبق العلم بوجوده **الاصل الخامس**
انه تعالى سميع بصير لا يعزب عن رؤيته هواجس الضمير وخفايا الوهم والتفكر ولا يشذ عن سمعه صوت دبيب
النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء وكيف لا يكون سميعا بصيرا والسمع والبصر كمال لا محالة
وليس بنقص فكيف يكون المخلوق اكمل من الخالق والمصنوع اسنى واتم من الصانع وكيف تعتدل القسمة مهما وقع
النقص في جهته والكمال في خلقه وصنعته او كيف تستقيم حجة ابراهيم على ابيه اذ كان يعبد الاصنام
جهلا وغيا فقال له لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا ولو انقلب عليه ذلك في معبوده لاضحت
حجته داحضة ودلالته ساقطة ولم يصدق قوله تعالى وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه وكما عقل
كونه فاعلا بلا جارحة وعالما بلا قلب ودماغ فليعقل كونه سميعا بصيرا بلا حدقة وسميعا بلا اذن اذ لا فرق
بينهما **الاصل السادس** انه تعالى متكلم بكلام وهو وصف قائم بذاته ليس بصوت ولا حرف بل لا
يشبه كلامه كلام غيره كما لا يشبه وجوده وجود غيره والكلام بالحقيقة كلام النفس وانما الاصوات قطعت حروفا
للدلالات كما يدل عليها تارة بالحركات والاشارات وكيف التبس هذا على طائفة من الاغبياء ولم يلتبس
على جهلة الشعراء حين قال قائلهم **شعر** ان الكلام لفي الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا
ومن لم يعقله عقله ولا نهاه نهاه عن ان يقول لساني حادث ولكن ما يحدث فيه بقدرتي الحادثة قديم فاقطع
عن عقله طمعك وكف عن خطابه لسانك ومن لم يفهم ان القديم عبارة عما ليس قبله شيء وان الباء قبل
السين في قولك بسم الله فلا يكون السين المتأخر عن الباء قديما فنزه عن الالتفات اليه قلبك فلله
تعالى سر في ابعاد بعض العباد ومن يضلل الله فما له من هاد ومن استبعد ان يسمع موسى عليه السلام
في الدنيا كلاما ليس بصوت فليستنكر ان يرى في الآخرة موجودا ليس بجسم ولا لون وان عقل ان يرى ما ليس بلون
ولا جسم ولا قدر ولا كمية وهو الى الآن لم ير غيره فليعقل في حاسة السمع ما عقله في حاسة البصر وان

عقل ان يكون له علم بجميع الموجودات فليعقل صفة واحدة للذات هو كلام بجميع ما دل عليه بالعبارات
وان عقل كون السموات السبع وكون الجنة والنار مكتوبة في ورقة صغيرة ومحفوظا في مقدار ذرة
من القلب ومرئيا في مقدار عدسة من الحدقة من غير ان تحل ذات السموات والجنة والنار في الحدقة والورق
فليعقل كون الكلام مقروا بالالسنة محفوظا في القلوب مكتوبا في المصاحف من غير حلول ذات الكلام فيها
اذ لو حلت ذات الله بكتابة اسمه في الورق لحلت ذات النار بكتبه اسمها في الورق ولاحترق **الاصل**
السابع ان كلامه القائم بنفسه قديم وكذا جميع صفاته اذ يستحيل ان يكون محلا للحوادث داخلا
تحت التغير بل يجب للصفات من نعوت القدم ما يجب للذات فلا تعتريه التغيرات ولا تحله
الحادثات لم يزل في قدمه موصوفا بمحامد الصفات ولا يزال في ابده كذلك منزها عن تغيرات
الحالات لان محل الحوادث لا يخلو عنها وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث وانما ثبت نعت الحدوث للاجسام
من حيث تعرضها للتغاير وتقلب الاوصاف فكيف يكون خالقها مشاركا لها في قبول التغير وينبني
على هذا ان كلامه قديم قائم بذاته وانما الحادث هي الاصوات الدالة عليه وكما عقل قيام طلب التعلم
وارادته بذات الوالد قبل ان يخلق ولده حتى اذا خلق ولده وعقل وخلق الله له علما بما في قلب ابيه من
الطلب لصار مامورا بذلك الطلب الذي دل عليه قوله فاخلع نعليك بذات الله تعالى ومصير موسى
مخاطبا به بعد وجوده اذ خلقت له معرفة بذلك الطلب وسمع لذلك الكلام القديم **الاصل**
الثامن ان علمه قديم فلم يزل عالما بذاته وصفاته وما يحدثه من مخلوقاته ومهما حدثت المخلوقات
لم يحدث له علم بها بل حصلت مكشوفة له بالعلم الازلي اذ لو خلق لنا علم بقدوم زيد عند طلوع الشمس ودام
ذلك العلم تقديرا حتى طلعت الشمس لكان قدوم زيد عند الطلوع معلوما لنا بذلك العلم من غير تجدد
علم اخر فهكذا ينبغي ان يفهم قدم علم الله تعالى **الاصل التاسع** ان ارادته قديمة وهي في
القدم تعلقت باحداث الحوادث ولو حدثت في غير ذاته لم يكن هو مريدا بها كما لا تكون انت متحركا بحركة ليست
في ذاتك وكيفما قدرت فيفتقر حدوثها الى ارادة اخرى وكذلك الارادة الاخرى يفتقر الى اخرى ويتسلسل
الامر الى غير نهاية ولو جاز ان تحدث ارادة بغير ارادة لجاز ان يحدث العالم بغير ارادة **الاصل العاشر**
ان الله تعالى عالم بعلم حي بحياة قادر بقدرة ومريد بارادة ومتكلم بكلام سميع بسمع بصير ببصر وله هذه
الاوصاف من هذه الصفات القديمة وقول القائل عالم بلا علم كقوله غني بلا مال وعلم بلا عالم وعالم بلا
معلوم فان العلم والعالم والمعلوم متلازمة كالقتل والقاتل والمقتول وكما لا يتصور قاتل بلا قتل
ولا قتيل ولا يتصور قتيل بلا قاتل ولا قتل فلا يتصور عالم بلا علم ولا علم بلا معلوم ولا معلوم بلا عالم
بل هذه الثلاثة متلازمة في العقل لا ينفك بعضها عن البعض فمن جوز انفكاك العالم عن العلم فليجوز
انفكاكه عن العالم اذ لا فرق بين هذه الاوصاف **الركن الثالث** العلم بافعال الله تعالى ومداره
على عشرة اصول **الاصل الاول** بان كل حادث في العالم فهو فعله وخلقه واختراعه لا خالق سواه ولا
محدث الا اياه خلق الخلق وصنعهم واوجد قدرتهم وحركتهم فجميع افعال العباد مخلوقة له ومتعلقة
بقدرته تصديقا له في قوله تعالى الله خالق كل شيء وفي قوله والله خلقكم وما تعملون وفي قوله واسروا قولكم
او اجهروا به انه عليم بذات الصدور الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير امر العباد بالتحرز في اقوالهم وافعالهم
واسرارهم وضمائرهم لعلمه بموارد افعالهم واستدل على العلم بالخلق فكيف لا يكون خالقا لفعل العبد وقدرته
تامة لا قصور فيها وهي متعلقة بحركات ابدان العباد والحركات متماثلة وتعلق القدرة بها لذاتها

فما الذي نقص فضلها عن بعض الحركات دون بعض او كيف يكون الحيوان مستبدا بالاختراع ويصدر
من العنكبوت والنحل وسائر الحيوانات من لطائف الصناعات ما يتحير فيه عقول ذوي الالباب فكيف انفردت
هي باختراعها دون رب الارباب وهي غير عالمة بتفصيل ما يصدر منها من الاكتساب هيهات هيهات ذلت
المخلوقات وتفرد بالملك والملكوت جبار الارض والسموات **الاصل الثاني** ان انفراد الله تعالى باختراع حركات
العباد لا يخرجها عن كونها مقدورة للعباد على سبيل الاكتساب بل الله خالق القدرة والمقدور جميعا وخالق
الاختيار والمختار فاما القدرة فوصف للعبد وخلق للرب وليست بكسب له واما الحركة فخلق للرب ووصف
للعبد وكسب له فانها خلقت مقدورة بقدرة هي وصفه فكانت للحركة نسبة الى صفة اخرى تسمى قدرة فتسمى
باعتبار تلك النسبة كسبا وكيف يكون جبرا محضا او كيف يكون خلقا للعبد وهو لا يحيط علما بتفاصيل
اجزاء الحركات المكتسبة واعدادها واذا بطل الطرفان لم يبق الا الاقتصاد وهو انها مقدورة بقدرة الله
اختراعا وبقدرة العبد على وجه اخر من التعلق يعبر عنها بالاكتساب وليس من ضرورة تعلق القدرة بالمقدور
ان يكون بالاختراع فقط اذ قدرة الله في الازل كانت متعلقة بالعالم ولم يكن الاختراع حاصلا بها وهي عند
الاختراع متعلقة به نوعا اخر من التعلق فظهر ان تعلق القدرة ليس مخصوصا بحصول المقدور بها **الاصل
الثالث** ان فعل العبد وان كان كسبا للعبد فلا يخرج عن كونه مرادا لله تعالى فلا يجري في الملك و
الملكوت طرفة عين ولا لفتة خاطر ولا فلتة ناظر الا بقضاء الله تعالى وقدرته وبارادته ومشيته فمنه
الخير والشر والنفع والضر والاسلام والكفر والعرفان والنكر والفوز والخسر والغواية والرشد والطاعة
والعصيان والشرك والايمان لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه يضل من يشاء ويهدي من يشاء لا يسئل عما
يفعل وهم يسئلون ويدل عليه من النقل قول الامة قاطبة ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وقوله تعالى
ولو يشاء الله لهدى الناس جميعا وقوله ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ويدل من جهة العقل ان المعاصي والجرائم
ان كان الله يكرهها ولا يريدها وانما هي جارية على ارادة وفق ابليس مع انه عدو لله فالجاري على ارادة العدو
اكثر من الجاري على وفق ارادته فليت شعري كيف يستجيز المسلم ان يرد ملك الجبار ذي الجلال والاكرام الى
رتبة لو ردت اليها رياسة زعيم ضيعة لاستنكف منها اذ لو كان ما يستقيم لعدو الزعيم في القرية اكثر
مما يستقيم له لاستنكف من زعامته وتبرأ عن ولايته والمعصية هي الغالبة على الخلق وكل ذلك جار عند المبتدعة
على خلاف ارادة الحق وهذا غاية الضعف والعجز تعالى رب الارباب عن قول الظالمين علوا كبيرا ثم مهما ظهر ان
افعال العباد مخلوقة لله صح انها مرادة له فان قيل فكيف ينهى عما يريد قلنا الامر غير الارادة ولذلك
اذا ضرب السيد عبده فعاتبه السلطان عليه فاعتذر بتمرد عبده عليه فكذبه السلطان اذا اراد اظهار
حجته بان يامر عبده بفعل ويخالفه بين يديه فقال اسرج هذه الدابة بمشهد من السلطان فهو يامره
بما لا يريد امتثاله ولو لم يكن امرا لما كان عذره عند السلطان ممهدا ولو كان مريدا لامتثاله لكان مريدا لهلاك
نفسه وهو محال **الاصل الرابع** ان الله تعالى متفضل بالخلق والاختراع ومتطول بتكليف العباد ولم
يكن الخلق والتكليف واجبا عليه وقالت المعتزلة وجب عليه ذلك لما فيه مصلحة العباد وهو محال اذ هو الموجب
والامر والناهي وكيف يتهدف لايجاب او يتعرض للزوم وخطاب والمراد بالواجب احد امرين اما الفعل
الذي في تركه ضرر اما اجل كما يقال يجب على العطشان ان يشرب حتى لا يموت واما ان يراد به الذي يؤدي عدمه
الى محال كما يقال وجود المعلوم واجب اذ عدمه يؤدي الى محال وهو ان يصير العلم جهلا فان اراد الخصم بان
الخلق واجب على الله تعالى بالمعنى الاول فقد عرضه للضرر وان اراد به المعنى الثاني فهو مسلم اذ بعد سبق العلم

لا بد من وجود المعلوم وان اراد به معنى ثالثا فهو غير مفهوم وقوله يجب لمصلحة عباده كلام فاسد اذا لم يتضرر
بترك مصلحة العباد لم يكن للوجوب في حقه معنى ثم ان مصلحتهم في ان يخلقهم في الجنة فاما ان يخلقهم في دار البلايا
ويعرضهم للخطايا ثم يهدفهم لخطر العقاب وهول العرض والحساب فما في ذلك غبطة لذوي الالباب
الفصل الخامس انه يجوز على الله تعالى ان يكلف عباده ما لا يطيقونه خلافا للمعتزلة ولو لم يجز ذلك
لاستحال سؤال دفعه وقد سألوا ذلك فقالوا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ولان الله تعالى اخبر نبيه صلى
الله عليه وسلم بان ابا جهل لا يصدقه ثم امره بان يصدقه في جميع اقواله وكان من جملة اقواله انه لا يصدقه فكيف
يصدقه في انه لا يصدقه وهل هذا الا محال وجوده **الاصل السادس** ان لله تعالى ايلام الخلق وتعذيبهم
من غير جرم سابق ومن غير ثواب لاحق خلافا للمعتزلة لانه متصرف في ملكه ولا يتصور ان يعدو تصرفه
ملكه والظلم هو عبارة عن التصرف في ملك الغير وهو محال على الله تعالى فانه لا يصادف لغيره ملكا حتى
يكون تصرفه فيه ظلما ويدل على جواز ذلك وجوده فان ذبح البهائم ايلام لها وما صب عليها من انواع العذاب
من جهة الادميين لم يتقدمها جريمة فان قيل ان الله تعالى يحشرها ويجازيها على قدر ما قاسته من الالام
ويجب ذلك على الله تعالى فنقول من زعم انه يجب على الله تعالى احياء كل نملة وطئت وبقة عركت حتى يثيبها
على الامها فقد خرج عن الشرع والعقل اذ يقال وصف الثواب والحشر بكونه واجبا عليه ان كان المراد به
انه يتضرر بتركه فهو محال وان اريد به غيره فقد سبق انه غير مفهوم اذا خرج عن المعاني المذكورة للواجب
الاصل السابع انه يفعل بعباده ما يشاء فلا يجب عليه رعاية الاصلح لعباده لما ذكرنا من انه لا يجب عليه
شيء بل لا يعقل في حقه الوجوب فانه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وليت شعري بم يجيب المعتزلي في قوله ان
الاصلح واجب عليه عن مسئلة نعرضها عليهم وهو ان نفرض مناظرة في الاخرة بين صبي مات مسلما وبين بالغ مات
مسلما فان الله تعالى يزيد في درجة البالغ ويفضله على الصبي لانه تعب بالايمان والطاعات بعد البلوغ
ويجب عليه ذلك عند المعتزلي فلو قال الصبي يا رب لم رفعت منزلته علي فيقول لانه بلغ واجتهد في الطاعة
فيقول الصبي انت امتني في الصبا فكان يجب ان تديم حياتي حتى ابلغ واجتهد فقد عدلت عن العدل في
التفضل عليه بطول العمر دوني فلم فضلته فيقول الله تعالى لاني علمت انك لو بلغت لاشركت او عصيت فكان
الاصلح لك الموت في الصبا هذا عذر المعتزلي عن الله تعالى وعند هذا ينادي الكفار من دركات لظى
ويقولون اما علمت اننا اذا بلغنا اشركنا فهلا امتنا في الصبا فانا رضينا بما دون منزلة الصبي المسلم فبماذا
يجاب عن ذلك وهل يجب عند هذا الا القطع بان الامور الالهية تتعالى بحكم الجلال بان توزن بميزان
اهل الاعتزال فان قيل اذا قدر على رعاية صلاح العباد ثم سلط عليهم اسباب العذاب كان ذلك قبيحا
لا يليق بالحكمة قلنا معنى القبيح ما لا يوافق الغرض حتى قد يكون الشيء قبيحا عند شخص حسنا عند غيره
اذا وافق غرض احدهما دون الاخر حتى يستقبح قتل الشخص اولياؤه ويستحسنه اعداؤه فان اريد بالقبيح ما لا
يوافق غرض الباري فهو محال اذ لا غرض له فلا يتصور منه قبح كما لا يتصور منه ظلم اذ لا يتصور منه التصرف
في ملك الغير وان اريد بالقبيح ما لا يوافق غرض الغير فلم قلتم ان ذلك محال وهل هذا الا مجرد تشه يشهد
بخلافه ما فرضناه من مخاصمة اهل النار ثم الحكيم معناه العالم بحقائق الاشياء القادر على احكام فعلها على
وفق ارادته وهذا من اين يوجب رعاية الاصلح واما الحكيم منا يراعي الاصلح نظرا لنفسه ليستفيد به في الدنيا ثناء
وفي الاخرة ثوابا او يدفع عن نفسه به افة وكل ذلك على الله محال **الاصل الثامن**
ان معرفة الله تعالى وطاعته واجبة بايجاب الله وشرعه لا بالعقل خلافا للمعتزلة لان العقل لا يوجب

العبث واما ان يرجع لفايدة وغرض وذلك لا يخلو اما ان يرجع الى غرض المعبود وذلك محال
فانه سبحانه متقدس عن الاغراض والفوايد بل الكفر والايمان والطاعة والعصيان في حقه تعالى سيان
واما ان يرجع الى غرض العبد وهو محال لانه لا غرض له في الحال بل يتعبه وينصرف عن الشهوات بسببه
وليس في المال الا الثواب وما هو الا تفضل من الله تعالى اذ يثيب على المعرفة والطاعة ولا يعاقب عليه مع ان
الطاعة والمعصية في حقه يتساويان اذ ليس له الى احدهما ميل ولا الى احدهما باختصاص وانما عرف تمييز
ذلك بالشرع ولقد زل من اخذ هذا من المقايسة بين الخالق والمخلوق حيث يفرق المخلوق بين الشكر
والكفران لماله من الارتياح والاهتزاز والتلذذ باحدهما دون الاخر فان قيل فاذا لم يجب النظر والمعرفة الا بالشرع
والشرع لا يستقر ما لم ينظر المكلف فيه فاذا قال المكلف للشرع ان العقل ليس يوجب والشرع لا يثبت الا بعد
اقدم على النظر ادى الى افحام الرسول قلنا هذا يضاهي قول القايل للواقف في موضع من المواضع ان وراك
سبعا ضاريا فان لم تبرح عن المكان قتلك وان التفت وراك ونظرت عرفت صدقي فيقول الواقف لا اثبت
صدقك ما لم التفت ورايي ولا التفت ورايي ولا انظر ما لم يثبت صدقك فيدل على حماقة هذا القايل وتقحمه في
الهلاك ولا ضرر فيه على الهادي المرشد فكذلك النبي يقول وراكم الموت ودونه السباع الضارية والنيران
المحرقة ان لم تاخذوا منها حذركم وتعرفون صدقي بالالتفات الى معجزتي فمن التفت عرف واحترز ونجا ومن لم
يلتفت واصر هلك وتردى ولا ضرر علي ان هلك الناس اجمعون وانما علي البلاغ المبين فالشرع يعرف وجود
السباع الضارية بعد الموت والعقل يفيد فهم كلامه والاحاطة بامكان ما يقوله في المستقبل والطبع
يستحث على الحذر من الضرر ومعنى كون الشي واجبا ان في تركه ضررا ومعنى كون الشرع موجبا انه معرف
للضرر المتوقع فان العقل لا يهدي الى التهدف للضرر بعد الموت عند اتباع الشهوات فهذا معنى الشرع و
العقل وتاثيرهما في تقدير الواجب ولولا خوف العقاب على ترك ما امر به لم يكن الوجوب ثابتا اذ لا معنى للواجب الا ما
يرتبط بتركه ضرر في الاخرة **الاصل التاسع** انه ليس يستحيل بعثة الانبيا خلافا للبراهمة حيث قالوا لا فايدة
في بعثتهم اذ في العقل مندوحة عنهم لان العقل لا يهدي الى الافعال المنجية في الاخرة كما لا يهدي الى الادوية المفيدة
للصحة فحاجة الخلق الى الانبيا كحاجتهم الى الاطبا ولكن يعرف صدق الطبيب بالتجربة ويعرف صدق النبي بالمعجزة
الاصل العاشر ان الله تعالى قد ارسل محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وناسخا لما قبله من شرايع
اليهود والنصارى والصابيين وايده بالمعجزات الظاهرة والايات الباهرة كانشقاق القمر وتسبيح الحصا
وانطاق العجما وما تفجر من بين اصابعه من الما ومن اياته الظاهرة التي تحدى بها كافة العرب القران فانهم
مع تميزهم بالفصاحة والبلاغة تهدفوا لسبيه ونهبه وانهم لم يقدروا على معارضته بمثله اذ لم يكن
في قدرة البشر الجمع بين جزالة القران ونظمه هذا مع ما فيه من اخبار الاولين مع كونه اميا غير ممارس للكتب
والانبا عن الغيب في امور تحقق صدقه في الاستقبال كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شا الله
امنين محلقين رؤسكم ومقصرين وقوله الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع
سنين ووجه دلالة المعجزة على صدق الرسل ان كل ما عجز عنه البشر لم يكن الا فعلا لله تعالى فمهما كان مقرونا
بتحدي النبي صلى الله عليه وسلم نزل منزلة قوله صدقت وذلك مثل القايم بين يدي الملك على رعيته ثلاثا
واقعد على خلاف عادتك ففعل الملك حصل للحاضرين علم ضروري بان ذلك نازل منزلة قوله صدقت
الركن الرابع السمعيات وتصديقه صلى الله عليه وسلم فيما اخبر عنه ومداره على عشرة اصول **الاصل الاول**
الحشر والنشر وقد ورد بهما الشرع وهو حق والتصديق به واجب لانه في العقل ممكن ومعناه الاعادة بعد الافنا

وذلك مقدور لله عز وجل كالابتدا للانشا قال الله تعالى قل من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي
انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم فاستدل بالابتدا على الاعادة وقال ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس
واحدة والاعادة ابتدا ثان فهو ممكن كالابتدا الاول **الاصل الثاني** سؤال منكر ونكير وقد ورد
به الاخبار فيجب التصديق به لانه ممكن اذ ليس يستدعي الا اعادة الحياة الى جز من الاجزا الذي به فهم الخطاب
وذلك ممكن في نفسه ولا يدفع ذلك ما يشاهد من سكون اجزا الميت وعدم سماعنا للسؤال فان
النايم ساكن ظاهره ويدرك بباطنه من الالام واللذات ما يحس باثره عند التنبه وقد كان يسمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم كلام جبريل ويشاهده ومن حوله لا يسمعونه ولا يرونه ولا يحيطون بشي من علمه
الا بما شا فاذا لم يخلق لهم السمع والرؤية لم يدركوه **الاصل الرابع** الميزان قال الله تعالى ونضع الموازين
القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيا ووجهه ان الله تعالى يحدث في صحايف الاعمال
وزنا بحسب درجات الاعمال عند الله تعالى فتصير مقادير اعمال العباد معلومة للعباد حتى يظهر لهم العدل في
العقاب او الفضل في العفو وتضعيف الثواب **الاصل الخامس** الصراط وهو جسر ممدود على
متن جهنم ادق من الشعر واحد من السيف قال الله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسؤلون
وهذا ممكن فيجب التصديق به فان القادر على ان يطير الطير في الهوا قادر على ان يسير الانسان على
الصراط **الاصل السادس** ان الجنة والنار مخلوقتان قال الله تعالى وسارعوا الى مغفرة من
ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين فقوله تعالى اعدت دليل على انها مخلوقة فيجب
اجراوه على الظاهر اذ لا استحالة فيه ولا يقال لا فايدة لخلقهما قبل يوم الجزا لان الله تعالى لا يسال عما
يفعل وهم يسالون **الاصل السابع** ان الامام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر ثم
عمر ثم عثمان ثم علي ولم ينص رسول الله صلى الله عليه وسلم على امام اصلا اذ لو كان لكان اولى بالظهور من
نصه احاد الولاة والامرا على الجنود في البلاد ولم يخف ذلك فكيف خفي هذا وان ظهر فكيف اندرس
حتى لم ينقل الينا فلم يكن ابو بكر اماما الا بالاختيار والبيعة واما تقدير النص على غيره فهو نسبة للصحابة
كلهم الى مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرق الاجماع وذلك مما لا يستجري على اختراعه الا الروافض
واعتقاد اهل السنة تزكية جميع الصحابة والثنا عليهم كما اثنى الله تعالى ورسوله وما جرى بين معاوية
وعلي كان ذلك مبنيا على الاجتهاد لا منازعة من معاوية في الامامة اذ ظن علي ان تسليم قتلة عثمان مع
كثرة عشايرهم واختلاطهم بالعسكر يودي الى اضطراب امر الامامة في بدايتها فراى التاخير اصوب وظن
معاوية ان تاخير امرهم مع عظم جنايتهم يوجب الاغرا بالايمة ويعرض الدما للسفك وقد قال افاضل
العلما كل مجتهد مصيب وقال قايلون المصيب واحد ولم يذهب الى تخطية علي ذو تحصيل اصلا **الاصل
الثامن** ان فضل الصحابة على حسب ترتيبهم في الخلافة اذ حقيقة الفضل ما هو فضل عند الله تعالى
وذلك لا يطلع عليه الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ورد في الثنا على جميعهم اخبار وانما يدرك
الشاهدون للوحي والتنزيل بقراين الاحوال دقايق التفضيل فلولا فهمهم ذلك لما رتبوا الامر كذلك اذ كانوا
لا تاخذهم في الله لومة لايم ولا يصرفهم عن الحق صارف **الاصل التاسع** ان شرايط الامامة بعد
التكليف والاسلام خمسة الذكورة والورع والعلم والكفاية ونسبة قريش لقوله صلى الله عليه وسلم الايمة
من قريش واذا اجتمع عدة من الموصوفين بهذه الصفات فالامام من انعقدت له البيعة من اكثر الخلق
والمخالف للاكثر باغ يجب رده الى الانقياد الى الحق **الاصل العاشر** انه لو تعذر وجود الورع والعلم

فيمن تصدى الامامة وكان في رتبة اثارة فتنة لا يطلق حكما بانعقاد امامته لانا بين ان نحرك فتنة
بالاستبدال مما يلقى المسلمين فيه من الضرر يزيد على ما يفوتهم من نقصان هذه الشروط التي اثبتت لمزية
المصلحة شغفا بمزاياها كالذي يبني قصرا ويهدم مصرا وبين ان نحكم بخلو البلاد عن الامام وبفساد الاقضية
وذلك محال ونحن نقضي بنفوذ قضا اهل البغي في بلادهم لمسيس حاجتهم فكيف لا نقضي بصحة الامامة عند الحاجة
والضرورة فهذه الاركان الاربعة الحاوية للاصول الاربعين قواعد العقايد من اعتقدها كان موافقا لاهل
السنة ومباينا لرهط البدعة والله تعالى يسددنا بتوفيقه ويهدينا الى الحق وتحقيقه بمنه وسعة جوده

الفصل الرابع من قواعد العقايد في الايمان والاسلام وما بينهما من

الاتصال والانفصال وما يتطرق اليه من الزيادة والنقصان ووجه استثناء السلف وفيه مسايل ثلاثة
مسئلة اختلفوا في ان الاسلام هو الايمان او غيره وان كان غيره فهو منفصل يوجد دونه او مرتبط به يلازمه
فقيل انهما شي واحد وقيل انهما شيان لا يتواصلان وقيل انهما شيان ولكن يرتبط احدهما بالاخر وقد اورد
ابو طالب المكي في هذا كلاما شديد الاضطراب كثير التطويل فلنهجم على التصريح بالحق من غير تعريج على نقل ما لا تحصيل
له فنقول في هذا ثلاثة مباحث بحث عن موجب اللفظين في اللغة وبحث عن المراد بهما في اطلاق الشرع وبحث
عن حكمهما في الدنيا والاخرة فالبحث الاول لغوي والثاني تفسيري والثالث فقهي شرعي **البحث** الاول في
موجب اللغة والحق فيه ان الايمان عبارة عن التصديق قال الله تعالى وما انت بمومن لنا اي بمصدق والاسلام
عبارة عن التسليم والاستسلام بالاذعان والانقياد وترك التمرد والابا والعناد وللتصديق محل خاص وهو
القلب واللسان ترجمان واما التسليم فانه عام في القلب واللسان والجوارح فان كل تصديق بالقلب فهو تسليم
وترك للابا والجحود وكذلك الاعتراف باللسان وكذلك الطاعة والانقياد بالجوارح فموجب اللغة ان
الاسلام اعم والايمان اخص فكان الايمان عبارة عن اشرف اجزا الاسلام فاذا كل تصديق تسليم وليس كل تسليم تصديقا
البحث الثاني عن اطلاق الشرع والحق فيه ان الشرع قد ورد باستعمالهما على سبيل الترادف والتوارد وورد
على سبيل الاختلاف وورد على سبيل التداخل اما الترادف ففي قوله تعالى من كان فيها من المومنين فما وجدنا
فيها غير بيت من المسلمين ولم يكن بالاتفاق الا بيت واحد وقال ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم
مسلمين وقال النبي صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس وسئل صلى الله عليه وسلم مرة عن الايمان فاجاب بهذه
الخمس واما الاختلاف فقوله تعالى قالت الاعراب امنا قل لم تومنوا ولكن قولوا اسلمنا ومعناه استسلمنا
في الظاهر فاراد بالايمان ههنا التصديق بالقلب فقط وبالاسلام الاستسلام ظاهرا باللسان والجوارح وفي
حديث جبريل لما ساله عن الايمان فقال ان تومن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالبعث بعد الموت
وبالحساب وبالقدر خيره وشره فقال فما الاسلام فذكر الخصال الخمس فعبر بالاسلام عن تسليم الظاهر بالقول
والعمل وفي حديث سعد انه صلى الله عليه وسلم اعطى رجلا عطا ولم يعط الاخر فقال له سعد يا رسول الله تركت
فلانا لم تعطه وهو مومن فقال او مسلم فاعاد عليه فاعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم **وروى**
ايضا انه صلى الله عليه وسلم سئل اي الاعمال افضل فقال الاسلام فقال اي الاسلام افضل فقال الايمان
وهذا دليل على الاختلاف وعلى التداخل وهذا اوفق الاستعمالات في اللغة لان الايمان عمل من الاعمال
وهو افضلها والاسلام هو تسليم اما بالقلب واما باللسان واما بالجوارح وافضلها الذي في القلب وهو التصديق
الذي يسمى ايمانا والاستعمال لهما على سبيل التداخل وعلى سبيل الترادف كله غير خارج عن طريق التجوز في
اللغة فان التسليم ببعض محال التسليم يطلق عليه اسم التسليم فليس من شرط حصول الاسم عموم المعنى

لكل محال يمكن ان يوجد المعنى فيه فان من لمس غيره ببعض بدنه يسمى لامسا وان لم يستغرق جميع بدنه
فاطلاق اسم الاسلام على التسليم الظاهر عند عدم التسليم الباطن مطابق للسان وعلى هذا الوجه جرى
قوله تعالى قالت الاعراب امنا وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث سعد او مسلم لانه فضل احدهما على الاخر ويريد
بالاختلاف تفاصيل المسميين واما التداخل فموافق ايضا للغة وهو ان يجعل الاسلام عبارة عن التسليم
بالقلب والقول والعمل جميعا والايمان عبارة عن بعض ما دخل في الاسلام وهو التسليم بالقلب وهو الذي عنيناه
بالتداخل وهو الموافق للغة في خصوص الايمان وعموم الاسلام للكل وعلى هذا خرج قوله الايمان في جواب
قول السايل اي الاسلام افضل لانه جعل الايمان خصوصا من الاسلام فادخله فيه واما استعماله على سبيل
الترادف بان يجعل الاسلام عبارة عن التسليم بالقلب والظاهر جميعا فان كل ذلك تسليم وكذا الايمان
ويكون التصرف في الايمان على الخصوص بتعميمه وادخال الظاهر في معناه وهو جائز لان تسليم الظاهر بالقول
والعمل ثمرة التصديق الباطن ونتيجته وقد يطلق اسم الشجر ويراد به الشجر مع ثمره على سبيل التسامح فيصير
بهذا القدر من التعميم مرادفا لاسم الاسلام ومطابقا له فلا يزيد عليه ولا ينقص وعليه خرج اسمه
قوله تعالى فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين **البحث الثالث** عن الحكم الشرعي وللاسلام والايمان
حكمان اخروي ودنيوي اما الاخروي فهو الاخراج من النار ومنع التخليد اذ قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وقد اختلفوا في ان هذا الحكم على ماذا يترتب
وعبروا عنه بان الايمان ماذا فمن قايل يقول انه مجرد العقد ومن قايل انه عقد بالقلب وشهادة باللسان
ومن قايل يزيد ثالثا وهو العمل بالاركان ونحن نكشف الغطا ونقول من جمع بين هذه الثلاثة فلا خلاف
في ان مستقره الجنة وهذه درجة **الدرجة** الثانية ان يوجد اثنان وبعض الثالث وهو القول
والعقد وبعض الاعمال ولكن ارتكب صاحبه كبيرة او بعض الكباير فان المعتزلة تقول خرج بهذا عن الايمان
ولم يدخل في الكفر بل اسمه الفاسق وهو على منزلة بين المنزلتين وهو مخلد في النار وهذا باطل كما
سنذكره **الثالثة** ان يوجد التصديق بالقلب والشهادة باللسان دون الاعمال بالجوارح وقد
اختلفوا في حكمه فقال ابو طالب المكي العمل من الايمان ولا يتم دونه وادعا الاجماع فيه واستدل بادلة
تشعر بنقيض غرضه كقوله تعالى الذين امنوا وعملوا الصالحات اذ هذا يدل على ان العمل وراء الايمان لا من
نفس الايمان والا فيكون العمل في حكم المعاد والعجب انه ادعا الاجماع في هذا وهو مع ذلك ينقل قوله
عليه السلام لا يكفر احد الا بجحوده لما اقر به وينكر على المعتزلة قولهم بالتخليد في النار بسبب الكباير
والقايل بهذا قايل بنفس مذهب المعتزلة اذ يقال له من صدق بقلبه وشهد بلسانه ومات في الحال
فهل هو في الجنة فلا بد ان يقول نعم وفيه حكم بوجود الايمان دون العمل فنزيد ونقول لو بقي حيا حتى دخل عليه
وقت صلاة واحدة فتركها ثم مات او زنا ثم مات فهل يخلد في النار فان قال نعم فهو مراد المعتزلة وان
قال لا فهو تصريح بان العمل ليس ركنا من نفس الايمان ولا شرطا في وجوده ولا في استحقاق الجنة به وان قال
اردت به ان يعيش مدة طويلة ولا يصلي ولا يقدم على شي من الاعمال الشرعية فما ضبط تلك المدة وما
عدد الطاعات التي بتركها يبطل الايمان وما عدد الكباير التي بارتكابها يبطل الايمان وهذا لا يمكن التحكم
بتقديره ولا يصير اليه صاير اصلا **الدرجة الرابعة** ان يوجد التصديق بالقلب فقبل ان ينطق باللسان
او يشتغل بالاعمال مات فهل نقول مات مومنا بينه وبين الله تعالى وهذا مما اختلف فيه ومن شرط القول
لتمام الايمان يقول هذا مات قبل الايمان وهذا فاسد اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج من

من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وهذا قلبه طافح بالايمان فكيف يخلد ولم يشترط في حديث
جبريل عليه السلام بالايمان الا التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر كما سبق الدرجة
الخامسة ان يصدق بالقلب ويساعده العمر مهلة النطق بكلمتي الشهادة وعلم وجوبها ولكنه لم ينطق
بها فيحتمل ان يكون امتناعه عن النطق كامتناعه عن الصلاة ونقول هو مؤمن غير مخلد في النار والايمان
هو التصديق المحض واللسان ترجمان الايمان فلا بد ان يكون الايمان موجودا بتمامه قبل اللسان حتى يترجمه
اللسان وهذا هو الاظهر اذ لا مستند الا اتباع موجب اللفظ ووضع اللسان ان الايمان عبارة عن التصديق
بالقلب وقد قال صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان ولا ينعدم الايمان
من القلب بالسكوت عن النطق الواجب كما لا ينعدم بالسكوت عن الفعل الواجب وقال قائلون القول ركن اذ ليس
كلمة الشهادة اخبارا عن القلب بل هو انشاء عقد آخر وابتداء شهادة والتزام والاول اظهر وقد غلا في هذا
طائفة المرجئة فقالوا هذا لا يدخل النار اصلا وقالوا ان المؤمن وان عصى لا يدخل النار وسنبطل ذلك
عليهم الدرجة السادسة ان يقول بلسانه لا اله الا الله محمد رسول الله ولا يصدق في قلبه فلا
نشك ان هذا في حكم الآخرة من الكفار وانه مخلد في النار ولا شك انه في حكم الدنيا الذي يتعلق بالائمة والولاة
من المسلمين لان قلبه لا يطلع عليه وعلينا ان نظن انه ما قاله بلسانه الا وهو منطو عليه في قلبه وانما نشك
في امر ثالث وهو الحكم الدنيوي فيما بينه وبين الله تعالى وذلك بان يموت له في هذه الحال قريب
مسلم ثم يصدق بعد ذلك بقلبه ثم يستفتي ويقول كنت غير مصدق بالقلب حالة الموت والميراث الآن في
يدي فهل يحل لي بيني وبين الله تعالى او نكح مسلمة ثم صدق هل تلزمه اعادة النكاح هذا في محل النظر فيحتمل
ان يقال احكام الدنيا نيطت بالقول الظاهر ظاهرا وباطنا ويحتمل ان يقال نيطت بالظاهر في حق غيره لان باطنه
غير ظاهر لغيره وباطنه ظاهر له في نفسه بينه وبين الله تعالى والاظهر والعلم عند الله تعالى انه لا يحل له ذلك الميراث
ويلزمه اعادة النكاح ولذلك كان حذيفة لا يحضر جنازة من يموت من المنافقين وعمر كان يراعي ذلك منه فلا
يحضر اذا لم يحضر حذيفة والصلاة فعل ظاهر في الدنيا وان كان من العبادات والتوقي عن الحرام ايضا من جملة
ما يجب لله كالصلاة ولهذا ناقضنا قولنا ان الارث حكم الاسلام وهو استسلام بل الاستسلام التام
ما يشمل الظاهر والباطن وهذه مباحث فقهية ظنية يبنى على ظواهر الالفاظ والعمومات والاقيسة فلا
ينبغي ان يظن القاصر في العلوم ان المطلوب فيه القطع من حيث جرت العادة بايراده في فن الكلام الذي
يطلب فيه القطع فما افلح من نظر الى العادات والمراسم في العلوم فان قلت فما شبهة المعتزلة والمرجئة
وما حجة بطلان قولهم فاقول شبهتهم عمومات القرآن اما المرجئة فقالوا لا يدخل المؤمن النار وان اتى
بكل المعاصي لقوله عز وجل فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا ولقوله والذين آمنوا بالله ورسله اولئك
هم الصديقون ولقوله كلما القي فيها فوج سألهم خزنتها الم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا
ما نزل الله من شيء وقوله كلما القي فيها فوج عام فينبغي ان يكون كل من القي فيها مكذبا ولقوله لا يصلاها
الا الاشقى الذي كذب وتولى وهذا حصر واثبات ونفي ولقوله تعالى والله يحب المحسنين وقوله انا لا نضيع
اجر من احسن عملا ولا حجة لهم فيه فانه حيث ذكر الايمان في هذه الآيات اريد به الايمان مع العمل اذ بينا ان الايمان
قد يطلق ويراد به الاسلام وهو الموافقة بالقلب والقول والعمل ودليل هذا التاويل اخبار كثيرة
في معاقبة العاصين ومقادير العقاب وقوله يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان فكيف
يخرج اذا لم يدخل ومن القرآن قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء والاستثناء بالمشيئة

يدل على الانقسام وقوله ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم وتخصيصه بالكفر تحكم وقوله تعالى الا ان
الظالمين في عذاب مقيم وقال ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار فهذه العمومات في معارضة
عمومهم ولا بد من تسليط التخصيص والتاويل على الجانبين لان الاخبار مصرحة بان العصاة يعذبون بل
قوله تعالى وان منكم الا واردها كالصريح في ان ذلك لا بد منه للكل اذ لا يخلو مؤمن عن ذنب يرتكبه وقوله
لا يصلاها الا الاشقى الذي اراد به من جماعات مخصوصين او اراد بالاشقى شخصا معينا ايضا وقوله تعالى
كلما القي فيها فوج سألهم خزنتها اي فوج من الكفار وتخصيص العمومات قريب ومن هذه الآيات وقع الاشعري
وطائفة من المتكلمين انكار صيغ العموم وان هذه الالفاظ يتوقف فيها الى ان يوجد قرينة تدل على معناها واما
المعتزلة فشبهتهم قوله تعالى واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وقوله تعالى والعصر ان الانسان
لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقوله وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا
وقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا وكل آية ذكر العمل الصالح مقرونا فيها بالايمان
وقوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها فينبغي ان يبقى له مشيئة في مغفرة ما سوى الشرك
وكذا قوله صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من الايمان وقوله ان الله لا يضيع اجر المحسنين
فكيف يضيع اجر الايمان وجميع الطاعات بمعصية واحدة وقوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا اي لايمانه وقد ورد
على مثل هذا السبب فان قلت فقد مال الاختيار الى ان الايمان حاصل دون العمل وقد اشتهر عن السلف قولهم
الايمان عقد وقول وعمل فما معناه قلنا لا يبعد ان يعد العمل من الايمان لانه مكمل له ومتمم كما يقال الرأس و
اليد من الانسان ومعلوم انه يخرج عن كونه انسانا بعدم الرأس ولا يخرج عنه بكونه مقطوع اليد وكذلك
يقال التسبيحات والتكبيرات من الصلاة وان كانت لا تبطل بفقدها فالتصديق بالقلب من الايمان
من وجود الانسان اذ ينعدم بعدمه وبقية الطاعات كالاطراف وبعضها اعلى من بعض وقد قال صلى الله
عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن والصحابة ما اعتقدوا مذهب المعتزلة بالخروج عن الايمان بالزنا
ولكن معناه غير مؤمن حقا ايمانا تاما كاملا كما يقال للعاجز المقطوع الاطراف هذا ليس بانسان اي ليس له الكمال
الذي وراء حقيقة الانسانية مسئلة فان قلت فقد اتفق السلف على ان الايمان يزيد وينقص يزيد بالطاعة
وينقص بالمعصية فاذا كان التصديق هو الايمان فلا يتصور فيه زيادة ونقصان فاقول السلف هم الشهود
العدول وما لاحد عن قولهم عدول فما ذكروه حق وانما الشأن في فهمه وفيه دليل على ان العمل ليس من اجزاء الايمان
واركان وجوده بل هو مزيد عليه يزيد به والزائد موجود والناقص موجود والشيء لا يزيد بذاته فلا يجوز ان
يقال الانسان يزيد برأسه بل يقال يزيد بلحيته وسمنه ولا يجوز ان يقال الصلاة تزيد بالركوع والسجود بل
تزيد بالآداب والسنن فهذا تصريح بان الايمان له وجود ثم بعد الوجود يختلف حاله بالزيادة والنقصان
فان قلت فالاشكال قائم في ان التصديق كيف يزيد وينقص وهو خصلة واحدة فاقول اذا تركنا المداهنة ولم
نكترث بتشغيب من تشغب وكشفنا الغطاء ارتفع الاشكال فنقول الايمان اسم مشترك يطلق من ثلاثة اوجه الاول
انه يطلق للتصديق بالقلب على سبيل الاعتقاد والتقليد من غير كشف وانشراح صدر وهو ايمان العوام بل
ايمان الخلق كلهم الا الخواص وهذا الاعتقاد عقدة على القلب تارة تشتد وتقوى وتارة تضعف وتسترخي
كالعقدة على الخيط مثلا ولا تستبعد هذا واعتبر باليهودي في صلابته في عقيدته التي لا يمكن نزوعه منها
بتخويف وتحذير ولا بتخييل ووعظ ولا تحقيق وبرهان وكذلك النصارى والمبتدعة وفيهم من يمكن تشكيكه
بادنى كلام ويمكن استنزاله عن اعتقاده بادنى استمالة او تخويف مع انه غير شاك في عقده كالاول ولكنهما

يتفاوتان في شدة التصميم وهذا موجود في الاعتقاد الحق ايضا والعمل يؤثر في نما هذا التصميم وزيادته
كما يؤثر سقي الماء في نما الاشجار ولذلك قال تعالى فزادهم ايمانا وقال تعالى فزادهم ايمانا وقال تعالى ليزدادوا
ايمانا مع ايمانهم وقوله صلى الله عليه وسلم في بعض الاخبار الايمان يزيد وينقص وذلك بتاثير الطاعات في
القلب وهذا لا يدركه الا من راقب احوال نفسه في اوقات المواظبة على العبادة والتجرد لها بحضور القلب مع
اوقات الفتور وادراك التفاوت في السكون الى عقايد الايمان في هذه الاحوال حتى يزيد عقده استعصا
على من يريد حله بالتشكيك بل من يعتقد في اليتيم معنى الرحمة اذا عمل بموجب اعتقاده فمسح راسه وتلطف
به ادرك من باطنه تاكيد الرحمة وتضاعفها بسبب العمل وكذلك معتقد التواضع اذا عمل بموجبه عملا
او ساجدا لغيره احس من قلبه بالتواضع عند اقدامه على الخدمة وهكذا جميع صفات القلب تصدر منها اعمال
الجوارح ثم يعود اثر الاعمال عليها فيؤكدها ويزيدها وسياتي هذا في ربع المنجيات والمهلكات عند بيان وجه
تعلق الباطن بالظاهر والاعمال بالعقايد والقلوب فان ذلك من جنس تعلق الملك بالملكوت واعني بالملك
عالم الشهادة المدرك بالحواس وبالملكوت عالم الغيب المدرك بنور البصيرة والقلب من عالم الملكوت والاعضا
واعمالها من عالم الملك ولطف الارتباط ودقته بين العالمين انتهى الى حد ظن بعض الناس اتحاد احدهما
بالاخر وظن اخرون انه لا عالم الا عالم الشهادة وهي هذه الاجسام المحسوسة ومن ادرك الامرين وادرك تعددهما
ثم ارتباطهما عبر عنه **شعر** رق الزجاج ورقت الخمر ... فتشابها فتشاكل الامر ... فكانما خمر ولا قدح ... وكانما
قدح ولا خمر ... ولنرجع الى المقصود فان هذا العلم خارج عن علم المعاملة ولكن بين العالمين ايضا اتصال وارتباط
فلذلك ترى علوم المكاشفة تتسلق كل ساعة على علوم المعاملة الى ان ينكف عنها بالتكلف فهذا
وجه زيادة الايمان بالطاعة بموجب هذا الاطلاق ولهذا قال علي رضي الله عنه ان الايمان ليبدو لمظة
بيضا فاذا عمل العبد الصالحات نمت وزادت حتى يبيض القلب كله وان النفاق ليبدو نكتة سودا فاذا انتهك
الحرمات نمت وزادت حتى يسود القلب كله فيطبع على قلبه فذلك الختم وتلا كلا بل ران على قلوبهم الاية **الاطلاق**
الثاني ان يراد به العمل والتصديق جميعا كما قال الايمان بضع وسبعون بابا وكما قال عليه السلام لا يزني الزاني
حين يزني وهو مؤمن واذا دخل العمل في مقتضى لفظ الايمان لم تخف زيادته ونقصانه وهل يؤثر ذلك في زيادة
الايمان الذي هو مجرد التصديق هذا فيه نظر وقد اشرنا الى انه يؤثر فيه **الاطلاق** الثالث ان يراد به
التصديق اليقيني على سبيل الكشف وانشراح الصدر والمشاهدة بنور البصيرة وهذا ابعد الاقسام عن
قبول الزيادة ولكني اقول الامر اليقيني الذي لا شك فيه تختلف طمانينة النفس اليه فليس طمانينة النفس الى ان
الاثنين اكثر من الواحد كطمانينتها الى ان العالم مصنوع حادث وان كان لا شك في واحد منهما فان اليقينيات
تختلف في درجات الايضاح ودرجات طمانينة النفس اليها وقد تعرضنا لهذا في فصل اليقين من كتاب العلم
في باب علامات علما الاخرة فلا حاجة الى الاعادة وقد ظهر في جميع الاطلاقات ان ما قالوه من زيادة الايمان
ونقصانه حق وكيف لا وفي بعض الاخبار انه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وفي بعض المواضع
في خبر اخر مثقال دينار فاي معنى لاختلاف مقاديره ان كان ما في القلب لا يتفاوت **مسئله** فان قلت ما وجه
قول السلف انا مؤمن ان شا الله تعالى والاستثنا شك والشك في الايمان كفر وقد كانوا يمتنعون عن جزم
الجواب بالايمان ويحترزون عنه فقال سفيان الثوري من قال انا مؤمن عند الله فهو من الكاذبين ومن قال
انا مؤمن حقا فهو بدعة فكيف يكون كاذبا وهو يعلم انه مؤمن في نفسه ومن كان مؤمنا في نفسه كان مؤمنا
عند الله تعالى كما ان من كان طويلا او سخيا في نفسه كان كذلك عند الله تعالى وكذلك من كان مسرورا او

حزينا او سميعا او بصيرا ولو قيل للانسان هل انت حيوان لم يحسن ان يقول انا حيوان ان شا الله تعالى ولما
قال سفيان ذلك قيل له فماذا نقول قال قولوا امنا بالله وما انزل علينا واي فرق بين ان نقول انا مؤمن
وقيل للحسن امؤمن انت فقال ان شا الله فقيل له تستثني يا ابا سعيد في الايمان فقال اخاف ان اقول نعم
فيقول الله كذبت يا حسن فتحق علي الكلمة وكان يقول ما يؤمنني ان يكون الله تعالى قد اطلع علي في بعض ما يكره
فمقتني وقال اذهب لا قبلت لك عملا فانا اعمل في غير معمل وقال ابراهيم اذا قيل لك امؤمن انت فقل
لا اله الا الله وقال مرة قل انا لا اشك في الايمان وسؤالك اياي بدعة وقيل لعلقمة امؤمن انت قال ارجو ان شا
الله وقال سفيان الثوري نحن مؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله وما ندري ما نحن عند الله فما معنى هذه الاستثناات
فالجواب ان هذا الاستثنا صحيح وله اربعة اوجه وجهان مستندان الى الشك لا في اصل الايمان ولكن في خاتمته
او كماله ووجهان لا يستندان الى الشك **الوجه الاول** الذي لا يستند الى الشك الاحتراز من الجزم
خيفة ما فيه من تزكية النفس قال الله تعالى فلا تزكوا انفسكم وقال فانظر كيف يفترون على الله
الكذب وقيل لحكيم ما الصدق القبيح فقال ثنا الانسان على نفسه والايمان من اعلى صفات المجد والجزم
به تزكية وصيغة الاستثنا كانها نقل من عرف التزكية كما يقال للانسان انت طبيب او فقيه او مفسر فيقول
نعم ان شا الله لا في معرض التشكيك ولكن لاخراج نفسه عن تزكية نفسه فالصيغة صيغة الترديد و
التضعيف لنفس الخبر ومعناه التضعيف اللازم من لوازم الخبر وهو التزكية وبهذا التاويل لو سئل عن
وصف ذم لم يحسن الاستثنا **الوجه الثاني** التادب بذكر الله تعالى في كل حال واحالة الامور كلها
الى مشية الله فقد ادب الله نبيه فقال ولا تقولن لشي اني فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله ثم لم يقتصر
على ذلك فيما لا يشك فيه بل قال لتدخلن المسجد الحرام ان شا الله امنين محلقين رؤسكم وكان الله تعالى
عالما بانهم يدخلون لا محالة وانه شاه ولكن المقصود تعليمه ذلك فتادب رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما يخبر
عنه معلوما كان او مشكوكا حتى قال صلى الله عليه وسلم لما دخل المقابر السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شا
الله بكم لاحقون واللحوق بهم غير مشكوك فيه ولكن مقتضى الادب ذكر الله وربط الامور به وهذه الصيغة
دالة عليه حتى صار بعرف الاستعمال عبارة عن اظهار الرغبة والتمني فاذا قيل لك ان فلانا يموت سريعا
فتقول ان شا الله بمعنى الرغبة فقد صارت الكلمة معدولة عن معنى الى معنى الرغبة فكذلك العدول
الى معنى التادب بذكر الله تعالى كيف كان الامر **الوجه الثالث** ومستنده الشك ومعناه انا
مؤمن حقا ان شا الله اذ قال الله تعالى لقوم مخصوصين باعيانهم اولئك هم المؤمنون حقا فانقسموا الى
قسمين ويرجع هذا الى الشك في كمال الايمان وذلك ليس بكفر والشك في كمال الايمان حق من وجهين احدهما
ان النفاق يزيل كمال الايمان وهو خفي لا يتحقق البراة منه والثاني انه يكمل باعمال الطاعات ولا يدرى
وجودها على الكمال اما العمل فقد قال الله تعالى انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم
وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون فيكون الشك في هذا الصدق وكذلك قال الله تعالى ولكن البر
من امن بالله واليوم الاخر فشرط عشرين وصفا كالوفا بالعهد والصبر على الشدايد ثم قال اولئك الذين
صدقوا وقد قال تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقال لا يستوي منكم من انفق
من قبل الفتح وقاتل الاية وقال هم درجات عند الله وقال صلى الله عليه وسلم الايمان عريان ولباسه التقوى
الحديث وقال الايمان بضع وسبعون بابا ادناها اماطة الاذى عن الطريق فهذا ما يدل على ارتباط كمال
الايمان بالاعمال واما ارتباطه بالبراة عن النفاق والشرك الخفي فقوله اربع من كن فيه فهو منافق خالص

وان صام وصلى وزعم انه مؤمن اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان واذا خاصم فجر وفي بعض
الروايات واذا عاهد غدر وفي حديث ابي سعيد الخدري القلوب اربعة قلب اجرد وفيه سراج يزهر فذلك
قلب المؤمن وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه كالبقلة يمدها الماء العذب ومثل النفاق
كالقرحة يمدها القيح والصديد فاي المدتين غلب عليه حكم له بها وفي لفظ اخر غلب عليه ذهب به وقال
صلى الله عليه وسلم اكثر منافقي هذه الامة قراؤها وفي حديث الشرك في امتي اخفى من دبيب النملة على الصفا
وقال حذيفة كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها منافقا الى ان
يموت واني لاسمعها من احدكم في اليوم عشر مرات وقال بعض العلماء اقرب الناس الى النفاق من يرى انه بريء
منه وقال حذيفة المنافقون اليوم اكثر منهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا اذ ذاك يخفونه
وهم اليوم يظهرونه وهذا النفاق يضاد صدق الايمان وكماله وهو خفي وابعد الناس منه من يتخوفه واقربهم
منه من يرى انه بريء منه فقيل للحسن يقولون لا نفاق اليوم فقال يا اخي لو هلك المنافقون لاستوحشتم
في الطريق وقال هو او غيره لو نبتت للمنافقين اذناب ما قدرنا ان نطأ على الارض وسمع ابن عمر رجلا يتعرض للحجاج
فقال ارايت لو كان حاضرا اكنت تتكلم فيه فقال لا فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم من كان ذا لسانين في الدنيا جعله الله ذا لسانين في الاخرة وقال
ايضا شر الناس ذو الوجهين الذي ياتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وقيل للحسن ان قوما يقولون لا نخاف
النفاق فقال والله لان اكون اعلم اني بريء من النفاق احب الي من تلاع الارض ذهبا وقال الحسن ان من النفاق
اختلاف اللسان والقلب والسر والعلانية والمدخل والمخرج وقال رجل لحذيفة اني اخاف ان اكون منافقا
فقال لو كنت منافقا ما خفت النفاق ان المنافق قد امن النفاق وقال ابن ابي مليكة ادركت ثلاثين
ومائة وفي رواية خمسمائة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخافون النفاق **وروي** ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا في جماعة من اصحابه فذكروا رجلا واكثروا الثناء عليه فبينما هم كذلك اذ طلع
الرجل عليهم ووجهه يقطر ماء من اثر الوضوء قد علق نعله بيده وبين عينيه اثر السجود فقالوا يا رسول الله
هذا الرجل الذي وصفنا فقال ارى على وجهه سفعة من الشيطان فجاء الرجل حتى سلم وجلس مع القوم
فقال النبي صلى الله عليه وسلم نشدتك الله هل حدثت نفسك حين اشرفت على القوم انه ليس فيهم خير منك
قال اللهم نعم وقال صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم اني استغفرك لما علمت ولما لم اعلم فقيل له اتخاف
يا رسول الله فقال وما يؤمنني والقلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وقد قال
سبحانه وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل عملوا اعمالا ظنوا انها حسنات فكانت في كفة السيئات
وقال سري السقطي لو ان رجلا دخل الى بستان فيه جميع الاشجار عليها من جميع الطيور فخاطبه
كل طير منها بلغته فقال السلام عليك يا ولي الله فسكنت نفسه الى ذلك كان اسيرا في يديها فهذه الاخبار
والآثار تعرفك خطر الامر بسبب دقائق النفاق والشرك الخفي وانه لا يؤمن منه حتى كان عمر يسأل حذيفة
عن نفسه وانه هل ذكر في المنافقين وقال ابو سليمان الداراني سمعت من بعض الامراء شيئا فاردت ان انكره
فخشيت ان يامر بقتلي ولم اخف من القتل ولكن خشيت ان يعرض لقلبي التزين للخلق عند خروج روحي فكففت وهذا من
النفاق وهذا النفاق يضاد حقيقة الايمان وصدقه وكماله وصفاءه لا اصله فالنفاق نفاقان احدهما يخرج من
الدين ويلحق بالكفار ويسلك في زمرة المخلدين في النار والثاني يفضي بصاحبه الى النار مدة او ينقص من درجات
عليين ويحط عن رتبة الصديقين وذلك مشكوك فيه ولذلك حسن الاستثناء واصل هذا النفاق تفاوت

من السر والعلانية والامن من مكر الله تعالى والعجب وامور اخر لا يخلو عنها الا الصديقون **الوجه
الرابع** وهو ايضا مستند الى الشك وذلك من خوف الخاتمة فانه لا يدري ايسلم له الايمان عند الموت
ام لا فان ختم له بالكفر حبط عمله السابق لانه موقوف على سلامة الآخر ولو سئل الصائم ضحوة النهار عن
صحة صومه فقال انا صائم قطعا فلو افطر بعد ذلك تبين كذبه اذ كانت الصحة موقوفة على التمام الى غروب
الشمس اخر النهار كما ان النهار ميقات تمام الصوم ووصفه قبل اخره بناء على الاستصحاب وهو مشكوك فيه و
العاقبة مخوفة ولاجلها كان بكاء اكثر الخائفين لاجل انها ثمرة القضية السابقة والمشيئة الازلية
التي لا يظهر الا بظهور المقضي به ولا يطلع عليه بشر فخوف الخاتمة كخوف السابقة وربما يظهر في الحال
ما سبقت الكلمة بنقيضه فمن الذي يدري انه من الذين سبقت لهم من الله الحسنى وقيل في قوله وجاءت
سكرة الموت بالحق اي بالسابقة يعني اظهرتها وقال بعض السلف انما يوزن من الاعمال خواتيمها وكان
ابو الدرداء يحلف بالله تعالى ما احد امن ان يسلب ايمانه الا سلبه ويقال من الذنوب ذنوب عقوبتها سوء
الخاتمة نعوذ بالله منه وقيل هي عقوبة دعوى الولاية والكرامة بالافتراء وقال بعض العارفين لو عرضت
علي الشهادة عند باب الدار والموت على التوحيد عند باب الحجرة لاخترت الموت على التوحيد لاني لا ادري
ما يعرض لقلبي من التغير عن التوحيد الى باب الدار وقال بعضهم لو عرفت واحدا بالتوحيد خمسين
سنة ثم حال بيني وبينه سارية فمات لم احكم انه مات على التوحيد **وفي** الحديث من قال انا مؤمن فهو كافر
ومن قال انا عالم فهو جاهل وقيل في قوله عز وجل وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا صدقا لمن مات على الايمان
وعدلا لمن مات على الشرك وقد قال الله تعالى ولله عاقبة الامور فمهما كان الشك بهذه المثابة كان الاستثناء
واجبا لان الايمان عبارة عما يفيد الجنة كما ان الصوم الماضي الذي لا شك فيه بعد الفراغ فيقال صمت
بالامس فيقول نعم ان شاء الله تعالى اذ الصوم الحقيقي هو المقبول والمقبول غائب عنه لا يطلع عليه الا الله فمن هذا
يحسن الاستثناء في جميع اعمال البر ويكون ذلك شكا في القبول اذ يمنع من القبول بعد جريان ظاهر شروط
الصحة اسباب خفية لا يطلع عليها الا رب الارباب فهذه وجوه حسن الاستثناء في الجواب عن الايمان
وهي اخر ما نختم به كتاب قواعد العقائد والله اعلم تم كتاب قواعد العقائد من جملة احياء علوم الدين للغزالي
رحمه الله تعالى ونفعنا به في الدنيا والآخرة بمنه وكرمه والحمد لله رب العالمين يتلوه في الجزء الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب اسرار الطهارة

الحمد لله الذي تلطف بعباده فتعبدهم بالنظافة وافاض على قلوبهم تزكية لسرائرهم انواره والطافه واعد
لظواهرهم تطهيرا لها الماء المخصوص بالرقة واللطافة والصلاة على سيدنا محمد المستغرق بنور الهدى
اطراف العالم واكنافه وعلى آله الطيبين الطاهرين صلاة تنجينا بركاتها يوم المخافة وتنتصب جنة بيننا وبين
كل آفة **اما بعد** فقد قال صلى الله عليه وسلم مفتاح الصلاة الطهور وقال الله تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا
والله يحب المطهرين وقال عليه السلام الطهور نصف الايمان وقال تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج
ولكن يريد ليطهركم فتفطن ذوو البصائر بهذه الظواهر ان اهم الامور تطهير السرائر اذ يبعد ان يكون
المراد بقوله صلى الله عليه وسلم الطهور نصف الايمان عمارة الظاهر بالتنظيف بافاضة الماء وتخريب الباطن وابقاؤه
مشحونا بالاخباث والاقذار هيهات هيهات والطهارة لها اربع مراتب الاولى تطهير الظاهر عن الاحداث والاخباث

والفضلات والثانية تطهير الجوارح عن الجرايم والآثام والثالثة تطهير القلب عن الاخلاق المذمومة والرذايل
الممقوتة والرابعة تطهير السر عما سوى الله تعالى وهي طهارة الانبيا والصديقين والطهارة في كل رتبة نصف
العمل الذي فيها فان الغاية القصوى في عمل السر ان ينكشف له جلال الله تعالى ومعرفته ولن تحل له معرفة الله
تعالى وعظمته ولن تحل معرفة الله تعالى بالحقيقة في السر عما سوى الله تعالى ولذلك قال الله تعالى قل الله
ثم ذرهم في خوضهم يلعبون لانهما لا يجتمعان في قلب وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه **واما** عمل القلب
فالغاية القصوى عمارته بالاخلاق المحمودة والعقايد المشروعة ولم يتصف بها ما لم ينظف عن نقايضها من العقايد
الفاسدة والرذايل المذمومة فتطهيرها احد الشطرين وهو الشطر الاول الذي هو شرط في الثاني فكان
الطهور شطر الايمان بهذا المعنى وكذلك تطهير الجوارح عن المناهي احد الشطرين وعمارتها بالطاعات
والشطر الثاني وهذه مقامات الايمان ولكل مقام طبقة ولن ينال العبد الطبقة العالية الا ان يجاوز
الطبقة السافلة فلا يصل الى طهارة السر عن الصفات المذمومة وعمارتها بالمحمودة ولن يصل الى ذلك
من لم يفرغ من طهارة الجوارح عن المناهي وعمارتها بالطاعة وكلما عز المطلوب وشرف صعب مسلكه وطال
طريقه وكثرت عقباته فلا تظنن ان هذا الامر يدرك بالمنى وينال بالهوينا نعم من عميت بصيرته عن تفاوت
هذه الطبقات لم يفهم من مراتب الطهارة الا الدرجة الاخيرة التي هي كالقشر الاخير بالاضافة الى اللب المطلوب
فصار يمعن فيه ويستقصي في مجاريه ويستوعب جميع اوقاته في الاستنجا وغسل الثياب وتنظيف الظاهر
وطلب المياه الجارية الكثيرة ظنا منه بحكم الوسوسة وخيال العقل ان الطهارة المطلوبة الشريفة هي هذه
فقط وجهالة بسيرة الاولين والآخرين واستغراقهم جميع الهم والفكر في تطهير القلوب وتساهلهم
في امر الظاهر حتى ان عمر رضي الله عنه مع علو منصبه توضا من ماء في جرة نصرانية حتى انهم ما كانوا يغسلون اليد من
الدسومات والاطعمة بل كانوا يمسحون اصابعهم باخمص اقدامهم وعدوا الاشنان من البدع المحدثة ولقد كانوا
يصلون على الارض في المساجد ويمشون حفاة في الطرقات ومن كان لا يجعل بينه وبين التراب حاجزا في
مضجعه كان من اكابرهم وكانوا يقتصرون على الحجارة في الاستنجا وقال ابو هريرة وغيره من اهل
الصفة كنا ناكل الشوا فتقام الصلاة فندخل اصابعنا في الحصا ثم نفركها بالتراب ونكبر وقال عمر ما كنا نعرف
الاشنان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما كانت مناديلنا بواطن ارجلنا كنا اذا اكلنا الغمر نمسح بها
ويقال اول ما ظهر من البدع بعد النبي صلى الله عليه وسلم اربعة المناخل والاشنان والموايد والشبع فكانت
عنايتهم كلها بنظافة الباطن حتى قال بعضهم الصلاة مع النعلين افضل لان النبي صلى الله عليه وسلم انما نزع نعليه
في صلوته اذ اخبره جبريل عليه السلام ان عليهما نجاسة وخلع خلع الناس نعالهم وددت لو ان محتاجا جا واخذها
منكرا لخلع النعل فهكذا كان تساهلهم في هذه الامور بل كانوا يمشون في طين الشوارع حفاة ويجلسون عليها و
يصلون في المساجد على الارض وياكلون البر والشعير وهو يداس بالدواب وتبول عليه ولا يحترزون من عرق
الابل والخيل مع كثرة تمرغها في النجاسات ولم ينقل قط عن واحد منهم سؤال في دقايق النجاسات فهكذا كان
تساهلهم فيها وقد انتهت النوبة الآن الى طايفة يسمون الرعونة نظافة ويقولون هي مبنى سنة الدين
فاكثر اوقاتهم في تزيينهم الظاهر كفعل الماشطة بعروسها والباطن خراب مشحون بخبايث الكبر والعجب
والجهل والريا والنفاق ولا يستنكرون ذلك ولا يتعجبون منه ولو اقتصر مقتصر على النفاق ولا يستنكرون ذلك
ولا يتعجبون منه ولو اقتصر مقتصر على الاستنجا بالحجارة او مشى على الارض حافيا او صلى على الارض او بواري من
المسجد من غير سجادة مفروشة او مشى على الفرش من غير غلاف للقدم من ادم او توضا من انية عجوز او شيخ

غير متقشف اقاموا عليه القيامة وشددوا النكير ولقبوه بالقذر واخرجوه من زمرتهم واستنكفوا من
مواكلته وسموا البذاذة التي هي من الايمان قذارة والرعونة نظافة فانظر كيف صار المنكر معروفا و
المعروف منكرا وكيف اندرس من الدين رسمه كما اندرس تحقيقه وعلمه فان قلت افتقول ان هذه العادات التي
اخرجها الصوفية في هياتهم ونظافتهم من المحظورات او المنكرات فاقول حاش لله ان اطلق القول فيه
من غير تفصيل ولكني اقول ان هذا التكلف والتنظف فاعداد الاواني والآلات واستعمال غلاف القدم و
الازار المقنع به لدفع الغبار وغير ذلك من هذه الاسباب ان وقع النظر الى ذاتها على سبيل التجرد فهي من
المباحات وقد يقترن بها احوال ونيات تلحقها تارة بالمعروفات وتارة بالمنكرات فاما كونها مباحة في
نفسها فلا يخفى اذ صاحبها متصرف بها في ماله وبدنه وثيابه فليفعل بها ما يريد اذا لم يكن فيها اضاعة
واسراف واما مصيرها منكرا فبان يجعل ذلك اصل الدين **وتفسير** قوله عليه السلام الدين بني
على النظافة حتى ينكر به على من يتساهل فيه تساهل الاولين وبان يكون القصد به تزيين الظاهر للخلق
وتحسين موقع نظرهم فان ذلك هو الريا المحظور فيصير منكرا بهذين الاعتبارين واما كونه معروفا فبان
يكون القصد منه الخير دون التزين وان لا ينكر على من ترك ذلك ولا يؤخر بسببه الصلوة عن اول الاوقات
ولا يشتغل به عن عمل هو افضل منه او عن تربية علم او غيره فاذا لم يقترن به شي من ذلك فهو مباح
يمكن ان يجعل قربة بالنية ولكن لا يتيسر ذلك الا للبطالين الذين لو لم يشتغلوا بصرف الاوقات اليه
لاشتغلوا بالنوم او بحديث فيما لا يعني فيصير شغلهم به اولى لان التشاغل بالطهارات يجدد ذكر الله تعالى
وذكر العبادات فلا باس به اذا لم يخرج الى منكر او اسراف واما اهل العلم والعمل فلا ينبغي ان يصرفوا من اوقاتهم
اليه الا قدر الحاجة والزيادة عليه منكر في حقهم وتضييع للعمر الذي هو انفس الجواهر واعزها في حق
من قدر على الانتفاع به ولا يتعجب من ذلك فان حسنات الابرار سيئات المقربين فلا ينبغي للبطال
ان ينكر النظافة وينكر على المتصوفة ويزعم انه يتشبه بالصحابة اذ التشبه بهم في ان لا يتفرغ الا لما هو اهم كما قيل
لداود الطائي لم لا تسرح لحيتك قال اني اذا لفارغ فلهذا لا ارى للعالم ولا للعامل ان يضيع وقته
في غسل الثياب احترازا من ان يلبس الثياب المقصورة وتوهما بالقصار تقصيرا في الغسل فقد كانوا
في العصر الاول يصلون في الفرا المدبوغة ولم يعلم منهم من فرق بين المدبوغة والمقصورة في الطهارة والنجاسة
بل كانوا يجتنبون النجاسة اذا شاهدوها ولا يدققون نظرهم في الاحتمالات الدقيقة بل كانوا يتاملون في
دقايق الريا والظلم حتى قال سفيان الثوري لرفيق كان يمشي معه فنظر الى باب دار مرفوع معمور لا تفعل
ذلك فان الناس لو لم ينظروا اليه لكان صاحبه لا يتعاطى هذا الاسراف فالناظر اليه معين له على الاسراف
فكانوا يعدون ازدحام الذهن لاستنباط مثل هذه الدقايق لا في احتمال هذه النجاسات فلو وجد العالم عاميا
يتعاطى له غسل الثياب محتاطا فهو افضل فانه بالاضافة الى التساهل خير وذلك العامي ينتفع بتعاطيه
اذ يشغل نفسه الامارة بالسوء بعمل مباح في نفسه فيمتنع عليه المعاصي في تلك الحال والنفس اذا لم
تشتغل بشي شغلت صاحبها واذا قصد به التقرب الى العالم صار ذلك عنده من افضل القربات فوقت
العالم اشرف من ان يصرف الى مثله فينبغي ان يحفظ عليه واشرف وقت العامي ان يشتغل بمثله فيتوفر الخير
من الجانبين وليتفطن بهذا المثال لنظايره من الاعمال وترتيب فضايلها ووجه تقديم البعض منها
على البعض فتدقيق الحساب في حفظ لحظات العمر بصرفها الى الافضل اهم من التدقيق في امور الدنيا
بحذافيرها واذا عرفت هذه المقدمة واستبنت ان الطهارة لها اربع مراتب فاعلم انا في هذا الكتاب لسنا

نتعرض فيه الا بالطاهر فنقول الطهارة الظاهرة بثلثة اقسام طهارة عن الخبث وطهارة عن الحدث و
طهارة عن فضلات البدن وهي التي تحصل بالقلم والاستحداد واستعمال النورة والختان وغيره **القسم
الاول** في طهارة الخبث والنظر فيه يتعلق بالمزال به والازالة الطرف الاول في المزال وهي النجاسات و
الاعيان ثلثة جمادات وحيوانات واجزاء حيوانات اما الجماد فطاهرة كلها الا الخمر وكل منتبذ مسكر والحيوانات
طاهرة الا الكلب والخنزير وما تولد منهما فاذا ماتت فكلها نجسة الا خمسة الادمي والسمك والجراد ودود
التفاح وفي معناه كلما تستحيل اليه الاطعمة وكل ما ليس له نفس سائلة كالذباب والخنفسا وغيرهما ولا
ينجس الماء بوقوع شي منها فيه واما اجزاء الحيوانات فقسمان **احدهما** ما يقطع منه وحكمه حكم الميت
والشعر لا ينجس بالجز والموت والعظم ينجس **والثاني** الرطوبات الخارجة من باطنه فكل ما ليس مستحيلا
ولا مقر له فهو طاهر كالدمع والعرق واللعاب والمخاط وما له مقر وهو مستحيل فنجس الا ما هو مادة الحيوان كالمني
والبيض والقيح والدم والروث والبول نجس من الحيوانات ولا يعفى عن هذه النجاسات قليلها
وكثيرها الا عن خمسة **الاول** اثر النجو بعد الاستنجا بالاحجار يعفى عنه ما لم يعد المخرج **الثاني**
طين الشوارع وغبار الروث في الطريق يعفى عنه مع تيقن النجاسة بقدر ما يتعذر الاحتراز عنه وهو
الذي لا ينسب المتلطخ به الى تفريط او سقطة **والثالث** ما على اسفل الخف من نجاسة لا يخلو
الطريق عنها فيعفى عنه بعد الدلك للحاجة **والرابع** البراغيث ما قل منه او كثر الا اذا جاوز حد العادة
سوا كان في ثوبك او ثوب غيرك فلبسته **والخامس** دم البراغيث وما ينفصل منها من قيح او صديد
ودلك ابن عمر بثرة على وجهه وخرج منها الدم وصلى ولم يغسل وفي معناه لطخات الدماميل التي تدوم
غالبا وكذلك اثر الفصد الا ما يقع نادرا من خراج او غيره فيلحق بدم الاستحاضة ولا يكون في معنى
البثرات وما ينفصل منها التي لا يخلو الانسان عنها في احواله ومسامحة الشرع في هذه النجاسات الخمس
تعرفك ان امر الطهارات على التساهل وما ابتدع فيها وسوسة لا اصل لها **الطرف** الثاني المزال به وهو اما
واما مائع اما الجامد فحجر الاستنجا وهو مطهر تطهير تجفيف بشرط ان يكون صلبا طاهرا منشفا غير
محترم **واما** المائعات فلا يزال النجاسة بشي منها الا الماء ولا كل ماء بل الطاهر الذي لا يتفاحش تغيره
بمخالطة ما يستغنى عنه ويخرج الماء عن الطهارة بان يتغير بملاقاة النجاسات طعمه او لونه او ريحه
فان لم يتغير وكان قريبا من مائتين وخمسين منا وهو خمسمائة رطل برطل العراق لم ينجس لقوله صلى الله
عليه وسلم اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا وان كان دونه صار نجسا عند الشافعي هذا في الماء الراكد
واما الجاري اذا تغير بالنجاسة فالجرية المتغيرة نجسة دون ما فوقها وما تحتها لان جريات الماء متفاصلة
وكذا النجاسة الجارية اذا جرت بمجرى الماء فالنجس موقعها من الماء وما عن يمينها وشمالها اذا تقاصر عن قلتين
وان كان جرى الماء اقوى من جري النجاسة فما فوقها طاهر وما سفل عنها نجس وان تباعد وكثر الا اذا اجتمع
في حوض قلتين واذا اجتمع من ماء نجس قلتين طهر ولا يعود نجسا بالتفريق هذا مذهب الشافعي وكنت اود
ان يكون مذهبه كمذهب مالك في ان الماء وان قل لا ينجس الا بالتغير اذ الحاجة ماسة اليه ومثار الوسواس
اشتراط القلتين ولاجله شق على الناس ذلك وهو لعمري سبب المشقة ويعرفه من يجربه ويتامله
ومما لا اشك فيه ان ذلك لو كان مشروطا لكان اولى المواضع بتعسر الطهارات مكة والمدينة اذ لا تكثر فيهما
المياه الجارية ولا الراكدة الكثيرة ومن اول عصر رسول الله عليه السلام الى آخر عصر الصحابة عليهم الرضوان لم ينقل
واقعة في الطهارة ولا سؤال عن كيفية حفظ الماء عن النجاسات وكانت اواني مياههم يتعاطاها الصبيان

والاماء الذين لا يحترزون عن النجاسات وتوضى عمر بماء في جرة نصرانية في الصريح في انه لم يعول الا على عدم
تغير الماء والا فنجاسة النصرانية وانائها غالبة تعلم بظن قريب فاذن عسر القيام بهذا المذهب وعدم
وقوع السؤال في تلك الاعصار دليل اول وفعل عمر رضي الله عنه دليل ثاني والثالث اصغا النبي صلى الله
عليه وسلم الانا الى الهرة وعدم تغطيتهم الاواني منها بعد ان يرى انها تاكل الفار ولم يكن في بلادهم حياض
تلغ السنانير فيها وكانت لا تنزل في الابار **والرابع** ان الشافعي رضي الله عنه نص على غسالة النجاسة
طاهرة اذا لم تتغير ونجسة ان تغيرت واي فرق بين ان يلاقي الماء النجاسة بالورود عليها او بورودها عليه واي
معنى لقول القايل ان قوة الورود تدفع النجاسة مع ان الورود لم يمنع مخالطة النجاسة وان احيل ذلك
على الحاجة فالحاجة ايضا ماسة الى هذا فلا فرق بين طرح الماء في الاجانة وفيهما وكل ذلك معتاد في غسل
الثياب والاواني **الخامس** انهم كانوا يستنجون على اطراف المياه الجارية القليلة ولا خلاف في مذهب الشافعي
انه اذا وقع بول في ماء جار ولم يتغير انه يجوز التوضي به وان كان قليلا واي فرق بين الجاري والراكد وليت شعري
الحوالة على عدم التغير اولى او على قوة الماء بسبب الجريان ثم ما حد تلك القوة اتجري في المياه الجارية في انا
بيب الحمامات ام لا فان لم تجر فما الفرق بين ما يقع فيها وبين ما يقع في مجرى الماء من الاواني على الابدان وهي ايضا
جارية ثم البول اشد اختلاطا بالماء الجاري من نجاسة جامدة ثابتة اذ اقضى بان ما يجري عليها وان لم يتغير نجس
الى ان يجتمع في مستنقع قلتان فاي فرق بين الجامد والمائع والماء واحد والاختلاط اشد من الجاري **السادس**
انه اذا وقع رطل من البول في قلتين ثم فرقتا فكل كوز نغترف منه طاهر ومعلوم ان البول منتشر فيه وهو قليل
فليت شعري تعليل طهارته بعدم التغير اولى او بقوة كثرة الماء بعد انقطاع الكثرة وزوال القوة مع تحقق بقا
اجزا النجاسة فيها **السابع** ان الحمامات لم تزل في الاعصار الخالية يتوضى فيها المتقشفون ويغمسون الايدي
والاواني في تلك الحياض مع قلة الماء مع العلم بان الايدي النجسة والطاهرة كانت تتوارد عليها فهذه الامور
مع الحاجة الشديدة تقوي في النفس انهم كانوا ينظرون الى عدم التغير معولين على قوله عليه السلام خلق
الماء طهورا لا ينجسه شي الا ما غير طعمه او ريحه وفيه تحقيق وهو ان طبع كل مائع ان يغلب الى صفة نفسه
كلما يقع فيه وكان مغلوبا من جهته فكما نرى الكلب يقع في الملح فيستحيل ملحا ويحكم بطهارته لصيرورته ملحا
وزوال الصفة الكلبية عنه فكذلك الخل يقع في الماء واللبن وهو قليل فينطلق عليه صفته ويصير على صفة
الماء ويتطبع بطبعه الا اذا كثر وغلب وتعرف غلبته بغلبة طعمه او لونه او ريحه فهذا المعيار وقد اشار
الشرع اليه في الماء القوي على ازالة النجاسة جدير بان يعول عليه فتندفع به الحرج ويظهر به معنى
كونه طهورا اذ يغلب على غيره فيطهره كما صار كذلك فيما بعد القلتين وفي الغسالة وفي الماء الجاري وفي
اصغا الانا للهرة ولا تظنن ان ذلك عفو اذ لو كان كذلك لكان كاثر الاستنجا ودم البراغيث حتى يصير الماء الذي
له نجسا لا ينجس بالغسالة ولا بولوغ السنور الماء القليل واما قوله عليه السلام لا يحمل خبثا فهو في نفسه
يحمل اذا تغير فان قيل اراد به اذا لم يتغير فيمكن ان يقال اراد به في الغالب لا يتغير بالنجاسات المعتادة ثم
هو متمسك بالمفهوم فيما اذا لم يبلغ القلتين وترك المفهوم باقل من الادلة التي ذكرناها ممكن وقوله عليه
السلام لا يحمل خبثا في نفسه ظاهرة في نفي الحمل اي يقلبه الى صفة نفسه كما يقال المملحة لا تحمل كلبا ولا غيره اي
تقلبه وذلك لان الناس قد يستنجون بالمياه القليلة في الغدران ويغمسون الاواني الغدران فيهما ثم يترددون
في انها تغيرت تغيرا موثرا ام لا فتبين انه اذا كان قلتين لا يتغير بهذه النجاسات المعتادة فان قلت فقد
قال خبثا وهو بما كثرت جملها فهذا اسهل عليك لان ما كررنا ايضا حكما لا احتمالها احتمالا فلا بد من التخصيص

بالنجاسة المعتادة على المذهبين جميعا وعلى الجملة فيبنى في امور النجاسات على المساهلة فيهما من سيرة الاولين
وحسما لمادة الوسواس ولذلك افتيت بالطهارة فيما وقع الخلاف فيه من هذه المسايل **الطرف الثالث**
في كيفية الازالة والنجاسة ان كانت حكمية وهي التي ليس لها جسم محسوس فيكفي اجراء الماء على جميع مواردها وان كانت
عينية فلا بد من ازالة العين وبقاء الطعم يدل على بقاء العين وكذا بقاء اللون الا فيما يلتصق به فهو معفو عنه
بعد الحت والقرص واما الرائحة فبقاؤها يدل على بقاء العين ولا يعفى عنها الا اذا كان الشيء لرايحة فاغمة يعسر
زوالها بالدلك والعصر مرات متوالية فيقوم مقام الحت والقرص في اللون والمزيل للوسواس ان يعلم ان الاشياء
خلقت طاهرة بيقين فما لا يشاهد عليه نجاسة فلا يعلمها يقينا يصلي معه ولا ينبغي ان يتوصل بالاستنباط
الى تقدير النجاسات **القسم الثاني** طهارة الاحداث ومنها الوضوء والغسل والتيمم ويتقدم عليها الاستنجاء
فنورد كيفيتها على الترتيب مع ادابها وسننها مبتدئين بسبب الوضوء وهو قضاء الحاجة **اداب**
قضاء الحاجة ينبغي ان يبعد عن اعين الناظرين في الصحراء وان يستتر بشيء ان وجده وان لا يستقبل الشمس
والقمر وان لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها الا اذا كان في بناء والعدول عنها في البناء احب وان يستتر في
الصحراء براحلته وكذا بذيله وان يتقي الجلوس في متحدث الناس وان لا يبول في الماء الراكد وتحت الشجرة
المثمرة وفي الجحرة وان يتقي الموضع الصلب ومهاب الرياح استنزاها من رشاشه وان يتكي في جلوسه على الرجل
اليسرى وان كان في بنيان يقدم الرجل اليسرى في الدخول والرجل اليمنى في الخروج ولا يبول قائما **قالت**
عائشة رضي الله عنها من حدثكم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يبول قائما فلا تصدقوه وقال عمر رضي الله عنه رآني
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ابول قائما فقال يا عمر لا تبل قائما وفيه رخصة اذ روى حذيفة ان النبي
صلى الله عليه وسلم بال قائما فاتيته بوضوء فتوضأ ولا يبول في المغتسل قال عليه السلام عامة الوسواس منه وقال
ابن المبارك اذا كان الماء جاريا فلا باس ولا يستصحب شيئا عليه اسم الله تعالى ورسوله ولا يدخل بيت الماء حاسر الراس
وليقل عند الدخول اعوذ بالله من الخبث المخبث من الشيطان الرجيم وعند الخروج الحمد لله الذي اذهب عني ما
يؤذيني وابقى علي ما ينفعني وان يعد النبل اي الحجارة قبل الجلوس وان لا يستنجي بالماء في موضع الحاجة وان يستبرئ
من البول بالتنحنح والنتر ثلاثا وامرار اليد على اسفل القضيب ولا يكثر التفكر في الاستبراء فيتوسوس ويشق
عليه الامر وما يحس به من بلل فليقدر انه بقية الماء فان كان يؤذيه ذلك فليرش الماء عليه حتى يقوى
في نفسه ذلك ولا يتسلط عليه الشيطان بالوسواس **وفي** الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم فعل ذلك اعني رش الماء
وقد كان اخفهم استبراء افقههم فتدل الوسوسة فيه على قلة الفقه وفي حديث سلمان علمنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم كل شيء حتى الخراءة فامرنا ان لا نستنجي بعظم ولا روث ونهانا ان نستقبل القبلة بغائط او بول
وقال رجل لبعض الصحابة من الاعراب وقد خاصمه لا احسبك تحسن الخراءة فقال بلى وابيك اني لاحسنها ابعد الاثر واعد
المدر واستقبل الشيح واستدبر الريح واقعي اقعاء الظبي واجفل اجفال النعام **الشيح** نبت طيب الرائحة
يكون في البادية والاقعاء هنا ان يستوفز على صدور قدميه والاجفال ان يرفع عجزه ومن الرخصة ان يبول
الانسان قريبا من صاحبه مستترا عنه فعله عليه السلام مع شدة حيائه ليبين للناس **كيفية الاستنجا**
ثم يستنجي لمقعده بثلاثة احجار فان انقى بها فذاك والا استعمل رابعا فان انقى والا استعمل خامسا لان الايتار مستحب
قال عليه السلام من استجمر فليوتر ويأخذ الحجر بيساره ويضعه على مقدم المقعدة قبل موضع النجاسة
ويمرها الى المقدم ويأخذ الثالثة فيديرها حول المسربة ادارة فان عسرت الادارة ومسح من المقدمة الى
المؤخر اجزاه ثم يأخذ حجرا كبيرا بيمينه والقضيب بيساره ويمسح الحجر بقضيبه ويحرك اليسار ويمسح ثلاثا

في ثلاثة مواضع او في ثلاثة احجار او في ثلاثة مواضع من حجر الى ان لا يرى الرطوبة في محل المسح وان حصل
ذلك بمرتين اتى بالثالثة ووجوب ذلك ان اراد الاقتصار على الحجر وان حصل بالرابعة استحب الخامسة
للايتار ثم ينتقل من ذلك الموضع الى موضع آخر ويستنجي بالماء بان يفيضه باليمنى على محل النجو ويدلك
باليسرى حتى لا يبقى اثر يدركه الكف بحس اللمس ويترك الاستقصاء فيه بالتعرض للباطن فان ذلك منبع
الوسواس وليعلم ان كل ما لا يصل اليه الماء فهو باطن ولا يثبت حكم النجاسة للفضلات الباطنة
ما لم تبرز وكل ما هو ظاهر وثبت له حكم النجاسة فحد ظهوره ان يصل الماء فيزيله فلا معنى للوسواس ويقول
عند الفراغ من الاستنجاء اللهم طهر قلبي من النفاق وحصن فرجي من الفواحش ويدلك يده بحائط او بالارض
ازالة للرائحة ان بقيت والجمع بين الحجر والماء مستحب فقد روي انه لما نزل قوله تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا
والله يحب المطهرين قال عليه السلام لاهل قباء ما هذه الطهارة التي اثنى الله بها عليكم قالوا انا نجمع
بين الماء والحجر **كيفية الوضوء** اذا فرغ من الاستنجاء اشتغل بالوضوء فلم ير رسول الله صلى الله
عليه وسلم قط خارجا من الغائط الا توضأ ويبتدئ بالسواك فينبغي ان ينوي بالسواك تطهير فيه لقراءة الفاتحة
وذكر الله تعالى في الصلوة فقد قال صلى الله عليه وسلم ان افواهكم طرق القرآن فطيبوها بالسواك وقال
صلى الله عليه وسلم صلاة على اثر سواك افضل عند الله تعالى من خمس وسبعين صلاة بغير سواك وقال
عليه السلام لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك عند كل صلوة وكان عليه السلام يستاك في الليلة
مرارا **وعن** ابن عباس انه قال لم يزل يامرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسواك فانه مطهرة للفم ومرضاة للرب
وقال علي السواك يزيد في الحفظ ويذهب البلغم وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليهم
الرضوان يروحون والسواك على اذانهم وكيفيته ان يستاك بخشب الاراك وغيره من قضبان الاشجار مما
يخشن ويزيل القلح ويستاك عرضا وطولا فان اقتصر فعرضا ويستحب السواك عند النوم او طول الازم او اكل ما يكره
رائحته ثم عند الفراغ من السواك يجلس للوضوء ويقول بسم الله الرحمن الرحيم وقال عليه السلام لا وضوء لمن لم
يسم الله اي وضوء كاملا ويقول عند ذلك اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون
ثم يغسل يديه ثلاثا قبل ان يدخلهما الاناء ويقول اللهم اني اسألك اليمن والبركة واعوذ بك من
الشوم والهلكة ثم ينوي رفع الحدث او استباحة الصلوة فيتمضمض بها ثلاثا ويغرغر بان يرد الماء الى
الغلصمة الا ان يكون صايما فيرفق ويقول اللهم اعني على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك ثم يأخذ غرفة لانفه
ويستنشق ثلاثا ويصعد الماء بالنفس الى خياشيمه ويستنثر ما فيه ويقول في الاستنشاق اللهم اوجد لي
رايحة الجنة وانت عني راض وفي الاستنثار اللهم اني اعوذ بك من روايح النار ومن سوء الدار لان الاستنشا
ايصال والاستنثار ازالة ثم يغرف غرفة بيده لوجهه فيغسله من مبتدأ تسطيح الجبهة الى منتهى ما يقبل
من الذقن في الطول ومن الاذن الى الاذن في العرض ولا يدخل في حد الوجه النزعتان وهما على طرفي الجبينين فهما من الراس
ويوصل الماء الى موضع التحذيف وهو ما يعتاد النساء تنحية الشعر عنه وهو القدر الذي يقع في
جانب الوجه مهما وضع طرف الخيط على راس الاذن والطرف الثاني على زاوية الجبين ويوصل الماء الى منابت
الشعور الاربعة الحاجبين والشاربين والاهداب والعذارين لانها خفيفة غالبا والعذاران هما ما يوازيان الاذنين من مبتدأ اللحية و
يجب ايصال الماء الى منابت اللحية الخفيفة اعني ما يقبل من الوجه واما الكثيفة فلا وحكم العنفقة حكم
اللحية في الكثافة والخفة ثم يفعل ذلك ثلاثا ويفيض الماء على ظاهر ما استرسل من اللحية ويدخل الاصابع
في محاجر العينين وموضع الرمص ومجتمع الكحل وينقيهما **فقد روي** انه عليه السلام فعل ذلك

وتامل بعد ذلك خروج الخطايا من عينيه وكذلك عند كل عضو ويقول عنده اللهم بيض وجهي بنور
يوم تبيض وجوه اوليائك ولا تسود وجهي بظلماتك يوم تسود وجوه اعدائك ويخلل لحيته عند غسل
الوجه فهو مستحب ثم يغسل يديه الى مرفقيه ثلاثا ويحرك الخاتم ويطيل الغرة ويرفع الماء الى اعلى العضد فانهم
يحشرون يوم القيمة غرا محجلين من اثار الوضوء بذلك ورد الخبر قال عليه السلام من استطاع منكم ان
يطيل غرته فليفعل ويروى ان الحلية تبلغ مواضع الوضوء ويبتدي باليمين ويقول اللهم اني اعوذ بك ان
تعطيني كتابي بشمالي او من وراء ظهري ثم يستوعب راسه بالمسح بان يبل يديه ويلصق رؤوس الاصابع اليمنى
باليسرى ويضعهما على مقدمة الراس ويمرهما الى القفا ثم يردهما الى المقدمة وهذه مسحة واحدة يفعل
ذلك ثلاثا ويقول اللهم غشني برحمتك وانزل علي من بركاتك واظلني تحت عرشك يوم لا ظل الا
ظلك ثم يمسح اذنيه ظاهرهما وباطنهما بماء جديد بان يدخل مسبحتيه في صماخي اذنيه ويدير ابهاميه
على ظاهر اذنيه ثم يضع الكف على الاذنين استظهارا ويكرره ثلاثا ويقول اللهم اجعلني من الذين
يستمعون القول فيتبعون احسنه اللهم اسمعني منادي الجنة مع الابرار ثم يمسح رقبته لقول النبي صلى الله
عليه وسلم مسح الرقبة امان من الغل يوم القيمة ويقول اللهم فك رقبتي من النار واعوذ بك من السلاسل
والاغلال ثم يغسل رجله اليمنى ثلاثا ويخلل باليد اليسرى من اسفل اصابع الرجل اليمنى ويبدا بالخنصر
من الرجل اليمنى ويختم بالابهام ويقول اللهم ثبت قدمي على الصراط يوم تزل الاقدام في النار ويقول
عند غسل اليسرى اعوذ بك ان تزل قدمي على الصراط يوم تزل اقدام المنافقين ويرفع الماء الى انصاف
الساقين فاذا فرغ رفع راسه الى السماء فقال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا
عبده ورسوله سبحانك وبحمدك لا اله الا انت عملت سوءا وظلمت نفسي استغفرك واتوب اليك فاغفر لي
وتب علي انك انت التواب الرحيم اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني من عبادك
الصالحين واجعلني شكورا واجعلني اذكرك كثيرا واسبحك بكرة واصيلا يقال ان من قال هذا بعد الوضوء
ختم على وضوئه بخاتم ورفع له تحت العرش يسبح الله تعالى ويقدسه ويكتب له ثواب ذلك الى يوم القيمة ويكره
في الوضوء امور ان يزيد على الثلاث وان يسرف في الماء توضا عليه السلام ثلاثا وقال من زاد فقد ظلم واساء وقال
عليه السلام سيكون قوم من هذه الامة يعتدون في الدعاء والطهور ويقال من علم الرجل ولوعه بالماء في الطهور
قال ابراهيم بن ادهم يقال اول ما يبتدي الوسواس من قبل الطهور وقال الحسن ان الشيطان يضحك بالناس
يقال له الولهان ويكره ان ينفض اليد فيرش الماء وان يتكلم في اثناء وضوئه وان يلطم وجهه بالماء لطما وكره
قوم التنشف وقالوا الوضوء يوزن قاله ابن المسيب والزهري ولكن روى معاذ انه عليه السلام مسح وجهه
بطرف ثوبه وروت عائشة رضي الله عنها انه عليه السلام كانت له منشفة ولكن طعن في الرواية عن عائشة
وان يتوضا في اناء صفر وان يتوضا بالماء المشمس وذلك من جهة الطب **وقد روي** عن ابن عمر وابي
هريرة كراهة اناء الصفر وقال بعضهم اخرجت لشعبة ماء في اناء صفر فابى ان يتوضا ونقل كراهة ذلك عن
ابن عمر ومهما فرغ من وضوئه واقبل على الصلاة ينبغي ان يخطر بباله انه طهر ظاهره وهو موضع نظر الخلق فينبغي ان
يستحيي من مناجاة الله تعالى من غير تطهير قلبه وهو موقع نظر الرب تبارك وتعالى وليتحقق ان طهارة
القلب بالتوبة والخلو عن الاخلاق المذمومة اولى وان من يقتصر على طهارة الظاهر كمن اراد ان يدعو ملكا الى بيته فتركه
مشحونا بالقاذورات واشتغل بتجصيص ظاهر الباب البراني من الدار وما اجدره بالتعرض للبوار **فضل**
الوضوء قال عليه السلام من توضا فاسبغ الوضوء وصلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا خرج

من ذنوبه كيوم ولدته امه وفي لفظ اخر ولم يسه فيهما غفر له ما تقدم من ذنبه وقال عليه السلام ايضا الا
انبئكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع به الدرجات اسباغ الوضوء في المكاره ونقل الاقدام الى المساجد و
انتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط وتوضا عليه السلام مرة مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله
الصلاة الا به وتوضا مرتين مرتين وقال من توضا مرتين اتاه الله اجره مرتين وتوضا ثلاثا ثلاثا وقال هذا وضوئي
ووضوء الانبياء قبلي ووضوء خليلي ابراهيم وقال صلى الله عليه وسلم من ذكر الله تعالى عند وضوئه
طهر الله جسده كله ومن لم يذكر الله لم يطهر منه الا ما اصاب الماء وقال عليه السلام الوضوء على الوضوء نور
وهذا حث على تجديد الوضوء وقال عليه السلام اذا توضا العبد المسلم فتمضمض خرجت الخطايا من فيه
فاذا استنثر خرجت الخطايا من انفه فاذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من اشفار عينيه
فاذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من اظفار يديه فاذا مسح براسه خرجت الخطايا من راسه
حتى تخرج من اذنيه فاذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من اظفاره ثم كان مشيه الى المسجد
وصلاته نافلة له ويروى ان الطاهر كالصائم وقال عليه السلام من توضا فاحسن الوضوء ثم رفع راسه
الى السماء فقال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله فتحت له ابواب الجنة
الثمانية يدخل من ايها شاء وقال عمر ان الوضوء الصالح يطرد عنك الشيطان وقال مجاهد من استطاع
ان لا يبيت الا طاهرا ذاكرا مستغفرا فليفعل فان الارواح تبعث على ما قبضت عليه **كيفية الغسل**
وهو ان يضع الاناء عن يمينه ثم يسم الله تعالى ويغسل يديه ثلاثا ثم يتوضا وضوءه للصلاة كما سبق الا
غسل قدميه فانه يؤخرهما فان غسلهما ثم وضعهما على الارض كان اضاعة للماء ثم يصب الماء على شقه
الايمن ثلاثا ثم على شقه الايسر ثلاثا ثم على راسه ثلاثا ثم يدلك ما اقبل من بدنه وما ادبر ويخلل شعر الراس
ويوصل الماء الى منابت ما كثف منه وخف وليس على المراة نقض الظفائر الا اذا علمت ان الماء لا يصل الى خلال
الشعور ويتعهد معاطف البدن وليتق ان يمس ذكره في اثناء ذلك فان فعل فليعد الوضوء وان توضا قبل
الغسل فلا يعيده بعد الغسل فهذه سنن الوضوء والغسل ذكرناها فيهما مما لا بد لسالك طريق الاخرة من
علمه وعمله وما عداه من المسائل يحتاج اليها في عوارض الاحوال فيرجع فيها الى كتب الفقه والواجب من جملة ما
ذكرناه النية واستيعاب البدن بالغسل ومن الوضوء النية وغسل الوجه وغسل اليدين الى المرفقين و
مسح ما ينطلق عليه الاسم من الراس وغسل الرجلين الى الكعبين والترتيب واما الموالاة فليست بواجبة والغسل
الواجب اربعة بخروج المني والتقاء الختانين والحيض والنفاس وما عداه من الاغتسال سنة كغسل الجمعة
والعيدين والاحرام والوقوف بعرفة والمزدلفة ولدخول مكة ولثلاثة ايام التشريق ولطواف الوداع على قول
والكافر اذا اسلم غير جنب والمجنون اذا افاق ولمن غسل ميتا فكل ذلك مستحب **كيفية التيمم**
من تعذر عليه استعمال الماء لفقده بعد الطلب او بمانع له من الوصول اليه من سبع او حابس او كان الماء
الحاضر يحتاج اليه لعطشه او عطش رفيقه او كان ملكا لغيره ولم يبع منه الا باكثر من ثمن مثله او كانت به جراحة
او مرض وخاف من استعماله فساد العضو او شدة الضنى فينبغي ان يصبر حتى يدخل عليه وقت الفريضة
ثم يقصد صعيدا طيبا عليه تراب طاهر خالص لين بحيث يثور منه غبار ويضرب عليه كفيه ضاما بين اصابعه
ويمسح بهما جميع وجهه مرة واحدة وينوي عنده استباحة الصلاة ولا يكلف ايصال الغبار الى ما تحت
الشعور خفت ام كثفت ويجتهد ان يستوعب بشرة وجهه بالغبار ويحصل ذلك بالضربة الواحدة فان عرض
الوجه لا يزيد على عرض الكفين ويكفي في الاستيعاب غالب الظن ثم ينزع خاتمه ويضرب ضربة ثانية يفرج فيها

بين اصابعه ثم يلصق اصابع يده اليمنى ببطن اصابع يده اليسرى بحيث لا يجاوز اطراف الانامل من احدى الجهتين
عرض المسبحة من الاخرى ثم يمر بيده اليسرى من حيث وضعها على ظاهر ساعده اليمنى ويمرها الى الكوع ويمر باطن
ابهامه اليمنى ثم يفعل باليد اليسرى كذلك ثم مسح كفيه ويخلل بين اصابعه والغرض من هذا التكليف لا استيعاب
الى المرفقين بضربة واحدة فان عسر عليه ذلك فلا باس ان يستوعب بضربتين وزيادة فاذا صلى به الفرض فله
ان يتنفل كيف شا فان جمع بين فرضين فينبغي ان يعيد التيمم للثانية وهكذا يفرد كل فريضة بتيمم والله اعلم
القسم الثالث من التنظيف عن الفضلات الظاهرة وهي نوعان اوساخ واجزا النوع الاول الاوساخ
والرطوبات المترشحة وهي ثمانية **الاول** ما يجتمع في شعر الراس من الدرن والقمل فالتنظيف عنه مستحب
بالغسل والترجيل وبالدهن ازالة للشعث وكان عليه السلام يدهن الشعر ويرجله غبا ويامر به ويقول
ادهنوا غبا وقال عليه السلام من كانت له شعرة فليكرمها اي ليصونها عن
الاوساخ ودخل عليه رجل ثائر الراس اشعث اللحية فقال عليه السلام اما كان لهذا دهن يسكن به شعره ثم قال
عليه السلام يدخل احدكم كانه شيطان **الثاني** ما يجتمع من الوسخ في معاطف الاذن والمسح يزيل ما يظهر
منه وما يجتمع في قعر الصماخ فينبغي ان ينظفه برفق عند الخروج من الحمام فان كثرة ذلك ربما يضر بالسمع
الثالث ما يجتمع في داخل الانف من الرطوبات المنعقدة الملتصقة بجوانبها ويزيلها الاستنشاق
والاستنثار **الرابع** ما يجتمع على الاسنان واطراف اللسان من القلح ويزيله السواك والمضمضة وقد ذكرناهما
الخامس ما يجتمع في اللحية من الوسخ والقمل اذا لم يتعهد ويستحب ازالة ذلك بالغسل والتسريح بالمشط
وفي الخبر المشهور انه عليه السلام كان لا يفارقه المشط والمدرى في سفر ولا حضر وهي سنة العرب وفي خبر غريب انه عليه السلام
كان يسرح لحيته في اليوم مرتين وكان عليه السلام كث اللحية وكذلك كان ابو بكر وكان عثمان طويل اللحية
رقيقها وكان علي عريض اللحية قد ملأت ما بين منكبيه وفي حديث اغرب من هذا قالت عائشة رضي الله عنها
اجتمع قوم بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم يطلع في الجب يسوي من راسه ولحيته والجاهل
ربما يظن ان ذلك من حب التزين للناس قياسا على اخلاق غيره وتشبيها للملائكة بالحدادين وهيهات
فقد كان عليه السلام مامورا بالدعوة وكان من وظائفه ان يسعى في تعظيم امر نفسه في قلوبهم كيلا تزدريه
نفوسهم وتحسين صورته في اعينهم كيلا تستصغره اعينهم فينفرهم ذلك ويتعلق المنافقون بذلك في تنفيرهم
وهذا القصد واجب على كل عالم تصدى لدعوة الخلق الى الله تعالى وهو ان يراعي من ظاهره ما لا يوجب
نفرة الناس عنه والاعتماد في مثل هذه الامور على النية فانما الاعمال التي في انفسها تكتسب الاوصاف من المقصود
فالتزين على هذا القصد محبوب وترك الشعث في اللحية اظهارا للزهد وقلة المبالاة بالنفس محذور
وتركه شغلا بما هو اهم محبوب وهذه احوال باطنة بين العبد وبين الله تعالى والناقد بصير والتلبيس
غير جائز عليه بحال وكم من جاهل يتعاطى هذه الامور التفاتا الى الخلق وهو يلبس على نفسه وعلى غيره ويزعم
ان قصده الخير فترى جماعة من العلماء يلبسون الثياب الفاخرة ويزعمون ان قصدهم ارغام المبتدعة والمجادلين
والتقرب الى الله تعالى به وهذا امر ينكشف يوم تبلى السرائر ويوم يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور فعند
ذلك يتميز السبيكة الخالصة من البهرج فنعوذ بالله من الخزي يوم العرض الاكبر **السادس** وسخ البراجم
وهي معاطف ظهور الاصابع كانت العرب لا تكثر غسل ذلك لتركها غسل اليد عقيب الطعام فيجتمع في تلك
الغضون وسخ فامرهم عليه السلام بغسل البراجم **السابع** تنظيف الرواجب امر عليه السلام العرب
وهي رؤوس الانامل وما تحت الاظفار من الوسخ لانها كانت لا تحضرها المقراض في كل وقت فتجتمع فيها اوساخ فوقت لهم

عليه السلام قلم الاظفار وجاء في الاخبار ان النبي صلى الله عليه وسلم استبطأ الوحي فلما هبط عليه جبريل عليه السلام
قال له كيف ننزل عليكم وانتم لا تغتسلون براجمكم ولا تنظفون رواجبكم وقلحا لا تستاكون مر امتك
بذلك والاف وسخ الاذن والتف وسخ الظفر وقيل في قوله تعالى فلا تقل لهما اف اي لا تعبهما بما تحت الظفر من الوسخ وقيل لا تؤذيهما
كما يتأذى بما تحت الظفر **الثامن** الدرن الذي يجتمع على جميع البدن برشح العرق وغبار الطريق وذلك
يزيله الحمام ولا باس بدخول الحمام دخل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حمامات الشام وقال بعضهم
نعم البيت الحمام يطهر البدن ويذكر النار روي ذلك عن ابي الدرداء وابي ايوب الانصاري وقال بعضهم
بئس البيت الحمام يبدي العورة ويذهب الحيا فهذا تعرض لآفته وذلك لفائدته ولا باس بطلب فائدته عند
الاحتراز عن آفته ولكن على داخل الحمام وظائف من السنن والواجبات فعليه واجبان في عورته وهو
ان يصونها عن نظر الغير ويصونها عن مس الغير فلا يتعاطى امرها وازالة وسخها الا بيده ويمنع الدلاك
من مس الفخذين وما بين السرة الى العانة وفي اباحة ما ليس بسوءة لازالة الوسخ احتمال ولكن الاقيس
التحريم اذ الحق مس السوءتين في التحريم بالنظر فكذلك ينبغي ان يكون بقية العورة والواجبان في عورة
الغير ان يغض بصره عنها وان ينهى عن كشفها لان النهي عن المنكر واجب وعليه ذكر ذلك وليس عليه
القبول ولا يسقط عنه وجوب الذكر الا لخوف ضرب او شتم او ما يجري عليه بما هو حرام في نفسه فليس عليه
ان ينكر حراما بما يرهق المنكر عليه الى مباشرة حرام فاما قوله اعلم ان ذلك لا يفيد ولا يعمل به فهذا لا يكون عذرا بل
لا بد من الذكر فلا يخلو قلب عن تأثر بذكر المنكر واستشعار الاحتراز عند التعيير بالمعاصي وذلك يوجب
تقبيح الامر في عينه وينفر نفسه عنه فلا يجوز تركه ومثل هذا صار الحزم ترك دخول الحمام في هذه الاوقات
اذ لا يخلو عن عورات مكشوفة ولا سيما ما تحت السرة الى ما فوق العانة اذ الناس لا يعدونها عورة وقد الحقها
الشرع بالعورة وجعلها كالحريم لها ولهذا يستحب تخلية الحمام وقال بشر بن الحارث ما اعنف رجلا لا يملك
الا درهما دفعه ليخلي له الحمام **وروي** ان ابن عمر رؤي في الحمام ووجهه الى الحائط وقد عصب عينيه بعصابة
وقال بعضهم لا باس بدخول الحمام ولكن بازارين ازار للعورة وازار للراس يتقنع به ويحفظ عينيه واما
السنن فعشرة **الاول** النية وهو ان لا يدخل لعاجل دنيا ولا عابثا لاجل هوى بل يقصد به التنظف المحبوب
تزينا للصلاة ثم يعطي الحمامي الاجرة قبل الدخول فان ما يستوفيه مجهول وكذلك ما ينتظره فتسليم الاجرة
دفع للجهالة من احد العوضين وتطييب لنفسه ثم يقدم رجله اليسرى عند الدخول ويقول بسم الله الرحمن
الرحيم اعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم ثم يدخل وقت الخلوة او يتكلف تخلية
الحمام فانه وان لم يكن في الحمام الا اهل الدين والمحتاطون للعورات فالنظر الى الابدان مكشوفة فيه شائبة من
قلة الحيا وهو مذكر للنظر في العورات ثم لا يخلو الناس في الحركات عن كشف العورة بانعطاف في اطراف الازار
فيقع البصر على العورة من حيث لا يدري ولاجله عصب ابن عمر عينيه ويغسل الجناحين عند الدخول ولا
يعجل بدخول البيت الحار حتى يعرق في الاول وان لا يكثر صب الماء بل يقتصر على قدر الحاجة فانه الماذون فيه
لقرينة الحال والزيادة عليه لو علمه لكرهه لا سيما الماء الحار فله مؤنة وفيه تعب وان يتذكر حر النار بحرارة
الحمام ويقدر نفسه محبوسا في البيت الحار ساعة ويقيسه الى جهنم فانه اشبه بيت بجهنم النار من تحت
والظلام من فوق نعوذ بالله منه بل العاقل لا يغفل عن ذكر الآخرة في لحظة فانها مصيره ومستقره فيكون
له في كل ما يراه من ماء او نار او غيرهما عبرة وموعظة فان المرء ينظر بحسب همته فاذا دخل بزاز او نجار او
حائك دارا معمورة فاذا تفقدتهم رايت البزاز ينظر الى الفرش تاملا قيمتها والحائك ينظر الى الثياب ينظر

نعيمها والنجار الى السقف يتامل كيفية تركيبه والبناء الى الحيطان يتامل كيفية احكامها واستقامتها فكذلك
سالك طريق الاخرة لا يرى شيئا من الاشيا الا ويكون له موعظة فان المرء ينظر بحسب همته فاذا نظر الى
سواد تذكر ظلمة اللحد وان نظر الى حية تذكر افاعي جهنم وان نظر الى صورة قبيحة تذكر منكرا ونكيرا والزبانية
وان سمع صوتا هائلا يذكر نفخة الصور وان راى شيئا حسنا تذكر نعيم الجنة وان سمع كلمة رد او قبول في سوق
من الاسواق تذكر ما ينكشف في اخر امره يوم الحساب من الرد والقبول وما اجدر هذا ان يكون هو الغالب
على قلب العاقل اذ لا يصرفه عنه الا مهمات الدنيا فاذا نسب مدة المقام في الاخرة استحقرها ان لم يكن
ممن اغفل قلبه واعميت بصيرته ومن السنن ان لا يسلم عند الدخول وان سلم عليه لم يجب بلفظ السلام
بل يسكت ان اجاب غيره وان احب قال عافاك الله ولا باس بان يصافح الداخل ويقول عافاك الله ولا
يبدا بالكلام ثم لا يكثر الكلام في الحمام ولا يقرا القران الا سرا ولا باس باظهار الاستعاذة من الشيطان ويكره
دخول الحمام بين العشائين وقريبا من المغرب فان ذلك وقت انتشار الشياطين ولا باس بان يدلك
فقد نقل ذلك عن يوسف بن اسباط اوصى بان يغسله انسان لم يكن من اصحابه وقال انه دلكني مرة
في الحمام فاردت ان اكافيه بما يفرح به وانه ليفرح بذلك ويدل على جوازه ما نقل عن بعض الصحابة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قدم لمنزل في بعض اسفاره فنام على بطنه وعبد اسود يغمز ظهره فقلت ما هذا
يا رسول الله فقال ان الناقة تقحمت بي ثم مهما فرغ من الحمام شكر الله تعالى على هذه النعمة فقد قيل
الماء الحار في الشتا من النعيم الذي لا يسال عنه **وقال** ابن عمر الحمام من النعيم الذي احدثوه هذا
من جهة الشرع اما من جهة الطب فقد قيل الحمام بعد النورة امان من الجذام وقيل ان النورة في كل شهر مرة تطفي
المرارة وتنقي اللون وتزيد في الجماع وقيل بولة في الحمام واقفا في الشتا انفع من شربة دوا وغسل القدمين
بالماء البارد بعد الخروج من الحمام امان من النقرس ويكره صب الماء البارد على الراس عند الخروج وكذا شربه
هذا حكم الرجال **واما** النسا فقد قال صلى الله عليه وسلم لا يحل للرجل ان يدخل حليلته الحمام وفي البيت مستحم
والمشهور حرام على الرجال دخول الحمام الا بمئزر وحرام على المراة دخول الحمام الا نفسا او مريضة ودخلت عائشة
رضي الله عنها حماما من سقم بها فان دخلت لضرورة فلا تدخل الا بمئزر سابغ ويكره للرجل ان يعطيها اجرة الحمام
فيكون معينا لها على المكروه **النوع الثاني** ما يحدث من البدن من الاجزا وهي ثمانية الاول شعر الراس
ولا باس بحلقه لمن اراد التنظيف ولا بتركه لمن يدهنه ويرجله الا اذا تركه قزعا قطعا فهو داب اهل الشطارة
وارسال الذوائب على هيئة اهل الشرف حيث صار ذلك شعار العلم فانه اذا لم يكن شريفا كان ذلك تلبيسا **الثاني**
شعر الشارب وقد قال عليه السلام قصوا الشوارب وفي لفظ اخر جزوا الشوارب وفي لفظ اخر حفوا الشوارب
واعفوا اللحى اي اجعلوها حفاف الشفة اي حولها والحفاف حوله ومنه وترى الملائكة حافين من
حول العرش وفي لفظ اخر احفوا وهذا يشعر بالاستئصال وقوله حفوا يدل على ما دون ذلك قال الله تعالى
ان يسالكموها فيحفكم تبخلوا اي يستقصي عليكم **واما الحلق** فلم يرد والاحفاء القريب من الحلق نقل
عن الصحابة نظر بعضهم الى رجل احفى شاربه فقال ذكرتني اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال
المغيرة نظر الي النبي صلى الله عليه وسلم وقد طال شاربي فقال تعال فقصه لي على سواك ولا باس بترك
سباليه وهما طرفا الشارب فعل ذلك عمر رضي الله عنه وغيره لان ذلك لا يستر الفم ولا يبقى فيه غمر
الطعام اذ لا يصل اليه وقوله واعفوا اللحى اي كثروها وفي الخبر ان اليهود يعفون شواربهم ويقصون
لحاهم فخالفوهم وكره بعض العلما الحلق وراه بدعة **الثالث** شعر الابط ويستحب نتفه في كل اربعين يوما مرة

وذلك سهل على من تعود بالابتدا نتفه فاما من تعود الحلق فيكفيه الحلق اذ النتف تعذيب وايلام و
المقصود النظافة وان لا يجتمع الوسخ في خللها ويحصل ذلك بالحلق **الرابع** شعر العانة ويستحب ذلك
اما بالحلق او بالنورة ولا ينبغي ان يتاخر عنه اربعين يوما **الخامس** الاظفار وتقليمها مستحب لشناعة صورتها
اذا طالت ولما يجتمع فيها من الوسخ قال عليه السلام يا ابا هريرة قلم اظفارك فان الشيطان يقعد على ما طال
منها ولو كان تحت الظفر وسخ فلا يمنع ذلك صحة الوضو الا ما يمنع وصول الما فلا يتساهل فيه للحاجة
لا سيما في اظفار الرجل وفي الاوساخ التي تجتمع على البراجم وظهور الارجل والايدي من العرب واهل السواد
وكان عليه السلام يامرهم بالقلم وينكر ما يجتمع تحت اظفارهم من الاوساخ ولم يامرهم باعادة الصلوات ولو
امر لكان فيه فائدة اخرى وهو التغليظ والزجر عن ذلك ولم ار في الكتب خبرا مرويا في ترتيب قلم الاظفار و
لكن سمعت انه روي عنه عليه السلام بدا بمسبحة اليمنى وختم بابهام اليمنى وابتدا في اليسرى بالخنصر
وختم بالابهام ولما تاملت في هذا انقدح في من المعنى ما يدل على ان الرواية صحيحة اذ مثل هذا المعنى لا
ينكشف ابتدا الا بنور النبوة واما العالم ذو البصيرة فغايته ان يستنبطه من الفعل بعد نقل الفعل
اليه والذي لاح لي فيه والعلم عند الله سبحانه انه لا بد من قلم اظفار الرجل واليد واليد اشرف من الرجل فيبدا بها ثم
اليمنى اشرف من اليسرى ثم على اليمنى خمسة اصابع والمسبحة اشرفها اذ هي المشيرة في كلمتي الشهادة من جملة الاصابع
ثم بعدها ينبغي ان يبتدي بما على يمينها اذ الشرع يستحب ادارة الطهور وغيره على اليمين وان
وضعت ظهر اليد على الارض فالابهام هي اليمنى وان وضعت الكف فالوسطى هي اليمنى واليد اذا تركت
بطبعها كانت الكف مائلة الى جهة الارض اذ جهة حركة اليمنى الى اليسار يجعل ظهر الكف عاليا فما يقتضيه
الطبع اولى ثم اذا وضعت الكف على الكف صارت الاصابع في حكم حلقة دائرة فيقتضي ترتيب الدور
الذهاب من يمين المسبحة الى ان يعود الى المسبحة فيقع الابتدا بخنصر اليسرى والختم بابهامها ويبقى ابهام
اليمنى وانما قدرت الكف موضوعة على الكف حتى تصير الاصابع كاشخاص في حلقة ليظهر ترتيبها وتقدير
ذلك اولى من تقدير وضع الكف على ظهر الكف فان ذلك لا يقتضيه الطبع واما اصابع الرجل فالاولى
عندي ان لم يثبت فيه نقل ان يبتدا بخنصر اليمنى كما في التخليل فان المعاني التي ذكرناها لا تتجه هاهنا اذ لا
مسبحة في الرجل وهذه الاصابع في حكم صف واحد ثابت على الارض فيبتدا من جانب اليمين فان تقدير حلقة
بوضع الاخمص على الاخمص يأباه الطبع بخلاف اليدين وهذه الدقائق في الترتيب ينكشف بنور النبوة في
لحظة وانما يطول التعب علينا ثم اذا سئلنا ابتدا ربما لم يخطر لنا واذا ذكر لنا فعله عليه السلام وترتيبه
ربما تيسر لنا باعانته عليه السلام بشهادة الحكم وتنبيهه على المعنى استنباط المعنى ولا تظنن ان
افعاله عليه السلام في جميع حركاته كانت خارجة عن وزن وقانون وترتيب بل جميع الامور الاختيارية
التي يتردد فيها الفاعل بين قسمين او اقسام كان لا يتقدم على واحد معين بالاتفاق بل بمعنى يقتضي الاقدام
والتقديم فان الاسترسال مهملا كما يتفق سجية البهائم وضبط الحركات بموازين المعاني سجية اوليا
الله تعالى وكلما كانت حركات الانسان وخطراته الى الضبط اقرب وعن الاهمال وتركها سدى ابعد كانت
رتبته من رتبة الاوليا والانبيا اقرب وكان قربه من الله تعالى اقرب اذ القريب من النبي قريب من الله تعالى ولا بد ان
يكون قريبا فالقريب من القريب قريب بالاضافة الى غيره فنعوذ بالله تعالى ان يكون زمام حركاتنا وسكناتنا
في ناصية الشيطان بواسطة الهوى واعتبر في ضبط الحركات باكتحاله عليه السلام فانه كان يكتحل في
عينه اليمنى ثلاثا وفي اليسرى اثنين مبتديا باليمنى لشرفها وتفاوته بين العينين لتكون الجملة وترا

فلن للوتر فضلا على الزوج فان الله تعالى وتر يحب الوتر ولا ينبغي ان يخلو فعل العبد عن مناسبة لوصف
من اوصاف الرب عز وجل فلذلك استحب الايثار في الاستنجا وانما يقتصر على الثلاث وهي وتر لان اليسرى
لا يخصها الا واحدة والغالب الواحدة لا يستوعب اصول الاجفان بالكحل وانما خصص اليمنى لان التفضيل لا بد
منه في الايثار وان اليمنى افضل وهي بالزيادة احق فان قلت فاقتصاره على اثنين لليسرى وهو زوج فلذلك
ضرورة اذ لو جعل لكل واحدة وترا كان المجموع زوجا اذ الوتر مع الوتر زوج ورعاية الايثار في مجموع الفعل
وهذا في حكم الخصلة الواحدة احب من رعايته في الآحاد وذلك ايضا وجه وهو ان يكتحل في كل واحدة
ثلاثا على قياس الوضوء وقد نقل ذلك في الصحيح وهو الاولى ولو ذهبت استقصاء فائق ما راعاه عليه
السلام في حركاته لطال الامر فقس بما سمعته ما لم تسمعه واعلم ان العالم لا يكون وارثا للنبي صلى الله عليه
وسلم الا اذا اطلع على جميع معاني الشريعة حتى لا يكون بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم الا
درجة واحدة وهي درجة النبوة وهي الدرجة الفارقة بين الوارث والموروث اذ الموروث هو الذي
حصل المال له واستقل بتحصيله واقتدر عليه والوارث هو الذي لم يحصل ولم يقدر عليه ولكن انتقل
اليه وتلقاه منه بعد حصوله به فامثال هذه المعاني مع سهولة امرها بالاضافة الى الاغوار والاسرار
لا يستقل باستنباطها تلقيا بعد تنبيه الانبيا عليها الا العلما الذين هم ورثة الانبيا **السادس**
والسابع زيادة السرة وقلفة الحشفة اما السرة فتقطع اول الولادة ومخالفتهم بالتاخير الذي الى ان يثغر
الولد احب وابعد عن الخطر قال عليه السلام الختان سنة للرجال ومكرمة للنسا وينبغي ان لا يبالغ في
خفض المراة قال عليه السلام لام عطية وكانت تخفض اشمي ولا تنهكي فانه اسرى للوجه واحظى عند
الزوج اي اكثر لما الوجه ودمه واحسن في جماعها فانظر الى جزالة وجهه عليه السلام في الكناية والى
اشراق نور النبوة في مصالح الآخرة التي هي اهم مقاصد النبوة الى مصالح الدنيا حتى انكشف له وهو امي
في هذا الامر النازل قدره ما لو وقعت الغفلة عنه خيف ضرره فسبحان من ارسله رحمة للعالمين ليجمع لهم
بيمن بعثته مصالح الدنيا والدين صلى الله عليه وسلم كثيرا ابدا **الثامن** ما طال من اللحية وانما
اخرناها لنلحق بها ما في اللحية من السنن والبدع اذ هذا اقرب موضع يليق بذكرها وقد اختلفوا فيما طال
منها فقال ان قبض الرجل على لحيته واخذ ما تحت القبضة فلا باس فقد فعله ابن عمر وجماعة من التابعين ولم
يستحسنه الشعبي وابن سيرين وكرهه الحسن وقتادة وقالوا تركها عافية احسن لقوله عليه السلام
اعفوا اللحى والامر في هذا قريب اذا لم ينته الى تقصيص اللحية وتدويرها من الجوانب فان الطول المفرط
قد يشوه الخلقة ويطلق السنة المغتابين اليه فلا باس بالاحتراز عنه على هذه النية وقال النخعي عجبت
لرجل عاقل طويل اللحية كيف لا ياخذ من لحيته فيجعلها بين لحيتين فان التوسط في كل شي حسن ولذلك قيل
كلما طالت اللحية تشمر العقل **فصل** وفي اللحية عشر خصال مكروهة وبعضها اشد من بعض
وهي خضابها بالسواد وتبييضها بالكبريت ونتفها ونتف الشيب منها والنقصان منها والزيادة فيها وتسريحها
تصنعا لاجل الريا وتركها شعثة اظهارا للزهد والنظر الى سوادها عجبا بالشباب والى بياضها تكبرا بعلو
السن وخضابها بالحمرة والصفرة من غير نية تشبها بالصالحين **اما الاول** وهو الخضاب بالسواد فهو منهي
عنه لقوله عليه السلام خير شبابكم من تشبه بشيوخكم وشر شيوخكم من تشبه بشبابكم والمراد بالتشبه
بالشيوخ في الوقار لا في تبييض الشعر ونهى عليه السلام عن الخضاب بالسواد وقال صلى الله عليه وسلم
هو خضاب اهل النار وتزوج رجل على عهد **عمر** رضي الله عنه وكان يخضب بالسواد فنصل خضابه

وظهرت شيبته فرفعه اهل المراة الى عمر فرد نكاحه واوجعه ضربا وقال غررت القوم بالشباب ولبست عليهم
شيبتك ويقال اول من خضب بالسواد فرعون لعنه الله **وعن** ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال يكون في آخر الزمان قوم يخضبون بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة **الثاني** الخضاب
بالصفرة جائز تلبيسا للشيب على الكفار في الغزو والجهاد فان لم يكن هذه النية بل للتشبه باهل الدين فهو
مذموم وقد قال عليه السلام الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المؤمنين وكانوا يخضبون بالحنا
للحمرة وبالخلوق والكتم للصفرة وخضب بعض العلما بالسواد لاجل الغزو وذلك لا باس به اذا صحت النية ولم
يكن فيها هوى ولا شهوة **الثالث** تبييضها بالكبريت استعجالا لاظهار علو السن توصلا الى التوقير
وقبول الشهادة والتصديق بالرواية عن الشيوخ وترفعا على الشباب واظهارا لكثرة العلم ظنا بان
كثرة الايام تعطيه فضلا وهيهات فلا يزيد كبر السن للجاهل الا جهلا فالعلم ثمرة العقل وهي غريزة لا
يؤثر الشيب فيها ومن كانت غريزته الحمق فطول المدة يؤكد حماقته وقد كان الشيوخ يقدمون الشباب بالعلم
كان عمر يقدم ابن عباس وهو حديث السن على اكابر الصحابة ويسأله دونهم وقال ابن عباس ما آتى الله عبدا علما الا
شابا والخير كله في الشباب ثم تلا قوله تعالى قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم وقوله انهم فتية آمنوا بربهم
وقوله وآتيناه الحكم صبيا وكان انس يقول قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في لحيته وراسه عشرون
شعرة بيضا فقيل له يا ابا حمزة وقد اسن فقال ما شانه الله تعالى بالشيب فقيل او شين هو فقال كلكم يكرهه وقيل
ان يحيى بن اكثم ولي القضا وهو ابن احدى وعشرين سنة فقال له رجل في مجلسه يريد ان يخجله بصغر سنه كم سن
القاضي ايده الله فقال مثل سن عتاب بن اسيد حين ولاه امارة مكة وقضاها فافحمه **وروي** عن مالك
قال قرات في بعض الكتب لا تغرنكم اللحى فان التيس له لحية وقال ابو عمرو بن العلا اذا رايت الرجل طويل القامة صغير
الهامة عريض اللحية فاقض عليه بالحمق ولو كان امية بن عبد شمس قال ايوب السختياني ادركت الشيخ ابن ثمانين
سنة يتبع الغلام ليتعلم منه وقال علي بن الحسن من سبق اليه العلم قبلك فهو امامك فيه وان كان اصغر
سنا منك وقيل لابي عمرو بن العلا احسن من الشيخ ان يتعلم من الصغير فقال ان كان الجهل يقبح به فالتعلم
يحسن به وقال يحيى بن معين لابن حنبل وقد رآه يمشي خلف بغلة الشافعي يا ابا عبد الله تركت حديث سفيان
بعلوه وتمشي خلف بغلة هذا الفتى وتسمع منه فقال له احمد لو عرفت هذا لكنت تمشي من الجانب الآخر ان علم سفيان
فاتني بعلو ادركته بنزول وان عقل هذا الشاب ان فاتني لم ادركه لا بعلو ولا بنزول **الرابع** نتف بياضها
استنكافا من الشيب وقد نهى عنه عليه السلام عن نتف الشيب وقال هو نور المؤمن وهو في معنى الخضاب
بالسواد وعلة الكراهة هو ما سبق والشيب هو نور الله تعالى والرغبة عنه رغبة عن النور **الخامس**
نتفها او نتف بعضها بحكم العبث والهوس وذلك مكروه ومشوه للخلق ونتف الفنيكين بدعة وهما جانبا
العنفقة شهد عند عمر بن عبد العزيز رجل كان ينتف فنيكيه فرد شهادته ورد عمر وابن ابي ليلى قاضي المدينة شهادة
من كان ينتف لحيته واما نتفها في اول النبات تشبها بالمرد فمن المنكرات الكبار فان اللحية زينة الرجال
ولله تعالى ملائكة يقسمون والذي زين بني آدم باللحى وهي من تمام الخلق وبها يتميز الرجال من النسا وقيل في غريب
التاويل اللحية هي المراد بقوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء قال اصحاب الاحنف وددنا ان نشتري للاحنف
لحية بعشرين الفا وقال شريح القاضي وددت ان لي لحية بعشرة آلاف وكيف يكره اللحية وفيها تعظيم الرجال
والنظر اليه بعين العلم والوقار والرفع في المجالس واقبال الوجوه اليه والتقديم على الجماعة ووقاية العرض
فان من يشتم يعرض باللحية اذا كان للمشتوم لحية **وقيل** اهل الجنة مرد الا هارون اخا موسى عليهما السلام

فان اللحية الى بدء عنفصاله وتنقصاؤ السادس تصفيفها كالتفتة طاقة على طاقة للتزين للنساء والتصنع
قال كعب يكون في اخر الزمان اقوام يقصون لحاهم كذنب الحمامة ويعرقبون نعالهم كالمناجل اولئك لا خلاق لهم
السابع الزيادة فيها وهي الزيادة في شعر العارضين من الصدغ وهو من شعر الراس حتى يجاوز عظم اللحى وينتهي
الى نصف الخد وذلك يباين هيئة اهل الصلاح الثامن تسريحها لاجل الناس قال بشر الحافي في اللحية شركان
تسريحها لاجل الناس وتركها متفتلة لاظهار الزهد التاسع والعاشر النظر الى سوادها وبياضها بعين
العجب وذلك مذموم في جميع اجزاء البدن بل في جميع الاخلاق والافعال على ما سياتي بيانه فهذا ما اردنا ان
نذكره من انواع التزين والنظافة وقد حصلت من جملة الاحاديث من سنن الجسد اثنتا عشرة خصلة خمس منها في الراس وهي فرق
الشعر في الراس والمضمضة والاستنشاق والسواك وقص الشارب وثلاثة في اليد والرجل وهي القلم وغسل
البراجم وتنظيف الرواجب واربع في الجسد وهي نتف الابط والاستحداد والختان والاستنجاء بالماء فقد وردت
الاخبار بمجموع ذلك واذا كان غرض هذا الكتاب التعرض للطهارة الظاهرة دون الباطنة فلنقتصر على هذا
وليتحقق ان طهارة الباطن واوساخها التي يجب التطهير منها اكثر من ان تحصى وسياتي تفصيلها في ربع المهلكات
مع تعريف الطريق في ازالتها وتطهير القلب منها ان شاء الله تعالى تم كتاب اسرار الطهارة يتلوه في الجزء الرابع كتاب اسرار الصلوة

بسم الله الرحمن الرحيم وبه استعين كتاب

اسرار الصلوة ومهماتها وهو الرابع من احياء علوم الدين للغزالي الحمد لله الذي غمر العباد بلطائفه وعمر قلوبهم
بانوار الدين ووظائفه الذي جعل النزول عن عرش الجلال والكبريا بترغيب الخلق في السوال والدعا فقال هل من
داع فاستجيب له وهل من مستغفر فاغفر له وباين السلطان بفتح الباب ورفع الحجاب فرخص للعباد في المناجات
بالصلوات كيف ما تقلبت بهم الحالات في الجماعات والخلوات ولم يقتصر على الرخصة بل تلطف بالترغيب والدعوة
وغيره من ضعفاء الملوك لا يسمح بالخلوة الا بعد تقديم الهدية والرشوة فسبحانه ما اعظم شانه واقوى سلطانه
واتم لطفه واعم احسانه والصلاة على سيدنا محمد نبيه المصطفى ووليه المجتبى وعلى اله واصحابه مفاتيح الهدى
ومصابيح الدجا وسلم تسليما اما بعد فان الصلاة عماد الدين وعصام اليقين وسيدة القربات وغرة
الطاعات وقد استقصينا فن الفقه في بسيطه ووسيطه ووجيزه اصولها وفروعها صارفين جمام العناية
الى تفاريعها النادرة ووقائعها الشاذة ليكون خزانة للمفتي منها يستمد ومعولا اليه يفزع ويرجع ونحن
الان في هذا الكتاب مقتصرون على ما لابد منه للمريد من اعمالها الظاهرة واسرارها الباطنة وكاشفون من دقائق معانيها
الخفية في معاني الخشوع والاخلاص والنية ما لم تجر العادة بذكرها في الفقه ومرتبون الكتاب على سبعة ابواب
الباب الاول في فضائل الصلوات الباب الثاني في تفصيل الاعمال الظاهرة من الصلاة الباب الثالث في
تفصيل الاعمال الباطنة منها الباب الرابع في الامامة والقدوة الباب الخامس في اداء الجمعة وادابها الباب
السادس في مسائل متفرقة تعم بها البلوى الباب السابع في التطوعات الباب الاول في فضائل الصلوات والسجود
والجماعة والاذان وغيرها فضيلة الاذان قال صلى الله عليه وسلم ثلاثة يوم القيمة على كثيب من مسك اسود
لا يهولهم حساب ولا ينالهم فزع حتى يفرغ ما بين الناس رجل قرا القران ابتغاء وجه الله تعالى وام بقوم وهم به راضون
واذن في مسجد ودعا الى الله تعالى ورجل ابتلي بالرزق في الدنيا فلم يشغله ذلك عن عمل الاخرة وقال صلى الله عليه وسلم
لا يسمع صوت المؤذن جن ولا انس ولا شيء الا شهد له يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم فقولوا مثل ما يقول

والامامة الى الجماعة وتقدم بهم لهم امام بعد ذلك يومهم ثم بعد ذلك انه ربما يقدر عليها الثالثة
ان يراعي الامام اوقات الصلاة فيصليها في اوائلها ليدرك رضوان الله سبحانه ففضل اول الوقت على اخره
كفضل الاخرة على الدنيا هكذا روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الحديث ان العبد ليصلي الصلاة في
اخر وقتها ولم يفته ولما فاته من اول الوقت خير من الدنيا وما فيها ولا ينبغي ان يؤخر الصلاة لانتظار
كثرة الجمع بل عليهم المبادرة لحيازة فضيلة اول الوقت فهي افضل من كثرة الجماعة ومن تطويل السورة
وقد قيل كانوا اذا حضر اثنان في الجماعة لم ينتظروا الثالث واذا حضر اربعة في الجنازة لم ينتظروا الخامس
وقد تاخر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الفجر وكانوا في سفر وانما تاخر للطهارة فلم ينتظر وقدم
عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم حتى فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة فقام يقضيها فاشفقنا
من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم قد احسنتم هكذا فافعلوا وقد تاخر في صلاة الظهر فقدموا ابا بكر
حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم في الصلاة فقام الى جانبه وليس على الامام انتظار المؤذن وانما على
المؤذن انتظار الامام بالاقامة فاذا حضر فلا ينتظر غيره الرابعة ان يؤم مخلصا لله تعالى
ويؤدي امانة الله تعالى في طهارته وجميع شروط صلاته واما الاخلاص فبان لا ياخذ عليها اجرة فقد
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن ابي العاص الثقفي فقال واتخذ مؤذنا لا ياخذ على الاذان اجرا
والاذان طريق الى الصلاة فهو اولى بان لا يؤخذ عليها اجرة فان اخذ رزقا من المسجد وقد وقف على من
يقوم بامامته او من السلطان او من احاد الناس فلا يحكم بتحريمه ولكنه مكروه والكراهة في الفرائض
اشد منها في التراويح وتكون اجرة على مداومته على حضور الموضع ومراقبة مصالح المسجد في اقامة
الجماعة لا على نفس الصلاة واما الامانة فهي الطهارة باطنا عن الفسوق والكبائر والاصرار على الصغائر
فالمترشح للامامة ينبغي ان يحترز عن ذلك جهده فانه كالوفد والشفيع للقوم فينبغي ان يكون خير
القوم وكذا الطهارة ظاهرا عن الحدث والخبث فانه لا يطلع عليه سواه فان تذكر في اثناء صلاته حدثا
او خرج منه ريح فينبغي ان لا يستحيي بل ياخذ بيد من يقرب منه ويستخلفه فقد تذكر رسول الله
صلى الله عليه وسلم الجنابة في اثناء الصلاة فاستخلف واغتسل ثم رجع ودخل في الصلاة وقال
سفيان صل خلف كل بر وفاجر الا مدمن خمر او معلن بفسق او عاق لوالديه او صاحب بدعة او عبدا ابق
الخامس ان لا يكبر حتى تستوي الصفوف فيلتفت يمينا وشمالا فان راى خللا امر بالتسوية قيل كانوا
يتحاذون بالمناكب ويتضامون في الكعاب ولا يكبر حتى يفرغ المؤذن من الاقامة والمؤذن يؤخر الاذان عن
الاقامة بقدر استعداد الناس في الحجر ليتمهل المؤذن بين الاذان والاقامة بقدر ما يفرغ الاكل من طعامه
والمعتصر من اعتصاره وذلك لانه نهي عن مدافعة الاخبثين وامر بتقديم العشاء على العشاء طلبا لفراغ
القلب السادسة ان يرفع صوته بتكبيرة الاحرام وسائر التكبيرات ولا يرفع الماموم صوته الا بقدر
ما يسمع نفسه وينوي الامامة لينال الفضل فان لم ينو صحت صلاته وصلاة القوم اذا نووا الاقتداء
ونالوا فضل القدوة وهو لا ينال فضل الامامة وليؤخر الماموم تكبيره عن تكبيرة الامام فيبتدئ بعد فراغه
وظائف القراءة ثلاثة اولها ان يسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد ويجهر بالفاتحة والسورة
في جميع الصبح واولتي المغرب والعشاء وكذلك المنفرد ويجهر بقوله امين في الصلاة الجهرية وكذلك
الماموم ويقرن الماموم تامينه بتامين الامام معا لا تعقيبا ويجهر ببسم الله الرحمن الرحيم والاخبار
فيه متعارضة واختيار الشافعي الجهر الثانية ان يكون للامام في القيام ثلاث سكتات هكذا

رواه سمرة بن جندب وعمران بن حصين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولاهن إذا كبر وهي أطول منهن
مقدار ما يقرأ من خلفه فاتحة الكتاب وذلك وقت قراءته لدعاء الاستفتاح فإنه إن لم يسكت يفوتهم
الاستماع فيكون عليه ما نقص من صلاتهم فإن لم يقرؤوا الفاتحة في سكوته واشتغلوا بغيرها فذلك
عليهم لا عليه السكتة الثانية إذا فرغ من السورة قبل أن يركع وهو أخفها وذلك بقدر ما تنفصل
القراءة عن التكبير فقد نهي عن الوصل فيها ولا يقرأ المأموم وراء الإمام إلا الفاتحة فإن لم يسكت الإمام قرأ الفاتحة
معه والمقصر هو الإمام وإن لم يسمع المأموم في الجهرية لبعده أو كان في السرية فلا بأس بقراءة السورة
الثالث أن يقرأ في الصبح سورتين من المثاني ما دون المائة فإن الإطالة في قراءة الفجر والتغليس بها
سنة ولا يضره الخروج منها مع الإسفار ولا بأس بأن يقرأ في الثانية بأواخر السور نحو الثلاثين أو العشرين
إلى أن يختمها لأن ذلك لا يتكرر على الأسماع كثيرا فيكون أبلغ في الوعظ وأدعى إلى التفكر وإنما كره بعض
العلماء قراءة بعض السورة وقطعها وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ سورة يونس فلما انتهى إلى ذكر موسى
وفرعون قطع فركع وقد روي أنه صلى الله عليه وسلم قرأ في الفجر آية من البقرة وهي قوله قولوا آمنا بالله وما أنزل
إلينا الآية وفي الثانية ربنا آمنا بما أنزلت الآية وسمع بلالا يقرأ من ههنا وههنا فسأله عن ذلك فقال
أخلط الطيب بالطيب فقال أحسنت ويقرأ في الظهر بطوال المفصل إلى ثلاثين آية وفي العصر بنصف ذلك و
في المغرب بأواخر المفصل وآخر صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب قرأ فيها بسورة المرسلات
ما صلى بعدها حتى قبض صلى الله عليه وسلم وبالجملة فالتخفيف ولا سيما إذا كثر الجمع قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم في هذه الرخصة إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة وإذا
صلى لنفسه فليطول ما شاء وقد كان معاذ بن جبل يصلي بقوم العشاء فقرأ البقرة فخرج رجل من الصلاة وأتم لنفسه
فقالوا نافق الرجل فتشاكيا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فزجر رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا فقال
أفتان أنت اقرأ سورة سبح والسماء والطارق والشمس وضحاها **وظائف الأركان** ثلاثة أولها أن يخفف
الركوع والسجود فلا يزيد في التسبيحات على ثلاث فقد روي عن أنس أنه قال ما رأيت أخف صلاة من رسول
الله صلى الله عليه وسلم في تمام **نعم** وروي أيضا أن أنس بن مالك لما صلى خلف عمر بن عبد العزيز وكان أميرا
بالمدينة قال ما صليت وراء أحد أشبه بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الشاب قال وكنا نسبح
وراءه عشرا عشرا وروي مجملا أنهم قالوا كنا نسبح وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركوع والسجود عشرا
وذلك حسن ولكن الثلاث إذا كثر الجمع أحسن فأما إذا لم يحضر إلا المتجردون للدين فلا بأس بالعشر هذا وجه
الجمع بين الروايات وينبغي أن يقول الإمام عند رفع رأسه من الركوع سمع الله لمن حمده **الثانية**
المأموم ينبغي أن لا يساوق الإمام في الركوع والسجود بل يتأخر فلا يهوي للسجود إلا إذا وصلت جبهة الإمام
إلى المسجد هكذا كان اقتداء الصحابة برسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يهوي للركوع حتى يستوي الإمام راكعا
وقد قيل إن الناس يخرجون من الصلاة على ثلاثة أقسام طائفة بخمس وعشرين صلاة وهم الذين يكبرون
بعد ركوع الإمام وطائفة بصلاة واحدة وهم الذين يساوونه وطائفة على غير صلاة وهم الذين يسبقون
الإمام وقد اختلف في أن الإمام في الركوع هل ينتظر لحوق من دخل لينال فضل جماعتهم وإدراكهم لتلك الركعة
ولعل الأولى أن ذلك مع الإخلاص لا بأس به إذا لم يظهر تفاوت ظاهر للحاضرين فإن حقهم مرعي في ترك التطويل
عليهم **الثالث** لا يزيد في دعاء التشهد على مقدار التشهد حذرا من التطويل ولا يخص نفسه في الدعاء
بل يأتي بصيغة الجمع فيقول اللهم اغفر لنا ولا يقول اللهم اغفر لي فقد كره للإمام أن يخص نفسه ولا بأس أن

يستعيذ في تشهده بالكلمات الخمس المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول نعوذ بك من عذاب
جهنم وعذاب القبر ونعوذ بك من فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال وإذا أردت بقوم فتنة
فاقبضنا إليك غير مفتونين وقيل سمي مسيحا لأنه يمسح الأرض بطولها وقيل لأنه ممسوح العين أي مطموسها و
ظائف التحلل ثلاثة أولها أن ينوي بالتسليمتين السلام على القوم والملائكة **الثانية** أن يثبت
عقيب السلام كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر فيصلي النافلة في موضع آخر فإن كانت
خلفه نسوة لم يقم حتى ينصرفن وفي الخبر المشهور أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يقعد إلا قدر قوله اللهم
أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام **الثالثة** إذا وثب فينبغي أن يقبل بوجهه
على الناس ويكره للمأموم القيام قبل انفتال الإمام فقد روي عن طلحة والزبير أنهما صليا خلف إمام فلما سلم قالا
للإمام ما أحسن صلاتك وأتمها إلا شيئا واحدا أنك إذا سلمت لم تنفتل بوجهك ثم قالا للناس ما أحسن صلاتكم
إلا أنكم انصرفتم قبل انفتال إمامكم ثم ينصرف الإمام حيث شاء من يمينه وشماله واليمين أحب إلي وهذه و
ظائف الصلاة أما الصبح فيزيد فيه القنوت فيقول اللهم اهدنا ولا يقول اللهم اهدني ويؤمن المأموم فإذا
انتهى إلى قوله إنك تقضي ولا يقضى عليك فلا يليق التأمين وهو ثناء فيقرأ معه أو يقول بلى وأنا على ذلك
من الشاهدين أو صدقت وبررت وما يشبه ذلك وقد روي حديث في رفع اليدين في القنوت فإذا صح
الحديث استحب ذلك على خلاف الدعاء في آخر التشهد إذ لا يرفع بسببها اليدين بل التعويل على التوقيف و
بينهما فرق وهو أن لليد وظيفة في التشهد وهي الوضع على الفخذين على هيئة مخصوصة ولا وظيفة لهما
ههنا ولا يبعد أن يكون رفع اليدين هو وظيفة في القنوت فإنه لائق بالدعاء والله أعلم **الباب الخامس**
في فضل الجمعة وآدابها وسننها وشروطها **فضيلة** الجمعة اعلم أن هذا يوم عظم الله سبحانه وتعالى به
الإسلام وخص به المسلمين فقال الله تعالى إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله حرم تعالى الاشتغال
بجميع الأمور بكل صارف عن السعي إلى الجمعة وقال صلى الله عليه وسلم إن الله فرض عليكم الجمعة في يومي هذا في مقامي
هذا وقال صلى الله عليه وسلم من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع على قلبه وفي لفظ آخر فقد نبذ الإسلام
وراء ظهره واختلف رجل إلى ابن عباس يسأله عن رجل مات لم يشهد جمعة ولا جماعة فقال في النار فلم يزل يتردد
إليه شهرا يسأله عن ذلك وهو يقول في النار **وفي** الخبر أن أهل الكتابين أعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه
فصرفوا عنه وهدانا الله تعالى له وأخره لهذه الأمة وجعله عيدا لهم فهم أولى الناس به سبقا وأهل الكتابين
لهم تبعا وفي حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أتاني جبريل عليه السلام في كفه مرآة بيضاء وقال
هذه الجمعة يفرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولأمتك من بعدك قلت فما لنا فيها قال لكم فيها خير
ساعة من دعا فيها بخير هو له قسم إلا أعطاه الله تعالى إياه أو ليس له قسم ذخر الله له ما هو أعظم أو تعوذ من شر هو مكتوب
عليه إلا أعاذه الله من أعظم منه وهو سيد الأيام عندنا ونحن ندعوه في الآخرة يوم المزيد قلت ولم ذلك قال
إن ربك اتخذ في الجنة واديا أفيح من مسك أبيض فإذا كان يوم الجمعة نزل من عليين على كرسيه فيتجلى لهم
حتى ينظروا إلى وجهه الكريم وقال صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق الله
آدم عليه السلام وفيه أدخل الجنة وفيه أهبط إلى الأرض وفيه تاب عليه وفيه تقوم الساعة وهو عند
الله يوم المزيد وكذلك تسميه الملائكة في السماء وهو يوم النظر إلى الله عز وجل وفي كل يوم جمعة ستمائة ألف
عتيق من النار **وفي** حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا سلمت الجمعة سلمت الأيام وقال صلى الله
عليه وسلم إن الجحيم تسعر في كل يوم قبل استواء الشمس في كبد السماء فلا تصلوا في هذه الساعة إلا يوم الجمعة

فاما الصلاة فكلها وان جهنم لا تسعر فيها **وقال** كعب ان الله عز وجل فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان
ومن الايام الجمعة وقيل ان الطير والهوام تلقى بعضها بعضا يوم الجمعة فتقول سلام سلام يوم صالح **وقال** صلى الله
عليه وسلم من مات يوم الجمعة كتب الله له اجر شهيد ووقي فتنة القبر **بيان شروط** الجمعة اعلم انها تشارك
سائر الصلوات في الشروط وتتميز عنها بستة شروط **الاول** الوقت فلو وقعت تسليمة الامام في وقت العصر
فاتت الجمعة فعليه ان يتمها ظهرا والمسبوق اذا وقعت ركعته الاخيرة خارجة من الوقت ففيه خلاف **الثاني**
المكان فلا تصح في الصحاري والبوادي وبين الخيام بل لا بد من بقعة جامعة لابنية لا تنقل يجمع اربعين ممن تلزمهم
الجمعة والقرية فيه كالبلد ولا يشترط فيه حضور السلطان ولا اذنه ولكن الاحب استيذانه **الثالث**
العدد فلا تنعقد باقل من اربعين ذكورا مكلفين احرارا مقيمين لا يظعنون عنها شتاء ولا صيفا فان انفضوا حتى نقص العدد
اما في الخطبة او في الصلاة لم تصح الجمعة بل لا بد منهم من الاول الى الآخر **الرابع** الجماعة فلو صلى اربعون في قرية
او بلد متفرقين لم تصح جمعتهم لكن المسبوق اذا ادرك الركعة الثانية جاز له الانفراد بالركعة الثانية وان لم
يدرك ركوع الركعة الثانية اقتدى ونوى الظهر واذا سلم الامام يتم ظهرا اربعا **الخامسة** ان لا تكون
الجمعة مسبوقة باخرى في ذلك البلد فان تعذر اجتماعهم في جامع واحد جاز اجتماعهم في جامعين وثلاثة
بقدر الحاجة فان لم تكن حاجة فالصحيح الجمعة التي وقع فيها التحريم اولا واذا تحققت الحاجة فالافضل خلف
الافضل من الامامين فان تساويا فالمسجد الاقدم فان تساويا ففي الاقرب ولكثرة الناس ايضا فضل يراعى
السادس خطبتان وهما فريضة والقيام بهما والجلسة بينهما فريضة وفي الاولى اربع فرائض التحميد و
الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوصية بتقوى الله تعالى وقراءة آية من القرآن وكذا فرائض
الثانية اربع الا انه يجب فيها الدعاء بدل القراءة واستماع الخطبتين واجب من الاربعين واما السنن فاذا زالت الشمس
واذن المؤذن وجلس الامام على المنبر انقطعت الصلاة سوى التحية والكلام لا ينقطع الا بافتتاح الخطبة و
يسلم الخطيب على الناس اذا اقبل عليهم بوجهه ويردون عليه السلام فاذا فرغ المؤذن قام مقبلا على الناس
بوجهه لا يلتفت ويشغل يديه بقائم السيف او العنزة كيلا يعبث بهما او يضع احداهما على الاخرى ويخطب
خطبتين بينهما جلسة خفيفة ولا يستعمل غريب اللغة ولا يمطط وتكون الخطبة قصيرة بليغة جامعة
ويستحب ان يقرأ آية في الثانية ايضا ولا يسلم من دخل والخطيب يخطب فان سلم لم يستحق جوابا والاشارة بالجواب
حسن ولا يشمت العاطس ايضا هذه شروط الصحة **فاما** شروط الوجوب فلا تجب الجمعة الا على ذكر بالغ عاقل
مسلم حر مقيم في قرية تشتمل على اربعين جامعين لهذه الصفات او في قرية من سواد البلد يبلغهم نداء البلد
من طرف يليها والاصوات ساكنة والمؤذن رفيع الصوت لقوله تعالى اذا نودي للصلاة من يوم
الجمعة فاسعوا الى ذكر الله ويرخص لهم في ترك الجمعة لعذر المطر والوحل والفزع والمرض والتمريض اذا لم
يكن للمريض قيم غيره ثم يستحب لهم تأخير الظهر الى ان يفرغ الناس من الجمعة فان حضر مريض الجمعة او مسافر او عبد او امرأة
صحت جمعتهم واجزأت عن الظهر **بيان آداب الجمعة على ترتيب العادة** وهي عشر جمل الاول ان
يستعد لها يوم الخميس عزما عليها واستقبالا لفضلها فيشتغل بالدعاء والاستغفار والتسبيح بعد
العصر يوم الخميس لانها ساعة قوبلت بالساعة المبهمة في يوم الجمعة قال بعض السلف ان لله عز وجل
فضلا سوى ارزاق العباد لا يعطي من ذلك الفضل الا من سأله عشية يوم الخميس ويوم
الجمعة ويغسل في هذا اليوم ثيابه ويبيضها ويعد الطيب عنده ويفرغ قلبه من الاشغال التي تمنعه
من البكور الى الجمعة وينوي في هذه الليلة صوم يوم الجمعة فان له فضلا وليكن مضموما الى يوم الخميس او يوم

السبت لا مفردا فانه مكروه ويشتغل باحياء هذه الليلة بالصلاة وقراءة القرآن فلها فضل كبير وينسحب
عليها فضل يوم الجمعة فقد استقبل اليوم وحصل عليه قوله صلى الله عليه وسلم رحم الله من بكر وابتكر
وغسل واغتسل بجسده وهذا تمام آداب الاستقبال ويخرج عن زمرة الغافلين الذين اذا اصبحوا قالوا ما
هذا اليوم **قال** بعض السلف اوفر الناس نصيبا يوم الجمعة من انتظرها وراعاها من الامس واخسهم نصيبا
من اذا اصبح يقول ايش اليوم وكان بعضهم يبيت ليلة الجمعة في الجامع لاجلها **الثاني** اذا اصبح ابتدأ
بالغسل بعد طلوع الفجر وان كان لا يبكر فاقربه الى الرواح احب ليكون اقرب عهدا بالنظافة فالغسل مستحب
استحبابا مؤكدا وقد ذهب بعض العلماء الى وجوبه قال صلى الله عليه وسلم غسل الجمعة واجب على كل محتلم
والمشهور من كل حديث نافع عن ابن عمر من اتى الجمعة فليغتسل وقال صلى الله عليه وسلم من شهد الجمعة
من الرجال والنساء فليغتسل وكان اهل المدينة يتسابون بينهم فيقول لانت لا يغتسل يوم الجمعة وقال
عمر لعثمان لما دخل وهو يخطب اهذه الساعة منكرا عليه ترك البكور فقال ما زدت بعد ان سمعت الاذان
على ان توضأت وخرجت فقال والوضوء ايضا وقد علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمرنا بالغسل وقد
عرف جواز ترك الغسل بوضوء عثمان وبما روي انه صلى الله عليه وسلم قال من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت
ومن اغتسل فالغسل افضل ومن اغتسل من الجنابة فليفض الماء على بدنه مرة اخرى على نية غسل الجمعة فان
اكتفى بغسل واحد اجزأه وحصل له الفضل اذا نوى كليهما ودخل غسل الجمعة في غسل الجنابة وقد دخل
بعض الصحابة على ولده وهو يغتسل فقال للجمعة فقال بل من الجنابة فقال اعد غسلا ثانيا وروى الحديث
غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم وانما امره به لانه لم يكن نواه وكان لا يبعد ان يقال المقصود النظافة وقد
حصلت دون النية ولكن هذا ينتقض في الوضوء ايضا وقد جعل في الشرع قربة فلا بد من طلب فضلها ومن
اغتسل ثم احدث توضأ ولم يبطل غسله والاحب ان يحترز عن ذلك **الثالث** الزينة وهي مستحبة في هذا
اليوم وهي ثلاثة الكسوة والنظافة وتطييب الرائحة اما النظافة فبالسواك وحلق الشعر وقلم الظفر وقص
الشارب وسائر ما سبق في كتاب الطهارة قال ابن مسعود من قلم اظفاره يوم الجمعة اخرج الله تعالى منه
داء وادخل فيه شفاء فان كان قد دخل الحمام في الخميس او الاربعاء فقد حصل المقصود وليتطيب في هذا اليوم باطيب
طيب عنده ليغلب به الروائح الكريهة ويوصل بذلك الروح والرائحة الى مشام الحاضرين في جواره واحب طيب الرجال
ما ظهر ريحه وخفي لونه وطيب النساء ما خفي ريحه وظهر لونه روي ذلك في الاثر **وقال** الشافعي من نظف
ثوبه قل همه ومن طاب ريحه زاد عقله واما الكسوة فاحبها البياض من الثياب اذ احب الثياب الى الله
تعالى البيض ولا يلبس ما فيه شهرة ولبس السواد ليس من السنة ولا فيه فضل بل كره جماعة النظر اليه
لانه بدعة محدثة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم والعمامة مستحبة في هذا اليوم روى واثلة
ابن الاسقع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله وملائكته يصلون على اصحاب العمائم يوم الجمعة
فان اكربه الحر فلا بأس بنزعها قبل الصلاة وبعدها ولكن لا ينزعها في وقت السعي من المنزل الى الجمعة ولا في وقت
الصلاة وعند صعود الامام المنبر وفي خطبته **الرابع** البكور الى الجامع ويستحب ان يقصد الجامع من فرسخين
وثلاثة وليبكر ويدخل وقت البكور بطلوع الفجر وفضل البكور عظيم وينبغي ان يكون في سعيه الى الجمعة خاشعا
متواضعا ناويا للاعتكاف في المسجد الى الصلاة قاصدا للمبادرة الى اجابة نداء الله عز وجل اياه الى الجمعة والمسارعة
الى مغفرته ورضوانه **وقد** قال صلى الله عليه وسلم من راح الى الجمعة في الساعة الاولى فكانما قرب بدنة ومن
راح في الساعة الثانية فكانما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكانما قرب كبشا اقرن ومن راح في

الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة فإذا خرج الإمام طويت
الصحف ورفعت الأقلام واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الذكر فمن جاء بعد ذلك فإنما جاء لحق الصلاة
وليس له من الفضل شيء والساعة الأولى إلى طلوع الشمس والثانية إلى ارتفاعها والثالثة إلى انبساطها حتى
ترمض الأقدام والرابعة والخامسة بعد الضحى الأعلى إلى الزوال وفضلهما قليل ووقت الزوال حق الصلاة ولا
فضل فيه **وقال** صلى الله عليه وسلم ثلاث لو يعلم الناس ما فيهن لركضوا الإبل في طلبهن الأذان و
الصف الأول والغدو إلى الجمعة وقال أحمد بن حنبل أفضلهن الغدو إلى الجمعة **وفي الخبر** إذا كان يوم الجمعة
قعدت الملائكة على أبواب المسجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون الأول فالأول على مراتبهم
وجاء في الآثار أن الملائكة يتفقدون العبد إذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بعضا عنه ما
فعل فلان وما الذي أخره عن وقته فيقولون اللهم إن كان أخره فقر فأغنه وإن كان أخره مرض فاشفه وإن كان
أخره شغل ففرغه لعبادتك وإن كان أخره لهو فأقبل بقلبه إلى طاعتك وكان يرى في القرن الأول سحرا
وبعد الفجر الطرقات مملوءة من الناس يمشون في السرج ويزدحمون فيها إلى الجامع كأيام الأعياد حتى اندرس
ذلك فقيل أول بدعة حدثت في الإسلام ترك البكور إلى الجمعة وكيف لا يستحيي المسلمون من اليهود و
النصارى وهم يبكرون إلى البيع والكنائس يوم السبت والأحد وطلاب الدنيا كيف يبكرون إلى رحاب الجامع
إلى الأسواق للبيع فلم لا يسابقهم طالب الآخرة ويقال إن الناس يكونون في قربهم عند النظر إلى وجه الله تعالى
على قدر بكورهم إلى الجمعة **ودخل** ابن مسعود بكرة فرأى ثلاثة نفر قد سبقوه بالبكور فاغتم لذلك وجعل يقول
لنفسه معاتبا إياها رابع أربعة وما رابع أربعة ببعيد **الخامس** في هيئة الدخول ينبغي أن لا يتخطى الرقاب
ولا يمر بين أيديهم والبكور يسهل ذلك عليه فقد ورد وعيد شديد في تخطي الرقاب وهو أنه يجعل جسرا يوم القيامة
يتخطاه الناس **وروى** ابن جريج مرسلا أن النبي صلى الله عليه وسلم بينما هو يخطب يوم الجمعة إذ رأى رجلا
يتخطى رقاب الناس حتى تقدم فجلس فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم صلاته عارض الرجل حتى لقيه فقال
يا فلان ما منعك أن تجمع اليوم معنا قال يا نبي الله قد جمعت معكم فقال صلى الله عليه وسلم ألم أرك تتخطى رقاب
الناس أشار به إلى أنه أحبط عمله وفي حديث مسند أنه قال ما منعك أن تصلي معنا فقال أولم ترني فقال
صلى الله عليه وسلم رأيتك تأنيت وآذيت أي تأخرت عن البكور وآذيت الحضور ومهما كان الصف الأول متروكا
خاليا فله أن يتخطى رقاب الناس لأنهم ضيعوا حقهم وتركوا موضع الفضيلة **قال** الحسن
تخطوا رقاب الذين يقعدون على أبواب الجامع يوم الجمعة فإنه لا حرمة لهم وإذا لم يكن في المسجد إلا من يصلي فينبغي
أن لا يسلم فإنه تكليف جواب في غير محله **السادس** أن لا يمر بين يدي الناس ويجلس حيث هو إلى قرب أسطوانة أو
حائط حتى لا يمرون بين يديه أعني بين يدي المصلي فإن ذلك لا يقطع الصلاة ولكنه منهي عنه قال صلى الله
عليه وسلم لأن يقف أربعين خير له من أن يمر بين يدي المصلي وروي في حديث المار والمصلي حيث صلى
على الطريق أو قصر في الدفع فقال لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه في ذلك كان أن يقف أربعين خيرا
له من أن يمر بين يديه والأسطوانة والحائط والمصلى المفروش حد المصلي فمن اجتاز به فينبغي أن يدفعه
قال صلى الله عليه وسلم فليدفعه فإن أبى فليدفعه فإن أبى فليقاتله فإنه شيطان وكان أبو سعيد الخدري
يدفع من يمر بين يديه حتى يصرعه فربما تعلق به الرجل فاستعدى عليه فيخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره
بذلك فإن لم يجد أسطوانة فلينصب بين يديه شيئا طوله قدر ذراع ليكون ذلك علامة لحده **السابع**
أن يطلب الصف الأول فإن فضله كثير كما ذكرناه **وفي** الخبر من غسل واغتسل وبكر وابتكر ودنا من الإمام واستمع

كان له كفارة ما بين الجمعتين وزيادة ثلاثة أيام وفي لفظ آخر غفر له إلى الجمعة الأخرى وقد اشترط في بعضها
ولم يتخط رقاب الناس ولا يغفل عن الصف الأول عن ثلاثة أمور أولها أنه إن كان يرى بقرب الخطيب منكرا يعجز
عن تغييره من لبس حرير من الإمام أو غيره أو صلى في سلاح كثير ثقيل أو سلاح مذهب أو غير ذلك مما يجب
فيه الإنكار فالتأخر له أسلم وأجمع للهم فعل ذلك جماعة من العلماء طلبا للسلامة وقيل لبشر بن الحارث نراك
تبكر وتصلي في آخر الصفوف فقال إنما يراد قرب القلوب لا قرب الأجساد وأشار إلى أن ذلك أسلم لقلبه **ونظر**
سفيان الثوري إلى شعيب بن حرب عند المنبر يستمع إلى الخطبة من أبي جعفر فلما فرغ من الصلاة قال شغل قلبي
قربك من هذا هل أمنت أن تسمع كلاما يجب عليك إنكاره فلا تقوم به ثم ذكر ما أحدثوا من لبس السواد
فقال يا أبا عبد الله أليس في الخبر ادن واستمع فقال ويحك ذاك للخلفاء الراشدين المهديين فأما هؤلاء
فكلما بعدت عنهم ولم تنظر إليهم كان أقرب إلى الله عز وجل **وقال** سعيد بن عامر صليت إلى جنب
أبي الدرداء فجعل يتأخر في الصفوف حتى صرنا في آخر الصف فلما صلينا قلت له أليس يقال خير الصفوف أولها فقال
نعم إلا أن هذه الأمة مرحومة منظور إليها من بين الأمم وإن الله عز وجل إذا نظر إلى عبد في الصلاة غفر لمن
وراءه من الناس فإنما تأخرت رجاء أن يغفر لي بواحد منهم ينظر الله تعالى إليه **وروى** بعض الرواة
أنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ذلك فمن تأخر على هذه النية إيثارا وإظهارا لحسن الخلق فلا بأس وعند
هذا يقال الأعمال بالنيات **ثانيها** أنه إن لم تكن مقصورة عند الخطيب مقتطعة عن المسجد
للسلاطين فالصف الأول محبوب وإلا فقد كره بعض العلماء دخول المقصورة وكان الحسن وبكر المزني لا يصليان
في المقصورة ورأوا أنها قصرت على السلاطين وهي بدعة أحدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
في المساجد والمسجد مطلق لجميع الناس وقد اقتطع ذلك على خلافه وصلى أنس وعمران بن حصين في المقصورة
ولم يكرها لطلب القرب ولعل الكراهية تختص بحالة التخصيص والمنع فأما مجرد المقصورة إذا
لم يكن منع لا يوجب كراهة **ثالثها** أن المنبر يقطع بعض الصفوف وإنما الصف الأول هو الخارج بين
يدي المنبر وهو مستقيم لأنه متصل ولأن الجالس فيه يقابل الخطيب ويسمع ولا يبعد أن يقال الأقرب إلى
القبلة هو الصف الأول ولا يراعى هذا المعنى وتكره الصلاة في الأسواق والرحاب الخارجة عن المسجد
وكان بعض الصحابة يضرب الناس ويقيمهم من الرحاب **الثامن** أن يقطع الصلاة عند خروج
الإمام ويقطع الكلام أيضا ويشتغل بجواب المؤذن ثم باستماع الخطبة وقد جرت عادة بعض العوام أنه
يسجد عند قيام المؤذنين ولم يثبت له أصل في أثر ولا خبر لكنه إن وافق سجود تلاوة فلا بأس به
للدعاء لأنه وقت فاضل ولا يحكم بتحريم هذه السجدة فإنه لا سبب لتحريمه **وقد** روي عن علي وعثمان من
استمع فله أجران ومن لم يستمع وأنصت فله أجر ومن سمع ولغا فعليه وزران ومن لم يسمع ولغا فعليه وزر
وقال صلى الله عليه وسلم من قال لصاحبه والإمام يخطب أنصت أو مه فقد لغا ومن لغا والإمام يخطب
فلا جمعة له وهذا يدل على أن الإسكات ينبغي أن يكون بإشارة أو رمي حصاة لا بالنطق **وفي** حديث
أبي ذر أنه لما سأل أبيا والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب فقال متى أنزلت هذه السورة فأومأ إليه أن
اسكت فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له أبي اذهب فلا جمعة لك فشكاه أبو ذر إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال صدق أبي وإن كان بعيدا من الإمام فلا ينبغي أن يتكلم في العلم ولا غيره
بل يسكت لأن ذلك يتسلسل ويفضي إلى هينمة تنتهي إلى المستمعين ولا يجلس في حلقة من يتكلم فمن عجز
عن الاستماع بالبعد فلينصت فهو المستحب وإذا كانت تكره الصلاة في وقت خطبة الإمام فالكلام أولى

وقف على كره الصلاة في اربع ساعات بعد الفجر وبعد العصر ونصف النهار والصلاة والامام يخطب
التاسع ان يراعي في قدوة الجمعة ما ذكرناه في غيرها فاذا سمع قراءة الامام لم يقرأ سوى الفاتحة فاذا فرغ من
الجمعة قرأ الحمد لله سبع مرات قبل ان يتكلم وقل هو الله احد والمعوذتين سبعا سبعا فروي عن بعض الصحابة
ان من فعله عصم من الجمعة الى الجمعة وكان حرزا من الشيطان ويستحب ان يقول بعد صلاة الجمعة اللهم
يا غني يا حميد يا مبدئ يا معيد يا رحيم يا ودود اغنني بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك فيقال
من داوم على هذا الدعاء اغناه الله تعالى عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب ثم يصلي بعد الجمعة ست
ركعات فقد روي انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي بعد الجمعة ركعتين وروى ابو هريرة اربعا وروى علي وعبد الله
ستا والكل صحيح في احوال مختلفة والاكمل افضل **العاشر** ان يلازم المسجد حتى يصلي العصر فان وقف
فهو الافضل يقال من صلى العصر في الجامع كان له ثواب الحج ومن صلى المغرب فله ثواب عمرة فان لم يأمن التصنع
ودخول الآفة عليه من نظر الخلق الى اعتكافه او خاف الخوض فيما لا يعنيه فالافضل ان يرجع الى بيته ذاكرا
لله تعالى متفكرا في آلائه شاكرا على توفيقه خائفا من تقصيره مراقبا لقلبه ولسانه الى غروب الشمس كيلا تفوته
الساعة الشريفة ولا ينبغي ان يتكلم في الجامع وغيره من المساجد بحديث الدنيا قال صلى الله عليه وسلم
يأتي على الناس زمان يكون حديثهم في مساجدهم امر دنياهم ليس لله تعالى فيهم حاجة فلا تجالسوهم **بيان**
الآداب والسنن الخارجة عن الترتيب السابق الذي يعم جميع النهار وهي سبعة **الاول** ان يحضر مجالس
العلم بكرة او بعد الصلاة او بعد العصر ولا يحضر مجالس القصاص فلا خير في كلامهم ولا ينبغي ان يخلو المريد
في جميع يوم الجمعة عن الخيرات والدعوات حتى توافيه الساعة الشريفة وهو في خير ولا ينبغي ان يحلق الحلق
قبل الصلاة **وروي** عبد الله بن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن التحلق يوم الجمعة قبل الصلاة الا ان
يكون عالما بالله يذكر بايام الله تعالى ويفقه في دين الله تعالى يتكلم في الجامع بالغداة فيجلس اليه جامعا
بين البكور وبين الاستماع والعلم النافع افضل من الاشتغال بالنوافل فقد روي ابو ذر ان حضور مجلس علم افضل
من صلاة الف ركعة قال انس بن مالك في قوله عز وجل فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا
من فضل الله اما انه ليس بطلب دنيا ولكن عيادة مريض او شهود جنازة وتعلم علم وزيارة اخ في الله عز وجل
وقد سمى الله عز وجل العلم فضلا في مواضع قال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما
وقال تعالى ولقد آتينا داود منا فضلا يعني العلم فتعلم العلم في هذا اليوم وتعليمه من افضل القربات والصلاة
افضل من مجالس القصاص اذ كانوا يرونه بدعة ويخرجون القصاص من الجامع حضر ابن عمر الى مجلسه في المسجد
فاذا قاص يقص في موضعه فقال قم عن مجلسي فقال لا اقوم وقد جلست وسبقتك اليه فارسل ابن عمر
الى صاحب الشرطة ولو كان ذلك في السنة لما اقامه فقد قال صلى الله عليه وسلم لا يقيمن احدكم اخاه من
مجلسه ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا وكان ابن عمر اذا قام له الرجل من مجلسه لم يجلس فيه حتى يعود اليه وروي
ان قاصا كان يجلس بفناء حجرة عائشة رضي الله عنها فارسلت الى ابن عمر ان هذا قد آذاني بقصصه وشغلني عن
سبحتي فضربه ابن عمر حتى كسر عصاه على ظهره ثم طرده **الثاني** ان يكون حسن المراقبة للساعة الشريفة ففي الخبر
المشهور ان في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله عز وجل فيها شيئا الا اعطاه وفي حديث آخر لا
يصادفها عبد يصلي واختلف فيها فقيل انها عند طلوع الشمس وقيل عند الزوال وقيل مع الاذان وقيل اذا
صعد الخطيب المنبر واخذ في الخطبة وقيل اذا قام الناس الى الصلاة وقيل آخر وقت العصر اعني وقت
الاختيار وقيل قبل غروب الشمس وكانت فاطمة رضي الله عنها تراعي ذلك الوقت وتأمر خادمها ان ينظر الى الشمس

فتؤذنها بسقوطها فتأخذ في الدعاء والاستغفار الى ان تغرب وتخبر بان تلك الساعة هي المنتظرة
وتؤثره عن ابيها صلى الله عليه وسلم وقال بعض العلماء هي مبهمة في جميع اليوم مثل ليلة القدر حتى
تتوفر الدواعي على مراقبتها وقد قيل انها تنتقل في ساعات يوم الجمعة كتنقل ليلة القدر وهذا هو
الاشبه وله سر لا يليق بعلم المعاملة ذكره ولكن ينبغي ان يصدق بما قاله صلى الله عليه وسلم ان لربكم في ايام
دهركم نفحات الا فتعرضوا لها ويوم الجمعة من جملة تلك الايام فينبغي ان يكون العبد في جميع نهاره متعرضا
لها باحضار القلب في ملازمة الذكر والنزوع عن وساوس الدنيا فعساه يحظى بشيء من تلك النفحات
وقد قال كعب الاحبار انها في آخر ساعة وقد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا يوافقها عبد يصلي
وليس حين صلاة فقال كعب الم يقل صلى الله عليه وسلم من قعد ينتظر الصلاة فهو في صلاة قال بلى قال
فذلك الصلاة فسكت ابو هريرة وكان كعب مائلا الى انها رحمة من الله سبحانه للقائمين بحق اليوم وعند
الفراغ من تمام العمل وبالجملة هذا وقت شريف مع وقت صعود الخطيب المنبر فليكثر الدعاء فيهما **الثالث**
يستحب ان يكثر الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا اليوم فقد قال صلى الله عليه وسلم من صلى
علي في يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة قيل يا رسول الله كيف الصلاة عليك قال
تقول اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي وتعقد واحدة وان قلت اللهم
صل على محمد وعلى آل محمد صلاة تكون لك رضا ولحقه اداء واعطه الوسيلة والفضيلة والمقام المحمود الذي
وعدته واجزه عنا ما هو اهله واجزه عنا افضل نبيا عن امته وصل على جميع اخوانه من النبيين والصالحين
يا ارحم الراحمين تقول هذا سبع مرات فقد قيل من قالها في سبع جمع سبع مرات وجبت له شفاعته يوم
القيامة وان اراد ان يزيد اتى بالصلاة المأثورة فقال اللهم اجعل افضل صلواتك ونامي بركاتك و
شرائف زكواتك ورأفتك ورحمتك وتحيتك على محمد سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين
ورسول رب العالمين قائد الخير وفاتح البر ونبي الرحمة وسيد الامة اللهم ابعثه مقاما محمودا تزلف به
قربه وتقر به عينه يغبطه به الاولون والآخرون اللهم اعطه الفضل والفضيلة والشرف والوسيلة
والدرجة الرفيعة والمنزلة الشامخة المنيفة اللهم اعط محمدا سؤله وبلغه مأموله واجعله اول
شافع واول مشفع اللهم عظم برهانه وثقل ميزانه وابلج حجته وارفع في اعلى المقربين درجته اللهم
احشرنا في زمرته واجعلنا من اهل شفاعته واحينا على سنته وتوفنا على ملته واوردنا حوضه واسقنا
بكأسه غير خزايا ولا نادمين ولا شاكين ولا مبدلين ولا فاتنين ولا مفتونين آمين يا رب العالمين وعلى
الجملة كل ما اتى به من الفاظ في الصلاة ولو بالتشهد كان مصليا وينبغي ان يضيف الاستغفار فان
ذلك ايضا مستحب في هذا اليوم **الرابع** قراءة القرآن فليكثر منه وليقرأ سورة الكهف خاصة فقد روى
ابن عباس وابو هريرة من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة او يوم الجمعة اعطي نورا من حيث يقرؤها الى مكة وغفر له
الى الجمعة الاخرى وفضل ثلاثة ايام وصلى عليه سبعون الف ملك حتى يصبح وعوفي من الداء والدبيلة وذات
الجنب والبرص والجذام وفتنة الدجال ويستحب ان يختم القرآن في يوم الجمعة وليلتها ان قدر وليكن
ختمه القرآن في ركعتي الفجر ان قرأ بالليل او في ركعتي المغرب او بين الاذان والاقامة للجمعة فله فضل
عظيم وكان العابدون يستحبون ان يقرأوا يوم الجمعة قل هو الله احد الف مرة ويقال ان من قرأها
في عشر ركعات او عشرين فهو افضل من ختمة وكانوا يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم الف مرة ويقولون
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر الف مرة وان قرأ المسبعات الست في يوم الجمعة او ليلتها

فحسن وليس يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقرأ سورا باعيانها الا في يوم الجمعة وان لم يقدر
فليكن ختمه القرآن في ركعتي الفجر ان قرأ بالليل او في ركعتي المغرب وبين الاذان والاقامة للجمعة فله فضل
وكان العابدون يستحبون ان يقرأوا يوم الجمعة قل هو الله احد الف مرة ويقال ان من قرأها في عشر ركعات
او عشرين فهو افضل من ختمه وكانوا يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم الف مرة ويقولون سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر الف مرة وان قرأ المسبحات الستة في يوم الجمعة او ليلتها فحسن وليس يروى عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه كان يقرأ في صلاة المغرب ليلة الجمعة وسورة المنافقون وروي انه صلى الله عليه وسلم
كان يقرأ بهما في ركعتي الجمعة وكان يقرأ في الصبح يوم الجمعة بسورة سجدة لقمان وسورة هل اتى على الانسان

الخامس الصلوات يستحب اذا دخل الجامع ان لا يجلس حتى يصلي اربع ركعات يقرأ فيهن قل هو الله احد
في كل ركعة خمسين مرة فقد نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من فعله لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة
او يرى له ولا يدع ركعتي التحية وان كان الامام يخطب ولكن يخفف امر صلى الله عليه وسلم بذلك وفي حديث
غريب انه سكت للداخل حتى فرغ فقال الكوفيون ان سكت له الامام صلاها ويستحب ان يصلي يوم الجمعة اربع
ركعات باربع سور الانعام والكهف وطه ويس فان لم يحسن قرأ يس وسجدة لقمان وسورة الدخان
وسورة الملك ولا يدع قراءة هذه الاربع سور في ليلة الجمعة ففيها فضل كثير ومن لا يحسن القرآن
قرأ ما يحسن فهو بمنزلة ختمه ويكثر من قراءة سورة الاخلاص ويستحب ان يصلي صلاة التسبيح كما سيأتي
في التطوعات لانه صلى الله عليه وسلم قال للعباس صلها في كل جمعة وكان ابن عباس لا يدع هذه الصلاة يوم الجمعة
بعد الزوال وكان يخبر عن جلالة فضلها والاحسن ان يجعل وقته الى الزوال للصلاة وبعد الجمعة الى
العصر لاستماع العلم وبعده الى المغرب للتسبيح والاستغفار **السادس** الصدقة تستحب في هذا
اليوم خاصة فانها تضاعف الا على من سأل والامام يخطب وكان يتكلم في كلام الامام فهذا مكروه وقال صالح
ابن احمد سأل مسكين يوم الجمعة والامام يخطب وكان الى جنب ابي فاعطى رجل قطعة لابي ليناولها اياها
فلم ياخذها منه ابي وقال ابن مسعود اذا سأل الرجل في المسجد فقد استحق ان لا يعطى واذا سأل على
القرآن فلا تعطوه ومن العلماء من كره الصدقة على السؤال في الجامع الذين يتخطون رقاب الناس الا ان يسأل
قائما او قاعدا في مكان من غير تخط وقال كعب الاحبار من شهد الجمعة ثم انصرف فتصدق بشيئين مختلفين
من الصدقة ثم رجع فركع ركعتين يتم ركوعهما وخشوعهما ثم يقول الحمد لله اللهم اني اسألك باسمك
بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الذي لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم لم يسأل الله عز وجل
شيئا الا اعطاه وقال بعض السلف من اطعم مسكينا يوم الجمعة ثم غدا وابتكر ولم يؤذ احدا ثم قال حين
سلم الامام بسم الله الرحمن الرحيم الحي القيوم اسألك ان تغفر لي وترحمني وان تعافيني من النار ثم دعا
بما بدا له **السابع** ان يجعل يوم الجمعة للآخرة فيكف فيه عن جميع اشغال الدنيا ويكثر فيه الاوراد ولا
يبتدئ فيه السفر فقد روي انه من سافر ليلة الجمعة دعا عليه ملكاه وهو بعد طلوع الفجر حرام الا اذا كانت
الرفقة تفوت وكره بعض السلف شراء الماء في المسجد فان البيع والشراء مكروه وقالوا لا بأس لو اعطى القطعة
خارج المسجد ثم يشرب او يسبل في المسجد وبالجملة ينبغي ان يزيد في الجمعة في اوراده وانواع خيراته
فان الله تعالى اذا احب عبدا استعمله في الاوقات الفاضلة بفواضل الاعمال واذا مقته استعمله في الاوقات
الفاضلة بسيئ الاعمال ليكون اوجع في عقابه واشد لمقته لحرمانه بركة الوقت وانتهاكه حرمة الوقت ويستحب
في الجمعة دعوات وسيأتي ذلك في كتاب الدعوات **بيان الباب السادس في مسائل متفرقة**

تعم البلوى بها ويحتاج المريد الى معرفتها فاما المسائل التي تقع نادرة فقد استقصيناها في كتب الفقه

مسئلة الفعل القليل وان كان لا يبطل الصلاة فهو مكروه الا لحاجة وذلك في دفع المار وقتل
العقرب الذي يخاف منه ويمكن قتله بضربة او ضربتين فاذا صارت كثرة بطلت الصلاة وكذلك
القملة والبرغوث مهما تأذى بهما كان له دفعهما وكذا حاجته الى الحك الذي يشوش عليه الخشوع
وكان معاذ يأخذ القملة والبرغوث في الصلاة وابن عمر يقتل القملة في الصلاة حتى يظهر الدم على
يده وقال النخعي يأخذها ويوهمها ولا شيء عليه ان قتلها وقال ابن المسيب يأخذها فيخدرها
ثم يطرحها وقال مجاهد الاحب الي ان يدعها الا ان تؤذيه فتشغله عن صلاته فيوهنها قدرا لا تؤذي
ثم يلقيها وهي رخصة والا فالكمال الاحتراز عن الفعل وان قل ولذلك كان بعضهم لا يطرد الذباب
ويقول لا اعود نفسي ذلك فيفسد علي صلاتي وقد سمعت ان الفساق يصبرون بين يدي الملوك
على اذى كثير ولا يتحركون ومهما تثاءب فلا بأس ان يضع يده على فيه وهو الاولى وان عطس حمد الله تعالى
في نفسه ولم يحرك لسانه فان تجشأ فينبغي ان لا يرفع رأسه الى السماء وان سقط رداؤه فلا ينبغي ان
يسويه وكذا طرف عمامته فكل ذلك مكروه الا لضرورة

مسئلة الصلاة في النعلين جائزة وان
كان نزع النعلين سهلا وليست الرخصة في الخف لعسر النزع بل هذه النجاسة معفو عنها وفي معنى
هذا المداس صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نعليه ثم نزع فنزع الناس نعالهم فقال لم خلعتم نعالكم
وهذه مبالغة فانه صلى الله عليه وسلم سألهم لم نزعوا بسبب خلعه اذ علم انهم خلعوا على موافقته **وقد**
روى عبد الله بن السائب ان النبي صلى الله عليه وسلم خلع نعليه فاذا فعل كلاهما فمن خلع فينبغي ان
لا يضعهما عن يمينه ويساره فيضيق الموضع ويقطع الصف بل يضعهما بين يديه ولا يتركهما وراءه فيكون قلبه
ملتفتا اليهما **وروى** ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا صلى احدكم فليجعل نعليه
بين رجليه وقال ابو هريرة لغيره اجعلهما بين رجليك ولا تؤذ بهما مسلما ووضعه رسول الله صلى الله
عليه وسلم على يساره وكان اماما فللامام ان يفعل ذلك اذ لا يقف احد على يساره والاولى ان لا
يضعهما بين قدميه ولكن قدام قدميه ولعله المراد بالحديث وقد قال جبير بن مطعم وضع الرجل نعليه
بين قدميه بدعة

مسئلة اذا بصق في صلاته لم تبطل صلاته لانه فعل قليل وما يحصل به صوت
لا يعد كلاما وليس على شكل حروف الكلام الا انه مكروه فينبغي ان يحترز عنه الا كما اذن رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيه اذ روى بعض الصحابة انه صلى الله عليه وسلم رأى في القبلة نخامة فغضب غضبا شديدا
ثم حكها بعرجون كان في يده وقال ائتوني بعبير فلطخ اثرها بزعفران ثم التفت الينا فقال ايكم يحب ان يبصق
في وجهه فقلنا لا احد قال فان احدكم اذا دخل في صلاته فان الله بينه وبين القبلة وفي لفظ آخر واجهه
الله عز وجل فلا يبصقن في ثوبه وليقل به هكذا ودلك بعضه ببعض

مسئلة لوقوف المقتدي سنة و
فرض اما السنة فان يقف الواحد عن يمين الامام ويتأخر عنه قليلا والمرأة الواحدة تقف خلف الامام فان
وقفت بجنب الامام لم يضر ولكن خالفت السنة فان كان معها رجل يقف الرجل عن اليمين وهي خلف الرجل
ولا يقف احد خلف الصف منفردا بل يدخل في الصف او يجر الى نفسه واحدا من الصف فان وقف منفردا
صحت صلاته مع الكراهة واما الفرض فاتصال الصف وهو ان يكون بين الامام والمقتدي رابطة جامعة فانهما
في جماعة فان كانا في مسجد كفى ذلك جامعا لانه بني له فلا يحتاج الى اتصال الصف بل الى ان يعرف افعال
الامام صلى ابو هريرة على ظهر المسجد بصلاة الامام واذا كان المسجد على فناء الامام في طريق او صحراء مشتركة

وليس بينهما اختلاف بما يفرق فيكفي القرب بقدر غلوة بينهم وفي رابطة اذ يتصل فعل احدهما بالآخر
وانما يشترط اذا وقف في صحن دار على صحن المسجد او بنائه وبينهما باب لاصق بالمسجد فالشرط ان يمتد صف
المسجد في دهليزها من غير انقطاع الى الصحن ثم تصح صلاة من في ذلك الصف ومن خلفه دون من
تقدم عليه وهذا حكم الابنية المختلفة فاما البناء الواحد او العرصة الواحدة فكالصحراء **مسئلة**
المسبوق اذا ادرك آخر صلاة الامام فهو اول صلاته فليوافق الامام وليبن عليه وليقنت في الصبح في
آخر صلاة نفسه وان قنت مع الامام وان ادرك مع الامام بعض القيام فلا يشتغل بالدعاء وليبدأ بالفاتحة
وليخففها فان ركع الامام قبل تمامها وقدر على لحوقه في اعتداله من الركوع فليتم وان عجز وافق الامام
وركع وكان لبعض الفاتحة حكم جميعها فتسقط عنه بالسبق وان ركع الامام وهو في السورة فليقطعها

الباب السابع

في النوافل من الصلوات اعلم ان ما عدا الفرائض من الصلوات تنقسم الى ثلاثة اقسام سنن
ومستحبات وتطوعات ونعني بالسنن ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المواظبة عليه كالرواتب
عقيب الصلوات وصلاة الضحى والوتر والتهجد وغيرها لان السنة عبارة عن الطريقة المسلوكة ونعني
بالمستحبات ما ورد الخبر بفضله ولم ينقل المواظبة عليه كما سننقله في صلاة الايام والليالي في الاسبوع
وكالصلاة عند الخروج من المنزل والدخول فيه وامثاله ونعني بالتطوعات ما وراء ذلك مما لم يرد في عينه
اثر ولكنه تطوع به العبد من حيث رغب في مناجاة الله تعالى بالصلاة التي ورد الشرع بفضلها مطلقا
فكانه متبرع بها اذ لم يندب الى تلك الصلاة بعينها وان ندب الى الصلاة مطلقا والتطوع عبارة عن
التبرع وسمي الاقسام الثلاثة نوافل من حيث ان النفل هو الزيادة وجملتها زائدة على الفرائض فلفظ
النافلة والسنة والمستحب والتطوع اردنا الاصطلاح عليه لتعريف هذه المقاصد ولا حرج على من يغير
هذا الاصطلاح فلا مشاحة في الالفاظ بعد فهم المقاصد وكل قسم من هذه الاقسام تتفاوت درجاته
في الفضل بحسب ما ورد فيه من الاخبار والآثار المعرفة لفضله وبحسب طول مواظبة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وبحسب صحة الاخبار الواردة فيه واشتهارها ولذلك نقول سنن الجماعات صلاة العيد
افضل من سنن الانفراد وافضل سنن الجماعة صلاة العيدين ثم الكسوف ثم الاستسقاء وافضل سنن الانفراد
الوتر ثم ركعتا الفجر ثم ما بعدهما من الرواتب على تفاوتها واعلم ان النوافل باعتبار الاضافة الى متعلقاتها
تنقسم الى ما يتعلق باسباب كالكسوف والاستسقاء والى ما يتعلق بالاوقات والمتعلق بالاوقات ينقسم الى ما يتكرر بتكرر
اليوم والليلة وبتكرر الاسبوع او بتكرر السنة فالجملة اربعة اقسام **القسم الاول** ما يتكرر بتكرر الايام
والليالي وهي ثمان خمس هي رواتب الصلوات الخمس وثلاث وراءها وهي صلاة الضحى واحياء ما بين
العشائين والتهجد **الاول** راتبة الصبح وهي ركعتان قال صلى الله عليه وسلم ركعتا الفجر خير من
الدنيا وما فيها ويدخل وقتها بطلوع الفجر الصادق وهو المستطير دون المستطيل وادراك ذلك بالمشاهدة
عسير في اوله الا ان يتعلم منازل القمر او يعلم اقتران طلوعه بالكواكب الظاهرة للبصر فيستدل بالكواكب
عليه ويعرف بالقمر في ليلتين من الشهر فان القمر يطلع مع الفجر ليلة ست وعشرين ويطلع الصبح مع غروب
القمر ليلة اثنتي عشرة من الشهر هذا هو الغالب ويتطرق اليه تفاوت في بعض البروج وشرح ذلك يطول وتعلم
منازل القمر من المهمات للمريد حتى يطلع به على مقادير الاوقات بالليل وعلى الصبح وتفوت ركعتا الفجر بفوات
وقت فريضة الصبح وهو طلوع الشمس ولكن السنة اداؤها قبل الفرض فان دخل المسجد وقد قامت الصلاة
فليشتغل بالمكتوبة فانه صلى الله عليه وسلم قال اذا اقيمت الصلاة فلا صلاة الا المكتوبة ثم اذا فرغ من المكتوبة

قام اليها وصلاها والصحيح انهما اذا وقعتا قبل طلوع الشمس لانهما تابعتان للفرض في وقته وانما الترتيب
بينهما سنة في التقديم والتأخير اذا لم يصادف جماعة فاذا صادفها انقلب الترتيب وبقي اداء المستحب
ان يصليها في المنزل ويخففها ثم يدخل المسجد ويصلي ركعتين التحية ثم يجلس ولا يصلي الى ان يصلي المكتوبة
وفيما بين الصبح الى طلوع الشمس المستحب فيها الذكر والفكر والاقتصار على ركعتي الفجر والفريضة
الثاني راتبة الظهر وهي ست ركعات ركعتان بعدها وهي سنة مؤكدة واربعة قبلها وهي سنة مؤكدة
وان كان دون الركعتين الاخيرتين روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى اربع ركعات
بعد زوال الشمس يحسن قراءتهن وركوعهن وسجودهن صلى معه سبعون الف ملك يستغفرون له حتى
الليل وكان صلى الله عليه وسلم لا يدعهن بعد الزوال يطيلهن ويقول ان ابواب السماء تفتح في هذه الساعة
فاحب ان يرفع لي فيها عمل رواه ابو داود وانفرد به ودل عليه ايضا ما روت ام حبيبة زوج النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال من صلى في يوم اثنتي عشرة ركعة غير المكتوبة بني له بيت في الجنة ركعتين قبل الفجر
واربعا قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين قبل العصر وركعتين بعد المغرب **وقال** ابن عمر حفظت
من رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل يوم عشر ركعات فذكر ما ذكرته ام حبيبة الا ركعتي الفجر فانه قال تلك ساعة
لم يكن يدخل فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن حدثتني اختي حفصة انه صلى الله عليه وسلم كان
يصلي ركعتين في بيته ثم يخرج وقال في حديثه ركعتين قبل الظهر وركعتين بعد العشاء فصارت
الركعتان قبل الظهر آكد من جملة الاربع ويدخل وقت ذلك بالزوال والزوال يعرف بزيادة ظل
الاشخاص المنتصبة مائلة الى جهة المشرق اذ يقع للشخص ظل عند الطلوع في جانب المغرب مستطيل فلا
يزال الشمس يرتفع والظل ينقص وينحرف عن جهة المغرب الى ان تبلغ الشمس منتهى ارتفاعها وهو قوس
نصف النهار فيكون ذلك منتهى نقصان الظل فاذا زالت الشمس عن منتهى الارتفاع اخذ الظل
في الزيادة فمن حيث صارت الزيادة مدركة بالحس دخل وقت الظهر ويعلم قطعا ان الزوال في علم الله سبحانه
وقع قبله ولكن التكاليف لا ترتبط الا بما يدخل تحت الحس والقدر الباقي من الظل الذي منه يأخذ
في الزيادة يطول في الشتاء ويقصر في الصيف ومنتهى طوله بلوغ الشمس اول الجدي ومنتهى قصره بلوغها
اول السرطان ويعرف ذلك بالاقدام والموازين ومن الطرق القريبة من التحقيق لمن احسن مراعاة ذلك
ان يلاحظ القطب الشمالي بالليل ويضع على الارض لوحا مربعا وضعا مستويا بحيث يكون احد اضلاعه من
جانب القطب بحيث لو توهمت خطا من مسقط الحجر الى الضلع الذي يليه من اللوح لقام الخط على الضلع
على زاويتين قائمتين اي لا يكون الخط مائلا الى احد الضلعين ثم ينصب عمودا على اللوح نصبا مستويا في
موضع علامة وهو بازاء القطب فيقع ظله في اول النهار مائلا الى جهة المغرب في صوب خط الف ثم لا
يزال يميل الى ان ينطبق على خط بحيث لو مد رأسه لانتهى على الاستقامة الى مسقط الحجر ويكون موازيا
للضلع الشرقي والغربي غير مائل الى احدهما فاذا بطل ميله الى الجانب الغربي فالشمس في منتهى الارتفاع
فاذا انحرف الظل عن الخط الذي على اللوح الى الجانب الشرقي فقد زالت الشمس وهذا يدرك بالحس تحقيقا
في وقت هو قريب من اول الزوال في علم الله سبحانه وتعالى ثم يعلم على رأس الظل عند انحرافه علامة فاذا صار
الظل من تلك العلامة مثل العمود دخل وقت العصر هذا القدر لا بأس بمعرفته في وقت علم الزوال
الثالث راتبة العصر وهي اربع ركعات قبل العصر ففعل ذلك على رجاء الدخول في دعوة رسول الله صلى
الله عليه وسلم مستحب استحبابا اكيدا مؤكدا فان دعوته مستجابة لا محالة ولم تكن مواظبته على السنة قبل

العصر كما اثبته على ركعتين بعد الظهر **الرابعة** راتبة المغرب وهما ركعتان بعد الفريضة لم تختلف الروايات فيهما واما ركعتان قبلها بين اذان المؤذن واقامته على سبيل المبادرة فقد نقل عن جماعة من الصحابة كابي بن كعب وعبادة بن الصامت وابي ذر وزيد بن ثابت وغيرهم قال عبادة او غيره كان المؤذن اذا اذن لصلاة المغرب ابتدر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم السواري يصلون ركعتين وقال بعضهم كنا نصلي ركعتين قبل المغرب حتى يدخل الداخل فيحسب انا قد صلينا فيسال اصليتم المغرب وذلك يدخل في عموم قوله صلى الله عليه وسلم بين كل اذانين صلاة لمن شاء وكان احمد بن حنبل يصليهما فعابه الناس فتركهما فقيل له في ذلك فقال لم ار الناس يصلونهما فتركتهما وقال لئن صلاهما الرجل في بيته او حيث لا يراه الناس فحسن ويدخل وقت المغرب بغيبوبة الشمس عن الابصار في الاراضي المستوية التي ليست محفوفة بالجبال فان كانت محفوفة بالجبال من جهة المغرب فيتوقف الى ان يرى اقبال السواد من جانب المشرق قال صلى الله عليه وسلم اذا اقبل الليل من ههنا وادبر النهار من ههنا فقد افطر الصائم والاحب المبادرة في صلاة المغرب خاصة وان اخرت وصليت قبل غيبوبة الشفق وقعت اداء ولكنه مكروه اخر عمر صلاة المغرب ليلة حتى طلع نجم فاعتق رقبة واخرها ابن عمر حتى طلع نجمان فاعتق رقبتين **الخامس** راتبة العشاء الآخرة اربع ركعات بعد الفريضة قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بعد العشاء الآخرة اربع ركعات ثم ينام واختار بعض العلماء من مجموع الاخبار ان يكون عدد الرواتب سبعة عشر ركعة كعدد المكتوبة ركعتان قبل الصبح واربع قبل الظهر وركعتان بعدها واربع قبل العصر وركعتان بعد المغرب وثلاث بعد العشاء هو الوتر ومهما عرفت الاحاديث الواردة فيه فلا معنى للتقدير فقد قال صلى الله عليه وسلم الصلاة خير موضوع فمن شاء اكثر ومن شاء اقل فاذا اختيار كل مريد من هذه الصلوات بقدر رغبته في الخير وقد ظهر فيما ذكرناه ان بعضها آكد من بعض وترك الآكد ابعد لا سيما والفرائض تكمل بالنوافل فمن لم يستكثر منها يوشك ان لا تسلم له فريضة من غير جابر **السادس** صلاة الوتر قال انس بن مالك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بعد العشاء بثلاث ركعات يقرا في الاولى سبح وفي الثانية الكافرون وفي الثالثة قل هو الله احد وجاء في خبر انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي بعد الوتر جالسا ركعتين وفي بعضها متربعا وفي بعض الاخبار انه اذا اراد ان يدخل في فراشه زحف اليه وصلى فوقه ركعتين قبل ان يوتر يقرا فيهما اذا زلزلت والهاكم وفي رواية اخرى الكافرون ويجوز الوتر مفصولا وموصولا بتسليمة وتسليمتين وقد اوتر صلى الله عليه وسلم بركعة وثلاث وخمس وهكذا الى الاوتار الى احدى عشرة والرواية مترددة في ثلث عشرة وفي حديث شاذ سبعة عشر وكانت هذه الركعات اعني ما سميناه جملة وترا صلاته بالليل وهو التهجد وهو سنة مؤكدة بالليل وسياتي فضلها في كتاب الاوراد وفي الافضل خلاف فقيل ان الايتار بركعة واحدة افضل اذ صح انه صلى الله عليه وسلم كان يواظب على الايتار بركعة وقيل الموصولة افضل للخروج عن شبهة الخلاف لا سيما الامام اذ قد يقتدي به من لا يرى الركعة المفردة فان صلى موصولا نوى بالجميع الوتر وان اقتصر على ركعة واحدة بعد ركعتي العشاء وبعد الفرض نوى الوتر وصح لان شرط الوتر ان يكون في نفسه وترا وان يكون موترا لغيره مما سبق قبله وقد اوتر الفرض ولو اوتر قبل العشاء لم يصح اي لا ينال فضيلة الوتر الذي هو خير من حمر النعم كما ورد في الخبر والا فركعة فردة صحيحة في اي وقت كان وانما لم يصح لانه خرق اجماع الخلق في الفعل ولانه لم يتقدم ما يصيره وترا فاما اذا اراد ان يوتر بثلاث مفصولة ففي نيته في الركعتين نظر فانه ان نوى به التهجد او سنة العشاء لم يكن من الوتر وان نوى الوتر لم يكن هو في نفسها وترا وانما الوتر ما بعده ولكن الاظهر ان ينوي الوتر كما ينوي في الثلاث

الموصولة الوتر ولكن للوتر معنيان احدهما ان يكون في نفسه وترا والاخر ان ينشا ليجعل وترا بما بعده فيكون مجموع الثلاث وترا والركعتان من جملة الثلاث الا ان وتريته فيه موقوفة على الركعة الثالثة فاذا كان هو على عزم ان يوترهما بثالثة كان له ان ينوي به الوتر والركعة الثالثة وتر في نفسها بنفسها وموترة لغيرها والركعتان لا يوتران غيرهما وليستا وترا بانفسهما ولكنهما موترتان بغيرهما والوتر ينبغي ان يكون آخر صلاة الليل فيقع بعد التهجد وسياتي فضائل الوتر وكيفية الترتيب بينهما في كتاب الاوراد **السابع** صلاة الضحى فالمواظبة عليها من عزائم الافعال وفواضلها اما عدد ركعاتها فاكثر ما نقل فيه ثماني ركعات روت ام هانئ عن علي بانه صلى الله عليه وسلم صلى الضحى ثماني ركعات اطالهن وحسنهن ولم ينقل هذا العدد غيرها فاما عائشة فانها ذكرت انه صلى الله عليه وسلم انه كان يصلي اربعا ويزيد ما شاء الله سبحانه فلم تحد الزيادة اي انه كان يواظب على الاربع ولا ينقص وقد يزيد زيادات **وروي** في حديث مفرد ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الضحى ست ركعات واما وقتها فقد روي على ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الضحى ستا في وقتين اذا اشرقت الشمس وارتفعت قام وصلى ركعتين وهو اول الورد الثاني من اوراد النهار كما سياتي واذا انبسطت الشمس قيد نصف رمح والثاني اذا مضى من النهار ربعه والظهر على منتصف النهار ويكون الضحى على منتصف ما بين طلوع الشمس الى الزوال كما ان العصر على منتصف ما بين الزوال الى المغرب وهذا افضل الاوقات ومن وقت ارتفاع الشمس الى ما قبل الزوال وقت الضحى على الجملة **الثامن** احيا ما بين العشائين سنة مؤكدة ومما نقل عدده من فعله صلى الله عليه وسلم بين العشائين ست ركعات ولهذه الصلاة فضل عظيم وقيل المراد بقوله عز وجل تتجافى جنوبهم عن المضاجع **وقد** روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى بين المغرب والعشاء فانها من صلاة الاوابين وقال صلى الله عليه وسلم من عكف نفسه ما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يتكلم الا بصلاة او قران كان حقا على الله سبحانه ان يبني له قصرين في الجنة مسيرة كل واحد منهما مائة عام ويغرس بينهما غراسا لو طافه اهل الدنيا لوسعهم وسياتي فضائلها في كتاب الاوراد ان شاء الله تعالى **القسم الاول** ما يتكرر بتكرر الاسابيع وهي صلاة الايام والاسبوع ولياليها لكل يوم وليلة اما الايام فنبدا فيها بيوم الاحد روى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى يوم الاحد اربع ركعات يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب وآمن الرسول مرة كتب الله عز وجل له بعدد كل نصراني ونصرانية حسنات واعطاه ثواب نبي وكتب له حجة وعمرة وكتب له بعدد كل ركعة الف صلاة واعطاه الله عز وجل في الجنة بكل حرف مدينة من مسك اذفر **وروي** عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال وحدوا الله بكثرة الصلاة يوم الاحد فانه واحد لا شريك له فمن صلى يوم الاحد بعد صلاة الظهر اربع ركعات بعد الفريضة والسنة يقرا في الاولى فاتحة الكتاب وسورة تنزيل السجدة والثانية فاتحة الكتاب وتبارك الملك ثم تشهد وسلم ثم قام فصلى ركعتين اخريين يقرا فيهما فاتحة الكتاب وسورة الجمعة وسال الله تعالى حاجته كان حقا على الله تعالى ان يقضي حاجته **يوم الاثنين** روى جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى يوم الاثنين عند ارتفاع النهار ركعتين يقرا في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة وآية الكرسي مرة وقل هو الله احد والمعوذتين مرة مرة فاذا سلم استغفر الله عشر مرات وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم عشر مرات غفر الله تعالى له ذنوبه كلها **وروى** انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى يوم الاثنين اثنتي عشرة ركعة يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة فاذا فرغ

ثم قل هو الله احد اثنتي عشرة مرة واستغفر الله اثنتي عشرة مرة ينادي به يوم القيامة اين فلان ابن فلان ليقم
فيأخذ ثوابه من الله عز وجل فاول ما يعطى من الثواب الف حلة ويتوج ويقال له ادخل الجنة فيستقبله
مائة الف ملك مع كل ملك هدية يشيعونه حتى يدور على الف قصر من نور يتلألأ **يوم الثلاثاء**
يزيد الرقاشي عن انس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الثلاثاء عشر ركعات عند
انتصاف النهار وفي حديث آخر عند ارتفاع النهار يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة
وقل هو الله احد ثلاث مرات لم يكتب عليه خطيئة الى سبعين يوما فان مات الى سبعين يوما مات
شهيدا وغفر الله له ذنوب سبعين سنة **يوم الاربعاء** ابو ادريس الخولاني عن معاذ بن جبل قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الاربعاء اثنتي عشرة ركعة عند ارتفاع النهار يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب
وآية الكرسي مرة وقل هو الله احد ثلاث مرات والمعوذتين ثلاث مرات ينادي به ملك عند العرش يا عبد الله
استأنف العمل فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك ودفع الله عنك عذاب القبر وضيقه وظلمته ودفع عنك
شدائد القيامة ويرفع له من يومه عمل نبي **يوم الخميس** عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من صلى يوم الخميس بين الظهر والعصر ركعتين يقرأ في الاولى فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسي مائة مرة وفي
الثانية الفاتحة مرة وقل هو الله احد مائة مرة اعطاه الله تعالى ثواب من صام رجب وشعبان ورمضان وكان
له من الثواب مثل حاج البيت وكتب له بعدد كل من آمن بالله سبحانه وتوكل عليه حسنة **يوم الجمعة**
روى علي بن ابي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يوم الجمعة صلاة من كل مؤمن قام اذا استقلت الشمس
وارتفعت قيد رمح واكثر من ذلك فتوضأ فأسبغ الوضوء وصلى تسبيحة الضحى ايمانا واحتسابا كتب الله له مائتي
حسنة ومحى عنه مائتي سيئة ومن صلى اربع ركعات رفع الله عز وجل له في الجنة اربعمائة درجة ومن صلى ثماني ركعات
رفع الله تعالى له في الجنان ثمانمائة درجة وغفر له ذنوبه كلها ومن صلى اثنتي عشرة ركعة كتب الله له الفين
ومائتي حسنة ومحى عنه الفين ومائتي سيئة ورفع له في الجنة الفين ومائتي درجة **وعن** نافع عن ابن عمر عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال من دخل الجامع يوم الجمعة فصلى اربع ركعات قبل الجمعة قرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب
وقل هو الله احد خمسين مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة او يرى له **يوم السبت** ابو هريرة ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال من صلى يوم السبت اربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل يا ايها الكافرون
ثلاث مرات فاذا فرغ قرأ آية الكرسي كتب الله عز وجل له بكل حرف حجة وعمرة ورفع له بكل حرف اجر سنة صيام نهارها
وقيام ليلها واعطاه الله عز وجل بكل حرف ثواب شهيد وكان تحت ظل عرش الله مع النبيين والشهداء **اما
الليالي** فقد روى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى ليلة الاحد عشرين ركعة يقرأ في كل ركعة
الحمد لله مرة وقل هو الله احد خمسين مرة والمعوذتين مرة مرة واستغفر الله عز وجل مائة مرة واستغفر لنفسه
ولوالديه مائة مرة وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة وتبرأ من حوله وقوته والتجأ الى حول الله
وقوته ثم قال اشهد ان لا اله الا الله وان آدم صفوة الله وفطرته وابراهيم خليل الله وموسى كليم الله وعيسى
روح الله ومحمد حبيب الله كان له من الثواب بعدد من ادعى لله ولدا ومن لم يدع لله ولدا وبعثه الله عز وجل
يوم القيامة مع الآمنين وكان حقا على الله عز وجل ان يدخله الجنة مع النبيين **ليلة الاثنين** الاعمش
عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الاثنين اربع ركعات يقرأ في الركعة الاولى الحمد
لله وقل هو الله احد عشر مرات وفي الركعة الثانية الحمد لله وقل هو الله احد عشرين مرة وفي الثالثة الحمد لله
وقل هو الله احد خمسا وسبعين مرة ويستغفر لنفسه ولوالديه خمسا وسبعين مرة وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم

خمسا وسبعين مرة ثم سئل الله تعالى حاجته كان حقا على الله ان يعطيه سؤاله ما سأل وهي تسمى صلاة
الحاجة **ليلة الثلاثاء** يصلي ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله احد والمعوذتين
خمسة عشر مرة ويقرأ بعد التسليم خمسة عشر مرة آية الكرسي واستغفر الله خمسة عشر مرة **ليلة الاربعاء**
روت فاطمة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى ليلة الاربعاء ركعتين يقرأ في الركعة الاولى فاتحة
الكتاب وقل اعوذ برب الفلق عشر مرات وفي الثانية بعد الفاتحة قل اعوذ برب الناس عشر مرات ويصلي على
محمد صلى الله عليه وسلم عشر مرات نزل من كل سماء سبعون الف ملك يكتبون ثوابه الى يوم القيامة **ليلة الخميس**
ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الخميس ما بين المغرب والعشاء ركعتين يقرأ في كل ركعة
فاتحة الكتاب وآية الكرسي خمس مرات وقل هو الله احد خمس مرات والمعوذتين خمس مرات فاذا فرغ من صلاته
استغفر الله عز وجل خمس عشرة مرة وجعل ثوابها لوالديه فقد ادى حق والديه وان كان عاقا لهما واعطاه الله
تعالى ما يعطي الصديقين والشهداء **ليلة الجمعة** جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى
ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله احد
عشر مرات فكانما عبد الله اثنتي عشرة سنة صام نهارها وقام ليلها **ليلة السبت** انس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة بني له قصر
في الجنة وكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وتبرأ من اليهود وكان حقا على الله تعالى ان يغفر له **القسم
الثالث** ما يتكرر بتكرر السنين وهي اربع صلاة العيدين والتراويح وصلاة رجب وصلاة شعبان
الاول صلاة العيدين وهي سنة مؤكدة وشعار من شعائر الدين وينبغي ان يراعي فيها سبعة امور الاول
التكبير ثلاثا نسقا فيقول الله اكبر الله اكبر الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا
لا اله الا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ويفتتح التكبير ليلة الفطر الى الخروج
في العيد وفي العيد الثاني يفتتح التكبير عقيب الصبح يوم عرفة الى آخر النهار من يوم الثالث عشر وهذا اكمل
الاقاويل ويكبر عقيب الصلوات المفروضة وعقيب النوافل وهو عقيب الفرائض اكد **الثاني** اذا
اصبح يوم العيد يغتسل ويتطيب ويتزين كما ذكرناه في الجمعة والرداء والعمامة هي افضل للرجال وليتجنب
العجائز والصبيان الزينة عند الخروج **الثالث** ان يخرج من طريق ويرجع من طريق آخر هكذا فعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يأمر باخراج العواتق وذوات الخدور **الرابع** المستحب الخروج الى
الصحراء الا بمكة وبيت المقدس فان كان يوم مطر فلا بأس بالصلاة في المسجد ويكون في يوم الصحو ان يأمر
الامام رجلا يصلي بالضعفة في مسجد ويخرج بالاقوياء مكبرين **الخامس** يراعي الوقت فوقت صلاة العيد
ما بين طلوع الشمس الى الزوال ووقت الذبح للضحايا ما بين ارتفاع الشمس بقدر ركعتين وخطبتين
الى آخر اليوم الثالث عشر من الشهر ويستحب تعجيل صلاة الاضحى لاجل الذبح وتأخير صلاة الفطر لاجل
تفريق صدقة الفطر قبلها هذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم **السادس** في كيفية الصلاة
فليخرج الناس مكبرين في الطريق واذا بلغ الامام المصلى لم يجلس ولم يتنفل وللناس التنفل ثم ينادي بالصلاة
جامعة ويصلي الامام ركعتين يكبر في الاولى سوى تكبيرة الاحرام سبع تكبيرات يقول بين كل تكبيرتين
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ويقول وجهت وجهي عقيب تكبيرة الاحرام ويؤخر الاستعاذة
الى ما وراء الثامنة ويقرأ سورة ق في الاولى بعد الفاتحة واقتربت في الثانية والتكبيرات الزائدة
في الثانية خمس سوى تكبيرة القيام والركوع وبين كل تكبيرتين ما ذكرناه ثم يخطب خطبتين بينهما جلسة

خفيفة ومن فاتته صلاة العيد فليقضها **السابع** أن يضحي بكبش ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين
وذبح بيده وقال بسم الله والله أكبر هذا عني وعمن لم يضح من أمتي وقال صلى الله عليه وسلم من رأى
هلال ذي الحجة وأراد أن يضحي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشاة عن أهل بيته فيأكلون ويطعمون وله
أن يأكل من الضحية بعد ثلاثة أيام فما فوق ذلك ووردت فيه الرخصة بعد النهي وقال سفيان الثوري
يستحب أن يصلي بعد عيد الفطر اثنتي عشرة ركعة وبعد عيد الأضحى ست ركعات وقال هو من السنة **الرابع**
وهي عشرون ركعة وكيفيتها مشهورة وهي سنة مؤكدة وإن كانت دون العيدين واختلفوا في أن الجماعة
فيها أفضل أم الانفراد وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ليلتين أو ثلاثا للجماعة ثم لم يخرج
وقال أخاف أن توجب عليكم وجمع عمر الناس عليها في الجماعة حيث أمن من الخوف بانقطاع الخوف فقيل
إن الجماعة أفضل كفعل عمر ولأن الاجتماع بركة وله فضيلة بدليل الفرائض ولأنه ربما يكسل الإنسان
في الانفراد وينبسط عنه مشاهدة الجمع وقيل الانفراد أفضل لأن هذه سنة ليست من الشعائر كالعيدين
فإلحاقها بصلاة الضحى وتحية المسجد أولى ولم يشرع فيها جماعة وقد جرت العادة بأن يدخل المسجد جمعا
معا ثم لا يصلون التحية بالجماعة ولقوله صلى الله عليه وسلم فضل التطوع في بيته على صلاته في المسجد كفضل
صلاة المكتوبة في المسجد على صلاته في البيت **وروي** أنه صلى الله عليه وسلم قال صلاة في مسجدي هذا
أفضل من مائة صلاة في غيره من المساجد وصلاة في المسجد الحرام أفضل من ألف صلاة في مسجدي هذا
وأفضل من ذلك كله رجل يصلي في زاوية بيته ركعتين لا يعلمهما إلا الله وهذا لأن الريا والتصنع ربما يتطرق
إليه في الجمع ويأمن منه في الوحدة فهذا ما قيل فيه والمختار أن الجماعة أفضل كما رآه عمر فإن بعض النوافل
قد شرع فيها الجماعة وأما الالتفات إلى الذي في الجمع والكسل في الانفراد عدول عن مقصود النظر في فضيلة
الجمع من حيث إنه جماعة وكأن قائله يقول الصلاة خير من تركها بالكسل والإخلاص خير من الريا فلنفرض
المسألة فيمن يثق بنفسه أنه لا يكسل لو انفرد ولا يرائي لو حضر الجمع فأيهما أفضل فيه يدور النظر بين بركة الجمع
وبين مزيد قوة الإخلاص وحضور القلب في الوحدة فيجوز أن يكون تفضيل أحدهما على الآخر تردد وربما
يستحب القنوت في الوتر في النصف الأخير من رمضان **وأما صلاة رجب** فقد روي بإسناد عن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من أحد يصوم أول خميس من رجب ثم يصلي فيما بين العشاء والعتمة اثنتي عشرة ركعة
يفصل بين كل ركعتين بتسليمة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وإنا أنزلناه في ليلة القدر ثلاث مرات
وقل هو الله أحد اثنتي عشرة مرة فإذا فرغ من صلاته صلى علي سبعين مرة يقول اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آله
ثم يسجد ويقول في سجوده سبعين مرة سبوح قدوس رب الملائكة والروح ثم يرفع رأسه ويقول سبعين
مرة رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم فإنك أنت العلي الأعظم ثم يسجد سجدة أخرى ويقول فيها مثل ما قال في الأولى
ثم يسأل حاجته في سجوده فإنها تقضى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصلي أحد هذه الصلاة إلا غفر الله
له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وعدد الرمل ووزن الجبال وورق الأشجار ويشفع يوم القيامة في سبعمائة
من أهل بيته ممن قد استوجب النار فهذه صلاة مستحبة وإنما أوردناها في هذا القسم لأنها تتكرر بتكرر السنين
وإن كان لا يبلغ رتبتها رتبة التراويح وصلاة العيد لأن هذه الصلاة نقلها الآحاد ولكني رأيت أهل القدس
بأجمعهم يصلونها ويواظبون عليها فأحببت إيرادها **صلاة شعبان** وهي أن يصلي في الليلة الخامسة
عشر يصلي مائة ركعة كل ركعتين بتسليمة يقرأ في كل ركعة بعد فاتحة الكتاب قل هو الله أحد عشر مرات
وإن شاء صلى عشر ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد مائة مرة فهذا أيضا مروي في جملة الصلوات

كان السلف يصلون هذه الصلاة ويسمونها صلاة الخير ويجتمعون فيها وربما صلوها جماعة **روي** عن الحسن
أنه قال حدثني ثلاثون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن من يصلي هذه الصلاة نظر الله عز وجل
سبعين مرة وقضى له في كل نظرة سبعين حاجة أدناها المغفرة **القسم الرابع** من النوافل ما يتعلق بأسباب
عارضة ولا يتعلق بالمواقيت وهي تسعة كصلاة الخسوف والكسوف والاستسقاء وتحية المسجد وركعتي
الوضوء وركعتين بين الأذان والإقامة وركعتين عند الخروج من المنزل والدخول فيه ونظائر ذلك فنذكر منها
ما يحضرنا الآن **الأولى** صلاة الخسوف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا
ينخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله تعالى والصلاة الصلاة قال ذلك
لما مات ولده إبراهيم صلى الله عليه وسلم وكسفت الشمس فقال الناس إنما كسفت لموته والنظر في كيفيتها ووقتها
أما الكيفية فإذا كسفت الشمس في وقت مكروه أو غير مكروه نودي الصلاة جامعة وصلى الإمام بالناس
في المسجد ركعتين ويركع في كل ركعة ركوعين أوائلهما أطول من أواخرهما ولا يجهر فيقرأ في الأولى من قيام الركعة
الأولى الفاتحة والبقرة وفي الثانية الفاتحة وآل عمران وفي الثالثة الفاتحة والنساء وفي الرابعة الفاتحة
والمائدة أو مقدار ذلك من القرآن من حيث أراد ولو اقتصر على الفاتحة في كل قيام أجزأه ولو اقتصر على سور قصار
فلا بأس ومقصود التطويل دوام الصلاة إلى الانجلاء ويسبح في الركوع الأول قدر مائة آية وفي الثاني قدر ثمانين
وفي الثالث سبعين وفي الرابع خمسين وليكن السجود على قدر الركوع في كل ركعة ثم يخطب خطبتين بعد
الصلاة بينهما جلسة ويأمر الناس بالصدقة والعتق والتوبة وكذلك يفعل بخسوف القمر إلا أنه يجهر فيها
لأنها ليلية فأما وقتها فعند ابتداء الخسوف إلى تمام الانجلاء ويخرج وقتها بأن تغرب الشمس كاسفة و
يفوت كسوف القمر بأن يطلع قرص الشمس إذ يبطل سلطان الليل ولا يفوت بغروب القمر خاسفا لأن الليل كله سلطان
القمر وإن انجلى في أثناء الصلاة أتمها مخففة ومن أدرك الركوع الثاني مع الإمام فقد فاتته تلك الركعة
لأن الأصل هو الركوع الأول **الثانية** صلاة الاستسقاء فإذا غارت الأنهار وانقطعت الأمطار أو انهار
قناة فيستحب للإمام أن يأمر الناس أولا بصيام ثلاثة أيام وما أطاقوا من الصدقة والخروج من المظالم والتوبة
من المعاصي ثم يخرج بهم في اليوم الرابع والعجائز والصبيان متنظفين في ثياب بذلة واستكانة متواضعين بخلاف
العيد وقيل يستحب إخراج الدواب لمشاركتهم في الحاجة ولقوله صلى الله عليه وسلم لولا صبيان رضع ومشايخ
ركع وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صبا ولو خرج أهل الذمة متميزين لم يمنعوا فإذا اجتمعوا في المصلى الواسع
من الصحراء نودي الصلاة جامعة وصلى بهم الإمام ركعتين مثل صلاة العيد بغير تكبير ثم يخطب خطبتين بينهما
جلسة خفيفة وليكن الاستغفار معظم الخطبتين وينبغي في وسط الخطبة الثانية أن يستدبر الناس ويستقبل
القبلة ويحول رداءه في هذه الساعة تفاؤلا بتحويل الحال هكذا فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجعل
أعلاه أسفله وما على اليمين على اليسار وما على اليسار على اليمين وكذلك يفعل الناس ويدعون في هذه
الساعة سرا ثم يستقبلهم فيختم الخطبة ويدعون أرديتهم محولة كما هي حتى ينزعوها متى نزعوا الثياب
ويقول في الدعاء اللهم إنك أمرتنا بدعائك ووعدتنا إجابتك فقد دعوناك كما أمرتنا فأجبنا كما وعدتنا اللهم فامنن
علينا بمغفرة ما قارفنا وإجابتك في سقيانا وسعة رزقنا ولا بأس بالدعاء أدبار الصلوات في الأيام الثلاثة
قبل الخروج ولهذا الدعاء آداب وشرائط باطنة من التوبة ورد المظالم وغيرها وسيأتي ذلك في كتاب الدعوات
الثالثة صلاة الجنائز وكيفيتها مشهورة وأجمع دعاء مأثور ما روي في الصحيح عن عوف بن مالك قال
صلى النبي صلى الله عليه وسلم على جنازة فحفظت من دعائه وهو يقول اللهم اغفر له وارحمه واعف عنه وعافه

واكرم نزله ووسع مدخله واغسله بماء الثلج والبرد ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الابيض من الدنس وابدله
دارا خيرا من داره واهلا خيرا من اهله وزوجا خيرا من زوجته وادخله الجنة واعذه من عذاب القبر
ومن عذاب النار حتى قال عوف تمنيت ان اكون ذلك الميت ومن ادرك التكبيرة الثانية فينبغي ان
يراعي ترتيب صلاة نفسه ويكبر مع تكبيرات الامام فاذا سلم الامام قضى تكبيره الذي فات كفعل
المسبوق فانه ان بادر التكبيرات لم يبق للقدوة في هذه الصلاة معنى فالتكبيرات هي الاركان الظاهرة
وجدير ان يقام مقام الركعات في سائر الصلوات هذا هو الاوجه عندي وان كان غيره محتملا والاخبار
الواردة في فضل صلاة الجنائز وتشييعها مشهورة فلا نطول بايرادها وكيف لا يعظم فضلها وهي من
فروض الكفاية وانما تصير نفلا في حق من لم يتعين عليه بحضور غيره ثم ينال بها فرض الكفاية وان لم يتعين
لانهم بجملتهم قاموا بما هو فرض واسقطوا الحرج عن غيرهم فلا يكون ذلك كنفل لا يسقط به فرض عن احد و
يستحب طلب الجمع تبركا بكثرة الهمم والادعية واشتماله على دعوة مستجابة لما روي كريب عن ابن عباس انه مات
ابن له فقال يا كريب انظر ما اجتمع له من الناس قال فخرجت فاذا ناس قد اجتمعوا له فاخبرته فقال تقول هم
اربعون قال نعم قال فاخرجوه فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل مسلم يموت فيقوم
على جنازته اربعون رجلا لا يشركون بالله تعالى شيئا الا شفعهم الله عز وجل فيه فاذا شيع الجنازة فوصل
المقابر او دخلها ابتدا فقال السلام على اهل القبور من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا و
المستاخرين وانا ان شاء الله بكم لاحقون والاولى ان لا ينصرف حتى يدفن الميت فاذا سوي على الميت قبره قام
عليه وقال اللهم عبدك رد اليك فارأف به وارحمه اللهم جاف الارض عن جنبيه وافتح ابواب السماء
لروحه وتقبله بقبول حسن اللهم ان كان محسنا فضاعف له في احسانه وان كان مسيئا فتجاوز عنه **الرابع**
تحية المسجد ركعتين فصاعدا سنة مؤكدة حتى انها لا تسقط وان كان الخطيب في الخطبة يوم الجمعة مع
تاكيد وجوب الاصغاء الى الخطيب ولو اشتغل بفرض او قضاء تادى به التحية وحصل له الفضل اذ الغرض
ان لا يخلو ابتداء دخوله على العبادة الخاصة بالمسجد قياما بحق المسجد ولذلك يكره ان
يدخل المسجد على غير وضوء فان دخل لعبور او جلوس فليقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
يقولها اربع مرات يقال انها عدل ركعتين في الفضل ومذهب الشافعي رحمه الله انه لا تكره التحية في اوقات
الكراهة وهي بعد العصر وبعد الصبح ووقت الزوال ووقت الطلوع والغروب لما روي ان النبي صلى الله
عليه وسلم صلى ركعتين بعد العصر فقيل له اما نهيتنا عن هذا فقال هما ركعتان كنت اصليهما بعد الظهر فشغلني
عنهما الوفد فافاد هذا الحديث فائدتين **احداهما** ان الكراهية مقصورة على صلاة لا سبب لها ومن اضعف
الاسباب قضاء النوافل هل تقضى وانما فعل مثل ما فاته هل يكون قضاء فاذا انتفت الكراهة باضعف الاسباب
فبالحري ان تنتفي بدخول المسجد وهو سبب ولذلك لا تكره صلاة الجنازة اذا حضرت ولا صلاة الخسوف
ولا الاستسقاء في هذه الاوقات لان لها اسبابا الفائدة **الثانية** قضاء النوافل اذ قضى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ذلك ولنا فيه اسوة حسنة وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا غلبه نوم او مرض فلم يقم تلك الليلة صلى من النهار اثنتي عشرة ركعة وقد قال بعض العلماء من كان
في الصلاة ففاته جواب المؤذن فاذا سلم قضى واجاب وان كان المؤذن قد سكت ولا معنى لان يقول من يقول
ان ذلك مثل الاول وليس كما قال اذ لو كان كذلك لما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في وقت
الكراهة نعم من كان له ورد فعاقه عن ذلك عذر فينبغي ان لا يرخص لنفسه في تركه بل يتداركه في وقت اخر

كيلا يميل نفسه الى الدعة والرفاهية وتداركه حسن على سبيل مجاهدة النفس ولانه صلى الله عليه وسلم
قال احب الاعمال الى الله تعالى ادومها وان قل فيقصد به ان لا يفتر في دوام عمله وروت عائشة رضي الله
عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من عبد الله عز وجل بعبادة ثم تركها ملالة مقته الله عز وجل فيجتهد
ان لا يدخل تحت هذا الوعيد وتحقيق هذا الخبر انه مقته الله عز وجل بتركها ملالة فلولا المقت والابعاد
لما سلطت الملالة عليه **الخامس** ركعتين بعد الوضوء مستحبتان لان الوضوء قربة ومقصوده الصلاة
والاحداث واقع فربما يطرأ الحدث قبل صلاة فينتقض الوضوء ويضيع السعي فالمبادرة الى الركعتين
استيفاء لمقصود الوضوء قبل الفوات وعرف ذلك بحديث بلال اذ قال صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة
فرايت بلالا فيها فقلت لبلال بم سبقتني الى الجنة فقال بلال لا اعرف شيئا الا اني لا احدث وضوءا الا اصلي
عقيبه ركعتين **السادس** عند دخول المنزل وعند الخروج منه روى ابو هشام عن
ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرجت من منزلك فصل ركعتين يمنعانك مخرج
السوء واذا دخلت الى منزلك فصل ركعتين يمنعانك مدخل السوء وفي معنى هذا كل امر يبتدأ به مما له وقع
وكذلك ورد ركعتان عند الرجوع من السفر قبل دخول الدار وكل ذلك ماثور من فعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكان بعض السلف اذا اكل اكلة صلى ركعتين واذا شرب شربة صلى ركعتين وكذلك في كل امر
يحدثه وبداية الامور ينبغي ان يبرك فيها بذكر الله تعالى وهي ثلاث مراتب بعضها يتكرر مرارا كالاكل
والشرب فيبدأ فيه باسم الله عز وجل قال النبي صلى الله عليه وسلم كل امر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله
عز وجل فهو ابتر الثاني ما لا يكثر تكرره وله وقع كعقد النكاح وابتداء النصيحة والمشورة فالمستحب
فيها ان يصدر بحمد الله سبحانه فيقول المزوج الحمد لله والصلاة على رسول الله زوجتك ابنتي ويقول
الحمد لله والصلاة على رسول الله قد قبلت النكاح وكانت عادة الصحابة رضي الله عنهم في ابتداء الرسالة و
النصيحة والمشورة تقديم التحميد **الثالث** ما لا يتكرر كثيرا واذا وقع دام كالسفر وشراء دار جديدة والاحرام
وما يجري مجراه فيستحب تقديم ركعتين عليه وادناه الخروج من المنزل والدخول اليه فانه نوع سفر قريب
السابع صلاة الاستخارة فمن هم بامر وكان لا يدري عاقبته ولا يعرف ان الخير في تركه او الاقدام
عليه فقد امره رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يصلي ركعتين يقرأ في الاولى فاتحة الكتاب وقل يا ايها
الكافرون وفي الثانية الفاتحة وقل هو الله احد فاذا فرغ دعا وقال اللهم اني استخيرك بعلمك
واستقدرك بقدرتك واسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا اقدر وتعلم ولا اعلم وانت
علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر خير لي في ديني ودنياي وعاقبة امري وعاجله واجله فاقدره
لي وبارك لي فيه وان كنت تعلم انه شر لي في ديني ودنياي وعاقبة امري وعاجله واجله فاصرفني عنه واصرفه عني واقدر
لي الخير اينما كان انك على كل شيء قدير **رواه جابر** بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعلمنا الاستخارة في الامور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن وقال صلى الله عليه وسلم اذا هم احدكم بامر فليصل
ركعتين ثم ليسم الامر ويدعو بما ذكرناه وقال بعض الحكماء من اعطي اربعة لم يمنع اربعة من اعطي الشكر لم يمنع
المزيد ومن اعطي التوبة لم يمنع القبول ومن اعطي الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن اعطي المشورة لم يمنع الصواب
الثامن صلاة الحاجة فمن ضاق عليه الامر ومست حاجته في صلاح دينه ودنياه الى امر تعذر عليه
فقد روي عن وهيب بن الورد انه قال ان من الدعاء الذي لا يرد ان يصلي العبد اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة
فاتحة الكتاب وآية الكرسي وقل هو الله احد فاذا فرغ خر ساجدا ثم قال سبحان الذي لبس العز وقال به

ربي سبحان الذي تعطف بالمجد وتكرم به سبحان الذي احصى كل شئ بعلمه سبحان الذي لا ينبغي التسبيح
الا له سبحان ذا المن والفضل سبحان ذي العز والكرم سبحان ذي الطول اسئلك بمعاقد العز من
عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك الاعظم وجدك الاعلى وكلماتك التامات اللاتي لا يجاوزهن
بر ولا فاجر ان تصلي على محمد ثم يسئل حاجته التي لا معصية فيها فيجاب ان شاء الله عز وجل قال وهيب
وبلغنا انه كان يقال لا تعلموها سفهاءكم فيتقوون بها على معصية الله **التاسع** صلاة التسبيح وهذه
الصلاة ماثورة على وجهها ولا تختص بوقت ولا سبب ويستحب ان لا يخلو الاسبوع عنها مرة واحدة
او الشهر فقد روى عكرمة عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن عبد المطلب الا اعطيك
الا امنحك الا احبوك بشئ اذا انت فعلته غفر الله لك ذنبك اوله واخره قديمه وحديثه خطأه وعمده
سره وعلانيته تصلي اربع ركعات تقرأ في كل ركعة وانت قائم قلت سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله اكبر خمس عشرة مرة ثم تركع فتقولها عشرا ثم ترفع راسك من السجود فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا
ثم ترفع راسك فتقولها عشرا فذلك خمس وسبعون مرة في كل ركعة تفعل ذلك في اربع ركعات ان استطعت
ان تصليها في كل يوم فافعل فان لم تفعل ففي كل جمعة مرة فان لم تفعل ففي كل شهر مرة وفي رواية اخرى انه يقول
في اول الصلاة سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ثم يسبح خمس عشرة
تسبيحة قبل القراءة وعشرا بعد القراءة والباقي كما سبق عشرا عشرا ولا يسبح بعد السجدة الاخيرة قاعدا وهذا
هو الاحسن وهو اختيار ابن المبارك والمجموع في الروايتين ثلثمائة تسبيحة فان صلاها نهارا فبتسليمة واحدة
وان صلاها ليلا فبتسليمتين احسن اذ ورد ان صلاة الليل مثنى مثنى وان زاد بعد التسبيح قول لا
حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فهو حسن فقد ورد ذلك في بعض الروايات فهذه هي الصلوات الماثورة ولا
يستحب شئ من هذه النوافل في الاوقات المكروهة الا تحية المسجد وما اوردناه قبلها وما اوردناه بعد
التحية من ركعتي الوضوء وصلاة السفر والخروج من المنزل والاستخارة فلا لان النهي مؤكد وهذه الاسباب
ضعيفة ولا تبلغ درجة الخسوف والاستسقاء والتحية وقد رايت بعض المتصوفين يصلي في الاوقات
المكروهة ركعتي الوضوء وهي في غاية البعد لان الوضوء لا يكون سببا للصلاة بل الصلاة سبب الوضوء فينبغي
ان يتوضأ ليصلي لا انه يصلي لانه توضأ وكل محدث يصلي في وقت الكراهة فلا سبيل له الا ان يتوضأ ويصلي فلا
يبقى للكراهة معنى ولا ينبغي ان ينوي ركعتين للوضوء كما ينوي ركعتي التحية بل اذا توضأ صلى ركعتين تطوعا
كيلا يتعطل وضوءه كما كان يفعله بلال فهو تطوع محض يقع عقيب الوضوء وحديث بلال لم يدل على
ان الوضوء سبب كالخسوف والتحية حتى ينوي بالوضوء الصلاة وكيف ينتظم ان ينوي في وضوءه انه في صلاة
وفي صلاته يقول اصلي للوضوء بل من اراد ان يحرس وضوءه عن التعطل في وقت الكراهة فليتوضأ ان كان
يجوز ان تكون في ذمته قضاء صلاة يتطرق اليها ذلك بسبب من الاسباب فان الصلوات في اوقات
الكراهية مهمات ثلاث احدها التوقي من مضاهات عبدة الشمس والثاني الاحتراز من انتشار الشياطين
اذ الطلعت قارنها فاذا ارتفعت فارقها فاذا استوت قارنها فاذا زالت فارقها فاذا اصفرت للغروب
قارنها فاذا غربت فارقها ونهى عن الصلاة في هذه الاوقات ونبه فيه على العلة والثالث ان سالكي
طريق الاخرة لا يزالون يواظبون على الصلاة في جميع الاوقات والمواظبة على نمط واحد من العبادات يورث
الملال ومهما منع منها ساعة زاد النشاط وانبعثت الدواعي والانسان حريص على ما منع منه ففي تعطيل
هذه الاوقات زيادة تحريض وبعث على الانتظار لانقضاء الوقت فخصصت هذه الاوقات بالتسبيح والاستغفار

حذرا على الملال بالمداومة وتزودا بالانتقال من نوع عبادة الى نوع آخر ففي الاستطراف والاستجداد لذة
ونشاط وفي الاستمرار استثقال وملال ولذلك لم تكن الصلاة سجودا مجردا ولا ركوعا مجردا ولا قياما
مجردا بل رتبت العبادات من اعمال مختلفة واذكار متباينة فان القلب يدرك من كل عمل منها لذة جديدة
عند الانتقال اليها ولو واظب على الشئ الواحد لتسارع اليه الملال فاذا كانت هذه امور مهمة
في النهي عن اوقات الكراهة الى غير ذلك من اسرار ليس في قوة البشر الاطلاع عليها والله ورسوله اعلم
بها فهذه المهمات لا تترك الا باسباب مهمة في الشرع مثل قضاء الصلوات وصلاة الاستسقاء و
الخسوف وتحية المسجد فاما ما ضعف عنها فلا ينبغي ان يصادم بها مقصود النهي هذا هو الاوجه
عندنا والله اعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد عدد ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون تم
كتاب الصلاة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين يتلوه الجزء الخامس كتاب اسرار الزكاة

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

كتاب انواع الزكوة واسباب الوجوب والزكوة باعتبار متعلقاتها ستة انواع **الحمد لله الذي**
اسعد واشقى وامات واحيا واضحك وابكى واوجد وافنى واغنى واقنى الذي خلق الحيوان من نطفة اذا تمنى
ثم تفرد عن الخلق بوصف الغنى ثم خصص بعض عباده بالحسنى فافاض عليهم من نعمه ما ايسر به من شاء واستغنى
واحوج اليه من اخفق في رزقه واكدى اظهارا للامتحان والابتلاء ثم جعل الزكوة للدين مبنى وبين ان
بفضله تزكى من عباده من تزكى ومن غناه زكى ماله من زكى والصلاة على محمد المصطفى سيد الورى
وشمس الهدى وعلى اصحابه المخصوصين بالعلم والتقى وسلم تسليما كثيرا **اما بعد** فان الله تعالى
جعل الزكوة احد مباني الاسلام واردف بذكرها الصلاة التي هي اعلى الاعلام فقال عز من قائل واقيموا الصلاة
واتوا الزكوة وقال صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله و
اقام الصلاة وايتاء الزكوة الحديث وشدد الوعيد على المقصرين فيها فقال تعالى والذين يكنزون الذهب و
الفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم ومعنى الانفاق في سبيل الله اخراج حق الزكوة
قال الاحنف بن قيس كنت في نفر من قريش فمر ابو ذر رضي الله عنه فقال بشر الكانزين بكي في ظهورهم
حتى يخرج من جنوبهم وبكي من قبل اقفائهم حتى يخرج من جباههم وفي رواية اخرى يوضع على حلمة ثدي احدهم
فيخرج من نغض كتفيه ويوضع على نغض كتفيه حتى يخرج من حلمة ثدييه يتزلزل وقال ابو ذر رضي الله عنه
انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما رآني قال هم الاخسرون
ورب الكعبة فقلت من هم قال الاكثرون اموالا الا من قال هكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه
وشماله وقليل ما هم ما من صاحب ابل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكوتها الا جاءت يوم القيمة اعظم ما كانت في
الدنيا واسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه باظلافها كلما نفدت اخراها عادت عليه اولاها حتى يقضى بين
الناس واذا كان هذا التشديد مخرجا في الصحيحين فقد صار من مهمات الدين الكشف عن اسرار الزكوة وشروطها
الجلية والخفية ومعانيها الظاهرة والباطنة مع الاقتصار على ما لا يستغني عن معرفته مؤدي الزكوة وقابضها
وينكشف ذلك في اربعة فصول **الاول** في انواع الزكوة واسباب وجوبها **الثاني** في ادائها وشروطها الباطنة
والظاهرة **الثالث** في القابض وشروط استحقاقه وآداب قبضه **الرابع** في صدقة التطوع وفضلها **الفصل**

الاول في انواع الزكوة واسباب الوجوب واعتبار متعلقاتها ستة انواع زكوة النعم والنقدين والتجارة والركاز والمعدن والمعشرات والفطر **النوع الاول** زكاة النعم ولا يجب هذه الزكوة ولا غيرها الا على حر مسلم ولا يشترط البلوغ والعقل بل يجب في مال الصبي والمجنون هذا شرط من عليه واما المال فشروطه خمسة ان يكون نعما سائمة باقية حولا نصابا كاملا مملوكا على الكمال الشرط **الاول** كونه نعما فلا زكوة الا في الابل والبقر والغنم فاما الخيل والبغال والحمير والمتولد بين الظباء والغنم فلا زكاة فيها **الثاني** السوم فلا زكاة في معلوفة واذا اسيمت في وقت واعلفت في وقت وظهرت مؤنتها فلا زكاة **الثالث** الحول قال صلى الله عليه وسلم لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول ويستثنى من هذا نتاج المال فانه ينسحب عليه حكم المال وتجب فيه الزكوة بحول الاصول ومهما باع المال او استبدل او وهب انقطع الحول **الرابع** كمال الملك والتصرف فتجب الزكوة في الماشية المرهونة لانه الذي حجر على نفسه ولا تجب في الضال والمغصوب الا اذا عاد بجميع نمائه فتجب فيه زكاة ما مضى عند عوده ولو كان عليه دين مستغرق لماله فلا زكوة عليه لانه ليس غنيا به اذ الغنا ما يفضل على الحاجة **الخامس** كمال النصاب اما الابل فلا زكاة فيها حتى تبلغ خمسا فاذا بلغت خمسا ففيها جذعة من الضان والجذعة هي التي تكون في السنة الثانية او ثنية من المعز وهي التي تكون في السنة الثالثة وفي عشر شاتان وفي خمس عشرة ثلاث شياه وفي عشرين اربع وفي خمس وعشرين بنت مخاض وهي التي تكون في السنة الثانية فان لم يكن في ماله بنت مخاض فابن لبون ذكر وهو الذي في السنة الثالثة يوخذ وان كان قادرا على شرائها وفي ست وثلاثين بنت لبون ثم اذا بلغت ستا واربعين ففيها حقة وهي التي في السنة الرابعة فاذا صارت احدى وستين ففيها جذعة وهي التي في السنة الخامسة فاذا صارت ستا وسبعين ففيها بنتا لبون فاذا صارت احدى وتسعين ففيها حقتان فاذا صارت مائة وثلاثين فقد استقر الحساب ففي كل خمسين حقة وفي كل اربعين بنت لبون **واما** البقر فلا شيء فيها حتى تبلغ ثلاثين ففيها تبيع وهي التي في السنة الثانية وفي كل اربعين مسنة وهي التي في السنة الثالثة ثم في الستين تبيعان واستقر الحساب بعد ذلك في كل اربعين مسنة وفي كل ثلاثين تبيع **فاما الغنم** فلا زكاة فيها حتى تبلغ اربعين ففيها شاة جذعة من الضان او ثنية من المعز ثم لا شيء فيها حتى تبلغ مائة واحدى وعشرين ففيها شاتان الى مائتين وواحدة ففيها ثلاث شياه ثم استقر الحساب في كل مائة شاة وصدقة الخليطين كصدقة المالك الواحد في النصاب فاذا كان بين رجلين اربعون من الغنم ففيها شاة وان كان بين ثلاثة نفر مائة وعشرون ففيها شاة على جميعهم وخلطة الجوار كخلطة الشيوع ولكن يشترط ان يريحا معا ويسقيا معا ويحلبا معا ويسرحا معا ويكون المرعى معا ويكون انزاء الفحل معا وان يكونا معا من اهل الزكوة ولا حكم للخلطة مع الذمي والمكاتب ومهما نزل في واجب الابل من سن الى سن فهو جائز ما لم يجاوز بنت المخاض في النزول ولكن يضم اليه جبران السن لسنة واحدة شاتين او عشرين درهما ولسنتين اربع شياه او اربعين درهما وله ان يصعد في السن ما لم يجاوز الجذعة في الصعود ويأخذ الجبران من الساعي من بيت المال ولا يحتسب في الزكوة مريضة اذا كان بعض المال صحيحا ولو واحدة ويؤخذ من الكرام كريمة ومن اللئام لئيمة ولا يؤخذ من المال الاكولة ولا الماخض ولا الربا ولا الفحل ولا غرر المال

النوع الثاني في زكوة المعشرات فيجب العشر في كل مستنبت مقتات يبلغ ثمانمائة من ولا شيء فيما دونها ولا في الفواكه والقطن ولكن في الحبوب التي تقتات وفي التمر والزبيب ويعتبر ان يكون ثمانمائة من تمرا او زبيبا لا رطبا ولا عنبا ويخرج بعد التجفيف ويكمل مال احد الخليطين بمال الآخر في خلطة الشيوع كالبستان المشترك بين ورثة لجميعهم ثمانمائة من زبيب فيجب على جميعهم ثمانون منا من زبيب بقدر حصصهم ولا يعتبر خلطة الجوار فيه ولا تكميل نصاب الحنطة بالشعير ويكمل نصاب الحنطة بالسلت فانه نوع منه هذا قدر الواجب ان كان يسقى بسيح او قناة فان كان يسقى بنضح او دالية فيجب نصف العشر فان اجتمعا فالاغلب يعتبر واما صفة الواجب فالتمر والزبيب اليابس والحب اليابس بعد التنقية ولا يؤخذ عنب ولا رطب الا اذا حلت بالاشجار آفة وكانت المصلحة في قطعها قبل تمام الادراك فيؤخذ الرطب فيكال تسعة للمالك وواحدة للفقير ولا يمنع من هذه القسمة قولنا ان القسمة بيع بل يرخص في مثل هذه الحاجة ووقت الوجوب ان يبدو الصلاح في الثمار وان يشتد الحب ووقت الاداء بعد الجفاف

النوع الثالث زكاة النقدين فاذا تم الحول على مائتي درهم بوزن مكة نقرة خالصة ففيها خمسة دراهم وهو ربع العشر وما زاد فبحسابه ولو درهم ونصاب الذهب عشرون دينارا خالصا بوزن مكة ففيها ربع العشر وما زاد فبحسابه وان نقص من النصاب حبة فلا زكاة ويجب على من معه دراهم مغشوشة اذا كان فيها هذا المقدار من النقرة الخالصة ويجب الزكوة في التبر وفي الحلي المحظور كاواني الذهب والفضة ومراكب الذهب للرجال ولا يجب في الحلي المباح ويجب في الدين الذي هو على مليء ولكن يجب عند الاستيفاء وان كان مؤجلا فلا يجب الا بعد حلول الاجل

النوع الرابع زكاة التجارة وهي كزكاة النقدين وانما ينعقد الحول من وقت ملك النقد الذي به اشترى البضاعة ان كان النقد نصابا فان كان ناقصا او اشترى بعوض على نية التجارة فالحول من وقت الشراء وتؤدى الزكوة من نقد البلد وبه يقوم فان كان ما به الشراء نقدا وكان نصابا فان كان ناقصا واشتري في مال القنية لا ينعقد الحول بمجرد نيته حتى يشتري به شيئا ومهما قطع نية التجارة قبل تمام الحول سقطت الزكوة والاولى ان تؤدي زكوة تلك السنة وما كان من ربح في آخر الحول وجبت الزكوة فيه بحول راس المال ولم يستأنف له حول كما في النتاج واموال الصيارفة لا ينقطع حولها بالمبادلة الجارية بينهم كسائر التجارات وزكوة ربح مال القراض على العامل وان كان قبل القسمة هذا هو الاقيس

النوع الخامس زكوة الركاز والمعدن والركاز مال دفن في الجاهلية ووجد في ارض لم يجر عليها في الاسلام ملك فعلى واجده في الذهب والفضة منه الخمس والحول غير معتبر فيه والاولى انه لا يعتبر النصاب ايضا لان ايجاب الخمس يؤكد شبهه بالغنيمة واعتباره ايضا ليس ببعيد لان مصرفه مصرف الزكوة ولذلك يختص على الصحيح من القولين بالنقدين واما المعادن فلا زكوة فيما استخرج منها سوى الذهب والفضة ففيها بعد الطحن والتخليص ربع العشر على اصح القولين وعلى هذا يعتبر النصاب وفي الحول قولان وفي قول يجب الخمس فعلى هذا لا يعتبر الحول وفي النصاب قولان والاشبه والعلم عند الله تعالى ان يلحق في قدر الواجب بزكوة التجارة فانه نوع اكتساب وفي الحول بالمعشرات فلا يعتبر الحول ويعتبر النصاب كالمعشرات والاحتياط ان يخرج الخمس من القليل والكثير ومن غير النقدين ايضا خروجا عن شبهة الخلاف فانها ظنون قريبة من التعارض وجزم الفتوى فيها خطر لتعارض الاشباه

النوع السادس صدقة الفطر وهي واجبة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل مسلم فضل عن قوته وقوت من يقوته يوم الفطر وليلته صاع مما يقتات بصاع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منوان وثلث من يخرجه من جنس قوته او افضل فان اقتات بالحنطة لم يجز الشعير وان اقتات حبوبا مختلفة اختار خيرها ومن ايها اخرج اجزاه وقسمتها كقسمة زكوة الاموال فيجب فيها استيعاب الاصناف ولا يجوز اخراج الدقيق والسويق ويجب على الرجل المسلم فطرة زوجته المسلمة ومماليكه واولاده وكل قريب

هو في نفقته اعني من يجب عليه نفقته من الآباء والامهات والاولاد قال صلى الله عليه وسلم ادوا صدقة الفطر
عن من تمونون ويجب فطرة العبد المشترك على الشريكين ولا يجب فطرة العبد الكافر وان تبرعت الزوجة
بالاخراج عن نفسها اجزاها وللزوج الاخراج عنها دون اذنها وان فضل عنه ما يؤدي عن بعض عياله ادى عن
بعضهم واولاهم بالنفقة من كانت نفقته اكد وقد قدم الرسول صلى الله عليه وسلم نفقة الولد على نفقة
الزوجة ونفقتها على نفقة الخادم فهذه احكام فقهية لا بد للغني من معرفتها وقد تعرض له وقايع نادرة
خارجة عن هذا فله ان يتكل فيها على الاستفتاء عند نزول الواقعة بعد احاطته بهذا المقدار
الفصل الثاني في الادا وشروطه الباطنة والظاهرة بيان الشروط الظاهرة اعلم انه يجب
على مؤدي الزكوة مراعاة خمسة امور **الاول** النية وهو ان ينوي بقلبه زكاة الفرض وليس عليه تعيين
الاموال فان كان له مال غايب فقال هذا عن مالي الغايب ان كان سالما والا فهو نافلة جاز لانه اذا لم يصرح به
فكذلك يكون عند الاطلاق ونية الولي تقوم مقام نية المجنون والصبي ونية السلطان تقوم مقام
نية المالك الممتنع عن الزكاة ولكن في ظاهر حكم الدنيا اعني في قطع المطالبة عنه واما في الاخرة فلا
بل تبقى ذمته مشغولة الى ان يستانف الزكاة واذا وكل باداء الزكاة ونوى عند التوكيل او وكل الوكيل بالنية
كفاه لان توكيله بالنية نية **الثاني** البدار عقيب الحول وفي زكاة الفطر ويدخل وقت وجوبها
بغروب الشمس من اخر يوم من رمضان ووقت تعجيلها شهر رمضان كله ومن اخر زكاة ماله مع التمكن
عصا ولم تسقط عنه بتلف ماله وتمكنه بمصادفة المستحق وان اخرها لعدم المستحق فتلف ماله
سقطت الزكاة عنه وتعجيل الزكاة جايز بشرط ان تقع بعد كمال النصاب وانعقاد الحول ويجوز زكاة
حولين ومهما عجل فمات المسكين قبل الحول او ارتد او صار غنيا بغيرها عجل اليه او تلف مال المالك
او مات فالمدفوع ليس بزكاة واسترجاعه غير ممكن الا اذا قيد الدفع بالاسترجاع فليكن المعجل مراقبا
اخر الامر وسلامة العاقبة **الثالث** ان لا يخرج بدلا باعتبار القيمة بل يخرج المنصوص عليه فلا
يجزي ورق عن ذهب ولا ذهب عن ورق وان زاد عليه في القيمة ولعل من لا يدرك غرض الشافعي رضي الله
عنه يتساهل في ذلك ويلاحظ المقصود من سد الخلة وما ابعده عن التحصيل فان سد الخلة مقصود
وليس هو كل المقصود بل واجبات الشرع ثلاثة اقسام قسم هو تعبد محض لا مدخل للحظوظ والاغراض
فيه وذلك كرمي الجمار اذ لا حظ للجمرة في وصول الحصا اليها فمقصود الشرع الابتلاء بالعمل ليظهر العبد
رقه وعبوديته بفعل ما لا يعقل له معنى لان ما يعقل معناه فقد يساعده الطبع عليه ويدعو اليه فلا
يظهر به خلوص الرق والعبودية اذ العبودية تظهر بان يكون الحركة لحق امر المعبود فقط لا لمعنى اخر واكثر
اعمال الحج كذلك ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم في احرامه لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا تنبيها على
ان ذلك اظهار للعبودية بالانقياد لمجرد الامر وامتثاله كما امر من غير استيناس العقل منه بما يميل اليه
ويحث عليه **القسم الثاني** من واجبات الشرع ما المقصود منه حظ معقول وليس يقصد منه
التعبد كقضاء دين الادميين ورد المغصوب فلا جرم لا يعتبر فيه فعله ونيته ومهما وصل الحق الى
مستحقه باخذ المستحق او ببدل عنه عن رضاه تادى الوجوب وسقط خطاب الشرع فهذان لا تركيب
فيهما يشترك في دركهما جميع الناس **القسم الثالث** هو المركب الذي يقصد منه الامران
جميعا وهو حظ العباد وامتحان المكلف بالاستعباد فيجتمع فيه تعبد رمي الجمار وحظ رد الحقوق
فهذا قسم في نفسه معقول فان ورد الشرع به وجب الجمع بين المعنيين ولا ينبغي ان ينسى ادق المعنيين

وهو التعبد والاسترقاق بسبب احدهما ولعل الادق هو الاهم من هذا القبيل ولم يتنبه له غير الشافعي
فحظ الفقير مقصود في سد الخلة وهو جلي سابق الى الافهام وحق التعبد في اتباع التفاصيل
مقصود للشرع وباعتباره صارت الزكاة قرينة للصلاة والحج في كونها من مباني الاسلام ولا شك
ان على المكلف تعبا في تمييز اجناس ماله واخراج حصة كل مال من نوعه وجنسه وصفته ثم
توزيعه على الاصناف الثمانية كما سياتي والتساهل فيه غير قادح في حظ الفقير لكنه قادح في
التعبد ويدل على ان التعبد مقصود بتعيين الانواع امور ذكرناها في كتب الخلاف من الفقهيات
واوضحها ان الشرع اوجب في خمس من الابل شاة فعدل من الابل الى شاة ولم يعدل الى النقدين والتقويم
وان قدر ان ذلك لقلة النقود في ايدي العرب بطل بذكره عشرين درهما في الجبران مع الشاتين
فلم يذكر في الجبران قدر النقصان من القيمة ولم يقدر بعشرين درهما وشاتين اذا كان الثياب والامتعة
كلها في معناها فهذا وامثاله من التخصيصات يدل على ان الزكوة لم تترك خالية عن التعبدات
كما في الحج ولكن جمعت بين المعنيين والاذهان الضعيفة تقصر عن درك المركبات فهذا شان الغلط
الرابع ان لا ينقل الصدقة الى بلد اخر فان اعين المساكين في كل بلدة تمتد الى اموالها وفي النقل
تخييب للظنون فان فعل ذلك اجزاه في قول ولكن الخروج عن شبهة الخلاف اولى فليخرج زكاة كل
مال في تلك البلدة التي ذلك المال فيها ثم لا باس ان يصرف الى الغربا في تلك البلدة **الخامس**
ان يقسم ماله بعدد الاصناف الموجودين في بلده فان استيعاب الاصناف واجب عليه وعليه
يدل ظاهر قوله تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين فانه يشبه قول المريض انما ثلث مالي للفقراء
والمساكين وذلك يقتضي التشريك في التمليك والعبادات ينبغي ان يتوقى عن الهجوم فيها على الظواهر
وقد عدم من الثمانية صنفان في اكثر البلاد وهم المؤلفة قلوبهم والعاملون على الزكوة والمسافرون
اعني ابناء السبيل وصنفان يوجدان في بعض البلاد دون بعض وهم الغزاة والمكاتبون فان وجد
خمسة اصناف مثلا قسم زكاة ماله بخمسة اقسام متساوية وعين لكل صنف قسما ثم قسم كل قسم
بثلاثة اسهم فما فوقها اما متساوية او متفاوتة وليس عليه التسوية بين احاد الصنف فان له ان
يقسمه على عشرة وعشرين فينقص نصيب كل واحد واما الاصناف فلا تقبل الزيادة والنقصان فلا
ينبغي ان ينقص في كل صنف من ثلاثة ان وجد ولو لم يجب الا صاع الفطرة ووجد خمسة اصناف فعليه
ان يوصله الى خمسة عشر نفرا ولو نقص منهم واحد مع الامكان غرم نصيب ذلك الواحد فان عسر
عليه ذلك لقلة الواجب فليتشارك جماعة ممن عليهم الزكاة وليخلط مالهم بماله وليجمع المستحقين
وليسلم اليهم حتى يتساهموا فيه فان ذلك لا بد منه **بيان دقائق الاداب الباطنة**
في الزكاة على طريق الاخرة بزكاته وهي ثمانية وظائف **الوظيفة الاولى** فهم وجوب الزكوة و
معناها ووجه الامتحان فيها ولم جعلت من مباني الاسلام مع انه تصرف مالي وليس من عبادات الابدان
وفيها ثلاث معان الاول ان التلفظ بكلمتي الشهادة التزام للتوحيد وشهادة بافراد المعبود
وشرط تمامه الوفاء به بان لا يبقى للموحد محبوب سوى الواحد الفرد فان المحبة لا تقبل الشركة و
التوحيد باللسان قليل الجدوى وانما يمتحن درجة الحب بمفارقة المحبوبات والاموال محبوبة عند
الخلق لانها الة تمتعهم في الدنيا وبسببها يانسون بهذا العالم وينفرون عن الموت مع ان فيه
لقاء المحبوب فامتحنوا بتصديق دعواهم في المحبوب فاستنزلوا عن المال الذي هو مرموقهم

ومعشوقهم ولذلك قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وذلك
بالجهاد وهو مسامحة بالمهجة شوقا الى لقاء الله تعالى والمسامحة بالمال اهون ولما فهم هذا المعنى
في بذل الاموال انقسم الناس ثلاثة اقسام فقسم صدقوا التوحيد ووفوا بعهدهم ونزلوا عن جميع اموالهم
فلم يدخروا دينارا ولا درهما فابوا ان يتعرضوا لوجوب الزكاة عليهم حتى قيل لبعضهم كم يجب من الزكاة في
مائتي درهم فقال اما على العوام بحكم الشرع فخمسة دراهم واما نحن فيجب علينا بذل الجميع ولهذا جاء ابو بكر
رضي الله عنه بجميع ماله وعمر بشطر ماله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ماذا ابقيت لاهلك فقال مثله
فقال لابي بكر ما ابقيت لاهلك فقال الله ورسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينكما ما بين كلمتيكما
فالصديق رضي الله عنه وفى بتمام الصدق فلم يمسك سوى المحبوب عنده وهو الله تعالى ورسوله
عليه السلام **القسم الثاني** درجتهم دون درجة هؤلاء وهم الممسكون اموالهم المراقبون لمواقيت
الحاجات ومواسم الخيرات فيكون قصدهم في الادخار الانفاق على قدر الحاجة دون التنعم وصرف الفاضل
عن الحاجة الى وجوه البر مهما ظهرت وجوهها وهؤلاء لا يقتصرون على مقدار الزكاة كالنخعي والشعبي وعطا
ومجاهد قال الشعبي بعد ان قيل له هل في المال حق سوى الزكاة قال نعم اما سمعت قوله عز وجل
وآتى المال على حبه الآية واستدلوا بقوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون وبقوله تعالى وانفقوا مما رزقناكم
وزعموا ان ذلك غير منسوخ باية الزكاة بل هو داخل في حق المسلم على المسلم ومعناه انه يجب على الموسر مهما
وجد محتاجا ان يزيل حاجته فضلا عن الزكاة والذي يصح في الفقه من هذا الباب انه مهما ارهقته حاجته
كانت ازالتها فرضا على الكفاية اذ لا يجوز تضييع مسلم ولكن يحتمل ان يقال ليس على الموسر الا تسليم ما
يزيل الحاجة قرضا ولا يلزمه بذله في الحال ولا يجوز له الا قرض وهذا مختلف فيه والاقراض نزول الى الدرجة
الاخيرة من درجات العوام وهي درجات **القسم الثالث** الذين يقتصرون على اداء الواجب فلا
يزيدون عليه ولا ينقصون منه وهي اقل الرتب وقد اقتصر جميع العوام عليها لبخلهم بالمال وميلهم اليه
وضعف حبهم للآخرة قال الله تعالى ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا يحفكم اي يستقصي عليكم فكم بين عبد
اشترى منه ماله ونفسه بان له الجنة وبين عبد لا يستقصى عليه لبخله فهذا احد معاني امر الله سبحانه
ببذل الاموال المعنى الثاني التطهير من صفة البخل فانه من المهلكات قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال تعالى ومن يوق
شح نفسه فاولئك هم المفلحون وسياتي في ربع المهلكات وجه كونه مهلكا وانما تزول صفة البخل
بان يتعود بذل المال فحب الشيء لا ينقطع الا بقهر النفس على مفارقته حتى يصير ذلك اعتيادا فالزكاة
بهذا المعنى طهرة اي مطهرة صاحبها عن خبث البخل المهلك وانما طهارته بقدر بذله وبقدر فرحه باخراجه
واستبشاره بصرفه الى الله تعالى المعنى الثالث شكر النعمة فان لله تعالى على عبده نعمة في نفسه وفي ماله فالعبادات
البدنية شكر لنعمة البدن والعبادات المالية شكر لنعمة المال وما احسن من ينظر الى الفقير وقد ضيق
عليه رزقه واحوج اليه باخراج ربع العشر او العشر من ماله **الوظيفة الثانية** في وقت الاداء ومن
آداب ذوي الدين التعجيل عن وقت الوجوب اظهارا للرغبة في الامتثال وايصالا للسرور الى قلوب الفقراء
ومبادرة لعوائق الزمان ان تعوق عن الخيرات وعلما بان في التاخير آفات مع ما يتعرض له العبد من العصيان لو اخر
عن وقت الوجوب ومهما ظهرت داعية الخير من الباطن فينبغي ان يغتنم فان ذلك لمة الملك وقلب المؤمن
بين اصبعين من اصابع الرحمن فما اسرع تقلبه والشيطان يعد الفقر ويامر بالفحشاء والمنكر وله لمة عقيب

لمة الملك فليغتنم الفرصة فيه وليعين لزكاته ان كان يؤديها جميعا شهرا معلوما وليجتهد ان
يكون من افضل الاوقات ليكون ذلك سببا لنماء قربته وتضاعف زكاته وذلك كشهر المحرم فانه
اول السنة وهو من الاشهر الحرم او شهر رمضان فقد كان صلى الله عليه وسلم اجود الخلق وكان
في رمضان كالريح المرسلة لا يمسك فيه شيئا ولرمضان فضيلة ليلة القدر وانه انزل فيه القرآن
وكان مجاهد يقول لا تقولوا رمضان فانه اسم من اسماء الله عز وجل ولكن قولوا شهر رمضان وذو الحجة ايضا
من الشهور الكثيرة الفضل فانه شهر حرام وفيه الحج الاكبر وفيه الايام المعلومات وهي العشر الاول
والايام المعدودات وهي ايام التشريق وافضل ايام رمضان العشر الاواخر وافضل ايام ذي الحجة
العشر الاول **الوظيفة الثالثة** الاسرار فان ذلك ابعد من الرياء والسمعة قال صلى الله
عليه وسلم افضل الصدقة جهد المقل الى فقير في سر وقال بعض العلماء ثلاث من كنوز البر منها اخفاء
الصدقة وقد روي مسندا وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل عملا في السر فيكتبه الله تعالى فان
اظهره نقل من السر وكتب في العلانية فان تحدث به نقل من السر والعلانية وكتب رياء وفي الحديث المشهور
سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله احدهم رجل تصدق بصدقة فلم تعلم شماله ما اعطت يمينه وفي الخبر صدقة
السر تطفئ غضب الرب وقال تعالى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم وفائدة الاخفاء الخلاص من آفة
الرياء والسمعة فقد قال صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله من مسمع ولا مراء ولا منان والمتحدث بصدقته يطلب
السمعة والمعطي في ملأ من الناس يبغي الرياء وفي الاخفاء والسكوت هو المخلص منه وقد بالغ في قصد الاخفاء جماعة
حتى اجتهدوا ان لا يعرف القابض المعطي فكان بعضهم يلقيه في يد اعمى وبعضهم يلقيه في طريق الفقير
وفي موضع جلوسه حيث يراه ولا يرى المعطي وبعضهم كان يصرها في ثوب الفقير وهو نائم وبعضهم كان
يوصل الى يد الفقير على يد غيره بحيث لا يعرف المعطي وكان يستكتم المتوسط شانه ويوصيه بان لا يفشيه
وكل ذلك توصلا الى اطفاء غضب الرب سبحانه وتعالى واحترازا من الرياء والسمعة فتسليمها الى وكيل ليسلمها
الى المسكين والمسكين لا يعرف اولى اذ في معرفة المسكين الرياء والمنة جميعا وليس في معرفة المتوسط الا
الرياء ومهما كانت الشهرة مقصودة حبط عمله لان الزكاة ازالة للبخل وتضعيف لحب المال وحب الجاه
اشد استيلاء على النفس من حب المال وكل واحد منهما مهلك في الآخرة ولكن صفة البخل تنقلب في حكم
المال عقربا لادغا وصفة الرياء تنقلب افعى من الافاعي وهو مامور بتضعيفهما او قتلهما لدفع اذاهما او
تخفيف اذاهما فمهما قصد الرياء والسمعة فكانه جعل بعض اطراف العقرب مقويا للحيات فبقدر ما ضعف
من العقرب زاد في قوة الحيات ولو ترك الامر كما كان لكان الامر اهون عليه وقوة هذه الصفات التي بها قوتها
العمل بمقتضاها وضعف هذه الصفات بمجاهدتها ومخالفتها والعمل بخلاف مقتضاها فاي فائدة
في ان يخالف داعي البخل ويجيب داعي الرياء فيضعف الادنى ويقوي الاقوى وسياتي اسرار هذه المعاني
في ربع المهلكات ان شاء الله تعالى **الوظيفة الرابعة** ان يظهر حيث يعلم ان في اظهاره ترغيبا
للناس في الاقتداء ويحرس سره عن داعية الرياء بالطريق الذي سنذكره في معالجة الرياء في كتاب الرياء فقد
قال الله عز وجل ان تبدوا الصدقات فنعما هي وذلك حيث يقتضي الحال الابداء اما للاقتداء واما
لان السائل انما سال على ملأ من الناس فلا ينبغي ان يترك التصدق خيفة من الرياء في الاظهار بل ينبغي
ان يتصدق ويحفظ سره عن الرياء بقدر الامكان وهذا لان في الاظهار محذورا ثالثا سوى المن والرياء وهو
هتك ستر الفقير فانه ربما يتاذى بان يرى في صورة المحتاج فمن اظهر السؤال فهو الذي هتك ستر

الفقير وانه ربما يتاذى بان يرى في صورة المحتاج فمن اظهر السؤال فهو الذي هتك ستر نفسه فلا يحذر هذا
المعنى في اظهاره وهو كاظهار الفسق على من تستر به فانه محظور والتجسس فيه والاغتياب بذكره منهي
عنه فاما من اظهره فاقامة الحد عليه اشاعة ولكن هو السبب فيها وبمثل هذا المعنى قال صلى الله
عليه وسلم من القى جلباب الحيا فلا غيبة له وقد قال الله تعالى وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ندب
الى العلانية ايضا لما فيها من فائدة الترغيب فليكن العبد دقيق التامل في وزن هذه الفائدة بالمحذور
الذي فيها فان ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص فقد يكون الاعلان في بعض الاحوال لبعض الاشخاص افضل
ومن عرف الفوائد والغوائل ولم ينظر بعين الشهوة اتضح له الاولى والاليق بكل حال **الوظيفة الخامسة**
ان لا يفسد صدقته بالمن والاذى قال الله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى واختلفوا في حقيقة المن
والاذى فقيل المن ان تذكرها والاذى ان تظهرها وقال سفيان من من فسدت صدقته فقيل له كيف المن
فقال ان تذكره وتحدث به وقيل المن ان تستخدمه بالعطا والاذى ان تعيره بالفقر وقيل المن ان تتكبر عليه لاجل
عطائه والاذى ان تنتهره او توبخه بالمسئلة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صدقة من
منان وعندي ان المن له اصل ومغرس وهو من احوال القلب وصفاته ثم يتفرع له احوال ظاهرة على اللسان و
الجوارح فاصله ان يرى نفسه محسنا اليه ومنعما عليه وحقه ان يرى ان الفقير هو المحسن الى المتصدق
بقبول حق الله تعالى منه الذي هو طهرته ونجاته من النار وانه لو لم يقبله لبقي مرتهنا به فحقه ان يتقلد منة
الفقير اذ جعل كفه نائبا عن الله عز وجل في قبض حق الله تعالى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الصدقة تقع بيد الله قبل ان تقع في يد السائل فليتحقق انه مسلم الى الله تعالى حقه والفقير اخذ من الله
رزقه بعد **الوظيفة** وريه مسلما الى الله تعالى ولو كان عليه حق لانسان فاحال به عبده او خادمه الذي هو
متكفل برزقه لكان اعتقاد مؤدي الدين كون القابض تحت منته سفها وجهلا فان المحسن اليه المتكفل برزقه
اما هو فانما يقضي الدين الذي لزمه بشراء ما احبه فهو ساع في حق نفسه فلم يمن به على غيره ومهما عرف المعاني
الثلاثة التي ذكرناها في فهم وجوب الزكاة واحدها لم ير نفسه محسنا الا الى نفسه اما ببذل ماله اظهارا
لحب الله تعالى او تطهيرا لنفسه عن رذيلة البخل او شكرا على نعمة المال طلبا للمزيد فكيف ما كان فلا معاملة
بينه وبين الفقير حتى يرى نفسه محسنا اليه تفرع منه على ظاهره ما ذكرناه في معنى المن وهو التحدث به واظهاره
وطلب المكافاة منه بالشكر والدعا والخدمة والتوقير والتعظيم والقيام بالحقوق والتقديم في المجالس
والمتابعة في الامور فهذه كلها ثمرات المنة ومعنى المنة في الباطن ما ذكرناه واما الاذى فظاهره التوبيخ و
التعيير وتخشين الكلام وتقطيب الوجه وهتك الستر بالاظهار وفنون الاستخفاف وباطنه وهو
منبعه امران احدهما كراهيته لرفع اليد عن المال وشدة ذلك على نفسه فان ذلك يضيق على الخلق لا
محالة والثاني رؤيته انه خير من الفقير وان الفقير بسبب حاجته اخس رتبة منه وكلاهما منشؤه
الجهل اما كراهيته تسليم المال فهو حمق لان من كره بذل درهم في مقابلة ما يساوي الفا فهو شديد الحمق و
معلوم انه يبذل المال لطلب رضى الله تعالى والثواب في الدار الاخرة وذلك اشرف مما بذله او يبذله لتطهير نفسه
عن رذيلة البخل وشكرا لطلب المزيد وكيف ما فرض فالكراهة لا وجه لها واما الثاني فهو ايضا جهل محض
لانه لو عرف فضل الفقر على الغنا وعرف خطر الاغنيا لما استحقر الفقير بل تبرك به وتمنى درجته فصلحا الاغنيا
يدخلون الجنة بعد الفقرا بخمسمائة عام ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم هم الاخسرون ورب الكعبة فقال
ابو ذر من هم قال هم الاكثرون مالا الا من قال بالحديث وكيف يستحقره وهو يجتهد في حفظه بقلة الحاجة وقد قال لم

ان يسلم الى الفقير مهما حاجته ويكف عنه الفاضل الذي يحتاج لو سلم اليه فالغني مستقدم ليسعى في رزق
الفقير ويحيل عنه بتقليد المظالم والتزام المشاق وحراسة الفضلات الى ان يموت فياكله
اعداوه فاذا مهما انتفت الكراهية وتبدلت بالسرور والفرح بتوفيق الله تعالى له في اداء الواجب
وتقييضه للفقير حتى يخلصه عن عهدته بقبوله منه انتفى الاذى والتوبيخ وتقطيب الوجه
وتبدل بالاستبشار والثنا بقبول المنة فهذا منشا المنة والاذى فان قلت فرؤيته نفسه في
درجة المحسنين امر غامض فهل من علامة يمتحن بها قلبه فيعرف بها انه لم ير نفسه محسنا فاعلم
ان لذلك علامة دقيقة واضحة وهو ان الفقير لو جنا عليه جناية او مالا عليه عدوا له هل
كان يزيد استنكاره واستبعاده له على استنكاره قبل التصديق فان زاد لم تخل صدقته من شائبة
المنة لانه توقع بسببه ما لم يكن يتوقع قبل ذلك فان قلت فان هذا امر غامض ولا ينفك قلب احد
عنه فما دواؤه فاعلم ان له دوا باطنا ودوا ظاهرا **اما الباطن** فالمعرفة بالحقائق التي ذكرناها في
فهم الوجوب وان الفقير هو المحسن اليه في تطهيره بالقبول **واما الظاهر** فالاعمال التي يتعاطاها
متقلد المنة فان الافعال التي تصدر عن الاخلاق المحمودة كما سياتي اسرار ذلك في الشطر الاخر
من هذا الكتاب ولذلك كان بعضهم يضع الصدقة بين يدي الفقير ويتمثل قائما بين يديه
يسئله قبولها حتى يكون هو في صورة السائل وهو يستشعر مع ذلك كراهة الرد لو ردها وكان
بعضهم يبسط كفه لياخذ منه الفقير وتكون يد الفقير هي العليا وكانت عائشة وام سلمة رضي الله
عنهما اذا ارسلتا معروفا الى فقير قالتا للرسول احفظ ما يدعو به ثم كانتا تردان عليه مثل قوله
وتقولان هذا بذاك حتى تخلص لنا صدقتنا وكانوا لا يتوقعون الدعا لانه شبه المكافاة وكانوا يقابلون
الدعا بمثله وهكذا فعل عمر بن الخطاب وابنه عبد الله رضي الله عنهما فهكذا كان ارباب القلوب يداوون
قلوبهم ولا دوا من حيث الظاهر الا هذه الاعمال الدالة على التذلل والتواضع وقبول المنة ومن حيث
الباطن المعارف التي ذكرناها هذا من حيث العمل وذلك من حيث العلم ولا يعالج القلب الا بمعجون العلم
والعمل وهذه الشريطة من الزكاة تجري مجرى الخشوع من الصلوات وثبت ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم
ليس للمرء من صلاته الا ما عقل منها وثبت هذا بقوله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صدقة منان وبقوله
عز وجل لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى واما فتوى الفقيه بوقوعها موقعها وبراءة ذمته منها دون هذا
الشرط فحديث اخر وقد اشرنا اليه في كتاب الصلاة **الوظيفة السادسة** ان يستصغر العطية
فانه ان استعظمها اعجب بها والعجب من المهلكات وهو محبط للاعمال قال الله تعالى ويوم حنين
اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيا ويقال ان الطاعة كلما استصغرت عظمت عند الله تعالى والمعصية
كلما استعظمت صغرت عند الله تعالى وقيل لا يتم المعروف الا بثلاث تصغيره وتعجيله وستره وليس
الاستعظام هو المن والاذى فانه لو صرف ماله الى عمارة مسجد او رباط امكن فيه الاستعظام ولا يمكن المن
والاذى بل العجب والاستعظام يجري في جميع العبادات ودواؤه علم وعمل **اما العلم** فهو ان يعلم ان
العشر او ربع العشر قليل من كثير وانه قد قنع لنفسه باخس درجات البذل كما ذكرناه في فهم الوجوب
فهو جدير بان يستحيي منه فكيف يستعظمه فان ارتقى الى الدرجة العليا فبذل كل ماله او اكثره فليتامل
من اين له المال والى ماذا يصرفه فالمال لله تعالى وله المنة عليه اذ اعطاه ثم وفقه لبذله فلم يستعظم في حق
الله تعالى ما هو عين حق الله تعالى وان كان مقامه يقتضي ان ينظر الى الاخرة وانه يبذله للثواب فلم يستعظم

بدل ما ينتظر اليه اضعافه واما البخل فهو ان يعطيه عطا البخيل من بخله بامساك بقية ماله عن الله عز وجل فتكون هيئته الانكسار والمحاكية من مطالبة برد وديعة فيمسك بعضها ويرد البعض لان المال كله لله سبحانه وبذل جميعه هو الاحب عند الله تعالى وانما لم يامر به عبده لانه يشق عليه بسبب بخله كما قال جل ذكره فيحفكم تبخلوا **الوظيفة السابعة** ان ينتقي من ماله اجوده واحبه واجوده اليه واجله واطيبه فان الله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا واذا كان المخرج من شبهة فربما لا يكون ملكا له مطلقا فلا يقع الموقع وفي حديث ابان عن انس رضي الله عنه طوبى لعبد انفق من مال اكتسبه من غير معصية فاذا لم يكن المخرج من جيد المال فهو من سوء الادب اذ يمسك الجيد لنفسه او لعبده او لاهله فيكون قد اثر على الله سبحانه غيره ولو فعل هذا بضيفه وقدم اليه اردى طعام في بيته لاوغر عليه صدره هذا ان كان نظره الى الله تعالى فان كان نظره لنفسه وثوابه في الاخرة فليس بعاقل من يؤثر غيره على نفسه وليس له من ماله الا ما تصدق فابقى او اكل فافنى او لبس فابلى والذي ياكله قضاء وطر في الحال فليس من العقل قصر النظر على العاجلة وترك الادخار للاخرة وقد قال تعالى يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه اي لا تاخذونه الا مع كراهية وحيا وهو معنى الاغماض فلا تؤثروا به ربكم وفي الخبر سبق درهم مائة الف درهم وذلك بان يخرجه الانسان من احل ماله واجوده فيصدر ذلك عن الرضا والفرح بالبذل وقد يخرج مائة الف درهم مما يكره من ماله فيدل ذلك على انه ليس يؤثر الله تعالى بشيء مما يحبه ولذلك ذم الله تعالى قوما جعلوا لله ما يكرهون فقال تعالى ويجعلون لله ما يكرهون وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى لا وقف بعض القراء على النفي تكذيبا لهم ثم ابتدا جرم ان لهم النار اي كسب لهم جعلهم لله ما يكرهون **الوظيفة الثامنة** ان يطلب لصدقته من تزكو به الصدقة ولا يكتفي بان يكون من عموم الاصناف الثمانية فان في عمومهم خصوصا فليراع خصوص تلك الصفات وهي ستة **الصفة الاولى** ان يطلب الاتقياء المعرضين عن الدنيا المتجردين لتجارة الاخرة قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تاكل الا طعام تقي ولا ياكل طعامك الا تقي وهذا لان التقي يستعين به على التقوى فتكون شريكا له في طاعته باعانتك اياه وقال صلى الله عليه وسلم اطعموا طعامكم الاتقيا واولوا معروفكم المؤمنين وفي لفظ اخر اضف بطعامك من تحبه في الله تعالى وكان بعض العلما يؤثر بالعطا فقرا الصوفية دون غيرهم فقيل له لو عممت بمعروفك جميع الفقرا لكان افضل فقال لا هؤلا قوم همومهم لله تعالى فاذا طرقتهم فاقة تشتت هم احدهم فلان ارد همة واحد الى الله تعالى احب الي من ان اعطي الفا ممن همته الدنيا فذكر هذا الكلام للجنيد فاستحسنه وقال هذا ولي من اوليا الله تعالى وقال ما سمعت منذ زمان كلاما احسن من هذا ثم حكي ان هذا الرجل اختل حاله وهم بترك الحانوت فبعث اليه الجنيد مالا وقال اجعله بضاعتك ولا تترك الحانوت فان التجارة لا تضر مثلك وكان الرجل بقالا لا ياخذ من الفقرا ثمن ما يبتاعون منه **الصفة الثانية** ان يكون من اهل العلم خاصة فان ذلك اعانة له على العلم والعلم اشرف العبادات مهما صحت النية فيه وكان ابن المبارك يخصص بمعروفه اهل العلم فقيل له لو عممت فقال اني لا اعرف بعد مقام النبوة افضل من مقام العلما فاذا اشتغل قلب احدهم بحاجته لم يتفرغ للعلم ولم يقبل على التعلم فتفريغهم للعلم افضل **الصفة الثالثة** ان يكون صادقا في تقواه وعلمه بالتوحيد وتوحيده انه اذا اخذ العطا حمد الله عز وجل وشكره ورا ان النعمة منه ولم ينظر الى واسطة فهذا اشكر العباد لله سبحانه وهو ان يرى النعم كلها منه وفي وصية لقمان لابنه لا تجعل بينك وبين الله تعالى منعما واعدد نعمة غيره عليك مغرما ومن شكر غير الله سبحانه فكانه لم يعرف

المنعم ولم يتيقن ان الواسطة مقهور مسخر بتسخير الله تعالى اذ سلط الله تعالى عليه دواعي الفعل ويسر له الاسباب فاعطى وهو مقهور ولو اراد تركه لم يقدر عليه بعد ان القى الله تعالى في قلبه ان صلاح دينه ودنياه في فعله فمهما قوي الباعث اوجب ذلك جزم الارادة وانتهاض القدرة ولم يستطع العبد مخالفة الباعث القوي الذي لا تردد فيه والله تعالى خالق البواعث ومهيجها ومزيل الضعف والتردد عنها ومسخر القدرة للانتهاض بمقتضى البواعث فمن تيقن هذا لم يكن له نظر الا الى مسبب الاسباب وتيقن مثل هذا العبد انفع للمعطي من ثنا غيره وشكره فان الثنا والشكر حركة في اللسان يقل في الاكثر جدواه واعانة مثل هذا الموحد لا تضيع واما الذي يمدح بالعطا ويدعو بالخير فسيذم بالمنع ويدعو بالشر عند الايذا واحواله متفاوتة **وقد روي** ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث معروفا الى بعض الفقرا وقال للرسول احفظ ما يقول فلما اخذ قال الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره ولا يضيع من شكره ثم قال اللهم انك لم تنس فلانا يعني نفسه فاجعل فلانا لا ينساك فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فسر وقال علمت انه يقول ذلك فانظر كيف قصر التفاته على الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم لرجل تب فقال اتوب الى الله ولا اتوب الى محمد فقال صلى الله عليه وسلم عرف الحق لاهله ولما نزلت برااة عائشة رضي الله عنها في قصة الافك قال ابو بكر رضي الله عنه قومي فقبلي راس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله لا افعل ولا احمد الا الله تعالى فقال النبي صلى الله عليه وسلم دعها يا ابا بكر وفي لفظ انها رضي الله عنها قالت لابي بكر رضي الله عنه بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد صاحبك فلم ينكر عليه السلام ذلك مع ان الوحي وصل اليها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ورؤية الاشيا من غير الله سبحانه من وصف الكافرين قال الله تعالى واذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون ومن لم يصف باطنه عن رؤية الوسايط الا من حيث انهم وسايط فكانه لم ينفك عن الشرك الخفي سره فليتق الله تعالى في تصفية توحيده عن كدورة الشرك وشوايبه **الصفة الرابعة** ان يكون مستترا مخفيا حاجته لا يكثر البث والشكوى او يكون من اهل المروة ممن ذهبت نعمته وبقيت عادته وهو يتعيش في جلباب التجمل قال الله تعالى يحسبهم الجاهل اغنيا من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسالون الناس الحافا اي لا يلحون في السوال لانهم اغنيا بيقينهم اعزة بصبرهم وهذا ينبغي ان يطلب بالتفحص عن اهل الدين في كل محلة ويستكشف عن بواطن احوال اهل الخير والتجمل فثواب صرف المعروف اليهم اضعاف ما يصرف الى المجاهرين بالسوال **الصفة الخامسة** ان يكون معيلا او محبوسا بمرض او بسبب من الاسباب فيوجد فيه معنى قوله عز وجل للفقرا الذين احصروا في سبيل الله اي حبسوا في طريق الاخرة بعيلة او ضيق معيشة او اصلاح قلب لا يستطيعون ضربا في الارض لانهم مقصوصو الجناح مقيدو الاسباب كان عمر رضي الله عنه يعطي اهل البيت القطيع من الغنم العشرة فما فوقها وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعطي العطا على مقدار العيلة وسئل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن جهد البلا فقال كثرة العيال وقلة المال **الصفة السادسة** ان يكون من الاقارب وذوي الارحام فتكون صدقة وصلة رحم وفي صلة الرحم من الثواب ما لا يحصى قال علي رضي الله عنه لان اصل اخا من اخواني بدرهم احب الي من ان اتصدق بعشرين درهما ولان اصله بمائة درهم احب الي من ان اعتق رقبة والاصدقا واخوان الخير يقدمون على المعارف كما تقدم الاقارب على الاجانب فليراع هذه الدقايق فهذه هي الصفات المطلوبة وفي كل صفة درجات فينبغي ان يطلب اعلاها فان وجد من جمع جملة من هذه الصفات فهي الذخيرة الكبرى والغنيمة العظمى ومهما اجتهد في

ذلك فأصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد فإن أجره في الحال بتطهيره نفسه عن صفة البخل وتأكيد
حب الله في قلبه واجتهاده في طاعته وهذه الصفات هي التي تقوى في قلبه فتشوقه إلى لقاء الله والآخرة
الثاني ما يعود إليه من فائدة دعوة الآخذ وهمته فإن قلوب الأبرار لها آثار في الحال والمآل فإذا أصاب حصل
الأجران وإن أخطأ حصل الأول دون الثاني فهذا معنى تضاعف أجر المصيب في الاجتهاد هاهنا وفي سائر
المواضع والله تعالى أعلم بالصواب **الفصل الثالث** في القابض وأسباب استحقاقه ووظائفه
في قبضه بيان أسباب الاستحقاق اعلم أنه لا يستحق الزكاة إلا حر مسلم ليس بهاشمي ولا مطلبي اتصف بصفة
من صفات الأصناف الثمانية المذكورين في كتاب الله عز وجل فلا تصرف زكاة إلى كافر ولا إلى عبد ولا إلى هاشمي
ولا إلى مطلبي وأما الصبي والمجنون فيجوز الصرف إليهما إذا قبض عنهما وليهما فلنذكر صفات الأصناف
الثمانية **الصنف الأول** الفقراء والفقير هو الذي ليس له مال ولا قدرة على الكسب فإن
كان معه قوت يومه وكسوة حاله فليس بفقير ولكنه مسكين فإن كان معه نصف قوت يومه فهو فقير
وإن كان معه قميص وليس معه منديل ولا خف ولا سراويل ولم تكن قيمة القميص بحيث تفي بجميع ذلك
كما يليق بالفقراء فهو فقير لأنه في الحال قد عدم ما هو محتاج إليه وما هو عاجز عنه فلا ينبغي أن يشترط في
الفقير أن لا تكون له كسوة سوى ستر العورة فإن هذا غلو والغالب أنه لا يوجد مثله ولا يخرجه عن الفقر كونه
معتادا السؤال فلا يجعل السؤال كسبا بخلاف ما لو قدر على كسب فإن ذلك يخرجه عن الفقر فإن قدر على الكسب بآلة
فهو فقير ويجوز أن تشترى له الآلة فإن قدر على كسب لا يليق بمروءته وبحال مثله فهو فقير وإن كان
متفقها ويمنعه الاشتغال بالكسب عن التفقه فهو فقير ولا تعتبر قدرته وإن كان متعبدا يمنعه
الكسب عن وظائف العبادات وأوراد الأوقات فليكتسب لأن الكسب أولى قال النبي صلى الله عليه وسلم
الكسب فريضة بعد الفريضة وقال عمر كسب في شبهة خير من مسألة الناس فإن كان مكتفيا بنفقة أبيه أو من تجب
عليه نفقته فهذا أهون من الكسب فليس بفقير **الصنف الثاني** المساكين والمسكين هو الذي
لا يفي دخله بخرجه فقد يملك ألف درهم وهو مسكين وقد لا يملك إلا فأسا وحبلا وهو غني والدويرة التي
يسكنها والثوب الذي يستره على قدر حاله لا يسلبه اسم المسكنة وكذلك أثاث البيت أعني ما يحتاج إليه
وذلك ما يليق به وكذا كتب الفقيه لا تخرجه عن المسكنة وإذا لم يملك سوى الكتب فلا يلزمه صدقة
الفطر وحكم الكتاب حكم الثوب وأثاث البيت فإنه محتاج إليها ولكن ينبغي أن يحتاط في فهم الحاجة إلى
الكتاب فالكتاب يحتاج إليه لثلاثة أغراض التعليم والاستفادة والتفرج بالمطالعة أما حاجة التفرج
فلا تعتبر كاقتناء كتب الأشعار وتواريخ الأخبار فهذا يباع في الكفارة وزكاة الفطر ويمنع اسم المسكنة
وأما حاجة التعليم إن كانت لأجل الكسب كالمؤدب والمعلم والمدرس بأجرة فهذه آلته فلا تباع
في الفطرة كأدوات الخياط وسائر المحترفين وإن كان يدرس للقيام بفرض الكفاية فلا تباع ولا يسلبه ذلك
اسم المسكين لأنها حاجة مهمة وأما حاجة الاستفادة والتعلم من الكتب كادخاره كتاب طب ليعالج به نفسه
أو كتاب وعظ ليطالع فيه ويتعظ به فإن كان في البلد طبيب وواعظ فهذا مستغنى عنه وإن لم يكن فهو محتاج
إليه ثم ربما لا يحتاج إلى مطالعة الكتاب إلا بعد مدة فينبغي أن يضبط مدة الحاجة والأقرب أن يقال ما لا يحتاج
إليه في السنة فهو مستغنى عنه فإن فضل من قوت يومه شيء لزمته الفطرة فإذا قدرنا القوت
باليوم فحاجة أثاث البيت وثياب البدن ينبغي أن تقدر بالسنة فلا تباع ثياب الصيف في الشتاء والكتب
بالأثاث والثياب أشبه وقد يكون له من كتاب نسختان فلا حاجة إلى إحداهما فإن قال إحداهما أصح والأخرى

أحسن فأنا محتاج إليهما قلنا اكتف بالأصح وبع الأحسن ودع التفرج والترفه وإن كانت نسختان من علم واحد
إحداهما بسيط والأخرى وجيز فإن كان مقصوده الاستفادة فليكتف بالبسيط وإن كان قصده التدريس
فيحتاج إليهما إذ في كل واحدة فائدة ليست في الأخرى وأمثال هذه الصور لا تنحصر ولم يتعرض لها في فن
الفقه وإنما أوردناها هاهنا لعموم البلوى والتنبيه بحسن هذا النظر على غيره فإن استقصاء هذه الصور
غير ممكن إذ يتعدى مثل هذا النظر في أثاث البيت في مقداره وعدده ونوعه وفي ثياب البدن وفي
الدار وسعتها وضيقها وليس لهذه الأمور حدود محدودة ولكن الفقيه يجتهد فيها برأيه ويقرب في التحديد
بما يراه ويقتحم فيه خطر الشبهات والمتورع يأخذ بالأحوط ويدع ما يريبه إلى ما لا يريبه والدرجات
المتوسطة المشكلة بين الأطراف المتقابلة الجلية كثيرة ولا ينجي منها إلا الاحتياط **الصنف الثالث**
العاملون وهم السعاة الذين يجمعون الزكوات سوى الخليفة والقاضي ويدخل فيه العريف والكاتب والمستوفي
والحافظ والنقال ولا يزاد واحد منهم على أجر المثل فإن فضل شيء من الثمن عن أجر مثلهم رد على
بقية الأصناف وإن نقص كمل من مال المصالح **الصنف الرابع** المؤلفة قلوبهم وهم الأشراف الذين
أسلموا وهم مطاعون في قومهم وفي إعطائهم تقريرهم على الإسلام وترغيب نظرائهم وأتباعهم **الصنف
الخامس** المكاتبون فيدفع إلى السيد سهم المكاتب وإن دفع إلى المكاتب جاز ولا يدفع السيد زكاته إلى مكاتب
نفسه لأنه يعد عبدا له **الصنف السادس** الغارمون والغارم هو الذي استقرض في طاعة الله عز وجل
أو في مباح وهو فقير فإن استقرض في معصية فلا يعطى إلا إذا تاب وإن كان غنيا لم تقض دينه إلا إذا كان
قد استقرض لمصلحة أو إطفاء فتنة **الصنف السابع** الغزاة الذين ليس لهم مرسوم في ديوان المرتزقة
فيصرف إليهم سهم وإن كانوا أغنياء إعانة لهم على الغزو **الصنف الثامن** ابن السبيل وهو الذي شخص من
بلده مسافرا في غير معصية أو اجتاز بها فيعطى إن كان فقيرا وإن كان له مال ببلد آخر أعطي بقدر بلغته فإن قلت
فبم تعرف هذه الصفات قلنا أما الفقر والمسكنة فبقول الآخذ ولا يطالب ببينة ولا يحلف بل يجوز اعتمادا
على قوله إذا لم يعلم كذبه وأما الغزو والسفر فهو أمر مستقبل فيعطى بقوله إني غاز فإن لم يف استرد وأما بقية
الأصناف فلا بد فيها من البينة فهذه شروط الاستحقاق وأما مقدار ما يصرف إلى كل واحد منهم فسيأتي إن شاء الله
تعالى **بيان** وظائف القابض وهي خمسة الأولى أن يعلم أن الله عز وجل أوجب صرفها إليه ليكفي مهمه ويجعل
همه هما واحدا فقد تعبد الله الخلق بأن يكون همهم هما واحدا وهو الله سبحانه واليوم الآخر وهو المعني
بقوله عز وجل وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ولكن لما اقتضت الحكمة أن يسلط على العبد الشهوات والحاجات
وهي تفرق همه اقتضى الكرم إفاضة نعمة تكفي الحاجات فأكثر الأموال وصبها في أيدي عباده لتكون آلة لهم
في دفع حاجاتهم ووسيلة لتفرغهم لطاعتهم فمنهم من أكثر ماله فتنة وبلية فأقحمه في الخطر ومنهم
من أحبه فحماه عن الدنيا كما يحمي الشفيق مريضه فزوى عنه فضولها وساق إليه قدر حاجته على يدي الأغنياء
ليكون سهل الكسب والتعب في الجمع والحفظ عليهم **وفائدته تنصب** إلى الفقراء فيتجردون لعبادة
الله عز وجل والاستعداد لما بعد الموت فلا يصرفهم عن ذلك فضول الدنيا ولا يشغلهم عن التأهب الفاقة
وهذا منتهى قدر النعمة فحق الفقير أن يعرف قدر نعمة الفقر ويتحقق أن فضل الله عليه فيما زواه عنه أكثر
من فضله فيما أعطاه كما سيأتي في كتاب الفقر تحقيقه وبيانه فليأخذ ما يأخذه من الله تعالى رزقا له
وعونا على الطاعة ولكن ينبغي فيه أن يتقوى به على طاعته فإن لم يقدر عليه فليصرفه إلى ما أباحه الله
تعالى فإن استعان به على معصية الله تعالى كان كافرا لأنعم الله تعالى مستحقا للبعد والمقت من الله تعالى

الفصل الرابع في صدقة التطوع وفضلها وآداب اخذها وعطائها فضيلة الصدقة من الاخبار
قوله صلى الله عليه وسلم تصدقوا ولو بتمرة فانها تسد من الجائع وتطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار
وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله تعالى الا طيبا الا
كان الله عز وجل يأخذها بيمينه فيربيها كما يربي احدكم فصيله او فلوه حتى تبلغ التمرة مثل احد وقال
عليه السلام لابي الدرداء اذا طبخت مرقة فاكثر ماءها ثم انظر اهل بيت من جيرانك فاصبهم منه بمعروف
وقال عليه السلام ما احسن عبد الصدقة الا احسن الله تعالى الخلافة في تركته وقال عليه
السلام كل امرئ في ظل صدقته يوم القيمة حتى يقضى بين الناس وقال صلى الله عليه وسلم اي الصدقة
افضل قال ان تصدق وانت صحيح شحيح تأمل البقاء وتخشى الفاقة ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت
لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوما لاصحابه تصدقوا فقال
رجل ان عندي دينارا قال انفقه على نفسك قال ان عندي آخر قال انفقه على زوجتك قال ان عندي
آخر قال انفقه على ولدك قال ان عندي آخر قال انفقه على خادمك قال ان عندي آخر قال صلى الله عليه وسلم
انت ابصر به وقال صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لآل محمد انما هي اوساخ الناس وقال صلى الله عليه وسلم
ردوا مذمة السائل ولو بمثل رأس الطائر من الطعام وقال صلى الله عليه وسلم لو صدق السائل ما افلح
من رده وقال عليه السلام من رد سائلا خائبا لم تغش الملائكة ذلك البيت سبعة ايام وقال عليه
السلام ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان انما المسكين المتعفف اقرؤوا ان
شئتم لا يسألون الناس الحافا وقال صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يكسو مسلما الا كان في حفظ الله ما
دامت عليه منه رقعة **الآثار** عن عروة بن الزبير قال لقد تصدقت عائشة رضي الله عنها بخمسين الفا وان
درعها لمرقع وقال مجاهد في قوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه قال وهم يشتهونه وكان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه يقول اللهم اجعل الفضل عند خيارنا لعلهم يعودون على اهل الحاجة منا وقال عبد العزيز بن
عمير الصلاة تبلغك نصف الطريق والصوم يبلغك باب الملك والصدقة تدخلك عليه وقال
ابن ابي الجعد ان الصدقة لتدفع سبعين بابا من السوء وفضل سرها على علانيتها سبعون ضعفا وانها
لتفك لحيي سبعين شيطانا وقال ابن مسعود ان رجلا عبد الله سبعين سنة ثم اصاب فاحشة فاحبط
الله عمله ثم مر بمسكين فتصدق عليه برغيف فغفر الله تعالى له ذنبه ورد عليه عمله السبعين سنة و
يقال ان الحسن مر به نخاس ومعه جارية فقال للنخاس اترضى ثمنها الدرهم والدرهمين قال لا قال فاذهب فان الله
تعالى قد رضي بالحور العين بالفلس واللقمة **بيان اخفاء الصدقة** واظهارها قد اختلف طرق
طلاب الاخلاص في ذلك فمال قوم الى ان الاخفاء افضل ومال قوم الى ان الاظهار افضل ونحن نشير
الى ما في كل واحد من المعاني والآفات ثم نكشف الغطاء عن الحق فيه ان شاء الله **اما** الاخفاء ففيه خمس معان
الاول انه ابقى للستر على الآخذ فان اخذه ظاهرا هتك لستر المروءة وكشف عن الحاجة وخروج عن هيئة
التعفف **الثاني** انه اسلم لقلوب الناس والسنتهم فانهم ربما يحسدونه او ينكرون عليه اخذه ويظنون
انه اخذه مع الاستغناء او ينسبونه الى اخذ زيادة والحسد وسوء الظن والغيبة من الذنوب الكبائر ف
صيانتهم عن هذه الجرائم اولى وقال ايوب السختياني اني لاترك لبس الثوب الجديد خشية ان يحدث
في جيراني حسد وقال بعض الزهاد ربما تركت استعمال الشيء لاجل اخواني يقولون من اين لك هذا
وعن ابراهيم التيمي انه رأى عليه قميص جديد فقال بعض اخوانه من اين لك هذا فقال كسانيه اخي خيثمة

ولو علمت ان اهله علموا به لما قبلته **الثالث** اعانة المعطي على اسرار العمل فان فضل السر على الجهر في الاعطاء
اكثر والاعانة على اتمام المعروف معروف والكتمان لا يتم الا باثنين فمهما اظهر هذا انكشف امر المعطي
ودفع رجل الى بعض العلماء شيئا ظاهرا فرده ودفع اليه آخر شيئا في السر فقبله فقال ان هذا عمل بالادب في
اخفاء معروفه فقبلته وذاك اساء ادبه في عمله فرددت عليه **الرابع** ان في اظهار الاخذ ذلا وامتهانا وليس
للمؤمن ان يذل نفسه وكان بعض العلماء يأخذ في السر ولا يأخذ في العلانية ويقول ان في اظهاره اذلالا
للعلم وامتهانا لاهله فما كنت لارفع شيئا من الدنيا بوضع العلم واذلال اهله **الخامس** الاحتراز
عن شبهة الشركة قال صلى الله عليه وسلم من اهدي له هدية قال صلى الله عليه وسلم افضل ما يهدي
الرجل الى اخيه ورقا او يطعمه خبزا فجعل الورق هدية فانفراده بما يعطى في الملأ مكروه الا برضى جميعهم
ولا يخلو عن شبهة فاذا انفرد سلم عن هذه الشبهة **واما الاظهار** والتحدث ففيه اربع معان
الاول الاخلاص والصدق والسلامة عن تلبيس الحال والمراءاة الثاني اسقاط الجاه والمنزلة و
اظهار العبودية والمسكنة والتبري عن الكبرياء ودعوى الاستغناء واسقاط النفس من اعين الخلق
قال بعض العارفين لتلميذه اظهر الاخذ على كل حال ان كنت آخذا فانك لا تخلو من احد رجلين
رجل تسقط من قلبه اذا فعلت ذلك فذلك هو المراد لانه اسلم لدينك واقل لآفات نفسك او رجل
تزداد في قلبه باظهارك الصدق فذلك هو الذي يريده اخوك فانه يزداد ثوابا بزيادة حبه لك
وتعظيمه اياك فتؤجر اذ كنت سبب مزيد ثوابه **الثالث** هو ان العارف لا نظر له الا الى الله
تعالى والسر والعلانية في حقه واحد واختلاف الحال شرك في التوحيد قال بعضهم كنا لا نعبأ
بدعاء من يأخذ في السر ويرد في العلانية والالتفات الى الخلق حضروا ام غابوا نقصان في الحال بل ينبغي
ان يكون النظر مقصورا على الواحد الفرد حكي ان بعض الشيوخ كان كثير الميل الى واحد من جملة
المريدين فشق على الآخرين فاراد ان يظهر لهم فضيلة ذلك المريد فاعطى كل واحد منهم دجاجة
فقال لينفرد كل واحد منكم بها وليذبحها حيث لا يراه احد فانفرد كل واحد وذبح دجاجته الا ذلك
المريد فانه رد الدجاجة فسألهم فقالوا فعلنا ما امر الشيخ فقال لذلك المريد لم اقدر عليه فان الله تعالى
كان يراني في كل موضع فقال الشيخ لهذا انا اميل اليه لانه لا يلتفت الى غير الله عز وجل **الرابع**
ان الاظهار اقامة لسنة الشكر وقد قال تعالى واما بنعمة ربك فحدث والكتمان كفران النعمة وقد
ذم الله عز وجل من كتم ما آتاه الله تعالى وقرنه بالبخل فقال تعالى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل
ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وقال صلى الله عليه وسلم اذا انعم الله على عبد نعمة احب ان ترى عليه
واعطى بعض العارفين شيئا في السر فرفع يديه وقال هذا من الدنيا والعلانية فيها افضل والسر في امور
الآخرة افضل ولذلك قال بعضهم اذا اعطيت في الملأ فخذ ثم اردد في السر والشكر مستحب قال عليه
السلام من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل والشكر قائم مقام المكافاة حتى قال عليه السلام من اسدى
اليكم معروفا فكافئوه فان لم تستطيعوا فاثنوا عليه خيرا وادعوا له حتى تعلموا انكم قد كافأتموه **بيان الافضل
من اخذ الصدقة والزكاة** كان ابراهيم الخواص والجنيد وجماعة يرون ان الاخذ من الصدقة
افضل فان في اخذ الزكاة مزاحمة المساكين وتضييقا عليهم ولانه ربما لا يكمل في اخذها صفة الاستحقاق
كما وصف في الكتاب واما الصدقة فالامر فيها اوسع وقال قائلون يأخذ الزكاة دون الصدقة لانها اعانة على
واجب اوجبه الله سبحانه رزقا للعباد المحتاجين ولانه اخذ بالحاجة والانسان يعلم حاجته بنفسه قطعا واخذ

الصدقة اخذ بالدين فان الغالب ان المتصدق انما يعطي من يعتقد فيه خيرا ولان مرافقة المساكين ادخل في الذل والمسكنة وابعد عن التكبر اذ قد يأخذ الانسان الصدقة في معرض الهدية فلا يتميز عنها وهذا تنصيص على اذلال الآخذ وحاجته والقول الحق في هذا ان هذا يختلف باحوال الشخص وما يغلب عليه ويحضره من النية فان كان في شبهة من اتصافه بصفة الاستحقاق فلا ينبغي ان يأخذ الزكاة واذا علم انه مستحق قطعا كما اذا حصل عليه دين صرفه الى خير وليس له وجه في قضائه فهو مستحق قطعا فاذا خير هذا بين الزكاة وبين الصدقة فان كان صاحب الصدقة لا يتصدق بذلك المال لو لم يأخذه فليأخذ الصدقة فان الزكاة الواجبة يصرفها صاحبها الى مستحقها ففي ذلك تكثير للخير وتوسيع للمساكين وان كان المال معرضا للصدقة ولم يكن في اخذ الزكاة تضييق على المساكين فهو مخير والامر فيهما متقارب واخذ الزكاة اشد في كسر النفس واذلالها في اغلب الاحوال تم كتاب الزكاة بحمد الله وعونه والحمد لله رب العالمين يتلوه الجزء السادس كتاب الصيام

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين **كتاب الصيام**

الحمد لله الذي اعظم على عباده المنة بما دفع عنهم كيد الشيطان وفنه ورد امله وخيب ظنه اذ جعل الصوم حصنا لاوليائه وجنة وفتح لهم ابواب الجنة وعرفهم ان وسيلة الشيطان الى قلوبهم الشهوات المستكنة وان بقمعها تصبح النفس المطمئنة ظاهرة الشوكة في قصم خصمها قوية المنة والصلاة على محمد قائد الخلق وممهد السنة وعلى آله واصحابه ذوي الابصار والعقول الراجحة وسلم تسليما كثيرا **اما بعد** فان الصوم ربع الايمان بمقتضى قوله عليه السلام الصوم نصف الصبر وبمقتضى قوله عليه السلام الصبر نصف الايمان ثم هو مميز بخاصية النسبة الى الله تعالى من بين سائر الاركان اذ قال الله تعالى فيما حكاه عنه نبيه صلى الله عليه وسلم كل حسنة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف الا الصيام فانه لي وانا اجزي به وقال الله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب والصوم نصف الصبر فقد جاوز ثوابه قانون التقدير والحساب وناهيك في معرفة فضيلته قوله عليه السلام والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم عند الله تعالى اطيب من ريح المسك يقول الله تبارك وتعالى انما يذر شهوته وطعامه وشرابه لاجلي فالصوم لي وانا اجزي به وقال صلى الله عليه وسلم لكل شيء باب وباب العبادة الصوم وقال عليه السلام نوم الصائم عبادة وروى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل رمضان فتحت ابواب الجنة وغلقت ابواب النار وصفدت الشياطين ونادى مناد يا باغي الخير اقبل ويا باغي الشر اقصر وقال وكيع في قوله عز وجل كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية هي ايام الصوم اذ يدعون فيها الاكل والشرب وقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رتبة المباهاة بين الزهد في الدنيا وبين الصوم فقال ان الله تعالى يباهي الملائكة بالشاب العابد فيقول ايها الشاب التارك شهوته لاجلي المبذل شبابه لي انت عندي كبعض ملائكتي وقال صلى الله عليه وسلم في الصائم يقول الله عز وجل يا ملائكتي انظروا الى عبدي ترك شهوته ولذته وطعامه وشرابه من اجلي وقيل في قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون قيل كان عملهم الصيام لانه قال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فيفرغ للصائم اجره افراغا ويجازف جزافا فلا يدخل تحت وهم وتقدير وجدير بان يكون كذلك لان الصوم انما كان له عز وجل مشرفا

بالنسبة اليه تبارك وتعالى وان كانت العبادات كلها له كما شرف الكعبة بالنسبة الى نفسه عز وجل والارض كلها له لمعنيين **الاول** ان الصوم كف وترك وهو في نفسه سر ليس فيه عمل يشاهد فجميع الطاعات بمشهد من الخلق ومرأى والصوم لا يراه احد الا الله عز وجل فانه عمل في الباطن بالصبر المجرد **الثاني** انه قهر لعدو الله فان وسيلة الشيطان لعنه الله الشهوات وانما تقوى الشهوات بالاكل والشرب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وسياق فضائل الجوع في كتاب شره الطعام وعلاجه من ربع المهلكات فلما كان الصوم على الخصوص قمعا للشيطان وسدا لمسالكه وتضييقا لمجاريه استحق التخصيص بالنسبة الى الله عز وجل ففي قمع عدو الله نصرة لله تعالى ونصرة الله عز وجل موقوفة على النصرة له قال الله تعالى ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم فالبداية بالجهد من العبد والجزاء بالهداية من الله عز وجل ولذلك قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وانما التغيير بكسر الشهوات فهي مرتع الشياطين ومرعاهم فما دامت مخصبة لم ينقطع ترددهم عليها وما داموا يترددون لم ينكشف للعبد جلال الله سبحانه وكان محجوبا عن لقائه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماوات فمن هذا الوجه صار الصوم باب العبادة وصار جنة واذا عظمت فضيلته الى هذا الحد فلا بد من بيان شروطه الظاهرة والباطنة بذكر اركانه وسننه وشروطه الباطنة ونبين ذلك بثلاثة فصول **الفصل الاول** في الواجبات والسنن الظاهرة واللوازم بافساده اما الواجبات الظاهرة فستة **الاول** مراقبة اول شهر رمضان وذلك برؤية الهلال فان غم فباستكمال ثلاثين يوما من شعبان ونعني بالرؤية العلم ويحصل ذلك بقول عدل واحد ولا يثبت هلال شوال الا بقول عدلين احتياطا للعبادة ومن سمع عدلا ووثق بقوله وغلب على ظنه صدقه لزمه الصوم وان لم يقض القاضي به فليتبع كل عبد في عبادته موجب ظنه واذا رؤي الهلال ببلدة ولم ير باخرى وكان بينهما اقل من مرحلتين وجب الصوم على الكل وان كان بينهما اكثر من ذلك كان لكل بلدة حكمها ولا يتعدى الوجوب **الثاني** النية ولا بد لكل ليلة من نية مبيتة معينة جازمة فلو نوى ان يصوم شهر رمضان دفعة واحدة لم يكفه وهو الذي عنينا بقولنا كل ليلة ولو نوى بالنهار لم يجزه صوم رمضان ولا صوم الفرض الا التطوع وهو الذي عنينا بقولنا مبيتة ولو نوى ان يصوم مطلقا او الفرض مطلقا لم يجزه حتى ينوي فريضة الله عز وجل صوم رمضان ولو نوى ليلة الشك ان يصوم غدا ان كان من رمضان لم يجزه فانها ليست جازمة الا ان تستند نيته الى قول شاهد عدل واحتمال غلط العدل او كذبه لا يبطل الجزم او يستند الى استصحاب حال كالشك في الليلة الاخيرة من رمضان فذلك لا يمنع جزم النية او يستند الى اجتهاد كالمحبوس في المطمورة اذا غلب على ظنه دخول رمضان باجتهاده فشكه لا يمنعه من النية ومهما كان شاكا ليلة الشك لم ينفعه جزم النية باللسان فان النية محلها القلب ولا يتصور فيه جزم القصد مع الشك كما لو قال في وسط رمضان اصوم غدا ان كان من رمضان فان ذلك لا يضره لانه ترديد لفظ ومحل النية لا يتصور ولو نوت المرأة الصوم في الحيض وطهرت قبل الفجر صح صومها **الثالث** الامساك عن ايصال شيء الى الجوف عمدا مع ذكر الصوم فيفسد صومه بالاكل والشرب والسعوط والحقنة ولا يفسد بالفصد والحجامة والاكتحال وادخال الميل في الاذن والاحليل الا ان يقطر فيه ما يبلغ المثانة وما يصل بغير قصد من غبار الطريق او ذبابة تسبق الى جوفه وما يسبق الى جوفه في المضمضة فلا يفطر الا اذا بالغ في المضمضة فيفطر لانه مقصر وهو الذي اردنا بقولنا

عمدًا وأما ذاكر الصوم فأدبه الاحتراز عن الناسي فإنه لا يفطر وأما من أكل عامدا أو في طرفي النهار ثم ظهر له
أنه أكل نهارًا بالتحقيق فعليه القضا وإن بقي على حكم ظنه واجتهاده فلا قضا عليه **الرابع** الإمساك
عن الجماع وحده تغييب الحشفة فإن جامع ناسيا لم يفطر وإن جامع ليلا أو احتلم فأصبح جنبا لم يفطر
وإن طلع الفجر وهو مخالط أهله فنزع في الحال صح صومه فإن صبر فسد صومه ولزمته الكفارة **الخامس**
الإمساك عن الاستمنا وهو إخراج المني قصدا بجماع أو بغير جماع فإن ذلك يفطر ولا يفطر بقبلة زوجته
ولا بمضاجعتها ما لم ينزل لكن يكره ذلك إلا أن يكون شيخا أو مالكا لإربه فلا بأس بتقبيله وتركه أولى وإذا كان
يخاف من التقبيل أن ينزل فقبّل وسبق المني أفطر لتقصيره **السادس** الإمساك عن إخراج القيء فإن استقا
فقاء أفسد الصوم وإن ذرعه القيء لم يفسد صومه وإن ابتلع نخامة من حلقه أو صدره
لم يفسد صومه رخصة لعموم البلوى به إلا أن يبتلعها بعد وصولها إلى فيه فإنه يفطر عند ذلك **لطائف**
لوازم الإفطار أربعة الكفارة والفدية والقضا وإمساك بقية النهار تشبها بالصائمين أما القضا
فوجوبه عام على كل مسلم مكلف ترك الصوم بعذر أو بغير عذر فالحائض تقضي الصوم وكذلك المرتد
وأما الكافر والصبي والمجنون فلا قضا عليه ولا يشترط التتابع في قضا رمضان ولكن يقضي كيف شا
متفرقا أو مجموعا وأما الكفارة فلا تجب إلا بالجماع وأما الاستمنا والأكل والشرب وما عدا الجماع فلا يجب
فيه كفارة والكفارة عتق رقبة فإن عجز فصوم شهرين فإن عجز فإطعام ستين مسكينا مدا مدا وأما الفدية
فتجب على الحامل والمرضع إذا أفطرتا خوفا على ولديهما لكل يوم مد حنطة لمسكين واحد مع القضا والشيخ الهرم
إذا لم يصم تصدق عن كل يوم مدا والسنن ستة تأخير السحور وتعجيل الفطر بالتمر أو الما قبل الصلاة
وترك السواك بعد الزوال والجود في شهر رمضان ومدارسة القرآن والاعتكاف في المسجد لا سيما في العشر
الأواخر **الفصل الثاني** في أسرار الصوم وشروطه الباطنة اعلم أن الصوم ثلاث درجات صوم العموم
وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص أما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضا الشهوة كما سبق تفصيله
وأما صوم الخصوص فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام **وأما صوم**
خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنية والأفكار الدنياوية وكفه عما سوى الله تعالى بالكلية ويحصل
الفطر في هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله عز وجل واليوم الآخر وبالفكر في الدنيا إلا دنيا تراد للدين فإن ذلك
من قلة الوثوق بفضل الله الكريم جل جلاله وقلة اليقين برزقه الموعود وهذه رتبة الأنبيا عليهم
السلام والصديقين والمقربين عليهم السلام وأما صوم الخصوص وهو صوم الصالحين فهو كف الجوارح
عن الآثام وتمامه بستة أمور الأول غض البصر وكفه عن الاتساع في النظر إلى كل ما يذم ويكره وإلى كل ما يشغل
القلب ويلهي عن ذكر الله تعالى قال النبي صلى الله عليه وسلم النظرة سهم مسموم من سهام إبليس فمن تركها خوفا من
الله تعالى آتاه الله تعالى إيمانا يجد حلاوته في قلبه **وروى جابر** عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنه قال خمس يفطرن الصائم الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة **الثاني** حفظ اللسان
عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفا والخصومة والمرا وإلزامه السكوت أو شغله بذكر
الله تعالى وتلاوة القرآن فهذا صوم اللسان وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم إنما الصوم جنة فإذا كان
أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤ شاتمه أو قاتله فليقل إني صائم إني صائم **وجاء في الخبر** أن امرأتين
صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا أن تتلفا فبعثتا
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستأذنانه في الإفطار فأرسل إليهما قدحا وقال للرسول قل لهما قيئا فيه ما أكلتما

فقاءت إحداهما نصفه دما عبيطا ولحما غريضا وقاءت الأخرى مثل ذلك حتى ملأتاه فتعجب الناس من
ذلك فقال صلى الله عليه وسلم هاتان صامتا عما أحل الله عز وجل وأفطرتا على ما حرم الله عز وجل
عليهما قعدت إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تغتابان الناس فهذا ما أكلتا من لحومهم **الثالث** كف
السمع عن الإصغا إلى كل مكروه لأن كل ما حرم الله قوله حرم الإصغا إليه ولذلك سوى الله تعالى بين المستمع
وآكل السحت فقال تعالى سماعون للكذب أكالون للسحت وقال تعالى لولا ينهاهم الربانيون والأحبار
عن قولهم الإثم وأكلهم السحت فالسكوت على الغيبة حرام وقال تعالى أيضا فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا
في حديث غيره إنكم إذا مثلهم وقال عليه السلام المغتاب والمستمع شريكان في الإثم **الرابع** كف بقية
الجوارح من اليد والرجل عن المكاره وكف البطن عن الشبهات وقت الإفطار فلا معنى للصوم وهو الكف
عن الطعام الحلال ثم الإفطار على الحرام فمثال هذا الصائم مثال من يبني قصرا ويهدم مصرا فإن الطعام
الحلال إنما يضر بكثرته لا بنوعه فالصوم لتقليله وتارك الاستكثار من الدوا خوفا من ضرره إذا عدل إلى
تناول السم كان سفيها والحرام مهلك للدين والحلال دوا ينفع قليله ويضر كثيره وقصد الصوم تقليله
وقد قال عليه السلام كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش فقيل هو الذي يفطر على الحرام وقيل
هو الذي يمسك عن الطعام الحلال ويفطر على لحوم الناس بالغيبة وهي حرام وقيل هو الذي لا يحفظ جوارحه
عن الآثام **الخامس** أن لا يستكثر من الحلال وقت الإفطار بحيث يمتلئ جوفه فما من وعا أبغض إلى الله من بطن ملئ
من حلال وكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله تعالى وكسر الشهوة إذا تدارك الصائم عند فطره ما فاته
ضحوة نهاره وربما يزيد عليه في ألوان الطعام حتى استمرت العادات بأن يدخر جميع الأطعمة فيها ما لا يوكل في
عدة أشهر ومعلوم أن مقصود الصوم الخوى وكسر الشهوة لتقوى النفس على التقوى فإذا دفعت المعدة ضحوة
نهار إلى العشا حتى هاجت شهوتها وقويت رغبتها ثم أطعمت من ألوان الطعام وأشبعت زادت لذتها و
تضاعفت قوتها وانبعث من الشهوات ما عساها كانت راكدة لو تركت على عادتها فروح الصوم وسره تضعيف
القوى التي هي وسائل الشيطان في العود إلى الشرور ولن يحصل ذلك إلا بالتقليل من الطعام وهو أن يأكل ضحوة
إلى ما كان يأكل ليلا فلم ينتفع بصومه بل من الآداب ألا يكثر النوم بالنهار حتى يحس بالجوع والعطش ويستشعر
ضعف القوى فيصفو عند ذلك قلبه ويستديم في ليلة قدرا من الضعف حتى يخف عليه تهجده وأوراده
فعسى الشيطان أن لا يحوم على قلبه فينظر إلى ملكوت السما وليلة القدر عبارة عن الليلة التي ينكشف فيها شي
وهو المراد بقوله تعالى إنا أنزلناه في ليلة القدر ومن جعل بين صدره وقلبه مخلاة من الطعام فهو محجوب
ومن أخلا معدته فلا يكفيه ذلك لرفع الحجاب ما لم يخل همته عن غير الله عز وجل وذلك هو الأمر كله ومبدأ
جميع ذلك تقليل الطعام وسيأتي له مزيد بيان في كتاب الأطعمة إن شا الله تعالى **السادس** أن يكون
قلبه بعد الإفطار معلقا مضطربا بين الخوف والرجا إذ ليس يدري هل يقبل صومه فهو من المقربين أم يرد عليه
فهو من الممقوتين وليكن كذلك في آخر كل عبادة يفرغ منها فقد روي عن الحسن البصري أنه مر بقوم يوم
العيد وهم يضحكون فقال إن الله تعالى جعل شهر رمضان مضمارا لخلقه يستبقون فيه إلى طاعته فسبق أقوام
ففازوا وتخلف أقوام فخابوا **والعجب كل العجب** في الضاحك واللاعب في اليوم الذي فاز فيه السابقون
وخاب فيه المبطلون أما والله لو كشف الغطا لاشتغل المحسن بإحسانه والمسي بإساءته أي كان سرور
المقبول يشغله عن اللعب وحسرة المردود تسد عليه باب الضحك **الفصل الثالث** في التطوع بالصيام
وترتيب الأوراد فيه اعلم أن استحباب الصوم يتأكد في الأيام الفاضلة وفواضل الأيام بعضها يوجد في كل سنة

وبعضها في كل شهر وبعضها في كل اسبوع اما في السنة فبعد ايام رمضان يوم عرفة ويوم عاشورا والعشر الاول
من ذي الحجة والعشر الاول من المحرم وجميع الاشهر الحرم مظان الصوم وهي اوقات فاضلة وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يكثر صوم شعبان حتى كان يظن انه في رمضان وفي الخبر افضل الصيام بعد شهر رمضان شهر
الله المحرم ولانه ابتدا السنة فبناوها على الخير احب وارجا لدوام بركتها وقال صلى الله عليه وسلم صوم
يوم من شهر رمضان افضل من ثلاثين من شهر حرام وفي الخبر من صام ثلاثة من شهر حرام الخميس والجمعة و
السبت كتب الله جل ذكره له بكل يوم عبادة سبع مائة عام وفي الخبر اذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى
يدخل رمضان ولهذا استحب ان يفطر قبل رمضان اياما فان وصل شعبان برمضان فجايز فعل ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم مرة وفصل مرارا كثيرة فلا يجوز ان يقصد استقبال رمضان بيومين او ثلاثة الا
ان يوافق وردا له وكره بعض الصحابة ان يصام رجب كله حتى لا يضاهي بشهر رمضان والاشهر الفاضلة ذو الحجة
والمحرم ورجب وشعبان والاشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب واحد فرد وثلاثة سرد وافضلها ذو
الحجة لان فيه الحج وشوال من اشهر الحج وليس من الحرم والمحرم ورجب ليسا من اشهر الحج وفي الخبر ما من ايام العمل
فيهن افضل واحب الى الله تعالى من ايام عشر ذي الحجة ان صوم يوم منه يعدل صيام سنة وقيام ليلة
منه يعدل قيام ليلة القدر قيل ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله تعالى الا من عقر جواده
واهريق دمه واما ما يتكرر في الشهر فاول الشهر واوسطه واخره ووسطه الايام البيض وهي الثالث
عشر والرابع عشر والخامس عشر واما في الاسبوع فالاثنين والخميس والجمعة فهذه الايام الفاضلة فيستحب
فيها الصيام وتكثير الخيرات لتضاعف اجورها ببركة هذه الاوقات واما صوم الدهر فانه شامل
للكل وزيادة وللسالكين فيه طرق فمنهم من كره ذلك اذ وردت اخبار تدل على كراهيته والصحيح انه يكره لشيئين
احدهما ان لا يفطر في العيدين وايام التشريق فهو الدهر كله والاخر ان يرغب عن السنة في الافطار ويجعل الصوم
حجرا على نفسه مع ان الله عز وجل يحب ان تؤتى رخصه كما يحب ان تؤتى عزايمه فاذا لم يكن شي من ذلك وراى صلاح
نفسه في صوم الدهر فليفعل ذلك فقد فعله جماعة من الصحابة والتابعين لهم باحسان وقال النبي صلى الله
عليه وسلم من صام الدهر ضيقت عليه جهنم وعقد تسعين ومعناه لم يكن له فيها موضع ودونه صيام الدهر درجة
اخرى وهي صوم نصف الدهر بان يصوم يوما ويفطر يوما وذلك اشد على النفس واقوى في قهرها وقد ورد في فضله
اخبار لان العبد فيه بين صبر يوم وشكر يوم فقد قال صلى الله عليه وسلم عرضت علي مفاتيح خزاين الدنيا
وكنوز الارض فرددتها وقلت اجوع يوما واشبع يوما احمدك اذا شبعت واتضرع اليك اذا جعت وقد
روي عنه عليه السلام انه ما صام شهرا كاملا قط الا رمضان بل كان يفطر منه ويصوم ومن لا يقدر على
صوم نصف الدهر فلا باس بثلثه وهو ان يصوم يوما ويفطر يومين واذا صام ثلاثة ايام من اول الشهر
وثلاثة من الوسط وثلاثة من الاخر فهو الثلث وواقع في الايام الفاضلة وان صام الاثنين والخميس و
الجمعة فهو قريب الثلث واذا ظهرت اوقات الفضيلة فالكمال ان يفهم الانسان معنى الصوم وان مقصوده
تصفية القلب وتفريغ الهم لله تعالى والفقيه بدقايق الباطن ينظر الى احواله فقد يقتضي حاله دوام الصوم
وقد يقتضي حاله دوام الفطر وقد يقتضي مزج الافطار بالصوم فاذا فهم المعنى وتحقق حده في سلوك
طريق الاخرة بمراقبة القلب لم يخف عليه صلاح قلبه وذلك لا يوجب ترتيبا مستمرا ولذلك روي عنه صلى
الله عليه وسلم كان يصوم حتى يقال لا يفطر ويفطر حتى يقال لا يصوم وينام حتى يقال لا يقوم ويقوم حتى يقال لا
ينام وكان ذلك بحسب ما ينكشف له بنور النبوة من القيام بحقوق الاوقات وقد كره بعض العلما ان يوالي

بين الافطار اكثر من اربعة ايام تقديرا بيوم العيد وايام التشريق وذكروا ان ذلك يقسي القلب ويولد
ردي العادات ويفتح ابواب الشهوات ولعمري هو كذلك في حق اكثر الخلق لا سيما من ياكل في اليوم
والليلة مرتين فهذا ما اوردنا ذكره من ترتيب الصوم المتطوع به والله الموفق للصواب تم كتاب الصيام
والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده وحسبنا الله ونعم الوكيل يتلوه كتاب الحج والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم وبه حسبي

الحمد لله الذي جعل كلمة التوحيد لعباده حرزا وحصنا وجعل البيت العتيق مثابة للناس وامنا واكرمه
بالنسبة الى نفسه تشريفا وتحصينا ومنا وجعل زيارته والطواف به حجابا بين العبد وبين العذاب ومجنا
والصلاة على محمد نبي الرحمة وسيد الامة وعلى اله وصحبه قادة الحق وسادة الخلق وسلم كثيرا اما
بعد فان الحج من بين اركان الاسلام ومباني عبادة العمر وختام الامر وتمام الاسلام وكمال الدين فيه
انزل الله تعالى قوله اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وفيه قال صلى الله
عليه وسلم من مات ولم يحج فليمت ان شا يهوديا وان شا نصرانيا فاعظم بعبادة يعدم الدين بفقدها
الكمال ويساوي تاركها اليهود والنصارى في الضلال واجدر بها ان تصرف العناية الى شرحها وتفصيل
اركانها وسننها وادابها وفضايلها واسرارها وجملة ذلك ينكشف بتوفيق الله تعالى في ثلثة ابواب
الباب الاول في فضايلها وفضايل مكة والبيت العتيق وجمل اركانها وشرايط وجوبها الباب الثاني في
اعمالها الظاهرة على الترتيب من مبدا السفر الى الرجوع الباب الثالث في ادابها الدقيقة واسرارها الخفية
واعمالها الباطنة فلنبدا بالباب الاول وفيه فصلان الاول في فضايل الحج وفضيلة البيت ومكة والمدينة
حرسها الله تعالى وشد الرحال الى المشاهد العظام فضيلة الحج قال الله تعالى واذن في الناس
بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق قال قتادة لما امر الله تعالى ابراهيم صلى الله عليه وسلم
ان يؤذن في الناس بالحج نادى يا ايها الناس ان الله بنى بيتا فحجوه وقال تعالى ليشهدوا منافع لهم قيل التجارة في
الموسم والاجر في الاخرة ولما سمع بعض السلف هذا قال غفر لهم ورب الكعبة وقيل في قوله تعالى لاقعدن
لهم صراطك المستقيم اي طريق مكة يقعد الشيطان عليها ليمنع الناس عنها وقال صلى الله عليه وسلم من
حج البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وقال صلى الله عليه وسلم ما روي الشيطان
في يوم هو فيه اصغر ولا ادحر ولا احقر ولا اغيظ منه يوم عرفة وما ذاك الا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن
الذنوب العظام اذ يقال ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا الوقوف بعرفة وقد اسنده جعفر بن محمد الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وذكر بعض المكاشفين من المقربين ان ابليس ظهر له في صورة شخص بعرفة فاذا هو ناحل
الجسم شاحب بلا بكا اقول قد قصدوه اخاف ان لا يخيبهم فيحزنني ذلك قال فما الذي احل جسمك قال
صهيل الخيل في سبيل الله ولو كانت في سبيلي كان احب الي قال فما الذي غير لونك قال تعاون الناس على
الطاعة ولو تعاونوا على المعصية كان احب الي قال فما الذي قصف ظهرك قال قول العبد اسالك حسن
الخاتمة اقول يا ويلتا متى يعجب هذا بعمله اخاف ان يكون قد فطن وقال صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته
حاجا او معتمرا فمات اجري له اجر الحاج المعتمر الى يوم القيمة ومن مات في احد الحرمين لم يعرض ولم يحاسب وقيل
له ادخل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها وحجة مبرورة ليس لها جزا الا الجنة وقال

صلى الله عليه وسلم الحجاج والعمار وفد الله وزواره ان سالوه اعطاهم وان استغفروه غفر لهم وان دعوه
استجاب لهم وان شفعوا شفعوا وفي حديث مسند من طريق اهل البيت اعظم الناس ذنبا من وقف
بعرفه فظن ان الله لم يغفر له وروي ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ينزل على هذا البيت
في كل يوم مائة وعشرون رحمة ستون للطائفين واربعون للمصلين وعشرون للناظرين وفي الخبر
استكثروا من الطواف فانه من اقل شي تجدونه في صحفكم يوم القيمة واغبط عمل تجدونه ولهذا
استحب الطواف ابتداء من غير حج ولا عمرة وفي الخبر من طاف اسبوعا حافيا حاسرا كان له كعتق رقبه
ومن طاف اسبوعا في المطر غفر له ما سلف من ذنوبه ويقال ان الله عز وجل اذا غفر ذنبا لعبد في الموقف
غفر ذلك الذنب لكل من اصابه في ذلك الموقف وقال بعض السلف اذا وافق يوم عرفة يوم جمعه غفر لكل
اهل عرفه وهو افضل يوم في الدنيا وفيه حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وكان واقفا اذ
نزل قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا قال اهل الكتاب
لو انزلت هذه الاية علينا لجعلناها يوم عيد فقال عمر رضي الله عنه اشهد لقد انزلت في يوم عيدين
اثنين يوم عرفه ويوم الجمعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفه وقال صلى الله عليه وسلم
اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج وروي ان علي ابن الموفق حج عن رسول الله حججا فقال رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال يا ابن الموفق حججت عني قلت نعم قال فلبيت قال فاني مكافيك بها يوم
القيمة اخذ بيدك في الموقف فادخلك الجنة والخلائق والناس في كرب الحساب وقال مجاهد وغيره
من العلما ان الحجاج اذا قدموا مكة تلقتهم الملائكة فسلمت على ركاب الابل وصافحوا ركبان الحمر واعتنقوا
المشاة اعتناقا وقال الحسن من مات عقيب رمضان او عقيب غزو او عقيب حج مات شهيدا وقال عمر بن
الخطاب رضي الله عنه الحاج مغفور له ولمن استغفر له في شهر ذي الحجة والمحرم وصفر و
عشرين من ربيع الاول وقد كان من سنة السلف ان يشيعوا الغزاة وان يستقبلوا الحاج وان يقبلوا بين
اعينهم ويسالونهم الدعا ويبادرون ذلك قبل ان يتدنسوا بالاثام ويروي عن علي بن الموفق انه
قال حججت سنة فلما كان ليلة عرفة نمت بمنى بمسجد الخيف فرايت في المنام كان ملكين قد نزلا من السما
عليهما ثياب خضر فنادي احدهما صاحبه يا عبد الله فقال الاخر لبيك يا عبد الله فقال اتدري كم
حج بيت ربنا في هذه السنة قال لا ادري قال حج بيت ربنا ستمائة الف افتدري كم قبل منهم قال لا
قال تقبل منهم ستة انفس قال ثم ارتفعا في الهوا فغابا عني فانتبهت فزعا واغتممت غما شديدا
واهمني امري فقلت اذا قبل حج ستة انفس فاين اكون انا في ستة انفس فلما افضت من عرفه قمت
عند المشعر الحرام فجعلت افكر في كثرة الخلق وفي قلة من قبل منهم فحملني النوم فاذا الشخصان قد نزلا
على هيئتهما فنادي احدهما صاحبه واعاد ذلك الكلام بعينه فقال اتدري ماذا حكم ربنا في هذه
الليلة قال لا قال فانه وهب لكل واحد من الستة مائة الف قال فانتبهت وبي من السرور ما يجل عن
الوصف وعنه ايضا انه قال حججت سنة فلما قضيت مناسكي تفكرت فيمن لم يتقبل حجه فقلت اللهم
اني قد وهبت حجتي وجعلت ثوابها لمن لم يتقبل حجه قال فرايت رب العزة جل جلاله في النوم فقال
يا علي تتسخى علي وانا خلقت السخا والاسخيا وانا اجود الاجودين واكرم الاكرمين واحق بالجود والكرم من
العالمين قد وهبت كل من لم اتقبل حجه لمن قبلته **فضيلة البيت ومكة** قال صلى الله عليه وسلم
ان الله عز وجل قد وعد هذا البيت ان يحجه في كل سنة ستمائة الف فان نقصوا اكملهم من الملائكة وان

الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة وكل من حجها متعلق باستارها يسعون حولها حتى تدخل الجنة فيدخلون
معها وفي الخبر ان الحجر ياقوتة من ياقوت الجنة وانه يبعث يوم القيمة له عينان ينظر بهما ولسان ينطق
به يشهد لمن استلمه بحق وصدق وكان صلى الله عليه وسلم يقبله كثيرا وروي انه عليه السلام سجد
عليه وكان يطوف على الراحلة فيضع المحجن عليه ثم يقبل طرف المحجن وقبله عمر بن الخطاب ثم قال اني لاعلم
انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك لما قبلتك ثم بكا حتى علا
نشيجه فالتفت الى ورائه فراى عليا رضي الله عنه فقال يا ابا الحسن ههنا تسكب العبرات فقال علي يا امير
المومنين بل هو يضر وينفع قال وكيف قال ان الله تعالى لما اخذ الميثاق على الذرية كتب عليهم كتابا ثم
القمه هذا الحجر فهو يشهد للمومن بالوفا ويشهد على الكافر بالجحود قيل فذلك هو معنى قول الناس عند
الاستلام اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفا بعهدك وروي عن الحسن البصري ان صوم يوم بمكة بمائة
الف وصدقة درهم بمائة الف وكذا كل حسنة بمائة الف ويقال طواف سبعة اسابيع يعدل عمرة وثلاث
عمر يعدل حجه وفي الخبر عمرة في رمضان كحجة معي وهذا مذكور في الصحيح قال صلى الله عليه وسلم انا اول من
تنشق عنه الارض ثم اتي البقيع فيحشرون معي ثم اتي اهل مكة فاحشر بين الحرمين وفي الخبر ان ادم عليه السلام
لما قضى مناسكه لقيته الملائكة فقالوا بر حجك يا ادم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وجاء في الاثر
ان الله عز وجل ينظر في كل ليلة الى اهل الارض فاول من ينظر اليه اهل الحرم واول من ينظر اليه من اهل الحرم اهل
المسجد الحرام فمن راه طائفا غفر له ومن راه مصليا غفر له ومن راه قائما مستقبل الكعبة غفر له وكوشف بعض
الاوليا قال رايت الثغور كلها تسجد لعبادان ورايت عبادان ساجدة ويقال لا تغرب الشمس من يوم الا
ويطوف بهذا البيت رجل من الابدال ولا يطلع الفجر من ليلة الا طاف به واحد من الاوتاد واذا انقطع ذلك
كان سبب رفعه من الارض فيصبح الناس وقد رفعت الكعبة لا يرى لها اثر هذا اذا اتى عليها سبع سنين
لم يحجها احد ثم يرفع القران من المصاحف فيصبح الناس فاذا الورق ابيض يلوح ليس فيه حرف ثم ينسخ القران
من القلوب فلا يذكر منه كلمة ثم يرجع الى الاشعار والاغاني واخبار الجاهلية ثم يخرج الدجال وعيسى ابن مريم
فيقتله والساعة عند ذلك بمنزلة الحامل المقرب يتوقع ولادها وفي الخبر استكثروا من الطواف بهذا البيت
قبل ان يرفع فقد هدم مرتين ويرفع في الثالثة وروي علي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قال الله عز
وجل اذا اردت ان اخرب الدنيا بدات ببيتي فخربته ثم اخرب الدنيا على اثره **فضيلة المقام بمكة وكراهيته**
كره الخائفون المحتاطون من العلما المقام بمكة لمعان ثلث احدها خوف التبرم والانس بالبيت فان ذلك ربما يوثر
في تسكين حرقة القلب في الاحترام ولهذا كان عمر رضي الله عنه يضرب الحجاج اذا حجوا ويقول يا اهل اليمن يمنكم و
يا اهل الشام شامكم ويا اهل العراق عراقكم ولذلك هم عمر ايضا بمنع الناس من كثرة الطواف وقال خشيت
ان يانس الناس بهذا البيت **الثاني** تهييج الشوق بالمفارقة لتنبعث داعية العود فان الله تعالى جعل
البيت مثابة للناس اي يثوبون ويترددون اليه مرة بعد اخرى ولا يقضون منه وطرا وقال بعضهم لان
تكون في بلد وقلبك مشتاق الى مكة متعلق بهذا البيت خير لك من ان تكون فيه وانت متبرم بالمقام وقلبك
في بلد اخر **وقال** بعض السلف كم من رجل بخراسان وهو اقرب الى هذا البيت ممن يطوف به ويقال ان لله تعالى
عبادا تطوف بهم البيت تقربا الى الله تعالى **الثالث** الخوف من ركوب الخطايا والذنوب بها فان ذلك مخطر
وبالحري ان يورث مقت الله تعالى لشرف الموضع **روي** عن وهيب بن الورد المكي قال كنت ليلة في
الحجر اصلي فسمعت كلاما بين الكعبة والاستار يقول الى الله اشكو ثم اليك يا جبريل ما القى من الطائفين

حولي من نقلهم في الحديث ولقوم ولوم لئن لم ينتهوا عن ذلك لانقضن انقاضه يرجع كل حجر منها الى
الجبل الذي يقطع منه **وقال** ابن مسعود ما من بلد يؤاخذ العبد فيه بالهمة قبل العمل الا مكة وتلى
قوله عز وجل ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم اي انه على مجرد الارادة **ويقال**
ان السيئات تضاعف بها كما تضاعف الحسنات وكان ابن عباس يقول الاحتكار بمكة من الالحاد في الحرم
وقيل الكذاب ايضا وقال ابن عباس لان اذنب سبعين ذنبا بركبة احب الي من ان اذنب بمكة
ذنبا واحدا وركبة منزل بين مكة والطايف ولخوف ذلك انتهى بعض المقيمين الى انه لم يقض حاجته في
الحرم بل يخرج الى الحل عند قضاء الحاجة وبعضهم اقام شهرا وما وضع جنبه على الارض والمنع
عن الاقامة كرهه بعض العلماء اجود دور مكة ولا تظنن ان كراهة المقام تناقض فضل البقعة لان
هذه كراهة علتها ضعف الخلق وقصورهم عن القيام بحق الموضع فمعنى قولنا ان ترك المقام
بها افضل اي بالاضافة الى مقام مع التقصير والتبرم اما ان يكون افضل من المقام مع الوفاء
بحق البقعة فهيهات وكيف لا ولما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة استقبل الكعبة و
قال انك لخير ارض الله واحب بلاد الله تعالى الي ولولا اني اخرجت منك لما خرجت وكيف لا والنظر
الى البيت عبادة والحسنات فيها مضاعفة كما ذكرناه **فضيلة المدينة** على سائر البلاد ما
بعد مكة بقعة افضل من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم والاعمال فيها ايضا مضاعفة قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم صلاة في مسجدي هذا خير من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وكذلك
كل عمل بالمدينة بالف وبعد المدينة الارض المقدسة فان الصلوة فيها بخمسمائة صلاة فيما سواه و
كذلك سائر الاعمال **وروي** عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصبر على
شدتها ولاوائها احد الا كنت له شفيعا يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم من استطاع ان يموت بالمدينة
فليمت فانه لن يموت بها احد الا كنت له شفيعا يوم القيمة وما بعد هذه البقاع الثلثة فالمواضع فيها متساوية
الا الثغور فان المقام للمرابطة فيها فضل وكذلك قال صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلثة
مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى وقد ذهب بعض العلماء الى الاستدلال بهذا
الحديث في المنع من الرحلة لزيارة المشاهد وقبور الشهداء والصالحين وما تبين لي ان الامر كذلك
بل الزيارة مامور بها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا
تقولوا هجرا والحديث ورد في المساجد وليس في معناها المشاهد لان المساجد بعد المساجد الثلاثة
متماثلة ولا بلد الا وفيه مسجد فلا معنى للرحلة الى مسجد آخر واما المشاهد فلا تتساوي بل
زيارتهم على قدر درجاتهم عند الله تعالى اجل لو كان في موضع لا مسجد فيه فله ان تشد الرحال الى
موضع فيه مسجد وينتقل اليه بالكلية ان شاء ثم ليت شعري هل يمنع هذا القايل من شد الرحال
الى قبور الانبياء مثل قبر ابرهيم وموسى ويحيى وغيرهم صلوات الله عليهم والمنع في ذلك من
غاية الاحالة واذا جوز ذلك فقبور الاولياء والعلماء والصلحاء في معناها فلا يبعد ان يكون ذلك من
اغراض الرحلة كما ان زيارة العلماء في الحياة من المقاصد هذا في الرحلة اما المقام فالاولى بالمريد
ان يلازم مكانه اذا لم يكن قصده من السفر استفادة علم مهما سلم له حاله في وطنه فان لم يسلم فليطلب
من المواضع ما هو اقرب الى الخمول واسلم للدين وافرغ للقلب وايسر للعبادة فهو افضل المواضع له **وقال**
رسول الله صلى الله عليه وسلم البلاد بلاد الله والخلق عباد الله فاي موضع رايت فيه رفقا فاقم

واحمد الله تعالى وفي الخبر من رزق من شيء فليلزمه ومن جعلت معيشته في شيء فلا ينتقل عنه حتى يتغير
عليه وقال ابو نعيم رايت سفيان الثوري قد جعل جرابه على كتفه واخذ نعليه بيده فقلت الى اين يا ابا
عبد الله فقال الى بلد املأ فيه جرابي بدرهم وفي حكاية اخرى بلغني عن قرية فيها رخص اقيم بها قال فقلت
وتفعل هذا يا ابا عبد الله فقال نعم اذا سمعت ببلد فيه رخص فاقصده فانه اسلم لدينك واقل لهمك وكان
يقول هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخاملين فكيف بالمشهورين هذا زمان ينتقل الرجل من قرية الى قرية
يفر بدينه من الفتن ويحكى عنه انه قال والله ما ادري اي البلاد اسكن فقيل له خراسان فقال مذاهب
مختلفة وآراء فاسدة فقيل له فالشام قال يشار اليك بالاصابع اراد الشهرة فقيل له فالعراق قال
بلد الجبابرة قيل له فمكة فقال له مكة تذيب الكيس والبدن وقال له رجل غريب عزمت على المجاورة بمكة فاوصني
قال اوصيك بثلث لا تصحبن قرشيا ولا تظهرن صدقة ولا تصلين في الصف الاول وانما كره الصف
الاول من اجل الشهرة فيختلط بعمله التزين والتصنع **الفصل الثاني** في شروط وجوب الحج
وصحته واركانه وواجباته ومحظوراته اما الشرايط فشرط صحة الحج اثنان الوقت والاسلام فيصح حج
الصبي ويحرم بنفسه ان كان مميزا ويحرم عنه وليه ان كان صغيرا ويفعل به ما يفعل في الحج من الطواف والسعي
وغيره **واما** الوقت فهو شوال وذو القعدة وتسع من ذي الحجة الى طلوع الفجر من يوم النحر فمن احرم بالحج
في غير هذه المدة فهي عمرة وجميع السنة وقت العمرة ولكن من كان معكوفا على النسك ايام منى فلا ينبغي
ان يحرم بالعمرة لانه لا يتمكن من الاشتغال عقيبه باشتغاله باعمال منى **واما** شرط وقوعه عن حجة الاسلام
فخمسة الاسلام والحرية والبلوغ والعقل والوقت فان احرم الصبي او العبد ولكن عتق العبد وبلغ الصبي
بعرفة او بمزدلفة وعاد الى عرفة قبل طلوع الفجر اجزاهما عن حجة الاسلام لان الحج عرفة وليس عليهما الا دم شاة
ويشترط هذه الشرايط في وقوع العمرة عن فرض الاسلام الا الوقت **واما** شرط وقوع الحج نفلا عن الحر البالغ
فبراءة ذمته عن حجة الاسلام فحجة الاسلام تتقدم ثم القضاء لمن افسده في حالة الوقوف ثم النذر ثم النيابة
ثم النفل وهذا الترتيب مستحق وكذلك يقع وان نوى خلافه **واما** شرايط لزوم الحج فخمسة الاسلام والبلوغ
والعقل والحرية والاستطاعة ومن لزمه فرض الحج لزمه فرض العمرة ومن اراد دخول مكة لزيارة او تجارة ولم يكن
حطابا لزمه الاحرام على قول ثم يتحلل بعمل عمرة او حج **واما** الاستطاعة فنوعان احدهما المباشرة وذلك له اسباب
اما في نفسه فالصحة واما في الطريق فبان تكون خصبة آمنة بلا بحر مخطر ولا عدو قاهر **واما** في المال فان
يجد نفقة ذهابه وايابه الى وطنه كان له اهل او لم يكن له اهل لان مفارقة الوطن شديد وان يملك نفقة من
تلزمه نفقته في هذه المدة وان يملك ما يقضي به ديونه وان يقدر على راحلة او كرائها بمحمل او زاملة ان
استمسك على الراحلة **واما النوع الثاني** فاستطاعة المعضوب بماله وذلك بان يستاجر من يحج عنه
بعد فراغ الاجير من حجة الاسلام عن نفسه ويكفي نفقة الذهاب بزاملة وفي هذا النوع والابن اذا عرض طاعته
على الاب الزمن صار بذلك مستطيعا ولو عرض عليه مالا لم يصر مستطيعا لان الخدمة بالبدن فيها شرف
للولد وبذل المال فيه منة على الوالد ومن استطاع لزمه الحج وله التاخير ولكنه فيه على خطر فان تيسر له
ولو في آخر عمره سقط عنه وان مات قبل الحج لقي الله عاصيا بترك الحج وكان الحج في تركته يحج عنه وان لم يوص
كساير ديونه فان استطاع في سنة فلم يخرج مع الناس فهلك ماله في تلك السنة قبل حج الناس ثم مات
لقي الله تعالى ولا حج عليه ومن مات ولم يحج مع اليسار فامره شديد عند الله قال عمر رضي الله عنه يقول
امير المؤمنين لقد هممت ان اكتب في الامصار ان تضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع اليه سبيلا **وعن**

سعيد بن جبير وابراهيم النخعي ومجاهد وطاوس لو علمت رجلا غنيا وجب عليه الحج ثم مات قبل ان يحج
ما صليت عليه وبعضهم كان له جار موسر فمات ولم يحج فلم يصل عليه وكان ابن عباس يقول من مات ولم يزك
ولم يحج سال الرجعة الى الدنيا وقرا قوله عز وجل رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت قال الحج **اما الاركان**
التي لا يصح الحج دونها فخمسة الاحرام والطواف والسعي بعده والوقوف بعرفة والحلق بعده على قول واركان العمرة
كذلك الا الوقوف والواجبات المجبورة بالدم ستة الاحرام من الميقات فمن تركه وجاوز بالدم الميقات
محلا فعليه شاة والرمي فيه الدم قولا واحدا واما الصبر بعرفة الى غروب الشمس والمبيت بمزدلفة
وطواف الوداع ففي هذه الاربعة يجبر تركها بالدم على احد القولين وفي القول الثاني فيه دم على وجه الاستحباب
واما وجوه اداء الحج والعمرة فثلاثة الاول الافراد وهو الافضل وذلك ان يقدم الحج وحده فاذا فرغ خرج
الى الحل فاحرم واعتمر وافضل الحل لاحرام العمرة الجعرانة ثم التنعيم ثم الحديبية وليس على المفرد دم
الا ان يتطوع **الثاني** القران وذلك ان يجمع فيقول لبيك بحجة وعمرة معا فيصير محرما بهما ويكفيه
اعمال الحج وتندرج العمرة تحت الحج كما تندرج الوضوء تحت الغسل الا انه اذا طاف وسعى قبل الوقوف
فسعيه محسوب من النسكين واما طوافه فغير محسوب لان شرط طواف الفرض في الحج ان يقع بعد الوقوف
وعلى القارن دم شاة الا ان يكون مكيا فلا شيء عليه لانه لم يترك ميقاته اذ ميقاته مكة **الثالث**
التمتع وذلك ان يجاوز الميقات بعمرة ويتحلل بمكة ويتمتع بالمحظورات الى وقت الحج ثم يحرم
بالحج ولا يكون متمتعا الا بخمسة شرائط **احدها** ان لا يكون من حاضري المسجد الحرام وحاضره من كان
منه على مسافة لا تقصر فيها الصلاة **الثاني** ان يقدم العمرة على الحج **الثالث** ان يكون عمرته في اشهر
الحج **الرابع** ان لا يرجع الى ميقات الحج ولا الى مثل مسافته لاحرام الحج **الخامس** ان يكون حجه وعمرته عن
شخص واحد فاذا وجدت هذه الاوصاف كان متمتعا ولزمه دم شاة فان لم يجد فصيام ثلاثة ايام
في الحج قبل يوم النحر متفرقة او متتابعة وسبعة اذا رجع الى الوطن فان لم يصم الثلاثة حتى رجع الى الوطن
صام العشرة متتابعة او متفرقة وبدل دم القران والتمتع سواء والافضل الافراد ثم التمتع ثم القران
واما محظورات الحج والعمرة فستة **الاول** لبس القميص والسراويل والخف والعمامة بل ينبغي ان يلبس
ازارا ورداء ونعلين فان لم يجد نعلين فمكعبا وان لم يجد ازارا فسراويل ولا باس بالمنطقة والاستظلال
بالمحمل ولكن لا ينبغي ان يغطي راسه فان احرامه في الراس وللمراة ان تلبس كل مخيط بعد ان لا تستر
وجهها بما يماسه فان احرامها في وجهها **الثاني** الطيب فليجتنب كل ما يعده العقلاء طيبا فان تطيب
او لبس فعليه دم شاة **الثالث** الحلق والقلم وفيهما الفدية اعني دم شاة ولا باس بالكحل ودخول
الحمام والفصد والحجامة وترجيل الشعر **الرابع** الجماع وهو مفسد قبل التحلل الاول وفيه بدنة او
بقرة او سبع شياه وان كان بعد التحلل الاول لزمه بدنة ولم يفسد حجه **الخامس** مقدمات الجماع
كالقبلة والملامسة التي تنقض الطهر مع النساء فهو محرم وفيه شاة وكذلك في الاستمناء ويحرم النكاح
والانكاح ولا دم فيه لانه لا ينعقد **السادس** صيد البر اعني ما يؤكل او ما هو متولد من الحلال والحرام فان
قتل صيدا فعليه مثله يراعى فيه التقارب في الخلقة وصيد البحر حلال ولا جزاء فيه **الباب الثاني**
في ترتيب الاعمال الظاهرة من اول السفر الى الرجوع وهي عشر جمل الجملة الاولى في السنن من اول الخروج
الى الاحرام وهي ثمان **الاولى** في المال فينبغي ان يبدا بالتوبة ورد المظالم وقضاء الديون واعداد النفقة
لكل من تلزمه نفقته الى وقت الرجوع ويرد ما عنده من الودائع ويستصحب من المال الحلال الطيب ما يكفيه لذهابه

واياباً من غير تقتير على وجه يمكنه معه التوسع في الزاد والرفق بالفقراء ويتصدق بشيء قبل خروجه
وليشتر لنفسه دابة قوية على الحمل لا تضعف او يكتريها فان اكترى فليظهر للمكاري كل ما يريد ان
يحمله من قليل وكثير ويحصل رضاه فيه **الثانية** في الرفيق ينبغي ان يلتمس رفيقا صالحا محبا
للخير معينا عليه ان نسي ذكره وان ذكر اعانه وان جبن شجعه وان عجز قواه وان ضاق صدره صبره ويودع رفقاءه
المقيمين واخوانه ويودعهم ويلتمس ادعيتهم فان الله تعالى جاعل في ادعيتهم البركة والسنة في
الوداع ان يقول استودع الله دينك وامانتك وخواتيم عملك وكان صلى الله عليه وسلم يقول لمن اراد
السفر في حفظ الله وكنفه زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير اينما توجهت **الثالثة**
في الخروج من المنزل ينبغي اذا هم بالخروج من منزله ان يصلي اولا ركعتين يقرا في الاولى بعد فاتحة الكتاب
قل يا ايها الكافرون وفي الثانية سورة الاخلاص فاذا فرغ رفع يديه ودعا الله تعالى عن اخلاص صاف
ونية صادقة وقال اللهم انت الصاحب في السفر وانت الخليفة في الاهل والمال والولد والاصحاب احفظنا
واياهم من كل افة وعاهة اللهم انا نسالك في مسيرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم
انا نسالك ان تطوي لنا الارض وتهون علينا السفر وان ترزقنا في سفرنا هذا سلامة الدين والبدن و
المال وان تبلغنا حج بيتك وزيارة قبر نبيك محمد صلى الله عليه وسلم اللهم انا نعوذ بك من وعثاء السفر
وكابة المنقلب وسوء المنظر في الاهل والمال والولد والاصحاب اللهم اجعلنا واياهم في جوارك ولا تسلبنا
واياهم نعمتك ولا تغير ما بنا وبهم من نعمتك **الرابعة** اذا حصل على باب الدار قال بسم الله توكلت على
الله لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم اعوذ بك ان اضل او اضل او ازل او ازل او اظلم
او اظلم او اجهل او يجهل علي اللهم اني لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة بل خرجت اتقاء سخطك و
ابتغاء مرضاتك وقضاء فرضك واتباع سنة نبيك وشوقا الى لقائك فاذا مشى قال اللهم بك انتشرت
وعليك توكلت وبك اعتصمت واليك توجهت **اللهم** انت ثقتي ورجائي فاكفني ما اهمني وما
لا اهتم به وما انت اعلم به مني عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك اللهم زودني التقوى واغفر لي ذنبي
ووجهني للخير اينما توجهت ويدعو بهذا الدعاء في كل منزل يرحل عنه **الخامسة** في الركوب فاذا
ركب الراحلة فليقل بسم الله وبالله والله اكبر توكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ما شاء الله
كان وما لم يشا لم يكن سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم اني وجهت
وجهي اليك وفوضت امري كله اليك وتوكلت في جميع اموري كلها عليك انت حسبي ونعم الوكيل و
اذا استوى على الراحلة واستوت تحته قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر سبع
مرات وقال الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله اللهم انت الحامل على الظهر
وانت المستعان على الامور **السادسة** في النزول والسنة ان لا ينزل حتى يحمى النهار ويكون اكثر سيره بالليل
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار وليقلل نومه بالليل
حتى يكون ذلك عونا على السير ومهما اشرف على منزل فليقل اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين
السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين اسالك خير هذا
المنزل وخير اهله واعوذ بك من شر هذا المنزل وشر اهله وشر ما فيه اصرف عني شر شرارهم فاذا نزل المنزل
صلى فيه ركعتين وقال اعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق فاذا جن عليه الليل فليقل
يا ارض ربي وربك الله اعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما دب عليك اعوذ بالله من شر كل اسد واسود وحية

وعقرب ومن ساكن البلد ومن والد وما ولد وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم **السابعة**
في الحراسة فينبغي ان يحتاط بالنهار فلا يمشي منفردا خارج القافلة لانه ربما يغتال او ينقطع ويكون بالليل
متحفظا عن النوم فان نام في اول الليل افترش ذراعه وان نام في آخر الليل نصب ذراعه وجعل رأسه في كفه
هكذا كان ينام رسول الله صلى الله عليه وسلم في اسفاره فانه ربما يستثقل في النوم فتطلع الشمس وهو لا يدري فيكون
ما يفوته من الصلاة افضل مما يناله من الحج والاحب في الليل ان يتناوب الرفيقان في الحراسة فاذا نام احدهما
حرس الآخر وذلك هو السنة فان قصده عدو او سبع في ليل او نهار فليقرأ آية الكرسي وشهد الله انه
لا اله الا هو وسورة الاخلاص والمعوذتين وليقل بسم الله ما شاء الله لا قوة الا بالله حسبي الله توكلت
على الله ما شاء الله لا يأتي بالخير الا الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله حسبي الله وكفى سمع الله لمن دعا ليس
وراء الله منتهى ولا دون الله ملجأ كتب الله لاغلبن انا ورسلي ان الله قوي عزيز تحصنت بالله العظيم
واستعنت بالحي الذي لا يموت اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واكنفنا بكنفك الذي لا يرام اللهم
ارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وانت ثقتنا ورجاؤنا اللهم اعطف علينا قلوب عبادك وامائك برأفة
منك انك انت ارحم الراحمين **الثامنة** مهما علا شرفا او نشزا من الارض فيستحب ان يكبر ثلاثا
ثم يقول اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال ومهما هبط سبح ومهما خاف الوحشة
في سفره قال سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات بالعزة والجبروت **الجملة**
الثانية آداب الاحرام من الميقات الى دخول مكة وهي خمسة الاول ان يغتسل وينوي به غسل الاحرام
يعني اذا انتهى الى الميقات المشهور الذي يحرم الناس منه ويتم غسله بالتنظيف ويسرح رأسه ويقلم
اظفاره ويقص شاربه ويستكمل النظافة التي ذكرناها في الطهارة **الثاني** ان يفارق الثياب المخيطة ويلبس
ثوبي الاحرام فيرتدي ويأتزر بثوبين ابيضين فالافضل من الثياب البياض وهو احب الثياب الى الله تعالى
ويتطيب في بدنه وثيابه ولا بأس بطيب يبقى جرمه بعد الاحرام فقد روي وبيص المسك على مفرق رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد الاحرام مما كان استعمله قبل الاحرام **الثالث** ان يصبر بعد لبس الاحرام حتى
تنبعث به راحلته ان كان راكبا او يبتدي بالسير ان كان راجلا فعند ذلك ينوي الاحرام بالحج او العمرة
قرانا او افرادا كما اراد ويكفي مجرد النية لانعقاد الاحرام ولكن السنة ان يقرن بالنية لفظ التلبية فيقول
لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك وان زاد قال
لبيك وسعديك والخير كله بيديك والرغباء اليك لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا اللهم صل على محمد وعلى
آل محمد **الرابع** اذا انعقد احرامه بالتلبية المذكورة فيستحب ان يقول اللهم اني اريد الحج فيسره لي واعني
على اداء فرضه وتقبله مني اللهم اني نويت اداء فريضتك في الحج فاجعلني من الذين استجابوا لك وآمنوا
بوعدك واتبعوا امرك واجعلني من وفدك الذين رضيت وارتضيت وقبلت اللهم فيسر لي اداء ما نويت من الحج
اللهم قد احرم لك شعري وبشري ولحمي ودمي وعصبي ومخي وعظامي وحرمت على نفسي النساء والطيب ولبس المخيط
ابتغاء وجهك والدار الآخرة ومن وقت الاحرام حرم عليه المحظورات الستة التي ذكرناها من قبل فليجتنبها
الخامس يستحب تجديد التلبية في دوام الاحرام خصوصا عند اصطدام الرفاق وعند اجتماع الناس
وعند كل صعود وهبوط وعند كل ركوب ونزول رافعا بها صوته بحيث لا يبح حلقه ولا ينبهر فانه لا ينادي
اصم ولا غائبا كما ورد في الحديث ولا بأس برفع الصوت بالتلبية في المساجد الثلاثة فانها مظنة المناسك
اعني المسجد الحرام ومسجد الخيف ومسجد الميقات واما سائر المساجد فلا بأس فيها بالتلبية [illegible]

والداعي الى المحظور محظور **والفسوق** اسم جامع لكل خروج عن طاعة الله عز وجل والجدال هو المبالغة في
الخصومة والمماراة بما يورث الضغائن ويفرق في الحال الهمة ويناقض حسن الخلق وقد قال سفيان
رحمه الله من رفث فسد حجه وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم طيب الكلام مع اطعام الطعام
من بر الحج والمماراة تناقض طيب الكلام فلا ينبغي ان يكثر بالاعتراض على رفيقه وجماله وعلى غيرهما
من اصحابه بل يلين جانبه ويخفض جناحه للسائرين الى بيت الله تعالى ويلزم حسن الخلق وليس حسن الخلق
كف الاذى بل احتمال الاذى وقيل سمي السفر سفرا لانه يسفر عن اخلاق الرجال ولذلك قال عمر رضي الله
عنه لمن زعم انه يعرف رجلا هل صحبته في السفر الذي يستدل به على مكارم الاخلاق قال لا فقال
ما اراك تعرفه **الخامس** ان يحج ماشيا ان قدر عليه فذلك هو الافضل اوصى عبد الله بن عباس بنيه
عند موته فقال يا بني حجوا مشاة فان الحاج الماشي بكل خطوة يخطوها سبع مائة حسنة من حسنات الحرم
قيل وما حسنات الحرم قال الحسنة مائة الف والاستحباب في المشي في المناسك والتردد من مكة
الى الموقف والى منى آكد منه في الطريق وان اضاف الى المشي الاحرام من دويرة اهله فقد قيل ان ذلك من
اتمام الحج قاله عمر وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم في معنى قوله تعالى واتموا الحج والعمرة لله وقال بعض العلماء
الركوب افضل لما فيه من الانفاق والمؤنة ولانه ابعد عن ضجر النفس واقل لاذاه واقرب لسلامته
وتمام حجه وهذا عند التحقيق ليس مخالفا للاول بل ينبغي ان يفصل ويقال من سهل عليه المشي
فهو افضل وان كان يضعف ويؤدي الى سوء الخلق وقصور عن عمل فالركوب له افضل كما ان الصوم
افضل للمسافر والمريض ما لم يفض الى ضعف وسوء خلق وسئل بعض العلماء عن العمرة المشي فيها افضل
او يكتري حمارا بدرهم فقال ان كان وزن الدرهم اشد عليه فالكراء افضل من المشي وان كان المشي
اشد عليه كالاغنياء فالمشي له افضل وكأنه ذهب فيه الى مجاهدة النفس وله وجه ولكن الافضل
ان يمشي ويصرف ذلك الدرهم الى خير فهو اولى من صرفه الى المكاري عوضا عن ابتذال الدابة فاذا كان لا يتسع
للجمع بين مشقة النفس ونقصان المال فما ذكره غير بعيد فيه **السادس** ان لا يركب الا زاملة اما المحمل
فليجتنبه الا اذا كان يخاف على الزاملة ان لا يستمسك عليها لعذر وفيه وجهان **احدهما** التخفيف
عن البعير فان المحمل يؤذيه والثاني اجتناب زي المترفين والمتكبرين حج رسول الله صلى الله عليه وسلم
على راحلة وكان تحته رحل رث وقطيفة خلقة قيمتها اربعة دراهم وطاف صلى الله عليه وسلم على الراحلة
لينظر الناس الى هديه وشمائله وقال صلى الله عليه وسلم خذوا عني مناسككم وقيل ان هذه المحامل احدثها
الحجاج وكان العلماء في وقته ينكرونها روى سفيان الثوري عن ابيه انه قال برزت من الكوفة الى القادسية
للحج ووافيت الرفاق من البلدان فرأيت الحجاج كلهم على زوامل وجوالقات وروامل وما رأيت في
جميعهم الا محملين وكان ابن عمر اذا نظر الى ما احدثه الحجاج من الزي والمحامل يقول الحاج قليل والركب
كثير ثم نظر الى رجل مسكين رث الهيئة تحته جوالق فقال نعم هذا من الحجاج **السابع** ان يكون رث الهيئة
اشعث اغبر غير مستكثر من الزينة ولا مائل الى اسباب التفاخر والتكاثر فيكتب في ديوان المتكبرين والمترفين
ويخرج عن حزب الضعفاء والمساكين وخصوص الصالحين فقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشعث
والاحتفاء ونهى عن التنعم والرفاهية في حديث فضالة بن عبيد وفي الحديث انما الحاج الشعث التفث
يقول الله تعالى انظروا الى زوار بيتي قد جاؤوني شعثا غبرا من كل فج عميق وقال تعالى ثم ليقضوا
تفثهم والتفث الشعث والاغبرار وقضاؤه بالحلق وقص الاظفار وكتب عمر رضي الله عنه الى امراء الاجناد

اخلولقوا واخشوشنوا اي البسوا الخلقان واستعملوا الخشونة في الاشيا وقد قيل زين الحجيج اهل
اليمن لانهم على هيئة التواضع والضعف وسيرة السلف وينبغي ان يجتنب الحمرة في زيه على الخصوص
والشهرة كيف ما كانت على العموم فقد روي انه كان صلى الله عليه وسلم في سفر فنزل اصحابه منزلا فسرحت
الابل فنظر الى اكسية حمر على الاقتاب فقال صلى الله عليه وسلم ارى هذه الحمرة قد غلبت عليكم قال فقمنا
اليها فنزعناها عن ظهورها حتى شرد بعض الابل **الثامن** ان يرفق بالدابة ولا يحملها ما لا تطيق والمحمل
خارج عن حد طاقتها والنوم عليها يؤذيها ويثقل عليها كان اهل الورع لا ينامون على الدواب الا غفوة عن
قعود وكانوا لا يقفون عليها الوقوف الطويل قال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي
ويستحب ان ينزل عن دابته غدوة وعشية يروحها بذلك فهو سنة وفيه آثار عن السلف رضي
الله عنهم كان بعض السلف يكري بشرط ان لا ينزل ويوفي الاجرة ثم كان ينزل ليكون بذلك محسنا الى
الدابة فيكون ذلك في حسناته ويوضع في ميزانه لا في ميزان المكاري وكل من اذى بهيمة وحملها ما لا تطيق
طولب بذلك يوم القيمة **قال** ابو الدرداء لبعير له عند الموت يا ايها البعير لا تخاصمني الى ربك
فاني لم اكن احملك فوق طاقتك وعلى الجملة في كل كبد حرا اجر فليراع حق الدابة وحق المكاري جميعا
وفي نزوله ساعة ترويح الدابة وسرور قلب المكاري قال رجل لابن المبارك احمل هذا الكتاب معك
لتوصله فقال حتى استامر الجمال فاني قد اكتريت فانظر كيف تورع من استصحاب كتاب لا وزن له وذلك
هو طريق الحزم في الورع فانه اذا فتح باب القليل انجر الى الكثير يسيرا يسيرا **التاسع** ان يتقرب باراقة
دم وان لم يكن واجبا عليه ويجتهد ان يكون من سمين النعم ونفيسه وليأكل منه ان كان تطوعا ولا
يأكل ان كان واجبا قيل في تفسير قوله تعالى ذلك ومن يعظم شعائر الله انه تحسينه وتسمينه وسوق
الهدي من الميقات افضل ان كان لا يجهده ولا يكده وليترك المكاسبة في شرائه فقد كانوا يغالون في
ثلث ويكرهون المكاس فيهن الهدي والاضحية والرقبة فان افضل ذلك اغلاه ثمنا وانفسه عند اهله
روي ابن عمر ان عمر رضي الله عنه اهدى نجيبة فطلبت منه بثلثمائة دينار فسال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها وذلك لان القليل الجيد
خير من الكثير الدون وفي ثلثمائة دينار قيمة ثلثين بدنة وفيها تكثير اللحم ولكن ليس المقصود اللحم
وانما المقصود تزكية النفس وتطهيرها عن صفة البخل وتزيينها بجمال التعظيم لله عز وجل فلن ينال الله
لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وذلك يحصل بمراعاة النفاسة في القيمة كثر العدد ام قل
سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بر الحج فقال العج والثج والعج هو رفع الصوت بالتلبية والثج هو
نحر البدن **وروت** عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما عمل آدمي يوم النحر
احب الى الله عز وجل من اهراقه دما وانها لتاتي يوم القيمة بقرونها واظلافها وان الدم يقع من الله تعالى بمكان قبل
ان يقع على الارض فطيبوا بها نفسا وفي الخبر لكم بكل صوفة من جلدها حسنة وبكل قطرة من دمها حسنة
وانها لتوضع في الميزان فابشروا **العاشر** ان يكون طيب النفس بما انفقه من نفقة وهدي وبما اصابه من خسران
ومصيبة في مال او بدن ان اصابه ذلك فان ذلك من دلائل قبول حجه فان المصيبة في طريق الحج تعدل
النفقة في سبيل الله تعالى الدرهم بسبعمائة درهم وذلك بمثابة الشدائد في طريق الجهاد فله بكل اذى احتمله
وخسران اصابه ثواب فلا يضيع منه شيء عند الله تعالى ويقال ان من علامة قبول الحج ان يترك
ما كان عليه من المعاصي وان يتبدل باخوانه البطالين اخوانا صالحين وبمجالس اللهو والغفلة مجالس

الذكر واليقظة بيان الاعمال الباطنة ووجه الاخلاص في النية وطريق الاعتبار بالمشاهد الشريفة
وكيفية الافتكار فيها والتذكر لاسرارها ومعانيها من اول الحج الى آخره اعلم ان اول الحج الفهم اعني
فهم موقع الحج في الدين ثم الشوق اليه ثم العزم عليه ثم قطع العلائق المانعة منه ثم شراء ثوب الاحرام
ثم شراء الزاد ثم اكتراء الراحلة ثم الخروج ثم المسير في البادية ثم الاحرام من الميقات بالتلبية ثم
دخول مكة ثم استتمام الافعال كما سبق وفي كل واحد من هذه الامور تذكرة للمتذكر وعبرة للمعتبر
وتنبيه للمريد الصادق وتعريف واشارة للفطن فلنرمز الى مفاتحها حتى اذا انفتح بابها وعرفت اسبابها
انكشف لكل حاج من اسرارها ما تقتضيه صفاء قلبه وطهارة باطنه وغزارة فهمه **اما الفهم**
فاعلم انه لا وصول الى الله سبحانه الا بالتنزه عن الشهوات والكف عن اللذات والاقتصار على الضرورات
والتجرد لله سبحانه في جميع الحركات والسكنات ولاجل هذا انفرد الرهبانيون في الملل السالفة
عن الخلق وانحازوا الى قلل الجبال وآثروا التوحش عن الخلق لطلب الانس بالله تعالى فتركوا لله عز وجل
اللذات الحاضرة والزموا انفسهم المجاهدات الشاقة طمعا في الآخرة واثنى الله عز وجل عليهم في كتابه
فقال ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون فلما اندرس ذلك واقبل الخلق على
اتباع الشهوات وهجروا التجرد لعبادة الله عز وجل وفتروا عن ذلك بعث الله سبحانه محمدا صلى الله
عليه وسلم لاحياء طريق الآخرة وتجديد سنة المرسلين في سلوكها فسأله اهل الملل عن السياحة
والرهبانية في دينه فقال صلى الله عليه وسلم ابدلنا الله بها الجهاد والتكبير على كل شرف يعني الحج وسئل
صلى الله عليه وسلم عن السائحين فقال هم الصائمون فانعم الله عز وجل على هذه الامة بان جعل الحج رهبانية
لهم فشرف البيت العتيق بالاضافة الى نفسه ونصبه مقصدا لعباده وجعل ما حواليه حرما لبيته تفخيما
لامره وجعل عرفات كالميدان على فناء حوضه واكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ووضعه على مثال حضرة
الملوك يقصده الزوار من كل فج عميق ومن كل اوب سحيق شعثا غبرا متواضعين لرب البيت ومستكينين
له خضوعا لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف بتنزيهه عن ان يحويه بيت او يكتنفه بلد ليكون
ذلك ابلغ في رقهم وعبوديتهم واتم في اذعانهم وانقيادهم ولذلك وظف عليهم اعمالا لا تانس
بها النفوس ولا تهتدي الى معانيها العقول كرمي الجمار بالاحجار والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار
وبمثل هذه الاعمال يظهر كمال الرق والعبودية فان الزكاة ارفاق ووجهها مفهوم وللعقل اليها
ميل والصوم كسر للشهوة التي هي آلة الشيطان عدو الله عز وجل بافعال هي هيئة التواضع و
للنفوس انس بتعظيم الله عز وجل فاما ترددات السعي ورمي الجمار وامثال هذه الاعمال فلا حظ
للنفس ولا انس للطبع فيها ولا اهتداء للعقل الى معانيها فلا يكون في الاقدام عليها باعث الا الامر المجرد
وقصد الامتثال للامر من حيث انه امر واجب الاتباع فقط وفيه عزل للعقل عن تصرفه وصرف
النفس والطبع عن محل انسه فان كل ما ادرك العقل معناه مال الطبع اليه ميلا ما فيكون ذلك الميل
معينا للامر وباعثا معه على الفعل فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد ولذلك قال صلى الله
عليه وسلم في الحج على الخصوص لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا ولم يقل ذلك في صلاة ولا غيرها واذا
اقتضت حكمة الله تعالى ربط نجاة الخلق بان تكون اعمالهم على خلاف اهواء طباعهم وان يكون زمامها
بيد الشرع فيترددون في اعمالهم على سنن الانقياد وعلى مقتضى الاستعباد كان ما لا يهتدى الى
معانيه ابلغ انواع التعبدات في تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطباع والاخلاق الى مقتضى

الاستيناس فاذا انقطعت نفسها نفرت ان تبحث النفوس من هذه الاعمال العجيبة مصدرة الذهول عن
امراد المعبدات وهذا القدر كاف في تفهيم اصل الحج **واما** الشوق فانما ينبعث بعد الفهم والتحقق
بان البيت بيت الله عز وجل وانه وضع على مثال حضرة الملوك فقاصده قاصد الى الله عز وجل وزائر له
وان من قصد البيت في الدنيا جدير بان لا يضيع زيارته فيرزق مقصود الزيارة في ميعاده المضروب
له وهو النظر الى وجه الله تعالى الكريم في دار القرار من حيث ان العين القاصرة الفانية في دار الدنيا
لا تتهيا لقبول نور النظر الى وجه الله عز وجل ولا تطيق احتماله ولا تستعد للاكتحال به لقصورها
وانها ان امدت في الدار الآخرة بالبقا ونزهت عن اسباب التغير والفنا استعدت للنظر والابصار
ولكنها بقصد البيت والنظر اليه استحقت لقا رب البيت بحكم الوعد الكريم فالشوق الى لقا الله
عز وجل يشوقه الى اسباب اللقا لا محالة هذا مع ان المحب مشتاق الى كل ما له الى محبوبه اضافة والبيت
مضاف الى الله تعالى فبالحري ان يعلم بانه بعزمه قاصد الى مفارقة الاهل والوطن ومهاجرة الشهوات
واللذات بنيل ما وعد عليه من الثواب الجزيل **واما العزم** فليعلم بانه بعزمه قاصد الى مفارقة
الاهل والوطن ومهاجرة الشهوات واللذات متوجها الى زيارة بيت الله عز وجل فليعظم في نفسه قدر
البيت وقدر رب البيت وليعلم انه عزم على امر رفيع شانه خطير امره وان من طلب عظيما خاطر بعظيم
وليجعل عزمه خالصا لوجه الله عز وجل بعيدا عن شوائب الريا والسمعة وليتحقق انه لا يقبل من
قصده وعمله الا الخالص لوجهه وان من افحش الفواحش ان يقصد بيت الملك وحرمه والقصد غيره
فليصحح مع نفسه العزم وتصحيحه باخلاصه معناه رد المظالم واخلاصه باجتناب كل ما فيه من
ريا وسمعة وليحذر ان يستبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير **واما** قطع العلائق فمعناه رد المظالم
والتوبة الخالصة لله عز وجل عن جملة المعاصي فان كل مظلمة علاقة وكل علاقة مثل غريم حاضر متعلق بتلبيبه
ينادي عليه ويقول له الى اين تتوجه اتقصد بيت ملك الملوك وانت مضيع امره في منزلك هذا و
مستهين به ومهمل له او لا تستحيي ان تقدم عليه قدوم العبد العاصي فيردك ولا يقبلك فان كنت راغبا
في قبول زيارتك فنفذ اوامره بوجه قلبك كانك متوجه اليه بوجه ظاهرك فان لم تفعل ذلك
لم يكن لك في سفرك اولا الا النصب والشقا واخرا الا الطرد والرد وليقطع العلائق عن وطنه قطع من
انقطع عنه وقدر انه لا يعود اليه وليكتب وصيته الى اهله واولاده فان المسافر لعلى خطر الا ما وقى الله
سبحانه وتعالى وليتذكر عند قطعه العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر الآخرة فلا ينبغي ان تعجل
عن ذلك السفر عند الاستعداد لهذا السفر واما الزاد فليطلبه من موضع حلال واذا احس من
نفسه بالحرص على استكثاره وطلب ما يبقى منه على طول السفر فلا يتغير ولا يفسد قبل بلوغ المقصد
فليتذكر ان سفر الآخرة اطول من هذا السفر وان زاده التقوى وما عدا التقوى مما يظنه زاده يتخلف عنه
عند الموت ولا يبقى معه كالطعام الرطب الذي يفسد في اول منازل السفر فيبقى وقت الحاجة
متحيرا محتاجا لا حيلة له فليحذر ان تكون اعماله التي هي زاده الى الآخرة لا تصحبه بعد الموت بل يفسدها
شوائب الريا وكدورات التقصير واما الراحلة اذا احضرها فليشكر الله عز وجل بقلبه على تسخير الله سبحانه
له الدواب لتحمل عنه الاذى وتخفف عنه المشقة وليتذكر عند ذلك المركب الذي يركبه الى دار
الآخرة وهي الجنازة التي يحمل عليها وان امر الحج من وجه يوازي امر السفر الى الآخرة ولينظر ايصلح سفره على هذا
المركب لان يكون زادا له لذلك السفر على ذلك المركب فما اقرب ذلك منه وما يدريه لعل الموت قريب ويكون

ركوبه للجنازة قبل ركوبه للجمل وركوب الجنازة مقطوع به وتيسير اسباب السفر مشكوك فيها فكيف
يحتاط في اسباب السفر المشكوك فيه ويستظهر في زاده وراحلته ويهمل امر السفر المستيقن **واما**
شرا ثوبي الاحرام فليتذكر عنده ذلك الكفن ولفه فيه فانه سيرتدي ويتزر بثوبي الاحرام عند القرب من بيت
الله عز وجل وربما لا يتم سفره اليه وانه سيلقى الله عز وجل ملفوفا في ثياب الكفن لا محالة وكما لا يلقى
بيت الله عز وجل الا مخالفا عادته في الزي والهيئة فلا يلقى الله عز وجل بعد الموت الا في زي مخالف
لزي الدنيا وهذا الثوب قريب من ذلك اذ ليس فيه مخيط كما في الاكفان **واما** الخروج من البلد
فليعلم عند ذلك انه فارق الاهل والوطن متوجها الى الله عز وجل في سفر لا يضاهي اسفار الدنيا فليحضر
في قلبه انه ماذا يريد واين يتوجه وزيارة من يقصد وانه متوجه الى ملك الملوك في زمرة الزائرين
له نودوا فاجابوا وشوقوا فاشتاقوا واستنهضوا فنهضوا وقطعوا العلائق وفارقوا الخلائق واقبلوا
على بيت الله عز وجل الذي فخم امره وعظم شانه ورفع قدره تسليا بلقا البيت عن لقا رب البيت
الى ان يرزقوا منتهى مناهم ويسعدوا بالنظر الى مولاهم وليحضر في قلبه رجا الوصول والقبول لا
ادلالا باعماله في الارتحال ومفارقة الاهل والمال ولكن ثقة بفضل الله عز وجل ورجا لتحقيق وعده لمن زار
بيته وليرج انه ان لم يصل واخترمته المنية في الطريق لقي الله عز وجل وافدا اليه اذ قال جل جلاله
ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله **واما دخول** البادية
الى الميقات ومشاهدة تلك العقبات فليتذكر فيها ما بين الخروج من الدنيا بالموت الى ميقات يوم
القيمة وما بينهما من الاهوال والمطالبات وليتذكر من هول قطاع الطريق هول سؤال منكر ونكير ومن
سباع البوادي عقارب القبر وديدانه وما فيه من الافاعي والحيات ومن انفراده عن اهله واقاربه
وحشة القبر وكربته ووحدته وليكن في هذه المخاوف في اعماله واقواله متزودا لمخاوف القبر **واما**
الاحرام والتلبية من الميقات فليعلم ان معناه اجابة نداء الله عز وجل فليرج ان يكون مقبولا وليخش ان يقال له
لا لبيك ولا سعديك وليكن بين الرجا والخوف مترددا وعن حوله وقوته متبريا وعلى فضل الله عز وجل
وكرمه متكلا فان وقت التلبية هو بداية الامر وهو محل الخطر **قال** سفيان بن عيينة حج علي
بن الحسين رضي الله عنه فلما احرم واستوت به راحلته اصفر لونه وانتفض ووقعت عليه الرعدة ولم
يستطع ان يلبي فقيل له لم لا تلبي فقال اخشى ان يقال لي لا لبيك ولا سعديك فلما لبى غشي عليه ووقع
عن راحلته فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه وقال احمد بن ابي الحواري كنت مع ابي سليمان الداراني
حين اراد الاحرام فلم يلب حتى سرنا ميلا واخذته الغشية ثم افاق وقال يا احمد ان الله سبحانه اوحى
الى موسى صلى الله عليه وسلم مر ظلمة بني اسرائيل ان يقلوا من ذكري فاني اذكر من ذكرني منهم باللعنة ويحك
يا احمد بلغني ان من حج من غير حله ثم لبى قال الله عز وجل لا لبيك ولا سعديك حتى ترد ما في يديك
فلا نامن ان يقال لنا ذلك وليتذكر الملبي عند رفع الصوت بالتلبية في الميقات اجابته لندا الله سبحانه
اذ قال واذن في الناس بالحج وندا الخلق بنفخ الصور وحشرهم من القبور وازدحامهم في عرصات القيامة
مجيبين لندا الله عز وجل ومنقسمين الى مقربين وممقوتين ومقبولين ومردودين ومترددين في اول الامر
بين الخوف والرجا تردد الحاج في الميقات حيث لا يدرون ايتيسر لهم اتمام الحج وقبوله ام لا **واما دخول**
مكة فليتذكر عندها انه قد انتهى الى حرم الله امنا وليرج عنده ان يامن بدخوله من عقاب الله عز وجل وليخش
ان لا يكون اهلا للقرب فيكون بدخول الحرم خائبا مستحقا للمقت وليكن رجاؤه في جميع الاوقات غالبا

فالكريم عظيم وشرف البيت عظيم وحق الزائر مرعي وذمام المستجير اللائذ غير مضيع واما وقوع البصر
على البيت فينبغي ان تحضر عند ذلك عظمة البيت في القلب وليقدر عند ذلك كانه مشاهد لرب
البيت لشدة تعظيمه وليرج ان يرزقه الله تعالى النظر الى وجهه الكريم كما رزقه النظر الى بيته
العظيم وليشكر الله تعالى على تبليغه اياه هذه الرتبة والحاقه اياه بزمرة الوافدين اليه وليذكر عند
ذلك انصباب الناس في القيمة الى جهة الجنة آملين بدخولها كافة ثم انقسامهم الى ماذونين في الدخول
ومصروفين انقسام الحاج الى مقبولين ومردودين ولا يغفل عن تذكر امور الآخرة في شيء مما يراه فان كل
احوال الحاج دليله على احوال الآخرة واما الطواف بالبيت فاعلم انه صلاة فاحضر في قلبك فيه من التعظيم
والخوف والرجاء والمحبة ما فصلناه في كتاب الصلاة واعلم انك بالطواف متشبه بالملائكة المقربين
الحافين حول العرش الطائفين حوله ولا تظنن ان المقصود طواف جسمك بالبيت بل المقصود طواف قلبك
بذكر رب البيت حتى لا يبتدي الذكر الا منه ولا يختم الا به كما يبتدي الطواف بالبيت واعلم ان الطواف
الشريف هو طواف القلب بحضرة الربوبية وان البيت مثال ظاهر في عالم الملك لتلك الحضرة التي لا تشاهد
بالبصر وهي في عالم الملكوت كما ان البدن مثال ظاهر في عالم الشهادة للقلب الذي لا يشاهد بالبصر وهو في
عالم الغيب وان عالم الملك والشهادة مدرجة الى عالم الغيب والملكوت لمن فتح الله له الباب والى هذه
الموازنة وقعت الاشارة بان البيت المعمور في السماء بازاء الكعبة وان طواف الملائكة به كطواف الانس
بهذا البيت ولما قصرت رتبة اكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف امروا بالتشبه بهم بحسب الامكان ووعدوا بان
من تشبه بقوم فهو منهم والذي يقدر على مثل ذلك الطواف هو الذي يقال ان الكعبة تزوره وتطوف
به على ما رآه بعض المكاشفين لبعض اولياء الله سبحانه واما الاستلام فاعتقد عنده انك مبايع لله
سبحانه على طاعته فصمم عند ذلك عزيمتك بالوفاء ببيعتك فمن غدر في المبايعة استحق المقت وقد روى
ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الحجر الاسود يمين الله في الارض يصافح بها خلقه كما يصافح
الرجل اخاه واما التعلق باستار الكعبة والالتصاق بالملتزم فلتكن نيته في التعلق بالاستار الحاج
في الالتزام طلب القرب حبا وشوقا للبيت ولرب البيت وتبركا بالمماسة ورجاء للتحصن عن النار في كل جزء
لا في البيت ولتكن نيته في التعلق بالاستار الالحاح في طلب المغفرة وسؤال الامان كالمذنب المتعلق بثياب
من اذنب اليه الا بالعفو وبذل الامن في المستقبل واما السعي بين الصفا والمروة في فناء البيت فانه
يضاهي تردد العبد بفناء دار الملك جائيا وذاهبا مرة بعد اخرى اظهارا للخلوص في الخدمة ورجاء للملاحظة
بعين الرحمة كالذي دخل على الملك وخرج وهو لا يدري ما الذي يقضي به الملك في حقه من قبول
او رد فلا يزال يتردد على فناء الدار مرة بعد اخرى يرجو ان يرحم في الثانية ان لم يرحم في الاولى فليتذكر عند
تردده بين الصفا والمروة تردده بين كفتي الميزان في عرصات القيامة وليمثل الصفا بكفة الحسنات
والمروة بكفة السيئات وليتذكر تردده بين الكفتين ناظرا الى الرجحان والنقصان مترددا بين العذاب
والغفران واما الوقوف بعرفة فليتذكر بما يرى من ازدحام الخلق وارتفاع الاصوات واختلاف اللغات
واتباع الفرق ائمتهم في الترددات على المشاعر اقتفاء لهم وسيرا بسيرهم عرصات القيمة واجتماع الامم
مع الانبياء والائمة واقتفاء كل امة نبيها وطمعهم في شفاعتهم وتحيرهم في ذلك الصعيد الواحد
بين الرد والقبول فاذا تذكر ذلك فليلزم قلبه الضراعة والابتهال الى الله تعالى فيحشر في زمرة
الفائزين المرحومين وليحقق رجاء الاجابة فالموقف شريف والرحمة انما تصل من حضرة الجلال الى كافة الخلائق

بواسطة القلوب العزيزة من اوتاد الارض ولا ينفك الموقف عن طبقة من الابدال والاوتاد وطبقات
من الصالحين وارباب القلوب فاذا اجتمعت هممهم وتجردت للضراعة والابتهال قلوبهم وارتفعت
الى الله سبحانه ايديهم وامتدت اليه اعناقهم وشخصت نحو السماء ابصارهم مجتمعين بهمة واحدة على
طلب الرحمة فلا تظنن انه يخيب املهم ويضيع سعيهم ويدخر عنهم رحمة تغمرهم ولذلك قيل ان من
اعظم الذنوب ان يحضر عرفات ويظن ان الله تعالى لم يغفر له وكان اجتماع الهمم والاستظهار بمجاورة الابدال
والاوتاد المجتمعين من اقطار البلاد هو سر الحج وغايته ومقصوده فلا طريق في استدرار رحمة الله
سبحانه وتعالى مثل اجتماع الهمم وتعاون القلوب في وقت واحد على صعيد واحد واما رمي الجمار
فليقصد به الانقياد للامر اظهارا للرق والعبودية وانتهاضا لمجرد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس
في ذلك ثم اقصد به التشبه بابراهيم عليه السلام حيث عرض له ابليس في ذلك الموضع ليدخل على حجه
شبهة او يفتنه بمعصية فامره الله تعالى ان يرميه بالحجارة طردا له وقطعا لامله فان خطر لك ان
الشيطان عرض له وشاهده فلذلك رماه واما انا فليس يعرض لي الشيطان فاعلم ان هذا الخاطر من
الشيطان وانه هو الذي القاه الى قلبك ليفتر عزمك في الرمي ويخيل اليك انه فعل لا فائدة فيه وانه
يضاهي اللعب فلم تشتغل به فاطرده عن نفسك بالجد والتشمير في الرمي فبذلك ترغم انف الشيطان
واعلم انك في الظاهر ترمي الحصى الى العقبة وفي الحقيقة ترمي بها وجه الشيطان وتقصم بها ظهره اذ لا
يحصل ارغام انفه الا بامتثال امر الله تعظيما لمجرد الامر من غير حظ للنفس ولا للعقل في ذلك واما
ذبح الهدي فاعلم انه تقرب الى الله بحكم الامتثال فاليكمل الهدي وافره وليرج ان يعتق الله بكل جزء منه
جزءا من اجزائه من النار فهكذا ورد الوعد فكلما كان الهدي اكبر واجزاؤه اوفر كان فداؤك به من النار اعم
واما زيارة المدينة فاذا وقع بصرك على حيطانها فتذكر انها البلدة التي اختارها الله عز وجل لنبيه عليه
السلام وجعل اليها هجرته واتخذها داره التي شرع فيها فرائض الله وسنته وجاهد عدوه واظهر بها دينه
الى ان توفاه الله عز وجل ثم جعل تربته فيها وتربة وزيريه القائمين بالحق من بعده ثم مثل في نفسك مواقع
اقدام رسول الله صلى الله عليه وسلم عند تردداته فيها وانه ما من موضع قدم يطؤه الا وهو موضع قدمه
العزيز فلا تضع قدمك عليه الا على سكينة ووجل وتذكر مشيته صلى الله عليه وسلم وتخطيه في سككها و
تصور خشوعه وسكينته في المشي وما استودع الله قلبه من عظيم معرفته ورفع ذكره مع ذكره حتى قرنه
بذكر نفسه واحباطه عمل من هتك حرمته برفع صوته فوق صوته ثم تذكر ما من الله به على الذين ادركوا صحبته و
سعدوا بالمشاهدة واستماع كلامه واعظم تاسفك عليها فاتك من صحبته وصحبة اصحابه رضي الله
عنهم ثم اذكر انه قد فاتتك رؤيته في الدنيا وانك من رؤيته في الآخرة على خطر وانك ربما لا تراه الا بحسرة وقد حيل
بينك وبين قبوله اياك بسوء عملك كما قال صلى الله عليه وسلم يرفع الي اقوام فيقولون يا محمد فاقول يا رب
اصحابي فيقول انك لا تدري ما احدثوا بعدك فاقول بعدا وسحقا فان تركت حرمة شريعته
ولو في دقيقة من الدقائق فلا تامن ان يحال بينك وبينه بعدولك عن محجته وليعظم مع ذلك رجاؤك
ان لا يحال بينك وبينه بعد ان رزقك الله الايمان به واشخصك من وطنك لاجل زيارته من غير تجارة
ولا حظ في دنيا بل لمحض حبك له وشوقك الى ان تنظر الى آثاره والى حائط قبره اذ سمحت نفسك بالسفر
بمجرد ذلك لما فاتتك رؤيته فما اجدرك ان ينظر الله تعالى اليك بعين الرحمة فاذا بلغت المسجد
فاذكر انها العرصة التي اختارها الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولاول المسلمين وافضلهم عصابة

وان فرايض الله عز وجل اولها ابتدي في تلك الروضه وانها جمعت افضل خلق الله حيا وميتا فليعظم املك في الله
عز وجل ان يرحمك بدخولك تلك الروضه فادخلها خاشعا معظما وما اجدر هذا المكان بان يستدعي الخشوع من
قلب كل مومن كما حكي عن ابي سليمان انه حج اويس القرني رحمه الله ودخل المدينه فلما وقف على باب المسجد
قيل له هذا قبر النبي صلى الله عليه وسلم فغشي عليه فلما افاق قال اخرجوني فليس يلذ لي بلد فيه محمد مدفون
واما زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم فينبغي ان تقف بين يديه كما وصفناه وتزوره ميتا
كما تزوره حيا ولا تقرب من قبره الا كما كنت تقرب من شخصه حيا ولا تقبله بل تقف من بعد ماثلا
وكل ذلك فافعل بحذا قبره فان المس والتقبيل للمشاهد عادة النصارى واليهود واعلم
انه صلى الله عليه وسلم عالم بحضورك وقيامك وزيارتك وانه يبلغه سلامك وصلاتك
فمثل صورته الكريمه في خيالك موضوعا في اللحد بازائك واحضر عظيم رتبته في قلبك فقد
روي عنه عليه السلام ان الله تعالى وكل بقبره ملكا يبلغه سلام من سلم عليه من امته هذا
في حق من لم يحضر قبره فكيف من فارق الوطن وقطع البوادي شوقا الى لقائه واكتفى بمشاهدة مشهده
العظيم اذ فاته مشاهدة غرته الكريمه وقد قال صلى الله عليه وسلم من صلى علي مرة واحدة صلى
الله عليه عشرا فهذه جزاوه في الصلاة عليه بلسانه فكيف في الحضور لزيارته ببدنه ثم ائت منبر
الرسول صلى الله عليه وسلم وتوهم صعود النبي صلى الله عليه وسلم المنبر ومثل في قلبك طلعته
البهية قائما على المنبر وقد احدق به المهاجرون والانصار وهو يحثهم صلى الله عليه وسلم على
طاعة الله تعالى بخطبته وسال الله تعالى ان لا يفرق في القيامة بينك وبينه فهذا وظيفة
القلب في اعمال الحج فاذا فرغ منها كلها فينبغي ان يلزم قلبه الهم والحزن والخوف فانه ليس يدري
اقبل منه حجه واثبت في زمرة المحبوبين ام رد حجه والحق بالمطرودين وليتعرف ذلك من قلبه ومن اعماله
فان صادف قلبه قد ازداد تجافيا عن دار الغرور وانصرافا الى دار الانس بالله ووجد اعماله قد اتزنت بميزان
الشرع فليثق بالقبول فان الله يقبل من احبه ومن احبه تولاه واظهر عليه اثار محبته وكف عنه
سطوة عدوه ابليس فاذا ظهر ذلك عليه دل على القبول وان كان الامر بخلافه فيوشك ان يكون حظه
من سفره العنا والتعب نعوذ بالله من ذلك تم كتاب الحج والزيارة وهو الكتاب السابع من احيا علوم الدين

كتاب [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي امتن على عباده بنبيه المرسل صلى الله عليه وسلم وكتابه المنزل عليه الذي لا ياتيه الباطل
من خلفه ولا من بين يديه حتى اتسع على اهل الافتكار طرق الاعتبار بما فيه من القصص والاخبار واتضح به
سلوك المنهج القويم والصراط المستقيم بما فصل فيه من الاحكام وفرق بين الحلال والحرام فهو الضيا
والنور وبه النجاة من الغرور وفيه شفا لما في الصدور ومن خالفه من الجبابرة قصمه الله ومن ابتغى العلم
في غيره اضله الله هو حبل الله المتين ونوره المبين والعروة الوثقى والمعتصم الاوفى وهو المحيط بالقليل و
الكثير والصغير والكبير لا تنقضي عجايبه ولا تتناهى غرايبه لا يحيط بفوايده عند اهل الفهم تحديد
ولا يخلقه عند اهل التلاوة كثرة الترديد هو الذي اهدى الاولين والاخرين ولما سمعه الجن لم يلبثوا
ان ولوا الى قومهم منذرين فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد فامنا به ولن نشرك بربنا احدا

فكل من امن به فقد وفق ومن قال به فقد صدق ومن تمسك به فقد هدي ومن عمل به فقد فاز
وقد قال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ومن اسباب حفظه في القلوب والمصاحف استدامة
تلاوته والمواظبة على دراسته مع القيام بادابه وشروطه والمحافظة على ما فيه من الاعمال الباطنه
والاداب الظاهرة وذلك لا بد من بيانه وتفصيله وتنكشف مقاصده في اربعة ابواب **الباب الاول**
في فضل القران واهله **الباب الثاني** في اداب التلاوة في الظاهر **الباب الثالث** في الاعمال
الباطنة عند التلاوة **الباب الرابع** في فهم القران وتفسيره بالراي وغيره **الباب الاول**
في فضل القران واهله وذم المقصرين في تلاوته فضيلة القران قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا القران ثم راى ان احدا اوتي افضل مما اوتي فقد استصغر ما عظمه الله وقال صلى الله
عليه وسلم ما من شفيع افضل منزلة عند الله يوم القيمة من القران لا نبي ولا ملك ولا غيره ولو كان القران
في اهاب ما مسته النار وقال صلى الله عليه وسلم افضل عبادة امتي قراءة القران وقال ايضا ان
الله عز وجل قرا طه ويس قبل ان يخلق الخلق بالف عام فلما سمعت الملائكة القران قالت طوبى لامة
ينزل عليهم هذا القران وطوبى لاجواف تحمل هذا وطوبى لالسنة تنطق بهذا وقال عليه السلام
خيركم من تعلم القران وعلمه وقال عليه السلام يقول الله عز وجل من شغله قراءة القران عن دعائي
ومسالتي اعطيته افضل ثواب الشاكرين وقال عليه السلام ثلثة يوم القيمة على كثيب من مسك
اسود لا يهولهم فزع ولا ينالهم حساب حتى يفرغ ما بين الناس رجل قرا القران ابتغاء وجه الله تعالى وام به قوما
هم به راضون الحديث وقال عليه السلام اهل القران اهل الله وخاصته وقال عليه السلام
ان هذه القلوب تصدا كما يصدا الحديد فقيل يا رسول الله فما جلاوها قال تلاوة القران وذكر الموت
وقال صلى الله عليه وسلم الله اشد اذنا الى قارى القران من صاحب القينة الى قينته **الاثار** قال ابو امامة
الباهلي رضي الله عنه اقروا القران ولا تغرنكم هذه المصاحف المعلقة فان الله لا يعذب قلبا وعى القران وقال
ابن مسعود رضي الله عنه اذا اردتم العلم فانثروا القران فان فيه علم الاولين والاخرين وقال ايضا اقروا
القران فانكم توجرون عليه بكل حرف منه عشر حسنات اما اني لا اقول الم حرف ولكن الالف حرف واللام
حرف والميم حرف وقال ايضا لا يسال احدكم عن نفسه الا القران فان كان يحب القران ويعجبه فهو يحب الله
ورسوله وان كان يبغض القران فهو يبغض الله ورسوله **وقال** عمرو بن العاص كل اية في القران درجة في الجنة
ومصباح في بيوتكم وقال ايضا من قرا القران فقد ادرجت النبوة بين جنبيه الا انه لا يوحى اليه **وقال**
ابو هريرة ان البيت الذي يتلى فيه كتاب الله تعالى اتسع باهله وكثر خيره وحضرته الملائكة وخرجت منه
الشياطين وان البيت الذي لا يتلى فيه كتاب الله عز وجل ضاق باهله وقل خيره وخرجت منه الملائكة و
حضرته الشياطين **وقال** احمد بن حنبل رضي الله عنه رايت الله عز وجل في المنام فقلت يا رب ما
افضل ما تقرب به المتقربون اليك قال بكلامي يا احمد قال قلت يا رب بفهم او بغير فهم فقال بفهم
وبغير فهم وقال محمد بن كعب القرظي اذا سمع الناس القران من الرحمن عز وجل يوم القيمة فكانهم لم يسمعوه
قط وقال الفضيل بن عياض ينبغي لحامل القران ان لا يكون له الى احد حاجة ولا الى الخلفا فمن دونهم و
ينبغي ان يكون حوايج الخلق كلهم اليه وقال ايضا حامل القران حامل راية الاسلام فلا ينبغي ان يلهو مع
من يلهو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلغو مع من يلغو تعظيما لحق القران وقال سفيان الثوري اذا
قرا الرجل القران قبل الملك بين عينيه وقال عمرو بن ميمون من نشر مصحفا حين يصلي الصبح فقرا منه ماية اية

يرفع الله بها مثل عمل جميع اهل الدنيا ويروى ان خالد بن عقبة جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اقرأ علي
فقرأ عليه ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى الاية فقال اعد فاعاد فقال والله ان له لحلاوة
وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر وما يقول هذا بشر وقال الحسن والله ما
دون القرآن من غنى ولا بعده من فاقة وقال الفضيل من قرأ خاتمة سورة الحشر حين يصبح ثم مات في يومه
ختم له بطابع الشهداء ومن قرأها حين يمسي ثم مات من ليلته ختم له بطابع الشهداء وقال القاسم
بن عبد الرحمن قلت لبعض النساك ههنا احد نستأنس به فمد يده الى المصحف ووضعه على حجره وقال
هذا وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ثلث يزدن في الحفظ ويذهبن البلغم السواك والصيام
وقراءة القرآن في ذم تلاوة الغافلين قال انس بن مالك رب تال للقرآن والقرآن يلعنه وقال ميسرة
الغريب هو القرآن في جوف الفاجر وقال ابو سليمان الداراني الزبانية اسرع الى حملة القرآن الذين يعصون
الله منهم الى عبدة الاوثان حين عصوا الله بعد قراءة القرآن وقال بعض العلماء اذا قرأ ابن آدم القرآن ثم
خلط ثم عاد فقرأ ناداه الله ما لك ولكلامي وقال ابن الرماح ندمت على استظهاري القرآن لانه بلغني ان
اصحاب القرآن يسألون عما يسأل عنه الانبياء يوم القيامة وقال ابن مسعود ينبغي لحامل القرآن ان يعرف
بليله اذا الناس نائمون وبنهاره اذا الناس مفطرون وبحزنه اذا الناس يفرحون وببكائه اذا الناس يضحكون
وبصمته اذا الناس يخوضون وبخشوعه اذا الناس يختالون وينبغي لحامل القرآن ان يكون مستكينا لينا ولا
ينبغي له ان يكون جافيا ولا مماريا ولا صياحا ولا صخابا ولا حديدا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اكثر منافقي هذه الامة قراؤها وقال عليه السلام اقرأ القرآن ما نهاك فاذا لم ينهك فلست تقرؤه وقال
بعض السلف ان العبد ليفتتح سورة فتصلي عليه حتى يفرغ منها وان العبد ليفتتح سورة فتلعنه حتى يفرغ
منها فقيل كيف ذلك قال اذا احل حلالها وحرم حرامها صلت عليه والا لعنته وقال بعض العلماء ان
العبد ليتلو القرآن فيلعن نفسه وهو لا يعلم يقرأ الا لعنة الله على الظالمين وهو ظالم نفسه الا لعنة الله
على الكاذبين وهو منهم وقال الحسن انكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل وجعلتم الليل جملا فانتم تركبونه فتقطعون
به مراحله وان من كان قبلكم رأوه رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار وقال
ابن مسعود رضي الله عنه انزل القرآن عليهم ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملا ان احدهم ليقرأ القرآن من فاتحته
الى خاتمته ما يسقط منه حرفا وقد اسقط العمل به وفي حديث ابن عمر وحديث جندب لقد عشنا دهرا
واحدنا يؤتى الايمان قبل القرآن فتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم فيتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها
وما ينبغي ان يقف عنده منه ينثره نثر الدقل وقد ورد في التوراة يا عبدي اما تستحي مني يأتيك
كتاب من بعض اخوانك وانت في الطريق تمشي فتعدل عن الطريق وتقعد لاجله وتقرؤه وتتدبره حرفا حرفا حتى لا
يفوتك منه شيء وهذا كتابي انزلته اليك انظر كم فصلت لك فيه من القول وكم كررت عليك فيه لتتأمل
طوله وعرضه ثم انت معرض عنه افكنت اهون عليك من بعض اخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصغي
اليه بكل قلبك فان تكلم متكلم او شغلك شاغل عن حديثه اومأت اليه ان كف وها انا مقبل عليك و
محدث لك وانت معرض بقلبك عني افجعلتني اهون عندك من بعض اخوانك

الباب الثاني

في ظاهر آداب التلاوة وهي عشرة الاول في حال القارئ وذلك بان يكون على وضوء واقفا على هيئة الادب
والسكون اما قائما واما جالسا مستقبل القبلة مطرقا راسه غير متربع ولا متكئ ولا جالس على هيئة المتكبر
ويكون جلوسه وحده كجلوسه بين يدي استاذه وافضل الاحوال ان يقرأ في الصلاة قائما وان يكون في

المسجد فذلك من افضل الاعمال وان قرأ على غير وضوء وكان مضطجعا في الفراش فله ايضا فضل ولكن دون
ذلك قال الله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم فاثنى على الكل ولكن قدم القيام في الذكر
ثم القعود ثم الذكر مضطجعا قال علي رضي الله عنه من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكل حرف
مائة حسنة ومن قرأ القرآن وهو جالس في الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأ في غير
صلاة وهو على وضوء فله بكل حرف خمس وعشرون حسنة ومن قرأ على غير وضوء فعشر حسنات وما
كان من القيام بالليل فهو افضل لانه افرغ قال ابو ذر الغفاري ان كثرة السجود بالنهار وان
طول القيام بالليل الثاني في مقدار القراءة وللقراء عادات مختلفة في الاستكثار والاختصار
فمنهم من يختم في اليوم والليلة مرة وبعضهم مرتين وانتهى بعضهم الى ثلث ومنهم من يختم في الشهر
مرة واولى ما يرجع اليه في التقديرات قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن في اقل من ثلث
لم يفقهه وذلك لان الزيادة على ذلك تمنع الترتيل قالت عائشة رضي الله عنها لما سمعت رجلا يهذرم القرآن
هذا ما قرأ القرآن ولا سكت وامر عبد الله بن عمرو ان يختم القرآن في سبع وكذلك كان جماعة من الصحابة
يختمون القرآن في كل جمعة كعثمان وزيد بن ثابت وابن مسعود وابي بن كعب ففي الختم اربع درجات الختم
في كل يوم وليلة وقد كرهه جماعة والختم في كل شهر كل يوم جزء من ثلثين وكأنه مبالغة في الاقتصار كما
ان الاول مبالغة في الاستكثار وبينهما درجتان معتدلتان احداهما في الاسبوع مرة والثانية
في الاسبوع مرتين تقريبا من الثلث والاحب ان يختم ختمة بالليل وختمة بالنهار ويجعل ختمة بالنهار يوم
الاثنين في ركعتي الفجر او بعدهما ويجعل ختمة بالليل ليلة الجمعة في ركعتي المغرب او بعدهما ليستقبل
بختمه اول النهار واول الليل فان الملائكة تصلي عليه ان كانت ختمته ليلا حتى يصبح وان كان نهارا
حتى يمسي فتشمل بركتهما جميع الليل والنهار والتفصيل في مقدار القراءة انه ان كان من العابدين السالكين
طريق العمل فلا ينبغي ان ينقص عن ختمتين في الاسبوع وان كان من السالكين باعمال القلب وضروب الفكر
او من المشتغلين بنشر العلم فلا بأس ان يقتصر في الاسبوع على مرة وان كان نافذ الفكر في معاني القرآن
فقد يكتفي في الشهر بمرة لكثرة الترديد والتأمل الثالث في وجه القسمة اما من ختم في الاسبوع
مرة فيقسم القرآن سبعة احزاب فقد حزب الصحابة رضي الله عنهم القرآن احزابا فروي ان عثمان رضي الله
عنه كان يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة الى المائدة وليلة السبت بالانعام الى هود وليلة الاحد
بيوسف الى مريم وليلة الاثنين بطه الى طسم موسى وفرعون وليلة الثلث بالعنكبوت الى ص وليلة
الاربعاء بتنزيل الى الرحمن ويختم ليلة الخميس وابن مسعود رضي الله عنه كان يقسمه بسبعة اقسام لا على
هذا الترتيب وقيل احزاب القرآن سبعة فالحزب الاول ثلثة سور والحزب الثاني خمس سور والحزب الثالث
سبع سور والرابع تسع سور والخامس احدى عشرة سورة والسادس ثلث عشرة سورة والسابع المفصل من
ق فهكذا حزبه الصحابة وكانوا يقرؤنه كذلك وفيه خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا قبل
ان تعمل الاخماس والاعشار والاجزاء فما سوى هذا محدث الرابع في الكتبة يستحب تحسين كتابة القرآن
وتبيينه ولا بأس بالنقط والعلامات بالحمرة وغيرها فان ذلك تزيين وتبيين وصد عن اللحن و
الغلط لمن يقرؤه وقد كان الحسن وابن سيرين ينكران الاخماس والعواشر والاجزاء وروي عن الشعبي وابراهيم
كراهية النقط بالحمرة والاجزاء واخذ الاجر على ذلك وكانوا يقولون جردوا القرآن والظن بهؤلاء انهم كرهوا
فتح هذا الباب خوفا من ان يؤدي الى احداث زيادات وحسما للباب وشوقا الى حراسة القرآن عما يطرق

لليه نعيلها او ادم يرده الى المحدد واستقر الامر فيه على ما يحصل به مزيد معرفة فلا باس به ولا يمنع منه
كونه محدثا فكم من محدث حسن كما قيل في اقامة التراويح في الجماعة انها من محدثات عمر وانها بدعة
حسنة وانما البدعة المذمومة ما يصادم السنة القديمة او يكاد يفضي الى تغييرها وبعضهم
كان يقول اقرا في المصحف المنقوط ولا انقطه بنفسي وقال الاوزاعي عن يحيى بن ابي كثير كان القرآن
مجردا في المصاحف فاول ما احدثوا فيه النقط على الباء والتاء وقالوا لا باس به فانه نور له ثم احدثوا
بعده نقطا كبارا عند منتهى الاي وقالوا لا باس به يعرف راس الاية ثم احدثوا بعد ذلك الخواتم و
الفواتح وقال ابو بكر الهذلي سالت الحسن عن تنقيط المصاحف بالاحمر فقال وما تنقيطها قلت يعربون
الكتابة بالعربية قال اما اعراب القرآن فلا باس به وقال خالد الحذاء دخلت على ابن سيرين فرايته
يقرا في مصحف منقوط وقد كان يكره النقط وقيل ان الحجاج هو الذي احدث ذلك واحضر القراء حتى عدوا
كلمات القرآن وحروفه واعشاره واجزاءه وقسموه الى ثلاثين جزءا والى اقسام اخر **الخامس** الترتيل
هو المستحب في هيئة القراءة لانا سنبين ان المقصود من القراءة التفكر والترتيل معين عليه ولذلك
نعتت ام سلمة قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هي تنعت قراءة مرتلة مفسرة حرفا حرفا وقال ابن
عباس لان اقرا البقرة وآل عمران ارتلهما واتدبرهما احب الي من ان اقرا القرآن كله هذرمة وقال ايضا
لان اقرا اذا زلزلت والقارعة واتدبرهما احب الي من ان اقرا البقرة وآل عمران تهذيرا وسئل مجاهد
عن رجلين دخلا في صلاة وكان قيامهما واحدا الا ان احدهما قرا البقرة فقط وقرا الاخر القرآن كله فقال
هما في الاجر سواء واعلم ان الترتيل مستحب لا لمجرد الترتيل فان العجمي الذي لا يفهم معنى القرآن يستحب
له ايضا في القراءة الترتيل والتؤدة لان ذلك اقرب الى التوقير والاحترام واشد تاثيرا في القلب من
الهذرمة والاستعجال **السادس** البكاء مستحب مع قراءة القرآن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وقال عليه السلام ليس منا من لم يتغن بالقرآن وقال صالح المري
قرات القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فاين البكاء وقال
ابن عباس اذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجدة حتى تبكوا فان لم تبك عين احدكم فليبك قلبه
وانما طريق تكلف البكاء ان يحضر قلبه الحزن فمن الحزن ينشا البكاء قال صلى الله عليه وسلم ان
القرآن نزل بحزن فاذا قراتموه فتحازنوا ووجه احضار الحزن ان تتامل ما فيه من التهديد والوعيد
والمواثيق والعهود ثم تتامل القاري تقصيره في اوامره وزواجره فيحزن لذلك لا محالة ويبكي فان لم يحضره
حزن وبكا كما يحضر ارباب القلوب الصافية فليبك على فقد الحزن والبكا فان ذلك اعظم المصائب **السابع**
ان يراعي حق الايات فاذا مر باية سجدة سجد وكذلك اذا سمع من غيره سجدة سجد اذا سجد التالي ولا يسجد
الا اذا كان على طهارة وفي القرآن اربع عشرة سجدة وفي الحج سجدتان وليس في ص سجدة واقل السجود ان
يسجد بوضع جبهته على الارض واكمله ان يكبر فيسجد ويدعو في سجوده بما يليق بالاية التي قراها مثل ان يقرا
خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون فيقول اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين
بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن امرك او على اوليائك واذا قرا ويخرون للاذقان
يبكون ويزيدهم خشوعا فيقول اللهم اجعلني من الباكين اليك والخاشعين لك وكذلك في كل سجدة و
يشترط في هذه السجدة شروط الصلاة من ستر العورة واستقبال القبلة وطهارة الثوب و
البدن من الحدث والخبث ومن لم يكن على طهارة عند السماع السجدة فاذا تطهر سجد وقد قيل في كمالها

انه يكبر رافعا يديه للتحريمة ثم يكبر للانحطاط ثم يكبر للارتفاع ثم يسلم وزاد زائدون التشهد ولا اصل لهذا الا القياس
على اصل سجود الصلاة وهو بعيد فانه ورد الامر بالسجود فليتبع فيه الامر وتكبيرة الهوي اقرب الى
البداية وما عدا ذلك ففيه بعد ثم الماموم ينبغي ان يسجد عند سجود الامام ولا يسجد لتلاوة نفسه
الثامن ان يقول في مبدا قراءته اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب اعوذ بك
من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون وليقرا قل اعوذ برب الناس والحمد وليقل عند
فراغه من كل سورة صدق الله تعالى وبلغ رسول الله اللهم انفعنا به وبارك لنا فيه الحمد لله رب العالمين
واستغفر الله الحي القيوم وفي اثناء القراءة اذا مر باية تسبيح سبح وكبر واذا مر برجو سال وان
مر بمخوف استعاذ يفعل ذلك بلسانه او بقلبه فيقول سبحان الله تعالى الله نعوذ بالله
اللهم ارزقنا اللهم ارحمنا قال حذيفة صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتدا بسورة
البقرة وكان لا يمر باية عذاب الا استعاذ ولا باية رحمة الا سال ولا باية تنزيه الا سبح واذا فرغ قال
ما كان يقول صلى الله عليه وسلم عند ختم القرآن اللهم ارحمني بالقرآن العظيم واجعله لي اماما ونورا و
هدى ورحمة اللهم ذكرني منه ما نسيت وعلمني منه ما جهلت وارزقني تلاوته اناء الليل واطراف
النهار واجعله لي حجة يا رب العالمين **التاسع** في الجهر بالقراءة ولا شك في انه لا بد ان يجهر به الى
حد يسمع نفسه اذ القراءة عبارة عن تقطيع الصوت بالحروف فلا بد من صوت واقله ما يسمع نفسه
فان لم يسمع نفسه لم تصح صلاته فاما الجهر بحيث يسمع غيره فهو محبوب على وجه ومكروه على وجه اخر ويدل
على استحباب الاسرار ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة
السر على صدقة العلانية وفي لفظ اخر الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر به كالمسر بالصدقة
وفي الخبر العام يفضل عمل السر على عمل العلانية سبعين ضعفا وكذلك قوله خير الرزق ما يكفي
وخير الذكر الخفي وفي الخبر لا يجهر بعضكم على بعض في القراءة بين المغرب والعشاء وسمع سعيد بن المسيب
ذات ليلة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن عبد العزيز يجهر بالقراءة في صلاته وكان حسن
الصوت فقال لغلامه اذهب الى هذا المصلي فمره بان يخفض من صوته فقال الغلام ان المسجد ليس
لنا وللرجل فيه نصيب فرفع سعيد صوته وقال يا ايها المصلي ان كنت تريد الله تعالى بصلاتك
فاخفض من صوتك وان كنت تريد الناس فانهم لن يغنوا عنك من الله شيئا فسكت عمر وخفف ركعته
فلما سلم اخذ نعليه وانصرف وهو يومئذ امير المدينة ويدل على استحباب الجهر ما روي انه صلى الله عليه وسلم
سمع جماعة من اصحابه يجهرون بالقراءة في صلاة الليل فصوب ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم
اذا قام احدكم من الليل يصلي فليجهر فان الملائكة وعمار الدار يستمعون الى قراءته ويصلون بصلاته
ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثلثة من اصحابه مختلفي الاحوال فمر على ابي بكر وهو يخافت فساله
عن ذلك فقال ان الذي اناجيه هو يسمعني ومر على عمر وهو يجهر فساله عن ذلك فقال اوقظ الوسنان
وازجر الشيطان ومر على بلال وهو يقرا ايا من هذه السورة وايا من هذه فساله عن ذلك فقال اخلط
الطيب بالطيب فقال صلى الله عليه وسلم كلكم قد احسن واصاب فالوجه في الجمع بين هذه الاخبار ان
الاسرار ابعد عن الرياء والتصنع فهو افضل في حق من يخاف ذلك على نفسه فان لم يخف ولم يكن في الجهر ما
يشوش الوقت على مصل اخر فالجهر افضل لان العمل فيه اكثر ولان فائدته تتعلق ايضا بغيره والخير المتعدي
افضل من اللازم ولان الجهر يوقظ قلب القاري ويجمع همه الى الفكر فيه ويصرف اليه سمعه ولانه

يطرد النوم برفع الصوت ولانه يزيد في نشاطه للقراءة ويقلل من كسله ولانه يرجو بجهره تيقظ نائم
فيكون هو سبب احيائه ولانه قد يراه بطال غافل فينشط بسبب نشاطه ويشتاق الى الخدمة
فمهما حضره شيء من هذه النيات فالجهر افضل وان اجتمعت هذه النيات تضاعف الاجر وبكثرة
النيات تزكو اعمال الابرار وتتضاعف اجورهم وان كان في العمل الواحد عشر نيات كان فيه عشرة اجور
ولهذا نقول قراءة القرآن في المصحف افضل اذ يزيد عمل البصر وتامل المصحف وحمله فيزيد الاجر
بسبب ذلك وقد قيل الختمة في المصحف بسبع لان النظر في المصحف ايضا عبادة وخرق
عثمان مصحفين لكثرة قراءته فيهما وكان كثير من الصحابة يقرؤون من المصحف ويكرهون ان يخرج
يوم ولم ينظروا في المصحف ودخل بعض فقهاء مصر على الشافعي رضي الله عنه في السحر وبين يديه
المصحف فقال له شغلكم الفقه عن قراءة القرآن اني لاصلي العتمة واضع المصحف بين يدي فما اطبقه
حتى اصبح **العاشر** تحسين القراءة وترتيلها بترديد الصوت من غير تمطيط مفرط يغير النظم فذلك
هو السنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زينوا القرآن باصواتكم وقال صلى الله عليه وسلم ما اذن
الله لشيء اذنه لحسن الصوت بالقرآن وقال صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن فقيل اراد
به الاستغناء وقيل اراد به الترنم وترديد الالحان وهو اقرب عند اهل اللغة **وروي** ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان ينتظر ليلة عائشة رضي الله عنها فابطات عليه فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما حبسك فقالت يا رسول الله كنت استمع قراءة رجل ما سمعت صوتا احسن منه فقام
صلى الله عليه وسلم حتى استمع اليه طويلا ثم رجع صلى الله عليه وسلم فقال هذا سالم مولى ابي حذيفة الحمد
لله الذي جعل في امتي مثله واستمع ايضا ذات ليلة الى عبد الله بن مسعود ومعه ابو بكر وعمر رضي
الله عنهما فوقفوا طويلا ثم قال صلى الله عليه وسلم من اراد ان يقرا القرآن غضا كما انزل فليقراه على قراءة
ابن ام عبد وقال صلى الله عليه وسلم لابن مسعود اقرا علي فقال يا رسول الله اقرا عليك وعليك انزل فقال اني
احب ان اسمعه من غيري فكان يقرا وعينا رسول الله تفيضان واستمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
قراءة ابي موسى فقال لقد اوتي هذا مزمارا من مزامير آل داود فبلغ ذلك ابا موسى فقال يا رسول الله لو علمت
انك تسمع لحبرته لك تحبيرا وفي الخبر كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجتمعوا امروا
احدهم ان يقرا سورة من القرآن وقد كان عمر رضي الله عنه يقول لابي موسى ذكرنا ربنا فيقرا عنده حتى يكاد وقت
الصلاة ان يتوسط فيقال يا امير المؤمنين الصلاة الصلاة فيقول اولسنا في صلاة اشارة الى قوله
تعالى ولذكر الله اكبر وقال صلى الله عليه وسلم من استمع الى آية من كتاب الله كانت له نورا يوم القيمة
وفي الخبر كتب له عشر حسنات ومهما عظم اجر الاستماع وكان التالي هو السبب فيه كان شريكا في الاجر الا ان
يكون قصده الريا والتصنع **الباب الثالث** في اعمال الباطن في التلاوة وهي عشرة فهم اصل
الكلام ثم التعظيم ثم حضور القلب ثم التدبر ثم التفهم ثم التخلي عن موانع الفهم ثم التخصيص
ثم التاثر ثم الترقي ثم التبري **الاول** فهم عظمة الكلام وعلوه وفضل الله سبحانه ولطفه بخلقه في نزوله
عن عرش جلاله الى درجة افهام خلقه وكيف تجلت لهم تلك الصفة في طي حروف واصوات هي صفات
البشر اذ يعجز البشر عن الوصول الى فهم صفات الله الا بوسيلة صفات انفسهم ولولا استتار كنه
جمال كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثرى ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه
وسبحات نوره ولولا تثبيت الله تعالى لموسى صلى الله عليه وسلم لما اطاق سماع كلامه كما لم يطق الجبل

مبادي تجليه حيث صار دكا ولا يمكن تفهيم عظمة الكلام الا بامثلة على حد فهم الخلق ولهذا
عبر بعض العارفين عنه فقال ان كل حرف من كلام الله تعالى في اللوح اعظم من جبل قاف وان الملائكة
لو اجتمعت على الحرف الواحد ان يقلوه ما اطاقوه حتى ياتي اسرافيل وهو ملك اللوح فيرفعه فيقله
باذن الله ورحمته لا بقوته وطاقته ولكن الله طوقه ذلك واستعمله به ولقد تانق بعض الحكماء
في التعبير عن وجه اللطف في ايصال معاني الكلام مع علو درجته الى فهم الانسان مع قصور
رتبته وضرب له مثلا لم يقصر فيه وذلك انه دعا بعض الملوك الى شريعة الانبياء فساله الملك
عن امور فاجاب بما احتمله فهمه فقال الملك ارايت ما ياتي به الانبياء اذا ادعت انه ليس من
كلام الناس وانه كلام الله فكيف يطيق الناس حمله فقال الحكيم انا راينا الناس لما ارادوا ان
يفهموا بعض الدواب والطير ما يريدون من تقديمها وتاخيرها واقبالها وادبارها وراوا
الدواب يقصر تمييزها عن فهم كلامهم الصادر عن انوار عقولهم مع حسنه وتزيينه
وبديع نظمه نزلوا الى درجة تمييز البهائم واوصلوا مقاصدهم الى بواطن البهائم باصوات
يضعونها لائقة بها من النقر والصفير والاصوات القريبة من اصواتها التي يطيق حملها
وكذلك الناس يعجزون عن حمل كلام الله بكنهه وكمال صفاته فصاروا بما تراجعوا بينهم من الاصوات
التي سمعوا بها الحكمة كصوت النقر والصفير الذي سمعت به الدواب من الناس ولم يمنع ذلك
معاني الحكمة المخبوءة في تلك الصفة من ان شرف الكلام اي الاصوات لشرفها وعظم لتعظيمها
وكان الصوت للحكمة جسدا ومسكنا والحكمة للصوت نفسا وروحا وكما ان اجساد البشر تكرم
وتعز لمكان الروح فكذلك اصوات الكلام تشرف للحكمة التي فيها والكلام عالي المنزلة رفيع الدرجة
قاهر السلطان نافذ الحكم في الحق والباطل وهو القاضي العادل والشاهد المرتضى يامر وينهى
ولا طاقة للباطل ان يقوم بين يدي كلام الحكمة كما لا يستطيع الظل ان يقوم بين يدي شعاع
الشمس ولا طاقة للبشر ان ينفذوا غور الحكمة كما لا طاقة لهم ان ينفذوا بابصارهم ضوء عين
الشمس ولكنهم ينالون من ضوء الشمس ما تحيا به ابصارهم ويستدلون به على حوائجهم فقط فالكلام
كالملك المحجوب الغائب الوجه الشاهد امره وكالشمس العزيزة الظاهرة مكنون العنصر وكالنجم الزاهر
الذي قد يهتدي به من لا يقف على سيره فهو مفتاح الخزائن النفيسة وشراب الحياة الذي من شرب منه لم يمت
ودواء الاسقام الذي من سقي منه لم يسقم فهذا الذي ذكره الحكيم نبذة من تفهيم معنى الكلام و
الزيادة عليه لا يليق بعلم المعاملة فينبغي ان يقتصر عليه الثاني التعظيم للمتكلم فالقاري عند
البداية بتلاوة القرآن ينبغي ان يحضر في قلبه عظمة المتكلم ويعلم ان ما يقراه ليس من كلام البشر
وان في تلاوة كلام الله غاية الخطر فانه تعالى قال لا يمسه الا المطهرون وكما ان ظاهر جلد
المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس الا اذا كان متطهرا عن كل رجس مستنيرا بنور التعظيم
والتوقير وكما لا يصلح لمس جلد المصحف لكل يد وكذلك لا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ولا لنيل
معانيه كل قلب ولمثل هذا التعظيم كان عكرمة بن ابي جهل اذا نشر المصحف غشي عليه ويقول
هذا كلام ربي فتعظيم الكلام بتعظيم ربي ولن تحضره عظمة المتكلم ما لم يتفكر في صفاته وجلاله و
افعاله فاذا حضر بباله العرش والكرسي والسموات والارضين وما بينهما من الجن والانس والدواب
والاشجار وعلم ان الخالق لجميعها والقادر عليها والرازق لها واحد وان الكل في قبضة قدرته مرددون

بين يدي فضله ورحمته وبين نقمته وسطوته ان انعم فبفضله وان عاقب فبعدله وانه الذي يقول هؤلاء في الجنة ولا ابالي وهؤلاء في النار ولا ابالي وهذه غاية العظمة والتعالي فبالتفكر في امثال هذا يحضر تعظيم المتكلم ثم تعظيم الكلام **الثالث** حضور القلب وترك حديث النفس قيل في تفسير قوله تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة اي بجد واجتهاد واخذه بالجد ان يكون متجردا له عند قراءته منصرف الهم اليه عن غيره وقيل لبعضهم اذا قرات القران تحدث نفسك بشيء فقال او شيء احب الي من القران احدث به نفسي وكان بعض السلف اذا قرا سورة ولم يكن قلبه فيها اعادها ثانية وهذه الصفة تتولد عما قبلها من التعظيم فان المعظم للكلام الذي يتلوه يستبشر به ويستانس به ولا يغفل عنه ففي القران ما يستانس به القلب ان كان التالي اهلا له فكيف يطلب الانس بالفكر في غيره وهو في متنزه ومتفرج والذي يتفرج في المتنزهات لا يتفكر في غيرها فقد قيل ان في القران ميادين وبساتين ومقاصير وعرايس وديابج ورياضات وخانات فالميمات ميادين القران والرات بساتين القران والحاميات مقاصيره والمسبحات عرايسه والحواميم ديباج القران والمفصل رياضه والخانات ما سوى ذلك فاذا دخل القاري الميادين وقطف من البساتين ودخل المقاصير وشهد العرايس ولبس الديباج وتنزه في الرياض وسكن غرف الخانات استغرقه ذلك وشغله عما سواه فلم يعزب قلبه ولم يتفرق فكره **الرابع** التدبر وهو وراء حضور القلب فانه قد لا يتفكر في غير القران ولكنه يقتصر على سماع القران من نفسه وهو لا يتدبره والمقصود من القران التدبر ولذلك سن فيه الترتيل لان الترتيل في الظاهر ليتمكن من التدبر في الباطن **قال** علي رضي الله عنه لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها واذا لم يتمكن من التدبر الا بترديد فليردد الا ان يكون خلف امام فانه لو بقي في تدبر اية وقد اشتغل الامام باية اخرى كان مسيئا مثل من يشتغل بالتعجب من كلمة واحدة ممن يناجيه عن فهم بقية كلامه وكذلك اذا كان في تسبيح الركوع وهو متفكر في اية قراها امامه فهذا وسواس **وقد** روي عن عامر بن عبد قيس انه قال الوسواس يعتريني في الصلاة فقيل له في امر الدنيا فقال لان تختلف الاسنة في احب الي من ذلك ولكن يشتغل قلبي بموقفي بين يدي ربي واني انصرف فانظر كيف عد ذلك وسواسا وهو كذلك فانه يشغله عن فهم ما هو فيه والشيطان لا يقدر على مثله الا بان يشغله بمهم ديني ولكن يمنعه به عن الافضل ولما ذكر ذلك للحسن قال ان كنتم صادقين عنه فما اصطنع الله ذلك عندنا **وروي** ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة وانما رددها لتدبره في معانيها وعن ابي ذر قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بنا ليلة فقام باية يرددها وهي ان تعذبهم فانهم عبادك الاية وقام تميم الداري ليلة بهذه الاية ام حسب الذين اجترحوا السيئات الاية وقام تميم الداري وقام سعيد بن جبير ليلة يردد هذه الاية وامتازوا اليوم ايها المجرمون وقال بعضهم اني لافتتح السورة فيوقفني بعض ما اشهد فيها عن الفراغ منها حتى يطلع الفجر وكان بعضهم يقول كل اية لا افهمها ولا يكون قلبي فيها لا اعد لها ثوابا وحكي عن ابي سليمان الداراني انه قال اني لاتلو الاية فاقيم فيها اربع ليال او خمس ليال ولولا اني اقطع الفكر فيها ما جاوزتها الى غيرها وعن بعضهم انه بقي في سورة هود ستة اشهر يكررها ولا يفرغ منها من التدبر فيها وقال بعض العارفين لي في كل جمعة ختمة وفي كل شهر ختمة وفي كل سنة ولي ختمة منذ ثلثين سنة ما فرغت منها بعد وذلك بحسب درجات التدبر والتفتيش وكان هذا يقول اقمت نفسي مقام الاجراء فانا اعمل مياومة ومشاهرة ومسانهة **الخامس** التفهم وهو ان يستوضح من كل اية ما يليق بها اذ القران يشتمل على ذكر صفات الله وذكر افعاله وذكر احوال انبيائه وذكر احوال المكذبين لهم وانهم كيف اهلكوا وذكر اوامره وزواجره وذكر الجنة والنار اما صفات الله وكقوله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وكقوله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر فليتامل معاني هذه الاسماء والصفات لينكشف له اسرارها فتحتها معان مدفونة لا تنكشف الا للموفقين واليه اشار علي كرم الله وجهه بقوله ما اسر الي رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا كتمه عن الناس الا ان يؤتي الله تعالى عبدا فهما في كتابه فليكن حريصا على طلب ذلك الفهم **وقال** ابن مسعود رضي الله عنه من اراد علم الاولين والاخرين فليثور القران واعظم علوم القران تحت اسماء الله وصفاته اذ لم يدرك اكثر الخلق منها الا امورا لا تليق بافهامهم ولم يعثروا على اغوارها **واما** افعاله فكذكره خلق السموات والارض وغيرها فليفهم التالي منها صفات الله وجلاله اذ الفعل يدل على الفاعل فتدل عظمته على عظمته فينبغي ان يشهد في الفعل الفاعل دون الفعل فمن عرف الحق راه في كل شيء اذ كل شيء فهو منه واليه وبه وله فهو الكل على التحقيق ومن لا يراه في كل ما يراه فكانه ما عرفه ومن عرفه عرف ان كل شيء ما خلا الله باطل وان كل شيء هالك الا وجهه لا انه سيبطل في ثاني الحال بل هو الان باطل ان اعتبرت ذاته من حيث هو وان اعتبرت وجوده من حيث انه موجود بالله وبقدرته فيكون له بطريق التبعية ثبات وبطريق الاستقلال بطلان محض وهذا مبدا من مبادي علم المكاشفة ولهذا ينبغي اذا قرا التالي افرايتم ما تمنون افرايتم ما تحرثون افرايتم الماء الذي تشربون افرايتم النار التي تورون فلا يقصر نظره على الماء والنار والحرث والمني بل يتامل في المني وهي نطفة متشابهة الاجزاء ثم ينظر في كيفية انقسامها الى اللحم والعظم والعروق والعصب وكيفية تشكل الاعضاء بالاشكال المختلفة من الراس واليد والرجل والكبد والقلب وغيرها ثم الى ما ظهر فيها من الصفات الشريفة من السمع والبصر والعقل وغيره ثم الى ما ظهر فيها من الصفات المذمومة من الغضب والشهوة والكفر والجهل والتكذيب والمجادلة كما قال اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين فيتامل هذه العجايب ويترقى منها الى اعجب العجايب وهي الصفة التي صدرت منها هذه الاعاجيب فلا يزال ينظر الى الصنعة ويرى الصانع **واما** احوال الانبيا صلوات الله عليهم اجمعين فاذا سمع منها كيف انهم كذبوا وضربوا وقتل بعضهم فليفهم منه صفة الاستغناء لله تعالى عن الرسل والمرسل اليهم وانه لو اهلك جميعهم لم يوثر في ملكه واذا سمع نصرهم في اخر الامر فليفهم قدرة الله تعالى وارادته لنصرة الحق **واما** احوال المكذبين كعاد وثمود وما جرى عليهم فليكن فهمه منه استشعار الخوف من سطوة الله تعالى ونقمته وليكن حظه منه الاعتبار في نفسه وانه ان غفل واساء الادب واغتر بما امهل فربما تدركه النقمة وتنفذ فيه القضية وكذلك اذا سمع وصف الجنة والنار وساير ما في القران فلا يمكن استقصاء ما يفهم من ذلك لان ذلك لا نهاية له وانما لكل عبد منه بقدر ما رزق فلا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ولذلك قال علي كرم الله وجهه لو شئت لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب فالغرض مما ذكرناه التنبيه على طريق التفهم لينفتح بابه فاما الاستقصاء فلا مطمع فيه ومن لم يكن له فهم ما في القران ولو في ادنى الدرجات دخل في قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك

حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال انفا وقال تعالى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم والطبع هو من الموانع التى سنذكرها فى الفهم وقد قيل لا يكون المريد مريدا حتى يجد فى القران كل ما يريد ويعرف منه النقصان من المزيد ويستغنى بالمولى عن العبيد **السادس** التخلى عن موانع الفهم فان اكثر الناس منعوا عن فهم معانى القران لاسباب وحجب اسدلها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجايب اسرار القران قال صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بنى ادم لنظروا الى الملكوت ومعانى القران من جملة الملكوت وكل ما غاب عن الحواس ولم يدرك الا بنور البصيرة فهو من الملكوت وحجب الفهم اربعة اولها ان يكون الهم منصرفا الى تحقيق الحروف باخراجها من مخارجها وهذا يتولى حفظه الشيطان وكل بالقرا ليصرفهم عن فهم معانى كلام الله فلا يزال يحملهم على ترديد الحرف يخيل اليهم انه لم يخرج من مخرجه فهذا يكون تامله مقصورا على مخارج الحروف فانى تنكشف له المعانى واعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعا لمثل هذا التلبيس **ثانيها** ان يكون مقلدا لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه وثبت فى نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول اليه ببصيرة ومشاهدة فهذا شخص قيده معتقده عن ان يجاوزه فلا يمكنه ان يخطر بباله غير معتقده فصار نظره موقوفا على مسموعه فان لمع برق على بعد وبدا له معنى من المعانى التى تباين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد حملة وقال كيف يخطر ببالك هذا وهو خلاف معتقد ابائك فيرى ان ذلك غرور من الشيطان فيتباعد منه ويحترز عن مثله **ولمثل هذا** قالت الصوفية ان العلم حجاب وارادوا بالعلم العقايد التى استمر عليها اكثر الناس بمجرد التقليد او بمجرد كلمات جدلية حررها المتعصبون للمذاهب والقوها اليهم **فاما العلم** الحقيقى الذى هو الكشف والمشاهدة بنور البصيرة فكيف يكون حجابا وهو منتهى الطلب وهذا التقليد قد يكون باطلا فيكون مانعا كمن يعتقد من الاستواء على العرش التمكن والاستقرار فان خطر له مثلا فى القدوس انه المقدس عن كل ما يجوز على خلقه لم يمكنه تقليده من ان يستقر ذلك فى نفسه وان استقر فى نفسه انجر الى كشف ثان وثالث ولتواصل ولكن يتسارع الى دفع ذلك عن خاطره لمناقضته تقليده الباطل وقد يكون حقا ويكون ايضا مانعا من الفهم والكشف لان الحق الذى كلف الخلق اعتقاده له مراتب ودرجات وله مبدأ ظاهر وغور باطن وجمود الطبع على الظاهر يمنع من الوصول الى الغور الباطن كما ذكرناه فى الفرق بين العلم الباطن والظاهر فى كتاب قواعد العقايد **ثالثها** ان يكون مصرا على ذنب او متصفا بكبر او مبتلى على الجملة بهوى فى الدنيا مطاع فان ذلك سبب ظلمة القلب وصداه وهو كالخبث على المراة فيمنع جلية الحق من ان يتجلى فيه وهو اعظم حجاب القلب وبه حجب الاكثرون وكلما كانت الشهوات اشد تراكما كانت معانى الكلام اشد احتجابا وكلما خف عن القلب اثقال الدنيا قرب تجلى المعنى فيه فالقلب مثل المراة والشهوات مثل الصدا ومعانى القران مثل الصور التى تترا فى المراة والرياضة للقلب باماطة الشهوات مثل تصقيل الجلاء للمراة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اذا عظمت امتى الدينار والدرهم نزعت منها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف حرموا بركة الوحى **قال** الفضيل يعنى حرموا فهم القران وقد شرط الله الانابة فى الفهم والتذكر فقال تبصرة وذكرى لكل عبد منيب وقال وما يتذكر الا من ينيب وقال انما يتذكر اولوا الالباب والذى اثر غرور الدنيا على نعيم الاخرة فليس من ذوى الالباب فلذلك لا تنكشف له اسرار الكتاب **الرابعة** ان يكون قد قرا تفسيرا ظاهرا واعتقد انه لا معنى

لكلمات القران الا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما وان ما وراء ذلك تفسير بالراى وان من فسر القران برايه فليتبوا مقعده من النار فهذا ايضا من الحجب العظيمة وسنبين معنى التفسير بالراى فى الباب الرابع وان ذلك لا يناقض قول على كرم الله وجهه الا ان يوتى الله العبد فهما فى القران وانه لو كان المعنى هو الظاهر المنقول لما اختلف الناس فيه **السابع** التخصيص وهو ان يقدر انه المقصود بكل خطاب فى القران فان سمع امرا او نهيا قدر انه المنهى والمامور وان سمع وعدا او وعيدا فكمثل وان سمع قصص الاولين والانبيا علم ان السمر غير مقصود وانما المقصود الاعتبار به فلياخذ من تضاعيفه ما يحتاج اليه فما من قصة فى القران الا وسياقها لفايدة فى حق النبى صلى الله عليه وسلم وامته ولذلك قال تعالى ما نثبت به فوادك فليقدر العبد ان الله يثبت فواده بما يقصه عليه من احوال الانبيا وصبرهم على الايذا وثباتهم فى الدين لانتظار نصرة الله وكيف لا يقدر هذا والقران ما انزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم خاصة بل هو شفا وهدى ورحمة ونور للعالمين ولذلك امر الله تعالى الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال واذكروا نعمت الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب وقال لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم وقال تعالى وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم وقال تعالى كذلك يضرب الله للناس امثالهم وقال عز وجل واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم وقال تعالى هذا بصاير للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين واذا قصد بالخطاب جميع الناس فقد قصد الاحاد فهذا القارى الواحد مقصود فما له ولساير الناس فليقدر انه المقصود قال تعالى واوحى الى هذا القران لانذركم به ومن بلغ قال محمد بن كعب القرظى من بلغه القران فكانما كلمه الله عز وجل واذا قدر ذلك لم يتخذ دراسة القران عمله بل يقراه كما يقرا العبد كتاب مولاه الذى كتبه اليه ليتامله ويعمل بمقتضاه ولذلك قال بعض الحكما هذا القران رسايل اتتنا من قبل ربنا بعهوده نتدبرها فى الصلوات ونقف عليها فى الخلوات وننفذها فى الطاعات فى السنن المتبعات وكان مالك بن دينار يقول ما زرع القران فى قلوبكم يا اهل القران ان القران ربيع المومن كما ان الغيث ربيع الارض وقال قتادة لم يجالس احد هذا القران الا قام بزيادة او نقصان قال تعالى وننزل من القران ما هو شفا ورحمة للمومنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا **الثامن** التاثر وهو ان يتاثر قلبه باثار مختلفة بحسب اختلاف الايات فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجا وغيره ومهما تمت معرفته كانت الخشية اغلب الاحوال على قلبه فان التضييق غالب على ايات القران فلا يرى ذكر المغفرة والرحمة الا مقرونا بشروط يقصر العارف عن نيلها كقوله تعالى وانى لغفار ثم اتبع ذلك باربع شرايط لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى وقوله والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ذكر اربع شرايط وحيث اقتصر ذكر شرطا جامعا فقال ان رحمة الله قريب من المحسنين والاحسان يجمع الكل وهكذا من يتصفح القران من اوله الى اخره ومن فهم ذلك فجدير بان يكون حاله الخشية والحزن ولذلك قال الحسن والله ما اصبح اليوم عبد يتلو هذا القران يومن به الا كثر حزنه وقل فرحه وكثر بكاوه وقل ضحكه وكثر نصبه وشغله وقلت راحته وبطالته وقال وهيب بن الورد نظرنا فى هذه الاحاديث والمواعظ فلم نجد شيا ارق للقلوب ولا اشد استجلابا للحزن من قراءة القران وتفهمه وتدبره فتاثر العبد بالتلاوة ان يصير بصفة الاية المتلوة فعند الوعيد وتقييد المغفرة بالشروط يتضال من خيفته كانه يكاد يموت وعند التوسع ووعد المغفرة

ويستبشر كأنه يطير من الفرح وعند ذكر صفات الله وأسمائه يطأطئ خضوعاً لجلاله واستشعاراً
لعظمته وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله كذكرهم أن لله تعالى ولداً وصاحبة يغض صوته وينكسر في
باطنه حياء من قبح مقالتهم وعند وصف الجنة ينبعث بباطنه شوقاً إليها وعند وصف النار ترتعد
فرائصه خوفاً منها ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن مسعود اقرأ علي قال ففتحت سورة النساء
فلما بلغت فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً رأيت عيناه تذرفان بالدمع
فقال لي حسبك الآن وهذا لأن مشاهدة تلك الحالة استغرقت قلبه بالكلية ولقد كان في الخائفين
من يخر مغشياً عليه عند آيات الوعيد ومنهم من مات عند سماع الآيات فمثل هذه الأحوال يخرجه عن أن يكون
حاكياً في كلامه فإذا قال إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم وإذا لم يكن خائفاً كان حاكياً وإذا قال
ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير فإن لم يكن حاله التوكل والإنابة كان حاكياً وإذا قرأ و
لنصبرن على ما آذيتمونا فليكن حاله الصبر والعزيمة عليه حتى يجد حلاوة التلاوة فإن لم يكن بهذه الصفات
ولم يتردد قلبه بين هذه الحالات كان حظه من التلاوة حركة اللسان مع صريح اللعن على نفسه في قوله تعالى
ألا لعنة الله على الظالمين وفي قوله كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون وفي قوله عز وجل فأعرض عن من
تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا وفي قوله تعالى ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون إلى غير ذلك من
الآيات وكان داخلاً في معنى قوله عز وجل ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني يعني التلاوة
المجردة وفي قوله تعالى وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون لأن القرآن
هو المبين لتلك الآيات في الأرض والسماء ومهما تجاوزها ولم يتأثر بها كان معرضاً عنها ولذلك قيل إن من لم يكن
متصفاً بأخلاق القرآن فإذا قرأ القرآن ناداه الله عز وجل ما لك ولكلامي وأنت معرض عني دع عنك كلامي
إن لم تتب إلي ومثال العاصي إذا قرأ القرآن وكرره مثال من يكرر كتاب الملك في كل يوم مرات وقد كتب
إليه في عمارة مملكته وهو مشغول بتخريبها ومقتصر على دراسة كتابه فلعله لو ترك الدراسة عند
المخالفة لكان أبعد عن الاستهزاء واستحقاق المقت ولذلك قال يوسف بن أسباط إني لأهم بقراءة
القرآن فإذا ذكرت ما فيه خشيت المقت فأعدل إلى التسبيح والاستغفار والمعرض عن العمل به أريد
بقوله فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون ولذلك قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فإذا اختلفتم فلستم تقرؤونه وفي بعضها
فإذا اختلفتم فقوموا عنه قال الله تعالى الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً
وقال صلى الله عليه وسلم إن أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذي إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشى الله عز
وجل وقال صلى الله عليه وسلم لا يسمع القرآن من أحد أشهى منه ممن يخشى الله عز وجل فالقرآن يراد
لاستجلاب هذه الأحوال إلى القلب والعمل به وإلا فالمؤنة في تحريك اللسان بالحروف خفيفة ولذلك
قال بعض القراء قرأت القرآن على شيخ لي ثم رجعت لأقرأ ثانياً فانتهرني وقال جعلت القرآن علي عملاً
اذهب فاقرأ على الله تعالى فانظر ماذا يأمرك وماذا ينهاك وبهذا كان شغل الصحابة رضي الله عنهم في
الأحوال والأعمال فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين ألفاً من الصحابة لم يحفظ القرآن
منهم إلا ستة اختلف منهم في اثنين وكان أكثرهم يحفظ السورة والسورتين وكان الذي يحفظ
البقرة والأنعام من علمائهم ولما جاء رجل من العشيرة لاقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعلم
العلم فلما كان عند باب المسجد سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن

يعمل مثقال ذرة شراً يره فقال يكفيني هذا وانصرف فقال النبي صلى الله عليه وسلم انصرف الرجل وهو
فقيه وإنما المقصود مثل تلك الحالة التي يمن الله تعالى بها على قلب العبد عقيب فهم الآية فأما مجرد
حركة اللسان فقليل الجدوى بل التالي باللسان المعرض عن العمل جدير بأن يكون هو المراد بقوله
عز وجل ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى وبقوله كذلك أتتك
آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى أي تركتها ولم تنظر إليها ولم تعبأ بها فإن المقصر في الأمر
يقال إنه نسي الأمر وتلاوة القرآن حق تلاوته أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب فحظ اللسان تصحيح
الحروف بالترتيل وحظ العقل تفسير المعاني وحظ القلب الاتعاظ والتأثر بالانزجار والائتمار فاللسان
يرتل والعقل يترجم والقلب يتعظ **التاسع** الترقي وأعني به أن يترقى إلى أن يسمع الكلام من الله عز
وجل لا من نفسه فدرجات القراءة ثلاث أدناها أن يقدر العبد كأنه يقرؤه على الله تعالى واقفاً بين
يديه وهو ناظر إليه ومستمع منه فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال والتملق والتضرع
والابتهال **الثانية** أن يشهد بقلبه كأن الله عز وجل يخاطبه بألطافه ويناجيه بإنعامه
وإحسانه فمقامه عند هذا التقدير الحياء والتعظيم والإصغاء والفهم **الثالثة** أن يرى
في الكلام المتكلم وفي الكلمات الصفات ولا ينظر إلى نفسه ولا إلى قراءته ولا إلى تعلق الإنعام به من حيث
إنه منعم عليه بل يكون مقصور الهم على المتكلم موقوف الفكر عليه كأنه مستغرق بمشاهدة المتكلم
عن غيره وهذه درجة المقربين وما قبلها درجات أصحاب اليمين وما خرج عن هذا فدرجات
الغافلين وعن الدرجة العليا أخبر جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه فقال والله لقد تجلى الله
تعالى لخلقه في كلامه ولكنهم لا يبصرون وقال أيضاً وقد سألوه عن حالة لحقته في الصلاة
حتى خر مغشياً عليه فلما سري عنه قيل له في ذلك فقال ما زلت أردد الآية على قلبي حتى سمعتها
من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته ففي مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة ولذة المناجاة
ولذلك قال بعض الحكماء كنت أقرأ القرآن فلا أجد له حلاوة حتى تلوته كأني أسمعه من رسول الله
صلى الله عليه وسلم يتلوه على أصحابه ثم رفعت إلى مقام فوقه فكنت أتلوه كأني أسمعه من جبريل يلقيه
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاء الله بمنزلة أخرى فأنا الآن أسمعه من المتكلم به عز وجل فعندها
وجدت له لذة ونعيماً لا أصبر عنه وقال عثمان وحذيفة لو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة
القرآن وإنما قالوا ذلك لأنها بالطهارة ترقى إلى مشاهدة المتكلم في الكلام ولذلك قال ثابت البناني
كابدت القرآن عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة وبمشاهدة المتكلم دون ما سواه يكون العبد ممتثلاً
لقوله تعالى ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين ولقوله ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر فمن لم يره في كل شيء فقد
رأى غيره وكل ما التفت إليه العبد سوى الله تعالى تضمن التفاته شيئاً من الشرك الخفي بل التوحيد الخالص أن لا يرى
في كل شيء إلا الله سبحانه **العاشر** التبري وأعني به أن يتبرأ من حوله وقوته والالتفات إلى نفسه بعين
الرضا والتزكية فإذا تلا آيات الوعد والمدح للصالحين فلا يشهد نفسه عند ذلك بل
يشهد الموقنين والصديقين فيها ويتشوق إلى أن يلحقه الله بهم وإذا تلا آيات المقت وذم العصاة
والمقصرين شهد نفسه هناك وقدر أنه المخاطب خوفاً وإشفاقاً ولذلك كان عمر رضي الله عنه يقول
اللهم إني أستغفرك لظلمي وكفري فقيل له هذا الظلم فما بال الكفر فتلا قوله تعالى إن الإنسان لظلوم
كفار وقيل ليوسف بن أسباط إذا قرأت القرآن بماذا تدعو قال بماذا أدعو أستغفر الله تعالى من

يتضجر سبعين مرة فاذا راى نفسه بصورة المقصر في القراءة كانت رؤيته سبب قربه
فان من شهد البعد في القرب لطف له بالخوف حتى يسوقه الى درجة اخرى في القرب وراءها ومن
شهد القرب في البعد مكر به بالامن الذي يفضيه الى درجة اخرى في البعد اسفل مما هو فيه ومهما
كان شاهدا نفسه بعين الرضا صار محجوبا بنفسه **واذا** جاوز حد الالتفات الى نفسه ولم يشاهد
الا الله في قراءته انكشف له الملكوت قال سليمان ابن ابي سليمان الداراني وعدني ابن ثوبان اخا له ان
افطر عنده فابطا عليه حتى طلع الفجر فلقيته من الغد فقال له وعدتني ان تفطر عندي فاخلفت
فقال لولا ميعادك ما اخبرتك بالذي حبسني عنك اني لما صليت العتمة قلت اوتر قبل ان اجيئك
لاني لا امن ما يحدث من الموت فلما كنت في الدعاء من الوتر رفعت لي روضة خضراء فيها انواع الزهر
من الجنة فما زلت انظر اليها حتى اصبحت وهذه المكاشفات لا تكون الا بعد التبري عن النفس وعدم
الالتفات اليها والى هواها ثم تخصص هذه المكاشفات باحوال المكاشف فحيث يغلب الرجاء ويغلب
على حاله الاستبشار تنكشف له صورة الجنة فيشاهدها كانه يراها عيانا وان غلب عليه الخوف
كوشف بالنار حتى يرى انواع عذابها وذلك ان كلام الله تعالى يشتمل على السهل اللطيف والشديد
العسوف والمرجو المخوف وذلك بحسب اوصافه اذ منها الرحمة واللطف والانتقام والبطش
فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات يتقلب القلب في اختلاف الحالات وبحسب كل حالة
منها يستعد للمكاشفة بامر يناسب تلك الحالة ويقاربها اذ يستحيل ان يكون حال المستمع
واحدا والمسموع مختلفا اذ فيه كلام راض وكلام غضبان وكلام منعم وكلام منتقم وكلام
جبار متكبر لا يبالي وكلام حنان متعطف لا يهمل

الباب الرابع في فهم القران وتفسيره بالراي

نقل عظمت الامر فيما سبق في فهم اسرار القران وما ينكشف لارباب القلوب الزكية من معانيه ف
كيف يستحب ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم من فسر القران برايه فليتبوأ مقعده من النار وعن هذا
شنع اهل العلم بظاهر التفسير على اهل التصوف من المنسوبين الى التصوف في تاويل كلمات القران
على خلاف ما نقل عن ابن عباس وسائر المفسرين وذهبوا الى انه كفر فان صح ما قاله اهل التفسير فما معنى
فهم القران سوى حفظ تفسيره وان لم يصح ذلك فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم من فسر القران برايه
فليتبوأ مقعده من النار **فاعلم** ان من زعم ان لا معنى للقران الا ما يترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حد
نفسه وهو مصيب في الاخبار عن نفسه ولكنه مخطئ في الحكم برد الخلق كافة الى درجته التي هي حده
ومحطه بل الاخبار والاثار تدل على ان في معاني القران متسعا لارباب الفهم قال علي كرم الله وجهه
الا ان يؤتي الله عبدا فهما في القران فان لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما ذلك الفهم وقال صلى الله عليه
وسلم ان للقران ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا **ويروى** ايضا عن ابن مسعود موقوفا عليه وهو من علماء التفسير
فما معنى الظهر والبطن والحد والمطلع وقال علي كرم الله وجهه لو شئت لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير
فاتحة الكتاب فما معنى ذلك وتفسير ظاهرها في غاية الاختصار **وقال** ابو الدرداء لا يفقه
الرجل حتى يجعل للقران وجوها وقد قال بعض العلماء لكل اية ستون الف فهم وما بقي من فهمها اكثر وقال
بعض العلماء القران يحوي سبعة وسبعين الف علم ومائتي علم اذ كل كلمة علم ثم يتضاعف ذلك اربعة
اضعاف اذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحد ومطلع وترديد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم
عشرين مرة لا يكون الا لتدبره باطن معانيها والا فترجمتها وتفسيرها ظاهر لا يحتاج مثله الى تكرير وقال

ابن مسعود من اراد علم الاولين والاخرين فليثور القران وذلك لا يحصل بمجرد تفسير الظاهر وبالجملة
فالعلوم كلها داخلة في افعال الله وصفاته وفي القران اشارات الى مجامعها والمقامات في
التعمق في تفصيلها راجع الى فهم القران ومجرد ظاهر التفسير لا يشير الى ذلك بل كل ما اشكل فيه
النظار واختلف فيه الخلائق من النظريات والمعقولات ففي القران رموز اليه ودلالات عليه
يختص اهل الفهم بدركها فكيف يفي بذلك ترجمة ظاهره وتفسيره ولذلك قال عليه السلام اقرؤا القران
والتمسوا غرائبه وقال صلى الله عليه وسلم في حديث علي رضي الله عنه والذي بعثني بالحق لتفترقن امتي
عن اصل دينها وجماعتها على اثنتين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة يدعون الى النار فاذا كان
ذلك فعليكم بكتاب الله فان فيه نبا ما كان قبلكم ونبا ما ياتي بعدكم وحكم ما بينكم من خالفه من الجبابرة قصمه الله
ومن ابتغى العلم في غيره اضله الله وهو حبل الله المتين ونوره المبين وشفاؤه النافع عصمة لمن تمسك
به ونجاة لمن تبعه لا يعوج فيقام ولا يزيغ فيستقيم ولا تنقضي عجائبه ولا يخلقه كثرة الرد وفي
حديث حذيفة لما اخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاختلاف والفرقة بعده قال فقلت
يا رسول الله فما تامرني ان ادركت ذلك قال تعلم كتاب الله واعمل بما فيه فهو المخرج من ذلك
قال فاعدت عليه ذلك ثلاثا فقال تعلم كتاب الله واعمل بما فيه ففيه النجاة وقال علي كرم الله
وجهه من فهم القران فسر جمل العلم اشار به الى ان القران يشير الى مجامع العلوم كلها وقال ابن عباس
في قوله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا يعني الفهم في القران وقال تعالى ففهمناها سليمان
وكلا اتينا حكما وعلما سمى ما اتاهما علما وحكما وخصص ما انفرد به سليمان بالتفطن له باسم الفهم وجعله مقدما
على العلم والحكم فهذه الامور تدل على ان في فهم معاني القران مجالا رحبا ومتسعا بالغا وان المنقول
من ظاهر التفسير ليس منتهى الادراك فيه فاما قوله صلى الله عليه وسلم من فسر القران برايه
ونهيه عن ذلك وقول ابي بكر رضي الله عنه اي ارض تقلني واي سماء تظلني اذا قلت في القران برايي
الى غير ذلك مما ورد في الاثار والاخبار من النهي عن تفسير القران بالراي فلا يخلو اما ان يكون المراد به
الاقتصار على النقل والمسموع وترك الاستنباط والاستقلال بالفهم او المراد به امر اخر وباطل قطعا
ان يكون المراد به ان لا يتكلم احد في القران الا بما يسمعه لوجوه احدها انه يشترط ان يكون ذلك مسموعا
من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسندا اليه وذلك مما لا يصادف الا في بعض القران فاما ما يقوله
ابن عباس وابن مسعود من انفسهم فينبغي ان لا يقبل ويقال هو تفسير بالراي لانهم لم يسمعوه من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكذا غيرهم من الصحابة والثاني ان الصحابة والمفسرين اختلفوا في تفسير بعض الايات
فقالوا فيها اقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها وسماع جميعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم محال
ولو كان الواحد مسموعا لرد الباقي فتبين على القطع ان كل مفسر قال في المعنى بما ظهر له باستنباطه حتى
قالوا في الحروف التي في اوائل السور سبعة اقاويل مختلفة فقيل الر هي حروف الرحمن وقيل ان الالف الله
واللام لطيف والراء رحيم وقيل غير ذلك والجمع بين الكل غير ممكن فكيف يكون الكل مسموعا **والثالث**
انه صلى الله عليه وسلم دعا لابن عباس فقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل فان كان التاويل مسموعا كالتنزيل محفوظا
مثله فما معنى تخصيصه بذلك **والرابع** انه قال تعالى لعلمه الذين يستنبطونه منهم فاثبت لاهل
العلم استنباطا ومعلوم انه وراء السماع وجملة ما نقلناه من الاثار في فهم القران يناقض
هذا الخيال فبطل ان يشترط السماع في التاويل وجاز لكل واحد ان يستنبط من القران بقدر فهمه

وحد عقله واما النهي فانه ينزل على احد الوجهين احدهما ان يكون المفسر بالراي في شي غرض واليه
ميل من طبعه وهواه فيتاول القران على وفق رايه وهواه ليحتج على تصحيح غرضه ولو لم يكن له ذلك الراي
والهوى لكان لا يلوح له من القران ذلك المعنى وهذا يكون تارة مع العلم كالذي يحتج ببعض ايات
القران على تصحيح بدعته وهو يعلم انه ليس ذلك هو المراد بالاية ذلك ولكن يلبس به على خصمه وتارة
يكون مع الجهل ولكن اذا كانت الاية محتملة فيميل فهمه الى الوجه الذي يوافق غرضه ويرجح ذلك الجانب
برايه وهواه فيكون قد فسر برايه اي رايه هو الذي حمله على ذلك التفسير ولولا رايه ما كان يترجح عنده
ذلك الوجه وتارة قد يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلا من القران ويستدل عليه بما يعلم انه ما اريد
به ذلك كمن يدعو الى الاستغفار بالاسحار فيستدل بقوله عليه السلام تسحروا فان في السحور بركة ويزعم
ان المراد من التسحر بالذكر وهو يعلم ان المراد به التسحر بالذكر وهو يعلم ان المراد به الاكل وكالذي يدعو الى
مجاهدة القلب القاسي فيقول قال الله تعالى لموسى صلى الله عليه وسلم اذهب الى فرعون انه طغى و
يشير الى قلبه ويومي الى انه المراد بفرعون وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ في المقاصد الصحيحة
تحسينا للكلام وترغيبا للمستمع وهو ممنوع وقد يستعمله الباطنية في المقاصد الفاسدة لتغرير
الناس ودعوتهم الى مذهبهم الباطل فينزلون القران على وفق رايهم ومذهبهم على امور يعلمون قطعا
انها غير مرادة به فهذه الفنون احد وجهي المنع من التفسير بالراي ويكون المراد بالراي الراي الفاسد
الموافق للهوى دون الاجتهاد الصحيح والراي يتناول الصحيح والفاسد والموافق للهوى قد يخصص
باسم الراي الوجه الثاني ان يتسارع الى تفسير القران بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع و
النقل فيما يتعلق بغرايب القران وما فيه من الالفاظ المبهمة والمبدلة وما فيه من الاختصار والحذف
والاضمار والتقديم والتاخير فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر الى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية
كثر غلطه ودخل في زمرة من فسر القران بالراي والنقل والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير اولا ليتقي به مواضع
الغلط ثم بعد ذلك يتسع التفهم والاستنباط والغرايب التي لا تفهم الا بالسماع فنون كثيرة ونحن
نرمز الى جمل منها ليستدل بها على امثالها ويعلم انه لا يجوز التهاون بحفظ التفسير الظاهر اولا ولا مطمع
في الوصول الى الباطن قبل احكام الظاهر ومن ادعى فهم اسرار القران ولم يحكم التفسير الظاهر كمن يدعي
البلوغ الى صدر البيت قبل مجاوزة الباب اويدعي فهم مقاصد الاتراك من كلامهم وهو لا يفهم
لغة الترك فان ظاهر التفسير يجري مجرى تعلم اللغة التي لا بد منها للفهم ولا بد فيها من استماع فنون
كثيرة منها **الايجاز** بالحذف والاضمار كقوله تعالى واتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها معناه اية مبصرة
فظلموا انفسهم بقتلها فالناظر الى ظاهر العربية يظن ان المراد به ان الناقة كانت مبصرة ولم تكن عميا
ولا يدري انهم بماذا ظلموا وانهم ظلموا غيرهم او انفسهم وقوله واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم اي حب العجل
فحذف الحب وقوله اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات اي ضعف عذاب الاحيا وضعف الممات فحذف
العذاب وابدل الاحيا والموتى بذكر الحياة والموت وكل ذلك جايز في فصيح اللغة وقوله واسئل القرية
التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها اي اهل القرية واهل العير فالاهل محذوف فيهما مضمر وقوله ثقلت
في السموات والارض معناه خفيت على اهل السموات والارض فالشي اذا خفي ثقل فابدل اللفظ به واقيم في
مقام على واضمر الاهل وحذف وقوله وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي شكر رزقكم وقوله واتنا ما وعدتنا
على رسلك اي على السنة رسلك فحذف الالسنة وقوله انا انزلناه في ليلة القدر اراد القران وما سبق

له ذكر وقال تعالى حتى توارت بالحجاب اراد الشمس وما سبق لها وقوله والذين اتخذوا من دونه اوليا ما
نعبدهم اي يقولون ما نعبدهم وقوله فما لهولا القوم لا يكادون يفقهون حديثا ما اصابك من
حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك معناه لا يفقهون حديثا يقولون ما اصابك فانه لم
يرد هذا كان مناقضا لقوله تعالى قل كل من عند الله ويسبق الى الفهم منه مذهب القدرية ومنها
المنقول المنقلب كقوله تعالى وطور سينين اي طور سينا وقوله سلام على ال ياسين اي على الياس وقيل
ادريس لان في حرف ابن مسعود سلام على ادراسين ومنها المكرر المنقطع القاطع لوصل الكلام في
الظاهر كقوله تعالى وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركا ان يتبعون الا الظن معناه وما
يتبع الذين يدعون من دون الله شركا الا الظن وقوله عز وجل قال الذين استكبروا من قومه
للذين استضعفوا لمن امن منهم معناه الذين استكبروا لمن امن من الذين استضعفوا ومنها
المقدم والموخر وهو مظنة الغلط كقوله عز وجل ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى معناه
ولولا كلمة واجل مسمى لكان لزاما ولولاه لكان نصبا كاللزام وقوله تعالى يسئلونك كانك حفي عنها
وقوله تعالى لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم كما اخرجك ربك فهذا الكلام غير متصل وانما هو
عايد الى قوله السابق قل الانفال لله والرسول كما اخرجك ربك من بيتك بالحق اي فصارت انفال
الغنايم لك اذ انت راض بخروجك وهم كارهون فاعترض بين الكلام الامر بالتقوى وغيره
وقوله تعالى حتى تومنوا بالله وحده الا قول ابرهيم لابيه ومنها المبهم وهو اللفظ المشترك بين معاني
في كلمة او حرف اما الكلمة فكالشي والقرين والامة والروح ونظايرها قال الله تعالى ضرب الله
مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شي اراد به النفقة مما رزق وقال تعالى اخبارا عن قول الخضر لموسى فان
اتبعتني فلا تسئلني عن شي اراد به من صفات الربوبية وهي العلوم التي لا يحل السوال عنها حتى يبتدا بها
العارف من اهل الاستحقاق وقال تعالى ام خلقوا من غير شي اي من غير خالق فربما يتوهم به انه يدل على انه لا
يخلق شي الا من شي وقال تعالى كل شي هالك الا وجهه هذا ما الذي عند الله الموكل به **واما** الامة فتطلق
على ثمانية اوجه الامة الجماعة كقوله تعالى وجد عليه امة من الناس يسقون واتباع الانبيا كقولك نحن
من امة محمد صلى الله عليه وسلم والامة الرجل الجامع للخير المقتدى به كقوله تعالى ان ابرهيم كان امة قانتا لله
حنيفا والامة الدين كقوله تعالى انا وجدنا اباءنا على امة والامة الحين والزمان كقوله تعالى الى امة معدودة
وقوله تعالى وادكر بعد امة والامة القامة يقال فلان حسن الامة اي القامة والامة رجل منفرد بدينه لا يشركه
فيه احد كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث زيد بن عمرو بن نفيل امة وحده والامة الام يقال
هذه امة زيد والروح ايضا قد ورد في القران لمعان كثيرة يطول ايرادها وقد يقع الابهام في الحروف كقوله
تعالى فاثرن به نقعا فوسطن به جمعا فالها الاولى كناية عن الحوافر وهي الموريات اي اثرن بالحوافر نقعا والثانية
كناية عن الاغارة وهي المغيرات صبحا فوسطن به جمعا جمع المشركين فاغاروا بجمعهم وقوله عز وجل فانزلنا
به الما يعني بالسحاب فاخرجنا به من كل الثمرات يعني بالما وشل هذا في القران لا ينحصر ومنها التدريج في
البيان كقوله تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه القران اذ لم يظهر به انه ليلا او نهارا وبان بقوله عز وجل
انا انزلناه في ليلة مباركة ولم يظهر اي ليلة هي وظهر بقوله عز وجل انا انزلناه في ليلة القدر وربما يظن
في الظاهر الاختلاف بين هذه الايات فهذا وامثاله لا يغني فيه الا النقل والسماع والقران من اوله الى
اخره غير خال عن هذا الجنس لانه نزل بلغة العرب وكان مشتملا على اصناف كلامهم من ايجاز وتطويل

والإضمار وحذف وإبدال وتقديم وتأخير ليكون ذلك مجزا لهم ومعجزا في حقهم وكل من اكتفى بفهم
ظاهر العربية وبادر إلى تفسير القرآن ولم يستظهر بالسماع والنقل في هذه الأمور فهو داخل في من فسر
القرآن برأيه مثل أن يفهم من لفظ الأمة المعنى الأشهر منه فيميل طبعه ورأيه إليه فإذا سمعه
في موضع آخر مال برأيه إلى ما سمعه من مشهور معناه ويترك تتبع النقل في كثرة معانيه فهذا لا يمكن
أن يكون منها دون التفهم لأسرار المعاني كما سبق فإذا حصل السماع لأمثال هذه الأمور علم ظاهر
التفسير وهو ترجمة الألفاظ ولا يكون ذلك في فهم حقائق المعاني ويدرك الفرق بين حقائق المعاني وظاهر
التفسير بمثال وهو أن الله عز وجل قال وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى فظاهر تفسيره واضح و
حقيقة معناه غامض فإنه إثبات الرمي ونفي له وهما متضادان في الظاهر ما لم يفهم أنه رمى من وجه
ولم يرم من وجه ومن الوجه الذي لم يرم رماه الله عز وجل ولذلك قال الله عز وجل قاتلوهم يعذبهم الله
بأيديكم وإذا كانوا هم المقاتلين كيف يكون الله هو المعذب وإن كان الله هو المعذب بتحريك أيديهم فما معنى
أمرهم بالقتال فحقيقة هذا تستمد من بحر عظيم من علوم المكاشفات لا يغني عنه ظاهر التفسير وهو
أن يعلم وجه ارتباط الأفعال بالقدرة الحادثة ويفهم وجه ارتباط القدرة بقدرة الله
تعالى حتى ينكشف بعد إيضاح أمور كثيرة غامضة صدق قول الله تعالى وما رميت إذ رميت
ولكن الله رمى ولعل العمر لو أنفق في استكشاف أسرار هذا المعنى وما يرتبط بمقدماته ولواحقها
لانقطع العمر قبل استيفاء جميع لواحقها وما من كلمة من القرآن إلا وتحقيقها محوج إلى مثل ذلك وإنما
ينكشف للراسخين في العلم من أسراره بقدر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم وتوفر دواعيهم على التدبر
وتجردهم للطلب ويكون لكل واحد حد في الترقي إلى درجة منه فأما الاستيفاء فلا مطمع فيه ولو كان
البحر مدادا والأشجار أقلاما فأسرار كلمات الله من هذا الوجه تتفاوت الخلق في الفهم بعد
الاشتراك في معرفة ظاهر التفسير وظاهر التفسير لا يغني عنه ومثاله ما فهمه بعض أرباب
القلوب من قوله صلى الله عليه وسلم في سجوده أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك
وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك أنه صلى الله عليه وسلم قيل له واسجد
واقترب فوجد القرب في السجود فنظر في الصفات فاستعاذ ببعضها من بعض فإن الرضا والسخط
وصفان ثم زاد قربه فاندرج القرب الأول فيه فرقي إلى الذات فقال أعوذ بك منك ثم زاد قربه
بما استحيا به من الاستعاذة على بساط القرب فالتجأ إلى الثناء فأثنى بقوله لا أحصي ثناء عليك
ثم علم أن ذلك قصور فقال أنت كما أثنيت على نفسك فهذه خواطر تنفتح لأرباب القلوب ثم
لها أغوار وراء هذا وذلك هو فهم معنى القرب واختصاصه بالسجود ومعنى الاستعاذة من صفة
بصفة ومنه به وأسرار ذلك كثيرة ولا يدل تفسير ظاهر اللفظ عليها وليس هو مناقضا لظاهر التفسير
بل هو استكمال له ووصول إلى لبابه عن ظاهره فهذا ما نورده لفهم المعاني الباطنة لا ما يناقض
الظاهر والله أعلم تم كتاب آداب تلاوة القرآن بحمد الله وعونه يتلوه كتاب الأذكار والدعوات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الشاملة رأفته العامة رحمته الذي جازى عباده على ذكرهم بذكره فقال عز من قائل اذكروني
أذكركم ورغبهم في السؤال والدعاء بأمره فقال ادعوني أستجب لكم فأطمع المطيع والعاصي والداني
والقاصي في الانبساط إلى حضرة جلاله برفع الحاجات والأماني بقوله تعالى فإني قريب أجيب دعوة الداعي
إذا دعان والصلاة على محمد سيد أنبيائه وعلى آله وأصحابه خيرة أصفيائه وسلم تسليما كثيرا
أما بعد فليس بعد تلاوة كتاب الله عز وجل عبادة تؤدى باللسان أفضل من ذكر الله عز
وجل ورفع الحاجات بالأدعية الخالصة إلى الله تعالى فلا بد من شرح فضيلة الذكر على الجملة ثم على
التفصيل في أعيان الأذكار وشرح فضيلة الدعاء وشروطه وآدابه ونقل المأثور من الدعوات الجامعة
لمقاصد الدين والدنيا والدعوات الخاصة لسؤال المغفرة والاستعاذة وغيرها ويتحرر المقصود
من ذلك بذكر أبواب خمسة **الباب الأول** في فضيلة الذكر وفائدته جملة وتفصيلا **الباب
الثاني** في فضيلة الدعاء وآدابه وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه
وسلم **الباب الثالث** في أدعية مأثورة معزوة إلى أربابها وأصحابها وأسبابها **الباب
الرابع** في أدعية منتخبة محذوفة الإسناد من الأدعية المأثورة **الباب الخامس** في الأدعية
المأثورة عند حدوث الحوادث **الباب الأول** في فضيلة الذكر على الجملة والتفصيل من الآيات و
الأخبار والآثار ويدل على فضيلة الذكر في الجملة من الآيات قوله سبحانه فاذكروني أذكركم قال
ثابت البناني إني أعلم متى يذكرني ربي ففزعوا منه وقالوا كيف تعلم ذلك فقال إذا ذكرته ذكرني
وقال تعالى اذكروا الله ذكرا كثيرا وقال عز وجل فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام
واذكروه كما هداكم الآية وقال عز وجل فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا
وقال تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم قال ابن عباس رضي الله عنهما أي بالليل
والنهار في البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والمرض والصحة والسر والعلانية وقال عز وجل
في ذم المنافقين ولا يذكرون الله إلا قليلا **وقال** عز وجل واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون
الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين وقال تعالى ولذكر الله أكبر قال ابن
عباس رضي الله عنهما له وجهان أحدهما ذكر الله أكبر لكم من ذكركم إياه والوجه الآخر أن ذكر الله أكبر من
كل عبادة سواه إلى غير ذلك من الآيات **وأما** الأخبار فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الخضراء في وسط الهشيم وقال صلى الله عليه وسلم ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل
بين الفارين **وقال** صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي
شفتاه وقال صلى الله عليه وسلم ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل قالوا يا
رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال صلى الله عليه وسلم ولا الجهاد في سبيل الله إلا أن تضرب
بسيفك حتى ينقطع في سبيل الله ثم تضرب به حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع وقال صلى الله
عليه وسلم من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله عز وجل وسئل رسول الله صلى الله عليه
وسلم أي الأعمال أفضل فقال أن تموت ولسانك رطب بذكر الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم
أصبح وأمس ولسانك رطب بذكر الله عز وجل تصبح وتمسي وليس عليك خطيئة وقال صلى الله عليه
وسلم قال الله عز وجل إذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي وإذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ
خير من ملئه وإذا تقرب إلي شبرا تقربت منه باعا وإذا مشى إلي هرولت إليه يعني بالهرولة سرعة الإجابة
وقال صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله عز وجل يوم لا ظل إلا ظله وذكر من جملتهم رجلا ذكر الله

عز وجل خاليا ففاضت عيناه من خشية الله عز وجل وقال ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا انبئكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم وخير لكم من اعطاء
الورق والذهب وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا وما
ذاك يا رسول الله قال ذكر الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل من شغله
ذكري عن مسألتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين واما الآثار فقد قال الفضيل بلغنا ان الله
عز وجل يقول يا ابن آدم اذكرني بعد الصبح ساعة وبعد العصر ساعة اكفك ما بينهما وقال
بعض العلماء ان الله عز وجل يقول ايما عبد اطلعت على قلبه فرايت الغالب عليه التمسك بذكري توليت
سياسته وكنت جليسه ومحادثه وانيسه وقال الحسن الذكر ذكران ذكر الله عز وجل بين نفسك ما
اعظمه واعظم اجره وافضل من ذلك ذكر الله سبحانه عند ما حرم الله عز وجل ويروى ان كل نفس تخرج من
الدنيا عطشى الا الذاكر الله عز وجل وقال معاذ بن جبل ليس يتحسر اهل الجنة على شيء الا على ساعة مرت
بهم لم يذكروا الله سبحانه فيها

فضيلة مجالس الذكر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جلس قوم
يذكرون الله عز وجل الا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده وقال صلى
الله عليه وسلم ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يريدون بذلك الا وجهه الا ناداهم مناد من السماء
قوموا مغفورا لكم فقد بدلت سيئاتكم حسنات وقال صلى الله عليه وسلم ما قعد قوم مقعدا لم يذكروا الله
فيه ولم يصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم الا كان حسرة عليهم يوم القيامة وقال داود صلى الله عليه وسلم
الهي اذا رايتني اجاوز مجالس الذاكرين الى مجالس الغافلين فاكسر رجلي دونهم فانها نعمة تنعم بها علي وقال
صلى الله عليه وسلم المجلس الصالح يكفر عن المؤمن الفي الف مجلس من مجالس السوء وقال ابو هريرة ان
اهل السماء ليتراءون بيوت اهل الارض التي يذكر فيها اسم الله كما تتراءى النجوم وقال سفيان بن عيينة
اذا اجتمع قوم يذكرون الله عز وجل اعتزل الشيطان والدنيا فيقول الشيطان للدنيا الا ترين ما يصنعون
فتقول الدنيا دعهم فانهم اذا تفرقوا اخذت باعناقهم اليك وعن ابي هريرة انه دخل السوق وقال
اراكم هاهنا وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم في المسجد فذهب الناس الى المسجد وتركوا السوق
فلم يروا ميراثا فقالوا يا ابا هريرة ما راينا ميراثا يقسم فقال فماذا رايتم قالوا راينا قوما يذكرون الله عز وجل
ويقرءون القرآن قال فذلك ميراث محمد صلى الله عليه وسلم وروى الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة
وابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان لله عز وجل ملائكة سياحين في الارض فضلا
عن كتاب الناس فاذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا الى بغيتكم فيجيئون فيحفون بهم الى السماء
الدنيا فيقول الله تبارك وتعالى اي شيء تركتم عبادي يصنعون فيقولون تركناهم يحمدونك ويمجدونك
ويسبحونك فيقول وهل راوني فيقولون لا فيقول كيف لو راوني فيقولون لو راوك لكانوا اشد
تسبيحا وتحميدا وتمجيدا فيقول لهم من اي شيء يتعوذون فيقولون من النار فيقول وهل راوها فيقولون
لا فيقول فكيف لو راوها فيقولون لو راوها لكانوا اشد هربا منها واشد نفورا فيقول واي شيء يطلبون
فيقولون الجنة فيقول وهل راوها فيقولون لا فيقول فكيف لو راوها فيقولون لو راوها لكانوا اشد عليها
حرصا فيقول فاني اشهدكم اني قد غفرت لهم فيقولون كان فيهم فلان لم يردهم انما جاء لحاجة فيقول هم القوم لا
يشقى بهم جليسهم

فضيلة التهليل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل ما قلته انا
والنبيون من قبلي لا اله الا الله وحده لا شريك له وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله

وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر
حسنات وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه حتى
يمسي ولم يات احد بافضل مما جاء به الا احد عمل اكثر من ذلك وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد توضأ
فاحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده
ورسوله الا فتحت له ابواب الجنة يدخل من ايها شاء وقال عليه السلام ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في
قبورهم ولا في النشور كاني انظر اليهم عند الصيحة ينفضون رؤوسهم من التراب ويقولون الحمد لله الذي
اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور وقال ايضا لابي هريرة يا ابا هريرة ان كل حسنة تعملها توزن يوم
القيامة الا شهادة ان لا اله الا الله فانها لا توضع في ميزان لانها لو وضعت في ميزان من قالها صادقا ووضعت
السموات السبع وما فيهن كان لا اله الا الله ارجح من ذلك وقال عليه السلام لو جاء قائل لا اله الا الله صادقا
بقراب الارض ذنوبا لغفر الله له وقال عليه السلام يا ابا هريرة لقن الموتى شهادة ان لا اله الا الله فانها
تهدم الذنوب هدما قلت يا رسول الله هذا للموتى فكيف للاحياء فقال هي اهدم واهدم وقال
عليه السلام من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة وقال عليه السلام لتدخلن الجنة كلكم الا من
ابى وشرد على الله شرود البعير على اهله فقال يا رسول الله من الذي يابى قال من لم يقل لا اله الا الله فاكثروا
من قول لا اله الا الله قبل ان يحال بينكم وبينها فانها كلمة التوحيد وهي كلمة الاخلاص وهي كلمة التقوى
وهي الكلمة الطيبة وهي دعوة الحق وهي العروة الوثقى وهي ثمن الجنة وقال الله عز وجل هل جزاء الاحسان
الا الاحسان فقيل الاحسان في الدنيا قول لا اله الا الله وفي الآخرة الجنة وكذا قوله للذين احسنوا الحسنى
وزيادة وروى ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك
وله الحمد وهو على كل شيء قدير كان له عدل رقبة او نسمة وروى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده انه صلى
الله عليه وسلم قال من قال في يوم مائتي مرة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على
كل شيء قدير وقال عمر رضي الله عنه من قال في سوق من الاسواق لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله
الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب له الف الف حسنة ومحي عنه الف الف سيئة
وبني له بيت في الجنة ويروى ان العبد اذا قال لا اله الا الله اتت الى صحيفته فلا تمر على خطيئة الا محتها
حتى تجد حسنة مثلها فتجلس الى جنبها وفي الصحيح عن ابي ايوب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قال
لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن اعتق اربعة انفس من ولد
اسماعيل وفي الصحيح ايضا عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من تعار من الليل فقال
لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله ثم قال اللهم اغفر لي او دعا استجيب له فان توضأ وصلى قبلت صلاته

فضيلة التسبيح والتحميد وبقية الاذكار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبح دبر كل صلاة
ثلاثا وثلاثين وكبر ثلاثا وثلاثين وحمد ثلاثا وثلاثين وختم المائة بلا اله الا الله وحده لا شريك له
له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وقال صلى الله عليه وسلم من قال
في كل يوم سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت عنه خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وروي ان رجلا جاء الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله تولت عني الدنيا وقلت ذات يدي فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاين انت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون قال فقلت يا رسول الله

وناهي فقال قل سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم استغفر الله مائة مرة ما بين طلوع الفجر الى
ان يصلي الصبح تاتيك الدنيا راغمة صاغرة ويخلق الله من كل كلمة ملكا يسبح الله الى يوم القيمة لك ثوابه
وقال صلى الله عليه وسلم اذا قال العبد الحمد لله ملأت ما بين السماء والارض فاذا قال الحمد لله الثانية
ملأت ما بين السماء السابعة الى الارض فاذا قال الحمد لله الثالثة قال الله سل تعطه وقال
رفاعة الزرقي كنا يوما نصلي وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رفع راسه من الركوع وقال سمع الله لمن حمده
قال رجل من ورائه ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن صلاته قال من المتكلم رايت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها ايهم يكتبها اول وقال صلى الله عليه وسلم
الباقيات الصالحات هي لا اله الا الله وسبحان الله والله اكبر والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله وقال
صلى الله عليه وسلم ما على الارض رجل يقول لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله الا
غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر رواه ابن عمر رضي الله عنهما وروى النعمان بن بشير عنه صلى الله عليه
وسلم انه قال الذين يذكرون من جلال الله وتسبيحه وتهليله وتحميده ينعطف حول العرش له دوي كدوي
النحل يذكر بصاحبه اولا يحب احدكم ان لا يزال عند الله ما يذكر به وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لان اقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر احب الي مما طلعت عليه الشمس وفي رواية
وزاد ولا حول ولا قوة الا بالله وقال خير من الدنيا وما فيها وقال صلى الله عليه وسلم احب الكلام الى
الله اربع سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر لا يضرك بايهن بدأت رواه سمرة بن جندب وروى ابو
مالك الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الطهور شطر الايمان والحمد لله تملأ الميزان
وسبحان الله والله اكبر يملآن ما بين السماء والارض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء و
القرآن حجة لك او عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها او موبقها وقال ابو هريرة قال
صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده
سبحان الله العظيم وقال ابو ذر قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الكلام احب الى الله تعالى
قال ما اصطفى الله لملائكته سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وقال ابو هريرة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من الكلام سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فاذا قال العبد سبحان
الله كتب له عشرون حسنة وحط عنه عشرون سيئة واذا قال الله اكبر فمثل ذلك وذكر الى آخر الكلمات
وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة وعن ابي
ذر قال قال الفقراء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب اهل الدثور بالاجور يصلون كما نصلي ويصومون
كما نصوم ويتصدقون بفضول اموالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوليس قد جعل الله لكم ما
تصدقون ان لكم بكل تسبيحة صدقة وتحميدة صدقة وتهليلة صدقة وتكبيرة صدقة وامر بمعروف
صدقة ويضع احدكم اللقمة في في اهله فهي له صدقة ويصيب اهله فهي له صدقة قالوا يا رسول
الله ياتي احدنا شهوته ويكون له فيها اجر قال صلى الله عليه وسلم ارأيت لو وضعها في حرام لكان
عليه فيها وزر فكذلك اذا وضعها في حلال كان له فيها اجر وقال ابو ذر قلت لرسول الله صلى الله
عليه وسلم سبق اهل الاموال بالاجر يقولون كما نقول وينفقون ما ننفق فقال صلى الله عليه وسلم
افلا ادلك على عمل اذا انت عملته ادركت من قبلك وفت من بعدك الا من قال مثل قولك تسبح بعد كل
صلاة ثلاثا وثلاثين وتحمد ثلاثا وثلاثين وتكبر اربعا وثلاثين وروت بسرة عن النبي صلى الله عليه وسلم

انه قال عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس فلا تغفلن واعقدن بالانامل فانها مستنطقات يعني
بالشهادة في القيمة وقال ابن عمر رايته صلى الله عليه وسلم يعقد التسبيح وقد قال صلى الله عليه وسلم
فيما شهد عليه ابو هريرة وابو سعيد الخدري انه صلى الله عليه وسلم قال اذا قال العبد لا اله الا الله
والله اكبر قال صدق عبدي لا اله الا انا وانا اكبر واذا قال العبد لا اله الا الله وحده لا شريك له قال
الله صدق عبدي لا اله الا انا لا شريك لي واذا قال لا اله الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله يقول الله صدق
عبدي لا حول ولا قوة الا بي ومن قالهن عند الموت لم تمسه النار وروى مصعب بن سعد عن
ابيه عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ايعجز احدكم ان يكسب كل يوم الف حسنة وتحط عنه سيئة
وقال صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن قيس ويا ابا موسى الا ادلك على كنز من كنوز الجنة قال
بلى قال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا من
كنز الجنة ومن تحت العرش لا حول ولا قوة الا بالله يقول الله تعالى اسلم عبدي واستسلم وقال صلى الله
عليه وسلم من قال حين يصبح رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا كان
حقا على الله ان يرضيه يوم القيمة وفي رواية من قال ذلك رضي الله عنه وقال مجاهد اذا خرج
الرجل من بيته فقال بسم الله قال الملك هديت واذا قال توكلت على الله قال الملك كفيت
واذا قال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم قال الملك وقيت فتتفرق عنه الشياطين
يقولون لا سبيل لكم اليه قد هدي وكفي ووقي فان قلت ما بال ذكر الله مع خفته على اللسان وقلة
التعب فيه صار افضل وانفع من جملة العبادات مع كثرة المشقات فيها فاعلم ان تحقيق هذا
لا يليق الا بعلم المكاشفة والقدر الذي يسمح بذكره في علم المعاملة ان المؤثر النافع هو الذكر على
الدوام مع حضور القلب فاما الذكر باللسان والقلب لاه فقليل الجدوى وفي الاخبار ما يدل على ذلك ايضا
وحضور القلب في لحظة مع الذكر والذهول عن الله تعالى مع الاشتغال بالدنيا ايضا قليل الجدوى
بل حضور القلب مع الله تعالى على الدوام او في اكثر الاوقات هو المقدم على العبادات بل به تشرف
سائر العبادات وذلك هو غاية ثمرة العبادات العملية وللذكر اول وآخر فاوله يوجب الانس والحب
وآخره يوجبه الانس والحب ويصدر عنهما والمطلوب هو ذلك الانس فان المريد في بداية الامر
قد يكون متكلفا بصرف قلبه ولسانه عن الوسواس الى ذكر الله فان وفق للمداومة انس به وانغرس في
قلبه حب المذكور ولا ينبغي ان يتعجب من هذا فان من المشاهد في العادات ان تذكر غائبا غير مشاهد
بين يدي شخص وتكرر ذكر خصاله عنده فيحبه وقد يعشق بالوصف وكثرة الذكر ثم اذا عشق
بكثرة الذكر المتكلف اولا صار مضطرا الى كثرة الذكر آخرا بحيث لا يصبر عنه فان من احب شيئا اكثر من ذكره
ومن اكثر ذكر شيء وان كان تكلفا احبه وكذلك اول الذكر متكلف الى ان يثمر الانس بالمذكور والحب
له ثم يمتنع الصبر عنه آخرا فيصير الموجب موجبا والثمرة مثمرا وهذا معنى قول بعضهم كابدت
القرآن عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة ولا يصدر التنعم الا من الانس والحب ولا يصدر الانس
الا من المداومة على المكابدة والتكلف مدة طويلة حتى يصير التكلف طبعا وكيف يستبعد هذا
وقد يتكلف الانسان تناول طعام يستبشعه اولا ويكابد اكله ويواظب عليه فيصير موافقا لطبعه
حتى لا يصبر عنه فالنفس معتادة متحملة لما تكلف وقد قيل هي النفس ما حملتها تتحمل اي ما كلفتها
تكلفت اولا ثم يصير لها طبعا آخرا ثم اذا حصل الانس بذكر الله انقطع عن غير الله وما سوى الله هو

الذي يفارقه عند الموت ولا يبقى معه في القبر اهل ولا مال ولا ولد ولا ولاية ولا يبقى الا ذكر الله فان كان قد انس به تمتع به وتلذذ بانقطاع العوايق الصارفة عنه اذ ضرورات الحاجات في الحيوة الدنيا تصد عن ذكر الله ولا يبقى بعد الموت عايق فكانه خلي بينه وبين محبوبه فعظمت غبطته وتخلص من السجن الذي كان ممنوعا فيه عما به انسه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي احبب ما احببت فانك مفارقه اراد به كل ما يتعلق بالدنيا فان ذلك يفنى في حقه بالموت فكل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وانما تفنى الدنيا بالموت في حقه الى ان تفنى في نفسها عند بلوغ الكتاب اجله وهذا الانس يتلذذ به العبد بعد موته الى ان ينزل في جوار الله ويترقى من الذكر الى اللقا وذلك بعد ان يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور ولا ينكر بقا ذكر الله معه بعد الموت فيقول انه اعدم فكيف يبقى معه ذكر الله فانه لم يعدم عدما يمنع الذكر بل عدما من الدنيا وعالم الملك والشهادة لا من عالم الملكوت والى ما ذكرناه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم القبر اما حفرة من حفر النار او روضة من رياض الجنة وبقوله صلى الله عليه وسلم ارواح الشهدا في حواصل طيور خضر وبقوله صلى الله عليه وسلم لقتلى بدر من المشركين يا فلان يا فلان وقد سماهم باسمائهم اني قد وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا فسمع عمر قوله تعالى فقال يا رسول الله كيف يسمعون وانى يجيبون وقد جيفوا فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما انتم باسمع منهم لكلامي ولكنهم لا يقدرون ان يجيبوا والحديث في الصحيح هذا قوله في المشركين واما المومنون والشهدا فقد قال صلى الله عليه وسلم ارواحهم في حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش وهذه الحالة وما اشير بهذه الالفاظ اليه لا ينافي ذكر الله تعالى وقال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احيا عند ربهم يرزقون فرحين بما اتيهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون ولاجل شرف ذكر الله تعالى عظمت رتبة الشهادة لان المطلوب الخاتمة ونعني بالخاتمة وداع الدنيا والقدوم على الله والقلب مستغرق بالله منقطع العلايق عن غيره وان قدر عبد على ان يجعل همه مستغرقا بالله فلا يقدر على ان يموت على تلك الحالة الا في صف القتال فانه قد قطع عند ذلك الطمع عن مهجته واهله وماله وولده بل من الدنيا كلها فانه يريدها لحياته وقد هون على قلبه حياته في حب الله عز وجل وطلب مرضاته فلا تجرد لله اعظم من ذلك ولذلك عظم امر الشهادة وورد فيه من الفضايل ما لا يحصى فمن ذلك انه لما استشهد عبد الله الانصاري يوم احد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر الا ابشرك يا جابر قال بلى بشرك الله بالخير قال ان الله احيا اباك فاقعده بين يديه وليس بينه وبينه ستر فقال الله تعالى تمن علي يا عبدي ما شئت اعطيكه قال يا رب ان تردني الى الدنيا حتى اقتل فيك وفي نبيك مرة اخرى فقال تعالى سبق القضا مني بانهم اليها لا يرجعون ثم القتل سبب الخاتمة على مثل هذه الحالة فانه لو لم يقتل وبقي مدة ربما عادت شهوات الدنيا وغلبت على ما استولى على قلبه من ذكر الله ولهذا عظم خوف اهل المعرفة من الخاتمة فان القلب وان الزم ذكر الله فهو متقلب لا يخلو عن الالتفات الى شهوات الدنيا ولا ينفك عن فترة تعتريه فاذا تمثل في اخر الحال في قلبه امر من الدنيا واستولى عليه وارتحل عن الدنيا على هذه الحالة فيوشك ان يبقى استيلاوه عليه فيحن بعد الموت الى مثله ويتمنى الرجوع الى الدنيا وذلك لقلة حظه في الاخرة اذ يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه

واسلم الاحوال عن هذا الخطر خاتمة الشهادة اذا لم يكن قصد الشهيد نيل مال او ان يقال شجاع او غير ذلك كما ورد به الخبر بل حب الله واعلا كلمته فهذه الحالة هي التي عبر عنها بان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ومثل هذا الشخص هو البايع للدنيا بالاخرة وحالة الشهيد توافق معنى قولك اشهد ان لا اله الا الله فانه لا مقصود له سوى الله عز وجل ولا معبود له سواه وكل مقصود معبود وكل معبود اله فهذا الشهيد قايل بلسان حاله لا اله الا الله اذ لا مقصود له سواه ومن يقول ذلك بلسانه ولم يساعده حاله فامره في مشية الله عز وجل ولا يومن في حقه الخطر وكذلك فضل قول لا اله الا الله على ساير الاذكار وذكر ذلك مطلقا في مواضع الترغيب ثم ذكر في بعض المواضع الصدق والاخلاص فقال مرة من قال لا اله الا الله مخلصا ومعنى الاخلاص مساعدة الحال للمقال فنسال الله تعالى ان يجعلنا في الخاتمة من اهل لا اله الا الله حالا ومقالا ظاهرا وباطنا حتى نودع الدنيا غير ملتفتين اليها متبرمين بها ومحبين للقا الله فان من احب لقا الله احب الله لقاءه ومن كره لقا الله كره الله لقاءه فهذه مرامز الى معاني الذكر لا يمكن الزيادة عليها في علم المعاملة

الباب الثاني في اداب الدعا وفضله وفضيلة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضيلة الاستغفار وفضل بعض الادعية الماثورة

فضيلة الدعا قال الله تعالى واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليومنوا بي لعلهم يرشدون وقال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين وقال تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسما الحسنى وقال تعالى وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين **روى** النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الدعا هو العبادة ثم قرا ادعوني استجب لكم وقال عليه السلام الدعا مخ العبادة وروى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال ليس شي اكرم على الله من الدعا وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد لا يخطيه من الدعا احدى ثلاث اما ذنب يغفر له واما خير يعجل له واما خير يدخر له وقال ابو ذر يكفي من الدعا مع البر ما يكفي الطعام من الملح وقال صلى الله عليه وسلم سلوا الله من فضله فانه يحب ان يسال وافضل العبادة انتظار الفرج

اداب الدعا وهي عشرة الاول ان يترصد لدعايه الاوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة ورمضان من الشهور ويوم الجمعة من الاسبوع ووقت السحر من ساعات الليل قال تعالى وبالاسحار هم يستغفرون وقال صلى الله عليه وسلم ينزل الله تعالى كل ليلة الى سما الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول عز وجل من يدعوني فاستجيب له من يسالني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له وقيل ان يعقوب عليه السلام انما قال سوف استغفر لكم ربي ليدعو في وقت السحر فقيل انه قام في وقت السحر يدعو واولاده يومنون خلفه فاوحى الله اليه اني قد غفرت لهم وجعلتهم انبيا

الثاني ان يغتنم الاحوال الشريفة قال ابو هريرة رضي الله عنه ان ابواب السما تفتح عند زحف الصفوف في سبيل الله وعند نزول الغيث وعند اقامة الصلاة المكتوبة فاغتنموا الدعا فيها وقال مجاهد ان الصلاة جعلت في خير الساعات فعليكم بالدعا خلف الصلوات وقال صلى الله عليه وسلم الدعا بين الاذان والاقامة لا يرد وقال ايضا الصايم لا ترد دعوته وبالحقيقة يرجع شرف الاوقات الى شرف الحالات ايضا اذ وقت السحر وقت صفا القلب واخلاصه وفراغه من المشوشات

ويوم عرفة ويوم الجمعة ووقت اجتماع الهمم وتعاون القلوب على استدرار رحمة الله فهذا احد
اسباب شرف الاوقات سوى ما فيها من اسرار لا يطلع البشر عليها وحالة السجود ايضا اجدر بالاجابة
قال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا
من الدعا وروى بن عباس عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اني نهيت ان اقرا القران راكعا او ساجدا فاما
الركوع فعظموا فيه الرب واما السجود فاجتهدوا فيه بالدعا فانه قمن ان يستجاب لكم **الثالث**
ان يدعو مستقبل القبلة ويرفع يديه بحيث يرى بياض ابطيه روى جابر بن عبد الله ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس وقال
سلمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ربكم حيي كريم يستحيي من عبده اذا رفع يديه اليه ان يردهما
صفرا وروى انس انه صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه اليه حتى يرى بياض ابطيه في الدعا ولا يشير
باصبعيه السبابتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احد احد اي اقتصر على الواحدة وقال
ابو الدردا ارفعوا هذه الايدي بالدعا قبل ان تغل بالاغلال ثم ينبغي ان يمسح بهما وجهه في اخر
الدعا قال عمر رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مد يديه في الدعا لم يردهما حتى
يمسح بهما وجهه وقال ابن عباس رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دعا ضم كفيه وجعل
بطونهما مما يلي وجهه فهذه هيات الايدي ولا يرفع بصره الى السما قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لينتهين اقوام عن رفع ابصارهم الى السما عند الدعا او لتخطفن ابصارهم **الرابع** خفض الصوت
بين المخافتة والجهر لما روي ان ابا موسى الاشعري قال قدمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دنونا
من المدينة كبر الناس ورفعوا اصواتهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس ان الذي تدعون
ليس باصم ولا غايب ان الذي تدعون بينكم وبين اعناق ركابكم **وقالت عايشه** رضي الله عنها
في قوله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها اي بدعايك وقد اثنى الله تعالى على نبيه زكريا صلى الله
عليه وسلم حيث قال اذ نادى ربه ندا خفيا وقال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية **الخامس**
ان لا يتكلف السجع في الدعا فان حالة الداعي ينبغي ان يكون حال متضرع والتكلف لا يناسبه قال صلى الله
عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعا وقد قال الله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه
لا يحب المعتدين قيل معناه التكلف للاسجاع والاولى ان لا يجاوز الدعوات الماثورة فانه اذا جاوز
ربما اعتدى في دعايه فيسال الله تعالى ما لا تقتضيه مصلحته وما كل احد يحسن الدعا ولذلك
فيرد الخبر عن معاذ ان العلما يحتاج اليهم في الجنة اذ يقال لاهل الجنة تمنوا فلا يدرون كيف
يتمنون حتى يتعلموا من العلما وقد قال صلى الله عليه وسلم اياكم والسجع في الدعا حسب احدكم ان
يقول اللهم اني اسالك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول
وعمل وفي الخبر سياتي قوم يعتدون في الدعا والطهور ومر بعض السلف بقاص يدعو بسجع فقال
اعلى الله تبالغ اشهد لقد رايت حبيبا العجمي يدعو وما يزيد على قوله اللهم اجعلنا جيدين اللهم
لا تفضحنا يوم القيمة اللهم وفقنا للخير والناس يدعون في كل ناحية وراه وكان تعرف بركة دعايه
وقال بعضهم ادع بلسان الذلة والافتقار لا بلسان الفصاحة والانطلاق ويقال ان العلما
والابدال لا يزيد احدهم في الدعا على سبع كلمات فما دونها ويشهد له اخر سورة البقرة فان الله
عز وجل لم يخبر في موضع من ادعية عباده باكثر من ذلك واعلم ان المراد بالسجع هو المتكلف من الكلام

فان ذلك لا يلائم الضراعة والذلة والا ففي الادعية الماثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كلمات متوازنات لكنها غير متكلفة كقوله عليه السلام اللهم اني اسالك الامن يوم الوعيد
والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود والموفين بالعهود انك رحيم ودود و
انت تفعل ما تريد وامثال ذلك فليقتصر على الماثور من الدعوات او ليلتمس بلسان التضرع
من غير سجع وتكلف فالتضرع هو المحبوب عند الله **السادس** التضرع والخشوع والرهبة قال
الله تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وقال تضرعا وخفية وقال صلى الله
عليه وسلم اذا احب الله عبدا ابتلاه حتى يسمع تضرعه **السابع** ان يجزم بالدعا ويوقن بالاجابة
ويصدق رجاه فيه وقال صلى الله عليه وسلم لا يقل احدكم اذا دعا اللهم اغفر لي ان شئت اللهم
ارحمني ان شئت ليعزم المسالة فانه لا مكره له وقال صلى الله عليه وسلم اذا دعا احدكم فليعظم الرغبة
فان الله لا يتعاظمه شي وقال صلى الله عليه وسلم ادعوا الله عز وجل وانتم موقنون بالاجابة وا
اعلموا ان الله عز وجل لا يستجيب دعا من قلب غافل وقال سفيان بن عيينة لا يمنعن احدكم
من الدعا ما يعلم من نفسه فان الله عز وجل اجاب دعا شر الخلق ابليس اذ قال رب فانظرني الى يوم
يبعثون قال انك من المنظرين **الثامن** ان يلح في الدعا ويكرره ثلاثا قال ابن مسعود كان
عليه السلام اذا دعا دعا ثلاثا واذا سال سال ثلاثا وينبغي ان لا يستبطي الاجابة لقوله صلى
الله عليه وسلم يستجاب لاحدكم ما لم يعجل فيقول دعوت فلم يستجب لي فاذا دعوت فسل الله
كثيرا وقال بعضهم اني اسال الله تعالى منذ عشرين سنة حاجة وما اجابني وانا ارجو الاجابة
سالت الله ان يوفقني لترك ما لا يعنيني وقال صلى الله عليه وسلم اذا سال احدكم ربه مسالة
فتعرف الاجابة فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ومن ابطا عليه من ذلك شي فليقل الحمد لله
على كل حال **التاسع** ان يفتتح الدعا بذكر الله عز وجل فلا يبدا بالسوال قال سلمة بن الاكوع ما سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعا الا استفتحه وقال سبحان ربي العلي الاعلى
الوهاب وقال ابو سليمان الداراني من اراد ان يسال الله عز وجل حاجة فليبدا بالصلاة على
النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسال حاجته ثم يختم بالصلاة عليه فان الله يقبل الصلاتين وهو اكرم
من ان يدع ما بينهما وروي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سالتم الله حاجة
فابدوا بالصلاة علي ان الله تعالى اكرم من ان يسال حاجتين فيقضي احدهما ويرد الاخرى رواه
ابو طالب المكي رحمه الله **العاشر** وهو الادب الباطن وهو الاصل في الاجابة التوبة ورد المظالم
والاقبال على الله بكنه الهمة فذلك هو السبب القريب في الاجابة ويروى عن كعب الاحبار رحمه
الله قال اصاب الناس قحط شديد على عهد موسى عليه السلام فخرج موسى عليه السلام ببني
اسرايل يستسقي فلم يسقوا ثم خرج ثلاث مرات فلم يسقوا فاوحى الله عز وجل الى موسى عليه السلام
اني لا استجيب لك ولا لمن معك وفيكم نمام فقال موسى عليه السلام يا رب ومن هو حتى نخرجه
من بيننا فاوحى الله عز وجل اليه يا موسى انهاكم عن النميمة واكون نماما فقال موسى لبني اسرايل توبوا
باجمعكم من النميمة فتابوا فارسل الله عليهم الغيث وقال سعيد بن جبير قحط الناس في زمن ملك
من ملوك بني اسرايل فاستسقوا فقال الملك ليرسلن الله علينا السما او لنوذينه قيل له وكيف
تقدر ان توذيه وهو في السما فقال اقتل اولياه واهل طاعته فيكون ذلك اذى له قال فارسل

الله السماء وقال سفيان الثوري بلغني ان بني اسرائيل قحطوا سبع سنين حتى اكلوا الميتة من المزابل
واكلوا الاطفال وكانوا كذلك يخرجون الى الجبال ويتضرعون فاوحى الله الى انبيائهم لو مشيتم الي
باقدامكم حتى تحفى ركبكم وتبلغ ايديكم عنان السماء وتكل السنتكم عن الدعاء فاني لا اجيب لكم داعيا
ولا ارحم منكم باكيا حتى تردوا المظالم الى اهلها ففعلوا فمطروا من يومهم وقال مالك بن دينار
اصاب الناس في بني اسرائيل قحط فخرجوا مرارا فاوحى الله الى نبيهم ان اخبرهم انكم تخرجون الي بابدان نجسة
وترفعون الي اكفا قد سفكتم بها الدماء وملأتم بطونكم من الحرام الان قد اشتد غضبي عليكم ولن
تزدادوا مني الا بعدا وقال ابو الصديق الناجي خرج سليمان عليه السلام يستسقي فمر بنملة
ملقاة على ظهرها رافعة قوائمها الى السماء وهي تقول اللهم انا خلق من خلقك ولا غنى بنا عن رزقك
فلا تهلكنا بذنوب غيرنا فقال سليمان صلى الله عليه وسلم ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم وقال
الاوزاعي خرج الناس يستسقون فقام فيهم بلال بن سعد فحمد الله واثنى عليه ثم قال يا معشر
من حضر الستم مقرين بالاساءة قالوا اللهم نعم ثم قال اللهم انا سمعناك تقول ما على المحسنين من سبيل
وقد اقررنا بالاساءة فهل تكون مغفرتك الا لمثلنا اللهم اغفر لنا وارحمنا واسقنا فرفع يديه ورفعوا
ايديهم فسقوا وقيل لمالك بن دينار ادع لنا ربك فقال انكم تستبطئون المطر وانا استبطئ الحجارة
وروي ان عيسى عليه السلام خرج يستسقي فلما اصحروا قال لهم عيسى عليه السلام من اصاب
منكم ذنبا فليرجع فرجعوا كلهم ولم يبق معه الا رجل واحد فقال له عيسى اما لك من ذنب فقال والله
ما اعلم من شيء غير اني كنت ذات يوم اصلي فمرت بي امرأة فنظرت اليها بعيني هذه فلما جاوزتني ادخلت
اصبعي في عيني فانتزعتها واتبعت المرأة بها فقال له صلى الله عليه وسلم فادع حتى اؤمن على دعائك
قال فدعا فتجللت السماء سحابا ثم صبت فسقوا وقال يحيى الغساني اصاب الناس قحط على عهد داود
النبي صلى الله عليه وسلم فاختاروا ثلاثة من علمائهم فخرجوا حتى يستسقوا بهم فقال احدهم اللهم انك
انزلت في توراتك ان نعفو عمن ظلمنا اللهم انا قد ظلمنا انفسنا فاعف عنا وقال الثاني اللهم
انك انزلت في توراتك ان نعتق ارقاءنا اللهم انا ارقاؤك فاعتقنا وقال الثالث اللهم انك انزلت
في توراتك ان لا نرد المساكين اذا وقفوا بابوابنا اللهم انا مساكينك وقفنا ببابك فلا ترد دعاءنا فسقوا
وقال عطاء السلمي منعنا الغيث فخرجنا نستسقي فاذا نحن بسعدون المجنون في المقابر فنظر الي فقال
يا عطاء هذا يوم النشور او بعثر ما في القبور فقلت لا ولكنا منعنا الغيث فخرجنا نستسقي فقال
يا عطاء بقلوب ارضية ام بقلوب سماوية قلت بل بقلوب سماوية فقال هيهات يا عطاء قل للمتبهرجين
لا تتبهرجوا فان الناقد بصير ثم رمق السماء بطرفه وقال الهي وسيدي لا تهلك بلادك بذنوب
عبادك ولكن بالمكنون من اسمائك وما وارت الحجب من آلائك الا ما اسقيتنا ماء غدقا تحيي به العباد
وتحيي به البلاد يا من هو على كل شيء قدير قال عطاء فما استتم الكلام حتى رعدت السماء وبرقت
وجاءت بمطر كافواه القرب فولى وهو يقول شعر افلح الزاهدون والعابدون اذ لمولاهم اجاعوا البطونا
اسهروا العيون العليلة حبا فانقضى ليلهم وهم ساهرونا شغلتهم عبادة الله حتى قيل في الناس ان فيهم جنونا
وقال ابن المبارك قدمت المدينة في عام شديد القحط فخرج الناس يستسقون وخرجت معهم
اذ اقبل غلام اسود عليه قطعتا خيش قد اتزر باحديهما والقى الاخرى على عاتقه فجلس الى جنبي فسمعته
يقول الهي اخلقت الوجوه عندك كثرة الذنوب ومساوي الاعمال وقد حبست عنا غيث السماء لتؤدب

عبادك بذلك فاسألك يا حليما ذا اناة يا من لا يعرف عباده منه الا الجميل ان تسقيهم الساعة الساعة
فلم يزل يقول الساعة الساعة حتى اكتست السماء بالغمام واقبل المطر من كل مكان قال ابن المبارك فجئت
الى الفضيل فقال ما لي اراك كئيبا فقلت سبقنا اليه غيرنا فتولاه دوننا وقصصت عليه القصة فصاح
الفضيل وخر مغشيا عليه ويروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه استسقى بالعباس رضي
الله عنه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ عمر من دعائه قال العباس اللهم انه لم ينزل من
السماء بلاء الا بذنب ولن يكشف الا بتوبة وقد توجه القوم بي اليك لمكاني من نبيك صلى الله
عليه وسلم وهذه ايدينا اليك بالذنوب ونواصينا بالتوبة وانت الراعي لا تهمل الضالة ولا تدع
الكسير بدار مضيعة فقد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الشكوى وانت تعلم السر واخفى
اللهم اغثهم بغياثك قبل ان يقنطوا فيهلكوا فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فما تم
كلامه حتى ارخت السماء مثل الجبال فضيلة الصلاة على محمد رسول الله صلى الله عليه
وسلم وفضله عليه السلام قال الله عز وجل ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا
صلوا عليه وسلموا تسليما وروي انه صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والبشرى ترى في وجهه فقال صلى
الله عليه وسلم انه جاءني جبريل عليه السلام فقال اما ترضى يا محمد ان لا يصلي عليك احد من امتك الا
صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك احد من امتك الا سلمت عليه عشرا وقال عليه السلام من صلى علي
صلت عليه الملائكة ما صلى علي فليقلل من ذلك او ليكثر وقال عليه السلام ان اولى الناس
بي اكثرهم علي صلاة وقال عليه السلام بحسب المؤمن من البخل ان اذكر عنده فلا يصلي علي وقال
صلى الله عليه وسلم اكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة وقال عليه السلام من صلى علي مرة كتب
له عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات وقال عليه السلام من قال حين يسمع الاذان والاقامة
اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على محمد عبدك ورسولك واعطه الوسيلة و
الفضيلة والشفاعة يوم القيمة حلت له شفاعتي وقال صلى الله عليه وسلم ان في الارض ملائكة سياحين
يبلغوني عن امتي السلام وقال صلى الله عليه وسلم ليس احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام
وقيل يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى اله وازواجه
وذريته كما صليت على ابرهيم انك حميد مجيد وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع بعد موت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكي ويقول بابي انت وامي يا رسول الله لقد كان لك جذع تخطب
الناس عليه فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه
فسكن فامتك كانت اولى بالحنين اليك لما فارقتهم بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من
فضيلتك عند الله ان جعل طاعتك طاعته فقال الله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله بابي
انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اخبرك بالعفو عنك قبل ان اخبرك بالذنب
فقال الله عز وجل عفا الله عنك لم اذنت لهم بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان
بعثك اخر الانبياء وذكرك في اولهم فقال الله عز وجل واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح
وابرهيم الاية بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اهل النار يودون ان يكونوا
قد اطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا بابي انت وامي
يا رسول الله لئن كان موسى بن عمران اعطاه الله حجرا تتفجر منه الانهار فما ذلك باعجب من اصابعك

حين ينبع منها الما صلى الله عليه وسلم بابي انت وامي يا رسول الله لئن كان سليمان عليه السلام
اعطاه الله الريح غدوها شهر ورواحها شهر فما ذلك باعجب من البراق حين سريت عليه الى السما السابعة
ثم صليت الصبح من ليلتك بالابطح صلى الله عليك بابي انت وامي يا رسول الله لئن كان عيسى بن مريم اعطاه
الله احيا الموتى فما ذلك باعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك وهي مشوية وقالت الذراع لا تاكلني فاني
مسموم بابي انت وامي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولو
دعوت علينا مثلها لهلكنا كلنا فلقد وطئ ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول
الا خيرا وقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون بابي انت وامي يا رسول الله لقد اتبعك في قلة سنك و
قصر عمرك ما لم يتبع نوحا في كثرة سنه وطول عمره ولقد امن بك الكثير وما امن معه الا قليل بابي انت
وامي يا رسول الله لو لم تجالس الا كفوا لك ما جالستنا ولو لم تنكح الا كفوا لك ما نكحت الينا ولو لم تواكل
الا كفوا لك ما واكلتنا فلقد والله جالستنا ونكحت الينا وواكلتنا ولبست الصوف وركبت الحمار
واردفت خلفك ووضعت طعامك بالارض ولعقت اصابعك تواضعا منك صلى الله عليه وسلم
وكان بعضهم كتب الحديث ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ولا يسلم فراى النبي صلى الله عليه وسلم
في المنام فقال صلى الله عليه وسلم ما تتم الصلاة علي في كتابك فما كتبت بعد ذلك الا صليت وسلمت **وروي**
عن الحسن الشافعي قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله بما جزي الشافعي عنك
حيث يقول في كتاب الرسالة وصلى الله على محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون فقال صلى
الله عليه وسلم جزي عني انه لا يوقف للحساب **فضيلة الاستغفار** قال الله تعالى والذين اذا فعلوا
فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم الاية قال علقمة والاسود قال عبد الله بن مسعود
في كتاب الله عز وجل ايتان ما اذنب عبد ذنبا فقراهما فاستغفر الله الا غفر له والذين اذا فعلوا فاحشة او
ظلموا انفسهم الاية وقال تعالى ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما وقال
عز وجل والمستغفرين بالاسحار وقال تعالى فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا وكان صلى الله عليه وسلم
يكثر ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي انك انت التواب الرحيم وقال صلى الله عليه وسلم
من اكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب وقال صلى الله عليه
وسلم اني لاستغفر الله واتوب اليه سبحانه في اليوم سبعين مرة هذا مع انه كان صلى الله عليه وسلم
قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وقال صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي حتى اني لاستغفر الله
كل يوم مائة مرة وقال صلى الله عليه وسلم من قال حين ياوي الى فراشه استغفر الله العظيم الذي
لا اله الا هو الحي القيوم ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر او عدد رمل عالج او عدد
ورق الشجر او عدد ايام الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم من احب ان تسره صحيفته فليكثر فيها من الاستغفار ذنوبه وان
كان فارا من الزحف وقال حذيفة كنت ذرب اللسان على اهلي فقلت يا رسول الله لقد خشيت ان
يدخلني لساني النار فقال النبي صلى الله عليه وسلم فاين انت من الاستغفار في اليوم مائة مرة **وقالت
عائشة** رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت الممت بذنب فاستغفري الله فان
التوبة من الذنب الندم والاستغفار وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في الاستغفار اللهم
اغفر لي خطيئتي وجهلي واسرافي في امري وما انت اعلم به مني اللهم اغفر لي هزلي وجدي وخطاي
وعمدي وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت وما انت اعلم به مني

انت المقدم وانت المؤخر وانت على كل شيء قدير **وقال** علي رضي الله عنه كنت رجلا اذا سمعت
من النبي صلى الله عليه وسلم حديثا نفعني الله عز وجل منه بما شاء ان ينفعني واذا حدثني احد من
اصحابه استحلفته فاذا حلف صدقته قال وحدثني ابو بكر وصدق ابو بكر رضي الله عنه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ركعتين
ثم يستغفر الله عز وجل الا غفر الله له ثم تلا قوله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة الاية وروى ابو هريرة
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان المؤمن اذا اذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في
قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها فان زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلك الران الذي
ذكر الله عز وجل في كتابه كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون **وروى** ابو هريرة ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ان الله سبحانه ليرفع الدرجة للعبد في الجنة فيقول يا رب انى لي هذا فيقول عز وجل
باستغفار ولدك لك وروت عائشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم اجعلني من
الذين اذا احسنوا استبشروا واذا اساؤوا استغفروا وقال صلى الله عليه وسلم اذا اذنب العبد ذنبا
فقال اللهم اغفر لي يقول الله عز وجل اذنب عبدي ذنبا فعلم ان له ربا ياخذ بالذنب ويغفر الذنب عبدي
اعمل ما شئت فقد غفرت لك وقال صلى الله عليه وسلم ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين
مرة وقال صلى الله عليه وسلم ان رجلا لم يعمل خيرا قط نظر الى السماء فقال ان لي ربا يا رب اغفر لي فقال
الله عز وجل قد غفرت لك وقال صلى الله عليه وسلم من اذنب ذنبا فعلم ان الله قد اطلع عليه
غفر له وان لم يستغفره وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله يا عبادي كلكم مذنب الا من عافيته
فاستغفروني اغفر لكم ومن علم اني ذو قدرة على ان اغفر له غفرت له ولا ابالي وقال صلى الله عليه وسلم
من قال سبحانك ظلمت نفسي وعملت سوءا فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت غفرت له ذنوبه ولو
كانت كدبيب النمل ويروى ان افضل الاستغفار اللهم انت ربي وانا عبدك وانا على عهدك
ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء لك بنعمتك علي وابوء على نفسي بذنبي وقد
ظلمت نفسي فاعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي ما قدمت منها وما اخرت انه لا يغفر الذنوب الا انت **الاثار**
قال خلف بن معدان قال الله عز وجل ان احب عبادي الي المتحابون بحبي والمعلقة قلوبهم بالمساجد
والمستغفرون بالاسحار اولئك الذين اذا اردت باهل الارض عقوبة ذكرتهم فتركتهم وصرفت
العقوبة عنهم وقال قتادة القران يدلكم على دائكم ودوائكم اما داؤكم فالذنوب واما دواؤكم فالاستغفار
وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه العجب ممن يهلك ومعه النجاة قيل وما هي قال الاستغفار
وكان يقول ما الهم الله سبحانه عبدا الاستغفار وهو يريد ان يعذبه وقال الفضيل قول العبد
استغفر الله تفسيرها اقلني وقال بعض العلماء العبد بين نعمة وذنب لا يصلحهما الا الحمد والاستغفار
وقال الربيع ابن خثيم لا يقولن احدكم استغفر الله واتوب اليه فيكون ذنبه وكذبا ان لم يفعل
ولكن يقول اللهم اغفر لي وتب علي وقال الفضيل الاستغفار بلا اقلاع توبة الكذابين وقالت
رابعة العدوية استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير وقال بعض الحكماء من قدم الاستغفار
على الندم كان مستهزئا بالله وهو لا يعلم وسمع اعرابي وهو متعلق باستار الكعبة يقول اللهم
ان استغفاري اياك مع اصراري للؤم وان تركي استغفارك مع علمي بسعة عفوك لعجز فكم تتحبب
الي بالنعم مع غناك عني وابغض اليك بالمعاصي مع فقري اليك يا من اذا وعد وفى واذا توعد عفا

ادخل عظم جرمي في عظيم عفوك يا ارحم الراحمين وقال ابو عبد الله الوراق لو كان عليك مثل عدد القطر
وزبد البحر ذنوبا لمحيت عنك اذا دعوت ربك بهذا الدعا مخلصا ان شاء الله اللهم اني استغفرك
من كل ذنب تبت اليك منه ثم عدت فيه واستغفرك من كل عمل اردت به وجهك فخالطه غيرك و
استغفرك من كل نعمة انعمت بها علي فاستعنت بها على معصيتك واسالك يا عالم الغيب والشهادة
من كل ذنب اتيته في ضياء النهار وسواد الليل في ملا وخلاء او سر او علانية يا حليم وقيل انه استغفار
الخضر عليه السلام **الثالث** في ادعية ماثورة معروفة الى اسبابها مستحبة ان يدعو المريد
بها صباحا ومسا او بعقب كل صلاة فمنها دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ركعتي الفجر قال
ابن عباس رضي الله عنهما بعثني العباس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيته ممسيا وهو في بيت خالتي
ميمونة فقام يصلي من الليل فلما صلى الركعتين قبل صلاة الفجر قال اللهم اني اسالك رحمة من عندك
تهدي بها قلبي وتجمع بها شملي وتلم بها شعثي وترد بها الفتن عني وتصلح بها ديني وتحفظ بها غايبي
وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتبيض بها وجهي وتلقن بها رشدي وتعصمني بها من كل سوء
اللهم اعطني ايمانا صادقا ويقينا ليس بعده كفر ورحمة انال بها شرف كرامتك في الدنيا والاخرة اللهم
اني اسالك الفوز عند القضا ومنازل الشهدا وعيش السعدا والنصر على الاعدا ومرافقة الانبيا
اللهم اني انزل بك حاجتي وان ضعف رايي وقصر عملي وافتقرت الى رحمتك فاسالك يا قاضي الامور
ويا شافي الصدور كما تجير بين البحور ان تجيرني من عذاب السعير ومن دعوة الثبور ومن فتنة
القبور اللهم ما قصر عنه رايي وضعف عنه عملي ولم تبلغه نيتي وامنيتي من خير وعدته احدا من
عبادك او خير انت معطيه احدا من خلقك فاني ارغب اليك فيه واسالكه يا رب العالمين اللهم
اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين حربا لاعدايك سلما لاوليايك نحب بحبك الناس ونعادي
بعداوتك من خالفك من خلقك اللهم هذا الدعا وعليك الاجابة وهذا الجهد وعليك التكلان وانا
لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ذي الحبل الشديد والامر الرشيد اسالك
الامن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود والموفين بالعهود انك رحيم
ودود وانت تفعل ما تريد سبحان الذي تعطف بالعزة وقال به سبحان الذي لبس المجد وتكرم
به سبحان الذي لا ينبغي التسبيح الا له سبحان ذي الفضل والنعم سبحان ذي القدرة والكرم سبحان
الذي احصى كل شي بعلمه اللهم اجعل لي نورا في قلبي ونورا في قبري ونورا في سمعي ونورا في بصري
ونورا في لحمي ونورا في دمي ونورا في عظامي ونورا من بين يدي ونورا من خلفي ونورا عن يميني ونورا
عن شمالي ونورا من فوقي ونورا من تحتي اللهم زدني نورا واعطني نورا واجعل لي نورا **دعا عايشة
رضي الله عنها** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعايشة رضي الله عنها عليك بالجوامع الكوامل
قولي اللهم اني اسالك من الخير كله عاجله واجله ما علمت منه وما لم اعلم واسالك الجنة وما قرب اليها
من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل واسالك من الخير ما سالك عبدك
ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم واستعيذك مما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله
عليه وسلم واسالك ما قضيت لي من امر ان تجعل عاقبته رشدا برحمتك يا ارحم الراحمين **دعا فاطمة
رضي الله عنها** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا فاطمة ما يمنعك ان تسمعي ما اوصيك به
ان تقولي يا حي يا قيوم برحمتك استغيث لا تكلني الى نفسي طرفة عين واصلح لي شاني كله **دعا ابي بكر**

الصديق رضي الله عنه علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر الصديق رضي الله عنه ان يقول اللهم
اني اسالك بمحمد نبيك وابرهيم خليلك وموسى نجيك وعيسى كلمتك وروحك وبتوراة موسى
وانجيل عيسى وزبور داود وفرقان محمد صلى الله عليه وسلم وبكل وحي اوحيته او قضا قضيته او سايل
اعطيته او غني اغنيته او فقير اغنيته او ضال هديته واسالك باسمك الذي انزلته على
موسى صلى الله عليه وسلم واسالك باسمك الذي تثبت به ارزاق العباد واسالك باسمك
الذي وضعته على الارض فاستقرت واسالك الذي وضعته على السموات فاستقلت واسالك
باسمك الذي وضعته على الجبال فرست واسالك باسمك الذي وضعته على الجبال فرست و
اسالك باسمك الذي استقل به عرشك واسالك باسمك الطهر الطاهر الاحد الصمد الوتر المنزل
في كتابك من لدنك من النور المبين واسالك باسمك الذي وضعته على النهار فاستنار وعلى
الليل فاظلم وبعظمتك وكبريايك وبنور وجهك ان ترزقني القران والعلم وتخلطه بلحمي ودمي
وسمعي وبصري وتستعمل به جسدي بحولك وقوتك فانه لا حول ولا قوة الا بك يا ارحم الراحمين
دعا بريدة الاسلمي رحمه الله روي انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بريدة الا اعلمك
كلمات من اراد الله به خيرا علمه الله اياها ثم لم ينسه اياها ابدا قال قلت بلى يا رسول الله
قال قل اللهم اني ضعيف فقو في رضاك ضعفي وخذ الى الخير بناصيتي واجعل الاسلام منتهى
رضاي اللهم اني ضعيف فقوني واني ذليل فاعزني واني فقير فاغنني **دعا قبيصة** ابن
المخارق اذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم علمني كلمات ينفعني الله بها فقد كبر سني وعجزت
عن اشيا كنت اعملها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اما لدنياك فاذا صليت الغداة فقل
ثلاث مرات سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ولا حول ولا قوة الا بالله فانك اذا قلتهن امنت
من الغم والجذام والبرص والفالج **واما** لاخرتك فقل اللهم اهدني من عندك وافض علي من فضلك
وانشر علي من رحمتك وانزل علي من بركاتك ثم قال صلى الله عليه وسلم اما انه اذا وافا بهن يوم القيمة
لم يدعهن فتح الله له اربعة ابواب من الجنة يدخل من ايها شا **دعا ابي الدردا** رحمه الله تعالى
قيل لابي الدردا رضي الله عنه قد احترقت دارك وكانت النار قد وقعت في محلته فقال ما كان الله
ليفعل ذلك فقيل له ذلك ثلاثا فقال ما كان الله سبحانه ليفعل ذلك ثم اتاه ات فقال له ان
النار لما دنت من دارك طفيت قال قد علمت فقيل له ما ندري اي قوليك اعجب قال اني سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول من قال هولا الكلمات في ليل ونهار لم يضره شي وقد قلتهن وهي هذه
اللهم انت ربي لا اله الا انت عليك توكلت انت رب العرش العظيم ما شا الله كان وما لم يشا لم يكن
اعلم ان الله على كل شي قدير اللهم اني اعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة انت اخذ بناصيتها ان ربي
على صراط مستقيم **دعا ابرهيم** عليه السلام كان يقول اذا اصبح اللهم ان هذا خلق جديد
فافتحه علي بطاعتك واختمه لي بمغفرتك ورضوانك وارزقني فيه حسنة تقبلها مني وزكها وضعفها
لي وما عملت من سيية فاغفرها لي انك غفور رحيم ودود كريم قيل من دعا بهذا الدعا اذا اصبح
فقد ادى شكر يومه **دعا عيسى صلى الله** عليه وسلم كان يقول اللهم اني اصبحت لا استطيع
دفع ما اكره ولا املك نفع ما ارجو واصبح الامر بيد غيري واصبحت مرتهنا بعملي فلا فقير افقر مني اللهم
لا تشمت بي الاعدا ولا تسو بي صديقي ولا تجعل مصيبتي في ديني ولا تجعل الدنيا اكبر همي ولا تسلط

علي بن لا يرجعني **دعاء الخضر** عليه السلام يقال ان الخضر والياس عليهما السلام اذا التقيا في كل موسم
لن يفترقا الا عن هذه الكلمات بسم الله ما شاء الله لا قوة الا بالله ما شاء الله كل نعمة من الله ما شاء الله
الخير كله بيد الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله من قالها ثلاث مرات اذا اصبح امن من الحرق والغرق والسرق
دعاء معروف الكرخي رحمه الله قال محمد بن حسان قال لي معروف الكرخي الا اعلمك عشر كلمات خمس
للدنيا وخمس للآخرة من دعا الله بهن وجد الله تعالى عندهن قلت اكتبها قال لا ولكن اردها عليك
كما ردها علي بكر بن خنيس حسبي الله لديني حسبي الله لدنياي حسبي الله الكريم لما اهمني حسبي
الله الحليم القوي لمن بغى علي حسبي الله الشديد لمن كادني بسوء حسبي الله الرحيم عند الموت
حسبي الله الرؤوف عند المسألة في القبر حسبي الله الكريم عند الحساب حسبي الله اللطيف عند
الميزان حسبي الله القدير عند الصراط حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم
وقد روي عن ابي الدرداء رحمه الله انه كان يقول من قال في كل يوم سبع مرات فان تولوا فقل
حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم كفاه الله عز وجل ما اهمه من امر آخرته صادقا
بها كان او كاذبا **دعاء عتبة** الغلام وقد رؤي في المنام فقال دخلت الجنة بهذه الكلمات
اللهم يا هادي المضلين وراحم المذنبين ومقيل عثرات العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين
كلهم اجمعين واجعلنا مع الاحياء المرزوقين الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين آمين رب العالمين **دعاء آدم** صلى الله عليه وسلم قالت عائشة رضي الله
عنها لما اراد الله تعالى ان يتوب على آدم عليه السلام طاف بالبيت سبعا وهو يومئذ ليس بمبني
حرام ثم قام فصلى ركعتين ثم قال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني
سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي اللهم اني اسألك ايمانا يباشر قلبي ويقينا صادقا حتى اعلم
انه لن يصيبني الا ما كتبت لي ورضني بما قسمت لي فاوحى الله عز وجل اليه اني قد غفرت لك ولن يأتي
احد من ذريتك فيدعوني بمثل الذي دعوتني به الا غفرت له وكشفت غمومه وهمومه ونزعت
الفقر من بين عينيه واتجرت له من وراء كل تاجر واتته الدنيا وهي راغمة وان كان لا يريدها **دعاء علي**
رضي الله عنه رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله عز وجل يمجد نفسه كل يوم ويقول انا الله
رب العالمين اني انا الله لا اله الا انا الحي القيوم اني انا الله لا اله الا انا العلي العظيم اني انا الله لا اله الا انا لم الد
ولم اولد اني انا الله لا اله الا انا العفو ومبدئ كل شيء واليه يعود العزيز الحكيم الرحمن الرحيم مالك
يوم الدين خالق الخير والشر خالق الجنة والنار الواحد الاحد الفرد الصمد الذي لم يتخذ صاحبة
ولا ولدا الفرد الوتر عالم الغيب والشهادة الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار
المتكبر المتعالي المقتدر القهار الحليم الكريم اهل الثناء والمجد اعلم السر واخفى القادر الرازق
فوق الخلق والخليقة وذكر قبل كل كلمة اني انا الله لا اله الا انا كما اوردته في الاول فمن دعا بهذه الاسماء
فليقل انك انت الله الذي لا اله الا انت كذا وكذا فمن دعا بها كتب من الساجدين المخبتين الذين
يجاورون محمدا صلى الله عليه وسلم وابراهيم وموسى وعيسى والنبيين في دار الجلال وله ثواب
العابدين في السموات والارضين **دعاء ابي المعتمر** وهو سليمان التيمي وتسبيحاته روي
ان يونس بن عبيد رأى رجلا في المنام ممن قتل شهيدا ببلاد الروم فقال له ما افضل ما رأيت
ثم من الاعمال قال رأيت تسبيحات ابي المعتمر من الله بمكان وهي هذه سبحان الله والحمد لله ولا اله

الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم عدد ما خلق وعدد ما هو خالق وزنة
ما خلق وزنة ما هو خالق وملء ما خلق وملء ما هو خالق وملء سمواته وملء ارضه ومثل ذلك واضعاف
ذلك وعدد خلقه وزنة عرشه ومنتهى رحمته ومداد كلماته ومبلغ رضاه وحتى يرضى
واذا رضي وعدد ما ذكره به خلقه فيما مضى وعدد ما هم ذاكروه فيما بقي في كل سنة وشهر وجمعة
ويوم وليلة وساعة من الساعات ونسيم ونفس من ابد الابد ابد الدنيا وابد الآخرة واكثر
من ذلك لا ينقطع اولاه ولا ينفد اخراه **دعاء ابرهيم** بن ادهم رحمه الله روى ابرهيم
بن بشار خادمه انه كان يقول هذا الدعاء في يوم الجمعة اذا اصبح واذا امسى مرحبا بيوم المزيد
والصبح الجديد والكاتب والشهيد يومنا هذا يوم عيد اكتب لنا ما نقول بسم الله الحميد المجيد
الرفيع الودود الفعال في خلقه ما يريد اصبحت بالله مؤمنا وبلقائه مصدقا وبحجته معترفا
ومن ذنبي مستغفرا ولربوبية الله خاضعا ولسوى الله في الالهية جاحدا والى الله فقيرا وعلى الله
متوكلا والى الله منيبا اشهد الله واشهد ملائكته وانبياءه ورسله وحملة عرشه ومن خلقه
ومن هو خالقه بانه هو الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما
وان الجنة حق والنار حق والحوض حق والشفاعة حق ومنكرا ونكيرا حق ووعدك حق ولقاءك حق
والساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور على ذلك احيا وعليه اموت وعليه ابعث
ان شاء الله تعالى اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك على عهدك ووعدك ما استطعت
اعوذ بك اللهم من شر كل ذي شر اللهم اني ظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي فانه لا يغفر الذنوب الا انت
واهدني لاحسن الاخلاق فانه لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها فانه لا يصرف سيئها
الا انت لبيك وسعديك والخير كله بيديك انا لك واليك استغفرك واتوب اليك آمنت اللهم
بما ارسلت من رسول وآمنت اللهم بما انزلت من كتاب وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليما كثيرا
خاتمة كلامي ومفتاحه وعلى انبيائه ورسله اجمعين آمين يا رب العالمين اللهم اوردنا حوضه واسقنا
بكأسه مشربا رويا سائغا هنيئا لا نظمأ بعده واحشرنا في زمرته غير خزايا ولا ناكثين ولا مرتابين
ولا مفتونين ولا مغضوب علينا ولا ضالين اللهم اعصمني من فتن الدنيا ووفقني لما تحب وترضى واصلح
لي شأني كله وثبتني بالقول الثابت في الحيوة الدنيا والآخرة ولا تضلني وان كنت ظالما سبحانك يا علي
سبحانك يا عظيم يا بر يا رحيم يا عزيز يا جبار سبحان من سبحت له السموات باكنافها وسبحان من سبحت له
الجبال باصدائها وسبحان من سبحت له البحار بامواجها وسبحان من سبحت له الحيتان بلغاتها وسبحان
من سبحت له النجوم في السماء بابراجها وسبحان من سبحت له الاشجار باصولها وثمارها وسبحان
من سبحت له السموات السبع والارضون السبع ومن فيهن ومن عليهن سبحانك سبحانك يا حي
يا عليم سبحانك لا اله الا انت وحدك لا شريك لك تحيي وتميت وانت حي لا تموت بيدك الخير وانت
على كل شيء قدير **الباب الرابع** في ادعية ماثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن اصحابه محذوفة
الاسانيد مشتقة من جملة ما جمعه ابو طالب المكي وابن خزيمة وابن المنذر رحمة الله عليهم ينبغي للمريد
اذا اصبح ان يكون احد اوراده الدعاء كما سيأتي في كتاب الاوراد فان كنت من المريدين لحرث الآخرة فقل دعاء
رسول الله صلى الله عليه وسلم ربنا دعى به فقل في مفتتح دعواتك عقب صلواتك سبحان ربي العلي
الاعلى الوهاب لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير رضيت بالله

بالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ثلاث مرات وقل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب و
الشهادة رب كل شيء ومليكه اشهد ان لا اله الا انت اعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه وقل اللهم
اني اسئلك العفو والعافية في ديني ودنياي واهلي ومالي اللهم استر عوراتي وامن روعاتي واقبل عثراتي
واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي واعوذ بك ان اغتال من تحتي اللهم
لا تؤمني مكرك ولا تولني غيرك ولا تنزع عني فكرك ولا تجعلني من الغافلين وقل اللهم انت ربي لا اله الا انت
خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء بنعمتك علي
وابوء بذنبي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وقل اللهم عافني في بدني وعافني في سمعي وعافني في
بصري لا اله الا انت ثلث مرات وقل اللهم اني اسئلك الرضى بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت
ولذة النظر الى وجهك الكريم وشوقا الى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة واعوذ بك ان اظلم
او اظلم او اعتدي او يعتدى علي او اكتسب خطيئة او ذنبا لا تغفره اللهم اني اسئلك الثبات في الامر
والعزيمة على الرشد واسئلك شكر نعمتك وحسن عبادتك واسئلك من خير ما تعلم واعوذ بك من شر ما تعلم
واستغفرك لما تعلم فانك تعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما
اسررت وما اعلنت فانك انت المقدم وانت المؤخر وانت على كل شيء قدير وعلى كل غيب شهيد اللهم
اني اسئلك ايمانا لا يرتد ونعيما لا ينفد وقرة عين الابد ومرافقة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم
في اعلى جنة الخلد اللهم اني اسئلك الطيبات وفعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين اسئلك
حبك وحب من احبك وحب كل عمل يقرب الى حبك وان تتوب علي وتغفر لي وترحمني واذا اردت بقوم
فتنة فاقبضني اليك غير مفتون اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق احيني ما كانت الحياة خيرا
لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي اسئلك خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة العدل في الرضا و
الغضب والقصد في الغنا والفقر ولذة النظر الى وجهك الكريم والشوق الى لقائك واعوذ بك من
ضراء مضرة وفتنة مضلة اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين اللهم اقسم لنا من خشيتك
ما تحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تدخلنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب
الدنيا اللهم املا وجوهنا منك حيا وقلوبنا منك خوفا واسكن في نفوسنا من عظمتك ما تذلل جوارحنا
لخدمتك واجعلك احب الينا مما سواك واجعلنا اخشى لك مما سواك اللهم اجعل اول يومنا هذا
صلاحا واوسطه فلاحا واخره نجاحا اللهم اجعل اوله رحمة واوسطه نعمة واخره تكرمة الحمد لله الذي
تواضع كل شيء لعظمته وذل كل شيء لعزته وخضع كل شيء لملكه واستسلم كل شيء لقدرته والحمد لله الذي
سكن كل شيء لهيبته واظهر كل شيء بحكمته وتصاغر كل شيء لكبريائه اللهم صل على محمد وعلى ال محمد وازواجه
وذرياته وبارك على محمد وازواجه وذريته كما باركت على ابرهيم وال ابرهيم في العالمين انك حميد مجيد
اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي رسول الامين واعطه المقام المحمود يوم الدين
اللهم اجعلنا من اوليائك المتقين وحزبك المفلحين وعبادك الصالحين واستعملنا لمرضاتك عنا
ووفقنا لمحابك عنا وارضنا بحسن اختيارك لنا نسئلك جوامع الخير وفواتحه وخواتمه ونعوذ بك
من جوامع الشر وفواتحه وخواتمه اللهم بقدرتك علي تب علي انك انت التواب الرحيم وبحلمك عني
اعف عني انك انت الغفار وبعلمك بي ارفق بي انك انت الرحمن وبملكك لي ملكني نفسي ولا تسلطها
علي انك انت الملك الجبار سبحانك وبحمدك لا اله الا انت عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي

انك انت ربي انه لا يغفر الذنوب الا انت اللهم الهمني رشدي وقني شر نفسي اللهم ارزقني حلالا
اليقين والمعافاة في الدنيا والاخرة يا من لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة هب لي ما لا يضرك و
اعطني ما لا ينقصك افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين توفني مسلما والحقني بالصالحين انت ولينا فاغفر
لنا وارحمنا وانت خير الغافرين واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الاخرة انا هدنا اليك ربنا عليك
توكلنا واليك انبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز
الحكيم ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ربنا اتنا من
لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا ربنا اتنا في الدنيا حسنة الاية ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي لل
ايمان الاية الى قوله انك لا تخلف الميعاد ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا الى اخر السورة رب اغفر لي
ولوالدي وارحمهما كما ربياني صغيرا واغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الاحياء منهم
والاموات رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم انك انت الاعز الاكرم وانت خير الراحمين وخير الغافرين وانا لله وانا
اليه راجعون وحسبنا الله ونعم الوكيل **انواع الاستعاذة المأثورة** عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم اني اعوذ بك من البخل واعوذ بك من الجبن واعوذ بك من ان ارد الى ارذل العمر واعوذ بك من
فتنة الدنيا واعوذ بك من عذاب القبر اللهم اني اعوذ بك من طمع يهدي الى طبع وطمع في غير مطمع و
طمع حيث لا مطمع اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا تشبع ومن
الجوع فانه بئس الضجيع ومن الخيانة فانها بئست البطانة ومن الكسل والبخل والجبن ومن الهرم ومن ان ارد
الى ارذل العمر واعوذ بك من فتنة الدجال وعذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات اللهم انا نسئلك قلوبا
اواهة مخبتة منيبة في سبيلك اللهم انا نسئلك عزائم مغفرتك ومنجيات رحمتك والسلامة من كل
اثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار اللهم اني اعوذ بك من التردي واعوذ بك من الغم والغرق
والهدم واعوذ بك من ان اموت في طلب الدنيا اللهم اني اعوذ بك من شر ما علمت ومن شر ما لم اعلم اللهم جنبني
منكرات الاخلاق والاعمال والاهواء والادواء اللهم اني اعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضا
وشماتة الاعداء اللهم اني اعوذ بك من شر نفسي ومن شر سمعي وبصري ومن شر لساني ومن شر قلبي ومن شر منيي اللهم
اني اعوذ بك من جار السوء في دار البقا فان جار البادي يتحول اللهم اني اعوذ بك من القسوة والغفلة
والذلة والمسكنة واعوذ بك من الفقر والكفر والفسوق والشقاق والنفاق والسمعة والريا
واعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والجذام والبرص وسيء الاسقام اللهم اني اعوذ بك من زوال نعمتك
ومن تحول عافيتك ومن فجاءة نقمتك ومن جميع سخطك اللهم اني اعوذ بك من عذاب النار وفتنة
النار وعذاب القبر وفتنة القبر وشر فتنة الغنا وشر فتنة الفقر ومن شر فتنة المسيح الدجال واعوذ بك من
المغرم والماثم اللهم اني اعوذ بك من نفس لا تشبع وقلب لا يخشع وصلاة لا تنفع ودعاء لا يستجاب واعوذ
بك من شر العمر وفتنة الصدر اللهم اني اعوذ بك من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الاعداء **الباب
الخامس في الادعية** المأثورة عند كل حادث من الحوادث اذا اصبحت وسمعت الاذان فيسعى
لك جواب المؤذن وقد ذكرناه وذكرنا ادعية دخول الخلا والخروج منه وادعية الوضوء في كتاب الطهارة
فاذا خرجت الى المسجد فقل اللهم اجعل في قلبي نورا وفي لساني نورا واجعل في سمعي نورا واجعل في بصري
نورا واجعل خلفي نورا وامامي نورا واجعل من فوقي نورا اللهم اعطني نورا وقل ايضا اللهم اني اسئلك
بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا اليك فاني لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك

وابتغاء رضائك فاسألك ان تنقذني من النار وان تغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا انت واذا
خرجت من المنزل للحاجة فقل بسم الله رب اعوذ بك ان اظلم او اظلم او اجهل او يجهل علي بسم الله الرحمن الرحيم
لا حول ولا قوة الا بالله التكلان على الله فاذا انتهيت الى المسجد يريد دخوله فقل اللهم صل على محمد وسلم
اللهم اغفر لي جميع ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك وقدم رجلك اليمنى في الدخول فاذا رايت في المسجد
من يبيع فيه او يبتاع فقل لا اربح الله تجارتك واذا رايت من ينشد ضالة في المسجد فقل لا
ردها الله عليك امر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا صليت ركعتي الصبح فقل اللهم اني اسألك
رحمة من عندك تهدي بها قلبي الدعاء الى اخره كما اوردناه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاذا ركعت فقل اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك امنت ولك اسلمت وعليك
توكلت انت ربي خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي وما استقلت به قدمي لله رب العالمين
وان شئت فقل سبحان ربي العظيم ثلاث مرات او سبوح قدوس رب الملائكة والروح واذا
رفعت راسك من الركوع فقل سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما
شئت من شيء بعد اهل الثناء والمجد كلنا لك عبد لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد
منك الجد فاذا سجدت فقل اللهم لك سجدت وبك امنت ولك اسلمت سجد وجهي للذي خلقه
وشق سمعه وبصره فتبارك الله احسن الخالقين اللهم سجد لك سوادي وخيالي وبك امن فؤادي
ابوء بنعمتك علي وابوء بذنبي وهذا ما جنيت على نفسي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت او يقول
سبحان ربي الاعلى ثلاث مرات فاذا فرغت من الصلاة فقل اللهم انت السلام ومنك السلام
تباركت يا ذا الجلال والاكرام وتدعو بسائر الادعية التي ذكرناها فاذا قمت من مجلس واردت دعاء يكفر
لغو المجلس فقل سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك عملت
سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت واذا دخلت السوق فقل لا اله الا الله وحده
لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير بسم الله اللهم
اني اسألك خير هذه السوق وخير ما فيها اللهم اني اعوذ بك من شرها وشر ما فيها اللهم اني اعوذ بك
من ان اصيب فيها يمينا فاجرة او صفقة خاسرة فان كان عليك دين فقل اللهم اكفني بحلالك عن حرامك
واغنني بفضلك عمن سواك فاذا لبست ثوبا جديدا فقل اللهم كسوتني هذا الثوب فلك الحمد اسألك
من خيره وخير ما صنع له واعوذ بك من شره وشر ما صنع له واعوذ بك من شره كله واذا رايت شيئا من
الطيرة تكرهه فقل اللهم لا ياتي بالحسنات الا انت ولا يذهب بالسيئات الا انت لا حول ولا قوة
الا بالله واذا رايت الهلال فقل اللهم اهله علينا بالامن والايمان والسلامة والاسلام ربي وربك
الله وتقول هلال رشد وخير هلال خير امنت بخالقك اللهم اني اسألك خير هذا الشهر وخير القدر
واعوذ بك من شره يوم الحشر ويكبر قبل الدعاء ثلاثا واذا هبت الريح فقل اللهم اني اسألك خير هذه الريح
وخير ما فيها وخير ما ارسلت به ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما ارسلت به واذا بلغك وفاة احد
فقل انا لله وانا اليه راجعون وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم اكتبه في المحسنين واجعل كتابه في عليين
واخلف على عقبه في الغابرين اللهم لا تحرمنا اجره ولا تفتنا بعده واذا تصدقت بصدقة فقل ربنا تقبل
منا انك انت السميع العليم ويقول عند الخسران عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون
ويقول عند ابتداء الامور ربنا اتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا رب اشرح لي صدري و

يسر لي امري ويقول عند النظر الى السماء ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار تبارك
الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا واذا سمعت صوت الرعد فقل سبحان
من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته واذا رايت الصواعق فقل اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا
تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك واذا امطرت السماء فقل سيبا هنيئا وصيبا نافعا اللهم اجعله سبب
رحمة ولا تجعله سبب عذاب فاذا غضبت فقل اللهم انا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم
واذا غزوت فقل اللهم انت عضدي ونصيري وبك اقاتل فاذا طنت اذنك فصل على محمد صلى الله عليه
وسلم وقل ذكر الله من ذكرني فاذا رايت استجابة دعائك فقل الحمد لله الذي بعزته وجلاله تتم
الصالحات واذا ابطات فقل الحمد لله على كل حال فاذا سمعت اذان المغرب فقل اللهم هذا استقبال
ليلك وادبار نهارك واصوات دعائك وحضور صلواتك اسألك ان تغفر لي فاذا اصابك
هم فقل اللهم اني عبدك وابن عبدك وابن امتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضائك
اسألك بكل اسم سميت به نفسك وانزلته في كتابك او اعطيته احدا من خلقك او استأثرت
به في علم الغيب عندك ان تجعل القران ربيع قلبي ونور صدري وجلاء غمي وذهاب همي وحزني قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اصاب احدا حزن فقال ذلك الا اذهب الله همه وابدل مكانه فرحا
فقيل يا رسول الله افلا نتعلمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل ينبغي لمن سمعها ان يتعلمها
واذا وجدت وجعا في جسدك او جسد غيرك فارق برقية رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا اشتكى الانسان قرحة او جرحا وضع سبابته على الارض ثم رفعها وقال
بسم الله تربة ارضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا باذن ربنا واذا وجدت وجعا في جسدك
فضع يدك على الذي تالم وقل بسم الله ثلاثا وقل سبع مرات اعوذ بالله وقدرته من شر ما اجد واحاذر
واذا اصابك كرب فقل لا اله الا الله العلي العظيم الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله رب
السموات والارض ورب العرش الكريم واذا اردت النوم فتوضا اولا ثم توسد على يمينك مستقبل
القبلة ثم كبر الله اربعا وثلاثين وسبحه ثلاثا وثلاثين واحمده ثلاثا وثلاثين ثم قل اللهم اني اعوذ برضاك
من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك اللهم لا استطيع ابلغ ما عليك ولو حرصت
ولكن انت كما اثنيت على نفسك اللهم باسمك احيا وباسمك اموت اللهم رب السموات والارض ورب كل
شيء ومليكه فالق الحب والنوى ومنزل التورية والانجيل والقران اعوذ بك من شر كل ذي شر ومن شر كل
دابة انت اخذ بناصيتها انت الاول فليس قبلك شيء وانت الاخر فليس بعدك شيء وانت الظاهر فليس فوقك
شيء وانت الباطن فليس دونك شيء اقض عني الدين واغنني من الفقر اللهم انت خلقت نفسي وانت تتوفاها
لك مماتها ومحياها اللهم ان امتها فاغفر لها وان احييتها فاحفظها اللهم اني اسألك العافية باسمك
اللهم وضعت جنبي فاغفر لي ذنبي اللهم قني عذابك يوم تجمع عبادك اللهم اسلمت نفسي اليك وفوضت
امري اليك والجات ظهري اليك رغبة ورهبة اليك لا ملجا ولا منجا منك الا اليك امنت بكتابك
الذي انزلت وبنبيك الذي ارسلت ويكون هذا اخر دعائك فقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك
وقبل ذلك اللهم ايقظني في احب الساعات اليك واستعملني باحب الاعمال اليك التي تقربني اليك
زلفى وتبعدني من سخطك بعدا اسألك فتعطيني واستغفرك فتغفر لي وادعوك فتستجيب لي
فاذا استيقظت من نومك عند الصباح فقل الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور اصبحنا

وأصبح الملك لله والعظمة لله والسلطان لله والعزة والقدرة لله أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص ودين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة أبينا إبراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيى وبك نموت وإليك النشور اللهم إنا نسألك أن تبعثنا في هذا اليوم إلى كل خير ونعوذ بك أن نجترح فيه سوءا أو نجره إلى مسلم فإنك قلت وقولك الحق وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى اللهم فالق الإصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا أسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه ونعوذ بك من شره وشر ما فيه بسم الله الرحمن الرحيم ما شاء الله لا قوة إلا بالله ما شاء الله كل نعمة من الله ما شاء الله الخير كله بيد الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير **وإذا أمسيت** قلت ذلك إلا أنك تقول أمسينا وتقول مع ذلك كله أعوذ بكلمات الله التامات وأسمائه كلها من شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر كل ذي شر ومن شر كل دابة ربي آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم **وإذا نظرت** في المرآة فقل الحمد لله الذي سوى خلقي فعدله وكرم صورة وجهي فحسنها وجعلني من المسلمين وإذا اشتريت خادما أو غلاما أو دابة فخذ بناصيتها وقل اللهم إني أسألك خيره وخير ما جبل عليه وأعوذ بك من شره وشر ما جبل عليه **وإذا هنيت** بالنكاح فقل بارك الله فيك وبارك عليك وجمع بينكما في خير **وإذا قضيت** الدين فقل للمقضي له بارك الله في أهلك ومالك إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما جزاء السلف الحمد والأداء فهذه أدعية لا يستغني المريد عن حفظها وما سوى ذلك من أدعية السفر والوضوء والصلاة فقد ذكرناها في كتاب الحج والصلاة والطهارة فإن قلت فما فائدة الدعاء والقضاء لا مرد له فاعلم أن من القضاء رد البلاء بالدعاء فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة كما أن الترس سبب لرد السهم والماء سبب لخروج النبات من الأرض وكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان وليس من شرط الاعتراف بالقضاء أن لا يحمل السلاح وقد قال الله تعالى خذوا حذركم وأن لا تسقى الأرض بعد بث البذر فيقال إن سبق القضاء بالنبات نبت بل ربط الأسباب بالمسببات هو القضاء الأول الذي هو كلمح البصر وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل الأسباب على التدريج والتقدير هو القدر والذي قدر الخير قدره بسبب والذي قدر الشر قدر لدفعه سببا فلا تناقض بين هذه الأمور عند من انفتحت بصيرته ثم في الدعاء من الفائدة ما ذكرناه في الذكر فإنه يستدعي حضور القلب مع الله وهو منتهى العبادات ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الدعاء مخ العبادة والغالب على الخلق أن لا تنصرف قلوبهم إلى ذكر الله إلا عند إلمام حاجة وإرهاق ملمة فإن الإنسان إذا مسه الشر فذو دعاء عريض فالحاجة تحوج إلى الدعاء والدعاء يرد القلب إلى الله بالتضرع والاستكانة فيحصل به الذكر الذي هو أشرف العبادات ولذلك صار البلاء موكلا بالأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل لأنه يرد القلب بالافتقار والتضرع إلى الله ويمنع من نسيانه وأما الغنى فسبب للبطر في غالب الأمور فإن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى فهذا ما أردنا أن نورده من جملة الأذكار والدعوات والله الموفق للخير وما بقية الدعوات في الأكل والسفر وعيادة المريض وغيره فسيأتي في مواضعها إن شاء الله آخر كتاب الأذكار والدعوات وهو الكتاب التاسع والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين يتلوه كتاب ترتيب الأوراد وتفصيل إحياء الليل وهو الكتاب العاشر من إحياء علوم الدين للغزالي رحمة الله عليه ...

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

نحمد الله تعالى على آلائه حمدا كثيرا ونذكره ذكرا لا يغادر في القلب استكبارا ولا نفورا ونشكره إذ جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ونصلي على نبيه الذي بعثه بالحق بشيرا ونذيرا وعلى آله وصحبه الأكرمين الذين اجتهدوا في عبادة الله تعالى غدوة وعشيا وبكرة وأصيلا حتى أصبح كل واحد منهم نجما في الدين هاديا وسراجا منيرا **أما بعد** فإن الله تعالى جعل الأرض ذلولا لعباده لا ليستقروا في مناكبها بل ليتخذوها منزلا لا يفترقون منها محترزين من مصايدها ومعاطبها ويتحققون أن العمر يسير بهم سير السفينة براكبها فالناس في هذا العالم سفر وأول منازلهم المهد وآخرها اللحد والوطن هو الجنة أو النار والعمر مسافة السفر فسنوه مراحله وشهوره فراسخه وأيامه أمياله وأنفاسه خطواته وطاعته بضاعته وأوقاته رؤوس أمواله وشهواته وأغراضه قطاع طريقه وربحه الفوز بلقاء الله عز وجل في دار السلام مع الملك الكبير والنعيم المقيم وخسرانه البعد من الله سبحانه وتعالى مع الأنكال والأغلال والعذاب الأليم في دركات الجحيم فالغافل عن نفس من أنفاسه حتى ينقضي في غير طاعة تقربه إلى الله زلفى متعرض في يوم التغابن لغبينة وحسرة ما لها منتهى ولهذا الخطر العظيم والخطب الهائل شمر الموفقون عن ساق الجد وودعوا بالكلية ملاذ النفس واغتنموا بقايا العمر ورتبوا بحسب تكرر الأوقات وظائف الأوراد حرصا على إحياء الليل والنهار في طلب القرب من الملك الجبار والسعي إلى دار القرار فصار من مهمات علم طريق الآخرة تفصيل القول في كيفية قسمة الأوراد وتوزيع العبادات التي سبق شرحها على مقادير الأوقات ويتضح هذا المهم بذكر بابين **الباب** الأول في فضيلة الأوراد وترتيبها في الليل والنهار **الباب الثاني** في كيفية إحياء الليل وفضيلته وما يتعلق به **الباب** في فضيلة الأوراد وترتيبها وأحكامها **فضيلة الأوراد** وبيان أن المواظبة عليها هو الطريق إلى الله تعالى اعلم أن الناظرين بنور البصيرة علموا أنه لا نجاة إلا في لقاء الله عز وجل وأنه لا سبيل إلى اللقاء إلا بأن يموت العبد محبا لله وعارفا بالله وأن المحبة والأنس لا تحصل إلا من دوام ذكر المحبوب والمواظبة عليه وأن المعرفة به لا تحصل إلا بدوام الفكر فيه وفي صفاته وأفعاله وليس في الوجود سوى الله وأفعاله ولن يتيسر دوام الذكر والفكر إلا بوداع الدنيا وشهواتها والاجتزاء منها بقدر البلغة والضرورة وكل ذلك لا يتم إلا باستغراق أوقات الليل والنهار في وظائف الأذكار والأفكار والنفس لما جبلت عليه من السآمة والملال لا تصبر على فن واحد من الأسباب المعينة على الذكر والفكر بل إذا ردت إلى نمط واحد أظهرت الملال والاستثقال وإن الله لا يمل حتى تملوا فمن ضرورة اللطف بها أن تروح بالتنقل من فن إلى فن ومن نوع إلى نوع بحسب كل وقت لتغزر بالانتقال لذتها وتعظم باللذة رغبتها وتدوم بدوام الرغبة مواظبتها فلذلك تقسم الأوراد قسمة مختلفة والذكر والفكر ينبغي أن يستغرقا جميع الأوقات أو أكثرها فإن النفس بطبعها مائلة إلى ملاذ الدنيا فإن صرف العبد شطر أوقاته إلى تدبيرات الدنيا وشهواتها المباحة مثلا والشطر الآخر إلى العبادات رجح جانب الميل إلى الدنيا لموافقتها للطبع إذ يكون الوقت متساويا فأنى يتقاومان والطبع لأحدهما مرجح إذ الباطن والظاهر يتساعد على أمور الدنيا ويصفو في ذلك القلب ويتجرد وأما الرد إلى العبادات فمتكلف ولا يسلم إخلاص القلب وحضوره إلا في بعض الأوقات فمن أراد أن

يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق اوقاته في الطاعة ومن اراد ان ترجح كفة حسناته وتثقل موازين
خيراته فليستوعب في الطاعة اكثر اوقاته فان خلط عملا صالحا واخر سيئا فامره مخطر ولكن
الرجاء غير منقطع والعفو من كرم الله منتظر فعسى الله ان يغفر له بجوده وكرمه فهذا ما انكشف
للناظرين بنور البصيرة فان لم يكن من اهله فانظر الى خطاب الله سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم
واقتبسه بنور الايمان فقد قال تعالى لاقرب عباده اليه وارفعهم درجة لديه ان لك في
النهار سبحا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا وقال تعالى واذكر اسم ربك بكرة واصيلا
ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا وقال تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب
ومن الليل فسبحه وادبار السجود وقال تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما
وقال تعالى وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم وقال ان ناشئة الليل
هي اشد وطأ واقوم قيلا وقال تعالى ومن اناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى وقال تعالى
واقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ثم انظر كيف وصف الفائزين
من عباده وبماذا وصفهم فقال تعالى امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما يحذر الاخرة ويرجوا رحمة
ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما
وقال عز من قائل كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون وقال تعالى فسبحان الله
حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون اي فسبحوا الله
حين تمسون وحين تصبحون وقال تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغدوة والعشي يريدون
وجهه فهذا كله يبين لك ان الطريق الى الله مراقبة الاوقات وعمارتها بالاوراد على سبيل الدوام
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم احب عباد الله الى الله الذين يراعون الشمس والقمر والاظلة لذكر
الله وقد قال تعالى والشمس والقمر بحسبان وقال تعالى الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء
لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وقال تعالى والقمر قدرناه
منازل وقال تعالى وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فلا تظنن ان المقصود من سير الشمس
والقمر بحسبان منظوم مرتب ومن خلق الظل والنجوم والنور ان يستعان بها على امور الدنيا
لتعرف بها مقادير الاوقات فتشتغل فيها بالطاعات والتجارة للدار الاخرة ويدلك عليه قوله
تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا اي يخلف احدهما الاخر
ليتدارك في احدهما ما فات في الاخر وبين ان ذلك للذكر والشكر لا للغير وقال تعالى وجعلنا الليل
والنهار ايتين فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم وانما الفضل
المبتغى هو الثواب والمغفرة

بيان عدد الاوراد

وترتيبها اعلم ان اوراد النهار سبعة
فما بين طلوع الصبح الى طلوع قرص الشمس ورد وما بين طلوع الشمس الى الزوال وردان وما بين
العصر الى المغرب وردان والليل ينقسم باوراد اربعة وردان من المغرب الى وقت نوم الناس ووردان
في النصف الاخير من الليل الى طلوع الصبح ثم ورد خامس وهو ورد النوم مختص بالاذكار والادعية
فلنذكر وظيفة وفضيلته وما يتعلق به فالورد الاول من طلوع الصبح الى طلوع الشمس ورد وهو
وقت شريف يدل على شرفه وفضله اقسام الله به اذ قال والصبح اذا تنفس وتمدحه به اذ قال فالق
الاصباح وقل اعوذ برب الفلق واظهار القدرة بقبض الظل فيه اذ قال ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا

وهو وقت قبض ظل الليل ببسط نور الشمس وارشاده عز وجل الناس الى التسبيح فيه بقوله سبحانه وتعالى
فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وبقوله فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقوله تعالى
ومن اناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى وقوله واذكر اسم ربك بكرة واصيلا واما ترتيبه فليأخذ
من وقت انتباهه من النوم فاذا انتبه فينبغي ان يبتدي بذكر الله فيقول الحمد لله الذي احيانا بعد
ما اماتنا واليه النشور الى اخر الادعية والايات التي ذكرناها في دعا الاستيقاظ من كتاب الدعوات
وليلبس ثوبه وهو في الدعا وينوي به ستر عورته امتثالا لامر الله واستعانة على عبادته من غير قصد
رياء ولا رعونة ثم يتوجه الى بيت الخلا ان كان به حاجة ويدخل اولا رجله اليسرى ويدعو بالادعية
التي ذكرناها فيه في كتاب الطهارة عند الدخول والخروج ثم يستاك على السنة كما سبق ويتوضا
مراعيا لجميع السنن والادعية التي ذكرناها في كتاب الطهارة فانا انما قدمنا احاد العبادات لكي نذكر
في هذا الكتاب وجه التركيب والترتيب فقط فاذا فرغ من الوضوء صلى ركعتي الصبح اعني السنة في منزله
كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقرأ بعد الركعتين اذا اداهما في البيت او في المسجد
الدعا الذي رواه ابن عباس ويقول اللهم اني اسئلك رحمة من عندك تهدي بها قلبي الى اخر الدعا ثم
يخرج من البيت متوجها الى المسجد ولا ينسى دعا الخروج الى المسجد ولا يسعى الى الصلاة سعيا بل يمشي و
عليه السكينة كما ورد به الخبر ولا يشبك بين اصابعه ويدخل المسجد ويقدم رجله اليمنى ويدعو
بالدعا المأثور لدخول المسجد ثم يطلب من المسجد الصف الاول ان وجد متسعا ولا يتخطى رقاب الناس
ولا يزاحم كما سبق ذكره في كتاب الجمعة ثم يصلي ركعتي الفجر ان لم يكن صلاهما في البيت ويشتغل بالدعا
المذكور بعدهما وان كان قد صلى ركعتي الفجر صلى ركعتي التحية وجلس ينتظر الجماعة والاحب التغليس بالجماعة
فقد كان صلى الله عليه وسلم يغلس بالصبح ولا ينبغي ان يدع الجماعة في الصلوة عامة وفي الصبح والعشاء
خاصة فان لهما زيادة فضل وقد روى انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال في صلاة الصبح
من توضأ ثم توجه الى المسجد ليصلي فيه الصلاة كان له بكل خطوة حسنة ومحي عنه سيئة والحسنة
بعشر امثالها فاذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة في جسده حسنة وانقلب بحجة مبرورة
فان جلس حتى يركع كتب له بكل ركعة الفا الف حسنة ومن صلى العتمة فله مثل ذلك وانقلب بعمرة مبرورة
وكان دخول المسجد قبل طلوع الفجر قال رجل من التابعين دخلت المسجد قبل طلوع الفجر فلقيت ابا
هريرة قد سبقني فقال يا ابن اخي لاي شيء خرجت من منزلك هذه الساعة قلت لصلاة الغداة فقال
ابشر فانا كنا نعد خروجنا وقعودنا في المسجد في هذه الساعة بمنزلة غزوة في سبيل الله او قال مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعن علي ان النبي صلعم طرقه وفاطمة وهما نائمان فقال الا تصليان فقال علي فقلت يا رسول الله انما انفسنا
بيد الله فاذا شاء ان يبعثنا بعثنا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعته وهو منصرف يضرب
على فخذه ويقول وكان الانسان اكثر شيء جدلا ثم بعد ركعتي الفجر والدعا ينبغي ان يشتغل بالاستغفار
والتسبيح الى ان يقام الصلوة فيقول استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه سبعين
مرة وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر مائة مرة ثم يصلي الفريضة مراعيا جميع ما ذكرناه من
الاداب الباطنة والظاهرة في الصلاة والقدوة ثم يقعد في المسجد الى طلوع الشمس في ذكر الله كما سنبينه
فقد قال صلى الله عليه وسلم لان اقعد في مجلس اذكر الله فيه من صلاة الغداة الى طلوع الشمس احب الي
من ان اعتق اربع رقاب وروي انه كان صلى الله عليه وسلم اذا صلى الغداة قعد في مصلاه حتى تطلع الشمس

وفي بعض الأخبار يصلي ركعتين أي بعد الطلوع وقد ورد في فضل ذلك ما لا يحصى وروي
الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيما يذكر من رحمة ربه يقول أنه قال يا ابن آدم اذكرني
من بعد صلاة الفجر ساعة وبعد صلاة العصر ساعة أكفك ما بينهما فإذا ظهر فضل ذلك فليقعد
ولا يتكلم إلى طلوع الشمس بل ينبغي أن يكون وظيفته إلى الطلوع أربعة أنواع أدعية وأذكار يكررها
في سبحة وقراءة قرآن وتفكر أما الأدعية فكلما يفرغ من صلاته فليبدأ وليقل اللهم صل على محمد وعلى
آل محمد اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يعود السلام حينا ربنا بالسلام وأدخلنا دار السلام
تباركت ربنا وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام ثم يفتتح الدعاء بما افتتح به رسول الله صلى الله عليه وسلم
دعوته سبحان ربي العلي الأعلى الوهاب لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو
حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله أهل النعمة والفضل والثناء الحسن لا إله إلا الله
ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ثم يبتدئ بالأدعية التي أوردناها في الباب الثالث
والرابع من كتاب الدعوات فيدعو بجميعها إن قدر عليه أو يحفظ من جملتها ما يراه أوفق لحاله وأرق
لقلبه وأخف على لسانه وأما الأذكار المكررة فهي كلمات ورد في تكرارها فضل لم نطول بإيرادها وأقل
ما ينبغي أن يكرر كل واحدة ثلاثا أو سبعا وأكثره مائة أو سبعين وأوسطه عشر فليكررها بقدر فراغه
وسعة وقته وفضل الأكثر أكثر والأوسط الأفضل أن يكررها عشر مرات فهو أحرى بأن يدوم عليه
وخير الأمور أدومها وإن قل وكل وظيفة لا يمكن المواظبة على كثيرها فقليلها مع المداومة أفضل وأشد
تأثيرا في القلب من كثيرها مع الفترة ومثال القليل الدائم مثال قطرات من الماء تتقاطر على الأرض
على التوالي فتحدث فيها حفيرة ولو وقع ذلك على الحجر **ومثال** الكثير المتفرق مثال الماء يصب دفعة أو
دفعات متفرقة متباعدة الأوقات فلا يتبين لها أثر ظاهر وهذه الكلمات عشر الأولى قوله لا إله إلا الله
وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وإليه المصير وهو على كل شيء قدير **الثانية**
قوله سبحان الله العظيم والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم **الثالثة** قوله
سبوح قدوس رب الملائكة والروح **الرابعة** قوله سبحان الله العظيم وبحمده **الخامسة** قوله أستغفر الله
الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأسأله التوبة **السادسة** قوله اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا
ينفع ذا الجد منك الجد **السابعة** قوله لا إله إلا الله الملك الحق المبين **الثامنة** قوله بسم الله الذي
لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم **التاسعة** قوله اللهم صل على محمد عبدك ونبيك
ورسولك النبي الأمي **العاشرة** قوله أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم اللهم إني أعوذ بك من
همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون فهذه العشر كلمات إذا كرر كل واحدة عشر مرات حصل له مائة
مرة فهو أفضل من أن يكرر ذكرا واحدا مائة مرة لأن لكل واحدة من هذه الكلمات فضلا على حاله وللقلب
بكل واحدة نوع تنبه وتلذذ وللنفس في الانتقال من كلمة إلى كلمة نوع استراحة وأمن من الملال **وأما**
القراءة فيستحب له قراءة جملة من الآيات وردت الأخبار بفضلها وهو أن يقرأ سورة الحمد وآية الكرسي وخاتمة
البقرة من قوله تعالى آمن الرسول وشهد الله أنه لا إله إلا هو وقل اللهم مالك الملك الآيتين وقوله تعالى لقد
جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخرها وقوله الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الآية وخمس آيات من أول الحديد وثلاثا من
آخر سورة الحشر وإن قرأ المسبعات العشر التي أهداها الخضر عليه السلام إلى إبراهيم التيمي ووصاه أن
يقولها غدوة وعشية فقد استكمل الفضل وجمع له ذلك فضيلة جملة الأدعية المذكورة فقد روي

عن كرز بن وبرة وكان من الأبدال رحمه الله قال أتاني أخ لي من الشام فأهدى إلي هدية وقال يا كرز اقبل
مني هذه الهدية فإنها نعم الهدية فقلت يا أخي من أهدى لك هذه الهدية قال أعطانيها إبراهيم التيمي
قلت ألم تسأل إبراهيم التيمي من أعطاه إياها قال بلى فقال كنت جالسا في فناء الكعبة وأنا في التهليل
والتسبيح والتحميد والتمجيد فجاءني رجل فسلم علي وجلس عن يميني فلم أر في زماني أحسن منه وجها
ولا أحسن منه ثيابا ولا أشد منه بياضا ولا أطيب ريحا منه فقلت يا عبد الله من أنت ومن أين جئت
فقال أنا الخضر فقلت في أي شيء جئتني فقال جئتك للسلام عليك وحبا لك في الله عز وجل وعندي
هدية أريد أن أهديها إليك فقلت ما هي فقال أن تقول قبل طلوع الشمس وقبل أن تنبسط على الأرض
وقبل الغروب سورة الفاتحة وقل أعوذ برب الناس وقل أعوذ برب الفلق وقل هو الله أحد وقل يا
أيها الكافرون وآية الكرسي كل واحدة سبع مرات وتقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر سبع
مرات وتصلي على النبي صلى الله عليه وسلم سبعا وتستغفر للمؤمنين والمؤمنات سبعا وتستغفر لنفسك
ولوالديك سبعا اللهم افعل بي وبهم عاجلا وآجلا في الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل ولا تفعل بنا يا
مولانا ما نحن له أهل إنك غفور رحيم جواد كريم سبع مرات وانظر لا تدع ذلك غدوة وعشية فقلت أحب
أن تخبرني من أعطاك هذه العطية فقال أعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم فقلت أخبرني بثواب ذلك فقال
إذا لقيت محمدا صلى الله عليه وسلم فسله عن ثوابه فإنه يخبرك بذلك فذكر إبراهيم التيمي أنه رأى ذات
ليلة في منامه كأن الملائكة جاءته فاحتملته حتى أدخلته الجنة فرأى ما فيها ووصف أمورا عظيمة مما رآه في
الجنة قال فسألت الملائكة فقلت لمن هذا كله فقالوا للذي يعمل مثل عملك وذكر أنه أكل من ثمرها وسقوه من
شرابها قال فأتاني النبي صلى الله عليه وسلم ومعه سبعون نبيا وسبعون صفا من الملائكة كل صف مثل ما بين
المشرق والمغرب فسلم علي وأخذ بيدي فقلت يا رسول الله الخضر عليه السلام أخبرني أنه سمع منك هذا
الحديث فقال صدق الخضر وكل ما يحكيه فهو حق وهو عالم أهل الأرض وهو رئيس الأبدال وهو من جنود الله عز وجل
في الأرض فقلت يا رسول الله فمن فعل هذا أو عمله ولم ير مثل الذي رأيت في منامي هل يعطى شيئا مما أعطيته فقال
والذي بعثني بالحق إنه ليعطى العامل بهذا وإن لم يرني ولم ير الجنة إنه ليغفر له جميع الكبائر التي عملها ويرفع
الله عنه غضبه ومقته ويؤمر صاحب الشمال أن لا يكتب عليه شيئا من السيئات إلى سنة والذي بعثني
بالحق نبيا ما يعمل بهذا إلا من خلقه الله سعيدا ولا يتركه إلا من خلقه الله شقيا **وكان** إبراهيم التيمي
مكث أربعة أشهر لم يطعم ولم يشرب فلعله كان بعد هذه الرؤيا فهذه وظيفة القراءة فإن أضاف إليها شيئا مما
انتهى إليه ورده من القرآن أو اقتصر عليه فحسن فالقرآن جامع لفضل الذكر والفكر والدعاء مهما كان
بتدبر وقد ذكرنا فضل ذلك وآدابه في كتاب آداب التلاوة وأما الأفكار فليكن ذلك أحد وظائفه وسيأتي
ما يتفكر فيه وكيفيته في كتاب التفكر من ربع المنجيات ولكن مجامعه ترجع إلى فنين أحدهما أن يتفكر فيما
ينفعه في المعاملة بأن يحاسب نفسه فيما سبق من تقصيره ويرتب وظائف يومه الذي بين يديه ويدبر
في دفع الصوارف والعوائق الشاغلة له عن الخير ويتذكر تقصيره وما يتطرق إليه الخلل من أعماله ليصلحه
ويحضر في قلبه النيات الصالحة في أعماله في نفسه وفي معاملته للمسلمين **والفن الثاني** ما ينفعه في
علم المكاشفة وذلك بأن يتفكر في نعم الله تعالى وتواتر آلائه الظاهرة والباطنة لتزيد معرفته بها
ويكثر شكره عليها أو في عقوباته ونقماته لتزيد معرفته بقدرة الله واستغنائه ويزيد خوفه منه ولكل
واحد من هذه الأمور تفصيل كثير يتسع التفكر فيه على بعض الخلق دون البعض وإنما نستقصي

ذلك في كتاب التفكر وبها تتم للمتفكر فهو من اشرف العبادات اذ فيه معنى الذكر لله سبحانه وزيادة امرين
احدهما زيادة المعرفة اذ الفكر مفتاح المعرفة والكشف والثاني زيادة المحبة اذ لا يحب القلب الا من
اعتقد تعظيمه ولا تنكشف عظمة الله وجلاله سبحانه الا بمعرفة صفاته ومعرفة قدرته وعجائب افعاله
فيحصل من الفكر المعرفة ومن المعرفة التعظيم ومن التعظيم المحبة والذكر ايضا يورث الانس وهو نوع من
المحبة ولكن المحبة التي سببها المعرفة اقوى واثبت واعظم ونسبة محبة العارف الى انس الذاكر من غير
تمام الاستبصار كنسبة عشق من شاهد جمال شخص بالعين واطلع على حسن اخلاقه وافعاله وفضائله
وخصاله الحميدة بالتجربة الى انس من كرر على سمعه وصف غائب عن عينه بالحسن في الخلق والخلق
مطلقا من غير تفصيل وجوه الحسن فيهما فليس محبته له كمحبة للمشاهد وليس الخبر كالمعاينة والعباد المواظبون
على ذكر الله بالقلب واللسان الذين صدقوا بما جاءت به الرسل بالايمان التقليدي ليس معهم من محاسن صفات
الله الا امور جملية اعتقدوها بتصديق من وصفها لهم والعارفون هم الذين شاهدوا ذلك الجلال
والجمال بعين اليقين الباطنة التي هي اقوى من البصيرة الظاهرة لان احدا لم يحط بكنه جلاله وجماله
فان ذلك غير مقدور لاحد من الخلق ولكن كل واحد شاهد بقدر ما رفع له من الحجاب ولا نهاية لجمال
حضرة الربوبية ولا لحجبها وانما عدد حجبها التي استحقت ان تسمى نورا وكاد ان يظن الواصل اليها انه قد تم
وصوله الى الاصل سبعون حجابا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله سبحانه سبعين حجابا من نور لو
كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل ما ادركه بصره وتلك الحجب ايضا مترتبة وتلك الانوار متفاوتة في الرتب تفاوت
الشمس والقمر والكواكب ويبدو في الاول اصغرها ثم ما يليه وعلى ذلك اول بعض الصوفية درجات ما كان
يظهر لابراهيم الخليل صلوات الله عليه وسلامه في ترقيه فقال لما جن عليه الليل اي اظلم عليه الامر راى كوكبا
اي وصل الى حجاب من حجب النور فعبر عنه بالكوكب وما اريد به هذه الاجسام المضيئة فان احاد العوام لا
يخفى عليهم ان الربوبية لا تليق بالاجسام بل يدركون ذلك باوائل نظرهم فما لا يضلل العوام لا يضلل الخليل
عليه السلام والحجب المسماة انوارا ما اريد بها الضوء المحسوس في البصر بل اريد بها ما اريد بقوله سبحانه
وتعالى الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح الاية ولنتجاوز عن هذه المعاني فانها خارجة
عن علم المعاملة ولا يوصل الى حقائقها الا الكشف التابع للفكر الصافي وقل من ينفتح له بابه والمتيسر على
جماهير الخلق الفكر فيما يفيد في علم المعاملة وذلك ايضا مما تغزر فائدته ويعظم نفعه فهذه الوظائف
الاربع اعني الدعاء والذكر والقراءة والفكر ينبغي ان تكون وظيفة المريد بعد طلوع الفجر بل في كل ورد وبعد
الفراغ من وظيفة الصلاة صلاة الصبح فليس بعد الصلاة وظيفة سوى هذه الاربع ويقوى على ذلك
بان ياخذ سلاحه ومجنته والصوم هو الجنة التي تضيق مجاري الشيطان المعادي الصارف عن سبيل
الرشاد وليس بعد طلوع الصبح صلاة سوى ركعتي الفجر وفرض الصبح الى طلوع الشمس كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم يشتغلون في هذا الوقت بالاذكار وهو الاولى الا ان يغلبه النوم
قبل الفرض ولم يندفع الا بالصلاة فلو صلى لذلك فلا باس **الورد الثاني** ما بين طلوع الشمس الى
ضحوة النهار واعني بالضحوة منتصف ما بين طلوع الشمس الى الزوال وذلك بمضي ثلاث ساعات من النهار
اذا فرض النهار اثنتي عشرة ساعة وهو الربع وفي هذا الربع من النهار وظيفتان زائدتان احدهما صلاة
الضحى وقد ذكرناها في كتاب الصلاة ان الاولى ان يصلي ركعتين عند الاشراق وذلك اذا انبسطت الشمس
وارتفعت نصف رمح ويصلي اربعا او ستا او ثمانيا اذا رمضت الفصال وضحيت الاقدام بحر

الشمس فوقت الركعتين هو الذي اراده الله تعالى بقوله يسبحن بالعشي والاشراق فانه وقت اشراق
الشمس وهو ظهور تمام نورها بارتفاعها عن موازاة البخارات والغبارات التي على وجه الارض فانها
تمنع اشراقها التام ووقت الركعات الاربع هو الضحى الاعلى الذي اقسم الله به فقال والضحى والليل اذا سجى
وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه وهم يصلون عند الاشراق فنادى باعلى صوته الا ان
صلاة الاوابين اذا رمضت الفصال فلذلك نقول اذا كانت تقتصر على مرة واحدة في الصلاة فهذا
الوقت افضل لصلاة الضحى وان كان اصل الفضل يحصل بالصلاة بين طرفي وقت الكراهية وهو
ما بين ارتفاع الشمس بطلوع نصف رمح بالتقريب الى ما قبل الزوال في ساعة الاستواء واسم الضحى ينطلق
على الكل وكان ركعتي الاشراق تقع في مبتدا وقت الاذن في الصلاة وانقضاء الكراهية اذ قال صلى الله
عليه وسلم ان الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فاذا ارتفعت فارقها فاقل ارتفاعها ان ترتفع عن
بخارات الارض وغبارها وهذا يراعى بالتقريب **الوظيفة** الثانية في هذا الوقت الخيرات المتعلقة
بالناس التي جرت بها العادات بكرة من عيادة مريض وتشييع جنازة ومعاونة على البر والتقوى وحضور
مجلس علم وما يجري مجراه من قضاء حاجة لمسلم وغيرها فان لم يكن شيء من ذلك عاد الى الوظائف الاربع التي
قدمناها من الادعية والذكر والقراءة والفكر والصلاة المتطوع بها ان شاء فانها مكروهة بعد صلاة
الصبح وليست مكروهة الان فتصير الصلاة قسما خامسا من جملة وظائف هذا الوقت لمن اراده واما
ما بعد فريضة الصبح فتكره كل صلاة لا سبب لها وبعد الصبح الاحب ان يقتصر على ركعتي الفجر
وتحية المسجد ولا يشتغل بالصلاة بل بالاذكار والقراءة والدعاء والفكر الورد الثالث من ضحوة النهار
الى الزوال ونعني بالضحوة المنتصف وما قبله بقليل وكان بعد كل ثلاث ساعات امر بصلاة فاذا انقضى
ثلاث ساعات بعد الطلوع فقبيلها وقيل بعيدها صلاة الضحى فاذا مضت ثلاث اخرى فالظهر فاذا مضت
ثلاث اخرى فالعصر فاذا مضت ثلاث اخرى فالمغرب ومنزلة الضحى بين الزوال والطلوع كمنزلة العصر
بين الزوال والغروب الا ان الضحى لم تفرض لانه وقت انكباب الناس على اشغالهم فخفف عنهم فالوظيفة
في هذا الوقت الاقسام الاربعة ويزيد امران احدهما الاشتغال بالكسب وتدبير المعاش وحضور السوق
فان كان تاجرا فينبغي ان يتجر بصدق وامانة وان كان صاحب صناعة فبنصح وشفقة ولا ينسى ذكر الله
في جميع اشغاله ويقتصر من الكسب على قدر حاجته ليومه مهما قدر على ان يكتسب في كل يوم لقوته
فاذا حصلت كفاية يومه فليرجع الى بيت ربه وليتزود لاخرته فان الحاجة الى زاد الاخرة اشد والتمتع
به ادوم فالاشتغال بكسبه اهم من طلب الزيادة على حاجة الوقت فقد قيل لا ينبغي ان يوجد المؤمن
الا في ثلاثة مواطن مسجد يعمره او بيت يستره او حاجة لا بد له منها وقل من يعرف القدر فيما لا بد منه
بل اكثر الناس يقدرون ان ما عنه لهم غنية انه لا بد لهم منه وذلك لان الشيطان يعدهم الفقر ويامرهم
بالفحشاء فيصغون اليه ويجمعون ما لا ياكلون خيفة الفقر والله يعدهم مغفرة منه وفضلا فيعرضون
عنه ولا يرغبون فيه **الامر الثاني** القيلولة وهي سنة يستعان بها على قيام الليل كما ان التسحر
يستعان به على صيام النهار فان كان لا يقوم بالليل ولكن لو لم ينم لم يشتغل بخير وربما خالط اهل
الغفلة وتحدث فالنوم احب له اذا كان لا ينبعث نشاطه للرجوع الى الاذكار والوظائف المذكورة
اذ في النوم الصمت والسلامة وقد قال بعضهم ياتي على الناس زمان الصمت والنوم فيه افضل اعمالهم
وكم من عابد احسن احواله النوم وذلك اذا كان يرائي بعبادته ولا يخلص فيها فكيف بالغافل الفاسق

سفيان الثوري كان يعجبهم اذا فرغوا ان يناموا طلبا للسلامة فاذا نومه على قصد طلب السلامة ف
نيه قيام الليل قربة ولكن ينبغي ان ينتبه قبيل الزوال بقدر الاستعداد للصلاة بالوضوء وحضور المسجد
قبل دخول وقت الصلاة فان ذلك من فضائل الاعمال وان لم ينم ولم يشتغل بالكسب واشتغل بالصلاة
والذكر فهو افضل اعمال النهار لانه وقت غفلة الناس عن الله واشتغالهم بهموم الدنيا فالقلب المتفرغ
لخدمة ربه عند اعراض العبيد عن بابه جدير بان يزكيه الله تعالى ويصطفيه لقربه ومعرفته وفضل
ذلك كفضل احياء الليل فان الليل وقت الغفلة بالنوم وهذا وقت الغفلة باتباع الهوى والاشتغال
بهموم الدنيا واحد معنى قوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة اي يخلف احدهما الاخر في
الفضل والثاني انه يخلفه فيتدارك فيه ما فات في احدهما الورد الرابع ما بين الزوال الى الفراغ من
صلاة الظهر ورواتبه وهو اقصر اوراد النهار وافضلها فاذا كان قد توضأ قبل الزوال وحضر
المسجد فمهما زالت الشمس وابتدأ المؤذن الاذان فليصبر الى الفراغ من جواب اذانه ثم ليقم الى احياء
ما بين الاذان والاقامة فهو وقت الاظهار الذي اراده الله تعالى بقوله وحين تظهرون وليصل في هذا
الوقت اربع ركعات لا يفصل بينهن بتسليم وهذه الصلاة وحدها من بين سائر الصلوات النفل
انه يصليها بتسليمة واحدة لكن طعن في تلك الرواية هكذا قال بعض العلماء ومذهب الشافعي رحمه الله
انه يصلي مثنى كسائر النوافل وهو الذي صح بالاخبار وليطول هذه الركعات اذ فيها تفتح ابواب السماء
كما اوردنا الخبر فيه في باب صلاة التطوع وليقرأ فيها سورة البقرة او سورتين من المئين او اربعا من المثاني
فهذه ساعة يستجاب فيه الدعاء احب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرفع له فيها عمل ثم يصلي
الظهر جماعة بعد اربع ركعات طويلة كما سبق او قصيرة ولا ينبغي ان يدعها ثم ليصل بعد الظهر ركعتين
ثم اربعا فقد كره ابن مسعود ان يتبع الفريضة بمثلها من غير فاصل ويستحب ان يقرأ في هذه النافلة اية
الكرسي واخر البقرة والايات التي اوردناها في الورد الاول ليكون ذلك جامعا له بين الدعاء والذكر والقراءة
والصلاة والتحميد والتسبيح مع شرف الوقت **الورد الخامس** ما بعد ذلك الى العصر ويستحب
فيه العكوف في المسجد مشغولا بالذكر او الصلاة او فنون الخير ويكون في انتظار الصلاة معتكفا فمن
فضائل الاعمال انتظار الصلاة بعد الصلاة وكان ذلك سنة السلف كان الرجل يدخل المسجد
بين الظهر والعصر فيسمع للمصلين دويا كدوي النحل من التلاوة فان كان بيته اسلم لدينه واجمع لهمه فالبيت
افضل في حقه واحياء هذا الورد وهو ايضا وقت غفلة الناس كاحياء الورد الثالث في الفضل وفي هذا
الوقت يكره النوم لمن نام قبل الزوال اذ يكره نومتان بالنهار قال بعض العلماء ثلاث يمقت الله عليها
الضحك من غير عجب والاكل من غير جوع والنوم بالنهار من غير سهر بالليل والحد في النوم ان الليل والنهار
اربعة وعشرين ساعة فالاعتدال في نومه ثماني ساعات بالليل والنهار جميعا فان نام هذا القدر
في الليل فلا معنى للنوم بالنهار وان نقص منه مقدارا استوفاه بالنهار فحسب ابن ادم ان عاش ستين
سنة ان ينقص من عمره عشرين سنة ومهما نام ثماني ساعات وهو الثلث فقد نقص من عمره الثلث ولكن
لما كان النوم غذاء للروح كما ان الطعام غذاء للبدن وكما ان العلم والذكر غذاء للقلب لم يمكن قطعه عنه
وقدر الاعتدال هذا والنقصان منه ربما يفضي الى اضطراب البدن الا من يتعود السهر تدريجا فقد
تمرن نفسه عليه من غير اضطراب وهذا الورد من اطول الاوراد واستعها للعباد وهو احد الاصال
التي ذكرها الله تعالى اذ قال وله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال

واذا سجد لله الجمادات فكيف يجوز ان يغفل العبد العاقل عن انواع العبادات **الورد السادس**
اذا دخل وقت العصر دخل وقت الورد السادس وهو الذي اقسم الله تعالى به اذ قال والعصر هذا
احد معنى الاية وهو المراد بالاصال في احد التفسيرين وهو العشي المذكور في قوله وعشيا وفي
قوله بالعشي والاشراق وليس في هذا الورد صلاة الا اربع ركعات بين الاذانين كما سبق في الظهر
ثم يصلي الفرض ويشتغل بالاقسام الاربعة المذكورة في الورد الاول الى ان ترتفع الشمس الى رؤوس
الحيطان وتصفر والافضل منه اذ منع عن الصلاة تلاوة القرآن بتدبر وتفهم اذ يجمع ذلك
معنى الذكر والدعاء والفكر فيندرج في هذا القسم اكثر مقاصد الثلاثة **الورد السابع** اذا اصفرت
الشمس بان تقرب من الارض بحيث يغطي نورها الغبارات والبخارات التي على وجه الارض ويرى
صفرة في ضوئها فيدخل هذا الورد وهو مثل الورد الاول من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لانه قبل الغروب
كما ان ذلك قبل الطلوع وهو المراد بقوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الاية وهذا
الطرف الثاني المراد بقوله واطراف النهار قال الحسن كانوا اشد تعظيما للعشي منهم لاول النهار
وقال بعض السلف كانوا يجعلون اول النهار للدنيا واخره للاخرة فيستحب في هذا الوقت التسبيح
والاستغفار خاصة وسائر ما ذكرناه في الورد الاول مثل ان يقول استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي
القيوم واسأله التوبة وسبحان الله العظيم وبحمده من قوله تعالى واستغفر لذنبك وسبح
بحمد ربك بالعشي والابكار والاستغفار بالاسماء التي في القرآن احب لقوله تعالى استغفروا ربكم انه
كان غفارا واستغفره انه كان توابا رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين فاغفر لنا وارحمنا وانت
خير الغافرين ويستحب ان يقرأ قبل غروب الشمس والشمس وضحاها والليل اذا يغشى والمعوذتين
ولتغرب الشمس عليه وهو في الاستغفار فاذا سمع الاذان قال اللهم هذا اقبال ليلك وادبار نهارك
الدعاء كما سبق ثم يجيب المؤذن ويشتغل بصلاة المغرب وبالغروب قد انتهت اوراد النهار فينبغي
ان يلاحظ العبد احواله ويحاسب نفسه فقد انقضى من طريقه مرحلة فهل ساوى يومه امسه
فيكون مغبونا او كان شرا منه فيكون ملعونا فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بورك لي في يوم
لا ازداد فيه خيرا فان راى نفسه متوفرا على الخير جميع نهاره مترفها عن التجشم كانت بشارة فليشكر
الله على توفيقه وتسديده اياه لطريقه وان تكن الاخرى فالليل خلفة للنهار فليعزم على تلافي ما سبق
من تفريطه فان الحسنات يذهبن السيئات فليشكر الله على صحة جسمه وبقاء بقية عمره الى
طول ليله او الليلة ثم ليشتغل بتدارك تقصيره وليحضر في قلبه ان نهار العمر اخره يوم يغرب
فيه شمس الحياة فلا يكون لها بعده طلوع وعند ذلك تغلق ابواب التدارك والاعتذار فليس
العمر الا اياما معدودة تنقضي لا محالة جملتها بانقضاء احادها **بيان اوراد الليل** وهي خمسة
الاول اذا غربت الشمس صلى المغرب واشتغل باحياء ما بين العشائين فاخر هذا الورد عند غيبوبة الشفق اعني
الحمرة التي بغيبوبتها يدخل وقت العشاء وقد اقسم الله تعالى به فقال فلا اقسم بالشفق والصلاة في ذلك
الوقت هي ناشئة الليل لانه اول نشوء ساعاته وهو ان من الاناء المذكورة في قوله تعالى ومن اناء الليل
فسبح وهي صلاة الاوابين وقيل هي المراد بقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع روي ذلك عن الحسن
رحمه الله واسنده ابن ابي زياد الى النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن هذه الاية فقال صلى الله عليه وسلم
الصلاة بين العشائين ثم قال عليكم بالصلاة بين العشائين فانها تذهب بملاغات النهار وتهذب

آخره والملاغات جمع ملغاة من اللغو وسئل انس عمن ينام بين العشائين فقال لا تفعل فانها الساعة المعنية
بقوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع وسياتي فضل احيا ما بين العشائين في الباب الثاني وترتيب هذا
الورد ان يصلي بعد المغرب ركعتين اولا يقرا فيهما قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد ويصليهما
عقيب المغرب من غير تخلل كلام ولا شغل ثم يصلي اربعا يطيلهما ثم يصلي الى غيبوبة الشفق ما تيسر
له وان كان المسجد قريبا من المنزل فلا باس ان يصليهما في بيته ان لم يكن عزمه الاعتكاف في المسجد
وان عزم على الاعتكاف في انتظار العشاء الآخرة فهو الافضل اذا كان امنا من التصنع والريا **الثاني** يدخل
بدخول وقت العشاء الآخرة الى حد نوم الناس وهو اول استحكام الظلام وقد اقسم الله تعالى
به اذ قال والليل وما وسق اي وما جمع من ظلمته وقال الى غسق الليل فهناك يغسق الليل ويستوسق
ظلمته وترتيب هذا الورد بمراعاة ثلثة امور **الاول** ان يصلي فرض العشاء عشر ركعات اربعا قبل
الفرض احياء لما بين الاذانين وستا بعد الفرض ركعتين ثم اربعا ويقرا فيهما من القرآن الآيات
المخصوصات كآخر البقرة واية الكرسي واول الحديد وغيرها **الثاني** ان يصلي ثلث عشرة ركعة آخرهن
الوتر فانه اكثر ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى من الليل والاكياس ياخذون اوقاتهم من اول الليل
والاقويا من آخره والحزم التقديم فانه ربما لا يستيقظ او يثقل عليه القيام الا اذا صار ذلك عادة
له فآخر الليل افضل ثم ليقرا في هذه الصلاة قدر ثلثمائة آية من السور المخصوصة التي كان صلى الله
عليه وسلم يكثر قراءتها مثل يس وسجدة لقمان وسورة الدخان وتبارك الملك والزمر والواقعة
فان لم يصل فلا يدع قراءة هذه السور او بعضها قبل النوم فقد روي في ثلثة احاديث ما كان
يقرا رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ليلة اشهرها السجدة وتبارك الملك وفي رواية الزمر وفي رواية
بني اسرائيل وفي اخرى انه كان صلى الله عليه وسلم يقرا المسبحات في كل ليلة ويقول فيها آية افضل من الف آية وكان العلما
يجعلونها ستا فيزيدون سبح اسم ربك الاعلى اذ في الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب سبح اسم
ربك الاعلى وكان يقرا في ثلث ركعات الوتر ثلث سور سبح اسم ربك الاعلى وقل يا ايها الكافرون
وسورة الاخلاص فاذا فرغ قال سبحان الملك القدوس ثلث مرات **الثالث** الوتر وليوتر قبل
النوم ان لم تكن عادته القيام قال ابو هريرة رضي الله عنه اوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا انام
الا على وتر وان كان معتادا لصلاة الليل فالتاخير افضل قال صلى الله عليه وسلم صلاة الليل
مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فاوتر بركعة وقالت عائشة رضي الله عنها اوتر رسول الله صلى الله عليه
وسلم اول الليل واوسطه وآخره وانتهى وتره الى السحر وقال علي رضي الله عنه الوتر على ثلثة انحا
ان شئت اوترت اول الليل ثم صليت ركعتين يعني انه يصير وترا بما مضى وان شئت اوترت بركعة
فاذا استيقظت شفعت اليها اخرى ثم اوترت من آخر الليل وان شئت اخرت الوتر ليكون آخر صلاتك
هذا ما روي عنه صلى الله عليه وسلم والطريق الاول والثالث لا باس به واما نقض الوتر فقد صح
فيه نهي فلا ينبغي ان ينقض وروي مطلقا انه عليه السلام قال لا وتران في ليلة ولمن يتردد في
استيقاظه تلطف استحسنه بعض العلما وهو ان يصلي بعد الوتر ركعتين جالسا في فراشه عند النوم
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزحف الى فراشه ويصليهما ويقرا فيهما اذا زلزلت والهيكم التكاثر
لما فيهما من التحذير والوعيد وفي رواية قل يا ايها الكافرون لما فيها من التبرية وافراد العبادة لله
فقيل ان استيقظ قامتا مقام ركعة واحدة وكان له ان يوتر في آخر صلاته وكانه صار بما مضى شفعا بهما

ويحسن استيناف الوتر والوتر من آخر الليل وهو كما ذكره لكن ربما يخطر انهما لو شفعتا ما مضى لكان كذلك
وان لم يستيقظ وبطل وتره الاول وكونه شافعا ان استيقظ غير شافع ان نام فيه نظر الا ان يصح من
رسول الله صلى الله عليه وسلم ايتاره قبلهما واعادة الوتر فيفهم منه ان الركعتين شفع بصورتهما
وتر بمعناهما فتحسب وترا ان استيقظ وشفعا ان لم يستيقظ ثم يستحب بعد التسليم من الوتر ان
يقول سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات والارض بالعظمة والجبروت
وتعززت بالقدرة والملكوت وقهرت العباد بالموت وروي انه عليه السلام ما مات حتى كان اكثر
صلاته جالسا الا المكتوبة وقد قال عليه السلام للقاعد نصف اجر القائم وللنائم نصف اجر القاعد
وهذا يدل على صحة النافلة نائما **الورد الثالث** النوم ولا باس ان يعد ذلك في الاوراد فانه
اذا روعيت آدابه احتسب عبادة فقد نقل انه اذا نام العبد على طهارة ذاكرا لله يكتب مصليا حتى يستيقظ
ويدخل في شعاره ملك فان تحرك في نومه فذكر الله دعا له الملك واستغفر له وفي الخبر انه اذا نام على
الطهارة رفع روحه الى العرش هذا في العوام فكيف في العلما وارباب القلوب الصافية فانهم يكاشفون
بالاسرار في النوم ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح وقال
معاذ لابي موسى كيف تصنع قال معاذ لكني انام ثم اقوم واحتسب في نومتي ما احتسب في قومتي فذكر ذلك
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ افقه منك وآداب النوم عشرة
الاول الطهارة والسواك قال صلى الله عليه وسلم اذا نام العبد على طهارة عرج بروحه الى العرش وكانت
رؤياه صادقة وان لم ينم على طهارة قصرت روحه عن البلوغ فتلك المنامات اضغاث احلام لا تصدق
وهذا اريد به طهارة الباطن والظاهر معا وطهارة الباطن هي المؤثرة في انكشاف حجب الغيب الثاني
ان يعد عند راسه سواكه وطهوره وينوي القيام للعبادة عند التيقظ وكلما انتبه استاك كذلك
كان يفعله بعض السلف وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يستاك في كل ليلة مرارا
عند كل نومة وعند التنبه منها وان لم يتيسر له الطهارة كانوا يستحبون مسح الاعضا بالتراب فليمسح
له مسح الاعضا بالما فان لم يجد فليقعد وليستقبل القبلة وليشتغل بالدعاء والذكر والتفكر في
آلاء الله وقدرته فذلك يقوم مقام قيام الليل وقال صلى الله عليه وسلم من اتى فراشه وهو ينوي ان يقوم يصلي
من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة من الله تعالى الثالث ان لا يبيت
من له وصية الا ووصيته مكتوبة عنده فانه لا يامن القبض في النوم فقال ان من مات من غير وصية لم يؤذن
له في الكلام في البرزخ الى يوم القيمة يتزاور الاموات ويتحدثون وهو لا يتكلم فيقول بعضهم لبعض هذا
المسكين مات من غير وصية وذلك مستحب خوفا من موت الفجاة وموت الفجاة تخفيف الا لمن ليس
مستعدا للموت لكونه مثقل الظهر بالمظالم **الرابع** ان ينام تائبا من كل ذنب سليم القلب لجميع المسلمين
لا يحدث نفسه بظلم احد ولا يعزم على معصية ان استيقظ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اوى الى فراشه لا ينوي ظلم احد ولا يحقد على احد غفر له ما اجرم **الخامس** ان لا يتنعم بتمهيد الفرش
الناعمة بل يترك ذلك او يقتصد فيه كان بعض السلف يكره التمهيد ويرى ذلك تكلفا للنوم وكان اهل
الصفة لا يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا ويقولون منها خلقنا واليها نرد وكانوا يرون ذلك ارق
لقلوبهم واجدر لتواضع نفوسهم فمن لا تسمح بذلك نفسه فليقتصد **السادس** ان لا ينام ما لم يغلبه
النوم ولا يتكلف استجلابه الا اذا قصد الاعانة على القيام في آخر الليل فقد كان نومهم غلبة واكلهم فاقة

وكلاهم ضرر ولذلك وصفوا بانهم كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وان غلبه النوم عن الصلاة والذكر
وصار لا يدري ما يقول فلينم حتى يعقل ما يقول كان ابن عباس يكره النوم قاعدا **وفي الخبر** لا تكابدوا
الليل وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصلي بالليل فاذا غلبها النوم تعلقت بحبل فنهى عن
ذلك وقال ليصل احدكم من الليل ما تيسر له فاذا غلبه النوم فليرقد وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا وقال صلى الله عليه وسلم خير هذا الدين
ايسره وقيل له صلى الله عليه وسلم ان فلانا يصلي فلا ينام ويصوم فلا يفطر فقال عليه الصلاة والسلام
فقال عليه الصلاة والسلام لكني اصلي وانام واصوم وافطر هذه سنتي فمن رغب عنها فليس مني وقال
صلى الله عليه وسلم لا تشادوا هذا الدين فانه متين فمن يشاده يغلبه فلا تبغض اليك عبادة الله ٥
السابع ان ينام مستقبل القبلة والاستقبال على ضربين احدهما استقبال المحتضر وهو المستلقي على
قفاه فاستقباله ان يكون وجهه واخمصاه الى القبلة والثاني استقبال اللحد وذلك بان ينام على
جنب ويكون وجهه اليها مع قبالة بدنه اذا نام على الشق الايمن **الثامن** الدعاء عند النوم فيقول
باسمك اللهم وضعت جنبي وباسمك ارفعه الى اخر الدعوات المأثورة التي اوردناها في كتاب الدعوات
ويستحب ان يقرأ الآيات المخصوصة مثل آية الكرسي وآخر البقرة وغيرهما ويقرأ قوله والهكم اله واحد لا اله
الا هو الرحمن الرحيم الى قوله لقوم يعقلون يقال ان من قرأها عند النوم حفظ عليه القرآن فلم ينسه ويقرأ من
سورة الاعراف هذه الآيات ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام واخر بني اسرائيل
قل ادعوا الله الآيتين فانه يدخل في شعاره ملك يوكل بحفظه فيستغفر له ويقرأ المعوذتين و
ينفث بهما في يديه ويمسح بهما وجهه وسائر جسده كذلك روي من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وليقرأ عشرا من اول الكهف وعشرا من آخرها وهذه الآي للاستيقاظ لقيام الليل وكان علي كرم الله وجهه
يقول ما ارى رجلا مستكملا عقله ينام قبل ان يقرأ الآيتين من آخر سورة البقرة وليقل خمسا وعشرين مرة
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ليكون مجموع هذه الكلمات الاربع مائة مرة **التاسع**
ان يتذكر عند النوم ان النوم نوع وفاة والتيقظ نوع بعث قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي
لم تمت في منامها فسماه توفيا وكما ان المستيقظ ينكشف له مشاهدات لا تناسب احواله في النوم فكذلك
المبعوث يرى ما لا يخطر قط بباله ولا شاهده حسه ومثل النوم بين الحياة والممات مثل البرزخ بين
الدنيا والآخرة وقال لقمان لابنه يا بني ان كنت تشك في الموت فلا تنم فكما انك تنام كذلك تموت و
ان كنت تشك في البعث فلا تنتبه بعد نومك فكما انك تنتبه بعد نومك فكذلك تبعث بعد
موتك وقال كعب الاحبار اذا نمت فاضطجع على شقك الايمن واستقبل القبلة بوجهك فانها وفاة
وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر ما يقول حين ينام وهو واضع خده
على يده اليمنى وهو يرى انه ميت في ليلته تلك اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب
كل شيء ومليكه الدعاء الى آخره كما ذكرناه في كتاب الدعاء الى آخره وحق على العبد ان يفتش عن قلبه عند نومه انه على ما
ينام وما الغالب عليه حب الله او حب لقائه او حب الدنيا وليتحقق انه يتوفى على ما هو الغالب عليه ويحشر
على ما يتوفى عليه فان المرء مع من احب ومع ما احب **العاشر** الدعاء عند التنبه فليقل في تيقظاته وتقلباته
مهما تنبه ما كان يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اله الا الله الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما
العزيز الغفار وليجتهد ان يكون آخر ما يجري على قلبه عند النوم ذكر الله واول ما يرد على قلبه عند التيقظ

ذكر الله سبحانه وتعالى فهو علامة الحب ولا يلازم القلب في هاتين الحالتين الا ما هو الغالب عليه فليجرب
قلبه بذلك فانها علامة تكشف عن باطن القلب وانما استحبت هذه الاذكار لتستجر القلب الى ذكر
الله عز وجل فاذا استيقظ ليقوم قال الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور الى آخر ما اوردناه
من ادعية التيقظ **الورد الرابع** يدخل بمضي النصف الاول من الليل الى ان يبقى من الليل سدسه وعند
ذلك يقوم العبد للتهجد فاسم التهجد يختص بما بعد الهجود والهجوع وهو النوم وهذا وسط الليل
ويشبه الورد الذي بعد الزوال وهو وسط النهار وبه اقسم الله سبحانه وتعالى فقال والليل
اذا سجى اي اذا سكن وسكونه هدوه في هذا الوقت فلا تبقى عين الا نائمة سوى الحي القيوم الذي لا تأخذه
سنة ولا نوم وقيل اذا سجى اذا استطال وقيل اذا اظلم وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي الليل اسمع فقال جوف الليل وقال داود عليه السلام الهي اني احب ان اتعبد لك فاي وقت
افضل فاوحى الله تعالى اليه يا داود لا تقم اول الليل ولا آخره فانه من قام اوله نام آخره ومن قام آخره
لم يقم اوله ولكن قم وسط الليل حتى تخلو بي واخلو بك وارفع الي حوائجك **وسئل** رسول الله صلى
الله عليه وسلم اي الليل افضل فقال نصف الليل الغابر يعني الباقي وفي آخر الليل وردت الاخبار باهتزاز
العرش وانتشار الرياح من جنات عدن ومن نزول الجبار الى سماء الدنيا وغير ذلك من الاخبار وترتيب هذا
الورد انه بعد الفراغ من الادعية التي للاستيقاظ يتوضأ وضوءا كما سبق بسننه وآدابه وادعيته ثم
يتوجه الى مصلاه ويقوم مستقبل القبلة ويقول الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة
واصيلا ثم ليسبح عشرا وليحمد عشرا وليهلل عشرا وليقل الله اكبر ذو الملك والملكوت والجبروت والكبرياء
والعظمة والجلال والقدرة وليقل هذه الكلمات فانها مأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيامه
للتهجد اللهم لك الحمد انت نور السموات والارض ولك الحمد انت قيام السموات والارض ومن فيهن ومن عليهن
انت الحق ومنك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والبعث حق والنبيون حق ومحمد صلى الله عليه وسلم
حق اللهم لك اسلمت وبك آمنت وعليك توكلت واليك انبت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لي
ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت انت المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت اللهم آت نفسي تقواها
وزكها انت خير من زكاها انت وليها ومولاها اللهم اهدني لاحسن الاعمال لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف
عني سيئها لا يصرف عني سيئها الا انت اسألك مسألة البائس المسكين وادعوك دعاء المفتقر الذليل
فلا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رؤوفا رحيما يا خير المسؤولين واكرم المعطين وقالت عائشة
رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل افتتح صلاته فقال اللهم رب جبريل
وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون
اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم ثم يفتتح الصلاة ويصلي
ركعتين خفيفتين ثم يصلي مثنى مثنى ما تيسر له ويختم بالوتر ان لم يكن قد صلى الوتر **ويستحب** ان
يفصل بين الصلاتين عند تسليمه بمائة تسبيحة ليستريح ويزيد نشاطه للصلاة وقد صح في صلاة النبي
صلى الله عليه وسلم انه يصلي اولا ركعتين خفيفتين ثم ركعتين طويلتين ثم ركعتين دون اللتين قبلهما ثم
لم يزل ينقص بالتدريج الى ثلاث عشرة ركعة وسئلت عائشة رضي الله عنها اكان يجهر رسول الله صلى الله
عليه وسلم في قيام الليل ام يسر فقالت ربما جهر وربما اسر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الليل
مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فاوتر بركعة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة المغرب اوترت

صلاة النهار ثمانيًا وصلاة الليل واكثر ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيام الليل ثلاث عشرة ركعة
ويقرأ في هذه الركعات من ورده من القرآن او من السور المخصوصة ما خف عليه وهو في حكم هذا الورد الى
قريب من النصف من الليل **الورد الخامس** السدس الاخير من اخر الليل وهو وقت السحر قال الله تعالى
وبالاسحار هم يستغفرون قيل يصلون لما فيها من الاستغفار وهو مقارب للفجر الذي هو وقت انصراف
ملائكة الليل واقبال ملائكة النهار وقد امر بهذا الورد سلمان اخاه ابا الدرداء رضي الله عنهما ليلة
زاره في حديث طويل قال في اخره فلما كان الليل ذهب ابو الدرداء ليقوم فقال له سلمان نم فنام ثم
ذهب ليقوم فقال له نم فنام فلما كان عند الصبح قال له سلمان قم الآن فقاما فصليا فقال ان لنفسك
عليك حقا وان لضيفك عليك حقا فاعط كل ذي حق حقه وذلك ان امرأة ابي الدرداء اخبرت
سلمان ان ابا الدرداء لا ينام الليل قال فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرا ذلك له فقال صلى
الله عليه وسلم صدق سلمان وهذا هو الورد الخامس وفيه يستحب التسحر وذلك عند خوف طلوع
الفجر والوظيفة في هذا بين الوردين الصلاة فاذا طلع الفجر انقضى اوراد الليل ودخل اوراد النهار
فيقوم ويصلي ركعتي الفجر وهو المراد بقوله تعالى ومن الليل فسبحه وادبار النجوم ثم يقرأ شهد الله انه لا اله
الا هو الى اخرها ثم يقول وانا اشهد بما شهد الله به لنفسه وشهدت به ملائكته واولو العلم من خلقه
واستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة واسأله حفظها حتى يتوفاني عليها اللهم
احطط عني بها وزرا واجعل لي بها عندك ذخرا واحفظها علي وتوفني عليها غير مبدل تبديلا فهذا ترتيب
الاوراد للعباد وقد كانوا يستحبون ان يجمعوا مع ذلك في كل يوم بين اربعة امور صوم وصدقة وان
قلت وعيادة مريض وشهود جنازة **وفي الخبر** من جمع بين هذه الاربعة في يوم غفر له وفي رواية دخل
الجنة فان اتفق بعضها وعجز عن الاخر كان له اجر الجميع بحسب نيته وكانوا يكرهون ان ينقضي اليوم ولا يتصدقوا
ولو بتمرة او بصلة او كسرة خبز لقوله صلى الله عليه وسلم الرجل في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس و
لقوله صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة **ودفعت** عائشة رضي الله عنها الى سائل عنبة واحدة
فاخذها فنظر من كان عندها بعضهم الى بعض فقالت ما لكم ان فيها لمثاقيل ذر كثيرة وكانوا لا يكرهون
رد السائل اذ كان من اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لم يرد عليه سكت وفي الخبر يصبح ابن
آدم على كل سلامى من جسده صدقة يعني كل مفصل وفي جسد الانسان ثلاثمائة وستون مفصلا فامرك
بالمعروف صدقة ونهيك عن المنكر صدقة وحملك عن الضعيف صدقة وهدايتك الى الطريق
صدقة واماطتك الاذى صدقة وذكر التسبيح والتهليل ثم قال وركعتا الضحى تأتي على ذلك كله او
يجمعن لك ذلك كله **بيان اختلاف الاوراد** باختلاف الاحوال اعلم ان المريد لحرث الاخرة
السالك لطريقها لا يخلو عن ستة احوال فانه اما عابد او عالم او متعلم واما وال واما محترف واما موحد
مستغرق بالواحد الصمد عن غيره الاول العابد وهو المتجرد للعبادة الذي لا شغل له اصلا غيرها
ولو ترك العبادة لجلس بطالا فترتيبه ما ذكرناه نعم لا يبعد ان يختلف وظائفه بان يستغرق اكثر
الوقت اما في الصلاة او في القراءة او في التسبيحات فقد كان في الصحابة من ورده في اليوم اثني عشر
الف تسبيحة وكان فيهم من ورده ثلاثون الفا وكان فيهم من ورده ثلاثمائة ركعة الى ستمائة والى الف
ركعة واقل ما نقل من اورادهم الصلاة مائة ركعة في اليوم والليلة وكان بعضهم يقضي اليوم والليلة
في التفكر في اية واحدة يرددها وكان كرز بن وبرة مقيما بمكة وكان يطوف في كل يوم سبعين اسبوعا وفي كل ليلة

سبعين اسبوعا وكان مع ذلك يختم القرآن في اليوم والليلة مرتين فحسب ذلك فكان عشرة فراسخ و
يكون مع كل اسبوع ركعتان فذلك مائتان وثمانون ركعة وختمتان وعشرة فراسخ **فان**
قلت فما الاولى ان يصرف اليه اكثر الاوقات من هذه الاوراد فاعلم ان قراءة القرآن في الصلاة قائما مع
التدبر يجمع الجميع ولكن ربما تعسر المواظبة عليه فالافضل يختلف باختلاف حال الشخص ومقصود
الاوراد تزكية القلب وتطهيره وتحليته بذكر الله وايناسه به فلينظر المريد الى قلبه فما يراه اشد تاثيرا
فيه فليواظب عليه فاذا احس بملالة منه فلينتقل الى غيره ولذلك نرى الاصوب لاكثر الخلق توزيع هذه
الخيرات المختلفة على الاوقات كما سبق والانتقال فيها من نوع الى نوع لان الملال هو الغالب على الطبع
واحوال الشخص الواحد ايضا في ذلك تختلف ولكن اذا فهم فقه الاوراد وسرها فليتبع المعنى فان سمع
تسبيحة مثلا واحس لها بوقع في قلبه فليواظب على تكرارها ما دام يجد لها وقعا **وقد روي**
عن ابرهيم بن ادهم عن بعض الابدال انه قام ذات ليلة يصلي على شاطئ البحر فسمع صوتا عاليا بالتسبيح ولم ير
احدا فقال من انت اسمع صوتك ولا ارى شخصك فقال انا ملك من الملائكة موكل بهذا البحر اسبح
الله بهذا التسبيح منذ خلقت فقلت ما اسمك قال مهلهيائيل قلت فما ثواب من قاله قال من قاله مائة
مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة او يرى له والتسبيح هو قوله سبحان الله العلي الديان سبحان الله الشديد
الاركان سبحان الله من يذهب بالليل ويأتي بالنهار سبحان من لا يشغله شان عن شان سبحان الله
الحنان المنان سبحان الله المسبح في كل مكان فهذا وامثاله اذا سمعه المريد ووجد في قلبه وقعا فليلازمه
وما وجد القلب عنده وقع له فيه خير فليواظب عليه **الثاني** العالم الذي ينتفع الناس بعلمه في فتوى
او تدريس او تصنيف فترتيبه للاوراد يخالف ترتيب العابد فانه يحتاج الى المطالعة للكتب والى
التصنيف والافادة ويحتاج الى مدة لها لا محالة فان امكنه استغراق الاوقات فيه فهو افضل ما يشتغل
به بعد المكتوبات ورواتبها ويدل على ذلك جميع ما ذكرناه في فضيلة التعليم والتعلم في كتاب العلم
وكيف لا يكون كذلك وفي العلم المواظبة على ذكر الله وتامل ما قال الله سبحانه وتعالى وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم وفيه منفعة الخلق وهدايتهم الى طريق الاخرة ورب مسالة واحدة يتعلمها المتعلم
فيصلح بها عبادة عمره ولو لم يتعلمها لكان سعيه ضائعا وانما نعني بالعلم المقدم على العبادة العلم
الذي يرغب الناس في الاخرة ويزهدهم في الدنيا او العلم الذي يعينهم على سلوك طريق الاخرة اذا تعلم
على قصد الاستعانة به على السلوك دون العلوم التي يزيد بها الرغبة في المال والجاه وقبول
الخلق والاولى بالعالم ان يقسم اوقاته ايضا فان استغراق الاوقات في ترتيب العلم لا يحتمله الطبع
فينبغي ان يخصص ما بعد الصبح الى طلوع الشمس بالاذكار والاوراد كما ذكرناه في الورد الاول وبعد
الطلوع الى الضحوة في الافادة والتعليم ان كان عنده من يستفيد علما لاجل الاخرة وان لم يكن فيصرفه
الى الفكر ويتفكر فيما يشكل عليه من علوم الدين فان صفاء القلب بعد الفراغ من الذكر وقبل الاشتغال
بهموم الدنيا يعين على التفطن في المشكلات ومن ضحوة النهار الى العصر للتصنيف والمطالعة لا
يتركهما الا في وقت اكل وطهارة ومكتوبة وقيلولة خفيفة ان طال النهار ومن العصر الى الاصفرار يشتغل
بسماع ما يقرأ بين يديه من تفسير او حديث او علم نافع ومن الاصفرار الى الغروب يشتغل بالاستغفار
والتسبيح فيكون ورده الاول قبل طلوع الشمس في عمل اللسان **وورده الثاني** في عمل القلب بالفكر
الى الضحوة وورده الثالث الى العصر في عمل العين واليد بالمطالعة والكتابة وورده الرابع بعد العصر

في غلل الشمع ليروح فيه العين واليد فالمطالعة والكتابة بعد العصر ربما اضرت بالعين وعند الاصفرار
يعود الى ذكر اللسان فلا يخلو جزء من النهار من عمل له بالجوارح مع حضور القلب في الجميع واما
الليل فاحسن قسمة فيه قسمة الشافعي رحمه الله اذ كان يقسم الليل ثلاثة اجزاء ثلث للمطالعة
وترتيب العلم وهو الاول وثلثا للصلاة وهو الوسط وثلث للنوم وهو الاخير وهذا يتيسر في ليالي
الشتا فاما الصيف فربما لا يحتمل ذلك الا اذا اكثر النوم بالنهار فهذا ما نستحبه من ترتيب اوراد
العالم **الثالث** المتعلم والاشتغال بالتعلم افضل من الاشتغال بالاذكار والنوافل فحكمه
حكم العالم في ترتيب الاوراد لكن يشتغل بالاستفادة والتعليق والنسخ حيث يشتغل العالم
بالافادة والتصنيف ويرتب اوقاته كما ذكرنا فكلما ذكرناه في فضيلة التعلم والعلم من كتاب العلم يدل على
ان ذلك افضل بل ان لم يكن متعلما على معنى انه يعلق ويحصل ليصير عالما بل كان من العوام
فحضوره مجالس الذكر والعلم والوعظ افضل من اشتغاله بالاوراد التي ذكرناها بعد الصبح
وبعد الطلوع وفي ساير الاوقات ففي حديث ابي ذر ان حضور مجلس علم افضل من صلاة الف ركعة
وشهود الف جنازة وعيادة الف مريض وقال صلى الله عليه وسلم اذا رايتم رياض الجنة فارتعوا فيها
فقيل يا رسول الله وما رياض الجنة فقال حلق الذكر **وقال** كعب الاحبار لو ان ثواب مجالس
العلما بدا للناس لاقتتلوا عليه حتى يترك كل ذي امارة امارته وكل ذي سوق سوقه وقال عمر بن
الخطاب رضي الله عنه ان الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة فاذا سمع العالم
خاف واسترجع عن ذنوبه انصرف الى منزله وليس عليه ذنب فلا تفارقوا مجالس العلما فان الله عز
وجل لم يخلق على وجه الارض تربة اكرم من مجالس العلما وقال رجل للحسن اشكو اليك قساوة في قلبي
فقال ادنه من مجالس الذكر وراى عمار الزاهد مسكينة الطفاوية في المنام وكانت من المواظبات
على حلق الذكر فقال مرحبا يا مسكينة فقالت هيهات هيهات ذهبت المسكنة وجاء الغنى فقال
هيه فقالت ما تسل عمن ابيح لها الجنة بحذافيرها قال وبم ذلك قالت بمجالسة اهل الذكر وعلى الجملة
فما يحل عن القلب عقدة من عقد حب الدنيا بقول واعظ حسن الكلام زكي السيرة اشرف من ركعات
كثيرة مع اشتمال القلب على حب الدنيا **الرابع** المحترف الذي يحتاج الى الكسب لعياله فليس له
ان يضيع العيال ويستغرق الاوقات في العبادات بل ورده في وقت الصناعة حضور السوق و
الاشتغال بالكسب ولكن ينبغي ان لا ينسى الله في صناعته بل يواظب على التسبيحات والاذكار وقراءة
القران فان ذلك يمكن ان يجمع الى العمل وانما الذي لا يجتمع مع العمل الصلاة الا ان يكون ناطورا فانه
لا يعجز عن اقامة اوراد الصلاة مع ذلك ثم مهما فرغ عن كفايته ينبغي ان يعود الى ترتيب الاوراد
وان داوم على الكسب فتصدق بما فضل عن حاجته فهو افضل من ساير الاوراد التي ذكرناها لان
العبادة المتعدية فايدتها انفع من اللازمة والصدقة والكسب على هذه النية عبادة له في
نفسه يقربه الى الله ثم يحصل به فايدة للغير ويجذب اليه بركة دعوات المسلمين فيتضاعف به الاجر
الخامس الوالي مثل الامام والقاضي او المتولي لينظر في امور المسلمين فقيامه بحاجات المسلمين
واغراضهم وفق الشرع وقصد الاخلاص افضل من الاوراد المذكورة بالليل فحقه ان يشتغل بحقوق
الناس نهارا ويقتصر على المكتوبة والرواتب ويقيم الاوراد المذكورة بالليل كما كان عمر رضي الله عنه يفعله
اذ قال ما لي وللنوم لو نمت بالنهار لضيعت امور المسلمين ولو نمت بالليل لضيعت نفسي وقد فهمت

ما ذكرناه انه يقدم على العبادات البدنية امران احدهما العلم والاخر الرفق بالمسلمين لان كل واحد
من العلم وفعل المعروف عمل في نفسه وعبادة تفضل ساير العبادات بتعدي فايدتهما وانتشار
جدواهما فكانا مقدمين **السادس** الموحد المستغرق بالواحد الصمد الذي اصبح وهمه
واحد فلا يحب الا الله ولا يخاف الا منه ولا يتوقع الرزق من غيره ولا ينظر في شي الا ويرى الله
فيه فمن ارتفعت رتبته الى هذه الدرجة لم يفتقر الى تنويع الاوراد واختلافها بل كان ورده
بعد المكتوبات وردا واحدا وهو حضور القلب مع الله في كل حال فلا يخطر بقلبه امر ولا يقرع
سمعه قارع ولا يلوح لبصره شي الا ويرى الله عز وجل فيه وكان له عبرة وفكرة ومزيد ولا محرك
له ولا مسكن الا الله تعالى فهذا جميع احواله تصلح ان تكون سببا لازدياده فلا يتميز عنده عبادة
من عبادة وهو الذي فر الى الله عز وجل كما قال تعالى لعلكم تذكرون ففروا الى الله وتحقق له قوله
تعالى واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته واليه
الاشارة بقوله اني ذاهب الى ربي سيهدين وهذه منتهى درجات الصديقين ولا وصول
اليها الا بعد ترتيب الاوراد والمواظبة عليها دهرا طويلا فلا ينبغي ان يغتر المريد بما
يسمعه من ذلك فيدعيه لنفسه ويفتر عن وظايف العبادات فذلك علامته ان لا يختلج في
قلبه وسواس ولا يخطر بقلبه معصية ولا تزعجه هواجم الاهوال ولا تستفزه عظايم الاشتغال
واني يرزق هذه الرتبة كل احد فيتعين على الكافة ترتيب الاوراد كما ذكرنا وجميع ما ذكرناه طرق
الى الله تعالى قال الله تعالى قل كل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا فكلهم مهتدون
وبعضهم اهدى **وفي الخبر** الايمان ثلثمائة وثلاثون وثلثمائة طريقة من لقي الله تعالى بالشهادة
على طريقة منها دخل الجنة وقال بعض العلماء الايمان ثلثمائة وثلاثة عشر خلقا بعدد الرسل فكل
مؤمن هو على خلق منها فهو سالك الطريق الى الله فاذا الناس وان اختلفت طرقهم في العبادة فكلهم
على الصراط اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب وانما يتفاوتون في درجات
القرب لا في اصله واقربهم الى الله اعرفهم به ولا بد وان يكون اعبدهم له فمن عرفه لم يعبد
غيره **والاصل** في الاوراد في حق كل صنف من الناس المداومة فان المراد منها تغيير صفات
الباطن واحاد الاعمال يقل اثرها بل لا يحس بتاثيرها وانما يترتب الاثر على المجموع فاذا لم يعقب العمل الواحد
اثرا محسوسا ولم يردف بثان وثالث على القرب انمحى الاثر الاول وكان كالفقيه الذي يريد ان يكون
فقيه النفس فانه لا يصير فقيه النفس الا بتكرار كثير فلو بالغ ليلة في التكرار وترك شهرا او اسبوعا
ثم عاد وبالغ ليلة لم يوثر هذا فيه ولو وزع ذلك القدر على الليالي المتواصلة لاثر فيه ولهذا
السر **قال** رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الاعمال الى الله تعالى ادومها وان قل وسئلت
عايشة رضي الله عنها عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان عمله ديمة وكان اذا عمل عملا
اثبته ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من عوده الله عبادة فتركها ملالة مقته الله وهذا كان السبب
في صلاته بعد العصر تداركا لما فاته من ركعتين شغله عنهما الوفد ثم لم يزل بعد ذلك يصليهما
بعد العصر ولكن في منزله كي لا يقتدي به روت ذلك عايشة رضي الله عنها وام سلمة رضي الله عنها
فان قلت فهل لغيره ان يقتدي به في ذلك مع ان الوقت وقت كراهية فاعلم ان المعاني الثلثة
التي ذكرناها في الكراهة من الاحتراز عن التشبه بعبدة الشمس او السجود وقت طلوع قرن الشيطان

اولا ساعة عن العبادة حذرا من الملال لا يحقق في حقه فلا يقابل عليه في ذلك دعيرة وشهد لذلك
ضله لساني عن المسجد حتى لا يستدعيه **الباب الثالث** في الاسباب الميسرة لقيام الليل وفي الليالي
التي يستحب احياؤها وفي فضيلة احيا الليل وما بين العشائين وكيفية قسمة الليل وفضيلة احيا ما بين
العشائين وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما روته عائشة رضي الله عنها ان افضل الصلوات عند
الله صلاة المغرب لم يحطها عن مسافر ولا مقيم فتح بها صلاة الليل وختم بها صلاة النهار فمن صلى
المغرب وصلى بعدها ركعتين بنى الله له قصرين في الجنة قال الراوي لا ادري من ذهب قال او فضة
ومن صلى بعدها اربع ركعات غفر الله له ذنب عشرين سنة او قال اربعين سنة وروت ام سلمة
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى ست ركعات بعد المغرب عدلت
له عبادة سنة او كانه صلى ليلة القدر وعن سعيد بن جبير عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من عكف نفسه ما بين المغرب والعشا في مسجد جماعة لم يتكلم الا بصلاة او قران كان
حقا على الله ان يبني له قصرين في الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويغرس له بينهما غراسا لو طافه
اهل الدنيا لوسعهم وقال صلى الله عليه وسلم من ركع عشر ركعات ما بين المغرب والعشا بنى له
قصر في الجنة فقال عمر رضي الله عنه اذن تكثر قصورنا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الله اكبر وافضل او قال اطيب وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من صلى المغرب في جماعة ثم صلى بعدها ركعتين ولا يتكلم بشيء فيما بين ذلك من امر الدنيا ويقرا في الركعة
الاولى بفاتحة الكتاب وعشر ايات من اول البقرة وايتين من وسطها والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن
الرحيم ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل الاية وقل هو الله احد خمس عشرة مرة ثم يركع ويسجد فاذا قام
في الركعة الثانية قرا فاتحة الكتاب واية الكرسي وايتين بعدها الى قوله اولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون وثلاث ايات من اخر البقرة من قوله لله ما في السموات الى اخرها وقل هو الله احد خمس عشرة مرة
ووصف من ثوابه في الحديث ما يخرج عن الحصر وقال كرز بن وبرة وهو من الابدال قلت للخضر علمني
شيئا اعمله في كل ليلة فقال اذا صليت المغرب فقم الى وقت صلاة العشا مصليا من غير ان تكلم احدا
واقبل على صلاتك التي انت فيها وسلم في كل ركعتين واقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله
احد ثلاثا فاذا فرغت من صلاتك انصرفت الى منزلك ولا تكلم احدا وصل ركعتين واقرا فاتحة الكتاب
وقل هو الله احد سبع مرات في كل ركعة ثم اسجد بعد تسليمك واستغفر الله سبع مرات وقل
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم سبع مرات ثم
ارفع راسك من السجود واستو جالسا وارفع يديك وقل يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام يا اله الاولين
والاخرين يا رحمن الدنيا والاخرة ورحيمهما يا رب يا رب يا رب يا الله يا الله يا الله ثم قم وانت رافع يديك
داعيا بهذا الدعاء ثم نم حيث شئت مستقبل القبلة على يمينك وصل على النبي صلى الله عليه وسلم وادم
الصلاة عليه حتى يذهب بك النوم فقلت له احب ان تعلمني ممن سمعت هذا فقال اني حضرت محمدا صلى
الله عليه وسلم حيث علم هذا الدعاء واوحي اليه به وكنت عنده وكان ذلك بمحضر مني فتعلمته ممن علمه
اياه وقيل ان هذا بعد هذه الصلاة من داوم عليها بحسن يقين وصدق نية راى رسول الله صلى الله
عليه وسلم في منامه قبل ان يخرج من الدنيا وقد فعل ذلك بعض الناس فراى انه ادخل الجنة وراى
فيها الانبيا وراى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه وعلمه وعلى الجملة فما ورد في فضل احيا ما بين

العشائين كثير حتى قيل لعبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يامر بصلاة غير المكتوبة قال ما بين المغرب والعشا وقال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى ما
بين المغرب والعشا فذلك صلاة الاوابين وقال الاسود ما اتيت ابن مسعود في هذا الوقت
الا ورايته يصلي فسالته فقال نعم هي ساعة الغفلة وكان انس يواظب عليها ويقول هي ناشئة
الليل ويقول فيها نزل قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع وقال احمد بن ابي الحواري قلت لابي
سليمان الداراني اصوم النهار واتعشى ما بين المغرب والعشا احب اليك او افطر بالنهار
واحيي ما بينهما فقال اجمع ما بينهما فقلت ان لم يتيسر فقال افطر وصل ما بينهما **فضيلة**
قيام الليل اما من الايات فقوله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه
وطائفة الاية وقوله ان ناشئة الليل هي اشد وطا وقوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع وقوله امن هو
قانت اناء الليل الاية والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقوله واستعينوا بالصبر والصلوة قيل
هي قيام الليل يستعان بالصبر عليه على مجاهدة النفس واما من الاخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم
يعقد الشيطان على قافية راس احدكم اذا هو نام ثلث عقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فان
استيقظ وذكر الله عز وجل انحلت عقدة وان توضا انحلت عقدة فان صلى انحلت عقده فاصبح نشيطا
طيب النفس والا اصبح خبيث النفس كسلان وقال صلى الله عليه وسلم ركعتان يركعهما العبد
في جوف الليل الاخر خير له من الدنيا وما فيها ولولا ان اشق على امتي لفرضتهما عليهم وفي خبر انه ذكر عنده رجل
نام كل الليل حتى اصبح فقال ذاك بال الشيطان في اذنه وفي الخبر ان للشيطان سعوطا ولعوقا وذرورا
فاذا اسعط العبد ساء خلقه واذا العقه ذرب لسانه بالشر واذا ذره نام الليل كله حتى يصبح وفي الصحيح
عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسال الله خيرا من الدنيا و
الاخرة الا اعطاه اياه وفي رواية يسال الله تعالى خيرا من امر الدنيا والاخرة وذلك كل ليلة وقال المغيرة بن شعبة
قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تفطرت قدماه فقيل له يا رسول الله قد غفر الله لك ما تقدم من
ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا ويظهر من معناه ان ذلك كناية عن طلب زيادة الرتبة فان الشكر
سبب المزيد قال الله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم وقال صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة اتريد ان تكون رحمة الله
عليك حيا وميتا ومقبورا ومبعوثا قم من الليل فصل وانت تريد رضا ربك يا ابا هريرة صل في زوايا بيتك
يكن نور بيتك في السما كنور الكواكب والنجوم في السما عند اهل الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم عليكم
بقيام الليل فانه داب الصالحين قبلكم وان قيام الليل قربة الى الله عز وجل وتكفير للذنوب ومطردة للداء عن
الجسد ومنهاة عن الاثم وقال صلى الله عليه وسلم ما من امرئ يكون له صلاة بالليل يغلبه عليها النوم الا كتب
له اجر صلاته وكان نومه صدقة عليه وقال صلى الله عليه وسلم لابي ذر لو اردت سفرا اعددت له عدة فكيف
سفر طريق القيامة الا انبئك يا ابا ذر بما ينفعك ذلك اليوم قال بلى بابي وامي قال صم يوما شديد الحر ليوم
النشور وصل ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور وحج حجة لعظائم الامور وتصدق بصدقة على
مسكين او كلمة حق تقولها او كلمة شر تسكت عنها وروي انه كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
رجل اذا اخذ الناس مضاجعهم وهدات العيون قام يصلي ويقرا القران ويقول يا رب النار اجرني منها
فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال اذا كان ذلك فاذنوني فاتاه فاستمع فلما اصبح قال يا فلان
هلا سالت الجنة قال يا رسول الله لست هناك ولا يبلغ عملي ذلك فلم يلبث الا يسيرا حتى نزل جبريل عليه

السلام وقال الاحنف فلانا ان الله قد اجاره من النار وادخله الجنة ويروى ان جبريل عليه السلام قال للنبي
صلى الله عليه وسلم نعم الرجل بن عمر لو كان يصلي بالليل فاخبره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وكان يداوم
بعده على قيام الليل قال نافع كان يصلي بالليل ثم يقول يا نافع اسحرنا فاقول لا فيعاود لصلاته ثم يقول
يا نافع اسحرنا فاقول نعم فيقعد ويستغفر الله حتى يطلع الفجر وقال علي بن ابي طالب شبع يحيى بن زكريا
عليهما السلام من خبز شعير فنام عن ورده حتى اصبح فاوحى الله اليه يا يحيى او وجدت دارا خيرا من
داري ام وجدت لك جارا خيرا من جواري فوعزتي يا يحيى لو اطلعت على الفردوس اطلاعة لذاب جسمك
ولزهقت نفسك اشتياقا ولو اطلعت الى جهنم اطلاعة لذاب شحمك ولبكيت الصديد بعد الدموع
ولبست الحديد بعد المسوح وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يصلي بالليل فاذا اصبح سرق فقال
صلى الله عليه وسلم سينهاه ما يقول وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم ايقظ امرأته
فصلت فان ابت نضح في وجهها الماء رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت ثم ايقظت زوجها فان
ابى نضحت في وجهه الماء وقال عليه السلام من استيقظ من الليل وايقظ امرأته وصليا ركعتين كانا من الذاكرين
الله كثيرا والذاكرات وقال عليه السلام افضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل **وقال** عمر قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من نام عن حزبه او عن شيء منه بالليل فقراه بين صلاة الفجر والظهر كتب له كانما
قراه من الليل الاثار يروى ان عمر رضي الله عنه كان يمر بالاية في ورده بالليل فيسقط حتى يعاد منها اياما
كثيرة كما يعاد المريض وكان بن مسعود اذا هدات العيون قام فيسمع له دوي كدوي النحل حتى يصبح
ويقال ان سفيان الثوري شبع ليلة فقال ان الحمار اذا زيد في علفه زيد في عمله فقام تلك الليلة
حتى اصبح وكان طاوس اذا اضطجع على فراشه يتقلى عليه كما تتقلى الحبة في المقلى ثم يثب ويصلي الى الصباح ثم يقول
طير ذكر جهنم نوم العابدين وقال الحسن ما نعلم عملا اشد من مكابدة الليل ونفقة هذا المال وقيل له ما بال
المتهجدين احسن الناس وجوها فقال لانهم خلوا بالرحمن فالبسهم نورا من نوره وقدم بعض الصالحين من سفره فمهد
له فراش فنام عليه حتى فاته ورده فحلف ان لا ينام بعدها على فراش ابدا **وكان عبد العزيز** بن ابي رواد
اذا جن عليه الليل ياتي فراشه فيمر يده عليه ويقول انك للين ووالله لفي الجنة الين منك ولا يصلي الليل كله فاذا
كان في السحر وقال الفضيل اني لاستقبل الليل كله من اوله فيهولني طوله فافتتح القران فاصبح وما قضيت نهمتي
وقال الحسن ان الرجل ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل وقال الفضيل اذا لم تقدر على قيام الليل وصيام
النهار فاعلم انك محروم وقد كثرت خطيئتك وكان صلة بن اشيم يصلي الليل كله فاذا كان في السحر قال الهي
ليس مثلي يطلب الجنة ولكن اجرني من النار وقال رجل لبعض الحكماء اني لاضعف عن قيام الليل فقال له يا اخي
لا تعص الله بالنهار ولا تقم بالليل وكان للحسن بن صالح جارية فباعها من قوم فلما كان في جوف الليل قامت
الجارية فقالت يا اهل الدار الصلاة الصلاة فقالوا اصبحنا اطلع الفجر فقالت وما تصلون الا المكتوبة
قالوا لا فرجعت الى الحسن فقالت يا مولاي بعتني من قوم لا يصلون بالليل ردني فردها **وقال** الربيع بت
في منزل الشافعي رحمه الله ليالي كثيرة فلم يكن ينام من الليل الا يسيرا وقال ابو الجويرية لقد صحبت ابا حنيفة ستة
اشهر فما فيها ليلة وضع جنبه وكان ابو حنيفة يحيي نصف الليل فمر بقوم فقالوا ان هذا يحيي الليل كله
فقال اني استحيي ان اوصف بما لا افعل فكان بعد ذلك يحيي الليل كله ويروى انه كان ما له فراش بالليل ويقال ان مالك بن دينار كان يردد هذه الاية ليلته
حتى اصبح ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات الاية وقال المغيرة
بن حبيب رمقت مالك بن دينار فتوضأ بعد العشاء ثم قام الى مصلاه فقبض على لحيته فخنقته العبرة فجعل

يقول اللهم حرم شيبة مالك على النار الهي قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار فاي الرجلين مالك واي الدارين
دار مالك فلم يزل ذلك قوله حتى طلع الفجر وقال مالك بن دينار سهوت ليلة عن وردي ونمت فاذا انا في المنام
بجارية كاحسن ما يكون وفي يدها رقعة فقالت لي اتحسن ان تقرا فقلت نعم فدفعت الي الرقعة فاذا فيها شعر
الهتك اللذائذ والاماني عن البيض الاوانس في الجنان تعيش مخلدا لا موت فيها وتلهو في الجنان مع الحسان
تنبه من منامك ان خيرا من النوم التهجد بالقران وقيل حج مسروق فما بات ليلة الا ساجدا ويروى عن ازهر
بن مغيث وكان من القوامين انه قال رايت في المنام امراة لا تشبه نساء اهل الدنيا فقلت لها من انت فقالت
حوراء فقلت زوجيني نفسك فقالت اخطبني الى سيدي وامهرني فقلت وما مهرك فقالت طول التهجد
وقال يوسف بن مهران بلغني ان تحت العرش ملكا في صورة ديك براثنه من لؤلؤ وصيصته من زبرجد
اخضر فاذا مضى ثلث الليل الاول ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم القائمون فاذا مضى نصف الليل ضرب
بجناحيه وزقا وقال ليقم المتهجدون فاذا مضى ثلثا الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم المصلون فاذا
طلع الصبح ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم الغافلون وعليهم اوزارهم ويقال ان وهب بن منبه اليماني
ما وضع جنبه الى الارض ثلاثين سنة وكان يقول لان ارى في بيتي شيطانا احب الي من ان ارى وسادة
لانها تدعو الى النوم وكانت له مسورة من ادم اذا غلبه النوم وضع صدره عليها وخفق خفقات ثم
يفزع الى القيام وقال بعضهم رايت رب العزة تعالى جلاله في النوم فسمعته يقول وعزتي وجلالي لاكرمن
مثوى سليمان التيمي فانه صلى لي الغداة بوضوء العشاء الاخرة اربعين سنة ويقال كان مذهبه ان
النوم اذا خامر القلب يبطل الوضوء ويروى عن الله تعالى انه قال ان عبدي الذي هو عبدي حقا الذي
لا ينتظر بقيامه صياح الديك **بيان الاسباب التي بها تيسر قيام الليل** اعلم ان قيام الليل عسير
على الخلق الا على من وفق للقيام بشروطه الميسرة له ظاهرا وباطنا فاما الظاهر فاربعة امور **فالاول**
ان لا يكثر الاكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم فيثقل عليه القيام كان بعض الشيوخ يقف على المائدة كل
ليلة ويقول معاشر المريدين لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتتحسروا عند الموت كثيرا وهذا
هو الاصل الكبير وهو تخفيف المعدة عن ثقل الطعام **الثاني** ان لا يتعب نفسه بالنهار في الاعمال التي
تتعب بها الجوارح وتضعف بها الاعصاب فان ذلك مجلبة للنوم **الثالث** ان لا يترك القيلولة بالنهار فانها
سنة للاستعانة على قيام الليل **الرابع** ان يجتنب الاوزار بالنهار فان ذلك مما يقسي القلب ويحول
بينه وبين اسباب الرحمة قال رجل للحسن يا ابا سعيد اني ابيت معافى واحب قيام الليل واعد
طهوري فما بالي لا اقوم فقال ذنوبك قيدتك وكان الحسن اذا دخل السوق فسمع لغطهم ولغوهم يقول
اظن ليل هؤلاء ليل سوء فانهم لا يقيلون **وقال** الثوري حرمت قيام الليل خمسة اشهر بذنب اذنبته
قيل وما ذلك الذنب قال رايت رجلا يبكي فقلت في نفسي هذا مراء وقال بعضهم دخلت على كرز بن وبرة وهو
يبكي فقلت له اتاك نعي بعض اهلك فقال اشد فقلت وجع يؤلمك فقال اشد فقلت فما ذلك فقال
بابي مغلق وستري مسبل ولم اقرا حزبي البارحة وما ذاك الا بذنب احدثته وهذا لان الخير يدعو الى الخير
والشر يدعو الى الشر والقليل من كل واحد منهما يجر الى الكثير ولذلك قال ابو سليمان الداراني رحمه
الله لا يفوت احدا صلاة جماعة الا بذنب وكان يقول الاحتلام بالليل عقوبة والجنابة البعد وقال
بعض العلماء اذا صمت يا مسكين فانظر عند من تفطر وعلى اي شيء تفطر فان العبد ليأكل الاكلة فينقلب
قلبه عما كان عليه ولا يعود الى حالته الاولى فالذنوب كلها تورث قساوة القلب وتمنع من قيام الليل واخصها

بالتابين تناول الحلال فللقمة الحلال تأثير في تصفية القلب وتحريكه الى الخير ما لا يؤثر غيرها ويعرف ذلك
اهل المراقبة للقلوب بالتجربة بعد شهادة الشرع له ولذلك قال بعضهم كم من اكلة منعت قيام ليل
وكم من نظرة منعت قراءة سورة وان العبد ليأكل اكلة او يفعل فعلة فيحرم بها قيام سنة وكما ان الصلاة
تنهى عن الفحشاء والمنكر فكذا الفحشاء تنهى عن الصلاة وسائر الخيرات وقال بعض السجانين
بقيت سجانا نيفا وثلاثين سنة اسأل عن كل ماخوذ بالليل انه هل صلى العشاء في جماعة فكانوا يقولون
لا وهذا تنبيه على ان بركة الجماعة تنهى عن تعاطي الفحشاء والمنكر واما الميسرات الباطنة فاربعة الاول
سلامة القلب عن الحقد على المسلمين ومن البدع وعن فضول هموم الدنيا فالمستغرق الهم بتدبير
الدنيا لا يتيسر له القيام وان قام فلا يتفكر في صلاته الا في مهماته ولا يجول الا في وساوسه وفي مثل ذلك
يقول وانت اذا استيقظت فنايم **الثاني** خوف غالب يلزم القلب مع قصر الامل فانه اذا تفكر في
اهوال الاخرة ودركات جهنم طار نومه وعظم حذره كما قال طاوس ان ذكر جهنم طير نوم العابدين وكما
حكي ان غلاما بالبصرة اسمه صهيب كان يقوم الليل كله فقالت له سيدته ان قيامك بالليل يضر بعملك
بالنهار فقال ان صهيبا اذا ذكر النار لا ينام وقيل لغلام آخر وهو يقوم كل الليل مثل ذلك فقال اذا ذكرت
النار اشتد خوفي واذا ذكرت الجنة اشتد شوقي فما اقدر ان انام ولذي النون المصري في ذلك منع
القرآن بوعده ووعيده مقل العيون بليلها ان تهجعا فهموا عن الملك الجليل كلامه فرقابهم ذلت
اليه تخضعا وانشدوا يا طويل الرقاد والغفلات كثرة النوم تورث الحسرات ان في القبر ان نزلت
اليه لرقادا يطول بعد الممات ومهادا ممهدا لك فيه بذنوب عملت او حسنات امنت البيات
من ملك الموت وكم نال آمنا بيات وقال ابن المبارك رحمة الله عليه اذا ما الليل اظلم كابدوه فيسفر
عنهم وهم ركوع اطار الخوف نومهم فقاموا واهل الامن في الدنيا هجوع **الثالث** ان يعرف فضل
قيام الليل بسماع هذه الآيات والآثار والاخبار التي رويناها حتى يستحكم بذلك شوقه ورجاؤه الى
ثوابه فيهيجه الشوق الى طلب المزيد والرغبة في درجات الجنان كما حكي ان بعض الصالحين رجع
من غزاته فلما كان الليل مهدت امرأته فراشا وجلست تنتظره فدخل المسجد فلم يزل يصلي
حتى اصبح فلما اصبح قالت له زوجته لم يكن لنا فيك حظ فقال والله ما ذكرتك ولقد كنت اتفكر في
حوراء من حور الجنة طول الليل فنسيت الزوجة والمنزل فسهرت طول الليل شوقا اليها **الرابع** وهو اشرف
البواعث الحب لله عز وجل وقوة الايمان فانه في قيامه لا يتكلم بحرف الا وهو مناج ربه عز وجل وهو مطلع
عليه مع مشاهدة ما يخطر بقلبه وان تلك الخطرات خطاب من الله تعالى معه فاذا احب الله عز وجل
احب لا محالة الخلوة به وتلذذ بالمناجاة فتحمله لذة المناجاة بالحبيب على طول القيام ولا ينبغي ان
يستبعد هذه اللذة اذ يشهد لذلك النقل والعقل فليعتبر حال المحب لشخص بسبب جماله او لملك
بسبب انعامه وامواله انه كيف يتلذذ بالخلوة به ومناجاته حتى لا ياتيه النوم طول ليله فان قلت ان الجميل
يتلذذ بالنظر اليه وان الله سبحانه لا يرى فاعلم انه لو كان الجميل المحبوب وراء ستر او في بيت مظلم لكان المحب
يتلذذ بمجاورته المجردة دون النظر ودون الطمع في امر آخر سوى ذلك وكان يتنعم باظهار حبه اليه وذكره
بلسانه بمسمع منه وان كان ذلك ايضا معلوما عنده **فان قلت** انه ينتظر جوابه فيتلذذ بسماع جوابه
وليس يسمع كلام الله عز وجل فاعلم انه وان كان يعلم انه لا يجيبه ويسكت عنه فله لذة باقية في
عرض احواله عليه ورفع سريرته اليه كيف والموقن يسمع من الله كل ما يرد على خاطره في اثناء مناجاته فيتلذذ به

وكذا الذي يخلو بالملك ويعرض عليه حاجاته في جنح الليل يتلذذ به في رجاء انعامه والرجاء في حق الله اصدق
وما عند الله ابقى وانفع مما عند غيره فكيف لا يتلذذ بعرض الحاجات عليه في الخلوات واما النقل فيشهد
له احوال قوام الليل في تلذذهم بقيام الليل واستقصارهم له كما يستقصر المحب ليلة وصال الحبيب حتى
قيل لبعضهم كيف انت والليل قال ما راعيته قط يريني وجهه ثم ينصرف وما تاملته بعد وقال الآخر
انا والليل فرسا رهان مرة يسبقني الى الفجر ومرة يقطعني عن الفكر وقيل لبعضهم كيف الليل عليك
قال ساعة انا بين حالتين افرح فيها بظلمته اذا جاء واغتم بفجره اذا طلع ما تم فرحي به قط وقال علي بن بكار
منذ اربعين سنة ما احزنني شيء سوى طلوع الفجر وقال الفضيل بن عياض اذا غربت الشمس فرحت
بالظلام لخلوتي بربي واذا طلعت حزنت لدخول الناس علي وقال ابو سليمان اهل الليل في ليلهم الذ من
اهل اللهو في لهوهم ولولا الليل ما احببت البقاء في الدنيا وقال ايضا لو عوض الله اهل الليل من ثواب
اعمالهم وقال بعض العلماء ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم اهل الجنة الا ما يجده اهل التملق
في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة وقال بعضهم لذة المناجاة ليست من الدنيا انما هي من الجنة
اظهرها الله سبحانه وتعالى لاوليائه لا يجدها سواهم وقال ابن المنكدر ما بقي من لذات الدنيا الا
ثلاث قيام الليل ولقاء الاخوان والصلاة في جماعة وقال بعض العارفين ان الله ينظر بالاسحار الى قلوب
المتيقظين فيملأها انوارا فترد الفوائد على قلوبهم فتستنير ثم تنتشر من قلوبهم العوافي الى قلوب
الغافلين وقال بعض العلماء من القدماء ان الله تعالى اوحى الى بعض الصديقين ان لي عبادا من عبادي
يحبوني واحبهم ويشتاقون الي واشتاق اليهم ويذكروني واذكرهم وينظرون الي وانظر اليهم فان
حذوت طريقهم احببتك وان عدلت عنهم مقتك قال يا رب وما علامتهم قال يراعون الظلال
بالنهار كما يراعي الراعي غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما يحن الطير الى اوكارها فاذا جنهم الليل
واختلط الظلام وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الي اقدامهم وافترشوا الي وجوههم وناجوني بكلامي
وتملقوا الي بانعامي فمن بين صارخ وباك وبين متأوه وشاك بعيني ما يتحملون من اجلي وبسمعي ما يشتكون
من حبي اول ما اعطيهم اقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر عنهم **والثانية** لو كانت
السموات السبع والارضون وما فيهما في موازينهم لاستقللتها لهم **والثالثة** اقبل بوجهي عليهم افترى
من اقبلت بوجهي عليه يعلم احد ما اريد ان اعطيه وقال مالك بن دينار اذا قام العبد يتهجد من
الليل قرب منه الجبار وكانوا يرون ما يجدون في قلوبهم من الرقة والحلاوة والانوار من قرب الرب من
القلب وهذا له سر وتحقيق سياتي الاشارة اليه في كتاب المحبة وفي الاخبار عن الله سبحانه اي عبدي انا الله
الذي اقتربت لقلبك وبالغيب رايت نوري وشكا بعض المريدين الى استاده طول سهر الليل وطلب حيلة
يجلب بها النوم فقال استاده يا بني ان لله نفحات في الليل والنهار تصيب القلوب المتيقظة وتخطئ
القلوب النائمة فقال يا استاده تحقق لا انام بالليل ولا بالنهار واعلم ان هذه النفحات بالليل ارجى في
قيام الليل من صفاء القلب واندفاع الشواغل **وفي الخبر** الصحيح عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال ان من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله خيرا الا اعطاه اياه وفي رواية اخرى يسأل الله
عز وجل خيرا من امر الدنيا والاخرة الا اعطاه وذلك كل ليلة ومطلب القائمين تلك الساعة وهي مبهمة
في جميع الليل كليلة القدر في رمضان وكساعة يوم الجمعة وهي ساعة النفحات المذكورة **بيان طرق
القسمة لاجزاء الليل** اعلم ان احياء الليل من حيث المقدار له سبع مراتب **المرتبة الاولى** احياء كل الليل وهذه

شأن الاقوياء الذين تجردوا لعبادة الله وتلذذوا بمناجاته وصار ذلك غذاءً لهم وحياة لقلوبهم فلم يتعبوا بطول القيام وردوا المنام الى النهار وقت اشتغال الناس بامور الدنيا وقد كان ذلك طريقة جماعة من السلف كانوا يصلون الصبح بوضوء العشاء حكى ابو طالب المكي ان ذلك حكي على سبيل التواتر والاشتهار عن اربعين من التابعين وكان فيهم من واظب عليه اربعين سنة قال منهم سعيد بن المسيب وصفوان بن سليم المدنيان وفضيل بن عياض ووهيب بن الورد المكيان وطاوس ووهب بن منبه اليمانيان والربيع بن خثيم والحكم الكوفيان وابو سليمان الداراني وعلي بن بكار الشاميان وابو عبيد الله الخواص وابو عاصم العبادانيان وحبيب ابو محمد وابو جابر السلماني الفارسيان ومالك بن دينار وسليمان التيمي ويزيد الرقاشي وحبيب بن ابي ثابت ويحيى البكاء البصريون وكهمس بن المنهال وكان يختم في الشهر تسعين ختمة وما لم يفهمه رجع وقرأه مرة اخرى وايضاً من اهل المدينة ابو حازم ومحمد بن المنكدر في جماعة يكثر عددهم **المرتبة الثانية** ان يقوم نصف الليل وهذا لا ينحصر عدد المواظبين عليه من السلف واحسن طريق فيه ان ينام الثلث الاول من الليل والسدس الاخير منه حتى يقع قيامه في جوف الليل ووسطه وهو الافضل **المرتبة الثالثة** ان يقوم ثلث الليل فينبغي ان ينام النصف الاول والسدس الاخير وبالجملة نوم آخر الليل مستحب لانه يذهب النعاس بالغداة وكانوا يكرهون ذلك ويقلل صفرة الوجه والشهرة به فلو قام اكثر الليل ونام سحراً قلت صفرة وجهه وقل نعاسه **وقالت عائشة** رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اوتر من آخر الليل فان كانت له حاجة الى اهله دنا منهن والا اضطجع في مصلاه حتى يأتيه بلال فيؤذنه بالصلاة وقالت عائشة رضي الله عنها ما ألفيته السحر الا نائماً حتى قال بعض السلف هذه الضجعة قبل الصبح سنة منهم ابو هريرة وكان نوم هذا الوقت سبباً للمكاشفة والمشاهدة من وراء حجب الغيب وذلك لارباب القلوب وفيه استراحة تعين على الورد الاول من اوراد النهار وقيام ثلث الليل من النصف الاخير ونوم السدس الاخير قيام داود عليه السلام **المرتبة الرابعة** ان يقوم سدس الليل او خمسه وافضله ان يكون في النصف الاخير وقبل السدس الاخير منه **المرتبة الخامسة** ان لا يراعي التقدير فان ذلك انما يتيسر لنبي يوحى اليه او لمن يعرف منازل القمر ويوكل به من يراقبه ويوقظه ثم ربما يضطرب في ليالي الغيم ولكنه يقوم من اول الليل الى ان يغلبه النوم فينام فاذا انتبه قام فاذا غلبه النوم عاد الى النوم فيكون له في الليل نومتان وقومتان وذلك من مكابدة الليل واشد الاعمال وافضلها وقد كان هذا من اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو طريقة ابن عمر رضي الله عنه واولي العزم من الصحابة وجماعة من التابعين وكان بعض السلف يقول هي اول نومة فان انتبهت ثم عدت الى النوم فلا انام الله عيني فاما قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث المقدار فلم يكن على ترتيب واحد بل ربما كان يقوم نصف الليل او ثلثه او ثلثيه او سدسه يختلف ذلك في الليالي ويدل عليه قوله تعالى في موضعين من سورة المزمل ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه فادنى من ثلثي الليل كأنه نصفه ونصف سدسه فان كسر قوله ونصفه وثلثه كان نصف الثلثين وثلثه فيقرب من الربع والثلث وان نصب كان نصف الليل وثلثه وقد قالت عائشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم اذا سمع الصارخ يعني الديك وهذا يكون السدس فما دونه وروي عن بعض الصحابة انه قال

واعجب صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر ليلاً فنام بعد العشاء زماناً ثم استيقظ فنظر في الافق فقال ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك حتى بلغ انك لا تخلف الميعاد ثم استل من فراشه سواكاً فاستاك به وتوضأ وصلى حتى قلت صلى مثل ما نام ثم اضطجع حتى قلت نام مثل ما صلى ثم استيقظ فقال ما قال اول مرة وفعل ما فعل اول مرة **المرتبة السادسة** وهي الاقل ان يقوم مقدار اربع ركعات او ركعتين او يتعذر عليه الطهارة فيجلس مستقبل القبلة ساعة مشتغلاً بالذكر والدعاء فيكتب من جملة قوام الليل برحمة الله وفضله وقد جاء في الاثر صل من الليل ولو قدر حلب شاة فهذه طرق القسمة فليتخير المريد لنفسه ما يراه ايسر عليه وحيث يتعذر عليه القيام في وسط الليل فلا ينبغي ان يهمل احياء ما بين العشاءين والورد الذي بعد العشاء ثم يقوم قبل الصبح وقت السحر فلا يدركه الصبح نائماً ويقوم بطرفي الليل وهذه هي المرتبة السابعة ومهما كان من النظر الى المقدار رتب هذه المراتب بحسب طول الوقت وقصره واما في الرتبة الخامسة والسابعة فلم ينظر فيهما الى القدر فليس يجري امرهما في التقدم والتأخر على الترتيب المذكور اذ السابعة ليست دون ما ذكرناه في السادسة ولا الخامسة دون الرابعة **بيان الليالي والايام الفاضلة** اعلم ان الليالي المخصوصة بمزيد الفضل التي يتأكد فيها استحباب الاحياء في السنة خمس عشرة ليلة لا ينبغي ان يغفل المريد عنها فانها مواسم الخيرات ومظان التجارات ومتى غفل التاجر عن المواسم لم يربح ومتى غفل المريد عن فضائل الاوقات لم يربح فستة من هذه الليالي في شهر رمضان ست هي اوتار العشر الاخير اذ فيها تطلب ليلة القدر وليلة سبع عشرة من رمضان فهي ليلة صبيحتها يوم الفرقان يوم التقى الجمعان فيه كانت وقعة بدر وقال ابن الزبير هي ليلة القدر واما التسع الاخر فاول ليلة من المحرم وليلة عاشوراء واول ليلة من رجب وليلة النصف منه وليلة سبع وعشرين منه وهي ليلة المعراج وفيها صلاة مأثورة فقد **قال** رسول الله صلى الله عليه وسلم للعامل في هذه الليلة حسنات مائة سنة فمن صلى فيها اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة من القرآن ويتشهد في كل ركعتين ويسلم في آخرهن ثم يقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر مائة مرة ويستغفر الله مائة مرة ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة ويدعو لنفسه بما شاء من امر دنياه وآخرته ويصبح صائماً فان الله يستجيب دعاءه كله الا ان يدعو في معصية **وليلة** النصف من شعبان ففيها مائة ركعة يقرأ في كل ركعة بعد فاتحة الكتاب سورة الاخلاص عشر مرات كانوا لا يتركون ذلك كما اوردناه في صلاة التطوع وليلة عرفة وليلتا العيدين قال النبي صلى الله عليه وسلم من احيا ليلتي العيد لم يمت قلبه يوم تموت القلوب **واما الايام** الفاضلة فهي تسعة عشر يوماً يستحب مواصلة الاوراد فيها يوم عرفة ويوم عاشوراء ويوم سبع وعشرين من رجب كتب الله لمن صامه صيام ستين شهراً وهو اليوم الذي هبط فيه جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم ويوم سبعة عشر من رمضان وفيه كانت وقعة بدر ويوم النصف من شعبان ويوم الجمعة ويوم العيدين والايام المعلومات وهي عشر ذي الحجة والايام المعدودات وهي ايام التشريق وقد روى انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سلم يوم الجمعة سلمت الايام واذا سلم شهر رمضان سلمت السنة وقال بعض العلماء من اخذ مهناه في الايام الخمسة في الدنيا لم ينل مهناه في الآخرة واراد به العيدين والجمعة وعرفة وعاشوراء ومن فواضل الايام في الاسبوع الخميس والاثنين ترفع فيهما الاعمال الى الله تعالى وقد ذكرنا فضائل الاشهر والايام للصيام في كتاب الصوم فلا حاجة الى الاعادة والله اعلم تم كتاب ترتيب الاوراد وهو آخر ربع العبادات

وهو الربع الأول من كتاب احياء علوم الدين للغزالي رحمه الله يتلوه الربع الثاني ربع العادات في المجلد الثاني

ان شاء الله تعالى والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده وآله

واصحابه اجمعين الطيبين الطاهرين وسلم تسليما

كتبها برحمتك يا ارحم

الراحمين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي احسن تدبير الكائنات فخلق الارض والسموات وانزل الماء الفرات من المعصرات
فاخرج به الحب والنبات وقدر الارزاق والاقوات وحفظ بالماكولات قوى الحيوانات واعان على الطاعات
والاعمال الصالحات باكل الطيبات والصلوة على محمد ذي المعجزات الباهرات وعلى آله واصحابه صلوة
تتوالى على ممر الاوقات وتتضاعف بتعاقب الساعات وسلم تسليما كثيرا اما بعد فان مقصد
ذوي الالباب لقاء الله سبحانه في دار الثواب ولا طريق الى الوصول الى اللقاء الا بالعلم والعمل ولا يمكن المواظبة
عليهما الا بسلامة البدن ولا تصفو سلامة البدن الا بالاطعمة والاقوات والتناول منها بقدر الحاجة
على تكرر الاوقات فمن هذا الوجه قال بعض السلف ان الاكل من الدين وعليه نبه رب العالمين
بقوله وهو اصدق القائلين كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فمن يقدم على الاكل ليستعين به على العلم
والعمل ويقوى به على التقوى فلا ينبغي ان يترك نفسه مهملا سدى يسترسل في الاكل استرسال البهائم
في المرعى فانما هو ذريعة الى الدين ووسيلة اليه ينبغي ان تظهر انوار الدين عليه وانما انوار الدين آدابه
وسننه التي تزم العبد بزمامها ويلجم المتقي بلجامها حتى يتزن بميزان الشرع شهوة الطعام في اقدامها
واحجامها فتصير بسببها مدفعة للوزر ومجلبة للاجر وان كان فيها اوفى حظ للنفس قال صلى الله
عليه وسلم ان الرجل ليؤجر حتى في اللقمة يرفعها الى فيه والى في امرأته وانما ذلك اذا رفعها بالدين
وللدين مراعيا فيه آدابه ووظائفه وها نحن نرشد الى وظائف الدين في الاكل فرائضها
وسننها وآدابها ومروءاتها في اربعة ابواب وفصل في آخرها الباب الاول فيما لا بد للآكل من
مراعاته وان انفرد بالاكل الباب الثاني فيما يزيد من الآداب بسبب الاجتماع على الاكل الباب
الثالث فيما يخص تقديم الطعام الى الاخوان الزائرين الباب الرابع فيما يخص الدعوة والضيافة
واسبابها الباب الاول فيما لا بد للمنفرد منه وهو ثلاثة اقسام قسم قبل الاكل وقسم مع الاكل وقسم
بعد الفراغ منه القسم الاول في الآداب التي تتقدم على الاكل وهي سبعة الاول ان يكون الطعام بعد
كونه حلالا في نفسه طيبا في جهة مكسبه موافقا للسنة والورع لم يكتسب بسبب مكروه في الشرع

ولا بحكم هوى ومداهنة في دين على ما سياتي في معنى الطيب المطلق في كتاب الحلال والحرام وقد
امر الله تعالى باكل الطيب وهو الحلال وقدم النهي عن الاكل بالباطل على القتل تفخيما لامر الحرام و
تعظيما لبركة الحلال فقال تعالى ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الآية فالاصل في الطعام كونه طيبا
وهو من الفرايض واصول الدين الثاني غسل اليد قال عليه السلام الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر
وبعده ينفي اللمم وفي رواية ينفي الفقر قبل الطعام وبعده ولان اليد لا تخلو عن لوث في تعاطي الاعمال
فغسلها اقرب الى النظافة والنزاهة ولان الاكل لقصد الاستعانة على الدين عبادة فهو جدير بان
يقدم عليه ما يجري مجرى الطهارة من الصلوة الثالث ان يوضع الطعام على السفرة الموضوعة
على الارض فهو اقرب الى فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من رفعه على المائدة كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا اتي بطعام وضعه على الارض فهذا اقرب الى التواضع فان لم يكن فعلى السفرة
فانه يذكر السفر ويتذكر من السفر سفر الآخرة وحاجته الى زاد التقوى وقال انس ما اكل رسول الله صلى
الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة قيل فعلى ما كنتم تاكلون قال على السفر وقيل اربعة احدثت
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الموائد والمناخل والاشنان والشبع واعلم انا وان قلنا الاكل
على السفرة اولى فلسنا نقول الاكل على المائدة منهي عنه نهي كراهة او تحريم اذ لم يثبت فيه نهي
وما يقال انه ابدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس كل ما ابدع منهيا عنه بل المنهي بدعة تضاد
سنة ثابتة وترفع امرا من الشرع مع بقاء علته بل الابداع قد يجب في بعض الاحوال اذا تغيرت الاسباب
وليس في المائدة الا رفع الطعام عن الارض لتيسير الاكل وامثال ذلك مما لا كراهة فيه والاربعة التي
جمعت في انها مبدعة ليست متساوية بل الاشنان حسن لما فيه من النظافة فان الغسل مستحب للنظافة
والاشنان اتم في التنظيف وكانوا لا يستعملونه لانه ربما كان لا يعتاد عندهم او لا يتيسر او كانوا مشغولين
بامور اهم من المبالغات في النظافة فقد كانوا لا يغسلون اليد ايضا وكانت مناديلهم اخمص اقدامهم
وذلك لا يمنع كون الغسل مستحبا واما المنخل فالمقصود منه تطييب الطعام وذلك مباح ما لم
ينته الى التنعم المفرط واما المائدة فتيسير الاكل وهو ايضا مباح واما الشبع فهو اشد هذه الاربع
فانه يدعو الى تهييج الشهوات وتحريك الادواء في البدن فلتدرك التفرقة بين هذه المبدعات
الرابع ان يحسن الجلسة على السفرة في اول جلوسه ويستديمها كذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ربما جثا للاكل على ركبتيه وجلس على ظهر قدميه وربما نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى وكان
يقول لا آكل متكئا انما انا عبد آكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد والشرب متكئا مكروه للمعدة
ايضا ويكره الاكل نائما ومتكئا الا ما يتنقل به من الحبوب روي عن علي كرم الله وجهه انه اكل كعكا على
ترس وهو مضطجع ويقال منبطحا على بطنه والعرب قد تفعله الخامس ان ينوي باكله ان يتقوى
به على طاعة الله تعالى ليكون مطيعا بالاكل ولا يقصد التنعم والتلذذ بالاكل قال ابراهيم بن
شيبان منذ ثمانين سنة ما اكلت شيئا لشهوتي ويعزم مع ذلك على تقليل الاكل فانه اذا اكل لاجل
قوة العبادة لم تصدق نيته الا باكل دون الشبع فان الشبع يمنع من العبادة ولا يقوي عليها فمن
ضرورة هذه النية كسر الشهوة وايثار القناعة على الاتساع قال عليه السلام ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه
حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان لم يفعل فثلث طعام وثلث شراب وثلث للنفس ومن ضرورة
هذه النية ان لا يمد اليد الى الطعام الا وهو جائع فيكون الجوع احد ما لا بد من تقديمه على الاكل ثم ينبغي

ان يرفع اليد قبل الشبع ومن فعل ذلك استغنى عن الطبيب وسياتي فايدة قلة الاكل وكيفية التدريج
في التقليل منه في كتاب كسر شهوة الطعام من ربع المهلكات **السادس** ان يرضى بالموجود من
الرزق والحاضر من الطعام ولا يجتهد في التنعم وطلب الزيادة وانتظار الادم بل من كرامة الخبز ان لا
ينتظر به الادم وقد ورد الامر باكرام الخبز فكل ما يديم الرمق ويقوي على العبادة فهو خير كثير
لا ينبغي ان يستحقر بل لا ينتظر بالخبز الصلوة وان حضر وقتها اذا كان في الوقت متسع قال
عليه السلام اذا حضر العشا فابدءوا بالعشا وكان ابن عمر ربما سمع قراة الامام ولا يقوم من عشائه
ومهما كانت النفس لا تتوق الى الطعام ولم يكن في تاخير الطعام ضرر فالاولى تقديم الصلوة
فاما اذا حضر الطعام واقيمت الصلوة وكان في التاخير ما يبرد الطعام او يشوش امره فالاولى
تقديمه عند اتساع الوقت تاقت النفس او لم تتق لعموم الخبر ولان القلب لا يخلو عن الالتفات
الى الطعام الموضوع وان لم يكن الجوع غالبا **السابع** ان يجتهد في تكثير الايدي على الطعام ولو
من اهله وولده قال عليه السلام اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه وقال انس كان عليه السلام
لا ياكل وحده **القسم الثاني** في اداب حالة الاكل وهو ان يبدا في اوله والحمد في اخره ويقول
مع كل لقمة بسم الله فهو احسن حتى لا يشغله الشره عن ذكر الله ويقول مع اللقمة الاولى بسم الله ومع الثانية
بسم الله الرحمن ومع الثالثة بسم الله الرحمن الرحيم ويجهر به ليذكر غيره وياكل باليمين ويبدا بالملح ويختم
به ويصغر اللقمة ويجود مضغها وما لم يبتلعها لم يمد اليد الى الاخرى فان ذلك عجلة في الاكل وان لا يذم
ماكولا كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يعيب ماكولا كان ان اعجبه اكله والا تركه وان ياكل مما يليه الا الفاكهة
فان له ان يجيل يده قال عليه السلام كل مما يليك ثم كان يدور على الفاكهة فقيل له في ذلك فقال ليس
هو نوعا واحدا وان لا ياكل من ذروة القصعة ولا من وسط الطعام بل ياكل من استدارة الرغيف
الا اذا قل الخبز ولا يقطع بالسكين ولا يقطع اللحم ايضا فقد نهي عنه وقال انهشوه نهشا ولا يوضع
على الخبز قصعة ولا غيرها الا ما يوكل به قال عليه السلام اكرموا الخبز فان الله انزله من بركات السماء
ولا يمسح يده بالخبز وقال عليه السلام اذا وقعت لقمة احدكم فليأخذها وليمط ما كان بها من اذى
ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق اصابعه فانه لا يدري في اي طعامه البركة ولا
ينفخ في الطعام الحار فانه منهي عنه بل يصبر الى ان يسهل اكله وياكل من التمر وترا سبعا او احدى عشرة
او احدى وعشرين او ما اتفق ولا يجمع بين التمر والنوى في طبق ولا يجمع في كفه بل يضعه من فيه على ظهر
كفه ثم يلقيها وكذا ماله عجم وثفل وان لا يترك ما استرذله من الطعام ويطرحه في القصعة بل
يتركه مع الثفل حتى لا يلتبس على غيره فياكله وان لا يكثر الشرب في اثناء الطعام الا اذا غص بلقمة او صدق
عطشه فقد يقال ان ذلك مستحب في الطب وانه دباغ المعدة واما الشرب فادبه ان ياخذ الكوز بيمينه
ويقول بسم الله ويشربه مصا لا عبا قال عليه السلام مصوا الماء مصا ولا تعبوه عبا فان الكباد من العب
ولا تشرب قائما ولا مضطجعا فان النبي نهى عن الشرب قائما وروي انه عليه السلام شرب قائما ولعله كان
لعذر وراعى اسفل الكوز حتى لا يقطر عليه وينظر في الكوز قبل الشرب ولا يتنفس في الكوز بل ينحيه عن
فيه بالحمد ويرده بالتسمية وقد قال عليه السلام بعد الشرب الحمد لله الذي جعله عذبا فراتا برحمته
ولم يجعله ملحا اجاجا بذنوبنا والكوز وكل ما يدار على قوم يدار يمنة شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم لبنا وابو
بكر عن شماله واعرابي عن يمينه وعمر تجاهه فقال عمر اعط ابا بكر فناول الاعرابي وقال الايمن فالايمن ثم شرب

في ثلاثة انفاس يحمد الله في اواخرها ويسمي في اوائلها ويقول في اخر النفس الاول الحمد لله وفي الثاني يزيد
رب العالمين وفي الثالثة يزيد الرحمن الرحيم فهذا قريب من عشرين ادبا في حالة الاكل والشرب دل
عليها الاثار والاخبار **القسم الثالث** ما يستحب بعد الطعام وهو ان يمسك قبل الشبع ويلعق
اصابعه ثم يمسحها بالمنديل ثم يغسلها ويلتقط فتات الطعام قال عليه السلام من اكل ما يسقط
من المائدة عاش في سعة وعوفي في ولده ويتخلل ولا يبتلع ما يخرج من بين اسنانه بالخلال الا ما
يجتمع من اصول اسنانه بلسانه اما المخرج بالخلال فيرميه وليتمضمض بعد الخلال ففيه اثر عن اهل
البيت وان يلعق القصعة يقال من لعق القصعة وشرب ماءها كان له عتق رقبة وان التقاط
الفتات مهور الحور العين وان يشكر الله تعالى بقلبه على ما اطعمه ويرى الطعام نعمة منه قال الله
تعالى كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا نعمة الله ومهما اكل حلالا قال الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات
وتنزل البركات اللهم اطعمنا طيبا فاستعملنا صالحا وان اكل شبهة قال الحمد لله على كل حال اللهم لا
تجعله قوة لنا على معصيتك ويقرا بعد الطعام قل هو الله احد ولايلاف قريش ولا يقوم من المائدة
حتى ترفع الا فان اكل طعام الغير فليدع له وليقل اللهم بارك له فيما رزقته ويسر له ان يفعل
منه خيرا وقنعه بما اعطيته واجعلنا واياه من الشاكرين وان افطر عند قوم فليقل افطر عندكم
الصائمون واكل طعامكم الابرار وصلت عليكم الملائكة وليكثر الاستغفار والحزن على ما اكل من
شبهة ليطفي بدموعه وحزنه حر النار التي تعرض لها بقوله عليه السلام كل لحم نبت من حرام فالنار اولى
به وليس من ياكل ويبكي كمن ياكل ويلهو وليقل اذا اكل شيئا اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وارزقنا خيرا منه وان اكل
غيره قال اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وارزقنا خيرا منه فذلك الدعاء مما خص به رسول الله صلى الله
عليه وسلم اللبن لعموم نفعه ويستحب عقيب الطعام ان يقول الحمد لله الذي اطعمنا وسقانا وكفانا
وآوانا سيدنا ومولانا يا كافي من كل شيء ولا يكفي منه شيء اطعمت من جوع وامنت من خوف
وهديت من ضلالة واغنيت من عيلة فلك الحمد حمدا كثيرا دائما نافعا طيبا مباركا فيه كما انت
اهله ومستحقه اللهم اطعمتنا طيبا فاستعملنا صالحا اجعله عونا لنا على طاعتك ونعوذ بك ان
نستعين به على معصيتك واما غسل اليد بالاشنان فكيفيته ان يجعل الاشنان على كفه اليسرى
ويغسل الاصابع الثلث من اليد اليمنى اولا ويضرب اصابعه على الاشنان اليابس فيمسح به
ثم يتبع غسل الفم باصبعه ويدلك الطعام اسنانه باطنها والحنك واللسان ثم يغسل اصابعه من ذلك
بالماء ثم يدلك بقية الاشنان اليابس اصابعه ظهرا وبطنا ويستغني به عن اعادة الاشنان
الى الفم واعادة غسله **الباب الثاني** فيما يزيد بسبب الاجتماع والمشاركة في الاكل وهي سبعة
الاول ان لا يبتدي بالطعام ومعه من يستحق التقديم ثم بكبر سن او زيادة فضل الا ان يكون هو المتبوع
والمقتدى به فحينئذ لا ينبغي ان يطول عليهم الانتظار اذا تشوفوا للاكل واجتمعوا له **الثاني**
ان لا يسكتوا على الطعام فان ذلك من سيرة العجم ولكن يتكلمون بالمعروف ويتحدثون بحكايات الصالحين
في الاطعمة وغيرها **الثالث** ان يرفق برفيقه في القصعة فلا يقصد ان ياكل زيادة على ما
ياكله فان ذلك حرام ان لم يكن موافقا لرضى رفيقه مهما كان الطعام مشتركا بل يقصد الايثار ولا ياكل
تمرتين في دفعة الا اذا فعلوا ذلك واستاذنهم فان قلل رفيقه نشطه ورغبه في الاكل وقال كل ولا
يزيد في قوله كل على ثلث مرات فان ذلك الحاح وافراط كان عليه السلام اذا خوطب في شيء ثلاثا لم يراجع

بعد ثلاث وكان عليه السلام يكرر الكلام ثلاثا فليس من الادب الزيادة عليه فاما الحلف عليه بالاكل فممنوع
قال الحسن بن علي الطعام اهون من ان يحلف عليه **الرابع** ان لا يحوج رفيقه الى ان يقول له كل قال
بعض الادبا احسن الاكلين اكلا من لا يحوج صاحبه الى ان يتفقده في الاكل وحمل عن اخيه مؤنة القول ولا ينبغي
ان يدع شيئا مما يشتهيه لاجل نظر الغير اليه فان ذلك تصنع بل يجري على المعتاد ولا ينقص
من عادته في الوحدة ولكن ليعود نفسه حسن الادب في الوحدة حتى لا يحتاج الى التصنع عند الاجتماع
نعم لو قلل من اكله ايثارا لاخوانه ونظرا لهم عند الحاجة الى ذلك فهو حسن وان زاد في الاكل على نية المساعدة
وتحريك نشاط القوم في الاكل فلا باس به بل هو حسن وكان ابن المبارك يقدم فاخر الرطب الى اخوانه
ويقول من اكل اكثر اعطيته بكل نواة درهما وكان يعد النوى فيعطي كل من له فضل نوى بعدده دراهم
وذلك لكسر الحيا وزيادة النشاط في الانبساط وقال جعفر بن محمد احب اخواني الي اكثرهم اكلا واعظمهم
لقمة واثقلهم علي من يحوجني الى تعهده في الاكل وكل هذا اشارة الى الجري على المعتاد وترك التصنع وقال
جعفر ايضا تبين محبة الرجل لاخيه بجودة اكله في منزله **الخامس** ان غسل اليد في الطست لا باس به
وله ان يتنخم فيه ان اكل وحده وان كان معه غيره فلا ينبغي ان يفعل ذلك واذا قدم الطست اليه غيره
اكراما له فليقبله اجتمع انس بن مالك وثابت البناني على طعام فقدم انس الطست اليه فامتنع ثابت فقال
انس اذا اكرمك اخوك فاقبل كرامته ولا تردها فانما يكرم الله عز وجل **وروي** ان هرون الرشيد دعا ابا
معاوية الضرير فصب الرشيد على يده في الطست فلما فرغ قال يا ابا معاوية تدري من صب على يدك فقال
لا فقال صبه امير المؤمنين فقال يا امير المؤمنين انما اكرمت العلم واجللته فاجلك الله واكرمك
كما اجللت العلم واهله ولا باس ان يجتمعوا على غسل اليد في الطست في حالة واحدة فهو اقرب الى
التواضع وابعد عن طول الانتظار فان لم يفعلوا فلا ينبغي ان يصب ماء كل واحد بل يجمع الماء في الطست
قال عليه السلام اجتمعوا وضوءكم جمع الله شملكم قيل ان المراد به هذا وكتب عمر بن عبد العزيز الى الامصار
ولا يرفع طست من بين يدي القوم الا مملوءة ولا تشبهوا بالعجم وقال ابن مسعود اجتمعوا على غسل اليد
في طست واحد ولا تستنوا بسنة الاعاجم والخادم الذي يصب على اليد كره بعضهم ان يكون قائما واحب
ان يكون جالسا لانه اقرب الى التواضع وكره بعضهم جلوسه فروي انه صب على يد واحد خادم جالسا فقام
المصبوب عليه فقيل له لم قمت فقال احدنا لا بد وان يكون قائما وهذا اولى لانه ايسر للصب والغسل واقرب
الى تواضع الذي يصب واذا كان له نية فيه فتمكين من الخدمة ليس فيه تكبر فان العادة جارية بذلك
ففي الطست اذن سبعة اداب ان لا يبصق فيه وان يقدم به المتبوع وان يقبل الاكرام بالتقديم وان يدار
يمنة وان يجتمع فيه الماء وان يكون الخادم قائما وان يمج الماء من فيه ويرسله من يده برفق حتى لا يرش
على الفراش وعلى اصحابه وان يصب صاحب المنزل بنفسه الماء على يد ضيفه هكذا فعل مالك بالشافعي
في اول نزوله عليه وقال لا يرعك ما رأيته مني فخدمة الضيف فرض **السادس** ان لا ينظر الى اصحابه
ولا يراقب اكلهم فيستحيون بل يغض بصره عنهم ويشتغل بنفسه ولا يمسك قبل اخوانه اذا كانوا يحتشمون
الاكل بعده بل يمد اليد ويقبضها ويتناول قليلا قليلا الى ان يستوفوا فان كان قليل الاكل توقف في
الابتداء وقلل الاكل حتى اذا توسعوا في الطعام اكل معهم اخيرا فقد فعل كثير من الصحابة وان امتنع بسبب
فليعتذر اليهم دفعا للخجلة **السابع** ان لا يفعل ما يستقذره غيره فلا ينفض يده في القصعة
ولا يقدم راسه اليها عند وضع اللقمة واذا اخرج شيئا من فيه صرف وجهه عن الطعام واخذه بيساره

ولا يغمس اللقمة الدسمة في الخل ولا الخل في الدسومة فقد يكرهه غيره واللقمة التي قطعها بسنه
لا يغمس بقيتها في المرقة والخل ولا يتكلم بما يذكر المستقذرات **الباب الثالث** في ادب تقديم
الطعام الى الاخوان الزائرين تقديم الطعام الى الاخوان له فضل كبير قال جعفر بن محمد رضي الله عنهما اذا
قعدتم مع الاخوان على المائدة فاطيلوا الجلوس فانها ساعة لا تحسب عليكم من اعماركم وقال الحسن كل
نفقة ينفقها الرجل على نفسه وعلى ابويه فمن دونهم يحاسب عليها الا نفقة الرجل على اخوانه في
الطعام فان الله سبحانه يستحيي ان يساله عن ذلك هذا مع ما ورد من الاخبار في الطعام قال عليه السلام
لا تزال الملائكة تصلي على احدكم ما دامت مائدته موضوعة بين يديه حتى ترفع وروي عن بعض علماء
خراسان انه كان يقدم الى الاخوان طعاما كثيرا لا يقدرون على اكل جميعه وكان يقول بلغنا عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الاخوان اذا رفعوا ايديهم عن الطعام لم يحاسب من اكل من فضل ذلك
الطعام فانا احب ان استكثر مما اقدم اليكم لنأكل فضله وفي الخبر لا يحاسب العبد على ما ياكله
مع اخوانه وكان بعضهم يكثر الاكل مع الجماعة ويقلل اذا اكل وحده وفي الخبر ثلث لا يحاسب عليها العبد
اكلة السحور وما افطر عليه وما اكل مع اخوانه وقال علي كرم الله وجهه لان اجمع اخواني على صاع من
طعام احب الي من ان اعتق رقبة وكان ابن عمر يقول من كرم المرء طيب زاده في سفره وبذله لاخوانه
وكان الصحابة يقولون الاجتماع على الطعام من مكارم الاخلاق وكانوا يجتمعون على قراءة القرآن
ولا يتفرقون الا عن ذواق وقيل اجتماع الاخوان على الكفاية مع الانس والالفة ليس هو من الدنيا وفي الخبر
يقول الله تعالى للعبد يوم القيامة جعت فلم تطعمني فيقول يا رب وكيف اطعمك وانت رب العالمين
فيقول تعالى جاع اخوك المسلم فلم تطعمه ولو اطعمته كنت اطعمتني وقال عليه السلام اذا اتاكم الزائر
فاكرموه وقال عليه السلام ان في الجنة غرفا يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها لمن الان الكلام
واطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام وقال عليه السلام خيركم من اطعم الطعام وقال من اطعم اخاه حتى
يشبعه وسقاه حتى يرويه بعده الله من النار سبع خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام واما
ادابه فبعضها في الدخول وبعضها في تقديم الطعام اما الدخول فليس من السنة ان يقصد قوما متربصا
لوقت طعامهم فيدخل وقت الاكل فان ذلك من المفاجاة وقد نهي عنه قال تعالى لا تدخلوا بيوت النبي
الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه يعني منتظرين حينه ونضجه وفي الخبر من مشى الى طعام لم يدع اليه
مشى فاسقا واكل حراما ولكن حق الداخل اذا لم يتربص واتفق ان صادفهم على الطعام ان لا ياكل ما لم يؤذن
له فاذا قيل له كل نظر فان علم انهم يقولونه عن محبة لمساعدته فليساعد وان كانوا يقولونه حياء منه فلا
ينبغي ان ياكل اما اذا كان جائعا فقصد بعض اخوانه ليطعمه ولم يتربص به وقت اكله فلا باس به فقد قصد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر رضوان الله عليهما منزل ابي الهيثم بن التيهان وابي ايوب
الانصاري لاجل طعام ياكلونه وكانوا جياعا والدخول على مثل هذه الحالة اعانة لذلك المسلم على حيازة
ثواب الاطعام وهي عادة السلف كان عون بن عبد الله المسعودي له ثلثمائة وستون صديقا يدور
عليهم في السنة ولاخر ثلثون يدور عليهم في الشهر ولاخر سبعة فكان اخوانهم معلومهم وبدلا عن
كسبهم وكان قيام اولئك بهم على سبيل التبرك عبادة لهم فان دخل ولم يجد صاحب الدار وكان
واثقا بصداقته عالما بفرحه اذا اكل من طعامه فله ان ياكل بغير اذنه اذ المراد من الاذن الرضا لا سيما
في الاطعمة وامرها على السعة فرب رجل يصرح بالاذن ويحلف وهو غير راض فاكل طعامه مكروه ورب

عالماً بانه واكل طعامه محبوب وقد قال تعالى او صديقكم ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار بريرة فاكل
طعامها وهي غائبة وكان الطعام من الصدقة فقال بلغت الصدقة محلها وذلك لعلمه بسرورها بذلك
ولذلك يجوز ان يدخل الدار بغير استيذان اكتفاء بعلمه بالاذن فان لم يعلم فلا بد من الاستيذان اولاً
ثم الدخول وكان محمد بن واسع واصحابه يدخلون منزل الحسن فياكلون ما يجدون بغير اذن فكان
الحسن يدخل فيرى ذلك فيسر به ويقول هكذا كنا وروي عن الحسن رضي الله عنه انه كان قائماً ياكل من
متاع بقال ياخذ من هذه الجونة تينة ومن هذه قسبة فقال هشام ما بدا لك يا ابا سعيد في الورع تاكل
متاع الرجل بغير اذنه فقال يا لكع اتل علي آية الاكل فتلا الى قوله تعالى او صديقكم قال فمن الصديق
يا ابا سعيد قال من استروحت اليه النفس واطمان اليه القلب وجاء قوم الى منزل سفيان الثوري
فلم يجدوه ففتحوا الباب وانزلوا السفرة وجعلوا ياكلون فدخل الثوري فجعل يقول ذكرتموني
اخلاق السلف هكذا كانوا وزار قوم بعضاً من التابعين ولم يكن عنده ما يقدمه اليهم فذهب
الى منزل بعض اخوانه فلم يصادفه في المنزل فدخل فنظر الى قدر قد طبخها والى خبز قد خبزه وغير
ذلك فحمله كله وقدمه الى اصحابه وقال كلوا فجاء رب المنزل فلم ير الطعام فقيل له قد اخذه فلان فقال
قد احسن فلما لقيه قال يا اخي ان عادوا فعد فهذا ادب الدخول فاما ادب التقديم فترك التكلف
اولاً وتقديم ما حضر فان لم يحضره شيء ولم يملك شيئاً فلا يستقرض لاجل ذلك فيشق على نفسه وان
حضره ما هو محتاج اليه لقوته ولم تسخ نفسه بالتقديم فلا ينبغي ان يقدمه دخل بعضهم على زاهد
وهو ياكل فقال لولا اني اخذته بدين لقدمت منه اليكم وقال بعض السلف في تفسير التكلف ان تطعم
اخاك ما لا تاكله انت بل تقصد زيادة عليه في الجودة والقيمة وكان الفضيل يقول انما تقاطع الناس
بالتكلف يدعو احدهم اخاه فيتكلف له فيقطعه عن الرجوع اليه وقال بعضهم ما ابالي من اتاني
من اخواني فاني لا اتكلف له انما اقرب ما عندي ولو تكلفت له لكرهت مجيئه ومللته وقال بعضهم كنت
ادخل على اخ لي فيتكلف فقلت له انك لا تاكل وحدك هذا ولا انا فما بالنا اذا اجتمعنا فاما ان
تقطع هذا التكلف او نقطع المجي فقطع التكلف ودام اجتماعنا بسببه ومن التكلف ان يقدم جميع
ما عنده فيجحف بعياله ويؤذي قلوبهم روي ان رجلاً دعا علياً رضي الله عنه فقال اجيبك على ثلث
شرائط لا تدخل من السوق شيئاً ولا تدخر ما في البيت ولا تجحف بالعيال وكان بعضهم يقدم من كل ما في
بيته شيئاً ولا يترك نوعاً الا ويحضر شيئاً منه وقال بعضهم دخلنا على جابر بن عبد الله فقدم الينا خبزاً
وخلاً وقال لولا انا نهينا عن التكلف لتكلفت لكم وقال بعضهم اذا قصدت للزيارة فقدم ما حضر
واذا استزرت فلا تبق ولا تذر وقال سلمان امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا نتكلف للضيف
ما ليس عندنا وان نقدم اليه ما حضرنا وفي حديث يونس النبي انه زاره اخوانه فقدم اليهم كسراً وجز لهم
بقلاً كان يزرعه ثم قال كلوا لولا ان الله لعن المتكلفين لتكلفت لكم وعن انس بن مالك وغيره من الصحابة
انهم كانوا يقدمون ما حضر من الكسر اليابسة وحشف التمر ويقولون لا ندري ايهما اعظم وزراً الذي
يحتقر ما يقدم اليه او الذي يحتقر ما عنده ان يقدمه **الادب الثاني** وهو للزائر ان لا يقترح ولا
يتحكم بشيء بعينه فربما يشق على المزور احضاره فان خيره اخوه بين طعامين فليختر ايسرهما عليه كذلك
السنة في الخبر ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين شيئين الا اختار ايسرهما وروي الاعمش عن
ابي وائل انه قال مضيت مع صاحب لي نزور سلمان فقدم الينا خبز شعير وملحاً جريشاً فقال صاحبي لو كان

في هذا الملح سعتر كان اطيب فخرج سلمان ورهن مطهرته واخذ سعتراً فلما اكلنا قال صاحبي الحمد لله الذي
قنعنا بما رزقنا فقال سلمان لو قنعت بما رزقت لم تكن مطهرتي مرهونة هذا اذا توهم تعذر ذلك على
اخيه او كراهيته له فان علم انه يسر باقتراحه ويتيسر عليه ذلك فلا يكره له الاقتراح فعل ذلك الشافعي
مع الزعفراني اذ كان نازلاً عليه ببغداد وكان الزعفراني يكتب كل يوم رقعة بما يطبخ من الالوان
ويسلمها الى الجارية فاخذ الشافعي الرقعة لينظر فيها فالحق فيها لوناً آخر بخطه فلما رأى الزعفراني
ذلك اللون انكره وقال ما امرت بهذا فعرضت عليه خط الشافعي ملحقاً بالرقعة فلما وقع نظره
على خطه فرح بذلك واعتق الجارية سروراً باقتراح الشافعي عليه وقال ابو بكر الكتاني دخلت على
السري فجاء بفتيت واخذ يجعل نصفه في القدح فقلت له ايش تعمل انا اشرب هذا الفتيت كله في
دفعة فضحك وقال هذا افضل لك من حجة وقال بعضهم الاكل على ثلثة انواع مع الفقرا بالايثار ومع الفقرا
ومع الاخوان بالانبساط ومع ابنا الدنيا بالادب **الادب الثالث** ان يشتهي المزور على الزائر ويلتمس
منه الاقتراح مهما كانت نفسه طيبة بفعل ما يقترح فذلك حسن وفيه اجر عظيم وفضل جزيل
قال عليه السلام من صادف من اخيه شهوته غفر له ومن سر اخاه المؤمن فقد سر الله تعالى وقال عليه السلام فيما
رواه جابر من لذذ اخاه بما يشتهي كتب الله له الف الف حسنة ومحا عنه الف الف سيئة ورفع له الف
الف درجة واطعمه الله من ثلث جنان جنة الفردوس وجنة عدن وجنة الخلد **الادب الرابع** ان
لا يقول له هل اقدم لك طعاماً بل ينبغي ان يقدم ان كان قال الثوري اذا زارك اخوك فلا تقل له اتاكل او اقدم
اليك ولكن قدم فان اكل والا فارفع وان كان لا يريد ان يطعمهم طعاماً فلا ينبغي ان يظهره عليهم ولا
يصفه لهم قال الثوري اذا اردت ان لا تطعم عيالك مما تاكله فلا تحدثهم به ولا يرونه معك وقال
بعض الصوفية اذا دخل عليكم الفقرا فقدموا اليهم طعاماً واذا دخل الفقها فسلوهم عن مسئلة واذا دخل
القرا فدلوهم على المحراب **الباب الرابع** في آداب الضيافة وفضلها الآداب فيها سنة الدعوة اولاً ثم
الاجابة ثم الحضور ثم تقديم الطعام ثم الاكل ثم الانصراف ولنقدم على جميعها فضيلة الضيافة قال
النبي صلى الله عليه وسلم لا تتكلفوا للضيف فتبغضوه فانه من ابغض الضيف فقد ابغض الله ومن ابغض
الله ابغضه الله وقال عليه السلام لا خير فيمن لا يضيف ومر عليه السلام برجل له ابل وبقر كثيرة
فلم يضفه ومر بامراة لها شويهات فذبحت له فقال عليه السلام انظروا اليهما انما هذه الاخلاق
بيد الله فمن شاء ان يمنحه خلقاً حسناً فعل وقال ابو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نزل بالنبي صلى الله
عليه وسلم ضيف فقال قل لفلان اليهودي قد نزل بي ضيف فاسلفني شيئاً من الدقيق الى رجب فقال
اليهودي والله لا اسلفه الا برهن فاخبرته فقال والله اني لامين في السما امين في الارض ولو اسلفني
لاديته اذهب بدرعي فارهنه عنده وكان ابراهيم الخليل صلوات الله عليه وسلامه اذا اراد ان ياكل
خرج ميلاً او ميلين يلتمس من يتغدى معه وكان يكنى ابا الضيفان ولصدق نيته فيه دامت ضيافته
في مشهده الى يومنا هذا فلا تنقضي ليلة الا ويأكل عنده جماعة من بين ثلثة الى عشرة الى مائة
الى غير ذلك وقال قوام الموضع انه لم يخل ليلة عن ضيف الى الآن وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما الايمان فقال اطعام الطعام وبذل السلام والصلوة بالليل والناس نيام وسئل عن الحج المبرور
فقال اطعام الطعام وطيب الكلام وقال انس كل بيت لا يدخله ضيف لا يدخله الملائكة والاخبار
الواردة في فضل الضيافة والطعام لا تحصى فلنذكر آدابها اما الدعوة فينبغي للداعي ان يقصد بدعوته

الاغنيا دون الفساق قال عليه السلام اكل طعامك الابرار في دعائه لمن دعا له وقال لا تاكل الا طعام
تقي ولا ياكل طعامك الا تقي ويقصد الفقرا دون الاغنيا على الخصوص قال عليه السلام شر الطعام
طعام الوليمة تدعى اليها الاغنيا دون الفقرا وينبغي ان لا يهمل اقاربه في ضيافته فان اهمالهم
ايحاش وقطع رحم وكذلك يراعي الترتيب في اصدقائه ومعارفه فان في تخصيص البعض
ايحاش الباقين وينبغي ان لا يقصد بدعوته المباهاة والتفاخر بل استمالة قلوب الاخوان
والتسنن بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في اطعام الطعام وادخال السرور على قلوب المؤمنين و
ينبغي ان لا يدعو من لا يؤثر الاجابة واذا حضر تاذى بالحاضرين بسبب من الاسباب وينبغي ان لا يدعو
الا من يحب اجابته قال الثوري من دعى الى الطعام وهو يكره الاجابة فعليه خطيئة فان اجاب المدعو
فعليه خطيئتان لانه حمله على الاكل مع كراهة ولو علم ما كان ياكله واطعام التقي اعانة له على الطاعة
واطعام الفاسق تقوية له على فسقه قال رجل خياط لابن المبارك انا اخيط ثياب السلاطين فهل
تخاف ان اكون من اعوان الظلمة قال لا انما اعوان الظلمة من يبيع منك الخيط والابرة اما انت فمن الظلمة انفسهم
واما الاجابة فهي سنة مؤكدة وقد قيل بوجوبها في بعض المواضع قال عليه السلام لو دعيت الى
كراع لاجبت ولو اهدي الي ذراع لقبلت فللاجابة خمسة اداب **الاول** ان لا يميز الغني بالاجابة
على الفقير فذلك هو التكبر المنهي عنه ولاجل ذلك امتنع بعضهم عن اصل الاجابة وقال انتظار
المرقة ذل وقال الاخر اذا وضعت يدي في قصعة غيري فقد ذلت له رقبتي ومن المتكبرين من يجيب الاغنيا
دون الفقرا وهو خلاف السنة كان عليه السلام يجيب دعوة العبد ودعوة المسكين ومر الحسن
بن علي عليهما السلام بقوم من المساكين الذين يسالون الناس على قارعة الطريق وقد نشروا كسرا على الارض
في الرمل وهم ياكلون وهو على بغلته فسلم عليهم فقالوا هلم الغدا يا ابن رسول الله فقال نعم ان الله
لا يحب المستكبرين فنزل وقعد معهم على الارض واكل ثم سلم عليهم وقال قد اجبتكم فاجيبوني قالوا نعم
فوعدهم وقتا معلوما فحضروا فقدم اليهم فاخر الطعام وجلس ياكل معهم واما قول القائل من
وضع يده في قصعته فقد ذلت له رقبته فقد قال بعضهم هذا خلاف السنة وليس كذلك
فانه ذل اذا كان الداعي لا يفرح بالاجابة ولا يتقلد بها منة وكان يرى ذلك يدا له عند المدعو ورسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يحضر لعلمه بان الداعي له يتقلد منه ويرى ذلك شرفا وذخرا لنفسه في الدنيا
والاخرة وهذا يختلف باختلاف الحال فمن ظن به انه يستثقل الطعام وانما يفعل هذا مباهاة او
تكلفا فليس من السنة اجابته بل الاولى التعلل وكذلك قال بعض الصوفية لا تجب الا دعوة من يرى
انك اكلت رزقك وانه سلم اليك وديعة كانت لك عنده ويرى لك الفضل عليه في قبول
الوديعة منه وقال سري السقطي رضي الله عنه اه على لقمة ليس علي فيها تبعة ولا لمخلوق فيها منة فاذا
علم المدعو ان لا منة فلا ينبغي ان يرد قال ابو تراب النخشبي عرض علي طعام فامتنعت فابتليت بالجوع
اربعة عشر يوما فعلمت انه عقوبته وقيل لمعروف الكرخي كل من دعاك تمر اليه فقال انا ضيف انزل حيث
انزلوني **الثاني** انه لا ينبغي ان يمتنع عن الاجابة لبعد المسافة كما لا يمتنع لفقر الداعي وعدم جاهه
بل كل مسافة يمكن احتمالها في العادة لا يمتنع قال انه قد قيل في التورية او في بعض الكتب سر ميلا عد
مريضا سر ميلين شيع جنازة سر ثلثة اميال اجب دعوة سر اربعة اميال زر اخا في الله وانما قدم اجابة
الدعوة والزيارة لان فيها قضاء حق الحي فهو اولى من الميت وقال عليه السلام لو دعيت الى كراع الغميم

لاجبت وهو موضع على اميال من المدينة افطر رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه وقصر عنده في سفره
الثالث ان لا يمتنع لكونه صائما بل يحضر فان كان يسر اخاه افطاره فليفطر وليحتسب في افطاره
بنيته ادخال السرور على قلب اخيه ما يحتسب في الصوم وافضل يعتمد ذلك في صوم التطوع وان لم
يتحقق سروره فليصدقه بالظاهر وليفطر وان تحقق انه متكلف فليتعلل وقد قال عليه السلام
لمن امتنع بعذر الصوم تكلف لك اخوك وتقول اني صائم وقد قال ابن عباس من افضل الحسنات
اكرام الجلسا بالافطار فالافطار بهذه النية عبادة وحسن خلق وثوابه فوق ثواب الصوم ومهما لم يفطر فضيافته
الطيب والمجمرة والحديث الطيب وقد قيل الكحل والدهن احد القراين **الرابع** ان يمتنع من
الطعام ان كان الطعام طعام شبهة او الموضع او البساط المفروش غير حلال او كان يقام في الموضع
منكر من فرش ديباج او اناء فضة او تصوير حيوان على سقف او حائط او سماع شي من المزامير والملاهي
والتشاغل بنوع من اللهو والهزل واللعب فكل ذلك مما يمنع الاجابة واستحبابها ويوجب تحريمها او
كراهيتها وكذا اذا كان الداعي ظالما ومبتدعا او فاسقا او شريرا او متكلفا طالبا للمباهاة والفخر
الخامس ان لا يقصد بالاجابة قضا شهوة البطن فيكون عاملا في ابواب الدنيا بل يحسن نيته ليصير بالاجابة
عاملا للاخرة وذلك بان ينوي الاقتدا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله لو دعيت الى كراع
لاجبت وينوي الحذر من معصية الله لقوله عليه السلام من لم يجب الداعي فقد عصى الله ورسوله و
ينوي اكرام اخيه المؤمن اتباعا لقوله عليه السلام من اكرم اخاه المؤمن فكانما اكرم الله وينوي ادخال
السرور على قلبه امتثالا لقوله من سر مؤمنا فقد سر الله وينوي في ذلك زيارته ليكون من المتحابين في الله
اذ شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه التزاور والتباذل لله وقد حصل البذل من احد الجانبين
فتحصل الزيارة من جانبه ايضا وينوي صيانة نفسه عن ان يساء به الظن في امتناعه ويطلق اللسان
فيه بان يحمل على تكبر او سوء خلق او استحقار اخ مسلم وما يجري مجراه فهذه ست نيات تلحق اجابته بالقربات
احادها فكيف بمجموعها وكان بعض السلف يقول انا احب ان يكون لي في كل عمل نية حتى في الطعام
والشراب وفي مثل هذا قال عليه السلام انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله
ورسوله ومن كانت هجرته الى الدنيا يصيبها او امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه والنية انما تؤثر في
المباحات والطاعات اما المنهيات فلا فانه لو نوى ان يسر اخوانه في مساعدتهم على شرب الخمر او حرام
اخر لم تنفع النية ولم يجز ان يقال الاعمال بالنيات بل القصد بالغزو الذي هو طاعة المباهاة وطلب
المال انصرف عن جهة الطاعة وكذا المباح المردد بين وجوه الخيرات وغيرها يلتحق بوجوه الخيرات
بالنيات فتؤثر النية في هذين القسمين لا في القسم الثالث واما الحضور فادبه ان يدخل الدار ولا يتصدر
فياخذ احسن الاماكن بل يتواضع ولا يطول الانتظار عليهم ولا يعجل بحيث يفاجئهم قبل تمام الاستعداد
ولا يضيق المكان على الحاضرين بالزحمة بل ان اشار اليه صاحب الدار بموضع لم يخالفه البتة فانه يكون
قد رتب في نفسه موضع كل واحد فمخالفته تشوش عليه وان اشار اليه بعض الضيفان بالارتفاع اكراما
فليتواضع قال عليه السلام ان من التواضع لله الرضا بالدون من المجلس ولا ينبغي ان يجلس في مقابلة
باب حجرة النسا او سترهم ولا يكثر النظر الى الموضع الذي يخرج منه الطعام فانه دليل على الشره ويخص
بالتحية والسؤال من يقرب منه اذا جلس واذا دخل ضيف للمبيت فليعرفه صاحب الدار القبلة
وبيت الما وموضع الما كذلك فعل مالك بالشافعي رضي الله عنهما وغسل مالك يده قبل الطعام

قبل القوم وقال الغسل قبل الطعام لرب البيت اولى لانه يدعو الناس الى كرمه فحكمه ان يتقدم بالغسل
وفي اخر الطعام يتاخر بالغسل ينتظر من يدخل لياكل معه واذا دخل فرأى منكرا غيره ان قدر والا انكر بلسانه
وانصرف والمنكر فرش الديباج واستعمال اواني الفضة والذهب والتصوير على الحيطان وسماع الملاهي
والمزامير وحضور المتكشفات الوجوه وغير ذلك من المحرمات حتى قال احمد بن حنبل اذا راى مكحلة
راسها مفضض ينبغي ان يخرج ولم ياذن في الجلوس الا في ضبة وقال اذا رأى كلة ينبغي ان يخرج فان ذلك
تكلف لا فائدة له لا يدفع حرا ولا بردا ولا يستر شيئا وكذا قال يخرج اذا رأى حيطان البيت مستورة
بالديباج كستر الكعبة وقال اذا اكترى بيتا فيه صورة او دخل حماما فراى صورة فينبغي ان يحكها فان لم يقدر
خرج وكلما ذكره صحيح وانما النظر في الكلة وتزيين الحيطان بالديباج فان ذلك لا ينتهي الى التحريم
اذ الحرير يحرم على الرجال قال عليه السلام هذان محرمان على ذكور امتي وما على الحائط ليس منسوبا
الى الذكور ولو حرم هذا لحرم تزيين الكعبة بل الاولى اباحته بموجب قوله تعالى قل من حرم زينة الله
التي اخرج لعباده لا سيما في وقت الزينة اذ لم يتخذ عادة للتفاخر وان تخيل ان الرجال ينتفعون بالنظر
اليه فلا يحرم على الرجال الانتفاع بالنظر الى الديباج فيما لبسه الجواري والنساء والحيطان في معنى
النساء اذ ليس موصوفا بالذكورة فاما احضار الطعام فله اداب خمسة **الاول** تعجيل الطعام فذلك
من اكرام الضيف وقد قال عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه ومهما حضر الاكثر
وغاب واحد او اثنان وتاخروا عن الوقت الموعود فحق الحاضرين في التعجيل اولى من حق اولئك في التاخير
الا ان يكون المتاخر فقيرا او ينكسر قلبه بذلك فلا باس بالتاخير واحد المعنيين في قوله تعالى هل
اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين انهم اكرموا بتعجيل الطعام اليهم دل عليه قوله تعالى فما لبث ان جاء بعجل سمين
والروغان الذهاب بسرعة وقيل في خفية وقيل جاء بفخذ من لحم وانما سمي عجلا لانه عجله ولم يلبث قال حاتم
الاصم العجلة من الشيطان الا في خمسة فانها من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعام الضيف وتجهيز
الميت وتزويج البكر وقضاء الدين والتوبة من الذنب ويستحب التعجيل في الوليمة وقيل الوليمة
في اول يوم سنة وفي الثاني معروف وفي الثالث رياء **الثاني** ترتيب الاطعمة بتقديم الفاكهة
اولا ان كانت فذلك اوفق في الطب فانها اسرع استحالة فينبغي ان تقع في اسفل المعدة وفي القران
تنبيه على تقديم الفاكهة في قوله تعالى وفاكهة مما يتخيرون ثم قال ولحم طير مما يشتهون ثم افضل
ما يقدم بعد الفاكهة اللحم والثريد فقد قال عليه السلام فضل عائشة على النساء كفضل الثريد
على سائر الطعام فان جمع اليه حلاوة بعده فقد جمع الطيبات ودل على حصول الاكرام باللحم قوله تعالى
في ضيف ابراهيم اذ احضر العجل الحنيذ اي المحنوذ وهو الذي احد نضجه وهو احد معنيي الاكرام اعني
تقديم اللحم وقال تعالى في وصف الطيبات وانزلنا عليكم المن والسلوى اللحم سمي سلوى لانه يسلي عن الادام
ولا يقوم غيره مقامه ولذلك قال عليه السلام سيد الادام اللحم ثم قال بعد ذكر المن والسلوى كلوا
من طيبات ما رزقناكم فاللحم والحلاوة من الطيبات قال ابو سليمان الداراني اكل الطيبات يورث الرضا
عن الله وتتم هذه الطيبات بشرب الماء البارد وصب الماء الفاتر على اليد عند الغسل قال المأمون
شرب الماء بثلج يخلص الشكر لله تعالى وقال بعض الادباء اذا دعوت اخوانك فاطعمتهم حصرمية وبورانية
وسقيتهم ماء باردا فقد اكملت الضيافة وانفق بعضهم دراهم في ضيافة فقال بعض الحكماء لم يكن يحتاج
الى هذا اذا كان خبزك جيدا وماؤك باردا وخلك حامضا فهو كفاية وقال بعضهم الحلو بعد الطعام

خير من كثرة الالوان والتمكن على المائدة خير من زيادة لونين ويقال ان الملائكة تحضر المائدة اذا كان
بنهايتها بقل فذلك ايضا مستحب لما فيه من التزيين بالخضرة وفي الخبر ان المائدة التي انزلت على بني
اسرائيل كان عليها كل البقول الا الكراث وكان عليها سمكة عند راسها خل وعند ذنبها ملح وسبعة
ارغفة على كل رغيف زيتون وحب الرمان فهذا اذا اجتمع حسن الموافقة **الثالث** ان يقدم من الالوان
الطفها حتى يستوفي منها من يريد ولا يكثر الاكل بعده وعادة المترفين تقديم الغليظ ليستانف حركة
الشهوة بمصادفة اللطيف بعده وهو خلاف السنة فانه حيلة في استكثار الاكل وكان من سنة المتقدمين
ان يقدموا جملة الالوان دفعة واحدة ويصفون القصاع على المائدة لياكل كل واحد مما يشتهي وان لم
يكن الا لون واحد ذكره ليستوفوا منه ولا ينتظروا الاطيب منه ويحكى عن بعض ارباب المروءات انه كان
يكتب نسخة بما يستحضر من الالوان ويعرضه على الضيفان وقال بعض الشيوخ قدم الي بعض المشايخ
لونا بالشام فقلت عندنا بالعراق انما يقدم هذا اخرا فقال وكذا عندنا بالشام ولم يكن عنده لون غيره فخجلت
منه وقال اخر كنا جماعة في ضيافة فقدم الينا الوان من الرؤوس طبيخا وقديدا فكنا لا ناكل ننتظر بعدها
لونا او حملا فجاء بالطست ولم يقدم غيرها فنظر بعضنا الى بعض فقال بعض الشيوخ وكان
مزاحا ان الله تعالى يقدر ان يخلق رؤوسا بلا ابدان قال وبتنا تلك الليلة جياعا نطلب فتيتا للسحور
فلهذا يستحب ان يحضر الجميع او يخبر بما عنده **الرابع** ان لا يبادر الى رفع الالوان بل يمكنهم من الاستيفاء
الى ان يرفعوا الايدي عنها فلعل فيهم من يكون بقية ذلك اللون اشهى عنده مما استحضره او بقيت فيه
حاجة الى الاكل فيتنغص عليه بالمبادرة وهو من التمكن على المائدة الذي يقال انه خير من لونين
فيحتمل ان يكون المراد به قطع الاستعجال ويحتمل ان يراد به سعة المكان حكي عن السنوري وكان صوفيا
مزاحا انه حضر عند واحد من ابناء الدنيا على مائدة فقدم اليهم حملا وكان في صاحب المائدة بخل فلما
راى القوم قد مزقوا الحمل كل ممزق ضاق صدره وقال يا غلام ارفع الى الصبيان فرفع الحمل الى داخل
الدار فقام السنوري يعدو خلف الحمل فقيل له الى اين فقال اكل مع الصبيان فاستحيا الرجل
وامر برد الحمل ومن هذا الفن ان لا يرفع صاحب المائدة يده قبل القوم لانهم يستحيون بل ينبغي ان يكون
اخرهم اكلا كان بعض الكرام يخبر القوم بجميع الالوان ويتركهم يستوفون فاذا قاربوا الفراغ جثا على ركبتيه
ومد يده الى الطعام واكل وقال بسم الله ساعدوني بارك الله عليكم وكان السلف يستحسنون ذلك
منه **الخامس** ان يقدم من الطعام قدر الكفاية فان التقليل عن الكفاية نقص في المروءة والزيادة
عليه تصنع ومراياة لا سيما اذا كان لا تسمح نفسه بان ياكلوا الكل الا ان يقدم الكثير وهو طيب النفس
لو اخذوا الجميع وينوي ان يتبرك بفضلة طعامهم اذ في الحديث انه لا يحاسب عليه احضر ابراهيم بن
ادهم طعاما كثيرا على مائدته فقال له سفيان يا ابا اسحق اما تخاف ان يكون هذا سرفا فقال ابراهيم
ليس في الطعام سرف فان لم يكن هذه النية فالتكثير تكلف قال ابن مسعود نهينا ان نجيب دعوة من
يباهي بطعامه وكره جماعة من الصحابة اكل طعام المباهاة ومن ذلك كان لا يرفع من بين يدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلة طعام قط لانهم كانوا لا يقدمون الا قدر الحاجة ولا ياكلون تمام
الشبع وينبغي ان يعزل اولا نصيب اهل البيت حتى لا يكون اعينهم طامحة الى رجوع شيء منه فلعله لا
يرجع فتضيق صدورهم وتنطلق في الضيفان السنتهم ويكون قد اطعم الضيفان ما يتبعه
كراهية قوم فهو نوع من الخيانة في حقهم وما بقي من الاطعمة فليس للضيفان اخذه وهو الذي تسميه

الصوفية الزلة الا اذا صرح صاحب الطعام بالاذن فيه عن قلب طاهر او علم ذلك بقرينة حاله وانه يفرح
به فان كان يظن كراهيته فلا ينبغي ان يوخذ واذا علم رضاه فينبغي مراعاة العدل والنصفة مع
الرفقاء فلا ينبغي ان ياخذ الواحد الا ما يخصه او ما يرضى به رفيقه عن طوع لا عن حيا واما الانصراف فله
اداب ثلثة **الاول** ان يخرج مع الضيف الى باب الدار فهو سنة وذلك من اكرام الضيف وقد
امر باكرامه قال عليه السلام من كان يومن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه وقال عليه السلام ان من
سنة الضيفان يشيع الى باب الدار وقال ابو قتادة قدم علينا وفد النجاشي فقام رسول الله صلى الله
عليه وسلم يخدمهم بنفسه فقال له اصحابه نحن نكفيك يا رسول الله فقال لا انهم كانوا لاصحابي مكرمين
وانا احب ان اكافيهم وتمام الاكرام طلاقة الوجه وطيب الحديث عند الدخول والخروج وعلى المائدة
قيل للاوزاعي ما كرامة الضيف قال طلاقة الوجه وقال يزيد بن ابي زياد ما دخلت على عبد الرحمن
الا حدثني حديثا حسنا واطعمني طعاما حسنا **الثاني** ان ينصرف الضيف طيب النفس وان جرى في حقه
تقصير فذلك من حسن الخلق قال عليه السلام ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ودعي
بعض السلف برسول فلم يصادفه الرسول فلما سمع حضر وكانوا قد تفرقوا وفرغوا فخرج اليه صاحب
الدار وقال قد خرج القوم فقال هل بقي بقية قال لا قال فكسرة ان بقيت قال لم يبق قال فالقدر
امسحها قال قد غسلناها فانصرف يحمد الله تعالى فقيل له في ذلك فقال لقد احسن الرجل دعانا بنية وردنا
بنية فهذا معنى التواضع وحسن الخلق **وحكي** ان استاذ ابي القاسم الجنيد دعاه صبي الى دعوة ابيه اربع
مرات فرده الاب في المرات الاربع وهو يرجع في كل مرة تطييبا لقلب الصبي بالحضور ولقلب الاب بالانصراف
فهذه نفوس قد ذللت بالتواضع لله تعالى فاطمأنت بالتوحيد وصار صاحبها يشاهد في كل رد وقبول
عبرة فيما بينه وبين ربه فلا ينكسر فيما يجري من العباد من الاذلال كما لا يستبشر بما يجري منهم من الاكرام بل
يرون الكل من الواحد القهار ولذلك قال بعضهم اني لا اجيب الدعوة الا اني اتذكر بها طعام الجنة اي هو
طعام طيب يحمل عنا كده ومؤنته وحسابه **الثالث** ان لا يخرج الا برضا صاحب المنزل واذنه ويراعي قلبه
في قدر الاقامة واذا نزل ضيفا فلا يزيد على ثلثة ايام فربما يتبرم به ويحتاج الى اخراجه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الضيافة ثلثة فما زاد فصدقة نعم لو الح رب المنزل عن خلوص قلب فله المقام اذ ذاك ويستحب
ان يكون عنده فراش للضيف النازل قال عليه السلام فراش للرجل وفراش للمراة وفراش للضيف والرابع
للشيطان **فصل** يجمع ادابا ومناهي طبية وشرعية متفرقة **الاول حكي** ان ابرهيم ابن ادهم
النخعي انه قال الاكل في السوق دناءة واسندها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واسناده غريب وقد نقل
ضده عن بعضهم انه قال كنا ناكل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي ونشرب ونحن قيام ورئي
بعض المشايخ الصوفية المعروفين ياكل في السوق فقيل له في ذلك فقال ويحكم اجوع في السوق واكل في
البيت فقيل يدخل المسجد فقال استحيي منه ان ادخل بيته للاكل ووجه الجمع ان الاكل في السوق تواضع
وترك تكلف من بعض الناس فهو حسن وخرق مروة من بعضهم فهو مكروه ويختلف ذلك بعادات البلاد
واحوال الاشخاص فمن لا يليق ذلك بسائر اعماله حمل ذلك منه على قلة المروة وفرط الشره ويقدح ذلك في
الشهادة ومن يليق ذلك بجميع اعماله واحواله في ترك التكلف كان ذلك منه تواضعا **الثاني**
قال علي عليه السلام من ابتدا غذاءه بالملح اذهب الله تعالى عنه سبعين نوعا من البلاء ومن اكل في يوم سبع
تمرات عجوة قتلت كل دابة في بطنه ومن اكل كل يوم احدى وعشرين زبيبة حمراء لم ير في جسمه شيئا يكرهه ابدا و

اللحم ينبت اللحم والثريد طعام العرب والسفاذجات تعظم البطن وترخي الاليتين ولحم البقر داء ولبنها شفاء
وسمنها دواء والشحم يخرج مثله من الداء ولن تستشفي النفساء بشيء افضل من الرطب والسمك يذيب
الجسد وقراءة القران والسواك يذهبان البلغم ومن اراد البقاء ولا بقاء فليباكر الغداء وليقل غشيان
النساء وليخفف الرداء وهو الدين **الثالث** قال الحجاج لبعض الاطباء صف لي صفة اخذ بها ولا اعدوها
قال لا تنكح من النساء الا فتاة ولا تاكل من اللحم الا فتيا ولا تاكل المطبوخ حتى ينعم نضجه ولا تشربن دواء الا من
علة ولا تاكل من الفاكهة الا نضيجها ولا تاكلن طعاما الا اذا اجدت مضغه وكل ما احببت من الطعام
ولا تشربن عليه فاذا شربت فلا تاكل عليه شيئا ولا تحبس الغائط والبول واذا اكلت بالنهار فنم واذا اكلت
بالليل فامش قبل ان تنام ولو مائة خطوة وفي معناه قول العرب تغد تمدد وتعش تمش يعني تمدد
كما قال تعالى ثم ذهب الى اهله يتمطى اي يتمطط ويقال ان حبس البول يفسد الجسد كما يفسد النهر ما حوله
اذا سد مجراه **الرابع** في الخبر قطع العروق مسقمة وترك العشاء مهرمة والعرب يقول ترك الغداء
يذهب بلحم الكاذة يعني الالية قال بعض الحكماء لابنه يا بني لا تخرج من منزلك حتى تاخذ حلمك يعني
اي تتغدى ففيه بقاء الحلم وزوال الطيش وهو ايضا اقل للشهوة لما يرى في السوق وقال حكيم لسمين
ارى عليك قطيفة من نسج اضراسك فمما هي قال من اكل لباب البر وصغار المعز وادهن بخام بنفسج والبس
الكتان **الخامس** الحمية تضر بالصحيح كما ان تركها يضر بالمريض هكذا قيل وقال بعضهم من احتمى فهو على
يقين من المكروه وعلى شك من العوافي وهذا حسن في حال الصحة وراى رسول الله صلى الله عليه وسلم
صهيبا ياكل تمرا واحدى عينيه رمدة فقال اتاكل التمر وانت ارمد فقال يا رسول الله انما امضغ بالشق
الاخر يعني جانب السليمة فضحك صلى الله عليه وسلم **السادس** ان يحمل طعاما الى بيت الميت
واهله ولما جاء نعي جعفر بن ابي طالب قال عليه السلام ان ال جعفر شغلوا بميتهم عن صنع طعامهم
فاحملوا اليهم ما ياكلون فذلك سنة واذا قدم ذلك الى الجمع حل الاكل منه الا ما هيئ للنوائح و
المعينات بالبكاء عليه والجزع فلا ينبغي ان يوكل معهم **السابع** لا ينبغي ان يحضر طعام ظالم
فان اكره فليقلل الاكل ولا يقصد الطعام الاطيب رد بعض المزكين شهادة من حضر طعام سلطان
فقال كنت مكرها فقال رايتك تقصد الاطيب وتكبر اللقمة وما كنت مكرها عليه واجبر السلطان
هذا المزكي على الاكل فقال اما ان اكل واخلع التزكية او ازكي ولا اكل فلم يجدوا بدا من تزكيته فتركوه وحكي
ان ذا النون المصري حبس فلم ياكل اياما في السجن فكانت له اخت في الله فبعثت اليه من مغزلها
طعاما على يد السجان فامتنع ولم ياكل فعاتبته المراة بعد ذلك فقال كان حلالا ولكن جاءني على طبق
ظالم واشار الى يد السجان وهذا غاية الورع **الثامن** حكي عن فتح الموصلي انه دخل على بشر الحافي زائرا
فاخرج بشر درهما ودفعه الى احمد الجلاء وقال اشتري طعاما جيدا وادما طيبا قال فاشتريت خبزا
نظيفا وقلت لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم لشيء اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه سوى اللبن فاشتريت
اللبن واشتريت تمرا جيدا فقدمت اليه فاكل واخذ الباقي فقال بشر تعرفون لم قلت اشتر طعاما
طيبا لان الطعام الطيب يستخرج خالص الشكر تدرون لم لم يقل لي كل لانه ليس للضيف ان يقول لصاحب
الدار كل تدرون لم حمل ما بقي لانه اذا صح التوكل لم يضر الحمل **وحكي** ابو علي الروذباري عن جماعة انه اتخذ ضيافة
فاوقد فيها الف سراج فقال له رجل قد اسرفت فقال له ادخل فكل ما اوقدته لغير الله فاطفئه فدخل
الرجل فلم يقدر على اطفاء واحد منها فانقطع واشترى ابو علي الروذباري احمالا من السكر وامر الحلاوية

حتى يتواجدا واما من السكر عليه شرف ومحاريب على اعمدة منقوشة كلها من سكر ثم دعا الصوفية حتى هدموها وانتهبوها **التاسع** قال الشافعي الاكل على اربعة انحاء الاكل باصبع من المقت وباصبعين من الكبر وبثلاث اصابع من السنة وباربع وخمس من الشره واربع تقوي البدن اكل اللحم وشم الطيب و كثرة الغسل من غير جماع ولبس الكتان واربع توهن البدن كثرة الجماع وكثرة الهم وكثرة شرب الما على الريق وكثرة اكل الحموضة واربع تقوي البصر الجلوس حيال القبلة والكحل عند النوم والنظر الى الخضرة وتنظيف الملبس واربع توهن البصر النظر الى القذر والنظر الى المصلوب والنظر الى فرج المراة والقعود في استدبار القبلة واربعة تزيد في الجماع اكل العصافير واكل الاطريفل الاكبر واكل الجرجير والنوم على اربعة انحا النوم على القفا وهو نوم الانبيا عليهم السلام يتفكرون في خلق السموات والارض ونوم على اليمين وهو نوم العلما والعباد ونوم على الشمال وهو نوم الملوك ليهضم طعامهم ونوم على الوجه وهو نوم الشياطين واربع تزيد في العقل ترك الفضول من الكلام والسواك و مجالسة الصالحين والعلما واربع هن من العبادة الا يخطو خطوة الا على وضوء وكثرة السجود ولزوم المساجد وكثرة تلاوة القران وقال ايضا عجبت لمن يدخل الحمام على الريق ثم يوخر الاكل بعد ان يخرج كيف لا يموت وعجبت لمن احتجم ثم يبادر الاكل كيف لا يموت وقال لم ار شيئا انفع في الوبا من البنفسج يدهن به ويشرب تم الكتاب الاول من ربع العادات ويتلوه كتاب اداب النكاح وهو الكتاب الثاني من ربع العادات من كتاب احيا علوم الدين للغزالي رحمه الله والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الحمد لله الذي لا تصادف سهام الاوهام في عجائب صنعه مجرى ولا ترجع العقول عن اوائل بدائعها الا والهة حيرى ولا تزال لطائف نعمه على العالمين تترى فهي تتوالى عليهم اختيارا وقهرا ومن بدائع الطافه ان خلق من الما بشرا فجعله نسبا وصهرا وسلط على الخلق شهوة اضطرهم بها الى الحراثة جبرا واستبقى بها نسلهم اقهارا وقسرا ثم عظم امر الانساب وجعل لها قدرا فحرم بسببها السفاح وبالغ في تقبيحه ردعا وزجرا وجعل اقتحامه جريمة فاحشة وامرا امرا وندب الى النكاح وحث عليه استحبابا وامرا فسبحان من كتب الموت على عباده فاذلهم به هدما وكسرا ثم بث بذور النطف في اراضي الارحام وانشا منها خلقا وجعله لكسر الموت جبرا تنبيها على ان بحار المقادير فياضة على العالمين نفعا وضرا وخيرا وشرا وعسرا ويسرا وطيا ونشرا والصلاة على محمد المبعوث بالانذار والبشرى وعلى اله واصحابه صلوة لا يستطيع لها الحساب عدا ولا حصرا وسلم تسليما كثيرا **اما بعد** فان النكاح معين على الدين ومهين للشياطين وحصن دون عدو الله حصين وسبب للتكثير الذي به مباهاة سيد المرسلين لسائر النبيين فما احراه بان تتحرى اسبابه وتحفظ سننه واادابه وتشرح مقاصده واربه وتفصل فصوله وابوابه **الباب الاول** في الترغيب فيه وعنه **الباب الثاني** في الاداب المرعية في العقد والعاقدين **الباب الثالث** في اداب المعيشة بعد العقد الى الفراق **الباب الاول** في الترغيب في النكاح والترغيب عنه اعلم ان العلما قد اختلفوا في فضل النكاح فبالغ بعضهم فيه حتى زعم انه افضل من التخلي لعبادة الله فهما لم يتق النفس الى النكاح توقانا يشوش الحال ويدعو الى الوقاع وقال الاخرون

الافضل تركه في زماننا هذا وقد كان له فضيلة من قبل اذ لم تكن الاكساب محظورة واخلاق النساء مذمومة ولا ينكشف الحق فيه الا بان نقدم اولا ما ورد من الاخبار والاثار في الترغيب عنه ثم نشرح فوائد النكاح وغوائله حتى يتضح منها فضيلة النكاح وتركه في حق من سلم من غوائله او لم يسلم **الترغيب في النكاح** اما من الايات قال الله تعالى وانكحوا الايامى منكم والصالحين وهذا امر وقال تعالى ولا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن وهذا منع من العضل ونهي عنه وقال في وصف الرسل ومدحهم ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية فذكر ذلك في معرض الامتنان واظهار الفضل ومدح اوليائه بسؤال ذلك في الدعا فقال والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين الاية ويقال ان الله تعالى لم يذكر في كتابه من الانبيا الا المتاهلين فقالوا ان يحيى عليه السلام قد تزوج ولم يجامع قيل انما فعل ذلك لنيل الفضل واقامة السنة وقيل لغض البصر واما عيسى عليه السلام فانه سينكح اذا نزل الى الارض ويولد له واما الاخبار فقوله عليه السلام النكاح سنتي فمن احب فطرتي فليستن بسنتي وقال ايضا تناكحوا تكثروا فاني اباهي بكم الامم يوم القيمة حتى بالسقط وقال ايضا من رغب عن سنتي فليس مني وان من سنتي النكاح فمن احبني فليستن بسنتي وقال عليه السلام من ترك التزويج مخافة العيلة فليس منا وهذا ذم لعلة الامتناع لا لاصل الترك وقال عليه السلام من كان ذا طول فليتزوج وقال من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لا فليصم فان الصوم له وجا وهذا يدل على ان سبب الترغيب فيه خوف الفساد في العين والفرج والوجا هو عبارة عن رض الخصيتين من الفحل حتى تزول فحولته فهو مستعار للضعف عن الوقاع بالصوم وقال عليه السلام اذا اتاكم من ترضون دينه وامانته فزوجوه الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير وهذا ايضا تعليل الترغيب لخوف الفساد وقال عليه السلام من نكح لله وانكح لله استحق ولاية الله وقال عليه السلام من تزوج فقد احرز شطر دينه فليتق الله في الشطر الاخر وهذا ايضا اشارة الى ان فضيلته لاجل التحرز من المخالفة تحصنا من الفساد وكان المفسد لدين المرء في الاغلب بطنه وفرجه وقد كفي بالتزويج احدهما وقال عليه السلام كل عمل ابن ادم ينقطع الا ثلث فذكر فيه وولد صالح يدعو له الحديث ولا يوصل الى هذا الا بالنكاح **واما الاثار فقد** قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يمنع من النكاح الا عجز او فجور فبين ان الدين غير مانع منه وحصر المانع في امرين مذمومين وقال ابن عباس رضي الله عنهما لا يتم نسك الناسك حتى يتزوج ويحتمل انه جعله من النسك وتتمة له ولكن الظاهر انه اراد به انه لا يسلم قلبه لغلبة الشهوة الا بالتزويج ولا يتم النسك الا بفراغ القلب ولذلك كان يجمع غلمانه لما ادركوا عكرمة وكريبا وغيرهما ويقول ان اردتم النكاح انكحتكم فان العبد اذا زنى نزع الايمان من قلبه وكان يقول ابن مسعود رضي الله عنه لو لم يبق من عمري الا عشرة ايام لاحببت ان اتزوج لكي لا القى الله عزبا ومات امراتان لمعاذ بن جبل في الطاعون وكان هو ايضا مطعونا فقال زوجوني فاني اكره ان القى الله عزبا وهذا منهما يدل على انهما رايا في النكاح فضلا لا من حيث التحرز عن غائلة الشهوة وكان ابن عمر رضي الله عنه يكثر النكاح ويقول ما اتزوج الا لاجل الولد وكان بعض الصحابة قد انقطع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخدمه ويبيت عنده لحاجة ان طرقته فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تتزوج فقال يا رسول الله اني فقير لا شي لي وانقطع عن خدمتك فسكت ثم عاد ثانيا فاعاد الجواب ثم تفكر الصحابي وقال والله لرسول الله اعلم بما يصلحني في دنياي واخرتي وما يقربني الى الله لئن قال الثالثة لافعلن فقال له ثالثة

لا تتزوج قال فقلت يا رسول الله زوجني فقال اذهب الى بني فلان فقل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يامركم ان تزوجني فتاتكم قال فقلت يا رسول الله لا شي لي فقال لاصحابه اجمعوا لاخيكم وزن نواة من
ذهب فجمعوا له فذهب به الى القوم فانكحوه فقال اولم وجمع له من اصحابه شاة للوليمة وهذا التكرير
يدل على فضل في نفس النكاح ويحتمل انه توسم فيه الحاجة الى النكاح وحكي ان بعض العباد في الامم السالفة
فاق اهل زمانه في العبادة فذكر لنبي زمانه حسن عبادته فقال نعم الرجل هو لولا انه تارك لشي من السنة
فاغتم العابد لما سمع فسال النبي عن ذلك فقال انت تارك للتزويج **فقال** لست احرمه ولكني فقير
وانا عيال على الناس قال فانا ازوجك ابنتي فزوجه النبي صلى الله عليه وسلم ابنته وقال بشر بن الحارث
فضل احمد بن حنبل علي بثلث بطلب الحلال لنفسه ولغيره وانا اطلبه لنفسي فقط ولاتساعه في
النكاح وضيقي عنه ولانه نصب اماما للعامة ويقال ان احمد تزوج في اليوم الثاني من وفاة ام
ولده عبد الله وقال اكره ان ابيت عزبا واما بشر فانه لما قيل له ان الناس يتكلمون فيك لتركك
النكاح ويقولون هو تارك للسنة فقال قل لهم هو مشغول بالفرض عن السنة وعوتب مرة اخرى
فقال ما يمنعني من التزويج الا قوله تعالى ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف فذكر ذلك لاحمد فقال واين
مثل بشر انه قعد على مثل حد السيف ومع ذلك فقد قيل انه رئي بعد وفاته في المنام فقيل له ما
فعل الله بك فقال رفعت منازلي في الجنة واشرف بي على مقامات الانبيا ولم ابلغ منازل المتاهلين
وفي رواية قال لي ما كنت احب ان تلقاني عزبا قال فقلنا له ما فعل ابو نصر التمار فقال رفع فوقي بسبعين
درجة قلنا بماذا فقد كنا نراك فوقه قال بصبره على بنياته والعيال وقال سفيان بن عيينة
كثرة النسا ليس من الدنيا لان عليا رضي الله عنه كان ازهد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان له اربع نسوة وسبع عشرة سرية فالنكاح سنة ماضية وخلق من اخلاق الانبيا وقال رجل
لابرهيم بن ادهم طوبى لك فقد تفرغت للعبادة بالعزوبة فقال لروعة منك بسبب العيال افضل
من جميع ما انا فيه فقال فما الذي يمنعك من النكاح قال ما لي حاجة في امراة وما اريد ان اغر امراة بنفسي
وقد قيل فضل المتاهل على العازب كفضل المجاهد على القاعد وركعة من متاهل افضل من سبعين
ركعة من عازب واما ما جا في الترغيب عن النكاح فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم خير الناس بعد المايتين
الخفيف الحاذ الذي لا اهل له ولا ولد وقال عليه السلام ياتي على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد
زوجته وابويه وولده يعيرونه بالفقر ويكلفونه ما لا يطيق فيدخل المداخل التي يذهب فيها دينه
فيهلك وفي الخبر قلة العيال احد اليسارين وكثرته احد الفقرين **وسئل** ابو سليمن الداراني عن النكاح
فقال الصبر عنهن خير من الصبر عليهن والصبر عليهن خير من الصبر على النار وقال ايضا الوحيد يجد
من حلاوة العمل وفراغ القلب ما لا يجد المتاهل وقال مرة ما رايت احدا من اصحابنا تزوج فثبت على مرتبته
الاولى وقال ايضا ثلث من طلبهن فقد ركن الى الدنيا من طلب معاشا او تزوج امراة او كتب الحديث وقال
الحسن اذا اراد الله بعبد خيرا لم يشغله باهل ولا مال وقال ابن ابي الحواري تناظر جماعة في هذا الحديث
فاستقر رايهم على انه ليس معناه ان لا يكونا له بل معناه ان يكونا له ولا يشغلانه وهو اشارة الى قول ابي
سليمن الداراني ما شغلك عن الله من اهل ومال وولد فهو عليك مشوم وبالجملة لم ينقل عن احد الترغيب
عن النكاح مطلقا الا مقرونا بشرط واما الترغيب في النكاح فقد ورد مطلقا ومقرونا بشرط فلنكشف
عنه الغطا بحصر افات النكاح وفوايده

بيان افات النكاح وفوايده

وفيه فوايد
خمس الولد وكسر الشهوة وتدبير المنزل وكثرة العشيرة ومجاهدة النفس بالقيام بهن **الفايدة**
الاولى الولد وهو الاصل وله وضع النكاح والمقصود ابقا النسل وان لا يخلو العالم عن جنس الانس وانما
الشهوة خلقت باعثة مستحثة كالموكل بالفحل في اخراج البذر وبالانثى في التمكين من الحرث تلطفا
بهما في السياقة الى اقتناص الولد بسبب الوقاع كالتلطف بالطير في بث الحب الذي يشتهيه
ليساق الى الشبكة وكانت القدرة الازلية غير قاصرة عن اختراع الاشخاص ابتدا من غير حراثة وازدواج
ولكن الحكمة اقتضت ترتيب المسببات على الاسباب مع الاستغنا عنها وحقت به الكلمة وجرى به القلم
وفي التوصل الى الولد قربة من اربعة اوجه هي الاصل في الترغيب فيه عند الامن من غوايل الشهوة
حتى لم يحب احدهم ان يلقى الله تعالى عزبا **الاول** موافقة محبة الله بالسعي في تحصيل الولد لتبقى جنس
الانسان **والثاني** طلب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في تكثير من به مباهاته **والثالث**
طلب التبرك بدعا الولد الصالح بعده **والرابع** طلب الشفاعة بموت الولد الصغير اذا مات قبله
اما الوجه الاول فهو ادق الوجوه وابعدها عن افهام الجماهير وهو احقها واقواها عند ذوي
البصاير النافذة في عجايب صنع الله تعالى ومجاري حكمته وبيانه ان السيد اذا سلم الى عبده البذر
والات الحرث وهيا له ارضا مهياة للحراثة وكان العبد قادرا على الحراثة ووكل به من يتقاضاه عليها
فان تكاسل وعطل الة الحرث وترك البذر ضايعا حتى فسد ودفع الموكل عن نفسه بنوع من الحيلة
كان مستحقا للمقت والعتاب من سيده والله سبحانه وتعالى خلق الزوجين الذكر والانثى وخلق الذكر
والانثيين وخلق النطفة في الفقار وهيا لها في الانثيين عروقا ومجاري وخلق الرحم قرارا ومستودعا
للنطفة وسلط متقاضي الشهوة على كل واحد من الذكر والانثى فهذه الالات والافعال تشهد بلسان
ذلق في الاعراب عن مراد خالقها وتنادي ارباب الالباب بتعريف ما اعدت له هذا ان لم يصرح الخالق
على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بالمراد حيث قال تناكحوا تكثروا فكيف وقد صرح بالامر وباح بالسر فكل
ممتنع من النكاح معرض عن الحراثة مضيع للبذر معطل لما خلق من الالات المعدة وجان على مقصود الفطرة
والحكمة المفهومة من شواهد الخلقة المكتوبة على هذه الاعضا بخط الهي ليس برقم حروف واصوات
يقراه كل من له بصيرة ربانية نافذة في ادراك دقايق الحكمة الازلية ولذلك عظم الشرع الامر في قتل
الاولاد وفي الواد لانه منع لتمام الوجود واليه اشار من قال العزل الواد الخفي فالناكح ساع في اتمام
ما احب الله تمامه والمعرض معطل ومضيع لما كره الله تعالى ضياعه ولاجل محبة الله تعالى
لبقا النفوس امر بالاطعام وحث عليه وعبر عنه بعبارة القرض فقال من ذا الذي يقرض الله قرضا
حسنا فان قلت قولك ان بقا النفس والنسل محبوب يوهم ان فناها مكروه عند الله تعالى وهو فرق
بين الموت والحياة بالاضافة الى ارادة الله تعالى ومعلوم ان الكل بمشية الله تعالى وان الله غني عن
العالمين فمن اين يتميز عنده موتهم عن حياتهم وبقاوهم عن فناهم فاعلم ان هذه كلمة حق اريد بها
باطل فان ما ذكرناه لا ينافي اضافة الكاينات كلها الى ارادة الله تعالى خيرها وشرها ونفعها وضرها
ولكن المحبة والكراهة يتضادان وكلاهما لا يضادان الارادة فرب مراد مكروه ورب مراد محبوب فالمعاصي
مكروهة وهي مع الكراهة مرادة والطاعات مرادة وهي مع كونها مرادة محبوبة ومرضية اما الكفر والشر
فلا نقول انه مرضي ومحبوب بل هو مراد وقد قال الله تعالى فكراهته كالبقا وهو تعالى يقول ما ترددت
في شي كترددي في قبض روح عبدي المومن يكره الموت واكره مساءته ولا بد له منه فقوله لا بد له

منه اشارة الى سبق الارادة والتقدير المذكور في قوله نحن قدرنا بينكم الموت وفي قوله الذي خلق
الموت والحيوة لا مناقضة بين قوله قدرنا بينكم الموت وبين قوله وانا اكره مسائته ولكن ايضاح الحق
فيه يستدعي تحقيق معنى الارادة والمحبة والكراهة وبيان حقايقها فان السابق الى الافهام منها امور تناسب
ارادة الخلق ومحبتهم وكراهيتهم وهيهات فبين صفات الله تعالى وصفات الخلق البعد ما بين ذاته
وذواتهم وكما ان ذوات الخلق جوهر وعرض وذوات الله مقدس عنه ولا تناسب ما ليس بجوهر وعرض
الجوهر والعرض فكذا صفات الله تعالى لا يناسب صفات الخلق وهذه الحقايق داخلة في علم المكاشفة
ووراءها سر القدر الذي منع من افشائه فلنقتصر عن ذكره ولنقتصر على ما نبهنا عليه من الفرق و
بين الاقدام على النكاح والاحجام عنه فان احدهما مضيع نسلا ادام الله وجوده من لدن ادم عليه
السلام عقبا بعد عقب الى ان انتهى اليه فالممتنع عن النكاح قد حسم الوجود والمستدام وجوده ادم على
نفسه فمات ابتر لا عقب له ولو كان الباعث على النكاح مجرد دفع الشهوة لما قال معاذ في الطاعون زوجوني لا القى
الله عزبا فان قلت فما كان معاذ يتوقع ولدا في ذلك الوقت فما وجه رغبته فيه فاقول الولد يحصل بالوقاع
ويحصل الوقاع بباعث الشهوة وذلك امر لا يدخل في الاختيار انما المتعلق باختيار العبد احضار المحرك
للشهوة وذلك متوقع في كل حال فمن عقد فقد ادى ما عليه وفعل ما اليه والباقي خارج عن اختياره
ولذلك يستحب النكاح للعنين ايضا فان نهضات الشهوة خفية لا يطلع عليها حتى ان الممسوح الذي
لا يتوقع له ولد لا ينقطع الاستحباب ايضا في حقه على الوجه الذي يستحب للاصلع امرار الموسى على
راسه اقتداء بغيره وتشبيها بالسلف الصالحين وكما يستحب الرمل والاضطباع في الحج الان وقد
كان المراد منه اولا اظهار الجلد للكفار فصار التشبه والاقتداء بالذين اظهروا الجلد سنة في حق من
بعدهم ويضعف هذا الاستحباب بالاضافة الى الاستحباب في حق القادر على الحرث وربما يزداد
ضعفا بما يقابله من كراهة تعطيل المراة وتضييعها فيما يرجع الى قضاء الوطر فان ذلك لا يخلو عن
نوع من الخطر فهذا المعنى هو الذي ينبه على شدة انكارهم لترك النكاح مع فتور الشهوة **الوجه
الثاني** السعي في محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضاه بتكثير ما به مباهاته اذ قد صرح بذلك
ويدل على مراعاة امر الولد جملة بالوجه كلها ما روي عن عمر رضي الله عنه انه كان ينكح كثيرا ويقول انما
انكح للولد وما روي من الاخبار في مذمة المراة العقيم اذ قال عليه السلام لحصير في ناحية البيت خير
من امراة لا تلد وقال خير نسائكم الولود الودود وقال سوداء ولود خير من حسناء لا تلد وهذا يدل على
ان طلب الولد ادخل في اقتضاء فضل النكاح من طلب دفع غائلة الشهوة لان الحسناء اصلح للتحصين و
غض البصر وقطع الشهوة **الوجه الثالث** ان يبقى بعده ولدا صالحا يدعو له كما ورد في الخبر ان
جميع عمل ابن ادم ينقطع الا ثلثة وفي الخبر ان الادعية تعرض على الموتى على اطباق من نور وقول القائل
ان الولد ربما لم يكن صالحا لا يؤثر فانه مؤمن والغالب على اولاد ذوي الدين الصلاح لا سيما اذا عزم
على تربيته وحمله على الصلاح وبالجملة دعاء المؤمن لابويه مفيد برا كان او فاجرا فهو مثاب على دعواته و
حسناته فانه من كسبه وغير مؤاخذ بسيئاته فانه لا تزر وازرة وزر اخرى ولذلك قال تعالى الحقنا بهم
ذرياتهم وما التناهم من عملهم من شيء اي ما نقصناهم من اعمالهم وجعلنا اولادهم
مزيدا في احسانهم **الوجه الرابع** ان يموت الولد قبله فيكون له شفيعا فقد ورد في الخبر عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الطفل يجر بابويه الى الجنة وفي بعض الاخبار ياخذ بثوبه كما انا الان اخذ بثوبك

وقال ايضا ان المولود يقال له ادخل الجنة فيقف على باب الجنة فيظل محبنطئا غيظا وغضبا و
يقول لا ادخل الجنة الا وابواي معي فيقال ادخلوا ابويه معه الجنة وفي خبر اخر ان الاطفال يجتمعون
في موقف القيمة عند عرض الخلائق للحساب فيقال للملائكة اذهبوا بهؤلاء الى الجنة فيقفون على
باب الجنة فيقال لهم مرحبا بذراري المسلمين ادخلوا لا حساب عليكم فيقولون واين اباؤنا وامهاتنا
فيقول الخزنة ان اباءكم وامهاتكم ليسوا مثلكم انهم كانت لهم ذنوب وسيئات فهم يحاسبون عليها و
يطالبون فيتضاغون ويضجون على باب الجنة ضجة واحدة فيقول الله سبحانه وتعالى وهو اعلم بهم
ما هذه الضجة فيقولون يا ربنا اطفال المسلمين قالوا لا ندخل الجنة الا مع ابائنا فيقول الله تخللوا الجمع
فخذوا بايدي ابائكم فادخلوهم الجنة وقال عليه السلام من مات له ثلثة لم يبلغوا الحنث ادخله الله
الجنة بفضل رحمته اياهم قيل يا رسول الله واثنان قال واثنان **وحكي** ان بعض الصالحين كان يعرض
عليه التزويج فيابى برهة من دهره قال فانتبه من نومه ذات يوم وقال زوجوني زوجوني فزوجوه
فسئل عن ذلك فقال لعل الله يرزقني ولدا ويقبضه فيكون لي مقدمة في الاخرة ثم قال رايت في
المنام كان القيمة قد قامت وكاني في جملة الخلائق في الموقف وبي من العطش ما كاد ان يقطع عنقي
وكذا الخلائق في شدة العطش والكرب فنحن كذلك اذ ولدان يتخللون الجمع عليهم مناديل من
نور وبايديهم اباريق من فضة واكواب من ذهب وهم يسقون الواحد بعد الواحد يتخللون الجمع و
يتجاوزون اكثر الناس فمددت يدي الى احدهم وقلت اسقني فقد اجهدني العطش فقال ليس لك فينا ولد
انما نسقي اباءنا فقلت ومن انتم فقالوا نحن من مات من اطفال المسلمين واحد المعاني المذكورة في قوله
تعالى فاتوا حرثكم انى شئتم وقدموا لانفسكم تقديم الاطفال الى الاخرة فقد ظهر بهذه الوجوه الاربعة
ان اكثر فضل النكاح لاجل كونه سببا للولد **الفائدة الثانية** التحصن عن الشيطان وكسر التوقان
ودفع غوائل الشهوة وغض البصر وحفظ الفرج واليه الاشارة بقوله عليه السلام عليكم بالباءة فمن لم
يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء واكثر ما نقلناه من الاخبار والاثار اشارة الى هذا المعنى و
هذا المعنى دون الاول لان الشهوة موكلة بتقاضي تحصيل الولد فالنكاح كاف وداع يدعوه وصارف لشر
سطوته وليس من يجيب مولاه رغبة في تحصيل رضاه كمن يجيب لطلب الخلاص عن غائلة التوكيل فالشهوة
والولد مقدران وبينهما ارتباط وليس يجوز ان يقال المقصود اللذة والولد لازم منها كما يلزم مثلا
قضاء الحاجة من الاكل وليس مقصودا في ذاته بل الولد هو المقصود بالفطرة والحكمة والشهوة باعثة عليه
ولعمري في الشهوة حكمة اخرى سوى الارهاق الى الايلاد وهو ما في قضائها من اللذة التي لا توازيها
لذة لو دامت فهي منبهة على اللذات الموعودة في الجنان اذ الترغيب في لذة لم يجد لها ذواقا لا ينفع
فلو رغب العنين في لذة الجماع او الصبي في لذة الملك والسلطنة لم ينفع الترغيب فاحدى فوائد لذات
الدنيا الرغبة في دوامها في الجنة ليكون باعثا على عبادة الله تعالى فانظر الى الحكمة ثم الى الرحمة ثم الى
التعبية الالهية كيف عبيت بقاء نسل المراة فانه نوع من دوام الوجود والحيوة الباطنة هي الحيوة الاخروية
فان هذه اللذة الناقصة بسرعة الانصرام تحرك الرغبة في اللذة الكاملة بلذة الدوام فتستحث على العبادة
الموصلة اليها فيستفيد العبد بشدة الرغبة فيها تيسر المواظبة على ما يوصله الى نعيم الجنان
وما من ذرة من ذرات بدن الانسان ظاهرا وباطنا بل من ذرات ملكوت السموات والارض الا وتحتها
من لطايف الحكمة وعجايبها وغرائبها ما تحار العقول فيه ولكن انما ينكشف للقلوب الطاهرة بقدر

صفائها وصدودها عنها عن زهرة الدنيا وغرورها واعلم انما النكاح بسبب دفع غائلة الشهوة مهم في
الدين لكل من لا يؤتى عن عجز وعنة وهم غالب الخلق فان الشهوة ان غلبت ولم يقاومها قوة التقوى جرت
الى اقتحام الفواحش واليه الاشارة بقوله عليه السلام الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير
وان كان ملجما بلجام التقوى فغايته ان يكف الجوارح عن اجابة الشهوة فيغض البصر ويحفظ الفرج
فاما حفظ القلب عن الوسواس والفكر فلا يدخل تحت اختياره بل لا تزال النفس تجاذبه وتحدثه بامور
الوقاع ولا يفتر عنه الشيطان الموسوس اليه في اكثر الاوقات وقد تعرض له ذلك في اثناء الصلاة
حتى يجري على خاطره من امور الوقاع ما لو صرح به بين يدي اخس الخلق لاستحيا منه والله مطلع
على قلبه والقلب في حق الله كاللسان في حق الخلق وراس الامر للمريد في سلوك طريق الآخرة قلبه و
المواظبة على الصوم لا يقطع مادة الوسواس في حق اكثر الخلق الا ان ينضاف اليه ضعف في البدن
وفساد في المزاج ولذلك قال ابن عباس لا يتم نسك الناسك الا بالنكاح وهذه محنة عامة قل من
يتخلص منها قال قتادة في معنى قوله تعالى ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به هو الغلمة وعن عكرمة ومجاهد
انهما قالا وخلق الانسان ضعيفا انه لا يصبر على النساء وقال فياض بن نجيح اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا
عقله وبعضهم يقول ذهب ثلث دينه وفي نوادر التفسير عن ابن عباس ومن شر غاسق اذا وقب
قال قيام الذكر وهذه بلية غالبة اذا هاجت لا يقاومها عقل ولا دين وهي مع انها صالحة لان
يكون باعثة على الحيوتين كما سبق فهي اقوى آلة الشيطان على بني آدم واليه اشار عليه السلام بقوله
ما رايت ناقصات عقل ودين اغلب لذوي الالباب منكن وانما ذلك لهيجان الشهوة وقال عليه
السلام في دعائه اللهم اني اعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي وشر منيي وقال اعوذ بك من شر
نفسي واسألك ان تطهر قلبي وتحفظ فرجي فما يستعيذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم
كيف يجوز التساهل فيه وكان بعض الصالحين يكثر النكاح حتى لا يكاد يخلو من اثنين وثلث فانكر عليه
بعض الصوفية فقال هل يعرف احد منكم انه جلس بين يدي الله تعالى جلسة او وقف وقفة بين يديه
موقفا في معاملة فخطر على قلبه خاطر شهوة فقالوا يصيبنا من ذلك كثير فقال لو رضيت في عمري
كله بمثل حالكم في وقت واحد لما تزوجت لكني ما خطر على قلبي خاطر يشغلني عن حالي الا نفذته لاستريح
منه وارجع الى شغلي ومنذ اربعين سنة ما خطر على قلبي معصية وانكر بعض الناس حال الصوفية
فقال له بعض ذوي الدين ما الذي ينكر من حالهم فقال ياكلون كثيرا فقال وانت ايضا لو جعت كما يجوعون
لاكلت كما ياكلون فقال وينكحون كثيرا فقال وانت ايضا لو حفظت عينك وفرجك كما يحفظون
لنكحت كما ينكحون وكان الجنيد يقول احتاج الى الجماع كما احتاج الى القوت فالزوجة على التحقيق قوت و
طهارة القلب هي سببه ولذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من وقع بصره على امراة وتاقت
نفسه اليها ان يجامع اهله لان ذلك يدفع الوسواس عن النفس وروى جابر ان النبي صلى الله
عليه وسلم راى امراة فدخل على زينب فقضى حاجته وخرج وقال ان المراة اذا اقبلت اقبلت في
صورة شيطان فاذا راى احدكم امراة فاعجبته فليات اهله فان الذي معها مثل الذي
معها وقال عليه السلام لا تدخلوا على المغيبات التي غاب عنها زوجها فان الشيطان يجري
من احدكم مجرى الدم قلنا ومنك قال ومني ولكن الله اعانني عليه فاسلم قال سفيان بن عيينة فاسلم
انا منه هذا معناه فان الشيطان لا يسلم ولذلك يحكى عن ابن عمر وكان من زهاد الصحابة وعلمائهم انه

كان يفطر من الصوم على الجماع قبل الاكل وربما جامع قبل ان يصلي المغرب ثم يغتسل وذلك لتفريغ القلب
لعبادة الله تعالى واخراج عدة الشيطان منه وروي انه جامع ثلثة من جواريه في شهر رمضان قبل
العشاء الآخرة وقال ابن عباس خير هذه الامة اكثرها نساء ولما كانت الشهوة اغلب على مزاج العرب كان
استكثار الصالحين منهم للنكاح اكثر ولاجل فراغ القلب ابيح نكاح الامة عند خوف العنت مع ان
فيه ارقاقا للولد وهو نوع اهلاك وهو محرم على كل من قدر على حرة ولكن ارقاق الولد اهون من اهلاك
الدين وليس فيه الا تنغيص الحيوة على الولد مدة وفي اقتحام الفاحشة تفويت الحيوة الاخروية
التي تستحقر الاعمار الطويلة بالاضافة الى يوم من ايامها وروي انه انصرف الناس ذات
يوم من مجلس ابن عباس رضي الله عنه وبقي شاب لم يبرح فقال ابن عباس هل لك حاجة قال نعم اردت
ان اسال مسالة فاستحييت من الناس وانا الآن اهابك واجلك فقال ابن عباس ان العالم
بمنزلة الوالد فما كنت افضيت به الى ابيك فافض به الي فقال اني شاب لا زوجة لي وربما خشيت العنت
على نفسي وربما استمنيت بيدي فهل في ذلك معصية فاعرض عنه ابن عباس ثم قال اف وتف
نكاح الامة خير منه وهو خير من الزنا وهذا تنبيه على ان العزب المغتلم مردد بين ثلثة شرور ادناها
نكاح الامة وفيه ارقاق الولد واشد منه الاستمناء باليد وافحشه الزنا ولم يطلق ابن عباس
رضي الله عنه الاباحة في شيء منه لانهما محذوران يفزع اليهما حذرا من الوقوع في محذور
اشد منه كما يفزع الى تناول الميتة حذرا من هلاك النفس فليس ترجيح اهون الشرين في معنى
الاباحة المطلقة ولا في معنى الخير المطلق وليس قطع اليد المتآكلة من الخيرات وان كان يؤذن
فيه عند اشراف النفس على الهلاك فاذن في النكاح **فضل** من هذا الوجه لكن هذا لا
يعم الكل بل الاكثر فرب شخص فترت شهوته لكبر سن او مرض او غيره فينعدم هذا الباعث في حقه ويبقى
ما سبق من امر الولد فان ذلك عام الا للممسوح وهو نادر ومن الطباع ما تغلب عليها الشهوة بحيث
لا تحصنه المراة الواحدة فيستحب لصاحبها الزيادة على الواحدة الى الاربع فان يسر الله له مودة و
رحمة واطمأن قلبه بهن والا فيستحب له الاستبدال فقد نكح علي رضي الله عنه بعد وفاة فاطمة
عليها السلام بسبع ليال ويقال ان الحسن بن علي رضي الله عنهما كان منكاحا حتى نكح زيادة على مايتي
امراة وكان ربما عقد على اربع في وقت واحد وربما طلق اربعا في وقت واحد واستبدل بهن
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للحسن اشبهت خلقي وخلقي وقال الحسن مني وحسين
من علي فقيل ان كثرة نكاحه احد ما اشبه به خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوج المغيرة بن
شعبة بثمانين امراة وكان في الصحابة من له الثلث والاربع ومن كان له اثنتان لا يحصى ومهما
كان الباعث معلوما فينبغي ان يكون العلاج بقدر العلة والمراد تسكين النفس فلينظر اليه في
الكثرة والقلة **الفائدة الثالثة** ترويح النفس وايناسها بالمجالسة والنظر والملاعبة
اراحة للقلب وتقوية له على العبادة فان النفس ملول وهي عن الحق نفور واذا روحت باللذات
في بعض الاوقات قويت ونشطت وفي الاستيناس بالنساء من الاستراحة ما يزيل الكرب ويروح
القلب وينبغي ان يكون لنفوس المتقين استراحات الى المباحات ولذلك قال الله تعالى ليسكن
اليها وقال علي رضي الله عنه روحوا القلوب فانها اذا اكرهت عميت وفي الخبر على العاقل ان يكون
له ثلث ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يخلو فيها بمطعمه

ومشربه فان في هذه الساعة عونا على تلك الساعات وسئله بالمطاهرة لا يكون العاقل ظاعنا الا في
ثلث تزود لمعاد او مرمة لمعاش او لذة في غير محرم وقال عليه السلام لكل عامل شرة ولكل شرة
فترة فمن كانت فترته الى سنتي فقد اهتدى والشرة الجد والمكابدة بحدة وقوة وذلك في ابتدا الارادة
والفترة الوقوف للاستراحة وكان ابو الدردا يقول اني لاستجم نفسي بشي من اللهو لاتقوى بذلك
فيما بعد على الحق وفي بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال شكوت الى جبريل ضعفي
عن الوقاع فدلني على الهريسة وهذا ان صح لا يحمل له الا على الاستعداد للاستراحة ولا يمكن تعليله
بدفع الشهوة لانه استثارة للشهوة ومن عدم الشهوة عدم الاكثر من هذا الانس وقال صلى الله عليه
وسلم حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنسا وقرة عيني في الصلوة فهذه ايضا فايدة لا ينكرها
من جرب اتعاب نفسه في الافكار والاذكار وصنوف الاعمال وهي خارجة عن الفايدتين السابقتين
حتى انها لتطرد في حق الممسوح ومن لا شهوة له الا ان هذه الفايدة تجعل النكاح فضيلة بالاضافة
الى هذه النية وقل من يقصد بالنكاح ذلك فاما قصد الولد وقصد دفع الشهوة فمما يكثر ثم رب
شخص يستانس بالنظر الى الماء الجاري والخضرة وامثالها ولا يحتاج الى ترويح النفس بمحادثة
النسا وملاعبتهن فيختلف هذا باختلاف الاحوال والاشخاص فليتنبه له **الفايدة الرابعة**
تفريغ القلب عن تدبير المنزل والتكفل بشغل الطبخ والكنس والفرش وتنظيف الاواني وتهية
اسباب المعيشة فان الانسان لو لم يكن له شهوة الوقاع لتعذر عليه العيش في منزله وحده
اذ لو تكفل بجميع اشغال المنزل لضاع اكثر اوقاته ولم يتفرغ للعلم والعمل فالمراة الصالحة
المصلحة للمنزل عون على الدين بهذا الطريق واختلال هذه الاسباب شواغل ومشوشات للقلب
ومنغصات للعيش ولذلك قال ابو سليمن الداراني الزوجة الصالحة ليست من الدنيا فانها
تفرغك للاخرة انما تفريغها بتدبير المنزل وبقضا الشهوة جميعا **وقال** محمد بن كعب القرظي
في معنى قول الله تعالى ربنا اتنا في الدنيا حسنة قال المراة الصالحة وقال النبي صلى الله عليه وسلم
ليتخذ احدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة مؤمنة تعينه على اخرته فانظر كيف جمع بينها
وبين الذكر والشكر وفي بعض التفاسير فلنحيينه حيوة طيبة الزوجة الصالحة وكان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه يقول ما اعطى عبد بعد الايمان بالله تعالى خيرا من امراة صالحة وان منهن غنما لا يحذي
منه ومنهن غلا لا يفدي منه وقوله لا يحذي اي لا يعتاض عنه بعطا وقال النبي صلى الله عليه وسلم
فضلت على ادم بخصلتين كانت له زوجة عونا على المعصية وازواجي عون لي على الطاعة وكان
شيطانه كافرا وشيطاني مسلم لا يامر الا بخير فعد معاونتها على الطاعات فضيلة فهذه ايضا من
الفوايد التي لا تقصدها الا انها تخص بعض الذين لا كافل لهم ولا مدبر ولا تدعوا الى امراتين بل
الجمع ربما ينغص المعيشة ويضطرب به امور المنزل ويدخل في هذه الفايدة قصد الاستكثار
بعشيرتها وما يحصل من القوة بسبب تداخل العشاير فان ذلك مما يحتاج اليه في دفع الشرور
وطلب السلامة ولذلك قيل ذل من لا ناصر له ومن وجد من يدفع عن نفسه الشرور سلم حاله و
فرغ قلبه للعبادة فان الذل مشوش للقلب والعز بالكثرة دافع للذل **الفايدة الخامسة**
مجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية والولاية والقيام بحقوق الاهل والصبر على اخلاقهن
واحتمال الاذى منهن والسعي في اصلاحهن وارشادهن الى طريق الدين والاجتهاد في كسب

الحلال لاجلهن والقيام بتربية الاولاد فكل هذه اعمال عظيمة الفضل فانها رعاية وولاية والولد
رعية وفضل الرعاية عظيم وانما يحترز منه من يحترز خيفة القصور عن القيام بحقها والا فقد
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم من وال عادل افضل من عبادة سبعين سنة ثم قال
الا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته وليس من اشتغل باصلاح نفسه وغيره كمن اشتغل باصلاح
نفسه فقط ومن صبر على الاذى كمن رفه نفسه واراحها فمقاساة الاهل والولد بمنزلة الجهاد
في سبيل الله ولذلك قال بشر رحمه الله فضل علي احمد بن حنبل بثلث احدها انه يطلب الحلال
لنفسه ولغيره وقد قال عليه السلام ما انفق الرجل على اهله فهو صدقة وان الرجل ليوجر في رفع
اللقمة الى في امراته وقال بعضهم لبعض العلما من كل عمل قد اعطاني الله نصيبا حتى ذكر الحج والجهاد
وغيرهما فقال له اين انت من عمل الابدال قال وما هو قال كسب الحلال والنفقة على العيال وقال
ابن المبارك وهو مع اخوانه في الغزو تعلمون عملا افضل مما نحن فيه قالوا ما نعلم ذلك قال انا اعلم رجل
متعفف ذو عيلة قام من الليل فنظر الى صبيانه نياما متكشفين فسترهم وغطاهم بثوبه فعمله
افضل مما نحن فيه وقال عليه السلام من حسنت صلاته وكثر عياله وقل ماله ولم يغتب المسلمين
كان معي في الجنة كهاتين وفي حديث اخر ان الله يحب الفقير المتعفف ابا العيال وفي الحديث
اذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله بهم ليكفرها وقال بعض السلف من الذنوب ذنوب لا يكفرها
الا الغم بالعيال وفيه اثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم
بطلب المعيشة وقال عليه السلام من كان له ثلث بنات فانفق عليهن واحسن اليهن حتى
يغنيهن الله عنه اوجب الله له الجنة البتة الا ان يعمل عملا لا يغفر له كان ابن عباس اذا حدث بهذا
الحديث قال هو والله من غرايب الحديث وغرره **وروي** ان بعض المتعبدين كان يحسن الى زوجته
الى ان ماتت فعرض عليه التزويج فامتنع وقال الوحدة اروح لقلبي واجمع لهمي قال فرايت في
المنام بعد جمعة من وفاتها كان ابواب السما فتحت وكان رجالا ينزلون ويسيرون في الهوا
يتبع بعضهم بعضا فكلما نزل واحد نظر الي فقال لمن وراءه هذا هو المشوم فيقول الاخر نعم ويقول
الثالث كذلك ويقول الرابع نعم وخفت ان اسالهم هيبة من ذلك الى ان مر بي اخرهم وكان غلاما
فقلت له يا هذا من هذا المشوم الذي تومون اليه فقال انت فقلت ولم ذاك قال كنا نرفع عملك
في اعمال المجاهدين في سبيل الله فمنذ جمعة امرنا ان نضع عملك مع الخالفين فلا ندري ما احدثت
فقال لاخوانه زوجوني زوجوني فلم يكن يفارقه زوجتان او ثلث وفي اخبار الانبيا ان قوما دخلوا
على يونس عليه السلام فاضافهم فكان يدخل ويخرج الى منزله فتوذيه امراته وتستطيل عليه
وهو ساكت فتعجبوا من ذلك فقال لا تعجبوا فاني سالت الله وقلت ما انت معاقبي به في الاخرة
فاجعله لي في الدنيا فقال ان عقوبتك بنت فلان تتزوج بها فتزوجت بها وانا صابر على ما ترون
منها وفي الصبر على ذلك رياضة النفس وكسر الغضب وتحسين الخلق فان المنفرد بنفسه او
المشارك لمن حسن خلقه لا يترشح منه خبايث باطنه ولا تنكشف بواطن عيوبه فحق على سالك
طريق الاخرة ان يجرب نفسه بالتعرض لمثل هذه المحركات واعتياد الصبر عليها لتعتدل اخلاقه
وترتاض نفسه ويصفو عن الصفات الذميمة باطنه والصبر على العيال مع انه رياضة ومجاهدة
تكفل لهم وقيام بهم وعبادة في نفسها فهذه ايضا من الفوايد ولكنه لا ينتفع بها الا احد رجلين

اما رجل قصد المجاهدة والرياضة وتهذيب الاخلاق لكونه في بداية الطريق فلا يبعد ان يرى هذا
طريقا في المجاهدة ويرتاض به واما رجل من العابدين ليس له سير بالباطن وحركة بالفكر والقلب وانما عمله
عمل الجوارح بصلوة او حج او غيره فعمله لاهله واولاده بكسب الحلال لهم والقيام بتربيتهم افضل
من العبادة اللازمة لبدنه التي لا يتعدى خيرها الى غيره فاما الرجل المهذب الاخلاق
اما بكفاية في اصل الخلقة واما بمجاهدة سابقة اذا كان له سير في الباطن وحركة القلب بفكر في
العلوم والمكاشفات فلا ينبغي ان يتزوج لهذا الغرض فان الرياضة هو مكفي فيها واما العبادة
بالعمل في الكسب له فالعلم افضل من ذلك لانه ايضا عمل وفايدته اعم واشمل لسائر الخلق من فايدة
الكسب على العيال فهذه فوايد النكاح في الدين التي بها يحكم له بالفضيلة والسلام **واما
افات النكاح** فثلث الاولى وهي اقواها العجز عن طلب الحلال فان ذلك لا يتيسر لكل احد
لا سيما في هذه الاوقات مع اضطراب المعايش فيكون النكاح سببا للتوسع في الطلب والاطعام
من الحرام وفيه هلاكه وهلاك اهله والمتعزب في امن من ذلك واما المتزوج ففي الاكثر يدخل في مداخل
السوء ويتبع هوى زوجته ويبيع اخرته بدنياه وفي الخبر ان العبد ليوقف عند الميزان وله من الحسنات امثال
الجبال فيسئل عن رعاية عياله والقيام بهم وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه حتى يستغرق بتلك المطالبات
كل اعماله فلا يبقى له حسنة فتنادي الملائكة هذا الذي اكل عياله حسناته في الدنيا وارتهن اليوم باعماله
ويقال ان اول ما يتعلق بالرجل يوم القيمة اهله وولده فيوقفونه بين يدي الله تعالى ويقولون يا ربنا
خذ لنا بحقنا منه فانه ما علمنا ما نجهل وكان يطعمنا الحرام ونحن لا نعلم فيقتص لهم منه وقال بعض
السلف اذا اراد الله بعبد شرا سلط الله عليه انيابا تنهشه يعني العيال وقال النبي صلى الله عليه وسلم
لا يلقى الله احد بذنب اعظم من جهالة اهله فهذه افة عامة قل من يتخلص منها الا من له مال موروث او
مكتسب من حلال يفي به وباهله وكان له من القناعة ما يمنعه عن الزيادة فان ذلك يتخلص من هذه
الافة ومن هو محترف ومقتدر على كسب حلال من المباحات باحتطاب او اصطياد او كان في صناعة
لا تتعلق بالسلاطين ويقدر على ان يعامل بها اهل الخير ومن ظاهره السلامة وغالب ماله الحلال
وقال ابن سالم وقد سئل عن التزويج فقال هو افضل في زماننا لمن ادركه شبق غالب مثل الحمار يرى الاتان
فلا ينتهي عنها بالضرب ولا يملك نفسه فان ملك نفسه فتركه اولى **الافة الثانية** القصور عن
القيام بحقهن والصبر على اخلاقهن واحتمال الاذى منهن وهذه دون الاولى في العموم فان القدرة
على هذه ايسر من القدرة على الاولى وتحسين الخلق مع النساء والقيام بحظوظهن اهون من طلب الحلال وفي
هذه ايضا خطر لانه راع ومسئول عن رعيته قال عليه السلام كفى بالمرء اثما ان يضيع من يعول وروي
ان الهارب من عياله بمنزلة العبد الابق لا يقبل له صلوة ولا صيام حتى يرجع اليهم ومن يقصر
عن القيام بحقهن وان كان حاضرا فهو هارب وقد قال تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا امرنا ان نقيهم
النار كما نقي انفسنا والانسان قد يعجز عن القيام بحق نفسه واذا تزوج يضاعف عليه الحق وانضاف
الى نفسه نفس اخرى والنفس امارة بالسوء واذا كثرت كثر الامر بالسوء غالبا ولذلك اعتذر بعضهم عن
التزويج وقال اني مبتلى بنفسي فكيف اضيف اليها نفسا اخرى ولا حاجة لي فيهن اي من القيام بحقهن
بتحصينهن وامتاعهن وانا عاجز عنه وكذلك اعتذر بشر عن النكاح وقال يمنعني منه قوله تعالى ولهن
مثل الذي عليهن بالمعروف وكان يقول لو كنت اعول دجاجة لخفت ان اصير جلادا على الجسر **وروي**

سفيان على باب سلطان فقيل له ما هذا مقامك فقال وهل رايت ذا عيال افلح وكان سفيان يقول
يا حبذا العزبة والمفتاح ومسكن تخرقه الرياح لا صخب فيه ولا صياح فهذه افة عامة ايضا وان كان
دون عموم الاولى لا يسلم منها الا حكيم عاقل حسن الاخلاق بصير بعادات النساء صابر على
لسانهن وقاف عن اتباع شهواتهن حريص على الوفاء بحقهن يتغافل عن زللهن ويداري بعقله
اخلاقهن والاغلب على الناس السفه والفظاظة والحدة والطيش وسوء الخلق وعدم الانصاف مع
طلب تمام الانصاف ومثل هذا يزداد بالنكاح فسادا من هذا الوجه لا محالة فالوحدة اسلم له **الافة
الثالثة** وهي دون الاولى والثانية ان يكون الاهل والولد شاغلا له عن الله تعالى وجاذبا
الى طلب الدنيا وتدبير حسن المعيشة للاولاد بكثرة جمع المال وادخاره لهم وطلب التفاخر والتكاثر
بهم وكل ما يشغل عن الله تعالى من اهل ومال وولد فهو مشوم على صاحبه ولست اعني بهذا ان
تدعو الى المحظور فان ذلك مما اندرج تحت الافة الاولى والثانية بل ان يدعوه الى التنعم بالمباح بل
الى الاغراق في ملاعبة النساء ومؤانستهن والامعان في التمتع بهن ويثور من النكاح انواع من
الشواغل من هذا الجنس يستغرق القلب فينقضي الليل والنهار ولا يتفرغ المرء فيهما للتفكر في الاخرة
والاستعداد لها ولذلك قال ابراهيم بن ادهم من تعود افخاذ النساء لم يجئ منه شيء وقال ابو
سليمن من تزوج فقد ركن الى الدنيا اي يدعوه ذلك الى الركون الى الدنيا فهذه مجامع الافات والفوايد
فالحكم على شخص واحد بان الافضل له النكاح او العزوبة مطلقا قصور عن الاحاطة بمجامع هذه الامور بل
تتخذ هذه الفوايد والافات معتبرا ومحكا ويعرض المريد عليه نفسه فان انتفت في حقه الافات و
اجتمعت الفوايد بان كان له مال حلال وخلق حسن وجد في الدين تام لا يشغله النكاح عن الله تعالى وهو
مع ذلك شاب يحتاج الى تسكين الشهوة ومنفرد يحتاج الى تدبير المنزل والتحصن بالعشيرة فلا يمارى
في ان النكاح افضل له مع ما فيه من السعي في تحصيل الولد وان انتفت الفوايد واجتمعت الافات فالعزوبة
له افضل وان تقابل الامر وهو الغالب فينبغي ان يوزن بالميزان القسط حظ تلك الفايدة في الزيادة من
دينه وحظ تلك الافة في النقصان منه فاذا غلب على الظن رجحان احدهما حكم به واظهر الفوايد الولد
وتسكين الشهوة واظهر الافات الحاجة الى كسب الحرام والاشتغال عن الله فلنفرض تقابل هذه الامور
فنقول من لم يكن في اذى من الشهوة وكانت فايدة نكاحه في السعي لتحصيل الولد وكانت الافة الحاجة
الى كسب الحرام او الاشتغال عن الله تعالى فالعزوبة له اولى فلا خير فيما يشغل عن الله تعالى ولا خير
في كسب الحرام ولا يفي بنقصان هذين الامرين امر الولد لان النكاح للولد سعي في طلب حيوة للولد موهوم
وهذا نقصان في الدين ناجز فحفظه لحيوة نفسه وصونها عن الهلاك اهم من السعي في الولد وذلك ربح
والدين راس المال وفي فساد الدين بطلان الحيوة الاخروية وذهاب راس المال فلا يقاوم هذه الفايدة
هاتين الافتين واما اذا انضاف الى امر الولد حاجة كسر الشهوة لتوقان النفس الى النكاح نظر فان لم يقو لجام
التقوى في راسه وخاف على نفسه الزنا فالنكاح له اولى لانه متردد بين ان يقتحم الزنا او ياكل الحرام والكسب
بالحرام اهون الشرين وان كان يثق بنفسه انه لا يزني ولكن لا يقدر مع ذلك على غض البصر عن الحرام فترك
النكاح له اولى لان النظر حرام والكسب حرام من غير وجهه حرام والكسب يقع دائما وفيه عصيانه وعصيان
اهله والنظر يقع احيانا وهو يخصه وينصرم على قرب والنظر زنا العين ولكن اذا لم يصدقه الفرج
فهو اقرب الى العفو من اكل الحرام الا ان يخاف افضاء النظر الى معصية الفرج فيرجع ذلك الى خوف العنت

واذا ثبت هذا فالحالة الثالثة وهو ان تقوى على غض البصر ولكن لا تقوى على دفع الافكار الشاغلة للقلب
اولى بترك النكاح لان عمل القلب اقرب من العفو وانما يراد فراغ القلب للعبادة ولا يتم عبادة مع كسب الحرام
واكله واطعامه فهكذا ينبغي ان يوزن هذه الآفات بالفوائد ويحكم بحسبها ومن احاط بهذا لم يشكل عليه
شيء مما نقل عن السلف من رغب في النكاح مرة ورغب عنه اخرى اذ ذلك بحسب الاحوال صحيح
فان قلت من امن الآفات فالافضل التخلي لعبادة الله تعالى ام النكاح فاقول الجمع بينهما لان
النكاح ليس مانعا من التخلي لعبادة الله من حيث انه عقد ولكن من حيث الحاجة الى الكسب فان قدر على
الكسب الحلال فالنكاح له ايضا افضل لان الليل وسائر اوقات النهار يبقى للتخلي فيه للعبادة والمواظبة
على العبادة من غير استراحة غير ممكن فان فرض انه مستغرق الاوقات بالكسب حتى لا يبقى له وقت سوى
اوقات المكتوبة والنوم والاكل وقضاء الحاجة فان كان الرجل ممن لا يسلك سبيل الآخرة الا بالصلاة
النافلة او بالحج او ما يجري مجراه من الاعمال البدنية فالنكاح له افضل لان في كسب الحلال والقيام
بالاهل والسعي في تحصيل الولد والصبر على اخلاق النساء انواعا من العبادات لا يقصر فضلها عن
نوافل العبادات وان كانت عبادته بالعلم والفكر وسير الباطن والفكر والكسب يشوش عليه ذلك
فترك النكاح افضل فان قلت فلم ترك عيسى عليه السلام النكاح مع فضله وان كان الافضل التخلي
لعبادة الله تعالى فلم استكثر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الازواج فاعلم ان الافضل الجمع بينهما
في حق من قدر وقويت منته وعلت همته فلا يشغله عن الله شاغل ورسولنا صلوات الله عليه اخذ بالقوة
وجمع بين فضل العبادة والنكاح فلقد كان مع تسع من النسوة متخليا لعبادة الله تعالى وكان قضاء
الوطر في النكاح في حقه غير مانع كما لا يكون قضاء الحاجة في حق المشغولين بتدبيرات الدنيا مانعا لهم عن
التدبير حتى يشتغلون في الظاهر بقضاء الحاجة وقلوبهم مستغرقة بهممهم غير غافلة عن مهماتهم فكان
نبينا عليه السلام لعلو درجته لا يمنعه امر هذا العالم عن حضور القلب مع الله تعالى فكان ينزل عليه
الوحي وهو في فراش امرأته ومتى يسلم مثل هذا المنصب لغيره فلا يبعد ان تغير السواقي ما لا يغير البحر
الخضم فلا ينبغي ان يقاس عليه غيره واما عيسى عليه السلام فاخذ بالحزم لا بالقوة واحتاط لنفسه ولعل
حالته كانت حالة يؤثر فيها الاشتغال بالاهل ويتعذر معها طلب الحلال او لا يتيسر فيها الجمع بين
النكاح والتخلي لعبادة الله تعالى فآثر التخلي للعبادة وهم اعلم باسرار احوالهم واحكام اعصارهم في طيب
المكاسب واخلاق النساء وما على الناكح من غوائل النكاح وما له فيه ومهما كانت الاحوال منقسمة
حتى يكون النكاح في بعضها افضل وتركه في بعضها افضل فحقنا ان ننزل افعال الانبياء عليهم السلام
على الافضل في كل حال والله اعلم **الباب الثاني فيما يراعى حالة العقد** من احوال المرأة وشروط العقد
اما العقد فاركانه وشروطه لينعقد ويفيد الحل اربعة **الاول** اذن الولي فان لم يكن فالسلطان
الثاني رضا المرأة ان كانت ثيبا بالغة او كانت بكرا بالغة ولكن يزوجها غير الاب والجد **الثالث**
حضور شاهدين ظاهري العدالة فان كانا مستورين حكمنا بالانعقاد للحاجة **الرابع** ايجاب وقبول متصل
بلفظ الانكاح والتزويج او معناهما الخاص بكل لسان من شخصين مكلفين ليس فيهما امرأة سواء كان هو
الزوج او الولي او وكيلهما واما آدابه فتقديم الخطبة مع الولي لا في حالة عدة المرأة بل بعد انقضائها ان
كانت معتدة ولا في حالة سبق غيره بالخطبة اذ نهي عن الخطبة على الخطبة ومن آدابه الخطبة قبل النكاح
ومزج التحميد بالايجاب والقبول فيقول المزوج الحمد لله والصلاة على رسول الله زوجتك ابنتي فلانة

فيقول الزوج الحمد لله والصلاة على رسول الله قبلت نكاحها على هذا الصداق وليكن الصداق معلوما
وخفيفا والتحميد قبل الخطبة ايضا مستحب ومن آدابه ان يلقي امر الزوج الى سمع المرأة وان كانت بكرا
فذلك احرى وأولى بالالفة وكذلك يستحب النظر اليها قبل النكاح فانه احرى ان يؤدم بينهما ومن
الآداب احضار جمع من اهل الصلاح زيادة على شاهدين ركني الصحة ومن آدابه ان ينوي
بالنكاح اقامة السنة وغض البصر وطلب الولد وسائر الفوائد التي ذكرناها فلا يكون قصده مجرد
الهوى والتمتع فيصير عمله من اعمال الدنيا ولا يمنع ذلك هذه النيات فرب حق يوافق الهوى قال
عمر بن عبد العزيز اذا وافق الحق الهوى فهو الزبد بالنرسيان ولا يبعد ان يكون كل واحد من حظ النفس
وحق الدين باعثا معا ومن آدابه ان يعقد في المسجد وفي شهر شوال **قالت عائشة** رضي الله عنها تزوجني
رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال وبنى بي في شوال واما المنكوحة فيعتبر فيها نوعين احدهما
للحل والثاني لطيب العشرة وحصول المقاصد النوع الاول ما يعتبر فيها للحل وهي ان يكون خلية عن موانع
النكاح والموانع تسعة عشر **الاول** ان تكون منكوحة للغير **الثاني** ان يكون معتدة عن الغير سواء كانت
عدة وفاة او طلاق او وطء شبهة او كانت في استبراء وطء عن ملك يمين **الثالث** ان يكون مرتدة عن
الدين بجريان كلمة على لسانها من كلمات الكفر **الرابع** ان يكون مجوسية **الخامس** ان يكون وثنية او
زنديقة لا تنسب الى نبي وكتاب ومنهن المعتقدات لمذهب الاباحة فلا يحل نكاحهن وكذلك كل معتقدة
مذهبا فاسدا يحكم بكفر معتقده **السادس** ان يكون كتابية قد دانت بدينهم بعد التبديل او بعد
مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع ذلك فليست من نسب بني اسرائيل فاذا عدمت كلتا الفضيلتين
لم يحل نكاحها وان عدمت النسب فقط ففيه خلاف **السابع** ان يكون رقيقة والناكح حر قادر على
طول حرة او غير خائف من العنت **الثامن** ان يكون كلها او بعضها مملوكا للناكح ملك يمين **التاسع**
ان يكون قريبة للزوج بان يكون من اصوله او فصوله او فصول اول اصوله او من اول فصل من كل اصل
بعده اصل واعني باصولها الامهات والجدات وبفصوله الاولاد والاحفاد وبفصول اول اصوله الاخوة
والاولاد وباول فصل من كل اصل بعده اصل العمات والخالات دون اولادهن **العاشر** ان يكون
محرمة بالرضاع ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب من الاصول والفصول كما سبق ولكن المحرم من
الرضعات خمس فما دون ذلك لا يحرم **الحادي عشر** المحرمة بالمصاهرة وهو ان يكون الناكح قد
نكح ابنتها او جدتها او وطئهن بالشبهة في عقد او وطئ امها او احدى جداتها بعقد او شبهة عقد
فبمجرد العقد على المرأة تحرم امهاتها ولا تحرم فروعها الا بالوطي **الثاني عشر** ان يكون المنكوحة
خامسة اي يكون تحت الناكح اربعة سواها اما في نفس النكاح او في عدة الرجعة فان كانت في عدة
بينونة لم يمنع الخامسة **الثالث عشر** ان يكون تحت الناكح اختها او عمتها او خالتها فيكون بالنكاح
جامعا بينهما وكل شخصين بينهما قرابة لو كان احدهما ذكرا والآخر انثى لم يجز بينهما فلا يجوز ان
يجمع بينهما **الرابع** عشر ان يكون هذا الناكح قد طلقها من قبل ثلاثا فلا تحل له ما لم يطأها زوج
آخر في نكاح صحيح **الخامس** عشر ان يكون الناكح قد لاعن عنها فانها تحرم عليه ابدا بعد اللعان **السادس
عشر** ان يكون محرمة بحج او عمرة او كان الزوج كذلك فلا ينعقد النكاح الا بعد تمام التحلل **السابع
عشر** ان يكون ثيبا صغيرة فلا يصح نكاحها الا بعد البلوغ **التاسع** عشر ان يكون من ازواج رسول
الله صلى الله عليه وسلم ممن توفي عنها او دخل بها فانهن امهات المؤمنين وذلك لا يوجد في زماننا

فهذه هي الموانع المحرمة واما الخصال المطيبة للعيش التي لا بد من مراعاتها في المراة ليدوم العقد وتتوفر مقاصده فهي ثمانية الدين والخلق والحسن وخفة المهر والولادة والبكارة والنسب وان لا يكون قرابة قريبة الاولى ان تكون صالحة ذات دين فهذا هو الاصل وبه ينبغي ان يقع الاعتنا فانها ان كانت ضعيفة الدين في صيانة نفسها وفرجها ازرت بزوجها وسودت بين الناس وجهه وشوشت بالغيرة قلبه وتنغص بذلك عيشه فان سلك فيه سبيل الحمية والغيرة لم يزل في بلاء ومحنة وان سلك سبيل التساهل كان متهاونا بدينه وعرضه ومنسوبا الى قلة الحمية والانفة وان كانت مع الفساد جميلة كان بلاؤها اشد اذ يشق على الزوج مفارقتها فلا يصبر عليها ولا يصبر عنها ويكون كالذي جا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان لي امراة لا ترد يد لامس قال طلقها قال اني احبها قال امسكها وانما امره بامساكها خوفا عليه بانه ان طلقها اتبعها نفسه وفسد هو ايضا معها فراى في دوام نكاحه من دفع الفساد عنه مع ضيق قلبه اولى وان كانت فاسدة الدين باستهلاك ماله او بوجه اخر لم يزل العيش مشوشا معه فان سكت ولم ينكر كان شريكا في المعصية مخالفا لقوله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة وان انكر وخاصم تنغص عيشه ولهذا بالغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تنكح المراة لمالها وجمالها وحسبها ودينها فعليك بذات الدين وفي حديث اخر من نكح امراة لمالها وجمالها حرم مالها وجمالها ومن نكحها لدينها رزقه الله مالها وجمالها وقال ايضا لا تنكح المراة لجمالها فلعل جمالها يرديها ولا لمالها فلعل مالها يطغيها وانكح المراة لدينها وانما بالغ في الحث على الدين لان مثل هذه المراة تكون عونا على الدين فاما اذا لم يكن متدينة كانت شاغلة عن الدين مشوشة له

الثانية حسن الخلق وذلك اصل مهم في طلب الفراغ والاستعانة على الدين فانها اذا كانت سليطة بذية اللسان سية الخلق كافرة النعم كان الضرر منها اكثر من النفع والصبر على لسان المراة مما يمتحن به الاوليا قال بعض العرب لا تنكحوا من النسا ستا لا انانة ولا منانة ولا حنانة ولا حداقة ولا براقة ولا شداقة اما الانانة فهي التي تكثر الانين والتشكي وتعصب راسها كل ساعة فنكاح المراضة او المتمارضة لا خير فيه والمنانة هي التي تمن على زوجها فتقول فعلت لاجلك كذا وكذا والحنانة هي التي تحن الى زوج اخر او الى ولدها من زوج اخر وهذا ايضا مما يجب اجتنابه والحداقة التي ترمي الى كل شي بحدقتها فتشتهيه وتكلف الزوج شراه والبراقة تحتمل معنيين احدهما ان يكون طول النهار في تصقيل وجهها وتزيينه ليكون لوجهها بريق يحصل بالتصنع والثاني ان تغضب على الطعام ولا تاكل الا وحدها وتستقل نصيبها من كل شي وهذه لغة يمانية يقولون برقت المراة وبرق الصبي الطعام اذا غضب عليه والشداقة المتشدقة الكثيرة الكلام ومنه قوله عليه السلام ان الله يبغض الثرثارين المتشدقين ويحكى ان السايح الازدي لقي الياس عليه السلام في سياحته وامره بالتزوج ونهاه عن التبتل ثم قال لا تنكح اربعا المختلعة والمبارية والعاهرة والناشز اما المختلعة فهي التي تطلب الخلع كل ساعة من غير سبب والمبارية المباهية بغيرها المفاخرة باسباب الدنيا والعاهرة الفاسقة التي تعرف بخليل وخدن وهي التي قال تعالى ولا متخذات اخدان والناشز التي تعلو على زوجها بالفعال والمقال من النشز وهو العالي من الارض وكان علي رضي الله عنه يقول شر خصال الرجال خير خصال النسا البخل والزهو والجبن فان المراة اذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال زوجها واذا كانت مزهوة استنكفت ان تكلم كل احد بكلام لين مريب واذا كانت جبانة فرقت من كل شي فلم تخرج من بيتها واتقت مواضع التهم خيفة من زوجها فهذه الاخلاق ترشد الى مجامع الاخلاق المطلوبة في النكاح

الثالثة حسن الوجه فذلك مطلوب ايضا اذ به يحصل التحصن والطبع لا يكتفي بالدميمة غالبا كيف والغالب ان حسن الخلق والخلق لا يفترقان وما نقلناه من الحث على الدين وان المراة لا تنكح لجمالها ليس زجرا عن رعاية الجمال بل هو زجر عن النكاح لاجل الجمال المحض مع الفساد في الدين فان الجمال وحده في غالب الامر يرغب في النكاح ويهون امر الدين ويدل على الالتفات الى معنى الجمال ان الالف والمودة تحصل به غالبا وقد ندب الشرع الى مراعاة اسباب الالفة ولذلك استحب النظر فقال اذا اوقع الله في نفس احدكم من امراة فلينظر اليها فانه احرى ان يودم بينهما اي يولف بينهما من وقوع الادمة على الادمة وهي الجلدة الباطنة والبشرة الجلدة الظاهرة وانما ذكر ذلك للمبالغة في الايتلاف وقال عليه السلام ان في اعين الانصار شيا فاذا اراد احدكم ان يتزوج منهن فلينظر اليهن قيل كان في اعينهن عمش وكان بعض الورعين لا ينكحون كرايمهم الا بعد النظر احترازا من الغرور وقال الاعمش كل تزويج يقع على غير نظر فاخره هم وغم ومعلوم ان النظر لا يعرف الخلق والدين والمال وانما يعرف الجمال والقبح **وروي** ان رجلا تزوج على عهد عمر رضي الله عنه وكان قد خضب فنصل خضابه فاستعدى عليه اهل المراة الى عمر وقالوا حسبناه شابا فاوجعه ضربا وقال غررت القوم **وروي** ان بلالا وصهيبا اتيا اهل بيت من العرب فخطبا اليهم فقيل لهما من انتما فقال بلال انا بلال وهذا اخي صهيب كنا ضالين فهدانا الله وكنا مملوكين فاعتقنا الله وكنا عايلين فاغنانا الله فان تزوجونا فالحمد لله وان تردونا فسبحان الله فقالوا بل تزوجان والحمد لله فقال صهيب لبلال لو ذكرت مشاهدنا وسوابقنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اسكت فقد صدقت فانكحك الصدق والغرور يقع في الجمال والخلق جميعا فيستحب ازالة الغرور في الجمال بالنظر وفي الخلق بالوصف والاستيصاف وينبغي ان يقدم ذلك على النكاح ولا يستوصف في اخلاقها وجمالها الا من هو بصير صادق خبير بالظاهر والباطن لا يميل اليها فيفرط في الثنا ولا يحسدها فيقصر فالطباع مايلة في مبادي النكاح ووصف المنكوحات الى الافراط والتفريط وقل من يصدق فيه ويقتصد بل الخداع والاغرا اغلب والاحتياط فيه مهم لمن يخشى على نفسه التشوق الى غير زوجته فاما من اراد من الزوجة مجرد السنة او الولد وتدبير المنزل فلو رغب عن الجمال فهو الى الزهد اقرب لانه على الجملة باب من الدنيا وان كان قد يعين على الدين في حق بعض الاشخاص قال ابو سليمان الداراني الزهد في كل شي حتى في المراة يتزوج الرجل العجوز حتى يكون ايثارا للزهد في الدنيا وقد كان مالك بن دينار يقول يترك احدكم ان يتزوج يتيمة فيوجر فيها ان اطعمها وكساها تكون خفيفة المونة ترضى باليسير ويتزوج بنت فلان وفلان يعني ابنا الدنيا فتشتهي عليه الشهوات وتقول اكسني كذا وكذا واختار احمد بن حنبل عورا على اختها وكانت اختها جميلة فسال من اعقلهما فقيل العورا فقال زوجوني اياها فهذا داب من لم يرد التمتع فاما من لا يامن على دينه ما لم يكن له مستمتع فليطلب الجمال فالتلذذ بالمباح حصن للدين وقد قيل اذا كانت المراة حسنا خيرة الاخلاق سودا الحدقة والشعر كبيرة العين بيضا اللون محبة لزوجها قاصرة الطرف عليه فهي على صورة الحور العين فان الله تعالى وصف نسا الجنة بهذه الاوصاف في قوله تعالى خيرات حسان اراد بالخيرات حسن الخلق وفي قوله تعالى قاصرات الطرف وفي قوله عربا اترابا فالعروب هي العاشقة لزوجها المشتهية له وبه تتم اللذة والحور

البيض والحوراء شديدة بياض العين شديدة سوادها وفي سواد الشعر والعيناء الكبيرة العين
وقال عليه السلام خير نسائكم التي اذا نظر اليها زوجها سرته واذا امرها اطاعته واذا غاب عنها
حفظته في نفسها وماله وانما يسر بالنظر اذا كانت محبة للزوج **الرابعة** ان تكون خفيفة
المهر قال عليه السلام خير نسائكم احسنهن وجوها وارخصهن مهورا وقد نهي عن المغالاة في
المهر تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض نسائه على عشرة دراهم واثاث البيت وكان رحا يد
وجرة ووسادة من ادم حشوها ليف واولم على بعض نسائه بمدين من شعير وعلى اخرى بمدي تمر
ومدي سويق وكان عمر ينهى عن المغالاة ويقول ما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زوج بناته
باكثر من اربع مائة درهم ولو كانت المغالاة بمهور النساء مكرمة لسبق اليها رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقد تزوج بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على نواة من ذهب قيمتها خمسة دراهم
وزوج سعيد بن المسيب ابنته من ابي هريرة على درهمين ثم حملها اليه ليلا فادخلها هو من الباب
فادخلها اليه ثم انصرف ثم جاءها بعد سبعة ايام فسلم عليها ولو تزوج على عشرة دراهم للخروج
من خلاف العلماء فلا باس وفي الخبر من بركة المراة سرعة تزويجها وسرعة رحمها اي الولادة ويسر مهرها
وقال ايضا ابركهن اقلهن مهرا وكما تكره المغالاة في المهر من جهة المراة فيكره السؤال عن مالها من
جهة الرجل فلا ينبغي ان ينكح طمعا في المال قال الثوري رحمه الله اذا قال الرجل اي شي للمراة فاعلم انه
لص واذا اهدى شيا فلا ينبغي ان يهدي لياخذ العوض اكثر منه وكذلك اذا اهدي اليه
فنية الطلب للزيادة نية فاسدة فاما التهادي فمستحب وهو سبب المودة قال عليه السلام
تهادوا تحابوا واما طلب الزيادة فداخل في قوله تعالى ولا تمنن تستكثر اي تعطي لتطلب اكثر وما
اتيتم من ربا ليربو في اموال الناس فان الربا هو الزيادة وهذا طلب الزيادة على الجملة وان لم يكن في الاموال
الربوية وكل ذلك مكروه وبدعة في النكاح يشبه التجارة والقمار ويفسد مقاصد النكاح
الخامسة ان تكون المراة ولودا فان عرفت بالعقر فليمتنع من نكاحها قال عليه السلام عليكم
بالولود الودود وان لم يكن لها زوج ولم يعرف حالها فيراعي صحتها وشبابها فانها تكون ولودا في الغالب
مع هذين الوصفين **السادسة** ان تكون بكرا قال عليه السلام لجابر وقد نكح ثيبا هلا
بكرا تلاعبها وتلاعبك وفي البكارة ثلث فوايد احدها ان تحب الزوج وتالفه فيؤثر في معنى
الود وقد قال عليه السلام عليكم بالودود والطباع مجبولة على الانس باول مالوف واما التي
اختبرت الرجال ومارست الاحوال فربما لا ترضى بعض الاوصاف التي تخالف ما الفته فتقلى الزوج
الفايدة الثانية ان ذلك اكمل في مودته لها فان الطبع ينفر عن التي مسها غير الزوج نفرة ما وذلك
يثقل على الطبع مهما يذكر وبعض الطباع في هذا اشد نفورا **الثالثة** انها لا تحن الى الزوج الاول
واكد الحب ما يقع مع الحبيب الاول غالبا **السابعة** ان تكون نسيبة اعني بها ان تكون من اهل
الدين والصلاح فانها ستربي بناتها وبنيها واذا لم تكن مؤدبة لم تحسن التاديب والتربية ولذلك
قال عليه السلام اياكم وخضراء الدمن فقيل وما خضراء الدمن فقال المراة الحسناء في المنبت السوء وقال
عليه السلام تخيروا لنطفكم فان العرق نزاع **الثامنة** ان لا تكون من القرابة القريبة فان
الولد يخلق ضاويا اي نحيفا وذلك لتاثيره في تضعيف الشهوة فان الشهوة انما تنبعث بقوة الاحساس
بالنظر واللمس وانما يقوى الاحساس بالامر الغريب الجديد فاما المعهود الذي دام النظر اليه مدة

فانه يضعف الحس عن تمام ادراكه والتاثر به فلا تنبعث به الشهوة فهذه هي الخصال المرغبة في النساء
ويجب على الولي ايضا ان يراعي خصال الزوج ولينظر لكريمته فلا يزوجها ممن ساء خلقه او خلقه او ضعف
دينه او قصر عن القيام بحقها او كان لا يكافيها في نسبها قال عليه السلام النكاح رق فلينظر احدكم
اين يضع كريمته والاحتياط في حقها اهم لانها رقيقة بالنكاح لا مخلص لها والزوج قادر على الطلاق
بكل حال ومهما زوج ابنته من ظالم او فاسق او مبتدع او شارب خمر فقد جنى على دينه وتعرض لسخط
ربه بما قطع من حق الرحم وسوء الاختيار وقال رجل للحسن قد خطب ابنتي جماعة فمن ازوجها
فقال ممن يتقي الله فانه ان احبها اكرمها وان ابغضها لم يظلمها وقال صلى الله عليه وسلم من زوج
ابنته من فاسق فقد قطع رحمها

الباب الثالث في اداب المعاشرة

وما يجري في
دوام النكاح والنظر فيما على الزوج وفيما على الزوجة اما الزوج فعليه مراعاة الاعتدال والادب
في اثني عشر امرا في الوليمة والمعاشرة والدعابة والسياسة والغيرة والنفقة والقسم والتاديب
بالنشوز وفي الوقاع والمفارقة بالطلاق **الادب الاول** الوليمة وهي مستحبة قال انس راى رسول
الله صلى الله عليه وسلم على عبد الرحمن بن عوف اثر صفرة فقال ما هذا فقال تزوجت امراة على وزن
نواة من ذهب فقال بارك الله لك اولم ولو بشاة واولم رسول الله صلى الله عليه وسلم على صفية بسويق
وتمر وقال عليه السلام طعام اول يوم حق وطعام الثاني سنة وطعام الثالث سمعة ومن سمع
سمع الله به ولم يرفعه الا زياد بن عبد الله وهو غريب ويستحب التهنية فيقول من دخل على الزوج
فيقول بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم
امر بذلك ويستحب اظهار النكاح قال عليه السلام فصل بين الحلال والحرام الدف والصوت
وقال عليه السلام اعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد واضربوا عليه بالدف وعن الربيع بنت
معوذ قالت جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل علي غداة بني بي فجلس على فراشي وجويرات لنا يضربن
بدفوفهن ويندبن من قتل من ابائي الى ان قالت احداهن وفينا نبي يعلم ما في غد فقال لها اسكتي عن هذه وقولي
التي كنت تقولين قبلها **الادب الثاني** حسن الخلق معهن واحتمال الاذى منهن ترحما عليهن
لقصور عقلهن قال الله تعالى وعاشروهن بالمعروف وقال في تعظيم حقهن واخذن منكم ميثاقا
غليظا وقال تعالى والصاحب بالجنب قيل هي المراة واخر ما اوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث
كان يتكلم بهن حتى تلجلج لسانه وخفي كلامه جعل يقول الصلاة الصلاة وما ملكت ايمانكم لا تكلفوهم
ما لا يطيقون الله الله في النساء فانهن عوان عندكم يعني اسرى اخذتموهن بامانة الله واستحللتم
فروجهن بكلمة الله وقال عليه السلام من صبر على سوء خلق امراته اعطاه الله تعالى مثل ثواب اسية
امراة فرعون واعلم انه ليس حسن الخلق معها كف الاذى بل احتمال الاذى منها والحلم عند طيشها و
غضبها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان ازواجه يراجعنه بالكلام وتهجره الواحدة
منهن يوما الى الليل وراجعت امراة عمر رضي الله عنه عمر في الكلام فقال اتراجعيني بالكلام فقالت
ان ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجعنه وهو خير منك فقال عمر خابت حفصة وخسرت
ان راجعته ثم قال لحفصة لا تغتري بابنة ابي قحافة فانها حب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وخوفها من المراجعة وروي انه دفعت احداهن في صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فزبرتها
امها فقال عليه السلام دعيها فانهن يصنعن اكثر من ذلك وجرى بينه وبين عائشة رضي الله عنها

كلام حتى ادخل النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر رضي الله عنه حكما بينهما واستشهده فقال لها رسو
ل الله صلى الله عليه وسلم تكلمين او اتكلم فقالت بل تكلم انت ولكن لا تقل الا حقا فلطمها ابو بكر حتى دمي
فوها وقال يا عدية نفسها او يقول غير الحق فاستجارت برسول الله صلى الله عليه وسلم وقعدت
خلف ظهره فقال له النبي لم ندعوك لهذا ولم نرد هذا منك وقالت له مرة في كلام غضبت عنده انت الذي
تزعم انك نبي الله فتبسم صلى الله عليه وسلم واحتمل ذلك حلما وكرما وكان يقول لها اني لاعرف غضبك
على من رضاك قالت وكيف تعرفه قال اذا رضيت قلت لا واله محمد واذا غضبت قلت لا واله ابرهيم
قالت صدقت انما اهجر اسمك ويقال ان اول حب وقع في الاسلام حب النبي عايشة رضي الله عنها
وكان يقول لها كنت لك كابي زرع لام زرع غير اني لا اطلقك وكان يقول لنسايه لا تؤذوني
في عايشة فانه والله ما نزل علي الوحي وانا في لحاف امراة منكن غيرها وقال انس كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ارحم الناس بالنسا والصبيان **الثالث** ان يزيد على احتمال الاذى بالمداعبة و
المزح والملاعبة فهي التي تطيب قلوب النسا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح معهن
وينزل الى درجات عقولهن في الاعمال والاخلاق حتى روي انه كان يسابق عايشة في العدو فسبقته
يوما وسبقها رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الايام فقال عليه السلام هذه بتلك وفي الخبر
انه كان من افكه الناس مع نسايه وقالت عايشة رضي الله عنها سمعت اصوات اناس من الحبشة
وغيرهم وهم يلعبون في يوم عاشورا فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اتحبين ان ترى لعبهم
قالت فقلت نعم فارسل اليهم فجاوا وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بين البابين فوضع كفه على الباب
ومد يده ووضعت ذقني على يده وجعلوا يلعبون وانا انظر اليهم وجعل يقول عليه السلام حسبك
واقول اسكت مرتين او ثلثا ثم قال يا عايشة حسبك فقلت نعم فاشار اليهم فانصرفوا وقال
عليه السلام اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا والطفهم باهله وقال عليه السلام خياركم خيركم
لنسايه وانا خيركم لنساي وقال عمر رضي الله عنه مع خشونته ينبغي للرجل ان يكون في اهله مثل
الصبي فاذا التمسوا ما عنده وجد رجلا وقال لقمن رحمه الله عليه ينبغي للعاقل ان يكون في اهله
كالصبي واذا كان في القوم وجد رجلا وفي تفسير الخبر المروي ان الله تعالى يبغض الجعظري الجواظ
قيل هو الشديد على اهله المتكبر في نفسه وهو احد ما قيل في معنى قوله تعالى عتل قيل العتل
هو الفظ اللسان الغليظ القلب على اهله وقال عليه السلام لجابر هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك
ووصفت اعرابية زوجها وقد مات فقالت والله لقد كان ضحوكا اذا ولج سكيتا اذا خرج اكلا ما
وجد غير مسايل عما فقد **الرابع** ان لا يتبسط في الدعابة وحسن الخلق والموافقة باتباع هواها
الى حد يفسد خلقها ويسقط بالكلية هيبته عندها بل يراعي الاعتدال في ذلك فلا يدع الهيبة
والانقباض مهما راى منكرا ولا يفتح باب المساعدة على المنكرات البتة بل مهما راى ما يخالف الشرع
والمروة تنمر وامتعض قال الحسن والله ما اصبح رجل يطيع امراته فيما تهوى الا كبه الله في النار وقال
عمر رضي الله عنه خالفوا النسا فان في خلافهن البركة وقد قيل شاوروهن وخالفوهن وقال
النبي صلى الله عليه وسلم تعس عبد الزوجة وانما قال ذلك لانه اذا اطاعها في هواها فهو عبدها
وقد تعس فان الله ملكه المراة وقد ملكها نفسه فقد عكس الامر وقلب القضيه واطاع الشيطان
لما قال ولامرنهم فليغيرن خلق الله اذ حق الرجل ان يكون متبوعا لا تابعا وقد سمى الله الرجال

قوامون على النسا وسمى الزوج سيدا فقال والفيا سيدها لدا الباب فاذا انقلب السيد مسخرا فقد
بدل نعمة الله كفرا ونفس المراة على مثال نفسك ان ارسلت عنانها قليلا جمحت بك طويلا وان
ارخيت عذارها فترا جذبتك ذراعا وان كبحتها وشددت يدك عليها في محل الشدة ملكتها قال الشافعي
رحمه الله ثلثة ان اكرمتهم اهانوك وان اهنتهم اكرموك المراة والخادم والنبطي واراد به ان محضت
الاكرام ولم تمزج غلظك بلينك وفظاظتك برفقك وكانت نسا العرب يعلمن بناتهن اختبار الازواج
كانت المراة تقول لابنتها اختبري زوجك قبل الاقدام والجراة عليه انزعي زج رمحه فان سكت
لذلك فقطعي اللحم على ترسه فان سكت فكسري العظام على الارض بسيفه فان سكت فاجعلي الاكاف
على ظهره وامتطيه فانما هو حمارك وعلى الجملة فبالعدل قامت السموات والارض وكلما جاوز حده
انعكس على ضده فينبغي ان يسلك سبيل الاقتصاد في المخالفة والموافقة ويتبع الحق في جميع
ذلك ليسلم من شرهن فان كيدهن عظيم وشرهن فاش والغالب عليهن سو الخلق وركاكة العقل
ولا يعتدل ذلك منهن الا بنوع لطف ممزوج بسياسة قال عليه السلام مثل المراة الصالحة
في النسا كمثل الغراب الاعصم بين مائة غراب والاعصم الابيض البطن وفي وصية لقمن لابنه
يا بني اتق المراة السو فانها تشيبك قبل المشيب واتق شرار النسا فانهن لا يدعون الى خير وكن
من خيارهن على حذر وقال عليه السلام استعيذوا من الفواقر الثلث وعد منهن المراة السو
فانها المشيبة قبل المشيب وفي لفظ اخر ان دخلت عليها لسنتك وان غبت عنها خانتك وقد قال
عليه السلام في خيرات النسا انكن صواحبات يوسف يعني ان صرفكن ابا بكر عن التقدم في الصلوة
ميل منكن عن الحق الى الهوى وقال الله تعالى حين افشين سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تتوبا الى الله
فقد صغت قلوبكما اي مالت وقال ذلك في خيرا ازواجه وقال عليه السلام لا يفلح قوم تملكهم
امراة وقد زجر عمر رضي الله عنه امراته يوما وقد راجعته وقال ما انت الا لعبة في جانب البيت ان كانت لنا
اليك حاجة والا جلست كما انت فاذن فيهن شر وفيهن ضعف فالسياسة والخشونة علاج الشر
والمطايبة والرحمة علاج الضعف والطبيب الحاذق هو الذي يقدر العلاج بقدر الدا فلينظر
الرجل اولا الى اخلاقها بالتجربة ثم ليعاملها بما يصلحها كما يقتضيه حالها **الخامس الاعتدال**
في الغيرة وهو ان لا يتغافل عن مبادي الامور التي تخشى غوايلها ولا يبالغ في اساة الظن والتعنت و
تجسس البواطن فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تتبع عورات النسا وفي لفظ اخر ان تبغت
النسا ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر قال قبل دخول المدينة لا تطرقوا اهلكم ليلا فخالفه
رجلان فسبقا فراى كل واحد في منزله ما يكره وفي الخبر المشهور المراة كالضلع ان اردت ان تقيمه
كسرته فدعه تستمتع به على عوج وهذا في تهذيب اخلاقها وقال عليه السلام غيرة يبغضها الله
وهي غيرة الرجل على اهله من غير ريبة لان ذلك من سو الظن الذي نهينا عنه فان بعض الظن اثم
وقال علي رضي الله عنه لا تكثر الغيرة على اهلك فترمى بالسو من اجلك واما الغيرة في محلها فلا بد
منها وهي محمودة وقال النبي عليه السلام ان الله يغار والمؤمن يغار وغيرة الله ان ياتي المؤمن ما حرم
الله تعالى عليه وقال عليه السلام اتعجبون من غيرة سعد والله لانا اغير منه والله اغير مني
ومن اجل غيرة الله تعالى حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب اليه العذر من الله
تعالى ومن اجل ذلك بعث المنذرين والمبشرين ولا احد احب اليه المدح من الله تعالى ومن اجل ذلك

وعد الجنة وقال عليه السلام رايت ليلة اسري بي في الجنة قصرا بفنائه جارية فقلت لمن هذا القصر
فقيل لعمر فاردت ان انظر اليها فذكرت غيرتك يا عمر فبكى عمر وقال اعليك اغار يا رسول الله وكان
الحسن يقول اتدعون نساءكم يزاحمن العلوج في الاسواق قبح الله من لا يغار وقال عليه السلام
ان من الغيرة ما يحبه الله ومنها ما يبغضه الله ومن الخيلاء ما يحبه الله ومنها ما يبغضه الله فاما الغيرة
التي يحبها الله فالغيرة في الريبة والغيرة التي يبغضها الله فالغيرة في غير ريبة والاختيال الذي يحبه
الله تعالى اختيال الرجل بنفسه عند القتال وعند الصدقة والاختيال الذي يبغضه الله تعالى
الاختيال في الباطل وقال عليه السلام اني لغيور وما من امرئ لا يغار الا منكوس القلب والطريق المغني
عن الغيرة ان لا يدخل عليها الرجال وهي لا تخرج الى الاسواق **وقال** رسول الله صلى الله عليه وسلم
لابنته فاطمة رضوان الله عليها اي شيء خير للمرأة قالت ان لا ترى رجلا ولا يراها رجل فضمها اليه
وقال ذرية بعضها من بعض واستحسن قولها **وكان اصحاب** رسول الله صلى الله عليه وسلم
يسدون الثقب والكوى في الحيطان لئلا يطلع النسوان الى الرجال ورأى معاذ امرأته
تطلع في الكوة فضربها ورأى امرأته دفعت الى غلام له تفاحة قد اكلت بعضها فضربها وقال عمر رضي الله
عنه اعروا النساء يلزمن الحجال وانما قال ذلك لانهن لا يرغبن في الخروج في الهيئة الرثة وقال ايضا عودوا
نساءكم لا وقد كان اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء في حضور المساجد والصواب الان المنع الا العجائز وقد
استصوب ذلك في زمان الصحابة حتى قالت عائشة رضي الله عنها لو علم النبي عليه السلام ما احدثت
النساء بعده لمنعهن الخروج ولما قال ابن عمر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا
اماء الله مساجد الله فقال بعض ولده والله لنمنعهن فضربه وغضب عليه وقال تسمعني اقول قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا فتقول بلى وانما استجرى على المخالفة لعلمه بتغير الزمان وانما
غضب عليه لاطلاقه اللفظ بالمخالفة ظاهرا من غير اظهار العذر وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد اذن لهن ان يخرجن في الاعياد خاصة ولكن لا يخرجن الا برضا ازواجهن والخروج الان ايضا مباح
للمرأة العفيفة برضا زوجها ولكن القعود اسلم وينبغي ان لا تخرج الا لمهم فان الخروج للنظارات والامور
التي ليست مهمة تقدح في المروة وربما تفضي الى الفساد واذا خرجت فينبغي ان تغض بصرها
عن الرجال ولسنا نقول ان وجه الرجل في حقها عورة كوجه المرأة في حقه بل هو كوجه الصبي الامرد
في حق الرجل فيحرم النظر عند خوف الفتنة فقط فان لم تكن فتنة فلا اذ لم تزل الرجال على ممر الزمان
مكشوفي الوجوه والنساء يخرجن منتقبات ولو كان وجوه الرجال عورة في حق النساء لامروا بالتنقب او
منعن من الخروج الا لضرورة **السادس الاعتدال** في النفقة فلا ينبغي ان يقتر عليهن في الانفاق
ولا يسرف بل يقتصد قال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقال تعالى
كلوا واشربوا ولا تسرفوا وقال النبي صلى الله عليه وسلم خيركم خيركم لاهله وقال عليه السلام دينار انفقته
في سبيل الله ودينار انفقته في رقبة ودينار تصدقت به على مسكين ودينار انفقته على اهلك
اعظمها اجرا الدينار الذي انفقته على اهلك وقيل كان لعلي رضي الله عنه اربع نسوة فكان
يشتري لكل واحدة في كل اربعة ايام لحما بدرهم وقال الحسن كانوا في الرجال مخاصيب في الاثاث والثياب
تقارب وقال ابن سيرين يستحب للرجل ان يعمل لاهله في كل جمعة فالوذجة وكأن الحلاوة وان لم تكن
من المهمات ولكن تركها بالكلية تقتير في العادة وينبغي ان يامرها بالتصدق ببقايا الطعام وما يفسد

لو ترك فهذا اقل درجات الخير وللمرأة ان تفعل ذلك بحكم الحال من غير صريح اذن من الزوج ولا ينبغي ان
يستأثر عن اهله بماكول طيب فلا يطعمهم منه فان ذلك مما يوغر الصدور ويبعد عن المعاشرة بالمعروف
فان ازمع على ذلك فلياكله بخفية بحيث لا يعرفه اهله ولا ينبغي ان يصف عندهم طعاما ليس يريد
اطعامهم اياه واذا اكل فيقعد العيال كلهم على مائدته قال سفيان بلغنا ان الله وملائكته يصلون
على اهل بيت ياكلون في جماعة واهم ما يجب عليه مراعاته في الانفاق ان يطعمها من الحلال ولا يدخل مداخل
السوء لاجلها فان ذلك جناية عليها لا مراعاة لها وقد اوردنا الاخبار الواردة في ذلك عند ذكرنا
آفات النكاح **السابع ان يتعلم** المتزوج من علم الحيض واحكامه ما يحترز به الاحتراز الواجب
ويعلم زوجته احكام الصلاة وما يقضى منها في الحيض وما لا يقضى فانه امر بان يقيها النار بقوله قوا
انفسكم واهليكم نارا فعليه ان يلقنها اعتقاد اهل السنة ويزيل عن قلبها كل بدعة ان استمعت اليها
ويخوفها في الله اذا تساهلت في امر الدين ويعلمها من احكام الحيض والاستحاضة ما تحتاج اليه وعلم الاستحاضة
يطول فاما الذي لا بد من ارشاد النساء اليه في امر الحيض بيان الصلوات التي تقضيها فانها مهما انقطع
دمها قبل المغرب بمقدار ركعة فعليها قضاء المغرب والعشاء وهذا اقل ما تراعيه النساء فان كان
الرجل قائما بتعليمها فليس لها الخروج لسؤال العلماء وان قصر علم الرجل ولكن ناب عنها في السؤال فاخبرها
بجواب المفتي فليس لها الخروج فان لم يكن ذلك فلها الخروج للسؤال بل عليها ذلك ويعصي الرجل بمنعها
ومهما تعلمت ما هو من الفرائض عليها فليس لها ان تخرج الى مجلس ذكر ولا الى تعلم فضل الا برضاه ومهما
اهملت المرأة حكما من احكام الحيض والاستحاضة ولم يعلمها الرجل خرج الرجل معها وشاركها في الاثم
الثامن اذا كان له نسوة فينبغي ان يعدل بينهن ولا يميل الى بعضهن فان خرج الى سفر واراد استصحاب
واحدة اقرع بينهن فكذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ظلم بليلتها قضى لها فان القضاء واجب
عليه وعند ذلك يحتاج الى معرفة احكام القسم وذلك يطول ذكره وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من
كان له امرأتان فمال الى احداهما دون الاخرى وفي لفظ ولم يعدل بينهما جاء يوم القيامة واحد شقيه
مائل وانما عليه العدل في العطاء والمبيت اما في الحب والوقاع فذلك لا يدخل تحت الاختيار قال الله تعالى
ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم اي لا تعدلون في شهوة القلب وميل النفس ويتبع ذلك
التفاوت في الوقاع وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعدل بينهن في العطاء والبيتوتة في الليالي
ويقول اللهم هذا جهدي فيما املك ولا طاقة لي فيما تملك ولا املك يعني الحب وقد كانت عائشة رضي الله
عنها احب نسائه اليه وسائر نسائه يعرفن ذلك فكان يطاف به محمولا في مرضه في كل يوم وليلة فيبيت
عند كل واحدة منهن ويقول اين انا غدا ففطنت لذلك امرأة منهن فقالت انما يسأل عن بيت عائشة ويومها
فقلن يا رسول الله قد اذنا لك ان تكون في بيت عائشة فانه يشق عليك ان تحمل في كل ليلة فقال وقد
رضيتن بذلك فقلن نعم فقال حولوني الى بيت عائشة ومهما وهبت واحدة منهن ليلتها لصاحبتها ورضي
الزوج بذلك ثبت الحق لها كان النبي صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فقصد ان يطلق سودة
بنت زمعة لما كبرت فوهبت ليلتها من عائشة رضي الله عنها وسألته ان يقرها على الزوجية حتى تحشر
في زمرة نسائه فتركها وكان لا يقسم لها ويقسم لعائشة ليلتين ولسائر ازواجه ليلة ليلة ولكنه كان
عليه السلام اذا اراد نفسه الى احدى نسائه في غير نوبتها فجامعها طاف من يومه او ليلته على سائر
نسائه وذلك لحسن عدله وفي بحمد ذلك ما روي عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه

طاف على بانٍ نسائه في ليلة واحدة وعن انس انه صلى الله عليه وسلم طاف على تسع نسوة في ضحوة نهار
التاسع في النشوز ومهما وقع بينهما خصام ولم يلتئم امرهما فان كان من جانبهما جميعا او من
الرجل فلا يتسلط الزوجة على زوجها ولا يقدر على اصلاحها فلا بد من حكمين احدهما من اهله والآخر
من اهلها لينظرا بينهما ويصلحا امرهما وان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما وقد بعث عمر رضي الله
عنه حكما الى زوجين فعاد ولم يصلحا امرهما فعلاه بالدرة وقال ان الله تعالى يقول ان يريدا اصلاحا
يوفق الله بينهما فعاد واحسنا النية وتلطفا في الامر فاصلح ما بينهما اما اذا كان من المرأة خاصة
فالرجال قوامون على النساء فله ان يؤدبها ويحملها على الطاعة قهرا ولكن ينبغي ان يتدرج في تأديبها وهو ان
يقدم اولا الوعظ والتحذير والتخويف فان لم ينجع ولاها ظهره في المضجع وانفرد عنها بالفراش وهجرها
وهو في البيت من ليلة الى ثلث ليال فان لم ينجع ضربها ضربا غير مبرح بحيث يؤلمها ولا يكسر لها عظما
ولا يدمي لها جسما ولا يضرب وجهها فذلك منهي عنه وقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما حق
المرأة على الرجل قال يطعمها اذا طعم ويكسوها اذا اكتسى ولا يقبح الوجه ولا يضربها الا ضربا غير مبرح
ولا يهجرها الا في البيت وله ان يغضب عليها ويهجرها في امر من امور الدين الى عشر والى شهر فعل ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذ ارسل بهدية الى زينب فردتها عليه فقالت له التي هو في بيتها لقد اقمأتك
اذ ردت عليك هديتك ولتك واستصغرتك فقال عليه السلام انتن اهون على الله ان
يقمأنني ثم غضب عليهن كلهن شهرا الى ان عاد اليهن **العاشر في** آداب الجماع ويستحب ان
يبدأ باسم الله تعالى ويقرأ قل هو الله احد اولا ويكبر ويهلل ويقول بسم الله العلي العظيم اللهم اجعلها
ذرية طيبة ان كنت قدرت ان تخرج ذلك من صلبي وقال عليه السلام لو ان احدكم اذا اتى اهله
قال اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فان كان بينهما ولد لم يضره الشيطان
واذا قربت من الانزال فقل في نفسك ولا تحرك شفتيك الحمد لله الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا
الآية وكان بعض اهل الحديث يكبر حتى يسمع اهل الدار ويرفع صوته ثم لينحرف عن القبلة فلا يستقبل
القبلة بالوقاع اكراما للقبلة وليغط نفسه واهله بثوب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغطي
رأسه ويغض صوته ويقول للمرأة عليك بالسكينة وفي الخبر اذا جامع احدكم اهله فلا يتجردان تجرد
العيرين اي الحمارين وليقدم التلطف بالكلام والتقبيل قال عليه السلام لا يقعن احدكم على امرأته كما
يقع البهيمة وليكن بينهما رسول قيل وما الرسول قال القبلة والكلام وقال عليه السلام
ثلثة من العجز في الرجل ان يلقى من يحب معرفته فيفارقه قبل ان يعلم اسمه ونسبه والثاني ان يكرمه
احد فيرد عليه كرامته والثالث ان يقارب الرجل جاريته فيصيبها قبل ان يحادثها ويؤانسها ويضاجعها
فيقضي حاجته منها قبل ان يقضي حاجتها منه ويكره الجماع في ثلث ليال من الشهر الاول والآخر والنصف
يقال ان الشيطان يحضر الجماع في هذه ويقال ان الشياطين يجامعون فيها وروي كراهة ذلك عن علي
ومعاوية وابي هريرة ومن العلماء من استحب الجماع يوم الجمعة تحقيقا لاحد التاويلين تحقيقا لقول النبي صلى الله عليه وسلم
رحم الله من غسل واغتسل ثم اذا قضى وطره فليتمهل على اهله قليلا حتى تقضي هي وطرها ايضا فان انزالها
ربما تأخر فيهيج شهوتها ثم القعود عنها ايذاء لها والاختلاف في الطبع موجب للتنافر مهما كان الزوج سابقا
الى الانزال والتوافق في وقت الانزال الذ عندها ليشتغل الرجل عنها فانها ربما تستحيي وينبغي ان يأتيها
في كل اربع ليال مرة اذ عدد النساء اربع فجاز التأخير الى هذا الحد نعم ينبغي ان يزيد او ينقص بحسب حاجتها

في التحصين فان تحصينها واجب عليه وان كان لا يثبت المطالبة بالوطء فذلك لعسر المطالبة والوفاء به
ولا ينبغي ان يأتيها في الحيض ولا بعد انقضائه وقبل الغسل فهو محرم بنص الكتاب وقيل ان ذلك
يورث الجذام في الولد وله ان يستمتع بجميع بدن الحائض ولا يأتيها في غير المأتى اذ حرم عليه غشيان
الحائض لاجل الاذى والاذى في غير المأتى دائم فهو اشد تحريما من اتيان الحائض وقوله تعالى فأتوا حرثكم
انى شئتم اي في اي وقت شئتم وله ان يستمني بيدها وان يستمتع بما تحت الازار بما يشتهي سوى الوقاع
وينبغي ان تتزر المرأة بازار من حقوها الى فوق الركبة في حالة الحيض فهذا من الادب وله ان
يؤاكل الحائض ويخالطها في المضاجعة وغيرها وليس عليه اجتنابها فان اراد ان يجامع ثانيا بعد
اخرى فليغسل فرجه اولا وان احتلم فلا يجامع حتى يغسل فرجه او يبول ويكره الجماع في اول الليل حتى لا
ينام على غير طهارة فان اراد النوم او الاكل فليتوضأ وضوء الصلاة فهو سنة قال ابن عمر قلت للنبي
صلى الله عليه وسلم اينام احدنا وهو جنب قال نعم اذا توضأ ولكن فيه رخصة قالت عائشة رضي الله
عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام جنبا لم يمس ماء ومهما عاد الى فراشه فليمسح وجه فراشه
ولينفضه فانه لا يدري ما حدث عليه بعده ولا ينبغي ان يحلق او يقلم او يستحد او يخرج دما او يبين
من نفسه جزءا وهو جنب اذ ترد اليه سائر اجزائه في الآخرة فيعود جنبا ويقال ان كل شعرة تطالبه بجنابتها
ومن الآداب ان لا يعزل بل لا يسرح الماء الا الى محل الحرث وهو الرحم فما من نسمة قدر الله كونها الا وهي كائنة
هكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فان عزل فقد اختلف العلماء في اباحته وكراهته على اربع مذاهب
فمن مبيح مطلقا بكل حال ومن محرم بكل حال ومن قائل يحل برضاها ولا يحل دون رضاها وكأن
هذا القائل يحرم الايذاء دون العزل ومن قائل يباح في المملوكة دون الحرة والصحيح عندنا ان ذلك مباح
واما الكراهة فانها تطلق لنهي التحريم ولنهي التنزيه ولترك الفضيلة فهو مكروه بالمعنى **الثالث اي فيه**
ترك فضيلة كما يقال يكره للقاعد في المسجد ان يقعد فارغا لا يشتغل بذكر او صلاة وللحاضر
في مكة مقيما بها ان لا يحج كل سنة والمراد بهذه الكراهة ترك الاولى والفضيلة فقط وهذا ثابت لما
بيناه من الفضيلة في الولد ولما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليجامع اهله فيكتب له من جماعه
اجر ولد ذكر قاتل في سبيل الله فقتل وانما قال ذلك لانه لو ولد له مثل هذا الولد لكان له اجر التسبب
اليه مع ان الله خالقه ومحييه ومقويه على الجهاد والذي اليه من التسبب فقد فعله وهو الوقاع
وذلك عند الامناء في الرحم وانما قلنا لا كراهة بمعنى التحريم والتنزيه لان اثبات النهي انما يمكن بنص
او قياس على منصوص ولا نص ولا اصل يقاس عليه بل ههنا اصل يقاس عليه وهو ان ترك النكاح اصلا
او ترك الجماع بعد النكاح او ترك الانزال بعد الايلاج فكل ذلك ترك للافضل وليس بارتكاب نهي
ولا فرق اذ الولد يتكون بوقوع النطفة في الرحم ولها اربعة اسباب النكاح ثم الوقاع ثم الصبر الى الانزال
ثم الوقوف لينصب المني في الرحم وبعض هذه الاسباب اقرب من البعض فالامتناع عن الرابع كالامتناع
من الثالث وكذلك الثالث كالثاني والاول وليس هذا كالاستجهاض والوأد لان ذلك جناية
على موجود حاصل وله ايضا مراتب واول مراتب الوجود ان تقع النطفة في الرحم وتختلط بماء المرأة
فتستعد لقبول الحيوة وافساد ذلك جناية فان صارت مضغة وعلقة كانت الجناية افحش وان
نفخ فيه الروح واستوت الخلقة ازدادت الجناية تفاحشا ومنتهى التفاحش في الجناية بعد
الانفصال حيا وانما قلنا مبدأ سبب الوجود من حيث الوقوع في الرحم لا من حيث الخروج من الاحليل لان

الولد لا يخلق من الرجل وحده بل من الزوجين جميعاً اما من مائه ومائها او من مائه ودم الحيض فان بعض
اهل التشريح ان المضغة تخلق بتقدير الله من دم الحيض وان الدم منها كاللبن الرائب والنطفة من
الرجل شرط في خثورة دم الحيض وانعقاده كالانفحة للبن اذ بها ينعقد وكيفما كان فماء المرأة ركن
في الانعقاد فيجري الماءان مجرى الايجاب والقبول في الوجود الحكمي في العقود فمن اوجب ثم رجع قبل
القبول لا يكون جانياً على العقد بالنقض والفسخ ومهما اجتمع الايجاب والقبول كان الرجوع بعده
رفعاً وفسخاً وقطعاً وكما ان النطفة في الفقار لا يتخلق منها الولد فكذا بعد الخروج من الاحليل ما لم
يمتزج بماء المرأة ودمها فهذا هو القياس الجلي فان قلت فان لم يكن العزل مكروهاً من حيث انه دفع لوجود
الولد فلا يبعد ان يكره لاجل النية الباعثة عليه اذ لا يبعث عليه الا نية فاسدة فيها شيء من
شوائب الشرك الخفي فاقول النيات الباعثة على العزل خمسة **الاول في السراري وهو حفظ**
الملك عن الهلاك باستحقاق العتاق وقصد استبقاء الملك بترك الاعتاق ودفع اسبابه ليس
بمنهي عنه **الثانية** استبقاء جمال المرأة وسمنها لدوام التمتع واستبقاء حياتها خوفاً من خطر الطلق
وهذا ايضاً ليس منهياً عنه **الثالثة** الخوف من كثرة الحرج بسبب كثرة الاولاد والاحتراز من
الحاجة الى التعب في الكسب ودخول مداخل السوء وهذا ايضاً غير منهي عنه فان قلة الحرج معين على
الدين نعم الكمال والفضل في التوكل والثقة بضمان الله حيث قال وما من دابة في الارض الا على الله رزقها
فلا جرم فيه سقوط عن ذروة الكمال وترك الافضل ولكن النظر الى العواقب وحفظ المال وادخاره مع كونه
مناقضاً للتوكل لا نقول انه منهي عنه **الرابعة** الخوف من الاولاد الاناث لما يعتقد في تزويجهن
من المعرة كما كانت عادة العرب في قتلهم الاناث فهذه نية فاسدة لو ترك بسببها اصل النكاح او اصل
الوقاع اثم بها لا بترك النكاح والوطء فكذا في العزل والفساد في اعتقاد المعرة في سنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم اشد وتنزل منزلة امرأة تركت النكاح استنكافاً من ان يعلوها رجل وكانت تتشبه بالرجال فلا
ترجع الكراهة الى عين ترك النكاح **الخامسة** ان تمتنع المرأة لتعززها ومبالغتها في النظافة والتحرز
من الطلق والولادة والنفاس والرضاع وكان ذلك عادة نساء الخوارج لمبالغتهن في استعمال المياه حتى
كن يقضين صلوات ايام الحيض ولا يدخلن الخلاء الا عراة فهذه بدعة تخالف السنة فهي نية فاسدة و
استأذنت واحدة منهن على عائشة رضي الله عنها لما قدمت البصرة فلم تأذن لها فيكون القصد هو
الفاسد دون منع الولادة فان قلت فقد قال عليه السلام من ترك النكاح مخافة العيال فليس منا ثلاثاً
قلنا فالعزل كترك النكاح وقوله ليس منا اي ليس موافقاً لنا على سنتنا وطريقتنا وسنتنا فعل الافضل
فان قلت فقد قال عليه السلام في العزل ذلك الوأد الخفي واذا الموؤدة سئلت وهذا في الصحيح
وفي الصحيح ايضاً اخبار صحيحة في الاباحة وقوله الوأد الخفي كقوله الشرك الخفي وذلك يوجب كراهة
لا تحريماً فان قلت فقد قال ابن عباس رضي الله عنه العزل هو الوأد الخفي فان الاصغر الممنوع وجودها به فهي
الموؤدة الصغرى قلنا هذا قياس منه لدفع الوجود على قطعه وهو قياس ضعيف ولذلك انكره عليه
علي رضي الله عنه لما سمعه وقال لا تكون موؤدة الا بعد سبع اي بعد سبعة اطوار وتلا الآية الواردة في اطوار
الخلقة وهو قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين الى
قوله ثم انشأناه خلقاً آخر اي نفخنا فيه الروح ثم تلا قوله تعالى في الآية الاخرى واذا الموؤدة سئلت
واذا نظرت الى ما قدمناه في طريق القياس والاعتبار ظهر لك تفاوت منصب علي وابن عباس رضوان الله

عنهما في الغوص على المعاني ودرك العلوم كيف وفي المتفق عليه في الصحيحين عن جابر رضي الله عنه
انه قال كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن ينزل وفي لفظ آخر كنا نعزل فبلغ
ذلك نبي الله فلم ينهنا وفيه ايضاً عن جابر انه قال اتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان لي جارية هي
خادمتنا وسانيتنا في النخل وانا اطوف عليها واكره ان تحمل فقال عليه السلام اعزل عنها ان شئت
فانه سيأتيها ما قدر لها فلبث الرجل ثم اتاه فقال ان الجارية قد حملت فقال قد اخبرتك انه سيأتيها
ما قدر لها وهذا كله في الصحيحين **الحادي عشر في آداب الولادة** وهي خمسة الاول ان لا يكثر
فرحه بالذكر وحزنه بالانثى فانه لا يدري الخيرة في ايهما فكم من صاحب ابن يتمنى ان لا يكون له او يكون له بنتاً
بل السلامة منهن اكثر والثواب فيهن اجزل وقال النبي عليه السلام من كانت له ابنة فادبها وغذاها
فاحسن غذاءها واسبغ عليها من النعمة التي اسبغ الله عليه كانت له ميمنة وميسرة من النار الى الجنة
وقال ابن عباس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد يدرك ابنتين فيحسن اليهما ما
صحبتاه الا ادخلتاه الجنة وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت له ابنتان او اختان
فاحسن اليهما ما صحبتاه كنت انا وهو في الجنة كهاتين وقال انس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من خرج الى سوق من اسواق المسلمين فاشترى شيئاً فحمله الى بيته فخص به الاناث دون الذكور نظر
الله اليه ومن نظر الله اليه لم يعذبه وعن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حمل طرفة من السوق
الى عياله فكأنما حمل اليهم صدقة حتى يضعها فيهم وليبدأ بالاناث قبل الذكور فانه من فرح انثى فكأنما
بكى من خشية الله ومن بكى من خشية الله حرم الله بدنه على النار **وروى** ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال من كانت له ثلاث بنات او اخوات فصبر على لأوائهن وضرائهن وسرائهن ادخله الله الجنة بفضل
رحمته اياهن فقال رجل واثنتان يا رسول الله قال واثنتان فقال رجل وواحدة قال وواحدة
الادب الثاني ان يؤذن في اذن المولود روى رافع عن ابيه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم اذن في
اذن الحسن حين ولدته فاطمة رضوان الله عليها وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من ولد له مولود
فاذن في اذنه اليمنى واقام في اذنه اليسرى رفعت عنه ام الصبيان ويستحب ان يلقن الصبي اول انطلاق
لسانه لا اله الا الله ليكون ذلك اول حديثه والختان في اليوم السابع ورد فيه خبر **الادب الثالث**
ان يسميه باسم حسن فذلك من حق الولد وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سميتم فعبدوا وقال
صلى الله عليه وسلم احب الاسماء الى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن وقال اذا سميتم باسمي فلا تكنوا بكنيتي
قال العلماء كان ذلك في عصره اذ كان ينادي يا ابا القاسم واما الآن فلا بأس وسمى رجل ابا عيسى فقال عليه
السلام ان عيسى لا اب له فكره ذلك والسقط ينبغي ان يسمى قال عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية
بلغني ان السقط يوم القيامة وراء ابيه فيقول انت ضيعتني وتركتني لا اسم لي فقال عمر بن عبد العزيز
كيف ولا يدري انه غلام او جارية فقال عبد الرحمن من الاسماء ما يجمعهما حمزة وعمارة وطلحة وعتبة
وقال عليه السلام انكم تدعون يوم القيامة باسمائكم واسماء آبائكم فاحسنوا اسماءكم ومن كان له اسم يكره
يستحب تبديله بدل رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم العاص بعبد الله وقال عليه السلام لزينب
وكان اسمها برة تزكي نفسها فسماها زينب وقد ورد النهي في تسمية افلح ويسار ونافع وبركة لانه يقال
اثم هو فيقال لا **الادب الرابع العقيقة** عن الذكر بشاتين وعن الانثى بشاة ولا بأس بشاة
ان يكن ذكراً او انثى وروت عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر في الغلام بشاتين

مكافاة يعني وعن الجارية بشاة وروي انه صلى الله عليه وسلم عق عن الحسن بشاة وهذا رخصة في
الاقتصار على واحدة وقال صلى الله عليه وسلم مع الغلام عقيقته فاهريقوا عنه دما واميطوا عنه
الاذى ومن السنة ان يتصدق بوزن شعره ذهبا او فضة فقد ورد فيه خبر روي انه صلى الله
عليه وسلم امر فاطمة رضي الله عنها يوم سابع الحسين ان تحلق راسه وتتصدق بزنة شعره فضة
وقالت عائشة رضي الله عنها لا يكسر للعقيقة عظم **الادب الخامس** ان يحنكه بتمرة او حلاوة وروي
عن اسماء بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما انها قالت ولدت عبد الله بن الزبير بقبا ثم اتيت به
رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعته في حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه فكان اول شي دخل
جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حنكه بتمرة ثم دعا له وبارك عليه وكان اول مولود ولد في
الاسلام ففرحوا به فرحا شديدا لانهم قيل لهم ان اليهود قد سحرتكم فلا يولد لكم ولد **الثاني
عشر في الطلاق** وليعلم انه مباح ولكنه ابغض المباحات الى الله تعالى وانما يكون مباحا اذا لم يكن
فيه ايذا بالباطل ومهما طلقها فقد اذاها ولا يباح ايذا الغير الا بجناية من جانبه او بضرورة من جانب المؤذي
قال الله تعالى فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا اي لا تطلبوا حيلة الفراق وان كرهها ابوه
فليطلقها قال ابن عمر رضي الله عنهما كان تحتي امراة احبها وكان ابي يكرهها ويامرني بطلاقها فراجعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن عمر طلق امراتك فهذا يدل على ان حق الوالد مقدم ولكن والد يكرهها
لا لغرض فاسد مثل عمر رضي الله عنه ومهما اذت زوجها وبذت على اهله فهي جانية وكذلك مهما كانت
سيئة الخلق او فاسدة الدين قال ابن مسعود في قوله تعالى ولا يخرجن الا ان ياتين بفاحشة مبينة مهما
بذت على اهله واذت زوجها فهو فاحشة وهذا اريد به في العدة ولكنه تنبيه على المقصود وان كان
الاذى من الزوج فلها ان تفتدي ببذل مال ويكره للرجل ان ياخذ منها اكثر مما اعطى فان ذلك اجحاف
بها وتحامل عليها وتجارة على البضع قال الله تعالى فلا جناح عليهما فيما افتدت به فرد ما اخذته فما
دونه لائق بالفدا فان سالت الطلاق بغير ما باس فهي اثمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما امراة
سالت زوجها طلاقها من غير ما باس لم ترح رائحة الجنة وفي لفظ آخر فالجنة عليها حرام وقال عليه السلام
المختلعات هن المنافقات ثم ليراع الزوج في الطلاق اربعة امور **الاول** ان يطلقها في طهر لم
يجامعها فيه فان الطلاق في الحيض والطهر الذي جامعها فيه بدعي حرام وان كان واقعا لما فيه من
تطويل العدة عليها فان فعل ذلك فليراجعها طلق ابن عمر رضي الله عنه في الحيض فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لعمر مره فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شا طلقها وان شا امسكها فتلك العدة
التي امر الله تعالى ان يطلق لها النسا وانما امره بالصبر بعد الرجعة طهرين لئلا يكون مقصود الرجعة
الطلاق فقط **الثاني** ان يقتصر على طلقة واحدة فلا يجمع بين الثلث لان الطلقة الواحدة
بعد العدة يفيد المقصود ويستفيد بها الرجعة ان ندم في العدة وتجديد النكاح ان اراد بعد
العدة واذا طلق ثلثا ربما ندم فيحتاج الى ان يتزوجها محلل والى الصبر مدة وعقد المحلل منهي
عنه ويكون هو الساعي فيه ثم يكون قلبه معلقا بزوجة الغير وتطليقه اعني زوجة المحلل
بعد ان تزوج منه ثم يورث ذلك تنفيرا من الزوجة وكل ذلك ثمرة الجمع وفي الواحدة كفاية في
المقصود من غير محذور ولست اقول الجمع حرام ولكنه مكروه بهذه المعاني واعني بالكراهة تركه النظر
لنفسه **الثالث** ان يتلطف في التعلل بتطليقها من غير تعنيف واستخفاف وتطييب قلبها

بهدية على سبيل الامتاع والجبر لما فجعها به من اذى الفراق قال تعالى ومتعوهن وذلك واجب مهما
لم يسلم لها مهر في اصل النكاح كان الحسن بن علي رضي الله عنهما مطلاقا ومنكاحا ووجه ذات يوم بعض
اصحابه بطلاق امراتين من نسائه وقال قل لهما اعتدا وامره ان يدفع الى كل واحدة عشرة الاف درهم
ففعل فلما رجع اليه قال ماذا فعلتا فقال اما احديهما فنكست راسها وسكتت واما الاخرى فبكت
وانتحبت وسمعتها تقول متاع قليل من حبيب مفارق فاطرق الحسن وترحم لها وقال لو كنت مراجعا
امراة بعدما فارقتها لراجعتها ودخل الحسن رضي الله عنه ذات يوم على عبد الرحمن بن الحارث بن
هشام فقيه المدينة ورئيسها ولم يكن له بالمدينة نظير وبه ضربت المثل عائشة رضي الله
عنها حيث قالت لو لم اسر مسيري ذلك لكان احب الي من ان يكون لي ستة عشر ذكرا من رسول
الله صلى الله عليه وسلم مثل عبد الرحمن بن الحرث فدخل عليه في بيته فعظمه عبد الرحمن واجلسه
في مجلسه وقال لا ارسلت الي فكنت اجيك قال الحاجة لنا قال وما هي قال جئتك خاطبا ابنتك
فاطرق عبد الرحمن ثم رفع راسه وقال والله ما على وجه الارض احد يمشي عليها اعز علي منك ولكنك
تعلم ان ابنتي بضعة مني وانت مطلاق فاخاف ان تطلقها وان فعلت خشيت ان يتغير قلبي عليك
لانك بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فان شرطت ان لا تطلق ابنتي زوجتك فسكت الحسن وقام
فخرج وقال لبعض اهل بيته سمعته يقول وهو يمشي ما اراد عبد الرحمن الا ان يجعل ابنته طوقا في
عنقي وكان علي كرم الله وجهه يضجر من كثرة تطليقه فكان يعتذر منه على المنبر ويقول في خطبته ان
حسنا مطلاق فلا تنكحوه حتى قام رجل من همدان فقال والله يا امير المؤمنين لننكحنه ما شا فان
احب امسك وان احب ترك فسر ذلك عليا رضي الله عنه فقال لو كنت بوابا على باب جنة لقلت لهمدان
ادخلوا بسلام وهذا تنبيه على ان من طعن في حبيبه من اهل او ولد بنوع حيا فلا ينبغي ان يوافق عليه
فهذه الموافقة قبيحة بل الادب المخالفة ما امكن فان ذلك اسر لقلبه واوفق لباطن رايه والقصد من
هذا بيان ان الطلاق مباح وقد وعد الله تعالى الغنى في الفراق والنكاح جميعا فقال تعالى و
انكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقرا يغنهم الله من فضله وقال تعالى وان
يتفرقا يغن الله كلا من سعته **الرابع** ان لا يفشي سرها لا في الطلاق ولا عند النكاح فقد ورد
في افشا سر النسا في الخبر الصحيح وعيد عظيم ويروى عن بعض الصالحين انه اراد طلاق امراة فقيل
له ما الذي يريبك منها فقال العاقل لا يهتك ستر امراته فلما طلقها قيل له لم طلقتها فقال ما لي
وللمراة غيري فهذا بيان ما على الزوج **القسم الثاني** من هذا الكتاب النظر في حقوق الزوج عليها
والقول الشافي فيه ان النكاح نوع رق فهي رقيقة له فعليها طاعة الزوج مطلقا في كل ما طلب منها
في نفسها مما لا معصية فيه وقد ورد في تعظيم حق الزوج عليها اخبار كثيرة قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ايما امراة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة وكان رجل قد خرج الى سفر وعهد الى
امراته ان لا تنزل من العلو الى السفل وكان ابوها في الاسفل فمرض فارسلت المراة الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم تستاذن في النزول الى ابيها فقال عليه السلام اطيعي زوجك فمات فاستامرته فقال اطيعي
زوجك فدفن ابوها فارسل اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرها ان الله تعالى قد غفر لابيها
بطاعتها لزوجها وقال عليه السلام اذا صلت المراة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها واطاعت
زوجها دخلت جنة ربها واضاف طاعة الزوج الى مباني الاسلام وذكر عليه السلام النسا فقال حاملات

والدات مرضعات رحيمات باولادهن لولا ما يأتين الى ازواجهن دخل مصلياتهن الجنة وقال عليه
السلام اطلعت الى النار فوجدت اكثر اهلها النساء فقلن لم يا رسول الله فقال يكثرن اللعن ويكفرن
العشير يعني الزوج المعاشر وفي خبر آخر اطلعت في الجنة فوجدت اقل اهلها النساء فقلت اين النساء
فقيل شغلهن الاحمران الذهب والزعفران يعني الذهب والحلي ومصبغات الثياب وقالت عائشة
رضي الله عنها اتت فتاة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا نبي الله اني فتاة اخطب واني اكره
التزويج فما حق الزوج على المراة قال لو كان من فرقه الى قدمه صديد فلحسته ما ادت شكره قالت
فلا اتزوج اذن قال بلى تزوجي فانه خير وقال ابن عباس رضي الله عنه اتت امراة ايم واريد ان اتزوج
فما حق الزوج فقال ان من حق الزوج على الزوجة اذا ارادها على نفسها وهي على ظهر بعير ان لا تمنعه ومن
حقه ان لا تعطي شيئا من بيته الا باذنه فان فعلت ذلك كان الوزر عليها والاجر له ومن حقه ان لا
تصوم تطوعا الا باذنه فان فعلت ذلك جاعت وعطشت ولم يقبل منها ومن حقه ان لا تخرج
من بيتها الا باذنه فان فعلت لعنتها الملائكة حتى ترجع الى بيتها او تتوب وقال عليه السلام لو امرت
احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها من عظم حقه عليها وقال عليه السلام اقرب
ما تكون المراة من وجه ربها اذا كانت في قعر بيتها وان صلاتها في صحن دارها افضل من صلاتها في
المسجد وصلاتها في بيتها افضل من صلاتها في صحن دارها وصلاتها في مخدعها افضل من صلاتها
في بيتها والمخدع بيت في بيت وذلك للستر ولذلك قال عليه السلام المراة عورة فاذا خرجت استشرفها
الشيطان وقال ايضا للمراة عشر عورات فاذا تزوجت ستر الزوج عورة واحدة واذا ماتت ستر
القبر العشر عورات فحقوق الزوج على الزوجة كثيرة واهمها امران احدهما الصيانة والستر
والآخر ترك المطالبة بما وراء الحاجة والتعفف عن كسبه اذا كان حراما وهكذا كانت عادة النساء في السلف
كان الرجل اذا خرج من منزله تقول له امراته وولده اياك وكسب الحرام فانا نصبر على الجوع ولا
نصبر على النار وهم رجل من السلف بالسفر فكره جيرانه سفره فقالوا لزوجته لم ترضين بسفره ولم يدع
لك نفقة فقالت زوجي منذ عرفته عرفته اكالا وما عرفته رزاقا ولي رب رزاق يذهب الاكال ويبقى الرزاق
وخطبت رابعة بنت اسماعيل احمد بن ابي الحواري فكره ذلك لما كان فيه من العبادة وقال لها والله ما لي همة
في النساء لشغلي بحالي فقالت اني لاشغل بحالي منك وما لي شهوة ولكن ورثت مالا جزيلا من زوجي فاردت
ان انفقه على اخوانك واعرف بك الصالحين فيكون لي طريقا الى الله تعالى فقال حتى استاذن
استاذي فرجع الى ابي سليمان الداراني قال وكان ينهاني عن التزويج ويقول ما تزوج احد من اصحابنا
الا تغير فلما سمع كلامها قال تزوج بها فانها ولية لله هذا كلام الصديقين قال فتزوجتها فكان
في منزلنا كن من جص ففني من غسل ايدي المستعجلين الخروج بعد الاكل فضلا عمن غسل بالاشنان
قال وتزوجت عليها ثلث نسوة فكانت تطعمني الطيبات وتطيبني وتقول اذهب بنشاطك وقوتك
الى ازواجك وكانت هذه تشبه في اهل الشام برابعة العدوية في البصرة ومن الواجبات عليها
ان لا تفرط في ماله بل تحفظه عليه قال عليه السلام لا يحل لها ان تطعم من بيته الا باذنه الا الرطب
الذي يخاف فساده فان اطعمت عن رضاه كان لها مثل اجره وان اطعمت بغير اذنه كان له الاجر وعليها
الوزر ومن حقها على الوالدين تعليمها حسن المعيشة وآداب المعاشرة مع الزوج روي ان اسماء بن
خارجة الفزاري قال لابنته عند التزويج انك خرجت من العش الذي درجت فيه فصرت الى

فراش لا تعرفينه وقرين لم تألفيه فكوني له ارضا يكن لك سماء وكوني له مهادا يكن لك عمادا وكوني
له امة يكن لك عبدا لا تلحفي به فيقلاك ولا تباعدي عنه فينساك ان دنا فادني منه وان نأى
فابعدي عنه واحفظي انفه وسمعه وعينه لا يشم منك الا طيبا ولا يسمع الا حسنا ولا ينظر
الا جميلا وقال رجل لزوجته خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حين
اغضب ولا تنقريني نقرك الدف مرة فانك لا تدرين كيف المغيب فاني رأيت الحب في القلب
والاذى اذا اجتمعا لم يلبث الحب ان يذهب والقول الجامع في آداب المراة من غير تطويل ان
تكون قاعدة في قعر بيتها لازمة لمغزلها لا يكثر صعودها واطلاعها قليلة الكلام لجيرانها
لا تدخل عليهم الا في حال يوجب الدخول تحفظ بعلها في غيبته وحضرته وتطلب مسرته في
جميع امورها ولا تخونه في نفسها وماله ولا تخرج من بيتها الا باذنه فان خرجت باذنه فمختفية في هيئة رثة
تطلب المواضع الخالية دون الشوارع والاسواق محترزة من ان يسمع غريب صوتها او يعرفها
بشخصها لا تتعرف الى صديق بعلها في حاجاتها بل تتنكر على من تظن انه يعرفها همها صلاح
شأنها وتدبير بيتها مقبلة على صلاتها وصيامها اذا استاذن صديق لبعلها على الباب وليس
البعل حاضرا لم تستفهمه ولم تعاوده في الكلام غيرة على نفسها وبعلها وتكون قانعة من زوجها
بما قسم الله تعالى وتقدم حقه على حق نفسها وحق سائر اقاربها متنظفة في نفسها مستعدة
في الاحوال كلها للتمتع بها ان شاء مشفقة على اولادها حافظة للستر عليهم قصيرة اللسان
عن سب الاولاد ومراجعة الزوج وقد قال عليه السلام انا وامراة سفعاء الخدين كهاتين في الجنة
امراة آمت من زوجها وحبست نفسها على بناتها حتى ثابوا او ماتوا وقال عليه السلام حرم الله
الجنة على كل آدمي يدخلها قبلي غير اني انظر عن يميني فاذا امراة تبادرني الى باب الجنة فاقول ما لهذه تبادرني
فيقال لي يا محمد هذه امراة كانت حسناء جميلة وكان عندها يتامى لها فصبرت عليهن حتى بلغ
امرهن الذي بلغ فشكر الله لها ذلك **ومن آدابها** ان لا تتفاخر على الزوج بجمالها ولا تزدري بزوجها
لقبحه فقد روي عن الاصمعي قال دخلت البادية فاذا انا بامراة من احسن الناس وجها تحت رجل
من اقبح الناس وجها فقلت لها يا هذه اترضين لنفسك ان تكوني تحت مثله فقالت يا هذا اسكت
اسأت في قولك لعله احسن فيما بينه وبين خالقه فجعلني ثوابه ولعلي اسأت فيما بيني وبين خالقي
فجعله عقوبتي افلا ارضى بما رضي الله لي فاسكتتني **وقال** الاصمعي رأيت في البادية امراة عليها قميص
احمر وهي مختضبة وبيدها سبحة فقلت ما ابعد هذا من هذا فقالت ولله مني جانب لا اضيعه و
للهو مني والبطالة جانب فمن آداب المراة ملازمة الصلاح والانقباض في غيبة زوجها والرجوع
الى اللعب والانبساط واسباب اللذة في حضور زوجها ولا ينبغي ان تؤذي زوجها بحال روي عن معاذ
بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تؤذي امراة زوجها في الدنيا الا قالت زوجته
من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فانما هو عندك دخيل يوشك ان يفارقك الينا ومما يجب
عليها من حقوق النكاح اذا مات زوجها ان لا تحد عليه اكثر من اربعة اشهر وعشر وتجتنب الطيب و
الزينة في هذه المدة قالت زينب بنت ابي سلمة دخلت على ام حبيبة زوج الرسول صلى الله عليه وسلم
حين توفي ابوها ابو سفيان بن حرب فدعت بطيب فيه صفرة خلوق او غيره فدهنت به جارية ثم مست
بعارضيها ثم قالت والله ما لي بالطيب من حاجة غير اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

لا تحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت أكثر من ثلاثة أيام إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا
ويلزمها لزوم مسكن النكاح إلى آخر العدة وليس لها الانتقال إلى أهلها ولا الخروج إلا لضرورة ومن
آدابها أن تقوم بكل خدمة في الدار تقدر عليها روي عن أسماء بنت الصديق رضي الله عنهما أنها قالت
تزوجني الزبير وما له في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه وناضحه فكنت أعلف فرسه وأكفيه
مؤنته وأسوسه وأدق النوى لناضحه وأعلفه وأستقي الماء وأخرز غربه وأعجن وكنت أنقل
النوى على رأسي من ثلثي فرسخ حتى أرسل إلي أبو بكر بخادم فكفاني سياسة الفرس فكأنما أعتقني فـ
لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ومعه أصحابه والنوى على رأسي فقال عليه السلام إخ
إخ ليُنيخ ناقته ويحملني خلفه فاستحييت أن أسير مع الرجال وذكرت الزبير وغيرته وكان أغير الناس
فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أني قد استحييت فجئت إلى الزبير فحكيت ما جرى فقال والله لحملك
النوى على رأسك أشد علي من ركوبك معه تم كتاب النكاح ويتلوه كتاب آداب الكسب إن شاء الله
تعالى **كتاب** آداب الكسب والمعايش وهو الكتاب الثالث من ربع العادات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله حمد موحد المحق في توحيده ما سوى الواحد الحق وتلاشى ومجد تمجيد من
صرح بأن كل شيء ما سوى الله باطل ولا تحاشى وأن كل من في السموات والأرض لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا
له ولا فراشا وشكره إذ رفع السماء بغير عمد لعباده سقفا مبنيا ومهد الأرض بساطا لهم وفراشا
وكور الليل على النهار فجعل الليل لباسا وجعل النهار معاشا لينتشروا في ابتغاء فضله وينتعشوا
بها عن ضراعة الحاجات انتعاشا ونصلي على رسوله الذي يصدر بالمؤمنين عن حوضه رواء بعد ما وردوه
عطاشا وعلى آله وأصحابه الذين لم يدعوا في نصرة دينه تشمرا وانكماشا وسلم تسليما كثيرا
أما بعد فإن رب الأرباب ومسبب الأسباب جعل الآخرة دار الثواب والعقاب و
الدنيا دار التحمل والاضطراب والتشمر والاكتساب وليس التشمر في الدنيا مقصورا على المعاد دون
المعاش بل المعاش ذريعة إلى المعاد ومعين عليه فالدنيا مزرعة الآخرة ومدرجة إليها والناس
ثلاثة رجل شغله معاشه عن معاده فهو من الهالكين ورجل شغله معاده عن معاشه فهو من الفائزين
والأقرب إلى الاعتدال هو الثالث الذي شغله معاشه لمعاده فهو من المقتصدين ولن ينال
رتبة الاقتصاد من لم يلازم في طلب المعيشة منهج السداد ولن ينتهض من طلب الدنيا وسيلة
إلى الآخرة وذريعة ما لم يتأدب في طلبها بآداب الشريعة وها نحن نورد آداب التجارات والصناعات
وضروب الاكتسابات وسننها ونشرحها في خمسة أبواب إن شاء الله تعالى **الباب الأول** في فضل
الكسب والحث عليه **الباب الثاني** في علم صحيح البيع والشراء والمعاملات **الباب الثالث**
في العدل في بيان المعاملات **الباب الرابع** في بيان الإحسان فيها **الباب الخامس** في شفقة
التاجر على دينه

الباب الأول في فضل الكسب والحث عليه أما من الكتاب فقوله تعالى وجعلنا
النهار معاشا فذكره في معرض الامتنان وقال تعالى وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون
فجعلها نعمة وطلب الشكر عليها وقال تعالى ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم وقال تعالى

وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وأما الأخبار فقد قال عليه السلام من الذنوب
ذنوب لا يكفرها إلا الهم في طلب المعيشة وقال عليه السلام التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة
مع الصديقين والشهداء وقال عليه السلام من طلب الدنيا حلالا تعففا عن المسألة و
سعيا على عياله وتعطفا لقي الله تعالى ووجهه كالقمر ليلة البدر وكان عليه السلام جالسا مع
أصحابه ذات يوم فنظروا إلى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر يسعى فقالوا ويح هذا لو كان شبابه
وجلده في سبيل الله فقال عليه السلام لا تقولوا هذا فإنه إن كان يسعى على نفسه ليكفها عن
المسألة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل الله وإن كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية
ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله وإن كان يسعى تفاخرا وتكاثرا فهو في سبيل الشيطان
وقال عليه السلام إن الله يحب العبد يتخذ المهنة ليستغني بها عن الناس ويبغض العبد يتعلم
العلم يتخذه مهنة وفي الخبر إن الله تعالى يحب الرجل المحترف وقال عليه السلام أحل ما أكل الرجل
من كسبه وكل بيع مبرور وفي خبر آخر أحل ما أكل الرجل كسب يد الصانع إذا نصح وقال عليه السلام
عليكم بالتجارة فإن فيها تسعة أعشار الرزق وروي أن عيسى عليه السلام رأى رجلا فقال
ما تصنع قال أتعبد فقال ومن يعولك قال أخي قال أخوك أعبد منك وقال نبينا عليه السلام إني لا
أعلم شيئا يقربكم من الجنة ويبعدكم من النار إلا أمرتكم به ولا أعلم شيئا يبعدكم من الجنة ويقربكم من النار
إلا نهيتكم عنه وإن الروح الأمين نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستوفي رزقها وإن أبطأ عنها
فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولم يقل اتركوا الطلب ثم قال في آخره ولا يحملنكم استبطاء شيء من الرزق
على أن تطلبوه بمعصية الله تعالى فإن الله تعالى لا ينال ما عنده بمعاصيه وقال عليه السلام الأسواق
موائد الله تعالى فمن أتاها أصاب منها وقال عليه السلام لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره
خير من أن يأتي رجلا أعطاه الله من فضله فيسأله أعطاه أو منعه وقال صلى الله عليه وسلم من فتح على
نفسه بابا من السؤال فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر **وأما الآثار** فقد قال لقمان الحكيم لابنه
يا بني استغن بالكسب الحلال عن الفقر فإنه ما افتقر أحد قط إلا أصابه ثلاث خصال رقة في دينه و
ضعف في عقله وذهاب مروءته وأعظم من هذه الثلاث استخفاف الناس به **وقال** عمر رضي الله عنه
لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وكان زيد
بن مسلمة يغرس في أرضه فقال له عمر أصبت استغن عن الناس يكن أصون لدينك وأكرم لك عليهم
كما قال صاحبكم أحيحة فلن أزال على الزوراء أعمرها إن الكريم على الإخوان ذو المال وقال ابن مسعود إني
لأكره أن أرى الرجل فارغا لا في أمر دينه ولا في أمر دنياه وسئل إبراهيم عن التاجر الصدوق أهو أحب إليك
أم المتفرغ للعبادة قال التاجر الصدوق أحب إلي لأنه في جهاد يأتيه الشيطان من طريق المكيال والميزان
ومن قبل الأخذ والعطاء فيجاهده وخالفه الحسن البصري في هذا وقال عمر رضي الله عنه ما من موطن
يأتيني الموت فيه أحب إلي من موطن أتسوق فيه لأهلي أبيع وأشتري وقال الهيثم ربما يبلغني عن الرجل
يقع في فأذكر استغنائي عنه فيهون ذلك علي وقال أيوب كسب فيه شيء أحب إلي من سؤال الناس
وجاءت ريح عاصف في البحر فقال أهل السفينة لإبراهيم بن أدهم أما ترى هذه الشدة فقال ما هذه
شدة وإنما الشدة الحاجة إلى الناس وقال أيوب قال لي أبو قلابة الزم السوق فإن الغنى من العافية
يعني الغنى عن الناس وقيل لأحمد ما تقول فيمن جلس في بيته أو مسجده وقال لا أعمل شيئا حتى يأتيني رزقي

فقال احمد هذا رجل جاهل بالعلم اما سمع قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله جعل رزقي تحت ظل رمحي
وقوله عليه السلام حين ذكر الطير تغدو خماصا وتروح بطانا فذكر انها تغدو في طلب الرزق وكان
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجرون في البر والبحر ويعملون في نخيلهم والقدوة بهم
وقال ابو قلابة لرجل لان اراك تطلب معاشك احب الي من ان اراك في زاوية المسجد **وروي**
لقي ابرهيم بن ادهم على عنقه حزمة حطب فقال له يا ابا اسحق الى متى هذا اخوانك يكفونك فقال
دعني عن هذا يا ابا عمرو فانه بلغني انه من وقف موقف مذلة في طلب حلال وجبت له الجنة وكان
ابو سليمن ليس العبادة عندنا ان تصف قدميك وغيرك يقوت لك ولكن ابدأ برغيفيك فاحرزهما
ثم تعبد وقال معاذ بن جبل ينادي يوم القيمة اين بغضاء الله في ارضه فيقوم سؤال المساجد فهذه مذمة
الشرع للسؤال والاتكال على كفاية الاغيار ومن ليس له مال موروث فلا ينجيه من ذلك الا
الكسب والتجارة **فان قلت** فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ما اوحي الي ان اجمع المال واكن
من التاجرين ولكن اوحي الي ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقين
وقيل لسلمان الفارسي اوصنا فقال من استطاع منكم ان يموت حاجا او غازيا او عامرا لمسجد ربه
فليفعل ولا يموتن احدكم تاجرا ولا خائنا فالجواب ان وجه الجمع بين هذه الاخبار تفصيل الاحوال فنقول
لسنا نقول ان التجارة افضل مطلقا من كل شيء ولكن التجارة اما ان يطلب بها الكفاية او الثروة والزيادة على
الكفاية فان طلب منها الزيادة على الكفاية لاستكثار وادخار لا للصرف الى الخيرات والصدقات فهي
مذمومة لانه اقبال على الدنيا التي حبها راس كل خطيئة فان كان مع ذلك خائنا فهو ظلم وفسق وهذا ما اراده
سلمان بقوله لا يمت تاجرا ولا خائنا واراد بالتاجر طالب الزيادة فاما اذا طلب بها الكفاية لنفسه
واولاده وكان يقدر على كفايتهم بالسؤال فالتجارة تعففا عن السؤال افضل وان كان لا يحتاج الى السؤال
وكان يعطى من غير سؤال فالكسب افضل لانه انما يعطى لانه سائل بلسان حاله ومناد بين الناس بفقره فالتعفف
والتستر اولى من البطالة بل من الاشتغال بالعبادات البدنية وترك الكسب افضل لاربعة عابد بالعبادات
البدنية او رجل سير بالباطن وعمل بالقلب في علوم الاحوال والمكاشفات او عالم يشتغل بتربية العلم
الظاهر مما ينتفع الناس به في دينهم كالمفتي والمفسر والمحدث وامثالهم او رجل مشتغل بمصالح المسلمين
وقد تكفل امورهم كالقاضي والسلطان والشاهد فهؤلاء اذا كانوا يكفون من الاموال المرصدة للمصالح
او الاوقاف المسبلة على الفقراء او العلماء فاقبالهم على ما هم فيه افضل من الاشتغال بالكسب ولهذا
اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين ولم يوح اليه ان كن من التاجرين
لانه كان جامعا لهذه المعاني الى زيادات لا يحيط بها الوصف ولهذا اشار الصحابة على ابي بكر
رضي الله عنه بترك التجارة لما ولي الخلافة اذ كان ذلك يشغله عن المصالح وكان ياخذ كفايته من مال المصالح
ورأى ذلك اولى ثم لما توفي اوصى برده الى بيت المال ولكنه رأى في الابتداء اوليه ولهؤلاء الاربعة حالتان
اخريان احداهما ان تكون كفايتهم عند ترك الكسب من ايدي الناس وما يتصدق به عليهم من زكوة
او صدقة من غير حاجة الى سؤال فترك الكسب والاشتغال بما هم فيه اولى اذ فيه اعانة الناس
على الخيرات وقبول منهم لما هو حق عليهم وافضل لهم الحالة الثالثة الحاجة الى السؤال وهذا في محل
النظر والتشديدات التي رويناها في السؤال وذمه يدل ظاهرها على ان التعفف عن السؤال اولى و
اطلاق القول فيه من غير ملاحظة الاحوال والاشخاص عسير بل هو موكول الى اجتهاد العبد ونظره

لنفسه بان يقابل ما يلقى في السؤال من المذلة وهتك المروة والحاجة الى التثقيل والالحاح بما يحصل
من اشتغاله بالعلم والعمل من الفائدة له ولغيره فرب شخص يكثر فائدة الخلق وفائدته في اشتغاله
بالعلم والعمل ويهون عليه بادنى تعريض في السؤال تحصيل الكفاية وربما يكون بالعكس وربما يتقابل
المطلوب والمحذور فينبغي ان يستفتي المريد فيه قلبه وان افتاه المفتون فان الفتاوي لا تحيط
بتفاصيل الصور ودقائق الاحوال فقد كان في السلف من له ثلثمائة وستون صديقا ينزل على
كل واحد في ليلة ومنهم من له ثلاثون وكانوا يشتغلون بالعبادة لعلمهم بان المتكلفين بهم يتقلدون
منه منة بقبولهم لبراتهم فكان قبولهم لبراتهم خيرا مضافا الى عباداتهم فينبغي ان يدقق النظر في هذه
الامور فان اجر الاخذ كاجر المعطي مهما كان الاخذ يستعين به على الدين والمعطي يعطيه عن طيبة
قلب ومن اطلع على هذه المعاني امكنه ان يتعرف حال نفسه ويستوضح من قلبه ما هو الافضل له
بالاضافة الى حاله ووقته فهذه فضيلة الكسب وليكن العقد الذي به الاكتساب جامعا
لاربعة امور الصحة والعدل والاحسان والشفقة على الدين ونحن نعقد في كل واحد بابا ونبتدئ
بذكر اسباب الصحة في الباب الثاني ان شاء الله تعالى **الباب الثاني** في علم الكسب بطريق
البيع والربا والسلم والاجارة والقراض والشركة وبيان شروط الشرع في صحة هذه التصرفات التي
هي مدار المكاسب في الشرع **اعلم** ان تحصيل علم هذا الباب واجب على كل مكتسب لان طلب العلم
فريضة على كل مسلم وانما هو طلب العلم المحتاج اليه والمكتسب يحتاج الى علم الكسب ومهما حصل علم هذا
الباب وقف على مفسدات المعاملات فيتقيها وما شذ عنه من الفروع المشكلة فيقع على سبب
اشكالها فيتوقف فيها الى ان يسال فانه اذا لم يعلم اسباب الفساد بعلم جلي فلا يدري
متى يجب عليه التوقف والسؤال ولو قال لا اقدم العلم ولكني اصبر الى ان تقع لي الواقعة فعندها اتعلم
واستفتي فيقال له وبم تعلم وقوع الواقعة مهما لم تعلم جمل مفسدات العقود فانه يستمر في التصرفات
ويظنها صحيحة مباحة فلا بد له من هذا القدر من علم التجارة ليتميز له المباح عن المحظور وموضع الاشكال
عن موضع الوضوح وكذلك روي عن عمر رضي الله عنه انه كان يطوف في السوق ويضرب بعض التجار
بالدرة ويقول لا يبيع في سوقنا الا من يفقه والا اكل الربا شاء ام ابى وعلم العقود كثير ولكن هذه العقود
الستة لا تنفك المكاسب عنها وهي البيع والربا والسلم والاجارة والشركة والقراض فلنشرح شروطها
العقد الاول البيع وقد احله الله تعالى وله ثلثة اركان العاقد والمعقود عليه واللفظ
الركن الاول العاقد ينبغي للتاجر ان لا يعامل بالبيع اربعة الصبي والمجنون والعبد والاعمى لان الصبي
غير مكلف وكذلك المجنون وبيعهما باطل فلا يصح بيع الصبي وان اذن فيه الولي عند الشافعي
رحمه الله وما اخذ منهما مضمون عليه لهما وما سلمه اليهما في المعاملة فضاع في ايديهما فهو المضيع
له واما العبد العاقل فلا يصح بيعه وشراؤه الا باذن سيده فعلى البقال والخباز والقصاب وغيرهم ان لا
يعاملوا العبيد ما لم ياذن لهم السادة في معاملتهم وذلك بان يسمعه صريحا او ينتشر في البلد انه ماذون
في الشراء لسيده والبيع له فيعول على الاستفاضة او على قول عدل يخبره بذلك فان عامله بغير اذن
سيده فعقده باطل وما اخذه منه مضمون عليه لسيده وما سلمه ان ضاع في يد العبد لا يتعلق
برقبته ولا يضمنه سيده بل ليس له الا المطالبة اذا عتق واما الاعمى فانه يبيع ويشتري ما لا يرى فلا
يصح فليامره بان يوكل وكيلا بصيرا ليشتري له او يبيع فيصح توكيله ويصح بيع وكيله فان عامله

بنفسه فالمعاملة فاسدة وما اخذه منه مضمون عليه بقيمته وما سلم اليه مضمون له بقيمته
واما الكافر فيجوز معاملته لكن لا يباع منه المصحف ولا يباع العبد المسلم ولا السلاح ان كان من اهل
الحرب فان فعل فهي معاملات مردودة وهو عاص بها ربه واما الجندية من الاتراك والتركمانية والعرب
والاكراد والسراق والخونة واكلة الربوا والظلمة وكل من اكثر ماله حرام فلا ينبغي ان يتملك مما
في ايديهم شيئا لاجل ان الغالب عليها الحرام الا اذا عرف شيئا بعينه انه حلال وسياتي بيان ذلك في كتاب الحلال
والحرام **الركن الثاني** في المعقود عليه وهو المال المقصود نقله من احد المتعاقدين الى الاخر
ثمنا كان او مثمنا فيعتبر فيه ستة شروط الاول ان لا يكون نجسا في عينه فلا يصح بيع كلب ولا
خنزير ولا بيع زبل ولا عذرة ولا بيع العاج ولا الاواني المتخذة منه فان العظم ينجس بالموت
ولا يطهر الفيل بالذبح ولا يطهر عظمه بالتذكية ولا يجوز بيع الخمر ولا بيع الودك النجس المستخرج
من الحيوانات التي لا توكل وان كان يصلح للاستصباح او طلي السفن ولا باس ببيع الدهن الطاهر في
عينه الذي نجس بوقوع نجاسة او موت فارة فيه فانه يجوز الانتفاع به في غير الاكل وهو في عينه
ليس بنجس وكذلك لا ارى باسا ببيع بزر القز فانه اصل حيوان ينتفع به وتشبيهه بالبيض وهو اصل
حيوان اولى من تشبيهه بالروث ويجوز بيع فارة المسك ويقضى بطهارتها اذا انفصلت من الظبية في حال
الحياة **الثاني** ان يكون منتفعا به فلا يصح بيع الحشرات ولا الفارة ولا الحية ولا التفات الى انتفاع المشعوذ
بالحية وكذلك انتفاع ارباب الحلق باخراجها من السلة وعرضها على الناس ويجوز بيع الهرة والنحل
وبيع الفهد والاسد وما يصلح للصيد او ينتفع بجلده ويجوز بيع الفيل لاجل الحمل ويجوز بيع
الببغا والطاوس والطيور المليحة الصور وان كانت لا توكل فان التفرج باصواتها والنظر اليها غرض
مقصود مباح وانما الكلب هو الذي لا يجوز ان يقتنى اعجابا بصورته لنهي النبي صلى الله عليه وسلم
عنه ولا يجوز بيع العود والصنج والمزامير والملاهي فانه لا منفعة فيها شرعا وكذا بيع الصور المصنوعة
من الطين كالحيوانات التي تباع في الاعياد للعب الصبيان فان كسرها واجب شرعا وصور الاشجار يتسامح
فيها واما الثياب والاطباق التي عليها صور الحيوان فيصح بيعها وكذا الستور وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لعايشة رضي الله عنها اتخذي منه نمارق فلا يجوز استعمالها منصوبة
ويجوز موضوعة واذا جاز الانتفاع من وجه صح البيع لذلك الوجه **الثالث** ان يكون المتصرف
فيه مملوكا للعاقد او ماذونا من جهة المالك فلا يجوز ان يشتري من غير المالك انتظارا للاذن من المالك
بل لو رضي بعد ذلك وجب استيناف العقد ولا ينبغي ان يشتري من الزوجة مال الزوج ولا من
الزوج مال الزوجة ولا من الولد مال الوالد اعتمادا على انه لو عرف لرضي به فانه اذا لم يكن الرضا متقدما
لم يصح البيع وامثال ذلك مما يجري في الاسواق فواجب على العبد المتدين ان يحترز منه **الرابع**
ان يكون المعقود عليه مقدورا على تسليمه شرعا وحسا فما لا يقدر على تسليمه حسا لا يصح بيعه
كالابق والسمك في الماء والجنين في البطن وعسب الفحل وكذلك بيع الصوف على ظهر الحيوان واللبن
في الضرع لا يجوز لانه يتعذر تسليمه لاختلاط غير المبيع بالمبيع والمعجوز عن تسليمه شرعا
كالمرهون والموقوف والمستولدة فلا يصح بيعه ايضا وكذا بيع الام دون الولد اذا كان الولد صغيرا
وكذا بيع الولد دون الام لان تسليمه تفريق بينهما وهو حرام فلا يصح تفريق بينهما بالبيع **الخامس**
ان يكون المبيع معلوم العين والقدر والوصف اما العلم بالعين فبان يشير اليه بعينه فلو قال

بعتك شاة من هذا القطيع اي شاة اردت او ثوبا من هذه الثياب التي بين يديك او ذراعا من هذا
الكرباس وخذه من اي جانب شيت او عشرة اذرع من هذه الارض وخذ من اي طرف شيت فالبيع باطل
وكل ذلك مما يعتاده المتساهلون في الدين الا ان يبيع شايعا مثل ان يبيع نصف الشي او عشره
فان ذلك جايز واما العلم بالمقدار فانما يحصل بالكيل والوزن او النظر اليه فلو قال بعتك
هذا الثوب بما باع به فلان ثوبه وهما لا يعلمان ذلك فهو باطل ولو قال بعتك بزنة هذه الصنجة
فهو باطل اذا لم تكن الصنجة معلومة ولو قال بعتك هذه الصبرة من الحنطة او بعتك هذه
الصبرة من الدراهم او بهذه القطعة من الذهب وهو يراها صح البيع وكان تخمينه بالنظر كافيا
في معرفة المقدار واما العلم بالوصف فيحصل بالروية في الاعيان فلا يصح بيع الغايب الا
اذا سبقت روية منذ مدة لا يغلب التغير فيها والوصف لا يقوم مقام العيان هذا احد
المذهبين فلا يجوز بيع الثوب في المنسوج اعتمادا على الرقوم ولا بيع الحنطة في سنبلها ويجوز
بيع الارز في قشرته التي يدخر فيها وكذا بيع اللوز والجوز في القشرة السفلى ولا يجوز في القشرتين
ويجوز بيع الباقلا الرطب في قشرته للحاجة ويتسامح ببيع الفقاع لجريان العادة به ولكن يجعله
المحتسب عوضا فلا يشتريه ليبيعه فالقياس بطلانه لانه ليس مستترا خلقة ولا يبعد ان يتسامح به اذ في
اخراجه افساده كالرمان وما يستتر خلقته **السادس** ان يكون المبيع مقبوضا ان كان قد استفاد ملكه
بمعاوضة وهذا شرط خاص فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع ما لم يقبض ويستوي
فيه العقار والمنقول فكل ما اشتراه او باعه قبل القبض فبيعه باطل وقبض المنقول بالنقل و
قبض العقار بالتخلية وقبض ما ابتاعه بشرط الكيل لا يتم الا بان يكتاله واما بيع الميراث والوصية
والوديعة وما لم يكن الملك حاصلا فيه بمعاوضة فهو جايز قبل القبض **الركن الثالث** لفظ
العقد ولا بد من جريان ايجاب وقبول متصل به بلفظ دال على المقصود مفهم اما صريحا او كناية فلو قال
اعطيتك هذا بذاك بدل قوله بعتك فقال قبلت جاز مهما قصدا به البيع فانه قد يحتمل الاعارة اذا كان
في ثوبين او دابتين والنية تدفع الاحتمال والصريح اقطع للخصومة ولكن الكناية تفيد الملك
والحل ايضا فيما تحتاله ولا ينبغي ان يقرن بالبيع شرط على خلاف مقتضى العقد فلو شرط ان يزيد شيا
اخر وان يحمل المبيع الى داره او اشترى الحطب بشرط النقل الى بيته فكل ذلك فاسد الا اذا افرد
استيجاره للنقل باجرة معلومة مفردة عن الشرا للمنقول ومهما لم يجر بينهما الا المعاطاة بالفعل
دون التلفظ باللسان لم ينعقد البيع عند الشافعي رحمه الله اصلا وانعقد عند ابي حنيفة ان
كان في المحقرات ثم ضبط المحقرات عسير فان رد الامر الى العادات فقد جاوز الناس المحقرات في
المعاطاة اذ يتقدم الدلال الى البزاز ياخذ منه ثوب ديباج قيمته عشرة دنانير مثلا ويحمله الى المشتري
ويعود اليه بانه ارتضاه فيقول له خذ عشرة فياخذ من صاحبه العشرة ويسلمها الى البزاز فياخذه
ويتصرف فيه ومشتري الثوب يقطعه ولم يجر بينهما ايجاب ولا قبول اصلا وكذلك يجتمع
المجهزون على حانوت البياع فيعرض متاعا قيمته مائة دينار مثلا فيمن يزيد فيقول هذا على تسعين
ويقول الاخر على خمسة وتسعين ويقول الاخر بمائة فيقال له زن فيزن ويسلم وياخذ المتاع من
غير ايجاب وقبول فقد استمرت بهذا العادات وهذا من المعضلات التي ليست تقبل العلاج
اذ الاحتمالات ثلثة اما فتح باب المعاطاة مطلقا في الحقير والنفيس وهو محال اذ فيه نقل الملك من غير

لفظ دل عليه وقد احل الله البيع والبيع اسم الايجاب والقبول ولم يجر ولا ينطلق اسم البيع على مجرد
فعل بتسليم وتسلم فبماذا الحكم بانتقال الملك من الجانبين لا سيما في الجواري والعبيد و
العقارات والدواب النفيسة وما يكثر التنازع فيه اذ للمسلم ان يرجع فيه ويقول قد ندمت
وما بعته اذ لم يصدر مني الا مجرد التسليم وذلك ليس ببيع الاحتمال **الثاني ان نسد
الباب** كما قال الشافعي رحمه الله من بطلان العقد وفيه اشكال من وجهين احدهما يشبه
ان يكون ذلك في المحقرات معتادا في زمان الصحابة ولو كانوا يتكلفون الايجاب والقبول مع البقال
والخباز والقصاب لثقل عليهم فعله ولنقل ذلك نقلا منتشرا ولكان يشتهر وقت الاعراض عنه
بالكلية عن تلك العادة فان الاعصار في مثل هذا تتقلب والثاني ان الناس قد انهمكوا فيه فلا
يشتري الانسان شيئا من الاطعمة وغيرها الا ويعلم ان البايع قد تملكه بالمعاطاة فاي فايدة
في تلفظه بالعقد اذا كان الامر كذلك الاحتمال **الثالث** ان يفصل بين المحقرات وغيرها كما قاله
ابو حنيفة وعند ذلك يعسر الضبط في المحقرات ويشكل وجه نقل الملك من غير لفظ يدل عليه وقد
ذهب ابن سريج الى تخريج قول للشافعي رحمه الله على وفقه وهو اقرب الاحتمالات الى الاعتدال فلا
باس لو ملنا اليه لمسيس الحاجة ولعموم الحاجة اليه بين الناس ولما يغلب على الظن بان ذلك كان معتادا
في الاعصار الاول فاما الجواب عن الاشكالين فهو ان نقول اما الضبط في الفصل بين المحقرات وغيرها
فليس علينا تكلفه بالتقدير فان ذلك غير ممكن بل له طرفان واضحان اذ لا يخفى ان شراء البقل وقليل
الفاكهة والخبز واللحم من المعدود في المحقرات التي لا يعتاد فيها الا المعاطاة وطالب الايجاب
والقبول يعد مستقصيا ويستبرد تكلفه لذلك ويستثقل وينسب الى انه يقيم الوزن في الامر
الحقير الذي لا وزن له فهذا طرف الحقارة والطرف الثاني العبيد والدواب والعقارات والثياب
النفيسة فذلك مما لا يستبعد تكلف الايجاب والقبول فيه وبينهما اوساط متشابهة لشك فيها هي في
محل الشبهة فحق ذي الدين ان يميل فيها الى الاحتياط وجميع ضوابط الشرع فيما يعلم بالعادة كذلك
ينقسم الى اطراف واضحة واوساط مشكلة واما الثاني وهو طلب سبب لنقل الملك فهو ان يجعل الفعل
باليد اخذا وتسليما سببا اذ اللفظ لم يكن سببا لعينه بل لدلالته وهذا الفعل قد دل على مقصود
البيع دلالة مستمرة في العادة وانضم اليه مسيس الحاجة وعادة الاولين واطراد جميع العادات
لقبول الهدايا من غير ايجاب وقبول مع التصرف فيها واي فرق بين ان يكون فيه عوض او لا يكون اذ الملك
لا بد من نقله في الهبة ايضا الا ان العادة السالفة لم يفرق في الهدايا بين الحقير والنفيس بل كان
طلب الايجاب والقبول يستقبح فيه كيف كان وفي البيع لم يستقبح في غير المحقرات هذا ما نراه اعدل
الاحتمالات وحق الورع المتدين ان لا يدع الايجاب والقبول للخروج عن شبهة الخلاف ولا ينبغي ان
يمتنع بان البايع قد تملكه بغير ايجاب وقبول فان ذلك لا يعرف تحقيقا فربما اشتراه بايجاب وقبول
فان كان حاضرا عند شرايه او اقر البايع به فليمتنع منه وليشتر من غيره فان كان الشيء محقرا وهو اليه
محتاج فليتلفظ فانه يستفيد به قطع الخصومة في المستقبل معه اذ الرجوع عن اللفظ الصريح غير
ممكن وعن الفعل ممكن فان قلت ان امكن هذا فيما يشتريه فكيف يفعل اذا حضر على مائدة او ضيافة
وهو يعلم ان اصحابها يكتفون بالمعاطاة في البيع والشرا او سمع منهم ذلك او رآه ايجب عليه الامتناع
من الاكل فاقول يجب عليه الامتناع من الشرا اذا كان ذلك الشيء الذي اشتروه مقدارا نفيسا

ولم يكن من المحقرات واما الاكل فلا يجب عليه الامتناع منه فاني اقول ان ترددنا في جعل الفعل دلالة
على نقل الملك فلا ينبغي ان نجعله دلالة على الاباحة فان امر الاباحة اوسع وامر نقل الملك
اضيق فكل مطعوم جرى فيه بيع معاطاة فتسليم البايع اذن في الاكل يعلم ذلك بقرينة
الحال كاذن الحمامي في دخول الحمام والاذن في الاطعام لمن يريده المشتري فينزل منزلة
ما لو قال ابحت لك ان تاكل هذا الطعام او تطعم من اردت فانه يحل له ولو صرح وقال كل
هذا الطعام ثم اغرم لي عوضه حل الاكل ويلزمه الضمان بعد الاكل هذا قياس الفقه عندي
ولكنه بعد المعاطاة اكل ملكه ومتلف له فعليه الضمان وذلك في ذمته والثمن الذي سلمه
ان كان مثل قيمته فقد ظفر المستحق بمثل حقه فله ان يتملكه مهما عجز عن مطالبة من عليه
وان كان قادرا على مطالبته فانه لا يتملك ما ظفر به من ملكه لانه ربما لا يرضى بتلك العين ان
يصرفها الى دينه فعليه المراجعة واما ههنا فقد عرف رضاه بقرينة الحال عند التسليم
فلا يبعد ان يجعل الفعل دلالة على الرضا بان يستوفي دينه مما سلم اليه فياخذه بحقه لكن
على الاحوال كلها جانب البايع اغمض لان ما اخذه فقد يريد الملك فيه ليتصرف ولا يمكنه الملك
الا اذا تلف عين طعامه في يد المشتري ثم ربما يفتقر الى استيناف قصد التملك ثم يكون
قد تملك بمجرد رضا استفاده من الفعل دون القول واما جانب المشتري للطعام وهو لا
يريد الا الاكل فيهين فان ذلك يباح بالاباحة المفهومة من قرينة الحال ولكن ربما يلزم من مساق
هذا ان الضيف يضمن ما اكله وانما يسقط الضمان عنه اذا تملك البايع ما اخذه من المشتري
فيكون كالقاضي دينه والمتحمل عنه فهذا ما نراه في قاعدة المعاطاة على غموضها والعلم عند الله تعالى
وهذه احتمالات وظنون رددناها ولا يمكن بناء الفتوى الا على هذه الظنون واما الورع فينبغي ان
يستفتي قلبه ويتقي مواضع الشبه العقد **الثاني عقد** الربو وقد حرمه الله تعالى وشدد الامر فيه
ويجب الاحتراز منه على الصيارفة والمتعاملين على النقدين وعلى المتعاملين على الاطعمة اذ لا ربوا الا
في نقد او طعام وعلى الصيرفي ان يحترز من النسيئة والفضل اما النسيئة فان لا يبيع شيئا من جواهر
النقدين بشيء من جواهر النقدين الا يدا بيد وهو ان يجري التقابض في المجلس وهذا احتراز من
النسيئة وتسليم الصيارفة الذهب الى دار الضرب وشراء الدنانير المضروبة حرام من حيث النسا
ومن حيث ان الغالب ان يجري فيه تفاضل اذ لا يرد المضروب بمثل وزنه واما الفضل فليحترز منه
في ثلاثة امور في بيع المكسر بالصحيح فلا يجوز المقابلة فيهما الا مع المماثلة وفي بيع الجيد بالردي
فلا ينبغي ان يشتري جيدا برديء دونه في الوزن او يبيع رديا بجيد فوقه في الوزن اعني اذا باع
الذهب بالذهب والفضة بالفضة فان اختلف الجنسان فلا حرج في الفضل وفي المركبات من
الذهب والفضة والدنانير المخلوطة من الذهب والفضة ان كان مقدار الذهب مجهولا لم
تصح المعاملة عليها اصلا الا اذا كان نقدا جاريا في البلد فانا نرخص في المعاملة عليه اذا لم
يقابل بالنقد وكذا الدراهم المغشوشة بالنحاس ان لم تكن رايجة في البلد لم تصح المعاملة عليها
لان المقصود منها النقرة وهي مجهولة وان كانت نقدا رايجا في البلد رخصنا في المعاملة لاجل
الحاجة وخروج النقرة عن ان يقصد استخراجها ولكن لا يقابل بالنقرة اصلا وكذلك كل حلي
مركب من ذهب وفضة فلا يجوز شراؤه لا بالذهب ولا بالفضة بل ينبغي ان يشتري بمتاع آخر

ان كان قدر الذهب منه معلوما الا ان كان مموها بالذهب تمويها لا يحصل منه ذهب مقصود عند العرض
على النار فيجوز بيعها بمثلها من النقرة وانما اريد من غير النقرة، وكذلك لا يجوز للصيرفي ان
يشتري قلادة فيها خرز وذهب بذهب ولا ان يبيع ذلك بل بالفضة ان لم يكن فيها فضة ولا
يجوز شراء ثوب منسوج بذهب يحصل منه ذهب مقصود عند العرض على النار بذهب ويجوز
بالفضة وغيرها واما البقالون على الاطعمة فعليهم التقابض في المجلس اختلف جنس الطعام
المبيع والمشترى او لم يختلف فان اتحد الجنس فعليهم التقابض ومراعاة المماثلة المعتاد
في هذه والمعاملة معاملة القصاب بان يسلم اليه الغنم ويشتري به اللحم نقدا او نسيئة
وهو حرام ومعاملة الخباز بان يسلم الحنطة ويشتري بها الخبز منه نسيئة او نقدا فهو ايضا
حرام ومعاملة العصار اذ يسلم اليه الجوز والسمسم والزيتون او غير ذلك ليوخذ منه
الادهان فهو حرام وكذا اللبان يعطى اللبن ليوخذ منه الجبن والسمن والزبد وساير اجزاء اللبن
فهو حرام فلا يباع الطعام بجنسه وبغير جنسه الا نقدا او متماثلا وكل ما يتخذ من المطعوم
فلا يجوز ان يباع به متماثلا ولا متفاضلا فلا تباع الحنطة بدقيق ولا سويق ولا خبز ولا العنب
والتمر بدبس ولا خل ولا عصير ولا اللبن بسمن ولا زبد ولا مخيض ولا مصل ولا جبن والمماثلة لا
يقبل اذا لم يكن الطعام في حال كمال الادخار فلا يباع الرطب بالرطب ولا العنب بالعنب متماثلا
ولا متفاضلا فهذه جمل مقنعة في تعريف البيع والتنبيه على ما يشعر التاجر بمثارات الفساد حتى
يستفتي فيها اذا اشكل والتبس عليه واذا لم يعرف هذا لم يتفطن لمواضع السؤال واقتحم الربوا والحرام
وهو لا يدري **العقد الثالث** السلم وانواع التاجر فيه عشرة شروط الاول ان يكون راس المال معلوما
على مثله حتى لو تعذر تسليم المسلم فيه امكن الرجوع الى قيمة راس المال فان اسلم كفا من الدراهم جزافا
في كر حنطة لم يصح في احد القولين **الثاني** ان يسلم راس المال في مجلس العقد قبل التفرق فان تفرق
قبل القبض انفسخ السلم **الثالث** ان يكون المسلم فيه مما يمكن تعريف اوصافه
كالحبوب والحيوانات والمعادن والقطن والصوف والابريسم والالبان واللحوم ومتاع العطارين
واشباهها ولا يجوز في المعجونات والمركبات وما تختلف اجزاؤه كالقسي المصنوعة والنبل المعمول
والخفاف والنعال المختلفة اجزاؤها وصنعتها وجلود الحيوانات ويجوز السلم في الخبز وما يتطرق
اليه من اختلاف قدر الملح والماء بكثرة الطبخ وقلته يعفى عنه ويتسامح فيه **الرابع** ان يستقصى
وصف هذه الاموال القابلة للوصف حتى لا يبقى وصف يتفاوت به القيمة تفاوتا لا يتغابن بمثله الا ذكره
فان ذلك الوصف قائم مقام الروية في البيع **الخامس** ان يجعل الاجل معلوما ان كان مؤجلا فلا يؤجل
الى الحصاد ولا الى ادراك الثمار بل بالاشهر والايام فان الادراك قد يتقدم ويتاخر **السادس**
ان يكون المسلم فيه مما يقدر على تسليمه وقت المحل ويؤمن فيه عدمه غالبا فلا ينبغي ان يسلم في العنب
الى اجل لا يدرك فيه وكذا ساير الفواكه فان كان الغالب وجوده وجاء المحل وعجز عن التسليم بسبب افة
فله ان يمهله ان شاء او يفسخ ويرجع في راس المال ان شاء **السابع** ان يذكر مكان التسليم فيما يختلف
الغرض به كيلا يثير ذلك نزاعا **الثامن** ان لا يعلقه بعين فيقول من حنطة هذا الزرع او من ثمرة
هذا البستان فان ذلك يبطل كونه دينا نعم لو اضاف الى ثمرة بلد او قرية كبيرة لم يضر ذلك
التاسع ان لا يسلم في شيء نفيس عزيز الوجود مثل درة موصوفة يعز مثلها او جارية حسناء معها

ولدها او غير ذلك مما لا يقدر عليه غالبا **العاشر** ان لا يسلم في نقد اذا كان راس المال نقدا
وقد ذكرنا هذا في الربوا **العقد الرابع** الاجارة وله ركنان الاجرة والمنفعة واما العاقد و
اللفظ فيعتبر فيه ما ذكرناه في البيع والاجرة كالثمن فينبغي ان يكون معلومة موصوفة بكل ما
شرطناه في البيع ان كان عينا وان كان دينا فينبغي ان يكون معلوم الصفة والقدر وليحترز فيه
عن امور جرت العادة بها وهو كرى الدار بعمارتها فذلك باطل فان قدر العمارة مجهول ولو قدر
دراهم وشرط على المكتري ان يصرفها الى العمارة لم يجز لان عمله في الصرف الى العمارة مجهول ومنها استيجار
السلاخ على ان ياخذ الجلد بعد السلخ واستيجار حمال الجيفة بجلدها واستيجار الطحان بالنخالة
او ببعض الدقيق فهو باطل وكذلك كل ما يتوقف حصوله وانفصاله على عمل الاجير فلا يجوز ان يجعل
اجرة ومنها ان يقدر في اجارة الدور والحوانيت مبلغ اجرة فلو قال لكل شهر دينار ولم يقدر اشهر
الاجارة كانت المدة مجهولة ولم ينعقد الاجارة الركن الثاني المنفعة المقصودة بالاجارة وهي العمل
وحده انه كل عمل مباح معلوم يلحق العامل فيه كلفة ويتطوع به الغير عن الغير فيجوز الاستيجار
عليه وجملة فروع الباب يندرج تحت هذه الرابطة ولكنا لا نطول بشرحها فقد طولنا القول فيها
بالفقهيات وانما نشير الى ما يعم به البلوى فليراع في العمل المستاجر عليه خمسة امور **الاول**
ان يكون متقوما بان يكون فيه كلفة وتعب فلو استاجر طعاما ليزين به الدكان او اشجارا ليجفف
عليها الثياب او دراهم ليزين بها الدكان لم يجز فان هذه المنافع تجري مجرى حبة سمسم وحبة بر من
الاعيان وذلك لا يجوز بيعه ولهذا لو استاجر بياعا على ان يتكلم بكلمة تروج بها سلعته لم يجز
وما ياخذه عوضا عن جاههم وحشمتهم وقبول السلع بقولهم وترويجها فهو حرام اذ ليس يصدر
منهم الا كلمة لا تعب فيها ولا قيمة لها وانما يحل لهم بكثرة تردد او بكثرة الكلام في تاليف امر المعاملة
ثم لا يستحقون الا اجرة المثل فاما ما تواطوا عليه الباعة فهو ظلم وليس ماخوذا بالحق **الثاني**
ان لا يتضمن الاجارة استيفاء عين مقصودة فلا يجوز اجارة الكرم لارتفاعه ولا اجارة المواشي للبنها ولا
اجارة البساتين لثمارها ويجوز استيجار المرضعة ويكون اللبن تابعا لان افراده غير ممكن وكذا
يتسامح بحبر الوراق وخيط الخياط لانهما لا يقصدان على حيالهما **الثالث** ان يكون العمل مقدورا
على تسليمه حسا وشرعا فلا يصح استيجار الضعيف على عمل لا يقدر عليه ولا استيجار الاخرس على
التعليم ونحوه وما يحرم فعله فالشرع يمنع من تسليمه كالاستيجار على قلع سن سليمة او قطع عضو لا
يرخص الشرع في قطعه او استيجار الحايض على كنس المسجد او المعلم على تعليم السحر او الفحش او استيجار زوجة
الغير على الارضاع دون اذن زوجها او استيجار المصور على صور الحيوانات او استيجار الصايغ على
صنعة الاواني من الذهب والفضة فكل ذلك باطل **الرابع** ان لا يكون العمل واجبا على الاجير
او لا يكون بحيث لا يجري النيابة فيه عن المستاجر ويجوز على الحج وغسل الميت وحفر القبور ودفن
الموتى وحمل الجنائز وفي اخذ الاجرة على امامة صلوة التراويح وعلى الاذان وعلى التصدي للتدريس
او اقراء القران خلاف اما الاستيجار على تعليم مسئلة بعينها او تعليم سورة بعينها لشخص معين
فصحيح **الخامس** ان يكون العمل والمنفعة معلوما فالخياط يعرف عمله بالثوب والمعلم يعرف عمله
بتعيين السورة ومقدارها وحمل الدواب يعرف بمقدار المحمول وبمقدار المسافة وكل ما يثير
خصومة في العادة فلا يجوز اهماله وتفصيل ذلك يطول وانما ذكرنا هذا القدر ليعرف به جليات

الأحكام ويتفطن به لمواقع الإشكال فيسأل فإن الاستقصاء شأن المفتي لا شأن العوام **العقد الخامس** القراض وليراع فيه ثلاثة أركان **الركن الأول** رأس المال وشرطه أن يكون نقداً معلوماً مسلماً إلى العامل فلا يجوز القراض على الفلوس ولا على العروض فإن التجارة تضيق فيها ولا يجوز على صبرة من الدراهم لأن قدر الربح لا يتبين فيه ولو شرط المالك اليد لنفسه لم يجز لأنه يضيق طريق التجارة **الركن الثاني** الربح وليكن معلوماً بالجزئية بأن يشترط له الثلث أو النصف أو ما شاء فلو قال على أن لك من الربح مائة والباقي لي لم يجز إذ ربما لا يكون الربح أكثر من مائة فلا يجوز تقديره بمقدار معين بل بمقدار شائع **الركن الثالث** العمل الذي على العامل وشرطه أن يكون تجارة غير مضيقة عليه بتعيين وتأقيت فلو شرط أن يشتري بالمال ماشية ليأخذ نسلها ويتقاسمان النسل أو حنطة ليخبزها ويتقاسمان الربح لم يصح لأن القراض مأذون فيه في التجارة وهو البيع والشراء وما يقع من ضرورتهما فقط وهذه حرف أعني الخبز ورعاية المواشي ولو ضيق عليه وشرط أن لا يشتري إلا من فلان أو لا يتجر إلا في الخز الأحمر أو شرط ما يضيق باب التجارة فسد العقد ثم مهما انعقد فالعامل وكيل يتصرف بالغبطة تصرف الوكلاء ومهما أراد المالك الفسخ فله ذلك فإذا فسخ في حالة المال كله نقد لم يخف وجه القسمة وإن كان عرضاً ولا ربح فيه رد عليه ولم يكن للمالك تكليفه الرد إلى النقد لأن العقد قد انفسخ وهو لم يلتزم شيئاً فإن قال العامل أبيعه وأبى المالك فالمتبوع رأي المالك إلا إذا وجد العامل زبوناً يظهر بسببه ربح على رأس المال ومهما كان ربح فعلى العامل بيع مقدار رأس المال بجنس رأس المال لا بنقد آخر حتى يتميز الفاضل ربحاً فيشتركان فيه وليس عليه بيع الفاضل عن رأس المال ومهما كان رأس السنة فعليه تعرف قيمة المال لأجل الزكاة فإذا كان قد ظهر من الربح شيء فالأقيس أن زكاة نصيب العامل على العامل وأنه يملك الربح بالظهور وليس للعامل أن يسافر بمال القراض دون إذن المالك فإن فعل صحت تصرفاته ولكنه يضمن الأعيان والأثمان جميعاً لأن عدوانه بالنقل يتعدى إلى الثمن المنقول وإن سافر بالإذن جاز ونفقة النقل وحفظ المال على مال القراض كما أن نفقة الوزن والحمل والكيل الذي لا يعتاد التاجر مثله على رأس المال فأما نشر الثوب وطيه والحمل اليسير المعتاد فليس له أن يبذل عليه أجرة وعلى العامل نفقته وسكناه في البلد وليس عليه أجرة الحانوت ومهما تجرد في السفر لمال القراض فنفقته في السفر على مال القراض وإذا رجع فعليه أن يرد بقايا آلات السفر من المطهرة والسفرة وغيرهما **العقد السادس** الشركة وهي أربعة أنواع ثلاثة منها باطلة والأول شركة المفاوضة وهو أن يقولا تفاوضنا لنشترك في كل ما لنا وعلينا وما لهما متمايزان وهي باطلة الثانية شركة الأبدان وهو أن يتشارطا الاشتراك في أجرة العمل الثالثة شركة الوجوه وهو أن يكون لأحدهما شوكة وقول مقبول فيكون من جهته التنفيذ ومن جهة غيره العمل فهي باطلة وإنما الصحيح **العقد** الرابع المسمى شركة العنان وهو أن يختلطا مالاً لهما بحيث يتعذر التمييز إلا بقسمة ويأذن كل واحد منهما لصاحبه في التصرف ثم حكمهما توزيع الربح والخسران على قدر المالين ولا يجوز أن يتغير ذلك بالشرط ثم بالعزل يمتنع التصرف على المعزول وبالقسمة ينفصل الملك عن الملك والصحيح أنه يجوز عقد الشركة على العروض المشتركة ولا يشترط النقد بخلاف القراض فهذا القدر من علم الفقه يجب تعلمه وعلى كل مكتسب وإلا اقتحم الحرام من حيث لا يدري وأما معاملة القصاب والخباز والبقال فلا يستغني عنها المكتسب والخلل فيها من ثلاثة أوجه من إهمال

شروط البيع وإهمال شروط السلم والاقتصار على المعاطاة إذ العادات جارية بكتب الخطوط على هؤلاء بحاجات كل يوم ثم المحاسبة في كل مدة ثم التقويم بحسب ما يقع عليه التراضي فذلك مما يرى القضاء بإباحته للحاجة ويحمل تسليمهم على إباحة التناول لمع انتظار العوض فيحل الأكل ولكن يجب الضمان لما أكله ويلزم قيمته يوم الإتلاف فيجتمع في الذمة تلك القيم فإذا وقع التراضي على مقدار فينبغي أن يلتمس منهم الإبراء المطلق حتى لا يبقى عهدة إن تطرق إليه تفاوت في التقويم فهذا ما يحتمله فإن تكليف وزن الثمن لكل حاجة من الحوائج في كل يوم وكل ساعة تكليف شطط وكذا تكليف الإيجاب والقبول وتقدير كل ثمن يسير من ذلك فيه عسير وإذا أكثر كل نوع سهل تقويمه **الباب الثالث في بيان** العدل واجتناب الظلم في المعاملة اعلم أن المعاملة قد تجري على وجه يحكم المفتي بصحتها وانعقادها ولكنها تشتمل على ظلم يتعرض به المعامل لسخط الله إذ ليس كل نهي مقتضياً فساد العقد وهذا الظلم نعني به ما استضر به الغير وهو منقسم إلى ما يعم ضرره وإلى ما يخص المعامل القسم الأول فيما يعم ضرره وهو أنواع الأول الاحتكار فبائع الطعام يدخر الطعام ينتظر به غلاء الأسعار وهو ظالم عام وصاحبه مذموم في الشرع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احتكر الطعام أربعين يوماً ثم تصدق به لم تكن صدقته كفارة لاحتكاره وروى ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من احتكر الطعام أربعين يوماً فقد برئ من الله وبرئ الله منه وقيل فكأنما قتل نفساً وعن عكرمة عن علي كرم الله وجهه قال من احتكر أربعين يوماً قسا قلبه وعنه أيضاً أنه أحرق طعام محتكر بالنار وروي في فضل ترك الاحتكار عنه عليه السلام من جلب طعاماً فباعه بسعر يومه فكأنما تصدق به وفي لفظ آخر فكأنما أعتق رقبة وقيل في قوله تعالى ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم إن الاحتكار من الظلم وداخل تحته وعن بعض السلف أنه كان بواسط فجهز سفينة حنطة إلى البصرة وكتب إلى وكيله بع هذا الطعام يوم تدخل البصرة ولا تؤخره إلى غد فوافق سعة في السعر فقال له التجار إن أخرته جمعة ربحت فيه أضعافه فأخره جمعة فربح فيه أضعافه وكتب إلى صاحبه بذلك فكتب إليه صاحب الطعام يا هذا إنا كنا قنعنا بربح يسير مع سلامة ديننا وإنك قد خالفت وما نحب أن نربح أضعافه بذهاب شيء من الدين وقد جنيت علينا جناية فإذا أتاك كتابي هذا فخذ المال كله فتصدق به على فقراء البصرة وليتني أنجو من إثم الاحتكار كفافاً لا علي ولا لي واعلم أن النهي مطلق ويتعلق النظر فيه في الوقت والجنس أما الجنس فيطرد النهي في أجناس الأقوات فأما ما ليس بقوت ولا هو معين على القوت كالأدوية والعقاقير والزعفران وأمثاله فلا يتعدى النهي إليه وإن كان مطعوماً وأما ما يعين على القوت كاللحم والفواكه وما يسد مسداً يغني عن القوت في بعض الأحوال وإن كان لا يمكن المداومة عليه فهذا في محل النظر فمن العلماء من طرد التحريم في السمن والعسل والشيرج والجبن والزيت وما يجري مجراه وأما الوقت فيحتمل أيضاً طرد النهي في جميع الأوقات وعليه تدل الحكاية التي ذكرناها في الطعام الذي صادف في البصرة سعة في السعر ويحتمل أن يخصص بوقت قلة الأطعمة وحاجة الناس إليه حتى يكون في تأخير بيعه ضرر ما فأما إذا اتسعت الأطعمة وكثرت واستغنى الناس عنها ولم يرغبوا فيها إلا بقيمة قليلة فانتظر صاحب الطعام ذلك ولم ينتظر قحطاً فليس في هذا إضرار وإذا كان الزمان زمان قحط كان في ادخار العسل والسمن والشيرج وأمثاله إضرار فينبغي أن يقضى بتحريمه ويعول في إثبات التحريم ونفيه على الضرار

فانه مفهوم قطعا من تخصيص الطعام واذا لم يكن ضرارا فلا يخلو احتكار الاقوات عن كراهية
لانه ينتظر مبادي الضرار وهو ارتفاع الاسعار وانتظار مبادي الضرار محذور كانتظار عين
الضرار ولكنه دونه وانتظار عين الضرار هو دون الاضرار فبقدر درجات الاضرار تتفاوت درجات
الكراهية والتحريم وبالجملة التجارة في الاقوات مما لا يستحب لانه طلب ربح والاقوات اصول خلقت
قواما والربح من المزايا فينبغي ان يطلب فيما خلق من جملة المزايا التي لا ضرورة بالخلق اليها ولذلك
اوصى بعض التابعين رجلا وقال لا تسلم ولدك في بيعتين ولا في صنعتين بيع الطعام وبيع الاكفان
فانه يتمنى الغلاء وموت الناس واما الصنعتان ان يكون جزارا او صايغا فان الجزار يقسي قلبه
والصواغ فانه يزخرف الدنيا بالذهب والفضة **النوع الثاني** ترويج الزيف من الدراهم
في اثناء النقد فانه ظلم اذ يستضر به المعامل ان لم يعرف وان عرف فسيروجه على غيره وكذا ذلك
الثالث والرابع ولا يزال يتردد في الايدي ويعم الضرر ويتسع الفساد ويكون وزر الكل ووباله
راجعا اليه فانه الذي فتح ذلك الباب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سن سنة سيئة
فعمل بها من بعده كان عليه وزرها ومثل وزر من عمل بها لا ينقص من اوزارهم شيء وقال بعضهم انفاق
درهم زيف اشد من سرقة مائة درهم لان السرقة معصية واحدة وقد تمت وانقطعت وانفاق الزيف
بدعة اظهرها في الدين وسنة سيئة يعمل بها من بعده فيكون عليه وزرها بعد موته الى مائة سنة
ومائتي سنة الى ان يفنى ذلك الدرهم ويكون عليه ما فسد ونقص من اموال الناس بسببه وطوبى لمن
اذا مات ماتت معه ذنوبه والويل الطويل لمن يموت وتبقى ذنوبه مائة سنة ومائتي سنة
يعذب بها في قبره ويسأل عنها الى اخر انقراضها قال الله تعالى ونكتب ما قدموا واثارهم اي نكتب ايضا
ما اخروه من اثار اعمالهم كما نكتب ما قدموه وفي مثله قوله تعالى ينبؤ الانسان يومئذ بما قدم واخر
وانما اخر اثار عمل سيئة سنها وعمل بها غيره وليعلم في الزيف خمسة امور الاول انه اذا رد عليه شيء
منه فيطرحه في بئر بحيث لا تمتد اليه اليد واياه ان يروجه في بيع اخر وان افسده بحيث لا يمكن
التعامل به جاز **الثاني** انه يجب على التاجر تعلم النقد لا ليستقصي لنفسه ولكن لئلا يسلم الى
مسلم زيفا وهو لا يدري فيكون اثما بتقصيره في تعلم ذلك العلم فلكل عمل علم به يتم نصح المسلمين
فيجب تحصيله ولمثل هذا كان السلف يتعلمون علامات النقد نظرا لدينهم لا لدنياهم **الثالث**
انه ان سلم وعرف المعامل انه زيف لم يخرج عن الاثم لانه ليس ياخذه الا ليروجه على غيره ولا يخبره ولو لم
يعزم على ذلك لكان لا يرغب في اخذه اصلا فانما يتخلص من اثم الضرر الذي يخص معامله فقط
الرابع ان ياخذ الزيف ليعمل بقول النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله سهل البيع سهل الشراء سهل
القضاء سهل الاقتضاء فهو داخل في بركة هذا الدعاء ان عزم على طرحه في بئر وان كان عازما على ان يروجه
في معاملة فهذا شر روجه الشيطان عليه في معرض خير فلا يدخل تحت من تساهل في الاقتضاء **الخامس**
ان الزيف نعني به ما لا نقرة فيه اصلا بل هو مموه او ما لا ذهب فيه من الدنانير اما ما فيه نقرة فان كان
مخلوطا بالنحاس وهو نقد البلد فقد اختلف العلماء في المعاملة عليه وقد راينا الرخصة فيه
اذا كان ذلك نقد البلد سواء علم مقدار النقرة او لم يعلم فان لم يكن هو نقد البلد لم يجز الا اذا
علم قدر النقرة فان كان في ماله قطعة نقرتها ناقصة عن نقد البلد فعليه ان يخبر به معامله
وان لا يعامل به الا من لا يستحل الترويج في جملة النقد بطريق التلبيس فاما من يستحل ذلك

يتاذى باكله لا يحرم الا من حيث الضرر وقاية وقولنا انها لا تحرم مع انها لا توكل انه لو وقع شيء منها في مرقة
او طعام لم تحرمه واما النبات فلا يحرم منه الا ما يزيل العقل او يزيل الحيوة او الصحة فمزيل العقل
البنج والخمر وسائر المسكرات ومزيل الحيوة السموم ومزيل الصحة الادوية في غير وقتها وكان مجموع هذا
يرجع الى الضرر الا الخمر والمسكرات فان الذي لا يسكر منها ايضا حرام مع قلته لعينه وصفته وهي
الشدة المطربة واما السم فاذا خرج عن كونه مضرا لقلته او بعجنه بغيره فلا يحرم واما الحيوانات فتنقسم
الى ما يوكل والى ما لا يوكل وتفصيله في كتاب الاطعمة وتفصيله يطول لا سيما في الطيور الغريبة وحيوانات
البر والبحر وما يحل اكله فانما يحل اذا ذبح ذبحا شرعيا روعي فيه شروط الذابح والالة والمذبح وذلك
مذكور في كتاب الصيد والذبائح وما لم يذبح ذبحا شرعيا او مات فهو حرام ولا يحل الا ميتتان السمك والجراد
وفي معناهما ما يستحيل من الاطعمة كدود التفاح والجبن فان الاحتراز عنه غير ممكن فاما اذا افردت
واكلت فحكمها حكم الذباب والخنفساء والعقرب وكل ما ليس له نفس سائلة فلا سبب في تحريمها الا الاستقذار
ولو لم يكن لكان لا يكره وان وجد شخص لا يستقذره ولم يلتفت الى خصوص طبعه فانه التحق بالخبائث لعموم
الاستقذار فيكره اكله كما لو جمع المخاط وشربه كره ذلك وليست الكراهة لنجاستها فان الصحيح انها
لا تنجس بالموت اذ امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يمقل الذباب في الطعام اذا وقع فيه وربما يكون
حارا ويكون ذلك سبب موته ولو تهرت نملة او ذبابة في قدر لم يجب اراقتها اذ المستقذر جرمه اذا بقي
له جرم ولم ينجس حتى يحرم بالنجاسة وهذا يدل على ان تحريمه للاستقذار ولذلك نقول لو وقع جزء من
ادمي ميت في قدر ولو وزن دانق حرم الكل لا لنجاسته فان الصحيح ان الادمي لا ينجس بالموت ولكن لان
اكله حرام احتراما لا استقذارا واما الحيوانات الماكولة اذا ذبحت بشرط الشرع فلا يحل جميع
اجزائها بل يحرم منها الدم والفرث وكل ما يقضى بنجاسته منها بل تناول النجاسة مطلقا حرام ولكن
ليس في الاعيان شيء نجس الا من الحيوانات واما من النبات فالمسكرات فقط دون ما يزيل العقل ولا
يسكر كالبنج فان نجاسة المسكر تغليظ للزجر عنه لكونه في مظنة التشوق ومهما وقعت قطرة من
نجاسة او جزء من نجاسة جامدة في مرقة او طعام او دهن حرم اكل جميعه ولا يحرم الانتفاع به لغير
الاكل فيجوز الاستصباح بالدهن النجس وكذا طلاء السفن والحيوانات وغيرها فهذه مجامع
ما يحرم لصفة في ذاته **القسم الثاني** ما يحرم لخلل في جهة اثبات اليد عليه وفيه يتسع
النظر فنقول اخذ المال اما ان يكون باختيار المالك او بغير اختياره فالذي بغير اختياره كالارث
والذي باختياره اما ان لا يكون من مالك كنيل المعادن او يكون من مالك والذي يوخذ من مالك اما ان
يوخذ قهرا او تراضيا والماخوذ قهرا اما ان يكون لسقوط عصمة المالك كالغنائم او لاستحقاق الاخذ
لزكوة الممتنعين والنفقات الواجبة عليهم والماخوذ تراضيا اما ان يوخذ بعوض كالبيع والصداق
والاجرة واما ان يوخذ بغير عوض كالهبة والوصية فيحصل من هذا التقسيم ستة اقسام **الاول**
ما لا يوخذ من مالك كنيل المعادن واحياء الموات والاصطياد والاحتطاب والاستقاء من الانهار
والاحتشاش فهذا حلال بشرط ان لا يكون الماخوذ مختصا بذي حرمة من الادميين فاذا انفك عن
الاختصاصات ملكه اخذه وتفصيل ذلك في احياء الموات **الثاني** الماخوذ قهرا ممن لا حرمة له وهي
الفيء والغنيمة وسائر اموال الكفار المحاربين وذلك حلال للمسلمين اذا اخرجوا منها الخمس وقسموها
بين المستحقين بالعدل ولم ياخذوها من كافر له حرمة وامان وعهد وتفصيل ذلك في كتاب السير

من كتاب الفيء والغنيمة وكتاب الجزية. الثالث ما يؤخذ قهرا باستحقاق عند امتناع من عليه فيؤخذ دون
رضاه وذلك حلال اذا تم سبب الاستحقاق وتم وصف المستحق الذي به استحقاقه واقتصر على
القدر المستحق واستوفاه من تملك الاستيفا من قاض او سلطان او مستحق وتفصيل ذلك في كتاب
تفريق الصدقات وكتاب الوقف وكتاب النفقات اذ فيها النظر في صفة المستحقين للزكوة والوقف
والنفقة وغيرها من الحقوق فاذا استوفيت شرايطها كان الماخوذ حلالا. الرابع ما يوخذ تراضيا
بمعاوضة وذلك حلال اذا روعي فيه شرط العوضين وشرط العاقدين وشرط اللفظين اعني الايجاب و
القبول مع ما تعبد الشرع به من اجتناب الشروط المفسدة وبيان ذلك في كتاب البيع والسلم والاجارة
والحوالة والضمان والقراض والشركة والمساقاة والشفعة والصلح والخلع والكتابة والصداق وساير
المعاوضات. الخامس ما يوخذ بالرضا من غير عوض وهو حلال اذا روعي فيه شرط المعقود عليه و
شرط العاقدين وشرط العقد ولم يود الى ضرر بوارث او غيره وذلك مذكور في كتاب الهبات و
الوصايا والصدقات. السادس ما يحصل بغير اختيار كالميراث وهو حلال اذا كان المورث قد
اكتسب المال من بعض الجهات الخمس على وجه حلال ثم كان ذلك بعد قضا الدين وتنفيذ الوصايا
وتعديل القسمة بين الورثة واخراج الزكوة والحج والكفارة ان كان واجبا وذلك مذكور في كتاب الوصايا
والفرايض فهذه مجامع مداخل الحلال وانما اشرنا اليها ليعلم المريد انه ان كانت طعمته تتفرق لا من
جهة معينة فلا يستغني عن علم هذه الامور فكل ما ياكله من جهة من هذه الجهات ينبغي ان يستفتي فيه
اهل العلم ولا يقدم عليه بالجهل فانه كما يقال للعالم لم خالفت علمك يقال للجاهل لم لازمت جهلك
ولم تتعلم بعد ان قيل لك طلب العلم فريضة على كل مسلم. درجات الحلال والحرام
اعلم ان الحرام كله خبيث ولكن بعضه اخبث من بعض والحلال كله طيب ولكن بعضه اطيب واصفا
من بعض وكما ان الطبيب يحكم على كل حلو بالحرارة ولكن يقول بعضها حار في الدرجة الاولى كالسكر وبعضها
في الثانية كالفانيذ وبعضها في الثالثة كالدبس وبعضها في الرابعة كالعسل فكذلك الحرام
بعضه خبيث في الدرجة الاولى وبعضه في الثانية وبعضه في الثالثة او الرابعة وكذلك الحلال تتفاوت
درجات صفائه وطيبه ولنقتد باهل الطب في الاصطلاح على اربع درجات تقريبا وان كان التحقيق لا يوجب
هذا الحصر اذ يتطرق الى كل درجة من الدرجات ايضا تفاوت لا ينحصر فكم من سكر اشد حرارة من سكر وكذا غيره
فكذلك نقول الورع عن الحرام على اربع درجات ورع العدول وهو الذي يجب الفسق باقتحامه وتسقط
العدالة به ويثبت اسم العصيان والتعرض للنار بسببه وهو الورع عن كل ما تحرمه فتاوي الفقهاء.
الثانية ورع الصالحين وهو الامتناع عما يتطرق اليه احتمال التحريم ولكن المفتي يرخص
في التناول بنا على الظاهر فهو من مواقع الشبهة على الجملة فلنسم التحرج عن ذلك ورع الصالحين وهو
الدرجة الثانية. الثالثة ما لا تحرمه الفتوى ولا شبهة في حله ولكن يخاف منه اداؤه الى محرم
وهو ترك ما لا باس به مخافة مما به باس وهذه درجة المتقين قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يبلغ
العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا باس به مخافة مما به باس. الرابعة ما لا باس به اصلا ولا يخاف
ان يودي الى ما به باس ولكنه يتناول لغير الله وعلى غير نية التقوي به على طاعة الله وعبادته او يتطرق
الى اسبابه المسهلة له كراهية او معصية والامتناع منه ورع الصديقين فهذه درجات الحلال
جملة الى ان نفصلها بالامثلة والشواهد اما الحرام الذي ذكرناه في الدرجة الاولى وهو الذي يشترط التورع

في ايمانه وان ايمانه راس ماله في تجارة الاخرة لم يضيع راس ماله المعد لعمره لاجل ربح ينتفع به
اياما معدودة وعن بعض التابعين قال لو دخلت الجامع وهو غاص باهله وقيل لي من افضل هولاء
وخيرهم لقلت انصحهم لهم ولو قالوا من شرهم لقلت من اغشهم لهم فاذا قالوا هذا قلت هو شرهم
والغش حرام في البيوع والصنايع جميعا فلا ينبغي ان يتهاون الصانع في عمله على وجه لو عامله
به غيره لما ارتضاه لنفسه بل ينبغي ان يحسن الصنعة ويحكمها ثم يبين عيبها ان كان فيها عيب
فبه يتخلص وسال رجل حذاء ابن سالم فقال كيف لي ان اسلم في بيع النعال فقال اجعل الوجهين
سوا ولا تفضل اليمنى على الاخرى وجود الحشو وليكن شيئا واحدا تاما وقارب بين الخرز ولا
تطبق احدى النعلين على الاخرى ومن هذا الفن ما سال عنه احمد من الرفو بحيث لا يبين فقال لا
يجوز لمن يبيعه ان يخفيه وانما يحل للرفا اذا علم انه يظهره او انه لا يريده للبيع فان قلت فلا تتم المعاملة
مهما وجب على الانسان ان يذكر عيوب المبيع فاقول ليس كذلك اذ شرط التاجر ان لا يشتري للبيع
الا الجيد الذي يرتضيه لنفسه لو امسكه ثم يقنع في بيعه بربح يسير فيبارك الله له فيه ولا يحتاج
الى تلبيس وانما تعذر هذا لانهم لا يقنعون بالربح اليسير وليس يسلم الكثير الا بتلبيس فمن تعود
هذا لا يشتري المعيب فان وقع في يده معيب نادرا فليذكره وليقنع بقيمته. باع ابن سيرين شاة
فقال للمشتري ابرا اليك من عيب فيها انها تقلب العلف برجلها وباع الحسن بن صالح جارية فقال
للمشتري انها تنخمت عندنا مرة دما فهكذا كانت سيرة اهل الدين فمن لا يقدر عليه فليترك المعاملة
او ليوطن نفسه على عذاب الاخرة. الثالث ان لا يكتم في المقدار وذلك بتعديل الميزان والاحتياط
فيه وفي الكيل فينبغي ان يكيل كما يكتال قال الله تعالى ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون
واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون ولا يخلص من هذا الا بان يرجح اذا اعطى وينقص اذا اخذ اذ العدل
الحقيقي قلما يتصور فليستظهر بظهور الزيادة والنقصان فان من استقصى حقه بكماله يوشك
ان يتعدى وكان بعضهم يقول لا اشتري الويل من الله بحبة فكان اذا اخذ نقص نصف حبة واذا
اعطى زاد حبة وكان يقول ويل لمن يبيع بحبة جنة عرضها السموات والارض وما اخسر من باع طوبى
بويل وانما بالغوا في الاحتراز منه لانها مظالم لا يمكن التوبة منها اذ لا يعرف اصحاب الحبات حتى
يجمعهم ويودي حقوقهم ولذلك لما اشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للوزان زن وارجح
ونظر فضيل الى ابنه وهو يغسل دينارا يريد ان يصرفه ويزيل تكحيله وينقيه حتى لا يزيد وزنه بسبب
تكحيله فقال يا بني فعلك هذا افضل من حجة وعشرين عمرة وقال بعض السلف عجبت للتاجر والبايع
كيف ينجو يزن ويحلف بالنهار وينام بالليل وقال سليمن عليه السلام لابنه كما تدخل الحبة بين
الحجرين كذلك تدخل الخطية بين المتبايعين وصلى بعض السلف على مخنث فقيل له انه كان فاسقا فسكت
فاعيد عليه فقال كانك قلت كان صاحب ميزانين يعطي باحدهما وياخذ بالاخر اشار به الى ان فسقه
مظلمة بينه وبين الله وهذا من مظالم العباد والمسامحة والعفو فيه ابعد والتشديد في امر الميزان
عظيم والخلاص منه يحصل بحبة ونصف حبة وفي قراة عبد الله بن مسعود لا تطغوا في الميزان واقيموا
الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان اي لسان الميزان فان الرجحان والنقصان يظهر بميله وبالجملة كل من ينصف
لغيره من نفسه ولو في كلمة فهو متعرض لكل من ينصف بمثل ما ينصف فهو داخل تحت قوله تعالى
ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون فان تحريم ذلك في الكيل ليس لكونه مكيلا بل لكونه

ان مقصود ابواب العدل والنصفة فيه يجار في جميع الاعمال فصاحب الميزان في خطر الويل
وكل مكلف فهو صاحب موازين في افعاله واقواله وخطراته فالويل له ان عدل عن العدل ومال عن
الاستقامة ولولا تعذر هذا واستحالته لما ورد قوله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما
مقضيا فلا ينفك عبد ليس معصوما عن الميل عن الاستقامة الا ان درجات الميل تتفاوت تفاوتا
عظيما فبذلك تتفاوت مدة مقامهم في النار الى اوان الخلاص حتى لا يبقى بعضهم الا تحلة القسم و
يبقى بعضهم الفا والف سنين فنسال الله تعالى ان يقربنا من الاستقامة والعدل فان الاشتداد
على متن الصراط المستقيم من غير ميل غير مطموع فيه فانه ادق من الشعرة واحد من السيف ولولاه
لكان المستقيم عليه لا يقدر على جواز الصراط المستقيم الذي في متن النار الذي من صفته انه
ادق من الشعرة واحد من السيف وبقدر الاستقامة على الصراط المستقيم يخف العبد يوم القيمة
على الصراط وكل من خلط بالطعام ترابا ثم كاله فهو من المطففين في الكيل وكل قصاب يزن مع اللحم عظما
لم تجر العادة به فهو من المطففين في الوزن وقس على هذا سائر التقديرات حتى في الذرع الذي يتعاطاه
البزاز فانه اذا اشترى ارسل الثوب في الذرع ولم يمده مدا واذا باعه مده
في الذرع ليظهر تفاوت في الذرع فكل ذلك من التطفيف المعرض صاحبه للويل **الرابع** ان
يصدق في سعر الوقت ولا يخفي منه شيئا فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تلقي الركبان
ونهى عن النجش اما تلقي الركبان فهو ان يستقبل الرفقة ويتلقى المتاع ويكذب في سعر البلد فقد قال
عليه السلام لا تتلقوا الركبان ومن تلقى فصاحب السلعة بالخيار بعد ان يقدم السوق وهذا الشرى
منعقد ولكنه ان ظهر كذبه فللبايع الخيار وان كان صادقا ففي الخيار خلاف لتعارض عموم الخبر
مع زوال التلبيس ونهى ايضا ان يبيع حاضر لباد وهو ان يقدم البدوي ومعه قوت يريد ان
يتسارع الى بيعه فيقول له الحضري اتركه عندي حتى اغالي في ثمنه وانتظر ارتفاع سعره وهذا في القوت
محرم وفي سائر السلع خلاف والاظهر تحريمه لعموم النهي ولانه تاخير للتضييق على الناس على الجملة
من غير فايدة للفضولي المضيق واما النجش فهو ان يتقدم الى البايع بين يدي المشتري الراغب
ويطلب السلعة بزيادة وهو لا يريدها انما يريد تحريك رغبة المشتري فيها فهذا ان لم تجر مواطاة
مع البايع فهو فعل حرام من صاحبه وان جرت مواطاة ففي ثبوت الخيار خلاف والاولى ثبوت
الخيار لانه تغرير بفعل يضاهي التغرير في المصراة وتلقي الركبان فهذه المناهي تدل على انه لا يجوز
التلبيس على البايع والمشتري في سعر الوقت وكتم منه امر لو علمه لما اقدم على العقد ففعل هذا من
الغش الحرام المضاد للنصح الواجب وقد حكي عن رجل من التابعين انه كان بالبصرة وله غلام بالسوس
يجهز اليه السكر فكتب اليه الغلام ان قصب السكر قد اصابته افة في هذه السنة فاشتر السكر قال فاشترى
سكرا كثيرا فلما جاء وقته ربح فيه ثلثين الفا فانصرف الى منزله فافكر ليلته فقال ربحت ثلثين الفا
وخسرت نصح رجل من المسلمين فلما اصبح غدا الى صاحب السكر فدفع اليه الثلثين الفا وقال بارك
الله لك فيها فقال ومن اين صارت لي فقال اني كتمتك حقيقة الحال وكان السكر قد غلا في ذلك
الوقت فقال رحمك الله قد اعلمتني الان وقد طيبتها لك قال فرجع بها الى منزله وتفكر وبات ساهرا
وقال ما نصحته فلعله استحيى مني فتركها لي فبكر اليه من الغد وقال عافاك الله خذ مالك اليك
فهو اطيب لقلبي فاخذ منه ثلثين الفا فهذه الاخبار في المناهي والحكايات تدل على انه ليس له ان يغتنم

غفلة صاحب المتاع ويخفي من البايع غلاء السعر او من المشتري تراجع الاسعار فان فعل ذلك كان
ظالما تاركا للعدل والنصح للمسلمين ومهما باع مرابحة بان يقول بعت بما قام علي او بما اشتريته فعليه
ان يصدق ثم يجب ان يخبر بما حدث بعد العقد من عيب او نقصان ولو اشترى باجل وجب ذكره
ولو اشترى مسامحة من صديقه او ولده يجب ذكره لان المعامل يعول على عادته في انه لا يستقصي لا
يترك النظر لنفسه فاذا تركه بسبب من الاسباب فيجب اخباره اذ الاعتماد فيه على امانته

الباب الرابع

في الاحسان في المعاملة وقد امر الله تعالى بالعدل والاحسان جميعا والعدل سبب النجاة
فقط وهو يجري من التجارة مجرى سلامة راس المال والاحسان سبب الفوز ونيل السعادة وهو يجري
من التجارة مجرى الربح ولا يعد من العقلاء من قنع في معاملات الدنيا براس ماله وكذا في معاملات الاخرة فلا ينبغي للمتدين
ان يقتصر على العدل واجتناب الظلم ويدع ابواب الاحسان وقد قال تعالى واحسن كما احسن الله اليك
وقال ان الله يامر بالعدل والاحسان وقال ان رحمت الله قريب من المحسنين ونعني بالاحسان فعل
ما ينتفع به المعامل وهو غير واجب عليه ولكنه تفضل منه فان الواجب يدخل في باب العدل وترك
الظلم وقد ينال رتبة الاحسان بواحد من ستة امور الاول في المغابنة وينبغي ان لا يغبن صاحبه
بما لا يتغابن بمثله في العادات فاما اصل المغابنة فماذون فيه لان البيع للربح ولا يمكن ذلك الا
بغبن ما ولكن يراعى فيه التقريب فان بذل المشتري زيادة على الربح المعتاد اما لشدة رغبته او لشدة
حاجته في الحال فينبغي ان يمتنع عن قبوله فذلك من الاحسان ومهما لم يكن تلبيس لم يكن اخذ الزيادة ظلما وقد
ذهب بعض العلماء الى ان الغبن بما يزيد على الثلث يوجب الخيار ولسنا نرى ذلك ولكن من الاحسان ان
يحط ذلك الغبن يروى انه كان عند يونس بن عبيد حلل مختلفة الاثمان ضرب قيمة كل حلة منها
اربعمائة وضرب قيمة كل منها مائتان فمر الى الصلوة وخلف ابن اخيه في الدكان فجاء اعرابي وطلب حلة
باربعمائة فعرض عليه من حلل المائتين فاستحسنها ورضيها فاشتراها منه ومشى بها وهي على يديه
فاستقبله يونس فعرف حلته فقال بكم اشتريت فقال باربعمائة فقال لا تسوى اكثر من مائتين
فارجع حتى تردها فقال هذه تسوى في بلدنا خمسمائة وانا ارتضيها فقال له يونس انصرف فان
النصح في الدين خير من الدنيا بما فيها ثم رده الى الدكان ورد عليه مائتي درهم وخاصم ابن اخيه وقاتله
وقال اما استحييت اما اتقيت الله تربح مثل الثمن وتترك النصح للمسلمين فقال والله ما اخذها
الا وهو راض بها قال فهلا رضيت له بما رضيت لنفسك وهذا ان كان فيه اخفاء سعر وتلبيس فهو من
باب الظلم وقد سبق وفي الحديث غبن المسترسل حرام وكان الزبير بن عدي يقول ادركت ثمانية
عشر من الصحابة ما منهم احد يحسن يشتري لحما بدرهم فغبن مثل هؤلاء المسترسلين حرام وظلم
وان كان من غير تلبيس فهو من ترك الاحسان وقلما يتم هذا الا بنوع تلبيس واخفاء لسعر الوقت وانما الاحسان المحض
ما نقل عن سري السقطي رحمه الله انه اشترى كر لوز بستين دينارا وكتبه في روزنامجه وكان رايه ان يربح
على العشرة نصف دينار فباع اللوز بتسعين دينارا فاتاه الدلال وطلب اللوز فقال خذه فقال بكم قال بثلثة
وستين فقال الدلال وانا عقدت عقدا بيني وبين الله ان لا اغش مسلما لست اخذ منك الا بتسعين
فلا الدلال اشترى منه ولا سري باعه فهذا محض الاحسان من الجانبين فانه مع العلم بحقيقة الحال وعن
محمد بن المنكدر انه كان له شقاق بعضها بخمسة وبعضها بعشرة فباع غلامه في غيبته شقة من
الخمسيات بعشرة فلما عرف لم يزل يطلب ذلك الاعرابي المشتري طول النهار حتى وجده فقال له ان

الغلام قد غلط فباعك ما يساوي خمسة بعشرة فقال يا هذا قد رضيت فقال وان رضيت فانا لا ارضى
لك الا ما نرضاه لانفسنا فاختر احدى ثلث خصال اما ان تاخذ شقة من العشرات بدراهمك واما ان
نرد عليك خمسة واما ان ترد شقتنا وتاخذ دراهمك فقال اعطني خمسة فرد عليه خمسة فانصرف الاعرابي
يسال ويقول من هذا الشيخ فقيل هذا محمد بن المنكدر فقال لا اله الا الله هذا الذي نستسقي به في البوادي
اذا قحطنا فهذا احسان في ان لا يربح في العشرة الا نصفا او درهما على ما جرت به العادة في مثل ذلك المتاع
في ذلك المكان ومن قنع بربح قليل كثرت معاملاته واستفاد من تكررها ربحا كثيرا وبه تظهر البركة
كان علي كرم الله وجهه يدور في سوق الكوفة بالدرة ويقول معاشر التجار خذوا الحق واعطوا الحق تسلموا
ولا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره وقيل لعبد الرحمن بن عوف ما سبب يسارك قال ثلاث ما رددت
ربحا قط ولا طلب مني حيوان فاخرت بيعه ولا بعت بنسية ويقال انه باع الف ناقة فما ربح الا عقلها فباع كل
عقال بدرهم فربح فيها الف درهم وربح من نفقته عليها ليومه الف درهم **الثاني** في احتمال الغبن
ان المشتري ان اشترى طعاما من ضعيف او شيا من فقير فلا باس ان يحتمل الغبن ويتساهل ويكون به محسنا
وداخلا في قوله رحم الله سهل البيع سهل الشرا سهل القضا سهل الاقتضا فاما اذا اشترى من غني تاجر
يطلب الربح زيادة على حاجته فاحتمال الغبن منه ليس محمودا بل هو تضييع مال من غير اجر ولا حمد فقد
ورد في حديث من طريق اهل البيت المغبون لا محمود ولا ماجور وكان اياس بن معوية قاضي البصرة وكان
من عقلا التابعين وكان يقول لست بخب والخب لا يخدعني ولا يخدع ابن سيرين ولكن يخدع الحسن ويخدع ابي
معوية بن قرة والكمال في ان لا يخدع ولا يخدع كما وصف بعضهم عمر رضي الله عنه فقال كان اكرم من ان
يخدع واعقل من ان يخدع وكان الحسن والحسين وغيرهم من خيار السلف يستقصون في الشرا ثم يهبون
مع ذلك الجزيل من المال فقيل لبعضهم تستقصي في شرائك على اليسير ثم تهب الكثير ولا تبالي فقال
ان الواهب يعطي فضله والمغبون يغبن عقله وقال بعضهم انما اغبن عقلي وبصري فلا امكن منه الغابن
واذا وهبت اعطي لله ولا استكثر منه شيا **الثالث** في استيفا الثمن وساير الديون والاحسان
فيه مرة بالمسامحة وحط البعض ومرة بالامهال والتاخير ومرة بالمساهلة في طلب جودة النقد وكل ذلك
مندوب اليه ومحثوث عليه قال عليه السلام رحم الله سهل البيع سهل الشرا سهل القضا سهل
الاقتضا فليغتنم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال اسمح يسمح لك وقال عليه السلام من انظر معسرا
او ترك له حاسبه الله حسابا يسيرا وفي خبر اخر اظله الله في ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله وذكر عليه
السلام رجلا كان مسرفا على نفسه حوسب فلم يوجد له حسنة فقيل له هل عملت خيرا قط فقال لا الا اني
كنت رجلا اداين الناس فاقول لفتياني سامحوا الموسر وانظروا المعسر وفي لفظ وتجاوزوا عن المعسر فقال الله
تعالى نحن احق بذلك منك فتجاوز عنه وغفر له وقال عليه السلام من اقرض دينارا الى اجل فله بكل يوم صدقة
الى اجله فاذا حل الاجل فانظره بعده فله بكل يوم مثل ذلك الدين صدقة وقد كان من السلف من لا يحب ان
يقتضي غريمه الدين لاجل هذا الخبر حتى يكون كالمتصدق بجميعه في كل يوم وقال عليه السلام رايت على
باب الجنة مكتوبا الصدقة بعشر امثالها والقرض بثمانية عشر فقيل في معناه ان الصدقة تقع في يد المحتاج
وغير المحتاج ولا يحتمل ذل الاستقراض الا محتاج ونظر عليه السلام الى رجل يلازم رجلا بدين فاوما
الى صاحب الدين بيده ان ضع الشطر ففعل فقال للمديون قم فاعطه وكل من باع شيا وترك ثمنه في الحال فلم يرهق
الى طلبه فهو في معنى المقرض **وروي** ان الحسن البصري رحمه الله باع بغلة له باربع مائة درهم فلما استوجب

المال قال له المشتري اسمح يا ابا سعيد فقال قد اسقطت عنك مائة فقال له فاحسن يا ابا سعيد فقال
قد وهبت لك مائة اخرى فقبض من حقه مائتي درهم فقيل له يا ابا سعيد هذا نصف الثمن فقال هكذا يكون
الاحسان والا فلا وفي الخبر خذ حقك في عفاف واف او غير واف يحاسبك الله حسابا يسيرا **الرابع** في توفية
الدين ومن الاحسان فيه حسن القضا وذلك بان يمشي الى صاحب الحق ولا يكلفه ان يمشي اليه يتقاضاه
فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم خيركم احسنكم قضاء ومهما قدر على قضاء الدين فليبادر اليه ولو قبل
وقته وليسلم اجود مما شرط عليه واحسن وان عجز فلينو قضاه مهما قدر قال عليه السلام من ادان
دينا وهو ينوي قضاه وكل الله به ملايكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه وكان جماعة من السلف
يستقرضون من غير حاجة لهذا الخبر ومهما كلمه صاحب الحق بكلام خشن فليحتمله وليقابله باللطف
اقتدا برسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جا صاحب دين عند حلول الاجل ولم يكن قد اتفق قضاه
فجعل الرجل يشدد الكلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم به اصحابه فقال دعوه فان لصاحب الحق
مقالا ومهما دار الكلام بين المستقرض والمقرض فالاحسان ان يكون الميل الاكثر من المتوسطين الى من عليه
الدين فان المقرض يقرض عن غنى والمستقرض يقترض عن حاجة وكذا ينبغي ان يكون الاعانة للمشتري
اكثر فان البايع راغب عن السلعة يبغي ترويجها والمشتري محتاج اليها هذا هو الاحسن الا ان
يتعدى من عليه الدين حده فعند ذلك نصرته في منعه عن تعديه واعانة صاحبه اذ قال عليه السلام
انصر اخاك ظالما او مظلوما فقيل كيف ننصره ظالما فقال منعك اياه من الظلم نصرة له **الخامس**
ان يقيل من يستقيله فانه لا يستقيل الا متندم مستضر بالبيع فلا ينبغي ان يرضى لنفسه ان يكون
سبب استضرار اخيه قال عليه السلام من اقال نادما صفقته اقاله الله عثرته يوم القيامة
السادس ان يقصد في معاملته جماعة من الفقرا بالنسية وهو في الحال عازم على ان لا يطالبهم ان لم تظهر
لهم ميسرة فقد كان في صالحي السلف من له دفتران للحساب احدهما ترجمته مجهولة فيه اسماء من لا يعرفه من
الضعفا والفقرا وذلك ان الفقير كان يرى الطعام او الفاكهة فيشتهيه فيقول احتاج الى خمسة ارطال
من هذا مثلا وليس معي ثمنه فكان يقول خذه واقض ثمنه عند الميسرة ولم يكن يعد هذا من الخيار بل انما
عد من الخيار من لم يكن يثبت اسمه في الدفتر اصلا ولا يجعله دينا لكن يقول خذ ما تريد فان يسر لك
فاقض والا فانت في حل وسعة منه فهذه طرق تجارات السلف وقد اندرست والقايم بذلك محي
لهذه السنة وبالجملة التجارة محك الرجال وبها يمتحن دين الرجل وورعه ولذلك قيل لا تغرنك من المرء قميص
رقعه او ازار فوق عظم الساق منه رفعه ولدى الدرهم فانظر حبه او ورعه ولذلك اذا اثنى
على الرجل جيرانه في الحضر واصحابه في السفر ومعاملوه في الاسواق فلا تشكوا في صلاحه وشهد شاهد
عند عمر رضي الله عنه فقال ايتني بمن يعرفك فاتاه برجل فاثنى عليه خيرا فقال له عمر انت جاره الادنى الذي
يعرف مدخله ومخرجه فقال لا فقال كنت رفيقه في السفر الذي يستدل به على مكارم الاخلاق فقال لا
قال فعاملته بالدينار والدرهم الذي يستبين به ورع الرجل فقال لا قال اظنك رايته قايما في المسجد
يهمهم بالقرآن يخفض راسه طورا ويرفعه اخرى فقال نعم فقال اذهب فلست تعرفه وقال للرجل اذهب
فايتني بمن يعرفك **الباب الخامس** في شفقة التاجر على دينه فيما يخصه ويعم اخرته **اعلم** انه لا ينبغي
للتاجر ان يشغله معاشه عن معاده فيكون عمره ضايعا وصفقته خاسرة وما يفوته من الربح في الاخرة
لا تفي به ما ينال في الدنيا فيكون ممن اشترى الحيوة الدنيا بالاخرة بل العاقل ينبغي ان يشفق على نفسه

وشفقته على نفسه تحفظ راس ماله وراس ماله دينه وتجارته فيه فقال بعض السلف اولى الاشياء
بالعاقل احوجه اليه في العاجل واحوج شي اليه في العاجل احمده عاقبته في الآجل وقال معاذ بن
جبل في وصيته انه لا بد لك من نصيبك من الدنيا وانت الى نصيبك من الآخرة احوج فابدا بنصيبك
من الآخرة فخذه فانه سيمر على نصيبك من الدنيا فينتظمه وقال الله تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا
اي لا تنس في الدنيا نصيبك منها في الآخرة فانها مزرعة الآخرة وفيها تكتسب الحسنات وانما تتم شفقة
التاجر على دينه بمراعاة سبعة امور الاول حسن النية والعقيدة في ابتدا التجارة فلينو به الاستعفاف
عن السوال وكف الطمع عن الناس استغنا بالحلال عنهم واستعانة بما يكتسبه على الدين وقياما
بكفاية العيال ليكون من جملة المجاهدين به ولينو النصح للمسلمين وان يحب لساير الخلق ما يحب لنفسه
ولينو اتباع طريق العدل والاحسان في معاملته كما ذكرناه ولينو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل
ما يراه في السوق فاذا اضمر هذه العقايد والنيات كان عاملا في طريق الآخرة فان استفاد مالا فهو
مزيد وان خسر في الدنيا ربح في الآخرة **الثاني** ان يقصد القيام في صنعته او تجارته بفرض من فروض
الكفايات فان الصناعات والتجارات لو تركت بطلت المعايش وهلك اكثر الخلق فانتظام امر الكل
بتعاون الكل وتكفل كل فريق بعمل ولو اقبل كلهم على صنعة واحدة لتعطلت البواقي وهلكوا
وعلى هذا حمل بعض الناس قوله عليه السلام اختلاف امتي رحمة اي اختلاف هممهم في الصناعات
والحرف ومن الصناعات ما هي مهمة ومنها ما يستغنى عنه لرجوعها الى طلب التنعم والتزين
في الدنيا فليشتغل بصناعة مهمة ليكون في قيامه بها كافيا عن المسلمين مهما في الدين وليجتنب صناعة
النقش والصياغة وتشييد البنيان بالجص وجميع ما تزخرف به الدنيا فكل ذلك كرهه
ذوو الدين فاما عمل الملاهي والآلات التي يحرم استعمالها فاجتناب ذلك من قبيل ترك الظلم ومن
جملة ذلك الخياط اذا خاط القبا من الابريسم للرجال وصياغة الصايغ مراكب الذهب وخواتيم الذهب
للرجال فكل ذلك من المعاصي والاجرة الماخوذة عليه حرام ولذلك اوجبنا الزكوة فيها وان كنا لا نوجب
الزكوة في الحلي لانها اذا قصدت للرجال فهي محرمة وكونها مهياة للنسا لا يلحقها بالحلي المباح ما لم
يقصد ذلك بها فيكتسب حكمها من القصد وقد ذكرنا ان بيع الطعام وبيع الاكفان مكروه لانه
يوجب انتظار موت الناس وحاجتهم بغلا الاسعار ويكره ان يكون جزارا لما فيه من قساوة القلب
وان يكون حجاما او كناسا لما فيه من مخامرة النجاسة وكذا الدباغ وما في معناه وكره ابن سيرين الدلالة وكره
قتادة اجرة الدلال ولعل السبب فيه قلة استغنا الدلال عن الكذب والافراط في الثنا على السلعة
لترويجها ولان العمل فيه لا يتقدر فقد يقل وقد يكثر ولا ينظر في مقدار الاجرة الى عمله بل الى قدر
قيمة الثوب هذا هو العادة وهو ظلم بل ينبغي ان ينظر الى قدر التعب وكرهوا شرا الحيوان للتجارة
لان المشتري يكره قضا الله تعالى فيه وهو الموت الذي هو بصدده لا محالة وحلوله وقيل بع الحيوان
واشتر الموتان وكرهوا الصرف لان الاحتراز فيه عن دقايق الربوا عسير ولانه طلب لدقايق الصفات
فيما لا يقصد اعيانها وانما يقصد رواجها وقلما يتم للصيرفي ربح الا باعتماد جهالة معاملة بدقايق
النقد فقلما يسلم الصيرفي وان احتاط ويكره للصيرفي وغيره كسر الدرهم الصحيح والدينار الا عند
الشك في جودته او عند ضرورة قال احمد بن حنبل رحمه الله ورد نهي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن اصحابه في الصياغة من الصحاح وانا اكره الكسر وقال يشتري بالدنانير دراهم ثم يشتري ذهبا

ويصوغه واستحبوا تجارة البز قال سعيد بن المسيب ما من تجارة احب الي من البز ما لم يكن فيها ايمان
وقد روي خير تجارتكم البز وخير صنايعكم الخرز وفي حديث آخر لو اتجر اهل الجنة لاتجروا في
البز ولو اتجر اهل النار لاتجروا في الصرف وقد كان غالب اعمال الاخيار من السلف عشر صنايع الخرز
والتجارة والحمل والخياطة والحذو والقصارة وعمل الخفاف وعمل الحديد وعمل المغازل
ومعالجة صيد البر والبحر والوراقة قال عبد الوهاب الوراق قال لي احمد بن حنبل ما صنعتك قلت
الوراقة قال كسب طيب ولو كنت صانعا بيدي لصنعت صنعتك ثم قال لي لا تكتب الا مواصفة
واستبق الحواشي وظهور الاجزا واربعة من الصناع موسومون عند الناس بضعف الراي الحاكة
والقطانون والمغازليون والمعلمون ولعل ذلك لان اكثر مخالطتهم مع النسا والصبيان ومخالطة
ضعفا العقول يضعف العقل كما ان مخالطة العقلا تزيد في العقل وعن مجاهد ان مريم مرت في طلبها
لعيسى عليه السلام بحاكة فطلبت الطريق فارشدوها غير الطريق فقالت اللهم انزع البركة من
كسبهم وامتهم فقرا وحقرهم في اعين الناس فاستجيب دعاها وكره السلف اخذ الاجرة على كل ما هو
من قبيل العبادات وفروض الكفايات كغسل الاموات ودفنهم وكذا الاذان وصلوة التراويح وان
حكم بصحة الاستيجار عليه وكذا تعليم القرآن وتعليم علم الشرع فان هذه اعمال حقها ان
يتجر بها للآخرة واخذ الاجرة عليها استبدال بالدنيا عن الآخرة فلا يستحب ذلك **الثالث**
ان لا يمنعه سوق الدنيا عن سوق الآخرة واسواق الآخرة المساجد قال الله تعالى رجال لا تلهيهم
تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وايتا الزكوة وقال تعالى في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر
فيها اسمه فينبغي ان يجعل اول النهار الى وقت دخول السوق لآخرته فيلازم المسجد ويواظب
على الاوراد وكان عمر رضي الله عنه يقول للتجار اجعلوا اول نهاركم لآخرتكم وما بعده لدنياكم وكان
صالحو السلف يجعلون اول النهار وآخره للآخرة والوسط للتجارة فلم يكن يبيع الهريسة والرؤوس
بكرة الا الصبيان واهل الذمة لانهم كانوا في المساجد بعد وفي الخبر ان الملائكة اذا صعدت
بصحيفة العبد وفي اول النهار وفي آخره ذكر وخير كفر الله تعالى عنه ما بينهما من سي الاعمال
وفي الخبر تلتقي ملائكة الليل والنهار عند طلوع الفجر وعند صلوة العصر فيقول الله
كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم يصلون وجيناهم يصلون فيقول الله تعالى اشهدكم اني قد غفرت لهم
ثم مهما سمع الاذان في وسط النهار للاولى والعصر فينبغي ان لا يعرج على شغل وينزعج عن مكانه و
يدع كل ما كان فيه فما يفوته من فضيلة التكبيرة الاولى مع الامام في اول الوقت لا توازيه الدنيا بما
فيها ومهما لم يحضر الجماعة عصى عند بعض العلما وقد كان السلف يبتدرون عند الاذان ويخلون
الاسواق للصبيان واهل الذمة وكانوا يستاجرون بالقراريط لحفظ الحوانيت وكان ذلك معيشة
لهم وقد جا في تفسير قوله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله انهم كانوا حدادين
وخرازين فكان احدهم اذا رفع المطرقة او غرز الاشفى فسمع الاذان لم يخرج الاشفى من المغرز ولم يوقع
المطرقة ورمى بها وقام الى الصلوة **الرابع** ان لا يقتصر على هذا بل يلازم ذكر الله في السوق ويشتغل
بذكر الله والتسبيح فذكر الله في السوق بين الغافلين افضل وقال النبي صلى الله عليه وسلم ذاكر
الله في الغافلين كالمقاتل خلف الفارين وكالحي بين الاموات وفي لفظ آخر كالشجرة الخضرا بين الهشيم
وقال عليه السلام من دخل السوق فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي

ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة وكان ابن عمر
وسالم بن عبد الله ومحمد بن واسع وغيرهم يدخلون السوق قاصدين لنيل فضيلة هذا الذكر وقال الحسن
ذاكر الله في السوق يجيء يوم القيامة له ضوء كضوء القمر وبرهان كبرهان الشمس ومن استغفر الله في السوق
غفر الله له بعدد أهلها وكان عمر رضي الله عنه إذا دخل السوق يقول اللهم إني أعوذ بك من الكفر
والفسوق ومن شر ما أحاطت به السوق اللهم إني أعوذ بك من يمين فاجرة وصفقة خاسرة
وقال أبو جعفر الفرغاني كنا يوما عند الجنيد فجرى ذكر ناس يجلسون في المساجد ويتشبهون بالصوفية
ويقصرون عما يجب عليهم من حق الجلوس ويعيبون من يدخل السوق فقال الجنيد كم ممن هو في
السوق حكمه أن يدخل المسجد ويأخذ بأذن بعض من فيه فيخرجه ويجلس مكانه إني لأعرف رجلا
يدخل السوق ورده كل يوم ثلثمائة ركعة وثلاثون ألف تسبيحة قال فسبق إلى وهمي أنه يعني نفسه
فهكذا كانت تجارة من يتجر لطلب الكفاية لا للتنعم في الدنيا فإن من طلب الدنيا للاستعانة
بها على الآخرة كيف يدع ربح الآخرة والسوق والمسجد والبيت له حكم واحد وإنما النجاة بالتقوى
قال عليه السلام اتق الله حيث كنت فوظيفة التقوى لا تنقطع عن المتجردين للدين كيف ما
تقلبت بهم الأحوال وبها تكون حياتهم وعيشهم إذ فيها يرون تجارتهم وربحهم وقد قيل من أحب الآخرة
عاش ومن أحب الدنيا طاش والأحمق يغدو ويروح في لاش **الخامس** أن لا يكون شديد الحرص على
السوق والتجارة وذلك بأن يكون أول داخل وآخر خارج وبأن يركب البحر للتجارة فهما مكروهان
يقال من ركب البحر فقد استقصى في طلب الرزق وفي الخبر لا يركب البحر إلا لحج أو عمرة أو غزو وكان
عبد الله بن عمرو بن العاص يقول لا تكن أول داخل في السوق ولا آخر خارج منها فإن بها باض الشيطان
وفرخ وروي عن معاذ بن جبل وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن إبليس كان يقول لولده زلنبور سر
بكتائبك فأت أصحاب الأسواق زين لهم الكذب والحلف والخديعة والمكر والخيانة وكن مع أول
داخل وآخر خارج منها وفي الخبر شر البقاع الأسواق وشر أهلها أولهم دخولا وآخرهم خروجا وتمام هذا
الاحتراز أن يراقب وقت كفايته فإذا حصل كفايته انصرف واشتغل بتجارة الآخرة هكذا كان صالحو
السلف فقد كان منهم من إذا ربح دانقا انصرف قناعة به وكان حماد بن سلمة يبيع الخز في سفط بين يديه
فكان إذا ربح حبتين رفع سفطه وانصرف وقال إبراهيم بن بشار قلت لإبراهيم بن أدهم أمر اليوم أعمل في
الطين فقال يا ابن بشار إنك طالب ومطلوب يطلبك من لا تفوته وتطلب ما قد كفيته أما رأيت حريصا
محروما وضعيفا مرزوقا فقلت إن لي دانقا عند البقال فقال عز علي بك تملك دانقا وتطلب العمل
وقد كان فيهم من ينصرف بعد الظهر ومنهم بعد العصر ومنهم من لا يعمل في الأسبوع إلا يوما أو
يومين وكانوا يكتفون بذلك **السادس** أن لا يقتصر على اجتناب الحرام بل يتقي مواقع الشبهة
ومظان الريب ولا ينظر إلى الفتاوى بل يستفتي قلبه فإذا وجد فيه حزازة اجتنبه وإذا حمل إليه
سلعة رابه أمرها سأل عنها حتى يعرف وإلا أكل الشبهة وقد حمل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
لبن فقال من أين لكم هذا فقيل من الشاة فقال ومن أين لكم هذه الشاة فقيل من موضع كذا فشرب
منه ثم قال إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن لا نأكل إلا طيبا ولا نعمل إلا صالحا وقال إن الله تعالى أمر المؤمنين
بما أمر به المرسلين فقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم فسأل عليه السلام عن أصل
الشيء وأصل أصله ولم يزد لأن ما وراء ذلك يتعذر وسنبين في كتاب الحلال والحرام موضع وجوب هذا

السؤال فإنه عليه السلام كان لا يسأل عن كل ما يحمل إليه وإنما الواجب أن ينظر التاجر إلى من يعامله
فكل منسوب إلى ظلم أو خيانة أو سرقة أو ربا فلا يعامله وكذا الأجناد والظلمة لا يعاملهم البتة
ولا يعامل أصحابهم وأعوانهم لأنه يكون معينا لهم بذلك على الظلم حكي عن رجل أنه تولى عمارة سور
لثغر من الثغور قال فوقع في نفسي من ذلك شيء وإن كان ذلك العمل من الخيرات بل من فرائض
الإسلام لكن كان الأمير الذي تولى من جهته من الظلمة قال فسألت سفيان فقال لا تكن عونا لهم
على قليل ولا كثير فقلت هذا سور في سبيل الله للمسلمين فقال نعم ولكن أقل ما يدخل عليك
أن تحب بقاءهم ليوفوك أجرك فتكون قد أحببت بقاء من يعصي الله وقد جاء في الخبر من دعا لظالم بالبقاء فقد
أحب أن يعصى الله في أرضه وفي الحديث إن الله ليغضب إذا مدح الفاسق وفي خبر آخر من مدح
أو قال من أكرم فاسقا فقد أعان على هدم الإسلام ودخل سفيان الثوري رحمه الله على المهدي
وبيده درج أبيض فقال يا سفيان أعطني الدواة حتى أكتب فقال أخبرني بأي شيء تكتب
فإن كان حقا أعطيتك وطلب بعض الأمراء من بعض العلماء المحبوسين عنده أن يناوله الطين ليختم به
الكتاب فقال ناولني الكتاب أولا حتى أنظر ما فيه فهكذا كانوا يحترزون عن معاونة الظلمة ومعاملتهم
أشد أنواع الإعانة فينبغي أن ينقسم الناس عنده إلى من يعامل وإلى من لا يعامل وليكن من يعامله أقل
ممن لا يعامله في هذا الزمان قال بعضهم أتى على الناس زمان كان الرجل يقول لمن ترون أن أعامل
في السوق فيقال عامل من شئت ثم أتى زمان آخر كانوا يقولون عامل من شئت إلا فلانا وفلانا ثم أتى زمان آخر
فكان يقال لا تعامل أحدا إلا فلانا وفلانا وأخشى أن يأتي زمان يذهب هذا أيضا وكأنه قد كان الذي
خاف أن يكون إنا لله وإنا إليه راجعون **السابع ينبغي** أن يراقب جميع مجاري معاملته مع كل واحد
من معامليه فإنه مراقب ومحاسب فليعد الجواب ليوم الحساب والعقاب في كل فعل وقول أنه لم أقدم
عليه ولماذا فإنه يقال إنه يوقف التاجر يوم القيامة مع كل رجل كان باعه شيئا وقفة ويحاسب عن
كل واحد محاسبة على عدد من عامله قال بعضهم رأيت بعض التجار في النوم فقلت ماذا فعل الله
بك فقال نشر علي خمسين ألف صحيفة فقلت هذه كلها ذنوب فقال هذه معاملات الناس بعدد من
كنت عاملته في الدنيا لكل إنسان صحيفة مفردة فيما بيني وبينه من أول المعاملة إلى آخرها فهكذا ما
على المكتسب في معاملته من العدل والإحسان والشفقة على الدين فإن اقتصر على العدل كان من
الصالحين وإن أضاف إليه الإحسان كان من المقربين وإن راعى مع ذلك الوظائف التي ذكرناها في
الباب الخامس كان من الصديقين تم كتاب آداب الكسب والمعيشة ويتلوه كتاب الحلال والحرام
وهو الكتاب الرابع من ربع العادات من كتاب إحياء علوم الدين والحمد لله رب العالمين أجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي خلق الإنسان من طين لازب وصلصال ثم ركب صورته في أحسن تقويم وأتم
اعتدال ثم غذاه في أول نشوه بلبن استصفاه من بين فرث ودم سائغا كالماء الزلال ثم حماه بما آتاه
من طيبات الرزق عن دواعي الضعف والانحلال ثم قيد شهوته المعادية له عن السطوة والصيال
وقمعها بما افترض عليه من طلب القوت الحلال وهزم بكسرها جند الشيطان المتشمر للإضلال فلقد

كان يجري من ابن آدم مجرى الدم السيال فضيق عليه عزة الحلال المجرى والمجال اذ كان لا يسند رقيه الى اعماق العروق
الا الشهوات المائلة الى الغلبة والاستيلاء العوية لما دحت بزمام الحلال حاسما لما له من مناص
ولا زوال والصلوة على محمد الهادي من الضلال وعلى اله خير آل وسلم تسليما كثيرا **اما بعد**
فقد قال صلى الله عليه وسلم طلب الحلال فريضة على كل مسلم رواه عنه ابن مسعود رضي الله عنه
وهذه الفريضة من بين سائر الفرايض اعضلها على العقول فهما واثقلها على الجوارح فعلا ولذلك
اندرس بالكلية علما وعملا وصار غموض علمه سببا لاندراس عمله اذ ظن الجهال ان الحلال مفقود
وان السبيل دون الوصول اليه مسدود وانه لم يبق من الطيبات الا الماء الفرات والحشيش النابت
في الموات وما عداه فقد خبثته الايدي العادية وافسدته المعاملات الفاسدة واذا تعذرت
القناعة بالحشيش من النبات لم يبق وجه سوى الاتساع في المحرمات فرفضوا هذا القطب من
الدين اصلا ولم يدركوا بين الاموال فصلا وفرقا وهيهات هيهات فالحلال بين والحرام بين وبينهما
امور مشتبهات ولا تزال هذه الثلثة مقترنات كيف ما تقلبت الحالات ولما كانت هذه بدعة
عم في الدين ضررها واستطار في الخلق شررها وجب كشف الغطاء عن فسادها بالارشاد الى مدرك الفرق
بين الحلال والحرام والشبهة على وجه في التحقيق والبيان لا يخرجه التضييق عن حيز الامكان ونحن
نوضح ذلك في سبعة ابواب ان شاء الله تعالى **الباب الاول** في طلب فضيلة الحلال ومذمة الحرام
ودرجاتهما **الباب الثاني** في مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام **الباب
الثالث** في البحث والسؤال والهجوم والاهمال ومظانهما في الحلال والحرام **الباب الرابع**
في كيفية خروج التائب عن المظالم المالية **الباب الخامس** في ادرارات السلاطين وصلاتهم
وما يحل منها وما يحرم **الباب السادس** في الدخول على السلاطين ومخالطتهم **الباب السابع**
في مسائل متفرقة **الباب الاول** في الحلال والحرام وفيه فضيلة الحلال ومذمة الحرام و
بيان اصناف الحلال ودرجاته واصناف الحرام ودرجات الورع فيه فضيلة الحلال ومذمة الحرام
قال الله تعالى كلوا من الطيبات واعملوا صالحا امر بالاكل من الطيبات قبل العمل وقيل ان المراد به الحلال
وقال تعالى ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وقال تعالى ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما الاية
وقال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين ثم قال ومن عاد
فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون جعل اكل الربوا في اول الامر موذنا بمحاربة الله وفي اخره متعرضا للنار
والايات الواردة في الحلال والحرام لا تحصى **وروى** ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال طلب الحلال فريضة على كل مسلم ولما قال عليه السلام طلب العلم فريضة على كل مسلم قال
بعض العلماء اراد به طلب علم الحلال والحرام وجعل المراد بالحديثين واحدا وقال عليه السلام
من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد في سبيل الله ومن طلب الدنيا حلالا في عفاف كان في درجة
الشهداء وقال عليه السلام من اكل الحلال اربعين يوما نور الله قلبه واجرى ينابيع الحكمة من قلبه
وفي رواية زهده في الدنيا وروي ان سعدا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يسال الله ان
يجعله مجاب الدعوة فقال له اطب طعمتك تستجب دعوتك ولما ذكر عليه السلام الحريص على الدنيا
قال رب اشعث اغبر مشرد في الاسفار مطعمه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام يرفع يديه
فيقول يا رب يا رب فانى يستجاب لذلك وفي حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم

انه قال ان لله ملكا على بيت المقدس ينادي كل ليلة من اكل حراما لم يقبل الله منه صرفا ولا عدلا
فقيل الصرف النافلة والعدل الفريضة وقال عليه السلام من اشترى ثوبا بعشرة دراهم
في ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلوته ما دام عليه من ذلك الثوب شيء وقال عليه السلام كل
لحم نبت من حرام فالنار اولى به وقال عليه السلام من لم يبال من اين اكتسب المال لم يبال الله من
اين ادخله النار وقال عليه السلام العبادة عشرة اجزاء تسعة منها في طلب الحلال روي هذا
مرفوعا وموقوفا على بعض الصحابة ايضا وقال عليه السلام من امسى وانيا من طلب الحلال بات
مغفورا له واصبح والله راض عنه وقال عليه السلام من اصاب مالا من ماثم فوصل به رحما او تصدق
به او انفقه في سبيل الله جمع الله ذلك جميعا ثم قذف به في النار وقال عليه السلام خير دينكم الورع
وقال عليه السلام من لقي الله تعالى ورعا اعطاه الله ثواب الاسلام كله ويروى ان الله تعالى قال واما
الورعون فاني استحيي ان احاسبهم وقال عليه السلام درهم من ربا اشد من ثلاثين زنية عند
الله في الاسلام وفي حديث ابي هريرة المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة فاذا صحت المعدة و
استقامت صدرت العروق بالصحة واذا سقمت صدرت بالسقم ومثل الطعمة من الدين مثل الاساس
من البنيان فاذا ثبت الاساس وقوي استقام البنيان وارتفع واذا ضعف الاساس واعوج انهار البنيان
ووقع وقد قال تعالى افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان الاية وفي الحديث من اكتسب
مالا من حرام فان تصدق به لم يقبل منه وان تركه وراءه كان زاده الى النار وقد ذكرنا جملة من الاخبار
في كتاب اداب الكسب يكشف عن فضيلة كسب الحلال واما الاثار فقد روي ان الصديق رضي الله
عنه شرب لبنا من كسب عبده ثم ساله فقال تكهنت لقوم فاعطوني فادخل اصابعه في فيه وجعل
يقيء حتى ظننت ان نفسه ستخرج ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما حملت العروق وخالط الامعاء
وفي بعض الاخبار انه اخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال او ما علمتم ان الصديق لا يدخل
جوفه الا طيبا وكذلك شرب عمر رضي الله عنه من ابل الصدقة غلطا فادخل اصبعه وتقيا وقالت عائشة
رضي الله عنها انكم لتغفلون عن افضل العبادة الورع وقال عبد الله بن عمر لو صليتم حتى تكونوا
كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالاوتار ما يقبل ذلك منكم الا بورع حاجز وقال ابرهيم بن ادهم لم يدرك
من ادرك الا من كان يعقل ما يدخل جوفه وقال الفضيل من عرف ما يدخل جوفه كتبه الله صديقا
فانظر عند من تفطر يا مسكين وقيل لابرهيم بن ادهم الا تشرب من ماء زمزم قال لو كان لي دلو لشربت
وقال سفيان الثوري من انفق من الحرام في طاعة الله كان كمن طهر الثوب بالبول والثوب لا يطهره
الا الماء والذنب لا يكفره الا الحلال وقال يحيى بن معاذ رحمه الله الطاعة خزانة من خزائن الله ومفتاحه
الدعاء واسنانه لقم الحلال وقال ابن عباس رضي الله عنه لا يقبل الله صلوة امرئ في جوفه حرام وقال
سهل التستري لا يبلغ العبد حقيقة الايمان حتى يكون فيه اربع خصال اداء الفرائض بالسنة
واكل الحلال بالورع واجتناب النهي من الظاهر والباطن والصبر على ذلك الى الموت وقال من
احب ان يكاشف بايات الصديقين فلا ياكل الا حلالا ولا يعمل الا في سنة او ضرورة ويقال
من اكل الشبهة اربعين يوما اظلم قلبه وهو تاويل قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا
يكسبون وقال ابن المبارك رد درهم من شبهة احب الي من ان اتصدق بمائة الف ومائة
الف حتى بلغ ستمائة الف وقال بعض السلف ان العبد ياكل اكلة فيتقلب قلبه فينغل كما ينغل

فتسليمه اليه تسليط له على الفساد فهو كبيع العنب من الخمار مع علمه بانه يتخذه خمرا وذلك محذور واعانة
على الشر ومشاركة فيه وسلوك طريق الحق بامثال هذا في التجارة اشد من المواظبة على نوافل
العبادات والتخلي لها ولذلك قال بعضهم التاجر الصدوق افضل من المتعبد وكان السلف
يحتاطون في مثل ذلك حتى روي عن بعض الغزاة في سبيل الله انه قال حملت على فرسي لاقتل علجا في
سبيل الله فقصر بي فرسي فرجعت ثم دنا مني العلج فحملت ثانيا فقصر بي الفرس ثم حملت الثالثة
فنفر مني فرسي وكنت لا اعتاد ذلك منه فرجعت حزينا وجلست منكس الراس منكسر القلب لما فاتني
من العلج وما ظهر لي من خلق الفرس فوضعت راسي على عمود الفسطاط وفرسي قائم فرايت في النوم
كان الفرس يخاطبني ويقول لي بالله اردت ان تاخذ علي العلج ثلث مرات وانت بالامس اشتريت
لي علفا ودفعت في ثمنه درهما نايفا لا يكون هذا ابدا قال فانتبهت فزعا فذهبت الى العلاف
وابدلت ذلك الدرهم فهذا مثال ما يعم ضرره وليقس عليه امثاله القسم **الثاني** ما يخص ضرره
المعامل وكل ما يستضر به المعامل فهو ظلم وانما العدل ان لا يضر باخيه المسلم والضابط الكلي فيه
ان لا يحب له الا ما يحب لنفسه فكل ما لو عومل به شق عليه وثقل على قلبه فينبغي ان لا يعامل غيره
به بل ينبغي ان يستوي عنده درهمه ودرهم غيره قال بعضهم من باع اخاه شيئا بدرهم وليس يصلح
له لو اشتراه لنفسه الا بخمسة دوانيق فانه قد ترك النصح المامور به في المعاملة ولم يحب لاخيه
ما يحب لنفسه هذه جملته فاما تفصيله ففي اربعة امور ان لا يثني على السلعة بما ليس فيها وان لا
يكتم من عيوبها وخفايا صفاتها شيئا اصلا وان لا يكتم في وزنها ومقدارها شيئا وان لا يكتم من سعرها
ما لو عرفه المعامل لامتنع عنه اما الاول فهو ترك الثناء فان وصفه للسلعة ان كان بما ليس فيها
فهو كذب فان قبل فهو تلبيس وظلم وكذب وان لم يقبل فاسقاط مروة اذ الكذب الذي يروج
قد لا يقدح في ظاهر المروة وان اثنى على السلعة بما فيها فهو هذيان وتكلم بكلام لا يعنيه وهو
محاسب على كل كلمة تصدر منه انه لم تكلم بها قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد
الا ان يثني على السلعة بما فيها مما لا يعرفه المشتري ما لم يذكره كما يصفه من اخلاق العبيد والجواري و
الدواب فلا باس بذكر القدر الموجود منه من غير مبالغة واطناب وليكن قصده منه ان يعرفه
اخوه المسلم فيرغب فيه وينقضي بسببه حاجته ولا ينبغي ان يحلف عليه البتة فانه ان كان كاذبا
فقد جاء باليمين الغموس وهي من الكبائر التي تذر الديار بلاقع وان كان صادقا فقد جعل الله عرضة
لايمانه وقد اساء اذ الدنيا اخس من ان يقصد ترويجها بذكر اسم الله من غير ضرورة وفي الخبر ويل
للتاجر من بلى والله ولا والله وويل للصانع من غد وبعد غد وفي الخبر اليمين الكاذبة منفقة للسلعة
ممحقة للكسب وروى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلثة لا ينظر الله
اليهم يوم القيمة عائل مستكبر ومنان بعطيته ومنفق سلعته بيمينه فاذا كان الثناء على السلعة
مع الصدق مكروها من حيث انه فضول لا يزيد في الرزق فلا يخفى التغليظ في امر اليمين وقد
روي عن يونس بن عبيد وكان خزازا انه طلب منه خز للشري فاخرج غلامه سفط الخز ونشره
ونظر اليه وقال اللهم ارزقنا الجنة فقال لغلامه رده الى موضعه ولم يبعه وخاف ان يكون ذلك تعريضا بالثناء
على السلعة فمثل هؤلاء هم الذين اتجروا في الدنيا ولم يضيعوا دينهم في تجاراتهم بل علموا ان ربح
الاخرة اولى بالطلب من ربح الدنيا **الثاني** ان يظهر جميع عيوب المبيع خفيها وجليها ولا يكتم

الادم فلا يعود الى حاله ابدا وقال سهل من اكل الحرام عصت جوارحه شاء ام ابى علم ام لم يعلم ومن كانت طعمته
حلالا اطاعته جوارحه ووفقت للخيرات وقال بعض السلف اول لقمة ياكلها العبد من حلال يغفر
الله بها ما سلف من ذنوبه ومن اقام نفسه في مقام ذل في طلب الحلال تساقطت عنه ذنوبه كما تساقط
ورق الشجرة وروي في اثار السلف ان الواعظ اذا جلس للناس قال العلماء تفقدوا منه ثلثا فان كان
معتقدا لبدعة فلا تجالسوه فانه عن لسان الشيطان ينطق وان كان سيء الطعمة فعن الهوى ينطق وان لم
يكن مكين العقل فانه يفسد بكلامه اكثر مما يصلح فلا تجالسوه وفي الاخبار المشهورة عن علي عليه السلام و
عن غيره ان الدنيا حلالها حساب وحرامها عذاب وزاد اخرون وشبهاتها عتاب **وروي** ان بعض
الصالحين دفع طعاما الى بعض الابدال فلم ياكله فسأله عنه فقال نحن لا ناكل الا حلالا فكذلك تستقيم
قلوبنا ويدوم حالنا ونكاشف بالملكوت ونشاهد الاخرة ولو اكلنا مما تاكلون ثلثة ايام لما رجعنا الى
شيء من علم اليقين ولذهب الخوف والمشاهدة من قلوبنا فقال له الرجل فاني اصوم الدهر واختم القران في كل شهر
ثلثين ختمة فقال له البدل هذه الشربة من اللبن التي رايتني شربتها احب الي من ثلثين ختمة في ثلثمائة
ركعة من اعمالك وكانت شربة لبن من ظبية وحشية وقد كان بين احمد بن حنبل ويحيى بن معين رحمة الله
عليهما صحبة طويلة فهجره احمد اذ سمعه يقول اني لا اسأل احدا شيئا ولو اعطاني الشيطان شيئا لاكلته
حتى اعتذر يحيى وقال كنت امزح فقال تمزح بالدين اما علمت ان الاكل من الدين قدمه الله على العمل
الصالح فقال كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وفي الخبر انه مكتوب في التورية من لم يبال من اين مطعمه لم يبال
الله من اي ابواب النار ادخله وعن علي كرم الله وجهه انه لم ياكل بعد قتل عثمان ونهب الدار طعاما الا
مختوما حذرا من الشبهة واجتمع فضيل بن عياض وابن عيينة وابن المبارك عند وهيب بن الورد بمكة
فذكروا الرطب فقال وهيب هو من احب الطعام الي الا اني لا اكله لاختلاط رطب مكة ببساتين زبيدة وغيرها فقال له ابن
المبارك ان نظرت في مثل هذا ضاق عليك الخبز قال وما سببه قال ان اصول الضياع قد اختلطت بالصوافي
فغشي على وهيب فقال سفيان قتلت الرجل فقال ابن المبارك ما اردت الا ان اهون عليه فلما افاق
قال لله علي ان لا اكل خبزا ابدا حتى القاه وكان يشرب اللبن فاتته امه بشربة فسالها فقالت هو من شاة بني فلان
فسال عن ثمنها وانه من اين لهم فذكرت فلما ادناها من فيه قال بقي انه من اين كانت ترعى فسكتت فلم يشرب
لانها كانت ترعى من موضع فيه للمسلمين حق فقالت له امه اشرب فان الله يغفر لك فقال ما احب ان يغفر لي
وقد شربته فانال مغفرته بمعصيته وكان بشر الحافي من الورعين فقيل له من اين تاكل فقال من حيث تاكلون
ولكن ليس من ياكل وهو يبكي كمن ياكل وهو يضحك وقال يد اقصر من يد ولقمة اصغر من لقمة فهكذا كانوا يتحرزون
عن الشبهات **اصناف الحلال ومداخله** اعلم ان تفصيل الحلال والحرام
انما يتولى بيانه كتب الفقه ويستغني المريد عن تطويله بان يكون له طعمة معينة يعرف بالفتوى حلها
وكان لا ياكل من غيرها فاما من يتوسع في الاكل من وجوه متفرقة فيفتقر الى علم الحلال والحرام كله كما
فصلناه في كتب الفقه ونحن الان نشير الى مجامعه في سياق تقسيم وهو ان المال انما يحرم اما لمعنى
في عينه او لخلل في جهة اكتسابه **القسم** الاول الحرام لصفة في عينه كالخمر والخنزير وغيرهما وتفصيله
ان الاعيان الماكولة على وجه الارض لا تعدو ثلثة اقسام فانها اما ان تكون من المعادن كالملح والطين
وغيرهما او من النباتات او من الحيوان فاما المعادن وهي اجزاء الارض وجميع ما يخرج منها فلا يحرم
اكله الا من حيث يضر بالاكل وفي بعضها ما يجري مجرى السم والخبز لو كان مضرا لحرم اكله والطين الذي

منها شيئا فذلك واجب فان اخفاه كان ظالما غاشا والغش حرام وكان تاركا للنصح في المعاملة
والنصح واجب ومهما اظهر احسن وجهي الثوب واخفى الثاني كان غاشا وكذلك اذا عرض الثياب
في المواضع المظلمة وكذلك اذا عرض فرد في الخف والنعل وامثاله ويدل على تحريم الغش ما روي
انه عليه السلام مر برجل يبيع طعاما فاعجبه فادخل يده فيه فرأى بللا فقال له ما هذا فقال اصابته
السماء قال فهلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس من غشنا فليس منا ويدل على وجوب النصح
باظهار العيوب ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما بايع جريرا على الاسلام ذهب لينصرف فجذب
ثوبه واشترط عليه النصح لكل مسلم فكان جرير اذا قام الى السلعة يبيعها بصر عيوبها ثم خيره
وقال ان شئت فخذ وان شئت فاترك فقيل له انك اذا فعلت هذا لم ينفذ لك بيع فقال انا بايعنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم وكان واثلة بن الاسقع واقفا فباع رجل ناقة له بثلثمائة
درهم وغفل واثلة فذهب الرجل بالناقة فسعى وراءه وجعل يصيح به وقال يا هذا اشتريتها
للحم او للظهر فقال بل للظهر فقال ان بخفها نقبا قد رايته وانها لا تتابع السير فعاد فردها فنقصه
البايع مائة درهم وقال لواثلة رحمك الله افسدت علي بيعي فقال انا بايعنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالنصح لكل مسلم وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل لاحد يبيع بيعا
الا بين ما فيه ولا يحل لمن يعلم ذلك الا بينه فقد فهموا من النصح ان لا يرضى لاخيه الا ما يرضى
لنفسه ولم يعتقدوا ان ذلك من الفضايل وزيادة المقامات بل اعتقدوا انه من شروط الاسلام
الداخلة في بيعتهم وهذا امر يشق على اكثر الخلق فلذلك يختارون التخلي للعبادة والاعتزال عن
الناس لان القيام بحقوق الله مع المخالطة والمعاملة مجاهدة لا يقوم بها الا الصديقون
ولن يتيسر ذلك على العبد الا بان يعتقد امرين احدهما ان تلبيسه العيوب وترويجه السلع لا يزيد
في رزقه بل يمحقه وتذهب بركته وما يجمعه من مفرقات التلبيسات يهلكه الله تعالى دفعة
واحدة فقد حكي ان واحدا كان له بقرة يحلبها ويخلط بلبنها الماء ويبيعه فجاء سيل فغرق البقرة
فقال بعض اولاده ان تلك المياه المتفرقة التي صببناها في اللبن اجتمعت دفعة واحدة واخذت
البقرة كيف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البايعان اذا صدقا ونصحا بورك لهما في بيعهما
واذا كتما وكذبا نزعت بركة بيعهما وفي الخبر يد الله على الشريكين ما لم يتخاونا فاذا تخاونا رفع يده عنهما
فاذن لا يزيد مال من خيانة كما لا ينقص من صدقة ومن لا يعرف الزيادة والنقصان الا بالميزان لم يصدق
بهذا الحديث ومن عرف ان الدرهم الواحد يبارك فيه حتى يكون سببا لهلاك مالكه بحيث يتمنى الا
فلاس منه ويراه اصلح له في بعض الاحوال فيعرف معنى قولنا ان الخيانة لا تزيد في المال والصدقة لا تنقص
منه والمعنى الثاني الذي لا بد من اعتقاده ليتم له النصح ويتيسر عليه ان يعلم ان ربح الآخرة وغناها
خير من ربح الدنيا وان فوايد اموال الدنيا تنقضي بانقضاء العمر وتبقى مظالمها واوزارها فكيف يستجيز
العاقل ان يستبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير والخير كله في سلامة الدين قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا تزال لا اله الا الله تدفع عن الخلق سخط الله ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على اخرتهم وفي لفظ اخر
ما لم يبالوا ما نقص من دنياهم بسلامة دينهم فاذا فعلوا ذلك وقالوا لا اله الا الله قال الله تعالى
كذبتم لستم بها صادقين وفي حديث اخر من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة قيل وما اخلاصها
قال ان تحجزه عما حرم الله وقال ايضا ما امن بالقران من استحل محارمه ومن علم ان هذه الامور قادحة

في العدالة والطراح سمة الفسق فهو ايضا على درجات في الخبث فالماخوذ بعقد فاسد كالمعاطاة
مثلا فيما لا يجوز فيه المعاطاة حرام ولكن ليس في درجة المغصوب على سبيل القهر بل الغصب
اغلظ فيه ترك طريق الشرع في الاكتساب وايذا وليس في المعاطاة ايذا انما فيه ترك طريق التعبد
فقط ثم ترك طريق التعبد بالمعاطاة اهون من تركه بالربو وهذا التفاوت يدرك بتشديد
الشرع ووعيده وتاكيده في بعض المناهي على ما سياتي في كتاب التوبة عند ذكر الفرق بين الصغيرة
والكبيرة بل الماخوذ ظلما من فقير او صالح او يتيم اخبث واغلظ من الماخوذ من غني او قوي
او فاسق لان درجات الايذا تختلف وتختلف باختلاف درجات المؤذي فهذه دقايق في تفاصيل الخبائث
لا ينبغي ان يذهل عنها فلولا اختلاف درجات العصاة لما اختلفت دركات النار واذا عرفت مثارات
التغليظ فلا حاجة الى حصره في درجات ثلث او اربع فان ذلك جار مجرى التحكم والتشهي وهو طلب
حصر فيما لا حصر له وبذلك على اختلاف درجات الحرام في الخبث ما سياتي في تعارض المحذورات فترجيح
بعضها على بعض حتى اذا اضطر الى الميتة او اكل طعام الغير او اكل صيد الحرم فانه يقدم بعضهن على
بعض **امثلة الدرجات الاربع** في الورع وشواهدها **اما** الدرجة الاولى وهي ورع العدول
فكلما اقتضى الفتوى تحريمه مما يدخل في المداخل الستة التي ذكرناها من مداخل الحرام لفقد شرط
من الشروط فهو الحرام المطلق الذي ينسب مقتحمه الى الفسق والمعصية وهو الذي يريد به الحرام
المطلق فلا يحتاج الى امثلة وشواهد واما الدرجة الثانية فامثلة اكل شبهة لا يوجب اجتنابها
ولكن يستحب اجتنابها كما سياتي في كتاب الشبهات اذ من الشبهات ما يجب اجتنابه فيلتحق
بالحرام ومنها ما يكره اجتنابه فالورع عنه ورع الموسوسين كمن يمتنع عن الاصطياد حذرا من ان يكون
الصيد قد افلت من انسان اخذه وملكه وهذا وسواس ومنها ما يستحب اجتنابه ولا يجب وهو الذي
ينزل عليه قوله عليه السلام دع ما يريبك الى ما لا يريبك ونحمله على نهي التنزيه وكذلك قوله كل مما اصميت
ودع ما انميت والانماء ان يجرح الصيد فيغيب عنه ثم يدركه ميتا اذ يحتمل انه مات بسقطة او بسبب
اخر فالذي نختاره كما سياتي ان هذا ليس بحرام ولكن تركه ورع الصالحين وقوله دع امر تنزيه اذ ورد
في بعض الروايات كل منه وان غاب عنك ما لم تجد اثرا غير سهمك وكذلك قال النبي صلى الله عليه
وسلم لعدي بن حاتم في الكلب المعلم وان اكل فلا تاكل فاني اخاف ان يكون انما امسك على نفسه على
سبيل التنزيه لاجل الخوف اذ قال لابي ثعلبة الخشني كل منه فقال وان اكل قال وان اكل وذلك
لان حال ابي ثعلبة وهو فقير مكتسب لا يحتمل هذا الورع وحال عدي كان يحتمله ويحكى عن ابن سيرين
انه ترك لشريك له اربعة الاف درهم لانه حاك في قلبه شيء مع اتفاق العلماء انه لا باس به وامثلة هذه
الدرجة نذكرها عند التعرض لدرجات الشبهة فكل ما هو شبهة ولا يجب اجتنابه فهو مثال هذه الدرجة
اما الدرجة الثالثة وهي ورع المتقين فيشهد لها قوله عليه السلام لا يبلغ العبد درجة المتقين
حتى يدع ما لا باس به مخافة مما به باس وقال عمر كنا ندع تسعة اعشار الحلال مخافة ان نقع في الحرام
وقال ابو الدرداء ان من تمام التقوى ان يتقي العبد في مثقال ذرة حتى يترك بعض ما يرى انه حلال
خشية ان يكون حراما ليكون حجابا بينه وبين النار ولهذا كان لبعضهم مائة درهم على انسان
فحملها اليه فاخذ تسعة وتسعين وتورع عن استيفاء الكل خيفة الزيادة وكان بعضهم يتحرى فكلما
يستوفيه ياخذه بنقصان حبة وما يعطيه يزيده حبة ليكون ذلك حاجزا من النار ومن

هذه الدرجة الاحتراز عما يتسامح الناس به فان ذلك حلال في الفتوى ولكن يخاف من فتح بابه ان
يجر الى غيره وتالف النفس الاسترسال فيترك الورع فمن ذلك ما روي عن علي بن معبد انه قال كنت
ساكنا في بيت بكرا فكتبت كتابا واردت ان اخذ من تراب الحايط لاتربه واجففه ثم قلت الحايط ليس لي
فقالت لي نفسي وما قدر تراب من حايط فاخذت من التراب حاجتي فلما نمت فاذا انا بشخص واقف
يقول يا علي سيعلم غدا الذين يقولون وما قدر تراب من حايط ولعل معنى ذلك انه يرى كيف يحط
منزلته فان للتقوى درجة تفوت بفوات ورع المتقين وليس المراد انه يستحق عقوبة على فعله
ومن ذلك ما روي ان عمر رضي الله عنه وصله مسك من البحرين فقال وددت لو ان امراة وزنت
حتى اقسمه بين المسلمين فقالت امراته عاتكة انا اجيد الوزن فقال لا احب ان تضعيه في الكفة
ثم تقولين فيها اثر الغبار فتمسحين بها عنقك فاصيب بذلك فضلا على المسلمين وكان يوزن
بين يدي عمر بن عبد العزيز مسك للمسلمين فاخذ بانفه حتى لا تصيبه الرايحة وقال هل ينتفع الا
بريحه لما استبعد ذلك منه واخذ الحسن بن علي رضوان الله عليهما تمرة من الصدقة وكان صغيرا
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كخ كخ القها ومن ذلك ما روي عن بعضهم انه كان عند محتضر
فمات ليلا فقال اطفوا السراج فقد حدث للورثة حق في الدهن وروى سليمان التيمي عن نعيمة
العطارة قالت كان عمر يدفع الى امراته طيبا من طيب المسلمين قالت فبيعه امراته فباعتني طيبا
فجعلت تقوم وتزيد وتنقص وتكسر باسنانها فتعلق باصبعها شي منه فقالت به هكذا باصبعها
ثم مسحت به خمارها فدخل عمر رضي الله عنه فقال ما هذه الريح فاخبرته فقال طيب المسلمين تاخذه
فانتزع الخمار من راسها واخذ جرة من ماء فجعل يصب على الخمار ثم يدلكه في التراب ثم يشمه ثم يصب الما
ثم يدلكه في التراب ويشمه حتى لم يبق له ريح قالت ثم اتيتها مرة اخرى فلما وزنت علق باصبعها منه
شي فادخلت اصبعها في فيها ثم مسحت بها التراب فهذا من عمر رضي الله عنه ورع التقوى لخوف
اداء ذلك الى غيره والا فغسل الخمار ما كان يعيد الطيب الى المسلمين ولكن اتلفه عليها زجرا وردعا
واعتقادا ان يتعدى الامر ومن ذلك ما سئل احمد بن حنبل رحمه الله عن رجل يكون في المسجد فيحمل
مجمرة لبعض السلاطين ويبخر المسجد بالعود فقال ينبغي ان يخرج من المسجد فانه لا ينتفع من العود الا
بريحه هذا وقد يقارب الحرام فان القدر الذي يعبق بثوبه من رايحة الطيب قد يقصد ويبخل
به فلا يدري انه يتسامح به ام لا وسئل احمد بن حنبل عمن سقطت منه ورقة من احاديث فهل لمن وجدها
ان يكتب منها ثم يردها فقال لا يستاذن ثم يكتب وهذا ايضا قد يشك في ان صاحبه يرضى به ام لا
فما هو في محل الشك والاصل تحريمه فهو حرام وتركه من الدرجة الاولى ومن ذلك التورع عن
الزينة لانه يخاف منها ان يدعو الى غيرها وان كانت الزينة مباحة في نفسها وقد سئل احمد بن
حنبل رضي الله عنه عن النعال السندية فقال اما انا فلا استعملها ولكن ان كان للطين فارجو واما لمن
اراد الزينة فلا ومن ذلك ان عمر رضي الله عنه لما ولي الخلافة كانت له زوجة يحبها فطلقها خيفة ان
تشير عليه بشفاعة في باطل فيطيعها ويطلب رضاها وهذا من ترك ما لا باس به مخافة مما به باس
اي مخافة ان يفضي اليه واكثر المباحات داعية الى المحظورات حتى استكثار الاكل واستعمال الطيب للمتعزب
فانه يحرك الشهوة ثم الشهوة تدعو الى الفكر والفكر الى النظر والنظر الى غيره وكذلك النظر
الى دور الاغنياء وتجملهم مباح في نفسه ولكنه يهيج الحرص ويدعو الى طلب مثله ويلزم منه ارتكاب

ما لا يحل في تحصيله وهكذا المباحات كلها اذا لم تؤخذ بقدر الحاجة مع التحرز من غوايلها بالمعرفة
والاثم بالحذر ثم ما اقل ما يخلو عاقبته عن خطر حتى كره احمد بن حنبل رحمه الله تجصيص الحيطان
فقال اما تجصيص الارض فيمنع التراب واما تجصيص الحايط فزينة لا فايدة فيه حتى انكر تجصيص
المسجد وتزيينه واستدل بما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل ان يكحل المسجد فقال لا عريش
كعريش موسى وانما هو شي كالكحل يطلى به فلم يرخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وكره السلف
الثوب الرقيق وقالوا من رق ثوبه رق دينه وكل ذلك خوفا من سريان اتباع الشهوات في المباحات
الى غيرها بان المحذور والمباح تشتهيهما شهوة واحدة واذا عودت الشهوة المسامحة استرسلت
فاقتضى خوف التقوى الورع من هذا كله فكل حلال انفك عن مثل هذه المخافة فهو الحلال الطيب في
الدرجة الثالثة وهو كل ما لا يخاف اداوه الى معصية البتة اما الدرجة الرابعة وهي درجة الصديقين
فالحلال المطلق عندهم كل ما لا يتقدم في اسبابه معصية ولا يستعان به على معصية ولا يقصد منه
في الحال والمال قضاء وطر بل يتناول لله تعالى فقط وللتقوي على عبادته واستبقاء الحيوة لاجله
وهولاء هم الذين يرون كل ما ليس لله حراما امتثالا لقوله تعالى قل الله ثم ذرهم وهذه رتبة الموحدين
المتجردين عن حظوظ انفسهم المتفردين لله بالقصد ولا شك في ان من يتورع عما يوصل اليه بمعصية
او يستعان عليه بمعصية فيتورع عما يقترن بسبب اكتسابه معصية او كراهية فمن
ذلك ما روي عن يحيى انه شرب الدوا فقالت له امراته لو مشيت في الدار قليلا حتى يعمل الدوا
فقال لا اعرف هذه المشية وانا احاسب نفسي منذ ثلثين سنة فكانه لم يحضره في هذه المشية
يتعلق بالدين فلم يحسن لا فقدم عليها وعن سري انه قال انتهيت الى حشيش في جبل وما يخرج منه
فتناولت من ذلك الحشيش وشربت من الما وقلت في نفسي ان كنت قد اكلت حلالا طيبا فهو هذا
اليوم فهتف بي هاتف ان القوة التي اوصلتك الى هذا الموضع من اين هي فرجعت وندمت ومن
هذا ما روي عن ذي النون المصري انه كان جايعا محبوسا فبعثت له امراة صالحة طعاما على يد
السجان فلم ياكل منه ثم اعتذر وقال جاءني على طبق ظالم يعني ان اليد التي اوصلت الطعام الي
لم تكن طيبة وهذه الغاية القصوى في الورع ومن ذلك ان بشرا رحمه الله كان لا يشرب الما
من الانهار التي حفرها الامرا فان النهر سبب لجريان الما ووصوله اليه وان كان الما مباحا في نفسه
فيكون كالمنتفع بالنهر المحفور باعمال الاجرا وقد اعطوا اجرتهم من الحرام وكذلك امتنع بعضهم
من العنب الحلال من كرم حلال وقال لصاحبه انك اذ سقيته مما يجري في النهر الذي حفرته
الظلمة وهذا ابعد عن الظلم من شرب نفس الما لانه احترز من استمداد العنب من ذلك الما
وكان بعضهم في طريق الحج لم يشرب من المصانع التي عملها الظلمة مع ان الما مباح ولكن بقي محفوظا
بالمصنع والمصنع عمل بمال حرام فكانه انتفع به وامتناع ذي النون من الطعام على يد السجان اعظم
من هذا كله لان يد السجان لا توصف بانها حرام بخلاف الطبق المغصوب اذا حمل عليه ولكن
وصل اليه بقوة اكتسبت بالغذا الحرام وكذلك تقيا الصديق من اللبن من ان يحدث الحرام فيه قوة
مع انه شربه على جهل وكان لا يجب اخراجه ولكن تخلية الباطن عن الخبيث من ورع الصديقين ومن
ذلك التورع عن كسب حلال اكتسبه خياط يخيط في المسجد فان احمد رحمه الله كره جلوس الخياط
في المسجد وسئل عن المغازلي يجلس في قبة من المقابر في وقت يخاف من المطر فقال المقابر انما هي

من امر الآخرة واطفا بعضهم سراجا اسرجه غلامه من قوم يكره مالهم وامتنع من تسخين بنور الجمرة
وقد بقي فيه جمر من حطب مكروه وامتنع من ان يحكم شسع في مشعل سلطان فهذه دقائق
الورع عند سالكي طريق الآخرة والتحقيق فيه الورع له اول وهو الامتناع عما حرمه الفتوى وهو
ورع العدول وله غاية وهو ورع الصديقين وذلك هو الامتناع من كل ما ليس مما اخذ
بشهوة او يتوصل اليه بمكروه او اتصل بسببه مكروه وبينهما درجات في الاحتياط فكلما
كان العبد اشد تشديدا على نفسه كان اخف ظهرا يوم القيمة واسرع جوازا على الصراط وابعد
عن ان يترجح كفة سيئاته على كفة حسناته وتتفاوت المنازل في الآخرة بحسب تفاوت هذه
الدرجات في الورع كما تتفاوت دركات النار في حق الظلمة بحسب تفاوت درجات
الحرام في الخبث فاذا علمت حقيقة هذا فاليك الخيرة فان شئت فاستكثر من الاحتياط وان شئت
فرخص فلنفسك تحتاط وعلى نفسك ترخص **الباب الثاني في مراتب الشبهات** ومثارها
وتمييزها عن الحلال والحرام **قال** رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام
بين وبينهما امور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه
وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي حول الحمى يوشك ان يقع فيه فهذا الحديث
نص في اقسام الثلثة والمشكل منها القسم المتوسط الذي لا يعرفه كثير من الناس وهو الشبهة
فلا بد من بيانها وكشف الغطاء عنها فان ما لا يعرفه الكثير قد يعرفه القليل فنقول الحلال
المطلق هو الذي خلت عن ذاته الصفات الموجبة للتحريم في عينه وانحل عن اسبابه ما يتطرق اليه
تحريم او كراهية ومثاله الماء الذي ياخذه الانسان من المطر قبل ان يقع على ملك احد ويكون
هو واقفا عند اخذه وجمعه من الهوى في ملك نفسه او في ارض مباحة والحرام المحض ما فيه
صفة محرمة لا يشك فيها كالشدة في الخمر والنجاسة في البول او حصل بسبب منهي عنه قطعا كالمحصل
بالظلم والربا ونظائره فهذان طرفان ويلتحق بالطرفين ما تحقق امره ولكن احتمل تغيره ولم يكن
لذلك الاحتمال سبب يدل عليه فان صيد البر والبحر حلال ومن اخذ ظبية فيحتمل ان يكون
قد ملكها صائد ثم افلتت منه وكذلك السمك يحتمل ان يكون قد تلقف من صياد بعد وقوعه في
يده وخريطته فمثل هذا الاحتمال لا يتطرق الى ماء المطر المختطف من الهواء ولكنه في معنى ماء المطر
والاحتراز منه وسواس فلنسم هذا الفن ورع الموسوسين حتى يلتحق به امثاله وذلك لان هذا
وهم مجرد لا دلالة عليه نعم لو دل عليه دليل فان كان قاطعا كما لو وجد حلقة في اذن السمكة
او كان محتملا كما لو وجد على الظبية جراحة يحتمل ان يكون كيا فهذا موضع الورع واذا انتفت
الدلالة من كل وجه فالاحتمال المعدوم دلالته كالاحتمال المعدوم في نفسه ومن هذا الجنس
من يستعير دارا فيغيب عنها المعير فيخرج منها ويقول لعله مات وصار الحق للوارث فهذا
وسواس اذا لم يدل على موته سبب قاطع او مشكك اذ الشبهة المحذورة ما تنشأ من الشك والشك
عبارة عن اعتقادين متقابلين نشأ عن سببين فما لا سبب له لا يثبت عقده في النفس حتى يساوي
العقد المقابل له فيصير شكا ولهذا نقول من شك انه صلى ثلثا او اربعا اخذ بالثلاثة اذ الاصل عدم
الزيادة ولو سئل الانسان ان صلوة الظهر التي اداها قبل هذا بعشر سنين كانت ثلثا او اربعا وهذا التجويز
لا يكون شكا اذ لم يحضره سبب اوجب اعتقاد كونها ثلثا فلتفهم حقيقة الشك حتى لا يشتبه

بالوهم والتجويز بغير سبب فهذا يلتحق بالحلال المطلق ويلتحق بالحرام المحض ما تحقق تحريمه
وامكن طريان محلل ولكن لم يدل عليه سبب كمن في يده طعاما لمورثه الذي لا وارث له سواه فغاب
عنه فقال يحتمل انه مات وقد انتقل الملك الي فاكله فاقدامه عليه اقدام على حرام محض
لانه احتمال لا مستند له فلا ينبغي ان يعد هذا النمط من اقسام الشبهات وانما الشبهة ما اشتبه
علينا امره بان تعارض لنا فيه اعتقادان صدرا عن سببين مقتضيين للاعتقادين ومثارات
الشبهة خمسة المثار **الاول** الشك في السبب المحلل والمحرم وذلك لا يخلو اما ان يكون متعادلا
او غلب احد الاحتمالين فان تعادل الاحتمالان كان الحكم لما عرف قبله فيستصحب ولا يترك بالشك
وان غلب احد الاحتمالين عليه بان صدر عن دلالة معتبرة كان الحكم للغالب ولا يتبين هذا الا بالامثلة
وشواهد فلنقسمه الى اقسام اربعة القسم الاول **ان يكون** المحرم معلوما من قبل ثم يقع الشك
في المحلل فهذه شبهة يجب اجتنابها ويحرم الاقدام عليها **مثاله** ان يرمي الى صيد فيجرحه
ويقع في الماء فيصادفه ميتا ولا يدري انه مات بالغرق او بالجرح فهذا حرام لان الاصل التحريم الا اذا
مات بطريق معين وقد وقع الشك في الطريق المعين فلا يترك اليقين بالشك كما في الاحداث
والنجاسات وركعات الصلوة وغيرها وعلى هذا ينزل قوله صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم لا تاكله
فلعله قتله غير كلبك ولذلك كان صلى الله عليه وسلم اذا اتي بشيء اشتبه عليه انه صدقة او هدية
سال عنه حتى يعلم ايهما هو وروي انه ارق ليلة فقال له بعض نسائه ارقت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اجل وجدت تمرة فخشيت ان تكون من الصدقة وفي رواية فخشيت **ومن ذلك** ما روي
عن بعضهم قال كنا في سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصابنا الجوع فنزلنا منزلا كثير
الضباب فبينا القدور تغلي بها اذ قال صلى الله عليه وسلم امة مسخت من بني اسرائيل فاخاف
ان يكون هذه فاكفانا القدور ثم اعلمه الله عز وجل بعد ذلك انه لم يمسخ الله خلقا فجعل له
نسلا وكان امتناعه اولا لان الاصل عدم الحل وشك في الذبح في كونه محللا **القسم**
الثاني ان يعرف الحل ويشك في المحرم فالاصل الحل وله الحكم كما اذا نكح رجلين امرأتين وطار طائر فقال
احدهما ان كان هذا غرابا فامرأتي طالق وقال الآخر ان لم يكن غرابا فامرأتي طالق والتبس امر الطاير
فلا يقضى بالتحريم في واحدة منهما ولا يلزمهما اجتنابهما ولكن الورع اجتنابهما وتطليقهما حتى
يحلا لسائر الازواج وقد امر مكحول بالاجتناب في هذه المسئلة وافتى الشعبي بالاجتناب في رجلين
كانا قد تنازعا فقال احدهما للآخر انت حسود فقال الآخر احسدنا زوجته طالق ثلثا فقال
الآخر نعم فاشكل الامر وهذا ان اراد به اجتناب الورع فصحيح وان اراد به التحريم المحقق فلا
وجه له اذ ثبت في المياه والنجاسات والاحداث والصلوات ان اليقين لا يجب تركه بالشك
وهذا في معناه فان قلت فاي مناسبة بين هذا وبين ذاك فاعلم انه لا يحتاج الى المناسبة فانه
لازم من غير ذلك في بعض الصور فانه مهما تيقن الطهارة في الماء ثم شك في نجاسته جاز له ان يتوضا
به فكيف لا يجوز له ان يشربه واذا جاز الشرب فقد سلم ان اليقين لا يترك بالشك الا ان ههنا
دقيقة وهو ان وزان الماء ان يشك في انه طلق زوجته ام لا فالاصل انه ما طلق ووزان مسئلة
الطائرين ان يتحقق نجاسة احد الاناءين ويشتبه عليه فلا يجوز له ان يستعمل احدهما بغير
اجتهاد فانه قابل يقين النجاسة بيقين الطهارة فبطل الاستصحاب فكذلك ههنا قد وقع

الطلاق على احدى الزوجين قطعا والتبس عين المطلقة بغير المطلقة فنقول اختلف اصحاب
الشافعي رضي الله عنه في الاناءين على ثلثة اوجه فقال قوم تستصحب بغير اجتهاد وقال
قوم بعد حصول اليقين بالنجاسة في مقابلة يقين الطهارة يجب الاجتناب ولا يغني الاجتهاد وقال
المقتصدون يجتهد وهو الصحيح ولكن وزانه ان يكون له زوجتان فيقول ان كان غرابا فزينب
طالق وان لم يكن فعمرة طالق فلا جرم لا يجوز له غشيانهما بالاستصحاب ولا يمكن الاجتهاد اذ لا
علامة ويحرم وطؤهما عليه لانه لو وطئهما كان مقتحما للحرام قطعا وان وطئ احديهما وقال اقتصر على
هذه كان متحكما بتعيينها من غير ترجيح ففي هذا افترق حكم شخص واحد وشخصين لان التحريم
على شخص واحد متحقق بخلاف الشخصين اذ كل واحد يشك في التحريم في حق نفسه فان قيل
فلو كان الاناءان لشخص فينبغي ان يستغني عن الاجتهاد ويتوضأ بكل واحد بانه لا يتيقن طهارته
وقد شك الآن فيه فنقول هذا محتمل في الفقه والارجح في الظن المنع وان تعدد الشخص ههنا
كاتحاده لان صحة الوضوء لا تستدعي ملكا بل وضوء الانسان بماء غيره في دفع الحدث كوضوئه بمائه فلا
يتبين لاختلاف الملك واتحاده اثر بخلاف الوطء لزوجة الغير فانه لا يحل ولان للعلامات
مدخلا في النجاسات والاجتهاد فيه ممكن بخلاف الطلاق فاوجب تقوية الاستصحاب بعلامة
ليدفع قوة يقين النجاسة المقابلة ليقين الطهارة وابواب الاستصحابات والترجيحات
من غوامض الفقه ودقائقه وقد استقصيناها في الكتب الفقهية ولسنا نقصد الآن الا التنبيه
على قواعدها **القسم الثالث** ان يكون الاصل التحريم ولكن طرأ ما اوجب تحليله بظن غالب
فهو مشكوك فيه والغالب حله فهذا ينظر فيه فان استند غلبة الظن الى سبب معتبر شرعا فالذي
نختاره فيه انه يحل وان اجتنابه من الورع مثاله انه يرمي الى صيد فيغيب ثم يدركه ميتا وليس عليه
اثر سوى سهمه ولكن يحتمل ان يكون مات بسقطة او بسبب آخر فان ظهر عليه اثر صدمة او جراحة
اخرى التحق بالقسم الاول وقد اختلف قول الشافعي في هذا القسم والمختار انه حلال لان الجرح
سبب ظاهر وقد تحقق والاصل انه لم يطرأ عليه غيره وطريانه مشكوك فيه فلا يدفع اليقين به فان
قيل فقد قال ابن عباس رضي الله عنه كل ما اصميت ودع ما انميت **وروت عائشة**
رضي الله عنها ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم بارنب فقال رميتها فعرفت فيها سهمي فقال اصميت
ام انميت قال بل انميت قال ان الليل خلق من خلق الله لا يقدر قدره الا الذي خلقه لعله اعان على
قتله شيء وكذلك قال صلى الله عليه وسلم لعدي في كلبه المعلم فان اكل فلا تأكل فاني اخاف
ان يكون انما امسك على نفسه والغالب ان الكلب المعلم لا يسيء خلقه ولا يمسك الا على صاحبه
ومع ذلك نهي عنه وهذا التحقيق وهو ان الحل انما يتحقق اذا تحقق تمام السبب وتمام السبب
بان يفضي الى الموت سليما من طريان غيره عليه وقد شك فيه وهو شك في تمام السبب حتى
اشتبه ان موته على الحل او على الحرمة فلا يكون هذا في معنى ما تحقق موته على الحل في ساعة ثم شك فيما
يطرأ عليه فالجواب ان نهي ابن عباس رضي الله عنه ونهي النبي صلى الله عليه وسلم محمول على الورع و
التنزيه بدليل ما روي في بعض الروايات انه قال كل منه وان غاب عنك ما لم تجد فيه اثرا غير
سهمك وهذا تنبيه على المعنى الذي ذكرناه وهو انه ان وجد اثرا آخر فقد تعارض السبب فتعارض
الظن وان لم يجد سوى جرحه حصلت غلبة الظن فيحكم بها على الاستصحاب كما يحكم على الاستصحاب

بخبر الواحد والقياس المظنون والعمومات المظنونة وغيرها واما قول القائل انه لم يتحقق موته على
الحل في ساعة فيكون شكا في السبب فليس كذلك بل السبب قد تحقق اذ الجرح سبب الموت
وطريان الغير شك فيه ويدل على صحة هذا الاجماع على ان من جرح وغاب فوجد ميتا يجب القصاص
على جارحه بل ان لم يغب يحتمل ان يكون موته بهيجان خلط في باطنه كما يموت الانسان فجأة فينبغي
ان لا يجب القصاص الا بجز الرقبة والجرح المذفف لان العلل القاتلة في الباطن لا يؤمن ولاجلها
يموت الصحيح فجأة ولا قائل بذلك مع ان القصاص مبناه على الشبهة وكذلك جنين المذكى
حلال ولعله مات قبل ذبح الاصل لا بسبب ذبحه او لم ينفخ فيه الروح وغرة الجنين تجب ولعل
الروح لم ينفخ فيه او كان قد مات قبل الجناية بسبب آخر ولكن يبنى الامر على الظاهر فان الاحتمال
الآخر اذا لم يستند الى دلالة تدل عليه التحق بالوهم والوسواس كما ذكرناه فكذلك هذا واما قوله
صلى الله عليه وسلم اخاف ان يكون انما امسك على نفسه فللشافعي رحمه الله في هذه الصورة قولان
والذي نختاره الحكم بالتحريم لان السبب قد تعارض اذ الكلب المعلم كالآلة والوكيل يمسك
على صاحبه فيحل ولو استرسل المعلم بنفسه فاخذ لم يحل لانه يتصور منه ان يصطاد لنفسه
ومهما انبعث باشارته ثم اكل دل لما بدا انبعاثه على آثار ما ذل منزلة اليه وانه يسعى في وكالته
ونيابته ودل اكله آخرا على انه امسك لنفسه او لموكله لم يحل للموكل وطؤها لان للوكيل
قدرة على الشراء لنفسه ولموكله جميعا ولا دليل يرجح والاصل التحريم فهذا يلتحق بالقسم
الاول لا بالقسم الثالث **القسم الرابع** ان يكون الحل معلوما ولكن يغلب على الظن طريان محرم
بسبب معتبر في غلبة الظن شرعا فيرفع الاستصحاب ويقضي بالتحريم اذ بان لنا ان
الاستصحاب ضعيف ولا يبقى له حكم مع غالب الظن ومثاله ان يؤدي اجتهاده الى نجاسة احد الاناءين
بالاعتماد على علامة معينة توجب غلبة الظن فيوجب تحريم شربه كما اوجب منع الوضوء به وكذا
اذا قال ان قتل زيد عمرا او قتل زيد صيدا منفردا بقتله فامرأتي طالق فجرحه وغاب عنه فوجد
ميتا حرمت زوجته لان الظاهر انه منفرد به كما سبق وقد نص الشافعي رضي الله عنه انه من وجد
في الغدران ماء متغيرا احتمل ان يكون بطول المكث او بنجاسة حلت فيه انه يستعمله ولو رأى
ظبية بالت فيه ثم وجده متغيرا واحتمل ان يكون بالبول او بطول المكث لم يجز له استعماله
اذ صار البول المشاهد دلالة مغلبة لاحتمال النجاسة وهو مثال ما ذكرناه وهذا في غلبة ظن
استند الى علامة معلقة بعين الشيء واما غلبة الظن لا من جهة علامة تتعلق بعين الشيء
فقد اختلف قول الشافعي رضي الله عنه في ان اصل الحل هل يزال به اذا اختلف قوله في الوضوء
من اواني المشركين ومدمني الخمر والصلاة في المقابر المنبوشة والصلاة مع طين الشوارع اعني
المقدار الزائد على ما يتعذر الاحتراز منه وعبر الاصحاب عنه بانه اذا تعارض الاصل والغالب
فايهما يعتبر وهذا جار في حل الشرب من اواني مدمني الخمر والمشركين لان الغالب النجاسة فاذا
ما عد النجاسة والحل واحد فالتردد في احدهما يوجب التردد في الآخر والذي اختاره ان الاصل
هو المعتبر وان العلامة اذا لم تتعلق بعين الشيء لم توجب رفع الاصل وسياتي بيان ذلك
وبرهانه في المثار **الثاني** للشبهة وهي شبهة الخلط فقد انتظم من هذا ان حكم حلال شك فيه فان
غلب عليه الظن وحكم حرام شك فيه فان غلب عليه الظن وكان علامة الظن من ظن يستند

الى العلامة في عين الشيء وبين ما لا يستند الى علامة وكل ما حكمنا في هذه الاقسام الاربعة بحله
فهو حلال في الدرجة الاولى والاحتياط تركه فالمقدم عليه لا يكون من زمرة المتقين والصالحين
بل من زمرة العدول الذين لا يقضى في فتوى الشرع بفسقهم وعصيانهم واستحقاقهم العقوبة
الا ما الحقناه برتبة الوسواس فان الاحتراز عنه ليس من الورع اصلا. **المثار الثالث**
للشبهة شك منشاؤه الاختلاط وذلك بان يختلط الحرام بالحلال ويشتبه الامر فيه فلا يتميز
والخلط لا يخلو اما ان يقع بعدد لا يحصر من الجانبين او من احدهما او بعدد محصور فلا يخلو
اما ان يكون اختلاطا امتزاج بحيث لا يتميز بالاشارة كاختلاط المائعات او يكون اختلاط
استبهام مع تميز الاعيان كاختلاط الاعبد والدور والافراس والذي يختلط بالاستبهام
فلا يخلو اما ان يكون مما يقصد عينه كالعروض او لا يقصد عينه كالنقود فيخرج من هذا التقسيم
سبعة اقسام **القسم الاول** ان تشتبه العين بعدد محصور كما لو اختلطت الميتة بذكية او بعشر
ذكيات او تختلط رضيعة بعشر نسوة او يتزوج احدى الاختين ثم يلتبس فهذه شبهة يجب اجتنابها
بالاجماع لانه لا مجال للاجتهاد والعلامة في هذا واذا اختلط بعدد محصور صارت الجملة كالشيء
الواحد فتقابل فيه يقين التحريم والتحليل ولا فرق في هذا بين ان يثبت حل ثم يطرى اختلاط
بمحرم كما لو وقع الطلاق على احدى زوجتيه في مسئلة الطاير او يختلط قبل الاستحلال
كما لو اختلطت رضيعة باجنبية فاراد استحلال واحدة وهذا قد يشكل في طريان التحريم كطلاق
احدى الزوجتين لما سبق من الاستصحاب وقد نبهنا على وجه الجواب وهو ان تيقن التحريم
قابل تيقن الحل فضعف الاستصحاب وجانب الحظر اغلب في نظر الشرع فلذلك ترجح وهذا اذا
اختلط حلال محصور بحرام محصور فان اختلط حلال محصور بحرام غير محصور فلا يخفى ان وجوب
الاجتناب اولى. **القسم الثاني** حرام محصور بحلال غير محصور كما لو اختلطت رضيعة او عشر
رضائع بنسوة بلد كبير فلا يلزم بهذا اجتناب نكاح اهل البلد بل له ان ينكح من شاء منهن وهذا
لا يجوز ان يعلل بكثرة الحلال اذ يلزم عليه ان يجوز النكاح اذا اختلطت واحدة حرام بتسع حلال
ولا قائل به بل العلة الغلبة والحاجة جميعا اذ كل من ضاع له رضيع او قريب او محرم بمصاهرة
او سبب من الاسباب فلا يمكن ان يسد عليه باب النكاح وكذلك من علم ان مال الدنيا خالطه
حرام قطعا لا يلزمه ترك الشرا والاكل فان ذلك حرج وما في الدين من حرج ويعلم هذا بانه في
زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم سرق مجن وغل واحد في الغنيمة عباة فلم يمتنع احد من شرا المجن والعباة
في الدنيا وكذلك كل ما سرق وكذلك كان يعرف ان في الناس من يربي في الدراهم والدنانير وما ترك
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الناس الدراهم والدنانير بالكلية وبالجملة انما تنفك الدنيا عن
الحرام اذا عصم الخلق عن المعاصي وهو محال واذا لم يشترط هذا ايضا في بلد الا اذا وقع بين جماعة
محصورين بل اجتناب هذا من ورع الموسوسين اذ لم ينقل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولا عن احد من اصحابه ولا يتصور الوفاء به في ملة من الملل ولا في عصر من الاعصار فان قلت
فكل عدد فهو محصور في علم الله عز وجل فما حد المحصور ولو اراد الانسان ان يحصر اهل بلد لقدر عليه
ايضا ان مكن منه فاعلم ان تحديد امثال هذه الامور غير ممكن وانما يضبط بالتقريب فنقول
كل عدد لو اجتمع على صعيد واحد لعسر على الناظر عدهم بمجرد النظر كالالف والالفين فهو غير محصور وما

يحل كالعشرة والعشرين فهو محصور وبين الطرفين اوساط متشابهة تلحق باحد الطرفين بالظن
وما وقع الشك فيه استفتي فيه القلب فان الاثم حزاز القلوب وفي مثل هذا المقام قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لوابصة استفت قلبك وان افتوك وان افتوك وان افتوك وكذلك الاقسام
الاربعة التي ذكرناها في المثار الاول يقع فيها اطراف متقابلة واضحة في النفي والاثبات واوساط
متشابهة فالمفتي يفتي بالظن وعلى المستفتي ان يستفتي قلبه وان حاك في صدره شيء فهو
الاثم بينه وبين الله عز وجل فلا ينجيه في الآخرة فتوى المفتي فانه يفتي بالظاهر والله متولي
السرائر. **القسم الثالث** ان يختلط حرام لا يحصر بحلال لا يحصر كحكم الاموال في زماننا
هذا فالذي ياخذ الاحكام من الصور قد يظن ان نسبة غير المحصور الى غير المحصور كنسبة
المحصور الى المحصور وقد حكمنا ثم بالتحريم فلنحكم هيهنا والذي نختاره خلاف ذلك وهو انه لا يحرم
بهذا الاختلاط ان يتناول شيئا بعينه احتمل انه حرام وانه حلال الا ان يقترن بتلك العين
علامة تدل على انه من الحرام فان لم يكن في العين علامة فتركه ورع واكله حلال لا يفسق به اكله
ومن العلامات ان ياخذه من يد سلطان ظالم الى غير ذلك من العلامات التي سياتي ذكرها
ويدل عليه الاثر والقياس اما الاثر فما علم في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين
بعده اذ كانت اثمان الخمور ودراهم الربا من ايدي اهل الذمة مختلطة بالاموال وكذا غلول
الغنيمة ومن الوقت الذي نهى صلى الله عليه وسلم اذ قال صلى الله عليه وسلم اول ربا اضعه ربا
العباس ما ترك الناس الربا باجمعهم كما لم يتركوا شرب الخمور وساير المعاصي حتى روي ان بعض
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باع الخمر فقال عمر لعن الله فلانا هو اول من سن بيع الخمر اذ لم يكن
قد فهم ان تحريم الخمر تحريم لثمنها وقال صلى الله عليه وسلم ان فلانا يجر في النار عباة قد غلها
وقتل رجل ففتش متاعه فوجد فيه خرزا من خرز اليهود لا يساوي درهمين قد غله وكذلك
ادرك اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الائمة الظلمة ولم يمتنع احد منهم عن البيع والشرا
في السوق بسبب نهب المدينة وقد نهبها اصحاب يزيد ثلاثة ايام وكان من يمتنع من تلك
الاموال مشارا اليه بالورع والاكثرون لم يمتنعوا مع الاختلاط وكثرة الاموال المنهوبة في ايام
الظلمة ومن اوجب ما لم يوجبه السلف الصالحون وزعم انه يتفطن من الشرع ما لم يتفطنوا له فهو موسوس
مختل العقل ولو جاز ان يزاد عليهم في امثال هذا لجاز مخالفتهم في مسائل لا مستند فيها سوى
اتفاقهم كقولهم ان الجدة كالام في التحريم وابن الابن كالابن وشعر الخنزير وشحمه كاللحم
المذكور في القرآن تحريمه والربا جار فيما عدا الاشياء الستة وذلك محال لانهم اولى بفهم
الشرع من غيرهم واما القياس فهو انه لو فتح هذا الباب لانسد باب جميع التصرفات وخرب
العالم اذ الفسق يغلب على الناس ويتساهلون بسببه في شروط الشرع في العقود ويؤدي ذلك
لا محالة الى الاختلاط فان قيل فقد نقلتم انه امتنع من الضب وقال اخشى ان يكون مما مسخه الله
وهو اختلاط غير المحصور قلنا يحمل ذلك على الورع والتنزيه او نقول الضب شكل غريب
ربما يدل على انه من المسخ فهي دلالة في عين المتناول فان قيل هذا معلوم من زمان رسول الله
صلى الله عليه وسلم وزمان الصحابة بسبب الربا والسرقة والنهب وغلول الغنيمة وغيرها ولكن
كانت هي الاقل بالاضافة الى الحلال فماذا تقول في زماننا وقد صار الحرام اكثر ما في ايدي الناس

لفساد المعاملات واهمال شروطها وكثرة الربوا وكثرة السلاطين الظلمة فمن اخذ مالا لم يشهد علامة
معينة في عينه للتحريم فهو حرام لانا نقول ليس ذلك حراما بل الورع تركه وهذا الورع اهم من الورع
اذا كان قليلا ولكن الجواب عن هذا ان قول القايل اكثر الاموال حرام في زماننا غلط محض ومنشأ الغفلة
عن الفرق بين الكثير والاكثر فاكثر الناس على اكثر الفقها يظنون ان ما ليس بنادر فهو الاكثر ويتوهمون
انهما قسمان متقابلان وليس بينهما ثالث وليس الامر كذلك بل الاقسام ثلثة قليل وهو النادر وكثير
واكثر ومثاله ان الخنثى فيما بين الخلق نادر واذا اضيف المريض اليه وجد كثيرا وكذا السفر حتى يقال
المرض والسفر حتى يقال المرض والسفر من الاعذار العامة والاستحاضة من الاعذار النادرة ومعلوم
ان المرض ليس بنادر وليس بالاكثر ايضا وهو كثير والفقيه اذا تساهل وقال المرض والسفر غالب وهو
عذر عام اراد به انه ليس بنادر فان لم يرد هذا فهو غلط والصحيح والمقيم هو الاكثر والمسافر والمقيم
كثير والمستحاضة والخنثى نادر فاذا فهم هذا فنقول قول القايل الحرام اكثر باطل لان مستند
هذا القايل اما ان يكون كثرة الظلمة والاجناد او كثرة الربوا والمعاملات الفاسدة او كثرة الايدي
التي تكررت من اول الاسلام الى زماننا هذا على اصول الاموال الموجودة اليوم اما المستند الاول فباطل
فان الظالم كثير وليس هو بالاكثر فانهم الجندية اذ لا يظلم الا ذو غلبة وشوكة وهم اذا اضيفوا الى كل العالم
لم يبلغوا عشر عشيرهم فكل سلطان يجتمع عليه من الجنود مائة الف مثلا فيملك اقليما يجمع الف الف وزيادة
ولعل بلدة واحدة من بلاد مملكته تزيد عددهم على جميع عسكره ولو كان عدد السلاطين اكثر من
عدد الرعايا لهلك الكل اذ كان يجب على كل واحد من الرعية ان يقوم بعشرة منهم مثلا مع تنعمهم
في المعيشة ولا يتصور ذلك بل كفاية الواحد منهم تجمع من الف من الرعية وزيادة وكذا القول
في السراق فان البلدة الكبيرة تشتمل منهم على عدد قليل واما المستند الثاني فهو كثرة الربوا و
المعاملات الفاسدة فهي ايضا كثيرة وليست بالاكثر اذ اكثر المسلمين يتعاملون بالشرع فعدد
هولاء اكثر والذي يعامل بالربوا وغيره لو عددت معاملاته وحده لكان عدد الصحيح منها يزيد على
الفاسد الا ان يطلب الانسان بوهمه في البلد مخصوصا بالخلاعة والخبث وقلة الديانة حتى يتصور
ان يقال معاملاته الفاسدة اكثر ومثل ذلك المخصوص نادر وان كان كثيرا فليس بالاكثر لو كان
كل معاملاته فاسدة كيف ولا يخلو هو عن معاملة صحيحة تساوي الفاسدة او تزيد عليها وهذا
مقطوع به لمن تأمله وانما غلب هذا على النفوس لاستكثار النفوس الفساد واستبعادها اياه واستعظامها
له وان كان نادرا حتى ربما يظن ان الزنا وشرب الخمر قد شاع كما شاع الحرام فيخيل انهم الاكثرون
وهو خطا فانهم الاقلون وان كان فيهم كثرة واما المستند الثالث وهو اخيلها ان يقال الاموال انما
تحصل من المعادن والنبات والحيوان والحيوان حاصل بالتوالد فاذا نظرنا الى شاة مثلا وهي تلد
في كل سنة فيكون عدد اصولها الى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا من خمسمائة ولا يخلو هذا
ان يتطرق الى واحد من تلك الاصول غصب او معاملة فاسدة فكيف يقدر ان تسلم اصولها عن تصرف
باطل الى زماننا هذا وكذلك بذور الحبوب والفواكه تحتاج الى خمسمائة اصل او الف اصل مثلا الى اول
الشرع ولا يكون هذا حلالا ما لم يكن اصله واصل اصله وكذلك الى اول زمان النبوة حلالا واما
المعادن فهي التي يمكن نيلها على سبيل الابتدا وهي اقل الاموال واكثر ما يستعمل منها الدراهم والدنانير
ولا تخرج الا من دار الضرب وهي في ايدي الظلمة بل المعادن في ايدي الظلمة يمنعون الناس منها

ويلزمون الفقراء والمساكين استخراجها بالاعمال الشاقة ثم ياخذونها منهم غصبا فاذا نظر الى هذا
ثم علم ان بقاء دينار واحد بحيث لا يتطرق اليه عقد فاسد او ظلم وقت النيل ولا وقت الضرب في دار
الضرب ولا بعده في معاملات الصرف والربوا بعيد نادر او محال فلا يبقى اذن حلال الا الصيد
والحشيش في الصحاري الموات والحطب المباح ثم من يحصله لا يقدر على اكله بل يفتقر الى ان يشتري
به الحبوب والحيوانات التي لا تحصل الا بالاستنبات والتوالد فيكون قد بذل حلالا في مقابلة
حرام فهذا هو اشد الطرق تخيلا والجواب ان هذه الغلبة لم تنشا من كثرة الحرام المخلوط بالحلال
فخرج عن النمط الذي نحن فيه والتحق بما ذكرناه من قبل وهو تعارض الاصل والغالب اذ الاصل
في هذه الاموال قبول التصرفات وجواز التراضي عليها وقد عارضه سبب غالب يخرجه عن الصلاح
فيضاهي هذا محل القولين للشافعي رضي الله عنه في حكم النجاسات والصحيح عندنا انه يجوز الصلوة
في الشوارع اذا لم ير بها نجاسة وان طين الشوارع طاهر وان الوضوء من اواني المشركين جائز وان الصلوة
في المقابر المنبوشة جائزة فنثبت هذا اولا ثم نقيس عليه ما نحن فيه ويدل على ذلك توضي عمر
رضي الله عنه من ماء في جرة نصرانية مع ان مشربهم الخمر ومطعمهم الخنزير ولا يحترزون عما نجسه
شرعنا فكيف تسلم اوانيهم من ايديهم بل نقول نعلم قطعا انهم كانوا يلبسون الفراء المدبوغة والثياب
المصبوغة والمقصورة ومن تامل احوال الدباغين والقصارين والصباغين علم ان الغالب عليهم
النجاسة وان الطهارة في تلك الثياب محال او نادر بل نقول نعلم قطعا انهم كانوا ياكلون خبز البر
والشعير ولا يغسلونه مع انه يداس بالبقر والدواب وهي تبول عليها وتروث وقلما تخلص من ذلك
وكانوا يركبون الدواب وهي تعرق وما كانوا يغسلون ظهورها مع كثرة تمرغها في النجاسات
بل كل دابة تخرج من بطن امها وعليها رطوبات نجسة قد تزيلها الامطار وقد لا تزيلها وما كانوا يحترزون
من شي ذلك وكانوا يمشون حفاة في الطرق وبالنعال ويصلون فيها ويمشون على التراب ويمشون
في الطين من غير حاجة وكانوا لا يمشون في البول والعذرة ولا يجلسون عليها ويستنزهون من ذلك
ومتى تسلم الشوارع من النجاسات مع كثرة الكلاب وابوالها وكثرة الدواب وارواثها ولا ينبغي
ان يظن ان الاعصار والامصار تختلف في مثل هذا حتى يظن ان الشوارع كانت تغسل في عصرهم
او كانت تحرس عن الدواب هيهات فذلك معلوم استحالته بالعادة قطعا فدل انهم لم يحترزوا الا عن
نجاسة مشاهدة او علامة على النجاسة دالة على العين فاما الظن الغالب الذي يستثار من رد الوهم
الى مجاري الاحوال فلم يعتبروه وهذا عند الشافعي رحمه الله وهو يرى ان الماء القليل ينجس من غير
تغير وقع اذ لم يزل السلف رضي الله عنهم يدخلون الحمامات ويتوضؤن من الحياض وفيها المياه
القليلة والايدي المختلفة تغمس فيها على الدوام وهذا قاطع في هذا الغرض ومهما ثبت جواز
التوضي من جرة نصرانية ثبت جواز الشرب منها والتحق حكم الحل بحكم النجاسة فان قيل لا يجوز
قياس الحل على النجاسة اذ كانوا يتوسعون في امور الطهارة ويحترزون في شبهات الحرام غاية التحرز
فكيف يقاس عليه فنقول ان اريد به انهم صلوا مع النجاسة والصلوة معها معصية وهي عماد الدين
فبئس الظن بل يجب ان يعتقد فيهم انهم احترزوا عن كل نجاسة وجب اجتنابها وانما تسامحوا
حيث لم يجب وكان من محل تسامحهم هذه الصورة التي تعارض فيها الاصل والغالب فبان ان
الغالب الذي لا يستند الى علامة تتعلق بعين ما فيه النظر مطرح واما تورعهم في الحلال

فإن كان بطريق التقوى وهو ترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس لأن أكثر الأموال تخوف والنفس تميل إليها
إن لم يضبط عنها زمام التقوى فليس لذلك حد فقد امتنع طائفة منهم عن الحلال المحض خيفة أن
تشتغل قلوبهم وهل يحكى عن واحد أنه احترز عن الوضوء من ماء الحوض وهو الطهور المحض لافتراق
في ذلك لا تقدح في الغرض الذي نحن فيه على أنا نجيب عن هذا الجواب الذي يعتمد في المستندين
السابقين ولا نسلم ما ذكره من أن الأكثر هو الحرام لأن المال وإن كثرت أصوله فليس بواجب أن
يكون في أصوله حرام بل الأموال الموجودة اليوم قد تطرق الظلم إلى أصل بعضها دون بعض وكان
الذي يتداعى غصبه اليوم هو الأقل بالإضافة إلى ما لا يغصب ولا يسرق وهذا كما إن في كل عصر
وفي كل عصر أصل المغصوب من مال الدنيا والمتناول بالفساد في كل زمان بالإضافة إلى غيره أقل وليس
تدعي أن هذا النوع بعينه من أي القسمين فلا نسلم أن الغالب تحريمه فإنه كما يزيد المغصوب بالتوالد
يزيد غير المغصوب بالتوالد أيضا فيكون نوع الأكثر لا محالة أكثر في كل عصر وزمان بل الغالب أن الحبوب
المغصوبة تغصب للأكل لا للبذر وكذا الحيوانات المغصوبة أكثرها يؤكل ولا يقتنى بالتوالد لكن
يقال إن فروع الحرام أكثر ولم تزل أصول الحلال أكثر من أصول الحرام فليتفهم المسترشد من هذا
طريق معرفة أهل الأكثر فإنه مزلة قدم أكثر العلماء يغلطون فيه فكيف العوام هذا في المتولدات
من الحيوان والحيوانات وأما المعادن فإنه يحل أخذها في بلاد لم تزل حريتها من شاء ولكن قد يأخذ
السلاطين بعضها منهم ويأخذ الأقل لا محالة لا الأكثر ومن حاز من السلاطين معدنا بظلمه يمنع
الناس عنه فأما ما يأخذه الآخذ منه فيأخذه السلطان بالحبة والصحيح أنه يجوز الاستنابة
في إثبات اليد على المباحات والاستيلاء عليها فالمستأجر على الاستقاء إذا جاءنا لماء دخل في ملك
المستقي له واستحق الأجرة فكذا النيل فإذا فرعنا على هذا لم يحرم عين الذهب الآن نقد نظلمه
نقصانا من أجرة العمل وكذلك بالتكميل بالإضافة ثم لا يوجب تحريم عين الذهب بل يكون ظالما ببقاء
الأجرة في ذمته وأما دار الضرب فليس الذهب الخارج منها من أعيان ذهب السلطان الذي
غصبه وظلم به الناس بل التجار يحملون الذهب المسبوك إليها أو النقد الرديء ويستأجرونهم
على السبك والضرب ويأخذون مثل وزن ما يسلمون إلا شيئا قليلا يتركونه أجرة لهم على العمل وذلك
جائز وإن فرض دنانير مضروبة من ذهب السلطان فهي بالإضافة إلى مال التجار أقل لا محالة نعم
السلطان يظلم أهل دار الضرب بأن يأخذ منهم ضريبة لأنه خصصهم بها من بين سائر الناس
حتى يتوفر عليهم مال التجارة السلطان فما يأخذه عوض من حمايته وذلك من باب الظلم وهو قليل بالإضافة
إلى ما يخرج من دار الضرب فلا يسلم لأهل دار الضرب ولا للسلطان من جملة ما يخرج منها إلا جزء واحد
وهو عشر العشر فكيف يكون هو الأكثر فهذه أغاليط سبقت إلى القلوب بالوهم وتشمر لتزيينها
أقوام ممن رق دينهم ليقصدوا الورع ويسدوا بابه ويستحقروا تمييز من يميز بين مال ومال
وذلك عين البدعة والضلال فإن قيل فلو قدر غلبة الحرام وقد اختلط غير محصور بغير
محصور فماذا تقولون فيه إذا لم يكن في العين المتناولة علامة خاصة تدل فالذي نراه أن تركه
ورع وأن أخذه ليس بحرام لأن الأصل الحل فلا يرفع إلا بعلامة معينة كما في طين الشوارع ونظائره
بل أزيد وأقول لو طبق الحرام الدنيا حتى علم يقينا أنه لم يبق في الدنيا حلال لكنت أقول نستأنف
تمهيد الشروط من وقتنا ونعفو عما سلف ونقول ما جاوز حده انعكس إلى ضده فمهما حرم الكل

حل الكل وبرهانه أنه إذا وقعت هذه الواقعة فالاحتمالات خمسة أحدها أن يقال يدع الناس الأكل
حتى يموتوا من عند آخرهم الثاني أن يقتصروا منها على قدر الضرورة وسد الرمق يزجون عليها أياما إلى
الموت الثالث أن يقال يتناولون قدر الحاجة كيف شاؤوا سرقة وغصبا وتراضيا من غير
تمييز بين مال ومال وجهة وجهة الرابع يتبعون شروط الشرع ويستأنفون قواعده من غير اقتصار
على الحاجة الخامس أن يقتصر مع شروط الشرع على قدر الحاجة أما الأول فلا يخفى بطلانه وأما
الثاني فباطل قطعا لأنه إذا اقتصر الناس على سد الرمق وزجوا أوقاتهم مع الضعف فشا فيهم الموتان
وبطلت الأعمال والصناعات وخربت الدنيا بالكلية وفي خراب الدنيا خراب الدين لأنها مزرعة
الآخرة وأحكام الخلافة والقضاء والسياسات بل أكثر أحكام الفقه مقصودها حفظ مصالح الدنيا ليتم
بها مصالح الدين وأما الثالث وهو الاقتصار على قدر الحاجة من غير زيادة عليه مع التسوية
بين مال ومال بالغصب والسرقة والتراضي كيفما اتفق فهو رفع لسد الشرع بين المفسدين و
بين أنواع الفساد فتمتد الأيدي بالغصب والسرقة وأنواع الظلم ولا يمكن زجرهم عنه إذ يقولون
ليس يتميز صاحب اليد باستحقاق عادة فإنه حرام عليه وعلينا وذو اليد له قدر الحاجة
فقط فإن كان هو محتاجا فإنا أيضا محتاجون وإن كان في حقي زائدا على الحاجة فقد سرقته ممن هو زائد
على حاجة يومه إذا لم يراع حاجة اليوم أو السنة فما الذي يراعى وكيف يضبط وهذا يؤدي إلى
بطلان سياسة الشرع وإغراء أهل الفساد بالفساد فلا يبقى إلا الاحتمال الرابع وهو أن
يقال كل ذي يد على ما في يده وهو أولى به لا يجوز أن يؤخذ منه سرقة ولا غصبا بل يؤخذ برضاه والتراضي
هو طريق الشرع بقوله عز وجل ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا فإن قيل
لا حاجة إلى تقدير تحريم حتى لا يبقى حلال فإن ذلك غير واقع وهو معلوم ولا شك في أن البعض حرام
وذلك البعض هو الأقل والأكثر فيه نظر وما ذكرتموه من أنه الأقل بالإضافة إلى الكل حق ولكن لا بد من
دليل محصل حتى يجوز ليس هذا المصالح المرسلة وما ذكرتموه من التقسيمات كلها مصالح مرسلة فلا
بد لها من شاهد معين يقاس عليه حتى يكون الدليل معتبرا بالاتفاق قال بعض العلماء
لا يقبل المصالح المرسلة فأقول إن سلم أن الحرام هو الأقل فيكفينا برهانا عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم
والصحابة مع وجود الربا والسرقة والغلول والنهب وإن قدر زمان يكون الأكثر هو الحرام فيحل
التناول أيضا وبرهانه ثلاثة أمور الأول القسم الذي حصرناه وأبطلنا منه أربعة أقسام وأثبتنا
القسم الخامس فإن ذلك إذا جرى فيما إذا كان الكل حراما كان أجرى فيما إذا كان الحرام هو الأقل
والأكثر وقول القائل هو مصلحة مرسلة هوس فإن ذلك إنما يتخيل من يتخيله في أمور مظنونة وهذا
مقطوع به فإنا لا نشك في أن مصلحة الدين والدنيا مراد الشرع وهو معلوم بالضرورة وليس بمظنون
ولا نشك في أن رد كافة الناس إلى قدر الضرورة أو الحاجة أو إلى الحشيش والصيد مخرب للدنيا أولا
وللدين بواسطة الدنيا ثانيا فما لا نشك فيه لا يحتاج إلى أصل يشهد له وإنما يستشهد على الخيالات
المظنونة المتعلقة بآحاد الأشخاص البرهان الثاني أن يطلب لما ذكرنا أصلا نرده إليه فيتفق الفقهاء
الكيسون بالأقيسة الجزئية عليه وإن كانت الجزئيات مستحقرة عند المحصلين بالإضافة إلى الأصل
ما ذكرناه من الأمر الكلي الذي هو ضرورة النبي لو بعث في زمان عم التحريم فيه حتى لو حكم بغيره لخرب العالم
والقياس المحدد الجزئي هو أنه قد تعارض أصل وغالب فيما انقطعت فيه العلامات المعينة من

الاموال التي ليست محصورة فيحكم بالاصل لا بالغالب قياسا على طين الشوارع وجر النصرانية واواني
المشركين وذلك قد اثبتناه من قبل بفعل الصحابة وقولنا انقطعت العلامات المعينة احترزنا
عن الاواني التي يتطرق الاجتهاد اليها وقولنا ليست محصورة احترزنا عن التباس الميتة والرضيعة
بالذكية والاجنبية فان قيل كون الماء طهورا مستيقن وهو الاصل ومن يسلم ان الاصل في الاموال
هو الحل بل الاصل فيها التحريم فنقول الاموال التي لا تحرم لصفة في عينها حرمة الخمر والخنزير
خلقت على صفة تستعد لقبول المعاملات بالتراضي كما خلق الماء مستعدا للوضوء وقد وقع الشك
في بطلان هذا الاستعداد منها فلا فرق بين الامرين فانها تخرج عن قبول المعاملة بالتراضي بدخول
الظلم عليها كما يخرج الماء عن قبول الوضوء بدخول النجاسة عليه فلا فرق والجواب **الثاني**
ان اليد دلالة ظاهرة دالة على الملك نازلة منزلة الاستصحاب واقوى منه بدليل ان الشرع
الحقها بالاصل فان من ادعى عليه دين فالقول قوله لان الاصل براءة ذمته وهذا استصحاب ومن ادعى عليه مال
في يده فالقول ايضا قوله اقامة لليد مقام الاستصحاب فكل ما وجد في يد انسان فالاصل انه ملكه
ما لم يدل على خلافه علامة معينة البرهان **الثالث** هو انما دل على جنس لا يحصر لم يدل على عين
معين وان كان قطعا فانا لا نعينه الا بطريق الظن او في بيانه انما علم ان لملك زيد مخلفه يمنع
من التصرف فيه بغير اذنه ولو علم ان له مالكا في العالم ولكن وقع الياس عن الوقوف عليه وعلى ورثته فهو
مال مرصد لمصالح المسلمين يجوز التصرف فيه بحكم المصلحة ولو دل على ان له مالكا محصورا في عشرة اشخاص
مثلا او عشرين امتنع التصرف فيه فالذي يشك في ان له مالكا سوى صاحب اليد لا يزيد على الذي
يتيقن قطعا ان له مالكا ولكن لا يعرف عينه فليجز التصرف فيه بالمصلحة والمصلحة ما ذكرناه
في الاقسام الخمسة فيكون هذا الاصل شاهدا له وكيف لا وكل مال ضائع فقد صاحبه تصرف فيه السلطان
الى المصالح ومن المصالح الفقراء وغيرهم فلو صرف الى فقير ملكه ونفذ فيه تصرفه ولو سرق منه سارق
قطعت يده فكيف نفذ تصرفه في ملك الغير ليس ذلك الا لحكمنا بان المصلحة تقتضي ان ينتقل الملك
اليه ويحل له فقضينا بموجب المصلحة فان قيل ان ذلك يختص بان يتصرف فيه السلطان فنقول و
السلطان لم يجز له التصرف في ملك غيره بغير اذنه لا سبب له الا المصلحة وهو انه لو ترك لضاع فهو
مردد بين تضييعه وبين صرفه الى مهم اصلح من التضييع فرجح عليه والمصلحة فيما نحن
فيه لا يعلم تحريما بانا نحكم بدلالة اليد ونترك على ارباب الايدي اذ انتزاعها بالشك وتكليفهم
الاقتصار على الحاجة يؤدي الى الضرر التي ذكرناه ووجوه المصلحة تختلف فان السلطان يرى من
المصلحة تارة ان يبني بذلك المال قنطرة وتارة يرى ان يصرفه الى جند الاسلام وتارة الى الفقراء ويدور
مع المصلحة كيفما دارت فكذلك الفتوى في مثل هذا تدور على المصلحة وقد خرج من هذا ان
لا يخلو غير ماخوذ في اعيان الاموال المظنونة لا بسند الخصوص ولا اثر في تلك الاعيان كما لا ياخذ
السلطان والفقراء الاخذون منه يعلم ان المال لما التبس لم يتعلق العلم بعين المالك المنتسب
اليه ولا فرق بين عين المالك وبين عين الاملاك في هذا المعنى فهذا بيان شبهة الاختلاف
ولم يبق الا النظر في امتزاج المائعات والدراهم والعروض في يد المالك الواحد وسياتي بيانه في باب
تفصيل طريق الخروج من المظالم **المثار الثالث للشبهة** ان يتصل بالسبب المحلل معصية
اما في قرائنه واما في لواحقه واما في سوابقه او في عوضه وكانت من المعاصي التي لا توجب افساد

العقد وابطال السبب المحلل مثال المعصية في القرائن البيع في وقت النداء يوم الجمعة والذبح بالسكين
المغصوبة والاحتطاب بالفاس المغصوبة والبيع على بيع الغير والسوم على سومه وكل نهي ورد
في العقود ولم يدل على فساد العقد فان الامتناع من جميع ذلك ورع وان لم يكن المستفاد بهذه
الاسباب محكوما بتحريمه وتسمية هذا النمط شبهة فيه تسامح لان الشبهة في غالب الامر تطلق
لارادة الاشتباه والجهل ولا اشتباه هٰهنا بل العصيان بالذبح بسكين الغير معلوم وحل الذبيحة
معلوم ايضا ولكن قد تشتق الشبهة من المشابهة وتناول الحاصل من هذه الامور مكروه والكراهية
تشبه التحريم فان اريد بالشبهة هذا فتسمية هذا شبهة له وجه والا فينبغي ان يسمى
هذه كراهة لا شبهة واذا عرف المعنى فلا مشاحة في الاسامي فعادة الفقهاء التسامح في الاطلاقات
ثم اعلم ان هذه الكراهية لها ثلث درجات الاولى منها تقرب من الحرام والورع عنه مهم والاخيرة
تنتهي الى نوع من المبالغة تكاد تلتحق بورع الموسوسين وبينهما اوساط نازعة الى الطرفين
فالكراهة في صيد كلب مغصوب اشد كراهة من الذبيحة بسكين مغصوبة او المقتنص بسهم
مغصوب اذ الكلب له اختيار وقد اختلف في ان الحاصل به لمالك الكلب او للصياد ويليه البذر
المزروع في ارض مغصوبة فان الزرع لمالك البذر ولكن فيه شبهة ولو اثبتنا حق الحبس لمالك
الارض في الزرع لكان كالثمن الحرام ولكن الاقيس ان لا حق حبس كالطحن بطاحونة مغصوبة والقنص
بشبكة مغصوبة اذ لا يتعلق حق صاحب الشبكة في منفعتها بالصيد ويليه الاحتطاب بالفاس
المغصوبة ثم ذبحه ملك نفسه بالسكين المغصوبة اذ لم يذهب احد الى تحريم الذبيحة ويليه
البيع في وقت النداء فانه ضعيف التعلق بمقصود العقد وان ذهب قوم الى فساد العقد اذ ليس
فيه الا انه اشتغل بالبيع عن واجب اخر كان عليه ولو افسد بيع مثله لافسد بيع كل من عليه زكوة
درهم او صلاة فائتة وجوبها على الفور او في ذمته مظلمة دانق فان الاشتغال بالبيع مانع له عن
القيام بالواجبات فليس للجمعة الا الوجوب بعد النداء ويتجر ذلك الى ان لا يصح نكاح اولاد الظلمة
وكل من في ذمته درهم لانه اشتغل بقوله عن الفعل الواجب عليه الا انه من حيث ورد في يوم الجمعة
نهي على الخصوص ربما يسبق الى الافهام خصوصية فيه فيكون الكراهة اشد ولا باس بالحذر منه ولكن
قد تنجر الى الوسواس حتى يتحرج عن نكاح بنات ارباب المظالم وسائر معاملاتهم وقد حكي عن بعضهم
انه اشترى شيئا فسمع انهم اشتروه يوم الجمعة فرده خيفة ان يكون ذلك مما اشتري وقت النداء
وهذا غاية المبالغة لانه رد بالشك ومثل هذا الوهم في تقدير المناهي والمفسدات لا ينقطع
عن يوم السبت وسائر الايام والورع حسن والمبالغة فيه احسن ولكن الى الحد معلوم فقد قال
عليه السلام هلك المتنطعون فليحذر من امثال هذه المبالغات فانها وان كانت لا تضر
صاحبها ربما اوهم عند الغير ان ذلك مهم ثم يعجز عما هو ايسر منه فيترك اصل الورع وهو
مستند اكثر الناس في زماننا هذا اذ ضيق عليهم الطريق فايسوا عن القيام فاطرحوا فكما ان
الموسوس في الطهارة قد يعجز عن الطهارة فيتركها فكذلك بعض الموسوسين في الحلال سبق
الى وهمهم ان مال الدنيا كله حرام فتوسعوا وتركوا التمييز وهو عين الضلال واما اللواحق فهو
كل تصرف يفضي في سياقه الى معصية واعلاه بيع العنب من الخمار وبيع الغلام من المعروف بالفجور
بالغلمان وبيع السيف من قطاع الطريق **وقد** اختلف العلماء في صحة ذلك وفي حل الثمن الماخوذ منه

والاقيس ان ذلك صحيح والماخوذ حلال والرجل عاص بعقده كما يعصي بالذبح بالسكين المغصوب و
الذبيحة حلال فانه يعصي عصيان الاعانة على المعصية ولا يتعلق ذلك بعين العقد فالماخوذ من هذا
مكروه كراهية شديدة وتركه من الورع المهم وليس بحرام ويليه في الرتبة بيع العنب ممن يشرب الخمر ولم
يكن خمارا وبيع السيف ممن يغزو ويظلم ايضا لان الاحتمال قد تعارض وقد كره بيع السيف وقت
الفتنة خيفة ان يشتريه ظالم فهذا ورع فوق الاول والكراهة فيه اخف ويليه ما هو مبالغة ويكاد
يلتحق بالوسواس وهو قول جماعة انه لا يجوز معاملة الفلاحين بالات الحرث لانهم يستعينون
بها على الحرام ويبيعون الطعام من الظلمة فلا يباع منهم البقر والات الحرث وورع الوسوسة اذ ينجر
الى ان لا يباع من الفلاح طعام لانه يتقوى به على الحراثة ولا يسقى من الماء العام لذلك وينتهي الى
حد التنطع المنهي عنه وكل متوجه الى شيء على قصد خير لا بد وان يسرف ان لم يزمه العلم المحقق وربما
يقدم على ما يكون بدعة في الدين ليستضر الناس بعده بها وهو يظن انه مشغول بالخيرات ولهذا
قال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي والمتنطعون هم الذين
يخشى عليهم ان يكونوا ممن قيل فيهم الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون
صنعا وبالجملة فلا ينبغي ان يشتغل الانسان بدقائق الورع الا بحضرة عالم متقن فانه اذا جاوز ما رسم
له وتصرف بذهنه من غير سماع كان ما يفسده اكثر مما يصلحه وقد روي عن سعد بن ابي وقاص انه
احرق كرما كان له خوفا من ان يباع العنب ممن يتخذه خمرا وهذا لا اعرف له وجها ان لم يعرف هو سببا خاصا
يوجب الاحراق اذ ما احرق نخيله وكرمه من كان ارفع قدرا منه من الصحابة ولو جاز هذا لجاز قطع
الذكر خيفة من الزنا وقطع اللسان خيفة من الكذب الى غير ذلك من الاتلافات واما المقدمات فالتطرق
للمعصية اليها ايضا ثلث درجات الدرجة الاولى وهي العليا التي تشتد الكراهة فيها ما بقي
اثره في المتناول كالاكل من شاة اعلفت بعلف مغصوب او رعت في مرعى حرام فان ذلك معصية وقد كان
سبب بقائها وربما يكون الباقي من لحمها ودمها واجزائها من ذلك العلف وهذا الورع مهم وان لم يكن واجبا
ونقل ذلك عن جماعة من السلف وكان لابي عبد الله الطوسي البروغندي شاة يحملها على رقبته في كل يوم
الى الصحراء ويرعاها وهو يصلي وكان ياكل من لبنها فغفل عنها ساعة فتناولت من ورق كرم على طرف بستان
فتركها في البستان ولم يستحل اخذها فان قيل فقد روي عن عبد الله بن عمر وعبيد الله رضي الله عنهما
انهما اشتريا ابلا فبعثاها الى الحمى فرعت فيه ابلهما حتى سمنت فقال عمر رضي الله عنه رعيتها في الحمى
فشاطرهما فهذا يدل على انه راى اللحم الحاصل من العلف لصاحب العلف فليجب بهذا تحريمها
قلنا ليس كذلك فان العلف يفسد بالاكل واللحم خلق جديد وليس هو عين العلف فلا شركة لصاحب العلف
شرعا ولكن عمر رضي الله عنه غرمهما قيمة الكلا وراى ذلك مثل شطر الابل فاخذ الشطر باجتهاده وكما
شاطر سعد بن ابي وقاص ماله لما ان قدم من الكوفة وكذلك شاطر ابا هريرة اذ راى ان كل ذلك لا يستحقه
العامل وراى شطر ذلك كافيا على حق عملهم وقدره بالشطر اجتهادا الرتبة الوسطى ما نقل عن بشر بن حرث من
امتناعه عما ساق في نهر الظلمة لان النهر موصل اليه وقد عصى الله بحفره وامتناع اخر من عنب كرم قد
سقي بماء يجري في نهر حفر ظلما وهو ارفع منه وابلغ في الورع وامتناع اخر من الشرب من مصانع السلاطين
في الطرق واعلى من ذلك امتناع ذي النون من طعام حلال اوصل اليه على يد سجان وقال انه جاءني على يد
ظالم ودرجات هذه الرتب لا تنحصر الثالثة وهي قريب من الوسواس والمبالغة ان يمتنع

من حلال وصل اليه على يد رجل عصى الله تعالى بالزنا والقذف وليس هذا كالو عصى باكل الحرام فان
الوصل بقوته الحاصلة من الغذاء الحرام والزنا والقذف لا يوجب قوة يستعان بها على الحمل
بل الامتناع من اخذ حلال وصل على يد كافر وسواس بخلاف اكل الحرام اذ الكفر لا يتعلق بحمل
الطعام وتخرج هذا الى ان لا يؤخذ من يد من عصى الله ولو بغيبة او كذبه وهو غاية التنطع والاسراف
فليضبط ما عرف من ورع ذي النون وبشر بالمعصية في السبب الموصل كالنهر وقوة اليد المستفادة
من الغذاء الحرام ولو امتنع عن الشرب من كوز لان الصانع الذي عمل الكوز كان قد عصى الله يوما بضرب
انسان او شتمه لكان هذا وسواسا ولو امتنع من لحم شاة ساقها اكل حرام فهذا ابعد من السجان
لان الطعام سوق قوة السجان والشاة تمشي بنفسها والسائق يمنعها عن العدول عن الطريق فقط
فهذا قريب من الوسواس فانظر كيف تدرجنا في بيان ما ابتدا عمي اليه الاسود واعلم ان كل هذا خارج
عن فتوى علماء الظاهر فان فتوى الفقيه يختص بالدرجة الاولى التي يمكن تكليف كافة الخلق به ولو اجتمعوا
عليه لم يخرب العالم دون ما عداه من ورع المتقين والصالحين والفتوى في هذا ما قال صلى الله
عليه وسلم لوابصة اذ قال استفت قلبك وان افتوك وافتوك وعرف ذلك اذ قال الاثم حزاز
القلب فكل ما حاك في صدر المريد من هذه الاسباب فلو قدم عليه مع حزازة القلب استضر به واظلم
قلبه بقدر الحزازة التي يجدها بل لو اقدم على حرام في علم الله وهو يظن انه حلال لم يؤثر ذلك في قساوة
قلبه ولو اقدم على ما هو حلال في فتوى علماء الظاهر لكنه يجد حزازة في قلبه فذلك يضره وانما الذي
ذكرناه في النهي عن المبالغة اردنا به ان القلب الصافي المعتدل هو الذي يجد الحزازة في مثل تلك
الامور فان مال قلب موسوس عن الاعتدال ووجد الحزازة فاقدم على ما يجد في قلبه فذلك يضره لانه
ماخوذ في حق نفسه بينه وبين الله تعالى بفتوى قلبه وكذلك يشدد على الموسوسين في الطهارة ونية
الصلوة فانه اذا غلب على قلبه ان الماء لم يصل الى جميع اجزاء اعضاء الطهارة بثلث مرات لغلبة الوسوسة
عليه فيجب عليه ان يستعمل الرابعة وصار ذلك حكما في حقه وان كان مخطئا بسببه واولئك قوم
شددوا فشدد الله عليهم وكذلك شدد على اصحاب موسى لما استقصوا في السؤال عن البقرة ولو
اخذوا بعموم لفظ البقرة وكل ما ينطلق عليه الاسم لاجزاهم فلا تغفل عن هذه الدقائق التي
رددناها نفيا واثباتا فان من لا يطلع على كنه الكلام ولا يحيط بمجامعه يوشك ان يزل في درك مقاصده
واما المعصية في العوض فلها ايضا درجات الدرجة العليا التي تشتد الكراهة فيها ان يشتري شيئا
في الذمة ويقضي ثمنه من غصب او مال حرام فينظر فان سلم البايع اليه الطعام قبل قبض الثمن
بطيبة قلبه فاكله قبل قضاء الثمن فهو حلال وتركه ليس بواجب بالاجماع اعني قبل قضاء الثمن ولا هو
ايضا من الورع المؤكد فان قضى الثمن بعد الاكل من الحرام فكانه لم يقض الثمن ولو لم يقض الثمن اصلا
لكان متقلدا للمظلمة بترك ذمته مرتهنة بالدين ولا ينقلب ذلك حراما فان قضى الثمن من الحرام وان
ابراه البايع مع العلم بانه حرام فقد برئت ذمته ولم يبق عليه الا مظلمة تصرفه في الدراهم الحرام
بصرفها الى البايع وان ابراه على ظن ان الثمن حلال فلا تحصل البراءة لانه يبريه بما اخذه ابراء استيفاء فلا
يصلح ذلك للابراء فهذا حكم المشتري والاكل منه وحكم الذمة وان لم يسلم اليه بطيبة قلبه لكن
اخذه فاكله حرام سواء اكله قبل توفية الثمن من الحرام او بعده لان الذي يدل الفتوى به ثبوت
حق الحبس للبايع حتى يتعين ملكه باقباض النقد كما يتعين ملك المشتري وانما يبطل حق حبسه

اما بالابرا او الاستيفا ولم يحرم شيئا منها ولكنه اكل مال نفسه وهو عاص به عصيان الراهن للطعام اذا اكله بغير اذن المرتهن وبينه وبين اكل طعام الغير فرق ولكن اصل التحريم شامل هذا اكله اذا قبض قبل توفية الثمن اما بطيبة قلب البايع او من غير طيبة قلبه فاما اذا وفى الثمن الحرام اولا ثم قبض فان كان البايع عالما بان الثمن حرام وهو مع هذا اقبض المبيع بطل حقه من الحبس وبقي له الثمن في ذمته اذ ما اخذه ليس بثمن ولا يصير اكل المبيع حراما بسبب بقا الثمن فاما اذا لم يعلم انه حرام وكان بحيث لو علم لما رضي به ولا اقبض المبيع فحق حبسه لا يبطل بهذا التلبيس فاكله حرام تحريم اكل المرهون الى ان يبرا او يوفي من حلال او يرضى هو بالحرام ويبري فيصح ابراوه ولا يصح رضاه بالحرام فهذا مقتضى الفقه وبيان الحكم في الدرجة الاولى من الحل والحرمة فاما الامتناع عنه فمن الورع المهم لان المعصية اذا تمكنت من السبب الموصل الى الشي تشتد الكراهية فيه كما سبق واقوى الاسباب الموصلة الثمن ولولا الثمن الحرام لما رضي البايع بتسليمه اليه فرضاه به لا يخرجه عن كونه مكروها كراهية شديدة ولكن العدالة لا تنخرم به وتزول به درجة التقوى والورع ولو اشترى سلطان مثلا ثوبا او ارضا في الذمة وقبضه برضا البايع قبل توفية الثمن وسلمه الى فقيه او غيره صلة او خلعة وهو شاك في انه سيقضي ثمنه من الحرام والحلال فهذا اخف اذ وقع الشك في تطرق المعصية الى الثمن وتتفاوت خفته بتفاوت كثرة الحرام وقلته في مال ذلك السلطان وما يغلب على الظن فيه وبعضه اشد من بعض والرجوع فيه الى ما ينقدح في القلب الرتبة الوسطى ان لا يكون العوض غصبا او حراما ولكن ينشا المعصية كما لو سلم عوضا من الثمن عنبا والاخذ شارب خمر او سيفا وهو قاطع طريق فهذا لا يوجب تحريما في مبيع اشتراه في الذمة ولكن يقتضي فيه كراهية دون الكراهية التي في الغصب وتتفاوت درجات هذه الرتبة ايضا بتفاوت غلبة المعصية على قابض الثمن وندورها ومهما كان العوض حراما فبذله حرام وان احتمل تحريمه ولكن ابيح بظن فبذله مكروه وعليه نزلت عندي النهي عن كسب الحجام وكراهته اذ نهى عليه السلام مرات ثم امر بان يعلفه الناضح وما يسبق الى الوهم من ان سببه مباشرة النجاسة والقذر فهو فاسد اذ يجب طرده في الدباغ والكناس ولا قائل به فلا يمكن طرده في القصاب اذ كيف يكون كسبه مكروها وهو بدل عن اللحم واللحم في نفسه غير مكروه ومخامرة القصاب النجاسة اكثر من الحجام والفصاد فان الحجام ياخذ الدم بالمحجمة ويمسح بالقطنة ولكن السبب ان الحجامة والفصد جراحة فيها تخريب لبنية الحيوان واخراج لدمه وبه قوام حيوته والاصل فيه التحريم وانما يحل بالضرورة وتعلم الحاجة والضرورة بحدس واجتهاد وربما يكون بالظن نافعا ويكون ضارا فيكون حراما عند الله تعالى ولكن يحكم بحله بالظن والحدس ولاجل هذا لا يجوز للفصاد ان يفصد عبدا او صبيا او معتوها الا باذن وليه وقول طبيب ولولا انه حلال في الظاهر لما اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم اجرة الحجام ولولا انه يحتمل التحريم لما نهى عنه فلا يمكن الجمع بين اعطائه ونهيه الا باستنباط هذا المعنى وهذا كان ينبغي ان يذكره في القراين المقرونة بالسبب فانه اقرب اليها **الرتبة السفلى** وهي درجة الوسوسة وذلك ان يحلف الانسان على ان لا يلبس من غزل امه فباع غزلها واشترى به ثوبا فهذا لا كراهية فيه والورع عنه وسوسة وروي عن المغيرة انه قال في هذه الواقعة لا يجوز واستشهد بان النبي صلى الله عليه وسلم لعن اليهود اذ حرمت عليهم الخمور فباعوها وهذا غلط لان بيع الخمر باطل اذ لم يبق للخمر منفعة في الشرع وثمن المبيع الباطل حرام وليس هذا من ذاك بل مثال هذا ان يملك الرجل جارية هي اخته من الرضاع

فباعها بجارية اجنبية فليس لاحد ان يتورع عنها ويشبه ذلك ببيع الخمر فهذا غاية الرتبة في هذا الطرف وقد عرفنا جميع الدرجات وكيفية التدريج فيها وان كان تفاوت هذه الدرجات لا ينحصر في ثلث واربع ولا في عدد ولكن المقصود من التعديد التقريب والتفهيم فان قيل فقد قال عليه السلام من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفيها درهم حرام لم يقبل له صلاة ما دام عليه ثم ادخل ابن عمر اصبعيه في اذنيه وقال صمتا ان لم اكن سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا ذلك محمول على ما لو اشترى بعينها لا في الذمة واذا اشترى في الذمة فقد حكمنا بالتحريم في اكثر الصور فليحمل عليها ثم كم من ملك يتوعد عليه بمنع قبول الصلاة لمعصية تطرقت الى سببه وان لم يدل ذلك على فساد العقد كالمشتري وقت النداء وغيره **المثار الرابع** الاختلاف في الادلة فان ذلك كالاختلاف في السبب لان السبب سبب لحكم الحل والحرمة والدليل سبب لمعرفة الحل والحرمة فهو سبب في حق المعرفة وما لم يثبت في معرفة العبد فلا فائدة لثبوته في نفسه وان جرى سببه في علم الله تعالى وهي اما ان يكون لتعارض ادلة الشرع او لتعارض العلامات الدالة او لتعارض التشابه **القسم الاول** ان يتعارض ادلة الشرع مثل تعارض عمومين من القران او السنة او تعارض قياسين او تعارض قياس وعموم وكل ذلك يورث الشك ويرجع فيه الى الاستصحاب او الاصل المعلوم قبله ان لم يظهر ترجيح في جانب الحل جاز الاخذ به ولكن الورع تركه فان اتقاء مواضع الخلاف مهم في الورع في حق المفتي والمقلد وان كان المقلد يجوز له ان ياخذ بما افتى له مقلده الذي يظن انه افضل علماء البلد ويعرف ذلك بالتسامع كما يعرف اطبا البلد بالتسامع والقراين وان كان لا يحسن الطب وليس للمستفتي ان ينتقد من المذاهب اسهلها عليه بل عليه ان يبحث حتى يغلب على ظنه الافضل ثم يتبعه فلا يخالفه اصلا نعم ان افتى له امامه بشي ولامامه فيه مخالف فالفرار من الخلاف الى الاجماع من الورع المؤكد وكذا المجتهد اذا تعارضت عنده الادلة ورجح جانب الحل بحدس وتخمين وظن فالورع له الاجتناب فلقد كان المفتون يفتون بحل اشيا لا يقدمون عليها قط تورعا منها وحذرا من الشبهة فيها ولنقسم هذا ايضا على ثلث مراتب **المرتبة الاولى** ما يتاكد الاستحباب في التورع عنه وهو ما يقوى فيه دليل المخالف ويدق وجه ترجيح المذهب الاخر عليه فمن المهمات التورع عن فريسة الكلب المعلم اذا اكل منها وان افتى المفتي بانه حلال لان الترجيح فيه غامض وقد اخترنا ان ذلك حرام فهو اقيس قولي الشافعي رحمه الله ومهما وجد للشافعي رحمه الله قول جديد موافق لمذهب ابي حنيفة او غيره من الائمة كان الورع فيه مهما وان افتى المفتي بالقول الاخر **ومن ذلك** الورع عن متروك التسمية وان لم يختلف قول الشافعي رحمه الله لان الاية ظاهرة في ايجابها والاخبار متواترة في ايجابها فانه عليه السلام قال لكل من ساله عن الصيد اذا ارسلت كلبك المعلم وذكرت عليه اسم الله فكل ونقل ذلك على التكرر وقد اشتهر الذبح بالبسملة وكل ذلك يقوي دليل الاشتراط ولكن لما صح قوله عليه السلام المؤمن يذبح على اسم الله سمى او لم يسم واحتمل ان يكون هذا عاما موجبا لصرف الاية وسائر الاخبار عن ظواهرها واحتمل ان يخصص هذا بالناسي ويترك الظواهر ولا تاول وكان حمله على الناسي ممكنا تمهيد العذر في ترك التسمية بالنسيان وكان تعميمه وتاويل الاية ممكنا امكانا اقرب رجحنا ذلك ولا ننكر رفع الاحتمال المقابل له فالورع عن مثل هذا مهم واقع في الدرجة الاولى **الرتبة الثانية** وهي مشارفة درجة الوسواس ان يتورع الانسان عن اكل الجنين الذي يصادف في بطن الحيوانات وان ذكاته ذكاة امه صحيح لا يتطرق احتمال الى متنه ولا

منه فالصيد وكذلك انه صح اكل الضب على مائدة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نقل ذلك في الصحيحين
فما أظن ابا حنيفة رحمه الله انه لم يبلغه هذه الاحاديث ولو بلغته لقال بها ان انصف وان لم ينصف
منصف في ذلك كان خلافه غلطا لا يعتد به ولا يورث شبهة كما لو لم يخالف وعلم الشيء بخبر الواحد **الرتبة**
الثالثة ان لا يشتهر في المسألة خلاف اصلا ولكن يكون تحليله معلوما بخبر الواحد فيقول القايل قد
اختلف الناس في خبر الواحد فمنهم من لا يقبله فانا اتورع فان النقلة وان كانوا عدولا فالغلط جائز
عليهم والكذب لغرض خفي جائز عليهم فان العدل ايضا قد يكذب والوهم جائز عليهم فانه قد يسبق الى
سمعهم خلاف ما يقوله القايل وكذا الى فهمهم فهذا ورع لم ينقل مثله عن الصحابة فيما كانوا
يسمعونه من عدل تسكن نفوسهم اليه واما اذا تطرق شبهة بسبب خاص ودلالة معينة في حق
الراوي فللتوقف وجه ظاهر وان كان عدلا وخلاف من خالف في اخبار الآحاد غير معتد به وهو كخلاف
النظام في اصل الاجماع وقوله انه ليس بحجة ولو جاز مثل هذا الورع لكان من الورع ان يمتنع الانسان
من ان ياخذ ميراث الجد ابي الاب ويقول ليس في كتاب الله ذكر الا للبنين والحاق ابن الابن من اجماع الصحابة
وهم غير معصومين والغلط عليهم جائز اذ خالف النظام فيه وهذا هوس ويتداعى الى ان يترك
ما علم بعمومات القرآن اذ من المتكلمين من ذهب الى ان العمومات لا صيغة لها وانما يحتج بما فهمه الصحابة
منها بالقراين والدلالات وكل ذلك وسواس ما وفق لا طرف من اطراف الشبهات الا وفيه غلو واسراف
فليفهم ذلك ومهما اشكل امر من هذه الامور فليستفت فيه القلب وليدع الورع ما يريبه الى ما لا يريبه
وليترك حزاز القلب وما يحتك في الصدر وذلك يختلف بالاشخاص والوقايع ولكن ينبغي ان يحفظ قلبه
عن دواعي الوسواس حتى لا يحكم الا بالحق فلا ينطوي على حزازة في مظان الوسواس ولا يخلو عن الحزازة في
مظان الكراهة وما اعز مثل هذا القلب ولذلك لم يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى فتوى القلب
لكل احد وانما قال ذلك لوابصة لما كان قد عرفه من حاله **القسم الثاني** ان يتعارض العلامات
الدالة على الحرمة والحل فانه قد ينهب نوع من المتاع في وقت ويندر وقوع مثله في غير النهب
فيرى مثلا في يد رجل من اهل الصلاح فيدل صلاحه انه حلال ويدل نوع المتاع وندوره من غير
المنهوب على انه حرام فيتعارض الامر وكذلك يخبر عدل بانه حرام وآخر بانه حلال او يتعارض شهادة فاسقين
او قول صبي وبالغ فان ظهر ترجيح حكم به والورع الاجتناب وان لم يظهر ترجيح وجب التوقف وسياتي
تفصيله في كتاب التعرف بالبحث والسؤال **القسم الثالث** تعارض الاشباه في الصفات
التي بها تناط الاحكام مثاله ان يوصي بمال للفقهاء فيعلم ان الفاضل في الفقه داخل فيه وان الذي ابتدأ
التعلم منذ يوم او شهر لا يدخل وبينهما درجات لا تحصى يقع الشك فيها فالمفتي يفتي بحسب
الظن والورع الاجتناب وهذا اغمض مثارات الشبهة فان فيها صورا يتحير المفتي فيها تحيرا لازما
لا حيلة فيه اذ يكون المتصف بالصفة في درجة متوسطة بين الدرجتين المتقابلتين لا يظهر له ميله
الى احدهما وكذلك الصدقات المصروفة الى المحتاجين فان من لا شيء له معلوم انه محتاج ومن له مال
كثير معلوم انه غني ويتصدى مسائل غامضة كمن له دار واثاث وثياب وكتب فان قدر الحاجة
منه لا يمنع من الصرف اليه والفاضل يمنع والحاجة ليست محدودة وانما تدرك بالتقريب ويتصدى
منه النظر في مقدار سعة الدار وابنيتها ومقدار قيمتها لكونها في وسط البلد ووقوع الاكتفاء بدار
دونها وكذلك في نوع اثاث البيت اذا كان من الصفريات لا من الخزف وكذلك في عددها وكذلك

في قيمتها وكذلك فيما يحتاج اليه في كل يوم وما يحتاج اليه كل سنة كالات الشتاء وما لا يحتاج اليه
الا في سنين وشيء من ذلك لا حد له والوجه في مثل هذا ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم اذ قال دع
ما يريبك الى ما لا يريبك وكل ذلك في محل الريب فان توقف المفتي فلا وجه الا التوقف وان افتى
المفتي بظن وتخمين فالورع التوقف وهو اهم مواضع الورع وكذلك ما يجب بقدر الكفاية من نفقة
الاقارب وكسوة الزوجات وكفاية الفقهاء والعلماء على بيت المال اذ فيه طرفان يعلم ان احدهما قاصر
والآخر زايد وبينهما امور متشابهة تختلف باختلاف الشخص والحال والمطلع على الحاجات هو الله
تعالى وليس للبشر وقوف على حدودها فما دون الرطل المكي في اليوم قاصر عن كفاية الرجل الضخم وما
فوق ثلثة ارطال زايد على الكفاية وما بينهما لا يتحقق له حد فليدع الورع ما يريبه الى ما لا
يريبه وهذا جار في كل حكم نيط بسبب يعرف ذلك السبب بلفظ العرب وساير اهل اللغات
اذ لم تتحدد مقتضيات اللغات بحدود محدودة تنقطع اطرافها عن مقابلاتها كلفظ السنة فانه
لا يحتمل ما دونها وما فوقها من الاعداد وساير الفاظ الحساب والتقديرات فليست الالفاظ اللغوية
كذلك فلا لفظ في كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ويتطرق الشك
الى اوساط في مقتضياتها تدور بين اطراف متقابلات ويعظم الحاجة الى هذا الفن في الوصايا والاوقاف
فالوقف على الصوفية مثلا مما يصح ومن الداخل تحت موجب هذا اللفظ هذا من الغوامض وكذلك
ساير الالفاظ وسنشير الى مقتضى لفظ الصوفية على الخصوص ليعلم به طريق التصرف في الالفاظ
والا فلا مطمع في استيفائها فهذه اشتباهات تثور من علامات متعارضة تجذب الى طرفين
متقابلين وكل ذلك من الشبهات يجب اجتنابها اذا لم يترجح جانب الحل بدلالة تغلب على الظن او
باستصحاب بموجب قوله عليه السلام دع ما يريبك الى ما لا يريبك وبموجب ساير الادلة التي
سبق ذكرها فهذه مثارات الشبهات وبعضها اشد من بعض ولو تظاهرت شبهات شتى
على شيء واحد كان الامر اغلظ مثل ان ياخذ طعاما مختلفا فيه عوضا عن عنب باعه من خمار بعد
النداء يوم الجمعة والبايع قد خالط ماله حرام ليس هو اكثر ماله ولكنه صار مشتبها به فقد يؤدي
ترادف الشبهات الى ان يشتد الامر في اقتحامه فهذه مراتب عرفنا طريق الوقوف عليها وليس في قوة
البشر حصرها فما اتضح من هذا الشرح اخذ به وما التبس فليجتنب فان الاثم حزاز القلب وحيث قضينا
باستفتاء القلب اردنا به حيث اباح المفتي اما حيث حرمه فيجب الامتناع ثم لا يعول على قلب كل موسوس
ينفر عن كل شيء ورب متساهل يطير الى كل شيء فلا اعتبار بهذين القلبين وانما الاعتبار بقلب
العالم الموفق المراقب لدقايق الاحوال فهو المحك الذي يمتحن به خفايا الامور وما اعز هذا القلب في القلوب فمن لم
يثق بقلب نفسه فليلتمس النور من قلب بهذه الصفة وليعرض عليه واقعته وفي الخبر في الزبور ان
الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام قل لبني اسرائيل اني لا انظر الى صلاتكم وصيامكم ولكن انظر الى من
شك في شيء فتركه من اجلي فذلك الذي اريده بنظري واباهي به ملايكتي **الباب الثالث في**
البحث والسؤال والهجوم والاهمال ومظانها **اعلم** ان كل من قدم اليك طعاما او هدية او اردت ان
تشتري منه او تتهب فليس لك ان تسأل عنه وتفتش وتقول هذا مما لا اتحقق حله فلا آخذه بل افتش
عنه وليس لك ايضا ان تترك البحث فتاخذ كل ما لا تتيقن تحليله بل السؤال واجب مرة وحرام مرة ومندوب
مرة ومكروه مرة فلا بد من تفصيله والقول الشافي فيه هو ان مظنة السؤال مواقع الريبة ومنشأها

الريبة ومثارها اما ان يتعلق بالمال او يتعلق بصاحب المال **المثار الاول** احوال المالك وله بالاضافة
الى معرفتك ثلثة احوال اما ان يكون مجهولا او مشكوكا فيه او معلوما بنوع ظن يستند الى دلالة الحالة الاولى
ان يكون مجهولا والمجهول هو الذي ليس معه قرينة تدل على فساده وظلمه كزي الاجناد ولا ما يدل على صلاحه
كثياب اهل التصوف والتجارة والعلم وغير ذلك من العلامات فاذا دخلت قرية لا تعرفها فرايت رجلا لا تعرف
من حاله شيئا ولا عليه علامة تنسبه الى اهل الصلاح او اهل الفساد فهو مجهول واذا دخلت بلدة غريبا
ودخلت سوقا ووجدت رجلا خبازا او قصابا او غيره ولا علامة تدل على كونه مريبا او خائنا ولا ما يدل
على نفيه فهذا مجهول لا يدرى حاله ولا نقول انه مشكوك فيه لان الشك عبارة عن اعتقادين متقابلين
لهما سببان متقابلان واكثر الفقهاء لا يدركون الفرق بين ما لا يدرى وبين ما يشك فيه وقد عرفت بما
سبق ان الورع ترك ما لا يدرى قال يوسف بن اسباط منذ ثلثين سنة ما حاك في قلبي شيء الا تركته
وتكلم جماعة في اشد الاعمال فقالوا هو الورع فقال لهم حسان بن ابي سنان ما شيء عندي اسهل من الورع اذا
حاك في صدري شيء تركته فهذا شرط الورع وانما نذكر الان حكم الظاهر فنقول حكم هذه الحالة ان المجهول ان
قدم اليك طعاما او حمل اليك هدية او اردت ان تشتري من دكانه شيئا فلا يلزمك السؤال بل يده وكونه مسلما
دلالتان كافيتان في الهجوم على اخذه وليس لك ان تقول الفساد والظلم غالب على الناس فهذه وسوسة وسوء
ظن بهذا المسلم بعينه وان بعض الظن اثم وهذا المسلم يستحق باسلامه عليك ان لا تسيء الظن به فان
اسات به في عينه لانك رايت فسادا في غيره فقد جنيت عليه واثمت به في الحال نقدا من غير شك ولو اخذت
المال لكان كونه حراما مشكوكا فيه ويدل عليه انا نعلم ان الصحابة في غزواتهم واسفارهم كانوا ينزلون في القرى
ولا يردون القرى ويدخلون البلاد ولا يحترزون من الاسواق وكان الحرام ايضا موجودا في زمانهم وما نقل
عنهم سؤال الا عن ريبة اذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسال عن كل ما يحمل اليه بل سال في اول قدومه
الى المدينة عما يحمل اليه اصدقة هو ام هدية لان قرينة الحال تدل وهو دخول المهاجرين المدينة وهم فقراء
فغلب على الظن ان ما يحمل اليهم يحمل بطريق الصدقة ثم اسلام المعطي ويده لا يدل على انه ليس بصدقة وكان
عليه السلام يدعى الى الضيافات فيجيب ولا يسال الصدقة هو ام لا اذ العادة ما جرت بالتصدق بالضيافة
ولذلك دعته ام سليم ودعاه الخياط فيما رواه انس بن مالك وقدم اليه طعاما فيه قرع ودعاه الرجل
الفارسي فقال عليه السلام انا وعائشة فقال لا فقال فلا ثم اجابه بعد هو وعائشة يتساوقان فقرب
اليهما اهالة ولم ينقل السؤال في شيء من ذلك وسال ابو بكر رضي الله عنه عبده عن كسبه لما رابه من امره وسال
عمر رضي الله عنه الذي سقاه من لبن الصدقة اذ رابه اذ اعجبه طعمه ولم يكن على ما كان يالفه كل
ليلة وهذه اسباب الريبة وكل من وجد ضيافة عند رجل مجهول لم يكن عاصيا باجابته من غير تفتيش
بل لو راى في داره تجملا ومالا كثيرا فليس له ان يقول الحلال عزيز وهذا كثير فمن اين يجتمع هذا من الحلال
بل هذا الشخص بعينه اذا احتمل ان يكون ورث مالا او اكتسبه فهو بعينه يستحق احسان الظن به
وازيد على هذا واقول ليس له ان يساله بل ان كان يتورع فلا يدخل جوفه الا ما يدري من اين هو فهو حسن
فليتلطف بالترك وان كان لا بد له من الاكل فليأكل من غير سؤال اذ السؤال ايذاء وهتك ستر وايحاش وهو
حرام بلا شك فان قلت لعله لا يتاذى فاقول لعله يتاذى وانت تسال حذرا من لعله فان قنعت بلعل
فلعل ماله حلال وليس الاثم المحذور في ايذاء مسلم باقل من الاثم في اكل الشبهة والحرام والغالب على الناس
الاستيحاش بالتفتيش ولا يجوز له ان يسال من غيره من حيث يدري هو لان الايذاء في ذلك اكثر وان سال

من حيث لا يدري هو ففيه اساءة ظن وهتك ستر وفيه تجسس وفيه تشبب بالغيبة وان لم يكن
صريحا وكل ذلك منهي عنه في اية واحدة قال الله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا
تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا وكم من زاهد جاهل يوحش القلوب في التفتيش ويتكلم بالكلام
الخشن المؤذي وانما يحسن الشيطان عنده ذلك طلبا للشهرة باكل الحلال ولو كان باعثه محض
الدين لكان خوفه على قلب مسلم ان يتاذى اشد من خوفه على بطنه ان يدخله ما لا يدري وهو غير مؤاخذ
بما لا يدريه اذ لم يكن ثم علامة توجب الاجتناب فليعلم ان طريق الورع الترك دون التجسس واذا
لم يكن بد من الاكل فالورع الاكل واحسان الظن هذا هو المالوف من الصحابة رضوان الله عليهم
ومن زاد عليهم في الورع فهو ضال مبتدع وليس بمتبع ولن يبلغ احد مد احدهم ولا نصيفه ولو انفق
ما في الارض جميعا كيف وقد اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام بريرة فقيل انه صدقة فقال هو لها
صدقة ولنا هدية ولم يسال عن المتصدق عليها فكان المتصدق مجهولا عنده ولم يسال عنه ولم يمتنع
الحالة الثالثة ان يكون مشكوكا فيه بسبب دلالة اورثت ريبة فلنذكر صورتها ثم
حكمها اما الصورة فهو ان يدل على تحريم ما في يده دلالة اما من زيه وثيابه او من خلقته او من فعله وقوله
اما الخلقة فان يكون على خلقة الاتراك والبوادي والمعروفين بالظلم وقطع الطريق وان يكون طويل
الشوارب وان يكون مفرق الشعر على راسه على دأب اهل الفساد واما الثياب فالقباء والقلنسوة وزي اهل
الفساد والظلم من الاجناد وغيرهم واما الفعل والقول فهو ان يشاهد منه الاقدام على ما لا يحل
فان ذلك يدل ايضا على انه يتساهل في المال ويأخذ ما لا يحل فهذه مواضع الريبة فاذا اراد ان
يشتري من مثل هذا شيئا او يأخذ منه هدية او يجيبه في ضيافة وهو غريب مجهول عنده لم يظهر له
الا هذه العلامات فيحتمل ان يقال اليد تدل على الملك وهذه الدلالات ضعيفة فالاقدام جائز والترك
من الورع ويحتمل ان يقال ان اليد دلالة ضعيفة وقد قابلها مثل هذه الدلالة فاورثت ريبة فالهجوم
غير جائز وهو الذي نختاره ونفتي به لقوله عليه السلام دع ما يريبك الى ما لا يريبك وظاهره امر
وان كان يحتمل الاستحباب ولقوله عليه السلام الاثم حزاز القلب وهذا له وقع في القلب لا ينكر ولان
النبي صلى الله عليه وسلم سال اصدقة ام هدية وسال ابو بكر رضي الله عنه غلامه وسال عمر رضي الله عنه وكل
ذلك كان في موضع الريبة وحمله على الورع وان كان ممكنا ولكن لا يحمل عليه الا بقياس والقياس ليس يشهد
لتحليل هذا فان دلالة اليد والاسلام عارضتها هذه الدلالات فاذا تقابلا فالاستحلال لا مستند له
وانما لا يترك حكم اليد والاستصحاب بشك لا يستند الى علامة كما اذا وجدنا الماء متغيرا واحتمل
ان يكون بطول المكث فان راينا ظبية بالت فيه ثم احتمل التغير به تركنا الاستصحاب وهذا
قريب منه ولكن بين هذه الدلالات تفاوت فان طول الشوارب ولبس القباء وهيئة الاجناد تدل على
الظلم بالمال اما القول والفعل المخالف للشرع ان تعلق بظلم المال فهو ايضا دليل ظاهر كما لو
سمعه يامر بالظلم والغصب او يعقد عقد الربوا فاما اذا راه وقد شتم غيره في غضبه او اتبع نظره
امراة مرت به فهذه الدلالة ضعيفة فكم من انسان يتحرج في طلب المال ولا يكتسب الا الحلال ومع ذلك
فلا يملك نفسه عند هيجان الغضب والشهوة فليتنبه لهذا التفاوت ولا يمكن ان يضبط هذا
بحد فليستفت العبد في مثل هذا قلبه واقول ان هذا ان راه من مجهول فله حكم وان راه ممن عرفه
بالطهارة والصلوة مع الورع وقراءة القرآن فله حكم اخر اذ تعارضت الدلالات بالاضافة الى المال

فتسا فقطا او عاد الرجل كالمجهول اذ ليست احدى الدلالتين يناسب المال على الخصوص فكم من متحرج
في المال لا يتحرج في غيره وكم من محسن الصلوة والوضوء والقراءة ويأكل من حيث يجد فالحكم في مثل
هذه المواقع ما يميل اليه القلب فانه امر بين العبد وبين الله فلا يبعد ان يناط بسبب خفي
لا يطلع عليه الا هو وهو سبب الارباب وهو حكم حزازة القلب ثم لينتبه لدقيقة اخرى وهو ان هذه
الدلالة ينبغي ان يكون بحيث تدل على ان اكثر ماله حلال بان يكون جنديا او عامل سلطان او نائحة
او مغنيا فان دل على ان في ماله حراما قليلا لم يكن السؤال واجبا بل كان السؤال من الورع **الحالة
الثالثة** ان يكون الحال معلوما بنوع خبرة وممارسة بحيث يوجب ذلك ظنا في حل المال
وتحريمه مثل ان يعرف صلاح الرجل وديانته وعدالته في الظاهر وجوز ان يكون الباطن بخلافه
فههنا لا يجب السؤال ولا يجوز كما في المجهول بل اولى والاقدام ههنا ابعد عن الشبهة من
الاقدام على طعام المجهول فان ذلك بعيد عن الورع وان لم يكن حراما فاما اكل طعام اهل الصلاح
فهو دأب الانبياء والاولياء قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تأكل الا طعام تقي ولا يأكل طعامك الا
تقي فاما اذا علم بالخبرة انه جندي او مغني او مرب واستغنى عن الاستدلال عليه بالهيئة والشكل
والثياب فههنا السؤال واجب لا محالة كما في موضع الريبة بل اولى **المثار الثاني** ما يستند
الشك فيه الى سبب في المال لا في حال المالك وذلك بان يختلط الحلال بالحرام كما اذا طرح في سوق
احمال من طعام غصب واشتراها اهل السوق فليس يجب على من يشتري في تلك البلدة والسوق
ان يسأل عما يشتريه الا ان يظهر ان اكثر ما في ايديهم حرام فعند ذلك يجب السؤال فان لم يكن هو
الاكثر فالسؤال من الورع وليس بواجب والسوق الكبير حكمه حكم البلد والدليل على انه لا يجب السؤال
والتفتيش اذا لم يكن الاغلب حراما ان الصحابة لم يمتنعوا عن الشراء في الاسواق وفيها دراهم الربوا وغلول
الغنيمة وغيرها وكانوا لا يسئلون في كل عقد وانما السؤال عن آحاد نادر في بعض الاحوال وهي محال
الريبة في حق ذلك الشخص المعين وكذلك كانوا ياخذون الغنايم من الكفار الذين كانوا قد قاتلوا المسلمين
وربما اخذوا اموالهم واحتمل ان يكون في جملة تلك الغنايم شيء مما اخذوه من المسلمين وذلك لا يحل اخذه
مجانا بالاتفاق بل يرد على صاحبه عند الشافعي رحمه الله وعند ابي حنيفة رحمه الله صاحبه اولى به
بالثمن ولم ينقل قط التفتيش عن هذا وكتب عمر رضي الله عنه الى اذربيجان انكم في بلاد تذبح فيها الميتة
فانظروا ذكيه من ميتته اذن في السؤال وامر به ولم يامر بالسؤال عن الدراهم التي هي اثمانها لان اكثر دراهمهم
لم يكن اثمان الجلود وان كانت الجلود ايضا تباع واكثرها كان كذلك وكذلك قال ابن مسعود
انكم في بلاد اكثر قصابيها المجوس فانظروا الذكي من الميتة فخص الامر بالسؤال ولا يتضح مقصود
هذا الباب الا بذكر صور وفرض مسايل يكثر وقوعها في العادات فلنفرضها **مسئلة** شخص
معين خالط ماله الحرام مثل ان يباع على دكان يباع طعام مغصوب او مال منهوب ومثل ان يكون القاضي
او الرئيس او العامل او الفقيه الذي له ادرار على السلطان الظالم له ايضا مال موروث ودهقنة او
تجارة او رجل تاجر يعامل بمعاملات صحيحة ويربي ايضا فان كان الاكثر من ماله حراما لم يجز الاكل
في ضيافته ولا قبول هديته وصدقته الا بعد التفتيش فان ظهر ان الماخوذ من وجه حلال فذاك و
الا ترك وان كان الحرام اقل والماخوذ مشتبه فهذا في محل النظر لانه على رتبة بين الرتبتين اذ قضينا
بانه لو اشتبه ذكية بعشر ميتات مثلا وجب الكل وهذا يشبه من وجه من حيث ان مال الرجل الواحد

كالمحصور لا سيما اذا لم يكن كثير المال مثل السلطان ويخالفه من وجه اذ الميتة يعلم وجودها في الحال
يقينا والحرام الذي خالط ماله يحتمل ان يكون قد خرج من يده وليس موجودا في الحال فان كان المال
قليلا وعلم قطعا ان الحرام موجود في الحال فهو كاختلاط الميتة بالذكية واحد وان كثر المال واحتمل
ان يكون الحرام غير موجود في الحال فهذا اخف من ذلك ويشبه من وجه الاختلاط بغير محصور كما في
الاسواق والبلاد ولكنه اغلظ منه لاختصاصه بشخص واحد ولا يشك في ان الهجوم عليه بعيد من
الورع جدا ولكن النظر في كونه فسقا منافيا للعدالة وهذا من حيث المعنى غامض لتجاذب الاشباه ومن
حيث النقل غامض لان ما ينقل فيه عن الصحابة من الامتناع في مثل هذا وكذا عن السلف يمكن حمله على الورع
ولا يصادف فيه نص على التحريم وما ينقل من اقدام على الاكل كاكل ابي هريرة طعام معوية مثلا ان قدر جميع
جملة ما في يده حراما فذلك ايضا يحتمل ان يكون اقدامه بعد التفتيش واستبانة ان عين ما ياكله
من وجه مباح فالافعال في هذا ضعيفة الدلالة ومذاهب العلماء المتاخرين مختلفة حتى قال بعضهم
لو اعطاني السلطان شيئا لاخذته منه وطرد الاباحة فيما اذا كان الاكثر ايضا حراما مهما لم يعرف
عين الماخوذ واحتمل ان يكون حلالا واستدل باخذ بعض السلف جوائز السلاطين كما سياتي في باب
اموال السلاطين فاما اذا كان الحرام هو الاقل واحتمل ان لا يكون موجودا في الحال لم يكن الاكل حراما
وان تحقق وجوده في الحال كما في مسئلة اشتباه الميتة بالذكية فهذا مما لا ادري ما اقول فيه وهي
من المتشابهات التي يتحير المفتي فيها لانها مترددة بين مشابهة المحصور وغير المحصور والرضيعة
اذا اشتبهت بنسوة قرية فيها عشرة وجب الاجتناب وان كان ببلدة فيها عشرة آلاف لم يجب وبينهما
اعداد لو سئلت عنها لكنت لا ادري ما اقول فيها ولقد توقف العلماء في مسايل هي اوضح من هذا
اذ سئل احمد بن حنبل رحمه الله عن رجل رمى صيدا فوقع في ملك غيره ايكون الصيد للرامي او لمالك
الارض فقال لا ادري فروجع فيه مرات فقال لا ادري وكثيرا من ذلك حكيناه عن السلف في كتاب العلم
فليقطع المفتي طمعه عن ادراك الحكم في جميع الصور وقد سال ابن المبارك صاحبه من البصرة عن
معاملته قوما يعاملون السلطان فقال ان لم يعاملوا سوى السلطان فلا تعاملهم وان عاملوا
السلطان وغيره فعاملهم وهذا يدل على المسامحة في الاقل ويحتمل المسامحة في الاكثر ايضا وبالجملة
لم ينقل عن الصحابة انهم كانوا يهجرون بالكلية معاملة قصاب وخباز وتاجر لتعاطيه عقدا واحدا
فاسدا او لمعاملته السلطان مرة وتقدير ذلك فيه بعد والمسئلة مشكلة في نفسها فان قيل
فقد روي عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه انه رخص فيه وقال خذ ما يعطيك السلطان فانما يعطيك
من الحلال وما ياخذ من الحلال اكثر مما ياخذ من الحرام وسئل ابن مسعود رضي الله عنه عن ذلك فقال السائل
ان لي جارا لا اعلم له الا خبيثا يدعونا ونحتاج فنستسلفه اذا احتجنا فقال اذا دعاك فاجبه واذا احتجت
فاستسلفه فان لك المهنا وعليه المأثم وافتى سلمان بمثل ذلك وقد علل علي عليه السلام بالكثرة
وعلل ابن مسعود بطريق الاشارة فان عليه المأثم بانه يعرفه ولك المهنا لانك لا تعرفه **وروي انه قال**
رجل لابن مسعود ان لي جارا ياكل الربوا وانه يدعونا الى طعامه افناتيه فقال نعم وروي ذلك عن ابن
مسعود بروايات كثيرة مختلفة واخذ مالك والشافعي جوائز الخلفاء والسلاطين مع العلم بانه قد
خالط مالهم الحرام قلنا اما ما روي عن علي كرم الله وجهه فقد اشتهر من ورعه ما يدل على خلاف ذلك
فانه كان يمتنع من مال بيت المال حتى يبيع سيفه ولا يكون له الا قميص واحد في وقت الغسل لا يجد غيره

ولست انكر ان رخصته صريح في الجواز فلعله محمل للورع ولكنه ان صح فمال السلطان له حكم آخر فانه
بحكم كثرته يكاد يلتحق بما لا يحصر وسيأتي بيان ذلك فعل الشافعي ومالك رحمهما الله متعلق بمال السلطان
وسيأتي حكمه وانما كلامنا في آحاد الخلق واموالهم قريبة من الحصر واما قول ابن مسعود فقيل انما نقله
جواب التيمي وهو ضعيف الحفظ والمشهور منه ما يدل على توقي الشبهات اذ قال لا يقولن احدكم اخاف
وارجو فان الحلال بين والحرام بين وبين ذلك مشتبهات فدع ما يريبك الى ما لا يريبك وقال اجتنبوا الحكاكات
فانها الاثم فان قيل فلم قلتم اذا كان الاكثر حراما لم يجز الاخذ مع ان المأخوذ ليس فيه علامة تدل على
تحريمه على الخصوص واليد علامة على الملك حتى ان من سرق مال مثل هذا الرجل تقطع يده والكثرة
توجب ظنا مرسلا لا يتعلق بالعين فليكن كغالب الظن في طين الشوارع وغالب الظن في الاختلاط بغير
محصور اذا كان الاكثر هو الحرام ولا يجوز ان يستدل على هذا بعموم قوله عليه السلام دع ما يريبك
الى ما لا يريبك لانه مخصوص ببعض المواضع بالاتفاق وهو ما يريبه لعلامة في عين المال بدليل اختلاط
القليل بغير المحصور فان ذلك يريبه ومع ذلك قطعتم بانه لا يحرم والجواب ان اليد دلالة
ضعيفة كالاستصحاب وانما تؤثر اذا سلم عن معارض قوي فاذا تحققنا الاختلاط وتحققنا ان الحرام
المخالط وذلك في الحال المادي يخلو عنه وتحققنا ان الحرام هو الاكثر وهو موجود في حق شخص معين
يقرب ماله من الحصر فظهر وجوب الاعراض عن مقتضى اليد وان يحمل عليه قوله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك
الى ما لا يريبك لا يحمل اذ لا يمكن ان يحمل على اختلاط قليل بحلال غير محصور اذ كان ذلك موجودا في زمانه
وكان لا يدعه وعلى اي وجه حمل هذا كان هذا في معناه وحمله على التنزيه صرف له عن ظاهره بغير قياس اذ للعلامة
والاستصحابات والكثرة تأثير في تحقيق الظن وكذا الحصر وقد اجتمعا حتى قال ابو حنيفة رحمه الله
لا يجتهد في الاواني الا اذا كان الطاهر هو الاكثر فاشترط اجتماع الاستصحاب والاجتهاد بالعلامة وقوة
الكثرة ومن قال بالاجتهاد اراد بالاجتهاد تحقيق مجرد الاستصحاب فيجيء من مذهبه ايضا فليلزمه التجويز
ههنا بمجرد علامة اليد ولا يجري ذلك في بول اشتبه بماء اذ لا استصحاب فيه ولا يطهر ايضا في ميتة
اشتبهت بذكية اذ لا استصحاب في الميتة اذ اليد لا تدل على انها غير ميتة وتدل في الطعام المباح
على انه ملك ففيهما اربع متعلقات استصحاب وقلة في الخلط او كثرة وانحصار واتساع في المخلوط به
وعلامة خاصة في عين الشيء يتعلق بها الاجتهاد فمن يغفل عن مجموع الاربعة ربما يغلط فيشبه بعض
المسائل بما لا يشبهه فحصل مما ذكرناه ان المختلط في ملك شخص واحد اما ان يكون الحرام اكثره او اقله
وكل واحد اما ان يعلم بيقين او بظن عن علامة او توهم والسؤال يجب في موضعين وهو ان يكون
الحرام اكثر يقينا او ظنا كالولاية المجهولة ويحتمل ان يكون ماله من غنيمة وان كان الاقل معلوما باليقين
فهو محل التوقف ويكاد يميل باكثر السلف وضرورة الاحوال الى الرخصة واما الاقسام
الثلاثة الباقية فالسؤال فيها غير واجب اصلا **مسئله** اذا احضر طعام انسان علم انه دخل في يده
حرام من ادرار كان قد اخذه او وجه آخر ولا يدري انه بقي الى الآن ام لا فله الاكل ولا يلزمه التفتيش وانما التفتيش
فيه من الورع ولو علم انه بقي منه شيء لم يدر انه الاكثر ام الاقل فله ان يأخذ بانه الاقل وقد سبق ان
الاقل مشكل وهنا يقرب منه **مسئله** اذا كان في يد المتولي لسبيل الخيرات من الاوقاف او
الوصايا مالان يستحق هو احدهما ولا يستحق الثاني لانه غير موصوف بتلك الصفة فهل له ان يأخذ
ما يسلمه اليه صاحب الوقف ينظر فيه فان كانت تلك الصفة ظاهرة يعرفها المتولي وهذا المتولي

كان ظاهر العدالة فله ان يأخذ بغير بحث لان الظن بالمتولي انه لا يصرف اليه ما يصرفه الا من المال الذي
يستحقه وان كانت الصفة خفية او كان المتولي ممن عرف من حاله انه يخلط ولا يبالي كيف يفعل فعليه السؤال
اذ ليس ههنا يد ولا استصحاب يعول عليه وهو وزان سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصدقة
والهدية عند تردده فيه لان اليد لا تخصص الهدية عن الصدقة ولا الاستصحاب فلا ينجي منه
الا السؤال فان السؤال حيث اسقطناه في المجهول اسقطناه بعلامة اليد والاسلام حتى
لو لم يعلم انه مسلم وان اراد ان يأكل من يده لحما من ذبيحته واحتمل ان يكون مجوسيا لم يجز له ما لم يعرف انه
مسلم اذ اليد لا تدل في الميتة ولا الصورة تدل على الاسلام الا اذا كان اكثر اهل البلدة مسلمين
فيجوز ان يظن بالذي ليس عليه علامة الكفر انه مسلم وان كان الخطأ ممكنا فيه فلا ينبغي ان يلتبس
المواضع التي تشهد فيها اليد والحال بالتي لا تشهد **مسئله** له ان يشتري في البلدة دارا
وان علم انها تشتمل على دور مغصوبة لان ذلك اختلاط بغير محصور ولكن السؤال احتياط وورع
وان كان في سكة عشر دور مثلا احداها مغصوبة او وقف لم يجز الشراء ما لم يتميز ويجب البحث عنها ومن
دخل بلدة فيها رباطات تختص بوقفها ارباب المذاهب فليس له ان يسكن ايها شاء ويأكل من وقفها بغير
سؤال لان ذلك من باب الاختلاط في المحصور فلا بد من التمييز ولا يجوز الهجوم مع الابهام لان الرباطات
والمدارس في البلد لا بد وان يكون محصورة **مسئله** حيث جعلنا السؤال من الورع فليس له ان
يسأل صاحب الطعام والمال اذا لم يأمن غضبه ولا يأمن غيظ غضبه وانما اوجبنا السؤال اذا تحقق ان
اكثر ماله حرام وعند ذلك لا يبالي بغضب مثله اذ يجب ايذاء الظالم باكثر من ذلك والغالب ان مثل
هذا لا يغضب من السؤال نعم ان كان يأخذ من يد وكيله او غلامه او تلميذه او بعض اهله ممن هو تحت
رعايته فله ان يسأل مهما استراب لانهم لا يغضبون من سؤاله ولان عليه ان يسألهم ليعرفهم طريق الحلال وكذلك
سأل ابو بكر رضي الله عنه غلامه وسأل عمر رضي الله عنه من سقاه من ابل الصدقة وسأل ابا هريرة
ايضا لما ان قدم عليه بمال كثير فقال ويحك اكل هذا طيب من حيث انه تعجب من كثرته وكان هو من
رعيته لا سيما وقد رفق في صنعة السؤال وكذلك قال علي كرم الله وجهه ليس شيء احب
الى الله من عدل امام ورفقه ولا شيء ابغض اليه من جور امام وخرقه **مسئله** قال الحارث المحاسبي
رحمه الله لو كان له صديق او اخ وهو يأمن غضبه لو سأله فلا ينبغي ان يسأله لاجل الورع لانه ربما يبدو له
ما كان مستورا عنه فيكون قد حمله على هتك الستر ثم يؤدي الى البغضاء وما ذكره حسن لان السؤال
اذا كان من الورع لا من الوجوب فالورع في مثل هذه الامور احترازنا من هتك الستر واثارة البغضاء
اهم وزاد على هذا فقال وان رأى شيئا ايضا لم يسأله ويظن به ان يطعمه من الطيب ويجنبه الخبيث فان
كان لا يطمئن قلبه اليه فليحترز منه بلطف ولا يهتك ستره بالسؤال لاني لم ار احدا من العلماء فعله
فهذا منه مع ما اشتهر به من الزهد يدل على مسامحة فيما اذا خالط المال الحرام القليل ولكن ذلك
عند التوهم لا عند التحقق لان لفظ الريبة يدل على التوهم بلا علامة تدل عليه ولا يوجب اليقين بالاطلاع
هذه الدقائق في السؤال **مسئله** ربما يقول القائل اي فائدة في السؤال ممن بعض ماله حرام
ومن يستحل المال ربما يكذب فان وثق بامانته فليثق بديانته فيتوهم انه علم بمخالطة الحرام ماله
امان وكانه عرض في حضرته في ضيافة او قبول هدية فلا يحصل الثقة بقوله فلا فائدة للسؤال
منه فينبغي ان يسأل من غيره وكذا ان كان بياعا وهو يرغب في البيع لطلب الربح فلا يحصل الثقة

بقوله انه حلال ولا فائدة في السؤال منه وانما يسأل من غيره وانما يسأل من صاحب اليد اذا لم يكن متهما
كما يسأل المتولي عن المال الذي يسلمه اليه من اي جهة وكما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
الهدية والصدقة فان ذلك لا يؤذي ولا يتهم القابل فيه وكذلك اذا اتهمه بانه ليس يدري طريق
الكسب الحلال فلا يتهم في قوله اذا اخبر عن طريق صحيح وكذلك يسأل عبده وخادمه ليعرف طريق كسابه
فهيهنا يفيد السؤال واذا كان صاحب المال متهما عنده فاذا اخبره عدل واحد قبله وان اخبره
فاسق يعلم من قرينة حاله انه لا يكذب حيث لا غرض له فيه ولا غرض له فيه جاز قبوله لان هذا امر بينه
وبين الله تعالى والمطلوب ثقة النفس وقد يحصل من الثقة بقول فاسق ما لا يحصل بقول عدل في
بعض الاحوال وليس كل من فسق يكذب ولا كل من ترى العدالة ظاهره يصدق وانما نيطت الشهادة
بالعدالة الظاهرة لضرورة الحكم فان البواطن لا يطلع عليها وقد قبل ابو حنيفة شهادة الفاسق وكم
من شخص تعرفه وتعرف انه يقتحم المعاصي ثم اذا اخبرك بشيء وثقت به وكذلك اذا اخبرك صبي مميز عرفته
بالتثبت فقد يحصل الثقة بقوله فيحل الاعتماد فاما اذا اخبره مجهول لا يدري من حاله شيء اصلا
فهذا مما جوزنا الاكل من يده لانه ظاهره دلالة ظاهرة على ملكه وربما يقال اسلامه دلالة ظاهرة على صدقه وهذا فيه
نظر فلا يخلو عن اثر ما في النفس حتى لو اجتمع جماعة منهم افاد ذلك ظنا قويا الا ان اثر الواحد
فيه غاية الضعف فلينظر الى حد تأثيره في القلب فان المفتي هو القلب في مثل هذا الموضع وللقلب
التفاتات الى قرائن خفية يضيق عنها نطاق النطق فليتامل فيه ويدل على وجوب الالتفات اليه ما
روي عن عقبة بن الحرث انه جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني تزوجت امرأة فجاءتنا امة سوداء فزعمت
انها ارضعتنا فقال دعها فقال انها سوداء يصغر من شأنها فقال عليه السلام كيف وقد زعمت انها
ارضعتكما لا خير لك فيها دعها عنك وفي لفظ آخر كيف وقد قيل ومهما لم يعلم كذب المجهول ولم تظهر امارة
غرض له فيه كان له وقع في القلب لا محالة فكذلك يتأكد الامر بالاحتياط فان اطمأن اليه القلب كان
الاحتياط حتما واجبا **مسئلة** حيث يجب السؤال فلو تعارض قول عدلين تساقطا وكذا قول
فاسقين ويجوز ان يترجح في قلبه احد العدلين واحد الفاسقين ويجوز ان يرجح احد الجانبين بالكثرة
او باختصاص بالخبرة والمعرفة وذلك مما يتشعب تصويره **مسئلة** لو نهب متاع مخصوص
فصادف من ذلك النوع متاعا في يد انسان واراد ان يشتريه واحتمل ان لا يكون من المغصوب فان كان
ذلك الشخص ممن عرفه بالصلاح جاز الشراء وكان تركه من الورع وان كان الرجل مجهولا لا يعرف منه شيئا
فان كان يكثر نوع ذلك المتاع من غير المغصوب فله ان يشتري وان كان لا يوجد ذلك المتاع في تلك
البقعة الا نادرا وانما كثر بسبب الغصب فليس يدل على الحل الا اليد وقد عارضها علامة خاصة
من شكل المتاع ونوعه فالامتناع من شرائه من الورع المهم ولكن الوجوب فيه نظر فان العلامات
متعارضة ولست اقدر على ان احكم فيه بحكم الا ان ارده الى قلب المستفتي لينظر ما الاقوى في
نفسه فان كان الاقوى انه مغصوب لزمه تركه والا حل له شراؤه واكثر هذه الوقائع يلتبس الامر فيها فهي
من المتشابهات التي لا يعلمها كثير من الناس فمن توقاها فقد استبرأ لعرضه ودينه ومن اقتحمها فقد
حام حول الحمى يخاطر بنفسه **مسئلة** لو قال قائل قد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لبن
قدم اليه فذكر انه من شاة فسأل عن الشاة من اين هي فذكر له فترك السؤال افيجب السؤال عن اصل
المال ام لا وان وجب فعن اصل واحد او اثنين او ثلاثة وما الضبط فيه فاقول لا ضبط فيه ولا

تقدير بل ينظر الى الريبة المقتضية للسؤال اما وجوبا او ورعا فلا غاية للسؤال الا حيث تنقطع الريبة
المقتضية له وذلك يختلف باختلاف الاحوال فان كانت التهمة من حيث لا يدري صاحب اليد كيفية طريق
الكسب الحلال فان قال اشتريته انقطع وان كانت الريبة من الظلم وذلك بما بين العرب ويتوالد
في ايديهم المغصوب فلا ينقطع بقوله من شاة ولا بقوله ان الشاة ولدتها شاة فان اسنده الى الارث
من ابيه وحال ابيه مجهول له انقطع السؤال وان كان يعلم ان جميع مال ابيه حرام فقد ظهر التحريم وان
كان يعلم ان اكثره حرام فبكثرة التوالد وطول الزمان وتطرق الارث اليه لا يتغير حكمه فلينظر الى هذه
المعاني **مسئلة** سئل عن جماعة من سكان خانقاه للصوفية وفي يد خادمهم الذي يقدم الطعام
اليهم وقف على اهل المسكن ووقف آخر على جهة اخرى غيرهم وهو يخلط وينفق الكل عليهم فاكل
طعامه حلال او حرام او شبهة فقلت هذا ينبني على سبعة اصول الاصل **الاول** ان الطعام
الذي يقدم اليهم في الغالب يشتريه بالمعاطاة والذي اخترناه صحة المعاطاة لا سيما في الاطعمة
والمستحقرات فليس فيها الا شبهة الخلاف **الاصل الثاني** ان ينظر ان الخادم يشتريه
بعين المال الحرام او في الذمة فان اشتراه بعين المال الحرام فهو حرام وان لم يعرف فالغالب انه
يشتري في الذمة ويجوز الاخذ بالغالب فلا ينشأ التحريم بل شبهة احتمال بعيد وهو شراؤه بعين
مال الحرام وان كان الاقل ففيه نظر وقد سبق واذا لم يعرف جاز الاخذ بانه يشتري ممن ماله حلال
او ممن لا يدري المشتري حاله بيقين كالمجهول وقد سبق جواز الشراء من المجهول لان ذلك هو الغالب فلا
ينشأ من هذا التحريم بل شبهة احتمال **الاصل الرابع** انه يشتريه لنفسه او للقوم فان المتولي
والخادم كالنائب وله ان يشتري لهم ولنفسه ولكن يكون ذلك بالنية وصريح اللفظ واذا كان يجري بالمعاطاة
فلا يجري باللفظ والغالب انه لا ينوي عند المعاطاة والخباز والقصاب ومن يعامله يعول عليه ويقصد
البيع منه لا ممن لا يحضر فيقع عن جهته ويدخل في ملكه وهذا الاصل ليس فيه تحريم ولا شبهة ولكن ثبت
انهم يأكلون من ملك الخادم **الاصل الخامس** ان الخادم يقدم الطعام ولا يمكن ان يجعل ضيافة
وهدية بغير عوض فانه لا يرضى بذلك وانما يقدمه اعتمادا على عوضه من الوقف فهي معاوضة ولكن
ليس ببيع ولا اقراض لانه لو اشتغل بمطالبتهم بالثمن استبعد ذلك وقرينة الحال تدل عليه فاشبه
اصل ينزل عليه الحال الهبة بشرط الثواب اعني هدية لا لفظ فيها يخص يقتضي قرينة الحال انه
يطمع في ثواب وذلك صحيح والثواب لازم وههنا ما طمع الخادم في ان ياخذ ثوابا عما قدمه الا من
الوقف ليقضي به دينه من الخباز والقصاب والبقال وغيره فهذا ليس فيه شبهة اذ لا يشترط
لفظ في الهدية ولا في تقديم الطعام وان كان مع انتظار الثواب ولا سيما لا يقول من لا يصحح هدية في
انتظار ثواب **الاصل السادس** ان الثواب الذي يلزم فيه خلاف فقيل انه متمول وقيل
قدر القيمة وقيل ما يرضى به الواهب حتى له ان لا يرضى باضعاف القيمة والصحيح انه يتبع رضاه فاذا
لم يرض يرد عليه وههنا الخادم قد رضي بما ياخذ من حق السكان على الوقف فان كان لهم من حق بقدر
ما اكلوه فقد تم الامر وان كان ناقصا ورضي به الخادم صح ايضا وان علم ان الخادم لا يرضى لولا انه يأخذ
الوقف الآخر الذي يأخذه بتوفر هؤلاء السكان فكانه رضي في الثواب بمقدار بعضه حلال وبعضه
حرام والحرام لم يدخل في يد السكان فهذا كالغل المتطرق الى الثمن وقد ذكرنا حكمه من قبل وانه متى
يقتضي التحريم ومتى يقتضي الشبهة وهذا لا يقتضي تحريما على ما فصلناه فلا ينقلب الهدية حراما

الاصل الثالث

يتوصل المهدي بسبب الهدية إلى الحرام. **الأصل السابع** أنه يقضي من الخباز والقصاب والبقال من ارتفاع الوقفين فإن وفى ما أخذ من حقهم بقيمة ما أطعمهم فقد صح الأمر وإن قصر عنه وقضى الخباز والقصاب بأي ثمن كان نحو ما كان أو حلالا فهذا الخلل تطرق إلى ثمن الطعام أيضا فليلتفت إلى ما قدمناه من الشراء في الذمة ثم قضاء الثمن من حرام هذا إذا علم أن قضاءه من حرام فإن احتمل ذلك واحتمل غيره فالشبهة أبعد فقد خرج من هذا أن أكل هذا ليس بحرام ولكنه أكل شبهة وهو بعيد من الورع لأن هذه الأصول إذا كثرت وتطرق إلى كل واحد احتمال صار احتمال الحرام بكثرته أقوى في النفس كما أن الخبر إذا طال إسناده صار احتمال الكذب والغلط فيه أقوى مما إذا قرب إسناده فهذا حكم هذه الواقعة وهي من الفتاوى وإنما أوردناها ليعرف كيفية تخريج الوقائع الملتفة الملتبسة وأنها كيف ترد إلى الأصول فإن ذلك مما يعجز عنه أكثر المفتين.

الباب الرابع في كيفية خروج التائب عن المظالم المالية اعلم أن من تاب وفي يده مال مختلط فعليه وظيفة في تمييز الحرام وإخراجه ووظيفة أخرى في مصرف المخرج فلينظر فيهما.

النظر **الأول** في كيفية التمييز والإخراج اعلم أن كل من تاب وفي يده ما هو حرام معلوم العين من غصب أو وديعة أو غيره فأمره سهل فعليه تمييز الحرام وإن كان ملتبسا مختلطا فلا يخلو إما أن يكون في مال هو من ذوات الأمثال كالحبوب والنقود والأدهان وإما أن يكون في أعيان متمايزة كالعبيد والثياب والعقار فإن كان في المتماثلات أو كان شائعا في المال كله كمن اكتسب بتجارة يعلم أنه كذب في بعضها في المرابحة وصدق في بعضها أو من غصب دهنا وخلطه بدهن نفسه أو فعل ذلك في الحبوب أو الدراهم والدنانير فلا يخلو إن كان معلوم القدر أو مجهوله فإن كان معلوم القدر مثل أن يعلم أن قدر النصف من جملة ماله حرام فعليه تمييز النصف وإن أشكل فله طريقان أحدهما الأخذ باليقين والآخر الأخذ بغالب الظن وكلاهما قد قال به العلماء في اشتباه ركعات الصلاة ونحن لا نجوز في الصلاة إلا الأخذ باليقين لأن الأصل اشتغال الذمة فيستصحب ولا يغير إلا بعلامة قوية وليس في أعداد الركعات علامات يوثق بها أما ههنا فلا يمكن أن يقال الأصل أن ما في يده حرام بل هو مشكل فيجوز له الأخذ بغالب الظن اجتهادا ولكن الورع في الأخذ باليقين وإن أراد الورع فطريق التحري والاجتهاد أن لا يستبقي إلا القدر الذي يتيقن أنه حلال وإن أراد الأخذ بالظن فطريقه مثلا أن يكون في يده مال تجارة فسد بعضه فيتيقن أن النصف حلال وأن الثلث مثلا حرام ويبقى سدس يشك فيه فيحكم فيه بغالب الظن وهكذا طريق التحري في كل مال وهو أن يقطع القدر المستيقن من الجانبين في الحل والحرمة والقدر المتردد فيه إن غلب على ظنه التحريم أخرجه وإن غلب الحل جاز له الإمساك والورع إخراجه وإن شك فيه جاز الإمساك والورع الإخراج وهذا الورع أوكد لأنه صار مشكوكا فيه وكان إمساكه اعتمادا على أنه يكون في يده وأن الحل أغلب عليه وقد صار ضعيفا بعد تيقن اختلاط الحرام ويحتمل أن يقال الأصل التحريم فلا يأخذ إلا ما يغلب على ظنه أنه حلال وليس أحد الجانبين بأولى من الآخر وليس يترجح في الحلال ترجيح وهو من المشكلات فإن قيل هبه أنه أخذ باليقين لكن الذي يخرجه ليس يدري أنه عين الحرام فلعل الحرام ما بقي في يده فكيف يقدم عليه ولو جاز هذا لجاز أن يقال إذا اختلطت ميتة بتسع مذكيات فله أن يطرح واحدة أي واحدة كانت ويأخذ الباقي ويستحلها ولكن يقال لعل الميتة فيما استبقاه بل

لو طرح التسعة واستبقى واحدة لم يحل لاحتمال أنها هي الحرام فنقول هذه الموازنة كانت تصح لولا أن المال يحل بإخراج البدل لتطرق المعاوضة إليه وأما الميتة فلا يتطرق المعاوضة إليها فلنكشف الغطاء عن هذا الإشكال بالرهن في درهم معين اشتبه بدرهم آخر من ماله درهمان أحدهما حرام وقد اشتبه عينه فقد سئل أحمد بن حنبل رحمه الله عن هذا فقال يدع الكل حتى يتبين وكان قد رهن آنية فلما قضى الدين حمل المرتهن إليه آنيتين وقال لا أدري أيتهما آنيتك فتركهما فقال المرتهن هذا الذي لك وإنما كنت أجربك فقضى دينه ولم يأخذ الرهن وهذا ورع ولكنا نقول إنه غير واجب فلنفرض في درهم له مالك معين خاص فنقول إذا رد أحد الدرهمين عليه ورضي به مع العلم بحقيقته إذا احتمل له الدرهم الآخر لأنه لا يخلو إما أن يكون المردود في علم الله تعالى هو المأخوذ فقد حصل المقصود وإن كان غيره فقد حصل لكل واحد درهم في يد صاحبه فالاحتياط أن يتبايعا باللفظ فإنه لم يفعلا وقع التقاص والتبادل بمجرد المعاطاة وكان المغصوب منه قد فات له درهم في يد الغاصب وعسر الوصول إلى عينه واستحق ضمانه فما أخذه وقع عن الضمان وهذا في جانبه واضح فإن المضمون له يملك الضمان بمجرد القبض من غير لفظ والإشكال في الجانب الآخر إذ يدخل في ملكه فنقول إنه أيضا إن كان قد سلم درهم نفسه فقد فاته أيضا درهم هو في يد الآخر وليس يمكن الوصول إليه فهو كالفائت فيقع هذا بدلا عنه في علم الله تعالى إن كان الأمر كذلك ويقع هذا التبادل في علم الله تعالى كما يقع التقاص لو أتلف رجلان كل واحد درهما على صاحبه بل في غير مثلينا لو وقع كل واحد ما في يده في البحر أو أحرقه كان قد أتلف ولم يكن عليه في الآخرة عهدة للآخر بطريق التقاص وكذا إذا تلف فإن الفعل بهذا أولى من المصير إلى أن من يأخذ درهما حراما ويطرحه في ألف ألف درهم لرجل آخر يصير كل المال محجورا عليه لا يجوز التصرف فيه وهذا المذهب يؤدي إليه فانظر ما في هذا من البعد وليس فيما ذكرنا إلا ترك اللفظ والمعاطاة بيع ومن لم يجعلها بيعا فحيث يتطرق إليها احتمال فإن الفعل يضعف دلالته حيث يمكن التلفظ وههنا هذا التسليم والتسلم المبادلة قطعا والبيع غير ممكن لأن البيع غير مشار إليه ولا معلوم في عينه وقد يكون مما لا يقبل البيع كما لو خلط رطل دقيق بألف رطل دقيق لغيره وكذا الدبس والرطب وكل ما لا يباع البعض منه بالبعض فإن قيل فإن تم جوزتم تسليم قدر حقه في مثل هذه الصورة وجعلتموه بيعا قلنا لا نجعله بيعا بل نقول هو بدل عما فات في يده فيملكه كما يملك المتلف عليه من الطب إذا أخذ مثله هذا إذا ساعده صاحب المال فإن لم يساعد وأصر وقال لا آخذ درهما إلا عين ملكي فإن استبهم فأتركه ولا أهبه وأعطل عليك مالك فأقول على القاضي أن ينوب عنه في القبض حتى يطيب للرجل ماله فإن هذا محض التعنت والتضييق والشرع لا يرد به فإن عجز عن القاضي ولم يجده فليحكم رجلا متدينا ليقبض عنه فإن عجز فيتولى هو بنفسه ويفرد على نية الصرف إليه درهما ويتعين ذلك له ويطيب له الباقي وهذا في خلط المائعات أظهر وألزم فإن قيل فينبغي أن لا يحل له الأخذ وينتقل الحق إلى ذمته فأي حاجة إلى الإخراج أولا ثم التصرف في الباقي قلنا قال قائلون يحل له أن يأخذ ما دام قدر الحرام ولا يجوز أن يأخذ الكل فإنه لم يجز ذلك وقال آخرون ليس له أن يأخذ ما لم يخرج قدر الحرام بالتوبة وقصد الإبدال وقال آخرون يجوز للأخذ في التصرف أن يأخذ منه وأما هو فلا يعطى فإن أعطى عصى هو دون الآخذ وما جوز أحد أخذ الكل وذلك لأن المالك لو ظهر فله أن يطالب بحقه من هذه الجملة إذ يقول لعل المصروف إليه إن يقع عين

حتى يفرز هذا المال بترجيح بعض الاحتمالات على بعض وما هو اقرب الى الحق مقدم كما يقدم المثل على القيمة والعين
على المثل فكذلك ما يحتمل فيه رجوع العين يقدم على ما لا يحتمل ولو جاز هذا لجاز ان يقول ذلك الخائن
لصاحب الدرهم الاخر ان ياخذ الدرهمين ويتصرف فيهما ويقول على قضاء حقك من موضع اخر اذ الاختلاط
من الجانبين وليس ملك احدنا بان يقدر تفاوتا باولى من الاخر الا ان ينظر الى الاقل فيقدر انه تابت او
ينظر الى الذي خلط فيجعل بفعله متلفا لحق غيره وكلاهما بعيدان جدا وهذا واضح في ذوات الامثال
فانها يقع عوضها عن الاتلافات من غير عقد اما اذا اشتبه دار بدور وعبد بعبيد فلا سبيل الى المصالحة
والتراضي فان ابى الا ياخذ الا عين حقه ولم يقدر عليه واراد ان يعوق عليه جميع ملكه فان
كانت متماثلة القيم فالطريق ان يبيع القاضي جميع العبيد ويوزع الثمن عليهما بقدر
النسبة فان كانت متفاوتة اخذ من طالب البيع قيمة انفس العبيد وصرف الى الممتنع منه مقدار
قيمة الاقل ويتوقف في مقدار التفاوت الى البيان او الاصطلاح لانه مشكل فان لم يوجد القاضي
فللذي يريد الخلاص وفي يده الكل ان يتولى ذلك بنفسه هذه هي المصلحة وما عداها من الاحتمالات
ضعيفة لا نختارها وفيما سبق تنبيه على العلة وهذا في الخلط ظاهر في النقود دونه في العروض
احمض اذ لا يقع البعض بدلا عن البعض فلذلك احتيج الى البيع ولنرسم مسايل بها يتم بيان هذا الاصل

مسئلة اذا ورث مع جماعة كان ذا السلطان قد غصب ضيعة لمورثهم فرد عليه قطعة معينة فهي
لجميع الورثة ولو رد من الضيعة نصفها وهو قدر حصته سائر الورثة فان النصف الذي لا يتميز
حتى يقال هو المردود والباقي هو المغصوب ولا يصير مميزا بنية السلطان وقصده حصر الغصب في نصيب
الاخر

مسئلة اذا وقع في يده مال اخذه من سلطان ظالم ثم تاب والمال عقار وكان قد حصل
منه ارتفاع فينبغي ان يحسب اجرة مثله لطول تلك المدة وكذلك كل مغصوب له منفعة او حصل
منه زيادة فلا تصح توبته ما لم يخرج اجرة المغصوب وكل زيادة حصلت منه وتقدير اجرة العبيد و
الثياب والاواني وامثال ذلك مما لا يعتاد اجارتها مما يعسر ولا يدرك ذلك الا باجتهاد وتخمين
وهكذا كل التقويمات يقع بالاجتهاد وطريق الورع الاخذ بالاقصى وما يجده على المال المغصوب في
عقود عقدها على الذمة وقضى الثمن منه فهي ملكه ولكن فيه شبهة اذ كان ثمنه حراما كما سبق
حكمه وان كان باعيان تلك الاموال فالعقود كانت فاسدة وقد قيل ينفذ باجازة المغصوب للمصلحة
فيكون المغصوب منه اولى به والقياس ان تلك العقود تنفسخ بالفسخ ويسترد الثمن ويرد الاعواض
وان عجز عنه لكثرته فهي اموال حرام حصلت في يده فللمغصوب منه قدر راس ماله والفضل حرام
يجب اخراجه ليتصدق به فلا يحل للغاصب ولا للمغصوب منه بل حكمه حكم كل حرام يقع في يده

مسئلة من ورث مالا ولم يدر ان مورثه من اين اكتسبه من حلال او حرام ولم يكن ثم علامة فهو
حلال باتفاق العلماء وان علم ان فيه حراما وشك في قدره اخرج مقدار الحرام بالتحري وان لم يعلم
ذلك ولكن علم ان مورثه كان يتولى اعمالا للسلطان واحتمل انه لم يكن اخذ في عمله شيا او كان قد اخذ
ولم يبق في يده منه شي لطول المدة فهذه شبهة يحسن التورع منها ولا يجب وان علم ان بعض
ماله كان من الظلم فيلزمه اخراج ذلك القدر بالاجتهاد وقال بعض العلماء لا يلزمه بل الاثم على المورث
كما روي ان رجلا ممن ولي عمل السلطان مات فقال صحابي الان طاب ماله اي لوارثه وهذا ضعيف
لانه لم يذكر اسم الصحابي ولعله صدر من متساهل فقد كان ممن كان في الصحابة من يتساهل ولكن لا نذكره به

لحرمة الصحبة وكيف يكون موت الرجل مبيحا للحرام المتيقن المخالط ومن اين ياخذ هذا نعم اذا لم يتيقن
يجوز ان يقال هو غير ماخوذ بما لا يدري فيطيب لوارث لا يدري ان فيه حراما يقينا

النظر الثاني

في المصرف فاذا اخرج الحرام فله ثلثة احوال اما ان يكون له مالك معين فيجب الصرف اليه او الى وارثه
وان كان غايبا فينتظر حضوره او الايصال اليه فان كانت له زيادة ومنفعة فليجمع له فوايده الى
وقت حضوره واما ان يكون لمالك غير معين وقع الياس عن الوقوف على عينه ولا يدري انه مات عن
وارث ام لا وربما لا يمكن الرد لكثرة الملاك كغلول الغنيمة فانها بعد تفرق الغزاة كيف يقدر على
جمعهم وان قدر فكيف يفرق دينارا واحدا مثلا على الف والفين فهذا ينبغي ان يتصدق به واما
ان يكون من مال الفي والاموال المرصدة لمصالح المسلمين كافة فيصرف ذلك الى القناطر والمساجد و
الرباطات ومصانع طريق مكة وامثال هذه الامور التي يشترك في الانتفاع بها كل من يمر بها من المسلمين
ليكون عاما للمسلمين وحكم القسم الاول لا شبهة فيه اما التصدق وبناء القناطر فينبغي ان يتولى
ذلك القاضي فليسلم اليه المال ان وجد قاضيا متدينا وان كان القاضي مستحلا فهو بالتسليم
اليه ضامن لو ابتدا به فيما لا يضمنه فكيف يسقط عنه به ضمان قد استقر عليه بل يحكم من اهل
البلد عالما متدينا فان التحكم اولى من الانفراد فان عجز عن ذلك فليتول ذلك بنفسه فان المقصود
الصرف واما عين الصارف فانما نطلبه لمصارفات دقيقة في المصالح فلا يترك اصل الصرف بسبب
العجز عن صارف هو اولى عند القدرة عليه فان قيل ما دليل جواز التصدق بما هو حرام وكيف يتصدق
بما لا يملك وقد ذهب جماعة الى ان ذلك غير جايز لانه حرام وحكي عن الفضيل انه وقع في يده درهمان
فلما علم انهما من غير وجههما رماهما بين الحجارة وقال لا اتصدق الا بالطيب ولا ارضى لغيري ما
لا ارضاه لنفسي فنقول نعم ذلك له وجه واحتمال ولكنا اخترنا خلافه للخبر والاثر والقياس اما
الخبر فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتصدق بالشاة المصلية التي قدمت اليه فكلمته بانها حرام
اذ قال اطعموها الاسارى ولما نزل قوله تعالى الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون
كذبه المشركون وقالوا للصحابة الا ترون الى ما يقول صاحبكم يزعم ان الروم ستغلب فخاطرهم ابو بكر رضي
الله عنه باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما حقق الله صدقه جا ابو بكر رضي الله عنه بما
قامرهم به فقال عليه السلام هذا سحت فتصدق به وفرح المؤمنون بنصر الله تعالى وكان قد نزل
تحريم القمار بعد اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمخاطرة مع الكفار واما الاثر فان ابن مسعود
رضي الله عنه اشترى جارية فلم يظفر بمالكها لينقده الثمن فطلبه كثيرا فلم يجده فتصدق بالثمن
وقال اللهم هذا عنه ان رضي والا فالاجر لي وسئل الحسن عن توبة الغال بعد تفرق الجيش فقال يتصدق
به وروي ان رجلا سولت له نفسه فغل مائة دينار من الغنيمة ثم اتى اميره ليردها عليه فابى ان
يقبضها وقال تفرق الناس فاتى معاوية فابى ان يقبضها فاتى بعض النساك فقال ادفع خمسه
الى معوية وتصدق بما بقي فبلغ ذلك معوية فتلهف اذ لم يخطر له ذلك وقد ذهب احمد بن حنبل
والحارث المحاسبي رحمة الله عليهما وجماعة من الورعين الى ذلك واما القياس فهو ان هذا المال
مردد بين ان يضيع وبين ان يصرف الى خير اذ وقع الياس عن مالكه وبالضرورة يعلم ان صرفه الى خير اولى
من القائه في البحر فانا اذا رميناه في البحر فقد فوتناه على انفسنا وعلى المالك ولم تحصل منه فايدة واذا
رميناه في يد فقير يدعو لمالكه حصل للمالك بركة دعايه وحصل للفقير سد حاجته وحصول الاجر

المالك بغير اختياره في التصدق لا ينبغي ان ينكر فان في الخبر الصحيح ان للزارع والغارس اجرا في
كل ما يصيبه الناس والطير من ثماره واما قول القايل لا نتصدق الا بالطيب فذلك اذا طلبنا
الاجر لانفسنا ونحن الان نطلب الخلاص من المظلمة لا الاجر وقد ترددنا بين التضييع وبين
التصدق وقول القايل ما لا نرضاه لانفسنا فلا نرضاه لغيرنا فهو كذلك ولكنه علينا حرام
لاستغنائنا عنه وللفقير حلال اذ احله دليل الشرع واذا اقتضت المصلحة التحليل وجب
التحليل واذا حل فقد رضينا له الحلال ونقول ان له ان يتصدق على نفسه وعياله اذا كان فقيرا
اما عياله واهله فلا يخفى لان الفقر لا ينتفي عنهم بكونهم من عياله واهله بل هم من يتصدق عليهم واما هو
فله ان ياخذ منه قدر حاجته لانه ايضا فقير ولو تصدق به على فقير لجاز فكذا اذا كان هو الفقير
ولنرسم في بيان هذا الاصل مسايل **مسئله** اذا وقع في يده مال من يد سلطان قال قوم يرده
الى السلطان فهو اعلم بما تولاه فيقلده ما تقلده وهو خير من ان يتصدق به واختار الحرث المحاسبي
رحمه الله ذلك وقال كيف يتصدق به ولعل له مالكا معينا ولو جاز ذلك لجاز ان يسرق من
السلطان ويتصدق به وقال قوم يتصدق به اذا علم ان السلطان لا يرده الى المالك لان ذلك
اعانة للظالم وتكثير لاسباب ظلمه فالرد اليه تضييع لحق المالك والمختار انه اذا علم من عادة
السلطان انه لا يرده الى مالكه فيتصدق به عن المالك فهو خير للمالك ان كان له مالك معين من
ان يرده على السلطان لانه ربما لا يكون له مالك معين فالرد على السلطان تضييع واعانة للسلطان
الظالم وتفويت لبركة دعا الفقير للمالك وهذا ظاهر اذا وقع في يده من ميراث ولم يتعد هو
بالاخذ من السلطان فانه شبيه باللقطة التي ايس عن معرفة صاحبها اذ له ان يتصرف فيها بالتصدق
عن المالك وله ان يتملكه ان كان فقيرا من حيث انه اكتسبه من جهة مباحة وهو الالتقاط وههنا
لم يحصل المال بجهة مباحة فيه في منعه من المالك ولا يجوز له المنع من التصدق **مسئله**
اذا حصل في يده مال لا مالك له وجوزنا له ان ياخذ قدر حاجته لفقره ففي قدر حاجته نظر ذكرناه
في كتاب اسرار الزكوة فقد قال قوم ياخذ قدر كفاية سنة لنفسه وعياله وان قدر على شراء ضيعة
او تجارة يكتسب بها لعياله فعل هذا ما اختاره المحاسبي رحمه الله ولكنه قال الاولى ان يتصدق
بالكل ان وجد من نفسه قوة التوكل وينتظر لطف الله في الحلال فان لم يقدر فله ان يشتري ضيعة
او يتخذ راس مال يتعيش بالمعروف منه وكل يوم وجد فيه حلالا امسك ذلك اليوم عنه فاذا انتهى
عاد اليه فاذا وجد حلالا معينا تصدق بمثل ما انفق منه من قبل ويكون ذلك قرضا عليه ثم ياكل
الخبز ويترك اللحم ان قوي عليه والا اكل اللحم من غير تنعم وتوسع وما ذكره لا مزيد عليه ولكن
جعل ما انفقه قرضا عليه فيه نظر ولا شك في ان الورع ان يجعله قرضا فاذا وجد حلالا تصدق
بمثله ولكن مهما لم يجب ذلك على الفقير الذي يتصدق عليه فلا يبعد ان لا يجب عليه ايضا اذا
اخذه لفقره لا سيما اذا وقع في يده من ميراث ولم يكن متعديا بغصبه وكسبه حتى يغلظ الامر عليه
فيه **مسله** اذا كان في يده حلال وحرام او شبهة وليس يفضل الكل عن حاجته فاذا كان له
عيال فليخص نفسه بالحلال لان الحجة عليه اوكد في نفسه منه في عبده وعياله واولاده والكبار
من اولاده يحرسهم من الحرام ان كان لا يفضي بهم ذلك الى ما هو اشد منه فان افضى فيطعمهم بقدر
الحاجة وبالجملة كل ما يحذر في غيره فهو محذور في نفسه وزيادة وهو انه يتناوله مع العلم والعيال

ربما يعذر في نفسه اذا لم يعلم ولم يتناول الا من يده بنفسه فليبدا بالحلال بنفسه ثم بمن يعول واذا تردد
في حق نفسه بين ما يخص قوته وكسوته وبين غيره من المون كاجرة الحجام والصباغ والقصار والحمال
والاطلاء بالنورة والدهن وعمارة المنزل وتعهد الدابة وتسجير التنور وثمن الحطب ودهن
السراج فليخص بالحلال قوته ولباسه فان ما يتعلق ببدنه ولا غنى به عنه فهو اولى بان يكون طيبا واذا
دار بين القوت واللباس فيحتمل ان يقال يخص القوت بالحلال لانه يمتزج بلحمه ودمه وكل
لحم نبت من حرام فالنار اولى به واما الكسوة ففايدتها ستر عورته ودفع الحر والبرد والابصار
عن بشرته وهذا هو الاظهر عندي وقال الحارث المحاسبي رحمه الله يقدم اللباس لانه يبقى
عليه مدة والطعام لا يبقى عليه لما روي انه لا يقبل صلوة من عليه ثوب اشتراه بعشرة دراهم
فيها درهم حرام وهذا محتمل ولكن امثال هذا قد ورد فيمن في بطنه حرام ونبت لحمه من حرام
فمراعاة اللحم والعظم ان ينبت من الحلال اولى ولذلك تقيا الصديق ما شربه مع الجهل حتى لا يبقى
منه ما ينبت منه لحم يثبت ويبقى فان قيل فاذا كان الكل مصروفا الى اغراضه فاي فرق بين نفسه
وغيره وبين جهة وجهة وما مدرك هذا الفرق قلنا عرف ذلك بما روي عن رافع بن خديج انه مات
وخلف ناضحا وعبدا حجاما فسيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فنهى عن كسب الحجام
فروجع مرات فنهى فقيل له ان لهم ايتاما فقال اعلفوه الناضح فهذا يدل على الفرق بين ما ياكله هو ودابته
فاذا انفتح سبيل الفرق فقس عليه التفصيل الذي ذكرناه **مسئلة** الحرام الذي في يده لو تصدق
به على الفقراء فله ان يوسع عليهم واذا انفق على نفسه فليضيق ما قدر وما انفق على عياله فليقتصد
وليكن وسطا بين التوسع والتضييق فيكون الامر على ثلث مراتب وان انفق على ضيف قدم عليه
وهو فقير فليوسع عليه وان كان غنيا فلا يطعمه الا ان كان في برية او قدم ليلا ولم يجد شيئا فانه
في ذلك الوقت فقير وان كان الفقير الذي حضر ضيفا تقيا لو علم ذلك لتورع عنه فليعرض
الطعام وليخبره جمعا بين حق الضيافة وترك الخداع فلا ينبغي ان يكرم اخاه بما يكره ولا ينبغي ان
يعول على انه لا يدري فلا يضره لان الحرام اذا حصل في المعدة اثر في قساوة القلب وان لم يعرفه صاحبه
لذلك تقيا ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وكانا قد شربا على جهل وهذا وان افتينا انه حلال للفقير
احللناه بحكم الحاجة فهو كالخنزير والخمر اذا احللناه بالضرورة فلا يلتحق بالطيبات **مسئله**
اذا كان الحرام والشبهة في يد ابويه فليمتنع من مواكلتهما فان كانا يسخطان فلا يوافقهما على
الحرام المحض بل ينهاهما فلا طاعة لمخلوق في معصية الله تعالى وان كان شبهة وكان امتناعه
للورع ههنا قد عارضه ان الورع طلب رضاهما بل هو واجب فليتلطف في الامتناع فان لم يقدر
فليوافق وليقلل الاكل بان يصغر اللقمة ويطيل المضغ ولا يتوسع فان ذلك عدوان والاخ والاخت
قريب من ذلك لان حقهما ايضا موكد وكذلك اذا البسته امه ثوبا من شبهة وكانت تسخط
برده فليقبل وليلبس بين يديها ولينزعه في غيبتها وليجتهد ان لا يصلي فيه الا عند حضورها
فيصلي فيه صلوة المضطر وعند تعارض اسباب الورع ينبغي ان يتفقد هذه الدقايق وقد
حكي عن بشر انه سلمت امه اليه رطبة فاكلها ثم تقيا وانما فعل ذلك لانه اراد ان يجمع بين رضاها وبين
صيانة المعدة وقيل لاحمد سئل بشر هل للوالدين طاعة في الشبهة فقال لا فقال احمد هذا شديد
فقيل له سئل محمد بن مقاتل عنها فقال بر والديك فماذا تقول فقال احب ان تعفيني فقد سمعت

فلا نعم ما قال ما احسن ان تداريهم **مسئلة** من في يده مال حرام محض فلا حج عليه ولا يلزمه كفارة
مالية لانه مفلس ولا يجب الزكوة اذ معنى الزكوة وجوب اخراج ربع العشر مثلا وهذا يجب عليه اخراج
الكل اما ردا على المالك ان عرفه او صرفا على الفقرا ان لم يعرف المالك واما اذا كان مالا يحتمل انه حلال
فاذا لم يخرجه من يده لزمه الحج لان كونه حلالا ممكن ولا يسقط الحج الا بالفقر ولا يتحقق فقره وقد
قال تعالى ولله على الناس حج البيت واذا وجب عليه التصدق بما يزيد على حاجته حيث يغلب تحريمه
فالزكوة اولى بالوجوب واذا لزمته كفارة فليجمع بين الاعتاق والصوم ليتخلص بيقين وقد اوجب
قوم عليه الجمع وقال قوم يلزمه الصوم دون الاطعام اذ ليس له يسار معلوم وقال المحاسبي رحمه
الله يكفيه الاطعام والذي نختاره ان كل شبهة حكمنا باجتنابها وجوبا والزمناه اخراجها من يده
لكون احتمال الحرام اغلب على ما ذكرناه فعليه الجمع بين الصوم والاطعام اما الصوم فلانه مفلس
حكما واما الاطعام فلانه قد وجب عليه التصدق بالجميع ويحتمل ان يكون له فيكون اللزوم من جهة
الكفارة **مسئلة** من في يده مال حرام وامسكه للحاجة فاراد ان يتطوع بالحج فان كان ماشيا فلا باس
به فانه سياكل هذا المال في غير عبادة فاكله في عبادة اولى وان كان لا يقدر على ان يمشي ويحتاج
الى زيادة للمركوب فلا يجوز له الاخذ لمثل هذه الحاجة في الطريق كما لا يجوز شرا المركوب في البلد وان كان
يتوقع القدرة على حلال لو اقام بحيث يستغني به ويستغني عن بقية الحرام فالاقامة في انتظار ذلك
اولى من الحج ماشيا بالمال **مسئلة** من خرج لحج واجب بمال فيه شبهة فليجتهد ان يكون قوته
من الطيب فان لم يقدر فمن وقت الاحرام الى التحلل فان لم يقدر فليجتهد ان لا يكون في بطنه حرام
ولا على ظهره حرام ثانيا وان جوزنا هذا بالحاجة فهو نوع ضرورة وما الحقناه بالطيبات فان لم يقدر
فليلازم قلبه الخوف والغم لما هو مضطر اليه من تناول ما ليس بطيب فعساه ينظر اليه بعين الرحمة
ويتجاوز عنه بسبب حزنه وخوفه وكراهته **مسئلة** سئل احمد بن حنبل رحمه الله تعالى عن قائل
مات ابي وترك مالا وكان يعامل من تكره معاملته فقال تدع من ماله بقدر ما ربح فقال المديون عليه
دين فقال تقضي وتقضي فقال افترى ذلك فقال تدعه محتسبا بدينه وما ذكره صحيح وهو يدل على
انه راي التحري باخراج مقدار الحرام اذ قال يخرج قدر الربح وانه راي ان اعيان ماله ما اسلم بدلا
عما بدل في المعاوضات الفاسدة بطريق التغاضي والتقابل بها لكثرة التصرف عن الرد وعن الحج قضا
دينه على انه يقين فلا يترك بسبب الشبهة

الباب الخامس في ادرارات السلاطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم

اعلم ان من اخذ مالا من سلطان فلا بد له من النظر في ثلثة
امور في مدخل ذلك المال الى يد السلطان من اين هو وفي صفته التي بها يستحق الاخذ وفي المقدار
الذي ياخذه هل يستحقه اذا اضيف الى حاله وحال شركائه في الاستحقاق **النظر الاول** في جهات
الدخل للسلطان وكل ما يحل للسلطان سوى الاحيا وما يشترك فيه الرعية قسمان ما اخذ من
الكفار وهو الغنيمة الماخوذة بالقهر والفيء وهو الذي حصل من مالهم في يده من غير قتال والجزية واموال
المصالحة وهي التي توخذ بالشرط والمعاقدة والقسم الثاني الماخوذ من المسلمين فلا يحل منه الا
قسمان المواريث وسائر الاموال الضائعة التي لا يتعين لها مالك والاوقاف التي لا متولي لها
اما الصدقات فليس توخذ في هذا الزمان وما عدا ذلك من الخراج المضروب على المسلمين والمصادرات
وانواع الرشوة كلها حرام فاذا كتب لفقيه او غيره ادرارا او صلة او خلعة على جهة فلا يخلوا

من اهل الذمة فانه اما ان يكتب له على الجزية او على المواريث او على الاوقاف او على ملك احياه السلطان
او على ملك اشتراه او على عامل خراج المسلمين او على بياع من جملة التجار او على الخزانة فالاول هو
الجزية واربعة اخماسه للمصالح وخمسه لجهات معينة فما يكتب على الخمس من تلك الجهات او
على الاخماس الاربعة لما فيه مصلحة وروعي فيه الاحتياط في القدر فهو حلال بشرط ان لا تكون الجزية
مضروبة على وجه شرعي ليس فيها زيادة على دينار واربعة دنانير فانه ايضا في محل الاجتهاد وللسلطان
ان يفعل ما هو في محل الاجتهاد وبشرط ان يكون الذمي الذي يوخذ منه مكتسبا من وجه لا يعلم
تحريمه فلا يكون عامل سلطان ظالم ولا بياع خمر ولا يكون صبيا ولا امراة اذ لا جزية عليهما فهذه امور
يراعى في كيفية ضرب الجزية ومقدارها وصفة من يضرب اليه ومقدار ما يصرف فيجب النظر في جميع ذلك
الثاني المواريث والاموال الضائعة فهي للمصالح والنظر في ان الذي خلفه هل كان ماله كله حراما
او اكثره او اقله وقد سبق حكمه فان لم يكن حراما بقي النظر في صفة من يصرف اليه بان يكون في الصرف
اليه مصلحة ثم في المقدار المصروف **الثالث** الاوقاف وكذا يجري فيها ما يجري في الميراث
مع زيادة امر وهو شرط الواقف حتى يكون الماخوذ موافقا له في جميع شرايطه **الرابع** ما احياه
السلطان وهنا لا يعتبر فيه شرط اذ له ان يعطي من ملكه من شا اي قدر شا وانما النظر في ان الغالب انه
احياه باكراه الاجرا او باداء اجرتهم من حرام فان الاحيا يحصل بحفر القنى والانهار وبنا الجدارات و
تسوية الارض ولا يتولاه السلطان بنفسه فان كانوا مكرهين على الفعل لم يملكه السلطان وهو حرام
وان كانوا مستاجرين ثم قضيت اجرتهم من الحرام فهذا يورث شبهة وقد نبهنا عليه في تعلق الكراهة
بالاعواض **الخامس** ما اشتراه السلطان في الذمة من ارض او ثياب خلعة او فرس او غيره فهو ملكه
وله ان يتصرف فيه ولكن سيقضي ثمنه من حرام وذلك يوجب التحريم تارة والشبهة اخرى وقد
سبق تفصيله **السادس** ان يكتب على عامل خراج او من يجمع اموال الفيء والمصادرات وهو الحرام
السحت الذي لا شبهة فيه وهو اكثر الادرارات في هذا الزمان الا ما على اراضي العراق فانها وقف
عند الشافعي رحمه الله على مصالح المسلمين **السابع** ما يكتب على بياع يعامل السلطان فان كان
لا يعامل غيره فماله كمال خزانة السلطان وان كان معاملته مع غير السلاطين اكثر فما يعطيه قرض
على السلطان وسياخذ بدله من الحرام والحلال يتطرق الى العوض وقد سبق حكم الثمن الحرام **الثامن**
ما يكتب على الخزانة او على عامل يجتمع عنده من الحلال والحرام فان لم يعرف للسلطان دخل الا من
الحرام فهو سحت محض وان عرف يقينا ان الخزانة تشتمل على مال حلال وحرام واحتمل ان ما يسلم
اليه بعينه من الحلال احتمالا قريبا له وقع في النفس واحتمل ان يكون من الحرام وهو الاغلب كما غلب
اموال السلاطين حرام في هذه الاعصار والحلال في ايديهم معدوم او عزيز فقد اختلف الناس
في هذا فقال قوم كل ما لا يتيقن انه حرام فله ان ياخذه وقال اخرون لا يحل ان ياخذ ما لم يتحقق انه
حلال فلا يحل شبهة اصلا وكلاهما اسراف والاعتدال ما قدمنا ذكره وهو الحكم بان الاغلب اذا كان
حراما حرم وان كان الاغلب حلالا وفيه يقين حرام فهو موضع توقف فيه كما سبق وقد
احتج من جوز اخذ مال السلطان اذا كان فيه حلال وحرام مهما لم يتحقق ان عين الماخوذ حرام بما روي
عن جماعة من الصحابة انهم ادركوا ايام الايمة الظلمة واخذوا الاموال منهم ابو هريرة وابو سعيد
الخدري وزيد بن ثابت وابو ايوب وجرير بن عبد الله وجابر وانس والمسور بن مخرمة فاخذ ابو

سعيد وأبو هريرة من مروان ويزيد ومن عبد الملك واخذ ابن عمر وابن العباس من الحجاج واخذ كثير من
التابعين منهم كالشعبي وابرهيم والحسن وابن ابي ليلى واخذ الشافعي من هرون الرشيد الف دينار
دفعة واحدة واخذ مالك من الخلفا اموالا جمة وقال علي كرم الله وجهه خذ ما اعطاك السلطان فانما
يعطيك من الحلال وما ياخذ من الحلال اكثر وانما ترك من ترك منهم العطا تورعا مخافة على دينه ان يحمل
على ما يحل الا ترى قول ابي ذر للاحنف بن قيس خذ العطا ما كان نحله فاذا كان اثمان دينكم فدعوه
وقال ابو هريرة اذا اعطينا قبلنا واذا استغنانا لم نسال وعن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة انه كان
اذا اعطاه معوية سكت وان منعه وقع فيه وعن الشعبي عن ابن مسروق قال لا يزال العطا
حتى يحلهم النار اي يحملهم ذلك على الحرام لا انه في نفسه حرام **وروي** نافع عن ابن عمر ان المختار كان
يبعث اليه المال فيقبله ثم يقول لا اسال احدا ولا ارد ما رزقني الله واهدي اليه ناقة فقبلها
وكان يقال لها ناقة المختار ولكن هذا يعارضه ما روي ان ابن عمر لم يرد هدية احد الا هدية المختار
ولا اسناد في ردها اثبت **وعن نافع** انه بعث ابن معمر الى ابن عمر بستين الفا فقسمها على الناس ثم جاءه
سايل فاستقرض من بعض من اعطاه واعطى السايل ولما قدم الحسن بن علي عليهما السلام على معوية
فقال لاجيزنك بجايزة لم اجز بها احدا من العرب قبلك ولا اجيز بها احدا من العرب بعدك قال فاعطاه
اربع مائة الف فاخذها وعن حبيب بن ابي ثابت قال لقد رايت جوايز المختار لابن عمر وابن عباس فقبلاها
فقيل ما هي قال مال وكسوة **وعن الزبير** بن عدي قال قال سلمان اذا كان لك صديق عامل او تاجر
يقارف الربا فدعاك الى طعام او نحوه او اعطاك شيا فاقبل فان المهنا لك وعليه الوزر واذا ثبت
هذا في الربا فالظالم في معناه **وعن** جعفر عن ابيه ان الحسن والحسين سلام الله عليهم اجمعين كانا
يقبلان جوايز معوية رضي الله عنه وقال حكيم بن جبير مررنا على سعيد بن جبير وقد جعل عشارا
على اسفل الفرات فارسل الى العشارين اطعمونا مما عندكم فارسلوا بطعام فاكل واكلنا معه وقال العلاء
بن زهير الازدي اتى ابرهيم ابي وهو عامل على حلوان فاجازه فقبل وقال ابرهيم لا باس بجايزة
العمال ان للعمال مؤنة ورزقا ويدخل بيت ماله الخبيث والطيب فما اعطاك فهو من طيب ماله
فاذا اخذ كل هؤلاء جوايز السلاطين وكلهم طعنوا على من اطاعهم في معصية الله تعالى وزعمت
هذه الفرقة ان ما نقل من امتناع جماعة لا يدل على التحريم بل على الورع كالخلفا الراشدين وابي
ذر وغيرهم من الزهاد فانهم امتنعوا من الحلال المطلق زهدا ومن الحلال الذي يخاف افضاوه
الى محذور ورعا وتقوى فاقدام هؤلاء يدل على الجواز وامتناع اولئك لا يدل على التحريم وما نقل
عن سعيد بن المسيب انه ترك عطاه في بيت المال حتى اجتمع بضعة وثلاثين الفا وما نقل عن
الحسن من قوله لا اتوضا من ماء صيرفي وان ضاق وقت الصلوة لا ادري اصله فكل ذلك ورع
لا ينكر واتباعهم عليه احسن من اتباعهم على الاتساع ولكن لا يحرم اتباعهم على الاتساع ايضا فهو قسم
من يجوز اخذ مال الظالم والجواب ان ما نقل من الاخذ محصور قليل بالاضافة الى ما نقل من الرد
والانكار فان كان يتطرق الى امتناعهم احتمال الورع فيتطرق الى الاخذ ثلثة احتمالات متفاوتة
في الدرجة بتفاوتهم في الورع فان الورع في حق السلاطين اربع درجات **الاولى** ان لا ياخذ من مالهم
شيا اصلا كما كان يفعله الورعون منهم وكما فعله الخلفا الراشدون حتى ان ابا بكر رضي الله عنه
حسب جميع ما كان اخذه من بيت المال فبلغ ستة الاف درهم فغرمها لبيت المال وحتى ان عمر رضي

الله عنه كان يقسم مال بيت المال فدخلت ابنة له واخذت درهما منه فنهض في طلبها حتى سقطت
الملحفة عن منكبه ودخلت الصبية الى بيت اهلها تبكي وجعلت الدرهم في فيها فادخل عمر يده
الى فيها فاخرجه وطرحه على الخراج وقال ايها الناس ليس لعمر ولال عمر الا ما للمسلمين قريبهم
وبعيدهم وكسح ابو موسى الاشعري رضي الله عنه بيت المال فوجد درهما فمر بني لعمر فاعطاه اياه
فراه عمر في يد الغلام فساله فقال اعطانيه ابو موسى فقال يا ابا موسى ما كان في اهل المدينة بيت
اهون عليك من ال عمر اردت ان لا يبقى من امة محمد صلى الله عليه وسلم احد الا طلبنا بمظلمة ورد الدرهم الى
بيت المال هذا مع ان المال كان حلالا ولكن خاف ان لا يستحق هو ذلك القدر فكان يستبري
لدينه ويقتصر على الاقل امتثالا لقوله عليه السلام دع ما يريبك الى ما لا يريبك ولقوله من تركها فقد
استبرا لدينه وعرضه ولما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم من التشديدات في اموال السلطان
حتى قال عليه السلام حين بعث عبادة بن الصامت الى الصدقة اتق الله يا ابا الوليد لا تجي يوم القيمة
ببعير تحمله على رقبتك له رغا او بقرة لها خوار او شاة لها ثواج قال يا رسول الله هكذا يكون قال
نعم والذي نفسي بيده الا من رحم الله قال والذي بعثك بالحق لا اعمل على شي ابدا **وقال**
عليه السلام اني لا اخاف عليكم ان تشركوا بعدي انما اخاف عليكم ان تنافسوا وانما اخاف التنافس في المال و
كذلك قال عمر رضي الله عنه في حديث طويل بذكر مال بيت المال اني لم اجد نفسي فيه الا كالولي في
مال اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف وروي ان ابنا لطاوس افتعل
كتابا عن لسانه الى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فاعطاه ثلث مائة دينار فباع طاوس ضيعة له و
بعث بها الى عمر هذا مع ان السلطان مثل عمر بن عبد العزيز فهذه هي الدرجة العليا في الورع **الدرجة
الثانية** هو ان ياخذ مال السلطان ولكن انما ياخذ اذا علم انما ياخذه من جهة حلال فاشتمال
يد السلطان على حرام اخر لا يضره وعلى هذا ينزل جميع ما نقل من الاثار او اكثرها او ما اختص منها بالا
الصحابة والورعين منهم مثل ابن عمر فانه كان من المبالغين في الورع فكيف يتوسع في مال السلطان
وقد كان من اشد الناس انكارا عليهم واشدهم ذما لاموالهم وذلك انهم اجتمعوا عند ابن عامر وهو في
مرضه واشفق على نفسه من ولايته وكونه ماخوذا عند الله تعالى بها فقالوا انا نرجو لك الخير حفرت الابار
وسقيت الحاج وصنعت وصنعت وابن عمر ساكت فقال ماذا تقول يا ابن عمر فقال اقول ذلك اذا طاب
الكسب وزكت النفقة وسترد فترى وفي حديث اخر انه قال ان الخبيث لا يكفر الخبيث وانك قد
وليت البصرة ولا احسبك الا قد اصبت منها شرا فقال له ابن عامر الا تدعو لي فقال ابن عمر سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يقبل الله صلوة بغير طهور ولا صدقة من غلول وقد وليت البصرة فهذا قوله
فيما صرفها الى الخيرات **وعن ابن عمر** انه قال في ايام الحجاج ما شبعت من الطعام منذ انتهبت الدار الى
يومي هذا وروي عن علي كرم الله وجهه انه كان له سويق في اناء مختوم يشرب منه فقيل اتفعل هذا بالعراق
مع كثرة طعامه فقال اما اني لا اختمه بخلا به ولكن اكره ان يجعل فيه ما ليس منه واكره ان يدخل بطني
غير طيب فهذا هو المالوف منهم وكان ابن عمر لا يعجبه شي الا اخرج منه فطلب منه نافع بثلثين الفا فقال
اني اخاف ان تفتني دراهم ابن عامر وكان هو الطالب له اذهب فانت حر وقال ابو سعيد الخدري
رضي الله عنه ما منا احد الا وقد مالت به الدنيا الا ابن عمر فهذا ينبغي ان لا يظن به وبمن كان في منصبه
انه اخذ ما لا يدري انه حلال **الدرجة الثانية** ان ياخذ المال فيتصدق به على الفقرا ويفرقه على

المستحقين فان ما لا يتعين مالكه هذا حكم الشرع فيه فاذا كان السلطان ان لم يأخذ منه لم يفرقه
واستعان به على ظلم فقد يقول اخذه منه وتفرقته اولى من تركه في يده وهذا قد رآه بعض
العلما وسياتي وجهه وعلى هذا ينزل ما اخذه اكثرهم وكذلك قال ابن المبارك ان الذين
ياخذون الجوائز اليوم ويحتجون بابن عمر وعائشة ما يقتدون بهم لان ابن عمر فرق ما اخذ حتى
استقرض في مجلسه بعد تفرقه ستين الفا وعائشة فعلت مثل ذلك وجابر بن زيد
نقل وتصدق به وقال رايت ان آخذ منهم واتصدق احب الي من ان ادعها في ايديهم وهكذا فعل
الشافعي رحمه الله بما قبله من هارون الرشيد فانه فرقه على قرب حتى لم يمسك لنفسه حبة **الدرجة**
الرابعة ان لا يتحقق الحلال ولا يفرق بل يستحق ولكن ياخذ من سلطان اكثر ماله حلال
وهكذا كان الخلفاء في زمان الصحابة والتابعين بعد الخلفاء الراشدين ولم يكن اكثر مالهم حراما
ويدل عليه تعليل علي كرم الله وجهه حيث قال فانما ياخذه من الحلال اكثر وهذا مما تدرجون
جماعة من العلما تعليله على الاكثر ونحن توقفنا فيه حتى في آحاد الناس ومال السلطان اشبه بالخروج
عن الحصر فلا يبعد ان يؤدي اجتهاد مجتهد الى جواز اخذ ما لم يعلم انه حرام اعتمادا على الاغلب وانما
منعنا اذا كان الاكثر حراما فاذا فهمت هذه الدرجات تحققت ان ادرارات الظلمة في زماننا لا
تجري مجراه وانما تفارقه من وجهين قاطعين احدهما ان اموال السلاطين حرام كلها او اكثرها
وكيف لا والحلال هو الصدقات والفي والغنيمة ولا وجود لها وليس يدخل منها شي في ايدي السلاطين
ولم يبق الا الجزية وانما تؤخذ بانواع من الظلم لا يحل اخذها به فانهم يجاوزون حدود الشرع في
الماخوذ والماخوذ منه والوفاء بالشرط ثم اذا نسبت ذلك الى ما ينصب اليهم من الخراج المضروب على
المسلمين ومن المصادرات والرشا وصنوف الظلم لم يبلغ عشر معشار عشره **الوجه الثاني**
ان الظلمة في العصر الاول لقرب عهدهم بزمان الخلفاء الراشدين كانوا مستشعرين من ظلمهم ومتشوقين
الى استمالة قلوب الصحابة والتابعين وحريصين على قبولهم عطاياهم وجوائزهم وكانوا يبعثون
اليهم من غير سؤال واذلال بل كانوا يتقلدون المنة بقبولهم ويفرحون به وكانوا ياخذون منهم و
يفرقون ولا يطيعون السلاطين في اغراضهم ولا يغشون مجالسهم ولا يكثرون جمعهم ولا يحبون
بقاءهم بل يدعون عليهم ويطلقون اللسان فيهم وينكرون المنكرات منهم فما كان يحذر ان يصيبوا
من دينهم بقدر ما اصابوا من دنياهم فلم يكن باخذهم باس فاما الان فلا تسمح نفوس السلاطين بعطية
الا لمن طمعوا في استخدامه والتكثر به والاستعانة به على اغراضهم والتجمل بغشيانه مجالسهم و
تكليفهم المواظبة على الدعا والثنا والتزكية والاطرا في حضورهم ومغيبهم فلو لم يذل الاخذ نفسه
بالسؤال اولا وبالتردد في الخدمة ثانيا وبالدعا والثنا ثالثا وبالمساعدة له على اغراضه عند الاستعانة
رابعا وبتكثير جمعه في مجلسه وموكبه خامسا وباظهار الحب والموالاة والمناصرة له على اعدائه سادسا
وبالستر على ظلمه ومقابحه ومساوي اعماله سابعا لم ينعم عليه بدرهم واحد ولو كان في فضل الشافعي
مثلا فاذا لا يجوز ان ياخذ منهم في هذا الزمان ما يعلم انه حلال لافضائه الى هذه المعاني فكيف ما يعلم
انه حرام او يشك فيه فمن استجرا على اموالهم وشبه نفسه بالصحابة والتابعين فقد قاس الملائكة
بالحدادين ففي اخذ الاموال منهم حاجة الى مخالطتهم ومراعاتهم وخدمة عمالهم واحتمال الذل منهم
والثنا عليهم والتردد الى ابوابهم وكل ذلك معصية على ما سنبين في الباب الذي يلي هذا فاذن

فقد تبين مما قدمناه مداخل اموالهم وما يحل منها وما يحرم فلو تصور ان ياخذ الانسان منها ما يحل
بقدر استحقاقه وهو جالس في بيته يساق اليه ذلك لا يحتاج فيه الى تفقد عامل وخدمته
ولا الى الثنا عليهم وتزكيتهم ولا الى مساعدتهم فلا يحرم الاخذ ولكن يكره لمعان سننبه عليها
في الباب الذي يلي هذا ان شا الله تعالى **النظر الثاني** من هذا الباب في قدر الماخوذ
وصفة الاخذ ولنفرض المال من اموال المصالح كاربعة اخماس الفي والغنيمة والمواريث فان ما عداه
تتعين مستحقه ان كان من وقف او صدقة او خمس في او خمس غنيمة وما كان من ملك السلطان
مما احياه او اشتراه فله ان يعطي ما شا لمن شا وانما النظر في الاموال الضائعة ومال المصالح فلا
يجوز صرفه الا الى من فيه مصلحة عامة او هو محتاج اليه عاجز عن الكسب فاما الغني الذي لا مصلحة فيه
فلا يجوز صرف مال بيت المال اليه هذا هو الصحيح وان كان العلما قد اختلفوا فيه وفي كلام عمر
رضي الله عنه ما يدل على ان لكل مسلم حقا في بيت المال لكونه مسلما مكثرا جمع الاسلام ولكنه مع
هذا ما كان يقسم المال على المسلمين كافة بل على مخصوصين بصفات فاذا ثبت هذا فكل من يتولى
امرا يقوم به تتعدى مصلحته الى المسلمين ولو اشتغل بالكسب لتعطل عليه ما هو فيه فله في بيت المال
حق الكفاية ويدخل فيه العلما كلهم اعني العلوم التي تتعلق بمصالح الدين من علم الفقه والحديث
والتفسير والقراة حتى يدخل فيه المعلمون والمؤذنون وطلبة هذه العلوم ايضا يدخلون فيه فانهم
ان لم يكفوا لم يتمكنوا من الطلب ويدخل فيه العمال وهم الذين ترتبط مصالح الدنيا باعمالهم وهم الاجناد
المرتزقة الذين يحرسون المملكة بالسيوف عن اهل العداوة واهل البغي واعدا الاسلام ويدخل
فيهم الكتاب والحساب والوكلا وكل من يحتاج اليه في ترتيب ديوان الخراج اعني العمال على الاموال
الحلال لا على الحرام فان هذا المال للمصالح والمصلحة اما ان تتعلق بالدين او بالدنيا فبالعلما حراسة الدين
وبالاجناد حراسة الدنيا والدين والملك توامان فلا يستغني احدهما عن الاخر والطبيب وان كان
لا يرتبط بعلمه امر ديني ولكن يرتبط به صحة الجسد والدين يتبعه فيجوز ان يكون له ولمن يجري مجراه
في العلوم المحتاج اليها في مصلحة الابدان او مصلحة البلاد ادرار من هذه الاموال ليتفرغوا لمعالجة
المسلمين اعني من يعالج منهم بغير اجرة وليس يشترط في هؤلا الحاجة بل يجوز ان يعطوا مع الغنا
فان الخلفا الراشدين كانوا يعطون المهاجرين والانصار ولم يعرفوا بالحاجة وليس يتقدر ايضا بمقدار
بل هو الى اجتهاد الامام وله ان يوسع ويغني وله ان يقتصر على الكفاية على ما يقتضيه الحال وسعة المال
فقد اخذ الحسن من معاوية في دفعة اربعمائة الف درهم وقد كان عمر يعطي جماعة اثني عشر الف درهم
نقرة في السنة واثبت عائشة في هذه الجريدة ولجماعة عشرة الاف ولجماعة ستة الاف وهكذا فهذا مال
هؤلا فيوزع عليهم حتى لا يبقى منه شي فان خص كل واحد مال كثير فلا باس به وكذلك للسلطان
ان يخص من هذا المال ذوي الخصائص بالخلع والجوائز فقد كان يفعل مثل ذلك في السلف ولكن ينبغي
ان يلتفت الى المصلحة ومهما خص عالم او شجاع بصلة كان فيه بعث الناس وتحريض على الاشتغال و
التشبه به فهذه فائدة الخلع والصلات وضروب التخصيص وكل ذلك منوط باجتهاد السلطان وانما
النظر في السلاطين الظلمة في شيئين احدهما ان السلطان الظالم عليه ان يكف عن ولايته وهو اما
معزول او واجب العزل فكيف يجوز ان ياخذ من يده وهو على التحقيق ليس بسلطان والثاني انه ليس يعمم
ماله جميع المستحقين فكيف يجوز للاحاد ان ياخذوا افيجوز لهم الاخذ بقدر حصصهم ام لا يجوز اصلا

ام يجوز ان ياخذ كلما اعطي اما الاول فالذي نراه انه لا يمنع اخذ الحق لان السلطان الظالم الجاهل مهما ساعدته
الشوكة وعسر خلعه وكان في الاستبدال به فتنة ثائرة لا تطاق وجب تركه ووجبت الطاعة له
كما يجب طاعة الامرا وقد ورد في الامر بطاعة الامرا والمنع من سل اليد عن مساعدتهم اوامر وزواجر
فالذي نراه ان الخلافة منعقدة للمتكفل بها من بني العباس رضي الله عنه وان الولاية نافذة للسلاطين
في اقطار البلاد والمبايعين للخليفة وقد ذكرناه في كتاب المستظهري ما يشير الى وجه المصلحة والقول
الوجيز انا نراعي الصفات والشروط في السلاطين تشوفا الى مزايا المصالح ولو قضينا ببطلان الولايات
الان لبطلت المصالح راسا فكيف يفوت راس المال في طلب الربح بل الولاية الان لا تتبع الا الشوكة
فمن بايعه صاحب الشوكة فهو الخليفة ومن استبد بالشوكة وهو مطيع للخليفة في اصل الخطبة و
السكة فهو سلطان نافذ الحكم في الارض وتحقيق هذا قد ذكرناه في احكام الامامة من كتاب الاقتصاد
في الاعتقاد فلسنا نطول الان به واما الاشكال الاخر وهو ان السلطان اذا لم يعمم بالعطا كل مستحق
فهل يجوز للواحد ان ياخذ منه فهذا مما اختلف العلما فيه على اربع مراتب فغلا بعضهم وقال
كل ما ياخذه فالمسلمون كلهم فيه شركا ولا يدري ان حصته منه دانق او حبة فليترك الكل وقال قوم
له ان ياخذ قوت يومه فقط فان هذا القدر يستحقه لحاجته على المسلمين وقال قوم له قوت سنة
فان اخذ الكفاية كل يوم عسير وهو ذو حق في هذا المال فكيف يتركه وقال قوم انه ياخذ ما يعطى و
المظلوم هم الباقون وهذا هو القياس لان المال ليس مشتركا بين المسلمين كالغنيمة بين الغانمين ولا كالميراث
بين الورثة لان ذلك صار ملكا لهم وهذا لو لم يتفق قسمته حتى مات هولا لم يجب التوزيع على ورثتهم
بحكم الميراث بل هذا الحق غير متعين وانما تعين بالقبض بل هو كالصدقات ومهما اعطي الفقرا
حصتهم من الصدقات وقع ذلك ملكا لهم ولم يمتنع بظلم المالك بقية الاصناف بمنع حقهم
هذا اذا لم يصرف اليه كل المال بل صرف اليه من المال ما لو صرف بطريق الايثار والتفضيل مع تعميم
الاخرين لجاز له ان ياخذه والتفضيل جائز في العطا سوى ابو بكر رضي الله عنه فراجعه عمر رضي الله عنه فقال
انما فضلهم عند الله وانما الدنيا بلاغ وفضل عمر في زمانه فاعطى عائشة اثني عشر الفا وزينب عشرة الف
وجويرية ستة الف وكذلك صفية واقطع عمر لعلي خاصة واقطع عثمان ايضا من السواد خمس جنات وآثر
عثمان عليا فقبل منه ولم ينكر وكل ذلك جائز فانه في محل الاجتهاد وهو من المجتهدات التي اقول فيها ان
كل مجتهد مصيب وهو كل مسالة لا نص فيها ولا على مسالة تقرب منها فتكون في معناها بقياس
جلي كهذه المسالة ومسالة حد الشرب فانهم جلدوا اربعين وثمانين والكل سنة وحق وان كل
واحد من ابي بكر وعمر رضي الله عنهما مصيب باتفاق الصحابة اذ المفضول ما رد في زمان عمر شيئا الى
الفاضل مما كان قد اخذه في زمان ابي بكر ولا الفاضل امتنع من قبول الفضل في زمان عمر واشترك في
ذلك كل الصحابة واعتقدوا ان كل واحد من الرايين حق فليوخذ هذا الجنس دستورا للاختلافات التي
يصوب فيها كل مجتهد فاما كل مسالة شذ عن مجتهد فيها نص او قياس جلي بغفلة او سوء راي وكان في القوة بحيث
ينقض به حكم المجتهد فلا نقول فيها ان كل واحد مصيب بل المصيب من اصاب النص او ما في معنى النص وقد
تحصل من مجموع هذا ان من وجد من اهل الخصوص الموصوفين بصفة يتعلق بها مصالح الدين والدنيا واخذ من السلطان
خلعة وادرارا على التركات او الجزية لم يصر فاسقا بمجرد اخذه وانما يفسق بخدمته لهم ومعاونته اياهم ودخوله عليهم
وثنائه واطرائه لهم الى غير ذلك من لوازم لا يسلم المال غالبا الا بها كما سنبينه

الباب السادس فيما يحل من اموال السلاطين

ومخالطتهم اعني السلاطين الظلمة وحكم غشيان مجالسهم والدخول
عليهم والاكرام لهم **اعلم** ان لك مع الامرا والعمال الظلمة ثلثة احوال الحالة الاولى وهي شرها ان
تدخل عليهم والثانية وهي دونها ان يدخلوا عليك والثالثة وهي الاسلم ان تعتزل عنهم فلا تراهم ولا
يرونك اما الحالة الاولى وهي الدخول عليهم فهو مذموم جدا في الشرع وفيه تغليظات وتشديدات
تواردت بها الاخبار والاثار فننقلها لتعرف ذم الشرع له ثم نتعرض لما يحرم منه وما يباح وما يكره
على ما تقتضيه الفتوى في ظاهر العلم فاما الاخبار فلما وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الامرا
الظلمة قال فمن نابذهم نجا ومن اعتزلهم سلم او كاد يسلم ومن وقع معهم في دنياهم فهو منهم
وذلك لان من اعتزل سلم من اثمهم ولكن لا يسلم من عذاب يعمهم ان نزل بهم لتركه المنابذة والمنازعة
وقال عليه السلام سيكون بعدي امرا يكذبون ويظلمون فمن صدقهم بكذبهم واعانهم
على ظلمهم فليس مني ولست منه ولم يرد على الحوض **وروى** ابو هريرة انه قال عليه السلام
ابغض القرا الى الله تعالى الذين يزورون الامرا وفي الخبر خير الامرا الذين ياتون العلما وشر العلما الذين
ياتون الامرا وفي الخبر العلما امنا الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان فاذا فعلوا ذلك فقد
خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم رواه انس رضي الله عنه **واما** الاثار فقال حذيفة اياكم ومواقف
الفتن قيل وما هي قال ابواب الامرا يدخل احدكم على الامير فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه وقال
ابو ذر لسلمة يا سلمة لا تغش ابواب السلطان فانك لا تصيب من دنياهم شيئا الا اصابوا من دينك افضل
منه وقال سفين رحمه الله في جهنم واد لا يسكنه الا القرا الزوارون للملوك وقال الاوزاعي ما من
شي ابغض الى الله من عالم يزور عاملا وقال سمنون ما اسمج بالعالم يوتى الى مجلسه فلا يوجد فيسال عنه
فيقال عند الامير وكنت اسمع انه يقال اذا رايتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت اذ ما دخلت
على هذا السلطان الا وحاسبت نفسي عند الخروج فاري عليها الدرك مع ما اواجههم به من
الغلظة والمخالفة لهواهم وقال عبادة بن الصامت حب القاري الناسك الامرا نفاق وحبه للا
غنيا ريا وقال ابو ذر من كثر سواد قوم فهو منهم اي من كثر سواد الظلمة وقال ابن مسعود ان
الرجل ليدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج ولا دين له قيل له لم قال لانه يرضيه بسخط الله و
استعمل عمر بن عبد العزيز رجلا فقيل كان عاملا للحجاج فعزله فقال انما عملت له على شي يسير فقال
له عمر حسبك بصحبته يوما او بعض يوم شوما وشرا وقال الفضيل ما ازداد رجل من ذي سلطان
قربا الا ازداد من الله بعدا وكان سعيد بن المسيب يتجر في الزيت ويقول ان في هذا لغنى عن هولا
السلاطين وقال وهيب هولا الذين يدخلون على الملوك اضر على الامة من المقامرين وقال محمد بن
مسلمة الذباب على العذرة احسن من القاري على باب هولا ولما خالط الزهري السلطان كتب اخ له
في الدين عافانا الله واياك ابا بكر من الفتن فقد اصبحت بحال ينبغي لمن عرفك ان يدعو لك الله
ويرحمك اصبحت شيخا كبيرا وقد اثقلتك نعم الله بما فهمك من كتابه وعلمك من سنة
نبيه عليه السلام وليس كذلك اخذ الله الميثاق على العلما قال الله تعالى لتبيننه للناس ولا تكتمونه
واعلم ان ايسر ما ارتكبت واخف ما احتملت انك انست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي بدنوك
ممن لم يود حقا ولم يترك باطلا حين ادناك اتخذوك قطبا تدور عليك رحى ظلمهم وجسرا يعبرون
عليك الى بلائهم وسلما يصعدون فيه الى ضلالتهم يدخلون بك الشك على العلما ويقتادون

بك قلوب الجهلاء فما ايسر ما عمرت لهم في جنب ما خربوا عليك وما اكثر ما اخذوا منك فيما افسدوا
عليك من دينك فما يؤمنك ان يكون ممن قال الله تعالى فيهم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة
واتبعوا الشهوات الاية وانك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله
سقم وهيئ زادك فقد حضر سفر بعيد وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء والسلام فهذه
الاخبار والاثار تدل على ما في مخالطة السلاطين من الفتن وانواع الفساد ولكنا نفصل ذلك
تفصيلا فقهيا نميز فيه المحظور عن المكروه والمباح فنقول الداخل على السلطان متعرض لان
يعصي الله تعالى اما بفعله واما بسكوته واما بقوله واما باعتقاده ولا ينفك عن احد هذه الامور
واما الفعل فالدخول عليهم في غالب الاحوال يكون الى دور مغصوبة وتخطيها والدخول فيها بغير
اذن المالك حرام ولا يغرنك قول القائل ان ذلك مما يتسامح به الناس كتمرة او فتات خبز فان ذلك
في غير المغصوب صحيح اما المغصوب فلا لانه ان قيل ان كل جلسة خفيفة لا تنقص الملك فهي في محل
التسامح وكذلك الاجتياز فيجري هذا في كل واحد فيجري في المجموع والغصب انما تم بفعل الجميع
وانما يتسامح به اذا انفرد اذ لو علم المالك به ربما لم يكرهه فاما اذا كان ذلك طريقا الى الاستغراق
بالاشتراك فحكم التحريم ينسحب على الكل فلا يجوز ان يؤخذ ملك الرجل طريقا اعتمادا على ان كل
واحد انما يخطو خطوة لا تنقص الملك لان المجموع مفوت للملك وهو كضربة خفيفة في التعليم تباح
ولكن بشرط الانفراد فلو اجتمع جماعة بضربات توجب القتل وجب القصاص على الجميع مع ان كل
واحد من الضربات لو انفرد لكان لا يوجب قصاصا فان فرض الظالم في موضع غير مغصوب كالموات
مثلا فان كان تحت خيمة او مظلة من ماله فهو حرام والدخول اليه غير جائز لانه انتفاع بالحرام
واستظلال فان فرض كل ذلك حلالا فلا يعصي بالدخول من حيث انه دخول ولا بقوله السلام عليك
ولكن ان سجد او ركع او مثل قائما في سلامه وخدمته كان مكرما للظالم بسبب ولايته التي هي آلة ظلمه
والتواضع للظالم معصية بل من تواضع للظالم فلا يباح الا مجرد السلام فاما تقبيل اليد والانحنا
في الخدمة فهي معصية الا عند الخوف او لامام عادل او لعالم او لمن يستحق ذلك بامر ديني قبل ابو عبيدة
بن الجراح يد عمر رضي الله عنهما لما ان لقيه بالشام فلم ينكر عليه وقد بالغ بعض السلف حتى امتنع عن رد جوابهم
في السلام والاعراض عنهم استحقارا لهم من محاسن القربات فاما السكوت عن رد الجواب ففيه نظر لان
ذلك واجب فلا ينبغي ان يسقط بالظلم فان ترك الداخل جميع ذلك واقتصر على السلام فلا يخلو عن
الجلوس على بساطهم واذا كان اغلب اموالهم حراما فلا يجوز الجلوس على فرشهم هذا من حيث الفعل
واما السكوت فهو انه سيرى في مجلسهم من الفرش الحرير واواني الفضة والحرير الملبوس عليهم وعلى
غلمانهم ما هو حرام وكل من راى سيئة وسكت عنها فهو شريك فيها بل يسمع من كلامهم ما هو فحش وكذب
وشتم وايذاء والسكوت عن جميع ذلك حرام بل يراهم لابسين الثياب واكلين الطعام وجميع ما في
ايديهم حرام والسكوت عن ذلك غير جائز فيجب عليه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بلسانه وان لم
يقدر بفعله فان قلت انه يخاف على نفسه فهو معذور في السكوت فهذا حق ولكنه مستغن عن
ان يعرض نفسه لارتكاب ما لا يباح الا بعذر فانه لو لم يدخل ولم يشاهد لم يتوجه عليه الخطاب بالحسبة
حتى يسقط عنه بالعذر وعند هذا اقول من علم فسادا في موضع وعلم انه لا يقدر على ازالته فلا يجوز
له ان يحضر ليجري ذلك بين يديه وهو يشاهده ويسكت بل ينبغي ان يحترز عن مشاهدته واما القول

فهو ان يدعو للظالم او يثني عليه او يصدقه فيما يقول من باطل بصريح قوله او بتحريك راسه او باستبشار
في وجهه او يظهر له الحب والموالاة والاشتياق الى لقائه والحرص على طول عمره وبقائه فانه في الغالب
لا يقتصر على السلام بل يتكلم ولا يعدو كلامه هذه الاقسام اما دعاؤه فلا يحل له الا ان يقول اصلحك
الله او وفقك الله للخيرات او طول الله عمرك في طاعته وما يجري هذا المجرى فاما الدعاء بالحراسة و
طول البقاء واسباغ النعمة مع الخطاب بالمولى وما في معناه فغير جائز قال صلى الله عليه وسلم
من دعا لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في ارضه فان جاوز الدعاء الى الثناء فسيذكر ما ليس فيه
فيكون به كاذبا ومنافقا ومكرما للظالم وهذه ثلث معاصي وقد قال عليه السلام ان الله ليغضب
اذا مدح الفاسق وفي خبر اخر من اكرم فاسقا فقد اعان على هدم الاسلام فان جاوز ذلك الى التصديق
له فيما يقول والتزكية على ما يعمل كان عاصيا بالتصديق وبالاعانة فان التزكية والثناء اعانة على المعصية
وتحريك للرغبة فيه كما ان التكذيب والمذمة والتقبيح زجر عنه وتضعيف لدواعيه والاعانة
على المعصية معصية ولو بشطر كلمة ولقد سئل سفين عن ظالم اشرف على الهلاك في برية هل يسقى
شربة ماء فقال لا دعه حتى يموت فان ذلك اعانة له وقال غيره يسقى الى ان تثوب اليه نفسه ثم يعرض
عنه فان جاوز ذلك الى اظهار الحب والشوق الى لقائه وطول بقائه فان كان كاذبا عصى معصية الكذب
والنفاق وان كان صادقا عصى بحبه بقاء الظالم وحقه ان يبغضه في الله ويمقته فالبغض في الله واجب
ومحب المعصية والراضي بها عاص ومن احب ظالما فان احبه لظلمه فهو عاص لمحبته وان احبه لسبب
اخر فهو عاص من حيث انه لم يبغضه وكان الواجب عليه ان يبغضه وان اجتمع في شخص خير وشر
وجب ان يحب لاجل ذلك الخير ويبغض لاجل ذلك الشر وسياتي في كتاب الاخوة والمتحابين في الله وجه الجمع
بين البغض والحب فان سلم من ذلك كله وهيهات فلا يسلم من فساد يتطرق الى قلبه فانه ينظر الى توسعه
في النعمة ويزدري نعم الله عليه ويكون مقتحما نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال يا معشر المهاجرين
لا تدخلوا على اهل الدنيا فانها مسخطة للرزق هذا مع ما فيه من اقتداء غيره به في الدخول ومن تكثيره سواد
الظلمة بنفسه وتجميله اياهم ان كان ممن يتجمل به وكل ذلك اما مكروهات او محظورات دعي سعيد بن
المسيب رحمه الله عليه الى البيعة للوليد وسليمان ابني عبد الملك بن مروان فقال لا ابايع اثنين ما اختلف
الليل والنهار فان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن البيعتين فقال ادخل من الباب واخرج من الباب
الاخر قال لا والله لا يقتدي بي احد من الناس فجلد مائة والبس المسوح فلا يجوز الدخول عليهم الا بعذرين
احدهما ان يكون من جهتهم امر الزام لا امر اكرام وعلم انه لو امتنع اوذي او فسد عليهم طاعة الرعية
واضطرب امر السياسة فيجب عليه الاجابة طاعة لهم ومراعاة لمصلحة الخلق حتى لا تضطرب الولاية
الثاني ان يدخل عليهم في دفع ظلم عن مسلم سواه او عن نفسه اما بطريق الحسبة او بطريق التظلم
فذلك رخصة بشرط ان لا يكذب ولا يثني ولا يدع نصيحة يتوقع لها قبولا فهذا حكم الدخول الحالة **الثالثة**
ان يدخل عليه السلطان الظالم زائرا فجواب السلام لا بد منه واما القيام والاكرام فلا يحرم مقابلة له
على اكرامه فانه باكرام العلم والدين مستحق للاحماد كما انه بالظلم مستحق للابعاد فالاكرام بالاكرام و
الجواب بالسلام ولكن الاولى ان لا يقوم ان كان معه في خلوة ليظهر له به عز الدين وحقارة الظلم ويظهر
به غضبه للدين واعراضه عمن اعرض عن الله فاعرض الله تعالى عنه وان كان الداخل عليه في جمع
فمراعاة حشمة ارباب الولايات فيما بين الرعايا مهم فلا باس بالقيام على هذه النية وان علم ان ذلك

لا يورث فسادا في الرعية ولا يبالي اذا من غضبه فترك الكلام بالقيام اليه ثم يجب عليه بعد ان يقع القتال
ينصحه فان كان يقارف ما لا يعلم تحريمه وهو يتوقع ان يتركه اذا عرف فليعرفه فذلك واجب واما ذكره تحريم
ما يعلم تحريمه من السرف والظلم فلا فائدة فيه بل عليه ان يخوفه فيما يرتكبه من المعاصي مهما ظن ان التخويف
يؤثر فيه وعليه ان يرشده الى طريق المصلحة ان كان يعرف طريقا على وفق الشرع بحيث يحصل فيه غرض
الظالم من غير معصية ليصده بذلك عن الوصول الى غرضه بالظلم فاذن يجب عليه التعريف في محل جهله
والتخويف فيما هو مستجرئ عليه والارشاد الى ما هو غافل عنه مما يغنيه عن الظلم فهذه ثلثة امور
تلزمه اذا توقع للكلام فيه اثرا وهو ايضا لازم على كل من اتفق له دخول على السلطان بعذر او بغير عذر وروي
عن محمد بن صالح انه قال كنت عند حماد بن سلمة واذا ليس في البيت الا حصير وهو جالس عليه ومصحف يقرا
فيه وجراب فيه علمه ومطهرة يتوضا منها فبينا انا عنده اذ طرق الباب واذا هو محمد بن سليمن فاذن له
فدخل وجلس بين يديه ثم قال ما لي اذا رايتك امتلات منك رعبا فقال حماد لانه عليه السلام قال
ان العالم اذا اراد بعلمه وجه الله هابه كل شيء فان اراد ان يكنز به الكنوز هاب من كل شيء ثم عرض عليه
اربعين الف درهم وقال تاخذها وتستعين بها على وقتك قال ارددها على من ظلمته بها قال والله ما
اعطيتك الا ما ورثته قال لا حاجة لي فيها قال فتاخذها فتقسمها قال لعلي ان عدلت في قسمتها اما ثم تزدد

عن **الحالة الثالثة** ان يعتزل عنهم فلا يراهم ولا يرونه وهو الواجب اذ لا سلامة الا فيه فعليه
ان يعتقد بغضهم على ظلمهم ولا يحب بقاءهم ولا يثني عليهم ولا يستخبر عن احوالهم ولا يتقرب الى المتصلين
بهم ولا يتاسف على ما يفوت بسبب مفارقتهم وذلك اذا خطر بباله امرهم وان غفل عنهم فهو الاحسن
واذا خطر بباله تنعمهم فليذكر ما قال حاتم الاصم انما بيني وبين الملوك يوم واحد اما امس فلا يجدون
لذته وانا واياهم من غد على وجل وانما هو اليوم فما عسى ان يكون في اليوم وما قاله ابو الدرداء رضي الله
عنه اذ قال اهل الاموال ياكلون وناكل ويشربون ونشرب ويلبسون ونلبس ولهم فضول اموال ينظرون
اليها فننظر معهم اليها وعليهم حسابها ونحن منها براء وكل من احاط علمه بظلم ظالم ومعصية عاص
فينبغي ان يحط ذلك من درجته في قلبه فهذا واجب عليه لان من صدر منه ما يكره نقص به رتبته في
القلب لا محالة والمعصية ينبغي ان تكره فانه اما ان يغفل عنها او يرضى بها او يكره ولا غفلة مع العلم
ولا وجه للرضا فلا بد من الكراهة فليكن جناية كل احد على حق الله تعالى كجنايته على حقك فان قلت
الكراهة لا تدخل تحت الاختيار فكيف تجب قلنا ليس كذلك فان المحب يكره بضرورة الطبع ما هو مكروه
عند محبوبه ومخالف له فان من لا يكره معصية الله لا يحب الله وانما لا يحب الله من لا يعرفه والمعرفة واجبة
والمحبة لله واجبة واذا احبه كره ما يكرهه واحب ما يحبه وسياتي ذلك في تحقيق في كتاب المحبة و
الرضا ان شاء الله تعالى **فان قلت** فقد كان علماء السلف يدخلون على السلاطين فاقول نعم
تعلم الدخول منهم ثم ادخل فقد حكي ان هشام بن عبد الملك قدم حاجا الى مكة فلما دخلها قال ايتوني
برجل من الصحابة فقيل يا امير المؤمنين قد تفانوا قال فمن التابعين فاتي بطاوس اليماني فلما دخل عليه
خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم بامرة المؤمنين ولكن قال السلام عليك ولم يكنه ولكن جلس بازائه
وقال كيف انت يا هشام فغضب هشام غضبا شديدا حتى هم بقتله فقيل له انت في حرم الله وحرم
رسوله فلا يمكن ذلك فقال له يا طاوس ما الذي حملك على ذلك قال وما الذي صنعت فازداد غضبا
وغيظا ثم قال خلعت نعليك بحاشية البساط ولم تقبل يدي ولم تسلم بامرة المؤمنين ولم تكنني

وجلست بازائي بغير اذني وقلت كيف انت يا هشام فقال اما ما خلعت نعلي بحاشية بساطك فاني
اخلعهما بين يدي رب العزة كل يوم خمس مرات ولا يعاقبني ولا يغضب علي واما قولك لم تقبل يدي فاني
سمعت امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه يقول لا يحل لرجل ان يقبل يد احد الا امراته من
شهوة او ولده برحمة واما قولك لم تسلم بامرة المؤمنين فليس كل الناس راضين بامرتك فكرهت ان اكذب واما
قولك لم تكنني فان الله تعالى سمى اولياءه فقال يا داود يا يحيى يا عيسى وكنى اعداءه فقال تبت يدا ابي
لهب واما قولك جلست بازائي فاني سمعت امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه يقول اذا اردت
ان تنظر الى رجل من اهل النار فانظر الى رجل جالس وحوله قوم قيام فقال له هشام عظني قال سمعت امير
المؤمنين عليا يقول ان في جهنم حيات كالقلال وعقارب كالبغال تلدغ كل امير لا يعدل في رعيته
ثم قام وهرب **وعن سفيان الثوري** قال دخلت على ابي جعفر بمنى فقال لي ارفع الينا حاجتك فقلت له
اتق الله فقد ملات الارض ظلما وجورا قال فطاطا راسه ثم رفعه وقال ارفع الينا حاجتك فقلت
انما انزلت هذه المنزلة بسيوف المهاجرين والانصار وابناؤهم يموتون جوعا فاتق الله واوصل اليهم
حقوقهم قال فطاطا راسه ثم رفعه فقال ارفع الينا حاجتك فقلت حج عمر بن الخطاب رضي الله عنه
فقال لخازنه كم انفقت قال بضعة عشر درهما واري ههنا اموالا لا تطيقها الجمال فهكذا كانوا يدخلون
على السلاطين اذا الزموا فكانوا يغررون بارواحهم في الانتقام لله من ظلمهم ودخل ابن ابي شميلة
على عبد الملك بن مروان فقال له تكلم فقال ان الناس لا ينجون في القيامة من غصصها ومرارتها ومعاينة
الردى فيها الا من ارضى الله بسخط نفسه فبكى عبد الملك وقال لاجعلن هذه الكلمة مثالا نصب عيني
ما عشت ولما استعمل عثمان بن عفان العباس اتاه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابطا عنه
ابو ذر وكان له صديقا فعاتبه فقال ابو ذر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل
اذا ولي ولاية تباعد الله عنه **ودخل مالك بن دينار** على امير البصرة فقال ايها الامير قرات في بعض
الكتب من احمق من السلطان ومن اجهل ممن عصاني ومن اعز ممن اعتز بي ايها الراعي السوء دفعت اليك
غنما سمانا صحاحا فاكلت اللحم ولبست الصوف وتركتها عظاما تتقعقع فقال له والي البصرة اتدري
ما الذي جراك علينا وجنبك منا قال لا قال قلة الطمع فينا وترك الامساك لما في ايدينا **وكان**
عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه واقفا مع سليمن بن عبد الملك فسمع صوت الرعد فجزع ووضع صدره
على مقدمة الرحل فقال له عمر رضي الله عنه هذا صوت رحمته فكيف اذا سمعت صوت عذابه ثم نظر سليمن
الى الناس فقال ما اكثر الناس فقال عمر رضي الله عنه خصماؤك يا امير المؤمنين فقال سليمن ابتلاك الله
بهم **وحكي** ان سليمن قدم المدينة وهو يريد مكة فارسل الى ابي حازم فدعاه فلما دخل عليه قال سليمن
يا ابا حازم ما لنا نكره الموت فقال لانكم خربتم اخرتكم وعمرتم دنياكم فكرهتم ان تنتقلوا من العمران الى الخراب
فقال يا ابا حازم كيف القدوم على الله تعالى قال يا امير المؤمنين اما المحسن فكالغائب يقدم على
اهله واما المسيء فكالابق يقدم على مولاه فبكى سليمن وقال ليت شعري ما لنا عند الله تعالى فقال
ابو حازم اعرض نفسك على كتاب الله تعالى حيث قال ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم قال
سليمن فاين رحمة الله قال قريب من المحسنين قال سليمن يا ابا حازم اي عباد الله اكرم قال اهل المروة و
التقى قال فاي الاعمال افضل قال اداء الفرائض مع اجتناب المحارم قال فاي الدعاء اسمع قال قول الحق عند
من يخاف ويرجى قال فاي المؤمنين اكيس قال رجل عمل بطاعة الله عز وجل ودعا الناس اليها قال

فأي المؤمنين أخسر قال من خطا في هوى أخيه وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره قال سليمن ما تقول
فيما نحن فيه قال أو تعفيني قال لا ولكن نصيحة تلقيها إلي قال يا أمير المؤمنين إن آباءك قهروا الناس
بالسيف وأخذوا هذا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضى منهم حتى قتلوا منهم مقتلة
عظيمة وقد ارتحلوا فلو شعرت ما قالوا وما قيل لهم فقال له رجل من جلسائه بئس ما قلت قال
أبو حازم إن الله تعالى أخذ الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه قال فكيف لنا أن نصلح
هذا الفساد قال أن تأخذه من حله فتضعه في حقه فقال سليمن ومن يقدر على هذا قال من يطلب
الجنة ويخاف من النار فقال سليمن ادع لي فقال أبو حازم اللهم إن كان سليمن وليك فيسره لخير الدنيا
والآخرة وإن كان عدوك فخذ بناصيته إلى ما تحب وترضى فقال أوصني قال أوصيك وأوجز عظم ربك ونزهه أن
يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك **وقال** عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لأبي حازم عظني
فقال اضطجع ثم اجعل الموت عند رأسك ثم انظر ما تحب أن يكون فيك تلك الساعة فخذ به الآن
فلعل تلك الساعة قريبة **ودخل** أعرابي على سليمن بن عبد الملك فقال تكلم يا أعرابي فقال يا أمير
المؤمنين إني مكلمك بكلام فاحتمله وإن كرهته فإن وراءه ما تحب إن قبلته قال يا أعرابي إنا لنجود بسعة
الاحتمال على من لا نرجو نصيحته ولا نأمن غشه قال الأعرابي يا أمير المؤمنين قد تكنفك رجال أساءوا
الاختيار لأنفسهم وابتاعوا دنياهم بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله عز وجل ولم يخافوا
الله فيك فهم حرب للآخرة سلم للدنيا فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عز وجل عليه فإنهم لن يألوا الأمانة
تضييعا والأمة خسفا وعسفا وأنت مسؤول عما اجترحوا وليسوا مسؤولين عما اجترحت فلا تصلح
دنياهم بفساد آخرتك فإن أعظم الناس غبنا من باع آخرته بدنيا غيره فقال سليمان أما أنت يا أعرابي فقد
سللت لسانك وهو أقطع سيفيك قال أجل يا أمير المؤمنين ولكن لك لا عليك **وحكي** أن أبا بكرة
دخل على معوية فقال اتق الله يا معوية واعلم أنك في كل يوم يخرج عنك وفي كل ليلة تأتي عليك لا
تزداد من الدنيا إلا بعدا ومن الآخرة إلا قربا وعلى أثرك طالب لا تفوته وقد نصب لك علم لا تجوزه
فما أسرع ما تبلغ العلم وما أوشك ما يلحق بك الطالب وإنا وما نحن فيه زائل وفي الذي نحن إليه صائرون
باق إن خيرا فخير وإن شرا فشر فهكذا كان دخول أهل العلم على السلاطين أعني علماء الآخرة فأما علماء
الدنيا فيدخلون ليتقربوا إلى قلوبهم فيدلونهم على الرخص ويستنبطون لهم بدقائق الحيل طرق السعة
فيما يوافق أغراضهم وإن تكلموا بمثل ما ذكرناه في معرض الوعظ لم يكن قصدهم الإصلاح بل اكتساب الجاه
والقبول عندهم وفي هذا غروران يغتر بهما الحمقى **أحدهما** أن يظهر أن قصدي في الدخول
عليهم إصلاحهم بالوعظ وربما يلبسون على أنفسهم ذلك وإنما الباعث لهم شهوة خفية للشهرة
وتحصيل المعرفة عندهم وعلامة الصدق في طلب الإصلاح أنه لو تولى ذلك الوعظ غيره ممن هو في
أقرانه من العلماء ووقع موقع القبول وظهر به أثر الصلاح فينبغي أن يفرح به ويشكر الله تعالى على
كفايته هذا المهم كمن وجب عليه أن يعالج مريضا ضائعا فقام بمعالجته غيره فإنه لا محالة يعظم بذلك
فرحه فإن كان يصادف في قلبه ترجيحا لكلامه على كلام غيره فهو مغرور **الغرور الثاني** أن يزعم أني
أقصد الشفاعة لمسلم في دفع ظلامة وهذا أيضا مظنة الغرور ومعياره ما تقدم ذكره وإذ ظهر
طريق الدخول عليهم فلنرسم في الأحوال العارضة في مخالطة السلاطين ومباشرة أموالهم مسائل
مسئلة إذا بعث إليك السلطان مالا لتفرقه على الفقراء فإن كان له مالك معين فلا يحل أخذه

وإن لم يكن بل كان حكمه أنه يجب التصدق به على المساكين كما سبق فلك أن تأخذه وتتولى تفرقته ولا
تعصي بأخذه ولكن من العلماء من امتنع من ذلك فيتعين هذا النظر في الأولى فنقول الأولى أن
تأخذه إن أمنت ثلاث غوائل أن يظن السلطان بسبب أخذك أن ماله طيب ولولا أنه طيب
لما كنت تمد يدك إليه ولا تدخله في ضمانك فإن كان الأمر كذلك فلا تأخذه فإن ذلك محذور
ولا يفي الخير في مباشرتك التفرقة بما يحصل من الجرأة على كسب الحرام **الغائلة الأولى**
أن ينظر إليك غيرك من العلماء والجهال فيقتدون بك في الأخذ ويستدلون به على جوازه ثم لا يفرقون
فهذا أعظم من الأول فإن جماعة يستدلون بأخذ الشافعي رحمه الله على جواز الأخذ ويغفلون
عن تفرقته وأخذه على نية التفرقة فالمقتدي والمتشبه به ينبغي أن يحترز من هذا غاية
الاحتراز فإنه يكون فعله سبب ضلال الخلق الله كثير **وقد حكى** وهب بن منبه أن رجلا
أتي به إلى ملك بمشهد من الناس ليكرهه على أكل لحم الخنزير فلم يأكل فقدم إليه لحم غنم وأكره بالسيف
فلم يأكل فقيل له فقال إن الناس قد اعتقدوا أني طولبت بأكل لحم الخنزير فإذا خرجت سالما وقد أكلت فلا يعلمون
ماذا أكلت ودخل وهب بن منبه وطاوس على محمد بن يوسف أخي الحجاج وكان عاملا وكان في غداة باردة
فقال لغلامه هلم ذلك الطيلسان وألقه على أبي عبد الرحمن طاوس وكان قد قعد على كرسي فألقاه
عليه فلم يزل يحرك كتفيه حتى ألقى الطيلسان عنه فغضب محمد بن يوسف فقال وهب كنت غنيا عن
أن تغضبه لو أخذت الطيلسان وتصدقت به فقال نعم لولا أن يقول من بعدي أخذه طاوس ولا
يصنع به ما أصنع إذا لفعلت **الغائلة الثالثة** أن يتحرك قلبك إلى حبه لتخصيصه إياك
وإيثاره لك بما أنفذه إليك فإن كان كذلك فلا تقبل فإن ذلك هو السم القاتل والداء الدفين أعني
ما يحبب الظلمة فإن من أحببته لا بد أن تحرص عليه وتداهن فيه **قالت** عائشة رضي الله عنها جبلت
النفوس على حب من أحسن إليها **وقال** صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل لفاجر عندي يدا فيحبه
قلبي بين أن القلب لا يكاد يمتنع من ذلك **وروي** أن بعض الأمراء أرسل إلى مالك بن دينار بعشرة
آلاف فأخذها وفرقها فأتاه محمد بن واسع وقال له ما صنعت بما أعطاك هذا المخلوق فقال
سل أصحابي فسألهم فقالوا أخرجه كله فقال له أنشدك الله أقلبك أشد حبا له الآن أم قبل أن
يرسل إليك فقال لا بل الآن فقال إنما كنت أخاف هذا وقد صدق فإنه إذا أحبه أحب بقاءه وكره
عزله ونكبته وموته وأحب اتساع ولايته وكثرة ماله وكل ذلك حب لأسباب الظلم وهو مذموم
قال سلمان وابن مسعود من رضي بأمر وإن غاب عنه كان كمن شهده **وقال** الله
تعالى ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار قيل لا ترضوا بأعمالهم فإن كنت في القوة بحيث لا تزداد
حبا لهم بذلك فلا بأس بالأخذ فقد **حكي** عن بعض عباد البصرة أنه كان يأخذ أموالا ويفرقها
فقيل له ألا تخاف أن تحبهم فقال لو أخذ رجل بيدي إلى الجنة ثم عصى ربه ما أحبه قلبي
لأن الذي سخره للأخذ بيدي هو الذي أبغضه لأجله شكرا له على تسخيره إياه وبهذا تبين أن أخذ
المال الآن منهم وإن كان ذلك المال بعينه من وجه حلال محظور ومذموم لأنه لا ينفك عن هذه
الغوائل **مسئلة** إن قال قائل إذا جاز أخذه وتفرقته فهل يجوز أن يسرق ماله أو تخفى
وديعته وتنكر وتفرق على الناس **فنقول** ذلك غير جائز لأنه ربما يكون له مالك معين وهو على
عزم أن يرده إليه وليس هذا كما إذا بعثه إليك فإن العاقل لا يظن به أن يتصدق بما يعلم أن له

مالكا معينا فيدل اعطاوه على انه لا يعرف مالكه فان كان ممن يشكل عليه مثل هذا فلا يجوز ان يقبل
منه شيئا ما لم يعرف ذلك ثم كيف يجوز ان يرفق ويحتمل ان يكون قد حصل له بوجه جائز فانا اليد
دلالة على الملك فهذا لا سبيل اليه بل لو وجدت لقطة وظهر ان صاحبها جندي واحتمل ان يكون
قد صار اليه بابتياع في الذمة او غير ذلك مما يسوغ لوجب ردها عليه فاذا لا يجوز سرقة مالهم
لا منهم ولا ممن اودع عنده ولا يجوز انكار ودايعهم ويجب الحد على سارق مالهم الا اذا ادعى
السارق انه ليس ملكا لهم فعند ذلك يسقط بالدعوى مسألة المعاملة معهم حرام لان اكثر
مالهم حرام فما يوخذ عوضا فهو حرام فان ادى الثمن من موضع يعلم حله فينبغي ان ينظر فيما
يسلم اليهم فان علم انهم يعصون الله به كبيع الديباج منهم والبايع يعلم انهم يلبسونه فذلك
حرام وكبيع العنب من الخمار وانما الخلاف في الصحة وان امكن ذلك وامكن ان يلبسها نساءه
فذلك شبهة مكروهة هذا فيما يعصى بعينه من الاموال وفي معناه بيع الفرس منهم لا سيما
في وقت ركوبهم الى قتال المسلمين او قتل جباية اموالهم فان ذلك اعانة وهي محظورة فاما
بيع الدراهم والدنانير منهم وما يجري مجرى ذلك مما لا يعصى في عينه بل يتوصل به فهو مكروه
لما فيه من اعانتهم على الظلم لانهم يستعينون على ظلمهم بالاموال والدواب وساير الاسباب وهذه
الكراهة جارية في الاهداء اليهم وفي العمل لهم من غير اجرة حتى في تعليمهم وتعليم اولادهم الكتابة
والترسل والحساب واما تعليم القران فلا يكره الا من حيث اخذ الاجرة فان ذلك حرام الا من وجه
يعلم حله ولو انتصب وكيلا لهم ليشتري لهم في السوق من غير اجرة ولا جعل فذلك مكروه من حيث
الاعانة وان اشترى لهم ما يعلم انهم يقصدون به المعصية كالغلام والديباج للملبس والفرس
للركوب الى الظلم والقتل فذلك حرام فمهما ظهر قصد المعصية بالمتاع حصل التحريم ومهما
لم يظهر واحتمل بحكم الحال ودلالته حصلت الكراهة مسألة الاسواق التي بنوها بالمال
الحرام يحرم التجارة فيها ولا يجوز سكناها فان سكنها تاجر واكتسب بطريق شرعي لم يحرم
كسبه وكان عاصيا بسكناه وللناس ان يشتروا منهم ولكن لو وجدوا سوقا اخر فالاولى الشراء
منه فان ذلك اعانة لسكانهم وتكثير لكراء حوانيتهم وكذلك معاملة السوق التي لا خراج
لهم عليها احب من معاملة سوق لهم عليها خراج وقد بالغ قوم حتى تحرجوا من معاملة الفلاحين
واصحاب الاراضي التي لهم عليها خراج لانهم ربما يصرفون ما ياخذونه الى الخراج فتحصل به
الاعانة وهذا غلو في الدين وحرج على المسلمين فان الخراج قد عم الاراضي ولا غنى بالناس عن ارتفاع
الاراضي فلا معنى للمنع من ذلك عنه ولو حرم هذا لحرم على المالك زراعة الارض حتى لا يطلب
خراجه وذلك مما يطول ويتداعى الى حسم باب المعاش مسألة معاملة قضاتهم وعمالهم
وخدمهم حرام كمعاملتهم بل اشد اما القضاة فلانهم ياخذون من اموالهم الحرام الصريح ويكثرون
جمعهم ويغرون الخلق بزيهم فانهم على زي العلماء ويختلطون بهم وياخذون من ادرارهم والطباع
مجبولة على التشبه والاقتداء بذوي الجاه والحشمة فهم سبب انقياد الخلق اليهم واما
الخدم والحشم فاكثر اموالهم من الغصب الصريح ولا يقع في ايديهم شيء من مال المصالح والجزية
والميراث ووجه حلال حتى تضعف الشبهة باختلاط الحلال عالم وكان طاوس لا يشهد
عندهم وان تحققت لانه يخاف تعديهم على من شهد عليه وبالجملة انما فسدت الرعية بفساد

الملوك وفساد الملوك بفساد العلماء فلولا القضاة السوء والعلماء السوء لقل فساد الملوك خوفا من
انكارهم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا تزال هذه الامة تحت يد الله وكنفه ما لم يمال
قراؤها امراءها وانما ذكر القراء لانهم كانوا هم العلماء وانما كان علمهم القران ومعانيه المفهومة بالسنة وما
وراء ذلك من العلوم فهي محدثة بعدهم وقد قال سفيان رضي الله عنه لا تخالط السلطان
ولا من يخالطهم وقال صاحب القلم وصاحب الدواة وصاحب القرطاس وصاحب وقال
بعضهم شركاء بعض وقد صدق فان النبي صلى الله عليه وسلم لعن في الخمر عشرة حتى العاصر
والمعتصر وقال ابن مسعود رضي الله عنه اكل الربا وموكله وشاهداه وكاتبه ملعونون على
لسان محمد صلى الله عليه وسلم وكذا رواه جابر وعمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن
مسعود رضي الله عنه لا تحل للسلطان كتابا حتى تعلم ما فيه وامتنع سفيان رضي الله عنه من
مناولة الخليفة في زمانه دواة بين يديه وقال حتى اعلم ما تكتب فكل من حوالي الظلمة من خدمهم و
اتباعهم ظلمة مثلهم يجب بغضهم بغضا في الله تعالى جميعا وروي عن عثمان بن زايدة انه سأله
بعض الجند عن الطريق فسكت واظهر انه اصم وخاف ان يكون متوجها الى ظلم فيكون هو بارشاده
الى الطريق معينا له وهذه المبالغة لم تنقل عن السلف مع الفساق من التجار والحاكة والحجامين
واصحاب الحمامات والصاغة والصباغين وارباب الحرف مع غلبة الكذب والفسق عليهم بل مع
الكفار من اهل الذمة وانما هذا في الظلمة خاصة الاكلين لاموال اليتامى والمساكين والمواظبين على
ايذاء المسلمين الذين تعاونوا على طمس رسوم الشريعة وشعائرها وهذا لان المعصية منقسمة
لازمة ومتعدية والفسق لازم لا يتعدى وكذا الكفر وهو جناية على حق الله وحسابه على الله تعالى
واما معصية الولاة بالظلم وهو متعدي وانما تغلظ امرهم لذلك وبقدر عموم الظلم
وعموم التعدي يزدادون من الله بعدا فيجب ان يزداد منهم اجتنابا ومن معاملتهم احترازا
فقد قال صلى الله عليه وسلم يقال للشرطي دع سوطك وادخل النار وقال صلى الله
عليه وسلم من اشراط الساعة رجال معهم سياط كاذناب البقر فهذا حكمهم ومن عرف بذلك
منهم فقد عرف ومن لم يعرف فعلامته القباء وطول الشوارب وساير الهيآت المشهورة فمن راي
على تلك الهيئة وجب اجتنابه ولا يكون ذلك من سوء الظن لانه هو الذي جنى على نفسه اذ تزيا
بزيهم ومساواة الزي يدل على مساواة القلب فلا يتجانن الا مجنون ولا يتشبه بالفساق
الا فاسق نعم الفاسق قد يلتبس فيتشبه باهل الصلاح فاما الرجل الصالح فليس
ان يتشبه باهل الفساد لان ذلك تكثير لسوادهم وانما نزل قوله تعالى ان الذين توفاهم
الملائكة ظالمي انفسهم في قوم من المسلمين كانوا يكثرون جماعة المشركين بالمخالطة وقد اوحى
الله تعالى الى يوشع بن نون اني مهلك من قومك اربعين الفا من خيارهم وستين
الفا فقال ما بال الاخيار فقال انهم لم يغضبوا لغضبي فكانوا يواكلونهم ويشاربونهم وبهذا
يتبين ان بغض الظلمة والغضب لله تعالى واجب وروي ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه
وسلم ان الله تعالى لعن علماء بني اسرائيل اذ خالطوا الظالمين في معايشهم
المواضع التي بناها الظلمة كالقناطر والرباطات والمساجد والسقايات ينبغي ان يحتاط فيها و
ينظر اما القنطرة فيجوز العبور عليها للحاجة والورع الاحتراز ما امكن وان وجد

عنها معدلا تاكد الورع وانما يجوز تا العبور وان وجد عنها معدلا لانه اذا لم يعرف لذلك الاعيان مالك
كان حكمها ان ترصد للخيرات وهذا خير فاما اذا عرف ان الاجر والاجر نقل من دار معلومة او
مقبرة او مسجد معين فهذا لا يحل العبور فيه اصلا الا لضرورة يحل بها مثل ذلك من مال الغير
ثم يجب عليه الاستحلال من المالك الذي يعرفه **واما** المسجد فان بني في ارض مغصوبة او بخشب
مغصوب من مسجد اخر او ملك معين فلا يجوز دخوله اصلا ولا للجمعة بل لو وقف الامام فليصل هو
خلف الامام وليقف خارج المسجد فان الصلاة في الارض المغصوب تسقط الفرض وتنعقد في حق
الاقتدا وان عصى فاعل ذلك بالوقوف في الغصب وان كان من مال لا يعرف مالكه فالورع العدول
الى مسجد اخر ان وجد فان لم يجد غيره فلا يترك الجمعة والجماعة به لانه يحتمل ان يكون ملك الذي
بناه ولو على بعد وان لا يكون له مالك معين فهو لمصالح المسلمين وان كان في المسجد الكبير بنا
لسلطان ظالم فلا عذر لمن يصلي فيه مع اتساع المسجد اعني في الورع **قيل** لاحمد بن حنبل رضي الله
عنه ما حجتك في ترك الخروج الى الصلاة ونحن بالعسكر فقال حجتي الحسن وابرهيم التيمي خافا على
انفسهم ان يفتنهم الحجاج وانا اخاف ان افتن ايضا واما التعليق والتجصيص فان ذلك غير منتفع
به وانما هو زينة فالاولى ان لا ينظر اليه واما البواري التي فرشوها فان كان لها مالك معين فيحرم الجلوس
عليها والا فبعد ان ارصدت لمصلحة عامة جاز افتراشها ولكن الورع العدول عنها فانها محل
شبهة **واما** السقاية فحكمها ما ذكرناه وليس من الورع الوضو والشرب منها والدخول فيها الا اذا
كان يخشى فوات الصلاة فيتوضا وكذلك مصانع طريق مكة **واما** الرباطات والمدارس فان كانت
الرقبة مغصوبة او الاجر منقولا من موضع معين يمكن الرد الى مستحقه فلا رخصة في الدخول فيها وان
التبس المالك فقد ارصد لجهة من الخير والورع الاجتناب ولكن لا يلزم الفسق بدخولها وهذه الابنية
ان ارصدت من خدم السلطان فالامر فيها اشد اذ ليس لهم صرف الاموال الضايعة الى المصالح ولان
الحرام اغلب على اموالهم اذ ليس لهم اخذ مال المصالح وانما يجوز ذلك للولاة وارباب الامر **مسئله**
الارض المغصوبة اذا جعلت شارعا لم يجز ان يتخطى فيه وان لم يكن لها مالك معين جاز ذلك والورع
العدول ان امكن فان كان الشارع مباحا وفوقه ساباط جاز العبور ويجوز الجلوس تحت الساباط
على وجه لا يحتاج فيه الى السقف كما يقف في الشارع لشغل فان انتفع بالسقف في دفع حر
الشمس او مطر او غيره فهو حرام لان السقف لا يراد الا لذلك وهكذا حكم من يدخل مسجدا او ارضا
مباحة سقف وحوط بغصب فانه بمجرد التخطي لا يكون منتفعا بالحيطان والسقف الا اذا
كانت له فايدة في الحيطان والسقف بحر او برد او تستر عن ابصار الناس ونحو ذلك فذلك حرام
لانه انتفاع بحرام اذ لم يحرم الجلوس على الغصب لما فيه من المماسة بل للانتفاع بالارض استقرار
عليها والسقف استظلال به فلا فرق بينهما

الباب السابع في مسايل متفرقة

يكثر مسيس الحاجة اليها وقد سئل عنها في الفتاوي **مسئله** سئل عن خادم الصوفية يخرج الى
السوق ويجمع طعاما فمن الذي يحل له ان ياكل منه وهل يختص بالصوفية ام لا **فقلت**
اما الصوفية فلا شبهة في حقهم اذا اكلوه **واما غيرهم** فيحل لهم الاكل اذا اكلوه برضا الخادم ولكن
لا يخلو عن شبهة اما الحل فلان ما يعطاه خادم الصوفية فانما يعطى بسبب الصوفية ولكن
هو المعطى لا الصوفية فهو كالرجل المعيل يعطى بسبب عياله لانه متكفل بهم وما ياخذه يقع ملكا له

لا للعيال فله ان يطعم غير العيال اذ يبعد ان يقال لم يخرج عن ملك المعطي ولا ينبسط الخادم
على الشراء والتصدق فيه لان ذلك مصير الى ان المعاطاة لا تكفي وهو ضعيف ثم اثار البدع في
الصدقات والهدايا ويبعد ان يقال زال الملك الى الصوفية الحاضرين ثم وقت سواله في
الخانقاه اذ لا خلاف ان له ان يطعم منه من يقدم بعدهم ولو ماتوا كلهم او واحد منهم
لم يجب صرف نصيبه الى وارثه ولا يمكن ان يقال انه وقع لجهة التصوف ولا يتعين له مستحق
لان اثبات الملك للجهة لا يوجب تسليط الاحاد على التصرف فان الداخلين فيه لا يتعينون
بل يدخل فيه من يولد الى يوم القيمة وانما يتصرف فيه الولاة والخادم فلا يجوز له ان يتصرف
عن الجهة فلا وجه الا ان يقال هو ملكه وانما يطعم الصوفية ولا يشترط في المروة فانه معهم
مغفو من ان يطعم بنفسه في معرض التكفل بهم حتى ينقطع رزقه كما ينقطع عن من مات
عياله **مسئله** سئل عن مال اوصي به للصوفية فمن الذي يجوز ان يصرف اليه **فقلت**
التصوف امر باطن لا يطلع عليه ولا يمكن ربط الحكم بحقيقته بل بامور ظاهرة يعول عليها اهل
العرف في اطلاق اسم الصوفي والضابط الكلي انه كل من هو بصفة اذا نزل بخانقات
الصوفية لم يكن نزوله فيه واختلاطه منكرا عندهم فهو داخل في غمارهم والتفصيل ان
يلاحظ فيه خمس صفات الصلاح والفقر وزي الصوفية وان لا يكون مشتغلا بحرفة وان
يكون مخالطا بطريق المساكنة في الخانقاه ثم بعض هذه الصفات بما يوجب زوالها زوال الاسم
وبعضها ينجبر بالبعض فالفسق يمنع هذا الاستحقاق لان الصوفي بالجملة عبارة عن رجل من اهل الصلاح
بصفة مخصوصة فالذي يظهر فسقه وان كان على زيهم لا يستحق ما اوصي به للصوفية ولسنا
نعتبر فيه الصغاير **واما** الحرفة فشغل الاشتغال بالمكتسب يمنع هذا الاستحقاق فالدهقان
والعامل والتاجر والصانع في حانوته او داره والاجير الذي يخدمه باجرة كل هولاء لا يستحقون ما
اوصي به للصوفية ولا ينجبر بالزي والمخالطة **واما** الوراقة والخياطة وما يقرب منها مما يليق
بالصوفية تعاطيه فاذا تعاطى ذلك لا في حانوت ولا على جهة الاكتساب فذلك لا يمنع الاستحقاق
ولان ذلك ينجبر بمساكنته اياهم مع بقية الصفات واما القدرة على الحرفة من غير مباشرة فلا يمنع
واما الوعظ والتدريس فلا ينافي اسم التصوف اذا وجدت بقية الخصال من الزي والمساكنة
للفقر اذ لا يتناقض ان يقال الصوفي مقري وصوفي واعظ وصوفي عالم ومدرس ويتناقض ان يقال
صوفي مقري دهقان وصوفي تاجر وصوفي عامل **واما** الفقر فان زال بغنى مفرط ينسب
الرجل به الى الثروة الظاهرة فلا يجوز معه اخذ ما اوصي به الى الصوفية وان كان له مال
ولا يفي دخله بخرجه لم يبطل حقه وهكذا اذا كان له مال قاصر عن وجوب الزكاة وان لم يكن له خرج
وهذه امور لا دليل عليها الا العادات **واما** المخالطة لهم ومساكنتهم فلها اثر ولكن من
لا يخالطهم وهو في داره او مسجده على زيهم ومتخلق باخلاقهم فهو شريك لهم في سهمهم و
كان ترك المخالطة يجبرها ملازمة الزي فان لم يكن على زيهم ووجدت بقية الصفات فلا
يستحق الا اذا كان مساكنا لهم في الرباط فينسحب عليه حكمهم بالتبعية فالمخالطة والزي
ينوب كل واحد منهما عن الاخر والفقيه الذي ليس على زيهم هذا حكمه فان كان خارجا لا يعد صوفيا
وان كان ساكنا معهم ووجدت الصفات لم يبعد ان ينسحب بالتبعية عليه حكمهم

واما المنزل في الرباط من بيوت مشايخهم ولا يشترط ذلك في الاستحقاق وعدمه لا يقدح مع وجود
الشرائط المذكورة **واما** المناهل المترددين الى الرباط والمساكن فلا يخرج عن جملتهم **مسئلة**
ما وقف على رباط الصوفية وسكانه فالامر فيه اوسع مما اوصى به للصوفية لان معنى الوقف الصرف
الى مصالحهم فلغير الصوفي ان ياكل معهم برضاهم على مائدتهم مرة او مرتين فان امر الاطعمة مبنية
على التسامح حتى كان الانفراد في الغنائم المشتركة جائزا وللعمال ان ياكل معهم في دعوتهم من ذلك
الوقف وكان ذلك من مصالح معاشيهم وما اوصى به للصوفية فلا يجوز ان يصرف الى غير
الصوفية بخلاف الوقف وكذلك من حضره من العمال والتجار والقضاة والفقهاء ممن لهم غرض
في استمالة قلوبهم يحل لهم الاكل برضاهم فان الواقف لا يقف الا معتقدا انه بما جرت به عادات الصوفية
فينزل على التصرف ولكن ليس هذا على الدوام فلا يجوز لمن ليس صوفيا ان يسكن معهم على الدوام ولا
ياكل وان رضوا بذلك اذ ليس لهم تغيير شرط الواقف بمشاركة غير جنسهم **واما الفقيه**
اذا كان على زيهم واخلاقهم فله النزول عليهم وكونه فقيها لا ينافي كونه صوفيا والجهل ليس
بشرط في التصوف عند من يعرف التصوف ولا يلتفت الى خرافات بعض الحمقى بقولهم ان العلم حجاب
الجهل هو الحجاب وقد ذكرنا تاويل هذه الكلمة في كتاب العلم فان الحجاب هو العلم المذموم دون
المحمود وقد ذكرنا المذموم والمحمود وشرحهما **واما الفقيه** اذا لم يكن على زيهم واخلاقهم
فلهم منعه من النزول عليهم وان رضوا بنزوله فيحل له الاكل معهم بطريق التبعية فكان
عدم الزي تجبره المساكنة ولكن برضى اهل الزي وهذه الامور تشهد لها العادات وفيها
امور متقابلة لا يخفى اطرافها في النفي والاثبات وتتشابه اوساطها فمن احترز في موضع الاشتباه
فقد استبرأ لدينه كما نبهنا على ذلك في باب الشبهات **مسئلة** سئل عن الفرق بين الرشوة
والهدية مع ان كل واحد منهما يصدر عن الرضا ولا يخلو عن غرض وقد حرم احدهما دون الاخرى **فقلت**
باذل المال لا يبذله قط الا لغرض ولكن الغرض اما اجل واما عاجل والعاجل اما مال واما فعل واعانة
على مقصود معين واما تقرب الى قلب المهدى اليه بطلب محبته اما المحبة في عينها واما للتوصل بالمحبة
الى غرض وراءها فالاقسام الحاصلة من هذه اربعة **القسم الاول** ما غرضه الثواب في
الاخرة وذلك ان يكون المصروف اليه محتاجا او عالما او منتسبا بسبب ديني او صالحا في نفسه
متدينا فما علم الاخذ انه يعطاه لحاجته فلا يحل له اخذه ان لم يكن محتاجا وما علم انه يعطاه لشرف
نسبه فلا يحل ان يعلم انه كاذب في دعوى النسب وما يعطاه لعلمه فلا يحل له ان ياخذه الا ان يكون
في العلم كما يعتقده المعطي فان كان خيل اليه وهو يعتقد فيه كمالا في العلم ولم يكن كاملا لم يحل
اخذه وما يعطاه لدينه وصلاحه فلا يحل له اخذه ان كان فاسقا في الباطن فسقا لو علم ذلك
منه المعطي لما اعطاه **وقيل** ما يكون الصالح بحيث لو انكشف باطنه لبقيت القلوب مائلة
اليه وانما الستر الجميل هو الذي يحببه الى الخلق وكان المتورعون يوكلون في الشرى من لا يعرف انه وكيلهم
حتى لا يتسامحوا في البيع خيفة من ان يكون ذلك اكلا بالدين فان ذلك مخطر والتقي خفي لا كالعلم والنسب
والفقر فينبغي ان يجتنب الاخذ بالدين ما امكن **القسم الثاني** ما يقصد به في العاجل غرض
معين كالفقير يهدي الى الغني طمعا في خلعته فهذه هدية بشرط الثواب ولا يخفى حكمها وانما تحل
عند الوفا بالثواب المطموع فيه وعند وجود شروط العقود ان يكون المراد اعانة بفعل معين

كالمحتاج الى السلطان يهدي الى وكيل السلطان وخاصته ومن له مكانة عنده فهذه هدية بشرط ثواب
يعرف بقرينة الحال فلينظر في ذلك العمل الذي هو الثواب فان كان حراما كالسعي في تنجيز ادرار
حرام او ظلم انسان او غير ذلك حرم الاخذ وان كان واجبا كازالة ظلم متعين على كل من يقدر
على ازالته او شهادة متعينة فيحرم ما ياخذ وتلك الرشوة التي لا يشك في تحريمها وان كان مباحا
لا واجبا ولا حراما وكان فيه تعب بحيث لو عرف لجاز الاستيجار عليه فما ياخذه حلال مهما وفى
بالغرض وهي جارية مجرى الجعالة كقوله اوصل هذه القصة الى يد السلطان ولك دينار وكان
بحيث يحتاج الى تعب وعمل متقوم او قال اقترح على فلان ان يعينني في غرض كذا او ينعم علي بكذا
وافتقر في تنجيز غرضه الى كلام طويل فذلك جعل كما ياخذه الوكيل بالخصومة بين يدي
القاضي فليس بحرام اذا كان لا يستعين به في حرام وان كان مقصوده يحصل بكلمة لا تعب فيها ولكن
تلك الكلمة من ذي الجاه او تلك الفعلة من ذي الجاه تفيده كقوله للبواب لا تغلق دونه باب السلطان
او كوضعه قصة بين يدي السلطان فقط فهذا حرام اخذه لانه عوض عن جاه ولم يثبت في الشرع
جواز ذلك بل ثبت ما يدل على النهي عنه كما سياتي في هدايا الملوك فاذا كان لا يجوز العوض
عن اسقاط الشفعة والرد بالعيب ودخول الاغصان في هوا الملك وجملة من الاغراض مع كونها
مقصودة فكيف يوخذ عن الجاه ويقرب من هذا اخذ الطبيب العوض على كلمة واحدة ينبه بها
على دوا ينفرد بمعرفته كمن ينفرد بعلم نبت يقلع البواسير او غيره فلا يذكره الا بعوض فان عمله في
التلفظ به غير متقوم كحبة سمسم لا قيمة لها فلا يجوز اخذ العوض على ذلك ولا على علمه اذ
ليس ينتقل علمه الى غيره وانما يحصل لغيره مثل علمه ويبقى هو عالما به ودون هذا الحاذق
في الصناعات كالصيقل الذي يزيل اعوجاج السيف او المراة فهذا لا ارى به باسا باخذ
الاجرة عليه لان مثل هذه الصناعات يتعب الرجل في تعلمها ليكتسب بها ويخفف عن نفسه كثرة
التعب **الثالث** ما يقصد به المحبة وجلبها من قلب المهدى اليه لا لغرض معين ولكن
طلبا للاستيناس وتاكيدا للصحبة وتوددا الى القلوب فذلك مقصود العقلاء ومندوب اليه
في الشرع **قال** صلى الله عليه وسلم تهادوا تحابوا وعلى الجملة فلا يقصد الانسان في الغالب ايضا
محبة غيره لعين المحبة بل لفائدة في محبته ولكن اذا لم تتعين تلك الفائدة ولم يتمثل في نفسه غرض معين
يبعثه في الحال او المال سمي ذلك هدية وحل اخذها **الرابع** ان يطلب التقرب الى قلبه وتحصيل محبته
لا لمحبته ولا للانس به فقط بل ليتوصل بجاهه الى اغراض ينحصر جنسها وان لم ينحصر عينها وكان
لولا جاهه وحشمته لما اهدى اليه فان كان جاهه لاجل علم او نسب فالامر فيه اخف واخذه مكروه
فان فيه مشابهة الرشوة ولكنها هدية في ظاهرها فان كان جاهه لولاية تولاها من قضاء او عمل او ولاية
صدقة او جباية مال او غيره من الاعمال السلطانية حتى ولاية الاوقاف مثلا وكان لولا تلك الولاية
لما اهدى اليه فهذه رشوة عرضت في معرض الهدية اذ القصد بها في الحال طلب التقرب واكتساب
المحبة ولكن لامر ينحصر جنسه اذ ما يمكن التوصل اليه بالولايات لا يخفى وآية انه لا يبتغي المحبة انه لو ولي في
الحال غيره لسلم المال الى ذلك الغير فهذا مما اتفقوا على ان الكراهة فيه شديدة واختلفوا في كونه
حراما والمعنى فيه متعارض فانه دائر بين الهدية المحضة وبين الرشوة المبذولة في مقابلة جاه محض
في غرض معين واذا تعارضت المشابهة القياسية وعضدت الاخبار والاثار احدهما تعين الميل

اليه وقد دلت الاخبار على تشديد الامر في ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي على الناس
زمان يستحل فيه السحت بالهدية والقتل بالموعظة يقتل البري ليوعظ به العامة وسئل
ابن مسعود عن السحت فقال يقضي الرجل الحاجة فيهدي له الهدية ولعله اراد قضا الحاجة بكلمة لا تعب
فيها او تبرع بها لا على قصد اجرة فلا يجوز له ان ياخذ بعد ذلك شيئا في معرض العوض وشفع
مسروق شفاعة فاهدى اليه المشفوع له جارية فغضب وردها وقال لو علمت ما في قلبك
ما تكلمت في حاجتك ولا اتكلم فيما بقي منها وسئل طاوس عن هدايا السلطان فقال سحت
اخذ عمر رضي الله عنه ربح مال القراض الذي اخذه ولداه من مال بيت المال وقال انما اعطيكما لمكانكما
مني اذ علم انهما اعطيا لاجل الولاية واهدت امراة ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه الى خاتون ملكة
الروم خلوقا فكافاتها بجوهر فاخذه عمر منها فباعه واعطاها ثمن خلوقها ورد باقيه في بيت مال المسلمين
وقال جابر وابو هريرة هدايا الملوك غلول ولما رد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الهدية قيل
له كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية فقال كانت له هدية ولنا رشوة اي كان يتقرب اليه صلى
الله عليه وسلم لنبوته لا لولايته ونحن انما نعطى للولاية واعظم من ذلك كله ما رواه ابو حميد الساعدي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث واليا على صدقات الازد فلما جا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
امسك بعض ما معه فقال هذا مالكم وهذا لي هدية فقال صلى الله عليه وسلم الا جلست في بيت ابيك
وبيت امك حتى ياتيك هديتك ان كنت صادقا ثم قال ما لي استعمل الرجل منكم فيقول هذا لكم
وهذا هدية لي الا جلس في بيت امه فيهدى له والذي نفسي بيده لا ياخذ احد منكم شيئا بغير حقه
الا اتى الله بحمله فلا ياتين احدكم يوم القيامة ببعير له رغا او ببقرة لها خوار او شاة تيعر ثم رفع يديه
حتى رايت بياض ابطيه ثم قال اللهم هل بلغت واذا ثبتت هذه التشديدات فالقاضي والوالي ينبغي
ان يقدر نفسه في بيت امه وابيه فما كان يعطى بعد العزل وهو في بيت امه يجوز له ان ياخذ في
ولايته وما علم انه انما يعطاه لولايته فحرام اخذه وما اشكل عليه في هدايا اصدقائه
انهم كانوا يهدون اليه لو كان معزولا فهو شبهة فليجتنبه تم كتاب الحلال والحرام بحمد الله
وعونه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم يتلوه كتاب الالفة وهو الخامس من ربع العادات
من احيا علوم الدين للامام العالم العلامة استاذ ابي حامد الغزالي قدس الله روحه ونور ضريحه آمين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي غمر صفوة عباده بلطائف التخصيص طولا وامتنانا والف بين قلوبهم فاصبحوا
بنعمته اخوانا ونزع الغل من صدورهم فظلوا في الدنيا اصدقاء واخدانا وفي الآخرة رفقاء وخلانا و
الصلاة على محمد المصطفى وعلى آله واصحابه الذين اتبعوه واقتدوا به قولا وفعلا وعدلا واحسانا
اما بعد فان التحابب في الله تعالى والاخوة في دينه من افضل القربات والطف ما يستفاد
من الطاعات في مجاري العادات ولها شروط بها يلتحق المتصاحبون بالمتحابين في الله تعالى وفيها حقوق
بمراعاتها تصفو الاخوة عن شوائب الكدورات ونزغات الشيطان فبالقيام بحقوقها يتقرب الى الله
زلفى وبالمحافظة عليها تنال الدرجات العلى ونحن نبين مقاصد هذا الكتاب في ابواب الباب
الاول في فضيلة الالفة والاخوة وشروطها ودرجاتها وفوائدها الباب الثاني في
حقوق الاخوة والصحبة وادابها وحقيقتها ولوازمها الباب الاول في فضيلة الالفة و
الاخوة وفي شروطها ودرجاتها وفوائدها فضيلة الالفة والاخوة اعلم ان الالفة ثمرة حسن الخلق
والتفرق ثمرة سوء الخلق فحسن الخلق يوجب التحابب والتآلف والتوافق وسوء الخلق يثمر التباغض
والتحاسد والتدابر ومهما كان المثمر محمودا كانت الثمرة محمودة وحسن الخلق لا يخفى في الدين
فضيلته وهو الذي مدح الله سبحانه به نبيه صلى الله عليه وسلم اذ قال الله تعالى وانك لعلى
خلق عظيم وقال النبي صلى الله عليه وسلم اكثر ما يدخل الجنة تقوى الله وحسن الخلق
وقال اسامة بن شريك قلنا يا رسول الله ما خير ما اعطي الانسان فقال خلق حسن وقال
صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم محاسن الاخلاق وقال صلى الله عليه وسلم ما حسن الله خلق
امرئ وخلقه فيطعمه النار وقال صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة عليك بحسن الخلق قال ابو هريرة وما
حسن الخلق يا رسول الله قال تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك ولا يخفى ان
ثمرة الخلق الحسن الالفة وانقطاع الوحشة ومهما طاب المثمر طابت الثمرة كيف وقد ورد في الثنا
على نفس الالفة سيما اذا كانت الرابطة هي الدين والتقوى وحب الله تعالى من الآيات والاخبار
والآثار ما فيه كفاية ومقنع قال الله تعالى مظهرا عظم منته على الخلق بنعمة الالفة لو
انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم وقال تعالى
فاصبحتم بنعمته اخوانا اي بالالفة ثم ذم التفرقة وزجر عنها فقال عز من قائل واعتصموا بحبل الله
ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على
شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون وقال صلى الله عليه وسلم
ان اقربكم مني مجلسا احاسنكم اخلاقا الموطؤون اكنافا الذين يالفون ويؤلفون وقال صلى الله
عليه وسلم في الثنا على الاخوة في الدين من اراد الله به خيرا رزقه خليلا صالحا ان نسي ذكره وان ذكر اعانه
وقال صلى الله عليه وسلم مثل الاخوين اذا التقيا مثل اليدين تغسل احداهما الاخرى وما
التقى مؤمنان قط الا افاد الله احدهما من صاحبه خيرا وقال صلى الله عليه وسلم في الترغيب
في الاخوة في الله من آخى اخا في الله رفعه الله درجة في الجنة لا ينالها بشي من عمله وقال ابو ادريس
الخولاني لمعاذ اني احبك في الله فقال له ابشر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ينصب لطائفة
من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس ولا يفزعون ويخاف
الناس ولا يخافون وهم اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقيل من هؤلاء يا رسول الله
فقال هم المتحابون في الله ورواه ابو هريرة وقال فيه ان حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم
نور ووجوههم نور ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء فقالوا يا رسول الله صفهم
لنا فقال هم المتحابون في الله والمتجالسون في الله والمتزاورون في الله وقال صلى
الله عليه وسلم ما تحاب اثنان في الله الا كان احبهما الى الله اشدهما حبا لصاحبه ويقال ان
الاخوين في الله اذا كان احدهما اعلى مقاما في الآخرة رفع الآخر معه الى مقامه وانه يلتحق به كما يلتحق الذرية
بالوالدين والاهل بعضهم ببعض لان الاخوة اذا اكتسبت في الله لم تكن دون اخوة الولادة وقد قال
الله تعالى الحقنا بهم ذرياتهم وما التناهم من عملهم من شي وقال صلى الله عليه وسلم

حقت محبتي للذين يتزاورون من اجلي وحقت محبتي للذين يتحابون من اجلي وحقت محبتي للذين يتباذلون
من اجلي وحقت محبتي للذين يتناصرون من اجلي وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى يقول
يوم القيامة اين المتحابون بجلالي اليوم اظلهم في ظلي وقال صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله يوم
لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشا في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان
تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته امراة ذات
حسن وجمال فقال اني اخاف الله تعالى ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما انفقت يمينه
وقال صلى الله عليه وسلم ما زار رجل رجلا في الله شوقا اليه ورغبة في لقائه الا ناداه ملك من
خلفه طبت وطابت لك الجنة وقال صلى الله عليه وسلم ان رجلا زار اخا له في الله فارصد الله
له ملكا فقال اين تريد فقال اريد ان ازور اخي فلانا فقال لحاجة لك عنده قال لا قال لقرابة بينك
وبينه قال لا قال فلنعمة له عندك قال لا قال فبم قال احبه في الله قال فان الله
ارسلني اليك يخبرك بانه يحبك لحبك اياه وقد اوجب لك الجنة وقال صلى الله عليه وسلم اوثق
عرى الاسلام الحب في الله والبغض في الله فلهذا يجب ان يكون للرجل اعداء يبغضهم في الله كما يكون
له اصدقاء واخوان يحبهم في الله وروي ان الله عز وجل اوحى الى نبي من الانبياء اما زهدك في الدنيا
فقد تعجلت الراحة واما انقطاعك الي فقد تعززت بي ولكن هل عاديت في عدوا او هل واليت في وليا
وقال صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل لفاجر علي منة فترزقه مني محبة وروي ان الله عز وجل
اوحى الى عيسى صلى الله عليه وسلم لو انك عبدتني بعبادة اهل السموات والارض وحب في ليس وبغض في ليس
ما اغنى عنك ذلك شيئا وقال عيسى صلى الله عليه وسلم تحببوا الى الله تعالى ببغض اهل المعاصي وتقربوا الى
الله بالتباعد منهم والتمسوا رضا الله بسخطهم قالوا يا روح الله فمن نجالس قال جالسوا من يذكركم الله رؤيته
ويزيد في علمكم كلامه ومن يرغبكم في الاخرة عمله وروي في الاخبار السالفة ان الله تعالى اوحى الى موسى
صلى الله عليه وسلم كن يقظانا وارتد لنفسك اخوانا فكل خدن وصاحب لا يوازرك على مسرتي فهو لك عدو
واوحى الله تبارك وتعالى الى داود صلى الله عليه وسلم يا داود ما لي اراك منتبذا وحدانا فقال الهي قليت
الخلق من اجلك فقال يا داود كن يقظانا وارتد لنفسك اخوانا فكل خدن لا يوافقك على مسرتي فلا تصحبه
فانه لك عدو يقسي قلبك ويباعدك مني وفي اخبار داود صلى الله عليه وسلم انه قال يا رب كيف لي
ان يحبني الناس كلهم واسلم فيما بيني وبينك قال خالق الناس باخلاقهم واحسن فيما بيني وبينك وفي
بعضها خالق اهل الدنيا باخلاق الدنيا وخالق اهل الاخرة باخلاق الاخرة وقال صلى الله عليه وسلم
ان احبكم الى الله الذين يالفون ويؤلفون وقال صلى الله عليه وسلم ان اقربكم الى الله اهل التقى وان
ابغضكم الى الله المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاخوان وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان لله ملكا
نصفه من نار ونصفه من ثلج يقول اللهم كما الفت بين الثلج والنار كذلك الف بين قلوب عبادك
الصالحين وقال ايضا ما احدث عبد اخا في الله الا احدث الله له درجة في الجنة وقال
صلى الله عليه وسلم المتحابون في الله على عمود من ياقوتة حمراء في راس العمود سبعون الف غرفة يشرفون
على اهل الجنة يضيء حسنهم لاهل الجنة كما تضيء الشمس لاهل الدنيا فيقول اهل الجنة انطلقوا بنا ننظر الى
المتحابين في الله فيضيء حسنهم لاهل الجنة كما تضيء الشمس عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على
جباههم المتحابون في الله **الاثار** قال علي رضي الله عنه عليكم بالاخوان فانهم عدة في الدنيا والاخرة

الا تسمع الى قول اهل النار فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه والله
لو صمت النهار لا افطره وقمت الليل لا انامه وانفقت مالي علقا علقا في سبيل الله اموت يوم اموت وليس
في قلبي حب لاهل طاعة الله وبغض لاهل معصية الله ما نفعني ذلك شيئا وقال ابن السماك عند
موته اللهم انك تعلم اني اذا كنت اعصيك كنت احب من يطيعك فاجعل ذلك قربة لي اليك و
قال الحسن رحمه الله يا ابن ادم لا يغرنك قول من يقول المرء مع من احب فانك لن تلحق الابرار الا باعمالهم
فان اليهود والنصارى يحبون انبياءهم وليسوا معهم وهذه اشارة الى ان مجرد ذلك من غير موافقة
في بعض الاعمال او كلها لا ينفع وقال الفضيل في بعض كلامه هاه تريد ان تسكن الفردوس و
تجاور الرحمن في داره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين باي عمل عملته باي شهوة
تركتها باي غيظ كظمته باي رحم قاطع وصلتها باي زلة لاخيك غفرتها باي قريب باعدته في الله
باي بعيد قاربته في الله ويروى ان الله عز وجل اوحى الى موسى صلى الله عليه وسلم هل عملت لي عملا
قط قال الهي صليت لك وصمت وتصدقت فقال ان الصلاة لك برهان والصوم جنة والصدقة
ظل والذكر نور فاي عمل عملت لي فقال موسى صلى الله عليه وسلم الهي دلني على عمل هو لك قال يا موسى
هل واليت لي وليا قط وهل عاديت لي عدوا قط فعلم موسى ان افضل الاعمال الى الله الحب في الله و
البغض في الله وقال ابن مسعود رضي الله عنه لو ان رجلا قام بين الركن والمقام يعبد الله
سبعين سنة لبعثه الله يوم القيامة مع من يحب ومهاجرة الفاسق قربان الى الله وقال رجل لمحمد بن واسع
اني لاحبك في الله قال احبك الذي احببتني له ثم حول وجهه وقال اللهم اني اعوذ بك ان احب فيك
وانت لي مبغض ودخل رجل على داود الطائي فقال له ما حاجتك فقال زيارتك فقال اما انت فقد عملت خيرا حين زرت ولكن
انظر ماذا ينزل بي انا اذا قيل لي من انت فتزار امن الزهاد انت لا والله امن العباد انت لا والله امن الصالحين
انت لا والله ثم اقبل يوبخ نفسه ويقول كنت في الشبيبة فاسقا فلما شخت صرت مرائيا والمرائي شر من
الفاسق وقال عمر رضي الله عنه اذا اصاب احدكم ودا من اخيه فليتمسك به فقلما يصيب ذلك و
قال مجاهد المتحابون في الله اذا التقوا فكشر بعضهم الى بعض تتحات عنهم الخطايا كما يتحات ورق
الشجر في الشتاء اذا يبس وقال الفضيل نظر الرجل الى اخيه على المودة والرحمة عبادة

بيان معاني الاخوة في الله وتمييزها عن الاخوة في الدنيا

اعلم ان الحب في الله والبغض في الله غامض وينكشف
الغطاء عنه بما نذكره وهو ان الصحبة تنقسم الى ما يقع بالاتفاق كالصحبة بسبب الجوار او بسبب الاجتماع
في المكتب او في المدرسة او في السوق او على باب السلطان او في الاسفار والى ما ينشأ اختيارا ويقصد
وهو الذي نريد بيانه اذ الاخوة في الدين واقعة في هذا القسم لا محالة اذ لا ثواب الا على الافعال الاختيارية
فلا يرغب الا فيها والصحبة عبارة عن المجالسة والمخالطة والمجاورة وهذه الامور لا يقصد الانسان
بها غيره الا اذا احبه فان غير المحبوب يجتنب ويباعد ولا يقصد مخالطته والذي يحب فاما ان يحب لذاته
لا ليتوصل به الى محبوب ومقصود وراءه واما ان يحب للتوصل به الى مقصود وذلك المقصود اما ان يكون
مقصورا على الدنيا وحظوظها واما ان يكون متعلقا بالاخرة واما ان يكون متعلقا بالله فهذه اربعة اقسام

اما القسم الاول وهو حبك الانسان لذاته فذلك ممكن وذلك ان يكون في ذاته محبوبا
عندك على معنى انك تلتذ برؤيته ومعرفته ومشاهدة اخلاقه لاستحسانك له فان كل جميل لذيذ
في حق من ادرك جماله وكل لذيذ محبوب واللذة تتبع الاستحسان والاستحسان يتبع المناسبة و

الملاءمة والموافقة بين الطباع ثم ذلك المستحسن اما ان يكون هي الصورة الظاهرة اعني حسن
الخلقة واما ان يكون الصورة الباطنة اعني كمال العقل وحسن الاخلاق ويتبع حسن الاخلاق حسن
الافعال لا محالة ويتبع كمال العقل غزارة العلم وكل ذلك مستحسن عند الطبع السليم والعقل
المستقيم وكل مستحسن فمستلذ به ومحبوب بل في ائتلاف القلوب امر اغمض من هذا
فانه قد تستحكم المودة بين شخصين من غير ملاحة في صورة ولا حسن في خلق وخلق ولكن لمناسبة
الباطنة توجب الالفة والموافقة فان شبه الشي منجذب اليه بالطبع والاشباه الباطنة
خفية ولها اسباب دقيقة ليس في قوة البشر الاطلاع عليها وعن ذلك عبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم حيث قال الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف
فالتناكر نتيجة التباين والائتلاف نتيجة التناسب الذي عبر عنه بالتعارف وفي
بعض الالفاظ تلتقي نتيجة التناسب الذي عبر عنه بالتعارف وفي بعض الالفاظ
تلتقي فتتشام في الهوى وكنى بعض العلما عن هذا بان قال ان الله تعالى خلق الارواح ففلق
بعضها فلقا واطافها حول العرش فاي روحين من فلقتين بعضها من بعض تعارفا هناك
فالتقيا تواصلا في الدنيا **وقال** صلى الله عليه وسلم ان ارواح المومنين ليلتقيان على مسيرة
يوم وما راى احدهما صاحبه قط وروي ان امراة بمكة كانت تضحك النسا وكانت بالمدينة اخرى
فنزلت المكية على المدنية فدخلت على عائشة فاضحكتها فقالت لها اين نزلتي فاخبرتها فقالت صدق
الله ورسوله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الارواح جنود مجندة الحديث والحق في
هذا ان المشاهدة والتجربة تشهد للائتلاف عند التناسب والتناسب في الاخلاق والطباع
باطنا وظاهرا امر مفهوم واما الاسباب التي اوجبت تلك المناسبة فليس في قوة البشر الاطلاع
عليها وغاية هذيان المنجم ان يقول اذا كان طالعه على تسديس طالع غيره او التثليث فهذا نظر الموافقة
والمودة فتقتضي التناسب والتوادد واذا كان على مقابلته او تربيعه اقتضى التباغض والعداوة
فهذا لو صدق بكونه كذلك في مجاري سنة الله تعالى في خلق السموات والارض لكان الاشكال
فيه اكثر من الاشكال في اصل التناسب فلا معنى للخوض فيما لم يكشف سره للبشر فما اوتينا من العلم
الا قليلا ويكفينا في التصديق بذلك التجربة والمشاهدة وقد ورد الخبر به **وقال** صلى الله عليه
وسلم لو ان مومنا دخل الى مجلس فيه مائة منافق ومومن واحد لجا حتى يجلس اليه وهذا يدل على ان شبه
الشي منجذب اليه بالطبع وان كان هو لا يشعر به وكان مالك بن دينار يقول لا يتفق اثنان في عشرة الا
وفي احدهما وصف من الاخر وان اشكال الناس كاجناس الطير ولا يتفق نوعان من الطير في طيران
الا وبينهما مناسبة **وقال** فراى يوما غرابا مع حمام فعجب من ذلك وقال اتفقا وليسا من شكل
واحد ثم طارا فاذا هما اعرجان فقال من ههنا اتفقا ولذلك قال بعض الحكما كل انسان يانس
الى شكله كما ان طيرا مع جنسه واذا اصطحب اثنان برهة من الزمان ولم يتشاكلا في حال فلا بد ان
يتفرقا وهذا معنى خفي تفطن اليه الشعرا حتى قال قائلهم **شعر** وقائل كيف تفارقتما فقلت قولا فيه انصاف
لم يك من شكلي ففارقته والناس اشكال والاف ❊ فقد ظهر من هذا ان الانسان قد يحب لذاته لا لفايدة
تنال منه في حال ولا مال بل لمجرد المناسبة والمناسبة في الطباع الباطنة والاخلاق الخفية ويدخل
في هذا القسم الحب للجمال اذا لم يكن المقصود قضا الشهوة فان الصورة الجميلة مستلذة في عينها

وان فقد اصل الشهوة حتى يستلذ النظر الى الفواكه والانوار والازهار والتفاح المشرب بالحمرة
والى الما والخضرة من غير غرض سوى عينها وهذا الحب لا يدخل فيه الحب لله بل هو حب بالطبع وشهوة
النفس ويتصور ذلك ممن لا يومن بالله الا انه ان اتصل به غرض مذموم صار مذموما كحب الصورة
الجميلة لقضا الشهوة حيث لا يحل قضاوها وان لم يتصل به غرض مذموم فهو مباح لا يوصف بحمد
ولا ذم اذ الحب اما محمود او مذموم واما مباح لا يحمد ولا يذم **القسم الثاني** ان يحبه لينال من ذاته
غير ذاته فيكون وسيلة الى محبوب غيره والوسيلة الى المحبوب محبوب وما يحب لغيره كان ذلك
الغير هو المحبوب بالحقيقة ولم يكن الطريق الى المحبوب محبوب ولذلك احب الناس الذهب
والفضة من حيث انه وسيلة الى المقصود اذ يتوصل به الى نيل جاه او مال او علم كما يحب الرجل
سلطانا لانتفاعه بماله او جاهه ويحب خواصه لتحسينهم حاله عنده وتمهيدهم امره
في قلبه فالمتوسل اليه ان كان مقصور الفايدة على الدنيا لم يكن حبه من جملة الحب في الله وان لم
يكن مقصور الفايدة على الدنيا ولكنه ليس يقصد به الا الدنيا كحب التلميذ لاستاذه فهو ايضا
خارج عن الحب لله فانه انما يحبه ليحصل منه العلم لنفسه فمحبوبه العلم فاذا كان لا يقصد
العلم للتقرب الى الله بل لينال به الجاه والمال والقبول عند الخلق فمحبوبه الجاه والقبول
والعلم وسيلة الى ذلك والاستاذ وسيلة الى العلم فليس في شي من ذلك حب لله اذ يتصور كل ذلك
ممن لا يومن بالله تعالى اصلا ثم ينقسم هذا الى مذموم ايضا ومباح فان كان يقصد به التوصل الى
مقاصد مذمومة من قهر الاقران وحيازة اموال اليتامى وظلم الرعية بولاية القضا وغيره
كان الحب مذموما وان كان يقصد التوصل به الى مباح فهو مباح وانما تكتسب الوسيلة الحكم والصفة من المقصود
المتوصل اليها فانها تابعة له غير قائمة بنفسها **القسم الثالث** ان يحبه لا لذاته بل
لغيره وذلك الغير ليس راجعا الى حظوظه في الدنيا بل يرجع الى حظوظه في الاخرة وهذا ايضا ظاهر لا غموض
فيه وذلك كمن يحب استاذه وشيخه لانه يتوسل به الى تحصيل العلم وتحسين العمل
ومقصوده من العلم والعمل الفوز في الاخرة فهذا من جملة المحبين في الله وكذلك من يحب تلميذه
لانه يتلقف منه العلم وينال بواسطته رتبة التعليم ويرقى به الى درجة التعظيم في ملكوت
السما اذ **قال** عيسى صلى الله عليه وسلم من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما في ملكوت السما ولا
يتم التعليم الا بمتعلم فهو اذا آلة في تحصيل هذا الكمال فان احبه لانه آلة اذ جعل صدره مزرعة لحرثه
الذي هو سبب ترقيه الى الرتبة العظمة في ملكوت السما فهو محب في الله بل الذي يتصدق باموالة
لله ويجمع الضيفان ويهي لهم الاطعمة اللذيذة الغريبة تقربا الى الله فاذا احب طباخا لحسن صنعته
في الطبخ فهو من جملة المحبين في الله وكذا لو احب من يتولى له ايصال الصدقة الى المستحقين
فقد احبه في الله بل نزيد على هذا ونقول اذا احب من يخدمه بنفسه في غسل ثيابه وكنس بيته
وطبخ طعامه ويفرغه بذلك للعلم او العمل ومقصوده من استخدامه في هذه الاعمال الفراغ للعبادة
فهو محب في الله بل نزيد على ذلك ونقول اذا احب من ينفق عليه ماله ويواسيه بكسوته وطعامه
ومسكنه وجميع اغراضه التي يقصدها في الدنيا ومقصوده من جملة ذلك الفراغ للعلم والعمل
المقرب الى الله فهو محب في الله فقد كان جماعة من السلف تكفل بكفايتهم جماعة من اهل الثروة وكان
الموالي والمواسي جميعا من المتحابين في الله بل نزيد عليه ونقول من نكح امراة صالحة ليتحصن

بما عن وساوس الشيطان ويصون بها دينه او الولد له ولد صالح يدعو له ولا حبه وحبه لانها آلته
في هذه المقاصد الدينية فهو محب في الله وكذلك المستوردات اجبا بوفور الاجر والثواب على
الانفاق على العيال حتى اللقمة يضعها الرجل في في امرأته بل نقول كل من اشتهر بحب الله وحب رضاه
وحب لقائه في الدار الآخرة فاذا احب غيره كان محبا في الله لانه لا يتصور ان يحب الا لمناسبته لما هو
محبوب عنده وهو في الله عز وجل بل ازيد على هذا واقول اذا اجتمع في قلبه محبتان محبة الله ومحبة
الدنيا واجتمع في شخص واحد المعنيان حتى صلح ان يتوصل به الى الله والى الدنيا فاذا احبه لصلاحه
للامرين فهو من المحبين في الله كمن يحب استاذه الذي يعلمه الدين ويكفيه مهمات الدنيا بالمواساة
في المال فاحبه من حيث ان في طبعه الراحة في الدنيا والسعادة في الآخرة وهو وسيلة اليهما
فهو محب في الله وليس من شرط حب الله ان لا يحب في العاجل حظا البتة اذ الدعاء الذي امر به الانبياء
صلوات الله عليهم وسلامه فيه جمع بين الدنيا والآخرة ومن ذلك قولهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة
وفي الآخرة حسنة **وقال** عيسى عليه السلام في دعائه اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تسؤ بي
صديقي ولا تجعل مصيبتي في ديني ولا تجعل الدنيا اكبر همي فدفع شماتة الاعداء من حظوظ الدنيا
ولم يقل ولا تجعل الدنيا اصلا من همي بل قال لا تجعلها اكبر همي **وقال** نبينا صلى الله عليه وسلم في دعائه
اللهم اني اسألك رحمة انال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة **وقال** اللهم عافني من بلاء
الدنيا وبلاء الآخرة وعلى الجملة فاذا لم يكن حب السعادة في الآخرة مناقضا لحب الله تعالى فحب السلامة
والصحة والكفاية والكرامة في الدنيا كيف يكون مناقضا للحب لله عز وجل والدنيا والآخرة عبارة
عن حالتين احداهما اقرب من الاخرى فكيف يتصور ان يحب الانسان حظوظ نفسه غدا ولا يحبها اليوم
وانما يحبها غدا لان الغد سيصير حالا راهنة فالحالة الراهنة لا بد ان تكون مطلوبة ايضا الا ان الحظوظ
العاجلة منقسمة الى ما يضاد حظوظ الآخرة ويمنع منها وهي التي احترز عنها الانبياء والاولياء وامروا بالاحتراز
عنها والى ما لا يضاد وهي التي لم يمتنعوا منها كالنكاح الصحيح واكل الحلال وغير ذلك فما يضاد حظوظ
الآخرة فحق على العاقل ان يكرهه ولا يحبه اعني ان يكرهه بعقله لا بطبعه كما يكره التناول من طعام لذيذ
لملك من الملوك يعلم انه لو اقدم عليه لقطعت يده او حزت رقبته لا بمعنى ان الطعام اللذيذ يصير
بحيث لا يشتهيه بطبعه ولا يستلذه لو اكله فان ذلك محال ولكن على معنى ان يزجره عقله عن
الاقدام عليه ويحصل فيه كراهية الضرر المتعلق به والمقصود من هذا انه لو احب استاذه لانه يواسيه
او يعلمه او تلميذه لانه يتعلم منه ويخدمه واحدهما حظ عاجل والآخر آجل لكان في زمرة المتحابين
في الله ولكن بشرط واحد وهو ان يكون بحيث لو منعه العلم مثلا او تعذر عليه تحصيله منه لنقص
حبه بسبب ذلك فالقدر الذي ينقص بسبب فقده هو لله تعالى وله على ذلك القدر ثواب الحب
في الله وليس بمستنكر ان يشتد حبك لانسان لجملة اغراض مرتبطة لك به فان نقص بعضها نقص حبك
وان زاد زاد الحب فليس حبك للذهب كحبك للفضة اذا تساوى مقدارهما لان الذهب يوصل
الى اغراض هي اكثر مما توصل اليه الفضة فاذا يزيد الحب بزيادة الغرض ولا يستحيل اجتماع الاغراض
الدنيوية والاخروية فهو داخل في جملة الحب لله وحده ان كل حب لولا الايمان بالله واليوم الآخر
لم يتصور وجوده فهو حب في الله وكذلك كل زيادة في الحب لولا الايمان بالله تعالى لم تكن تلك الزيادة
فتلك الزيادة من الحب في الله وذلك وان دق فهو عزيز **قال** الجريري تعامل الناس في القرن الاول

بالدين حتى رق الدين وتعاملوا في القرن الثاني بالوفاء حتى ذهب الوفاء وتعاملوا في القرن
الثالث بالمروءة حتى ذهبت المروءة ولم يبق الا الرهبة والرغبة **القسم الرابع**
ان يحب لله وفي الله لا لينال منه علما ولا عملا ولا يتوسل به الى امر وراء ذاته فهذا اعلى
الدرجات وهو ادقها واغمضها وهذا القسم ايضا ممكن فان من آثار الحب ان يتعدى من المحبوب
الى كل من يتعلق بالمحبوب ويناسبه ولو من بعد فمن احب انسانا حبا شديدا احب محب ذلك
الانسان واحب محبوبه واحب من يخدمه واحب من يثني عليه محبوبه
واحب من يتسارع الى رضى محبوبه حتى **قال** بقية بن الوليد ان المؤمن اذا احب المؤمن
احب كلبه وهو كما قال ويشهد له التجربة في احوال العشاق ويدل على ذلك اشعار الشعراء ولذلك
يحفظ ثوب المحبوب ويخفيه تذكرة من جهته ويحب منزله ومحلته وجيرانه حتى **قال** مجنون
بني عامر ؛ امر على الديار ديار ليلى ؛ اقبل ذا الجدار وذا الجدارا ؛ وما حب الديار شغفن قلبي ؛
ولكن حب من سكن الديارا ؛ فاذا المشاهدة والتجربة تدل على ان الحب يتعدى من ذات المحبوب
الى ما يحيط به ويتعلق باسبابه ويناسبه ولو من بعد ولكن ذلك من خاصية فرط المحبة
فاصل المحبة لا يكفي فيه ويكون اتساع الحب في تعديه من المحبوب الى ما يكتنفه ويحيط به ويتعلق
باسبابه بحسب افراط المحبة وقوتها وكذلك حب الله سبحانه اذا قوي وغلب على القلب واستولى
عليه حتى ينتهي الى حد الاستهتار فيتعدى الى كل موجود سواه فان كل موجود سواه اثر من
آثار قدرته ومن احب انسانا احب خطه وصنعته وجميع افعاله ولذلك كان صلى الله عليه
وسلم اذا حمل اليه باكورة من الثمار مسح بها وجهه وعينيه واكرمها وقال انه قريب العهد بربنا
وحب الله تعالى تارة يكون لصدق الرجاء في مواعيده وما يتوقع في الآخرة من نعيمه وتارة لما سلف
من اياديه وصنوف نعمته وتارة لذاته لا لامر آخر وهو ادق ضروب المحبة واعلاها وسيأتي تحقيقها
في كتاب المحبة في ربع المنجيات وكيفما اتفقت محبة الله فاذا قويت تعدت الى كل متعلق
بضرب من التعلق حتى تتعدى الى ما هو في نفسه مؤلم مكروه ولكن فرط الحب يضعف الاحساس
بالالم ويغلب الفرح بضربة من المحبوب او قرصة فيها نوع معاتبة فان قوة المحبة تثير فرحا
يغمر الالم فيه وقد انتهت محبة الله لقوم الى ان قالوا لا نفرق بين البلاء والنعمة فان الكل من
الله ولا نفرح الا بما فيه رضاه حتى قال بعضهم لا اريد ان انال مغفرة الله بمعصية الله **وقال**
سمنون **شعر** وليس لي في سواك حظ ؛ فكيفما شئت فاختبرني ؛ وسيأتي تحقيق ذلك في
كتاب المحبة والمقصود ان حب الله اذا قوي اثمر حب كل من يقوم بحق عبادة الله في علم او عمل واثمر
حب كل من فيه صفة مرضية عند الله من خلق حسن او تأدب بآداب الشرع وما من مؤمن
محب لله ومحب للآخرة الا اذا اخبر عن حال رجلين احدهما عالم عابد والآخر جاهل فاسق الا
ووجد في نفسه ميلا الى العالم العابد ثم يضعف ذلك الميل ويقوى بحسب ضعف ايمانه
وقوته وبحسب ضعف حبه لله وقوته وهذا الميل حاصل وان كانا غائبين عنه بحيث يعلم انه
لا يصيبه منهما خير ولا شر في الدنيا ولا في الآخرة فذلك الميل هو حب في الله ولله من غير حظ
فانه انما يحبه لان الله يحبه ولانه مرضي عند الله تعالى ولانه مشغول بعبادة الله الا انه اذا
ضعف لم يظهر اثره ولا يظهر به ثواب واجر فاذا قوي حمل على الموالاة والنصرة والذب بالنفس والمال

واللسان ويتفاوت الناس فيه بحسب تفاوتهم في حب الله ولو كان الحب مقصورا على حظ ينال من
المحبوب في الحال والمآل لما تصور حب الموتى والعباد من الصحابة والتابعين بل من الانبياء
المتوفين صلوات الله عليهم وسلامه اجمعين فحبهم مكتوب في قلب كل مسلم متدين و
يتبين ذلك بغضبه عند طعن اعدائهم في واحد منهم وبفرحه عند الثناء عليهم وذكر محاسنهم
وكل ذلك حب لله لانهم خواص عباد الله ومن احب ملكا او شخصا جميلا احب خواصه وخدمه واحب
من احبه الا انه يمتحن الحب بالمقابلة بحظوظ النفس وقد يغلب بحيث لا يبقى للنفس حظ الا فيما
هو حظ المحبوب وعنه عبر قول من **قال** اريد وصاله ويريد هجري * فاترك ما اريد لما يريد
وقول من **قال** وما لجرح اذا ارضاكم الم * وقد يكون الحب بحيث يترك به بعض الحظوظ دون بعض
كمن تسمح نفسه بان يشاطر محبوبه في نصف ماله او في ثلثه او في عشره فمقادير الاموال موازين المحبة
اذ لا تعرف درجة المحبوب الا بمحبوب يترك في مقابلته فتحصل من هذا ان كل من احب عالما او عابدا
او احب شخصا راغبا في العلم او في العبادة او في الخير فانما احبه في الله ولله وله فيه من الاجر والثواب
بقدر قوة حبه فهذا شرح الحب في الله ودرجاته وبهذا يتضح البغض في الله ايضا ولكن نزيده
بيانا **بيان البغض في الله** اعلم ان من يحب في الله لا بد ان يبغض في الله فانك ان احببت انسانا
لانه مطيع لله ومحبوب عند الله فان عصاه فلا بد ان تبغضه لانه عاص لله وممقوت عند الله ومن احب
بسبب فبالضرورة يبغض لضده وهذان متلازمان لا ينفصل احدهما عن الآخر وهو مطرد في
الحب والبغض في العادات ولكن كل واحد من الحب والبغض داء دفين في القلب وانما يترشح عند
الغلبة ويترشح بظهور افعال المحبين والمبغضين في المقاربة والمباعدة وفي المخالفة والموافقة
فاذا ظهر في الفعل سمي موالاة ومعاداة ولذلك **قال** صلى الله عليه وسلم واليت في وليا او عاديت في
عدوا كما نقلناه وهذا واضح في حق من لم يظهر لك الا طاعاته اذ تقدر على ان تحبه او لم يظهر الا
فسقه وفجوره واخلاقه السيئة فتقدر على ان تبغضه وانما المشكل اذا اختلطت الطاعات
بالمعاصي فانك تقول كيف اجمع بين البغض والمحبة وهما متناقضان وكذلك تتناقض ثمرتهما
من الموافقة والمخالفة والموالاة والمعاداة فاقول ذلك غير متناقض في حق الله تعالى كما
لا يتناقض في الحظوظ البشرية فانه مهما اجتمع في شخص واحد خصال يحب بعضها ويكره بعضها
فانك تبغضه من وجه وتحبه من وجه فمن له زوجة حسناء فاجرة او ولد ذكي خدوم ولكنه
فاسق فانه يحبه من وجه ويبغضه من وجه ويكون معه على حالة بين حالتين اذ لو فرض ثلاثة
اولاد احدهم ذكي بار والآخر بليد عاق والثالث بليد بار او ذكي عاق فانه يصادف نفسه
معهم على ثلاثة احوال متفاوتة بحسب تفاوت خصالهم فكذلك ينبغي ان يكون حالك بالاضافة
الى من غلب عليه الفجور ومن غلبت عليه الطاعة ومن اجتمع فيه كلاهما متفاوتة على ثلاث مراتب
وذلك بان تعطي كل صفة حظها من البغض والحب والاعراض والاقبال والصحبة والقطيعة
وسائر الافعال الصادرة منه **فان قلت** فكل مسلم فاسلامه طاعة منه فكيف ابغضه مع الاسلام
فاقول تحبه لاسلامه وتبغضه لمعصيته وتكون معه على حالة لو قستها بحال الكافر والفاجر
لادركت تفرقة بينهما وتلك التفرقة حب للاسلام وقضاء لحقه وقدر الجناية على حق الله و
الطاعة له كالجناية على حقك والطاعة لك فمن وافقك على غرض وخالفك في آخر فكن معه

على حالة متوسطة بين الانقباض والاسترسال وبين الاقبال والاعراض وبين التودد اليه والتوحش
عنه ولا تبالغ في اهانته مبالغتك في اهانة من خالفك في جميع اغراضك ثم ذلك التوسط تارة
يكون ميله الى طرف الاهانة عند غلبة الجناية وتارة الى طرف المجاملة والاكرام عند غلبة الموافقة
فهكذا ينبغي ان يكون فيمن يطيع الله عز وجل ويعصيه ويتعرض لرضاه مرة ولسخطه اخرى **فان
قلت** فبماذا يمكن اظهار البغض **فاقول** اما في القول فبقطع اللسان عن مكالمته ومحادثته
مرة وبالاستخفاف والتغليظ في القول اخرى واما في الفعل فبقطع السعي في اعانته مرة والسعي
في اساءته وافساد مآربه اخرى وبعض هذا اشد من بعض وذلك بحسب درجات الفسق و
المعصية الصادرة منه اما ما يجري مجرى الهفوة التي يعلم انه متندم عليها ولا يصر عليها فالاولى
في ذلك الاغماض والستر اما ما يصر عليه من صغيرة او كبيرة فان كان ممن تأكدت بينك وبينه صحبة
ومودة فله حكم آخر وسيأتي وفيه خلاف بين العلماء واما اذا لم تتأكد اخوة وصحبة فلا بد من
اظهار اثر البغض اما في الاعراض والتباعد عنه وقلة الالتفات اليه واما في الاستخفاف وتغليظ
القول عليه وهذا اشد من الاعراض وهو بحسب غلظ المعصية وخفتها وكذلك في الفعل ايضا
رتبتان احداهما قطع المعونة والرفق والنصرة عنه وهي اقل الدرجات والاخرى السعي في افساد
اغراضه عليه كفعل الاعداء المبغضين وهذا لا بد منه ولكن فيما يفسد عليه طريق المعصية فاما ما
لا يؤثر فيه فلا مثال ذلك رجل عصى الله بشرب الخمر وقد خطب امرأة لو تيسر له نكاحها لكان مغبوطا فيها
بالمال والجاه والجمال الا ان ذلك لا يؤثر في منعه من شرب الخمر ولا بعث وتحريض عليه فاذا قدرت على
اعانته ليتم له غرضه ومقصوده وقدرت على تشويش امره ليفوته ذلك فليس لك السعي في تشويش
امره اما الاعانة فلو تركتها اظهارا للغضب عليه في فسقه فلا بأس وليس يجب تركها اذ ربما يكون لك نية
في ان تتلطف باعانته واظهار الشفقة عليه ليعتقد مودتك ويقبل نصحك فهذا حسن وان لم
يظهر ذلك ولكن رأيت ان تعينه على غرضه قضاء لحق اسلامه فذلك ليس بممنوع بل هو الاحسن ان كانت
معصيته بالجناية على حقك او حق من يتعلق بك وفيه نزل قول الله عز وجل ولا يأتل اولو الفضل منكم والسعة
الى قوله تعالى الا تحبون ان يغفر الله لكم اذ تكلم مسطح في واقعة الافك فحلف ابو بكر رضي الله عنه ان يقطع
عنه رفقه وقد كان يواسيه بالمال فنزلت هذه الآية مع عظم المعصية واي معصية تزيد على التعرض لحرم رسول الله
صلى الله عليه وسلم واطالة اللسان في مثل عائشة رضي الله عنها الا ان الصديق رضي الله عنه كان كالمجني
عليه في نفسه بتلك الواقعة والعفو عمن ظلم والاحسان الى من اساء من اخلاق الصديقين وانما حسن
الاحسان الى من ظلمك فاما من ظلم غيرك وعصى الله به فلا يحسن الاحسان اليه لان في الاحسان الى الظالم
اساءة الى المظلوم وحق المظلوم اولى بالمراعاة وتقوية قلبه بالاعراض عن الظالم احب الى الله من تقوية
قلب الظالم فاما اذا كنت المظلوم فالاحسن في حقك العفو والصفح وقد اختلف في اظهار البغض مع
اهل المعاصي وكلهم اتفقوا على اظهار البغض على الظلمة والمبتدعة وكل من عصى الله بمعصية متعدية
منه الى غيره فاما من عصى الله في نفسه فمنهم من نظر بعين الرحمة الى العصاة كلهم ومنهم من
شدد الانكار واختار المهاجرة فقد كان احمد بن حنبل رضي الله عنه يهجر الاكابر في ادنى كلمة حتى هجر يحيى بن
معين في قوله اني لا اسأل احدا شيئا ولو حمل السلطان الي شيئا لاخذته وهجر الحارث المحاسبي في تصنيفه
في الرد على المعتزلة وقال انك تورد اولا شبههم وتحمل الناس على التفكر فيها ثم ترد عليهم وهجر ابا

في تأويله قوله صلى الله عليه وسلم إن الله خلق آدم على صورته وهذا أمر يختلف باختلاف النية ويختلف
النية باختلاف الحال فإن كان الغالب على القلب النظر إلى اضطرار الخلق وعجزهم وأنهم مسخرون
لما قدر لهم أورث هذا تساهلاً في المعاداة والبغض وله وجه ولكن قد تلتبس به المداهنة فأكثر البواعث
على الإغضاء على المعاصي المداهنة ومراعاة القلوب والخوف من وحشتها ونفارها وقد يلبس الشيطان
ذلك على الغبي الأحمق بأنه ينظر بعين الرحمة ومحك ذلك أن ينظر إليه بعين الرحمة إن جنى على خاص
حقه ويقول إنه قد سخر له والقدر لا ينفع منه الحذر وكيف لا يفعله وقد كتب عليه فمثل هذا قد
يصح له نية في الإغماض عن الجناية على حق الله وإن كان يغتاظ عند الجناية على حقه ويترحم عند الجناية
على حق الله فهو مداهن مغرور بمكيدة من مكايد الشيطان فليتنبه له **فإن قلت** فأقل الدرجات
في إظهار البغض الهجر والإعراض وقطع الرفق والإعانة فهل يجب ذلك حتى يعصي العبد بتركه **فأقول**
لا يدخل ذلك في ظاهر العلم تحت التكليف والإيجاب فإنا نعلم أن الذين شربوا الخمر وتعاطوا الفواحش
في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة ما كانوا يهجرون بالكلية بل كانوا ينقسمون فيهم إلى من
يغلظ القول عليه ويظهر البغض له وإلى من يعرض عنه ولا يتعرض له وإلى من ينظر إليه بعين الرحمة ولا يؤثر المقاطعة
والتباعد فهذه دقائق دينية تختلف فيها طرق السالكين لطريق الآخرة ويكون عمل كل واحد على ما
يقتضيه حاله ووقته ومقتضى الأحوال في هذه الأمور إما مكروهة أو مندوبة فتكون في رتبة الفضائل
ولا ينتهي إلى التحريم والإيجاب فإن الداخل تحت التكليف أصل المعرفة لله تعالى وأصل الحب وذلك
قد يتعدى من المحبوب إلى غيره وإنما المتعدي إفراط الحب واستيلاؤه وذلك لا يدخل في الفتوى
تحت ظاهر التكليف في حق عوام الخلق أصلاً **فإن قلت** إظهار البغض والعداوة بالفعل إن لم يكن واجباً
فلا شك أنه مندوب إليه والعصاة والفساق على مراتب مختلفة فكيف ينال الفضل بمعاملتهم
وهل يسلك بجميعهم مسلكاً واحداً أو لا **فاعلم** أن المخالف لأمر الله سبحانه لا يخلو إما أن
يكون مخالفاً في عقده أو في عمله والمخالف في العقد إما مبتدع أو كافر والمبتدع إما داع إلى بدعته
أو ساكت إما بعجزه أو باختياره فأقسام الفساد في الاعتقاد ثلاثة **الأول** الكفر فالكافر إن كان
محارباً فهو يستحق القتل والإرقاق وليس بعد هذين إهانة وأما الذمي فإنه لا يجوز إيذاؤه إلا بالإعراض
عنه والتحقير له بالاضطرار إلى أضيق الطرق وبترك المفاتحة بالسلام فإذا قال السلام عليك قلت و
عليك والأولى الكف عن مخالطته ومعاملته ومواكلته فأما الانبساط معه والاسترسال إليه كما يسترسل
إلى الأصدقاء فهو مكروه كراهة شديدة يكاد ينتهي بما يقوى منها إلى حد التحريم **قال الله** تعالى لا
تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم الآية **وقال**
صلى الله عليه وسلم المؤمن والمشرك لا تتراءى ناراهما **وقال الله تعالى** يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي
وعدوكم أولياء **الثاني** المبتدع الذي يدعو إلى بدعته فإن كانت البدعة بحيث يكفر بها فأمره
أشد من الذمي لأنه لا يقر بجزية ولا يسامح بعقد ذمة وإن كان ممن لا يكفر به فأمره بينه وبين الله أخف
من أمر الكافر لا محالة ولكن الأمر في الإنكار عليه أشد منه على الكافر لأن شر الكافر غير متعد فإن
المسلمين اعتقدوا كفره فلا يلتفتون إلى قوله إذ لا يدعي لنفسه الإسلام واعتقاد الحق أما المبتدع
الذي يدعو إلى البدعة ويزعم أن ما يدعو إليه حق فهو سبب لغواية الخلق فشره متعد فالاستحباب
في إظهار بغضه ومعاداته والانقطاع عنه وتحقيره والتشنيع عليه ببدعته وتنفير الناس عنه

أشد وإن سلم في خلوة فلا بأس برد جوابه وإن علم أن الإعراض عنه والسكوت عن جوابه يقبح في نفسه
بدعته ويؤثر في زجره فترك الجواب أولى لأن جواب السلام وإن كان واجباً فيسقط بأدنى غرض
حتى يسقط بكون الإنسان في الحمام أو في قضاء حاجته وغرض الزجر أهم من هذه الأغراض وإن كان
في ملأ فترك الجواب أولى لتنفير الناس عنه وتقبيح البدعة في أعينهم وكذلك الأولى
كف الإحسان والإعانة عنه لا سيما فيما يظهر للخلق **الثالث** المبتدع العامي الذي لا يقدر
على الدعوة ولا يخاف الاقتداء به فأمره أهون فالأولى أن لا يفاتح بالتغليظ والإهانة بل يتلطف به في
النصح فإن قلوب العوام سريعة التقلب فإن لم ينفع النصح وكان في الإعراض عنه تقبيح لبدعته
في عينه تأكد الاستحباب في الإعراض وإن علم أن ذلك لا يؤثر فيه لجمود طبعه ورسوخ عقده في
قلبه فالإعراض أولى لأن البدعة إذا لم يبالغ في تقبيحها شاعت بين الخلق وعم فسادها
وأما العاصي بفعله وعمله لا باعتقاده فلا يخلو إما أن يكون بحيث يتأذى به غيره كالظلم والغصب
وشهادة الزور والغيبة والتضريب بين الناس والمشي بالنميمة وأمثالها أو كان مما لا يقتصر عليه
ويؤذي غيره وذلك ينقسم إلى ما يدعو غيره إلى الفساد كصاحب الماخور الذي يجمع بين
الرجال والنساء ويهيئ أسباب الشرب والفساد لأهل الفساد أو لا يدعو غيره كالذي يشرب أو
يزني وهو الذي لا يدعو غيره إما أن يكون عصيانه بكبيرة أو صغيرة وكل واحد إما أن يكون
مصراً عليه أو غير مصر فهذه التقسيمات يحصل منه ثلاثة أقسام ولكل قسم منها رتبة وبعضها
أشد من بعض فلا نسلك بالكل مسلكاً واحداً **القسم الأول** وهو أشدها ما يتضرر به
الناس كالظلم والغصب وشهادة الزور والغيبة والنميمة فهؤلاء الأولى الإعراض عنهم وترك
مخالطتهم والانقباض عن معاملتهم لأن المعصية شديدة فيما يرجع إلى إيذاء الخلق ثم
ينقسمون إلى من يظلم في الدماء وإلى من يظلم في الأموال وإلى من يظلم في الأعراض وبعضها أشد
من بعض والاستحباب في إهانتهم والإعراض عنهم مؤكد جداً ومهما كان يتوقع من الإهانة زجر
لهم أو لغيرهم كان الأمر فيه آكد وأشد **الثاني** صاحب الماخور والذي يهيئ أسباب الفساد
ويسهل طرقها على الخلق فهذا لا يؤذي الخلق في دنياهم ولكن يختار بفعله دينهم فإن كان
على وفق رضاهم فهو قريب من الأول ولكنه أخف فإن المعصية بين العبد وبين الله تعالى إلى العفو
أقرب ولكنه من حيث إنه متعد على الجملة إلى غيره فهو شديد وهذا أيضاً يقتضي الإهانة و
الإعراض والمقاطعة وترك جواب السلام إذا ظن أن فيه نوعاً من الزجر له أو لغيره **الثالث**
الذي يفسق في نفسه بشرب خمر أو ترك واجب أو مقارفة محظور يخصه فالأمر فيه أخف و
لكنه في وقت مباشرته إن صودف يجب منعه بما يمتنع منه ولو بالضرب والاستخفاف فإن
النهي عن المنكر واجب وإذا فرغ منه وعلم أن ذلك من عادته وهو مصر عليه فإن تحقق منعه وجب النصح
فإن لم يتحقق ولكنه كان يرجو فالأفضل النصح والزجر بالتلطف أو بالتغليظ إن كان هو الأنفع
فأما الإعراض عن جواب سلامه والكف عن مخالطته حيث يعلم أنه يصر وأن النصح ليس ينفعه
فهذا فيه نظر وسير العلماء فيه مختلفة والصحيح أن ذلك يختلف باختلاف نية الرجل
فعند هذا يقال إنما الأعمال بالنيات إذ في الرفق والنظر بعين الرحمة إلى الخلق نوع من التواضع وفي
العنف والإعراض نوع من الزجر والمستفتى فيه القلب فما يراه أميل إلى هواه ومقتضى

طبعه فالاولى صده اذ قد يكون استقصاؤه وعنته عن كبر وعجب والمراد باظهار العلوم الادلال
بالصلاح وقد يكون وقفه عن مداهنة واستمالة قلب للوصول به الى غرض او لخوف من تاثير
وحشته ونفرته في جاه او مال او نظر قريب او بعيد وكل ذلك يهدد على اشارات الشيطان و
بعيد عن اعمال اهل الآخرة فكل راغب في اعمال الدين يجتهد مع نفسه في التفتيش عن هذه الدقائق
ومراقبة هذه الاحوال والقلب هو المفتي فيه وقد يصيب الحق في اجتهاده وقد يخطئ وقد يقدم
على اتباع هواه وهو عالم به وقد تقدم وهو بحكم الغرور ظانا انه عامل لله وسالك طريق الآخرة
وسياتي بيان هذه الدقائق في كتاب الغرور من ربع المهلكات ويدل على تحقيق الامر في
الفسق القاصر الذي هو بين العبد وبين الله تعالى ما روي ان شارب خمر ضرب مرات بين يدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعود فقال واحد لعنه الله ما اكثر ما يشرب فقال صلى الله عليه
وسلم لا تكن عونا للشيطان على اخيك او لفظ هذا معناه وكان هذا اشارة الى ان الرفق اولى
من العنف والتغليظ **بيان الصفات المشروطة فيمن يختار صحبته** اعلم انه لا يصلح
للصحبة كل انسان **قال** صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل فلا بد وان
يتميز بخصال يرغب بسببها في صحبته وتشترط تلك الخصال بحسب الفوائد المطلوبة من
الصحبة اذ معنى الشرط ما لا بد منه للوصول الى المقصود فبالاضافة الى المقصود تظهر الشروط و
تطلب من الصحبة فوائد دينية ودنيوية اما الدنيوية كالانتفاع بالمال والجاه او مجرد الاستئناس
بالمشاهدة والمجاورة وليس ذلك من غرضنا **واما** الدينية فتجتمع فيها ايضا اغراض مختلفة
اذ منها الاستفادة من العلم والعمل **ومنها** الاستفادة من الجاه تحصنا به عن ايذاء من يشوش
القلب ويصد عن العبادة **ومنها** استفادة المال للاكتفاء به عن تضييع الاوقات في طلب القوت
ومنها الاستعانة في المهمات فتكون عدة في المصائب وقوة في الاحوال **ومنها** التبرك بمجرد الدعاء
ومنها انتظار الشفاعة في الآخرة فقد **قال** بعض السلف استكثروا من الاخوان فان
لكل مؤمن شفاعة فلعلك تدخل في شفاعة اخيك **وروي** في غريب التفسير في قوله تعالى و
يستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله قال يشفعهم في اخوانهم فيدخلهم
الجنة معهم ويقال اذا غفر للعبد شفع في اخوانه ولذلك حث جماعة من السلف على الصحبة
والالفة والمخالطة وكرهوا العزلة والانفراد فهذه فوائد تستدعي كل فائدة شروطا لا تحصل الا بها ولا
يخفى تفصيلها اما على الجملة فينبغي ان يكون فيمن تؤثر صحبته خمس خصال ان يكون عاقلا حسن
الخلق غير فاسق ولا مبتدع ولا حريص على الدنيا **اما العقل** فهو رأس المال وهو الاصل فلا خير
في صحبة الاحمق فالى الوحشة والقطيعة ترجع عاقبتها وان طالت **قال** علي رضي الله عنه
لا تصحب اخا الجهل واياك واياه فكم من جاهل اردى حليما حين آخاه يقاس المرء بالمرء اذا ما هو ماشاه
وللشيء من الشيء مقاييس واشباه وللقلب على القلب دليل حين يلقاه كيف والاحمق قد يضرك وهو يريد
ينفعك ويعينك من حيث لا يدري ولذلك **قال الشاعر** اني لآمن من عدو عاقل واخاف خلا يعتريه
جنون فالعقل فن واحد وطريقه ادري فارصده والجنون فنون ولذلك قيل مقاطعة الاحمق
قربان الى الله **وقال** الثوري النظر الى وجه الاحمق خطيئة مكتوبة ونعني بالعاقل الذي يفهم الامور
على ما هي عليها اما بنفسه واما اذا فهم وعلم **واما حسن الخلق** فلا بد منه اذ رب عاقل يدرك الاشياء

على ما هي عليها ولكن اذا غلبه غضب او شهوة او بخل او جبن اطاع هواه وخالف ما هو المعلوم عنده
لعجزه عن قهر صفاته وتقويم اخلاقه فلا خير في صحبته **واما الفاسق** المصر على الفسق فلا خير
في صحبته لان من يخاف الله لا يصر على كبيرة ومن لا يخاف الله لا تؤمن غائلته ولا يوثق بصداقته بل
يتغير بتغير الاغراض وقد قال الله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وقال الله
تعالى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه وقال تعالى فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا
الحياة الدنيا وقال الله سبحانه وتعالى واتبع سبيل من اناب الي وفي مفهوم ذلك زجر عن الفاسق
واما المبتدع ففي صحبته خطر سراية البدعة وتعدي شؤمها اليه فالمبتدع مستحق الهجرة
والمقاطعة فكيف تؤثر صحبته وقد قال عمر رضي الله عنه في الحث على طلب التدين في الصديق فيما
رواه سعيد بن المسيب رضي الله عنه قال عليك باخوان الصدق تعش في اكنافهم فانهم زينة
في الرخاء وعدة في البلاء وضع امر اخيك على احسنه حتى يجيئك ما يغلبك منه واعتزل عدوك واحذر
صديقك الا الامين ولا امين الا من خشي الله ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك
واستشر في امرك الذين يخشون الله تعالى **واما حسن الخلق** فقد جمعه علقمة العطاردي في وصيته
لابنه لما حضرته الوفاة قال يا بني ان عرضت لك الى صحبة الرجال حاجة فاصحب من اذا خدمته صانك
وان صحبته زانك وان قعدت بك مؤنة مانك اصحب من اذا مددت يدك بخير مدها وان راى منك
حسنة عدها وان راى منك سيئة سدها اصحب من اذا سألته اعطاك وان سكت ابتداك وان
نزلت بك نازلة واساك اصحب من اذا قلت صدق قولك وان حاولت امرا امرك وان تنازعتما آثرك
فكانه جمع بهذا جميع حقوق الصحبة وشرط ان يكون قائما بجميعها **قال** ابن اكثم قال المامون فاين
هذا فقيل له تدري لم اوصاه بذلك قال لا قال لانه اراد ان لا يصحب احدا وقال بعض الحكماء لا تصحب
من الناس الا من يكتم سرك ويستر عيبك ويكون معك في النوائب ويؤثرك بالرغائب وينشر
حسنتك ويطوي سيئتك فان لم تجده فلا تصحب الا نفسك وقال علي رضي الله عنه ان اخاك
الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك ومن اذا ريب زمان صدعك شتت شمله ليجمعك
قال الجنيد لان يصحبني فاسق حسن الخلق احب الي من ان يصحبني قارئ سيء الخلق وقال بعض لا تصحب
الا احد رجلين رجل تتعلم منه شيئا من امر دينك فينفعك ورجل تعلمه شيئا من امر دينه فيقبل منك
والثالث فاهرب منه وقال بعض الناس اربعة واحد حلو كله فلا تشبع منه وآخر مر كله فلا تأكل
منه وآخر فيه حموضة فخذ من هذا قبل ان يأخذ منك وآخر فيه ملوحة فخذ منه وقت الحاجة فقط وقال
جعفر الصادق لا تصحب خمسة الكذاب فانك منه على غرور وهو مثل السراب يقرب منك البعيد ويبعد منك
القريب والاحمق فانك لست منه على شيء يريد ان ينفعك فيضرك والبخيل يقطع بك احوج ما تكون اليه والجبان
فانه يسلمك ويفر عند الشدة والفاسق فانه يبيعك باكلة او اقل منها فقيل وما اقل منها قال الطمع فيها
ثم لا ينالها وقال ابن ابي الحواري قال لي استاذي ابو سليمان يا احمد لا تصحب الا احد رجلين رجل ترتفق به
في دنياك ورجل تزيد معه وتنتفع به في آخرتك والاشتغال بغير هذين حمق كبير وقال سهل بن عبد الله اجتنب
صحبة ثلاثة من اصناف الناس الجبابرة الغافلين والقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين واعلم ان هذه الكلمات
اكثرها غير محيط بجميع اغراض الصحبة والمحيط ما ذكرناه من ملاحظة المقاصد ومراعاة الشروط بالاضافة
اليها فليس ما يشترط للصحبة في مقاصد الدنيا شرطا في الصحبة للآخرة والاخوة كما قاله بشر ثلاثة

اخ لآخرتك واخ لدنياك واخ لتأنس به وقلما يجتمع هذه المقاصد في واحد بل تتفرق على جميع تتفرق
الشروط عليهم لا محاله وقد قال المأمون الاخوان ثلثة احدهم مثله مثل الغذاء لا يستغنى
عنه والاخر مثله مثل الدواء يحتاج اليه في وقت دون وقت والثالث مثله مثل الداء لا يحتاج اليه
قط ولكن العبد قد يبتلى به وهو الذي لا انس فيه ولا نفع وقد قيل مثل جملة الناس مثل الشجر و
النبات منها ما له ظل وليس له ثمر وهو مثل الذي ينتفع به في الدنيا دون الاخرة فان نفع الدنيا كالظل السريع
الزوال ومنها ما له ثمر وليس له ظل وهو مثل الذي يصلح للاخرة دون الدنيا ومنها ما ليس له واحد
منهما كأم غيلان تمزق الثياب لا طعم فيها ولا شراب ومثاله من الحيوانات الفارة والعقرب كما قال الله تعالى
يدعوا لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير وقال الشاعر الناس شتى اذا ما انت ذقتهم
لا يستوون كما لا يستوي الشجر هذا له ثمر حلو مذاقته وذاك ليس له طعم ولا ثمر فاذا لم يجد رفيقا
ويستفيد به احد هذه المقاصد فالوحدة اولى به وقال ابوذر رضي الله عنه الوحدة خير من
الجليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة واما الديانة وعدم الفسق فقد قال تعالى واتبع سبيل
من اناب الي ولان مشاهدة الفسق والفساق تهون امر المعصية على القلب وتبطل نفرة القلب
عنها وقال سعيد بن المسيب رضي الله عنه لا تنظروا الى الظلمة فتحبط اعمالكم الصالحة بل هؤلاء لا سلامة
في مخالطتهم وانما السلامة في الانقطاع عنهم قال الله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا
سلاما اي سلامة والالف بدل من الهاء معناه انا سلمنا من اثمكم وانتم سلمتم من شرنا فهذا ما اردنا
ان نذكره في معاني الاخوة وشروطها وفوائدها فلنندفع في ذكر حقوقها ولوازمها وطرق القيا م
بحقها واما الحريص فصحبته سم قاتل لان الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بل الطبع يسرق من
الطبع من حيث لا يدري صاحبه فمجالسة الحريص تحرك الحرص ومجالسة الزاهد تزهد في الدنيا فلذلك
تكره صحبة طلاب الدنيا ويستحب صحبة الراغبين في الاخرة قال علي رضي الله عنه احيوا الطاعات
بمجالسة من يستحيى منه وقال احمد بن حنبل ما اوقعني في بلية الا صحبة من لا احتشمه وقال
لقمان لابنه يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان القلوب تحيا بالحكمة كما تحيى الارض بوابل المطر
الباب الثاني في حقوق الاخوة والصحبة اعلم ان عقد الاخوة رابطة بين الشخصين
كعقد النكاح بين الزوجين وكما يقتضي النكاح حقوقا يجب الوفاء بها قياما بحق النكاح كما سبق ذكره
في كتاب اداب النكاح فكذا عقد الاخوة فلاخيك عليك حق في المال وفي النفس وفي اللسان وفي
القلب بالعفو وبالدعاء وبالاخلاص وبالوفاء وبالتخفيف وترك التكلف والتكليف وذلك يجمعها
ثمانية جمل الحق الاول في المال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الاخوين مثل اليدين
تغسل احداهما الاخرى وانما شبههما باليدين لا باليد والرجل لانهما يتعاونان على غرض واحد فكذا الاخوان
انما تتم اخوتهما اذا ترافقا على غرض واحد فهما من وجه كالشخص الواحد وهذا يقتضي المساهمة
في السراء والضراء والمشاركة في المال والحال وارتفاع الاختصاص والاستيثار والمواساة بالمال مع
الاخوة على ثلث مراتب ادناها ان تنزله منزلة عبدك او خادمك فتقوم بحاجته من فضل مالك
فاذا سنحت له حاجة وكانت عندك فضلة على حاجتك اعطيته ابتداء ولم تحوجه الى السؤال فان
احوجته الى السؤال فهو غاية التقصير في حق الاخوة الثانية ان تنزله منزلة نفسك وترضى
بمشاركته اياك في مالك وتنزله منزلتك حتى تسمح بمشاطرته في المال قال الحسن كان احدهم يشق

ازاره بينه وبين اخيه ما بين الثالثة وهي العليا ان تؤثره على نفسك وتقدم حاجته على
حاجتك وهذه رتبة الصديقين ومنتهى درجات المتحابين ومن ثمار هذه الرتبة الايثار
بالنفس ايضا كما روي انه سعي بجماعة من الصوفية الى بعض الخلفاء فامر بضرب رقابهم وفيهم ابو الحسين
النوري فبادر الى السياف ليكون هو اول مقتول فقيل له في ذلك فقال احببت ان اوثر اخواني بالحياة
في هذه اللحظة فكان ذلك سبب نجاة جميعهم في حكاية طويلة فان لم تصادف نفسك في رتبة
من هذه الرتب مع اخيك فاعلم ان عقد الاخوة لم ينعقد بعد في الباطن وانما الجاري بينكما عقد ا
رسمية لا وقع له في العقل والدين فقد قال ميمون بن مهران من رضي من الاخوان بترك الافضال
فليواخ اهل القبور واما الدرجة الدنياوية فليست ايضا مرضية عند ذوي الدين
وروي ان عتبة الغلام جاء الى منزل رجل قد كان اخاه فقال احتاج من مالك الى اربعة الاف
درهم فقال خذ الفين فاعرض عنه وقال آثرت الدنيا على الله اما استحييت ان تدعي الاخوة في
الله وتقول هذا ومن كان في الدرجة الدنيا من الاخوة فينبغي ان لا يعامله في الدنيا قال ابو حازم
اذا كان لك اخ في الله فلا تعامله في امور دنياك وانما اراد به من كان في هذه الرتبة واما الرتبة
العليا فهي التي وصف الله تعالى بها المؤمنين في قوله تعالى وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم
ينفقون اي كانوا خلطاء في الاموال لا يميز بعضهم رحله من بعض وكان فيهم من لا يصحب من قال
نعلي لانه اضافه الى نفسه وجاء فتح الموصلي الى منزل اخ له وكان غائبا فامر اهله فاخرجت صندوقه
ففتحه واخذ حاجته فاخبرت الجارية مولاها فقال ان صدقت فانت حرة لوجه الله سرورا بما
فعل وجاء رجل الى ابي هريرة فقال اني اريد ان اواخيك في الله فقال اتدري ما حق الاخاء قال عرفني
قال لا تكون احق بدينارك ودرهمك مني قال لم ابلغ هذه المنزلة بعد قال فاذهب عني وقال
علي بن الحسين رضي الله عنه لرجل هل يدخل احدكم يده في كم اخيه او كيسه فياخذ منه ما يريد من
غير اذن قال لا قال فلستم باخوان ودخل قوم على الحسن رضي الله عنه فقالوا يا ابا سعيد اصليت
قال نعم قالوا فان اهل السوق لم يصلوا بعد قال ومن ياخذ دينه من اهل السوق بلغني ان احدهم يمنع
اخاه الدرهم قاله كالمتعجب منه وجاء رجل الى ابرهيم بن ادهم وهو يريد بيت المقدس فقال له اني
اريد ان ارافقك فقال له ابرهيم على ان اكون املك بشيئك منك قال لا قال اعجبني صدقك وكان
ابرهيم بن ادهم اذا رافقه رجل لم يخالفه وكان لا يصحب الا من يوافقه وصحبه رجل شراك فاهدى
رجل الى ابرهيم في بعض المنازل قصعة من ثريد ففتح جراب رفيقه واخذ حزمة من شراك فجعلها في
القصعة وردها الى صاحب الهدية فلما جاء رفيقه قال اين الشراك قال ذلك الثريد الذي اكلته ايش
كان قال كنت تعطيه شراكين او ثلثة فقال اسمح يسمح لك واعطى مرة حمارا كان لرفيقه بغير اذنه
رجلا راجلا فلما جاء رفيقه سكت ولم يكره ذلك وقال ابن عمر رضي الله عنه اهدي لرجل من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم راس شاة فقال اخي فلان احوج مني اليه فبعث به اليه
فبعثه ذلك الانسان الى اخر فلم يزل يبعث به واحد الى اخر حتى رجع الى الاول بعد ان تداوله سبعة
وروي ان مسروقا ادان دينا ثقيلا وكان على اخيه خيثمة دين قال فذهب مسروق فقضى دين
اخيه خيثمة وهو لا يعلم وذهب خيثمة فقضى دين مسروق وهو لا يعلم ولما اخا رسول الله صلى الله
عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع آثره بالمال والنفس فقال عبد الرحمن بارك الله

لك فيهما فاثره لما اثره به وكانه قبله ثم اثره به وذلك وهذا مساواه والمبداة ايثار و
الايثار افضل من المساواه وقال ابو سليمان الداراني لو ان الدنيا كلها لي فجعلتها في فم اخ من
اخواني لاجد طعمها في حلقي ولما كان الانفاق على الاخوان افضل من الصدقات على الفقرا قال
علي رضي الله عنه لعشرون درهما اعطيها اخي في الله احب الي من ان اتصدق بمائة درهم
على المساكين وقال ايضا لان اصنع صاعا من طعام واجمع عليه اخواني في الله احب الي من
ان اعتق رقبة واقتدا الكل في الايثار برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه دخل غيضة مع بعض
اصحابه فاجتنى منها سواكين احدهما معوج والاخر مستقيم فدفع المستقيم الى صاحبه
فقال له يا رسول الله والله كنت احق مني بالمستقيم فقال ما من صاحب يصحب صاحبا ولو ساعة
من نهار الا سيل عن صحبته هل اقام فيه حق الله او اضاعه فاشار بهذا بان الايثار هو القيام
بحق الله في الصحبة وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بير يغتسل عندها فامسك حذيفة
بن اليمان بالثوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وستره حتى اغتسل ثم جلس حذيفة ليغتسل
فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الثوب وقام يستر حذيفة من الناس فابى حذيفة وقال
بابي انت وامي يا رسول الله لا تفعل فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان يستره بالثوب حتى
اغتسل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اصطحب اثنان قط الا كان احبهما الى الله
ارفقهما بصاحبه وروي ان مالك بن دينار ومحمد بن واسع دخلا منزل الحسن وكان غايبا
فاخرج محمد بن واسع سلة فيها طعام من تحت سرير الحسن فجعل ياكل فقال له مالك كف يدك حتى يجي
صاحب البيت فلم يلتفت محمد الى قوله واقبل على الاكل وكان ابسط منه واحسن خلقا فدخل الحسن
فقال يا مويلك هكذا كنا لا يحتشم بعضنا من بعض حتى ظهرت انت واصحابك واشار بهذا الى ان
الانبساط في بيوت الاخوان من الصفا في الاخوة كيف وقد قال الله تعالى او صديقكم وقال اوما
ملكتم مفاتحه اذ كان الاخ يدفع مفاتيح بيته الى اخيه ويفوض التصرف اليه كما يريد وكان يتحرج عن الاكل بحكم
التقوى حتى انزل الله هذه الايه واذن لهم في الانبساط في طعام الاخوان والاصدقا **الحق الثاني**
في الاعانة بالنفس في قضا الحاجات والقيام بها قبل السوال وتقديمها على الحاجات الخاصة
وهذه ايضا لها درجات كالمواساة بالمال وادناها القيام بالحاجة عند السوال والقدرة ولكن
مع البشاشة والاستبشار واظهار الفرح وقبول المنة قال بعضهم اذا استقضيت
اخاك الحاجة فلم يقضها فذكره ثانية فلعله ان يكون قد نسي فان لم يقضها فكبر عليه واقرا هذه الاية
والموتى يبعثهم الله وقيل ان ابن شبرمة رضي الله عنه قضى حاجة لبعض اخوانه كبيرة فجاء بهدية
فقال ما هذا فقال لما اسديته الي فقال خذ مالك عافاك الله اذا سالت اخاك حاجة فلم يجهد
نفسه في قضايها فتوضا للصلاة وكبر عليه اربع تكبيرات وعده في الموتى وقال جعفر بن محمد اني
لاتسارع في قضا حوايج اعدايي مخافة ان اردهم فيستغنوا عني هذا في الاعدا فكيف في الاصدقا وكان
في السلف من يتفقد عيال اخيه واولاده بعد موته اربعين سنة يقوم بحاجاتهم ويتردد كل يوم
اليهم ويمونهم بماله فكانوا لا يفقدون الا عينه بل كانوا يرون منه ما كانوا يرون من ابيهم في
حياته وكان الواحد منهم يتردد الى باب دار اخيه ويسال ويقول هل لكم من حاجة هل تريدون زيت
هل تريدون ملح هل من حاجة وكان يقوم بها من حيث لا يعرفه اخوه وبهذا تظهر الشفقة والاخوة

فاذا لم يثمر الشفقة حتى يشفق على اخيه كما يشفق على نفسه فلا خير فيها قال ميمون بن مهران
من لم تنتفع بصداقته لم تضرك عداوته وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وان لله اواني
في ارضه وهي القلوب فاحب الاواني الى الله اصفاها واصلبها وارقها اصفاها من الذنوب
واصلبها على الدين وارقها على الاخوان وبالجملة فينبغي ان يكون حاجة اخيك مثل حاجتك
او اهم من حاجتك وان تكون متفقدا لحاجة اخيك غير غافل عن احواله كما لا تغفل عن احوال نفسك
وتغنيه عن السوال واظهار الحاجة الى الاستعانة بل تقوم بحاجته كانك لا تدري انك قمت
بها ولا ترى لنفسك حقا بسبب قيامك بها بل تتقلد منة بقبوله سعيك في حقه وقيامك بامره
ولا ينبغي ان تقتصر على قضا الحاجة بل تجتهد في البداية بالاكرام في الزيادة والايثار والتقديم
على الاقارب والولد كان الحسن يقول اخواننا احب الينا من اهلينا واولادنا لان اهلينا يذكروننا
بالدنيا واخواننا يذكروننا بالاخرة وقال الحسن من شيع اخاه في الله بعث الله ملايكة
من تحت العرش يشيعونه الى الجنة وفي الاثر ما زار رجل اخاه في الله شوقا الى لقايه الا ناداه ملك
من خلفه طبت وطابت لك الجنة وقال عطا تفقدوا اخوانكم بعد ثلاث فان كانوا مرضى فعودوهم
او مشاغيل فاعينوهم او كانوا نسوا فذكروهم وروي ان ابن عمر كان يلتفت يمينا وشمالا بين
يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فساله فقال احببت رجلا فانا اطلبه ولا اراه فقال اذا
احببت احدا فاساله عن اسمه وعن اسم ابيه وعن منزله فان كان مريضا عدته وان كان مشغولا
اعنته وفي رواية عن اسم جده وعشيرته وقال الشعبي رضي الله عنه في الرجل يجالس
الرجل فيقول اعرف وجهه ولا اعرف اسمه تلك معرفة النوكى وقيل لابن عباس من احب الناس
اليك قال جليسي وقال ما اختلف رجل الى مجلسي ثلاثا من غير حاجة له الي مكافاة من الدنيا وقال
سعيد بن العاص لجليسي علي ثلث اذا دنا رحبت به واذا حدث اقبلت عليه واذا جلس اوسعت
له وقد قال تعالى رحما بينهم اشارة الى الشفقة والاكرام ومن تمام الشفقة ان لا ينفرد بطعام
لذيذ او بحضور في مسرة دونه بل يتنغص لفراقه ويستوحش بانفراده عن اخيه **الحق الثالث**
على اللسان بالسكوت مرة وبالنطق اخرى اما السكوت فهو ان يسكت عن ذكر عيوبه في حضرته
وغيبته بل يتجاهل عنه ويسكت عن الرد عليه فيما يتكلم به فلا يماريه ولا يناقشه وان
يسكت عن التجسس والسوال عن احواله واذا راه في طريق او حاجة لم يفاتحه بذكر غرضه ومصدره
ومورده فلا يساله عنه فربما يثقل عليه ذكره او يحتاج الى ان يكذب فيه وان يسكت عن اسراره التي
بثها اليه فلا يبثها الى احد غيره البتة ولا الى اخص اصدقايه ولا يكشف منه شيا ولو بعد
القطيعة والوحشة فان ذلك من لوم الطبع وخبث الباطن وان يسكت عن القدح في احبابه
واهله وولده وان يسكت عن حكاية قدح غيره فان الذي سبك من بلغك قال انس رضي الله عنه
كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يواجه احدا بشي يكرهه والتاذي اولا يحصل من المبلغ ثم من
القايل نعم لا ينبغي ان يخفي ما يسمع من الثنا عليه فان السرور به اولا من المبلغ للمدح ثم من القايل
واخفا ذلك من الحسد وبالجملة فليسكت عن كل كلام يكرهه جملة وتفصيلا الا اذا وجب عليه
النطق في امر بمعروف او نهي عن منكر ولم يجد رخصة في السكوت فاذ ذاك لا يبالي بكراهته
فان ذلك احسان اليه في التحقيق وان كان يظن انها اساءة في الظاهر واما ذكر مساويه وعيوبه

ومساوي اهله فهو من الغيبة وذلك حرام في حق كل مسلم ويزجرك عنه امران احدهما ان تطالع احوال نفسك فان وجدت فيها شيئا واحدا مذموما فهون على نفسك ما تراه من اخيك وقدر انه عاجز عن قهر نفسه في تلك الخصلة الواحدة كما انك عاجز فيما انت مبتلى به فلا تستثقله بخصلة واحدة مذمومة فاي الرجال المهذب وكل ما لا تصادفه من نفسك في حق الله تعالى فلا تنتظره في حق نفسك فليس حقك عليه باكثر من حق الله عليك والامر الثاني انك تعلم انك لو طلبت منزها عن كل عيب اعتزلت عن الخلق كافة ولم تجد من تصاحبه اصلا فما من الناس احد الا وله محاسن ومساوي فاذا غلبت المحاسن المساوي فهو الغاية والمنتهى فالمؤمن الكريم ابدا يحضر في نفسه محاسن اخيه لتنبعث من قلبه التوقير والود والاحترام واما المنافق اللئيم فانه ابدا يلاحظ المساوي والعيوب قال ابن المبارك المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العثرات وقال الفضيل الفتوة الصفح والعفو عن زلات الاخوان ولذلك قال صلى الله عليه وسلم استعيذوا بالله من جار السوء الذي ان رأى خيرا ستره وان رأى شرا اظهره وما من شخص الا ويمكن تحسين حاله بخصال فيه ويمكن تقبيحه ايضا وقيل ان رجلا اثنى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان من الغد ذمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انت بالامس تثني عليه واليوم تذمه فقال والله لقد صدقت عليه بالامس وما كذبت عليه اليوم انه ارضاني بالامس فقلت احسن ما علمت فيه واغضبني اليوم فقلت اقبح ما علمت فيه فقال صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا وكانه كره ذلك فشبهه بالسحر ولذلك قال في خبر اخر البذاء والبيان شعبتان من النفاق وفي حديث اخر ان الله يكره لكم البيان كل البيان ولذلك قال الشافعي رحمه الله ما احد من المسلمين يطيع الله ولا يعصيه ولا احد يعصي الله فلا يطيعه فمن كانت طاعته اغلب من معاصيه فهو عدل واذا جعل مثل هذا عدلا في حق الله تعالى فبان تراه في حق نفسك ومقتضى اخوتك اولى وكما يجب عليك السكوت بلسانك عن مساويه يجب عليك السكوت بقلبك وذلك بترك اساءة الظن فسوء الظن غيبة بالقلب وهو منهي عنه ايضا وحده ان لا تحمل فعله على وجه فاسد ما امكن ان تحمل على وجه حسن ان تحمل ما شاهده على سهو ونسيان ان امكن وهذا الظن ينقسم الى ما يسمى تفرسا وهو الذي يستند الى علامة فان ذلك الذي يحرك الظن تحريكا ضروريا لا تقدر على دفعه والى ما منشأه سوء اعتقادك فيه حتى يصدر منه فعل له وجهان فيحملك سوء الاعتقاد فيه على ان تنزله على الوجه الاردأ من غير علامة تخصصه به وذلك جناية عليه بالباطن وذلك حرام في حق كل مؤمن اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد حرم على المؤمن دمه وماله وعرضه وان يظن به ظن السوء وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث وسوء الظن يدعو الى التجسس وقد قال صلى الله عليه وسلم ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا والتجسس في تطلع الاخبار والتحسس بالمراقبة بالعين فستر العيوب والتجاهل والتغافل عنها شيمة اهل الدين ويكفيك تنبيها على كمال الرتبة في ستر القبيح و اظهار الجميل ان الله تعالى وصف به في الدعاء فقيل يا من اظهر الجميل وستر القبيح والمرضي عند الله من تخلق باخلاقه فانه ستار للعيوب وغفار للذنوب ومتجاوز عن العبيد فكيف لا تتجاوز انت عمن هو مثلك او فوقك وما هو بكل حال عبدك ولا مخلوقك وقد قال عيسى صلى الله عليه وسلم كيف تصنعون اذا رأيتم اخاكم نائما وقد كشفت الريح عنه ثوبه قالوا نستره ونغطيه فقال بل

تكشفون عورته فقالوا سبحان الله من يفعل هذا فقال احدكم يسمع في اخيه بالكلمة فيزيد عليها و يشيعها باعظم منها واعلم انه لا يتم ايمان المرء ما لم يحب لاخيه ما يحب لنفسه واقل درجات الاخوة ان يعامل المرء اخاه بما يحب ان يعامله به ولا شك في انه ينتظر منه ستر العورة والسكوت عن المساوي والعيوب ولو ظهر له منه نقيض ما ينتظره اشتد عليه غيظه وغضبه فما ابعده اذا كان ينتظر منه ما لا يضمره له ولا يعزم عليه لاجله وويل له في نص كتاب الله تعالى حيث قال ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون فكل من يلتمس من الانصاف اكثر مما تسمح به نفسه فهو داخل تحت مقتضى هذه الاية ومنشأ التقصير في ستر العورة او السعي في كشفها الداء الدفين في الباطن وهو الحقد والحسد فان الحقود الحسود يملأ باطنه بالخبث ولكن يحبسه في باطنه ويخفيه ولا يبديه مهما لم يجد له مجالا واذا وجد فرصة انحلت الرابطة وارتفع الحياء ويترشح الباطن بخبثه الدفين ومهما انطوى الباطن على حقد وحسد فالانقطاع اولى قال بعض الحكماء ظاهر العتاب خير من مكنون الحقد ولا يزيد لطف الحقود الا وحشة منه ومن في قلبه سخيمة على مسلم فايمانه ضعيف وامره مخطر وقلبه خبيث لا يصلح للقاء الله تعالى وقد روى عبد الرحمن بن جبير عن ابيه انه قال كنت باليمن ولي جار يهودي يخبرني عن التوراة فقدم علي اليهودي من سفر فقلت ان الله قد بعث فينا نبيا فدعانا الى الاسلام وقد انزل علينا كتابا مصدقا للتوراة فقال اليهودي صدقت ولكنكم لا تستطيعون ان تقوموا بما جاءكم به انا نجد نعته ونعت امته انه لا يحل لامرئ ان يخرج من عتبة بابه وفي قلبه سخيمة على اخيه المسلم ومن ذلك ان يسكت عن افشاء سره الذي استودعه وله ان ينكره وان كان كاذبا فليس الصدق واجبا في كل مقام فانه كما يجوز للرجل ان يخفي عيوب نفسه واسراره وان احتاج الى الكذب فله ان يفعل ذلك في حق اخيه فان اخاه نازل منزلته وهما كشخص واحد لا يختلفان الا في البدن وذلك يكون بالعمل بين يديه مرائيا و خارجا عن اعمال السر الى اعمال العلانية فان معرفة اخيه بعمله كمعرفته بنفسه من غير فرق وقد قال صلى الله عليه وسلم من ستر عورة اخيه ستره الله في الدنيا والاخرة وفي خبر اخر فكانما احيا موؤدة وقال صلى الله عليه وسلم اذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهو امانة وقال المجالس بالامانة الا ثلاثة مجالس مجلس يسفك فيه دم حرام ومجلس يستحل فيه فرج حرام ومجلس يستحل فيه مال من غير حله و قال انما يتجالس المتجالسان بالامانة ولا يحل لاحدهما ان يفشي على صاحبه ما يكره وقيل لبعض الادباء كيف حفظك للسر قال انا قبره وقد قيل صدور الاحرار قبور الاسرار وقيل ان قلب الاحمق في فيه ولسان العاقل في قلبه اي لا يستطيع الاحمق اخفاء ما في نفسه فيبديه من حيث لا يدري به فمن هذا يجب مقاطعة الحمقى والتوقي عن صحبتهم بل عن مشاهدتهم وقد قيل لاخر كيف تحفظ السر قال اجحد المخبر واحلف للمستخبر وقال اخر استره واستر اني استره وعبر عنه ابن المعتز وقال

ومستودعي سرا تبوأت كتمه ... فاودعته صدري فصار له قبرا

وقال اخر

وما السر في صدري كثاو في قبره ... لاني ارى المقبور ينتظر النشرا

ولكنني انساه كاني بما كان منه لم احط ساعة خبرا

ولو جاز كتم السر بيني وبينه ... عن السر والاحشاء لم يعلم السرا

وافشى بعضهم سرا له الى اخيه ثم قال احفظت فقال بل نسيت وكان ابو سعيد الثوري يقول اذا اردت ان تؤاخي رجلا فاغضبه ثم دس عليه من يسأله عنك وعن اسرارك فان قال خيرا وكتم سرك فاصحبه وقيل لابي يزيد من تصحب من الناس

فقال من يعلم منك ما يعلم الله ثم يستر عليك كما يستره الله وقال ذو النون لا خير في صحبة من لا يحب
ان يراك الا معصوما ومن افشى السر عند الغضب فهو اللئيم لان اخفاءه عند الرضا تقتضيه الطباع
السليمة كلها وقد قال بعض الحكماء لا تصحب من يتغير عليك عند اربعة عند الغضب والرضاء
وعند الطمع والهوى بل ينبغي ان يكون صدق الاخوة ثابتا على اختلاف هذه الاحوال ولذلك
قيل شعر وترى الكريم اذا تصرم وصله يخفي القبيح ويظهر الاحسانا وترى اللئيم اذا انقضى وصله
يخفي الجميل ويظهر البهتانا وقال العباس لابنه عبد الله اني ارى هذا الرجل يعني عمر
يقدمك على الاشياخ فاحفظ مني خمسا لا تفشين له سرا ولا تغتابن عنده احدا ولا يجربن عليك كذبا
ولا تعصين له امرا ولا يطلعن منك على خيانة فقال الشعبي رضي الله عنه كل كلمة من هذه الخمسة خير
من الف كلمة ومن ذلك السكوت عن المماراة والمدافعة عن كل ما يتكلم به اخوك قال
ابن عباس رضي الله عنهما لا تمار سفيها فيؤذيك ولا حليما فيقليك وقد قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في رباض الجنة ومن تركه وهو محق بني له بيت في اعلى
الجنة هذا مع ان تركه مبطلا واجب وقد جعل ثواب النفل اعظم لان السكوت عن الحق اشد على
النفس من السكوت في الباطل وانما الاجر على قدر النصب واشد الاسباب لاثارة نار الحقد بين الاخوان
المماراة والمناقشة فانها عين التدابر والتقاطع فان التقاطع يقع اولا بالآراء ثم بالاقوال ثم بالابدان
وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله اخوانا
وقد قال صلى الله عليه وسلم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يحرمه ولا يخذله بحسب المؤمن من
الشر ان يحقر اخاه المسلم واشد الاحتقار المماراة فان من رد على غيره كلامه فقد نسبه الى الجهل والحمق
والغفلة والسهو عن فهم الشيء على ما هو عليه وكل ذلك استحقار وايغار للصدر وايحاش وفي
حديث ابي امامة الباهلي قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتمارى فغضب وقال
ذروا المراء لقلة خيره ذروا المراء فان نفعه قليل وانه يهيج العداوة بين الاخوان وقال
بعض السلف من لاحى الاخوان وماراهم قلت مروءته وذهبت كرامته وقال عبد الله بن الحسن اياك و
مماراة الرجال فانك لن تعدم مكر حليم او مفاجاة لئيم وقال بعض السلف اعجز الناس من قصر في طلب
الاخوان واعجز منه من ضيع من ظفر به منهم وكثرة المماراة توجب التضييع والقطيعة وتورث العداوة
وقد قال صلى الله عليه وسلم انكم لا تسعون الناس ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق
وقال الحسن لا تشتر عداوة رجل بمودة الف رجل وعلى الجملة فلا باعث على المماراة الا اظهار
التميز بزيادة العقل والفضل واحتقار المردود عليه باظهار جهله وهذا يشتمل على التكبر
والاحتقار والايذاء والشتم بالحمق والجهل ولا معنى للمعاداة الا هذا فكيف تضامه الاخوة والمصافاة
وقد روى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تمار اخاك ولا تمازحه ولا تعده
موعدا فتخلفه وقد قال صلى الله عليه وسلم انكم لا تسعون الناس باموالكم ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه
وحسن الخلق والمماراة مضادة لحسن الخلق وقد انتهى البيان في الحذر عن المماراة الى حد لم يروا
السؤال اصلا وقالوا اذا قلت لاخيك قم فقال الى اين فلا تصحبه ابدا بل قالوا ينبغي ان يقوم
ولا يسئل قال ابو سليمان الداراني كان لي اخ بالعراق فكنت اجيئه في النوائب فاقول اعطني من مالك
شيئا فكان يلقي الي كيسه فاخذ منه ما اريد فجئته ذات يوم فقلت احتاج الى شيء فقال كم تريد فخرجت

حلاوة اخائه من قلبي وقال آخر اذا طلبت من اخيك مالا فقال ماذا تصنع به فقد ترك حق الاخاء
ثم اعلم ان الاخوة بالموافقة في الكلام والفعل وبالشفقة وقال ابو عثمان الحيري موافقة الاخوان
خير من الشفقة عليهم وهو كما قال الحق الرابع على اللسان بالنطق فان الاخوة كما تقتضي السكوت
عن المكاره تقتضي النطق ايضا بالمحاب بل هو اخص بالاخوة لان من قنع بالسكوت صحب اهل
القبور وانما تراد الاخوة ليستفاد منهم لا ليتخلص عن اذاهم والسكوت معناه كف الاذى فعليه ان
يتودد اليه بلسانه ويتفقده في احواله التي يحب ان يتفقد فيها كالسؤال عن عارض ان عرض له واظهار
شغل القلب بسببه واستبطاء العافية عنه وكذا جملة احواله التي يكرهها ينبغي ان يظهر
بلسانه وافعاله كراهتها وجملة احواله التي يسر بها ينبغي ان يظهر بلسانه مشاركته له في
السرور بها فمعنى الاخوة المساهمة في السراء والضراء فقد قال صلى الله عليه وسلم اذا احب احدكم
اخاه فليخبره وانما امر بالاخبار لان ذلك يوجب زيادة حب فان عرف انه يحبه احبه بالطبع
لا محالة فاذا عرفت انه ايضا يحبك زاد حبك لا محالة فلا يزال الحب يتزايد من الجانبين ويتضاعف
والتحاب بين المؤمنين مطلوب في الشرع ومحبوب في الدين ولذلك علم فيه الطريق فقال صلى
الله عليه وسلم تهادوا تحابوا ومن ذلك ان تدعوه باحب اسمائه اليه في غيبته وحضوره
قال عمر رضي الله عنه ثلاث يصفين لك ود اخيك ان تسلم عليه اذا لقيته اولا و
توسع له في المجلس وتدعوه باحب اسمائه اليه ومن ذلك ان تثني عليه بما تعرف من محاسن احواله
عند من يؤثر هو الثناء عنده فان ذلك من اعظم الاسباب في جلب المحبة وكذلك الثناء على
اولاده واهله وصنعته وفعله حتى على عقله وخلقه وهيئته وخطه وشعره وتصنيفه وجميع
ما يفرح به وذلك من غير كذب وافراط ولكن تحسين ما يقبل التحسين منه واكد من ذلك ان
تبلغه ثناء من اثنى عليه مع اظهار الفرح به فان اخفاء ذلك محض الحسد ومن ذلك ان تشكره
على صنيعه في حقك بل على نيته وان لم يتم ذلك قال علي رضي الله عنه من لم يحمد اخاه على حسن النية لم يحمده على
حسن الصنيعة واعظم من ذلك تاثيرا في جلب المحبة الذب عنه في غيبته مهما قصد بسوء
او تعرض لعرضه بكلام صريح او تعريض فحق الاخوة التشمر في الحماية والنصرة وتبكيت المتعنت وتغليظ
القول عليه فالسكوت عن ذلك موغر للصدر ومنفر للقلب وتقصير في حق الاخوة وانما
شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الاخوين باليدين تغسل احداهما الاخرى لينصر احدهما الآخر
وينوب عنه قال صلى الله عليه وسلم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه وهذا من
الاسلام والخذلان لان اهماله لتمزيق عرضه كاهماله لتمزيق لحمه فاخسس باخ يراك والكلاب
تفترسك وتمزق لحمك وهو ساكت لا تحركه الشفقة والحمية للدفع عنك وتمزيق الاعراض اشد
على النفوس من تمزيق اللحوم ولذلك شبهه الله تعالى باكل الميتة فقال ايحب احدكم ان ياكل
لحم اخيه ميتا فكرهتموه والملك الذي يمثل في المنام ما تطالعه الروح من اللوح المحفوظ بالامثلة
المحسوسة يمثل الغيبة باكل لحم الميتة حتى ان من يرى انه ياكل لحم ميت فانه يغتاب الناس لان ذلك
الملك في تمثيله يراعي المشاركة والمناسبة بين الشيء وبين مثاله في المعنى الذي يجري من المثال
مجرى الروح لا في ظاهر الصورة فاذا حماية الاخوة بدفع ذم الاعداء وتعنت المتعنتين واجب في عقد الاخوة
وقد قال مجاهد لا تذكر اخاك في غيبته الا كما تحب ان يذكرك في غيبتك فاذا لك فيه معياران

احدهما ان تقدر ان الذي بلغه اليه لو بلغك وكان اخوك حاضرا ما الذي كنت تحب ان يقوله اخوك
فيه فينبغي ان تعامل المتعرض لعرضه به والثاني ان تقدر انه حاضر من وراء جدار يسمع
عليك انك لا تعرف حضوره فما كان يتحرك في قلبك من النصرة له بمسمع منه ومرأى ينبغي ان يكون
في مغيبه كذلك فقد قال بعضهم ما ذكر اخ لي بغيب الا تصورته جالسا فقلت فيه ما يحب ان
يسمعه لو حضر وقال آخر ما ذكر لي اخ الا تصورت نفسي في صورته فقلت فيه مثل ما احب ان يقال
فيّ فهذا من صدق الاسلام وهو ان لا يرى لاخيه ما لا يراه لنفسه وقد نظر ابو الدرداء الى ثورين يحرثان
في فدان فوقف احدهما يحك جسمه فوقف الآخر فبكى وقال هكذا الاخوان في الله تعالى يعملان لله فاذا
وقف احدهما وافقه الآخر وبالموافقة يتم الاخلاص ومن لم يكن مخلصا في اخائه فهو منافق والاخلاص
استواء الغيب والشهادة واللسان والقلب والسر والعلانية والجماعة والخلوة والاختلاف و
التفاوت في شيء من ذلك مماذقة في المودة وهو دخل في الدين ووليجة في طريق المؤمنين ومن لا يقدر
من نفسه على هذا فالانقطاع والعزلة اولى به من المواخاة والمصاحبة فان حق الصحبة ثقيل
لا يطيقه الا محقق ولا جرم اجره جزيل لا يناله الا موفق ولذلك قال صلى الله عليه وسلم احسن
مجاورة من جاورك تكن مسلما واحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمنا فانظر كيف جعل الايمان
جزاء الصحبة والاسلام جزاء الجوار فالفرق بين فضل الايمان وفضل الاسلام على حد الفرق بين
المشقة في القيام بحق الجوار والقيام بحق الصحبة فان الصحبة تقتضي حقوقا كثيرة في الاحوال المتقاربة
المترادفة على الدوام والجوار لا يقتضي الا حقوقا قريبة في اوقات متباعدة لا تدوم ومن ذلك
التعليم والنصيحة فليس حاجة اخيك الى العلم باقل من حاجته الى المال فان كنت غنيا بالعلم فعليك
مواساته من فضلك وارشاده الى كل ما ينفعه في الدين والدنيا فان علمته وارشدته فلم يعمل بمقتضى
العلم فعليك نصحه وذلك بان تذكر آفات ذلك الفعل وفوائد تركه وتخوفه بما يكرهه في الدنيا
والآخرة لينزجر عنه وتنبهه على عيوبه وتقبح القبيح في عينه وتحسن الحسن ولكن ينبغي ان يكون
ذلك في سر لا يطلع عليه احد فما كان على الملا فهو توبيخ وفضيحة اذ **قال** صلى الله عليه وسلم
المؤمن مرآة المؤمن اي يرى منه ما لا يرى من نفسه فيستفيد المرء باخيه عيب نفسه ولو انفرد لم
يستفد كما يستفيد بالمرآة الوقوف على عيوب صورته الظاهرة **وقيل** لمسعر اتحب من يخبرك بعيوب نفسك
فقال ان نصحني فيما بيني وبينه فنعم فان قرعني في الملا فلا وقد صدق فان النصح على الملا
افتضاح والله تعالى يعاتب المؤمن يوم القيامة تحت كنفه وفي ظل ستره فيوقفه على ذنوبه سرا وقد
يدفع كتاب عمله مختوما الى الملائكة الذين يحفون به الى الجنة فاذا قاربوا باب الجنة اعطوه الكتاب مختوما
ليقرأه واما اهل المقت فينادون على رؤوس الاشهاد وتستنطق جوارحهم بفضائحهم فيزدادون بذلك
خزيا وافتضاحا نعوذ بالله من الخزي يوم العرض الاكبر فالفرق بين التوبيخ والفضيحة بالاسرار والاعلان
كما ان الفرق بين المداراة والمداهنة بالغرض الباعث على الاغضاء فان اغضيت لسلامة دينك ولما ترى
فيه من اصلاح اخيك بالاغضاء فانت مدار وان اغضيت لحظ نفسك واجتلاب شهواتك وسلامة
جاهك فانت مداهن **وقال** ذو النون لا تصحب مع الله الا بالموافقة ولا مع الخلق الا بالمناصحة ولا
مع النفس الا بالمخالفة ولا مع الشيطان الا بالعداوة **فان قلت** اذا كان في النصح ذكر العيوب ففيه
ايحاش القلب فكيف يكون ذلك من حق الاخوة فاعلم ان الايحاش انما يحصل بذكر عيب يعلمه اخوك من نفسه

واما تنبيهه على ما لا يعلمه فهو عين الشفقة وهو استمالة القلوب اعني قلوب العقلاء واما الحمقى
فلا يلتفت اليهم فان من ينبهك على فعل مذموم تعاطيته او صفة مذمومة اتصفت بها لتزكي
نفسك عنها كان كمن ينبهك على حية او عقرب تحت ذيلك وقد همت باهلاكك فان كنت
تكره ذلك فما اشد حمقك والصفات الذميمة حيات وعقارب وهي في الآخرة مهلكات فانها
تلدغ القلوب والارواح والمها اشد مما يلدغ الظواهر والاجساد وهي مخلوقة من نار الله الموقدة
التي تطلع على الافئدة ولذلك كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستهدي ذلك من اخوانه ويقول
رحم الله امرا اهدى الى اخيه عيوبه ولذلك **قيل** لسلمان رضي الله عنه وقد قدم عليه ما
الذي بلغك عني مما تكره فاستعفى فالح عليه فقال بلغني ان لك حلتين تلبس احداهما بالنهار و
الاخرى بالليل وبلغني انك جمعت بين ادامين على مائدة واحدة فقال عمر رضي الله عنه اما هذان
فقد كفيتهما فهل بلغك غيرهما فقال لا وكتب حذيفة المرعشي الى يوسف بن اسباط بلغني
انك بعت دينك بحبتين وقفت على صاحب لبن فقلت بكم هذا فقال بسدس فقلت له لا بثمن
فقال هو لك وكان يعرفك اكشف عن راسك قناع الغافلين وانتبه من رقدة الموتى **واعلم**
ان من قرا القرآن ولم يستغن وآثر الدنيا لم آمن ان يكون بكتاب الله من المستهزئين وقد وصف الله
الكاذبين ببغضهم للناصحين اذ قال ولكن لا تحبون الناصحين وهذا في عيب هو غافل عنه فاما
علمت انه يعلمه من نفسه وانما هو مقهور عليه من طبعه فلا ينبغي ان يكشف فيه ستره ان كان يخفيه
وان كان يظهره فلا بد من التلطف بالنصح في التعريض مرة وبالتصريح اخرى الى حد لا يؤدي
الى الايحاش فان علمت ان النصح غير مؤثر فيه وانه مضطر من طبعه الى الاصرار عليه فالسكوت عنه
اولى وهذا كله فيما يتعلق بمصالح اخيك في دينه او دنياه اما ما يتعلق بتقصيره في حقك فالواجب
فيه الاحتمال والعفو والصفح والتعامي عنه فالتعرض لذلك ليس من النصح في شيء نعم ان كان
بحيث يؤدي استمراره عليه الى القطيعة فالعتاب في السر خير من القطيعة والتعريض به خير من
التصريح والمكاتبة خير من المشافهة والاحتمال خير من الكل اذ ينبغي ان يكون قصدك من اخيك
اصلاح نفسك بمراعاتك اياه وقيامك بحقه واحتمال تقصيره لا الاستعانة به والاسترفاق
منه **قال** ابو بكر الكتاني صحبني رجل وكان على قلبي ثقيلا فوهبت له يوما شيئا على ان يزول
ما بقلبي فلم يزل فاخذت بيده يوما الى البيت وقلت له ضع رجلك على خدي فابى فقلت لا بد ففعل
فزال ذلك من قلبي **وقال** ابو علي الرباطي صحبت عبد الله الرازي وكان يدخل البادية فقال
على ان تكون انت الامير او انا فقلت بل انت فقال وعليك الطاعة فقلت نعم فاخذ مخلاة ووضع
فيها الزاد وحملها على ظهره فاذا قلت له اعطني قال الست قلت انت الامير فعليك الطاعة فاخذنا
المطر ليلة فوقف على راسي الى الصباح وعليه كساء وانا جالس يمنع عني المطر فكنت اقول مع نفسي
ليتني مت ولم اقل انت الامير **الحق الخامس** العفو عن الزلات والهفوات وهفوة الصديق
لا تخلو اما ان تكون في دينه بارتكاب معصية او في حقك بتقصيره في الاخوة اما ما يكون في الدين
من ارتكاب معصية والاصرار عليه فعليك التلطف في نصحه بما يقيم اوده ويجمع شمله ويعود
الى الصلاح والورع حاله فان لم تقدر وبقي مصرا فقد اختلفت طرق الصحابة والتابعين رضي الله عنهم
في ادامة حق مودته او مقاطعته فذهب ابو ذر رضي الله عنه الى الانقطاع وقال اذا انقلب اخوك

عما كان عليه فابغضه من حيث احببته ورأى ذلك من مقتضى الحب في الله والبغض في الله واما ابو
الدرداء وجماعة من الصحابة فذهبوا الى خلافه فقال ابو الدرداء اذا تغير اخوك وحال عما كان فلا تدعه
لاجل ذلك فان اخاك يعوج مرة ويستقيم مرة اخرى وقال ابراهيم النخعي لا تقطع اخاك
ولا تهجره عند الذنب يذنبه فانه يرتكبه اليوم ويتركه غدا وقال ايضا لا تحدثوا الناس بزلة العالم
فان العالم يزل الزلة ثم يتركها وفي الخبر اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيئته وفي حديث عمر
رضي الله عنه وقد سأل عن اخ كان آخاه فخرج الى الشام فسأل عنه بعض من قدم عليه وقال ما فعل
اخي فقال ذلك اخو الشيطان فقال له مه قال انه قارف الكبائر حتى وقع في الخمر قال اذا اردت الخروج
فآذني فكتب عند خروجه اليه بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب
وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول الآية ثم عاتبه تحت ذلك وعذله فلما قرأ الكتاب بكى وقال
صدق الله ونصح لي عمر فتاب ورجع وحكي ان اخوين ابتلي احدهما بهوى فاظهر عليه اخاه
وقال اني قد اعتللت فان شئت ان لا تعقد على محبتي لله فافعل فقال ما كنت لاحل عقد اخوتك لاجل
خطيئتك ابدا ثم عقد اخوه بينه وبين الله تعالى ان لا يأكل ولا يشرب حتى يعافي الله اخاه من هواه فطوى
اربعين يوما في كلها يسأله عن هواه فكان يقول القلب مقيم على حاله وما زال هو ينحل من الجوع
والغم حتى زال الهوى عن قلب اخيه بعد الاربعين يوما فاخبره بذلك فاكل وشرب بعد ان كاد
يتلف هزالا وضرا وكذلك حكي عن اخوين من السلف انقلب احدهما عن الاستقامة فقيل لاخيه
الا تقطعه وتهجره فقال احوج ما كان الي في هذا الوقت لما وقع في عثرته ان آخذ بيده واتلطف
له في المعاتبة وادعو له بالعود الى ما كان عليه وذكر في الاسرائيليات ان اخوين عابدين في جبل نزل
احدهما ليشتري من المصر لحما بدرهم فرأى بغيا عند اللحام فرمقها وعشقها وواقعها ثم اقام عندها
ثلاثا واستحيا ان يرجع الى اخيه حياء من جنايته قال فافتقده اخوه واهتم بشأنه فنزل الى المدينة
فلم يزل يسأل عنه حتى دل عليه وهو جالس معها فاعتنقه وجعل يقبله ويلتزمه وانكر الآخر انه
يعرفه قط لفرط استحيائه منه فقال قم يا اخي فقد علمت شأنك وقصتك وما كنت قط احب الي ولا
اعز من ساعتك هذه فلما رأى ان ذلك لم يسقطه من عينه قام فانصرف معه فهذه طريقة قوم
وهي الطف وافقه من طريقة ابي ذر وطريقته احسن واسلم **فان قلت** ولم قلت هذا الطف
وافقه ومقارف هذه المعصية لا تجوز مؤاخاته ابتداء فتجب مقاطعته انتهاء لان الحكم اذا ثبت
بعلة فالقياس ان يزول بزوالها وعلة عقد الاخوة التعاون في الدين ولا يستمر ذلك مع مقارفة المعصية
فاقول اما كونه الطف فلما فيه من الرفق والاستمالة والتعطف المفضي الى الرجوع والتوبة
لاستمرار الحياء عند دوام الصحبة ومهما قوطع وانقطع طمعه اصر واستمر واما كونه افقه فمن حيث
ان الاخوة عقد ينزل منزلة القرابة فاذا انعقدت تأكد الحق ووجب الوفاء بموجب العقد ومن
الوفاء به ان لا يهمل ايام حاجته وفقره وفقر الدين اشد من فقر المال وقد اصابته جائحة والمت به
آفة افتقر بسببها في دينه فينبغي ان يراقب ويراعى ولا يهمل بل لا يزال يتلطف به ليعان على الخلاص
من تلك الواقعة التي المت به فالاخوة عدة للنائبات وحوادث الزمان وهذا من اشد النوائب و
الفاجر اذا صحب تقيا وهو ينظر الى خوفه ومداومته فسيرجع على قرب ويستحيي من الاصرار بل الكسلان
يصحب الحريص في العمل فيحرص حياء منه قال جعفر بن سليمان مهما فترت في العمل نظرت الى محمد بن واسع

واقباله على الطاعة والعبادة فيرجع نشاطي الى العبادة وفارقني الكسل وعملت عليه اسبوعا وهذا
تحقيق وهو ان الصداقة لحمة كلحمة النسب والقريب لا يجوز ان يهجر بالمعصية ولذلك قال
الله تعالى لنبيه في عشيرته فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون ولم يقل اني بريء منكم مراعاة
لحق القرابة ولحمة النسب والى هذا اشار ابو الدرداء رضي الله عنه لما قيل له الا تبغض اخاك وقد
فعل كذا فقال انما ابغض عمله والا فهو اخي واخوة الدين اوكد من اخوة القرابة ولذلك قيل
لحكيم ايما احب اليك اخوك او صديقك فقال انما احب اخي اذا كان صديقا وكان الحسن يقول
كم من اخ لم تلده امك ولذلك قيل القرابة تحتاج الى المودة والمودة لا تحتاج الى قرابة وقال
جعفر الصادق مودة يوم صلة ومودة شهر قرابة ومودة سنة رحم ماسة من قطعها قطعه الله
فاذا الوفاء بعقد الاخوة اذا سبق انعقادها واجب وهذا جوابنا عن ابتداء المؤاخاة مع الفاسق
فانه لم يتقدم له حق فان تقدمت له قرابة فلا جرم لا ينبغي ان يقاطع بل يجامل والدليل عليه ان
ترك المؤاخاة والصحبة ابتداء ليس مذموما ولا مكروها بل قال قائلون الانفراد اولى فاما قطع الاخوة
عن دوامها فمنهي عنه ومذموم في نفسه ونسبته الى تركها ابتداء كنسبة الطلاق الى ترك النكاح
والطلاق ابغض الى الله من ترك النكاح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار عباد الله
المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاحبة وقال بعض السلف في ستر زلات الاخوان ود الشيطان ان يلقي على
اخيكم مثل هذا حتى تهجروه وتقطعوه فماذا اتقيتم من محبة عدوكم وهذا لان التفريق بين الاحباب
من محاب الشيطان كما ان مقارفة العصيان من محابه فاذا حصل للشيطان احد غرضيه فلا ينبغي ان
يضاف اليه الثاني والى هذا اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم في الذي شتم الرجل الذي اتى فاحشة
اذ قال مه وزجره لا تكونوا عونا للشيطان على اخيكم فبهذا كله يتبين الفرق بين الدوام والابتداء
لان مخالطة الفساق محذورة ومفارقة الاحباب والاخوان ايضا محذورة وليس من سلم عن معارضة
غيره كالذي لم يسلم وفي الابتداء قد سلم فرأينا ان المهاجرة والتباعد هو الطريق وفي الدوام تعارضا فكان
الوفاء بحق الاخوة اولى هذا كله في زلته في دينه اما زلته في حقه بما يوجب ايحاشه فلا خلاف في ان
الاولى العفو والاحتمال بل كل ما يحتمل تنزيله على وجه حسن ويتصور تمهيد عذر فيه قريب او
بعيد فهو واجب بحق الاخوة فقد قيل ينبغي ان تستنبط لزلة اخيك سبعين عذرا فان لم
يقبله قلبك فتقول لقلبك ما اقساك يعتذر اليك اخوك سبعين عذرا فلا تقبله فانت
المعيب لا اخوك فان ظهر بحيث لم يقبل التحسين فينبغي ان لا تغضب ان قدرت ولكن ذلك لا يمكن
وقد **قال** الشافعي رضي الله عنه من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم يرض
فهو شيطان فلا تكن حمارا ولا شيطانا واسترض قلبك لنفسك نيابة عن اخيك واحترز ان
تكون شيطانا ان لم تقبل **وقال** الاحنف حق الصديق ان تحتمل منه ثلاثا ظلم الغضب وظلم
الدالة والهفوة وقال آخر ما شتمت احدا قط لانه ان شتمني كريم فانا احق ان اغفرها له او لئيم
فلا اجعل عرضي له غرضا حق الصديق ان يحتمل منه ظلمة الغضب وظلمة الدالة وظلمة الهفوة ثم
تمثل **وقال** اغفر عوراء الكريم ادخاره واعرض عن ذات اللئيم تكرما وقد قيل خذ من خليلك
ما صفا وذر الذي فيه الكدر فالعمر اقصر من معاتبة الخليل على الغير ومهما اعتذر اليك اخوك
صادقا كان او كاذبا فاقبل عذره قال صلى الله عليه وسلم من اعتذر اليه اخوه فلم يقبل عذره فعليه مثل اثم

صاحب الكيس وقد قال صلى الله عليه وسلم ان المؤمن سريع الغضب سريع الرضا فلم يصفه بانه لا يغضب
وكذا قال الله تعالى والكاظمين الغيظ ولم يقل والفاقدين الغيظ وهذا لان العادة لا
تنتهي الى ان يجرح الانسان فلا يتالم بل تنتهي الى ان يصبر عليه ويحتمل وكما ان التالم بالجرح من
مقتضى طبع البدن فالتالم باسباب الغضب طبع القلب لا يمكن قلعه ولكن يمكن ضبطه وكظمه
والعمل بخلاف مقتضاه فانه يقتضي التشفي والانتقام والمكافاة وترك العمل بمقتضاه ممكن
وقد قال الشاعر ولست بمستبق اخا لا تلمه ان الرجال المهذب وقال ابو سليمن
لاحمد بن ابي الحواري اذا واخيت احدا في هذا الزمان فلا تعاتبه على ما تكرهه فانك لا تامن ان ترى
في جوابك ما هو شر من الاول قال فجربته فوجدته كذلك وقال بعضهم على الاخ خير من معاتبته
والمعاتبة خير من القطيعة والقطيعة خير من الوقيعة وينبغي ان لا يبالغ في البغض عند الوقيعة
قال الله تعالى عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة وقال صلى الله عليه
وسلم احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما
وقال عمر رضي الله عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وهو ان تحب تلف صاحبك
مع هلاكك **الحق السادس** الدعاء للاخ في حياته وبعد مماته بكل ما يحبه لنفسه ولاهله وكل متعلق
به تدعو له كما تدعو لنفسك ولا تفرق بين نفسك وبينه فان دعاءك له دعاء لنفسك على التحقيق
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا دعا الرجل لاخيه في ظهر الغيب قال الملك ولك مثل ذلك
وفي لفظ اخر يقول الله تعالى بك ابدا عبدي وفي الحديث يستجاب للرجل في اخيه ما لا يستجاب له في نفسه
وفي الحديث دعوة الاخ لاخيه في الغيب لا ترد وكان ابو الدرداء يقول اني لادعو لسبعين من اخواني
في سجودي اسميهم باسمائهم وكان محمد بن يوسف الاصفهاني يقول واين مثل الاخ الصالح اهلك
يقتسمون ميراثك ويتنعمون بما خلفت وهو منفرد بحزنك مهتم بما قدمت يدعو لك في ظلمة الليل
وانت تحت اطباق الثرى وكان الاخ يقتدي بالملائكة اذ جاء في الخبر اذا مات العبد قال الناس
ما خلف وقالت الملائكة ما قدم يفرحون له بما قدم ويسالون عنه ويشفقون عليه ويقال من
بلغه موت اخيه فترحم عليه واستغفر له كتب له كانه شهد جنازته وصلى عليه وروي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الميت في قبره مثل الغريق يتعلق بكل شيء ينتظر دعوة من
ولد او والد او اخ او قريب وانه ليدخل على قبور الاموات من دعاء الاحياء من الانوار مثل الجبال وقال
بعض السلف الدعاء للاموات بمنزلة الهدايا للاحياء فيدخل الملك على الميت معه طبق من نور
فيقول هذه هدية لك من عند اخيك فلان من عند قريبك فلان فيفرح بذلك كما يفرح الحي بالهدية
الحق السابع الوفاء والاخلاص ومعنى الوفاء الثبات على الحب وادامته الى الموت معه وبعد
الموت مع اولاده واصدقائه فان الحب انما يراد للاخرة فان انقطع قبل الموت حبط العمل وضاع السعي
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في السبعة الذين يظلهم الله تعالى اجتمعا على ذلك وتفرقا
وقال بعضهم قليل الوفاء بعد الوفاة خير من كثير في حال الحياة ولذلك روي انه صلى الله عليه وسلم
اكرم عجوزا دخلت عليه فقيل له في ذلك فقال انها كانت تاتينا ايام خديجة وان كرم العهد من الدين فمن الوفاء مراعاة
جميع اصدقائه واقاربه والمتعلقين به ومراعاتهم اوقع في قلب الصديق من مراعاة الاخ نفسه
فان فرحه بتفقد من يتعلق اذ لا تدل على قوة الشفقة والحب الا تعديهما من المحبوب الى كل من يتعلق

به حتى الكلب الذي على باب داره ينبغي ان يتميز في القلب عن سائر الكلاب ومهما انقطع الوفاء
بدوام المحبة شمت به الشيطان فانه لا يحسد متعاونين على بر كما يحسد متواخيين في الله ومتحابين
فانه يجهد نفسه لافساد ما بينهما قال الله تعالى وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن ان الشيطان
ينزغ بينهم وقال مخبرا عن يوسف صلوات الله عليه من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي
ويقال ما تواخى اثنان في الله فتفرق بينهما الا بذنب يرتكبه احدهما وكان بشر يقول اذا قصر العبد في
طاعة الله سلبه الله من يؤنسه وذلك لان الاخوان مسلاة للهموم وعون على الدين ولذلك
قال ابن المبارك الذ الاشياء مجالسة الاخوان والانقلاب الى الكفاية والمودة الدائمة هي التي
تكون في الله ان لا يكون مع حسد في الدين والدنيا وكيف يحسده وكل ما هو لاخيه فاليه يرجع فائدته وبه
وصف الله تعالى المحبين في الله فقال تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم
ووجود الحاجة هو الحسد ومن الوفاء ان لا يتغير حاله في التواضع لاخيه وان ارتفع شانه واتسعت
ولايته وعظم جاهه فالترفع على الاخوان بما يتجدد من الاحوال لؤم ان الكرام اذا ما اسهلوا ذكروا من كان
يالفهم بالمنزل الخشن واوصى بعض السلف ابنه فقال يا بني لا تصحب من الناس الا من اذا افتقرت اليه
قرب منك وان استغنيت لم يطمع فيك وان علت مرتبته لم يرتفع عليك وقال بعض الحكماء
اذا ولي اخوك ولاية فثبت على نصف مودته لك فهو كثير وحكى الربيع ان الشافعي رضي الله عنه اخا
رجلا ببغداد ثم ان اخاه ولي السيبين فتغير له عما كان عليه فكتب الشافعي رحمه الله اليه هذه الابيات
اذهب فودك من فؤادي طالق ابدا وليس طلاق ذات البين فان ارعويت فانها تطليقة
ويدوم ودك لي على ثنتين وان امتنعت شفعتها بمثالها فيكون تطليقتين في حيضين فاذا الثلث
اتتك مني لم تغن عنك ولاية السيبين واعلم انه ليس من الوفاء موافقة الاخ فيما يخالف الحق في امر
يتعلق بالدين بل من الوفاء له المخالفة فقد كان الشافعي اخا محمد بن عبد الحكم وكان يقربه ويقبل عليه و
يقول ما يقيمني بمصر غيره فاعتل محمد فعاده الشافعي في علته التي مات فيها رضي الله عنه الى من نجلس
بعدك يا ابا عبد الله فاستشرف له محمد بن عبد الحكم وهو عند راسه ليومي اليه فقال الشافعي سبحان
الله تشك فيها ابو يعقوب البويطي فانكسر لها محمد ومال اصحابه الى البويطي مع ان محمدا كان قد حمل عنه
مذهبه كله لكن البويطي افضل واقرب الى الزهد والورع فنصح الشافعي لله وللمسلمين وترك المداهنة
ولم يؤثر رضا الخلق على رضا الله تعالى فلما توفي انقلب محمد بن عبد الحكم عن مذهبه ورجع الى مذهب
ابيه ودرس كتب مالك وهو من كبار اصحاب مالك رضي الله عنه واثر البويطي الزهد والخمول ولم
يعجبه الجمع والجلوس في الحلقة واشتغل بالعبادة وصنف كتاب الام الذي ينسب الان الى الربيع
بن سليمن ويعرف به وانما صنفه البويطي ولكن لم يذكر نفسه فيه ولم ينسبه الى نفسه فزاد الربيع فيه
وتصرف واظهره والمقصود ان الوفاء بالمحبة من تمامها قال الاحنف الاخاء جوهرة رقيقة ان لم
تحرسها كانت معرضة للافات فاحرسها بالكظم حتى تعتذر الى من ظلمك وبالرضا حتى لا تستكثر من نفسك
الفضل ولا من اخيك التقصير ومن اثار الصدق والاخلاص والوفاء ان تكون شديد الجزع من المفارقة
نفور الطبع عن اسبابها كما قيل وجدت مصيبات الزمان جميعها سوى فرقة الاحباب هينة الخطب
وانشد ابن عيينة هذا البيت وقال لقد عهدت اقواما فارقتهم منذ ثلثين سنة ما يخيل الي ان
حسرتهم ذهبت من قلبي ومن الوفاء ان لا يسمع بلاغات الناس على صديقه لا سيما من يظهر اولا انه محب

لصديقه كيلا يتهم ثم يلقي الكلام عرضا وينقل عن الصديق ما يروح القلب فذلك من دقائق الحيل
في التقريب ومن لا يحترز منه لم تدم مودته اصلا وقال واحد لحكيم قد درجت حاجتي المودة ثم
قال ان تجعلت سهمها ثلث خصال لا تستمع علي بلا منه ولا تخالفني في امر ولا تعطي عني ومن الوفا ان لا يصادق
عدو صديقه قال الشافعي رضي الله عنه اذا اطاع صديقك عدوك فقد اشتركا في عداوتك
الحق الثامن التخفيف وترك التكلف والتكليف وذلك بان لا تكلف اخاك ما يشق عليه
بل تروح سره من مهماته وحاجاته قال الجنيد ما تواخا اثنان في الله فاستوحش احدهما من صاحبه
او احتشم الا لعلة في احدهما وقال علي رضي الله عنه شر الاصدقا من تكلف لك ومن احوجك الى
مداراة والجاك الى اعتذار وقال الفضيل انما تقاطع الناس بالتكلف يزور احدهم اخاه فيتكلف
له فيقطعه ذلك عنه وقالت عائشة رضي الله عنها المؤمن اخو المؤمن لا يغتنمه ولا يحتشمه وقال
الجنيد صحبت اربع طبقات من هذه الطائفة كل طبقة ثلثون رجلا حارث المحاسبي وطبقته
وحسن المسوحي وطبقته وسري السقطي وطبقته وابن الكريني وطبقته فما تواخا اثنان في الله واحتشم احدهما
من صاحبه واستوحش الا لعلة في احدهما وقيل لبعضهم من نصحب قال من يرفع عنك ثقل التكلف
ويسقط بينك وبينه مؤنة التحفظ وكان جعفر بن محمد يقول اثقل اخواني علي من يتكلف لي واتحفظ منه
واخفهم على قلبي من اكون معه كما اكون وحدي وقال بعض الصوفية لا تعاشر من الناس
الا من لا تزيد عنده ببر ولا تنقص باثم يكون ذلك لك وعليك وانت عنده سوا وانما قال هذا لان
به يتخلص عن التكلف والتحفظ والا فالطبع يحمله ان يتحفظ منه اذا علم ان ذلك ينقصه عنده وقال
بعضهم كن مع ابنا الدنيا بالادب ومع ابنا الاخرة بالعلم ومع العارفين كيف شئت وقال اخر
لا تصحب الا من يتوب عنك اذا اذنبت ويعتذر اليك اذا اسات ويحمل عنك مؤنة نفسك ويكفيك
مؤنة نفسه وقايل هذا قد ضيق طريق الاخوة على الناس وليس الامر كذلك بل ينبغي ان تواخي كل متدين
عاقل وتعزم على ان تقوم بهذه الشروط ولا تكلفه هذه الشروط حتى يكثر اخوانك اذ به يكون مواخيا في الله
والا كان مواخاته لحظوظ نفسه فقط ولذلك قال رجل للجنيد قد عز الاخوان في هذا الزمان
اين اخ لي في الله فاعرض الجنيد حتى اعاده ثلثا فلما اكثر قال له الجنيد ان اردت اخا يكفيك مؤنتك و
يتحمل اذاك فهذا لعمري قليل وان اردت اخا في الله تحمل انت مؤنته وتصبر على اذاه فعندي جماعة اعرفهم
فسكت الرجل واعلم ان الناس ثلثة رجل تنتفع بصحبته ورجل تقدر على ان تنفعه ولا تتضرر به ولكن
لا تنتفع به ورجل لا تقدر ايضا على ان تنفعه وهو الاحمق والسيء الخلق فهذا الثالث يجب
ان تجتنب واما الثاني فلا تجتنبه لانك تنتفع به في الاخرة بشفاعته وبدعائه وثوابك على القيام به
وقد اوحى الله تعالى الى موسى صلى الله عليه وسلم ان اطعتني فما اكثر اخوانك اي واسيتهم و
احتملت منهم ولم تحسدهم وقال بعضهم صحبت الناس خمسين سنة فما وقع بيني وبينهم خلاف
لاني كنت معهم على نفسي ومن هذا سببه كثر اخوانه ومن التخفيف وترك التكليف ان لا يعترض على
نوافل العبادات لان طائفة من الصوفية يصحبون على شرط المساواة بين اربع معان ان اكل احدهم
النهار كله لم يقل له صاحبه صم وان صام الدهر كله لم يقل له افطر وان نام الليل كله لم يقل له قم وان صلى
الليل كله لم يقل له نم ويستوي حالاته عنده بلا مزيد ولا نقصان لان ذلك ان تفاوت حرك الطبع
الى الريا والتحفظ لا محالة وقد قيل من سقطت كلفته دامت الفته ومن خفت مؤنته دامت مودته

وقال بعض الصحابة ان الله لعن المتكلفين وقال صلى الله عليه وسلم انا والاتقيا من امتي
برآء من التكلف وقال بعضهم اذا عمل الرجل في بيت اخيه اربع خصال فقد تم انسه به اذا اكل
عنده ودخل الخلا ونام وصلى فذكر ذلك لبعض المشايخ فقال بقيت خامسة وهو ان يحضر مع الاهل
في بيت اخيه لان البيت يتخذ لهذه الامور الخمسة والا فالمساجد اروح لقلوب المتعبدين
فاذا فعل هذه الخمس فقد تم الاتحاد وارتفعت الحشمة وتاكد الانبساط وقول العرب في تسليمهم
يشير الى ذلك اذ يقول احدهم لصاحبه مرحبا واهلا وسهلا اي لك عندنا مرحب وهو
السعة في القلب والمكان ولك عندنا اهل تانس بهم بلا وحشة منا ولك عندنا سهولة في ذلك
كله اي لا يشتد علينا شيء مما تريد ولا يتم التخفيف وترك التكلف الا بان يرى نفسه دون اخوانه ويحسن
الظن بهم ويسيء الظن بنفسه فاذا راهم خيرا من نفسه فعند ذلك يكون هو خيرا منهم وقال
ابو معاوية الاسود اخواني كلهم خير مني قيل وكيف ذلك قال كلهم يرى لي الفضل
على انفسهم ومن فضلني على نفسه فهو خير مني وقد قال صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله ولا
خير في صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له وهذه اقل الدرجات وهو النظر بعين المساواة و
الكمال في روية الفضل للاخ ولذلك قال سفيان اذا قيل لك يا شر الناس فغضبت فانت شر
الناس اي ينبغي ان تكون معتقدا ذلك في نفسك ابدا وسياتي وجه ذلك في كتاب الكبر والعجب
وقد قيل في معنى التواضع وروية الفضل للاخوان تذلل لمن ان تذللت له يرى ذاك للفضل لا للبله و
جانب صداقة من لا يزال على الاصدقا يرى الفضل له وقال اخر كم صديق عرفته بصديق صار
احظى من الصديق العتيق ورفيق رايته في طريق صار عندي هو الصديق الحقيق ومهما راي الفضل
لنفسه فقد احتقر اخاه وهذا في عموم المسلمين مذموم وقد قال صلى الله عليه وسلم بحسب المؤمن من الشر ان
يحقر اخاه المسلم ومن تتمة الانبساط وترك التكلف ان يشاور اخوانه في كل ما يقصده ويقبل اشاراتهم
فقد قال تعالى وشاورهم في الامر ولا ينبغي ان يخفي عنهم شيئا من اسراره كما روي عن يعقوب ابن
اخي معروف قال جا اسود بن سالم الى عمي معروف وكان مواخيا له فقال ان بشر بن الحارث يحب مواخاتك
وهو يستحي ان يشافهك بذلك وقد ارسلني اليك ان تعقد له فيما بينك وبينه اخوة يحتسبها
ويعتد بها الا انه يشترط فيها شروطا لا يحب ان يشتهر بذلك فلا يكون بينك وبينه مزاورة ولا
ملاقاة فانه يكره كثرة الالتقا فقال معروف اما انا اذا احببت احدا لم احب مفارقته ليلا ونهارا
ولزرته في كل وقت ولاثرته على نفسي في كل حال ثم ذكر من فضل الاخوة والحب في الله احاديث كثيرة
ثم قال فيها وقد اخا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فشاركه في العلم وقاسمه البدن وانكحه افضل
بناته واحبهن اليه وخصه بذلك لمواخاته وانا اشهدك اني قد عقدت له اخوة بيني وبينه و
عقدت اخاه في الله لرسالتك ولمسالتك على ان لا يزورني ان كره ذلك ولكن ازوره متى احببت
ومره ان يلقاني في مواضع نلتقي فيها ومره ان لا يخفي علي شيئا من شانه وان يطلعني على جميع احواله فاخبر
ابن سالم بشرا بذلك فرضي وسر وهذا جمع حقوق الصحبة وقد اجملناه مرة وفصلناه اخرى
ولا يتم ذلك الا بان يكون على نفسك للاخوان ولا تكون لنفسك عليهم وان تنزل نفسك منزلة الخادم
لهم فتقيد بحقوقهم جميع جوارحك اما البصر فبان تنظر اليهم نظرة مودة يعرفونها
منك وتنظر الى محاسنهم وتتعامى عن عيوبهم ولا تصرف بصرك عنهم في وقت اقبالهم عليك و

كلامهم معك روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعطي كل من جلس اليه نصيبه من وجهه وما
استصغاه احد الا ظن انه اكرم الناس عليه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف مسئلته
وتوجهه للجالس اليه وكان مجلسه مجلس حيا وامانة وتواضع وكان صلى الله عليه وسلم اكثر الناس
تبسما وضحكا في وجوه اصحابه وتعجبا مما تحدثوا به وكان ضحك اصحابه عنده التبسم اقتدا
منهم بفعله وتوقيرا له صلى الله عليه وسلم **واما التسمع** فان يسمع كلامهم متلذذا به مستمعا
ومصدقا به ومظهرا للاستبشار فيه ولا يقطع حديثهم عليهم بما دبره ومنازعته ومداخلته و
الاعراض فان ارهقك عارض اعتذرت اليهم ويحرس سمعك من سماع ما يكرهون **واما اللسان**
فقد ذكرنا حقوقه فان القول فيه يطول ومن ذلك ان لا يرفع صوته عليهم ولا يخاطبهم الا
بما يفهمون **واما اليدان** فان لا يقبضهما عن معونتهم في كل ما يتعاطى باليد **واما**
الرجلان فان يمشي وراءهم مشي الاتباع لا مشي المتبوعين ولا يتقدمهم الا بقدر ما يقدمونه
ولا يقرب منهم الا بقدر ما يقربونه ويقوم لهم اذا اقبلوا ولا يقعد الا بقعودهم ويقعد حيث يقعد
ثم الاتحاد حق حمله من هذه الحقوق مثل القيام والاعتذار والثنا فانها من حقوق الصحبة و
في صحبتها نوع من الاجنبية والتكلف فاذا تم الاتحاد انطوى بساط التكلف بالكلية فلا يسلك
به الا مسلك نفسه لان هذه الاداب الظاهرة عنوان ادب الباطن وصفا القلب ومهما صفت القلوب
استغنى عن تكلف اظهار ما فيها ومن كان نظره الى صحبة الخلق فتارة يعوج وتارة يستقيم ومن
كان نظره الى الخالق لزم الاستقامة ظاهرا وباطنا وزين باطنه بالحب لله ولخلقه وزين
ظاهره بالعبادة لله والخدمة لعباده فانها اعلى انواع الخدمة لله اذ لا وصول اليها الا بحسن الخلق
ويدرك العبد بحسن خلقه درجة الصائم القائم وزيادة **خاتمة لهذا الباب نذكر**
جملة من جمل اداب العشرة والمخالطة مع اصناف الخلق ملتقطا من كلام بعض الحكما ان
اردت حسن العشرة فالق صديقك وعدوك بوجه الرضا من غير ذلة لهم ولا هيبة منهم وتوقر
في غير كبر وتواضع في غير مذلة وكن في جميع امورك في اوسطها فكلا طرفي قصد الامور ذميم ولا
تنظر في عطفيك ولا تكثر الالتفات ولا تقف على الجماعات واذا جلست فلا تستوفز وتحفظ من
تشبيك اصابعك والعبث بلحيتك وخاتمك وتخليل اسنانك وادخال اصابعك في انفك
وكثرة بصاقك وتنخمك وطرد الذباب عن وجهك وكثرة التمطي والتثاوب في وجوه الناس
في الصلاة وغيرها وليكن مجلسك هاديا وحديثك منظوما مرتبا واصغ الى الكلام الحسن ممن
حدثك بغير تعجب مفرط ولا تسله اعادته واسكت عن المضاحك والحكايات ولا تحدث عن
اعجابك بولدك ولا بجاريتك ولا شعرك ولا تصنيفك ولا سائر ما يخصك ولا تتصنع تصنع المراة
في التزين ولا تتبذل تبذل العبد وتوق كثرة الكحل والاسراف في الدهن ولا تلح في الحاجات ولا
تشجع احدا على الظلم ولا تعلم اهلك وولدك فضلا عن غيرهم مقدار مالك فانهم ان راوه قليلا
هنت عليهم وان كان كثيرا لم تبلغ قط رضاهم واخفهم من غير عنف ولن لهم من غير ضعف
ولا تهازل امتك ولا عبدك فيسقط وقارك واذا خاصمت فتوقر وتحفظ من جهلك وتجنب
عجلتك وتفكر في حجتك ولا تكثر الاشارة بيديك ولا تكثر الالتفات الى من وراءك ولا تجث
على ركبتيك واذا هدا غضبك فتكلم وان قربك سلطان فكن منه على حد السنان وان استرسل

اليك فلا تامن انقلابه عليك وارفق به رفقك بالصبي وكلمه بما يشتهيه ولا يحملنك لطفه
بك ان تدخل بينه وبين ولده وحشمه وان كنت بذلك مستحقا عنده فان سقطة الداخل
بين الملك واهله سقطة لا تنعش وزلة لا تقال واياك وصديق العافية فانه اعدى الاعدا
ولا تجعل مالك اكرم من عرضك واذا دخلت مجلسا فالادب البداية بالتسليم وترك التخطي
لمن سبق والجلوس حيث اتسع وحيث يكون اقرب الى التواضع وان تحيي بالسلام عند من
قرب منه عند الجلوس ولا تجلس على الطريق فان جلست فادبه غض البصر ونصرة المظلوم
واغاثة الملهوف وعون الضعيف وارشاد الضال ورد السلام واعطا السائل والامر
بالمعروف والنهي عن المنكر والارتياد لموضع البصاق ولا يبصق في جهة القبلة ولا عن
يمينك ولا عن يسارك ولا تحت قدمك اليمنى ولا تجالس الملوك فان فعلت فادبه ترك
الغيبة ومجانبة الكذب وصيانة السر وقلة الحوائج وتهذيب الالفاظ والاعراب في
الخطاب والمذاكرة باخلاق الملوك وقلة المداعبة وكثرة الحذر منهم وان
ظهرت المودة ولا تتجشا بحضرته ولا تتخلل بعد الاكل عنده وعلى الملك ان يحتمل كل شي الا افشا السر
والقدح في الملك والتعرض للحرم ولا تجالس العامة فان فعلت فادبه ترك الخوض في حديثهم و
قلة الاصغا الى اراجيفهم وقلة التغافل مع الحاجة واياك ان تمازح لبيبا وغير لبيب فان
اللبيب يحقد عليك والسفيه يجتري عليك لان المزاح يخرق الهيبة ويذهب بما الوجه ويعقب
الحقد ويذهب بحلاوة الود ويشين فقه الفقيه ويجري السفيه ويسقط المنزلة عند الحكيم
ويمقته المتقون وهو يميت القلب ويباعد عن الرب تعالى ويكسب الغفلة ويورث الذلة وبه
تظلم السرائر وتموت الخواطر وبه تكثر العيوب وتتبين الذنوب وقد قيل لا يكون المزاح الا من سخف
او بطر ومن بلي في مجلس بمزاح او لغط فليذكر الله عند قيامه **قال** النبي صلى الله عليه وسلم
من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك
اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك الا غفر له ما كان في مجلسه ذلك **الباب**
الثالث في حقوق المسلم والرحم والجوار والملك وكيفية المعاشرة مع من
تدلي بهذه الاسباب اعلم ان الانسان اما ان يكون وحده او مع غيره واذ تعذر عيش الانسان
وحده الا بمخالطة من هو من جنسه لم يكن بد من تعلم ادب المخالطة وكل مخالط ففي مخالطته ادب
والادب على قدر حقه وحقه على قدر رابطته التي بها وقعت المخالطة والرابطة **اما**
القرابة وهي اخصها او اخوة الاسلام وهي اعمها واما الجوار واما صحبة السفر والمكتب او
الدرس واما الصداقة والاخوة ولكل واحد من هذه الروابط درجات فالقرابة لها حق ولكن حق
الرحم المحرم اكد وللمحرم حق ولكن حق الوالدين اكد وكذلك حق الجار ولكن يختلف بحسب قربه من
الدار وبعده ويظهر التفاوت عند النسبة حتى ان البلدي في بلاد الغربة يجري مجرى
القريب في الوطن لاختصاصه بحق الجوار في البلد وكذلك حق المسلم يتاكد بتاكد المعرفة وللمعارف
درجات فليس حق الذي عرف بالمشاهدة كحق الذي عرف بالسماع بل اكد منه والمعرفة بعد وقوعها
تتاكد بالاختلاط وكذلك الصحبة تتفاوت درجاتها فحق الصحبة في الدرس والمكتب اكد من
حق صحبة السفر وكذلك الصداقة تتفاوت فانها اذا قويت صارت اخوة فان ازدادت صارت

محبة فان زادت صارت خلة والخليل اقرب من الحبيب والمحبة ما تمكن من حبة القلب والخلة ما
تخلل سر القلب وكل خليل حبيب وليس كل حبيب خليلا وتفاوت درجات الصداقة لا يخفى
بحكم المشاهدة والتجربة فاما كون الخلة فوق الاخوة فمعناه ان لفظ الخلة عبارة عن حالة هي اتم
من الاخوة ونعرفه من قوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا
ولكن صاحبكم خليل الرحمن اذ الخليل هو الذي يتخلل الحب جميع اجزاء قلبه ظاهرا وباطنا ويستوعبه
ولم يكن يستوعب قلبه صلى الله عليه وسلم سوى حب الله عز وجل وقد منعته الخلة عن
الاشتراك فيه مع انه اتخذ عليا رضي الله عنه اخا فقال صلى الله عليه وسلم علي مني بمنزلة هرون من
موسى الا النبوة فعدل بعلي عن النبوة كما عدل بابي بكر رضي الله عنه عن الخلة فشارك ابو بكر عليا
رضي الله عنهما في الاخوة وزاد عليه بمقاربة الخلة واهليته لها لو كان للشركة في الخلة مجال فانه نبه عليه
ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم لاتخذت ابا بكر خليلا وكان صلى الله عليه وسلم حبيب الله وخليله
وقد روي انه صعد المنبر يوما مستبشرا فرحا فقال ان الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ ابرهيم
خليلا فانا حبيب الله وانا خليل الله تعالى فاذا ليس قبل المعرفة رابطة ولا بعد الخلة درجة وما
بينهما من الدرجات وقد ذكرنا حق الصحبة والاخوة ويدخل فيه ما وراءهما من المحبة والخلة وانما
تتفاوت الرتب في تلك الحقوق كما سبق بحسب تفاوت رتب المحبة والاخوة حتى تنتهي اقصاها
الى ان يوجب الايثار بالنفس والمال كما اثر ابو بكر الصديق رضي الله عنه نبينا صلى الله عليه وسلم
وكما اثر طلحة بدنه اذ جعل نفسه وقاية لشخصه العزيز صلوات الله عليه وسلامه فنحن الان نريد
ان نذكر حق اخوة الاسلام وحق الرحم وحق الوالدين وحق الجوار وحق الملك اعني ملك اليمين فان ملك
النكاح قد ذكرنا حقوقه في كتاب ادب النكاح **حقوق المسلم** هو ان يسلم عليه اذا لقيه ويجيبه
اذا دعاه ويشمته اذا عطس ويعوده اذا مرض ويشهد جنازته اذا مات ويبر قسمه اذا اقسم عليه و
ينصح له اذا استنصحه ويحفظه بظهر الغيب اذا غاب ويحب له ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره
لنفسه ورد جميع ذلك في اثار واخبار وقد روى انس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال اربع من حق المسلمين عليك ان تعين محسنهم وان تستغفر لمذنبهم وان تدعو لمدبرهم
وان تحب تائبهم وقال ابن عباس رضي الله عنه في معنى قوله تعالى رحماء بينهم قال يدعو صالحهم
لطالحهم اذا نظر الطالح الى الصالح من امة محمد قال اللهم بارك له فيما قسمت له من الخير وثبته عليه
وانفعنا به واذا نظر الصالح الى الطالح قال اللهم اهده وتب عليه واغفر له **ومنها**
ان يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه قال النعمان بن بشير سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه
اشتكى سائر الجسد كله منه وتداعى سائره بالحمى والسهر وروى ابو موسى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا **ومنها** ان لا يؤذي احدا من المسلمين بفعل
ولا قول **قال** صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وقال صلى الله عليه وسلم
في حديث طويل يامر فيه بالفضائل فان لم تقدر فدع الناس من الشر فانها صدقة تصدق بها
على نفسك وقال صلى الله عليه وسلم افضل المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده **وقال**
صلى الله عليه وسلم اتدرون ما المسلم قالوا الله ورسوله اعلم فقال المسلم من سلم المسلمون من لسانه

ويده قالوا فمن المؤمن قال من امنه المسلمون على انفسهم واموالهم قالوا فمن المهاجر قال من
هجر السوء واجتنبه **وقال** رجل يا رسول الله ما الاسلام قال ان يسلم قلبك لله ويسلم المسلمون
من لسانك ويدك **وقال** مجاهد تسلط على اهل النار الجرب فيحتكون حتى يبدو عظم احدهم
من جلده فينادي يا فلان هل يؤذيك هذا فيقول نعم فيقول هذا بما كنت تؤذي المؤمنين
وقال صلى الله عليه وسلم لقد رايت رجلا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها عن ظهر الطريق
كانت تؤذي الناس وقال ابو هريرة يا رسول الله علمني شيئا انتفع به قال اعزل الاذى عن طريق
المسلمين **وقال** صلى الله عليه وسلم من زحزح شيئا عن طريق المسلمين يؤذيهم كتب الله له بها
حسنة ومن كتب الله له حسنة اوجب الله له بها الجنة **وقال** صلى الله عليه وسلم لا يحل
لمسلم ان يشير الى اخيه بنظرة تؤذيه وقال لا يحل لمسلم ان يروع مسلما وقال صلى الله عليه وسلم
ان الله يكره اذى المؤمن **وقال** الربيع بن خثيم الناس رجلان مؤمن فلا تؤذه وجاهل
فلا تجاهله **ومنها** ان يتواضع لكل مسلم ولا يتكبر عليه فان الله لا يحب كل مختال فخور وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل اوحى الي ان تواضعوا حتى لا يفخر احدكم على احد ثم
ان تفاخر عليه غيره فليحتمل قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم خذ العفو وامر بالعرف
واعرض عن الجاهلين وعن ابن ابي اوفى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يانف ولا يستكبر ان
يمشي مع الارملة والمسكين فيقضي حاجته **ومنها** ان لا يسمع بلاغات الناس بعضهم على بعض
ولا يبلغ بعضهم ما يسمع من بعض قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة قتات **وقال**
الخليل بن احمد من نم اليك نم عليك ومن اخبرك بخبر غيرك اخبر غيرك بخبرك ومنها ان لا
يزيد في الهجرة على من يعرفه فوق ثلاثة ايام مهما غضب عليه **قال** ابو ايوب الانصاري قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا
وخيرهما الذي يبدا بالسلام **وقال** صلى الله عليه وسلم من اقال مسلما عثرته اقاله
الله يوم القيامة **وقال** عكرمة قال الله تعالى ليوسف صلى الله عليه وسلم بعفوك عن اخوتك رفعت ذكرك
في الذاكرين قالت عائشة رضي الله عنها ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط الا
ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله وقال ابن عباس رضي الله عنه ما عفا رجل عن مظلمة الا زاده الله
بها عزا وقال صلى الله عليه وسلم ما نقص مال من صدقة وما زاد الله رجلا بعفو الا عزا وما من
احد تواضع لله الا رفعه الله **ومنها** ان يحسن الى كل من قدر منهم ما استطاع من اهل
وغير اهل روى علي بن الحسين عن ابيه عن جده **قال قال** رسول الله صلى الله عليه وسلم
اصنع المعروف الى اهله والى غير اهله فان لم تصب اهله فانت اهله وباسناده **قال** قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم راس العقل بعد الايمان التودد الى الناس واصطناع المعروف الى كل بر وفاجر
وقال ابو هريرة رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ياخذ احد بيده فينزع يده
حتى يكون الرجل هو يرسلها ولم يكن ترى ركبته خارجا عن ركبة جليسه ولم يكن احد يكلمه الا اقبل
عليه بوجهه ثم لم ينصرف عنه حتى يفرغ من كلامه **ومنها** ان لا يدخل على احد منهم الا باذنه
بل يستاذن ثلاثا فان لم يؤذن له انصرف قال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الاستئذان ثلاث فالاولى يستنصتون والثانية يستصلحون والثالثة

يا دونه او يرجون ومنها ان يخالق الجميع بخلق حسن يعامله بحسب طريقته فانه لا دلالة على
بالعلم ومنها ان يوقر المشايخ ويرحم الصبيان قال جابر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليس منا من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا وقال صلى الله عليه وسلم من اجلال الله
اكرام ذي الشيبة المسلم ومن تمام توقير المشايخ ان لا يتكلم بين ايديهم الا بالاذن وقال جابر
رضي الله عنه قدم وفد جهينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام الغلام ليتكلم فقال صلى
الله عليه وسلم مه فاين الكبير وفي الخبر ما وقر شاب شيخا الا قيض الله له في سنه من يوقره وهذه
اشارة بدوام الحياة فليتنبه ولا يوفق لتوقير الشيوخ الا من قضى له بطول العمر وقال
صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا والمطر قيظا ويفيض اللئام فيضا ويغيض
الكرام غيضا ويجترئ الصغير على الكبير واللئيم على الكريم والتلطف على الصبيان من عادة رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان صلى الله عليه وسلم يقدم من السفر فيتلقاه الصبيان فيقف عليهم ثم
يامر بهم فيرفعوا اليه فيرفع منهم بين يديه وخلفه ويامر اصحابه ان يرفعوا بعضهم فربما
تفاخر الصبيان بعد ذلك فيقول بعضهم لبعض حملني رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه وحملك
اصحابه ويقول بعضهم امر اصحابه ان يحملوك وراءه وكان صلى الله عليه وسلم يؤتى بالصبي الصغير ليدعو
له بالبركة والتسمية فياخذه فيضعه في حجره فربما بال الصبي فيصيح به بعض من يراه فيقول لا تزرموا
الصبي فيدعه حتى يقضي بوله ثم يفرغ من دعائه له وتسميته ويبلغ سرور اهله فيه ولا يروا انه
تاذى ببوله فاذا انصرفوا غسل ثوبه بعد ذلك ومنها ان يكون مع كافة الخلق مستبشرا طلق
الوجه رفيقا قال صلى الله عليه وسلم على من حرمت النار فقالوا الله ورسوله اعلم قال على الهين اللين السهل
القريب وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب
السهل الطلق الوجه وقال بعضهم يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال ان من موجبات المغفرة
بذل السلام وحسن الكلام وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه البر شيء هين وجه طليق وكلام
لين وقال صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة وقال صلى الله
عليه وسلم ان في الجنة لغرفا يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها فقال اعرابي لمن هي يا رسول الله فقال لمن اطاب
الكلام واطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام وقال معاذ بن جبل قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء بالعهد واداء الامانة وترك الخيانة وحفظ
الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وخفض الجناح وقال انس رضي الله عنه عرضت
للنبي صلى الله عليه وسلم امراة فقالت لي معك حاجة وكان معه ناس من اصحابه فقال اجلسي في اي
نواحي السكك شئت اجلس اليك ففعلت فجلس اليها حتى قضت حاجتها وقال وهب بن منبه
رضي الله عنه ان رجلا من بني اسرائيل صام سبعين سنة يفطر في كل سبعة ايام فسال الله تعالى
ان يريه كيف يغوي الشياطين الناس فلما طال عليه ذلك ولم يجب قال لو اطلعت على خطيئتي
وذنبي بيني وبين ربي لكان خيرا لي من هذا الامر الذي طلبته فارسل الله تعالى اليه ملكا فقال له
ان الله تعالى ارسلني اليك وهو يقول لك ان كلامك هذا الذي تكلمت به احب الي مما مضى من
عبادتك وقد فتح الله بصرك فانظر فاذا جنود ابليس قد احاطت بالارض واذا ليس احد من الناس
الا وحوله الشياطين كالذباب فقال اي رب من ينجو من هذا فقال الورع اللين ومنها

الا بعد ان يسلم او بعد الا ويخوفه وقال صلى الله عليه وسلم العدة دين والعطية عطية وقال صلى الله
عليه وسلم ثلث في المنافق اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان وقال ثلث من
كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وذكر ذلك ومنها ان ينصف الناس من نفسه ولا ياتي
اليهم الا بما يحب ان يؤتى اليه قال صلى الله عليه وسلم لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون
فيه ثلث خصال الانفاق من الاقتار والانصاف من نفسه وبذل السلام وقال صلى الله عليه وسلم
من سره ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتاته منيته وهو يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول
الله وليات الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وقال صلى الله عليه وسلم يا ابا الدرداء احسن مجاورة
من جاورك تكن مؤمنا واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما وقال الحسن اوحى الله تعالى
الى ادم صلى الله عليه وسلم باربع خصال وقال فيهن جماع الامر لك ولولدك واحدة لي وواحدة لك
وواحدة بيني وبينك وواحدة بينك وبين الخلق فاما التي لي فتعبدني لا تشرك بي شيئا واما
التي لك فعملك اجزيك به افقر ما تكون اليه واما التي بيني وبينك فعليك الدعاء وعلي الاجابة
واما التي بينك وبين الخلق فتصحبهم بالذي تحب ان يصحبوك به وسال موسى صلى الله عليه وسلم
ربه سبحانه وتعالى فقال اي رب اي عبادك اعدل قال من انصف من نفسه ومنها
ان تزيد في توقير من تدل هيئته وثيابه على علو منزلته فتنزل الناس منازلهم وروي ان عائشة
رضي الله عنها كانت في سفر فنزلت منزلا فوضعت طعامها فجاء سائل فقالت عائشة رضي الله عنها
ناولوا هذا المسكين قرصا ثم مر رجل على دابة فقالت ادعوه الى الطعام فقالوا لها تعطين المسكين
وتدعين هذا الغني فقالت ان الله انزل الناس منازل لا بد لنا من ان ننزلهم تلك المنازل هذا
المسكين يرضى بالقرص وقبيح بنا ان نعطي هذا الغني على هذه الهيئة قرصا وروي انه صلى الله عليه
وسلم دخل بعض بيوته فدخل عليه اصحابه حتى دحس وامتلا فجاء جرير بن عبد الله البجلي فلم يجد
مكانا فقعد على الباب فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم رداءه فالقاه اليه فقال له اجلس على
هذا فاخذه جرير ووضعه على وجهه وجعل يقبله ويبكي ثم لفه ورمى به الى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال ما كنت لاجلس على ثوبك اكرمك الله كما اكرمتني فنظر النبي صلى الله عليه وسلم
يمينا وشمالا ثم قال اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه وكذلك كل من له عليه حق قديم فليكرمه وروي ان
ظئر رسول الله صلى الله عليه وسلم التي ارضعته جاءت اليه فبسط لها رداءه ثم قال لها مرحبا
بامي ثم اجلسها على الرداء ثم قال لها اشفعي تشفعي وسلي تعطي فقالت قومي فقال اما حقي وحق بني هاشم
فهو لك فقام الناس من كل ناحية وقالوا وحقنا يا رسول الله ثم وصلها بعد واحد منهم وهب لها
سهمانه من حنين فبيع ذلك من عثمان بن عفان رضي الله عنه بمائة الف درهم وربما اتاه صلى الله عليه
وسلم من اتاه وهو على وسادة جالس فلا يكون فيها سعة يجلس معه فينزعها ويضعها تحت الذي يجلس
اليه فان ابى عزم عليه حتى يفعل ومنها ان يصلح ذات البين بين المسلمين مهما وجد اليه سبيلا قال
صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بافضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى قال اصلاح
ذات البين وافساد ذات البين هي الحالقة وقال صلى الله عليه وسلم افضل الصدقة اصلاح ذات
البين وعن النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه انس قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم جالس اذ ضحك حتى بدت
ثناياه فقال عمر رضي الله عنه بابي انت وامي يا رسول الله ما الذي اضحكك قال رجلان من امتي

جثيا بين يدي رب العزة فقال احدهما يا رب خذ لي مظلمتي من هذا فقال الله عز وجل رد على اخيك
مظلمته فقال يا رب لم يبق من حسناتي شيء فقال الله تعالى للطالب كيف تصنع باخيك لم يبق
من حسناته شيء فقال يا رب فليحمل عني من اوزاري ثم فاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالبكاء ثم قال ان ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس فيه الى ان يحملوا عنهم من اوزارهم قال فيقول
الله عز وجل اي للطالب ارفع بصرك فانظر في الجنان فقال يا رب ارى مداين من فضة وقصورا
من ذهب مكللة باللؤلؤ لاي نبي او لاي صديق او لاي شهيد هذا فيقول الله عز وجل هذا
لمن اعطى الثمن فقال يا رب ومن يملك ذلك قال انت تملكه قال بماذا يا رب قال بعفوك عن
اخيك قال يا رب قد عفوت عنه فيقول الله عز وجل خذ بيد اخيك فادخله الجنة ثم قال
صلى الله عليه وسلم اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فان الله تبارك وتعالى يصلح بين المؤمنين يوم
القيمة وقال صلى الله عليه وسلم ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا وهذا يدل
على وجوب الاصلاح لان ترك الكذب واجب ولا يسقط الواجب الا بواجب اوكد منه **وقال**
صلى الله عليه وسلم كل الكذب مكتوب الا ان يكذب الرجل في الحرب فان الحرب خدعة او يكذب بين
اثنين ليصلح بينهما او يكذب لامرأته ليرضيها **ومنها** ان يستر عورات المسلمين كلهم
قال صلى الله عليه وسلم من ستر على مسلم ستره الله في الدنيا والاخرة وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يستر عبد عبدا الا ستره الله يوم القيمة وقال ابو سعيد الخدري رضي الله عنه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرى احد من اخيه عورة فيسترها عليه الا دخل الجنة وقال صلى الله عليه
وسلم ماعز لما اخبره لو سترته بثوبك كان خيرا لك فاذا على المسلم ان يستر عورة نفسه فحق اسلامه
واجب كحق اسلام غيره **قال** ابو بكر رضي الله عنه لو اخذت شاربا لاحببت ان يستره الله عليه
كان عمر يمشي بالمدينة ذات ليلة فراى رجلا وامرأة على فاحشة فلما اصبح قال للناس ارأيتم لو ان اماما
راى رجلا وامرأة على فاحشة فاقام عليهما الحد ما كنتم فاعلين قالوا انما انت امام فقال علي
رضي الله عنه ليس ذلك لك اذا يقام عليك الحد ان اتهم يا امر على هذا امر اقل من اربعة شهداء ثم
تركهم ما شاء الله ان يتركهم ثم سالهم فقال القوم مثل مقالتهم الاولى فقال علي رضي الله عنه
مثل مقالته وهذا يشير الى ان عمر رضي الله عنه كان مترددا في ان الوالي هل له ان يقضي بعلمه
في حدود الله فلذلك اجمعهم في معرض التقوى لا في معرض الاخبار خيفة من ان يكون له ذلك فيكون
قاذفا باخباره ومال راي علي رضي الله عنه الى انه ليس له ذلك وهذا من اعظم الادلة على طلب الشرع بستر
الفواحش فان افحشها الزنا وقد نيط باربعة من العدول يشاهدون ذلك منه في ذلك كالمرود في
المكحلة وهذا قط لا يتفق وان علمه القاضي تحقيقا لم يكن له ان يكشف عنه فانظر الى الحكمة في حسم باب
الفاحشة بايجاب الرجم الذي هو اعظم العقوبات ثم انظر الى ستر الله كيف اسبله على العصاة من خلقه
بتضييق الطريق في كشفه فنرجو ان لا نحرم هذا الكرم يوم تبلى السرائر ففي الحديث ان الله تعالى
اذا ستر على عبد عورته في الدنيا فهو اكرم من ان يكشفها في الاخرة فان كشفها في الدنيا فهو اكرم من ان
يكشفها مرة اخرى وعن عبد الرحمن بن عوف قال خرجت مع عمر ليلة بالمدينة فبينما نحن نمشي اذ ظهر لنا
سراج فانطلقنا نؤمه فلما دنونا منه اذا باب مغلق على قوم لهم اصوات ولغط فاخذ عمر بيدي **وقال**
اتدري بيت من هذا قلت لا قال هذا بيت ربيعة بن امية بن خلف وهم الان شرب فما ترى

قلت ارى انا قد اتينا ما قد نهانا الله عنه قال الله تعالى ولا تجسسوا فرجع عمر وتركهم وهذا يدل
على وجوب الستر وترك التتبع وقد قال صلى الله عليه وسلم لمعاوية انك ان اتبعت عورات
الناس افسدتهم او كدت تفسدهم وقال صلى الله عليه وسلم يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل
الايمان في قلبه لا تغتابوا الناس ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يتتبع عورة اخيه المسلم يتتبع
الله عورته ومن يتتبع الله عورته يفضحه ولو كان في جوف بيته وقال ابو بكر الصديق
رضي الله عنه لو رايت احدا على حد من حدود الله تعالى ما اخذته ولا دعوت له احدا حتى يكون
معي غيري وقال بعضهم كنت قاعدا مع عبد الله بن مسعود اذ جاءه رجل اخر فقال هذا
نشوان فقال عبد الله بن مسعود استنكهوه فاستنكهوه فوجدوه نشوانا فحبسه حتى ذهب
سكره ثم دعا بسوط فكسر ثمره ثم قال اجلد وارفع يدك واعط كل عضو حقه فجلده وعليه
قباء او مرط فلما فرغ قال للذي جاء به ما انت منه قال عمه فقال عبد الله ما ادبت
فاحسنت الادب ولا سترت الحرمة انه ينبغي للامام اذا انتهى اليه حد ان يقيمه ان الله عفو يحب العفو
ثم قرا وليعفوا وليصفحوا ثم قال اني لاذكر اول رجل قطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بسارق
فقطعه فكانما اسف وجهه فقالوا يا رسول الله كانك كرهت قطعه قال وما يمنعني لا تكونوا
على الشيطان عونا على اخيكم فانه ينبغي للسلطان اذا انتهى اليه حد ان يقيمه ان الله عفو يحب العفو
وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم وفي رواية كانما سفي في وجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم رماد لشدة تغيره وروي ان عمر رضي الله عنه كان يعس في
المدينة من الليل فسمع صوت رجل في بيت يتغنى فتسور عليه فوجد عنده امرأة وعنده خمر
فقال يا عدو الله اظننت ان الله يسترك وانت على معصية فقال وانت يا امير المؤمنين فلا تعجل
ان اكن عصيت الله واحدة فقد عصيت الله في ثلث **قال** الله تعالى ولا تجسسوا وقد تجسست
قال الله تعالى وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها
وقد تسورت علي **قال** الله تبارك وتعالى ولا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم الاية وقد دخلت علي بغير
اذن ولا سلام **قال** عمر هل عندك من خير ان عفوت عنك **قال** نعم والله يا امير المؤمنين لئن عفوت
عني لا اعود لمثلها ابدا فعفا عنه وخرج وتركه وقال رجل لعبد الله بن عمر رضي الله عنه يا ابا
عبد الرحمن كيف سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى يوم القيمة قال سمعته يقول ان
الله ليدني منه المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس فيقول اتعرف ذنب كذا اتعرف ذنب
كذا فيقول نعم يا رب حتى اذا قرره بذنوبه وراى في نفسه انه قد هلك قال له يا عبدي اني لم استرها
عليك في الدنيا الا واني اريد ان اغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته واما الكافرون والمنافقون
فيقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين وقال صلى الله عليه وسلم كل
امتي معافى الا المجاهرون وان المجاهرة ان يعمل الرجل السوء ثم يخبر به وقال صلى الله عليه وسلم من استمع
من قوم هم له كارهون صب في اذنيه الانك يوم القيمة **ومنها** ان يتقي مواضع التهم صيانة لقلوب
الناس عن سوء الظن ولالسنتهم عن الغيبة فانهم اذا عصوا الله بذكره وكان هو السبب فيه كان
شريكا قال الله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم وقال
صلى الله عليه وسلم كيف ترون من يسب والديه فقالوا وهل من احد يسب ابويه فقال نعم يسب

ابا

غيره فيسيئون الظن به وقد روي انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم احدى نسائه فمر به رجل فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا فلان هذه صفية فقال يا رسول الله من كنت اظن به فاني لم اكن اظن بك فقال ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم وزاد في رواية اخرى اني خشيت ان يقذف في قلبكما شيئا وكانا رجلين فقال على رسلكما انها صفية بنت حيي والحديث وكانت قد زارته في العشر الاواخر من رمضان وقال عمر رضي الله عنه من اقام نفسه مقام التهمة فلا يلومن من اساء الظن ومر برجل يكلم امراة على ظهر الطريق فعلاه بالدرة فقال يا امير المؤمنين فقال وهلا حيث لا يراك الناس ومنها ان يشفع لكل من له حاجة من المسلمين الى من له عنده منزلة ويسعى في قضاء حاجته بما يقدر عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني اوتى واسأل وتطلب مني الحاجة وانتم عندي فاشفعوا لتؤجروا ويقضي الله على يدي نبيه ما احب وقال معاوية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشفعوا الي تؤجروا اني اريد الامر واؤخره كي تشفعوا الي فتؤجروا وقال صلى الله عليه وسلم ما من صدقة افضل من صدقة اللسان قيل وكيف ذلك قال الشفاعة يحقن بها الدم ويجر بها المنفعة الى اخر ويدفع بها المكروه عن اخر وروى عكرمة عن ابن عباس ان زوج بريرة كان عبدا يقال له مغيث كاني انظر اليه خلفها وهو يبكي ودموعه تسيل على لحيته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس اما ترى الى عجب من شدة حب مغيث لبريرة وشدة بغض بريرة لمغيث فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو راجعتيه فانه ابو ولدك فقالت يا رسول الله اتامرني فافعل فقال لا انما انا شافع ومنها ان يبدا كل مسلم بالسلام قبل الكلام ويصافحه عند الكلام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدا بالكلام قبل السلام فلا تجيبه حتى يبدا بالسلام وقال بعضهم دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم اسلم ولم استاذن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارجع فقل السلام عليكم وادخل وروى جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخلتم بيوتكم فسلموا على اهلها فان الشيطان اذا سلم احدكم لم يدخل بيته وقال انس خدمت النبي صلى الله عليه وسلم ثمان حجج فقال لي يا انس اسبغ الوضوء يزد في عمرك وسلم على من لقيته من امتي تكثر حسناتك واذا دخلت منزلك فسلم على اهل بيتك يكثر خير بيتك وقال الله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا افلا ادلكم على عمل اذا عملتموه تحاببتم قالوا بلى يا رسول الله قال افشوا السلام بينكم وقال صلى الله عليه وسلم اذا سلم المسلم على المسلم فرد عليه صلت عليه الملائكة سبعين مرة وقال صلى الله عليه وسلم الملائكة يتعجبون من المسلم يمر على المسلم فلا يسلم عليه وقال صلى الله عليه وسلم يسلم الراكب على الماشي واذا سلم واحد من القوم اجزى عنهم وقال قتادة كانت تحية من قبلكم السجود فاعطى الله عز وجل هذه الامة السلام وهي تحية اهل الجنة وكان ابو مسلم الخولاني يمر على قوم فلا يسلم عليهم ويقول ما يمنعني الا اني اخشى ان لا يردوا فتلعنهم الملائكة والمصافحة ايضا سنة مع السلام وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك فقال عشر حسنات فجاء اخر فقال السلام عليك ورحمة الله فقال عشرون فجاء اخر فقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال ثلاثون وكان انس رضي الله عنه يمر على الصبيان فيسلم ويروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك وروى عبد الحميد بن بهرام انه صلى الله عليه وسلم مر في المسجد يوما وعصبة من

النساء قعود فالوى بيده بالسلام واشار عبد الحميد هذه الكناية وقال صلى الله عليه وسلم لا تبدءوا اليهود والنصارى بالسلام واذا لقيتم احدهم في الطريق فاضطروهم الى اضيقه وقالت عائشة رضي الله عنها ان رهطا من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك فقال النبي صلى الله عليه وسلم وعليكم فقلت بل عليكم السام واللعنة وقال صلى الله عليه وسلم يا عائشة ان الله تعالى يحب الرفق في كل شيء فقالت عائشة الم تسمع ما قالوا فقال فقد قلت وعليكم وقال صلى الله عليه وسلم يسلم الراكب على الماشي والصغير على الكبير وقال صلى الله عليه وسلم لا تشبهوا باليهود والنصارى فان تسليم اليهود الاشارة بالاصابع وتسليم النصارى الاشارة بالصليب وقال صلى الله عليه وسلم اذا انتهى احدكم الى مجلس فليسلم فان بدا له ان يجلس فليجلس ثم اذا قام فليسلم فليست الاولى باحق من الاخرى وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا التقى المسلمان فتصافحا قسمت بينهما سبعون رحمة تسعة وستون لاكثرهما بشرا وقال عمر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا التقى المسلمان فسلم كل واحد على صاحبه وتصافحا نزلت بينهما مائة رحمة للبادي تسعون وللمصافح عشرة وقال الحسن المصافحة تزيد في الود وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تمام تحياتكم بينكم المصافحة وقال صلى الله عليه وسلم قبلة المسلم اخاه المصافحة ولا باس بتقبيل يد المعظم في الدين تبركا به وتوقيرا روي عن ابن عمر رضي الله عنه انه قال قبلنا يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن كعب بن مالك قال لما نزلت توبتي اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقبلت يده وروي ان اعرابيا قال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ايذن لي ان اقبل راسك فاذن له ففعل ولقي ابو عبيدة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فصافحه وقبل يده وتنحيا يبكيان وعن البراء بن عازب انه سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتوضا فلم يرد عليه حتى فرغ من وضوءه فرد عليه ومد يده اليه فصافحه فقال يا رسول الله ما كنت ارى هذا الا من اخلاق الاعاجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المسلمين اذا التقيا فتصافحا تحاتت ذنوبهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا مر الرجل بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له فضلا عليهم درجة لانه ذكرهم السلام وان لم يردوا عليه رد عليه ملا خير منهم واطيب او قال افضل والانحناء عند السلام منهي عنه قال انس قلنا يا رسول الله اينحني بعضنا لبعض قال لا قال فيقبل بعضنا بعضا قال لا قال فيتصافح قال نعم والالتزام والتقبيل قد ورد عند القدوم من السفر وقال ابو ذر ما لقيته صلى الله عليه وسلم الا صافحني وطلبني يوما فلم اكن في البيت فلما اخبرت جئت وهو على سرير فالتزمني فكانت اجود الاجود والاخذ بالركاب في توقير العلماء ورد به الاثر فعل ابن عباس ذلك بركاب زيد بن ثابت واخذ عمر بغرز ركاب زيد حتى رفعه وقال كذا فافعلوا بزيد واصحابه والقيام مكروه وقال انس ما كان شخص احب الينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا راوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك وروي انه عليه السلام قال مرة اذا رايتموني فلا تقوموا كما تفعل الاعاجم وقال عليه السلام من سره ان يتمثل له الرجال قياما فليتبوا مقعده من النار وقال عليه السلام لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا وكانوا يحترزون عن ذلك لهذا النهي وقال صلى الله عليه وسلم اذا اخذ الناس مجالسهم فان دعا رجل اخاه فاوسع له فليأته فانما هي كرامة اكرمه بها اخاه

فان لم يوسع له فلينظر الى اوسع مكان يجده فيجلس فيه وروي انه سلم رجل على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو يبول فلم يجبه فيكره السلام على من يقضي حاجته ويكره ان يقول ابتداء عليك السلام
قاله رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام ان عليك السلام تحية الموتى قاله ثلاثا ثم
قال اذا لقي احدكم اخاه فليقل السلام عليك ورحمة الله ويستحب للرجل الداخل اذا سلم ولم يجد
مجلسا ان لا ينصرف بل يقعد وراء الصف كان صلى الله عليه وسلم جالسا في المسجد اذ اقبل ثلاثة نفر فاقبل
اثنان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واما احدهما فوجد فرجة فجلس فيها واما الثاني فجلس
خلفهم واما الاخر فادبر ذاهبا فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم عن النفر الثلثة
اما احدهم فاوى الى الله تعالى فاواه الله واما الثاني فاستحيى فاستحيى الله منه واما الثالث
فاعرض فاعرض الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان الا غفر لهما
قبل ان يتفرقا وسلمت ام سلمة على النبي صلى الله عليه وسلم وقيل ام هاني فقال من هذه فقيل ام هاني
فقال عليه السلام مرحبا بام هاني ومنها ان يصون عرض اخيه المسلم ونفسه وماله عن ظلم
غيره مهما قدر ويرد عنه ويناضل دونه وينصره وعن ابي الدرداء ان رجلا نال من رجل عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم فرد عنه رجل فقال عليه السلام من رد عن عرض اخيه كان له حجابا من النار و
قال صلى الله عليه وسلم ما من امرء مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم
القيمة وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من ذكر عنده اخوه المسلم وهو يستطيع نصره فلم ينصره
ادركه وقيل اذله الله بها في الاخرة ومن ذكر عنده اخوه المسلم فنصره نصره الله بها في الدنيا والاخرة
وقال صلى الله عليه وسلم من حمى عرض اخيه المسلم في الدنيا بعث الله له ملكا يحميه يوم القيمة من النار وقال
ابو جابر وابو طلحة سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من امرء ينصر مسلما في موضع ينتهك
فيه من عرضه ويستحل حرمته الا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته وما من امرء خذل مسلما في موطن
ينتهك فيه حرمته الا خذله الله في موضع يحب فيه نصرته ومنها تشميت العاطس قال عليه السلام
في العاطس يقول الحمد لله على كل حال ويقول الذي يشمته يرحمك الله ويرد عليه العاطس فيقول يهديكم الله
ويصلح بالكم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا يقول اذا عطس
احدكم فليقل الحمد لله رب العالمين فاذا قال ذلك فليقل من عنده يرحمك الله فاذا قالوا ذلك فليقل
من عنده يرحمك الله فاذا قالوا ذلك فليقل يغفر الله لي ولكم وشمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عاطسا
ولم يشمت اخر فسأله عن ذلك فقال انه حمد الله وانت سكت وقال صلى الله عليه وسلم تشمت المسلم
اذا عطس ثلاثا فان زاد فهو زكام وروي انه شمت عاطسا فعطس اخرى فقال انك مزكوم وقال ابو
هريرة رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عطس غض صوته واستتر بثوبه او بيده وروي
خمر وجهه وقال ابو موسى الاشعري كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء ان يقول
يرحمكم الله فكان يقول يهديكم الله وروي عبد الله بن عامر بن ربيعة عن ابيه ان رجلا عطس خلف النبي
صلى الله عليه وسلم فقال الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يرضى ربنا وبعد ما يرضى والحمد لله على كل
حال فلما سلم النبي صلى الله عليه وسلم قال من صاحب الكلمات فقال انا يا رسول الله ما اردت بهن
الا خيرا فقال لقد رايت اثني عشر ملكا يبتدرون كلهم ايهم يكتبها وقال صلى الله عليه وسلم من عطس
عنده فسبق الى الحمد لم تشتك خاصرته وقال صلى الله عليه وسلم العطاس من الله والتثاؤب من الشيطان

فاذا تثاوب احدكم فليضع يده على فيه فاذا قال اه اه فان الشيطان يضحك في جوفه وقال ابراهيم
النخعي رضي الله عنه من عطس في قضاء الحاجة فلا باس ان يذكر الله وقال الحسن يحمد الله في نفسه وقال
كعب قال موسى يا رب اقريب انت فاناجيك ام بعيد فاناديك فقال الله تعالى انا جليس من ذكرني
فقال فانا نكون على حال نجلك ان نذكرك عليها كالجنابة والغايط فقال اذكرني على كل حال ومنها
اذا ابتلي بذي شر فينبغي ان يجامله ويتقيه وقال بعضهم خالص المؤمن مخالصة وخالق الفاجر
مخالقة فان الفاجر يرضى بالخلق الحسن في الظاهر وقال ابو الدرداء انا لنبش في وجوه اقوام وان
قلوبنا لتلعنهم وهذا معنى المداراة وهو مع من يخاف شره قال الله تعالى ويدرءون بالحسنة السيئة
اي الفحش والاذى بالسلام والمداراة وقال في معنى قوله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض
قال بالرغبة والرهبة والحياء والمداراة وقالت عائشة رضي الله عنها استاذن رجل على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام ائذنوا له بئس رجل العشيرة فلما دخل الان له القول حتى
ظننت ان له عنده منزلة فلما خرج قلت له الذي قلت ثم النت له القول فقال يا عائشة ان
شر الناس عند الله منزلة يوم القيمة من تركه الناس اتقاء فحشه وفي الخبر ما وقى المؤمن به عرضه فهو
صدقة وفي الاثر خالطوا الناس باعمالكم وزايلوهم بالقلوب وقال محمد بن الحنفية ليس بحكيم من لا يعاشر
الناس بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدا حتى يجعل الله له فرجا ومنها ان يجتنب مخالطة
الاغنيا ويختلط بالمساكين ويحسن الى الايتام كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم احيني مسكينا
وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين وكان سليمان عليه السلام في ملكه اذا دخل المسجد فراى
مسكينا جلس اليه وقال مسكين جالس مسكينا وقال ما كان من كلمة يقال لعيسى عليه السلام احب
اليه من ان يقال له يا مسكين وقال كعب الاحبار رضي الله عنه ما في القران من يا ايها الذين امنوا ففي
التورية يا ايها المساكين وقال عبادة بن الصامت ان للنار سبعة ابواب ثلثة للاغنيا وثلثة للنسا
وواحد للفقراء المساكين وقال الفضيل بلغني ان نبيا من الانبيا قال كيف لي ان اعلم رضاك عني فقال
انظر كيف رضا المساكين عنك وقال عليه السلام اياك ومجالسة الموتى قيل ومن الموتى يا
رسول الله قال الاغنيا وقال موسى الهي اين ابغيك قال عند المنكسرة قلوبهم وقال صلى الله عليه وسلم لا
تغبطن فاجرا بنعمة فانك لا تدري الى ما يصير بعد الموت فان من ورائه طالبا حثيثا واما اليتيم
فقد قال عليه السلام من ضم يتيما من ابوين مسلمين حتى يستغني فقد وجبت له الجنة البتة وقال
عليه السلام انا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين وهو يشير باصبعيه هكذا وقال عليه السلام من
وضع يده على راس يتيم ترحما كانت له بكل شعرة تمر عليها يده حسنة وقال صلى الله عليه وسلم خير بيت
من المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه ومنها النصيحة
لكل مسلم والجهد في ادخال السرور على قلبه قال صلى الله عليه وسلم المؤمن يحب للمؤمن ما يحب لنفسه
وقال لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقال صلى الله عليه وسلم ان احدكم مرآة اخيه فاذا
راى به شيئا فليمط عنه وقال صلى الله عليه وسلم من قضى حاجة لاخيه فكانما خدم الله عمره وقال
صلى الله عليه وسلم من اقر عين مؤمن اقر الله عينه يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم من مشى في حاجة
اخيه ساعة من ليل او نهار قضاها او لم يقضها كان خيرا له من اعتكاف شهرين وقال عليه السلام
من فرج عن مهموم او اعان مظلوما غفر الله له سبعين مغفرة وقال صلى الله عليه وسلم انصر اخاك ظالما

او مظلوما فقيل كيف ننصره ظالما قال تمنعه من الظلم **وقال** صلى الله عليه وسلم ان من احب الاعمال الى الله
تعالى ادخال السرور على المؤمنين وان تفرج عنه غما او تقضي عنه دينا او تطعمه من جوع وقال صلى
الله عليه وسلم من حمى مؤمنا من منافق يعنته بعث الله اليه ملكا يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم وقال صلى
الله عليه وسلم خصلتان ليس فوقهما شيء من الشر الشرك بالله والضر لعباد الله وخصلتان ليس
فوقهما شيء من البر الايمان بالله والنفع لعباد الله وقال صلى الله عليه وسلم من لم يهتم للمسلمين
فليس منهم وقال معروف الكرخي رضي الله عنه من قال اللهم اصلح امة محمد اللهم ارحم امة محمد اللهم
فرج عن امة محمد كل يوم ثلث مرات كتبه الله من الابدال وبكى علي بن الفضيل يوما فقيل له ما يبكيك فقال
ابكي على من ظلمني اذا وقف غدا بين يدي الله تعالى وسئل عن ظلمه ولم يكن له حجة **ومنها**
ان يعود مرضاهم والمعرفة والاسلام كاف في اثبات هذا الحق ونيل فضله وادب العائد خفة الجلسة
وقلة السؤال واظهار الرقة والدعاء بالعافية وغض البصر عن عورات الموضع وعند الاستيذان
لا يقابل الباب ويدق برفق ولا يقول انا اذا قيل له من ولا يقول يا غلام لكن يحمد ويسبح **وقال**
صلى الله عليه وسلم تمام عيادة المريض ان يضع احدكم يده على جبهته او على يده ويسأله كيف هو وتمام
تحياتكم المصافحة وقال صلى الله عليه وسلم من عاد مريضا قعد في مخارف الجنة حتى اذا قام وكل به سبعون
الف ملك يصلون عليه حتى الليل وقال صلى الله عليه وسلم اذا عاد احدكم المريض خاض في الرحمة فاذا قعد
عنده قرت فيه وقال صلى الله عليه وسلم اذا عاد احدكم اخاه المسلم وزاره قال الله تعالى طبت وطاب ممشاك
وتبوأت منزلا في الجنة وقال عليه السلام اذا مرض العبد بعث الله تبارك وتعالى اليه ملكين فقال
انظروا ماذا يقول لعواده فان هو اذا جاؤه حمد الله واثنى عليه رفعا ذلك الى الله وهو اعلم فيقول لعبدي
علي ان توفيته ان ادخله الجنة وان انا شفيته ان ابدل له لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان
اكفر عنه سيئاته وقال صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه وقال عثمان رضي الله عنه مرضت فعادني
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بسم الله الرحمن الرحيم اعيذك بالله الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد
ولم يكن له كفوا احد من شر ما تجد فقالها مرارا ودخل صلى الله عليه وسلم على علي بن ابي طالب رضي الله
عنه وهو مريض فقال له قل اللهم اني اسئلك تعجيل عافيتك وصبرا على بليتك او خروجا من الدنيا
الى رحمتك فانك ستعطى احداهن ويستحب للعليل ايضا ان يقول اعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما
اجد وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه اذا اشتكى احدكم بطنه فليسأل امرأته شيئا من صداقها
فيشتري به عسلا ويشربه بماء السماء فيجتمع له الهنيء والمريء والشفاء المبارك وقال عليه السلام
يا ابا هريرة الا اخبرك بامر هو حق من تكلم به في اول مضجعه من مرضه نجاه الله من النار قلت
بلى يا رسول الله قال يقول لا اله الا الله يحيي ويميت وهو حي لا يموت سبحان الله رب العباد و
البلاد والحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه على كل حال الله اكبر كبرياء ربنا وجلاله وقدرته بكل مكان
اللهم ان كنت امرضتني لتقبض روحي في مرضي هذا فاجعل روحي في ارواح من سبقت لهم منك الحسنى و
باعدني من النار كما باعدت اولئك الذين سبقت لهم منك الحسنى **وروي انه عليه السلام** قال
عيادة المريض مرة كفاية سنة فما ازددت فنافلة وقال عليه الصلاة والسلام عيادة المريض
فواق ناقة وقال طاوس افضل العيادة اخفها وقال ابن عباس عيادة المريض مرة سنة فما ازددت
فنافلة قال بعضهم عيادة المريض بعد ثلث وقال عليه الصلاة والسلام اغبوا في العيادة واربعوا

وجملة ادب المريض حسن الصبر وقلة الشكوى والفزع الى الدعاء والتوكل بعد الدواء على خالق الدواء
ومنها ان يشيع جنائزهم قال صلى الله عليه وسلم من شيع جنازة فله قيراط فان وقف حتى تدفن فله
قيراطان وفي الخبر القيراط مثل احد ولما روى ابو هريرة رضي الله عنه هذا الحديث وسمعه
ابن عمر قال لقد فرطنا الى الآن في قراريط كثيرة والقصد من التشييع قضاء حق المسلمين والاعتبار
وكان مكحول الدمشقي اذا رأى جنازة قال اغدوا فانا رائحون موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب
الاول والآخر لا عقل له وخرج مالك بن دينار خلف جنازة اخيه وهو يبكي ويقول والله لا تقر عيني
حتى اعلم الى ما صرت ولا والله لا اعلم ما دمت حيا وقال الاعمش كنا نشهد الجنائز فلا ندري لمن
نعزي لحزن القوم كلهم ونظر ابراهيم الزيات الى اناس يترحمون على ميت فقال لو ترحمون انفسكم
لكان اولى انه نجا من اهوال ثلثة وجه ملك الموت قد رأى ومرارة الموت قد ذاق وخوف الخاتمة
قد امن وقال صلى الله عليه وسلم يتبع الميت ثلثة فيرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه اهله وماله و
عمله فيرجع اهله وماله ويبقى عمله **ومنها** ان يزور قبورهم والمقصود الدعاء والاعتبار وترقيق
القلب قال صلى الله عليه وسلم ما رأيت منظرا الا والقبر افظع منه وقال عمر رضي الله عنه خرجنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى المقابر فجلس الى قبر وكنت ادنى القوم منه فبكى وبكيت فقال ما
يبكيكم قلنا بكينا لبكائك قال هذا قبر آمنة بنت وهب استأذنت الله في زيارتها فاذن لي فاستأذنته
ان استغفر لها فابى علي فادركني ما يدرك الولد من الرقة وكان عثمان رضي الله عنه اذا وقف على قبر بكى
حتى يبل لحيته ويقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان القبر اول منازل الآخرة فان
نجا منه صاحبه فما بعده ايسر وان لم ينج منه فما بعده اشد وقال مجاهد اول ما يكلم ابن آدم حفرته
يقول انا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة هذا ما اعددت لك فما اعددت لي
وقال ابو ذر الا اخبركم بيوم فقري يوم اوضع في قبري وكان ابو الدرداء رضي الله عنه يقعد الى
القبور فقيل له في ذلك فقال اجلس الى قوم يذكروني معادي وان غبت لم يغتابوني وقال حاتم
الاصم من مر بالمقابر ولم يتفكر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم وقال صلى الله عليه وسلم
ما من ليلة الا وينادي مناد يا اهل القبور من تغبطون قالوا نغبط اهل المساجد لانهم يصومون
ولا نصوم ويصلون ولا نصلي ويذكرون الله ولا نذكره وقال سفيان من اكثر ذكر القبر وجده روضة من
رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار وكان الربيع بن خثيم قد حفر في داره قبرا
وكان اذا وجد في قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع فيه ومكث ساعة ثم قال رب ارجعون لعلي اعمل
صالحا ثم يقول يا ربيع قد رجعت فاعمل قبل ان لا ترجع قال ميمون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز
الى المقبرة فلما نظر الى القبور بكى وقال يا ميمون هذه قبور آبائي بني امية كانهم لم يشاركوا اهل الدنيا
في لذاتهم اما تراهم صرعى قد حلت بهم المثلات واصاب الهوام منهم مقيلا ثم بكى وقال والله ما
اعلم احدا انعم ممن صار الى هذه القبور وقد امن عذاب الله وادب المعزي خفض الجناح واظهار الحزن
وقلة الحديث وترك التبسم وادب تشييع الجنازة لزوم الخشوع وترك الحديث وملاحظة الميت
والتفكر في الموت والاستعداد له وان يمشي امام الجنازة بقربها والاسراع بالجنازة سنة فهذه
جمل تنبه على ادب المعاشرة مع عموم الخلق والجملة الجامعة فيه ان لا تستصغر منهم احدا حيا كان
او ميتا فتهلك لانك لا تدري لعله خير منك فانه وان كان فاسقا فلعله يختم لك بمثل حاله ويختم

له بالصلاح ولا تنظر اليهم بعين التعظيم لهم في حال دنياهم فان الدنيا صغيرة عند الله صغير ما
فيها ومهما عظم اهل الدنيا في نفسك فقد عظمت الدنيا فتسقط من عين الله ولا تبذل لهم دينك لتنال
من دنياهم فتصغر في اعينهم ثم تحرم دنياهم وان لم تحرم كنت قد استبدلت الذي هو ادنى بالذي هو
خير ولا تعادهم بحيث تظهر العداوة فيطول الامر عليك في المعاداة ويذهب به دينك ودنياك
فيهم ويذهب دينهم فيك الا اذا رايت منكرا في الدين فتعادي افعالهم القبيحة وتنظر اليهم بعين
الرحمة لهم لتعرضهم لمقت الله وعقوبته بعصيانهم فحسبهم جهنم يصلونها فما لك تحقد عليهم
ولا تسكن اليهم في مودتهم لك وثنائهم عليك في وجهك وحسن بشرهم لك فانك ان طلبت حقيقة ذلك
لم تجد الا في المائة واحدا وربما لا تجده ولا تشك اليهم احوالك فيكلك الله اليهم ولا تطمع
ان يكونوا لك في الغيب والسر كما في العلانية فذلك طمع كاذب وانى تظفر به ولا تطمع فيما في
ايديهم فتستعجل الذل ولا تنال الغرض ولا تعل عليهم تكبرا لاستغنائك عنهم فان الله يلجئك اليهم
عقوبة على التكبر باظهار الاستغناء واذا سالت اخا منهم حاجة فقضاها فهو اخ مستفاد وان لم يقض
فلا تعاتبه فيصير عدوا يطول عليك مقاساته ولا تشتغل بوعظ من لا ترى فيه مخايل القبول
فلا يسمع منك ويعاديك وليكن وعظك عرضا واسترسالا من غير تنصيص على الشخص
ومهما رايت منهم كرامة وخيرا فاشكر الله الذي سخرهم لك واستعذ بالله ان يكلك اليهم واذا
بلغك عنهم غيبة او رايت منهم شرا او اصابك منهم ما يسوءك فكل امرهم الى الله واستعذ بالله
من شرهم ولا تشغل نفسك بالمكافاة فيزيد الضرر ويضيع العمر بشغله ولا تقل لهم لم تعرفوا موضعي
واعتقد انك لو استحققت ذلك لجعل الله لك موضعا في قلوبهم فالله المحبب والمبغض الى القلوب وكن
فيهم سميعا لحقهم اصم عن باطلهم نطوقا بحقهم صموتا عن باطلهم واحذر صحبة اكثر الناس فانهم
لا يقيلون عثرة ولا يغفرون زلة ولا يسترون عورة ويحاسبون على النقير والقطمير ويحسدون
على القليل والكثير ينتصفون ولا ينصفون ويؤاخذون على الخطاء والنسيان ولا يعفون يغرون
الاخوان بالنميمة والبهتان فصحبة اكثرهم خسران وقطيعتهم رجحان ان رضوا فظاهرهم
الملق وان سخطوا فباطنهم الحنق لا يؤمنون في حنقهم ولا يرجون في ملقهم ظاهرهم ثياب
وباطنهم ذئاب يقطعون بالظنون ويتغامزون وراءك بالعيون ويتربصون بصديقهم من
الحسد ريب المنون يحصون عليك العثرات في صحبتهم ليجبهوك بها في غضبهم ووحشتهم
ولا تعول على مودة من لم تختبره حق خبرته بان تصحبه مدة في دار او موضع واحد فتجربه في عزله وولايته
وغناه وفقره او تسافر معه او تعامله في الدينار والدرهم او تقع في شدة فتحتاج اليه فان
رضيته في هذه الاحوال فاتخذه ابا لك ان كان كبيرا او ابنا ان كان صغيرا او اخا ان كان مثلك
فهذه جملة اداب المعيشة مع اصناف الخلق **حقوق** الجوار اعلم ان الجوار يقتضي حقا
وراء ما تقتضيه اخوة الاسلام فيستحق الجار المسلم ما يستحقه كل مسلم وزيادة اذ قال صلى الله
عليه وسلم الجيران ثلثة جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلثة حقوق فالجار الذي له ثلثة
حقوق الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق الرحم وحق الاسلام واما الجار الذي له حقان
فالجار المسلم له حق الجوار وحق الاسلام واما الجار الذي له حق واحد فالجار المشرك فانظر كيف اثبت
للمشرك حقا بمجرد الجوار وقد قال صلى الله عليه وسلم احسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وقال صلى الله

عليه وسلم ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه وقال صلى الله عليه وسلم من كان
يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم جاره وقال صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى يامن جاره بوائقه
وقال صلى الله عليه وسلم اول خصمين يوم القيمة جاران وقال عليه السلام اذا انت رميت
كلب جارك فقد اذيته ويروى ان رجلا جاء الى ابن مسعود رضي الله عنه فقال له ان لي جارا
يؤذيني ويشتمني ويضيق علي فقال له اذهب فان هو عصى الله فيك فاطع الله فيه وقيل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها فقال
عليه السلام هي في النار وجاء رجل اليه عليه السلام يشكو جاره فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم اصبر ثم قال له في الثالثة او الرابعة اطرح متاعك في الطريق قال
فجعل الناس يمرون به فيقولون ما لك فيقال اذاه جاره قال فجعلوا يقولون لعنه الله فجاءه
جاره فقال له رد متاعك والله لا اعود وروى الزهري ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه
وسلم يشكو جاره فامر النبي صلى الله عليه وسلم ان ينادي على باب المسجد الا ان اربعين دارا جار
واومى الى اربع جهات وقال عليه السلام اليمن والشوم في المراة والمسكن والفرس فيمن
المراة خفة مهرها ويسر نكاحها وحسن خلقها وشومها غلو مهرها وعسر نكاحها وسوء خلقها
ويمن المسكن سعته وحسن جوار اهله وشومه ضيقه وسوء جوار اهله ويمن الفرس ذله و
حسن خلقه وشومه صعوبته وسوء خلقه واعلم انه ليس حق الجوار كف الاذى فقط بل احتمال الاذى فان
الجار ايضا قد كف اذاه فليس في ذلك حق ولا يكفي احتمال الاذى بل لا بد من الرفق واسداء الخير
والمعروف اذ يقال ان الجار الفقير يتعلق بجاره الغني يوم القيمة ويقول يا رب سل هذا
لم منعني معروفه وسد بابه دوني وبلغ ابن المقفع ان جارا له يبيع داره في دين ركبه وكان يجلس
كل يوم في ظل داره فقال ما قمت اذن بحرمة ظل داره ان باعها معدما فدفع اليه ثمن الدار وقال
لا تبعها وشكا بعضهم كثرة الفار في داره فقيل له لو اقتنيت هرا فقال اخشى ان يسمع الفار صوت
الهر فيهرب الى دور الجيران فيكون قد احببت لهم ما لا احب لنفسي وجملة حق الجار ان يبداه بالسلام
ولا يطيل معه الكلام ولا يكثر عن حاله السؤال ويعوده في المرض ويعزيه في المصيبة ويقوم معه
في العزاء ويهنيه بالفرح ويظهر الشركة في السرور معه ويصفح عن زلاته ولا يتطلع من السطح الى عوراته
ولا يضايقه في وضع الجذع على جداره ولا في مصب الماء في ميزابه ولا في مطرح التراب في فنائه
ولا يضيق طريقه الى الدار ولا يتبعه النظر فيما يحمله الى داره ويستر ما ينكشف له من عوراته وينعشه
من صرعته اذا نابته نائبة ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته ولا يسمع عليه كلاما ويغض بصره عن حرمته
ولا يديم النظر الى خادمته ويتلطف بولده في كلمته ويرشده الى ما يجهله من امر دينه ودنياه هذا
الى جملة الحقوق التي ذكرناها لعامة المسلمين وقد قال صلى الله عليه وسلم اتدرون ما حق الجار ان
استعان بك اعنته وان استقرضك اقرضته وان افتقر عدت عليه وان مرض عدته وان مات
تبعت جنازته وان اصابه خير هنأته وان اصابته مصيبة عزيته ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب
عنه الريح الا باذنه واذا اشتريت فاكهة فاهد له فان لم تفعل فادخلها سرا ولا يخرج بها ولدك
ليغيظ بها ولده ولا تؤذه بقتار قدرك الا ان تغرف له منها اتدرون ما حق الجار
والذي نفسي بيده لا يبلغ حق الجار الا من رحمه الله هكذا رواه عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن

النبي صلى الله عليه وسلم قال مجاهد كنت عند عبد الله بن عمر وغلام يسلخ شاة له فقال يا غلام اذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودي حتى قال ذلك مرارا فقال له كم تقول هذا فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا انه سيورثه وقال هشام كان الحسن لا يرى باسا ان يطعم الجار اليهودي والنصراني من اضحيته وقال ابو ذر اوصاني رسول الله وقال اذا طبخت قدرا فاكثر ماءها ثم انظر بعض اهل بيت من جيرانك فاغرف لهم منها قالت عائشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله ان لي جارين احدهما مقبل ابي بابه والاخر مقبل ببابه عني وربما كان الذي عندي لا يسعهما فايهما اعظم حقا قال المقبل ببابه عليك ورأى الصديق ولده عبد الرحمن وهو يماظ جاره فقال لا تماظ جارك فان هذا يبقى والناس يذهبون قال الحسن بن عيسى النيسابوري سألت عبد الله بن المبارك قلت الرجل المجاور يأتيني ويشكو غلامي انه اتى اليه امرا والغلام ينكره فاكره ان اضربه ولعله بريء واكره ان ادعه فيجد علي جاري فكيف اصنع قال ان غلامك لعله ان يحدث حدثا يستوجب فيه الضرب فاحفظ عليه فاذا شكاه ذلك الجار فادبه على ذلك الحدث وهذا تلطف في الجمع بين الحقين وقالت عائشة رضي الله عنها خلال المكارم عشر تكون في الرجل ولا تكون في ابيه وتكون في العبد ولا تكون في سيده يقسمها الله تعالى لمن احب صدق الحديث وصدق الناس واعطاء السائل والمكافأة بالصنائع وصلة الرحم وحفظ الامانة والتذمم للجار والتذمم للصاحب واقراء الضيف ورأسهن الحياء وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة وقال عليه السلام ان من سعادة المرء المسلم المسكن الواسع والجار الصالح والمركب الهنيء وقال عبد الله قال رجل يا رسول الله كيف لي ان اعلم اذا احسنت او اسأت قال اذا سمعت جيرانك يقولون قد احسنت فقد احسنت واذا سمعتهم يقولون قد اسأت فقد اسأت وقال جابر قال النبي صلى الله عليه وسلم من كان له جار في حائط او شريك فلا يبيعه حتى يعرضه عليه وقال ابو هريرة رضي الله عنه قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الجار يضع جذعه في حائط جاره شاء ام ابى وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمنعن احدكم جاره ان يضع خشبة في جداره وكان ابو هريرة يقول ما لي اراكم عنها معرضين والله لارمينها بين اكتافكم وقد ذهب بعض العلماء الى وجوب ذلك وقال صلى الله عليه وسلم من اراد الله به خيرا عسله قيل وما عسله قال يحببه الى جيرانه

حقوق الاقارب والرحم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى انا الرحمن وهذه الرحم شققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته وقال عليه السلام من سره ان ينسأ له في اثره ويوسع عليه في رزقه فليصل رحمه وفي رواية احب من سره ان يمد له في عمره ويوسع له في رزقه فليتق الله وليصل رحمه وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي الناس افضل فقال اتقاهم لله واوصلهم لرحمه وآمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر وقال ابو ذر اوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بصلة الرحم وان ادبرت وامرني ان اقول الحق وان كان مرا وقال عليه السلام ان الرحم معلقة تحت العرش وليس الواصل المكافئ ولكن الواصل الذي اذا انقطعت رحمه وصلها وقال عليه السلام ان اعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم حتى ان اهل البيت ليكونوا فجارا فتنمي اموالهم ويكثر عددهم اذا وصلوا الرحم وقال زيد بن اسلم لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض له رجل فقال ان كنت تريد النساء البيض والنوق الادم فعليك ببني مدلج فقال عليه السلام ان

الله منعني من بني مدلج بصلتهم الرحم وقالت اسماء بنت ابي بكر قدمت علي امي فقلت عليها وقال عليه السلام الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان ولما اراد ابو طلحة ان يتصدق بحائط له كان يعجبه لقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قال يا رسول الله هو في سبيل الله والفقراء والمساكين فقال عليه السلام وجب اجرك فاقسمه في اقاربك وقال صلى الله عليه وسلم افضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح وهو في معنى قوله افضل الفضائل ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتصفح عمن ظلمك وروي ان عمر رضي الله عنه كتب الى عماله مروا الاقارب ان يتزاوروا ولا يتجاوروا وانما قال ذلك لان التجاور يوجب الزحمة في التزاحم على الحقوق وربما يورث الوحشة وقطيعة الرحم

حقوق الوالدين والولد

لا يخفى انه اذا تاكد حق القرابة والرحم فاخص الارحام وامسها الولادة فيتضاعف تاكد الحقوق وقد قال صلى الله عليه وسلم لن يجزي ولد والده حتى يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه وقد قال صلى الله عليه وسلم بر الوالدين افضل من الصلاة والصوم والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله وقال صلى الله عليه وسلم من اصبح مرضيا لابويه اصبح له بابان مفتوحان الى الجنة ومن امسى فمثل ذلك وان كان واحدا فواحد ومن اصبح مسخطا لابويه اصبح له بابان مفتوحان الى النار ومن امسى فمثل ذلك وان كان واحدا فواحد وان ظلما وان ظلما وان ظلما وقال صلى الله عليه وسلم الجنة يوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم وانه قال امك واباك واختك واخاك ثم ادناك فادناك ويروى ان الله تعالى قال لموسى يا موسى انه من بر والديه وعقني كتبته بارا ومن برني وعق والديه كتبته عاقا وقيل لما دخل يعقوب على يوسف عليه السلام لم يقم له فاوحى الله تعالى اليه اتتعاظم ان تقوم لابيك وعزتي لا اخرجت من صلبك نبيا وقال صلى الله عليه وسلم ما على احد اذا اراد ان يتصدق بصدقة ان يجعلها لوالديه اذا كانا مسلمين فيكون لوالديه اجرها ويكون له مثل ذلك اي مثل اجورهما من غير ان ينقص من اجورهما شيئا وقال صلى الله عليه وسلم لما كان عنده مالك بن ربيعة اذ جاءه رجل من بني سلمة فقال يا رسول الله هل بقي علي من بر ابوي شيء ابرهما به بعد وفاتهما فقال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما واكرام صديقهما وصلة الرحم التي لا توصل الا بهما وقال صلى الله عليه وسلم ان من ابر البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه وقال صلى الله عليه وسلم بر الوالدة على الوالد ضعفان **وقال صلى الله عليه وسلم** دعاء الوالد اسرع اجابة قيل يا رسول الله ولم ذاك قال هي ارحم من الاب ودعوة الرحم لا تسقط وسأله رجل فقال يا رسول الله من ابر قال بر والديك فقال ليس لي والدان فقال بر ولدك كما ان لوالديك عليك حق كذلك لولدك عليك حق وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله والدا اعان ولده على بره اي لم يحمله على العقوق بسوء عمله وقد قيل ولدك ريحانتك سبعا وخادمك سبعا ثم هو عدوك او شريكك وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلام يعق عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الاذى فاذا بلغ ست سنين ادب فاذا بلغ تسع سنين عزل فراشه فاذا بلغ ثلاث عشرة سنة ضرب على الصلاة فاذا بلغ ست عشرة سنة زوجه ابوه ثم اخذ بيده فقال قد ادبتك وعلمتك وانكحتك اعوذ بالله من فتنتك في الدنيا وعذابك في الآخرة وقال صلى الله عليه وسلم من حق الولد على الوالد ان يحسن ادبه ويحسن اسمه

وقال عليه السلام كل غلام رهين او رهينة لعقيقته يذبح يوم السابع ويحلق راسه وقال قتادة
اذا ذبحت العقيقة اخذت صوفة منها فاستقبلت بها اوداجه ثم توضع على راس الصبي على يافوخه
حتى يسيل منه الخيط ثم يغسل راسه ويحلق شعره بعده وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم
وقيل الى عبد الله بن المبارك فشكى اليه ولده فقال هل دعوت عليه قال نعم فقال انت افسدته
ويستحب الرفق بالولد راى الاقرع بن حابس النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقبل ولده الحسن فقال
لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال ان من لا يرحم لا يرحم قالت عائشة رضي الله عنها قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اغسل وجه اسامة فجعلت اغسله وانا انفقه فضرب يدي
ثم اخذه فغسل وجهه ثم قبله ثم قال قد احسن بنا اذ لم يكن جارية وتعثر الحسن وهو على منبره فنزل فحمله و
قرا انما اموالكم واولادكم فتنة وقال عبد الله بن شداد بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس
اذ جاءه الحسين فركب عنقه وهو ساجد فاطال السجود بالناس حتى ظنوا انه قد حدث امر فلما قضى
صلاته قالوا قد اطلت السجود حتى ظننا انه قد حدث امر فقال ان ابني قد ارتحلني فكرهت ان اعجله حتى
يقضي حاجته وقال عليه السلام ريح الولد من ريح الجنة وقال يزيد بن معوية ارسل ابي الى الاحنف
بن قيس فلما صار اليه قال له يا ابا الحسن ما تقول في الولد قال يا امير المؤمنين ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا
ونحن لهم ارض ذليلة وسماء ظليلة وبهم نصول على كل جليلة فان طلبوا فاعطهم وان غضبوا فارضهم
يمنحوك ودهم ويحبوك جهدهم ولا تكن عليهم ثقلا فيملوا حياتك ويودوا وفاتك ويكرهوا
قربك فقال له معوية لله انت يا احنف لقد دخلت علي وانا مملوء غضبا وغيظا على يزيد فلما خرج
الاحنف من عنده رضي عن يزيد وبعث اليه بمائتي الف درهم ومائة ثوب فقاسمه اياها على الشطر فهذه
هي الاخبار الدالة على تاكد حق الوالد وكيفية القيام بحقهما تعرفه مما ذكرناه في حق الاخوة فان
هذه الرابطة اكد من حق الاخوة بل تزيد على تاكيد حق الوالدين وكيفية القيام بحقهما هاهنا امران
احدهما ان اكثر العلماء على ان طاعة الابوين واجبة في الشبهات وان لم تجب في الحرام المحض حتى اذا كانا
يتنغصان بانفرادك عنهما بالطعام فعليك ان تاكل معهما لان ترك الشبهة ورع ورضا
الوالدين حتم وكذلك ليس لك ان تسافر في مباح او نافلة الا باذنهما والمبادرة الى الحج الذي هو فرض
الاسلام نفل لانه على التاخير والخروج لطلب العلم نفل الا اذا كنت تطلب علم الفرض من الصلاة و
الصوم ولم يكن في بلدك من يعلمك وذلك كمن يسلم ابتداء في بلد وليس فيها من يعلم شرع الاسلام
فعليه الهجرة ولا يتقيد بحق الوالدين ثم قال ابو سعيد الخدري هاجر رجل الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم من اليمن واراد الجهاد فقال عليه السلام باليمن ابواك قال نعم قال هل اذنا لك قال لا فقال عليه
السلام فارجع الى ابويك فاستاذنهما فان فعلا فجاهد والا فبرهما ما استطعت فان ذلك خير
ما يلقى الله به بعد التوحيد وجاء اخر اليه عليه السلام ليستشيره في الغزو فقال الك والدة قال
نعم قال فالزمها فان الجنة عند رجلها وجاء اخر طلب البيعة على الهجرة وقال ما جئتك حتى
ابكيت والدي فقال ارجع اليهما فاضحكهما كما ابكيتهما وقال صلى الله عليه وسلم حق كبير الاخوة على
صغيرهم كحق الوالد على ولده وقال عليه السلام اذا استصعب على احدكم دابته او ساء خلق
زوجته او احد من اهل بيته فليؤذن في اذنه **حق المملوك** ملك النكاح قد سبق حقوقه في
اداب النكاح فاما ملك اليمين فهو ايضا يقتضي حقوقا في المعيشة لا بد من مراعاتها فقد كان

من اخر ما اوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قال اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم اطعموهم مما
تاكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون فما احببتم فامسكوا وما كرهتم
فبيعوا ولا تعذبوا خلق الله فان الله ملككم اياهم ولو شاء لملكهم اياكم وقال عليه السلام للمملوك
طعامه وكسوته بالمعروف ولا يكلف من العمل ما لا يطيق وقال عليه السلام لا يدخل الجنة خب
ولا متكبر ولا خائن ولا سيء الملكة وقال عبد الله بن عمر جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله كم نعفو عن الخادم فصمت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اعف عنه كل يوم
سبعين مرة وكان عمر يذهب الى العوالي كل يوم سبت فاذا وجد عبدا في عمل لا يطيقه وضع
عنه منه ويروى عن ابي هريرة رضي الله عنه انه راى رجلا على دابة وغلامه يسعى خلفه فقال له
يا عبد الله احمله فانما هو اخوك روحه مثل روحك فحمله ثم قال لا يزال العبد يزداد من الله بعدا
ما مشى خادمه وقالت جارية لابي الدرداء اني سممتك منذ سنة وما عمل فيك شيئا فقال لم فعلت
ذلك فقالت اردت الراحة منك قال اذهبي فانت حرة لوجه الله تعالى وقال الزهري متى قلت للمملوك
اخزاك الله فهو حر وسئل الاحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم قال من قيس بن عاصم قيل فما بلغ
من حلمه قال بينا هو جالس في داره اذ اتته خادم له بسفود عليه شواء فسقط السفود من
يدها على ولد له فعقره فمات فدهشت الجارية فقال ليس يسكن روع هذه الجارية الا العتق
انت حرة لوجه الله لا باس عليك وكان عون بن عبد الله اذا عصاه غلامه قال ما اشبهك بمولاك
يعصي مولاه وانت تعصي مولاك واغضبه يوما فقال انما تريد ان اضربك اذهب فانت حر وكان
ميمون بن مهران عنده ضيف فاستعجل جارية بالعشاء فجاءت مسرعة ومعها قصعة مملوءة فعثرت
فاراقتها على راس ميمون فقال يا جارية احرقتني فقالت يا معلم الخير ومؤدب الناس ارجع الى
ما قال الله تعالى قال وما قال الله تعالى قالت والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس قال قد
كظمت غيظي وعفوت عنك قالت زد فان الله يحب المحسنين قال انت حرة لوجه الله
تعالى وقال ابن المنكدر ان رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ضرب عبدا له فجعل العبد
يقول اسالك بالله اسالك بوجه الله فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح العبد فانطلق
اليه فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم امسك يده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ساله
بوجه الله فلم تعفه فلما رايتني امسكت يدك فقال هو حر لوجه الله تعالى فقال لو لم تفعل
لسفعت وجهك النار وقال صلى الله عليه وسلم العبد اذا نصح لسيده واحسن عبادة الله فله اجره مرتين
ولما اعتق ابو رافع بكى وقال كان لي اجران فذهب احدهما وقال صلى الله عليه وسلم
عرض علي اول ثلثة يدخلون الجنة واول ثلثة يدخلون النار فاما اول ثلثة يدخلون الجنة قال
فالشهيد وعبد مملوك احسن عبادة ربه ونصح لسيده وعفيف متعفف ذو عيال واول
ثلثة يدخلون النار امير مسلط وذو ثروة لا يعطي حق الله وفقير فخور وعن ابي مسعود الانصاري قال
بينما اضرب غلاما لي فسمعت صوتا من خلفي اعلم ابا مسعود مرتين فالتفت فاذا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فالقيت السوط من يدي فقال والله لله اقدر عليك منك على هذا وقال صلى الله عليه
وسلم اذا ابتاع احدكم الخادم فليكن اول شيء يطعمه الحلو فانه اطيب لنفسه رواه معاذ وقال
ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتى الخادم احدكم بطعام فليجلسه وليأكل معه

او لباسا خلقا فليرقعها وانما رئيت فليضعها في يده وليفعل كل مع عبده ودخل على سلمان رجل وهو يعجن فقال يا ابا عبد الله ما هذا قال بعثنا الخادم في شغل فكرهت ان اجمع عليه عملين فقال عليه السلام من كانت عنده جارية فعالها وادبها فاحسن ادبها ثم اعتقها وتزوجها فذلك له اجران وقد قال عليه السلام كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فجملة حق المملوك ان يشاركه في طعمته وكسوته ولا يكلفه فوق طاقته ولا ينظر اليه بعين الكبر والازدرا وان يعفو عن زلته ويتفكر عند غضبه عليه بهفوته او جنايته في معاصيه وجنايته على حق الله تعالى وتقصيره في طاعة الله مع ان قدرة الله عليه فوق قدرته **وروي** فضالة بن عبيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلثة لا يسئل عنهم رجل فارق الجماعة وعصى امامه فمات عاصيا فلا يسئل عنه وامراة غاب عنها زوجها وقد كفاها مؤنة الدنيا فتبرجت بعده فلا يسئل عنها وثلثة لا يسئل عنهم رجل ينازع الله في ازاره ورداءه الكبريا وازاره العز ورجل في شك من الله والقنوط من رحمة الله تم كتاب الاخا والحمد لله اولا واخرا والصلاة والسلام على سيدنا محمد المصطفى وآله وصحبه الشرفا وسلم تسليما كثيرا ورضي الله عن الصحابة اجمعين امين يتلوه كتاب العزلة وهو الكتاب السادس من ربع العادات من جملة كتاب احيا علوم الدين والحمد لله اولا واخرا والصلاة والسلام على سيدنا محمد المصطفى وآله وصحبه الشرفا وسلم تسليما كثيرا والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الحمد لله الذي اعظم النعمة على خيرة خلقه وصفوته بان صرف هممهم الى مؤانسته واجزل حظهم من التلذذ بمشاهدة آلائه وعظمته وروح اسرارهم بمناجاته وملاطفته وحقر في قلوبهم النظر الى متاع الدنيا وزهرته حتى اغتبط بعزلته كل من طويت الحجب عن مجاري فكرته فاستانس بمطالعة سبحات وجهه تعالى في خلوته واستوحش بذلك عن الانس بالانس وان كان من اخص خاصته والصلاة على محمد سيد انبيائه وخيرته وعلى آله واصحابه سادات الحق وائمته اما بعد فان للناس اختلافا كثيرا في العزلة والمخالطة وتفضيل احديهما على الاخرى مع ان كل واحدة منهما لا تنفك عن غوائل تنفر عنها وفوائد تدعو اليها وميل اكثر العباد والزهاد الى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة وما ذكرناه في كتاب الصحبة من فضيلة المخالطة والمواخاة والمؤالفة يكاد يناقض ما مال اليه الاكثرون من اختيار الاستيحاش والخلوة فكشف الغطاء عن الحق في ذلك مهم ويحصل ذلك برسم بابين **الباب الاول** في نقل المذاهب والحجج فيها **الباب الثاني في كشف الغطا** عن الحق بحصر الفوائد والغوائل **الباب الاول** في نقل المذاهب والاقاويل وذكر حجج الفريقين اما المذاهب فقد اختلف الناس فيها وظهر هذا الخلاف بين التابعين فذهب الى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة سفيان الثوري وابرهيم بن ادهم وداود الطائي والفضيل بن عياض وسليمان الخواص ويوسف بن اسباط وحذيفة المرعشي وبشر الحافي **وقال** اكثر التابعين باستحباب المخالطة واستكثار المعارف والاخوان للتالف والتحبب الى المؤمنين والاستعانة بهم في الدين تعاونا على البر والتقوى ومال الى هذا سعيد بن المسيب والشعبي وابن ابي ليلى

وهشام بن عروة وابن شبرمة وشريح وشريك بن عبد الله وابن عيينة وابن المبارك والشافعي واحمد بن حنبل وجماعة والماثور عن العلما من الكلمات ينقسم الى كلمات مطلقة تدل على الميل الى احد الراءين والى كلمات مقرونة بما يشير الى علة الميل فلننقل الان مطلقات تلك الكلمات لتتبين المذاهب فيه وما هو مقرون بذكر العلة نورده عند التعرض لذكر الغوائل والفوائد **فنقول قد روي** عن عمر رضي الله عنه انه قال خذوا بحظكم من العزلة وقال ابن سيرين العزلة عبادة وقال الفضيل كفى بالله محبا وبالقران مونسا وبالموت واعظا اتخذ الله صاحبا ودع الناس جانبا وقال ابو الربيع الزاهد لداود الطائي عظني قال صم عن الدنيا واجعل فطرك الاخرة وفر من الناس فرارك من الاسد وقال الحسن رحمة الله عليه كلمات احفظهن من التورية قنع ابن ادم فاستغنى اعتزل الناس فسلم ترك الشهوات فصار حرا ترك الحسد فظهرت مروته صبر قليلا فتمتع طويلا وقال وهيب بن الورد بلغنا ان الحكمة عشرة اجزا تسعة منها في الصمت والعاشرة في عزلة الناس **وقال** يوسف بن مسلم لعلي بن بكار ما اصبرك على الوحدة وقد كان لزم البيت فقال كنت وانا شاب اصبر على اشد من هذا كنت اجالس الناس ولا اكلمهم وقال سفيان الثوري هذا وقت السكوت وملازمة البيوت وقال بعضهم كنت في سفينة ومعنا شاب من العلوية فمكث معنا سبعا لا نسمع له كلاما فقلنا له يا هذا قد جمعنا الله واياك منذ سبع ولا نراك تخالطنا ولا تكلمنا فانشا يقول قليل الهم لا ولد يموت ولا امر يحاذر ان يفوت **شعر** قضى وطر الصبى وافاد علما فغايته التفرد والسكوت **وقال** ابرهيم النخعي لرجل تفقه ثم اعتزل وكذا قال الربيع بن خثيم كان مالك بن انس يشهد الجنائز ويعود المرضى ويعطي الاخوان حقوقهم فترك ذلك واحدا واحدا حتى تركها كلها وكان يقول لا يتهيا للمرء ان يخبر بكل عذر له وقيل لعمر بن عبد العزيز لو تفرغت لنا فقال ذهب الفراغ فلا فراغ الا عند الله عز وجل **وقال** الفضيل اني لاجد للرجل عندي يدا اذا لقيني ان لا يسلم علي واذا مرضت ان لا يعودني وقال ابو سليمان الداراني بينما الربيع بن خثيم جالس على باب داره اذ جاء حجر فصك جبهته فشجه فجعل يمسح الدم ويقول لقد وعظت يا ربيع فقام ودخل داره فما جلس بعد ذلك على باب داره حتى اخرجت جنازته وكان سعد بن وقاص وسعيد بن زيد لزما بيوتهما بالعقيق وقال يوسف بن اسباط سمعت سفيان الثوري يقول والله الذي لا اله الا هو لقد حلت العزلة وقال بشر بن عبد الله اقل من معرفة الناس فانك لا تدري ما يكون يوم القيمة فان تكن فضيحة كان من يعرفك قليلا ودخل بعض الامرا على حاتم الاصم فقال الك حاجة فقال نعم قال ما هي قال ان لا تراني ولا اراك **وقال** رجل لسهل اريد ان اصحبك فقال اذا مات احدنا فمن يصحب الاخر فليصحبه الان وقيل للفضيل ان عليا ابنك يقول لوددت اني في مكان ارى الناس ولا يروني فبكى الفضيل وقال يا ويح علي افلا اتمها فقال لا اراهم ولا يروني **وقال** الفضيل من سخافة عقل الرجل كثرة معارفه وقال ابن عباس رضي الله عنه افضل المجالس مجلس في قعر بيتك لا ترى ولا ترى فهذه اقاويل المائلين الى العزلة

ذكر حجج المائلين الى المخالطة ووجه ضعفها احتج هؤلاء بقوله تعالى ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا وبقوله فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا امتن على الناس بالسبب المؤلف وهذا ضعيف لان المراد به تفرق الارا واختلاف

المذاهب في معاني كتاب الله واصول الشريعة والمراد بالالفة نزع الغوائل من الصدور وهي الاسباب
المثيرة للفتن المحركة للخصومات والعزلة لا تنافي ذلك واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم المؤمن
مالوف ولا خير فيمن لا يالف ولا يولف وهذا ايضا ضعيف فانه اشارة الى مذمة سوء الخلق الذي
تمتنع بسببه المؤالفة ولا يدخل تحته الحسن الخلق الذي ان خالط الف والف ولكنه ترك
المخالطة اشتغالا بنفسه وطلبا للسلامة من غيره واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم من
شق عصا المسلمين والمسلمون في اسلام دامج فقد خلع ربقة الاسلام وهذا ضعيف لان
المراد به الجماعة التي اتفقت اراؤهم على امام بعقد البيعة فالخروج عليهم بغي وذلك مخالفة
بالراي وخروج عليهم وذلك محظور لاضطرار الخلق الى امام مطاع يجمع رايهم ولا يكون ذلك
الا بالبيعة من الاكثر فالمخالفة فيه تشويش مثير للفتنة فليس في هذا تعرض للعزلة
واحتجوا بنهيه صلى الله عليه وسلم عن الهجر فوق ثلاث اذ قال من هجر اخاه فوق ثلاث فمات دخل
النار وقال لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث والسابق يدخل الجنة وقال من هجر اخاه سنة فهو
كسافك دمه قالوا والعزلة هجرة بالكلية وهذا ضعيف لان المراد به الغضب على الناس واللجاج
فيه بقطع الكلام والسلام والمخالطة المعتادة فلا يدخل فيه ترك المخالطة اصلا من غير
غضب مع ان الهجر فوق ثلاث جائز في موضعين احدهما ان يرى فيه استصلاحا للمهجور في
الزيادة والثاني ان يرى لنفسه سلامة فيه والنهي وان كان عاما فهو محمول على ما وراء الموضعين
بدليل ما روي عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم هجرها ذا الحجة والمحرم وبعض
صفر وروي عن عمر رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم اعتزل نساءه وآلى منهن شهرا وصعد
الى غرفة له وهي خزانته فلبث فيها تسعا وعشرين وروت عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاثة ايام الا ان يكون ممن لا تؤمن بوائقه فهذا صريح في
التخصيص وعلى هذا ينزل قول الحسن رحمه الله عليه حيث قال هجران الاحمق قربة الى الله تعالى فان
ذلك يدوم الى الموت اذ الحماقة لا ينتظر علاجها وذكر عند محمد بن عمر الواقدي رجل هجر رجلا
حتى مات فقال هذا شيء قد تقدم فيه قوم سعد بن ابي وقاص كان مهاجرا لعبد الرحمن بن عوف
وعائشة كانت مهاجرة لحفصة وكان طاوس مهاجرا لوهب بن منبه حتى مات وكل ذلك يحمل
على رؤيتهم سلامتهم في المهاجرة واحتجوا بما روي ان رجلا اتى الجبل ليتعبد فيه فجيء به الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعل انت ولا احد منكم لصبر احدكم في بعض مواطن الاسلام
خير من عبادة احدكم اربعين عاما والظاهر ان هذا انما كان لما فيه من ترك الجهاد مع شدة وجوبه
في ابتداء الاسلام بدليل ما روي عن ابي هريرة انه قال غزونا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فمررنا
بشعب فيه عيينة طيبة الماء فقال واحد من القوم لو اعتزلت الناس في هذا الشعب ولن افعل
ذلك حتى اذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم لا تفعل فان مقام احدكم في سبيل
الله خير من صلاته في اهله ستين عاما الا تحبون ان يغفر الله لكم وتدخلوا الجنة اغزوا في سبيل الله فانه
من قاتل في سبيل الله فواق ناقة ادخله الله الجنة احتجوا بما روي معاذ بن جبل انه صلى الله
عليه وسلم قال ان الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم ياخذ القاصية والناحية والشاذة اياكم
والشعاب وعليكم بالعامة والجماعة والمساجد وهذا انما اراد به من اعتزل قبل تمام العلم وسياتي

ان ذلك منهي عنه الا لضرورة **ذكر حجج المائلين** الى تفضيل العزلة احتجوا بقوله حكاية عن
ابرهيم عليه السلام واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعو ربي الاية ثم قال تعالى فلما اعتزلهم وما يعبدون
من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا اشارة الى ان ذلك ببركة العزلة وهذا
ضعيف لان مخالطة الكفار لا فائدة فيها الا دعوتهم الى الدين وعند الياس عن اجابتهم فلا وجه
الا هجرهم وانما الكلام في مخالطة المسلمين وما فيها من البركة اذ روي انه صلى الله عليه وسلم قيل له الوضوء
من جرة مخمرة احب اليك او من هذه المطاهر التي يتطهر بها الناس فقال بل من هذه المطاهر التماسا
لبركة ايدي المسلمين وروي انه لما طاف بالبيت عدل الى زمزم ليشرب منها فاذا التمر المنقع في
الحياض الادم قد مغثه الناس بايديهم وهم يتناولون منه ويشربون فاستسقى منه فقال
العباس ان هذا النبيذ شراب قد مغث وخيض بالايدي افلا ايتك بشراب انظف من هذا
من جرة مخمرة في البيت فقال اسقوني من هذا الذي يشرب منه الناس التمس بركة ايدي المسلمين
فشرب منه فاذن كيف يستدل باعتزال الكفار والاصنام على اعتزال المسلمين مع كثرة البركة فيهم
واحتجوا ايضا بقوله تعالى عن موسى عليه السلام وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون وانه فزع الى العزلة
عند الياس منهم وقال تعالى في اصحاب الكهف واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فاووا
الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته امرهم بالعزلة وقد اعتزل نبينا صلى الله عليه وسلم قريشا لما اذوه
وجفوه ودخل الشعب وامر اصحابه باعتزالهم والهجرة الى ارض الحبشة ثم تلاحقوا به في المدينة
بعد ان اعلى الله كلمته وهذا ايضا اعتزال عن الكفار عند الياس منهم فانه صلى الله عليه وسلم
لم يعتزل المسلمين ولا من توقع اسلامه من الكفار واهل الكهف لم يعتزل بعضهم بعضا وهم مؤمنون
وانما اعتزلوا الكفار وانما النظر في العزلة من المؤمنين واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم لعبد
الله بن عامر الجهني لما قال يا رسول الله ما النجاة قال ليسعك بيتك وامسك عليك دينك وابك
على خطيئتك وروي انه قيل له صلى الله عليه وسلم اي الناس افضل فقال مؤمن مجاهد بنفسه وماله
في سبيل الله قيل ثم من قال رجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره **وقال**
صلى الله عليه وسلم ان الله يحب العبد التقي النقي الخفي وفي الاحتجاج بهذه الاحاديث نظر فاما
قوله عليه الصلاة والسلام لعبد الله بن عامر لا يمكن تنزيله الا على ما عرفه صلى الله عليه وسلم بنور
النبوة من حاله وان لزوم البيت كان اليق به واسلم من المخالطة فانه لم يامر جميع الصحابة
بذلك ورب شخص تكون سلامته في العزلة لا في المخالطة كما قد تكون سلامته في القعود في البيت
وان لا يخرج الى الجهاد وذلك لا يدل على ان ترك الجهاد افضل وفي مخالطة الناس مجاهدة
ومقاساة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الذي يخالط الناس ويصبر على اذاهم وعلى هذا ينزل
قوله عليه السلام رجل معتزل يعبد ربه ويدع الناس من شره فهذا اشارة الى شرير بطبعه تتأذى
الناس بمخالطته وقوله ان الله يحب التقي النقي الخفي اشارة الى ايثار الخمول وتوقي الشهرة وذلك لا يتعلق
بالعزلة فكم من راهب معتزل يعرفه كافة الناس وكم من مخالط خامل لا ذكر له ولا شهرة فهذا تعرض لامر
لا يتعلق بالعزلة **احتجوا** بما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه الا انبئكم بخير الناس قالوا
بلى قال فاشار بيده نحو المغرب فقال رجل اخذ بعنان فرسه في سبيل الله ينتظر ان يغير او يغار
عليه الا انبئكم بخير الناس بعده واشار بيده نحو الحجاز وقال رجل في غنمه يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة

ويعلم حق الله في ماله اعتزل شهرا الناس فاذن ظهر ان هذه الادلة الاشفاء فيها من الجانبين فلا بد من كشف
الغطا بالتصريح بفوايد العزله وغوايلها ومقايسه بعضها بالبعض ليتبين الحق فيها ان شا الله
تعالى **الباب الثاني في فوايد** العزله وغوايلها وكشف الحق في فضلها اعلم ان اختلاف الناس في هذا
يضاهي اختلافهم في فضيلة النكاح والعزوبه وقد ذكرنا ان ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص
بحسب ما فصلناه من افات النكاح وفوايده فكذلك القول فيما نحن فيه فلنذكر اولا فوايد العزلة
وهي تنقسم الى فوايد دينيه ودنيويه والدينية تنقسم الى التمكن من تحصيل الطاعات في الخلوة
بالمواظبة على العبادة والفكر وتربية العلم والى التخلص من ارتكاب المناهي التي يتعرض الانسان
لها بالمخالطة كالريا والغيبة والسكوت عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع من
الاخلاق الرديه والاعمال الخبيثة من الجلسا السو واما الدنيوية فتنقسم الى التمكن من التحصيل
بالخلوة كتمكن المحترف بالخلوة والى التخلص من محذورات يتعرض لها بالمخالطة كالنظر الى زهرة
الدنيا واقبال الخلق عليها وطمعه في الناس وطمع الناس فيه وانكشاف ستر مروته بالمخالطة والتأذي
بسو خلق الجليس في مرايه او سو ظنه او نميمته او محاسدته او التأذي بثقله وتشويه خلقته
فالى هذا يرجع مجامع فوايد العزله فلنحصرها في ست فوايد **الفايدة الاولى** الفراغ للعبادة والفكر
والاستيناس بمناجاة الله تعالى عن مناجاة الخلق والاشتغال باستكشاف اسرار الله في امر الدنيا
والاخرة وملكوت السموات والارض فان ذلك يستدعي فراغا ولا فراغ مع المخالطة فالعزلة وسيلة
اليه ولهذا قال بعض الحكما لا يتمكن احد من الخلوة الا بالتمسك بكتاب الله عز وجل والمتمسكون بكتاب
الله هم الذين استراحوا من الدنيا بذكر الله الذاكرين لله عاشوا بذكر الله وماتوا بذكر الله ولقوا الله بذكر
الله ولا شك ان هولا تمنعهم المخالطة عن الفكر والذكر فالعزلة اولى بهم ولذلك كان صلى الله
عليه وسلم في ابتدا امره يتبتل في جبل حرا ويعتزل اليه حتى قوي فيه نور النبوة فكان الخلق لا يحجبه عن
الله فكان ببدنه مع الخلق وبقلبه مقبلا على الله تعالى حتى كان الناس يظنون ان ابا بكر رضي الله عنه
خليله فاخبر عن استغراق همه بالله تعالى فقال لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم
خليل الله تعالى ولن يتسع للجمع بين مخالطة الخلق ظاهرا والاقبال على الله تعالى سرا الا قوة النبوة فلا ينبغي
ان يغتر كل ضعيف بنفسه فيطمع في ذلك ولا يبعد ان تنتهي درجة بعض الاوليا اليه فقد نقل
عن الجنيد انه قال انا اكلم الله منذ ثلثين سنة والناس يظنون اني اكلمهم وهذا انما يتيسر
للمستغرق في حب الله استغراقا لا يبقى لغيره فيه متسع وذلك غير منكر ففي المشتهرين بحب الخلق
من يخالط الناس ببدنه وهو لا يدري ما يقول وما يقال له لفرط عشقه لمحبوبه بل الذي دهمه ملمة
تشوش عليه امرا من امور دنياه فقد يستغرقه الهم بحيث يخالط الناس ولا يحس بهم ولا يسمع اصواتهم
لشدة استغراقه وامر الاخرة اعظم عند العقلا فلا يستحيل ذلك فيه ولكن الاولى بالاكثرين الاستعانة
بالعزلة ولذلك قيل لبعض الحكما ما الذي ارادوا بالخلوة واختيار العزلة فقال يستدعون بذلك دوام
الفكرة وتثبيت العلوم في قلوبهم ليحيوا حياة طيبة ويذوقوا حلاوة المعرفة وقيل لبعض الرهبان
ما اصبرك على الوحدة فقال ما انا وحدي انا جليس الله تعالى اذا شيت ان يناجيني قرات كتابه
واذا شيت ان اناجيه صليت وقيل لبعض الحكما الى اي شي افضى بهم الزهد والخلوة فقال الى
الانس بالله وقال سفيان بن عيينة لقيت ابرهيم بن ادهم في بلاد الشام فقلت له يا ابرهيم تركت

خراسان فقال ما تهنات بالعيش الا ههنا افر بديني من شاهق الى شاهق فمن يراني يقول موسوس او
حمال او ملاح وقيل لغزوان الرقاشي هبك لا تضحك فما يمنعك من مجالسة اخوانك **قال اني**
اصيب راحة قلبي في مجالسة من عنده حاجتي وقيل للحسن يا ابا سعيد ههنا رجل لم نره قط الا
جالسا وحده خلف سارية فقال الحسن اذا رايتموه فاخبروني به فنظروا اليه ذات يوم فقالوا
للحسن هذا الرجل الذي اخبرناك به واشاروا اليه فمضى اليه الحسن وقال يا عبد الله قد
حببت اليك العزلة فما يمنعك من مجالسة الناس فقال امر شغلني عن الناس فقال فما يمنعك
ان تاتي هذا الرجل الذي يقال له الحسن فتجلس اليه فقال امر شغلني عن الناس وعن الحسن فقال
له الحسن وما ذاك الشغل يرحمك الله قال اني اصبح وامسي بين نعمة وذنب فرايت ان اشغل
نفسي بشكر الله على النعمة والاستغفار من الذنب فقال له الحسن انت يا عبد الله افقه عندي
من الحسن فالزم ما انت عليه وقيل بينما اويس القرني جالس اذ اتاه هرم بن حيان فقال له اويس
ما جاء بك قال جيت لانس بك فقال اويس ما كنت ارى احدا يعرف ربه فيانس بغيره وقال
الفضيل اذا رايت الليل مقبلا فرحت به وقلت اخلو بربي واذا رايت الصبح ادركني استرجعت كراهية
لقا الناس وان يجي من يشغلني عن ربي وقال عبد الواحد بن زيد طوبى لمن عاش في الدنيا وعاش
في الاخرة قيل له وكيف ذلك قال يناجي الله في الدنيا ويجاوره في الاخرة وقال ذو النون المصري سرور
المومن ولذته في الخلوة بمناجاة ربه وقال مالك بن دينار من لم يانس بمحادثة الله عز وجل عن محادثة
المخلوقين فقد قل علمه وعمي قلبه وضيع عمره وقال ابن المبارك ما احسن حال من انقطع الى الله عز وجل
ويروى عن بعض الصالحين انه قال بينما انا اسير في بعض بلاد الشام اذا انا بعابد خارج من
بعض تلك الجبال فلما نظر الي تنحى الى اصل شجرة وتستر بها فقلت سبحان الله تبخل علي بالنظر
اليك فقال يا هذا اني اقمت في هذا الجبل دهرا طويلا اعالج قلبي في الصبر عن الدنيا واهلها
فطال في ذلك تعبي وفني فيه عمري فسالت الله عز وجل ان لا يجعل حظي من ايامي في مجاهدة
قلبي فسكنه الله عن الاضطراب والف الوحدة والانفراد فلما نظرت اليك خفت ان اقع في
الامر الاول فاليك عني فاني اعوذ من شرك برب العالمين وحبيب القانتين ثم صاح واغماه من
طول المكث في الدنيا ثم حول وجهه ثم نفض يديه وقال اليك عني يا دنيا لغيري فتزيني واهلك
فغري ثم قال سبحان من اذاق قلوب العارفين من لذة الخدمة وحلاوة الانقطاع اليه ما الهى
قلوبهم عن ذكر الجنان وعن الحور الحسان فادنى في الخلوة انس بذكر الله واستكنا من معرفة الله
في ذلك قيل **شعر** واني لاستغشي وما بي غشية ۞ لعل خيالا منك يلقى خياليا ۞ واخرج من بين الجلوس
لعلني احدث عنك النفس بالسر خاليا ۞ ولذلك قال بعض الحكما انما يستوحش الانسان من نفسه لخلو
ذاته عن الفضيلة فيكثر حينيذ ملاقاة الناس ويطرد الوحشة عن نفسه فاذا كانت ذاته فاضلة
طلب الوحدة ليستعين بها على الفكرة ويستخرج العلم والحكمة وقد قيل الاستيناس بالناس من
علامات الافلاس فاذا هذه فايدة جزيلة ولكن في حق بعض الخواص ومن يتيسر له بدوام الذكر الانس
بالله او بدوام الفكر التحقق في معرفة الله فالتجرد له افضل من كل ما يتعلق بالمخالطة فان غاية العبادات
وثمرة المعاملات ان يموت الانسان محبا لله عارفا بالله ولا محبة الا بالانس الحاصل بدوام الذكر ولا
معرفة الا بدوام الفكر وفراغ القلب شرط كل واحد منهما ولا فراغ مع المخالطة **الفايدة الثانية**

التخلص بالعزلة عن المعاصي التي يتعرض الانسان لها غالبا بالمخالطة ويسلم منها في الخلوة وهي اربعة
الغيبة والريا والسكوت عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع من الاخلاق الردية
والاعمال الخبيثة التي توجبها الحرص على الدنيا **اما الغيبة** فاذا عرفت في كتاب آفات اللسان
من ربع المهلكات وجوهها عرفت ان التحرز عنها مع المخالطة عظيم لا ينجو منها الا الصديقون
فان عادة الناس كافة التمضمض باعراض الناس والتفكه بها والتنقل بحلاوتها فهي طعمتهم
ولذتهم واليها يستروحون من وحشتهم في الخلوة فان خالطتهم ووافقتهم اثمت وتعرضت
لسخط الله وان سكت كنت شريكا والمستمع احد المغتابين وان انكرت ابغضوك وتركوا ذلك
المغتاب واغتابوك فازدادوا غيبة الى الغيبة وربما زادوا على الغيبة وانتهوا الى الاستخفاف
والشتم واما الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو من اصول الدين وهو واجب كما سياتي بيانه
في آخر هذا الربع ان شاء الله تعالى ومن خالط الناس فلا يخلو عن مشاهدة المنكرات فان سكت عصى
الله به وان انكر تعرض لانواع من الضرر اذ ربما يجره طلب الخلاص منها الى معاصي هي اكبر مما نهى عنه ابتدا
وفي العزلة خلاص من هذا فان الامر فيه عظيم والقيام به شاق وقد قام ابو بكر رضي الله عنه
خطيبا وقال ايها الناس انكم تقرؤون هذه الآية يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل
اذا اهتديتم وانكم تضعونها في غير موضعها واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا راى
الناس المنكر فلم يغيروه اوشك ان يعمهم الله بعقاب وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله
ليسال العبد حتى يقول له ما منعك اذ رايت المنكر في الدنيا ان تنكره فاذا لقن الله عبدا حجته قال يا رب
رجوتك وخفت الناس وهذا اذا خاف من ضرب او من كلام لا يطاق ومعرفة حدود ذلك مشكل وفيه
خطر وفي العزلة خلاص وفي الامر بالمعروف اثارة للخصومات وتحريك لغوائل الصدور كما **قيل**
وكم سقت في آثاركم من نصيحة وقد يستفيد البغضة المتنصح ومن جرب الامر بالمعروف ندم عليه غالبا
فانه كجدار مائل يريد الانسان ان يقيمه فيوشك ان يسقط عليه فاذا سقط عليه يقول ليتني
تركته مائلا نعم لو وجد اعوانا امسكوا الحائط حتى يحكمه بدعامة استقام وانت اليوم لا تجد الاعوان
فدعهم وانج براسك **واما الريا فهو** الداء العضال الذي يعسر على الاوتاد والابدال الاحتراز
عنه وكل من خالط الناس داراهم ومن داراهم راياهم ومن راياهم وقع فيما وقعوا فيه وهلك كما هلكوا واقل ما يلزم
فيه النفاق فانك ان خالطت متعادين ولم تلق كل واحد منهما بوجه يوافقه صرت بغيضا اليهما
جميعا وان جاملتهما كنت من شرار الناس **قال** صلى الله عليه وسلم تجدون من شرار الناس
ذا الوجهين الذي ياتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه واقل ما يجب في مخالطة الناس اظهار الشوق والمبالغة
فيه ولا يخلو ذلك عن كذب اما في الاصل واما في الزيادة واظهار الشفقة بالسؤال عن الاحوال
فقولك كيف انت وكيف اهلك وانت في الباطن فارغ القلب من همومه نفاق محض **قال**
سري السقطي لو دخل علي اخ لي فسويت لحيتي بيدي لدخوله خشيت ان اكتب في جريدة المنافقين
وكان الفضيل رحمه الله جالسا وحده في المسجد فجاء اليه اخ له فقال ما جاء بك قال المؤانسة
بالله قال هي والله بالمواحشة اشبه هل تريد الا ان تتزين لي واتزين لك وتكذب لي واكذب
لك اما ان تقوم عني او اقوم عنك وقال بعض العلما ما احب الله عبدا الا احب ان لا يشعر به ودخل
طاوس على الخليفة هشام فقال كيف انت يا هشام فغضب عليه وقال لم لم تخاطبني بامرة المؤمنين

فقال لان جميع المسلمين ما اتفقوا على خلافتك فخشيت ان اكون كاذبا فمن امكنه ان يحترز هذا
الاحتراز فليخالط الناس والا فليرض باثبات اسمه في جريدة المنافقين فقد كان السلف يتلاقون
ويحترزون في قولهم كيف اصبحت وكيف حالك وفي الجواب عنه وكان سؤالهم عن احوال الدين
لا عن الدنيا قال حاتم الاصم لحامد اللفاف كيف انت في نفسك قال سالم معافى فكره حاتم جوابه
فقال يا حامد السلامة من وراء الصراط والعافية في الجنة وكان
اذا قيل لعيسى عليه السلام كيف اصبحت قال لا املك تقديم ما ارجو ولا استطيع دفع ما احاذر
واصبحت مرتهنا بعملي والخير كله في يد غيري فلا فقير افقر مني وكان الربيع بن خثيم اذا قيل
له كيف اصبحت قال اصبحنا ضعفاء مذنبين نستوفي ارزاقنا وننتظر آجالنا وكان ابو الدردا
اذا قيل له كيف اصبحت يقول اصبحت اشكر ذا الى ذا واذم ذا الى ذا وافر من ذا الى ذا وقيل
لاويس القرني كيف اصبحت فقال كيف يصبح رجل اذا امسى لا يدري انه يصبح واذا اصبح لا يدري
انه يمسي وقيل لمالك بن دينار كيف اصبحت قال اصبحت في عمر ينقص وذنوب تزيد وقيل لبعض
الحكما كيف اصبحت فقال اصبحت لا ارضى حياتي لمماتي ولا ارضى نفسي لربي وقيل لحكيم كيف
اصبحت فقال اصبحت آكل رزق ربي واطيع عدوه ابليس وقيل لمحمد بن واسع كيف اصبحت قال ما
ظنك برجل يرتحل كل يوم الى الآخرة مرحلة وقيل لحامد اللفاف كيف اصبحت قال اصبحت اشتهي
عافية يوم الى الليل فقيل له الست في عافية كل الايام فقال العافية يوم لا اعصي الله فيه وقيل
لرجل وهو يجود بنفسه ما حالك فقال وما حال من يريد سفرا بعيدا بلا زاد ويدخل قبرا موحشا
بلا مونس وينطلق الى ملك عدل بلا حجة وقيل لحسان بن سنان ما حالك قال ما حال من يموت
ثم يبعث ثم يحاسب وقال ابن سيرين لرجل كيف حالك فقال وما حال من عليه خمسمائة درهم
دينا وهو معيل فدخل ابن سيرين منزله فاخرج له الف درهم فدفعها اليه وقال خمسمائة اقض بها
دينك وخمسمائة عد بها على عيالك ولم يكن عنده غيرها ثم قال والله لا اسال احدا عن
حاله ابدا وانما فعل ذلك لانه خشي ان يكون سؤاله من غير اهتمام بامره فيكون به مرائيا منافقا فقد
كان سؤالهم عن امور الدين واحوال القلب في معاملة الله تعالى وان سالوا عن امور الدنيا فعن
اهتمام وعزم على القيام بما يظهر لهم من الحاجة وقال بعضهم اني لاعرف اقواما كانوا لا يتلاقون ولو حكم
احدهم على صاحبه بجميع ما يملكه لم يمنعه واري الآن اقواما يتلاقون ويتساءلون حتى عن الدجاجة
في البيت ولو انبسط احدهم لحبة من مال صاحبه لمنعه فهل هذا الا مجرد الريا والنفاق وآية ذلك
انك ترى هذا يقول كيف انت ويقول الآخر كيف انت فالسائل لا ينتظر الجواب والمسؤول يشتغل
بالسؤال ولا يجيب وذلك لمعرفتهم بان ذلك عن ريا وتكلف ولعل القلوب لا تخلو عن ضغائن
واحقاد والالسنة تنطلق بالسؤال قال الحسن انما كانوا يقولون السلام عليكم اذا سلمت والله
القلوب فاما الآن فكيف اصبحت عافاك الله كيف انت اصلحك الله فان اخذنا بقولهم كانت بدعة
لا كرامة فان شاءوا غضبوا علينا وان شاءوا لا وانما قال ذلك لان البداية بقول كيف اصبحت بدعة
وقال رجل لابي بكر بن عياش كيف اصبحت فما اجابه وقال دعونا من هذه البدعة وقال انما حدث
هذا في زمان الطاعون الذي كان يدعى طاعون عمواس بالشام من الموت الذريع كان الرجل يلقاه اخاه
غدوة فيقول كيف اصبحت من الطاعون ويلقاه عشية فيقول كيف امسيت والمقصود ان

الا النادر فى غالب العادات ليس يخلو عن انواع من التصنع والريا والنفاق وكل ذلك مذموم بعضه
محظور وبعضه مكروه وفى العزلة الخلاص من ذلك فان من لقى الخلق ولم يخالقهم باخلاقهم
مقتوه واستثقلوه واغتابوه وتشمروا لايذائه فيذهب دينهم فيه ويذهب دينه ودنياه فى الانتقام
منهم واما مسارقة الطبع لما يشاهده من اخلاق الناس واعمالهم فهو داء دفين قلما يتنبه له
العقلا فضلا عن الغافلين فلا يجالس الانسان فاسقا مدة مع كونه منكرا عليه فى باطنه الا ولو قاس
نفسه الى ما قبل مجالسته ادرك بينهما تفرقة فى النفرة عن الفساد واستثقاله اذ يصير الفساد
بكثرة المشاهدة هينا على الطبع ويسقط وقعه واستعظامه عنه وانما الوازع عنه شدة
وقعه فى القلب فاذا صار مستصغرا بطول المشاهدة اوشك ان تنحل القوة الوازعة ويذعن
الطبع للميل اليه او لما دونه ومهما طالت مشاهدته للكباير من غيره استحقر الصغاير من نفسه
ولذلك يزدري الناظر الى الاغنيا نعمة الله عليه فتؤثر مجالستهم فى ان يستصغر ما عنده
وتؤثر مجالسة الفقرا فى استعظام ما اتيح له من النعم فكذلك النظر الى المطيعين والعصاة هذا
تاثيره فى الطبع فمن يقصر نظره على ملاحظة احوال الصحابة والتابعين فى العبادة والتنزه
عن الدنيا فلا يزال ينظر الى نفسه بعين الاستصغار والى عبادته بعين الاستحقار ومادام يرى
نفسه مقصرا فلا يخلو عن داعية الاجتهاد رغبة فى الاستكمال واستتماما للاقتدا ومن
نظر الى الاحوال الغالبة على اهل الزمان واعراضهم عن الله واقبالهم على الدنيا واعتيادهم المعاصي
استعظم امر نفسه بادنى رغبة فى الخير يصادفها فى قلبه وذلك هو الهلاك ويكفى فى تغيير الطبع
مجرد سماع الخير والشر فضلا عن مشاهدته وبهذه الدقيقة تعرف سر قوله صلى الله عليه وسلم عند
ذكر الصالحين تنزل الرحمة فانما الرحمة دخول الجنة ولقا الله تعالى وليس ينزل عند الذكر عين
ذلك ولكن سببه وهو انبعاث الرغبة من القلب وحركة الحرص على الاقتدا بهم والاستنكاف
مما هو ملابس له من القصور والتقصير ومبدا الرحمة فعل الخير ومبدا فعل الخير الرغبة ومبدا
الرغبة ذكر احوال الصالحين فهذا معنى نزول الرحمة والمفهوم من فحوى هذا الكلام عند الفطن
كالمفهوم من نظمه وهو ان عند ذكر الفاسقين تنزل اللعنة لان كثرة ذكرهم يهون على الطبع امر
المعاصي واللعنة هو البعد ومبدا البعد من الله هو المعاصي والاعراض عن الله بالاقبال
على الحظوظ العاجلة والشهوات الحاضرة لا على الوجه المشروع ومبدا المعاصي سقوط ثقلها
وتفاحشها عن القلب ومبدا سقوط ذلك وقوع الانس بها بكثرة السماع واذا كان هذا حال ذكر حال
الصالحين والفاسقين فما ظنك بمشاهدتهم بل قد صرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث
قال مثل الجليس السو كمثل الكير ان لم يحرقك بشرره علق بك من ريحه فكما ان الريح يعلق بالثوب ولا
يشعر بها فكذلك يسهل الفساد على القلب وهو لا يشعر به **فقال عليه السلام** مثل الجليس
الصالح مثل صاحب المسك ان لا يهب لك منه تجد ريحه ولهذا اقول من عرف من عالم زلة حرم عليه
حكايتها لعلتين احديهما انها غيبة والثانية وهي اعظمها ان حكايتها تهون على المستمعين
امر تلك الزلة ويسقط من قلوبهم استعظامهم الاقدام عليها فيكون ذلك سببا لتهوين تلك
المعصية فانهم مهما وقع عليها فاستنكر ذلك دفعوا الاستنكار وقالوا كيف نستبعد هذا منا وكلنا
مضطرون الى مثله حتى العلما والعباد ولو اعتقدوا ان مثل ذلك لا يقدم عليه عالم ولا يتعاطاه

موفق معتبر لشق عليهم الاقدام فكم من شخص يتكالب على الدنيا ويحرص على جمعها ويتهالك
على حب الرياسة وتزيينها ويهون على نفسه قبحها بان الصحابة رضي الله عنهم لم ينزهوا
عن حب الرياسة وربما يستشهد بقتال علي ومعاوية رضي الله عنهما ويخمن فى نفسه ان
ذلك لم يكن لطلب الحق بل لطلب الرياسة فهذا الاعتقاد خطا يهون عليه امر الرياسة
ولوازمها من المعاصي والطبع اللئيم يميل الى اتباع الهفوات والاعراض عن الحسنات
بل الى تقدير الهفوة فيما لا هفوة فيه بالتنزيل على مقتضى الشهوة ليتعلل به وهو من دقايق
مكايد الشيطان ولذلك وصف الله تعالى المراغمين للشيطان فيها بقوله الذين يستمعون
القول فيتبعون احسنه وضرب صلى الله عليه وسلم لذلك مثلا فقال مثل الذي يجلس يستمع
الحكمة لا يحمل الا شر ما يسمع كمثل رجل اتى راعيا فقال له يا راعي اجزرني شاة من غنمك فقال
اذهب فخذ خير شاة فيها فذهب فاخذ باذن كلب الغنم وكل من ينقل هفوات الايمة فهذا
مثاله ايضا ومما يدل على سقوط وقع الشي عن القلب بسبب تكرره ومشاهدته ان اكثر الناس
اذا راوا مسلما افطر فى نهار رمضان استبعدوه استبعادا يكاد يفضي الى اعتقاد كفره وقد
يشاهدون من يخرج الصلوات عن اوقاتها فلا تنفر عنه طباعهم كنفرتهم من تاخير الصوم مع
ان صلاة واحدة يقتضي تركها الكفر عند قوم وحز الرقبة عند قوم وترك صوم رمضان كله
لا يقتضيه ولا سبب له الا ان الصلاة تتكرر والتساهل فيها مما يكثر فيسقط وقعها بالمشاهدة
عن القلب وكذلك لو لبس الفقيه ثوبا من حرير او خاتما من ذهب او شرب من انا فضة استبعدته
النفوس واشتد انكارها وقد يشاهد فى مجلس طويل لا يتكلم الا بما هو اغتياب للناس ولا يستبعد
منه ذلك والغيبة اشد من الزنا فكيف لا تكون اشد من لبس الحرير ولكن كثرة سماع الغيبة
ومشاهدة المغتابين اسقط عن القلوب وقعها وهون على النفوس امرها فتفطن لهذه الدقايق
وفر من الناس فرارك من الاسد فانك لا تشاهد منهم الا ما يزيد فى حرصك على الدنيا وغفلتك عن
الاخرة ويهون عليك المعصية ويضعف رغبتك فى الطاعة فان وجدت جليسا يذكرك بالله
صورته وسيرته فالزمه ولا تفارقه واغتنمه ولا تستحقره فانها غنيمة العاقل وضالة المومن
وتحقق ان الجليس الصالح خير من الوحدة وان الوحدة خير من الجليس السو ومهما فهمت هذه
المعاني ولاحظت طبعك والتفت الى حال من اردت مخالطته لم يخف عليك ان الاولى التباعد
عنه بالعزلة او التقرب اليه بالمخالطة واياك ان تحكم مطلقا على العزلة او المخالطة بان
احديهما اولى اذ كل مفصل فاطلاق القول فيه بلا او نعم خلف محض ولا حق فى المفصل الا
التفصيل **الفايدة الثالثة** الخلاص من الفتن والخصومات وصيانة الدين والنفس
عن الخوض فيها والتعرض لاخطارها وقل ما تخلو البلاد عن تعصبات وفتن وخصومات فالمعتزل
عنهم فى سلامة من ذلك قال عبد الله بن عمرو بن العاص لما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ووصفها اذ رايت الناس قد مرجت عهودهم وخفت اماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين اصابعه
فقلت ما تامرني فقال الزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك
بامر الخاصة ودع عنك امر العامة وروى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه انه صلى الله عليه
وسلم قال يوشك ان يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعاب الجبال ومواقع القطر يفر بدينه

من الفتن وروى عبد الله بن مسعود انه صلى الله عليه وسلم قال سيأتي على الناس زمان لا يسلم لذي
دين دينه الا من فر بدينه من قرية الى قرية ومن شاهق الى شاهق ومن جحر الى جحر كالثعلب الذي يروغ
قيل ومتى ذلك يا رسول الله قال اذا لم تنل المعيشة الا بمعاصي الله فاذا كان ذلك الزمان حلت
العزوبة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وقد امرتنا بالتزويج قال اذا كان ذلك الزمان كان هلاك
الرجل على يدي ابويه فان لم يكن له ابوان فعلى يدي زوجته وولده فان لم يكن فعلى يدي قرابته
قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال يعيرونه بضيق اليد فيتكلف ما لا يطيق حتى يورده
ذلك موارد الهلكة وهذا الحديث وان كان في العزوبة فالعزلة مفهومة منها اذ لا يستغني
المتأهل عن المعيشة والمخالطة ثم لا ينال المعيشة الا بمعصية الله ولسنا نقول هذا اوان
ذلك الزمان فلقد كان هذا باعصار قبل هذا العصر ولاجله قال سفيان الثوري والله لقد
حلت العزلة وقال ابن مسعود ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتنة وايام الهرج قلت وما
الهرج قال حين لا يأمن الرجل جليسه قلت فبم تأمرني ان ادركت ذلك الزمان قال كف لسانك و
يدك وادخل دارك قال قلت يا رسول الله ارأيت ان دخل علي داري قال فادخل بيتك قال فان
دخل علي بيتي قال فادخل مسجدك واصنع هكذا وقبض على الكوع وقل ربي الله حتى تموت وقال
سعد لما دعي الى الخروج ايام معاوية فقال لا الا ان تعطوني سيفا له عينان بصيرتان ولسان ينطق
بالكافر فاقتله وبالمؤمن فاكف عنه وقال مثلنا ومثلكم كمثل قوم كانوا على محجة بيضاء فبيناهم كذلك
يسيرون اذ هاجت ريح عجاجة فضلوا الطريق فالتبس عليهم فقال بعضهم الطريق ذات اليمين
فاخذوا فيها فتاهوا وضلوا وقال بعضهم الشمال فاخذوا فيها فتاهوا وضلوا واناخ آخرون و
توقفوا حتى ذهبت الريح وتبين الطريق فسافروا فاعتزل سعد وجماعة فارقوا الفتن ولم يخالطوا الا بعد زوال
الفتن وعن ابن عمر رضي الله عنه انه لما بلغه ان الحسين رضي الله عنه توجه الى العراق فلحقه على مسيرة
ثلاثة ايام فقال له اين تريد قال العراق واذا معه طوامير وكتب فقال هذه كتبهم وبيعتهم
فقال لا تنظر الى كتبهم ولا تأتهم فأبى فقال اني محدثك حديثا ان جبريل اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فخيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة على الدنيا وانك بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم
والله لا يليها احد منكم ابدا وما صرفها عنكم الا للذي هو خير لكم فأبى ان يرجع فاعتنقه ابن عمر وبكى
وقال استودعك الله من قتيل وكان في الصحابة عشرة آلاف فما خف ايام الفتنة اكثر من
اربعين رجلا وجلس طاوس في بيته فقيل له في ذلك فقال فساد الزمان وحيف الائمة ولما بنى
عروة قصره بالعقيق لزمه فقيل له لزمت القصر وتركت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
رأيت مساجدكم لاهية واسواقكم لاغية والفاحشة في فجاجكم عالية وفيما هناك عما انتم
فيه عافية فاذن الحذر من الخصومات ومثارات الفتن احدى فوائد العزلة **الفائدة الرابعة**
الخلاص من شر الناس فانهم يؤذونك مرة بالغيبة ومرة بسوء الظن والتهمة ومرة بالاقتراحات والاطماع
الكاذبة التي يعسر الوفاء بها وتارة بالنميمة او الكذب فربما يرون منك من الاعمال والاقوال ما لا
تبلغ عقولهم كنهه فيتخذون ذلك ذخيرة عندهم يدخرونها لوقت تظهر فيه فرصة للشر
فاذا اعتزلتهم استغنيت عن التحفظ عن جميع ذلك ولذلك قال بعض الحكماء لغيره اعلمك
بيتين خير من عشرة آلاف درهم فقال ما هما فقال شعر اخفض الصوت ان نطقت بليل والتفت

بالنهار قبل المقال ليس للقول رجعة حين يبدو بقبيح يكون او بجمال ولا شك ان من اختلط
بالناس وشاركهم في اعمالهم لم ينفك عن حاسد وعدو يسيء الظن به ويتوهم انه يستعد لمعاداته
ونصب المكيدة عليه وتدسيس غائلة وراءه فالناس مهما اشتد حرصهم على امر يحسبون
كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم وقد اشتد حرصهم على الدنيا فلا يظنون بغيرهم الا الحرص عليها
قال المتنبي اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم وعادى محبيه بقول
عداته واصبح في ليل من الشك مظلم وقد قيل معاشرة الاشرار تورث سوء الظن بالاخيار وانواع
الشر التي يلقاها الانسان من معارفه وممن يختلط به كثيرة ولسنا نطول بتفصيلها وفيما ذكرناه اشارة
الى مجامعها وفي العزلة خلاص من جميعها والى هذا اشار الاكثر ممن اختار العزلة قال ابو الدرداء اخبر تقله
وقال الشاعر من حمد الناس ولم يبلهم ثم بلاهم ذم من يحمد وصار بالوحدة مستأنسا يوحشه
الاقرب والابعد وقال عمر رضي الله عنه في العزلة راحة من خليط السوء وقيل لعبد الله بن الزبير
الا تأتي المدينة فقال ما بقي فيها الا حاسد نعمة او فرح بنقمة وقال ابن السماك كتب صاحب لنا اما بعد
فان الناس كانوا دواء يتداوى بهم فصاروا داء لا دواء له ففر منهم فرارك من الاسد وكان بعض
الاعراب يلازم شجرة ويقول هو نديم فيه ثلاث خصال ان سمع مني لم ينم علي وان تفلت في وجهه
احتمل وان عربدت عليه لم اسلم من الوحدة ولا اوعظ من قبر ولا جليسا امتع من دفتر وقال
الحسن اردت الحج فسمع ثابت البناني وكان ايضا من اولياء الله فقال بلغني انك تريد الحج فاحببت
ان نصطحب فقال له الحسن ويحك دعنا نتعايش بستر الله عز وجل اني اخاف ان نصطحب فيرى بعضنا
من بعض ما نتماقت عليه وهذه اشارة الى فائدة اخرى في العزلة وهو بقاء الستر على الدين والمروءة
والاخلاق والفقر وسائر العورات وقد مدح الله سبحانه المستترين فقال يحسبهم الجاهل
اغنياء من التعفف وقال الشاعر ولا عار ان زالت عن الحر نعمة ولكن عارا ان يزول التجمل ولا
يخلو الانسان في دينه ودنياه واخلاقه وافعاله عن عورات الاولى في الدين والدنيا سترها ولا يبقى
السلامة مع انكشافها وقال ابو الدرداء كان الناس ورقا لا شوك فيه فالناس اليوم شوك لا
ورق فيه واذا كان هذا حكم زمانه وهو في اواخر القرن الاول فلا ينبغي ان يشك في ان الاخير شر
وقال سفيان بن عيينة قال لي سفيان الثوري في اليقظة في حياته وفي المنام بعد موته اقلل من
معرفة الناس فان التخلص منهم شديد ولا احسب اني رأيت ما اكره الا ممن عرفت وقال بعضهم
جئت الى مالك بن دينار وهو قاعد وحده واذا كلب قد وضع حنكه على ركبته فذهبت اطرده فقال
دعه يا هذا هذا لا يضر ولا يؤذي وهو خير من الجليس السوء وقيل لبعضهم ما حملك على ان تعتزل
الناس فقال خشيت ان اسلب ديني ولا اشعر وهذا اشارة الى مسارقة الطبع من اخلاق القرين
السوء وقال ابو الدرداء اتقوا الله واحذروا الناس فانهم ما ركبوا ظهر بعير الا ادبروه ولا ظهر جواد الا
عقروه ولا قلب مؤمن الا خربوه وقال بعضهم اقلل المعارف فانه اسلم لدينك وقلبك واخف لسقوط
الحقوق عنك لانه كلما كثرت المعارف كثرت الحقوق وعسر القيام بالجميع وقال بعضهم انكر من
تعرف ولا تتعرف الى من لا تعرف **الفائدة الخامسة** ان ينقطع طمع الناس عنك وينقطع طمعك
عن الناس فاما انقطاع طمع الناس عنك ففيه كل الجدوى فان رضى الناس غاية لا تدرك فاشتغال المرء
باصلاح نفسه اولى ومن اهون الحقوق وايسرها حضور الجنازة وعيادة المريض وحضور الولائم ولا

مالكات وفيها تضييع الاوقات والتعرض للآفات ثم قد يعوق عن بعضها عائق ويستقبل فيها معاذير ولا يمكن اظهار كل الاعذار فيقولون قمت بحق فلان وقصرت في حقي ويصير ذلك سبب عداوة فقد قيل من لم يعد مريضا في وقت العيادة اشتهى موته خيفة من تخجيله اذا صح على تقصيره ومن عم الناس كلهم بالحرمان رضوا كلهم ولو خصص استوحشوا وتعميمهم بجميع الحقوق لا يقدر عليه المتجرد له طول الليل والنهار فكيف من له مهم يشغله في دين او دنيا قال عمرو بن العاص كثرة الاصدقاء كثرة الغرماء وقال ابن الرومي عدوك من صديقك مستفاد فلا تستكثرن من الصحاب فان الداء اكثر ما تراه يكون من الطعام والشراب وقال الشافعي رحمه الله اصل كل عداوة اصطناع المعروف الى اللئام واما انقطاع طمعك عنهم فهو ايضا فائدة جزيلة فان من نظر الى زهرة الدنيا وزينتها تحرك حرصه وانبعث بقوة الحرص طمعه ولا يرى الا الخيبة في اكثر الاطماع فيتأذى بذلك ومهما اعتزل لم يشاهد واذا لم يشاهد لم يشته ولم يطمع ولذلك قال تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم وقال صلى الله عليه وسلم انظروا الى من هو دونكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فانه اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم وقال عون بن عبد الله كنت اجالس الاغنياء فلم ازل مغموما كنت ارى ثوبا احسن من ثوبي ودابة احسن من دابتي فجالست الفقراء فاسترحت وحكي ان المزني رحمه الله خرج من باب جامع الفسطاط وقد اقبل ابن عبد الحكم في موكبه فبهره ما رأى من حاله وحسن هيئته فتلا قوله تعالى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون ثم قال بلى اصبر وارضى وكان رحمه الله عليه فقيرا مقلا فالذي في بيته لا يبتلى بمثل هذه الفتن فان من شاهد زينة الدنيا فاما ان يقوى دينه ويقينه فيصبر فيحتاج الى ان يتجرع مرارة الصبر وهو امر من الصبر او تنبعث رغبته فيحتال في طلب الدنيا فيهلك هلاكا مؤبدا اما في الدنيا فبالطمع الذي يخيب في اكثر الاوقات فليس كل من يطلب الدنيا يتيسر له واما في الآخرة فبايثاره متاع الدنيا على ذكر الله تعالى والتقرب اليه ولذلك قال ابن الاعرابي اذا كان باب الذل من جانب الغنى سموت الى العلياء من جانب الفقر اشارة الى ان الطمع يوجب في الحال ذلا

الفائدة السادسة الخلاص من مشاهدة الثقلاء والحمقى ومقاساة حمقهم واخلاقهم فان رؤية الثقيل هي العمى الاصغر قيل للاعمش مم عمشت عينك قال من النظر الى الثقلاء ويحكى انه دخل عليه ابو حنيفة رحمه الله فقال في الخبر ان من سلب الله كريمتيه عوضه عنهما ما هو خير منهما فما الذي عوضك فقال في معرض المطايبة عوضني عنهما ان كفاني رؤية الثقلاء وانت منهم وقال ابن سيرين سمعت رجلا يقول نظرت الى ثقيل مرة فغشي علي وقال جالينوس لكل شيء حمى وحمى الروح النظر الى الثقلاء وقال الشافعي رحمة الله عليه ما جالست ثقيلا الا وجدت الجانب الذي يليه من بدني كانه اثقل علي من الجانب الآخر وهذه الفوائد ما سوى الاوليين متعلقة بالمقاصد الدنيوية الحاضرة ولكنها تتعلق ايضا بالدين فان الانسان مهما تأذى برؤية ثقيل لم يأمن ان يغتابه وان يستنكر ما هو صنع الله واذا تأذى من غيره بغيبة او سوء ظن او محاسدة او نميمة او غير ذلك لم يصبر عن مكافاته وكل ذلك يجر الى فساد الدين وفي العزلة سلامة عن جميع ذلك فليفهم

آفات العزلة اعلم ان من المقاصد الدينية والدنيوية ما يستفاد من الاستعانة بالغير ولا يحصل ذلك الا بالمخالطة فكل ما يستفاد بالمخالطة يفوت بالعزلة وفواته من آفات العزلة فانظر الى فوائد المخالطة والدواعي اليها ما هي وهي التعليم والتعلم والنفع والانتفاع والتأديب والتأدب والاستيناس والايناس ونيل الثواب

وانالته في القيام بالحقوق واعتياد التواضع واستفادة التجارب من مشاهدة الاحوال والاعتبار بها فلنفصل ذلك فانها من فوائد المخالطة وهي سبعة

الفائدة الاولى التعليم والتعلم وقد ذكرنا فضلهما في كتاب العلم وهما اعظم العبادات في الدنيا ولا يتصور ذلك الا بالمخالطة الا ان العلوم كثيرة وعن بعضها مندوحة وبعضها ضروري في الدنيا فالمحتاج الى التعلم لما هو فرض عليه عاص بالعزلة وان تعلم الفرض وكان لا يتأتى منه الخوض في العلوم ورأى الاشتغال بالعبادة فليعتزل وان كان يقدر على التبرز في علوم الشرع والعقل فالعزلة في حقه قبل التعلم غاية الخسران ولهذا قال النخعي وغيره تفقه ثم اعتزل ومن اعتزل قبل التعلم فهو في الاكثر مضيع اوقاته بنوم او فكر في هوس وغايته ان يستغرق الاوقات باوراد يستوعبها فلا ينفك في اعماله بالبدن والقلب عن انواع من الغرور يخيب سعيه ويبطل عمله من حيث لا يدري ولا ينفك في اعتقاده في الله وصفاته عن اوهام يتوهمها ويأنس بها وعن خواطر فاسدة تعتريه فيها فيكون في اكثر احواله ضحكة للشيطان وهو يرى نفسه من العباد فالعلم هو اصل الدين فلا خير في عزلة العوام والجهال اعني من لا يحسن العبادة في الخلوة ولا يعرف جميع ما يلزم فيها فمثال النفس مثال مريض يفتقر الى طبيب متلطف ليعالجه فالمريض الجاهل اذا خلا بنفسه عن الطبيب قبل ان يتعلم الطب تضاعف لا محالة مرضه فلا تليق العزلة الا بالعالم واما التعليم ففيه ثواب عظيم مهما صحت نية المعلم والمتعلم ومهما كان القصد اقامة الجاه والاستكثار بالاصحاب والاتباع فهو هلاك الدين وقد ذكرنا وجه ذلك في كتاب العلم وحكم العالم في هذا الزمان ان يعتزل ان اراد سلامة دينه فانه لا يرى مستفيدا يطلب فائدة لدينه بل لا طالب الا لكلام مزخرف يستميل به العوام في معرض الوعظ او لجدال معقد يتوصل به الى افحام الاقران ويتقرب به الى السلطان ويستعمل في معرض المنافسة والمباهاة واقرب علم مرغوب فيه المذهب ولا يطلب غالبا الا للتوصل الى التقدم على الامثال وتولي الولايات واجتلاب الاموال وهؤلاء كلهم يقتضي الدين والحزم الاعتزال عنهم فان صودف طالب لله ومتقرب بالعلم الى الله فاكبر الكبائر الاعتزال عنه وكتمان العلم منه وهذا لا يصادف في بلد كبير اكثر من واحد او اثنين ان صودف ولا ينبغي ان يغتر الانسان بقول سفيان تعلمنا العلم لغير الله فابى العلم ان يكون الا لله فان الفقهاء يتعلمون العلم لغير الله ثم يرجعون الى الله وانظر الى اواخر اعمار الاكثرين منهم واعتبرهم انهم ماتوا وهم هلكى على طلب الدنيا ومتكالبون عليها او راغبون عنها وزاهدون فيها وليس الخبر كالمعاينة واعلم ان العلم الذي اشار اليه سفيان الثوري هو علم الحديث وتفسير القرآن ومعرفة سير الانبياء والصحابة فان فيها التخويف والتحذير وهو سبب لاثارة الخوف من الله فان لم يؤثر في الحال اثر في المآل فاما الكلام والفقه المجرد الذي يتعلق بفتاوى المعاملات وفصل الخصومات المذهب منه والخلاف لا يرد الراغب فيه للدنيا الى الله بل لا يزال متماديا في حرصه الى آخر عمره ولعل ما اودعناه هذا الكتاب ان تعلمه المتعلم رغبة في الدنيا فيجوز ان يرخص فيه اذ يرجى ان يرتدع في آخر عمره فانه مشحون بالتخويف بالله والترغيب في الآخرة والتحذير من الدنيا وذلك مما يصادف في الاحاديث وتفسير القرآن ولا يصادف في كلام ولا خلاف ولا في مذهب فلا ينبغي ان يخادع الانسان نفسه فان المعظم العام المتعصب اسعد حالا من الجاهل المتزهد المتجاهل المغبون وكل عالم اشتد حرصه على التعليم يوشك ان يكون غرضه القبول والجاه وحظه تلذذ النفس في الحال باستشعار الادلال على الجهال والتكبر عليهم فآفة العلم الخيلاء

كما قاله صلى الله عليه وسلم ولذلك حكي عن بشر رحمه الله انه دفن سبعة عشر قمطرا من كتب الاحاديث
التي سمعها وكان لا يحدث ويقول اني اشتهي ان احدث فلذلك لا احدث ولو اشتهيت ان لا
احدث لحدثت ولذلك قال حدثنا باب من الدنيا واذا قال الرجل حدثنا فانما يقول اوسعوا لي
وقالت رابعة العدوية لسفيان الثوري نعم الرجل انت لولا رغبتك في الدنيا قال وفيماذا رغبت
قالت في الحديث ولذلك قال ابو سليمان الداراني من تزوج او كتب الحديث او اشتغل بالسفر
فقد ركن الى الدنيا وهذه افات قد نبهنا عليها في كتاب العلم والحزم الاحتراز بالعزلة وترك
الاستكثار من الاصحاب ما امكن بل الذي يطلب الدنيا بتدريسه وتعليمه فالصواب له ان
كان عاقلا في هذا الزمان ان يتركه فلقد صدق ابو سليمان الخطابي حيث قال دع الراغبين في
صحبتك والتعلم منك فليس لك منهم مال ولا جمال اخوان العلانية اعداء السر اذا لقوك تملقوك
واذا غبت عنهم سلقوك من اتاك منهم كان عليك رقيبا واذا خرج كان عليك خطيبا اهل
نفاق ونميمة وغل وخديعة فلا تغتر باجتماعهم عليك فما غرضهم العلم بل الجاه والمال
وان يتخذوك سلما الى اوطارهم وحمارا في حاجاتهم ان قصرت في غرض من اغراضهم كانوا اشد
اعدائك ثم يعدون ترددهم عليك دالة عليك ويرونه حقا واجبا لديك ويفرضون ان تبذل عرضك
وجاهك ودينك لهم فتعادي عدوهم وتنصر قريبهم وخادمهم ووليهم وتنتصب لهم سفيها وقد
كنت فقيها وتكون لهم تابعا خسيسا بعد ان كنت متبوعا رئيسا ولذلك قيل اعتزال العامة
مروءة تامة فهذا معنى كلامه وان خالف بعض الفاظه وهو حق وصدق فانك ترى المدرسين
في رق دائم وتحت حق لازم ومنة ثقيلة ممن يتردد اليهم فكأنه يهدي تحفة اليه ويرى حقه واجبا
عليه وربما لا يختلف اليه ما لم يتكفل برزق له على الادرار ثم المدرس المسكين قد يعجز عن
القيام بذلك من ماله فلا يزال يتردد الى ابواب السلاطين ويقاسي الذل والشدائد مقاساة
الذليل المهين حتى يكتب له على بعض وجوه السحت مال حرام ثم لا يزال العامل يسترقه و
يستخدمه ويمتهنه ويستذله الى ان يسلم اليه ما يقدره نعمة مستأنفة من عنده عليه ثم يبقى
في مقاساة القسمة على اصحابه ان سوى بينهم مقته المميزون ونسبوه الى الحمق وقلة التمييز
والقصور عن درك مصارفات الفضل والقيام في مقادير الحقوق بالعدل وان فاوت بينهم
سلقه السفهاء بالسنة حداد وثاروا عليه ثوران الاساود والاساد فلا يزال في مقاساتهم في الدنيا
وفي مظالم ما يأخذه ويفرقه في العقبى والعجب انه مع هذا البلاء كله يمني نفسه بالاباطيل
ويدليه بحبل الغرور ويقول له لا تفتر عن صنيعك فانما انت بما تفعله مريد به وجه الله ومذيع
شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم وناشر علم دين الله وقائم بكفاية طلاب العلم من عباد الله واموال
السلاطين لا مالك لها وهي مرصدة للمصالح واي مصلحة اكبر من تكثير اهل العلم فبهم يظهر الدين
ويتقوى اهله ولو لم يكن ضحكة للشيطان لعلم بادنى تامل ان فساد الزمان لا سبب له الا كثرة
امثال اولئك الفقهاء الذين ياكلون ما يجدون ولا يميزون بين الحلال والحرام فتلحظهم
اعين الجهال ويستجرئون على المعاصي باستجرائهم اقتداء بهم واقتفاء لاثارهم ولذلك قيل ما فسدت
الرعية الا بفساد الملوك وما فسدت الملوك الا بفساد العلماء فنعوذ بالله من الغرور والعمى فانه الداء
الذي ليس له دوا **الفائدة الثانية** النفع والانتفاع اما الانتفاع بالناس فبالكسب والمعاملة

وذلك لا يتأتى الا بالمخالطة والمحتاج اليه مضطر الى ترك العزلة فيقع في جهاد من المخالطة
ان طلب موافقة الشرع فيه كما ذكرناه في كتاب الكسب وان كان معه مال لو اكتفى به قانعا
لاقنعه فالعزلة افضل له اذا انسدت طرق المكاسب في الاكثر الا من المعاصي الا ان يكون غرضه
الصدقة فاذا اكتسب من وجهه وتصدق به فهو افضل من العزلة للاشتغال بالنافلة
وليس بافضل من العزلة للاشتغال بالتحقق في معرفة الله ومعرفة علوم الشرع ولا من الاقبال بكنه
الهمة على الله والتجرد به لذكر الله اعني من حصل له انس بمناجاة الله عن كشف وبصيرة لا عن اوهام
وخيالات فاسدة واما النفع فهو ان ينفع الناس اما بماله او ببدنه فيقوم بحاجاتهم على سبيل الحسبة
ففي النهوض بقضاء حوائج المسلمين ثواب وذلك لا ينال الا بالمخالطة ومن قدر عليها مع القيام
بحقوق الشرع فهو افضل له من العزلة ان كان لا يشتغل في عزلته الا بنوافل الصلوات والاعمال
البدنية وان كان ممن انفتح له طريق العمل بالقلب بدوام ذكر او فكر فذلك لا يعدل به غيره البتة
الفائدة الثالثة التأديب والتأدب ونعني به الارتياض بمقاساة الناس والمجاهدة
في تحمل اذاهم كسرا للنفس وقهرا للشهوات وهي من الفوائد التي تستفاد بالمخالطة وهي افضل من العزلة
في حق من لم تتهذب بعد اخلاقه ولم تذعن لحدود الشرع شهواته ولهذا انتدب خدام الصوفية
في الرباطات فيخالطون الناس بخدمتهم واهل السوق للسؤال منهم كسرا لرعونة النفس و
استمدادا من بركة دعاء الصوفية المنصرفين بهممهم الى الله وكان هذا هو المبدأ في الاعصار
الخالية والان قد خالطته الاغراض الفاسدة ومال ذلك عن القانون كما مالت سائر شعائر الدين فصار
يطلب من التواضع بالخدمة التكثر بالاستتباع والتذرع الى جمع المال والاستظهار بكثرة
الاتباع فان كانت النية هذه فالعزلة خير منه ولو الى القبر وان كانت النية رياضة النفس فهو خير
من العزلة في حق المحتاج الى الرياضة وذلك مما يحتاج اليه في بداية الارادة فبعد حصول الارتياض
ينبغي ان يفهم ان الدابة لا تطلب من رياضتها عين رياضتها بل المراد منها ان تتخذ مركبا
يقطع به المراحل ويطوى به ظهر الطريق والبدن مطية القلب يركبها ليسلك بها طريق الاخرة
وفيها شهوات ان لم يكسرها جمحت به في الطريق فمن اشتغل طول عمره بالرياضة كان كمن اشتغل
طول عمر الدابة برياضتها ولم يركبها فلا يستفيد منها الا الخلاص في الحال من عضها ورفسها ورمحها
وهي لعمري فائدة مقصودة ولكن مثلها حاصل من البهيمة الميتة والدابة تراد لفائدة تحصل من
حياتها فكذلك الخلاص عن الم الشهوات في الحال يحصل بالنوم والموت فلا ينبغي ان يقنع بها
كالراهب الذي قيل له يا راهب فقال ما انا براهب انما انا كلب حبست نفسي حتى لا اعقر الناس
وهذا حسن بالاضافة الى من يعقر ولكن لا ينبغي ان يقتصر عليه فان من قتل نفسه ايضا لم يعقر الناس
بل ينبغي ان يتشوف الى الغاية المقصودة بها ومن فهم ذلك واهتدى الى الطريق وقدر على السلوك
استبان له ان العزلة اعون عليه من المخالطة فالافضل لمثل هذا الشخص المخالطة اولا والعزلة
اخرا واما التأديب فانما نعني به ان يروض غيره وهو حال شيخ الصوفية معهم فانه لا يقدر على
تهذيبهم الا بمخالطتهم وحاله حال المعلم وحكمه حكمه ويتطرق اليه من دقائق الافات والرياء ما
يتطرق الى نشر العلم الا ان مخايل طلب الدنيا من المريدين الطالبين للارتياض ابعد منها من
طلبة العلم ولذلك يرى فيهم قلة وفي طلبة العلم كثرة فينبغي ان يقيس ما يتيسر له من الخلوة

بما يلتبس له من المخالطة وتهذيب القوم وليقابل احدهما بالاخر وليوثر الافضل وذلك يدرك بدقيق
الاجتهاد ويختلف بالاحوال والاشخاص فلا يمكن الحكم عليه مطلقا بنفي ولا اثبات الفائدة الرابعة
الاستيناس والايناس وهو غرض من يحضر الولايم والدعوات ومواضع المعاشرة والانس وهذا يرجع الى
حظ النفس في الحال وقد يكون ذلك على وجه مباح وقد يستحب ذلك لاجل الدين وذلك فيمن
يستانس بمشاهدة احواله واقواله في الدين كالانس بالمشايخ الملازمين لسمت التقوى وقد
يتعلق بحظ النفس ويستحب اذا كان الغرض منه ترويح القلب لتهييج دواعي النشاط في العبادة فان
القلوب اذا اكرهت عميت ومهما كان في الوحدة وحشة وفي المجالسة انس يروح القلب فهي اولى
اذ الرفق في العبادة من حزم العبادة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان الله لا يمل حتى تملوا وهذا
امر لا يستغنى عنه فان النفس لا تألف الحق على الدوام ما لم تروح وفي تكليفها الملازمة تنفير
ومن شاد هذا الدين غلبه فان الدين متين والايغال فيه برفق داب المستبصرين ولذلك
قال ابن عباس رضي الله عنه لولا مخافة الوسواس لم اجالس الناس وقال مرة لدخلت الى
بلاد لا انيس بها وهل يفسد الناس الا الناس فلا يستغني المعتزل اذا عن رفيق يستانس بمشاهدته
ومحادثته في اليوم والليلة ساعة فليجتهد في طلب من لا يفسد في ساعته تلك عليه سائر
ساعاته وقد قال صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر من يخالل وليحرص ان يكون حديثه
عند اللقاء في امور الدين وحكاية احوال القلب وشكواه وقصوره عن الثبات على الحق والاهتداء الى الرشد
ففي ذلك متنفس ومتروح للنفس وفيه مجال رحب لكل مشغول باصلاح نفسه فانه لا ينقطع
شكواه ولو عمر اعمارا طويلة والراضي عن نفسه مغرور قطعا فهذا النوع من الاستيناس في بعض اوقات
النهار ربما يكون افضل من العزلة في حق بعض الاشخاص فليتفقد فيه احوال القلب واحوال الجليس
اولا ثم ليجالس الفائدة الخامسة في نيل الثواب وانالته اما النيل فبحضور الجنائز وعيادة
المرضى وحضور العيدين اما حضور الجمعة فلا بد منه وحضور الجماعة في ساير الصلوات ايضا لا
رخصة في تركه الا بخوف ضرر ظاهر يقاوم ما يفوت من فضيلة الجماعة ويزيد عليه وذلك لا يتفق
الا نادرا وكذلك في حضور الاملاكات والدعوات ثواب من حيث انه ادخال سرور على قلب مسلم
واما انالته فهو ان يفتح الباب ليعوده الناس او ليعزوه في المصائب او يهنئوه على النعم فانهم ينالون
به ثوابا وكذلك اذا كان من العلماء واذن لهم في الزيارة نالوا ثواب الزيارة وكان هو بالتمكين سببا
فيه فينبغي ان يزن ثواب هذه المخالطات بافاتها التي ذكرناها وعند ذلك قد ترجح المخالطة
فقد حكي عن جماعة من السلف مثل مالك وغيره ترك اجابة الدعوات وعيادة المرضى وحضور الجنائز
بل كانوا احلاس بيوتهم لا يخرجون الا الى الجمعة وزيارة القبور وبعضهم فارق الامصار وانحاز الى قلل
الجبال تفرغا للعبادة وفرارا من الشواغل الفائدة السادسة من المخالطة التواضع فانه من
افضل المقامات ولا يقدر عليه في الوحدة وقد يكون الكبر سببا في اختيار العزلة فقد روي في الاسرائيليات
ان حكيما من الحكماء صنف ثلثمائة وستين مصحفا في الحكمة حتى ظن انه قد نال عند الله منزلة فاوحى
الله الى نبيه قل لفلان انك قد ملأت الارض نفاقا وانك لم تردني من ذلك بشيء فتخلى و
انفرد في سرب تحت الارض وقال الان قد بلغت محبة ربي فاوحى الله الى نبيه قل له انك لن تبلغ رضاي
قال فدخل الاسواق وخالط العامة وجالسهم وواكلهم واكل الطعام بينهم ومشى في الاسواق

معهم فاوحى الله اليه الان قد بلغت رضاي فكم من معتزل في بيته وباعثه التكبر ومانعه عن المحافل
ان لا يوقر ولا يقدم او يرى الترفع عن مخالطتهم ارفع لمحله وابقى لطراوة ذكره بين الناس وقد يعتزل
خيفة من ان يظهر مقابحه لو خالط فلا يعتقد فيه الزهد والاشتغال بالعبادة فيتخذ من البيت
سترا على مقابحه ابقاء على اعتقاد الناس في زهده وتعبده من غير استغراق وقت في الخلوة بذكر او فكر
وعلامة هولاء انهم يحبون ان يزاروا ولا يحبون ان يزوروا ويفرحون بتقرب العوام والسلاطين اليهم
واجتماعهم على ابوابهم وطرقهم وتقبيلهم ايديهم على سبيل التبرك ولو كان الاشتغال بنفسه
هو الذي يبغض اليه المخالطة وزيارة الناس لبغض اليه زيارة الناس له كما حكيناه عن الفضيل حيث
قال وهل جئتني الا لتتزين لي وتتزين لك وعن حاتم الاصم اذ قال للامير الذي زاره وحاجتي ان لا اراك
ولا تراني فمن ليس مشغولا مع نفسه بذكر الله فاعتزاله عن الناس سببه شدة اشتغاله بالناس
لان قلبه متجرد للالتفات الى نظرهم اليه بعين الوقار والاحترام والعزلة بهذا السبب جهل من وجوه
احدها ان التواضع والمخالطة لا تنقص من منصب من هو كبير بعلمه او دينه اذ كان علي كرم الله وجهه
يحمل التمر والملح في ثوبه ويده ويقول لا ينقص الكامل من كماله ما جر من نفع الى عياله وكان ابو هريرة
وحذيفة وابي وابن مسعود يحملون حزم الحطب وجراب الدقيق وغيره على ظهورهم وكان ابو هريرة
يقول وهو وال والحطب على راسه طرقوا لاميركم وكان سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم يشتري الشيء فيحمله
الى بيته بنفسه فيقول له صاحبه اعطني احمله فيقول صاحب المتاع احق بحمله وكان الحسين بن علي رضي الله
عنهما يمر بالسؤال وبين ايديهم كسر فيقولون هلم الى الغداء يا ابن رسول الله فكان يجلس على الطريق ويأكل معهم
ثم يركب ويقول ان الله لا يحب المستكبرين الوجه الثاني ان الذي شغل نفسه بطلب رضا الناس
عنه وتحسين اعتقادهم فيه مغرور لانه لو عرف حق المعرفة علم ان الخلق لا يغنون عنه من الله شيئا وان
ضره ونفعه بيد الله فلا نافع ولا ضار سواه وان من طلب رضا الناس ومحبتهم بسخط الله سخط الله عليه
واسخط عليه الناس بل رضا الناس غاية لا تدرك فرضا الله اولى بالطلب ولذلك قال الشافعي رحمه
الله عليه ليونس بن عبد الاعلى والله ما اقول لك الا نصحا انه ليس الى السلامة من الناس سبيل فانظر
ما يصلحك فافعله ولذلك قيل من راقب الناس مات غما وفاز باللذة الجسور ونظر سهل الى رجل من
اصحابه وقال لا ينال عبد حقيقة من هذا الامر حتى يكون باحد وصفين عبد يسقط الناس من عينه فلا يرى
في الدنيا الا خالقه وان احدا لا يقدر ان يضره ولا ينفعه وعبد سقطت نفسه من قلبه فلا يبالي باي
حال يرونه قال الشافعي رحمه الله ليس من احد الا وله محب ومبغض فاذا كان هكذا فكن مع اهل طاعة الله
وقيل للحسن يا ابا سعيد ان قوما يحضرون مجلسك ليس بغيتهم الا تتبع سقطات كلامك وتعنيتك
في السؤال فتبسم وقال هون على نفسك فاني حدثت نفسي بسكنى الجنان ومجاورة الرحمن فطمعت وما حدثت
نفسي بالسلامة من الناس لاني قد علمت ان خالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم لم يسلم منهم
وقال موسى عليه السلام يا رب احبس عني السنة الناس فقال يا موسى هذا شيء لم اصطفه لنفسي فكيف افعله
واوحى الله تعالى الى العزير ان لم تطب نفسا بان اجعلك علكا في افواه الماضغين لم اكتبك عندي من المتواضعين
فاذا من حبس نفسه في البيت ليحسن اعتقاد الناس فيه واقوالهم فهو في عناء حاضر في الدنيا ولعذاب الاخرة
اكبر لو كانوا يعلمون فاذن لا تستحب العزلة الا لمستغرق الاوقات بربه ذكرا وعبادة او علما بحيث لو خالط
الناس لضاعت اوقاته او كثرت افاته وتشوشت عليه عبادته فهذه غوائل خفية في اختيار العزلة فينبغي

ان يتوقى فانها مهلكات في صورة منجيات **الفائدة السابعة** التجارب فانها تستفاد من مخالطة
الخلق ومجاري احوالهم والعقل الغريزي ليس كافيا في تفهيم مصالح الدين والدنيا وانما تفيدها
التجربة والممارسة ولا خير في عزلة من لم تحنكه التجارب فالصبي اذا اعتزل بقي غمرا جاهلا بل
ينبغي ان يشتغل بالتعلم ويحصل له في مدة التعلم ما يحتاج اليه من التجارب ومن اهم التجارب
ان يجرب نفسه واخلاقه وصفات باطنه وذلك لا يقدر عليه في الخلوة فان كل مجرب بالخلاء
يسر وكل غضوب او حقود او حسود اذا خلا ونفسه لم يترشح منه خبثه وهذه الصفات مهلكات
في انفسها يجب اماطتها وقهرها ولا يكفي تسكينها بالتباعد عما يحركها فمثال القلب المشحون
بهذه الخبائث مثال دمل ممتلئ بالقيح والمدة وقد لا يحس صاحبه بالمه ما لم يتحرك او يمسه غيره
فان لم يكن له يد تمسه او عين تبصر صورته ولم يكن معه من يحركه ربما ظن بنفسه السلامة ولم يشعر
بالدمل في نفسه واعتقد فقده ولكن لو حركه محرك او اصابه مشرط حجام لانفجر منه القيح وفار
فوران الشيء المختنق اذا حبس عن الاسترسال فكذلك القلب المشحون بالبخل والحقد والغضب
والحسد وسائر الاخلاق الذميمة انما تتفجر منه خبائثه اذا حرك وعن هذا كان السالكون لطريق
الاخرة الطالبون لتزكية القلوب يجربون انفسهم فمن كان يستشعر في نفسه كبرا كان يحمل قربة
ماء على ظهره بين الناس او حزمة حطب على راسه ويتردد في الاسواق ليجرب به نفسه فان غوائل
النفس ومكايد الشيطان خفية قل من يتفطن لها ولذلك حكي عن واحد انه قال اعدت صلاة
ثلاثين سنة مع اني كنت اصليها في الصف الاول ولكن تخلفت يوما بعذر فما وجدت موضعا في
الصف الاول فوقفت في الصف الثاني فوجدت نفسي تستشعر خجلة من نظر الناس الي وقد سبقت
بالصف الاول فعلمت ان جميع صلواتي كانت مشوبة بالرياء ممزوجة بلذة نظر الناس الي ورؤيتهم
اياي في زمرة السابقين الى الخير فالمخالطة لها فائدة ظاهرة في استخراج الخبائث واظهارها و
لذلك قيل السفر يسفر عن الاخلاق فانه نوع من المخالطة دائمة وستاتي غوائل هذه المعاني ودقائقها
في ربع المهلكات فان بالجهل بها يحبط العمل الكثير وبالعلم بها يزكو العمل القليل ولولا ذلك
ما فضل العلم على العمل اذ يستحيل ان يكون العلم بالصلاة ولا يراد الا للصلاة افضل من الصلاة
فانا نعلم ان ما يراد لغيره فذلك الغير اشرف منه وقد قضى الشرع بتفضيل العالم على العابد حتى
قال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي فمعنى تفضيل العلم
يرجع الى ثلاثة اوجه احدها ما ذكرناه والثاني عموم نفعه اذ يتعدى فائدته والعمل لا يتعدى
والثالث ان يراد به العلم بالله وصفاته وافعاله فذلك افضل من كل عمل بل مقصود الاعمال
صرف القلوب عن الخلق الى الخالق لتنبعث بعد الانصراف اليه لمعرفته ومحبته فالعمل وعلم العمل
مرادهما لهذا العلم وهذا العلم غاية المريدين والعمل كالشرط له واليه الاشارة بقوله تعالى اليه يصعد
الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فالكلم الطيب هو هذا العلم والعمل كالحمال الرافع له الى مقصده
فيكون المرفوع افضل من الرافع وهذا كلام معترض لا يليق بهذا الكلام فلنرجع الى المقصود فنقول
اذا عرفت فوائد العزلة وغوائلها تحققت ان الحكم عليها مطلقا بالتفضيل نفيا واثباتا خطأ
بل ينبغي ان ينظر الى الشخص وحاله والى الخليط وحاله والى الباعث على مخالطته والى الفائت بسبب
مخالطته من هذه الفوائد المذكورة ويقاس الفائت بالحاصل فعند ذلك يتبين الحق ويتضح الافضل

وكلام الشافعي رحمة الله عليه هو فصل الخطاب اذ قال يا يونس الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة
والانبساط اليهم مجلبة لقرناء السوء فكن بين المنبسط والمنقبض فلذلك يجب الاعتدال في
المخالطة والعزلة ويختلف ذلك بالاحوال وبملاحظة الفوائد والآفات يتبين الافضل هذا هو الحق
الصراح وكل ما ذكر سوى هذا فهو قاصر وانما هو اخبار كل واحد عن حالة خاصة هو فيها فلا يجوز ان
يحكم بها على غيره المخالف له في الحال والفرق بين العالم والصوفي في ظاهر العلم يرجع الى هذا
وهو ان الصوفي لا يتكلم الا عن حاله فلا جرم تختلف اجوبتهم في المسائل والعالم هو الذي يدرك
الحق على ما هو عليه ولا ينظر الى حال نفسه فينكشف الحق فيه وذلك مما لا يختلف فان الحق واحد
ابدا والقاصر عن الحق كثير لا يحصى ولذلك سئل الصوفية عن الفقر فما من واحد الا واجاب بجواب
اخر وكان ذلك حقا بالاضافة الى حاله وليس بحق في نفسه اذ الحق لا يكون الا واحدا ولذلك قال
ابو عبد الله الجلاء وقد سئل عن الفقر فقال اضرب بكمك الحائط وقل ربي الله فهو الفقر **وقال**
الجنيد الفقير هو الذي لا يسال ولا يعارض وان عورض سكت **وقال** سهل بن عبد الله الفقير الذي
لا يسال ولا يدخر وقال اخر هو ان لا يكون لك فاذا كان لك لا يكون لك من حيث لم يكن لك وقال
ابراهيم الخواص هو ترك الشكوى واظهار اثر البلوى والمقصود انه لو سئل منهم مائة لسمع منهم
مائة جواب مختلفة قلما يتفق منها اثنان وذلك كله حق من وجه فانه خبر كل واحد عن حاله وما
غلب على قلبه ولذلك لا ترى اثنين منهم يثبت احدهما لصاحبه قدما في التصوف او يثني عليه
بل كل واحد يدعي انه الواصل الى الحق والواقف عليه لان اكثر ترددهم على مقتضى الاحوال التي تعرض
لقلوبهم فلا يشتغلون الا بانفسهم ولا يلتفتون الى غيرهم ونور العلم اذا اشرق احاط بالكل وكشف
الغطاء ورفع الاختلاف ومثال نظرهم ما رايته من نظر قوم في ادلة الزوال بالنظر في الظل فقال
بعضهم هو في الصيف قدمان **وحكى** عن اخر هو نصف قدم واخر يرد عليه ويقول انه في الشتاء سبعة
اقدام وحكى عن اخر انه خمسة اقدام واخر يرد عليه فهذا يشبه اجوبة الصوفية واختلافهم فان كل
واحد من هؤلاء اخبر عن ظل الذي له بلد نفسه فصدق في قوله واخطا في تخطئته صاحبه اذ ظن ان
العالم كله بلده او هو مثل بلده كما ان الصوفي لا يحكم على العالم الا بما هو حال نفسه والعالم بالزوال هو
الذي يعرف علة طول الظل وقصره وعلة اختلافه بالبلاد فيخبر باحكام مختلفة في بلاد مختلفة
ويقول في بعضها لا يبقى ظل وفي بعضها يقصر فهذا ما اردنا ان نذكره عن فضيلة العزلة والمخالطة
فان قلت انما يطول النظر في اداب المخالطة وقد ذكرناها في كتاب اداب الصحبة واما
اداب العزلة فلا يطول فينبغي للمعتزل ان ينوي بعزلته كف شر نفسه عن الناس اولا ثم طلب السلامة
من شر الاشرار ثانيا ثم الخلاص من افة القصور عن القيام بحقوق المسلمين ثالثا ثم التجرد بكنه الهمة
لعبادة الله رابعا فهذه ادابه ثم ليكن في خلوته مواظبا على العلم والعمل والذكر والفكر ليجتني
ثمرة العزلة وليمنع الناس عن ان يكثروا غشيانه وزيارته فيتشوش وقته وليكف عن السؤال عن اخبارهم
وعن الاصغاء الى اراجيف البلد وما الناس مشغولون به فان كل ذلك ينغرس في القلب حتى ينبعث
في اثناء الصلاة والفكر من حيث لا يحتسب فوقوع الاخبار بالسمع كوقوع البذر في الارض فلا بد ان
ينبت وتتفرع عروقها واغصانها ويتداعى بعضها الى البعض واحد مهمات المعتزل قطع الوساوس
الصارفة عن ذكر الله والاخبار ينابيع الوساوس واصولها وليقنع باليسير من المعيشة والا اضطر

التوسع إلى الناس واحتاج إلى مخالطتهم وليكن صبورا على ما يلقاه من أذى الجيران وليسد سمعه عن
الإصغاء إلى ما يقال فيه من ثناء عليه بالعزلة وقدح فيه بترك المخالطة فإن كل ذلك يؤثر في القلب
ولو مدة يسيرة وحال اشتغال القلب به لا بد وأن يكون واقفا عن سيره في طريق الآخرة فإن السير
إما بالمواظبة على ورد وذكر مع حضور قلب وإما بالفكر في جلال الله وصفاته وأفعاله وملكوت
سمواته وإما بالتأمل في دقائق الأعمال ومفسدات القلوب وطلب طرق التخلص منها وكل ذلك
يستدعي الفراغ والإصغاء إلى جميع ذلك مما يشوش القلب في الحال وقد يتجدد ذكره في دوام الذكر
من حيث لا ينتظر وليكن له أهل صالح أو جليس صالح لتستريح نفسه إليه في اليوم ساعة عن كد
المواظبة ففيه عون على بقية الساعات ولا يتم له الصبر في العزلة إلا بقطع الطمع عن الدنيا وما الناس
منهمكون فيه ولا ينقطع طمعه إلا بقصر الأمل بأن لا يقدر لنفسه عمرا طويلا بل يصبح على أنه لا يمسي ويمسي على
أنه لا يصبح فيسهل عليه صبر يوم ولا يسهل عليه العزم على الصبر عشرين سنة لو قدر تراخي الأجل وليكن
كثير الذكر للموت ووحدة القبر مهما ضاق قلبه من الوحدة وليتحقق أن من لم يحصل في قلبه من
ذكر الله ومعرفته ما يأنس به فلا يطيق وحشة الوحدة بعد الموت وأن من أنس بذكر الله ومعرفته فلا يزيل
الموت أنسه إذ لا يهدم الموت محل الأنس والمعرفة بل يبقى حيا بمعرفته وأنسه فرحا بفضل الله تعالى عليه
ورحمته كما قال تعالى في الشهداء ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون
فرحين بما آتاهم الله من فضله وكل متجرد لله في جهاد نفسه فهو شهيد مهما أدركه الموت فالمجاهد
من جاهد نفسه وهواه كما صرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم والجهاد الأكبر جهاد النفس كما قال صلى
الله عليه وسلم للصحابة رضي الله عنهم رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر تم كتاب العزلة
والحمد لله أولا وآخرا والصلاة على سيدنا محمد المصطفى وآله وصحبه الشرفاء وسلم تسليما كثيرا ورضي الله
عن الصحابة أجمعين يتلوه كتاب آداب السفر وهو الكتاب السابع من كتب ربع العادات من كتاب إحياء
علوم الدين للغزالي رضي الله عنه وأرضاه والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده آمين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي فتح بصائر أوليائه بالحكم والعبر واستخلص هممهم لمشاهدة عجائب صنعه
في الحضر والسفر فأصبحوا راضين بمجاري القدر منزهين قلوبهم عن التلفت إلى متنزهات البصر
إلا على سبيل الاعتبار بما يسنح في النظر ومجاري الفكر فاستوى عندهم البر والبحر والسهل والوعر والبدو
والحضر والصلاة على محمد سيد البشر وعلى آله وأصحابه المقتفين لآثاره في الأخلاق والسير
وسلم تسليما كثيرا **أما بعد** فإن السفر وسيلة إلى الخلاص عن مهروب عنه أو الوصول
إلى مطلوب مرغوب فيه والسفر سفران سفر بظاهر البدن عن المستقر والوطن إلى الصحاري والفلوات وسفر
بسير القلب عن أسفل السافلين إلى ملكوت السموات وأشرف السفرين السفر الباطن فإن الواقف على
الحالة التي نشأ عليها عقيب الولادة الجامد على ما تلقفه بالتقليد من الآباء والأجداد لازم درجة
القصور وقانع بمرتبة النقص ومستبدل بمتسع فضاء عرضه السموات والأرض ظلمة السجن وضيق
الحبس **ولم أر في عيوب الناس عيبا كنقص القادرين على التمام** إلا أن هذا السفر لما كان
مقتحما في خطب خطير لم يستغن فيه عن دليل وخفير فاقتضى غموض السبيل وفقد الخفير
والدليل وقناعة السالكين من الحظ الجزيل بالنصيب النازل القليل اندراس مسالكه فانقطع
فيه الرفاق وخلا عن الطائفين متنزهات الأنفس والملكوت والآفاق وإليه دعا الله سبحانه
وتعالى بقوله سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم وبقوله وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم
أفلا تبصرون وعلى القعود عن هذا السفر وقع الإنكار بقوله تعالى وإنكم لتمرون عليهم مصبحين
وبالليل أفلا تعقلون وبقوله تعالى وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون
فمن يسر له هذا السفر لم يزل في سيره متنزها في جنة عرضها السموات والأرض وهو مستقر في الوطن
ساكن في البدن وهو السفر الذي لا تضيق فيه المناهل والموارد ولا يضر فيه التزاحم والتوارد بل
تزيد بكثرة المسافرين غنائمه وتتضاعف ثمراته وفوائده فغنائمه دائمة غير ممنوعة وثمراته متزايدة
غير مقطوعة إلا إذا بدا للمسافر فترة في سفره ووقفة في حركته فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا
ما بأنفسهم وإذا ما زاغوا أزاغ الله قلوبهم وما الله بظلام للعبيد ولكنهم يظلمون أنفسهم
ومن لم يؤهل للجولان في هذا الميدان والطواف في متنزهات هذا البستان ربما سافر بظاهر
بدنه في مدة مديدة فراسخ معدودة مغتنما بها تجارة الدنيا أو ذخيرة للآخرة فإن كان مطلبه العلم
والدين أو الكفاية للاستعانة على الدين كان من سالكي طريق الآخرة وكان له في سفره شروط وآداب
إن أهملها كان من عمال الدنيا وأتباع الشيطان وإن واظب عليها لم يخل سفره عن فوائد تلحقه بعمال الآخرة ونحن
نذكر آدابه وشروطه في بابين إن شاء الله تعالى **الباب الأول في الآداب من أول** النهوض إلى آخر
الرجوع وفي نية السفر وفائدته وفيه فصلان الفصل الأول في فوائد السفر وفضله ونيته اعلم
أن السفر نوع حركة ومخالطة وفيه فوائد وله آفات كما ذكرناه في كتاب آداب الصحبة والعزلة والفوائد
الباعثة على السفر لا تخلو من هرب أو طلب فإن المسافر إما أن يكون له مزعج عن مقامه ولولاه لما كان
مقصد يسافر إليه وإما أن يكون له مقصد ومطلب والمهروب عنه إما أمر له نكاية في الأمور الدنيوية
كالطاعون والوباء إذا ظهر ببلد أو خوف سببه فتنة أو خصومة أو غلاء سعر وهو إما عام كما ذكرناه أو
خاص كمن يقصد بأذية في بلد فيهرب منها وإما أمر له نكاية في الدين كمن ابتلي في بلده بجاه ومال
واتساع أسباب تصده عن التجرد لله تعالى فيؤثر الغربة والخمول ويجتنب السعة والجاه أو كمن
يدعى إلى بدعة قهرا أو إلى ولاية أو عمل لا تحل مباشرته فيطلب الفرار منه وأما المطلوب فهو إما
دنيوي كالمال والجاه أو ديني والديني إما علم أو عمل والعلم إما علم من العلوم الدينية وإما علم بأخلاقه
وصفاته على سبيل التجربة وإما علم بآيات الأرض وعجائبها كسفر ذي القرنين وطوافه في نواحي
الأرض والعمل إما عبادة وإما زيارة والعبادة هي الحج والعمرة والجهاد والزيارة أيضا من القربات وقد
يقصد بها مكان كمكة والمدينة وبيت المقدس والثغور فإن الرباط بها قربة وقد يقصد بها الأولياء
والعلماء وهم إما موتى فتزار قبورهم وإما أحياء فيتبرك بمشاهدتهم ويستفاد من النظر إلى أحوالهم
قوة الرغبة في الاقتداء بهم فهذه هي أقسام الأسفار ويخرج من هذه القسمة أقسام **القسم الأول
السفر** في طلب العلم وهو إما واجب وإما نفل وذلك بحسب كون العلم واجبا أو نفلا وذلك العلم
إما علم بأمور دينه أو بأخلاقه في نفسه أو بآيات الله تعالى في أرضه وقد قال صلى الله عليه وسلم من خرج
من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله عز وجل حتى يرجع وفي خبر آخر من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله

لطريقا الى الجنة وكان سعيد بن المسيب يسافر الايام في طلب الحديث الواحد وقال الشعبي لو سافر
رجل من الشام الى اقصى اليمن في كلمة تدله على هدى ما كان سفره ضايعا **ورحل** جابر بن عبد الله من
المدينة الى مصر مع عشرة من الصحابة فساروا شهرا في حديث بلغه عن عبد الله بن انيس الانصاري
يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعه وقل مذكور في العلم محصل له من زمان الصحابة
الى زماننا الا وحصل العلم بالسفر وسافر لاجله واما علمه بنفسه واخلاقه فذلك ايضا مهم فان طريق
الاخرة لا يمكن سلوكها الا بتحسين الخلق وتهذيبه ومن لا يطلع على اسرار باطنه وخبايث صفاته لا
يقدر على تطهير القلب منها وانما السفر هو الذي يسفر عن الاخلاق ولذلك قال عمر للذي كان يعرف
بعض الشهود هل صحبته في السفر الذي يستدل به على مكارم الاخلاق فقال لا فقال ما اراك تعرفه
وكان بشر يقول يا معشر القراء سيحوا تطيبوا فان الماء اذا كثر مقامه في موضعه تغير وبالجملة
فالنفس مع مواتاة الاسباب في الوطن لا تظهر خبايث اخلاقها لاستيناسها بما يوافق طبعها من
المالوفات المعهودة فاذا حملت وعثاء السفر وصرفت عن مالوفاتها المعتادة وامتحنت بمشاق الغربة
انكشف غوايلها ووقع الوقوف على عيوبها فيمكن الاشتغال بعلاجها وقد ذكرنا في كتاب العزلة
فوايد المخالطة والسفر مخالطة مع زيادة اشتغال واحتمال مشاق فاما ايات الله في ارضه ففي
مشاهدتها فوايد للمستبصر ففيها قطع متجاورات وفيها الجبال والبوادي والبحار وانواع الحيوان والنبات
وما من شيء منها الا وهو شاهد لله بالوحدانية ومسبح له بلسان ذلق لا يدركه الا من القى السمع وهو
شهيد واما الجاحدون والغافلون والمغترون بلامع السراب من زهرة الدنيا فانهم
لا يبصرون ولا يسمعون لانهم عن السمع لمعزولون وعن ايات ربهم لمحجوبون يعلمون ظاهرا من الحيوة
الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون وما اريد بالسمع السمع الظاهر فان الذين اريدوا به ما كانوا معزولين
عنه وانما اريد به السمع الباطن ولا يدرك بالسمع الظاهر الا الاصوات ويشارك فيه الانسان ساير
الحيوانات فاما السمع الباطن فيدرك به لسان الحال وهو نطق وراء نطق المقال يشبه قول القايل
حكاية لكلام الوتد والحايط قال الجدار للوتد لم تشقني قال سل من يدقني فلم يتركني وراي
الحجر الذي ورايي وما من ذرة في السموات والارض الا ولها انواع شهادات لله تعالى بالوحدانية
هي توحيدها وانواع شهادات لصانعها بالتقديس هو تقديسها ولكن لا تفقهون تسبيحها
لانهم لم يسافروا من مضيق سمع الظاهر الى فضاء سمع الباطن ومن ركاكة لسان المقال الى فصاحة لسان
الحال ولو قدر كل عاجز على مثل هذا السير لما كان سليمان عليه السلام مختصا بفهم منطق الطير
ولما كان موسى عليه الصلاة والسلام مختصا بكلام الله وسماعه الذي يجب تقديسه عن مشابهة
الحروف والاصوات ومن سافر ليستقرئ هذه الشهادات من الاسطر المكتوبة بالخطوط الالهية على
صفحات الجمادات لم يطل سفره بالبدن بل يستقر في موضع ويفرغ قلبه للتمتع بسماع نغمات التسبيحات
من احاد الذرات فما له وللتردد في الفلوات وله غنية في ملكوت السموات والشمس والقمر والنجوم مسخرات
وهي الى ابصار ذوي البصاير مسافرات في الشهر والسنة مرات بل هي دايبة في الحركة على توالي الاوقات
فمن الغرايب ان يداب في الطواف باحاد المساجد من امرت الكعبة ان تطوف به ومن الغرايب ان
يطوف في اكناف الارض من تطوف به اقطار السماء ثم ما دام المسافر مفتقرا الى ان يبصر عالم الملك و
الشهادة بالبصر الظاهر فهو بعد في المنزل الاول من منازل السايرين الى الله تعالى والمسافرين

الى حضرته وكان معتكفا على باب الوطن لم ينفتح له المسير الى متسع الفضا ولا سبب لطول المقام
في هذا المنزل الا الجبن والقصور ولذلك قال بعض ارباب القلوب ان الناس ليقولون افتحوا اعينكم
حتى تبصروا وانا اقول غضوا اعينكم حتى تبصروا وكل واحد من القايلين حق الا ان القايل الاول اخبر
عن المنزل الاول القريب من الوطن والثاني اخبر عما بعده من المنازل البعيدة عن الوطن التي لا
يطاها الا مخاطر بنفسه والمجاوز اليها ربما يتيه فيها سنين وربما ياخذ التوفيق بيده فيرشده
الى سواء السبيل والهالكون في التيه هم الاكثرون من ركاب هذه الطرق ولكن السايحون بنور التوفيق
فازوا بالنعيم والملك العظيم المقيم وهم الذين سبقت لهم من الله الحسنى واعتبر هذا الملك
بملك الدنيا فانه يقل بالاضافة الى كثرة الخلق طلابه ومهما عظم المطلوب قل المساعد ثم
الذي يهلك اكثر من الذي يملك ولا يتصدى لطلب الملك العاجز الجبان لعظم الخطر وطول
التعب واذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الاجسام وما اودع الله العز والملك في الدين و
الدنيا الا في متن الخطر وقد يسمي الجبان الجبن والقصور باسم الحزم والحذر ويرى الجبناء ان الجبن
حزم وتلك خديعة الطبع اللئيم فهذا حكم السفر الظاهر اذا اريد به السفر الباطن بمطالعة
ايات الارض لنرجع الى الغرض الذي كنا نقصده ولنبين **القسم الثاني** وهو ان يسافر لاجل
العبادة اما لجهاد او حج وقد ذكرنا فضل ذلك وادابه واعماله الظاهرة والباطنة في كتاب اسرار الحج ويدخل
في جملته زيارة قبور الانبياء وزيارة قبور الصحابة والتابعين وساير العلماء والاولياء وكل من يتبرك
بمشاهدته في حياته يتبرك بزيارته بعد وفاته ويجوز شد الرحال لهذا الغرض ولا يمنع من هذا قوله
صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلاث مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصى لان ذلك
في المساجد فانها متماثلة بعد هذه المساجد والا فلا فرق بين زيارة قبور الانبياء والاولياء والعلماء
في اصل الفضل وان كان يتفاوت في الدرجات تفاوتا عظيما بحسب اختلاف درجاتهم عند الله تعالى
وبالجملة زيارة الاحياء اولى من زيارة الاموات والفايدة من زيارة الاحياء طلب بركة الدعاء وبركة النظر
فان النظر الى وجه العلماء والصلحاء عبادة وفيه ايضا حركة للرغبة في الاقتداء بهم والتخلق باخلاقهم
وادابهم هذا سوى ما ينتظر من الفوايد العلمية المستفادة من انفاسهم وافعالهم كيف ومجرد زيارة
الاخوان في الله تعالى فيه فضل كما ذكرناه في كتاب الصحبة وفي التورية سر اربعة اميال زر اخا في الله
واما البقاع فلا معنى لزيارتها سوى المساجد الثلاث وسوى الثغور للرباط بها فالحديث ظاهر
في انه لا تشد الرحال لطلب بركة البقاع الا الى المساجد الثلاث وقد ذكرنا فضايل الحرمين في كتاب
الحج وبيت المقدس ايضا له فضل كبير **خرج بن عمر** من المدينة قاصدا بيت المقدس حتى صلى
فيه الصلوات الخمس ثم كر راجعا من الغد الى المدينة وقد سال سليمان عليه السلام ربه عز وجل ان
من قصد هذا المسجد لا يعنيه الا الصلاة فيه ان لا تصرف نظرك عنه ما دام مقيما فيه حتى يخرج
منه وان تخرجه من ذنوبه كيوم ولدته امه فاعطاه الله تعالى ذلك **القسم الثالث** ان يكون
السفر للهرب من سبب مشوش للدين وذلك ايضا حسن فالفرار مما لا يطاق من سنن المرسلين ومما
يجب الهرب منه الولاية والجاه وكثرة العلايق والاسباب فان ذلك يشوش فراغ القلب
والدين لا يتم الا بقلب فارغ عن غير الله تعالى فان لم يتم فراغه فبقدر فراغه يتصور ان يشتغل
بالدين ولا يتصور فراغ القلب في الدنيا عن مهمات الدنيا والحاجات الضرورية ولكن يتصور

تخفيفها وتقليلها وقد نجا المخفون وهلك المثقلون والحمد لله الذي لم يعلق النجاة بالفراغ
المطلق عن جميع الاوزار والاعباء بل قبل المخف بفضله وشمله بسعة رحمته والمخف هو الذي
ليست الدنيا اكبر همه وذلك لا يتيسر في الوطن لمن اتسع جاهه وكثرت علائقه فلا يتم مقصوده الا
بالغربة والخمول وقطع العلائق التي لا بد منها حتى يروض نفسه مدة ثم ربما يمده الله تعالى
بمعونته فينعم عليه بما يقوي به نفسه ويطمئن به قلبه فيستوي عنده الحضر والسفر ويتقارب
عنده وجود الاسباب والعلائق وعدمها فلا يصده شيء منها عما هو بصدده من ذكر الله تعالى وذلك
مما يعز وجوده جدا بل الغالب على القلوب الضعف والقصور عن الاتساع للخلق والخالق وانما يسعد
بهذه القوة الانبياء والاولياء والوصول اليها بالكسب شديد وان كان للاجتهاد والكسب فيه مدخل
ايضا ومثال ذلك تفاوت القوة الباطنة فيه تفاوت القوة الظاهرة في الاعضاء فرب رجل
شديد قوي ذي مرة سوية والمريض شديد الاعصاب محكم البنية يستقل بحمل ما وزنه الف رطل
مثلا فلو اراد الضعيف والمريض ان ينال رتبته بممارسة الحمل والتدريج فيه قليلا لم يقدر عليه
ولكن الممارسة والجهد يزيد في قوته زيادة ما وان كان لا يبلغه درجته فلا ينبغي ان يترك الجهد
عند الياس عن الرتبة العليا فان ذلك غاية الجهل ونهاية الضلال وقد كان من عادة السلف
مفارقة الوطن خيفة من الفتن قال سفيان الثوري رضي الله عنه هذا زمان سوء لا يؤمن
فيه على الخامل فكيف على المشهورين هذا زمان رجل ينتقل من بلد الى بلد كلما عرف في موضع تحول الى
غيره وقال ابو نعيم رايت سفيان الثوري وقد علق قلته بيده ووضع جرابه على ظهره فقلت الى
اين يا ابا عبد الله قال بلغني عن قرية فيها رخص اريد ان اقيم بها فقلت وتفعل هذا فقال نعم
اذا بلغك ان قرية فيها رخص فاقم بها فانه اسلم لدينك واقل لهمك وهذا هرب من غلاء السعر وقد
كان سري السقطي رضي الله عنه يقول للصوفية اذا خرج الشتاء فقد خرج آذار واورقت الاشجار وطاب
الانتشار فانتشروا وقد كان الخواص رحمه الله تعالى لا يقيم في بلد اكثر من اربعين يوما
وكان من المتوكلين ويرى الاقامة اعتمادا على الاسباب قادحا في التوكل وسيأتي اسرار الاعتماد على
الاكتساب والاسباب في كتاب التوكل القسم الرابع السفر هربا مما يقدح في البدن كالطاعون
او المال كغلاء السعر او ما يجري مجراه فلا حرج في ذلك بل ربما يجب الفرار في بعض المواضع وربما
يستحب في بعض بحسب وجوب ما يترتب عليه من الفوائد واستحبابه ولكن يستثنى منه الطاعون
فلا ينبغي ان يفر منه لورود النهي فيه قال اسامة بن زيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
هذا الوجع او السقم رجز عذب به بعض الامم قبلكم ثم بقي في الارض فيذهب المرة ويأتي الاخرى
فمن سمع به في ارض فلا يقدمن عليه ومن وقع بارض وهو بها فلا يخرجنه الفرار منه وقالت
عائشة رضي الله عنها ان فناء امتي بالطعن والطاعون فقلت هذا الطعن قد عرفناه فما
الطاعون قال غدة كغدة البعير تأخذهم في مراقهم المسلم الميت منه شهيد والمقيم عليه
المحتسب كالمرابط في سبيل الله والفار منه كالفار من الزحف وعن مكحول عن ام ايمن قالت اوصى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض اهله لا تشرك بالله شيئا وان عذبت او خوفت اطع والديك
وان امراك ان تخرج من كل شيء هو لك فاخرج منه لا تترك الصلاة عمدا فان من ترك الصلاة
عمدا فقد برئت منه ذمة الله اياك والخمر فانها مفتاح كل شر اياك والمعصية فانها تسخط الله لا تفر من

الزحف وان اصاب الناس موتان وانت فيهم فاثبت فيهم انفق من طولك على اهل بيتك ولا
ترفع عصاك عنهم اخفهم بالله فهذه الاحاديث تدل على ان الفرار من الطاعون منهي عنه وكذا
القدوم عليه وسيأتي سر ذلك في كتاب التوكل فهذه اقسام الاسفار وقد خرج منه ان السفر
ينقسم الى مذموم والى محمود والى مباح والمذموم ينقسم الى حرام كاباق العبد وسفر العاق والى
مكروه كالخروج من بلد الطاعون والمحمود ينقسم الى واجب كالحج وطلب العلم الذي هو فريضة
على كل مسلم والى مندوب اليه كزيارة العلماء وزيارة مشاهدهم ومن هذه الاسباب تتبين النية
في السفر فان معنى النية الانبعاث للسبب الباعث والانتهاض لاجابة الدعوة ولتكن نية الاخرة
في جميع اسفاره وذلك ظاهر في الواجب والمندوب ومحال في المكروه والمحظور واما المباح فمهما
كان قصده بطلب المال مثلا التعفف عن السؤال ورعاية ستر المروءة على الاهل والعيال
والتصدق بما يفضل من مبلغ الحاجة صار هذا المباح بهذه النية من اعمال الاخرة فقوله صلى الله عليه
وسلم ولو خرج الى الحج وباعثه الرياء والسمعة خرج عن كونه من اعمال الاخرة فقوله صلى الله عليه وسلم الاعمال
بالنيات عام في الواجبات والمباحات دون المحظورات فان النية لا تؤثر في اخراجها عن كونها
محظورة وقد قال بعض السلف ان الله تعالى قد وكل بالمسافرين ملائكة ينظرون الى مقاصدهم
فيعطي كل واحد على نحو نيته فمن كانت نيته الدنيا اعطي منها ونقص من اخرته اضعافه وفرق عليه
همه وكثر بالحرص والرغبة شغله ومن كانت نيته الاخرة اعطي من البصيرة والفطنة وفتح له من
التذكر والعبرة بقدر نيته وجمع له همه ودعت له الملائكة واستغفرت واما النظر في ان السفر
هو الافضل والاقامة تضاهي العزلة فليفهم هذا منها فان السفر نوع مخالطة زيادة نصب
ومشقة تفرق الهم وتشتت القلب في حق الاكثرين والافضل ما هو الاعون على الدين ونهاية ثمرة الدين
في الدنيا معرفة الله وتحصيل الانس بذكر الله والانس يحصل بدوام الذكر والمعرفة تحصل بدوام الفكر
ومن لم يتعلم طريق الفكر والذكر لم يتمكن منهما والسفر هو المعين على التعلم في الابتداء والاقامة هي
المعينة على العمل بالعلم في الانتهاء واما السياحة في الارض على الدوام فمن المشوشات للقلب الا في
حق الاقوياء فان المسافر وماله لعلى قلت الا ما وقى الله فلا يزال المسافر مشغول القلب تارة بالخوف على
نفسه وماله وتارة بمفارقة ما الفه واعتاده في اقامته وان لم يكن معه مال يخاف عليه فلا يخلو عن
الطمع والاستشراف الى الخلق فتارة يضعف قلبه بسبب الفقر وتارة يقوى باستحكام اسباب
الطمع ثم شغل الحط والترحال مشوش لجميع الاحوال فلا ينبغي ان يسافر المريد الا في طلب علم او مشاهدة
شيخ يقتدى به في سيرته ويستفاد الرغبة في الخير من مشاهدته فان اشتغل بنفسه واستبصر
وانفتح له طريق الفكر او العمل فالسكون اولى به الا ان اكثر متصوفة هذه الاعصار لما خلت بواطنهم
عن لطائف الافكار ودقائق الاعمال ولم يحصل لهم انس بالله تعالى وبذكره في الخلوة وكانوا بطالين
غير محترفين ولا مشغولين قد الفوا البطالة واستثقلوا العمل واستوعروا طريق الكسب واستلانوا
جانب السؤال والكدية واستطابوا الرباطات المبنية لهم في البلاد واستسخروا الخدم المنتصبين
للقيام بخدمة القوم واستخفوا عقولهم واديانهم من حيث لم يكن قصدهم من الخدمة الا الرياء والسمعة
وانتشار الصيت واقتناص الاموال بطريق السؤال تعللا بكثرة الاتباع فلم يكن لهم في الخانقاهات حكم
نافذ ولا تأديب للمريدين نافع ولا حجر عليهم قاهر فلبسوا المرقعات واتخذوا في الخانقاهات منتزها

وربما تلفقوا الفاظا من خرقة من الطامات فينظرون الى انفسهم وقد تشبهوا بالقوم في خرقتهم وفي
سياحتهم وفي لفظهم وعباراتهم وفي اداب ظاهرة من سيرتهم فيظنون بانفسهم خيرا ويحسبون ان
كل سوداء تمرة ويزعمون ان المشاركة في الظاهر توجب المساهمة في الحقائق وهيهات ما اغزر حماقة
من لا يميز بين الشحم والورم فهؤلاء مبغضاء الله فان الله تعالى يبغض الشاب الفارغ ولم يحملهم على
السياحة الا الشباب والفراغ الا من سافر لحج او عمرة في غير رياء ولا سمعة او سافر لمشاهدة شيخ يقتدى
به في علمه وسيرته وقد خلت البلاد عنه الآن والامور الدينية كلها قد فسدت وضعفت الا
التصوف فانه قد انمحق بالكلية وبطل لان العلوم لم تندرس بعد والعالم وان كان عالم سوء فانما
فساده في سيرته لا في علمه فيبقى عالما غير عامل بعلمه والعمل غير العلم واما التصوف فهو عبارة
عن تجرد القلب لله واستحقار ما سوى الله تعالى وحاصله يرجع الى عمل القلب والجوارح ومهما
فسد العمل فات الاصل وفي اسفارهم نظر للفقهاء من حيث انه اتعاب نفس بلا فائدة وقد يقال ان
ذلك ممنوع ولكن الصواب عندنا ان نحكم بالاباحة فان حظوظهم التفرج عن كرب البطالة بمشاهدة
البلاد المختلفة وهذه الحظوظ وان كانت خسيسة فنفوس المتحركين ايضا بهذه الحظوظ خسيسة
ولا باس باتعاب حيوان خسيس لحظ خسيس يليق به ويعود اليه فهو المتاذي وهو المتلذذ والفتوى
تقتضي بسبب العوام في المباحات التي لا نفع فيها ولا ضرر فالسائحون من غير مهم في الدين والدنيا
بل لمحض التفرج في البلاد كالبهائم المترددين في الصحارى فلا باس بسياحتهم ما كفوا عن الناس شرهم
ولم يلبسوا على الخلق احوالهم وانما عصيانهم في التلبيس والسؤال باسم التصوف والاكل من الاوقاف
التي وقفت على الصوفية لان الصوفي عبارة عن رجل صالح عدل في دينه مع صفات اخرى وراء الصلاح
ومن اقل احواله انه لا ياكل اموال السلاطين واكل الحرام من الكبائر فلا يبقى معه العدالة والصلاح
ولو تصور صوفي فاسق لتصور صوفي كافر وفقيه يهودي وكما ان الفقيه عبارة عن مسلم مخصوص
فالصوفي عبارة عن عدل مخصوص لا يقتصر في دينه على القدر الذي يحصل به العدالة وكذلك من
نظر الى ظواهرهم ولو عرف بواطنهم واعطاهم من ماله على سبيل التقرب الى الله تعالى حرم عليهم الاخذ
وكان ما اكلوه سحتا واعني به اذا كان المعطي بحيث لو عرف بواطن احوالهم ما اعطاهم واخذ
المال باظهار التصوف من غير اتصاف بحقيقته كاخذه باظهار نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم
على سبيل الدعوى ومن زعم انه علوي وهو كاذب واعطاه مسلم مالا لحبه بنت رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولو علم انه كاذب لم يعطه فاخذه عليه حرام وكذلك الصوفي ولهذا احترز المحتاطون
عن الاكل بالدين فان المبالغ بالاحتياط لدينه لا ينفك في باطنه عن عورات لو انكشفت للراغبين في
مواساته لفترت رغبتهم عن المواساة فلا جرم كانوا لا يشترون بانفسهم مخافة ان يسامحوا لاجل
دينهم فيكونوا اكلين بالدين وكانوا يوكلون ويشترطون على الوكيل ان لا يظهر انه لمن يشترون وانما يحل
اخذ ما يعطى لاجل الدين اذا كان الاخذ بحيث لو علم المعطي من باطنه ما يعلمه الله لم يقتض ذلك فتورا
في رايه والعاقل المنصف يعلم من نفسه ان ذلك ممتنع او عزيز والمغرور الجاهل بنفسه احرى بان
يكون جاهلا بامر دينه فان اقرب الاشياء الى قلبه قلبه فاذا التبس عليه امر قلبه فكيف ينكشف
له غيره ومن عرف هذه الحقيقة لزمه لا محالة ان لا ياكل الا من كسبه ليامن من هذه الغائلة او لا ياكل الا من
مال من يعلم انه قطعا لو انكشف له عورات باطنه لم يمنعه ذلك من المواساة فان اضطر صاحب الحلال

ويريد طريق الاخرة الى اخذ مال غيره فليصرح له وليقل انك ان كنت تعطيني لما تعتقده في من الدين
فلست مستحقا لذلك ولو كشف الله ستري لم ترني بعين التوقير بل اعتقدت اني شر الخلق
او من شرارهم فان اعطاه مع ذلك فليأخذ فانه ربما يرتضي منه هذه الخصلة ويعتقد اعترافه
على نفسه بركاكة الدين وعدم استحلاله لما ياخذه ولكن هيهنا مكيدة للنفس ومخادعة فـ
فليتفطن لها وهو انه قد يقول ذلك ليظهر انه متشبه بالصالحين في ذمهم نفوسهم واستحقارهم
لها ونظرهم اليها بعين المقت والازدراء فيكون صورة الكلام صورة الذم والازدراء وباطنه
وروحه هو المدح والافتخار فكم من ذام نفسه وهو لها مادح بعين ذمه فذم النفس في الخلأ مع
النفس هو المحمود فاما الذم في الملأ فهو عين الرياء الا اذا اورده ايرادا يحصل للمستمع
يقينا بانه مقترف للذنوب ومعترف بها وذلك مما يمكن فهمه بقرائن الاحوال ويمكن تلبيسه
بقرائن الاحوال والصادق بينه وبين الله تعالى يعلم ان مخادعته لله او مخادعته لنفسه محال
فلا يتعذر عليه الاحتراز عن امثال ذلك فهذا هو القول في اقسام السفر ونية المسافر وفضيلته

الفصل الثاني في اداب المسافر من اول نهوضه الى اخر رجوعه وهي احدى عشرة

الاول ان يبدأ برد المظالم وقضاء الديون واعداد النفقة لمن تلزمه نفقته ويرد الودائع ان كانت
عنده ولا ياخذ لزاده الا الطيب الحلال وليأخذ قدرا يوسع به على رفقائه قال ابن عمر من
كرم الرجل طيب زاده في السفر ولا بد في السفر من طيب الكلام واطعام الطعام ومن اظهار مكارم
الاخلاق فان السفر يخرج خبايا الباطن ومن يصلح لصحبة السفر يصلح لصحبة الحضر وقد يصلح
في الحضر من لا يصلح في السفر ولذلك قيل اذا اثنى على الرجل معاملوه في الحضر ورفقاؤه في السفر فلا
تشكوا في صلاحه والسفر من اسباب الضجر ومن احسن خلقه في الضجر فهو الحسن الخلق والا فعند
مساعدة الامور على وفق الغرض قلما يظهر سوء الخلق وقد قيل ثلاثة لا يلامون في الضجر الصائم
والمريض والمسافر وتمام حسن خلق المسافر بالاحسان الى المكاري ومعاونة الرفقة بكل ممكن والرفق
بكل منقطع بان لا يجاوزه الا باعانة بمركوب او زاد او توقف لاجله وتمام ذلك مع الرفقاء بمزاح
ومطايبة في بعض الاوقات من غير فحش ومعصية ليكون ذلك شفاء لضجر السفر ومشاقه **الثاني**
ان يختار رفيقا ولا يخرج وحده فالرفيق ثم الطريق وليكن رفيقه ممن يعينه على الدين فيذكره اذا
نسي ويعينه ويساعده اذا ذكر فان المرء على دين خليله ولا يعرف الرجل الا بخليله **وقد نهى** عليه
السلام عن ان يسافر الرجل وحده وقال الثلاثة نفر وقال اذا كنتم ثلاثة في سفر فامروا احدكم
وكانوا يفعلون ذلك ويقولون هذا اميرنا امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليؤمروا احسنهم اخلاقا
وارفقهم بالاصحاب واسرعهم الى الايثار وطلب الموافقة فاما الاحتياج الى الامير لان الاراء تختلف
في تعيين المنازل والطرق ومصالح السفر ولا نظام الا في الوحدة ولا فساد الا من الكثرة وانما
انتظم امر العالم لان مدبر الكل واحد ولو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا ومهما كان المدبر واحدا
انتظم التدبير واذا كثر المدبرون فسدت الامور في الحضر والسفر الا ان مواطن الاقامة لا تخلو عن
امير عام وعن امير خاص كرب الدار واما السفر فلا يتعين له امير الا بالتامير فلهذا وجب التامير
ليجتمع شتات الاراء ثم على الامير ان لا ينظر الا لمصلحة القوم وان يجعل نفسه وقاية لهم **كما نقل**
عن عبد الله المروزي انه صحب ابا علي الرباطي فقال على ان تكون انت الامير او انا فقال بل انت فلم يزل

يحمل الزاد لنفسه ولا يحمل على ظهره واستطرت السماء ليلة فقام عبد الله طول الليل على رأس رفيقه وفي
يده كساء يمنع المطر عنه فكلما قال له عبد الله الله لا تفعل يقول ألم تقل إن الإمارة مسلمة لك فلا تتحكم علي
ولا ترجع عن قولك حتى قال أبو علي وددت أني مت ولم أقل له أمِّر فهكذا ينبغي أن يكون الأمير وقد قال
صلى الله عليه وسلم خير الأصحاب أربعة وتخصيص الأربعة من بين سائر الأعداد لا بد أن تكون لها فائدة
والذي ينقدح فيه أن المسافر لا يخلو عن رحل يحتاج إلى حفظه وعن حاجة يحتاج إلى التردد فيها ولو
كانوا ثلاثة لكان المتردد في الحاجة واحدا فيتردد في السفر بلا رفيق فلا يخلو عن خطر وعن
ضيق قلب لفقد أنس الرفيق ولو تردد في الحاجة اثنان كان الحافظ للرحل واحدا فلا يخلو عن
الخطر وعن ضيق القلب فما دون الأربعة لا يفي بالمقصود وما فوق الأربعة يزيد فلا تجمعهم رابطة
واحدة ولا ينعقد بينهم الترافق لأن الخامس زيادة بعد الحاجة ومن يستغنى عنه لا تنصرف الهمة
إليه ولا تتم المرافقة معه نعم في كثرة الرفاق فائدة للأمن من المخاوف ولكن الأربعة خير للرفاقة
الخاصة لا للرفاقة العامة وكم من رفيق في الطريق عند كثرة الرفاق لا يكلم ولا يخالط إلى آخر
الطريق للاستغناء عنه **الثالث** أن يودع رفقاء الحضر والأهل والأصدقاء وليودع بدعاء رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال بعضهم صحبت عبد الله بن عمر من مكة إلى المدينة فلما أردت أن أفارقه شيعني
وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال لقمان إن الله تعالى إذا استودع شيئا حفظه
وإني أستودع الله تعالى دينك وأمانتك وخواتيم عملك وروى زيد بن أرقم عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه قال إذا أراد أحدكم سفرا فليودع إخوانه فإن الله تعالى جاعل له في دعائهم البركة وعن عمرو
بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا ودع رجلا قال زودك الله التقوى
وغفر ذنبك ووجهك للخير حيثما توجهت فهذا دعاء المقيم للمودع وقال موسى بن وردان أتيت
أبا هريرة رضي الله عنه أودعه لسفر أردته فقال ألا أعلمك يا ابن أخي شيئا علمنيه رسول الله صلى الله عليه
وسلم عند الوداع فقلت بلى قال قل أستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه وعن أنس بن مالك رضي
الله عنه أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إني أريد سفرا فأوصني فقال له في حفظ الله وفي كنفه
زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حيث كنت أو أينما كنت شك فيه الراوي وينبغي
إذا استودع الله ما يخلفه أن يستودع الجميع ولا يخصص فقد روي أن عمر رضي الله عنه كان يعطي الناس
عطاياهم إذ جاءه رجل معه ابن له فقال له عمر ما رأيت أحدا أشبه بأحد من هذا بك فقال الرجل أحدثك
عنه يا أمير المؤمنين إني أردت أن أخرج إلى سفر وأمه حامل به فقالت تخرج وتدعني على هذه الحالة
فقلت أستودع الله ما في بطنك فخرجت ثم قدمت فإذا هي قد ماتت فجلسنا نتحدث فإذا نار على
قبرها فقلت للقوم ما هذه فقالوا هذه من قبر فلانة نراها كل ليلة فقلت والله إن كانت لصوامة
قوامة وأخذت المعول حتى انتهينا إلى القبر فحفرنا فإذا سراج وإذا هذا الغلام يدب فقيل لي إن
هذه وديعتك ولو كنت استودعت أمه لوجدتها فقال عمر رضي الله عنه لهو أشبه بك من الغراب
بالغراب **الرابع** أن يصلي قبل السفر صلاة الاستخارة كما وصفناها في كتاب الصلاة ووقت الخروج يصلي
لأجل السفر فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إني
نذرت سفرا وقد كتبت وصيتي فإلى أي الثلاثة أدفعها إلى أبي أم أخي أم ابني فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ما استخلف عبد في أهله من خليفة أحب إلى الله من أربع ركعات يصليهن في بيته إذا شد عليه ثياب سفره يقرأ فيهن

بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد ثم يقول اللهم إني أتقرب بهن إليك فاخلفني بهن في أهلي ومالي
فهي خليفته في أهله وماله وحرز حول داره حتى يرجع إلى أهله **الخامس** إذا حصل على باب داره
فليقل بسم الله لا حول ولا قوة إلا بالله رب أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أزل أو أزل أو أظلم أو أظلم
أو أجهل أو يجهل علي فإذا مشى قال اللهم بك انتشرت وعليك توكلت وبك اعتصمت وإليك
توجهت اللهم أنت ثقتي وأنت رجائي فاكفني ما أهمني وما لا أهتم به وما أنت أعلم به مني عز
جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك اللهم زودني التقوى واغفر لي ذنبي ووجهني للخير أينما توجهت
وليدع بهذا الدعاء في كل منزل يرحل عنه فإذا ركب الدابة فليقل بسم الله وبالله والله أكبر توكلت
على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن سبحان الذي سخر لنا
هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون فإذا استوت الدابة تحته فليقل الحمد لله
الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله اللهم أنت الحامل على الظهر وأنت المستعان
على الأمور **السادس** أن يرحل من المنازل بكرة روى جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم رحل يوم
الخميس وهو يريد تبوك وبكر وقال اللهم بارك لأمتي في بكورها ويستحب أن يبتدئ بالخروج
يوم الخميس فقد روى كعب بن مالك عن أبيه قال قل ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخرج إلى سفر إلا يوم الخميس وروى أنس أنه كان صلى الله عليه وسلم قال اللهم بارك لأمتي في
بكورها يوم السبت وكان عليه السلام إذا بعث سرية بعثها أول النهار **وروى** أبو هريرة أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم بارك لأمتي في يوم خميسها وقال عبد الله بن عباس رضي الله
عنهما إذا كان لك إلى رجل حاجة فاطلبها إليه نهارا ولا تطلبها ليلا واطلبها بكرة فإني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم بارك لأمتي في بكورها ولا ينبغي أن يسافر بعد طلوع الفجر
من يوم الجمعة فيكون عاصيا بترك الجمعة واليوم منسوب إليها فكان أوله من أسباب وجوبها والتشييع
للوداع سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن أشيع مجاهدا في سبيل الله فأكفه على رحله
غدوة أو روحة أحب إلي من الدنيا وما فيها **السابع** أن لا ينزل حتى يحمى النهار فهي السنة ويكون
أكثر سيره في الليل قال صلى الله عليه وسلم عليكم بالدلجة فإن الأرض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار ومهما
أشرف على المنزل فليقل اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما
أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين أسألك خير هذا
المنزل وخير أهله وأعوذ بك من شره وشر ما فيه اصرف عني شر شرارهم فإذا نزل المنزل فليصل
فيه ركعتين ثم ليقل **اللهم** إني أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر
من شر ما خلق فإذا جن الليل عليه يقول يا أرض ربي وربك الله أعوذ بالله
من شرك وشر ما فيك وشر ما دب عليك أعوذ بالله من شر كل أسد وأسود وحية وعقرب
ومن ساكن البلد ووالد وما ولد وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم ومهما علا نشزا
من الأرض في وقت السير ينبغي أن يقول اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال ومهما
هبط سبح الله ومهما خاف الوحشة في سفره قال سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح
جللت السموات بالعزة والجبروت **الثامن** أن يحتاط بالنهار فلا يمشي منفردا خارج القافلة لأنه
ربما يغتال أو ينقطع ويكون بالليل متحفظا عند النوم كان صلى الله عليه وسلم إذا نام في ابتداء الليل

في السفر أن يتوسد ذراعه وإن نام في آخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل رأسه في كفه والغرض أن لا يستثقل النوم
فتطلع الشمس وهو لا يدري ويكون ما يفوته من الصلاة أفضل مما يطلبه في سفره والمستحب بالليل
أن يتناوب الرفقاء في الحراسة فإذا نام واحد حرس واحد فهو السنة ومهما قصده عدو أو سبع
في ليل أو نهار فليقرأ آية الكرسي وشهد الله والإخلاص والمعوذتين وليقل بسم الله ما شاء الله لا قوة إلا
بالله حسبي الله توكلت على الله ما شاء الله لا يأتي بالخيرات إلا الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله
حسبي الله وكفى سمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجأ كتب الله لأغلبن أنا
ورسلي إن الله قوي عزيز تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحي الذي لا يموت اللهم احرسنا بعينك
التي لا تنام واكنفنا بركنك الذي لا يرام اللهم ارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وأنت ثقتنا
ورجاؤنا اللهم اعطف علينا قلوب عبادك وإمائك برأفة ورحمة إنك أنت أرحم الراحمين
التاسع أن يرفق بالدابة إن كان راكبا فلا يحملها ما لا تطيق ولا يضربها في وجهها فإنه منهي عنه ولا
ينام عليها فإنه يثقل بالنوم وتتأذى به الدابة كان أهل الورع لا ينامون على الدواب إلا غفوة وقال صلى
الله عليه وسلم لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي ويستحب أن ينزل عن الدابة غدوة وعشية يروحها
بذلك فهو سنة وفيه آثار عن السلف وكان بعض السلف يكتري بشرط أن لا ينزل ويوفي الأجرة ثم كان
ينزل ليكون بذلك محسنا إلى الدابة فيوضع في ميزان حسناته لا في ميزان المكاري ومن آذى
البهيمة بضرب أو حمل ما لا تطيق طولب به في القيامة إذ في كل كبد حرى أجر وقال أبو الدرداء لبعير له عند
موته أيها البعير لا تخاصمني إلى ربك فإني لم أكن أحملك فوق طاقتك وفي النزول ساعة صدقتان ترويح الدابة
والأخرى إدخال السرور على قلب المكاري وفيه فائدة أخرى وهي رياضة البدن وتحريك الرجل
والحذر من خدر الأعصاب من طول الركوب وينبغي أن يقرر مع المكاري ما يحمله شيئا شيئا ويعرضه
عليه ويستأجر الدابة بعقد صحيح لئلا يثور بينهما نزاع يؤذي القلب ويحمل على الزيادة في الكلام فما يلفظ
من قول إلا لديه رقيب عتيد فليحترز عن كثرة الكلام واللجاج مع المكاري ولا ينبغي أن يحمل فوق
الشرط وإن خف فإن القليل يجر إلى الكثير ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه **وقال** رجل لابن المبارك
وهو على دابة احمل لي هذه الرقعة فانظر كيف لم يلتفت إلى قول الفقهاء أن هذا مما يتسامح به ولكن سلك
طريق الورع **العاشر أن يستصحب ستة أشياء قالت عائشة** رضي الله عنها كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم إذا سافر حمل معه خمسة أشياء المرآة والمكحلة والمدرى والسواك والمشط وفي رواية
أخرى عنها ستة المرآة والقارورة والمقراض والسواك والمكحلة والمشط وقالت أم سعد الأنصارية
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفارقه في السفر المرآة والمكحلة **وقال** صهيب قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم عليكم بالإثمد عند مضجعكم فإنه مما يزيد في البصر وينبت الشعر وروي أنه كان صلى الله عليه وسلم
يكتحل ثلاثا ثلاثا وفي رواية أنه اكتحل لليمنى ثلاثا ولليسرى ثنتين وقد زادت الصوفية الركوة و
الحبل وقال بعض الصوفية إذا لم يكن مع الفقير ركوة وحبل دل على نقصان دينه وإنما زادوا هذا
لما رأوه من الاحتياط في طهارة الماء وغسل البدن وغسل الثياب فالركوة لحفظ الماء الطاهر و
الحبل لتجفيف الثوب المغسول ولنزح الماء **وكان الأولون** يكتفون بالتيمم ويغنون
أنفسهم عن نقل الماء ولا يبالون بالوضوء من الغدران ومن المياه كلها ما لم يتيقنوا نجاستها حتى توضأ
عمر رضي الله عنه من ماء في جرة نصرانية وكانوا يكتفون بالأرض والجبال عن الحبل فيفرشون الثياب المغسولة عليها

فهذه بدعة إلا أنها بدعة حسنة وإنما البدعة المذمومة ما يضاد السنن الثابتة أما ما يعين على
الاحتياط على السنن فمستحسن وقد ذكرنا أحكام المبالغة في الطهارات في كتاب الطهارة وأن المتجرد
لأمر الدين لا ينبغي أن يؤثر طرق الرخصة بل يحتاط في الطهارة ما لم يمنعه ذلك عن عمل هو أفضل منه و
قيل كان الخواص رحمه الله تعالى من المتوكلين وكان لا يفارقه أربعة في السفر والحضر الركوة
والحبل والإبرة بخيوطها والمقراض وكان يقول هذه ليست من الدنيا **الحادي عشر في آداب الرجوع
من السفر كان صلى الله عليه وسلم** إذا قفل من غزو أو حج أو غيره يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث
تكبيرات ويقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيبون
تائبون لربنا حامدون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب
وحده وإذا أشرف على مدينة فليقل اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا ثم يرسل إلى أهله من
يخبرهم بقدومه كيلا يقدم عليهم بغتة فيرى ما يكره ولا ينبغي أن يطرقهم ليلا فقد ورد النهي
عنه وكان صلى الله عليه وسلم إذا قدم دخل المسجد أولا وصلى ركعتين ثم دخل البيت وإذا دخل
قال توبا توبا لربنا أوبا لا يغادر علينا حوبا وينبغي أن يحمل لأهله ولأقاربه تحفة من مطعوم أو
غيره على قدر إمكانه فهو سنة وقد روي أنه إن لم يجد شيئا فليضع في مخلاته حجرا وكان هذا
مبالغة في الاستحباب على هذه المكرمة لأن الأعين تمتد إلى القادم من السفر والقلوب تفرح به
فيتأكد الاستحباب في تأكيد فرحهم وإظهار التفات القلب في السفر إلى ذكرهم بما يستصحب في
الطريق لهم فهذه جملة من الآداب الظاهرة وأما الآداب الباطنة ففي الفصل الأول بيان جملة منه و
جملته أن لا يسافر إلا إذا كان زيادة دينه في السفر ولا ينبغي أن يجاوز همه منزله بل ينزل حيث ينزل
قلبه وينوي في دخول كل بلد أن يرى شيوخها ويجتهد أن يستفيد من كل واحد أدبا أو كلمة لينتفع
بها لا ليحكي ويظهر أنه لقي المشايخ ولا يقيم ببلدة أكثر من أسبوع أو عشرة أيام إلا أن يأمره الشيخ المقصود
بذلك ولا يجالس في هذه الإقامة إلا الفقراء الصادقين وإن كان قصده زيارة أخ فلا يزيد على ثلاثة
أيام فهو حد الضيافة إلا إذا شق على أخيه مفارقته وإذا قصد زيارة شيخ فلا يقيم عنده أكثر
من يوم وليلة ولا يشتغل بالعشرة فإن ذلك يقطع بركة سفره ومهما دخل البلد فلا يشتغل بشيء سوى
زيارة الشيخ بزيارة منزله فإن كان في بيته فلا يدق عليه بابه ولا يستأذن إلى أن يخرج فإذا خرج تقدم
بأدب ولا يتكلم بين يديه إلا أن يسأله فإن سأله أجاب بقدر السؤال ولا يسأله عن مسألة ما لم
يستأذن أولا وإذا كان في السفر فلا يكثر ذكر أطعمة البلدان وأسخيائها ولا أصدقائه فيها وليذكر مشايخها
وفقراءها ولا يهمل في سفره زيارة قبور الصالحين بل يتفقدها في كل قرية وبلدة ولا يظهر حاجته إلا
بقدر الضرورة مع من يقدر على إزالتها ويلازم في الطريق الذكر وقراءة القرآن بحيث لا يسمع غيره وإذا
كلمه إنسان فليترك الذكر وليجبه ما دام يحدثه ثم ليرجع فإن برمت نفسه بالسفر أو بالإقامة فليخالفها
فالبركة في مخالفة النفس وإذا تيسرت له خدمة قوم صالحين فلا ينبغي أن يسافر تبرما بالخدمة فذلك
كفران بنعمة الله تعالى ومهما وجد نفسه في نقصان بما عمله في الحضر فليعلم أن سفره معلول و
ليرجع إذ لو كان بحق لظهر أثره **وقال** رجل لأبي عثمان المغربي خرج فلان مسافرا فقال السفر غربة
والغربة ذلة وليس لمؤمن أن يذل نفسه وأشار به إلى من ليس له في السفر زيادة دين وإلا فعز الدين لا ينال
إلا بذل الغربة فليكن سفر المريد من وطن هواه ومراده وطبعه حتى يعز في هذه الغربة ولا يذل فإن من اتبع

هواه في سفره لا محالة اما عاجلا واما اجلا

الباب الثاني فيما لا بد للمسافر من تعلمه من رخص السفر وادلة القبلة والاوقات

اعلم ان المسافر يحتاج في اول سفره ان يتزود لدنياه ولاخرته اما زاد الدنيا فالطعام والشراب وما يحتاج اليه من نفقة فان خرج متوكلا من غير زاد فلا باس ان كان سفره في قافلة او بين قرى متصلة وان ركب البادية وحده او مع قوم لا طعام معهم فلا الا ان كان ممن يصبر على الجوع اسبوعا او عشرا ويقدر على ان يكتفي بالحشيش فله ذلك وان لم تكن له قوة الصبر على الجوع ولا القدرة على الاجتزاء بالحشيش فخروجه من غير زاد معصية فانه القى نفسه بيده الى التهلكة ولهذا سر سياتي في كتاب التوكل وليس معنى التوكل التباعد عن الاسباب بالكلية ولو كان كذلك لبطل التوكل بطلب الدلو والحبل عند طلب الماء من البئر ولوجب ان يصبر حتى يسخر الله تعالى له ملكا او شخصا اخر يصب الماء في فيه فان كان حفظ الدلو والحبل لا يقدح في التوكل وهو الة الوصول الى المشروب فحمل عين المطعوم والمشروب حيث لا ينتظر له وجود اولى بان لا يقدح فيه وسياتي حقيقة التوكل في موضعه فانه ملتبس الا على المحققين من علماء الدين **واما** زاد الاخرة فهو العلم الذي يحتاج اليه في طهارته وصومه وصلاته وعباداته فلا بد ان يتزود منه اذ السفر تارة يخفف عليه امورا فيحتاج الى معرفة القدر الذي يخففه السفر كالقصر والجمع والفطر وتارة تشدد عليه امورا كان مستغنيا عنها في الحضر كالعلم بالقبلة واوقات الصلوة فانه في البلد يكتفي بغيره من محاريب المساجد واذان المؤذنين وفي السفر قد يحتاج الى ان يتعرف بنفسه فاذن ما يفتقر الى تعلمه ينقسم على قسمين

القسم الاول العلم برخص السفر والسفر يفيد في الطهارة رخصتين مسح الخفين والتيمم وفي الصلاة الفرض رخصتين القصر والجمع وفي النفل فيه رخصتين اداءه على الراحلة واداءه ماشيا وفي الصوم رخصة واحدة وهي الفطر فهذه سبع رخص

الرخصة الاولى المسح على الخفين قال صفوان بن عسال امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كنا مسافرين او سفرى ان لا ننزع خفافنا ثلاثة ايام ولياليهن وكل من لبس الخف على طهارة مبيحة للصلاة ثم احدث فله ان يمسح على خفيه من وقت حدثه ثلاثة ايام ولياليهن ان كان مسافرا ويوما وليلة ان كان مقيما ولكن بخمسة شرائط **الاولى** ان يكون اللبس بعد كمال الطهارة فلو غسل الرجل اليمنى وادخلها الخف ثم غسل اليسرى فادخلها الخف لم يجز له المسح عند الشافعي رحمه الله تعالى حتى ينزع خفه اليمنى ويعيد لبسه **الثاني** ان يكون الخف قويا يمكن المشي عليه ويجوز المسح على الخف وان لم يكن منعلا اذا العادة جارية بالتردد عليه في المنازل لانه قوي على الجملة بخلاف جورب الصوفية فانه لا يجوز المسح عليه وكذا الجرموق الضعيف **الثالث** ان لا يكون في موضع فرض الغسل خرق فان تخرق بحيث انكشف محل الفرض لم يجز المسح والشافعي في القديم انه يجوز ما دام يستمسك على الرجل وهو مذهب مالك ولا باس به لمسيس الحاجة اليه وتعذر الخرز في السفر كل وقت والمداس المنسوج يجوز المسح عليه مهما كان ساترا لا يبدو منه القدم مع [illegible] وكذلك المشقوق الذي يرد على محل الشق بشرج لان الحاجة تمس الى جميع ذلك ولا يعتبر الا ان يكون ساترا الى فوق الكعبين كيف كان فاما اذا استتر بعض ظهر القدم وستر الباقي باللفافة لم يجز المسح **الرابع** ان لا ينزع الخف بعد المسح عليه فان نزع فالاولى له استئناف الوضوء فان اقتصر على غسل القدمين جاز **الخامس** ان يمسح على الموضع المحاذي لمحل فرض الغسل لا على الساق واقله ما يسمى مسحا على ظهر القدم من الخف وان مسح بثلاث اصابع

خرج من شبهة الخلاف واكمله ان يمسح اعلاه واسفله دفعة واحدة من غير تكرار كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه ان يبل اليدين ويضع رؤس الاصابع من اليمنى من يده على رؤس اصابع رجله اليمنى ويمسحه بان يجر اصابعه الى جهة نفسه ويضع رؤس الاصابع من يده اليسرى على العقب من اسفل الخف ويمده الى راس القدم ومهما مسح مقيما ثم سافر او مسافرا ثم اقام غلب حكم الاقامة فيقتصر على يوم وليلة وعدد الايام الثلاثة محسوب من وقت حدثه بعد المسح على الخف فلو لبس الخف في الحضر ثم خرج واحدث في السفر وقت الزوال مسح ثلاثة ايام ولياليهن من وقت الزوال الى اليوم الرابع فاذا زالت الشمس اليوم الرابع لم يكن له ان يصلي الا بعد غسل الرجل فيغسل رجله ويعيد لبس الخف ويراعي وقت الحدث ويبتدئ الحساب من وقت الحدث ولو احدث بعد لبس الخف في الحضر ثم خرج بعد الحدث فله ان يمسح ثلاثة ايام لان العادة قد تقتضي اللبس قبل الخروج ثم لا يمكن الاحتراز من الحدث فاما اذا مسح في الحضر ثم سافر اقتصر على مدة المقيمين ويستحب لكل من يريد لبس الخف في حضر او سفر ان ينكس الخف وينفض ما فيه حذرا من عقرب او حية او شوكة **فقد روي عن ابي امامة** انه قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخفيه فلبس احدهما فجاء غراب فاحتمل الاخر ثم رمى به فخرجت منه حية فقال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يلبس خفيه حتى ينفضهما

الرخصة الثانية التيمم والتراب بدل عن الماء عند العذر وانما يتعذر اما بان يكون بعيدا عن المنزل بعدا لو سعى اليه لم يلحقه غوث القافلة ان صاح واستغاث وهو البعد الذي لا يعتاد اهل المنزل في ترددهم لقضاء الحاجة التردد اليه وكذا ان نزل على الماء عدو او سبع فيجوز التيمم وان كان الماء قريبا وكذا ان احتاج اليه لعطشه في يومه او بعد يومه لعطش [illegible] بين يديه فله التيمم وكذا ان احتاج اليه لعطشه في يومه او بعد يومه لعطش المالك بين يديه فله التيمم وكذا ان احتاج اليه لعطش احد رفقائه فلا يجوز له الوضوء ويلزمه التسليم اما بثمن او بغير ثمن ولو كان يحتاج اليه للقدر حتى يطبخ به مرقة او احتاج اليه ليعجن به الكعك ويطبخ به اللحم لم يجز التيمم بل عليه ان يجتزي بالكعك اليابس ويترك تناول المرقة ومهما وهب منه الماء وجب قبوله وان وهب ثمنه لم يجب قبوله لما فيه من المنة وان بيع بثمن المثل لزمه الشراء وان بيع بغبن لم يلزمه فاذا لم يكن معه ماء واراد ان يتيمم فاول ما يلزمه طلب الماء مهما جوز الوصول اليه بالطلب وكذلك التردد حوالي المنزل ويفتش الرحل وطلب الماء يا من الاواني والمطاهر فان نسي الماء في رحله او نسي بئرا بالقرب منه لزمه اعادة الصلاة لتقصيره في الطلب وان علم انه يصل الى الماء في اخر الوقت فالاولى ان يصلي بالتيمم في اول الوقت فان العمر لا يوثق به واول الوقت رضوان الله تيمم ابن عمر فقيل له اتتيمم وجدران المدينة تنظر اليك فقال او ابقى الى ان ادخلها ومهما وجد الماء بعد الشروع في الصلاة لم يلزمه الوضوء ومهما طلب فلم يجد فليقصد صعيدا طيبا عليه تراب يثور منه غبار وليضرب بكفيه عليه بعد ضم اصابعه ضربة فيمسح بهما وجهه ويضرب ضربة اخرى بعد نزع الخاتم ويفرج الاصابع ويمسح بهما يديه الى مرفقيه فان لم يستوعب بضربة واحدة جميع ساعديه ضرب ضربة اخرى وكيفية التلطف فيه ذكرناها في كتاب الطهارة فلا نعيده ثم اذا صلى به فريضة واحدة فله ان يتنفل ما شاء بذلك التيمم وان اراد الجمع بين صلاتين فعليه ان يعيد التيمم للصلاة الثانية فلا يصلي فرضين الا بتيممين ولا ينبغي ان يتيمم لصلاة قبل دخول وقتها فان فعل فعليه اعادة التيمم وليتق

عند مسح الوجه استباحة الصلاة ولو وجد من الماء ما يكفيه لبعض طهارته فليستعمله ليتيمم بعده
تيمما تاما **الرخصة** الثالثة في الصلاة المفروضة القصر وله أن يقتصر في كل واحدة من الظهر والعصر
والعشاء على ركعتين ولكن بشروط ثلاثة الأول أن يؤديها في أوقاتها فلو صارت قضاء فالأظهر لزوم
الإتمام الثاني أن ينوي القصر فلو نوى الإتمام لزمه الإتمام ولو شك في أنه نوى القصر أو الإتمام
لزمه الإتمام الثالث أن لا يقتدي بمقيم ولا بمسافر متم فإن فعل لزمه الإتمام بل لو شك في إمامه
أنه مسافر لزمه الإتمام وإن تيقن بعده أنه مسافر لأن شعار المسافر لا يخفى فليكن متحققا عند
النية وإن شك في أن إمامه هل نوى القصر أم لا بعد أن عرف أنه مسافر لم يضره ذلك لأن النيات لا
يطلع عليها وهذا كله إذا كان في سفر طويل مباح وحد السفر من جهة البداية والنهاية فيما يشكل
ولا بد من معرفته والسفر هو الانتقال من موضع الإقامة مع ربط القصد بمقصد معلوم فالهائم
وراكب التعاسيف ليس له الترخص وهو الذي لا يقصد موضعا معينا ولا يصير مسافرا ما لم يفارق
عمران البلد ولا يشترط أن يجاوز خراب البلد وبساتينها التي قد يخرج أهل البلد إليها للتنزه وأما القرية
فالمسافر منها ينبغي أن يجاوز البساتين المحوطة دون التي ليست محوطة ولو رجع المسافر إلى البلد
لأخذ شيء نسيه لم يترخص إن كان ذلك وطنه ما لم يجاوز العمران وإن لم يكن ذلك هو الوطن فله
الترخص إذ صار مسافرا بالانزعاج والخروج منه وأما نهاية السفر فبأحد أمور ثلاثة الأول
الوصول إلى عمران البلد الذي عزم على الإقامة به الثاني العزم على الإقامة ثلاثة أيام فصاعدا
إما في بلد أو صحراء الثالث صورة الإقامة وإن لم يعزم كما إذا أقام على موضع واحد ثلاثة أيام سوى
يوم الدخول لم يكن له الترخص بعده وإن لم يعزم على الإقامة وكان له شغل وهو يتوقع كل يوم أن يتنجز
ولكنه كان يتعوق ويتأخر فله أن يترخص وإن طالت المدة على أقيس القولين لأنه منزعج
بقلبه ومسافر عن الوطن بصورته ولا مبالاة بصورة الثبوت على موضع واحد مع انزعاج القلب
ولا فرق بين أن يكون هذا الشغل قتالا أو غيره ولا بين أن تطول المدة أو تقصر ولا بين أن يتأخر
الخروج لمطر لا يعلم بقاؤه ثلاثة أيام أو غيره إذ ترخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فقصر في بعض
الغزوات ثمانية عشر يوما على موضع واحد وظاهر الظن أنه كان لكونه مسافرا لا لكونه غازيا مقاتلا
هذا معنى السفر وهذا معنى الطويل فهو أن يكون مرحلتان كل واحدة ثمانية فراسخ وكل فرسخ ثلاثة
أميال وكل ميل أربعة آلاف خطوة ومعنى المباح أن لا يكون عاقا لوالديه هاربا منهما ولا هاربا من
مالكه ولا تكون المرأة هاربة من زوجها ولا يكون من عليه الدين هاربا من المستحق مع اليسار ولا
يكون متوجها في قطع طريق أو قتل إنسان أو طلب حرام من سلطان أو سعي بالفساد بين المسلمين
وبالجملة فلا يسافر الإنسان إلا لغرض والغرض هو المحرك فإن كان تحصيل ذلك الغرض حراما ولولا
ذلك الغرض لكان لا ينبعث لسفره فسفره معصية ولا يجوز فيه الترخص وأما الفسوق في السفر بشرب
الخمر وغيره فلا يمنع الرخصة بل كل سفر نهى الشرع عنه فلا يعين عليه بالرخصة ولو كان له باعثان
أحدهما مباح والآخر محظور وكان بحيث لو لم يكن الباعث المحظور لكان المباح مستقلا بتحريكه و
لكان لا محالة يسافر لأجله فله الترخص والمتصوفة الطوافون في البلاد من غير غرض صحيح سوى
التفرج بمشاهدة البقاع المختلفة في ترخصهم خلاف والمختار أن لهم الترخص **الرخصة**
الرابعة الجمع بين الظهر والعصر في وقتيهما وبين المغرب والعشاء في وقتيهما فذلك أيضا جائز

في كل سفر طويل مباح وفي جوازه في السفر القصير قولان ثم إن قدم العصر إلى الظهر فلينو الجمع قبل الفراغ
من الظهر وليؤذن للظهر وليقم وعند الفراغ يقيم للعصر ويجدد التيمم إن كان متيمما ولا
يفرق بينهما بأكثر من تيمم وإقامة فإن قدم العصر لم يجز وإن نوى الجمع عند الإحرام بصلاة
العصر جاز عند المزني وله وجه في القياس إذ لا مستند لإيجاب تقديم النية بل الشرع جوز
الجمع وهذا جمع وإنما الرخصة في القصر فيكفي النية فيه وأما الظهر فجائز على القانون ثم إذا فرغ
من الصلاتين فينبغي أن يجمع بين سنن الصلاتين أما العصر فلا سنة بعده ولكن السنة التي
بعد الظهر يصليها بعد الفراغ من العصر إما راكبا أو مقيما لأنه لو صلى راتبة الظهر قبل العصر لقطع
الموالاة وهي واجبة وإن أراد أن يقيم الأربعة المسنونة قبل العصر فليجمع بينهما قبل الفريضتين
فيصلي سنة الظهر أولا ثم سنة العصر ثم فريضة الظهر ثم فريضة العصر ثم سنة الظهر ركعتان
اللتان هما بعد الفرض ولا ينبغي أن يهمل النوافل في السفر فما يفوته من ثوابها أكثر مما يناله من الربح لا
سيما وقد خفف الشرع عليه وجوز له أداءها على الراحلة كيلا يتعوق عن الراحلة يعني عن القافلة
بسببه وإن أخر الظهر إلى العصر فيجري على هذا الترتيب ولا يبالي بوقوع راتبة الظهر بعد العصر في الوقت
المكروه لأن ما له سبب لا يكره في هذا الوقت وكذلك يفعل في المغرب والعشاء والفجر إذا قدم أو أخر
فبعد الفراغ من الفرض يشتغل بجميع الرواتب ويختم الجميع بالوتر وإن خطر له الظهر وذكره
قبل خروج الوقت فليعزم على أدائه مع العصر جمعا فهو نية الجمع لأنه إنما يخلو عن هذه العزيمة
إما بنية الترك أو بنية التأخير عن وقت العصر وذلك حرام والعزم عليه حرام وإن لم يتذكر الظهر
حتى خرج وقته إما لنوم أو لشغل فله أن يؤدي مع العصر ولا يكون عاصيا لأن السفر كما يشغل
عن فعل الصلاة فقد يشغل عن ذكرها ويحتمل أن يقال إن الظهر إنما يقع أداء إذا عزم على فعلها
قبل خروج وقتها لكن الأظهر أن وقت الظهر والعصر صار مشتركا في السفر بين الصلاتين ولذلك
يجب على الحائض قضاء الظهر إذا طهرت قبل الغروب ولذلك ينقدح أن لا يشترط الموالاة ولا الترتيب
بين الظهر والعصر عند تأخير الظهر أما إذا قدم العصر على الظهر لم يجز لأن ما بعد الفراغ من الظهر هو الذي
جعل وقتا للعصر وبعد أن يشتغل بالعصر فهو عازم على ترك الظهر أو تأخيره وعذر المطر يجوز الجمع
كعذر السفر وترك الجمعة أيضا من رخص السفر وهي متعلقة بفرائض الصلوات ولو نوى الإقامة
بعد أن صلى العصر فأدركه وقت العصر في الحضر فعليه أداء العصر وما مضى إنما كان مجزيا بشرط أن تبقى
العذر إلى خروج وقت العصر **الرخصة الخامسة** في التنفل راكبا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصلي على راحلته أينما توجهت به دابته وأوتر صلى الله عليه وسلم على الراحلة وليس على المتنفل الراكب في
الركوع والسجود إلا الإيماء وينبغي أن يجعل سجوده أخفض من ركوعه ولا يلزمه الانحناء إلى الحد الذي يتعرض
لخطر بسبب الدابة فإن كان في مرقد فليتم الركوع والسجود فإنه قادر عليه وأما استقبال القبلة
فلا يجب لا في ابتداء الصلاة ولا في دوامها ولكن صوب الطريق بدل عن القبلة فليكن في جميع
صلاته إما مستقبل القبلة أو متوجها صوب الطريق ليكون له جهة يثبت فيها ولو حرف دابته
عن الطريق قصدا بطلت صلاته إلا إذا حرفها إلى القبلة ولو حرف ناسيا وقصر الزمان لم تبطل وإن
طال ففيه وجهان وإن جمحت الدابة فانحرفت لم تبطل لأن ذلك مما يكثر وقوعه وليس عليه سجود سهو لأن
الجماح غير منسوب إليه بخلاف ما لو انحرف ناسيا فإنه يسجد للسهو بالإيماء **الرخصة السادسة**

التنفل ماشيا جائز في السفر ويومي بالركوع والسجود ولا يقعد للتشهد لان ذلك يبطل فائدة الرخصة
وحكمه حكم الراكب لكن ينبغي ان يتحرم بالصلاة مستقبلا فان الانحراف في لحظة لا عسر فيه بخلاف
الدابة فان في تحريفها فان كان العنان بيده نوع عسر وربما يكثر الصلاة فيطول ذلك عليه ولا ينبغي
ان يمشي في نجاسة رطبة عمدا فان فعل بطلت صلاته بخلاف ما لو وطيت دابة الراكب نجاسة وليس
عليه ان يشوش المشي على نفسه بالاحتراز من النجاسة التي لا يخلو الطريق عنها غالبا وكل هارب
من عدو او سيل او سبع فله ان يصلي الفريضة راكبا او ماشيا كما ذكرنا في التنفل **الرخصة السابعة
الفطر** وهو في الصوم فللمسافر ان يفطر الا اذا اصبح مقيما ثم سافر فعليه الاتمام ذلك اليوم وان اصبح
مسافرا صايما ثم اقام فعليه الاتمام وان اقام مفطرا فليس عليه الامساك بقية نهاره وان اصبح
مسافرا على عزم الصوم لم يلزمه بل له ان يفطر اذا اراد والصوم افضل من الفطر والقصر افضل
من الاتمام للخروج عن شبهة الخلاف ولانه ليس في عهدة القضا بخلاف المفطر فانه في عهدة القضا
وربما يتعذر عليه ذلك بعايق فيبقى في ذمته الا اذا كان يضر به فالافطار افضل فهذه ثمانية رخص
تتعلق منها بالسفر الطويل وهي القصر والفطر والمسح ثلاثة ايام وتتعلق اثنان بالسفر طويلا
او قصيرا وهو سقوط الجمعة وسقوط القضا عند الاداء للصلاة بالتيمم واما الصلاة النافلة
ماشيا وراكبا ففيه خلاف والاصح جوازه في القصير والجمع بين الصلاتين فيه خلاف والاظهر اختصاصه
بالطويل واما صلاة الفرض راكبا وماشيا للخوف فلا يتعلق بالسفر وكذا اكل الميتة وكذا اداء الصلاة
في الحال بالتيمم عند فقد الماء بل يشترط فيهما الحضر والسفر مهما وجدت اسبابها **فان قلت**
فالعلم بهذه الرخص هل يجب على المسافر تعلمه قبل السفر ام يستحب له ذلك فاعلم انه ان كان عازما على ترك
المسح والقصر والجمع والفطر وترك التنفل راكبا وماشيا لم يلزمه علم شروط الرخص لان الترخص
ليس بواجب واما علم رخصة التيمم فيلزمه لان فقد الماء ليس اليه الا ان يسافر على شط نهر يوثق ببقاء مائه
او يكون معه في الطريق عالم يقدر على استفتائه عند الحاجة فله ان يوخر الى وقت الحاجة اما اذا كان
يظن عدم الماء ولم يكن معه عالم فيلزمه التعلم لا محالة **فان قلت** التيمم يحتاج اليه لصلاة لم يدخل
بعد وقتها فكيف يجب علم الطهارة لصلاة لم تجب وربما لا تجب فاقول من بينه وبين الكعبة مسافة
لا تقطع الا في سنة يلزمه قبل اشهر الحج ابتدا السفر ويلزمه علم المناسك لا محالة اذا كان يظن انه
لا يجد في الطريق من يتعلم منه لان الاصل الحياة الى الوجوب وما لا يتوصل الى الواجب الا به فهو واجب وكل ما يتوقع وجوبه توقعا ظاهرا
غالبا على الظن وله شرط لا يتوصل اليه الا بتقديم ذلك الشرط على وقت الوجوب فيجب تقديم الشرط
لا محالة كعلم المناسك قبل وقت الحج وقبل مباشرته فلا يحل اذا للمسافر ان ينشي السفر ما لم يتعلم
هذا القدر الذي ذكرناه من علم التيمم وساير الرخص فانه اذا لم يتعلم القدر الجايز من رخصة السفر
لم يمكنه الاقتصار عليه **فان قلت** فانه اذا لم يتعلم كيفية التنفل راكبا وماشيا ماذا يضره وغايته
اذا صلى ان يكون صلاته فاسدة وهي غير واجبة فكيف يكون علمها واجبا فاقول من الواجب ان لا يصلي
النفل على نعت الفساد والتنفل مع الحدث والنجاسة والى غير القبلة ومن غير اتمام شروط
الصلاة واركانها حرام فعليه ان يتعلم ما يحترز به عن النافلة الفاسدة حذرا من الوقوع في
المحظور فهذا بيان علم ما يخفف عن المسافر في سفره **القسم الثاني** ما يتجدد من الوظيفة بسبب
السفر وهو علم القبلة والاوقات وذلك ايضا واجب في الحضر ولكن في الحضر من يكفيه من محراب متفق

عليه عن طلب القبلة ومؤذن يراعي الوقت فيغنيه عن طلب علم الوقت والمسافر قد تشتبه عليه
القبلة وقد يلتبس عليه الوقت فلا بد له من العلم بادلة القبلة والمواقيت اما ادلة القبلة
فهي ثلاثة اقسام ارضية كالاستدلال بالجبال والقرى والانهار وهوائية كالاستدلال بالرياح
شمالها وجنوبها وصباها ودبورها وسماوية وهي النجوم فاما الارضية والهوائية فتختلف
بالبلاد فرب طريق فيه جبل مرتفع يعلم انه على يمين القبلة او شمالها او ورائها او قدامها فليتعلم
ذلك وليفهمه وكذلك الرياح قد تدل في بعض البلاد فليفهم ذلك ولسنا نقدر على
استقصا ذلك اذ لكل بلد واقليم حكم اخر واما السماوية فادلتها تنقسم الى نهارية والى ليلية اما
النهارية كالشمس فلا بد ان يراعي قبل الخروج من البلد ان الشمس عند الزوال اين تقع منه
اهي بين الحاجبين او هي على العين اليمنى او اليسرى او تميل الى الجبين ميلا اكثر من ذلك فان الشمس
لا تعدو في البلاد الشمالية هذه المواقع فاذا حفظ ذلك فمهما عرف الزوال بدليله الذي سنذكره
عرف القبلة به وكذلك يراعي موقع الشمس منه وقت العصر فانه في هذين الوقتين يحتاج الى القبلة
بالضرورة وهذا ايضا لما كان يختلف بالبلاد فليس يمكن استقصاوه واما القبلة وقت المغرب
انما تدرك بموضع الغروب وهو بان يحفظ ان الشمس تغرب عن يمين المستقبل او هي مايلة الى وجهه
او الى قفاه وبالشفق ايضا يعرف القبلة لعشا الاخرة وبمشرق الشمس يعرف القبلة لصلاة الصبح
وكان الشمس تدل على القبلة في الصلوات الخمس ولكن يختلف ذلك بالشتا والصيف فان المشارق
والمغارب كثيرة وان كانت محصورة في جهتين فلا بد من تعلم ذلك ايضا ولكن قد يصلي المغرب والعشا
بعد غيبة الشفق فلا يمكنه ان يستدل على القبلة فعليه ان يراعي موضع القطب وهو الكوكب الذي
يقال له الجدي فانه كوكب كالثابت لا يظهر حركته عن موضعه وذلك اما ان يكون على قفا المستقبل
او منكبه الايمن من قفاه او منكبه الايسر في البلاد الشمالية من مكة وفي البلاد الجنوبية كاليمن وما
والاها يقع في مقابلة المستقبل فليتعلم ذلك وما عرفه فليعول عليه في الطريق كله الا اذا طال
السفر فان المسافة اذا بعدت اختلف موقع الشمس وموقع القطب وموقع المشارق والمغارب
الا انه ينتهي في سفره الى بلد فينبغي ان يسال اهل البصيرة او يراقب هذه الكواكب وهو مستقبل
محراب جامع البلد حتى يتضح له ذلك فمهما تعلم من هذه الادلة فله ان يعول عليه فان بان له انه
اخطا من جهة القبلة الى جهة اخرى من الجهات الاربع فينبغي ان يقضي وان انحرف عن حقيقة
محاذاة القبلة ولكن لم يخرج عن جهتها لم يلزمه القضا وقد اورد الفقها خلافا في ان المطلوب
جهة القبلة او عينها واشكل على قوم معناه اذ قالوا ان قلنا ان المطلوب العين فمتى يتصور هذا
مع بعد الديار وان قلنا المطلوب الجهة فالواقف في المسجد ان استقبل جهة الكعبة وهو
خارج بدنه عن موازاة الكعبة لا خلاف فيه انه لا يصح صلاته وقد طولوا في تاويل معنى الخلاف
في الجهة والعين ولا بد اولا من فهم معنى مقابلة العين ومقابلة الجهة ومعنى مقابلة العين
ان يقف موقفا لو خرج خط مستقيم من بين عينيه الى جدار الكعبة لاتصل به وحصل من جانبي
الخط زاويتان متساويتان **وهذه صورته** والخط الخارج من موقف المصلي يقدر انه خارج
من بين عينيه فهذه صورة مقابلة العين واما مقابلة الجهة فيجوز فيها ان يتصل طرف الخط الخارج
من بين العينين الى الكعبة من غير ان يتساوى الزاويتان عن جنبتي الخط بل لا يتساوى الزاويتان الا اذا

انتهى الخط الى نقطة معينة فهي واحدة فلو مددنا الخط على الاستقامة الى سائر النقط من
يمينها او شمالها كانت الزاوية اضيق فخرج عن مقابلة العين ولكن لا تخرج عن مقابلة
الجهة كالخط الذي كتبنا عليه مقابلة العين ولكن لا تخرج عن مقابلة الجهة لا العين فهذا
وحد تلك الجهة فانه لو قدر الكعبة على طرف ذلك الخط لكان الواقف مستقبلا لجهة الكعبة
لا لعينها وحد تلك الجهة ما يقع بين خطين يتوهمهما خارجين من العينين فيلتقي طرفاهما في داخل
الراس بين العينين على زاوية قائمة فما يقع بين الخطين الخارجين من العينين فهو داخل في الجهة
وسعة ما بين الخطين يتزايد بطول الخطين وبالبعد عن الكعبة **وهذه صورته** فاذا فهم
معنى الجهة والعين فاقول الذي يصح عندنا في الفتوى ان المطلوب العين ان كانت الكعبة مما يمكن
رؤيتها وان كان يحتاج الى الاستدلال عليها لتعذر رؤيتها فيكفي استقبال الجهة فاما طلب العين
عند المشاهدة فمجمع عليه واما الاكتفاء بالجهة عند تعذر المعاينة فيدل عليه الكتاب
والسنة وفعل الصحابة والقياس اما الكتاب فقوله تعالى وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره
اي نحوه ومن قابل جهة الكعبة يقال قد ولى وجهه شطرها **واما** السنة فما روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال لاهل المدينة ما بين المشرق والمغرب قبلة والمغرب يقع على يمين اهل
المدينة والمشرق على يسارهم فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم جميع ما يقع بينهما قبلة ومساحة
الكعبة لا تفي بما بين المشرق والمغرب وانما تفي جهتها **وروي** هذا اللفظ ايضا عن عمر
وعن ابن عمر رضي الله عنهما واما فعل الصحابة رضي الله عنهم فما روي ان اهل مسجد قبا كانوا في
صلاة الصبح بالمدينة مستقبلين لبيت المقدس مستدبرين الكعبة لان المدينة بينهما
فقيل لهم قد حولت القبلة الى الكعبة فاستداروا في اثناء الصلاة من غير طلب دلالة ولم ينكر عليهم
وسمي مسجدهم ذا القبلتين ومقابلة العين من المدينة الى مكة لا تعرف الا بادلة هندسية يطول
النظر فيها فكيف ادركوه على البديهة في اثناء الصلاة وفي ظلمة الليل ويدل ايضا من فعلهم
انهم بنوا المساجد حول مكة وفي سائر بلاد الاسلام ولم يحضروا قط مهندسا عند تسوية المحاريب
ومقابلة العين لا تدرك الا بدقيق النظر الهندسي واما القياس فهو ان الحاجات تمس الى الاستقبال
وبناء المساجد في جميع اقطار الارض ولا يمكن مقابلة العين الا بعلوم هندسية لم يرد الشرع بالنظر
فيها بل ربما يزجر عن التعمق في علمها فكيف ينبني امر الشرع عليها فيجب الاكتفاء بالجهة للضرورة
واما دليل صحة الصورة التي صورناها وهي حصر جهات العالم في اربعة قوله صلى الله عليه وسلم
في قضاء الحاجة لا تستقبلوا بها القبلة ولا تستدبروها ولكن شرقوا او غربوا وقال هذا بالمدينة
والمشرق عن يسار المستقبل بها والمغرب عن يمينه فنهى عن جهتين ورخص في جهتين وجميع ذلك
ومجموعه اربع جهات ولم يخطر ببال احد ان جهات العالم يمكن ان تفرض ستة وسبعة وعشرة وكيف
ما اريد فما حكم الباقي بل الجهات الست في الاعتقادات بناء على خلقة الانسان وليس له الا قدام
وخلف ويمين وشمال وهي اربعة فكانت الجهات بالاضافة الى الانسان في ظاهر النظر اربعة والشرع
لا يبنى الا على مثل هذه الاعتقادات فظهر ان المطلوب الجهة وذلك يسهل امر الاجتهاد وتظهر ان
بعلم ادلة القبلة فاما مقابلة العين فانما تعرف بمعرفة مقدار عرض مكة عن خط الاستواء ومقدار
درجات طوله وهو بعده عن اول عمارة في المشرق ثم يعرف ذلك ايضا في موقف المصلي ثم يقابل احدهما

بالاخر ويحتاج فيهما الى آلات واسباب طويلة والشرع غير مبني عليها قطعا فاذا القدر الذي
لا بد من تعلمه من ادلة القبلة موقع المشرق والمغرب والزوال وموقع الشمس وقت العصر فبهذا
يسقط الوجوب فان قلت فلو خرج المسافر من غير تعلم ذلك فهل يعصي فاقول ان كان طريقه على
قرى متصلة فيها محاريب او كان معه في الطريق بصير بادلة القبلة موثوق بعدالته وبصيرته
ويقدر على تقليده فلا يعصي وان لم يكن شيء من ذلك عصى لانه سيتعرض لوجوب الاستقبال ولم يكن
قد حصل علمه فصار ذلك كعلم التيمم وغيره فان تعلم هذه الادلة فاستبهم عليه الامر بغيم
مظلم او ترك التعلم ولم يجد في الطريق من يقلده فعليه ان يصلي في الوقت على حسب حاله ثم عليه
القضاء سواء اصاب او اخطأ والاعمى ليس له الا اعتقاد فيقلد من يثق به وبدينه وبصيرته ان كان
مقلده مجتهدا في القبلة وان كانت القبلة ظاهرة فله اعتماد قول كل عدل يخبره بذلك في حضر
او سفر وليس للاعمى ولا للجاهل ان يسير في قافلة ليس فيها من يعرف ادلة القبلة حيث يحتاج الى
الاستدلال كما ليس للعامي ان يقيم ببلدة ليس فيها فقيه عالم بتفصيل الشرع بل يلزمه الهجرة الى
حيث يجد من يعلمه دينه وكذا ان لم يكن في البلد الا فقيه فاسق فعليه الهجرة اذ لا يجوز له اعتماد
فتوى الفاسق وان كان معروفا بالفقه مستور الحال في العدالة والفسق فله القبول مهما لم يجد
من له عدالة ظاهرة لان المسافر في البلاد لا يقدر ان يبحث عن عدالة المفتين فان رآه لابسا
الحرير او ما يغلب عليه الابريسم او راكبا فرسا عليه مركب ذهب فقد ظهر فسقه وامتنع عليه قبول
قوله فيطلب غيره وكذلك اذا رآه ياكل على مائدة سلطان اغلب ماله حرام او ياخذ منه ادرارا
او صلة من غير ان يعلم ان الذي ياخذه من غير وجه حلال فكل ذلك فسق يقدح في العدالة ويمنع
من قبول الفتوى والرواية والشهادة **واما معرفة الاوقات** للصلاة الخمس فلا بد منه ووقت
الظهر يدخل بالزوال فان كل شخص يقع له في ابتداء النهار ظل مستطيل في جانب المغرب ثم لا يزال ينقص
الى وقت الزوال ثم ياخذ في الزيادة في جهة المشرق ولا يزال يزيد الى الغروب فليقم المسافر في موضع
او لينصب عصا منتصبة وليعلم على راس الظل ثم لينظر بعده بساعة فان رآه في النقصان فلم يدخل بعد
وقت الصلاة وطريقه ان ينظر في البلد وقت اذان المؤذن المعتمد الى ظل قامته فاذا كانت
مثلا ثلاثة اقدام ونصفا دخل وقت العصر اذا صار ظل كل شخص بعده ستة اقدام ونصفا بالتقريب
ثم ظل الزوال يزيد كل يوم ان كان سفره من اول الصيف وان كان من اول الشتاء ينقص كل يوم و
احسن ما يعرف به ظل الزوال الميزان فليستصحب المسافر وليتعلم اختلاف الظل به في كل وقت
وان عرف موقع الشمس من مستقبل القبلة وقت الزوال وكان في السفر في موضع ظهرت القبلة
فيها بدليل يمكنه ان يعرف الوقت بالشمس بان يضعها بين عينيه مثلا ان كان كذلك في البلد
واما وقت المغرب فيدخل بالغروب ولكن قد يحجب الجبال المغرب عنه فينبغي ان ينظر الى جانب
المشرق فمهما ظهر سواد في الافق مرتفع من الارض قيد رمح فقد دخل وقت المغرب واما وقت العشاء
فيعرف بغيبوبة الحمرة فان كانت تحجبه عنه جبال فيعرفه بظهور الكواكب الصغار وكثرتها فان
ذلك يكون بعد غيبوبة الحمرة واما الصبح فيبدو البياض في الاول مستطيلا كذنب السرحان
فلا حكم له الى ان ينقضي زمان ثم يظهر بياض معترض لا يعسر ادراكه بالعين لظهوره فهذا اول الوقت
قال صلى الله عليه وسلم ليس الصبح هكذا وجمع كفيه انما الصبح هكذا ووضع احدى سبابتيه

على الاخرى وتقصهما واشار به الى العرض وقد يستدل عليه بالمنازل وهي تقريب لا تحقيق فيه بل الاعتماد
على مشاهدة انتشار البياض عرضا لان قوما ظنوا ان الصبح يطلع قبل الشمس باربع منازل وهذا خطا
فان ذلك هو الصبح الكاذب والذي ذكره المحققون انه يتقدم على الشمس بمنزلتين وهذا تقريب ولكن
لا اعتماد عليه فان بعض المنازل يطلع معترضة فيقصر زمان طلوعها وبعضها منتصبة فيطول
زمان طلوعها ويختلف ذلك في البلاد اختلافا يطول ذكره نعم تصلح المنازل لان يعلم بها قرب وقت
الصبح وبعده فاما حقيقة اول الصبح فلا يمكن ضبطه بمنزلتين اصلا وعلى الجملة فاذا بقيت اربع
منازل الى طلوع قرص الشمس فبمقدار منزل يتيقن انه الصبح الكاذب واذا بقي قريب من منزلين
يتحقق طلوع الصبح الصادق من الكاذب وهو مبدا ظهور البياض وانتشاره قبل اتساع عرضه
فمن وقت الشك ينبغي ان يترك الصايم السحور ويتقدم القايم الوتر عليه ولا يصلي صلاة الصبح
حتى ينقضي وقت الشك فاذا تحقق صلى الصبح متصلا به فليس يمكن الشك في الفجر اصلا بل لا بد
من مهلة للتوقف والشك والاعتماد الا على العيان ولا اعتماد في العيان الا على ان يصير الضوء منتشرا
في العرض حتى تبدو مبادي الصفرة وقد غلط في هذا جمع من الناس كثير يصلون قبل الوقت ويدل
عليه ما **روى ابو عيسى** الترمذي في جامعه عن طلق بن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال كلوا واشربوا ولا يهيدنكم الساطع المصعد وكلوا واشربوا حتى يعترض لكم الاحمر وهذا تصريح برعاية
الحمرة و في الباب عن عدي بن حاتم وابي ذر وسمرة وهو حديث حسن غريب والعمل على هذا عند اهل
العلم **وقال** ابن عباس كلوا واشربوا ما دام الضوء ساطعا **وقال** صاحب الغريبين اي مستطيلا
فاذا لا ينبغي ان يعول الا على ظهور الصفرة وكانها مبادي الحمرة وانما يحتاج المسافر الى معرفة الاوقات
لانه قد يبادر بالصلاة قبل الرحيل حتى لا يشق عليه النزول او قبل النوم حتى يستريح فان وطن نفسه
على تاخير الصلاة الى ان يتيقن فيسمح بفوات فضيلة اول الوقت ويتجشم كلفة النزول او كلفة تاخير
النوم الى اليقين استغنى عن تعلم علم الاوقات فكل يوم ان كان سفره من اول الصيف وان كان من اول
الشتا ينقص كل يوم ويحسن ما يعرف به ظل الزوال فان المشكل اوايل الاوقات لا اوساطها والله
اعلم تم كتاب اداب السفر والحمد لله اولا واخرا وصلى الله على سيدنا محمد المصطفى واله واصحابه الطاهرين
الشرفا ورضي الله عن بقية الصحابة اجمعين واغفر لمالكه وكاتبه امين ولوالديه والمسلمين اجمعين
ويتلوه كتاب السماع والوجد وهو الكتاب الثامن من ربع العادات من جملة كتاب احيا علوم الدين
للغزالي والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق و
الحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير وصلى الله على سيدنا محمد واله وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي احرق قلوب اوليايه بنار محبته واسترق هممهم وارواحهم بالشوق الى لقايه
ومشاهدته ووقف ابصارهم وبصايرهم على ملاحظة جمال حضرته حتى اصبحوا من تنسم روح الوصال
سكرى واصبحت قلوبهم من ملاحظة سبحات الجلال والهة حيارى فلم يروا في الكونين شيا سواه
ولم يذكروا في الكونين الا اياه ان تمثلت لابصارهم صورة عبرت الى المصور بصايرهم وان قرعت اسماعهم نغمة
سبقت الى المحبوب سرايرهم وان ورد عليهم صوت مزعج او مقلق او مطرب او محزن او مهيج او مشوق
لم يكن انزعاجهم الا اليه ولا طربهم الا به ولا قلقهم الا عليه ولا حزنهم الا فيه ولا شوقهم الا الى ما لديه
ولا انبعاثهم الا له ولا ترددهم الا حواليه فمنه سماعهم واليه استماعهم فقد اقفل عن غيره ابصارهم
واسماعهم اوليك الذين اصطفاهم الله تعالى لولايته واستخلصهم من بين اصفيايه وخاصته والصلاة
والسلام على محمد المبعوث برسالته وعلى اله واصحابه ائمة الحق وقادته وسلم كثيرا **اما بعد**
فان القلوب والسراير خزاين الاسرار ومعادن الجواهر وقد طويت فيها جواهرها كما طويت النار في الحديد
والحجر واخفيت كما اخفي الما تحت التراب والمدر ولا سبيل الى استثارة خفاياها الا بقدح السماع
ولا منفذ الى القلوب الا من دهليز الاسماع فالنغمات الموزونة المستلذة تخرج ما فيها وتظهر محاسنها
او مساويها فلا يظهر من القلب عند التحريك الا ما يحويه كما لا يرشح الانا الا بما فيه فالسماع للقلب محك
صادق ومعيار ناطق فلا يصل روح السماع اليه الا وقد تحرك فيه ما هو الغالب عليه واذا كانت
القلوب بالطباع مطيعة للاسماع حتى ابدت بوارداتها مكامنها وكشفت بها عن مساويها ومحاسنها
وجب شرح القول في السماع والوجد وبيان ما فيهما من الفوايد والافات وما يستحب فيهما من
الاداب والهيات وما يتطرق اليهما من خلاف العلما في انهما من المحظورات او المباحات ونحن نوضح
ذلك في بابين والله الموفق للصواب **الباب الاول** في اباحة السماع **الباب الثاني** في ادابه
واثاره في القلب بالوجد وفي الجوارح بالرقص والزعقة **الباب** الاول في ذكر اختلاف العلما في اباحة السماع
وكشف الحق فيه **بيان** اقاويل العلما والمتصوفة في تحليله وتحريمه اعلم ان السماع هو اول الامر ويثمر السماع
حالة في القلب تسمى الوجد ويثمر الوجد تحريك الاطراف اما بحركة غير موزونة فتسمى الاضطراب واما موزونة
فتسمى التصفيق والرقص فلنبدا بحكم السماع وهو الاول وننقل فيه الاقاويل المعربة عن المذاهب فيه ثم
نذكر الدليل على اباحته ثم نردفه بالجواب عما تمسك به القايلون بتحريمه فاما نقل المذاهب **فقال**
القاضي ابو الطيب رحمه الله تعالى عن الشافعي ومالك وابي حنيفة وسفيان وجماعة من العلما الفاظا
يستدل بها على انهم راوا تحريمها وقال الشافعي في كتاب ادب القضا ان الغنا لهو مكروه يشبه
الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته وقال القاضي ابو الطيب استماعه من المراة التي
ليست بمحرم له لا يجوز عند اصحاب الشافعي بحال سوا كانت مكشوفة او من ورا حجاب وسوا كانت
حرة او مملوكة وقال الشافعي صاحب الجارية اذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته
وقد حكي عن الشافعي انه كان يكره الطقطقة بالقضيب ويقول وضعته الزنادقة ليشتغلوا به عن
القران وقال الشافعي ويكره من جهة الخبر اللعب بالنرد اكثر مما يكره من اللعب بشي من الملاهي ولا احب
اللعب بالشطرنج واكره كل ما يلعب به الناس لان اللعب ليس من صنعة اهل الدين ولا المروة واما مالك
فقد نهى عن الغنا وقال اذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها وهو مذهب ساير اهل
المدينة الا ابرهيم بن سعد وحده واما ابو حنيفة فانه كان يكره ذلك ويجعل سماع الغنا من الذنوب و
كذلك ساير اهل الكوفة سفيان الثوري وحماد وابرهيم والشعبي وغيرهم فهذا كله نقله القاضي
ابو الطيب الطبري ونقل ابو طالب المكي اباحة السماع عن جماعة وقال سمع من الصحابة عبد الله بن
جعفر وابن الزبير والمغيرة بن شعبة ومعاوية وغيرهم وقال قد فعل ذلك كثير من السلف
صحابي وتابعي باحسان وقال لم يزل الحجازيون عندنا بمكة يسمعون السماع في افضل ايام السنة في

الايام المعدودات التي امر الله تعالى عباده فيها بذكره كايام التشريق ولم تزل اهل المدينة مواظبين
كاهل مكة على السماع الى زماننا هذا فادركنا ابا مروان القاضي وله جوار يسمعن الناس التلحين قد اعدهن
للصوفية قال وكان لعطا جاريتان يلحنان فكان اخوانه يستمعون اليهما قال وقيل لابي الحسن
ابن سالم كيف تنكر السماع وقد كان الجنيد وسري السقطي وذو النون يستمعون فقال كيف انكر السماع
وقد اجازه وسمعه من هو خير مني **وقد كان** عبد الله بن جعفر الطيار يسمع وانما انكر اللهو واللعب في السماع
وروي عن يحيى بن معاذ انه قال فقدنا ثلاثة اشيا فما نراها ولا اراها تزداد الا قلة حسن الوجه
مع الصيانة وحسن القول مع الديانة وحسن الاخا مع الوفا **ورايت** في بعض الكتب هذا بعينه محكيا
عن الحارث المحاسبي وفيه ما يدل على تجويزه السماع مع زهده وتصاونه وجده في الدين وتشمره
قال وكان مجاهد لا يجيب دعوة الا ان يكون فيها سماع **وحكي** عن واحد انه قال اجتمعنا في دعوة
ومعنا ابو القسم ابن بنت منيع وابو بكر ابن ابي داود في اناس فقال ابن ابي داود حدثني ابي عن احمد
بن حنبل انه كره السماع وكان ابي يكرهه وانا على مذهب ابي فقال ابو القسم ابن بنت منيع اما جدي
احمد بن منيع فحدثني عن صالح بن احمد ان اباه كان يسمع قول ابن الخباز فقال ابن مجاهد
لابن ابي داود دعني انت من ابيك وقال لابن منيع دعني انت من جدك ايش تقول يا ابا بكر فيمن انشد
بيت شعر اهو حرام قال ابن ابي داود لا قال فان كان حسن الصوت حرم عليه انشاده قال لا قال
فان انشده وطوله وقصر منه الممدود ومد المقصور يحرم عليه قال انا لم اقو بشيطان واحد فكيف اقوى
بشيطانين قال وكان ابو الحسن العسقلاني الاسود من الاوليا يسمع ويوله عند السماع وصنف فيه
كتابا ورد فيه على منكريه وكذلك جماعة منهم صنفوا في الرد على منكريه **وحكي عن بعض**
الشيوخ انه قال رايت ابا العباس الخضر عليه السلام فقلت ما تقول في هذا السماع الذي اختلف فيه
اصحابنا فقال هو الصفا الزلال الذي لا يثبت عليه الا اقدام العلما **وحكي عن ممشاد الدينوري**
انه قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هل تنكر من هذا السماع شيا فقال
ما انكر منه شيا ولكن قل لهم يفتتحون قبله بالقران ويختتمون بعده بالقران **وحكي عن طاهر** ابن
بلال الهمداني الوراق وكان من اهل العلم انه قال كنت معتكفا في جامع جدة على البحر فرايت يوما طايفة
يقولون في جانب منه قولا ويستمعون فانكرت ذلك بقلبي وقلت في بيت من بيوت الله تعالى يقولون
الشعر قال فرايت النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة وهو جالس في تلك الناحية والى جنبه ابو
بكر الصديق واذا ابو بكر يقول شيا من القول والنبي يستمع اليه ويضع يده على صدره كالواجد بذلك
فقلت في نفسي ما كان ينبغي لي ان انكر على اولئك الذين كانوا يستمعون وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يسمع وابو بكر يقول فالتفت الي النبي صلى الله عليه وسلم وقال هذا حق بحق او قال حق من حق انا اشك
فيه وقال الجنيد تنزل الرحمة على هذه الطائفة في ثلاثة مواضع عند الاكل لانهم لا ياكلون الا عن
فاقة وعند المذاكرة لانهم يتحاورون في مقامات الصديقين وعند السماع لانهم يسمعون بوجد
ويشهدون حقا وعن ابن جريج انه كان يرخص في السماع فقيل له ايؤتى به يوم القيامة في جملة حسناتك
او سيئاتك فقال لا في الحسنات ولا في السيئات لانه شبيه باللغو قال الله تعالى لا يؤاخذكم الله
باللغو في ايمانكم هذا ما نقل من الاقاويل ومن طلب الحق من التقليد فمهما استقصى تعارضت عنده
الاقاويل فيبقى متحيرا او مائلا الى بعض الاقاويل بالتشهي وكل ذلك قصور بل ينبغي ان يطلب الحق

بطريقه وذلك بالبحث عن مدارك الحظر والاباحة كما سنذكره **بيان الدليل** على اباحة السماع اعلم
ان قول القايل السماع حرام معناه ان الله تعالى يعاقب عليه وهذا امر لا يعرف بمجرد العقل بل بالسمع ومعرفة
الشرعيات محصورة في النص او القياس على المنصوص واعني بالنص ما اظهره رسول الله صلى الله عليه وسلم
بقوله او فعله وبالقياس المعنى المفهوم من الفاظه وافعاله فان لم يكن فيه نص ولم يستقم فيه قياس
على منصوص بطل القول بتحريمه وبقي فعلا لا حرج فيه كساير المباحات ولا يدل على تحريم السماع نص ولا
قياس ويتضح ذلك في جوابنا عن ادلة المايلين الى التحريم ومهما تم الجواب عن ادلتهم فيه كان ذلك مسلكا
كافيا في اثبات هذا الغرض ولكن نستفتح ونقول قد دل النص والقياس جميعا على اباحته اما القياس
فهو ان الغنا اجتمع فيه معان ينبغي ان يبحث عن افرادها ثم عن مجموعها فان فيه سماع صوت طيب
ثم موزون مفهوم المعنى محرك للقلب فالوصف الاعم انه صوت طيب ثم الطيب ينقسم الى الموزون
وغيره والموزون ينقسم الى المفهوم كالاشعار والى غير المفهوم كاصوات الجمادات وساير
الحيوانات اما سماع الصوت الطيب من حيث انه طيب فلا ينبغي ان يحرم بل هو حلال بالنص و
القياس اما القياس فانه يرجع الى تلذذ حاسة السمع بادراك ما هو مخصوص به وللانسان عقل
وخمس حواس ولكل حاسة ادراك وفي مدركات تلك الحاسة ما يستلذ فلذة البصر في المبصرات
الجميلة كالخضرة والما الجاري والوجه الحسن وساير الالوان الجميلة وهي في مقابلة ما يكره من الالوان الكدرة
القبيحة وللشم الروايح الطيبة وهي في مقابلة الانتان المستكرهة وللذوق الطعوم اللذيذة كالدسومة
والحلاوة والحموضة وهي في مقابلة المرارة والمزازة المستبشعة وللمس لذة اللين والنعومة والملاسة
وهي في مقابلة الخشونة والضراسة وللعقل لذة العلم والمعرفة وهي في مقابلة الجهل والبلادة
فكذلك الاصوات المدركة بالسمع تنقسم الى مستلذة كصوت العنادل والمزامير والى مستكرهة
كنهيق الحمير وغيرها فما اظهر قياس هذه الحاسة ولذتها على ساير الحواس ولذاتها واما النص فيدل على
اباحة سماع الصوت الحسن **وفي الحديث** ما بعث الله نبيا الا حسن الصوت وقال صلى الله عليه وسلم
لله اشد اذنا للرجل الحسن الصوت بالقران من صاحب القينة الى قينته **وفي الحديث** في معرض
المدح لداود عليه السلام انه كان حسن الصوت في النياحة على نفسه وفي تلاوة الزبور حتى كان
يجتمع الانس والجن والوحش والطير لسماع صوته وكان يحمل من مجلسه اربعمائة جنازة وما
يقرب منها في الاوقات وقال صلى الله عليه وسلم في مدح ابي موسى لقد اعطي مزمارا من مزامير ال
داود وقول الله تعالى ان انكر الاصوات لصوت الحمير يدل بمفهومه على مدح الصوت الحسن ولو جاز
ان يقال انما ابيح ذلك بشرط ان يكون في القران للزمه ان يحرم صوت العندليب لانه ليس من القران
واذا جاز سماع صوت غفل لا معنى له فلم لا يجوز سماع صوت يفهم منه الحكمة والمعاني الصحيحة وان
من الشعر لحكمة فهذا نظر في الصوت من حيث انه طيب حسن **الدرجة الثانية** النظر في الصوت
الطيب الموزون فان الوزن وراء الحسن فكم من صوت حسن خارج عن الوزن وكم من صوت موزون غير مستطاب
والاصوات الموزونة باعتبار مخارجها ثلاثة فانها اما ان تخرج من جماد كصوت المزامير والاوتار
وضرب القضيب والطبل وغيرها واما ان تخرج من حنجرة حيوان وذلك الحيوان اما انسان واما
غيره فاصوات العنادل والقماري وذوات السجع من الطيور مع طيبها موزونة متناسبة المطالع
والمقاطع فلذلك يستلذ سماعها والاصل في الاصوات حناجر الحيوانات وانما وضعت المزامير

على صوت الحناجر وهو تشبيه للصنعة بالخلقة وما من شيء يتوصل اهل الصناعات بصناعتهم
الى تصويره الا وله مثال في الخلقة التي استأثر الله تعالى باختراعها فمنه تعلم الصناع وبه قصدوا
الاقتدا وشرح ذلك يطول فسماع هذه الاصوات يستحيل ان يحرم لكونها طيبة او موزونة فلا ذاهب
الى تحريم سماع صوت العندليب وساير الطيور ولا فرق بين حنجرة وحنجرة ولا بين حيوان
وجماد فينبغي ان يقاس على صوت العندليب الاصوات الخارجة من ساير الاجسام باختيار
الآدمي كالذي يخرج من حلقه او من القضيب والطبل والدف وغيره ولا يستثنى من هذا الا
الملاهي والاوتار والمزامير التي ورد الشرع بالمنع منها لا للذتها اذ لو كان للذة لقيس عليها كل ما
يلتذ به الانسان ولكن حرمت الخمور واقتضت ضراوة الناس بها المبالغة في الفطام عنها
حتى انتهى الامر في الابتدا الى كسر الدنان فحرم معها ما هو شعار اهل الشرب وهي الاوتار والمزامير فقط
وكان تحريمها من قبيل الاتباع كما حرمت الخلوة لانها مقدمة الجماع وحرم النظر الى الفخذ لاتصاله
بالسوأتين وحرم قليل الخمر وان كان لا يسكر لانه يدعو الى السكر وما من حرام الا وله حريم يطيف به
وحكم الحرمة ينسحب على حريمه ليكون حمى للحرام ووقاية له وحصارا مانعا حوله كما قال صلى الله
عليه وسلم ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه فهي محرمة تابعة لتحريم الخمر لثلاث علل احديها
انها تدعو الى شرب الخمر فان اللذة الحاصلة بها انما تتم بالخمر ولمثل هذه العلة حرم قليل الخمر الثانية
انها في قريب العهد بشرب الخمر تذكر مجالس الانس بالشرب فهي سبب الذكر والذكر سبب انبعاث الشوق
وانبعاث الشوق اذا قوي فهو سبب الاقدام ولهذه العلة نهي في الابتدا عن المزفت والحنتم وهي
الاواني التي كانت مخصوصة بها فان مشاهدة صورها تذكرها وهذه العلة تفارق الاولى اذ ليس
فيها اعتبار لذة في الذكر اذ لا لذة في رؤية القنينة واواني الشرب لكن من حيث التذكير بها فان كان
السماع يذكر الشرب تذكيرا يشوق الى الخمر عند من الف ذلك مع الشرب فهو منهي عن السماع لخصوص
هذه العلة فيه الثالثة الاجتماع عليها لما ان صار من عادة اهل الفسق فيمنع التشبه بهم لان
من تشبه بقوم فهو منهم وبهذه العلة نقول بترك السنة مهما صارت شعارا لاهل البدعة خوفا
من التشبه بهم وبهذه العلة يحرم ضرب الكوبة وهو طبل مستطيل دقيق الوسط واسع الطرفين
وضربها عادة المخنثين ولولا ما فيه من التشبه لكان مثل طبل الحجيج والغزو وبهذه العلة نقول لو اجتمع
جماعة وزينوا مجلسا واحضروا آلات الشرب واقداحها وصبوا فيها السكنجبين ونصبوا ساقيا يدور
عليهم ويسقيهم فياخذون من الساقي ويشربون ويحيي بعضهم بعضا بكلماتهم المعتادة بينهم
حرم ذلك عليهم وان كان المشروب مباحا في نفسه لان فيه تشبها باهل الفساد بل لهذا ينهى عن لبس القباء وعن ترك
الشعر على الراس قزعا في بلاد صار القباء من لباس اهل الفساد ولا ينهى عن ذلك فيما وراء النهر لاعتياد
اهل الصلاح ذلك فيهم فبهذه المعاني حرم المزمار العراقي والاوتار كلها كالعود والرباب والبربط و
غيرها وما عدا ذلك فليس في معناها كشاهين الرعاة والحجيج وشاهين الطبالين والطبل والقضيب
وكل آلة يستخرج منها صوت مستطاب موزون سوى ما يعتاده اهل الشرب لان كل ذلك لا يتعلق
بالخمر ولا يذكر بها ولا يشوق اليها ولا يوجب التشبه بأربابها فلم يكن في معناها فبقي على اصل الاباحة قياسا
على اصوات الطيور وغيرها بل اقول سماع الاوتار ممن يضربها على غير وزن متناسب مستلذ حرام
ايضا وبهذا يتبين انه ليست العلة في تحريمها مجرد اللذة الطيبة بل القياس تحليل الطيبات كلها

الا ما في تحليلها فساد قال الله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات الاية فهذه
الاصوات لا تحرم من حيث انها اصوات موزونة وانما تحرم بعارض آخر كما سياتي في العوارض المحرمة
الدرجة الثالثة الموزون المفهوم وهو الشعر وذلك لا يخرج الا من حنجرة الانسان فيقطع
باباحة ذلك لانه ما زاد الا كونه مفهوما والكلام المفهوم غير حرام والصوت الطيب الموزون
غير حرام فاذا لم يحرم الاحاد فمن اين يحرم المجموع نعم ينظر فيما يفهم منه فان كان فيه امر محظور
حرم نثره ونظمه وحرم التصويت به سوا كان بالحان او لم يكن والحق فيه ما قاله الشافعي رضي الله
عنه اذ قال الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح ومهما جاز انشاد الشعر بغير صوت حسن
والحان جاز مع الالحان فان افراد المباحات اذا اجتمعت كان مباحا ومهما انضم مباح الى مباح
لم يحرم الا اذا تضمن المجموع محظورا لا تتضمنه الاحاد ولا محظور ههنا وكيف ينكر انشاد الشعر
وقد انشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة وانشدت
عائشة رضي الله عنها شعر ذهب الذين يعاش في اكنافهم وبقيت في خلف كجلد الاجرب
وروي في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها انها قالت لما قدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم المدينة وعك ابو بكر وبلال وكان بها وبا فقلت يا ابت كيف تجدك وكان ابو بكر اذا اخذته
الحمى يقول شعر كل امرئ مصبح في اهله والموت ادنى من شراك نعله وكان بلال اذا اقلع
عنه رفع عقيرته ويقول شعر الا ليت شعري هل ابيتن ليلة بواد وحولي اذخر وجليل
وهل اردن يوما مياه مجنة وهل يبدون لي شامة وطفيل قالت عائشة رضي الله عنها فاخبرت
رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة وكان صلى الله
عليه وسلم ينقل اللبن مع القوم في بنيان المسجد وهو يقول شعر هذا الحمال لا حمال خيبر
هذا ابر ربنا واطهر وقال ايضا اللهم ان الخير خير الاخرة فارحم الانصار والمهاجرة والبيتان في الصحيحين
وكان يضع لحسان منبرا في المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم او ينافح
ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يؤيد حسان بروح القدس ما نافح او فاخر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولما انشده النابغة شعرا قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفضض الله فاك
وقالت عائشة رضي الله عنها كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتناشدون الاشعار
وهو يتبسم وعن عمرو بن الشريد عن ابيه قال انشدت النبي صلى الله عليه وسلم مائة قافية من قول امية
ابن ابي الصلت كل ذلك يقول هيه هيه ثم قال ان كاد في شعره ليسلم وعن انس ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يحدى له في السفر وان انجشة كان يحدو بالنسا والبرا بن مالك كان يحدو بالرجال فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا انجشة رويدك سوقك بالقوارير ولم يزل الحدا وراء الجمال من عادة العرب
في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان الصحابة رضي الله عنهم وما هي الا اشعار تؤدى باصوات
طيبة والحان موزونة ولم ينقل عن احد من الصحابة انكار ذلك وربما كانوا يلتمسون تارة لتحريك
الجمال وتارة للاستلذاذ فلا يجوز ان يحرم من حيث انه كلام مفهوم مستلذ مؤدى باصوات
طيبة والحان موزونة ثم ذلك والدرجة الرابعة النظر فيه من حيث انه محرك للقلب
ومهيج لما هو الغالب عليه فاقول لله تعالى سر في مناسبة النغمات الموزونة للارواح حتى انها
ليؤثر فيها تاثيرا عجيبا فمن الاصوات ما يفرح ومنها ما يحزن ومنها ما ينوم ومنها ما يضحك ويطرب

ومنها ما يستخرج من الاعضاء حركات على وزنها باليد والرجل والراس ولا ينبغي ان يظن ان ذلك لفهم
معاني الشعر بل هذا جار في الاوتار حتى قيل من لم يحركه الربيع وازهاره والعود واوتاره فهو فاسد
المزاج ليس له علاج وكيف يكون ذلك لفهم المعنى وتاثيره مشاهد في الصبي وهو في مهده فانه
يسكته الصوت الطيب وينصرف نفسه عما يبكيه الى الاصغاء اليه والجمل مع بلادة الطبع يتاثر
بالحداء تاثيرا يستخف معه الاحمال الثقيلة ويستقصر لقوة نشاطها في سماعه المسافات الطويلة
وينبعث فيه من النشاط ما يسكره ويولهه فتراها اذا طالت عليها البوادي واعتراها الاعيا
تحت المحامل اذا سمع منادي الحداء تمد اعناقها وتصغي الى الحادي رافعة اذانها وتسرع في سيرها
حتى تتزعزع عليها محاملها وربما تتلف نفسها من شدة سيرها وثقل الحمل وهي لا تشعر به
لنشاطها **حكي** ابو بكر بن داود الدينوري المعروف بالدقي قال كنت في البادية فوافيت قبيلة
من قبائل العرب فاضافني رجل منهم وادخلني خباءه فرايت في الخباء عبدا اسود مقيدا بقيد ورايت
جمالا قد ماتت بين يدي البيت وقد بقي منها جمل وهو ذابل كانه ينزع روحه فقال لي الغلام
انت ضيف ولك حق فتشفع في فانه مكرم لضيفه فلا يرد شفاعتك فعساه يحل القيد
عني فلما احضروا الطعام امتنعت عن الاكل وقلت لا اكل شيئا ما لم اشفع في هذا العبد فقال ان هذا
الغلام قد افقرني واهلك جميع مالي فقلت ماذا فعل فقال ان له صوتا طيبا وكنت اعيش من
ظهر هذه الجمال فحملها احمالا ثقالا وكان يحدو بها حتى قطعت مسيرة ثلاث ليال في ليلة واحدة
من طيب نغمته فلما حطت احمالها ماتت كلها الا هذا الجمل الواحد الذي تراه ولكن انت ضيفي فلكرامتك
قد وهبته لك قال فاحببت ان اسمع صوته فلما اصبحنا امره ان يحدو على جمل يستقي الماء من بئر هناك فلما
رفع صوته هام ذلك الجمل وقطع حباله ووقعت انا على وجهي فما اظن اني سمعت قط صوتا اطيب منه
فاذا تاثير السماع في القلب محسوس ومن لم يحركه السماع فهو ناقص مائل عن الاعتدال بعيد عن
الروحانية زائد في غلظ الطبع وكثافته على الجمال والطيور بل على سائر البهائم فان جميعها يتاثر
بالنغمات الموزونة ولذلك كانت الطيور تقف على راس داود صلوات الله عليه وسلامه لاستماع
صوته ومهما كان النظر في السماع باعتبار تاثيره في القلب لم يجز ان يحكم فيه مطلقا باباحة وتحريم
بل يختلف ذلك بالاحوال والاشخاص واختلاف طرق النغمات فحكمه حكم ما في القلب قال ابو
سليمان السماع لا يجعل في القلب ما ليس فيه لكن يحرك ما هو فيه فالترنم بالكلمات المسجعة الموزونة
معتاد في مواضع لاغراض مخصوصة ويرتبط بها اثار في القلب وهي سبعة مواضع الاول غناء الحجيج
فانهم يدورون اولا في البلاد بالطبل والشاهين والغناء وذلك مباح لانها اشعار نظمت في وصف
الكعبة والمقام والحطيم وزمزم وسائر المشاعر ووصف البادية وغيرها واثرها تهييج الشوق
الى حج بيت الله تعالى واشتعال نيرانه ان كان ثم شوق حاصل او استثارة الشوق واجتلابه ان لم يكن حاصلا
واذا كان الحج قربة والشوق اليه محمودا كان التشويق اليه بكل ما يشوق محمودا وكما يجوز للواعظ ان
ينظم كلامه في الوعظ ويزينه بالسجع ويشوق الناس الى الحج بوصف البيت والمشاعر ووصف الثواب
عليه جاز لغيره ذلك على نظم الشعر فان الوزن اذا انضاف الى السجع صار الكلام اوقع في القلب فاذا
اضيف اليه صوت طيب ونغمات موزونة زاد وقعه فان اضيف اليه الطبل والشاهين وحركات
الايقاع زاد التاثير وكل ذلك جائز ما لم تدخل فيه المزامير والاوتار التي هي من شعار الاشرار نعم ان قصد به

تشويق من لا يجوز له الخروج الى الحج كالذي اسقط الفرض عن نفسه ولم ياذن له ابواه في الخروج فالسماع
وبكل كلام يشوق فان التشويق الى الحرام حرام وكذا اذا كانت الطريق غير امنة وكان الهلاك غالبا
لم يجز تحريك القلوب ومعالجتها بالتشويق **الثاني** ما يعتاده الغزاة لتحريض الناس على الغزو وذلك
ايضا مباح كالحجاج ولكن ينبغي ان تخالف اشعارهم وطرق الحانهم اشعار الحجاج لان استثارة داعية
الغزو بالتشجيع وتحريك الغيظ والغضب فيه على الكفار وتحسين الشجاعة واستحقار النفس
والمال بالاضافة اليه وبالاشعار المشجعة مثل قول المتنبي **شعر** فان لا تمت تحت السيوف
مكرما ... تمت وتقاسي الذل غير مكرم ... وقوله يرى الجبناء ان الجبن حزم ... وتلك خديعة النفس اللئيم ... و
امثال ذلك وطرق الاوزان المشجعة تخالف الطرق المشوقة وهذا ايضا مباح في وقت يباح
فيه الغزو ومندوب اليه في وقت يستحب فيه الغزو ولكن في حق من يجوز له الخروج الى
الغزو **الثالث** الرجزيات التي يستعملها الشجعان في وقت اللقاء والغرض منها التشجيع للنفس
وللانصار وتحريك النشاط فيهم للقتال وفيه التمدح بالشجاعة والنجدة وذلك اذا كان بلفظ
رشيق وصوت طيب كان اوقع في النفس وذلك مباح في كل قتال مباح ومندوب في كل قتال
مندوب ومحظور في قتال المسلمين واهل الذمة وكل قتال محظور لان تحريك الدواعي الى
المحظور محظور وذلك منقول عن شجعان الصحابة رضي الله عنهم كعلي وخالد رضي الله عنهما
وغيرهما ولذلك نقول ينبغي ان يمنع من الضرب بالشاهين في معسكر الغزاة فان صوته مرقق محزن يحلل
عقدة الشجاعة ويضعف صرامة النفس ويشوق الى الاهل والوطن ويورث الفتور في القتال وكذا
سائر الاصوات والالحان المرققة للقلب المحزنة تباين الالحان المحركة المشجعة فمن فعل ذلك على قصد
تغييرها عن القتال المندوب فهو عاص ومن فعل على قصد التغيير عن القتال المحظور فهو به
مطيع **الرابع** اصوات النياحة ونغماتها وتاثيرها في تهييج الحزن والبكاء وملازمة الكآبة والحزن
قسمان محمود ومذموم اما المذموم فكالحزن على ما فات **قوله تعالى** لكيلا تاسوا على ما فاتكم و
كالحزن على الاموات من هذا القبيل فانه تسخط لقضاء الله تعالى وتاسف على ما لا تدارك له فهذا الحزن
لما كان مذموما كان تحريكه بالنياحة مذموما فلذلك ورد النهي الصريح عن النياحة واما الحزن
المحمود فهو حزن الانسان على تقصيره في امر دينه وبكاؤه على خطاياه والبكاء والتباكي والحزن والتحازن
على ذلك محمود وعليه بكاء ادم صلوات الله عليه وتحريك هذا الحزن وتقويته محمود لانه يبعث
على التشمر للتدارك ولذلك كانت نياحة داود عليه السلام محمودة اذ كان ذلك مع دوام الحزن
وطول البكاء بسبب الخطايا والذنوب فقد كان يبكي ويبكي ويحزن ويحزن حتى كانت الجنائز ترفع من
المجالس وكان يفعل ذلك بالفاظه والحانه وذلك محمود لان المفضي الى المحمود محمود وعلى هذا لا يحرم
على الواعظ الطيب الصوت ان ينشد على المنبر بالحانه الاشعار المحزنة المرققة للقلب ولا ان
يبكي ويتباكى ليتوصل به الى تبكية غيره واثارة حزنه **الخامس السماع** في اوقات السرور تاكيدا للسرور
وتهييجا له وهو مباح ان كان ذلك السرور مباحا كالغناء في ايام العيد وفي العرس وفي وقت قدوم
الغائب وفي وقت الوليمة والعقيقة وذلك عند ولادة المولود وعند ختانه وعند حفظه القران
وكل ذلك معتاد لاجل اظهار السرور ووجه جوازه ان من الالحان ما يثير الفرح والسرور والطرب فكل ما
جاز السرور به جاز اثارة السرور فيه ويدل على هذا من النقل انشاد النساء على السطوح بالدف والالحان

عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم **شعر** طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر
علينا ما دعا لله داع فهذا اظهار للسرور بقدومه وهو سرور محمود فاظهاره بالشعر والنغمات
والرقص والحركات ايضا محمود **فقد نقل عن جماعة من الصحابة** انهم حجلوا في سرور اصابهم
كما سيأتي في احكام الرقص وهو جائز في قدوم كل قادم يجوز الفرح به وفي كل سبب مباح من اسباب
السرور حتى يدل على هذا ما روي في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يسترني بردائه وانا انظر الى الحبشة يلعبون في المسجد حتى اكون انا الذي اسامه فاقدروا
قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو اشارة الى طول مدة وقوفها **وروي** مسلم والبخاري
في صحيحيهما حديث عقيل عن عروة عن عائشة رضي الله عنها ان ابا بكر دخل عليها وعندها جاريتان
في ايام منى يدففان ويضربان والنبي صلى الله عليه وسلم متغش بثوبه فانتهرهما ابو بكر فكشف النبي
صلى الله عليه وسلم عن وجهه فقال دعهما يا ابا بكر فانها ايام عيد وقالت عائشة رضي الله عنها رايت النبي
صلى الله عليه وسلم يسترني وانا انظر الى الحبشة وهم يلعبون في المسجد فزجرهم عمر فقال النبي صلى
الله عليه وسلم امنا يا بني ارفدة يعني من الامن **وفي** حديث ابي طاهر عن ابن وهب والله لقد رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم على باب حجرتي والحبشة يلعبون بحرابهم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يسترني بردائه لكي انظر الى لعبهم ثم يقوم من اجلي حتى اكون انا الذي انصرف **وروي**
عن عائشة رضي الله عنها قالت كنت العب بالبنات عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ياتيني
صواحبي وكن يتقنعن من رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يسربهن الي فيلعبن معي **وفي** رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها ما هذا قالت بناتي قال فما هذا
الذي ارى في وسطهن قالت فرس قال ما هذا الذي عليه قالت جناحان قال فرس له جناحان قالت او
ما سمعت ان لسليمان بن داود خيلا لها اجنحة قالت فضحك حتى بدت نواجذه والحديث محمول عند نا على
عادة الصبيان في اتخاذ الصورة من الخرق والرقاع من غير تكميل صورته بدليل ما روي في بعض الروايات
ان الفرس كان له جناحان من رقع **وقالت** عائشة رضي الله عنها دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث فاضطجع على الفراش وحول وجهه ودخل ابو بكر فانتهرني وقال مزمارة
الشيطان عند النبي صلى الله عليه وسلم فاقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال دعهما فلما اغفل
غمزتهما فخرجتا وكان يوم عيد يلعب السودان بالدرق والحراب فاما سالت رسول الله صلى الله عليه
وسلم واما قال تشتهين تنظرين قلت نعم فاقامني وراءه وخدي على خده ويقول دونكم يا بني ارفدة
حتى اذا مللت قال حسبك قلت نعم قال فاذهبي **وفي** صحيح مسلم فوضعت راسي على منكبه فجعلت انظر
الى لعبهم حتى كنت انا الذي انصرف فهذه الاحاديث كلها في الصحيحين وهو نص صريح في ان الغناء و
اللعب ليس بحرام وفيها دلالة على انواع من الرخص الاول اللعب ولا يخفى عادة الحبشة في الرقص و
اللعب الثاني فعل ذلك في المسجد والثالث قوله صلى الله عليه وسلم دونكم يا بني ارفدة وهو امر باللعب
والتماس له فكيف يقدر كونه حراما والرابع منعه لابي بكر وعمر عن الانكار والتعليل بانه
يوم عيد اي هو وقت السرور وهذا من اسباب السرور الخامس وقوفه طويلا في مشاهدة ذلك وسماعه
لموافقة عائشة رضي الله عنها وفيه دليل على ان حسن الخلق في تطييب النساء والصبيان بمشاهدة
اللعب احسن من خشونة الزهد والتقشف في الامتناع والمنع منه والسادس قوله صلى الله عليه

وسلم لعائشة رضي الله عنها ابتداء اتشتهين ان تنظري فلم يكن ذلك عن اضطرار الى مساعدة الاهل
خوفا من غضب او وحشة فان الالتماس اذا سبق ربما كان الرد سبب الوحشة وهو محذور فيقدم على
محذور فاما ابتداء السؤال فلا حاجة فيه والسابع الرخصة في الغناء والضرب بالدف من الجاريتين
مع انه شبه ذلك بمزمار الشيطان وفيه بيان ان المزمار المحرم غير ذلك والثامن ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يقرع سمعه صوت الجارتين وهو مضطجع ولو كان يضرب بالاوتار في موضع
لما جوز الجلوس ثم لقرع صوت الاوتار سمعه فدل على ان صوت النساء يحرم تحريم صوت المزامير
انما يحرم عند خوف الفتنة فهذه المقاييس والنصوص تدل على اباحة الغناء والرقص والضرب
بالدف واللعب بالدرق والحراب والنظر الى رقص الحبشة والزنوج في اوقات السرور كلها قياسا
على يوم العيد فانه وقت سرور وفي معناه يوم العرس والوليمة والعقيقة والختان ويوم القدوم
من السفر وسائر اسباب الفرح وكل ما يجوز الفرح به شرعا ويجوز الفرح بزيارة الاخوان ولقائهم
واجتماعهم في موضع واحد على طعام او كلام فهو ايضا مظنة السماع **السادس سماع العشاق**
تحريك الشوق وتهييج العشق وتسلية النفس فان كان في مشاهدة المعشوق فالغرض تاكيد اللذة
وان كان مع المفارقة فالغرض تهييج الشوق والشوق وان كان الما ففيه نوع لذة اذا انضاف اليه
رجاء الوصال فان الرجاء لذيذ واليأس مؤلم وقوة لذة الرجاء بحسب قوة الشوق وتحصيل لذة الرجاء
المتعدد والحب للشيء المرجو فهذا السماع تهييج العشق وتحريك الشوق وتحصيل لذة الرجاء المقدر
في الوصال مع الاطناب في وصف حسن المحبوب وهذا حلال ان كان المشتاق اليه ممن يباح اليه وصاله
كمن يعشق زوجته او سريته فيصغي الى غنائها لتتضاعف لذته في لقائها فيحظى بالمشاهدة البصر
بالسماع الاذن ويفهم لطائف معنى الوصال والفراق فتترادف اسباب اللذة فهذا نوع تمتع من
جملة مباحات الدنيا ومتاعها وما الحياة الدنيا كلها الا لعب ولهو وهذا منه وكذلك ان غضبت
منه جاريته او غابت وحيل بينه وبينها بسبب من الاسباب فله ان يحرك بالسماع شوقه
وان يستثير به لذة رجاء الوصال فان باعها او طلقها حرم عليه ذلك بعده اذ لا يجوز تحريك الشوق
حيث لا يجوز تحقيقه بالوصل واللقاء واما من يتمثل في نفسه صورة صبي او امراة لا يحل له النظر
اليها وكان ينزل ما يسمع على ما يتمثل في نفسه فهذا حرام لانه محرك للفكر في الافعال المحظورة المهيجة للداعي
الى ما لا يباح الوصال اليه واكثر العشاق والسفهاء من الشباب في وقت هيجان الشهوة لا ينفكون
عن اضمار شيء من ذلك فذلك ممنوع في حقهم لما فيه من الداء الدفين لا لامر يرجع الى نفس السماع
ولذلك سئل حكيم عن العشق فقال دخان يصعد الى دماغ الانسان يزيله الجماع ويهيجه السماع
السابع سماع من احب الله تعالى وعشقه واشتاق الى لقائه فلا ينظر الى شيء الا راه فيه ولا
يقرع سمعه قارع الا سمعه منه او فيه والسماع في حقه مهيج لشوقه ومؤكد لعشقه وحبه
ومورى زناد قلبه ومستخرج منه احوالا من المكاشفات والملاطفات لا يحيط الوصف بها يعرفها
من ذاقها وينكرها من كل حسه عن ذوقها وتسمى تلك الاحوال بلسان الصوفية وجدا ماخوذا من
الوجود والمصادفة اي يصادف من نفسه احوالا لم يكن يصادفها قبل السماع ثم تكون تلك الاحوال
اسبابا لروادف وتوابع لها تحرق القلب بنيرانها وتنقيه من الكدورات كما ينقي النار الجواهر
المعروضة عليها من الخبث ثم يتبع الصفاء الحاصل به مشاهدات ومكاشفات وهي غاية مطالب

المحبين لله وبها ينال القربات كلها فالمفضي اليها من جملة القربات لا من جملة المعاصي والمباحات
وحصول هذه الاحوال للقلب بالسماع سببه سر الله تعالى في مناسبات النغمات الموزونة
للارواح وتسخير الارواح لها وتأثرها بها شوقا وفرحا وحزنا وانسا وانبساطا وانقباضا ومعرفة
السبب في تأثر الارواح بالاصوات من دقائق علوم المكاشفات والبليد الجامد القاسي القلب
المحروم عن لذة السماع يتعجب من التذاذ المستمع ووجده واضطراب حاله وتغير لونه تعجب البهيمة
من لذة اللوزينج وتعجب العنين من لذة المباشرة وتعجب الصبي من لذة الرياسة واتساع اسباب
الجاه وتعجب الجاهل من لذة معرفة الله ومعرفة جلاله وعظمته وعجائب صنعه ولكل ذلك
سر واحد وهو ان اللذة نوع ادراك والادراك يستدعي مدركا ويستدعي قوة مدركة
فمن لم تكمل قوة ادراكه لم يتصور منه التلذذ فكيف يدرك لذة الطعوم من فقد الذوق
وكيف يدرك لذة الالحان من فقد السمع ولذة المعقولات من فقد العقل فكذلك ذوق
السماع بالقلب بعد وصول الصوت الى السمع يدرك بحاسة باطنة في القلب فالله اعلم
من فقدها عدم لا محالة لذته ولعلك تقول كيف يتصور العشق في حق الله عز وجل حتى يكون
السماع محركا له فاعلم ان من عرف الله عز وجل احبه لا محالة ومن تأكدت معرفته تأكدت محبته بقدر
تأكد معرفته فالمحبة اذا تأكدت سميت عشقا فلا معنى للعشق الا محبة مؤكدة مفرطة ولذلك
قالت العرب ان محمدا عشق ربه لما رأوه يتخلى للعبادة في جبل حراء واعلم ان كل جمال فهو محبوب عند
مدرك الجمال والله جميل يحب الجمال ولكن الجمال ان كان بتناسب الخلقة وصفاء اللون ادرك بحاسة البصر
وان كان الجمال بالجلال والعظمة وعلو الرتبة وحسن الصفات والاخلاق وارادة الخيرات لكافة
الخلق وافاضتها عليهم على الدوام الى غير ذلك من الصفات الباطنة ادرك بحاسة القلب و
لفظ الجمال قد يستعار ايضا لها فيقال ان فلانا جميل وحسن ولا تراد صورته وانما يعنى به انه جميل الاخلاق
محمود الصفات حسن السيرة وقد يحب الرجل بهذه الصفات الباطنة استحسانا لها كما يحب الصورة
الظاهرة وقد تتأكد هذه المحبة فتسمى عشقا وكم من غلاة في حب ارباب المذاهب كالشافعي ومالك
وابي حنيفة حتى يبذلون اموالهم وارواحهم في نصرتهم وموالاتهم ويزيدون على كل عاشق في
الغلو والمبالغة ومن العجائب ان يعقل عشق شخص لم تشاهد قط صورته اجميل ام قبيح وهو الان ميت
لكن لجمال صورته الباطنة وسيرته المرضية والخيرات الحاصلة من علمه لاهل الدين وغير ذلك من الخصال
ثم لا يعقل عشق من الخير والجمال والمحبوب في العالم الا وهو حسنة من حسناته واثر من اثار كرمه وغرفة
من بحر جوده بل كل حسن وجمال في العالم ادرك بالعقول والابصار والاسماع وسائر الحواس من مبتدا
العالم الى منقرضه ومن ذروة الثريا الى منتهى الثرى فهو ذرة من خزائن قدرته ولمعة من انوار حضرته
فليت شعري كيف لا يعقل حب من هذا وصفه وكيف لا يتأكد عند العارفين باوصافه حبه حتى
يجاوز حدا يكون اطلاق اسم العشق عليه ظلما في حقه لقصوره عن الانباء عن فرط محبته فسبحان من احتجب
عن الظهور بشدة ظهوره واستتر عن الابصار باشراق نوره ولولا احتجابه بسبعين حجابا من نور
لاحرقت سبحات وجهه ابصار الملاحظين لجمال حضرته ولولا ان ظهوره سبب خفائه لبهتت
العقول ودهشت القلوب وتخاذلت القوى وتبارت الاعضاء ولو ركبت القلوب من الحجارة و
الحديد لاصبحت تحت مبادي انوار تجليه دكا دكا فانى يطيق كنه نور الشمس ابصار الخفافيش وسيأتي

بتحقيق هذه الاشارة في كتاب المحبة ويرجع الى المحبة لغير الله تقصور وجهل بل المتحقق بالمعرفة لا يعرف غير الله
اذ ليس في الوجود تحقيقا الا الله وافعاله ومن عرف الافعال من حيث انها افعاله لم يجاوز معرفة الفاعل
الى غيره فمن عرف الشافعي وعلمه وتصنيفه من حيث تصنيفه لا من حيث انه بياض وجلد وحبر وورق
وكلام منظوم ولغة عربية فلم يجاوز معرفة الشافعي الى غيره وكل موجود سوى الله فهو تصنيف الله
وفعله وبديع افعاله فمن عرفها من حيث هي صنع الله فرأى من الصنع صفات الصانع كما يرى من
حسن التصنيف فضل المصنف وجلالة قدره كانت معرفته ومحبته مقصورة على الله غير مجاوزة
الى سواه ومن حد العشق ان لا يقبل الشركة وكل ما سوى هذا العشق فهو قابل للشركة اذ كل
محبوب سواه يتصور له نظير اما في الوجود او في الامكان فاما هذا الجمال فلا يتصور له ثان
في الامكان ولا في الوجود فكان اسم العشق على حب غيره مجازا محضا لا حقيقة نعم الناقص القريب
نقصانه من البهيمة قد لا يدرك من لفظ العشق الا طلب الوصال الذي هو عبارة عن تماس ظواهر
الاجساد وقضاء شهوة الوقاع فمثل هذا الناقص القريب نقصانه من البهيمة قد لا يدرك من
لفظ العشق الا طلب الوصال الذي هو عبارة عن تماس الذي هو عبارة عن تماس ظواهر الاجسام
وقضاء شهوة الوقاع فمثل هذا الحمار ينبغي ان لا يستعمل معه لفظ العشق والشوق والوصال
والانس بل يجنب هذه الالفاظ والمعاني كما تجنب البهيمة النرجس والريحان ويخصص بالقت
والحشيش واوراق القضبان فان الالفاظ انما يجوز اطلاقها في حق الله تعالى اذا لم تكن موهمة معنى
يجب تقديس الله تعالى عنه والاوهام تختلف باختلاف الافهام فليتنبه لهذه الدقيقة في مثل هذه
الالفاظ بل لا يبعد ان ينشأ من مجرد سماع صفات الله وجد غالب ينشق بسببه مرارة القلوب فقد
روى ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ذكر غلاما في بني اسرائيل كان على جبل
فقال لامه من خلق السماء قالت الله عز وجل فقال من خلق الارض قالت الله عز وجل قال من خلق الجبل
قالت الله عز وجل قال من خلق هذه الغنم قالت الله عز وجل فقال اني لاسمع لله تعالى شأنا ثم رمى
نفسه من الجبل فتقطع فكأنه سمع ما دل على جلال الله تعالى وتمام قدرته فطرب ووجد ورمى
نفسه في الوجد وما انزلت الكتب الا ليطربوا بذكر الله تعالى رأيت مكتوبا في الانجيل غنينا لكم فلم
تطربوا وزمرنا لكم فلم ترقصوا اي شوقناكم بذكر الله فلم تشتاقوا فهذا ما اردنا ان نذكره من اقسام
السماع فان قلت فهل له حالة يحرم فيها فاقول انه يحرم بخمسة عوارض عارض في المسمع وعارض
في آلة السماع وعارض في نظم الصوت وعارض في نفس المستمع او في مواظبته لان اركان السماع هو
المسمع والمستمع وآلة الاسماع العارض الاول ان يكون المسمع امراة لا يحل النظر اليها
ويخشى الفتنة في سماعها وفي معناها الصبي الذي تخشى فتنته وهذا حرام لما فيه من خوف الفتنة
وليس ذلك لاجل الغناء بل لو كانت المراة بحيث يفتتن بصوتها في المحاورة من غير الحان فلا يجوز محادثتها
وسماع صوتها في القران ايضا وكذلك ايضا الصبي الذي تخاف فتنته فان قلت فهل تقول ان
ذلك حرام بكل حال حسما للباب ام لا يحرم الا حيث تخاف الفتنة في حق من يخاف الفتنة فاقول هذه
مسألة محتملة من حيث الفقه يتجاذبها اصلان احدهما ان الخلوة بالاجنبية والنظر الى وجهها
حرام سواء خيفت الفتنة او لم تخف لانها مظنة الفتنة على الجملة فقضى الشرع بحسم الباب من غير
التفات الى الصور والثاني ان النظر الى الصبيان مباح الا عند خوف الفتنة فلا يلحق الصبيان

بالنسا في عموم الجسم بل يتبع فيه الحال وصوت المراة داير بين هاذين الاصلين فان قصد به الى النظر اليها
وحسن جسم الشاب وهو قياس قريب ولكن بينهما فرق اذ الشهوة تدعوا الى النظر في اول هيجانها ولا
تدعوا الى الصوت وليس تحريك النظر لشهوة المماسة كتحريك السماع بل هو اشد
وصوت المراة في غير الغنا ليس بعورة فما زالت النسا في زمان الصحابة يكلمن الرجال في السلام و
الاستفتا والاجوبة والسوال والمشاورة وغيره ولكن للغنا مزيد اثر في تحريك الشهوة فقياس هذا
على النظر الى الصبيان اولى لانهم لم يومروا بالاحتجاب كما لم يومر النسا بستر الاصوات فينبغي ان يتبع مثار
الفتن ويقصر التحريم عليه هذا هو الاقيس ويتايد بحديث الجاريتين في بيت عايشة رضي الله عنها
اذ نعلم انه صلى الله عليه وسلم كان يسمع صوتهما ولم يحترز منه ولكن لم تكن الفتنة مخوفة عليه فلذلك
لم يحترز فاذا يختلف هذا باحوال المراة واحوال الرجل في كونه شابا وشيخا ولا يبعد ان يختلف
الامر في مثل هذا بالاحوال فانا نقول للشيخ ان يقبل زوجته وهو صايم وليس للشاب ذلك و
القبلة تدعوا الى الوقاع في الصوم وهو محظور والسماع يدعوا الى النظر والمقاربة وهو حرام فيختلف
ذلك ايضا بالاشخاص العارض الثاني في الالة بان تكون من شعار الشرب او المخنثين وهي المزامير
والاوتار وطبل الكوبة فهذه ثلاثة انواع وما عدا ذلك يبقى على اصل الاباحة كالدف وان كان فيه
الجلاجل وكالطبل والشاهين والضرب بالقضيب وساير الالات العارض الثالث في نظم الصوت
وهو الشعر فان كان فيه شي من الخنا والفحش والهجو وهو كذب على الله تعالى او على رسوله او على
الصحابة كما رتبه الروافض في هجا الصحابة وغيرهم فسماع ذلك حرام بالحان وغير الحان والمستمع
شريك القايل وكذلك ما فيه من وصف امراة بعينها فانه لا يجوز وصف المراة بين يدي الرجال فاما هجا
اهل الكفر واهل البدعة فذلك جايز فقد كان حسان ابن ثابت ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويهاجي الكفا وامره رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فاما النسيب وهو التشبيب بوصف
الخدود والاصداغ وحسن القد والقامة وساير اوصاف النسا فهذا فيه نظر والصحيح انه لا
يحرم نظمه وانشاده بصوت وغير صوت وعلى المستمع ان لا ينزله على امراة معينة فان نزله فلينزله
على من يحل له من زوجته وجاريته فان نزله على اجنبية فهو العاصي بالتنزيل واحالة الفكر فيه ومن
هذا وصفه فينبغي ان يجتنب السماع راسا فان من غلب عليه عشق نزل كل ما يسمعه عليه سوا كان
اللفظ مناسبا له او لم يكن اذ ما من لفظ الا ويمكن تنزيله على المعاني بطريق الاستعارة له او لم يكن
والذي يغلب على قلبه حب الله تعالى يتذكر بظلمة الصدغ سواد الكفر وبنضارة الخد نور الايمان
وبذكر الوصال لقا الله تعالى وبذكر الفراق الحجاب عن الله تعالى في زمرة المردودين وبذكر الرقيب
المشوش لروح الوصال عوايق الدنيا وافاتها المشوشة لدوام الانس بالله تعالى ولا يحتاج في تنزيل
ذلك عليه الا استنباط وتفكر ومهلة بل تسبق المعاني الغالبة على القلب الى فهمه مع
اللفظ كما روي عن بعض الشيوخ انه مر في السوق فسمع واحدا يقول الخيار عشرة بحبة فغلبه الوجد
فسئل عن ذلك فقال اذا كان الخيار الناس عشرة بحبة فما قيمة شرارهم وكان واحد يجتاز في السوق
فسمع انسانا يقول يا سعتر بري فغلبه الوجد فقيل له ماذا كان وجدك فقال سمعته كانه
يقول اسع ترى بري حتى ان العجمي قد يغلب عليه الوجد على الابيات المنظومة بلغة العرب فان
بعض حروفها توافق حروف العجمية فيفهم منه معنى اخر فقد انشد بعضهم واحد وما زارني

في الليل الا خياله فتواجد عليه عجمي فسئل عنه فقيل انه يقول ما زار وهو كما يقول فان لفظه زار
بالعجمية يدل على المشرف على الهلاك فتوهم انه يقول كلنا مشرفون على الهلاك واستشعر عنده
خطر هلاك الاخرة والمحترق في حب الله تعالى وجد بحسب فهمه وفهمه بحسب تخيله وليس
من شرط تخيله ان يوافق مراد الشاعر ولغته فهذا الوجد حق وصدق ومن استشعر خطر هلاك
الاخرة فجدير بان يتشوش عليه عقله وتضطرب عليه اعضاوه فاذا ليس في تغير اعيان الالفاظ
كثير فايدة بل الذي غلب عليه حب الله تعالى فلا تضره الالفاظ ولا تمنعه عن فهم المعاني اللطيفة
المتعلقة بمجاري همته الشريفة العارض الرابع في المستمع وهو ان تكون الشهوة غالبة عليه
وكان في غرة الشباب وكانت هذه الصفة اغلب عليه من غيرها فالسماع حرام عليه سوا غلب على
قلبه حب شخص معين او لم يغلب فانه كيف ما كان فلا يسمع الصدغ والخد والوصال والفراق
الا ويحرك ذلك شهوته وينزله على صورة معينة ينفخ الشيطان بها في قلبه فتشتعل فيها نار الشهوة
وتحتد بواعث الشر وذلك هو النصرة لحزب الشيطان والتخذيل للعقل المانع منه الذي هو حزب
الله والقتال دايم في القلب بين جنود الشيطان وهي الشهوات وبين حزب الله وهو نور العقل الا في قلب
قد فتحه احد الجندين واستولى عليه بالكلية وغالب القلوب قد فتحها جند الشيطان وغلب
عليها فيحتاج ان تستانف اسباب القتال لازعاجها فكيف يجوز تكثير اسلحتها وتشحيذ سيوفها
وسنانها والسماع مشحذ لاسلحة جنود الشيطان في حق مثل هذا الشخص فليخرج مثل هذا عن جمع
السماع فانه يستضر به العارض الخامس ان يكون الشخص من عوام الخلق ولم يغلب عليه حب الله
تعالى فيكون السماع له محبوبا ولا غلبت عليه الشهوة فيكون في حقه محذورا ولكنه ابيح في حقه كساير
انواع اللذات المباحة الا انه اذا اتخذه ديدنه وهجيراه وقصر عليه اكثر اوقاته فهذا هو
السفيه الذي ترد شهادته فان المواظبة على اللهو جناية وكما ان الصغيرة بالاصرار والمداومة
تصير كبيرة فبعض المباحات بالمداومة تصير صغيرة وهو كالمواظبة على متابعة الزنوج والحبشة
والنظر الى لعبهم على الدوام فانه ممنوع وان لم يكن اصله ممنوعا اذ فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن هذا القبيل اللعب بالشطرنج فانه مباح ولكن المواظبة مكروهة كراهية شديدة ومهما
كان الغرض اللعب والتلذذ باللهو فذلك انما يباح لما فيه من ترويح القلب اذ راحة القلب
معالجة له في بعض الاوقات لتنبعث دواعيه فتشتغل في ساير الاوقات بالجد في الدنيا كالكسب
والتجارة او في الدين كالصلاة والقراة واستحسان ذلك فيما بين تضاعيف الجد كاستحسان
الخال على الوجه ولو استوعبت الخيلان الوجه لشوهته فما اقبحه فيعود ذلك الحسن قبحا بسبب الكثرة
فما كل حسن يحسن كثيره ولا كل مباح يباح كثيره بل الخبز مباح والاستكثار منه حرام فهذا المباح
كساير المباحات فان قلت فقد ادى مساق الكلام الى انه مباح في بعض الاحوال دون بعض فلم اطلقت
القول اولا بالاباحة اذ اطلاق القول في المفصل بلا او بنعم خلف وخطا فاعلم ان هذا غلط لان الاطلاق
انما يمتنع لتفصيل ينشا من عين ما فيه النظر فاما ما ينشا من الاحوال العارضة المتصلة به من خارج فلا
يمنع الاطلاق الا ترى انا اذا سيلنا عن العسل هو حلال ام لا قلنا انه حلال مع انه حرام على المحرور الذي
يستضر به واذا سيلنا عن الخمر قلنا انه حرام مع انه حلال لمن غص بلقمة ان يشربها ما لم يجد غيرها
ولكن هو من حيث انه خمر حرام وانما ابيح بعارض الحاجة والعسل من حيث انه عسل حلال وانما حرم بعارض

الفرد وما يكون بعارض فلا يلتفت اليه فان البيع حلال ويحرم بعارض الوقوع في وقت النداء يوم الجمعة
وامثاله من العوارض والسماع من جملة المباحات من حيث انه سماع صوت موزون طيب مفهوم وانما تحريمه
بعارض خارج عن حقيقة ذاته واذا انكشف الغطاء عن دليل الاباحة فلا يبالي عن خالف بعد
ظهور الدليل واما الشافعي فليس تحريم الغنا من مذهبه اصلا وقد نص الشافعي وقال في الرجل
يتخذه صناعة لم تجز شهادته وذلك لانه من اللهو المكروه الذي يشبه الباطل ومن صنعه كان
منسوبا الى السفاهة وسقوط المروة وان لم يكن محرما بين التحريم وان كان لا ينسب نفسه الى الغنا و
لا يؤتى لذلك ولا يأتي عليه وانما يعرف بانه يطرب في الحال فيترنم فيها لم تسقط بهذا شهادته واستدل
بحديث الجاريتين كانتا تغنيان عند عائشة رضي الله عنها وقال يونس ابن عبد الاعلى سالت الشافعي
عن اباحة اهل المدينة للسماع فقال الشافعي لا اعلم احدا من علماء الحجاز كره السماع الا ما كان في الاوصاف
فاما الحدا وذكر الاطلال والمرابع وتحسين الصوت بالالحان بالشعر فمباح وحيث قال انه لهو
مكروه يشبه الباطل فقوله لهو صحيح ولكن اللهو من حيث انه لهو ليس بحرام فلعب الحبشة ورقصهم لهو وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر اليه ولا يكرهه بل اللهو واللغو لا يؤاخذ الله به ان عنى به انه فعل
لا فائدة فيه فان الانسان لو وظف على نفسه ان يضع يده على راسه في اليوم مائة مرة فهذا عبث
لا فائدة له ولا يحرم بل قال الله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم فاذا كان ذكر اسم الله تعالى على
الشئ فالمخالفة فيه مع انه لا فائدة فيه لا يؤاخذ به فكيف يؤاخذ بالشعر والرقص واما قوله يشبه
الباطل فهذا لا يدل على اعتقاده التحريم بل لو قال هو باطل صريحا لما دل على التحريم بل دل على خلوه
عن الفائدة فالباطل ما لا فائدة له فقول الرجل لزوجته مثلا بعت نفسي منك وقولها اشتريت
عقد باطل مهما كان القصد اللعب والمطايبة وليس بحرام الا اذا قصد التمليك المحقق
الذي منع الشرع منه واما قوله مكروه فينزل على بعض المواضع التي ذكرناها او ينزل على التنزيه
فانه نص على اباحة لعب الشطرنج وذكر اني اكره كل لعب وتعليله يدل عليه فانه قال ليس ذلك
من عادة ذوي الدين والمروة فهذا يدل على التنزيه ورده الشهادة بالمواظبة عليه لا يدل على
تحريمه ايضا بل قد ترد الشهادة بالاكل في السوق وما يخرم المروة بل الحياكة مباحة وليست
صنعة ذوي الدين والمروة وقد ترد شهادة المحترف بالحرف الخسيسة فتعليله يدل على انه اراد
بالكراهة التنزيه وهذا هو الظن بغيره من كبار الائمة فان ارادوا التحريم فما ذكرناه حجة عليهم
والله اعلم **بيان حجة القائلين بتحريم السماع والزجر عنه والجواب عنه**
احتجوا بقوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث قال ابن مسعود والحسن البصري والنخعي ان
لهو الحديث هو الغنا وروت عائشة رضي الله عنها ان الله تعالى حرم القينة وبيعها وثمنها و
تعليمها فنقول اما القينة فالمراد بها الجارية التي تغني للرجال في مجلس الشرب وقد ذكرنا ان غنا
الاجنبية للفساق ومن يخاف عليهم الفتنة حرام وهم لا يقصدون بالقينة الا ما هو محظور فاما غنا
الجارية لمالكها فلا يفهم تحريمه من هذا الحديث بل لغير مالكها عند عدم الفتنة بدليل ما
روي في الصحيح من غنا الجاريتين في بيت عائشة واما شرا لهو الحديث بالدين استبدالا به ليضل عن
سبيل الله فهو حرام ومذموم وليس النزاع فيه وليس كل غنا بدلا عن الدين مشترى به ومضلا
عن سبيل الله وهو المراد بالاية ولو قرا القران ليضل به عن سبيل الله كان حراما **حكي** عن واحد من المنافقين

انه كان يؤم الناس ولا يقرا الا سورة عبس لما فيه من العتاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهم عمر
رضي الله عنه بقتله والاضلال بالشعر والغنا اولى بالتحريم واحتجوا بقوله تعالى افمن هذا
الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون قال ابن عباس هو الغنا بلغة حمير اي السامد
فنقول فينبغي ان يحرم الضحك وعدم البكا ايضا لان الاية تشتمل عليه فان قيل ان ذلك مخصوص
بالضحك على المسلمين لاسلامهم فهو ايضا مخصوص باشعارهم وغنائهم في معرض الاستهزا بالمسلمين
كما قال والشعرا يتبعهم الغاوون واراد به شعرا الكفار ولم يدل على تحريم نظم الشعر في نفسه
واحتجوا بما روي عن جابر انه عليه السلام قال كان ابليس اول من ناح واول من تغنى فقد جمع بين
النياحة والغنا قلنا لا جرم كما استثني منه نياحة داود عليه السلام ونياحة المذنبين على
خطاياهم فكذلك يستثنى الغنا الذي يراد به تحريك السرور والحزن والشوق حيث يباح تحريكه
بل كما استثني غنا الجاريتين يوم العيد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وغناؤهم عند قدومه
صلى الله عليه وسلم بقولهم طلع البدر علينا من ثنيات الوداع **احتجوا** بما روى ابو امامة عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما رفع احد صوته بغنا الا بعث الله تعالى شيطانين على منكبيه يضربان
باعقابهما على صدره حتى يمسك قلنا هو منزل على بعض انواع الغنا الذي قدمناه وهو الذي
يحرك من القلب ما هو مراد الشيطان من الشهوة وعشق المخلوق واما ما يحرك الشوق الى الله تعالى
او السرور بالعيد او حدوث الولد او قدوم الغائب فهذا كله يضاد مراد الشيطان بدليل
قصة الجاريتين والحبشة والاخبار التي نقلناها من الصحاح فالتجويز في موضع واحد نص
في الاباحة والمنع في الف موضع محتمل للتاويل ومحتمل للتنزيل اما الفعل فلا تاويل له اذ ما حرم
فعله انما يحل بعارض من الاكراه فقط وما ابيح فعله يحرم بعوارض كثيرة حتى النيات والقصود احتجوا
بما روى عقبة بن عامر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كل شيء يلهو به الرجل فهو باطل الا تاديبه فرسه
ورميه بقوسه وملاعبته امراته قلنا فقوله باطل لا يدل على التحريم بل يدل على عدم الفائدة وقد
يسلم ذلك على ان التلهي بالنظر الى الحبشة خارج عن هذه الثلاثة وليس بحرام بل يلحق بالمحظور غير
المحظور قياسا كقوله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث فانه يلحق به رابع و
خامس فكذلك ملاعبة امراته لا فائدة له الا التلذذ وفي هذا دليل على ان التفرج في البساتين
وسماع اصوات الطيور وانواع المداعبات مما يلهو به الرجل فلا يحرم شيء منها وان جاز وصفه
بانه باطل احتجوا بقول عثمان رضي الله عنه ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكري بيميني
منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا فليكن التمني ومس الذكر باليمين حراما ان كان هذا دليل
تحريم الغنا فمن اين يثبت ان عثمان كان لا يترك الا الحرام احتجوا بقول ابن مسعود الغنا ينبت
النفاق في القلب وزاد بعضهم كما ينبت الماء البقل ورفع بعضهم ذلك الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو غير صحيح وبقوله اتى على قوم محرمين وفيهم رجل يتغنى فقال الا لا سمع الله لكم الا لا سمع
الله لكم وعن نافع انه قال كنت مع ابن عمر في طريق فسمع زمارة راع فوضع اصبعيه في اذنيه ثم عدل
عن الطريق فلم يزل يقول يا نافع اتسمع ذلك حتى قلت لا فاخرج اصبعيه وقال هكذا رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم صنع وقال الفضيل الغنا رقية الزنا وقال بعضهم الغنا رائد من رواد
الفجور وقال يزيد بن الوليد اياكم والغنا فانه يزيد الشهوة ويهدم المروة وانه لينوب عن الخمر

ويفعل ما يفعله السكر فان كنتم لا بد فاعلين فجنبوه النسا فان الغنا داعية الزنا فيقول قول ابن مسعود
ينبت النفاق اراد به في حق المغني فانه في حقه ينبت النفاق اذ غرضه كله ان يعرض نفسه على
غيره ويروج صوته ولا يزال ينافق ويتودد الى الناس ليرغبوا في غناه وذلك ايضا لا يوجب تحريما
فان لبس الثياب الجميلة وركوب الخيل المهملجة وسائر انواع الزينة والتفاخر بالحرث والزرع والانعام
ينبت الريا والنفاق في القلب ولا يطلق القول بتحريمها فليس السبب في تحريم النفاق
في القلب المعاصي فقط بل المباحات التي هي مواقع نظر الخلق اكثر تاثيرا ولذلك نزل
ابن عمر عن فرس هملاج تحته وقطع ذنبه لانه استشعر في نفسه الخيلا لحسن مشيته فهذا النفاق من
المباحات وقول ابن عمر الا اسمع الله لكم لا يدل على التحريم من حيث انه غنا بل كانوا محرمين ولا يليق بهم
الرفث وظهر لهم من مخايلهم ان سماعهم لم يكن لوجد وشوق الى زيارة بيت الله بل لمجرد اللهو فانكر
ذلك لكونه منكرا بالاضافة الى حالهم وحال الاحرام وحكايات الاحوال يكثر فيها وجوه الاحتمال
واما وضعه الاصبع في اذنه فيعارضه انه لم يامر نافعا بوضع الاصبع ولا انكر عليه سماعه وانما وضع
هو اصبعه لانه راى ان ينزه في الحال سمعه وقلبه عن صوت ربما يحرك اللهو ويمنعه عن فكرة
كان فيه او هو اولى منه وكذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع انه لم يمنع ابن عمر لا يدل على التحريم
بل يدل على ان الاولى تركه ونحن نرى ان الاولى تركه في اكثر الاحوال بل اكثر مباحات الدنيا الاولى
تركها اذا علم ان ذلك يؤثر في القلب فقد خلع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من الصلاة ثوب
ابي جهم اذ كانت عليه اعلام شغلت قلبه افترى ان ذلك يدل على تحريم الاعلام على الثوب فلعله صلى
الله عليه وسلم كان في حال كان صوت زمارة الراعي تشغله عن تلك الحالة كما كان العلم يشغله عن الصلاة
بل الحاجة الى استثارة الاحوال الشريفة من القلب بحيلة السماع قصور بالاضافة الى من هو دائم الشهود
للحق وان كان كمالا بالاضافة ولذلك قال الحصري ماذا اعمل بسماع ينقطع اذا مات من يسمع منه اشارة
الى ان السماع من الله تعالى هو الدائم فالانبيا على الدوام في لذة السمع والشهود فلا يحتاجون الى
التحريك بالحيلة واما قول الفضيل هو رقية الزنا وكذلك ما عداه من الاقاويل القريبة منه فهو منزل
على سماع الفساق والمغتلمين من الشباب ولو كان ذلك عاما لما سمع من الجاريتين في بيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم واما القياس فغايته ما ذكر فيه ان يقاس على الاوتار وقد سبق الفرق او يقال هو لهو
ولعب وهو كذلك ولكن الدنيا كلها لهو ولعب قال عمر رضي الله عنه لزوجته انما انت لعبة في زاوية
البيت وجميع الملاعبة مع النسا لهو الا الحراثة التي هي سبب وجود الولد وكذلك المزح الذي لا فحش
فيه حلال نقل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة كما سياتي تفصيله في كتاب آفات
اللسان ينبغي ان يتعطل في بعض الاوقات ولاجله كرهت الصلاة في بعض الاوقات فالعطلة معونة
على العمل واللهو معين على الجد ولا يصبر على الجد المحض والحق المر الا نفوس الانبيا فاللهو دوا القلب من
دا الاعيا والملال فينبغي ان يكون مباحا ولكن لا ينبغي ان يستكثر منه كما لا يستكثر من الدوا فاذا اللهو
على هذه النية يصير قربة هذا في حق من لا يحرك السماع من قلبه صفة محمودة يطلب تحريكها بل
ليس له الا اللذة والاستراحة المحضة فينبغي ان يستحب له ذلك ليتوصل به الى المقصود الذي ذكرناه
نعم هذا يدل على نقصان عن ذروة الكمال بل الكامل هو الذي لا يحتاج الى ان يروح نفسه بغير الحق ولكن
حسنات الابرار سيئات المقربين ومن احاط بعلم علاج القلوب ووجوه التلطف بها للسياقة الى الحق

علم قطعا ان ترويحها بامثال هذه الامور دوا نافع لا غنى عنه

الباب الثاني في آثار السماع وآدابه

اعلم ان اول درجة السماع فهم المسموع وتنزيله على معنى يقع للمستمع ثم يثمر الفهم
الوجد ويثمر الوجد الحركة بالجوارح فلينظر في هذه المقامات الثلاث **المقام الاول** في الفهم
وهو يختلف باختلاف احوال المستمع وللمستمع اربعة احوال احداها ان يكون سماعه بمجرد الطبع
اي لا حظ له في السماع الا استلذاذ الالحان والنغمات وهذا مباح وهو اخس رتب السماع والابل
شريكة له فيه وكذا سائر الاولاد والبهائم بل لا يستدعي هذا الذوق الا الحياة فلكل حيوان نوع تلذذ
بالاصوات الطيبة **الحالة الثانية** ان يسمع بفهم ولكن ينزله على صورة مخلوق اما معينا
او غير معين وهو سماع الشبان وارباب الشهوة ويكون تنزيلهم للمسموع على حسب شهواتهم
ومقتضى احوالهم وهذه الحالة اخس من ان نتكلم فيها الا ببيان خستها والنهي عنها والثالثة
ان ينزله على احوال نفسه في معاملته مع الله تعالى وتقلب احواله في التمكن مرة والتعذر اخرى
وهذا سماع المريدين لا سيما المبتدئين فان للمريد لا محالة مرادا هو مقصده ومقصده معرفة
الله تعالى ولقاؤه والوصول اليه بطريق المشاهدة بالسر وكشف الغطا وله في مقصده طريق
هو سالكها ومعاملات هو مثابر عليها وحالات تستقبله في معاملته فاذا سمع ذكر عتاب او خطاب
او قبول او رد او وصل او هجر او بعد او قرب او تلهف على فائت او تعطش الى منتظر او شوق
الى وارد او طمع او ياس او وحشة او استئناس او وفا بالوعد او نقض للعهد او خوف فراق او
فرح وصال او ذكر ملاحظة الحبيب ومدافعة الرقيب او همول العبرات او ترادف الحسرات او
طول الفراق او عدة الوصال او غير ذلك مما تشتمل على وصفه الاشعار فلا بد ان يوافق بعضها
حال المريد في طلبه فيجري ذلك مجرى القداح الذي يوري زناد قلبه فتشتعل به نيرانه ويقوى
به انبعاث الشوق وهيجانه وتهجم بسببه عليه احوال مخالفة لعادته ويكون له مجال رحب
في تنزيل الالفاظ على احواله وليس على المستمع مراعاة مراد الشاعر من كلامه بل لكل كلام وجوه ولكل
ذي فهم في اقتباس المعنى منه حظ ولنضرب لهذه التنزيلات في الفهوم امثلة كيلا يظن
الجاهل ان المستمع لابيات فيها ذكر الفم والخد والصدغ انما يفهم منها ظواهرها ولا حاجة
بنا الى ذكر كيفية فهم المعاني من الابيات ففي حكايات اهل السماع ما يكشف عن ذلك فقد حكي
انه سمع بعضهم قول قائل يقول القائل يقول الرسول غدا نزور فقلت تدري ما
تقول فاستفزه القول واللحن فتواجد وجعل يكرره ويجعل مكان التا نونا فيقول قال الرسول
غدا نزور حتى غشي عليه من شدة الفرح واللذة والسرور فلما افاق سئل عن وجده مم كان فقال ذكرت
قول الرسول ان اهل الجنة يزورون ربهم في كل يوم جمعة مرة وحكى الرقي عن ابن الدراج انه
قال كنت انا وابن الفوطي مارين على دجلة بين البصرة والابلة واذا بقصر حسن المنظر وعليه رجل
بين يديه جارية تغني وتقول **شعر** كل يوم تتلون غير هذا بك اجمل واذا شاب تحت المنظرة
بيده ركوة وعليه مرقعة يستمع فقال يا جارية بالله وبحياة مولاك الا اعدت علي هذا البيت
فاعادت وكان الشاب يقول هذا والله تلوني مع الحق في حالي فشهق شهقة ومات قال فقلنا
قد استقبلنا فرض فوقفنا فقال صاحب القصر للجارية انت حرة لوجه الله تعالى قال ثم
خرج اهل البصرة وصلوا عليه فلما فرغوا من دفنه قال صاحب القصر اشهدكم ان كل شي لي في سبيل الله

لكل جوابي احسانه وهذا الشعر للشبلي قال ثم رمى بثيابه وابن ربابا دوار ترمي باخر ومر على وجهه
والناس ينظرون اليه حتى غاب عن اعينهم وهم يبكون فلم يسمع له بعد خبر والمقصود انه كان
مستغرق الوقت مع الله بحاله وعجزه عن الثبوت على حسن الادب في المعاملة وتاسفه على تقلب
قلبه وميله عن سنن الحق فلما قرع سمعه ما يوافق حاله سمعه من الله تعالى كانه يخاطبه ويقول
لكل يوم تتلون غير هذا بك اجمل ومن كان سماعه من الله وعلى الله وفيه فينبغي ان يكون
قد احكم قانون العلم في معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته والا خطر له في السماع في حق الله تعالى
ما يستحيل عليه ويكفر به ففي سماع المريد المبتدئ خطر الا اذا لم ينزل الا على حالة من حيث لا
يتعلق بوصف الله تعالى ومثال الخطا فيه هذا البيت بعينه ولو سمعه في نفسه وهو
مخاطب به ربه فيضيف التلون الى الله فيكفر به وهذا قد يقع عن جهل محض مطلق غير ممزوج
بتحقيق وقد يكون عن جهل سافر اليه نوع من التحقيق وهو ان يرى تقلب احواله واحوال قلبه بل
تقلب سائر احوال العالم من الله تعالى وهو حق فانه تارة يبسط قلبه وتارة يقبضه وتارة ينوره
وتارة يقسيه وتارة يثبته على طاعته ويقويه عليها وتارة يسلط الشيطان عليه ليصرفه عن
سنن الحق وهذا كله من الله تعالى ومن يصدر منه افعال مختلفة في اوقات متقاربات فقد
يقال له في العادة انه ذو بدوات وانه متلون ولعل الشاعر لم يرد الا نسبة محبوبه الى التلون في
قبوله ورده وتقريبه وابعاده وهو معنى المحنى وسماع هذا كذلك في حق الله تعالى كفر محض
بل ينبغي ان يعلم انه يلون ولا يتلون ويغير ولا يتغير بخلاف عباده وذلك العلم يحصل للمريد
باعتقاد تقليدي ايماني ويحصل للعارف البصير بيقين كشفي حقيقي وذلك من عجائب وصاف
الربوبية وهو المغير من غير ان يتغير ولا يتصور ذلك الا في حق الله تعالى بل كل مغير سواه فلا يغير ما لم
يتغير ومن ارباب الوجد من يغلب عليه حال مثل السكر المدهش فيطلق لسانه بالعتاب مع الله تعالى
ويستنكر استبعاده القلوب وقسمته الاحوال الرفيعة على تفاوت فانه المصطفي لقلوب الصديقين
والمبعد لقلوب الجاحدين والمغرورين فلا مانع لما اعطى ولا معطي لما منع ولم يقطع التوفيق عن الكفار
لجناية متقدمة ولا امد الانبياء بنور الهداية والتوفيق لوسيلة سابقة ولكنه قال تعالى
ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الآية وقال ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس
اجمعين وقال ان الذين سبقت لهم منا الحسنى فان خطر ببالك انه لم اختلفت السابقة وهم في
ربقة العبودية مشتركون نوديت من سرادقات الجلال لا تجاوز حد الادب فانه لا يسئل عما يفعل
وهم يسئلون ولعمري التادب بادب اللسان والظاهر مما يقدر عليه الاكثرون فاما تادب السر عن
اضمار الاستبعاد لهذا الاختلاف الظاهر في التقريب والابعاد والاشقاء والاسعاد مع تقدير الشقاوة
والسعادة ابد الاباد فلا يقوى عليه الا العلماء الراسخون ولهذا قال الخضر عليه السلام لما سئل عن
السماع في المنام انه الصفا الزلال الذي لا يثبت عليه الا اقدام العلماء الراسخين لانه محرك لاسرار القلوب
ومكامنها ومشوش لها بتشويش السكر المدهش الذي يكاد يحل عقدة الادب عن السر الا من عصمه الله
تعالى بنور هدايته ولطف عصمته ولذلك قال بعضهم ليتنا نجونا من هذا السماع راسا براس فهذا
الفن من السماع خطره يزيد على خطر السماع المحرك للشهوة فان غاية ذلك معصية وغاية الخطا
ههنا كفر واعلم ان الفهم قد يختلف باحوال المستمع فيغلب الوجد على مستمعين ببيت واحد

واحدهما مصيب في الفهم والآخر مخطئ او كلاهما مصيبين وقد فهما معنيين متضادين ولكنه بالاضافة
الى اختلاف احوالهما لا يتناقض كما حكي عن عتبة الغلام انه سمع رجلا يقول سبحان جبار السما
ان المحب لفي عنا فقال صدقت وسمعه رجل آخر فقال كذبت فقال بعض ذوي البصائر اصابا جميعا
وهو الحق فالتصديق كلام محب غير ممكن من المراد بل مصدود متعب بالصد متاذ به والكلام محب
والتكذيب كلام مستأنس بالحب مستلذ لما يقاسيه بسبب فرط حبه غير متاثر به او كلام محب
غير مصدود عن مراده في الحال ولا مستشعر خطر الصد في المال وذلك لاستيلاء الرجا وحسن
الظن على قلبه فباختلاف هذه الاحوال يختلف الفهم وحكي عن ابي القاسم ابن مروان وكان قد
صحب ابا سعيد الخراز وترك حضور السماع سنين كثيرة فحضر في دعوة فقال انسان فيها واقف
في الما عطشان ولكن ليس يسقى فقام القوم وتواجدوا فلما سكنوا سالهم عن معنى ما وقع لهم
من معنى البيت فاشاروا الى التعطش الى الاحوال الشريفة والحرمان عنها مع حضور اسبابها
فلم يقنعه ذلك فقيل له فماذا عندك فيه فقال ان يكون في وسط الاحوال ويكرم بالكرامات ولا
يعطى منه ذرة وهو اشارة الى اثبات حقيقة وراء الاحوال والكرامات الاحوال سوابقها والكرامات
تسنح في مباديها والحقيقة بعد لم يقع الوصول اليها فلا فرق بين المعنى الذي فهمه وبين ما ذكروه
الا في تفاوت رتبة المتعطش اليه فان المحروم عن الاحوال الشريفة اولا يتعطش اليها فان مكن منها
تعطش الى ما وراءها فليس بين المعنيين اختلاف في الفهم بل الاختلاف بين الرتبتين وكان
الشبلي كثيرا ما يتواجد على هذا البيت شعر ودادكم هجر وحبكم قلا وعطفكم صد وسلمكم حرب
وهذا البيت يمكن سماعه على وجوه مختلفة بعضها حق وبعضها باطل واظهرها ان يفهم هذا في
الخلق بل في الدنيا باسرها بل في كل ما سوى الله تعالى فان الدنيا مكارة خداعة قتالة لاربابها معادية
لهم في الباطن ومظهرة صورة الود فما استلذت احدا الا استلذت عمره كما ورد في الخبر وكما قال
وكما قال الشاعر في وصف الدنيا شعر تنح عن الدنيا ولا تخطبنها ولا تخطبن قتالة من تناكح فليس
يفي مرجوها بمخوفها ومكروهها اما تاملت راجح لقد قال فيها الواصفون فاكثروا وعندي لها
وصف لعمري صالح سلاف قصاراها ذعاف ومركب شهي اذا استلذذته فهو جامح وشخص جميل
يؤنق الناس حسنه ولكن له اسرار سوء قبائح المعنى الثاني ان ينزله على احوال نفسه في حق الله تعالى فانه
اذا تفكر فمعرفته جهل اذ ما قدروا الله حق قدره وطاعته ريا اذ لا يتقي الله حق تقاته وحبه
معلول اذ لا يدع شهوة من شهواته في حبه ومن اراد الله به خيرا بصره بعيوب نفسه فيرى مصداق
هذا البيت في نفسه وان كان علي الرتبة بالاضافة الى الغافلين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وقال اني لاستغفر الله في اليوم والليلة سبعين
مرة وانما استغفر عن احوال هي درجات قرب بالاضافة الى ما قبلها ولكنها بعد بالاضافة الى ما بعدها
فلا قرب الا ويبقى وراءه قرب لا نهاية له اذ سبيل السلوك الى الله تعالى غير متناهي والوصول الى اقصى
درجات القرب محال المعنى الثالث ان ينظر في مبادي احوال نفسه ثم ينظر في عواقبه فيزدري بها
لاطلاعه على خفايا الغرور فيستغفر ذلك من الله فيسمع البيت في حق الله شكاية من القضا والقدر
وهذا كفر كما سبق بيانه وما من بيت الا ويمكن تنزيله على معان وذلك بقدر غزارة علم المستمع وصفا
قلبه الحالة الرابعة سماع من جاوز الاحوال والمقامات فعزب عن فهم ما سوى الله حتى عزب

عن نفسه واحوالها ومعاملاتها وكان كالمدهوش الغايص في عين الشهود الذي يضاهي حاله حال النسوة
اللاتي قطعن ايديهن في مشاهدة جمال يوسف حتى بهتن وسقط احساسهن وعن مثل هذه الحالة
تعبر الصوفية بانه فني عن نفسه ومهما فني عن نفسه فهو عن غيره افنى فكانه فني عن كل شي الا عن
الواحد المشهود وفني ايضا عن الشهود فان القلب ان التفت الى الشهود والى نفسه بانه مشاهد
فقد غفل عن المشهود فالمستهتر بالمرئي لا التفات له في حال استغراقه الى رؤيته ولا الى عينه
التي بها رؤيته ولا الى قلبه الذي به لذته والسكران لا خبر له من سكره والمتلذذ لا خبر له من استلذاذه
انما خبره من المتلذذ به فقط ومثاله العلم بالشي فانه مغاير للعلم بالعلم بذلك الشي فالعالم
بالشي مهما ورد عليه العلم بالعلم بالشي كان معرضا عن الشي ومثل هذه الحالة قد تطرا في حق
المخلوقين وتطرا ايضا في حق الخالق ولكنه في الغالب يكون كالبرق الخاطف الذي لا يثبت ولا
يدوم فان دام لم تطقه القوة البشرية فربما اضطرب تحت اعبايه اضطرابا يهلك فيه نفسه كما روي
عن ابي الحسن النوري انه حضر مجلسا فسمع هذا البيت شعر ما زلت انزل في ودادك منزلا
تتحير الالباب عند نزوله فقام وتواجد وهام على وجهه فوقع في اجمة قصب قد قطع وبقيت اصوله
مثل السيوف فصار يعدو فيها ويعيد البيت الى الغداة والدم يخرج من رجليه حتى ورم قدماه
وساقاه وعاش بعده اياما ومات رحمه الله تعالى فهذه درجة الصديقين في الفهم والوجد وهي
اعلى الدرجات لان السماع على الاحوال وهي ممتزجة بصفات البشرية نوع قصور وانما الكمال ان يفنى
بالكلية عن نفسه واحواله اعني انه ينساها فلا يبقى له التفات اليها كما لم يكن للنسوة التفات الى الايدي
والسكاكين فيسمع بالله ولله وفي الله ومن الله وهذه رتبة من خاض لجة الحقايق وعبر ساحل الاحوال والاعمال
واتحد بصفاء التوحيد وتحقق بمحض الاخلاص فلم يبق فيه منه شي اصلا بل خمدت بالكلية بشريته وفني التفاته
الى الصفات البشرية رأسا ولست اعني بفنايه فنا جسده بل فنا قلبه ولست اعني بالقلب اللحم والدم بل
سر لطيف له الى القلب الظاهر نسبة خفية وراءها سر الروح الذي هو من امر الله تعالى عرفها من عرفها
وجهلها من جهلها ولذلك السر وجود وصورة ذلك الوجود ما يحضر فيه فاذا حضر فيه غيره فكانه لا
وجود الا للحاضر ومثاله المراة المجلوة المجلية ليس لها لون في نفسها بل لونها لون الحاضر فيها ومثالها
الزجاجة فانها تحكي لون قرارها ولونها لون الحاضر فيها وليس لها في نفسها صورة بل صورتها قبول
الصور ولونها هي هيئة الاستعداد لقبول الالوان تضرب عن هذه الحقيقة في سر القلب بالاضافة
الى ما يحضر فيه قول الشاعر شعر رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها فتشاكل الامر فكانما خمر
ولا قدح وكانما قدح ولا خمر وهذه مقاصه من مقامات علوم المكاشفة منها نشا خيال من
ادعى الحلول والاتحاد وقال انا الحق وحوله يدندن كلام النصارى في دعوى اتحاد اللاهوت بالناسوت
او تدرعها بها او حلولها فيها على ما اختلف فيه عباراتهم وهو غلط محض يضاهي غلط من يحكم على المراة بصورة
الحمرة اذ ظهر فيها لون الحمرة من مقابلها واذا كان هذا غير لايق بعلم المعاملة فلنرجع الى الغرض فقد ذكرنا
تفاوت الدرجات في فهم المسموعات المقام الثاني بعد الفهم والتنزيل الوجد وللناس
كلام طويل في حقيقة الوجد اعني الصوفية والحكما الناظرين في وجه مناسبة السماع للارواح فلننقل
من اقوالهم الفاظا ثم لنكشف عن الحقيقة فيه اما الصوفية فقد قال ذو النون المصري في السماع
انه وارد حق جاء يزعج القلوب الى الحق فمن اصغى اليه بحق تحقق ومن اصغى اليه بنفس تزندق فكانه عبر عن

الوجد بانزعاج القلوب الى الحق وهو الذي يجده عند وروده وارد السماع عبارة عما يوجد عند
السماع قد جال مخبرا عما وجده في السماع في ميادين البها فاوجدني وجود الحق عند العطا فاسقاني
بكاس الصفا فادركت به منازل الرضا فاخرجني الى رياض النزهة والفضا وقال الشبلي السماع
ظاهره فتنة وباطنه عبرة فمن عرف الاشارة حل له استماع العبرة والا فقد استدعى الفتنة وتعرض
للبلية وقال بعضهم السماع غذاء الارواح لاهل المعرفة لانه وصف يدق عن ساير الاعمال ويدرك
برقة الطبع لرقته وبصفاء السر لصفائه ولطفه عند اهله وقال عمرو بن عثمان المكي لا يقع على كيفية
الوجد عبارة لانه سر الله سبحانه وتعالى عند عباده المؤمنين والله اعلم وقال بعضهم الوجد مكاشفات
من الحق والله اعلم وقال ابو سعيد ابن الاعرابي رحمه الله تعالى عليه الوجد رفع الحجاب ومشاهدة
الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب ومحادثة السر وايناس المفقود وهو فناوك من حيث
انت وقال ايضا الوجد اول درجات الخصوص وهو ميراث التصديق بالغيب فلما ذاقوها وسطع
في قلوبهم نورها زال عنهم كل شك وريب وقال ايضا الذي يحجب عن الوجد رؤية اثار النفس و
التعلق بالعلايق والاسباب لان النفس محجوبة باسبابها فاذا انقطعت الاسباب وخلص الذكر
وصحا القلب ورق وصفا ونجعت الموعظة فيه وحل من المناجات في محل قريب وخوطب وسمع الخطاب
باذن واعية وقلب شاهد وسر طاهر شاهد ما كان منه خاليا فذلك هو الوجد لانه قد وجد ما
كان معدوما عنده وقال الوجد ما يكون عند ذكر مزعج او خوف مقلق او توبيخ على زلة او محادثة
بلطيفة او اشارة الى فايدة او شوق الى غايب او اسف على فايت او ندم على ماضي او استجلاب الى
حال او داع الى واجب او مناجاة بسر وهو مقابلة الظاهر بالظاهر والباطن بالباطن والغيب بالغيب
والسر بالسر واستخراج ما لك بما عليك مما سبق لك السعي فيه فيكتب ذلك لك بعد كونه منك
فيثبت لك قدم بلا قدم وذكر بلا ذكر اذ كان هو المبتدي بالنعم والمتولي واليه يرجع الامر كله
فهذا ظاهر علم الوجد واقوال الصوفية من هذا الجنس في الوجد كثيرة واما الحكماء فقال بعضهم
في القلب فضيلة شريفة لم تقدر قوة النطق على اخراجها باللفظ فاخرجتها النفس بالالحان فلما ظهرت
سرت وطربت اليها فاستمعوا من النفس وناجوها ودعوا مناجاة الظواهر وقال بعضهم نتايج السماع
استنهاض العاجز من الراي واستجلاب العازب من الافكار وحدة الكال من الافهام والاراء حتى يثوب
ما عزب وينهض ما عجز ويصفو ما كدر ويمرح في كل راي ونية فيصيب ولا يخطي وياتي ولا يبطي وقال
اخر كما ان الفكر يطرق العلم الى المعلوم فالسماع يطرق القلب الى العالم الروحاني وقال بعضهم
وقد سئل عن سبب حركة الاطراف بالطبع على وزن الالحان والايقاعات فقال ذلك عشق عقلي والعاشق
العقلي لا يحتاج ان يناغي معشوقه بالمنطق الجرمي بل يناغيه ويناجيه بالتبسم واللحظ والحركة
اللطيفة بالحاجب والجفن والاشارة وهذه نواطق اجمع الا انها حادثة واما العاشق البهيمي فانه
يستعمل النطق الجرمي ليعبر به عن ظاهر شوقه الداثر وعشقه الضعيف وقال اخر من حزن
فليسمع الالحان فان النفس اذا دخلها الحزن خمد نورها واذا فرحت اشتعل نورها وظهر فرحها فيظهر
الحنين بقدر قبول القابل وذلك بقدر صفائه ونقائه من الغش والدنس والاقاويل المعروفة في
الوجد والسماع كثيرة ولا معنى للاستكثار منها فلنشتغل بتفهيم المعنى الذي الوجد عبارة عنه
فنقول انه عبارة عن حالة يثمرها السماع وهو وارد حق جديد عقيب السماع يجده المستمع من نفسه

وتلك الحالة لا تخلو من قسمين فانها اما ان ترجع الى مكاشفات ومشاهدات هي من قبيل
العلوم والتنبيهات واما ان ترجع الى تغيرات واحوال ليست من العلوم بل هي كالشوق والخوف
والحزن والقلق والسرور والاسف والندم والبسط والقبض وهذه الاحوال يهيجها السماع و
يقويها فان ضعف بحيث لم يوثر في تحريك الظاهر او تسكينه او تغيير حاله حتى يتحرك على خلاف عادته
او يطرق ويسكن عن النظر والنطق والحركة على خلاف عادته لم يسم وجدا وان ظهر على الظاهر سمي وجدا
اما ضعيفا او قويا بحسب ظهوره وتغييره للظاهر وتحريكه بحسب سبب قوة وروده وحفظ ظاهر
عن التغيير بحسب قوة الواجد وقدرته على ضبط جوارحه فقد يقوى الوجد في الباطن ولا يتغير
الظاهر لقوة صاحبه وقد لا يظهر لضعف الوارد وقصوره عن التحريك وحل عقد التماسك والى المعنى
الاول اشار ابو سعيد ابن الاعرابي حيث قال في الوجد انه مشاهدة الرقيب وحضور القلب والفهم
وملاحظة الغيب ولا يبعد ان يكون السماع سبب الكشف لما لم يكن مكشوفا قبله فان الكشف يحصل
باسباب منها التنبيه والسماع ومنها تغير الاحوال ومشاهدتها وادراكها فان ادراكها نوع علم
يفيد ايضاح امور لم تكن معلومة قبل الورود ومنها صفا القلب والسماع يوثر في تصفية القلب
والصفا سبب الكشف ومنها انبعاث نشاط القلب بقوة السماع فيقوى به على مشاهدة ما كان
يقصر عنه قبل قوته كما يقوى البعير على حمل ما كان لا يقوى عليه قبله فبواسطة هذه الاسباب
يكون سببا للكشف بل القلب اذا صفا ربما تمثل له الحق في صورة مشاهدة او في لفظ منظوم
يقرع سمعه يعبر عنه بصوت الهاتف اذا كان في اليقظة وبالرويا اذا كان في المنام وذلك جزء من
النبوة وعلم تحقيق ذلك خارج عن علم المعاملة وذلك كما روي عن محمد بن مسروق البغدادي انه قال
خرجت ليلة في ايام جاهليتي وانا نشوان وكنت اغني هذا البيت بطيزناباذ كرم ما مررت به الا تعجبت
ممن يشرب الما فسمعت قائلا يقول **شعر** وفي جهنم ما ما تجرعه خلق فابقى له في الجوف امعا
قال فكان ذلك سبب توبتي واشتغالي بالعلم والعبادة فانظر كيف اثر الغنا في تصفية قلبه حتى تمثل
له حقيقة الحق في صفة جهنم في لفظ موزون منظوم وقرع ذلك سمعه الظاهر وعن مسلم العباداني
قال قدم علينا مرة صالح المري وعتبة الغلام وعبد الواحد بن زيد ومسلم الاسواري فنزلوا
على الساحل فهيات لهم ذات ليلة طعاما فدعوتهم اليه فجاوا فلما وضعت الطعام بين ايديهم اذا قائل يقول
رافعا صوته هذا البيت **شعر** وتلهيك عن دار الخلود مطاعم ولذة نفس غيها غير نافع قال
فصاح عتبة الغلام صيحة وخر مغشيا عليه وبكى القوم فرفعت الطعام وما ذاقوا منه والله لقمة وكما
يسمع الصوت الهاتف عند صفا القلب يشاهد ايضا بالبصر صورة الخضر عليه السلام فانه يتمثل لارباب
القلوب بصورة مختلفة وفي مثل هذه الحالة تتمثل الملائكة للانبيا اما على حقيقة صورتها
واما على مثال يحاكي صورتها بعض المحاكاة وراى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل مرتين في صورته و
اخبر عنه بانه كان قد سد الافق وهذا المراد بقوله تعالى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو
بالافق الاعلى الى اخر هذه الايات وفي مثل هذه الاحوال من الصفا يقع الاطلاع على ضماير القلوب وقد يعبر
عن ذلك الاطلاع بالتفرس ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المومن فانه ينظر بنور
الله وقد حكي ان واحدا من المجوس كان يدور على المسلمين وكان يقول ما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم
اتقوا فراسة المومن فكان يذكر تفسيره ولا يقنعه حتى انتهى الى بعض مشايخ الصوفية فساله فقال

معناه ان تقطع الزنار الذي على وسطك تحت ثوبك فقال صدقت هذا معناه واسلم وقال الان عرفت
انك مومن وان ايمانك حق وكما حكي عن ابرهيم الخواص قال كنت ببغداد مع جماعة من الفقرا في الجامع
فاقبل شاب طيب الرايحة حسن الوجه فقلت لاصحابنا يقع لي انه يهودي فكلهم كرهوا ذلك فخرجت وخرج
الشاب ثم رجع اليهم فقال ايش قال الشيخ في فاحتشموا فالح عليهم فقالوا قال انك يهودي
قال فجاني فاكب على يدي واسلم وقال نجد في كتبنا ان الصديق لا تخطي فراسته فقلت امتحن
المسلمين فتاملتهم فقلت ان كان فيهم صديق ففي هذه الطايفة لانهم يقولون حديثه سبحانه
فلبست عليكم فلما اطلع على الشيخ وتفرس في علمت انه صديق وصار الشاب من كبار الصوفية والى
مثل هذا الكشف الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا
الى ملكوت السموات وانما تحوم الشياطين على القلوب اذا كانت مشحونة بالصفات المذمومة
فانها مرعى الشيطان ومن خلص قلبه من تلك الصفات وصفا لم يطف الشيطان حول قلبه واليه الاشارة
بقوله صلى الله عليه وسلم وبقوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين وبقوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
والسماع سبب لصفا القلب وهو شبكة للحق بواسطة الصفا وعلى هذا يدل ما روي ان ذا النون
المصري دخل بغداد فاجتمع اليه قوم من الصوفية ومعهم قوال فاستاذنوه في ان يقول شيا فاذن له
فانشا يقول **شعر** صغير هواك عذبني فكيف به اذا احتنكا وانت جمعت من قلبي هوى
قد كان مشتركا فقام ذو النون وسقط على وجهه ثم قام رجل اخر فقال له الذي يراك حين تقوم فجلس
في الساجدين فقال ذو النون الذي يراك حين تقوم ثم جلس ذلك الرجل فكان ذلك اطلاعا من ذي
النون على قلبه انه متكلف متواجد فعرفه ان الذي يراه حين يقوم هو الخصم اذ قيامه لغير الله تعالى ولو كان
الرجل صادقا لما جلس فاذا قد رجع حاصل الوجد الى مكاشفات والى حالات واعلم انه ينقسم كل واحد
منهما الى ما يمكن التعبير عنه عند الافاقة منه والى ما لا يمكن العبارة عنه اصلا ولعلك تستبعد
حالة او علما لا يعلم حقيقته ولا يمكن التعبير عن حقيقته فلا تستبعد فانك تجد في احوالك
القريبة ما تشاهده اما العلم فكم من فقيه يعرض عليه مسالتان متشابهتان في الصورة ويدرك
الفقيه بذوقه ان بينهما فرقا في الحكم واذا كلف ذكر وجه الفرق لم يساعده اللسان وان كان من افصح
الناس فيدرك بذوقه الفرق ولا يمكنه التعبير عنه وادراكه الفرق علم يصادفه في قلبه بالذوق ولا
شك في ان لوقوعه في قلبه سببا وله حقيقة عند الله تعالى ولا يمكنه الاخبار عنه لا لقصور في لسانه
بل لدقة المعنى عن ان تناله العبارة وهذا مما قد يتفطن له المواظبون على النظر في المشكلات واما
الحال فكم من انسان يدرك في قلبه في الوقت الذي يصبح فيه قبضا او بسطا ولا يعلم سببه وقد
يتفكر الانسان في شي فيوثر في نفسه اثرا فينسى ذلك السبب ويبقى الاثر في نفسه وهو يحس به وقد
تكون الحالة التي يحسها سرورا ثبت في نفسه بتفكره في سبب موجب للسرور او حزنا فينسى المتفكر
فيه ويحس بالاثر عقيبه وقد تكون تلك الحالة حالة غريبة لا يعرب عنها لفظ السرور والحزن ولا يصادف
لها عبارة مطابقة مفصحة عن المقصود بل ذوق الشعر الموزون والفرق بينه وبين غير الموزون
يختص به بعض الناس دون بعض وهي حالة يدركها صاحب الذوق بحيث لا يشك فيها اعني التفرقة
بين الموزون والمزحف ولا يمكنه التعبير عنه بما يتضح به مقصوده لمن لا ذوق له ففي النفس احوال
غريبة هذا وصفها بل المعاني المشهورة من الخوف والحزن والسرور انما تحصل في السماع عن غنا مفهوم

فاما الاوتار وسائر احوال النغمات التي ليست موزونة تؤثر في النفس تاثيرا عجيبا ولا يمكن التعبير
عن عجايب تلك الاوتار وقد يعبر عنها بالشوق ولكن شوق لا يعرف صاحبه المشتاق اليه فهو
عجيب والذي اضطرب قلبه بسماع الاوتار او الشاهين ليس يدري ما هو حتى يقع ذلك للعوام
ومن لا يغلب على قلبه لا حب ادمي ولا حب الله تعالى وهذا له سر وهو ان كل شوق فله ركنان
احدهما صفة المشتاق وهو نوع مناسبة مع المشتاق اليه والثاني معرفة المشتاق اليه ومعرفة
صورة الوصول اليه فان وجدت الصفة التي بها الشوق ووجد العلم بصورة المشتاق اليه كان
الامر ظاهرا وان لم يوجد العلم بالمشتاق ووجدت الصفة المشوقة وحركت تلك الصفة واشتعل
نارها اورث دهشة وحيرة لا محالة ولو نشا ادمي وحده بحيث لم ير صورة النسا ولا علم صورة الوقاع
ثم راهق الحلم وغلبت عليه الشهوة لكان يحس من نفسه بنار الشهوة ولا يدري انه يشتاق الى الوقاع
لانه ليس يدري صورة الوقاع ولا صورة النسا فكذلك في نفس الادمي مناسبة مع العالم الاعلى واللذات
التي وجدت في سدرة المنتهى والفراديس العلا الا انه لم يتخيل من هذه الامور الا الصفات كالذي
سمع لفظ الوقاع والنسا ولم يشاهد صورة امراة قط ولا صورة رجل ولا صورة نفسه في المراة ليعرف
بالمقايسة والسماع يحرك الشوق والجهل المفرط والاشتغال بالدنيا انساه نفسه وانساه ربه وانساه
مستقره الذي اليه حنينه واشتياقه بالطبع فيتقاضاه قلبه امرا ليس يدري ما هو فيدهش ويتحير
ويضطرب ويكون كالمختنق الذي لا يعرف طريق الخلاص فهذا وامثاله من الاحوال التي لا يدرك تمام
حقايقها ولا يمكن المتصف بها ان يعبر عنها فقد ظهر انقسام الوجد الى ما يمكن اظهاره والى ما لا يمكن
واعلم ان الوجد ايضا ينقسم الى هاجم والى متكلف ويسمى التواجد والتواجد المتكلف فمنه مذموم
وهو الذي يقصد به الريا واظهار الاحوال الشريفة مع الافلاس عنها ومنه ما هو محمود وهو التوصل
الى استدعا الاحوال الشريفة واكتسابها واجتلابها بالحيلة فان للكسب مدخلا في جلب الاحوال الى
الاحوال وكذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يحضره البكا في قراة القران ان يتباكا ويتحازن
فان هذه الاحوال قد تتكلف مباديها ثم تتحقق اواخرها وكيف لا يكون التكلف سببا في ان يصير المتكلف
بالاخرة طبعا وكل من يتعلم القران اولا يحفظه تكلفا ويقراه تكلفا مع تمام التامل واحضار الذهن
ثم يصير ذلك ديدنا للسان مطردا حتى يجري به لسانه في الصلاة وهو غافل فيقرا تمام السورة وتثوب
نفسه اليه بعد انتهايه الى اخرها ويعلم انه قراها في حال غفلته وكذلك الكاتب يكتب بجهد
شديد في الابتدا ثم تتمرن عليه يده فتصير الكتابة له طبعا فيكتب اوراقا وهو مستغرق النفس بذكر
اخر فجميع ما تحتمله النفس والجوارح من الصفات لا سبيل الى اكتسابها الا بالتكلف والتصنع اولا ثم
يصير بالعادة طبعا وهو المراد بقول بعضهم العادة طبيعة خامسة فكذلك الاحوال الشريفة لا
ينبغي ان يغفل عنها عند فقدها بل ينبغي ان يتكلف اجتلابها بالسماع وغيره ولقد شوهد في العادات
من اشتهى ان يعشق شخصا ولم يكن يعشقه فلم يزل يردد ذكره على نفسه ويديم النظر اليه ويقرر
على نفسه الاوصاف المحبوبة والاخلاق المحبوبة فيه حتى عشقه ورسخ ذلك في قلبه رسوخا خرج عن
حد اختياره واشتهى بعده الخلاص منه فلم يتخلص فكذلك حب الله والشوق الى لقايه والخوف
من سخطه وغير ذلك من الاحوال الشريفة اذا فقدها الانسان فينبغي ان يتكلف اجتلابها بمجالسة الموصوفين
بها ومشاهدة احوالهم وتحسين صفاتهم في النفس وبالجلوس معهم في السماع وبالدعا والتضرع

الى الله تعالى في ان يرزقه تلك الحالة بان ييسر له اسبابها ومن اسبابها السماع ومجالسة الصالحين
والخايفين والمحبين والمشتاقين والخاشعين فمن جالس شخصا سرت اليه صفاته من حيث
لا يدري ويدل على امكان تحصيل الحب وغيره من الاحوال بالاسباب قول النبي صلى الله عليه وسلم
اللهم ارزقني حبك وحب ما يقربني الى حبك فقد فزع الى الدعا في طلب الحب فهذا بيان
انقسام الوجد الى مكاشفة والى احوال وانقسامه والى ما يمكن الافصاح عنه والى ما لا يمكن
وانقسامه الى المتكلف والى المطبوع فان قلت فما بال هؤلاء لا يظهر وجدهم على القران وهو كلام
الله ويظهر على الغنا وهو كلام الشعرا فلو كان ذلك حقا من لطف الله ولم يكن باطلا من غرور
الشيطان لكان القران اولى به من الغنا فنقول الوجد الحق هو ما ينشا من فرط حب الله تعالى وصدق
ارادته والشوق الى لقايه وذلك يهيج بسماع القران ايضا وانما الذي لا يهيج بالقران حب الخلق
والعشق للمخلوق ويدل على ذلك قوله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب وقوله تعالى مثاني
تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وكل ما يوجد عقيب السماع
بسبب السماع في النفس فهو وجد فالطمانينة والاقشعرار والخشية ولين القلب كل ذلك
وجد قال الله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وقال تعالى لو انزلنا هذا القران
على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله فالوجل والخشوع وجد من قبيل الاحوال وان
لم يكن من قبيل المكاشفات ولكن قد يصير سببا للمكاشفات والتنبيهات ولهذا قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم زينوا القران باصواتكم وقال لابي موسى الاشعري لقد اوتي مزمارا من مزامير
آل داود واما الحالة والحكايات الدالة على ان ارباب القلوب ظهر عليهم الوجد عند سماع القران
فكثيرة فقوله صلى الله عليه وسلم شيبتني هود خبر عنه فان الشيبة تحصل من الحزن والخوف وذلك
وجد وروي ان ابن مسعود قرا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتهى الى قوله فكيف اذا جئنا من
كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلا شهيدا فقال حسبك وكانت عيناه تذرفان بالدمع وفي
رواية انه قرا هذه الاية ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما فصعق وسمع عمر رجلا
يقرا ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع فصاح صيحة وخر مغشيا عليه فحمل الى بيته فلم يزل
مريضا في البيت شهرا وانه صلى الله عليه وسلم قرا ان تعذبهم فانهم عبادك فبكى وكان عليه السلام
اذا مر باية رحمة دعا واستبشر والاستبشار وجد وقد اثنى الله تعالى على اصحاب الوجد بالقران فقال
واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق وروي ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان يصلي ولصدره ازيز كازيز المرجل واما ما نقل من الوجد بالقران عن الصحابة والتابعين
فكثير فمنهم من صعق ومنهم من بكى ومنهم من غشي عليه ومنهم من مات في غشيته وكان
زرارة بن اوفى من التابعين يوم الناس فقرا فاذا نقر في الناقور فصعق ومات وابو جرير من التابعين
قرا عليه صالح المري فشهق ومات وسمع الشافعي قاريا يقرا هذا يوم لا ينطقون فسقط مغشيا
عليه وسمع علي بن الفضيل بن عياض قاريا يقرا يوم يقوم الناس لرب العالمين فسقط مغشيا عليه فقال
الفضيل شكر الله لك ما قد علمه منك وكذلك نقل عن جماعة منهم وكذلك الصوفية فقد كان
الشبلي في مسجده ليلة من رمضان وهو يصلي خلف امام له فقرا ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك
فزعق الشبلي زعقة ظن الناس انه طارت روحه واحمر وجهه وارتعد وكان يقول بمثل هذا الخطاب

يخاطب الاحباب برد ذلك السر اليه وحكى الجنيد دخلت على سري السقطي فرايت بين يديه رجلا قد غشي
عليه فقال لي هذا رجل قد سمع اية من القران فغشي عليه فقلت اقرؤا عليه تلك الاية فقرئ فافاق
فقال من اين قلت هذا فقلت رايت يعقوب كان عماه من اجل مخلوق فبمخلوق ابصر ولو كان عماه من
اجل الحق ما ابصر بمخلوق فاستحسن ذلك ويشير اليه ما قاله الشاعر حيث يقول وكاس شربت
على لذة واخرى تداويت منها بها وسمع رجل من اهل التصوف قاريا يقرا يا ايتها النفس المطمئنة
ارجعي الى ربك راضية فاستعادها من القاري وقال كم اقول لها ارجعي وليست ترجع وتواجد
وزعق زعقة فخرجت روحه فيها وسمع بكر بن معاذ قاريا يقرا وانذرهم يوم الازفة فاضطرب ثم
صاح ارحم من انذرته ولم يقبل اليك بعد الانذار بطاعتك ثم غشي عليه وكان ابرهيم ابن
ادهم اذا سمع احدا يقرا اذا السماء انشقت اضطربت اوصاله حتى كان يرتعد وعن محمد بن
صبيح قال كان رجل يغتسل بالفرات فمر به رجل على الشط يقرا وامتازوا اليوم ايها المجرمون فلم
يزل يضطرب حتى غرق ومات وذكر ان سلمان الفارسي ابصر شابا يقرا فاتى على اية فاقشعر جلده
فاحبه وفقده فسال عنه فقيل انه مرض فاتاه يعوده فاذا هو في الموت فقال يا ابا عبد الله
رايت تلك القشعريرة التي كانت مني فانها اتتني في احسن صورة واخبرتني ان الله تعالى قد غفر
لي بها كل ذنب وقال بعض الصوفية كنت اقرا تلك الليلة هذه الاية كل نفس ذائقة الموت فجعلت
اردها فاذا هاتف يهتف كم تردد هذه الاية فقد قتلت اربعة من الجن لم يرفعوا رؤسهم
الى السما منذ خلقوا فقال ابو علي المغازلي للشبلي ربما يطرق سمعي اية من كتاب الله تعالى فتجذبني
على الاعراض عن الدنيا ثم ارجع الى احوالي والى الناس فلا ابقى على ذلك فقال ما طرق سمعك من القران
فاجتذبك به اليه فذلك عطف منه عليك فانه لا يصلح لك الا التبري من الحول والقوة في التوجه اليه
وبالجملة لا يخلو صاحب القلب عن وجد عند سماع القران وان كان القران لا يؤثر فيه اصلا فمثله
كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون بل صاحب الشوق يؤثر فيه الكلمة
من الحكمة يسمعها ابو حفص الخلدي دخل رجل من اهل خراسان على الجنيد وعنده جماعة فقال
الجنيد متى يستوي على العبد حامده وذامه فقال بعض الشيوخ اذا دخل المارستان وقيد بقيدين
فقال الجنيد ليس هذا من شانك ثم اقبل على الرجل فقال اذا تحقق انه مخلوق فشهق الرجل شهقة
ومات فان قلت ان القران مفيد للوجد فما بالهم يجتمعون على سماع فان كان سماع الغنا من القوالين
دون القارين فكان ينبغي ان يكون اجتماعهم وتواجدهم في حلق القرا لا في حلق المغنيين وكان ينبغي
ان يطلب عند كل اجتماع في كل دعوة قاري لا قوال فان كلام الله تعالى افضل لا محالة فاعلم ان الغنا
اشد تهييجا للوجد من القران من وجوه **الاول** ان جميع ايات القران لا تناسب حال المستمع ولا
تصلح لفهمه وتنزيله على ما هو ملابس له فمن استولى عليه حزن او شوق او ندم فمن اين يناسب حاله
قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين وقوله تعالى والذين يرمون المحصنات و
كذلك جميع الايات التي في بيان احكام الميراث والطلاق والحدود وغيرها وانما المحرك لما في
القلب ما يناسبه والابيات انما نظمها الشعراء اعرابا بها عن احوال القلب فلا يحتاج في فهم الحال منه
بكلف نعم من يستولي على قلبه حالة غالبة قاهرة لم يبق فيه متسع لغيره ومعه تيقظ وذكاء ثاقب يتفطن
به للمعاني البعيدة من الالفاظ فقد يخرج وجده على كل مسموع كمن يخطر له عند قوله تعالى يوصيكم

الله في اولادكم للذكر حالة الموت المحوج الى الوصية وان كل انسان لا بد ان يخلف ماله وولده وهما محبوباه
من الدنيا فيترك احد المحبوبين للثاني ويهجرهما جميعا فيغلب عليه الخوف والجزع او يسمع ذكر
كلمة الله في قوله يوصيكم الله فيندهش بمجرد الاسم عما قبله وبعده او يخطر له رحمة الله على عباده
وشفقته بان تولى قسم مواريثهم بنفسه نظرا لهم في حياتهم وموتهم فيقول اذ نظر لاولادنا بعد
موتنا فلا نشك في انه ينظر لنا فيهيج منه حال الرجا فيورث ذلك استبشارا وسرورا او يخطر
له من قوله للذكر مثل حظ الانثيين تفضيل الذكر بكونه رجلا على الانثى وان الفضل في الاخرة لرجال
لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وان من الهاه غير الله عن الله فهو من الاناث لا من الرجال تحقيقا
فيخشى ان يحجب او يوخر في نعيم الاخرة كما اخر في اموال الرجال فيخشى ان يحجب او يوخر في نعيم الاخرة
كما اخر في اموال الدنيا فامثال هذا قد يحرك الوجد ولكن لمن فيه وصفان احدهما حالة غالبة مستغرقة
قاهرة والاخرى تفطن بليغ وتيقظ كامل للتنبه بالامور القريبة على المعاني البعيدة وذلك مما يعز
فلاجل ذلك يفزع الى الغنا الذي هو الفاظ مناسبة للاحوال حتى يتسارع هيجانها **وروي** انه كان
ابي الحسن النوري في جماعة في دعوة فجرى بينهم مسالة في العلم وابو الحسن ساكت ثم رفع راسه
وانشدهم **شعر** رب ورقا هتوف بالضحى ذات شجو صدحت في فنن فبكاي ربما ارقها
وبكاها ربما ارقني هو ان تشكو فلا افهمها واذا اشكو فلا تفهمني غير اني بالجوى اعرفها
وهي ايضا بالجوى تعرفني قال فما بقي في القوم احدا الا قام وتواجد ولم يحصل لهم هذا الوجد من
العلم الذي خاضوا فيه وان كان العلم جدا وحقا **الوجه الثاني** ان القران محفوظ للاكثرين
ومتكرر على الاسماع والقلوب وكلما سمع اولا عظم اثره وفي الكرة الثانية يضعف اثره وفي الثالثة
يكاد يسقط اثره ولو كلف صاحب الوجد الغالب ان يحضر الوجد على بيت على الدوام في مرات متقاربة
في الزمان في يوم او اسبوع لم يمكنه ذلك وان ابدل ببيت اخر تجدد له اثره وان كان معربا عن عين ذلك
المعنى ولكن كون النظم واللفظ غريبا بالاضافة الى الاول يحرك النفس وان كان المعنى واحدا وليس
يقدر القاري ان يقرا قرانا غريبا في كل وقت ودعوة لان القران محصور لا يمكن الزيادة عليه وكله
محفوظ متكرر والى ما ذكرناه اشار الصديق رضي الله عنه حيث راى الاعراب يقدمون فيسمعون
القران ويبكون فقال كنا كما كنتم ثم قست قلوبنا ولا تظن ان قلب الصديق كان اقسى من قلب
الاجلاف من العرب وانه كان اخلى عن حب الله تعالى وحب كلامه من قلوبهم ولكن التكرير على قلبه اقتضى
المرون عليه وقلة التاثر به انه لمحال في العادة ان يسمع السامع اية لم يسمعها قبل فيبكي ثم يدوم بكاؤه
عليها عشرين سنة يرددها ويبكي فلا يفارق الاول الاخر الا في كونه غريبا جديدا ولكل جديد لذة
ولكل طارئ صدمة ومع كل مالوف انس يناقض الصدمة ولهذا هم عمر رضي الله عنه ان يمنع الناس من
كثرة الطواف وقال خشيت ان يتهاون الناس بهذا البيت اي يانسوا به ومن قدم حاجا فراى بيت الله
تعالى اولا بكى وزعق وربما غشي عليه اذا وقع عليه بصره وقد يقيم بمكة شهرا ولا يحس من ذلك في نفسه
باثر فاذا المغني يقدر على الابيات الغريبة في كل وقت ولا يقدر في كل وقت على اية غريبة **الوجه
الثالث** ان لوزن الكلام بذوق الشعر تاثيرا في النفس فليس الصوت الموزون كالصوت الطيب
الذي ليس بموزون وانما يوجد الوزن في الشعر دون الايات ولو زحف المغني البيت الذي ينشده
او لحن فيه او مال عن حد تلك الطريقة في اللحن اضطرب قلب المستمع وبطل وجده وسماعه

يغير طبعه لعدم المناسبة واذا اختل التطبيع اضطرب القلب وتشوش فالوزن اذا مؤثر فلذلك طاب
الشعر **الوجه الرابع** ان الشعر الموزون يختلف تاثيره في النفس بالالحان التي تسمى الطرق و
الدستانات وانما اختلاف تلك الطرق بمد المقصور وقصر الممدود والوقف في اثنا الكلمات و
القطع والوصل في بعضها وهذا التصرف جائز في الشعر ولا يجوز في القران التلاوة الا كما انزل
فقصره ومده والوقف والوصل والقطع فيه على خلاف ما تقتضيه التلاوة حرام او مكروه واذا
رتل القران كما انزل سقط عنه الاثر الذي سببه وزن الالحان وهو سبب مستقل بالتاثير فان لم
يكن مفهوما كما في الاوتار والمزمار والشاهين وساير الاصوات التي لا تفهم **الوجه الخامس** ان
الالحان الموزونة تعضد وتؤكد بايقاعات واصوات اخر موزونة خارج الحلق كالضرب بالقضيب
والدف وغيره لان الوجد الضعيف لا يستثار الا بسبب قوي وانما يقوى بمجموع هذه الاسباب
ولكل واحد حظ في التاثير وواجب ان يصان القران عن مثل هذه القراين لان صورتها عند عامة
الخلق صورة اللهو والقران جد كله عند كافة الخلق فلا يمزج بالحق المحض ما هو لهو عند العامة
وصورته صورة اللهو عند الخاصة وان كانوا لا ينظرون اليها من حيث انها لهو بل ينبغي ان يوقر
القران فلا يقرا على شوارع الطرق بل في مجلس ساكن ولا في الجنابة ولا على غير طهارة ولا يقدر على
الوفا بحق حرمة القران في كل حال فيعدل الى الغنا الذي لا يستحق هذه المراقبة والمراعاة
ولذلك لا يجوز الضرب بالدف مع القران ليلة العرس وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بضرب الدف في العرس فقال اظهروا النكاح ولو بضرب الغربال او بلفظ هذا معناه وذلك جائز مع الشعر
دون القران وكذلك لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وفينا نبي يعلم ما في غد في معرض الغنا
فقال صلى الله عليه وسلم دعي هذا وقولي ما كنت تقولينه وهذه شهادة بالنبوة فزجرها عنه وردها
الى الغنا الذي هو لهو لان هذا جد محض فلا يقرن بصورة اللهو فاذا يتعذر بسببه تقوية الاسباب التي
بها يصير السماع محركا للقلب فواجب في الاحترام العدول الى الغنا عن القران كما وجب على تلك الجارية
العدول عن شهادة النبوة الى الغنا **الوجه السادس** ان المغني قد يغني ببيت لا يوافق حال
المستمع فيكرهه وينهاه عنه ويستدعي غيره فليس كل كلام موافقا لكل حال فلو اجتمعوا في الدعوات
على القاري فربما تقرا اية لا توافق حالهم اذ القران شفا للناس كلهم على اختلاف الاحوال فايات الرحمة
شفا الخايف وايات العذاب شفا المغرور الامن وتفصيل ذلك مما يطول فلا يؤمن ان لا يوافق المقرو الحال
فيكرهه النفس فيتعرض به لخطر كراهة كلام الله تعالى من حيث لا يجد سبيلا الى دفعه فالاحتراز
عن خطر ذلك حزم بالغ ولا يجوز تنزيل كلام الله الا على ما اراد الله وقول الشاعر يجوز تنزيله على غير مراده
ففيه خطر الكراهة او خطر التاويل الخطا لموافقة الحال فيجب توقير كلامه وصيانته عن ذلك
كله هذا ما ينقدح لي في علل انصراف الشيوخ الى سماع الغنا عن القران وههنا وجه سابع ذكره ابو نصر
السراج الطوسي في الاعتذار وهو ان القران كلام الله تعالى وصفته وهو حق لا تطيقه البشرية لانه
غير مخلوق فلا تطيقه الصفات المخلوقة ولو كشف للقلوب ذرة من معناه وهيبته لتصدعت
ودهشت وتحيرت والالحان الطيبة مناسبة للطباع ونسبتها نسبة الحظوظ لا نسبة الحقوق
والشعر نسبته الحظوظ فاذا علقت الالحان والاصوات بما في الابيات من اللطايف والاشارات شاكل
بعضها بعضا وكان اقرب الى الحظوظ واخف على القلوب لمشاكلة المخلوق المخلوق فما دامت البشرية

باقية ونحن بصفاتنا وحظوظنا نتنعم بالنغمات الشجية والاصوات الطيبة فانبساطنا بمشاهدة
هذه الحظوظ الى الغنا اولى من انبساطنا الى كلام الله الذي هو صفته وكلامه الذي منه
بدا واليه يعود هذا حاصل المقصود من كلامه واعتذاره وقد حكي عن ابي الحسن الدراج انه قال
قصدت يوسف ابن الحسين الرازي من بغداد للزيارة والسلام فلما دخلت الري وكنت اسال عنه
فكل من سالته قال ايش تعمل بذلك الزنديق فضيقوا صدري حتى عزمت على الانصراف ثم قلت
في نفسي قد جئت هذا الطريق كله فلا اقل من ان اراه فلم ازل اسال عنه حتى دخلت عليه في مسجد وهو
قاعد في المحراب وبين يديه رجل بيده مصحف وهو يقرا واذا هو شيخ بهي حسن الوجه واللحية فسلمت
فاقبل علي وقال من اين فقلت من بغداد فقال وما الذي جاء بك فقلت له قصدتك للسلام فقال
لو ان في بعض هذه البلدان قال لك انسان اقم عندنا حتى نشتري لك دارا او جارية كان يقعدك
عن المجي فقلت ما امتحنني الله بشي من ذلك ولو امتحنني ما كنت ادري كيف اكون ثم قال اتحسن
ان تقول شيئا فقلت نعم فقال هات فابتدات اقول رايتك تبني دايما في قطيعتي ولو كنت ذا حزم
لهدمت ما تبني كاني بكم والليت افضل قولكم الا ليتنا كنا اذ الليت لا تغني فاطبق المصحف
ولم يزل يبكي حتى ابتل لحيته وثوبه حتى رحمته من كثرة بكايه ثم قال يا بني تلوم اهل الري يقولون
يوسف زنديق ومن صلاة الغداة هو ذا اقرا في المصحف لم تقطر من عيني قطرة وقد قامت علي
القيامة بهذين البيتين فاذا القلوب وان كانت محترقة بحب الله فانما يهيجها البيت ما لا تهيج تلاوة
القران وكل ذلك لوزن الشعر ومشاكلته للطباع ولكونه مشاكلا اقتدر البشر على نظم الشعر
واما القران فنظمه خارج عن اساليب الكلام ومنهاجه فهو لذلك معجز لا يدخل في قوة البشر لعدم مشاكلته
لطبعه وروي ان اسرافيل استاذ ذي النون المصري دخل عليه رجل فراه وهو ينكت في الارض باصبعه
ويترنم ببيت فقال هل تحسن ان تترنم بشي قال لا فقال فانت بلا قلب اشارة الى ان من له قلب وعرف
طبعه علم انه تحركه الابيات والنغمات تحريكا لا يصادف في غيره فيتكلف طريق التحريك اما بصوت نفسه
او بغيره فقد ذكرنا حكم المقام الاول في فهم المسموع وتنزيله وحكم المقام الثاني في الوجد الذي
يصادف في القلب فلنذكر الوجد واثره الذي يترشح منه الى الظاهر من صعقة وبكا وحركة وتمزيق
ثوب وغيره فنقول **المقام الثالث** من السماع والوجد نذكر اداب السماع ظاهرا وباطنا وما
يحمد من اثار الوجد وما يذم فاما الاداب فهي خمسة جمل **الاول** مراعاة الزمان والمكان والاخوان
ومعناه ان الاشتغال به في وقت حضور طعام او صلاة او صارف من الصوارف مع اضطراب القلب
لا فايدة فيه فهو معنى مراعاة الزمان فيراعى حالة فراغ القلب والمكان قد يكون شارعا مطروقا او موضعا
كريه الصورة او فيه سبب يشغل القلب فيجتنب والاخوان فسببه انه اذا حضر غير الجنس من منكر السماع
متزهد بالظاهر مفلس عن لطايف القلوب كان مستثقلا في المجلس واشتغل القلب به وكذا اذا حضر
متكبر من اهل الدنيا يحتاج الى مراقبته ومراعاته او متكلف متواجد من اهل التصوف يرائي بالوجد
والرقص وتمزيق الثياب وكل ذلك مشوشات فترك السماع عند فقد هذه الشروط اولى ففي هذه
الشروط نظر للمستمع **الثانية** وهو نظر للحاضرين ان الشيخ اذا كان حوله مريدون يضرهم السماع
فلا ينبغي ان يسمع في حضورهم فان سمع فليشغلهم بشغل والمريد الذي يستضر بالسماع ثلاثة اقلهم
درجة هو الذي لم يدرك من الطريق الا الاعمال الظاهرة ولم يكن له ذوق السماع فاشتغاله بالسماع

اشتغال بما لا يعنيه فانه ليس من اهل اللهو فيلهو ولا من اهل الذوق فيتنعم بذوق السماع فليشتغل
بذكر او خدمة والا فهو تضييع لزمانه الثاني هو الذي له ذوق السماع ولكن بعد فيه بقية من
الحظوظ والالتفات الى الشهوات والى الصفات البشرية ولم ينكسر بعد انكسارا تؤمن غوايله فربما
يهيج السماع منه داعية اللهو والشهوة فيقطع عليه طريقه ويصده عن الاستكمال الثالث
ان يكون قد انكسرت شهوته وامنت غوايله وانفتحت بصيرته واستولى على قلبه حب الله
تعالى ولكنه لم يحكم ظاهر العلم ولم يعرف اسماء الله وصفاته وما يجوز عليه وما يستحيل فاذا فتح
له باب السماع نزل المسموع في حق الله تعالى على ما يجوز وما لا يجوز فيكون ضرره من تلك الخواطر
التي هي كفر اعظم من نفع السماع قال سهل كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل
فلا يصلح السماع لمثل هذا ولا لمن قلبه بعد ملوث بحب الدنيا وشهوة المحمدة والثنا ولا لمن
يسمع لاجل التلذذ والاستطابة بالطبع فيصير ذلك عادة له ويشغله ذلك عن عبادته
ومراعاة قلبه وينقطع عليه طريقه فالسماع مزلة قدم يجب حفظ الضعفا عنه قال الجنيد
رايت ابليس في النوم فقلت له هل تظفر من اصحابنا بشي قال نعم في وقتين وقت السماع ووقت
النظر فاني ادخل عليهم به فقال بعض الشيوخ لو رايته انا لقلت له ما احمقك من سمع منه اذا
سمع ونظر اليه اذا نظر كيف تظفر به فقال الجنيد صدقت **الادب الثالث** ان يكون
مصغيا الى ما يقوله القايل حاضر القلب قليل الالتفات الى الجوانب متحفظا عن النظر الى وجوه
المستمعين وما يظهر عليهم من احوال الوجد مشتغلا بنفسه ومراعاة قلبه ومراقبة ما يفتح
الله له من رحمته في سره متحفظا عن حركة تشوش على اصحابه قلوبهم بل يكون ساكن الظاهر هادي الاطراف
متحفظا عن التنحنح والتثاوب ويجلس مطرقا راسه كجلوسه في فكر مستغرق لقلبه متماسكا عن
التصفيق والرقص وساير الحركات على وجه التصنع والتكلف والمرايا ساكتا عن النطق في اثنا
القول بكل ما عنه بد فان غلبه الوجد وحركه بغير اختياره فهو معذور غير ملوم ومهما رجع اليه
الاختيار فليعد الى هدوه وسكونه ولا ينبغي ان يستديمه حيا من ان يقال انقطع على القرب وجده
ولا ان يتواجد خوفا من ان يقال هو قاسي القلب عديم الصفا والرقة **حكي** ان شابا كان يصحب
الجنيد فكان اذا سمع شيا من الذكر يزعق فقال له الجنيد يوما ان فعلت ذلك مرة اخرى لم تصحبني
فكان بعد ذلك يضبط نفسه حتى يقطر منه من كل شعرة قطرة ما ولا يزعق فحكي انه اختنق يوما لشدة
ضبطه لنفسه فشهق شهقة فانشق قلبه وتلفت نفسه وروي ان موسى عليه السلام قيل له مزق
لي قلبك ولا تمزق ثيابك وقال ابو القسم النصراباذي لابي عمرو بن نجيد انا اقول اذا اجتمع القوم
فيكون معهم قوال يقول خير لهم من ان يغتابوا فقال ابو عمرو الريا في السماع وهو ان ترى من
نفسك حالا ليست فيك شر من ان تغتاب ثلاثين سنة او نحو ذلك فان قلت الافضل هو
الذي لا يحركه السماع ولا يوثر في ظاهره او الذي يظهر عليه فاعلم ان عدم الظهور تارة يكون لضعف
الوارد من الوجد فهو نقصان وتارة يكون مع قوة الوجد في الباطن ولكن لكمال القوة على ضبط
الجوارح وهو كمال وتارة يكون لكون حال الوجد ملازما ومصاحبا في الاحوال كلها فلا يتبين للسماع
مزيد تاثير وهو غاية الكمال فان صاحب الوجد في غالب الاحوال لا يدوم وجده فمن هو في وجد
دايم فهو المرابط للحق والملازم لعين الشهود فهذا لا تغيره طوارق الاحوال ولا يبعد ان تكون

الاشارة بقول الصديق رضي الله عنه كنا كما كنتم ثم قست قلوبنا معناه قويت قلوبنا واشتدت فصارت
تطيق ملازمة الوجد في كل الاحوال فنحن في سماع معاني القران على الدوام فلا يكون القران جديدا
في حقنا طاريا علينا حتى نتاثر بها فاذا قوة الوجد تحرك وقوة العقل والتماسك تضبط الظاهر
وقد يغلب احدهما الاخر اما لشدة قوته واما لضعف ما يقابله ويكون النقصان والكمال بحسب
ذلك فلا تظنن ان الذي يضطرب بنفسه على الارض اتم وجدا من الساكن باضطرابه بل رب ساكن
اتم وجدا من المضطرب فقد كان الجنيد يتحرك في السماع في بدايته ثم صار لا يتحرك فقيل
له في ذلك فقال وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شي
اشارة الى ان القلب مضطرب جايل في الملكوت والجوارح متادبة في الظاهر ساكنة وقال
ابو الحسن محمد بن احمد وكان بالبصرة صحبت سهل بن عبد الله ستين سنة فما رايته تغير عند شي
كان يسمعه من الذكر او القران فلما كان في اخر عمره قرا رجل بين يديه فاليوم لا يوخذ منكم فدية ولا
من الذين كفروا ماويكم النار الاية فرايته قد ارتعد وكاد يسقط فلما عاد الى حاله سالته عن ذلك
فقال نعم يا حبيبي قد ضعفنا وكذلك سمع مرة قوله تعالى الملك يومئذ الحق للرحمن فاضطرب
فساله ابن سالم وكان من اصحابه فقال قد ضعفت فقيل له وان كان هذا من الضعف فما قوة الحال
فقال ان لا يرد عليه وارد الا وهو يلتقمه بقوة حاله فلا تغيره الواردات وان كانت قوية وسببه
القوة على ضبط الظاهر مع وجود الوجد استوا الاحوال بملازمة الشهود كما حكي عن سهل انه
قال حالي قبل الصلاة وبعدها واحد لانه كان مراعيا للقلب حاضر الذكر مع الله تعالى في كل حال
فكذلك يكون قبل السماع وبعده اذ يكون وجده دايما وعطشه متصلا وشربه مستمرا
بحيث لا يوثر السماع في زيادته كما روي ان ممشاد الدينوري اشرف على جماعة فيهم قوال فسكتوا فقال
ارجعوا الى ما كنتم فيه فلو جمعت ملاهي الدنيا في اذني ما شغل همي ولا شفا بعض ما بي وقال الجنيد
لا يضر نقصان الوجد مع فضل العلم وفضل العلم اتم من فضل الوجد فان قلت فلم لم يحضر هذا السماع
فاعلم ان من هولاء من ترك السماع في كبره وكان لا يحضر الا نادرا لمساعدة اخ من الاخوان وادخال
للسرور على قلبه وربما حضر ليعرف القوم كمال قوته فيعلمون انه ليس الكمال بالوجد الظاهر فيتعلمون منه
ضبط الظاهر عن التكلف وان لم يقدروا على الاقتدا به في صيرورته طبعا لهم وان اتفق حضورهم
مع غير ابنا جنسهم فيكونون معهم بابدانهم نابين عنهم بقلوبهم وبواطنهم كما يجلسون من غير سماع مع غير
جنسهم باسباب عارضة تقتضي الجلوس وبعضهم ينقل عنه ترك السماع ويظن انه كان
سبب تركه استغناوه عن السماع بما ذكرناه وبعضهم كان من الزهاد ولم يكن له حظ روحاني
في السماع ولا كان من اهل اللهو فتركه لئلا يكون مشغولا بما لا يعنيه وبعضهم تركه لفقد الاخوان
قيل لبعضهم لم لا تسمع فقال ممن ومع من **الرابع** ان لا يقوم ولا يرفع صوته بالبكا وهو يقدر
على ضبط نفسه ولكن ان رقص او تباكى فهو مباح اذا لم يقصد به المراياة لان التباكي استجلاب
للحزن والرقص سبب في تحريك السرور والنشاط فكل سرور مباح فيجوز تحريكه ولو كان حراما لما نظر
عايشة رضي الله عنها الى الحبشة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يزفنون هذا لفظ عايشة رضي
الله عنها في بعض الروايات وقد روي عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم انهم حجلوا لما اصابهم
سرور وذلك في قصة ابنة حمزة لما اختصم فيها علي بن ابي طالب واخوه جعفر وزيد بن حارثة

فتشاحوا فيه بينهما فقال صلى الله عليه وسلم لعلي انت مني وانا منك فحجل علي وقال امير المؤمنين
لجعفر اشبهت خلقي وخلقي فحجل وراء حجل علي وقال لزيد انت اخونا ومولانا فحجل وراء حجل جعفر ثم قال
عليه السلام هي لجعفر لان خالتها تحته والخالة والدة وفي بعض الروايات انه قال لعائشة
اتحبين ان تنظري الى زفن الحبشة والزفن والحجل هو الرقص وذلك يكون لفرح او شوق
فحكمه حكم مهيجه ان كان فرحه محمودا والرقص يزيده ويؤكده فهو محمود وان كان مباحا فهو مباح
وان كان مذموما فهو مذموم نعم لا يليق اعتياد ذلك بمناصب الاكابر واهل القدوة لانه في
الاكثر يكون عن لهو ولعب وما له صورة اللعب في اعين الناس ينبغي ان يجتنبه المقتدى به كي لا يصغر
في اعين الناس فيترك الاقتداء به واما تمزيق الثوب فلا رخصة فيه الا عند خروج الامر عن الاختيار
ولا يبعد ان يغلب الوجد عليه بحيث يمزق ثوبه وهو لا يدري لغلبة سكر الوجد عليه او
يدري ولكن يكون كالمضطر الذي لا يقدر على ضبط نفسه وتكون صورته كصورة المكره اذ يكون
له في الحركة والتمزيق متنفس فيضطر اليه اضطرار المريض الى الانين ولو كلف الصبر عليه لم يقدر
عليه مع انه فعل اختياري فليس كل فعل حصوله بالارادة يقدر الانسان على تركه فالتنفس فعل يحصل
بالارادة ولو كلف الانسان نفسه ان يمسك النفس ساعة لاضطر من باطنه الى ان يختار النفس فكذلك
الزعقة وتمزيق الثياب قد تكون كذلك فهذا لا يوصف بالتحريم فقد ذكر عند السري حديث
الوجد الحاد الغالب فقال نعم يضرب وجهه بالسيف فلا يدري فروجع فيه واستبعد ان
ينتهي الى هذا الحد فاصر عليه اي قد ينتهي الى هذا الحد فان قلت فما تقول في تمزيق الصوفية
الثياب الجديدة بعد سكون الوجد والفراغ من السماع فانهم يمزقونها قطعا صغارا ويفرقونها
على القوم ويسمونها الخرقة فاعلم ان ذلك مباح اذا قطع قطعا مربعة تصلح لترقيع الثياب و
السجادات فان الكرباس يمزق حتى يخيط منه القميص ولا يكون ذلك تضييعا لانه تمزيق لغرض
فكذلك ترقيع الثياب لا يمكن الا بالقطع الصغار وذلك مقصود والتفرقة على الجميع ليعم ذلك
الخير مقصود فهو مباح ولكل مالك ان يقطع كرباسه مائة قطعة ويعطيها الى مائة مسكين ولكن
ينبغي ان تكون القطع بحيث يمكن ان ينتفع بها في الرقاع وانما منعنا في السماع التمزيق المفسد للثوب
الذي يهلك بعضه بحيث لا يبقى منتفعا به فهو تضييع محض لا يجوز بالاختيار الادب
الخامس موافقة القوم في القيام اذا قام واحد منهم صادقا من غير رياء وتكلف او قام باختيار
من غير اظهار وجد وقامت له الجماعة فلا بد من الموافقة فذلك من اداب الصحبة وكذلك ان جرت
عادة طائفة بتنحية العمامة على موافقة صاحب الوجد اذا سقطت عمامته او خلع الثياب اذا
سقط عنه ثوبه بالتمزيق فالموافقة في هذه الامور من حسن الصحبة والعشرة اذ المخالفة موحشة
ولكل قوم رسم ولا بد من مخالقة الناس باخلاقهم كما ورد في الخبر لا سيما اذا كانت اخلاقا فيها
حسن العشرة والمجاملة وتطييب القلب بالمساعدة وقول القائل ان ذلك بدعة لم يكن في
الصحابة فليس كل ما يحكم باباحته منقولا عن الصحابة وانما المحذور بدعة تراغم سنة مأثورة ولم ينقل
النهي عن شيء من هذا والقيام عند الدخول لم يكن من عادة العرب بل كان الصحابة لا يقومون
لرسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاحوال كما رواه انس ولكن اذا لم يثبت فيه نهي عام فلا نرى
به باسا في البلاد التي جرت العادة باكرام الداخل بالقيام فيه فان القصد منه الاحترام والاكرام

وتطييب القلب به فكذلك سائر انواع المساعدة اذا قصد بها تطييب القلب واصطلح عليها جماعة
فلا باس بمساعدتهم عليها بل الاحسن المساعدة الا فيما ورد فيه نهي لا يقبل التاويل ومن الادب
ان لا يقوم للرقص مع القوم ان كان يستثقل رقصه ولا يشوش عليهم احوالهم اذ الرقص
من غير اظهار الوجد مباح والواجد هو الذي يلوح للجمع منه اثر التكلف ومن يقوم عن
صدق لا تستثقله الطباع فقلوب الحاضرين اذا كانوا ارباب القلوب محك الصدق و
التكلف سئل بعضهم عن الوجد الصحيح فقال صحته قبول قلوب الواجدين له اذا كانوا
اشكالا غير اضداد فان قلت فما بال الطباع ينفر من الرقص ويسبق الى الاوهام انه باطل
ولهو ومخالف للدين فلا يراه ذو جد في الدين الا وينكره فاعلم ان الجد لا يزيد على جد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد راى الحبشة يزفنون في المسجد وما انكره لما ان كان في وقت لائق به وهو
العيد ومن شخص لائق به وهو الحبشة نعم نفرة الطباع عنه لانه يرى غالبا مقرونا باللهو
واللعب واللهو واللعب مباح ولكن للعوام من الزنوج والحبشة ولكنه مكروه لذوي المناصب
لانه لا يليق بهم وما كره لانه غير لائق بمنصب ذي المنصب فلا يجوز ان يوصف بالتحريم فمن سال
فقيرا شيئا فاعطاه رغيفا كان ذلك طاعة مستحسنة ولو سال ملكا فاعطاه رغيفا او رغيفين
من الخبز كان ذلك منكرا عند الناس كافة ومكتوبا في تواريخ الاخبار في جملة مساويه ويعير بها
اعقابه واشياعه ومع هذا فلا يجوز ان يقال ما فعله حرام لانه من حيث انه اعطى خبزا للفقير حسن
ومن حيث انه بالاضافة الى منصبه كالمنع بالاضافة الى الفقير مستقبح فكذلك الرقص وما
يجري مجراه من المباحات ومباحات العوام سيئات الابرار وحسنات الابرار سيئات المقربين
ولكن هذا من حيث الالتفات الى المناصب فاما اذا نظر اليه في نفسه وجب الحكم بانه في نفسه
لا تحريم فيه والله اعلم بالصواب تم كتاب السماع والوجد والحمد لله اولا واخرا وظاهرا وباطنا
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه الشرفاء وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين ويتلوه كتاب
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو الكتاب التاسع من ربع العادات من كتاب احياء علوم
الدين للغزالي وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي لا تستفتح الكتب الا بحمده ولا تستمنح النعم الا بواسطة كرمه وجوده و
الصلاة على سيد الانبيا محمد رسوله وعبده وعلى اله الطيبين واصحابه الطاهرين من بعده اما
بعد فان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الاعظم في الدين وهو المهم الذي ابتعث له
النبيين اجمعين ولو طوي بساطه واهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة وعمت الفترة
وفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستشرى الفساد واتسع الخرق وخربت البلاد وهلك العباد
وان لم يشعروا بالهلاك الا يوم التناد وقد كان الذي خفنا ان يكون فانا لله وانا اليه راجعون اذ قد
اندرس من هذا القطب علمه وعمله وانمحى بالكلية حقيقته ورسمه واستولت على القلوب مداهنة
الخلق وانمحت عنها مراقبة الخالق واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم

وعز على بسيط الارض مؤمن صادق لا تاخذه في الله لومة لائم فمن سعى في تلافي هذه الفترة وسد هذه الثلمة اما متكفلا بعملها او متقلدا لتنفيذها مجددا لهذه السنة ناهضا باعبائها ومتشمرا في احيائها كان مستاثرا من بين الخلق باحياء سنة افضى الزمان الى اماتتها ومستبدا بقربة تتضاءل درجات القرب دون ذروتها وها نحن نشرح علمه في ثلاثة ابواب **الباب الاول** في وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وفضيلته **الباب الثاني** في اركانه وشروطه **الباب الثالث** في مجاريه وبيان المنكرات المالوفة في العادات الاول في وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وفضيلته والمذمة في اهماله ويدل على ذلك بعد اجماع الامة عليه واشارات العقول السليمة اليه الايات والاخبار والاثار **اما الايات** فقوله تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون ففي الاية بيان الايجاب فان قوله تعالى ولتكن امر وظاهر الامر الايجاب وفيها بيان ان الفلاح منوط به اذ حصر وقال واولئك هم المفلحون وفيها بيان انه فرض كفاية لا فرض عين وانه اذا قام به امة منكم سقط الفرض عن الاخرين اذ لم يقل كونوا كلكم امرين بالمعروف بل قال ولتكن منكم امة فاذا مهما قام به واحد او جماعة سقط الحرج عن الاخرين واختص الفلاح بالقائمين به المباشرين وان تقاعد عنه الخلق اجمعون عم الحرج كافة القادرين عليه لا محالة وقال تعالى من اهل الكتاب امة قائمة يتلون ايات الله اناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الاخر ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات الاية وقال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر فقد نعت المؤمنين بانهم يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر فالذي هجر الامر بالمعروف خارج عن هؤلاء المؤمنين المنعوتين في هذه الاية وقال تعالى لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون وهذا غاية التشديد اذ علق استحقاقهم اللعنة بتركهم النهي عن المنكر وقال تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وهذا يدل على فضيلة الامر بالمعروف اذ بين انهم كانوا به خير امة وقال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون فبين انهم استفادوا النجاة بالنهي عن السوء ويدل على الوجوب ايضا وقال تعالى الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة واتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فقرن ذلك بالصلاة والزكاة في نعت الصالحين والمؤمنين وقال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان وهو امر جزم ومعنى التعاون الحث عليه وتسهيل طرق الخير وسد سبل الشر والعدوان بحسب الامكان وقال تعالى لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون فبين انهم اثموا بترك النهي وقال تعالى فلولا كان من القرون من قبلكم اولو بقية ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم الاية فبين انه اهلك جميعهم الا قليلا منهم كانوا ينهون عن الفساد وقال تعالى يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين وقال تعالى لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما وقال تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما الاية والاصلاح نهي عن البغي واعادة الى الطاعة فان لم يفعل فقد امر الله تعالى بقتاله فقال تعالى فقاتلوا التي

تبغي حتى تفيء الى امر الله وذلك هو النهي عن المنكر **واما الاخبار** فمنها ما روي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال في خطبة خطبها ايها الناس انكم تقرؤون هذه الاية وتاولونها على خلاف تاويلها يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم الى الله مرجعكم جميعا واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر على ان ينكر عليهم فلم يفعل الا يوشك ان يعمهم الله بعذاب من عنده وروي عن ابي ثعلبة الخشني رضي الله عنه انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فقال يا ثعلبة مر بالمعروف وانه عن المنكر فاذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي راي برايه فعليك بنفسك ودع العوام ان من ورائكم فتنا كقطع الليل المظلم للمتمسك فيها بمثل الذي انتم عليه اجر خمسين منكم قيل بل منهم يا رسول الله قال لا بل منكم لانكم تجدون على الخير اعوانا ولا يجدون عليه اعوانا وسئل ابن مسعود رضي الله عنه عن تفسير هذه الاية فقال ان هذا ليس زمانها انها اليوم مقبولة ولكن يوشك ان ياتي زمانها تامرون بالمعروف فيصنع بكم كذا وكذا وتقولون فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليسلطن الله تعالى عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لكم معناه تسقط مهابتهم عن اعين الاشرار فلا يخافونهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس ان الله يقول لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر قبل ان تدعوا فلا يستجاب لكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اعمال البر عند الجهاد في سبيل الله الا كنفثة في بحر لجي وما جميع اعمال البر والجهاد في سبيل الله عند الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الا كنفثة في بحر لجي وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ليسال العبد ما منعك اذ رايت المنكر ان تنكره فاذا لقن الله تعالى العبد حجته قال رب وثقت بك وفرقت من الناس وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والجلوس على الطرقات قالوا ما لنا بد انما هي مجالسنا نتحدث فيها فاذا ابيتم الا ذلك فاعطوا الطريق حقها قالوا وما حقها قال غض البصر وكف الاذى ورد السلام والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال صلى الله عليه وسلم كلام ابن ادم كله عليه لا له الا امرا بمعروف او نهيا عن منكر او ذكر الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا يعذب الخاصة بذنوب العامة حتى يرى المنكر بين اظهرهم وهم قادرون على ان ينكروه فلا ينكروه **وروى** ابو امامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كيف انتم اذا طغى نساؤكم وفسق شبانكم وتركتم جهادكم قالوا وان ذلك لكائن يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده واشد منه سيكون قالوا وما اشد منه يا رسول الله قال كيف انتم اذا لم تامروا بمعروف ولم تنهوا عن منكر قالوا وكان ذلك يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده واشد قالوا وما اشد منه يا رسول الله قال كيف بكم اذا رايتم المعروف منكرا ورايتم المنكر معروفا قالوا وكائن ذلك يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده واشد منه سيكون قالوا وما اشد منه يا رسول الله قال كيف بكم اذا امرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف قالوا وكائن ذلك يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده واشد منه سيكون والذي نفسي بيده يقول الله تعالى بي حلفت لاتيحن لهم فتنة يصير الحليم فيها حيران وعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقفن عند رجل يقتل مظلوما فان اللعنة تنزل على من حضره قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لامرئ شهد مقاما

فيه حتى الاكل فانه لن يفقد واجله ولن يحرمه رزقه هوله وهذا الحديث يدل على انه لا يجوز دخول
دار الظلمة والفسقة وحيث يشاهد المنكر ولا يقدر على تغييره فانه قال اللعنة تنزل عليهم يعني
على من حضر ولا يجوز له مشاهدة المنكر من غير حاجة اعتذارا بانه لا يقدر على الانكار وانه عاجز ولهذا
اختار جماعة من السلف العزلة لمشاهدتهم المنكرات في الاسواق والاعياد والمجامع وعجزهم عن
التغيير وهذا يقتضي لزوم الهجرة ولهذا قال عمر بن عبد العزيز ما ساح السواح وخلوا دورهم واولادهم
الا بمثل ما نزل بنا لما راوا الشر قد ظهر والخير قد اندرس وراوا انه لا يقبل ممن تكلم وراوا الفتن لم يامنوا ان
تعتريهم وان ينزل العذاب باولئك القوم فلا يسلمون منه فراوا ان مجاورة السباع واكل البقول
خير من مجاورة هولاء في نعيمهم وقرأ ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين قال الفرقوم فلولا ما جعل الله
جل ثناؤه في النبوة لقلنا ما هم بافضل من هولاء بلغنا ان الملائكة تلقاهم وتصافحهم والسحاب
والسباع تمر باحدهم فيناديها فتجيبه ويسالها اين امرت فتخبره وليس بنبي وقال ابو هريرة رضي الله
عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حضر معصية فكرهها فكانما غاب عنها ومن غاب عنها
فاحبها فكانما حضرها ومعنى الحديث ان يحضر لحاجة او يتفق جريان بين يديه فاما الحضور قصدا
فممنوع بدليل الحديث الاول وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بعث الله نبيا الا وله
حواري فيمكث النبي بين اظهرهم ما شاء الله يعمل فيهم بكتاب الله وبامره وسنة نبيهم حتى اذا قبض
الله نبيه مكث الحواريون يعملون بكتاب الله وبامره وسنة نبيهم فاذا انقرضوا كان من بعدهم قوم يركبون
رؤوس المنابر يقولون ما يعرفون ويعملون ما ينكرون فاذا رايتم ذلك فحق على كل مؤمن جهادهم بيده فان لم
يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه ليس وراء ذلك اسلام وقال ابن مسعود رضي الله عنه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اهل قرية يعملون بالمعاصي فكان فيهم اربع نفر ينكرون
فقام احدهم فقال انكم تعملون كذا وكذا فجعل ينهاهم ويخبرهم بقبيح ما يصنعون فجعلوا يردون
عليه ولا يرعوون عن اعمالهم فسبهم فسبوه وقاتلهم فغلبوه فاعتزل ثم قال اللهم اني قد نهيتهم
فلم يطيعوني وسببتهم فسبوني وقاتلتهم فغلبوني ثم ذهب ثم قام الاخر فنهاهم فلم يطيعوه فسبهم
فسبوه فاعتزل ثم قال اللهم اني قد نهيتهم فلم يطيعوني وسببتهم فسبوني ولو قاتلتهم
غلبوني ثم ذهب ثم قام الاخر الثالث فنهاهم فلم يطيعوه فاعتزل ثم قال اللهم اني قد نهيتهم
فلم يطيعوني ولو سببتهم لسبوني ولو قاتلتهم غلبوني ثم قام الرابع فقال اللهم اني لو نهيتهم
عصوني ولو سببتهم لسبوني ولو قاتلتهم غلبوني ثم ذهب قال ابن مسعود رضي الله عنه وكان
الرابع ادناهم منزلة وقليل فيكم مثله وقال ابن عباس قيل يا رسول الله انهلك القرية وفيها الصالحون
قال نعم قالوا بم يا رسول الله قال بتهاونهم وسكوتهم عن معاصي الله تعالى وقال جابر بن عبد الله قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اوحى الله تعالى الى ملك ان اقلب مدينة كذا وكذا على اهلها فقال يا رب
ان فيها عبدك فلانا لم يعصك طرفة عين فقال اقلبها عليه فان وجهه لم يتغير في ساعة قط وقالت
عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عذب اهل قرية فيها ثمانية عشر الفا عملهم
عمل الانبياء قالوا يا رسول الله كيف قال لم يكونوا يغضبون لله ولا يامرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر
وعن عروة عن ابيه قال قال موسى عليه السلام يا رب اي عبادك احب اليك قال الذي يسرع الى هواي
كما يسرع النسر الى هواه والذي يكلف بعبادي الصالحين كما يكلف الصبي بالناس والذي يغضب اذا انت

محارمي كما يغضب النمر لنفسه فانه ربما قتل الناس او كثروا وهذا يدل على ان فضيلة الحسبة مع
شدة الخوف وقال ابو ذر الغفاري رضي الله عنه قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه يا رسول الله
هل من جهاد غير قتال المشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم يا ابا بكر ان لله تعالى مجاهدين في
الارض افضل من الشهداء احياء مرزوقين يمشون على الارض يباهي الله بهم ملائكة السماء وتزين لهم
الجنة كما تزينت ام سلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر يا رسول الله ومن هم قال الامرون بالمعروف
والناهون عن المنكر والمحبون في الله والمبغضون في الله ثم قال والذي نفسي بيده ان العبد منهم ليكون
في الغرفة فوق الغرفات فوق غرف الشهداء للغرفة منها ثلثمائة الف باب منها الياقوت والزمرد
الاخضر على كل باب نور وان الرجل منهم ليزوج بثلثمائة حوراء قاصرات الطرف عين كانهن بيض
مكنون كلما التفت الى واحدة منهن فنظر اليها فتقول له اتذكر يوم كذا وكذا امرت بالمعروف و
نهيت عن المنكر كلما التفت الى واحدة منهن ذكرت له كل مقام امر فيه بمعروف ونهى فيه عن منكر وقال
ابو عبيدة ابن الجراح قلت يا رسول الله اي الشهداء اكرم على الله تعالى قال رجل قام الى ذلك يعني
الى وال جائر فامره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله فان لم يقتله فان القلم لا يجري عليه بعد ذلك
وان عاش ما عاش وقال الحسن البصري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الشهداء من
امتي رجل قام الى امام جائر فامره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك فذلك الشهيد منزلته
في الجنة بين حمزة وجعفر وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول بئس القوم قوم لا يامرون بالقسط وبئس القوم قوم لا يامرون بالمعروف ولا ينهون عن
المنكر واما الاثار فقد قال ابو الدرداء لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليسلطن الله
تعالى عليكم سلطانا ظالما لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعو عليه خياركم فلا يستجاب لهم
وينتصرون فلا ينصرون ويستغفرون فلا يغفر لكم وسئل حذيفة عن ميت الاحياء فقال الذي
لا ينكر المنكر بيده ولا بلسانه ولا بقلبه وقال مالك بن دينار كان حبر من احبار بني اسرائيل يغشى الرجال
والنساء يعظهم ويذكرهم بايام الله عز وجل فراى بعض بنيه يوما يغمز النساء فقال مهلا يا بني
مهلا قال فسقط من سريره فانقطع نخاعه واسقطت امراته وقتل بنوه في الجيش فاوحى الله تعالى
الى نبي زمانه ان اخبر فلانا الحبر اني لا اخرج من صلبك صديقا ابدا اما كان من غضبك لي الا ان
قلت مهلا يا بني مهلا وقال حذيفة ياتي على الناس زمان لان تكون فيهم جيفة حمار احب اليهم
من مؤمن يامرهم وينهاهم واوحى الله عز وجل الى يوشع بن نون اني مهلك من قومك اربعين الفا من
خيارهم وستين الفا من شرارهم فقال يا رب هؤلاء الاشرار فما بال الاخيار قال انهم لم يغضبوا لغضبي
وواكلوهم وشاربوهم وقال بلال بن سعد ان المعصية اذا اخفيت لم تضر الا صاحبها واذا اعلنت
ولم تغير اضرت بالعامة وقال كعب الاحبار رضي الله عنه لابي مسلم الخولاني كيف منزلتك من
قومك قال حسنة قال كعب ان التوراة تقول غير ذلك قال وما تقول قال تقول ان الرجل اذا
امر بالمعروف ونهى عن المنكرات ساءت منزلته عند قومه فقال صدقت التوراة وكذب ابو مسلم وكان
عبد الله بن عمر ياتي العمال ثم قعد عنهم فقيل له لو اتيتهم فلعلهم يجدون في انفسهم قال
ارهب ان تكلمت ان يروا ان الذي بي غير الذي بي وان سكت رهبت ان اثم وهذا يدل على ان من
عجز عن الامر بالمعروف فعليه ان يبعد عن ذلك الموضع ويستتر عنه حتى لا يجري بمشهد منه وقال

علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أول ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد بأيديكم ثم الجهاد بألسنتكم ثم
الجهاد بقلوبكم فإذا لم يعرف القلب المعروف ولم ينكر المنكر نكس فجعل أعلاه أسفله وقال سهل بن عبد
الله رضي الله عنه أيما عبد عمل في شيء من دينه بما أمر به أو نهي عنه وتعلق به عند فساد الأمور و
تنكرها وتشوش الزمان فهو ممن قد قام لله تعالى في زمانه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر معناه
أنه إذا لم يقدر إلا على نفسه فقام بها وأنكر أحوال الغير بقلبه فقد جاء بما هو الغاية في حقه وقيل
للفضيل رحمه الله تعالى ألا تنهى وتأمر فقال إن قوما أمروا ونهوا فكفروا وذلك أنهم لم يصبروا على ما
أصيبوا وقيل للثوري ألا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فقال إذا انبثق البحر فمن يقدر أن يسكنه
فقد ظهر بهذه الأدلة أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب وأن فرضه لا يسقط مع القدرة
إلا بقيام قائم به فلنذكر الآن شروطه وشروط وجوبه إن شاء الله تعالى والله الموفق بكرمه **الباب
الثاني** في أركان الأمر بالمعروف وشروطه اعلم أن الأركان في الحسبة التي هي عبارة شاملة للأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر أربعة المحتسب والمحتسب عليه والمحتسب فيه ونفس الاحتساب فهذه أربعة أركان
ولكل واحد منها شروط **الركن الأول** المحتسب وله شروط وهو أن يكون مكلفا مسلما قادرا فيخرج
منه المجنون والصبي والكافر والعاجز ويدخل فيه آحاد الرعايا وإن لم يكونوا مأذونين ويدخل فيه الفاسق
والرقيق والمرأة فلنذكر وجه اشتراط ما اشترطناه ووجه اطراح ما اطرحناه **أما الشرط الأول**
وهو التكليف فلا يخفى وجه اشتراطه فإن غير المكلف لا يلزمه أمر وما ذكرناه أردنا به أنه شرط الوجوب
فأما إمكان الفعل وجوازه فلا يستدعي إلا العقل حتى إن الصبي المراهق للبلوغ المميز وإن لم يكن مكلفا
فله إنكار المنكر وله أن يريق الخمر ويكسر الملاهي وإذا فعل ذلك نال به ثوابا ولم يكن لأحد منعه من حيث
إنه ليس بمكلف فإن هذه قربة وهو من أهلها كالصلاة والإمامة فيها وسائر القربات وليس حكمه
حكم الولايات حتى يشترط فيه التكليف ولذلك أثبتناه للعبد وآحاد الرعية نعم في المنع بالفعل
وإبطال المنكر نوع ولاية وسلطنة ولكنها تستفاد بمجرد الإيمان كقتل المشرك وإبطال أسبابه
وسلب أسلحته فإن للصبي أن يفعل ذلك حيث لا يستضر به فالمنع عن الفسق كالمنع من الكفر **وأما
الشرط الثاني** وهو الإيمان فلا يخفى وجه اشتراطه لأن هذا نصرة للدين فكيف يكون من أهله من هو
جاحد لأصل الدين وعدو له **وأما الشرط الثالث** وهو العدالة فقد اعتبرها قوم وقالوا ليس للفاسق
أن يحتسب وربما استدلوا فيه بالنكير الوارد على من يأمر بما لا يفعله مثل قوله تعالى أتأمرون الناس
بالبر الآية وقوله تعالى كبر مقتا عند الله الآية وبما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال مررت
ليلة أسري بي بقوم كانت تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من أنتم فقالوا كنا نأمر بالخير ولا نأتيه
وننهى عن المنكر ولا ننتهي وننهى عن الشر ونأتيه وبما روي أن الله عز وجل أوحى إلى عيسى عليه السلام يا ابن
مريم عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس وإلا فاستح مني وربما استدلوا من طريق القياس بأن هداية الغير
فرع الاهتداء وكذلك تقويم الغير فرع للاستقامة والإصلاح زكاة عن نصاب الصلاح فمن ليس بصالح في
نفسه كيف يصلح غيره ومتى يستقيم الظل والعود أعوج وكل ما ذكروه خيالات وإنما الحق أن
للفاسق أن يحتسب وبرهانه هو أن نقول هل تشترط في الاحتساب أن يكون متعاطيه معصوما عن
المعاصي كلها فإن شرط ذلك فهو خرق للإجماع ثم حسم لباب الاحتساب إذ لا عصمة للصحابة فضلا عمن
دونهم والأنبياء قد اختلف في عصمتهم عن الخطايا والقرآن دال على نسبة آدم إلى المعصية وكذا

جماعة من الأنبياء ولهذا قال سعيد بن جبير إن لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر إلا من لا يكون فيه شيء
لم يأمر أحد بشيء فأعجبه ذلك من سعيد بن جبير وإذا ثبت أن ذلك لا يشترط عن الصغائر حتى
يجوز للابس الحرير أن يمنع من الزنا وشرب الخمر فنقول هل لشارب الخمر أن يغزو الكفار ويحتسب
عليهم بالمنع من الكفر فإن قالوا لا خرقوا الإجماع إذ جنود المسلمين لم تزل مشتملة على البر و
الفاجر وشارب الخمر وظالم الأيتام ولم يمنعوا من الغزو لا في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا بعده فإن قالوا نعم فنقول لشارب الخمر هل له المنع من القتل أم لا فإن قالوا لا قلنا فما
الفرق بينه وبين لابس الحرير إذ جاز له المنع من الخمر والقتل كبيرة بالنسبة إلى الشرب كالشرب
بالنسبة إلى لبس الحرير فلا فرق فإن قالوا نعم وفصلوا الأمر فيه فإن كل مقدم على شيء لا يمنع عن
مثله ولا عما دونه وإنما يمنع عما فوقه فهذا تحكم فإنه كما لا يبعد أن يمنع الشارب من الزنا والقتل
فمن أين يبعد أن يمنع الزاني من الشرب بل من أين يبعد أن يشرب ويمنع غلمانه وخدمه
من الشرب ويقول يجب علي الانتهاء والنهي فمن أين يلزمني من العصيان بأحدهما أن أعصي الله
تعالى بالثاني وإذا كان النهي واجبا علي فمن أين يسقط وجوبه بإقدامي إذ يستحيل أن يقال يجب
النهي عن شرب الخمر عليه ما لم يشرب فإذا شرب سقط عنه النهي فإن قيل فيلزم هذا أن يقول
القائل الواجب علي الوضوء والصلاة فأنا أتوضأ وإن لم أصل وأتسحر وإن لم أصم لأن المستحب
السحور والصوم جميعا ولكن يقال أحدهما مرتب على الآخر فكذلك تقويم الغير مرتب على تقويمه
وتقويم نفسه فيبدأ بنفسه ثم بمن يعول والجواب أن التسحر يراد بالصوم ولولا الصوم لما كان التسحر
محبوبا وما يراد لغيره لا ينفك عن ذلك الغير وإصلاح الغير لا يراد لإصلاح النفس ولا إصلاح
النفس لإصلاح الغير فالقول بترتب أحدهما على الآخر تحكم وأما الوضوء والصلاة فهو لازم فلا جرم من توضأ
ولا يصلي كان مؤديا أمر الوضوء وكان عقابه أقل من عقاب من ترك الوضوء والصلاة جميعا فليكن من ترك
النهي والانتهاء أكثر عقابا ممن نهى ولم ينته كيف والوضوء شرط لا يراد لنفسه بل للصلاة فلا حكم
له دون الصلاة فأما الحسبة فليس شرطها بالانقياد للإيمان فلا مشابهة بينهما فإن قيل
فيلزم على هذا أن يقال إذا زنا الرجل بامرأة وهي مكرهة مستورة الوجه فكشفت وجهها باختيارها
فأخذ الرجل يحتسب في أثناء الزنا ويقول أنت مكرهة في الزنا ومختارة في كشف الوجه لغير محرم
وها أنا غير محرم لك فاستري وجهك فهذا احتساب شنيع يستنكره كل قلب عاقل ويستشنعه
كل طبع سليم **والجواب** أن الحق قد يكون شنيعا وأن الباطل قد يكون مستحسنا بالطباع والمتبع
الدليل دون نفرة الأوهام والخيالات فإنا نقول قوله لها في تلك الحالة لا تكشفي وجهك واجب
أو مباح أو حرام فإن قلتم إنه واجب فهو الغرض لأن الكشف معصية والنهي عن المعصية حق وإن
قلتم مباح فإذا له أن يقول ما هو مباح فما معنى قولكم ليس للفاسق الحسبة وإن قلتم إنه حرام فنقول
إن كان هذا واجبا فمن أين حرم بإقدامه على الزنا ومن الغريب أن يصير الواجب حراما بسبب ارتكاب الحرام
وأما نفرة الطباع فيه واستنكارها له فهو لسببين أحدهما أنه ترك الأهم واشتغل بما هو مهم
وكما أن الطباع تنفر عن ترك المهم إلى ما لا يعنيه تنفر عن ترك الأهم والاشتغال بالمهم كما تنفر
عمن يتحاشى عن الغيبة ويشهد بالزور لأن الشهادة بالزور أفحش وأشد من الغيبة التي هي
إخبار عمن هو صادق فيه المخبر وهذا الاستبعاد في النفوس لا يدل على أن ترك الغيبة ليس

بواجب ولا في انتخاب او اكل لقمة من حرام لم يرد بذلك عقوبته فكذا المصدودة في الاخرة في
معصية اكبر من ضربه من معصية غيره فاشتغاله بالاقل عن الاكثر مستنكر في الطبع من حيث انه ترك
الاكثر لا من حيث انه اتى بالاقل فمن غصب من رجل لجام فرسه واشتغل بطلب اللجام وترك الفرس نفرت
منه الطباع ويرى مسيئا وقد صدر منه طلب اللجام وهو غير منكر وشدة الانكار في هذا الثالث
فكل حسبة الفاسق تستبعد من هذا الوجه وهذا لا يدل على ان حسبته من حيث انها حسبة
مستنكرة **الثاني ان الحسبة** المستنكرة تارة تكون بالنهي والوعظ وتارة بالقهر ولا
ينجع وعظ من لا يتعظ اولا ونحن نقول من علم ان قوله لا يقبل في الحسبة لعلم الناس بفسقه فليس
له الحسبة بالوعظ اذ لا فائدة في وعظه فالفسق يؤثر في اسقاط فائدة كلامه ثم اذا سقط فائدة
كلامه سقط وجوب الكلام واما اذا كانت الحسبة بالمنع فالمراد منه القهر وتمام القهر ان يكون
بالفعل والحجة جميعا وان كان فاسقا فان قهر بالفعل فقد قهر بالحجة اذ يتوجه عليه ان يقال
وانت لم تقدم عليه فينفر الطباع عن قهره بالفعل مع كونه مقهورا بالحجة وذلك لا يخرج الفعل
عن كونه حقا كما ان من يذب الظالم عن احاد المسلمين ويهمل اباه وهو مظلوم معه تنفر الطباع عنه
ولا يخرج دفعه عن المسلم عن كونه حقا فيخرج من هذا ان الفاسق ليس عليه الحسبة بالوعظ على من
يعرف فسقه لانه لا يتعظ واذا لم يكن عليه ذلك وعلم انه يفضي الى تطويل اللسان في عرضه بالانكار
فنقول ليس له ذلك ايضا فرجع الكلام الى ان احد نوعي الاحتساب وهو الوعظ قد بطل بالفسق وصارت
العدالة مشروطة فيه واما الحسبة القهرية فلا يشترط فيها ذلك فلا حجر على الفاسق في
اراقة الخمور وكسر الملاهي وغيرها اذا قدر عليه وهذا غاية الانصاف والكشف في المسألة
واما الايات التي استدلوا بها فهو انكار عليهم من حيث تركهم المعروف لا من حيث امرهم ولكن
امرهم دل على قوة علمهم وعقاب العالم اشد لانه لا عذر له مع قوة علمه وقوله لم تقولون ما لا تفعلون
اي بما لا تفعلون المراد به الوعد الكاذب وقوله وتنسون انفسكم انكار من حيث انهم نسوا انفسهم لا
من حيث انهم امروا غيرهم ولكن ذكر امر الغير استدلالا به على علمهم وتأكيدا للحجة عليهم وقوله يا ابن مريم
عظ نفسك الحديث هو في الحسبة بالوعظ وقد سلمنا ان وعظ الفاسق ساقط الجدوى عند من يعرف
فسقه ثم قوله فاستحي مني لا يدل على تحريم وعظ الغير بل معناه استحي مني فلا تترك الاهم وتشتغل
بالمهم كما يقال احفظ اباك ثم جارك والا فاستحي فان قيل فليجز للكافر الذمي ان يحتسب على المسلم
اذا رآه يزني لان قوله لا تزن حق في نفسه فمحال ان يكون حراما عليه بل ينبغي ان يكون مباحا او واجبا قلنا
الكافر ان منع المسلم بفعله فهو تسلط عليه فيمنع من حيث انه تسلط وما جعل الله للكافرين على المؤمنين
سبيلا واما مجرد قوله لا تزن فليس بمحرم عليه من حيث انه نهي عن الزنا ولكن من حيث انه اظهار
دالة الاحتكام على المسلم وفيه اذلال للمحكوم عليه والفاسق يستحق الاذلال ولكن لا من الكافر الذي
هو اولى بالذل منه فهذا وجه منعنا اياه من الحسبة والا فلسنا نقول ان الكافر يعاقب بسبب قوله
لا تزن من حيث انه نهي بل نقول انه لم يقل لا تزن يعاقب عليه اذا رأينا خطاب الكفار بفروع الدين
وفيه نظر استوفيناه في الفقهيات وليس يتعلق غرضنا الان **الشرط الرابع كونه مأذونا**
من جهة الامام والوالي فقد شرط قوم هذا الشرط ولم يثبتوا للاحاد من الرعية الحسبة وهذا الاشتراط
فاسد فان الايات والاخبار التي رويناها تدل على ان كل من رأى منكرا فسكت عنه عصى اينما راه

وكيف ما راه وعلى العموم فالتخصيص بشرط التفويض من الامام تحكم لا اصل له والعجب ان الروافض زادوا
على هذا فقالوا لا يجوز الامر بالمعروف ما لم يخرج الامام الحق وهؤلاء اخس رتبة من ان يكلموا بل جوابهم
ان يقال لهم اذا جاؤا الى القضاة طالبين لحقوقهم في دمائهم واموالهم ان نصرتكم امر بالمعروف
واستخراج حقوقكم من ايدي ظالمكم نهي عن المنكر وطلبكم لحقكم من جملة المعروف وما هذا زمان
النهي عن الظلم وطلب الحقوق لان الامام الحق بعد لم يخرج فان قيل في الامر بالمعروف اثبات
سلطنة وولاية واحتكام على المحكوم عليه ولذلك لم يثبت للكافر على المسلم مع كونه حقا فينبغي ان لا
يثبت لاحاد الرعية الا بتفويض من الوالي وصاحب الامر فنقول اما الكافر فممنوع لما فيه من السلطنة
وعز الاحتكام والكافر ذليل لا يستحق ان ينال عز التحكم على المسلم واما احاد المسلمين فيستحقون
هذا العز بالدين والمعرفة وما فيه من عز السلطنة والاحتكام لا يحوج الى تفويض كعز التعليم
والتعريف اذ لا خلاف في ان تعريف التحريم والايجاب لمن هو جاهل ومقدم على المنكر بجهله
لا يحتاج الى اذن الوالي وفيه عز الارشاد وعلى المعرف ذل التجهيل وذلك يكفي فيه مجرد الدين
وكذلك النهي ولشرح القول في هذا ان الحسبة لها خمس مراتب كما سياتي اولها التعريف والثاني
الوعظ بالكلام اللطيف والثالث السب والتعنيف ولست اعني بالسب الفحش بل ان يقول
يا جاهل يا احمق الا تخاف من الله تعالى وما يجري هذا المجرى **الرابع المنع بالقهر** بطريق
المباشرة ككسر الملاهي واراقة الخمور واختطاف الثوب الحرير من لابسه واستلاب الثوب المغصوب
منه ورده على صاحبه **والخامس** التخويف والتهديد بالضرب او مباشرة الضرب حتى يمتنع عنه
كالمواظبة على الغيبة والقذف فان سلب لسانه غير ممكن الى استعانة وجمع اعوان ولكن يحمل على اختيار
السكوت بالضرب وهذا قد يحوج الى استعانة وجمع اعوان من الجانبين ويجر الى القتال وسائر المراتب
لا يخفى وجه استغنائها عن اذن الامام الا المرتبة الخامسة فان فيها نظرا سياتي اما التعريف
والوعظ فكيف يحتاج الى اذن الامام واما التجهيل والتحميق والنسبة الى الفسق وقلة الخوف من
الله تعالى وما يجري مجراه فهو كلام صدق والصدق مستحق بل افضل الدرجات كلمة حق عند
امام جائر كما ورد في الحديث فاذا جاز الحكم على الامام على مراغمته فكيف يحتاج الى اذنه وكذلك كسر الملاهي
ومنع شرب الخمور وتعاطاه ما يعرف كونه حقا من غير اجتهاد فلم يفتقر الى الامام واما جمع الاعوان وشهر
الاسلحة فذلك قد يجر الى فتنة عامة ففيه نظر سياتي واستمرار عادات السلف على الحسبة على
الولاة قاطع باجماعهم على الاستغناء عن التفويض بل كل من امر بالمعروف فان كان الوالي راضيا به
فذاك وان كان ساخطا له فسخطه له منكر يجب الانكار عليه فكيف يحتاج الى اذنه في الانكار عليه
كما روي ان مروان بن الحكم خطب قبل الصلاة في العيد فقال له رجل انما الخطبة بعد الصلاة
فقال له مروان اترك ذلك يا فلان فقال ابو سعيد اما هذا فقد قضى ما عليه قال لنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم من راى منكرا فلينكره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك
اضعف الايمان فلقد كانوا فهموا من هذه العمومات دخول السلاطين تحتها فكيف يحتاج الى اذنهم
وروي ان المهدي لما قدم مكة لبث بها ما شاء الله فلما اخذ في الطواف نحى الناس عن البيت فوثب عبد
الله بن مرزوق رحمه الله فلببه بردائه ثم هزه وقال له انظر ما تصنع من جعلك بهذا البيت احق ممن
اتاه من البعد حتى اذا صار عنده حلت بينه وبينه من جعل لك هذا فنظر في وجهه وكان يعرفه لانه

من بني اليهم فقال عبد الله ابن مرزوق قال نعم واحضر فجي به الى بغداد فكره ان يعاقبه عقوبة يشنع عليه
في العامة فجعله في اصطبل الدواب ليسوس الدواب وضم اليه فرسا عضوضا سيء الخلق ليعقره
فلين الله له الفرس قال ثم صيروه في بيت واحد واخذ المهدي المفتاح عنده فاذا هو قد خرج بعد
ثلاث الى البستان ياكل البقل فاذن به المهدي فقال له من اخرجك فقال الذي حبسني قال
فضج المهدي وصاح وقال اما تخاف ان اقتلك فرفع عبد الله اليه راسه يضحك وهو يقول
لو كنت تملك حياة او موتا فما زال محبوسا حتى مات المهدي ثم خلوا عنه ورجع الى مكة قال وكان
قد جعل على نفسه نذرا ان خلصه الله تعالى من ايديهم ان ينحر مائة بدنة وكان يعمل في ذلك
حتى نحرها وروي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال حج هرون الرشيد بالدوس ومعه
رجل من بني هاشم وهو سليمان بن ابي جعفر فقال له هرون قد كان لك جارية تغني فتحسن فجئنا بها
فجا بها قال فجاءت فغنت فلم يحمد غناها فقال لها ما شانك قالت ليس هذا عودي فقال للخادم
جئها بعودها قال فجا بالعود فوافق شيخا يلقط النوى فقال الطريق يا شيخ فرفع الشيخ راسه
فراى العود فاخذ العود فضرب به الارض فاخذه الخادم وذهب به الى صاحب الربع فقال ليس
ببغداد اعقد من هذا فكيف يكون طلبة امير المؤمنين فقال له ما اقول لك فدخل عليهم فقال اني
مررت على شيخ يلقط النوى فقلت له الطريق فرفع راسه فراى العود فاخذه فضرب به الارض
فاستشاط هرون واحمرت عيناه وغضب فقال له سليمن ابن ابي جعفر ما هذا الغضب يا امير المؤمنين
ابعث الى صاحب الربع يضرب عنقه ويرمي به في الدجلة قال ولكن نبعث اليه فنناظره فجا الرسول
فقال اجب امير المؤمنين قال نعم قال اركب قال لا فجاء يمشي حتى وقف على باب القصر فقيل لهرون
قد جا الشيخ فقال للندما اي شيء ترون نرفع ما قدامنا من المنكر حتى يدخل هذا او نقوم الى مجلس
ليس فيه منكر فقالوا نقوم الى مجلس ليس فيه منكر اصلح فقاموا الى المجلس ليس فيه منكر ثم امر
بالشيخ فادخل وفي كمه الكيس الذي فيه النوى فقال له الخادم اخرج هذا وادخل على امير
المؤمنين فقال من هذا عشاي الليلة فقال نحن نعشيك فقال لا حاجة لي في عشائك فقال هرون
اي شيء تريد منه فقال في كمه نوى قلت له اطرح وادخل على امير المؤمنين فقال دعه لا يطرحه
فدخل فسلم وجلس فقال له هرون يا شيخ ما حملك على ما صنعت قال واي شي صنعت فجعل هرون يستحي
ان يقول كسرت عودي فلما اكثر عليه قال اني سمعت اباك واجدادك تقرؤن هذه الاية على المنبر
ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي وقد رايت منكرا
فغيرته فقال فغيره فوالله ما قال الا هذا فلما خرج اعطا رجلا بدرة فقال اتبع الشيخ فان رايته يقول
قلت لامير المؤمنين وقال لي فلا تعطه شيئا وان رايته لا يكلم احدا فاعطه البدرة فلما خرج من
القصر اذا هو بنواة في الارض قد غاصت فجعل يعالجها ولم يكلم احدا فقال له يقول لك امير المؤمنين
خذ هذه البدرة فقال قل لامير المؤمنين يردها من حيث اخذها وروي انه اقبل بعد فراغه من كلامه
على نواة يعالج قلعها من الارض وهو يقول شعر ارى الدنيا لمن هي في يديه هموما كلما كثرت عليه
تهين المكرمين لها بصغر وتكرم كل من هانت عليه اذا استغنيت عن شيء فدعه وخذ ما انت
محتاج اليه وعن سفيان الثوري قال حج المهدي في سنة ستين ومائة فرايته يرمي جمرة العقبة
والناس يخبطون يمينا وشمالا بالسياط فوقفت فقلت يا حسن الوجه حدثنا ايمن عن نابل عن قدامة

بن عبد الله الكلابي قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمي جمرة العقبة يوم النحر على جمل لا
ضرب ولا طرد ولا جلد ولا اليك اليك وها انت يخبط الناس بين يديك يمينا وشمالا فقال لرجل
من هذا قال سفيان الثوري فقال يا سفيان لو كان المنصور ما احتملك على هذا فقلت لو اخبرك
المنصور بما لقي لقصرت عما انت فيه قال فقيل له انه قال لك يا حسن الوجه ولم يقل لك يا امير
المؤمنين فقال اطلبوه فطلب سفيان فاختفى وقد روي عن المامون انه بلغه ان رجلا محتسبا يمشي
في الناس يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ولم يكن مامورا من عنده بذلك فامر بان يدخل عليه فلما صار
بين يديه فقال بلغني انك رايت نفسك اهلا للامر بالمعروف من غير ان امرك وكان المامون جالسا
على كرسي ينظر في كتاب او قصة قد اغفله فوقع منه فصار تحت قدمه من حيث لم يشعر فقال
المحتسب ارفع قدمك عن اسم الله ثم قل ما شئت فلم يفهم المامون مراده فقال لماذا تقول حتى
اعاده ثلاث فلم يفهم فقال اما رفعت او اذنت لي حتى ارفع فقال لا اذنت فنظر المامون تحت
قدمه فراى الكتاب فاخذه وقبله وخجل ثم عاد وقال لم تامر بالمعروف وقد جعل الله ذلك الينا
اهل البيت ونحن الذين قال الله فيهم الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة و
امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فقال صدقت يا امير المؤمنين انت كما وصفت نفسك من السلطان
والتمكين غير انا اولياؤك واعوانك فيه لا ينكر ذلك الا من جهل كتاب الله وسنة رسوله قال
الله تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر الاية
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وقد مكنت
في الارض وهذا كتاب الله وسنة رسوله فان انقدت لهما شكرت لمن اعانك بحرمتهما وان استكبرت
عنهما ولم تنقد لما لزمك منهما فان الذي اليه امرك وبيده عزك وذلك قد شرط انه لا يضيع
اجر من احسن عملا فقل الان ما شئت فاعجب المامون بكلامه وسر به وقال مثلك يجوز له ان يامر
بالمعروف فامض على ما كنت عليه بامرنا وعن راينا فاستمر عليه ففي سياق هذه الحكايات دليل وبيان
على الاستغناء عن الاذن فان قيل افتثبت ولاية الحسبة للولد على الوالد والعبد على السيد والزوجة
على الزوج والتلميذ على الاستاد والرعية على السلطان او بينهما فرق قلنا الذي نراه انه يثبت
اصل الولاية ولكن بينهما فرق في التفصيل ولنفرض ذلك في الولد مع الوالد فنقول قد رتبنا الحسبة خمس
مراتب وللولد الحسبة بالرتبتين الاولتين وهو التعريف ثم الوعظ والنصح باللطف وليس له الحسبة
بالسب والتعنيف والتهديد ولا بمباشرة الضرب وهما الرتبتان الاخيرتان وهل له الحسبة بالرتبة
الثالثة حيث تؤدي الى اذى الوالد وسخطه هذا فيه نظر وهو بان يكسر مثلا عوده ويريق خمره ويحل الخيوط
عن ثيابه المنسوجة من الحرير ويرد الى الملاك ما يجده في بيته من المال الحرام الذي غصبه او سرقه
او اخذه عن ادرار ورزق من ضريبة المسلمين العشرين ويبطل الصور المنقوشة على حيطانه والمنقورة
في خشب بيته ويكسر اواني الذهب والفضة فان فعله في هذه الامور ليس يتعلق بذات الاب بخلاف
الضرب والسب ولكن الوالد يتاذى به ويسخط بسببه الا ان فعل الولد حق وسخط الوالد منشاه
حبه للباطل والحرام والاظهر في القياس انه يثبت للولد ذلك بل يلزمه ان يفعل ذلك ولا يبعد ان
ينظر فيه الى قبح المنكر والى مقدار الاذى والسخط فان كان المنكر فاحشا وسخطه عليه قريب كاراقة
خمر من لا يشتد غضبه فذلك ظاهر وان كان المنكر قريبا والسخط شديدا كما لو كانت له انية من

من بلور او زجاج على صورة حيوان وفي كسرها خسران مال كثير فهذا مما يتردد فيه العبد وليس
تجري ههنا المعصية مجرى الخمر وغيره فهذا كله مجال النظر فان قيل ومن اين قلتم ثبوت الحسبة
بالتعنيف والضرب والارهاق الى ترك الباطل والامر بالمعروف في الكتاب والسنة ورد
عاما من غير تخصيص واما النهي عن التعنيف والايذاء فقد ورد وهو خاص فيما لا يتعلق
بارتكاب المنكرات فنقول قد ورد في حق الاب على الخصوص ما يوجب الاستثناء عن العموم فلا
خلاف في ان الجلاد ليس له ان يقتل اباه في الزنا ولا ان يباشر اقامة الحد عليه بل لا يباشر
قتل ابيه الكافر بل لو قطع يده لم يلزمه قصاص ولم يكن له ان يؤذيه في مقابلته فقد ورد في
ذلك اخبار وثبت بعضها بالاجماع واذا لم يجز له ايذاؤه بعقوبة هي حق على جناية سابقة
فلا يجوز له ايذاؤه بعقوبة هي منع عن جناية مستقبلة متوقعة بل اولى وهذا الترتيب
ايضا ينبغي ان يجري في العبد والزوجة مع الزوج والسيد فهما قريبان من الولد في لزوم
الحق وان كان ملك اليمين آكد من ملك النكاح ولكن في الخبر لو جاز السجود لمخلوق لامرت
المرأة بالسجود لبعلها وهذا ايضا يدل على التاكيد تاكد الحق واما الرعية مع السلطان فالامر
فيه اشد من الولد فليس لها معه الا التعريف والنصح فاما الرتبة الثالثة ففيه نظر من حيث
ان الهجوم على اخذ الاموال من خزانته وردها الى الملاك وعلى تحليل الخيوط من ثيابه وكسر الخمور
في بيته يكاد يفضي الى خرق هيبته واسقاط حشمته وذلك محذور ورد الشرع بالنهي عنه
كما ورد النهي عن السكوت عن المنكر فقد تعارض فيه ايضا محذوران والامر فيه موكول الى اجتهاد منشؤه
النظر في تفاحش المنكر ومقدار ما يسقط من حشمته بسبب الهجوم عليه وذلك مما لا يمكن ضبطه
واما التلميذ والاستاذ فالامر فيما بينهما اخف لان المحترم هو الاستاذ المفيد للعلم من حيث الدين
ولا حرمة لعالم لا يعمل بعلمه فله ان يعامله بموجب علمه الذي تعلمه منه وروي انه سئل الحسن عن
الولد كيف يحتسب على الوالد فقال يعظه ما لم يغضب فان غضب سكت عنه **الشرط الخامس**
كونه قادرا ولا يخفى ان العاجز ليس عليه حسبة الا بقلبه اذ كل من احب الله يكره معاصيه وينكرها
قال ابن مسعود جاهدوا الكفار بايديكم فان لم تستطيعوا الا ان تكفهروا في وجوههم فافعلوا
واعلم انه لا تقف سقوط الوجوب على العجز الحسي بل يلتحق به ما يخاف عليه مكروها يناله
فذلك في معنى العجز وكذلك اذا لم يخف مكروها ولكن علم ان انكاره لا ينفع فليلتفت الى
معنيين احدهما عدم افادة الانكار امتناعا والآخر خوف مكروه ويحصل من اعتبار المعنيين
اربعة احوال احدها ان يجتمع المعنيان بان يعلم انه لا ينفع كلامه ويضرب ان تكلم فلا تجب عليه
الحسبة بل ربما تحرم في بعض المواضع نعم يلزمه ان لا يحضر مواضع المنكر ويعتزل في بيته حتى لا
يشاهد ولا يخرج الا لحاجة مهمة او واجب ولا يلزمه مفارقة تلك البلدة والهجرة
الا اذا كان يرهق الى الفساد او يحمل على مساعدة السلاطين في الظلم والمنكرات فيلزمه الهجرة
ان قدر عليها فان الاكراه لا يكون عذرا في حق من يقدر على الهرب من الاكراه **الثانية** ان
ينتفي المعنيان بان يعلم ان المنكر يزول بقوله وفعله ولا يقدر له على مكروه فيجب وهي القدرة
المطلقة **الثالثة** ان يعلم انه لا يفيد انكاره لكنه لا يخاف مكروها فلا تجب الحسبة لعدم
فائدتها ولكن تستحب لاظهار شعائر الاسلام وتذكير الناس بامر الدين **الرابعة** عكس هذه وهو ان

يعلم انه يصاب بمكروه ولكن يبطل المنكر بفعله كما يقدر على ان يرمي زجاجة الفاسق بحجر فيكسرها ويريق
الخمر او يضرب العود الذي في يده ضربة مختطفة فيكسره في الحال ويتعطل عليه هذا المنكر ولكنه
يعلم انه يرجع اليه فيضرب رأسه فهذا ليس بواجب وليس بحرام بل هو مستحب ويدل عليه الخبر
الذي اوردناه في فضل كلمة حق عند امام جائر ولا شك في ان ذلك مظنة الخوف ويدل عليه ما
روي عن ابي سليمان الداراني انه قال سمعت من بعض الخلفاء كلاما فاردت ان انكر وعلمت اني اقتل
ولم يمنعني القتل ولكن كان في ملأ من الناس فخشيت ان يعتريني التزين للخلق فاقتل من غير اخلاص
في الفعل فان قيل فما معنى قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة قلنا لا خلاف في ان المسلم
الواحد يجوز له ان يهجم على صف الكفار ويقاتل وان علم انه يقتل وهذا ربما يظن انه مخالفة لموجب
الآية وليس كذلك فقد قال ابن عباس ليس التهلكة ذلك بل ترك النفقة في طاعة الله تعالى
اي من لم يفعل ذلك فقد اهلك نفسه وقال البراء بن عازب التهلكة هو ان يذنب الذنب ثم يقول
لا يتاب علي وقال ابو عبيدة هو ان يذنب ثم لا يعمل بعده خيرا حتى يهلك واذا جاز ان يقاتل الكفار حتى
يقتل جاز ايضا ذلك في الحسبة ولكن لو علم انه لا نكاية لهجومه على الكفار كالاعمى يطرح نفسه على
الصف او العاجز فذلك حرام وداخل تحت عموم آية التهلكة وانما جاز له اذا علم انه يقاتل الى ان يقتل
او علم انه يكسر قلوب الكفار بمشاهدتهم جراءته واعتقادهم في سائر المسلمين قلة المبالاة وحبهم للشهادة
في سبيل الله فتنكسر به شوكتهم فكذلك يجوز للمحتسب بل يستحب له ان يعرض نفسه للضرب والقتل
اذا كان لحسبته تاثير في رفع المنكر او في كسر جاه الفاسق او في تقوية قلوب اهل الدين فاما ان رأى
فاسقا متغلبا وحده وعنده سيف وبيده قدح وعلم انه لو انكر عليه لشرب القدح وضرب رقبته
فهذا مما لا ارى للحسبة فيه وجها وهو عين الاهلاك فان المطلوب ان يؤثر في الدين اثرا ويفديه
بنفسه فاما تعريض النفس للهلاك من غير اثر فلا وجه له بل ينبغي ان يكون حراما وانما يستحب له
قدر على ابطال المنكر او ظهر لفعله فائدة وذلك بشرط ان يقتصر المكروه عليه فان علم انه يضرب معه
غيره من اصحابه او اقاربه او رفقائه فلا تجوز له الحسبة بل تحرم لانه عجز عن دفع المنكر الا بان
يفضي ذلك الى منكر آخر وليس ذلك من القدرة في شيء بل لو علم انه لو احتسب لبطل ذلك المنكر ولكن
كان يكون ذلك سببا لمنكر آخر يتعاطاه غير المحتسب عليه فلا يحل له الانكار على الاظهر لان المقصود عدم
مناكير الشرع مطلقا لا من زيد او عمرو وذلك بان يكون مثلا مع الانسان شراب حلال نجس بسبب
وقوع نجاسة فيه وعلم انه لو اراقه لشرب صاحبه الخمر او شرب اولاده الخمر لاعوازهم الشراب الحلال
فلا معنى لاراقة ذلك ويحتمل ان يقال انه يريق ذلك فيكون هو مبطلا للمنكر واما شربه الخمر
فهو الملوم فيه والمحتسب غير قادر على منعه من ذلك المنكر وقد ذهب الى هذا ذاهبون وليس يبعد
فان هذه مسائل فقهية لا يمكن فيها الحكم الا بظن ولا يبعد ان يفرق بين درجات المنكر الذي يتركه والمنكر
الذي يفضي اليه الحسبة والتغيير فانه اذا كان يذبح شاة الغير مثلا وعلم انه لو منع منه
لذبح انسانا واكله فلا معنى لهذه الحسبة نعم لو كان منعه عن ذبح انسان او قطع طرفه يحمله على
اخذ ماله فذلك له وجه فهذه دقائق واقعة في محل الاجتهاد وعلى المجتهد اتباع اجتهاده
في ذلك كله ولهذه الدقائق نقول العامي ينبغي ان لا يحتسب الا في الجليات
المعلومات كشرب الخمر والزنا وترك الصلاة فاما ما يعلم كونه معصية بالاضافة الى ما يطوف به

من الافعال ويفتقر فيه الى الاجتهاد والغالب انه ان خاض فيه كان ما يفسده اكثر مما يصلح وعن هذا يتاكد ظن
من لا يثبت ولاية الحسبة الا بتعيين الوالي اذ ربما ينتدب لها من ليس اهلا لها لقصور معرفته
او قصور ديانته فيؤدي الى وجوه من الخلل وسياتي كشف الغطاء عن ذلك فان قيل وحيث اطلقتم
العلم بانه يصيبه مكروه او انه لا يفيد حسبته فلو كان بدله ظن فما حكمه قلنا الظن الغالب في
هذه الابواب في معنى العلم وانما يظهر الفرق عند تعارض الظن والعلم اذ يرجح العلم اليقيني ويفرق
بين العلم والظن في موضع اخر وهو انه يسقط وجوب الحسبة عنه حيث علم قطعا انه لا يفيد فلو
كان غالب ظنه انه لا يفيد ولكن يحتمل ان يفيد وهو مع ذلك لا يتوقع مكروها فقد اختلفوا في
وجوبه والاظهر وجوبه اذ لا ضرر فيه وجدواه متوقعة وعمومات الامر بالمعروف تقتضي الوجوب
بكل حال ونحن انما نستثني عنه بطريق التخصيص ما اذا علم انه لا فائدة فيه اما بالاجماع او بقياس
ظاهر وهو ان الامر ليس يراد لعينه بل للمامور فان علم الياس عنه فلا فائدة فيه واما اذا كان لم ييأس
فينبغي ان لا يسقط الوجوب فان قيل فالمكروه الذي يتوقع اصابته ان لم يكن متيقنا ولا معلوما
بغالب الظن ولكن كان مشكوكا فيه او كان غالب ظنه انه لا يصاب بمكروه ولكن احتمل انه يصاب بمكروه
فهذا الاحتمال هل يسقط الوجوب حتى لا يجب الا عند اليقين بانه لا يصيبه مكروه ام يجب في كل
حال الا اذا غلب على ظنه انه يصاب بمكروه قلنا ان غلب على الظن انه يصاب لم يجب وان غلب انه لا يصاب
وجب ومجرد التجويز لا يسقط الوجوب فان ذلك ممكن في كل حسبة وان شك فيه من غير رجحان
فهذا محل النظر فيحتمل ان يقال الاصل الوجوب بحكم العمومات وانما يسقط بمكروه والمكروه هو
الذي يظن او يعلم حتى يكون متوقعا وهذا هو الاظهر ويحتمل ان يقال انه انما يجب عليه اذا علم
انه لا ضرر عليه او ظن انه لا ضرر عليه والاول اصح نظرا الى قضية العمومات الموجبة للامر بالمعروف
فان قيل فالتوقع المكروه يختلف بالجبن والجراة فالجبان الضعيف القلب يرى البعيد قريبا حتى
كانه يشاهده ويرتاع منه والمتهور الشجاع يبعد وقوع المكروه به بحكم ما جبل عليه من حسن
الامل حتى لا يصدق به الا بعد وقوعه فعلى ماذا التعويل قلنا التعويل على اعتدال الطبع و
على ما و سلامة العقل والمزاج فان الجبن مرض وهو ضعف في القلب سببه قصور في
القوة وتفريط والتهور افراط في القوة وخروج عن الاعتدال بالزيادة وكلاهما نقصان وانما
الكمال في الاعتدال الذي يعبر عنه بالشجاعة وكل واحد من الجبن والتهور يصدر تارة عن نقصان
وتارة عن خلل في المزاج بتفريط او افراط فان من اعتدل مزاجه في صفة الجبن والجراة فقد لا ينتبه لمدارك
دفع الشر فيكون سبب جبنه جهله وقد يكون خبيرا بحكم التجربة والممارسة بمداخل الشرور و
دوافعها ولكن يعمل الشر البعيد في تخذيله وتحليل قوته في الاقدام بسبب ضعف قلبه ما يعمله
الشر القريب في حق الشجاع المعتدل الطبع فلا التفات الى الطرفين وعلى الجبان ان يتكلف ازالة
الجبن بازالة علته وعلته جهل وضعف ويزول الجهل بالتجربة ويزول الضعف بممارسة الفعل
المخوف منه تكلفا حتى يصير معتادا اذ المبتدي في المناظرة والوعظ قد يجبن عنه طبعه لضعفه
فاما اذا مارس واعتاد فارقه الضعف فان صار ذلك ضروريا غير قابل للزوال بحكم استيلاء الضعف
على القلب فحكم ذلك الضعيف يتبع حاله فيعذر كما يعذر المريض في التقاعد عن بعض الواجبات
ولذلك قد يقال على راي لا يجب ركوب البحر لاجل حجة الاسلام على من يغلب عليه الجبن في ركوب البحر

ويجب على من لا يعظم خوفه منه كذلك الامر في وجوب الحسبة فان قيل فالمكروه المتوقع ما حده
فان الانسان قد يكره كلمة وقد يكره ضربة وقد يكره طول لسان المحتسب عليه في حقه بالغيبة وما
من شخص يامره بالمعروف الا ويتوقع منه نوعا من الاذى وقد يكون منه ان يسعى به الى سلطان او يقدح فيه
في مجلس يتضرر بقدحه فيه فما حد المكروه الذي يسقط الوجوب به قلنا هذا ايضا نظر غامض وصورته
منتشرة ومجاريه كثيرة ولكنا نجتهد في ضم نشره وحصر اقسامه فنقول المكروه نقيض المطلوب
ومطالب الخلق في الدنيا ترجع الى اربعة اما في النفس فالعلم واما في البدن فالصحة والسلامة واما في
المال فالثروة واما في قلوب الناس فقيام الجاه فاذا المطلوب العلم والصحة والثروة والجاه ومعنى الجاه
ملك قلوب الناس كما ان معنى الثروة ملك الدراهم وسيلة وسياتي تحقيق معنى الجاه وسبب ميل
الطبع اليه في ربع المهلكات وكل واحد من هذه الاربعة يطلبها الانسان لنفسه ولاقاربه والمختصين
به ويكره في هذه الاربعة امران احدهما زوال ما هو حاصل موجود والاخر ما هو منتظر مفقود اعني اندفاع
ما يتوقع وجوده فلا ضرر الا في فوات حاصل من زواله او تعوق ما يتوقع منتظر فان المنتظر عبارة عن الممكن
حصوله والممكن حصوله كانه حاصل وفوات امكانه كانه فوات حصوله فرجع المكروه الى قسمين احدهما
خوف امتناع المنتظر وهذا لا ينبغي ان يكون مرخصا في ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اصلا
ولنذكر مثاله في الاربعة اما العلم فمثاله تركه الحسبة على من يختص باستاده خوفا من ان يقبح حاله
عنده فيمتنع من تعليمه واما الصحة فتركه الانكار على الطبيب الذي يدخل عليه مثلا وهو لابس
حريرا خوفا من ان يتاخر عنه فيمتنع بسببه صحته المنتظرة واما المال فتركه الحسبة على السلطان
واصحابه وعلى من يواسيه خيفة من ان يقطع ادراره في المستقبل ويترك مواساته واما الجاه فتركه
الحسبة على من يتوقع منه نصرة وجاها في المستقبل خيفة من ان لا يحصل له الجاه او خيفة من ان
يقبح حاله عند السلطان الذي يتوقع منه ولاية وهذا كله لا يسقط وجوب الحسبة فان هذه زيادات
امتنعت وتسمية امتناع حصول الزيادات ضررا مجاز وانما الضرر الحقيقي فوات حاصل ولا يستثنى
عن هذا شيء الا ما تمس اليه الحاجة ويكون في فواته محذور يزيد على محذور السكوت على المنكر
كما اذا كان محتاجا الى الطبيب لمرض ناجز والصحة منتظرة من معالجة الطبيب ويعلم ان في تاخره
شدة الضنا وطول المرض وقد يفضي الى الموت واعني بالعلم الظن الذي يجوز بمثله ترك استعمال
الماء والعدول الى التيمم فاذا انتهى الى هذا الحد لم يبعد ان يرخص في ترك الحسبة واما في العلم
فمثل ان يكون جاهلا بمهمات دينه ولم يجد الا معلما واحدا وعلم ان المحتسب عليه قادر على
ان يسد عليه طريق الوصول اليه لكون العالم مطيعا له او مستمعا لقوله فاذا الصبر على الجهل بمهمات
الدين محذور والسكوت على المنكر محذور فلا يبعد ان يرجح احدهما ويختلف ذلك بتفاحش
المنكر وبشدة الحاجة الى العلم لتعلقه بمهمات الدين واما في المال فكمن يعجز عن الكسب والسؤال
وليس قوي النفس في التوكل ولا منفق عليه سوى شخص واحد ولو احتسب عليه قطع رزقه ولافتقر
في تحصيله الى طلب ادرار حرام او مات جوعا فهذا ايضا اذا اشتد الامر فيه لم يبعد ان يرخص
في السكوت واما الجاه فهو ان يؤذيه شرير ولا يجد سبيلا الى دفع شره الا بجاه يكتسبه من سلطان
ولا يقدر على التوصل اليه الا بواسطة شخص يلبس الحرير او يشرب الخمر ولو احتسب عليه لم يكن
واسطة ووسيلة له فيمتنع حصول الجاه ويدوم بسببه اذى الشرير فهذه كلها اذا ظهرت وقويت

ثم يبعد استثناؤها ولكن الامر فيهما منوط باجتهاد المحتسب حتى يستفتي فيها قلبه ويزن احد
المحذورين بالآخر ويرجح بنظر الدين لا بموجب الهوى والطبع فان رجح بموجب الدين سكوته سمي مداراة وان
رجح بموجب الهوى سمي سكوته مداهنة وهذا امر باطن لا يطلع عليه الا بنظر دقيق ولكن الناقد
بصير فحق كل متدين فيه ان يراقب قلبه ويعلم ان الله تعالى مطلع على باعثه وصارفه انه الدين
او الهوى وستجد كل نفس ما عملت من خير محضرا عند الله ولو في فلتة خاطر او لفتة ناظر من غير
ظلم وجور فما الله بظلام للعبيد واما القسم الثاني وهو فوات الحاصل فهو مكروه معتبر في جواز
السكوت في الامور الاربعة الا العلم فان فواته غير مخوف الا بتقصير منه والا فلا يقدر احد على
سلب العلم من غيره وان قدر على سلب الصحة والسلامة والثروة والمال والجاه وهذا احد اسباب
شرف العلم فانه يدوم في الدنيا ويدوم ثوابه في الآخرة فلا انقطاع له ابد الآباد واما الصحة والسلامة
ففواتهما بالضرب فكل من علم انه يضرب ضربا مؤلما يتأذى به في الحسبة لم تلزمه الحسبة وان كان يستحب
له ذلك كما سبق واذا فهم هذا في الايلام بالضرب فهو في الجرح والقطع والقتل اظهر واما الثروة فهو
بان يعلم انه تنهب داره ويخرب بيته وتسلب ثيابه فهذا ايضا يسقط عنه الوجوب ويبقى الاستحباب
اذ لا بأس بان يفدي دينه بدنياه ولكل واحد من الضرب والنهب حد في القلة لا يكترث به كالحبة
في المال واللطمة الخفيفة الما في الضرب وحد في الكثرة يتعين اعتباره ووسط يقع في محل
الاشتباه والاجتهاد وعلى المتدين ان يجتهد فيه ويرجح جانب الدين ما امكن واما الجاه ففواته
بان يضرب ضربا غير مؤلم او يسب على ملأ او يطرح منديله في رقبته ويدار به في البلد او يسود وجهه
ويطاف به وكل ذلك من غير ضرب مؤلم للبدن وهو قادح في الجاه ومؤلم للقلب وهذا له درجات فـ
الصواب ان تقسم الى ما يعبر عنه بسقوط المروءة كالطواف به في البلد حاسرا حافيا فهذا يرخص له في السكوت
لان المروءة مأمور بحفظها في الشرع وهذا مؤلم للقلب الما يزيد على الم ضربات متعددة وعلى فوات دريهمات
قليلة فهذه درجة الثانية ما يعبر عنه بالجاه المحض وعلو الرتبة فان الخروج في ثياب فاخرة تجمل
وكذا الركوب للخيول فلو علم انه لو احتسب كلف المشي في السوق في ثياب لا يعتاد هو مثلها او كلف
المشي راجلا وعادته الركوب فهذا من جملة المزايا وليس المواظبة على حفظها محمودا وحفظ المروءة محمود
فلا ينبغي ان يسقط وجوب الحسبة بمثل هذا القدر وفي معنى هذا ما لو خاف ان يتعرض له باللسان اما في
حضرته بالتجهيل والتحميق والنسبة الى الرياء والنفاق واما في غيبته بانواع الغيبة فهذا لا يسقط الوجوب
اذ ليس فيه الا زوال فضلات الجاه التي ليس اليها كبير حاجة ولو تركت الحسبة بلوم لائم او باغتياب فاسق
او شتمه وتعنيفه او سقوط المنزلة عن قلبه وقلب امثاله لم يكن للحسبة وجوب اصلا اذ لا تنفك
الحسبة عنه الا اذا كان المنكر هو الغيبة وعلم انه لو انكر لم يسكت عن المغتاب ولكن اضافه اليه
وادخله معه في الغيبة فتحرم هذه الحسبة لانه سبب زيادة المعصية وان علم انه يترك تلك الغيبة
ويقتصر على غيبته فلا تجب عليه لان غيبته ايضا معصية في حق المغتاب ولكن يستحب له ذلك ليفدي
عرض المذكور بعرض نفسه على سبيل الايثار وقد دلت العمومات على تأكد وجوب الحسبة وعظم
الخطر في السكوت عنه فلا يقابله الا ما عظم في الدين خطره والمال والنفس والمروءة قد ظهر في الشرع خطرها
فاما مزايا الجاه والحشمة ودرجات التجمل وطلب ثناء الخلق فكل ذلك لا خطر له واما امتناعه لخوف شئ
من هذه المكاره في حق اولاده واقاربه فهو في حقه دونه لان تأذيه بامر نفسه اشد من تأذيه بامر غيره ومن

وجه الدين هو دونه لان له ان يسامح في حقوق نفسه وليس له المسامحة في حق غيره فاذا ينبغي ان
يمتنع فانه ان كان ما يفوت من حقوقهم يفوت على طريق المعصية كالضرب والنهب فليس له
هذه الحسبة لانه دفع منكر يفضي الى منكر وان كان يفوت لا بطريق المعصية فهو ايذاء لمسلم ايضا وليس له
ذلك الا برضاهم فاذا كان يؤدي ذلك الى اذى قومه فليتركه وذلك كالزاهد الذي له اقارب اغنياء فانه
لا يخاف على ماله ان احتسب على السلطان ولكنه يقصد اقاربه انتقاما منه بواسطتهم فاذا كان
يتعدى الاذى من حسبته الى اقاربه وجيرانه فليتركها فان ايذاء المسلمين محذور كما ان السكوت
عن المنكر محذور نعم ان كان لا ينالهم اذى في مال ونفس ولكن ينالهم الاذى بالشتم والسب فهذا
فيه نظر ويختلف الامر فيه بدرجات المنكرات في تفاحشها ودرجات الكلام المحذور في نكايته
في القلب وقدحه في العرض فان قيل فلو قصد الانسان قطع طرف من نفسه وكان لا يمتنع عنه
الا بقتال ربما يؤدي الى قتله فهل يقاتل عليه فان قلتم يقاتل فهو محال لانه اهلاك نفس خوفا من
اهلاك طرف وفي اهلاك النفس اهلاك الطرف ايضا قلنا يمنعه عنه ويقاتله اذ ليس غرضنا
حفظ نفسه وطرفه بل الغرض حسم سبيل المنكر والمعصية وقتله في الحسبة ليس بمعصية وقطع
طرف نفسه معصية ودفع ذلك كدفع الصائل على مال مسلم بما ياتي على قتله فانه جائز لا على معنى انا نفدي
درهما من مال مسلم فان ذلك محال ولكن قصده مال المسلمين معصية وقتله في الدفع عن المعصية
ليس بمعصية وانما المقصود دفع المعاصي فان قيل فان علمنا انه لو خلا بنفسه لقطع طرف نفسه فينبغي
ان نقتله في الحال حسما لباب المعصية قلنا ذلك لا يعلم يقينا ولا يجوز سفك دمه بتوهم معصية
ولكنا اذا رأيناه في حالة مباشرة القطع دفعناه فان قاتلنا قاتلناه ولم نبال بما ياتي على روحه
فاذا المعصية لها ثلاثة احوال احداها ان تكون متصرمة فالعقوبة على ما تصرم منها حد او تعزير
وهو الى الولاة لا الى الآحاد الثانية ان تكون المعصية راهنة وصاحبها مباشر لها كلبسه الحرير وامساكه
العود والخمر فابطال هذه المعصية واجب بكل ما امكن ما لم يؤد الى معصية افحش منها او مثلها
وذلك يثبت للآحاد والرعية الثالثة ان يكون المنكر متوقعا كالذي يستعد بكنس المجلس وتزيينه
وجمع الرياحين لشرب الخمر وبعد لم يحضر الخمر فهذا مشكوك فيه اذ ربما يعوق عنه عائق فلا يثبت
للآحاد سلطنة على العازم على الشرب الا بطريق الوعظ والنصح فاما بالتعنيف والضرب فلا يجوز للـ
آحاد ولا للسلطان الا اذا كانت تلك المعصية علمت منه بالعادة المستمرة وقد اقدم على السبب المؤدي
اليه ولم يبق لحصول المعصية الا ما ليس له فيه الا الانتظار وذلك كوقوف الاحداث على ابواب
حمام النساء للنظر اليهن عند الدخول والخروج فانهم وان لم يضيقوا الطريق لسعته فيجوز للمحتسب
منعهم باقامتهم عن الموضع ومنعهم من الوقوف بالتعنيف والضرب وكان تحقيق هذا اذا
بحث عنه يرجع الى ان هذا الوقوف في نفسه معصية وان كان مقصد العاصي وراءه كما ان
الخلوة بالاجنبية في نفسها معصية لانها مظنة وقوع المعصية وتحصيل مظنة المعصية معصية ونعني
بالمظنة ما يتعرض الانسان بها لوقوع المعصية غالبا بحيث لا يقدر على الانكفاف عنها فاذا هو على
التحقيق حسبة على معصية منتظرة

الركن الثاني

للحسبة ما فيه الحسبة وهو كل
منكر موجود في الحال ظاهر للمحتسب بغير تجسس معلوم كونه منكرا بغير اجتهاد فهذه اربعة شروط فلنبحث
عنها الاول كونه منكرا ونعني به ان يكون محذور الوقوع في الشرع وعدلنا عن لفظ المعصية الى هذا

لان المنكر اعم من المعصية اذ من رأى صبيا او مجنونا يشرب الخمر فعليه ان يريق خمره ويمنعه وكذا ان رأى مجنونا يزني بمجنونة او بهيمة فعليه ان يمنع منه وليس ذلك لتفاحش صورة الفعل وظهوره بين الناس بل لو صادف هذا المنكر في خلوة وجب المنع منه وهذا لا يسمى معصية في حق المجنون اذ معصية لا عاصي بها محال فلفظ المنكر ادل عليه واعم من لفظ المعصية وقد ادرجنا في عموم هذه الصغيرة والكبيرة فلا يختص الحسبة بالكبائر بل كشف العورة في الحمام والخلوة بالاجنبية واتباع النظر للنسوة الاجنبيات كل ذلك من الصغائر ويجب النهي عنها وفي الفرق بين الصغيرة والكبيرة نظر سياتي في كتاب التوبة

الشرط الثاني ان يكون موجودا في الحال وهو احتراز عن الحسبة على من فرغ من شرب الخمر فان ذلك ليس الى الآحاد وقد انقرض المنكر واحتراز عما سيوجد في ثاني الحال كمن يعلم بقرينة حاله انه عازم على الشرب في ليلته فلا حسبة عليه الا بالوعظ فان انكر عزمه عليه لم يجز وعظه ايضا فان فيه اساءة ظن بالمسلم وربما صدق في قوله وربما لا يقدم العائق وليتنبه للدقيقة التي ذكرناها وهو ان الخلوة بالاجنبية معصية ناجزة وكذا الوقوف على باب حمام النساء وما يجري مجراه

الشرط الثالث ان يكون ظاهرا للمحتسب بغير تجسس فكل من ستر معصية في داره واغلق بابه لا يجوز ان يتجسس عليه وقد نهى الله تعالى عنه وقصة عمر وعبد الرحمن بن عوف فيه مشهورة وقد اوردناها في كتاب آداب الصحبة وكذلك روي ان عمر رضي الله عنه تسلق دار رجل فرآه على حالة مكروهة فانكر فقال يا امير المؤمنين ان عصيت الله تعالى من وجه فقد عصيته من ثلاثة اوجه فقال وما هي فقال قد قال الله تعالى ولا تجسسوا وقد تجسست وقال تعالى وأتوا البيوت من ابوابها وقد دخلت من السطح وقال تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها وما سلمت فتركه عمر وشرط عليه التوبة وكذلك شاور الصحابة على المنبر وسألهم عن الامام اذا شاهد بنفسه منكرا فهل له اقامة الحد فاشار علي بان ذلك منوط بعدلين فلا يكفي فيه واحد وقد اوردنا هذه الاخبار في بيان حق المسلمين من كتاب آداب الصحبة فلا نعيدها فان قلت فما حد الظهور والاستتار فاعلم ان من اغلق باب داره وتستر بحيطانه فلا يجوز الدخول عليه بغير اذنه لتعرف المعصية الا ان يظهر في الدار ظهورا يعرفه من هو خارج الدار كاصوات المزامير والاوتار واذا ارتفعت بحيث جاوز حيطان الدار فمن سمع ذلك فله دخول الدار وكسرها وكذلك اذا ارتفعت اصوات السكارى بالكلمات المألوفة بينهم بحيث يسمعه اهل الشوارع فهذا اظهار موجب للحسبة فاذا انما يدرك مع تخلل الحيطان صوت او رائحة فاذا فاحت روائح الخمر فان احتمل ان يكون من الخمور المحترمة فلا يقصد بالاراقة وان علم بقرينة الحال انها فاحت لتعاطيهم الشرب فهذا محتمل والظاهر جواز الحسبة وقد تستر قارورة الخمر في الكم وتحت الذيل وكذلك الملاهي فاذا رأى فاسقا وتحت ذيله شيء لم يجز ان يكشف عنه ما لم يظهر بعلامة خاصة الى الخل وغيره ولا يجوز ان يستدل باخفائه وانه لو كان حلالا لما اخفاه لان الاغراض في الاخفاء مما تكثر وان كانت الرائحة فائحة فهذا محل النظر والظاهر ان له الاحتساب لان هذه علامة تفيد الظن والظن كالعلم في مثل هذه الامور وكذلك العود ربما يعرف بشكله اذا كان الثوب الساتر له رقيقا فدلالة الشكل كدلالة الرائحة والصوت وما ظهرت دلالته فهو غير مستور بل هو مكشوف وقد امرنا بان نستر ما ستر الله تعالى وننكر على من ابدى لنا صفحته والابداء له درجات فتارة يبدو لنا بحاسة السمع وتارة بحاسة الشم وتارة بحاسة البصر وتارة بحاسة اللمس ولا يمكن ان نخصص ذلك بحاسة البصر بل المراد العلم وهذه الحواس ايضا تفيد العلم فاذا انما يجوز ان يكسر ما تحت

الثوب اذا علم انه خمر وليس له ان يقول ارني لاعلم ما فيه فان هذا تجسس ومعنى التجسس طلب الامارات المعرفة فالامارة المعرفة ان حصلت واورثت المعرفة جاز العمل بمقتضاها فاما طلب الامارة المعرفة فلا رخصة فيه اصلا

الشرط الرابع ان يكون كونه منكرا معلوما بغير اجتهاد فكل ما هو في محل الاجتهاد فلا حسبة فيه فليس للحنفي ان ينكر على الشافعي اكله الضب والضبع ومتروك التسمية ولا على الشافعي ان ينكر على الحنفي شربه النبيذ الذي ليس بمسكر وتناوله ميراث ذوي الارحام وجلوسه في دار اخذها بشفعة الجوار الى غير ذلك من مجاري الاجتهاد نعم لو رأى الشافعي شافعيا يشرب النبيذ وينكح بلا ولي ويطأ زوجته فهذا في محل النظر والاظهر ان له الحسبة والانكار اذ لم يذهب من المحصلين احد الى ان المجتهد يجوز له ان يعمل بموجب اجتهاد غيره ولا ان الذي ادى اجتهاده في التقليد الى شخص رآه افضل العلماء ان ياخذ بمذهب غيره فينتقد من المذاهب اطيبها عنده بل على كل مقلد اتباع مقلده في كل تفصيل فاذا مخالفته للمقلد متفق على كونه منكرا بين المحصلين وهو عاص بالمخالفة الا انه يلزم من هذا امر اغمض منه وهو انه يجوز للحنفي ان يعترض على الشافعي اذا نكح بغير ولي بان يقول له الفعل في نفسه حق ولكن لا في حقك فانت مقدم عليه مع اعتقادك ان الصواب مذهب الشافعي ومخالفة ما هو صواب عندك معصية في حقك وان لم يكن صوابا عند الله تعالى وكذلك الشافعي يحتسب على الحنفي اذا شاركه في اكل الضب ومتروك التسمية وغيره ويقول له اما ان تعتقد ان الشافعي اولى بالاتباع ثم تقدم او لا تقدم عليه على خلاف معتقدك ثم ينجر هذا الى امر في المحسوسات وهو ان يجامع الاصم مثلا امرأة على قصد الزنا وعلم المحتسب ان هذه امرأته زوجها ابوه منه في صغره ولكنه ليس يدري وعجز عن تعريفه ذلك لصممه او لكونه غير عالم بلغته فهو في الاقدام مع اعتقاده انها اجنبية عاص ومعاقب عليه في الدار الآخرة فينبغي ان يمنعه منه مع انها زوجته وهو بعيد من حيث انه حلال في علم الله تعالى قريب من حيث انه حرام عليه بحكم غلطه وجهله ولا شك في انه لو علق طلاق زوجته على صفة في قلب المحتسب مثلا من مشيئة او غضب او غيره وقد وجدت الصفة في قلبه وعجز عن تعريف الزوجين ذلك ولكن علم وقوع الطلاق في الباطن فاذا رآه يجامعها فعليه المنع اعني باللسان لان ذلك زنا الا ان الزاني غير عالم به والمحتسب عالم بانها طلقت منه ثلاثا وكونهما غير عاصيين لجهلهما بوجود الصفة لا يخرج الفعل عن كونه منكرا ولا يتقاعد ذلك عن زنا المجنون وقد بينا انه يمنع منه فاذا كان يمنع مما هو منكر عند الله تعالى وان لم يكن منكرا عند الفاعل ولا هو عاص به لعذر الجهل فيلزم من عكس هذا ان يقال ما ليس بمنكر عند الله وانما هو منكر عند الفاعل لجهله لا يمنع منه وهذا هو الاظهر والعلم عند الله عز وجل فيحصل من هذا ان الحنفي لا يعترض على الشافعي في النكاح بلا ولي وان الشافعي يعترض على الشافعي فيه لكون المعترض عليه منكرا باتفاق المحتسب والمحتسب عليه وهذه مسائل فقهية دقيقة والاحتمالات فيها متعارضة وانما افتينا فيه بحسب ما ترجح عندنا في الحال ولسنا نقطع بخطأ المخالف فيها ان رأى انه لا يجري الاحتساب الا في معلوم على القطع وقد ذهب اليه ذاهبون وقالوا لا حسبة الا في مثل الخمر والخنزير وما يقطع بكونه حراما ولكن الاشبه عندنا ان الاجتهاد يؤثر في حق المجتهد اذ يبعد غاية البعد ان يجتهد في القبلة ويعترف بظهور القبلة عنده في جهة بالعلامات الظنية ثم يستدبرها ولا يمنع منه لاجل ظن غيره اذ ربما يظن غيره ان الاستدبار هو الصواب ورأي من رأى انه يجوز لكل مقلد ان يختار من المذاهب ما اراد غير معتد به ولعله لا يصح ذهاب ذاهب اليه اصلا فهذا مذهب لا يثبت وان ثبت فلا يعتد به فان قلت اذا كان لا يعترض على الحنفي في النكاح بلا ولي لانه يرى انه حق فينبغي ان لا يعترض

على المعتزلي في قوله ان الله لا يرى وقوله ان الخير من الله والشر ليس من الله وقوله كلام الله تعالى مخلوق وعلى
الحشوي في قوله ان الله جسم وله صورة وانه مستقر على العرش بل على الفلسفي في قوله الاجساد لا تبعث وانما تبعث
النفوس لان هؤلاء ايضا ادى اجتهادهم الى ما قالوه وهم يظنون ان ذلك هو الحق فان قلت بطلان مذهب هؤلاء
ظاهر فبطلان مذهب من يخالف نص الحديث الصحيح ايضا ظاهر وكما يظهر ابانة بظواهر النصوص مسائل
ان الله يرى والمعتزلي ينكرها بالتاويل فكذلك يثبت بظواهر النصوص مسائل خالف فيها الحنفي كمسألة النكاح
بلا ولي ومسألة شفعة الجوار ونظائرها فاعلم ان المسائل تنقسم الى ما يتصور ان يقال فيه كل مجتهد
مصيب وهي احكام الافعال في الحل والحرمة وذلك هو الذي لا يعترض على المجتهدين فيه اذ لم يعلم خطاؤهم قطعا
بل ظنا والى ما لا يتصور ان يكون المصيب فيه الا واحدا كمسألة الرؤية والقدر وقدم الكلام ونفي الصورة و
الجسمية والاستقرار عن الله عز وجل فهذا مما يعلم خطأ المخطئ فيه قطعا ولا يبقى لخطائه الذي هو جهل
محض وجه فاذا البدع كلها ينبغي ان تحسم ابوابها وتنكر على المبتدعين بدعهم وان اعتقدوا انها الحق كما يرد
على اليهود والنصارى في كفرهم وان كانوا يعتقدون ان ذلك حق لان خطاءهم معلوم على القطع بخلاف
الخطأ في مظان الاجتهاد فان قلت فمهما اعترضت على القدري في قوله الشر ليس من الله اعترض عليك
القدري ايضا في قولك الشر من الله وكذلك في قولك ان الله يرى وفي سائر المسائل اذ المبتدع محق
عند نفسه والمحق مبتدع عند المبتدع وكل يدعي انه محق وينكر كونه مبتدعا فكيف يتم الاحتساب فاعلم انا
لاجل هذا التعارض نقول ينظر الى البلدة التي فيها ظهرت تلك البدعة فان كانت البدعة غريبة والناس
كلهم على السنة فلهم الحسبة عليه بغير اذن السلطان وان انقسم اهل البلد الى اهل البدعة واهل
السنة وكان في الاعتراض تحريك فتنة بالمقاتلة فليس للآحاد الحسبة في المذاهب الا بنصب السلطان فاذا
رأى السلطان الرأي الحق ونصره واذن لواحد ان يزجر المبتدعة عن اظهار البدعة كان له ذلك وليس لغيره
فان ما يكون باذن السلطان لا يتقابل وما يكون من جهة الآحاد فيتقابل الامر فيه وعلى الجملة فالحسبة في البدع
اهم من الحسبة في كل المنكرات ولكن ينبغي ان يراعى فيه هذا التفصيل الذي ذكرناه كي لا يتقابل الامر ولا ينجر
الى تحريك الفتنة بل لو اذن السلطان مطلقا في منع كل من يصرح بان القرآن مخلوق او ان الله لا يرى او انه مستقر
على العرش مماس له او غير ذلك من البدع تسلط الآحاد على المنع منه ولم يتقابل الامر فيه وانما يتقابل عند
عدم اذن السلطان فقط الركن الثالث المحتسب عليه وشرطه ان يكون بصفة يصير الفعل الممنوع منه في حقه منكرا
واقل ما يكفي في ذلك ان يكون انسانا ولا يشترط كونه مكلفا اذ بينا ان الصبي لو شرب الخمر منع منه واحتسب
عليه وان كان قبل البلوغ ولا يشترط كونه مميزا اذ بينا ان المجنون لو كان يزني بمجنونة او يأتي بهيمة وجب
منعه منه نعم من الافعال ما لا يكون منكرا في حق المجنون كترك الصلاة والصوم وغيره ولكنا لسنا
نلتفت الى اختلاف التفاصيل فان ذلك مما يختلف فيه المسافر والمريض والصحيح وغرضنا الاشارة
الى الصفة التي بها يتوجه اصل الانكار عليه لا ما بها يتهيأ التفاصيل فان قلت فاكتف بكونه حيوانا
ولا تشترط كونه انسانا فان البهيمة لو كانت تفسد زرعا لانسان لكنا نمنعها منه كما نمنع المجنون من الزنا و
اتيان البهيمة فاعلم ان تسمية ذلك حسبة لا وجه لها اذ الحسبة عبارة عن المنع عن منكر لحق الله تعالى صيانة
للممنوع عن مقارفة المنكر ومنع المجنون عن الزنا واتيان البهيمة لحق الله تعالى وكذلك منع الصبي عن شرب
الخمر والانسان اذا اتلف زرع غيره منع منه لحقين احدهما حق الله تعالى فان فعله معصية والثاني حق
المتلف عليه فهما علتان تنفصل احداهما عن الاخرى فلو قطع طرف غيره باذنه فقد وجدت المعصية وسقط حق

المجني عليه باذنه فتثبت الحسبة والمنع باحدى العلتين ومنع البهيمة ولكن فيه دقيقة وهو انا لسنا
نقصد باخراج البهيمة والبهيمة اذا اتلفت فقد عدمت المعصية ولكن يثبت المنع باحدى العلتين
بل لحفظ مال المسلم اذ البهيمة لو اكلت ميتة او شربت من اناء فيه خمر او ماء مشوب بالخمر لم نمنعها منه بل نطعم
كلاب الصيد الجيف والميتات ولكن مال المسلم اذا تعرض للضياع وقدرنا على حفظه بغير تعب
وجب ذلك علينا حفظا للمال بل لو وقعت جرة لانسان من علو وتحته قارورة لغيره فندفع الجرة لحفظ
القارورة لا لمنع الجرة فانا لا نقصد منع وحراستهما من ان تصير كاسرة للقارورة ونمنع المجنون
من الزنا واتيان البهيمة وشرب الخمر وكذلك الصبي لا صيانة للبهيمة المأتية او للخمر المشروب
بل صيانة للمجنون عن شرب الخمر وتنزيها له من حيث انه انسان محترم فهذه لطائف دقيقة لا يتفطن
لها المحققون فلا ينبغي ان يغفل عنها ثم فيما يجب تنزيه الصبي والمجنون عنه نظر اذ قد يتردد
في منعهما من لبس الحرير وغير ذلك وسنتعرض له ونشير اليه في الباب الثالث فان قلت فكل
من رأى بهائم قد استرسلت في زرع فهل يجب عليه اخراجها وكل من رأى مالا لمسلم اشرف على
الضياع هل يجب عليه حفظه فان قلتم ان ذلك واجب فهذا تكليف شطط يؤدي الى ان يصير الانسان
مسخرا لغيره طول عمره وان قلتم لا يجب فلم يجب الاحتساب على من يغصب مال غيره وليس له سبب سوى
مراعاة مال الغير فنقول هذا بحث دقيق غامض والقول الوجيز فيه ان نقول مهما قدر على حفظه
عن الضياع من غير ان يناله تعب في بدنه او خسران في ماله او نقص في جاهه وجب عليه ذلك فذلك
القدر واجب في حقوق المسلمين بل هو اقل درجات الحقوق والادلة الموجبة لحقوق المسلمين كثيرة
وهذا اقل درجاتها وهو اولى بالايجاب من رد السلام فان الاذى في هذا اكثر من الاذى في رد السلام بل
لا خلاف في ان مال الانسان اذا كان يضيع بظلم ظالم وكان عنده شهادة لو تكلم بها لرجع الحق اليه وجب
عليه ذلك وعصى بكتمان الشهادة ففي معنى ترك الشهادة ترك كل دفع لا ضرر على الدافع فيه فاما ان
كان عليه تعب او ضرر في مال او جاه لم يلزمه ذلك لان حقه مرعي في منفعة بدنه وفي ماله وجاهه
لحق غيره فلا يلزمه ان يفدي غيره بنفسه نعم الايثار مستحب وتحمل المصاعب لاجل المسلمين قربة
فاما ايجابها فلا فاذا ان كان يتعب باخراج البهائم عن الزرع لم يلزمه ولكن اذا كان لا يتعب بتنبيه صاحب
الزرع وهو نائم يلزمه ذلك واهمال تعريفه بالتنبيه كاهمال تعريف القاضي بالشهادة وذلك لا رخصة
فيه والله اعلم ولا يمكن ان يراعى فيه الاقل والاكثر حتى يقال ان كان لا يضيع من منفعته في مدة
اشتغاله باخراج البهائم الا قدر درهم وصاحب الزرع يفوته مال كثير فيترجح جانبه لان
الدرهم الذي له هو يستحق حفظه كما يستحق صاحب الالف حفظ الالف فلا سبيل للمصير الى ذلك
فاما اذا كان فوات المال بطريق هو معصية كالغصب او قتل عبد مملوك للغير فهذا يجب المنع منه
فان كان فيه تعب ما لان المقصود حق الشرع والغرض دفع المعصية وعلى الانسان ان يتعب نفسه في
دفع المعاصي كما عليه ان يتعب نفسه في ترك المعاصي والمعاصي كلها في تركها تعب وانما الطاعة كلها
ترجع الى مخالفة النفس وهي غاية التعب ثم لا يلزمه احتمال كل ضرر بل التفصيل فيه ما ذكرناه من درجات
المحذورات التي يخافها المحتسب وقد اختلف الفقهاء في مسئلتين تقرب من غرضنا احداهما ان الالتقاط
هل هو واجب واللقطة ضائعة والملتقط مانع من الضياع وساع في الحفظ والحق فيه عندنا ان يفصل
ونقول ان كانت اللقطة في موضع لو تركها فيه لم تضع بل يلتقطها من يعرفها او تركت كما لو كان في مسجد

او رباط يتعين من يدخله وكلهم امناء فلا يلزمه الا التقاط لحق المالك وان كان في مضيعة نظر فان
كان عليه تعب في حفظها كما لو كانت بهيمة وتحتاج الى العلف والاصطبل فلا يلزمه ذلك لانه انما يجب
الالتقاط لحق المالك وحقه بسبب كونه انسانا محترما والملتقط ايضا انسان وله حق في ان لا
يتعب لاجل غيره كما لا يتعب غيره لاجله فان كان ذهبا او ثوبا او شيئا لا ضرر عليه فيه الا مجرد تعب
التعريف فهذا ينبغي ان يكون في محل الوجهين فقائل يقول التعريف والقيام بشرط اللقطة تعب
فلا سبيل الى الزامه ذلك الا ان يتبرع فيلتزم طلبا للثواب وقائل يقول ان هذا القدر من التعب
مستصغر بالاضافة الى مراعاة حقوق المسلمين والله اعلم وينزل هذا منزلة تعب الشاهد في
حضور مجلس الحكم فانه لا يلزمه السفر الى بلدة اخرى الا ان يتبرع به فاذا كان القاضي في
جواره لزمه وكان التعب بهذه الخطوات لا يعد تعبا في غرض اقامة الشهادة واداء الامانة وان
كان في الطرف الاخر من البلد فاخراجه الى الهاجرة وعند شدة الحر فهذا قد يقع في محل الاجتهاد و
النظر فان الضرر الذي ينال الساعي في حفظ حق الغير له طرف في القلة لا يشك في انه لا يبالي
به وطرف في الكثرة لا يشك في انه لا يلزم احتماله ووسط يتجاذبه الطرفان ويكون ابدا في محل الشبهة
والنظر وهي من الشبهات التي ليس في معتقدها البرء ان اتقاها اذ لا علة تفرق بين اجزائها المتقاربة لكن
المتقي ينظر فيه لنفسه ويدع ما يريبه الى ما لا يريبه فهذا غاية الكشف عن هذا الاصل والله سبحانه
وتعالى اعلم نفس الاحتساب وله درجات وآداب اما الدرجات فاولها التعرف ثم التعريف ثم النهي
ثم الوعظ ثم النصح ثم السب والتعنيف ثم التغيير باليد ثم التهديد بالضرب ثم ايقاع الضرب و
تحقيقه ثم شهر السلاح ثم الاستظهار فيه بالاعوان وجمع الجنود **الدرجة** الاولى هو
التعرف ونعني به طلب المعرفة بجريان المنكر وذلك منهي عنه وهو التجسس الذي ذكرناه فلا ينبغي ان
يسترق السمع على دار غيره ليسمع صوت الاوتار ولا ان يستنشق ليدرك رائحة الخمر ولا ان يمس ما في ثوبه
ليعرف شكل المزمار ولا ان يستخبر من جيرانه ليخبروه بما في داره يجري نعم لو اخبره عدلان ابتداء من غير استخبار
بان فلانا يشرب الخمر في داره او في داره خمر اعده للشرب فله اذ ذاك ان يدخل داره ولا يلزمه الاستئذان
ويكون تخطي ملكه بالدخول للتوصل الى دفع المنكر ككسر راسه بالضرب للمنع مهما احتاج اليه وان اخبره عدلان
او عدل واحد وبالجملة من تقبل روايته لا شهادته ففي جواز الهجوم على داره بقولهم فيه نظر واحتمال والاولى
ان يمتنع لان له حقا في ان لا يتخطى داره بغير اذنه ولا يسقط حق المسلم عما ثبت عليه حقه الا بشاهدين
فهذا اولى ما يجعل مردا فيه وقد كان نقش خاتم لقمان عليه السلام الستر لما عاينت احسن من اذاعة ما
ظننت والله سبحانه اعلم **الدرجة** الثانية التعريف فان المنكر قد يقدم عليه المقدم بجهله واذا عرف
انه منكر تركه كالسوادي يصلي ولا يحسن الركوع والسجود فيعلم ان ذلك لجهله بان هذا ليس بصلاة ولو رضي
بان لا يكون مصليا لترك اصل الصلاة فيجب تعريفه باللطف من غير تعنيف وذلك لان في ضمن التعريف نسبة
الى الجهل والحمق والتجهيل ايذاء وقلما يرضى الانسان بان ينسب الى الجهل بالامور لا سيما بالشرع وكذلك ترى
الذي يغلب عليه الغضب كيف يغضب اذا نبه على الخطأ او الجهل وكيف يجتهد في مجاحدة الحق
بعد معرفته خيفة من ان تنكشف عورة جهله والطباع احرص على ستر عورة الجهل منها على ستر العورة
الحقيقية لان الجهل قبح في صورة النفس وسواد في وجهه وصاحبه ملوم عليه وقبح السوءتين يرجع
الى صورة البدن والنفس اشرف من البدن وقبحها اشد من قبح البدن ثم هو غير ملوم عليه لانه خلقة لم يدخل

تحت اختياره حصوله ولا في اختياره ازالته وتحسينه والجهل قبح يمكن ازالته وتبديله بحسن
العلم فلذلك يعظم تألم الانسان بظهور جهله ويعظم ابتهاجه في نفسه بعلمه ثم لذته عند
ظهور جمال علمه لغيره واذا كان التعريف كشفا للعورة مؤذيا للقلب فلا بد ان يعالج دفع اذاه بلطف
الرفق فيقول له ان الانسان لا يولد عالما ولقد كنا ايضا جاهلين بامور الصلاة فعلمنا العلماء و
لعل قريتك خالية عن اهل العلم او عالمها مقصر في شرح الصلاة وايضاحها انما شرط الصلاة
الطمانينة في الركوع والسجود فافهم ذلك فهكذا يتلطف به ليحصل التعريف من غير ايذاء فان ايذاء
المسلم حرام محذور كما ان تقريره على المنكر محذور وليس من العقلاء من يغسل الدم بالدم او بالبول ومن
اجتنب محذور السكوت على المنكر واستبدل عنه محذور الايذاء للمسلم مع الاستغناء عنه فقد غسل
الدم بالدم على التحقيق والله سبحانه وتعالى اعلم واما اذا وقفت على خطأ في غير امر الدين فلا ينبغي ان ترده
عليه فانه مستفيد منك علما ويصير لك عدوا والله اعلم الا اذا علمت انه يغتنم العلم وذلك
عزيز جدا والله اعلم **الدرجة** الثالثة النهي بالوعظ والنصح والتخويف من الله وذلك
فيمن يقدم على الامر وهو عالم بكونه منكرا او فيمن اصر عليه بعد ان عرف كونه منكرا كالذي يواظب على الشرب
او على الظلم او على اغتياب المسلمين او ما يجري مجراه فينبغي ان يوعظ ويخوف بالله تعالى ويورد عليه
الاخبار الواردة بالوعيد فيها ويحكى له سيرة السلف وعادة المتقين وكل ذلك بشفقة ولطف من غير
عنف وغضب بل ينظر اليه نظر المترحم عليه ويرى ان اقدامه على المعصية مصيبة على نفسه اذ
المسلمون كنفس واحدة وههنا آفة عظيمة ينبغي ان يتوقاها فانها مهلكة وهي ان العالم يرى عند
التعريف عز نفسه بالعلم وذل غيره بالجهل فربما يقصد بالتعريف الاذلال واظهار التميز بشرف العلم واذلال
صاحبه بالنسبة الى خسة الجهل فان كان الباعث هذا فهذا المنكر اقبح في نفسه من المنكر الذي يعترض عليه
ومثال هذا المحتسب مثال من يخلص غيره من النار باحراق نفسه وهو غاية الجهل وهذه مزلة عظيمة وغائلة
هائلة وغرور للشيطان يتدلى بحبله كل انسان الا من عرفه الله عيوب نفسه وفتح بصيرته بنور هدايته
فان في الاحتكام على الغير لذة للنفس عظيمة من وجهين احدهما من جهة دالة العلم والاخر من جهة دالة الاحتكام
والسلطنة وكل ذلك يرجع الى الرياء وطلب الجاه وهو الشهوة الخفية الداعية الى الشرك الخفي وله محك
ومعيار ينبغي ان يمتحن به المحتسب نفسه وهو ان يكون امتناع ذلك الانسان عن المنكر بنفسه او باحتساب
غيره احب اليه من امتناعه باحتسابه فان كانت الحسبة شاقة عليه ثقيلة على نفسه وهو يود ان
يكفى بغيره فليحتسب فان باعثه هو الدين وان كان اتعاظ ذلك العاصي بوعظه وانزجاره بزجره
احب اليه من اتعاظه بوعظ غيره فما هو الا متبع هوى نفسه ويتوسل الى اظهار جاه نفسه بواسطة
حسبته فليتق الله فيه وليحتسب اولا على نفسه وعند هذا يقال لما قيل لعيسى عليه السلام
يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني وقيل لداود الطائي ارأيت رجلا
دخل على هؤلاء الامراء فامرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر قال اخاف عليه السوط قال انه يقوى عليه
قال اخاف عليه الداء الدفين وهو العجب **الدرجة** الرابعة السب والتعنيف بالقول
الغليظ الخشن وذلك يعدل اليه عند العجز عن المنع باللطف وظهور مبادي الاصرار والاستهزاء بالوعظ و
النصح وذلك مثل قول ابراهيم اف لكم ولما تعبدون من دون الله ولسنا نعني بالسب الفحش بما فيه نسبة
الى الزنا ومقدماته ولا الكذب بل ان يخاطبه بما فيه مما لا يعد من جملة الفحش كقوله يا فاسق يا احمق يا جاهل

الا تخاف الله يا سوادي يا غبي وما يجري هذا المجرى فان كل فاسق فهو احمق وان لم يحمقه لما عصى الله تعالى
بل كل من ليس بكيس فهو احمق والكيس من شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكياسة حيث قال الكيس
من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله تعالى ولهذه الرتبة ادبان
احدهما ان لا يقدم عليه الا عند الضرورة والعجز عن اللطف والثاني ان لا ينطق الا بالصدق ولا
يسترسل فيه فيطلق لسانه الطويل بما لا يحتاج اليه بل يقتصر على قدر الحاجة فان علم ان خطابه بهذه
الكلمات الزاجرات ليست تزجره فلا ينبغي ان يطلقه بل يقتصر على اظهار الغضب والاستحقار له و
الازدراء بمحله لاجل معصيته وان علم انه لو تكلم ضرب ولو تكره واظهر الكراهة بوجهه لم يضرب لزمه ولم
يكفه الانكار بالقلب بل يلزمه ان يقطب وجهه ويظهر الانكار له **الدرجة** الخامسة
التغيير باليد وذلك ككسر الملاهي واراقة الخمر وخلع الحرير من راسه ودفعه على الجلوس على مال
الغير واخراجه من الدار المغصوبة بالجر برجله واخراجه من المسجد اذا كان جالسا وهو جنب وما
يجري مجراه ويتصور ذلك في بعض المعاصي دون بعض فاما معاصي اللسان والقلب فلا يقدر على مباشرة
تغييرها وكذلك كل معصية تقتصر على نفس العاصي وجوارحه الباطنة وان لا يمزق الثوب الحرير بل
يحل دروزه فقط ولا يحرق الملاهي والصليب الذي اظهره النصارى بل يبطل صلاحها للفساد بالكسر
واحد الكسر ان يصير الى حد لا يحتاج في استيناف اصلاحه الى تعب يساوي تعب الاستيناف من الخشب ابتداء
وفي اراقة الخمور يتوقى كسر الاواني ان وجد اليه سبيلا فان لم يقدر عليها الا بان يرمي ظروفها بحجر فله
ذلك وسقطت قيمة الظرف وتقومه بسبب الخمر اذ صار حائلا بينه وبين الوصول الى الخمر ولو ستر
الخمر ببدنه لكنا نقصد بدنه بالضرب والجرح لنتوصل الى اراقة الخمر فاذا لم تزد حرمة ملكه في الظروف على حرمة
نفسه ولو كان الخمر في قوارير ضيقة الرؤوس ولو اشتغل باراقتها طال الزمان وادركه الفساق
ومنعوه فله كسرها فهذا عذر وان كان لا يحذر ظفر الفساق ومنعهم ولكن كان يضيع فيه زمانه
ويتعطل عليه اشتغاله فله ان يكسرها فليس عليه ان يضيع منفعة نفسه وغرضه من اشغاله
لاجل ظروف الخمر وحيث كانت الاراقة متيسرة كالكسر فكسر لزمه الضمان فان **قلت** فهلا جاز الكسر لاجل
الزجر وهلا جاز الجر بالرجل في الاخراج عن الغصب لتكون ابلغ في الزجر فاعلم ان الزجر انما يكون عن
المستقبل والعقوبة تكون عن الماضي والدفع عن الحاضر الراهن وليس الى احاد الرعية الا الدفع وهو اعدام
المنكر فما زاد على قدر الاعدام فهو اما عقوبة على جريمة سابقة او زجر عن لاحق وذلك الى الولاة لا الى
الرعية نعم الوالي له ان يفعل ذلك اذا راى المصلحة فيه واقول له ان يامر بكسر الظروف التي فيها الخمور زجرا
وقد فعل ذلك في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم تاكيدا للزجر ولم يثبت نسخه ولكن كانت الحاجة
الى الزجر والفطام شديدة فاذا راى الوالي باجتهاده مثل تلك الحاجة جاز له مثل ذلك واذا كان هذا
منوطا بنوع اجتهاد دقيق لم يكن ذلك لاحاد الرعية فان **قلت** فليجز للسلطان زجر الناس عن المعاصي
باتلاف اموالهم وتخريب دورهم التي فيها يشربون ويعصون واحراق اموالهم التي بها يتوصلون الى
المعاصي فاعلم ان ذلك لو ورد الشرع به لم يكن خارجا عن سنن المصالح ولكنا لا نبتدع المصالح بل نتبع فيها وكسر ظروف
الخمر قد ثبت عند شدة الحاجة وتركه بعد ذلك لعدم شدة الحاجة لا يكون نسخا بل الحكم يزول بزوال العلة ويعود بعودها
وانما جوزنا ذلك للامام بحكم الاتباع ومنعنا احاد الرعية منه لخفاء وجه الاجتهاد فيه بل نقول لو اريقت
الخمور اولا فلا يجوز كسر الاواني بعدها وانما جاز كسرها تبعا للخمر فاذا خلت عنها فهو اتلاف مال الا ان
تكون ضارية بالخمر لا تصلح الا لها وكان الفعل المنقول عن العصر الاول كان مقرونا بالمعنيين احدهما

شدة الحاجة الى الزجر والاخر تبعية الظروف للخمر التي هي مشغولة بها وهما معنيان مؤثران لا سبيل
الى حذفهما ومعنى ثالث وهو صدوره عن راي صاحب الامر لعلمه بشدة الحاجة الى الزجر وهو ايضا
مؤثر لا سبيل الى الغائه فهذه تصرفات دقيقة فقهية يحتاج المحتسب لا محالة الى معرفتها **الدرجة** السادسة التهديد والتخويف كقوله دع عنك هذا والا كسرت راسك او لاضربنك
او لامرن بك او لامرن بك وذلك ينبغي ان يقدم على تحقيق الضرب اذا امكن تقديمه والادب
في هذه الرتبة ان لا يهدده بوعيد لا يجوز له تحقيقه كقوله لانهبن دارك ولاضربن ولدك و
لاسبين زوجتك وما يجري مجراه بل ذلك ان قاله عن عزم فهو حرام وان قاله من غير عزم فهو كذب
نعم اذا تعرض لوعيده بالضرب والاستخفاف فله العزم عليه الى حد معلوم يقتضيه الحال
وله ان يزيد في الوعيد على ما هو عزمه الباطن اذا علم ان ذلك مما يقمعه ويردعه وليس ذلك من
الكذب المحذور بل المبالغة في مثل ذلك معتاد وهو في معنى مبالغة الرجل في اصلاحه بين شخصين
وتاليفه بين الضرتين وذلك مما رخص فيه للحاجة وهذا في معناه فان القصد به اصلاح ذلك الشخص
والى هذا المعنى اشار بعض الناس انه يقبح من الله تعالى ان يتوعد بما لا يفعل لان الخلف في الوعيد
كرم وانما يقبح ان يعد بما لا يفعل وهذا غير مرضي عندنا فان الكلام القديم لا يتطرق اليه الخلف
وعدا كان او وعيدا وانما يتصور هذا في حق العباد وهو كذلك اذ الخلف في الوعيد ليس
بحرام **الدرجة** السابعة مباشرة الضرب باليد والرجل وغير ذلك مما ليس فيه شهر
سلاح وذلك جائز للاحاد بشرط الضرورة والاقتصار على قدر الحاجة في الدفع فاذا اندفع المنكر فينبغي
ان يكف والقاضي قد يرهق من ثبت عليه الحق الى الاداء بالحبس فان اصر المحبوس وعلم القاضي قدرته
على اداء الحق وكونه معاندا فله ان يلزمه الاداء بالضرب على التدريج كما يحتاج اليه وكذلك المحتسب
يراعي التدريج فان احتاج الى شهر سلاح وكان يقدر على دفع المنكر بشهر السلاح وبالجرح فله
ان يتعاطى ذلك كما لو قبض فاسق مثلا على امراة او على مزمار وهو يضرب بينه وبين المحتسب نهر حائل
او جدار مانع فياخذ قوسه ويقول له خل عنها او لارمينك فان لم يخل عنها فله ان يرمي وينبغي ان لا
يقصد المقتل بل الساق والفخذ وما يجري فيه التدريج وكذلك يسل السيف ويقول اترك هذا
المنكر او لاضربنك وكل ذلك لدفع المنكر ودفعه واجب بكل ممكن ولا فرق في ذلك بين ما يتعلق بخاص
حق الله تعالى وما يتعلق بالادميين وقالت المعتزلة ما لا يتعلق بالادميين فلا حسبة فيه الا بالكلام
او بالضرب ولكن للامام لا للاحاد **الدرجة** الثامنة ان لا يقدر عليه بنفسه ويحتاج فيه الى
اعوان يشهرون السلاح وربما يستمد الفاسق ايضا باعوانه ويؤدي ذلك الى ان يتقابل الصفان ويتقاتلا
فهذا قد ظهر الاختلاف في احتياجه الى اذن الامام فقال قائلون لا يستقل احاد الرعية بذلك لانه يؤدي
الى تحريك الفتن وهيجان الفساد وخراب البلاد وقال اخرون لا يحتاج الى الاذن وهو الاقيس لانه اذا
جاز للاحاد الامر بالمعروف واوائل درجاته تجر الى ثوانيه وقد ينتهي لا محالة الى التضارب والتضارب
يدعو الى التعاون فلا ينبغي ان يبالي بلوازم الامر بالمعروف ومنتهاه تجنيد الجنود في رضا الله تعالى ودفع
معاصيه ونحن نجوز للاحاد من الغزاة ان يجتمعوا ويقاتلوا من ارادوا من فرق الكفار قمعا لاهل الكفر فكذلك
قمع اهل الفساد جائز لان الكافر لا باس بقتله والمسلم ان قتل فهو شهيد فكذلك الفاسق المناضل عن فسقه
لا باس بقتله والمحتسب المحق ان قتل مظلوما فهو شهيد وعلى الجملة فانتهاء الامر الى هذا من النوادر في الحسبة ولا

فلا يغتر به فانه قانون القياس بل يقال كل من قدر على دفع منكر فله ان يدفع ذلك بيده وبسلاحه وبنفسه و
باعوانه فالمسئلة اذا محتملة كما ذكرناه فهذه درجات الاحتساب ولنذكر آدابها **بيان** آداب المحتسب
قد ذكرنا تفاصيل الآداب في آحاد الدرجات ونذكر الآن جملها ومصادرها وهي ثلاث صفات في المحتسب العلم والورع و
حسن الخلق اما العلم فليعلم مواقع الحسبة وحدودها ومجاريها وموانعها ليقتصر على حد الشرع فيه والورع
ليردعه عن مخالفة معلومه فما كل من علم عمل به بل ربما يعلم انه مسرف في الحسبة وزائد على الحد المأذون فيه شرعا ولكن
يحمله عليه غرض من الاغراض وليكن كلامه ووعظه مقبولا فان الفاسق يهزأ به اذا احتسب ويورث ذلك
جرأة واما حسن الخلق فليتمكن به من اللطف والرفق وهو اصل الباب واساسه والعلم والورع لا يكفي
فيه فان الغضب اذا هاج لم يكف مجرد العلم والورع في قمعه ما لم يكن في الطبع قبوله بحسن الخلق وعلى
التحقيق فلا يتم الورع الا بحسن الخلق والقدرة على ضبط الشهوة والغضب وبه يصبر المحتسب على ما اصابه
في دين الله تعالى والا فاذا اصيب عرضه ونفسه بشتم او ضرب نسي الحسبة وغفل عن دين الله تعالى و
استغل بنفسه بل ربما يقدم عليه ابتداء لطلب الجاه والاسم فهذه الصفات الثلاث بها تصير الحسبة من
القربات وبها تندفع المنكرات وان فقدت لم يندفع المنكر وربما كانت الحسبة ايضا منكرة لمجاوزة حد
الشرع فيها ودل على هذه الآداب قوله صلى الله عليه وسلم لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر الا رفيق فيما يأمر به
فقيه فيما ينهى عنه وهذا يدل على انه لا يشترط ان يكون فقيها مطلقا بل فيما يأمر به وكذا الحلم **وقال**
الحسن البصري اذا كنت ممن يأمر بالمعروف فكن من آخذ الناس به والا هلكت وقد قيل لا تلم المرء على فعله وانت
منسوب الى مثله ومن ذم شيئا واتى مثله فانما يزري على عقله ولسنا نعني بهذا ان الامر بالمعروف يصير
ممنوعا بالفسق ولكن يسقط اثره عن القلوب بظهور فسقه للناس فقد روي عن انس قال قلنا يا رسول الله لا نأمر بالمعروف
حتى نعمل به كله ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه كله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مروا بالمعروف وان لم تعملوا
به كله وانهوا عن المنكر وان لم تجتنبوه كله واوصى بعض السلف بنيه فقال ان اراد احدكم ان يأمر بالمعروف فليوطن
نفسه على الصبر وليثق بالثواب من الله تعالى فمن وثق بالثواب لم يجد مس الاذى فاذا من آداب الحسبة توطين النفس
على الصبر وتقليل العلائق حتى لا يكثر خوفه وقطع الطمع عن الخلائق حتى تزول عنه المداهنة فقد روي عن
بعض المشايخ انه كان له سنور وكان يأخذ من قصاب في جواره كل يوم شيئا من الغدد لسنوره فرأى على
القصاب منكرا فدخل الدار اولا واخرج السنور ثم جاء واحتسب على القصاب فقال له القصاب لا اعطيك
بعد هذا شيئا لسنورك فقال ما احتسبت عليك الا بعد اخراج السنور وقطع الطمع منك وهو كما قال فمن لم
يقطع الطمع عن الخلق لا يقدر على الحسبة ومن طمع في ان تكون قلوب الناس عليه طيبة والسنتهم بالثناء عليه
مطلقة لم تتيسر له الحسبة قال كعب الاحبار لابي مسلم الخولاني كيف منزلتك بين قومك قال حسنة قال ان
التوراة تقول ان الرجل اذا امر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه فقال ابو مسلم صدقت التوراة
وكذب ابو مسلم ويدل على وجوب الرفق ما استدل به المأمون اذ وعظه واعظ وعنف له في القول فقال يا
رجل ارفق فقد بعث الله من هو خير منك الى من هو شر مني وامره بالرفق فقال فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى
فليكن اقتداء المحتسب في الرفق بالانبياء صلوات الله عليهم وقد روى ابو امامة ان غلاما شابا اتى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله ائذن لي في الزنا فصاح الناس به فقال النبي صلى الله عليه وسلم قربوه ادن فدنا
حتى جلس بين يديه فقال عليه السلام اتحبه لامك فقال لا جعلني الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه لامهاتهم
اتحبه لاختك وزاد ابن عوف انه ذكر العمة والخالة وهو يقول في كل واحد لا جعلني الله فداك وهو صلى الله عليه

وسلم يقول كذلك الناس لا يحبونه وقالا جميعا في حديثهما اعني ابن عوف والراوي الآخر فوضع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يده على صدره وقال اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه فلم يكن شيء ابغض اليه
منه يعني من الزنا وقيل للفضيل بن عياض ان سفيان بن عيينة قبل جوائز السلطان فقال الفضيل ما اخذ
منهم الا دون حقه ثم خلا به وعذله ووبخه فقال سفيان يا ابا علي ان لم نكن من الصالحين فانا لنحب الصالحين
وقال حماد بن سلمة ان صلة بن اشيم مر عليه رجل قد اسبل ازاره فهم اصحابه ان يأخذوه بشدة فقال دعوني
اكفيكم فقال يا ابن اخي ان لي اليك حاجة قال وما حاجتك قال احب ان ترفع من ازارك فقال نعم وكرامة
فرفع ازاره فقال لاصحابه لو اخذتموه بشدة لقال لا ولا كرامة وشتمكم **وقال** محمد بن زكريا الغلابي
شهدت محمد بن عبد الله ابن عائشة ليلة وقد خرج من المسجد بعد المغرب يريد منزله واذا في طريقه غلام
من قريش سكران وقد قبض على امرأة فجذبها فاستغاثت فاجتمع الناس عليه يضربونه فنظر اليه ابن عائشة فعرفه
فقال للناس تنحوا عن ابن اخي ثم قال الي يا ابن اخي فاستحيا الغلام فجاء اليه فضمه الى نفسه ثم قال له
امض معي فمضى معه حتى صار الى منزله فادخله الدار وقال لبعض غلمانه بيته عندك فاذا افاق من سكره فاعلمه
بما كان منه ولا تدعه ينصرف حتى تأتي به فلما افاق ذكر له ما جرى فاستحيا منه وبكى وهم بالانصراف فقال
له الغلام قد امر ان تأتيه فادخله عليه فقال له اما استحييت لنفسك اما استحييت لشرفك اما ترى
من ولدك فاتق الله وانزع عما انت فيه فبكى الغلام منكسا رأسه ثم رفع رأسه وقال عاهدت الله عهدا
يسألني عنه يوم القيامة اني لا اعود لشرب النبيذ ولا لشيء مما كنت فيه وانا تائب فقال ادن مني فقبل رأسه وقال
احسنت يا بني فكان الغلام بعد ذلك يلزمه ويكتب الحديث وكان ذلك ببركة رفقه ثم قال ان الناس يأمرون
بالمعروف ويكون معروفهم منكرا فعليكم بالرفق في جميع اموركم تنالون به ما تطلبون فهكذا كانت عادة اهل الدين
في الحسبة وقد نقلنا فيه آثارا واخبارا في باب البغض في الله والحب في الله من كتاب آداب الصحبة فلا نطول
بالاعادة فهذا تمام النظر في درجات الاحتساب وآدابها **الباب** الثالث في المنكرات المألوفة في العادة
فنشير الى جمل منها ليستدل بها على امثالها اذ لا مطمع في حصرها واستقصائها فمنها منكرات المساجد اعلم
ان المنكرات تنقسم الى مكروهة ومحظورة فاذا قلنا هذا منكر مكروه فاعلم ان المنع منه مستحب والسكوت
عليه مكروه وليس بحرام الا اذا لم يعلم الفاعل انه مكروه فيجب ذكره له لان الكراهة حكم في الشرع يجب تبليغه الى
من لا يعرفه واذا قلنا منكر محظور او قلنا منكر مطلقا فنريد به المحظور ويكون السكوت عليه مع القدرة
محظورا فمما يشاهد كثيرا في المساجد اساءة الصلاة بترك الطمأنينة في ركوعها وسجودها وهو منكر
مبطل للصلاة بنص الحديث فيجب النهي عنها الا عند الحنفي الذي يعتقد ان ذلك لا يمنع صحة الصلاة اذ لا
ينفع النهي عنه ومن رأى مسيئا في صلاته فسكت عليه فهو شريكه هكذا ورد الاثر وفي الخبر ما يدل عليه اذ ورد
في الغيبة ان المستمع شريك القائل وكذلك كل ما يقدح في صحة الصلاة من نجاسة على ثوبه لا يراها او انحراف
عن القبلة بسبب ظلام او عمى فكل ذلك تجب فيه الحسبة ومنها قراءة القرآن باللحن يجب النهي عنه
ويجب تلقين الصحيح فان كان المعتكف في المسجد يضيع اكثر اوقاته في امثال ذلك ويشتغل به عن التطوع
والذكر فليشتغل به فان هذا افضل من ذكره وتطوعه لان هذا فرض وهي قربة تتعدى فائدتها فان كان
ذلك يمنعه عن الوراقة والكسب الذي هو طعمته فان كان معه مقدار كفايته لزمه الاشتغال بذلك ولم
يجز له ترك الحسبة لطلب الزيادة في الدنيا وان احتاج اليه لقوت يومه فهو عذر له فيسقط عنه الوجوب
لعجزه والذي يكثر اللحن في القرآن ان كان قادرا على التعلم فليمتنع من القراءة قبل التعلم فانه عاص به وان كان لا يطاوعه

اللسان فان كان اكثر ما يقرا لحنا فليترك وليجتهد في تعلم الفاتحة وتصحيحها وان كان الاكثر صحيحا و
ليس يقدر على التسوية فلا باس ان يقرا ولكن ينبغي ان يخفض به الصوت حتى لا يسمع غيره ولمنعه سرا منه ايضا
وجه ولكن اذا كان منتهى قدرته وكان له انس بالقراءة وحرص عليه فلست ارى به باسا والله اعلم ومنها تراسل
المؤذنين في الاذان وتطويلهم بمد كلماته وانحرافهم عن صوب القبلة بجميع الصدر في الحيعلتين او انفراد
كل واحد باذان ولكن من غير توقف الى انقطاع اذان الاخر بحيث يضطرب على الحاضرين جواب الاذان لتداخل
الاصوات فكل ذلك منكرات مكروهة يجب تعريفها وان صدرت عن معرفة فيستحب المنع منها والحسبة
فيها وكذلك اذا كان للمسجد مؤذن واحد وهو يؤذن قبل الصبح فينبغي ان يمنع منه فذلك مشوش للصوم
والصلاة على الناس الا اذا عرف انه يؤذن قبل الصبح حتى لا يعول على اذانه في صلاة وترك سحور وكان معه مؤذن
اخر معروف الصوت يؤذن مع الصبح ومن المكروهات ايضا تكثير الاذان مرة بعد اخرى بعد طلوع الصبح في
مسجد واحد في اوقات متعاقبة متقاربة اما من واحد او من جماعة فانه لا فائدة فيه اذا لم يبق في المسجد نائم
ولم يكن الصوت مما يخرج من المسجد حتى ينبه غيره فكل ذلك من المكروهات المخالفة لسنة الصحابة والسلف
ومنها ان يكون الخطيب لابسا لثوب اسود يغلب عليه الابريسم او ممسكا لسيف مذهب فهو فاسق والانكار
عليه واجب فاما مجرد السواد فليس بمكروه ولكنه ليس بمحبوب اذ احب الثياب الى الله تعالى البيض ومن قال انه
مكروه وبدعة اراد به انه لم يكن معهودا في العصر الاول ولكن اذا لم يرد فيه نهي فلا ينبغي ان يسمى بدعة ومكروها
ولكنه ترك للاحب ومنها كلام القصاص والوعاظ الذين يمزجون بكلامهم البدعة فالقاص ان كان
يكذب في اخباره فهو فاسق والانكار عليه واجب وكذا الواعظ المبتدع يجب منعه ولا يجوز حضور مجلسه
الا على قصد اظهار الرد عليه اما للكافة ان قدر عليه او لبعض الحاضرين حواليه فان لم يقدر عليه فلا
يجوز سماع البدعة قال الله تعالى لنبيه عليه السلام فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ومهما كان
كلامه مائلا الى الارجاء وتجرئة الناس على المعاصي وكان الناس يزدادون بكلامه جراءة وبعفو الله وبرحمته
وثوقا يزيد بسببه رجاؤهم على خوفهم فهو منكر ويجب منعه منه لان فساد ذلك عظيم بل لو رجح خوفهم
على رجائهم فذلك اليق واقرب بطباع الخلق فانهم الى الخوف احوج وانما العدل تعديل الخوف والرجاء كما قال
عمر رضي الله عنه لو نادى مناد يوم القيامة ليدخل النار كل الناس الا رجلا واحدا لرجوت ان اكون انا ذلك
الرجل ولو نادى مناد ليدخل الجنة كل الناس الا رجلا واحدا لخفت ان اكون انا ذلك الرجل ومهما كان الواعظ
شابا متزينا للنساء في ثيابه وهيئته كثير الاشعار والاشارات والحركات وقد حضر مجلسه النساء فهذا منكر
يجب المنع منه فان الفساد فيه اكثر من الصلاح ويتبين ذلك منه بقرائن احواله بل لا ينبغي ان يسلم الوعظ الا
لمن ظاهره الورع وهيئته السكينة والوقار وزيه زي الصالحين والا فلا يزداد الناس به الا تماديا في الضلال
ويجب ان يضرب بين الرجال والنساء حائل يمنع من النظر فان ذلك ايضا مظنة الفساد والعادات تشهد لهذه
المنكرات ويجب منع النساء من حضور المساجد للصلاة ومجالس الذكر اذا خيفت الفتنة اذ منعتهن عائشة
رضي الله عنها فقيل لها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منعهن من الجماعات فقالت لو علم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما احدثن بعده لمنعهن فاما اجتياز المراة بالمسجد مستترة فلا تمنع منه الا ان الاولى ان لا
تتخذ المسجد مجازا اصلا وقراءة القران بين يدي الوعاظ مع التمديد والالحان على وجه الغناء يغير
نظم القران ويجاوز حد الترتيل منكر مكروه شديد الكراهة انكره جماعة من السلف ومنها الحلق يوم
الجمعة لبيع الادوية والاطعمة والتعويذات وقيام السؤال وقراءتهم الاشعار وما يجري مجراه فهذه منها

ما هو محرم لكونه تلبيسا وكذا بالكاذبين من طرقية الاطباء وكاهل الشعبذة والتلبيسات وكذا ارباب
العقيدات في الاغلب يتوصلون الى بيعها بتلبيسات على الصبيان والسوادية فهذا حرام في المسجد و
خارج المسجد ويجب المنع منه بل كل بيع فيه كذب وتلبيس واخفاء عيب على المشتري فهو حرام و
منها ما هو مباح خارج المسجد كالخياطة وبيع الادوية والكتب والاطعمة في المسجد ايضا لا يحرم
الا بعارض وهو ان يضيق المكان على المصلين ويشوش عليهم صلاتهم فان لم يكن شيء من ذلك فليس بحرام
والاولى تركه ولكن شرط اباحته ان يجري في اوقات نادرة وايام معدودة فان اتخذ المسجد دكانا على
الدوام حرم ذلك ومنع منه فمن المباحات ما يباح بشرط عدم الاصرار فان كثر صار صغيرة كما ان
من الذنوب ما يكون صغيرة بشرط عدم الاصرار فان كان القليل من هذا لو فتح بابه خيف ان ينجر الى الكثير
فليمنع منه وليكن هذا المنع للوالي او القيم بمصالح المسجد من قبل الوالي لانه لا يدرك ذلك بالاجتهاد وليس
للآحاد المنع مما هو مباح في نفسه لخوفه ان ذلك يكثر ومنها دخول المجانين والصبيان والسكارى في
المسجد فلا باس بدخول الصبي المسجد اذا لم يلعب ولا يحرم عليه اللعب في المسجد ولا السكوت على لعبه
الا اذا اتخذ المسجد ملعبا وصار ذلك معتادا فيجب المنع منه فهذا مما يحل قليله دون كثيره ودليل حل قليله
ما روي في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف لاجل عائشة حتى نظرت الى الحبشة يزفنون و
يلعبون بالدرق والحراب يوم العيد في المسجد ولا شك في ان الحبشة لو اتخذوا المسجد ملعبا لمنعوا منه ولم ير
ذلك على الندرة والقلة منكرا حتى نظر اليه بل امرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم لتبصرهم عائشة تطييبا لقلبها
اذ قال دونكم يا بني ارفدة كما نقلناه في كتاب السماع واما المجانين فلا باس بدخولهم المسجد الا ان يخشى
تلويثهم له او شتمهم او نطقهم بما هو فحش او تعاطيهم لامر منكر في صورته كتكشف العورة وغيرها فاما المجنون
الهادي الساكن الذي قد علم بالعادة سكونه وسكوته فلا يجب اخراجه من المسجد والسكران في معنى المجنون
فان خيف منه القذف يعني القيء او الايذاء باللسان وجب اخراجه وكذا لو كان مضطرب العقل فانه يخاف ذلك
منه وان كان قد شرب ولم يسكر والرائحة تفوح منه فهو منكر مكروه شديد الكراهة وكيف لا ومن اكل الثوم
فقد نهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حضور المساجد ولكن يحمل ذلك على الكراهة والامر في الخمر اشد فان
قال قائل ينبغي ان يضرب السكران او يخرج عن المسجد ويدعى اليه ويؤمر بترك الشرب مهما كان في الحال عاقلا
فاما ضربه للزجر فليس ذلك الى الآحاد بل هو الى الولاة وذلك عند اقراره او شهادة شاهدين فاما لمجرد الرائحة
فلا نعم اذا كان يمشي بين الناس متمايلا بحيث يعرف سكره فيجوز ضربه في المسجد وغير المسجد منعا له عن
اظهار اثر السكر فان اظهار الفاحشة فاحشة والمعاصي يجب تركها وبعد الفعل يجب سترها وستر اثارها
فان كان مستترا مخفيا لاثره فلا يجوز ان يتجسس عليه والرائحة قد تفوح من غير شرب بالجلوس في موضع الخمر وبوصوله
الى الفم دون الابتلاع فلا ينبغي ان يعول عليه **منكرات** الاسواق والمعتاد في الاسواق الكذب
في المرابحة واخفاء العيب فمن قال اشتريت بعشرة وقد اشتراه بتسعة فهو كاذب فاسق وعلى من عرف
ذلك ان يخبر المشتري بكذبه فان سكت مراعاة لقلب البائع كان شريكا في الخيانة وعصى بسكوته وكذا اذا علم
به شيئا من عيب يلزمه ان ينبه المشتري عليه والا كان راضيا بضياع ماله وهو حرام وكذلك التفاوت
في الذراع والمكيال والميزان يجب على كل من عرفه تغييره بنفسه او رفعه الى الوالي حتى يغيره ومنها ترك
الايجاب والقبول والاكتفاء بالمعاطاة ولكن ذلك في محل الاجتهاد فلا ينكر الا على من اعتقد وجوبه وكذا في
الشروط الفاسدة المعتادة بين الناس يجب الانكار فيها فانها مفسدة للعقود وكذا في الربويات كلها

وهي غالبة وكذلك سائر التصرفات الفاسدة ومنها بيع الملاهي وبيع اشكال الحيوانات المصورة في ايام العيد
لاجل الصبيان فذلك يجب كسرها والمنع من بيعها كالملاهي وكذلك بيع الاواني المتخذة من الذهب والفضة
وكذلك بيع ثياب الحرير وقلانس الذهب والحرير اعني التي لا تصلح الا للرجال ويعلم بعادة البلد انه لا يلبسه
الا الرجال وكل ذلك منكر محظور وكذلك من يعتاد بيع الثياب المبتذلة المقصورة التي يلبس على الناس بقصارتها
ابتذالها ويزعم انها جديدة فهذا الفعل حرام والمنع منه واجب وكذلك تلبيس انخراق الثياب بالرفو وما يؤدي
الى الالتباس وذلك يطول احصاؤه **منكرات** الشوارع فمن المعتادات فيها وضع الاسطوانات وبناء
الدكات متصلة بالابنية المملوكة وغرس الاشجار واخراج الرواشن والاجنحة ووضع الخشب واحمال الحبوب
والاطعمة على الطرق فكل ذلك منكر ان كان يؤدي الى تضييق الطرق واستضرار المارة وان لم يؤد الى ضرر اصلا
لسعة الطريق فلا يمنع منه نعم يجوز وضع الحطب واحمال الاطعمة في الطريق في القدر الذي ينقل الى
البيوت فان ذلك يشترك في الحاجة اليه الكافة ولا يمكن المنع وكذلك ربط الدواب على الطريق
بحيث يضيق الطريق وينجس المجتازين منكر يجب المنع منه الا بقدر حاجة النزول والركوب وهذا لان الشارع
مشترك وليس لاحد ان يختص به الا بقدر الحاجة والمرعي هي الحاجة التي تراد الشوارع لاجلها دون
سائر الحاجات ومنها سوق الدواب وعليها الشوك بحيث تمزق ثياب الناس فذلك منكر ان امكن شدها
وضمها بحيث لا تمزق او امكن العدول بها الى موضع واسع والا فلا منع اذ حاجة اهل البلد تمس الى ذلك نعم
لا تترك ملقاة على الشوارع الا بقدر مدة النقل وكذلك تحميل الدواب من الاحمال ما لا تطيقها منكر يجب
منع الملاك منه وكذلك القصاب اذا كان يذبح في الطريق حذاء باب الحانوت ويلوث الطريق بالدم
فيمنع منه بل حقه ان يتخذ في دكانه مذبحا فان في ذلك تضييقا واضرارا بسبب ترشيش النجاسة واضرارا بسبب
استقذار الطباع للقاذورات وكذلك طرح القمامة على جواد الطرق وتبديد قشور البطيخ او رش الماء
بحيث يخشى منه التزلق والتعثر كل ذلك من المنكرات وكذلك ارسال الماء من المزاريب الواسعة اذ العدول
عنه ممكن فاما ترك مياه المطر والاوحال والثلوج في الطرق من غير كسح فذلك منكر ولكن ليس يختص بشخص
معين الا الثلج الذي يختص بطرحه على الطريق واحد والماء الذي يجتمع على الطريق من ميزاب معين
فعلى صاحبه على الخصوص كسح الطريق وان كان من المطر فذلك حسبة عامة فعلى الولاة تكليف الناس القيام
بها وليس للآحاد فيها الا الوعظ فقط وكذلك اذا كان له كلب عقور على باب داره يؤذي الناس
فيجب منعه منه وان كان لا يؤذي الا بتنجيس الطريق وكان يمكن الاحتراز عن نجاسته لم يمنع منه وان
كان يضيق الطريق ببسطه ذراعيه فيمنع منه بل يمنع صاحبه من ان ينام على الطريق او يقعد قعودا
يضيق الطريق **منكرات** الحمامات منها الصور التي تكون على باب الحمام او داخل الحمام يجب ازالتها على كل
من يدخلها اذا قدر فان كان الموضع مرتفعا لا تصل اليه يده فلا يجوز له الدخول الا لضرورة فليعدل الى حمام
اخر فان مشاهدة المنكر غير جائز ويكفيه ان يشوه وجهها ويبطل به صورتها ولا يمنع من صور الاشجار وسائر
النقوش سوى صور الحيوان ومنها كشف العورات والنظر اليها ومن جملتها كشف الدلاك عن الفخذ وما
تحت السرة لتنحية الوسخ بل من جملته ادخال اليد تحت الازار فان مس عورة الغير حرام كالنظر اليها
ومنها الانبطاح على الوجه بين يدي الدلاك لتغميز الاعجاز والافخاذ فهذا مكروه وان كان مع
حائل ولكن لا يكون محظورا اذا لم يخش من حركة الشهوة ومنها غمس اليد والاواني النجسة في المياه
القليلة وغسل الازار والطاس النجس في الحوض وماؤه قليل فانه منجس للماء الا على مذهب مالك

فلا يجوز الانكار فيه على المالكية ويجوز على الحنفية والشافعية وان اجتمع مالكي وشافعي في الحمام فليس
للشافعي منع المالكي من ذلك الا بطريق الالتماس واللطف وهو ان يقول انا نحتاج الى ان نغسل اليد اولا ثم
نغمسها في الماء واما انت فمستغن عن ايذائي وتفويت الطهارة علي وما يجري مجراه فان مظان الاجتهاد
لا يمكن الحسبة فيها بالقهر ومنها ان يكون في مداخل بيوت الحمام ومجاري مياهها حجارة ملساء مزلقة يزلق
عليها الغافلون فهذا منكر ويجب قلعه وازالته وينكر على الحمامي اهماله فانه يفضي الى السقطة وقد
تؤدي السقطة الى انكسار عضو او انخلاعه وكذلك ترك السدر والصابون المزلق على ارض الحمام
منكر ومن فعل ذلك وخرج فتعثر به انسان وانكسر عضو من اعضائه وكان ذلك في موضع لا يظهر بحيث يتعذر
الاحتراز عنه فالضمان متردد بين الذي تركه وبين الحمامي اذ حقه تنظيف الحمام والوجه ايجاب الضمان على
تاركه في اليوم الاول وعلى الحمامي في اليوم الثاني اذ عادة التنظيف الى العادات وفي الحمام امور اخر مكروهة
ذكرناها في كتاب الطهارة **منكرات** الضيافة فمنها فرش الحرير للرجال فهو حرام وكذلك تبخير البخور
في مجمرة فضة او ذهب او استعمال ماء الورد في اواني فضة او ما رؤوسها من فضة ومنها اسدال الستور
وعليها الصور ومنها سماع الاوتار وسماع القينات ومنها اجتماع النساء على السطوح للنظر الى الرجال
مهما كان في الرجال شباب تخاف الفتنة منهم فكل ذلك محظور يجب تغييره ومن عجز عن تغييره
لزمه الخروج ولم يجز له الجلوس فلا رخصة في الجلوس في مشاهدة المنكرات واما الصور على النمارق والزرابي
المفروشة فليس منكرا وكذا على الاطباق والقصاع الا الاواني المتخذة على شكل الصور فقد تكون بعض
رؤوس المجامر على شكل طير فذلك حرام يجب كسر مقدار الصورة منه وفي المكحلة الصغيرة من الفضة
خلاف وقد خرج احمد بن حنبل عن الضيافة بسببها ومهما كان الطعام حراما او كان الموضع مغصوبا
او كانت الثياب حراما فهو من اشد المنكرات فان كان فيها من يتعاطى شرب الخمر وحده فلا يجوز الحضور اذ لا
يجوز حضور مجالس الشرب مع ترك الشرب ولا يجوز مجالسة الفاسق في حال مباشرته للفسق وانما النظر
في مجالسته بعده وانه هل يجب بغضه في الله تعالى ومقاطعته كما ذكرناه في باب الحب والبغض في الله و
كذلك ان كان فيهم من يلبس الحرير او خاتم الذهب فهو فاسق لا يجوز الجلوس معه من غير ضرورة
فان كان الثوب على صبي غير بالغ فهذا في محل النظر والصحيح ان ذلك منكر ويجب اخراجه منه ان كان
مميزا لعموم قوله عليه السلام هذان حرامان على ذكور امتي وكما يجب منع الصبي من شرب الخمر لا لكونه مكلفا
ولكن لكونه يأنس به فاذا بلغ عسر عليه الصبر عنه فكذلك شهوة التزين بالحرير تغلب عليه اذا اعتاده
فيكون ذلك بذرا للفساد يبذر في صدره فينبت منه شجرة من الشهوة راسخة يعسر قلعها بعد البلوغ
اما الصبي الذي لا يميز فيضعف معنى التحريم في حقه ولا يخلو عن احتمال والعلم عند الله فيه والمجنون
في معنى الصبي الذي لا يميز نعم يحل التزين بالذهب والحرير للنساء من غير اسراف ولا ارى رخصة في تثقيب
اذن الصبية لاجل تعليق حلق الذهب فان هذا جرح مؤلم ومثله موجب للقصاص فلا يجوز الا لحاجة مهمة
كالفصد والحجامة والختان والتزين بالحلق غير مهم بل في التقريط بتعليقه من الاذن وفي المخانق
والاسورة كفاية عنه فهذا وان كان معتادا فهو حرام والمنع منه واجب والاستيجار عليه غير صحيح
والاجرة الماخوذة عليه حرام الا ان يثبت من جهة النقل فيه رخصة ولم يبلغنا الى الان فيه رخصة
ومنها ان يكون في الضيافة مبتدع يتكلم في بدعته فيجوز الحضور لمن يقدر على الرد عليه على عزم الرد
فان كان لا يقدر عليه لم يجز وان كان المبتدع لا يتكلم في بدعته فيجوز الحضور مع اظهار الكراهة عليه

فله الاعراض كما ذكرناه في كتاب البغض في الله تعالى وان كان فيها مضحك بالحكايات وانواع النوادر
فان كان يضحك بالفحش والكذب لم يجز الحضور وعند الحضور يجب الانكار وان كان ذلك بمزح لا كذب فيه
ولا فحش فهو مباح اعني ما يقل منه فاما اتخاذه صنعة وعادة فليس بمباح وكل كذب لا يخفى انه كذب ولا يقصد
منه التلبيس فليس من جملة المنكرات كقول الانسان قد طلبتك اليوم مائة مرة واعدت الكلام عليك
الف مرة وما يجري مجراه مما يعلم انه ليس يقصد به التحقيق فذلك لا يقدح في العدالة ولا ترد الشهادة به و
سيأتي حد المزاح المباح والكذب المباح في كتاب آفات اللسان من ربع المهلكات ومنها الاسراف في
الطعام والبناء وهو منكر بل في المال منكران احدهما اضاعة المال والآخر الاسراف والاضاعة تفويت
مال بلا فائدة يعتد بها كاحراق الثوب وتمزيقه وهدم البناء من غير غرض والقاء المال في البحر وفي معناه
صرف المال الى النائحة والمطرب وفي انواع الفساد لانها فوائد محرمة شرعا فصارت كالمعدومة واما
الاسراف فقد يطلق لارادة صرف المال الى النائحة والمطرب والمنكرات وقد يطلق على الصرف الى المباحات في
جنسها ولكن مع المبالغة والمبالغة تختلف بالاضافة الى الاحوال فنقول من لم يملك الا مائة دينار مثلا ومعه
عياله واولاده ولا معيشة لهم سواه فانفق الجميع في وليمة فهو مسرف يجب منعه قال الله تعالى ولا تبسطها
كل البسط فتقعد ملوما محسورا نزل هذا في رجل بالمدينة قسم جميع ماله ولم يبق شيئا لعياله فطولب بالنفقة
فلم يقدر على شيء وقال الله تعالى ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكذلك قال والذين اذا انفقوا لم
يسرفوا ولم يقتروا فمن يسرف هذا الاسراف ينكر عليه ويجب على القاضي ان يحجر عليه الا اذا كان الرجل وحده وكان
له قوة في التوكل صادقة فله ان ينفق جميع ماله في ابواب البر ومن له عيال او كان عاجزا عن التوكل فليس له ان يتصدق
بجميع ماله وكذلك لو صرف ماله الى نقوش حيطانه وتزيين بنيانه فهو ايضا اسراف محرم وفعل ذلك ممن له مال
كثير ليس بحرام لان التزيين من الاغراض الصحيحة ولم تزل المساجد تزين وتنقش ابوابها وسقوفها مع ان
نقش الباب والسقف لا فائدة فيه الا مجرد الزينة وكذلك الثياب وكذلك التوسع في الاطعمة
فذلك مباح ويصير اسرافا باعتبار حال الرجل وثروته وامثال هذه المنكرات كثيرة لا يمكن حصرها فقس
بهذه منكرات المجامع ومجالس القضاة ودواوين السلاطين ومدارس الفقهاء ورباطات الصوفية وخانات
الاسواق فلا تخلو بقعة عن منكر مكروه او محظور واستقصاء جميع المنكرات يستدعي استيعاب جميع تفاصيل
الشرع اصولها وفروعها فلنقتصر على هذا القدر منها المنكرات العامة اعلم ان كل قاعد في بيته اينما كان
فليس خاليا في هذا الزمان عن منكر من حيث التقاعد عن ارشاد الناس وتعليمهم وحملهم على المعروف
فاكثر الناس جاهلون بالشرع في شروط الصلاة في البلاد فكيف في القرى والبوادي ومنهم الاعراب والاكراد
والتركمانية وسائر اصناف الخلق وواجب ان يكون في كل مسجد ومحلة من البلد فقيه يعلم الناس دينهم
وكذا في كل قرية وواجب على كل فقيه فرغ من فرض عينه وتفرغ لفرض الكفاية ان يخرج الى من يجاور بلده
من اهل السواد والاكراد ومن العرب وغيرهم ويعلمهم دينهم وفرائض شرعهم ويستصحب مع نفسه
زادا ياكله ولا ياكل من اطعمتهم فان اكثرها يكون مغصوبة فان قام به واحد سقط الحرج عن الآخرين والا عم
الحرج الكافة اجمعين اما العالم فلتقصيره في الخروج واما الجاهل فلتقصيره في ترك التعلم وكل عامي
عرف شروط الصلاة فعليه ان يعرف غيره والا فهو شريك في الاثم ومعلوم ان الانسان لا يولد عالما بالشرع
وانما يجب التبليغ على اهل العلم وكل من تعلم مسألة واحدة فهو من اهل العلم بها ولعمري الاثم على الفقهاء
اشد لان قدرتهم فيه اظهر وهو بصناعتهم اليق لان المحترفين لو تركوا حرفتهم لبطلت المعايش فهم

فهم تقلدوا امرا لا بد منه في صلاح الخلق وشأن الفقيه وحرفته تبليغ ما بلغه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فان العلماء ورثة الانبياء وليس للانسان ان يقعد في بيته ولا يخرج الى المسجد لانه يرى
الناس لا يحسنون الصلاة بل اذا علم ذلك وجب عليه الخروج للتعليم والنهي وكذلك كل من تيقن
ان في السوق منكرا يجري على الدوام او في وقت بعينه وهو قادر على تغييره فلا يجوز ان يسقط عن
نفسه ذلك بالقعود في البيت بل يلزمه الخروج فان كان لا يقدر على تغيير البعض وهو يحترز
عن مشاهدته ويقدر على البعض لزمه الخروج لان خروجه اذا كان لاجل تغيير ما يقدر عليه
فلا يضره مشاهدة ما لا يقدر عليه وانما يمنع الحضور لمشاهدة المنكر من غير غرض صحيح فحق على كل
مسلم ان يبدأ بنفسه فيصلحها بالمواظبة على الفرائض وترك المحرمات ثم يعلم ذلك اهل بيته ثم
يتعدى بعد الفراغ منهم الى جيرانه ثم الى اهل محلته ثم الى اهل بلده ثم الى السواد المكتنف
ببلده ثم الى اهل البوادي من الاكراد والعرب وغيرهم وهكذا الى اقصى العالم فان قام به الادنى سقط
عن الابعد والا حرج به كل قادر عليه قريبا كان او بعيدا ولا يسقط الحرج ما دام يبقى على وجه الارض
جاهل بفرض من فروض دينه وهو قادر على ان يسعى اليه بنفسه او بغيره فيعلمه فرضه وهذا شغل
شاغل لمن يهمه امر دينه يشغله عن تجزئة الاوقات في التفريعات النادرة والتعمق في دقائق
العلوم التي هي من فروض الكفايات ولا يتقدم على هذا الا فرض عين او فرض كفاية هو اهم منه
والسلام

الباب الرابع في امر الامراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر قد ذكرنا
درجات الامر بالمعروف وان اوله التعريف وثانيه الوعظ وثالثه التخشين في القول ورابعه المنع
بالقهر والحمل على الحق بالضرب والعقوبة والجائز من جملة ذلك مع السلاطين الرتبتان الاوليان
وهما التعريف والوعظ واما المنع بالقهر فليس ذلك لآحاد الرعية مع السلطان فان ذلك يحرك
الفتنة ويهيج الشر ويكون ما يتولد منه من المحذورات اكثر واما التخشين في القول كقوله
يا ظالم يا من لا يخاف الله وما يجري مجراه فذلك ان كان يحرك فتنة يتعدى شرها الى غيره لم يجز وان
كان لا يخاف الا على نفسه فهو جائز بل مندوب فلقد كان من عادة السلف التعرض للاخطار والتصريح
بالانكار من غير مبالاة بهلاك المهجة والتعرض لانواع العذاب لعلمهم بان ذلك شهادة قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام الى امام فنهاه عن منكر وامره بالمعروف
في ذات الله تعالى فقتله على ذلك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان
جائر ووصف النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب فقال قرن من حديد لا تأخذه في الله لومة لائم تركه
قول الحق ما له من صديق ولما علم المتصلبون في الدين ان افضل الكلام كلمة حق عند سلطان جائر وان صاحب
ذلك اذا قتل فهو شهيد كما وردت به الاخبار قدموا على ذلك موطنين انفسهم على الهلاك ومحتملين
لانواع العذاب وصابرين عليه في ذات الله ومحتسبين لما يبذلونه من مهجهم عند الله وطريق وعظ
السلاطين وامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ما نقل عن علماء السلف وقد اوردنا جملة من ذلك في باب
الدخول على السلاطين في كتاب الحلال والحرام ونقتصر الآن على حكايات تعرف وجه الوعظ وكيفية
الانكار عليهم فمنها ما روي من انكار ابي بكر الصديق رضي الله عنه على اكابر قريش حين قصدوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسوء وذلك ما روي عن عروة قال قلت لعبد الله بن عمرو ما اكثر ما رأيت
قريشا نالت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانت تظهر من عداوته فقال حضرتهم وقد اجتمع اشرافهم

يوما في الحجر فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما راينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل سفه احلامنا
وشتم اباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب الهتنا ولقد صبرنا منه على امر عظيم او كما قالوا فبينما هم
كذلك اذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفا بالبيت فلما مر بهم
غمزوه ببعض القول فعرفت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مضى فلما مر بهم الثانية غمزوه
بمثلها فعرفت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مضى فمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها حتى وقف
فقال اتسمعون يا معشر قريش اما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح قال فاطرق القوم حتى ما منهم
رجل الا كانما على راسه طائر واقع حتى ان اشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفؤه باحسن ما يجد من القول
حتى انه ليقول انصرف يا ابا القاسم راشدا فوالله ما كنت جهولا قال فانصرف رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى اذا كان من الغد اجتمعوا في الحجر وانا معهم فقال بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم
عنه حتى اذا باداكم بما تكرهون تركتموه فبينما هم في ذلك طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فوثبوا اليه وثبة رجل واحد فاحاطوا به يقولون انت الذي تقول كذا لما كان بلغهم من عيب الهتهم
ودينهم قال فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم انا الذي اقول ذلك قال فلقد رايت منهم
رجلا اخذ بمجامع ردائه قال وقام ابو بكر الصديق يقول دونه يقول وهو يبكي ويلكم اتقتلون رجلا ان
يقول ربي الله قال ثم انصرفوا عنه فان ذلك لاشد ما رايت قريشا بلغت منه وفي رواية اخرى عن عبد
الله بن عمرو بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة اذ اقبل عقبة بن ابي معيط فاخذ بمنكب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولف ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فجاء ابو بكر فاخذ بمنكبه ودفعه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وروي
ان معاوية حبس العطا فقام اليه ابو مسلم الخولاني فقال له يا معاوية انه ليس من كدك ولا من كد
ابيك ولا كد امك قال فغضب معاوية ونزل عن المنبر وقال لهم مكانكم ثم خرج عليهم فقال ان ابا
مسلم كلمني بكلام اغضبني واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الغضب من الشيطان والشيطان
خلق من النار وانما تطفا النار بالماء فاذا غضب احدكم فليغتسل واني دخلت فاغتسلت وصدق
ابو مسلم انه ليس من كدي ولا من كد ابي فهلموا الى عطائكم وروي عن ضبة بن محصن العنزي قال
كان علينا ابو موسى الاشعري اميرا بالبصرة فكان اذا خطبنا حمد الله واثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم
انشا يدعو لعمر قال فغاظني ذلك منه فقمت اليه فقلت اين انت عن صاحبه تفضله عليه فصنع ذلك
جمعا ثم كتب الى عمر يشكوني فقال ان ضبة بن محصن العنزي يتعرض لي في خطبتي فكتب اليه
عمر ان اشخصه الي فقدمت فضربت عليه الباب فخرج الي فقال من انت فقلت انا ضبة فقال لا مرحبا
ولا اهلا قلت اما المرحب فمن الله تعالى واما الاهل فلا اهل ولا مال فبماذا استحللت يا عمر اشخاصي
من مصري بلا ذنب اذنبته ولا بغي اتيته قال ما الذي شجر بينك وبين عاملي قال قلت الان اخبرك
انه كان اذا خطبنا حمد الله تعالى واثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انشا يدعو لك فغاظني ذلك
منه فقمت اليه فقلت له اين انت عن صاحبه تفضله عليه فصنع ذلك جمعا ثم كتب اليك يشكوني
قال فاندفع عمر باكيا وهو يقول انت والله اوفق منه وارشد فهل انت غافر لي ذنبي يغفر الله لك قال
قلت غفر الله لك يا امير المؤمنين ثم اندفع باكيا وهو يقول والله لليلة من ابي بكر ويوم خير من عمر
قال عمر فهل لك ان اخبرك بليلته ويومه قلت نعم قال اما الليلة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم

لما اراد الخروج من مكة هاربا من المشركين خرج ليلة فتبعه ابو بكر رضي الله عنه فجعل يمشي امامه مرة ومرة
خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن يساره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا يا ابا بكر ما اعرف هذا
من افعالك فقال يا رسول الله اذكر الرصد فاكون امامك واذكر الطلب فاكون خلفك ومرة عن
يمينك ومرة عن يسارك لا امن عليك فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة على اطراف اصابعه حتى
حفيت فلما راى ابو بكر انها قد حفيت حمله على عاتقه وجعل يشتد به حتى اتى فم الغار فانزله ثم قال
والذي بعثك بالحق لا تدخله حتى ادخله فان كان فيه شيء نزل بي قبلك قال فدخل فلم ير فيه شيئا
فحمله فادخله وكان في الغار خرق فيه حيات وافاعي فالقمه ابو بكر قدمه مخافة ان يخرج منهن شيء
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيؤذيه وجعلت دموع ابي بكر على خده من الم ما تجده ورسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول له يا ابا بكر لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته اي الطمانينة لابي بكر رضي الله
عنه فهذه ليلته واما يومه فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب فقال بعضهم
نصلي ولا نزكي فاتيته لا الوه نصحا فقلت له يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم تالف الناس وارفق
بهم فقال اجبار في الجاهلية خوار في الاسلام فبما اتالفهم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتفع
الوحي فوالله لو منعوني عقالا كانوا يعطونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه قال فقاتلنا
عليه فكان والله رشيد الامر فهذا يومه ثم كتب الى ابي موسى يلومه وعن الاصمعي قال دخل عطا بن
ابي رباح على عبد الملك بن مروان وهو جالس على سريره وحواليه الاشراف من كل بطن وذلك بمكة في وقت
حجه في خلافته فلما نظر قام اليه واجلسه معه على سريره وقعد بين يديه فقال له يا ابا محمد ما حاجتك
فقال اتق الله يا امير المؤمنين في حرم الله وحرم رسوله فتعاهده بالعمارة واتق الله في اولاد المهاجرين
والانصار فانك بهم جلست هذا المجلس واتق الله في اهل الثغور فانهم حصن المسلمين وتفقد امور
المسلمين فانك وحدك المسؤول عنهم واتق الله عز وجل فيمن على بابك فلا تغفل عنهم ولا تغلق
بابك دونهم فقال له افعل ثم نهض فقام فقبض عليه عبد الملك فقال يا ابا محمد انما سالتنا حاجة
لغيرك وقد قضيناها فما حاجتك انت فقال ما لي الى مخلوق حاجة ثم خرج فقال عبد الملك هذا و
ابيك الشرف هذا وابيك الشرف وروي ان الوليد بن عبد الملك قال لحاجبه يوما قف بالباب
فاذا مر بك رجل فادخله علي ليحدثني فخرج الحاجب فوقف على الباب فمر به عطا بن ابي رباح وهو
لا يعرفه فقال له يا شيخ ادخل الى امير المؤمنين فانه امر بذلك فدخل عطا على الوليد وعنده
عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فلما دخل عطا على الوليد قال السلام عليك يا وليد قال فغضب
الوليد على حاجبه فقال له ويلك امرتك ان تدخل علي رجلا يحدثني ويسامرني فادخلت الي رجلا
لم يرض ان يسميني بالاسم الذي اختاره الله تعالى لي فقال له حاجبه ما مر بي غيره ثم قال لعطا اجلس
ثم اقبل عليه يحدثه فكان فيما حدثه عطا قال بلغنا ان في جهنم واديا يقال له هبهب اعده الله تعالى
لكل امام جائر في حكمه فصعق الوليد من قوله وكان جالسا بين يدي عتبة باب المجلس فوقع على قفاه
الى جوف المجلس مغشيا عليه فقال عمر لعطا قتلت امير المؤمنين فقبض على ذراع عمر بن عبد العزيز
رحمه الله تعالى فغمزه غمزة شديدة وقال يا عمر ان الامر جد فجد ثم قام عطا وانصرف فبلغنا عن
عمر بن عبد العزيز انه قال مكثت سنة اجد الم غمزة عطا في ذراعي وكان ابن ابي شميلة يوصف بالعقل
والادب فدخل على عبد الملك بن مروان رحمه الله فقال له عبد الملك تكلم قال بم اتكلم وقد علمت

لن كل كلام يتكلم به المتكلم عليه لا له الا ما كان لله قال فبكى عبد الملك ثم قال رحمك الله تعالى لم يزل الناس
يتواعظون ويتواصون فقال الرجل يا امير المؤمنين ان الناس في القيمة لا ينجون من غصص مرارتها
ومعاينة الردى فيها الا من ارضى الله تعالى بسخط نفسه فبكى عبد الملك قال لا جرم لاجعلن هذه الكلمة
مثلا نصب عيني ما دمت عشت حيا ويروى عن عايشة رضي الله عنها ان الحجاج دعا فقهاء البصرة وفقهاء
الكوفة فدخلنا عليه ودخل الحسن البصري اخر من دخل فقال الحجاج مرحبا بابي سعيد الي الي ثم دعا بكرسي
فوضع الى جنبه يعني الى جنب سريره فقعد عليه فجعل الحجاج يذاكرنا ويسالنا اذ ذكر علي بن ابي طالب
رضي الله عنه فنال منه ونلنا مقاربة له وفرقا من شره والحسن ساكت عاض على ابهامه فقال يا ابا
سعيد ما لي اراك ساكتا قال ما عسيت ان اقول قال اخبرني برايك في ابي تراب قال سمعت الله
جل ذكره يقول وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه و
ان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤف رحيم فعلي ممن هدى
الله من اهل الايمان فاقول ابن عم رسول الله وختنه على ابنته واحب الناس اليه وصاحب سوابق
مباركات سبقت له من الله تعالى لن تستطيع انت ولا احد من الناس ان يحظرها عليه ولا يحول بينها
وبينه فاقول له ان كانت لعلي هنات فالله حسيبه والله ما اجد فيه قولا اعدل من هذا فبسر وجه الحجاج وتغير
وقام عن السرير مغضبا فدخل بيتا خلفه وخرجنا قال عامر الشعبي فاخذت بيد الحسن فقلت يا ابا سعيد
اغضبت الامير واوغرت صدره قال اليك عني يا عامر يقول الناس عامر الشعبي عالم اهل الكوفة اتيت شيطانا
من شياطين الانس تكلمه بهواه وتقاربه في رايه ويحك يا عامر هلا اتقيت ان سئلت فصدقت او
سكت فسلمت قال عامر يا ابا سعيد قد قلتها وانا اعلم ما فيها قال الحسن فذلك اعظم في الحجة عليك
واشد في التبعة قال وبعث الحجاج الى الحسن فلما دخل عليه قال انت تقول قاتلهم الله قتلوا عباد الله
على الدينار والدرهم قال نعم قال ما حملك على هذا قال ما اخذ الله على العلماء من المواثيق ليبيننه للناس
ولا يكتمونه قال يا حسن امسك عليك لسانك واياك ان يبلغني عنك ما اكره فافرق بين راسك وجسدك
وحكي ان حطيط الزيات جيء به الى الحجاج فلما دخل عليه قال انت حطيط قال نعم سل عما بدا لك فاني عاهدت
الله تعالى عند المقام على ثلاث خصال ان سئلت لاصدقن وان ابتليت لاصبرن وان عوفيت لاشكرن
قال فما تقول في قال اقول انك من اعداء الله تعالى في الارض تنتهك المحارم وتقتل بالظنة قال فما
تقول في امير المؤمنين عبد الملك بن مروان قال اقول انه اعظم جرما منك وانما انت خطيئة من
خطاياه قال فقال الحجاج ضعوا عليه العذاب قال فانتهى به العذاب الى ان شقق له القصب
ثم جعلوه على لحمه ثم شدوه بالحبال ثم جعلوا يمدون قصبة قصبة حتى انتحلوا لحمه فما سمعوه يقول
شيئا قال فقيل للحجاج انه في اخر رمق فقال اخرجوه فارموا به في السوق قال جعفر فاتيته انا وصاحب له
فقلنا حطيط الك حاجة قال شربة ماء فاتوه بشربة ثم مات وكان ابن ثماني عشرة سنة ويروى ان
عمر بن هبيرة دعا بفقهاء اهل البصرة واهل الكوفة واهل المدينة واهل الشام وقرائها فجعل يسالهم
وكلمهم عامر الشعبي فجعل لا يساله عن شيء الا وجد عنده فيه علما ثم اقبل على الحسن البصري فساله
ثم قال هما هذان هذا رجل اهل الكوفة يعني الشعبي وهذا رجل اهل البصرة يعني الحسن فامر الحاجب
فاخرج الناس وخلا بالشعبي والحسن فاقبل على الشعبي فقال يا ابا عمرو اني امين امير المؤمنين على
العراق وعامله عليها ورجل مامور على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمني حقهم فانا احب حفظهم

وتعهد ما يصلحهم مع النصيحة لهم وقد يبلغني عن العصابة من اهل الديار الامر اجد عليهم فيه فاقبض
طائفة من عطائهم فاضعه في بيت المال ومن نيتي ان ارده عليهم فيبلغ امير المؤمنين اني قد قبضته
على ذلك النحو فيكتب الي ان لا ترده فلا استطيع رد امره ولا انفاذ كتابه وانما انا رجل مامور على الطاعة
فهل علي في هذا تبعة وفي امثاله من الامور والنية فيها على ما ذكرت قال الشعبي فقلت اصلح
الله تعالى الامير انما السلطان والد يصيب ويخطئ قال فسر بقولي واعجب به ورايت البشر في وجهه
وقال فلله الحمد ثم اقبل على الحسن فقال ما تقول يا ابا سعيد قال قد سمعت قول الامير يقول انه امين
امير المؤمنين على العراق وعامله عليها ورجل مامور على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمني حقهم و
النصيحة لهم والتعهد لما يصلحهم وحق الرعية لازم لك وحق عليك ان تحوطهم بالنصيحة و
اني سمعت عبد الرحمن بن سمرة القرشي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من استرعى رعية فلم يحطها بالنصيحة حرم الله تعالى عليه الجنة وتقول اني ربما قبضت
من عطائهم ارادة صلاحهم واستصلاحهم وان يرجعوا الى طاعتهم فيبلغ امير المؤمنين اني
قبضتها على ذلك النحو فيكتب الي ان لا ترده فلا استطيع رد امره ولا استطيع انفاذ كتابه وحق الله
تعالى الزم من حق امير المؤمنين والله احق ان يطاع ولا طاعة لمخلوق في معصية الله تعالى فاعرض
كتاب امير المؤمنين على كتاب الله عز وجل فان وجدته موافقا لكتاب الله تعالى فخذ به وان
وجدته مخالفا لكتاب الله فانبذه يا ابن هبيرة اتق الله فانه يوشك ان ياتيك رسول من رب العالمين
يزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك الى ضيق قبرك فتدع سلطانك ودنياك خلف ظهرك
وتقدم على ربك وتنزل على عملك يا ابن هبيرة وان الله تعالى ليمنعك من يزيد وان يزيد لا يمنعك من
الله تعالى وان امر الله تعالى فوق كل امر فانه لا طاعة في معصية الله تعالى واني احذرك باسه الذي
لا يرده عن القوم المجرمين فقال ابن هبيرة اربع على ظلعك ايها الشيخ واعرض عن ذكر امير المؤمنين فان امير
المؤمنين صاحب العلم وصاحب الحكم وصاحب الفضل وانما ولاه الله تعالى ولاية من امر هذه الامة لعلمه
به وما يعلم من فضله ونيته فقال الحسن يا ابن هبيرة والله الحساب من وراء ذلك سوط بسوط وعصا
بعصا والله بالمرصاد يا ابن هبيرة وانه ان تلق من ينصحك في دينك ويحملك على امر اخرتك خير
من ان تلقى رجلا يغرك ويمنيك فقام ابن هبيرة وقد بسر وجهه وتغير لونه قال الشعبي فقلت يا
ابا سعيد اغضبت الامير واوغرت صدره وحرمتنا معروفه وصلته فقال اليك يا عامر قال فخرجت
الى الحسن التحف والطرف وكانت له المنزلة واستخف بنا وجفينا فكان اهلا لما ادي اليه وكنا
اهلا ان يفعل ذلك بنا فما رايت مثل الحسن فيمن رايت من العلماء الا مثل الفرس العربي بين المقاريف
وما شهدنا مشهدا الا برز علينا وقال الله عز وجل وقلنا مقاربة لهم قال عامر الشعبي وانا اعاهد
الله تعالى ان لا اشهد سلطانا بعد هذا المجلس فاحابيه ودخل محمد بن واسع على بلال بن ابي بردة
فقال له ما تقول في القدر قال جيرانك اهل القبور فتفكر فيهم فان فيهم شغلا عن القدر وعن
الشافعي رضي الله عنه قال حدثني محمد بن علي قال اني لحاضر مجلس امير المؤمنين ابي جعفر وفيه ابن ابي
ذيب وكان والي المدينة الحسن بن زيد فقال الغفاريون يشكون الى ابي جعفر امر الحسن بن زيد
فقال الحسن يا امير المؤمنين سل عنهم ابن ابي ذيب فساله فقال ما تقول فيهم يا ابن ابي ذيب فقال
اشهد انهم اهل تحكم في اعراض الناس كثيرو الاذى لهم فقال ابو جعفر قد سمعتم ما قال فقال الغفاريون

يا امير المؤمنين سله عن الحسن ابن يزيد فقال اشهد عليه انه يحكم بغير الحق ويتبع هواه فقال قد سمعت
يا حسن ما قال فيك ابن ابي ذيب وهو الشيخ الصالح فقال يا امير المؤمنين سله عن نفسك فقال ما تقول
فيّ قال تعفيني يا امير المؤمنين قال اسالك بالله تعالى الا اخبرتني قال تسلني بالله تعالى كانك لا تعرف
نفسك قال والله لتخبرني قال اشهد انك اخذت هذا المال من غير حقه فجعلته في غير اهله واشهد
ان الظلم ببابك فاش قال فجاء حينئذ ابو جعفر من موضعه حتى وضع يده على قفا ابن ابي ذيب فقبض
عليه ثم قال له والله لولا اني جالس ههنا لاخذت فارس والروم والديلم والترك بهذا المكان منك
قال فقال ابن ابي ذيب يا امير المؤمنين قد ولي ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فاخذا الحق وقسما بالسوية
واخذا باقفاء فارس والروم واصغرا آنافهم قال فخلى ابو جعفر قفاه وخلى سبيله وقال والله لولا
اني اعلم انك صادق لقتلتك فقال ابن ابي ذيب والله يا امير المؤمنين اني انصح لك من ابنك المهدي
قال فبلغنا ان ابن ذيب لما خرج من مجلس المنصور لقيه سفيان الثوري فقال له يا ابا الحارث لقد
سرني ما خاطبت به هذا الجبار ولكني ساءني قولك له ابنك المهدي فقال يغفر الله تعالى لك يا ابا عبد
الله كلنا مهدي كان كلنا في المهد وعن الاوزاعي عبد الرحمن ابن عمرو قال بعث الي ابو جعفر المنصور
امير المؤمنين وانا بالساحل فاتيته فلما وصلت اليه وسلمت عليه وهنيته بالخلافة رد علي واستجلسني
ثم قال ما الذي ابطأ بك عنا يا اوزاعي قال قلت وما الذي تريد يا امير المؤمنين قال اريد الاخذ
عنكم والاقتباس منكم قال قلت فانظر يا امير المؤمنين لا تجهل شيئا مما اقول لك قال وكيف اجهله
وانا اسالك عنه وفيه وجهت اليك واقدمتك له قال قلت ان تسمعه ثم لا تعمل به قال فصاح الربيع
واهوى بيده الى السيف فانتهره المنصور وقال هذا مجلس مثوبة لا مجلس عقوبة فطابت نفسي وانبسطت
في الكلام فقلت يا امير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية ابن بشر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ايما عبد جاءته موعظة من الله في دينه فانها نعمة من الله تعالى سيقت اليه فان قبلها بشكر والا كانت عليه
حجة من الله تعالى ليزداد بها اثما ويزداد الله تعالى بها عليه سخطا يا امير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية ابن
بشر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما وال مات غاشا لرعيته حرم الله عليه الجنة يا امير المؤمنين
من كره الحق فقد كره الله تعالى ان الله هو الحق المبين ان الذي لين قلوب امتكم لكم حين ولاكم امورهم
لقرابتكم من نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فقد كان بهم رؤوفا رحيما مواسيا بنفسه في ذات يده محمودا عند
الله تعالى وعند الناس فحقيق ان تقوم له فيهم بالحق وان تقول بالقسط لهم قائما ولعوراتهم ساترا
لا تغلق عليه دونهم الابواب ولا تقيم دونهم الحجاب تبتهج بالنعمة عندهم وتبتئس بما اصابهم من شر
يا امير المؤمنين قد كنت في شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين اصبحت تملكهم احمرهم
واسودهم مسلمهم وكافرهم وكل له عليك نصيب من العدل فكيف بك اذا انبعث منهم فئام وراء فئام
ليس منهم احد الا وهو يشكو بلية ادخلتها عليه او ظلامة سقتها اليه يا امير المؤمنين حدثني
مكحول عن عطية عن عروة ابن رويم قال كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويروع بها
المنافقين فاتاه جبريل عليه السلام فقال له يا محمد ما هذه الجريدة التي كسرت بها قلوب امتك وملات
قلوبهم رعبا فكيف بمن شقق ابشارهم وسفك دماءهم وخرب ديارهم واجلاهم عن بلادهم وغيبهم الخوف
منه يا امير المؤمنين حدثني مكحول عن زياد عن الحارث عن حبيب ابن مسلمة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم دعا الى القصاص من نفسه في خدش خدشه اعرابيا لم يتعمده فاتاه جبريل عليه السلام فقال

يا محمد ان الله تعالى لم يبعثك جبارا ولا متكبرا فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الاعرابي فقال اقتص مني
فقال الاعرابي اني قد احللتك بابي انت وامي وما كنت لافعل ذلك ابدا ولو اتيت على نفسي فدعا له
بخير يا امير المؤمنين رض نفسك لنفسك وخذ لها الامان من ربك وارغب في جنة عرضها السموات
والارض التي يقول فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لقيد قوس احدكم من الجنة خير من الدنيا وما فيها
يا امير المؤمنين ان الملك لو بقي لمن قبلك لم يصل اليك وكذا لا يبقى لك كما لا يبقى لغيرك يا امير المؤمنين
تدري ما جاء في تاويل هذه الاية عن جدك قوله تعالى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها قال
الصغيرة التبسم والكبيرة الضحك فكيف ما عملته الايدي وحصدته الالسن يا امير المؤمنين
بلغني ان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال لو ماتت سخلة على شاطي الفرات ضيعة لخشيت ان
اسال عنها فكيف بمن حرم عدلك وهو على بساطك يا امير المؤمنين اتدري ما جاء في تاويل
هذه الاية عن جدك يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى
فيضلك عن سبيل الله وقال يا داود اذا قعد الخصمان بين يديك فكان لك في احدهما هوى فلا
تتمنين بنفسك ان يكون الحق له فيفلج على صاحبه فامحوك عن نبوتي ثم لا تكون خليفتي ولا كرامة
يا داود انما جعلت رسلي الى عبادي رعاة كرعاء الابل لعلمهم بالرعاية ورفقهم بالسياسة
ليجبروا الكسير ويدلوا الهزيل على الكلا والماء يا امير المؤمنين انك بليت بامر لو عرض على السموات
والارض والجبال لابين ان يحملنه واشفقن منه يا امير المؤمنين حدثني يزيد بن جابر عن عبد الرحمن
ابن عمرة الانصاري ان عمر ابن الخطاب استعمل رجلا من الانصار على الصدقة فرآه بعد ايام مقيما
فقال له ما منعك من الخروج الى عملك اما علمت ان لك مثل اجر المجاهد في سبيل الله قال لا قال
كيف ذلك قال لانه بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من وال يلي شيئا من امور الناس الا اتي
به يوم القيمة مغلولة يداه الى عنقه فيوقف على جسر جهنم فينتفض به ذلك الجسر انتفاضة يزيل
كل عضو عن موضعه ثم يعاد فيحاسب فان كان محسنا نجا باحسانه وان مسيا انخرق به ذلك الجسر
فيهوي به سبعين خريفا فقال له عمر ممن سمعت هذا قال من ابي ذر وسلمان فارسل اليهما عمر فسالهما
فقالا نعم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر واعمراه من يتولاها بما فيها فقال ابو
ذر من سلب الله انفه والصق خده بالارض قال فاخذ المنديل فوضعه على وجهه ثم بكى وانتحب حتى
ابكاني ثم قلت يا امير المؤمنين قد سال جدك العباس النبي صلى الله عليه وسلم امارة على مكة او الطايف
او اليمن فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عباس يا عم النبي نفس تحييها خير من امارة لا تحصيها
نصيحة منه لعمه وشفقة عليه واخبره انه لا يغني عنه من الله شيئا اذ اوحى الله تعالى اليه وانذر عشيرتك
الاقربين فقال يا عباس ويا صفية عمي النبي صلى الله عليه وسلم ويا فاطمة بنت محمد اني لست اغني عنكم من
الله شيئا الي عملي ولكم عملكم وقد قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لا يقيم امر الناس الا حصيف العقل
اريب العقد لا يطلع منه على عورة ولا يخاف منه على جرة ولا تاخذه في الله لومة لائم وقال الامراء اربعة
فامير قوي ظلف نفسه وعماله فذلك كالمجاهد في سبيل الله يد الله باسطة عليه بالرحمة وامير فيه
ضعف ظلف نفسه وارتع عماله لضعفه فهو على شفا هلاك الا ان يرحمه الله تعالى وامير ظلف عماله
وارتع نفسه فذلك الحطمة التي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شر الرعاة الحطمة فهو الهالك
وحده وامير ارتع نفسه وعماله فهلكوا جميعا وقد بلغني يا امير المؤمنين ان جبريل اتى النبي صلى

الله عليه وسلم فقال اتيتك حين امر الله تعالى بمنافخ من نار فوضعت على النار تسعر ليوم القيمة فقال له
يا جبريل صف لي النار فقال ان الله تعالى امر بها فاوقد عليها الف عام حتى احمرت ثم اوقد عليها الف عام
حتى اصفرت ثم اوقد عليها الف عام حتى اسودت فهي سودا مظلمة لا يضي لهبها ولا جمرها والذي بعثك بالحق
لو ان ثوبا من ثياب اهل النار ظهر لاهل الارض لماتوا جميعا ولو ان دلوا من شرابها صب في مياه الارض
جميعا لقتل من ذاقه ولو ان ذراعا من السلسلة التي ذكرها الله تعالى في القران وضع على جبال الارض
جميعا لذابت وما استقلت ولو ان رجلا ادخل النار ثم اخرج منها لمات اهل الارض من نتن ريحه و
تشويه خلقه وعظمه فبكى النبي صلى الله عليه وسلم وبكى جبريل لبكائه فقال اتبكي يا محمد وقد غفر الله
لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون عبدا شكورا ولم بكيت يا جبريل وانت الروح الامين
امين الله تعالى على وحيه قال اخاف ان ابتلى بما ابتلي به هاروت وماروت فهو الذي منعني من اتكالي
على منزلتي عند ربي فاكون قد امنت مكره فلم يزالا يبكيان حتى نوديا من السما يا جبريل ويا محمد ان الله تعالى
قد امنكما ان تعصياه فيعذبكما وفضل محمد على سائر الانبيا كفضل جبريل على سائر ملائكة السما وقد بلغني
يا امير المؤمنين ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال اللهم ان كنت تعلم اني ابالي اذا قعد الخصمان بين
يدي على من مال الحق من قريب او بعيد فلا تمهلني طرفة عين يا امير المؤمنين ان اشد الشدة القيام لله
بحقه وان اكرم الكرم عند الله التقوى وانه من طلب العز بطاعة الله تعالى رفعه الله واعزه ومن
طلبه بمعصية الله تعالى اذله الله ووضعه فهذه نصيحتي والسلام عليك ثم نهضت فقال
الى اين فقلت الى الولد والوطن باذن امير المؤمنين ان شا الله تعالى قال قد اذنت لك وشكرت
لك نصيحتك وقبلتها بقبولها والله الموفق للخير والمعين عليه وبه استعين وعليه اتكل وهو حسبي
ونعم الوكيل فلا تخلني من مطالعتك اياي بمثل هذا فانك المقبول القول غير المتهم في النصيحة قلت
افعل ان شا الله تعالى قال محمد بن مصعب فامر له بمال يستعين به على خروجه فلم يقبله فقال انا في
غنى عنه وما كنت لابيع نصيحتي بعرض من الدنيا وعرف المنصور مذهبه فلم يجد عليه في ذلك وعن
ابن المهاجر قال قدم امير المؤمنين المنصور مكة فكان يخرج من دار الندوة الى الطواف في اخر الليل يطوف
ويصلي ولا يعلم به فاذا طلع الفجر رجع الى دار الندوة وجا المؤذنون فسلموا عليه واقيمت الصلاة فيصلي
بالناس فخرج ذات ليلة حين اسحر فبينما هو يطوف اذ سمع رجلا عند الملتزم وهو يقول اللهم اني
اشكو اليك ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول بين الحق واهله من الظلم والطمع فاسرع المنصور
في مشيه حتى ملا مسامعه من قوله ثم خرج فجلس ناحية من المسجد فارسل اليه فاتاه الرسول فقال
له اجب امير المؤمنين فصلى ركعتين واستلم الركن واقبل مع الرسول فسلم عليه فقال له المنصور ما هذا
الذي سمعتك تقوله من ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول بين الحق واهله من الظلم والطمع فوالله
لقد حشوت مسامعي ما ارمضني واقلقني فقال يا امير المؤمنين ان امنتني على نفسي انباتك بالامور
من اصولها والا اقتصرت على نفسي ففيها لي شغل شاغل فقال انت امن على نفسك فقال الذي دخله
الطمع حتى حال بين الحق واصلاح ما ظهر من البغي والفساد في الارض انت فقال ويحك وكيف يدخلني
الطمع والصفرا والبيضا في يدي والحلو والحامض في قبضتي قال وهل دخل احدا من الطمع ما دخلك
يا امير المؤمنين ان الله تعالى استرعاك امور المسلمين واموالهم فاغفلت امورهم واهتممت بجمع اموالهم
وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والاجر وابوابا من الحديد وحجبة معهم السلاح ثم سجنت نفسك

فيها عنهم وبعثت عمالك في جمع الاموال وجبايتها واتخذت وزرا واعوانا ان نسيت لم يذكروك
وان احسنت لم يعينوك وقويتهم على ظلم الناس بالاموال والكراع والسلاح وامرت بان لا
يدخل عليك من الناس الا فلان وفلان نفرا سميتهم ولم تامر بايصال الملهوف والمظلوم ولا
الجائع ولا العاري ولا الضعيف الفقير ولا احد الا وله في هذا المال حق فلما راك هولاء النفر
الذين استخلصتهم لنفسك واثرتهم على رعيتك وامرتهم ان لا يحجبوا عنك تجبي الاموال ولا
تقسمها قالوا هذا قد خان الله تعالى فما لنا لا نخونه وقد سخر لنا فائتمروا عليك على ان لا يصل اليك من
علم اخبار الناس الا ما ارادوا ولا يخرج لك عامل فيخالف لهم امرا الا اقصوه حتى تسقط منزلته
حتى يصغر قدره فلما انتشر ذلك عنك وعنهم اعظمهم الناس وهابوهم وكان اول من صانعهم
عمالك بالهدايا والاموال ليتقووا به على ظلم رعيتك ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من
رعيتك لينالوا ظلم من دونهم من الرعية فامتلات بلاد الله بالطمع بغيا وفسادا وصار
هولاء القوم شركاؤك في سلطانك وانت غافل فان جا متظلم حيل بينه وبين الدخول وان اراد
رفع قصة اليك عند ظهورك وجدك قد نهيت عن ذلك ووقفت للناس رجلا ينظر في
مظالمهم فان جا ذلك الرجل فبلغ بطانتك سالوا صاحب المظالم ان لا يرفع مظلمته وان كانت
للمتظلم بهم حرمة واجابهم لم يمكنه ما يريد خوفا منهم فلا يزال المظلوم يختلف ويلوذ به ويشكو او
يستغيث وهو يدفعه ويتعلل عنه فاذا اجتهد واخرج وظهرت صرخ بين يديك فيضرب ضربا
مبرحا ليكون نكالا لغيره وانت تنظر فلا تنكر ولا تغير فما بقا الاسلام واهله على هذا وقد
كانت بنو امية وكانت العرب لا ينتهي اليهم المظلوم الا رفعت ظلامته اليهم فينصف ولقد
كان الرجل ياتي من اقصى البلاد حتى يبلغ باب سلطانهم فينادي يا اهل الاسلام فيبتدرونه ما لك
ما لك فيرفعون مظلمته الى سلطانهم فينتصف له ولقد كنت يا امير المؤمنين اسافر الى ارض الصين
وبها ملك فقدمتها مرة وقد ذهب سمع ملكهم فجعل يبكي فقال له وزراؤه ما لك تبكي لا بكت
عيناك فقال اما اني لست ابكي على المصيبة التي نزلت بي ولكن لمظلوم بالباب يصرخ فلا
اسمع صوته ثم نادوا في الناس لا يلبس ثوبا احمر الا مظلوم فكان يركب الفيل طرفي النهار هل
يرى مظلوما فينصفه هذا يا امير المؤمنين مشرك بالله قد بلغ من رافته بالمشركين ما بلغ و
رقته على شح نفسه في ملكه وانت مؤمن بالله وابن عم نبي الله لا تغلبك رافتك بالمسلمين على شح
نفسك فانك انما تجمع الاموال لواحد من ثلاثة ان قلت اجمعها لولدي فقد اراك الله عز وجل
عبرا في الطفل الصغير يسقط من بطن امه وما له على الارض مال وما من مال الا ودونه يد شحيحة
تحويه فما يزال الله تعالى يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس اليه ولست الذي
تعطي بل الله يعطي من يشا وان قلت اجمع المال لاشيد سلطاني فقد اراك الله تعالى عبرا فيمن
كان قبلك ما اغنى عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة وما اعدوا من الرجال والسلاح و
الكراع وما ضرك وولد ابيك ما كنت فيه من قلة الجدة والضعف حين اراد الله بكم ما اراد وان
قلت اجمع المال لطلب غاية هي احسن من الغاية التي انت فيها فوالله ما فوق ما انت فيه الا منزلة
لا تدرك الا بالعمل الصالح يا امير المؤمنين هل تعاقب من عصاك من رعيتك باشد من القتل
قال لا قال فكيف تصنع بالملك الذي خولك الله وما انت فيه من ملك الدنيا وهو تعالى لا

يعاقب من عصاه بالقتل ولكن يعاقب من عصاه بالخلود في العذاب الاليم وهو الذي يرى منك ما عقد
عليه قلبك واضمرته جوارحك فما تقول اذا انتزع الملك الحق المبين ملك الدنيا من يدك
ودعاك للحساب هل يغني عنك عنده شي مما كنت فيه مما شححت عليه من ملك الدنيا فبكى المنصور
بكاء شديدا حتى نحب وارتفع صوته ثم قال يا ليتني لم اخلق ولم اك شيئا ثم قال كيف احتيالي
فيما حملت ولم ار من الناس الا خائنا قال يا امير المؤمنين عليك بالائمة الاعلام الراشدين
قال ومن هم قال العلماء قال قد فروا مني قال هربوا منك مخافة ان تحملهم على ما ظهر من طريقك
من قبل عمالك ولكن افتح الابواب وسهل الحجاب وانصر المظلوم من الظالم وامنع الظالم وخذ
الفي مما حل وطاب واقسمه بالحق والعدل وانا ضامن عن من هرب منك ان ياتيك فيعاونك
على صلاح امرك ورعيتك فقال المنصور اللهم وفقني ان اعمل بما قال هذا الرجل وجاء
المؤذنون فسلموا عليه واقيمت الصلاة فخرج فصلى بهم ثم قال للحرسي عليك بالرجل ان لم
تاتني به لاضربن عنقك واغتاظ عليه غيظا شديدا ان لم يوجد فخرج الحرسي يطلب الرجل فبينما
هو يطوف فاذا هو بالرجل يصلي في بعض الشعاب فقعد حتى صلى ثم قال يا ذا الرجل اما تتقي الله
تعالى قال بلى قال اما تعرفه قال بلى قال فانطلق معي فقد آلى ان يقتلني ان لم اتك به قال ليس
الى ذلك من سبيل قال يقتلني قال لا قال ولا يقتلك قال فكيف قال تحسن تقرا قال لا قال فاخرج من
مزود كان معه رقا فيه مكتوب شيئا قال خذه فاجعله في جيبك فان فيه دعاء الفرج قال وما
دعاء الفرج قال لا يرزقه الا الشهداء قلت رحمك الله قد احسنت الي فان رايت ان تخبرني ما هذا
الدعاء وما فضله قال من دعا به مساء وصباحا هدمت ذنوبه ودام سروره ومحيت خطاياه واستجيب
دعاؤه وبسط له في رزقه واعطي امله واعين على عدوه وكتب عند الله تعالى صديقا ولا يموت الا شهيدا
يقول اللهم كما لطفت في عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت ما تحت
ارضك كعلمك بما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول
كالسر في علمك وانقاد كل شي لعظمتك وخضع كل ذي سلطان لسلطانك وصار امر الدنيا والاخرة
بيدك كله اجعل لي من كل هم اصبحت فيه فرجا ومخرجا اللهم ان عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن
خطيئتي وسترك على قبيح عملي اطمعني ان اسالك ما لا استوجبه مما قصرت فيه ادعوك امنا واسالك
مستانسا وانك المحسن الي وانا المسيء الى نفسي فيما بيني وبينك تتودد الي وانا اتبغض اليك ولكن
الثقة بك حملتني على الجراة عليك فعد بفضلك واحسانك علي انك انت التواب الرحيم قال
فاخذته فصيرته في جيبي ثم لم يكن لي هم غير امير المؤمنين فدخلت فسلمت عليه فرفع راسه فنظر الي
وتبسم ثم قال ويلك وتحسن السحر فقلت لا والله يا امير المؤمنين ثم قصصت عليه قصتي مع الشيخ
فقال هات الرق الذي اعطاك ثم جعل يبكي فقال لقد نجوت وامر بنسخه واعطاني عشرة الاف
درهم ثم قال اتعرفه قلت لا قال ذاك الخضر عليه السلام وعن ابي عمران الجوني قال لما ولي هارون
الرشيد الخلافة زاره العلماء فهنوه بما صار اليه وفتح بيوت الاموال واقبل يجيزهم بالجوائز
السنية وكان قبل ذلك يجالس العلماء والزهاد ويظهر النسك والتقشف وكان مواخيا لسفيان
ابن سعيد الثوري قديما فهجره سفيان ولم يزره فاشتاق هرون الى زيارته ليخلو به ويحدثه فلم
يزره ولم يعبا بموضعه ولا بما صار اليه فاشتد ذلك على هرون فكتب اليه كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن

الرحيم من عبد الله هرون الرشيد امير المؤمنين الى اخيه سفيان اما بعد فقد علمت ان الله تعالى اخى بين
المؤمنين وجعل ذلك فيه وله واعلم اني اخيتك مواخاة لم اصرم فيها حبلك ولم اقطع منها ودك و
اني منطو لك على افضل المحبة والارادة ولولا هذه القلادة التي قلدنيها الله تعالى لاتيتك ولو حبوا
لما اجد لك في قلبي من المحبة واعلم يا ابا عبد الله انه ما بقي من اخواني واخوانك الا وقد زارني وهناني
بما صرت اليه وقد فتحت بيوت الاموال واعطيتهم من الجوائز السنية ما فرحت به نفسي وقرت
بها عيني واني استبطاتك فلم تاتني وقد كتبت اليك كتابا شوقا مني اليك شديدا وقد علمت يا ابا
عبد الله ما في فضل المؤمن وزيارته ومواصلته فاذا ورد عليك كتابي هذا فالعجل العجل فلما كتب
الكتاب التفت الى من عنده فاذا هم كلهم يعرفون سفيان وخشونته فقال علي برجل من الباب
فادخل عليه رجل يقال له عباد الطالقاني فقال يا عباد خذ كتابي هذا فانطلق به الى الكوفة
فاذا دخلتها فسل عن قبيلة بني ثور ثم سل عن سفيان الثوري فاذا رايته فالق كتابي هذا اليه وع
بسمعك وقلبك جميع ما يكون فاحص عليه دقيق امره وجليله لتخبرني به فاخذ عباد الكتاب و
انطلق به حتى ورد الكوفة فسال عن القبيلة فارشد اليها ثم سال عن سفيان الثوري فقيل له هو في
المسجد قال عباد فاقبلت الى المسجد فلما راني قام قائما ثم قال اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان
الرجيم واعوذ بك اللهم من طارق يطرقني الا بخير قال عباد فوقعت الكلمة في قلبي فخرجت فلما راني
نزلت بباب المسجد قام يصلي ولم يكن وقت الصلاة فربطت فرسي بباب المسجد ودخلت فاذا جلساؤه
قعود قد نكسوا رؤوسهم كانهم لصوص قد ورد عليهم السلطان فهم خائفون من عقوبته فسلمت
عليهم فما رفع الي احد راسه وردوا السلام علي برؤوس الاصابع فبقيت واقفا فما منهم من احد
يعرض علي الجلوس وقد علاني من هيبتهم الرعدة ومددت عيني اليهم فقلت ان المصلي هو سفيان
فرميت بالكتاب اليه فلما راى الكتاب ارتعد وتباعد منه كانه حية عرضت له في محرابه فركع وسجد
وسلم وادخل يده في كمه ولفها بعباءته واخذه فقلبه بيده ثم رماه الى من كان خلفه وقال ياخذه بعضكم
يقراه فاني استغفر الله ان امس شيئا مسه ظالم بيده قال عباد فمد بعضهم يده اليه فحله كانه خائف
من نهشة ثم فضه فقراه فاقبل سفيان يتبسم تبسم المتعجب فلما فرغ من قراءته قال اقلبوه
واكتبوا الى الظالم فيه فقيل له يا ابا عبد الله انه خليفة فلو كتبت اليه في قرطاس نقي فقال اكتبوا الى
الظالم في ظهر كتابه فان كان اكتسبه من حلال فسوف يجزى به وان كان اكتسبه من حرام فسوف
يصلى به ولا يبقى شي مسه ظالم عندنا فيفسد علينا ديننا فقيل له ما نكتب فقال اكتبوا بسم الله الرحمن
الرحيم من عبد الله الميت سفيان بن سعيد بن منذر الثوري الى العبد المغرور بالامال هرون الرشيد الذي
سلب حلاوة الايمان اما بعد فاني قد كتبت اليك اعرفك اني قد صرمت حبلك وقطعت ودك و
قليت موضعك وانك قد جعلتني شاهدا عليك باقرارك على نفسك في كتابك بما هجمت على بيت
مال المسلمين فانفقته في غير حقه وانفذته بغير حكمه ثم لم ترض بما فعلته وانت ناء عني حتى كتبت
الي تشهدني على نفسك اما اني فقد شهدت عليك انا واخواني الذين شهدوا قراءة كتابك و
سنؤدي الشهادة عليك غدا بين يدي الله تعالى يا هارون هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم
هل رضي بفعلك المؤلفة قلوبهم والعاملون عليها في ارض الله والمجاهدون في سبيل الله وابن السبيل
ام رضي بذلك حملة القران واهل العلم والارامل والايتام ام رضي بذلك خلق من رعيتك فشد يا هرون

بين يديك واعد للمسئلة جوابا وللبلاء جلبابا واعلم انك سوف تقف بين يدي الله عز وجل الحكم العدل
في نفسك اذ اسلبت حلاوة العلم والزهد ولذيذ القرآن ومجالسة الاخيار ورضيت لنفسك ان
تكون ظالما وللظالمين اماما يا هرون قعدت على السرير ولبست الحرير واسبلت سترا دون بابك
تشبهت بالحجبة برب العالمين ثم اقعدت اجنادك الظلمة دون بابك وسترك يظلمون الناس
ولا ينصفون يشربون الخمر ويضربون من يشربها ويزنون ويحدون الزاني ويسرقون ويقطعون السارق افلا
كانت هذه الاحكام عليك وعليهم قبل ان تحكم بها على الناس فكيف بك يا هرون غدا اذا نادى مناد من
قبل الله تعالى قال احشروا الذين ظلموا وازواجهم اين الظلمة واعوان الظلمة فتقدمت بين يدي الله
تعالى ويداك مغلولة الى عنقك لا يطلقها الا عدلك وانصافك والظالمون حولك وانت بهم سابق وامام
الى النار كاني بك يا هرون قد اخذت بضيق الخناق ووردت المساق وانت ترى حسناتك في
ميزان غيرك وسيئات غيرك في ميزانك على سيئاتك بلاء على بلاء وظلم فوق ظلم فاحتفظ بوصيتي واتعظ
بموعظتي التي وعظتك بها واعلم اني قد نصحتك وما ابقيت لك في النصح غاية فاتق الله يا هرون في رعيتك
واحفظ محمدا صلى الله عليه وسلم في امته واحسن الخلافة عليهم واعلم ان هذا الامر لو بقي لغيرك لم يصل اليك
وهو صاير الى غيرك وكذا الدنيا تنتقل باهلها واحدا بعد واحد فمنهم من تزود زادا نفعه ومنهم
من خسر دنياه وآخرته واني احسبك يا هرون ممن خسر دنياه وآخرته فاياك ان تكتب الي كتابا بعد هذا فلا
اجيبك عنه والسلام قال عباد فالقى الي الكتاب منشورا غير مطوي ولا مختوم فاخذته واقبلت
الى سوق الكوفة وقد وقعت الموعظة في قلبي فناديت يا اهل الكوفة فاجابوني فقلت لهم يا قوم من يشتري
رجلا هرب من الله الى الله تعالى فاقبلوا بالدنانير والدراهم فقلت لا حاجة لي في المال ولكن جبة صوف
خشنة وعباءة قطوانية قال فاتيت بذلك ونزعت ما كان علي من اللباس الذي كنت البسه مع امير
المؤمنين فاقبلت اقود البرذون وعليه السلاح الذي كنت احمله حتى اتيت باب امير المؤمنين هرون حافيا
راجلا فهزئ بي من كان على باب الخليفة ثم استؤذن لي فلما دخلت مجلسه وبصر بي هرون على تلك الحال قام
وقعد ثم قام قائما وجعل يلطم على راسه ووجهه وجعل يدعو بالويل والحرب ويقول انتفع الرسول
وخاب المرسل ما لي وللدنيا وللملك يزول عني سريعا ثم القيت الكتاب اليه منشورا كما دفع الي فاقبل هرون
يقراه ودموعه تنحدر من عينيه ويقرا ويشهق فقال بعض جلسائه يا امير المؤمنين لقد اجترا عليك
سفيان فلو وجهت اليه فاثقلته بالحديد وضيقت عليه السجن كنت تجعله عبرة لغيره فقال
هرون اتركونا يا عبيد الدنيا المغرور من غررتموه والشقي من اهلكتموه وان سفيان امة وحده فاتركوا
سفيان وشانه ثم لم يزل كتاب سفيان الى جنب هرون يقراه عند كل صلاة حتى توفي رحمة الله عليه
فرحم الله عبدا نظر لنفسه واتقى الله فيما يتقدم عليه غدا من عمله فانه عليه يحاسب وبه يجازي والله
ولي التوفيق وعن عبد الله ابن مهران قال حج الرشيد فوافى الكوفة فاقام بها اياما ثم ضرب بالرحيل
فخرج الناس وخرج بهلول المجنون فيمن خرج فجلس في الكناسة والصبيان يوذونه ويولعون به اذ اقبلت
هوادج هرون فكف الصبيان عن الولوع به فلما جاء هرون نادى باعلى صوته يا امير المؤمنين فكشف
هرون السجاف عن وجهه بيده فقال لبيك يا بهلول لبيك يا بهلول فقال يا امير المؤمنين حدثنا ايمن
ابن نايل عن قدامة عن عبد الله العامري قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم منصرفا من عرفة على ناقة
له صهباء لا ضرب ولا طرد ولا اليك اليك وتواضعك في سفرك هذا يا امير المؤمنين خير من تكبرك وتجبرك

قال فبكى هرون حتى سقطت دموعه على الارض ثم قال زدنا يرحمك الله تعالى قال نعم يا امير المؤمنين
رجل اتاه الله تعالى مالا وجمالا فانفق من ماله وعف في جماله كتب في خالص ديوان الله عز وجل من الابرار
قال احسنت يا بهلول مع الجايزة قال اردد الجايزة على من اخذتها منه فلا حاجة لي فيها قال يا بهلول
فان يكن عليك دين قضيناه فقال يا امير المؤمنين هؤلاء اهل العلم بالكوفة متوافرون اجتمعت
اراؤهم ان قضاء الدين بالدين لا يجوز قال يا بهلول فنجري عليك ما يقوتك او يقيمك قال فرفع
بهلول راسه الى السماء ثم قال يا امير المؤمنين انا وانت من عيال الله فمحال ان يذكرك وينساني قال
فاسبل هرون السجاف ومضى وعن ابي العباس الهاشمي يروي انه صالح ابن المامون قال دخلت
على الحرث المحاسبي فقلت له يا ابا عبد الله حاسبت نفسك فقال هذا كان مرة قلت له فاليوم قال
اكاتم حالي اني لا اقرا آية من كتاب الله عز وجل فارض بها ان تسمعها نفسي ولولا ان يغلبني فيها فرح
ما اعلنت بها ولقد كنت ليلة قاعدا في محرابي فاذا انا بفتى حسن الوجه طيب الرائحة فسلم علي ثم
قعد بين يدي فقلت له من انت فقال انا واحد من السايحين اقصد المتعبدين في محاريبهم ولا
ارى لك اجتهادا فاي شيء عملك قال قلت له كتمان المصايب واستجلاب الفوايد قال فصاح وقال
ما علمت ان احدا بين جنبي المشرق والمغرب هذه صفته قال الحارث فاردت ان ازيد عليه فقلت
له اما علمت ان اهل القلوب يخفون احوالهم ويكتمون اسرارهم ويسالون الله كتمان ذلك عليهم
فمن اين هم قال فصاح صيحة غشي عليه فمكث عندي يومين لا يعقل ثم افاق وقد احدث في
ثيابه فعلمت ان لا عقل له فاخرجت له ثوبا جديدا وقلت له هذا كفني وقد آثرتك به فاغتسل واعد
الصلاة فقال هات الماء فاغتسل وصلى ثم التحف بالثوب وخرج فقلت له اين تريد فقال قم فلم
يزل يمشي حتى دخل على المامون امير المؤمنين فسلم عليه ثم قال له يا ظالم ان لم اقل لك يا ظالم
استغفر الله من تقصيري فيك اما تتقي الله تعالى فيما ملكك وتكلم بكلام كثير ثم اقبل يريد الخروج
والحارث بالباب وانا واقف فاقبل عليه المامون وقال له من انت قال انا رجل من السايحين فكرت
فيما عمل الصديقون قبلي فلم اجد لنفسي فيه حظا فتعلقت بموعظتك لعلي الحقهم قال فامر بضرب
عنقه فاخرج وانا قاعد على الباب ملفوفا في ذلك الثوب ومناد ينادي من ولي هذا فلياخذه قال
حرث فتغيبت عنه فاخذه اقوام غرباء فدفنوه وكنت معهم لا اعلمهم بحاله فاقمت في مسجد في المقابر
محزونا على الفتى فغلبتني عيناي فاذا هو بين وصايف لم ار احسن منهن وهو يقول لي يا حارث انت
والله من الكاتمين الذين يخفون احوالهم ويطيعون ربهم قلت وما فعلوا قال الساعة يلقونك فنظرت
الى جماعة ركبان فقلت من انتم قال الاحرار هذا كلامه فلم يكن في قلبه مما وصفت شيء فخرج للامر بالنهي
والله تعالى انزله معنا وغضب لغضبه وعن احمد ابن ابرهيم المقري قال كان ابو الحسين النوري رجلا
قليل الفضول لا يسال عما لا يعنيه ولا يفتش عما لا يحتاج اليه وكان اذا راى منكرا غيره ولو كان
فيه تلفه فنزل ذات يوم الى مشرعة تعرف بمشرعة الفحامين يتطهر للصلاة اذ راى زورقا فيه ثلاثون
دنا مكتوب عليها بالقار لطف فقراه وانكره لانه لم يعرف في التجارات ولا في البيوع شيئا يعبر عنه بلطف
فقال للملاح ايش في هذه الدنان قال وايش عليك امض لشغلك فلما سمع النوري كلام الملاح ووسع
منه هذا القول ازداد تعطشا الى معرفته فقال له احب ان تخبرني ايش في هذه الدنان فقال الملاح
انت والله صوفي فضولي هذا خمر للمعتضد يريد ان يتمم به مجلسه فقال النوري وهذا خمر قال نعم

فقال يا حاجب ان تعطيني ذلك المدري فناوله الملاح وقال للغلام اعطه المدري حتى انظر ما يصنع
فلما صار المدري بيده صعد الى الزورق فلم يزل يكسرها دنا دنا حتى اتى على اخرها الا دنا واحدا والملاح
يستغيث الى ان ركب صاحب الجيش وهو يومئذ مونس الافلح فقبض على النوري واشخصه الى حضرة
المعتضد وكان المعتضد سيفه قبل كلامه ولم يشك الناس انه سيقتله قال ابو الحسين النوري
فادخلت عليه وهو جالس على كرسي حديد وبيده عمود يقلبه فلما راني قال من انت قلت محتسب
قال ومن ولاك الحسبة قلت الذي ولاك الامامة ولاني الحسبة يا امير المومنين قال فاطرق الى الارض
ساعة ثم رفع راسه الي وقال ما الذي حملك على ما صنعت فقلت شفقة مني عليك اذ بسطت
يدي الى صرف مكروه عنك فقصرت عنه فاطرق مفكرا في كلامي ثم رفع راسه وقال كيف تخلص
هذا الدن الواحد من جملة الدنان فقلت في تخلصه علة اخبر بها امير المومنين ان اذن فقال هات
خبرني فقلت يا امير المومنين اني اقدمت على الدنان بمطالبة الحق سبحانه لي بذلك وغمر قلبي شاهد
الاجلال للحق وخوف المطالبة فغابت هيبة الخلق عني فاقدمت عليها بهذه الحال الى ان صرت الى هذا
الدن فحركت نفسي كبرا على اني قد اقدمت على مثلك فمنعت ولو اقدمت عليه بالحال الاول وكانت ملء
الدنيا ما احببت ان تغير من المنكر قال ابو الحسين فقلت يا امير المومنين بغض التغيير لاني كنت اغير
عن الله وانا الان اغير عن شرطي فقال المعتضد ما حاجتك قلت يا امير المومنين تامر باخراجي سالما
فامر له بذلك وخرج الى البصرة فكان اكثر ايامه بها خوفا من ان يساله احد حاجة يسالها المعتضد
فاقام بالبصرة حتى توفي المعتضد ثم رجع الى بغداد فهذه كانت سيرة العلما وعادتهم في الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر وقلة مبالاتهم بسطوة السلاطين لكنهم اتكلوا على فضل الله تعالى ان
يحرسهم ورضوا بحكم الله ان يرزقهم الله تعالى الشهادة فلما اخلصوا لله تعالى النية اثر كلامهم في القلوب
القاسية فلينها وازال قساوتها واما الان فقد قيدت الاطماع السن العلما فسكتوا وان تكلموا لم
تساعد اقوالهم احوالهم فلم ينجحوا ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لافلحوا ففساد الرعايا
بفساد الملوك وفساد الملوك بفساد العلما وفساد العلما باستيلاء حب الدنيا وحب المال والجاه
ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الاراذل فكيف على الملوك والاكابر والله المستعان
على القوم الظالمين والحمد لله على كل حال تم جزء اخر الكتاب كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بعون الله
وعونه وحسن توفيقه والحمد لله اولا واخرا وباطنا وظاهرا وصلى الله على سيدنا محمد المصطفى واله الطيبين
الطاهرين صلاة دائمة الى يوم الدين امين ويتلوه كتاب اداب المعيشة واخلاق النبوة وهو الكتاب
العاشر من ربع العادات من كتاب احيا علوم الدين والحمد لله اولا واخرا وظاهرا وباطنا وحسبنا الله
ونعم الوكيل وصلى الله على محمد واله ورضي الله عن اصحاب رسول الله اجمعين والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم رب وفق

الحمد لله الذي خلق كل شيء فاحسن خلقه وترتيبه وادب نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فاحسن تاديبه وزكى
اوصافه واخلاقه ثم اتخذه صفيه وحبيبه ووفق للاقتداء به من اراد تهذيبه وحرم عن التخلق
باخلاقه من اراد تخييبه **وبعد** فان اداب الظواهر عنوان البواطن وحركات الجوارح ثمرات الخواطر

والاعمال نتيجة الاخلاق والاداب رشح المعارف وانوار السرائر هي التي تشرق على الظواهر فتزينها وتجليها
وتبدل بالمحاسن مكارهها ومساويها ومن لم يكن صدره مشكاة للانوار الالهية لم يفض على ظاهره
جمال الاداب النبوية بكتاب جامع الاداب ولقد كنت عزمت على ان اختم ربع العبادات من هذا الكتاب
بكتاب جامع الاداب المعيشة لئلا يشق على طالبها استخراجها من جميع هذه الكتب ثم رايت كل كتاب
من ربع العبادات وربع العادات قد اتى على جملة من الاداب فاستثقلت تكريرها واعادتها فان طلب
الاعادة ثقيل والنفوس مجبولة على معاداة المعادات فرايت ان اقتصر في هذا الكتاب على ذكر اداب
رسول الله صلى الله عليه وسلم واخلاقه الماثورة عنه بالاسناد فاسردها مجموعة فصلا فصلا محذوفة
الاسانيد ليجتمع فيه مع جمع الاداب تجديد الايمان وتاكيده بمشاهدة اخلاقه الكريمة التي يشهد
احادها على القطع بانه اكرم خلق الله تعالى واعلاهم رتبة واجلهم قدرا فكيف مجموعها ثم اضيف الى
ذكر اخلاقه ذكر خلقته ثم ذكر معجزاته التي صحت بها الاخبار ليكون ذلك معربا عن مكارم الاخلاق
والشيم ومنتزعا عن اذان الجاحدين لنبوته صمام الصمم والله تعالى ولي التوفيق للاقتداء بسيد المرسلين
في الاخلاق والاحوال وساير معالم الدين فانه دليل المتحيرين ومجيب المضطرين ولنذكر فيه اولا بيان
تاديب الله تعالى بالقران ثم بيان جوامع من محاسن اخلاقه ثم بيان جملة من ادابه واخلاقه ثم بيان
كلامه وضحكه ثم بيان اخلاقه وادابه في الطعام ثم بيان ادابه في اللباس ثم بيان عفوه مع القدرة ثم بيان
اغضائه عما كان يكره ثم بيان سخاوته وجوده ثم بيان شجاعته وباسه ثم بيان تواضعه ثم بيان صورته
وخلقته ثم بيان جوامع معجزاته واياته **بيان** تاديب الله تعالى حبيبه وصفيه محمدا صلى الله
عليه وسلم بالقران كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير الضراعة والابتهال دائم السوال من الله تعالى ان يزينه
بمحاسن الاداب ومكارم الاخلاق فكان يقول في دعائه اللهم حسن خلقي وخلقي ويقول اللهم جنبني منكرات
الاخلاق فاستجاب الله سبحانه دعاءه وفاء بقوله ادعوني استجب لكم فانزل الله تعالى عليه القران وادبه
فكان خلقه القران قال سعد بن هشام دخلت على عائشة رضي الله عنها فقالت اما تقرا القران فقلت بلى
قالت كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالتها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القران وانما ادبه
القران بمثل قوله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقوله تعالى ان الله يامر بالعدل و
الاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي وقوله تعالى واصبر على ما اصابك ان ذلك
من عزم الامور وبقوله تعالى فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين وبقوله تعالى وليعفوا وليصفحوا
الا تحبون ان يغفر الله لكم وبقوله تعالى ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي
حميم وبقوله تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وبقوله تعالى اجتنبوا
كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ولما كسرت رباعيته يوم احد
فجعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسح الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو
يدعوهم الى ربهم فانزل الله تعالى ليس لك من الامر شيء تاديبا له على ذلك وامثال هذه التاديبات في
القران لا تحصر وهو المقصود الاول بالتاديب والتهذيب ثم منه يشرق النور على كافة الخلق فانه
ادب بالقران وادب الخلق به ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق
ثم رغب الخلق في حسن الخلق بما اوردناه في كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق فلا نعيده
ثم لما اكمل الله تعالى خلقه اثنى عليه فقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم فسبحانه ما اعظم شانه واتم امتنانه

انظر الى عميم فضله كيف اعطى ثم اثنى فهو الذي زينه بالخلق الكريم ثم اضاف اليه وانك لعلى خلق عظيم
ثم بين رسول الله صلى الله عليه وسلم للخلق ان الله يحب مكارم الاخلاق ويبغض سفسافها وقال
صلى الله عليه وسلم يا عجبا لرجل مسلم يجيئه اخوه المسلم في حاجة فلا يرى نفسه للخير اهلا فلو كان
لا يرجو ثوابا ولا يخشى عقابا لقد كان له ان يسارع في مكارم الاخلاق فانها مما يدل على سبيل النجاة
فقال رجل سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم وما هو خير لما اتي بسبايا طي وقفت
جارية في السبي فقالت يا محمد ان رايت ان تخلي عني ولا تشمت بي احياء العرب فاني بنت سيد قومي
وان ابي كان يحمي الذمار ويفك العاني ويشبع الجائع ويطعم الطعام ويفشي السلام ولم يرد
طالب حاجة قط انا ابنة حاتم طي فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جارية هذه صفة المؤمنين حقا لو كان
ابوك مسلما لترحمنا عليه خلوا عنها فان اباها كان يحب مكارم الاخلاق وان الله تعالى يحب مكارم
الاخلاق فقام ابو بردة بن نيار فقال يا رسول الله ان الله تعالى يحب مكارم الاخلاق فقال والذي
نفسي بيده لا يدخل الجنة الا حسن الاخلاق وعن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى
حف الاسلام بمكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ومن ذلك حسن المعاشرة وكرم الصنيعة ولين الجانب
وبذل المعروف واطعام الطعام وافشاء السلام وعيادة المريض المسلم برا كان او فاجرا وتشييع
جنازة المسلم وحسن الجوار لمن جاورت مسلما كان او كافرا وتوقير ذي الشيبة المسلم واجابة الطعام
والدعاء عليه والعفو والاصلاح والجود والكرم والسماحة والابتداء بالسلام وكظم الغيظ والعفو عن
الناس واذهب الاسلام باللهو الباطل والغناء والمعازف كلها وكل ذي وتر وكل ذي دخل والكذب
والغيبة والبخل والشح والجفاء والمكر والخديعة والنميمة وسوء ذات البين وقطيعة الارحام وسوء
الخلق والتكبر والفخر والاستطالة والمدحة والفحش والتفحش والحقد والحسد والطيرة والبغي و
العدوان والظلم قال انس فلم يدع نصيحة جميلة الا وقد دعانا اليها وامرنا بها ولم يدع غشا او قال
عيبا او شينا الا حذرناه ونهانا عنه ويكفي من ذلك كله هذه الاية ان الله يامر بالعدل والاحسان
الاية وقال معاذ اوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معاذ اوصيك باتقاء الله تعالى وصدق
الحديث والوفاء بالعهد واداء الامانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام
وبذل السلام وحسن العمل وقصر الامل ولزوم الايمان والتفقه في القران وحب الاخرة والجزع من
الحساب وخفض الجناح وانهاك ان تسب حليما او تكذب صادقا او تطيع اثما او تعصي اماما عادلا
او تفسد ارضا واوصيك باتقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر وان تحدث لكل ذنب توبة السر بالسر
والعلانية بالعلانية فهكذا اداب الله تعالى عباده ودعاهم الى مكارم الاخلاق ومحاسن الاداب

بيان جملة من محاسن اخلاقه الذي جمعه بعض العلماء والتقطه من الاخبار قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم احلم الناس واشجع الناس واعدل الناس واعف الناس لم تمس يده قط يد امراة لا يملك
رقها او عصمة نكاحها او تكون ذات محرم منه واسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم فان فضل
ولم يجد من يعطيه وفجأه الليل لم ياو الى منزله حتى يتبرأ منه الى من يحتاج اليه لا ياخذ مما
اتاه الله تعالى الا قوت عامه فقط من ايسر ما يجد من التمر والشعير ويضع سائر ذلك في سبيل الله
لا يسأل شيئا الا اعطاه ثم يعود على قوت عامه فيؤثر منه حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام ان لم ياته
شيء وكان يخصف النعل ويخدم في مهنة اهله ويقطع اللحم معهن اشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه
احد ويجيب دعوة العبد والحر ويقبل الهدية ولو انها جرعة لبن او فخذ ارنب ويكافئ عليها وياكلها
ولا ياكل الصدقة ولا يستكبر عن اجابة الامة والمسكين يغضب لربه تعالى ولا يغضب لنفسه وينفذ
الحق وان عاد ذلك بالضرر عليه وعلى اصحابه عرض عليه الانتصار بالمشركين على المشركين وهو في
قلة وحاجة الى انسان واحد يزيده في عدد من معه فابى وقال انا لا استنصر بمشرك ووجد من
فضلاء اصحابه وخيارهم قتيلا بين اليهود فلم يحف عليهم ولا زاد على مر الحق بل وداه بمائة ناقة
وان باصحابه لحاجة الى بعير واحد يتقوون به وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع ومرة ياكل
ما حضر ولا يرد ما وجد ولا يتورع من مطعم حلال ان وجد تمرا دون خبز اكله وان وجد شواء اكله و
ان وجد خبز بر او شعير اكله وان وجد حلوا او عسلا اكله وان وجد لبنا دون خبز اكتفى
به وان وجد بطيخا او رطبا اكله لا ياكل متكئا ولا على خوان منديله باطن قدميه لم يشبع من خبز
بر ثلاثة ايام متوالية حتى لقي الله تعالى ايثارا على نفسه لا فقرا ولا بخلا يجيب الوليمة ويعود المريض و
يشهد الجنائز ويمشي وحده بين اعدائه بلا حارس اشد الناس تواضعا واسكتهم في غير كبر و
ابلغهم في غير تطويل واحسنهم بشرا لا يهوله شيء من امر الدنيا ويلبس ما وجد فمرة شملة ومرة برد
حبرة يمانية ومرة جبة صوف ما وجد من المباح لبس وخاتمه فضة ويلبسه في خنصره الايمن
والايسر ويردف خلفه عبده او غيره ويركب ما امكنه مرة فرسا ومرة بعيرا ومرة بغلة شهباء
ومرة حمارا ومرة يمشي راجلا حافيا بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة يعود المرضى في اقصى المدينة يحب
الطيب ويكره الرائحة الردية ويجالس الفقراء ويؤاكل المساكين ويكرم اهل الفضل في اخلاقهم
ويتالف اهل الشرف بالبر لهم يصل ذوي رحمه من غير ان يؤثرهم على من هو افضل منهم لا يجفو على احد
يقبل معذرة المعتذر اليه يمزح ولا يقول الا حقا يضحك من غير قهقهة يرى اللعب المباح فلا
ينكره ويسابق اهله وترفع الاصوات عليه فيصبر كان له لقاح وغنم يتقوت هو واهله من البانها
وله عبيد واماء لا يرتفع عليهم في ماكل ولا ملبس لا يمضي له وقت في غير عمل لله تعالى او فيما لا بد
له منه من صلاح نفسه يخرج الى بساتين اصحابه لا يحتقر مسكينا لفقره وزمانته ولا يهاب ملكا لملكه يدعو هذا
وهذا الى الله دعاء مستويا قد جمع الله له السيرة الفاضلة والسياسة التامة وهو امي لا يقرا ولا
يكتب نشا في بلاد الجهل والصحاري في فقر وفي رعاية الغنم يتيما لا اب له ولا ام فعلمه الله تعالى جميع
محاسن الاخلاق والطرق الحميدة واخبار الاولين والاخرين وما فيه النجاة والفوز في الاخرة والغبطة و
الخلاص في الدنيا ولزوم الواجب وترك الفضول وفقنا الله تعالى لطاعته في امره والتاسي به في فعله
امين رب العالمين

بيان جملة اخرى من اخلاقه وادابه مما رواه البخاري قال وما شتم رسول الله
صلى الله عليه وسلم احدا قط من المؤمنين بشتمة الا جعل لها كفارة ورحمة وما لعن امراة قط ولا خادما
بلعنة وقيل له وهو في القتال لو لعنتهم يا رسول الله فقال انما بعثت رحمة ولم ابعث لعانا وكان
اذا سئل ان يدعو على احد مسلم او كافر عام او خاص عدل عن الدعاء عليه ودعا له وما ضرب بيده احدا
قط الا ان يضرب بها في سبيل الله وما انتقم من شيء صنع اليه قط الا ان ينتهك حرمة الله تعالى
وما خير بين امرين قط الا اختار ايسرهما الا ان يكون فيه اثم او قطيعة رحم فيكون ابعد الناس من
ذلك وما كان ياتيه احد حر او عبد او امة الا قام معه في حاجته وقال انس والذي بعثه بالحق نبيا
ما قال لي في شيء قط كرهته لم فعلته ولا لامني نساؤه الا قال دعوه انما كان هذا بكتاب وقدر وما عاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطجعا انه نهى الله اضطجع وان الرجل من اضطجع على الارض وقد وصفه الله
تعالى في التورية قبل ان يبعثه في السطر الاول فقال محمد رسول الله عبدي المختار لا فظ ولا غليظ
ولا صخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح مولده بمكة وهجرته المدينة
وقيل بطيبة وملكه بالشام يأتزر على وسطه هو ومن معه دعاة القرآن والعلم يتوضأ على اطرافه
وكذلك نعته في الانجيل وكان من خلقه ان يبدأ من لقيه بالسلام ومن قاومه لحاجة صابره حتى
يكون هو المنصرف وما اخذ احد من اصحابه بيده بالمصافحة ثم اخذ بيده فشابكه ثم شد قبضته وكان لا
يقوم ولا يجلس الا على ذكر الله تعالى وكان لا يجلس اليه احد وهو يصلي الا خفف صلاته واقبل
عليه وقال الك حاجة فاذا فرغ من حاجته عاد الى صلاته وكان اكثر جلوسه ان ينصب ساقيه
جميعا ويمسك بيديه عليهما شبه الحبوة ولم يكن يعرف مجلسه من مجلس اصحابه لانه حيث ما انتهى
به المجلس جلس وكان ما رؤي قط مادا رجليه بين اصحابه حتى يضيق بهما على احد الا ان يكون المكان
واسعا لا ضيق فيه وكان اكثر ما يجلس مستقبل القبلة وكان يكرم من دخل عليه حتى ربما بسط ثوبه
لمن ليست بينه وبينه قرابة ولا رضاع يجلسه عليها وكان يؤثر الداخل بالوسادة التي تحته فان
ابى ان يقبلها عزم عليه حتى يفعل وما استصفاه احد الا ظن انه اكرم الناس عليه حتى يعطي
كل من جلس نصيبه من وجهه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف محاسنه وتوجهه للمجالس
اليه ومجلسه مع ذلك مجلس حياء وتواضع وامانة قال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت
فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ولقد كان يدعو اصحابه بكناهم اكراما لهم واستمالة لقلوبهم ويكني
من لم تكن له كنية فكان يدعى بما كناه به ويكني ايضا النساء اللاتي لهن الاولاد واللاتي لم يلدن يبتدئ لهن
بالكنى ويكني الصبيان فيستلين به قلوبهم وكان ابعد الناس غضبا واسرعهم رضا وكان
ارأف الناس وخير الناس للناس وانفع الناس للناس ولم يكن ترفع في مجلسه الاصوات وكان اذا قام
من مجلسه قال سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك ثم يقول
علمنيهن جبريل بيان كلامه وضحكه صلى الله عليه وسلم كان افصح الناس منطقا واحلاهم
كلاما ويقول انا افصح العرب وان اهل الجنة يتكلمون فيها بلغة محمد صلى الله عليه وسلم وكان نزر الكلام
سمح المقالة اذا نطق ليس بمهذار وكان كلامه كخرزات النظم قالت عائشة رضي الله عنها كان لا يسرد
سردكم هذا كان كلامه نزرا وانتم تنثرون الكلام نثرا قالوا وكان اوجز الناس كلاما وبذلك جاء
جبريل عليه السلام وكان مع الايجاز يجمع كلما اراد وكان يتكلم بجوامع الكلم لا فضول ولا تقصير كانه
يتبع بعضه بعضا بين كلامه توقف يحفظه سامعه ويعيه وكان جهير الصوت احسن الناس
نغمة وكان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة ولا يقول المنكر ولا يقول في الرضا والغضب الا الحق
ويعرض عمن تكلم بغير جميل ويكني عما اضطره اليه مما يكره وكان اذا سكت تكلم جلساؤه ولا يتنازع
عنده في الحديث ويعظ بالجد والنصيحة ويقول لا تضربوا القرآن بعضه ببعض فانه انزل على وجوه وكان
اكثر الناس تبسما وضحكا في وجوه اصحابه وتعجبا مما تحدثوا به وخلطا لنفسه بهم ولربما ضحك حتى
تبدو نواجذه وكان ضحك اصحابه عنده التبسم اقتداء به وتوقيرا له قالوا ولقد جاءه اعرابي يوما
وهو عليه السلام متغير ينكره اصحابه فاراد ان يسأله فقالوا لا تفعل يا اعرابي فانا ننكر لونه فقال
دعوني فوالذي بعثه بالحق نبيا لا ادعه حتى يتبسم فقال يا رسول الله بلغنا ان المسيح يعني الدجال

يأتي الناس بالثريد وقد هلكوا جوعا افترى لي بابي وامي ان اكف عن ثريده تعففا وتنزها حتى
اهلك هزالا ام اضرب في ثريده حتى اذا تضلعت شبعا امنت بالله وكفرت به قال فضحك رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لا بل يغنيك الله بما يغني به المؤمنين قالوا وكان من
اكثر الناس تبسما واطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قرآن او يذكر الساعة او يخطب بخطبة عظة و
كان اذا سر ورضي فهو احسن الناس رضا فان وعظ وعظ بجد وان غضب وليس يغضب الا لله تعالى
لم يقم لغضبه شيء وكذلك كان في اموره كلها وكان اذا نزل به الامر فوض الامر وتبرأ من الحول والقوة
واستنزل الهدى فيقول اللهم ارني الحق حقا فاتبعه وارني الباطل باطلا فاجتنبه وارني
المنكر منكرا وارزقني اجتنابه واعذني من ان يشتبه علي فاتبع هواي بغير هدى منك واجعل هواي
تبعا لطاعتك وخذ رضا نفسك من نفسي في عافية واهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك
تهدي من تشاء الى صراط مستقيم بيان اخلاقه وادابه في الطعام كان صلى الله عليه وسلم يأكل ما يجد
وكان احب الطعام اليه ما كان على ضفف والضفف ما كثرت عليه الايدي وكان اذا وضعت المائدة
قال بسم الله اللهم اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعمة الجنة وكان كثيرا اذا جلس يأكل يجمع بين
ركبتيه وقدميه كما يجلس المصلي الا ان الركبة فوق الركبة والقدم فوق القدم ويقول انما انا عبد
اكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد وكان لا يأكل الحار ويقول انه غير ذي بركة وان الله لم
يطعمنا نارا فابردوه وكان يأكل مما يليه ويأكل باصابعه الثلاث وربما استعان بالرابعة
ولم يكن يأكل باصبعين ويقول ان ذلك اكلة الشيطان وجاءه عثمان بن عفان بفالوذج فاكل منه
وقال ما هذا يا ابا عبد الله قال بابي انت وامي نجعل العسل والسمن في البرمة ونضعها على النار
ثم نغليه ثم نأخذ مخ الحنطة اذا طحنت فنلقيه على السمن والعسل ثم نسوطه حتى ينضج فيأتي
كما ترى فقال صلى الله عليه وسلم ان هذا طعام طيب وكان يأكل الشعير غير منخول خبزا وكان يأكل
القثاء بالرطب وبالملح وكان احب الفاكهة اليه الرطبة مثل البطيخ والعنب وكان يأكل البطيخ بالخبز
وبالسكر وربما اكله بالرطب ويستعين باليدين جميعا واكل يوما الرطب بيمينه وكان يحفظ النوى في
يساره فمرت شاة فاشار اليها بالنوى فجعلت تأكل في كفه اليسرى ويأكل هو بيمينه حتى فرغ وانصرفت
الشاة وربما اكل العنب خرطا يرى زؤانه على لحيته كخرز اللؤلؤ وهو الماء الذي يقطر منه
وكان اكثر طعامه الماء والتمر وكان يجمع اللبن والتمر ويسميهما الاطيبين وكان احب الطعام اليه
اللحم ويقول هو يزيد في السمع وهو سيد الطعام في الدنيا والاخرة ولو سألت ربي ان يطعمنيه كل يوم
لفعل وكان يأكل الثريد باللحم والقرع وكان يحب القرع ويقول انها شجرة اخي يونس قالت عائشة
رضي الله عنها وكان يقول يا عائشة اذا طبختم قدرا فاكثروا فيها من الدباء فانه يشد قلب الحزين
وكان يأكل لحم الطير الذي يصاد وكان لا يتبعه ولا يصيده ويحب ان يصاد له ويؤتى به فيأكله
وكان اذا اكل اللحم لم يطأطئ رأسه اليه ويرفعه الى فيه رفعا ثم ينتهشه انتهاشا وكان
يأكل الخبز والسمن وكان يحب من الشاة الذراع والكتف ومن القدر الدباء ومن الصباغ الخل
ومن التمر العجوة ودعا في العجوة بالبركة وقال هي من الجنة وشفاء من السم والسحر وكان يحب من البقول
الهندباء والباذروج والبقلة الحمقاء وهي الرجلة وكان يكره الكليتين لمكانهما من البول وكان لا
يأكل من الشاة سبعا الذكر والانثيين والمثانة والمرارة والغدد والحيا والدم ويكره ذلك وكان لا

يأكل الثوم ولا البصل ولا الكراث وما ذم طعاما قط ولكن ان اعجبه اكله وان كرهه تركه وان عافه
لم يبغضه الى غيره وكان يعاف الضب والطحال ولا يحرمهما وكان يلعق الصحفة ويقول آخر الطعام
اكثر بركة وكان يلعق اصابعه من الطعام حتى تحمر وكان لا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق اصابعه واحدة
واحدة ويقول انه لا يدري في اي الاصابع البركة واذا فرغ قال اللهم لك الحمد اطعمت واشبعت و
سقيت وارويت لك الحمد غير مكفور ولا مودع ولا مستغنى عنه وكان اذا اكل الخبز واللحم خاصة
غسل يديه غسلا جيدا ثم يمسح بفضل الماء على وجهه وكان يشرب في ثلاث دفعات له فيها ثلاث
تسميات وفي اواخرها ثلاث تحميدات وكان يمص مصا ولا يعب عبا وربما كان يشرب بنفس واحد
حتى يفرغ ولا يتنفس في الاناء بل ينحرف عنه وكان يدفع فضل سؤره الى من عن يمينه فان كان من
على يساره اجل رتبة قال للذي على يمينه السنة ان تعطي فان احببت آثرتهم واتي باناء فيه لبنا
وعسلا فابى ان يشربه وقال شربتان في شربة وادامان في اناء واحد ثم قال صلى الله عليه وسلم
لا احرمه ولكني اكره الفخر والحساب بفضول الدنيا غدا واحب التواضع فان من تواضع لله رفعه الله وكان
في بيته اشد حياء من العاتق لا يسالهم طعاما ولا يتشهاه عليهم ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه
شرب وكان ربما قام فاخذ ما ياكل بنفسه او يشرب **بيان** ادابه واخلاقه في اللباس كان صلى الله
عليه وسلم يلبس من الثياب ما وجد ازارا كان او رداء او جبة وكان يعجبه الثياب الخضر وكان اكثر لباسه
البياض ويقول البسوها احياءكم وكفنوا فيها موتاكم وكان يلبس القباء المحشو للحرب وغير الحرب وكان
له قباء سندس يلبسه فتحسن خضرته على بياض لونه وكان ثيابه كلها مشمرة فوق الكعبين ويكون
الازار فوق ذلك الى نصف الساق وكان قميصه مشدود الازرار وربما حل الازرار في الصلاة وغيرها
وكانت له ملحفة مصبوغة بالزعفران وربما صلى بالناس فيها وحدها وربما لبس الكساء وحده ما عليه
غيره وكان له كساء ملبد يلبسه ويقول انما انا عبد البس كما يلبس العبد وكان له ثوبان لجمعته خاصة
سوى ثيابه في غير الجمعة وربما لبس الازار الواحد ليس عليه غيره يعقد طرفيه بين كتفيه وربما ام به الناس
على الجنائز وربما صلى في بيته في الازار الواحد ملتحفا به مخالفا بين طرفيه ويكون ذلك الازار الذي جامع
فيه يومئذ وكان ربما صلى بالليل في الازار ويرتدي ببعض الثوب مما يلي هدبه ويلقي البقية على بعض
نسائه ويصلي كذلك ولقد كان له كساء اسود فوهبه فقالت له ام سلمة بابي وامي انت ما فعل
ذلك الكساء الاسود فقال كسوته فقالت ما رايت شيئا قط كان احسن من بياضك على سواده قال
انس وربما رايته يصلي بنا الظهر في شملة عاقدا بين طرفيها وكان يتختم وربما خرج وكان في خاتمه
الخيط المربوط يتذكر به الشيء وكان يختم به على الكتب ويقول الختم على الكتاب خير من التهمة
وكان يلبس القلانس تحت العمامة وبغير عمامة وربما نزع قلنسوته من راسه فجعلها سترة بين
يديه ثم يصلي اليها وربما لم تكن العمامة فيشد العصابة على راسه وعلى جبهته وكانت له عمامة
تسمى السحاب فوهبها من علي فربما طلع علي فيها فيقول صلى الله عليه وسلم اتاكم علي في السحاب وكان اذا
لبس ثوبا يلبسه من قبل ميامنه ويقول الحمد لله الذي كساني ما اواري به عورتي واتجمل به في
الناس واذا نزع ثوبه خرج من مياسره وكان له ثوب لجمعته خاصة سوى ثيابه لغير الجمعة وكان
اذا لبس جديدا اعطى خلق ثيابه مسكينا ثم يقول ما من مسلم يكسو مسلما من سمل ثيابه لا يكسوه الا لله
الا كان في ضمان الله وحرزه وخيره ما واراه حيا وميتا وكان له فراش من ادم حشوه ليف طوله ذراعين

او نحوه وعرضه ذراع وشبر او نحوه وكانت له عباءة تفرش له حيثما تنقل تثنى طاقين تحته وكان
ينام على الحصير ليس تحته شيء غيرها وكان من خلقه تسمية دوابه وسلاحه ومتاعه وكان اسم
رايته العقاب واسم سيفه الذي يشهد به الحروب ذو الفقار وكان له سيف يقال له المخذم
وآخر يقال له الرسوب وآخر يقال له القضيب وكان قبضة سيفه محلاة بالفضة وكان يلبس
المنطقة من الادم فيها ثلاث حلق من فضة وكان اسم قوسه الكتوم وجعبته الكافور وكان
اسم ناقته القصوى وهي التي يقال لها العضباء واسم بغلته الدلدل وكان اسم حماره يعفور واسم
شاته التي يشرب لبنها عينة وكانت له مطهرة من فخار يتوضا فيها ويشرب فيرسل الناس اولادهم
الصغار الذين قد عقلوا فيدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يدفعون عنه واذا وجدوا
في المطهرة ماء شربوه او شربوا منه ومسحوا على وجوههم وابدانهم يبتغون بذلك البركة
عفوه مع القدرة وكان صلى الله عليه وسلم احلم الناس وارغبهم في العفو مع القدرة حتى اتي
بقلائد من ذهب وفضة فقسمه بين اصحابه فقام رجل من اهل البادية فقال يا محمد والله لئن امرك
الله ان تعدل فما اراك تعدل فقال ويحك من يعدل عليك بعدي فلما ولى قال ردوه علي رويدا
وروى جابر انه صلى الله عليه وسلم كان يقبض للناس يوم حنين وقيل خيبر من فضة في ثوب بلال فقال له
رجل يا نبي الله اعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك فمن يعدل اذا لم اعدل لقد خبت اذا
وخسرت ان كنت لا اعدل فقام عمر فقال الا اضرب عنقه فانه منافق فقال معاذ الله ان يتحدث
الناس اني اقتل اصحابي وكان صلى الله عليه وسلم في حرب فراوا من المسلمين غرة فجاء رجل حتى قام على
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف فقال من يمنعك مني قال الله قال فسقط السيف من يده
فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف فقال من يمنعك مني قال كن خير آخذ قال قل اشهد ان لا اله
الا الله قال لا غير اني لا اقاتلك ولا اكون معك ولا اكون مع قوم يقاتلونك فخلى سبيله فجاء اصحابه
فقال جئتكم من عند خير الناس وروى انس رضي الله عنه ان يهودية اتت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة
مسمومة ليأكل منها فجيء بها الى النبي صلى الله عليه وسلم فسالها عن ذلك فقالت اردت قتلك فقال
ما كان الله تعالى ليسلطك على ذلك قالوا افلا نقتلها فقال لا وسحره رجل من اليهود فاخبره
جبريل عليه السلام حتى حل العقد ووجد لذلك خفة وما ذكر ذلك لليهودي ولا اظهره عليه قط
وقال علي رضي الله عنه بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم انا والزبير والمقداد فقال انطلقوا حتى
تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا حتى اتينا روضة خاخ فقلنا
اخرجي الكتاب فقالت ما معي كتاب فقلنا لتخرجن او لنقتلنك فاخرجته من عقاصها فاتينا به
النبي صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن ابي بلتعة الى ناس من المشركين يخبرهم بامر من امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا حاطب ما هذا قال يا رسول الله لا تعجل علي اني كنت امرا ملصقا في قريش
وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون اهليهم فاحببت ان فاتني ذلك منهم من النسب
ان اتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي ولم افعل ذلك كفرا ولا رضا بالكفر بعد الاسلام ولا ارتدادا عن
ديني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقكم فقال عمر دعني اضرب عنق هذا المنافق فقال صلى
الله عليه وسلم انه شهد بدرا وما يدريك لعل الله عز وجل قد اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم
فقد غفرت لكم وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسمة فقال رجل من الانصار هذه القسمة ما اريد بها

بما وجد الله تعالى عند ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فاحمر وجهه وقال رحم الله اخي موسى لقد اوذي باكثر
من هذا فصبر وكان صلى الله عليه وسلم يقول لا يبلغني احد منكم عن احد من اصحابي شيئا فاني احب ان
اخرج اليكم وانا سليم الصدر **بيان** اغضائه عما كان يكرهه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن يعرف في وجهه غضبه ورضاه وكان اذا اشتد وجده اكثر
من مس لحيته وكان لا يشافه احدا بما يكرهه دخل عليه رجل وعليه صفرة فكرهها فلم يقل له شيئا حتى خرج
فقال لبعض القوم لو قلتم لهذا ان يدع هذه يعني الصفرة وبال اعرابي في المسجد بحضرته فهم به الاصحاب
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تزرموه اي لا تقطعوا عليه البول ثم قال ان هذه المساجد لا تصلح
لشيء من القذر والبول والخلاء وفي رواية قربوا ولا تنفروا وجاء اعرابي يوما يطلب منه شيئا فاعطاه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال احسنت اليك قال الاعرابي لا ولا اجملت فغضب المسلمون
وقاموا اليه فاشار اليهم ان كفوا ثم قام ودخل منزله وارسل الى الاعرابي وزاده شيئا ثم قال
احسنت اليك قال الاعرابي نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال له صلى الله عليه وسلم
انك قلت ما قلت وفي نفس اصحابي شيء من ذلك فان احببت فقل بين ايديهم ما قلت بين يدي حتى
يذهب من صدورهم ما فيها عليك قال نعم فلما كان الغد او العشي جاء فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ان هذا الاعرابي قال ما قال فزدناه فزعم انه رضي اكذلك فقال الاعرابي نعم فجزاك الله تعالى من
اهل وعشيرة خيرا فقال صلى الله عليه وسلم ان مثلي ومثل هذا الاعرابي كمثل رجل كانت له ناقة شردت
عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحب الناقة خلوا بيني وبين ناقتي فاني
ارفق بها واعلم فتوجه لها صاحب الناقة بين يديها فاخذ لها من قمام الارض فردها هونا حتى جاءت
واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها واني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل
النار **بيان** سخاوته وجوده كان صلى الله عليه وسلم اجود الناس واسخاهم وكان في شهر رمضان كالريح
المرسلة لا يمسك شيئا وكان علي رضي الله عنه اذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم قال كان اجود الناس
كفا واجرأ الناس صدرا واصدق الناس لهجة واوفاهم ذمة والينهم عريكة واكرمهم عشرة من رآه بديهة هابه
ومن خالطه معرفة احبه يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم وما سئل شيئا قط على
الاسلام الا اعطاه وان رجلا اتاه فسأله فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى قومه وقال اسلموا
فان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة وما سئل شيئا قط فقال لا وحمل اليه تسعون الف درهم فوضعها
على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها وجاءه رجل فسأله فقال ما عندي شيء ولكن
ابتع علي فاذا جاءنا شيء قضيناه فقال عمر يا رسول الله ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره النبي صلى الله عليه
وسلم ذلك فقال الرجل انفق ولا تخش من ذي العرش اقلالا فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم وعرف السرور في
وجهه ولما قفل من حنين جاءت الاعراب يسألونه حتى اضطروه الى شجرة فخطفت رداءه فوقف رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال اعطوني ردائي لو كان لي عدد هذه العضاه نعما لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني
بخيلا ولا كذابا ولا جبانا **بيان** شجاعته صلى الله عليه وسلم كان صلى الله عليه وسلم انجد الناس
واشجعهم قال علي رضي الله عنه لقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو اقربنا
الى العدو وكان من اشد الناس يومئذ باسا وقال ايضا كنا اذا احمر البأس ولقي القوم القوم اتقينا
برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون احد اقرب الى العدو منه وقيل كان عليه السلام قليل الكلام قليل

الحديث فاذا امر الناس بالقتال تشمر وكان من اشد الناس باسا وكان الشجاع
هو الذي يقرب منه في الحرب لقربه من العدو وقال عمران بن الحصين ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم
كتيبة الا كان اول من يضرب وقالوا كان قوي البطش ولما غشيه المشركون نزل عن بغلته وجعل يقول انا
النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب فما رئي يومئذ احد كان اشد منه **بيان** تواضعه
صلى الله عليه وسلم كان صلى الله عليه وسلم اشد الناس تواضعا في علو منصبه قال ابن عامر رأيته يرمي
الجمرة على ناقة شهباء لا ضرب ولا طرد ولا اليك اليك وكان يركب الحمار موكفا عليه قطيفة وكان
مع ذلك يستردف وكان يعود المريض ويتبع الجنازة ويجيب دعوة المملوك ويخصف النعل
ويرقع الثوب وكان يصنع في بيته مع اهله في حاجتهم وكان اصحابه لا يقومون له لما يعرفون من
كراهيته لذلك وكان يمر على الصبيان فيسلم عليهم واتي النبي صلى الله عليه وسلم برجل فارعد
من هيبته فقال هون عليك فلست بملك انما انا ابن امرأة من قريش كانت تاكل القديد
وكان يجلس بين اصحابه مختلطا بهم كانه احدهم فياتي الغريب فلا يدري ايهم هو حتى يسأل
حتى طلبوا اليه ان يجلس مجلسا يعرفه الغريب فبنوا له دكانا من طين فكان يجلس عليه وقالت
عائشة رضي الله عنها كل جعلني الله فداك متكئا فانه اهون عليك قال فاصغى براسه حتى كاد ان
يصيب جبهته الارض ثم قال بل اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد وكان لا ياكل على
خوان ولا في سكرجة حتى لحق بالله تعالى وكان لا يدعوه احد من اصحابه وغيرهم الا قال لبيك
وكان اذا جلس مع الناس ان تكلموا في معنى الاخرة اخذ معهم وان تحدثوا في طعام وشراب
تحدث معهم وان تكلموا في الدنيا تحدث معهم رفقا بهم وتواضعا لهم وكانوا يتناشدون الشعر
بين يديه احيانا ويذكرون اشياء من امر الجاهلية ويضحكون فيبتسم هو اذا ضحكوا ولا يزجرهم الا عن
حرام **بيان** صورته وخلقته صلى الله عليه وسلم كان صلى الله عليه وسلم في قامته لم يكن
بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد كان ينسب الى الربعة اذا مشى وحده ومع ذلك فلم يكن يماشيه احد
من الناس ينسب الى الطول الا طاله رسول الله صلى الله عليه وسلم وربما اكتنفه الرجلان الطويلان
فيطولهما فاذا فارقاه نسبا الى الطول ونسب هو صلى الله عليه وسلم الى الربعة ويقول صلى الله
عليه وسلم جعل الخير كله في الربعة واما لونه فقد كان ازهر اللون ولم يكن بالادم ولا الشديد
البياض والازهر هو الابيض الناصع الذي لا يشوبه صفرة ولا حمرة ولا شيء من الالوان ونعته عمه ابو
طالب **وقال** شعر: وابيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل ونعته
بعضهم بانه مشرب بحمرة قالوا انما كان المشرب منه بالحمرة ما ظهر للشمس والرياح كالوجه والرقبة والازهر
الصافي عن الحمرة ما تحت الثياب وكان عرقه صلى الله عليه وسلم في وجهه كاللؤلؤ اطيب من المسك الاذفر
واما شعره فقد كان رجل الشعر حسنه ليس بالسبط ولا الجعد القطط كان اذا مشطه بالمشط ياتي
كانه حبك الرمل وقيل كان شعره يضرب منكبيه واكثر الرواية انه كان الى شحمة اذنيه وربما جعله غدائر
اربعا يخرج كل اذن من بين غديرتين وربما جعل شعره على اذنيه فتبدو سوالفه تتلألأ وكان شيبه
في الراس واللحية سبع عشرة شعرة ما زاد على ذلك وكان صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجها
وانورهم لم يصفه واصف الا شبهه بالقمر ليلة البدر وكان يرى رضاه وغضبه في وجهه لصفاء بشرته
وكانوا يقولون هو كما وصفه صاحبه ابو بكر حيث يقول شعر: امين مصطفى للخير يدعو * كضوء البدر

زايلة الظلام وكان صلى الله عليه وسلم واسع الجبهة ازج الحاجبين سابغهما وكان ابلج ما بين الحاجبين
كان ما بينهما فضة خالصة وكانت عيناه نجلاوين ادعجهما وكان في عينيه تمزج من حمرة اهدب
الاشفار حتى تكاد تلتبس من كثرتها وكان اقنى العرنين اي مستوي الانف وكان مفلج الاسنان اي
متفرقها وكان اذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق اذا تلالا وكان من احسن عباد الله شفتين
والطفه ختم فم وكان سهل الخدين صلبهما ليس بالطويل الوجه ولا المكلثم كث اللحية يعفي لحيته
ويأخذ من شاربه وكان احسن عباد الله تعالى عنقا لا ينسب الى الطول ولا الى القصر ما ظهر منه للشمس
والرياح فكأنه ابريق فضة مشرب ذهبا يتلالا في بياض الفضة وفي حمرة الذهب وكان صلى
الله عليه وسلم عريض الصدر لا يعدو لحم بدنه بعضا بعضا كالمرآة في استوائه وكالقمر في بياضه موصول
ما بين لبته وسرته بشعر منقاد كالقضيب لم يكن في صدره ولا بطنه شعر غيره وكانت له عكن
ثلاث يغطي الازار منها واحدة ويظهر اثنان وكان عظيم المنكبين اشعرهما ضخم الكراديس
اي رؤس العظام من المنكبين والمرفقين والوركين وكان واسع الظهر ما بين كتفيه خاتم النبوة
وهو مما يلي منكبه الايمن فيه شامة سوداء تضرب الى الصفرة حولها شعرات متواليات كأنها من
عرف فرس وكان عبل العضدين والذراعين طويل الزندين رحب الراحتين سائل الاطراف كأن
اصابعه قضبان الفضة كفه الين من الخز وكأن كفه كف عطار طيبا مسها بطيب او لم
يمسها يصافحه المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على راس الصبي فيعرف من بين الصبيان
بريحها على راسه وكان عبل ما تحت الازار من الفخذ والساق وكان معتدل الخلق في السمن بدن
في آخر زمانه وكان لحمه متماسكا يقول عليه السلام انا اشبه الناس بآدم يكون على الخلق الاول لم يضره
السمن واما مشيه عليه السلام فكان يمشي كأنما تقلع من صخر وينحدر من صبب يخطو تكفيا و
يمشي الهوينا بغير تبختر والهوينا تقارب الخطا وكان صلى الله عليه وسلم يقول كان ابي ابراهيم اشبه
الناس بي خلقا وخلقا وكان يقول لي عند ربي عشرة اسماء انا محمد واحمد وانا الماحي الذي يمحو الله
تعالى بي الكفر وانا العاقب الذي ليس بعده احد وانا الحاشر الذي يحشر الله تعالى العباد على قدمي
وانا رسول الله رسول الرحمة ورسول التوبة ورسول الملاحم والمقفي قفيت الناس جميعا وانا قثم
قال ابو البصري والقثم الكامل الجامع **بيان** معجزاته وآياته الدالة على صدقه صلى الله
عليه وسلم اعلم ان من شاهد احواله صلى الله عليه وسلم او اصغى الى سماع اخباره المشتملة على اخلاقه وافعاله
واحواله وعاداته وسجاياه وسياسته لاصناف الخلق وهدايته الى ضبطهم وتألفه اصناف
الخلق وقوده اياهم الى طاعته مع ما يحكى من عجائب اجوبته في مضايق الاسئلة وبدائع تدبيراته في مصالح
الخلق ومحاسن اشاراته في تفصيل ظاهر الشرع الذي يعجز الفقهاء والعقلاء عن ادراك اوائل
دقائقها في طول اعمارهم لم يبق له ريب ولا شك في ان ذلك لم يكن مكتسبا بحيلة تقوم بها القوة
البشرية بل لا يتصور ذلك الا بالاستمداد من تأييد سماوي وقوة الهية وان ذلك كله لا يتصور لكذاب
ولا ملبس بل كانت شمائله واحواله شواهد قاطعة بصدقه حتى ان العربي القح كان يراه فيقول والله
ما هذا وجه كذاب فكان يشهد له بالصدق بمجرد شمائله فكيف من شاهد اخلاقه ومارس احواله
في جميع مصادره وموارده وانما اوردنا بعض اخلاقه لتعرف محاسن الاخلاق ولتنبه لصدقه
صلى الله عليه وسلم وعلو منصبه ومكانته العظيمة عند الله تعالى اذ آتاه الله تعالى جميع ذلك وهو

رجل امي لا يمارس العلم ولم يطالع الكتب ولم يسافر قط في طلب علم ولم يزل بين اظهر الجهال من الاعراب يتيما
ضعيفا مستضعفا فمن اين حصل له من محاسن الاخلاق والآداب ومعرفة مصالح الفقه مثلا فقط دون
غيره من العلوم فضلا عن معرفة بالله وملائكته وكتبه وغير ذلك من خواص النبوة لولا صريح الوحي
ومن اين للبشر الاستقلال بذلك فلو لم يكن له الا هذه الامور الظاهرة لكان فيه كفاية وقد ظهر
من آياته ومعجزاته ما لا يستريب فيه محصل فلنذكر من جملتها ما استفاض به الخبر واشتمل عليه
الاخبار الصحيحة اشارة الى مجامعها من غير تطويل بحكاية التفصيل فقد خرق الله تعالى العادة
على يده غير مرة اذ شق له القمر بمكة اذ سألته قريش آية واطعم النفر الكثير في منزل جابر وفي منزل
ابي طلحة ويوم الخندق ومرة ثمانين من اربعة امداد شعير وعناق وهو من اولاد المعز فوق
العتود ومرة اكثر من ثمانين رجلا من اقراص شعير حملها انس في يده ومرة اهل الجيش من تمر يسير
ساقته بنت بشير في يدها فاكلوا كلهم حتى شبعوا من ذلك وفضل لهم ونبع الماء من بين اصابعه
عليه السلام فشرب اهل العسكر كلهم وهم عطاش وتوضؤا من قدح صغير ضيق بسط يده عليه
السلام فيه واهراق عليه السلام وضوءه في عين تبوك ولا ماء فيها ومرة اخرى في بئر الحديبية فجاشتا
بالماء فشرب اهل الجيش وهم الوف حتى رووا وشرب من بئر الحديبية الف وخمسمائة ولم يكن
فيها قبل ذلك اليوم ماء وامر عليه السلام عمر بن الخطاب ان يزود اربعمائة راكب من تمر كان في
اجتماعه كربضة بعير وهو موضع بروكه فزودهم كلهم منه وبقي بحسبه ورمى الجيش بقبضة
من تراب فعميت عيونهم ونزل بذلك القرآن في قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وابطل
الله تعالى الكهانة ببعثه صلى الله عليه وسلم فعميت وكانت ظاهرة موجودة وحن الجذع الذي
كان يخطب عليه اليه اذ عمل له عليه السلام المنبر حتى سمع منه جميع اصحابه مثل صوت الابل فضمه
اليه فسكن ودعا اليهود الى تمني الموت واخبرهم بانهم لا يتمنونه فحيل بينهم وبين النطق بذلك
وعجزوا عنه وهذا مذكور في سورة يقرأ بها في جميع جوامع اهل الاسلام من شرق الارض الى غربها
يوم الجمعة جهرا تعظيما للآية التي فيها واخبر عليه السلام بالغيوب وانذر عثمان بان تصيبه بلوى
بعدها الجنة وبان عمارا تقتله الفئة الباغية وان الحسن يصلح الله تعالى به بين فئتين من
المسلمين عظيمتين واخبر عليه السلام عن رجل قاتل في سبيل الله انه من اهل النار فظهر ذلك بان
ذلك الرجل قتل نفسه وهذه اشياء لا يعرف البتة بشيء من وجوه تقدمة المعرفة لا بنجوم ولا
بكتف ولا بخط ولا بزجر لكن باعلام الله تعالى له ووحيه اليه واتبعه سراقة بن جعشم فساخت
قدما فرسه في الارض واتبعه دخان حتى استغاثه فدعا له فانطلق الفرس وانذره بان سيوضع
في ذراعيه سوارا كسرى فكان ذلك واخبر بقتل الاسود العنسي الكذاب ليلة قتله وهو
بصنعاء اليمن واخبر بمن قتله وخرج الى مائة رجل ينتظرونه فوضع التراب على رؤسهم فلم يروه وشكى
اليه البعير بحضرة اصحابه وتذلل له وقال لنفر من اصحابه مجتمعين احدكم في النار ضرسه مثل
احد فماتوا كلهم على استقامة وارتد منهم واحد فقتل مرتدا وقال لآخرين منهم آخركم موتا في النار
فسقط آخرهم موتا في النار فاحترق فيها فمات ودعا شجرتين فاتتاه واجتمعتا ثم امرهما فافترقتا ودعا
عليه السلام النصارى الى المباهلة فامتنعوا واخبر عليه السلام انهم ان فعلوا هلكوا فعلموا صحة
قوله فامتنعوا وكان عليه السلام فوق الربعة فاذا مشى مع الطوال طالهم ورآه عامر بن الطفيل

ابني مالك واربد بن قيس وهما فارسا العرب وفتاكهم عازمين على قتله عليه السلام فحيل بينهم و
بين ذلك ودعا عليهما فهلكوا فهلك عامر بغدة وهلك اربد بصاعقة احرقته واخبر عليه السلام
انه يقتل ابي بن خلف الجمحي فخدشه يوم احد خدشا لطيفا فكانت فيه منيته واطعم عليه السلام
السم فمات الذي اكله معه وعاش بعده اربع سنين وكلمه الذراع المسموم واخبر عليه السلام يوم
بدر بمصارع صناديد قريش ووقفهم على مصارعهم رجلا رجلا فلم يتعد واحد منهم ذلك
الموضع وانذر عليه السلام بان طوايف من امته يغزون في البحر وكان ذلك وزويت له الارض فاري
مشارقها ومغاربها واخبر ببلوغ امته ما زوي له منها فكان كذلك فقد بلغ ملكهم من اول المشرق
من بلاد الترك الى اخر المغرب من بحر الاندلس وبلاد البربر ولم يتسعوا في الجنوب ولا في الشمال
كما اخبر عليه السلام سوا بسوا واخبر فاطمة ابنته بانها اول اهله لحاقا به فكان كذلك واخبر
نساءه بان اطولهن يدا اسرعهن لحاقا به فكانت زينب بنت جحش الاسدية اطولهن يدا بالصدقة اولهن
لحوقا به ومسح ضرع شاة حايل لا لبن لها فدرت فكان ذلك سبب اسلام ابن مسعود وفعل ذلك مرة
اخرى في خيمة ام معبد الخزاعية وندرت عين بعض اصحابه فسقطت فردها عليه السلام بيده فكانت
اصح عينيه واحسنهما وتفل في عين علي رضي الله عنه وهو ارمد يوم خيبر فصح من وقته وبعثه
بالراية وكانوا يسمعون تسبيح الطعام بين يديه صلى الله عليه وسلم واصيبت رجل بعض اصحابه فمسحها
بيده فبريت من حينها وقل زاد جيش كان معه عليه السلام فدعا بجميع ما بقي فاجتمع شي يسير
جدا فدعا فيه بالبركة ثم امرهم فاخذوا فلم يبق وعاء في العسكر الا ملي من ذلك وحكى الحكم بن عاص
مشيته صلى الله عليه وسلم مستهزيا فقال عليه السلام كذلك فكن فلم يزل يرتعش حتى مات
وخطب عليه السلام امراة فقال له ابوها ان بها برصا امتناعا من خطبته واعتذارا ولم يكن بها برص
فقال عليه السلام فلتكن كذلك فبرصت وهي ام شبيب بن البرصا الشاعر الى غير ذلك من اياته
ومعجزاته وانما اقتصرنا على المستفيض ومن يستريب في انخراق العادة على يديه ويزعم ان احاد هذه
الوقايع لم تنقل تواترا بل المتواتر هو القران فقط كمن يستريب في شجاعة علي وسخاوة حاتم ومعلوم ان
احاد وقايعهم غير متواترة ولكن مجموع الوقايع تورث علما ضروريا ثم لا يتمارى في تواتر القران
وهي المعجزة الكبرى الباقية بين الخلق وليس لنبي معجزة باقية سواه صلى الله عليه وسلم اذ تحدى
بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغا الخلق وفصحا العرب وجزيرة العرب حينيذ مملوة بالالاف
منهم والفصاحة صنعتهم وبها منافستهم ومباهاتهم وكان ينادي بين اظهرهم ان ياتوا بمثله وبعشر
سور مثله او بسورة من مثله ان شكوا فقال لهم لو اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران
لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وقال ذلك تعجيزا لهم فعجزوا عن ذلك وصرفوا عنه حتى
عرضوا انفسهم للقتل ونساءهم وذراريهم للسبي وما استطاعوا ان يعارضوا ولا ان يقدحوا في جزالته
وحسنه ثم انتشر ذلك بعده في اقطار العالم شرقا وغربا قرنا بعد قرن وعصرا بعد عصر وقد انقرض
الى اليوم قريب من خمسماية سنة فلم يقدر احد على معارضته فاعظم بغباوة من ينظر في احواله ثم في
اقواله ثم في افعاله ثم في اخلاقه ثم في معجزاته ثم في استمرار شرعه الى الان ثم في انتشاره في اقطار العالم
ثم في اذعان ملوك الارض له في عصره وبعد عصره مع ضعفه ويتمه ثم يتمارى بعد ذلك في صدقه وما
اعظم توفيق من امن به وصدقه واتبعه في كل ما ورد وصدر فنسال الله تعالى ان يوفقنا للاقتدا به في

الاخلاق والاحوال والافعال والاقوال بمنه وكرمه وسعة جوده واحسانه تم الجزء الثاني من احيا
علوم الدين وتمامه ربع العبادات ويتلوه في الربع الثالث كتاب عجايب القلب

وفرغ من نسخه يوم الاحد ثالث عشر شهر ربيع الاخر سنة
تسع والف من الهجرة النبوية والحمد لله رب
العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي تتحير دون إدراك جلاله القلوب والخواطر وتدهش في مبادي إشراق أنواره الأحداق
والنواظر المطلع على خفيات السرائر العالم بمكنونات الضمائر المستغني في تدبير ملكه عن المشاور و
الموازر مقلب القلوب وغفار الذنوب وستار العيوب ومفرج الكروب والصلاة على محمد سيد
المرسلين وجامع شمل الدين وقاطع دابر الملحدين وعلى آله الطيبين الطاهرين أما **بعد** فشرف
الإنسان وفضيلته التي بها فاق جملة من أصناف الخلق باستعداده لمعرفة الله سبحانه التي هي في
الدنيا جماله وكماله وفخره وفي الآخرة عدته وذخره وإنما المعرفة بقلبه لا بجارحة من جوارحه والقلب
هو العالم بالله وهو العامل لله وهو الساعي إلى الله وهو المتقرب إليه وهو الكاشف بما عند الله و
لديه وإنما الجوارح أتباع وخدم وآلات يستخدمها القلب ويستعملها استعمال المالك للعبد
واستخدام الراعي للرعية والصانع للآلة والقلب هو المقبول عند الله إذا سلم من غير الله وهو المحجوب
عن الله إذا صار مستغرقا بغير الله وهو المطالب والمخاطب وهو المثاب وهو المعاتب وهو المعاقب
وهو الذي يسعد بالقرب من الله تعالى إذا زكاه وهو الذي يخيب ويشقى إذا دنسه ودساه وهو
المطيع لله تعالى بالحقيقة وإنما الذي ينتشر على الجوارح من العبادات أنواره وهو العاصي المتمرد على الله تعالى
وإنما الساري إلى الأعضاء آثاره وبإظلامه واستنارته تظهر محاسن الظاهر ومساويه إذ كل إناء يترشح بما فيه
وهو الذي إذا عرفه الإنسان فقد عرف نفسه وإذا عرف نفسه عرف ربه وهو الذي إذا جهله الإنسان
فقد جهل نفسه وإذا جهل نفسه جهل ربه ومن جهل قلبه فهو بغيره أجهل وأكثر
الخلق جاهلون بقلوبهم وأنفسهم وقد حيل بينهم وبين أنفسهم وإن الله يحول بين المرء وقلبه وحيلولته
بأن يمنعه عن مشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته وكيفية تقلبه بين إصبعين من أصابع الرحمن وأنه كيف
يهوي مرة إلى أسفل السافلين وينخفض إلى أفق الشياطين وكيف يرتفع أخرى إلى أعلى عليين ويرتقي إلى عالم

الملائكة المقربين ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه ويترصد ما يلوح من خزائن الملكوت عليه وفيه فهو ممن
قال الله تعالى فيهم نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون فمعرفة القلب وحقيقة أوصافه
أصل الدين وأساس طريق السالكين وإذ فرغنا من الشطر الأول من هذا الكتاب عن النظر فيما يجري على الجوارح
من العبادات والعادات وهو العلم الظاهر ووعدنا أن نشرح في الشطر الثاني ما يجري على القلب من الصفات
المهلكات والمنجيات وهو العلم الباطن فلا بد أن نقدم عليه كتابين كتابا في شرح صفات القلب وأخلاقه
وكتابا في كيفية رياضة القلب وتهذيب أخلاقه ثم نندفع بعد ذلك في تفصيل المهلكات والمنجيات
فنذكر الآن من شرح عجائب القلب بطريق ضرب الأمثال ما يقرب من الأفهام فإن التصريح بعجائبه وأسراره
الداخلة في جملة عالم الملكوت مما يكل عن دركه أكثر الأوهام بيان معنى النفس والروح والقلب والعقل
وما هو المراد بهذه الأسامي اعلم أن هذه أربعة أسامي تستعمل في هذه الأبواب ويقل في فحول العلماء من يحيط بمعرفة
هذه الأسامي واختلاف معانيها وحدودها ومسمياتها وأكثر الأغاليط منشؤها الجهل بمعرفة هذه الأسامي وما
سيرا لها بين مسميات مختلفات ونحن الآن نشرح في معاني هذه الأسامي ما يتعلق بغرضنا اللفظ الأول لفظ
القلب وهو يطلق لمعنيين أحدهما اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفي باطنه
تجويف وفي ذلك التجويف دم أسود وهو منبع الروح ومعدنه ولسنا نقصد الآن شرح شكله وكيفيته فلا
تتعلق به الأغراض الدينية وإنما تتعلق به أغراض الأطباء وهذا القلب موجود للبهائم بل هو موجود للميت ونحن
إذا أطلقنا القلب في هذا الكتاب لم نعن به ذلك فإنه قطعة لحم لا قدر لها وهو من عالم الملك والشهادة إذ تدركه
البهائم بحاسة البصر فضلا عن الآدميين **والمعنى الثاني** هي لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني
تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان وهو المدرك العالم العارف من الإنسان وهو المخاطب والمطالب و
المعاقب ولها علاقة مع القلب الجسماني وقد تحيرت عقول أكثر الخلق في إدراك وجه علاقته وإن تعلقه
به يضاهي تعلق الأعراض بالأجسام والأوصاف بالموصوفات وتعلق المستعمل للآلة بالآلة أو تعلق المتمكن بالمكان
وشرح ذلك مما نتوقاه لمعنيين أحدهما أنه يتعلق بعلوم المكاشفة وليس غرضنا في هذا الكتاب إلا علوم المعاملة
والثاني أن تحقيقه يستدعي إفشاء سر الروح ولم يتكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس لغيره أن يتكلم فيه و
المقصود أنا إذا أطلقنا القلب في هذا الكتاب أردنا به هذه اللطيفة وغرضنا ذكر أوصافها وأحوالها لا ذكر
حقيقتها في ذاتها وعلم المعاملة يفتقر إلى معرفة صفتها وأحوالها ولا يفتقر إلى ذكر حقيقتها **اللفظ الثاني**
الروح وهو أيضا يطلق فيما يتعلق بجنس غرضنا لمعنيين أحدهما جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني و
ينتشر بواسطة العروق إلى سائر أجزاء البدن وجريانها في البدن وفيضان أنوار الحياة والحس والبصر والسمع و
الشم منها على أعضائها يضاهي فيضان النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت فإنه لا ينتهي إلى جزء من
البيت إلا ويستنير به والحياة مثالها النور الحاصل في الحيطان والروح مثاله السراج وسريان الروح وحركته في
الباطن مثالها حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركه والأطباء إذا أطلقوا الروح أرادوا به هذا المعنى وهو
بخار لطيف أنضجته حرارة القلب وليس من غرضنا شرحه إذ المتعلق به غرض الأطباء الذين يعالجون الأبدان فأما
غرض أطباء الدين المعالجين للقلوب حتى ينساق إلى جوار رب العالمين فليس يتعلق بشرح هذه الروح أصلا
والمعنى الثاني هو اللطيفة الربانية العالمة المدركة من الإنسان وهو الذي شرحناه في أحد معنيي القلب
هو الذي أراده الله تعالى بقوله ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وهو أمر عجيب رباني يعجز أكثر العقول
عن درك كنه حقيقته **اللفظ الثالث** النفس وهو أيضا مشترك بين معان ويتعلق بغرضنا منه معنيان

احدهما انه يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب بين معان ويتعلق غرضنا منه معنيان احدهما الشهوة في الانسان
على ما سياتي شرحه وهذا الاستعمال هو الغالب على اهل التصوف لانهم يريدون بالنفس الاصل الجامع للصفات المذمومة من
الانسان فيقولون لا بد من مجاهدة النفس وكسرها واليه الاشارة بقول النبي صلى الله عليه وسلم اعدى عدوك
نفسك التي بين جنبيك **والمعنى الثالث** وهي اللطيفة التي ذكرناها التي هي الانسان بالحقيقة وهي نفس الانسان
وذاته ولكنها توصف باوصاف مختلفة بحسب اختلاف احوالها فاذا سكنت تحت الامر وزايلها الاضطراب بسبب
معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة قال الله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية
فالنفس بالمعنى الاول لا يتصور رجوعها الى الله تعالى فانها مبعدة عن الله وهي من حزب الشيطان واذا لم يتم سكونها
ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعترضة عليها سميت النفس اللوامة لانها تلوم صاحبها عند
تقصيرها في عبادة مولاها قال الله تعالى ولا اقسم بالنفس اللوامة فان تركت الاعتراض واذعنت واطاعت لمقتضى
الشهوات ودواعي الشيطان سميت النفس الامارة بالسوء قال الله تعالى وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء
وقد يجوز ان يقال المراد بالامارة بالسوء هي النفس بالمعنى الاول فاذا النفس بالمعنى الاول مذمومة غاية الذم وبالمعنى
الثاني محمودة لانها نفس الانسان اي ذاته وحقيقته العالمة بالله تعالى وسائر المعلومات **اللفظ الرابع**
العقل وهو ايضا مشترك لمعان مختلفة ذكرناها في كتاب العلم والمتعلق بغرضنا من جملتها معنيان احدهما
انه قد يطلق ويراد به العلم بحقائق الامور فيكون عبارة عن صفة العلم الذي محله القلب والثاني انه قد يطلق ويراد
به المدرك للعلوم فيكون هو القلب اعني تلك اللطيفة ونحن نعلم ان كل عالم فله في نفسه وجود قائم بنفسه والعلم
صفة حالة فيه والصفة غير الموصوف والعقل قد يطلق ويراد به صفة العالم وقد يطلق ويراد به محل
الادراك اعني المدرك وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله العقل فان العلم عرض لا يتصور ان يكون
اول مخلوق بل لا بد ان يكون المحل مخلوقا قبله او معه ولانه لا يمكن ان يكون الخطاب معه وفي الخبر انه قيل له اقبل
فاقبل وقال له ادبر فادبر الحديث فاذا قد انكشف لك ان معاني هذه الاسامي موجودة وهو القلب الجسماني
والروح الجسماني والنفس الشهوانية والعقل وهذه اربعة معان عليها الالفاظ الاربعة ومعنى خامس
وهي اللطيفة المذكورة من الانسان والالفاظ الاربعة بجملتها متواردة عليها فالمعاني خمسة والالفاظ اربعة
وكل لفظ اطلق لمعنيين واكثر العلماء قد التبس عليهم اختلاف هذه الالفاظ وتواردها فتراهم يتكلمون
في الخواطر ويقولون هذا خاطر العقل وهذا خاطر الروح وهذا خاطر النفس وهذا خاطر القلب وليس يدري
الناظر اختلاف معاني هذه الاسامي فلاجل كشف الغطاء عن ذلك قدمنا شرح هذه الاسامي وحيث ورد
في القران والسنة لفظ القلب فالمراد به المعنى الذي يفقه من الانسان ويعرف حقيقة الاشياء وقد يكنى عنه
بالقلب الذي في الصدر لان بين تلك اللطيفة وبين جسم القلب علاقة خاصة فانها وان كانت متعلقة
بسائر البدن ومستعملة له ولكنها تتعلق به بواسطة القلب فتعلقها الاول بالقلب وكانه محلها ومملكتها
وعالمها ومطيتها ولذلك شبه سهل التستري القلب بالعرش والصدر بالكرسي فقال
القلب هو العرش والصدر هو الكرسي ولا يظن به انه يرى انه عرش الله تعالى وكرسيه فان ذلك محال بل اراد به انه
مملكته والمجرى الاول لتدبيره وتصرفه فهما بالنسبة اليه كالعرش والكرسي بالنسبة الى الله تعالى
ولا يستقيم هذا التشبيه ايضا الا من بعض الوجوه وشرح ذلك ايضا لا يليق بغرضنا فلنجاوزه بيان جنود
القلب قال الله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو فلله سبحانه وتعالى في القلوب والارواح وغيرها
من العوالم جنود مجندة لا يعرف حقيقتها وتفصيل عددها الا هو ونحن الان نشير الى بعض جنود القلب

وهو الذي يتعلق بغرضنا وله جندان جند يرى بالابصار وجند لا يرى الا بالبصائر وهو في حكم الملك والجنود
في حكم الخدم والاعوان وهذا معنى الجند فاما جنده المشاهد بالعين فهو اليد والرجل والعين
والاذن واللسان وسائر الاعضاء الظاهرة والباطنة فان جميعها خادمة للقلب ومسخرة له وهو المتصرف فيها و
المردد لها وقد خلقت مجبولة على طاعة القلب لا تستطيع له خلافا ولا عليه تمردا فاذا امر العين بالانفتاح
انفتحت واذا امر الرجل بالحركة تحركت واذا امر اللسان بالكلام وجزم الحكم به تكلم وكذا سائر الاعضاء وتسخير
الاعضاء والحواس للقلب يشبه من وجه تسخير الملائكة لله تعالى فانهم جبلوا على الطاعة لا يستطيعون
له خلافا فلا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وانما يفترقان في شيء وهو ان الملائكة عالمة
بطاعتها وامتثالها والاجفان تطيع القلب في الانفتاح والانطباق على سبيل التسخير ولا
خبر لها من نفسها ومن طاعتها للقلب وانما افتقر القلب الى هذه الجنود من حيث افتقاره الى المركب والزاد
لسفره الذي لاجله خلق وهو السفر الى الله وقطع المنازل الى لقائه عز وجل فلاجله خلقت القلوب قال الله
تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وانما مركبه البدن وانما زاده العلم وانما الاسباب التي
توصله الى الزاد وتمكنه من التزود منه العمل الصالح وليس يمكن ان يصل العبد الى الله تعالى ما لم يسكن
البدن ولم يجاوز الدنيا فان المنزل الادنى لا بد من قطعه للوصول الى المنزل الاقصى فالدنيا مزرعة
الاخرة وهي منزل من منازل الهدى وانما سميت دنيا لانها ادنى المنزلتين فاضطر الى ان يتزود من
هذا العالم والبدن مركبه الذي يصل به الى هذا العالم فافتقر الى تعهد البدن وحفظه وانما يحفظ
البدن بان يجلب اليه ما يوافقه من الغذاء وغيره وان يدفع عنه ما ينافيه ويهلكه ويمنع منه اسباب
الهلاك فافتقر لاجل الغذاء الى جندين باطن وهو الشهوة وظاهر وهي الاعضاء الجالبة للغذاء فخلق في
القلب من الشهوات ما احتاج اليه وخلقت الاعضاء التي هي الات الشهوة وافتقر لاجل دفع المهلكات الى
جندين باطن وهو الغضب الذي به يدفع المهلكات وينتقم من الاعداء وظاهر وهو اليد والرجل الذي به
يعمل بمقتضى الغضب وكل ذلك بامور خارجة من البدن كالاسلحة وغيرها ثم المحتاج الى الغذاء اذا لم يعرف
الغذاء لم تنفعه شهوة الغذاء والفه فافتقر للمعرفة الى جندين باطن وهو ادراك البصر والذوق والشم
والسمع واللمس وظاهر وهو العين والاذن والانف وغيرها وتفصيل وجه الحاجة اليها ووجه
الحكمة فيها يطول ولا تحويه مجلدات كثيرة وقد اشرنا الى طرف يسير منه في كتاب الشكر فلنقنع بجملة
جنود القلب تحصرها ثلاثة اصناف باعث ومستحث اما الى جلب الموافق النافع كالشهوة واما الى
دفع الضار المنافي كالغضب وقد يعبر عن هذا الباعث بالارادة والثاني هو المحرك للاعضاء الى تحصيل هذه
المقاصد ويعبر عن هذا الثاني بالقدرة وهو جنود مبثوثة في سائر الاعضاء لا سيما العضلات منها والاوتار
والثالث هو المدرك المتعرف للاشياء كالجواسيس وهي قوة البصر والشم والذوق والسمع وغيرها وهي
مبثوثة في اعضاء معينة ويعبر عن هذا بالعلم والادراك ومع كل واحد من هذه الجنود الباطنة جنود
ظاهرة وهي الاعضاء المركبة من اللحم والشحم والعصب والدم والعظم التي اعدت الات لهذه الجنود
فان قوة البطش انما تبطش بالاصابع وقوة البصر انما تدرك الشيء بالعين وكذا سائر القوى ولسنا
نتكلم في الجنود الظاهرة اعني الاعضاء فانها من عالم الملك والشهادة وانما نتكلم الان فيما ايد به من جنود
لم تروها وهذا الصنف الثالث هو المدرك من هذه الجملة وينقسم الى ما اسكن المنازل الظاهرة وهي
الحواس الخمس اعني السمع والبصر والشم والذوق واللمس والى ما اسكن منازل باطنة وهي تجاويف

الدماغ وهي ايضا خمسة فان الانسان بعد رؤية الشيء يغمض عينيه فيدرك صورته وذلك الشيء في نفسه
وهو الخيال ثم تبقى تلك الصورة معه بسبب شيء يحفظه وهو الجند الحافظ ثم يتفكر فيما حفظه فيركب بعض
ذلك الى بعض ثم يتذكر ما قد نسيه ويعود اليه ثم يجمع جملة معاني المحسوسات في خياله بالحس المشترك
بين المحسوسات ففي الباطن حس مشترك وتخيل وتفكر وتذكر وحفظ ولولا خلق الله تعالى قوة الحفظ
والفكر والذكر والتخيل لكان يخلو الدماغ عنه كما يخلو عنه اليد والرجل فتلك القوى ايضا جنود
باطنة واماكنها ايضا باطنة فهذه اقسام جنود القلب وشرح ذلك بحيث يدركه فهم الضعفاء
مقصود هذا الكتاب ان ينتفع به الاقوياء والفحول من العلماء ولكنا نجتهد في تفهيم
الضعفاء بضرب الامثلة ليقرب ذلك من افهامهم ان شاء الله تعالى

بيان امثلة القلب مع جنوده الباطنة

اعلم ان جندي الغضب والشهوة قد ينقادان للقلب انقيادا تاما فيعينه على
طريقه التي يسلكها ويحسن مرافقته في السفر الذي هو بصدده وقد يستعصيان عليه استعصاء بغي
وتمرد حتى يملكاه ويستعبداه وفيه هلاكه وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله الى سعادة الابد
وللقلب جند اخر وهو العلم والحكمة والتفكر كما سياتي شرحه وحقه ان يستعين بهذا الجند فانه حزب
الله على الجندين الاخرين فانهما قد يلتحقان بحزب الشيطان فان ترك الاستعانة وسلط على نفسه جند
الغضب والشهوة هلك يقينا وخسر خسرانا مبينا وذلك حال اكثر الخلق فان عقولهم صارت
مسخرة لشهواتهم في استنباط الحيل لقضاء الشهوة وكان ينبغي ان تكون الشهوة مسخرة لعقولهم فيما يفتقر
العقل اليه ونحن نقرب هذا الى فهمك بثلاثة امثلة

المثل الاول ان نقول مثل نفس
الانسان في بدنه اعني بالنفس اللطيفة المذكورة كمثل ملك في مدينته ومملكته فان البدن مملكة النفس
وعالمها ومستقرها ومدينتها وقواه وجوارحه بمنزلة الصناع والعملة والقوة العقلية المفكرة له
كالمشير الناصح والوزير العاقل والشهوة له كالعبد السوء يجلب الطعام والميرة الى المدينة والغضب و
الحمية له كصاحب شرطته والعبد الجالب للميرة كذاب مكار مخادع خبيث يتمثل بصورة الناصح وتحت
صورته الشر الهائل والسم القاتل وديدنه وعادته منازعة الوزير الناصح في كل تدبيراته حتى لا يخلو
عن منازعته ومعارضته في ارادته ساعة فكذلك الوالي في مملكته متى استغنى في تدبيراته بوزيره
وكان معرضا عن اشارة هذا العبد الخبيث بل كان مستدلا باشارته في ان الصواب في نقيض رايه وادب
صاحب شرطته واسلمه لوزيره وجعله موتمرا له ومسلطا من جهته على هذا العبد الخبيث واتباعه
وانصاره حتى يكون العبد مسوسا لا سائسا ومامورا مدبرا لا اميرا مدبرا استقام امر بلده وانتظم العدل
بسببه وكذلك النفس متى استعانت بالعقل وادبت بحمية الغضب وسلطتها على الشهوة و
استعانت باحداهما على الاخرى تارة بان تقلل مرتبة الغضب وغلوائه بمخالفة الشهوة واستدراجها
وتارة بقمع الشهوة وقهرها بتسليط الغضب والحمية عليها وتقبيح مقتضياتها اعتدلت قواها
وحسنت اخلاقها ومن عدل عن هذه الطريقة كان كمن قال الله تعالى فيه افرايت من اتخذ الهه هواه
واضله الله على علم وقال واتبع هواه فمثله كمثل الكلب وقال لمن نهى النفس عن الهوى فان الجنة هي
الماوى وسياتي كيفية مجاهدة هذه الجنود وتسليط بعضها على بعض في كتاب رياضة النفس
ان شاء الله تعالى

المثل الثاني ان البدن كالمدينة والعقل اعني المدرك من الانسان كملك
مدبر لها وقواه المدركة من الحواس الظاهرة والباطنة كجنوده واعوانه ورعيته والنفس الامارة بالسوء التي هي
الشهوة والغضب كعدو ينازعه في مملكته ويسعى في اهلاك رعيته وصار بدنه كرباط وثغر ونفسه
كمقيم فيه مرابط فان جاهد عدوه وهزمه وقهره على ما يحب حمد اثره اذا عاد الى الحضرة كما قال الله تعالى
فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وان ضيع ثغره واهمل رعيته ذم اثره وانتقم
منه عند لقاء الله عز وجل فيقال له يوم القيامة يا راعي السوء اكلت اللحم وشربت اللبن ولم ترد الضالة ولم
تجبر الكسير اليوم انتقم منك كما ورد في الخبر والى هذه المجاهدة الاشارة بقوله رجعنا من الجهاد
الاصغر الى الجهاد الاكبر

المثل الثالث مثل العقل كمثل فارس متصيد وشهوته كفرسه وغضبه
ككلبه فمهما كان الفارس حاذقا وفرسه مروضا وكلبه مؤدبا معلما كان جديرا بالنجح ومتى كان هو في
نفسه اخرق وكان الفرس جموحا والكلب عقورا فلا فرسه ينبعث تحته منقادا ولا كلبه يسترسل باشارته
مطيعا فهو خليق بان يعطب فضلا عن ان ينال ما طلب وانما خرق الفارس مثل جهل الانسان وقلة
حكمته وكلال بصيرته وجماح الفرس مثال لغلبة الشهوة خصوصا شهوة البطن والفرج وعقر الكلب
مثال لغلبة الغضب واستيلائه

بيان خاصية قلب الانسان

اعلم ان جملة ما ذكرناه قد انعم الله به
على سائر الحيوانات سوى الادمي اذ للحيوانات الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة ايضا حتى
ان الشاة ترى الذئب بعينها فتعلم عداوته بقلبها فتهرب منه فذلك هو الادراك الباطن فلنذكر ما يختص
به قلب الانسان ولاجله عظم شرفه واستاهل القرب من الله سبحانه وتعالى وهو راجع الى علم وارادة
اما العلم فهو العلم بالامور الدنياوية والاخروية والحقائق العقلية فان هذه امور وراء المحسوسات
ولا يشاركه فيها الحيوانات بل العلوم الكلية الضرورية من خواص العقل اذ يحكم الانسان بان
الفرس الواحد لا يتصور ان يكون في مكانين في حالة واحدة وهذا حكم منه على كل فرس ومعلوم
انه لم يدرك بالحس الا بعض الافراس فحكمه على جميع الافراس زائد على ما ادركه الحس واذا فهمت هذا في العلم
الظاهر الضروري فهو في سائر النظريات اظهر واما الارادة فانه اذا ادرك بالعقل عاقبة الامر وطريق
الصلاح فيه انبعث من ذاته شوق الى جهة المصلحة والى التعاطي لاسبابها والارادة لها وذلك غير ارادة
الشهوة وارادة الحيوانات بل يكون على ضد الشهوة فان الشهوة تنفر عن الفصد والحجامة والعقل يريدها
ويطلبها ويبذل المال عليها والشهوة تميل الى لذائذ الاطعمة في المرض والعاقل يجد في نفسه زاجرا
عنها وليس ذلك زاجر الشهوة ولو خلق الله العقل المعرف بعواقب الامور ولم يخلق هذا الباعث المحرك
للاعضاء على مقتضى حكم العقل لكان حكم العقل ضائعا على التحقيق فاذا اختص قلب الانسان بعلوم
وارادات ينفك عنها سائر الحيوانات بل ينفك عنها الصبي في اول الفطرة وانما يحدث ذلك فيه
عند البلوغ واما الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة فانها موجودة في حق الصبي ثم
للصبي في حصول هذه العلوم درجتان احداهما ان يشتمل قلبه على جملة العلوم الضرورية الاولية
كالعلم باستحالة المستحيلات وجواز الجائزات الظاهرة فتكون العلوم النظرية فيه غير حاصلة
الا انها صارت ممكنة قريبة الامكان والحصول ويكون حاله بالاضافة الى العلوم كحال الكاتب الذي
لا يعرف من الكتابة الا الدواة والقلم والحروف المفردة دون المركبة فانه قد قارب الكتابة ولم
يبلغها بعد والثانية ان يحصل له العلوم المكتسبة بالتجارب والفكر ويكون كالمخزونة فاذا شاء
رجع اليها وحاله حال الحاذق بالكتابة اذ يقال له كاتب وان لم يكن مباشرا للكتابة لقدرته عليها و
هذه غاية درجة الانسانية ولكن في هذه الدرجة مراتب لا تحصى يتفاوت الخلق فيها بكثرة المعلومات

وقلتها وشرف المعلومات وحسنها وبطريق حصولها اذ يحصل لبعض القلوب بالالهام الالهي على
سبيل المبادي والمكاشفة ولبعضها بتعلم واكتساب ثم قد تكون سريعة الحصول وقد تكون بطيئة
الحصول وفي هذا المقام يتباين منازل العلما والحكما والاوليا والانبيا ودرجات الترقي فيه غير محصورة
اذ معلومات الله لا نهاية لها واقصى الرتب رتبة النبي الذي ينكشف له كل الحقايق او اكثرها من غير
اكتساب وتكلف بل بكشف الهي في اسرع وقت وبهذه السعادة يقرب العبد من الله قربا بالمعنى والحقيقة
والصفة لا بالمكان والمسافة ومراقي هذه الدرجات هي منازل السايرين الى الله ولا حصر لتلك المنازل وانما
يعرف كل سالك المنزل الذي بلغه في سلوكه فيعرفه ويعرف ما خلفه من المنازل فاما ما بين يديه فلا
يحيط بحقيقته علما لكن قد يصدق به ايمانا بالغيب كما انا نؤمن بالنبوة والنبي ونصدق بوجوده ولكن
لا يعرف حقيقة النبوة الا النبي وكما لا يعرف الجنين حال الطفل ولا الطفل حال المميز وما انفتح له من العلوم
الضرورية ولا المميز حال العاقل وما اكتسبه من العلوم النظرية ولا يعرف العاقل ما انفتح
على اولياء الله وانبيائه من مزايا لطفه ورحمته ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وهذه الرحمة
مبذولة بحكم الجود والكرم من الله سبحانه وتعالى غير مضنون بها على احد ولكن انما يظهر في القلوب
المتعرضة لنفحات الله كما قال عليه السلام ان لربكم في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها فالتعرض لها
بتطهير القلب وتزكيته عن الخبث والكدورة الحاصلة من الاخلاق المذمومة كما سياتي والى
هذا الجود الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ينزل الله كل ليلة الى سماء الدنيا فيقول هل من داع فاستجيب
له وبقوله لقد طال شوق الابرار الى لقائي واني الى لقائهم اشد شوقا وبقوله من تقرب الي شبرا تقربت
اليه ذراعا وكل ذلك اشارة الى انوار العلوم لم يحتجب عن القلوب فان القلوب كالاواني اذا كانت ممتلئة
بالماء لا يدخلها الهواء فالقلوب المشغولة بغير الله لا تدخلها المعرفة بجلال الله والى ذلك الاشارة
بقوله صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السموات ومن
هذه الجملة تبين ان خاصية الانسان العلم والحكمة واشرف انواع العلم العلم بالله وصفاته وافعاله فيه
كمال الانسان وفي كماله سعادته وصلاحه لحضرة الكمال والجلال فالبدن مركب للنفس والنفس محل العلم والعلم
هو مقصود الانسان وخاصيته التي لاجلها خلق وكما ان الفرس يشارك الحمار في القوة على الحمل ويختص عنه بخاصية
الكر والفر وحسن الهيئة فيكون الفرس مخلوقا لاجل تلك الخاصية فاذا تعطل منه نزل الى حضيض رتبة
الحمار فكذلك الانسان يشارك الفرس والحمار في امور ويفارقهما في امور هي خاصيته وتلك الخاصية هي من
صفة الملائكة المقربين من الله تعالى والانسان على رتبة بين البهائم والملائكة فان الانسان من حيث
يتغذى وينسل فنبات ومن حيث يحس ويتحرك فحيوان ومن حيث صورته وقامته فكالصورة المنقوشة
على الحائط وانما خاصيته معرفة حقايق الاشياء فمن استعمل جميع اعضائه وقواه على وجه الاستعانة بها على العلم
والعمل فقد تشبه بالملائكة فحقيق ان يلحق بهم وجدير بان يسمى ملكا وربانيا كما قال تعالى ان هذا الا
ملك كريم ومن صرف همته الى اتباع اللذات البدنية ياكل كما تاكل الانعام فقد انحط الى حضيض افق البهائم
فيصير اما غمرا كثور واما شرها كخنزير واما ضرعا ككلب او حقودا كجمل او متكبرا كنمر او ذا روغان كثعلب او
يجمع ذلك كشيطان مريد وما من عضو من الاعضاء ولا حس من الحواس الا ويمكن الاستعانة به على طريق
الوصول الى الله تعالى كما سياتي طرف منه في كتاب الشكر فمن استعمله فيه فقد فاز ومن عدل عنه فقد
خسر وخاب وجملة السعادة في ذلك ان يجعل لقاء الله تعالى مقصده والدار الآخرة مستقره والدنيا طريقه

والبدن مركبه والاعضاء خدمه فيستقر هو اعني المدرك من الانسان في القلب الذي هو وسط مملكته كالملك
ويجري القوة الخيالية المودعة في مقدم الدماغ مجرى صاحب بريده اذ يجتمع اخبار المحسوسات عنده
ويجري القوة الحافظة التي مسكنها مؤخر الدماغ مجرى خازنه ويجري اللسان مجرى ترجمانه ويجري الاعضاء
المتحركة مجرى كتابه ويجري الحواس الخمس مجرى جواسيسه فوكل كل واحد باخبار صقع من الاصقاع فوكل
العين بعالم الالوان والسمع بعالم الاصوات والشم بعالم الروايح وكذلك سايرها فانها اصحاب اخبار يلتقطونها
من هذه العوالم ويؤدونها الى القوة الخيالية التي هي كصاحب البريد ويسلمها صاحب البريد الى الخازن
وهو الحافظ ويعرضها الخازن على الملك فيقتبس منها ما يحتاج اليه في تدبير مملكته واتمام سفره الذي
هو بصدده وقمع عدوه الذي هو مبتلى به ودفع قطاع الطريق عليه فاذا فعل ذلك كان موفقا سعيدا
شاكرا لنعمة الله تعالى واذا عطل هذه الجملة او استعملها في مراعاة اعدائه وهي الشهوة والغضب وساير
الحظوظ العاجلة او في عمارة طريقه دون منزله اذ الدنيا طريقه التي عليها عبوره ووطنه ومستقره
الآخرة كان مخذولا شقيا كافرا بنعمة الله مضيعا لجنود الله ناصرا لاعداء الله مخذلا لحزب الله فيستحق
المقت والابعاد في المنقلب اعوذ بالله من ذلك الضلال الذي ضربناه اشار كعب الاحبار قال دخلت
على عايشة فقلت الانسان عيناه هاد واذناه قمع ولسانه ترجمان ويداه جناحان ورجلاه بريدان والقلب
ملك فاذا طاب الملك طابت جنوده قالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وقال علي
رضي الله عنه في تمثيل القلب ان لله تعالى في ارضه آنية وهي القلوب فاحبها الى الله ارقها واصفاها واصلبها
ثم فسره فقال اصلبها في الدين واصفاها في اليقين وارقها على الاخوان وهذه اشارة الى قوله تعالى
اشداء على الكفار رحماء بينهم وقوله تعالى مثل نوره كمشكوة فيها مصباح قال ابي بن كعب معناه مثل
نور المؤمن وقلبه وقوله تعالى او كظلمات في بحر لجي مثل قلب المنافق قال زيد بن اسلم في لوح محفوظ
هو قلب المؤمن وقال سهل مثل القلب والصدر كمثل العرش والكرسي

بيان مجامع اوصاف القلب وامثلتها

ان الانسان قد اصطحب في تركيبه وخلقته اربع شوايب فلذلك اجتمع
عليه اربعة انواع من الاوصاف وهي الصفات السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية فهو من حيث
سلط عليه الغضب يتعاطى افعال السباع من العداوة والبغضاء والتهجم على الناس بالضرب والشتم
ومن حيث سلط عليه الشهوة يتعاطى افعال البهايم من الشره والحرص والشبق وغيره ومن حيث انه في نفسه
امر رباني كما قال الله تعالى قل الروح من امر ربي فانه يدعي لنفسه الربوبية ويحب الاستيلاء والتخصص
والاستبداد بالامور كلها بل يدعي لنفسه العلم والمعرفة والاحاطة بحقايق الامور ويفرح اذا نسب
الى العلم ويحزن اذا نسب الى الجهل والاحاطة بجميع الحقايق والاستيلاء بالقهر على جميع الخلايق من
اوصاف الربوبية وفي الانسان حرص على ذلك ومن حيث يختص من البهايم بالتمييز مع مشاركته لها في
الغضب والشهوة حصلت فيه شيطانية فصار شريرا يستعمل التمييز في استنباط وجوه الشر و
يتوصل الى الاغراض بالمكر والحيلة والخداع ويظهر الشر في معرض الخير وهذه اخلاق الشياطين
وكل انسان ففيه شوب من هذه الاصول الاربعة اعني الربانية والشيطانية والسبعية و
البهيمية وكل ذلك مجموع في القلب فكان المجموع في اهاب الانسان خنزير وكلب وشيطان وحكيم
فالخنزير هو الشهوة فانه لم يكن الخنزير مذموما للونه وشكله وصورته بل لجشعه وكلبه وحرصه
والكلب هو الغضب فان السبع الضاري والكلب العقور ليس كلبا وسبعا باعتبار الصورة واللون

والشكل بل روح معنى السبعية الضراوة والعدوان والمعروف بالمعنى لا الانسان ضراوة السبع وحرص الخنزير
وسبعيته فالخنزير يدعو بالشره الى الفحشاء والمنكر والسبع يدعو بالغضب الى الظلم والايذاء والشيطان
لا يزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ السبع ويغري احدهما بالآخر ويحسن لهما ما هما مجبولان عليه و
الحكيم هو الذي هو مثال العقل مامور بان يدفع كيد الشيطان ومكره بان يكشف عن تلبيسه
ببصيرته النافذة ونوره المشرق الواضح وان يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه اذ بالغضب
يكسر شهوة الغضب ويدفع ضراوة بتسليط الخنزير عليه ويجعل الكل مقهورا تحت سياسته
فان فعل ذلك وقدر عليه اعتدل الامر وظهر العدل في مملكة البدن وجرى الكل على الصراط المستقيم
وان عجز عن قهرهما قهراه واستخدماه فلا يزال في ان يستنبط الحيل وتدقيق الفكر ليشبع الخنزير
ويرضي الكلب فيكون دائما في عبادة الكلب والخنزير وهذا حال اكثر الناس مهما كان اكثر همهم
الفرج والبطن ومنافسة الاعداء والعجب منه انه ينكر على عبدة الاصنام عبادتهم الحجارة ولو كشف الغطاء
عنه وكوشف بحقيقة حاله ومثل له حقيقة حاله كما يمثل للمكاشفين اما في النوم واما في اليقظة
لرأى نفسه ماثلا بين يدي خنزير ساجدا له مرة وراكعا له اخرى ومنتظرا لاشارته وامره فمهما هاج
الخنزير لطلب شيء من شهواته انبعث على الفور في خدمته واحضار شهوته ورأى نفسه ماثلا بين
يدي كلب عقور عابدا له مطيعا له بما يقتضيه ويلتمسه مدققا للفكر في حيل الوصول الى طاعته وهو مع
ذلك ساع في مسرة شيطانه فانه الذي يهيج الخنزير ويثير الكلب ويبعثهما على استخدامه فهو من
هذا الوجه يعبد الشيطان بعبادتهما فليراقب كل عبد حركاته وسكناته ونطقه وقيامه وقعوده
ولينظر بعين البصيرة فلا يرى ان انصف نفسه الا ساعيا طول النهار في عبادة هؤلاء وهذا غاية
الظلم اذ جعل المالك مملوكا والرب مربوبا والسيد عبدا والقاهر مقهورا اذ العقل هو المستحق للسيادة
والقهر والاستيلاء وقد سخره لخدمة هؤلاء الثلاثة فلا جرم ينتشر الى قلبه من طاعة هؤلاء صفات يتراكم عليه
حتى يصير طبعا ورينا مهلكا للقلب ومثاله واما طاعة خنزير الشهوة فيصير منها صفة الوقاحة
والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والحرص والجشع والملق والحسد
والشماتة وغيرها واما طاعة الغضب فينتشر منه الى القلب صفة التهور والبذالة والبذخ والصلف
والاستشاطة والتكبر والعجب والاستهزاء والاستخفاف وتحقير الخلق وارادة الشر وشهوة الظلم وغير
ذلك واما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب فيحصل منها صفة المكر والحيلة والخداع
والدهاء والجربزة والتلبيس والتضريب والغش والخبث وامثاله ولو عكس الامر وقهر الجميع تحت سياسة
الصفة الربانية لاستقر في القلب من الصفات الربانية العلم والحكمة والاحاطة بحقائق الاشياء
ومعرفة الامور على ما هي عليه والاستيلاء على الكل بقوة العلم والبصيرة واستحقاق التقدم
على الخلق بكمال العلم وجلاله ولاستغنى عن عبادة الشهوة والغضب ولانتشر اليه من ضبط خنزير
الشهوة ورده الى حد الاعتدال صفات شريفة مثل العفة والقناعة والهدوء والزهد والورع
والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحياء والظرف والمساعدة وامثالها ويحصل فيه من ضبط قوة
الغضب وقهرها وردها الى حد الواجب صفة الشجاعة والكرم والنجدة وضبط النفس والصبر و
الحلم والاحتمال والعفو والثبات والنبل والشهامة والوقار وغيرها فالقلب في حكم مرآة قد اكتنفته
الامور المؤثرة فيه وهذه الآثار على التواصل واصلة الى القلب اما الآثار المحمودة التي ذكرناها فانها تزيد

مرآة القلب اشراقا ونورا وضياء حتى يتلألأ فيه جلية الحق وينكشف فيه حقيقة الامر المطلوب في الدين
والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من قلبه
وبقوله صلى الله عليه وسلم من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ وهذا القلب هو الذي
يستقر فيه الذكر قال الله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب واما الآثار المذمومة فانها مثل دخان
مظلم يتصاعد الى مرآة القلب ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد اخرى الى ان يسود ويظلم ويصير
بالكلية محجوبا عن الله وهو الطبع والرين قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال
تعالى ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون فربط عدم السماع بالطبع
بالذنوب كما ربط السماع بالتقوى قال واتقوا الله واسمعوا واتقوا الله ويعلمكم الله ومهما تراكمت
الذنوب طبع على القلب وعند ذلك يعمى القلب عن ادراك الحق وصلاح الدين ويستهين بالآخرة
ويستعظم امر الدنيا ويصير مقصور الهم عليها فاذا قرع سمعه امر الآخرة وما فيها من الاخطار دخل من
اذن وخرج من اخرى ولم يستقر في القلب ولم يحركه الى التوبة والتدارك اولئك الذين يئسوا من
الآخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور وهذا هو معنى اسوداد القلب بالذنوب كما نطق به القرآن
والسنة قال ميمون بن مهران اذا اذنب العبد ذنبا نكت في قلبه نكتة سوداء فاذا هو نزع وتاب صقل
وان عاد زيد فيها حتى يعلو قلبه فهو الران وقال صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن اجرد فيه سراج
يزهر وقلب الكافر اسود منكوس فطاعة الله تعالى بمخالفة الشهوات مصقلة للقلب ومعصيته مسودة
له فمن اقبل على المعاصي اسود قلبه ومن اتبع السيئة الحسنة ومحا اثرها لم يظلم قلبه ولكن ينقص
نوره كالمرآة التي يتنفس فيها ثم يمسح ويتنفس ثم يمسح فانها لا تخلو عن كدورة وقد قال صلى الله
عليه وسلم القلوب اربعة قلب اجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب اسود منكوس
فذلك قلب الكافر وقلب اغلف مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق
فمثل الايمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد
فاي المادتين غلب حكم له بها وفي رواية غلبت عليه ذهبت به وقد قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف
من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فاخبر ان جلاء القلب وابصاره يحصل بالذكر وانه لا يتمكن منه
الا الذين اتقوا فالتقوى باب الذكر والذكر باب الكشف والكشف باب الفوز الاكبر وهو الفوز بلقاء
الله تعالى

بيان مثال القلب بالاضافة الى العلوم خاصة

اعلم ان محل العلم
هو القلب اعني اللطيفة المدبرة لجميع الجوارح المطاعة المخدومة من جميع الاعضاء وهي بالاضافة
الى حقائق المعلومات كالمرآة بالاضافة الى صور المتلونات فكما ان للمتلون صورة ومثال تلك الصورة
ينطبع في المرآة ويحصل فيها فكذلك لكل معلوم حقيقة ولتلك الحقيقة صورة تنطبع في مرآة القلب و
تتضح فيها وكما ان المرآة غير وصور الاشخاص غير وحصول مثالها في المرآة غير فهي ثلاثة امور فكذلك
هاهنا ثلاثة امور القلب وحقائق الاشياء والمعلوم عبارة عن حقائق الاشياء والعلم عبارة عن حصول
المثال في المرآة كما ان القبض مثلا يستدعي قابضا كاليد ومقبوضا كالسيف ووصولا بين السيف
واليد بتمام فكذلك وصول مثال المعلوم الى القلب يسمى علما وقد كانت الحقيقة موجودة واليد
موجودة ولم يكن اسم القبض والاخذ حاصلا لعدم وقوع السيف في اليد نعم القبض عبارة عن
حصول السيف بعينه في اليد والمعلوم بعينه لا يحصل في القلب فمن علم النار لم يحصل عين النار في

تليه ولكن الحاصل حدها وحقيقتها المطابق لصورتها فيتمثل له بالمرآة اولى لان عين الانسان لا تحصل
في المرآة وانما يحصل مثال مطابق له فكذلك حصول مثال مطابق لحقيقة المعلوم في القلب يسمى علما وكما
ان المرآة لا تنكشف فيها الصورة لخمسة امور احدها نقصان صورتها كجوهر الحديد قبل ان يدور ويشكل
ويصقل والثاني لخبثها وصداها وكدورتها وان كانت تامة الشكل والثالث لكونها معدولا بها عن
جهة الصورة الى غيرها كما اذا كانت الصورة وراء المرآة والرابع لحجاب مرسل بين المرآة والصورة والخامس
الجهل بالجهة التي فيها الصورة المطلوبة حتى يتعذر بسببه ان يحاذي بها شطر الصورة وجهتها فكذلك
القلب مرآة مستعدة لان تنجلي فيها حقيقة الحق في الامور كلها وانما خلت القلوب عن العلوم التي
خلت عنها لهذه الاسباب الخمسة اولها نقصان في ذاته كقلب الصبي فانه لا تنجلي له المعلومات لنقصانه
والثاني لكدورة المعاصي والخبث الذي تراكم على وجه القلب من كثرة الشهوات فان ذلك يمنع صفاء
القلب وجلاءه فيمنع ظهور الحق فيه بقدر ظلمته وتراكمه واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من
قارف ذنبا فارقه عقل بحسنة يمحى ولم يتقدم السيئة لازداد لا محالة اشراق القلب فلم يزدد بها نورا
وهذا خسران ونقصان لا حيلة له فليس المرآة التي يدنس ثم يمسح بالمصقلة كالتي يمسح بالمصقلة لزيادة جلائها
من غير دنس سابق والاقبال على طاعة الله والاعراض عن مقتضى الشهوات هو الذي يجلو القلب ويصقله و
كذلك قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال النبي صلى الله عليه وسلم من عمل
بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم والثالث ان يكون معدولا به عن جهة الحقيقة المطلوبة فان قلب المطيع
الصالح وان كان صافيا فانه ليس يتضح فيه جلية الحق لانه ليس يطلب الحق وليس يحاذي بمرآته شطر المطلوب
بل ربما يكون مستوعب الهم بتفصيل الطاعات البدنية او بتهيئة اسباب المعيشة ولا يصرف فكره الى التامل
في حضرة الربوبية والحقائق الخفية الالهية ولا ينكشف له الا ما هو متفكر فيه من دقائق آفات الاعمال وخفايا
عيوب النفس ان كان متفكرا فيها او مصالح المعيشة ان كان متفكرا فيها واذا كان تقييد الهم بالاعمال
وتفصيل الطاعات مانعا من انكشاف جلية الحق فما ظنك في صرف الهم الى الشهوات الدنيا ولذاتها وعلائقها
فكيف لا يمنع عن الكشف الحقيقي والرابع الحجاب فان المطيع القاهر لشهوته المتجرد الفكر في حقيقة من الحقائق
قد لا ينكشف له ذلك لكونه محجوبا عنها باعتقاد سبق اليه منذ الصبا على سبيل التقليد والقبول
بحسن الظن يحول بينه وبين حقيقة الحق ويمنع من ان ينكشف في قلبه خلاف ما تلقفه من ظاهر التقليد
وهذا ايضا حجاب عظيم به حجب اكثر المتكلمين والمتعصبين للمذاهب بل اكثر الصالحين المتفكرين في
ملكوت السموات والارض لانهم محجوبون باعتقادات تقليدية جمدت في نفوسهم ورسخت في قلوبهم وصارت حجابا
بينهم وبين درك الحقائق والخامس الجهل بالجهة التي يقع العثور على المطلوب فيها فان طالب العلم
ليس يمكنه ان يحصل العلم بالمجهول الا بالتذكر للعلوم التي تناسب مطلوبه حتى اذا تذكرها ورتبها في نفسه
ترتيبا مخصوصا يعرفه العلماء بطرق الاعتبار فعند ذلك يكون قد عثر على جهة المطلوب فتنجلي حقيقة
المطلوب لقلبه فان العلوم المطلوبة التي ليست فطرية لا تقتنص الا بشبكة العلوم الحاصلة بل كل علم
حاصل فلا يحصل الا عن علمين سابقين يأتلفان ويزدوجان على وجه مخصوص فيحصل من ازدواجهما علم ثالث
على مثال ما يحصل النتاج من ازدواج الفحل والانثى ثم كما ان من اراد ان يستنتج رمكة لم يمكنه ذلك من حمار وبقرة
وانسان بل من اصل مخصوص وهو الفرس الذكر والانثى وذلك اذا وقع بينهما ازدواج مخصوص فكذلك
كل علم فله اصلان مخصوصان وبينهما طريق في الازدواج يحصل من ازدواجهما العلم المستفاد المطلوب فالجهل

بتلك الاصول وبكيفية الازدواج هو المانع من العلم ومثاله ما ذكرناه من الجهل بالجهة التي الصورة فيها
مثاله ان يريد الانسان ان يرى قفاه في المرآة فانه ان رفع المرآة بازاء وجهه لم يكن قد حاذى بها شطر
القفا فلم يظهر فيه القفا وان رفعها وراء القفا وحاذاه كان قد عدل بالمرآة عن عينه فلا يرى المرآة ولا
صورة القفا فيها فيحتاج الى مرآة اخرى ينصبها وراء القفا وهذه في مقابلتها بحيث يبصرها ويراعي مناسبة
بين وضع المرآتين حتى تنطبع صورة القفا في المرآة المحاذية للقفا ثم تنطبع صورة هذه المرآة في
المرآة الاخرى التي في مقابلتها العين ثم تدرك العين صورة القفا فكذلك في اقتناص العلوم
طرق عجيبة فيها ازورارات وتحريفات اعجب مما ذكرناه في المرآة فهذه هي الاسباب المانعة للقلوب
من معرفة حقائق الامور والا فكل قلب فهو بالفطرة صالح لمعرفة الحقائق لانه امر رباني شريف فارق سائر جواهر
العالم بهذه الخاصية والشرف واليه الاشارة بقوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض
والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان الآية اشارة الى ان له خاصية تميز بها عن السموات والارض
بها صار مطيقا لحمل امانة الله تعالى وتلك الامانة هي المعرفة والتوحيد وقلب كل آدمي مستعد لحمل
الامانة ومطيق لها في الاصل ولكن يثبطه عن النهوض باعبائها والوصول الى تحقيقها الاسباب التي
ذكرناها ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه
وقوله صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السموات والارض
اشارة الى بعض هذه الاسباب التي هي الحجاب بين القلب والملكوت واليه الاشارة بما روي عن ابن
عمر قيل يا رسول الله اين الله في الارض قال في قلوب عباده المؤمنين وفي الخبر قال الله تعالى لم يسعني
ارضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن اللين الوادع وفي الخبر قيل من خير الناس فقال كل مؤمن مخموم القلب
فقيل وما مخموم القلب فقال هو التقي النقي الذي لا غش فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد وكذلك قال عمر
رضي الله عنه رأى قلبي ربي اذ كان قد رفع الحجاب بالتقوى ومن ارتفع الحجاب بينه وبين قلبه تجلى صورة
الملك والملكوت في قلبه فيرى جنة عرض بعضها السموات والارض اما جملتها فاكثر سعة من السموات
والارض لان السموات والارض عبارة عن عالم الملك والشهادة وهو وان كان واسع الاطراف متناهي الجوانب
فهو متناه على الجملة واما عالم الملكوت وهي الاسرار الغائبة عن مشاهدة الابصار المخصوصة بادراك
البصائر فلا نهاية له نعم الذي يلوح للقلب منه مقدار متناه ولكنه في نفسه وبالاضافة الى علم الله سبحانه
لا نهاية له وجملة عالم الملك والملكوت اذا اخذت دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوبية لان الحضرة الربوبية
محيطة بكل الموجودات اذ ليس في الوجود شيء سوى الله تعالى وافعاله ومملكته وعبيده من افعاله فما
يتجلى من ذلك للقلب هو الجنة بعينها عند قوم وهو سبب استحقاق الجنة عند اهل الحق ويكون
سعة ملكه في الجنة بحسب سعة معرفته وبمقدار ما تجلى له من عظمة الله سبحانه وصفاته وافعاله وانما
مراد الطاعات واعمال الجوارح تصفية القلب وتزكيته وجلاؤه وقد افلح من زكاها ومراد تزكيته حصول
انوار الايمان فيه اعني اشراق نور المعرفة وهو المراد بقوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره لل
اسلام وبقوله افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه نعم هذا التجلي وهذا الايمان له ثلاث
مراتب المرتبة الاولى ايمان العوام وهو ايمان التقليد المحض والثانية ايمان المتكلمين وهو ممزوج بنوع
استدلال والثالثة ايمان العارفين وهو المشاهد بنور اليقين ونبين لك هذه المراتب بمثال وهو
ان تصديقك بكون زيد مثلا في الدار له ثلاث درجات الدرجة الاولى ان يخبرك من جربته

بالصدق ولم تعرفه بالكذب ولا تتهمه بالقول فان قلبك يسكن اليه ويطمئن بمجرد السماع وهذا هو الايمان
بمجرد التقليد وهو مثل ايمان العوام فانهم لما بلغوا سن التمييز سمعوا من آبائهم وامهاتهم وجود الله
سبحانه وتعالى وعلمه وارادته وقدرته وسائر صفاته وبعثة الرسل وصدقهم وما جاءوا به فكما سمعوه قبلوه
وثبتوا عليه واطمأنوا اليه ولم يخطر ببالهم خلاف ما قالوه لهم لحسن ظنهم بآبائهم وامهاتهم ومعلميهم
وهذا الايمان سبب النجاة في الآخرة واهله من اوائل رتب اصحاب اليمين وليسوا من المقربين لانه ليس
فيه كشف وبصيرة وانشراح صدر بنور اليقين اذ الخطأ ممكن فيما يسمع من الآحاد بل من الاعداد فيما يتعلق
بالاعتقاد وقلوب اليهود والنصارى ايضا مطمئنة بما يسمعونه من آبائهم الا انهم اعتقدوا ما اعتقدوه خطأ لانهم
القي اليهم الخطأ والمسلمون اعتقدوا الحق لا لاطلاعهم عليه ولكن القي اليهم كلمة الحق
والدرجة الثانية ان تسمع كلام زيد وصوته من داخل الدار ولكن من وراء جدار فتستدل به على كونه في
الدار فيكون ايمانك وتصديقك ويقينك بكونه في الدار اقوى من تصديقك بمجرد السماع فانك
اذا قيل لك انه في الدار ثم سمعت صوته ازددت به يقينا لان الصوت يدل على الشكل والصورة عند
من يسمع الصوت في حال مشاهدة الصورة فقلبه يحكم بان هذا صوت ذلك الشخص فهذا ايمان
ممزوج بدليل والخطأ ايضا ممكن ان يتطرق اليه اذ الصوت قد يشبه الصوت وقد يمكن التكلف
بطريق المحاكاة الا ان ذلك قد لا يخطر ببال السامع لانه ليس يجعل للتهمة موضعا ولا يقدر في هذا
التلبيس والمحاكاة غرضا والدرجة الثالثة ان تدخل الدار فتنظر اليه بعينك وتشاهده فهذه هي
المعرفة الحقيقية والمشاهدة اليقينية وهي تشبه معرفة المقربين والصديقين لانهم يؤمنون عن
مشاهدة فينطوي في ايمانهم ايمان العوام والمتكلمين ويتميزون بمزية بينة يستحيل ان يكون معها امكان الخطأ نعم
وهم ايضا يتفاوتون بمقادير العلوم وبدرجات الكشف اما الدرجات فمثالها ان يبصر زيدا في الدار عن قرب
وفي صحن الدار في وقت اشراق الشمس فيكمل له ادراكه والآخر يدركه في بيت او من بعد او في وقت عشية
فيتمثل له من صورته ما يستيقن معه انه هو ولكن لا يتمثل في نفسه الدقائق والخفايا من صورته
ومثل هذا متصور في تفاوت المشاهدة للامور الالهية واما مقادير العلوم فهو بان يرى في الدار
زيدا وعمرا وبكرا وغير ذلك وآخر لا يرى الا زيدا فمعرفة ذلك تزيد بكثرة المعلومات لا محالة فهذه حال
القلب بالاضافة الى العلوم

بيان حال القلب بالاضافة الى اقسام العلوم العقلية والدينية والدنيوية والاخروية

اعلم ان القلب بغريزته مستعد لقبول حقائق المعلومات كما سبق ولكن العلوم التي
تحل فيه تنقسم الى عقلية وشرعية والعقلية تنقسم الى ضرورية ومكتسبة والمكتسبة تنقسم الى دنيوية
واخروية اما العقلية فنعني بها ما تقضي بها غريزة العقل ولا توجد بالتقليد والسماع وهي
تنقسم الى ضرورية لا يدري من اين حصلت وكيف حصلت كعلم الانسان بان الشخص الواحد لا يكون
في مكانين والشيء الواحد لا يكون حادثا قديما موجودا معدوما معا فان هذه علوم يجد الانسان
نفسه منذ الصبا مفطورا عليها ولا يدري متى حصلت ولا من اين حصلت له اعني انه لا يدري له سببا قريبا
والا فليس يخفى ان الله هو الذي خلقها والى مكتسبة وهي المستفادة بالتعلم والاستدلال وكلا
القسمين قد يسمى عقلا قال علي رضي الله عنه رايت العقل عقلين فمطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع
اذا لم يك مطبوع كما لا ينفع الشمس وضوء العين ممنوع والاول هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم ما خلق الله
خلقا اكرم عليه من العقل والثاني هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه اذا تقرب الناس الى الله

بانواع البر فتقرب انت بعقلك اذ لا يمكن التقرب بالغريزة الفطرية ولا بالعلوم الضرورية بل بالمكتسبة
ولكن مثل علي رضي الله عنه هو الذي يقدر على التقرب باستعمال العقل في اقتناص العلوم التي بها ينال
القرب من رب العالمين فالقلب جار مجرى العين وغريزة العقل فيه جارية مجرى قوة البصر في العين وقوة
الابصار لطيفة تفقد في العمى وتوجد في البصر وان كان قد غمض العينين او جنه الليل والعلم الحاصل
فيه جار مجرى ادراك البصر ورؤيته لاعيان الاشياء وتاخر العلوم عن عين العقل في مدة الصبي الى اوان
التمييز والبلوغ يضاهي تاخر الرؤية عن البصر الى اوان اشراق الشمس وفيضان نورها على المبصرات والقلم
الذي يسطر الله به العلوم على صفحات القلوب يجري مجرى قرص الشمس وانما لم يحصل العلم في قلب الصبي
قبل التمييز لان لوح قلبه لم يتهيأ بعد لقبول نقش العلم والقلم عبارة عن خلق من خلق الله تعالى جعله
سببا لحصول نقش العلوم في قلوب البشر قال تعالى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم وقلم الله لا يشبه
قلم خلقه كما ان وصفه لا يشبه وصف خلقه فليس قلمه من قصب ولا خشب كما انه تعالى
ليس من جوهر ولا عرض فالموازنة بين البصيرة الباطنة والبصر الظاهر صحيحة من هذه الوجوه الا انه لا مناسبة
بينهما في الشرف فان البصيرة الباطنة هي عين النفس التي هي اللطيفة المدركة وهي كالفارس
والبدن كالفرس وعمى الفارس اضر على الفارس من عمى الفرس بل لا نسبة لاحد الضررين الى الآخر
ولموازنة بصيرة الباطن لبصر الظاهر سماه الله باسمه فقال ما كذب الفؤاد ما رأى سمى ادراك
الفؤاد رؤية وكذا قوله تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وما اراد به الرؤية
الظاهرة فان ذلك غير مخصوص بابراهيم صلوات الله عليه وسلم حتى يذكر في معرض الامتنان و
كذلك سمي ضده عمى فقال فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقال تعالى
ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا فهذا بيان العلم العقلي اما العلوم الدينية
فهي الماخوذة بطريق التقليد من الانبياء صلوات الله عليهم وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله تعالى
وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفهم معانيها بعد السماع وبه كمال صفة القلب وبه سلامته
من الادواء والامراض فالعلوم العقلية غير كافية في سلامة القلب وان كان محتاجا اليها كما ان العقل
غير كاف في استدامة اسباب صحة البدن بل يحتاج الى معرفة خواص الادوية والعقاقير بطريق التعلم
من الاطباء اذ مجرد العقل لا يهتدي اليها ولكن لا يمكن فهمها بعد سماعها الا بالعقل فلا غنى بالعقل
عن السماع ولا غنى بالسماع عن العقل فالداعي الى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل والمكتفي
بمجرد العقل عن انوار القرآن والسنة مغرور فاياك ان تكون من احد الفريقين وكن جامعا بين الاصلين
فان العلوم العقلية كالاغذية والعلوم الشرعية كالادوية والشخص المريض يتضرر بالغذاء مهما فاته
الدواء فكذلك امراض القلب لا يمكن علاجها الا بالادوية المستفادة من الشريعة وهي وظائف العبادات
والاعمال التي ركبها الانبياء صلوات الله عليهم لاصلاح القلوب فمن لا يداوي قلبه المريض بمعالجات
العبادات الشرعية واكتفى بالعلوم العقلية استضر بها كما يستضر المريض بالغذاء وظن من
يظن ان العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية وان الجمع بينهما غير ممكن هو ظن صادر عن
عمى في عين البصيرة نعوذ بالله منه بل هذا القائل ربما يناقض عنده بعض العلوم الشرعية
لبعض فيعجز عن الجمع بينهما فيظن انه تناقض في الدين فيتحير به فينسل من الدين انسلال
الشعرة من العجين وانما ذلك لان عجزه في نفسه خيل اليه نقصا في الدين وهيهات فانما مثاله

مثل الاعمى الذي دخل دارا فتعثر فيها في اواني الدار فيقول ما بال هذه الاواني تركب على الطريق ولم لا ترد الى
مواضعها فيقال له تلك الاواني في مواضعها وانما انت لست تهتدي الى الطريق لعماك والعجب منك انك
لا تحيل عثرتك على عماك وانما تحيلها على تقصير غيرك فهذه نسبة العلوم الدينية الى العقلية
وانما العلوم العقلية تنقسم الى دنيوية واخروية كعلم الطب والحساب والهندسة والنحو وسائر
الحرف والصناعات واما الاخروية كعلم احوال القلب وآفات الاعمال والعلم بالله وصفاته وافعاله كما
فصلناه في كتاب العلم وهما علمان متنافيان اعني ان من صرف عنايته الى احدهما حتى تعمق فيه قصرت بصيرته عن
الآخر على الاكثر ولذلك ضرب علي رضي الله عنه للدنيا والآخرة ثلاثة امثلة فقال هما ككفتي الميزان وكالمشرق
والمغرب وكالضرتين اذا ارضيت احديهما اسخطت الاخرى ولذلك ترى الاكياس في امور الدنيا وفي علم
الطب والهندسة والحساب والفلسفة جهالا في امور الآخرة والاكياس في دقائق علوم الآخرة جهالا في
اكثر علوم الدنيا لان قوة العقل لا تفي بالامرين جميعا في الغالب فيكون احدهما مانعا من الكمال في الثاني
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الجنة البله وقال الحسن في بعض خطبه لقد ادركنا اقواما لو رايتموهم
لقلتم مجانين ولو ادركوكم لقالوا شياطين فمهما سمعت امرا غريبا من امور الدين جحده اهل الكياسة في سائر
العلوم فلا يغرنك جحودهم عن قبوله اذ محال ان يظفر سالك طريق المشرق بما يوجد في المغرب وكذلك
يجري امر الدنيا والآخرة ولذلك قال الله تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها
الآية وقال الله تعالى يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وقال تعالى فاعرض عن من تولى عن
ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فالجمع بين كمال الاستبصار في مصالح الدنيا والدين
لا يكاد يتيسر الا لمن رسخه الله لتدبير عباده في معاشهم ومعادهم وهم الانبياء المؤيدون بروح القدس
المستمدون من القوة الالهية التي تتسع لجميع الامور ولا تضيق عنها فاما قلوب سائر الخلق فانها
ان اشتغلت بامر الدنيا انصرفت عن الآخرة وقصرت عن استكمالها فيه

بيان الفرق بين الالهام والتعليم والفرق بين طريق الصوفية في استكشاف الحق وطريق النظار

اعلم ان العلوم التي ليست ضرورية وانما تحصل
في القلب في بعض الاحوال تختلف الحال في حصولها فتارة تهجم على القلب كانه القي فيه من حيث لا يدري وتارة تكتسب
بطريق الاستدلال والتعلم فالذي يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى الهاما والذي يحصل
بالاستدلال يسمى اعتبارا واستبصارا ثم الواقع في القلب بغير حيلة وتعلم واجتهاد من العبد ينقسم الى ما لا
يدري العبد كيف حصل له ومن اين حصل والى ما يطلع معه على السبب الذي منه استفاد ذلك العلم
وهو مشاهدة الملك الملقي في القلب والاول يسمى الهاما ونفثا في الروع والثاني يسمى وحيا وتختص به
الانبياء والاول يختص به الاولياء والاصفياء والذي قبله وهو المكتسب بطريق الاستدلال يختص
به العلماء وحقيقة القول فيه ان القلب مستعد لان تنجلي فيه حقيقة الحق في الاشياء كلها وانما حيل
بينه وبينها بالاسباب الخمسة التي سبق ذكرها فهي كالحجاب المسدل الحائل بين مرآة القلب وبين
اللوح المحفوظ الذي هو منقوش بجميع ما قضى الله تعالى به الى يوم القيامة وتجلي حقائق العلوم من مرآة اللوح في
مرآة القلب يضاهي انطباع صورة من مرآة في مرآة تقابلها والحجاب بين المرآتين تارة يزال باليد وتارة يزول
بهبوب ريح تحركه وكذلك قد تهب رياح الالطاف فتنكشف الحجب عن اعين القلوب فينجلي فيها بعض
ما هو مسطور في اللوح المحفوظ ويكون ذلك تارة عند المنام فيعلم به ما يكون في المستقبل وتمام ارتفاع الحجاب
بالموت وبه ينكشف الغطاء وينكشف في اليقظة ايضا حتى يرتفع الحجاب بلطف خفي من الله تعالى فيلمع في القلب

من وراء ستر الغيب شيء من غرائب العلم تارة كالبرق الخاطف واخرى على التوالي الى حد ما ودوامه
في غاية الندور فلم يفارق الالهام الاكتساب في نفس العلم ولا في محله ولا في سببه ولكن يفارقه
من جهة زوال الحجاب فان ذلك ليس باختيار العبد ولم يفارق الوحي الالهام في شيء من ذلك بل في
مشاهدة الملك المفيد للعلم فان العلم انما يحصل في قلوبنا بواسطة الملائكة واليه الاشارة بقوله
تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء فاذا عرفت
هذا فاعلم ان ميل اهل التصوف الى العلوم الالهامية دون التعليمية فلذلك لم يحرصوا على دراسة
العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون والبحث عن الاقاويل والادلة المذكورة بل قالوا الطريق تقديم
المجاهدة ومحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى ومهما حصل
ذلك كان الله هو المتولي لقلب عبده والمتكفل بتنويره بانوار العلم واذا تولى الله امر القلب فاضت
عليه الرحمة واشرق النور في القلب وانشرح الصدر وانكشف له سر الملكوت وانقشع عن وجه القلب
حجاب الغرة بلطف الرحمة وتلألأت فيه حقائق الامور الالهية فليس على المريد الا الاستعداد بالتصفية
المجردة واحضار الهمة مع الارادة الصادقة والتعطش التام والترصد بدوام الانتظار لما يفتحه الله
من الرحمة فالانبياء والاولياء انكشف لهم الامر وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة
والكتابة للكتب بل بالزهد في الدنيا والتبري من علائقها وتفريغ القلب من شواغلها والاقبال بكنه الهمة
على الله تعالى فمن كان لله كان الله له وزعموا ان الطريق في ذلك اولا بانقطاع علائق الدنيا بالكلية وتفريغ
قلبه منها وبقطع الهمة عن الاهل والمال والولد والوطن وعن العلم والولاية والجاه بل يصير قلبه الى حالة يستوي
فيها وجود كل ذلك وعدمه ثم يخلو بنفسه في زاوية مع الاقتصار على الفرائض والرواتب ويجلس فارغ
الهم مجموع القلب ولا يفرق فكره بقراءة قرآن ولا بالتأمل في تفسير ولا بكتب حديث ولا غيره بل
يجتهد ان لا يخطر بباله شيء سوى ذكر الله تعالى فلا يزال بعد جلوسه في الخلوة قائلا بلسانه الله الله على الدوام
مع حضور القلب الى ان ينتهي الى حالة يترك تحريك اللسان ويرى كأن الكلمة جارية على اللسان ثم يصبر
على ذلك الى ان يمحى اثرها عن اللسان فيصادف قلبه مواظبا على الذكر ثم يواظب الى ان يمحى عن القلب صورة
اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة ويبقى معنى الكلمة مجردا في قلبه حاضرا فيه كأنه لازم له لا يفارقه وله
اختيار الى ان ينتهي الى هذا الحد واختيار في استدامة هذه الحالة بدفع الوسواس وليس له اختيار في
استجلاب رحمة الله بل هو بما فعله قد تعرض لنفحات الرحمة فلا يبقى الا الانتظار لما يفتح الله من
رحمته كما فتحها على الانبياء والاولياء بهذا الطريق وعند ذلك اذا صدقت ارادته وصفت همته و
حسنت مواظبته ولم تجاذبه شهواته ولم يشغله حديث النفس بعلائق الدنيا فتلمع لوامع الحق في
قلبه ويكون في ابتدائه كالبرق الخاطف لا يثبت ثم يعود وقد يتأخر وان عادت فقد يثبت وقد يكون
مختطفا وان ثبت فقد يطول ثباته وقد لا يطول وقد يتظاهر امثاله على التلاحق وقد يقتصر
على فن واحد ومنازل اولياء الله تعالى فيه لا تحصى كما لا يحصى تفاوت خلقهم وقد رجع هذا الطريق الى تطهير
محض من جانبك وتصفية وجلاء ثم استعداد وانتظار فقط واما النظار وذوو الاعتبار فلم ينكروا
وجود هذا الطريق وامكانه وافضاءه الى المقصد على الندور فانه اكثر احوال الانبياء والاولياء ولكن استوعروا
هذا الطريق واستبطأوا ثمرته واستبعدوا اجتماع شروطه وزعموا ان محو العلائق الى ذلك الحد كالمتعذر
فان حصل في حال فثباته ابعد منه اذ ادنى وسواس وخاطر يشوش القلب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

قلب المؤمن اشد تقلبا من القدر اذا استجمعت غليانا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين
اصبعين من اصابع الرحمن وفي اثنا هذه المجاهدة قد يفسد المزاج ويختلط العقل ويمرض البدن واذا
لم يتقدم رياضة النفس وتهذيبها بحقايق العلوم نشبت بالقلب خيالات فاسدة تطمئن
النفس اليها مدة طويلة الى ان يزول وينقضي العمر قبل النجاح فيها فكم من صوفي سلك هذا الطريق
ثم بقي في خيال واحد عشرين سنة ولو كان قد اتقن العلم من قبل لانفتح له وجه التباس ذلك الخيال
في الحال فالاشتغال بطريق التعلم اوثق واقرب الى الغرض وزعموا ان ذلك يضاهي ما لو ترك الانسان
تعلم الفقه وزعم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يتعلم ولكن صار فقيها بالوحي والالهام من غير تكرار و
تعليق فانا ايضا ربما انتهي بالرياضة الى ذلك ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه وضيع عمره بل هو
كمن يترك طريق الكسب والحراثة رجاء العثور على كنز من الكنوز فان ذلك ممكن ولكنه بعيد جدا فكذلك
هذا فقالوا لا بد اولا من تحصيل ما حصله العلماء وفهم ما قالوه ثم لا باس بعد ذلك بالانتظار لما لم
ينكشف لسائر العلماء فعساه ينكشف بالمجاهدة بعد ذلك **بيان الفرق** بين المقامين بمثال
محسوس **اعلم** ان عجايب القلب خارجة عن مدركات الحواس لان القلب ايضا خارج عن ادراك الحس
وما ليس مدركا بالحواس تضعف الافهام عن دركه الا بمثال محسوس ونحن نقرب ذلك الى الافهام الضعيفة
بمثالين احدهما انا لو فرضنا حوضا محفورا في الارض احتمل ان يساق الما اليه من فوقه بانهار تنفتح
فيه ويحتمل ان يحفر اسفل الحوض ويرفع منه التراب الى ان يقرب من مستقر الما الصافي فينفجر
الما من اسفل الحوض ويكون ذلك الما اصفى وادوم وقد يكون اغزر واكثر فكذلك القلب مثل
الحوض والعلم مثل الما والحواس الخمس مثل الانهار ويمكن ان تساق العلوم الى القلب بواسطة انهار
الحواس والاعتبار بالمشاهدات حتى يمتلي علما ويمكن ان تسد هذه الانهار بالخلوة والعزلة
وغض البصر ويعمد الى عمق القلب بتطهيره ورفع طبقات الحجب عنه حتى ينفجر ينبوع العلم من داخله
وكيف يتفجر العلم من ذات القلب وهو خال عنه فاعلم ان هذا من عجايب اسرار القلب ولا يسمح بذكره
في علم المعاملة والقدر الذي يمكن ذكره ان حقايق الاشيا مسطورة في اللوح المحفوظ بل في قلوب
الملائكة المقربين فكما ان المهندس يصور ابنية الدار في بياض ثم يخرجها الى الوجود على وفق تلك
النسخة فكذلك فاطر السموات والارض كتب نسخة العالم من اوله الى اخره في اللوح المحفوظ ثم اخرجه
الى الوجود على وفق تلك النسخة والعالم الذي خرج الى الوجود بصورته تتادى منه صورة اخرى الى
الحواس والخيال فان من ينظر الى السما والارض ثم يغمض بصره يرى صورة السما والارض في خياله
حتى كانه ينظر اليهما ولو انعدمت السما والارض وبقي هو لوجد صورة السما والارض في نفسه كانما
يشاهدها وينظر اليها ثم يتادى من خياله اثر الى القلب فيحصل فيه حقايق الاشيا التي دخلت
في الحس والخيال فالحاصل في القلب موافق للعالم الحاصل في الخيال والخيال موافق للعالم الموجود
في نفسه خارجا من خيال الانسان وقلبه والعالم الموجود موافق للنسخة الموجودة في اللوح المحفوظ
فكان للعالم اربع درجات في الوجود وجود في اللوح المحفوظ وهو سابق على وجوده الجسماني ويتبعه وجوده
الحقيقي ويتبعه وجوده الخيالي اعني وجود صورته في الخيال ويتبع وجوده الخيالي وجوده العقلي اعني وجود
صورته في القلب وبعض هذه الموجودات روحانية وبعضها جسمانية والروحانية بعضها اشد
روحانية من بعض وهذا لطف من الحكمة الالهية اذ جعل حدقتك على صغر حجمها بحيث ينطبع فيها صورة

العالم والسموات والارض على اتساع اكنافها ثم يسري من وجوده في الحس وجوده في الخيال ثم منه وجود
في القلب فانك لا تدرك ابدا الا ما هو واصل اليك فلو لم يجعل للعالم كله مثالا في ذاتك لما كان
لك خبر بما يباين ذاتك فسبحان من دبر هذه العجايب في القلوب والابصار ثم اعمى عن دركها القلوب
والابصار حتى صارت قلوب اكثر الخلق جاهلة بالقلب وعجايبه فلنرجع الى المقصود فنقول القلب
يتصور ان يحصل فيه حقيقة العالم وصورته تارة من الحواس وتارة من اللوح المحفوظ كما ان
العين يتصور ان يحصل فيها صورة الشمس تارة من النظر اليها وتارة من النظر الى الما الذي يقابل الشمس
ويحكي صورتها فمهما ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ راى الاشيا فيه وتفجر اليه العلم
منه فاستغنى عن الاقتباس من داخل الحواس فيكون ذلك كتفجر الما من عمق الارض ومهما اقبل على
الخيالات الحاصلة من المحسوسات كان ذلك حجابا له عن مطالعة اللوح المحفوظ كما ان الما اذا
اجتمع من الانهار في الحوض منع ذلك من انفجار الما من الارض وكما ان من نظر الى الما الذي يحكي صورة الشمس
لا يكون ناظرا الى نفس الشمس فاذا للقلب بابان باب مفتوح الى الحواس الخمس المتمسكة بعالم الشهادة والملك
وعالم الشهادة والملك ايضا يحاكي عالم الملكوت نوعا من المحاكاة فاما انفتاح باب القلب الى الاقتباس
من الحواس فلا يخفى عليك واما انفتاح بابه الداخل الى عالم الملكوت ومطالعة اللوح المحفوظ فتعلمه
علما يقينا بالتامل في عجايب الرويا واطلاع القلب في النوم على ما سيكون في المستقبل او
كان في الماضي من غير اقتباس من جهة الحواس وانما ينفتح ذلك الباب لمن انفرد بذكر الله تعالى قال النبي
صلى الله عليه وسلم سبق المفردون قيل ومن هم قال المستهترون بذكر الله تعالى وضع الذكر اوزارهم
فوردوا القيمة خفافا ثم قال في وصفهم حكاية عن الله تعالى اذ وصفهم ثم اقبل عليهم بوجهي اترى من
واجهته بوجهي يعلم احد اي شي اريد ان اعطيه ثم قال اول ما اعطيهم ان اقذف من نوري في قلوبهم
فيخبرون عني كما اخبر عنهم ومدخل هذه الاخبار هو الباب الباطن فاذا الفرق بين علوم الاوليا و
الانبيا وعلوم الحكما والعلما هذا وهو ان علومهم تاتي من داخل القلب من الباب المنفتح الى عالم الملكوت و
علم الحكما ياتي من ابواب الحواس المفتوحة الى عالم الملك وعجايب عالم القلب وتردده بين عالمي الشهادة و
الغيب لا يمكن ان يستقصى في علم المعاملة فهذا مثال يعرفك الفرق بين مداخل العالمين المثال الثاني
يعرفك الفرق بين العملين اعني عمل العلما وعمل الاوليا فان العلما يعملون في اكتساب نفس العلم واجتلابه
الى القلب واوليا الصوفية يعملون في جلا القلب وتطهيره وتصفيته وتصقيله فقط فقد حكي عن اهل الصين
واهل الروم تباهوا بين يدي بعض الملوك بحسن صناعة النقش والصور فاستقر راي الملك على ان
يسلم اليهم صفة على ان ينقش اهل الصين منها جانبا واهل الروم جانبا ويرخى بينهم ستر يمنع
اطلاع كل فريق منهم على الاخر ففعل ذلك فجمع اهل الروم من الاصباغ الغريبة ما لا ينحصر ودخل
اهل الصين ايضا من غير صبغ واقبلوا يجلون جانبهم ويصقلونه فلما فرغ اهل الروم ادعى اهل الصين
ايضا ان قد فرغوا فتعجب الملك من قولهم وانهم كيف فرغوا من النقش من غير صبغ فقيل كيف فرغتم من غير
صبغ فقالوا ما عليكم ارفعوا الحجاب فرفعوا الحجاب فاذا جانبهم قد تلالا بعجايب الصنايع الرومية
مع زيادة اشراق وبريق اذ كان قد صار كالمراة المجلوة لكثرة التصقيل فازداد حسن جانبهم بمزيد
الصفا فكذلك عناية الاوليا بتطهير القلب وجلايه وتزكيته وصفايه حتى يتلالا فيه جلية الحق
بنهاية الاشراق كفعل اهل الصين وعناية الحكما والعلما بالاكتساب ونقش العلوم وتحصيل نقشها في

القلب وكيف ما كان الامر فقلب المؤمن لا يموت وعلمه عند الموت لا يمحى وصفاؤه لا يتكدر واليه
اشار الحسن بقوله التراب لا ياكل محل الايمان فتكون وسيلة القربة الى الله تعالى اما ما حصله
من نفس العلم واما ما حصله من الصفات والاستعداد لقبول نفس العلم ولا سعادة لاحد الا بالعلم
والمعرفة وبعض السعادات اشرف من بعض كما انه لا غنا الا بالمال فصاحب الدرهم غني وصاحب الخزاين
المترعة غني وتتفاوت درجات السعداء بحسب تفاوت المعرفة والايمان كما تتفاوت درجات
الاغنيا بحسب قلة المال وكثرته والمعارف انوار ولا تسعى المؤمنون الى لقاء الله الا بانوارهم
قال الله تعالى نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم وقد ورد في الخبر ان بعضهم يعطى نورا مثل نور
الجبل وبعضهم يعطى نورا اصغر منه حتى يكون اخرهم رجلا يعطى نورا على ابهام قدميه فيضيء مرة
ويطفى مرة فاذا اضاء قدم قدمه فمشى واذا طفي قام ومرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم
من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض الكوكب
ومنهم من يمر كشد الفرس والذي اعطي نوره على ابهام قدميه يحبو على وجهه ويديه ورجليه تجر يدا
وتعلق اخرى ويصيب جوانبه النار قال ولا يزال كذلك حتى يخلص الحديث فبهذا ظهر تفاوت
الناس في الايمان ولو وزن ايمان ابي بكر بايمان العالمين لرجح وهذا ايضا هو قول القايل لو وزن
نور الشمس بنور السرج كلها لرجح فايمان احاد العوام نوره كنور السراج وبعضهم نوره كنور الشمع
وايمان الصديقين نورهم كنور القمر والنجوم وايمان الانبيا نورهم كنور الشمس وكما ينكشف
في نور الشمس صورة الافاق في اتساع اقطارها ولا ينكشف في نور السراج الا زاوية ضيقة من
البيت فكذلك تتفاوت انشراح الصدر بالمعارف وانكشاف سعة الملكوت لقلوب العارفين
وكذلك جا في الخبر انه يقال يوم القيمة اخرجوا من النار من في قلبه مثقال ذرة من ايمان ونصف مثقال
وربع مثقال وشعيرة وذرة كل ذلك تنبيه على تفاوت درجات الايمان فان هذه المقادير لا تمنع دخول
النار وفي مفهومه ان من ايمانه يزيد على مثقال فانه لا يدخل النار اذ لو دخلها لامر باخراجه ولا وان
من في قلبه مثقال ذرة لا يستحق الخلود في النار وان دخلها وكذلك قال صلى الله عليه وسلم ليس شي
خيرا من الف مثله الا الانسان اشارة الى تفضيل قلب العارف المؤمن وانه خير من قلب الف من عوام
الناس وقد قال تعالى وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين فتفضيل المؤمن على المسلم والمراد به المؤمن
العارف دون المقلد وقد قال تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات فيدل على
ان اسم المؤمن يقع على المقلد وان لم يكن تصديقه عن بصيرة وكشف وفسر ابن عباس قوله الذين
اوتوا العلم درجات قال يرفع العالم فوق المؤمنين بسبع مائة درجة بين كل درجتين كما بين
السما والارض وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الجنة البله وعليون لذوي الالباب وقال صلى الله عليه
وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي وفي رواية كفضل القمر على ساير الكواكب
فبهذه الشواهد يعرف تفاوت درجات اهل الجنة بحسب تفاوت قلوبهم ومعارفهم ولهذا كان يوم
القيمة يوم التغابن اذ المحروم من رحمة الله عظيم الغبن والخسران والمحروم يرى فوق درجته درجات
عظيمة فيكون نظره اليها كنظر الغني الذي يملك عشرة دراهم الى الغني الذي يملك الارض من المشرق الى
المغرب وكل واحد منهما غني ولكن ما اعظم الفرق بينهما وما اعظم الغبن على من يخس حظه منه والاخرة
اكبر درجات واكبر تفضيلا

بيان شواهد الشرع على صحة طريق التصوف واكتساب المعرفة

لا من التعلم ولا من طريق المعتاد **اعلم** ان من انكشف له ولو الشيء اليسير بطريق الالهام والوقوع في القلب من
حيث لا يدري فقد صار عارفا بصحة الطريق ومن لم يدرك ذلك من نفسه قط فينبغي ان يؤمن به فان
درجة المعرفة فيه عزيزة جدا ويشهد لذلك شواهد الشرع والتجارب والحكايات اما الشواهد
فقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فكل حكمة تظهر من القلب بالمواظبة على العبادة
من غير تعلم فهي بطريق الكشف والالهام وقال النبي صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم
ما لم يعلم ووفقه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل
حتى يستوجب النار وقال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا قال من الاشكالات والشبه ويرزقه
من حيث لا يحتسب يعلمه علما من غير تعلم ويفطنه من غير تجربة وقال تعالى يا ايها الذين امنوا ان
تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قال يفرق به بين الحق والباطل ويخرج به من الشبهات ولذلك كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يكثر في دعايه سوال النور فقال اللهم اعطني نورا وزدني نورا واجعل في قلبي نورا
وفي قبري نورا حتى قال في شعري وبشري ولحمي ودمي وسيل صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى افمن
شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ما هذا الشرح قال هو التوسعة ان النور اذا قذف به في القلب
اتسع له الصدر وانشرح وقال صلى الله عليه وسلم لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل
وقال علي رضي الله عنه ما عندنا شي اسره النبي صلى الله عليه وسلم الينا الا ان يوتي الله عبدا فهما في كتابه وليس
هذا بالتعلم وقيل في تفسير قوله تعالى يوتي الحكمة من يشاء انه الفهم في كتاب الله وقال تعالى ففهمناها
سليمن خص ما انكشف له باسم الفهم وكان ابو الدردا يقول المؤمن ينظر من ورا ستر رقيق والله انه
الحق يقذفه الله عز وجل في قلوبهم ويجريه على السنتهم وقال بعض السلف ظن المؤمن كهانة وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله واليه تشير قوله تعالى ان في ذلك
لايات للمتوسمين وقوله قد بينا الايات لقوم يوقنون وروى الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال العلم علمان علم باطن في القلب فذلك هو النافع وسيل بعض العلما عن العلم الباطن ما هو فقال هو سر
من اسرار الله تعالى يقذفه في قلوب احبابه لم يطلع عليه ملكا ولا بشرا وقد قال صلى الله عليه وسلم ان من امتي محدثين
ومكلمين وان عمر منهم وقرا ابن عباس وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث يعني الصديقين
والمحدث هو الملهم والملهم هو الذي انكشف له في باطن قلبه من جهة الداخل لا من جهة المحسوسات
الخارجة والقران مصرح بان التقوى مفتاح الهداية والكشف وذلك علم من غير تعلم قال الله تعالى وما خلق
الله في السموات والارض لايات لقوم يتقون خصصها بهم وقال هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين
وكان ابو يزيد وغيره يقول ليس العالم الذي يحفظ فاذا نسي ما حفظ صار جاهلا انما العالم الذي ياخذ
علمه من ربه اي وقت شا بلا تحفظ ولا درس وهذا هو العلم الرباني واليه الاشارة بقوله وعلمناه
من لدنا علما مع ان كل علم من لدنه ولكن بعضها بواسطة تعليم الخلق فلا يسمى ذلك علما لدنيا بل العلم اللدني
الذي ينفتح في سر القلب من غير سبب مالوف فهذه شواهد النقل ولو جمع كل ما ورد في ذلك من الايات
والاخبار والاثار لخرج ذلك عن الحصر وقد ظهر ذلك على الصحابة والتابعين ومن بعدهم قال ابو بكر رضي
الله عنه لعايشة انما هما اخواك واختاك وكانت زوجته حاملا فولدت بنتا فكان قد عرف قبل الولادة انها
بنت وقال عمر رضي الله عنه في اثنا خطبته يا سارية الجبل اذ انكشف له ان العدو قد اشرف عليه فحذره
لمعرفته ذلك ثم بلوغ صوته اليه من جملة الكرامات العظيمة وعن انس بن مالك قال دخلت على عثمان بن

عثمان رضي الله عنه وكنت رأيت امرأة في الطريق فنظرت اليها نظرا شديدا وتأملت محاسنها فلما دخلت
عليه قال يدخل على احدكم واثر الزنا ظاهر على عينيه اما علمت ان زنا العينين النظر لتتوبن او لاعزرنك فقلت
له اوحي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا ولكن بصيرة وبرهان وفراسة صادقة وعن ابي سعيد
الخدري قال دخلت المسجد الجامع فرأيت فقيرا عليه خرقتان فقلت في سري هذا واشباهه كل على
الناس فناداني وقال واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه فاستغفرت الله تعالى في سري فناداني
وقال وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ثم غاب عني فلم اره وقال زكريا بن داود دخل ابو العباس بن
مسروق على ابي الفضل الهاشمي وهو عليل وكان ذا عيال ولم يعرف له سبب قال فلما قمت قلت في نفسي
من اين ياكل هذا الرجل فصاح بي يا ابا العباس رد هذه الهمة الدنية فان لله الطافا خفية وعن
احمد النقيب قال دخلت على الشبلي فقال مفتونا يا احمد فقلت ما الخبر قال كنت جالسا فجرى
بخاطري انك بخيل فقلت ما انا بخيل فعاد مني خاطري فقال بل انك بخيل فقلت ما فتح اليوم علي شيء الا دفعته لاول فقير
يلقاني قال فما استتم الخاطر حتى دخل علي صاحب لمؤنس الخادم ومعه خمسون دينارا فقال اجعلها في
مصالحك فاخذتها وقمت فخرجت فاذا انا بفقير مكفوف بين يدي مزين يحلق راسه فتقدمت
اليه وناولته الصرة فقال اعطها للمزين فقلت ان جملتها دنانير فقال اوليس قد قلنا لك انك بخيل قال فناولتها
للمزين فقال المزين قد عقدنا لما جلس هذا الفقير بين يدينا ان لا ناخذ عليه اجرا قال فرميت بها في دجلة
وقلت ما اعزك احد الا اذله الله وقال حمزة بن عبد الله العلوي دخلت على ابي الخير التيناتي واعتقدت في
نفسي ان اسلم عليه ولا آكل في داره طعاما فلما خرجت من عنده اذا به قد لحقني وقد حمل طبقا عليه طعام فقال
يا فتى كل هذا فقد خرجت الساعة من اعتقادك وكان ابو الخير مشهورا بالكرامات وقال ابرهيم
الرقي قصدته مسلما فصلى صلاة المغرب ولم يقرا فاتحة الكتاب مستويا فقلت في نفسي ضاعت سفرتي
فلما سلم خرجت للطهارة فقصدني الاسد فعدت اليه وقلت ان الاسد قد قصدني فخرج فصاح
على الاسد وقال الم اقل لك لا تتعرض لضيفاني فتنحى وتطهرت فلما رجعت قال اشتغلتم بتقويم
الظاهر فخفتم الاسد واشتغلنا بتقويم القلب فخافنا الاسد وما حكي من تفرس المشايخ واخبارهم
عن اعتقادات الناس وضمائرهم يخرج عن الحصر بل ما حكي عنهم من مشاهدة الخضر عليه السلام و
السؤال منه ومن سماع صوت الهاتف ومن فنون الكرامات خارج عن الحصر والحكايات لا تنفع الجاحد ما لم يشاهد
ذلك من نفسه ومن انكر الاصل انكر التفصيل والدليل القاطع الذي لا يقدر احد على جحده امران احدهما عجائب
الرؤيا الصادقة فانها ينكشف بها الغيب واذا جاز ذلك في النوم فلا يستحيل ايضا في اليقظة فلم يفارق النوم
اليقظة الا في ركود الحواس وعدم اشتغالها بالمحسوسات وكم من مستيقظ غائص لا يسمع ولا يبصر لاشتغاله
بنفسه والثاني اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيب وامور في المستقبل كما اشتمل عليه القرآن واذا جاز
ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم جاز لغيره اذ النبي صلى الله عليه وسلم عبارة عن شخص كوشف بحقائق الامور
وشغل باصلاح الخلق فهذا لا يسمى نبيا بل يسمى وليا فمن آمن بالانبياء وصدق بالرؤيا الصحيحة لزمه لا محالة
ان يقر بان القلب له بابان باب الى الخارج وهو باب الحواس وباب الى الملكوت من داخل القلب وهو باب الالهام
والنفث في الروع والوحي فاذا اقر بهما جميعا لم يمكنه ان يحصر العلوم في التعلم ومباشرة الاسباب المألوفة
بل يجوز ان تكون المجاهدة سبيلا اليها فهذا ما ينبه على حقيقة ما ذكرناه من عجيب تردد القلب بين عالم
الشهادة وعالم الملكوت واما السبب في انكشاف الامر في المنام بالمثال المحوج الى التعبير وكذلك

بتمثل الملائكة بصور مختلفة للانبياء والاولياء فذلك ايضا من اسرار عجائب القلب ولا يليق ذلك
الا بعلم المكاشفة فليقتصر على ما ذكرناه فانه كاف للاستحثاث على المجاهدة وطلب الكشف منها
وقد قال بعض المكاشفين ظهر لي الملك فسالني ان املي عليه شيئا من ذكري الخفي عن مشاهدتي من
التوحيد وقال ما نكتب لك عملا ونحن نحب ان نصعد لك بعمل تتقرب به الى الله تعالى فقلت
الستما تكتبان الفرائض فقالا بلى فقلت فيكفيكما ذلك وهذه اشارة الى ان الكرام الكاتبين لا
يطلعون على اسرار القلب وانما يطلعون على الظاهر وقال بعض العارفين سالت بعض الابدال
عن مسئلة من مشاهدة اليقين فالتفت الى شماله فقال ما تقول رحمك الله ثم جاوب
باغرب جواب سمعته فسالته عن التفاته فقال لم يكن في المسئلة عندي علم عتيد فسالت
صاحب الشمال فقال لا ادري فسالت صاحب اليمين وهو اعلم منه فقال لا ادري فنظرت الى
قلبي فسالته فحدثني بما اجبتك فاذا هو اعلم منهما فكان هذا معنى قول النبي صلى الله عليه
وسلم ان من امتي محدثين وان منهم عمر وفي الاثر ان الله تعالى يقول ايما عبد اطلعت على قلبه
فرايت الغالب عليه التمسك بذكري توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وانيسه وقال
ابو سليمان الداراني القلب بمنزلة القبة المضروبة حولها ابواب مغلقة فاي باب فتح له عمل فيه
فتظهر انفتاح باب من ابواب القلب الى جهة الملكوت والملأ الاعلى وينفتح ذلك الباب
بالمجاهدة والورع والاعراض عن شهوات الدنيا وكذلك كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى امراء
الاجناد احفظوا ما تسمعون من المطيعين فانهم يجلى لهم امور صادقة وقال بعض العلماء يد الله
تعالى على افواه الحكماء لا ينطقون الا بما هيأ الله سبحانه لهم من الحق وقال آخر لو شئت لقلت ان الله
تعالى يطلع الخاشعين على بعض سره **بيان** تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة
وسبب غلبتها **اعلم** ان القلب كما ذكرناه في مثال قبة لها ابواب تنصب اليها الاحوال من كل باب ومثاله
ايضا مثال هدف تنصب اليه السهام من الجوانب وهو مثل مرآة منصوبة تجتاز عليها اصناف
الصور المختلفة فتتراءى فيها صورة بعد صورة ولا تخلو عنها او مثال حوض تنصب اليه مياه
مختلفة من انهار مفتوحة اليه وانما مداخل هذه الآثار المتجددة في القلب في كل حال اما من الظاهر فالحواس
الخمس واما من الباطن فالخيال والشهوة والغضب والاخلاق المركبة في مزاج الانسان فانه اذا ادرك
بالحواس شيئا حصل منه اثر في القلب وكذلك اذا هاجت الشهوة مثلا بسبب كثرة الاكل او بقوة
في المزاج حصل منها في القلب اثر وان كف عن الاحساس فالخيالات الحاصلة في النفس تبقى وينتقل
الخيال من شيء الى شيء وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال الى حال والمقصود ان القلب
في التغير والتأثر دائما من هذه الاسباب واخص الآثار الحاصلة في القلب هو الخواطر واعني بالخواطر ما
يعرض فيه من الافكار والاذكار واعني به ادراكاته علوما اما على سبيل التجدد واما على سبيل التذكر
فانها تسمى خواطر من حيث انها تخطر بعد ان كان القلب غافلا عنها والخواطر هي المحركات للارادات
فان النية والعزم والارادة انما تكون بعد خطور المنوي بالبال لا محالة فمبدأ الافعال الخواطر ثم الخاطر
يحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والعزم يحرك النية والنية تحرك الاعضاء والخواطر المحركة للرغبة
تنقسم الى ما يدعو الى الشر اعني الى ما يضر في العاقبة والى ما يدعو الى الخير اعني الى ما ينفع في الدار الآخرة
فهما خاطران مختلفان فافتقرا الى اسمين مختلفين فالخاطر المحمود يسمى الهاما والخاطر المذموم اعني الداعي

الى الشر يسمى وسواسا ثم انك تعلم ان هذه الخواطر حادثة وكل حادث لا بد له من سبب ومهما اختلفت الحوادث
دلت على اختلاف الاسباب هذا ما عرف من سنة الله تعالى في ترتيب المسببات على الاسباب فمهما
استنارت حيطان البيت بنور النار واظلم سقفه واسود بالدخان علمت ان سبب السواد غير سبب
الاستنارة فكذلك لانوار القلوب وظلمتها سببان مختلفان فسبب الخاطر الداعي الى الخير يسمى ملكا
وسبب الخاطر الداعي الى الشر يسمى شيطانا واللطف الذي يتهيأ به القلب لقبول الهام الملك يسمى توفيقا
والذي به يتهيأ لقبول وسواس الشيطان يسمى اغواء وخذلانا فان المعاني المختلفة تفتقر الى اسامي
مختلفة والملك عبارة عن خلق خلقه الله شأنه افاضة الخير وافادة العلم وكشف الحق والوعد
بالمعروف وقد خلقه وسخره لذلك والشيطان عبارة عن خلق شأنه ضد ذلك وهو الوعد بالشر
والامر بالفحشاء والتخويف عند الهم بالخير بالفقر والوسوسة في مقابلة الالهام والشيطان في مقابلة
الخذلان واليه الاشارة بقوله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين فان الموجودات كلها متقابلة مزدوجة
الا الله تعالى فانه لا مقابل له بل هو الواحد الحق الخالق للازواج كلها والقلب متجاذب بين الشيطان
والملك وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في القلب لمتان لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق
بالحق ولمة من العدو ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير وقال الحسن انما هما همان يجولان في القلب
هم من الله تعالى وهم من العدو فرحم الله تعالى عبدا وقف عند همه فما كان لله امضاه وما كان
من عدوه جاهده ولتجاذب القلب بين هذين السلطانين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب
المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن والله سبحانه وتعالى يتعالى عن ان يكون له اصابع مركبة من لحم ودم
وعظم تنقسم بالانامل ولكن روح الاصبع سرعة التقليب والقدرة على التحريك والتغيير فانك
لا تريد اصبعك لشخصها بل لفعلها في التقليب والترديد كما انك تتعاطى الافعال باصبعك فالله
تعالى انما يفعل ما يفعل باستسخار الملك والشيطان وهما مسخران لقدرته في تقليب القلوب كما ان
اصابعك مسخرة لك في تقليب الاجسام مثلا والقلب باصل الفطرة صالح لقبول اثار الملائكة و
لقبول اثار الشياطين صلاحا متساويا ليس يترجح احدهما على الاخر وانما يترجح احد الجانبين باتباع
الهوى والاكباب على الشهوات او الاعراض عنها ومخالفتها فان اتبع الانسان مقتضى الشهوة والغضب ظهر
تسلط الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عش الشيطان ومعدنه لان الهوى هو مرعى الشيطان
ومرتعه وان جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه وتشبه باخلاق الملائكة صار قلبه مستقر
الملائكة ومهبطهم ولما كان لا يخلو قلب عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول امل الى غير
ذلك من صفات البشرية المنشعبة عن الهوى لا جرم لم يخل قلب عن ان يكون فيه جولان بالوسوسة
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وله شيطان قالوا وانت يا رسول الله قال وانا
الا ان الله تعالى اعانني عليه فاسلم فلا يامر الا بخير وانما كان هذا لان الشيطان لا يتصرف الا بواسطة
الشهوة فمن اعانه الله على شهوته حتى صارت لا تنبسط الا حيث ينبغي والى الحد الذي ينبغي فشهوته لا تدعو
الى الشر فالشيطان المتدرع بها لا يامر الا بالخير ومهما غلب على القلب ذكر الدنيا بمقتضى الهوى وجد
الشيطان مجالا فوسوس ومهما انصرف القلب الى ذكر الله تعالى ارتحل الشيطان وضاق مجاله واقبل الملك
والهم والتطارد بين جندي الملائكة والشياطين في معركة القلب دائم الى ان ينفتح القلب لاحدهما
فيستوطن ويستمكن ويكون اجتياز الثاني اختلاسا واكثر القلوب قد فتحتها جنود الشياطين وملكتها

فامتلأت بالوساوس الداعية الى ايثار العاجلة واطراح الاخرة ومبدأ استيلائها اتباع الهوى
ولا يمكن فتحها بعد ذلك الا بتخلية القلب عن قوت الشيطان وهو الهوى والشهوات وعمارته
بذكر الله تعالى الذي هو مطرح اثر الملائكة وقال جابر بن عبيدة العدوي شكوت الى العلاء بن زياد ما
اجد في صدري من الوسوسة فقال انما مثل ذلك مثل البيت الذي تمر به اللصوص فان كان فيه
شيء عالجوه والا مضوا وتركوه يعني ان القلب الخالي عن الهوى لا يدخله الشيطان ولذلك قال تعالى
ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لا عبد الله ولذلك
يسلط عليه الشيطان وقد قال تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم اشارة الى ان الهوى
الهه ومعبوده فهو عبد الشيطان لا عبد الله وقال عمرو بن العاص يا رسول الله حال الشيطان
بيني وبين صلاتي وبين قراءتي فقال ذلك شيطان يقال له خنزب فاذا احسسته فتعوذ بالله
منه واتفل عن يسارك ثلاثا قال ففعلت ذلك فاذهبه الله عني وفي الخبر ان للوضوء شيطانا يقال
له الولهان فاستعيذوا بالله منه ولا يمحو وسوسة الشيطان من القلب الا ذكر شيء سوى ما يوسوس به
لانه اذا خطر في القلب ذكر شيء انعدم عنه ما كان فيه من قبل ولكن كل شيء سوى الله تعالى وسوى ما يتعلق
به فيجوز ان يكون ايضا مجالا للشيطان وذكر الله تعالى هو الذي يؤمن جانبه ويعلم انه ليس للشيطان
فيه مجال ولا يعالج الشيء الا بضده وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله بالاستعاذة و
التبري من الحول والقوة وهو معنى قولنا اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة الا بالله وذلك
لا يقدر عليه الا المتقون الذين الغالب عليهم ذكر الله وانما الشيطان يطوف عليهم في اوقات
الغفلات على سبيل الخلسة قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم
مبصرون وقال مجاهد في معنى قوله من شر الوسواس الخناس قال هو منبسط على قلب الانسان فاذا ذكر الله
تعالى خنس وانقبض واذا غفل انبسط على قلبه فالتطارد بين ذكر الله تعالى ووسوسة
الشيطان كالتطارد بين النور والظلمة وبين الليل والنهار ولتضادهما قال الله تعالى استحوذ عليهم
الشيطان فانساهم ذكر الله وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان واضع خطمه على
قلب ابن ادم فان ذكر الله خنس وان نسي الله التقم قلبه وقال ابن وضاح في حديث ذكره اذا بلغ
الرجل اربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان بوجهه وقال بابي وجه لا يفلح وكما ان الشهوات
ممتزجة بلحم الادمي ودمه فسلطنة الشيطان ايضا سارية في لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من
جوانبه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ليجري من ابن ادم مجرى الدم فضيقوا مجاريه
بالجوع وذلك لان الجوع يكسر الشهوة ومجرى الشيطان الشهوات ولاجل اكتناف الشهوات للقلب
من جوانبه قال الله تعالى حكاية عن ابليس لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لاتينهم من بين ايديهم
ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قعد لابن
ادم بطرق فقعد له بطريق الاسلام فقال اتسلم وتترك دينك ودين ابائك فعصاه فاسلم ثم قعد
له بطريق الهجرة فقال اتهاجر وتدع ارضك وسماءك فعصاه وهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال
اتجاهد وهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك فعصاه فجاهد فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فمن فعل ذلك فمات كان حقا على الله ان يدخله الجنة فقد ذكر رسول الله صلى الله
عليه وسلم معنى الوسوسة وهي هذه الخواطر التي تخطر فاذا الوسواس معلوم بالمشاهدة وكل خاطر فله

سبب ولم يستقر إلى الآن بعرفه فإنهم شبه الشيطان ولا يقصدون أن يغفل عنه وإنما يختلفون
بعصيانه ومتابعته ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد إلا وله شيطان فقد اتضح بهذا النوع
من الاستبصار معنى الوسوسة والإلهام والملك والشيطان والتوفيق والخذلان فبعد هذا انظر
من ينظر في ذات الشيطان وأنه جسم لطيف أو ليس بجسم وإن كان جسما فكيف يدخل بدن الإنسان
ما هو جسم فهذا الآن غير محتاج إليه في علم المعاملة بل مثال الباحث عن هذا كالرجل في ثوبه حية
وهو محتاج إلى دفع ضررها فاشتغل بالبحث عن لونها وطولها وعرضها وذلك عين الجهل فمصادفة
الخواطر الباعثة على الشرور قد علمت ودل ذلك على أنه عن سبب لا محالة وعلم أن الداعي إلى الشر المحذور في
المستقبل عدو فقد عرف العدو فينبغي أن يشتغل بمجاهدته وقد عرف الله سبحانه عداوته
في مواضع كثيرة من كتابه ليؤمن به ويحترز منها فقال عز وجل إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه
عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير وقال ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان
إنه لكم عدو مبين فينبغي للعبد أن يشتغل بدفع العدو عن نفسه لا بالسؤال عن أصله ونسبه ومسكنه
ثم ينبغي أن يسأل عن سلاحه ليدفعه وسلاح الشيطان الهوى والشهوات وذلك كاف للعالمين
فأما معرفة حقيقة ذاته وحقيقة الملائكة فذلك ميدان العارفين المتغلغلين في علوم المكاشفات
ولا يحتاج في المعاملة إلى معرفته نعم ينبغي أن يعلم أن الخواطر تنقسم إلى ما يعلم قطعا أنه داع إلى
الشر فلا يخفى كونه وسوسة وإلى ما يعلم أنه داع إلى الخير فلا يشك في كونه إلهاما وإلى ما يتردد فيه
فلا يدري أنه من لمة الملك أو من لمة الشيطان فإن من مكايده أن يعرض الشر في معرض الخير والتمييز
في ذلك غامض وأكثر العباد به يهلكون فإن الشيطان لا يقدر على دعائهم إلى الشر الصريح
فيصور الشر بصورة الخير كما يقول للعالم بطريق الوعظ أما تنظر إلى الخلق وهم موتى من الجهل هلكى من
الغفلة قد أشرفوا على النار أما لك رحمة على عباد الله تنقذهم من المعاطب بنصحك ووعظك وقد
أنعم الله عليك بقلب بصير ولسان ذلق ولهجة مقبولة فكيف تكفر نعمة الله وتتعرض لسخطه
وتسكت عن إشاعة العلم ودعوة الخلق إلى الصراط المستقيم ولا يزال يستجره بلطائف الحيل إلى
أن يشتغل بوعظ الناس ثم يدعوه إلى أن يتزين لهم ويتصنع بتحسين اللفظ وإظهار الخير ويقول له إن لم
تفعل ذلك سقط وقع كلامك عن قلوبهم ولم يهتدوا إلى الحق ولا يزال يقرر ذلك عنده وهو في أثنائه
يؤكد فيه شوائب الرياء وقبول الخلق ولذة الجاه والتعزز بكثرة العلم والنظر إلى الخلق بعين الاحتقار
وهو يظن أنه عند الله بمكان وهو ممن قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله ليؤيد
هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ولذلك روي أن إبليس تمثل لعيسى
عليه السلام فقال له قل لا إله إلا الله فقال كلمة حق ولا أقولها بقولك لأنه له تحت الخير تلبيسات و
تلبيسات الشيطان من هذا الجنس لا يتناهى وبها هلك العلماء والعباد والزهاد والفقراء والأغنياء
وأصناف الخلق ممن يكرهون ظاهر الشر ولا يرضون لأنفسهم الخوض في المعاصي المكشوفة وسنذكر
جملة من مكايد الشيطان في كتاب الغرور من آخر هذا الربع ولعلنا إن أمهل الزمان صنفنا فيه
كتابا على الخصوص سميناه تلبيس إبليس فإنه قد انتشر الآن تلبيسه في العباد والبلاد في المذاهب
والاعتقادات حتى لم يبق من الخيرات إلا رسمها كل ذلك إذعانا لتلبيسات الشيطان ومكايده فحق على العبد
أن يقف عند كل هم يخطر له ليعلم أنه من لمة الملك أو لمة الشيطان وأن يمعن النظر فيه بعين البصيرة

لا بهوى من الطبع ولا يطلع عليه إلا بنور التقوى وغزارة العلم كما قال تعالى إن الذين اتقوا إذا
مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون أي انكشف لهم الإشكال فأما من لم يروض
نفسه بالتقوى فيميل طبعه إلى الإذعان لتلبيسه بمتابعة الهوى فيكثر فيه غلطه ويتعجل
فيه هلاكه وهو لا يشعر وفي مثلهم قال تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل هي أعمال
ظنوها حسنات فإذا هي سيئات وأغمض أنواع علوم المعاملة الوقوف على خدع النفس
ومكايد الشيطان وذلك فرض عين على كل عبد وقد أهمله الخلق واشتغلوا بعلوم تجر إليهم
الوسواس ويتسلط عليهم الشيطان لنسيانهم عداوته وطرق الاحتراز منه ولا ينجي من
كثرة الوسواس إلا حفظ أبواب الخواطر وأبوابها الحواس الخمس وأبوابها من داخل الشهوات
وعلائق الدنيا والخلوة في بيت مظلم يسد باب الحواس والتجرد عن المال والأهل يقلل مداخل
الوسواس من الباطن ويبقى مع ذلك مداخل باطنة من التخيلات الجارية في القلب وذلك لا
يدفع إلا بشغل القلب عن ذكر اشتغاله بدون مجاهدته وهذه مجاهدة لا آخر لها إلا الموت ولا
يتخلص أحد عن الشيطان ما دام حيا نعم قد يقوى بحيث لا ينقاد له ويدفع عن نفسه شره
بالجهاد ولكن لا يستغني قط عن الجهاد والمدافعة ما دام الدم يجري في بدنه فإنه ما دام حيا
فأبواب الشيطان مفتوحة إلى قلبه لا تغلق وهي الشهوة والغضب والحسد والطمع والشره
وغيرها كما سيأتي شرحها ومهما كان الباب مفتوحا والعدو غير غافل لم يدفع إلا بالحراسة و
المجاهدة قال رجل للحسن يا أبا سعيد أينام إبليس فتبسم وقال لو نام لوجدنا راحة فلا خلاص
للمؤمن عنه نعم له سبيل إلى دفعه وتضعيف قوته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن المؤمن
لينضي شيطانه كما ينضي أحدكم بعيره في السفر وقال ابن مسعود شيطان المؤمن مهزول وقال
قيس بن الحجاج قال لي شيطاني دخلت فيك وأنا مثل الجزور وأنا الآن مثل العصفور قلت
لم ذلك قال تذيبني بكتاب الله عز وجل فأهل التقوى لا يتعذر عليهم سد أبواب الشيطان و
حفظها بالحراسة أعني الأبواب الظاهرة والطرق الجلية التي تفضي إلى المعاصي الظاهرة وإنما يتعثرون
في طرقه الغامضة فإنهم لا يهتدون إليها فيحرسونها كما أشرنا إليه في غرور العلماء والوعاظ والمشكل أن
الأبواب المفتوحة إلى الشيطان كثيرة وباب الملائكة واحد وقد التبس ذلك الواحد بهذه الكثيرة
فالعبد فيه مثل المسافر الذي يبقى في بادية كثيرة الطرق غامضة المسالك في ليلة مظلمة فلا
يكاد يعلم الطريق إلا بعين بصيرة وطلوع شمس مشرقة والعين البصيرة ههنا هو القلب المصفى بالتقوى
والشمس المشرقة هو العلم الغزير المستفاد من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم
فبهما يهتدي إلى غوامض طرقه وإلا فطرقه كثيرة غامضة قال عبد الله بن مسعود خط لنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم خطا فقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وشماله فقال هذه
سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم تلا هذه الآية وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا
تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله لتلك الخطوط فبين صلى الله عليه وسلم كثرة طرقه وقد ذكرنا مثالا للطريق
الغامض من طرقه وهو الذي يخدع به العلماء والعباد المالكين شهواتهم الكافين عن المعاصي الظاهرة
فلنذكر مثالا للطريق الواضح الذي لا يخفى إلا أن يضطر الآدمي إلى سلوكه وذلك كما روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال كان راهب في بني إسرائيل فأخذ الشيطان جارية فخنقها وألقى في قلوب أهلها أن دواها

عند الراهب فأتوا بها إلى الراهب فلم يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها فكانت عنده ليعالجها فأتاه الشيطان
فوسوس له في مقاربتها ولم يزل به حتى وقع عليها فحملت فوسوس له وقال الآن تفتضح ويأتيك أهلها
فاقتلها فإن أتوك فقل ماتت فقتلها ودفنها فأتاه أهلها فسألوه فقال ماتت فأخذوه فأتاه
الشيطان فقال أنا الذي أخذتها وأنا الذي ألقيت في قلوب أهلها فأطعني تنج اسجد لي سجدتين
فهو الذي قال الله عز وجل فيه كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني
فانظر الآن إلى حيله واضطراره الراهب إلى هذه الكبائر وكل ذلك بطاعته له في قبول الجارية للمعالجة
وهو أمر هين وربما يظن صاحبه أنه خير وحسنة فيحسن ذلك في قلبه بخفي الهوى فيقدم عليه
كالراغب في الخير فيخرج الأمر بعد ذلك عن اختياره ويجره البعض إلى البعض بحيث لا يجد محيصا فنعوذ
بالله من تضييع أوائل الأمور وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه

بيان تفصيل مداخل الشيطان إلى القلب **اعلم** أن القلب مثاله حصن والشيطان عدو يريد
أن يدخل الحصن ويملكه ويستولي عليه ولا يقدر على حفظ الحصن عن العدو إلا بحراسة أبواب الحصن
ومداخله ومواضع ثلمه ولا يقدر على حراسة أبوابه من لا يعرف أبوابه وحماية القلب عن فساد الشيطان واجب
وهي فرض عين على كل عبد مكلف وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو أيضا واجب ولا يتوصل إلى دفع الشيطان
إلا بمعرفة مداخله فصارت معرفة مداخل الشيطان واجبة ومداخل الشيطان وأبوابه صفات
العبد وهي كثيرة ولكنا نشير إلى الأبواب العظيمة الجارية مجرى الدروب التي لا تضيق عن كثرة
جنود الشيطان فمن أبوابه العظيمة الحرص والحسد فمهما كان العبد حريصا على شيء أعماه حرصه وأصمه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبك الشيء يعمي ويصم ونور البصيرة هو الذي يعرف مداخل الشيطان
فإذا غطاه الحرص والحسد لم يبصر فيجد الشيطان فرصة فيحسن عند الحريص كل ما يوصله إلى شهوته
وإن كان منكرا وفاحشا فقد روي أن نوحا عليه السلام لما ركب السفينة حمل فيها من كل زوجين
كما أمره الله فرأى في السفينة شيخا لم يعرفه فقال له نوح ما أدخلك قال دخلت لأصيب قلوب أصحابك
فتكون قلوبهم معي وأبدانهم معك فقال له نوح اخرج منها بثلاث ولا أحدثك بالاثنين فأوحى الله
تعالى إلى نوح أنه لا حاجة لك بالثلاث مره يحدثك بالاثنين فقال له نوح ما الاثنتان فقال هما لا
يكذباني هما لا يخلفاني هما أهلكا الناس الحسد وبالحسد لعنت وجعلت شيطانا رجيما والحرص أبيحت
لآدم الجنة كلها فأصبت حاجتي منه بالحرص ومن أبوابه العظيمة الغضب والشهوة فإن الغضب غول
العقل فإذا ضعف جند العقل هجم جند الشيطان ومهما غضب الإنسان لعب به الشيطان كما يلعب
الصبي بالكرة فقد روي أن إبليس لقي موسى عليه السلام فقال يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالته
وكلمك تكليما وأنا من خلق الله أذنبت وأريد أن أتوب فاشفع لي إلى ربي أن يتوب علي قال موسى نعم
فدعا ربه عز وجل فقيل يا موسى قد قضيت حاجتك فلقي موسى إبليس فقال قد أمرت أن تسجد لقبر آدم فيتاب
عليك فاستكبر وغضب وقال لم أسجد له حيا أفأسجد له ميتا ثم قال إبليس يا موسى إن لك
علي حقا بما شفعت لي إلى ربك فاذكرني عند ثلاث لا أهلكك فيهن اذكرني حين تغضب فإن
روحي في قلبك وعيني في عينك وأجري منك مجرى الدم واذكرني حين تلقى الزحف فإني آتي ابن آدم
حين يلقى الزحف فأذكره ولده وزوجته وأهله حتى يولي وإياك أن تجالس امرأة ليست لك بذات
محرم فإني رسولها إليك ورسولك إليها فقد أشار في هذا إلى الشهوة والغضب والحرص فإن

الفرار من الزحف حرص على الدنيا وامتناعه لآدم من السجود ميتا هو من الحسد وهو من أعظم مداخله
قال بعض الأنبياء لإبليس بأي شيء تغلب ابن آدم قال آخذه عند الغضب وعند الهوى وظهر إبليس
لراهب فقال أي أخلاق بني آدم أعون لك قال الحدة إن العبد إذا كان حديدا قلبناه كما يقلب
الصبيان الكرة ويقال إن الشيطان يقول كيف يغلبني ابن آدم وإذا رضي جئت حتى أكون في قلبه وإذا
غضب طرت حتى أكون في رأسه ومن أبوابه حب التزين في الثياب والأثاث والدار فإن الشيطان إذا
رأى ذلك غالبا على قلب ابن آدم باض فيه وفرخ فلا يزال يدعوه إلى عمارة الدار وتزيين سقوفها وحيطانها
وتوسيع أبنيتها ويدعوه إلى التزين بالثياب والدواب ويستسخره طول عمره فإذا أوقعه في ذلك
فقد استغنى عن معاودته فإن بعض ذلك يجره إلى البعض فلا يزال يؤديه من شيء إلى شيء إلى أن يساق
إليه أجله فيموت وهو في سبيل الشيطان واتباع الهوى ويخشى من ذلك سوء الخاتمة بالكفر نعوذ
بالله منه ومن أبوابه العظيمة الشبع من الطعام وإن كان حلالا صافيا فإن الشبع يقوي الشهوات
وأسلحة الشيطان روي أن إبليس ظهر ليحيى بن زكريا عليهما السلام فرأى عليه معاليق من كل شيء فقال
ليحيى يا إبليس ما هذه المعاليق قال هذه الشهوات التي أصبت بها ابن آدم قال فهل لي فيها قال ربما
شبعت فثقلناك عن الصلاة وعن الذكر قال فهل غير ذلك قال لا قال يحيى لله علي أن لا أملأ بطني من
طعام أبدا فقال له إبليس لله علي أن لا أنصح مسلما أبدا ومن أبوابه العظيمة الطمع في الناس فإذا غلب الطمع
على القلب لم يزل الشيطان يحبب التصنع والتزين للمطموع فيه بأنواع الرياء والتلبيس حتى يصير
المطموع فيه كأنه معبوده فلا يزال يتفكر في حيلة التودد والتحبب إليه ويدخل كل مدخل للوصول إلى ذلك
وأقل أحواله الثناء عليه بما ليس فيه والمداهنة معه بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد
روى صفوان بن سليم أن إبليس تمثل لعبد الله بن حنظلة فقال يا ابن حنظلة احفظ عني شيئا أعلمك قال
لا حاجة لي به قال انظر فإن كان خيرا أخذت وإن كان شرا رددت يا ابن حنظلة لا تسأل أحدا غير الله سؤال رغبة
وانظر كيف تكون إذا غضبت ومن أبوابه العجلة وترك التثبت في الأمور قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم العجلة من الشيطان والتأني من الله قال الله تبارك وتعالى وكان الإنسان عجولا وقال ولا
تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علما وهذا لأن الأعمال ينبغي أن تكون
بعد التبصرة والمعرفة والتبصرة تحتاج إلى تأمل وتمهل والعجلة تمنع من ذلك فعند الاستعجال
يروج الشيطان شره من حيث لا يدري وروي أنه لما ولد عيسى عليه السلام أتت الشياطين إبليس فقالوا
أصبحت الأصنام قد نكست رءوسها فقال هذا حادث قد حدث مكانكم فطار حتى جاء خافقي الأرض فلم
يجد شيئا ثم وجد عيسى عليه السلام قد ولد وإذا الملائكة قد حفت حوله فرجع إليهم فقال إن
نبيا قد ولد البارحة ما حملت أنثى قط ولا وضعت إلا وأنا حاضرها إلا هذا فأيسوا أن تعبد الأصنام
بعد هذه الليلة ولكن ائتوا بني آدم من قبل العجلة والخفة ومن أبوابه العظيمة الدراهم والدنانير وسائر
أصناف الأموال من العروض والدواب والعقار فإن كل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر
الشيطان فإن من معه قوته فهو فارغ القلب فلو وجد مائة دينار مثلا على طريق انبعثت من قلبه
مائة شهوة تحتاج كل واحدة إلى مائة دينار فلا يكفيه ما وجد بل يحتاج إلى تسعمائة أخرى وقد
كان قبل وجود المائة مستغنيا فالآن وجد مائة وظن أنه صار بها غنيا وقد صار محتاجا إلى تسع
مائة ليشتري بها دارا ويعمرها وليشتري أبات البيت ويشتري الثياب الفاخرة وكل شيء من ذلك

فيدعي شيئا آخر يليق به وذلك لا آخر له فيقع في هاوية آخرها في عمق جهنم كالا آخر لها سواء قال ثابت لما
بعث النبي صلى الله عليه وسلم قال ابليس لشياطينه لقد حدث امر فانظروا ما هو فانطلقوا ثم جاؤا
وقالوا ما ندري قال ابليس انا آتيكم بالخبر فذهب وجاء وقال قد بعث محمد صلى الله عليه وسلم فجعل يرسل
شياطينه الى اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فينصرفون خائبين ويقولون ما صحبنا قوما قط مثل
هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون الى صلواتهم فيمحى ذلك فقال ابليس رويدا بهم عسى الله ان يفتح عليهم
الدنيا فهناك نصيب حاجتنا منهم وروي ان عيسى عليه السلام توسد يوما حجرا فمر به ابليس فقال يا عيسى
رغبت في الدنيا فاخذه من تحت رأسه ورمى به وقال هذا لك مع الدنيا وعلى الحقيقة من يملك حجرا
يتوسده عند النوم فقد ملك من الدنيا ما يمكن ان يكون عدة للشيطان فان القائم بالليل مثلا
للصلاة مهما كان بالقرب منه حجر يمكن ان يتوسده لا يزال يدعوه الى النوم والى ان يتوسده ولو لم يكن
ذلك لكان لا يخطر له ذلك ولا يتحرك رغبته في النوم هذا في حجر فكيف بمن يملك المخاد الوطيئة و
الفرش الوطيئة والمنتزهات الطيبة فمتى ينشط لعبادة الله تعالى ومن ابوابه البخل وخوف
الفقر فان ذلك هو الذي يمنع من الانفاق والتصدق ويدعو الى الادخار والكنز والعذاب الاليم هو
الموعود للكانزين كما نطق به القرآن قال خيثمة بن عبد الرحمن ان الشيطان يقول ما غلبني عليه ابن
آدم فلن يغلبني على ثلاث ان آمره ان يأخذ المال من غير حقه وانفاقه في غير حقه ومنعه من حقه
وقال سفيان ليس للشيطان سلاح مثل خوف الفقر فاذا قبل ذلك منه اخذ في الباطل ومنع من الحق
وتكلم بالهوى وظن بربه ظن السوء ومن آفات البخل الحرص على ملازمة الاسواق لجمع المال والاسواق
هي معشش الشياطين روى عن ابي امامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ابليس لما انزل الى
الارض قال يا رب انزلتني الى الارض وجعلتني رجيما فاجعل لي بيتا قال الحمام قال فاجعل لي مجلسا قال
الاسواق ومجامع الطرق قال فاجعل لي طعاما قال ما لا يذكر اسم الله عليه قال اجعل لي شرابا قال كل
مسكر قال اجعل لي مؤذنا قال المزامير قال اجعل لي قرآنا قال الشعر قال اجعل لي كتابا قال الوشم
قال اجعل لي حديثا قال الكذب قال اجعل لي مصايد قال النساء ومن ابوابه التعصب للمذاهب
والاهواء والحقد على الخصوم والنظر اليهم بعين الازدراء والاستحقار وذلك مما يهلك
الفساق والعباد جميعا فان الطعن في الناس والاشتغال بذكر نقصانهم صفة مجبولة في طبع الانسان
من الصفات السبعية فاذا خيل الشيطان اليه ان ذلك هو الحق وكان موافقا لطبعه غلبت حلاوته
على قلبه فاشتغل بكل همته وهو بذلك فرحان مسرور يظن انه يسعى في الدين وهو يسارع في اتباع
الشيطان ترى الواحد يتعصب لابي بكر رضي الله عنه وهو آكل الحرام ومطلق اللسان بالفضول والكذب
ويتعاطى لانواع الفساد ولو رآه ابو بكر رضي الله عنه لكان اول عدو له اذ مولى ابي بكر من اخذ سبيله وسار
بسيرته وحفظ ما بين لحييه وكان من سيرته رضي الله عنه ان يضع في فيه حجرا ليكف لسانه عن الكلام
فيما لا يعنيه فمن اين لهذا الفضولي ان يدعي ولاءه وحبه وترى فضوليا آخر يتعصب لعلي رضي الله عنه
وكان من زهد علي وسيرته انه لبس في خلافته ثوبا اشتراه بثلاثة دراهم وقطع رأس الكمين الى الرسغين
وترى الفاسق لابسا ثياب الحرير ومتجملا باموال اكتسبها من الحرام وهو يتعاطى حب علي ويدعيه وهو اول
خصمائه يوم القيامة وليت شعري من اخذ ولدا عزيزا لانسان وهو قرة عينه وحياة قلبه فاخذ يضربه
ويمزق ثيابه وينتف شعره ويقرضه بالمقراض وهو مع ذلك يدعي حب ابيه وولاءه كيف يكون حاله عنده

ومعلوم ان الدين والشرع كان احب الى ابي بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم وسائر الصحابة من الاهل
والولد بل من انفسهم والمقتحمون لمعاصي الشرع هم الذين يمزقون الشرع ويقطعونه بمقاريض الشهوات
ويتوددون به الى ابليس عدو الله وعدو اوليائه فترى كيف يكون حالهم عند الصحابة وعند
اولياء الله بل لو كشف الغطاء وعرف هؤلاء ما يحبه الصحابة من امة محمد صلى الله عليه وسلم لاستحيوا
من ان يجروا على اللسان ذكرهم مع قبح افعالهم ثم الشيطان يخيل اليهم ان من مات محبا لابي بكر وعمر
فالنار لا تحوم حوله ويخيل الى الآخر انه اذا مات محبا لعلي لم يكن عليه خوف وهذا رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول لابنته فاطمة وهي بضعة منه اعملي فاني لا اغني عنك من الله شيئا وهذا مثال
اوردناه في جملة الاهواء وهكذا حكم المتعصبين للشافعي وابي حنيفة واحمد ومالك وغيرهم
من الائمة فكل من ادعى مذهب امام وهو ليس يسير بسيرته فذلك الامام هو خصمه اذ يقول له كان
مذهبي العمل دون الحديث باللسان وكان الحديث باللسان لاجل العمل لا لاجل الهذيان فما بالك خالفتني
في العمل والسيرة التي هي مسلكي ومذهبي الذي سلكته وذهبت فيه الى الله تعالى ثم ادعيت
مذهبي كاذبا وهذا مدخل عظيم من مداخل الشيطان قد اهلك اكثر العالم وقد سلمت المدارس لاقوام
قل من الله خوفهم وضعفت في الدين بصيرتهم وقويت في الدنيا رغبتهم واشتد على الاستتباع
حرصهم ولم يتمكنوا من الاستتباع واقامة الجاه الا بالتعصب فحبسوا ذلك في صدورهم ولم
ينبهوهم على مكايد الشيطان فيه بل نابوا عن الشيطان في تنفيذ مكيدته فاستمر الناس عليهم
ونسوا امهات دينهم فقد هلكوا واهلكوا فالله يتوب علينا وعليهم قال الحسن بلغنا
ان ابليس قال سولت لامة محمد صلى الله عليه وسلم المعاصي فقصموا ظهري بالاستغفار فسولت
لهم ذنوبا لا يستغفرون الله منها وهي الاهواء وقد صدق اللعين فانهم لا يعلمون ان ذلك من
الاسباب التي تجر الى المعاصي فكيف يستغفرون منها ومن عظيم حيل الشيطان ان يشغل الانسان
بنفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس في المذاهب والخصومات قال عبد الله بن مسعود
قعد قوم يذكرون الله عز وجل فاتاهم الشيطان ليقيمهم عن مجلسهم ويفرق بينهم فلم يستطع
فاتى رفقة اخرى يتحدثون بحديث الدنيا فافسد بينهم فقاموا يقتتلون وليس اياهم يريد
فقام الذين يذكرون الله فاشتغلوا بهم يفصلون بينهم فتفرقوا عن مجلسهم وذلك مراد الشيطان
منهم ومن ابوابه حمل العوام والذين لم يمارسوا العلم ولم يتبحروا فيه على التفكر في ذات الله وصفاته وفي
امور لا يبلغها حد عقولهم حتى يشككهم في اصل الدين او يخيل اليهم في الله تعالى خيالا يتعالى
الله عنه فيصير به كافرا او مبتدعا وهو به فرح مسرور مبتهج بما وقع في صدره ويظن ان ذلك
هو المعرفة والبصيرة وانه انكشف له ذلك بذكائه وزيادة عقله واشد الناس حماقة اقواهم
اعتقادا في عقل نفسه واثبت الناس عقلا اشدهم اتهاما لنفسه وظنه واحرصهم على السؤال
من العلماء قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يأتي احدكم
فيقول له من خلقك فيقول الله فيقول فمن خلق الله فاذا وجد احدكم ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله فان ذلك
يذهب عنه فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر في علاج الوسواس الصعب هذا وسواس يجده عوام
الناس دون العلماء وانما حق العوام ان يؤمنوا ويسلموا ويشتغلوا بعباداتهم ومعايشهم ويتركوا العلم الى العلماء
فالعامي لو يزني او يسرق كان خيرا له من ان يتكلم في العلم فانه من تكلم في العلم من غير اتقان العلم في الله

ويخرج به عن الدين ويقع في الكفر من حيث لا يدري كمن يركب لجة البحر وهو لا يعرف السباحة ومكايد الشيطان فيما
يتعلق بالعقايد والمذاهب لا تحصر وانما قصدنا بما اوردناه المثال ومن ابوابه سوء الظن بالمسلمين
وكذلك قال تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ومن يحكم بشر على غيره بالظن بعثه
الشيطان على ان يطول فيه اللسان بالغيبة فيهلك او يقصر في القيام بحقوقه او يتوانى في اكرامه
وان ينظر اليه بعين الاحتقار ويرى نفسه خيرا منه وكل ذلك من المهلكات ولاجل ذلك منع الشرع
من التعرض للتهم فقال صلى الله عليه وسلم اتقوا مواقع التهم حتى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
احترز منها روي عن علي بن الحسين ان صفية بنت حيي اخبرته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
معتكفا فاتته فتحدثت عنده فلما امست انصرفت فقام يمشي معها فمر به رجلان من الانصار
فسلما ثم مضيا فناداهما فقال انها صفية بنت حيي قالا يا رسول الله ما نظن بك الا خيرا قال ان الشيطان
يجري من ابن آدم مجرى الدم واني خشيت ان يدخل عليكما فانظر كيف اشفق رسول الله صلى الله عليه
وسلم على دينهما فحرسهما وكيف اشفق على امته فعلمهم طريق الاحتراز من التهمة حتى لا يتساهل
العالم الورع المعروف بالدين في احواله فيقول مثلي لا يظن به الا الخير اعجابا منه بنفسه فان اورع
الناس واتقاهم لا ينظر الناس كلهم اليه بعين واحدة بل بعين الرضى بعضهم وبعين السخط
بعضهم وعين الرضى عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا فيجب الاحتراز
عن ظن السوء وعن تهمة الاشرار فان الاشرار لا يظنون بالناس كلهم الا الشر فمهما رايت انسانا يسيء
الظن بالناس طلبا للعيوب فاعلم انه خبيث في الباطن وان ذلك خبثه يترشح منه وانما يرى غيره من حيث
هو فان المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العيوب والمؤمن سليم الصدر في حق كافة الخلق
فهذه مداخل الشيطان الى القلب ولو اردنا استقصاء جميعها لم نقدر عليه وفي هذا القدر
ما ينبه على غيره فليس في الادمي صفة مذمومة الا وهي سلاح الشيطان ومدخل من مداخله فان
قلت فما العلاج في دفع الشيطان وهل يكفي ذكر الله وقول الانسان لا حول ولا قوة الا بالله فاعلم ان
علاج ذلك سد هذه المداخل بتطهير القلب من هذه الصفات المذمومة وذلك مما يطول ذكره
وغرضنا في هذا الربع من هذا الكتاب بيان علاج الصفات المهلكات ويحتاج كل صفة
الى كتاب مفرد على ما سياتي شرحه نعم اذا قلعت من القلب اصول هذه الصفات كان للشيطان اجتيازات
وخطرات ولم يكن له استقرار ويمنعه من الاجتياز ذكر الله تعالى لان حقيقة الذكر لا يتمكن من القلب
الا بعد عمارة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة والا فيكون الذكر حديث نفس لا
سلطان له على القلب ولا يدفع سلطان الشيطان ولذلك قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم
طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون خصص ذلك بالمتقين ومثال الشيطان كمثل كلب جائع
يقرب منك فان لم يكن بين يديك لحم وخبز فانه ينزجر بان تقول له اخسأ فمجرد الصوت يدفعه وان كان
بين يديك لحم هجم على اللحم ولم يندفع بمجرد الكلام فالقلب الخالي عن قوت الشيطان ينزجر عنه بمجرد
الذكر فاما الشهوة اذا غلبت على القلب دفعت حقيقة الذكر الى حواشي القلب فلم يتمكن من سويدائه فيستقر
الشيطان في سويداء القلب واما قلوب المتقين الخالية من الهوى والصفات المذمومة فيطرقها
الشيطان لا للشهوات بل لخلوها بالغفلة عن الذكر فاذا عاد الى الذكر خنس الشيطان ودليله قوله تعالى فاستعذ
بالله من الشيطان الرجيم وسائر الايات والاخبار الواردة في الذكر وقال ابو هريرة التقى شيطان المؤمن

وشيطان الكافر فاذا شيطان الكافر سمين دهين كاس واذا شيطان المؤمن مهزول اشعث عار فقال
شيطان الكافر لشيطان المؤمن ما لك قال انا مع رجل اذا اكل سمى الله فاظل جائعا واذا شرب سمى الله فاظل
عطشانا واذا ادهن سمى الله فاظل شعثا واذا لبس سمى الله فاظل عاريا فقال شيطان الكافر لكني مع رجل لا
يفعل شيئا مما ذكرت فانا اشاركه في طعامه وشرابه ولباسه وكان محمد بن واسع يقول كل يوم بعد صلاة
الصبح اللهم انك سلطت علينا عدوا بصيرا بعيوبنا مطلعا على عوراتنا يرانا هو وقبيله من
حيث لا نراهم اللهم فآيسه منا كما آيسته من رحمتك وقنطه منا كما قنطته من عفوك وباعد
بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين رحمتك انك على كل شيء قدير فتمثل له ابليس يوما في طريق المسجد
فقال له يا ابن واسع هل تعرفني فقال ومن انت قال انا اللعين قال وما تريد قال اريد ان لا تعلم احدا هذه
الاستعاذة ولا اعرض لك ابدا قال له ابن واسع والله لا امنعها من اراد فاصنع الآن ما شئت وعن
عبد الرحمن بن ابي ليلى قال كان شيطان ياتي النبي صلى الله عليه وسلم بيده شعلة من نار فيقوم بين
يديه وهو يصلي فيقرأ ويتعوذ ولا يذهب فاتاه جبريل صلى الله عليهما وسلم فقال له الا اعلمك كلمات
اذا قلتهن طفئت شعلته وانكب لمنخريه قال اعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر
من شر ما ذرأ في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ومن فتن الليل والنهار ومن
طوارق الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير يا رحمن فطفئت شعلته وخر على وجهه وقال الحسن نبئت
ان جبريل عليه السلام اتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ان عفريتا من الجن يكيدك فاذا اويت
الى فراشك فاقرأ آية الكرسي وقال صلى الله عليه وسلم لقد اتاني الشيطان فنازعني فاخذت بحلقه
فوالذي بعثني بالحق ما ارسلته حتى وجدت برد لسانه على يدي ولولا دعوة سليمن صلى الله عليه وسلم
لاصبح طريحا وقال صلى الله عليه وسلم ما سلك عمر فجا الا سلك الشيطان فجا غيره وهذا لان
القلوب كانت مطهرة عن مرعى الشيطان وقوته وهي الشهوات فمهما طمعت في ان يندفع الشيطان عنك
بمجرد الذكر كما اندفع عن عمر كان محالا وكنت كمن يطمع في ان يشرب دواء قبل الاحتماء والمعدة مشغولة
بغليظ الاطعمة ويطمع ان ينفعه الدواء كما ينفع الذي شربه بعد الاحتماء وتخلية المعدة فالذكر دواء
والتقوى احتماء عن الشهوات فاذا نزل الذكر قلبا فارغا عن غير الذكر اندفع الشيطان
عنه كما تندفع العلة بنزول الدواء في معدة خالية عن الاطعمة قال الله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان
له قلب وقال تعالى كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير ومن ساعد
الشيطان بعمله فهو مولاه وان ذكر الله بلسانه فان كنت تقول الحديث ورد مطلقا بان الذكر
يطرد الشيطان ولم تفهم ان اكثر عمومات الشرع مخصوصة بشروط نقلها علماء الدين فانظر
لنفسك فليس الخبر كالمعاينة وتأمل ان منتهى ذكرك وعبادتك الصلاة فراقب قلبك
اذا كنت في صلاتك كيف يجاذبه الشيطان الى الاسواق وحساب العاملين وجواب المعاندين
وكيف يمر بك في اودية الدنيا ومهالكها حتى انك لا تذكر ما قد نسيته من فضول الدنيا الا في صلاتك
ولا تزدحم الشياطين على قلبك الا اذا صليت والصلاة محك القلوب فيها يظهر محاسنها ومساويها
لا تقبل الصلاة المشحونة بشهوات الدنيا فلا جرم لا ينطرد عنك الشيطان بل ربما يزيد عليك
الوسواس كما ان الدواء قبل الاحتماء ربما يزيد عليك الضرر فان اردت الخلاص من الشيطان فقدم الاحتماء
بالتقوى ثم اردفه بدواء الذكر يفر الشيطان منك كما فر من عمر رضي الله عنه ولذلك

قال وهب بن منبه اتق الله ولا تسب الشيطان في العلانية وانت صديقه في السر اي انت مطيع له
فقال بعضهم يا عجبا لمن يعصي المحسن بعد معرفته باحسانه ويطيع اللعين بعد معرفته بطغيانه
وكما ان الله تعالى قال ادعوني استجب لكم وانت تدعوه ولا يستجاب لك فكذلك تذكر الله ولا يهرب
منك الشيطان لفقد شروط الذكر والدعا وقيل لابراهيم بن ادهم ما لنا ندعو ولا يستجاب لنا
قال لانكم ميتة قلوبكم قيل وما الذي اماتها قال ثمان خصال عرفتم الله ولم تقوموا بحقه وقراتم
القران ولم تعملوا بحدوده وقلتم نحب الله ورسوله وتركتم سنته وقلتم نخشى الموت ولم تستعدوا
له وقال الله عز وجل ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فواطاتموه على المعاصي وقلتم نخاف النار
وارهقتم ابدانكم فيها وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها واذا قمتم من فرشكم رميتم عيوبكم وراء ظهوركم وقدمتم
عيوب الناس امامكم فاسخطتم ربكم فكيف يستجيب لكم فان قلت فالداعي الى المعاصي المختلفة
شيطان واحد او شياطين مختلفون فاعلم انه لا حاجة الى معرفة ذلك في المعاملة فاشتغل بدفع
العدو ولا تسال عن صفته كل البقل ولا تسل عن المبقلة ولكن الذي يتضح بنور الاستبصار وشواهد
هذه الاخبار انهم جنود مجندة وان لكل نوع من المعاصي شيطانا يخصه ويدعو اليه فاما طريق الاستبصار
وشواهد الاخبار فيكفيك التي ذكرناه في نور النار وسواد الدخان واما الاثار فقد قال مجاهد
لابليس خمسة من الاولاد قد جعل كل واحد منهم على شيء من امره فذكر ثبر والاعور ومسوط وداسم وزلنبور
فاما ثبر فهو صاحب المصيبات الذي يامر بالثبور وشق الجيوب ولطم الخدود ودعوى الجاهلية
واما الاعور فهو صاحب الزنا يامر به ويزينه واما مسوط فهو صاحب الكذب واما داسم فيدخل مع
الرجل الى اهله يريه العيب فيهم ويغضبه عليهم واما زلنبور فهو صاحب السوق فبسببه لا يزالون
متظالمين وشيطان الصلاة يسمى خنزب وشيطان الوضوء يسمى الولهان وقد وردت في ذلك اخبار كثيرة
وكما ان الشياطين فيهم كثرة فكذلك في الملائكة كثرة وقد ذكرنا في كتاب الشكر السر في كثرة الملائكة و
اختصاص كل واحد بعمل ينفرد به وقد قال ابو امامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل بالمؤمن
مائة وستون ملكا يذبون عنه ما لم يقدر عليه من ذلك البصر سبعة املاك يذبون عنه
كما يذب عن قصعة العسل الذباب في اليوم الصائف وما لو بدا لكم لرايتموه على كل سهل وجبل كلهم
باسط يديه فاغر فاه وما لو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين وقال يونس بن يزيد
قال بلغنا انه يولد مع ابناء الانس من ابناء الجن ثم ينشؤون معهم وقال جابر بن عبد الله ان ادم صلى الله
عليه وسلم لما اهبط الى الارض قال يا رب هذا العبد الذي جعلت بيني وبينه عداوة الا تعينني عليه لا اقوى
عليه قال يا ادم لا يولد لك ولد الا وكل به ملك قال رب زدني قال اجزي بالسيئة سيئة
وبالحسنة عشرا الى ما اريد قال رب زدني قال باب التوبة مفتوح ما دام في الجسد الروح قال
ابليس هذا العبد الذي كرمته علي الا تعينني عليه لا اقوى عليه قال لا يولد له ولد الا ولد لك ولد قال
رب زدني قال تجري منه مجرى الدم وتتخذون صدورهم بيوتا قال رب زدني قال اجلب عليهم
بخيلك ورجلك الى قوله غرورا وعن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله
الجن ثلاثة اصناف صنف حيات وعقارب وخشاش الارض وصنف كالريح في الهواء وصنف عليهم
الحساب والعقاب وخلق الله الانس ثلاثة اصناف صنف كالبهائم قال الله عز وجل لهم قلوب لا
يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها الاية وصنف اجسادهم اجساد بني ادم وارواحهم ارواح الشياطين

وصنف في ظل الله يوم لا ظل الا ظله وقال وهب بن الورد بلغنا ان ابليس تمثل ليحيى بن زكريا عليهما السلام
فقال له انصحك قال لا اريد ذلك ولكن اخبرني عن بني ادم قال هم عندنا ثلاثة اصناف اما صنف
منهم فهم اشد الاصناف علينا نقبل عليه حتى نفتنه ونتمكن منه ثم يفزع الى الاستغفار والتوبة
فيفسد علينا كل شيء ادركنا منه ثم نعود اليه فيعود فلا نحن نياس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا
فنحن معه في عناء واما الصنف الاخر فهم في ايدينا كالكرة في ايدي صبيانكم نتلقفهم كيف شئنا
قد كفونا انفسهم واما الصنف الثالث فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم على شيء فان قلت
فكيف يتمثل الشيطان لبعض الناس دون البعض واذا راى صورته افهي صورته الحقيقية او هو مثال
يتمثل به فان كانت صورته الحقيقية فكيف يرى بصور مختلفة وكيف يرى في وقت واحد في مكانين
وعلى صورتين حتى يراه شخصان بصورتين مختلفتين فاعلم ان الملك والشيطان لهما صورتان هي حقيقة
صورتهما ولا يدرك حقيقة صورتهما بالمشاهدة الا بانوار النبوة فما راى النبي صلى الله عليه وسلم
جبريل عليه السلام في صورته الا مرتين وذلك انه صلى الله عليه وسلم ساله ان يريه نفسه على صورته فواعده
ذلك بحرا فطلع له جبريل فسد الافق من المشرق الى المغرب وراه مرة اخرى على صورته ليلة المعراج عند سدرة
المنتهى وانما كان يراه في صورة الادمي غالبا فكان يراه في صورة دحية الكلبي وكان رجلا حسن الوجه
والاكثر انه يكاشف اهل المكاشفات في اليقظة وهو الذي انتهى الى رتبة لم يمنعه اشتغال الحواس
بالدنيا عن المكاشفة التي تكون في النوم فيرى في اليقظة ما يراه غيره في النوم روي ان عمر بن عبد العزيز
ان رجلا سال ربه ان يريه موضع الشيطان من قلب ابن ادم فاري في النوم جسد رجل شبه البلور يرى
داخله من خارجه وراى الشيطان في صورة ضفدع قاعدا على منكبه الايسر بين منكبه واذنه له خرطوم
دقيق طويل قد ادخله من منكبه الايسر الى قلبه يوسوس اليه فاذا ذكر الله خنس فمثل هذا قد يشاهد
بعينه في اليقظة وقد راه بعض المكاشفين في صورة كلب جاثم على جيفة يدعو الناس اليها وكانت
الجيفة مثل الدنيا وهذا يجري مجرى مشاهدة صورته الحقيقية فان القلب لا بد ان يظهر فيه حقيقة من الوجه الذي
يقابل الملكوت وعند ذلك يشرق اثره على وجهه الذي يقابل به عالم الملك والشهادة لان احدهما متصل
بالاخر وقد بينا ان القلب له وجهان وجه الى عالم الغيب وهو مدخل الالهام ووجه الى عالم الشهادة
فالذي يظهر منه في الوجه الذي يلي جانب عالم الشهادة لا يكون الا صورة متخيلة لان عالم الشهادة
كلها متخيلات الا ان الخيال تارة يحصل من النظر الى عالم الشهادة بالحس فيجوز ان لا يكون الصورة
على وفق المعنى حتى يرى شخص جميل الصورة وهو خبيث الباطن قبيح السر لان عالم الشهادة كثير
التلبيس فاما الصورة التي تحصل من الخيال من اشراق عالم الملكوت على باطن سر القلب فلا يكون الا محاكية
للصفة وموافقة لها لان الصورة في عالم الملكوت تابعة للصفة فلا جرم لا يرى المعنى القبيح
الا بصورة قبيحة فيرى الشيطان في صورة كلب وضفدع وخنزير وغيره ويرى الملك في صورة جميلة
فيكون تلك الصورة عنوان المعنى ومحاكية له بالصدق ولذلك يدل القرد والخنزير في النوم على انسان
خبيث ويدل الشاة على انسان سليم القلب وهكذا انواع التعبير وهذه اسرار عجيبة وهي من
المكاشفة عجايب علوم ولا يليق ذكرها بعلوم المعاملة وانما المقصود ان تصدق بان الشيطان ينكشف
لارباب القلوب وكذلك الملك تارة بطريق التمثيل والمحاكات كما في النوم وتارة بطريق الحقيقة و
الاكثر هو التمثيل بصورة محاكية للمعنى هو مثال المعنى لا عين المعنى الا انه يشاهد بالعين مشاهدة

بحقيقته ولو بمشاهدة الكاشف دون ما حال إليه كالنائم

بيان ما يؤاخذ به العبد من وساوس القلب وهمه وخواطره وقصوده وما يعفى عنه ولا يؤاخذ به

اعلم أن هذا أمر غامض وقد وردت بها أخبار وآيات متعارضة يلتبس طريق الجمع بينهما إلا على سماسرة العلماء فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله عفى عن أمتي ما حدثت به نفوسها وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يحكيه عن ربه تعالى إذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها فإن عملها فاكتبوها سيئة وإذا هم بحسنة ولم يعملها فاكتبوها له حسنة فإن عملها فاكتبوها عشرا وقد أخرجه مسلم والبخاري في الصحيحين وهو دليل على العفو عن عمل القلب وهمه بالسيئة وفي لفظ آخر من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة وعملها كتبت له إلى سبعمائة ضعف ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب فكل ذلك يدل على العفو فأما ما يدل على المؤاخذة فقوله سبحانه وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله وقال الله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا فدل على أن عمل الفؤاد كعمل السمع والبصر فلا يعفى عنه وقال عز وجل ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه وقال تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والحق عندنا في هذه المسألة لا يوقف عليه ما لم تقع الإحاطة بتفصيل أعمال القلوب من مبدأ ظهورها إلى أن يظهر العمل على الجوارح فنقول أول ما يرد على القلب الخاطر كما لو خطر له مثلا صورة امرأة وأنها وراء ظهره في الطريق لو التفت إليها لرآها والثاني هيجان الرغبة إلى النظر وهي حركة الشهوة في الطبع وهذا يتولد من الخاطر الأول ونسميه ميل الطبع ويسمى الأول حديث النفس والثالث حكم القلب بأن هذا ينبغي أن يفعل أي ينبغي أن ينظر إليها فإن الطبع إذا مال لم تنبعث الهمة والنية ما لم تندفع الصوارف فإنه قد يمنعه حياء أو خوف من الالتفات وعدم هذه الصوارف ربما يكون بتأمل وهو على كل حال حكم من جهة العقل ويسمى هذا اعتقادا وهو يتبع الخاطر والميل والرابع تصميم العزم على الالتفات وجزم النية فيه وهذا نسميه همّا بالفعل ونية وقصدا وهذه النية قد يكون لها مبدأ ضعيف ولكن إذا أصغى القلب إلى الخاطر الأول حتى طالت مجاذبته للنفس تأكدت هذه الهمة وصارت إرادة وربما يندم بعد الجزم فيترك العمل وربما يغفل بعارض ولا يعمل به ولا يلتفت وربما يعوقه عائق فيتعذر عليه العمل فههنا أربعة أحوال للقلب قبل العمل بالجارحة الخاطر وهو حديث النفس ثم الميل ثم الاعتقاد ثم الهم فنقول أما الخاطر فلا يؤاخذ به لأنه لا يدخل تحت الاختيار وهو المراد بقوله عليه السلام عفي عن أمتي ما حدثت به نفوسها فحديث النفس عبارة عن الخواطر التي تهجس في النفس ولا يتبعها عزم على الفعل فأما العزم والهم فلا يسمى حديث نفس بل حديث النفس كما روي عن عثمان بن مظعون حيث قال يا رسول الله إن نفسي تحدثني أن أطلق خولة قال مهلا إن من سنتي النكاح قال نفسي تحدثني أن أجب نفسي قال مهلا خصاء أمتي دؤوب الصيام قال نفسي تحدثني أن أترهب قال مهلا رهبانية أمتي الجهاد والحج قال نفسي تحدثني أن أترك اللحم قال مهلا فإني أحبه ولو أصبته لأكلته ولو سألت الله لأطعمنيه فهذه الخواطر التي ليس معها عزم وهم بالفعل وأما الثالث فهو الاعتقاد وحكم القلب بأنه ينبغي أن يفعل فهذا مردد بين أن يكون اضطرارا أو اختيارا والأحوال تختلف فيه فالاختياري منه يؤاخذ به والاضطراري لا يؤاخذ به وأما الرابع وهو الهم بالفعل فإنه يؤاخذ به إلا أنه إن لم يفعل نظر فإن تركه خوفا من الله عز وجل وندما على همه كتبت له حسنة لأن همه سيئة والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج إلى قوة عظيمة فجده في مخالفة الطبع للعمل أشد من جده في موافقة الشيطان بموافقة الطبع فكتب له حسنة لأنه رجح جده في الامتناع وهمه به على

همه بالفعل فإن تعوق الفعل بعائق أو تركه لعذر لا خوفا من الله كتبت عليه سيئة فإن همه من القلب اختياري والدليل على هذا التفصيل ما روي في الصحيح مفصلا في لفظ الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الملائكة رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به فقال ارقبوه فإن عملها فاكتبوها له بمثلها وإن تركها فاكتبوها له حسنة إنما تركها من جرائي وحيث قال فإن لم يعملها أراد به تركها لله فأما إذا عزم على فاحشة وتعذرت عليه لسبب أو غفلة فكيف تكتب له حسنة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما يحشر الناس على نياتهم ونحن نعلم أن من عزم ليلا على أن يصبح ويقتل مسلما أو يزني بامرأة فمات تلك الليلة مات مصرا ويحشر على نيته وقد هم بسيئة ولم يعملها والدليل القاطع فيه ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار فقيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لأنه أراد قتل صاحبه وهذا نص في أنه صار من أهل النار بمجرد الإرادة مع أنه قتل مظلوما فكيف يظن بأن الله لا يؤاخذ بالنية والهم وكل هم دخل تحت قدرة العبد باختيار العبد فهو مؤاخذ به إلا أن يكفره بحسنة ونقض العزم بالندم حسنة وكذلك كتبت فأما فوات المراد بعائق فليس بحسنة وأما الخواطر وحديث النفس وهيجان الرغبة قبل ذلك لا يدخل تحت الاختيار فالمؤاخذة به من تكليف ما لا يطاق ولذلك لما نزل قوله تعالى وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله جاء ناس من الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا كلفنا ما لا نطيق إن أحدنا ليحدث نفسه بما لا يحب أن يثبت في قلبه ثم يحاسب بذلك فقال صلى الله عليه وسلم لعلكم تقولون كما قالت بنو إسرائيل سمعنا وعصينا قولوا سمعنا وأطعنا فأنزل الله الفرج في ذلك بقوله لا يكلف الله نفسا إلا وسعها فظهر أن كل ما لا يدخل تحت الوسع من أعمال القلب هو الذي لا يؤاخذ به فهذا هو كشف الغطاء عن هذا الالتباس وكل من يظن أن كل ما يجري على القلب حديث نفس ولم يفرق بين هذه الأقسام الثلاثة فلا بد أن يغلط وكيف لا يؤاخذ بأعمال القلب والكبر والعجب والرياء والنفاق والحسد وجملة الخبائث من أعمال القلوب بل السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا أي ما يدخل تحت الاختيار فلو وقع البصر بغير اختيار على غير محرم لم يؤاخذ به فإن أتبعها نظرة ثانية كان مؤاخذا بها لأنه مختار فكذلك خواطر القلب تجري هذا المجرى بل القلب أولى بمؤاخذته لأنه الأصل قال صلى الله عليه وسلم التقوى ههنا وأشار إلى القلب ثم قال لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وقال صلى الله عليه وسلم الإثم حواز القلوب وقال صلى الله عليه وسلم البر ما اطمأن إليه القلب وإن أفتوك وأفتوك حتى إنا نقول إذا حكم قلب المفتي بإيجاب شيء وكان مخطئا صار مثابا على فعله بل من ظن أنه متطهر فعليه أن يصلي فإن صلى ثم تذكر أنه لم يتوضأ كان له ثواب بفعله وإن ترك ثم تذكر كان معاقبا ومن وجد على فراشه امرأة فظن أنها زوجته لم يعص بوطئها وإن كانت أجنبية وإن ظن أنها أجنبية عصى بوطئها وإن كانت زوجته كل ذلك نظرا إلى القلب دون الجوارح

بيان الوسواس هل يتصور أن ينقطع بالكلية عند الذكر أم لا

اعلم أن العلماء المراقبين للقلوب الناظرين في صفاتها وعجائبها اختلفوا في هذه المسألة على خمس فرق فقالت طائفة الوسوسة تنقطع بذكر الله تعالى لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال فإذا ذكر الله خنس والخنس هو السكوت كأنه يسكت وقالت فرقة لا ينعدم أصله ولكن يجري في القلب ولا يكون له أثر لأن القلب إذا صار مستوعبا بالذكر محجوبا عن التأثر بالوسوسة كان كالمشغول بهمه لأنه قد يهم فلا يفهم وإن كان الصوت يمر على سمعه وقالت فرقة لا تسقط الوسوسة ولا أثرها أيضا ولكن تسقط غلبتها للقلب وكأنه يوسوس من بعد وعلى ضعف وقالت فرقة تنعدم عند الذكر في لحظة وينعدم الذكر عنها في لحظة

ويتقدم الذكر تارة في لحظة ويتعاقبان في أزمنة متقاربة يظن بتقاربها أنها متساوقة وذلك كالكرة التي
عليها نقط متفرقة فإنها إذا أديرت بسرعة رأيت النقطة دوائر بسرعة تواصلها بالحركة واستدل
هؤلاء بأن الخنس قد ورد ونحن نشاهد الوسوسة مع الذكر ولا وجه له إلا هذا وقالت فرقة إن الوسوسة
والذكر يتساوقان في القلب على الدوام لا ينقطع وكما أن الإنسان قد يرى في حالة واحدة بعينيه شيئين فكذلك
القلب قد يكون مجرى لشيئين وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد إلا وله أربع أعين عينان
في رأسه يبصر بهما أمر دنياه وعينان في قلبه يبصر بهما أمر دينه وإلى هذا ذهب المحاسبي والصحيح عندنا أن
هذا كل هذه المذاهب صحيحة ولكن كلها قاصرة عن الإحاطة بأصناف الوسواس وإنما نظر كل واحد
إلى صنف واحد من الوسواس فأخبر عنه والوسواس ثلاثة أصناف الأول أن يكون من جهة التلبيس
للحق فإن الشيطان قد يلبس بالحق فيقول للإنسان لا تترك التنعم باللذات فإن العمر طويل والصبر
عن الشهوات طول العمر ألمه عظيم فعند هذا إذا ذكر العبد عظمة حق الله وعظمة ثوابه وعقابه
وقال الصبر عن الشهوات شديد ولكن الصبر على النار أشد منه ولا بد من أحدهما فإذا ذكر العبد وعد
الله ووعيده وجدد إيمانه خنس الشيطان وهرب إذ لا يستطيع أن يقول له ليست النار أشد من
الصبر عن المعاصي ولا يمكنه أن يقول المعصية لا تفضي إلى النار فإن إيمانه بكتاب الله يدفعه عن ذلك
فينقطع وسواسه وكذلك يوسوس إليه بالعجب في عمله ويقول أي عبد يعرف الله كما تعرفه ويعبد
الله كما تعبده فما أعظم مكانك عند الله فيتذكر العبد أن معرفته وقدرته وقلبه وأعضاءه التي
بها عمله وعلمه كل ذلك من خلق الله فمن أين يعجب به فيخنس الشيطان إذ لا يمكنه أن يقول ليس
هذا من الله لأن المعرفة والإيمان يدفعه فهذا نوع من الوسوسة ينقطع بالكلية عن العارفين المستبصرين بنور
الإيمان والمعرفة والصنف الثاني أن يكون وسواسه بتحريك الشهوة وتهييجها وهذا ينقسم إلى ما يعلم
العبد يقينا أنه معصية وإلى ما يظنه بغالب الظن فإن علمه يقينا خنس الشيطان عن تهييج يؤثر
في التحريك ولم يخنس عن التهييج وإن كان مظنونا فربما يبقى مؤثرا بحيث يحتاج إلى المجاهدة في دفعه
فتكون الوسوسة موجودة ولكنها مدفوعة غير غالبة والصنف الثالث أن يكون وسوسته
بمجرد الخواطر وتذكر الأحوال الغائبة والتفكر في الصلاة مثلا فإذا أقبل على الذكر تصور أن يندفع ساعة
ويعود ويندفع ويعود فيتعاقب الذكر والوسوسة ويتصور أن يتساويا جميعا حتى يكون الفهم
مشتملا على فهم معنى القراءة وعلى تلك الخواطر كأنهما في موضعين من القلب ويبعد جدا أن يندفع
هذا الجنس بالكلية حتى لا يخطر ولكنه ليس بمحال إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ركعتين
لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه فلولا أنه متصور لما ذكره إلا أنه لا يتصور
ذلك إلا في قلب قد استولى عليه الحب حتى صار كالمستهتر فإنا قد نرى المستوعب القلب بعدو آذاه
قد يتفكر بمقدار ركعتين وركعات في مجادلة عدوه بحيث لا يخطر له غيره وكذا المستهتر في الحب قد
يتفكر في محادثة محبوبه بقلبه ويغوص في فكره بحيث لا يخطر بباله غير حديث محبوبه ولو كلمه غيره لم يسمع و
لو اجتاز بين يديه أحد لكان كأنه لا يراه فإذا تصور هذا في خوف من عدو وعند الحرص على جاه ومال فكيف
لا يتصور من خوف النار والحرص على الجنة ولكن ذلك عزيز لضعف الإيمان بالله واليوم الآخر فإذا تأملت جملة
هذه الأقسام وأصناف الوسواس علمت أن لكل مذهب من المذاهب وجها ولكن في محل مخصوص وبالجملة
فالخلاص عن الشيطان في لحظة أو ساعة غير بعيد ولكن الخلاص منه عمرا طويلا بعيد جدا وهو محال في الوجود ولو تخلص

أحد من وسواس الشيطان بالخواطر وتهييج الرغبة لتخلص رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روي أنه نظر إلى
علم ثوبه في الصلاة فلما سلم رمى ذلك الثوب وقال شغلني عن الصلاة وكان في يده خاتم ذهب
فنظر إليه على المنبر فرماه وقال نظرة إليه ونظرة إليكم فكان ذلك لوسوسة الشيطان بتحريك
لذة النظر إلى خاتم الذهب وطراز الثوب وكان ذلك قبل تحريم الذهب فلذلك لبسه ثم رماه فلا
ينقطع عرض وسوسة الشيطان الدنيا ونقدها إلا بالرمي والمفارقة فما دام يملك شيئا وراء حاجته
ولو دينارا واحدا فلا يخليه الشيطان في صلاته من التفكر في ديناره كيف يحفظه وفيماذا ينفقه
وكيف يخفيه حتى لا يعلم وكيف يظهره حتى يتباهى به إلى غير ذلك من الوسواس فمن أنشب مخالبه
في الدنيا وطمع أن يتخلص من الشيطان كان كمن انغمس في العسل وظن أن الذباب لا يقع عليه وهو محال
فالدنيا باب عظيم لوسواس الشيطان وليس له باب واحد قال حكيم من الحكماء الشيطان يأتي ابن
آدم من قبل المعاصي فإن امتنع أتاه من وجه النصيحة حتى يلقيه في بدعة فإن أبى أمره بالتحرج والشدة
حتى يحرم ما ليس بحرام فإن أبى شككه في وضوئه وصلاته حتى يخرجه عن العلم فإن أبى خفف عليه
أعمال البر حتى يراه الناس صابرا عفيفا فتميل قلوبهم إليه فيعجب بنفسه وبه يهلكه وعنده تشتد الحاجة
فإنها آخر درجة ويعلم أنه لو جاوزها أفلت منه إلى الجنة بيان سرعة تقلب القلب وانقسام القلوب
في التغير والثبات اعلم أن القلب كما ذكرنا تكتنفه الصفات التي ذكرناها وتنصب إليه الآثار و
الأحوال من الأبواب التي وصفناها فكأنه هدف يصاب على الدوام من كل جانب فإذا أصابه شيء
تأثر به أصابه من جانب آخر ما يضاده فتتغير صفته فإن نزل الشيطان به فدعاه إلى الهوى انعطف القلب
إليه وصرفه عنه وإن جذبه شيطان إلى شر جذبه شيطان آخر إلى غيره وإن جذبه ملك إلى خير جذبه
ملك آخر إلى غيره فتارة يكون متنازعا بين ملكين وتارة بين شيطانين وتارة بين ملك وشيطان ولا
يكون قط مهملا وإليه الإشارة بقوله تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم ولاطلاع رسول الله صلى الله عليه وسلم
على عظيم صنع الله في عجائب القلب وتقلبه كان يحلف به فيقول لا ومقلب القلوب وكان صلى الله عليه
وسلم كثيرا ما يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالوا أو تخاف يا رسول الله فقال وما يؤمنني والقلب
بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء وفي لفظ آخر إن شاء أن يقيمه أقامه وإن شاء أن يزيغه
أزاغه وضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثلة فقال مثل القلب مثل العصفور يتقلب
في كل ساعة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل القلب في تقلبه كالقدر إذا استجمعت غليا
وقال صلى الله عليه وسلم مثل القلب مثل ريشة بأرض فلاة تقلبها الرياح ظهرا لبطن وهذه التقلبات من
عجيب صنع الله في تقلبها من حيث لا يهتدي إليه ولا يعرفه إلا المراقبون لقلوبهم والمراعون لأحوالهم
مع الله عز وجل والقلوب في الثبات على الخير والشر والتردد بينهما ثلاثة قلب عمر بالتقوى وزكا بالرياضة
وطهر عن خبائث الأخلاق وتتقدح فيه خواطر الخير من خزائن الغيب ومداخل الملكوت فينصرف
العقل إلى التفكر فيما خطر له ليعرف دقائق الخير فيه ويطلع على أسرار فوائده فينكشف بنور البصيرة وجهه
فيحكم بأنه لا بد من فعله ويستحثه عليه ويدعوه إلى العمل به فينظر الملك إلى القلب فيجده طيبا في
جوهره طاهرا بتقواه مستنيرا بضياء العقل معمورا بأنوار المعرفة فيراه صالحا لأن يكون مستقرا له
ومهبطا فعند ذلك يمده بجنود لا ترى ويهديه إلى خيرات أخرى حتى ينجر الخير إلى الخير وكذلك على
الدوام ولا يتناهى إمداده بالترغيب في الخير وتيسير الأمر عليه وإليه الإشارة بقوله تعالى فأما من أعطى

والتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وفي مثل هذا القلب يشرق نور المصباح من مشكاة الربوبية
حتى لا يخفى فيه الشرك الخفي الذي هو اخفى من دبيب النملة السودا في الليلة الظلما ولا يخفى على هذا
النور خافيه ولا يروج عليه شي من مكايد الشيطان بل يقف الشيطان ويوحي زخرف القول غرورا فلا
يلتفت اليه وهذا القلب بعد طهارته من المهلكات يصير على القرب معمورا بالمنجيات
التي سنذكرها من الصبر والشكر والخوف والرجا والفقر والزهد والمحبة والرضى والشوق و
التوكل والتفكر والمحاسبة وغير ذلك وهو القلب الذي اقبل عليه بوجهه وهو القلب المطمين
المراد بقوله الا بذكر الله تطمين القلوب والمراد بقوله يا ايتها النفس المطمينة والقلب الثاني قلب
المخذول المشحون بالهوى المدنس بالخبايث الملوث بالاخلاق الذميمة المفتوح فيه ابواب الشياطين
المسدود عنه ابواب الملائكة ومبدا الشر فيه ان ينقدح فيه خاطر الهوى ويهجس فيه فينظر
الى حاكم العقل ليستفتي ويستكشف وجه الصواب فيه فيكون العقل قد الف خدمة الهوى
وانس به واستمر على استنباط الحيل له وعلى مساعدة الهوى فيستولي النفس ويساعد عليه فينشرح
الصدر بالهوى وينبسط فيه ظلمات الانحباس بحيث لا يقدر جند العقل عن مدافعته فيقوى
سلطان الشيطان لاتساع مكانه بسبب انتشار الهوى فيقبل عليه بالتزيين والغرور والاماني
ويوحي بذلك زخرفا من القول غرورا فيضعف سلطان الايمان بالوعد والوعيد ويخمد نور اليقين
بخوف الاخرة اذ يتصاعد من الهوى دخان مظلم الى القلب يملا جوانبه حتى ينطفي انواره فيصير
العقل كالعين التي يملا الدخان اجفانها فلا يقدر على ان ينظر وهكذا تفعل عليه الشهوات بالقلب
حتى لا يبقى للقلب مكان التوقف والاستبصار ولو بصره واعظ واسمعه ما هو الحق فيه عمي عن الفهم
وصم عن السمع وهاجت الشهوة وسطا الشيطان وتحركت الجوارح على وفق الهوى وظهرت المعصية
الى عالم الشهادة من خزاين الغيب بقضا من الله وقدره والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله عز وجل
ارايت من اتخذ الهه هويه افانت تكون عليه وكيلا ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا
كالانعام بل هم اضل سبيلا وبقوله عز وجل لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يومنون وبقوله عز وجل
وسوا عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يومنون ورب قلب هذه حالة بالاضافة الى بعض الشهوات
كالذي يتورع عن بعض الاشيا ولكنه اذا راى وجها حسنا لم يملك عينه وقلبه وطاش عقله وسقط
مسكة قلبه او كالذي لا يملك نفسه فيما فيه الجاه والرياسة ولا يبقى معه مسكة للتثبت عند ظهور
اسبابه او كالذي لا يملك نفسه عند الغضب مهما استحقر وذكر عيب من عيوبه او كالذي لا يملك
نفسه عند القدرة على اخذ درهم او دينار بل يتهالك عليه تهالك الواله المستهتر فينسى فيه
المروة والتقوى فكل ذلك لتصاعد دخان الهوى الى القلب حتى يظلم وينطفي فيه انوار البصيرة فينطفي
فيه نور الحيا والمروة والايمان ويسعى في تحصيل مراد الشيطان والقلب الثالث يبتدي فيه خواطر الهوى
فيدعوه الى الشر فيلحقه خاطر الايمان فيدعوه الى الخير فتنبعث النفس بشهوتها الى نصرة خاطر الشر فتقوى
الشهوة وتحسن التمتع والتنعم فينبعث العقل الى خاطر الخير ويدفع في وجه الشهوة ويقبح فعلها و
ينسبها الى الجهل ويشبهها بالبهيمة والسبع في تهجمها على الشر وقلة اكتراثها بالعواقب فتميل
النفس الى نصح العقل فيحمل الشيطان حملة على العقل ويقوي داعي الهوى ويقول ما هذا التحرج البارد
ولم تمتنع عن هواك فتوذي نفسك وهل ترى واحدا من اهل عصرك يخالف هواه او يترك غرضه افتترك

ملاذ الدنيا وهم يتمتعون فيها وتحجر على نفسك حتى تبقى محروما شقيا متعوبا يضحك عليك اهل الزمان
اتريد ان يزيد منصبك على فلان وفلان وقد فعلوا مثل ما اشتهيت ولم يمتنعوا اما ترى العالم الفلاني
ليس يحترز عن مثل ذلك ولو كان ذلك شرا لامتنع منه فتميل النفس الى الشيطان وتنقلب اليه فيحمل
الملك حملة على الشيطان ويقول هل هلك الا من اتبع رغبته ونسي العاقبة فتقنع بلذة يسيرة و
تترك لذة الجنة ونعيمها ابد الاباد او تستثقل الم الصبر عن شهوتك ولا تستثقل الم النار اتغتر بغفلة
الناس عن انفسهم واتباعهم هواهم ومساعدتهم للشيطان مع ان عذاب النار لا يخفف عنك
بمعصية غيرك ارايت لو كنت في صيف ووقف الناس كلهم في الشمس وكان لك بيت بارد اكنت
تساعد الناس او تطلب لنفسك الخلاص فكيف تخالف الناس خوفا من حر الشمس ولا تخالفهم
خوفا من النار فعند ذلك تميل النفس الى قول الملك فلا يزال يتردد بين هذين الجندين متجاذبا
بين الحزبين الى ان يغلب على القلب ما هو اولى به فان كانت الصفات التي في القلب الغالب عليها
الصفات الشيطانية التي ذكرناها غلب الشيطان ومال القلب الى جنسه من احزاب الشياطين معرضا
عن حزب الله تعالى واوليايه ومساعدا لحزب الشيطان واعدايه وجرى على جوارحه بسابق القدر
ما هو سبب بعده من الله تعالى وان كان الاغلب على القلب الصفات الملكية لم يسمع القلب
لاغوا الشيطان وتحريضه اياه على العاجلة وتهوينه امر الاجلة بل مال الى حزب الله تعالى وظهرت
الطاعة بموجب ما سبق من القضا على جوارحه وقلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن اي
تجاذب هذين وهو الغالب اعني التقلب والانتقال من حزب الى حزب اما الثبات على الدوام مع
حزب الملائكة او الشياطين فنادر من الجانبين فهذه الطاعات والمعاصي تظهر من خزاين
الغيب الى عالم الشهادة بواسطة خزانة القلب فانه من خزاين الملكوت وهي اذا ظهرت كانت علامة
تعرف ارباب القلوب بسابق القضا فمن خلق للجنة يسرت له اسباب الطاعة ومن خلق للنار
يسرت له اسباب المعصية وسلط عليه اقران السو والقي في قلبه حكم الشيطان فانه بانواع
الحكم يغر الحمقى كقوله ان الله رحيم فلا تبال وان الناس كلهم ما يخافون الله فلا تخالفهم
وان العمر طويل فاصبر حتى تتوب غدا ويعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا يعدهم
بالتوبة ويمنيهم بالمغفرة فيهلكهم باذن الله بهذه الحيل وما يجري مجراها فيوسع قلبه
لقبول الغرور ويضيقه عن قبول الحقايق وكل ذلك بقضا من الله عز وجل وقدر فمن يرد الله ان
يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا ان ينصركم الله فلا
غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده فهو الهادي والمضل يفعل ما يشا ويحكم ما يريد
لا راد لامره ولا معقب لقضايه خلق الجنة وخلق لها اهلا فاستعملهم بالطاعة وخلق النار
وخلق لها اهلا فاستعملهم بالمعاصي وعرف الخلق علامة اهل النار واهل الجنة فقال تعالى ان
الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم ثم قال هولا في النار ولا ابالي وهولا في الجنة ولا ابالي فتعالى الله
الملك الحق لا يسيل عما يفعل وهم يسيلون ولنقتصر على هذا القدر اليسير من ذكر عجايب القلوب
فان استقصاه لا يليق بعلم المعاملة وانما ذكرنا منه ما يحتاج اليه لمعرفة اغوار علوم المعاملة و
اسرارها لينتفع بذلك من لا يقنع بالظواهر ولا يجتزي بالقشور عن اللباب بل يتشوف الى معرفة
دقايق الاسباب وفيما ذكرناه كفاية ومقنع ان شا الله تعالى تم كتاب شرح عجايب القلوب يتلوه كتاب رياضة النفس

بلغ

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي صرف الامور بتدبيره وعدل تركيب الخلق فاحسن في تصويره وزين صورة الانسان
فاحسن في تقويمه وتقديره وحرسه عن الزيادة والنقصان في شكله ومقاديره وفوض تحسين
الاخلاق الى اجتهاد العبد وتشميره واستحثه على تهذيبها بتخويفه وتحذيره وسهل على
خواص عباده تهذيب الاخلاق بتوفيقه وتيسيره وامتن عليهم بتسهيل سهله وعسيره و
الصلاة والسلام على محمد عبده ونبيه وحبيبه وصفيه وبشيره وعلى اله واصحابه الذين
طهروا وجه الاسلام عن ظلمة الكفر ودياجيره وحسموا مادة الباطل فلم يتدنسوا بقليله وكثيره
اما بعد فان الخلق الحسن صفة سيد المرسلين وافضل اعمال العبد الصديقين وهو على
التحقيق شطر الدين وهو ثمرة مجاهدة المتقين ورياضة المتعبدين والاخلاق السيئة هي السموم القاتلة
والمهلكات الدامغة والمخازي الفاضحة والرذايل الواضحة والخبايث المبعدة من جوار رب العالمين
المنخرطة بصاحبها في سلك الشيطان اللعين وهي الابواب المفتوحة من القلب الى نار الله الموقدة
التي تطلع على الافئدة كما ان الاخلاق الجميلة هي الابواب المفتوحة من القلب الى نعيم الجنان وجوار
الرحمن والاخلاق الخبيثة امراض القلوب واسقام النفوس الا انه مرض يفوت حياة الابد واين منه
المرض الذي لا يفوت الا حياة الجسد ومهما اشتد عناية الاطبا بضبط قوانين العلاج للابدان
وليس في مرضها الا فوت حياة فانية فالعناية بضبط قوانين العلاج لامراض القلوب وفي مرضها فوت حياة
باقية اولى وهذا النوع من الطب واجب تعلمه على كل ذي لب اذ لا يخلو قلب من القلوب عن اسقام لو اهملت
تراكمت وترادفت العلل وتظاهرت فيحتاج العبد الى تانق في معرفة عللها واسبابها ثم الى
تشمير في معالجتها على الجملة من غير تفصيل في اصلاحها فمعالجتها هو المراد بقوله تعالى قد
افلح من زكيها واهمالها هو المراد بقوله وقد خاب من دسيها ونحن في هذا الكتاب نشير الى جمل امراض
القلوب وكيفية القول في معالجتها على الجملة من غير تفصيل العلاج لخصوص الامراض فان ذلك ياتي
في بقية الكتاب من هذا الربع وغرضنا الان النظر الكلي في تهذيب الاخلاق وتمهيد منهاجها ونحن
نذكر ذلك ونجعل علاج البدن مثالا له ليقرب من الافهام دركه ويتضح ذلك ببيان فضيلة حسن
الخلق ثم بيان حقيقة حسن الخلق ثم بيان قبول الاخلاق للتغير بالرياضة ثم بيان السبب الذي
ينال به حسن الخلق ثم بيان تفصيل الطريق الى تهذيب الاخلاق ورياضة النفوس ثم بيان العلامات
التي بها يعرف مرض القلوب ثم بيان الطرق التي بها يعرف الانسان عيوب نفسه ثم بيان شواهد
النقل على ان طريق المعالجة للقلوب بترك الشهوات لا غير ثم بيان علامات حسن الخلق ثم بيان
الطريق في رياضة الصبيان في اول النشو ثم بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة فهي احد عشر
فصلا يجمع مقاصد الكتاب ان شاء الله تعالى

بيان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق

قال الله سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم مثنيا عليه ومظهرا نعمه لديه وانك لعلى خلق عظيم
وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقه القران قوله تعالى خذ العفو وامر
بالعرف واعرض عن الجاهلين ثم قال صلى الله عليه وسلم هو ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك
وتعفو عمن ظلمك وقال صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقال صلى الله عليه وسلم اثقل
ما يوضع في الميزان خلق حسن وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين يديه فقال يا رسول الله
ما الدين قال حسن الخلق ثم اتاه من قبل يمينه فقال يا رسول الله ما الدين قال حسن الخلق ثم اتاه من
ورائه فقال يا رسول الله فالتفت اليه فقال اما تفقه هو ان لا تغضب وقيل يا رسول الله ما الشوم قال
سوء الخلق وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصني قال اتق الله حيث كنت قال زدني قال اتبع
السيئة الحسنة تمحها قال زدني قال خالق الناس بخلق حسن وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي الاعمال افضل فقال حسن الخلق وقال صلى الله عليه وسلم ما حسن الله خلق امرئ وخلقه فيطعمه
النار وقال الفضيل قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة
الخلق تؤذي جيرانها بلسانها فقال لا خير فيها هي من اهل النار وقال ابو الدرداء سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول اول ما يوضع في الميزان الخلق الحسن والسخاء ولما خلق الله تعالى الايمان
قال يا رب قوني فقواه بحسن الخلق والسخاء ولما خلق الله تعالى الكفر قال اللهم قوني فقواه بالبخل
وسوء الخلق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم
الا السخاء وحسن الخلق الا فزينوا دينكم بهما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسن الخلق خلق الله
الاعظم وقيل يا رسول الله اي المؤمنين افضلهم ايمانا قال احسنهم خلقا وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انكم لن تسعوا الناس باموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق وقال ايضا سوء
الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وعن جرير بن عبد الله قال قال لي رسول الله صلى الله عليه
وسلم انك امرؤ قد احسن الله خلقك فاحسن خلقك وعن البراء بن عازب قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم احسن الناس وجها واحسنهم خلقا وعن ابن مسعود البدري قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يكثر الدعاء يقول اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي وعن عبد الله بن عمر قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الدعاء يقول اللهم اني اسئلك الصحة والعافية وحسن الخلق وعن
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كرم المؤمن دينه ومروته وعقله وحسنه خلقه وعن
اسامة بن شريك قال شهدت الاعاريب يسالون النبي صلى الله عليه وسلم يقولون ما خير ما اعطي العبد
قال حسن الخلق وقال صلى الله عليه وسلم ان احبكم الي واقربكم مني مجلسا يوم القيمة احاسنكم
اخلاقا وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من لم يكن فيه واحدة منهن فلا يعتدن
بشيء من عمله تقوى الله تحجزه عن معاصي الله او حلم يكف به السفيه او خلق يعيش به في الناس وكان
من دعائه صلى الله عليه وسلم في افتتاح الصلوة اللهم اهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها
الا انت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها الا انت وقال انس بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوما اذ قال ان حسن الخلق ليذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد وقال صلى الله عليه وسلم
الايمان حسن الخلق وقال صلى الله عليه وسلم لابي ذر يا ابا ذر لا عقل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق
وعن انس قال قالت ام حبيبة يا رسول الله ارايت المراة يكون لها زوجان في الدنيا فتموت ويموتان وتدخل الجنة
ويدخلان الجنة لايهما هي تكون قال لاحسنهما خلقا كان عندها في الدنيا يا ام حبيبة ذهب حسن الخلق بخير
الدنيا والاخرة وقال صلى الله عليه وسلم ان المسلم المسدد ليدرك درجة الصائم القائم بحسن خلقه وكرم ضريبته
وفي رواية درجة الظامي في الهواجر وقال عبد الرحمن بن سمرة كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم

فقال إني رأيت البارحة عجباً رجلاً جاثياً على ركبتيه وبينه وبين الله تعالى حجاب فجاء حسن خلقه فأدخله
على الله عز وجل وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات
الآخرة وشرف المنازل وإنه لضعيف العبادة وروي أن عمر استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده
نساء من نساء قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن على صوته فلما استأذن عمر بادرن الحجاب ودخل
عمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقال عمر مم تضحك أضحك الله سنك بأبي أنت وأمي يا رسول الله
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبت لهؤلاء اللاتي كن عندي لما سمعن صوتك بادرن الحجاب فقال عمر
أنت كنت أحق أن يهبنك يا رسول الله ثم أقبل عليهن عمر فقال يا عدوات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقلن نعم أنت أغلظ وأفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم إيه يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير
فجك وقال صلى الله عليه وسلم سوء الخلق ذنب لا يغفر وسوء الظن خطيئة تفوح وقال صلى الله عليه وسلم إن
العبد ليبلغ من سوء خلقه أسفل درك في جهنم الآثار قال ابن لقمان لأبيه يا أبت أي الخصال من الإنسان
خير قال الدين قال فإذا كانت اثنتين قال الدين والمال قال فإذا كانت ثلاثة قال الدين
والمال والحياء قال فإذا كانت أربعاً قال الدين والمال والحياء وحسن الخلق قال فإذا كانت خمساً قال
الدين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء قال فإذا كانت ستاً قال يا بني إذا اجتمعت فيه هذه الخصال
الخمس فهو نقي تقي لله تعالى ولي ومن الشيطان بري وقال الحسن من ساء خلقه عذب نفسه وقال أنس إن العبد
ليبلغ بحسن خلقه أعلى درجة في الجنة وهو غير عابد وليبلغ بسوء خلقه أسفل درك في جهنم وهو عابد
وقال يحيى بن معاذ في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق وقال وهب بن منبه مثل السيء الخلق كمثل الفخارة
المكسورة لا ترقع ولا تعاد طيناً وقال الفضيل لأن يصحبني فاجر حسن الخلق أحب إلي من أن يصحبني عابد سيء
الخلق وصحب ابن المبارك رجلاً سيء الخلق في سفر فكان يحتمل منه ويداريه فلما فارقه بكى فقيل له في
ذلك فقال بكيته رحمة له فارقته وخلقه معه لم يفارقه وقال الجنيد أربع ترفع العبد إلى أعلى الدرجات
وإن قل عمله وعلمه الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق وهو كمال الإيمان وقال الكتاني التصوف خلق فمن
زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف وقال عمر رضي الله عنه خالطوا الناس بالأخلاق وزايلوهم
بالأعمال وقال يحيى بن معاذ سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات وحسن الخلق حسنة لا تضر معها
كثرة السيئات وسئل ابن عباس ما الكرم فقال ما بين الله في كتابه إن أكرمكم عند الله أتقاكم قيل فما الحسب
قال أحسنكم خلقاً أفضلكم حسباً وقيل لكل بنيان أساس وأساس الإسلام حسن الخلق وقال ابن عطاء ما ارتفع
من ارتفع إلا بحسن الخلق ولم ينل أحد كماله إلا المصطفى صلى الله عليه وسلم وأقرب الخلق إلى الله السالكون آثاره
صلى الله عليه وسلم **بيان** حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق **اعلم** أن الناس تكلموا في حقيقة الخلق
الحسن وأنه ما هو وما تعرضوا لحقيقته وإنما تعرضوا لثمرته ثم لم يستوعبوا جميع ثمراته بل ذكر كل واحد من ثمراته
ما خطر له وكان حاضراً في ذهنه ولم يصرفوا العناية إلى ذكر حده وحقيقته المحيطة بجميع ثمراته على التفصيل والاستيعاب
وذلك كقول الحسن حسن الخلق بسط الوجه وبذل الندى وكف الأذى واحتمال المؤن وقال بعضهم
أن يكون من الناس قريباً وفيما بينهم غريباً وقال الواسطي هو إرضاء الخلق في السراء والضراء وقال أبو عثمان
هو الرضا عن الله تعالى وسئل سهل عن حسن الخلق فقال أدناه الاحتمال وترك المكافأة والرحمة للظالم و
الاستغفار له والشفقة عليه وقال مرة أن لا يتهم الحق في الرزق ويثق به ويسكن إلى الوفاء بما ضمن

له وتطيع مولاك ولا تعصيه في جميع الأمور فيما بينك وبين الله وفيما بينك وبين الخلق وقال علي رضي الله
عنه حسن الخلق في ثلاث اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسع على العيال وقال الحسين بن منصور
هو أن لا يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك للحق وقال الجراد أن لا يكون لك همة غير الله فهذا وأمثاله
كثير وهو تعرض لثمرات حسن الخلق لا لنفسه ثم ليس محيطاً بجميع الثمرات وكشف الغطاء عن الحقيقة
أولى من نقل الأقاويل المختلفة فنقول الخلق والخلق عبارتان مستعملتان معاً يقال فلان حسن الخلق و
الخلق أي حسن الظاهر والباطن فيراد بالخلق الصورة الظاهرة ويراد بالخلق الصورة الباطنة وذلك لأن
الإنسان مركب من جسد مدرك بالبصر ومن روح ونفس مدرك بالبصيرة ولكل واحد منهما هيئة و
صورة إما قبيحة وإما جميلة والنفس المدركة بالبصيرة أعظم قدراً من الجسد المدرك بالبصر و
كذلك عظم الله أمره بالإضافة إليه نفسه فقال إني خالق بشراً من طين فإذا سويته ونفخت فيه من
روحي فنبه على أن الجسد منسوب إلى الطين والروح منسوب إلى الله عز وجل والمراد بالنفس والروح
في هذا المقام واحد فالخلق عبارة عن هيئة راسخة يصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة
إلى فكر وروية فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً سميت الهيئة
خلقاً حسناً وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً وإنما قلنا
إنها هيئة راسخة لأن من يصدر منه بذل المال على الندور لحالة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت
في نفسه ثبوت رسوخ وإنما شرطنا أن تصدر منه الأفعال بسهولة من غير روية لأن من تكلف بذل المال
والسكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم فههنا أربعة أمور أحدها فعل
الجميل والقبيح والثاني القدرة عليهما والثالث المعرفة بهما والرابع هيئة في النفس بها تميل إلى
أحد الجانبين ويتيسر عليها أحد الأمرين إما الحسن وإما القبيح وليس الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص
خلقه السخاء ولا يبذل إما لفقد المال أو لمانع وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل لباعث أو لرياء وليس عبارة
عن القوة لأن نسبة القوة إلى الإمساك أو الإعطاء بل إلى الضدين واحد وكل إنسان خلق بالفطرة قادراً
على الإعطاء والإمساك وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخاء وليس عبارة عن المعرفة فإن المعرفة تتعلق
بالجميل والقبيح جميعاً على وجه واحد بل هو عبارة عن المعنى الرابع وهي الهيئة التي بها تستعد لأن
يصدر منها الإمساك والبذل فالخلق إذاً عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة وكما أن حسن
الصورة الظاهرة مطلقاً لا يتم بحسن العينين دون الأنف والفم والخد بل لا بد من حسن الجميع ليتم
حسن الصورة الظاهرة فكذلك في الباطن أربعة أركان لا بد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق
فإذا استوت الأركان الأربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق وهو قوة العلم وقوة الغضب
وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث أما قوة العلم فحسنها وصلاحها في أن تصير بحيث
يسهل بها درك الفرق بين الصدق والكذب في الأقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات و
بين الجميل والقبيح في الأفعال وإذا انصلحت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة رأس الأخلاق
الحسنة وهي التي قال الله تعالى فيها يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وأما
قوة الغضب فحسنها في أن ينقبض انقباضها وانبساطها على حد ما تقتضيه الحكمة وكذلك الشهوة
حسنها وصلاحها في أن يكون تحت إشارة الحكمة أعني إشارة الدين والعقل وأما قوة العدل فهي في
ضبط الغضب والشهوة تحت إشارة العقل والشرع فالعقل منزلته منزلة الناصح المشير وقوة العدل هي

القدرة ومثلهما منزلة المعدا المصنع لشأن العقل والغضب هو الذي ينفذ فيه الاشارة ومثاله
مثال كلب الصيد فانه يحتاج ان يؤدب حتى يكون استرساله وتوقفه بحسب الاشارة لا بحسب هيجان
النفس والشهوة مثالها مثال الفرس الذي يركب في طلب الصيد فانه تارة يكون مروضا مؤدبا وتارة يكون
جموحا فمن استوت فيه هذه الصفات واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقا ومن اعتدل فيه بعضها دون
البعض فهو حسن الخلق بالاضافة الى ذلك المعنى خاصة كالذي يحسن بعض اجزاء وجهه دون البعض
وحسن القوة الغضبية واعتدالها يعبر عنها بالشجاعة وحسن قوة الشهوة واعتدالها يعبر عنها بالعفة
فان مالت قوة الغضب عن الاعتدال الى طرف الزيادة تسمى تهورا وان مالت الى الضعف والنقصان
سمي جبنا وخورا وان مالت قوة الشهوة الى طرف الزيادة سمي شرها وان مالت الى النقصان سمي جمودا
والمحمود الوسط وهو الفضيلة والطرفان رذيلتان مذمومتان والعدل اذا فات فليس له طرفان زيادة
ونقصان بل له ضد واحد وهو الجور واما الحكمة فيسمى افراطها عند الاستعمال في الاغراض الفاسدة
خبثا وجربزة ويسمى تفريطها بلها والوسط هو الذي يختص باسم الحكمة فاذا امهات الاخلاق واصولها
اربعة الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ونعني بالحكمة حالة للنفس بها يدرك الصواب من الخطا
في جميع الافعال الاختيارية ونعني بالعدل حالة للنفس وقوة بها تسوس الغضب والشهوة
ويحملها على مقتضى الحكمة ويضبطها في الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها ونعني بالشجاعة
كون قوة الغضب منقادة للعقل في اقدامها واحجامها ونعني بالعفة تأدب قوة الشهوة بتأديب العقل
والشرع فمن اعتدال هذه الاصول الاربعة تصدر الاخلاق الجميلة كلها اذ من اعتدال قوة العقل
يصدر حسن التدبير وجودة الذهن وسداد الرأي واصابة الظن والتفطن لدقائق الاعمال وخفايا
آفات النفس ومن افراطه تصدر الجربزة والخداع والرذالة ومن تفريطه تصدر الغباوة والحمق والجنون
واعني بالغباوة قلة التجربة في الامور مع سلامة التخيل فقد يكون الانسان غمرا في شيء دون شيء والفرق
بين الحمق والجنون ان الاحمق مقصوده صحيح ولكن سلوكه الطريق فاسد فلا يكون له روية صحيحة في طريق
الوصول الى الغرض واما المجنون فانه يختار ما لا ينبغي ان يختار فيكون اصل ايثاره واختياره فاسدا واما خلق
الشجاعة فيصدر منه الكرم والنجدة والشهامة وكسر النفس والاحتمال والحلم والثبات وكظم
الغيظ والوقار والتودد وامثالها وهي اخلاق محمودة واما افراطها وهو التهور فيصدر منه الصلف
والبذخ والاستشاطة والكبر والعجب واما تفريطها فيصدر منه المهانة والذلة والخداع والخساسة
وصغر النفس والانقباض عن تناول الحق الواجب واما خلق العفة فيصدر منه السخا والحيا والصبر
والمسامحة والقناعة والورع واللطافة والمساعدة والظرف وقلة الطمع واما ميلها الى الافراط
والتفريط فيصدر منه الحرص والشره والوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة و
المجانة والعبث والملق والحسد والشماتة والتذلل للاغنياء واستحقار الفقراء وغير ذلك فامهات
محاسن الاخلاق هذه الفضائل الاربعة وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدل والباقي فروعها
ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الاربعة الا رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس بعده متفاوتون في
القرب والبعد منه وكل من قرب منه في هذه الاخلاق فهو قريب من الله بقدر قربه من رسول الله
صلى الله عليه وسلم فكل من جمع كمال هذه الاخلاق استحق ان يكون بين الخلق ملكا مطاعا يرجع الخلق كلهم
اليه ويقتدون به في جميع الافعال ومن انفك عن جملة هذه الاخلاق كلها واتصف باضدادها

واتصف باضدادها استحق ان يخرج من بين العباد والبلاد فانه قد قرب من الشيطان اللعين فينبغي
ان يبعد كما ان الاول قريب من الملك المقرب فينبغي ان يقتدى به ويتقرب اليه فلم يبعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم الا ليتمم محاسن الاخلاق كما قال وقد اشار القرآن الى اصل هذه الاخلاق في
اوصاف المؤمنين فقال انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم
وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون فالايمان بالله ورسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين
وهو ثمرة العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال هو السخا الذي يرجع الى ضبط قوة الشهوة والمجاهدة
بالنفس هي الشجاعة التي ترجع الى استعمال قوة الغضب على شروط العقل وحد الاعتدال وقد
وصف الله تعالى الصحابة فقال اشداء على الكفار رحماء بينهم اشارة الى ان للشدة موضعا
وللرحمة موضعا وليس الكمال في الشدة بكل حال ولا في الرحمة في كل حال فهذا بيان معنى الخلق
الحسن وحسنه وقبحه وبيان اركانه وثمراته وفروعه **بيان** قبول الاخلاق للتغيير
بطريق الرياضة **اعلم** ان من غلبت عليه البطالة استثقل المجاهدة والرياضة والاشتغال بتزكية
النفس وتهذيب الاخلاق فلم تسمح نفسه بان يكون ذلك لقصوره ونقصه وخبث دخلته فزعم ان
الاخلاق لا يتصور تغييرها فان الطباع لا تتغير واستدل فيه بامرين احدهما ان الخلق صورة
الباطن كما ان الخلق صورة الظاهر والخلقة الظاهرة لا يقدر على تغييرها فالطويل لا يقدر ان
يجعل نفسه قصيرا ولا القصير يقدر ان يجعل نفسه طويلا ولا القبيح يقدر على تحسين صورته
فكذلك القبح الباطن يجري هذا المجرى والثاني انهم قالوا ان حسن الخلق بقمع الغضب والشهوة
وقد جربنا ذلك بطول المجاهدة وعرفنا ان ذلك من مقتضى المزاج والطبع وانه قط لا ينقطع عن الآدمي
فاشتغاله به تضييع زمان بغير فائدة فان المطلوب هو قطع التفات القلب الى الحظوظ العاجلة وذلك
محال وجوده فنقول لو كانت الاخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات ولما
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسنوا اخلاقكم وكيف ينكر هذا في حق الآدمي وتغيير
خلق البهيمة ممكن اذ ينقل الصيد من الوحشة الى الانس والكلب من الاكل الى التأدب والفرس من الجماح
الى السلاسة وكل ذلك تغيير للاخلاق والقول الكاشف للغطاء عن ذلك ان نقول الموجودات
منقسمة الى ما لا مدخل لاختيار الآدمي في اصله وتفصيله كالسماء والكواكب بل اعضاء البدن
داخلا وخارجا وسائر اجزاء الحيوانات وبالجملة كل ما هو حاصل كامل وقع الفراغ من وجوده وكماله والى
ما وجد وجودا ناقصا وجعل معه قبول قوة الكمال بعد ان وجد شرطه وشرطه قد يرتبط باختيار
العبد فان النواة ليست بتفاح ولا نخل الا انها خلقت خلقة يمكن ان تصير نخلة اذا انضاف اليها
التربية ولا تصير تفاحا اصلا ولا بالتربية فاذا صارت النواة متأثرة بالاختيار حتى تقبل بعض
الاحوال دون بعض فكذلك الغضب والشهوة لو اردنا قمعهما وقهرهما بالكلية حتى لا يبقى لهما اثر لم
نقدر عليه اصلا ولو اردنا اسلاسهما وقهرهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه وقد امرنا
بهذا وصار ذلك سبب نجاتنا ووصولنا الى الله تعالى نعم الجبلات مختلفة بعضها سريعة
القبول وبعضها بطيئة القبول ولاختلافها سببان احدهما قوة الغريزة في اصل الجبلة وامتداد مدة
الوجود فان قوة الشهوة والغضب والتكبر موجودة في الانسان ولكن اصعبها امرا ولكن اصعبها
امرا واعصاها على التغيير قوة الشهوة فانها اقدم وجودا اذ الصبي في مبدأ الفطرة تخلق له

الشهوة ثم بعد سبع سنين يخلق له الغضب وبعد ذلك يخلق له قوة التمييز والسبب الثاني ان
الخلق قد يتأكد بكثرة العمل بمقتضاه والطاعة له وباعتقاد كونه حسنا ومرضيا والناس فيه على اربع مراتب
الاول هو الانسان الغفل الذي لا يميز بين الحق والباطل والجميل والقبيح بل بقي كما فطر عليه خاليا عن
جميع الاعتقادات ولم تستتم شهوته ايضا باتباع اللذات فهذا سريع القبول للعلاج جدا
فيحتاج الى معلم ومرشد والى باعث في نفسه يحمله على المجاهدة فيحسن خلقه في اقرب زمان الثاني
ان يكون قد عرف قبح القبيح لكنه لم يتعود العمل الصالح بل زين له سوء عمله فتعاطاه انقيادا لشهواته
واعراضا عن صواب رأيه لاستيلاء الشهوة عليه لكن علم تقصيره في عمله فامره اصعب من الاول اذ
تضاعفت الوظيفة عليه اذ عليه قلع ما رسخ في نفسه من كثرة التعود للفساد والاخرى ان يغرس في
نفسه صفة التعود للصلاح ولكنه بالجملة محل قابل للرياضة ان انتهض لها بجد وتشمير
وحزم الثالث ان يعتقد في الاخلاق القبيحة انها الواجبة المستحسنة وانها حق وجميل وتربى
على ذلك فهذا يكاد ان يمتنع معالجته ولا يرجى صلاحه الا على الندور وذلك لتضاعف اسباب
الضلال والرابع ان يكون مع نشوه على الرأي الفاسد وتربيته على العمل به يرى الفضيلة
في كثرة الشر واستهلاك النفوس ويباهي به ويظن ان ذلك يرفع من قدره وهذا هو اصعب المراتب
وفي مثله قيل من العذيب تهذيب الذيب فالاول من هؤلاء جاهل فقط والثاني جاهل وضال فقط
والثالث جاهل وضال وفاسق والرابع جاهل وضال وفاسق وشرير واما الخيال الاخر وهو قولهم
ان الآدمي ما دام حيا فلا ينقطع عنه الغضب والشهوة وحب الدنيا وسائر هذه الاخلاق فهذا
غلط وقع لطائفة ظنوا ان المقصود من المجاهدة قمع هذه الصفات بالكلية وهيهات فان الشهوة
خلقت لفائدة وهي ضرورية في الجبلة فلو انقطعت شهوة الطعام لهلك الانسان ولو انقطعت
شهوة الوقاع لهلك النسل ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الانسان عن نفسه ما يهلكه ومهما
بقي اصل الشهوة فيبقى لا محالة حب المال الذي يوصله الى شهوته حتى يحمله ذلك على امساك
المال وليس المطلوب اماطة ذلك بالكلية بل المطلوب ردها الى الاعتدال الذي هو وسط بين
الافراط والتفريط والمطلوب من صفة الغضب حسن الحمية وذلك بان يخلو عن التهور والجبن
جميعا وبالجملة ان يكون في نفسه قويا ومع قوته منقادا للعقل ولذلك قال تعالى اشداء على الكفار
رحماء بينهم وصفهم بالشدة وانما تصدر الشدة عن الغضب ولو بطل الغضب لامتنع جهاد الكفار
كيف يقصد قلع الغضب والشهوة بالكلية والانبياء صلوات الله عليهم لم ينفكوا عنه اذ قال صلى
الله عليه وسلم انما انا بشر اغضب كما يغضب البشر وكان يتكلم بين يديه بما يكرهه فيغضب حتى تحمر
وجنتاه ولكن لا يقول الا حقا فكان الغضب لا يخرجه عن الحق وقال تعالى والكاظمين الغيظ والعافين
عن الناس ولم يقل والفاقدين الغيظ فرد الغضب والشهوة الى الاعتدال بحيث لا يقهر العقل ولا
يغلبه بل يكون العقل هو الضابط له والغالب عليه ممكن وهو المراد بتغيير الخلق فربما تستولي الشهوة
على الانسان بحيث لا يقوى عقله على دفعها عن الانبساط الى الفواحش وبالرياضة تعود الى حد
الاعتدال فدل ان ذلك ممكن والتجربة والمشاهدة تدل على ذلك دلالة لا شك فيها والذي
يدل على ان المطلوب الوسط في الاخلاق دون الطرفين ان السخاء خلق مطلوب شرعا وهو وسط بين
التبذير والتقتير وقد اثنى الله عليه فقال والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك

قواما وقال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وكذلك المطلوب في شهوة
الطعام الاعتدال دون الشره والجمود قال تعالى وكلوا واشربوا ولا تسرفوا وقال في الغضب اشداء
على الكفار رحماء بينهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الامور اوسطها وهذا له سر وتحقيق وهو
ان السعادة منوطة بسلامة القلب عن عوارض هذا العالم قال الله تعالى الا من اتى الله بقلب سليم والبخل
من عوارض الدنيا والجود ايضا من عوارض الدنيا وشرط القلب ان يكون سليما منهما اي لا يكون ملتفتا
الى المال فلا يكون حريصا على امساكه ولا حريصا على انفاقه فان الحريص على الانفاق مصروف القلب الى
الانفاق كما ان الحريص على الامساك مصروف القلب الى الامساك وكان الكمال ان يصفو القلب عن الوصفين
جميعا واذا لم يكن ذلك في الدنيا طلبنا ما هو الاشبه بين الوصفين وابعد عن الطرفين وهو الوسط فان
الفاتر لا حار ولا بارد وهو وسط بينهما فكانه خال عن الوصفين فكذلك السخاء بين التبذير والتقتير
والشجاعة بين الجبن والتهور والعفة بين الشره والجمود وكذلك سائر الاخلاق فكلا طرفي قصد الامور
ذميم فهذا هو المطلوب وهو ممكن جدا نعم يجب على الشيخ المرشد للمريد ان يقبح عنده الغضب رأسا
وامساك المال رأسا ولا يرخص له في شيء منه لانه لو رخص له في ادنى شيء اتخذ ذلك عذرا في استبقاء بخله و
غضبه وظن انه القدر المرخص فيه واذا قصد قلع الاصل بالغ فيه ولم يتيسر له الا كسر سورته بحيث يعود
الى الاعتدال فالصواب له ان يطلب قلع الاصل حتى يتيسر له القدر المقصود ولا يكشف هذا السر للمريد
فانه موضع غرور الحمقى اذ يظن بنفسه ان غضبه بحق وامساكه بحق. **بيان** السبب الذي ينال به حسن
الخلق على الجملة قد علمت ان حسن الخلق يرجع الى اعتدال قوة العقل وكمال الحكمة والى اعتدال قوة الغضب
والشهوة وكونهما مطيعتين للعقل والشرع وهذا الاعتدال يحصل على وجهين احدهما بجود الهي وكمال
فطري بحيث يخلق الانسان ويولد كامل العقل حسن الخلق قد كفي سلطان الشهوة والغضب بل خلقتا
معتدلتين منقادتين للعقل والشرع فيصير عالما بغير تعليم ومؤدبا بغير تأديب كعيسى بن مريم ويحيى
بن زكريا عليهما السلام وكذلك سائر الانبياء صلوات الله عليهم فلا يبعد ان يكون في الطبع
والفطرة ما قد ينال بالاكتساب فرب صبي خلق صادق اللهجة سخيا جريا وربما يخلق بخلافه فيحصل ذلك
فيه بالتعود ومخالطة المتخلقين بهذه الاخلاق ربما يخلق بخلافه فيحصل ذلك فيه بالتعود ومخالطة
المتخلقين بهذه الاخلاق وربما يحصل بالتعلم والوجه الثاني اكتساب هذه الاخلاق بالمجاهدة
والرياضة واعني بها حمل النفس على الاعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب فمن اراد مثلا ان يحصل
لنفسه خلق الجود فطريقه ان يتكلف تعاطي فعل الجواد وهو بذل المال فلا يزال يواظب عليه تكلفا
مجاهدا نفسه فيه حتى يصير ذلك طبعا ويتيسر عليه فيصير جوادا وكذلك من اراد ان يحصل لنفسه خلق
التواضع وقد غلب عليه الكبر فطريقه ان يواظب على افعال المتواضعين مدة مديدة وهو فيها مجاهد
نفسه ومتكلف الى ان يصير ذلك له خلقا وطبعا فيتيسر عليه وجميع الاخلاق المحمودة شرعا
تحصل بهذا الطريق وغايتها ان يصير الفعل الصادر منه لذيذا فالسخي هو الذي يستلذ بذل المال دون
الذي يبذله عن كراهية والمتواضع هو الذي يستلذ التواضع ولن ترسخ الاخلاق الدينية في النفس ما لم
تتعود جميع العادات الحسنة وما لم تترك جميع العادات السيئة وما لم يواظب عليها مواظبة من
يشتاق الى الافعال الجميلة ويتنعم بها ويكره الافعال القبيحة ويتألم بها كما قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلاة ومهما كانت العبادة وترك المحظورات مع كراهية واستثقال

فهو نقصان ولا ينال كمال السعادة بذلك نعم المواظبة عليه بالمجاهدة خير ولكن بالاضافة الى تركه
لا بالاضافة الى فعله عن طوع ولذلك قال الله تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقال صلى الله
عليه وسلم اعبد الله في الرضى فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير ثم لا يكفي في نيل السعادة الموعود
على حسن الخلق استلذاذ الطاعة واستكراه المعصية في زمان دون زمان بل ينبغي ان يكون ذلك على
الدوام وفي جملة العمر وكلما كان العمر اطول كانت الفضيلة ارسخ واكمل ولذلك لما سئل صلى الله عليه وسلم
عن السعادة فقال طول العمر في طاعة الله عز وجل ولذلك كره الانبياء والاولياء الموت فان الدنيا هي
مزرعة الاخرة وكلما كانت العبادات اكثر بطول العمر كان الثواب اجزل والنفس ازكى واطهر والاخلاق اقوى
وارسخ وانما مقصود العبادات تاثيرها في القلب وانما يتأكد تاثيرها بكثرة المواظبة على العبادات و
غاية هذه الاخلاق ان ينقطع عن النفس حب الدنيا ويرسخ فيها حب الله تعالى فلا يكون شيء احب اليه من
لقاء الله عز وجل فلا يستعمل جميع ماله الا على الوجه الذي يوصله اليه وغضبه وشهوته من المسخرات
له فلا يستعملها الا على الوجه الذي يوصله الى الله سبحانه وتعالى وذلك بان يكون موزونا بميزان
الشرع والعقل ثم يكون مع ذلك فرحا به ومستلذا له ولا ينبغي ان يستبعد مصير الصلوة قرة عين ومصير
العبادات لذيذة فان العادة تقتضي في النفس عجائب اعجب من ذلك فانا نرى الملوك والمتنعمين في
احزان دائمة ونرى المقامر المفلس قد يغلب عليه من اللذة والفرح بقماره وما هو فيه ما يستثقل معه فرح
الناس بغير القمار مع ان القمار ربما سلب ماله وخرب داره وتركه مفلسا ومع هذا فهو يحبه ويلتذ به وذلك
لطول الفه وصرف نفسه اليه مدة وكذلك اللاعب بالحمام قد يقف طول النهار في حر الشمس قائما على رجليه وهو
لا يحس بالمها لفرحه بالطيور وحركاتها وطيرانها وتحليقها في جو السماء بل نرى الفاجر العيار يفتخر بما يلقاه
من الضرب والقطع والصبر على السياط وعلى ان يتقدم به للصلب وهو مع ذلك متبجح بنفسه
وبقوته في الصبر على ذلك ويرى ذلك فخرا لنفسه حتى يقطع الواحد منهم اربا اربا على ان يقر بما تعاطاه
فيصر على الانكار ولا يبالي بالعقوبات فرحا بما يعتقده كمالا وشجاعة ورجولية فقد صارت احواله
مع ما فيها من النكال قرة عينه وسبب افتخاره بل لا حالة اخس واقبح من حال المخنث في تشبهه بالاناث
في نتف الشعر ووشم الوجه ومخالطة النساء فترى المخنث في فرح بحاله وافتخار بكماله في خنثه يتباهى به
مع المخنثين حتى يجري بين الحجامين والكناسين التفاخر والتباهي كما يجري بين الملوك والعلماء وكل
ذلك نتيجة العادة والمواظبة على نمط واحد على الدوام مدة مديدة ومشاهدة ذلك من المخالطين و
المعارف فاذا كانت النفس بالعادة تستلذ الباطل وتميل الى القبائح فكيف لا تستلذ الحق لو ردت اليه مدة
والتزمت المواظبة عليه بل ميل النفس الى هذه الامور الشنيعة خارج عن الطبع يضاهي الميل الى اكل الطين
وقد يغلب على بعض الناس ذلك بالعادة فاما ميله الى الحكمة وحب الله تعالى ومعرفته وعبادته فهو
كالميل الى الطعام والشراب فهو مقتضى طبع القلب فانه امر رباني وميله الى مقتضيات الشهوات غريب
من ذاته وعارض على طبعه وانما غذاء القلب الحكمة والمعرفة وحب الله تعالى ولكن انصرف عن مقتضى طبعه
لمرض حل به كما قد يحل المرض بالمعدة فلا تشتهي الطعام والشراب وهما سببان لحياتها فكل قلب مال الى حب
شيء سوى حب الله تعالى فلا ينفك عن مرض بقدر ميله الا اذا كان احب ذلك الشيء لكونه معينا له على حب الله
تعالى وعلى دينه فعند ذلك لا يدل ذلك على المرض فاذا عرفت بهذا قطعا ان هذه الاخلاق الجميلة
يمكن اكتسابها بالرياضة وهي تكلف الافعال الصادرة عنها ابتداء ليصير طبعا انتهاء فهذا من عجائب

العلاقة بين القلب والجوارح اعني النفس والبدن فان كل صفة تظهر في القلب يفيض اثرها على الجوارح حتى
لا تتحرك الا على وفقها لا محالة وكل فعل يجري على الجوارح فانه قد يرتفع منه اثر الى القلب والامر فيه دور ويعرف
ذلك بمثال وهو ان من اراد ان يصير الحذق في الكتابة صفة نفسية له حتى يصير كاتبا بالطبع فلا
طريق له الى ذلك الا ان يتعاطى بجارحة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق ويواظب عليه مدة طويلة
وهو حكاية الخط الحسن فان فعل الكاتب هو الخط الحسن فيتشبه بالكاتب تكلفا ثم لا يزال يواظب على
ذلك حتى يصير ذلك صفة راسخة في نفسه فيصدر منه في الاخر الخط الحسن طبعا كما كان يصدر منه
في الابتداء تكلفا الا انه ارتفع منه اثر الى النفس ثم انحط من النفس الى الجارحة فصار يكتب الخط الحسن
طبعا وكذلك من اراد ان يصير فقيه النفس فلا طريق له الا ان يتعاطى افعال الفقهاء وهو التكرار للفقه
حتى تنعطف منه على قلبه صفة الفقه فيصير فقيه النفس وكذلك من اراد ان يصير سخيا عفيفا
حليما متواضعا فيلزمه ان يتعاطى افعال هؤلاء تكلفا حتى يصير ذلك بالعادة طبعا ولا علاج له
الا ذلك وكما ان طالب فقه النفس لا ييأس من هذه الرتبة بتعطيل ليلة ولا ينالها بتكرار ليلة فكذلك
طالب تزكية النفس وتكميلها وتحليتها بالاخلاق الحسنة لا ينالها بعبادة يوم ولا يحرم منها بعصيان
يوم وهو معنى قولنا ان الكبيرة الواحدة لا توجب الشقاوة المؤبدة ولكن العطلة في يوم واحد تدعو
الى مثلها ثم تتداعى قليلا قليلا حتى تأنس النفس بالكسل وتهجر التحصيل راسا فتفوته فضيلة الفقه
فكذلك صغائر المعاصي يجر بعضها الى بعض حتى يفوت اصل السعادة بهدم اصل الايمان
عند الخاتمة وكما ان تكرار ليلة لا يحس تاثيره في النفس بل يظهر فقه النفس شيئا فشيئا على التدريج مثل
نمو البدن وارتفاع القامة فكذلك الطاعة الواحدة لا يحس تاثيرها في تزكية النفس وتطهيرها في الحال
ولكن لا ينبغي ان يستهان بقليل الطاعات فان الجملة الكبيرة منها مؤثرة وانما اجتمعت الجملة من
الاحاد فلكل واحد تاثير فما من طاعة الا ولها اثر وان خفي فله ثواب لا محالة فان الثواب بازاء الاثر
وكذلك المعصية وكم من فقيه يستهين بتعطيل يوم وليلة وهكذا على التوالي يسوف نفسه يوما
فيوما الى ان يخرج طبعه عن قبول الفقه فهكذا من يستهين بصغائر المعاصي ويسوف نفسه بالتوبة
على التوالي الى ان يختطفه الموت بغتة او تتراكم ظلمة الذنوب على قلبه وتتعذر عليه التوبة اذ
القليل يدعو الى الكثير فيصير القلب مقيدا بسلاسل الشهوات لا يمكن تخليصه من مخالبها
وهو المعني بانسداد باب التوبة وهو المراد بقوله تعالى وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم
سدا الاية وكذلك قال علي رضي الله عنه ان الايمان ليبدو في القلب نكتة بيضاء كلما ازداد الايمان
ازداد ذلك البياض فاذا استكمل العبد الايمان ابيض القلب كله وان النفاق ليبدو في القلب
نكتة سوداء كلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد فاذا استكمل النفاق اسود القلب كله فاذا
عرفت ان الاخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع والفطرة وتارة باعتياد الافعال الجميلة وتارة
بمشاهدة ارباب الافعال الجميلة ومصاحبتهم وهم قرناء الخير واخوان الصلاح اذ الطبع يسرق
من الطبع الخير والشر جميعا فمن تظاهرت في حقه الجهات الثلاث حتى صار ذا فضيلة طبعا واعتيادا
وتعلما فهو في غاية الفضيلة ومن كان رذلا بالطبع واتفق له قرناء السوء فتعلم منهم وتيسرت له اسباب
الشر حتى اعتادها فهو في غاية البعد من الله تعالى وبين الرتبتين من اختلفت به الجهات ولكل درجة
في القرب والبعد بحسب ما تقتضيه صفته وحالته فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال

ذرة شرا يره فما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون **بيان** تفصيل الطريق الى تهذيب
الاخلاق **قد** عرفت قبل ان الاعتدال في الاخلاق هو صحة النفس والميل عن الاعتدال مرض
في النفس كما ان الاعتدال في المزاج هو صحة له والميل عن الاعتدال مرض فيه فلنتخذ البدن
مثلا فنقول مثال النفس في علاجها بمحو الرذايل والاخلاق الردية عنها بكسب الفضايل
والاخلاق الجميلة لها مثال البدن وعلاجه لمحو العلل عنه وكسب الصحة له وكما ان الغالب
على اصل المزاج الاعتدال وانما تعتري المعدة بعوارض الاغذية والاهوية والاحوال فكذلك كل
مولود يولد معتدلا صحيحا على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه اي بالتعود والتعلم
يكتسب الرذايل وكما ان البدن في الابتدا لا يخلق كاملا وانما يكمل ويقوي بالنشو والتربية
والغذا فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال وانما تكمل بالتزكية وتهذيب الاخلاق
والتغذية بالعلم وكما ان البدن ان كان صحيحا فشان الطبيب تمهيد القانون الحافظ للصحة
وان كان مريضا فشانه جلب الصحة اليه فكذلك النفس منك ان كانت زكية طاهرة مهذبة
الاخلاق فينبغي ان تسعى لحفظها وجلب مزيد قوة اليها واكتساب زيادة صفائها
وان كانت عديمة الكمال والصفا فينبغي ان تسعى لجلب ذلك وكما ان العلة المغيرة للبدن الموجبة
لمرض لا يعالج الا بضدها ان كانت من حرارة فبالبرودة وان كانت من برودة فبالحرارة فكذلك الرذيلة التي
هي من مرض القلب علاجها بضدها فتعالج امراض الجهل بالتعلم ومرض البخل بالتسخي ومرض الكبر بالتواضع
ومرض الشره بالكف عن المشتهى تكلفا وكما انه لا بد من احتمال مرارة الدوا وشدة الصبر عن المشتهيات
لعلاج الابدان المريضة فلا بد من احتمال مرارة المجاهدة والصبر لمداوات امراض القلب بل اولى فان
مرض البدن يخلص منه بعد الموت ومرض القلب والعياذ بالله عذاب يدوم ابد الاباد وكما ان كل
مبرد لا يصلح لعلة سببها الحرارة الا اذا كان على حد مخصوص ويختلف ذلك بالشدة والضعف و
الدوام وعدمه وبالكثرة والقلة ولا بد من معيار يعرف به مقدار النافع منه فانه ان لم يحفظ عيار زاد
الفساد فكذلك النقايض التي يعالج بها الاخلاق لا بد لها من عيار وكما ان عيار الدوا ماخوذ من عيار
العلة حتى ان الطبيب لا يعالج العليل ما لم يعرف ان العلة من حرارة او برودة فان كانت من حرارة
يعرف درجتها من ضعف او قوة فاذا عرف ذلك التفت الى احوال البدن واحوال الزمان وصناعة
المريض وسنه وساير احواله ويعالج بحسبها فكذلك الشيخ المتبوع الذي يطبب نفوس المريدين
ويعالج قلوب المسترشدين ينبغي ان لا يهجم عليهم بالرياضة والتكليف في فن مخصوص ما لم
يعرف اخلاقهم وامراضهم وكما ان الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد لاهلك اكثرهم
فكذلك الشيخ لو اشار على المريدين بنمط واحد من الرياضة اهلكهم وامات قلوبهم بل ينبغي ان ينظر
في مرض المريد وحاله وسنه ومزاجه وما تحتمله نفسه من الرياضة فيبني على ذلك رياضته فان كان
المريد مبتديا جاهلا بحدود الشرع فيعلمه اولا الطهارة والصلاة وظواهر العبادات وان كان مشغولا
بمال حرام او مقارفا لمعصية امره بتركهما فاذا تزين بالعبادات ظاهره وطهرت عن المعاصي الظاهرة
جوارحه نظر بقراين الاحوال ليتفطن الى اخلاقه وامراض قلبه فان راى معه مالا فاضلا عن قدر
ضرورته اخذه منه وصرفه في الخيرات وفرغ قلبه منه حتى لا يلتفت اليه وان راى الرعونة والكبر وعزة
النفس غالبة عليه امره ان يخرج الى السوق للكدية والسؤال فان عز الرياسة لا تنكسر الا بالذل ولا ذل اعظم

من ذل السؤال فيكلفه المواظبة على ذلك مدة حتى ينكسر كبره وعزه فان الكبر من الامراض المهلكة وكذلك
الرعونة فان راي الغالب عليه النظافة في البدن والثياب وراى قلبه مايلا الى ذلك فرحا ملتفتا
اليه استخدمه في تعهد بيت الما وتنظيفه وكنس المواضع القذرة او ملازمة المطبخ ومواضع الدخان
حتى يتشوش عليه رعونته في النظافة فان الذين ينظفون ثيابهم ويزينونها ويطلبون المرقعات
الرفيعة والسجادات الملونة لا فرق بينهم وبين العروس التي تزين نفسها طول النهار ولا فرق بين
ان يعبد الانسان نفسه وبين ان يعبد صنما فانهما عبد غير الله فقد حجب عن الله ومن راعى في ثوبه
شيا غير كونه حلالا وطاهرا مراعاة يلتفت اليها قلبه فهو مشغول بنفسه ومن لطايف الرياضات
النفس اذا كانت لا تسخو بترك الرعونة راسا او بترك صفة اخرى ولم يسمح بضدها دفعة فينبغي
ان ينقل من الخلق المذموم الى مذموم اخر اخف كالذي يغسل الدم بالبول ثم يغسل البول بالما اذا كان
الما لا يزيل الدم فلذلك يرغب الصبي في المكتب بالكرة والصولجان ثم ينقل من اللعب بالكرة والصولجان
الى الترغيب بالزينة وفاخر الثياب ثم ينقل من ذلك بالترغيب في الرياسة وطلب الجاه ثم ينقل
من الجاه بالترغيب في الاخرة فلذلك من لم يسمح نفسه بترك الجاه دفعة فلينقل الى جاه اخف منه
مما هو فيه وكذلك ساير الصفات ولذلك اذا راي شره الطعام غالبا عليه الزمه الصوم وتقليل
الطعام اولا ثم يكلفه ان يهيي الاطعمة اللذيذة ويقدمها الى غيره ولا ياكل هو منها حتى يقوي بذلك
نفسه فينكسر شهوته وشرهه وكذلك اذا راى شابا متشوقا الى النكاح وهو عاجز عن النكاح امره
بالصوم وربما لا يسكن ذلك شهوته فيامره ان يفطر ليلة على الما دون الخبز وليلة على الخبز دون
الما ويمنعه اللحم والادم راسا حتى تذل نفسه وتنكسر شهوته فلا علاج في مبادي الارادة انفع من الجوع
وان راي الغضب غالبا عليه الزمه الحلم والسكوت وسلط عليه من يصحبه ممن فيه سو خلق ويلزمه
خدمة من ساء خلقه وراعاه حتى يمرن نفسه على الاحتمال فقد كان بعضهم يعود نفسه الحلم ويزيل
عن نفسه شدة الغضب فكان يستاجر من يشتمه على ملا من الناس ويكلف نفسه الصبر ويكظم
غيظه حتى صار الحلم له عادة بحيث كان يضرب به المثل وكان بعضهم يستشعر في نفسه الجبن وضعف
القلب فاراد ان يحصل لنفسه خلق الشجاعة كان يركب البحر في الشتاء عند اضطراب الامواج و
عباد الهند يعالجون الكسل عن العبادة بالقيام طول الليل على هيئة واحدة انتصابا وبعض المشايخ في
ابتدا ارادته كانت نفسه تكسل عن القيام فيقوم على راسه طول الليلة لتسمح نفسه بالقيام على الرجل عن
طوع وعالج بعضهم حب المال بان باع جميع ماله ورمى به في البحر اذ خاف على نفسه من تفرقته على
الناس رعونة الجود والريا بالبذل فهذه الامثلة اصلحك الله تعرفك طريق معالجة القلوب وليس
غرضنا دوا كل مرض فان ذلك سياتي في بقية الكتب وانما الغرض الان التنبيه على الطريق الكلي فيه سلوك
مسلك المضادة لكل ما تهواه النفس وتميل اليه وقد جمع الله تعالى جميع ذلك في كتابه في كلمة واحدة فقال ونهى
النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى والاصل المهم في المجاهدة الوفا بالعزم فاذا عزم على ترك شهوة
فقد تيسرت اسبابها ويكون ذلك ابتلا من الله واختبارا فينبغي ان يصبر ويستمر فانه ان عود نفسه
ترك العزم الفت ذلك ففسدت واذا اتفق منه نقض عزم فينبغي ان يلزم نفسه عقوبة عليه كما ذكرنا
في معاقبة النفس من كتاب المراقبة فاذا لم يخوف النفس بعقوبة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة
وتفسد بذلك الرياضة بالكلية **بيان** علامات امراض القلب وعلامات عوده الى الصحة

كما ان كل عضو من اعضاء البدن خلق لفعل خاص به وانما مرضه ان يتعذر عليه فعله الذي خلق له حتى لا يصدر منه اصلا او يصدر مع نوع من الاضطراب فمرض اليد ان يتعذر عليها البطش ومرض العين ان يتعذر عليها الابصار وكذلك مرض القلب بان يتعذر عليه فعله الخاص به الذي خلق لاجله وهو العلم والحكمة والمعرفة وحب الله سبحانه وعبادته والتلذذ بها وايثار ذلك على كل شهوة سواها و الاستعانة بجميع الشهوات والاعضاء عليها قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ففي كل عضو فايدة وفايدة القلب الحكمة والمعرفة وخاصة النفس للادمي ما يتميز به عن البهايم ولم يتميز عنها بالقوة على الاكل والوقاع والابصار وغيرها بل بمعرفة الاشيا على ما هي عليه واصل الاشيا وموجدها ومخترعها الذي جعلها اشيا هو الله عز وجل ولو عرف كل شي ولم يعرف الله تعالى فكانه لم يعرف شيا وعلامة المعرفة المحبة فمن عرف الله احبه وعلامة المحبة ان لا يوثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات كما قال الله تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم الى قوله احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا فمن عنده شي احب اليه من الله تعالى ورسوله فقلبه مريض كما ان كل معدة صار الطين احب اليها من الخبز والما وسقطت شهوتها عن الخبز والما فهي مريضة وهذه علامة المرض وبهذا تعرف ان القلوب كلها مريضة ما شا الله الا ان من الامراض ما لا يعرفه صاحبه ومرض القلب لا يعرفه صاحبه فلذلك يغفل عنه وان علمه صعب عليه الصبر على مرارة دوايه فان دواه مخالفة الشهوات وهو نزع الروح وان وجد من نفسه قوة الصبر عليه لم يجد طبيبا حاذقا يعالجه فان الاطبا هم العلما وقد استولى المرض عليهم والطبيب المريض قلما يلتفت الى علاجه فلهذا صار الدا عضالا والمرض مزمنا واندرس هذا العلم وانكر بالكلية طب القلوب وانكر مرضها واقبل الخلق على حب الدنيا وعلى اعمال ظاهرها عبادات وباطنها عادات ومرايات فهذه علامة اصل المرض واما علامة عوده الى الصحة بعد المعالجة فهو ان ينظر في العلة التي يعالجها فان كان يعالج داء البخل فانه المهلك المبعد من الله تعالى فانما علاجه بذل المال وانفاقه ولكنه قد يبذل المال الى حد يصير به مبذرا فيكون التبذير ايضا دا فيكون كمن يعالج البرودة بالحرارة حتى يغلب الحرارة وهو ايضا دا بل المطلوب الاعتدال بين الحرارة والبرودة فكذلك المطلوب الاعتدال بين التقتير والتبذير حتى يكون على الوسط وفي غاية البعد عن الطرفين فان اردت ان تعرف الوسط فانظر الى الفعل الذي يوجبه الخلق المحذور فان كان اسهل عليك والذ من الذي يضاده فالغالب عليك ذلك الخلق الموجب له مثل ان يكون امساك المال وجمعه الذ عندك وايسر عليك من بذله لمستحقه فاعلم ان الغالب عليك خلق البخل فزد في المواظبة على البذل فان صار البذل على غير المستحق الذ عندك واخف عليك من الامساك بالحق فقد غلب عليك التبذير فارجع الى المواظبة على الامساك فلا تزال تراقب نفسك وتستدل على خلقك بتيسير الافعال وتعسرها حتى تنقطع علاقة قلبك عن المال فلا تميل الى بذله ولا الى امساكه بل يصير عندك كالما فلا تطلب فيه الا امساكه لحاجة محتاج ولا يترجح عندك البذل على الامساك فكل قلب صار كذلك فقد اتى الله بقلب سليم عن هذا المقام خاصة ويجب ان يكون سليما عن سائر الاخلاق حتى لا يكون له علاقة بشي مما يتعلق بالدنيا حتى ترتحل النفس عن الدنيا منقطعة العلايق عنها غير ملتفتة اليها ولا متشوقة الى اسبابها فعند ذلك ترجع الى ربها رجوع النفس المطمينة راضية مرضية داخلة في زمرة عباد الله من النبيين والصديقين والشهدا و الصالحين وحسن اولئك رفيقا ولما كان الوسط الحقيقي بين الطرفين في غاية الغموض بل هو ادق من الشعر

واحد من السيف فلا جرم من استوى على هذا الصراط المستقيم في الدنيا جاز على مثل هذا الصراط اعني الوسط حتى لا يميل الى احد الجانبين فيكون قلبه متعلقا بالجانب الذي مال اليه فلذلك لا ينفك عن عذاب ما واجتياز على النار وان كان مثل البرق قال الله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا اي الذين كان قربهم الى الصراط اكثر من بعدهم عنه ولاجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد ان يدعو الله في كل يوم سبع عشرة مرات في قوله اهدنا الصراط المستقيم اذ وجب الفاتحة في كل ركعة وراى بعضهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في النام فقال قد قلت يا رسول الله شيبتني سورة هود فلم قلت ذلك قال لقوله تعالى فاستقم كما امرت والاستقامة على سوا السبيل في غاية الغموض ولكن ينبغي ان يجتهد الانسان في القرب من الاستقامة ان لم يقدر على حقيقة الاستقامة فكل من اراد النجاة فلا نجاة الا بالعمل الصالح ولا تصدر الاعمال الصالحة الا عن الاخلاق الحسنة فليتفقد كل عبد صفاته واخلاقه وليعددها و ليشتغل بعلاج كل واحد منها على الترتيب

بيان الطريق الذي به يعرف الانسان عيوب نفسه

اعلم ان الله عز وجل اذا اراد بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فمن كملت بصيرته لم تخف عليه عيوبه واذا عرف العيب امكنه فمن كملت بصيرته لم تخف عليه عيوبه واذا عرف العيب امكنه العلاج ولكن اكثر الخلق جاهلون بعيوب انفسهم ولا يرون الجذع في اعين انفسهم فمن اراد ان يقف على عيب نفسه فله اربعة طرق الاول ان يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الافات ويحكمه على نفسه ويتبع اشارته في مجاهدته وهذا شان المريد مع شيخه والتلميذ مع استاذه فيعرفه شيخه واستاذه عيب نفسه ويعرفه طريق علاجه وهذا قد عز في هذا الزمان والطريق الثاني ان يطلب صديقا صدوقا بصيرا متدينا وينصبه رقيبا على نفسه ليلاحظ احواله وافعاله فما يكره من اخلاقه وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليها فهكذا كان يفعل الاكابر من ايمة الدين وكان عمر رحمه الله يقول رحم الله امرا اهدى الي عيوبي وكان يسال سلمان عن عيوبه فلما قدم عليه قال له ما الذي بلغك عني مما تكرهه فاستعفى فالح عليه فقال سمعت انك جمعت بين ادامين على مايدة وان لك حلتين حلة بالنهار وحلة بالليل فقال وهل بلغك غيره قال لا قال اما هذان فقد كفيتهما وكان يسال حذيفة ويقول انت صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافقين فهل ترى علي شيا من اثار النفاق فهو على جلالة قدره وعلو منصبه هكذا كانت تهمته وكل من كان اوفر عقلا واعلى منصبا كان اقل اعجابا واعظم اتهاما لنفسه الا ان هذا ايضا قد عز فقل في الاصدقا من يترك المداهنة فيخبر بالعيب او يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب فلا تخلوا من اصدقائك عن حسود او صاحب غرض يرى ما ليس بعيب عيبا او عن مداهن يخفي عليك بعض عيوبك ولهذا اعتزل داود الطائي عن الناس فقيل له لم لا تخالط فقال ماذا اصنع باقوام يخفون عني عيوبي فقد كانت شهوة ذوي الدين ان يتنبهوا لعيوبهم بتنبيه غيرهم وقد ال الامر في امثالنا الى ان ابغض الخلق الينا من ينصحنا ويعرفنا عيوبنا ويكاد يكون هذا مفصحا عن ضعف الايمان فان الاخلاق السيئة حيات وعقارب لداغة ولو نبهنا منبه على ان تحت ثوبنا عقربا لتقلدنا منه وفرحنا بذلك واشتغلنا بابعاد العقرب وقتلها وانما نكاية العقرب على البدن ويدوم المها يوما فما دونه ونكاية الاخلاق الردية على صميم القلب ويخشى ان يدوم بعد الموت ابد الاباد والافا من السنين

ثم الا نفرح بمن ينبهنا عليها ولا نشتغل بازالتها بل نشتغل بمقابلة الناصح بمثله ونقول وانت
تصنع كيت وكيت ونستعملنا العداوة معه في الانتفاع بنصحه فيشبه ان يكون هذا من قساوة
القلب التي اثمرتها كثرة الذنوب واصل كل ذلك ضعف الايمان فنسال الله تعالى ان يعرفنا رشدنا
ويبصرنا بعيوب انفسنا ويستعملنا بمداواتها ويوفقنا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوينا بمنه
الطريق الثالث ان يستفيد عيوب نفسه من لسان عدوه فان عين السخط تبدي المساوي ولعل
انتفاع الانسان بعدو مشاحن يذكره عيوب نفسه اكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه
ويمدحه ويخفي عنه عيوبه الا ان الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل ما يقوله على الحسد ولكن
البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول اعدائه فان مساويه لا بد ان ينتشر على السنتهم والطريق الرابع
ان يخالط الناس فكل ما راه مذموما فيما بين الخلق فليطالب نفسه بتركه وما راه محمودا طالب نفسه به
وتنسب نفسه اليه فان المؤمن مراة المؤمن فيرى في عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم ان الطباع
متقاربة في اتباع الهوى فما اتصف احد الاقران لم ينفك القرن الاخر عن اصله او عن اعظم منه او عن
شيء منه فيتفقد نفسه ويطهرها من كل ما يذمه من غيره وناهيك بهذا تاديبا فلو ترك الناس
كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المؤدبين وقيل لعيسى عليه السلام من ادبك قال ما
ادبني احد رايت جهل الجاهلين فجانبته وهذه كلها حيل من فقد شيخا كبيرا عارفا كيسا بصيرا بعيوب
النفس مشفقا ناصحا في الدين فارغا عن تهذيب نفسه مشغولا بتهذيب عباد الله نصحا لهم فمن وجد
ذلك فقد وجد الطبيب فليلازمه فهذا الذي يخلصه من مرضه وينجيه من الهلاك الذي
هو بصدده سيما وهذا النقل عن ارباب البصائر وشواهد الشرع على ان الطريق في معالجة امراض
القلوب ترك الشهوات وان مادة امراضها اتباع الشهوات اعلم ان ما ذكرناه ان تاملته بعين البصيرة
والاعتبار انفتحت بصيرتك وانكشف لك علل القلوب وامراضها وادويتها بنور العلم واليقين
وان عجزت عن ذلك فلا ينبغي ان يفوتك التصديق والايمان على سبيل التلقي والتقليد لمن يستحق
التقليد فان الايمان درجة كما ان العلم درجة والعلم يحصل بعد الايمان وهو وراءه
قال الله تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات فمن صدق ان مخالفة
الشهوات هي الطريق الى الله تعالى ولم يطلع على سببه وسره فهو من الذين امنوا واذا اطلع على ما ذكرناه
من اعوان الشهوات واسرارها فهو من الذين اوتوا العلم وكلا وعد الله الحسنى والذي يقتضي
الايمان بهذا الامر في القران والسنة واقاويل العلماء اكثر من ان يحصى قال الله تعالى ونهى النفس
عن الهوى فان الجنة هي الماوى وقال الله تعالى اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى قيل نزع
منها حب الشهوات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن بين خمس شدائد مؤمن يحسده ومنافق
يبغضه وكافر يقاتله وشيطان يضله ونفس تنازعه فبين ان النفس عدو منازع يجب ان
يجاهد ويروى ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام يا داود حذر وانذر اصحابك اكل الشهوات
فان القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها عني محجوبة وقال عيسى عليه السلام طوبى لمن ترك
شهوة حاضرة لموعود غائب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمتم من الجهاد مرحبا بكم قدمتم من
الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر فقالوا وما الجهاد الاكبر يا رسول الله قال جهاد النفس وقال صلى الله
عليه وسلم المجاهد من جاهد نفسه في الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم كف اذاك عن نفسك ولا

تابع هواها في معصية الله عز وجل اذ تخاصمك يوم القيمة فيلعن بعضك بعضا الا ان يغفر الله
تعالى ويستر وقال سفيان الثوري ما عالجت شيئا اشد علي من نفسي مرة لي ومرة علي وكان ابو
العباس الموصلي يقول يا نفس لا مع ابناء الدنيا مع الملوك تتنعمين ولا في طلب الاخرة مع العباد
تجتهدين كاني بك بين الجنة والنار وتحبسين الا يا نفس الا تستحين وقال الحسن ما الدابة الجموح
باحوج الى اللجام الشديد من نفسك وقال يحيى بن معاذ الرازي جاهد النفس باسياف
الرياضة والرياضة على اربعة اوجه القوت من الطعام والغمض من المنام والحاجة من الكلام
وحمل الاذى من جميع الانام فيتولد من القلة من الطعام موت الشهوات ومن قلة المنام صفو
الارادات ومن قلة الكلام السلامة من الافات ومن احتمال الاذى البلوغ الى الغايات وليس
على العبد شيء اشد من الحلم بعد الجفا والصبر على الاذى فاذا تحركت من النفس ارادة الشهوة و
الاثام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيوف قلة الطعام من غمد التهجد
وقلة المنام وضربتها بايدي الخمول وقلة الكلام حتى تنقطع عن الظلم والانتقام فتامن
من بوائقها من سائر الانام وتصفيها من ظلمة شهواتها فتنجو من غوائل افاتها فتصير عند ذلك
روحانية لطيفة ونورية خفيفة فتجول في ميدان الخيرات وتسير في مسالك الطاعات
كالفرس الفارة في الميدان وكالملك المتنزه في البستان وقال ايضا اعداء الانسان ثلاثة
دنياه وشيطانه ونفسه فاحترس من الدنيا بالزهد فيها ومن الشيطان بمخالفته ومن النفس بترك
الشهوات وقال بعض الحكماء من استولت عليه النفس صار اسيرا في حب شهواتها محصورا في
سجن هواها ومنعت قلبه الفوائد وقال جعفر بن حميد اجتمعت العلماء والحكماء على ان النعيم
لا يدرك الا بترك النعيم وقال ابو يحيى الوراق من ارضى الجوارح بالشهوات فقد غرس في قلبه
شجر الندامات وقال وهيب ما زاد على الخبز فهو شهوة وقال وهيب بن الورد من اراد شهوات الدنيا
فليتهيا للذل ويروى ان امراة العزيز قالت ليوسف عليه السلام بعد ما ملك خزائن الارض يا
يوسف ان الحرص والشهوة صيرا الملوك عبيدا وان الصبر والتقوى صيرا العبيد ملوكا فقال يوسف
يقول الله عز وجل انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقال الجنيد ارقت ليلة فقمت
الى وردي فلم اجد الحلاوة التي كنت اجدها فاردت ان انام فلم اقدر فقعدت فلم اطق القعود فخرجت
فاذا رجل ملتف في عباءة مطروح على الطريق فلما احس بي قال يا ابا القاسم الى الساعة فقلت يا
سيدي من غير موعد فقال بل سالت محرك القلوب ان يحرك لي قلبك فقلت قد فعل فما حاجتك
فقال متى يصير داء النفس دواءها فقلت اذا خالفت النفس هواها فاقبل على نفسه فقال اسمعي
قد اجبتك بهذا سبع مرات فابيت الا ان تسمعيه من الجنيد قال فانصرف وما عرفته وقال يزيد الرقاشي
السلام على الماء البارد في الدنيا لعلي لا احرمه في الاخرة وقال رجل لعمر بن عبد العزيز متى اتكلم قال
اذا اشتهيت الصمت قال متى اصمت قال اذا اشتهيت الكلام وقال علي رضي الله عنه من
اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات في الدنيا وكان مالك بن دينار يطوف في الاسواق فاذا راى
الشيء يشتهيه قال لنفسه اصبري فوالله ما امنعك الا لكرامتك علي فاذا قد اتفق العلماء والحكماء على
ان لا طريق الى سعادة الاخرة الا بنهي النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات فالايمان بهذا واجب
واما تفصيل ما يترك من الشهوات وما لا يترك فينكشف بما قدمناه في اصل الرياضة وسرها والا

يمتع النفس بشيء مما لا يوجد معها في القبر الا بقدر الضرورة فيكون مقتصراً في الاكل والنكاح واللباس
والمسكن وكل ما هو مضطر اليه على قدر الحاجة والضرورة فانه لو تمتع بشيء منه انس به والفه واذا
مات تمنى الرجوع الى الدنيا ولا يتمنى الرجوع الى الدنيا الا من لا حظ له في الآخرة ولا خلاص من ذلك الا بان
يكون القلب مشغولاً بمعرفة الله سبحانه وتعالى وحبه والتفكر في ذلك ويتقصى من الدنيا على ما يدفع
عنه عوائق الفكر والذكر فقط فمن لم يقدر على حقيقة ذلك فليقرب منه فالناس فيه اربعة رجل
استغرق ذكر الله قلبه فلا يلتفت الى الدنيا الا في ضرورات المعيشة فهو من الصديقين ولا ينتهي
الى هذه الرتبة الا بالرياضة الطويلة والصبر عن الشهوات مدة مديدة والثاني من استغرقت
الدنيا قلبه فلم يبق لله ذكر في قلبه الا من حيث حديث النفس حيث يذكره باللسان فهو من الهالكين
والثالث رجل اشتغل بالدنيا والدين ولكن الغالب على قلبه هو الدين فهذا لا بد له من ورود النار
الا انه ينجو منها سريعاً بقدر غلبة ذكر الله تعالى على قلبه والرابع رجل اشتغل بهما جميعاً لكن الدنيا
اغلب على قلبه فهذا يطول مقامه في النار لكن يخرج منها لا محالة بقوة ذكر الله في قلبه وتمكنه من
صميم فؤاده وان كان ذكر الدنيا اغلب عليه وربما يقول القائل ان التنعم بالمباح مباح فكيف يكون
سبب البعد من الله تعالى فهذا خيال ضعيف بل حب الدنيا رأس كل خطيئة والمباح خارج عن الحاجة
في الدنيا وسيأتي ذكره للشيخ في ذم الدنيا قال ابراهيم الخواص كنت في جبل اللكام فرأيت رمانا فاشتهيته
فاخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركت الرمان فرأيت رجلا مطروحا قد
اجتمعت عليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا ابراهيم قلت وكيف عرفتني
فقال من عرف الله لا يخفى عليه شيء فقلت ارى لك حالا مع الله فلو سألته ان يحميك من هذه الزنابير
فقال وارى لك حالا مع الله فلو سألته ان يحميك شهوة الرمان فان لدغ الرمان يجد الانسان المه في الآخرة
ولدغ الزنابير يجد المه في الدنيا فتركته ومضيت وقال السري انا منذ اربعين سنة تطالبني نفسي ان اغمس
جوزة في دبس فما اطعمتها فاذا لا يمكن اصلاح القلب لسلوك طريق الآخرة ما لم يمنع النفس التنعم
بالمباح فان النفس اذا لم تمنع بعض المباحات طمعت في المحظورات فمن اراد حفظ لسانه عن الغيبة و
الفضول فحقه ان يلزمه السكوت الا عن المهمات حتى يموت منه شهوة الكلام فلا يتكلم الا بحق فيكون
سكوته عبادة وكلامه عبادة ومهما اعتادت العين رمي النظر الى كل شيء جميل لم يتحفظ عن النظر
الى ما لا يحل وكذلك سائر الشهوات لان الذي يشتهي به الحلال هو الذي يشتهي به الحرام
فالشهوة واحدة وقد وجب على العبد منعها من الحرام فان لم يعودها الاقتصار على قدر الضرورة في
الشهوات غلبته الشهوة فهذه احدى آفات المباحات ووراءها آفة اعظم من هذه وهو ان النفس
تفرح بالتنعم بالدنيا وتركن اليها وتطمئن بها اشرا وبطرا حتى تصير ثملة بها كالسكران الذي
لا يفيق من سكره وذلك الفرح بالدنيا سم قاتل يسري في العروق فيخرج من القلب الخوف والحزن وذكر الموت
واهوال القيامة وهذا هو موت القلب قال الله تعالى ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها وما الحياة الدنيا
الا متاع الغرور وقال اولو الحزم من ارباب القلوب جربوا قلوبهم في حال الفرح بمواتاة الدنيا فوجدوها
لينة رقيقة صافية قابلة لاثر الذكر فعلموا ان النجاة في الحزن الدائم والتباعد من اسباب الفرح و
البطر ففطموها عن ملاذها وعودوها الصبر عن شهواتها حلالها وحرامها وعلموا ان حلالها حساب
وهو نوع عذاب ومن نوقش الحساب في عرصات القيامة فقد عذب فخلصوا انفسهم من عذابها وتوصلوا

الى القرب والملك في الدنيا والآخرة بالخلاص من سم الشهوات ودفعها والانس بذكر الله تعالى والاشتغال
بطاعة الله وفعلوا بها ما يفعل بالبازي اذا قصد تأديبه ونقله عن توثبه وتوحشه الى
الانقياد والتأديب فانه يحبس اولا في بيت مظلم وتخاط عيناه حتى يحصل له الفطام عن الطيران في جو الهواء
وينسى ما كان قد الفه من طبع الاسترسال ثم يرفق به باللحم حتى يانس بصاحبه ويألفه الفا اذا دعاه
اجاب ومهما سمع صوته رجع اليه فكذلك النفس لا تألف ربها ولا تأنس بذكره الا اذا فطمت عن عادتها
بالخلوة والعزلة اولا ليحفظ السمع والبصر عن المألوفات ثم عودت الثناء والذكر والدعاء ثانيا في
الخلوة حتى يغلب عليها الانس بذكر الله عز وجل عوضا عن الانس بالدنيا وسائر الشهوات وذلك يثقل
عليها في البداية ثم تتنعم به في النهاية كالصبي يفطم من الثدي والفطام شديد عليه اذ كان
لا يصبر عن الثدي ساعة فلذلك يشتد بكاؤه وجزعه عند الفطام ويشتد نفوره عن
الطعام الذي يقدم اليه بدلا عن اللبن ولكنه اذا منع اللبن راسا يوما فيوما وعظم تعبه في
الصبر وغلبه الجوع تناول الطعام تكلفا ثم يصير له طبعا فلو رد بعد ذلك الى الثدي لم يرجع اليه فيهجر
الثدي ويعاف اللبن ويألف الطعام وكذلك الدابة في الابتداء تنفر عن السرج واللجام والركوب فتحمل
على ذلك قهرا وتمنع من الاسترسال الذي الفته بالسلاسل والقيود اولا ثم تانس به بحيث تترك
في موضعها فتقف فيه من غير قيد وكذلك تؤدب النفس كما تؤدب الطيور والدواب وتأديبها
ان تمنع عن الاشر والبطر والفرح بنعيم الدنيا بل بكل ما يزايلها بالموت اذ قيل له احبب ما احببت فانك
مفارقه فاذا علم انه من احب شيئا يلزمه فراقه ويشقى لا محالة لفراقه شغل قلبه بحب ما لا يفارقه
وهو ذكر الله تعالى فان ذلك يصحبه في القبر ولا يفارقه وكل ذلك يتم بالصبر اياما قلائل فالعمر
قليل بالاضافة الى مدة حياة الآخرة وما من عاقل الا وهو راض باحتمال المشقة في سفر وتعلم
صناعة وغيرها ليتنعم بها سنة وكل العمر بالاضافة الى الابد اقل من الشهر بالاضافة الى عمر
الدنيا فلا بد من الصبر والمجاهدة فعند الصباح يحمد القوم السرى وطريق المجاهدة والرياضة لكل
انسان تختلف باختلاف احواله والاصل فيه ان يترك كل واحد ما به فرحه من اسباب الدنيا فالذي
يفرح بالمال او بالجاه او بالقبول في الوعظ او بالعز في القضاء والولاية او بكثرة الاتباع في التدريس و
الافادة فينبغي ان يترك اولا ما به فرحه فانه ان منع من شيء من ذلك وقيل له ثوابك في الآخرة لم ينقص
بالمنع في الدنيا فكره ذلك وتألم به فهو ممن فرح بالحياة الدنيا واطمان بها وذلك مهلك في حقه ثم اذا ترك
اسباب الفرح فليعتزل الناس ولينفرد بنفسه وليراقب قلبه حتى لا يشتغل الا بذكر الله والفكر فيه وليترصد
لما يبدو في نفسه من شهوة ووسواس حتى يقمع مادته مهما ظهر فان لكل وسوسة سببا ولا يزول الا
بقطع السبب والعلاقة وليلازم ذلك بقية العمر فليس للجهاد آخر الا بالموت والسلام

بيان علامات حسن الخلق

اعلم ان كل انسان فهو جاهل بعيب نفسه فاذا جاهد نفسه ادنى مجاهدة حتى ترك
فواحش المعاصي ربما يظن بنفسه انه قد هذب نفسه وحسن خلقه واستغنى عن المجاهدة فلا بد من
ايضاح علامة حسن الخلق فان حسن الخلق هو الايمان وسوء الخلق هو النفاق وقد ذكر الله سبحانه صفات
المؤمنين والمنافقين وهي بجملتها ثمرة حسن الخلق وسوء الخلق فنورد جملة من ذلك لتعلم بها حسن
الخلق فقد قال الله تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون الى قوله هم الوارثون وقال
تعالى التائبون العابدون الى قوله وبشر المؤمنين وقال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت

قلوبهم الى قوله اولئك هم المؤمنون حقا وكذلك قال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا
الى اخر السورة فمن اشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الايات فوجود جميع هذه الصفة علامة
حسن الخلق وفقد جميعها علامة سوء الخلق ووجود بعضها دون البعض يدل على البعض دون البعض
فليشتغل بتحصيل ما فقده وحفظ ما وجده وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين
بصفات كثيرة واشار بجميعها الى محاسن الاخلاق فقال المؤمن يحب لاخيه المؤمن ما يحب
لنفسه وقال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه وقال من كان
يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم جاره وقال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل
خيرا او ليصمت وذكر ان صفات المؤمنين هي حسن الخلق فقال اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم
خلقا وقال اذا رايتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقن الحكمة وقال صلى الله عليه
وسلم لا يحل لمؤمن ان يشير الى اخيه بنظرة تؤذيه وقال صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم ان يروع مسلما وقال
صلى الله عليه وسلم انما يتجالس المتجالسان بامانة الله فلا يحل لاحدهما ان يفشي على اخيه ما يكرهه
وجمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال ان يكون كثير الحيا قليل الاذى كثير الصلاح قليل
الفساد صدوق اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل الزلل قليل الفضول برا وصولا وقورا صبورا
شكورا حليما رفيقا عفيفا شفيقا لا لعانا ولا سبابا ولا نماما ولا مغتابا ولا عجولا ولا حقودا ولا بخيلا
ولا حسودا هشاشا بشاشا يحب في الله ويبغض في الله ويرضى في الله ويغضب في الله فهذا هو حسن الخلق
وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علامة المؤمن والمنافق فقال ان المؤمن همته في الصلاة و
الصيام والعبادة والمنافق همته في الطعام والشراب كالبهيمة وقال حاتم الاصم المؤمن مشغول
بالفكر والعبر والمنافق مشغول بالحرص والامل والمؤمن ايس من كل احد الا من الله والمنافق راج كل
احد الا الله والمؤمن امن من كل احد الا من الله والمنافق خائف من كل احد الا من الله والمؤمن يقدم ماله دون
دينه والمنافق يقدم دينه دون ماله والمؤمن يحسن ويبكي والمنافق يسيء ويضحك والمؤمن يحب
الوحدة والخلوة والمنافق يحب الخلطة والملا والمؤمن يزرع ويخشى الفساد والمنافق يقلع ويرجو
الحصاد والمؤمن يامر وينهى للسياسة فيصلح والمنافق يامر وينهى للرياسة فيفسد واولى ما يمتحن
به حسن الخلق الصبر على الاذى واحتمال الجفاء ومن شكى من سوء خلق غيره لان حسن الخلق احتمال الاذى
فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمشي ومعه انس فادركه اعرابي فجبذه جبذا شديدا
وكان عليه برد نجراني غليظ الحاشية قال انس حتى نظرت الى عنق رسول الله صلى
الله عليه وسلم قد اثرت فيه حاشية البرد من شدة جبذه فقال يا محمد هب لي من مال الله الذي عندك
فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك ثم امر باعطائه ولما اكثرت قريش ايذاءه وضربه قال
اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وكذلك قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم ويحكى ان ابراهيم بن
ادهم خرج الى بعض البراري فاستقبله رجل جندي فقال له انت عبد فقال نعم فقال له اين
العمران فاشار الى المقبرة فقال الرجل انما اردت العمران فقال هو المقبرة فغاظه ذلك فضرب راسه
بالسوط فشجه ورده الى البلد فاستقبله اصحابه فقالوا ما هذا فاخبرهم الجندي فقالوا له
هذا ابراهيم بن ادهم فنزل الجندي عن دابته فقبل يديه ورجليه وجعل يعتذر اليه فقيل له لم قلت
انا عبد فقال انه لم يسالني انت عبد من قال انت عبد فقلت نعم لاني عبد الله فلما ضرب راسي سالت

الله تعالى له الجنة فقيل له انه ظلمك فكيف سالت الله تعالى له الجنة فقال علمت اني اوجر على هذا
فلم احب ان يكون نصيبي منه الخير ونصيبه مني الشر ودعي ابو عثمان الحيري الى دعوة وكان الداعي
يريد تجربته فلما بلغ منزله قال ليس وجه هذا فرجع ابو عثمان فلما ذهب غير بعيد جاءه ثانيا
فقال يرجع على ما يوجب الوقت فلما بلغ الباب قال له مثل مقالته الاولى فرجع ابو عثمان ثم جاءه
الثالثة حتى عامله بذلك مرات وابو عثمان لم يتغير فقال انما اردت ان اختبرك فما احسن خلقك
فقال ابو عثمان ان الذي رايت مني هو خلق الكلب ان الكلب اذا دعي اجاب واذا زجر انزجر وروي ان
ابا عثمان اجتاز في سكة فطرح عليه اجانة رماد فنزل عن دابته ونفض ذلك الرماد عن ثيابه
فقيل الا زجرتهم فقال ان من استحق النار فصولح على الرماد لم يجز له ان يغضب وروي ان علي بن موسى
الرضى كان يميل لونه الى السواد اذ كانت امه سوداء وكان له في نيسابور على باب داره حمام وكان اذا دخل
الحمام فرغ له الحمام فدخل ذات يوم فاطبق الحمام ومر الحمامي الى بعض حوائجه فتقدم انسان رستاقي ونزع
ثيابه ودخل الحمام فراى علي بن موسى رضي الله عنه فظن انه بعض خدام الحمام فقال له قم فادخل لي الما
فقام علي بن موسى وامتثل جميع ما كان امره فرجع الحمامي فراى ثياب الرستاقي وسمع كلامه مع علي
ابن موسى فخاف وهرب وخلاهما فلما خرج علي بن موسى سال عن الحمامي فقيل انه خاف مما جرى فهرب
فقال ما ينبغي له ان يهرب ان الذنب لمن وضع ماءه عند امة سوداء وروي ان عبد الله الخياط كان
يقعد على دكانه رجل مجوسي وكان له حريف يستعمله في الخياطة كان يتعهد وكان اذا خاط ذلك
المجوسي حمل اليه دراهم زيوفا وكان عبد الله ياخذها منه ولا يخبره بذلك ولا يردها عليه فقضي
من القضا ان عبد الله قام من الحانوت لبعض حاجته فقدم المجوسي الى تلميذه واسترجع منه ما خاط
ودفع اليه درهما زائفا فلما نظر اليه التلميذ رده عليه فلما عاد عبد الله اخبره بذلك فقال عبد الله
بئس ما عملت هذا المجوسي يعاملني بهذه المعاملة منذ سنة وانا اصبر عليه وآخذ الدرهم والقيه في البئر كيلا
يغر به مسلما وقال يوسف بن اسباط علامة حسن الخلق عشرة اشياء قلة الخلاف وحسن الانصاف
وترك طلب العثرات وتحسين ما يبدو من السيئات والتماس المعذرة واحتمال الاذى والرجوع
بالملامة على النفس والتفرد بعيوب نفسه دون عيوب غيره وطلاقة الوجه للكبير والصغير ولطف
الكلام لمن دونه ومن فوقه وسئل سهل عن حسن الخلق فقال ادناه احتمال الاذى وترك المكافاة والرحمة
للظالم والاستغفار له والشفقة عليه وقيل للاحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم فقال من قيس بن عاصم
قيل له وما بلغ من حلمه قال بينما هو جالس في داره اذ جاءت خادم له بسفود شوي فسقط من يدها فوقع
على ابن له فمات فدهشت الجارية فقال لا روع عليك انت حرة لوجه الله تعالى فهذا ما رايت من
خلقه وقيل كان اويس القرني اذا راه الصبيان يرمونه بالحجارة فيقول ان كان لا بد فارموا بالصغار كيلا
تدموا ساقي فتمنعوني من الصلاة وشتم رجل الاحنف بن قيس وكان يتبعه فلما قرب من الحي وقف
وقال ان كان بقي في قلبك شيء فقله كيلا يسمعك بعض سفهاء الحي فيجيبوك وروي ان جارية سوداء
كانت لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه كانت تبصر على خباء فقيل لها اني احبك فكرر عليها ذلك حتى
ذكرت ذلك لمولاها علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقال لها اذا قال لك ذلك فقولي له وانا فقال
لها اصبر ونصبر حتى يحكم الله تعالى فذكرت ذلك لعلي رضي الله عنه فاعتقها وزوجها منه وروي
ان عليا رضي الله عنه دعا غلاما له فلم يجبه فدعاه ثانية وثالثة فلم يجبه فقام اليه فراه مضطجعا

فقال اما تستحي يا غلام كم تسعى قال فما حملك على ترك جوابي قال انت عبد مثلي فبكى فقال احسنت
حر لوجه الله تعالى وقالت امرأة لمالك بن دينار يا مرائي فقال يا هذه وجدت اسمي الذي اضله اهل
البصرة وقيل ليحيى بن زياد الحارثي وكان له غلام سوء لم تمسك هذا الغلام فقال لاتعلم عليه
الحلم فهذه النفوس قد ذللت بالرياضة فاعتدلت اخلاقها ونقيت عن الغش والغل باطنها فاثمرت
الرضى بكل ما قدره الله وهو منتهى حسن الخلق فان من يكره فعل الله تعالى ولا يرضى به فهو غاية سوء خلقه
فهؤلاء ظهرت العلامات على ظواهرهم كما ذكرناه فمن لم يصادف من نفسه هذه العلامات فلا ينبغي ان
يشتغل بالرياضة والمجاهدة الى ان يبلغ درجة حسن الخلق فانها درجة رفيعة لا ينالها الا
المقربون والصديقون

بيان الطريق في رياضة الصبيان في اول النشو ووجه تاديبهم وتحسين اخلاقهم

اعلم ان الصبي امانة عند ابويه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل
نقش وصورة وهو قابل لكل نقش ومائل الى كل ما يمال به اليه فان عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد
في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه ابواه وكل معلم له ومؤدب وان عود الشر واهمل اهمال البهائم شقي و
هلك وكان الوزر في رقبة القيم به والوالي عليه وقد قال تبارك وتعالى قوا انفسكم واهليكم
نارا ومهما كان الاب يصونه عن نار الدنيا فان يصونه عن نار الآخرة اولى وصيانته بان يؤدبه ويهذبه
ويعلمه محاسن الاخلاق ويحفظه من القرناء السوء ولا يعوده التنعم ولا يحبب اليه الزينة واسباب
الرفاهية فيضيع عمره في طلبها اذا كبر ويهلك هلاك الابد بل ينبغي ان يراقبه من اول امره فلا يستعمل
في حضانته وارضاعه الا امرأة صالحة متدينة تأكل الحلال فان اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه
فاذا وقع عليه نشوه انعجنت طينته من الخبث فيميل طبعه الى ما يناسب الخبائث ومهما بدت فيه
مخايل التمييز فينبغي ان يحسن مراقبته واول ذلك ظهور اوائل الحياء فاذا كان يحتشم ويستحيي و
يترك بعض الافعال فليس ذلك الا لاشراق نور العقل عليه حتى يرى بعض الاشياء قبيحا ومخالفا
للبعض فصار يستحيي من شيء دون شيء وهذه هدية من الله تعالى اليه وبشارة تدل على اعتدال الاخلاق
وصفاء القلب وهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ فالصبي المستحيي لا ينبغي ان يهمل بل يستعان على تاديبه
بحيائه وتمييزه واول ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام فينبغي ان يؤدب فيه مثل ان لا يأخذ الطعام الا
بيمينه ويقول بسم الله عند اخذه ويأكل مما يليه ولا يبادر الى الطعام قبل غيره ولا يحدق النظر الى
الطعام ولا الى من يأكل ولا يسرع في الاكل ويمضغ الطعام مضغا جيدا ولا يوالي بين اللقم ولا يلطخ يده ولا ثوبه
ويعود الخبز القفار في بعض الاوقات حتى لا يصير بحيث يرى الادم حتما ويقبح عنده كثرة الاكل بان
يشبه من يكثر الاكل بالبهائم وبان يذم بين يديه الصبي الذي يكثر الاكل ويمدح عنده الصبي المتادب القليل
الاكل ويحبب اليه الايثار بالطعام وقلة المبالاة به والقناعة بالطعام الخشن اي طعام كان ويحبب اليه
من الثياب البيض دون الملون والابريسم ويقرر عنده ان ذلك شأن النساء والمخنثين وان الرجال يستنكفون
منه ويكرر عليه ذلك ومهما رأى على صبي ثوبا من ابريسم او ملون فينبغي ان يستنكره ويذمه ويحفظ
الصبي عن الصبيان الذين عودوا التنعم والرفاهية ولبس الثياب الفاخرة وعن مخالطة كل من يسمعه ما يرغبه
فيه فان الصبي اذا اهمل في ابتداء نشوه خرج في الاكثر رديء الاخلاق كذابا حسودا سروقا نماما لحوحا ذا
فضول وضحك وكياد ومجانة وانما يحفظ عن ذلك بحسن التاديب ثم يشغل في المكتب فيتعلم
القرآن واحاديث الاخبار وحكايات الابرار واحوالهم لينغرس في نفسه حب الصالحين ويحفظ من

الاشعار التي فيها ذكر العشق واهله ويحفظ من مخالطة الادباء الذين يزعمون ان ذلك من الظرف ورقة
الطبع فان ذلك يغرس في قلوب الصبيان بذر الفساد ثم مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود
فينبغي ان يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح بين اظهر الناس فان خالف ذلك في بعض الاحوال
مرة واحدة فينبغي ان يتغافل عنه ولا يهتك ستره ولا يكاشفه ولا يظهر له انه يتصور ان يتجاسر احد على
مثله ولا سيما اذا ستره الصبي واجتهد في اخفائه فان اظهار ذلك عليه ربما يفيده جسارة حتى لا يبالي
بالمكاشفة فان عاد ثانيا فينبغي ان يعاتب سرا ويعظم الامر فيه ويقال له اياك ان يطلع عليك في
مثل هذا فتفتضح بين الناس ولا يكثر القول عليه بالعتاب في كل حين فانه يهون عليه
سماع الملامة وركوب القبائح ويسقط وقع الكلام من قلبه وليكن الاب حافظا هيبة الكلام معه
ولا يوبخه الا احيانا والام تخوفه بالاب وتزجره عن القبائح وينبغي ان يمنع من النوم نهارا فانه يورث
الكسل ولا يمنع النوم ليلا ولكن يمنع الفرش الوطيئة حتى تتصلب اعضاؤه ولا يستخف بدنه فلا يصبر
عن التنعم بل يعود الخشونة في المفرش والملبس والمطعم وينبغي ان يمنع من كل ما يفعله في
خفية فانه لا يخفيه الا وهو يعتقد انه قبيح فاذا ترك تعود فعل القبيح ويعود في بعض النهار المشي
ولا يرخي يديه بل يضمها الى الصدر ويمنع ان يفتخر على اقرانه بشيء مما يملكه والده او بشيء من مطاعمه وملابسه
ولوحه ودواته بل يعود التواضع والاكرام لكل من عاشره والتلطف في الكلام معهم ويمنع ان ياخذ
من الصبيان شيئا بدا له حشمة ان كان من اولاد المحتشمين بل يعلم ان الرفعة في الاعطاء لا في الاخذ وان
الاخذ لؤم وخسة وان كان من اولاد الفقراء فيعلم ان الاخذ والطمع مهانة وذلة وان ذلك من
دأب الكلب فانه يتبصبص في انتظار اللقمة وبالجملة يقبح الى الصبيان حب الذهب والفضة والطمع
فيهما ويحذر منهما اكثر مما يحذر من الحيات والعقارب فان آفة حب الذهب والفضة والطمع فيهما
اكثر من آفة السموم على الصبيان بل على الاكابر ايضا وينبغي ان يعود ان لا يبصق في مجلسه ولا يمتخط
ولا يتثاءب بحضرة غيره ولا يستدبر غيره ولا يضع رجلا على رجل ولا يضع كفه تحت ذقنه ولا يعمد رأسه بساعده
فان ذلك دليل الكسل ويعلم كيفية الجلوس وينبغي ان يمنع كثرة الكلام ويبين له ان ذلك يدل على
الوقاحة وانه فعل ابناء اللئام ويمنع اليمين رأسا صادقا كان او كاذبا حتى لا يعتاد ذلك في الصغر ويمنع ان يبتدئ
بالكلام ويعود ان لا يتكلم الا جوابا وبقدر السؤال وان يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو اكبر منه سنا وان يقوم
لمن فوقه ويوسع له المكان ويجلس بين يديه ويمنع من لغو الكلام وفحشه ومن اللعن والسب ومن
مخالطة من يجري على لسانه شيء من ذلك فان ذلك يسري لا محالة من القرناء السوء واصل تاديب الصبيان الحفظ
من القرناء السوء وينبغي اذا ضربه المعلم ان لا يكثر الصراخ والشغب ولا يستشفع باحد بل يصبر ويذكر له
ان ذلك دأب الشجعان والرجال وان كثرة الصراخ دأب المماليك والنسوان وينبغي ان يؤذن له بعد
الفراغ من المكتب ان يلعب لعبا جميلا يستريح اليه من تعب الادب بحيث لا يتعب في اللعب
فان منع الصبي من اللعب وارهاقه الى التعلم يميت قلبه ويبطل ذكاءه وينغص عليه العيش حتى يطلب
الحيلة في الخلاص منه رأسا وينبغي ان يعلم طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه وكل من هو اكبر منه سنا من
قريب واجنبي وان ينظر اليهم بعين الجلالة والتعظيم وان يترك اللعب بين ايديهم ومهما بلغ سن
التمييز فينبغي ان لا يسامح في ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصوم في بعض الايام من رمضان ويجنب
لبس الحرير والذهب ويعلم كل ما يحتاج اليه من حدود الشرع ويخوف من السرقة واكل الحرام ومن الكذب

والخيانة والفحش وكلما يغلب على الصبيان واذا وقع نشوؤه كذلك في الصبا فمهما قارب البلوغ
امكن ان يعرف اسرار هذه الامور فيذكر له ان الاطعمة ادوية وان المقصود منها ان يقوى الانسان
بها على عبادة الله تعالى وان الدنيا كلها لا اصل لها اذ لا بقاء لها وان الموت يقطع نعيمها وانها دار
ممر لا دار مقر وان الاخرة دار مقر لا دار ممر وان الموت منتظر في كل ساعة وان الكيس العاقل من
تزود من الدنيا للاخرة حتى تعظم عند الله درجته ويتسع في الجنان نعيمه فاذا كان هذا النشو صالحا
كان هذا الكلام عند البلوغ واقعا مؤثرا ناجعا يثبت فيه كما يثبت النقش في الحجر وان وقع
النشو بخلاف ذلك حتى الف الصبي اللعب والفحش والوقاحة وشره الطعام واللباس والتزين
والتفاخر نبا قلبه عن قبول الحق نبوة الحائط عن التراب اليابس فاوائل الامور هي التي ينبغي ان يراعى
فان الصبي بجوهره خلق قابلا للخير والشر جميعا وانما ابواه يميلان به الى احد الجانبين قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه قال سهل
التستري كنت ابن ثلاث سنين وكنت اقوم بالليل انظر الى صلاة خالي محمد بن سوار فقال لي خالي يوما
الا تذكر الله الذي خلقك فقلت كيف اذكره قال قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلاث مرات
من غير ان تحرك به لسانك الله معي الله ناظر الي الله شاهدي فقلت ذلك ليالي ثم اعلمته فقال
قل في كل ليلة سبع مرات فقلت ذلك ثم اعلمته فقال قل ذلك كل ليلة احدى عشرة مرة فقلته
فوقع في قلبي حلاوته فلما كان بعد سنة قال لي خالي احفظ ما علمتك ودم عليه الى ان
تدخل القبر فانه ينفعك في الدنيا والاخرة فلم ازل على ذلك سنين فوجدت لها حلاوة في سري ثم قال
لي خالي يوما يا سهل من كان الله معه وهو ناظر اليه ومشاهده ايعصيه اياك والمعصية فكنت
اخلو فبعثوا بي الى المكتب فقلت اني لاخشى ان يتفرق علي همي ولكن شارطوا المعلم اني اذهب اليه ساعة
فاتعلم ثم ارجع فمضيت الى الكتاب وحفظت القران وانا ابن ست سنين او سبع وكنت اصوم الدهر
وقوتي من خبز الشعير اثنتي عشرة سنة فوقعت لي مسئلة وانا ابن ثلاث عشرة سنة فسالت ان
يبعثوني الى البصرة اسال عنها فجئت البصرة وسالت علماءها فلم يشف احد عني فخرجت الى عبادان
الى رجل يعرف بابي حبيب حمزة بن عبد الله العباداني فسالته عنها فاجابني فاقمت عنده مدة انتفع
بكلامه واتادب بادبه ثم رجعت الى تستر فجعلت قوتي اقتصادا على ان يشترى لي بدرهم من الشعير
الفرق فيطحن لي ويخبز فافطر عند السحر كل ليلة على اوقية واحدة بحتا بغير ملح ولا ادم فكان
يكفيني ذلك الدرهم سنة ثم عزمت على ان اطوي ثلاث ليال ثم افطر ليلة واحدة ثم خمسا ثم سبعا ثم
خمسا وعشرين ليلة وكنت على ذلك عشرين سنة ثم خرجت اسيح في الارض سبع سنين ثم رجعت الى
تستر فكنت اقوم الليل كله بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة وتدريج المريد في سلوك سبيل
الرياضة اعلم ان من شاهد الاخرة بقلبه مشاهدة يقين اصبح مريدا حرث الاخرة مشتاقا اليها سالكا
سبيلها مستهينا بلذة الدنيا ونعيمها فمن كان معه خرزة فراى جوهرة نفيسة لم يبق له رغبة في الخرزة
وقويت ارادته في بيعها بالجوهرة فمن ليس مريدا حرث الاخرة ولا طالبا للقاء الله تعالى فهو لعدم ايمانه
بالله واليوم الاخر ولست اعني بالايمان حديث النفس وحركة اللسان بكلمتي الشهادة من غير صدق واخلاص
فان ذلك يضاهي قول من صدق بان الجوهرة خير من الخرزة الا انه لا يدري من الجوهرة الا لفظه واما حقيقته
فلا ومثل هذا المصدق اذا الف الخرزة فقد لا يتركها ولا يعظم اشتياقه الى الجوهرة فاذا المانع من الوصول

عدم السلوك والمانع من السلوك عدم الارادة والمانع من الارادة عدم الايمان وسبب عدم الايمان
عدم الهداة والمذكرين والعلماء بالله الهادين الى طريقه والمنبهين على حقارة الدنيا وانصرامها وعظم
امر الاخرة ودوامها فالخلق غافلون قد انهمكوا في شهواتهم وغاصوا في رقدتهم وليس في علماء الدين من ينبههم
فان تنبه منهم متنبه عجز عن سلوك الطريق لجهله فان طلب الطريق من العلماء وجدهم مائلين الى
الهوى عادلين عن نهج الطريق فصار ضعف الارادة والجهل بالطريق ونطق العلماء بالهوى سببا لخلو طريق
الله تعالى عن السالكين ومهما كان المطلوب محجوبا والدليل مفقودا والهوى غالبا والطالب غافلا
امتنع الوصول وتعطلت لا محالة الطرق فان تنبه متنبه من نفسه او من تنبيه غيره وانبعثت
له ارادة في حرث الاخرة فينبغي ان يعلم ان له شروطا لا بد من تقديمها في بداية الارادة وله معتصم لا بد
من التمسك به وله حصن لا بد من التحصن به ليامن من الاعداء القطاع لطريقه وله وظائف لا بد من ملازمتها
في وقت سلوك الطريق اما الشروط التي لا بد من تقديمها في الارادة فهي رفع السد والحجاب الذي
بينه وبين الحق سبحانه فان حرمان الخلق عن الحق سببه تراكم الحجب ووقوع السد على الطريق قال
الله تعالى وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون والسد بين
المريد وبين الحق اربعة المال والجاه والتقليد والمعصية وانما يرفع حجاب المال بان يفرقه ويخرجه
من ملكه حتى لا يبقى له الا قدر الضرورة فما دام يبقى له درهم يلتفت اليه قلبه فهو مقيد به محجوب عن
الله تعالى وانما يرفع الحجاب الجاه بالبعد من موضع الجاه وبالتواضع وايثار الخمول والهرب من اسباب
الذكر وتعاطي اعمال تنفر قلوب الخلق وانما يرفع الحجاب التقليد بان يترك التعصب للمذاهب وان يصدق
بمعنى قوله لا اله الا الله محمد رسول الله تصديق ايمان ويحرص في تحقيق صدقه بان يرفع كل معبود له سوى
الله واعظم معبود له الهوى حتى اذا فعل ذلك انكشف له حقيقة الامر في معنى اعتقاده الذي
تلقفه تقليدا فينبغي ان يطلب كشف ذلك من المجاهدة لا من المجادلة فان غلب عليه التعصب
لمعتقده ولم يبق في قلبه متسع لغيرها صار ذلك قيدا له وحجابا اذ ليس من شرط المريد الانتماء الى مذهب
معين اصلا واما المعصية فهي حجاب ولا يرفعها الا التوبة والخروج من المظالم وتصميم العزم على ترك
العود وتحقيق الندم على ما مضى ورد المظالم وارضاء الخصوم فان لم يصحح التوبة ولم يهجر المعاصي
الظاهرة واراد ان يقف على اسرار الدين بالمكاشفة كان كمن يريد ان يقف على اسرار القران وتفسيره
وهو لم يتعلم لغة العرب بعد فان ترجمة عربية القران لا بد من تقديمها اولا ثم الترقي منها الى
اسرار معانيه فكذلك لا بد من تطهير تصحيح ظاهر الشريعة اولا واخرا ثم الترقي الى اسرارها واغوارها فاذا
قدم هذه الشروط الاربعة وتجرد عن المال والجاه كان كمن تطهر وتوضا ورفع الحدث وصار صالحا
للصلاة فيحتاج الى امام يقتدي به فكذلك المريد يحتاج الى شيخ واستاذ يقتدي به لا محالة ليهديه
الى سواء السبيل فان سبيل الدين غامض وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة ومن لم يكن له شيخ يهديه
قاده الشيطان لا محالة الى طرقه فمن سلك البوادي المهلكة بنفسه من غير خفير فقد خاطر بنفسه
واهلكها ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التي تنبت بنفسها فانها تجف على القرب وان بقيت مدة و
اورقت لم تثمر فمعتصم المريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه فليتمسك به تمسك الاعمى على شط
البحر بالقائد بحيث يفوض اليه امره بالكلية ولا يخالفه في وروده ولا صدره ولا يبقي في متابعته
شيئا ولا يذر وليعلم ان نفعه في خطأ شيخه لو اخطأ اكثر من نفعه في صواب نفسه لو اصاب

فاذا وجد مثل هذا المعتصم وجب على معتصمه ان يحميه ويعصمه ويحصنه بحصن حصين يدفع عنه
قواطع الطريق وهي اربعة امور **الخلوة والصمت والجوع والسهر** وهذا تحصين من القواطع
فان مقصود المريد اصلاح نفسه وقلبه ليشاهد به ربه ويصلح لقربه **اما الجوع** فانه ينقص دم القلب
ويبيضه وفي بياضه نوره ويذيب شحم الفؤاد وفي ذوبانه رقته وفي رقته مفتاح المكاشفة كما ان
قسوته سبب الحجاب ومهما نقص دم القلب ضاق مسلك الشيطان فان مجاريه العروق الممتلئة
بالشهوات **قال عيسى عليه السلام** يا معشر الحواريين جوعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم وقال
سهل ما صار الابدال ابدالا الا باربع خصال اخماص البطن والسهر والصمت والاعتزال من
الناس ففائدة الجوع في تنوير القلب امر ظاهر تشهد له التجربة وسياتي ذكر وجه التدريج فيه
في كتاب كسر الشهوتين **واما السهر** فانه يجلو القلب ويصفيه وينوره ويضاف الى
الصفا الذي حصل من الجوع ويصير القلب كالكوكب الدري والمراة المجلوة فيلوح فيه جمال الحق
ويشاهد فيه رفيع الدرجات في الاخرة وحقارة الدنيا وافاتها فتتم به رغبته عن الدنيا واقباله
على الاخرة والسهر ايضا نتيجة الجوع فان السهر مع الشبع غير ممكن والنوم يقسي القلب ويميته
الا اذا كان بقدر الضرورة فيكون سبب المكاشفة لاسرار الغيب فقد قيل في صفة الابدال ان اكلهم
فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة **قال** ابرهيم الخواص اجتمع راي سبعين صديقا
على ان كثرة النوم من كثرة شرب الماء **واما الصمت** فانه يسهله العزلة ولكن المعتزل لا يخلو عن
مشاهدة من يقوم له بطعامه وشرابه وتدبير امره فينبغي ان لا يتكلم الا بقدر الضرورة فان الكلام يشغل
القلب وشره القلب للكلام عظيم فيستروح اليه ويستثقل التجرد للذكر والفكر ويستريح اليه فالصمت يلقح العقل
ويجلب الورع ويعلم التقوى **واما** الخلوة ففائدتها دفع الشواغل وضبط السمع والبصر فانهما دهليز
القلب والقلب في حكم حوض تنصب اليه مياه كريهة قذرة من انهار الحواس ومقصود الرياضة تفريغ الحوض
من تلك المياه ومن الطين الحاصل منها ليتفجر اسفل الحوض فيتفجر منه الماء النظيف الطاهر فكيف يصح
ان ينزح الماء من الحوض والانهار مفتوحة اليه فيتجدد في كل حالة اكثر مما ينقص فلا بد من ضبط الخيال
والحواس الا عن قدر الضرورة وليس يتم ذلك الا بالخلوة في مكان مظلم فيلف راسه في جيبه او يتدثر بكساء او
ازار ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال الحضرة الربوبية اما ترى ان نداء رسول الله صلى الله
عليه وسلم بلغه وهو على هذه الصفة فقيل له يا ايها المزمل يا ايها المدثر فهذه الاربعة جنة وحصن يدفع
عنه القواطع ويمنع العوارض القاطعة للطريق فاذا فعل ذلك اشتغل بعده بسلوك الطريق وانما
سلوكه بقطع العقبات ولا عقبة على طريق الله الا صفات القلب التي سببها الالتفات الى الدنيا وبعض
تلك العقبات اعظم من بعض والترتيب في قطعها ان يشتغل بالاسهل فالاسهل وهي اعني تلك الصفات
اسرار العلائق التي قطعها في اول الارادة واثارها اعني المال والجاه وحب الدنيا والالتفات
الى الخلق والتشوف الى المعاصي فلا بد ان يخلي الباطن عن اثارها كما اخلى الظاهر عن اسبابها الظاهرة وفيه
تطول المجاهدة مضادة الشهوة ومخالفته ويختلف ذلك باختلاف الاحوال فرب شخص قد كفي اكثر الصفات
فلا تطول عليه المجاهدة وقد ذكرنا ان طريق المجاهدة مضادة الشهوة ومخالفة الهوى في كل صفة غالبة
على نفس المريد كما سبق ذكره فاذا كفي ذلك او ضعف بالمجاهدة ولم يبق في قلبه علاقة شغله بعد ذلك
بذكر يلزم قلبه على الدوام ويمنعه من تكثير الاوراد الظاهرة بل يقتصر على الفرائض والرواتب ويكون ورده

وردا واحدا وهو لباب الاوراد وثمرتها اعني ملازمة القلب لذكر الله تعالى بعد الخلو من ذكر
الله تعالى بعد الخلو من ذكر غيره ولا يشغل به ما دام قلبه ملتفتا الى علائقه قال الشبلي
الحصري ان كان يخطر على قلبك من الجمعة الى الجمعة التي تاتيني فيها شيء غير الله فحرام عليك ان
تاتيني وهذا التجرد لا يكون الا مع صدق الارادة واستيلاء حب الله على القلب حتى يكون في صورة
العاشق المستهتر الذي ليس له الا هم واحد فاذا صار كذلك الزمه الشيخ زاوية ينفرد بها ويوكل
به من يقوم له بقدر يسير من القوت حلال فان اصل طريق الدين القوت الحلال وعند ذلك يلقنه
ذكرا من الاذكار حتى يشغل به لسانه وقلبه فيجلس ويقول مثلا الله الله او سبحان الله او ما يراه
الشيخ من الكلمات ولا يزال يواظب عليه حتى تسقط حركة لسانه وتكون الكلمة كانها جارية
على اللسان من غير تحريك ثم لا يزال يواظب حتى يسقط الاثر عن اللسان وتبقى صورة اللفظ في
القلب ثم لا يزال كذلك حتى يمحى عن القلب حروف اللفظ وصورته وتبقى حقيقة معناه لازما
للقلب حاضرا معه غالبا عليه قد فرغ القلب عن كل ما سواه لان القلب اذا اشتغل بشيء خلي عن غيره
اي شيء كان فاذا اشتغل بذكر الله وهو المقصود خلي لا محالة عن غيره وعند ذلك يلزمه ان يراقب
وساوس القلب والخواطر التي تتعلق بالدنيا وما يتذكر فيه مما مضى من احواله واحوال غيره فانه مهما
اشتغل بشيء منه ولو في لحظة خلي قلبه عن الذكر في تلك اللحظة وكان ذلك نقصانا فليجتهد
في دفع ذلك ومهما دفع الوساوس كلها ورد النفس الى هذه الكلمة جاءته الوساوس من هذه الكلمة انها
ما هي وما معنى قولنا الله ولاي معنى كان الها وكان معبودا ويعتريه عند ذلك خواطر تفتح عليه
ابواب الفكر وربما يرد عليه من وساوس الشيطان ما هو كفر وبدعة فان كان كارها لذلك ومتشمرا
لاماطته عن القلب لم يضره ذلك وهي منقسمة الى ما يعلم قطعا ان الله تعالى منزه عنه ولكن الشيطان
يلقي ذلك في قلبه ويجريه على خاطره فشرطه ان لا يبالي به ويفزع الى ذكر الله ويبتهل اليه ليدفعه
عنه كما قال الله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم وقال
ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون والى ما يشك فيه فينبغي
ان يعرض ذلك على شيخه بل كل ما يجد في قلبه من الاحوال من فترة او نشاط او التفات الى علقة او
صدق في ارادة فينبغي ان يظهر ذلك لشيخه ويستره عن غيره فلا يطلع عليه احدا ثم ان شيخه
ينظر في حاله ويتامل في ذكائه وكياسته فان علم انه لو تركه وامره بالفكر تنبه من نفسه لحقيقة الحق
فينبغي ان يحيله على الفكر ويامره بملازمته حتى يقذف في قلبه من النور ما يكشف له حقيقته
وان علم ان ذلك مما لا يقوى عليه مثله رده الى الاعتقاد الصحيح بما يحتمله قلبه من وعظ وذكر
دليل قريب من فهمه وينبغي ان يتانق الشيخ ويتلطف به فان هذه مهالك الطريق ومواقع
اخطارها وكم من مريد اشتغل بالرياضة فغلب عليه خيال فاسد لم يقو على كشفه فانقطع
عليه طريقه فاشتغل بالبطالة وسلك طريق الاباحة وذلك هو الهلاك العظيم ومن تجرد للفكر
ورفع العلائق الشاغلة عن قلبه لم يخل عن امثال هذه الافكار فانه قد ركب سفينة الخطر
فان سلم كان من ملوك الدين وان اخطا كان من الهالكين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم عليكم
بدين العجائز وهو تلقي اصل الايمان وظاهر الاعتقاد بطريق التقليد والاشتغال باعمال الخير
فان الخطر في العدول عن ذلك كبير ولهذا يجب على الشيخ ان يتفرس في المريد فان لم يكن

وكما قطعنا متمكنا من اعتقاد الظاهر لم نشغله بالذكر والفكر بل نرده الى الاعمال الظاهرة والاوراد
المتواترة ونشغله بخدمة المتجردين للفكر حتى تشمله بركتهم فان العاجز عن الجهاد في صف القتال
ينبغي ان يسقي القوم ويتعهد دوابهم ليحشر يوم القيامة في زمرتهم وتعمه بركتهم وان كان لا يبلغ
درجتهم ثم المريد المتجرد للذكر والفكر تقطعه قواطع كثيرة من العجب والرياء والفرح بما ينكشف
من الاحوال وما يبدو من اوائل الكرامات ومهما التفت الى شيء من ذلك وشغل به نفسه كان
ذلك فتورا في طريقه ووقوفا بل ينبغي ان يلازم حاله جملة عمره ملازمة العطشان الذي لا يرويه
البحار لو افيضت عليه ويدوم عليه ورأس ماله الانقطاع عن الخلق والخلوة قال بعض
السياحين قلت لبعض الابدال المنقطعين عن الخلق كيف الطريق الى التحقيق وكانت سترة قلت له
دلني على عمل اجد فيه قلبي مع الله تعالى في كل وقت على الدوام فقال لا تنظر الى الخلق فان
النظر اليهم ظلمة قلت لا بد لي من ذلك قال فلا تعاملهم فان معاملتهم وحشة قلت انا بين
اظهرهم ولا بد لي من معاملتهم قال فلا تسمع كلامهم فان كلامهم قسوة قلت لا بد لي من ذلك قال
فلا تسكن اليهم فان السكون اليهم هلكة قلت هذه العلة قال يا هذا تنظر الى الغافلين و
تسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتريد ان تجد قلبك مع الله عز وجل على الدوام هذا ما لا يكون
ابدا فاذا منتهى الرياضة ان يجد قلبه مع الله ابدا ولا يمكن ذلك الا بان يخلو عن غيره ولا يخلو عن غيره
الا بطول المجاهدة فاذا حصل قلبه مع الله انكشف له جلال الحضرة الربوبية وتجلى له الحق وظهر له من
لطائف رحمة الله ما لا يجوز ان يوصف بل لا يحيط الوصف به اصلا واذا انكشف للمريد شيء من ذلك
فاعظم القواطع عليه ان يتكلم به وعظا ونصحا ويتصدى للتذكير فيجد النفس فيه لذة ليس وراءها
لذة فتدعوه تلك اللذة الى ان يتفكر في كيفية ايراد تلك المعاني وتحسين الالفاظ المعبرة
عنها وترتيب ذكرها وتزيينها بالحكايات وشواهد القرآن والاخبار وتحسين صورة الكلام لتميل
اليه القلوب والاسماع والشيطان يخيل اليه ان هذا منك احياء لقلوب الموتى الغافلين عن
الله وانما انت واسطة بين الله وبين الخلق تدعو عباده اليه وما لك فيه نصيب ولا لنفسك فيه
لذة ويتضح كيد الشيطان بان يظهر في اقرانه من يكون احسن كلاما واجزل لفظا واقدر على جلب قلوب
العوام فانه يتحرك في باطنه عقرب الحسد لا محالة ان كان محركه لذة القبول وان كان محركه هو الحق حرصا على دعوة
عباد الله الى صراطه المستقيم فيعظم به فرحه ويقول الحمد لله الذي عضدني وايدني بمن وازرني
على اصلاح عباده كالذي وجب عليه مثلا ان يحمل ميتا ليدفنه اذ وجده ضائعا وتعين عليه ذلك
شرعا فجاءه من اعانه عليه فانه يفرح به ولا يحسد معينه والغافلون موتى قلوبهم والوعاظ هم المنبهون والمحيون
لهم ففي كثرتهم استرواح وتناصر فينبغي ان يعظم الفرح به وهذا عزيز الوجود جدا فينبغي ان يكون المريد
على حذر منه فانه اعظم حبائل الشيطان في قطع الطريق على من انفتح له اوائل الطريق فان ايثار الحيوة
طبع غالب على الانسان ولذلك قال تعالى كلا بل تؤثرون الحيوة الدنيا ثم بين ان الشر قديم في الطباع
وان ذلك مذكور في الكتب السالفة فقال ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى فهذا منهاج
رياضة المريد وتربيته في التدريج الى لقاء الله تعالى فاما تفصيل الرياضة في كل صفة فسياتي فان
اغلب الصفات على الانسان بطنه وفرجه ولسانه اعني به الشهوات المتعلقة بها ثم الغضب الذي هو
كالجند لحماية الشهوات ثم مهما احب الانسان شهوة البطن والفرج وانس بهما احب الدنيا ولم يتمكن منها الا بالمال

والجاه واذا طلب المال والجاه حدث فيه العجب والكبر والرياسة واذا ظهر ذلك لم تسمح نفسه بترك
الدين راسا وتمسك من الدين بما فيه الرياسة وغلب عليه الغرور فلهذا وجب علينا بعد تقديم
هذين الكتابين ان نستكمل ربع المهلكات بثمانية كتب تم كتاب رياضة النفس والحمد لله رب العالمين
وصلواته على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى اهل بيته الطيبين الطاهرين وسلم تسليما كثيرا دائما
الى يوم الدين ويتلوه كتاب آفة الشهوتين وهو الكتاب الثالث من ربع المهلكات من احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتفرد بالجلال في كبريائه وتعاليه المستحق للتحميد والتقديس والتسبيح والتنزيه
القائم بالعدل فيما يبرمه ويقضيه المتطول بالفضل فيما ينعم به ويسديه المتكفل بحفظ عبده في
جميع موارده ومجاريه المنعم عليه بما يزيد على مهمات مقاصده بل بما يفي بامانيه فهو الذي يرشده ويهديه
وهو الذي يميته ويحييه واذا مرض فهو يشفيه واذا ضعف فهو يقويه وهو الذي يوفقه للطاعة
ويرتضيه وهو الذي يطعمه ويسقيه ويحفظه من الهلاك ويحميه ويحرسه بالطعام والشراب
عما يهلكه ويرديه ويمكنه من القناعة بقليل القوت ويضيقه حتى تضيق به مجاري الشيطان الذي
يناويه ويكسر به سطوة النفس التي تعاديه فيدفع شرها ثم يعبد ربه ويتقيه هذا بعد ان يوسع عليه ما
يلتذ به ويشتهيه ويكثر عليه ما يهيج بواعثه ودواعيه كل ذلك ليمتحنه ويبتليه فينظر كيف
يؤثره على ما يهواه وينتحيه وكيف يحفظ اوامره وينتهي عن نواهيه ويواظب على طاعته وينزجر عن معاصيه و
الصلاة على محمد عبده النبيه ورسوله الوجيه صلاة تزلفه وتحظيه وترفع منزلته وتعليه و
على الابرار من عترته واقربيه والاخيار من صحابته وتابعيه **اما بعد** فاعظم
المهلكات لابن آدم شهوة البطن فبها اخرج آدم وحواء من دار القرار الى دار الذل والافتقار اذ نهيا عن
الشجرة فغلبتهما شهوتهما حتى اكلا منها فبدت لهما سوآتهما والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات و
منبت الادواء والآفات اذ يتبعها شهوة الفرج وشدة الشبق الى المنكوحات ثم تتبع شهوة الطعام والنكاح
شدة الرغبة في المال والجاه اللذين هما الوسيلة الى التوسع في المطعومات والمنكوحات ثم يتبع
استكثار المال والجاه انواع الرعونات وضروب المنافسات والمحاسدات ثم يتولد منهما آفة الرياء
وغائلة التفاخر والتكاثر والكبرياء ثم يتداعى ذلك الى الحقد والحسد والعداوة والبغضاء ثم يفضي ذلك
بصاحبه الى اقتحام البغي والمنكر والفحشاء وكل ذلك ثمرة اهمال المعدة وما يتولد منها من بطر
الشبع والامتلاء ولو ذلل العبد نفسه بالجوع وضيق به مجاري الشيطان لاذعنت لطاعة
الله ولم تسلك سبيل البطر والطغيان ولم ينجر به ذلك الى الانهماك في الدنيا واذا عظمت آفة شهوة
البطن الى هذا الحد وجب شرح غوائلها وآفاتها تحذيرا منها ووجب ايضاح طريق المجاهدة لها
والتنبيه على فضلها ترغيبا فيها وكذلك شرح شهوة الفرج فانها تابعة لها ونحن نوضح ذلك
بعون الله في فصول يجمعها **بيان فضيلة الجوع** ثم **بيان فوائد الجوع** ثم بيان **طريق الرياضة**
في كسر شهوة البطن بالتقليل من الطعام والتأخير **ثم بيان** اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف
احوال الناس **ثم بيان** الرياضة في ترك الشهوة **ثم بيان** القول في شهوة الفرج **ثم بيان** ما على المريد

في ترك التزويج وبعلله ثم بيان من يخالف شهوة الفرج والعين بيان فضيلة الجوع وذم الشبع
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدوا انفسكم بالجوع والعطش فان الاجر في ذلك كاجر المجاهد
في سبيل الله وانه ليس من عمل احب الى الله من جوع وعطش وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل
ملكوت السماوات من ملأ بطنه وقيل يا رسول الله اي الناس افضل قال من قل طعمه وضحكه ورضي بما يستر
به عورته وقال صلى الله عليه وسلم سيد الاعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف وقال ابو سعيد الخدري قال
النبي صلى الله عليه وسلم البسوا الصوف واشربوا وكلوا في انصاف البطون فانه جزء من النبوة وقال الحسن قال
النبي صلى الله عليه وسلم الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هي العبادة وقال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم
افضلكم منزلة عند الله اطولكم جوعا وتفكرا وابغضكم الى الله تعالى كل نؤوم اكول شروب وفي الخبر ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يجوع من غير عوز اي مختارا لذلك وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يباهي الملائكة بمن
قل طعامه في الدنيا يقول انظروا الى عبدي ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فتركهما اشهدوا يا ملائكتي
ما من اكلة يدعها الا ابدلته بها درجات في الجنة وقال صلى الله عليه وسلم لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام و
الشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء وقال صلى الله عليه وسلم ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه
حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه وان كان لا بد فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه وفي
حديث اسامة بن زيد وحديث ابي هريرة الطويل ذكر فضل الجوع اذ فيه ان اقرب الناس من الله تعالى يوم
القيامة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا الاحفياء الاتقياء الذين اذا شهدوا لم يعرفوا واذا غابوا لم
يفتقدوا تعرفهم بقاع الارض وتحف بهم ملائكة السماء نعم الناس بالدنيا ونعموا بطاعة الله تعالى
افترش الناس الفرش وافترشوا الجباه والركب ضيع الناس فعل النبيين واخلاقهم وحفظوها تبكي الارض
اذا فقدتهم ويسخط الله تعالى على كل بلدة ليس فيها منهم احد لم يتكالبوا على الدنيا تكالب الكلاب على
الجيف اكلوا العلق ولبسوا الخرق شعثا غبرا يراهم الناس فيظنون ان بهم داء وما بهم داء ويقال قد خولطوا وذهبت
عقولهم وما ذهبت عقولهم ولكن نظر القوم بقلوبهم الى امر الله الذي اذهب عنهم الدنيا فهم عند اهل الدنيا يمشون
بلا عقول عقلوا حيث ذهبت عقول الناس لهم الشرف في الآخرة يا اسامة اذا رأيتهم في بلدة فاعلم انهم
امان لتلك البلدة لا يعذب الله تعالى قوما هم فيهم الارض بهم فرحة والجبار عنهم راض اتخذهم لنفسك
اخوانا عسى ان تنجو بهم وان استطعت ان ياتيك الموت وبطنك جائع وكبدك ظمآن فافعل فانك تدرك
بذلك شرف المنازل وتحل مع النبيين وتفرح بقدوم روحك الملائكة ويصلي عليك الجبار وروي
الحسن عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال البسوا الصوف وشمروا وكلوا في انصاف البطون تدخلوا
الجنة وتنظروا في ملكوت السماء وقال عيسى عليه السلام اجيعوا اكبادكم وعروا اجسادكم لعل
قلوبكم ترى الله عز وجل وروي ذلك عن نبينا صلى الله عليه وسلم ايضا رواه طاوس وفي التوراة مكتوب ان الله
يبغض الحبر السمين لان السمن يدل على الغفلة وكثرة الاكل وذلك قبيح خصوصا بالحبر ولاجله قال ابن
مسعود ان الله يبغض القاري السمين وفي خبر مرسل ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا
مجاريه بالجوع والعطش وفي الخبر ان الاكل على الشبع يورث البرص وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن يأكل
في معي واحد والمنافق يأكل في سبعة امعاء اي يأكل سبعة اضعاف ما يأكله المؤمن او تكون شهوته مثل
سبعة شهوته وتكون المعاء كناية عن الشهوة لان الشهوة هي التي تقبل الطعام وتأخذه كما يأخذ المعا
وليس المعنى زيادة عدد معا المنافق على معا المؤمن وروى الحسن عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ادعوا قرع باب الجنة يفتح لكم قلت وكيف نديم قرع باب الجنة قال
بالجوع والظما وروي ان ابا جحيفة تجشأ في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له اقصر من جشائك
فان اطول الناس جوعا يوم القيامة اكثرهم شبعا في الدنيا وعن انس قال جاءت فاطمة بكسرة خبز الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الكسرة قالت قرص خبزته ولم تطب نفسي حتى اتيتك بهذه الكسرة فقال
اما انه اول طعام دخل فم ابيك منذ ثلاثة ايام وقال ابو هريرة ما شبع النبي صلى الله عليه وسلم واهله
ثلاثة ايام تباعا من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا وكانت عائشة رضي الله عنها تقول ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لم يمتلئ قط شبعا وربما بكيت رحمة له مما ارى به من الجوع فامسح بطنه بيدي واقول نفسي
لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع فيقول يا عائشة اخواني من اولي
العزم من الرسل قد صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل
ثوابهم فاجدني استحيي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي دونهم فاصبر اياما يسيرة احب الي من ان ينقص
حظي غدا في الآخرة وما من شيء احب الي من اللحوق باخواني واخلائي قالت عائشة رضي الله عنها والله
ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم ان اهل الجوع في الدنيا هم اهل
الشبع في الآخرة وان ابغض الناس الى الله المتخمون الملأى وما ترك عبد اكلة يشتهيها الا كانت له درجة
في الجنة واما الآثار فقد قال عمر رضي الله عنه اياك والبطنة فانها ثقل في
الحياة نتن في الممات وقال شقيق العبادة حرفة وحانوتها الخلوة وآلتها المجاعة وقال
لقمان لابنه يا بني اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة
وقال الفضيل بن عياض لنفسه اي شيء تخاف اتخاف ان تجوع لا تخف ذلك انت اهون على الله
تعالى من ذلك انما يجوع محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه وكان كهمس يقول الهي اجعتني واعريتني وفي
ظلم الليالي اجلستني فبأي وسيلة بلغتني ما بلغتني وكان فتح الموصلي اذا اشتد مرضه وجوعه
يقول الهي ابتليتني بالمرض والجوع وكذلك تفعل باوليائك فبأي عمل اؤدي شكر ما انعمت به علي وقال
مالك بن دينار قلت لمحمد بن واسع يا ابا عبد الله طوبى لمن كانت له غلة تقوته وتغنيه عن الناس
فقال لي يا ابا يحيى طوبى لمن اصبح جائعا وامسى جائعا وهو عن الله راض وكان الفضيل يقول الهي اجعتني و
اجعت عيالي وتركتني في ظلم الليالي بلا مصباح وانما تفعل هذا باوليائك فبأي منزلة نلت هذا منك
وقال يحيى بن معاذ جوع الراغبين منبهة وجوع التائبين تجربة وجوع المجتهدين كرامة وجوع
الصابرين سياسة وجوع الزاهدين حكمة وفي التوراة اتق الله واذا شبعت فاذكر الجائع وقال ابو
سليمان لان اترك لقمة من عشائي احب الي من قيام ليلة الى الصبح وقال سهل التستري بطوي نيفا وعشرين
يوما لا ياكل وكان يكفيه لطعامه في السنة درهم وكان يعظم الجوع ويبالغ فيه حتى قال لا يوافي
القيامة عمل بر افضل من ترك فضول الطعام اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في اكله وقال لم ير الاكياس
شيئا انفع من الجوع للدين والدنيا وقال لا اعلم شيئا اضر على طلاب الآخرة من الاكل وقال وضعت الحكمة
والعلم في الجوع وجعل الجهل والمعصية في الشبع وقال ما عبد الله بشيء افضل من مخالفة الهوى
في ترك الحلال وقال في حديث ثلث للطعام وثلث للماء فمن زاد عليه فانما ياكل من حسناته وسئل
عن الزيادة فقال لا يجد الزيادة حتى يكون الترك احب اليه من الاخذ ويكون اذا جاع ليلة سأل الله
تعالى ان يجعلها ليلتين فاذا كان كذلك وجد الزيادة وقال ما صار الابدال ابدالا الا باخماص البطون

والصمت والسهر والخلوة وقال سهل كل بر بين السماء والارض الجوع وراس كل فجور بينهما الشبع
وقال من جوع نفسه انقطعت عنه الوساوس وقال اقبال الله على العبد بالجوع والسقم والبلاء الا من
شاء الله وقال اعلموا ان هذا زمان لا ينال احد فيه النجاة الا بذبح نفسه وقتلها بالجوع والصبر و
الجهد وقال ما على وجه الارض احد شرب من هذا الماء حتى يروى فسلم من المعصية وان شكر الله فكيف
الشبع من الطعام وسئل حكيم باي قيد اقيد النفس قال بالجوع والعطش وذللها باخمال الذكر و
ترك العز وصغرها بوضعها تحت اقدام ابناء الاخرة واكسرها بترك زي القراء عن ظاهرها وانج من
آفاتها بدوام سوء الظن عليها واصحبها بخلاف هواها وكان عبد الواحد بن زيد يقسم بالله ان الله
تعالى ما صافى احدا الا بالجوع ولا مشوا على الماء الا بالجوع ولا طويت لهم الارض الا بالجوع ولا والاهم الله الا
بالجوع وقال ابو طالب المكي مثل البطن مثل المزهر وهو العود المجوف ذو الاوتار انما حسن صوته
لخفته ورقته ولانه اجوف غير ممتلئ وكذلك الجوف اذا خلى كان اعذب للتلاوة وادوم للقيام و
اقل للمنام وقال ابو بكر بن عبد الله ثلاثة يحبهم الله تعالى رجل قليل النوم قليل الراحة وروي
ان عيسى عليه السلام مكث يناجي ربه عز وجل ستين صباحا لم ياكل فخطر بباله الخبز فانقطع عن
المناجاة فاذا رغيف موضوع بين يديه فقعد يبكي لفقد المناجاة فاذا شيخ قد اظله فقال له عيسى
يا ولي الله ادع الله تعالى فاني كنت في حالة فخطر ببالي الخبز فانقطعت عني فقال الشيخ اللهم ان كان
الخبز خطر ببالي منذ عرفتك فلا تغفر لي وروي ان موسى عليه السلام لما قربه الله نجيا كان قد ترك الاكل
اربعين يوما

بيان فوايد الجوع وافات الشبع

لعلك تقول هذا الفضل العظيم
للجوع من اين هو وما سببه وليس فيه الا ايلام المعدة ومقاساة الاذى فان كان كذلك فينبغي ان يعظم
الفضل في كل ما يتاذى به الانسان من ضربه نفسه وقطعه لحمه وتناوله الاشياء الكريهة وما يجري
مجراه **فاعلم** ان هذا يضاهي قول من شرب دواء فانتفع به وظن ان منفعته لمرارة الدواء وكراهته فاخذ
يتناول كل ما هو كريه من المذاق وهو غلط بل نفعه في خاصية الدواء وليس لكونه مرا وانما يقف على تلك الخاصية
الاطباء فكذلك لا يقف على علة نفع الجوع الا سماسرة العلماء ومن جوع نفسه مصدقا لما جاء في الشرع من مدح
الجوع انتفع وان لم يعرف علة المنفعة كما ان من شرب الدواء انتفع وان لم يعلم وجه كونه نافعا ولكنا
نشرح لك ذلك ان اردت ان ترتقي من درجة الايمان الى درجة العلم قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين
اوتوا العلم درجات فنقول في الجوع عشر فوايد **الفايدة الاولى** صفاء القلب واتقاد القريحة و
نفاذ البصيرة فان الشبع يورث البلادة ويعمي القلب ويكثر البخار في الدماغ شبه السكر حتى يحتوي
على معادن الفكر فيثقل القلب بسببه عن الجريان في الافكار وعن سرعة الادراك بل الصبي اذا اكثر
الاكل بطل حفظه وفسد ذهنه وصار بطيء الفهم والادراك قال ابو سليمان عليك بالجوع فانه
مذلة للنفس ورقة للقلب ويورث العلم السماوي وقال صلى الله عليه وسلم احيوا قلوبكم بقلة الضحك
وطهروها بالجوع تصفو وترق ويقال مثل الجوع مثل الرعد والقناعة كالسحاب والحكمة كالمطر وقال
صلى الله عليه وسلم من اجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم
من شبع ونام قسى قلبه ثم قال ان لكل شيء زكاة وزكاة البدن الجوع **وقال** الشبلي
رحمه الله عليه ما جعت يوما لله تعالى الا رايت في قلبي بابا من الحكمة والعبرة ما رايته قط وليس يخفى ان
غاية المقصد من العبادات الفكر الموصل الى المعرفة والاستبصار بحقائق الحق والشبع يمنع منه والجوع

يفتح بابه والمعرفة باب من ابواب الجنة فاحرى ان يكون ملازمة الجوع قرعا لباب الجنة ولهذا قال
لقمن لابنه يا بني اذا امتلات المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن
العبادة وقال ابو يزيد الجوع سحاب فاذا جاع العبد مطر القلب الحكمة وقال صلى الله عليه وسلم
نور الحكمة الجوع والتباعد من الله الشبع والقربة الى الله حب المساكين والدنو منهم لا
تشبعوا فتطفى نور المعرفة من قلوبكم ومن بات يصلي في خفة من الطعام بات الحور حوله حتى
يصبح **الفايدة الثانية** رقة القلب وصفاؤه الذي به يتهيأ لادراك لذة المناجاة
والتاثر بالذكر فكم من ذكر يجري على اللسان مع حضور القلب ولكن القلب لا يلتذ به ولا يتاثر
عنه حتى كان بينه وبينه حجاب من قساوة القلب وقد يرق في بعض الاحوال فيعظم تاثره
بالذكر وتلذذه بالمناجاة وخلو المعدة هو السبب الاظهر فيه قال ابو سليمان احلى ما تكون العبادة
الي اذا التصق ظهري ببطني **وقال** الجنيد رحمه الله عليه يجعل احدهم بينه وبين
الله مخلاة من الطعام ويريد ان يجد حلاوة المناجاة وقال ابو سليمان القلب اذا جاع وعطش
صفا ورق واذا شبع عمي وبلد فاثر القلب بلذة المناجاة امر وراء تيسر الفكر واقتناص المعرفة فهي
فايدة ثانية **الفايدة الثالثة** الانكسار والذل وزوال البطر والفرح والاشر الذي
هو مبدا الطغيان والغفلة عن الله تعالى ولا تنكسر النفس ولا تذل لشيء كما تذل بالجوع فعنده
تسكن لربها وتخشع له وتقف على عجزها وذلها اذا ضعفت منتها وضاقت حيلتها بلقمة
طعام فاتتها واظلمت عليها الدنيا لشربة ماء تاخرت عنها وما لم يشاهد الانسان ذل نفسه و
عجزه لا يرى عزة مولاه وقهره وانما سعادته في ان يكون دائما مشاهدا نفسه بعين الذل والعجز
ومولاه بعين العز والقدرة والقهر فليكن دائما جائعا مضطرا الى مولاه مشاهدا للاضطرار بالذوق
ولذلك لما عرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا وخزائنها فقال لا بل اجوع يوما واشبع
يوما فاذا جعت صبرت وتضرعت واذا شبعت شكرت او كما قال فالبطن والفرج باب من ابواب
النار واصله الشبع والذل والانكسار باب من ابواب الجنة واصله الجوع ومن اغلق بابا من
ابواب النار فقد فتح بابا من ابواب الجنة بالضرورة لانهما متقابلان كالمشرق والمغرب فالقرب من احدهما
تبعد من الاخر **الفايدة الرابعة** ان لا ينسى بلاء الله وعذابه ولا ينسى اهل البلاء فان
الشبعان ينسى الجائعين وينسى الجوع والعبد الفطن لا يشاهد بلاء الا ويتذكر بلاء الآخرة فيتذكر
من عطشه عطش الخلق في عرصات القيامة ومن جوعه جوع اهل النار حين يجوعون يطعمون
الزقوم والضريع ويسقون الغساق والمهل ولا ينبغي ان يغيب عن العبد عذاب الآخرة والامها
فانه الذي يهيج الخوف ومن لم يكن في ذلة ولا قلة ولا علة ولا بلاء نسي عذاب الآخرة ولم يتمثل في
نفسه ولم يغلب على قلبه فينبغي ان يكون العبد في بلاء او مشاهدة بلاء واولى ما يقاسيه من البلاء
بلاء الجوع فان فيه فوائد جمة سوى تذكر عذاب الآخرة وهذا احد الاسباب الذي اقتضى اختصاص
البلاء بالانبياء والاولياء والامثل فالامثل ولذلك قيل ليوسف عليه السلام لم تجوع وفي يديك
خزائن الارض قال اخاف ان اشبع فانسى الجائع فذكر الجائعين والمحتاجين احدى فوائد الجوع فان
ذلك يدعو الى الرحمة والاطعام والشفقة على خلق الله تعالى والشبعان في غفلة عن الم الجائع
الفايدة الخامسة وهي من كبار الفوائد كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلاء على النفس الامارة

بالسوء فان منشأ المعاصي كلها الشهوات والقوى ومادة القوى والشهوات لا محالة الاطعمة فتقليلها
يضعف كل شهوة وقوة وانما السعادة كلها في ان يملك الرجل نفسه والشقاوة في ان تملكه نفسه
وكما انك لا تملك الدابة الجموح الا بضعف الجوع فاذا شبعت قويت وشردت وجمحت فكذلك النفس
قيل لبعضهم ما بالك مع كبرك لا تتعهد بدنك وقد انهد فقال لانه سريع المرح فاحش الاشر
فاخاف ان يجمح بي فيورطني ولان احمله على الشدايد احب الي من ان يحملني على الفواحش وقال ذو النون
ما شبعت قط الا عصيت او هممت بمعصية وقالت عائشة رضي الله عنها اول بدعة احدثت بعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم الشبع ان القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم الى الدنيا وهذه
ليست فايدة واحدة بل هي خزاين الفوايد وكذلك قيل الجوع خزانة من خزاين الله واقل ما يندفع
بالجوع شهوة الفرج وشهوة الكلام فان الجايع لا تتحرك عليه شهوة فضول الكلام فيتخلص
به من آفات اللسان كالغيبة والفحش والكذب والنميمة وغيرها فيمنعه الجوع عن كل ذلك واذا
شبع افتقر الى فاكهة فيتفكه لا محالة باعراض الناس ولا يكب الناس على مناخرهم الا حصايد السنتهم
واما شهوة الفرج فلا تخفى غايلتها والجوع يكفي شرها واذا شبع الرجل لم يملك فرجه وان
منعه التقوى فلا يملك عينه والعين تزني كما ان الفرج يزني فان ملك عينه بغض التقوى فلا
يملك فكره فتخطر له من الافكار الردية وحديث النفس باسباب الشهوة ما يتشوش به مناجاته وربما
عرض له في اثناء الصلاة وانما ذكرنا افة اللسان والفرج مثالا والا فجميع معاصي الاعضاء السبعة
سببها القوة الحاصلة بالشبع قال حكيم كل مريد صبر على السياسة فصبر على الخبز البحت سنة لا
يخالط معه شيا من الشهوات وياكل بنصف بطنه رفع الله عنه مؤنة النسا **الفايدة السادسة**
دفع النوم ودوام السهر فان من شبع شرب كثيرا ومن كثر شربه كثر نومه وكذلك كان يقول بعض
الشيوخ على راس السفرة معاشر المريدين لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا و
اجمع سبعين صديقا على ان كثرة النوم من كثرة الشرب وفي كثرة النوم ضياع العمر وفوت التهجد
وبلادة الطبع وقساوة القلب والعمر انفس الجواهر وهو راس مال العبد فيه يتجر والنوم موت فتكثيره
تنقيص من العمر ثم فضيلة التهجد لا تخفى وفي النوم فواتها ومهما غلب النوم فان تهجد لم يجد حلاوة
العبادة ثم المتعزب اذا نام على الشبع احتلم ويمنعه ذلك ايضا من التهجد ويحوجه للغسل اما بالماء
البارد فيتاذى به او يحتاج الى الحمام وربما لا يقدر عليه بالليل فيفوته الوتر ان كان قد اخر للتهجد
ثم يحتاج الى مؤنة الحمام وربما يقع عينه على عورة في دخول الحمام فان فيه ايضا اخطارا ذكرناها في
الطهارة وكل ذلك اثر الشبع وقد قال ابو سليمان الاحتلام عقوبة وانما قال ذلك لانه يمنع من عبادات
كثيرة لتعذر الغسل في كل حال فالنوم منبع الافات والشبع مجلبة له والجوع مقطعة له **الفايدة
السابعة** تيسر المواظبة على العبادة فان الاكل يمنع عن كثرة العبادات لانه يحتاج الى زمان
يشتغل فيه بالاكل وربما احتاج الى زمان في شرا الطعام او طبخه ثم يحتاج الى غسل اليد والخلال ثم
يكثر تردده الى بيت الما لكثرة شربه والاوقات المصروفة الى هذه لو صرفها الى الذكر والمناجاة و
ساير العبادات لكثر ربحه قال السري رايت مع علي الجرجاني سويقا يستف منه فقلت ما
دعاك الى هذا فقال اني حسبت ما بين المضغ الى الاستفاف سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ
اربعين سنة فانظر كيف اشفق على وقته فلم يضيعه في المضغ وكل نفس من العمر جوهر نفيس لا قيمة

له فينبغي ان يستوفي منه خزانة باقية في الآخرة لا آخر لها وذلك بصرفه الى ذكر الله وطاعته ومن
جملة ما يتعسر بكثرة الاكل الدوام على الطهارة وملازمة المسجد فانه يحتاج الى الخروج لشرب الما و
اراقته ومن جملة الصوم فيتيسر لمن تعود الجوع فالصوم ودوام الاعتكاف ودوام الطهارة وصرف
اوقات شغل الاكل واسبابه الى العبادة ارباح عظيمة وانما يستحقرها الغافلون الذين لم يعرفوا
قدر الدين لكن رضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون
وقد اشار ابو سليمان الداراني الى ست آفات فيه فقال من شبع دخلت عليه ست آفات خصال
فقد حلاوة العبادة وتعذر حفظ الحكمة وحرمان الشفقة على الخلق لانه اذا شبع ظن الخلق
كلهم شباعا وثقل العبادة وزيادة الشهوات وان ساير المؤمنين يدورون حول المساجد
والشباع يدورون حول المزابل **الفايدة الثامنة** من قلة الاكل صحة البدن ودفع الامراض
فان سببها كثرة الاكل وحصول فضلة الاخلاط في المعدة والعروق ثم المرض يمنع من العبادات ويشوش
القلب ويمنع من الذكر والفكر وينغص العيش ويحوج الى الفصد والحجامة والدوا والطبيب
وكل ذلك يحتاج الى مؤن ونفقات لا يخلو الانسان فيها بعد التعب عن انواع المعاصي واقتحام الشهوات
وفي الجوع ما يمنع عنه كل ذلك **حكي ان الرشيد** جمع اربعة اطبا هندي ورومي وعراقي
وسوادي فقال ليصف كل واحد منكم الدوا الذي لا داء فيه فقال الهندي الدوا الذي لا داء فيه عندي
هو الاهليلج الاسود وقال الرومي هو حب الرشاد الابيض وقال العراقي هو عندي الما الحار وقال
السوادي وكان اعلمهم الاهليلج يعفص المعدة وهذا داء وحب الرشاد يرق المعدة وهذا
داء والما الحار يرخي المعدة وهذا داء فقالوا فما عندك فقال الدوا الذي لا داء فيه عندي ان لا
تاكل الطعام حتى تشتهيه وان ترفع يدك عنه وانت تشتهيه فقالوا صدقت وذكر لبعض الفلاسفة
من اطبا اهل الكتاب قول النبي صلى الله عليه وسلم ثلث طعام وثلث شراب وثلث للنفس فتعجب منه
وقال ما سمعت كلاما في قلة الاكل احكم من هذا وانه لكلام حكيم وقال عليه الصلاة والسلام البطنة
اصل الداء والحمية اصل الدوا وعودوا كل بدن بما اعتاد والحري ان يتعجب الطبيب من هذا الخبر
لا من ذلك وقال ابن سالم من اكل خبز الحنطة بحتا بادب لم يعتل الا علة الموت قيل له وما الادب قال
ان تاكل بعد الجوع وترفع قبل الشبع وقال بعض الافاضل من الاطبا في ذم الاستكثار ان انفع ما ادخل الانسان
في معدته الرمان واضر ما ادخل معدته المالح ولان يقلل من المالح خير له من ان يستكثر من الرمان وفي
الخبر المشهور صوموا تصحوا ففي الصوم والجوع وتقليل الاكل صحة الاجسام من الاسقام وصحة
القلوب من سقم الطغيان والبطر وغيرهما **الفايدة التاسعة** خفة المؤنة فان
من تعود قلة الاكل كفاه من المال قدر يسير والذي تعود الشبع صار بطنه غريما ملازما له ياخذ
بمخنقه كل يوم فيقول ماذا تاكل اليوم فيحتاج الى ان يدخل المداخل فيكتسب من الحرام فيعصي او من
الحلال فيذل ويتعب وربما احتاج الى ان يمد عين الطمع الى الخلق وهو غاية الذل والقماءة والمؤمن
خفيف المؤنة قال بعضهم اني لاقضي عامة حوائجي بالترك فيكون ذلك اروح لقلبي وقال آخر اذا اردت
ان استقرض من غيري لشهوة او زيادة اقترضت من نفسي فتركت الشهوة فهي خير غريم لي وكان ابراهيم
بن ادهم اذا سال اصحابه عن اسعار الماكول فيقال انه غال فيقول ارخصوه بالترك وقال سهل
الاكول مذموم في ثلاثة احوال ان كان من اهل العبادة فيكسل وان كان مكتسبا فلا يسلم من الآفات

وان كان ممن يبخل عليه بشيء فلا ينصفنا الله من نفسه وبالجملة سبب هلاك الناس حرصهم على الدنيا
وسبب حرصهم البطن والفرج وسبب شهوة الفرج شهوة البطن وفي تقليل الاكل ما يحسم هذه الابواب
كلها وهي ابواب النار وان في حسمها فتح ابواب الجنة كما قال عليه الصلاة والسلام ادعوا فرج باب
الجنة بالجوع فمن قنع برغيف في كل يوم قنع في سائر الشهوات ايضا وصار حرا واستغنى عن الناس
واستراح من التعب وتخلى للعبادة لله وتجارة الآخرة فيكون من الرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا
بيع عن ذكر الله فانه انما لا تلهيهم لاستغنائهم عنها بالقناعة واما المحتاج فتلهيه لا محالة الفائدة
العاشرة ان يتمكن بذلك من الايثار والتصدق بما فضل من الاطعمة على اليتامى والمساكين فيكون
يوم القيامة في ظل صدقته كما ورد به في الخبر فما ياكله فخزانته الكنيف وما يتصدق به فخزانته
فضل الله فليس للعبد من ماله الا ما تصدق فابقى او اكل فافنى او لبس فابلى فالتصدق بفضلات
الطعام اولى من التخمة والشبع كان الحسن اذا قرأ قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات و
الارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا قال عرضها
على السموات السبع الطباق الطرائق اللاتي زينها بالنجوم وحملة العرش العظيم فقال لها تحملين
الامانة بما فيها قالت وما فيها قال ان احسنت جزيت وان اسأت عوقبت قالت لا ثم عرضها على الارض
كذلك فابت ثم عرضها على الجبال الصم الشوامخ البوادخ الصعاب الصلاب فقيل لها هل تحملين الامانة
بما فيها قالت وما فيها فذكر الجزاء والعقوبة فقالت لا ثم عرضها على الانسان فحملها انه كان ظلوما
جهولا بامر ربه عز وجل فقد والله رايناهم والله اشتروا الامانة باموالهم فاصابوا الافا فما ذا صنعوا
فيها وسعوا بها دورهم وضيقوا بها قبورهم واسمنوا براذينهم واهزلوا دينهم واتعبوا انفسهم
بالغدو والرواح الى باب هذا السلطان يتعرضون للبلاء وهم من الله في عافية يقول قائلهم تبيعني
ارض كذا وكذا وازيدك كذا وكذا يتكئ احدهم على شماله وياكل من غير ماله حديثه سخرة وماله حرام
حتى اذا بلغته الكظة ونزلت به البطنة قال يا غلام ائتني بشيء يهضم طعامي يا لكع اطعامك
تهضم انما دينك تهضم اين اليتيم اين الفقير اين الارملة اين المسكين الذين امرك الله بهم
وهذه اشارة الى هذه الفائدة وهو صرف فاضل الطعام الى الفقراء ليدخر به الاجر فذلك خير من ان
ياكله حتى يتضاعف عليه الوزر ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل سمين فاوما الى بطنه باصبعه
وقال لو كان هذا في غير هذا لكان خيرا لك اي لو قدمته لآخرتك وآثرت به غيرك وعن الحسن قال
والله لقد ادركت اقواما كان الرجل منهم يمسي وعنده من الطعام ما يكفيه ولو شاء لاكله كله
فيقول والله لا اجعل هذا كله في بطني حتى اجعل بعضه لله عز وجل فهذه عشرة فوائد للجوع يتشعب
عن كل واحدة فوائد لا تحصر عددها ولا تتناهى فوائدها فالجوع خزانة عظيمة لفوائد الآخرة ولهذا
قال بعض السلف الجوع مفتاح الآخرة وباب الزهد والشبع مفتاح الدنيا وباب الرغبة بل ذلك
صريح في الاخبار التي رويناها وبالوقوف على تفصيل هذه الفوائد يدرك معاني تلك الاخبار ادراك
علم وبصيرة واذا لم تعرف هذا وصدقت بفضل الجوع كان لك رتبة المقلدين في الايمان بيان
طريق الرياضة في كسر شهوة البطن اعلم ان على المريد في بطنه وماكوله اربع وظائف
الاولى ان لا ياكل الا حلالا فالعبادة مع اكل الحرام كالبناء على امواج البحر وقد ذكرنا ما يجب مراعاته
من درجات الورع في كتاب الحلال والحرام وتبقى ثلاث وظائف خاصة بالاكل وهو تقدير قدر الطعام

في القلة والكثرة وتقدير وقته في الابطاء والسرعة وتعيين الجنس الماكول في تناول المشتهيات
اما الوظيفة الاولى في تقليل الطعام وسبيل الرياضة فيه التدريج فمن تعود الاكل الكثير
وانتقل دفعة الى القليل لم يحتمله مزاجه وضعف وعظمت مشقته فينبغي ان يتدرج اليه
قليلا قليلا وذلك بان ينقص قليلا قليلا من طعامه المعتاد فان كان ياكل رغيفين
رغيفين مثلا واراد ان يرد نفسه الى رغيف فلينقص في كل يوم ربع سبع رغيف وهو ان
ينقص منه جزءا من ثمانية وعشرين جزءا فيرجع الى رغيف في شهر ولا يتضرر به ولا يظهر اثره
فان شاء فعل ذلك بالوزن وان شاء بالمشاهدة فيترك كل يوم مقدار لقمة وينقصه عما اكله
بالامس ثم هذا فيه اربع درجات اقصاها ان يرد نفسه الى قدر القوام الذي لا يبقى دونه وهو عادة
الصديقين وهو اختيار سهل التستري رحمه الله اذ قال ان الله تعبد الخلق بثلاث بالحياة
والعقل والقوة فان خاف العبد على اثنين منهما وهي الحياة والعقل اكل وافطر ان كان صائما
وتكلف الطلب ان كان فقيرا وان لم يخف عليهما بل على القوة قال ينبغي ان لا يبالي ولو ضعف حتى
صلى قاعدا ورأى ان صلاته قاعدا مع ضعف الجوع افضل من صلاته قائما مع قوة الاكل وسئل سهل
عن بدايته وما كان يقتات به فقال كان قوتي في كل سنة ثلاثة دراهم كنت اخذ بدرهم دبسا وبدرهم
سمنا وبدرهم دقيق الارز فاسويه مخلطا ثلاثمائة وستين اكرة اخذ في كل ليلة
اكرة افطر عليها قيل له فالساعة قال اكل بلا حد ولا توقيت وحكي عن الراهبين انهم قد
يردون انفسهم الى مقدار درهم من الطعام الدرجة الثانية ان يرد نفسه بالرياضة في
اليوم والليلة الى نصف مد وهو رغيف وشيء مما يكون الاربعة منه منا ويشبه ان يكون هذا مقدار
ثلث البطن في حق الاكثر كما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فوق اللقيمات لان هذه الصيغة في
الجمع للقلة فهو لما دون العشرة وقد كان ذلك عادة عمر رضي الله عنه اذ كان ياكل سبع لقم الدرجة
الثالثة ان يرد نفسه الى مقدار المد وهو رغيفان ونصف وهذا يزيد على ثلث البطن في حق
الاكثرين ويكاد ينتهي الى ثلثي البطن ويبقى ثلث للشراب ولا يبقى شيء للذكر وفي بعض الالفاظ ثلث للذكر
بدل قوله للنفس الدرجة الرابعة ان يزيد على المد الى المن ويشبه ان يكون ما وراء المن
اسرافا مخالفا لقوله تعالى ولا تسرفوا اعني في حق الاكثرين فان مقدار الحاجة الى الطعام يختلف
بالشخص والعمل والسن الذي يشتغل به وههنا طريق خامس لا تقدير فيه ولكنه موضع غلط وهو ان
ياكل اذا صدق جوعه ويقبض يده وهو على شهوة صادقة بعد ولكن الغالب ان من لم يقدر
مع نفسه رغيفا او رغيفين فلا يتبين له حد الجوع الصادق ويشتبه ذلك بالشهوة الكاذبة وقد
ذكر ذلك بالشهوة الكاذبة وقد ذكر للجوع الصادق علامات احداها ان لا تطلب النفس الادم
بل تاكل الخبز وحده بشهوة اي خبز كان فمهما طلب خبزا بعينه او طلب ادما فليس ذلك بالجوع وقيل ان يبزق
فلا يقع عليه الذباب اي لا يبقى فيه دهنية ولا دسومة فيدل ذلك على خلو المعدة ومعرفة ذلك غامض
فالصواب للمريد ان يقدر مع نفسه القدر الذي لا يضعفه عن العبادة التي هو بصددها فاذا انتهى
اليه وقف وان بقيت شهوته وعلى الجملة فتقدير الطعام لا يمكن لانه يختلف بالاحوال والاشخاص نعم قد كان
قوت جماعة من الصحابة صاعا من حنطة في كل جمعة فاذا اكلوا التمر اقتاتوا منه صاعا ونصفا والبر صاع
الحنطة اربعة امداد فيكون كل يوم قريبا من نصف مد وهو ما ذكرناه انه قدر ثلث البطن وفي التمر احتيج

الى الزيادة لسقوط النوى منه وقد كان ابوذر رضي الله عنه يقول طعامي في كل يوم وقيل في كل جمعة صاع
من شعير على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا ازيد عليه حتى القاه فاني سمعته يقول اقربكم
مني مجلسا يوم القيامة واحبكم الي من مات على ما هو عليه اليوم وكان يقول في انكاره على بعض الصحابة قد غيرتم
تنخل لكم الشعير ولم يكن ينخل وخبزتم المرقق وجمعتم بين ادمين واختلف عليكم بالوان الاطعمة وغدا
احدكم في ثوب وراح في اخر ولم تكونوا هكذا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قوت اهل الصفة مدا من
تمر بين اثنين في كل يوم والمد رطل وثلث ويسقط منه النوى وكان الحسن يقول المؤمن مثل الغنيمة يكفيه
الكف من الحشف والقبضة من السويق والجرعة من الماء والمنافق مثل السبع الضاري بلعا بلعا وسرطا
سرطا لا يطوي بطنه لجاره ولا يؤثر اخاه بفضله وجهوا هذه الفضول امامكم وقال سهل لو كانت
الدنيا دما عبيطا لكان قوت المؤمن منها حلالا لان اكل المؤمن عند الضرورة بقدر القوام فقط **الوظيفة
الثانية** في وقت الاكل ومقدار تأخيره وفيه ايضا درجات الدرجة العليا ان يطوي ثلاثة ايام
فما فوقها وفي المريدين من رد الرياضة الى الطي لا الى المقدار حتى انتهى بعضهم الى ثلاثين واربعين يوما
وانتهى اليه جماعة من العلماء يكثر عددهم منهم محمد بن عمرو القرني وعبد الرحمن بن ابراهيم رحيم وابراهيم التيمي
وحجاج بن فرافصة وحفص العابد المصيصي والمسلم بن سعيد وزهير وسليمان الخواص وسهل بن عبد
الله وابراهيم بن احمد الخواص وقد كان ابو بكر الصديق رضي الله عنه يطوي ستا وكان عبد الله بن
الزبير يطوي سبعا وكان ابو الجوزاء صاحب ابن عباس يطوي سبعا وروي ان الثوري وابراهيم بن ادهم يطويان
ثلاثا ثلاثا وكانوا يستعينون بالجوع على طريق الاخرة وقال بعض العلماء من طوى اربعين يوما من الطعام
ظهرت له قدرة من الملكوت اي كوشف ببعض الاسرار الالهية وقد حكي ان بعض هذه الطائفة مر على راهب
فذاكره بحاله وطمع في اسلامه وترك ما هو عليه من الغرور فكلمه في ذلك بكلام كثير الى ان قال له الراهب
ان المسيح كان يطوي اربعين يوما وان ذلك معجزة لا تكون الا لنبي او صديق فقال له الصوفي فان طويت خمسين يوما
تترك ما انت عليه وتدخل في دين الاسلام وتعلم انه حق وانك على باطل قال نعم فجلس لا يبرح الا حيث يراه
حتى طوى خمسين يوما ثم قال وازيدك ايضا فطوى الى تمام الستين فتعجب الراهب منه وقال ما كنت اظن ان
احدا يجاوز المسيح فكان ذلك سبب اسلامه وهذه درجة عظيمة قل من يبلغها الا مكاشف محمول شغل
بمشاهدة ما قطعه عن طبعه وعادته واستوفى نفسه في لذته وانساه جوعه وحاجته **الدرجة
الثانية** ان يطوي يومين الى ثلاثة وليس ذلك خارجا عن العادة بل هو قريب يمكن الوصول اليه
بالجد والمجاهدة **الدرجة الثالثة** وهي ادناها ان يقتصر في اليوم والليلة على اكلة واحدة
وهذا هو الاقل وما جاوز ذلك اسراف ومداومة للشبع حتى لا يكون له حالة جوع وذلك فعل المترفين وهو
بعيد من السنة روى ابو سعيد الخدري انه صلى الله عليه وسلم كان اذا تغدى لم يتعش واذا تعشى لم
يتغد وكان السلف يأكلون في كل يوم اكلة وقال عليه السلام لعائشة اياك والاسراف فان اكلتين
في يوم اسراف من السرف وكان اكلتين في يوم سرف واكلة واحدة في يومين اقتار واكلة في كل يوم قوام بين
ذلك هو المحمود في كتاب الله ومن اقتصر في اليوم على اكلة واحدة فيستحب ان ياكلها سحرا قبل طلوع
الصبح فيكون اكله بعد التهجد وقبل الصبح فيحصل له جوع النهار للصيام وجوع الليل للقيام
وخلو القلب لفراغ المعدة ورقة الفكر واجتماع الهم وسكون النفس الى المعلوم فلا تنازعه قبل وقته
وفي حديث عاصم بن كليب عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم

قيامكم هذا قط وان كان ليقوم حتى تورم قدماه وما واصل وصالكم هذا قط غير انه قد اخر الفطر الى السحر
وفي حديث عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يواصل الى السحر فان كان المريد يلتفت قلب
الضائع بعد المغرب الى الطعام وكان يشغله عن حضور القلب في التهجد فالاولى ان يقسم طعامه بنصفين
ان كان رغيفين مثلا اكل رغيفا عند الفطر ورغيفا عند السحر لتسكن نفسه ويخف عند التهجد بدنه
ولا يشتد بالنهار جوعه لاجل التسحر فيستعين بالرغيف الاول على التهجد وبالثاني على الصوم ومن كان
يصوم يوما ويفطر يوما فلا باس ان ياكل يوم فطره وقت الظهر ويوم صومه وقت السحر فهذه هي الطرق في
مواقيت الاكل وتقاربه وتباعده **الوظيفة الثالثة** في نوع الطعام وترك الادام واعلى
الطعام مخ البر فان نخل فهو غاية الترفه واوسطه شعير منخول وادناه شعير لم ينخل واعلى الادام اللحم والحلاوة
وادناه الملح والخل واوسطه المزورات بالدهن من غير لحم وعادة سالكي طريق الاخرة الامتناع من الادام بل
الامتناع عن الشهوات فان كل لذيذ تشتهيه الانسان فاكله اقتضى ذلك بطرا في نفسه وقسوة في قلبه
وانسا له بلذات الدنيا حتى يالفها ويكره الموت ولقاء الله تعالى وتصير الدنيا جنة في حقه فيكون
الموت سجنا له واذا منع نفسه شهواتها وضيق عليها وحرمها لذاتها صارت الدنيا سجنا عليه ومضيقا
واشتهت نفسه الانفلات منها فيكون الموت اطلاقها واليه اشار يحيى بن معاذ حيث قال معاشر
الصادقين جوعوا انفسكم لوليمة الفردوس فان شهوة الطعام على قدر تجويع النفس وكل ما ذكرناه من افات
الشبع فانه يجري في كل الشهوات وتناول اللذات فلا نطول باعادته فلذلك يعظم الثواب في ترك الشهوات
من المباحات ويعظم الخطر في تناولها حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار امتي الذين ياكلون مخ
الحنطة وهذا ليس بتحريم بل هو مباح على معنى انه من اكله مرة او مرتين لم يعص ومن داوم عليه ايضا فلا يعصي
بتناوله ولكن تتربى نفسه بالنعيم فيأنس بالدنيا ويألف اللذات ويسعى في طلبها فيجرها ذلك الى المعاصي
فهم شرار الامة لان مخ الحنطة يقودهم الى اقتحام امور تلك الامور ومعاصيه وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم شرار امتي الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه اجسامهم وانما همتهم الوان الطعام وانواع اللباس
يتشدقون في الكلام واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام اذكر انك ساكن القبر فليمنعك ذلك عن كثير من
الشهوات وقد اشتد خوف السلف من تناول لذيذ الاطعمة وتمرين النفس عليها وراوا ان ذلك علامة
الشقاوة وراوا منع الله تعالى منه غاية السعادة حتى روي ان وهب بن منبه قال التقى ملكان في السماء
الرابعة فقال احدهما للاخر من اين قال امرت بسوق حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودي وقال
الاخر امرت باهراق زيت اشتهاه فلان العابد وهذا تنبيه على ان تيسر اسباب الشهوات ليس من علامات
الخير ولهذا امتنع عمر رضي الله عنه من شربة ماء بارد بعسل وقال اعزلوا عني حسابها فلا عبادة لله اعظم
من مخالفة النفس في الشهوات وترك اللذات كما اوردناه في كتاب رياضة النفس وقد روى نافع ان ابن عمر
رضي الله عنه كان مريضا فاشتهى سمكة طرية فالتمست له بالمدينة فلم توجد ثم وجدت بعد كذا وكذا
فاشتريت بدرهم ونصف ثم شويت وحملت اليه على رغيف فقام سائل على الباب فقال للغلام لفها
برغيفها وادفعها اليه فقال له الغلام اصلحك الله قد اشتهيتها منذ كذا وكذا فلم نجدها فلما وجدتها
اشتريتها بدرهم ونصف فنحن نعطيه ثمنها فقال لفها وادفعها اليه فقال الغلام للسائل هل لك
ان تأخذ درهما وتتركها قال نعم فاعطاه واخذها ووضعها بين يديه وقال قد اعطيته درهما واخذتها
منه فقال لفها وادفعها اليه فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ايما امرئ اشتهى شهوة فرد

سفينة وانزلها على نفسه عفا الله عنه وقال عليه السلام اذا سددت كلب الجوع برغيف وكوز من الماء
القراح فعلى الدنيا واهلها الدمار واشار بهذا الى ان المقصود رد الم الجوع ودفع ضرره دون
التنعم بلذات الدنيا واشار بهذا الى ان المقصود رد الم الجوع ودفع ضرره وبلغ عمر رضي الله عنه
ان يزيد بن ابي سفيان ياكل انواع الطعام فقال عمر لمولى له اذا علمت انه حضر عشاؤه فاعلمني
فاعلمه فدخل عليه فقرب عشاؤه فجاء بثريد لحم فاكل معه عمر ثم قرب له الشواء وبسط
يزيد يده وكف عمر يده فقال الله الله يا يزيد بن ابي سفيان اطعام بعد طعام والذي نفس
عمر بيده لئن خالفتم عن سنتهم ليخالفن بكم عن طريقهم وعن يسار بن عمير قال ما
نخلت لعمر دقيقا قط الا وانا له عاص وروي ان عتبة الغلام كان يعجن دقيقه ويجففه
في الشمس ثم ياكله ويقول كسرة وملح حتى يتهيا في الدار الاخرة الشواء والطعام الطيب وكان ياخذ
الكوز فيغرف به من حب كان في الشمس نهاره فتقول مولاة له يا عتبة لو اعطيتني دقيقك فخبزته
لك وبردت لك الماء فيقول لها يا ام فلان قد سددت عني كلب الجوع وروي عن مالك
بن دينار انه بقي اربعين سنة يشتهي لبنا فلم ياكله واهدي اليه يوما رطب فامر اوده في اكله
فقال لاصحابه كلوا فما ذقته منذ اربعين سنة وقال احمد بن ابي الحواري اشتهى ابو سليمان
الداراني رغيفا حارا بملح فجئت به فعض منه عضة ثم طرح الرغيف واقبل يبكي وقال عجلت
الي شهوتي بعد اطالة جهدي وشقوتي قد عزمت على التوبة فاقلني قال احمد فما رايته اكل
الملح حتى لقي الله وقال مالك بن دينار مررت على سوق البصرة فنظرت الى البقل فقالت لي
نفسي لو اطعمتني الليلة من هذا فاقسمت ان لا اطعمها اياه اربعين ليلة ومكث مالك بن دينار بالبصرة
خمسين سنة ما اكل رطبة لاهل البصرة ولا بسرة قط وقال يا اهل البصرة عشت فيكم خمسين سنة
فما اكلت لكم رطبة ولا تمرة فما زاد فيكم مما نقص مني ولا نقص مني مما زاد فيكم وقال مالك بن دينار اشتهت
نفسي لبنا منذ اربعين سنة فوالله لا اطعمها حتى الحق بالله عز وجل وقال حماد بن ابي حنيفة اتيت
داود الطائي والباب عليه مغلق فسمعته يقول اشتهيت جزرا فاطعمتك جزرا ثم اشتهيت تمرا
فاليت ان لا تاكليه ابدا فسلمت ودخلت واذا هو وحده ومر ابو حازم بالسوق فراى الفاكهة
فاشتهاها فقال لابنه اشتر لنا من هذه الفاكهة المقطوعة الممنوعة لعلنا نذهب الى الفاكهة
التي لا مقطوعة ولا ممنوعة فلما اشتراها واتى بها قال لنفسه قد خدعتني حتى نظرت اليه و
اشتهيت وغلبتني حتى اشتريت والله لا ذقته فبعث به الى يتامى من الفقراء وعن موسى الاشج
انه قال نفسي تشتهي ملحا جريشا منذ عشرين سنة وعن احمد بن خليفة قال نفسي منذ عشرين سنة ما
تطلب مني الا الماء حتى تروى ما رويتها وروي ان عتبة الغلام اشتهى لحما سبع سنين فلما كان
بعد ذلك قال استحييت من نفسي ان ادافعها منذ سبع سنين فاشتريت قطعة لحم على خبز وشويتها
فلقي صبيا فقال الست انت ابن فلان وقد مات ابوك قال بلى فناوله اياه واقبل يبكي ويقول ويطعمون
الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا ثم لم يذقه بعد ومكث عتبة الغلام يشتهي تمرا سنين
فلما ان كان ذات ليلة اشترى بقيراط تمرا ورفعه حتى يفطر عليه قال فهبت ريح فاظلمت الدنيا
ففزع الناس فقال عتبة هذا لجرأتي عليك وشرائي التمر بالقيراط ثم قال لنفسه ما اظن اخذ الناس الا بذنبك
علي الا ذقته وترك التمر واشترى داود الطائي بنصف فلس بقلا وبفلس خلا قال فاقبل

ليلته يقول يا داود ما اطول حسابك يوم القيامة ثم لم يكن ياكل الا قفارا وقال عتبة الغلام لعبد الواحد
بن زيد ان فلانا يصف من قلبه منزلة ما اعرفها من قلبي قال لانك تاكل مع خبزك تمرا وهو لا يزيد على
الخبز شيئا فقال وانا ان تركت اكل التمر عرفت تلك المنزلة قال نعم وغيرها فاخذ يبكي فقال له بعض
اصحابه لا ابكى الله عينك ا على التمر تبكي قال عبد الواحد دعه فان نفسه قد عرفت صدق
عزمه في الترك فهو اذا ترك شيئا لم يعاوده ابدا وقال جعفر بن نصير امرني الجنيد ان اشتري
له التين الوزيري فاشتريته فلما افطر اخذ واحدة ووضعها في فيه ثم القاها وبكى ثم قال
احمله فقلت له في ذلك فقال هتف بي هاتف من قلبي اما تستحي تركته
من اجلي ثم تعود اليه وقال صالح المري قلت لعطاء السلمي اني متكلف لك شيئا فلا ترده
علي كرامتي قال افعل ما تريد قال فبعثت اليه مع ولدي شربة من سويق قد لتته بسمن
وعسل فقلت لا تبرح حتى يشربها فلما كان الغد جعلت له نحوها فردها ولم يشربها فعاتبته
ولمته فقلت سبحان الله رددت علي كرامتي فلما راى وجدي لذلك قال لا يسوءك هذا اني قد
شربتها اول مرة وقد راودت نفسي في المرة الثانية على شربها فلا اقدر على ذلك كلما
اردت ذلك ذكرت قوله تعالى يتجرعه ولا يكاد يسيغه وياتيه الموت من كل مكان وما هو بميت
ومن ورائه عذاب غليظ قال صالح فبكيت وقلت في نفسي انا في واد وانت في اخر قال السري
ان نفسي تطالبني منذ ثلاثين سنة ان اغمس جزرة في دبس فما اطعمتها وقال ابو بكر الجلاء اعرف
انسانا يقول له نفسه انا اصبر لك على طي عشرة ايام واطعمني بعد ذلك شهوة اشتهيها فيقول لها
لا اريد ان تطوي عشرة ايام ولكن اترك هذه الشهوة وروي ان عابدا دعا بعض اخوانه فقرب اليه
رغيفا فجعل اخوه يقلب بعض الارغفة ليختار اجودها فقال له العابد مه اي شيء تصنع اما علمت
ان في الرغيف الذي رغبت عنه كذا وكذا حكمة وعمل فيه كذا وكذا صانعا حتى استدار من السحاب
الذي يحمل الماء والماء الذي يسقي الارض والرياح والارض والبهائم وبني ادم حتى صار اليك ثم انت
بعد هذا تقلبه ولا ترضى به وفي الخبر لا يستدير الرغيف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلاثمائة
وستون صانعا اولهم ميكائيل الذي يكيل الماء من خزائن الرحمة ثم الملائكة التي تزجي السحاب والشمس
والقمر والافلاك وملائكة الهواء ودواب الارض واخر ذلك الخباز وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقال
بعضهم اتيت قاسم الجوعي فسالته عن الزهد اي شيء هو فقال اي شيء سمعت فيه فعددت اقوالا فسكت
فقلت فانت اي شيء تقول فقال اعلم ان البطن دنيا العبد فبقدر ما يملك من بطنه يملك من الزهد
وبقدر ما تملكه بطنه تملكه الدنيا وكان بشر بن الحارث قد اعتل فسال عبد الرحمن المتطبب عن شيء يوافقه
من الماكول فقال تسالني فاذا وصفت لك لم تقبل مني فقال بشر صف لي حتى اسمع قال تشرب
سكنجبينا وتمص سفرجلا وتاكل بعد ذلك اسفيدباج فقال له بشر تعلم شيئا اقل من السكنجبين
ثمنا يقوم مقامه قال لا قال فانا اعرف قال ما هو قال الهندبا بالخل ثم قال اتعرف شيئا اقل ثمنا
من السفرجل قال لا قال انا اعرف قال ما هو قال الخرنوب الشامي قال فتعرف شيئا اقل ثمنا
من الاسفيدباج يقوم مقامها قال لا قال انا اعرف قال ما هو قال ماء الحمص بسمن البقر في معناه فقال
عبد الرحمن انت اعلم مني بالطب فلم تسالني فقد عرفت ان هؤلاء كيف امتنعوا من اكل الشهوات
ومن الشبع من الاقوات وكان لا يصفو لهم حلال فلم يرخصوا لانفسهم الا في قدر الضرورة والشهوات

ليست من الضرورات حتى قال ابو سليمان الملح شهوة وهذه هي النهاية فمن لم يقدر على ذلك فينبغي ان لا
يغفل عن نفسه ولا ينهمك في الشهوات فيكفي بالمرء اسرافا ان ياكل ما يشتهيه ويفعل كلما يهواه فينبغي
ان لا يواظب على اكل اللحم قال عليه الصلاة والسلام من ترك اللحم اربعين يوما ساء خلقه ومن داوم
عليه اربعين يوما قسى قلبه وقيل ان المداومة على اللحم ضراوة كضراوة الخمر ومهما كان جائعا وتاقت
نفسه اليه والى الجماع فلا ينبغي ان ياكل ويجامع فيعطي نفسه شهوتين فتقوى عليه وربما طلبت
النفس الاكل لينشط في الجماع ويستحب ان لا ينام على الشبع فيجمع بين غفلتين فيعتاد الفتور ويقسو
قلبه لذلك ولكن ليصلي او يجلس فيذكر الله تعالى فانه اقرب الى الشكر وفي الحديث اذيبوا طعامكم
بالصلاة والذكر ولا تناموا عليه فتقسو قلوبكم واقل ذلك ان يصلي اربع ركعات او يسبح مائة تسبيحة
او يقرا جزءا من القران عقيب كل اكلة وكان سفيان الثوري اذا شبع ليلة احياها واذا شبع في
يوم واصله بالصلاة والذكر وكان يقول اشبع الزنجي وكده ومرة اشبع الحمار وكده ومهما اشتهى
شيئا من طيبات الفواكه فينبغي ان يترك الخبز وياكلها بدلا عنه لتكون قوتا ولا يكون تفكها لئلا
يجمع للنفس بين شهوتين عادة وشهوة ونظر سهل الى ابن سالم وفي يده خبز وتمر فقال له ابدا بالتمر
فان قامت كفايتك به والا اخذت بعده من الخبز حاجتك ومهما وجد طعاما غليظا ولطيفا
فليقدم اللطيف فانه لا يشتهي الغليظ بعده ولو قدم الغليظ لاكل اللطيف ايضا للطافته وكان
بعضهم يقول لاصحابه لا تاكلوا الشهوات فان اكلتم فلا تطلبوها فان طلبتموها فلا تاكلوها ولا
تحبوها وطلب بعض انواع الخبز شهوة قال ابن عمر ما ياتينا من العراق فاكهة احب الينا من الخبز
فراى ذلك الخبز فاكهة وعلى الجملة لا سبيل الى اهمال الشهوات في المباحات واتباعها بكل حال
وبقدر ما يستوفي الانسان من شهوته يخشى عليه ان يقال له اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا وبقدر
ما يجاهد نفسه ويترك شهوة يتمتع في الاخرة بشهواته قال بعض اهل البصرة نازعتني نفسي خبز
ارز وسمكا فمنعتها فقويت مطالبتها واشتدت مجاهدتي لها عشرين سنة فلما مات قال بعضهم
رايته في المنام فقلت ماذا فعل الله بك فقال لا احسن اصف لك ما لقاني به ربي عز وجل من النعيم
والكرامة وكان اول شيء استقبلني به خبز ارز وسمك فقال كل شهوتك اليوم هنيئا بغير حساب وقد
قال تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية وكانوا اسلفوا ترك الشهوات ولهذا قال
ابو سليمان ترك شهوة من شهوات النفس انفع للقلب من صيام سنة وقيامها **بيان اختلاف
حكم الجوع وفضيلته باختلاف احوال الناس** اعلم ان المطلوب الاقصى في جميع الاحوال
والاخلاق الوسط اذ خير الامور اوسطها وكلا طرفي قصد الامور ذميم وما اوردناه في فضائل الجوع
ربما يومي الى ان الافراط فيه مطلوب وهيهات ولكن من اسرار حكمة الشريعة ان كل ما يطلب الطبع فيه الطرف
الاقصى وكان فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة في المنع منه على وجه يومي عند الجاهل الى ان المطلوب
مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية الامكان والعالم يدرك ان المقصود الوسط لان الطبع اذا طلب غاية
الشبع فالشرع ينبغي ان يمدح غاية الجوع حتى يكون الطبع باعثا والشرع مانعا فيتقاومان
ويحصل الاعتدال فان من يقدر على قمع الطبع بالكلية بعيد فيعلم انه لا ينتهي الى الغاية فانه ان اسرف
مسرف في مضادة الطبع كان في الشرع ايضا ما يدل على اساءته كما ان الشرع بالغ في الثناء على قيام الليل
وصيام النهار ثم لما علم النبي صلى الله عليه وسلم من حال بعضهم انه يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله نهى

عن ذلك فاذا علمت ذلك فاعلم ان الافضل بالاضافة الى الطبع المعتدل ان ياكل بحيث لا يحس بثقل
المعدة ولا يحس بالم الجوع بل ينسى بطنه فلا يؤثر فيه اصلا فان مقصود الاكل بقاء الحياة وقوة العبادة
وثقل الطعام يمنع من العبادة والم الجوع ايضا يشغل القلب ويمنع منها فالمقصود ان ياكل اكلا
لا يمنع ولا يبقى للاكل فيه اثر ليكون متشبها بالملائكة فانهم مقدسون عن ثقل الطعام وعن الم
الجوع وغاية الانسان الاقتداء بهم واذ لم يكن للانسان خلاص من الشبع والجوع فابعد الاحوال عن
الطرفين الوسط وهو الاعتدال ومثال طلب الادمي البعد عن هذه الاطراف المتقابلة
بالرجوع الى الوسط مثال نملة القيت في وسط حلقة محماة على النار مطروحة على الارض فان النملة
تهرب من حرارة الحلقة وهي محيطة بها لا تقدر على الخروج فلا تزال تهرب حتى تستقر على المركز الذي
هو الوسط ولو ماتت ماتت على الوسط لان الوسط هو ابعد المواضع عن الحرارة التي في الحلقة
المحيطة فكذلك الشهوات محيطة بالانسان احاطة تلك الحلقة بالنملة والملائكة خارجون
عن الحلقة ولا مطمع للانسان في الخروج وهو يريد ان يتشبه بالملائكة في الخلاص فاشبه
احواله بهم البعد وابعد المواضع عن الاطراف الوسط فصار الوسط مطلوبا في جميع هذه الاحوال
المتقابلة وعنه عبر قوله صلى الله عليه وسلم خير الامور اوساطها واليه اشار قوله تعالى وكلوا واشربوا ولا
تسرفوا انه لا يحب المسرفين ومهما لم يحس الانسان بجوع ولا شبع تيسرت له العبادة والفكر وخف
في نفسه وقوي على العمل مع خفته ولكن هذا بعد اعتدال الطبع اما في بداية الامر اذا كانت النفس
جموحا متشوقة الى الشهوات مائلة الى الافراط فالاعتدال لا ينفعها بل لا بد من المبالغة في ايلامها بالجوع كما
يبالغ في ايلام الدابة التي ليست مروضة بالجوع والضرب وغيره الى ان تعتدل فاذا ارتاضت واستوت
رجعت الى الاعتدال وترك تعذيبها وايلامها وعن هذا السر يامر الشيخ مريده بما لا يتعاطاه
في نفسه فيامره بالجوع وهو لا يجوع ويامره بترك الشهوات والفواكه وقد لا يمتنع هو منها لانه قد فرغ من
تاديب نفسه واستغنى عن التعذيب ولما كان اغلب احوال النفس الشره والشهوة والجماح عن
العبادة كان الاصلح لها الجوع الذي يحس بالمه في اكثر الاحوال والمقصود ان ينكسر ليعتدل بعد ذلك
في الغذاء الى الاعتدال وانما يمتنع عن ملازمة الجوع من سالكي طريق الاخرة اما صديق واما مغرور احمق
فاما الصديق فلاستقامة نفسه على الصراط المستقيم واستغنائه عن ان يساق بسياط الجوع
الى الحق واما المغرور فلظنه بنفسه انه الصديق المستغني عن تاديب نفسه الظان بنفسه خيرا
وهذا غرور عظيم وهو الغالب فان النفس قلما تتادب تاديبا كاملا وكثيرا ما تغتر فتنظر
الى الصديق ومسامحته نفسه في ذلك فيسامح نفسه كالمريض ينظر الى من صح من مرضه فيتناول
ما يتناوله ويظن بنفسه الصحة حتى يهلك والذي يدل على ان تقدير الطعام بمقدار يسير ووقت
مخصوص ونوع مخصوص ليس مقصودا في نفسه وانما هو مجاهدة نفس متباعدة عن الحق غير
بالغة رتبة الكمال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له تقدير وتوقيت لطعامه قالت عائشة
رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم
وكان يدخل على اهله فيقول هل عندكم من شيء فان قالوا نعم اكل وان قالوا لا قال اني اذن صائم وقد
كان يقدم اليه الشيء فيقول اما اني كنت اردت الصوم ثم ياكل وخرج صلى الله عليه وسلم يوما وقال
اني صائم فقالت عائشة رضي الله عنها قد اهدي الينا حيس فقال اما اني كنت اردت الصوم

لكن ويرويه وكذلك حكي ان سهل قيل له كيف كنت في بدايتك فاخبر بضروب من الرياضات منها انه كان يقتات بورق النبق مدة ومنها انه اكل دقاق التبن مدة ثلاث سنين ثم ذكر انه اقتات بثلاثة دراهم في ثلاث سنين فقيل له كيف انت في وقتك فقال اكل بلا حد ولا توقيت وليس المراد بقوله بلا حد اني اكل كثيرا بل اني لا اقدر بقدر واحد ما اكله وقد كان معروف الكرخي رحمه الله يهدى اليه طيبات الطعام فيقال له ان اخاك بشرا لا ياكل من هذا فيقول ان اخي بشرا قبضه الورع وانا بسطتني المعرفة ثم قال انما انا ضيف في دار مولاي اذا اطعمني اكلت واذا جوعني صبرت مالي والاعتراض والتمييز ودفع ابراهيم بن ادهم الى بعض اخوانه دراهم فقال خذ لنا بهذه زبدا وعسلا وخبزا حواريا فقال يا ابا اسحق بهذا كله فقال ويحك اذا وجدنا اكلنا اكل الرجال واذا عدمنا صبرنا صبر الرجال واصلح ذات يوم طعاما فاكثر ودعا نفرا فيهم الاوزاعي والثوري فقال له الثوري اما تخاف ان يكون هذا اسرافا فقال ليس في الطعام اسراف انما الاسراف في اللباس والاثاث فالذي اخذ العلم من السماع و النقل تقليدا يرى هذا من ابراهيم بن ادهم ويسمع من مالك بن دينار انه قال ما دخل الملح بيتي منذ عشرين سنة ومن سري السقطي انه قال لي منذ اربعين سنة اشتهي ان اغمس جزرة في دبس فما افعل فيراه متناقضا او متحيرا ويقطع بان احدهما مخطئ والبصير باسرار العلم يرى ويعلم ان كل ذلك حق ولكن بالاضافة الى اختلاف الاحوال ثم هذه الاحوال المختلفة يسمعها فطن محتاط وغبي مغرور فيقول المحتاط ما انا من جملة العارفين حتى اسامح نفسي فليس ينبغي ان اطوع من نفسي من سري السقطي و مالك بن دينار وهما من المتمنعين من الشهوات فيقتدي بهم والمغرور يقول وما نفسي باعصى علي من نفس معروف الكرخي وابراهيم بن ادهم فاقتدي بهم وارفع التقدير عن ماكولي فانا ايضا ضيف في دار مولاي فما لي والاعتراض ثم انه لو قصر احد في حقه وفي توقيره او في ماله وجاهه بطريقة واحدة فانه يتسع عليه القيامة واشتغل بالاعتراض وهذا مجال رحب للشيطان مع الحمقى بل رفع التقدير في الطعام والصيام واكل الشهوات لا يسلم الا لمن ينظر من مشكاة الولاية والنبوة فيكون بينه وبين الله تعالى علامة في استرساله وانقباضه ولا يكون ذلك الا بعد خروج النفس عن طاعة الهوى والعادة بالكلية حتى يكون اكله اذا اكل على نية كما يكون امساكه على نية فيكون عاملا لله في اكله وافطاره وينبغي ان يتعلم الحزم من عمر رضي الله عنه فانه كان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العسل و ياكله ثم لم يقس نفسه عليه بل لما عرض عليه ماء بارد بعسل جعل يدير الاناء في كفه ويقول اشربها فتذهب حلاوتها وتبقى تبعتها اعزلوا عني حسابها وتركها وهذه اسرار لا ينبغي ان يكاشف الشيخ بها مريده بل يقتصر على مدح الجوع ولا يدعوه الى الاعتدال فانه يقصر لا محالة عما يدعوه اليه فينبغي ان يدعوه الى غاية الجوع حتى يتيسر له الاعتدال ولا يذكر له ان العارف الكامل مستغن عن الرياضة فان الشيطان يجد متعلقا من قلبه فيلقي اليه كل ساعة انك عارف كامل وما الذي فاتك من المعرفة والكمال بل كان من عادة ابراهيم بن ادهم وابراهيم الخواص ان يخوض مع المريد في كل رياضة كان يامره بها كي لا يخطر بباله ان الشيخ كان يامره بما لا يفعله فينفره ذلك عن رياضته والقوي اذا اشتغل بالرياضة واصلاح الغير لزمه النزول الى حد الضعفاء تشبها بهم وتلطفا في سياقتهم الى السعادة وهذا ابتلاء عظيم للانبياء والاولياء واذا كان حد الاعتدال خفيا في حق كل شخص فالحزم والاحتياط ينبغي ان لا يترك في كل حال ولذلك ادب عمر ولده عبد الله رضي الله عنهما اذ دخل عليه فوجده ياكل لحما مأدوما بسمن فعلاه بالدرة وقال لا ام لك كل يوما خبزا ولحما ويوما خبزا ولبنا

ويوما خبزا وسمنا ويوما خبزا وزيتا ويوما خبزا وملحا ويوما خبزا قفارا وهذا هو الاعتدال فاما المواظبة على اللحم والشهوات فافراط واسراف ومهاجرة اللحم رأسا تفريط وهذا قوام بين ذلك

بيان آفة الرياء المتطرق الى من ترك اكل الشهوات او قلل الاكل

اعلم انه يدخل على تارك الشهوات آفتان عظيمتان اعظم من الشهوات **احداهما** ان لا تقدر النفس على ترك بعض الشهوات فيشتهيها ولكن لا يريد ان يعرف بانه يشتهيها فيخفي الشهوة ويأكل في الخلوة ما لا ياكل في الجماعة وهذه آفة عظيمة بل حق العبد اذا ابتلي بالشهوات وحبها ان يظهرها فان هذا هو صدق الحال وهو بدل عن فوات المجاهدة بالاعمال فان اخفاها بالنقص واظهار ضده من الكمال هو نقصان متضاعفان والكذب مع الاخفاء كذبان فيكون مستحقا لمقتين ولا يرضى منه الا بتوبتين ولذلك شدد امر المنافقين فقال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار لان الكافر كفر واظهر وهذا كفر وستر فكان ستره لكفره كفرا آخر لانه استخف بنظر الله الى قلبه وعظم نظر المخلوقين فمحى الكفر عن ظاهره فالعارفون يبتلون بالشهوات بل بالمعاصي ولا يبتلون بالرياء والغش والاخفاء بل كمال العارف ان يترك الشهوات لله ويظهر من نفسه الشهوة اسقاطا لمنزلته عن قلب الخلق وقد كان بعضهم يشتري الشهوات ويعلقها في بيته وهو فيها من الزاهدين ولكن ينبغي ان يلبس حاله ليصرف عن نفسه قلوب الغافلين حتى لا يشوش عليه حاله فنهاية الزهد الزهد في الزهد باظهار ضده فهذا عمل الصديقين فانه جمع بين صدقين كما ان الاول جمع بين كذبين فهذا قد حمل على النفس ثقلين وجرعها كاس الصبر مرة بعد مرة ومرة بعد اخرى فلا جرم انهم يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا وهذا الطريق من ياخذ ما يعطى جهرا ويأخذ ويرد سرا ليكسر نفسه بالذل جهرا وبالفقر سرا فمن فاته هذا فلا ينبغي ان يفوته اظهار شهوته ونقصانه والصدق فيه ولا ينبغي ان يغره قول الشيطان انك اذا اظهرت اقتدى بك غيرك فاستره اصلاحا لغيرك لانه لو قصد اصلاح الغير لكان اصلاح نفسه اهم عليه من غيره فهو انما يقصد الرياء المجرد ويروجه عليه الشيطان في معرض اصلاح غيره ولذلك لا يثقل عليه ظهور ذلك منه وان علم ان من اطلع عليه ليس يقتدي به في الفعل ولا ينزجر باعتقاده انه تارك الشهوات **الآفة الثانية** ان يقدر على ترك الشهوات ولكن يفرح بان يعرف به ويشتهر بالتعفف عن الشهوات فقد خالف شهوة ضعيفة وهي شهوة الاكل واطاع شهوة هي شر منها وهي شهوة الجاه وتلك هي الشهوة الخفية فمهما احس بذلك من نفسه فكسر هذه الشهوة اهم من كسر شهوة الطعام فليأكل فهو اولى له قال ابو سليمان اذا قدمت اليك شهوة وقد كنت تاركا لها فاصب منها شيئا يسيرا ولا تعط نفسك مشتهاها فتكون قد اسقطت عن نفسك الشهوة وتكون قد نغصت على نفسك اذ لم تعطها شهوتها وكان جعفر بن محمد الصادق عليه السلام اذا قدمت اليه شهوة نظرت الى نفسي فان اظهرت شهوتها اطعمتها منها وكان ذلك افضل من منعها وان اخفت شهوتها واظهرت العزوف عنها عاقبتها بالترك ولم انلها منها شيئا وهذا طريق في عقوبة النفس على هذه الشهوة الخفية وبالجملة من ترك شهوة الطعام ووقع في شهوة الرياء كان كمن هرب من عقرب وفزع الى حية لان شهوة الرياء اضر كثيرا من شهوة الطعام

القول في شهوة الفرج

اعلم ان شهوة الوقاع سلطت على الانسان لفائدتين **احدهما** ان يدرك لذته فيقيس به لذات الآخرة فان لذة الوقاع لو دامت لكانت اقوى لذات الاجساد كما ان النار والمها اعظم آلام الجسد والترغيب والترهيب يسوق الخلق الى سعادتهم وليس ذلك الا بألم محسوس ولذة محسوسة تدرك فان ما لم يدرك بالذوق لا يعظم اليه الشوق **الفائدة الثانية**

بقاء النسل ودوام الوجود فهذه فائدتها ولكن فيها من الآفات ما يهلك الدين والدنيا ان لم يضبط ولم يقهر ولم
ترد الى حد الاعتدال وقد قيل في قوله تعالى ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به معناه الغلمة وعن ابن عباس رضي
الله عنهما في قوله تعالى ومن شر غاسق اذا وقب قال هو قيام الذكر وقد اسنده بعض الرواة الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم الا انه قال في تفسيره الذكر اذا دخل وقد قيل اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وكان
عليه الصلاة والسلام يقول اللهم اني اعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي ومني وقال عليه
السلام النساء حبائل الشيطان ولولا هذه الشهوة لما كان للنساء سلطنة على الرجال **وروي** ان موسى عليه
السلام كان جالسا في بعض مجالسه اذ اقبل اليه ابليس وعليه برنس يتلون فيه الوانا فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه
ثم اتاه فقال السلام عليك فقال موسى من انت قال انا ابليس فقال لا حياك الله ما جاء بك قال جئت لاسلم
عليك لمنزلتك من الله ومكانك منه قال فما الذي رأيت عليك قال به اختطف قلوب بني آدم قال
فما الذي اذا صنعه الانسان استحوذت عليه قال اذا اعجبته نفسه واستكثر عمله ونسي ذنوبه
واحذرك ثلاثا لا تخل بامرأة لا تحل لك فانه ما خلا رجل بامرأة لا تحل له الا كنت صاحبه دون اصحابي
حتى افتنه بها ولا تعاهد الله عهدا الا وفيت به ولا تخرجن صدقة الا امضيتها فانه ما اخرج رجل
صدقة فلم يمضها الا كنت صاحبه دون اصحابي حتى احول بينه وبين الوفاء بها ثم ولى وهو يقول يا ويلتا
علم موسى ما يحذر به بني آدم **وعن سعيد بن المسيب** قال ما بعث الله نبيا فيما خلا الا لم ييأس ابليس
ان يهلكه بالنساء ولا شيء اخوف عندي منهن وما بالمدينة بيت ادخله الا بيتي وبيت ابنتي اغتسل فيه يوم
الجمعة ثم اروح وقال بعضهم ان الشيطان يقول للمرأة انت نصف جندي وانت سهمي الذي ارمي به
فلا اخطي وانت موضع سري وانت رسولي في حاجتي فنصف جنده الشهوة ونصفه الغضب واعظم
الشهوة شهوة النساء وهذه الشهوة ايضا لها افراط وتفريط واعتدال فالافراط ما يقهر العقل حتى يصرف همة
الرجال الى التمتع بالنساء والجواري فيحرم عن سلوك طريق الآخرة او يقهر الدين حتى يجر الى اقتحام الفواحش
وقد ينتهي افراطها بطائفة الى امرين شنيعين احدهما ان يتناولوا ما يقوي شهوتهم للاستكثار من الوقاع
كما قد يتناول بعض الناس ادوية تقوي المعدة لتعظم شهوتها للطعام وما مثال ذلك الا كمن يبلى
بسباع ضارية وحيات عادية فتنام عنه في بعض الاوقات فيحتال لاثارتها وتهييجها ثم يشتغل
بعلاجها واصلاحها فان شهوة الطعام والوقاع على التحقيق آلام يريد الانسان الخلاص منها فيدرك
لذة بسبب الخلاص منها فان قلت فقد روي في غريب الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال
شكوت الى جبريل ضعف الوقاع فامرني بالهريسة فاعلم انه كانت تحته تسع نسوة ووجب عليه تحصينهن
بالامتاع وحرم على غيره نكاحهن وان طلقهن فكان طلبه القوة لهذا لا للتنعم والامر **الثاني** انه
قد تنتهي هذه الشهوة ببعض الضلال الى العشق وهو غاية الجهل بما وضع له الوقاع وهو مجاوزة في
البهيمية لحد البهائم لان المتعشق ليس يقنع باراقة شهوة الوقاع وهي اقبح الشهوات واجدرها
بان يستحيى منه حتى اعتقد ان الشهوة لا تنقضي الا من محل واحد والبهيمة تقضي الشهوة اين
اتفق فيكتفي به وهذا لا يكتفي الا بواحد معين حتى يزداد به ذلا الى ذل وعبودية الى عبودية و
حتى يستسخر العقل لخدمة الشهوة وقد خلق ليكون مطاعا لا ليكون خادما للشهوة محتالا لاجلها
وما العشق الا منبعه افراط الشهوة وهو مرض قلب فارغ لا همة له وانما يجب الاحتراز من اوائله
بترك معاودة النظر والفكر والا فاذا استحكم عسر دفعه وكذلك عشق الجاه والمال والعقار و

والاولاد حتى حب اللعب بالطيور والنرد والشطرنج فان هذه الامور قد تستولي على طائفة بحيث
ينغص عليهم الدين والدنيا ولا يصبرون عنها البتة ومثال من يكسر العشق في اول انبعاثه مثال
من يصرف عنان الدابة عند توجهها الى باب ليدخله وما اهون منعها بصرف عنانها ومثال من
يعالجها بعد استحكامها مثال من يترك الدابة حتى تدخل وتجاوز الباب ثم ياخذ بذنبها ويجرها
الى ورائها وما اعظم التفاوت بين الامرين في اليسر والعسر فليكن الاحتياط في بدايات الامور فاما
اواخرها فلا تقبل العلاج الا بجهد شديد يكاد يوازي نزع الروح فاذا افراط الشهوة ان
يغلب العقل الى هذا الحد وهو مذموم جدا وتفريطها بالعنة او بالضعف عن امتاع المنكوحة
وهو ايضا مذموم وانما المحمود ان تكون معتدلة ومطيعة للعقل والشرع في انبساطها وانقباضها
ومهما افرطت فكسرها بالجوع او بالنكاح قال صلى الله عليه وسلم معاشر الشباب عليكم بالباءة فمن لم يستطع
فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء

بيان ما على المريد في ترك التزويج وفعله

اعلم ان
المريد في ابتداء امره لا ينبغي ان يشغل نفسه بالتزويج فان ذلك شغل شاغل يمنعه عن السلوك
ويستجره الى الانس بالزوجة ومن انس بغير الله شغل عن الله ولا يغرنه كثرة نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم فان
النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يشغل قلبه عن الله تعالى جميع ما في الدنيا فلا تقاس الملائكة بالحدادين
ولذلك قال ابو سليمان الداراني من تزوج فقد ركن الى الدنيا وقال ما رأيت مريدا تزوج فثبت
على ما كان عليه وقيل له مرة ما احوجك الى امرأة تستانس بها فقال لا آنسني الله بها اي ان الانس بها يمنع الانس
بالله تعالى وقال ايضا كل ما شغلك عن الله من اهل ومال وولد فهو عليك مشؤوم وكيف يقاس غيره برسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد كان استغراقه بحب الله تعالى بحيث كان يجد احتراقه فيه الى حد كان
يخشى في بعض الاحوال ان يسري ذلك الى قالبه فيهدمه فلذلك كان يضرب بيده على فخذ عائشة رضي
الله عنها احيانا ويقول كلميني يا عائشة لتشغله بكلامها عن عظيم ما هو فيه لقصور طاقة قالبه
عنه وقد كان طبعه الانس بالله وكان انسه بالخلق عارضا رفقا ببدنه ثم كان لا يطيق الصبر مع الخلق
اذا جالسهم واذا ضاق صدره قال ارحنا بها يا بلال حتى يعود الى ما هو قرة عينه فالضعيف
اذا لاحظ احواله في مثل هذا فهو مغرور لان الافهام تقصر عن الوقوف على اسرار افعاله صلى الله عليه وسلم
فشرط المريد العزوبة في الابتداء الى ان يقوى في المعرفة وهذا اذا لم تغلبه الشهوة اما اذا غلبته فليكسرها
بالجوع الطويل والصوم الدائم فان لم تنقمع الشهوة بذلك وكان بحيث لا يقدر على حفظ العين مثلا
وان قدر على حفظ الفرج فالنكاح له اولى لتسكن الشهوة والا فمهما لم يحفظ عينه لم يحفظ فكره و
يتفرق همه وربما يقع في بلية لا يطيقها وزنا العين من كبار الصغائر وهي تؤدي على القرب الى الكبيرة
الفاحشة وهي زنا الفرج ومن لم يقدر على غض بصره لم يقدر على حفظ دينه قال عيسى عليه السلام
النظرة تزرع في القلب شهوة وكفى بها فتنة **وقال** سعيد بن جبير انما كانت فتنة داود
من اجل نظرة قال داود لابنه عليهما السلام يا بني امش خلف الاسد والاسود ولا تمش خلف المرأة وقيل
ليحيى بن زكريا عليهما السلام ما بدء الزنا قال النظر والتمني وقال الفضيل يقول ابليس هو قوسي القديمة
وسهمي الذي لا اخطئ به يعني النظر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم النظرة سهم مسموم من سهام
ابليس فمن تركها خوفا من الله اعطاه الله ايمانا يجد حلاوته في قلبه وقال صلى الله عليه وسلم اتقوا فتنة
الدنيا وفتنة النساء فان اول فتنة بني اسرائيل كانت من النساء وقال صلى الله عليه وسلم ما تركت بعدي

فتنة اضر على الرجال من النسا وقال تعالى قل للمومنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم الاية وقال
صلى الله عليه وسلم لكل ابن ادم حظه من الزنا فالعينان تزنيان وزناهما النظر واليدان تزنيان وزناهما
البطش والرجلان تزنيان وزناهما المشي والفم يزني وزناه القبل والقلب يهم او يتمنى ويصدق
ذلك الفرج او يكذبه وقالت ام سلمة استاذن ابن ام مكتوم الاعمى وانا وميمونة جالستان فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجبا فقلنا اليس اعمى لا يبصرنا فقال وانتما لا تبصرانه وهذا يدل على
انه لا يجوز للنسا مجالسة العميان كما جرت العادة به في الماتم والولايم فيحرم على الاعمى الخلوة بالنسا ويحرم
على المراة مجالسة الاعمى وتحديق النظر اليه لغير حاجة وانما جوز للنسا محادثة الرجال والنظر
اليهم لاجل عموم الحاجة وان قدر على حفظ عينه من النسا ولم يقدر على حفظها عن الصبيان فالنكاح
اولى به فان الشر في الصبيان اكثر فانه لو مال قلبه الى المراة امكنه الوصول الى استباحتها بالنكاح
والنظر الى وجه الصبي بشهوة حرام بل كل من يتاثر قلبه بجمال صورة الامرد بحيث يدرك التفرقة بينه
وبين الملتحي لا يحل له النظر فان قلت كل ذي حس يدرك التفرقة بين الجميل والقبيح لا محالة ولم
تزل وجوه الصبيان مكشوفة فاقول لست اعني تفرقة العين فقط بل ينبغي ان يكون ادراكه
التفرقة كادراكه التفرقة بين شجرة خضرا وشجرة يابسة وما صاف وما كدر وشجرة عليها ازهارها
وشجرة تساقطت اوراقها فانه يميل الى احديهما بعينه وطبعه ولكن ميلا خاليا عن الشهوة وكذلك
لا تشتهي ملامسة الازهار والانوار وتقبيلها ولا تقبيل الما الصافي وكذلك الشيبة الحسنة قد
تميل العين اليها وتدرك التفرقة بينها وبين الوجه القبيح ولكنها تفرقة لا شهوة فيها ويعرف ذلك
بميل النفس الى القرب والملامسة فمهما وجد ذلك الميل في قلبه وادرك تفرقة بين الوجه الجميل
وبين النبات الحسن والابواب المنقشة والسقوف المزخرفة فنظره نظر شهوة وهو حرام وهذا مما
يتهاونون به الناس ويجرهم ذلك الى المعاطب وهم لا يشعرون وقال بعض التابعين ما انا باخوف
على الشاب الناسك من سبع ضار من غلام امرد يجلس اليه وقال سفيان لو ان رجلا عبث بغلام بين
اصبعين من اصابع رجليه يريد الشهوة لكان لوطا وعن بعض السلف قال سيكون في هذه الامة ثلاثة
اصناف لوطيون صنف ينظرون وصنف يصافحون وصنف يعملون فاذن افة النظر الى الاحداث
عظيمة فمهما عجز المريد عن غض بصره وضبط فكره فالصواب له ان يكسر شهوته بالنكاح فرب نفس
لا تسكن توقانها بالجوع قال بعضهم غلبت علي شهوتي في بدء ارادتي بما لم اطق فاكثرت الضجيج الى
الله تعالى فرايت شخصا في المنام فقال ما لك فشكوت اليه فقال تقدم الي فتقدمت اليه فوضع
يده على صدري فوجدت بردها في فوادي وجميع جسدي فاصبحت وقد زال عني ما كان
بي فبقيت معافى سنة ثم عاودني ذلك فاكثرت الاستغاثة فجاءني شخص في المنام فقال اتحب ان
يذهب ما تجد واضرب عنقك قلت نعم فقال مد رقبتك فمددتها فجرد سيفا من نور وضرب
به عنقي فاصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافى سنة ثم عاودني ذلك او اشد منه فرايت شخصا فيما بين جنبي
بين صدري يخاطبني ويقول ويحك كم تسال الله رفع ما لا يحب رفعه قال فتزوجت فانقطع ذلك عني
وولد لي ومهما احتاج المريد الى النكاح فلا ينبغي ان يترك شرط الارادة في ابتدا النكاح ودوامه اما في ابتدائه
فبالنية الحسنة وفي دوامه بحسن الخلق وسداد السيرة والقيام بالحقوق الواجبة كما فصلنا جميع
ذلك في اداب النكاح فلا نطول باعادته وامارة صدق ارادته ان ينكح فقيرة متدينة ولا يطلب الغنية

قال بعضهم من تزوج غنية كان له منها خمس خصال مغالاة الصداق وتسويف الزفاف وفوت
الخدمة وكثرة النفقة واذا اراد طلاقها لم يقدر خوفا من ذهاب مالها والفقيرة بخلاف ذلك
وقال بعضهم ينبغي ان تكون المراة دون الرجل باربع والا استحقرته بالسن والطول والمال
والحسب وان يكون فوقها باربع بالجمال والادب والخلق والورع وعلامة صدق الارادة في دوام
النكاح الخلق الحسن تزوج بعض المريدين امراة فلم يزل يخدمها حتى استحيت المراة وشكت الى
ابيها فقالت قد تحيرت في هذا الرجل انا في منزله منذ سنين ما ذهبت الى الخلا قط الا وحمل الما
قبلي اليه وتزوج بعضهم امراة ذات جمال فلما قرب زفافها اصابت المراة جدري فاشتدت
حزن اهلها لذلك خشية ان يستقبحها فاراهم الرجل انه قد اصابه رمد ثم اظهر ان بصره ذهب حتى زفت
اليه المراة فزال عن اهلها ذلك الحزن فبقيت معه عشرين سنة ثم توفيت ففتح عينيه فقيل له
في ذلك فقال تعمدته لاجل اهلها حتى لا يحزنوا فقيل له قد سبقت اخوانك بهذا الخلق وتزوج
بعض الصوفية امراة سيئة الخلق فكان يصبر عليها فقيل له لم لا تطلقها فقال اخشى ان يتزوجها
من لا يصبر على خلقها فيتاذى بها فان نكح المريد فهكذا ينبغي ان يكون وان قدر على الترك فهو اولى
اذا لم يمكنه الجمع بين فضل النكاح وسلوك الطريق وعلم ان ذلك يشغله عن حاله كما روي ان محمد بن
سليمان الهاشمي وكان يملك غلة ثمانين الف درهم في كل يوم فكتب الى اهل البصرة وعلمائهم في امراة يتزوجها
فاجمعوا كلهم على رابعة العدوية رحمها الله فكتب اليها بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فان الله تعالى قد
ملكني من غلة الدنيا في كل يوم ثمانين الف درهم وليس يمضي الايام والليالي حتى اتمها مائة الف وانا
اصير لك مثلها ومثلها فاجيبيني فكتبت اليه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فان الزهد في الدنيا راحة
البدن والرغبة فيها تورث الهم والحزن فاذا اتاك كتابي هذا فهيئ زادك وقدم لمعادك وكن وصي
نفسك ولا تجعل الرجال اوصياءك فيقتسموا تراثك وصم الدهر واجعل فطرك الموت واما انا فلو خولني
الله عز وجل اضعاف ما خولك واضعافه ما سرني ان اشتغل عن الله عز وجل طرفة عين وهذا اشارة الى
ان كل ما يشغل عن الله فهو نقصان فلينظر المريد الى حاله وقلبه فان وجده في العزوبة فهو الاقرب فان عجز
فالنكاح اولى به ودوا هذه العلة ثلاثة امور الجوع وغض البصر والاشتغال بشغل يستولي على القلب
فان لم ينفع هذه الثلاثة فالنكاح هو الذي يستاصلها دونها فقط ولهذا كان السلف يبادرون الى
النكاح والى تزويج البنات قال سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من احد الا اتاه من قبل النسا و
قال سعيد وهو ابن اربع وثمانين سنة وقد ذهبت احدى عينيه وهو يعشو بالاخرى ما شي اخوف عندي
من النسا وعن عبد الله بن ابي وداعة قال كنت اجالس سعيد بن المسيب ففقدني اياما فلما جئته
قال اين كنت فقلت توفيت اهلي فاشتغلت بها فقال الا اخبرتنا فشهدناها قال ثم اردت ان اقوم
فقال هل استحدثت امراة فقلت يرحمك الله ومن يزوجني وما املك الا درهمين او ثلاثة فقال انا فقلت
وتفعل قال نعم ثم حمد الله وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وزوجني على درهمين او قال ثلاثة فقمت وما ادري
ما اصنع من الفرح فصرت الى منزلي وجعلت افكر ممن اخذ وممن استدين فصليت المغرب وانصرفت
الى منزلي واسرجت وكنت وحدي صائما فقدمت عشائي افطر عليه وكان خبزا وزيتا واذا بابي يقرع
فقلت من هذا فقال سعيد فافكرت في كل انسان اسمه سعيد الا سعيد بن المسيب فانه لم ير اربعين
سنة الا بين بيته والمسجد فقمت فخرجت فاذا سعيد بن المسيب فظننت انه قد بدا له فقلت يا ابا محمد

الا ارسلت الي فاتيتك قال لانت احق ان تؤتى قال فقلت فما تامرني قال انك كنت رجلا عزبا فتزوجت فكرهت
ان ابيتك الليلة وحدك وهذه امراتك فاذا هي قائمة خلفه في طوله ثم اخذ بيدها فدفعها في
الباب ورد الباب فسقطت المراة من الحيا فاستوثقت من الباب ثم تقدمت الي القصعة التي
فيها الزيت والخبز فوضعتها في ظل السراج لكي لا تراه ثم صعدت الي السطح فرميت الجيران فجاوني فقالوا
ما شانك قلت ويحكم زوجني سعيد بن المسيب ابنته اليوم وقد جاء بها الليلة على غفلة فقالوا
سعيد زوجك قلت نعم وهي ذا هي في الدار فنزلوا اليها وبلغ ذلك امي فجاءت فقالت وجهي
من وجهك حرام ان مسستها قبل ان اصلحها الي ثلثة ايام قال فاقمت ثلاثا ثم دخلت بها فاذا هي
من اجمل الناس واذا هي احفظ الناس لكتاب الله واعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واعرفهم
بحق الزوج قال فمكثت شهرا لا ياتيني ولا اتيه فلما كان قرب الشهر اتيت سعيدا وهو في حلقته
فسلمت عليه فرد علي السلام ولم يكلمني حتى تفرق اهل المجلس فقال ما حال ذلك الانسان
فقلت خير يا ابا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو قال ان رابك شي فالعصا قال فانصرفت
الي منزلي فوجه الي بعشرين الف درهم قال عبد الله بن سليمان وكانت بنت سعيد بن المسيب خطبها عبد
الملك بن مروان لابنه الوليد عبد الملك حين ولاه العهد فابى سعيد ان يزوجها له فلم يزل عبد الملك
حين ولاه العهد يحتال على سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد وصب عليه جرة ماء والبسه
جبة صوف فاستعجال سعيد في الزفاف تلك الليلة يعرفك غائلة الشهوة ووجوب المبادرة
في الدين الي تطفئه نارها بالنكاح **بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين** اعلم ان
هذه الشهوات اغلب الشهوات على الانسان واعصاها عند الهيجان على العقل الا ان مقتضاها مستقبح
يستحيى ويخشى من اقتحامه وامتناع اكثر الناس عن مقتضاها اما لعجز او لخوف او لحياء او لمحافظة
على حشمة وليس في شي من ذلك ثواب فانه ايثار حظ من حظوظ النفس على حظ اخر نعم من العصمة ان لا
يقدر ففي هذه العوائق **فائدة** وهو دفع الاثم فان من ترك الزنا اندفع عنه اثمه باي سبب كان تركه
وانما الفضل والثواب الجزيل في تركه خوفا من الله تعالى مع القدرة وارتفاع الموانع وتيسر الاسباب
لا سيما عند صدق الشهوة وهذه درجة الصديقين ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله وعد منهم رجلا دعته امراة ذات حسن وجمال الى نفسها فقال
اني اخاف الله رب العالمين وقصة يوسف وامتناعه من زليخا مع القدرة مع رغبتها فهي معروفة
وقد اثنى الله تعالى عليه بذلك في كتابه وهو امام كل من وفق لمجاهدة النفس ومجاهدة الشيطان
في هذه الشهوة العظيمة **روي ان سليمان** بن يسار كان من احسن الناس وجها فدخلت عليه امراة
فسالته نفسه فامتنع عليها وخرج هاربا عن منزله وتركها فيه قال سليمان فرايت في المنام يوسف
عليه السلام وكاني اقول له انت يوسف قال نعم انا يوسف الذي هممت وانت سليمان الذي لم تهم
اشار الي قوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه **وعن سليمان ايضا** ما هو اعجب
من هذا وهو انه خرج حاجا من المدينة ومعه رفيق له حتى نزلوا بالابواء فقام رفيقه واخذ السفرة
وانطلق الي السوق يبتاع شيئا وقعد سليمان في الخيمة وكان من اجمل الناس وجها واورع الناس
فبصرت به اعرابية من قلة الجبل فلما رات جماله وحسنه انحدرت وعليها البرقع والقفازان فوقفت
بين يديه واسفرت عن وجهها لها كانه فلقة قمر فقالت اهنئني فظن انها تريد طعاما فقام الى فضلة

السفرة ليعطيها فقالت لست اريد هذا انما اريد ما يكون من الرجل الى اهله فقال جهزك الي ابليس ثم
وضع راسه بين كميه واخذ في النحيب فلم يزل يبكي فلما رات ذلك منه سدلت البرقع على وجهها ورجعت
راجعة حتى رجعت الي خيمتها فجاء رفيقه وقد ابتاع ما يرتفقان به فلما راه وقد انتفخت عيناه من البكاء وانقطع حلقه
فقال ما يبكيك فقال خير ذكرت صبيتي فقال لا الا ان لك قصة انما عهدك بصبيتك منذ ثلاث
او نحوها فلم يزل به رفيقه حتى اخبره بشان الاعرابية فوضع السفرة وجعل يبكي بكاء شديدا فقال
له سليمان وانت ما يبكيك قال انا احق بالبكاء منك لاني اخشى ان لو كنت مكانك
لما صبرت عنها فلم يزالا يبكيان فلما انتهى سليمان الي مكة وطاف وسعى اتى الحجر واحتبى بثوبه فنعس
فاذا رجل وسيم جميل طوال له شارة حسنة ورائحة طيبة فقال له سليمان من انت رحمك الله قال انا يوسف
قال يوسف الصديق قال نعم قال فان في شانك وشان امراة العزيز لشانا عجيبا فقال له يوسف
شانك وشان صاحبة الابواء اعجب **وروي عن عبد الله** بن عمر قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى اواهم المبيت الي غار فدخلوه فانحدرت
عليهم صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا انه لا ينجيكم من هذه الصخرة الا ان تدعوا بصالح
اعمالكم فقال رجل منهم اللهم كان لي ابوان شيخان كبيران وكنت لا اغبق قبلهما اهلا ولا مالا
فناى بي طلب الشجر يوما فلم ارح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت
ان اغبق قبلهما اهلا او مالا فلبثت والقدح على يدي انتظر استيقاظهما حتى طلع الفجر والصبية
يتضاغون عند قدمي فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك
ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منه وقال
الاخر اللهم كانت لي ابنة عم وكانت احب الناس الي فراودتها عن نفسها فامتنعت مني حتى المت
بها سنة من السنين فجاءتني فاعطيتها مائة وعشرين دينارا على ان تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى
اذا قدرت عليها قالت لا احل لك ان تفض الخاتم الا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها
وهي احب الناس الي وتركت الذهب الذي اعطيتها اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج
عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت الصخرة غير انهم لا يستطيعون الخروج منها وقال الثالث
اللهم اني استاجرت اجراء واعطيتهم اجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمرت اجره حتى
كثرت منها الاموال فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله اد الي اجري فقلت كل ما ترى من اجرك من الابل
والبقر والغنم والرقيق فقال يا عبد الله لا تستهزئ بي فقلت اني لا استهزئ بك فاخذه كله
فاستاقه فلم يترك منه شيئا اللهم فان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه من هذه
الصخرة فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون فهذا فضل من تمكن من قضاء هذه الشهوة فعف وتقرب
منه من تمكن من قضاء شهوة العين فان النظر مبدأ الزنا فحفظه مهم وهو عسير من حيث انه قد
يستهان به ولا يعظم الخوف منه والافات كلها تنشا منه والنظرة الاولى اذا لم تقصد لا يؤاخذ بها
قال صلى الله عليه وسلم لك الاولى وعليك الثانية اي النظرة وقال العلاء بن زياد لا تتبع بصرك
رداء المراة فان النظر يجعل في القلب شهوة وقلما يخلو الانسان في ترداده عن وقوع البصر على النساء
والصبيان فمهما تخايل اليه الحسن تقاضى الطبع المعاودة وعنده ينبغي ان يقرر في نفسه ان هذه
المعاودة عين الجهل فانه ان حقق النظر واستحسن ثارت الشهوة وعجز عن الوصول فلا يحصل له الا

العجز وان استمع لم يبلد ذنبه وتالم لاجله قصدا للتلذذ فقد فعل اثما فلا يخلو في كل حالة عن
معصية وعن تالم وتحسر ومهما حفظ العين بهذا الطريق اندفع عن قلبه كثير من الافات فان اخطأت
عينه وحفظ الفرج مع التمكن فذلك يستدعي غاية القوة ونهاية التوفيق روي عن بكر بن
عبد الله المزني ان قصابا اولع بجارية لبعض جيرانه فارسلها اهلها الى حاجة لهم الى قرية اخرى
فتبعها فراودها عن نفسها فقالت لا تفعل فانا اشد حبا لك منك ولكني اخاف الله قال فانت تخافينه
وانا لا اخافه فرجع تائبا فاصابه العطش حتى كاد ينقطع عنقه فاذا هو برسول لبعض انبياء بني
اسرائيل فسأله فقال ما لك قال العطش قال تعال حتى ندعو حتى تظلنا سحابة حتى ندخل القرية فقال
ما لي من عمل فادعو قال فانا ادعو وامن انت فدعا الرسول وامن هو فاظلتهما سحابة حتى انتهيا الى
القرية فاخذ القصاب الى مكانه ومالت السحابة معه فقال له الرسول زعمت ان ليس لك عمل
وانا الذي دعوت وانت الذي امنت فاظلتنا السحابة ثم تبعتك لتخبرني بامرك فاخبره فقال
الرسول ان التائب من الله بمكان ليس احد بمكانه وروي احمد بن ابي سعيد العابد عن ابيه قال
كان عندنا بالكوفة شاب متعبد ملازم لمسجد الجامع لا يكاد يخلو منه وكان حسن الوجه حسن القامة
وحسن السمت فنظرت اليه امرأة ذات جمال وعقل فشغفت به وطال ذلك عليها فلما كان ذات يوم
وقفت له على طريقه وهو يريد المسجد فقالت له يا فتى اسمع مني كلمات اكلمك بها ثم اعمل ما شئت فمضى
ولم يكلمها ثم وقفت له بعد ذلك على طريقه وهو يريد منزله فقالت يا فتى اسمع مني كلمات اكلمك بها
قال فاطرق مليا وقال هذا موقف تهمة وانا اكره ان اكون للتهمة موضعا فقالت والله ما وقفت
موقفي هذا جهالة بامرك ولكن معاذ الله ان يتشوف العباد الى مثل هذا مني والذي حملني على ان لقيتك
في هذا الامر بنفسي لمعرفتي ان القليل من هذا عند الناس كثير وانتم معاشر العباد في مثال القوارير
ادنى شيء يعيبه وجملة ما اكلمك به ان جوارحي كلها مشغولة بك فالله الله في امري وامرك قال
فمضى الشاب الى منزله واراد ان يصلي فلم يعقل كيف يصلي فاخذ قرطاسا وكتب كتابا وخرج من منزله
فاذا المرأة واقفة في موضعها فالقى الكتاب اليها ورجع الى منزله وكان في الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم اعلمي
ايتها المرأة ان الله تبارك وتعالى اذا عصي حلم فاذا عاد العبد في المعصية ستره فاذا لبس لها
ملابسها غضب الله عز وجل لنفسه غضبة تضيق منها السموات والارض والجبال والشجر والدواب
فمن ذا يطيق غضبه فان كان ما ذكرت باطلا فاني اذكرك يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن
وتجثو الامم لصولة الجبار العظيم واني والله قد ضعفت عن اصلاح نفسي فكيف باصلاح غيري
وان كان ما ذكرت حقا فاني ادلك على طبيب هدى يداوي الكلوم الممرضة والاوجاع المرمضة ذلك الله
رب العالمين فاقصديه على صدق المسألة فاني متشاغل عنك بقوله تعالى وانذرهم يوم الازفة
اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الاعين وما تخفي
الصدور فاين المهرب من هذه الاية ثم جاءت بعد ذلك بايام فوقفت له على طريقه فلما رآها من بعيد
اراد الرجوع الى منزله لئلا يراها فقالت يا فتى لا ترجع فلا كان الملتقى بعد هذا ابدا الا بين يدي
الله تعالى وبكت بكاء كثيرا وقالت اسأل الله الذي بيده مفاتيح قلبك ان يسهل ما عسر من امرك ثم تبعته
فقالت امنن علي بموعظة احملها عنك واوصني بوصية اعمل عليها فقال لها الفتى اوصيك بحفظ نفسك
من نفسك واذكرك قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه قال

فاطرقت مليا وبكت بكاء اشد من بكائها الاول ثم افاقت ولزمت بيتها واخذت في العبادة فلم تزل
على ذلك حتى ماتت كمدا وكان الفتى يذكرها بعد موتها ثم يبكي عليها فيقال له مم بكاؤك وانت قد
ايستها بنفسك فقال اني قد ذبحت طمعها مني في اول امرها وجعلت قطيعتها ذخيرة لي عند الله تعالى وانا
استحيي من الله تعالى ان استرد ذخيرة ذخرتها عنده تم كتاب كسر الشهوتين البطن
والفرج ويتلوه ان شاء الله تعالى كتاب افة اللسان وهو الكتاب الرابع من ربع المهلكات والحمد
لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الحمد لله الذي احسن خلق الانسان وعدله والهمه نور الايمان فزينه به وجمله وعلمه
البيان فقدمه به وفضله وافاض على قلبه خزائن العلوم واكمله ثم ارسل عليه سترا من رحمته
واسبله ثم امده بلسان يترجم به عما حواه القلب ويعقله ويكشف عنه ستره الذي اسبله
فاطلق بالحمد مقوله وافتح بالشكر عما اولاه وخوله من علم حصله ونطق سهله واشهد ان لا اله
الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله الذي اكرمه وبجله ونبيه الذي ارسله
بكتاب انزله وابان فضله وتبين سبيله صلى الله عليه وعلى اله واصحابه ومن قبله ما كبر
عبد وهلله اما بعد فان اللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الغريبة
فانه صغير جرمه عظيم طاعته وجرمه اذ لا يستبين الكفر والايمان وهما غاية الطاعة والطغيان
الا بشهادة اللسان ثم انه ما من موجود او معدوم خالق او مخلوق متخيل او معلوم
مظنون او موهوم الا واللسان يتناوله ويتعرض له باثبات او نفي فان كل ما يتناوله
العلم يعبر عنه اللسان اما بحق او باطل ولا شيء الا والعلم متناول له وهذه خاصية لا
توجد في سائر الاعضاء فان العين لا تصل الى غير الالوان والصور والاذن لا تصل الى غير
الاصوات واليد لا تصل الى غير الاجسام وكذا سائر الاعضاء واللسان رحب الميدان ليس له مرد ولا
لمجاله منتهى وحد فله في الخير مجال رحب وله في الشر ذيل سحب فمن اطلق عذبة
اللسان واهمله مرخى العنان سلك به الشيطان في كل ميدان وساقه الى شفا جرف هار
الى ان يضطره الى البوار ولا يكب الناس على مناخرهم الا حصائد السنتهم ولا ينجو من شر
اللسان الا من قيده بلجام الشرع فلا يطلقه الا فيما ينفعه في الدنيا والاخرة ويكفه عن كل ما يخشى
غائلته في عاجله واجله وعلم ما يحمد فيه اطلاق اللسان او يذم غامض عزيز والعمل بمقتضاه
على من عرفه ثقيل عسير واعصى الاعضاء على الانسان اللسان فانه لا تعب في تحريكه ولا
مؤنة في اطلاقه وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن افاته وغوائله والحذر من مصائده و
حبائله وانه اعظم الة الشيطان في استغواء الانسان ونحن بتوفيق الله تعالى وحسن
تيسيره نفصل مجامع افات اللسان ونذكرها واحدة واحدة بحدها وحدودها واسبابها
وغوائلها ونعرف طريق الاحتراز منها ونورد ما ورد من الاخبار والاثار في ذمها فنذكر اولا
فضل الصمت ونردفه بذكر افة اللسان بالكلام فيما لا يعنيك ثم افة فضول الكلام ثم افة

الخوض في الباطل ثم آفة المراء والمجادلة ثم آفة الخصومة ثم آفة التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه وغير ذلك مما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة ثم آفة الفحش والسب وبذاءة اللسان ثم آفة اللعن اما لحيوان او جماد او انسان ثم آفة الغناء والشعر وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرم من الغناء وما يحل فلا نعيده ثم آفة المزاح ثم آفة السخرية والاستهزاء ثم آفة افشاء السر ثم آفة الوعد الكاذب ثم آفة الكذب في القول واليمين ثم آفة الغيبة ثم آفة النميمة ثم آفة ذي اللسانين الذي يتردد بين المتعاديين ويكلم كل واحد بكلام يوافقه ثم آفة المدح ثم آفة الغفلة عن دقائق الخطأ في فحوى الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط باصول الدين ثم آفة سؤال العوام عن صفات الله عز وجل وعن كلامه وعن الحروف وانها قديمة او محدثة وهي آخر الآفات وما يتعلق بذلك وجملتها عشرون آفة ثم آفة الغيبة

بيان عظم خطر اللسان وفضيلة الصمت

اعلم رحمك الله ان خطر اللسان عظيم ولا نجاة من خطر اللسان الا بالصمت فلذلك مدح الشرع الصمت وحث عليه فقال صلى الله عليه وسلم من صمت نجا وقال ايضا الصمت حكم وقليل فاعله اي هو حكمة وحزم وروي عبد الله بن سفيان عن ابيه قال قلت يا رسول الله اخبرني عن الاسلام بامر لا اسال عنه احدا بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم قال قلت فما اتقي فاومأ بيده الى لسانه وقال عقبة بن عامر قلت يا رسول الله ما النجاة قال امسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وقال سهل بن سعد الساعدي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يتكفل لي بما بين لحييه ورجليه اتكفل له بالجنة وقال عليه الصلاة والسلام من وقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقي تفسير ذلك القبقب البطن والذبذب الفرج واللقلق اللسان فهذه الشهوات الثلاث بها يهلك اكثر الخلق ولذلك اشتغلنا بذكر آفة اللسان لما فرغنا من ذكر آفة الشهوتين البطن والفرج وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اكثر ما يدخل الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن اكثر ما يدخل النار فقال الاجوفان الفم والفرج فيحتمل ان يكون المراد بالفم آفات اللسان لانه محله ويحتمل ان يكون المراد بالفم البطن لانه منفذه وقال معاذ قلت يا رسول الله انؤاخذ بما نقول قال ثكلتك امك يا ابن جبل وهل يكب الناس على مناخرهم الا حصائد السنتهم وقال عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله حدثني بامر اعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم قال قلت يا رسول الله ما اخوف ما يخاف علي فاخذ بلسانه ثم قال هذا وروي ان معاذا قال يا رسول الله اي الاعمال افضل فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لسانه ثم وضع عليه اصبعه وقال انس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة رجل لا يامن جاره بوائقه وقال صلى الله عليه وسلم من سره ان يسلم فليلزم الصمت وعن سعيد بن جبير مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اصبح ابن آدم اصبحت الاعضاء كلها تذكر اللسان اي تقول اتق الله فينا فانك ان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا وروي ان عمر اطلع على ابي بكر رضي الله عنهما وهو يمد لسانه فقال ماذا تصنع يا خليفة رسول الله فقال ان هذا الذي اوردني الموارد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس شيء من الجسد الا يشكو الى الله تعالى اللسان على حدته وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما انه كان على الصفا يلبي ويقول يا لسان قل خيرا تغنم او اسكت عن شر تسلم من قبل ان تندم فقيل له يا ابا عبد الرحمن هذا شيء تقوله او شيء سمعته قال لا بل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اكثر خطايا ابن آدم في لسانه وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كف لسانه ستر الله عورته ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه ومن اعتذر

الى الله قبل الله عذره وقد روي ان معاذ بن جبل قال يا رسول الله اوصني قال اعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك واعدد نفسك من الموتى وان شئت انبأتك بما هو املك لك من هذا كله واشار بيده الى لسانه وعن صفوان بن سليم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بايسر العبادة واهونها على البدن الصمت وحسن الخلق وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليسكت وقال الحسن ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رحم الله عبدا تكلم فغنم او سكت فسلم وقال سفيان قالوا لعيسى عليه السلام دلنا على عمل ندخل به الجنة قال لا تنطقوا ابدا قالوا لا نستطيع ذلك قال فلا تنطقوا الا بخير وقال سليمان بن داود عليهما السلام ان كان الكلام من فضة فالصمت من ذهب وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دلني على عمل يدخلني الجنة قال اطعم الجائع واسق الظمآن وامر بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تستطع فكف لسانك الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عند لسان كل قائل فاتقى الله امرؤ علم ما يقول وقال عليه الصلاة والسلام اذا رايتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقن الحكمة وقال ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ثلاثة غانم وسالم وشاجب فالغانم الذي يذكر الله والسالم الساكت والشاجب الذي يخوض في الباطل وقال صلى الله عليه وسلم ان لسان المؤمن وراء قلبه فاذا اراد ان يتكلم بشيء تدبره بقلبه ثم امضاه بلسانه وان لسان المنافق امام قلبه فاذا هم بالشيء امضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه وقال صلى الله عليه وسلم من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار اولى به وقال عيسى عليه السلام العبادة عشرة اجزاء تسعة منها في الصمت وجزء في الفرار من الناس الآثار

يروى ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه كان يضع حصاة في فيه يمنع بها نفسه من الكلام وكان يشير الى لسانه ويقول هذا اوردني الموارد وقال ابن مسعود والله الذي لا اله الا هو ما من شيء احوج الى طول سجن من لسان وقال طاوس لساني سبع ان اطلقته اكلني وقال وهب بن منبه في حكمة آل داود حق على العاقل ان يكون عارفا بزمانه حافظا للسانه مقبلا على شانه وقال الحسن ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه وقال الاوزاعي كتب الينا عمر بن عبد العزيز اما بعد فان من اكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير ومن عد كلامه من عمله قل كلامه فيما لا يعنيه وفيما لا ينفعه وقال بعضهم الصمت يجمع للرجل فضيلتين السلامة في دينه والفهم عن صاحبه وقال محمد بن واسع لمالك بن دينار يا ابا يحيى حفظ اللسان اشد على الناس من حفظ الدينار والدرهم وقال يونس بن عبيد ما من الناس احد يكون لسانه منه على بال الا رايت صلاح ذلك في سائر عمله وقال الحسن كانوا يتكلمون عند معاوية والاحنف ساكت فقال ما لك لا تتكلم يا ابا بحر قال اخشى الله ان كذبت واخشاكم ان صدقت وقال ابو بكر بن عياش اجتمع اربعة ملوك ملك الصين وملك الهند وكسرى وقيصر فقال احدهم انا اندم على ما قلت ولا اندم على ما لم اقل وقال الآخر اني اذا تكلمت بكلمة ملكتني ولم املكها واذا لم اتكلم بها ملكتها ولم تملكني وقال الثالث عجبت للمتكلم ان رجعت عليه كلمته ضرته وان لم ترجع لم تنفعه وقال الرابع انا على رد ما لم اقل اقدر مني على رد ما قلت وقيل ان المنصور بن المعتمر لم يتكلم بكلمة بعد العشاء الآخرة اربعين سنة وقيل ما تكلم الربيع بن خثيم بكلام الدنيا عشرين سنة وكان اذا اصبح وضع قرطاسا وقلما فكلما تكلم به كتبه ثم يحاسب نفسه عند المساء فان قلت هذا الفضل الكبير للصمت ما سببه

فاعلم ان سببه كثرة آفات اللسان من الخطأ والكذب والغيبة والنميمة والرياء والنفاق والفحش والمراء
وتزكية النفس والخصومة والفضول والخوض في الباطل والتحريف والزيادة والنقصان
وايذاء الخلق وهتك العورات فهذه آفات كثيرة وهي سباقة الى اللسان لا تثقل على اللسان
ولها حلاوة في القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان والخائض فيها قلما يقدر على ان
يزم اللسان فيطلقه بما يحب ويكفه عما لا يحب فان ذلك من غوامض العلم كما سيأتي تفصيله
ففي الخوض خطر وفي الصمت سلامة فلذلك عظم فضله مع ما فيه من جمع الهم ودوام الوقار
والفراغ للعبادة والفكر والذكر والسلامة من تبعات القول في الدنيا ومن حسابه في الآخرة
وقد قال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ويدل ذلك على لزوم الصمت ان وجوه
الكلام اربعة اقسام قسم هو ضرر محض وقسم هو نفع محض وقسم فيه ضرر ومنفعة وقسم ليس فيه
ضرر ولا نفع اما الذي هو ضرر محض فلا بد من السكوت عنه وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة لا تفي بالضرر
واما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان وهو عين الخسران فلا
يبقى الا القسم الرابع فقد سقط ثلاثة ارباع الكلام وبقي ربع وهو هذا الربع فيه خطر اذ يمتزج
بما فيه اثم من دقائق الرياء والتصنع والغيبة وتزكية النفس وفضول الكلام امتزاجا يخفى
دركه فيكون الانسان به مخاطرا ومن عرف دقائق آفات اللسان على ما سنذكره علم قطعا ان ما ذكره
رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو فصل الخطاب حيث قال من صمت نجا فلقد اوتي والله جواهر الحكم
وجوامع الكلم ولا يعرف ما تحت آحاد كلماته من بحار المعاني الا خواص العلماء وفيما سنذكره من الآفات
وعسر الاحتراز عنها ما يعرفك حقيقة ذلك ان شاء الله تعالى ونحن الآن نعد آفات اللسان ونبتدئ
باخفها ونترقى الى الاغلظ قليلا قليلا ونؤخر الكلام في الغيبة والنميمة والكذب فان النظر
فيها اطول وهي عشرون آفة

الآفة الاولى الكلام فيما لا يعنيك

اعلم ان احسن احوالك
ان تحفظ الفاظك عن جميع الآفات التي ذكرناها من الغيبة والنميمة والكذب والمراء والنفاق
وغيره وتتكلم بما هو مباح لا ضرر فيه عليك ولا على مسلم اصلا الا انك تتكلم بما انت مستغن عنه ولا حاجة
بك اليه فانك مضيع زمانك ومحاسب على عمل لسانك وتستبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير
لانك لو صرفت زمان الكلام الى الفكر ربما كان ينفتح لك من نفحات رحمة الله عند الفكر ما يعظم
جدواه ولو هللت الله سبحانه وذكرته لكان خيرا لك فكم من كلمة يبنى بها قصر في الجنة ومن قدر
على ان يأخذ كنزا من الكنوز فاخذ بدله مدرة لا ينتفع بها كان خاسرا خسرانا مبينا وهذا مثال من
ترك ذكر الله تعالى واشتغل بمباح لا يعنيه فانه وان لم يأثم فقد خسر حيث فاته الربح العظيم
بذكر الله تعالى فان المؤمن لا يكون صمته الا فكرا ونظره الا عبرة ونطقه الا ذكرا هكذا قال النبي صلى
الله عليه وسلم بل رأس مال العبد اوقاته ومهما صرفها الى ما لا يعنيه ولم يدخر بها ثوابا في الآخرة
فقد ضيع رأس ماله ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه بل ورد ما هو
اشد من هذا قال انس استشهد غلام منا يوم احد فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع فمسحت
امه التراب عن وجهه وقالت هنيئا لك الجنة يا بني فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان
يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره وفي حديث آخر ان النبي صلى الله عليه وسلم فقد كعبا فسأل عنه فقالوا
مريض فخرج يمشي حتى اتاه فلما دخل عليه قال ابشر يا كعب فقالت امه هنيئا لك الجنة يا كعب فقال من هذه

المتألية على الله قال هي امي يا رسول الله قال وما يدريك يا ام كعب لعل كعبا قال ما لا يعنيه او منع ما
لا يغنيه ومعناه انما تتهنأ الجنة من لا يحاسب ومن تكلم فيما لا يعنيه حوسب عليه وان كان كلامه مباحا
فلا تتهيأ له الجنة مع المناقشة في الحساب فانه نوع من العذاب وعن محمد بن كعب قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول من يدخل من هذا الباب رجل من اهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام
فقام اليه ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا اخبرنا باوثق عملك في نفسك
ترجو به فقال اني لضعيف وان اوثق ما ارجو به سلامة الصدر وترك ما لا يعنيني وقال
ابو ذر رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اعلمك بعمل خفيف على البدن
ثقيل في الميزان قلت بلى يا رسول الله قال هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا يعنيك وقال
مجاهد سمعت ابن عباس يقول خمس لهن احسن من الدهم الموقوفة لا تتكلم فيما لا يعنيك فانه فضل
ولا آمن عليك الوزر ولا تتكلم فيما لا يعنيك حتى تجد له موضعا فانه رب متكلم في امر فيما لا يعنيه
قد وضعه في غير موضعه فعنت ولا تمار حليما ولا سفيها فان الحليم يقليك والسفيه يؤذيك
واذكر اخاك اذا تغيب عنك بما تحب ان يذكرك به واعفه مما تحب ان يعفيك منه واعمل
عمل رجل يرى انه مجازى بالاحسان مأخوذ بالاجرام وقيل للقمان الحكيم ما حكمتك قال لا اسأل
عما كفيت ولا اتكلف ما لا يعنيني وقال مورق العجلي امر انا في طلبه منذ عشر سنين لم اقدر
عليه ولست بتارك طلبه قالوا وما هو قال الصمت عما لا يعنيني وقال عمر لا تتعرض لما لا يعنيك و
اعتزل عدوك واحذر صديقك من القوم الا الامين ولا امين الا من خشي الله ولا تصحب الفاجر
لتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر في امرك الذين يخشون الله وحد ما لا يعنيك
ان تتكلم فيه بكل ما لو سكت عنه لم تأثم ولم تتضرر في حال ولا مال مثاله ان تجلس مع قوم فتحكي معهم
اسفارك وما رأيت فيها من جبال وانهار وما وقع لك من الوقائع وما استحسنته من الاطعمة
والثياب وما تعجبت منه من مشايخ البلاد ووقائعهم فهذه امور لو سكت عنها لم تأثم
ولم تتضرر واذا بالغت في الاجتهاد حتى لم تمتزج بحكايتك زيادة ونقصان ولا تزكية نفس من
حيث التفاخر بمشاهدة الاحوال العظيمة ولا اغتياب لشخص ولا مذمة لشيء مما خلقه الله تعالى
فانت مع ذلك كله مضيع زمانك وانى تسلم من الآفات التي ذكرناها ومن جملتها ان تسأل غيرك عما لا
يعنيك فانت بالسؤال مضيع وقتك وقد الجأت صاحبك ايضا الى التضييع هذا اذا كان الشيء مما لا
يتطرق الى السؤال عنه آفة واكثر الاسئلة فيها آفات فانك تسأل غيرك مثلا عن عبادته فتقول
هل انت صائم فان قال نعم كان مظهرا عبادته فيدخل عليه الرياء وان لم يدخل سقطت عبادته من ديوان
السر وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات وان قال لا كان كاذبا وان سكت كان مستحقرا اياك
وتأذيت به وان احتال المداهنة والمدافعة للجواب افتقر الى جهد وتعب فيه فقد عرضته بالسؤال
اما للرياء واما للكذب او للاستحقار او للتعب في حيلة الجواب وكذلك سؤالك عن سائر عباداته و
كذلك سؤالك عن المعاصي وعن كل ما يخفيه ويستحيي منه وسؤالك عما حدث به غيرك فتقول
ماذا تقول وفيم انتم وكذلك ترى انسانا في الطريق فتقول من اين فربما يمنعه مانع من ذكره فان ذكره
تأذى به واستحيا وان لم يصدق وقع في الكذب وكنت السبب فيه وكذلك تسأل عن مسائل
لا حاجة بك اليها والمسؤول ربما لا تسمح نفسه بان يقول لا ادري فيجيب عن غير بصيرة ولست اعني

بالتكلم بما لا يعني هذه الاجناس فان هذا يتطرق اليه اثم او ضرر وانما مثال ما لا يعني ما روي ان لقمان دخل على داود عليه السلام وهو يسرد الدرع فجعل يتعجب مما يرى فاراد ان يساله عن ذلك فمنعته حكمته فامسك نفسه ولم يساله فلما فرغ قام داود ولبسه ثم قال نعم الدرع للحرب فقال لقمان الصمت حكم وقليل فاعله اي حصل العلم به من غير سؤال فاستغنى عن السؤال وقيل كان يتردد اليه سنة وهو يريد ان يعلم ذلك ولم يساله فهذا وامثاله من الاسولة اذا لم يكن فيه ضرر وهتك ستر وتورط في ريا وكذب فهو مما لا يعني وتركه من حسن الاسلام فهذا حده واما سببه الباعث عليه فالحرص على معرفة ما لا حاجة به اليه والمباسطة بالكلام على سبيل التودد او تزجية الوقت بحكايات احوال لا فائدة فيها وعلاج ذلك كله ان يعلم ان الموت بين يديه وانه مسئول عن كل كلمة وان انفاسه راس ماله وان لسانه شبكة يقدر على ان يقتنص بها الحور العين فاهماله وتضييعه خسران هذا علاجه من حيث العلم واما من حيث العمل فالعزلة او ان يضع حصاة في فيه وان يلزم نفسه السكوت عن بعض ما يعنيه ليتعود اللسان ترك ما لا يعنيه وضبط اللسان في هذا على غير المعتزل شديد جدا **الافة الثانية فضول الكلام** وهو ايضا مذموم وهذا يتناول الخوض فيما لا يعني والزيادة فيما يعني على قدر الحاجة فان من يعنيه امر يمكنه ان يذكره بكلام مختصر ويمكنه ان يجسمه ويقرره ويكرره ومهما تادى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين فالثانية فضول اي فضل عن الحاجة وهو ايضا مذموم لما سبق وان لم يكن فيه اثم ولا ضرر قال عطا بن ابي رباح ان من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله وسنة او امرا بمعروف او نهيا عن منكر او تنطق بحاجتك في معيشتك التي لا بد منها اتنكرون ان عليكم حافظين كراما كاتبين وعن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد اما يستحيي احدكم انه لو نشرت صحيفته التي املاها صدر نهاره كان اكثر ما فيها ليس من امر دينه ولا دنياه وعن بعض الصحابة انه قال ان الرجل ليكلمني بالكلام لجوابه اشهى الي من الماء البارد الى الظمآن فاترك جوابه خيفة ان يكون فضولا وقال مطرف ليعظم جلال الله في قلوبكم فلا تذكروه عند مثل قولكم للكلب والحمار اللهم اخزه وما اشبه ذلك واعلم ان فضول الكلام لا ينحصر بل المهم محصور في كتاب الله تعالى قال الله تعالى لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس وقد قال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن امسك الفضل من لسانه وانفق الفضل من ماله فانظر كيف قلب الناس الامر في ذلك فامسكوا فضل المال واطلقوا فضل اللسان وعن مطرف بن عبد الله عن ابيه قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من بني عامر فقالوا انت ابونا وانت والدنا وانت سيدنا وانت افضلنا علينا فضلا واطولنا علينا طولا وانت الجفنة الغراء وانت وانت فقال قولوا قولكم ولا يستهوينكم الشيطان اشارة الى اللسان اذا انطلق في الثناء ولو بالصدق فيخشى ان يستهويه الشيطان الى الزيادة المستغنى عنها وقال ابن مسعود انذركم فضول الكلام بحسب امرئ ما بلغ به حاجته وعن مجاهد قال ان الكلام ليكتب حتى ان الرجل ليسكت ابنه يقول ابتاع لك كذا وكذا فيكتب عليه كذبة وقال الحسن يا ابن آدم بسطت

لك صحيفة ووكل بها ملكان كريمان يكتبان عملك فامل ما شئت واكثر او اقلل وروي ان سليمان بن داود عليهما السلام بعث بعض عفاريته وبعث نفرا ينظرون ماذا يقول ويخبرونه قال فاخبروه انه مر في السوق فرفع راسه الى السماء ثم نظر الى الناس وهز راسه فساله سليمان عن ذلك فقال عجبت من الملائكة على رؤوس الناس ما اسرع ما يكتبون ومن الذين اسفل منهم ما اسرع ما يملون وقال ابراهيم التيمي المؤمن اذا اراد ان يتكلم نظر فان كان له تكلم والا امسك والفاجر انما يرسل لسانه رسلا رسلا وقال الحسن من كثر كلامه كثر كذبه ومن كثر كذبه كثرت ذنوبه ومن كثر ماله كثرت ذنوبه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقال عمرو بن دينار تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فاكثر فقال عليه السلام كم دون لسانك من باب فقال شفتاي واسناني فقال اما كان في ذلك ما يرد كلامك وفي رواية انه قال ذلك في رجل اثنى عليه فاستهتر في الكلام ثم قال ما اوتي رجل شرا من فضل في لسان وقال عمر بن عبد العزيز انه ليمنعني من كثرة الكلام مخافة المباهاة وقال بعض الحكماء اذا كان الرجل في مجلس فاعجبه الحديث فليسكت وان كان ساكتا فاعجبه السكوت فليتحدث وقال يزيد بن ابي حبيب من فتنة العالم ان يكون الكلام اليه احب من الاستماع وان وجد من يكفيه فان في الاستماع سلامة وفي الكلام تزين وزيادة ونقصان وقال ابن عمر ان احق ما طهر الرجل لسانه وراى ابو الدرداء امراة سليطة فقال لو كانت هذه خرسا كان خيرا لها وكان ابراهيم يقول يهلك الناس في خلتين فضول المال وفضول الكلام فهذه مذمة كثرة الكلام وفضوله وسببه الباعث عليه وعلاجه ما سبق في الكلام فيما لا يعني **الافة الثالثة الخوض في الباطل** وهو الكلام في المعاصي كحكاية احوال النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق وتنعم الاغنياء وتجبر الملوك ومراسمهم المذمومة واحوالهم المكروهة فان كل ذلك مما لا يحل الخوض فيه فهو حرام واما الكلام فيما لا يعني او اكثر مما يعني فهو ترك الاولى ولا تحريم فيه نعم من يكثر الكلام فيما لا يعني لا يؤمن عليه الخوض في الباطل واكثر الناس يتجالسون للتفرج بالحديث ولا يعدو التنكر باعراض الناس او الخوض في الباطل وانواع الباطل لا يمكن ان يحصى لكثرتها وتفننها ولذلك لا يتخلص منه الا بالاقتصار على ما يعني من مهمات الدين والدنيا وفي هذا الجنس تقع من الكلمات ما يهلك صاحبها وهو يستحقرها فقد قال بلال بن الحارث ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله عز وجل ما يظن ان تبلغ به ما بلغت يكتب الله له بها رضوانه الى يوم يلقاه وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن ان تبلغ به ما بلغت يكتب الله عليه بها سخطه الى يوم القيامة وقال كان علقمة يقول كم من حديث قد منعنيه حديث بلال بن الحارث وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوي بها ابعد من الثريا وقال ابو هريرة رضي الله عنه ان الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم وان الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقي لها بالا يرفعه الله بها في الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظم الناس خطايا يوم القيامة اكثرهم خوضا في الباطل واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم وبقوله تعالى وكنا نخوض مع الخائضين وبقوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره وقال سلمان اكثر الناس ذنوبا يوم القيامة اكثرهم كلاما في معصية الله وقال ابن سيرين كان رجل من الانصار يمر بمجلسهم فيقول توضؤوا فان بعض ما تقولون شر من الحدث فهذا هو الخوض في الباطل وهو وراء ما سياتي من الغيبة والنميمة

والفحش وغيره بل الخوض في ذكر محظورات سبق وجودها او تدبر في الوصل بها والتوصل اليها من
غير حاجة دينية الى ذكرها ويدخل فيه ايضا الخوض في حكاية البدع والمذاهب الفاسدة وحكاية
ما جرى من قتال الصحابة على وجه يوهم الطعن في بعضهم وكل ذلك باطل والحديث خوض في
الباطل **الافة الرابعة المرا والمجادلة** وذلك منهي عنه فقد قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا تمار اخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه وقال صلى الله عليه وسلم ذروا المرا فانه
لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته وقال صلى الله عليه وسلم من ترك المرا وهو محق بني له بيت في اعلى الجنة
ومن ترك المرا وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة وعن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان اول ما عهد الي ربي ونهاني عنه بعد عبادة الاوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال وقال ايضا ما
ضل قوم الا اوتوا الجدل وقال ايضا لا يستكمل عبد حقيقة الايمان حتى يدع المرا وان كان محقا
وقال ايضا ست من كن فيه بلغ فيه حقيقة الايمان الصوم في الصيف وضرب اعداء الله بالسيف
وتعجيل الصلوة في يوم الدجن والصبر على المصيبات واسباغ الوضوء على المكاره وترك المرا وهو
صادق وقال الزبير لابنه لا تجادل الناس بالقران فانك لا تستطيعهم ولكن عليك بالسنة
وقال عمر بن عبد العزيز من جعل دينه غرضا للخصومات اكثر التنقل وقال مسلم بن يسار اياكم
المراء فانها ساعة جهل العالم وعندها يبتغي الشيطان زلته وقال ما ضل قوم بعد اذ هداهم الله الا
بالجدال وقال مالك بن انس ليس هذا الجدال من الدين في شي وقال ايضا المرا يقسي القلب ويورث
الضغاين وقال لقمان لابنه لا تجادل العلما فيمقتوك وقال بلال بن سعد اذا رايت الرجل لجوجا
مماريا معجبا برايه فقد تمت خسارته وقال سفيان لو خالفت اخي في رمانة فقال حلوة وقلت حامضة
لسعى بي الى السلطان وقال سفيان صاف من شئت ثم اغضبه بالمرا فليرمينك بداهية تمنعك من
العيش وقال ابن ابي ليلى لا اماري صاحبي فاما ان اكذبه واما ان اغضبه وقال ابو الدردا كفى بك اثما ان لا
يزال مماريا وقال عليه السلام تكفير كل لحاء ركعتان وقال عمر لا تتعلم العلم لثلاث ولا تتركه
لثلاث لا تتعلمه لتماري به ولا تباهي به ولا ترائي به ولا تتركه حيا من طلبه ولا زهادة فيه ولا رضا بالجهل
منه وقال عيسى عليه السلام من كثر كذبه ذهب جماله ومن لاحى الرجال سقطت مروته ومن كثر
همه سقم جسمه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقيل لميمون بن مهران ما لك لا تفارق اخا لك
على قلى فقال لاني لا اشاريه ولا اماريه وما ورد في ذم المرا اكثر من ان يحصى وحد المرا هو كل اعتراض
على كلام الغير باظهار الخلل فيه اما في اللفظ واما في المعنى واما في قصد المتكلم وترك المرا بترك
الانكار والاعتراض فكل كلام سمعته فان كان حقا فصدق به وان كان باطلا او كذبا ولم يتعلق بامور الدين
فاسكت عنه والطعن في كلام الغير تارة يكون في لفظه باظهار خلل من جهة النحو او من جهة اللغة
والعربية او من جهة النظم والترتيب بسوء تقديم وتاخير وذلك تارة يكون من قصور المعرفة
وتارة يكون بطغيان اللسان وكيف كان فلا وجه لاظهار خلله واما في المعنى بان يقول ليس كما تقول
وقد اخطات فيه كذا وكذا واما في قصده مثل ان يقول هذا الكلام حق ولكن ليس قصدك منه
الحق وانما انت فيه صاحب غرض وما يجري مجراه وهذا الجنس ان جرى في مسئلة علمية ربما خص
باسم الجدل وهو ايضا مذموم بل الواجب السكوت او السؤال في معرض الاستفادة لا على صيغة
العنا والنكارة او التلطف في التعريف لا في معرض الطعن واما المجادلة فعبارة عن قصد افحام

الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح في كلامه ونسبته الى القصور والجهل فيه واية ذلك ان يكون تنبيهه
للحق من جهة اخرى مكروها عند المجادل بل يحب ان يكون هو المظهر خطاه ليتبين به فضل نفسه و
نقصان صاحبه ولا نجاة من هذا الا بالسكوت عن كل ما لا ياثم به لو سكت عنه واما الباعث على هذا فهو
الترفع باظهار الفضل والتهجم على الغير باظهار نقصه وهما شهوتان باطنتان قويتان اما اظهار
الفضل فهو من قبيل تزكية النفس وهي من مقتضى ما في العبد من طغيان دعوى العلو والكبريا وهي
من صفات الربوبية واما تنقيص الاخر فهو مقتضى طبع السبعية فانه مقتضي ان يمزق غيره ويقصمه و
يصدمه ويوذيه وهاتان صفتان مذمومتان مهلكتان وانما قوتهما المرا والجدال فالمواظب على المرا و
الجدال مقو لهذه الصفات المهلكة وهذا مجاوز حد الكراهية بل هو معصية مهما حصل فيها ايذا
لغيره ولا ينفك المماراة عن الايذا وتهييج الغضب وحمل المعترض عليه على ان يعود فينصر كلامه بما يمكنه من
حق وباطل ويقدح في قائله بكل ما يتصور فيثور الشجار بين المتماريين كما يثور التهارش بين الكلبين يقصد
كل واحد منهما ان يعض صاحبه بما هو اعظم نكاية واقوى في افحامه والجامه واما علاجه فهو بان
يكسر الكبر الباعث له على اظهار فضله والسبعية الباعثة على تنقيص غيره كما سياتي ذكر ذلك
في كتاب ذم الكبر وكتاب ذم الغضب فان علاج كل علة باماطة سببها وسبب المرا ما ذكرناه ثم
المواظبة عليه تجعله عادة وطبعا حتى يتمكن من النفس ويعسر الصبر عنه **روي ان ابا حنيفة**
رحمه الله عليه قال لداود الطائي لم اثرت الانزوا فقال لاجاهد نفسي بترك الجدال فقال احضر المجالس
واسمع ما يقال ولا تتكلم قال ففعلت ذلك فما رايت مجاهدة اشد علي منه وهو كما قال لان من يسمع
من غيره خطا وهو قادر على كشفه يعسر عليه الصبر عنه جدا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من ترك المرا
وهو محق بني له بيت في اعلى الجنة لشدة ذلك على النفس واكثر ما يغلب ذلك في المذاهب والعقايد فان المرا
طبع فاذا ظن ان له عليه ثوابا اشتد عليه حرصه وتعاون الطبع والشرع وذلك خطا محض بل ينبغي للا
نسان ان يكف لسانه عن اهل القبلة واذا راى مبتدعا تلطف به في نصحه في خلوة لا بطريق المجادلة
فان المجادلة تخيل اليه انها حيلة منه في التلبيس وان ذلك صنعة يقدر المجادلون من اهل مذهبه
على امثالها لو ارادوا فتستمر البدعة في قلبه بالجدل وتتاكد فاذا عرف ان النصح لا ينفع اشتغل بنفسه
وتركه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله من كف لسانه عن اهل القبلة الا باحسن ما يقدر عليه
قال هشام بن عروة كان يردد قوله هذا سبع مرات وكل من تعود المجادلة مدة واثنى الناس عليه ووجد
لنفسه بسببها عزا وقبولا قويت فيه هذه المهلكات فلا يستطيع عنها نزوعا اذا اجتمع
عليه سلطان الكبر والغضب والريا وحب الجاه والتعزز بالفضل واحاد هذه الصفات يشق مجاهدتها
فكيف بمجموعها **الافة الخامسة الخصومة** وهي مذمومة وهي ورا الجدال والمرا فالمرا طعن في كلام
الغير باظهار خلل فيه من غير ان يرتبط به غرض سوى تحقير الغير واظهار مزية الكياسة والجدال عبارة
عن امر يتعلق باظهار المذاهب وتقريرها والخصومة لجاج في الكلام ليستوفي به مال او حق مقصود و
ذلك تارة يكون ابتدا وتارة يكون اعتراضا والمرا لا يكون الا باعتراض على كلام سبق فقد قالت عايشة
رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابغض الرجال الى الله تعالى الالد الخصم وقال ابو هريرة
رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع
وقال بعضهم اياكم والخصومة فانها تمحق الدين ويقال ما خاصم ورع قط في الدين وقال ابن قتيبة مر بي بشر

عبد الله بن ابي بكر فقال لما يحبسك فقلت خصومة بيني وبين ابن عم لي فقال ان لابيك عندي يدًا واني
والله ما رايت شيئا اذهب للدين ولا ينقص المروة ولا اضيع للذة ولا اشغل للقلب من خصومة قال فقمت
لارجع فقال الخصم ما لك فقلت لا اخاصمك فقال انك عرفت ان الحق لي قلت لا ولكني اكرم نفسي عن هذا قال فاني
لا اطلب منه شيئا هو لك فان قلت فاذا كان للانسان حق فلا بد من الخصومة في طلبه او في حفظه مهما طلبه
ظالم فكيف يكون حكمه وكيف تذم خصومته فاعلم ان هذا الذم يتناول الذي يخاصم بالباطل والذي
يخاصم بغير علم مثل وكيل القاضي فانه قبل ان يعرف ان الحق في اي جانب هو يتوكل في الخصومة من اي جانب
كان فيخاصم من غير علم ويتناول الذي يطلب حقه ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد في الخصومة
على قصد التسلط او على قصد الايذا ويتناول الذي يمزج بالخصومة كلمات موذيات ليس يحتاج اليها
في نصرة الحجة واظهار الحق ويتناول الذي يحمله على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره مع انه قد يستحقر
ذلك القدر من المال وفي الناس من يصرح به ويقول انما قصدي عناده وكسر عرضه واني ان اخذت منه
هذا المال ربما رميته في بير ولا ابالي فهذا مقصوده اللدد واللجاج وهو مذموم جدا اما المظلوم الذي
ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد واسراف وزيادة لجاج على الحاجة ومن غير قصد عناد وايذا ففعله
ليس بحرام ولكن الاولى تركه ما وجد اليه سبيلا فان ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال متعذر
والخصومة توغر الصدور وتهيج الغضب نسي التنازع فيه وبقي الحقد بين المتخاصمين حتى يفرح كل واحد
بمساءة صاحبه ويحزن بمسرته ويطلق اللسان في عرضه فمن بدا بالخصومة فقد تعرض لهذه المحذورات
واقل ما فيه تشوش خاطره حتى انه في صلاته يشتغل بمحاجة خصمه فلا يبقى الامر على حد الواجب والخصومة
مبدا كل شر وكذا المرا والجدال فينبغي ان لا يفتح بابه الا لضرورة وعند الضرورة ينبغي ان يحفظ اللسان
والقلب عن تبعات الخصومة وذلك متعذر جدا فمن اقتصر على الواجب في خصومته سلم من الاثم ولا يذم
خصومته الا انه اذا كان مستغنيا عن الخصومة فيه لان معه ما يكفيه فيكون تاركا للاولى ولا يكون اثما
نعم اقل ما يفوته في الخصومة والمرا والجدال طيب الكلام وما ورد فيه من الثواب اذ اقل درجات
طيب الكلام اظهار الموافقة ولا خشونة في الكلام اعظم من الطعن والاعتراض الذي حاصله اما تجهيل
واما تكذيب فان من جادل غيره او ماراه او خاصمه فقد جهله او كذبه فيفوت به طيب الكلام وقد قال
صلى الله عليه وسلم يمكنكم من الجنة طيب الكلام واطعام الطعام وقد قال الله تعالى وقولوا للناس حسنا
وقد قال ابن عباس من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه وان كان مجوسيا وقد قال الله تعالى واذا
حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها وقال ايضا لو قال لي فرعون خيرا لرددت عليه وقال انس
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لغرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها اعدها
الله تعالى لمن اطعم الطعام واطاب الكلام وروي ان عيسى عليه السلام مر به خنزير فقال مر بسلام
فقيل يا روح الله تقول هذا لخنزير فقال اكره ان اعود لساني الشر وقال نبينا عليه الصلاة و
السلام الكلمة الطيبة صدقة وقال اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم يكن فبكلمة طيبة وقال عمر
رضي الله عنه البر شي هين وجه طلق وكلام لين وقال بعض الحكما كل كلام لا يسخط ربك الا ان ترضي به
جليسك فلا تكن به عليه بخيلا فلعله يعوضك منه ثواب المحسنين وقال بعض
الحكما الكلام اللين يغسل الضغاين المستكنة في الجوارح فهذه كلمة في فضل الكلام الطيب وضاده الخصومة
والمرا واللجاج والجدال فانه الكلام المستكره الموحش المؤذي للقلب المنغص للعيش المهيج للغضب الموغر

للصدر **الافة السادسة التقعر في الكلام بالتشدق** وتكلف السجع والفصاحة و
التصنع فيه بالتشبيبات والمقدمات وما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة وكل ذلك
من التصنع المذموم ومن التكلف الممقوت الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم انا واتقيا
من امتي برآء من التكلف **وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم** ان ابغضكم الي وابعدكم مني مجلسا
الثرثارون المتفيهقون المتشدقون وقالت فاطمة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
شرار امتي الذين غذوا بالنعيم ياكلون الوان الطعام ويلبسون الوان الثياب ويتشدقون في الكلام
وقال عليه الصلاة والسلام الا هلك المتنطعون ثلاث مرات والتنطع هو التعمق والاستقصا
وقال عمر رضي الله عنه ان شقاشق الكلام من شقاشق الشيطان وجاء عمر بن سعد الى ابيه يساله حاجة
فتكلم بين يديه في حاجته بكلام فقال له سعد ما كنت من حاجتك ابعد منك اليوم اني سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ياتي على الناس زمان يتخللون الكلام بالسنتهم كما تتخلل البقرة الكلا بالسنتها
وكانه انكر عليه ما قدمه على الكلام من التشبيب والمقدمة المصنوعة المتكلفة وهذا ايضا من افات
اللسان ويدخل فيه كل سجع متكلف وكذلك التفاصح الخارج عن العادة وكذلك تكلف السجع في
المحاورات اذ قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بغرة في الجنين فقال بعض قوم الجاني كيف يدي من
لا شرب ولا اكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك يطل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسجع كسجع
الاعراب وانكر ذلك لان اثر التكلف والتصنع بين عليه بل ينبغي ان يقتصر في كل شي على مقصوده ومقصود
الكلام التفهيم للغرض وما وراء ذلك تصنع مذموم ولا يدخل في هذا تحسين الفاظ الخطابة والتذكير
من غير افراط واغراب لان المقصود منها تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها ولرشاقة
اللفظ تاثير فيه فهو لايق به فاما المحاورات التي تجري لقضا الحاجات فلا يليق بها السجع و
التشدق والاشتغال به من التكلف المذموم ولا باعث عليه الا الريا واظهار الفصاحة والتميز بالبراعة
وكل ذلك مذموم يكرهه الشرع ويزجر عنه **الافة السابعة الفحش والسب وبذاءة
اللسان** وهو منهي عنه ومذموم ومصدره الخبث واللوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم
والفحش فان الله لا يحب الفحش ولا التفحش ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ان تسب قتلى بدر من
المشركين وقال لا تسبوا هولا فانه لا يخلص اليهم شي مما تقولون وتوذون الاحيا الا ان البذا
لوم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس المومن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذي وقال
صلى الله عليه وسلم اربعة يوذون اهل النار وقال صلى الله عليه وسلم الجنة حرام على كل فاحش ان يدخلها
وقال صلى الله عليه وسلم اربعة يوذون اهل النار على ما بهم من الاذى يسعون بين الحميم والجحيم
يدعون بالويل والثبور رجل يسيل فوه قيحا ودما فيقال له ما بال الابعد قد اذانا على ما بنا من الاذى
فيقول ان الابعد كان ينظر الى كل كلمة قذعة خبيثة فيستلذها كما يستلذ الرفث وقال صلى الله عليه
وسلم يا عائشة لو كان الفحش رجلا لكان رجل سوء وقال صلى الله عليه وسلم البذا والبيان شعبتان من
شعب النفاق ويحتمل ان يكون المراد بالبيان كشف ما لا يجوز كشفه ويحتمل ايضا المبالغة في الايضاح
حتى ينتهي الى التكليف ويحتمل ايضا البيان في امور الدين وفي صفات الله تعالى فان القا ذلك مجملا الى
اسماع العوام اولى من المبالغة في بيانه اذ قد يثور من غاية البيان فيه شكوك ووساوس فاذا اجملت بادرت
القلوب الى القبول ولم تضطرب ولكن ذكره مقرونا بالبذا يشبه ان يكون المراد به المجاهرة بما يستحيي الانسان

من بذلة فان الاولى في مثله الاغماض والتغافل دون الكشف والبيان وقال صلى الله عليه وسلم ان
الله لا يحب الفاحش المتفحش الصياح في الاسواق وقال جابر بن سمرة كنت جالسا عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم وابي امامي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الفحش والتفحش ليسا من الاسلام في شي
وان احسن الناس اسلاما احاسنهم اخلاقا وقال ابرهيم بن ميسرة يقال الفاحش المتفحش يوم القيمة
في صورة كلب او في جوف كلب وقال الاحنف بن قيس الا اخبركم بادوا الداء اللسان البذي والخلق الدني
فهذه مذمة الفحش فاما حده وحقيقته فهو التعبير عن الامور المستقبحة بالعبارات الصريحة ويجري
اكثر ذلك في الفاظ الوقاع وما يتعلق به فان لاهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه
واهل الصلاح يتحاشون عن التعرض لها بل يكنون عنها بالرموز ويذكرونها بما يقاربها ويتعلق بها قال ابن
عباس رضي الله عنهما ان الله حيي كريم يعفو ويكني كنى باللمس عن الجماع فالمسيس واللمس والدخول و
الصحبة كنايات عن الوقاع فليست بفاحشة وهنا عبارات فاحشة يستقبح ذكرها ويستعمل اكثرها
في الشتم والتعيير وهذه العبارات متفاوتة في الفحش وبعضها افحش من بعض وربما اختلف ذلك بعادة
البلاد واوائلها مكروهة واواخرها محظورة وبينهما درجات يتردد فيها وليس يختص هذا بالوقاع
بل الكناية بقضاء الحاجة عن البول والتغوط اولى من لفظ التغوط والخراءة وغيرهما فان هذا ايضا مما
يخفى ويستحيى منه فلا ينبغي ان يذكر الفاظه الصريحة فانه فحش وكذلك يستحسن في العادة
الكناية عن النسا فلا يقال قالت زوجتك كذا بل يقال قيل في الحجرة او من وراء الستر او قالت ام
الاولاد كذا فالتلطف في هذه الالفاظ محمود والتصريح فيها يفضي الى الفحش وكذلك من به عيوب يستحيى
منها فلا ينبغي ان يعبر عنها بصريح لفظها كالبرص والقرع والبواسير بل يقال العارض الذي يشكوه وما
يجري مجراه فالتصريح بذلك داخل في الفحش وجميع ذلك من افات اللسان قال العلا بن هرون كان
عمر بن عبد العزيز يتحفظ في منطقه فخرج خراج تحت ابطه فقلنا نسأله لننظر ما يقول فقلنا من اين خرج فقال من
باطن اليد والباعث على الفحش اما قصد الايذا واما الاعتياد الحاصل من مخالطة الفساق واهل الخبث
واللوم ومن عادتهم السب وقال اعرابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصني فقال عليك بتقوى الله وان
امرؤ عيرك بشي يعلمه فيك فلا تعيره بشي تعلمه فيه يكن وباله عليه واجره لك ولا تسبن شيا قال
فما سببت شيا بعده وقال عياض بن حمار قلت يا رسول الله الرجل من قومي يسبني وهو دوني هل علي باس
ان انتصر منه فقال المستبان شيطانان يتكاذبان ويتهاتران وقال صلى الله عليه وسلم المستبان
ما قالا فعلى البادي حتى يعتدي المظلوم وقال صلى الله عليه وسلم سباب المومن فسوق وقتاله كفر
وقال صلى الله عليه وسلم ملعون من سب والديه وقال صلى الله عليه وسلم في رواية من اكبر الكبائر ان يسب الرجل
والديه قالوا يا رسول الله وكيف يسب الرجل والديه قال يسب الرجل فيسب اباه فيسب الاخر اباه **الافة الثامنة**
اللعن اما لحيوان او جماد او انسان وكل ذلك مذموم قال صلى الله عليه وسلم المومن ليس
بلعان وقال عليه الصلاة والسلام لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بجهنم وقال حذيفة ما تلاعن
قوم قط الا حق عليهم القول وقال عمران بن حصين بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره
اذا امراة من الانصار على ناقة لها فضجرت منها فلعنتها فقال صلى الله عليه وسلم خذوا ما عليها واعروها
فانها ملعونة قال فكاني انظر الى تلك الناقة تمشي في الناس لا يعرض لها احد وقال ابو الدرداء
ما لعن الارض احد الا قالت لعن الله اعصانا لله وعن عايشة رضي الله عنها قالت سمع رسول الله صلى الله

عليه وسلم ابا بكر وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت اليه فقال يا ابا بكر اللعانين وصديقين كلا
ورب الكعبة اللعانين وصديقين كلا ورب الكعبة مرتين او ثلثا فاعتق ابو بكر يومئذ رقيقه
وجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا اعود وقال صلى الله عليه وسلم اللعانون لا يكونون شفعا
ولا شهدا يوم القيمة وقال انس كان رجل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعير فلعن بعيره فقال
النبي صلى الله عليه وسلم يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون وقال ذلك انكارا عليه واللعن
عبارة عن الطرد والابعاد من الله تعالى وذلك غير جائز الا على من يتصف بصفة تبعده من
الله وهو الكفر والظلم بان يقول لعنة الله على الظالمين وعلى الكافرين وينبغي ان يتبع فيه
لفظ الشرع فان في اللعنة خطرا لانه حكم على الله بانه ابعد الملعون وذلك غيب لا يطلع عليه
غير الله ويطلع عليه رسوله صلى الله عليه وسلم اذا اطلعه الله عليه والصفات المقتضية
للعن ثلاثة الكفر والبدعة والفسق واللعن في كل واحدة ثلاث مراتب الاولى اللعن بالوصف
الاعم كقولك لعنة الله على الكافرين والمبتدعة والفسقة **والثاني** اللعن باوصاف اخص
منه كقولك لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس وعلى القدرية والخوارج والروافض او على
الزناة والظلمة واكلة الربا وكل ذلك جائز ولكن في لعن اوصاف المبتدعة خطر لان معرفة البدعة
غامض فما لم يرد فيه لفظ ماثور فينبغي ان يمنع منه العوام لان ذلك يستدعي المعارضة
بمثله ويثير نزاعا بين الناس وفسادا **الثالث** اللعن على الشخص وهذا فيه نظر كقولك
ثبت لعنته شرعا فيجوز لعنته كقولك فرعون لعنة الله وابو جهل لعنة الله لانه ثبت ان هولاء ماتوا
على الكفر وعرف ذلك شرعا واما شخص بعينه كقولك زيد لعنه الله وهو يهودي مثلا فهذا
فيه خطر لانه ربما يسلم فيموت مقربا عند الله تعالى فكيف يحكم بكونه ملعونا في الحال ان كان
يتصور ان يرتد فاعلم ان معنى قولنا رحمه الله اي ثبته الله على الاسلام الذي هو سبب الرحمة
وعلى الطاعة فلا يمكن ان يقال ثبت الله الكافر على ما هو سبب اللعنة فان هذا سوال الكفر وهو في
نفسه كفر بل الجائز ان يقال لعنه الله ان مات على الكفر ولا لعنه ان مات على الاسلام وذلك غيب
لا يدري والمطلق متردد بين الجهتين ففيه خطر وليس في ترك اللعن خطر فاذا عرفت هذا في
الكافر فهو في زيد الفاسق او زيد المبتدع اولى فلعن الاعيان فيه خطر لان الاحوال تتقلب على الاعيان
الا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه يجوز ان يعلم من يموت على الكفر ولذلك عين قوما باللعن وكان
يقول في دعائه على قريش اللهم عليك بابي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وذكر جماعة قتلوا
على الكفر ببدر حتى ان من لم يعلم عاقبته كان يلعنه فنهي عن ذلك اذ روي انه كان يلعن الذين قتلوا
اصحاب بئر معونة في قنوته شهرا فنزل قوله تعالى ليس لك من الامر شي او يتوب عليهم او يعذبهم
فانهم ظالمون يعني انهم ربما يتوبون فكيف تعلم انهم ملعونون وكذلك من بان لنا موته على الكفر جازت
لعنته وجاز ذمه ان لم يكن فيه اذى على مسلم فان كان لم يجز كما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
سال ابا بكر عن قبر مررنا به وهو يريد الطائف فقال هذا قبر رجل كان عاتيا على الله وعلى رسوله وهو
سعيد بن العاص فغضب ابنه عمرو بن سعيد وقال يا رسول الله هذا قبر رجل كان اطعم للطعام واضرب
للهام من ابي قحافة فقال ابو بكر يكلمني هذا يا رسول الله بمثل هذا الكلام فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اكفف عن ابي بكر فانصرف ثم اقبل على ابي بكر فقال يا ابا بكر اذا ذكرتم الكفار فعموا فانكم اذا

خصلتين عضب لا بالاباء فكف الناس عن ذلك وشرب نعيمان الخمر فحد مرات في مجلس رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة لعنه الله ما اكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه وسلم لا تكن
عونا للشيطان على اخيك وفي رواية لا تقل هذا فانه يحب الله ورسوله فنهاه عن ذلك وهذا يدل على
ان لعنة فاسق بعينه لا يجوز وبالجملة ففي لعنة الاشخاص خطر فليجتنب ولا خطر في السكوت
عن لعنة ابليس مثلا فضلا عن غيره فان قيل هل يجوز لعنة يزيد لكونه قاتل الحسين عليه السلام
او امر به قلنا هذا لم يثبت اصلا فلا يجوز ان يقال انه قتله او امر به ما لم يثبت فضلا عن اللعنة
لانه لا يجوز نسبة مسلم الى كبيرة من غير تحقيق نعم يجوز ان يقال قتل ابن ملجم عليا عليه السلام
وقتل ابو لؤلؤة عمر رضي الله عنه فان ذلك ثبت متواترا ولا يجوز ان يرمى مسلم بفسق او كفر من غير تحقيق
قال صلى الله عليه وسلم لا يرمي رجل رجلا بالكفر ولا يرميه بالفسق الا ارتدت عليه ان لم يكن
صاحبه كذلك وقال صلى الله عليه وسلم ما شهد رجل على رجل بكفر الا باء به احدهما ان كان كافرا
فهو كما قال وان لم يكن كافرا فقد كفر بتكفيره اياه وهذا معناه ان يكفره وهو يعلم انه مسلم فان ظن انه كافر
ببدعة او غيرها كان مخطئا لا كافرا وقال معاذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انهاك ان
تشتم مسلما او تعصي اماما عادلا والتعرض للاموات اشد قال مسروق دخلت على عائشة رضي الله
عنها فقالت ما فعل فلان لعنه الله قلت توفي فقالت رحمه الله فقلت كيف هذا قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الاموات فانهم افضوا الى ما قدموا وقال ايضا لا تسبوا الاموات
فتؤذوا الاحياء وقال ايضا ايها الناس احفظوني في اصحابي واصهاري ولا تسبوهم ايها الناس
اذا مات الميت فاذكروا فيه خيرا فان قيل هل يجوز ان يقال قاتل الحسين لعنه الله قلنا الصواب
ان يقال قاتل الحسين ان مات قبل التوبة فلعنه الله لانه يحتمل ان يموت بعد التوبة فان وحشيا
قاتل حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله وهو كافر ثم تاب عن الكفر والقتل جميعا ولا يجوز ان
يلعن والقتل كبيرة ولا ينتهي الى رتبة الكفر فاذا لم يقيد بالتوبة واطلق كان فيه خطر وليس في
السكوت خطر فهو اولى وانما اوردنا هذا لتهاون الناس باللعنة واطلاق اللسان بها والمؤمن
ليس بلعان ولا ينبغي ان يطلق اللسان باللعنة الا على من مات على الكفر او على الاجناس المعروفين
المعروفين باوصافهم دون الاشخاص المعينين فالاشتغال بذكر الله تعالى اولى فان لم يكن ففي السكوت سلامة
قال مكي بن ابراهيم كنا عند ابن عون فذكروا بلال بن ابي بردة فجعلوا يلعنونه ويقعون فيه وابن
عون ساكت فقالوا يا ابن عون انما نذكره لما ارتكب منك فقال ابن عون انهما كلمتان تخرجان من
صحيفتي يوم القيامة لا اله الا الله ولعن الله فلانا فلان يخرج من صحيفتي لا اله الا الله احب الي من
ان يخرج من صحيفتي لعن الله فلانا وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصني فقال
اوصيك ان لا تكون لعانا وقال ابن عمر ان ابغض عباد الله الى الله تعالى كل طعان لعان وقال بعضهم
لعن المؤمن يعدل قتله وقال حماد بن زيد بعد ان روى هذا لو قلت انه مرفوع لم ابال وعن
ابي قتادة قال كان يقال من لعن مؤمنا فهو مثل ان يقتله وقد نقل ذلك حديثا مرفوعا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ويقرب من اللعن الدعاء على الظالم كقول الانسان لا صحح الله جسمه ولا سلمه
وما يجري مجراه وكل ذلك مذموم وفي الخبر ان المظلوم ليدعو على الظالم حتى يكافئه ثم يبقى
للظالم عنده فضلة يوم القيامة **الآفة التاسعة الغناء والشعر** وقد ذكرنا في

كتاب السماع ما يحرم من الغناء وما يحل فلا نعيده واما الشعر فكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح
الا ان التجرد له مذموم قال صلى الله عليه وسلم لان يمتلئ جوف احدكم قيحا حتى يريه خير من ان
يمتلئ شعرا وعن مسروق انه سئل عن بيت من الشعر فكرهه فقيل له في ذلك فقال
انا اكره ان يوجد في صحيفتي شعر وسئل بعضهم عن شيء من الشعر فقال اجعل مكان
هذا ذكرا فان ذكر الله خير من الشعر وعلى الجملة فانشاد الشعر ونظمه ليس بحرام اذا لم
يكن فيه كلام مكروه قال عليه الصلاة والسلام ان من الشعر لحكمة نعم مقصود الشعر
الذم والمدح والتشبيب وقد يدخلهما الكذب وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان
بهجو الكفار والتوسع في المدح وان كان كذبا فانه لا يلتحق في التحريم بالكذب كقول الشاعر
شعر
ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سائله
فان هذه عبارة عن
الوصف بنهاية السخاء فان لم يكن صاحبه سخيا كان كاذبا وان كان سخيا فالمبالغة من صنعة
الشعر ولا يقصد منه ان يعتقد صورته وقد انشدت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
اشعار لو تتبعت لوجدت فيها مثل ذلك ولم يمنع منه قالت عائشة رضي الله عنها كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله وكنت اغزل قالت فنظرت الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نورا قالت فبهت فنظر الي فقال ما لك بهت
فقلت يا رسول الله نظرت اليك فجعل جبينك يعرق وجعل عرقك يتولد نورا فلو رآك ابو كبير
الهذلي لعلم انك احق بشعره قال وما يقول يا عائشة ابو كبير الهذلي فقلت يقول شعر
ومبرا من كل غبر حيضة وفساد مرضعة وداء مغيل
واذا نظرت الى اسرة وجهه برقت كبرق العارض المتهلل
قالت عائشة رضي الله عنها فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان في يده
وقام الي وقبل ما بين عيني وقال جزاك الله خيرا يا عائشة ما سررت مني كسروري منك ولما
قسم عليه السلام الغنائم امر للعباس بن مرداس باربع قلائص فاندفع يشكو في شعره وفي آخره
وما كان بدر ولا حابس يسودان مرداس في مجمع
وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع
فقال عليه السلام اقطعوا عني لسانه فذهب به ابو بكر حتى اختار مائة من الابل ثم رجع وهو من
ارضى الناس فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقول الشعر فجعل يعتذر ويقول بابي انت وامي
يا رسول الله اني لاجد للشعر دبيبا على لساني مثل دبيب النمل ثم يقرصني كما يقرص النمل فلا اجد
بدا من قول الشعر فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تدع العرب الشعر حتى تدع الابل الحنين
الآفة العاشرة المزاح واصله مذموم منهي عنه الا قدرا يسيرا يستثنى منه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمار اخاك ولا تمازحه فان قلت المماراة لما فيها تكذيب للاخ
والصديق او تجهيله اما المزاح فمطايبة وفيه انبساط وطيب قلب فلم ينهى عنه فاعلم
ان المنهي عنه الافراط فيه والمواظبة والمداومة عليه اما المداومة فلانه اشتغال باللعب والهزل
واللعب مباح ولكن المواظبة عليه مذمومة واما الافراط فيه فانه يورث كثرة الضحك وكثرة
الضحك تميت القلب وتورث الضغينة في بعض الاحوال وتسقط المهابة والوقار فما يخلو
عن هذه الامور فلا يذم كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اني لامزح ولا اقول الا حقا الا ان مثله
يقدر على ان يمزح ولا يقول الا حقا واما غيره اذا فتح باب المزاح كان غرضه ان يضحك الناس كيف

كان وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوي بها ابعد
من الثريا وقال عمر من كثر ضحكه قلت هيبته ومن مزح استخف به ومن اكثر من شيء عرف به ومن
كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه
ولان الضحك يدل على الغفلة عن الاخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا
ولبكيتم كثيرا وقال رجل لاخيه يا اخاه هل اتاك انك وارد النار قال نعم قال فهل اتاك
انك خارج منها قال لا قال ففيم الضحك قال فما رؤي ضاحكا حتى مات وقال يوسف بن اسباط
اقام الحسن ثلاثين سنة لم يضحك وقيل ان عطاء السلمي لم يضحك اربعين سنة ونظر وهيب
بن الورد الى قوم يضحكون في يوم فطر فقال ان كان هؤلاء غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين
وان لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين وكان عبد الله بن ابي يعلى يقول اتضحك ولعل
اكفانك قد خرجت من عند القصار وقال ابن عباس رضي الله عنهما من اذنب ذنبا وهو يضحك دخل
النار وهو يبكي وقال محمد بن واسع اذا رايت في الجنة رجلا يبكي الست تعجب من بكائه قيل بلى قال
فالذي يضحك في الدنيا ولا يدري الى ماذا يصير هو اعجب منه فهذه افة الضحك والمذموم منه
ان يستغرق ضحكا والمحمود التبسم الذي ينكشف فيه السن ولا يسمع الصوت فيه كذلك كان
ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال القسم مولى معوية اقبل اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم
على قلوص له صعب فسلم فجعل كلما دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليساله نفر به فجعل اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم يضحكون به فعل ذلك ثلاث مرات ثم دقصه فقتله فقيل يا رسول الله ان
الاعرابي قد صرعه قلوصه فهلك قال نعم وافواهكم ملاى من دمه وما ادى المزاح الى سقوط الوقار فقد
قال عمر من مزح استخف به وقال محمد بن المنكدر قالت لي امي لا تمازح الصبيان فتهون عليهم
وقال سعيد بن العاص لابنه يا بني لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا تمازح الدني فيجترئ عليك وقال
عمر بن عبد العزيز اتقوا الله واياكم والمزاحة فانها تورث الضغينة وتجر الى القبيح تحدثوا بالقران
وتجالسوا به فان ثقل عليكم فحديث حسن من حديث الرجال وقال عمر بن الخطاب اتدرون
لم سمي المزاح مزاحا قالوا لا قال لانه ازاح عن الحق وقيل لكل شيء بذر وبذر العداوة المزاح ويقال المزاح
مسلبة للنهى ومقطعة للاصدقاء فان قلت فقد نقل المزاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن اصحابه رضي الله عنهم فكيف ينهى عنه فنقول ان قدرت على ما قدر عليه احيانا وعلى الندور
فلا حرج عليك فيه مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ان يمزح ولا يقول الا حقا ولا يؤذي قلبا
ولا يفرط فيه ويقتصر عليه فنقول ان قدرت على ذلك احيانا وعلى الندور فلا حرج عليك فيه
ولكن من الغلط العظيم ان يتخذ الانسان المزاح حرفة ويواظب عليه ويفرط فيه ثم يتمسك بفعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمن يدوم مع الزنوج ابدا وينظر الى رقصهم ويتمسك بان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن لعائشة رضي الله عنها في النظر الى رقص الزنوج في يوم عيد وهذا
خطا اذ من الصغائر ما يصير كبيرة بالاصرار ومن المباحات ما يصير صغيرة بالاصرار فلا ينبغي
ان يغفل عن هذا نعم روى ابو هريرة رضي الله عنه انهم قالوا يا رسول الله انك تداعبنا فقال اني
وان داعبتكم فلا اقول الا حقا وقال عطا ان رجلا سال ابن عباس فقال اكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يمزح فقال ابن عباس نعم فقال الرجل فما كان مزاحه فقال ابن عباس ان صلى الله عليه وسلم

كسا ذات يوم امراة من نسائه ثوبا واسعا فقال لها البسيه واحمدي وجري منه ذيلا كذيل العروس
وروى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان من افكه الناس وروي انه كان كثير التبسم
الحسن قالت اتت عجوز الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام لا يدخل
الجنة عجوز فبكت فقال انك لست يومئذ بعجوز قال الله تعالى انا انشاناهن انشاء فجعلناهن
ابكارا عربا اترابا وروي زيد بن اسلم ان امراة يقال لها ام ايمن جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقالت ان زوجي يدعوك فقال ومن هو اهو الذي بعينه بياض فقالت والله ما بعينه بياض
فقال بلى ان بعينه بياضا فقالت لا والله فقال عليه السلام ما من احد الا بعينه بياض
اراد به البياض المحيط بالحدقة وجاءت امراة اخرى فقالت يا رسول الله احملني على بعير فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم نحملك على ابن البعير فقالت ما اصنع به انه لا يحملني فقال عليه السلام
وهل من بعير الا وهو ابن بعير وكان يمزح به وقال انس كان لابي طلحة ابن يقال له ابو عمير وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتيهم فيقول يا ابا عمير ما فعل النغير لنغر كان يلعب به وهو
فرخ العصفور وقالت عائشة رضي الله عنها خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعالي حتى اسابقك فشددت درعي على بطني ثم خططنا خطا
فاستبقنا فسبقني فقال هذه مكان ذي المجاز وكان جاءنا ونحن بذي المجاز وانا جارية قد بعثني
ابي بشيء فقال اعطينيه فابيت وسعيت نسعى في اثري فلم يدركني وقالت عائشة رضي الله عنها
سابقني رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته فلما حملت اللحم سابقني فسبقني فقال هذه بتلك و
قالت عائشة كان عندي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسودة فصنعت حريرا وجئت به فقلت لسودة
كلي فقالت لا احبه فقلت والله لتاكلن او لالطخن وجهك فقالت ما انا بذائقته فاخذت من
الصحفة شيئا فلطخت وجهها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس بيني وبينها فخفض لها رسول الله صلى
الله عليه وسلم ركبته لتستقيد فتناولت من الصحفة شيئا فمسحت به وجهي ورسول الله صلى الله عليه
وسلم يضحك وروي ان الضحاك بن سفيان الكلابي كان رجلا دميما قبيحا فلما بايعه رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم قال ان عندي امراتين احسن من هذه الحميرا افلا انزل لك عن احديهما فتتزوجها و
عائشة جالسة تسمع قبل ان يضرب الحجاب فقالت هي احسن ام انت فقال بل انا احسن منها واكرم
فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسئلة عائشة اياه لانه كان دميما وروى علقمة عن ابي
سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدلع لسانه للحسين بن علي عليهما السلام فيرى الصبي لسانه
فيهش له فقال عيينة بن بدر الفزاري والله ليكون الابن لي رجلا قد خرج وجهه ما قبلته قط
فقال عليه السلام ان من لا يرحم لا يرحم واكثر هذه المطايبات منقولة مع النساء والصبيان وكان
ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم معالجة لضعف قلوبهم من غير ميل الى هزل وقال عليه الصلاة
والسلام لصهيب وبه رمد وهو ياكل تمرا اتاكل التمر وبك رمد فقال انما اكل بالشق الاخر فتبسم
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعض الرواة حتى بدت نواجذه وروي ان خوات بن جبير كان
جالسا الى نسوة من بني كعب بطريق مكة فاطلع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا عبد الله
ما لك مع النسوة قال يفتلن ضفيرا لجمل لي شرود قال فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم طلع
عليه فقال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت منه قال فكنت

بعد ذلك الا تبسم منه كلما رأيته جئت منه حتى قدمت المدينة وبعد ما قدمت حتى طلع علي وانا اصلي في المسجد
فجلس الي يتطول فقلت لا تطول فاني انتظرك فلما انصرفت قال يا ابا عبد الله اما بلغنا انك تحمل الشراد بعد
قال فسكت واستحييت منه فقام فكنت اتفرر منه حتى لحقني وهو على حمار وقد جعل رجليه في شق واحد فقال
يا ابا عبد الله اما بلغ ذلك الشراد بعد فقلت والذي بعثك بالحق ما شرد منذ اسلمت فقال الله اكبر
الله اكبر اللهم اهد ابا عبد الله قال فحسن اسلامه وهداه الله وكان نعيمان الانصاري رجلا مزاحا
وكان يشرب فيؤتى به الى النبي صلى الله عليه وسلم فيضربه بنعله ويامر اصحابه فيضربونه بنعالهم فلما كثر ذلك
منه قال له رجل من الصحابة لعنك الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تفعل فانه يحب الله ورسوله قال وكان
لا يدخل المدينة رسل ولا طرفة الا اشترى منها ثم جاء بها الى النبي صلى الله عليه وسلم ويقول هذا اهديته لك
فاذا جاء صاحبه يطالب نعيمان بثمنه جاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اعطه ثمن متاعه
فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اولم تهده لنا فيقول يا رسول الله انه لم يكن عندي ثمنه واحببت ان
تاكله فيضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ويامر لصاحبه بثمنه فهذه المطايبات يباح مثلها على الندور
لا على الدوام والمواظبة عليها هزل مذموم وسبب الضحك المميت للقلب **الآفة الحادية عشر**
السخرية والاستهزاء وهذا محرم مهما كان مؤذيا كما قال الله تعالى لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا
منهم ومعنى السخرية الاستحقار والاستهانة والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه
وقد يكون ذلك بالمحاكاة بالفعل والقول وقد يكون بالاشارة والايماء واذا كان بحضرة المستهزأ به لم يسم
ذلك غيبة وفيه معنى الغيبة قالت عائشة رضي الله عنها حكيت انسانا فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ما احب اني حكيت انسانا ولي كذا وكذا وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا
كبيرة الا احصاها الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمؤمن والكبيرة القهقهة بذلك وهذا اشارة الى
ان الضحك على الناس من الجرائم والذنوب وعن عبد الله بن زمعة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فوعظهم
في ضحكهم من الضرطة وقال علام يضحك احدكم مما يفعل وقال صلى الله عليه وسلم ان المستهزئين بالناس
يفتح لاحدهم باب من الجنة فيقال له هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا جاء اغلق دونه ثم يفتح له باب اخر فيقال له هلم هلم
فيجيء بكربه وغمه فاذا اتاه اغلق دونه فما يزال كذلك حتى ان الرجل ليفتح له الباب فيقال له هلم هلم فما ياتيه
وقال معاذ بن جبل قال عليه السلام من عير اخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله وكل هذا يرجع
الى استحقار الغير والضحك عليه استهانة به واستصغارا له وعليه نبه قوله تعالى عسى ان يكونوا خيرا
منهم اي لا تستحقره استصغارا فلعله خير منك وهذا انما يحرم في حق من يتأذى به فاما من جعل
نفسه مسخرة وربما فرح ان يسخر به كانت السخرية به من جملة المزح وقد سبق ما يذم منه وما يمدح وانما
المحرم استصغار يتأذى المستهزأ به لما فيه من التحقير والتهاون وذلك تارة بان يضحك على
كلامه اذا تخبط ولم ينتظم او على افعاله اذا كانت مشوشة كالضحك على خطه وعلى صنعته او على صورته
وخلقته اذا كان قصيرا او ناقصا لعيب من العيوب فالضحك من جميع ذلك داخل في السخرية المنهي
عنها **الآفة الثانية عشر افشاء السر** وهو منهي عنه لما فيه من الايذاء والتهاون بحق المعارف و
الاصدقاء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهي امانة وقال عليه
السلام الحديث بينكم امانة وقال الحسن ان من الخيانة ان تحدث بسر اخيك ويروى ان معاوية اسر الى
الوليد بن عتبة حديثا فقال لابيه يا ابت ان امير المؤمنين اسر الي حديثا وما اراه يطوي عنك ما بسطه

الى غيرك قال فلا تحدثني فان من كتم سره كان الخيار له ومن افشاه كان الخيار عليه قال فقلت يا ابت وان هذا
ليدخل بين الرجل وبين ابنه قال لا والله يا بني ولكن احب ان لا تذلل لسانك باحاديث السر قال فاتيت
معاوية فحدثته فقال يا وليد اعتقك اخي من رق الخطأ فافشاء السر خيانة وهو حرام اذا كان فيه اضرار ولؤم
ان لم يكن فيه اضرار وقد ذكرنا ما يتعلق بكتمان السر في كتاب اداب الصحبة فلا نعيده **الآفة الثالثة عشر**
الوعد الكاذب فان اللسان سباق الى الوعد ثم النفس ربما لا تسمح بالوفاء فيصير الوعد خلفا وذلك
من امارات النفاق وقد قال الله يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود وقال عليه السلام العدة
عطية وقال الوأي مثل الدين او افضل والوأي الوعد وقد اثنى الله تعالى على نبيه اسماعيل عليه السلام
فقال انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا فقيل انه واعد انسانا في موضع فلم يرجع اليه فبقي اثنين
وعشرين يوما في انتظاره ينتظره ولما حضرت عبد الله بن عمر الوفاة قال انه كان خطب الي ابنتي رجل
من قريش وقد كان مني اليه شبه الوعد فوالله لا القى الله بثلث النفاق اشهدكم اني قد زوجته
ابنتي وعن عبد الله بن ابي الحمساء قال بايعت النبي عليه السلام وبقيت له بقية فوعدته ان آتيه بها في مكانه ذلك فنسيت يومي
والغد فاتيته في اليوم الثالث وهو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي انا ههنا منذ ثلاث انتظرك
وقيل لابراهيم الرجل يواعد الرجل الميعاد فلا يجيء قال ينتظره ما بينه وبين ان يدخل وقت الصلاة
التي تجيء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وعد وعدا قال عسى وكان ابن مسعود لا يعد وعدا الا ويقول
ان شاء الله وهو الاولى ثم اذا فهم مع ذلك الجزم في الوعد فلا بد من الوفاء الا ان يتعذر فان كان
عند الوعد عازما على ان لا يفي فهذا هو النفاق وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن
خان وقال عبد الله بن عمرو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه كان منافقا ومن كانت فيه
خلة منهن كانت فيه خلة من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا عاهد غدر واذا
خاصم فجر وهذا ينزل على من وعد وهو على عزم الخلف او ترك الوفاء من غير عذر فاما من عزم على الوفاء
فعن له عذر منعه من الوفاء لم يكن منافقا وان جرى عليه ما هو صورة النفاق ولكن ينبغي ان يتحرز
من صورة النفاق ايضا كما يتحرز من حقيقته ولا ينبغي ان يجعل نفسه معذورا من غير ضرورة حاجزة
فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وعد ابا الهيثم بن التيهان خادما فاتي بثلاثة
من السبي فاعطى اثنين وبقي واحد فجاءت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تطلب منه وتقول
الا ترى اثر الرحا بيدي فذكر موعده لابي الهيثم فجعل يقول كيف بموعدي لابي
الهيثم فآثره به على فاطمة رضي الله عنها لما سبق من موعده له مع انها كانت تدير الرحا بيدها الضعيفة
ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا يقسم غنائم هوازن بحنين فوقف عليه رجل من الناس
فقال ان لي عندك موعدا يا رسول الله قال صدقت فاحتكم ما شئت فقال احتكم ثمانين ضائنة
وراعيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي لك وقد احتكمت يسيرا ولصاحبة موسى التي دلته
على عظام يوسف كانت احزم منك واجزل حكما حين حكمها موسى فقالت حكمي ان تردني
شابة وادخل معك الجنة قيل فكان الناس يضعفون ما احتكم به حتى جعل مثلا فقيل اشح من
صاحب الثمانين والراعي وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الخلف ان يعد الرجل الرجل
ومن نيته ان يفي وفي لفظ آخر اذا وعد الرجل اخاه وفي نيته ان يفي فلم يجد فلا اثم عليه **الآفة**

الرابعة عشر الكذب في القول واليمين وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب
قال اسماعيل بن اوسط سمعت ابا بكر الصديق رضي الله عنه يخطب بعد وفاة رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامي هذا عام اول ثم بكى وقال اياكم والكذب
فانه مع الفجور وهما في النار وقال ابو امامة قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الكذب باب من ابواب
النفاق وقال الحسن كان يقال ان من النفاق اختلاف السر والعلانية والقول والعمل والمدخل والمخرج
وان الاصل الذي بني عليه النفاق الكذب وقال عليه السلام كبرت خيانة ان تحدث اخاك حديثا
هو لك به مصدق وانت له به كاذب وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال العبد يكذب
ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجلين يتبايعان شاة و
يتحالفان يقول والله لا انقصك من كذا وكذا ويقول الاخر والله لا ازيدك على كذا وكذا فمر بالشاة
وقد اشتراها احدهما فقال قد اوجب احدهما بالاثم والكفارة وقال النبي صلى الله عليه وسلم
الكذب ينقص الرزق وقال صلى الله عليه وسلم ان التجار هم الفجار فقيل يا رسول الله اليس قد احل الله
البيع قال نعم ولكنهم يحلفون فيأثمون ويحدثون فيكذبون وقال عليه الصلاة والسلام
ثلاثة نفر لا يكلمهم الله يوم القيمة ولا ينظر اليهم المنان بعطيته والمنفق سلعته بالحلف الفاجر
والمسبل ازاره وقال صلى الله عليه وسلم ما حلف حالف بالله فادخل فيه مثل جناح بعوضة الا كانت
نكتة في قلبه الى يوم القيمة وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثة يحبهم الله رجل
كان في فئة فنصب نحره حتى يقتل او يفتح الله عليه وعلى اصحابه ورجل كان له جار سوء يؤذيه فصبر على اذاه
حتى يفرق بينهما موت او ظعن ورجل كان مع قوم في سفر او سرية فاطالوا السرى حتى اعجبهم ان يمسوا
الارض فنزلوا فتنحى يصلي حتى يوقظ اصحابه للرحيل وثلاثة يشنؤهم الله التاجر او البياع الحلاف
والفقير المختال والبخيل المنان وقال عليه الصلاة ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم
ويل له ويل له وقال صلى الله عليه وسلم رايت كان رجلا جاءني فقال لي قم فقمت معه فاذا انا برجلين احدهما
قائم والآخر جالس بيد القائم كلوب من حديد يلقمه في شدق الجالس فيجذبه حتى يبلغ كاهله ثم يجذبه فيلقمه
الجانب الآخر فيمده فاذا مده رجع الآخر كما كان فقلت للذي اقامني ما هذا قال هذا رجل كذاب يعذب في
قبره الى يوم القيمة **وعن** عبد الله بن جراد انه سال النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله هل يزني
المؤمن قال قد يكون من ذلك قال يا نبي الله هل يكذب المؤمن قال لا ثم اتبعها النبي صلى الله عليه وسلم
بقوله هذه الكلمة انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وقال ابو سعيد سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يدعو ويقول اللهم طهر قلبي من النفاق وفرجي من الزنا ولساني من الكذب وقال
عليه السلام ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم شيخ زان
وملك كذاب وعائل مستكبر وقال عبد الله بن عامر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيتنا وانا صبي صغير
فذهبت لالعب فقالت امي يا عبد الله تعال اعطك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما اردت
ان تعطيه قالت تمرا فقال اما انك لو لم تفعلي لكتبت عليك كذبة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو افاء الله علي نعما عدد هذا الحصى لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا وقال صلى الله
عليه وسلم وكان متكئا الا انبئكم باكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين ثم قعد فقال الا وقول
الزور وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك عنه مسيرة

ميل من نتن ما جاء به وقال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم تقبلوا الي بست اتقبل لكم بالجنة قالوا وما هن
قال اذا حدث احدكم فلا يكذب واذا وعد فلا يخلف واذا ائتمن فلا يخن وغضوا ابصاركم وكفوا
ايديكم واحفظوا فروجكم وقال عليه الصلاة والسلام ان للشيطان كحلا ولعوقا ونشوقا فاما
لعوقه فالكذب واما نشوقه فالغضب واما كحله فالنوم وخطب عمر بالجابية فقال قام فينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم كمقامي فيكم فقال احسنوا الى اصحابي ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب حتى
يحلف الرجل على اليمين ولم يستحلف ويشهد ولم يستشهد وقال عليه السلام من حدث بحديث
وهو يرى انه كذب فهو احد الكاذبين وقال عليه السلام من حدث عني حديثا يرى انه كذب فهو
احد الكاذبين وقال صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين باثم ليقتطع بها مال امرئ مسلم بغير حق لقي الله
تعالى يوم القيمة وهو عليه غضبان وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رد شهادة رجل في كذبة
كذبها وقال صلى الله عليه وسلم كل خصلة يطبع او يطوى عليها المؤمن الا الخيانة والكذب وقالت
عائشة رضي الله عنها ما كان من خلق اشد عند اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ولقد كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع على الرجل من اصحابه على الكذبة فما تنجلي من صدره حتى يعلم انه قد احدث
لله عز وجل توبة منها وقال موسى عليه السلام يا رب اي عبادك خير عملا قال من لا يكذب لسانه
ولا يفجر قلبه ولا يزني فرجه وقال لقمان لابنه اياك والكذب فانه شهي كلحم العصفور عما قليل يقلاه صاحبه
وقال النبي صلى الله عليه وسلم في مدح الصدق اربع اذا كن فيك فلا يضرك ما فاتك من الدنيا صدق
الحديث وحفظ الامانة وحسن خليقة وعفة طعمة وقال ابو بكر رضي الله عنه في خطبته بعد
وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامي هذا عاما اول ثم بكى وقال عليكم بالصدق فانه مع البر وهما في
الجنة وقال معاذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوصيك بتقوى الله وصدق الحديث واداء
الامانة والوفاء بالعهد وبذل السلام وخفض الجناح **واما الآثار فقال علي** كرم الله وجهه اعظم
الخطايا عند الله اللسان الكذوب وشر الندامة ندامة يوم القيمة وقال عمر بن عبد العزيز ما كذبت
كذبة منذ شددت علي ازاري وقال عمر رضي الله عنه احبكم الينا ما لم نركم احسنكم اسما فاذا رايناكم
فاحبكم الينا احسنكم خلقا فاذا اختبرناكم فاحبكم الينا اصدقكم حديثا واعظمكم امانة **وعن**
ميمون بن ابي شبيب قال جلست اكتب كتابا فمررت بحرف ان انا كتبته زينت الكتاب وكنت قد كذبت
فعزمت على تركه فنوديت من جانب البيت يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي
الآخرة وقال الشعبي ما ادري ايهما ابعد غورا في النار الكذب او البخل وقال ابن السماك ما اراني
اوجر على ترك الكذب لاني انما ادعه انفة وقيل لخالد بن صبيح اتسمى من يكذب كذبة واحدة كذابا
قال نعم وقال مالك بن دينار قرات في بعض الكتب ما من خطيب الا تعرض خطبته على عمله فان كان
صادقا صدق وان كان كاذبا قرضت شفتاه بمقاريض من نار كلما قرضتا نبتتا وقال مالك بن دينار
الصدق والكذب يعتركان في القلب حتى يخرج احدهما صاحبه وكلم عمر بن عبد العزيز الوليد بن عبد الملك في شيء
فقال له كذبت فقال عمر ما كذبت منذ علمت ان الكذب يشين صاحبه **بيان ما رخص فيه من
الكذب** اعلم ان الكذب ليس حراما لعينه بل لما فيه من الضرر على المخاطب او على غيره فان اقل
درجاته ان يعتقد المخبر الشيء على خلاف ما هو به فيكون جاهلا وقد يتعلق به ضرر غيره ورب جهل
فيه منفعة ومصلحة فالكذب محصل لذلك الجهل فيكون ماذونا فيه وربما كان واجبا قال ميمون

ابن مهران ان الكذب في المواطن خير ارايت لو ان رجلا سعى واخر ورا بالسيف فدخل دارا فانتهى
اليك فقال ارايت فلانا ما كنت قائلا الست تقول لم اره وما تصدق فهذا الكذب واجب فنقول
الكلام وسيلة الى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن التوصل اليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب
فيه حرام وان امكن التوصل بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح ان كان تحصيل ذلك القصد
مباحا وواجب ان كان المقصود واجبا كما ان عصمة دم المسلم قد اختفى من ظالم فالكذب فيه واجب
ومهما كان لا يتم مقصود حرب او اصلاح ذات البين او استمالة قلب المجني عليه الا بكذب فالكذب
نفخشى ان يتداعى الى ما يستغنى عنه والى ما لا يقتصر على حد الضرورة فكان الكذب حراما في الاصل
الا لضرورة والدليل على الاستثناء ما روي عن ام كلثوم قالت ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يرخص في شيء من الكذب الا في ثلاث الرجل يقول القول يريد به الاصلاح والرجل يقول القول في الحرب
والرجل يحدث امراته والمراة تحدث زوجها وقالت ايضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بكذاب
من اصلح بين اثنين فقال خيرا او نمى خيرا وقالت اسماء بنت يزيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
كل الكذب يكتب على ابن آدم الا رجل كذب بين اثنين يصلح بينهما وروي عن ابي كاهل قال وقع بين
رجلين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام حتى تصارما فلقيت احدهما فقلت ما لك ولفلان
فقد سمعته يحسن عليك الثناء ولقيت الآخر فقلت مثل ذلك حتى اصطلحا فقلت اهلكت نفسي
واصلحت بين هذين فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا كاهل اصلح بين الناس ولو يعني
بالكذب وقال عطاء بن يسار قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم اكذب اهلي قال لا خير في الكذب قال اعدها
واقول لها قال لا جناح عليك وروي ان ابن ابي عرفة الدولي وكان في خلافة عمر يخلع النساء اللاتي يتزوج
فطارت له في الناس احدوثة يكرهها فلما علم بذلك قام بعبد الله بن الارقم حتى ادخله بيته فقال لامراته
انشدك الله هل تبغضيني قالت لا تنشدني قال فاني انشدك بالله قالت نعم فقال لابن الارقم اتسمع
ثم انطلقا الى عمر فقال انكم لتحدثون اني اظلم النساء واخلعهن فسل ابن الارقم فساله فاخبره فارسل
الى امراة ابن ابي عرفة فجاءت وعمتها فقال انت التي تحدثين لزوجك انك تبغضينه فقالت
اني اول من تاب وراجع امر الله انه ناشدني فتحرجت ان اكذب افاكذب يا امير المؤمنين قال نعم فاكذبيه
فان كانت احداكن لا تحب احدنا فلا تحدثه بذلك فان اقل البيوت الذي يبنى على الحب ولكن
الناس يتباغضون ولكن يتعاشرون بالاسلام والاحساب وعن النواس بن سمعان الكلابي قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لي اراكم تتهافتون في الكذب تهافت الفراش في النار كل الكذب مكتوب كذبا
الا ان يكذب الرجل في الحرب فان الحرب خدعة او يكون بين رجلين شحناء فيصلح بينهما او يحدث امراته
يرضيها وقال ثوبان الكذب كله اثم الا ما نفع به مسلم او دفع عنه وقال علي عليه السلام اذا حدثتكم
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلان اخر من السماء احب الي من ان اكذب عليه واذا حدثتكم فيما بيني وبينكم
فالحرب خدعة فهذه الثلاث ورد فيها صريح الاستثناء وفي معناها ما عداها اذا ارتبط به غرض مقصود
صحيح له او لغيره اما ماله فمثل ان ياخذه ظالم ويساله عن ماله فله ان ينكر او ياخذه السلطان ويساله
عن فاحشة بينه وبين الله تعالى ارتكبها فله ان ينكر ويقول ما زنيت ولا شربت قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله وذلك لان اظهار الفاحشة فاحشة
اخرى وللرجل ان يحفظ ماله ودمه الذي يؤخذ ظلما وعرضه بلسانه وان كان كاذبا واما عرض غيره فبان

يسال عن سر اخيه فله ان ينكره وان يصلح بين اثنين وان يصلح بين الضرات من نسائه بان يظهر لكل
واحدة انها احب اليه وان كانت امراته لا تطيعه الا بوعد بما لا يقدر عليه فيعدها في الحال تطييبا
لقلبها او يعتذر الى انسان وكان لا يطيب قلبه الا بانكار ذنب وزيادة تودد فلا باس به ولكن
الحد فيه ان الكذب محذور ولو صدق في هذه المواضع تولد منه محذور فينبغي ان يقابل احدهما
بالآخر ويزن بالميزان القسط فاذا علم ان المحذور الذي يحصل بالصدق اشد وقعا في الشرع من الكذب
فله الكذب وان كان ذلك هو المقصود اهون من مقصود الصدق وقد يتقابل الامر بحيث يتردد فيه
وعند ذلك الميل الى الصدق اولى لان الكذب يباح لضرورة او لحاجة مهمة فاذا شك في كون
الحاجة مهمة فالاصل التحريم فيرجع اليه ولاجل غموض ادراك مراتب المقاصد ينبغي
ان يحترز الانسان من الكذب ما امكنه وكذلك اذا كانت الحاجة له فيستحب له ان يترك اغراضه
ويهجر الكذب فاما اذا تعلق بغرض غيره فلا تجوز المسامحة بحق الغير والاضرار به واكثر كذب
الناس انما هو لحظوظ انفسهم ثم هو لزيادة المال والجاه ولامور ليس فواتها محذورا حتى ان المراة
لتحكي عن زوجها ما تفاخر به وتكذب لاجل مراغمة الضرات وذلك حرام قالت اسماء سمعت امراة
تسال النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان لي ضرة واني اتكثر من زوجي بما لم يفعل اضارها بذلك فهل علي
فيه شيء فقال المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور وقال صلى الله عليه وسلم من تطعم بما لم يطعم وقال
لي وليس له واعطيت ولم يعط كان كلابس ثوبي زور يوم القيامة ويدخل في هذا فتوى العالم بما لا يتحققه ورواية
الحديث الذي ليس يتثبت فيه اذ غرضه ان يظهر فضل نفسه فهو لذلك يستنكف من ان يقول لا ادري
وهذا حرام ومما يلتحق بالنساء الصبيان فان الصبي اذا كان لا يرغب في الكتب الا بوعد او وعيد
وتخويف كان ذلك مباحا نعم روينا في الاخبار ان ذلك يكتب كذبا ولكن الكذب المباح ايضا قد يكتب
ويحاسب عليه ويطالب بتصحيح قصده فيه ثم يعفى عنه لانه انما ابيح بقصد الاصلاح ويتطرق
اليه غرور كثير فانه قد يكون الباعث له حظه وغرضه الذي هو مستغن عنه وانما يتعلل ظاهرا
بالاصلاح فلهذا يكتب وكل من اتى بكذبة فقد وقع في خطر الاجتهاد ليعلم ان المقصود الذي كذب
لاجله هل هو اهم في الشرع من الصدق ام لا وذلك غامض جدا والحزم في تركه الا ان يصير واجبا بحيث لا يجوز
تركه كما لو ادى الى سفك دم او ارتكاب معصية كيف كان وقد ظن ظانون انه يجوز وضع الاخبار في
فضائل الاعمال وفي التشديد في المعاصي وزعموا ان القصد منه صحيح وهو خطأ محض اذ قال
صلى الله عليه وسلم من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار وهذا لا يرتكب الا لضرورة ولا ضرورة اذ في
الصدق مندوحة عن الكذب ففيما ورد من الآيات والاخبار كفاية عن غيرها وقول القائل ان ذلك
قد تكرر على الاسماع وسقط وقعه وما هو جديد فوقعه اعظم فهذا هوس اذ ليس هذا من الاغراض التي
تقاوم محذور الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الله تعالى ويؤدي فتح بابه الى امور تشوش
الشريعة فلا يقاوم خير هذا شره اصلا فالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر التي لا
يقاومها شيء

بيان الحذر من الكذب بالمعاريض

وقد نقل عن السلف ان في المعاريض
مندوحة عن الكذب وقال عمر رضي الله عنه اما في المعاريض ما يكفي الرجل عن الكذب وروي ذلك
عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره وانما ارادوا بذلك اذا اضطر الانسان الى الكذب فاما اذا لم يكن
حاجة وضرورة فلا يجوز التعريض ولا التصريح جميعا ولكن التعريض اهون ومثال المعاريض ما روي

ان مطرفا دخل على زياد فاستبطاه فتعلل بمرض وقال ما رفعت جنبي منذ فارقت الامير الا ما رفعني الله وقال
ابرهيم اذا بلغ الرجل عنك شي فكرهت ان تكذب فقل ان الله ليعلم ما قلت من ذلك من شي فيكون
قوله ما حرفا للنفي عند المستمع وعنده للابهام وكان معاذ عاملا لعمر فلما رجع قالت له امراته ما جئت
بما ياتي العمال من عراضة اهلهم وما كان قد جاءها بشي فقال كان معي ضاغط قالت كنت امينا عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر فبعث عمر معك ضاغطا فقامت بذلك في نسائها واشتكت عمر فلما
سمع عمر دعا معاذا وقال بعثت معك ضاغطا قال لم اجد ما اعتذر به اليها الا ذلك فضحك عمر
رضي الله عنه واعطاه شيئا فقال ارضها به وقوله ضاغطا يعني به ربه تعالى وكان النخعي لا يقول لابنته
اشتري لك السكر بل يقول ارايت لو اشتريت لك السكر فانه ربما لا يتفق وكان ابرهيم اذا طلبه في الدار
من يكرهه قال للجارية قولي له اطلبه في المسجد ولا تقولي ليس ههنا كيلا يكون كاذبا وكان الشعبي
اذا طلبه في البيت من يكرهه خط دائرة ويقول للجارية ضعي الاصبع فيها وقولي ليس ههنا وهذا كله
في موضع الحاجة فاما في غير موضع الحاجة فلا لان هذا تفهيم الكذب وان لم يكن اللفظ كذبا فهو مكروه
على الجملة كما روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال دخلت على عمر بن عبد العزيز مع ابي قال
فخرجت وعلي ثوب فجعل الناس يقولون هذا كساكه امير المؤمنين فكنت اقول جزى الله امير المؤمنين
خيرا فقال لي يا بني اتق الكذب اياك والكذب وما اشبهه فنهاه عن ذلك لان فيه تقريرا لهم
على ظن كاذب لاجل غرض المفاخرة وهو غرض باطل ولا فائدة فيه نعم المعاريض مباح لاجل غرض خفيف كتطييب
قلب الغير بالمزاح كقوله عليه السلام لا يدخل الجنة عجوز وفي عين زوجك بياض والحمل
على ولد البعير وما اشبهه فاما الكذب الصريح كما فعله نعيمان الانصاري مع عثمان في قصة الضرير
اذ قال له انه نعيمان وكما يعتاده الناس من ملاعبة الحمقى بتغريرهم بان امراة قد رغبت في تزويجه فان كان
فيه ضرر يؤدي الى ايذاء قلب فهو حرام وان لم يكن الا لمطايبة فلا يوصف صاحبها بالفسق ولكن ينقص
ذلك من درجة ايمانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستكمل المؤمن ايمانه حتى يحب لاخيه
ما يحب لنفسه وحتى يجتنب الكذب في مزاحه واما قوله عليه الصلاة ان الرجل يتكلم بالكلمة يضحك بها الناس
يهوي بها ابعد من الثريا اراد به ما فيه غيبة مسلم او ايذاء قلب دون محض المزاح ومن الكذب الذي لا
يوجب الفسق ما جرت به العادة في المبالغة كقوله قلت لك كذا وكذا مائة مرة وطلبتك مائة مرة فانه لا يراد به
تفهيم المرات بعددها بل تفهيم المبالغة فان لم يكن طلبه الا مرة واحدة كان كاذبا وان طلبه مرات
لا يعتاد مثلها في الكثرة فلا ياثم وان لم يبلغ مائة وبينهما درجات يتعرض مطلق اللسان بالمبالغة
فيها لخطر الكذب ومما يعتاد الكذب فيه ويتساهل فيه ان يقال كل الطعام فيقول لا اشتهيه و
ذلك منهي عنه وهو حرام ان لم يكن فيه غرض صحيح قال مجاهد قالت اسما بنت عميس كنت صاحبة
عائشة رضي الله عنها التي هياتها وادخلتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعي نسوة قالت
فوالله ما وجدنا عنده قرى الا قدحا من لبن فشرب ثم ناوله عائشة رضي الله عنها قالت فاستحيت
الجارية قالت فقلت لا تردي يد رسول الله صلى الله عليه وسلم خذي منه قالت فاخذته على
حياء فشربت منه ثم قال ناولي صواحبك فقلن لا نشتهيه فقال لا تجمعن جوعا وكذبا قالت فقلت
يا رسول الله صلى الله عليك ان قالت احدانا لشي تشتهيه لا اشتهيه ايعد ذلك كذبا فقال ان
الكذب ليكتب حتى تكتب الكذيبة كذيبة وقد كان اهل الورع يحترزون عن التسامح بمثل هذا الكذب

قال الليث بن سعد كانت ترمص عينا سعيد بن المسيب حتى يبلغ الرمص خارج عينيه فيقال له
لو مسحت هذا الرمص فيقول فاين قول الطبيب لي لا تمس عينيك فيقول لا افعل وهذه مراقبة اهل
الورع ومن تركه انسل لسانه عن اختياره فيكذب ولا يشعر وعن خوات التيمي قال جاءت اخت الربيع
بن خثيم فقال ارضعتيه قالت لا قال ما عليك لو قلت يا ابن اخي فصدقت ومن العادة ان
يقول يعلم الله فيما لا يعلمه قال عيسى عليه السلام ان من اعظم الذنوب عند الله ان يقول
العبد ان الله يعلم لما لا يعلم وربما يكذب في حكاية المنام والاثم فيه عظيم قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان من اعظم الفرية ان يدعى الرجل الى غير ابيه او يري عينيه في المنام ما لم تريا او يقول
علي ما لم اقل وقال صلى الله عليه وسلم من كذب في حلمه كلف يوم القيامة ان يعقد شعيرة

الآفة الخامسة عشر الغيبة

والنظر فيها طويل فلنذكر اولا مذمة الغيبة وما ورد فيها من شواهد
الشرع وقد نص الله تعالى على ذمها في كتابه وشبه صاحبها باكل لحم الميتة فقال الله تعالى ولا يغتب
بعضكم بعضا ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه وقال عليه السلام كل المسلم على المسلم حرام
دمه وماله وعرضه والغيبة تناول العرض وقد جمع الله بينه وبين الدم والمال وقال ابو هريرة
رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا يغتب بعضكم بعضا
وكونوا عباد الله اخوانا وعن جابر وابي سعيد قالا قال النبي صلى الله عليه وسلم اياكم والغيبة فان
الغيبة اشد من الزنا ان الرجل قد يزني فيتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر الله له حتى
يغفرها صاحبه وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسري بي على اقوام
يخمشون وجوههم باظافرهم فقلت يا جبريل من هولاء قال هولاء الذين يغتابون الناس ويقعون في
اعراضهم وقال سليمان بن جابر اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت علمني خيرا ينفعني الله به قال لا تحقرن
من المعروف شيئا ولو ان تصب من دلوك في اناء المستسقي وان تلقى اخاك ببشر حسن واذا ادبر فلا تغتابنه
وقال البراء خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اسمع العواتق في بيوتها فقال يا معشر من آمن بلسانه
ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يتبع عورة اخيه يتبع الله عورته ومن يتبع
الله عورته يفضحه في جوف بيته واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام من مات تائبا من الغيبة فهو آخر
من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها فهو اول من يدخل النار وقال انس امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بصوم يوم وقال
لا يفطرن احد حتى آذن له فصام الناس حتى اذا امسوا جعل الرجل يجي فيقول يا رسول الله ظللت صائما فاذن لي لافطر فياذن
له والرجل والرجل حتى جاء رجل فقال يا رسول الله فتاتان من اهلك ظلتا صائمتين وانهما تستحييان ان تاتينك
فاذن لهما فليفطرا فاعرض عنه ثم عاوده فقال انهما لم يصوما وكيف صام من ظل هذا اليوم ياكل لحوم الناس
اذهب فمرهما ان كانتا صائمتين ان يستقيئا فرجع اليهما فاخبرهما فقاءت كل واحدة منهما علقة من دم فرجع
الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال والذي نفس محمد بيده لو بقيتا في بطونهما لاكلتهما النار وفي رواية انه لما اعرض
عنه جاءه بعد ذلك وقال يا رسول الله انهما والله قد ماتتا او كادتا ان تموتا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ائتوني
بهما فجاءتا فدعا بعس او قدح فقال لاحديهما قيئي فقاءت من قيح ودم وصديد حتى ملات القدح وقال للاخرى قيئي
فقاءت كذلك فقال عليه السلام ان هاتين صامتا عما احل الله لهما وافطرتا على ما حرم عليهما جلست احديهما الى
الاخرى فجعلتا تاكلان لحوم الناس وقال انس خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الربا وعظم شانه
فقال الدرهم يصيبه الرجل من الربا اعظم عند الله من الخطيئة من ستة وثلاثين زنية يزنيها الرجل

وارين الربا عرض الرجل المسلم وقال جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير فاتى على قبرين يعذب صاحبهما
فقال اما انهما لا يعذبان في كبير اما احدهما فكان يغتاب الناس واما الاخر فكان لا يستنزه من بوله ودعا بجريدة
رطبة او جريدتين فكسرهما ثم امر بكل كسرة فغرست على قبر فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه سيهون من عذابهما
ما كانتا رطبتين او ما لم ييبسا ولما رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل في الزنا فقال رجل لصاحبه هذا اقعص
كما يقعص الكلب فمر النبي صلى الله عليه وسلم بجيفة فقال انهشا منها فقالا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ننهش
جيفة فقال ما اصبتما من اخيكما انتن من هذه وكان الصحابة رضي الله عنهم يتلاقون بالبشر ولا يغتابون
عند الغيبة ويرون ذلك افضل الاعمال ويرون خلافه عادة المنافقين وقال ابو هريرة رضي الله عنه من اكل
لحم اخيه في الدنيا قرب اليه لحمه في الاخرة وقيل له كله ميتا كما اكلته حيا فيأكله ويضج ويكلح ويروى مرفوعا كذلك
وروي ان رجلين كانا قاعدين عند باب من ابواب المسجد فمر بهما رجل كان مخنثا فترك ذلك فقالا لقد
بقي فيه منه شيء فاقيمت الصلاة فدخلا فصليا مع الناس فجال في انفسهما ما قالا فاتيا عطاء فسألاه فامرهما
ان يعيدا الوضوء والصلاة وامرهما ان يقضيا صيام ذلك اليوم وعن مجاهد قال
ويل لكل همزة لمزة الطعان في الناس واللمزة الذي ياكل لحوم الناس وقال قتادة ذكر لنا ان عذاب القبر ثلاثة
اثلاث ثلث من الغيبة وثلث من البول وثلث من النميمة وقال الحسن والله للغيبة اسرع في دين المؤمن من الاكلة
في الجسد وقال بعضهم ادركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ولكن في الكف عن اعراض
الناس وقال ابن عباس اذا اردت ان تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك وقال ابو هريرة رضي الله عنه يبصر احدكم
القذى في عين اخيه ولا يبصر الجذع في عين نفسه وكان الحسن يقول ابن ادم انك لن تصيب حقيقة الايمان حتى لا
تعيب الناس بعيب هو فيك وحتى تبدا باصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك فاذا فعلت ذلك كان شغلك
في خاصة نفسك واحب العباد الى الله تعالى من كان هكذا وقال مالك بن دينار مر عيسى عليه السلام والحواريون
على جيفة كلب فقال الحواريون ما انتن ريح هذا فقال عيسى ما اشد بياض اسنانه كانه ينهاهم عن غيبة الكلب
وينبههم على انه لا يذكر من خلق الله تعالى الا احسنه وسمع علي بن الحسين عليه السلام رجلا يغتاب اخر فقال
اياك والغيبة فانها ادام كلاب الناس وقال عمر رضي الله عنه عليكم بذكر الله فانه شفاء واياكم وذكر الناس فانه داء بيان
معنى الغيبة وحدها اعلم ان حد الغيبة ان تذكر اخاك بما يكرهه لو بلغه سواء ذكرت نقصانا في
بدنه او في نسبه او خلقه او في فعله او في قوله او في دينه او في دنياه حتى في ثوبه ودابته اما البدن
فكذكرك العمش والحول والقرع والقصر والطول والسواد والصفرة وجميع ما يتصور ان يوصف به مما يكرهه
واما النسب فان تقول ابوه نبطي او هندي او فاسق او خسيس او اسكاف او شيء مما يكرهه كيف كان واما
الخلق فان تقول هو سيء الخلق بخيل متكبر مراء شديد الغضب جبان عاجز ضعيف القلب متهور وما يجري مجراه
واما في افعاله المتعلقة بالدين فكقولك هو سارق او كذاب او شارب خمر او خائن او ظالم او متهاون بالصلاة
او الزكاة او لا يحسن الركوع والسجود ولا يحترز من النجاسات وليس بارا بوالديه ولا يضع الزكاة مواضعها ولا يحسن
قسمتها او لا يحرس صومه عن الرفث والغيبة والتعرض لاعراض الناس واما فعله المتعلق بالدنيا فكقولك انه قليل
الادب متهاون بالناس ولا يرى لاحد على نفسه حقا ويرى لنفسه حقا وانه كثير الكلام كثير الاكل وانه نؤوم
وينام في غير وقته ويجلس في غير موضعه واما في ثوبه فانه واسع الكم طويل الذيل وسخ الثياب وقال قوم
لا غيبة في الدين لانه ذم ما ذمه الله تعالى فذكره بالمعاصي وذمه بها يجوز بدليل ما روي انه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم
امرأة وكثرة صيامها وصلاتها ولكنها تؤذي جيرانها فقال هي في النار وذكرت امرأة اخرى بانها بخيلة فقال

فيما يكرهها ادب وهذا فاسد لانهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم الى معرفة الاحوال بالسؤال ولم يكن
غرضهم التنقيص ولا يحتاج اليه في غير مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم والدليل عليه اجماع
الامة ان من ذكر غيره بما يكرهه فهو مغتاب لانه داخل فيما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في حد
الغيبة فكل هذا وان كنت صادقا فيه فانت مغتاب عاص لربك وآكل لحم اخيك بدليل ما روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال هل تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكرهه
قيل ارأيت ان كان في اخي ما اقول قال ان كنت فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته
وقال معاذ بن جبل ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما اعجزه فقال صلى الله عليه وسلم
اغتبتم صاحبكم قالوا يا رسول الله قلنا ما فيه قال ان قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه وعن حذيفة
عن عائشة رضي الله عنها انها ذكرت امرأة انها قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم اغتبتيها وقال
الحسن ذكر الغير ثلاثة الغيبة والبهتان والافك وكل في كتاب الله تعالى فالغيبة ان تقول ما فيه
والبهتان ان تقول ما ليس فيه والافك ان تقول ما بلغك وذكر ابن سيرين رجلا فقال ذاك الرجل الاسود
ثم قال استغفر الله اني اراني قد اغتبته وذكر لا بي احد فاني قلت لامرأة مرة وانا عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان هذه الطويلة الذيل فقال الفظي فلفظت قطعة لحم بيان ان الغيبة لا تقتصر على اللسان
اعلم ان الذكر باللسان انما حرم لان فيه تفهيم الغير نقصان اخيك وتعريفه بما يكرهه فالتعريض به
كالتصريح والفعل كالقول والاشارة والايماء والغمز والهمز والكتابة والحركة وكل ما يفهم المقصود فهو داخل
في الغيبة وهو حرام ومن ذلك قالت عائشة دخلت علينا امرأة فلما ولت اومات بيدي انها قصيرة
فقال صلى الله عليه وسلم اغتبتيها ومن ذلك المحاكاة بان يمشي متعارجا او كما يمشي فهو غيبة بل هو اشد
من الغيبة لانه اعظم في التصوير والتفهيم فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم حكت امرأة فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ما يسرني اني حاكيت وكذا وكذا وكذلك الغيبة بالكتاب فان القلم احد اللسانين
وذكر المصنف في الكتاب شخصا معينا وتهجين كلامه في الكتاب غيبة الا ان يقترن به شيء من الاعذار
المحوجة الى ذكره كما سيأتي قوله واما قوله قال قوم كذا فليس ذلك غيبة وانما الغيبة التعرض لشخص معين
اما حي او ميت ومن الغيبة ان يقول بعض من مر بنا اليوم او بعض من رأينا اذا كان المخاطب يفهم منه شخصا
معينا لان المحذور تفهيمه دون ما به التفهيم فاما اذا لم يفهم عينه جاز كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا كره من انسان شيئا قال ما بال اقوام يفعلون كذا وكان لا يعين وقولك بعض من قدم من السفر او
بعض من يدعي العلم اذا كانت معه قرينة تفهم عين الشخص فهو غيبة واخبث انواع الغيبة غيبة
القراء المرائين فانهم يفهمون المقصود على صفة اهل الصلاح ليظهروا من انفسهم التعفف عن
الغيبة ويفهمون المقصود والتبذل في طلب الحطام ولا يدرون بجهلهم انهم جمعوا بين فاحشتين الرياء
والغيبة وذلك مثل ان يذكر عنده انسان فيقول الحمد لله الذي لم يبتلنا بالدخول على السلطان والتبذل
في طلب الحطام او يقول نعوذ بالله من قلة الحياء نسأل الله ان يعصمنا منه وانما قصده ان يفهم عيب الغير
فيذكره بصيغة الدعاء وكذلك قد يقدم مدح من يريد غيبته فيقول ما احسن احوال فلان ما كان
يقصر في العبادات ولكن قد اعتراه فتور وابتلي بما ابتلي به كلنا وهو قلة الصبر فيذكر نفسه ومقصوده
ان يذم غيره وان يمدح نفسه بالتشبه بالصالحين في ذم انفسهم فيكون مغتابا مرائيا مزكيا نفسه فيجمع
بين ثلاث فواحش وهو يظن بجهله انه من الصالحين المتعففين عن الغيبة ولذلك يلعب الشيطان

باهل الجهل اذا اشتغلوا بالعبادة من غير علم فانه يتبعهم ويحيط مكايده بهم فيضحك عليهم ويسخر بهم
ومن ذلك ان يذكر عيب انسان فلا ينتبه له بعض الحاضرين فيقول سبحان الله ما اعجب هذا حتى يصغي اليه المغتاب
ويعلم ما يقول فيذكر الله ويستعمل اسمه آلة له في تحقيق خبثه وهو يمتن على الله بذكره جهلا منه و
غرورا ومن ذلك ان يقول لقد ساءني ما جرى على صديقنا من الاستخفاف نسأل الله تعالى ان يروح نفسه
ويكون كاذبا في دعوى الاغتمام وفي اظهار الدعاء له بل لو قصد الدعاء لاخفاه في الخلوة عقيب صلاته
ولو كان يغتم به لاغتم ايضا باظهار ما يكرهه وكذلك يقول ذلك المسكين قد بلي بآفة عظيمة تاب الله عليه
وعلينا منها فهو في كل ذلك يظهر الدعاء والله مطلع على خبث ضميره وخفي قصده وهو لجهله لا يدري انه
قد تعرض لمقت اعظم مما يتعرض له الجهال اذا جاهروا ومن ذلك الاصغاء الى الغيبة على سبيل التعجب فانه انما يظهر
التعجب ليزيد نشاط المغتاب في الغيبة فكانما يستخرج الغيبة منه بهذا الطريق فيقول عجب
ما علمت انه كذلك ما عرفته الى الان الا بالخير وكنت احسب فيه غير هذا عافانا الله من بلائه
فان كل ذلك تصديق للمغتاب والتصديق بالغيبة غيبة بل الساكت شريك المغتاب قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم المستمع احد المغتابين وقد روي عن ابي بكر رضي الله عنه وعمر رضي الله عنه ان احدهما
قال لصاحبه ان فلانا لنؤوم ثم طلبا ادما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأكلا مع الخبز فقال عليه
السلام قد ائتدمتما فقالا ما نعلمه فقال ما اكلتما من لحم صاحبكما فانظر كيف جمعهما والقائل احدهما
والاخر مستمع وقال للرجلين اللذين قال احدهما اقعص كما يقعص الكلب انهشا من هذه الجيفة فجمع
بينهما فالمستمع لا يخرج من اثم الغيبة الا بان ينكر بلسانه فان خاف فبقلبه فان قدر على القيام او قطع
الكلام بكلام اخر فلم يفعل لزمه وان قال بلسانه اسكت وهو مشته لذلك بقلبه فذلك نفاق لا
يخرجه عن الاثم ما لم يكرهه بقلبه ولا يكفي ان يشير باليد اي اسكت او يشير بحاجبه وجبينه ما لم يكرهه
بقلبه فان ذلك استحقار للمذكور بل ينبغي ان يعظمه فيذب عنه صريحا قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من اذل عنده مؤمن وهو يقدر على نصره فلم ينصره اذله الله يوم القيمة على رؤس الخلائق وقال ابو الدردا
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رد عن عرض اخيه بالغيب كان حقا على الله عز وجل ان يرد عن عرضه
يوم القيمة وقال عليه السلام من ذب عن عرض اخيه كان حقا على الله ان يعتقه من النار وقد ورد في
نصرة المسلم في الغيبة وفضل ذلك اخبار كثيرة اوردناها في كتاب اداب الصحبة وحقوق المسلمين
فلا نطول بالاعادة **بيان الاسباب الباعثة على الغيبة اعلم** ان البواعث على
الغيبة كثيرة ولكن يجمعها احد عشر سببا ثمانية تطرد في حق العامة وثلثة في اهل الدين تختص بهم
وبالخاصة اما الثمانية **فالاول** ان يشفي الغيظ وذلك اذا جرى سبب غضب به عليه فاذا هاج غضبه
تشفى بذكر مساويه وسبق اللسان اليه بالطبع ان لم يكن دين وازع وقد يمتنع تشفي الغيظ عند الغضب
فيحتقن الغيظ والغضب في الباطن ويصير حقدا ثابتا فيكون سببا دائما لذكر المساوي والحقد والغضب
من البواعث العظيمة على الغيبة **الثاني** موافقة الاقران ومجاملة الرفقاء ومساعدتهم على الكلام فانهم
اذا كانوا يتفكهون بذكر اعراض الناس فيرى انه لو انكر او قطع المجلس استثقلوه ونفروا منه فيساعدهم
على ذلك فيراه من حسن المعاشرة ويظن انه مجاملة في الصحبة وقد يغضب رفقاؤه فيحتاج ان يغضب
لغضبهم اظهارا للمساهمة في الضراء والسراء فيخوض معهم في ذكر العيوب والمساوي **الثالث**
ان يستشعر من انسان انه سيقصده ويطول لسانه فيه او يقبح حاله عند محتشم او يشهد عليه بشهادة

فيبادره قبل ان يقبح هو حاله ويطعن فيه ليسقط اثر شهادته او يبتدي بذكر ما فيه صادقا ليكذب عليه
بعده فيروج كذبه بالصدق الاول ويستشهد به ويقول ما من عادتي الكذب فاني اخبرتكم بكذا وكذا
من احواله فكان كما قلت **الرابع** ان ينسب الى شيء فيريد ان يتبرأ منه فيذكر الذي فعله وكان من حقه
ان يبرئ نفسه ولا يذكر الذي فعله فلا ينسب غيره اليه او يذكر غيره بانه كان مشاركا له في الفعل ليمهد بذلك عذر
نفسه في الفعل **الخامس** ارادة التصنع والمباهاة وهو ان يرفع نفسه بتنقيص غيره فيقول فلان جاهل
وفهمه ركيك وكلامه ضعيف وغرضه ان يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه ويريهم انه افضل منه
او يحذر ان يعظم مثل تعظيمه فيقدح فيه كذلك **السادس** الحسد وهو انه ربما يحسد من يثني
الناس عليه ويحبونه ويكرمونه فيريد زوال تلك النعمة عنه ولا يجد سبيلا اليه الا بالقدح فيه فيريد
ان يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن اكرامه والثناء عليه لانه يثقل عليه ان يسمع ثناء الناس عليه واكرامهم
له وهذا هو الحسد وهو غير الغضب والحقد فان ذلك يستدعي جناية من المغضوب عليه والحسد
قد يكون مع الصديق المحسن والرفيق الموافق **السابع** اللعب والهزل والمطايبة وتزجية الوقت
بالضحك فيذكر غيره بما يضحك الناس على سبيل المحاكاة والتعجب والتعجيب **الثامن** السخرية والاستهزاء
والاستحقار له فان ذلك قد يجري في الحضور ويجري ايضا في الغيبة ومنشاؤه التكبر واستصغار المستهزأ به
واما الاسباب الثلاثة التي في الخاصة فهي اغمضها وادقها لانها شرور خبأها الشيطان
في معرض الخيرات وفيها خير ولكن شاب الشيطان الشر به **الاول** ان تنبعث من الدين داعية التعجب في
انكار المنكر والخطأ في الدين فيقول ما اعجب ما رايت من فلان فانه قد يكون صادقا وقد يكون تعجبه من
المنكر ولكن كان حقه ان يتعجب ولا يذكر اسمه فيسهل الشيطان عليه ذكر اسمه في اظهار تعجبه فصار به مغتابا
من حيث لا يدري واثما ومن ذلك قول الرجل تعجبت من فلان كيف يحب جاريته وهي قبيحة وكيف يجلس بين
يدي فلان وهو جاهل **الثاني** الرحمة وهو ان يغتم بسبب ما يبتلى به فيقول مسكين فلان قد غمني امره وما
ابتلي به ويكون صادقا في اغتمامه ويلهيه الغم عن الحذر عن ذكر اسمه فيذكره فيصير به مغتابا فيكون غمه
ورحمته خيرا وكذا تعجبه ولكن ساقه الى شر من حيث لا يدري والترحم ممكن دون ذكر اسمه فيهيجه الشيطان
على ذكر اسمه ليبطل به ثواب اغتمامه وترحمه **الثالث الغضب لله تعالى** فانه قد يغضب
على منكر قارفه انسان اذا رآه وسمعه فيظهر غضبه ويذكر اسمه فكان الواجب ان يظهر غضبه عليه بالامر
بالمعروف ولا يظهر على غيره او يستر اسمه ولا يذكره بالسوء فهذه الثلاثة مما يغمض دركها على العلماء
فضلا عن العوام فانهم يظنون ان التعجب والرحمة والغضب اذا كان لله كان عذرا في ذكر الاسم وهو خطأ
بل المرخص في الغيبة حاجات مخصوصة لا مندوحة فيها عن ذكر الاسم كما سياتي وروي عن عامر بن واثلة
ان رجلا مر على قوم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليهم فردوا السلام فقال رجل منهم بعد ما جاوزهم
اني لابغض هذا الرجل لله فقال اهل المجلس لبئس ما قلت والله لننبئنه قم يا فلان لرجل منهم فاخبره بما قال
فادركه رسولهم واخبره فاتى الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكى له ما قال وسأله ان يدعوه
فدعاه فسأله فقال قد قلت ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تبغضه فقال انا جاره وانا به خابر والله ما
رايته صلى صلاة قط الا هذه المكتوبة قال فاسأله يا رسول الله هل رآني اخرتها قط عن وقتها او اسأت
الوضوء لها او اسأت الركوع والسجود فيها فسأله فقال لا فقال والله ما رايته يصوم شهرا قط الا هذا
الشهر الذي يصومه البر والفاجر قال فاسأله يا رسول الله هل رآني قط افطرت فيه او نقصت من حقه شيئا

فسأله فقال لا قال والله ما رأيته يطعم مسكينا قط ولا رأيته ينفق في سبيل الله شيئا من ماله ولا في سبيل الخير الا هذه الزكاة التي يؤديها البر والفاجر قال فسأله يا رسول الله هل رآني نقصت منها او ماكست فيها طالبها الذي يسألها فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا فقال للرجل قم فلعله خير منك

بيان العلاج الذي به يمنع اللسان عن الغيبة

اعلم ان مساوي الاخلاق كلها انما يعالج بمعجون العلم والعمل وانما علاج كل علة بمضادة سببها وعلاج كف اللسان عن الغيبة على وجهين احدهما على الجملة والاخر على التفصيل اما على الجملة فهو ان يعلم تعرضه لسخط الله بغيبته بهذه الاخبار التي رويناها وان يعلم انها تحبط حسناته فانها في القيامة تنقل حسناته الى من اغتابه بدلا عما استباحه من عرضه فان لم تكن له حسنات نقل اليه من سيئاته وهو مع ذلك متعرض لمقت الله تعالى ومشبه عنده باكل الميتة بل العبد يدخل النار بان يترجح كفة سيئاته وربما تنقل اليه سيئة واحدة ممن اغتابه فيحصل الرجحان ويدخل بها النار وانما اقل الدرجات ان ينقص من ثواب اعماله وذلك بعد المخاصمة والمطالبة والسؤال والجواب والحساب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما النار في اليبس باسرع من الغيبة في حسنات العبد وروي ان رجلا قال للحسن بلغني انك تغتابني فقال ما بلغ من قدرك عندي ان احكمك في حسناتي فمهما امن العبد بما وردت به الاخبار لم يطلق لسانه بالغيبة خوفا من ذلك وينفعه ايضا ان يتدبر في نفسه فان وجد فيها عيبا اشتغل بعيب نفسه وذكر قوله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ومهما وجد عيبا فينبغي ان يستحيي من ان يترك ذم نفسه ويذم غيره بل ينبغي ان يعلم ان عجز غيره عن نفسه في التنزه عن ذلك العيب كعجزه ان كان ذلك عيبا يتعلق بفعله واختياره وان كان امرا خلقيا فالذم له ذم للخالق فان من ذم صنعة فقد ذم الصانع وقال رجل لبعض الحكماء يا قبيح الوجه فقال ما كان خلق وجهي الي فاحسنه واذا لم يجد عيبا في نفسه فليشكر الله ولا يلوثن نفسه باكبر العيوب فان ثلب الناس واكل لحم الميتة من اعظم العيوب بل لو انصف لعلم ان ظنه بنفسه انه بري من العيوب جهل بنفسه وهو من اعظم العيوب وينفعه ان يعلم ان تألم غيره بغيبته كتألمه بغيبة غيره له فاذا كان لا يرضى لنفسه ان يغتاب فينبغي ان لا يرضى لغيره ما لا يرضاه لنفسه فهذه معالجات جملية واما التفصيل فهو ان ينظر في السبب الباعث له على الغيبة فان علاج العلة بقطع سببها وقد قدمنا الاسباب اما الغضب فيعالجه بما ياتي في آفات الغضب وهو ان يقول انه اذا امضيت غضبي عليه فلعل الله يمضي غضبه علي بسبب الغيبة اذ نهاني عنها فاستجرأت على نهيه واستخففت بزجره وقد قال عليه السلام من كظم غيظا وهو يقدر ان يمضيه دعاه الله يوم القيمة على رؤس الخلايق حتى يخيره في اي الحور شاء وقال صلى الله عليه وسلم ان لجهنم بابا لا يدخله الا من شفى غيظه بمعصية الله وقال صلى الله عليه وسلم من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه وفي بعض كتب الله تعالى يا ابن آدم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك فيمن امحق واما الموافقة فبان يعلم ان الله يغضب عليك اذا طلبت سخطه في رضا المخلوقين فكيف ترضى لنفسك ان توقر غيرك وتحقر مولاك فتترك رضاه لرضاهم الا ان يكون غضبك لله وذلك لا يوجب ان تذكر المغضوب عليه بسوء بل ينبغي ان تغضب لله ايضا على رفقائك اذا ذكروه بالسوء فانهم عصوا ربك بافحش الذنوب وهي الغيبة واما تنزيه النفس بنسبة الخيانة الى الغير حيث يستغنى عن ذكر الغير فتعالجه بان تعرف ان التعرض لمقت الخالق اشد من التعرض لمقت الخلق وانت بالغيبة متعرض لسخط الله يقينا ولا تدري انك تتخلص من سخط الناس ام لا فتخلص نفسك في الدنيا بالتوهم وتهلك في الاخرة وتخسر حسناتك بالحقيقة وتحصل ذم الله تعالى لك نقدا وتنتظر دفع ذم الخلق نسيئة

وهذا غاية الجهل والحرمان واما عذرك بقولك ان اكلت الحرام ففلان ياكل وان قبلت مال السلطان ففلان يقبل فهذا جهل لانك تعتذر بالاقتداء بمن لا يجوز الاقتداء به كائنا من كان ولو دخل غيرك النار وانت تقدر ان لا تدخلها لم توافقه ولو وافقته لسفه عقلك ففيما ذكرته غيبة وزيادة معصية اضفتها الى ما اعتذرت عنه وسجلت مع الجمع بين المعصيتين على جهلك وغباوتك وكنت كالشاة تنظر الى المعزى تردي نفسها من الجبل فهي ايضا تردي نفسها ولو كان لها لسان لصرحت بالعذر وقالت العنز اكيس مني وقد اهلكت نفسها فكذلك انا افعل لكنت تضحك من جهلها وحالك مثل حالها ثم لا تتعجب ولا تضحك من نفسك واما قصدك المباهاة وتزكية النفس بزيادة الفضل بان تقدح في غيرك فينبغي ان تعلم انك بما ذكرته ابطلت فضلك عند الله وانت من اعتقاد الناس فضلك على خطر وربما نقص اعتقادهم فيك اذا عرفوك بثلب الناس فتكون قد بعت ما عند الخالق يقينا بما عند المخلوق وهما ولو حصل لك من المخلوق اعتقاد الفضل لكانوا لا يغنون عنك من الله شيئا واما الغيبة للحسد فهو جمع بين عذابين لانك حسدته على نعمة الدنيا وكنت معذبا بالحسد فما قنعت بذلك حتى اضفت اليه عذاب الاخرة فكنت خاسرا في الدنيا فجعلت نفسك خاسرا في الاخرة لتجمع بين النكالين فقد قصدت محسودك فاصبت نفسك واهديت اليه حسنتك فاذا انت صديقه وعدو نفسك اذ لا تضره غيبتك وتضرك وتنفعه اذ تنقل اليه حسنتك او تنقل اليك سيئته ولا تنفعك فقد جمعت الى خبث الحسد جهل الحماقة وربما يكون حسدك وقدحك سبب انتشار فضل محسودك وقد قيل اذا اراد الله نشر فضيلة طويت اتاح لها لسان حسود واما الاستهزاء فمقصودك منه اخزاء غيرك عند الناس باخزاء نفسك عند الله وعند الملائكة والنبيين ولو تفكرت في حسرتك وحيائك وخجلتك وخزيك يوم تحمل سيئات من استهزأت به وتساق الى النار لادهشك ذلك عن اخزاء صاحبك ولو عرفت حالك لكنت اولى بالبكاء والضحك منك فانك سخرت منه عند نفر قليل وعرضت نفسك لان ياخذ بيدك في القيامة ويسوقك تحت سيئاته كما يساق الحمار الى النار مستهزئا بك وفرحا بخزيك ومسرورا بنصر الله اياه وتسلطه على الانتقام منك واما الرحمة له على اثمه فهو حسن ولكن حسدك ابليس فاستنطقك بما ينقل من حسناتك اليه ما هو اكثر من رحمتك فيكون جبرا لاثم المرحوم فيخرج عن كونه مرحوما وتنقلب انت مستحقا لان تكون مرحوما اذ حبط اجرك ونقصت من حسناتك وكذلك الغضب لا يوجب الغيبة وانما حبب اليك الشيطان الغيبة ليحبط اجر غضبك وتصير متعرضا لمقت الله تعالى بالغيبة واما التعجب اذا اخرجك الى الغيبة فتعجب من نفسك انك كيف اهلكت نفسك ودينك بدين غيرك او بدنياه وانت مع ذلك لا تامن عقوبة الدنيا وهو ان يهتك الله سترك كما هتكت بالتعجب ستر اخيك فاذن علاج جميع ذلك المعرفة فقط والتحقق بهذه الامور التي هي من ابواب الايمان فمن قوي ايمانه بجميع ذلك انكف لسانه عن الغيبة لا محالة

بيان تحريم الغيبة بالقلب

اعلم ان سوء الظن حرام مثل سوء القول فكما يحرم عليك ان تحدث غيرك بلسانك بمساوي الغير فليس لك ان تحدث نفسك وتسيء الظن باخيك ولست اعني به الا عقد القلب وحكمه على غيره بالسوء فاما الخواطر وحديث النفس فهو معفو عنه بل الشك ايضا معفو عنه ولكن المنهي عنه ان تظن والظن عبارة عما تركن اليه النفس ويميل اليه القلب فقد قال الله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم وسبب تحريمه ان اسرار القلوب لا يعلمها الا الله تعالى علام الغيوب فليس لك ان تعتقد في غيرك سوءا الا اذا انكشف لك كشفا لا يحتمل التاويل فعند ذلك لا يمكنك الا ان تعتقد ما علمته وشاهدته وما لم تشاهده بعينك ولم تسمعه باذنك ثم وقع في قلبك

فانما الشيطان يلقيه اليك فينبغي ان تكذبه فانه افسق الفساق وقد قال تعالى يا ايها الذين امنوا ان
جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فلا يجوز ان تصدق ابليس وان كان ثم مخيلة تدل
على فساد واحتمل خلافه لم يجز ان تصدق به لان الفاسق يتصور ان يصدق في خبره ولكن لا يجوز لك
ان تصدق به حتى ان من استنكه فوجد منه رايحة الخمر لا يجوز ان يحد اذ يقال يمكن ان يكون قد
تمضمض بالخمر ومجه وما شربه او حمل عليه قهرا فكل ذلك لا محالة دلالة محتملة فلا يجوز تصديقها بالقلب واساءة الظن
بالمسلم به وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله حرم من المسلم دمه وماله وان يظن به ظن السوء فلا
يستباح ظن السوء الا بما يستباح به المال وهو نفس مشاهدته او بينة عادلة فاذا لم يكن كذلك وخطر لك
سوء الظن فينبغي ان تدفعه عن نفسك وتقرر عليها ان حاله عندك مستورة كما كان وان ما رايت
منه يحتمل الخير والشر فان قلت فبماذا يعرف عقد الظن والشكوك تختلج والنفوس تحدث فاقول
امارة عقد الظن ان يتغير القلب عما كان عليه فينفر عنه نفورا ويستثقله ويفتر عن مراعاته وتفقده
واكرامه والاغتمام بسببه فهذه امارات عقد الظن وتحقيقه وقد قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثلاث في المؤمن وله منهن مخرج فمخرجه من سوء الظن ان لا يحققه ولا يحققه اي لا يحقق في نفسه
بعقد ولا فعل لا في القلب ولا في الجوارح اما في القلب فبتغيره الى النفرة والكراهة واما في الجوارح فبالعمل
بموجبه والشيطان قد يقرر على القلب بادنى مخيلة مساءة الناس ويلقي اليه ان هذا من فطنتك وسرعة
تنبهك وذكايك وان المؤمن ينظر بنور الله وهو على التحقيق ناظر بغرور الشيطان وظلمته فاما اذا اخبرك
به عدل فمال ظنك الى تصديقه كنت معذورا لانك لو كذبته كنت جانيا على هذا العدل اذ ظننت به
الكذب وذلك ايضا من سوء الظن فلا ينبغي ان تحسن الظن بواحد وتسيء بالاخر نعم ينبغي ان تبحث هل
بينهما عداوة ومحاسدة وتعنت فتتطرق التهمة بسببه وقد رد الشرع شهادة الاب العدل
للتهمة ورد شهادة العدو فلك عند ذلك ان تتوقف وان كان عدلا فلا تصدقه ولكن تقول المذكور
حاله في ستر الله عندي وكان امره محجوبا وقد بقي كما كان لم ينكشف لي شيء من امره وقد يكون الرجل ظاهر
العدالة ولا محاسدة بين المذكور وبينه ولكن من عادته التعرض للناس وذكر مساويهم فهذا قد يظن
انه عدل وليس بعدل فان المغتاب فاسق اذ كان من عادته ردت شهادته الا ان الناس لكثرة الاعتياد تساهلوا
في امر الغيبة ولم يكترثوا بتناول اعراض الخلق ومهما خطر لك خاطر سوء على مسلم فينبغي ان تزيد في مراعاته
وتدعو له بالخير فان ذلك يغيظ الشيطان ويدفعه عنك فلا يلقي اليك الخاطر السوء خيفة من اشتغالك
بالدعاء والمراعاة ومهما عرفت هفوة مسلم بحجة فانصحه في السر ولا يخدعنك الشيطان فيدعوك الى
اغتيابه واذا وعظته فلا تعظه وانت مسرور باطلاعك على نقصه لينظر اليك بعين التعظيم وتنظر
اليه بعين الاستصغار وترفع عليه بايذاء الوعظ وليكن قصدك تخليصه من الاثم وانت حزين
كما تحزن على نفسك اذا دخل عليك نقصان وينبغي ان يكون تركه لذلك من غير نصحك احب اليك من
تركه بالنصيحة فاذا انت فعلت ذلك كنت قد جمعت بين اجر الوعظ واجر النصيحة واجر الغم بمصيبته
واجر الاعانة له على دينه ومن ثمرات سوء الظن التجسس فان القلب لا يقنع بالظن ويطلب التحقيق و
يشتغل بالتجسس وهو ايضا منهي عنه قال الله تعالى ولا تجسسوا فالغيبة وسوء الظن والتجسس
منهي عنه في اية واحدة ومعنى التجسس ان لا يترك عباد الله تحت ستر الله تعالى فيتوصل الى الاطلاع عليهم
والبحث عن احوالهم وهتك ستر الله عنهم حتى ينكشف لك ما لو كان مستورا عنك كان اسلم لقلبك

ولدينك وقد ذكرنا في كتاب الامر بالمعروف حكم التجسس وحقيقته

بيان الاعذار المرخصة في الغيبة

اعلم ان المرخص في ذكر مساوي الغير هو غرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصل اليه الا به فيدفع
ذلك اثم الغيبة وهي ستة امور **الاول** التظلم فان من ذكر قاضيا بالظلم والخيانة واخذ الرشوة
كان مغتابا عاصيا اما المظلوم من جهة القاضي فله ان يتظلم الى السلطان وينسبه الى الظلم اذ لا
يمكنه استيفاء حقه الا به وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لصاحب الحق مقال وقال مطل الغني ظلم وقال لي
الواجد يحل عرضه وعقوبته **الثاني** الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي الى منهج الحق و
الصلاح كما روي ان عمر مر على عثمان فسلم عليه فلم يرد عليه فذهب الى ابي بكر رضي الله عنهم وذكر
ذلك له فجاء ابو بكر ليصلح ذلك ولم يكن ذلك غيبة وكذلك لما بلغ عمر ان ابا جندل قد عاقر الخمر بالشام
فكتب اليه عمر بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل
التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير الاية فتاب ولم ير عمر ذلك مما قاله غيبة
اذ كان قصده ان ينكر عليه عمر فينفعه نصحه ما لا ينفعه نصح غيره وانما اباحة هذا بالقصد الصحيح
فان لم يكن ذلك هو المقصود كان حراما **الثالث** الاستفتاء كما يقول للمفتي ظلمني ابي او زوجي
او اخي فكيف طريقي في الخلاص والاسلم التعريض بان يقول ما قولك في رجل ظلمه ابوه او زوجته ولكن
التعيين بهذا مباح لما روي عن هند انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ان ابا سفيان رجل شحيح لا يعطيني
ما يكفيني انا وولدي افاخذ من غير علمه قال خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف فذكرت الشح والظلم
لها ولولدها ولم يزجرها رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ كان قصدها الاستفتاء **الرابع** تحذير المسلم من
الشر فاذا رايت متفقها يتردد الى مبتدع او فاسق وخفت ان يتعدى اليه بدعته فلك ان تكشف
بدعته وفسقه مهما كان الباعث لك الخوف عليه من سراية البدعة والفسق لا غيره وذلك موضع
الغرور اذ يكون الحسد هو الباعث ويلبس الشيطان ذلك باظهار الشفقة على الخلق وكذلك من
اشترى مملوكا وقد عرفت المملوك بالفسق او بالسرقة او بعيب اخر فلك ان تذكر ذلك العيب فان
في سكوتك ضررا بالمشتري وفي ذكرك ضررا بالبايع والمشتري اولى بمراعاة جانبه وكذلك المزكي
اذا سئل عن الشاهد فله الطعن وكذلك المستشار في التزويج وايداع الامانة فله ان يذكر ما
يعرفه على قصد النصح لا على قصد الوقيعة وان علم انه يترك التزويج بمجرد قوله لا يصلح لك فهو الواجب فان
علم انه لا ينزجر الا بالتصريح بعيبه فله ان يصرح به قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اترعون عن ذكر الفاجر
متى يعرفه الناس اذكروه بما فيه يحذره الناس وكانوا يقولون ثلاثة لا غيبة لهم الامام الجاير والمبتدع
والمجاهر بفسقه **الخامس** ان يكون الانسان معروفا باسم يعرب عن عيبه كالاعرج والاعمش فلا اثم
على من يقول روى ابو الزناد عن الاعرج وسليمان عن الاعمش وما يجري مجراه فقد فعل العلماء ذلك لضرورة
التعريف ولانه صار ذلك بحيث لا يكرهه صاحبه ولو علمه بعد ان صار مشهورا به نعم لو وجد معدلا
عنه فامكنه التعريف بعبارة اخرى فهو اولى وكذلك يقال للاعمى البصير عدولا عن اسم النقص **السادس**
ان يكون مجاهرا بالفسق كالمخنث وصاحب الماخور والمجاهر بالخمر وشربه ومصادرة الناس او كان
ممن يتظاهر بالفسق بحيث لا يستنكف من ان يذكر له ولا يكره ان يذكر به فاذا ذكرت فيه ما يتظاهر
به فلا اثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من القى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له وقال عمر بن
الخطاب رضي الله عنه ليس لفاجر حرمة واراد به المجاهر بفسقه دون المستتر اذ المستتر لا بد من مراعاته

حرمته وقال الصلت بن طريف قلت للحسن الرجل الفاجر المعلن بفجوره ذكري له بما فيه غيبة له
لا ولا كرامة وقال الحسن ثلثة لا غيبة لهم صاحب الهوى والفاسق المعلن بالفسق والامام الجائر
وهؤلاء الثلثة يجمعهم انهم ربما يتفاخرون ويتظاهرون فكيف يكرهون ذلك وهم يقصدون
اظهاره نعم لو ذكره بغير ما يتظاهر به اثم قال عوف دخلت على ابن سيرين فتناولت الحجاج فقال
ابن سيرين ان الله حكم عدل ينتقم للحجاج ممن اغتابه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه وانك اذا لقيت
الله تعالى هذا كان اصغر ذنبا اشد من ذنب عليك من اعظم ذنب اتاه الحجاج

بيان كفارة الغيبة

اعلم ان الواجب على المغتاب ان يندم ويتوب ويتأسف على ما فعل ليخرج من حق الله ثم يستحل
المغتاب ليخرج عن مظلمته بالاستحلال وينبغي ان يستحله وهو حزين متأسف نادم على فعله اذ المرائي
قد يستحل ليظهر من نفسه الورع وفي الباطن لا يكون نادما فيكون قد قارف معصية اخرى وقال
الحسن يكفيه الاستغفار عن الاستحلال وربما يحتج في ذلك بما روى انس بن مالك قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم كفارة من اغتبته ان تستغفر له وقال مجاهد كفارة اكلك لحم اخيك ان تثني
عليه وتدعو له بخير وسئل عطاء بن رباح عن التوبة من الغيبة فقال تمشي الى صاحبك فتقول كذبت
فيما قلت وظلمت واسأت فان شئت اخذت بحقك وان شئت عفوت وهذا هو الاصح وقول
القائل العرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال كلام ضعيف اذ وجب في جنب العرض
حد القذف وثبتت المطالبة به في الحديث الصحيح ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال من كانت لاخيه
مظلمة في عرض او مال فليستحلها منه من قبل ان يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم يؤخذ من حسناته
فان لم تكن له حسنات اخذ من سيئاته يعني من سيئات صاحبه فزيدت على سيئاته وقالت عائشة رضي
الله عنها لامرأة قالت لاخرى انها طويلة الذيل قد اغتبتيها فاستحليها فاذا لا بد من الاستحلال ان قدر
عليه فان كان غائبا او ميتا فينبغي ان يكثر الاستغفار والدعاء له ويكثر من الحسنات فان قلت
فالاستحلال هل يجب قلت لا لانه تبرع والتبرع ليس بواجب ولكنه مستحسن وسبيل المعتذر
ان يبالغ في الثناء عليه والتودد اليه ويلازم ذلك حتى يطيب قلبه فان لم يطب قلبه كان اعتذاره
وتودده حسنة محسوبة له يقابل بها سيئة الغيبة في القيمة وكان بعض السلف لا يحلل قال
سعيد بن المسيب لا احلل من ظلمني وقال ابن سيرين اني لم احرمها عليه فاحللها له ان الله حرم الغيبة
وما كنت لاحلل ما حرم الله ابدا فان قلت فما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ينبغي ان
يستحلها وتحليل ما حرمه الله غير ممكن فنقول المراد به العفو عن المظلمة لا ان ينقلب الحرام حلالا
وما ذكره ابن سيرين حسن في التحليل قبل الغيبة لا يجوز ان يحلل لغيره الغيبة فان قلت فما معنى
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ايعجز احدكم ان يكون كابي ضمضم كان اذا خرج من بيته قال اني تصدقت
بعرضي على الناس فكيف يتصدق به ومن تصدق به فهو مباح تناوله فان كان لا ينفذ صدقته
فما معنى الحث عليه فنقول معناه اني لا اطلب مظلمتي في القيمة ولا اخاصم ولا فلا تصير الغيبة حلالا
به ولا تسقط المظلمة به لانه عفو قبل الوجوب الا انه وعد وله العزم على الوفاء بان لا يخاصم وان رجع
وخاصم كان قياس سائر الحقوق ان له ذلك بل صرح الفقهاء بان من اباح القذف لم يسقط حقه من حد
القذف ومظلمة الآخرة مثل مظلمة الدنيا وعلى الجملة فالعفو افضل قال الحسن اذا جثت الامم بين يدي
الله تعالى يوم القيمة نودوا ليقم من كان اجره على الله فلا يقوم الا من عفا في الدنيا وقال تعالى خذ

العفو وامر بالعرف الآية فقال يا جبريل ما هذا قال ان الله يامرك ان تعفو عمن ظلمك وتعطي من
حرمك وتصل من قطعك وقد روي عن الحسن ان رجلا قال له ان فلانا اغتابك فبعث اليه
طبقا من رطب وقال بلغني انك اهديت الي من حسناتك فاردت ان اكافيك عليها فاعذرني
لا اقدر ان اكافيك على التمام

الآفة السادسة عشر النميمة

قال الله تعالى هماز مشاء
بنميم ثم قال عتل بعد ذلك زنيم قال عبد الله بن المبارك ولد الزنا لا يكتم الحديث واشار
الى ان كل من لا يكتم الحديث ويمشي بالنميمة دل على انه ولد الزنا استنباطا من قوله تعالى عتل بعد ذلك
زنيم والزنيم هو الدعي وقال تعالى ويل لكل همزة لمزة قيل الهمزة النمام وقال تعالى حمالة الحطب كانت
نمامة حمالة الحديث وقال تعالى فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا قيل كانت امرأة لوط
تخبر بالضيفان وامرأة نوح كانت تخبر بانه مجنون وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل
الجنة نمام وفي حديث اخر لا يدخل الجنة قتات والقتات هو النمام وقال ابو هريرة رضي الله عنه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احبكم الى الله تعالى احاسنكم اخلاقا الموطؤون اكنافا الذين يألفون
ويؤلفون وان ابغضكم الى الله المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاخوان الملتمسون للبرآء العثرات
وقال عليه السلام الا اخبركم بشراركم قالوا بلى يا رسول الله قال المشاؤون بالنميمة المفسدون بين
الاحبة الباغون للبرآء العيب وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اشاد على مسلم بكلمة
ليشينه بها بغير حق شانه الله في النار يوم القيمة وقال ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ايما رجل اشاع على رجل كلمة وهو منها بريء ليشينه بها في الدنيا كان حقا على الله ان يذيبه بها يوم
القيمة في النار وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد على مسلم
بشهادة ليس لها باهل فليتبوأ مقعده من النار ويقال ان ثلث عذاب القبر من النميمة وعن ابن عمر
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله الجنة قال لها تكلمي فقالت سعد من يدخلني فقال الجبار جل
جلاله وعزتي لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس مدمن خمر ولا مصر على الزنا ولا قتات وهو النمام ولا ديوث
ولا شرطي ولا مخنث ولا قاطع رحم ولا الذي يقول علي عهد الله ان لم افعل كذا وكذا ثم لم يف به وعن كعب
ان اصاب بني اسرائيل قحط فاستسقى موسى عليه السلام مرات فما اجيب له فاوحى الله اليه اني لا استجيب
لك ولمن معك وفيكم نمام قد اصر على النميمة فقال موسى يا رب من هو حتى نخرجه من بيننا فقال يا موسى
انهاكم عن النميمة واكون نماما فتابوا باجمعهم فسقوا وتبع رجل حكيما سبعمائة فرسخ في سبع كلمات
فلما قدم عليه قال اني جئتك للذي اتاك الله من العلم اخبرني عن السماء وما اثقل منها وعن الارض
وما اوسع منها وعن الحجر وما اقسى منه وعن النار وما احر منها وعن الزمهرير وما ابرد منه وعن
البحر وما اغنى منه وعن اليتيم وما اذل منه فقال الحكيم البهتان على البريء اثقل من السموات والحق اوسع
من الارض والقلب القانع اغنى من البحر والحرص والحسد احر من النار وحاجة الى القريب اذا لم تنجح ابرد
من الزمهرير وقلب الكافر اقسى من الحجر والنمام اذا بان امره اذل من اليتيم

بيان حد النميمة وما يجب في ردها

اعلم ان اسم النميمة انما يطلق في الاكثر على من ينم قول الغير الى المقول فيه كما تقول فلان
كان يتكلم فيك بكذا وكذا وليست النميمة مخصوصة به بل حدها كشف ما يكره كشفه سواء كرهه
المنقول عنه او المنقول اليه او كرهه ثالث وسواء كان الكشف بالقول او بالكتابة او بالرمز او بالايماء
وسواء كان المنقول من الاعمال او من الاقوال وسواء كان في ذلك عيب ونقصان في المنقول عنه او لم يكن

بل حقيقة النميمة افشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه بل كل ما رآه الانسان من احوال الناس
فينبغي ان يسكت عنه الا ما في حكايته فائدة لمسلم او دفع لمعصية كما اذا رأى من يتناول مال
غيره فعليه ان يشهد به مراعاة لحق المشهود عليه واما اذا رآه يخفي مالا لنفسه وذكره فهو نميمة
وافشاء للسر فان كان ما ينم به نقصانا وعيبا في المحكي عنه كان قد جمع بين الغيبة والنميمة والباعث
على النميمة اما ارادة السوء للمحكي عنه او اظهار الحب للمحكي له او التفرج بالحديث والخوض فيه
في الفضول كل من حملت اليه النميمة وقيل له ان فلانا قال فيك كذا وكذا او يريد افساد امرك
او في ممالاة عدوك او تقبيح حالك او ما يجري مجراه فعليه ستة امور **الاول** ان لا يصدقه
لان النمام فاسق وهو مردود الشهادة قال الله تعالى ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما
بجهالة **الثاني** ان ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح له فعله قال الله تعالى وأمر بالمعروف وانه
عن المنكر **والثالث** ان يبغضه في الله فانه بغيض عند الله تعالى ويجب بغض من يبغضه الله تعالى
الرابع ان لا يظن باخيك الغائب السوء قال الله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم
والخامس ان لا يحملك ما حكي لك على التجسس والبحث للتحقق لقوله تعالى ولا تجسسوا
والسادس ان لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه ولا تحكي نميمته فتقول فلان قد حكى كذا وكذا
فتكون به نماما ومغتابا وتكون قد اتيت بما نهيت عنه وقد روي عن عمر بن عبد العزيز انه دخل عليه
رجل فذكر عنده عن رجل شيئا فقال عمر ان شئت نظرنا في امرك فان كنت كاذبا فانت من اهل
هذه الآية ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا وان كنت صادقا فانت من اهل هذه الآية هماز مشاء بنميم
وان شئت عفونا عنك فقال العفو يا امير المؤمنين لا اعود اليه ابدا **وحكي** ان حكيما من الحكماء زاره بعض
اخوانه فاخبره بخبر عن غيره فقال له الحكيم قد ابطأت في الزيارة واتيتني بثلاث جنايات بغضت الي
اخي وشغلت قلبي الفارغ واتهمت نفسك الامينة وروي ان سليمان بن عبد الملك كان جالسا
وعنده الزهري فجاءه رجل فقال له سليمان بلغني انك وقعت في وقلت كذا وكذا فقال الرجل ما فعلت
ولا قلت فقال سليمان ان الذي اخبرني صادق فقال له الزهري النمام لا يكون صادقا قال
سليمان صدقت اذهب بسلام وقال الحسن من نم اليك نم عليك وهذا اشارة الى ان النمام ينبغي
ان يبغض ولا يوثق بصداقته وكيف لا يبغض وهو لا ينفك من الكذب والغيبة والغدر والخيانة
والغل والحسد والنفاق والافساد بين الناس والخديعة وهو ممن سعى في قطع ما امر الله به
ان يوصل ويفسدون في الارض وقال تعالى انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض
بغير الحق والنمام منهم وقال صلى الله عليه وسلم ان من شر الناس من اتقاه الناس لشره والنمام منهم
وقال عليه السلام لا يدخل الجنة قاطع قيل قاطع بين الناس وهو النمام وقيل قاطع الرحم وروي عن
علي رضي الله عنه ان رجلا اتاه يسعى اليه برجل فقال يا هذا نحن نسأل عما قلت فان كنت صادقا
مقتناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان شئت ان نقيلك اقلناك قال اقلني يا امير المؤمنين وقيل
لمحمد بن كعب القرظي اي خصال المؤمن اوضع له فقال كثرة الكلام وافشاء السر وقبول كل احد وقال رجل
لعبد الله بن عامر وكان اميرا بلغني ان فلانا اعلم الامير اني ذكرته بسوء قال قد كان ذلك قال
فاخبرني بما قال لك حتى اظهر كذبه عندك قال ما احب ان اشتم نفسي بلساني وحسبي اني لم اصدقه
فيما قال ولا اقطع عنك الوصال وذكرت السعاية عند بعض الصالحين فقال ما ظنكم بقوم

يحمد الصدق من كل احد من الناس الا منهم وقال مصعب بن الزبير نحن نرى ان قبول السعاية شر من
السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شيء واخبر به كمن قبله واجازه فاتقوا
الساعي فلو كان في قوله صادقا لكان في صدقه لئيما حيث لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة و
السعاية هي النميمة الا انها اذا كانت الى من يخاف جانبه سميت سعاية وقال النبي صلى الله
عليه وسلم الساعي بالناس الى الناس لغير رشدة يعني ليس بولد حلال ودخل رجل على سليمان
بن عبد الملك فاستأذن في الكلام وقال اني مكلمك يا امير المؤمنين بكلام فاحتمله وان كرهته
فان وراءه ما تحب ان قبلته قال قل فقال يا امير المؤمنين انه قد اكتنفك رجال ابتاعوا دنياك
بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك فلا تأمنهم على ما ائتمنك
الله عليه ولا تصغ اليهم فيما استحفظك الله اياه فانهم لن يألوا الامة خسفا والامانة
تضييعا والاعراض قطعا وانتهاكا اعلى قربهم البغي والنميمة واجل وسائلهم الغيبة و
الوقيعة وانت مسؤول عما اجترحوا وليسوا مسؤولين عما اجترحت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك
فان اعظم الناس غبنا من باع آخرته بدنيا غيره وسعى رجل بزياد الاعجم الى سليمان بن عبد الملك
فجمع بينهما للموافقة فاقبل زياد على الرجل فقال **شعر** انت امرؤ اما ائتمنتك خاليا
فخنت واما قلت قولا بلا علم فانت من الامر الذي كان بيننا بمنزلة بين الخيانة والاثم وقال
رجل لعمرو بن عبيد ان الاسواري ما يزال يذكرك في قصصه بشر فقال له عمرو ما رعيت حق
مجالسة الرجل حيث نقلت الينا حديثه ولا اديت حقي حين اعلمتني عن اخي ما اكره ولكن اعلمه ان
الموت يعمنا والقبر يضمنا والله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين ورفع بعض السعاة الى الصاحب
بن عباد رقعة نبه فيها على مال يتيم يحمله على اخذه لكثرته فكتب على ظهرها السعاية قبيحة
وان كانت صحيحة فالميت رحمه الله واليتيم جبره الله والمال ثمره الله والساعي لعنه الله
وقال لقمان لابنه اي بني اوصيك بخلال ان تمسكت بهن لم تزل سيدا ابسط خلقك للقريب و
البعيد وامسك جهلك عن الكريم واللئيم واحفظ اخوانك وصل اقاربك وآمنهم من قبول قول
ساع او سماع باغ يريد افسادك ويروم خداعك وليكن اخوانك من اذا فارقتهم و
فارقوك لم تعبهم ولا يعيبوك وقال بعضهم النميمة مبنية على الكذب والحسد والنفاق
وهي اثافي الذل وقال بعضهم لو صح ما نقله النمام اليك لكان هو المجترئ بالشتم عليك و
المنقول عنه اولى بحلمك لانه لم يقابلك بشتمك وعلى الجملة فشر النمام عظيم ينبغي
ان يتوقى قال حماد بن سلمة باع رجل عبدا وقال للمشتري ما فيه عيب الا النميمة قال
رضيت فاشتراه فمكث الغلام اياما ثم قال لزوجة مولاه ان زوجك لا يحبك وهو يريد
ان يتسرى عليك جارية يشتريها فخذي الموسى واحلقي من عند قفاه وقت نومه شعرات
حتى اسحره عليها فيحبك ثم قال للزوج ان امرأتك اتخذت عليك خليلا وتريد ان تقتلك
فتناوم لها حتى تعرف فتناوم فجاءت المرأة بالموسى فظن انها تقتله فقام وقتلها فجاء اهل
المرأة فقتلوا الزوج فوقع القتال بين القبيلتين فطال الامر **الآفة السابعة عشر كلام**
ذي اللسانين الذي يتردد بين المتعادين ويكلم كل واحد بكلام يوافقه وقل ما يخلو عنه
من يشاهد متعادين وذلك عين النفاق قال عمار بن ياسر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم تجدون من شر الناس يوم القيمة ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بحديث وهؤلاء
بحديث هؤلاء وفي لفظ آخر يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وقال ابو هريرة لا ينبغي لذي الوجهين
ان يكون امينا عند الله وقال مالك بن دينار قرأت في التورية بطلت الامانة والرجل مع صاحبه
بشفتين مختلفتين يهلك الله يوم القيمة كل شفتين مختلفتين وقال عليه الصلوة والسلام
ابغض خليقة الله اليه يوم القيمة الكذابون والمستكبرون والذين يكثرون البغضاء لاخوانهم في
صدورهم فاذا لقوهم تملقوا لهم والذين اذا دعوا الى الله ورسوله كانوا بطاء واذا دعوا الى الشيطان
وامره كانوا سراعا وقال ابن مسعود لا يكن احدكم امعة قالوا وما الامعة قال يجري مع كل ريح و
اتفقوا على ان ملاقاة الرجال بوجهين نفاق وللنفاق علامات كثيرة وهذه من جملتها وقد
روي ان رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مات فلم يصل عليه حذيفة فقال له عمر
يموت رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تصلي عليه فقال يا امير المؤمنين انه منهم فقال
نشدتك الله انا منهم قال اللهم لا ولا آمن منها احدا بعدك فان قلت فبماذا يصير
ذا اللسانين وما حد ذلك فاقول اذا دخل على متعاديين وجامل كل واحد منهما وكان صادقا
فيه لم يكن منافقا ولا ذا اللسانين فان الواحد قد يصادق متعاديين ولكن صداقة ضعيفة
لا تنتهي الى حد الاخوة اذ لو تحققت الصداقة لاقتضت معاداة الاعداء كما ذكرناه في كتاب آداب
الصحبة والاخوة نعم لو نقل كلام كل واحد منهما الى الآخر فهو ذو اللسانين وهو شر من النميمة
اذ يصير نماما بان ينقل من احد الجانبين فقط وان لم ينقل كلاما ولكن حسن لكل واحد منهما ما هو عليه
من المعاداة مع صاحبه فهذا ذو لسانين وكذلك اذا وعد كل واحد منهما بان ينصره وكذلك اذا
اثنى على احدهما وكان اذا خرج من عنده يذمه فهو ذو لسانين بل ينبغي ان يسكت او يثني على المحق من
المتعاديين ويثني عليه في حضوره وفي غيبته وبين يدي عدوه وقيل لابن عمر انا ندخل على امرائنا
فنقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره قال كنا نعد ذلك نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهذا نفاق مهما كان مستغنيا عن الدخول على الامير وعن الثناء عليه فلو استغنى عن الدخول
ولكن اذا دخل يخاف ان لم يثن فهو نفاق لانه هو الذي احوج نفسه اليه وان كان مستغنيا عن الدخول
لو قنع بالقليل وترك الجاه والمال فدخل لضرورة الجاه والغنى واثنى فهو منافق وهذا معنى قوله صلى
الله عليه وسلم حب المال والجاه ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل لانه يحوج الى الامراء
والى مراعاتهم ومراآتهم فاما اذا ابتلي به لضرورة وخاف ان لم يثن فهو معذور فان اتقاء الشر جائز قال
ابو الدرداء انا لنكشر في وجوه اقوام وان قلوبنا لتلعنهم وقالت عائشة رضي الله عنها استأذن رجل على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له فبئس رجل العشيرة هو فلما دخل عليه ألان له القول فلما خرج
قالت عائشة قد قلت فيه ما قلت ثم ألنت له القول فقال يا عائشة ان شر الناس الذي يكرم اتقاء
شره ولكن هذا ورد في الاقبال والكشر والتبسم فاما الثناء فهو كذب صريح فلا يجوز الا لضرورة او اكراه يباح
الكذب بمثله كما ذكرناه في آفة الكذب بل لا يجوز الثناء ولا التصديق ولا تحريك الرأس في معرض
التقرير على كل كلام باطل فان فعل ذلك فهو منافق بل ينبغي ان ينكر فان لم يقدر فليسكت ولينكر
بقلبه **الآفة الثامنة عشر المدح** وهو منهي عنه في بعض المواضع اما الذم فهو الغيبة

والوقيعة وقد ذكرنا حكمها والمدح يدخله ست آفات اربع في المادح واثنتان في الممدوح فاما
المادح فهو ان يفرط فينتهي به الى الكذب قال خالد بن معدان من مدح اماما او احدا بما ليس فيه على
رؤس الاشهاد بعثه الله يوم القيمة يتعثر بلسانه **الآفة** الثانية انه قد يدخله الرياء فانه بالمدح
يظهر الحب وقد لا يكون مضمرا له ولا معتقدا لجميع ما يقوله فيصير به مرائيا منافقا الثالثة
انه يقول ما لا يتحققه ولا سبيل الى الاطلاع عليه كما روي ان رجلا مدح رجلا عند النبي صلى الله
عليه وسلم فقال عليه السلام ويحك قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما افلح ثم قال ان كان
احدكم لا بد مادحا اخاه فليقل احسب فلانا ولا ازكي على الله احدا حسيبه الله ان كان يرى انه كذلك
وهذه الآفة تتطرق الى المدح بالاوصاف المطلقة التي تعرف بالادلة كقولك انه متق وورع
وزاهد وخير وما يجري مجراه اما اذا قال رأيته يصلي بالليل ويتصدق ويحج فهذه امور مستيقنة
ومن ذلك قوله انه عدل رضا فان ذلك خفي فلا ينبغي ان يجزم القول به الا بعد خبرة باطنه
وسمع عمر رجلا يثني على رجل فقال اسافرت معه قال لا قال اخالطته قال لا قال والله الذي لا اله
الا هو لا تعرفه **الرابع** انه قد يفرح الممدوح وهو ظالم او فاسق وذلك لا يجوز قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله يغضب اذا مدح الفاسق وقال الحسن من دعا لظالم بالبقاء فقد احب
ان يعصى الله في ارضه والظالم الفاسق ينبغي ان يذم ليغتم ولا يمدح ليفرح واما الممدوح فيضره
من وجهين **احدهما** انه يحدث فيه كبرا واعجابا وهما مهلكات قال الحسن كان عمر رضي الله
عنه قاعدا ومعه الدرة والناس حوله اذ اقبل الجارود فقال رجل هذا سيد ربيعة فسمعها
عمر ومن حوله وسمعها الجارود فلما دنا منه خفقه بالدرة فقال ما لي ومالك يا امير المؤمنين قال
ما لي ومالك اما لقد سمعتها قال اما وقد سمعتها فمه قال خشيت ان يخالط قلبك منها شيء
فاحببت ان اطأطئ منك **الثانية** وهو انه اذا اثني عليه بالخير فرح به وفتر ورضي عن نفسه
ومن اعجب بنفسه قل تشمره وانما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصرا فاذا انطلقت الالسنة بالثناء
عليه ظن انه قد ادرك ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما
افلح وقال صلى الله عليه وسلم اذا مدحت اخاك في وجهه فكانما امررت على حلقه موسى رميضا
وقال ايضا لمن مدح رجلا عقرت الرجل عقرك الله وقال مطرف ما سمعت ثناء ولا مدحة الا
تصاغرت الي نفسي وقال زياد بن ابي مسلم ليس احد يسمع ثناء عليه او مدحة الا تراءى له الشيطان
ولكن المؤمن يراجع قال ابن المبارك لقد صدق كلاهما اما ما ذكره زياد فذلك قلب العوام
واما ما ذكره مطرف فذلك قلب الخواص وقال النبي صلى الله عليه وسلم لو مشى رجل الى رجل بسكين
مرهف كان خيرا له من ان يثني عليه في وجهه وقال عمر المدح هو الذبح وذلك لان المذبوح
هو الذي يفتر عن العمل والمدح يوجب الفتور ولان المدح يورث العجب والكبر وهما مهلكان كالذبح
فلذلك شبهه به فان سلم المدح من هذه الآفات في حق المادح والممدوح لم يكن به بأس بل ربما كان
مندوبا اليه ولذلك اثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصحابة حتى قال لو وزن ايمان ابي بكر
بايمان العالمين لرجح وقال في عمر لو لم ابعث لبعثت يا عمر واي ثناء يزيد على هذا ولكنه قال عن صدق
وبصيرة وكانوا اجل رتبة من ان يورثهم ذلك كبرا وعجبا وفتورا بل مدح الرجل نفسه قبيح لما فيه
من الكبر والتفاخر اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر اي لست اقول

هذا افحام كما يقوله الناس قصد الثناء على انفسهم وذلك لان افتخاره كان بالله تعالى وبقربه من الله
لا بولد آدم وتقدمه عليهم كما ان المقبول عند الملك قبولاً عظيماً انما يفتخر بقبوله اياه وبه يفرح
لا بتقدمه على بعض رعاياه وبتفصيل هذه الآفات تقدر على الجمع بين ذم المدح وبين الحث عليه اذ
قال صلى الله عليه وسلم وجبت لما اثني على بعض الموتى وقال مجاهد ان لبني آدم جلساء من الملائكة فاذا
ذكر اخاه المسلم بخير قالت الملائكة ولك مثله واذا ذكره بسوء قالت الملائكة يا ابن آدم المستور عورته
اربع على نفسك واحمد الله اذ ستر عورتك فهذه آفات المدح **بيان ما على الممدوح اعلم**
ان على الممدوح ان يكون شديد الاحتراز عن آفة الكبر وآفة الفتور ولا ينجو عنه الا بان يعرف نفسه
ويتامل في خطر الخاتمة ودقائق الرياء وآفات الاعمال فانه يعرف من نفسه ما لا يعرفه المادح ولو
انكشف له جميع اسراره وما يجري على خواطره لكف المادح عن مدحه وعليه ان يظهر كراهية
المدح باذلال المادح واليه الاشارة بقوله عليه السلام احثوا التراب في وجوه المادحين قال سفين بن
عيينة لا يضر المدح من عرف نفسه واثني على رجل من الصالحين فقال اللهم ان هؤلاء لا يعرفوني وانت
تعرفني وقال آخر لما اثني عليه اللهم ان عبدك هذا تقرب الي بمقتك وانا اشهدك على نفسي و
اشهدك على مقته وقال علي رضي الله عنه لما اثني عليه اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما
يقولون واجعلني خيراً مما يظنون واثنى رجل على علي رضي الله عنه في وجهه وكان قد بلغه انه يقع
فيه فقال عليه السلام انا دون ما تقول وفوق ما في نفسك **الآفة التاسعة عشر في**
الغفلة عن دقائق الخطا في فحوى الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بامور الدين
فلا يقدر على تقويم اللفظ في امور الدين الا العلماء الفصحاء فمن قصر في علم او فصاحة لم يخل كلامه عن
الزلل لكن الله تعالى يعفو عنه لجهله مثاله ما قال حذيفة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يقل احدكم ما شاء الله وشئت ولكن ليقل ما شاء الله ثم شئت وذلك لان في العطف المطلق تشريكاً
وتسوية وهو على خلاف الاحترام وقال ابن عباس رضي الله عنهما جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم
فكلمه في بعض الامر فقال ما شاء الله وشئت فقال اجعلتني لله عدلاً بل ما شاء الله وحده وخطب رجل عند
النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال
من يعص الله ورسوله فقد غوى فكره قوله ومن يعصهما لانه تسوية وجمع وكان ابراهيم يكره ان يقول الرجل
اعوذ بالله ثم بك وان يقول لولا الله ثم فلان ولا يقول لولا الله وفلان وكره بعضهم ان يقول
اعتقنا من النار ويقول العتق بعد الرجوع والورود وكانوا يستجيرون من النار ويتعوذون من النار وقال
رجل اللهم اجعلني ممن تصيبه شفاعة محمد فقال حذيفة ان الله تعالى يغني المؤمنين عن شفاعة
محمد وتكون شفاعة محمد للمذنبين من المسلمين وقال ابراهيم اذا قال الرجل للرجل يا حمار يا خنزير قيل
له يوم القيامة حماراً رأيتني خلقته خنزيراً رأيتني خلقته وعن ابن عباس ان احدكم ليشرك حتى يشرك بكلبه يقول لولا
لسرقنا الليلة وقال عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ينهاكم ان تحلفوا بآبائكم قال عمر و
الله ما حلفت بها منذ سمعتها وقال صلى الله عليه وسلم لا تسموا العنب الكرم انما الكرم الرجل المسلم وقال
ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم عبدي وامتي كلكم عبيد الله وكل نسائكم
اماء الله ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي ولا يقول المملوك ربي ولا ربتي ولكن سيدي و
سيدتي فكلكم عبيد والرب الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم لا تقولوا للمنافق سيدنا فانه ان يكن

سيدكم فقد اسخطتم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال انا بريء من الاسلام فان كان صادقاً فهو
كما قال وان كان كاذباً فلن يرجع الى الاسلام سالماً فهذا وامثاله مما يدخل في الكلام ولا يمكن
حصره ومن تامل جميع ما اوردناه في آفات اللسان علم انه اذا اطلق لسانه لم يسلم وعند ذلك يعرف سر
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله من صمت نجا لان هذه الآفات كلها مهالك ومعاطب وهي على
طريق المتكلم فان سكت سلم من الكل وان تكلم خاطر بنفسه الا ان يوافقه لسان فصيح وعلم غزير وورع
حافظ ومراقبة لازمة ويقلل في الكلام فعساه يسلم عند ذلك وهو مع جميع ذلك لا ينفك عن
الخطر فان كنت لا تقدر على ان تكون ممن تكلم فغنم فكن ممن سكت فسلم فالسلامة احد الغنيمتين
الآفة العشرون سؤال العوام عن صفات الله سبحانه وتعالى وعن كلامه وعن
الحروف وانها قديمة او حادثة ومن حقهم الاشتغال بالعمل بما في القرآن الا ان ذلك ثقيل على النفوس
والفضول خفيف على القلب والعامي يفرح بان يخوض في العلم اذ الشيطان يخيل اليه انه من العلماء
واهل الفضل فلا يزال يحبب اليه ذلك حتى يتكلم بما هو كفر وهو لا يدري وكل كبيرة يرتكبها العامي فهي
اسلم من ان يتكلم في العلم لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته وانما شأن العوام الاشتغال بالعبادات
والايمان بما ورد به القرآن والتسليم لما جاءت به الرسل من غير بحث وسؤالهم عن غير ما يتعلق بالعبادة
سوء ادب منهم يستحقون به المقت من الله ويتعرضون لخطر الكفر وهو كسؤال ساسة الدواب عن
اسرار الملوك وهو موجب للعقوبة وكل من سأل عن علم غامض ولم يبلغ فهمه تلك الدرجة فهو مذموم
فانه بالاضافة اليه عامي ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذروني ما تركتكم فانما هلك
من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على انبيائهم ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما امرتكم به فأتوا منه
ما استطعتم وقال انس سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً حتى اكثروا عليه واغضبوه
فصعد المنبر وقال سلوني فلا تسألوني عن شيء الا انبأتكم به فقال اليه رجل يا رسول الله من ابي
فقال ابوك حذافة فقام اليه شابان اخوان فقالا يا رسول الله من ابونا فقال ابوكما الذي تدعيان
اليه ثم قام اليه رجل فقال يا رسول الله افي الجنة انا ام في النار فقال لا بل في النار فلما رأى الناس غضب
رسول الله صلى الله عليه وسلم امسكوا فقام اليه عمر فقال رضينا بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد صلى الله
عليه وسلم نبياً ورسولاً فقال اجلس يرحمك الله انك ما علمت لموفق وفي الحديث نهى رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن القيل والقال وكثرة السؤال واضاعة المال وقال عليه الصلاة والسلام يوشك
الناس يتساءلون بينهم حتى يقولوا هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله فاذا قالوا ذلك فقولوا الله
احد حتى تختموا السورة ثم ليتفل احدكم عن يساره ثلاثاً وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم و
قال جابر ما نزلت آية التلاعن الا لكثرة السؤال وفي قصة موسى والخضر عليهما السلام تنبيه على المنع
من كثرة السؤال قبل اوان استحقاقه اذ قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى احدث لك منه
ذكراً فلما سأل عن السفينة انكر عليه حتى اعتذر وقال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري
عسراً فلما لم يصبر حتى سأل ثلاثاً قال هذا فراق بيني وبينك وفارقه فسؤال العوام عن غوامض الدين
من اعظم الآفات وهي من المثيرات للفتن فيجب قمعهم ومنعهم من الخوض في حروف القرآن
يضاهي اشتغال من كتب اليه الملك كتاباً ورسم له فيه اموراً فلم يشتغل بشيء منها وضيع زمانه في
ان قرطاس الكتاب عتيق او حديث فاستحق به العقوبة لا محالة فكذلك تضييع العامي حدود

القرآن واشتغاله بحروفه انها قديمة او حادثة وكذا سائر صفات الله تعالى تم كتاب آفات اللسان
وهو الكتاب الرابع من ربع المهلكات من كتاب احياء علوم الدين والحمد لله اولا وآخرا وظاهرا وباطنا وصلى
الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ويتلوه كتاب آفة الغضب والحقد والحسد وهو الكتاب الخامس
من ربع المهلكات من كتاب احياء علوم الدين نفعنا الله برحمته آمين والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الحمد لله الذي لا يتكل الا على عفوه ورحمته الراجون ولا يحذر سوء غضبه وسطوته الا الخائفون الذي
استدرج عباده من حيث لا يعلمون وسلط عليهم الشهوات وامرهم بترك ما يشتهون وابتلاهم بالغضب
وكلفهم كظم الغيظ فيما يغضبون ثم حفهم بالمكاره واللذات واملى لهم حتى لينظر كيف يعملون
وامتحن به حبهم ليعلم صدقهم فيما يدعون وعرفهم انه لا يخفى عليه شيء مما يسرون وما يعلنون و
حذرهم ان ياخذهم بغتة وهم لا يشعرون فقال ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون
فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسوله الذي
يسير تحت لوائه المتقون وعلى آله واصحابه الائمة المهديين والسادة المرضيين صلاة يوازي عددها عدد ما كان
من خلق الله وما يكون ويحظى ببركتها الاولون والآخرون وسلم **اما بعد** فان الغضب
شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة وانها لمستكنة في طي الفؤاد استكنان
الجمر تحت الرماد ويستخرجها الكبر الدفين من كل قلب متكبر جبار عنيد كما يستخرج الحجر النار من الحديد
وقد انكشف للناظرين بنور اليقين ان الانسان ينزع منه عرق الى الشيطان اللعين فمن استفزته نار
الغضب فقد قويت فيه قرابة الشيطان حيث قال خلقتني من نار وخلقته من طين فان الطين
شانه السكون والوقار وشان النار التلظي والاشتعال والحركة والاضطراب ومن نتائج الغضب
الحقد والحسد وبهما هلك من هلك وفسد من فسد ومفيضهما مضغة اذا صلحت صلح معها سائر الجسد و
اذا كان الحقد والحسد والغضب مما يسوق العبد الى مواطن العطب فما احوجه الى معرفة معاطبه ومثالبه
ليحذر ذلك ويتقيه ويميطه عن القلب ان كان وينفيه ويعالجه ان رسخ فيه ويداويه فان من لا يعرف الشر
يقع فيه ومن عرفه فالمعرفة لا تكفيه ما لم يعرف الذي يدفع الشر ويقصيه ونحن نذكر ذم الغضب و
آفات الحقد والحسد في هذا الكتاب ويجمعها بيان ذم الغضب ثم بيان حقيقة الغضب ثم بيان ان
الغضب هل يمكن ازالة اصله بالرياضة ام لا ثم بيان الاسباب المهيجة للغضب ثم بيان علاج
الغضب بعد هيجانه ثم بيان فضيلة كظم الغيظ ثم بيان فضيلة الحلم ثم بيان القدر الذي يجوز به
الانتصار والتشفي من الكلام ثم القول في معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق ثم القول في ذم الحسد
وفي حقيقته واسبابه ومعالجته وغاية الواجب في ازالته ثم بيان السبب في كثرة الحسد بين الامثال
والاقران والاخوة وبني العم والاقارب وتاكده وقلته في غيرهم وضعفه ثم بيان الدواء الذي ينفي
مرض الحسد عن القلب ثم بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب **بيان ذم الغضب**
قال الله تعالى اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله وعلى
المؤمنين الآية ذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل ومدح المؤمنين بما انعم

عليهم من السكينة وروى ابو هريرة ان رجلا قال يا رسول الله مرني بعمل واقلل قال لا تغضب وقال ابن
عمر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل لي قولا واقلل لعلي اعقله فقال لا تغضب فاعدت عليه مرتين
كل ذلك يرجع الي لا تغضب وعن عبد الله بن عمرو انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا يبعدني من غضب
الله تعالى قال لا تغضب وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم ما تعدون الصرعة فيكم قلنا
الذي لا تصرعه الرجال قال ليس ذلك ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب وقال ابو هريرة رضي الله عنه
قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وقال
ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كف غضبه ستر الله عورته وقال سليمان بن داود يا بني
اياك وكثرة الغضب فان كثرة الغضب تستخف فؤاد الرجل الحليم **وعن** عكرمة في قوله تعالى
وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين قال السيد الذي لا يغلبه الغضب وقال ابو الدرداء قلت
يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال لا تغضب وقال يحيى لعيسى عليهما السلام لا تغضب قال
لا استطيع ان لا اغضب انما انا بشر قال لا تقتن مالا قال هذا عسى وقال عليه السلام الغضب
يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل وقال صلى الله عليه وسلم ما غضب احد الا اشفى على جهنم وقال
له رجل اي شيء اشد قال غضب الله تعالى قال فما يبعدني عن غضب الله قال لا تغضب **الآثار** قال
الحسن يا ابن آدم كلما غضبت وثبت يوشك ان تثب وثبة تقع في النار **وعن** ذي القرنين انه لقي ملكا من
الملائكة فقال علمني علما ازداد به ايمانا ويقينا قال لا تغضب فان الشيطان اقدر ما يكون على ابن آدم حين
يغضب فرد الغضب بالكظم وسكنه بالتؤدة واياك والعجلة فانك اذا عجلت اخطات حظك وكن
سهلا لينا للقريب والبعيد ولا تكن جبارا عنيدا **وعن** وهب بن منبه ان راهبا كان في صومعته فاراد
الشيطان ان يضله فلم يستطع فناداه افتح فلم يجبه فقال افتح فاني ان ذهبت ندمت فلم يلتفت اليه
فقال اني المسيح قال ان كنت المسيح فما اصنع بك اليس قد امرتنا بالاجتهاد والعبادة ووعدتنا القيامة
فلو جئتنا اليوم بغيره لم نقبله منك فقال اني الشيطان وقد اردت ان اضلك فلم استطع فجئتك
لتسالني عما شئت فاخبرك فقال ما اريد ان اسالك عن شيء قال فولى مدبرا فقال الراهب الا تسمع قال بلى قال
اخبرني اي اخلاق بني آدم اعون لك عليهم قال الحدة ان الرجل اذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة
وقال خيثمة الشيطان يقول كيف يغلبني ابن آدم واذا رضي جئت حتى اكون في قلبه واذا غضب طرت
حتى اكون في راسه وقال جعفر بن محمد الغضب مفتاح كل شر وقال بعض الانصار راس الحمق الحدة وقائده
الغضب ومن رضي بالجهل استغنى عن الحلم والحلم زين ومنفعة والجهل شين ومضرة والسكوت
عن جواب الاحمق جوابه وقال مجاهد قال ابليس ما اعجزني بنو آدم فلن يعجزوني في ثلاث اذا سكر احدهم
اخذنا بخزامته فقدناه حيث شئنا وعمل لنا بما احببنا واذا غضب قال بما لا يعلم وعمل بما يندم ونبخله
بما في يديه ونمنيه بما لا يقدر عليه وقيل لحكيم ما املك فلانا لنفسه قال اذن لا تذله الشهوة ولا
يصرعه الهوى ولا يغلبه الغضب وقال بعضهم اياك والغضب فانه يصيرك الى ذلة الاعتذار
وقيل اتقوا الغضب فانه يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل وقال عبد الله بن مسعود انظروا الى
حلم الرجل عند غضبه وامانته عند طمعه وما علمك بحلمه اذا لم يغضب وما علمك بامانته اذا لم يطمع
وكتب عمر بن عبد العزيز الى عامله ان لا تعاقب عند غضبك واذا غضبت على رجل فاحبسه فاذا سكن
غضبك فاخرجه فعاقبه على قدر ذنبه ولا تجاوز به خمسة عشر سوطا وقال علي بن زيد اغلظ

من لم يشتم وجعل لعمر بن عبد العزيز فاطرق عمر طويلا ثم قال اردت ان يستفزني الشيطان بعز السلطان
فانال منك اليوم ما تناله مني غدا وقال بعضهم لابنه يا بني لا يثبت العقل عند الغضب كما لا تثبت
روح الحي في التنانير المسجورة فاقل الناس غضبا اعقلهم فان كان للدنيا كان دهاء ومكرا وان كان للآخرة
كان علما وحلما وقد قيل الغضب عدو العقل والغضب غول العقل وكان عمر رضي الله عنه اذا خطب قال
في خطبته افلح منكم من حفظ من الهوى والطمع والغضب وقال بعضهم من اطاع غضبه وشهوته قاده
الى النار وقال الحسن من علامات المسلم قوة في دين وحزم في لين وايمان في يقين وعلم في حلم وكيس في رفق
وعطاء في حق وقصد في غنى وتجمل في فاقة واحسان في قدرة وصبر في شدة لا يغلبه الغضب
ولا تجمح به الحمية ولا تغلبه شهوته ولا تفضحه بطنه ولا يستخفه حرصه ولا تقصر به نيته فينصر المظلوم
ويرحم الضعيف ولا يبخل ولا يبذر ولا يسرف ولا يقتر يغفر اذا ظلم ويعفو عن الجاهل نفسه منه في
عناء والناس منه في رخاء وقيل لعبد الله بن المبارك اجمل لنا حسن الخلق في كلمة قال اترك الغضب وقال نبي
من الانبياء عليهم السلام اجمعين لمن معه من يتكفل لي ان لا يغضب يكون معي في درجتي ويكون خليفتي
من بعدي فقال شاب من القوم انا ثم اعاد فقال الشاب انا ووفى به فلما مات كان في منزلته بعده وهو
ذو الكفل سمي به لانه تكفل بالغضب ووفى به وقال وهب بن منبه للكفر اربعة اركان الغضب والشهوة
والخرق والطمع **بيان حقيقة الغضب** اعلم ان الله تعالى لما خلق الحيوان معرضا للفساد والموتان
باسباب في داخل بدنه واسباب خارجة عنه انعم عليه بما يحميه من الفساد ويدفع عنه الهلاك الى اجل معلوم
سماه في كتابه **اما السبب الداخل** فهو انه ركبه من الرطوبة والحرارة وجعل بين الرطوبة والحرارة
عداوة ومضادة فلا تزال الحرارة تحلل الرطوبة وتجففها وتبخرها حتى تصير اجزاؤها بخارا يتصاعد منها
فلو لم يتصل بالرطوبة مدد من الغذاء يجبر ما انحل وتبخر من اجزائها لفسد الحيوان فخلق الله الغذاء الموافق
لبدن الحيوان وخلق في الحيوان شهوة تبعثه على تناول الغذاء كالموكل به في جبر ما انكسر وسد ما انثلم
ليكون ذلك حافظا له من الهلاك بهذا السبب فهذا السبب الداخل **واما السبب الخارج** الذي
يتعرض له الانسان فكالسيف والسنان وسائر المهلكات التي يقصد بها فافتقر الى قوة وحمية تثور
من باطنه فتدفع المهلكات عنه فخلق الله الغضب من النار وغرزه في الانسان وعجنه بطينته فمهما
قصد في غرض من الاغراض ومقصود من مقاصده اشتعل نار الغضب وثار ثورانا يغلي به دم القلب وينتشر
في العروق ويرتفع الى اعالي البدن كما ترتفع النار وكما يرتفع الماء الذي يغلي في القدر فلذلك ينصب الى الوجه
فيحمر الوجه والعينان والبشرة وبصفائها تحكي ما وراءها من حمرة الدم كما تحكي الزجاجة لون ما فيها وانما
ينبسط الدم اذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه فان الغضب على من فوقه وكان معه يأس من
الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر البدن الى جوف القلب وصار حزنا وان كان على نظير
يشك فيه تولد منه تردد الدم بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر ويضطرب وبالجملة فقوة الغضب محلها
القلب ومعناها غليان دم القلب بطلب الانتقام وانما تتوجه هذه القوة عند ثورانها الى دفع المؤذيات قبل
وقوعها والى التشفي والانتقام بعد وقوعها والانتقام قوت هذه القوة وشهوتها وفيها التفريط و
الافراط والاعتدال اما التفريط فبفقد هذه القوة او ضعفها وذلك مذموم وهو الذي يقال فيه
انه لا حمية له ولذلك قال الشافعي من استغضب فلم يغضب فهو حمار فمن فقد قوة الحمية والغضب
اصلا فهو ناقص جدا وقد وصف الله تعالى الصحابة رضي الله عنهم بالشدة والحمية فقال تعالى اشدا

على الكفار رحماء بينهم وقال تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم
وانما الغلظة والشدة من آثار قوة الحمية وهو الغضب واما الافراط فهو ان تغلب هذه الصفة
حتى تخرج من سياسة العقل والدين وطاعته ولا يبقى للمرء معها بصيرة ونظر وفكرة ولا اختيار بل
يصير في صورة المضطر وسبب غلبته امور غريزية وامور اعتيادية فرب انسان هو مستعد
بالفطرة لسرعة الغضب حتى كان صورته في الفطرة صورة غضبان ويعين على ذلك حرارة مزاج القلب
لان الغضب من النار كما قال عليه السلام فبرودة المزاج تطفئه وتكسر شهوته واما الاسباب
الاعتيادية فهو ان يخالط قوما يتبجحون بتشفي الغيظ وطاعة الغضب ويسمون ذلك
الشجاعة والرجولية فيقول الواحد منهم انا الذي لا اصبر على المحال ولا احتمل احدا ومعناه
لا عقل لي ولا حلم ثم يذكره في معرض الفخر بجهله فمن سمعه رسخ في نفسه حسن الغضب وحب التشبه
بالقوم فيقوى به الغضب ومهما اشتدت نار الغضب وقوي اضطرامها اعمت صاحبها واصمته
عن كل موعظة فاذا وعظ لم يسمع بل زاده غضبا وان استضاء بنور عقله وراجع نفسه لم يقدر
اذ ينطفئ نور العقل وينمحي في الحال بدخان الغضب فان معدن الفكر الدماغ ويتصاعد
عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخان مظلم يستولي على معادن الفكر وربما يتعدى الى
معادن الحس فتظلم عينه حتى لا يرى بعينه وتسود عليه الدنيا باسرها ويكون دماغه على مثال كهف
اضطرمت فيه نار فاسود جوه وحمي مستقره وامتلأ بالدخان جوانبه وكان فيه سراج ضعيف فانطفأ
وانمحى نوره فلا يثبت فيه قدم ولا يسمع فيه كلام ولا يرى فيه صورة ولا يقدر على اطفائه لا من
داخل ولا من خارج بل ينبغي ان يصبر الى ان يحترق جميع ما يقبل الاحتراق فكذلك يفعل الغضب
بالقلب والدماغ وربما تقوى نار الغضب فتفني الرطوبة التي بها حياة القلب فيموت صاحبه
غيظا كما تقوى النار في الكهف فيتشقق وينهد اعاليه على اسافله وذلك لابطال النار ما في
جوانبه من القوة الممسكة الجامعة لاجزائه فهكذا حال القلب مع الغضب وبالحقيقة
فالسفينة في ملتطم الامواج عند اضطراب الرياح في لجة البحر احسن حالا وارجى سلامة
من النفس المضطربة غيظا اذ في السفينة من يحتال لتسكينها وتدبيرها وينظر لها ويسوسها واما
القلب فهو صاحب السفينة وقد سقطت حيلته اذ اعماه الغضب واصمه ومن آثار هذا الغضب
في الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة والاضطراب وخروج الافعال عن الترتيب والنظام و
اضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الاشداق وتحمر الاحداق وتنقلب المناخر وتستحيل
الخلقة ولو رأى الغضبان في حال غضبه قبح صورته لسكن غضبه حياء من
قبح صورته وقبح باطنه اعظم من قبح ظاهره فان الظاهر عنوان الباطن وانما قبحت صورة الباطن
اولا ثم انتشر قبحها الى الظاهر ثانيا فتغير الظاهر ثمرة تغير الباطن فقس المثمر بالثمرة فهذا اثره
في الجسد **واما اثره** في اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش وقبائح الكلام الذي يستحيي منه ذوو
العقول ويستحيي منه قائله عند فتور الغضب وذلك مع تخبط النظم واضطراب اللفظ **واما**
اثره على الاعضاء فالضرب والتهجم والتمزيق والقتل والجرح عند التمكن من غير مبالاة فان هرب منه
المغضوب عليه او فاته بسبب او عجز عن التشفي رجع الغضب على صاحبه فمزق ثوب نفسه ويلطم
نفسه وقد يضرب بيده على الارض ويعدو عدو الواله السكران والمدهوش المتحير وربما يسقط صريعا

لا يطيق العدو ولا النهوض لشدة الغضب ويعتريه مثل الغشية وربما يضرب الجمادات والحيوانات
فيضرب القصعة على الارض ويكسر المائدة اذا غضب عليها ويتعاطى افعال المجانين ويشتم البهيمة
والجمادات ويقول لها الى متى منك هكذا يا كيت وكيت كانه يخاطب عاقلا حتى ربما رفسته دابة فيرفس الدابة و
يقابلها به. وامّا اثره في القلب مع المغضوب عليه فالحقد والحسد واضمار السوء والشماتة
بالمساءات والحزن بالسرور والعزم على افشاء السر وهتك الستر والاستهزاء وغير ذلك من القبائح
فهذه ثمرة الغضب المفرط وامّا ثمرة الحمية الضعيفة فقلة الانفة مما يؤنف منه من التعرض
للحرم والزوجة والامة واحتمال الذل من الاخساء وصغر النفس والقماءة وهو ايضا مذموم اذ
من ثمراته عدم الغيرة على الحرم وهو خنوثة قال صلى الله عليه وسلم ان سعدا لغيور وانا
اغير منه يعني بن سعد والله اغير مني وانما خلقت الغيرة لحفظ الانساب ولو تسامح الناس
بذلك لاختلطت الانساب ولذلك قيل كل امة وضعت الغيرة في رجالها وضعت الصيانة في نسائها
ومن ضعف الغضب الخور والسكوت عند مشاهدة المنكرات وقد قال عليه السلام خير امتي
احداؤها يعني في الدين وقال الله تعالى ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله بل من فقد الغضب عجز
عن رياضة نفسه اذ لا تتم الرياضة الا بتسليط الغضب على الشهوة حتى يغضب على نفسه عند الشهوات
الخسيسة ففقد الغضب مذموم وانما المحمود غضب ينتظر اشارة العقل والدين فينبعث حيث
تجب الحمية وينطفي حيث يحسن الحلم وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة التي كلف الله بها
عباده وهو الوسط الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال خير الامور اوساطها فمن
مال غضبه الى الفتور حتى احس من نفسه بضعف الغيرة وخسة النفس في احتمال الذل والضيم في
غير محله فينبغي ان يعالج نفسه حتى يقوى غضبه ومن مال غضبه الى الافراط حتى جره الى التهور و
اقتحام الفواحش فينبغي ان يعالج نفسه لينقص من سورة الغضب ويقف على الوسط الحق بين الطرفين
فهو الصراط المستقيم وهو ادق من الشعر واحد من السيف فان عجز عنه فليطلب القرب منه
قال الله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة
فليس كل من عجز عن الاتيان بالخير كله ينبغي ان ياتي بالشر كله ولكن بعض الشر اهون من بعض وبعض
الخير ارفع من بعض فهذه حقيقة الغضب ودرجاته والله اعلم بالصواب

بيان ان الغضب هل يمكن ازالة اصله بالرياضة ام لا

اعلم انه ظن ظانون انه يتصور محو الغضب بالكلية
وزعموا ان الرياضة اليه تتجه واياه تقصد وظن اخرون انه اصلا لا يقبل العلاج وهذا راي من
يظن ان الخلق كالخلق وكلاهما لا يقبل التغيير وكلا الرايين ضعيف بل الحق فيه ما نذكره وهو انه
مهما بقي الانسان يحب شيئا ويكره شيئا فلا يخلو عن الغيظ والغضب وما دام يوافقه شيء ويخالفه
آخر فلا بد ان يحب ما يوافقه ويكره ما يخالفه والغضب يتبع ذلك فانه مهما اخذ منه محبوبه غضب
لا محالة واذا قصد بمكروه غضب لا محالة الا ان ما يحبه الانسان الى ثلاثة اقسام **الاول** ما هو ضرورة
في حق الكافة وهو القوت والمسكن والملبس وصحة البدن فمن قصده بالضرب والجرح فلا بد وان
يغضب وكذلك اذا اخذ منه ثوبه الذي يستر عورته وكذلك اذا اخرج من داره التي هي مسكنه
او اريق ماؤه الذي هو لعطشه فهذه ضرورات لا يخلو الانسان من كراهية زوالها ومن غيظ على من
يتعرض لها **القسم الثاني** ما ليس ضروريا لاحد من الخلق كالجاه والمال الكثير والغلمان و
الدواب فان هذه الامور صارت محبوبة بالعادة والجهل بمقاصد الامور حتى صار الذهب والفضة محبوبين
في انفسهما فيكنزان ويغضب على من يسرقهما وان كان مستغنيا عنهما في القوت فهذا الجنس مما يتصور
ان ينفك الانسان عن اصل الغيظ عليه فاذا كانت له دار زائدة على مسكنه فهدمها ظالم فيجوز ان لا يغضب
اذ يجوز ان يكون بصيرا بامر الدنيا فيزهد في الزيادة على الحاجة فلا يغضب باخذها فانه لا يحب وجودها
ولو احب وجودها لغضب على الضرورة باخذها واكثر الناس تغضب على ما هو غير ضروري كالجاه والصيت و
التصدر في المجالس والمباهاة بالعلم فمن غلب هذا الحب عليه فلا محالة يغضب اذا زاحمه مزاحم على التصدر
في المحافل ومن لا يحب ذلك فلا يبالي لو جلس في صف النعال ولا يغضب اذا جلس غيره فوقه وهذه العادات
الردية هي التي اكثرت محاب الانسان ومكارهه فاكثرت غضبه وكلما كانت الشهوات والارادات اكثر
كان صاحبها احط رتبة وانقص لان الحاجة صفة نقص فمهما كثرت كثر النقص والجاهل ابدا جهده
في ان يزيد في حاجاته وفي شهواته وهو لا يدري انه مستكثر من اسباب الغم والحزن حتى ينتهي بعض الجهال
بالعادات الردية ومخالطة قرناء السوء الى ان يغضب لو قيل له انك لا تحسن اللعب بالشطرنج والطيور ولا
تقدر على شرب الخمر الكثير وتناول الطعام الكثير وما يجري مجراه من الرذائل فالغضب على هذا الجنس
ليس بضروري لان حبه ليس بضروري **القسم الثالث** ما يكون ضروريا في حق بعض الناس دون البعض كالكتاب
في حق العالم فانه مضطر اليه فيحبه فيغضب على من يحرقه ويغرقه وكذلك ادوات الصناعات في حق
المكتسب الذي لا يمكنه التوصل الى القوت الا بها فان ما هو وسيلة الى الضروري والمحبوب يصير ضروريا
ومحبوبا وهذا يختلف بالاشخاص وانما الحب الضروري ما اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
بقوله من اصبح معافى في بدنه آمنا في سربه وله قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا ومن كان بصيرا بحقائق
الامور وسلم له هذه الثلاث يتصور ان لا يغضب في غيرها فهذه ثلاثة اقسام فلنذكر غاية الرياضة فيها
اما القسم **الاول** فليست الرياضة فيه لينعدم غيظ القلب ولكن لكي يقدر على ان لا يطيع الغضب ولا
يستعمله في الظاهر الا على حد يستحبه الشرع ويستحسنه العقل وذلك ممكن بالمجاهدة وتكلف
الحلم والاحتمال مدة حتى يصير الاحتمال والحلم خلقا راسخا فاما قمع اصل الغيظ من القلب فذلك ليس مقتضى
الطبع وهو غير ممكن ولكن يمكن كسر قوته وتضعيفه حتى لا يشتد هيجان الغضب والغيظ في الباطن
وينتهي ضعفه الى ان لا يظهر اثره في الوجه ولكن ذلك شديد جدا وهذا حكم القسم **الثاني** ايضا لان
ما صار ضروريا في حق شخص فلا يمنعه من الغيظ الاستغناء عنه فالرياضة فيه تمنع العمل به وتضعف
هيجانه في الباطن حتى لا يشتد التالم بالصبر عليه **واما القسم الثالث** فيمكن التوصل بالرياضة
الى الانفكاك عن الغضب عليه اذ يمكن اخراج حبه من القلب وذلك بان يعلم الانسان ان وطنه القبر
ومستقره الآخرة وان الدنيا معبر يعبر عليها ويتزود منها قدر الضرورة وما وراء ذلك عليه وبال
في وطنه ومستقره فيزهد في الدنيا ويمحو حبها عن القلب ولو كان للانسان كلب لا يحبه لم يغضب اذا ضربه
غيره فالغضب تبع الحب فالرياضة في هذا تنتهي الى قمع اصل الغضب وهو نادر جدا وقد ينتهي
الى المنع من استعمال الغضب والعمل بموجبه وهو اهون فان قلت الضروري من القسم الاول التالم
بفوات المحتاج اليه دون الغضب فمن له شاة مثلا وهي قوته فماتت لا يغضب على احد وان كان يحصل
فيه كراهة وليس من ضرورة كل كراهة غضب فان الانسان يتالم بالفصد والحجامة ولا يغضب على الفصاد
والحجام فمن غلب عليه التوحيد حتى يرى الاشياء كلها من الله تعالى فلا يغضب على احد من خلق الله

اذ يراه مسخرا في قبضته وقدرته كالقلم في يد الكاتب ومن وقع ملك بضرب رقبته لم يغضب على القلم
فلا يغضب على من ذبح شاة التي هي قوته كما لا يغضب على موتها اذ يرى الموت والذبح من الله فيندفع الغضب بغلبة
التوحيد ويندفع ايضا بحسن الظن بالله تعالى وهو ان يرى ان الكل من الله وان الله لا يقدر له الا ما فيه الخيرة
الا الله وربما تكون الخيرة في جوعه ومرضه وقتله كما لا يغضب على الفاصد لانه يرى الخيرة فيه فنقول
هذا على هذا الوجه غير محال ولكن غلبة التوحيد الى هذا الحد انما يكون كالبرق الخاطف يغلب في احوال
مختطفة ولا يدوم ويرجع القلب الى الالتفات الى الوسائط رجوعا طبيعيا لا يندفع عنه ولو تصور ذلك على
الدوام لبشر لتصور لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان يغضب حتى تحمر وجنتاه وقال اللهم اني بشر اغضب
كما يغضب البشر فايما مسلم سببته او ضربته او لعنته فاجعلها مني صلاة عليه وزكاة وقربة تقربه
بها اليك يوم القيمة وقال عبد الله بن عمرو بن العاص يا رسول الله اكتب عنك كل ما قلت في الغضب و
الرضا قال اكتب فوالذي بعثني بالحق نبيا ما يخرج منه الا الحق واشار الى لسانه ولم يقل اني لا اغضب ولكن قال
ان الغضب لا يخرجني عن الحق اي لا اعمل بموجب الغضب وغضبت عائشة رضي الله عنها مرة فقال لها عليه
السلام ما لك جاءك شيطانك فقالت وما لك شيطان قال بلى ولكن دعوت الله فاعانني عليه فاسلم
فلا يامرني الا بالخير ولم يقل لا شيطان لي واراد شيطان الغضب لكن قال لا يحملني على الشر وقال علي
رضي الله عنه كان صلى الله عليه وسلم لا يغضب للدنيا فاذا اغضبه الحق لم يعرفه احد ولم يقم لغضبه
شيء حتى ينتصر له فكان غضبه للحق وكان يغضب على الحق وان كان غضبه لله فهو التفات الى الوسائط
على الجملة بل كل من يغضب على من ياخذ ضرورة قوته وحاجته التي لا بد له في دينه منها فانما يغضب
لله تعالى فلا يمكن الانفكاك عنه نعم قد يفقد اصل الغيظ فيما هو ضروري اذا كان القلب مشغولا
بضروري اهم منه فلا يكون في القلب متسع للغضب لاشتغاله بغيره فان استغراق القلب
ببعض المهمات يمنع الاحساس بما عداه وهذا كما ان سلمان لما شتم قال ان خفت موازيني فانا شر
مما تقول وان ثقلت فلا يضرني ما تقول وكذلك شتم الربيع بن خثيم فقال يا هذا قد سمع الله كلامك
وان دون الجنة عقبة ان قطعتها لم يضرني ما تقول وان لم اقطعها فانا شر مما تقول وسب رجل
ابا بكر رضي الله عنه فقال ما ستر الله عنك اكثر فكانه كان مشغولا بالنظر الى تقصير نفسه
عن ان يتقي الله حق تقاته ويعرفه حق معرفته فلم يغضبه نسبة غيره اياه الى النقصان وذلك اذا كان ينظر
الى نفسه بعين النقصان وذلك لجلالة قدره وقالت امراة لمالك بن دينار يا مرائي فقال ما عرفني
غيرك فكانه كان مشغولا بان ينفي عن نفسه آفة الريا ومنكرا على نفسه ما يلقيه الشيطان اليه فلم
يغضب لما نسب اليه وسب رجل الشعبي فقال ان كنت صادقا فغفر الله لي وان كنت كاذبا فغفر الله
لك فهذه الاقاويل دالة في الظاهر على انهم لم يغضبوا لاشتغال قلوبهم بمهمات دينهم ويحتمل ان يكون
ذلك قد اثر في قلوبهم ولكنهم لم يشتغلوا به واشتغلوا بما كان هو الاغلب على قلوبهم فاذن اشتغال
القلب ببعض المهمات لا يبعد ان يمنع هيجان الغضب عند فوات بعض المحاب فاذن يتصور فقد
الغيظ اما باشتغال القلب بمهم او بغلبة نظر التوحيد او بسبب ثالث وهو ان يعلم ان الله تعالى
يحب منه ان لا يغتاظ فيطفئ شدة حب الله غيظه وذلك غير محال في احوال نادرة فقد عرفت بهذا
ان طريق الخلاص من نار الغضب محو حب الدنيا من القلب وذلك بمعرفة آفات حب الدنيا وغوائلها
كما سياتي في كتاب ذم الدنيا ومن اخرج حب المزايا عن القلب تخلص من اكثر اسباب الغضب وما لا

يمكن محوه يمكن كسره وتضعيفه فيضعف الغضب بسببه ويهون دفعه

بيان الاسباب المهيجة للغضب

قد عرفت ان علاج كل علة حسم مادتها وازالة اسبابها فلا بد من معرفة اسبابها
وقد قال يحيى لعيسى عليهما السلام اي شيء اشد قال غضب الله قال فما يدني الغضب
يقرب من غضب الله قال ان تغضب قال فما يبدي الغضب وما ينبته قال عيسى عليه السلام الكبر
والفخر والتعزز والحمية فالاسباب المهيجة للغضب هي الزهو والعجب والمزاح والهزل والتعيير
والمماراة والمضادة والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه وهي باجمعها اخلاق ردية مذمومة
شرعا ولا خلاص عن الغضب مع بقاء هذه الاسباب فلا بد من ازالة هذه الاسباب باضدادها
فينبغي ان تميت الزهو بالتواضع وتميت العجب بمعرفتك بنفسك كما سياتي بيانه في كتاب الكبر والعجب
وتزيل الفخر بانك من جنس عبدك اذ الناس يجمعهم في الانتساب اب واحد وانما اختلفوا
في الفضل اشتاتا فبنو ادم جنس واحد وانما الفخر بالفضائل والفخر والعجب اكبر الرذائل وهي راسها
فاذا لم تخل عنها فلا فضل لك على غيرك فلم تفتخر وانت من جنس عبدك من حيث البنية والنسب
والاعضاء الظاهرة والباطنة واما المزاح فتزيله بالتشاغل بالمهمات الدينية التي تستوعب العمر
وتفضل عنه اذا عرفته واما الهزل فتزيله بالجد في طلب الفضائل والاخلاق الحسنة والعلوم الدينية
التي تبلغك الى سعادة الآخرة واما الهزء فتزيله بالتكرم عن ايذاء الناس وبصيانة النفس عن ان
يستهزأ بك واما التعيير فبالحذر عن القول القبيح وصيانة النفس عن مر الجواب واما شدة
الحرص على مزايا العيش فتزال بالقناعة بقدر الضرورة طلبا لعز الاستغناء وترفعا عن ذل الحاجة
وكل خلق من هذه الاخلاق وصفة من هذه الصفات يفتقر في علاجها الى رياضة وتحمل مشقة
وحاصل رياضتها يرجع الى معرفة غوائلها لترغب النفس عنها وتنفر عن قبحها ثم المواظبة على مباشرة
اضدادها مدة مديدة حتى يصير بالعادة مالوفة هينة على النفس فاذا انمحت عن النفس فقد
زكت وتطهرت عن هذه الرذائل وتخلصت ايضا عن الغضب الذي يتولد منها ومن اشد البواعث للغضب
عند اكثر الجهال تسميتهم الغضب شجاعة ورجولية وعزة نفس وكبر همة وتلقيبه بالالقاب
المحمودة غباوة وجهلا حتى تميل النفس اليه وتستحسنه وقد يتاكد ذلك بحكاية شدة الغضب
عن الاكابر في معرض المدح بالشجاعة والنفوس مائلة الى التشبه بالاكابر فيهيج الغضب الى القلب بسببه
وتسمية هذا عزة نفس وشجاعة جهل بل هو مرض قلب ونقصان عقل بل هو لضعف النفس ونقصانها
وآية انه لضعف النفس ان المريض اسرع غضبا من الصحيح والمرأة اسرع غضبا من الرجل والصبي اسرع غضبا
من الكبير والشيخ الضعيف اسرع غضبا من الكهل وذو الخلق السيء والرذائل القبيحة اسرع غضبا من
صاحب الفضائل فالرذل يغضب لشهوته اذا فاتته اللقمة ولبخله اذا فاتته الحبة حتى انه يغضب
على اهله وولده واصحابه بل القوي من يملك نفسه عند الغضب كما قال صلى الله عليه وسلم ليس
الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب بل ينبغي ان يعالج هذا الجاهل بان
تتلى عليه حكايات اهل الحلم والعفو وما استحسن منهم من كظم الغيظ فان ذلك منقول عن الانبياء
والحكماء والعلماء واكابر الملوك والفضلاء وضد ذلك منقول عن الاتراك والاكراد والجهلة والاغبياء
الذين لا عقول لهم ولا فضل

بيان علاج الغضب بعد هيجانه

ما ذكرناه هو حسم لمواد الغضب
وقطع لاسبابه حتى لا يهيج فاذا جرى سبب هيجه فعنده يجب التثبت حتى لا يضطر صاحبه الى العمل

على الوجه المذموم وانما يعالج الغضب بعد هيجانه بمعجون العلم والعمل اما العلم فهو ستة امور
الاول ان يتفكر في الاخبار التي سنوردها في فضل كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال فيرغب في ثوابها
فتمنعه شدة الحرص على ثواب كظم الغيظ عن التشفي والانتقام وينطفي غيظه قال مالك بن
اوس بن الحدثان غضب عمر رضي الله عنه على رجل وامر بضربه فقلت يا امير المؤمنين خذ العفو وامر
بالعرف واعرض عن الجاهلين فكان عمر يقول خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فكان يتامل
الاية وكان وقافا عند كتاب الله تعالى مهما تلي عليه كثير التدبر فيه فتدبره وخلى الرجل وامر عمر بن عبد العزيز
بضرب رجل ثم قرا قوله تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وخلى عنه **الثاني** ان يخوف
نفسه بعقاب الله تعالى وهو ان يقول قدرة الله علي اعظم من قدرتي على هذا الانسان فلو امضيت
عليه لم آمن ان يمضي الله غضبه علي يوم القيمة احوج ما اكون الى العفو وقد قال تعالى في بعض
الكتب يا ابن آدم اذكرني عند غضبك اذكرك حين اغضب فلا امحقك فيمن امحق وبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم وصيفا الى حاجة فابطا عليه فلما جا قال لولا القصاص لاوجعتك اي القصاص يوم
القيمة وقيل ما كان في بني اسرائيل ملك الا ومعه حكيم اذا غضب اعطاه صحيفة وفيها ارحم المسكين
واخش الموت واذكر الاخرة وكان يقراها حتى يسكن غضبه **الثالث** ان يحذر نفسه عاقبة العداوة
والانتقام وتشمر العدو لمقابلته والسعي في هدم اغراضه والشماتة بمصايبه وهو لا يخلو
عن المصايب فيخوف نفسه بعواقب الغضب في الدنيا ان كان لا يخاف من الاخرة وهذا يرجع الى تسليط
شهوة على غضب وليس هذا من اعمال الاخرة ولا ثواب عليه لانه متردد على حظوظ العاجلة يقدم بعضها
على بعض الا ان يكون محذوره ان يتشوش عليه في الدنيا فراغه للعلم والعمل وما يعينه على الاخرة
فيكون مثابا عليه **الرابع** ان يتفكر في قبح صورته عند غضبه بان يتذكر صورة غيره في حال الغضب
ويتفكر في قبح الغضب في نفسه ومشابهة صاحبه للكلب الضاري والسبع العادي ومشابهة
الحليم الهادي التارك للغضب للانبياء والعلماء والحكماء ويخير نفسه بين ان يتشبه بالكلاب والسباع
واراذل الناس وبين ان يتشبه بالانبياء والعلماء والحكماء في عادتهم لتميل نفسه الى حب الاقتداء بهم ان
كان قد بقي معه مسكة من عقل **الخامس** ان يتفكر في السبب الذي يدعوه الى الانتقام ويمنعه
من كظم الغيظ فلا بد وان يكون له سبب مثل قول الشيطان له ان هذا يحمل منك على العجز
وصغر النفس والذلة والمهانة وتصير حقيرا في اعين الناس فليقل لنفسه ما اعجبك تانفين
من الاحتمال الان ولا تانفين من خزي يوم القيمة والافتضاح اذا اخذ هذا بيدك وانتقم
منك وتحذرين من ان تصغري في اعين الناس ولا تحذرين ان تصغري عند الله والملائكة والنبيين
فمهما كظم الغيظ فينبغي ان يكظمه لله تعالى وذلك يعظمه عند الله فما له وللناس
وذل من ظلمه يوم القيمة اشد من ذله لو انتقم الان افلا يحب ان يكون هو القايم اذا نودي ليقم
من اجره على الله فلا يقوم الا من عفا فهذا من معارف الايمان ينبغي ان يكررها على قلبه **السادس**
ان يعلم ان غضبه من تعجبه من جريان الشي على وفق مراد الله لا على وفق مراده فكيف يقول مرادي
اولى من مراد الله فيوشك ان يكون غضب الله اعظم من غضبه واما العمل فان يقول بلسانه
اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقال عند الغضب و
الغيظ وكان صلى الله عليه وسلم اذا غضبت عايشة رضي الله عنها اخذ بانفها وقال يا عويش قولي

اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي واجرني من مضلات الفتن فيستحب ان يقول
ذلك فان لم يزل بذلك فاجلس ان كنت قايما واضطجع ان كنت جالسا واقرب من الارض التي خلقت
منها لتعرف بذلك ذل نفسك واطلب بالجلوس والاضطجاع السكون فان سبب الغضب الحرارة
وسبب الحرارة الحركة فقد قال صلى الله عليه وسلم ان الغضب جمرة توقد في القلب الم تروا الى
انتفاخ اوداجه وحمرة عينيه فاذا وجد احدكم من ذلك شيا فان كان قايما فليجلس وان كان
جالسا فلينم فان لم يزل ذلك فليتوضا بالما البارد او يغتسل فان النار لا يطفيها الا الما وقد
قال صلى الله عليه وسلم اذا غضب احدكم فليتوضا فانما الغضب من النار وفي رواية ان الغضب
من الشيطان فان الشيطان خلق من النار وانما تطفى النار بالما فاذا غضب احدكم فليتوضا
وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضبت فاسكت وقال
ابو هريرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضب وهو قايم جلس واذا غضب وهو
جالس اضطجع فيذهب غيظه وغضبه وقال ابو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه
وسلم الا ان الغضب جمرة في قلب ابن آدم الا ترون الى حمرة عينيه وانتفاخ اوداجه فمن وجد
من ذلك شيا فليلصق خده بالارض وهذه اشارة الى السجود وتمكين اعز الاعضاء من اذل المواضع
وهو التراب لتستشعر به النفس الذل وتزايل به العزة والزهو الذي هو سبب الغضب وروي
ان عمر رضي الله عنه غضب يوما فدعا بما فاستنشق ثم قال ان الغضب من الشيطان وهذا يذهب
الغضب وقال عروة بن محمد لما استعملت على اليمن قال لي ابي اوليت قلت نعم قال فاذا غضبت فانظر
الى السما فوقك والى الارض تحتك ثم عظم خالقهما وروي ان ابا ذر قال لرجل يا ابن الحمرا في خصومة
بينهما فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا ذر بلغني انك اليوم عيرت رجلا بامه قال
نعم فانطلق ابو ذر ليرضي صاحبه فسبقه الرجل فسلم عليه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا ابا ذر ارفع راسك فانظر ثم اعلم انك لست بافضل من احمر فيها ولا اسود الا ان تفضله بعمل
ثم قال اذا غضبت فان كنت قايما فاقعد وان كنت قاعدا فاتكئ وان كنت متكئا فاضطجع و
قال المعتمر بن سليمان كان رجل ممن كان قبلكم يغضب فيشتد غضبه فكتب ثلاث صحايف فاعطى
كل صحيفة رجلا وقال للاول اذا غضبت فاعطني هذه وقال للثاني اذا سكن بعض غضبي فاعطني
هذه وقال للثالث اذا ذهب غضبي فاعطني هذه فاشتد غضبه يوما فاعطي الصحيفة الاولى
فاذا فيها ما انت وهذا الغضب انك لست باله انما انت بشر يوشك ان ياكل بعضك بعضا فسكن
بعض غضبه فاعطي الثانية فاذا فيها ارحم من في الارض يرحمك من في السما فاعطي الثالثة فاذا فيها
خذ الناس بحق الله فانه لا يصلحهم الا ذلك اي لا تعطل الحدود وغضب المهدي على رجل فقال
شبيب لا تغضبن لله باشد من غضبه لنفسه فقال خلوا سبيله

فضيلة كظم الغيظ

قال الله تعالى والكاظمين الغيظ وذكر ذلك في معرض المدح وقال النبي صلى الله عليه وسلم من كف
غضبه كف الله عنه عذابه ومن اعتذر الى ربه قبل الله عذره ومن خزن لسانه ستر الله عورته
وقال صلى الله عليه وسلم اشدكم من غلب نفسه عند الغضب واحلمكم من عفا عند القدرة وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا ولو شا ان يمضيه امضاه ملا الله قلبه يوم القيمة رضا وفي
رواية ملا الله قلبه امنا وايمانا وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم ما جرع عبد جرعة اعظم اجرا

من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله تعالى وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
لجهنم بابا لا يدخله الا من شفى غيظه بمعصية الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم ما من جرعة احب
الى الله تعالى من جرعة غيظ يكظمها عبد الا ملأ الله جوفه ايمانا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من كظم غيظا وهو يقدر على ان ينفذه دعاه الله على رؤس الخلائق ويخيره من اي الحور شاء **الآثار** قال
عمر رضي الله عنه من اتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله لم يفعل ما يريد ولولا يوم القيمة لكان غير
ما ترون وقال لقمان لابنه يا بني لا تذهب ماء وجهك بالمسئلة ولا تشف غيظك بفضيحتك واعرف
قدرك تنفعك معيشتك وقال ايوب حلم ساعة يدفع شرا كثيرا واجتمع سفيان الثوري وابو
خزيمة اليربوعي والفضيل بن عياض فتذاكروا الزهد فاجمعوا على ان افضل الاعمال الحلم عند الغضب
والصبر عند الطلب وعند الطمع وقال رجل لعمر والله ما تقضي بالعدل ولا تعطي الجزل فغضب
عمر حتى عرف في وجهه فقال له رجل يا امير المؤمنين الم تسمع قول الله خذ العفو وامر بالعرف
واعرض عن الجاهلين وهذا من الجاهلين فقال صدقت فكانما كانت نارا فاطفئت وقال محمد بن كعب
ثلث من كن فيه استكمل الايمان بالله تعالى اذا رضي لم يدخل رضاه في الباطل واذا غضب لم يخرجه غضبه
من الحق واذا قدر لم يتناول ما ليس له وجاء رجل الى سلمان رضي الله عنه فقال يا عبد الله اوصني قال لا
تغضب قال لا اقدر قال فان غضبت فامسك يدك ولسانك **فضيلة الحلم** اعلم ان الحلم افضل
من كظم الغيظ لان كظم الغيظ عبارة عن التحلم اي تكلف الحلم فلا يحتاج الى كظم الغيظ الا من
هاج غيظه ويحتاج فيه الى مجاهدة شديدة ولكن اذا تعود ذلك مدة صار ذلك اعتيادا فلا
يهيج الغيظ وان هاج فلا يكون في كظمه تعب وهو الحلم الطبيعي وهو دلالة كمال العقل واستيلائه وانكسار
قوة الغضب وخضوعها للعقل ولكن ابتداؤه التحلم والكظم للغيظ تكلفا قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتخير الخير يعطه ومن يتوق الشر يوقه اشار بهذا الى ان اكتساب
الحلم طريقه التحلم وتكلفه كما ان اكتساب العلم طريقه التعلم وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم لينوا لمن تعلمون منه ولا تكونوا من جبابرة العلماء
فيغلب جهلكم علمكم اشار بهذا الى ان التجبر والتكبر هو الذي يهيج الغضب ويمنع من الحلم واللين
وكان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اغنني بالعلم وزيني بالحلم واكرمني بالتقوى وجملني بالعافية
وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم ابتغوا الرفعة عند الله قالوا وما هي
يا رسول الله قال تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتحلم عمن جهل عليك وقال عليه السلام خمس
من سنن المرسلين الحياء والحلم والحجامة والسواك والتعطر وقال علي عليه السلام قال النبي صلى الله
عليه وسلم ان الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم وانه ليكتب جبارا وما يملك الا اهل بيته و
قال ابو هريرة رضي الله عنه ان رجلا قال يا رسول الله ان لي قرابة اصلهم ويقطعوني واحسن اليهم
ويسيئون الي ويجهلون علي واحلم عنهم قال لئن كان كما تقول فكانما تسفهم المل ولا يزال معك من الله
ظهير ما دمت على ذلك المل الرماد الحار وقال رجل من المسلمين اللهم ليس عندي صدقة اتصدق
بها فايما رجل اصاب من عرضي شيئا فهو صدقة فاوحى الله الى النبي عليه السلام اني قد غفرت له وقال النبي
صلى الله عليه وسلم ايعجز احدكم ان يكون كابي ضمضم قالوا وما ابو ضمضم قال رجل ممن قبلكم كان اذا اصبح يقول
اللهم اني قد تصدقت اليوم بعرضي على من ظلمني وقيل في قوله تعالى ربانيين اي حلماء علماء وعن الحسن

في قوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال حلماء ان جهل عليهم لم يجهلوا وقال عطاء بن ابي رباح يمشون
على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما اي حلما وقال ابن ابي حبيب في قوله تعالى وكهلا قال الكهل
منتهى الحلم وقال مجاهد واذا مروا باللغو مروا كراما اي اذا اوذوا صفحوا وروي ان ابن مسعود مر بلغو معرضا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصبح ابن مسعود وامسى كريما ثم تلا ابرهيم بن ميسرة وهو الراوي قوله تعالى واذا
مروا باللغو مروا كراما وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا يدركني ولا ادركه زمان لا يتبعون فيه العليم
ولا يستحيون فيه من الحليم قلوبهم قلوب العجم والسنتهم السنة العرب وقال صلى الله عليه وسلم ليليني
منكم ذوو الاخلاق والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم واياكم وهيشات
الاسواق وروي انه وفد على النبي صلى الله عليه وسلم الاشج فاناخ براحلته ثم عقلها ثم طرح عنه ثوبين
كانا عليه واخرج من العيبة ثوبين حسنين فلبسهما وذلك بعين رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى ما يصنع
ثم اقبل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا اشج ان فيك خلقين يحبهما
الله ورسوله قال ما هما بابي انت وامي قال الحلم والاناة فقال خلتان تخلقتهما او خلقان جبلت عليهما
قال بل خلقان جبلك الله عليهما فقال الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الحيي الحليم الغني المتعفف ويبغض الفاحش البذي السائل
الملحف وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا تعتد
من عمله بشيء تقوى تحجزه عن معاصي الله وحلم يكف به السفيه وخلق يعيش به بين الناس وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع الخلائق يوم القيمة نادى مناد اين اهل الفضل فيقوم ناس وهم يسير
فينطلقون سراعا الى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون انا نراكم سراعا الى الجنة فيقولون نحن اهل الفضل
فيقولون ما كان فضلكم فيقولون كنا اذا ظلمنا صبرنا واذا اسيء الينا عفونا واذا جهل علينا حلمنا فيقال
لهم ادخلوا الجنة فنعم اجر العاملين **الآثار** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا العلم وتعلموا للعلم
السكينة والحلم وقال علي رضي الله عنه ليس الخير ان يكثر مالك وولدك ولكن الخير ان يكثر علمك
ويعظم حلمك وان لا تباهي الناس بعبادة ربك فاذا احسنت حمدت الله واذا اسأت استغفرت الله و
قال الحسن اطلبوا العلم وزينوه بالوقار والحلم وقال اكثم بن صيفي دعامة العقل الحلم وجماع الامر الصبر
وقال ابو الدرداء ادركنا الناس ورقا لا شوك فيه فاصبحوا شوكا لا ورق فيه ان نقدتهم نقدوك وان تركتهم
لم يتركوك قالوا كيف نصنع قال تقرضهم من عرضك ليوم فقرك وقال علي ان اول عوض الحليم ان الناس
كلهم من حلمه اعوانه على الجاهل وقال معاوية لا يبلغ الرجل مبلغ الرأي حتى يغلب حلمه جهله وصبره شهوته
ولا يبلغ ذلك بقوة من العلم وقال معاوية لعمرو بن الاهتم اي الرجال اشجع قال من رد جهله بحلمه قال اي
الرجال اسخى قال من بذل دنياه لصلاح دينه وقال انس بن مالك في قوله تعالى فاذا الذي بينك
وبينه عداوة كانه ولي حميم الى قوله عظيم هو الرجل يشتمه اخوه فيقول ان كنت كاذبا فغفر الله لك
وان كنت صادقا فغفر الله لي وقال بعضهم شتمت فلانا من اهل البصرة فحلم علي فاستعبدني بها
زمانا وسب رجل ابن عباس فلما فرغ قال يا عكرمة هل للرجل حاجة فنقضيها فنكس الرجل رأسه واستحيا
وقال رجل لعمر بن عبد العزيز اشهد انك من الفاسقين فقال ليس تقبل شهادتك وعن علي بن الحسين
بن علي انه سبه رجل فرمى اليه بخميصة كانت عليه وامر له بالف درهم فقال بعضهم جمع فيه خمس خصال
الحلم واسقاط الاذى وتخليص الرجل مما يبعده من الله وحمله على الندم والتوبة ورجوعه الى المدح بعد

اللهم اشتري جميع ذلك بشئ من الدنيا يسير وقال معوية لعرابة بن اوس ثم سدت على قومك يا عرابة
قال يا امير المؤمنين كنت احلم عن جاهلهم واعطي سائلهم واسعى في حوائجهم فمن فعل فعلي فهو
مثلي ومن جاوزني فهو افضل مني ومن قصر عني فانا خير منه وقال رجل لجعفر بن محمد انه قد وقع بيني
وبين قوم منازعة في امر واني اريد ان اتركه فيقال لي ان تركك له ذل فقال جعفر انما الذليل الظالم وقال
الخليل بن احمد كان يقال من اسا فاحسن اليه فقد جعل له حاجز من قلبه يردعه عن مثل اساءته وقال
الاحنف بن قيس لست بحليم ولكني اتحلم وقال وهب بن منبه من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يجهل يغلب
ومن يعجل يخطئ ومن يحرص على الشر لا يسلم ومن لا يدع المراء يشتم ومن لا يكره الشر يأثم ومن يكره الشر يعصم ومن
يتبع وصية الله يحفظ ومن يحذر الله يأمن ومن يتول الله يمنع ومن لا يسال الله يفتقر ومن لا يكن من
الله خائفا يخذل ومن يستعن بالله يظفر وقال رجل لمالك بن دينار بلغني انك ذكرتني بسوء
قال انت اذا اكرم علي من نفسي اني اذا فعلت ذلك اهديت لك حسناتي وقال بعض العلماء الحلم
ارفع من العقل لان الله تعالى تسمى به وقال رجل لبعض الحكماء والله لاسبنك سبا يدخل معك قبرك
قال معك يدخل لا معي ومر المسيح بن مريم عليه السلام بقوم من اليهود فقالوا له شرا فقال لهم خيرا
فقيل له انهم يقولون شرا وانت تقول خيرا فقال كل واحد ينفق مما عنده وقال لقمان ثلاثة لا
يعرفون الا عند ثلاثة لا يعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا الاخ الا عند
الحاجة اليه ودخل على بعض الحكماء صديق له فقدم اليه الطعام فخرجت امراة الحكيم وهي سيئة الخلق
فرفعت المائدة واقبلت على شتم الحكيم فخرج الصديق مغضبا فتبعه الحكيم وقال تذكر يوم
كنا في منزلك نطعم فسقطت دجاجة على المائدة فافسدت ما عليها فلم يغضب منا احد قال
نعم قال فاحسب ان هذه مثل تلك الدجاجة فسري عن الرجل فانصرف وقال صدق الحكيم الحلم شفاء من
كل سقم وضرب رجل قدم حكيم فاوجعه فلم يغضب وقال اقمته مقام حجر تعثرت به فذبحت
الغضب وقال محمود الوراق **شعر** سالزم نفسي الصفح عن كل مذنب وان كثرت منه علي الجرائم
فما الناس الا واحد من ثلاثة شريف ومشروف ومثل مقاوم فاما الذي فوقي فاعرف قدره واتبع فيه
الحق والحق لازم واما الذي دوني فان قال صنت عن اجابته عرضي وان لام لائم واما الذي مثلي فان زل
او هفا تفضلت ان الفضل بالحلم حاكم **بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي
به من الكلام** اعلم ان كل ظلم صدر من شخص فلا يجوز مقابلته بمثله فلا يجوز مقابلة الغيبة بالغيبة
ولا التجسس بالتجسس ولا مقابلة السب بالسب وكذا سائر المعاصي وانما القصاص والغرامة
على ما ورد به الشرع وفصلناه في الفقه واما السب فلا يقابل بمثله قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه وقال المستبان شيطانان يتهاتران وشتم رجل ابا بكر
وهو ساكت فلما ابتدا ينتصر منه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر انك كنت ساكتا لما شتمني فلما
تكلمت قمت قال لان الملك كان يجيب عنك فلما تكلمت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم اكن لاجلس في
مجلس فيه شيطان وقال قوم يجوز المقابلة بما لا كذب فيه ونهيه صلى الله عليه وسلم عن التعيير
بمثله نهي تنزيه والافضل تركه ولكنه لا يعصي به والذي يرخص ان تقول من انت وهل انت الا من بني فلان
كما قال سعد لابن مسعود وهل انت الا من بني هذيل وقال ابن مسعود وهل انت الا من بني امية ومثل قوله
يا احمق قال مطرف كل الناس احمق فيما بينه وبين ربه الا ان بعض الناس اقل حماقة من بعض وقال ابن عمر في

حديث طويل حتى ترى الناس كلهم حمقى في ذات الله وكذلك قوله يا جاهل اذ ما من احد الا وفيه
جهل فقد اذاه بما ليس بكذب وكذلك قوله يا سيء الخلق ويا صفيق الوجه يا ثلاب للاعراض وكان
ذلك فيه وكذلك قوله لو كان فيك حياء ما تكلمت وما احقرك في عيني بما فعلت واخزاك الله وانتقم
منك فاما النميمة والغيبة والكذب وسب الوالدين فحرام بالاتفاق لما روي انه كان بين
خالد بن الوليد وسعد كلام فذكر رجل خالدا عند سعد فقال سعد ان ما بيننا لم يبلغ ديننا يعني
ان ياثم بعضنا في بعض فلم يسمع السوء فكيف يجوز ان يقوله والدليل على جواز ما ليس بكذب ولا حرام
كالنسبة الى الزنا والسب والفحش ما روت عائشة رضي الله عنها ان ازواج النبي صلى الله عليه
وسلم ارسلن فاطمة عليها السلام فجاءت فقالت يا رسول الله ارسلني ازواجك يسالنك العدل
في ابنة ابي قحافة والنبي صلى الله عليه وسلم نائم فقالت بنية اتحبين ما احب قالت نعم قال
فاحبي هذه فرجعت اليهن واخبرتهن بذلك فقلن ما اغنيت عنا شيئا فارسلن زينب بنت
جحش قالت وهي التي كانت تساميني في الحب فجاءت فقالت بنت ابي بكر وبنت ابي بكر فما زالت
تذكرني وانا ساكتة انتظر ان ياذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجواب فاذن لي فسببتها حتى
جف لساني فقال النبي صلى الله عليه وسلم كلا انها ابنة ابي بكر يعني انك لا تقاومينها في الكلام و
قولها سببتها ليس المراد به الفحش بل هو الجواب عن مرادها وكلامها بالحق ومقابلتها بالصدق
قال النبي صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فهو على البادي حتى يعتدي المظلوم فاثبت للمظلوم
انتصارا الى ان يعتدي فهذا القدر هو الذي اباحه هؤلاء وهو رخصة في الايذاء جزاء على ايذائه
السابق باللسان ولا يتعدى الرخصة في هذا القدر ولكن الافضل تركه فانه يجره الى ما وراءه ولا
يمكن الاقتصار عليه وعلى مقدار الحق فيه فالسكوت عن اصل الجواب لعله ايسر من الشروع في
الجواب والوقوف على حد الشرع فيه ولكن من الناس من لا يقدر على ضبط نفسه في فورة الغضب ولكن
يعود سريعا ومنهم من يكف في الابتداء ويحقد في الدوام والناس في الغضب اربعة فبعضهم كالحلفاء
سريع الوقود سريع الخمود وبعضهم كالغضا بطيء الوقود بطيء الخمود وبعضهم بطيء الوقود سريع
الخمود وهو الاحمد ما لم ينته الى فتور الحمية والغيرة وبعضهم سريع الوقود بطيء الخمود وهذا
هو شرهم وفي الخبر المؤمن سريع الغضب سريع الرضا فهذه بتلك وقال الشافعي رحمه الله عليه
من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان وقد قال ابو سعيد
الخدري رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان بني آدم خلقوا على طبقات فمنهم بطيء
الغضب سريع الرضا ومنهم سريع الغضب سريع الفيء فهذه بتلك ومنهم سريع الغضب بطيء الفيء
الا وان خيرهم البطيء الغضب السريع الفيء وشرهم السريع الغضب البطيء الفيء ولما كان الغضب في الحال يهيج
ويؤثر في كل انسان وجب على السلطان ان لا يعاقب احدا في حال غضبه عليه لانه ربما يتعدى
الواجب فيكون متشفيا غيظه ومريحا لنفسه فيكون صاحب حظ فيه وينبغي ان يكون انتقامه
انتصاره لله لا لنفسه وراى عمر رضي الله عنه سكرانا فاراد ان ياخذه ويعزره فشتمه السكران
فرجع عمر فقيل له يا امير المؤمنين لما شتمك تركته قال لانه اغضبني ولو عزرته كان ذلك لغضبي
لنفسي ولم احب ان اضرب مسلما حمية لنفسي وقال عمر بن عبد العزيز لرجل اغضبه لولا انك اغضبتني
لعاقبتك **القول في معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق** اعلم ان الغضب

اذ لزم كظمه لعجز عن التشفي في الحال رجع الى الباطن واحتقن فيه فصار حقدا ومعنى الحقد ان يلزم نفسه استثقاله والبغضة له والنفار منه وان يدوم ذلك ويبقى وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن ليس بحقود فالحقد ثمرة الغضب والحقد يثمر ثمانية امور **الاول** الحسد وهو ان يحملك الحقد على ان تتمنى زوال النعمة عنه فتغتم بنعمة ان اصابها وتسر بمصيبة ان نزلت به وهذا من فعل المنافقين اعني الحسد وسياتي ذمه **الثاني** ان تزيد على اضمار الحسد في الباطن فتشمت بما اصابه من البلا **الثالث** ان تهجره وتصارمه وتنقطع عنه وان طلبك واقبل عليك **الرابع** وهو دونه ان تعرض عنه استصغارا له **الخامس** ان تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وافشاء سر وهتك ستر وغيره **السادس** ان تحاكيه استهزاء به وسخرية منه **السابع** ايذاوه بالضرب وما يولم بدنه **الثامن** ان تمنعه حقه من صلة رحم او قضاء دين او رد مظلمة وكل ذلك حرام واقل درجات الحقد ان تحترز من الافات الثمانية المذكورة ولا تخرج بسبب الحقد الى ما تعصي الله به ولكن تستثقله في الباطن ولا تنهى قلبك عن بغضه حتى تمتنع عما كنت تتطوع به من البشاشة والرفق والعناية والقيام بحاجاته والمجالسة معه على ذكر الله تعالى ثم المعاونة على المنفعة له او بترك الدعاء له والثنا عليه او التحريض على بره ومواساته فهذا كله مما ينقص درجتك في الدين ويحول بينك وبين فضل عظيم وثواب جزيل وان كان لا يعرضك للعقاب ولما حلف ابو بكر ان لا ينفق على مسطح وكان قريبه ولكن تكلم في واقعة الافك نزل قوله تعالى ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة الى قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم فقال ابو بكر رضي الله عنه نعم نحب ذلك وعاد الى الانفاق عليه والاولى ان يبقى على ما كان عليه فان امكن ان يزيد في الاحسان مجاهدة للنفس وارغاما للشيطان فذلك هو مقام الصديقين وهي من فضايل اعمال المقربين فللمحقود ثلاثة احوال عند القدرة ان يستوفي حقه الذي يستحقه من غير زيادة ونقصان وهو العدل **والثاني** ان يحسن اليه بالعفو والصلة وذلك هو الفضل **والثالث** ان يظلمه بما لا يستحقه وذلك هو الجور وهو اختيار الاراذل والثاني هو اختيار الصديقين والاول درجة الصالحين فلنذكر الان فضيلة العفو والاحسان

فضيلة العفو اعلم ان معنى العفو ان يستحق حقا فيسقطه ويبري عنه من قصاص او غرامة وهو غير الحلم وكظم الغيظ فلذلك اوردناه وقد قال الله تعالى خذ العفو الاية وقال تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث والذي نفسي بيده ان كنت لحالفا عليهن ما نقص مال من صدقة فتصدقوا ولا عفا رجل عن مظلمة يبتغي بها وجه الله تعالى الا زاده الله بها عزا يوم القيمة ولا فتح رجل على نفسه باب مسلة الا فتح الله عليه باب الفقر وقال عليه الصلاة والسلام التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله والعفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله والصدقة لا يزيد المال الا كثرة فتصدقوا يرحمكم الله وقالت عايشة رضي الله عنها ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط لم ينتهك من محارم الله فاذا انتهك من محارم الله شي كان اشدهم في ذلك غضبا وما خير بين امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن ماثما وقال عقبة بن عامر لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فبدرته فاخذت بيده او بدرني فاخذ بيدي فقال يا عقبة الا اخبرك بافضل اخلاق اهل

الدنيا والاخرة تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال موسى يا رب اي عبادك اعز عليك قال الذي اذا قدر عفا ولذلك سيل ابو الدردا من اعز الناس فقال الذي يعفو اذا قدر فاعفوا يعزكم الله وجا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو مظلمة فامره النبي ان يجلس واراد ان ياخذ له بمظلمته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المظلومين هم المفلحون يوم القيمة فابى ان ياخذها حين سمع الحديث وقالت عايشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا على من ظلمه فقد انتصر وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث الله الخلايق يوم القيمة نادى مناد من تحت العرش ثلثة اصوات يا معشر الموحدين ان الله قد عفا عنكم فليعف بعضكم عن بعض وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم اتى الكعبة فاخذ بعضادتي الباب فقال ما تقولون وما تظنون قالوا نقول اخ وابن عم حليم رحيم قالوا ذلك ثلثا فقال عليه السلام اقول كما قال يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين قال فخرجوا كانما نشروا من القبور فدخلوا في الاسلام **وعن سهيل بن عمرو** قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وضع يديه على باب الكعبة والناس حوله فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده واعز جنده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا معشر قريش ما تقولون وما تظنون قال قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم نقول خيرا ونظن خيرا اخ كريم وابن اخ كريم وقد قدرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم **وعن** انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وقف العباد نادى مناد ليقم من اجره على الله فليدخل الجنة قيل من ذا الذي اجره على الله قال العافون عن الناس فقام كذا وكذا الفا فدخلوها بغير حساب وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لوالي امر ان يوتى بحد الا اقامه والله عفو يحب العفو ثم قرا قوله تعالى وليعفوا وليصفحوا الاية وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث من جا بهن مع ايمان دخل الجنة من اي باب شا وزوج من الحور العين حيث شا من ادى دينا خفيا وقرا في دبر كل صلاة احد عشر مرة قل هو الله احد وعفا عن قاتله قال ابو بكر قال او احداهن يا رسول الله قال او احداهن **الاثار** قال ابرهيم التيمي ان الرجل ليظلمني فارحمه وهذا احسان ورا العفو لانه يشتغل قلبه بتعرضه لمعصية الله بالظلم وانه يطالب يوم القيمة فلا يكون له جواب وقال بعضهم اذا اراد الله ان يتحف عبده قيض له من يظلمه ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز فجعل يشكو اليه رجلا ظلمه ويقع فيه فقال له عمر انك ان تلقى الله ومظلمتك كما هي خير لك من ان تلقاه وقد اقتصصتها وقال يزيد بن ميسرة ان ظللت تدعو على من ظلمك فان الله تعالى يقول ان اخر يدعو عليك انك ظلمته فان شئت استجبنا لك واجبنا عليك وان شئت اخرتكما الى يوم القيمة فيسعكما عفوي وقال مسلم بن يسار لرجل دعا على ظالمه كل الظالم الى ظلمه فانه اسرع اليه من دعائك عليه الا ان يتداركه بعمل وقمن ان لا يفعل وعن ابن عمر عن ابي بكر قال بلغنا ان الله تعالى يامر مناديا يوم القيمة فينادي من كان له عند الله شي فليقم فيقوم اهل العفو فيكافيهم الله بما كان من عفوهم

عن الناس وقال هشام بن محمد الى النعمان بن المنذر رجلين احدهما قد اذنب ذنبا عظيما فعفى عنه
والاخر اذنب ذنبا صغيرا فعاقبه وقال **شعر** تعفو الملوك عن العظيم من الذنوب لفضلها
ولقد تعاقب في اليسير وليس ذاك لجهلها * الا ليعرف حلمها ويخاف شدة نكلها **وعن**
مبارك بن فضالة قال وفدنا سوار بن عبد الله في وفد من اهل البصرة الى ابي جعفر فكنت عنده اذ
اتى برجل فامر بقتله فقلت في نفسي يقتل رجل من المسلمين وانا حاضر فقلت يا امير المؤمنين الا احدثك
حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعته من الحسن فقال وما هو قلت سمعته
يقول اذا كان يوم القيمة جمع الله الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم
البصر فيقوم مناد يقول من له عند الله يد فليقم فلا يقوم الا من عفا فقال بالله لسمعته من
الحسن فقلت والله لقد سمعته منه فقال خليا له وقال معاوية عليكم بالحلم والاحتمال حتى
يمكنكم الفرصة فاذا امكنكم فعليكم بالصفح والافضال **وروي** ان راهبا دخل على هشام
بن عبد الملك فقال للراهب ارايت ذا القرنين كان نبيا قال لا وانما اعطي باربعة خصال كن
فيه كان اذا قدر عفا واذا وعد وفى واذا حدث صدق ولا يجمع اليوم لغد وقال بعضهم
ليس الحليم من ظلم فحلم حتى اذا قدر عفا ومن ظلم فانتقم ليس بحليم وانما الحليم من ظلم فحلم حتى اذا
قدر عفا ومن ظلم فانتقم ليس بحليم وانما الحليم من ظلم فحلم حتى اذا قدر عفا وقال زياد القدرة
تذهب الحفيظة يعني الحقد والغضب واتي هشام برجل بلغه عنه امر فلما اقيم بين يديه جعل
يتكلم بحجته فقال له هشام وتتكلم ايضا فقال الرجل يا امير المؤمنين قال الله تعالى يوم تاتي كل
نفس تجادل عن نفسها افنجادل الله تعالى ولا نتكلم انت كلاما قال ويحك تكلم **وروي** ان
سارقا دخل خباء عمار بن ياسر رضي الله عنه بصفين فقيل له اقطعه فانه من اعدائنا فقال بل
استر عليه لعل الله ان يستر علي يوم القيمة وجلس ابن مسعود في السوق يبتاع متاعا فابتاع ثم
طلب الدراهم وكانت في عمامته فوجدها وقد حلت فقال لقد جلست وانها لمعي فجعلوا يقولون
اللهم اقطع يد السارق الذي اخذها فقال اللهم ان كان حمله على اخذها حاجة فبارك له فيها وان كان
حمله على اخذها جراة على الذنب فاجعله اخر ذنوبه وقال الفضيل ما رايت ازهد من رجل من اهل خراسان
جلس الي في المسجد الحرام ثم قام ليطوف فسرقت دنانير كانت معه فجعل يبكي فقلت على الدنانير تبكي
فقال لا ولكن مثلتني واياه بين يدي الله عز وجل فاشرف عقلي على ادحاض حجته فبكائي رحمة
له وقال الشعبي دنا اتينا منزل الحكم بن ايوب وهو على البصرة ليلا وجاء الحسن وهو خائف فدخلنا
عليه مع الحسن فما كنا معه الا بمنزلة الفراريج فذكر الحسن قصة يوسف وما صنع به اخوته من
بيعهم اياه وطرحهم اياه في الجب فقال باعوا اخاهم واحزنوا اباهم وذكر ما لقي من كيد النساء ومن
الحبس ثم قال ايها الامير ماذا صنع الله به اذ الهمهم فرفع ذكره واعلى كعبه وجعله على خزائن
الارض فماذا صنع حين اكمل له امره وجمع له اهله فقال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم يعرض للحكم
بالعفو عن اصحابه قال الحكم وانا اقول لا تثريب عليكم اليوم ولو لم اجد الا ثوبي لواريتكم تحته وكتب
ابن المقفع الى صديق له يساله العفو عن بعض اخوانه فلان هارب من زلته الى عفوك وعائذ بك
منك واعلم انه لن يزداد الذنب عظما الا ازداد العفو فضلا واتي عبد الملك بن مروان باسارى
ابن الاشعث فقال لرجاء بن حيوة ما ترى قال ارى ان الله تعالى قد اعطاك ما تحب من الظفر فاعط

الله ما يحب من العفو فعفا عنهم **وروي** ان زيادا اخذ رجلا من الخوارج فافلت فاخذ اخا له فقال
ان جئت باخيك والا ضربت عنقك فقال ارايت ان جئتك بكتاب من امير المؤمنين تخلي سبيلي قال
نعم قال فانا اتيك بكتاب من العزيز الحكيم واقيم عليه شاهدين ابراهيم وموسى ثم تلا ام لم ينبا بما في
صحف موسى وابراهيم الذي وفى الا تزر وازرة وزر اخرى فقال زياد خلوا سبيله هذا رجل قد لقن حجته
وقيل مكتوب في الانجيل من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان **فضيلة الرفق** اعلم ان الرفق
محمود ويضاده العنف والحدة وينتجه الغضب والفظاظة واللين والرفق ينتجهما حسن الخلق و
السلامة وقد يكون سبب الحدة الغضب ويكون سببه شدة الحرص واستيلائه بحيث يدهش
عن التفكر ويمنع من التثبت فالرفق في الامور ثمرة لا يثمرها الا حسن الخلق ولا يحسن الخلق الا بضبط
قوة الغضب وقوة الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال ولاجل هذا اثنى رسول الله صلى الله عليه
وسلم على الرفق وبالغ فيه فقال يا عائشة من اعطي حظه من الرفق فقد اعطي حظه من خير الدنيا
والاخرة ومن حرم حظه من الرفق حرم حظه من الدنيا والاخرة وقال عليه السلام اذا احب الله
اهل بيت ادخل عليهم الرفق وقال عليه السلام ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي
على العنف وقال صلى الله عليه وسلم يا عائشة ارفقي فان الله تعالى اذا اراد باهل بيت كرامة دلهم
على باب الرفق وقال صلى الله عليه وسلم من يحرم الرفق يحرم الخير كله وقال عليه السلام اذا احب الله
اهل بيت ادخل عليهم الرفق وقال عليه السلام ان الله ليعطي على الرفق ما لا يعطي على الخرق واذا احب
الله عبدا اعطاه الرفق وما من اهل بيت يحرمون الرفق الا قد حرموا وقال صلى الله عليه وسلم ايما وال
ولي فلان فرفق رفق الله به يوم القيمة وقال عليه السلام تدرون من يحرم على النار كل هين لين سهل
قريب وقال عليه السلام الرفق يمن والخرق شؤم وقال عليه السلام التاني من الله تعالى و
العجلة من الشيطان **وروي** ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه رجل فقال يا رسول الله ان الله قد
بارك لجميع المسلمين فيك فاخصصني منك بخير فقال الحمد لله مرتين او ثلثا ثم اقبل عليه فقال هل انت
مستوص مرتين او ثلثا قال نعم قال اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان سوى
ذلك فانته وعن عائشة رضي الله عنها انها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر على بعير
صعب فجعلت تصرفه يمينا وشمالا فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك بالرفق فانه لا يدخل في شيء الا زانه
ولا ينزع من شيء الا شانه **الاثار** بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان جماعة من عماله اشتكوا فامرهم ان
يوافوه فلما اتوه قام فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايتها الرعية ان لنا عليكم حقا النصيحة بالغيب والمعاونة
على الخير ايتها الرعاة ان للرعية عليكم حقا واعلموا انه لا شيء احب الى الله ولا اعز من حلم امام ورفقه وليس
جهل ابغض الى الله ولا اعم من جهل امام وخرقه واعلموا انه من ياخذ بالعافية فيمن بين ظهريه يرزق العافية ممن هو دونه
وقال وهب بن منبه الرفق ثني الحلم وفي الخبر موقوفا ومرفوعا العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل
دليله والعمل قيمه والرفق والده واللين اخوه والصبر امير جنوده وقال بعضهم ما احسن الايمان يزينه العلم
وما احسن العلم يزينه العمل وما احسن العمل يزينه الرفق وما اضيف شيء الى شيء مثل حلم الى علم العمل وما
احسن العمل يزينه الرفق وما اضيف شيء الى شيء مثل حلم الى علم وقال عمرو بن العاص لابنه عبد الله ما
الرفق قال ان تكون ذا اناة وتلاين الولاة قال فما الخرق قال معاداة امامك ومناواة من يقدر على
ضررك وقال سفيان لاصحابه تدرون ما الرفق قالوا قل يا ابا محمد قال ان تضع الامور مواضعها الشدة

في مواضعها واللين في موضعه والسيف في موضعه والسوط في موضعه وهذه اشارة الى انه لا بد من
مزج الغلظة باللين والفظاظة بالرفق كما قيل ووضع الندى في موضع السيف بالعلا مضر كوضع السيف
في موضع الندى فالمحمود وسط بين العنف واللين كما في سائر الاخلاق ولكن لما كانت الطباع الى حاجة الحدة
والعنف اميل كانت الحاجة الى ترغيبهم في جانب الرفق اكثر فلذلك كثر ثنا الشرع في جانب الرفق دون
العنف وان كان العنف في محله حسنا كما ان الرفق في محله حسن واذا كان الواجب هو العنف فقد وافق
الحق الهوى وهو الذ من الزبد بالشهد هكذا قال عمر بن عبد العزيز **وروي** ان عمرو بن العاص كتب الى معوية
يعاتبه في التاني فكتب اليه معاويه اما بعد فان التفهم في الخير زيادة ورشد وان الرشيد من
رشد عن العجلة وان الخائب من خاب عن الاناة وان المتثبت مصيب او كاد ان يكون مصيبا وان العجل
مخطي او كاد ان يكون مخطيا وان من لا ينفعه الرفق يضره الخرق ومن لا ينفعه التجارب لا يدرك المعالي
وعن ابي عون الانصاري قال ما تكلم الناس بكلمة صعبة الا والى جانبها كلمة الين منها تجري مجراها
وقال ابو حمزة الكوفي لا تتخذ من الخدم الا ما لا بد منه فان مع كل انسان شيطانا واعلم انهم لا يعطونك بالشدة
شيا الا اعطوك باللين ما هو افضل منه وقال الحسن المؤمن وقاف متان وليس كحاطب ليل فقد اثنى
اهل العلم على الرفق وذلك لانه محمود ومفيد في اكثر الاحوال واغلب الامور والحاجة الى العنف قد تقع ولكن
على الندور وانما الكامل من يميز مواقع الرفق عن مواضع العنف فيعطي كل امر حقه فان كان قاصر البصيرة
او اشكل عليه حكم واقعة من الوقائع فليكن ميله الى الرفق فان النجح معه في الاكثر **القول في ذم الحسد وفي**
حقيقته واسبابه ومعالجته وغاية الواجب في ازالته اعلم ان الحسد ايضا من نتائج الحقد والحقد من نتائج الغضب

بيان ذم الحسد فهو فرع فرع الغضب والغضب اصل اصله ثم للحسد من الفروع الذميمة ما لا يكاد يحصى
وقد ورد في ذم الحسد خاصة اخبار كثيرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسد ياكل الحسنات
كما تاكل النار الحطب وقال عليه السلام في النهي عن الحسد واسبابه وثمراته لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا
وكونوا عباد الله اخوانا وقال انس كنا يوما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يطلع عليكم الان من هذا
الفج رجل من اهل الجنة قال فطلع رجل من الانصار ينفض لحيته من وضوئه قد علق نعليه بيده الشمال فسلم
فلما كان من الغد قال النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فطلع الرجل وقال في اليوم الثالث فطلع الرجل
فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال له اني لاحيت ابي فاقسمت ان لا ادخل عليه
ثلاثة ايام فان رايت ان تؤويني اليك حتى تمضي فعلت قال نعم فبات عنده ثلث ليال فلم يره يقوم لصلاة
الفجر من الليل شيا غير انه كان اذا انقلب على فراشه ذكر الله تعالى ولم يقم الا لصلاة الفجر قال الا اني لم اسمعه
يقول الا خيرا فلما مرت الثلاث وكدت ان احتقر عمله قلت يا عبد الله لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا
هجرة ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا فاردت ان اعرف عملك فلم ارك تعمل
عملا كثيرا فما الذي بلغ بك ذلك قال ما هو الا ما رايت فلما وليت دعاني فقال ما هو الا ما رايت غير اني
لا اجد على احد من المسلمين في نفسي غشا ولا حسدا على خير اعطاه الله اياه قال عبد الله هي التي بلغت
بك وهي التي لا نطيق وقال عليه السلام ثلاث لا ينجو منهن احد الظن والطيرة والحسد
وساحدثكم بالمخرج من ذلك اذا ظننت فلا تحقق واذا تطيرت فامض واذا حسدت فلا تبغ وفي
رواية ثلاث لا ينجو منهن احد وقل من ينجو منهن فاثبت في هذه الرواية امكان النجاة وقال
صلى الله عليه وسلم دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء والبغضة هي الحالقة لا اقول حالقة الشعر

ولكن حالقة الدين والذي نفس محمد بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا الا
انبئكم بما يثبت ذلك لكم افشوا السلام بينكم وقال عليه السلام كاد الفقر ان يكون كفرا وكاد
الحسد ان يغلب القدر وقال صلى الله عليه وسلم انه سيصيب امتي داء الامم قالوا وما داء الامم قال
الاشر والبطر والتكاثر والتناجش والتنافس في الدنيا والتحاسد حتى يكون البغي ثم يكون الهرج
وقال عليه السلام لا تظهر الشماتة لاخيك فيرحمه الله ويبتليك **وروي** ان موسى عليه
السلام لما تعجل الى ربه راى في ظل العرش رجلا فغبطه بمكانه فقال ان هذا لكريم على ربه فسال
ربه ان يخبره باسمه فلم يخبره باسمه وقال احدثك من عمله بثلاث كان لا يحسد الناس على ما
اتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه ولا يمشي بالنميمة وقال زكريا عليه السلام قال
الله تعالى الحاسد عدو لنعمتي متسخط لقضائي غير راض بقسمتي التي قسمتها بين
عبادي وقال صلى الله عليه وسلم اخوف ما اخاف على امتي ان يكثر لهم المال فيتحاسدون ويقتتلون
وقال عليه السلام استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود وقال عليه
السلام ان لنعم الله اعداء قيل ومن اولئك قال الذين يحسدون الناس على ما اتاهم الله من
فضله وقال صلى الله عليه وسلم ستة يدخلون النار قبل الحساب بسنة قيل يا رسول الله من هم
قال الامراء بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين بالتكبر والتجار بالخيانة واهل الرستاق
بالجهالة والعلماء بالحسد **الاثار** قال بعض السلف ان اول خطيئة هي الحسد حسد ابليس ادم
ان يسجد له فحمله الحسد على المعصية **وحكي** ان عون بن عبد الله دخل على الفضل بن المهلب وكان
يومئذ على واسط فقال اني اريد ان اعظك بشي فقال وما هو قال اياك والكبر فانه اول ذنب
عصى الله به ثم قرا قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم الاية واياك والحرص فانه اخرج ادم من
الجنة امكنه الله من جنة عرضها السموات والارض ياكل منها الا شجرة واحدة نهاه الله عنها فاكل منها
فاخرجه الله ثم قرا قوله تعالى اهبطوا منها واياك والحسد فانما قتل ابن ادم اخاه حين حسده ثم قرا قوله
تعالى واتل عليهم نبا ابني ادم بالحق الاية واذا ذكر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فامسك واذا
ذكر القدر فاسكت واذا ذكرت النجوم فاسكت وقال بكر بن عبد الله كان رجل يغشى بعض الملوك
فيقوم بحذاء الملك فيقول احسن الى المحسن باحسانه فان المسي سيكفيكه اساءته فحسده رجل على ذلك
المقام والكلام فسعى به الى الملك فقال له الملك وكيف يصح ذلك عندي قال تدعو به اليك
اذا اخذ مقامه فانه اذا دنا منك يضع يده على انفه لان لا يشم منك رايحة البخر فدعا الرجل
الى منزله فاطعمه طعاما فيه ثوم فخرج الرجل من عنده وقام بحذاء الملك وقال احسن الى المحسن باحسانه
فان المسي سيكفيكه اساءته فقال له الملك ادن مني فدنا منه فوضع يده على فيه مخافة ان يشم
الملك منه رايحة الثوم فقال الملك في نفسه ما ارى فلانا الا وقد صدق قال وكان الملك لا
يكتب بخطه الا بجائزة او صلة فكتب اليه كتابا بخطه الى عامل من عماله اذا اتاك صاحب كتابي هذا
فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به الي فاخذ الكتاب وخرج فلقيه الرجل الذي سعى به فقال
ما هذا الكتاب فقال خط الملك لي بصلة فقال هبه لي فقال هو لك فاخذه ومضى الى العامل
فقال العامل في كتابك ان اذبحك واسلخك قال ان الكتاب ليس هو لي الله الله في امري حتى تراجع
الملك فقال ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشى جلده تبنا وبعث به الى الملك ثم عاد الرجل

الى الملك كعادته فقال مثل قوله فتعجب وقال ما فعل الكتاب قال لقيني فلان فاستوهبه مني فوهبته
له فقال الملك انه ذكر لي انك تزعم اني ابخر قال ما فعلت قال فلم وضعت يدك على فيك قال
كان اطعمني طعاما فيه ثوم فكرهت ان تشمه قال صدقت ارجع الى مكانك فقد كفى المسيء اساءته
وقال ابن سيرين ما حسدت احدا على شيء من امر الدنيا لانه ان كان من اهل الجنة فكيف احسد رجلا
من اهل الجنة وكيف احسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة وان كان من اهل النار فكيف احسده على امر الدنيا
وهو يصير الى النار وقال رجل للحسن هل يحسد المؤمن قال ما انساك بني يعقوب ولكن غمه
في صدرك فانه لا يضرك ما لم تعد به يدا ولسانا وقال ابو الدرداء رضي الله عنه ما اكثر عبد ذكر الموت
الا قل فرحه وقل حسده وقال معاوية كل الناس اقدر على رضاه الا حاسد نعمة فانه لا يرضيه الا زوالها و
لذلك قيل كل العداوة قد ترجى اماتتها الا عداوة من عاداك من حسد وقال بعض الحكماء الحسد
جرح لا يبرأ وحسب الحسود ما يلقى وقال اعرابي ما رأيت ظالما اشبه بمظلوم من حاسد انه يرى
النعمة عليك نقمة عليه وقال الحسن يا ابن آدم لم تحسد اخاك فان كان الذي اعطاه الله لكرامته عليه
فلم تحسد من اكرمه الله وان كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره الى النار وقال بعضهم الحاسد لا ينال
من المجالس الا مذمة وذلا ولا ينال من الملائكة الا لعنة وبغضا ولا ينال من الخلق الا جزعا وغما ولا ينال
عند النزع الا شدة وهولا ولا ينال عند الموقف الا فضيحة ونكالا **بيان حقيقة الحسد وحكمه
واقسامه ومراتبه** اعلم انه لا حسد الا على نعمة فاذا انعم الله على اخيك بنعمة فلك فيها حالتان **احدهما**
ان تكره تلك النعمة وتحب زوالها وهذه الحالة تسمى حسدا فالحسد حده كراهة النعمة وحب زوالها من
المنعم عليه **الحالة الثانية** ان لا تحب زوالها ولا تكره وجودها ولكن تشتهي لنفسك مثلها
وهذه تسمى غبطة وقد تخص باسم المنافسة وقد تسمى المنافسة حسدا والحسد منافسة ويوضع احد
اللفظين موضع الآخر ولا حجر في الاسامي بعد فهم المعاني وقد قال عليه السلام المؤمن يغبط والمنافق
يحسد فاما الاول فهو حرام بكل حال الا نعمة اصابها فاجر او كافر وهو يستعين بها على تهييج
الفتنة وافساد ذات البين وايذاء الخلق فلا يضرك كراهتك لها ومحبتك لزوالها فانك لا تحب
زوالها من حيث انها نعمة بل من حيث هي آلة الفتنة والفساد ولو امنت فساده لم يغمك تنعمه ويدل
على تحريم الحسد الاخبار التي نقلناها وان هذه الكراهة تسخط لقضاء الله في تفضيل بعض عباده على بعض
وذلك لا عذر فيه ولا رخصة واي معصية تزيد على كراهتك لراحة مسلم من غير ان يكون فيه مضرة
لك والى هذا اشار القرآن بقوله تعالى ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها
وهذا الفرح شماتة والحسد والشماتة يتلازمان وقال تعالى لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا
حسدا من عند انفسهم فاخبر ان حبهم زوال نعمة الايمان حسد وقال ودوا لو تكفرون كما كفروا
فتكونون سواء وذكر الله تعالى حسد اخوة يوسف وعبر عما في قلوبهم فقال اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى
ابينا منا ونحن عصبة ان ابانا لفي ضلال مبين اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم وتكونوا
من بعده قوما صالحين فلما كرهوا حب ابيه له وساءهم ذلك واحبوا زواله عنه فغيبوه عنه وقال
تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا اي لا تضيق به صدورهم ولا يغتمون فاثنى عليهم
بعدم الحسد وقال تعالى كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين الى قوله وما اختلف فيه
الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم قيل في التفسير حسدا وقال تعالى وما

تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم قيل في التفسير حسدا فانزل الله تعالى العلم ليجمعهم
ويؤلف بينهم على طاعته وامرهم ان يتآلفوا بالعلم فتحاسدوا واختلفوا اذ اراد كل واحد ان ينفرد
بالرياسة وقبول القول فرد بعضهم على بعض قال ابن عباس كانت اليهود قبل ان يبعث النبي
صلى الله عليه وسلم اذا قاتلوا قوما قالوا نسألك بالنبي الذي وعدتنا ان ترسله وبالكتاب الذي
تنزله الا ما نصرتنا فكانوا ينصرون فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم من ولد اسماعيل عرفوه وكفروا به
جاءهم ما عرفوا كفروا به الى قوله تعالى ان يكفروا بما انزل الله بغيا اي حسدا وقالت صفية بنت حيي
رضي الله عنها جاء ابي وعمي من عندك يوما فقال ابي لعمي ما تقول فيه قال اقول انه النبي الذي
بشر به موسى قال فما ترى قال ارى معاداته ايام الحياة فهذا حكم الحسد في التحريم واما المنافسة
فليست بحرام بل هي اما واجبة واما مندوبة او مباحة وقد يستعمل لفظ المنافسة بدل الحسد
والحسد بدل المنافسة قال قثم بن العباس لما اراد هو والفضل ان يأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيسألاه ان يؤمرهما على الصدقة وحين قالا لعلي لا تذهبا اليه فانه لا يؤمركما عليها فقالا والله ما هذا
منك الا نفاسة والله لقد زوجك ابنته فما نفسنا ذلك عليك اي هذا منك حسد لنا على
تزويجه اياك فاطمة عليها السلام والمنافسة مشتقة في اللغة من النفاسة والذي يدل على
اباحة المنافسة قوله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وقال تعالى سابقوا الى مغفرة من
ربكم وانما المسابقة عند خوف الفوت وهو كالعبدين يتسابقان الى خدمة مولاهما اذ يجزع كل واحد
منهما ان يسبقه صاحبه فيحظى عند مولاه بمنزلة لا يحظى هو بها وقد صرح رسول الله صلى الله
عليه وسلم بذلك لا حسد الا في اثنين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله
علما فهو يعمل به ويعلمه الناس ثم فسر ذلك في حديث ابي كبشة الانصاري فقال مثل هذه الامة
مثل اربعة رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل بعلمه في ماله ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فيقول
رب لو ان لي مالا مثل فلان كنت اعمل فيه بمثل عمله فهما في الاجر سواء وهذا منه حب لان يكون
له مثل ما كان له من غير حب زوال النعمة عنه قال ورجل آتاه الله مالا فهو ينفق في معاصي الله ورجل
لم يؤته الله مالا فيقول لو ان لي مثل فلان لكنت اعمل مثل عمله فهما في الوزر سواء فذمه رسول الله صلى الله
عليه وسلم من جهة تمنيه المعصية لا من جهة حبه ان يكون له من النعمة مثل ما له فاذن لا حرج على من
يغبط غيره في نعمة ويشتهي لنفسه مثلها مهما لم يحب زوالها عنه ولم يكره دوامها له نعم اذا كانت
تلك النعمة نعمة دينية واجبة كالايمان والصلاة والزكاة فهذه المنافسة واجبة وهو ان يحب
ان يكون له مثلها لانه اذا لم يحب ذلك فهو راض بالمعصية وذلك حرام وان كانت النعمة من الفضائل كانفاق
الاموال في المكارم والصدقات فالمنافسة فيها مندوب اليها وان كانت نعمة يتنعم فيها على وجه
مباح فالمنافسة فيها مباح وكل ذلك يرجع الى ارادة مساواته واللحوق به في النعمة وليس فيها كراهة
النعمة وكانت تحت هذه النعمة امران **احدهما** راحة المنعم عليه والآخر ظهور نقصان غيره وتخلفه
عنه وهو يكره احد الوجهين وهو تخلف نفسه ويحب مساواته له ولا حرج على من يكره تخلف نفسه ونقصانها
في المباحات نعم ذلك ينقص من الفضائل ويناقض الزهد والتوكل والرضا ويحجب عن المقامات الرفيعة
ولكنه لا يوجب العصيان وههنا دقيقة غامضة وهو انه اذا ايس عن ان ينال مثل تلك النعمة وهو يكره
تخلفه ونقصانه فلا محالة يحب زوال النقصان وانما يزول النقصان اما بان ينال مثله او بان يزول

نعمة المحسود فاذا اشتد احد الطرفين فيكاد القلب لا ينفك عن شهوة الطرفين الا في حق اذا نالت النعمة من
المحسود كان ذلك عنده اشهى من بقائها اذ زوالها ورد الامر اليه باحتيال واختيار لسعى في ازالة
النعمة عنه فهو حسود وهو اذى والما يزول لتخلفه فيندم عجزه وهذا يكاد لا ينفك القلب عنه فان كان بحيث
لو القى الامر اليه ورد الى اختياره لسعى في ازالة النعمة عنه فهو حسود حسدا مذموما وان كان يردعه
التقوى عن ازالة ذلك فيعفو عما يجد في طبعه من الارتياح الى زوال النعمة عن محسوده ومهما كان
كارها لذلك من نفسه بعقله ودينه فلعله المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم ثلث لا ينفك المؤمن
عنهن الحسد والظن والطيرة ثم قال وله منهن مخرج اذا حسدت فلا تبغ اي فان وجدت في
قلبك شيا فلا تعمل به وبعيد ان يكون الانسان مريدا للحاق باخيه في النعمة فيعجز عنها ثم ينفك
عن ميل الى زوال النعمة اذ يجد لا محالة ترجيحا عليه وما هذا الحسد من المنافسة المباح الحسد الحرام
فينبغي ان يحتاط فانه موضع الخطر وما من انسان الا وهو يرى فوق نفسه من معارفه واقرانه من يحب ان
يساويه ويكاد يجره ذلك الى الحسد المحظور ان لم يكن قوي الايمان رزين التقوى ومهما كان يحركه خوف التفاوت
وظهور نقصانه عن غيره جره الى الحسد المذموم والى ميل الطبع الى زوال النعمة عن اخيه حتى ينزل الى مساواته
اذ لم يقدر هو ان يرتقي هو الى مساواته بادراك النعمة وذلك لا رخصة فيه اصلا بل هو حرام سواء كان في مقاصد
الدين او في مقاصد الدنيا ولكن يعفى عنه في ذلك ما لم يعمل به ان شاء الله وتكون كراهته لذلك من نفسه كفارة له
فهذه حقيقة الحسد واحكامه اما مراتبه اربعة **الاولى** ان يحب زوال النعمة عنه وان كان ذلك لا ينتقل اليه
وهذا غاية الخبث **الثاني** ان يحب زوال النعمة اليه لرغبته في تلك النعمة مثل رغبته في دار حسنة او امراة
جميلة او ولاية نافذة او سعة نالها غيره وهو يحب ان تكون له ومطلوبه تلك النعمة لا زوالها عنه ومكروهه
فقد النعمة لا تنعم غيره بها **الثالثة** ان لا يشتهي عينها بل يشتهي لنفسه مثلها فان لم يحصل فلا
يحب زوالها عنه وهذا الاخير هو المعفو عنه ان كان في الدنيا والمندوب اليه ان كان في الدين فان عجز عن مثلها
احب زوالها كي لا يظهر التفاوت بينهما **الرابعة** ان يشتهي لنفسه مثلها فان لم يحصل فلا يحب
زوالها عنه وهذا الاخير هو المعفو عنه ان كان في الدنيا والمندوب اليه ان كان في الدين والثالثة فيها مذموم
وغير مذموم والثانية اخف من الثالثة والاولى مذموم محض وتسمية الرتبة الثانية حسدا فيه تجوز وتوسع
ولكنه مذموم قال الله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض فتمنيه لمثل ذلك غير مذموم
اما تمنيه عين ذلك فهو مذموم **بيان اسباب الحسد والمنافسة** اما المنافسة فسببها حب ما فيه المنافسة
فان كان ذلك امرا دينيا فسببه حب الله تعالى وحب طاعته وان كان دنيويا فسببه حب مباحات الدنيا و
التنعم فيها وانما نظرنا الان في الحسد المذموم ومداخله كثيرة جدا لكن يحصرها سبعة ابواب يعني سبعة اسباب
العداوة والتعزز والكبر والتعجب والخوف من فوات المقاصد المحبوبة وحب الرياسة وخبث النفس
وبخلها فانه انما يكره النعمة عليه اما لانه عدوه فلا يريد له الخير وهذا لا يختص بالامثال بل يحسد الخسيس
الملك بمعنى انه يحب زوال النعمة لكونه مبغضا له بسبب اساءته اليه او الى من يحبه واما ان يكون من حيث يعلم انه
يستكبر بالنعمة عليه وهو لا يطيق احتمال كبره وتفاخره لعزة نفسه وهو المراد بالتعزز واما
ان يكون في طبعه ان يتكبر على المحسود ويمتنع ذلك عليه بنعمته وهو المراد بالتكبر واما ان تكون النعمة
عظيمة والمنصب كبيرا فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة وهو التعجب واما ان يخاف من فوات
مقاصد بسبب نعمته بان يتوصل بها الى مزاحمته في اغراضه واما ان يكون يحب الرياسة التي تبتني

على الاختصاص بنعمة لا يساوى فيها واما ان لا يكون لسبب من هذه الاسباب بل لخبث النفس وشحها بالخير
لعباد الله **ذكر الاسباب السبب الاول** العداوة والبغضاء وهذا اشد اسباب الحسد فان
من آذاه انسان بسبب من الاسباب وخالفه في غرضه بوجه من الوجوه ابغضه قلبه وغضب عليه ورسخ
في نفسه الحقد والحقد يقتضي التشفي والانتقام فان عجز المبغض عن التشفي بنفسه احب ان يتشفى منه الزمان
وربما يحيل ذلك على كرامة نفسه على الله تعالى فمهما اصاب عدوه بلية فرح بها وظنها مكافاة من جهة
الله تعالى على بغضه وانها لاجله ومهما اصابته نعمة ساءه ذلك لانه ضد مراده وربما يخطر له انه لا منزلة
له عند الله تعالى حيث لم ينتقم له من عدوه الذي آذاه بل انعم عليه وبالجملة فالحسد يلزم البغض
والعداوة ولا يفارقهما وانما غاية التقي ان لا يبغي وان يكره ذلك من نفسه واما ان يبغض انسانا
ثم يستوي عنده مسرته ومساءته فهذا غير ممكن وهذا مما وصف الله تعالى الكفار به اعني الحسد
بالعداوة اذ قال تعالى واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم
ان الله عليم بذات الصدور ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا و
كذلك قال تعالى ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم والحسد بسبب البغض ربما يفضي
الى التنازع والتقاتل واستغراق العمر في ازالة النعمة بالحيل والسعاية وهتك الستر وما يجري
مجراه **السبب الثاني** التعزز وهو ان يثقل عليه ان يترفع عليه غيره فاذا اصاب بعض امثاله ولاية
او علما او مالا خاف ان يتكبر عليه وهو لا يطيق تكبره ولا تسمح نفسه باحتمال صلفه وتفاخره عليه وليس من
غرضه ان يتكبر على من غرضه ان يدفع كبره فانه قد رضي بمساواته مثلا ولكن لا يرضى بالترفع عليه **السبب
الثالث** ان يكون في طبعه ان يتكبر ويستصغره ويستخدمه ويتوقع منه الانقياد له والمتابعة في اغراضه
فاذا نال النعمة خاف ان لا يحتمل تكبره ويترفع عن متابعته او ربما يتشوف الى مساواته او الى ان يترفع عليه فيعود متكبرا
بعد ان كان متكبرا عليه ومن التكبر والتعزز كان حسد اكثر الكفار لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قالوا
كيف يتقدم علينا غلام يتيم وكيف نطاطئ له رؤوسنا فقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين
عظيم اي كان لا يثقل علينا ان نتواضع له ونتبعه اذا كان عظيما وقال الله تعالى يصف قول قريش
اهؤلاء من الله عليهم من بيننا كالاستحقار لهم والانفة منهم **السبب الرابع** التعجب كما اخبر الله
عن الامم الماضية اذ قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وقالوا انؤمن لبشرين مثلنا ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا
لخاسرون فتعجبوا من ان يفوز برتبة الرسالة والوحي والقرب من الله تعالى بشر مثلهم فحسدوهم
واحبوا زوال النبوة عنهم جزعا ان يفضل عليهم من هو مثلهم في الخلقة لا عن قصد تكبر
وطلب رياسة وتقدم عداوة او سبب آخر من الاسباب وقالوا متعجبين ابعث الله بشرا رسولا وقالوا
لولا انزل علينا الملائكة فقال الله تعالى اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم **السبب الخامس**
الخوف من فوت المقاصد وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد فان كل واحد يحسد صاحبه في كل
نعمة تكون له عونا على الانفراد بمقصوده ومن هذا الجنس تحاسد الضرات والتزاحم على مقاصد الزوجية
وتحاسد الاخوة في التزاحم على نيل المنزلة في قلب الابوين والتوصل الى مقاصد الكرامة والمال وكذلك
تحاسد التلميذين لاستاذ واحد في نيل المنزلة في قلبه وتحاسد ندماء الملك وخواصه في نيل
المنزلة من قلبه للتوصل الى الجاه والمال وكذلك تحاسد الواعظين المتزاحمين على اهل بلدة واحدة
اذا كان غرضهما نيل المال بالقبول عندهم وكذلك العالمين المتزاحمين على طائفة من المتفقهة

محصورين اذ يطلب كل واحد منهم منزلة في قلوبهم للتوصل بهم الى الاغراض لهم **السبب السادس**
حب الرياسة وطلب الجاه لنفسه من غير توصل الى مقصود وذلك كالرجل يريد ان يكون عديم النظير
في فن من الفنون اذا غلب عليه حب الثنا واستفزه الفرح بما يمدح به من انه واحد الدهر وفريد العصر
في فنه وانه لا نظير له فانه لو سمع بنظير له في اقصى العالم ساءه ذلك واحب موته او زوال النعمة التي
يشاركه بها في المنزلة من شجاعة او علم او عبادة او صناعة او جمال او ثروة او غير ذلك مما يتفرد هو به
ويفرح بسبب تفرده وليس السبب في هذا عداوة ولا تعزز ولا تكبر على المحسود ولا خوف من فوات
مقصود سوى محض الرياسة بدعوى الانفراد وهذا وراء ما بين احاد العلما من طلب الجاه والمنزلة في
قلوب الناس للتوصل الى المقاصد سوى الرياسة وقد كان علما اليهود ينكرون معرفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا يؤمنون به خوفا من ان تبطل رياستهم واستتباعهم مهما نسخ علمهم **السبب
السابع** خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله فانك تجد من لا يشتغل برياسة وتكبر ولا طلب
مال اذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله فيما انعم الله عليه شق عليه ذلك واذا وصف
له اضطراب امور الناس وادبارهم وفوات مقاصدهم وتنغص عيشهم فرح به فهو ابدا يحب الادبار لغيره و
يبخل بنعمة الله تعالى على عباده كانهم ياخذون ذلك من ملكه وخزانته وماله فيقال البخيل
من يبخل بمال نفسه والشحيح هو الذي يبخل بمال غيره فهذا يبخل بنعمة الله تعالى على عباده
الذين ليس بينه وبينهم عداوة ولا رابطة وهذا ليس له سبب ظاهر الا خبث في النفس ورذالة
في الطبع عليه وقعت الجبلة ومعالجته شديدة لان الحسد الثابت بسائر الاسباب اسبابها
عارضة يتصور زوالها فيطمع في ازالتها وهذا خبث في الجبلة لا عن سبب عارض فتعسر ازالته و
يستحيل في العادة ازالته فهذه هي اسباب الحسد وقد يجتمع بعض هذه الاسباب او اكثرها
او جميعها في شخص واحد فيعظم الحسد لذلك ويقوى قوة لا يقدر معه على الاخفا والمجاملة بل
يهتك حجاب المجاملة ويظهر العداوة بالمكاشفة واكثر المحاسدات يجتمع فيها جملة من هذه الاسباب
وقلما يتجرد سبب واحد **بيان السبب في كثرة الحسد بين الامثال** والاقران
والاخوة وبني العم والاقارب وتاكده وقلته وضعفه في غيرهم اعلم ان الحسد انما يكثر بين قوم تكثر بينهم
الاسباب التي ذكرناها وانما يقوى بين قوم يجتمع فيهم جملة من هذه الاسباب وتتظاهر اذ الشخص
الواحد يجوز ان يحسد لانه يمتنع من قبول التكبر ولانه يتكبر ولانه عدو الى غير ذلك من الاسباب وهذه
الاسباب انما تكثر بين اقوام تجمعهم روابط يجتمعون بسببها في مجالس المخاطبات ويتواردون
على الاغراض فاذا خالف واحد صاحبه في غرض من اغراضه نفر طبعه وابغضه وثبت الحقد فعند ذلك
يريد ان يستحقره ويتكبر عليه ويكافيه على مخالفته لغرضه ويكره تمكنه من النعمة التي توصله
الى اغراضه ويترادف جملة الاسباب اذ لا رابطة بين شخصين في بلدتين متنائيين ولا يكون
بينهما محاسدة ولذلك في محلتين نعم اذا تجاوروا في مسكن او سوق او مدرسة او مسجد تواردوا
على مقاصد يتناقض فيها اغراضهم فيثور من التناقض التنافر والتباغض ومنه يثور بقية
اسباب الحسد وكذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد والعابد يحسد العابد والتاجر
يحسد التاجر بل الاسكاف يحسد الاسكاف ولا يحسد البزاز الا بسبب سوى الاجتماع في الحرفة والرجل
يحسد اخاه وابن عمه اكثر مما يحسد الاجانب والمرأة تحسد ضرتها وسرية زوجها اكثر مما تحسد ام الزوج

لان مقصد البزاز غير مقصد الاسكاف فلا يتزاحمون على المقاصد اذ مقصد البزاز الثروة ولا
يحصلها الا بكثرة الزبون وانما ينازعه فيه بزاز اخر اذ حريف البزاز لا يطلبه الاسكاف بل البزاز
ثم مزاحمة البزاز المجاور له اكثر من مزاحمة البعيد عنه الى طرف السوق فلا جرم يكون حسده للجار
اكثر وكذلك الشجاع يحسد الشجاع ولا يحسد العالم لان مقصده ان يذكر بالشجاعة ويشتهر
بها ويتفرد بهذه الخصلة ولا يزاحمه العالم على هذا الغرض وكذلك يحسد العالم العالم ولا يحسد الشجاع
ثم حسد الواعظ للواعظ اكثر من حسده للفقيه والطبيب لان التزاحم بينهما على مقصود واحد اخص
فاصل هذه المحاسدات العداوة واصل العداوة التزاحم على غرض واحد والغرض الواحد لا يجمع
متباعدين بل لا يجمع متناسبين فلذلك يكثر الحسد بينهم نعم من اشتد حرصه على الجاه و
احب الصيت في جميع اطراف العالم بما هو فيه فانه يحسد كل من هو في العالم وان بعد ممن يساهمه
في الخصلة التي يتفاخر بها ومنشا جميع ذلك حب الدنيا فان الدنيا هي التي تضيق على المتزاحمين
واما الاخرة فلا ضيق فيها وانما مثال الاخرة نعمة العلم فلا جرم من يحب معرفة الله تعالى ومعرفة
صفاته وملائكته وانبيائه وملكوت ارضه وسمائه لم يحسد غيره اذا عرف ذلك ايضا لان
المعرفة لا تضيق على العارفين بل المعلوم الواحد يعرفه الف الف عالم ويفرح بمعرفته ويلتذ به
ولا تنقص لذة واحد بسبب غيره بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الانس وثمرة الافادة والاستفادة
فلا يكون بين علما الدين محاسدة لان مقصدهم معرفة الله وهو بحر واسع لا ضيق فيه وغرضهم
المنزلة عند الله ولا ضيق فيما عند الله لان اجل ما عند الله النعيم لذة لقائه وليس فيه ممانعة
ومزاحمة ولا يضيق بعض الناظرين على بعض بل يزيد الانس بكثرتهم نعم اذا قصد العلما بالعلم
المال والجاه تحاسدوا لان المال اعيان واجسام اذا وقعت في يد واحد خلت عنها ايدي
الاخرين ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلا قلب شخص بتعظيم عن تعظيم الاخر او نقص عنه لا محاله
فيكون ذلك سببا للمحاسدة واذا امتلا قلب بالفرح بمعرفة الله لم يمنع ان يمتلي قلب غيره به
وان يفرح به فالفرق بين العلم والمال ان المال لا يحل في يد ما لم يرتحل عن اليد الاخرى والعلم
في قلب العالم مستقر ويحل في قلب غيره بتعليمه من غير ان يرتحل عن قلبه والمال اجسام واعيان
ولها نهاية فلو ملك الانسان جميع ما في الارض لم يبق بعده مال يملكه غيره والعلم لا نهاية له ولا
يتصور استيعابه فمن عود نفسه الفكر في جلال الله وعظمته وملكوت ارضه وسمائه صار ذلك
الذ عنده من كل نعيم ولم يكن ممنوعا منه ولا مزاحما فيه ولا يكون في قلبه حسد لاحد من الخلق
لانه غيره ايضا لو عرف مثل معرفته لم ينقص من لذته بل زادت لذته بمؤانسته فيكون لذة هؤلا
في مطالعة عجائب الملكوت على الدوام اعظم من لذة من ينظر الى اشجار الجنة وبساتينها بالعين
الظاهرة فان نعيم العارف وجنته معرفته التي هي صفة ذاته يامن زوالها وهو ابدا يجني ثمارها
فهو بروحه وقلبه مغتذ بفاكهة علمه وهي فاكهة غير مقطوعة ولا ممنوعة بل قطوفها دانية
فهو وان غمض العين الظاهرة فروحه ترتع ابدا في جنة عالية ورياض زاهرة فان فرض كثرة العارفين
لم يكونوا متحاسدين بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين ونزعنا ما في صدورهم
من غل اخوانا على سرر متقابلين فهذا حالهم وهم بعد في الدنيا فما ظنك بهم عند انكشاف
الغطا ومشاهدة المحبوب في العقبى فاذا لا يتصور ان يكون في الجنة محاسدة ولا ان يكون بين

اهل الجنة محاسدة ولا ان يكون بين اهل الجنة في الدنيا محاسدة لان الجنة لا مضايقة ولا مزاحمة
فيها في الدنيا ايضا فاهل الجنة بالضرورة براء عن الحسد في الدنيا والاخرة جميعا بل الحسد من صفات
المبعدين عن سعة عليين الى مضيق سجين ولذلك وسم به الشيطان اللعين وذكر في صفاته انه حسد
ادم على ما خص به من الاجتبا ولما دعي الى السجود استكبر وابى وتمرد وعصى فقد عرفت انه لا حسد
الا للتوارد على مقصود يضيق عن الكل ولهذا لا ترى الناس يتحاسدون على النظر الى زينة السما
ويتحاسدون على رؤية البساتين التي هي جزء من الارض يسير من جملتها وكل الارض لا وزن لها بالاضافة
الى السما ولكن السما لسعة الاقطار وافية بجميع الابصار فلم يكن فيها تزاحم وتحاسد اصلا
فعليك ان كنت بصيرا وعلى نفسك مشفقا ان تطلب نعمة لا زحمة فيها ولذة لا مكدر لها ولا يوجد
ذلك في الدنيا الا في معرفة الله ومعرفة صفاته وافعاله وعجائب ملكوت السموات والارض
ولا ينال ذلك في الاخرة الا بهذه المعرفة ايضا فان كنت لا تشتاق الى معرفة الله تعالى ولم تجد
لذتها وفتر عنها رايك وضعفت عنها رغبتك فانت في ذلك معذور اذ العنين لا يشتاق
الى لذة الوقاع والصبي لا يشتاق الى لذة الملك فان هذه لذات تختص بادراكها الرجال
دون الصبيان والمخنثين وكذلك لذة المعرفة رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله
ولا يشتاق الى هذه اللذة غيرهم لان الشوق بعد الذوق ومن لم يذق لم يعرف ومن لم يعرف
لم يشتق ومن لم يشتق لم يطلب ومن لم يطلب لم يدرك ومن لم يدرك بقي مع المحرومين في
اسفل السافلين ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين **بيان الدوا الذي
ينفي به مرض الحسد عن القلب** اعلم ان الحسد من الامراض العظيمة للقلوب ولا يداوى امراض
القلب الا بالعلم والعمل النافع لمرض الحسد هو ان تعرف تحقيقا ان الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين
ومهما عرفت هذا وانه لا ضرر به على المحسود في الدنيا والدين بل ينتفع به في الدنيا والدين ومهما عرفت
هذا عن بصيرة ولم تكن عدو نفسك وصديق عدوك فارقت الحسد لا محالة اما كونه ضررا عليك
في الدين فهو انك بالحسد سخطت قضا الله تعالى وكرهت نعمته التي قسمها لعباده وعدله الذي
اقامه في ملكه بخفي حكمته واستنكرت ذلك واستبشعته وهذه جناية على حدقة التوحيد
وقذى في عين الايمان وناهيك بها جناية على الدين وقد انضاف اليه انك غششت رجلا من
المؤمنين وتركت نصيحته وفارقت اوليا الله وانبياءه في حبهم الخير لعباد الله وشاركت ابليس
وساير الكفار في محبتهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم وهذه خبائث في القلب تاكل حسنات
القلب كما تاكل النار الحطب وتمحوها كما يمحو الليل النهار واما كونه ضررا في الدنيا عليك فهو انك
تتالم بحسدك وتتعذب بكل نعمة تراها وتتالم بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى مغموما محروما
متشعب القلب ضيق النفس كما تشتهيه لاعدائك وكما تشتهي اعداؤك لك فقد كنت تريد
المحنة لعدوك فتنجزت في الحال محنتك وغمك نقدا ولا تزول النعمة عن المحسود بحسدك ولو لم تكن
تؤمن بالبعث والحساب لكان مقتضى الفطنة ان كنت عاقلا ان تحذر من الحسد لما فيه من الم القلب
ومساءته مع عدم النفع فكيف وانت عالم بما في الحسد من العذاب الشديد في الاخرة فما اعجب
من العاقل ان يتعرض لسخط الله من غير نفع يناله بل مع ضرر يحتمله والم يقاسيه فيهلك
دينه ودنياه من غير جدوى ولا فائدة واما انه لا ضرر على المحسود في دينه ودنياه فواضح لان النعمة

لا تزول عنه بحسدك بل ما قدره الله من اقبال النعمة فلا بد وان يدوم الى اجل قدره الله ولا حيلة في دفعه
بل كل شي عنده بمقدار ولكل اجل كتاب ولذلك شكا نبي من الانبيا عليهم السلام من امراة ظالمة مستولية
على الخلق فاوحى الله اليه فر من قدامها حتى تنقضي ايامها اي ما قدرناه في الازل لا سبيل الى تغييره فاصبر حتى
تنقضي المدة التي سبق القضا بدوام اقبالها فيها ومهما لم تزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر في الدنيا ولا
يكون عليه اثم في الاخرة ولعلك تقول ليت النعمة كانت تزول عن المحسود بحسدي وهذا غاية الجهل فانه بلا مشتهيه
اولا لنفسك فانك ايضا لا تخلو عن عدو يحسدك فلو كانت النعمة تزول بالحسد لم تبق عليك نعمة ولا على
الخلق ولا نعمة الايمان لان الكفار يحسدون المؤمنين على الايمان قال الله تعالى ود كثير من اهل الكتاب لو
يضلونكم الاية اذ ما يريده الحسود لا يكون بل هو يضل بارادة الضلال لغيره فان ارادة الكفر كفر فمن اشتهى ان
تزول النعمة عن المحسود بالحسد فكانه يريد ان يسلب نعمة الايمان بحسد الكفار وكذا ساير النعم وان
اشتهيت ان تزول النعمة عن الخلق بحسدك ولا تزول عنك بحسد غيرك فهذا غاية الجهل والغباوة فان كل
واحد من حمقى الحساد ايضا يشتهي ان يخص بهذه الخاصية ولست باولى من غيرك فنعمة الله عليك في ان لم
تزل النعمة بالحسد مما يجب عليك شكرها وانت بجهلك تكرهها واما ان المحسود ينتفع به في الدين والدنيا
فواضح اما منفعته في الدين فهو انه مظلوم من جهتك لا سيما اذا اخرجك الحسد الى القول والفعل بالغيبة
والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه فهذه هدايا تهديها اليه اعني انك تهدي اليه حسناتك
حتى يلقاك يوم القيمة مفلسا محروما عن النعمة كما حرمت في الدنيا عن النعمة فكانك اردت زوال النعمة عنه
فلم تزل نعم كان لله عليه نعمة اذ وفقك للحسنات فنقلتها اليه واضفت له نعمة الى نعمة و
اضفت لنفسك شقاوة الى شقاوة واما منفعته في الدنيا فهو ان اهم اغراض الخلق مساءة الاعداء وغمهم وشقاوتهم
وكونهم معذبين مغمومين ولا عذاب اعظم مما انت فيه من الم الحسد وغاية اماني اعدائك ان يكونوا في نعمة وان
تكون في غم وحسرة بسببهم وقد فعلت ذلك بنفسك ما هو مرادهم ولذلك لا تشتهي عدوك موتك بل
يشتهي ان تطول حياتك لكن في عذاب الحسد لتنظر الى نعمة الله عليه فيتقطع قلبك حسدا ولذلك
قيل شعر لا مات اعداؤك بل خلدوا ... حتى يروا فيك الذي يكمد ... لا زلت محسودا على نعمة ... فانما
الكامل من يحسد ... ففرح عدوك بغمك وحسدك اعظم من فرحه بنعمته ولو علم خلاصك من الم الحسد و
عذابه لكان ذلك اعظم مصيبة وبلية عنده فما انت فيه ملازمه من غم الحسد الا ما يشتهيه عدوك
فاذا تاملت هذا عرفت انك عدو نفسك وصديق عدوك وتعاطيت ما تضررت به في الدنيا والاخرة وانتفع
به عدوك في الدنيا والاخرة وصرت مذموما عند الخلق والخالق شقيا في الحال والمال ونعمة المحسود ثابتة
دائمة شئت ام ابيت ثم لم تقتصر على تحصيل مراد عدوك حتى توصلت الى ايصال اعظم سرور على ابليس
الذي هو اعدا اعدائك لانه لما راك محروما عن نعمة العلم والورع والجاه والمال الذي اختص به عدوك عنك
خاف ان تحب ذلك له فتشاركه في الثواب بسبب المحبة لان من احب الخير للمسلمين كان شريكا في الخير ومن فاته
اللحاق بدرجة الاكابر في الدين لم يفته ثواب الحب لهم مهما احبه فخاف ابليس ان تحب النعمة لعدوك
فيلحقك من دينه ودنياه فبغضه اليك حتى لا تلحقه بحبك كما لم تلحقه بعملك وقد
قال اعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب
وقام اعرابي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فقال متى الساعة فقال ما اعددت لها قال ما اعددت
لها من كثير صلاة ولا صيام الا اني احب الله ورسوله فقال النبي عليه السلام انت مع من احببت قال

انس فنافرح المسلمون بعد اسلامهم كفرحهم يومئذ اشارة الى الذاكرة تعقبهم كانت بحب الله و
رسوله كما قال انس فنحن نحب الله ورسوله وابابكر وعمر ولا نعمل مثل عملهم ونرجوا ان نكون معهم وقال ابو موسى
قلت يا رسول الله يحب المصلين فلا يصلي ويحب الصوام فلا يصلي ولا يصوم حتى عد شيا فقال عليه السلام اللهم
هو مع من احبه وقال رجل لعمر بن عبد العزيز انه كان يقال ان استطعت ان تكون عالما فكن عالما وان لم تستطع
ان تكون عالما فكن متعلما فان لم تستطع ان تكون متعلما فاحبهم فان لم تستطع فلا تبغضهم فقال سبحان
الله لقد جعل الله لنا مخرجا فانظر الان كيف حسدك ابليس فقوت عليك ثواب الحب ثم لم يقنع به حتى بغض
اليك وحملك على الكراهة حتى وكيف لا وهذا ان تحاسد رجلا من اهل العلم وتحب ان يخطئ في دين الله
وينكشف خطاه ليفتضح وتحب ان يخرس لسانه حتى لا يتكلم او يمرض حتى لا يعلم ولا يتعلم واي اثم يزيد على
هذا فليتك اذ فاتك اللحاق به ثم اغتممت بسببه سلمت من الاثم وعذاب الاخرة وقد جاء في الحديث اهل
الجنة المحسن والمحب له والكاف عنه اي يكف عنه الاذى والحسد والبغض والكراهة فانظر كيف ابعدك ابليس
عن جميع المداخل الثلثة حتى لا تدخل البتة فقد نفذ عليك حسد ابليس وما نفذ حسدك على
عدوك بل على نفسك بل لو كوشفت بحالك في يقظة او منام لرايت نفسك ايها الحاسد في صورة من يرمي
سهما الى عدوه ليصيبه مقتله فلا يصيبه بل يرجع على حدقته اليمنى فيقلعها فيزيد غضبه ثانيا فيعود
فيرميه اشد من الاول فيرجع على حدقته الاخرى فيعميها فيزداد غضبه فيعود ثالثا فيعود على راسه فيشجه
وعدوه سالم في كل حال وهو اليه راجع مرة بعد اخرى واعداؤه حواليه يفرحون به ويضحكون عليه وهذا
حال الحسود وسخرية الشيطان منه بل حالك في الحسد اقبح من هذا لان الجراحة لا تفوت الا العين ولو
بقيت العين لفاتت بالموت ولعله يسوقه الى غضب الله تعالى والى النار ولئن يذهب عينه في الدنيا خير
له من ان تبقى له عين يدخل بها النار فيقلعها لهيب النار فانظر كيف انتقم الله من الحاسد اذ اراد زوال
النعمة من المحسود فلم يزلها عنه ثم ازالها من الحاسد اذ السلامة من الحسد نعمة والسلامة من الاثم نعمة والسلامة
من الغم والكمد نعمة وقد زالت عنه تصديقا لقوله تعالى ولا يحيق المكر السيء الا باهله وربما يبتلى بعين
ما يشتهيه لعدوه فقلما يشمت شامت بمساءة الا ويبتلى بمثلها حتى قالت عائشة رضي الله عنها ما تمنيت لعثمان
شيا الا نزل بي حتى لو تمنيت له القتل لقتلت فهذا اثم الحسد نفسه فكيف ما يجر اليه من الاختلاف
وجحود الحق واطلاق اللسان واليد بالفواحش في التشفي من الاعداء وهو الداء الذي هلكت الامم به
فهذه هي الادوية العلمية فمهما تفكر الانسان فيها بذهن صاف وقلب حاضر انطفت من قلبه نار الحسد وعلم
انه مهلك نفسه ومفرح عدوه ومسخط ربه ومنغص عيشه واما العمل النافع فيه ان يحكم الحسد فكل ما
يتقاضاه الحسد من قول وفعل ينبغي ان يكلف نفسه نقيضه فان بعثه الحسد على القدح فيه كلف لسانه
المدح والثناء عليه وان حمله على التكبر عليه الزم نفسه التواضع والاعتذار اليه وان بعثه على كف الانعام
عنه الزم نفسه الزيادة في الانعام فمهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه واحبه ومهما
ظهر حبه عاد الحاسد فاحبه وتولد منهما الموافقة التي تقطع مادة الحسد لان التواضع والمدح والثناء واظهار
السرور بالنعمة يستميل قلب المنعم عليه ويسترقه ويستعطفه ويحمله على مقابلة ذلك بالاحسان
ثم ذلك الاحسان يعود الى الاول فيطيب قلبه ويصير ما تكلفه اولا طبعا اخرا ولا يصدنه عن ذلك قول الشيطان له لو
تواضعت واثنيت حمله العدو على العجز والنفاق او الخوف وان ذلك مهانة وذلة وذلك من خدع الشيطان
ومكايده بل المجاملة تكلفا كان او طبعا تكسر سورة العداوة من الجانبين ويقل مرغوبها وتعود القلوب الى

التآلف والتحاب وبذلك تستريح القلوب من الم الحسد وغم التباغض فهذه هي ادوية الحسد وهي نافعة جدا الا
انها مرة جدا ولكن النفع في الدواء المر فمن لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلاوة الشفاء وانما تهون مرارة هذا
الدواء اعني التواضع للاعداء والتقرب اليهم بالمدح والثناء بقوة العلم بالمعاني التي ذكرناها وقوة
الرغبة في ثواب الرضا بالقضاء وحب ما احبه وعزة النفس وترفعها عن ان يكون في العالم شيء على خلاف
مرادها وعند ذلك يريد ما لا يكون اذ لا مطمع في ان يكون ما يريد وفوات المراد ذل وخسة ولا طريق الى
الخلاص من هذا الذل الا باحد امرين اما بان يكون ما يريد او بان يريد ما يكون والاول ليس اليك ولا مدخل
للتكلف والمجاهدة فيه واما الثاني فللمجاهدة فيه مدخل وتحصيله بالرياضة ممكن فيجب تحصيله على
كل عاقل هذا هو الدواء الكلي فاما الفصل فهو تتبع اسباب الحسد من الكبر وغيره وعزة النفس وشدة الحرص
على ما لا يغني وسياتي تفصيل مداواة هذه الاسباب في مواضعها فانها مواد هذا المرض ولا ينقمع المرض
الا بقمع المادة فان لم يقمع المادة لم يحصل بما ذكرناه الا تسكين وتطفئة ولا يزال يعود مرة بعد اخرى
ويطول الجهد في تسكينه مع بقاء مواده فانه ما دام محبا للجاه فلا بد وان يحسد من استاثر بالجاه و
المنزلة في قلوب الناس دونه ويغمه ذلك لا محالة وانما غايته ان يهون الغم على نفسه ولا يظهر
بلسانه ويده واما الخلو عنه راسا فلا يمكنه

بيان القدر الواجب في الحسد

اعلم ان المؤذي
ممقوت بالطبع ومن اذاك فلا يمكنك ان لا تبغضه غالبا فاذا تيسرت له نعمة فلا يمكنك ان لا تكرهها
له حتى يستوي عندك حسن حال عدوك وسوء حاله بل لا تزال تدرك في النفس بينهما
تفرقة ولا يزال الشيطان ينازعك الى الحسد له ولكن ان قوي ذلك فيك حتى يبعثك على اظهار الحسد
بقول او فعل بحيث يعرف ذلك من افعالك الاختيارية فانت حسود عاص بحسدك وان كففت ظاهرك
بالكلية الا انك بباطنك تحب زوال النعمة وليس في نفسك كراهة لهذه الحالة فانت ايضا حسود عاص
لان الحسد صفة القلب لا صفة الفعل قال الله تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا وقال تعالى
ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء وقال تعالى ان تمسسكم حسنة تسؤهم اما الفعل فهو غيبة
وكذب وهو عمل صادر عن الحسد وليس هو عين الحسد بل محل الحسد القلب دون الجوارح نعم هذا الحسد ليس
مظلمة يجب الاستحلال منها بل هو معصية بينك وبين الله تعالى وانما يجب الاستحلال من الاسباب
الظاهرة على الجوارح فاما اذا كففت ظاهرك والزمت مع ذلك قلبك كراهية ما يترشح منه بالطبع من
حب زوال النعمة حتى كانك تمقت نفسك على ما في طبعها فتكون تلك الكراهة من جهة العقل في
مقابلة الميل من جهة الطبع فقد اديت الواجب عليك ولا يدخل تحت اختيارك في اغلب الاحوال اكثر من
هذا فاما تغيير الطبع ليستوي عنده المؤذي والمحسن ويكون فرحه وغمه بما تيسر لهما من نعمة
او تصب عليهما من بلية سواء فهذا مما لا يطاوع الطبع عليه مادام ملتفتا الى حظوظ الدنيا الا ان يصير
مستغرقا بحب الله تعالى مثل السكران الواله فقد ينتهي امره الى ان لا يلتفت قلبه الى تفاصيل احوال العباد
بل ينظر الى الكل بعين واحدة وهي عين الرحمة ويرى الكل عباد الله وافعالهم افعالا لله ويراهم مسخرين
لكن ذلك ان كان فهو كالبرق الخاطف ولا يدوم ويرجع القلب بعد ذلك الى طبعه ويعود العدو الى منازعته
اعني الشيطان فانه ينازع بالوسوسة فمهما قابل ذلك بكراهية والزم قلبه فقد ادى ما كلفه وقد ذهب ذاهبون
الى انه لا ياثم اذا لم يظهر الحسد على جوارحه لما روي عن الحسن انه سئل عن الحسد فقال غمه فانه لا يضرك ما لم
تبده وروي عنه موقوفا ومرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ثلثة لا يخلو المؤمن منهن وله

منهي عنه ومخرجه منه فلذلك الحسد ان لا يبغي والاولى ان يحمل هذا على ما ذكرناه من انه يكون فيه كراهية من جهة الدين والعقل في مقابلة حب الطبع لزوال النعمة العدو وتلك الكراهة تمنعه من البغي ومن الايذاء فان جميع ما ورد من الاخبار في ذم الحسد يدل ظاهره على ان كل حاسد آثم والحسد عبارة عن صفة القلب لا عن الافعال فكل من يحب مساءة المسلمين فهو حاسد فاذن كونه آثما بمجرد حسد القلب من غير فعل فهو في محل الاجتهاد والاظهر ما ذكرناه من ظواهر الآيات والاخبار ومن حيث المعنى اذ يبعد ان يعفى عن العبد في ارادته مساءة ثلاثة احوال احدها ان تحب مساءتهم بطبعك وتكره حبك لذلك وميل قلبك اليه بعقلك وتمقت نفسك عليه وتود لو كانت لك حيلة في ازالة ذلك الميل منك وهذا معفو عنه قطعا لانه لا يدخل تحت الاختيار اكثر منه **الثانية** ان تحب ذلك وتظهر الفرح بمساءته اما بلسانك او بجوارحك وهذا هو الحسد المحظور قطعا **الثالثة** وهي بين الطرفين ان تحسد بالقلب من غير مقتك لنفسك على حسدك ومن غير انكار منك على قلبك ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد في مقتضاها وهذا وضعه في محل الخلاف والظاهر انه لا يخلو عن اثم بقدر قوة ذلك الحب تم كتاب ذم الغضب والحقد والحسد والحمد لله وحده اولا وآخرا وظاهرا وباطنا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ويتلوه كتاب ذم الدنيا وهو الكتاب السادس من احياء علوم الدين تصنيف الامام العلامة العارف فخر الاسلام مفتي الانام لسان العرب محيي محمد بن محمد الغزالي اعاد الله علينا من بركاته وبركات علومه في الدنيا والآخرة واغفر لكاتبه والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي عرف اولياءه غوائل الدنيا وآفاتها وكشف لهم عن عيوبها وعوراتها حتى نظروا في شواهدها وآياتها ووزنوا حسناتها بسيئاتها فعلموا انه يزيد منكرها على معروفها فلا يفي مرجوها بمخوفها ولا يسلم طلوعها من كسوفها ولكنها في صورة امرأة مليحة تستميل الناس بجمالها ولها اسرار سوء وقبائح تهلك الراغبين في وصالها ثم هي فرارة عن طلابها شحيحة باقبالها واذا اقبلت لم يؤمن شرها ووبالها ان احسنت ساعة اساءت سنة وان اساءت مرة جعلتها سنة فدوائر اقبالها على التقارب جائرة وتجارة بنيها خاسرة بائرة وآفاتها على التوالي لصدور طلابها راشقة ومجاري احوالها بذل طالبيها ناطقة فكل مغرور بها الى الذل مصيره وكل متكبر بها الى التحسر مسيره شأنها الهرب من طالبها والطلب لهاربها ومن خدمها فاتته ومن اعرض عنها واتته لا يخلو صفوها من شوائب الكدورات ولا ينفك سرورها عن المنغصات سلامتها تعقب السقم وشبابها لا يسوق الا الهرم ونعيمها لا يثمر الا الحسرة والندم فهي خداعة مكارة طيارة فرارة لا تزال تتزين لطلابها حتى اذا صاروا من احبابها كشرت لهم عن انيابها وشوشت عليهم مناظم اسبابها وكشفت لهم عن مكنون عجائبها فاذاقتهم قواتل سمامها ورشقتهم بصوائب سهامها بينا اصحابها منها في سرور وانعام اذ ولت عنهم كانها اضغاث احلام ثم عكرت عليهم بدواهيها فطحنتهم طحن الحصيد ووارتهم في اكفانهم تحت الصعيد ان ملكت واحدا جميع ما طلعت عليه الشمس جعلته حصيدا كان لم يغن بالامس تمني اصحابها سرورا وتعدهم غرورا يأملون كثيرا ويبنون قصورا فتصبح قصورهم قبورا وجمعهم بورا وسعيهم هباء منثورا وكان امر الله قدرا مقدورا والصلاة على محمد رسوله المرسل الى العالمين بشيرا ونذيرا وعلى كل من كان من آله وصحبه له في الدين ظهيرا وعلى الظالمين نصيرا وسلم تسليما كثيرا **اما بعد** فان الدنيا عدوة لله وعدوة لاولياء الله وعدوة لاعداء الله تعالى اما عداوتها لله عز وجل فانها قطعت الطريق على عباد الله ولذلك لم ينظر الله اليها منذ خلقها واما عداوتها لاولياء الله تعالى فانها تزينت لهم بزينتها وعمتهم بزهرتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها واما عداوتها لاعداء الله عز وجل فانها استدرجتهم بمكرها وكيدها فاقتنصتهم بشبكتها حتى وثقوا بها وعولوا عليها فخذلتهم احوج ما كانوا اليها فاجتنوا منها حسرة تتقطع دونها الاكباد ثم حرمتهم السعادة ابد الآباد فهم على فراقها يتحسرون ومن مكايدها يستغيثون ولا يغاثون بل يقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون واذا عظمت غوائل الدنيا وشرورها فلا بد اولا من معرفة الدنيا ما هي وما الحكمة في خلقها مع عداوتها وما مدخل غرورها وشرورها فان من لا يعرف الشر لا يتقيه ويوشك ان يقع فيه ونحن نذكر ذم الدنيا وامثلتها وحقيقتها وتفصيل معانيها واصناف الاشغال المتعلقة بها ووجه الحاجة الى اصولها ووجه انصراف الخلق عن الله عز وجل بسبب الشاغل بفضولها ان شاء الله عز وجل

بيان ذم الدنيا

الآيات الواردة في ذم الدنيا وامثلتها كثيرة واكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الآخرة بل هو مقصود الانبياء عليهم السلام ولم يبعثوا الا لذلك فلا حاجة الى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها وانما نورد بعض الاخبار الواردة فيها فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على شاة ميتة فقال اترون هذه الشاة هينة على صاحبها قالوا نعم فقال والذي نفسي بيده للدنيا اهون على الله تعالى من هذه الشاة على صاحبها ولو كانت الدنيا عند الله تعالى تعدل جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة **وقال** عليه السلام الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر **وقال** عليه السلام الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان لله تعالى **وقال** ابو موسى الاشعري رضي الله عنه **قال** رسول الله صلى الله عليه وسلم من احب دنياه اضر بآخرته ومن احب آخرته اضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى **وقال** عليه السلام حب الدنيا رأس كل خطيئة **وقال** زيد بن ارقم كنا مع ابي بكر رضي الله عنه فدعا بشراب فأتي بماء وعسل فلما ادناه من فيه بكى حتى ابكى اصحابه وسكتوا وما سكت ثم عاد وبكى حتى ظنوا انهم لا يقدرون على مسألته ثم مسح عينيه فقالوا يا خليفة رسول الله ما ابكاك قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته يدفع عن نفسه شيئا ولم ار معه احدا فقلت يا رسول الله وما الذي تدفع عن نفسك فقال هذه الدنيا مثلت لي فقلت لها اليك عني ثم رجعت فقالت انك ان افلت مني لم يفلت مني من بعدك **وقال** عليه السلام يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الحيوان وهو يسعى لدار الغرور **وروي** ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على مزبلة وقال هلموا الى الدنيا واخذ خرقا قد بليت على تلك المزبلة وعظاما قد نخرت فقال هذه الدنيا وهذه اشارة الى ان زينتها ستخلق مثل تلك الخرق وان الاجسام التي ترى بها ستصير عظاما بالية **وقال** صلى الله عليه وسلم الدنيا حلوة وان الله تعالى مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ان بني اسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تاهوا في الحلية والنساء والطيب والثياب وقال عيسى عليه السلام لا تتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم الدنيا عبيدا اكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه فان صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة وصاحب كنز الآخرة لا يخاف عليه الآفة **وقال** عيسى ايضا يا معشر الحواريين اني كببت لكم الدنيا على وجهها فلا تنعشوها بعدي فان من خبث الدنيا ان الله تعالى قد عصي فيها وان من خبث الدنيا ان الآخرة لا تدرك الا بتركها فاعبروا الدنيا ولا تعمروها واعلموا ان اصل كل خطيئة حب الدنيا

ورب شهوة ورثت اهلها حزنا طويلا وقال عيسى عليه السلام ايضا بحق اقول لكم ان الدنيا وحبستم على ظهرها فلا ينازعنكم فيها الا النسا والملوك اما الملوك فلا تنازعوهم الدنيا فانهم لن يعرضوا ما تركتموه لهم ودنياهم واما النسا فاتقوهن بالصوم والصلاة وقال ايضا الدنيا طالبة ومطلوبة فطالب الاخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه وطالب الدنيا تطلبه الاخرة حتى يجي الموت فياخذ بعنقه وقال موسى ابن يسار قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لم يخلق خلقا ابغض اليه من الدنيا وانه منذ خلقها لم ينظر اليها وروي ان سليمن ابن داود عليه السلام مر في موكبه والطير تظلله والجن والانس عن يمينه ويساره قال فمر بعابد من عباد بني اسرائيل فقال والله يا ابن داود لقد اتاك الله تعالى ملكا عظيما فسمع ذلك سليمان عليه السلام فقال لتسبيحة في صحيفة مومن خير مما اعطي ابن داود فان ما اعطي ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى وقال صلى الله عليه وسلم الهيكم التكاثر يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فابقيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت وقال عليه السلام الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادي من لا علم عنده وعليها يحسد من لا فقه عنده ولها يسعى من لا يقين له وقال عليه السلام من اصبح والدنيا اكبر همه فليس من الله والزم الله تعالى قلبه اربع خصال هما لا ينقطع ابدا وشغلا لا يتفرغ منه ابدا وفقرا لا يبلغ منتهاه ابدا وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة الا اريك الدنيا جميعها بما فيها قلت بلى يا رسول الله فاخذ بيدي واتى بي واديا من اودية المدينة فاذا مزبلة فيها روس ناس وعذرات وخرق وعظام ثم قال يا ابا هريرة هذه الروس كانت تحرص كحرصكم وتامل امالكم ثم هي اليوم عظام بلا جلد ثم هي صايرة رمادا وهذه العذرات الوان اطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها في بطونهم فاصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية كانت لباسهم ورياشهم فاصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها اطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك قال فما برحنا حتى اشتد بكاونا وروي ان الله عز وجل لما اهبط ادم الى الارض قال ابن للخراب ولد للفنا وقال داود بن هلال مكتوب في صحف ابرهيم عليه السلام يا دنيا ما اهونك على الابرار الذين تصنعت وتزينت لهم اني قذفت في قلوبهم بغضك والصدود عنك وما خلقت خلقا اهون علي منك كل شانك صغير والى الفنا يصير قضيت عليك يوم خلقتك ان لا تدومي لاحد ولا يدوم احد لك وان بخل بك صاحبك وشح عليك طوبى للابرار الذين اطلعوني من قلوبهم على الرضا ومن ضميرهم على الصدق والاستقامة طوبى لهم ما لهم عندي من الجزا اذا وفدوا الي من قبورهم النور يسعى امامهم والملايكة حافون بهم حتى اوصلهم ما يرجون من رحمتي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا موقوفة بين السما والارض منذ خلقها الله تعالى لا ينظر اليها وتقول يوم القيمة رب اجعلني لادنى اوليايك نصيبا اليوم فيقول اسكتي يا لا شي اني لم ارضك لهم في الدنيا ارضاك لهم اليوم وروي في اخبار ادم عليه السلام لما اكل من الشجرة تحركت معدته لخروج الثفل ولم يكن ذلك مجعولا في شي من اطعمة الجنة الا في هذه الشجرة فلذلك نهيا عن اكلها قال فجعل يدور في الجنة فامر الله تعالى ملكا يخاطبه فقال له قل له اي مكان تضعه اعلى الفرش ام على السرر ام على الانهار ام تحت ظلال الاشجار هل ترى ههنا موضعا يصلح لذلك ولكن اهبط الى الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ليجين يوم القيمة اقوام واعمالهم كجبال تهامة فيومر بهم الى النار قالوا يا رسول الله مصلين قال نعم كانوا يصلون ويصومون وياخذون هنة من الليل فاذا عرض لهم من الدنيا شي وثبوا عليه وقال

عليه السلام في بعض خطبه المومن بين مخافتين بين اجل قد مضى لا يدري ما الله تعالى صانع فيه وبين اجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليتزود العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لاخرته ومن حياته لموته ومن شبابه لهرمه فان الدنيا خلقت لكم وانتم خلقتم للاخرة والذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا دار الا الجنة او النار وقال عيسى عليه السلام لا يستقيم حب الدنيا والاخرة في قلب مومن كما لا يستقيم الما والنار في اناء واحد وروي ان جبريل قال لنوح عليهما السلام يا اطول الانبيا عمرا كيف وجدت الدنيا قال كدار لها بابان دخلت من احدهما وخرجت من الاخر وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت بيتا فقال يكفينا خلقان من كان قبلنا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احذروا الدنيا فانها اسحر من هاروت وماروت وروي الحسين قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على اصحابه فقال هل منكم من يريد ان يذهب الله تعالى العمى عنه ويجعله بصيرا الا انه من رغب في الدنيا وطال امله فيها اعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد في الدنيا وقصر امله فيها اعطاه الله تعالى علما بغير تعلم وهدى بغير هداية الا انه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم لهم الملك الا بالقتل والتجبر ولا الغنا الا بالفخر والبخل ولا المحبة الا باتباع الهوى فمن ادرك ذلك الزمان منكم فصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى وصبر على البغضا وهو يقدر على المحبة وصبر على الذل وهو يقدر على العز لا يريد بذلك الا وجه الله تعالى اعطاه الله تعالى ثواب خمسين صديقا وروي ان عيسى عليه السلام اشتد به المطر والرعد والبرق يوما فجعل يطلب شيا يلجا اليه فرفعت له خيمة من بعيد فاتاها فاذا فيها امراة فحاد عنها فاذا هو بكهف في جبل فاتاه فاذا فيه اسد فوضع يده عليه وقال الهي لكل شي ماوي ولم تجعل لي ماوي فاوحى الله تعالى اليه ماواك في مستقر رحمتي لازوجنك يوم القيمة مائة حورا خلقتها بيدي ولاطعمن في عرسك اربعة الاف عام يوم منها كعمر الدنيا ولامرن مناديا ينادي اين الزهاد في الدنيا زوروا عرس الزاهد عيسى ابن مريم وقال عيسى عليه السلام ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها وما فيها وتغره ويثق بها وتخذله ويل للمغترين كيف ارتهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يوعدون وويل لمن الدنيا همه والخطايا عمله كيف يفتضح غدا بذنبه وقيل اوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام ما لك ولدار الظالمين انها ليست لك بدار اخرج منها همك وفارقها بعقلك فبيست الدار هي الا لعامل يعمل فيها فنعمت الدار هي يا موسى اني مرصد للظالم حتى اخذ منه للمظلوم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث ابا عبيدة ابن الجراح فجاء بمال من البحرين فسمعت الانصار بقدومه فوافوا صلاة الفجر مع النبي عليه السلام فلما صلى وانصرف تعرضوا له فتبسم عليه السلام حين رآهم فقال اظنكم سمعتم ان ابا عبيدة قدم بشي قالوا اجل يا رسول الله قال فابشروا واملوا ما يسركم فوالله ما الفقر اخشى عليكم ولكني اخشى ان تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما اهلكتهم وقال ابو سعيد الخدري ما هذا الا من قلة الايمان في قلوبكم ولو كنتم توقنون بخير الاخرة وشرها كما توقنون بالدنيا لاثرتم طلب الاخرة ولانها املك بامركم فان قلتم حب العاجلة غالب فانا نراكم تدعون العاجل من الدنيا للاجل منها تكدون انفسكم بالمشقة والاحتراف في طلب امر لعلكم لا تدركونه فبيس القوم انتم ما حققتم ايمانكم بما يعرف به الايمان البالغ فيكم فان كنتم في شك مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فاتونا فلنبين لكم ولنريكم من النور ما تطمين اليه قلوبكم والله ما انتم بالمنقوصة عقولكم فنعذركم انكم تتبينون صواب الراي في دنياكم وتاخذون بالحزم في امورها ما لكم تفرحون باليسير من الدنيا تصيبونه وتحزنون

على البيت منها يقوتكم حتى يتبين ذلك في وجوهكم ويظهر على السنتكم وتسمون بها الصابب ويفهمون
فيها المأثم وعاتكم قد تركوا كثيرا من دينهم ثم لا يتبين ذلك في وجوهكم ولا تتغير حالاتكم اني لا ارى الله
تعالى قد تبرأ منكم يلقى بعضكم بعضا بالسرور وكلكم يكره ان يستقبل صاحبه بما يكره مخافة ان يستقبله بمثله
فاصطلحتم على الغل وتنبت مراعيكم على الدمن وتصافيتم على رفض الاجل ولوددت لو ان الله تعالى اراحني
منكم والحقني بمن احب رؤيته ولو كان حيا لم يصادكم فان كان فيكم خير فقد اسمعتكم وان تطلبوا ما عند
الله تجدوه يسيرا وبالله استعين على نفسي وعليكم **وقال** علي عليه السلام بامعشر الحوارين
ارضوا بدني الدنيا مع سلامة الدين كما رضي اهل الدنيا بدني الدين مع سلامة الدنيا وفي معناه قيل
شعر ارى رجالا بادني الدين قد قنعوا ولا اراهم رضوا في العيش بالدون فاستغن بالدين عن دنيا
الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين **وقال** علي عليه السلام يا طالب الدنيا الفقير كل
الدنيا ابد **وقال** رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا ستكم بعدي دنيا تاكل ايمانكم كما تاكل النار الحطب و
اوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام انا موسى لا تركنن الى حب الدنيا فلن تاتيني بكبيرة هي اشد عليك منها
ومر موسى عليه السلام برجل يبكي وجع وهو يبكي فقال موسى يا رب عبدك يبكي من مخافتك فقال
يا ابن عمران لو نزل دماغه مع دموع عينيه ورفع يديه حتى تسقطا لم اغفر له وهو يحب الدنيا **وقال**
علي كرم الله وجهه من جمع فيه ست خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا **اولها** من عرف
الله تعالى فاطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها
وعرف الآخرة فطلبها **وقال** الحسن رحمه الله تعالى انما كانت الدنيا عندهم وديعة فادوها الى من
ائتمنهم عليها ثم راحوا خفافا **وقال** ايضا من نافسك في دينه فنافسه ومن نافسك في دنياك فالقها في نحره
وقال لقمان لابنه يا بني ان الدنيا بحر عميق قد غرق فيها الكثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله تعالى
وحشوها الايمان بالله وشراعها التوكل على الله لعلك ناج وما اراك ناجيا **وقال** الفضيل طال الفكر في
هذه الآية انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا **وقال**
بعض الحكماء انك لن تصبح في شيء من الدنيا الا وقد كان له اهل قبلك ويكون له اهل بعدك وليس لك من الدنيا
الا عشاء ليلة او غداء يوم فلا تهلك في اكله وصم الدنيا وافطر على الآخرة وراس مال الدنيا الهوى وربحها
النار **وقيل** لبعض الحكماء كيف ترى الدهر قال يخلق الابدان ويجدد الآمال ويقرب المنية ويبعد الامنية
قيل فما حال اهله قال من ظفر به تعب ومن فاته نصب **وقيل** ومن يحمد الدنيا لعيش يسره فسوف لعمري
عن قليل يلومها اذا ادبرت كانت على المرء حسرة وان اقبلت كانت كثيرا همومها **وقال** بعض الحكماء كانت
الدنيا ولم اكن فيها وتذهب الدنيا ولا اكون فيها فلا اسكن اليها فان عيشها نكد وصفوها كدر واهلها
منها على وجل اما بنعمة زايلة او بلية نازلة او منية قاضية **وقال** بعضهم من عيب الدنيا انها لا تعطي
احدا ما يستحق لكنها اما ان تزيد واما ان تنقص **وقال** سفيان اما ترى النعم كانها مغضوب عليها
قد وضعت في غير اهلها **وقال** ابو سليمان الداراني رحمه الله عليه من طلب الدنيا على المحبة لها لم يعط
منها شيئا الا اراد اكثر وليس لها غاية ولا لها نهاية **وقال** رجل لابي حازم اشكو اليك حب الدنيا
وليست بدار فقال انظر ما اتاك الله تعالى منها فلا تاخذه الا من حله ولا تضعه الا في حقه ولا يضرك
حب الدنيا وانما قال هذا لانه لو اخذ نفسه بذلك لاتعبه حتى يتبرم ويطلب الخروج منها **وقال**
يحيى بن معاذ الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق من حانوته شيئا فيجيء فياخذك **وقال** الفضيل لو كانت

الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لكان ينبغي ان نختار خزفا يبقى على ذهب يفنى فكيف وقد
اخترنا خزفا يفنى على ذهب يبقى **وقال** ابو حازم اياكم والدنيا فانه بلغني انه يوقف العبد يوم
القيامة اذا كان معظما للدنيا فيقال هذا عظم ما حقر الله **وقال** ابن مسعود ما اصبح احد من
الناس الا وهو ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية مؤداة **قيل في المعنى** وما المال و
الاهلون الا ودايع ولا بد يوما ان ترد الودايع **وقيل** ان رابعة واصحابها تذاكروا الدنيا فاقبلوا
على ذمها فقالت اسكتوا فلولا موقعها من قلوبكم ما اكثرتم من ذكرها الا من احب شيئا اكثر من ذكره
وقيل لابراهيم بن ادهم كيف انت فقال نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع
فطوبى لعبد اثر الله ربه وجاد بدنياه لما يتوقع **وقيل** ادنى طالب الدنيا وان طال عمره ونال
من الدنيا سرورا وانعما كبان بنى بنيانه فاقامه فلما استوى ما قد بناه تهدما **وقيل**
هب الدنيا تساق اليك عفوا اليس مصير ذاك الى انتقال وما دنياك الا مثل فيء اظلك ثم
اذن بالزوال **وقال** لقمان لابنه يا بني بع دنياك باخرتك تربحهما جميعا ولا تبع اخرتك بدنياك
تخسرهما جميعا **وقال** مطرف بن الشخير لا تنظروا الى خفض عيش الملوك ولين رياشهم
ولكن انظروا الى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم **وقال** ابن عباس ان الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة اجزاء
جزء للمؤمن وجزء للمنافق وجزء للكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع **وقال**
بعضهم الدنيا جيفة فمن اراد منها فليصبر على مناهشة الكلاب وقيل **شعر** يا خاطب
الدنيا الى نفسه تنح عن خطبتها تسلم ان التي تخطب غدارة قريبة العرس من الماتم **وقال**
ابو الدرداء من هوان الدنيا على الله تعالى انه لا يعصى الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها وقيل **شعر**
اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق **وقيل** **شعر** يا ابا اللّيل
سهرا بالدلجه ان الحوادث قد يطرقن اسحارا افنى القرون التي كانت منعمة كر الجديدين اقبالا وادبارا
يا من يعانق دنيا لا بقاء لها يمسي ويصبح في دنياه سفارا هلا تركت من الدنيا معانقة حتى تعانق
في الفردوس ابكارا ان كنت تبغي جنان الخلد تسكنها فينبغي لك ان لا تامن النارا **وقال**
ابو امامة الباهلي رضي الله عنه لما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم اتت ابليس جنوده فقالوا
قد بعث نبي واخرجت امة قال يحبون الدنيا قالوا نعم قال لان كانوا يحبونها ما ابالي الا يعبدوا الاوثان
وانا اغدو عليهم واروح بثلاث اخذ المال من غير حقه وانفاقه في غير حقه والشر كله لقد
اتبع **وقال** رجل لعلي كرم الله وجهه يا امير المؤمنين صف لنا الدنيا فقال وما اصف لكم من
دار من صح فيها هرم ومن سقم فيها انهدم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها فتن في حلالها
الحساب وفي حرامها العذاب وقيل له ذلك مرة فقال اطول ام اقصر فقالوا اقصر فقال حلالها
حساب وحرامها عذاب **وقال** مالك بن دينار رحمه الله تعالى اتقوا السحارة فانها
تسحر قلوب العلماء يعني الدنيا **وقال** ابو سليمان اذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا تزحمها
فاذا كانت الدنيا في القلب لم تزحمها الآخرة لان الآخرة كريمة والدنيا لئيمة وهذا تشديد عظيم و
نرجو ان يكون ما ذكره سيار بن الحكم اصح اذ قال الدنيا والآخرة يجتمعان في القلب فايهما غلب
كان الآخر تبعا له **وقال** مالك بن دينار بقدر ما تحزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك وهذا
اقتباس مما قاله عيسى عليه السلام الدنيا والآخرة ضرتان فبقدر ما ترضي احداهما تسخط الاخرى

وقال الحسن والله لقد ادركت اقواما كانت الدنيا عليهم اهون من التراب الذي يمشون عليه ما يبالون
اشرقت الدنيا ام غربت ام ذهبت الى ذا ام ذهبت الى ذا وقال رجل للحسن ما تقول في رجل
اتاه الله تعالى مالا فهو يتصدق منه ويصل منه فيه التراب يتعيش فيه يعني يتنعم فقال
لا لو كانت الدنيا له كلها ما كان له منها الا الكفاف ويقدم ذلك ليوم فقره وقال الفضيل
لو ان الدنيا بحذافيرها عرضت علي حلالا لا احاسب بها في الاخرة لكنت اتقذرها كما يتقذر احدكم
الجيفة اذا مر بها ان تصيب ثوبه وقيل قدم عمر رضي الله عنه الشام فاستقبله ابو عبيدة
ابن الجراح على ناقة مخطومة بحبل فسلم وساله ثم اتى منزله فلم ير فيه الا سيفه وترسه ورحله فقال
له عمر لو اتخذت متاعا فقال يا امير المؤمنين ان هذا يبلغنا المقيل وقال سفيان خذ من الدنيا
لبدنك ومن الاخرة لقلبك وقال الحسن والله لقد عبدت بنو اسرائيل الاصنام بعد عبادتهم الرحمن
بحب الدنيا وقال وهب قرات في بعض الكتب الدنيا غنيمة الاكياس وغفلة الجهال لم يعرفوها حتى
خرجوا منها فسالوا الرجعة فلم يرجعوا وقال لقمان لابنه يا بني انك قد استدبرت الدنيا من يوم
نزلتها واستقبلت الاخرة فانت الى دار تقرب منها اقرب من دار تباعد عنها وقال سعيد بن
مسعود اذا رايت العبد تزداد دنياه وتنقص اخرته وهو به راض فذلك المغبون الذي يلعب بوجهه
ولا يشعر وقال عمرو بن العاص على المنبر والله ما رايت قوما قط ارغب فيما كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يزهد فيه منكم والله ما مر به عليه السلام ثلاث والذي عليه اكثر من الذي له وقال
الحسن بعد ان تلا قوله تعالى فلا تغرنكم الحيوة الدنيا من قال ذا قالوا خالقها قال هو اعلم بها اياكم وما
شغل من الدنيا فان الدنيا كثيرة الاشغال لا يفتح الرجل على نفسه باب شغل الا يوشك ذلك
الباب ان يفتح عليه عشرة ابواب وقال ايضا مسكين ابن ادم رضي بدار حلالها حساب وحرامها
عذاب ان اخذه من حله حوسب بنعمته وان اخذه من حرام عذب به ابن ادم يستقل ماله ولا يستقل
عمله يفرح بمصيبته في دينه ويجزع من مصيبته في دنياه وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز سلام عليك
اما بعد فكانك باخر من كتب عليه الموت قد مات فاجابه عمر سلام عليك كانك بالدنيا لم تكن وبالاخرة
لم تزل وقال الفضيل الدخول في الدنيا هين لكن التخلص منها شديد وقال بعضهم عجبا
لمن يعرف ان الموت حق كيف يفرح وعجبا لمن يعرف ان النار حق كيف يضحك وعجبا لمن يرى تقلب الدنيا
باهلها كيف يطمئن اليها وعجبا لمن يعرف ان القدر حق كيف ينصب وقدم رجل الى معاوية من
نجران عمره مائتا سنة فساله عن الدنيا كيف وجدها فقال سنيات بلاء وسنيات رخاء يوم و
يوم وليلة وليلة يولد ولد ويهلك هالك فلولا المولود باد الخلق ولولا الهالك ضاقت الدنيا
بمن فيها قال له سل عما شئت قال عمر مضى فترده واجل حضر فتدفعه قال لا املك ذلك قال لا
حاجة لي اليك وقال داود الطائي يا ابن ادم فرحت ببلوغ املك وانما بلغته بانقضاء اجلك
ثم سوفت بعملك كان منفعته لغيرك وقال بشر من سال الله تعالى الدنيا فانما ساله طول الوقوف
بين يديه وقال ابو حازم ما في الدنيا شيء يسرك الا وقد الصق به شيء يسوءك وقال الحسن
لا تخرج نفس ابن ادم من الدنيا الا بحسرات ثلاث انه لم يشبع مما جمع ولم يدرك ما امل ولم يحسن الزاد لما
قدم وقيل لبعض الزهاد قد نلت الغنى قال انما ناله من عتق من رق الدنيا وقال
ابو سليمان لا يصبر عن شهوات الدنيا الا من كان في قلبه ما يشغله بالاخرة وقال مالك بن دينار اصطلحنا

على حب الدنيا فلا يامر بعضنا بعضا ولا ينهى بعضنا بعضا ولا يدعنا الله تعالى على ذلك فليت شعري اي عذاب الله
ينزل وقال ابو حازم يسير الدنيا يشغل عن كثير الاخرة وقال الحسن اهينوا الدنيا فوالله
ما هي لاحد باهنا منها لمن اهانها وقال ايضا اذا اراد الله تعالى بعبد خيرا اعطاه شيئا
من الدنيا عطية ثم يمسك فاذا نفد اعاد عليه واذا هان عليه عبد بسط له بسطا وكان
بعضهم يدعو يا ممسك السماء ان تقع على الارض امسك الدنيا عني وقال محمد بن المنكدر ارايت
لو ان رجلا صام الدهر لا يفطر وقام الليل لا ينام وتصدق بماله وجاهد في سبيل الله واجتنب
محارم الله غير انه يؤتى به يوم القيمة فيقال ان هذا عظم في عينه ما صغره الله وصغر في عينه
ما عظمه الله كيف ترى يكون حاله فمن منا ليس هكذا الدنيا عظيمة عنده مع ما اقترفنا من الذنوب
والخطايا وقال ابو حازم اشتدت مؤنة الدنيا والاخرة فاما مؤنة الاخرة فانك لا تجد عليها اعوانا
واما مؤنة الدنيا فانك لا تضرب بيدك الى شيء منها الا وجدت فاجرا قد سبقك اليه وقال
ابو هريرة الدنيا موقوفة ما بين السماء والارض كالشن البالي تنادي ربها منذ خلقها الى يوم يفنيها يا رب
يا رب لم تبغضني فيقول لها اسكتي يا لا شيء اسكتي يا لا شيء وقال عبد الله بن المبارك حب الدنيا و
الذنوب في القلب قد احتوشته فمتى يصل الخير اليه وقال وهب بن منبه من فرح قلبه بشيء من الدنيا
فقد اخطا الحكمة ومن جعل شهوته تحت قدميه فرق الشيطان من ظله ومن غلب علمه هواه فهو الغالب
وقيل لبشر مات فلان فقال جمع الدنيا وذهب الى الاخرة ضيع نفسه قيل له كان يفعل ويفعل وذكر
ابوابا من البر فقال وما ينفع هذا وهو يجمع الدنيا وقال بعضهم الدنيا تبغض الينا نفسها ونحن
نحبها فكيف لو تحببت الينا وقيل لحكيم الدنيا لمن هي قال لمن تركها فقيل الاخرة لمن هي قال لمن طلبها
وقال حكيم الدنيا دار خراب واخرب منها قلب من يعمرها والجنة دار عمران واعمر منها قلب من يطلبها
وقال الجنيد كان الشافعي رحمه الله تعالى من المريدين الناطقين بالحق في الدين وعظ اخا له في الله
وخوفه بالله فقال يا اخي ان الدنيا دحض مزلة ودار مذلة عمرانها الى الخراب صائر وساكنها الى القبور
زائر شملها على الفرقة موقوف وغناها الى الفقر مصروف الاكثار فيها اعسار والاعسار فيها يسار فافزع الى الله
وارض برزق الله لا تستلف من دار بقائك في دار فنائك فان عيشك فيء زائل وجدار مائل اكثر من عملك و
اقصر من املك وقال ابراهيم بن ادهم لرجل ادرهم في المنام احب اليك ام دينار في اليقظة فقال دينار في
اليقظة فقال كذبت لان الذي تحبه في الدنيا كانك تحبه في المنام والذي لا تحبه في الاخرة كانك لا تحبه
في اليقظة وعن اسماعيل بن عياش قال كان اصحابنا يسمون الدنيا خنزيرة فيقولون اليك عنا يا خنزيرة
فلو وجدوا لها اسما اقبح من هذا لسموها به وقال كعب لتحببن اليكم الدنيا حتى تعبدوها واهلها
وقال يحيى بن معاذ العقلاء ثلاثة من ترك الدنيا قبل ان تتركه وبنى قبره قبل ان يدخله وارضى خالقه
قبل ان يلقاه وقال ايضا الدنيا يبلغ من شؤمها ان تمنيك لما يلهيك عن طاعة الله تعالى فكيف الوقوع
فيها وقال بكر بن عبد الله من اراد ان يستغني عن الدنيا بالدنيا كان كمطفئ النار بالتبن وقال
بندار اذا رايت ابناء الدنيا يتكلمون في الزهد فاعلم انهم في سخرة الشيطان وقال ايضا من اقبل على الدنيا
احرقته نيرانها يعني الحرص حتى يصير رمادا ومن اقبل على الاخرة صفته بنيرانها فصار سبيكة ذهب ينتفع
به ومن اقبل على الله عز وجل احرقته نيران التوحيد فصار جوهرا لا حد لقيمته وقال علي رضي الله عنه انما
الدنيا ستة اشياء مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشموم فاشرف المطعومات العسل وهو

مذقة ذباب واشرف المشروبات الماء يستوي فيه البر والفاجر واشرف الملبوسات الحرير وهو نسج دودة واشرف
المركوبات الفرس وعليه يقتل الرجال واشرف المنكوحات المرأة وهي مبال في مبال والله ان المرأة لتزين احسن
شيء فيها ويراد اقبح شيء منها

بيان المواعظ في ذم الدنيا وصفتها

قال بعضهم يا ايها الناس
اعملوا على مهل وكونوا من الله على وجل ولا تغتروا بالامل ونسيان الاجل ولا تركنوا الى الدنيا فانها غدارة خداعة
قد تزخرفت لكم بغرورها وفتنتكم بامانيها وتزينت لخطابها فاصبحت كالعروس المجلية العيون اليها ناظرة
والقلوب عليها عاكفة والنفوس لها عاشقة فكم من عاشق لها قتلت ومطمئن اليها خذلت فانظروا اليها
بعين الحقيقة فانها دار كثرت بوائقها وذمها خالقها جديدها يبلى وملكها يفنى وعزيزها يذل وكثيرها
يقل وحيها يموت وخيرها يفوت فاستيقظوا من غفلتكم وانتبهوا من رقدتكم قبل ان يقال فلان عليل
او مدنف ثقيل فهل على الدواء من دليل او هل الى الطبيب من سبيل فيدعى لك الاطباء ولا يرجى لك الشفاء ثم
يقال فلان اوصى وماله احصى ثم يقال قد ثقل لسانه فما يكلم اخوانه ولا يعرف جيرانه وعرق عند ذلك جبينك
وتتابع انينك وثبت يقينك وطمحت جفونك وصدقت ظنونك وتلجلج لسانك وبكى اخوانك وقيل لك
هذا ابنك فلان وهذا اخوك فلان ومنعت الكلام فلا تنطق وختم على لسانك فلا ينطلق ثم حل بك القضاء و
انتزعت نفسك من الاعضاء ثم عرج بها الى السماء فاجتمع عند ذلك اخوانك واحضرت اكفانك فغسلوك
وكفنوك فانقطع عوادك واستراح حسادك وانصرف اهلك الى مالك وبقيت مرتهنا باعمالك وقال
بعضهم لبعض الملوك ان احق الناس بذم الدنيا وقلاها من بسط له فيها واعطي حاجته منها لانه يتوقع آفة تعدو على
ماله فتجتاحه او على جمعه فتفرقه او تاتي سلطانه فتهدمه من القواعد او تدب الى جسمه فتسقمه او تفجعه بشيء
هو ضنين به بين احبابه فالدنيا احق بالذم هي الآخذة ما تعطي الراجعة فيما تهب بينا هي تضحك صاحبها اذ اضحكت
منه غيره وبينا هي تبكي له اذ ابكت عليه وبينا هي تبسط كفه بالاعطاء اذ بسطتها بالاسترداد فتعقد التاج على
راس صاحبها اليوم وتعفره في التراب غدا سواء عليها ذهاب ما ذهب وبقاء ما بقي تجد في الباقي من الذاهب
خلفا وترضى بكل من كل بدلا وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فان الدنيا دار ظعن ليست بدار اقامة
وانما انزل آدم اليها عقوبة فاحذرها يا امير المؤمنين فان الزاد منها تركها والغنى فيها فقرها لها في كل حين
قتيل تذل من اعزها وتفقر من جمعها هي كالسم ياكله من لا يعرفه وهو حتفه فليكن فيها كالمداوي جراحته
يحتمي قليلا مخافة ما يكره طويلا ويصبر على شدة الدواء مخافة طول البلاء فاحذر هذه الدار الغدارة
الختالة الخداعة التي قد تزينت بخدعها وفتنت بغرورها وختلت بامالها وتشوفت لخطابها فاصبحت
كالعروس المجلوة العيون اليها ناظرة والقلوب عليها والهة والنفوس لها عاشقة وهي لازواجها كلهم قاتلة
فلا الباقي بالماضي معتبر ولا الآخر عن الاول مزدجر ولا العارف بالله حين اخبره عنها مدكر فعاشق لها قد ظفر منها
بحاجته فاغتر وطغى ونسي المعاد فشغل فيها لبه حتى زلت عنها قدمه فعظمت ندامته وكثرت حسرته و
اجتمعت عليه سكرات الموت وحسرات الفوت بغصته ومن راغب فيها لم يدرك منها ما طلب ولم يروح نفسه
من التعب فخرج بغير زاد وقدم على غير مهاد فاحذرها يا امير المؤمنين وكن اسر ما تكون فيها احذر ما
تكون لها فان صاحب الدنيا كلما اطمأن منها الى سرور اشخصته الى مكروه والسار فيها لاهلها غار والنافع فيها
غدا ضار وقد وصل الرخاء منها بالبلاء وجعل البقاء فيها الى فناء سرورها مشوب بالاحزان لا يرجع منها ما ولى
وادبر ولا يدرى ما هو آت فينتظر امانيها كاذبة وآمالها باطلة وصفوها كدر وعيشها نكد وابن آدم
منها على خطر ان عقل ونظر وهو من النعماء على خطر ومن البلاء على حذر فلو كان الخالق لها تعالى لم يضرب لها

مثلا ولم يخبر عنها خبرا لكانت الدنيا قد ايقظت النائم ونبهت الغافل فكيف وقد جاء من الله تعالى عنها زاجر
وفيها واعظ فما لها عند الله تعالى قدر وما نظر اليها منذ خلقها ولقد عرضت على نبيك محمد صلى الله عليه وسلم
بمفاتيحها وخزائنها لا ينقصه عند الله تعالى جناح بعوضة فابى ان يقبلها وكره ان يخالف على الله تعالى امره او يحب ما ابغضه الله
او يرفع ما وضع فزواها عن الصالحين اختيارا وبسطها لاعدائه اغترارا افيظن المغرور بها المقتدر عليها انه
اكرم بها ونسي ما صنع الله تعالى بمحمد صلى الله عليه وسلم حين شد الحجر على بطنه ولقد جاءت الرواية عن الله تعالى انه
قال لموسى عليه السلام اذا رايت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته واذا رايت الفقر مقبلا فقل مرحبا
بشعار الصالحين وان شئت اقتديت بصاحب الروح والكلمة عيسى بن مريم عليه السلام كان يقول ادامي الجوع
وشعاري الخوف ولباسي الصوف وصلاي في الشتاء مشارق الشمس وسراجي القمر ودابتي رجلاي وطعامي
وفاكهتي ما انبتت الارض ابيت وليس لي شيء واصبح وليس لي شيء وليس على الارض احد اغنى مني وقال وهب
ابن منبه لما بعث الله موسى وهرون عليهما السلام الى فرعون قال لا يروعنكما لباسه الذي لبس من الدنيا فان
ناصيته بيدي ليس ينطق ولا يطرف ولا يتنفس الا باذني ولا يعجبكما ما متع به منها فانما هي زهرة الحياة الدنيا وزينة
المترفين فلو شئت ان ازينكما من الدنيا بزينة يعرف فرعون حين يراها ان مقدرته تعجز عنها لفعلت ولكني
ارغب بكما عن ذلك وازوي ذلك عنكما وكذلك افعل باوليائي اني لاذودهم عن نعيمها كما يذود الراعي
الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة واني لاجنبهم سلوتها كما يجنب الراعي الشفيق ابله عن مبارك العرة وما
ذلك لهوانهم علي ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالما موفرا وانما يتزين لي اوليائي بالذل و
الخشوع والخوف والتقوى تنبت في قلوبهم فتظهر على اجسادهم فهي ثيابهم التي يلبسون ودثارهم الذي
يظهرون وضميرهم الذي يستشعرون ونجاتهم التي بها يفوزون ورجاؤهم الذي اياه يأملون ومجدهم
الذي به يفخرون وسيماهم التي بها يعرفون فاذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك وذلل لهم قلبك و
لسانك واعلم انه من اخاف لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ثم انا الثائر لهم يوم القيامة وخطب علي كرم الله
وجهه يوما فقال اعلموا انكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون على اعمالكم ومجزيون بها فلا
تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم فانها بالبلاء محفوفة وبالفناء معروفة وبالغدر موصوفة وكل ما فيها الى
زوال وهي بين اهلها دول وسجال لا تدوم احوالها ولا يسلم من شرها نزالها بينا اهلها في رخاء وسرور
اذا هم منها في بلاء وغرور احوال مختلفة وتارات متصرفة العيش فيها مذموم والرخاء فيها لا يدوم
وانما اهلها فيها اغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتقصمهم بحمامها وكل حتفه فيها مقدور وحظه
منها موفور واعلموا عباد الله انكم وما انتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى ممن كان اطول منكم اعمارا و
اشد منكم بطشا وآثارا واعمر ديارا فاصبحت اصواتهم هامدة خامدة من بعد طول تقلبها واجسادهم
بالية وديارهم خالية وآثارهم عافية واستبدلوا بالقصور المشيدة والسرر والنمارق الممهدة الصخور
والاحجار المسندة في القبور اللاطئة الملحدة فمحلها مقترب وساكنها مغترب بين اهل عمارة موحشين
واهل محلة متشاغلين لا يستانسون بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران والاخوان على ما بينهم
من قرب الجوار ودنو الدار وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم بكلكله البلاء واكلتهم الجنادل
والثرى فاصبحوا بعد الحياة امواتا وبعد نضارة العيش رفاتا فجع بهم الاحباب وسكنوا التراب و
ظعنوا فليس لهم اياب هيهات هيهات كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون وكان قد
صرتم الى ما صاروا اليه من البلى والوحدة في دار الثرى وارتهنتم في ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع

فكيف بكم لو قد عاينتم الامور وبعثرت القبور وحصل ما في الصدور ووقفتم للتفصيل بين يدي الملك
الجليل فطارت القلوب لاشفاقها من سالف الذنوب وهتكت عنكم الحجب والاستار وظهرت منكم
العيوب والاسرار هنالك تجزى كل نفس بما كسبت ان الله عز وجل يقول ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي
الذين احسنوا بالحسنى وقال سبحانه وتعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون
يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم
ربك احدا جعلنا الله واياكم عاملين بكتابه متبعين لاوليائه حتى يحلنا واياكم دار المقامة من فضله انه حميد
مجيد **وقال** بعض الحكماء الايام سهام والناس اغراض والدهر يرميك كل يوم بسهامه ويخترمك
بلياليه وايامه حتى يستغرق جميع اجزائك فكيف بقاء سلامتك مع وقوع الايام بك وسرعة الليالي في
بدنك ولو كشف لك عما احدثت الايام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم يمر عليك واستثقلت
مر الساعات بك ولكن تدبير الله فوق تدبير الاعتبار وبالسلو عن غوائل الدنيا وجد طعم لذاتها وانها لامر من العلقم اذا
عجمها الحكيم وقد اعيت الواصف لعيوبها بظاهر افعالها وما تأتي به من العجائب اكثر مما يحيط به الواعظ فنسأل
الله تعالى الرشاد الى الصواب **وقال** بعض الحكماء وقد استوصف الدنيا وقدر بقائها الدنيا وقتك الذي يرجع
اليك فيه طرفك لان ما مضى عنك فقد فاتك ادراكه وما لم يأت فلا علم لك به والدهر يوم مقبل تنعاه ليلته
وتطويه ساعاته واحداثه تتوالى على الانسان بالتغيير والنقصان والدهر موكل بتشتيت الجماعات و
انخرام الشمل وتنقل الدول والامل طويل والعمر قصير والى الله تصير الامور وخطب عمر بن عبد العزيز رحمه
الله تعالى فقال يا ايها الناس انكم خلقتم لامر ان كنتم تصدقون به فانكم حمقى وان كنتم تكذبون به فانكم
هلكى انما خلقتم للابد ولكنكم من دار الى دار تنقلون عباد الله انكم في دار لكم فيها من طعامكم غصص ومن
شرابكم شرق لا تصفو لكم نعمة تسرون بها الا بفراق اخرى تكرهون فراقها فاعملوا لما انتم صائرون اليه
وخالدون فيه ثم غلبه البكاء ونزل وقال علي كرم الله وجهه في خطبته اوصيكم بتقوى الله والترك للدنيا
التاركة لكم وان كنتم لا تحبون تركها المبلية اجسامكم وان كنتم تريدون تجديدها فانما مثلكم ومثلها
كمثل سفر سلكوا طريقا وكأنهم قد قطعوه وافضوا الى علم وكأنهم بلغوه وكم عسى يجري المجري حتى ينتهي
الى الغاية وكم عسى ان يبقى من له يوم في الدنيا وطالب حثيث يطلبه حتى يفارقها فلا تجزعوا لبؤسها وضرائها
فانه الى انقطاع ولا تفرحوا بنعيمها فانه الى زوال عجبت لطالب الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول
عنه **وقال** محمد بن الحسين لما علم اهل الفضل والعلم والمعرفة والادب ان الله تعالى قد اهان الدنيا
وانه لم يرضها لاوليائه وانها عنده حقيرة قليلة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم زهد فيها وحذر اصحابه
من فتنتها اكلوا منها قصدا وقدموا فضلا اخذوا منها ما يكفي وتركوا ما يلهي لبسوا من الثياب ما
ستر العورة واكلوا من الطعام ادنى ما سد الجوعة نظروا الى الدنيا بعين انها فانية والى الآخرة انها باقية
فتزودوا من الدنيا كزاد الراكب فخربوا الدنيا وعمروا بها الآخرة نظروا الى الآخرة بقلوبهم فعلموا انهم سينظرون
اليها باعينهم فارتحلوا اليها بقلوبهم لما علموا انهم سيرتحلون اليها بابدانهم تعبوا قليلا وتنعموا طويلا كل
ذلك بتوفيق مولاهم الكريم احبوا ما احب لهم وكرهوا ما كره لهم **بيان صفة الدنيا بالامثلة**
اعلم بان الدنيا سريعة الفناء قريبة الانقضاء تعد بالبقاء ثم تخلف بالوفاء تنظر اليها فتراها ساكنة مستقرة
وهي سائرة سيرا عنيفا ومرتحلة ارتحالا سريعا ولكن الناظر اليها قد لا يحس بحركتها فيطمئن اليها وانما يحس
عند انقضائها ومثالها الظل فانه متحرك ساكن متحرك في الحقيقة ساكن في الظاهر لا تدرك حركته

بالبصر الظاهر بل بالبصيرة الباطنة ولما ذكرت الدنيا عند الحسن انشد **شعر** احلام نوم او كظل زائل
ان اللبيب بمثلها لا يخدع وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما يتمثل ويقول يا اهل لذات دنيا لا بقاء لها
ان اغترارا بظل زائل حمق وكان يقال انه من قوله ويقال نزل اعرابي بقوم فقدموا اليه طعاما فاكل ثم قام
الى ظل خيمة لهم فنام هناك فاقتلعوا الخيمة فاصابته الشمس فانتبه وقام وهو يقول **شعر** الا انما الدنيا
كظل بنيته ولا بد يوما ان ظلك زائل وكذلك قيل **شعر** وان امرأ دنياه اكبر همه لمستمسك
منها بحبل غرور **مثال آخر** للدنيا من حيث التغرير بخيالاتها ثم الافلاس منها بعد افلاتها تشبه
خيالات المنام واضغاث الاحلام **قال** رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا حلم واهلها عليها مجازون
ومعاقبون **وقال** يونس بن عبيد ما شبهت نفسي في الدنيا الا كرجل نام فرأى في منامه ما يكره
وما يحب فبينما هو كذلك اذ انتبه فكذلك الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فاذا ليس بايديهم شيء
مما ركنوا اليه وفرحوا به **وقيل** لحكيم اي شيء اشبه بالدنيا فقال احلام النائم **مثال آخر**
للدنيا في عداوتها لاهلها واهلاكها لبنيها اعلم ان طبع الدنيا التلطف في الاستدراج اولا والتوصل
الى الاهلاك آخرا وهي كامرأة تتزين للخطاب حتى اذا نكحتهم ذبحتهم فقد روي ان عيسى عليه السلام كوشف
بالدنيا فرآها في صورة عجوز هتماء عليها من كل زينة فقال لها كم تزوجت فقالت لا احصيهم قال
فكلهم مات عنك او كلهم طلقك قالت بل كلهم قتلت فقال عيسى عليه السلام بؤسا لازواجك الباقين
كيف لا يعتبرون باخوانك الماضين كيف تهلكينهم واحدا واحدا ولا يكونون منك على حذر **مثال**
آخر في مخالفة ظاهرها لباطنها اعلم ان الدنيا مزينة الظواهر قبيحة السرائر وهي شبه عجوز متزينة
تخدع الناس بظاهرها فاذا وقفوا على باطنها وكشفوا القناع عن وجهها تمثل لهم قبائحها فندموا على
اتباعها وخجلوا من ضعف عقولهم في الاغترار بظاهرها **قال** العلاء بن زياد رأيت في النوم عجوزا كبيرة متغضنة
الجلد عليها من كل زينة الدنيا والناس عكوف عليها معجبون ينظرون اليها فجئت فنظرت فتعجبت من
نظرهم اليها واقبالهم عليها فقلت لها ويلك من انت قالت اوما تعرفني قلت لا ادري من انت قالت انا
الدنيا فقلت اعوذ بالله من شرك قالت ان احببت ان تعاذ من شري فابغض الدرهم **وقال** ابو بكر بن
عياش رأيت الدنيا في النوم عجوزا مشوهة شمطاء تصفق بيديها وخلفها خلق يتبعونها يصفقون ويرقصون
فلما كانت بحذائي اقبلت علي فقالت لو ظفرت بك لصنعت بك ما صنعت بهؤلاء ثم بكى ابو بكر وقال
رأيت هذا قبل ان اقدم الى بغداد **وقال** الفضيل بن عياض قال ابن عباس يؤتى بالدنيا يوم القيامة في
صورة عجوز شمطاء زرقاء انيابها بادية مشوه خلقها فتشرف على الخلائق فيقال اتعرفون هذه فيقولون
نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التي تشاجرتم عليها بها تقاطعتم الارحام وبها تحاسدتم و
تباغضتم واغتررتم ثم تقذف في جهنم فتنادي يا رب اين اتباعي واشياعي فيقول الله عز وجل الحقوا
بها اتباعها واشياعها **وقال** الفضيل بلغني ان رجلا عرج بروحه فاذا امرأة على قارعة الطريق
عليها من كل زينة الحلي والثياب واذا هي لا يمر عليها احد الا جرحته واذا هي ادبرت كانت احسن شيء
رآه الناس واذا اقبلت كانت اقبح شيء رآه الناس عجوز شمطاء زرقاء عمشاء قال فقلت اعوذ بالله منك قالت
لا والله لا يعيذك الله مني حتى تبغض الدرهم قال فقلت من انت قالت انا الدنيا **مثال آخر للدنيا**
وعبور الانسان بها اعلم ان الاحوال ثلاثة حالة لم تكن فيها شيئا وهي ما قبل وجودك الى الازل وحالة
لم تكن فيها مشاهدا للدنيا وهي ما بعد موتك الى الابد وحالة متوسطة بين الابد والازل وهي ايام حياتك

في الدنيا فانظر الى مبدأ بطولها وانسبه الى طرفي الازل والابد حتى تعلم انه اقل من منزل قصير في سفر طويل
ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم مالي وللدنيا انما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب سار في يوم صائف
فرفعت له شجرة فقال في ظلها ثم راح وتركها ومن رأى الدنيا بهذه العين لم يركن اليها ولم يبال كيف انقضت ايامه
فيها في ضر وضيق او في سعة ورفاهية بل لا يبني لبنة على لبنة توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما وضع
لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ورأى بعض الصحابة وهو يبني بيتا من جص فقال ارى الامر اعجل من هذا وانكر
ذلك والى هذا اشار عيسى عليه السلام حيث قال الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها وهذا مثال واضح
فان الحياة الدنيا معبر الى الاخرة والمهد هو الميل الاول على رأس القنطرة واللحد هو
الميل الاخر وبينهما مسافة محدودة فمن الناس من قطع نصف القنطرة ومنهم من قطع ثلثها ومنهم
من قطع ثلثيها ومنهم من لم يبق له الا خطوة واحدة وهو غافل عنها وكيف ما كان فلا بد من العبور فالبناء
على القنطرة وتزيينها باصناف الزينة وانت عابر عليها غاية الجهل والخذلان مثال اخر للدنيا في لين
مأخذها وخشونة مصدرها اعلم ان اوائل امور الدنيا تبدو سهلة لينة يظن الخائض فيها ان حلاوة
خفضها كحلاوة الخوض فيها وهيهات فالخوض في الدنيا سهل والخروج منها مع السلامة شديد
وقد كتب علي الى سلمان رضي الله عنهما بمثالها فقال مثل الدنيا مثل الحية يلين مسها ويقتل سمها فاعرض
عما يعجبك منها لقلة ما يصحبك فيها وضع عنك همومها لما ايقنت من فراقها وكن احذر ما تكون فيها
احذر ما تكون لها فان صاحبها كلما اطمأن منها الى سرور اشخصه عنه مكروه والسلام مثال اخر
في تعذر الخلاص من تبعاتها بعد الخوض فيها وقال النبي صلى الله عليه وسلم انما مثل صاحب الدنيا كمثل
الماشي في الماء هل يستطيع الذي يمشي في الماء ان لا تبتل قدماه وهذا يعرفك جهالة قوم ظنوا انهم يخوضون
في نعيم الدنيا بابدانهم وقلوبهم منها مطهرة وعلائقها عن بواطنهم منقطعة وذلك مكيدة من الشيطان
بل لو اخرجوا مما هم فيه لكانوا من اعظم المتفجعين بفراقها فكما ان المشي في الماء يقتضي بللا لا محالة يلتصق
بالقدم فكذلك ملابسة الدنيا تقتضي علاقة وظلمة في القلب بل علاقة القلب مع الدنيا تمنع
حلاوة العبادة قال عيسى عليه السلام بحق اقول لكم كما ينظر المريض الى الطعام فلا يلتذ من شدة الوجع
كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ بالعبادة ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حب الدنيا بحق اقول لكم ان الدابة
اذا لم تركب وتمتهن تصعب ويتغير خلقها كذلك القلوب اذا لم ترقق بذكر الموت ونصب العبادة
تقسو وتغلظ بحق اقول لكم ان الزق ما لم يتخرق او يتخلل يوشك ان يكون وعاء العسل كذلك القلوب ما لم
تخرقها الشهوات او تدنسها الاطماع او تقسيها النعيم يوشك ان تكون اوعية للحكمة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انما بقي من الدنيا بلاء وفتنة وانما مثل عمل احدكم كمثل الوعاء اذا طاب اعلاه طاب اسفله واذا خبث
اعلاه خبث اسفله مثال اخر لما بقي من الدنيا وقلته بالاضافة الى ما سبق قال انس قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من اوله الى اخره فبقي متعلقا بخيط في اخره فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع مثال
اخر لاتصال علائق الدنيا بعضها ببعض قال عيسى عليه السلام مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما
ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله مثال اخر لمخالفة اخر الدنيا اولها ونضارة اوائلها وخبث عواقبها
اعلم ان شهوات الدنيا في القلب لذيذة كشهوات الاطعمة في المعدة وسيجد العبد عند الموت لشهوات الدنيا
في قلبه من الكراهة والنتن والقبح ما يجده للاطعمة اللذيذة اذا بلغت في المعدة غايتها وكما ان الطعام
كلما كان الذ طعما واكثر دسما واظهر حلاوة كان رجيعه اقذر واشد نتنا فكذلك كل شهوة في القلب هي اشهى

والذ فنتنها وكراهيتها والتأذي بها عند الموت اشد بل هي في الدنيا مشاهدة فان من نهبت داره
واخذ ماله وولده فتكون مصيبته والمه وتفجعه في كل ما فقده بقدر لذته به وحبه
له وحرصه عليه فكل ما كان عند الوجود اشهى عنده والذ فهو عند الفقد ادهى وامر ولا معنى للموت الا فقد ما في الدنيا
فقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للضحاك بن سفيان الكلابي الست تؤتى بطعامك وقد ملح وقزح
ثم تشرب عليه اللبن والماء قال بلى قال فالى ما يصير قال الى ما قد علمت يا رسول الله قال فان الله عز وجل ضرب
مثل الدنيا بما يصير اليه طعام ابن آدم وقال ابي بن كعب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الدنيا ضربت مثلا لابن آدم بما يخرج منه فانظر ما يخرج من ابن آدم الى ما يصير وقال عليه السلام ان
الله تعالى ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلا وضرب مطعم ابن آدم للدنيا مثلا وان قزحه وملحه وقال
الحسن قد رأيتهم يطيبونه بالافاويه والطيب ثم يرمونه حيث رأيتم وقد قال الله تعالى فلينظر
الانسان الى طعامه قال ابن عباس الى رجيعه وقال رجل لابن عمر اني اريد ان اسألك واستحيي قال
فلا تستحيي وسل قال اذا قضى احدنا حاجته وقام ينظر الى ذلك منه قال نعم ان الملك يقول له انظر
هذا ما بخلت به انظر الى ماذا صار وكان بشير بن كعب يقول انطلقوا حتى اريكم الدنيا فيذهب بهم الى
مزبلة فيقول انظروا الى ثماركم وعسلكم ودجاجكم وسمنكم بيان اخر في نسبة الدنيا الى الاخرة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الاخرة الا كمثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع اليه
مثال اخر للدنيا واهلها في اشتغالهم بنعيم الدنيا وغفلتهم عن الاخرة وخسرانهم العظيم
بسببها اعلم ان اهل الدنيا في غفلتهم مثل قوم ركبوا في سفينة فانتهت بهم الى جزيرة فامرهم الملاح بالخروج
لقضاء الحاجة وحذرهم المقام وخوفهم مرور السفينة واستعجالها فتفرقوا في نواحي الجزيرة فقضى
بعضهم حاجته وبادر الى السفينة فصادف المكان خاليا فاخذ اوسع الاماكن والينها واوفقها
لمراده وبعضهم توقف في الجزيرة ينظر الى انوارها وازهارها العجيبة وغياضها الملتفة ونغمات
طيورها الطيبة وألحانها الموزونة الغريبة وصار يلحظ من تربتها احجارها وجواهرها ومعادنها
المختلفة الالوان والاشكال الحسنة المنظر العجيبة النقوش السالبة اعين الناظرين بحسن زبرجدها
وعجائب صورها ثم تنبه لخطر فوات السفينة فرجع اليها فلم يصادف الا مكانا ضيقا حرجا فاستقر فيه
وبعضهم اكب على تلك الاصداف والاحجار واعجبه حسنها ولم تسمح نفسه باهمالها فاستصحب
منها جملة فلم يجد في السفينة الا مكانا ضيقا وزادته الحجارة ضيقا وصارت ثقلا عليه ووبالا فندم
على اخذه ولم يقدر على رميه ولم يجد مكانا لوضعه فحمله في السفينة على عنقه وهو متأسف على اخذه
وليس ينفعه التأسف وبعضهم تولج الغياض ونسي المركب وبعد في متفرجه ومتنزهه حتى لم
يبلغه نداء الملاح لاشتغاله باكل تلك الثمار والتشمم لتلك الانوار والتفرج بين تلك الاشجار وهو
مع ذلك خائف على نفسه من السباع وغير خال من السقطات والنكبات ولا ينفك عن شوك ينشب
بثيابه وغصن يجرح بدنه وشوكة تدخل في رجله وصوت هائل يفزع منه وعوسج يخرق ثيابه ويهتك
عورته ويمنعه من الانصراف لو اراده فلما بلغه نداء اهل السفينة انصرف مثقلا بما معه ولم يجد في
المركب موضعا فبقي في الشط حتى مات جوعا وبعضهم لم يبلغه النداء وسارت السفينة فمنهم من
افترسته السباع ومنهم من تاه على وجهه حتى هلك ومنهم من مات في الاوحال ومنهم من نهشته الحيات
وتفرقوا كالجيف المنتنة فاما من وصل الى المركب بثقل ما اخذه من الازهار والاحجار فقد استرقته

وشغله الحزن بحفظه والخوف من فوته وقد ضيق عليه مكانه فلم يلبث ان ذبلت تلك الازهار و
كدرت الوان الاحجار وظهر نتن رائحتها فصار مع غربته متعبا عليه متضررا بنتنه ووحشته فلم
يجد حيلة الا القاها في البحر هاربا منها وقد اثر فيه ما اكل منها فلم ينته الى الوطن الا بعد ان ظهر عليه من
الاسقام بتلك الروايح فبلغ سقيما مدبرا ومن رجع قريبا ما فاته الا سعة المحل فتاذى بضيق المكان
مدة ولكن لما وصل الى الوطن استراح ومن رجع اولا وجد المكان الاوسع ووصل الوطن سالما فهذا
مثال اصناف اهل الدنيا في اشتغالهم بحظوظهم العاجلة ونسيانهم موردهم ومصدرهم وغفلتهم عن
عاقبة امرهم وما اقبح من يزعم انه بصير عاقل ان تغره احجار الارض وهي الذهب والفضة وهشيم النبت
وهي زينة الدنيا وشي منه لا يصحبه عند الموت بل يصير كلا ووبالا وهو في الحال شاغل له بالحزن
والخوف عليه فهذه حال الخلق كلهم الا من عصمه الله تعالى **مثال اخر** لاغترار الخلق بالدنيا وضعف
ايمانهم بقول الله تعالى في تحذيرهم ايام غوايل الدنيا قال الحسن بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لاصحابه انما مثلي ومثلكم ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبرا حتى اذا لم يدروا ما سلكوا
منها اكثر ام ما بقي انفدوا الزاد وحسروا الظهر وبقوا بين ظهراني المفازة لا زاد ولا حمولة فايقنوا بالهلاك
فبينما هم كذلك اذ خرج عليهم رجل في حلة تقطر راسه فقالوا ان هذا قريب عهد بريف وما جاكم هذا الا من
قريب فلما انتهى اليهم قال يا هولا قالوا يا هذا فقال علام انتم قالوا على ما ترى قال ارايتم ان هديتكم
الى ما رواء ورياض خضر ما تعملون قالوا لا نعصيك شيا قال اعطوني عهودكم ومواثيقكم بالله فاعطوه عهودهم
ومواثيقهم بالله لا يعصونه شيا قال فاوردهم ما رواء ورياضا خضرا فمكث فيهم ما شا الله تعالى
ثم قال يا هولا قالوا يا هذا قال الرحيل قالوا الى اين قال الى ما ليس كمايكم والى رياض ليست كرياضكم فقال
اكثرهم والله ما وجدنا هذا حتى ظننا انا لن نجده وما نصنع بعيش خير من هذا قال وقالت طائفة
وهم اقلهم الم تعطوا هذا الرجل عهودكم ومواثيقكم بالله ان لا تعصوه شيا وقد صدقكم في اول حديثه
فوالله ليصدقنكم في اخره فراح فيمن اتبعه وتخلف بقيتهم فبدرهم عدوهم فاصبحوا بين قتيل واسير
مثال اخر لتنعم الناس بالدنيا ثم تفجعهم على فراقها اعلم ان مثل الناس فيما اعطوا من الدنيا
مثل رجل هيا دارا وزينها وهو يدعو الى داره قوما على الترتيب واحدا بعد واحد فدخل واحد داره فقدم
اليه طبق ذهب عليه بخور ورياحين ليشمه ويتركه لمن يلحقه لا ليتملكه ويأخذه فجهل رسمه وظن انه
قد وهب منه فتعلق قلبه لما ظن انه له فلما استرجع منه ضجر وتفجع ومن كان عالما برسمه انتفع
به وشكره ورده بطيبة قلبه وانشراح صدره فكذلك من عرف سنة الله تعالى علم انها دار ضيافة سبلت
على المجتازين ليتزودوا منها ويتعففوا بما فيها وينتفعوا كما ينتفع المسافرون بالعواري ولا يصرفون
اليها كل قلوبهم حتى تعظم مصيبتهم عند فراقها فهذه امثلة الدنيا وافاتها وغوايلها **بيان**
حقيقة الدنيا وماهيتها في حق العبد اعلم ان معرفة ذم الدنيا لا يكفيك ما لم تعرف الدنيا المذمومة
ما هي وما الذي ينبغي ان يجتنب منها وما الذي لا يجتنب فلا بد ان نبين الدنيا المذمومة المامور باجتنابها
لكونها عدوة قاطعة لطريق الله عز وجل ما هي فنقول دنياك واخرتك عبارة عن حالتين من احوال قلبك
فالقريب الداني منها يسمى دنيا وهي كل ما قبل الموت والمتراخي المتاخر يسمى اخرة وهي ما بعد الموت
فكل ما لك فيه حظ ونصيب وشهوة ولذة في عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا في حقك الا ان جميع
ما لك اليه ميل وفيه نصيب وحظ فليس بمذموم بل هي ثلاثة اقسام **القسم الاول ما يصحبك** في

الاخرة ويبقى معك ثمرته بعد الموت وهما شيان العلم والعمل فقط اعني بالعلم العلم بالله عز وجل
وصفاته وافعاله وملايكته وكتبه ورسله وملكوت ارضه وسمايه والعلم بشريعة نبيه صلى
الله عليه وسلم واعني بالعمل العبادة الخالصة لوجه الله تعالى وقد يانس العالم بالعلم حتى يصير ذلك
الذ الاشيا عنده فيهجر النوم والمنكح والمطعم في لذته لانه اشهى عنده من جميعها فقد صار حظا
عاجلا في الدنيا ولكنا اذا ذكرنا الدنيا المذمومة لم نعد هذا من الدنيا اصلا بل قلنا انه من الاخرة
وكذلك العابد قد يانس بعبادة الله عز وجل فيستلذها بحيث لو منع عنها لكان ذلك اعظم العقوبات
عليه حتى قال بعضهم ما اخاف من الموت الا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل وكان اخر
يقول اللهم ارزقني قوة الصلاة والركوع والسجود في القبر فهذا قد صارت الصلاة من حظوظه العاجلة
وكل حظ عاجل فاسم الدنيا ينطلق عليه من حيث الاشتقاق من الدنو ولكنا لسنا نعني بالدنيا
المذمومة ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنسا وقرة عيني في
الصلاة فجعل الصلاة من جملة ملاذ الدنيا وذلك لان كل ما يدخل في الحس والمشاهدة فهو من عالم
الشهادة وهو من الدنيا والتلذذ بتحريك الجوارح بالسجود والركوع انما يكون في الدنيا فلذلك اضافه
الى الدنيا الا انا في هذا الكتاب لسنا نتعرض الا للدنيا المذمومة فنقول هذه ليست من الدنيا ه
القسم الثاني وهو المقابل له على الطرف الاقصى كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة له في الاخرة اصلا كالتلذذ
بالمعاصي كلها والتنعم بالمباحات الزايدة على قدر الضرورات والحاجات الداخلة في جملة الرفاهية
والرعونات كالتنعم بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث
والغلمان والجواري والخيول والمواشي والقصور والدور ورفيع الثياب ولذايذ الاطعمة فحظ العبد
من هذا كله هي الدنيا المذمومة وفيما يعد فضولا او في محل الحاجة نظر طويل اذ روي عن عمر
رضي الله عنه انه استعمل ابا الدردا على حمص فاتخذ كنيفا انفق عليه درهمين فكتب اليه من
عمر بن الخطاب امير المومنين الى عويمر قد كان لكم في بنيان فارس والروم ما يكتفى به عن عمران الدنيا
حين اراد الله خرابها فاذا اتاك كتابي هذا فقد سيرتك واهلك الى دمشق فلم يزل بها حتى
مات فهذا راه فضولا من الدنيا فتامل فيه **القسم الثالث** وهو متوسط بين الطرفين من كل
حظ في العاجل معين على اعمال الاخرة كالقوت من الطعام والقميص الخشن الواحد وكل ما لا بد منه
ليتاتى للانسان البقا والصحة التي بها يتوصل الى العلم والعمل فهذا ليس من الدنيا كالقسم الاول
لانه معين على القسم الاول ووسيلة اليه فمهما تناوله العبد على قصد الاستعانة به على العلم والعمل
لم يكن به متناولا للدنيا ولم يصر به من ابنا الدنيا وان كان باعثه الحظ العاجل دون الاستعانة على التقوى
التحق بالقسم الثاني وصار من جملة الدنيا ولا يبقى مع العبد عند الموت الا ثلاث صفات
صفا القلب اعني طهارته عن ادناس الدنيا وانسه بذكر الله تعالى وحبه لله عز وجل وصفا القلب
وطهارته لا تحصل الا بالكف عن شهوات الدنيا والانس لا يحصل الا بكثرة ذكر الله تعالى والمواظبة عليه
والحب لا يحصل الا بالمعرفة ولا تحصل معرفة الله تعالى الا بدوام الفكر وهذه الصفات الثلاث
هي المنجيات المسعدات بعد الموت اما طهارة القلب عن شهوات الدنيا فهي من المنجيات اذ
تكون جنة بين العبد وبين عذاب الله تعالى كما ورد في الاخبار ان اعمال العبد تناضل عنه فاذا
جا العذاب من قبل رجليه جا قيام الليل يدفع عنه واذا جا من جهة يديه جات الصدقة

تدفع عنه الحديث وأما الانس والحب فهما من المسعدات وتمام وصال العبد الى لذة اللقاء والمشاهدة
وهذه السعادة تتعجل عقيب الموت الى ان يدخل اوان الرؤية في الجنة فيصير القبر روضة من رياض
الجنة وكيف لا يكون القبر عليه روضة ولم يكن له الا محبوب واحد وكانت العوائق تعوقه عن
الانس بدوام ذكره ومطالعة جماله فارتفعت العوائق وافلت من السجن وخلي بينه وبين محبوبه فقدم
عليه مسرورا سليما من الموانع امنا من الفراق وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت معذبا ولم يكن
له محبوب الا في الدنيا وقد غصب منه وحيل بينه وبينه وسدت عليه طرق الحيلة في الرجوع اليه فما
حال من له واحد يحبه فغصب منه ذلك الواحد وليس الموت عدما انما هو فراق لمحبوبات الدنيا وقدوم
على الله تعالى فاذا سالك الطريق هو المواظب على اسباب هذه الصفات الثلاث وهي الذكر والفكر
والعمل الذي يفطمه عن شهوات الدنيا ويبغض اليه ملاذه ويقطعه عنها وكل ذلك لا يمكن الا
بصحة البدن وصحة البدن لا تنال الا بقوت وملبس ومسكن ويحتاج كل واحد الى اسباب فالقدر
الذي لا بد منه من هذه الثلاث اذا اخذه العبد من الدنيا للاخرة وان اخذ ذلك لحظ النفس وعلى
قصد التنعم صار من ابناء الدنيا والراغبين في حظوظها الا ان الرغبة في حظوظ الدنيا تنقسم الى ما
يعرض صاحبه الى عذاب الاخرة ويسمى ذلك حراما والى ما يحول بينه وبين الدرجات العلى ويعرضه لطول
الحساب ويسمى ذلك حلالا والبصير يعلم ان طول الموقف في عرصات القيمة لاجل الحساب ايضا عذاب
فمن نوقش الحساب عذب اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حلالها حساب وحرامها عذاب وقد
قال ايضا حلالها عذاب الا انه اخف من عذاب الحرام بل لو لم يكن الحساب لكان ما يفوت من الدرجات
العلى في الجنة وما يرد على القلب من التحسر على تفويتها لحظوظ خسيسة لا بقاء لها هو عذاب ايضا وقس
بحالك في الدنيا اذا نظرت الى اقرانك وقد سبقوك بسعادات دنيوية كيف يتقطع قلبك عليه
حسرة مع علمك بانها سعادات منصرمة لا بقاء لها ومنغصة بكدورات لا صفاء لها فما حالك في فوات
سعادة لا يحيط الوصف بعظمها وتنقطع الدهور دون غايتها فكل من تنعم بالدنيا ولو بسماع
صوت من طائر او بالنظر الى خضرة او شربة ماء بارد فانه ينقص من حظه في الاخرة اضعافه وهو المعني
بقوله صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه هذا من النعيم الذي تسئل عنه اشارة الى الماء البارد والتعرض
لجواب السؤال فيه ذل وخوف وخطر ومشقة وانتظار وكل ذلك من نقصان الحظ ولذلك قال
عمر رضي الله عنه اعزلوا عني حسابها حين كان به عطش فعرض عليه ماء بارد بعسل فادار في كفه ثم
امتنع عن شربه فالدنيا قليلها وكثيرها حرامها وحلالها ملعونة الا ما اعان على تقوى الله تعالى
فان ذلك القدر ليس من الدنيا وكل من كانت معرفته اقوى واتقن كان حذره من نعيم الدنيا اشد
حتى ان عيسى عليه السلام وضع راسه على حجر لما نام ثم رمى به اذ تمثل له ابليس وقال رغبت في
الدنيا حتى ان سليمان عليه السلام في ملكه كان يطعم الناس لذيذ الطعام ويأكل هو خبز الشعير
فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق امتحانا وشدة فان الصبر عن لذيذ الاطعمة مع وجودها اشد
ولهذا زوي الدنيا عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فكان يطوي اياما وكان يشد الحجر على بطنه من
الجوع ولهذا سلط الله تعالى البلاء والمحن على الانبياء عليهم السلام والاولياء ثم الامثل فالامثل
كل ذلك نظرا لهم وامتنانا عليهم ليتوفر من الاخرة حظهم كما يمنع الوالد المشفق ولده لذة الفواكه
ويلزمه الفصد والحجامة شفقا عليه وحبا له لا بخلا عليه وقد عرفت بهذا ان كل ما ليس لله فهو

للدنيا وما هو لله فليس ذلك من الدنيا فان قلت فما الذي هو لله تعالى فاقول الاشياء ثلاثة اقسام
منها ما لا يتصور ان يكون لله تعالى وهو الذي يعبر عنه بالمعاصي والمحظورات وانواع التنعمات
في المباح وهي الدنيا المحضة المذمومة فهي الدنيا صورة ومعنى ومنها ما صورته لله تعالى ويمكن
ان يجعل لغير الله تعالى وهي ثلاثة الفكر والذكر والكف عن الشهوات فان هذه الثلاث
اذا جرت سرا ولم يكن عليها باعث سوى الله تعالى واليوم الاخر فهي لله تعالى وليست من الدنيا و
ان كان الغرض من الفكر طلب العلم للتشرف به وطلب القبول بين الخلق باظهار المعرفة او كان الغرض
من ترك الشهوات حفظ المال والحمية لصحة البدن والاشتهار بالزهد فقد صار هذا من الدنيا
بالمعنى وان كان يظن بصورتها انها لله تعالى ومنها ما صورته لحظ النفس ويمكن ان يحصل معناها
لله تعالى وذلك كالاكل والنكاح وكل ما يرتبط به بقاؤه وبقاء ولده فان كان القصد حظ النفس فهو من
الدنيا وان كان القصد الاستعانة على التقوى فهو لله تعالى بمعناه وان كانت صورته صورة الدنيا
قال النبي صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا حلالا مكاثرا لقي الله تعالى وهو عليه غضبان ومن طلبها
استعفافا عن المسئلة وصيانة لنفسه جاء يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر فانظر كيف اختلف
هذا بالقصد فاذا حظ الدنيا حظ نفسك العاجل الذي لا حاجة اليه لامر الاخرة ويعبر عنه بالهوى
واليه الاشارة بقوله تعالى ونهى النفس عن الهوى ومجامع الهوى في خمسة وهو ما جمعه الله تعالى في قوله
انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد والاعيان التي منها تحصل
الخمسة سبعة يجمعها قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة
من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا وقد عرفت ان كل
ما هو لله فليس من الدنيا وقدر ضرورة القوت وما لا بد منه من مسكن وملبس هو لله تعالى ان قصد به
وجه الله تعالى وهو للتنعم والزينة والاستكثار منه تنعم وهو لغير الله تعالى وبين التنعم
والضرورة درجة يعبر عنها بالحاجة ولها طرفان وواسطة وطرف يقرب من حد الضرورة فلا يضر
فان الاقتصار على حد الضرورة لا يمكن وطرف يزاحم جانب التنعم ويقرب منه وينبغي ان يحذر منه وبينهما
وسائط متشابهة ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه والحزم في الحذر والتقوى والقرب من حد
الضرورة ما يمكن اقتداء بالانبياء والاولياء اذ كانوا يردون انفسهم الى حد الضرورة حتى ان اويس القرني
رضي الله عنه كان يظن اهله انه مجنون لشدة تضييقه على نفسه فبنوا له بيتا على باب دارهم
فكان ياتي عليه السنة والسنتان لا يرون له وجها وكان يخرج اول الاذان ويأتي الى منزله بعد
العشاء الاخرة وكان طعامه ان يلتقط النوى وكان اذا اصاب الحشف خباه لافطاره فان اصاب
ما يقوته من الحشف تصدق بالنوى وان لم يصب ما يقوته من الحشف باع النوى واشترى به ما
يقوته وكان لباسه مما يلتقط الى المزابل فيلتقط قطع الاكسية فيغسلها في الفرات ويلفق بعضها
الى بعض ثم يلبسها فكان ذلك لباسه فكان ربما مر بالصبيان فيرجمونه ويظنون انه مجنون فيقول
لهم يا اخوتاه ان كنتم ترموني فارموني باحجار صغار فاني اخاف ان تدموا عقبي فتحضر الصلاة ولا اصيب
الماء فهكذا كانت سيرته ولهذا عظم رسول الله صلى الله عليه وسلم امره فقال اني لاجد نفس الرحمن من
جانب اليمن اشارة اليه ولما ولي عمر رضي الله عنه قال يا ايها الناس من كان منكم من العراق فليقم
قال فقاموا فقال اجلسوا الا من كان من اهل الكوفة فجلسوا فقال اجلسوا الا من كان من مراد فجلسوا

فقال الا اجلسوا الا من كان من قرن فجلسوا كلهم الا رجلا واحدا فقال له عمر اقرني انت فقال نعم فقال
تعرف اويس بن عامر القرني فوصفه له فقال نعم وما تسأل عن ذلك يا امير المؤمنين والله ما فينا
احمق منه ولا اجن منه ولا ابخس منه فبكى عمر ثم قال ما قلت الا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول يدخل الجنة في شفاعته مثل ربيعة ومضر فقال هرم بن حيان لما سمعت هذا القول من
عمر قدمت الكوفة فلم يكن لي هم الا ان اطلب اويسا القرني واسأل عنه حتى سقطت عليه جالسا على
شاطئ الفرات نصف النهار يتوضأ ويغسل ثوبه قال فعرفته بالنعت الذي نعت لي فاذا رجل لحيم
شديد الادمة محلوق الرأس كث اللحية متغير جدا كريه الوجه مهيب المنظر قال فسلمت عليه
فرد علي ونظر الي فقلت حياك الله من رجل ومددت يدي لاصافحه فابى ان يصافحني فقلت رحمك
الله يا اويس وغفر لك كيف انت رحمك الله ثم خنقتني العبرة من حبي اياه ورقتي اياه اذ رأيت
من حاله ما رأيت حتى بكيت وبكى وانت فحياك الله يا هرم بن حيان كيف انت يا اخي ومن دلك علي
قال قلت الله قال لا اله الا الله سبحان الله ان كان وعد ربنا لمفعولا قال فتعجبت حين عرفني ولا والله
ما رأيته قبل ذلك ولا رآني فقلت له من اين عرفت اسمي واسم ابي وما رأيتك قبل اليوم فقال نبأني
العليم الخبير وعرفت روحي روحك حين كلمت نفسي نفسك ان الارواح لها انفس كانفس الاجساد وان
المؤمنين ليعرف بعضهم بعضا ويتحابون بروح الله وان لم يلتقوا يتعارفون ويتكلمون
وان نأت بهم الدار وتفرقت بهم المنازل قال قلت حدثني رحمك الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
بحديث اسمعه منك قال اني لم ادرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تكن لي معه صحبة بابي وامي
رسول الله ولكن رأيت رجالا صحبوه وبلغني من حديثه نحو ما بلغك ولست احب ان افتح هذا الباب
على نفسي ان اكون محدثا او مفتيا او قاضيا في نفسي شغل عن الناس يا هرم بن حيان فقلت يا اخي
اقرأ علي آية من القرآن اسمعها منك وادع لي بدعوة واوصني بوصية احفظها عنك فاني احبك في الله
حبا شديدا قال فقام واخذ بيدي على شاطئ الفرات ثم قال اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان
الرجيم ثم بكى ثم قال قال ربي والحق قول ربي واصدق الحديث حديثه واصدق الكلام كلامه
عز وجل ثم قرأ وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم
لا يعلمون حتى انتهى الى قوله تعالى انه هو العزيز الرحيم فشهق شهقة ظننا انه قد غشي عليه ثم قال
يا هرم بن حيان مات ابوك حيان واوشك ان تموت فاما الى جنة واما الى نار ومات ابوك آدم وماتت
امك حواء ومات نوح ومات ابراهيم خليل الرحمن ومات موسى نجي الله يا ابن حيان ومات داود خليفة
الرحمن ومات محمد صلى الله عليه وسلم ومات ابو بكر خليفة المسلمين ومات عمر اخي وصفيي ثم قال يا عمراه
يا عمراه قال فقلت رحمك الله ان عمر لم يمت قال فقد نعاه الي ربي ونعى الي نفسي ثم قال انا وانت
في الموتى كأن قد كان ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم دعا بدعوات خفيات ثم قال هذه وصيتي
اياك يا هرم بن حيان كتاب الله عز وجل وسبيل الصالحين المؤمنين فقد نعيت الي نفسي ونفسك
عليك بذكر الموت لا يفارق قلبك طرفة عين ما بقيت وانذر قومك اذا رجعت اليهم وانصح للامة
جميعا واياك ان تفارق الجماعة قيد شبر فتفارق دينك وانت لا تعلم فتدخل النار يوم القيامة ادع لي
ولنفسك ثم قال اللهم ان هذا يزعم انه يحبني فيك وزارني من اجلك فعرفني وجهه في الجنة وادخله في
دارك دار السلام واحفظه في الدنيا حيثما كان وضم اليه ضيعته وارضه من الدنيا باليسير

وما اعطيته من الدنيا فيسره له تيسيرا واجعله لما اعطيته من نعمائك من الشاكرين واجزه عني خير الجزاء ثم قال
استودع الله دينك يا هرم بن حيان والسلام عليك ورحمة الله لا اراك بعد اليوم رحمك الله ان
تطلبني فاني اكره الشهرة والوحدة احب الي اني كثير الهم شديد الغم مع هؤلاء الناس حيا فلا تسأل
عني ولا تطلبني واعلم انك مني على بال وان لم ارك وترني فاذكرني وادع لي وانا ساذكرك وادعو لك ان
شاء الله انطلق انت هاهنا حتى انطلق انا هاهنا فحرصت ان امشي معه ساعة فابى علي وفارقته
فبكى وابكاني فجعلت انظر في قفاه حتى دخل بعض السكك فسألت عنه بعد ذلك فما وجدت احدا
يخبرني عنه بشيء رحمه الله وغفر له فهكذا كانت سيرة ابناء الآخرة المعرضين عن الدنيا وقد عرفت
مما سبق في بيان الدنيا ومن سير الانبياء والاولياء ان حد الدنيا كل ما اظلته الخضراء واقلته الغبراء الا ما كان لله تعالى
من ذلك وضد الدنيا الآخرة وهو كل ما اريد به الله تعالى مما يأخذه العبد بالضرورة من الدنيا
لاجل قوة طاعة الله تعالى ليس من الدنيا ويتبين هذا بمثال وهو ان الحاج اذا حلف في طريق الحج ان لا يشتغل
بغير الحج بل يتجرد له ثم اشتغل بحفظ الزاد وعلف الجمل وخرز الراوية وكل ما لا بد للحج منه لم يحنث
في يمينه ولم يكن مشغولا بغير الحج فكذلك البدن مركب النفس يقطع به مسافة العمر فتعهد البدن
بما يبقى قوته على سلوك الطريق بالعلم والعمل وهو من الآخرة لا من الدنيا نعم اذا قصد تلذذ البدن
وتنعمه بشيء من هذه الاسباب كان منحرفا عن الآخرة ويخشى على قلبه القسوة قال الطنافسي كنت
على باب بني شيبة في المسجد سبعة ايام طاويا فسمعت الليلة الثامنة مناديا بين اليقظة والنوم
الا من اخذ من الدنيا اكثر مما يحتاج اليه اعمى الله تعالى عين قلبه فهذا بيان حقيقة الدنيا في حقك

بيان ماهية الدنيا في نفسها

واشغالها التي استغرقت هم الخلق حتى انستهم انفسهم
وخالقهم ومصدرهم وموردهم اعلم ان الدنيا عبارة عن اعيان موجودة وللانسان فيها حظ وله في
اصلاحها شغل فهذه ثلاثة امور وقد يظن ان الدنيا عبارة عن آحادها وليس كذلك اما الاعيان
الموجودة التي الدنيا عبارة عنها فهي الارض وما عليها قال الله عز وجل انا جعلنا ما على الارض زينة
لها لنبلوهم ايهم احسن عملا فالارض فراش للآدميين ومهاد ومسكن ومستقر وما عليها لهم ملبس
ومطعم ومشرب ومنكح ويجمع ما على الارض ثلاثة اقسام المعادن والنبات والحيوان اما النبات
فيطلبه الآدمي للاقتيات والتداوي واما المعادن فيطلبها الآدمي للآلات والاواني كالنحاس والرصاص
او للنقد كالذهب والفضة ولغير ذلك من المقاصد واما الحيوان فينقسم الى الانسان والبهائم
اما البهائم فيطلب لحومها للاكل وظهورها للمركب والزينة واما الانسان فقد يطلب الآدمي ان
يملك ابدان الناس ليستخدمهم ويسخرهم كالغلمان او ليتمتع بهم كالجواري والنسوان ويطلب
قلوب الناس ليملكها بان يغرس فيها التعظيم والاكرام وهو الذي يعبر عنه بالجاه ومعنى الجاه
ملك قلوب الآدميين فهذه هي الاعيان التي يعبر عنها بالدنيا وقد جمعها الله تعالى في قوله تعالى
زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة وهذا
من الجواهر والمعادن وفيه تنبيه على غيرها من اللآلئ واليواقيت والخيل المسومة والانعام وهي
البهائم والحيوانات والحرث وهو النبات والزرع فهذه اعيان الدنيا الا ان لها مع العبد علاقتان
علاقة مع القلب وهو حبه لها وحظه منها وانصراف همه اليها حتى يصير قلبه كالعبد او المحب
المستهتر بالدنيا ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات القلب المتعلقة بالدنيا كالكبر والغل

الحقد والرياء والسمعة وسوء الظن والمداهنة وحب الثناء والتكاثر والتفاخر وهي هذه الدنيا الباطنة
واما الظاهرة فهي الاعيان التي ذكرناها العلاقة الثانية مع البدن وهي اشتغاله باصلاح هذه الاعيان
لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره وهي جملة الصناعات والحرف التي الخلق مشغولون بها والخلق انما نسوا انفسهم
ومنقلبهم ومآبهم بالدنيا لهاتين العلاقتين علاقة القلب بالحب وعلاقة البدن بالشغل ولو
عرف نفسه وعرف ربه وعرف حكمة الدنيا وسرها علم ان هذه الاعيان التي سميناها دنيا لم تخلق الا لعلف
الدابة التي يسير بها الى الله تعالى واعني بالدابة البدن فانه لا يبقى الا بمطعم وملبس ومسكن كما لا يبقى الابل في
طريق الحج الا بعلف وماء وجلال ومثال العبد في نسيانه نفسه ومقصده مثال الحاج الذي يقف في
منازل الطريق ولا يزال يعلف الناقة ويتعهدها وينظفها ويكسوها الوان الثياب ويحمل اليها الوان الحشيش
ويبرد لها الماء بالثلج حتى تفوته القافلة وهو غافل عنها وعن الحج وعن مرور القافلة وعن بقائه في البادية
فريسة للسباع هو وناقته والحاج البصير لا يهمه من امر الجمل الا القدر الذي يقوى به على المشي فيتعهده
وقلبه الى الكعبة والحج وانما يلتفت الى الناقة بقدر الضرورة كما لا يدخل بيت الماء الا بالضرورة ولا فرق
بين ادخال الطعام في البطن وبين اخراجه من البطن في ان كل واحد منهما ضرورة البدن ومن همته ما يدخل
في بطنه فقيمته ما يخرج من بطنه واكثر ما شغل الناس عن الله تعالى هو البطن فان القوت ضروري واما
المسكن والملبس فهو اهون ولو عرفوا سبب الحاجة الى هذه الامور واقتصروا عليها لم تستغرقهم اشغال الدنيا
وانما استغرقتهم لجهلهم بالدنيا وحكمتها وحظوظهم منها ولكنهم جهلوا وغفلوا وتتابعت اشغال
الدنيا واتصل بعضها ببعض وتداعت الى غير نهاية محدودة فتاهوا في كثرة الاشغال ونسوا مقاصدها
ونحن نذكر تفاصيل اشغال الدنيا وكيفية حدوث الحاجة اليها وكيفية غلط الناس في مقاصدها حتى يتضح
لك ان اشغال الدنيا كيف صرفت الخلق عن الله تعالى وكيف انستهم عاقبة امورهم فنقول الاشغال الدنيوية
هي الحرف والصناعات والاعمال التي ترى الخلق منكبين عليها وسبب كثرة الاشتغال ان الانسان هو
مضطر الى ثلاث القوت والمسكن والملبس فالقوت للغذاء والبقاء والملبس لدفع الحر والبرد والمسكن لدفع
الحر والبرد ولدفع اسباب الهلاك عن المال والاهل ولم يخلق الله تعالى القوت والملبس مصلحا بحيث يستغني
عن صنعة الانسان فيه نعم خلق ذلك للبهائم فان النبات يغذي الحيوان من غير طبخ والحر والبرد لا يؤثر
في بدنه فيستغني عن البناء ويقنع بالصحراء ولباسها شعورها وجلودها فتستغني عن اللباس والانسان
ليس كذلك فحدثت الحاجة لذلك الى خمس صناعات هي اصول الصناعات واوائل الاشغال الدنيوية
وهي الفلاحة والرعاية والاقتناص والحياكة والبناء اما البناء فللمسكن والحياكة وما يكتنفها من امر الغزل
والخياطة فللملبس والفلاحة للمطعم والرعاية للمواشي والخيل ايضا للمطعم والمركب والاقتناص نعني به تحصيل
ما خلقه الله تعالى من صيد او معدن او حشيش او حطب فالفلاح يحصل النبات والراعي يحفظ الحيوانات
ويستنتجها والمقتنص يحصل ما نبت ونتج بنفسه من غير صنع ادمي وكذلك يأخذ من معادن
الارض ما خلق فيها من غير صنعة ادمي ونعني بالاقتناص ذلك ويدخل تحته صناعات واشغال عدة ثم هذه
الصناعات افتقرت الى ادوات وآلات كالحياكة والفلاحة والبناء والاقتناص والآلات تؤخذ اما من
النبات كالخشب واما من المعادن كالحديد والرصاص وغيرهما او من جلود الحيوانات فحدثت الحاجة الى ثلاثة
انواع اخر من الصناعات النجارة والحدادة والخرز وهؤلاء هم عمال الآلات ونعني بالنجارة كل عامل عمل
الخشب كيفما كان وبالحداد كل من يعمل من جواهر الارض حتى النحاس والابر وغيرهما وغرضنا ذكر الاجناس

فاما الآحاد فكثيرة واما الخراز فنعني به كل عامل عمل في جلود الحيوانات واجزائها فهذه امهات الصناعات
ثم ان الانسان خلق بحيث لا يعيش وحده بل يضطر الى الاجتماع مع غيره من جنسه وذلك لسببين احدهما
حاجته الى النسل لبقاء جنس الانسان ولا يكون ذلك الا باجتماع الذكر والانثى وعشرتهما والثاني التعاون
على تهيئة اسباب المطعم ولتربية الولد فان الاجتماع يفضي الى الولد لا محالة والواحد لا يشتغل بحفظ الولد
وتهيئة اسباب القوت ثم ليس يكفيه الاجتماع مع الاهل والولد في المنزل بل لا يمكنه ان يعيش كذلك ما لم
تجتمع طائفة كثيرة ليتكفل كل واحد بصناعة فان الشخص الواحد كيف يتولى الفلاحة وحده وهو يحتاج
الى آلاتها وتحتاج الآلة الى حداد ونجار ويحتاج الطعام الى طحان وخباز وكذلك كيف ينفرد بتحصيل
الملبس وهو يفتقر الى حراسة القطن وآلات الحياكة وآلات كثيرة فلذلك امتنع عيش الانسان وحده وحدثت
الحاجة الى الاجتماعات ثم لو اجتمعوا في صحراء مكشوفة لتأذوا بالحر والبرد واللصوص فافتقروا الى ابنية
محكمة ومنازل ينفرد كل اهل بيت به وبما معه من الآلات والاثاث والمنازل تدفع الحر والبرد وتدفع
اذى الجيران عن اللصوص ولكن جميع المنازل قد يقصدها جماعة من اللصوص خارج المنزل فافتقر اهل المنازل
الى التناصر والتعاون والتحصن بسور يحيط بجميع المنازل فحدثت البلاد لهذه الضرورة ثم مهما اجتمع
الناس في المنازل والبلاد وتعاملوا تولدت بينهم خصومات اذ تحدث رياسة وولاية الزوج على الزوجة
وولاية الابوين على الولد لانه ضعيف يحتاج الى القيام به ومهما حصلت الولاية على عاقل افضى الى الخصومة بخلاف
الولاية على البهائم اذ ليس لها قوة المخاصمة وان ظلمت واما المرأة فتخاصم الزوج والولد يخاصم الابوين هذا في المنزل
واما اهل البلد ايضا فيتعاملون في الحاجات ويتنازعون فيها ولو تركوا كذلك لتقاتلوا وهلكوا وكذلك
الرعاة وارباب الفلاحة يتواردون على المراعي والارضين والمياه وهي لا تفي باغراضهم فيتنازعون لا محالة
ثم قد يعجز بعضهم عن الفلاحة والصناعة بعمى او مرض او هرم وتعرض عوارض مختلفة ولو ترك
ضائعا لهلك ولو وكل تفقده الى الجميع لتخاذلوا ولو خص واحد من غير سبب يخصه لكان لا يذعن له فحدث
بالضرورة من هذه العوارض الحاصلة بالاجتماع صناعات اخرى فمنها صناعة المساحة التي بها تعرف
مقادير الارض لتمكن القسمة بينهم بالعدل ومنها صناعة الجندية لحراسة البلد بالسيف ودفع اللصوص
عنهم ومنها صناعة الحكم والتوصل لفصل الخصومة ومنها الحاجة الى الفقه وهو معرفة القانون
الذي ينبغي ان يضبط به الخلق ويلزموا الوقوف على حدوده حتى لا يكثر النزاع وهو معرفة حدود الله
تعالى في المعاملات وشروطها فهذه امور سياسية لا بد منها ولا يشتغل بها الا مخصوصون بصفات
مخصوصة من التمييز والعلم والهداية واذا اشتغلوا بها لم يتفرغوا لصناعة اخرى ويحتاجون الى المعاش
ويحتاج اهل البلد اليهم اذ لو اشتغل اهل البلد بالحرب مع الاعداء مثلا لتعطلت الصناعات ولو اشتغل
اهل الحرب بالصناعات لطلب القوت تعطلت البلاد عن الحراس واستضر الناس فمست الحاجة الى ان
تصرف الى معايشهم الاموال الضائعة التي لا مالك لها ان كانت او تصرف اليهم الغنائم ان كانت
العداوة مع الكفار فان كانوا اهل ديانة وورع قنعوا بالقليل من اموال المصالح وان ارادوا التوسع فتمس
الحاجة لا محالة الى ان يمدهم اهل البلد باموالهم ليمدوهم بالحراسة فتحدث الحاجة الى الخراج ثم يتولد
بسبب الحاجة الى الخراج الحاجة الى صناعات اخر ويحتاج الى من يوظف الخراج الحاجة الى صناعات اخر ويحتاج
الى من يوظف الخراج بالعدل على الفلاحين وارباب الاموال وهم العمال والى من يستوفي منهم بالرفق وهم
الجباة والمستخرجون والى من يجمع عنده ليحفظه الى وقت التفرقة وهم الخزان والى من يفرق عليهم

الى المعدل وهو العارض للعساكر وهذه الاعمال لو تولاها عدد لا يجمعهم رابط لانخرم النظام فتحدث
منه الحاجة الى ملك يدبرهم وامير مطاع يعين لكل عمل شخصا ويختار لكل واحد ما يليق به ويراعي
النصفة في اخذ الخراج واعطائه واستعمال الجند في الحرب وتوزيع اسلحتهم وتعيين جهات
الحرب ونصب الامير والقائد على كل طائفة منهم الى غير ذلك من صناعات الملك فيحدث
من ذلك بعد الجند الذين هم اهل السلاح وبعد الملك الذي يتولاهم بالعين الكالئة والتدبير
الكتاب والخزان والحساب والعمال ثم هؤلاء ايضا يحتاجون الى معيشة ولا يمكنهم الاشتغال
بالحرف فيحدث الحاجة الى مال الفرع ومال الاصل هو المسمى فرع الخراج وعند هذا يكون الناس
في الصناعات ثلاث طوايف الفلاحون والرعاة والمحترفون والثاني الجندية الحماة لهم بالسيوف
والثالث المترددون بين الطائفتين في الاخذ والاعطاء وهم العمال والجباة واشباههم فانظر
كيف ابتدا الامر من حاجة القوت والمسكن والملبس والى ماذا انتهى وهكذا امور الدنيا لا يفتح
منها باب الا وينفتح بسببه عشرة ابواب اخر وهكذا تتناهى الى حد غير محصور وكانها هاوية لا نهاية
لعمقها من وقع في مهواة منها سقط منها الى اخرى وهكذا على التوالي فهذه الحرف والصناعات
الا انها لا تتم الا باموال والات والمال عبارة عن اعيان الارض وما عليها مما ينتفع بها واعلاها
الاغذية ثم الامكنة التي ياوي اليها الانسان وهي الدور ثم الامكنة التي يسعى فيها للتعيش
كالحوانيت والاسواق والمزارع ثم الكسوة ثم اثاث البيت والاته ثم الات الالات وقد يكون في الالات
ما يكون حيوانا كالكلب الة الصياد والبقر الة الحراثة والفرس الة الحرب ثم يحدث من ذلك حاجة
البيع فان الفلاح ربما يسكن قرية ليس فيها الة الفلاحة والحداد والنجار يسكنان قرية لا يمكن
فيها الزراعة فبالضرورة يحتاج الفلاح اليهما ويحتاجان الى الفلاح فيحتاج احدهما ان يبذل
ما عنده للاخر حتى ياخذ منه غرضه وذلك بطريق المعاوضة الا ان النجار مثلا اذا طلب من
الفلاح الغذا بالته ربما لا يحتاج الفلاح في ذلك الوقت الى الته فلا يبيعه والفلاح في ذلك
الوقت الى الالة فلا يبيعه والفلاح اذا طلب الالة من النجار بالطعام ربما كان عنده طعام في
ذلك الوقت فلا يحتاج اليه فتتعوق الاغراض فاضطروا الى حانوت يجمع الة كل صناعة ليترصد بها
صاحبها ارباب الحاجات والى انبار يجمع اليها ما يحمله الفلاحون فيشتريه منهم صاحب الانبار
ليترصد بها ارباب الحاجات فظهرت لذلك الاسواق والمخازن فيحمل الفلاح الحبوب فاذا لم يصادف
محتاجا باعها بثمن رخيص من الباعة فيخزنونها في انتظار ارباب الحاجات طمعا في الربح
وكذلك في جميع الامتعة والاموال ثم يحدث لا محالة بين البلاد والقرى تردد فيتردد
الناس يشترون من القرى ومن البلاد الالات وينقلون ويتعيشون به لتنتظم امور البلاد
بسببهم اذ كل بلد ربما يوجد فيها كل الة وكل قرية لا يوجد فيها كل طعام والبعض يحتاج
الى البعض فيحوج الى النقل فيحدث التجار المتكفلون بالنقل وباعثهم عليه حرص جمع المال
فيتعبون طول الليل والنهار في الاسفار لاغراض غيرهم ونصيبهم منه جمع المال الذي ياكله
لا محالة غيرهم اما قاطع طريق واما سلطان ظالم ولكن جعل الله عز وجل في غفلتهم وجهلهم نظاما
للبلاد ومصلحة للعباد بل جميع امور الدنيا انتظمت بالغفلة وخسة الهمة ولو عقل الناس وارتفعت
هممهم لزهدوا في الدنيا ولو فعلوا ذلك لبطلت المعايش ولو بطلت لهلكوا ولهلك الزهاد ايضا

ثم هذه الاموال تثقل ولا يقدر الانسان على حملها فيحتاج الى دواب يحملها وصاحب المال قد لا يملك
الدابة فتحدث معاملة بينه وبين مالك الدابة تسمى الاجارة ويصير الكرى نوعا من الاكتساب ايضا
ثم يحدث بسبب البياعات الحاجة الى النقدين فان من يريد ان يشتري طعاما بثوب فمن اين يدري
المقدار الذي يساويه من الطعام كم هو والمعاملة تجري في اجناس مختلفة كما يباع ثوب
بطعام وهذه امور لا تتناسب فلا بد من حاكم عدل يتوسط بين المتبايعين يعدل احدهما بالاخر
فيطلب ذلك العدل من اعيان الاموال ثم يحتاج الى ما يطول بقاؤه ثم الحاجة اليه تدوم
وابقى الاموال ثم يحتاج الى ما يطول بقاؤه ثم الحاجة اليه تدوم وابقى الاموال المعادن فاتخذت
النقود من الذهب والنحاس ثم مست الحاجة الى الضرب والنقش والنقد ثم حدثت الحاجة
الى دار الضرب والى الصيارفة وهكذا تتداعى الاشغال والاعمال بعضها بعضا الى بعض
حتى انتهت الى ما تراه فهذه اشغال الخلق وهي معايشهم وشيء من هذه الحرف لا يمكن مباشرتها
الا بنوع تعلم وتعب في الابتداء ومن الناس من يغفل عن ذلك في الصبا فلا يشتغل به او يمنعه
منه مانع فيبقى عاجزا عن الاكتساب لعجزه عن الحرف فيحتاج ان ياكل مما يسعى فيه غيره فيحدث
فيه حرفتان خسيستان اللصوصية والكدية اذ يجمعهما انهما ياكلان من سعي غيرهما
ثم ان الناس يحترزون من اللصوص والمكدين ويحفظون عنهم اموالهم فافتقروا الى
صرف عقولهم الى استنباط الحيل والتدابير اما اللصوص فمنهم من يطلب اعوانا ويكون في
يديه شوكة وقوة فيجتمعون ويتكاثرون ويقطعون الطريق كالاعراب والاكراد واما الضعفاء منهم
فيفزعون الى الحيل اما بالنقب والتسلق عند انتهاز فرصة الغفلة واما ان يكون طرارا
او سلالا الى غير ذلك من انواع التلصص الحادثة بحسب ما تنتجه الافكار المصروفة الى
استنباطها واما المكدي فانه اذا طلب ما سعى فيه غيره وقيل له اتعب واعمل كما عمل غيرك فما لك
والبطالة فلا يعطى شيئا فافتقروا الى حيلة في استخراج الاموال وتمهيد العذر لانفسهم في البطالة فاحتالوا
للتعلل بالعجز اما بالحقيقة كجماعة يعمون اولادهم وانفسهم بالحيلة ليعذروا بالعمى واما
بالتعامي والتفالج والتجانن والتمارض واظهار ذلك بانواع من الحيل مع بيان ان تلك محنة
اصابت من غير استحقاق ليكون ذلك سبب الرحمة وجماعة يلتمسون اقوالا وافعالا يتعجب
الناس منها حتى تنبسط قلوبهم عند مشاهدتها فيسخوا برفع اليد عن قليل من المال
في حال التعجب ولا ينفع الندم وذلك قد يكون بالتمسخر والمحاكاة والشعبدة والافعال المضحكة
وقد يكون بالاشعار الغريبة او الكلام المنثور المسجع مع حسن الصوت والشعر الموزون
اشد تاثيرا في النفس لا سيما اذا كان فيه تعصب يتعلق بالمذاهب كاشعار مناقب الصحابة
وفضائل اهل البيت والذي يحرك داعية العشق من اهل المجانة كصنعة الطبالين في الاسواق
وبتسليم ما يشبه العوض وليس بعوض كبيع التعويذات والحشيش الذي يتخيل بائعه انها ادوية
فيخدع بها الصبيان وكاصحاب القرعة والفال من المنجمين ويدخل في هذا الجنس الوعاظ
المكدون على رؤس المنابر اذ لم يكن وراءهم طائل علمي وكان غرضهم استمالة قلوب العوام واخذ
اموالهم وانواع الكدية تزيد على الالف والالفين وكل ذلك استنبط بدقيق الفكر لاجل
المعيشة فهذه اشغال الخلق واعمالهم التي اكبوا عليها وجرهم الى ذلك كله الحاجة الى القوت

والكسوة ولكن نسوا في اثناء ذلك انفسهم ومقصودهم ومنقلبهم ومالهم فضلوا وتاهوا وسبق الى عقولهم
الضعيفة بعد ان كدرتها زحمة اشغال الدنيا خيالات فاسدة فانقسمت مذاهبهم واختلفت اراؤهم
على عدة اوجه وطائفة غلبهم الجهل والغفلة فلم تنفتح اعينهم للنظر الى عاقبة امورهم فقالوا المقصود
ان نعيش اياما في الدنيا فنجتهد حتى نكتسب القوت ثم ناكل حتى نقوى على الكسب ثم نكتسب حتى ناكل فياكلون
ليكتسبوا ويكتسبون لياكلوا وهذا مذهب الفلاحين والمحترفين ومن ليس له تنعم في الدنيا ولا قدم في الدين
فانه يتعب نهارا لياكل ليلا وياكل ليلا ليتعب نهارا وذلك كسير السواني فهو سفر لا ينقطع الا بالموت و
طائفة اخرى زعموا انهم تفطنوا للامر وهو انه ليس المقصود ان يشقى الانسان بالعمل ولا يتنعم في الدنيا
بل السعادة في ان يقضي وطره من شهوة الدنيا وهو شهوة البطن والفرج فهؤلاء نسوا انفسهم وصرفوا هممهم
الى اتباع النسوان وجمع لذائذ الاطعمة ياكلون كما تاكل الانعام ويظنون انهم اذا نالوا ذلك فقد ادركوا غاية
السعادة فشغلهم ذلك عن الله تعالى وعن اليوم الاخر وطائفة ظنوا ان السعادة في كثرة المال والاستغنا
بكثرة الكنوز فاسهروا ليلهم ونهارهم في الجمع فهم يتعبون في الاسفار طول النهار ويترددون في الاعمال
الشاقة ويكتسبون ويجمعون ولا ياكلون الا قدر الضرورة شحا وبخلا عليها ان تنقص وهذه لذتهم في ذلك
دابهم وحركتهم الى ان يدركهم الموت فيبقى تحت الارض او يظفر به من ياكله في الشهوات واللذات فيكون للجامع
تعبها ووبالها وللاكل لذتها ثم الذين يجمعون ينظرون الى امثال ذلك ولا يعتبرون وطائفة ظنوا ان
السعادة في حسن الاسم وانطلاق الالسنة بالمدح والثناء والمدح بالتجمل والمروءة فهؤلاء يتعبون في كسب
المعايش ويضيقون على انفسهم في المطعم والمشرب ويصرفون جميع اموالهم الى الملابس الحسنة والدواب
النفيسة ويزخرفون ابواب الدور وما يقع عليه ابصار الناس حتى يقال انه غني وانه ذو ثروة ويظنون
ان ذلك هو السعادة فهمتهم في ليلهم ونهارهم في تعهد موقع نظر الناس وطائفة اخرى ظنوا ان
السعادة في الجاه والكرامة بين الناس وانقياد الخلق بالتواضع والتوقير فصرفوا هممهم الى استجرار
الناس الى الطاعة بطلب الولايات وتقلد الاعمال السلطانية لينفذ امرهم بها في طائفة من الناس
ويرون انهم اذا اتسعت ولايتهم وانقادت لهم رعاياهم فقد سعدوا سعادة عظيمة وان ذلك غاية
المطلب وهذا اغلب الشهوات على قلوب المتغافلين من الناس فهؤلاء شغلهم حب تواضع الناس لهم عن
التواضع لله تعالى وعن عبادته وعن التفكر في اخرتهم ومعادهم ووراء هؤلاء طوائف يطول حصرها يزيدوا على نيف
وسبعين فرقة كلهم ضلوا واضلوا عن سواء السبيل وانما جرهم الى ذلك كله حاجة المطعم والملبس فنسوا
ما يراد له الامور الثلاثة والقدر الذي يكفي منها وانجرت بهم اوائل اسبابها الى اواخرها وتداعى بهم الى مهاو
لم يمكنهم الرقي منها فمن عرف وجه الحاجة من هذه الاسباب والاشغال وعرف غاية المقصود منها
فلا يخوض في شغل وحرفة وعمل الا وهو عالم بمقصوده وعالم بحظه ونصيبه منه وان غاية مقصوده تعهد
بدنه بالقوت والكسوة حتى لا يهلك وذلك ان سلك فيه سبيل التقليل اندفعت الاشغال وفرغ القلب
وغلب عليه ذكر الاخرة وانصرفت الهمة الى الاستعداد له وان تعدى قدر الضرورة كثرت الاشغال وتداعى
البعض الى البعض وتسلسل الى غير نهاية فتتشعب به الهموم ومن تشعبت به الهموم في اودية الدنيا فلا
يبالي الله تعالى في اي واد اهلكه منها فهذا شان المنهمكين في اشغال الدنيا وتنبه لهذا طائفة
فاعرضوا عن الدنيا فحسدهم الشيطان ولم يتركهم واضلهم في الاعراض ايضا حتى انقسموا الى طوائف فظنت
طائفة ان الدنيا دار بلاء ومحنة وان الاخرة دار سعادة لكل من وصل اليها سواء تعبد في الدنيا او لم يتعبد

فراوا ان الصواب ان يقتلوا انفسهم للخلاص من محنة الدنيا واليه ذهب طوايف من الهند وهم
يتهجمون على النار ويقتلون انفسهم بالاحراق ويظنون ان ذلك خلاص لهم من محن الدنيا وظنت طائفة
اخرى ان القتل لا يخلص بل لا بد اولا من اماتة الصفات البشرية وقلعها عن النفس بالكلية وان
السعادة في قطع الشهوة والغضب ثم اقبلوا على المجاهدة وشددوا على انفسهم حتى هلك بعضهم
بشدة الرياضة وبعضهم فسد عقله وجن وبعضهم مرض وانسدت عليه طرق العبادة وبعضهم
عجز عن قمع الصفات بالكلية فظن ان ما كلفه الشرع محال فان الشرع تلبيس لا اصل له فوقع في الالحاد
وظهر لبعضهم ان هذا التعب كله لله تعالى وان الله تعالى مستغن عن عبادة العباد لا ينقصه
عصيان عاص ولا تزيده عبادة عابد فعادوا الى الشهوات وسلكوا مسلك الاباحة وطووا بساط
الشرع والاحكام وزعموا انه ارتفع محلهم في معرفة الله تعالى عن ان يمتهنوا بالتكاليف وانما التكاليف
على عوام الخلق ووراء هذا مذاهب باطلة وضلالات هائلة يطول احصاؤها الى ان يبلغ نيفا
وسبعين فرقة وانما الناجي منها فرقة واحدة وهو ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
رضي الله عنهم وهو لا يترك الدنيا بالكلية ولا يقمع الشهوات بالكلية اما الدنيا فياخذ منها قدر
الزاد واما الشهوات فيقمع منها ما يخرج عن طاعة الشرع والعقل فلا يتبع كل شهوة ولا يترك كل
شهوة بل يتبع العدل ولا يترك كل شيء من الدنيا بل يعلم مقصود كل ما خلق من الدنيا ويحفظه على حد
مقصوده فياخذ من القوت ما يقوى به البدن على العبادة ومن المسكن ما يحفظه عن اللصوص والحر
والبرد ومن الكسوة كذلك حتى اذا فرغ القلب من شغل البدن اقبل على الله تعالى بكنه همه واشتغل بالفكر
والذكر وطول العمر وبقي ملازما لسياسة الشهوات ومراقبا لها حتى لا يجاوز حدود الورع والتقوى
ولا يعلم تفصيل ذلك الا بالاقتداء بالفرقة الناجية والفرقة الناجية هم الصحابة فانه لما قال
صلى الله عليه وسلم الناجية منها واحدة قالوا يا رسول الله ومن هم قال ما انا عليه واصحابي وقد كانوا
على منهج القصد وعلى السبيل الذي فصلناه من قبل فانهم ما كانوا ياخذون الدنيا للدنيا بل للدين وما
كانوا يترهبون ويتركون الدنيا بالكلية وما كان لهم في الامور تفريط وافراط بل كان بين ذلك قواما
وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين وهو احب الامور الى الله تعالى كما سبق ذكره في مواضع والحمد لله
وحده تم كتاب ذم الدنيا وهو السادس من ربع المهلكات ويتلوه ان شاء الله تعالى كتاب ذم المال
وهو الكتاب السابع من ربع المهلكات والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الحمد لله الذي مستوجب الحمد برزقه المبسوط وكاشف الضر بعد القنوط الذي خلق الخلق ووسع
الرزق وافاض على العالمين اصناف الاموال وابتلاهم فيها بتقلب الاحوال وردّدهم فيها بين العسر واليسر
والغنى والفقر والطمع والياس والثروة والافلاس والعجز والاستطاعة والحرص والقناعة والبخل
والجود والفرح بالموجود والاسف على المفقود والايثار والانفاق والتوسع والاملاق والتبذير
والتقتير والرضا باليسير واستحقار الكثير كل ذلك ليبلوهم ايهم احسن عملا ولينظر ايهم آثر
الدنيا على الاخرة بدلا وابتغى عن الاخرة عدولا وحولا واتخذ الدنيا ذخيرة وخولا والصلاة على محمد الذي

نسخ بملته مللا وطوى بشريعته أديانا ونحلا وعلى آله وأصحابه الذين سلكوا سبيل ربهم ذللا وسلم تسليما كثيرا
أما بعد فإن فتن الدنيا كثيرة الشعب والأطراف واسعة الأرجاء والأكناف ولكن الأموال أعظم
فتنها وأطم محنها وأعظم فتنة فيها أنه لا غنى لأحد عنها ثم إذا وجدت فلا سلامة منها فإن فقدت
حصل منها الفقر الذي يكاد يكون كفرا وإن وجدت حصل منها الطغيان الذي لا يكون عاقبته إلا الخسران
وبالجملة فهي لا تخلو من الفوائد والآفات وفوائدها من المنجيات وآفاتها من المهلكات وتمييز خيرها
من شرها من المعوصات التي لا يقوى عليها إلا ذوو البصائر في الدين من العلماء الراسخين دون المترسمين
المغترين وشرح ذلك مهم على الانفراد فإن ما ذكرناه في كتاب ذم الدنيا لم يكن نظرا في المال خاصة بل في
الدنيا عامة إذ الدنيا تتناول كل حظ عاجل والمال بعض أجزاء الدنيا والجاه بعضها واتباع شهوة البطن
والفرج بعضها وتشفي الغيظ بحكم الغضب والحسد بعضها والكبر وطلب العلو بعضها ولها أبعاض
كثيرة ويجمعها كل ما للإنسان فيه حظ عاجل ونظرنا الآن في هذا الكتاب في المال وحده إذ فيه آفات
وغوائل وللإنسان من فقده صفة الفقر ومن وجوده وصف الغنى وهما حالتان يحصل بهما الاختبار
ثم للفاقد حالتان القناعة والحرص وإحداهما مذمومة والأخرى محمودة وللحريص حالتان طمع فيما في أيدي
الناس وتشمر للحرف والصناعات مع اليأس عن الخلق والطمع شر الحالتين وللواجد حالتان إمساك
بحكم البخل والشح وإنفاق وإحداهما مذموم والآخر محمود وللمنفق حالتان تبذير
واقتصاد والمحمود هو الاقتصاد وهذه أمور متشابهة وكشف الغطاء عن الغموض فيها مهم ونشرحه
في فصول وهي بيان ذم المال ثم مدحه ثم تفصيل فوائد المال وآفاته ثم ذم الحرص والطمع ثم علاج الحرص
والطمع ثم فضيلة السخاء وحكايات الأسخياء ثم ذم البخل وحكايات البخلاء ثم الإيثار وفضله ثم حد
السخاء والبخل ثم علاج البخل ثم مجموع الوظائف في المال ثم ذم الغنى ومدح الفقر

بيان ذم المال وكراهة حبه

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل
ذلك فأولئك هم الخاسرون وقال تعالى إنما أموالكم وأولادكم فتنة وقال سبحانه من كان يريد
الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار
وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون وقال الله تعالى ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر إلى آخر
السورة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب المال والشرف ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل
وقال صلى الله عليه وسلم ما ذئبان ضاريان أرسلا في زريبة غنم بأكثر فسادا فيها من حب الدنيا والمال
والجاه في دين الرجل المسلم وقال عليه السلام هلك الأكثرون إلا من قال به في عباد الله هكذا وهكذا
وقليل ما هم وقيل يا رسول الله أي أمتك شر قال الأغنياء وقال صلى الله عليه وسلم سيأتي بعدي
قوم يأكلون أطايب الدنيا وألوانها وينكحون أجمل النساء وألوانها ويلبسون ألين الثياب وألوانها ويركبون فره الخيل
وألوانها لهم بطون من القليل لا تشبع وأنفس بالكثير لا تقنع عاكفين على الدنيا يغدون ويروحون
إليها اتخذوها آلهة من دون إلههم وربا دون ربهم إلى أمرها ينتهون وهواهم يتبعون فعزيمة من محمد
بن عبد الله لمن أدركه ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم أن لا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم
ولا يتبع جنائزهم ولا يوقر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد أعان على هدم الإسلام وقال صلى الله عليه
وسلم دعوا الدنيا لأهلها فإنه من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حتفه وهو لا يشعر وقال صلى الله
عليه وسلم يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك إلا ما تصدقت فأمضيت أو أكلت فأفنيت أو لبست

فأبليت وقال رجل يا رسول الله ما لي لا أحب الموت قال هل معك مال قال نعم يا رسول الله
قال قدم مالك فإن قلب المؤمن مع ماله إن قدمه أحب أن يلحقه وإن خلفه أحب أن يتخلف
معه وقال صلى الله عليه وسلم أخلاء ابن آدم ثلاثة واحد يتبعه إلى قبض روحه
والثاني إلى قبره والثالث إلى محشره فالذي يتبعه إلى قبض روحه فماله والذي يتبعه
إلى قبره فأهله والذي يتبعه إلى محشره فعمله وقال الحواريون لعيسى عليه السلام ما لك
تمشي على الماء ولا نقدر على ذلك فقال لهم ما منزلة الدينار والدرهم عندكم قالوا حسنة قال
لكنهما عندي والمدر سواء وكتب سلمان إلى أبي الدرداء يا أخي إياك أن تجمع من الدنيا
ما لا تؤدي شكره فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجاء بصاحب الدنيا الذي
أطاع الله تعالى فيها وماله بين يديه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله امض فقد أديت حق الله
تعالى في ثم يجاء بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله تعالى فيها وماله بين كتفيه كلما تكفأ به
الصراط قال له ماله ويلك ألا أديت حق الله تعالى في فما يزال كذلك حتى يدعو بالويل والثبور
وكل ما أوردناه في كتاب الزهد والفقر في ذم الغنى ومدح الفقر يرجع جميعه إلى ذم المال
فلا نطول بتكريره وكذا كل ما ذكرناه في ذم الدنيا فيتناول ذم المال بحكم العموم لأن المال أعظم أركان
الدنيا وإنما نذكر الآن ما ورد في المال خاصة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مات
العبد قالت الملائكة ما قدم وقال الناس ما خلف وقال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا الضيعة
فتحبوا الدنيا الآثار وروي أن رجلا نال من أبي الدرداء وأراه سوءا فقال اللهم من فعل بي
سوءا فأصح جسمه وأطل عمره وأكثر ماله فانظر كيف رأى كثرة المال غاية البلاء مع صحة الجسم
وطول العمر لأنه لا بد أن يفضي إلى الطغيان ووضع علي بن أبي طالب رضي الله عنه درهما على كفه
ثم قال أما إنك ما لم تخرج عني لم تنفعني وروي أن عمر رضي الله عنه أرسل إلى زينب بنت
جحش بعطائها فقالت ما هذا قالوا أرسل إليك عمر رضي الله عنه قالت غفر الله له ثم حلت
سترا كان لها فقطعته صررا وقسمته في أهل بيتها وأيتامها ثم قالت اللهم لا يدركني عطاء
عمر بعد عامي هذا فكانت أول نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوقا به وقال الحسن
والله ما أعز أحد الدرهم إلا أذله الله تعالى وقيل إن أول ما ضرب الدينار والدرهم رفعهما إبليس
ثم وضعهما على جبهته ثم قبلهما وقال من أحبكما فهو عبدي حقا وقال سميط بن عجلان
إن الدنانير والدراهم أزمة المنافقين يقادون بها إلى النار وقال يحيى بن معاذ الدرهم
عقرب فإن لم تحسن رقيته فلا تأخذه فإنه إن لدغك قتلك سمه قيل ما رقيته قال أخذه من
حله ووضعه في حقه وقال العلاء بن زياد تمثلت لي الدنيا وعليها من كل زينة فقلت أعوذ بالله
من شرك قالت فأبغض الدرهم وذلك لأن الدينار والدرهم هما الدنيا كلها إذ يوصل بهما إلى جميع
أصنافها فمن صبر عنهما صبر عن الدنيا ولذلك قيل إني وجدت فلا يظنن غيري هذا الورع
عند هذا الدرهم فإذا قدرت عليه ثم تركته فاعلم بأن تقاك تقى المسلم وقيل لا يغرنك
من المرء قميص رقعه وأن فوق كعب الساق منه رفعه ولكن انظر الدرهم تعرف حبه أو ورعه
وروي عن مسلمة بن عبد الملك أنه دخل على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه عند موته فقال يا أمير
المؤمنين صنعت صنيعا لم يصنعه أحد قبلك تركت ولدك ليس لهم دينار ولا درهم وعنده ثلاثة

عشر من الولد فقال يحسن تعهدوني فيما تعهده فقال اما قولك الحكم انه لم ادع لهم دينارا ولا درهما فاني لم امنعهم
حقا لهم ولم اعطهم حقا لغيرهم وانا ولدي احد رجلين اما مطيع لله فالله كافيه والله يتولى الصالحين
واما عاص فلا ابالي على ما وقع **ويروى ان محمد** بن كعب القرظي اصاب مالا كثيرا فقيل له لو ادخرته
لولدك من بعدك قال لا ولكني ادخره لنفسي عند ربي وادخر ربي لولدي **ويروى** ان رجلا قال لابي
عبد ربه يا اخي لا تذهب بشر وتترك اولادك بخير فخرج ابو عبد ربه من ماله مائة الف درهم وقال
يحيى بن معاذ مصيبتان لم يسمع الاولون والاخرون بمثلهما للعبد في ماله عند موته قيل وما هما قال
يؤخذ منه كله ويسأل عنه كله **بيان مدح المال والجمع بينه وبين الذم** اعلم ان الله تعالى
قد سمى المال خيرا في مواضع فقال سبحانه وتعالى ان ترك خيرا الوصية وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وكلما جاء في ثواب الصدقة والحج فهو ثناء على
المال اذ لا يمكن الوصول اليه الا به وقال سبحانه وتعالى ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وقال
تعالى ممتنا على عباده ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا وقال صلى الله
عليه وسلم كاد الفقر ان يكون كفرا وهو ثناء على المال ولا تقف على وجه الجمع بين المدح والذم الا بان تعرف
حكمة المال ومقصوده وآفاته وغوائله حتى ينكشف لك انه خير من وجه وشر من وجه وانه
محمود من حيث هو خير ومذموم من حيث هو شر فانه ليس بخير محض ولا هو شر محض بل هو سبب الامرين
جميعا وما هو وصفه فيمدح لا محالة مرة ويذم اخرى ولكن البصير المميز يدرك ان المحمود
منه غير المذموم وبيانه بالاستمداد مما ذكرناه في كتاب الشكر من بيان الخيرات وتفصيل درجات
النعم والقدر المقنع فيه ان مقصد الاكياس وارباب البصائر سعادة الاخرة التي هي النعيم
الدائم والملك المقيم والقصد الى هذا دأب الاكياس اذ قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
من اكرم الناس واكيسهم فقال اكثرهم للموت ذكرا واشدهم له استعدادا وهذه السعادات لا
تنال الا بثلاث وسائل في الدنيا وهي الفضائل النفسية كالعلم وحسن الخلق والفضائل البدنية
كالصحة والسلامة والفضائل الخارجة عن البدن كالمال وسائر الاسباب واعلاها النفسية ثم
البدنية ثم الخارجة فالخارجة اخسها والمال من جملة الخارجة وادناها الدنانير والدراهم فانهما
خادمان لا خادم لهما ومرادان لغيرهما ولا يرادان لذاتهما والنفس هي الجوهر النفيس المطلوب
سعادتها فانها تخدم العلم والمعرفة ومكارم الاخلاق لتحصلها صفة في ذاتها والبدن يخدم
النفس بواسطة الحواس والاعضاء والمطاعم والملابس تخدم البدن وقد سبق ان
المقصود من المطاعم ابقاء البدن ومن المناكح ابقاء النسل ومن البدن تكميل النفس وتزكيتها
وتزيينها بالعلم والخلق الحسن ومن عرف هذا الترتيب فقد عرف قدر المال ووجه شرفه وانه
من حيث هو ضرورة المطاعم والملابس التي هي ضرورية بقاء البدن الذي هو ضرورة كمال النفس
خير ومن عرف فائدة الشيء وغايته ومقصوده واستعمله لتلك الغاية ملتفتا اليها غير ناس لها فقد
احسن وانتفع وكان ما حصل له الغرض محمودا في حقه فاذا المال آلة ووسيلة الى مقصود صحيح ويصلح
ان يتخذ آلة ووسيلة الى مقاصد فاسدة وهي المقاصد الصادة عن سعادة الاخرة وتسد سبيل
العلم والعمل فهو اذا محمود مذموم بالاضافة الى المقصود المحمود ومذموم بالاضافة الى المقصود
المذموم فمن اخذ من الدنيا اكثر مما يكفيه فقد اخذ حتفه وهو لا يشعر كما ورد به الخبر ولما كانت

الطباع مائلة الى اتباع الشهوات القاطعة لسبيل الله تعالى وكان المال مسهلا لها وآلة اليها
عظم الخطر فيما يزيد على قدر الكفاية فاستعاذ الانبياء عليهم السلام من شره حتى
قال نبينا صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا فلم يطلب من الدنيا الا ما يتمحض
خيره وقال عليه السلام اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واستعاذ ابرهيم
عليه السلام فقال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام وعنى بها هذين الحجرين من الذهب والفضة
اذ رتبة النبوة اجل من ان يخشى عليها ان تعتقد الالهية في شيء من الحجارة وانما عنى بعبادته
حبه والاغترار به والركون اليه وقال نبينا صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار والدرهم
تعس ولا انتعش واذا شيك فلا انتقش فبين ان محبهما عابد لهما ومن عبد حجرا فهو عابد صنم
بل كان عابدا لغير الله تعالى فهو عابد صنم وهو شرك الا ان الشرك شركان شرك خفي لا يوجب
الخلود في النار وقلما ينفك عنه المؤمنون فانه اخفى من دبيب النملة وشرك جلي يوجب
الخلود في النار اللهم اجرنا من النار وعذابها **بيان تفصيل آفات المال وفوائده**
اعلم ان المال مثل حية فيها سم وترياق ففوائده ترياقه وغوائله سمومه فمن عرف فوائدها
وغوائلها امكنه ان يحترز من شرها ويستدر منها خيرها اما الفوائد فتنقسم الى دنيوية
ودينية اما الدنيوية فلا حاجة الى ذكرها فان معرفتها مشتركة بين اصناف الخلق ولولا
ذلك لم يتهالكوا على طلبها واما الدينية فتنحصر جميعها في ثلاثة انواع **النوع الاول** ان
ينفقه على نفسه اما في عبادة او في الاستعانة على العبادة اما في العبادة فكالاستعانة به
على الحج والجهاد فانه لا يتوصل اليهما الا بالمال وهما من امهات القربات والفقير محروم من
فضلهما واما فيما يقويه على العبادة فذلك هو المطعم والملبس والمسكن والمنكح وضرورات المعيشة
فان هذه الحاجات اذا لم تتيسر كان القلب مصروفا الى تدبيرها فلا يتفرغ للدين وما لا يتوصل
الى العبادة الا به فهو عبادة فاخذ الكفاية من الدنيا لاجل الاستعانة على الدين من الفوائد
الدينية ولا يدخل في هذا التنعم والزيادة على الحاجة فان ذلك من حظوظ الدنيا فقط **النوع**
الثاني ما يصرفه الى الناس وهي اربعة اقسام الصدقة والمروءة ووقاية العرض والاستخدام
اما الصدقة فلا يخفى ثوابها وانها لتطفئ غضب الرب تعالى وقد ذكرنا فضائلها واما المروءة
فنعني بها صرف المال الى الاغنياء والاشراف في ضيافة وهدية واعانة وما يجري مجراها فان هذا
لا يسمى صدقة بل الصدقة ما يسلم الى المحتاج الا ان هذا من الفوائد الدينية اذ به يكتسب العبد
الاخوان والاصدقاء وبه يكتسب صفة السخاء ويلتحق بزمرة الاسخياء فلا يوصف بالجود الا من
يصطنع المعروف ويسلك سبيل الفتوة والمروءة وهذا ايضا مما يعظم الثواب فيه فقد
وردت اخبار كثيرة في الهدايا والضيافات واطعام الطعام من غير اشتراط الفقر في مصارفها
واما وقاية العرض فنعني به بذل المال لدفع هجو الشعراء وثلب السفهاء وقطع السنتهم ودفع
شرهم وهو ايضا مع تنجز فائدته في العاجلة من الحظوظ الدينية قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما وقى المرء به عرضه كتب له به صدقة وكيف لا وفيه منع المغتاب عن
معصية الغيبة واحتراز عما يثور من كلامه من العداوة التي تحمل في المكافاة والانتقام
على مجاوزة حدود الشريعة واما الاستخدام فهو ان الاعمال التي يحتاج اليها الانسان

بنفسه اسبابا كثيرة ولو تولاها بنفسه ضاعت اوقاته وتعذر عليه سلوك سبيل الآخرة بالفكر و
الذكر الذي هو من اعلا مقامات السالكين ومن لا مال له فيفتقر ان يتولى بنفسه خدمة نفسه من
شراء الطعام وطبخه وكنس البيت حتى نسخ الكتاب الذي يحتاج اليه وكلما يتصور ان يقوم به غيرك
ويحصل غرضك فانت مغبون اذا اشتغلت به اذ عليك من العلم والعمل والفكر والذكر مما لا
يتصور ان يقوم به غيرك فيضيع الوقت في غيره خسران النوع الثالث ما لا يصرفه الى انسان
معين ولكنه يحصل به خير عام كبناء المساجد والقناطر والرباطات ودار المرضى ونصب الحباب
في الطرق وغير ذلك من الاوقاف المرصدة للخيرات وهي من الخيرات المؤبدة الدارة بعد
الموت المستجلبة بركة ادعية الصالحين الى اوقات متمادية وناهيك به خيرا فهذه جملة فوائد
المال في الدين سوى ما يتعلق بالحظوظ العاجلة من الخلاص من ذل السؤال وحقارة الفقر وا
الوصول الى العز والمجد بين الخلق وكثرة الاخوان والاعوان والاصدقاء والوقار والكرامة
في القلوب وكل ذلك مما يقتضيه المال في الحظوظ الدنيوية واما الآفات فدينية ودنياوية
اما الدينية فثلاثة الاول انه يجر الى المعاصي فان الشهوات متقاضية والعجز قد يحول
بين المرء وبين المعصية ومن العصمة ان لا تقدر ومهما كان الانسان ايسا عن نوع من القدرة
لم يتحرك داعيته اليها فاذا استشعر القدرة عليه انبعثت داعيته والمال نوع من القدرة يحرك
داعي المعاصي وارتكاب الفجور فاذا اقتحم ما اشتهاه هلك وان صبر وقع في شدة والصبر
مع القدرة اشد وفتنة السراء اعظم من فتنة الضراء الثاني انه يجر الى التنعم في المباحات
وهذا اقل الدرجات فمتى يقدر صاحب المال على ان يلبس ثوبا خشنا ويتناول الخبز الشعير
ويترك لذيذ الاطعمة كما كان يقدر عليه سليمان عليه السلام في ملكه فاحسن احواله ان يتنعم
بالدنيا ويمرن عليها نفسه فيصير التنعم مالوفا عنده ومحبوبا لا يصبر عنه ويجره البعض
منه الى البعض واذا اشتد انسه به ربما لا يقدر على التوصل اليه الا بالكسب الحرام فيقتحم الشبهات
ويخوض في المرايات والمداهنة والكذب والنفاق وسائر الاخلاق الرديئة لينتظم اليه امر
دنياه ويتيسر له تنعمه فان من كثر ماله كثرت حاجته الى الناس ومن احتاج الى الناس فلا بد ان
ينافقهم ويعصي الله تعالى في طلب رضاهم فان سلم الانسان من الآفة الاولى وهي مباشرة الحظوظ
فلا يسلم من هذه اصلا ومن الحاجة الى الخلق تثور العداوة والصداقة ويجري عليه الحقد و
الحسد والرياء والكبر والكذب والغيبة والنميمة وسائر المعاصي التي تخص القلب واللسان
ولا يخلو ايضا من التعدي الى سائر الجوارح وكل ذلك يتولد من شؤم المال والحاجة الى حفظه و
اصلاحه الثالث وهذا لا ينفك عنه احد وهو ان يلهيه اصلاح ماله عن ذكر الله تعالى وكلما
شغل العبد عن ذكر الله تعالى فهو خسران ولذلك قال عيسى عليه السلام في المال ثلاث آفات
ياخذه من غير حله فقيل ان اخذه من حله فقال ان يضعه في غير حقه فقيل ان وضعه في حقه
قال يشغله اصلاحه عن الله عز وجل وهذا هو الداء العضال فان اصل العبادات ومخها وسرها
ذكر الله عز وجل والفكر في جلاله وذلك يستدعي قلبا خاشعا وصاحب الضيعة يمسي ويصبح متفكرا
في خصومة الفلاح ومحاسبته وخصومة الشركاء ومنازعتهم في الماء والحدود ومنازعة
اعوان السلطان في الخراج وخصومة الاجراء في التقصير في العمارة وخصومة الفلاحين في

خيانتهم وتقصيرهم وصاحب التجارة يكون متفكرا في خيانة شريكه وانفراده بالربح وتقصيره في العمل
وتضييعه للمال وكذلك صاحب المواشي وهكذا سائر اصناف الاموال وابعدها عن كثرة الشغل
النقد المكنوز تحت الارض ولا يزال الفكر مترددا فيما يصرف اليه وفي كيفية حفظه وفي الخوف مما يعثر
عليه وفي دفع اطماع الناس عنه واودية افكار الدنيا لا نهاية لها والذي معه قوت يومه في
سلامة عن جميع ذلك فهذه جملة الآفات الدنيوية سوى ما يقاسيه ارباب الاموال في الدنيا من الخوف
والحزن والغم والهم والتعب في دفع الحساد وتجشم المصاعب في حفظ الاموال وكسبها فاذا ترياق
المال اخذ القوت وصرف الباقي الى الخيرات وما عداه سم وآفات اعاذنا الله من ذلك بيان
ذم الحرص والطمع ومدح القناعة واليأس مما في ايدي الناس اعلم ان الفقر محمود
كما اوردناه في كتاب الفقر ولكن ينبغي ان يكون الفقير قانعا منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت
الى ما في ايديهم ولا حريصا على اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه ذلك الا بان يقنع بقدر الضرورة
من المطعم والملبس ويقتصر على اقله قدرا واخسه نوعا ويرد امله الى يومه او الى شهره ولا يشغل
قلبه بما بعد شهر فان تشوق الى الكثرة وطول الامل فاته عز القناعة وتدنس لا محالة بالطمع وذل
الحرص وجره الحرص والطمع الى مساوي الاخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمروات وقد جبل
الآدمي على الحرص وقلة القناعة والطمع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان لابن آدم واديان من
ذهب لابتغى وراءهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله تعالى على من تاب وعن ابي واقد
الليثي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اوحي اليه اتيناه فعلمنا مما اوحي اليه فجئته ذات يوم فقال
ان الله عز وجل يقول انا انزلنا المال لاقامة الصلاة وايتاء الزكاة ولو كان لابن آدم واد لاحب ان
يكون له الثاني ولو كان له الثاني لاحب ان يكون الثالث ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على
من تاب وقال عيسى عليه السلام يهرم ابن آدم ويشب منه اثنان الامل وحب المال وملكات
هذه جبلة للآدمي مضلة وغريزة مهلكة اثنى الله ورسوله على القناعة فقال عليه السلام طوبى
لمن هدي الى الاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال عليه السلام ما من احد غني ولا فقير الا
ود يوم القيامة انه كان اوتي قوتا في الدنيا وقال عليه السلام ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى
غنى النفس ونهى عن شدة الحرص والمبالغة في الطلب فقال عليه السلام الا ايها الناس اجملوا في الطلب
فقال عليه السلام انه ليس للعبد الا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى ياتيه ما كتب له منها وهي راغمة
وروي ان موسى عليه السلام سال ربه تعالى فقال اي عبادك اغنى قال اقنعهم بما اعطيته
قال فايهم اعدل قال من انصف من نفسه وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب وقال
ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن ورعا تكن اعبد الناس وكن قنعا
تكن اشكر الناس واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطمع فيما رواه
ابو ايوب الانصاري ان اعرابيا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله عظني واوجز فقال اذا صليت
فصل صلاة مودع ولا تحدثن بحديث تعتذر منه غدا واجمع الياس مما في ايدي الناس وقال
عوف بن مالك الاشجعي كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة او ثمانية او تسعة فقال الا تبايعون
رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا اوليس قد بايعناك يا رسول الله ثم قال الا تبايعون رسول الله صلى الله

عليه وسلم فبسطنا ايدينا فبايعناه فقال قائل منا قد بايعناك فعلام ذا نبايعك قال ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وتصلوا الصلوات الخمس وتسمعوا وتطيعوا واسر كلمة خفية ولا تسألوا الناس شيئا قال فلقد رايت بعض اولئك النفر يسقط سوطه فما يسال احدا ان يناوله اياه وقال عمر رضي الله عنه ان الطمع فقر وان الياس غنى وانه من يئس عما في ايدي الناس استغنى عنهم وقيل لبعض الحكماء ما الغنى قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك ولذلك قال الشاعر **شعر** العيش ساعات تمر وخطوب ايام تكر اقنع بعيشك ترضه واترك هواك تعيش حر فلرب حتف ساقه ذهب وياقوت ودر وكان محمد بن واسع يبل الخبز اليابس بالماء وياكله ويقول من قنع بهذا لم يحتج الى احد **وقال** سفيان خير دنياكم ما لم تبتلوا به وخير ما ابتليتم به منها ما خرج من ايديكم **وقال** ابن مسعود رضي الله عنه ما من يوم الا وملك ينادي يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال سميط بن عجلان انما بطنك يا ابن آدم شبر في شبر فلم تدخلك النار وقيل لحكيم ما مالك قال التجمل في الظاهر والقصد في الباطن والياس مما في ايدي الناس **وروي** ان الله تعالى قال يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فاذا انا اعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فانا اليك محسن **وقال** ابن مسعود اذا طلب احدكم الحاجة فليطلبها طلبا يسيرا ولا يأتي الرجل فيقول انك وانك فيقطع ظهره فانما ياتيه ما قسم له او ما رزق وكتب بعض بني امية الى ابي حازم يعزم عليه ان يرفع حوائجه اليه فكتب اليه قد رفعت حوائجي الى مولاي فما اعطاني منها قبلت وما امسك عني قنعت وقيل لبعض الحكماء اي شيء اسر للعاقل واي شيء اعون على دفع الحزن قال اسرها اليه ما قدم من صالح العمل واعونها له على دفع الحزن الرضى بمحتوم القضا **وقال** بعض الحكماء وجدت اطول الناس غما الحسود واهنأهم عيشا القنوع واصبرهم على الاذى الحريص اذا طمع واخفضهم عيشا ارفضهم للدنيا واعظمهم ندامة العالم المفرط **وقيل** ارفه لعمرك في تمني على ثقة ان الذي قسم الارزاق يرزقه فالعرض منه مصون لا يدنسه والوجه منه جديد ليس يخلقه ان القناعة من يحلل بساحتها لم يلق في دهره شيئا يؤرقه **وقيل** حتى متى انا في حل وترحال وطول سعي وادبار واقبال ونازح الدار لا ينفك مغتربا عن الاحبة لا يدرون ما حالي بمشرق الارض طورا ومغربها لا يخطر الموت من حرص على بالي ولو قنعت اتاني الرزق في دعة ان القنوع الغنى لا كثرة المال **وقال** عمر رضي الله عنه الا اخبركم بما استحل من مال الله عز وجل حلتان لشتائي وقيظي وما يسعني من الظهر لحجي وعمرتي وقوتي بعد ذلك كقوت رجل من قريش لست بارفعهم ولا باوضعهم فوالله ما ادري ايحل لي ذلك ام لا كانه شك في ان هذا القدر هل هو زيادة على الكفاية التي تجب القناعة بها وعاتب اعرابي اخاه على الحرص فقال يا اخي انت طالب ومطلوب يطلبك من لا تفوته وتطلب انت ما قد كفيته وكان ما غاب عنك قد كشف لك وما انت فيه قد نقلت عنه كانك يا اخي لم تر حريصا محروما وزاهدا مرزوقا **وقيل** اراك يزيدك الاثراء حرصا على الدنيا كانك لا تموت فهل لك غاية ان صرت يوما اليها قلت حسبي قد رضيت **وقال** الشعبي حكي ان رجلا صاد قبرة فقالت ما تريد ان تصنع بي قال اذبحك وآكلك قالت والله ما اشفي من قرم ولا اشبع من جوع ولكني اعلمك ثلاث خصال هي خير لك من اكلي اما الواحدة فاعلمكها وانا في يدك واما الثانية فاذا صرت على الشجرة واما الثالثة فاذا صرت على الجبل قال هات الاولى قالت لا تصدقن بما لا يكون انه يكون وطارت على الجبل فقالت على الشجرة قالت يا شقي لو ذبحتني لاخرجت من حوصلتي درتين في كل واحدة عشرون مثقالا قال فعض على شفتيه وتلهف وقال هات الثالثة قالت قد نسيت الاثنتين فكيف اخبرك بالثالثة الم اقل لك لا

تلهفن على ما فات ولا تصدقن بما لا يكون انه يكون انا لحمي ودمي وريشي لا يكون عشرين مثقالا فكيف يكون في حوصلتي درتين في كل واحدة عشرون مثقالا ثم طارت وذهبت فهذا مثال لفرط الطمع للآدمي فانه يعميه عن درك الحق حتى يقدر ما لا يكون انه يكون **وقال** ابن السماك ان الرجاء حبل في قلبك وقيد في رجلك فاخرج الرجاء من قلبك يخرج القيد من رجلك **وقال** ابو محمد اليزيدي دخلت على الرشيد فوجدته ينظر في ورقة مكتوب فيها بالذهب فلما رآني تبسم فقلت فائدة اصلح الله امير المؤمنين قال نعم وجدت هذين البيتين في بعض خزائن بني امية فاستحسنتهما وقد اضفت اليهما ثالثا **وانشد** اذا سد باب عنك من دون حاجة فدعه لاخرى ينفتح لك بابها فان قراب البطن يكفيك ملؤه ويكفيك سوآت الامور اجتنابها ولا تك مبذالا لعرضك واجتنب ركوب المعاصي يجتنبك عقابها **وقال** عبد الله بن سلام لكعب ما يذهب العلم من قلوب العلماء بعد اذ وعوه وعقلوه قال الطمع وشره النفس وطلب الحاجات **وقال** رجل للفضيل فسر لي قول كعب قال يطمع الرجل في الشيء يطلبه فيذهب عليه دينه واما الشره فشره النفس في هذا وفي هذا حتى لا يحب ان يفوته شيء ويكون لك الى هذا حاجة والى هذا حاجة فاذا قضاها لك خزم انفك وقادك حيث شاء وتمكن منك وخضعت له فمن حبك للدنيا سلمت عليه اذا مررت به وعدته اذا مرض لم تسلم عليه لله ولم تعده لله فلو لم يكن لك اليه حاجة كان خيرا لك ثم قال هذا خير لك من مائة حديث عن فلان عن فلان **وقال** بعض الحكماء من عجيب امر الانسان انه لو نودي بالبقاء في ايام الدنيا لم يكن في قوى خلقته من الحرص على الجمع اكثر مما قد استعمله مع قصر مدة التمتع وتوقع الزوال وقال عبد الواحد بن زيد مررت براهب فقلت له من اين تاكل قال من بيدر اللطيف الخبير الذي خلق الرحى ياتيها بالطحين واومأ بيده الى رحى اضراسه

بيان علاج الحرص والطمع والدواء الذي يكتسب به صفة القناعة اعلم ان هذا الدواء مركب من ثلاثة اركان الصبر والعلم والعمل ومجموع ذلك خمسة امور **الاول** وهو العمل الاقتصاد في المعيشة والرفق في الانفاق فمن اراد عز القناعة فينبغي ان يسد على نفسه ابواب الخرج ما امكنه ويرد نفسه الى ما لا بد له منه فمن كثر خرجه واتسع انفاقه لم تمكنه القناعة بل ان كان وحده فينبغي ان يقنع بثوب واحد خشن ويقنع باي طعام كان ويقلل من الادام ما امكنه ويوطن نفسه عليه وان كان له عيال فيرد كل واحد الى هذا القدر فان هذا القدر يتيسر بادنى جهد ويمكن معه الاجمال في الطلب والاقتصاد في المعيشة هو الاصل في القناعة ونعني به الرفق في الانفاق وترك الخرق فيه قال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الرفق في الامر كله وقال صلى الله عليه وسلم ما عال من اقتصد وقال عليه السلام ثلاث منجيات خشية الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الرضى والغضب **وروي** ان رجلا ابصر ابا الدرداء وهو يلتقط حبا من الارض ويقول ان من فقهك رفقك في معيشتك وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم الاقتصاد وحسن السمت والهدي الصالح جزء من بضع وعشرين جزءا من النبوة وفي الخبر التدبير نصف المعيشة وقال صلى الله عليه وسلم من اقتصد اغناه الله ومن بذر افقره الله ومن ذكر الله احبه الله تعالى **وقال** صلى الله عليه وسلم اذا اردت امرا فعليك بالتؤدة حتى يجعل الله تعالى لك منه فرجا ومخرجا والتؤدة في الانفاق من اهم الامور **الثاني** انه اذا تيسر له في الحال ما يكفيه فلا ينبغي ان يكون شديد الاضطراب لاجل الاستقبال ويعينه على ذلك قصر الامل والتحقق بان الرزق الذي قدر له لا بد ان ياتيه وان لم يشتد حرصه فان شدة الحرص ليست هي السبب لوصول الارزاق بل ينبغي ان يكون واثقا بوعد الله تعالى اذ قال سبحانه وتعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وذلك لان الشيطان

يعده الفقر ويأمره بالفحشاء ويقول له انك تحرص على الطمع والادخار فربما تمرض وربما تعجز وتحتاج الى احتمال
الذل والسؤال فلا يزال طول العمر يتعبه في الطلب خوفا من التعب ويضحك عليه في احتماله التعب نقدا
مع الغفلة عن الله عز وجل لتوهم تعب في ثاني الحال ربما لا يكون وفي مثله **قيل** ومن ينفق الساعات في
جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر وقد دخل ابنا خالد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تيأسا
من الرزق ما تهززت رؤوسكما فان الانسان تلده امه احمر ليس عليه قشر ثم يرزقه الله تعالى **وقال رسول**
الله صلى الله عليه وسلم لابن مسعود وهو حزين فقال له لا يكثر همك ما يقدر يكن وما ترزق يأتيك وقال صلى الله
عليه وسلم الا ايها الناس اجملوا في الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه
ما كتب له من الدنيا وهي راغمة ولا ينفك الانسان عن الحرص الا بحسن ثقته بتدبير الله تعالى في تقدير ارزاق العباد
وان ذلك يحصل لا محالة مع الاجمال في الطلب بل ينبغي ان يعلم ان رزق العبد من حيث لا يحتسب اكثر قال
الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فاذا انسد عليه باب كان ينتظر
الرزق منه فلا ينبغي ان يضطرب قلبه لاجله **وقال** صلى الله عليه وسلم ابى الله تعالى ان يرزق
عبده المؤمن الا من حيث لا يحتسب وقال سفيان الثوري اتق الله فما رأيت تقيا محتاجا اي لا يترك التقي
فاقد الضرورة بل يلقي الله في قلوب المسلمين ان يوصلوا اليه رزقه وقال المفضل الضبي قلت لاعرابي
من اين معاشك قال نذر الحاج قلت فاذا صدروا فبكى وقال لو لم نعش الا من حيث ندري لم نعش
وقال ابو حازم وجدت الدنيا شيئين شيئا منهما هو لي فلن اعجله قبل اجله ولو طلبته بقوة السموات
والارض وشيئا هو لغيري فذلك لم انله فيما مضى ولا ارجوه فيما بقي يمنع الذي لغيري مني كما يمنع الذي لي
من غيري ففي اي هذين افني عمري فهذا دواء من جهة المعرفة لا بد منه يدفع تخويف الشيطان وانذاره
بالفقر **الثالث** ان يعرف ما في القناعة من عز الاستغناء وما في الطمع والحرص من الذل فاذا تحقق عنده
ذلك انبعثت رغبته الى القناعة لانه في الحرص لا يخلو من تعب وفي الطمع لا يخلو من ذل وليس في القناعة الا الم
الصبر عن الشهوات والفضول وهذا الم لا يطلع عليه احد الا الله وفيه ثواب الآخرة وذلك مما يضاف اليه
نظر الناس وفيه الوبال والمأثم ثم يفوته عز النفس والقدرة على متابعة الحق فان من كثر طمعه وحرصه
كثرت حاجته الى الناس فلا يمكنه دعوتهم الى الحق ويلزمه المداهنة وذلك يهلك دينه ومن لا يؤثر عز
النفس على شهوة البطن فهو ركيك العقل ناقص الايمان **قال** رسول الله صلى الله عليه وسلم عز المؤمن
استغناؤه عن الناس ففي القناعة الحرية والعز ولذلك قيل استغن عمن شئت فانت نظيره واحتج الى من شئت
فانت اسيره واحسن الى من شئت فانت اميره **الرابع** ان يكثر تامله في تنعم اليهود والنصارى واراذل
الناس والحمقى من الاكراد والاعراب الاجلاف ومن لا دين لهم ولا عقل ثم ينظر الى احوال الانبياء والاولياء والى سنة الخلفاء
الراشدين وسائر الصحابة والتابعين ويستمع احاديثهم ويطالع احوالهم ويخير عقله بين
ان يكون على مشابهة اراذل الخلق او على الاقتداء بمن هو اعز اصناف الخلق عند الله تعالى حتى يهون عليه بذلك
الصبر على القليل والقناعة باليسير فانه ان تنعم في البطن فالحمار اكثر اكلا منه وان تنعم في الوقاع
فالخنزير اعلى رتبة منه وان تزين في الملبس ففي اليهود والنصارى اعلى رتبة منه وان قنع بالقليل ورضي
به لم يساهمه في رتبته الا الانبياء والاولياء **الخامس** ان يفهم ما في جمع المال من الخطر كما ذكرنا في آفات
المال وما فيه من خوف السرقة والنهب والضياع وما في خلو اليد من الامن والفراغ ويتأمل ما ذكرناه في آفات
المال مع ما يفوته من المدافعة عن باب الجنة الى خمسمائة عام فانه اذا لم يقنع بما يكفيه التحق بزمرة الاغنياء

واخرج عن جريدة الفقراء ويتم له ذلك بان ينظر ابدا الى من دونه في الدنيا لا الى من فوقه فان الشيطان
ابدا يصرف نظره في الدنيا الى من فوقه فيقول لم تفتر عن الطلب وارباب الاموال يتنعمون في المطاعم
والملابس ويصرف نظره في الدين الى من دونه فيقول ولم تضيق على نفسك وتخاف الله وفلان اعلم منك
وهو لا يخاف الله فكن كما الناس كلهم مشغولون بالتنعم فلم تريد ان تتميز عنهم **قال**
ابو ذر رضي الله عنه اوصاني خليلي عليه السلام ان انظر الى من هو دوني لا الى من هو فوقي اي في الدنيا وقال
ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نظر احدكم الى من فضله الله عليه في المال
فلينظر الى من هو اسفل منه ممن فضل عليه فبهذه الامور يقدر على اكتساب خلق القناعة وعماد الامر في
ذلك الصبر وقصر الامل وان يعلم ان غاية صبره في الدنيا ايام قلائل للتمتع دهرا طويلا فيكون كالمريض الذي
يصبر على مرارة الدواء لشدة طمعه في انتظار الشفاء

بيان فضيلة السخاء

اعلم ان المال
ان كان مفقودا فينبغي ان يكون حال العبد القناعة وقلة الحرص وان كان موجودا فينبغي ان يكون حاله
الايثار والسخاء واصطناع المعروف والتباعد عن الشح والبخل فان السخاء من اخلاق الانبياء عليهم السلام وهو
اصل من اصول النجاة وعنه عبر النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال السخاء شجرة من شجر الجنة اغصانها
متدلية الى الارض فمن اخذ منها غصنا قاده ذلك الغصن الى الجنة وقال جابر قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال جبريل عليه السلام قال الله تعالى ان هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه الا السخاء و
حسن الخلق فاكرموه بهما ما استطعتم وفي رواية فاكرموه بهما ما صحبتموه وعن عائشة قالت قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما جبل الله تعالى وليا له الا على السخاء وحسن الخلق وعن جابر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم افضل الاعمال الصبر والسماحة وقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم خلقان يحبهما الله وخلقان يبغضهما الله فاما اللذان يحبهما فحسن الخلق والسخاء
واما اللذان يبغضهما فسوء الخلق والبخل واذا اراد الله تعالى بعبد خيرا استعمله على قضاء حوائج الناس
وروى المقدام بن شريح عن ابيه عن جده قال قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال ان من
موجبات المغفرة بذل الطعام وحسن الكلام وافشاء السلام وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
السخاء شجرة في الجنة فمن كان سخيا اخذ بغصن من اغصانها فلم يتركه ذلك الغصن حتى يدخله الجنة و
الشح شجرة في النار فمن كان شحيحا اخذ بغصن من اغصانها فلم يتركه ذلك الغصن حتى يدخله النار وقال
ابو سعيد الخدري رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحماء
من عبادي تعيشوا في اكنافهم فاني جعلت فيهم رحمتي ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فاني جعلت فيهم
سخطي وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجافوا عن ذنب السخي فان الله تعالى آخذ بيده
كلما عثر وقال ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى جواد يحب
الجود ويحب معالي الاخلاق ويكره سفسافها وقال انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم لم
يسأل على الاسلام شيئا الا اعطاه واتاه رجل فسأله فامر له بشاء كثير بين جبلين من شاء الصدقة فرجع الى
قومه فقال يا قوم اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان لله تعالى عبادا يخصهم بالنعم لمنافع العباد فمن بخل بتلك المنافع عن العباد نقلها الله
تعالى عنه وحولها الى غيره وعن الهلالي رضي الله عنه قال اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم باسرى من
بني العنبر فامر بقتلهم وافرد منهم رجلا فقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه يا رسول الله الرب واحد

والدين واحد والذنب واحد فما بال هذا من بينهم **فقال** عليه السلام نزل جبريل فقال
اقتل هؤلاء واترك هذا فان الله تعالى شكر له سخاءه **وقال** صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء ثمرة
وثمرة المعروف تعجيل السراح وعن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام الجواد دواء
وطعام البخيل داء وقال صلى الله عليه وسلم من عظمت نعمة الله تعالى عنده عظمت مؤنة الناس عليه
فمن لم يحتمل تلك المؤنة عرض تلك النعمة للزوال وقال عيسى عليه السلام استكثروا من شيء لا تأكله
النار قيل وما هو قال المعروف **وقالت عائشة** رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الجنة دار الاسخياء وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السخي قريب من الله قريب من الناس
قريب من الجنة بعيد من النار وان البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار
ولجاهل سخي احب الى الله من عابد بخيل وادوأ الداء البخل وقال صلى الله عليه وسلم اصنع المعروف الى من هو
اهله والى من ليس اهله فان اصبت اهله فقد اصبت اهله وان لم تصب اهله فانت اهله **وقال**
صلى الله عليه وسلم ان ابدال امتي لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام ولكن دخلوها بسخاء الانفس وسلامة الصدور
والنصح للمسلمين وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى جعل للمعروف
وجوها من خلقه حبب اليهم المعروف وحبب اليهم فعاله ووجه طلاب المعروف اليهم ويسر عليهم
اعطاءه كما يسير الغيث الى البلدة الجدبة فيحييها ويحيي به اهلها وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم كل معروف صدقة وكل ما انفق الرجل على نفسه واهله كتب له صدقة وما وقى الرجل به عرضه كتب له
صدقة وما انفق الرجل نفقة فعلى الله خلفها وقال عليه السلام كل معروف صدقة والدال على الخير
كفاعله والله يحب اغاثة اللهفان وقال عليه السلام كل معروف فعلته الى غني او فقير صدقة وروي
ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام لا تقتل السامري فانه سخي وقال جابر بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعثا عليهم قيس بن سعد بن عبادة فجهدوا فنحر لهم قيس تسع ركائب فحدثوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بذلك فقال عليه السلام ان الجود لمن شيمة اهل ذلك البيت **الآثار** قال علي رضي الله عنه اذا اقبلت
الدنيا فانفق منها فانها لا تفنى واذا ادبرت عنك فانفق منها فانها لا تبقى **وانشدوا** لا تبخلن بدنيا
وهي مقبلة فليس ينقصها التبذير والسرف فان تولت فاحرى ان تجود بها فالحمد منها اذا ما ادبرت خلف
وسأل معاوية الحسن بن علي عن المروءة والنجدة والكرم **فقال** اما المروءة فحفظ الرجل دينه وحرزه نفسه
وحسن قيامه بضيفه وحسن المنازعة والاقدام في الكراهية **واما** النجدة فالذب عن الجار والصبر
في المواطن واما الكرم فالتبرع بالمعروف قبل السؤال والاطعام في المحل والرأفة بالسائل مع بذل النائل
ورفع رجل الى الحسن بن علي رضي الله عنهما رقعة فقال حاجتك مقضية فقيل له يا ابن بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم لو نظرت في رقعته ثم رددت الجواب على قدر ذلك فقال يسألني الله عز وجل عن ذل مقامه
بين يدي حتى اقرأ رقعته **وقال** ابن السماك رحمه الله تعالى عجبت لمن يشتري المماليك بماله ولا
يشتري الاحرار بمعروفه وسئل بعض الاعراب فقيل له من سيدكم فقال من احتمل شتمنا واعطى سائلنا
واغضى عن جاهلنا وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما من وصف ببذل ماله لطلابه لم يكن سخيا وانما
السخي من يبتدئ بحقوق الله عز وجل في اهل طاعته ولا تنازعه نفسه الى حب الشكر له اذا كان يقينه بثواب
الله تعالى تاما **وقيل** للحسن البصري رحمه الله تعالى ما السخاء قال ان تجود بمالك في الله عز وجل
قيل فما الحزم قال ان تمنع مالك فيه قيل فما الاسراف قال الانفاق لحب الرياسة وقال جعفر الصادق

لا مال اعود من العقل ولا مصيبة اعظم من الجهل ولا مظاهرة كالمشورة الا وان الله عز وجل يقول اني
جواد كريم لا يجاورني لئيم واللؤم من الكفر واهل الكفر في النار والجود والكرم من الايمان واهل الايمان في
الجنة وقال حذيفة رب فاجر في دينه اخرق في معيشته يدخل الجنة بسماحته ورأى الاحنف بن
قيس رجلا وفي يده درهم فقال لمن هذا الدرهم فقال لي فقال اما انه ليس لك حتى يخرج من يدك وفي
معناه قال انت للمال اذا امسكته فاذا انفقته فالمال لك وسمي واصل بن عطاء الغزال لانه
كان يجلس الى الغزالين فاذا رأى امرأة ضعيفة اعطاها شيئا **وقال** الاصمعي كتب الحسن بن علي
الى الحسين اخيه يعيب عليه في اعطاء الشعراء فكتب اليه خير المال ما وقى العرض **وقيل**
لسفيان بن عيينة ما السخاء قال السخاء البر بالاخوان والجود بالمال وورث ابي خمسين الف درهم
فبعثتها الى اخواني صررا وقال كنت اسأل الله تعالى لاخواني الجنة في صلاتي فابخل عليهم بالدنيا وقال
الحسن بذل المجهود في بذل الموجود منتهى الجود وقيل لبعض الحكماء من احب الناس اليك قال من كثرت
اياديه عندي قيل فان لم يكن قال من كثرت ايادي عنده **وقال** عبد العزيز بن مروان اذا الرجل امكنني
من نفسه حتى اضع معروفي عنده فيده عندي مثل يدي عنده **وقال** المهدي لشبيب بن
شيبة كيف رأيت الناس في داري فقال يا امير المؤمنين ان الرجل منهم ليدخل راجيا ويخرج راضيا
وتمثل رجل عند عبد الله بن جعفر فقال ان الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع فاذا
صنعت صنيعة فاعمد بها الله او لذوي القرابة او دع فقال عبد الله بن جعفر ان هذا البيت ليبخل
الناس ولكن امطر المعروف مطرا فان اصاب الكرام كانوا له اهلا وان اصاب اللئام كنت له اهلا
حكايات الاسخياء عن محمد بن المنكدر عن ام درة وكانت تخدم عائشة رضي الله عنها
قالت ان ابن الزبير بعث اليها بمال في غرارتين ثمانين ومائة الف درهم فدعت بطبق فجعلت تقسمه بين
الناس فلما امست قالت يا جارية هاتي فطوري فجاءتها بخبز وزيت فقالت لها ام درة ما استطعت
فيما قسمت اليوم ان تشتري لنا بدرهم لحما نفطر عليه فقالت لو كنت ذكرتيني لفعلت **وعن** ابان بن عثمان
رضي الله عنه قال اراد رجل ان يضار عبيد الله بن عباس فاتى وجوه قريش فقال يقول لكم عبيد الله
تغدوا عندي اليوم فاتوا عليه حتى ملأوا الدار فقال عبيد الله ما هذا فاخبر الخبر فامر عبيد الله
بشراء فاكهة وامر قوما فطبخوا وخبزوا وقدمت الفاكهة اليهم فلم يفرغوا منها حتى وضعت الموائد
فاكلوا حتى صدروا **وقال** عبيد الله لوكلائه اوموجود لنا هذا كل يوم قالوا نعم قال فليتغد عندنا
هؤلاء كل يوم وقال مصعب بن الزبير حج معاوية فلما انصرف مر بالمدينة فقال الحسين بن علي لاخيه
لا تلقه ولا تسلم عليه فلما خرج معاوية قال الحسن ان علينا دينا فلا بد لنا من اتيانه فركب في اثره ولحقه
فسلم عليه واخبره بدينه فمروا عليه ببختي عليه ثمانون الف دينار وقد اعيا وتخلف عن الابل وقوم
يسوقونه فقال معاوية ما هذا فذكروا له فقال اصرفوه بما عليه الى ابي محمد **وعن** واقد بن محمد الواقدي
قال حدثني ابي انه رفع رقعة الى المأمون يذكر فيها كثرة الدين وقلة صبره عليه فوقع المأمون على ظهر
رقعته انك رجل اجتمع فيك خصلتان سخاء وحياء فاما السخاء فهو الذي اطلق ما في يديك واما الحياء
فهو الذي يمنعك عن تبليغنا ما انت عليه وقد امرت لك بمائة الف درهم فان كنت قد اصبت فازدد في
بسط يدك وان لم تكن اصبت فجنايتك على نفسك وانت حدثتني وكنت على قضاء الرشيد عن محمد
بن اسحق عن الزهري عن انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للزبير بن العوام يا زبير اعلم

ان مفاتح الارزاق العباد بازاء العرش يبعث الله الى كل عبد بقدر نفقته فمن كثر كثر له ومن قلل قلل له
وانت اعلم قال الواقدي فوالله لمذاكرة المامون اياي الحديث احب الي من الجائزة وهي مائة الف و
سأل رجل الحسن بن علي عن حاجة فقال له يا هذا حق سؤالك اياي يعظم لدي ومعرفتي بما يجب
لك يكبر علي ويدي تعجز عن نيل ما انت اهله والكثير في ذات الله تعالى قليل وما في ملكي وفاء بشكرك
فان قبلت الميسور ورفعت عني مؤنة الاحتمال والاهتمام لما اتكلفه من واجبك فعلت فقال يا ابن رسول
الله صلى الله عليه وسلم اقبل واشكر العطيه واعذر على المنع فدعا الحسن وكيله وجعل يحاسبه على نفقاته
حتى استقصاها فقال هات الفاضل من الثلاثمائة الف فاحضر خمسين الفا فقال لها فعل الخمس
مائة دينار قال هي عندي قال احضرها فاحضرها فدفع الدراهم والدنانير الى الرجل فقال هات من يحملها
لك فاتاه بحمالين فدفع الحسن رداءه في اجرة الحمالين فقال له مواليه والله ما عندنا درهم فقال ولكني
ارجو ان يكون لي عند الله اجر عظيم واجتمع قراء البصرة الى ابن عباس وهو عامل البصرة فقالوا لنا جار صوام
قوام يتمنى كل واحد منا ان يكون مثله وقد زوج ابنته من ابن اخيه وهو فقير وليس عنده ما يجهزها
به فقام عبد الله بن عباس فاخذ بايديهم فادخلهم داره وفتح صندوقا فاخرج منه ست بدر فقال
احملوا فحملوا فقال ابن عباس ما انصفناه حيث اعطيناه ما يشغله عن صيامه وقيامه ارجعوا بنا نكن من
اعوانه على تجهيزها فليس للدنيا من القدر ما يشغل مؤمنا عن عبادة ربه تعالى وما بنا من الكبر ما لا نخدم
اولياء الله تعالى ففعل وفعلوا وحكي انه لما اجدب الناس بمصر وعبد الحميد بن سعد اميرهم فقال والله لا
علمن الشيطان اني عدوه فعال المحاويج منهم الى ان رخصت الاسعار ثم عزل عنهم فرحل وللتجار عليه
الف الف درهم فرهنهم بها حلي نسائه وقيمته خمسمائة الف الف فلما تعذر عليه ارتجاعه كتب اليهم
ببيعها ودفع الفاضل منها عن حقوقهم الى من لم تنله صلته وكان ابو طالب بن كثير شيعيا فقال له
رجل بحق علي بن ابي طالب الا وهبت لي نخلك بموضع كذا فقال قد فعلت وحقه لاعطينك ما يليها
وكان ذلك اضعاف ما طلب الرجل وكان ابو مرثد احد الكرماء فمدحه بعض الشعراء فقال للشاعر والله ما
عندي ما اعطيك ولكن قدمني الى القاضي وادع علي بعشرة الاف درهم حتى اقر لك بها ثم احبسني فان
اهلي لا يتركوني محبوسا ففعل ذلك فلم يمس حتى دفع اليه عشرة الاف درهم واخرج ابو مرثد من الحبس وكان
معن بن زائدة عاملا على العراقين بالبصرة فحضر بابه شاعر فاقام مدة واراد الدخول على معن فلم يتهيأ له فقال
يوما لبعض خدم معن اذا دخل الامير البستان فعرفني فلما دخل اعلمه فكتب الشاعر بيتا على خشبة و
القاها في الماء الذي يدخل بستان معن وكان معن على راس الماء فلما نظر الخشبة اخذها وقراها فاذا فيها
مكتوب شعر ايا جود معن ناج معنا بحاجتي فما لي الى معن سواك شفيع فقال من صاحب هذه فدعي
الرجل فقال له كيف قلت فانشده فامر له بعشر بدر فاخذها ووضع الامير الخشبة تحت بساطه فلما كان
اليوم الثاني اخرجها من تحت بساطه وقراها ودعا الرجل فدفع اليه مائة الف درهم فلما اخذها الرجل
تفكر وخاف ان ياخذ منه ما اعطاه فخرج فلما كان في اليوم الثالث قرا ما فيها ودعا بالرجل وطلب
فلم يوجد فقال معن حق علي ان اعطيه حتى لا يبقى في بيت مالي درهم وقال ابو الحسن المدائني خرج
الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر حجاجا ففاتتهم اثقالهم فجاعوا وعطشوا فمروا بعجوز في خباء لها فقالوا
هل من شراب فقالت نعم فاناخوا اليها وليس لها الا شويهة في كسر الخيمة فقالت احلبوها وامتذقوا
لبنها ففعلوا ذلك ثم قالوا هل من طعام قالت لا الا هذه الشاة فليذبحها احدكم حتى اهيئ لكم ما تاكلون

فقام اليها احدهم وذبحها وكشطها ثم هيأت لهم طعاما فاكلوا واقاموا حتى ابردوا فلما ارتحلوا
قالوا لها نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فاذا رجعنا سالمين فالمي بنا فانا صانعون بك خيرا
ثم ارتحلوا واقبل زوجها فاخبرته بخبر القوم والشاة فغضب الرجل وقال ويلك تذبحين شاتي
لقوم لا تعرفينهم ثم تقولين نفر من قريش ثم بعد مدة الجاتهما الحاجة الى دخول المدينة
فدخلاها وجعلا ينقلان البعر اليها ويبيعانه ويتعيشان بثمنه فمرت العجوز ببعض سكك المدينة
فاذا الحسن بن علي جالس على باب داره فعرف العجوز وهي له منكرة فبعث الغلام فدعا
العجوز فقال يا امة الله اتعرفينني قالت لا قال انا ضيفك يوم كذا وكذا قالت العجوز بابي انت وامي
انت هو قال نعم ثم امر الحسن فاشتروا لها من شياه الصدقة الف شاة وامر لها بالف دينار وبعث بها
مع غلامه الى الحسين فقال لها الحسين بكم وصلك اخي قالت بالف دينار والف شاة فامر لها الحسين
بمثل ذلك ثم بعث بها مع غلامه الى عبد الله بن جعفر فقال لها بكم وصلك الحسن والحسين قالت بالفي
شاة والفي دينار فامر لها عبد الله بالفي شاة والفي دينار وقال لها لو بدأت بي لاتعبتهما فرجعت العجوز
الى زوجها باربعة الاف شاة واربعة الاف دينار وخرج عبد الله بن عامر ابن كريز من المسجد يريد
منزله وهو وحده فقام اليه غلام من ثقيف يمشي الى جانبه فقال له عبد الله الك حاجة يا غلام قال
صلاحك وفلاحك رايتك تمشي وحدك فقلت اقيك بنفسي واعوذ بالله ان طار بجناحك مكروه فاخذ
عبد الله بيده ومشى معه الى منزله ثم دعا بالف دينار فدفعها الى الغلام وقال استنفق هذه فنعم
ما ادبك به اهلك وحكي ان قوما من العرب جاؤوا الى قبر بعض اسخيائهم للزيارة فنزلوا عند
قبره وقد جاؤوا من سفر بعيد فباتوا عند قبره فراى رجل منهم صاحب القبر في النوم وهو يقول
له هل لك ان تبادل بعيرك بنجيبي وكان بخلف السخي الميت نجيبا معروفا به ولهذا الرجل بعير
سمين فقال له في النوم نعم وباع في النوم بعيره بنجيبه فلما وقع بينهما العقد عمد هذا الرجل
الى بعيره فنحره في النوم فانتبه الرجل من نومه ثج الدم من نحر بعيره بنجيبه فلما وقع بينهما
العقد عمد هذا الرجل الى بعيره فنحره في النوم فانتبه الرجل من نومه ثج الدم من نحر بعيره فقام
الرجل من النوم فنحره وقسم لحمه وطبخوه وقضوا حاجتهم ثم رحلوا وساروا فلما كان في اليوم
الثاني وهم في الطريق استقبلهم ركب فقال رجل منهم من فلان منكم باسم ذلك الرجل فقال
انا فقال هل بعت من فلان شيئا وذكر الميت صاحب القبر قال نعم بعت منه بعيري بنجيبه في النوم
فقال خذه هذا نجيبه ثم قال هو ابي وقد رايته في النوم وهو يقول لي ان كنت ابني فادفع
نجيبي الى فلان وسماه وقدم رجل من قريش من السفر فمر برجل من الاعراب على قارعة الطريق قد
اقعده الدهر فقال الرجل لغلامه ما بقي من النفقة فادفعه اليه فصب الغلام في حجر الاعرابي
اربعة الاف درهم فذهب لينهض فلم يقدر من الضعف فبكى فقال له الرجل ما يبكيك لعلك ه
استقللت ما اعطيناك قال لا ولكن ذكرت ما تاكل الارض من كرمك فابكاني واشترى عبد
الله بن عامر من خالد بن عقبة ابن ابي معيط داره التي بالسوق بتسعين الف درهم فلما كان الليل
سمع بكاء اهل دار خالد فقال لاهله ما لهؤلاء قالوا يبكون لدارهم قال يا غلام ائتهم فاعلمهم
ان الدار والمال لهم جميعا وقيل انفذ هرون الرشيد الى مالك ابن انس خمسمائة دينار
فبلغ ذلك الليث بن سعد رضي الله عنه فانفذ اليه الف دينار فغضب هرون وقال

اعطيته خمسمائة دينار واعطيته اتسألنا وانت منه عتيق فقال يا امير المؤمنين اني في كل يوم في
على الف دينار فاستحييت ان اعطي مثله اقل من دخل يوم وحكى انه لم يجب عليه زكاة مع ان
دخله في كل يوم الف دينار وروي ان امراة سالت الليث ابن سعد شيئا من عسل فامر لها برق
وقال انها سالت على قدرها ونعطيها على قدر النعمة علينا وكان الليث ابن سعد لا يتكلم كل يوم حتى
يتصدق على ثلثمائة وستين مسكينا وقال الاعمش اشتكت شاة لي فكان خيثمة ابن عبد
الرحمن يعودها بالغداة والعشي ويسالني هل استوفت علفها وكيف صبر الصبيان منذ
فقدوا لبنها وكان تحتي لبد اجلس عليه فاذا خرج قال خذ ما تحت اللبد حتى وصل الي
في علة الشاة اكثر من ثلثمائة دينار من بره حتى تمنيت ان الشاة لم تبرا وقال
عبد الملك ابن مروان لاسماء بن خارجة بلغني عنك خصال فحدثني بها قال هي من غيري احسن منها
مني قال عزمت عليك الا حدثتني فقال يا امير المؤمنين ما مددت رجلي بين يدي جليس
قط ولا صنعت طعاما فدعوت عليه قوما الا وكانوا امن عليه مني عليهم ولا نصب لي رجل وجهه
يسالني فاستكثرت شيئا اعطيته اياه ودخل سعيد بن خالد على سليمن بن عبد الملك وكان
سعيد جوادا فاذا لم يجد شيئا كتب لمن يسأله الصك على نفسه حتى يخرج عطاؤه فلما نظر اليه
سليمن تمثل بهذا البيت اني سمعت مع الصباح مناديا يا من يعين على الفتى المعوان ثم قال حاجتك
قال ديني قال وكم هو قال ثلثون الف دينار قال لك دينك ومثله وقيل مرض قيس
ابن سعد بن عبادة فاستبطا اخوانه فقال انهم يستحيون مما لك عليهم من الدين فقال اخزى الله
مالا يمنع الاخوان من الزيارة ثم امر مناديا فنادى من كان لقيس عليه دين فهو منه في حل فكسرت درجته
بالعشي لكثرة من عاده وعن ابي اسحق قال صليت الفجر في مسجد بن الاشعث بالكوفة اطلب غر
يما لي فلما صليت وضع بين يدي حلة ونعلان فقال لست من اهل هذا المسجد فقيل ان الاشعث
بن قيس الكندي قدم البارحة من مكة فامر لكل من صلى في مسجده بحلة ونعلين وقال
الشيخ ابو سعيد الخركوشي النيسابوري سمعت محمد بن محمد الحافظ يقول سمعت الشافعي المجاور
بمكة قال كان بمصر رجل عرف بانه يجمع للفقراء شيئا فولد لبعضهم ولد قال فجئت اليه فقلت
ولد لي مولود وليس معي شيء فقام معي ودخل على جماعة فلم يفتح بشيء فجاء الى قبر رجل كان يعرفه
وجلس وقال رحمك الله كنت تفعل وتصنع واني درت اليوم وكلفت جماعة دفع شيء لمولود
فلم يتفق لي شيء ثم قام واخرج دينارا وكسره نصفين وناولني نصفه وقال هذا دين عليك الى ان
يفتح الله بشيء قال فاخذته وانصرفت فاصلحت ما اتفق لي به قال فرأى ذلك المحتسب تلك
الليلة ذلك الشخص في منامه قال سمعت جميع ما قلت وليس لنا اذن بالجواب ولكن احضر منزلي
وقل لاولادي يحفروا موضع الكانون ويخرجوا قرابة فيها خمسمائة دينار فاحملها الى هذا الرجل فلما كان
من الغد تقدم الى منزل الميت وقص القصة فقالوا له اجلس وحفروا الموضع واخرجوا الدنانير
وجاؤا بها فوضعوها بين يديه فقال هذا مالكم وليس لرؤياي حكم فقالوا هو يتسخى ميتا ونحن لا
نتسخى حيا فلما الحوا عليه حمل الرجل الدنانير الى صاحب المولود وذكر له القصة فاخذ منها دينارا وكسره
نصفين فاعطاه النصف الذي اقرضه وحمل النصف الاخر وقال يكفيني هذا تصدق به على
الفقراء قال ابو سعيد فلا ادري اي هؤلاء اسخى وروي ان الشافعي لما مرض مرض موته قال فلان

يغسلني فلما توفي بلغه خبر وفاته فحضر وقال ائتوني بتذكرته قال فاتي بها فنظر فيها فاذا على الشافعي سبعون
الف درهم فكتبها على نفسه وقضاها عنه وقال هذا غسلي اياه اي انما اراد به هذا قال ابو سعيد الواعظ
الخركوشي لما قدمت مصر طلبت منزل ذلك الرجل فدلوني عليه فرايت جماعة من حفدته وزرت قبره فرايتهم
سيما الخير واثار الفضل فقلت بلغ اثره في الخير اليهم وظهرت بركته فيهم مستدلا بقوله تعالى وكان ابوهما
صالحا وقال الشافعي لا ازال احب حماد ابن ابي سليمن لشيء بلغني عنه انه كان راكبا على حمار فحركه فانقطع
زره فمر على خياط فاراد ان ينزل عليه ليسوي زره فقال الخياط والله لا نزلت فقام الخياط اليه فسوى
زره فاخرج اليه صرة فيها عشرة دنانير فسلمها الى الخياط واعتذر اليه من قلتها وانشد الشافعي لنفسه
شعر ان اعتذاري الى من جا يطلبني ما ليس عندي من احدى مصيبات يا لهف نفسي على مال اجود به
على المقلين من اهل المروات ان اعتذاري الى من جا يطلبني ما ليس عندي من احدى مصيبات وعن
الربيع ابن سليمان قال اخذ رجل بركاب الشافعي فقال يا ربيع اعطه اربعة دنانير واعتذر اليه عني وقال
الربيع سمعت الحميدي يقول قدم الشافعي من صنعاء الى مكة بعشرة الاف دينار فضرب خباءه خارجا من مكة ونثرها
في ثوب ثم اقبل على كل من دخل عليه يقبض قبضة فاعطاه حتى صلى الظهر ونفض الثوب وليس عليه شيء وعن
ابي ثور قال اراد الشافعي الخروج الى مكة ومعه مال وكان قلما يمسك شيئا من سماحته فقلت ينبغي ان تشتري
بهذا المال ضيعة تكون لك ولولدك قال فخرج ثم قدم علينا فسألته عن ذلك المال فقال ما وجدت بمكة
ضيعة يمكن ان اشتريها لمعرفتي باصلها وقد وقف اكثرها ولكني بنيت بها مضربا يكون لاصحابنا اذا حجوا ينزلون فيه وانشد
الشافعي لنفسه ارى نفسي تتوق الى امور ويقصر دون مبلغهن مالي فنفسي لا تطاوعني ببخل ومالي لا يبلغني فعالي
وقال محمد بن عباد المهلبي دخل ابي على المامون فوصله بمائة الف درهم فلما قام من عنده تصدق بها فاخبر به
المامون فلما عاد عليه عاتبه المامون في ذلك فقال يا امير المؤمنين منع الموجود سوء ظن بالمعبود فوصله بمائتي الف
درهم فبكى فقال له سعيد ما يبكيك فقال ابكي على الارض انها تاكل مثلك فامر له بمائة الف اخرى ودخل ابو تمام على ابرهيم
ابن شكلة بابيات امتدحه بها فوجده عليلا فقبل المدح وامر حاجبه بنيله ما يصلحه وقال عيسى انا قوم من
موضع فكافئه فاوحشه طول المقام فكتب اليه يقول ان حراما قبول مدحتنا وترك ما نرتجي من الصفد
كالدراهم والدنانير في الصرف حراما الا يدا بيد فلما وصل الى ابرهيم البيتان قال لحاجبه كم اقام بالباب قال
شهرين قال اعطه ثلثين الفا وقال جئني بدواة فكتب اليه اعجلتنا فاتاك عاجل برنا قلا ولو امهلتنا
لم نقلل فخذ القليل وكن كانك لم تقل ونكون نحن كاننا لم نفعل ويروي انه كان لعثمان على طلحة خمسون
الف درهم فخرج عثمان يوما الى المسجد فقال له طلحة قد تهيا مالك فاقبضه فقال هو لك يا ابا محمد معونة
لك على مروتك وقالت سعدى بنت عوف دخلت على طلحة فرايت منه ثقلا فقلت ما لك فقال
قد اجتمع عندي مال قد غمني فقلت وما يغمك ادع قومك فقال يا غلام علي بقومي فقسمه فيهم فسالت
الخادم فقلت كم كان قال اربعمائة الف درهم وجاء اعرابي الى طلحة فسأله وتقرب اليه برحم فقال ان هذه
لرحم ما سالني بها احد من قبلك ان لي ارضا قد اعطاني بها عثمان ثلثمائة الف فان شئت فاقبضها
وان شئت بعتها من عثمان ودفعت اليك الثمن فقال الثمن فباعها من عثمان ودفع اليه الثمن وقيل
بكى علي رضي الله عنه يوما فقيل ما يبكيك فقال لم ياتني ضيف منذ سبعة ايام فاخاف ان يكون الله
تعالى قد اهانني وقصد رجل صديقا له فدق عليه الباب فقال ما جاء بك فقال لاربعمائة الف درهم دين
فاخرجها اليه وعاد يبكي فقالت امراته لم اعطيته اذا شق عليك فقال انما ابكي لاني لم اتفقد حاله حتى احتاج

إلينا نحب **بيان ذم البخل** قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وقال
الله تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما
بخلوا به يوم القيامة وقال سبحانه الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله **وقال**
صلى الله عليه وسلم إياكم والشح فإنه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم فاستحلوا محارمهم ودعاهم فقطعوا أرحامهم
وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيء الملكة وفي رواية ولا جبار وفي رواية ولا منان
وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه **وقال**
صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى يبغض الشيخ الزاني والبخيل المنان والعائل المختال وقال صلى الله عليه وسلم
مثل المنفق والبخيل كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من لدن ثديهما إلى تراقيهما فأما المنفق فلا ينفق
شيئاً إلا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفي بنانه وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئاً إلا قلصت ولزمت
كل حلقة مكانها حتى أخذت بتراقيه فهو يوسعها ولا تتسع **وقال** صلى الله عليه وسلم خصلتان لا يجتمعان
في مؤمن البخل وسوء الخلق وقال صلى الله عليه وسلم اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك
أن أرد إلى أرذل العمر **وقال** صلى الله عليه وسلم إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة وإياكم والفحش
فإن الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش وإياكم والشح فإنما أهلك من كان قبلكم الشح أمرهم بالكذب فكذبوا وأمرهم
بالظلم فظلموا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا **وقال** صلى الله عليه وسلم شر ما في الرجل شح هالع وجبن
خالع وقتل شهيد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكته باكية فقالت واشهيداه فقال النبي صلى الله
عليه وسلم وما يدريك أنه شهيد فلعله كان يتكلم فيما لا يعنيه أو يبخل بما لا ينقصه وقال جبير بن مطعم
بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقفله من حنين علقت برسول الله صلى الله عليه وسلم
الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى سمرة فخطفت رداءه فوقف عليه السلام وقال أعطوني ردائي لو كان لي
عدد هذه العضاه نعماً لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذاباً ولا جباناً **وقال** عمر رضي الله عنه قسم
النبي صلى الله عليه وسلم قسماً فقلت غير هؤلاء كان أحق به منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إنهم خيروني بين أن يسألوني بالفحش أو يبخلوني ولست بباخل **وقال** أبو سعيد الخدري رضي الله عنه دخل
رجلان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه ثمن بعير فأعطاهما دينارين فخرجا من عنده فلقيهما عمر فأثنيا
وقالا معروفاً وشكرا ما صنع بهما فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن فلان أعطيته ما بين
عشرة إلى مائة ولم يقل ذلك إن أحدكم يسألني فينطلق في مسألته متأبطها وهي نار فقال عمر فلم تعطيهم ما هي
نار فقال يأبون إلا أن يسألوني ويأبى الله لي البخل **وعن** ابن عباس رضي الله
عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجود فجعله في صورة رجل وجعل رأسه راسخاً في أصل شجرة طوبى
وشد أغصانها بأغصان شجرة السدرة ودلى بعض أغصانها إلى الدنيا فمن تعلق بغصن منها أدخله الجنة
ألا إن السخاء من الإيمان والإيمان في الجنة وخلق البخل من مقته وجعل رأسه راسخاً في أصل شجرة الزقوم ودلى
بعض أغصانها إلى الدنيا فمن تعلق بغصن منها أدخله النار **وقال** صلى الله عليه وسلم السخاء شجرة
تنبت في النار ولا يلج النار إلا البخيل **وقال** أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من سيدكم يا بني سلمة قالوا سيدنا الجد بن قيس إلا أنه رجل فيه بخل فقال صلى الله عليه وسلم وأي داء أدوى
من البخل ولكن سيدكم عمرو بن الجموح وفي رواية أنهم قالوا سيدنا جد بن قيس فقال بم تسودونه قالوا إنه
أكثرنا مالاً وإنا على ذلك لنراه بالبخل فقال صلى الله عليه وسلم وأي داء أدوى من البخل ليس ذلك سيدكم قالوا

فمن سيدنا يا رسول الله قال سيدكم بشر بن البراء **وقال** علي رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم إن الله تعالى يبغض البخيل في حياته السخي عند موته وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
السخي الجهول أحب إلى الله تعالى من العابد البخيل **وقال** أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد **وقال** صلى الله عليه وسلم خصلتان لا تجتمعان في مؤمن
البخل وسوء الخلق وقال صلى الله عليه وسلم لا ينبغي للمؤمن أن يكون بخيلاً ولا جباناً **وقال** صلى الله عليه وسلم
يقول قائلكم الشحيح أعذر من الظالم وأي ظلم أظلم عند الله من الشح حلف الله عز وجل بعزته وعظمته وجلاله
لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل **وروي** أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطوف فإذا رجل متعلق بأستار الكعبة
وهو يقول بحرمة هذا البيت إلا غفرت لي ذنبي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ذنبك صفه لي قال هو أعظم
من أن أصفه لك قال ويحك ذنبك أعظم أم الأرضون قال بل ذنبي يا رسول الله قال ويحك ذنبك أعظم
أم الجبال قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم البحار قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك
أعظم أم العرش قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم الله قال بل الله تعالى أعظم
وأعلى قال ويحك فصف لي ذنبك قال يا رسول الله إني رجل ذو ثروة من المال وإن السائل ليأتيني يسألني
فكأنما يستقبلني بشعلة من نار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إليك عني لا تحرقني بنارك فوالذي
بعثني بالهداية والكرامة لو قمت بين الركن والمقام ثم صليت ألف ألف عام حتى تجري من دموعك
الأنهار وتسقى بها الأشجار ثم مت وأنت لئيم لأكبك الله تعالى في النار ويحك أما علمت أن البخل كفر وأن
الكفر في النار ويحك أما علمت أن الله عز وجل يقول ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه ومن يوق شح نفسه فأولئك
هم المفلحون **الآثار** قال ابن عباس رضي الله عنهما لما خلق الله تعالى جنة عدن قال لها ازيني فتزينت
ثم قال لها أظهري أنهارك فأظهرت عين السلسبيل وعين الكافور وعين التسنيم فتفجر منها في الجنان أنهار
الخمر وأنهار العسل وأنهار اللبن ثم قال لها أظهري سررك وحجالك وكراسيك وحليك وحللك وحور عينك
فأظهرت فنظر إليها فقال تكلمي فقالت طوبى لمن دخلني فقال الله عز وجل لا أسكنك بخيلاً **وقالت**
أخت عمر بن عبد العزيز أف للبخيل لو كان البخل قميصاً ما لبسته ولو كان طريقاً ما سلكته وقال طلحة بن
عبيد الله إنا لنجد بأموالنا ما يجد البخلاء ولكنا نتصبر وقال محمد بن المنكدر كان يقال إذا أراد الله
بقوم سوءاً أمر عليهم شرارهم وجعل أرزاقهم بأيدي بخلائهم وقال علي كرم الله وجهه في خطبته إنه
سيأتي على الناس زمان عضوض يعض المؤمن على ما في يديه ولم يؤمر بذلك قال الله تعالى ولا تنسوا
الفضل بينكم وقال عبد الله بن عمرو الشح أشد من البخل لأن الشحيح هو الذي يشح على ما في يد غيره حتى
يأخذه ويشح بما في يديه فيمسكه والبخيل هو الذي يبخل بما في يديه **وقال** الشعبي لا أدري أيهما أبعد
غوراً في جهنم البخل أو الكذب **وقيل** وفد على أنوشروان حكيم الهند وفيلسوف الروم فقال للهندي
تكلم فقال خير الناس من ألفي سخياً وعند الغضب وقوراً وفي القول متأنياً وفي الرفعة متواضعاً وعلى ذي
رحم مشفقاً وقام الرومي فقال من كان بخيلاً ورث عدوه ماله ومن قل شكره لم ينل النجح وأهل الكذب مذمومون
وأهل النميمة يموتون فقراء ومن لم يرحم سلط الله تعالى عليه من لا يرحمه **وقال** الضحاك في قوله تعالى إنا
جعلنا في أعناقهم أغلالاً قال البخل أمسك الله أيديهم عن النفقة في سبيل الله فهم لا يبصرون الهدى
وقال كعب ما من صباح إلا وقد وكل الله تعالى به ملكان يناديان اللهم عجل لممسك تلفاً ولمنفق خلفاً
وقال الأصمعي سمعت أعرابياً وقد وصف رجلاً فقال لقد صغر فلان في عيني لعظم الدنيا في عينه

وكانما يجي بالسائل اذرائيل ملك الموت اذا اتاه وقال ابو حنيفة لا ارى ان اعدل بخيلا فانه يحمله البخل على الاستقصاء فياخذ فوق حقه خيفة من ان يغبن فمن كان هكذا لا يكون مامون الامانة وقال علي رضي الله عنه ما استقصى كريم قط قال الله تعالى عرف بعضه واعرض عن بعض وقال الجاحظ ما بقي من اللذات الا ثلاث ذم البخلاء واكل القديد وحك الجرب وقال بشر بن الحارث البخيل لا غيبة له قال صلى الله عليه وسلم انك لبخيل ومدحت امراة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا صوامة قوامة الا ان فيها بخلا قال فما خيرها وقال بشر النظر الى البخيل يقسي القلب ولقاء البخيل كرب على قلوب المؤمنين وقال يحيى بن معاذ ما في القلب للاسخياء الا حب ولو كانوا فجارا وللبخلاء الا بغض ولو كانوا ابرارا وقال ابن المعتز ابخل الناس بماله اجودهم بعرضه ولقي يحيى بن زكريا ابليس في صورته فقال له يا ابليس اخبرني باحب الناس اليك وابغض الناس اليك قال احب الناس الي المؤمن البخيل وابغض الناس الي الفاسق السخي قال لم قال لان البخيل قد كفاني بخله والفاسق السخي اتخوف ان يطلع الله تعالى عليه في سخائه فيقبله ثم ولى وهو يقول لولا انك يحيى لما اخبرتك

حكايات البخلاء قيل كان بالبصرة رجل بخيل موسر فدعاه بعض جيرانه وقرب اليه طباهجة ببيض فاكل منها فاكثر وجعل يشرب الماء فانتفخ بطنه ونزل به الكرب والموت فجعل يلوي فلما اجهده الامر وصف حاله للطبيب فقال لا باس عليك تقيأ ما اكلت فقال هاه اتقيأ طباهجة ببيض اموت ولا اتقيأ طباهجة ببيض وقيل اقبل اعرابي يطلب رجلا وبين يديه تين فغطى التين بكسائه فجلس الاعرابي فقال له الرجل هل تحسن من القرآن شيئا قال نعم فقرأ والتين والزيتون فقال واين التين قال هو تحت كسائك ودعا بعضهم اخا له ولم يطعمه الى العصر حتى اشتد جوعه فاخذه مثل الجنون فاخذ صاحب البيت العود وقال بحياتي اي صوت تشتهي ان اسمعك قال الصوت المقلي وحكي ان محمد بن يحيى بن خالد بن برمك كان بخيلا قبيح البخل فسئل نسيب له كان يعرفه فقال له قائل صف لي مائدته فقال هي فتر في فتر وصحافه منقورة من حب الخشخاش قال فمن يحضرها قال الكرام الكاتبون قال فما ياكل معه احد قال بلى الذباب فقال سوءتك بدت وانت خاص به وثوبك مخرق فقال انا والله ما اقدر على ابرة اخيطه بها ولو ملك محمد بيتا من بغداد الى النوبة مملوا ابرا ثم جاءه جبريل وميكائيل ومعهما يعقوب النبي عليهم السلام يطلبون منه ابرة وسالوه اياها ليخيط بها قميص يوسف الذي قد من دبر ما فعل ويقال كان مروان بن ابي حفصة لا ياكل اللحم بخلا حتى يقرم اليه فاذا قرم اليه ارسل غلامه فاشترى له راسا فياكله فقيل له نراك لا تاكل الا الرؤوس في الصيف والشتاء فلم تختار ذلك قال نعم الراس اعرف سعره فامن خيانة الغلام ولا يستطيع ان يغبنني فيه وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر ان ياكل منه ان مس عينا او اذنا او خدا وقفت على ذلك واكل منه الوانا اكل عينه لونا واذنيه لونا وغلصمته لونا ودماغه لونا واكفى مؤنة طبخه فقد اجتمعت فيه مرافق وخرج يوما يريد المهدي فقالت له امراة من اهله ما لي عليك ان رجعت بالجائزة فقال ان اعطيت مائة الف اعطيتك درهما فاعطي ستين الفا فاعطاها اربعة دوانق واشترى مرة لحما بدرهم فدعاه صديق له فرد اللحم الى القصاب بنقصان دانق وقال اكره الاسراف وكان للاعمش جار لا يزال يعرض عليه المنزل يقول لو دخلت فاكلت كسرة وملحا فيابى عليه الاعمش فعرض عليه ذات يوم فوافق جوع الاعمش فقال سر بنا فدخل منزله فقرب اليه كسرة وملحا فبينا هما ياكلان اذ سال سائل فقال له رب المنزل بورك فيك فلما سال الثالثة قال له اذهب والا والله خرجت اليك بالعصا قال فناداه الاعمش فقال اذهب ويحك فلا والله ما رايت احدا اصدق مواعيد منه

هو منذ مدة يدعوني على كسرة وملح فلا والله ما زاد عليهما **بيان الايثار وفضيلته** اعلم ان السخاء والبخل كل واحد منهما ينقسم الى درجات فارفع درجات السخاء الايثار وهو ان يجود بالمال مع الحاجة اليه وانما السخاء عبارة عن بذل ما لا يحتاج اليه والبذل مع الحاجة اشد وكما ان السخاوة قد تنتهي الى ان يسخو على غيره مع الاحتياج اليه فالبخل قد ينتهي الى ان يبخل على نفسه مع الحاجة فكم من بخيل يمسك المال ويمرض فلا يتداوى ويشتهي الشهوة فلا يمنعه منها الا البخل بالثمن ولو وجده مجانا لاكله فهذا يبخل على نفسه مع الحاجة وذلك يؤثر على نفسه غيره مع انه محتاج اليه فانظر ما بين الرجلين فان الاخلاق عطايا يضعها الله حيث يشاء وليس بعد الايثار درجة في السخاء وقد اثنى الله تعالى على الصحابة رضي الله عنهم فقال تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وقال صلى الله عليه وسلم ايما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته واثر على نفسه غفر له وقالت عائشة رضي الله عنها ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام متوالية حتى فارق الدنيا ولو شئنا لشبعنا ولكنا نؤثر على انفسنا ونزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عند اهله شيئا فدخل عليه رجل من الانصار فذهب بالضيف الى اهله ثم وضع بين يديه الطعام وامر امراته باطفاء السراج وجعل يمد يده الى الطعام كانه ياكل ولا ياكل حتى اكل الضيف الطعام فلما اصبح قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله تعالى من صنيعكم الليلة الى ضيفكم ونزلت ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة فالسخاء خلق من اخلاق الله تعالى والايثار اعلى درجات السخاء وكان ذلك من ادب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سماه الله تعالى عظيما فقال عز وجل وانك لعلى خلق عظيم وقال سهل بن عبد الله قال موسى عليه السلام يا رب ارني بعض درجات محمد صلى الله عليه وسلم وامته قال يا موسى انك لن تطيق ذلك ولكن اريك منزلة من منازله جليلة عظيمة فضلته بها عليك وعلى جميع خلقي قال فكشف له عن ملكوت السموات فنظر الى منزلة كادت تتلف نفسه من انوارها وقربها من الله عز وجل قال يا رب بماذا بلغ به هذه الكرامة قال بخلق اختصصته به من بينهم وهو الايثار يا موسى لا ياتيني احد منهم قد عمل به وقتا من عمره الا استحييت من محاسبته وبوأته من جنتي حيث يشاء وقيل خرج عبد الله بن جعفر الى ضيعة له فنزل على نخيل قوم وفيها غلام اسود يعمل فيها اذ اتى الغلام بقوته فدخل الحائط كلب ودنا من الغلام فرمى اليه الغلام بقرص فاكله ثم رمى اليه الثاني والثالث فاكله وعبد الله بن جعفر ينظر فقال يا غلام كم قوتك كل يوم فقال ما رايت قال فلم اثرت هذا الكلب فقال ما هي بارض كلاب انه جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت رده قال فما انت صانع اليوم قال اطوي يومي هذا فقال عبد الله بن جعفر الام على السخاء ان هذا لاسخى مني فاشترى الحائط والغلام وما فيه من الالات واعتق الغلام ووهبه له وقال عمر رضي الله عنه اهدي الى رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم راس شاة فقال ان اخي فلانا احوج مني اليه فبعث به اليه فلم يزل يبعث به الواحد الى الاخر حتى تداوله سبعة ابيات حتى رجعت الى الاول وبات علي بن ابي طالب كرم الله وجهه على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فاوحى الله تعالى الى جبرائيل وميكائيل اني اخيت بينكما وجعلت عمر احدكما اطول من الاخر فايكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختارا كلاهما الحياة واحباها فاوحى الله تعالى اليهما افلا كنتما مثل علي بن ابي طالب اخيت بينه وبين نبيي محمد صلى الله عليه وسلم فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا الى الارض فاحفظاه من عدوه فكان جبريل عند راسه وميكائيل عند رجليه وجبريل ينادي بخ بخ من مثلك يا ابن ابي طالب يباهي الله تعالى

بك المدلولكم فانزل الله تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغا مرضات الله والله روف بالعباد وعن
ابي الحسن الانطاكي انه اجتمع عنده نيف وثلاثون نفسا وكانوا في قرية بقرب الري ولهم
ارغفة معدودة لم تشبع جميعهم فكسروا الرغفان واطفاوا السراج وجلسوا للطعام فلما رفع فاذا الطعام
بحاله لم ياكل واحد منهم شيا ايثارا لصاحبه على نفسه وروي ان رجلا جا سايلا لم يكن عنده شي
فنزع خشبة من سقف بيته فاعطاه ثم اعتذر اليه وقال حذيفة العدوي انطلقت يوم اليرموك
اطلب ابن عم لي وانا معي شي من ما وانا اقول ان كان به رمق سقيته ومسحت به وجهه فاذا انا به فقلت اسقيك
فاشار الي ان نعم فاذا رجل يقول اه فاشار ابن عمي ان انطلق به اليه فاذا هو هشام بن العاص
فقلت اسقيك فسمع به اخر فقال اه فاشار هشام ان انطلق اليه فجيته فاذا هو قد مات فرجعت
الى هشام فاذا هو قد مات فرجعت الى ابن عمي فاذا هو قد مات وقال عباس بن دهقان ما خرج
احد من الدنيا كما دخلها الا بشر بن الحارث فانه اتاه رجل في مرضه فشكى اليه الحاجة فنزع قميصه
فاعطاه واستعار ثوبا فمات فيه وعن بعض الصوفية قال كنا بطرسوس فاجتمعنا جماعة وخرجنا الى باب
الجهاد فاذا نحن بدابة ميتة فصعدنا الى موضع عال وقعدنا فلما نظر الكلب الى الميتة رجع الى البلد ثم رجع
بعد ساعة ومعه عشرين كلبا فجا الى تلك الميتة وقعد ناحية ووقعت الكلاب بالميتة وبقي ذلك
العظم ورجعت الكلاب الى البلد وقام ذلك الكلب الى ذلك العظم فاكل ما بقي على العظم ثم
انصرف وقد ذكرنا جملة من اخبار الايثار

بيان حد السخا والبخل وحقيقتهما

لعلك تقول
قد عرفت بشواهد الشرع ان البخل من المهلكات ولكن ما حد البخل وبما يصير الانسان به بخيلا وما من
انسان الا وهو يرى نفسه سخيا وربما يراه غيره بخيلا وقد يصدر فعل من انسان فيختلف فيه الناس فيقول
قوم هذا بخل ويقول اخرون ليس هذا من البخل وما من انسان الا ويجد في نفسه حبا للمال ولاجله يحفظ المال
ويمسكه فان كان يصير بامساك المال بخيلا فاذا لا ينفك احد من البخل واذا كان الامساك مطلقا لا يوجب
البخل ولا معنى للبخل الا الامساك فما البخل الذي يوجب الهلاك وما حد السخا الذي يستحق به العبد
صفة السخاوة وثوابها فنقول قال قايلون حد البخل منع الواجب فكل من ادى ما يجب عليه فليس ببخيل
وهذا غير كاف فان من يرد اللحم مثلا الى القصاب والخبز الى الخباز بنقصان حبة ونصف حبة فانه
يعد بخيلا وكذلك من يسلم الى عياله القدر الذي يفرضه القاضي ثم يضايقهم في لقمة ازدادوا عليه
او تمرة اكلوها من ماله عد بخيلا ومن كان بين يديه رغيف فحضر من يظن انه ياكل معه فاخفاه
عد بخيلا وقال قايلون البخيل هو الذي يستصعب العطيه وهذا القول ايضا قاصر فانه ان اريد به انه
يستصعب كل عطية فكم من بخيل لا يستصعب العطية القليلة كالحبة وما يقرب منها ويستصعب
ما فوقه وان اريد به انه يستصعب بعض العطايا فما من جواد الا وقد يستصعب بعض العطايا وهو ما
يستغرق جميع ماله او المال العظيم وهذا لا يوجب الحكم بالبخل وهكذا تكلموا في الجود فقيل الجود عطا بلا
من واسعاف على غير روية وقيل الجود عطا من غير مسالة على روية التقليل وقيل الجود السرور بالسايل
والفرح بالعطا لما امكن وقيل الجود عطا على روية ان المال لله تعالى وانا العبد لله تعالى فيعطي
عبد الله مال الله على غير روية الفقر وقيل من اعطى البعض وابقى البعض فهو صاحب سخا ومن بذل الاكثر
وابقى لنفسه شيا فهو صاحب جود ومن قاسى الضر واثر غيره بالبلغة فهو صاحب ايثار ومن لم يبذل شيا
فهو صاحب بخل وجملة هذه الكلمات غير محيطة بحقيقة البخل والجود بل نقول المال خلق لحكمة الله تعالى

ومقصود وهو صلاح الحاجات الخلق ويمكن امساكه عن الصرف الى ما خلق للصرف اليه ويمكن التصرف فيه بالعدل
وهو ان يحفظ حيث يجب الحفظ ويبذل حيث يجب البذل والامساك حيث يجب البذل بخل والبذل
حيث يجب الامساك تبذير وبينهما وسط وهو المحمود وينبغي ان يكون السخا والجود عبارة عنه اذ لم
يومر رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بالسخا فقيل له ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل
البسط وقال والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما فالجود وسط بين الاسراف
والاقتار وبين البسط والقبض وهو ان يقدر بذله وامساكه بقدر الواجب ولا يكفي ان يفعل ذلك بجوارحه
ما لم يكن قلبه طيبا غير منازع له فيه وان بذل في محل وجوب البذل ونفسه تنازعه وهو يصابرها
فهو متسخ وليس بسخي بل ينبغي ان لا يكون لقلبه علاقة مع المال الا من حيث يراد المال له وهو صرفه الى
ما يجب صرفه اليه فان قلت فقد صار هذا موقوفا على معرفة الواجب فما الذي يجب بذله فاقول ان الواجب
قسمان واجب بالشرع وواجب بالمروة والعادة والسخي هو الذي لا يمنع لا واجب الشرع ولا واجب المروة
فان منع واحدا منهما فهو بخيل ولكن الذي يمنع واجب الشرع ابخل كالذي يمنع اداء الزكوة ويمنع عياله
واهله النفقة او يوديها ولكنه يشق عليه فانه بخيل بالطبع وانما يتسخى بالتكلف او الذي يتيمم الخبيث
من ماله ولا يطيب قلبه ان يعطي من اطيب ماله او من وسطه فهذا كله بخل واما واجب المروة
فهو ترك المضايقة والاستقصا في المحقرات فان ذلك مستقبح منه واستقباح ذلك يختلف
بالاحوال والاشخاص فمن كثر ماله يستقبح منه ما لا يستقبح من الفقير من المضايقة ويستقبح من
الرجل المضايقة مع اهله واقاربه ومماليكه ما لا يستقبح مع الاجانب ويستقبح من الجار ما لا
يستقبح من البعيد ويستقبح في الضيافة من المضايقة ما لا يستقبح اقل منه في المبالغة و
المعاملة فيختلف ذلك بما فيه المضايقة من ضيافة او معاملة وبما فيه المضايقة من طعام او
ثياب اذ يستقبح في الاطعمة ما لا يستقبح في غيرها ويستقبح في شرى الكفن مثلا او في شرى الاضحية
او شرى خبز الصدقة ما لا يستقبح في غيره من المضايقة وكذلك يختلف بمن معه المضايقة من
صديق واخ وقريب وزوجة وولد واجنبي وكذلك يختلف ايضا بمن معه المضايقة من صبي
وامراة وشيخ وشاب وجاهل وعالم وموسر وفقير فالبخيل هو الذي يمنع حيث ينبغي ان لا يمنع اما
بحكم الشرع واما بحكم المروة وذلك لا يمكن النص على مقداره ولعل حد البخل هو امساك المال عن غرض ذلك
الغرض هو اهم من حفظ المال فمانع الزكوة والنفقة بخيل وصيانة المروة اهم من حفظ المال والمضايق
في الدقايق مع من لا يحسن المضايقة معه هاتك ستر المروة لحب المال فهو بخيل وتبقى درجة اخرى
وهو ان يكون الرجل ممن يودي الواجب ويحفظ المروة ولكن معه مال كثير قد جمعه وليس يصرفه
الى الصدقات والى المحتاجين فقد تقابل غرض حفظ المال ليكون له عدة على نوايب الزمان وغرض الثواب
ان يكون رافعا لدرجاته في الاخرة فامساك المال على هذا الغرض بخل عند الاكياس وليس ببخل
عند عوام الخلق وذلك لان نظر العوام مقصور على حظوظ الدنيا فيرون امساكه لدفع نوايب الزمان
مهما وربما يظهر عند العوام ايضا سمة البخل عليه ان كان في جواره محتاج فمنعه وقال
قد اديت الزكوة الواجبة وليس علي غيرها ويختلف استقباح ذلك باختلاف مقدار ماله وباختلاف
شدة حاجة المحتاج وصلاحه ودينه واستحقاقه فمن ادى واجب الشرع وواجب المروة اللايقة به
فقد تبرا من البخل نعم لا يتصف بصفة الجود والسخا ما لم يبذل زيادة على ذلك لطلب الفضيلة ونيل

الدرجات فاذا اتسعت لبذل المال حيث لا يوجب الشرع ولا يتوجه اليه الملامة في العادة فهو جواد بقدر
ما ينبعث له نفسه من قليل او كثير ودرجات ذلك لا تحصر وبعض الناس اجود من بعض واصطناع المعروف
وراء ما توجبه العادة والمروءة هو الجود ولكن بشرط ان يكون عن طيبة نفس ولا يكون من طمع ورجاء خدمة
او مكافاة او شكر او ثناء فان طمع في الشكر والثنا فهو بياع وليس بجواد لانه يشتري المدح بماله والمدح
لذيذ وهو مقصود في نفسه والجود هو بذل الشي من غير عوض هذا هو الحقيقة ولا يتصور ذلك الا
من الله تعالى فاما الادمي فاسم الجود عليه مجاز اذ لا يبذل الشيء الا لغرض ولكنه اذا لم يكن له غرض غير
الثواب في الاخرة واكتساب فضيلة الجود وتطهير النفس عن رذالة البخل سمي جوادا فان كان
الباعث عليه مثلا الخوف من الهجا او من ملامة الخلق او ما يتوقعه من نفع يناله من المنعم عليه
فكل ذلك ليس من الجود لانه مضطر اليه بهذه البواعث وهي اعواض معجلة له عليها فهو معتاض لا جواد
كما روي عن بعض السلف من المتعبدات انها وقفت على حبان ابن هلال وهو جالس مع اصحابه فقالت
هل فيكم من اساله عن مسئلة فقالوا لها سلي عما شئت واشاروا الى حبان بن هلال فقالت ما السخا
عندكم قالوا العطا والبذل والايثار قالت هذا السخا في الدنيا فما السخاء في الدين قالوا ان
نعبد الله قالت فتريدون على ذلك اجرا قالوا نعم قالت ولم قالوا لان الله عز وجل وعدنا بالحسنة عشر
امثالها قالت سبحان الله فاذا اعطيتم واحدة واخذتم عشرا فباي شي تساخيتم عليه قالوا لها فما
السخا عندك رحمك الله تعالى قالت السخا عندي ان تعبدوا الله عز وجل متنعمين متلذذين
بطاعته غير كارهين لا تريدون على ذلك اجرا حتى يكون مولاكم يفعل بكم ما يشا الا تستحيون من
الله عز وجل يطلع على قلوبكم فيعلم منها انكم تريدون شيا بشي هذا في الدنيا قبيح **وقالت**
بعض المتعبدات رحمة الله عليها اتحسبون ان السخا في الدينار والدرهم فقط قالوا ففيم قالت
السخا عندي في المهج **وقال** المحاسبي رحمه الله عليه السخا في الدين ان تسخو بنفسك تتلفها
لله عز وجل ويسخو قلبك ببذل مهجتك واهراق دمك لله سبحانه وتعالى بسماحة من غير اكراه لا
تريد بذلك ثوابا عاجلا ولا اجلا وان كنت غير مستغن عن الثواب ولكن يغلب على ظنك حسن كمال
السخا بترك الاختيار على الله سبحانه وتعالى حتى يكون مولاك هو الذي يفعل بك ما لا تحسن ان تختار
لنفسك والله الموفق للصواب **مثال علاج البخل اعلم** ان البخل سببه حب المال ولحب
المال سببان احدهما حب الشهوات التي لا وصول اليها الا بالمال مع طول الامل فان الانسان لو علم انه
يموت بعد يوم ربما كان لا يبخل بماله والقدر الذي يحتاج اليه في يوم او في شهر او في سنة قريب
وان كان قصير الامل ولكن كان له اولاد قام الولد مقام طول الامل فانه يقدر بقاهم كبقا نفسه
فيمسك لاجلهم ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم الولد مبخلة مجبنة محزنة فاذا انضاف
الى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بمجي الرزق قوي البخل لا محالة **السبب الثاني** ان يحب عين
المال فمن الناس من معه ما يكفيه لبقية عمره اذا اقتصر على ما جرت عادته بنفقته وتفضل الاف
وهو شيخ ولا ولد له ومعه اموال كثيرة ولا تسمح نفسه باخراج الزكاة ولا بمداواة نفسه عند المرض بل
صار محبا للدنانير عاشقا لها يلتذ بوجودها في يده وبقدرته عليها فيكنزها تحت الارض وهو يعلم
انه يموت فتضيع او ياخذها اعداوه ومع هذا فلا تسمح نفسه بان ياكل او يتصدق وهذا مرض
للقلب عظيم عسير العلاج لا سيما في كبر السن وهو مرض مزمن لا يرجى علاجه ومثال صاحبه

مثال رجل عشق شخصا فاحب رسوله لحبه ثم نسي محبوبه واشتغل برسوله فان الدنانير رسول
مبلغ الى الحاجات فصارت محبوبة لذلك لان الموصل الى اللذيذ لذيذ ثم قد ينسى الحاجات و
يصير الذهب كانه محبوب في نفسه وهو غاية الضلال بل من راى بينه وبين الحجر فرقا فهو جاهل
الا من حيث قضا حاجاته به فالفاضل عن قدر حاجته والحجر بمثابة واحدة فهذه اسباب
حب المال وانما علاج كل علة بمضادة سببها فيعالج حب الشهوات بالقناعة باليسير وبالصبر
ويعالج طول الامل بكثرة ذكر الموت والنظر في موت الاقران وطول تعبهم في جمع المال وضياعه
بعدهم ويعالج التفات القلب الى الولد بان الذي خلقه خلق معه رزقه وكم من ولد لم يرث
من ابيه مالا وحاله احسن ممن ورث وبان يعلم انه يجمع المال لولده يريد ان يترك ولده بخير وينقلب
هو الى شر وان ولده ان كان تقيا صالحا فيكفيه الله تعالى وان كان فاسقا فيستعين بماله
على المعصية وترجع مظلمته اليه ويعالج ايضا قلبه بكثرة التامل في الاخبار الواردة في ذم البخل
ومدح السخا وما توعد الله تعالى به على البخل من العقاب العظيم ومن الادوية النافعة كثرة
التامل في احوال البخلا ونفرة الطبع عنهم واستقباحهم له فانه ما من بخيل الا ويستقبح البخل
من غيره ويستثقل كل بخيل من اصحابه فيعلم انه مستثقل ومستقذر في قلوب الناس مثل سائر البخلا
في قلبه ويعالج ايضا قلبه بان يتفكر في مقاصد المال وانه لماذا خلق فلا يحفظ من المال الا بقدر
حاجته والباقي يدخره لنفسه بان يحصل له ثواب بذله فهذه ادوية من جهة المعرفة والعلم
فاذا عرف بنور البصيرة ان البذل خير له من الامساك في الدنيا والاخرة هاجت رغبته في البذل ان
كان عاقلا فاذا تحركت الداعية فينبغي ان يمضي الخاطر الاول ولا يتوقف فان الشيطان يعده الفقر
ويخوفه ويصده عنه كان ابو الحسن البوشنجي في الخلا فدعا تلميذا له وقال انزع عني القميص وادفعه
الى فلان فقال هلا صبرت حتى تخرج قال لم امن على نفسي ان يتغير وكان قد خطر لي البذل ولا تزول
صفة البخل الا بالبذل تكلفا كما لا يزول العشق الا بمفارقة المعشوق بالسفر
عن مستقره حتى اذا سافر وفارق وتكلف الصبر على حبه تسلى عنه قلبه فكذلك الذي يريد
علاج البخل ينبغي ان يفارق المال تكلفا بان يبذله بل لو رماه في الما كان اولى به من امساكه اياه مع الحب
له ومن لطائف الحيل فيه ان يخدع نفسه بحسن الاسم والاشتهار بالسخا فيبذل على قصد الريا
حتى تسمح نفسه بالبذل طمعا في حشمة الجود فيكون قد ازال عن نفسه خبث البخل واكتسب بها خبث الريا
ولكن ينعطف بعد ذلك على الريا فيزيله بعلاجه ويكون طلب الاسم كالتسلية للنفس عند
فطامها عن المال كما قد يسلى الصبي عند الفطام عن الثدي باللعب بالعصافير وغيرها لا ليخلى
واللعب ولكن لينقل عن الثدي الى اللعب ثم ينقل عنه الى غيره وكذلك هذه الصفات الخبيثة
ينبغي ان يسلط بعضها على بعض كما تسلط الشهوة على الغضب لتكسر حدته بها وتسلط الغضب
على الشهوة لتكسر رعونتها الا ان هذا مفيد في حق من كان البخل اغلب عليه من حب الجاه والريا فيبدل
الاقوى بالاضعف وان كان الجاه محبوبا عنده كالمال فلا فائدة فيه لانه يقلع عليه ويزيد في اخرى
مثلها الا ان علامة ذلك ان لا يثقل عليه البذل لاجل الريا فبذلك يتبين ان الريا اغلب عليه
وان كان البذل يشق عليه مع الريا فينبغي ان يبذل فان ذلك يدل على ان مرض البخل اغلب على
قلبه ومثال دفع هذه الصفات بعضها ببعض مثال ما يقال ان الميت يستحيل جميع اجزائه

ودوا ثم ياكل بعضها بعضا حتى يقل عددهن ويكبرن ثم ياكل بعضهن بعضا حتى يرجع الى اثنتين قويتين
عظيمتين ثم لا يزالان يتقاتلان حتى تغلب احداهما الاخرى فتاكلها وتسمن بها ثم لا تزال تبقى
وحدها جائعة الى ان تموت فكذلك هذه الصفات الخبيثة يمكن ان يسلط بعضها على بعض
حتى يقمعها فيجعل الاضعف قوتا للاقوى الى ان لا يبقى الا واحده ثم تقع العناية بمحوها وازالتها
بالمجاهدة وهو منع القوت عنه ومنع القوت عن الصفات ان لا يعمل بمقتضاها فانها تقتضي اعمال
المال لا محالة اعمالا اذا خولفت خمدت الصفات مثل البخل فانه يقتضي امساك المال فاذا منع مقتضاها
وبذل المال مع الجهد مرة بعد اخرى وماتت صفات البخل وصار البذل طبعا وسقط التعب
فيه فاذا علاج البخل بالعلم والعمل فالعلم يرجع الى معرفة افة البخل وفائدة الجود والعمل يرجع الى البذل
على سبيل التكلف ولكن قد يقوى البخل بحيث يعمي ويصم فيمنع تحقق المعرفة بافته واذا لم تتحقق
المعرفة لم تتحرك الرغبة فلم يتيسر العمل فتبقى العلة مزمنة كالمرض الذي يمنع معرفة الدوا و
امكان استعماله فانه لا حيلة فيه الا الصبر الى الموت وكان من عادة بعض شيوخ الصوفية في
معالجة علة البخل من المريدين ان يمنعهم من الاختصاص بزواياهم فكان اذا توهم في مريد فرحه
بزاويته وما فيها نقله الى زاوية غيره ونقل زاوية غيره اليه واخرجه عن جميع ما ملكه واذا راه تلفت
الى ثوب جديد يلبسه او سجادة يفرح بها يامره بتسليمها الى غيره ويلبسه ثوبا خلقا لا يميل اليه قلبه
فبهذا يتجافى القلب عن متاع الدنيا فمن لم يسلك هذه السبيل انس بالدنيا واحبها فان كان له الف
متاع كان له الف محبوب ولذلك اذا سرق منه واحد منها اصيب بمصيبة بقدر حبه له فاذا مات
نزلت به الف مصيبة دفعة واحدة لانه كان يحب الكل وقد سلب عنه بل هو في حياته على خطر
المصيبة بالفقد والهلاك حمل الى بعض الملوك قدح من فيروزج مرصع بالجوهر لم ير له نظير ففرح الملك
بذلك فرحا شديدا فقال لبعض الحكما عنده كيف ترى هذا قال اراه مصيبة او فقرا قال ان انكسر كان
مصيبة لا جبر لها وان سرق صرت فقيرا اليه ولم تجد مثله وقد كنت قبل ان يحمل الى الملك في امن من
المصيبة والفقر ثم اتفق ان انكسر يوما وعظمت مصيبة الملك فيه وقال صدق الحكيم ليته لم يحمل
الينا فهذا جميع اسباب الدنيا فان الدنيا عدوة لاعداء الله اذ تسوقهم الى النار وعدوة لاولياء
الله اذ تغمهم بالصبر عنها وعدوة لله سبحانه اذ تقطع طريقه على عباده وعدوة لنفسها فانها
تاكل نفسها وان المال لا يحفظ الا بالخزائن والحراس لا يمكن تحصيلهم الا بالمال فيبذل الدنانير
والدراهم فالمال ياكل نفسه ويضاد ذاته حتى يفنى ومن عرف افة المال لم يانس به ولم ياخذ الا
قدر حاجته ومن قنع بقدر الحاجة فلا يبخل لان ما امسكه لحاجته فليس ببخل وما لا يحتاج اليه فلا
يتعب نفسه بحفظه فيبذله بل هو كالماء على شط النهر اذ لا يبخل به احد لقناعة الناس منه بمقدار
الحاجة والله اعلم **بيان مجموع الوظائف التي على العبد في ماله** اعلم ان المال كما
وصفناه خير من وجه وشر من وجه ومثاله مثال الحية ياخذها الراقي ويستخرج منها الترياق
ويقتله سمها من حيث لا يدري ولا يسلم احد من سم المال الا بالمحافظة على خمس وظائف الاولى ان
يعرف مقصود المال وانه لماذا خلق وانه لم يحتاج اليه حتى لا يكتسب ولا يحفظ الا قدر الحاجة ولا
يعطيه من همته فوق ما يستحقه الثانية ان يراعي جهة دخل المال فيجتنب الحرام المحض وما
الغالب عليه الحرام كمال السلاطين ونحوه ويجتنب الجهات المكروهة القادحة في المروة كالهدايا

التي فيها شوائب الرشوة وكالسؤال الذي فيه الذل وهتك المروة وما يجري مجراه الثالثة في المقدار
الذي يكتسبه فلا يستكثر منه ولا يستقل بل القدر الواجب ومقداره الحاجة والحاجة كسوة و
مسكن ومطعم ولكل واحد ثلاث درجات ادنى واوسط واعلى ومادام مائلا الى جانب القلة
ومتقربا من حد الضرورة كان محقا وكان في جملة المحقين وان جاوز ذلك وقع في هوة لا اخر
لعمقها وقد ذكرنا تفصيل ذلك في كتاب الزهد الرابعة ان يراعي جهة الخرج ويقتصد في الانفاق
غير مبذر ولا مقتر كما ذكرناه فيضع ما اكتسبه من حله في حقه ولا يضعه في غير حقه فان الاثم
في الاخذ من غير حقه والوضع في غير حقه سواء الخامسة ان يصلح نيته في الاخذ والترك
والانفاق والامساك فياخذ ما ياخذ ليستعين به على العبادة ويترك ما يترك زهدا فيه واستحقارا
له واذا فعل ذلك لم يضره وجود المال ولذلك قال علي كرم الله وجهه لو ان رجلا اخذ جميع
ما في الارض واراد به وجه الله تعالى فهو زاهد ولو انه ترك الجميع ولم يرد به وجه الله تعالى
فليس بزاهد فلتكن جميع حركاتك وسكناتك لله تعالى مقصورة على عبادة او على ما يعين على العبادة
فان ابعد الحركات عن العبادة الاكل وقضاء الحاجة وهما معينان على العبادة فاذا كان قصدك
بهما ذلك صارت عبادة في حقك وكذلك ينبغي ان تكون نيتك في كل ما يحفظك من قميص وازار وفراش
وانية لان كل ذلك مما يحتاج اليه في الدين وما فضل عن الحاجة ينبغي ان يقصد به ان ينتفع به عبد
من عباد الله تعالى ولا يمنعه منه عند حاجته فمن فعل ذلك فهو الذي اخذ من حية المال جوهرها
وترياقها واتقى سمها فلا تضره كثرة المال ولكن لا يتاتى ذلك الا لمن رسخ في الدين قدمه وعظم
فيه علمه والعامي اذا تشبه بالعالم في الاستكثار من المال وزعم انه يشبه اغنياء الصحابة شابه
الصبي الذي يرى المعزم الحاذق ياخذ الحية ويتصرف فيها فيخرج ترياقها فيقتدي به ويظن انه اخذها
مستحسنا صورتها وشكلها ومستلينا جلدها فاخذها اقتداء به فتقتله في الحال الا ان قتيل
الحية يدري انه قتيل وقتيل المال قد لا يعرف وقد شبهت الدنيا بالحية وقد **قيل**
هي الحية تنفث السم وان كانت المجسة لانت وكما يستحيل ان يشبه الاعمى البصير في تخطي قلل الجبال
واطراف البحار والطرق المشوكة فمحال ان يشبه العامي الكامل في تناول المال **بيان ذم الغنى**
ومدح الفقر اعلم ان الناس اختلفوا في تفضيل الغني الشاكر على الفقير الصابر وقد
اوردنا ذلك في كتاب الفقر يدل على ان الفقر افضل واعلى من الغنى وكشفنا عن تحقيق الحق فيه
ولكنا في هذا الكتاب نستدل على ان الفقر افضل واعلى من الغنى على الجملة من غير التفات الى تفصيل الاحوال
ونقتصر فيه على حكاية فصل ذكره الحارث المحاسبي في بعض كتبه في الرد على بعض العلما حيث احتج
باغنياء الصحابة وبكثرة مال عبد الرحمن بن عوف وشبه نفسه بهم والمحاسبي رحمه الله تعالى حبر
الامة في علم المعاملة وله السبق على جميع الباحثين على عيوب النفس وافات الاعمال واغوار
العبادات وكلامه حري بان يحكى على وجهه وقد قال بعد كلام له في الرد على علماء السوء بلغنا ان
عيسى عليه السلام قال يا علماء السوء تصومون وتصلون وتتصدقون ولا تفعلون ما تامرون
بالقول والاماني وتدرسون ما لا تعملون فيا سوء ما تحكمون تتوبون بالقول والاماني وتعملون بالهوى
وما يغني عنكم ان تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق اقول لكم لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق
الطيب وتبقى فيه النخالة كذلك انتم تخرجون الحكم من افواهكم ويبقى الغل في صدوركم يا عبيد

الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا ينقص من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته ولا ينقص منها لذته
ولا ينقطع منها طلبه بحق اقول لكم ان قلوبكم تبكي من اعمالكم جعلتم الدنيا تحت السنتكم والعمل
تحت اقدامكم بحق اقول لكم افسدتم آخرتكم بصلاح دنياكم فصلاح الدنيا احب اليكم من صلاح الآخرة
فاي الناس احسن منكم لو تعلمون ويلكم حتى متى تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون في محلة المتحيرين
كانكم تدعون اهل الدنيا ليتركوها لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم ان يوضع
السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يغني عنكم ان يكون نور العلم بافواهكم واجوافكم منه وحشة
معطلة يا عبيد الدنيا لا كعبيد اتقياء ولا كاحرار كرام يوشك الدنيا ان تقلعكم عن اصولكم فتلقيكم على
وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تاخذ خطاياكم بنواصيكم ثم يدفعكم العلم من خلفكم حتى يسلمكم الى
الملك الديان حفاة عراة فرادى فيوقفكم على سوآتكم ثم يجزيكم بسوء اعمالكم ثم قال الحارث رضي الله
عنه اخواني فهؤلاء علماء السوء شياطين الانس وفتنة على الناس رغبوا في عرض الدنيا ورفعتها و
آثروها على الآخرة واذلوا الدين للدنيا فهم في الدنيا عار وشين وفي الآخرة هم الاخسرون او يعفو الكريم
بفضله وبعد فاني رايت الهالك المؤثر للدنيا سروره ممزوج بالتنغيص فيتفجر عنه انواع الهموم وفنون
المعاصي والى التلف والبوار مصيره فرح الهالك فرحا لم يسلم له دنياه ولا سلم له دينه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو
الخسران المبين فيا لها مصيبة ما افظعها ورزية ما اجلها الا فراقبوا الله اخواني ولا يغرنكم الشيطان
واولياؤه من الانس بالحجج الداحضة عند الله تعالى فانهم يتكالبون على الدنيا ثم يطلبون لانفسهم المعاذير
والحجج ويزعمون ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت لهم اموال فيتزين المغرورون بذكر الصحابة
ليعذرهم الناس على جمع المال ولقد دهاهم الشيطان وما يشعرون ويحك ايها المفتون ان احتجاجك بمال
عبد الرحمن ابن عوف مكيدة من الشيطان ينطق بها على لسانك فتهلك لانك متى زعمت ان اخيار الصحابة
ارادوا المال للتكاثر والشرف والزينة فقد اغتبت السادة ونسبتهم الى امر عظيم ومتى زعمت ان
جمع المال الحلال اعلى وافضل من تركه فقد ازريت محمدا صلى الله عليه وسلم والمرسلين ونسبتهم الى قلة
الرغبة والزهد في هذا الخير الذي رغبت فيه انت واصحابك من جمع المال ونسبتهم الى الجهل اذ لم يجمعوا
المال كما جمعت ومتى زعمت ان جمع المال الحلال اعلى من تركه فقد زعمت ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لم ينصح الامة اذ نهاهم عن جمع المال وقد علم ان جمع المال خير للامة فقد غشهم بزعمك حين نهاهم
عن جمع المال كذبت ورب السماء على رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كان للامة ناصحا وعليهم مشفقا
وبهم رؤفا فانعم ومتى زعمت ان جمع المال افضل فقد زعمت ان الله لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال
وقد علم ان جمع المال خير لهم او زعمت ان الله تعالى لم يعلم ان الفضل في الجمع فلذلك نهاهم عنه وانت
عليم بما في المال من الفضل والخير فلذلك رغبت في الاستكثار كانك اعلم بموضع الفضل والخير من ربك
عز وجل تعالى عن جهلك ايها المفتون تدبر بعقلك ما دهاك به الشيطان حين زين لك الاحتجاج بمال الصحابة
رضي الله عنهم ويحك وما ينفعك الاحتجاج بمال عبد الرحمن ابن عوف وقد ود ابن عوف انه لم يؤت من
الدنيا الا قوتا ولقد بلغني انه لما توفي عبد الرحمن ابن عوف قال اناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم نخاف على عبد الرحمن ابن عوف فيما ترك فقال كعب سبحان الله وما تخافون على عبد الرحمن ان
كسب طيبا وانفق طيبا وترك طيبا فبلغ ذلك ابا ذر فخرج مغضبا يريد كعبا فمر بلحى بعير فاخذه بيده
ثم انطلق يطلب كعبا فقيل له ان ابا ذر يطلبك فخرج هاربا حتى دخل دار عثمان فيستغيث به واخبره

الخبر فاقبل ابو ذر يقتص الاثر في طلب كعب حتى دخل دار عثمان فقام كعب فجلس خلف عثمان
هاربا من ابي ذر فقال له ابو ذر هيه يا ابن اليهودية تزعم ان لا باس بما ترك عبد الرحمن ولقد خرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوما نحو احد وانا معه فقال يا ابا ذر فقلت لبيك يا رسول الله فقال الاكثرون
هم الاقلون يوم القيامة الا من قال هكذا وهكذا عن يمينه وشماله وقدامه وخلفه وقليل ما هم ثم قال يا ابا
ذر فقلت نعم يا رسول الله بابي انت وامي قال ما يسرني ان لي مثل احد انفقه في سبيل الله اموت يوم اموت
اترك منه قيراطين قلت او قنطارين يا رسول الله قال بل قيراطين ثم قال يا ابا ذر انت تريد الاكثر
وانا اريد الاقل فرسول الله صلى الله عليه وسلم يريد هذا وانت تقول يا ابن اليهودية لا باس بما ترك عبد
الرحمن كذبت وكذب من قال فلم يرد عليه خوفا حتى خرج وبلغنا ان عبد الرحمن بن عوف قدمت
عليه عير من اليمن فضجت المدينة ضجة واحدة فقالت عائشة ما هذا قيل عير قدمت لعبد الرحمن
قالت صدق الله ورسوله فبلغ ذلك عبد الرحمن فسالها فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
اني رايت الجنة فرايت فقراء المهاجرين والمسلمين يدخلون سعيا ولم ار احدا من الاغنياء يدخلها معهم
الا عبد الرحمن ابن عوف رايته يدخلها معهم حبوا فقال عبد الرحمن ان العير وما عليها في سبيل الله و
ان ارقاءها احرار لعلي ادخل معهم سعيا وبلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن
ابن عوف اما انك اول من يدخل الجنة من اغنياء امتي وما كدت تدخلها الا حبوا ويحك ايها المفتون
فما احتجاجك بالمال وهذا عبد الرحمن بن عوف في فضله وتقواه وصنائعه المعروف وبذله الاموال
في سبيل الله مع صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبشراه بالجنة ايضا يوقف في عرصة القيامة واهوالها
بسبب مال كسبه من حلال للتعفف ولصنائع المعروف وانفق منه قصدا واعطى منه في سبيل الله
منع من السعي الى الجنة مع الفقراء المهاجرين وصار يحبو في آثارهم حبوا فما ظنك بامثالنا الغرقى
في فتن الدنيا وبعد فالعجب كل العجب لك يا مفتون تتمرغ في تخاليط الشبهات والسحت وتتكالب على اوساخ
الناس وتتقلب في الشهوات والزينة والمباهاة وتتقلب في فتن الدنيا ثم تحتج بعبد الرحمن
ابن عوف وتزعم انك ان جمعت المال فقد جمعه الصحابة كانك اشبهت السلف وفعلهم ويحك
ان هذا من قياس ابليس ومن فتياه لاوليائه وساصف لك احوالك واحوال السلف رضي الله عنهم
ولعمري لقد كان لبعض الصحابة اموال ارادوها للتعفف والبذل في سبيل الله فكسبوا حلالا واكلوا
طيبا وانفقوا قصدا وقدموا فضلا ولم يمنعوا منها حقا ولم يبخلوا بها لكنهم جادوا لله سبحانه
باكثرها وجاد بعضهم بجميعها وفي الشدة آثروا الله على انفسهم كثيرا فبالله اكذلك انت والله
انك لبعيد الشبه بالقوم وبعد فان اخيار الصحابة كانوا للمسكنة محبين ومن خوف الفقر
آمنين وبالله في ارزاقهم واثقين وبمقادير الله مسرورين وفي البلاء راضين وفي الرخاء
شاكرين وفي الضراء صابرين وفي السراء حامدين وكانوا لله متواضعين وعن حب العلو والتكاثر ورعين
لم ينالوا من الدنيا الا المباح لهم ورضوا بالبلغة منها وزجوا الدنيا وصبروا على مكارهها وتجرعوا
مرارتها وزهدوا في نعيمها وزهرتها فبالله اكذلك انت ولقد بلغنا انهم كانوا اذا اقبلت عليهم
الدنيا حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته من الله تعالى واذا راوا الفقر مقبلا قالوا مرحبا بشعار
الصالحين وبلغنا ان بعضهم كان اذا اصبح وعند عياله شيء اصبح كئيبا حزينا واذا لم يكن
عنده شيء اصبح فرحا مسرورا فقيل له ان الناس اذا لم يكن عندهم شيء حزنوا واذا كان عندهم شيء فرحوا وانت

لست كذلك انك لتاسى اذا اصبحت وليس عندك شي وفرحت اذ كان لك في محمد صلى الله عليه وسلم اسوة
وبلغنا انهم كانوا اذا سلك بهم سبيل الرخاء حزنوا واشفقوا وقالوا ما لنا وللدنيا وما يراد بها فكانهم
على جناح خوف واذا سلك بهم سبيل البلاء فرحوا واستبشروا وقالوا الان تعاهدنا ربنا فهذه احوال
السلف ونعتهم وفيهم من الفضل اكثر مما وصفنا فانشدك الله اكل ذلك انك لبعيد الشبه بالقوم و
ساصف احوالك يا ايها المفتون ضد احوالهم وذلك انك تطغى عند الغنا وتبطر في الرخا وتمرح
عند السرا وتغفل عند الشكر ذي النعما وتقنط عند الضرا وتسخط عند البلا ولا ترضى بالقضا نعم
وتبغض الفقر وتانف من المسكنة وذلك فخر المرسلين وانت تانف من فخرهم وتدخر المال وتجمعه خوفا
من الفقر وذلك من سو الظن بالله تعالى وقلة اليقين بضمانه وكفا به اثما وعساك تجمع المال لنعيم
الدنيا وزهرتها وشهواتها ولذاتها وبلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شرار امتي الذين غذوا
بالنعيم ونبتت عليه اجسامهم وبلغنا ان بعض اهل العلم قال ليجين يوم القيمة قوم يطلبون
حسنات لهم فيقال لهم اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها وانت في غفلة قد حرمت
نعيم الاخرة بسبب نعيم الدنيا فيا لها حسرة ومصيبة نعم وعساك تجمع المال للتكاثر والعلو والفخر
والزينة في الدنيا وقد بلغنا ان من طلب الدنيا للتكاثر بها او للتفاخر لقي الله تعالى وهو عليه غضبان
وانت غير مكترث لما حل بك من غضب ربك حين اردت التكاثر والعلو نعم وعساك ان المكث في
الدنيا احب اليك من النقلة الى جوار الله تعالى وانت تكره لقا الله والله للقايك اكره وانت في غفلة
وعساك تاسف على ما فاتك من عرض الدنيا وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
اسف على الدنيا فاتته اقترب من النار مسيرة سنة وانت تاسف على ما فاتك غير مكترث بقربك من عذاب
الله تعالى نعم ولعلك تخرج من دينك احيانا لتوفير دنياك وتفرح باقبال الدنيا عليك وترتاح لذلك سرورا بها
وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احب الدنيا وسر بها ذهب خوف الاخرة من قلبه وقد
بلغنا ان بعض اهل العلم قال انك تحاسب على الحزن على ما فاتك من الدنيا وتحاسب بفرحك بالدنيا اذا
قدرت عليها وانت فرح بدنياك وقد سلبت الخوف من الله تعالى وعساك ان تعنى بامر دنياك
اضعاف ما تعنى بامر اخرتك وعساك مصيبتك في معاصيك اهون من مصيبتك عليك في انتقاص
دنياك نعم وخوفك من ذهاب مالك اكثر من خوفك من الذنوب وعساك ان تبذل للناس ما جمعت
من الاوساخ كلها للعلو والرفعة في الدنيا وعساك ترضي المخلوقين مساخطة الله تعالى كيما تكرم وتعظم
ويحك فكان احتقار الله لك في القيمة اهون عليك من احتقار الناس اياك وعساك تخفي مساويك
عن المخلوقين ولا تكترث باطلاع الله تعالى عليك فكان الفضيحة عند الله تعالى اهون عليك من
الفضيحة في الناس وكان العبيد عندك اعلى قدرا من الله تعالى عن جهلك فكيف تنطق عند ذوي
الالباب وهذه المثالب فيك وانت ملوث بالاقذار وتحتج بمال الابرار هيهات ما ابعدك عن السلف
والله لقد بلغني انهم كانوا فيما احل لهم ازهد منكم فيما حرم عليكم ان الذي لا باس به عندكم كان كالموبقات
عندهم وكانوا للزلة الصغيرة اشد استعظاما منكم لكبائر المعاصي فليت اطيب مالك واحله مثل
شبهات اموالهم وليتك اشفقت من سياتك كما اشفقوا على حسناتهم ان لا تقبل منهم وليت صومك
على مثل افطارهم وليت اجتهادك في العبادة كان مثل فتورهم ونومهم وليت جميع حسناتك مثل واحدة من
حسناتهم وقد بلغني عن بعض الصحابة انه قال غنيمة الصديقين ما فاتهم من الدنيا ونعمتهم

ما زوي عنهم منها فمن لم يكن كذلك فليس معهم في الدنيا ولا معهم في الاخرة فسبحان الله كم بينهم
من التفاوت من نجى جنا الصحابة في العلا عند الله تعالى وفريق امثالكم في السفال او يعفو الله
الكريم بفضله وبعد فانك زعمت انك متاس بالصحابة في جمع المال للتعفف والبذل في سبيل الله
فتدبر امرك ويحك هل تجد من الحلال كما احلوا لقد بلغني ان بعض الصحابة رضي الله عنهم قال كنا
ندع سبعين بابا من الحلال مخافة ان نقع في باب من الحرام افتطمع من نفسك في مثل هذا الاحتياط
لا ورب الكعبة ما احسبك كذلك ويحك كن على يقين ان جمع المال لاعمال البر مكر من الشيطان ليوقعك
بسبب البر في اكتساب الشبهات الممزوجة بالسحت والحرام وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من اجترا على الشبهات اوشك ان يقع في الحرام ايها المغرور اما علمت ان خوفك من اقتحام
الشبهات اعلى وافضل واعظم لقدرك عند الله تعالى من اكتساب الشبهات وبذلها في
سبيل الله وسبيل البر بلغنا ذلك عن بعض اهل العلم قال لان تدع درهما واحدا مخافة ان لا يكون حلالا
خير لك من ان تتصدق بالف دينار من شبهة لا تدري ايحل لك ام لا فان زعمت انك اتقى واورع من
ان تتلبس بالشبهات وانما تجمع المال بزعمك من الحلال للبذل في سبيل الله عز وجل ويحك ان
كنت كما زعمت بالغا في الورع فلا تتعرض للحساب فان خيار الصحابة رضي الله عنهم خافوا المسالة
بلغنا ان بعضهم قال ما يسرني ان اكتسب كل يوم الف دينار من حلال وانفقه في طاعة الله تعالى
ولم يشغلني الكسب عن صلاة الجماعة قالوا ولم ذلك رحمك الله تعالى قال لاني غني عن مقام يوم
القيمة فيقول عبدي من اين اكتسبت وفي اي شي انفقت فهولا المتقون كانوا في جدة الاسلام والحلال
موجود لديهم تركوا المال وجلا من الحساب مخافة ان لا يقوم خير المال بشره وانت في نهاية الامة والحلال
في دهرك مفقود تتكالب على الاوساخ ثم تزعم انك تجمع المال من الحلال ويحك واين الحلال فتجمعه
وبعد فلو كان الحلال موجودا لديك اما تخاف ان يتغير عند الغنا قلبك وقد بلغنا ان بعض الصحابة
كان يرث المال الحلال فيتركه مخافة ان يفسد قلبه افتطمع ان يكون اتقى من قلوب الصحابة فلا
تزول عن شي من الحق في امرك واحوالك لئن ظننت ذلك لقد احسنت الظن بنفسك الامارة بالسو ويلك
اني ناصح لك ان تقنع بالبلغة ولا تجمع المال لاعمال البر ولا تتعرض للحساب فانه بلغنا ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال يجي رجل يوم القيمة وقد جمع مالا من حرام وانفقه في حرام فيقال اذهبوا
به الى النار ويوتى برجل جمع مالا من حلال وانفقه في حلال فيقال له قف لعلك فرطت في طلب هذا
بشي مما فرضت عليك من صلاة لم تصلها لوقتها وفرطت في شي من ركوعها وسجودها ووضوها فيقول
لا يا رب كسبت من حلال وانفقت في حلال ولم اضيع شيا مما فرضت علي ولم اخل ولم اباه في شي فيقال
لعلك اختلت من هذا المال في مركب او ملبس باهيت به فيقول لا يا رب لم اختل ولم اباه في شي فيقال
لعلك منعت حق احد امرتك ان تعطيه من ذوي القرابة واليتامى والمساكين وابن السبيل فيقول لا يا رب
كسبت من حلال وانفقت في حلال ولم اضيع شيا مما فرضت علي ولم اختل ولم اباه ولم اضيع حق احد
امرتني ان اعطيه فيجي اوليك فيخاصمونه فيقولون يا رب اعطيته واغنيته وجعلته بين اظهرنا
وامرته ان يعطينا فان كان اعطاهم وما ضيع ولم يضيع مع ذلك شيا من الفرايض ولم يختل في شي من ذلك
فيقال له قف الان هات شكر كل نعمة انعمتها عليك من شربة او اكلة او لذة فلا يزال يسال ويحك
فمن ذا الذي يتعرض لهذه المسالة التي كانت لهذا الرجل الذي كان يتقلب في الحلال وقام بالحقوق

كلها وادى الفرائض بحدودها وحوسب هذه المحاسبة فكيف نحن يكون حالنا مثالنا الغرقا في فتن
الدنيا وتخاليطها وشهواتها وزينتها ويحك لاجل هذه المسائلة خاف المتقون ان يتلبسوا بالدنيا
ورضوا بالكفاية منها وعملوا بانواع البر من كسب المال فلك ويحك في هولاء الاخيار اسوة فان ابيت
ذلك وزعمت انك بالغ في الورع والتقوى ولم تجمع المال الا من الحلال الا في حجته عمك التعفف والبذل
في سبيل الله ولم تنفق شيئا من الحلال الا في حقه ولم يتغير بسبب المال قلبك عما يحب الله تعالى ولم
تسخط منه عز وجل في شيء من امورك وعلانيتك ويحك ان كنت كذلك ولست كذلك فقد ينبغي لك
ان ترضى بالبلغة وتعتزل ذوي الاموال اذا وقفوا للسؤال وتسبق مع الرعيل الاول في زمرة المصطفى
صلى الله عليه وسلم لا يحبسك عليك المسائلة والحساب فاما سلامة واما عطب فانه بلغنا ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال يدخل صعاليك المهاجرين قبل اغنيائهم بخمس مائة عام وقال صلى الله عليه
وسلم يدخل فقراء امتي الجنة قبل اغنيائهم فيتمتعون ويأكلون والاخرون جثاة على ركبهم فيقول طلبتي
انتم حكام الناس وملوكهم فاروني ماذا صنعتم بما اعطيتكم وبلغنا ان بعض اهل العلم قال ما سرني
ان لي حمر النعم ولا اكون في الرعيل الاول مع محمد صلى الله عليه وسلم وحزبه يا قوم فاستبقوا السباق مع المتقين
في زمرة المرسلين وكونوا وجلين من التخلف والانقطاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما وجل
المتقون لقد بلغني ان بعض الصحابة رضي الله عنهم عطش فاستسقى فاتي بشربة من ماء وعسل
فلما ذاقه خنقته العبرة وبكى وابكى ثم مسح الدموع عن وجهه وذهب ليتكلم وعاد في البكاء فما
زال يبكي حتى مسح الدموع عن وجهه وذهب ليتكلم وعاد في البكاء فلما اكثر البكاء قيل له اكل هذا من اجل
هذه الشربة قال نعم بينا انا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما معه في البيت احد غيري فجعل يدفع
عن نفسه ويقول اليك عني فقلت له فداك ابي وامي ما ارى بين يديك احدا فمن تخاطب فقال
هذه الدنيا تطاولت الي بعنقها وراسها فقالت لي يا محمد خذني فقلت اليك عني فقالت ان تنج مني يا محمد فلن
ينجو مني من بعدك فاخاف ان تكون هذه قد لحقتني تقطعني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيا قوم
فهولاء الاخيار بكوا وجلا ان تقطعهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة من حلال ويحك انت في
انواع النعم والشهوات من مكاسب السحت والشبهات لا تخشى الانقطاع اوف ما اعظم جهلك
ويحك فان تخلفت في القيامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لتنظرن الى اهوال جزعت منها الملائكة
والانبيا عليهم السلام ولئن قصرت عن السباق فليطولن عليك اللحاق ولئن اردت الكثرة لتصيرن الى
حساب عسير ولئن لم تقنع بالقليل لتصيرن الى وقوف طويل وصراخ وعويل ولئن رضيت باحوال المخلفين
لتنقطعن عن اصحاب اليمين وعن رسول رب العالمين ولتبطئن عن نعيم المتنعمين ولئن خالفت احوال
المتقين لتكونن من المحتبسين في اهوال يوم الدين تدبر ويحك ما سمعت وبرهان زعمت انك في خيار
مثال السلف فع القلب زاهدا في الحلال بذولا للمال مؤثرا على نفسك لا تخشى الفقر ولا تدخر شيئا لغد
مبغض للتكاثر والغنى راض بالفقر والبلاء فرح بالقلة والمسكنة مسرور بالذل والضعة كاره
للعلو والرفعة قوي في امرك لا يتغير عن الرشد قلبك قد حاسبت نفسك في الله واحكمت امورك كلها
على ما وافق رضوان الله ولن توقف في المسائلة ولا تحاسب مثلك من المتقين وانما تجمع المال الحلال للبذل
في سبيل الله ويحك ايها المغرور فتدبر الامر واحسن النظر اما علمت ان ترك الاشتغال بالمال وفراغ
القلب للذكر والتذكر والتذكار والفكر والاعتبار اسلم للدين وايسر للحساب واعظم لعدتك عند الله

تعالى واخف للمسائلة وآمن من روعات القيامة واجزل للثواب واعظم لقدرك عند الله تعالى اضعافا
بلغنا عن بعض الصحابة انه قال لو ان رجلا في حجره دنانير يعطيها واخر يذكر الله تعالى لكان الذاكر
افضل وسئل بعض اهل العلم عن الرجل يجمع المال لاعمال البر فقال تركه ابر به وبلغنا ان بعض خيار التابعين
سئل عن رجلين احدهما طلب الدنيا حلالا فاصابها فوصل بها رحمه وقدم لنفسه واما الاخر فانه
جانبها افضل كما بين مشارق الارض ومغاربها ويحك فهذا الفضل لك بترك الدنيا على من طلبها
ولك في العاجل ان تركت الاشتغال بالمال ان ذلك اروح لبدنك واقل لتعبك وانعم لعيشك و
ارضى لبالك واقل لهمومك فما عذرك في جمع المال وانت بترك المال افضل ممن طلب المال لاعمال
البر نعم وشغلك بذكر الله تعالى افضل من بذل المال في سبيل الله فاجتمع لك راحة العاجل
مع السلامة والفضل في الاجل وبعد فلو كان في جمع المال فضل عظيم لوجب عليك في مكارم الاخلاق
ان تتاسى بنبيك صلى الله عليه وسلم الذي هداك الله تعالى به وترضى بما اختاره لنفسه من مجانبة
الدنيا ويحك تدبر ما سمعت وكن على يقين ان السعادة والفوز في مجانبة الدنيا فسر تحت لواء المصطفى
صلى الله عليه وسلم سابقا الى جنة المأوى فانه بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سادات المسلمين
في الجنة من اذا تغدى لم يجد عشاء واذا استقرض لم يجد قرضا وليس له فضل كسوة الا ما يواريه ولم
يقدر ان يكتسب ما يغنيه يمسي مع ذلك ويصبح راضيا عن ربه تعالى فاولئك مع الذين انعم الله
عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا الا يا اخي متى جمعت
المال من بعد هذا البيان فانك مبطل فيما ادعيت انك للبر والفضل تجمعه ولكنك خوفا من الفقر
تجمعه وللتنعم والكثرة والزينة والتكاثر والتفاخر والعلو والريا والسمعة والتعظيم والتكرمة
تجمعه ثم تزعم انك لاعمال البر تجمعه ويحك راقب الله واستحي من دعواك ايها المغرور ويحك ان
كنت مفتونا بحب الدنيا فكن مقرا ان الخير والفضل في الرضا بالبلغة ومجانبة الفضول نعم وكن عند
جمع المال مزريا على نفسك ومعترفا باساءتك وجلا من الحساب فذلك انجى لك واقرب الى الفضل من طلب
الحجج لجمع المال **اعلموا ان زمن الصحابة** كان الحلال موجودا وكانوا مع ذلك من اورع الناس وازهدهم
فيما ابيح لهم ونحن في دهر الحلال فيه مفقود وكيف لنا من الحلال ببلغ القوت وستر العورة فاما من
جمع المال في دهرنا فاعاذنا الله من ذلك وبعد فاني لنا بتقوى الصحابة رضي الله عنهم وورعهم
ومثل زهدهم واحتياطهم وانى لنا بمثل ضمائرهم وحسن نياتهم دهينا ورب السماء بادواء النفوس واهوائها
عن قريب يكون الورود فيا سعادة المخفين يوم النشور وحزن طويل لاهل التكاثر والتخاليط وقد
نصحتكم ان قبلتم والقابلون لهذا قليل وفقنا الله واياكم لكل خير برحمته هذا اخر كلامه رضي
الله عنه وفيه كفاية في اظهار الفقر وفضله على الغنى ولا مزيد عليه ويشهد لذلك جميع الاخبار
التي اوردناها في كتاب ذم الدنيا وفي كتاب الفقر والزهد ويشهد له ايضا ما روي عن ابي امامة
الباهلي رضي الله عنه ان ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال يا ثعلبة
قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال يا
ثعلبة اما لك في اسوة اما ترضى ان تكون مثل نبي الله اما والذي نفسي بيده لو شئت ان تسير معي
الجبال ذهبا وفضة لسارت قال والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله تعالى ان يرزقني مالا لاعطين
كل ذي حق حقه ولافعلن ولافعلن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ

عنا فنت كما ينمو العدد فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها ونزل واديا من اوديتها حتى جعل يصلي الظهر
والعصر في جماعة ويدع ما سواهما ثم نمت وكثرت فتنحى حتى ترك الصلوات في الجماعة وهي تنمو كما
ينمو الدود حتى ترك الجمعة وطفق يلقى الركبان يوم الجمعة فيسالهم عن الاخبار وسال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ما فعل ثعلبة ابن حاطب فقيل يا رسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة واخبر بامره
كله فقال يا ويح ثعلبة ثلثا وانزل الله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم
ان صلوتك سكن لهم وانزل الله تعالى فريضة الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من
جهينة ورجلا من بني سليم على الصدقة وكتب لهما كتابا وامرهما ان يخرجا فياخذا الصدقة من المسلمين
وقال مرا بثعلبة ابن حاطب وبفلان رجل من سليم وخذا صدقاتهما فخرجا حتى اتيا ثعلبة فسالاه
الصدقة واقراه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية
انطلقا حتى تفرغا وتعودا الي فانطلقا نحو السلمي فسمع بهما فقام الى خيار اسنان ابله فعزلها للصدقة
استقبلهما بها فلما راوها قالا لا يجب عليك هذا وما نريد ناخذ هذا منك قال بلى خذوها فنفسي
بها طيبة وانما هي لتاخذوها فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرا بثعلبة فسالاه الصدقة فقال اروني
كتابكما فنظر فيه فقال ما هذه الا اخت الجزية انطلقا حتى ارى رايي فانطلقا حتى اتيا النبي صلى الله عليه وسلم
فلما راهما قال يا ويح ثعلبة قبل ان يكلماه ودعا للسلمي فاخبراه بالذي صنع ثعلبة وبالذي صنع السلمي و
انزل الله تعالى في ثعلبة ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين
فلما اتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله
ما وعدوه وبما كانوا يكذبون وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من اقارب ثعلبة فقال
لا ام لك قد انزل الله فيك كذا فخرج ثعلبة حتى اتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله ان يقبل صدقته فقال
ان الله تعالى منعني ان اقبل صدقتك فجعل يحثو التراب على راسه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذا عملك امرتك فلم تطعني فلما ابى ان يقبل منه شيئا رجع الى منزله فلما قبض رسول الله صلى الله عليه
وسلم جاء بها الى ابي بكر رضي الله عنه فابى ان يقبلها منه وجاء بها الى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فابى ان
يقبلها وتوفي ثعلبة بعد في خلافة عثمان فهذا طغيان المال وشومه قد عرفته من هذا الحديث اجل
بركة الفقر وشوم الغنى اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفقر لنفسه ولاهل بيته حتى روي ان عمران ابن
الحصين قال كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاه فقال يا عمران ان لك عندنا منزلة
وجاها فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت بابي انت وامي نعم فقام وقمت
معه حتى وقف بباب فاطمة فقرع الباب وقال السلام عليكم ادخل فقالت ادخل يا رسول الله قال
انا ومن معي قالت ومن معك يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما علي الا عباءة قال اصنعي بها هكذا
واشار بيده فقالت هذا جسدي فقد واريته وكيف براسي فالقى عليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال
شدي بها على راسك ثم اذن له فدخل فقال السلام عليك يا ابنتاه كيف اصبحت فقالت اصبحت
والله وجعة وزادني وجعا على ما بي اني لست اقدر على طعام اكله فقد اضر بي الجوع فبكى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال لا تحزني يا بنتاه والله ما ذقت طعاما منذ ثلاث واني لاكرم على الله
منك ولو سالت ربي لاطعمني ولكني اثرت الاخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها ثم قال لها
ابشري فوالله انك لسيدة نساء اهل الجنة قالت فاين اسية امراة فرعون ومريم ابنة عمران فقال

اسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وانت سيدة نساء عالمك انكن في بيوت من قصب
لا اذى فيها ولا صخب ثم قال لها اقنعي يا ابن عمك فوالله لقد زوجتك سيدا في الدنيا سيدا في الاخرة
فانظر الان الى حال فاطمة رضي الله عنها وهي بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف اثر لها
الفقر وترك المال ومن راى احوال الانبياء واوليائه وسمع اقوالهم واخبارهم واثارهم لم يشك ان
فقد المال افضل من وجوده وان صرف الى الخيرات اذ اقل ما فيه مع اداء الحقوق والتوقي من
الشبهات والصرف الى الخيرات اشتغال الهم باصلاحه والمصارفة عن ذكر الله تعالى اذ لا ذكر
الا مع الفراغ ولا فراغ من شغل المال وقد روي عن جرير عن ليث قال صحب رجل عيسى بن مريم عليه
السلام الى النهر ليشرب منه ثم رجع فلم يجد الرغيف فساله فقال لا ادري قال فانطلق ومعه صاحبه
فراى ظبية لها خشفان قال فدعا احدهما فاتاه فذبحه فاشوى منه فاكل هو منه ذلك والرجل
ثم قال للخشف قم باذن الله عز وجل فقام فذهب فقال للرجل اسالك بالذي اراك هذه الاية
من اخذ الرغيف قال ما ادري فانتهيا الى وادي ماء فاخذ عيسى عليه السلام بيد الرجل فمشيا
على الماء فلما جاوزا قال اسالك بالذي اراك هذه الاية من اخذ الرغيف قال لا ادري قال
فانتهيا الى مفازة فجلسا فاخذ عيسى عليه السلام يجمع ترابا او كثيبا ثم قال كن ذهبا باذن
الله تعالى فصار ذهبا فقسمه ثلاثة اثلاث فقال ثلث لي وثلث لك وثلث لمن اخذ الرغيف
قال فانا اخذت الرغيف قال فكله لك وفارقه عيسى عليه السلام فمر به رجلان في المفازة
ومعه المال فارادا ان ياخذاه منه ويقتلاه فقال هو بيننا اثلاث قال فابعثوا احدكم الى
القرية حتى يشتري طعاما قال فبعثوا احدهم فقال الذي بعث لاي شيء اقاسم هؤلاء هذا
المال لكني اضع في هذا الطعام سما فاقتلهما وانفرد بالمال وقال ذانك الاثنان لاي شيء نجعل
لهذا ثلث المال ولكن اذا رجع قتلناه واقتسمناه بيننا قال فلما رجع اليهما قتلاه واكلا الطعام
فماتا وبقي المال في المفازة واولئك الثلاثة قتلى عنده فمر بهم عيسى عليه السلام على تلك
الحال فقال لاصحابه هذه الدنيا فاحذروها **وحكي ان ذا القرنين اتى على امة**
من الامم ليس في ايديهم شيء مما يستمتع به الناس من دنياهم قد احتفروا قبورا فاذا اصبحوا تعاهدوا
تلك القبور وكنسوها وصلوا عندها ورعوا البقل كما ترعى البهائم وقد قيض الله تعالى
لهم في ذلك معايش من نبات الارض فارسل ذو القرنين الى ملكهم فقال له اجب الملك ذا القرنين
فقال ما لي اليه من حاجة فاقبل اليه ذو القرنين وقال ارسلت اليك لتاتيني فابيت فها انا
قد جئت اليك فقال لو كان لي اليك حاجة لاتيتك فقال له ذو القرنين ما لي اراكم على هذه
الحال التي لم ار احدا من الامم عليها قالوا وما ذاك قال ليس لكم دنيا ولا شيء افلا اتخذتم شيئا من الذهب
والفضة فاستمتعتم بها قالوا انما كرهناهما لان احدا لم يعط منهما شيئا الا تاقت نفسه و
دعته الى ما هو افضل منه فقال ما بالكم قد احتفرتم قبورا فاذا اصبحتم تعاهدتموها و
كنستموها وصليتم عندها قالوا اردنا اذا نظرنا اليها واملنا الدنيا منعتنا قبورنا من الامل
قال واراكم لا طعام لكم الا البقل افلا اتخذتم البهائم من الانعام فاحتلبتموها وركبتموها
فاستمتعتم بها قالوا كرهنا ان نجعل بطوننا قبورا لها ورايتنا نبات الارض بلاغا وانما يكفي
ابن ادم ادنى العيش من الطعام وانما جاوز الحنك من الطعام لم يجد له طعما كائنا ما كان من

الطعام ثم بسط ملك ملك الارض يده خلف ذي القرنين فتناول جمجمة فقال يا ذا القرنين اتدري
من هذا فقال ذو القرنين لا ادري من هو قال هو من ملوك الارض اعطاه الله عز وجل سلطانا على
اهل الارض فغشم وظلم وعتا فلما راى الله عز وجل ذلك منه حسمه بالموت فصار كالحجر الملقى
وقد احصى عليه عمله حتى يجزيه به في اخرته ثم تناول جمجمة اخرى بالية فقال يا ذا القرنين اتدري
من هذا قال لا ومن هو قال هو ملك ملكه الله عز وجل بعده قد كان يرى ما صنع الذي كان
قبله بالناس من الغشم والظلم والتجبر فتواضع لله وخشع وامر بالعدل في مملكته فصار كما
ترى قد احصى الله عز وجل عليه عمله حتى يجزيه به في اخرته ثم اهوى الى جمجمة ذي القرنين
فقال وهذه الجمجمة كان قد كانت كهاتين فانظر يا ذا القرنين ما انت صانع فقال ذو القرنين هل
لك في صحبتي فاتخذك اخا ووزيرا وشريكا فيما اتاني الله عز وجل من هذا المال قال ما اصلح انا
وانت في مكان ولا ان نكون جميعا قال ذو القرنين ولم قال من اجل ان الناس كلهم لك عدو
ولي صديق قال ولم قال من اجل ان الناس كلهم لك يعادونك لما في يديك من الملك والمال
والدنيا ولا اجد احدا يعاديني لرفضي ذلك ولما عندي من الحاجة وقلة الشيء قال فانصرف
عنه ذو القرنين عليه السلام وهو متعجب منه ومتعظ به والله تعالى اعلم فهذه الحكايات
تدلك على افات الغنى مع ما قدمناه من قبل والله تعالى الموفق للصواب واليه المرجع والماب
وهو حسبنا ونعم الوكيل والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده تم كتاب ذم المال والبخل بعون الله
وحسن توفيقه ومنه وكرمه وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما ابدا
ورضي الله عن اصحاب رسول الله اجمعين والحمد لله رب العالمين وهو الكتاب السابع من ربع المهلكات
من احياء علوم الدين للامام ابي حامد الغزالي رضي الله عنه ونفع به المسلمين ويتلوه ان شاء الله تعالى
كتاب ذم الجاه والرياء وهو الكتاب الثامن من ربع المهلكات من كتاب احياء علوم الدين وصلى الله
على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله علام الغيوب المطلع على سرائر القلوب المتجاوز عن كبائر الذنوب العالم
بما تجنه الضمائر من خفايا العيوب البصير بسرائر النيات وخفايا الطويات الذي لا يقبل من
الاعمال الا ما كمل ووفى وخلص عن شوائب الرياء والشرك وصفا فانه المنفرد بالملكوت فهو اغنى الاغنياء
عن الشرك والصلاة على محمد واله واصحابه المبرئين من الخيانة والافك وسلم تسليما كثيرا
وبعد فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اخوف ما اخاف على امتي الرياء والشهوة
الخفية والرياء من الشهوات الخفية من التي هي اخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة
الظلماء ولذلك عجز عن الوقوف على غوائلها سماسرة العلماء فضلا عن عامة العباد والاتقياء وهو
من اواخر غوائل النفس وبواطن مكايدها وانما يبتلى به العلماء والعباد المشمرون عن ساق الجد
لسلوك سبيل الاخرة فانهم مهما قهروا انفسهم وجاهدوها وفطموها عن الشهوات وصانوها
عن الشبهات وحملوها بالقهر على اصناف العبادات عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة

الواقعة على الجوارح فطلبت الاستراحة الى التظاهر بالخير واظهار العمل والعلم فوجدت مخلصا من
مشقة المجاهدة الى لذة القبول عند الخلق ونظرهم اليه بعين التعظيم والتوقير فنازعت الى
اظهار الطاعة وتوصلت الى اطلاع الخلق ولم تقنع باطلاع الخالق وفرحت بحمد الناس ولم
تقنع بحمد الله تعالى وعلمت انهم اذا عرفوا تركه الشهوات وتوقيه الشبهات وتحمله مشاق
العبادات اطلقوا السنتهم بالمدح والثناء وبالغوا في التقريظ والاطراء ونظروا اليه بعين التوقير
والاكرام وتبركوا بمشاهدته ولقائه ورغبوا في بركة دعائه وحرصوا على اتباع رايه وفاتحوه
بالخدمة والسلام واكرموه في المحافل غاية الاكرام وسامحوه في البيع والمعاملات وقدموه في المجالس
واثروه بالمطاعم والملابس وتصاغروا له متواضعين وانقادوا له في اغراضه موقرين فاصابت
النفس في ذلك لذة هي اعظم اللذات وشهوة هي اغلب الشهوات فاستحقرت فيه ترك المعاصي
والهفوات واستلانت خشونة المواظبة على العبادات لادراكها في الباطن لذة اللذات و
شهوة الشهوات وهي تظن ان حياتها بالله وبعبادته المرضية وانما حياتها بهذه الشهوة الخفية
التي تعمى عن دركها العقول الناقدة القوية وترى انها مخلصة في طاعة الله تعالى ومجتنبة لمحارم
الله والنفس قد ابطنت هذه الشهوة تزيينا للعباد وتصنعا للخلق وفرحا بما نالت من المنزلة و
الوقار واحبطت بذلك ثواب الطاعات واجور الاعمال وقد اثبت اسمه في جريدة المنافقين و
هو يظن انه عند الله تعالى من المقربين وهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها الا الصديقون ومهواة لا
يرقى منها الا المقربون ولذلك قيل اخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرياسة واذا كان الرياء هو
الداء الدفين الذي هو اعظم شبكة للشياطين وجب شرح القول في سببه وحقيقته ودرجاته واقسام
طرق معالجته والحذر منه ويتضح الغرض منه في ترتيب الكتاب على شطرين **الشطر الاول في حب
الجاه** والرياء وفيه بيان ذم الشهرة وبيان فضيلة الخمول وبيان ذم الجاه وبيان معنى الجاه وحقيقته
وبيان السبب في كونه محبوبا اشد من حب المال وبيان ان الجاه كمال وهمي وليس بكمال حقيقي وبيان
ما يحمد من حب الجاه وما يذم وبيان السبب في حب المدح والثناء وكراهة الذم وبيان العلاج في حب
الجاه وبيان علاج حب المدح وبيان علاج كراهة الذم وبيان اختلاف احوال الناس في المدح والذم
وهي اثنا عشر فصلا ومنها تتشعب معاني الرياء فلا بد من تقديمها والله حسبي **بيان علاج ذم الشهرة
وانتشار الصيت** اعلم ان اصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار وهو مذموم بل المحمود الخمول
الا من شهره الله تعالى لنشر دينه من غير تكلف طلب الشهرة منه **قال** انس رضي الله عنه **قال**
رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب امرئ من الشر الا من عصمه الله تعالى ان يشير الناس اليه بالاصابع
في دينه ودنياه ان الله تعالى لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم ولقد ذكر الحسن الحديث
تاويلا لا باس به اذ روى هذا الحديث فقيل له يا ابا سعيد ان الناس اذا راوك اشاروا اليك بالاصابع
فقال انه لم يعن هذا انما عنى به المبتدع في دينه والفاسق في دنياه **وقال** علي كرم الله وجهه لا
تبتذل لتشتهر ولا ترفع شخصك لتذكر وتعلم واكتم واصمت تسلم تسر الابرار وتغيظ الفجار **وقال**
ابرهيم بن ادهم ما صدق الله من احب الشهرة **وقال** ايوب والله ما صدق الله عبد الا سره ان لا
يشعر بمكانه **وعن** خالد بن معدان انه كان اذا كثرت حلقته قام مخافة الشهرة **وعن** ابي العالية انه كان
اذا جلس اليه اكثر من ثلاثة قام ورئي طلحة قوما يمشون معه نحوا من عشرة فقال ذباب طمع وفراش نار

وقال سليمن بن ابي طلحة بينا نحن حول ابي بن كعب نمشي اذ راه عمر فعلاه بالدرة فقال انظر يا امير
المؤمنين ما تصنع فقال ان هذه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع وعن الحسن قال خرج ابن مسعود
يوما من منزله فاتبعه اناس فالتفت اليهم فقال علام تتبعوني فوالله لو تعلمون ما اغلق عليه
بابي ما اتبعني منكم رجلان وقال الحسن ان خفق النعال حول الرجل قلما تثبت عليه قلوب الحمقى
وخرج الحسن ذات يوم فاتبعه قوم فقال هل لكم من حاجة والا فما عسى ان يبقى هذا من قلب المؤمن
وروي ان رجلا صحب ابن محيريز في سفر فلما فارقه قال اوصني قال ان استطعت ان تعرف
ولا تعرف فتمشي ولا يمشى اليك وتسال ولا تسال فافعل وخرج ايوب في سفر فشيعه ناس كثير
فقال لولا اني اعلم ان الله تعالى يعلم من قلبي اني لهذا كاره لخشيت المقت من الله عز وجل وقال
معمر عاتبت ايوب على طول قميصه فقال ان الشهرة فيما مضى كانت في طوله وهي اليوم في تشميره
وقال بعضهم كنت مع ابي قلابة اذ دخل عليه رجل عليه اكسية فقال اياكم وهذا الحمار النهاق
يشير به الى طلب الشهرة وقال الثوري كانوا يكرهون الشهرتين الثياب الجيدة والثياب الردية اذ الابصار
تمتد اليهما جميعا وقال رجل لبشر بن الحارث اوصني فقال اخمل ذكرك وطيب مطعمك وكان
حوشب يبكي ويقول بلغ اسمي مسجد الجامع وقال بشر ما اعرف رجلا احب ان يعرف الا ذهب دينه
وافتضح وقال ايضا لا يجد حلاوة الاخرة رجل يحب ان يعرفه الناس **بيان فضيلة الخمول**
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره منهم
البراء بن مالك وقال ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب ذي طمرين لا يؤبه
له لو اقسم على الله لابره لو قال اللهم اني اسالك الجنة لاعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا وقال
صلى الله عليه وسلم الا ادلكم على اهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو اقسم على الله تعالى لابره واهل النار كل متكبر جواظ
وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة كل اشعث اغبر ذي
طمرين لا يؤبه له الذين اذا استاذنوا على الامراء لم يؤذن لهم واذا خطبوا النساء لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لهم
حوائج احدهم تتجلجل في صدره لو قسم نوره يوم القيامة بين الناس لوسعهم وقال صلى الله عليه وسلم ان
من امتي من لو اتى احدكم فساله دينارا لم يعطه اياه ولو ساله درهما لم يعطه اياه ولو ساله فلسا
لم يعطه اياه ولو سال الله تعالى الجنة اعطاه اياه ولو ساله الدنيا لم يعطها اياه وما منعها اياه الا لهوانها
عليه ذو طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره وروي ان عمر دخل المسجد فاذا هو بمعاذ بن جبل يبكي عند
قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اليسير من الرياء شرك وان الله تعالى يحب الاتقياء الاخفياء الذين
ان غابوا لم يفتقدوا وان حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة وقال
محمد بن سويد قحط اهل المدينة وكان بها رجل صالح لا يؤبه له لازم لمسجد النبي صلى الله عليه وسلم فبينما هم في دعائهم
اذ جاءهم رجل عليه طمران خلقان فصلى ركعتين اوجز فيهما ثم بسط يديه فقال يا رب اقسمت عليك الا امطرت
علينا الساعة فلم يرد يديه ولم يقطع دعاءه حتى تغشت السماء بالغمام وامطروا حتى صاح اهل المدينة من
مخافة الغرق فقال يا رب ان كنت تعلم انهم قد اكتفوا فارفع عنهم فسكن وتبع الرجل صاحب المطر
حتى عرف منزله ثم بكر اليه فخرج اليه فقال اني اتيتك في حاجة فقال وما هي قال تخصني بدعوة قال
سبحان الله انت انت وتسالني ان اخصك بدعوة قال ما الذي بلغك ما رايت قال اطعت الله فيما امرني
ونهاني وسالت الله تعالى فاعطاني وقال ابن مسعود رضي الله عنه كونوا ينابيع العلم ومصابيح الهدى

احلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب خلقان الثياب يعرفون في اهل السماء ويخفون على اهل
الارض وقال ابو امامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل ان اغبط اوليائي عندي
مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من الصلاة احسن عبادة ربه واطاعه في السر وكان غامضا في الناس لا يشار اليه
بالاصابع ثم صبر على ذلك قال ثم نقر رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فقال عجلت منيته وقل تراثه
وقلت بواكيه وقال عبد الله بن عمر احب عباد الله الى الله تعالى الغرباء قيل وما الغرباء قال
الفارون بدينهم يجتمعون يوم القيامة الى عيسى ابن مريم قال الفضيل بلغني ان الله عز وجل يقول في
بعض ما يمن به على عباده الم انعم عليك الم استرك الم اخمل ذكرك وكان الخليل بن احمد يقول اللهم اجعلني
عندك من ارفع خلقك واجعلني عند الناس من اوسط خلقك وقال الثوري وجدت قلبي يصلح بمكة
والمدينة مع قوم غرباء اصحاب قوت وعناء وقال ابراهيم بن ادهم ما قرت عيني يوما في الدنيا قط
الا مرة بت ليلة في بعض مساجد قرى الشام وكان بي البطن فجرني المؤذن برجلي حتى اخرجني من المسجد وقال
الفضيل ان قدرت على ان لا تعرف فافعل وما عليك ان لا يثنى عليك وما عليك ان تكون مذموما عند
الناس اذا كنت محمودا عند الله تعالى فهذه الاخبار والآثار تعرفك مذمة الشهرة وفضيلة الخمول
وانما المطلوب بالشهرة وانتشار الصيت هو الجاه والمنزلة في القلوب وحب الجاه هو منشا كل فساد
فان قلت فاي شهرة تزيد على شهرة الانبياء والخلفاء الراشدين وائمة العلماء وكيف فاتهم فضيلة الخمول
وانما المطلوب بالشهرة وانتشار الصيت فاعلم ان المذموم طلب الشهرة فاما وجودها من جهة الله تعالى
من غير تكلف من العبد فليس بمذموم نعم فيه فتنة على الضعفاء دون الاقوياء وهو كالغريق الضعيف
اذا كان معه جماعة من الغرقى فالاولى به ان لا يعرفه احد منهم فانهم يتعلقون به فيضعف عنهم فيهلك
واما القوي فالاولى ان يعرفه الغرقى ليتعلقوا به فينجيهم ويثاب عليهم **بيان ذم الجاه** قال الله
تعالى تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا جمع بين ارادة الفساد والعلو
وبين ان الدار الاخرة للخالي عن الارادتين جميعا وقال تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم
اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا
يعملون وهذا ايضا متناول بعمومه حب الجاه فانه اعظم لذة من لذات الحياة الدنيا واكثر زينة من زينتها
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الجاه والمال ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل وقال
صلى الله عليه وسلم ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر افسادا من حب المال والشرف في دين الرجل
المسلم وقال صلى الله عليه وسلم لعلي كرم الله وجهه انما هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثناء **بيان
معنى الجاه وحقيقته** اعلم ان الجاه والمال هما ركنا الدنيا ومعنى المال ملك الاعيان المنتفع بها
ومعنى الجاه ملك القلوب المطلوب تعظيمها وطاعتها وكما ان الغني هو الذي يملك الدراهم والدنانير
اي يقدر عليهما ليتوصل بهما الى الاغراض والمقاصد وقضاء الشهوات وسائر حظوظ النفس فكذلك
ذو الجاه هو الذي يملك قلوب الناس اي يقدر على ان يتصرف فيها ليستعمل بواسطتها اربابها في اغراضه
ومآربه وكما انه يكتسب الاموال بانواع من الحرف والصناعات فكذلك يكتسب قلوب الخلق بانواع المعاملات
ولا تصير القلوب مسخرة الا بالمعارف والاعتقادات فكل من اعتقد القلب فيه وصفا من اوصاف الكمال
انقاد له وتسخر له بحسب قوة اعتقاده وبحسب درجة ذلك الكمال عنده وليس يشترط ان يكون الوصف
كمالا في نفسه بل يكفي ان يكون كمالا عنده وفي اعتقاده وقد يعتقد ما ليس كمالا ويذعن قلبه للموصوف به

انقياداً ضرورياً بحسب اعتقاده فإن انقياد القلب حال للقلب واحوال القلوب تابعة لاعتقاداتها
وعلومها وتخيلاتها وكما ان محب المال يطلب ملك الارقاء والعبيد فطالب الجاه يطلب ان يسترق الاحرار
ويستعبدهم ويملك رقابهم بملك قلوبهم بل الملك الذي يطلبه صاحب الجاه اعظم لان المالك يملك العبد
قهراً والعبد متأب بطبعه ولو خلي ورأيه انسل عن الطاعة وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعاً
ويبغي ان يكون له الاحرار عبيداً بالطبع والطوع مع الفرح بالعبودية والطاعة له فما يطلبه فوق ما
يطلبه مالك الرق بكثير فاذاً معنى الجاه قيام المنزلة في قلوب الناس اي اعتقاد القلوب نعتاً من
نعوت الكمال فيه فبقدر ما يعتقدون من كماله تذعن له قلوبهم وبقدر اذعان القلوب يكون قدرته
على القلوب وبقدر قدرته يكون فرحه وحبه للجاه فهذا هو معنى الجاه وحقيقته وله ثمرات كالمدح
والاطراء فان المعتقد للكمال لا يسكت عن ذكر ما يعتقده فيثني وكالخدمة وكالاعانة فانه لا يبخل ببذل نفسه
في طاعته بقدر اعتقاده فيكون سخرة له مثل العبد في اغراضه وكالايثار وترك المنازعة والتعظيم
والتوقير بالمفاتحة بالسلام وتسليم الصدر في المحافل والتقديم في جميع المقاصد فهذه آثار تصدر
عن قيام الجاه في القلب ومعنى قيام الجاه اشتمال القلب على اعتقاد صفات الكمال لشخص اما بعلم او عبادة
او حسن خلق او نسب او ولاية او جمال في صورة او قوة في بدن او شيء مما يعتقده الناس كمالاً فان هذه الاوصاف
كلها يعظم محلها في القلوب فتكون سبباً لقيام الجاه **بيان سبب كون الجاه محبوباً بالطبع**
حتى لا يخلو عنه قلب الا بشديد المجاهدة اعلم ان السبب الذي يقتضي كون الذهب والفضة وسائر
انواع الاموال محبوباً هو بعينه يقتضي كون الجاه محبوباً بل يقتضي ان يكون احب من المال كما يقتضي ان
يكون الذهب احب من الفضة مهما تساويا في المقدار وهو انك تعلم ان الدراهم والدنانير لا غرض في
اعيانهما اذ لا تصلح لمنكح ولا لمطعم ولا ملبس وانما هي والحصباء بمثابة ولكنهما وسيلة الى المحاب وذريعة
الى قضاء الشهوات فكذلك الجاه لان معنى الجاه ملك القلوب وكما ان ملك الذهب والفضة يفيد قدرة
يتوصل الانسان بها الى سائر اغراضه فكذلك ملك قلوب الاحرار والقدرة على استسخارها يفيد قدرة
على التوصل الى جميع الاغراض فالاشتراك في السبب اقتضى الاشتراك في المحبة وترجيح الجاه على المال
اقتضى ان يكون الجاه احب من المال ولملك القلوب ترجيح على ملك الاموال من ثلاثة اوجه **الاول**
ان التوصل بالجاه الى المال ايسر من التوصل بالمال الى الجاه فالعالم والزاهد الذي تقرر له جاه في القلوب
لو قصد اكتساب المال تيسر له فان اموال ارباب القلوب مسخرة للقلوب ومبذولة لمن اعتقدت فيه الكمال
واما الرجل الخسيس الذي لا يتصف بصفة كمال اذا وجد كنزاً ولم يكن له جاه يحفظ ماله واراد ان يتوصل
بالمال الى الجاه لم يتيسر له فاذاً الجاه آلة المال فمن ملك الجاه فقد ملك المال ايضاً ومن ملك المال لم يملك
الجاه بكل حال فلذلك صار الجاه احب **الثاني** ان المال معرض لان يسرق ويغصب ويطمع فيه الملوك والظلمة
ويحتاج فيه الى الحفظة والحراس والخزائن ويتطرق اليه اخطار كثيرة واما القلوب اذا ملكت لم تتعرض
لهذه الآفات فهي على التحقيق خزائن عتيدة لا يقدر عليها السراق ولا تتناولها ايدي الغصاب واثبت الاموال
العقار ولا يؤمن فيه الغصب والظلم ولا يستغنى عن المراقبة والحفظ واما خزائن القلوب فهي محفوظة
بانفسها والجاه في امان من الغصب والسرقة فيها وانما تغصب القلوب بالتصريف وتقبيح الحال
وتغيير الاعتقاد فيما صدق به من اوصاف الكمال وذلك مما يهون دفعه ويسهل على المحاول فعله **الثالث**
ان ملك القلوب يسري وينمو ويتزايد من غير حاجة الى تعب ومقاساة فان القلوب اذا اذعنت لشخص واعتقدت

كماله بعلم او عمل او غيره افصحت الالسنة لا محالة بما فيها فيصف ما يعتقده لغيره ويقتنص ذلك القلب
ايضاً له ولهذا المعنى يحب الطبع الصيت وانتشار الذكر لان ذلك اذا استطار في الاقطار اقتنص القلوب
ودعاها الى الاذعان والتعظيم فلا يزال يسري من واحد الى واحد ويتزايد وليس له مرد معين واما المال فمن
ملك منه شيئاً فهو مالكه ولا يقدر على استنمائه الا بتعب ومقاساة والجاه ابداً في النماء بنفسه ولا مرد لموقعه
والمال واقف ولهذا اذا عظم الجاه وانتشر الصيت وانطلقت الالسنة بالثناء استحقرت الاموال
في مقابلته فهذه مجامع ترجيحات الجاه على المال فاذا فصلت كثرت وجوه الترجيح فان قلت فالاشكال قائم
في المال والجاه جميعاً فلم ينبغي ان يحب الانسان المال والجاه نعم القدر الذي يتوصل به الى جلب الملاذ
ودفع المضار معلوم كالمحتاج الى الملبس والمسكن والمطعم والمبتلى بمرض او بعقوبة اذا كان لا يتوصل الى
دفع العقوبة عن نفسه الا بمال او جاه فحبه للمال والجاه معلوم اذ كل ما لا يتوصل الى المحبوب الا به فهو محبوب وفي
الطباع امر عجيب وراء هذا وهو حب جمع المال وكنز الكنوز وادخار الذخائر واستكثار الخزائن وراء جميع
الحاجات حتى لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى اليهما ثالثاً فكذلك يحب الانسان اتساع الجاه و
انتشار الصيت الى اقاصي البلاد التي يعلم قطعاً انه لا يطؤها ولا يشاهد اصحابها ليعظموه او ليبروه بمال
او ليعينوه على غرض من اغراضه ومع اليأس من ذلك فانه يلتذ به غاية الالتذاذ وحب ذلك ثابت في
الطبع ويكاد يظن ان ذلك جهل فانه حب لما لا فائدة فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة فنقول نعم هذا الحب
لما لا فائدة فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة فنقول نعم هذا الحب لا ينفك عنه القلوب وله سببان احدهما جلي
تدركه الكافة والآخر خفي وهو اعظم السببين ولكنه ادقهما واخفاهما وابعدهما عن فهم الاذكياء فضلاً
عن الاغبياء وذلك لاستمداده من عرق خفي في النفس وطبيعة مستكنة في الطبع لا يكاد يقف عليها الا الغواصون
واما السبب الاول فهو دفع الم الخوف لان الشفيق بسوء الظن مولع والانسان وان كان مكفياً في
الحال فانه طويل الامل ويخطر بباله ان المال الذي فيه كفايته ربما يتلف فيحتاج الى غيره فهاج الخوف من
قلبه ولا يدفع الم الخوف الا الامن الحاصل بوجود مال آخر يفزع اليه ان اصابت هذا المال جائحة فهو ابداً
يجمع المال لشفقته على نفسه وحبه للحياة يقدر طول الحياة ويقدر هجوم الحاجات ويقدر امكان تطرق
الآفات الى الاموال ويستشعر الخوف من ذلك فيطلب ما يدفع خوفه وهو كثرة المال حتى ان اصيب بطائفة
من ماله استغنى عنها بالاخرى وهذا خوف لا موقف له عند مقدار مخصوص من المال فلذلك لم يكن لمثله
موقف الا ان يملك جميع ما في الدنيا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم منهومان لا يشبعان منهوم المال و
منهوم العلم ومثل هذه العلة مطردة في حبه قيام المنزلة والجاه في قلوب الاباعد عن وطنه وبلده فانه
لا يخلو عن تقدير سبب يزعجه عن الوطن او يزعج اولئك عن اوطانهم الى وطنه ويحتاج الى الاستعانة
بهم ومهما كان ذلك ممكناً ولم يكن احتياجه اليهم مستحيلاً احالة ظاهرة كان للنفس فرح ولذة بقيام
الجاه في قلوبهم لما فيه من الامن من هذا الخوف والسبب الثاني وهو الاقوى ان الروح امر رباني به وصفه
الله عز وجل اذ قال ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي ومعنى كونه ربانياً انه من اسرار علوم المكاشفة ولا
رخصة في اظهاره اذ لم يظهره رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنك قبل معرفة ذلك تعلم ان للقلب ميلاً الى
صفات بهيمية كالاكل والوقاع والى صفات سبعية كالقتل والضرب والايذاء والى صفات شيطانية
كالمكر والخديعة والاغواء والى صفات ربوبية كالكبر والعز والتجبر وطلب الاستعلاء وذلك لانه مركب
من اصول مختلفة يطول شرحها وتفصيلها فهو لما فيه من الامر الرباني يحب الربوبية بالطبع ومعنى الربوبية

التوحد بالكمال والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال فصار الكمال من نعوت الالهية وصار محبوبا بالطبع للانسان والكمال في التفرد بالوجود فان المشاركة بالوجود نقص لا محالة فكمال الشمس في انها موجودة وحدها فلو كان معها شمس اخرى كان ذلك نقصانا في حقها اذ لم تكن منفردة بكمال معنى الشمسية والمنفرد بالوجود هو الله تعالى اذ ليس معه موجود سواه فان ما سواه اثر من اثار قدرته لا قوام له بذاته بل هو قايم به ولم يكن موجودا معه لان المعية توجب المساواة في الرتبة نقصان في الكمال بل الكامل من لا نظير له في رتبته وكما ان اشراق الشمس في اقطار الارض ليس نقصانا في الشمس بل هو من جملة كمالها وانما النقصان للشمس بوجود شمس اخرى تساويها في الرتبة مع الاستغناء عنها فكذلك وجود كل ما في العالم يرجع الى اشراق انوار القدرة فيكون تابعا ولا يكون تبعا فاذا معنى الربوبية التفرد بالوجود وهو الكمال وكل انسان فانه بطبعه محب لان يكون هو المنفرد بالكمال ولذلك قال بعض شيوخ الصوفية ما من انسان الا وفي باطنه ما صرح به فرعون من قوله انا ربكم الاعلى ولكن ليس يجد له مجالا وهو كما قال فان العبودية قهر على النفس والربوبية محبوبة بالطبع وذلك للنسبة الربانية التي اوما اليها قوله تعالى قل الروح من امر ربي ولكن لما عجزت النفس عن درك منتهى الكمال لم تسقط شهوتها للكمال فهي محبة للكمال ومشتهية له وملتذة به لذاته لا لمعنى اخر وراء الكمال فكل موجود فهو محب لذاته ولكمال ذاته ومبغض للهلاك الذي هو عدم ذاته او عدم صفات الكمال من ذاته وانما الكمال بعد ان يسلم التفرد بالوجود في الاستيلا على الموجودات فان اكمل الكمال ان يكون وجود غيرك منك فان لم يكن منك فان يكون مستوليا عليه فصار الاستيلا على الكل محبوبا بالطبع لانه نوع كمال وكل موجود يعرف ذاته فانه يحب ذاته ويحب كمال ذاته ويلتذ به الا ان الاستيلا على الشي بالقدرة على التاثير فيه وعلى تغييره بحسب الارادة وكونه مسخرا لك تردده كيف تشا فاحب الانسان ان يكون له الاستيلا على كل الاشيا الموجودة معه الا ان الموجودات منقسمة الى ما لا يقبل التغيير في ذاته كذات الله تعالى وصفاته والى ما يقبل التغيير ولكن لا يستولي عليها قدرة الخلق كالافلاك والكواكب وملكوت السموات ونفوس الملائكة والجن والشياطين وكالجبال والبحار وما تحت الجبال والبحار والى ما يقبل التغيير بقدرة العبد كالارض واجزايها وما عليها من المعادن والنبات والحيوان ومن جملتها قلوب الناس لانها قابلة للتغيير والتاثير والنبات مثل اجسادهم واجساد الحيوانات فاذا انقسمت الموجودات الى ما يقدر الانسان على التصرف فيه كالارضيات والى ما لا يقدر عليه كذات الله تعالى والملائكة عليهم السلام والسموات فاحب الانسان ان يستولي على السموات بالعلم والاحاطة والاطلاع على اسرارها فان ذلك نوع استيلا اذ المعلوم المحاط به كالداخل تحت العلم والعالم كالمستولي عليه فلذلك احب ان يعرف الله تعالى والملائكة والافلاك والكواكب وجميع عجايب السموات وعجايب الجبال والبحار وغيرها لان ذلك نوع استيلا عليها والاستيلا نوع كمال وهذا يضاهي اشتياق من عجز عن صنعة عجيبة الى معرفة طريق الصنعة فيها كمن يعجز عن وضع الشطرنج فانه قد يشتهي ان يعرف اللعب به وانه كيف وضع وكمن يرى صنعة عجيبة في الهندسة او الشعبذة او جر الثقيل وغيره وهو يستشعر في نفسه نقص العجز والقصور عنه لكنه يشتاق الى معرفة كيفيته فهو متالم بنقص العجز ومتلذذ بكمال العلم ان علمه **القسم الثاني** وهي الارضيات التي يقدر الانسان عليها فانه يحب بالطبع ان يستولي عليها بالقدرة على التصرف فيها كيف يريد وهي قسمان اجساد وارواح الاجساد الدراهم والدنانير والامتعة فيجب ان يكون قادرا عليها يفعل فيها ما يشا من الرفع والوضع والتسليم والمنع فان ذلك قدرة والقدرة كمال والكمال من صفات الربوبية محبوبة بالطبع فلذلك احب الاموال وان كان لا يحتاج

اليها في ملبسه ومطعمه وفي شهوات نفسه ولذلك طلب استرقاق العبيد واستعباد الاشخاص الاحرار ولو بالقهر والغلبة حتى يتصرف في اجسادهم واشخاصهم بالاستسخار وان لم يملك قلوبهم فانها ربما لم تعتقد كماله حتى يصير محبوبا ويقوم حبه فيها بل الحشمة القهرية ايضا لذيذة لما فيه من القدرة **القسم الثالث** نفوس الادميين وقلوبهم وهي انفس ما على وجه الارض فهو يحب ان يكون له استيلا وقدرة عليها ليكون مسخرة له متصرفة تحت اشارته وارادته لما فيه من كمال الاستيلا والتشبه باوصاف الربوبية وتسخير القلوب انما يكون بالحب ولا يحب الا باعتقاد الكمال فان كل كمال محبوب لان الكمال من الصفات الالهية والصفات الالهية كلها محبوبة بالطبع للمعنى الرباني من جملة معاني الانسان وهو الذي لا يبليه الموت ولا يتسلط عليه التراب فانه محل الايمان والمعرفة وهو الواصل الى لقاء الله تعالى والساعي اليه فاذا معنى الجاه تسخير القلوب ومن تسخرت له القلوب فانه له قدرة واستيلا عليها والقدرة والاستيلا كمال وهو من اوصاف الربوبية فاذا محبوب القلب بالطبع الكمال بالعلم والقدرة والجاه والمال من اسباب القدرة ولا نهاية للمعلومات ولا نهاية للمقدورات وما دام يبقى معلوم او مقدور فالشوق لا يسكن والنقصان لا يزول ولذلك قال صلى الله عليه وسلم منهومان لا يشبعان فاذا مطلوب القلب الكمال والكمال بالعلم والقدرة وتفاوت الدرجات فيه غير محصور فهذا هو السبب في كون العلم والمال والجاه فان هذه العلة قد تبقى مع وجود سقوط الشهوات بل يحب الانسان من العلوم ما لا يصح التوصل به الى الاغراض وبما يفوت عليه جملة من الاغراض والشهوات ولكن الطبع يتقاضى طلب العلم في جميع العجايب والمشكلات لان في العلم استيلا على المعلوم وهو نوع من الكمال الذي هو من الصفات الربوبية فكان محبوبا بالطبع الا ان في حب كمال القدرة والعلم اغاليط لا بد من بيانها والله سبحانه وتعالى اعلم **بيان الكمال الحقيقي والوهمي الذي لا حقيقة له** قد عرفت انه لا كمال بعد فوات التفرد بالوجود الا في العلم والقدرة ولكن الكمال الحقيقي فيه ملتبس بالكمال الوهمي وبيانه ان كمال العلم لله تعالى وذلك من ثلاثة اوجه احدها من حيث كثرة المعلومات وسعتها فانه تعالى محيط بجميع المعلومات فلذلك كلما كانت علوم العبد اكثر كان اقرب الى الله تعالى والثاني من حيث تعلق العلم بالمعلوم على ما هو به وكان المعلوم مكشوفا له كشفا تاما فان المعلومات مكشوفة لله تعالى باتم انواع الكشف على ما هي عليه فلذلك مهما كان علم العبد اوضح وايقن واصدق واوفق للمعلوم في تفاصيل صفات المعلوم كان اقرب الى الله تعالى والثالث من حيث بقاء العلم ابد الاباد بحيث لا يتغير فكذلك مهما كان علم العبد متعلقا بما لا يقبل التغيير والانقلاب كان اقرب الى الله تعالى والمعلومات قسمان متغيرات وازليات فاما المتغيرات فمثالها العلم بكون زيد في الدار فانه علم له معلوم ولكن يتصور ان يخرج زيد من الدار ويبقى اعتقاد كونه في الدار كما كان فينقلب جهلا فيكون نقصانا لا كمالا فكل ما اعتقدته اعتقادا موافقا له وتصور ان ينقلب المعتقد فيه عما اعتقدته كنت بصدد ان ينقلب كمالك نقصانا ويعود علمك جهلا ويلتحق بهذا المثال جميع متغيرات العالم كعلمك مثلا بارتفاع جبل ومساحة ارض وبعدد البلاد وتباعد ما بينها من الاميال والفراسخ وساير ما يذكر في المسالك والممالك وكذلك العلم باللغات التي هي اصطلاحات تتغير بتغير الاعصار والامم والعادات فهذه علوم معلوماتها مثال الزيبق يتغير من حال الى حال فليس فيه كمال الا في الحال ولا يبقى كمالا في القلب والقسم الثاني هي المعلومات الازلية وهو جواز الجايزات ووجوب الواجبات واستحالة المستحيلات فان هذه معلومات ازلية ابدية اذ لا يستحيل

الواجب كونه جائزاً ولا الجائز محالاً ولا المحال واجباً وكل هذه الأقسام داخلة في معرفة الله تعالى وما يجب
له وما يستحيل في صفاته وعجائب أفعاله فالعلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وحكمته في ملكوت
السموات والأرض وترتيب الدنيا والآخرة وما يتعلق به هو الكمال الحقيقي الذي يقرب من يتصف به من الله
عز وجل ويبقى كمالاً للنفس بعد الموت وتكون هذه المعرفة نوراً للعارفين بعد الموت يسعى نورهم
بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا أي يكون هذه المعرفة رأس مال توصل إلى كشف ما لم
ينكشف في الدنيا كما أن من معه سراج خفي فإنه يجوز أن يكون ذلك سبباً إلى زيادة النور بسراج آخر
يقتبس منه فيكمل النور بذلك النور الخفي على سبيل الاستتمام ومن ليس معه أصل السراج لا مطمع له
في ذلك فمن ليس له أصل معرفة الله سبحانه لم يكن له مطمع في هذا النور فيبقى كمن مثله في الظلمات ليس
بخارج منها بل كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض فإذاً
لا سعادة إلا في معرفة الله سبحانه وما عدا ذلك من المعارف فمنها ما لا فائدة فيه أصلاً كمعرفة الشعر و
أنساب العرب وغيره ومنها ما له منفعة في الإعانة على معرفة الله تعالى كمعرفة لغة العرب والتفسير و
الفقه والأخبار فإن معرفة لغة العرب تعين على معرفة تفسير القرآن ومعرفة التفسير تعين على معرفة
ما في القرآن من كيفية العبادات والأعمال التي تفيد تزكية النفس ومعرفة طريق تزكية النفس تفيد
استعداد النفس لقبول الهداية إلى معرفة الله تعالى كما قال الله تعالى قد أفلح من تزكى وقد أفلح من زكاها
وقال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فيكون جملة هذه المعارف كالوسائل إلى معرفة الله تعالى
ومعرفة صفاته وأفعاله وينطوي فيه جميع المعارف المحيطة بالموجودات إذ الموجودات كلها من أفعاله
فمن عرفها من حيث هي فعل الله تعالى ومن حيث ارتباطها بالقدرة والإرادة والحكمة فهي من تكملة معرفة الله
تعالى هذا حكم كمال العلم ذكرناه وإن لم يكن لائقاً بأحكام الجاه والرياء ولكن أوردناه لاستيفاء أقسام الكلام
وأما القدرة فليس فيها كمال حقيقي للعبد بل للعبد علم حقيقي وليس له قدرة حقيقية وإنما القدرة الحقيقية
لله تعالى وما يحدث من الإنسان عقيب إرادته وقدرته وحركته فهي حادثة بإحداث الله تعالى كما ذكرناه
في كتاب الصبر والشكر والتوكل وفي مواضع شتى من ربع المنجيات فكمال العلم يبقى بعد الموت ويوصله إلى الله
تعالى فأما كمال القدرة فلا نعم له كمال من جهة القدرة بالإضافة إلى الحال وهي وسيلة له إلى كمال العلم كسلامة
أطرافه وقوة يده للبطش ورجله للمشي وحواسه للإدراك فإن هذه القوى آلة للتوصل بها إلى حقيقة
كمال العلم وقد يحتاج في استيفاء هذه القوى إلى القدرة بالمال والجاه ليتوصل به إلى المطعم والملبس والمسكن وذلك إلى
قدر معلوم فإن لم يستعمله للتوصل به إلى معرفة الله تعالى فلا خير فيه البتة إلا من حيث اللذة الحالية
التي تنقضي على القرب ومن ظن أن ذلك كمال فقد جهل والخلق أكثرهم هالكون في غمرة هذا الجهل فإنهم
يظنون أن القدرة على الأجساد بقهر الحشمة وعلى أعيان الأموال بسعة الغنى وعلى تعظيم القلوب بسعة
الجاه كمال فلما اعتقدوا ذلك أحبوه ولما أحبوه طلبوه ولما طلبوه شغلوا به وتهالكوا عليه فنسوا الكمال
الحقيقي الذي يوجب القرب من الله عز وجل ومن ملائكته وهو العلم والحرية أما العلم فما ذكرناه وأما الحرية فالخلاص
من أسر الشهوات وغموم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر تشبهاً بالملائكة الذين لا تستفزهم الشهوات
ولا يستهويهم الغضب فإن دفع آثار الغضب والشهوة عن النفس من الكمال الذي هو من صفات الملائكة
ومن صفات الكمال لله عز وجل استحالة التغير والتأثر عليه فمن كان عن التغير والتأثر بالعوارض أبعد
كان إلى الله تعالى أقرب وبالملائكة أشبه ومنزلته عند الله تعالى أعظم وهذا كمال ثالث سوى كمال العلم

والقدرة وإنما لم نورده في أقسام الكمال لأن حقيقته ترجع إلى عدم ونقصان فإن التغير نقصان إذ هو عبارة
عن عدم صفة ذاتية وهلاكها والهلاك نقص في الذات وفي صفات الكمال للذات فإذاً الكمالات
ثلاثة إن عددنا عدم التغير بالشهوات وعدم الانقياد لها كمالاً كمال العلم وكمال الحرية وأعني به عدم
العبودية للشهوات وإرادة الأسباب الدنيوية والقدرة والعز طريق إلى اكتساب كمال العلم وكمال الحرية
ولا طريق إلى اكتساب كمال القدرة الباقية بعد موته إذ قدرته على كمال أعيان الأموال وعلى استسخار
القلوب والأبدان تنقطع بالموت ومعرفته وحريته لا تنعدم بالموت بل تبقى كمالاً فيه ووسيلة إلى القرب
من الله تعالى فانظر كيف انقلب الجاهلون وانكبوا على وجوههم انكباب العميان فأقبلوا على طلب كمال
القدرة بالجاه والمال وهو الكمال الذي لا يسلم وإن سلم فلا بقاء له وأعرضوا عن كمال الحرية والعلم الذي إذا
حصل كان أبدياً لا انقطاع له وهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا جرم لا يخفف عنهم العذاب
ولا هم ينصرون وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند
ربك ثواباً وخير أملاً والعلم والحرية هي الباقيات الصالحات التي تبقى كمالاً في النفس والمال والجاه هو الذي
ينقضي على القرب وهو كما مثله الله سبحانه وتعالى حيث قال إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء
فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح فكل ما تذروه رياح الموت فهو زهرة الحياة الدنيا وكل ما لا
يقطعه الموت فهو الباقيات الصالحات فقد عرفت بهذا أن كمال القدرة بالمال والجاه كمال ظني لا
أصل له وأن من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصوداً فهو جاهل إلا بقدر البلغة منهما إلى الكمال الحقيقي والله
المستعان

بيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم منه

مهما عرفت أن معنى الجاه ملك القلوب والقدرة
عليها فحكمه حكم ملك الأموال فإنه عرض من أعراض الحياة الدنيا وينقطع بالموت كالمال والدنيا مزرعة للآخرة
فكل ما خلق في الدنيا فيمكن أن يتزود منه للآخرة وكما أنه لا بد من أدنى مال لضرورة المطعم والملبس فلا بد من
أدنى جاه لضرورة المعيشة مع الخلق والإنسان كما لا يستغني عن طعام يتناوله فيجوز أن يحب الطعام فكذلك
لا يخلو عن الحاجة إلى خادم يخدمه ورفيق يعينه وسلطان يحرسه ويدفع عنه ظلم الأشرار فحبه أن
يكون له في قلب رفيقه من المحل ما يحسن به مرافقته ومعاونته ليس بمذموم وحبه لأن يكون له في قلب أستاذه
من المحل ما يحسن به إرشاده وتعليمه والعناية به ليس بمذموم وحبه لأن يكون له من المحل في قلب سلطانه
ما يحمله ذلك على دفع الشر عنه ليس بمذموم فإن الجاه وسيلة إلى الأغراض كالمال ولا فرق بينهما إلا أن
التحقيق في هذا يفضي إلى أن يكون الجاه والمال بأعيانهما محبوبين بل ينزل ذلك منزلة حب الإنسان
أن يكون في داره بيت ماء لأنه مضطر إليه لقضاء حاجته ويود لو استغنى عن قضاء الحاجة حتى يستغني
عن بيت الماء وهذا على التحقيق ليس بحب بيت الماء فكل ما يراد للتوصل به إلى محبوب فالمحبوب هو المقصود المتوصل
إليه وتدرك التفرقة بمثال وهو أن الرجل قد يحب زوجته من حيث إنه يدفع بها فضلة الشهوة كما
يدفع ببيت الماء فضلة الطعام ولو كفي مؤنة الشهوة لكان يهجر زوجته كما لو كفي قضاء الحاجة لكان لا يدخل
بيت الماء ولا يدور به ومن يحب زوجته لذاتها حب العشاق ولو كفي الشهوة لبقي مستصحباً لنكاحها فهذا
من الحب دون الأول وكذلك الجاه والمال قد يحب كل واحد منهما على هذين الوجهين فحبهما لأجل
التوسل إلى مهمات البدن غير مذموم وحبهما لأعيانهما فيما يجاوز ضرورة البدن وحاجته مذموم
ولكن لا يوصف صاحبه بالفسق والعصيان ما لم يحمله الحب على مباشرة معصية وما لم يتوصل إلى اكتسابه
بكذب وخداع وارتكاب محظور وما لم يتوصل إلى اكتسابه بعبادة فإن التوصل إلى الجاه والمال بالعبادة جناية

على الدين وهو حرام واليه يرجع معنى الريا المحظور كما سياتي فان قلت طلبه الجاه والمنزلة في قلب استاذه وخادمه ورفيقه وسلطانه ومن يرتبط به امره مباح على الاطلاق وكيف ما كان او يباح الى حد مخصوص على وجه مخصوص فاقول يطلب ذلك على ثلاثة اوجه وجهان منها مباحان ووجه منها محظور اما الوجه المحظور فهو ان يطلب قيام المنزلة في قلوبهم باعتقادهم صفة هو منفك عنها مثل العلم والورع والنسب فيظهر لهم انه علوي او عالم او ورع ولا يكون ذلك فهو حرام لانه تلبيس وكذب اما بالقول واما بالمعاملة

واما احد المباحين فهو ان يطلب المنزلة بصفة هو متصف بها كقول يوسف صلى الله عليه وسلم اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم فانه طلب منزلة في قلبه بكونه حفيظا عليما وكان محتاجا اليه وكان صادقا فيه والثاني ان يطلب اخفاء عيب من عيوبه ومعصية من معاصيه حتى لا يعلمه فلا تزول منزلته به فهذا ايضا مباح لان حفظ الستر على القبائح جائز ولا يجوز هتك الستر باظهار القبيح وهذا ليس فيه تلبيس بل هو سد لطريق العلم بما لا فائدة في العلم به كالذي يخفي عن السلطان انه يشرب الخمر ولا يلقي اليه انه ورع بل يعلم بمنع العلم فان قوله انه ورع تلبيس وعدم اقراره بالشرب لا يوجب اعتقاده للورع بل يمنع العلم بالشرب ومن جملة المحظور ان يحسن الصلاة بين يديه ليحسن اعتقاده فيه فان ذلك ريا فهو تلبيس اذ يخيل اليه انه من المخلصين الخاشعين لله وهو مراء بما يفعله فكيف يكون مخلصا بطلب الجاه فهذا الطريق حرام وكذا بكل معصية وذلك يجري مجرى اكتساب المال من غير عوض وكما لا يحل له ان يتملك مال غيره بتلبيس في عوض او في غيره فلا يحل له ان يتملك قلبه بتزوير وخداع فان ملك القلوب اعظم من ملك الاموال

بيان السبب في حب المدح والثنا وارتياح النفس به وميل الطبع اليه وبغضه للذم ونفرته منه

اعلم ان لحب المدح والتذاذ القلب به اربعة اسباب الاول وهو الاقوى شعور النفس بالكمال فانا بينا ان الكمال محبوب وكل محبوب فادراكه لذيذ فمهما شعرت النفس بكمالها ارتاحت واهتزت وتلذذت والمدح يشعر نفس الممدوح بكمالها فان الوصف الذي به مدح لا يخلو اما ان يكون جليا ظاهرا او يكون مشكوكا فيه فان كان جليا ظاهرا محسوسا كانت اللذة فيه اقل ولكنه لا يخلو عن لذة كثنائه عليه بانه طويل القامة ابيض اللون فان هذا نوع كمال ولكن النفس تغفل عنه فتخلو عن لذته فاذا استشعره لم يخل حدوث الشعور عن حدوث لذة فان كان ذلك الوصف مما يتطرق اليه الشك فاللذة فيه اعظم كالثنا عليه بكمال العلم وكمال الورع وبالحسن المطلق فان الانسان ربما يكون شاكا في كمال حسنه وكمال علمه وكمال ورعه ويكون مشتاقا الى زوال هذا الشك بان يصير مستيقنا لكونه عديم النظير في هذه الامور وتطمين نفسه اليه فاذا ذكره غيره اورث ذلك طمانينة وثقة باستشعار ذلك الكمال فتعظم لذته وانما تعظم هذه اللذة بهذه العلة مهما صدر الثنا من بصير بهذه الصفات خبير بها لا يجازف بالقول الا عن تحقيق وذلك كفرح التلميذ بثناء استاذه عليه بالكياسة والذكاء وغزارة الفضل فانه في غاية اللذة فان صدر ممن يجازف في الكلام او لم يكن بصيرا بذلك الوصف ضعفت اللذة وبهذه العلة يبغض الذم ايضا ويكرهه لانه يشعره بنقصان نفسه والنقصان ضد الكمال المحبوب فهو ممقوت والشعور به مولم ولذلك يعظم الالم اذا صدر الذم من بصير لا يجازف فيه كما ذكرناه والله اعلم

السبب الثاني ان المدح يدل على ان قلب المادح مملوك للممدوح وانه مريد له ومعتقد فيه ومسخر تحت مشيته وملك القلوب محبوب والشعور بحصوله لذيذ وبهذه العلة تعظم اللذة مهما صدر الثنا ممن يتسع قدرته وينتفع باقتناص قلبه كالملوك والاكابر ويضعف اذا كان المثني ممن لا يوبه له

ولا يقدر على شي فان القدرة عليه بملك قلبه قدرة على امر حقير فلا يدل المدح الا على قدرة قاصرة ولهذه العلة ايضا يكره الذم ويتالم القلب به واذا كان من الاكابر كانت نكايته اعظم لان الفائت به اعظم

السبب الثالث ان ثنا المثني ومدح المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه لا سيما اذا كان ذلك ممن يلتفت الى قوله ويعتد بثنائه وهذا يختص بثنا يقع على الملا فلا جرم كلما كان الجمع اكثر والمثني اجدر بان يلتفت الى قوله كان اللذة اكثر والذم اشد على النفس

السبب الرابع ان المدح يدل على حشمة الممدوح واضطرار المادح الى اطلاق اللسان بالثنا عليه اما عن طوع واما عن قهر فان الحشمة ايضا لذيذة لما فيها من القهر والقدرة وهذه اللذة تحصل وان كان المادح لا يعتقد في الباطن ما مدح به ولكن كونه مضطرا الى ذكره نوع قهر واستيلا عليه فلا جرم تكون لذته بقدر تمنع المادح وقوته فيكون لذة ثنا القوي الممتنع عن التواضع بالثنا اشد فهذه الاسباب الاربعة قد تجتمع في مدح مادح فيعظم الالتذاذ وقد تفترق فتنقص به اللذة اما العلة الاولى وهو استشعار الكمال فتندفع بان يعلم الممدوح انه غير صادق في مدحه كما اذا مدح بانه نسيب او سخي او عالم بعلم او متورع عن المحظورات وهو يعلم من نفسه ضد ذلك فتزول اللذة التي سببها استشعار الكمال وتبقى لذة الاستيلا على قلبه وعلى لسانه وبقية اللذات فان كان يعلم ان المادح ليس يعتقد ما يقوله ويعلم خلوه عن هذه الصفات بطلت اللذة الثانية وهي استيلاؤه على قلبه وتبقى لذة الاستيلا بالحشمة على اضطرار لسانه الى النطق بالثنا فان لم يكن ذلك عن خوف بل كان بطريق اللعب بطلت اللذات كلها فلم يكن فيه اصلا لذة لفوات الاسباب الثلاثة فهذا ما يكشف الغطا عن علة التذاذ النفس بالمدح وتالمها بسبب الذم وانما ذكرنا ذلك لتعرف طريق العلاج لحب الجاه وحب المحمدة وخوف المذمة فان ما لا يعرف سببه لا يمكن معالجته اذ العلاج عبارة عن حل اسباب المرض

بيان علاج حب الجاه

اعلم ان من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصور الهم على مراعاة الخلق مشغوفا بالتودد اليهم والمرايا لاجلهم ولا يزال في اقواله وافعاله ملتفتا الى ما يعظم منزلته عندهم وذلك بذر النفاق واصل الفساد ويجر ذلك لا محالة الى التساهل في العبادات والمراياة بها والى اقتحام المحظورات للتوصل الى اقتناص القلوب ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الشرف والمال وافسادهما للدين بذئبين ضاريين وقال صلى الله عليه وسلم انه ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل والريا وهو مخالفة الظاهر الباطن بالقول والفعل وكل من طلب المنزلة في قلوب الناس فيضطر الى النفاق معهم والى التظاهر بخصال حميدة هو خال عنها وذلك عين النفاق فحب الجاه اذا من المهلكات فيجب علاجه وازالته عن القلب فانه طبع جبل القلب عليه كما جبل على حب المال وعلاجه مركب من علم وعمل اما العلم فهو ان يعلم السبب الذي لاجله احب الجاه وهو كمال القدرة على اشخاص الناس وعلى قلوبهم فانا قد بينا ان ذلك ان صفا وسلم فآخره الموت فليست من الباقيات الصالحات بل لو سجد لك كل من على بسيط الارض من المشرق الى المغرب فالى خمسين سنة لا يبقى الساجد ولا المسجود ويكون ذلك كحال من مات قبلك من ذوي الجاه مع المتواضعين له فهذا لا ينبغي ان يترك له الدين الذي هو الحياة الابدية التي لا انقطاع لها ومن فهم الكمال الحقيقي والكمال الوهمي كما سبق صغر الجاه في عينه الا ان ذلك انما يصغر في عين من ينظر الى الآخرة كانه يشاهدها ويستحقر العاجلة ويكون الموت كالحاصل عنده

ويكون حاله كحال الحسن البصري حيث كتب الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فكانك باخر من كتب عليه
الموت قد مات فانظر كيف مد نظره نحو المستقبل وقدره كائنا وكذلك حال عمر بن عبد العزيز
حيث كتب في جوابه اما بعد فكانك بالدنيا لم تكن وكانك بالآخرة لم تزل فهؤلاء انما كان التفاتهم الى
العاقبة فكان عملهم لها بالتقوى اذ علموا ان العاقبة للمتقين فاستحقروا المال والجاه في الدنيا
وابصار اكثر الخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة لا يمتد نورها الى مشاهدة العواقب ولذلك
قال تعالى بل تؤثرون الحيوة الدنيا والآخرة خير وابقى وقال سبحانه وتعالى كلا بل تحبون العاجلة وتذرون
الآخرة فمن هذا حده فينبغي ان يعالج قلبه في حب الجاه بالعلم بالآفات العاجلة وهو ان يتفكر في
الاخطار التي يستهدف لها ارباب الجاه في الدنيا فان كل ذي جاه محسود ومقصود بالاذى وخائف
على الدوام على جاهه ومحترز من ان تتغير منزلته في القلوب والقلوب اشد تغيرا من القدر
في غليانها وهي مترددة بين الاقبال والاعراض فكل ما يبنى على قلوب الخلق يضاهي ما يبنى على امواج البحر
فانه لا ثبات له والاشتغال بمراعاة القلوب وحفظ الجاه ودفع كيد الحسود ومنع اذى الاعداء كل ذلك
غموم عاجلة مكدرة للذة الجاه فلا يفي ايضا في الدنيا مرجوها بمخوفها فضلا عما يفوت في الآخرة فبهذا
ينبغي ان يعالج الضعيف البصيرة واما من نفذت بصيرته وقوي ايمانه فلا يلتفت الى الدنيا فهذا
هو العلاج من حيث العلم واما من حيث العمل فاسقاط الجاه من قلوب الخلق بمباشرة افعال يلام
عليها حتى يسقط من اعين الخلق وتفارقه لذة القبول ويانس بالخمول ويرد الخلق ويقنع بالقبول من
الخالق وهذا هو مذهب الملامتية اذ اقتحموا الفواحش في صورتها ليسقطوا انفسهم من اعين الناس
فيسلموا من آفة الجاه وهذا غير جائز لمن يقتدى به لانه يوهن الدين في قلوب المسلمين واما الذي لا يقتدى
به فلا يجوز له ان يقدم على محظور لاجل ذلك بل له ان يفعل من المباحات ما يسقط قدره عند الناس كما
روي ان بعض الملوك قصد بعض الزهاد فلما علم بقربه منه استدعى طعاما وبقلا واخذ ياكل بشره
ويعظم اللقمة فلما نظر اليه الملك سقط من عينه وانصرف فقال الزاهد الحمد لله الذي صرفك عني
ومنهم من شرب شرابا حلالا في قدح لونه لون الخمر حتى يظن انه يشرب الخمر فيسقط من الاعين وهذا في جوازه
نظر من حيث الفقه الا ان ارباب الاحوال ربما يعالجون انفسهم بما لا يفتي به الفقيه مهما رأوا اصلاح
قلوبهم فيه ثم يتداركون ما فرط منهم فيه من صورة التقصير كما فعل بعضهم فانه عرف بالزهد واقبل
الناس عليه فدخل حماما ولبس ثوب غيره وخرج ووقف في الطريق حتى عرفوه فاخذوه وضربوه واستردوا منه
الثوب وقالوا انه طرار وهجروه واقوى الطرق في قطع الجاه الاعتزال عن الناس والهجرة الى موضع الخمول
فان المعتزل في بيته في البلد الذي هو به مشهور لا يخلو عن حب المنزلة التي ترسخ له في القلوب بسبب
عزلته فربما يظن انه ليس محبا لذلك الجاه وهو مغرور وانما سكنت نفسه لانها قد ظفرت بمقصودها
ولو تغير الناس عما اعتقدوه فيه وذموه او نسبوه الى امر غير لائق به جزعت نفسه وتألمت وربما
توصلت الى الاعتذار عن ذلك واماطة ذلك القذى عن قلوبهم وربما يحتاج في ازالة ذلك عن قلوبهم
الى كذب وتلبيس ولا يبالي به وبه يتبين بعد انه محب للجاه والمنزلة ومن احب الجاه والمنزلة فهو كمحب المال
بل هو شر منه لان فتنة الجاه اعظم ولا يمكنه الا ان يحب المنزلة في قلوب الناس فاذا احرز قوته من كسبه
او من جهة اخرى وقطع طمعه عن الناس راسا اصبح الناس كلهم عنده كالارذال فلا يبالي اكان له منزلة
في قلوبهم ام لم يكن كما لا يبالي بما في قلوب الذين هم منه في اقصى المشرق لانه لا يراهم ولا يطمع فيهم

ولا ينقطع الطمع عن الناس الا بالقناعة فمن قنع استغنى عن الناس واذا استغنى لم يشتغل قلبه بالناس
ولم يكن لقيام منزلته في القلوب عنده وزن فلا يتم ترك الجاه الا بالقناعة وقطع الطمع ويستعين على جميع
ذلك بالاخبار الواردة في ذم الجاه ومدح الخمول والذل مثل قولهم المؤمن لا يخلو من ذلة او قلة او علة و
ينظر في احوال السلف وايثارهم الذل على العز ورغبتهم في ثواب الآخرة

بيان وجه العلاج لحب المدح وكراهة الذم

اعلم ان اكثر الخلق انما هلكوا لخوف مذمة الناس وحب مدحهم فصارت حركاتهم كلها
موقوفة على ما يوافق رضا الناس رجاء المدح وخوفا من الذم وذلك من المهلكات فيجب معالجته وطريقه ملاحظة الاسباب
التي لاجلها يحب المدح ويكره الذم اما السبب الاول فهو استشعار الكمال بسبب قول المادح فطريقك فيه
ان ترجع الى عقلك وتقول لنفسك هذه الصفة التي يمدحك بها انت متصف بها ام لا فان كنت متصفا بها
فهي اما صفة تستحق بها المدح كالعلم والورع واما صفة لا تستحق كالثروة والجاه والاعراض الدنيوية فالفرح
كالفرح بنبات الارض الذي يصير على القرب هشيما تذروه الرياح وهذا من قلة العقل بل العاقل يقول **شعر**
اشد الغم عندي في سرور ... تيقن عنه صاحبه انتقالا
فلا ينبغي ان يفرح الناس بعروض الدنيا وان فرح فلا ينبغي
ان يفرح بمدح المادح بل بوجودها والمدح ليس هو سبب وجودها وان كانت الصفة مما يستحق المدح بها كالعلم و
الورع فينبغي ان لا يفرح بها لان الخاتمة غير معلومة وهذا انما يقتضي الفرح لانه يقرب الى الله زلفى وخطر
الخاتمة خوف الخاتمة شغل عن الفرح بكل ما في الدنيا بل الدنيا دار احزان وغموم لا دار فرح وسرور ثم ان كنت تفرح
بها على رجاء حسن الخاتمة فينبغي ان يكون فرحك بفضل الله تعالى عليك بالعلم والتقوى لا بمدح المادح فان اللذة
باستشعار الكمال والكمال موجود من فضل الله تعالى لا من المدح والمدح تابع له فلا ينبغي ان يفرح بالمدح
والمدح لا يزيدك فضلا وان كانت الصفة التي مدحت بها انت خال عنها ففرحك بالمدح غاية الجنون ومثالك
من يهزأ به انسان ويقول سبحان الله ما اكثر العطر الذي في احشائه وما اطيب الروائح التي تفوح منه اذا قضى حاجته
وهو يعلم ما يشتمل عليه امعاؤه من الاقذار والانتان ثم يفرح به فكذلك اذا اثنوا عليك بالصلاح والورع
ففرحت به فان الله تعالى مطلع على خبائث باطنك وغوائل سريرتك واقذار صفاتك كان ذلك من غاية الجهل فاذا
صدق المادح فليكن فرحك بصفتك التي هي من فضل الله تعالى عليك وان كذب فينبغي ان يغمك ذلك ولا
تفرح به **واما** السبب الثاني وهو دلالة المدح على تسخير قلب المادح وكونه سببا لتسخير قلب اخر فهذا يرجع
الى حب الجاه والمنزلة في القلوب وقد سبق وجه معالجته وذلك بقطع الطمع وطلب المنزلة عند الله
تعالى وبان يعلم ان طلبك المنزلة في قلوب الناس وفرحك به يسقط منزلتك عند الله تعالى فكيف تفرح به
واما السبب الثالث وهو الحشمة التي اضطرت المادح الى المدح فهو ايضا يرجع الى قدرة عارضة لا ثبات
لها ولا تستحق الفرح بل ينبغي ان يغمك مدح المادح وتكرهه وتغضب به كما كان يفعل ذلك السلف
لان آفة المدح على الممدوح عظيمة كما ذكرناه في كتاب آفات اللسان **قال** بعض السلف من فرح بمدح فقد
امكن الشيطان من ان يدخل في بطنه وقال بعضهم اذا قيل لك نعم الرجل انت فكان احب اليك من ان يقال بئس الرجل
انت فانت والله بئس الرجل **ويروى** في بعض الاخبار فان صح فهو قاصم الظهور ان رجلا اثنى على رجل خيرا
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم لو كان صاحبك حاضرا فرضي بالذي قلت فمات على
ذلك دخل النار **وقال** صلى الله عليه وسلم مرة للمادح ويحك قطعت ظهره لو سمعك ما افلح الى يوم القيامة
وقال صلى الله عليه وسلم الا لا تمادحوا واذا رأيتم المادحين فاحثوا في وجوههم التراب فلهذا كان الصحابة
رضي الله عنهم اجمعين على وجل عظيم من المدح وفتنته وما يدخل على القلب من السرور حتى ان بعض الخلفاء

الراشدين سأل رجلا عن شيء فقال انت يا امير المؤمنين خير مني واعلم فغضب وقال اني لم آمرك ان تزكيني
وقيل لبعض الصحابة رضي الله عنهم لا يزال الناس بخير ما ابقاك الله فغضب وقال اني لاحسبك
عراقيا وقال بعضهم لما مدح اللهم ان عبدك هذا تقرب الي بمقتك فاشهدك على مقته وانما كرهوا المدح
خيفة ان يفرحوا بمدح الخلق وهم ممقوتون عند الخالق فكان اشتغال قلوبهم بحالهم عند الله تعالى يبغض
اليهم المدح اي مدح الخلق لان الممدوح هو المقرب الى الله تعالى والمذموم على الحقيقة هو المبعد من الله تعالى
الملقى في النار مع الاشرار فهذا الممدوح ان كان عند الله تعالى من اهل النار فما اعظم جهله اذا فرح بمدح غيره
وان كان من اهل الجنة فلا ينبغي ان يفرح الا بفضل الله تعالى وثنائه عليه اذ ليس امره بيد الخلق ومهما علم
ان الاجال والارزاق بيد الله تعالى قل التفاته الى مدح الخلق وذمهم وسقط من قلبه حب المدح
واشتغل بما يهمه من امر دينه **بيان علاج كراهية الذم** قد سبق ان العلة في كراهية الذم هو ضد
العلة في حب المدح فعلاجه ايضا يفهم منه والقول الوجيز فيه ان من ذمك لا يخلو من ثلاثة احوال اما
ان يكون قد صدق فيما قال وقصد النصح والشفقة واما ان يكون صادقا وقصده الايذاء والتعنت او
يكون كاذبا فان كان صادقا فلا ينبغي ان يذمه ويغضب عليه ويحقد بسببه بل ينبغي ان يتقلد منته
فان من اهدى اليك عيوبك فقد ارشدك الى المهلك حتى تتقيه فينبغي ان يفرح به ويشتغل بازالة
الصفة المذمومة عن نفسك ان قدرت عليها فاما اغتمامك بسببه وكراهيتك له وذمك اياه
فغاية الجهل فان كان قصده التعنت فانت قد انتفعت بقوله اذ ارشدك الى عيبك ان كنت جاهلا به
او ذكرك عيبك ان كنت غافلا عنه او قبحه في عينك لينبعث حرصك على ازالته ان كنت قد استحسنته
وكل ذلك اسباب سعادتك وكله قد استفدته منه فاشتغل بطلب السعادة فقد اتيح لك
اسبابها بسبب ما سمعته من المذمة فمهما قصدت الدخول على ملك وثوبك ملوث بالعذرة وانت
لا تدري ولو دخلت عليه كذلك لخفت ان تحز رقبتك لتلويثك مجلسه بالعذرة فقال لك قائل ايها الملوث
بالعذرة طهر نفسك فينبغي ان تفرح به لان تنبيهك بقوله غنيمة وجميع مساوي الاخلاق مهلكة في الاخرة
والانسان انما يعرفها من قول الاعداء فينبغي ان يغتنمه واما قصد العدو التعنت فجناية منه على دين
نفسه وهو نعمة منه عليك فلم تغضب عليه بقول انتفعت به انت وتضرر هو به **والحالة** الثالثة ان
يفتري عليك بما انت بريء منه عند الله تعالى فينبغي ان تكره ذلك ولا تشتغل بذمه بل تتفكر في ثلاثة امور
احدها انك ان خلوت من ذلك العيب فلا تخلو من امثاله واشباهه وما ستره الله تعالى عليك من عيوبك اكثر
فاشكر الله تعالى اذ لم يطلعه على عيوبك ودفعه عنك بذكر ما انت بريء منه **والثاني** ان ذلك كفارة لبقية
مساويك وذنوبك فكانه رماك بعيب انت منه بريء وطهرك من ذنوب انت ملوث بها وكل من اغتابك فقد
اهدى اليك حسناته وكل من مدحك فقد قطع ظهرك فما بالك تفرح بقطع الظهر وتحزن بهدايا الحسنات
التي تقربك الى الله تعالى وانت تزعم انك تحب القرب من الله تعالى واما الثالث فهو ان المسكين قد جنى على
دينه حتى سقط من عين الله تعالى واهلك نفسه بافترائه وتعرض لعقابه الاليم فلا ينبغي ان تغضب عليه مع
غضب الله تعالى عليه فيشمت به الشيطان وتقول اللهم اهلكه بل ينبغي ان تقول اللهم اصلحه اللهم
تب عليه اللهم ارحمه كما قال صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون لما ان ضربوه ودعا
ابراهيم بن ادهم لمن شج رأسه بالمغفرة وقال اعلم اني مأجور بسببه فلا ارضى ان يكون معاقبا بسببي ومما يهون
عليك كراهية الذم قطع الطمع فانك ان استغنيت عنه مهما ذممتك لم يعظم امر الذم في قلبك واصل

الدين القناعة وبها ينقطع الطمع عن الجاه والمال وما دام الطمع قائما كان حب الجاه والمدح في قلب من
طمعت فيه غالبا وكانت همتك الى تحصيل المنزلة في قلبه مصروفة ولا تنال ذلك الا بهدم الدين فلا ينبغي
ان يطمع طالب الجاه والمال ومحب المدح ومبغض الذم في سلامة دينه فان ذلك بعيد جدا **بيان
اختلاف احوال الناس في الذم والمدح** اعلم ان للناس اربعة احوال بالاضافة الى المدح والذم
الحالة الاولى ان يفرح بالمدح ويشكر المادح ويغضب من الذم ويحقد على الذام ويكافئه او يحب مكافأته
وهذا حال اكثر الخلق وهو غاية درجات المعصية في هذا الباب **الحالة الثانية** ان يمتعض في
الباطن على الذام ولكن يمسك لسانه وجوارحه عن مكافأته ويفرح باطنه ويرتاح للمادح ولكن يحفظ
ظاهره عن اظهار السرور وهذا من النقصان الا انه بالاضافة الى ما قبله كمال **الحالة الثالثة** وهي اول
درجات الكمال ان يستوي عنده ذامه ومادحه فلا تغمه المذمة ولا تسره المدحة وهذا قد يظنه بعض
العباد بنفسه ويكون مغرورا ان لم يمتحن نفسه بعلاماته وعلاماته ان لا يجد في نفسه استثقالا للذام
عند تطويله الجلوس عنده اكثر مما يجده في المادح وان لا يجد في نفسه زيادة هزة ونشاط في قضاء حوائج
المادح فوق ما يجده في قضاء حوائج الذام وان لا يكون انقطاع الذام عن مجلسه اهون عليه من انقطاع المادح
وان لا يكون موت المادح المطري له اشد نكاية في قلبه من موت الذام وان لا يكون غمه بمصيبة المادح وما
يناله من اعدائه اكثر مما يكون بمصيبة الذام وان لا يكون زلة المادح اخف على قلبه وفي عينه من زلة الذام
فمهما خف الذام على قلبه كما خف المادح واستويا من كل وجه فقد نال هذه الرتبة وما ابعد ذلك وما
اشده على القلوب واكثر العباد فرحهم بمدح الناس لهم مستبطن في قلوبهم وهم لا يشعرون حيث لا يمتحنون
انفسهم بهذه العلامات وربما شعر العابد بميل قلبه الى المادح دون الذام والشيطان يحسن ذلك
له ويقول الذام قد عصى الله تعالى بمذمتك والمادح قد اطاع الله تعالى بمدحك فكيف تسوي بينهما
وانما استثقالك للذام من الدين المحض وهذا محض التلبيس فان العابد لو تفكر علم ان في الناس من ارتكب
من كبائر المعاصي اكثر مما ارتكبه الذام في مذمته ثم انه لا يستثقلهم ولا ينفر عنهم ويعلم ان المادح
الذي مدحه لا يخلو عن مذمة غيره ولا يجد في نفسه نفرة عنه بمذمة غيره كما يجد بمذمة نفسه والمذمة
من حيث انها معصية لا تختلف بان يكون هو المذموم او غيره فاذا العابد المغرور لنفسه يغضب
ولنفسه يمتعض ثم الشيطان يخيل اليه انه من الدين حتى يعتقد على الله تعالى بهواه فيزيده بعدا من الله عز وجل
ومن لم يطلع على مكايد الشيطان وآفات النفوس فاكثر عباداته تعب ضائع يفوت عليه الدنيا ويخسر
في الآخرة وفيهم قال الله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا
وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا **الحالة الرابعة** وهي الصدق في العبادة ان يكره المدح و
يمقت المادح اذ يعلم انه فتنة عليه قاصمة للظهر مضرة له في الدين ويحب الذام اذ يعلم انه مهد اليه
عيبه ومرشد له الى مهمه ومهد اليه حسناته وقد قال صلى الله عليه وسلم رأس التواضع ان
تكره ان تذكر بالبر والتقوى **وقد روي** في بعض الاخبار ما هو قاصم لظهور امثالنا ان صح اذ روي انه
صلى الله عليه وسلم قال ويل للصائم وويل للقائم وويل لصاحب الصوف الا من فقيل يا رسول الله
الا من قال الا من تنزهت نفسه عن الدنيا وابغض المدحة واستحب المذمة فهذا شديد جدا
وغاية امثالنا الطمع في الحالة الثانية وهو ان يضمر الفرح والكراهة على الذام والمادح ولا يظهر ذلك بالقول
بالعمل فاما الحالة الثالثة وهي التسوية بين المادح والذام فلسنا نطمع فيها ثم ان طلبنا انفسنا

بعلامة الحالة الثانية ما وقف بها فانا لا بد ان نسارع الى اكرام المادح وقضا حاجته ونتثاقل عن اكرام الذام
والثنا عليه وقضا حاجته ولا نقدر ان نسوي بينهما في الفعل الظاهر كما لا نقدر عليه في سر القلب
ومن قدر على التسوية بين الذام والمادح في ظاهر الفعل فهو جدير بان يتخذ قدوة في هذا الزمان
ان وجد فانه الكبريت الاحمر يتحدث به ولا يرى فكيف بما بعده من الرتبتين وكل واحدة من هذه الرتب ايضا
فيها درجات اما الدرجات في المدح فهو ان من الناس من يتمنى المدحة والثنا وانتشار الصيت فيتوصل
الى نيلها بكل ما يمكن حتى يرائي بالعبادات ولا يبالي بمقارفة المحظورات لاستمالة قلوب الناس واستنطاق
السنتهم بالمدح وهذا من الهالكين ومنهم من يريد ذلك ويطلبه بالمباحات ولا يطلبه بالعبادات
ولا يباشر المحظورات وهذا على شفا جرف هار فان حدود الكلام الذي يستميل به القلوب وحدود الاعمال
لا يمكنه ان يضبطها فيوشك ان يقع في نيل ما لا يحل لنيل الحمد فهو قريب من الهالكين جدا ومنهم من
لا يريد المدحة ولا يسعى لطلبها ولكن اذا مدح سبق السرور الى قلبه فان لم يقابل ذلك بالمجاهدة ولم
يتكلف الكراهية فهو قريب من ان يستجره فرط السرور الى الرتبة التي قبلها وان جاهد نفسه في ذلك وكلف
قلبه الكراهية وبغض السرور عليه بالتفكر في آفات المدح فهو في خطر المجاهدة فتارة تكون اليد له
وتارة تكون عليه ومنهم من اذا سمع المدح لم يسر به ولم يغتم به ولم يؤثر فيه وهذا على خير وان كان
قد بقي عليه بقية من الاخلاص ومنهم من يكره المدح اذا سمعه ولكن لا ينتهي به الى ان يغضب على
المادح وينكر عليه واقصى درجاته ان يكره ويغضب ويظهر الغضب وهو صادق فيه لا ان يظهر الغضب و
قلبه محب له فان ذلك عين النفاق لانه يريد ان يظهر من نفسه الاخلاص والصدق وهو مفلس عنه
وكذلك بالضد من هذا تتفاوت الاحوال في حق الذام واول درجاته اظهار الغضب واخرها اظهار الفرح
ولا يكون الفرح واظهاره الا ممن في قلبه حنق وحقد على نفسه لتمردها عليه وكثرة عيوبها ومواعيدها الكاذبة وتلبيساتها
الخبيثة فيبغضها بغض العدو والانسان يفرح بمن يذم عدوه وهذا شخص عدوه نفسه فيفرح اذا سمع
ذمها ويشكر الذام على ذلك ويعتقد فطنته وذكاه لما وقف على عيوبها فيكون ذلك كالتشفي له من نفسه و
يكون غنيمة عنده اذ صار بالمذمة اوضع في اعين الناس حتى لا يبتلى بالجاه واذا سيقت اليه حسنات لم
ينصب فيها فعساه يكون جبرا لعيوبه التي هو عاجز عن اماطتها ولو جاهد المريد نفسه طول عمره في هذه
الخصلة الواحدة وهو ان يستوي عنده ذامه ومادحه لكان له شغل شاغل فيه لا يتفرغ معه لغيره وبينه
وبين السعادة عقبات كثيرة وهذه احدى تلك العقبات ولا يقطع شي منها الا بالمجاهدة الشديدة
في العمر الطويل

الشطر الثاني من الكتاب

في طلب الجاه والمنزلة بالعبادات وهو الريا وفيه
بيان ذم الريا وبيان حقيقة الريا وبيان درجات الريا وبيان الريا الخفي وما يراءى به وبيان ما يحبط العمل من
الريا وبيان دوا الريا وبيان الرخصة في اظهار الطاعات وبيان الرخصة في كتمان الذنوب وبيان ترك الطاعات
خوفا من الريا وبيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وبيان ما يجب على المريد ان يلزمه
قلبه قبل الطاعة وبعدها وهي عشرة فصول

بيان ذم الريا

اعلم ان الريا حرام والمرائي عند الله تعالى
ممقوت وقد شهدت لذلك الايات والاخبار والاثار اما الايات فقوله تعالى فويل للمصلين الذين هم
عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون وقوله تعالى والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر اولئك
هو يبور قال مجاهد هم اهل الريا وقال تعالى انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا فمدح
المخلصين بنفي كل ارادة سوى وجه الله تعالى والريا ضده وقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا
صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا نزلت فيمن يطلب الاجر والحمد بعبادته واعماله واما الاخبار فقد قال
النبي صلى الله عليه وسلم حين ساله الرجل فقال يا رسول الله فيم النجاة قال لا يعمل بطاعة الله يريد
بها الناس وروى ابو هريرة في حديث الثلاثة المقتول في سبيل الله والمتصدق بماله والقارئ لكتاب الله
كما اوردناه في كتاب الاخلاص وان الله تعالى يقول لكل واحد منهم كذبت بل اردت ان يقال
فلان شجاع كذبت بل اردت ان يقال فلان قارئ فاخبر صلى الله عليه وسلم انهم لم يثابوا وان رياهم
احبط اعمالهم وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم من رايا الله به ومن سمع سمع الله به وفي حديث
اخر طويل ان الله تعالى يقول للملائكة ان هذا لم يردني بعمله فاجعلوه في سجين وقال صلى الله عليه
وسلم ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يا رسول الله قال الريا يقول الله
عز وجل يوم القيامة اذا جازى العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون
عندهم الجزا وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى من عمل عملا اشرك فيه غيري فهو له وانا بريء منه وانا
اغنى الاغنيا عن الشرك وقال صلى الله عليه وسلم استعيذوا بالله من جب الحزن قيل وما هو يا رسول
الله قال واد في جهنم اعد للقرا المرائين وقال عيسى عليه السلام اذا كان صوم يوم احدكم فليدهن
راسه ولحيته ويمسح شفتيه لئلا يرى الناس انه صائم واذا اعطى بيمينه فليخف عن شماله واذا صلى فليرخ
ستر بابه فان الله تعالى يقسم الثنا كما يقسم الارزاق وقال نبينا صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله
عملا فيه مثقال ذرة من ريا وقال عمر لمعاذ بن جبل رضي الله عنهما وراه يبكي ما يبكيك قال حديث
سمعته من صاحب هذا القبر يعني النبي صلى الله عليه وسلم اخوف ما اخاف عليكم الريا والشهوة الخفية
وهي ايضا ترجع الى خفايا الريا ودقائقه وقال صلى الله عليه وسلم ان في ظل العرش يوم لا ظل الا ظله
رجلا تصدق بيمينه فكاد يخفيها عن شماله ورجل عمل عملا ابتغاء وجه الله تعالى ولذلك ورد ان
فضل عمل السر على عمل الجهر سبعون ضعفا وقال صلى الله عليه وسلم ان المرائي ينادى يوم القيامة يا فاجر
يا غادر يا مرائي ضل عملك وحبط اجرك اذهب فخذ اجرك ممن كنت تعمل له وقال شداد بن اوس
رايت النبي صلى الله عليه وسلم يبكي فقلت ما يبكيك فقال اني اتخوف على امتي الشرك اما انهم لا يعبدون
صنما ولا شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولكنهم يراءون باعمالهم وقال صلى الله عليه وسلم لما خلق الله تعالى
الارض مادت باهلها فخلق الجبال فصيرها اوتادا فقالت الملائكة ما خلق الله تعالى خلقا هو اشد
من الجبال فخلق الله تعالى الحديد فقطع الجبال ثم خلق النار فاذابت الحديد ثم امر الله تعالى الما فاطفا
النار وامر الريح فكدرت الما فاختلفت الملائكة فقالت نسال الله تعالى فقالت يا رب ما اشد ما
خلقت من خلقك قال الله تعالى لم اخلق خلقا اشد من ابن آدم حين يتصدق بيمينه فيخفيها عن
شماله فهذا اشد خلق خلقته وروى عبد الله بن المبارك باسناده عن رجل انه قال لمعاذ بن جبل
حدثني حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكى معاذ حتى ظننت انه لا يسكت ثم سكت ثم قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي يا معاذ قلت لبيك بابي انت وامي قال اني احدثك حديثا
ان انت حفظته نفعك الله به وان انت ضيعته انقطعت حجتك عند الله تعالى يوم القيامة يا معاذ ان
الله تعالى خلق سبعة املاك قبل ان يخلق السموات والارض ثم خلق السموات والارض فجعل لكل سماء من
السبعة ملكا بوابا عليها قد جللها عظما فتصعد الحفظة بعمل العبد من حين اصبح الى ان امسى له
نور كنور الشمس حتى اذا طلعت الى السماء الدنيا زكته فتقول الملائكة للحفظة اضربوا بهذا العمل

وجه صاحبه انا صاحب الغيبة امرني ربي ان لا ادع عمل من اغتاب الناس يجاوزني الى غيري قال ثم تأتي
الحفظة بعمل صالح من اعمال العبد فيمرون به فيزكيه ويكثره حتى يبلغ السماء الثانية فيقول لهم الملك الموكل
بالسماء الثانية قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه اراد بعمله هذا عرض الدنيا امرني ربي
ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري انه كان يفتخر على الناس في مجالسهم قال وتصعد الملائكة بعمل العبد يبتهج
نورا من صدقة وصيام وصلاة قد اعجب الحفظة فيجاوزون به الى الثالثة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا
واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا ملك الكبر امرني ربي تعالى ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري انه
اذا كان يعمل عملا ادخل فيه العجب قال وتصعد الحفظة بعمل العبد حتى يجاوز به الى السماء الخامسة كانه
العروس المزفوفة الى اهلها فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على
عاتقه انا ملك الحسد انه كان يحسد من الناس من يتعلم ويعمل بمثل عمله وكل من يأخذ فضلا من العبادة
يحسدهم ويقع فيهم امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري وتصعد الحفظة بعمل العبد من
صلاة وزكاة وحج وعمرة وصيام فيجاوزون به الى السماء السادسة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا و
اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه كان لا يرحم انسانا قط من عباد الله عز وجل اصابه بلاء او مرض بل كان
يشمت به انا ملك الرحمة امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد
الى السماء السابعة من صوم وصلاة ونفقة واجتهاد وورع له دوي كدوي الرعد وضوء كضوء الشمس
معها ثلاثة الاف ملك فيجاوزون به الى السماء السابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا
العمل وجه صاحبه اضربوا به جوارحه اقفلوا على قلبه فاني احجب عن ربي كل عمل لم يرد به وجه ربي انه اراد
بعمله غير الله تعالى انه اراد به رفعة عند الفقهاء وذكرا عند العلماء وصيتا في المدائن امرني ربي ان لا
ادع عمله يجاوزني الى غيري وكل عمل لم يكن لله تعالى خالصا فهو رياء ولا يقبل الله تعالى عمل المرائي قال وتصعد
الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر الله تعالى وتشيعها
ملائكة السماوات حتى يقطعوا الحجب كلها الى الله تعالى فيقفون بين يديه ويشهدون له بالعمل
الصالح المخلص لله تعالى قال فيقول الله تعالى لهم انتم الحفظة على عمل عبدي وانا الرقيب على نفسه
انه لم يردني بهذا العمل واراد به غيري فعليه لعنتي فتقول الملائكة كلها عليه لعنتك ولعنتنا فتقول
السماوات كلها لعنة الله ولعنتنا وتلعنه السماوات السبع ومن فيهن قال معاذ قلت يا رسول الله
انت رسول الله وانا معاذ قال اقتد بي وان كان في عملك نقص يا معاذ حافظ على لسانك من الوقيعة
في اخوانك من حملة القرآن واحمل ذنوبك عليك ولا تحملها عليهم ولا تزك نفسك بذمهم ولا ترفع نفسك
عليهم ولا تدخل عمل الدنيا في عمل الآخرة ولا تتكبر في مجلسك لكي يحذر الناس من سوء خلقك ولا تناج رجلا
وعندك آخر ولا تتعظم على الناس فينقطع عنك خير الدنيا ولا تمزق الناس فتمزقك كلاب النار يوم
القيامة في النار قال تعالى والناشطات نشطا اتدري ما هي يا معاذ قلت ما هي بابي انت وامي من
يطيق هذه الخصال ومن ينجو منها قال يا معاذ انه ليسير على من يسره الله تعالى عليه قال فما رأيت اكثر تلاوة
للقرآن من معاذ للحذر من هذا الحديث واما الآثار فيروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه رأى رجلا
يطأطئ رقبته فقال يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب وانما الخشوع في القلوب
ورأى ابو امامة رجلا في المسجد يبكي في سجوده فقال انت انت لو كان هذا في بيتك وقال
علي رضي الله عنه للمرائي ثلاث علامات يكسل اذا كان وحده وينشط اذا كان في الناس ويزيد في العمل

اذا اثني عليه وينقص اذا ذم وقال رجل لعبادة بن الصامت اقاتل بسيفي في سبيل الله اريد به وجه
الله ومحمدة الناس قال لا شيء لك فسأله ثلاث مرات كل ذلك يقول لا شيء لك ثم قال في الثالثة
ان الله تعالى يقول انا اغنى الاغنياء عن الشرك الحديث وسأل رجل سعيد بن المسيب فقال ان احدنا
يصطنع المعروف ويحب ان يحمد ويؤجر فقال له اتحب ان تمقت قال لا قال فاذا عملت لله عملا فاخلصه وقال
الضحاك لا يقولن احدكم هذا لوجه الله تعالى ولوجهك ولا يقل لله وللرحم فان الله تعالى لا شريك له و
ضرب عمر رضي الله عنه رجلا بالدرة ثم قال له اقتص مني فقال لا بل ادعها لله ولك فقال له عمر ما
صنعت شيئا اما ان تدعها لي فاعرف ذلك او تدعها لله تعالى وحده قال ودعتها لله وحده
قال فنعم اذا وقال الحسن لقد صحبت اقواما ان كان احدهم لتعرض له الحكمة ولو نطق بها لنفعته ونفعت
اصحابه وما يمنعه منها الا مخافة الشهرة وان كان احدهم ليمر فيرى الاذى على الطريق فما يمنعه ان ينحيه الا
مخافة الشهرة ويقال ان المرائي ينادى يوم القيامة باربعة اسامي يا مرائي يا غادر يا فاجر يا خاسر اذهب
فخذ اجرك ممن عملت له وقال الفضيل كانوا يراؤون بما يعملون وصاروا اليوم يراؤون بما لا يعملون
وقال عكرمة ان الله تعالى يعطي العبد على قدر نيته ما لا يعطيه على عمله لان النية لا رياء فيها وقال
الحسن المرائي يريد ان يغلب قدر الله تعالى هو رجل سوء يريد ان يقول الناس هو رجل صالح وكيف يقولون
وقد حل من ربه محل الاردياء فلا بد لقلوب المؤمنين ان تعرفه وقال قتادة اذا راءى العبد
يقول الله تعالى انظروا الى عبدي يستهزئ بي وقال مالك بن دينار القراء ثلاثة قراء
للدنيا وقراء للملوك وقراء الرحمن وان محمد بن واسع من قراء الرحمن وقال الفضيل من اراد ان ينظر
الى مراء فلينظر الي وقال محمد بن المبارك الصوري اظهر السمت بالليل فانه اشرف من سمتك بالنهار
لان السمت بالنهار للمخلوقين وسمت الليل لرب العالمين وقال ابو سليمان التوقي على العمل اشد
من العمل وقال ابن المبارك ان كان الرجل ليطوف بالبيت وهو بخراسان فقيل وكيف ذلك قال يحب
ان يذكر انه مجاور بمكة وقال ابراهيم بن ادهم ما صدق الله تعالى من اراد ان يشتهر

بيان حقيقة الرياء وما يراءى به

اعلم ان الرياء مشتق من الرؤية والسمعة مشتقة من السماع وانما
الرياء اصله طلب المنزلة في قلوب الناس باراءتهم خصال الخير الا ان الجاه والمنزلة تطلب في
القلوب باعمال سوى العبادات وتطلب بالعبادات واسم الرياء مخصوص بحكم العادة بطلب المنزلة
في القلوب بالعبادات واظهارها فحد الرياء هو ارادة العباد بطاعة الله تعالى فالمرائي هو العابد
والمراءى هو الناس المطلوب رؤيتهم لطلب المنزلة في قلوبهم والمراءى به هو الخصال التي قصد
المرائي اظهارها والرياء هو قصده اظهار ذلك والمراءى به كثير وتجمعه خمسة اقسام هي مجامع
ما يتزين به العبد للناس وهو البدن والزي والقول والعمل والاتباع والاشياء الخارجة وكذلك
اهل الدنيا يراؤون بهذه الاسباب الخمسة الا ان طلب الجاه وقصد الرياء باعمال ليست من جملة الطاعات
اهون من الرياء بالطاعات الاول الرياء في الدين من جهة البدن وذلك باظهار النحول والصفار ليوهم
بذلك شدة الاجتهاد وعظم الحزن على امر الدين وغلبة خوف الآخرة وليدل بالنحول على قلة الاكل
وبالصفار على سهر الليل وكثرة الحزن بالدين وعدم التفرغ لتسريح الشعر وهذه اسباب مهما ظهرت
استدل الناس بها على هذه الامور فارتاحت النفس لمعرفتهم فلذلك تدعو النفس الى اظهارها
لنيل تلك الراحة ويقرب من هذا خفض الصوت وغئور العين وذبول الشفتين ليستدل بذلك

على انه مواظب على الصوم وان وقار الشرع هو الذي خفض من صوته او ضعف الجوع الذي هو اضعف
قوته وعن هذا قال عيسى صلى الله عليه وسلم اذا صام احدكم فليدهن راسه ويرجل شعره ويكحل عينيه
وكذلك روي عن ابي هريرة وذلك كله لما يخاف عليه من نزغ الشيطان بالريا ولذلك قال ابن مسعود
اصبحوا صياما مدهنين فهذه مرآة اهل الدين بالبدن واما اهل الدنيا فيراؤون باظهار السمن وصفا
اللون واعتدال القامة وحسن الوجه ونظافة البدن وقوة الاعضا وتناسبها **الثاني**
الريا بالزي والهيئة اما الهيئة فتشعيث شعر الراس وحلق الشارب واطراق الراس في المشي والهدو
في الحركة وابقاء اثر السجود على الوجه وغلظ الثياب ولبس الصوف وتشميرها الى قريب من الساق وقصر
الاكمام وترك تنظيف الثوب وتركه مخرقا كل ذلك يرائي به ليظهر من نفسه انه متبع للسنة فيه و
مقتد بعباد الله الصالحين ومنه لبس المرقع والصلاة على السجادة ولبس الثياب الزرق تشبها
بالصوفية مع الافلاس عن حقايق التصوف في الباطن ومنه التقنع بالازار فوق العمامة ليرى انه
انتهى تقشفه الى الحذر من غبار الطريق ولتنصرف اليه الاعين بسبب تميزه بتلك العلامة
ومنه الدراعة والطيلسان يلبسه من هو خال عن العلم ليوهم انه من اهل العلم والمراؤون بالزي على طبقات
منهم من يطلب المنزلة عند اهل الصلاح باظهار الزهد فيلبس الثياب المخرقة الوسخة القصيرة
الغليظة ليرائي بغلظها ووسخها وقصرها وتخرقها ولو كلف ان يلبس ثوبا وسطا نظيفا مما كان السلف
يلبسه لكان عنده بمنزلة الذبح وذلك لخوفه ان يقول الناس قد بدا له من الزهد ورجع عن تلك
الطريقة ورغب في الدنيا وطبقة اخرى يطلبون القبول عند اهل الصلاح وعند اهل الدنيا من
الملوك والتجار ولو لبسوا الثياب الفاخرة ازدراهم القرا ولو لبسوا الثياب المخرقة البذلة ازدرتهم
اعين الملوك والاغنيا فهم يريدون الجمع بين قبول اهل الدين والدنيا فلذلك يطلبون الاصواف الدقيقة
والاكسية الرقيقة والمرقعات المصبوغة والفوط الرفيعة فيلبسونها ولعل قيمة ثوب احدهم قيمة ثوب احد الاغنيا
ولونه وهيئته لون ثياب الصلحا فيلتمسون القبول عند الفريقين وهولا لو كلفوا لبس ثوب خشن
او وسخ لكان عندهم كالذبح خوفا من السقوط عن اعين الملوك والاغنيا ولو كلفوا لبس الدبيقي والكتان
الدقيق الابيض والقصب المعلم وان كان قيمته دون قيمة ثيابهم لعظم عليهم خوفا من ان يقول اهل
الصلاح قد رغب في زي اهل الدنيا وكل طبقة منهم رأى منزلته في زي مخصوص فيثقل عليه الانتقال
الى ما دونه او ما فوقه وان كان مباحا خوفا من المذمة واما اهل الدنيا فمراآتهم بالثياب النفيسة و
المراكب الرفيعة وانواع التوسع والتجمل في الملبس والمسكن واثاث البيت وفراهة الخيول وبالثياب
المصبغة والطيالسة النفيسة وذلك ظاهر بين الناس فانهم يلبسون في بيوتهم الثياب الخشنة و
يشتد عليهم لو برزوا للناس في تلك الثياب يطلبون بالمثالب العوالي **الرتبة الثالثة**
الريا بالقول وريا اهل الدين بالوعظ والتذكير والنطق بالحكمة وحفظ الاخبار والاثار لاجل الاستعمال
في المحاورة اظهارا لغزارة العلم ودلالة على شدة العناية باحوال السلف الصالحين وتحريك الشفتين
بالذكر في محضر الناس والامر بالمعروف والنهي عن المنكر بمشهد الخلق واظهار الغضب للمنكرات واظهار
الاسف على مقارفة الناس المعاصي وتضعيف الصوت في الكلام وترقيق الصوت في قراءة القرآن
ليدل بذلك على الحزن والخوف وادعا حفظ الحديث ولقا الشيوخ والرد على من يروي الحديث ببيان
خلل في لفظه ليعرف انه بصير بالاحاديث والمبادرة الى ان الحديث صحيح او غير صحيح لاظهار الفضل فيه

والمجادلة على قصد افحام الخصم ليظهر للناس قوته في علم الدين والريا بالقول كثير وانواعه لا تنحصر واما
اهل الدنيا فمراآتهم بالقول بحفظ الاشعار والامثال والتفاصح في العبارات وحفظ النحو الغريب للاغراب
على اهل الفضل واظهار التودد الى الناس لاستمالة القلوب **الرابع الريا** بالعمل كمراآة المصلي بطول القيام
ومده وتطويل السجود والركوع واطراق الراس وكذلك بالصوم والغزو والحج وبالصدقة واطعام
الطعام وبالاخبات في المشي عند اللقا كارخا الجفون وتنكيس الراس والوقار في الكلام حتى ان المرائي
قد يسرع في المشي الى حاجته فاذا اطلع عليه واحد من اهل الدين رجع الى الوقار واطراق الراس
خوفا من ان ينسبه الى العجلة وقلة الوقار فان غاب الرجل عاد الى عجلته فاذا راه عاد الى خشوعه
ولم يحضره ذكر الله تعالى حتى يكون يجدد الخشوع له بل هو لاطلاع انسان عليه يخشى ان لا
يعتقد فيه انه من العباد والصلحا ومنهم من اذا سمع هذا استحيا من ان يخالف مشيته في
الخلوة مشيته بمرأى من الناس فيكلف نفسه المشية الحسنة في الخلوة حتى اذا راه الناس
لم يفتقر الى التغيير ويظن انه تخلص من الريا وقد تضاعف رياؤه فانه صار في خلوته مرائيا فانه
صار ايضا في خلوته مرائيا فانه انما يحسن مشيته في الخلوة ليكون كذلك في الملا لا لخوف من الله تعالى
ولا حيا منه واما اهل الدنيا فمراآتهم بالتبختر والاختيال وتحريك اليدين وتقريب الخطا و
الاخذ باطراف الذيل وادارة العطفين ليدلوا بذلك على الجاه والحشمة **الخامس** المرايا بالاصحاب
والزائرين والمخالطين كالذي يتكلف ان يستزير عالما من العلما ليقال ان فلانا قد زار فلانا
او عابدا من العباد ليقال ان اهل الدين يتبركون بزيارته ويترددون اليه او ملكا من الملوك او
عاملا من عمال السلطان ليقال انهم يتبركون به لعظم رتبته في الدين وكذلك الذي يكثر ذكر
الشيوخ ليرى انه لقي شيوخا كثيرة واستفاد منهم فيباهي بشيوخه ومباهاته ومراآته تترشح
منه عند مخاصمته فيقول لغيره من لقيت من الشيوخ وانا قد لقيت فلانا وفلانا ودرت البلاد
وخدمت الشيوخ وما يجري مجراه فهذه مجامع ما يرائي به المراؤون وكلهم يطلبون به الجاه و
المنزلة في قلوب العباد ومنهم من يقنع بحسن الاعتقادات فيه فكم من راهب انزوى الى ديره
سنين كثيرة وكم من عابد اعتزل الى قلة جبل مدة مديدة وانما خبأته من حيث علمه بقيام جاهه
في قلوب الخلق ولو عرف انهم نسبوه الى جريمة في ديره وصومعته لتشوش بذلك قلبه ولم يقنع بعلم
الله تعالى ببراءة ساحته بل يشتد لذلك غمه ويسعى بكل حيلة في ازالة ذلك من قلوبهم مع انه قد قطع طمعه
عن اموالهم ولكنه يحب مجرد الجاه فانه لذيذ كما ذكرناه في اسبابه فانه نوع قدرة وكمال في الحال وان كان
سريع الزوال لا يغتر به الا الجهال ولكن اكثر الناس جهال ومن المرائين من لا يقنع بقيام منزلته بل
يلتمس مع ذلك اطلاق اللسان بالثنا والحمد ومنهم من يريد انتشار الصيت في البلاد لتكثر الرحلة
اليه ومنهم من يريد الاشتهار عند الملوك لتقبل شفاعته وتنجز الحوائج على يديه
ليقوم له بذلك جاه عند العامة ومنهم من يقصد التوصل بذلك الى جمع حطام وكسب مال ولو من الاوقاف
واموال اليتامى وغير ذلك من الحرام وهولاء شر طبقات المرائين الذين يراؤون بالاسباب التي ذكرناها
فهذه حقيقة الريا وما به يقع الريا فان قلت فالريا حرام او مكروه او مباح او فيه تفصيل فاقول فيه
تفصيل فان الريا هو طلب الجاه وهو اما ان يكون بالعبادات او بغير العبادات فان كان بغير العبادات
فهو كطلب المال فلا يحرم من حيث انه طلب منزلة في قلوب العباد ولكن كما يمكن كسب المال بتلبيسات

واسباب محظورة فكذلك الجاه وكما ان كسب قليل من المال وهو ما يحتاج الانسان اليه محمود فكسب
قليل من الجاه وهو ما يسلم به عن الآفات محمود وهو الذي طلبه يوسف عليه السلام حيث قال اني
حفيظ عليم وكما ان المال فيه سم ناقع وترياق نافع فكذلك الجاه وكما ان كثير المال يلهي ويطغي و
ينسي ذكر الله والدار الآخرة فكذلك كثرة الجاه بل اشد وفتنة الجاه اعظم من فتنة المال وكما انا
لا نقول تملك المال الكثير حرام فلا نقول ايضا تملك القلوب الكثيرة حرام الا اذا حملته كثرة المال وكثرة
الجاه على مباشرة ما لا يجوز نعم انصراف الهم الى سعة الجاه مبدا الشرور كانصراف الهم الى كثرة المال ولا
يقدر محب الجاه والمال على ترك معاصي القلب واللسان وغيرها واما سعة الجاه من غير حرص منك على
طلبه ومن غير اغتمام بزواله ان زال فلا ضرر فيه فلا جاه اوسع من جاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاه
الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من علماء الدين ولكن انصراف الهم الى طلب الجاه نقصان في الدين ولا
يوصف بالتحريم فعلى هذا نقول تحسين الثوب الذي يلبسه الانسان عند الخروج الى الناس مراءاة
وهو ليس بحرام لانه ليس رياء بالعبادة بل بالدنيا وقس على هذا كل تجمل للناس وتزين لهم والدليل عليه
ما روي عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اراد ان يخرج الى الصحابة فكان ينظر
في حب الماء ويسوي عمامته وشعره فقالت اوتفعل ذلك يا رسول الله قال نعم ان الله تعالى يحب
من العبد ان يتزين لاخوانه اذا خرج اليهم نعم هذا كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم عبادة لانه
كان مأمورا بدعوة الخلق وترغيبهم في الاتباع واستمالة قلوبهم ولو سقط عن اعينهم لم يرغبوا في
اتباعه فكان يجب عليه ان يظهر لهم محاسن احواله لئلا تزدريه اعينهم فان اعين عوام الخلق
تمتد الى الظواهر دون السرائر فكان ذلك قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن لو قصد قاصد
به ان يحسن نفسه في اعينهم حذرا من ذمهم ولومهم واسترواحا الى توقيرهم واحترامهم كان قد
قصد امرا مباحا اذ للانسان ان يحترز من الم المذمة ويطلب راحة الانس بالاخوان ومهما استثقلوه
واستقذروه لم يانس بهم فاذا المراءاة بما ليس من العبادات قد يكون مباحا وقد يكون طاعة
وقد يكون مذموما وذلك بحسب الغرض المطلوب به ولذلك نقول الرجل اذا انفق ماله على جماعة
من الاغنياء لا في معرض العبادة والصدقة ولكن ليعتقد الناس انه سخي فهذا مراءاة وليس بحرام و
كذلك امثاله اما العبادات كالصدقة والصلاة والغزو والحج فللمرائي فيه حالتان احدهما ان لا يكون
له قصد الا الرياء المحض دون الاجر وهذا يبطل عبادته لان الاعمال بالنيات وهذا ليس بقصد العبادة
ثم لا يقتصر على احباط عبادته حتى نقول صار كما كان قبل العبادة بل يعصي بذلك ويأثم لما دلت عليه
الاخبار والآيات والمعنى فيه امران احدهما يتعلق بالعباد وهو التلبيس والمكر لانه خيل اليهم
انه مخلص مطيع لله وانه من اهل الدين وليس كذلك والتلبيس في امر الدنيا ايضا حرام حتى لو قضى دين
جماعة وخيل الى الناس انه متبرع عليهم ليعتقدوا سخاوته اثم بما فيه من التلبيس وتملك القلوب
بالخداع والمكر **والثاني** يتعلق بالله وهو انه مهما قصد بعبادة الله تعالى خلق الله فهو مستهزئ
بالله ولذلك قال قتادة اذا راءى العبد قال الله تعالى انظروا اليه كيف يستهزئ بي ومثاله ان
يتمثل بين يدي ملك من الملوك طول النهار كما جرت عادة الخدم وانما وقوفه لملاحظة جارية من
جواري الملك او غلام من غلمانه فان هذا استهزاء بالملك اذ لم يقصد التقرب الى الملك بخدمته
بل قصد بذلك عبدا من عبيده فاي استحقار يزيد على ان يقصد العبد بطاعة الله تعالى مراءاة

عبد ضعيف لا يملك له ضرا ولا نفعا وهل ذلك الا لانه يظن ان ذلك العبد اقدر على تحصيل اغراضه
من الله تعالى وانه اولى بالتقرب اليه من الله اذ آثره على ملك الملوك فجعله مقصود عبادته فاي
استهزاء يزيد على رفع العبد فوق المولى فهذا من كبائر المهلكات ولهذا سماه رسول الله صلى الله
عليه وسلم الشرك الاصغر نعم بعض درجات الرياء اشد من بعض كما سياتي بيانه ان شاء الله تعالى
ولا يخلو شيء منه عن اثم غليظ او خفيف بحسب ما به المراءاة ولو لم يكن في الرياء الا انه يسجد ويركع لغير
الله لكان فيه كفاية فانه وان لم يقصد التقرب الى الله فقد قصد غير الله ولعمري لو عظم غير الله
بالسجود لكفر كفرا جليا الا ان الرياء هو الكفر الخفي لان المرائي عظم في قلبه الناس فاقتضت تلك
العظمة ان يسجد ويركع فكان الناس هم المعظمون بالسجود من وجه ومهما زال قصد تعظيم الله
بالسجود وبقي تعظيم الخلق كان ذلك قريبا من الشرك الا انه ان قصد تعظيم نفسه في قلب من عظم
عنده باظهار من نفسه صورة التعظيم لله فعن هذا كان شركا خفيا لا شركا جليا وذلك غاية
الجهل ولا يقدم عليه الا من خدعه الشيطان واوهم عنده ان العباد يملكون من ضره ونفعه ورزقه
واجله ومصالح حاله وماله اكثر مما يملكه الله تعالى فلذلك عدل بوجهه عن الله اليهم واقبل
بقلبه اليهم يستميل بذلك قلوبهم ولو وكله الله تعالى اليهم في الدنيا والآخرة لكان ذلك اقل
مكافاة له على صنيعه فان العباد كلهم عاجزون عن انفسهم لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا فكيف
لغيرهم هذا في الدنيا فكيف في يوم لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا بل يقول
الانبياء فيه نفسي نفسي فكيف يستبدل الجاهل عن ثواب الآخرة ونيل القرب عند الله عز وجل بما يرتجيه
بطمعه الكاذب في الدنيا من الناس فلا ينبغي ان يشك في ان المرائي بطاعة الله تعالى في مقت الله
من حيث النقل والقياس جميعا هذا اذا لم يقصد به الاجر فاما اذا قصد الاجر والحمد جميعا في صدقته
وصلاته فهو الشرك الذي يناقض الاخلاص وقد ذكرنا حكمه في كتاب الاخلاص ويدل على ما نقلناه
في الآثار من قول سعيد بن المسيب وعبادة بن الصامت انه لا اجر فيه اصلا

بيان درجات الرياء

اعلم ان بعض ابواب الرياء اشد واغلظ من بعض واختلافه باختلاف اركانه وتفاوت الدرجات
فيه واركانه ثلاثة المراءى به والمراءى لاجله ونفس قصد الرياء **الركن الاول** نفس قصد الرياء وذلك
لا يخلو اما ان يكون مجردا دون ارادة عبادة الله تعالى والثواب واما ان يكون مع ارادة الثواب فان كان
كذلك فلا يخلو اما ان يكون ارادة الثواب اقوى واغلب او اضعف او مساوية لارادة العبادة
فيكون الدرجات اربعا **الدرجة الاولى** وهي اغلظها ان لا يكون مراده الثواب اصلا كالذي
يصلي بين اظهر الناس ولو انفرد لكان لا يصلي بل ربما يصلي من غير طهارة مع الناس فهذا جرد قصده
الى الرياء فهو الممقوت عند الله تعالى وكذلك من يخرج الصدقة خوفا من مذمة الناس وهو لا يقصد
الثواب ولو خلا بنفسه لما اداها فهذه في الدرجة العليا من الرياء **الدرجة الثانية**
ان يكون له قصد الثواب ايضا ولكن قصدا ضعيفا بحيث لو كان في الخلوة لكان لا يفعله ولا يحمله
ذلك القصد على العمل ولو لم يكن الثواب لكان قصد الرياء يحمله على العمل فهذا قريب مما قبله وما فيه
من شائبة الثواب لا يستقل بحمله على العمل لا ينفي عنه المقت والاثم **الثالثة** ان يكون قصد
الثواب وقصد الرياء متساويين بحيث لو كان كل واحد خاليا عن الآخر لم يبعثه على العمل فلما اجتمعا
انبعثت الرغبة او كان كل واحد لو انفرد لاستقل بحمله على العمل فهذا قد افسد مثل ما اصلح فرجعا

ان يسلم راسا براس لا له ولا عليه او يكون له من الثواب مثل ما عليه من العقاب وظاهر الاخبار تدل على انه لا يسلم
وقد نقلنا عليه في كتاب الاخلاص **الرابعة** ان يكون اطلاع الناس مرجحا ومقويا بالنشاطة ولو لم يكن
لكان لا يترك العبادة ولو كان قصد الريا وحده لما اقدم فالذي نظنه والعلم عند الله انه لا يحبط اصل
الثواب ولكنه ينقص منه او يعاقب على مقدار قصد الريا **الركن الثاني** المرايا به وهو الطاعات
وذلك ينقسم الى الريا باصول العبادات والى الريا باوصافها **القسم الاول** وهو اغلظ الريا بالاصل
وهو على ثلاث درجات **الدرجة الاولى** الريا باصل الايمان وهذا اغلظ ابواب الريا وصاحبه
مخلد في النار وهو الذي يظهر كلمتي الشهادة وباطنه مشحون بالتكذيب ولكنه يرائي بظاهر الاسلام
وهو الذي ذكره الله تعالى في مواضع شتى كقوله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول
الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اي في دلالة قولهم على ضمائرهم
وقال تعالى ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام واذا
تولى سعى في الارض ليفسد فيها الاية وقال تعالى واذا لقوكم قالوا امنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من
الغيظ وقال تعالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا مذبذبين بين ذلك والايات فيهم كثيرة وكان
النفاق كثيرا في ابتداء الاسلام ممن يدخل في ظاهر الاسلام ابتداء لغرض وذلك مما يقل في زماننا ولكن يكثر نفاق
من ينسل عن الدين باطنا فيجحد الجنة والنار والدار الاخرة ميلا الى قول الملحدة او يعتقد طي بساط الشرع
والاحكام ميلا الى اهل الاباحة او يعتقد كفرا او بدعة وهو يظهر خلافه فهؤلاء من المنافقين المرائين المخلدين
في النار وليس وراء هذا الريا ريا وحال هؤلاء اشد من حال الكفار المجاهرين فانهم جمعوا بين
كفر الباطن ونفاق الظاهر **الثانية** الريا باصول العبادات مع التصديق باصل الدين وهذا ايضا
عظيم عند الله تعالى ولكنه دون الاول بكثير ومثاله ان يكون مال الرجل في يد غيره فيامره باخراج الزكاة
خوفا من ذمه والله يعلم منه انه لو كان في يده لما اخرجها او يدخل وقت الصلاة وهو في جمع وعادته ترك
الصلاة في الخلوة وكذلك يصوم شهر رمضان وهو يشتهي خلوة من الخلق ليفطر وكذلك يحضر الجمعة
ولولا خوف المذمة لكان لا يحضرها او يصل رحمه او يبر والديه لا عن رغبة ولكن خوفا من الناس او يغزو او
يحج كذلك فهذا مراء معه اصل الايمان بالله يعتقد انه لا معبود سواه ولو كلف ان يعبد غير الله او
يسجد لغيره لم يفعل ولكنه يترك العبادات للكسل وينشط عند اطلاع الناس فتكون منزلته عند الخلق
احب اليه من منزلته عند الخالق وخوفه من مذمة الناس اعظم من خوفه من عقاب الله ورغبته
في محمدتهم اشد من رغبته في ثواب الله تعالى وهذا غاية الجهل وما اجدر صاحبه بالمقت وان كان
غير منسل عن اصل الايمان من حيث الاعتقاد **الثالثة** ان لا يرائي بالايمان ولا بالفرائض ولكن يرائي بالنوافل
والسنن التي لو تركها لا يعصي ولكنه يكسل عنها في الخلوة لفتور رغبته في ثوابها ولايثار لذة الكسل
على ما يرجى من الثواب ثم يبعثه الريا على فعله وذلك كحضور الجماعة في الصلاة وعيادة المريض واتباع الجنازة
وغسل الميت وكالتهجد وصيام عرفة وعاشورا ويوم الاثنين ويوم الخميس فقد يفعل المرائي جملة
ذلك خوفا من المذمة او طلبا للمحمدة ويعلم الله تعالى منه انه لو خلا بنفسه لما زاد على اداء الفرائض فهذا
ايضا عظيم ولكنه دون ما قبله فان الذي قبله اثر حمد الخلق على حمد الخالق وهذا ايضا قد فعل ذلك
واتقى ذم الخلق دون ذم الخالق فكان ذم الخلق عنده اعظم من عقاب الله تعالى واما هذا فلم يفعل ذلك
لانه لم يخف عقابا على ترك النافلة لو تركها وكانه على الشطر من الاول وعقابه نصف عقابه فهذا هو الريا باصول

العبادات **القسم الثاني** الريا باوصاف العبادات لا باصولها وهو ايضا على ثلاث درجات **الدرجة الاولى**
ان يرائي بفعل ما في تركه نقصان العبادة كالذي غرضه ان يخفف الركوع والسجود ولا يطول القراءة فاذا رءاه الناس
احسن الركوع والسجود وترك الالتفات وتمم القعود بين السجدتين وقد قال ابن مسعود من فعل ذلك فهو استهانة
يستهين بها ربه اي انه ليس يبالي باطلاع الله عليه في الخلوة فاذا اطلع عليه ادمي احسن الصلاة ومن جلس بين يدي
انسان متربعا او متكيا فدخل غلامه فاستوى واحسن الجلسة كان ذلك منه تقديما للغلام على السيد واستهانة
بالسيد لا محالة وهذا حال المرائي بتحسين الصلاة في الملا دون الخلا وكذلك الذي يعتاد اخراج الزكاة من
الدنانير الردية او من الحب الردي فاذا اطلع عليه غيره اخرجه من الجيد خوفا من مذمته وكذلك الصائم يصون
صومه عن الغيبة والرفث لا لاجل العبادة الصوم حق فاسقين المذمة فهذا ايضا من الريا المحظور لان فيه تقديما
للمخلوق على الخالق ولكنه دون الريا باصول التطوعات فان قال المرائي انما فعلت ذلك صيانة لالسنتهم
عن الغيبة فانهم اذا راوا تخفيف الركوع والسجود وكثرة الالتفات اطلقوا اللسان بالذم والغيبة وانما
قصدت صيانتهم عن هذه المعصية فيقال له هذه مكيدة الشيطان عندك وتلبيس وليس كذلك فان
ضررك من نقصان صلاتك وهي خدمة منك لمولاك اعظم من ضررك بغيبة غيرك فلو كان باعثك الدين
لكان شفقتك على نفسك اكثر وما انت في هذا الا كمن يهدي وصيفة الى ملك لينال منه ولاية يتقلدها فيهديها
اليه وهي عوراء قبيحة مقطوعة الاطراف ولا يبالي به اذا كان الملك وحده واذا كان عنده بعض غلمانه امتنع
خوفا من مذمة غلمانه وذلك محال بل من يراعي جانب غلام الملك ينبغي ان تكون مراقبته للملك اكثر نعم للمرائي فيه حالتان
احديهما ان يطلب بذلك المنزلة والمحمدة عند الناس وذلك حرام قطعا والثانية ان يقول ليس يحضرني
الاخلاص في تحسين الركوع والسجود ولو خففت كانت صلاتي عند الله تعالى ناقصة واذاني الناس بذمهم
وغيبتهم فاستفيد بتحسين الهيئة دفع مذمتهم ولا ارجو عليه ثوابا فهو خير من ان اترك تحسين الصلاة فيفوت
الثواب وتحصل المذمة فهذا فيه ادنى نظر والصحيح ان الواجب عليه ان يحسن ويخلص فان لم تحضره النية
ينبغي ان يستمر على عادته في الخلوة فليس له ان يدفع الذم بالمراياة بطاعة الله فان ذلك استهزاء كما سبق **الدرجة**
الثانية ان يرائي بفعل ما لا نقصان في تركه ولكن فعله في حكم التكملة والتتمة لعبادته كالتطويل
في الركوع والسجود ومد القيام وتحسين الهيئة في رفع اليدين والمبادرة الى التكبيرة الاولى وتحسين
الاعتدال والزيادة في القراءة على السورة المعتادة وكذلك كثرة الخلوة في صوم رمضان وطول الصمت
وكاختيار الاجود على الجيد في الزكاة واعتاق الرقبة الغالية في الكفارة وكل ذلك مما لو خلا بنفسه
لكان لا يقدم عليه **الدرجة الثالثة** ان يرائي بزيادات خارجة عن نفس النوافل ايضا كحضوره
الجماعة قبل القوم وقصده للصف الاول وتوجهه الى يمين الامام وما يجري مجراه وكل ذلك مما يعلم الله
منه انه لو خلا بنفسه لكان لا يبالي اين وقف ومتى يحرم بالصلاة فهذه درجات الريا بالاضافة الى ما
يرائي به وبعضه اشد من بعض والكل مذموم **الركن الثالث** المرائي لاجله فان للمرائي مقصودا لا محالة
فانما يرائي لادراك مال او جاه او غرض من الاغراض لا محالة وله ايضا ثلاث درجات **الدرجة الاولى** وهي
اشدها واعظمها ان يكون مقصوده التمكن من معصية كالذي يرائي بعباداته ويظهر التقوى والورع بكثرة
النوافل والامتناع عن اكل الشبهات وغرضه ان يعرف بالامانة فيولى القضاء او الاوقاف او الوصايا او مال
الايتام فياخذها او يسلم اليه تفرقة الزكاة او الصدقات ليستاثر بما قدر عليه منها او يودع الودائع
فياخذها ويجحدها او يسلم اليه الاموال التي تنفق في طريق الحج فيختزل بعضها او كلها او يتوصل بها الى

استتباع الحجيج ويتوصل بقوتهم الى مقاصده الفاسدة في المعاصي وقد يظهر بعضهم زي التصوف وهيئة
الخشوع وكلام الحكمة على سبيل الوعظ والتذكير وانما قصده التحبب الى امرأة او غلام لاجل الفجور وقد
يحضرون مجالس العلم والتذكير وحلق القرآن يظهرون الرغبة في سماع العلم والقرآن وغرضهم ملاحظة
النسوان والصبيان او يخرج الى الحج ومقصوده الظفر بمن في الرفقة من امرأة او غلام وهؤلاء ابغض المرائين الى الله
تعالى لانهم جعلوا طاعة ربهم سلما الى معصيته واتخذوها آلة ومتجرا وبضاعة لهم في فسقهم ويقرب من
هؤلاء وان كان دونهم من هو مقترف جريمة اتهم بها وهو مصر عليها ويريد ان ينفي التهمة عن نفسه فيظهر
التقوى لنفي التهمة كالذي جحد وديعة واتهمه الناس بها فيتصدق بالمال ليقال انه يتصدق بمال نفسه
فكيف يستحل مال غيره وكذلك من ينسب الى الفجور بامرأة او غلام فيدفع التهمة عن نفسه بالخشوع واظهار
التقوى **الرتبة الثانية** ان يكون غرضه نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا من مال او نكاح امرأة جميلة او
شريفة كالذي يظهر الحزن والبكاء ويشتغل بالوعظ والتذكير لتبذل له الاموال ويرغب في نكاحه النساء فيقصد
اما امرأة بعينها لينكحها او امرأة شريفة على الجملة وكالذي يرغب في ان يتزوج بنت عالم عابد فيظهر له العلم
والعبادة ليرغب في تزويجه ابنته فهذا رياء محظور لانه طلب بطاعة الله متاع الحيوة الدنيا ولكنه دون
الاول فان المطلوب بهذا مباح في نفسه **الرتبة الثالثة** ان لا يقصد نيل حظ وادراك مال او
نكاح ولكن يظهر عبادته خوفا من ان ينظر اليه بعين النقص ولا يعد من الخاصة والزهاد ويعتقد انه من
جملة العامة كالذي يمشي مستعجلا فيطلع عليه الناس فيحسن المشي ويترك العجلة كي لا يقال انه من اهل اللهو
والسهو لا من اهل الوقار وكذلك ان سبق الى الضحك او بدا منه المزاح فيخاف ان ينظر اليه بعين الاحتقار
فيتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء واظهار الحزن ويقول ما اعظم غفلة الآدمي عن نفسه والله
يعلم انه لو كان في خلوة لما كان يثقل عليه ذلك وانما يخاف ان ينظر اليه بعين الاحتقار لا بعين التوقير وكالذي
يرى جماعة يصلون التراويح او يتهجدون او يصومون الاثنين والخميس او يتصدقون فيوافقهم خيفة ان
ينسب الى الكسل ويلحق بالعوام ولو خلا بنفسه لكان لا يفعل شيئا من ذلك وكالذي يعطش يوم عرفة
او عاشوراء او في الاشهر الحرم فلا يشرب خوفا من ان يعلم الناس انه غير صائم فاذا ظنوا به الصوم امتنع عن الاكل
لاجله او يدعى الى طعام فيمتنع ليظن انه صائم وقد لا يصرح باني صائم ولكن يقول لي عذر وهو جمع بين خبيثين
فانه يرى انه صائم ثم يرى انه مخلص ليس بمراء وانه يتحرز من ان يذكر عبادته للناس فيكون مرائيا فيريد ان يقال
انه ساتر لعبادته ثم ان اضطر الى شرب لم يصبر عن ان يذكر لنفسه فيه عذرا تصريحا او تعريضا بان يتعلل بمرض
يقتضي فرط العطش ويمنع من الصوم او يقول افطرت تطييبا لقلب فلان ثم قد لا يذكر ذلك متصلا بشربه
كيلا يظن انه يعتذر رياء ولكنه يصبر ثم يذكر عذره في معرض حكاية عرضا مثل ان يقول ان فلانا محب للاخوان
شديد الرغبة في ان يأكل الانسان من طعامه وقد الح علي اليوم ولم اجد بدا من تطييب قلبه ومثل ان يقول
ان امي ضعيفة القلب مشفقة علي تظن اني لو صمت يوما مرضت فلا تدعني اصوم فهذا وما يجري مجراه
من علامات الرياء فلا يسبق الى اللسان الا لرسوخ عرق الرياء في الباطن اما المخلص فانه لا يبالي كيف نظر الخلق اليه
فان لم تكن له رغبة في الصوم وقد علم الله ذلك منه فلا يريد ان يعتقد غيره ما يخالف علم الله تعالى فيكون
ملبسا وان كان له رغبة في الصوم لله قنع بعلم الله ولم يشرك فيه غيره وقد يخطر له ان في اظهاره اقتداء غيره
به وتحريك رغبة الناس فيه وفيه مكيدة وغرور وسيأتي شرح ذلك وشروطه فهذه درجات الرياء ومراتب اصناف
المرائين وجميعهم تحت مقت الله تعالى وغضبه وهو من اشد المهلكات وان من شدته ان فيه شوائب هي اخفى

من دبيب النمل كما ورد به الخبر يزل فيه فحول العلماء فضلا عن العباد الجهلاء بآفات النفوس وغوائل
القلوب **بيان الرياء الخفي الذي هو اخفى من دبيب النمل** اعلم ان الرياء جلي وخفي فالجلي هو الذي
يبعث على العمل ويحمل عليه ولو قصد الثواب وهو اجلاه واخفى منه قليلا هو ما لا يحمل على العمل بمجرده الا
انه يخفف العمل الذي يريد به وجه الله تعالى كالذي يعتاد التهجد كل ليلة ويثقل عليه فاذا نزل عنده
ضيف تنشط له وخف عليه وعلم انه لولا رجاء الثواب لكان لا يصلي لمجرد رياء الضيفان واخفى من ذلك ما لا يؤثر
في العمل ولا بالتسهيل والتخفيف ايضا ولكنه مع ذلك مستبطن في القلب ومهما لم يؤثر في الدعاء الى العمل لم يمكن
ان يعرف الا بالعلامات واجلى علاماته ان يسر باطلاع الناس على طاعته فرب عبد يخلص في عمله ولا يعتقد
الرياء بل يكرهه ويرده ويتمم العمل كذلك ولكن اذا اطلع الناس عليه سره ذلك وارتاح له وروح ذلك عن قلبه
شدة العبادة وهذا السرور يدل على رياء خفي منه يرشح السرور ولولا التفات القلب الى الناس لما ظهر سروره
عند اطلاع الناس فلقد كان الرياء مستكنا في القلب استكنان النار في الحجر فاظهر منه اطلاع الخلق
اثر الفرح والسرور ثم اذا استشعر لذة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك بكراهية فيصير ذلك قوتا
وغذاء للعرق الخفي من الرياء حتى يتحرك على نفسه حركة خفية فيتقاضى تقاضيا خفيا ان يتكلف سببا يطلع
عليه بالتعريض والقاء الكلام عرضا وان كان لا يدعو الى التصريح وقد يخفى فلا يدعو الى الاظهار بالنطق تعريضا
وتصريحا ولكن بالشمائل كاظهار النحول والصفار وخفض الصوت ويبس الشفتين وجفاف الريق وآثار
الدموع وغلبة النعاس الدال على طول التهجد واخفى من ذلك ان يختفي بحيث لا يريد الاطلاع عليه
ولا يسر بظهور طاعته ولكنه مع ذلك اذا رأى الناس احب ان يبدؤه بالسلام وان يقابلوه بالبشاشة و
التوقير وان يثنوا عليه وان ينشطوا في قضاء حوائجه وان يسامحوه في البيع والشراء وان يوسعوا له المكان
فان قصر فيه مقصر ثقل ذلك على قلبه ووجد لذلك استبعادا في نفسه كأن نفسه تتقاضى الاحترام
على الطاعة التي اخفاها مع انه لم يطلع عليه ولو لم يكن قد سبق منه تلك الطاعة لما كان يستبعد تقصير
الناس في حقه ومهما لم يكن وجود العبادة كعدمها في كل ما يتعلق بالخلق لم يكن قد قنع بعلم الله ولم يكن
خاليا عن شوب خفي من الرياء اخفى من دبيب النمل وكل ذلك يوشك ان يحبط الاجر ولا يسلم منه الا الصديقون
وقد روي عن علي رضي الله عنه انه قال ان الله عز وجل يقول للقراء يوم القيامة الم يكن يرخص عليكم السعر الم
تكونوا تبتدئون بالسلام الم تكن تقضى لكم الحوائج وفي الحديث لا اجر لكم قد استوفيتم اجوركم وقال عبد الله
ابن المبارك روي عن وهب بن منبه انه قال ان رجلا من السياح قال لاصحابه انا انما فارقنا الاموال
والاولاد مخافة الطغيان فنخاف ان يكون قد دخل علينا في امرنا هذا من الطغيان اكثر مما دخل على اهل
الاموال في اموالهم ان احدنا اذا لقي احب ان يعظم لمكان دينه وان سأل حاجة احب ان تقضى له لمكان
دينه وان اشترى شيئا احب ان يرخص عليه لمكان دينه فبلغ ذلك ملكهم فركب في موكب من
الناس فاذا السهل والجبل قد امتلأ من الناس فقال السائح ما هذا قيل هذا الملك قد
اظلك فقال للغلام ائتني بطعام فاتاه ببقل وزيت وقلوب الشجر فجعل يحشو شدقيه ويأكل
اكلا عنيفا فقال الملك اين صاحبكم قالوا هذا قال كيف انت قال كالناس وفي حديث آخر
بخير فقال الملك ما عند هذا من خير فانصرف عنه فقال السائح الحمد لله الذي صرفك عني وانت لي
ذام فلم يزل المخلصون خائفين من الرياء الخفي يجتهدون لذلك في مخادعة الناس عن اعمالهم الصالحة
يحرصون على اخفائها اعظم مما يحرص الناس على اخفاء فواحشهم كل ذلك رجاء ان يخلص عملهم فيجازيهم

الله في القيامة باخلاصهم على ملأ من الخلق اذ علم ان الله عز وجل لا يقبل في القيمة الا الخالص وعلى شدة
حاجتهم وفاقتهم في القيمة وانه يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ولا يجزي والد عن ولده ويشتغل الصديقون
بانفسهم فيقول كل واحد نفسي نفسي فضلا عن غيرهم فكانوا كزوار بيت الله اذا توجهوا الى مكة
فانهم يستصحبون مع انفسهم الذهب المغربي الخالص لعلمهم ان ارباب البوادي لا يروج عندهم
الزائف والبهرج والحاجة تشتد في البادية ولا وطن يفزع اليه ولا حميم يتمسك به فلا ينجي الا الخالص
النقد فكذا يشاهد ارباب القلوب يوم القيمة والزاد الذي يتزودونه له من التقوى فاذا شوب
الريا الخفي كثيرة لا تنحصر ومهما ادرك من نفسه تفرقة بين ان يطلع على عبادته انسان او بهيمة ففيه
شعبة من الريا فانه لما قطع طمعه عن البهائم لم يبال حضرت البهائم والصبيان الرضع ام غابوا اطلعوا على
حركته ام لم يطلعوا فلو كان مخلصا قانعا بعلم الله لاستحقر عقلاء العباد كما استحقر صبيانهم ومجانينهم
وعلم ان العقلاء لا يقدرون له على رزق ولا اجل ولا زيادة ثواب ولا نقصان عقاب كما لا تقدر عليه
البهائم والصبيان والمجانين فاذا لم يجد ذلك ففيه شوب خفي ولكن ليس كل شوب محبط للاجر مفسد
للعمل بل فيه تفصيل فان قلت فما نرى احدا ينفك عن السرور اذا عرفت طاعاته فالسرور مذموم
كله او بعضه محمود وبعضه مذموم فنقول اولا كل سرور فليس بمذموم بل السرور منقسم الى محمود والى
مذموم فاما المحمود فاربعة اقسام الاول ان يكون قصده اخفاء الطاعة والاخلاص لله ولكن لما اطلع
عليه الخلق علم ان الله عز وجل اطلعهم واظهر الجميل من احواله فيستدل به على حسن صنيع الله به ونظره
له والطافه به فانه يستر الطاعة والمعصية ثم الله عز وجل يستر عليه المعصية ويظهر الطاعة
ولا لطف اعظم من ستر القبيح واظهار الجميل فيكون فرحه بجميل نظر الله عز وجل له لا بحمد الناس وقيام المنزلة
في قلوبهم وقد قال الله عز وجل قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فكانه ظهر له انه عند الله عز وجل
مقبول ففرح به الثاني ان يستدل باظهار الله الجميل وستره القبيح عليه في الدنيا انه كذلك يفعله في الاخرة
اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ستر الله عز وجل على عبد في الدنيا ذنبا الا ستره عليه في الاخرة فيكون
الاول فرحا بالقبول في الحال من غير ملاحظة المستقبل وهذا التفات الى المستقبل والثالث ان يظن رغبة
المطلعين على الاقتداء به في الطاعة فيتضاعف بذلك اجره فيكون له اجر العلانية بما اظهر اخرا واجر السر بما قصده
اولا ومن اقتدى به في طاعة فله مثل اجر اعمال المقتدين به من غير ان ينقص من اجورهم شيء وتوقع ذلك جدير بان
يكون سبب السرور فان ظهور مخايل الربح لذيذ وموجب للسرور لا محالة الرابع ان يحمده المطلعون على طاعته
فيفرح بطاعتهم لله عز وجل في مدحهم وبحبهم للمطيع وبميل قلوبهم الى الطاعة اذ من اهل الايمان من
يرى اهل الطاعة فيمقته ويحسده او يذمه ويهزأ به وينسبه الى الريا ولا يحمده عليه فهذا فرح بحسن ايمان
عباد الله عز وجل وعلامة الاخلاص في هذا النوع ان يكون فرحه بحمدهم غيره مثل فرحه بحمدهم اياه واما المذموم
فهو الخامس وهو ان يكون فرحه لقيام منزلته في قلوب الناس حتى يمدحوه ويعظموه ويقومون بقضاء
حوائجه ويقابلونه بالاكرام في مصادره وموارده فهذا مكروه والله اعلم **بيان ما يحبط العمل من الريا
الخفي والجلي وما لا يحبط** فنقول اذا عقد العبد العبادة على الاخلاص ثم ورد عليه وارد الريا فلا
يخلو اما ان يرد عليه بعد فراغه من العمل او قبل الفراغ فان ورد عليه بعد الفراغ سرور مجرد بالظهور
من غير اظهار فهذا لا يحبط العمل اذ العمل قد تم على نعت الاخلاص سالما عن الريا فما يطرأ بعده فنرجو
ان لا ينعطف عليه اثره لا سيما اذا لم يتكلف هو اظهاره والتحدث به ولم يتمن اظهاره وذكره ولكن اتفق

ظهوره باظهار الله ولم يكن منه الا ما دخل من السرور والارتياح على قلبه نعم لو تم العمل على الاخلاص من غير
عقد ريا ولكن ظهرت له بعده رغبة في الاظهار فتحدث به واظهره فهذا مخوف وفي الاثار والاخبار ما يدل
على انه محبط فقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه سمع رجلا يقول قرأت البارحة البقرة فقال ذلك
حظك منها وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال له رجل صمت الدهر يا رسول الله فقال
له ما صمت ولا افطرت فقال بعضهم انما قال ذلك لانه اظهره وقيل هو اشارة الى كراهة صوم الدهر
وكيفما كان فيحتمل ان يكون ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ابن مسعود استدلالا على ان قلبه عند
العبادة لم يخل عن عقد الريا وقصده لما ان ظهر منه التحدث به اذ يبعد ان يكون ما يطرأ بعد العمل
مبطلا لثواب العمل بل الاقيس ان يقال انه مثاب على عمله الذي مضى ومعاقب على مراءاته بطاعة الله
تعالى بعد الفراغ منها بخلاف ما لو تغير عقده الى الريا قبل الفراغ من الصلاة فان ذلك قد يبطل
الصلاة ويحبط العمل اما اذا ورد وارد الريا قبل الفراغ من الصلاة مثلا وكان قد عقد على الاخلاص
ولكن ورد في اثنائها وارد الريا فلا يخلو اما ان يكون مجرد سرور لا يؤثر في العمل واما ان يكون ريا باعثا على
العمل فان كان باعثا على العمل وختم العبادة به حبط اجره ومثاله ان يكون في تطوع فتجددت له نظارة او حضر
ملك من الملوك وهو يشتهي ان ينظر اليه او يذكر شيئا نسيه من ماله وهو يريد ان يطلبه ولولا الناس
لقطع الصلاة فاستتمها خوفا من مذمة الناس فقد حبط اجره وعليه الاعادة ان كان في فريضة وقد
قال صلى الله عليه وسلم العمل كالوعاء اذا طاب اخره طاب اوله اي النظر الى خاتمته وروي من رايا بعمله ساعة
حبط عمله الذي كان قبله وهذا منزل على الصلاة في هذه الصورة لا على الصدقة ولا على القراءة فان كل
جزء من ذلك منفرد فما يطرأ يفسد الباقي دون الماضي والصوم والحج من قبيل الصلاة فاما اذا كان وارد الريا بحيث
لا يمنعه من قصد الاستتمام لاجل الثواب كما لو حضر جماعة في اثناء الصلاة ففرح بحضورهم وانعقد الريا وقصد
تحسين الصلاة لاجل نظرهم وكان لولا حضورهم لكان يتمها ايضا فهذا ريا قد اثر في العمل وانتهض باعثا على
الحركات فان غلب حتى انمحق معه الاحساس بقصد العبادة فيما مضى ركن من اركانها على هذا الوجه لانا نكتفي
بالنية السابقة عند الاحرام بشرط ان لا يطرأ ما يغلبها ويغمرها ويحتمل ان يقال لا تفسد العبادة نظرا الى حالة
العقد والى بقاء اصل قصد الثواب وان ضعف بهجوم قصد هو اغلب منه ولقد ذهب الحارث المحاسبي الى
الاحباط في امر هو اهون من هذا وقال اذا لم يرد الا مجرد السرور باطلاع الناس يعني سرورا هو حب المنزلة
والجاه قال فقد اختلف الناس في هذا فصارت فرقة الى انه محبط لانه نقض العزم الاول وركن الى حمد
المخلوقين ولم يختم عمله بالاخلاص وانما يتم العمل بخاتمته ثم قال ولا اقطع عليه بالحبط وان لم يتزيد في العمل
ولا امن عليه وقد كنت اقف فيه لاختلاف الناس والاغلب على قلبي انه يحبط اذا ختم عمله بالريا ثم قال فان
قيل فقد قال الحسن البصري انما هما حالتان فاذا كانت الاولى لله لم تضره الثانية وقد روي ان رجلا قال
لرسول الله يا رسول الله اسر العمل لا احب ان يطلع عليه فيطلع عليه فيسرني قال لك اجران اجر السر واجر
العلانية ثم تكلم على الاثر والخبر فقال اما الحسن فانه اراد بقوله لا يضره اي لا يدع العمل ولا يضره الخطرة
وهو يريد الله ولم يقل اذا عقد الريا بعد عقد الاخلاص لم يضره واما الحديث فتكلم عليه بكلام طويل يرجع
حاصله الى ثلاثة اوجه احدها انه يحتمل انه اراد ظهور عمله بعد الفراغ وليس في الحديث انه قبل
الفراغ والثاني انه اراد ان يسر به لاقتداء الناس به او لسرور اخر محمود مما ذكرناه من قبل لا سرورا بسبب
المحمدة والمنزلة بدليل انه جعل له به اجرا ولا ذهب من الامة الى ان للسرور بالمحمدة اجرا وغايته ان يعفى

عنه وكيف يكون للمخلص اجر وللمرائي اجران والثالث انه كما ذكر من يروي الحديث بوجه حسن متصل الى ابي
هريرة بل اكثرهم توقفه على ابي صالح ومنهم من يضعفه فالحكم بالعمومات الواردة في الريا اولى وهنا ما
ذكرناه ولم يقطع به بل الظهر ميلا الى الاحباط والتخيير عندنا ان هذا القدر ما اذا لم يظهر اثره في العمل بل بقي
العمل صادرا عن باعث الدين وانما انضاف اليه السرور بالاطلاع فلا يفسد العمل لانه لم ينعدم به اصل
نيته وبقيت تلك النية باعثة الى العمل وحاملة على الاتمام واما الاخبار التي وردت في الريا فهي محمولة
على ما اذا لم يرد به الا الخلق واما ما ورد في الشركة فهو محمول على ما اذا كان قصد الريا مساويا لقصد الثواب
او اغلب منه اما اذا كان ضعيفا بالاضافة اليه فلا يحبط بالكلية ثواب الصدقة وسائر الاعمال ولا ينبغي ان
يفسد الصلاة ولا يبعد ايضا ان يقال ان الذي وجب عليه صلاة خالصة لوجه الله تعالى والخالص
ما لا يشوبه شيء فلا يكون مؤديا للواجب مع هذا الشوب والعلم عند الله فيه وقد ذكرنا في كتاب الاخلاص
كلاما اوفى مما اوردناه الان فلنرجع اليه فهذا حكم الريا الطاري بعد عقد العبادة اما قبل الفراغ او بعد
الفراغ **القسم الثالث** الذي يقارن حال العقد بان يبتدي الصلاة على قصد الريا فان تم عليه حتى
سلم فلا خلاف في انه يعصي ولا يعتد بصلاته وان ندم عليه في اثناء الصلاة واستغفر ورجع قبل التمام ففيما
يلزمه ثلاثة اوجه قالت فرقة لم تنعقد صلاته مع قصد الريا فليستانف وقالت طائفة يلزمه اعادة
الافعال كالركوع والسجود وتفسد افعال الصلاة دون تحريمه لان التحريم عقد والريا خاطر في قلبه لا يخرج التحريم
عن كونه عقدا وقالت فرقة لا يلزمه اعادة شيء بل يستغفر الله بقلبه ويتم العبادة على الاخلاص والنظر الى خاتمة
العبادة كما لو ابتدا بالاخلاص وختم بالريا لكان يفسد عمله وشبهوا ذلك بثوب ابيض لطخ بنجاسة عارضة
فاذا ازيل العارض عاد الى الاصل فقالوا ان الصلاة والركوع والسجود لا يكون الا لله ولو سجد لغير الله لكان كافرا
ولكن اقترن به عارض الريا ثم زال بالندم والتوبة وصار الى حالة لا يبالي بحمد الناس وذمهم فتصح صلاته
ومذهب الفريقين الاخرين خارج عن قياس الفقه جدا خصوصا من قال يلزمه اعادة الركوع والسجود دون
الافتتاح فالذي يستقيم على قياس الفقه هو ان يقال ان كان باعثه مجرد الريا في ابتداء العقد دون طلب الثواب
وامتثال الامر لم ينعقد افتتاحه ولم يصح ما بعده اذ النية عبارة عن اجابة باعث الدين وههنا لا باعث ولا اجابة
فاما اذا كان بحيث لولا الناس ايضا لكان يصلي الا انه ظهرت له الرغبة في المحمدة ايضا فاجتمع الباعثان فهذا اما
ان يكون في صدقة وقراءة وما ليس فيه تحليل وتحريم او في عقد صلاة وحج فان كان في صدقة فقد عصى
باجابة باعث الريا واطاع باجابة باعث الثواب فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره
فله ثواب بقدر قصده الصحيح وعقاب بقدر قصده الفاسد ولا يحبط احدهما الاخر وان كان في صلاة
تقبل الفساد بتطرق خلل الى النية فلا يخلو اما ان يكون نفلا او فرضا فان كان نفلا فحكمه ايضا حكم الصدقة
فقد عصى من وجه واطاع من وجه اذ اجتمع في قلبه الباعثان ولا يمكن ان يقال الصلاة فاسدة والاقتداء به
باطل حتى ان من يصلي التراويح وتبين من قرائن حاله ان قصده الريا باظهار حسن القراءة ولولا اجتماع الناس
خلفه وخلا في البيت وحده لما صلى لا يصح الاقتداء به فان المصير الى هذا بعيد جدا بل يظن بالمسلم انه يقصد
الثواب بتطوعه فيصح باعتبار ذلك القصد صلاته ويصح الاقتداء به وان اقترن به قصد اخر وهو به
عاص فاما اذا كان في فرض واجتمع الباعثان وكان كل واحد لا يستقل وانما يحصل الانبعاث بمجموعهما فهذا لا
يسقط الواجب عنه لان الايجاب لم ينتهض باعثا في حقه بمجرده واستقلاله وان كان كل باعث مستقلا
حتى لو لم يكن باعث الريا لادى الفرض ولو لم يكن باعث الفرض لانشأ صلاة تطوعا لاجل الريا فهذا في محل النظر

وهو محتمل جدا فيحتمل ان يقال ان الواجب صلاة خالصة لوجه الله تعالى ولم يؤد الواجب الخالص و
يحتمل ان يقال الواجب امتثال الامر بباعث مستقل بنفسه وقد وجد فاقتران غيره به لا يمنع سقوط الفرض
عنه كما لو صلى في دار مغصوبة فانه وان كان عاصيا بايقاع الصلاة في الدار المغصوبة فانه مطيع باصل
الصلاة اما اذا كان الريا في المبادرة مثلا دون اصل الصلاة مثل من بادر الصلاة في اول الوقت لحضور
جماعة ولو خلا لاخر الى وسط الوقت ولولا الفرض لكان لا يبتدي صلاة لاجل الريا فهذا مما يقطع بصحة صلاته
وسقوط الفرض به لان باعث اصل الصلاة من حيث انها صلاة لم يعارضه غيره بل من حيث تعيين الوقت
فهذا ابعد عن القدح في النية هذا في رياء يكون باعثا على العمل وحاملا عليه فاما مجرد السرور باطلاع
الناس اذا لم يبلغ اثره الى حيث يؤثر في العمل فبعيد ان تفسد الصلاة فهذا ما نراه لائقا بقانون الفقه و
المسألة غامضة من حيث ان الفقهاء لم يتعرضوا لها في فن الفقه والذين خاضوا فيها ونصروها لم يلاحظوا
قوانين الفقه ومقتضى فتاوى الفقهاء في صحة الصلاة وفسادها بل حملهم الحرص على تصفية القلوب
وطلب الاخلاص على افساد العبادات بادنى الخواطر وما ذكرناه هو الاقصد فيما نراه والعلم عند الله تعالى فيه
بيان دواء الريا وطريق معالجة القلب فيه لقد عرفت فيما سبق ان الريا محبط للاعمال وسبب للمقت
عند الله وانه من كبائر المهلكات وما هذا وصفه فجدير بالتشمير عن ساق الجد في ازالته ولو بالمجاهدة وتحمل
المشاق فلا شفاء الا في شرب الادوية المرة البشعة وهذه مجاهدة يضطر اليها العباد كلهم اذ الصبي يخلق
ضعيف العقل والتمييز ممتد العين الى الخلق كثير الطمع فيهم فيرى الناس يتصنع بعضهم لبعض فيغلب
عليه حب التصنع بالضرورة ويترسخ ذلك في نفسه وانما يشعر بكون ذلك مهلكا بعد كمال عقله وقد انغرس
الريا في قلبه وترسخ فيه فلا يقدر على قمعه الا بمجاهدة شديدة ومكابدة لقوة الشهوات فلا ينفك احد عن
الحاجة الى هذه المجاهدة ولكنها تشق اولا وتخف اخرا وفي علاجه مقامان احدهما قلع عروقه واصوله التي
منها انشعابه والثاني دفع ما يخطر منه في الحال **المقام الاول** في قلع عروقه واستئصال اصوله واصله
حب المنزلة والجاه واذا فصل رجع الى ثلاثة اصول وهو حب لذة الحمد والفرار من الم الذم والطمع فيما في ايدي
الناس ويشهد لذلك بان هذه الاسباب هي الباعثة للمرائي ما روي ابو موسى ان اعرابيا سال النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية ومعناه انه يانف ان يقهر او يذم بانه مقهور مغلوب وقال
والرجل يقاتل ليرى مكانه وهذا هو طلب لذة الجاه والقدر في القلوب والرجل يقاتل للذكر وهذا هو الحمد
باللسان فقال صلى الله عليه وآله من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وقال ابن مسعود رضي الله
عنه اذا التقى الصفان نزلت الملائكة فكتبوا الناس على مراتبهم فلان يقاتل للذكر وفلان يقاتل للملك والقتال
الى الملك اشارة الى الطمع في الدنيا وقال عمر رضي الله عنه يقولون فلان شهيد ولعله ان يكون قد ملا دفتي
راحلته ورقا وقال صلى الله عليه وسلم من غزا لا يبغي الا عقالا فله ما نوى فهذا اشارة الى الطمع وقد لا يشتهي
الحمد ولا يطمع فيه ولكن يحذر من الم الذم كالبخيل بين الاسخياء وهم يتصدقون بالمال الكثير فانه يتصدق بالقليل
كيلا يبخل وهو ليس يطمع في الحمد وقد سبقه غيره وكالجبان بين الشجعان لا يفر من الزحف خوفا من الذم وهو لا يطمع
في الحمد وقد يهجم غيره على صف القتال ولكن اذا ايس من الحمد كره الذم وكالرجل بين قوم يصلون جميع الليل فيصلي
ركعات معدودة حتى لا يذم بالكسل وهو لا يطمع في الحمد وقد يقدر الانسان على الصبر عن لذة الحمد ولا يقدر
على الصبر على الم الذم ولذلك قد يترك السؤال عن علم هو محتاج اليه خيفة من ان يذم بالجهل ويفتي بغير علم
ويدعي العلم بالحديث وهو به جاهل كل ذلك حذرا من الذم فهذه الامور الثلاثة هي التي تحرك المرائي الى الريا

وعلاجه ما ذكرناه في الشطر الاول من الكتاب على الجملة ولكنا نذكر الان ما يخص الريا وليس يخفى ان الانسان انما يقصد
الشي ويرغب فيه لظنه انه خير له ونافع ولذيذ اما في الحال واما في المال فان علم انه لذيذ في الحال ولكنه
ضار في المال سهل عليه قطع الرغبة عنه كمن يعلم ان العسل لذيذ ولكن اذا بان له ان فيه سما اعرض عنه ف
كذلك طريق قطع هذه الرغبة ان يعلم ما فيه من المضرة ومهما عرف العبد مضرة الريا وما يفوته من صلاح قلبه
وما يحرم عنه في الحال من التوفيق وفي الاخرة من المنزلة عند الله وما يتعرض له من العقاب العظيم والمقت الشديد
والخزي الظاهر حيث ينادى على روس العباد يا فاجر يا غادر يا مرائي اما استحييت اذ اشتريت بطاعة الله
عرض الدنيا راقبت قلوب العباد واستهزات بطاعة الله وتحببت الى العباد بالتبغض الى الله وتزينت لهم
بالشين عند الله وتقربت اليهم بالبعد من الله وتحمدت اليهم بالتذمم عند الله وطلبت رضاهم بالتعرض
لسخط الله اما كان احد اهون عليك من الله فمهما تفكر العبد في هذا الخزي وقابل ما يحصل له من العباد
والتزين لهم في الدنيا بما يفوته في الاخرة بما يحبط عليه عمله من ثواب الاعمال مع ان العمل الواحد ربما كان يترجح
به ميزان حسناته لو خلص فاذا افسد بالريا حول الى كفة السيئات فترجح به ويهوي الى النار فلو لم يكن في الريا
الا احباط عبادة واحدة لكان ذلك كافيا في معرفة ضرره وان كان مع ذلك سائر حسناته راجحة فقد كان
ينال بهذه الحسنة علو الرتبة عند الله تعالى في زمرة النبيين والصديقين وقد حط عنهم بسبب الريا ورد
الى صف النعال من مراتب الاوليا هذا مع ما يتعرض له في الدنيا من تشتت الهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق
فان رضا الناس غاية لا تدرك فكل ما يرضى به فريق يسخط به فريق ورضا بعضهم في سخط بعضهم ومن طلب
رضاهم في سخط الله سخط الله عليه واسخطهم ايضا عليه ثم اي غرض له في مدحهم وايثار ذم الله لاجل
حمدهم فلا يزيده مدحهم رزقا ولا اجلا ولا ينفعه يوم فقره وفاقته وهو يوم القيمة واما الطمع لما في ايديهم
فبان يعلم ان الله هو المسخر للقلوب بالمنع والاعطا وان الخلق مضطرون فيه ولا رازق الا الله ومن طمع في الخلق لم
يخل من الذل والخيبة وان وصل الى المراد لم يخل عن المنة والمهانة فكيف يترك ما عند الله برجا كاذب ووهم فاسد
قد يصيب وقد يخطي واذا اصاب فلا تفي لذته بالم منته ومذلته واما ذمهم فلم يحذر منه ولا يزيده ذمهم
شيا ما لم يكتبه الله عليه ولا يعجل اجله ولا يوخر رزقه ولا يجعله من اهل النار ان كان من اهل الجنة ولا يبغضه
الى الله ان كان محمودا عند الله ولا يزيده مقتا ان كان ممقوتا عند الله فالعباد كلهم عجزة لا يملكون لانفسهم
ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا فاذا قرر في قلبه افة هذه الاسباب وضررها فترت رغبته واقبل
على الله تعالى قلبه فان العاقل لا يرغب فيما يكثر ضرره ويقل نفعه ويكفيه ان الناس لو علموا ما في باطنه من قصد
الريا واظهار الاخلاص لمقتوه وسيكشف الله تعالى عن سره حتى يبغضه الى الناس ويعرفهم انه مراي ممقوت
عند الله ولو اخلص لله لكشف الله لهم اخلاصه وحببه اليهم وسخرهم له واطلق السنتهم بالمدح والثنا عليه
مع انه لا كمال في مدحهم ولا نقصان في ذمهم كما قال شاعر من بني تميم ان مدحي زين وان ذمي شين فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كذبت ذاك الله الذي لا اله الا هو اذ لا زين الا في مدحه ولا شين الا في ذمه فاي خير لك
في مدح الناس وانت عند الله تعالى مذموم ومن اهل النار واي شر لك من ذم الناس وانت عند الله تعالى محمود
في زمرة المقربين فمن احضر في قلبه الاخرة ونعيمها المويد والمنازل الرفيعة عند الله استحقر ما يتعلق بالخلق ايام
الحيوة مع ما فيه من الكدورات والمنغصات واجتمع همه وانصرف الى الله قلبه وتخلص من مذلة الريا ومقاسات
قلوب الخلق وانعطف من اخلاصه انوار على قلبه ينشرح بها صدره وينفتح له من لطايف المكاشفات ما يزيد
انسه بالله ووحشته من الخلق واستحقاره للدنيا وتذلل له منهج الاخلاص فهذا وما قدمناه في الشطر الاول

هي الادوية العلمية القالعة مغارس الريا واما الدوا العملي فهو ان يعود نفسه اخفا العبادات
واغلاق الابواب دونها كما تغلق الابواب دون الفواحش حتى يقنع قلبه بعلم الله تعالى واطلاعه
على عباداته ولا تنازعه النفس الى طلب علم غير الله تعالى به وقد روي ان بعض اصحاب ابي حفص
الحداد ذم الدنيا واهلها فقال اظهرت ما كان سبيلك ان تخفيه لا تجالسنا بعد هذا فلم يرخص
في اظهار هذا القدر لان في ضمن ذم الدنيا دعوى الزهد فيها فلا دوا للريا مثل الاخفا وذلك
يشق في بداية المجاهدة واذا صبر عليه مدة بالتكلف سقط عنه ثقله وهان عليه ذلك بتواصل
الطاف الله تعالى وما يمد به عباده من حسن التوفيق والتاييد ولكن الله لا يغير ما بقوم حتى
يغيروا ما بانفسهم فمن العبد المجاهدة ومن الله التوفيق والهداية ومن العبد قرع الباب ومن الله
فتح الباب والله لا يضيع اجر المحسنين وان تك حسنة يضاعفها ويوت من لدنه اجرا عظيما
والحمد لله وحده

المقام الثاني

في دفع العارض منه في اثنا العبادة وذلك لا بد من تعلمه
ايضا فان من جاهد نفسه وقلع مغارس الريا من قلبه بالقناعة وقطع الطمع واسقاط نفسه من
اعين المخلوقين واستحقار مدح المخلوقين وذمهم فالشيطان لا يتركه في اثنا العبادة بل يعارضه
بخطرات الريا ولا ينقطع عنه نزغاته وهوى النفس وميلها لا ينمحي بالكلية فلا بد ان يتشمر لدفع ما
يعرض من خاطر الريا وخاطر الريا ثلاثة قد تخطر دفعة واحدة كالخاطر الواحد وقد تترادف على
التدريج فالاول العلم باطلاع الخلق ورجا اطلاعهم ثم يتلوه هيجان الرغبة من النفس في حمدهم
وحصول المنزلة عندهم ثم يتلوه قبول النفس له والركون اليه وعقد الضمير على تحقيقه فالاول
معرفة والثاني حالة تسمى الشهوة والرغبة والثالث فعل يسمى العزم وتصميم العقد وانما كمال القوة
في دفع الخاطر الاول ورده قبل ان يتلوه الثاني فاذا خطر له معرفة اطلاع الخلق او رجا اطلاعهم دفع ذلك
بان قال ما لك وللخلق علموا او لم يعلموا والله عالم بحالك فاي فايدة في علم غيره فان هاجت الرغبة الى لذة الحمد
يذكر ما رسخ في قلبه من قبل من افة الريا وتعرضه للمقت عند الله في القيامة وخيبته في احوج اوقاته الى اعماله
فكما ان معرفة اطلاع الناس تثير شهوة ورغبة في الريا فمعرفة افة الريا تثير كراهة له تقابل تلك الشهوة
اذ يتفكر في تعرضه لمقت الله تعالى وعقابه الاليم والشهوة تدعوه الى القبول والكراهة تدعوه الى الابا والنفس
تطاوع لا محالة اقواهما واغلبهما فاذا لا بد في رد الريا من ثلاثة امور المعرفة والكراهة والابا وقد يشرع العبد
في العبادة على عزم الاخلاص ثم يرد خاطر الريا فيقبله ولا تحضره المعرفة والكراهة التي كان الضمير منطويا عليها
وانما سبب ذلك امتلا القلب بخوف الذم وحب الحمد واستيلا الحرص عليه بحيث لا يبقى في القلب متسعا
لغيره فيعزب عن القلب المعرفة السابقة بافات الريا وشوم عاقبته اذ لم يبق موضع في القلب خال عن شهوة الحمد او
خوف الذم وهو كالذي يحدث نفسه بالحلم وذم الغضب ويعزم على التحلم عند جريان سبب الغضب ثم يجري
من الاسباب ما يشتد به غضبه فينسى سابق عزمه ويمتلي قلبه غيظا يمنع من تذكر افة الغضب ويشغل
عنه فكذلك حلاوة الشهوة تملا القلب وتدفع نور المعرفة مثل مرارة الغضب واليه اشار جابر رضي الله عنه
بقوله بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على ان لا نفر ولم نبايعه على الموت فانسيناها يوم حنين حتى
نودي يا اصحاب الشجرة فرجعوا وذلك لان القلوب امتلات من الخوف فنسيت العهد السابق حتى ذكروا واكثر
الشهوات التي تهجم فجاة هكذا يكون اذ ينسى معرفة مضرته الداخلة في عقد الايمان ومهما نسي المعرفة لم
تظهر الكراهة فان الكراهة ثمرة المعرفة وقد يتذكر فيعلم ان الذي خطر له خاطر الريا الذي يعرضه لسخط الله ولكنه

يستمر عليه لشدة شهوته فيغلب هواه عقله ولا يقدر على ترك لذة الحال فيسوف بالتوبة أو يتشاغل عن
التفكر في ذلك لشدة الشهوة فكم من عالم يعرف كلاما لا يدعوه إلى قوله إلا الرياء للخلق وهو يعلم ذلك ولكنه
يستمر عليه فيكون الحجة عليه أوكد إذ قبل داعي الرياء مع علمه بغائلته وكونه مذموما عند الله تعالى ولا
تنفعه معرفته إذا خلت المعرفة عن الكراهة وقد تحضر المعرفة والكراهة ولكن مع ذلك يقبل داعي الرياء
ويعمل به لكون الكراهة ضعيفة بالإضافة إلى قوة الشهوة وهذا أيضا لا ينتفع بكراهته إذ الغرض من الكراهة
أن يصرف عن الفعل فإذا لا فائدة إلا في اجتماع الثلاث وهو المعرفة والكراهة والإباء فالإباء ثمرة الكراهة والكراهة
ثمرة المعرفة وقوة المعرفة بحسب قوة الإيمان ونور العلم وضعف المعرفة بحسب الغفلة وحب الدنيا و
نسيان الآخرة وقلة التفكر فيما عند الله وقلة التأمل في آفات الحياة وعظم نعيم الآخرة وبعض ذلك
ينتج بعضا ويثمره وأصل ذلك حب الدنيا وغلبة الشهوات فهو رأس كل خطيئة ومنبع كل ذنب لأن حلاوة حب
الجاه والمنزلة ونعيم الدنيا هي التي تغضب القلب وتسلبه وتحول بينه وبين التفكر في العاقبة والاستضاءة
بنور الكتاب والسنة وأنوار العلوم فإن قلت فمن صادف من نفسه كراهة الرياء وحملته الكراهة على الإباء
ولكنه مع ذلك غير خال عن ميل الطبع إليه وحبه له ومنازعته إياه إلا أنه كاره لحبه ولميله غير مجيب إليه
فهل يكون في زمرة المرائين فاعلم أن الله تعالى لم يكلف العبد إلا ما يطيق وليس في طاقة العبد منع الشيطان
عن نزغاته ولا قمع الطبع حتى لا يميل إلى الشهوات ولا ينازع إليها وإنما غايته أن يقابل شهوته بكراهة استثارها
من معرفة العواقب وعلم الدين وأصول الإيمان بالله واليوم الآخر فإذا فعل ذلك فهو الغاية في أداء ما كلفه ويدل
على ذلك من الأخبار ما روي أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوا إليه وقالوا يعرض لقلوبنا أشياء لأن
نخر من السماء فتخطفنا الطير أو تهوي بنا الريح في مكان سحيق أحب إلينا من أن نتكلم بها فقال عليه السلام أو قد
وجدتموه قالوا نعم قال ذلك صريح الإيمان ولم يجدوا إلا الوسواس والكراهة له ولا يمكن أن يقال أراد
بصريح الإيمان الوسوسة فلم يبق إلا حمله على الكراهة المساوقة للوسوسة والرياء وإن كان عظيما فهو دون
الوسوسة في حق الله تعالى فإذا اندفع ضرر الأعظم بالكراهة فبأن يندفع ضرر الأصغر أولى وكذلك يروى
عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال الحمد لله الذي رد كيد الشيطان إلى الوسوسة
وقال أبو حازم ما كان من نفسك فكرهته نفسك لنفسك فلا يضرك ما هو من عدوك وما كان من نفسك
فرضيته نفسك لنفسك فعاتبها عليه فإذا وسوسة الشيطان ومنازعة النفس لا يضرك مهما رددتها
بالإباء والكراهة والخواطر التي هي العلوم والتذكرات والتخيلات للأسباب المهيجة للرياء هي من الشيطان والرغبة
والميل بعد تلك الخواطر من النفس والكراهة من الإيمان ومن آثار العقل إلا أن للشيطان ههنا مكيدة وهي
أنه إذا عجز عن حمله على قبول الرياء خيل إليه أن صلاح قلبه في الاشتغال بمجادلة الشيطان ومطاولته في الرد و
الجدال حتى يسلبه ثواب الإخلاص وحضور القلب لأن الاشتغال بمجادلة الشيطان ومدافعته انصراف عن سر
المناجاة مع الله تعالى فيوجب ذلك نقصانا في منزلته عند الله والمتخلصون عن الرياء في دفع خواطر الرياء على أربع
مراتب الأولى أن يرد على الشيطان فيكذبه ولا يقتصر عليه بل يشتغل بمجادلته ويطيل الجدال معه لظنه
أن ذلك أسلم لقلبه وهو على التحقيق نقصان لأنه اشتغل عن مناجاة الله وعن الخير الذي هو بصدده و
انصرف إلى قتال قطاع الطريق والتعريج على قتال قطاع الطريق نقصان في السلوك الرتبة الثانية
أن يعرف أن الجدال والقتال نقصان في السلوك فيقتصر على تكذيبه ودفعه ولا يشتغل بمجادلته الثالثة
أن لا يشتغل بتكذيبه أيضا لأن ذلك وقفة وإن قلت بل يكون قد قرر في عقد ضميره كراهة الرياء وكذب

الشيطان فيستمر على ما كان عليه مستصحبا للكراهة غير مشتغل بالتكذيب ولا بالمخاصمة والرابعة
أن يكون قد علم أن الشيطان سيحسد عند جريان أسباب الرياء فيكون قد عزم على أنه مهما نزغ الشيطان زاد
فيما هو فيه من الإخلاص والاشتغال بالله وإخفاء الصدقة والعبادة غيظا للشيطان وذلك هو الذي يغيظ
الشيطان ويقمعه ويوجب يأسه وقنوطه حتى لا يرجع يروى عن الفضيل بن غزوان أنه قيل له إن فلانا
ذكرك قال والله لأغيظن من أمره قيل من أمره قال الشيطان اللهم اغفر له أي لأغيظه بأن أطيع الله تعالى
فيه ومهما عرف الشيطان من عبد هذه العادة كف عنه خيفة من أن يزيد في حسناته وقال إبراهيم
التيمي إن الشيطان ليدعو العبد إلى الباب من الإثم فلا يطيعه وليحدث عند ذلك خيرا فإذا رآه كذلك
تركه وقال أيضا إذا رآك الشيطان مترددا طمع فيك وإذا رآك مداوما ملك وقلاك وضرب الحارث
المحاسبي رحمه الله تعالى لهذه الأربعة مثالا أحسن فيه فقال مثالهم كأربعة قصدوا مجلسا من العلم
والحديث لينالوا به فائدة وفضلا وهداية ورشدا فحسدهم على ذلك ضال مبتدع وخاف أن يعرفوا الحق فتقدم
إلى واحد فمنعه وصرفه عن ذلك ودعاه إلى مجلس ضلال فأبى فلما عرف إباءه شغله بالمجادلة فاشتغل معه ليرد
ضلاله وهو يظن أن ذلك مصلحة له وهو غرض الضال ليفوت عليه بقدر ما تأخر فلما مر الثاني عليه نهاه واستوقفه
فوقف فدفعه في عنق الضال ولم يشتغل بالقتال واستعجل ففرح منه الضال بقدر توقفه للدفع فيه ومر
الثالث فلم يلتفت إليه ولم يشتغل بدفعه ولا بقتاله بل استمر على ما كان فخاب منه رجاؤه بالكلية فمر الرابع فلم
يتوقف وأراد أن يغيظه فزاد في عجلته وترك التأني في المشي فيوشك إن عادوا ومروا عليه مرة أخرى أن
يعاود الجميع إلا هذا الأخير فإنه لا يعاوده خيفة من أن يزداد فائدة باستعجاله فإن قلت فالشيطان إذا كان
لا يؤمن نزغاته فهل يجب التشمير والحذر قبل حضوره أو الحذر منه انتظارا لوروده أم يجب التوكل على الله ليكون
هو الدافع له أو يجب الاشتغال بالعبادة والغفلة عنه قلنا قد اختلف الناس فيه على ثلاثة أوجه فذهبت
فرقة من أهل البصرة إلى أن الأقوياء قد استغنوا عن الحذر من الشيطان لأنهم انقطعوا إلى الله واشتغلوا بحبه
فاعتزلهم الشيطان وأيس منهم وخنس عنهم كما أيس من ضعفاء العباد في الدعوة إلى الخمر والزنا فصارت
ملاذ الدنيا عندهم وإن كانت مباحة كالخمر والخنزير عندهم وأدخلوا عنها بالكلية فلم يبق للشيطان إليهم
سبيل فلا حاجة بهم إلى الحذر وذهبت فرقة من أهل الشام إلى أن الترصد للحذر منه إنما يحتاج إليه من قل
يقينه ونقص توكله فمن أيقن بأن لا شريك له في تدبيره فلا يحذر غيره ويعلم أن الشيطان ذليل مخلوق ليس
إليه أمر ولا يكون إلا ما أراده الله تعالى فهو الضار والنافع والعارف يستحيي منه أن يحذر غيره فاليقين
بالوحدانية يغنيه عن الحذر وقالت فرقة من أهل العلم لا بد من الحذر من الشيطان وما ذكره البصريون من
أن الأقوياء قد استغنوا عن الحذر وخلت قلوبهم عن حب الدنيا بالكلية وهو وسيلة الشيطان يكاد يكون
غرورا إذ الأنبياء لم يتخلصوا من وساوس الشيطان ونزغاته فكيف يتخلص غيرهم وليس كل وساوس الشيطان من الشهوات
وحب الدنيا بل في صفات الله وأسمائه وفي تحسين البدع والضلال وغير ذلك ولا ينجو أحد من الخطر فيه ولذلك
قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي
الشيطان ثم يحكم الله آياته وقال النبي صلى الله عليه وسلم إنه ليغان على قلبي مع أن شيطانه قد أسلم ولا يأمر
إلا بخير فمن ظن أن اشتغاله بحب الله أكثر من اشتغال رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء عليهم السلام
فهو مغرور ولم يأمنوا من كيد الشيطان ولذلك لم يسلم منه آدم وحواء في الجنة التي هي دار الأمن و
السرور بعد أن قال الله تعالى لهما إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى إن لك ألا تجوع

انها لا تعوي الا بات ومع انه لم ينه الا عن الشجرة الواحدة واطلق له وراء ذلك ما اراد فاذا لم يامن نبي من الانبيا وهو
في الجنة دار الامن والسعادة من كيد الشيطان فكيف يجوز لغيره ان يامن في دار الدنيا وهي منبع الفتن والمحن
ومعدن اللذات والشهوات المنهي عنها ولذلك قال موسى عليه السلام فيما اخبر عنه تعالى هذا من عمل الشيطان
ولذلك حذر الله تعالى منه جميع الخلق فقال يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة وقال تعالى
انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم والقران من اوله الى آخره تحذير من الشيطان فكيف يدعي الامن منه واخذ
الحذر حيث امر الله تعالى به لا ينافي الاشتغال بحب الله تعالى فان من الحب له امتثال امره وقد امر بالحذر من
العدو كما امر بالحذر من الكفار فقال خذوا حذركم واسلحتهم وقال واعدوا لهم ما استطعتم من قوة
ومن رباط الخيل فاذا لزمك بامر الله تعالى الحذر من العدو الكافر وانت تراه فبان يلزمك الحذر من عدو يراك
ولا تراه اولى ولذلك قال ابن محيريز صيد تراه ولا يراك يوشك ان تظفر به وصيد يراك ولا تراه يوشك ان يظفر
بك واشار الى الشيطان كيف وليس في الغفلة عن عداوة الكافر الا القتل وهو شهادة وفي اهمال الحذر من الشيطان
التعرض للنار والعقاب الاليم فليس من الاشتغال بالله الاعراض عما حذر الله منه وبهذا بطل مذهب الفرقة الثانية
في ظنهم ان ذلك قادح في التوكل فان اخذ الترس والسلاح وجمع الجنود وحفر الخندق لم يقدح في توكل رسول الله
صلى الله عليه وسلم فكيف يقدح في التوكل الخوف مما خوف الله به والحذر مما حذر الله منه وقد ذكرنا في كتاب التوكل
ما يبين غلط من ظن ان معنى التوكل النزوع عن الاسباب بالكلية وقوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة
ومن رباط الخيل لا يضاد التوكل مهما اعتقد القلب ان الضار والنافع والمحيي والمميت
هو الله وكذلك يحذر الشيطان ويعتقد ان المضل الهادي هو الله ويرى الاسباب وسايط مسخرة كما ذكرناه
في التوكل وهذا ما اختاره المحاسبي رحمه الله تعالى وهو الصحيح الذي يشهد له نور العلم وما قبله يشبه ان
يكون من كلام العباد الذين لا يغزر علمهم ويظنون ان ما يهجم عليهم من الاحوال في بعض الاوقات من الاستغراق مما
يستمر على الدوام وهو بعيد ثم اختلف هذه الفرقة على ثلاثة اوجه في كيفية الحذر فقال قوم اذ حذرنا الله
العدو فلا ينبغي ان يكون شي اغلب على قلوبنا من ذكره والترصد له فانا ان غفلنا عنه لحظة فيوشك
ان يهلكنا وقال قوم ان ذلك يؤدي الى خلو القلب عن ذكر الله واشتغال الهم كله بالشيطان وذلك مراد الشيطان
منا بل نشتغل بالعبادة وذكر الله ولا ننسى الشيطان وعداوته والحاجة الى الحذر منه فنجمع بين الامرين فانا ان
نسيناه ربما يعرض من حيث لا نحتسب وان تجردنا بالذكر له كنا قد اهملنا ذكر الله فالجمع اولى وقال العلما المحققون غلط
الفريقان اما الاول فقد تجرد لذكر الشيطان ونسي ذكر الله عز وجل فلا يخفى غلطه وانما امرنا بالحذر من الشيطان
كيلا يصدنا عن الذكر فكيف نجعل ذكره اغلب الاشيا على قلوبنا وهو منتهى غرض العدو ثم يؤدي ذلك الى خلو القلب
عن نور ذكر الله فاذا قصده الشيطان مثل هذا القلب وليس فيه نور ذكر الله وقوة الاشتغال به فيوشك ان يظفر
به ولا يقوى على دفعه فلم يؤمر بانتظار الشيطان ولا بدوام ذكره واما الفرقة الثانية فقد شاركت الاولى
اذ جمعت في القلب بين ذكر الله تعالى والشيطان وبقدر ما يشتغل القلب بذكر الشيطان ينقص من ذكر الله وقد
امر الله تعالى الخلق بذكره ونسيان ما عداه ابليس وغيره فالحق ان يلزم العبد قلبه الحذر من الشيطان ويقرر على
نفسه عداوته فاذا اعتقد ذلك وصدقه وسكن الحذر فيه فيشتغل بذكر الله ويكب عليه بكل الهمة ولا
يخطر بباله امر الشيطان فانه اذا اشتغل بذلك بعد معرفة عداوته ثم خطر الشيطان له تنبه له وعند التنبه يشتغل
بدفعه والاشتغال بذكر الله لا يمنع من التيقظ عند نزغة الشيطان بل الرجل ينام وهو خايف من ان يفوته
مهم عند طلوع الصبح فلزم نفسه الحذر وينام على ان ينتبه في ذلك الوقت فينتبه في الليل مرات قبل الوقت لما اسكن

في قلبه من الحذر مع انه بالنوم غافل عنه فاشتغاله بذكر الله كيف يمنع تنبهه ومثل هذا القلب هو الذي
يقوى على دفع العدو اذا كان اشتغاله بمجرد ذكر الله تعالى فقد امات منه الهوى واحيا فيه نور العقل والعلم
واماط ظلمة الشهوات فاهل البصيرة اشعروا قلوبهم عداوة الشيطان وترصده والزموها الحذر ثم لم يشتغلوا
بذكره بل بذكر الله ودفعوا بالذكر شر العداوة واستضاوا بنور الذكر حتى ابصروا خواطر العدو ومثال القلب مثال
بير اريد تطهيرها من الما القذر ليتفجر منها الما الصافي فالمشتغل بذكر الشيطان قد ترك فيها الما القذر
والذي جمع بين ذكر الشيطان وذكر الله قد نزح الما القذر من جانب ولكن تركه جاريا اليها من جانب اخر فيطول
تعبه ولا تجف البير عن الما القذر والبصير هو الذي جعل لمجرى الما القذر سدا وملاها بالما الصافي فاذا جا
الما القذر دفعه بالسكر والسد من غير كلفة ومونة وزيادة تعب **بيان الرخصة في قصد اظهار
الطاعات** اعلم ان في الاسرار للاعمال فايدة الاخلاص والنجاة من الريا وفي الاظهار فايدة الاقتدا وترغيب
الناس في الخير ولكن فيه افات الريا قال الحسن رحمه الله عليه قد علم المسلمون ان السر احرز العملين ولكن في
الاظهار ايضا فايدة ولذلك اثنى الله تعالى على السر والعلانية فقال تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هي
وان تخفوها وتؤتوها الفقرا فهو خير لكم والاظهار قسمان احدهما في نفس العمل والاخر بالتحدث بما عمل **القسم
الاول** اظهار نفس العمل كالصدقة في الملا لترغيب الناس فيها كما روي عن الانصاري الذي جا بالصرة فتتابع
الناس بالعطية لما راوه فقال النبي صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فعمل بها كان له اجرها واجر من اتبعه
وتجري ساير الاعمال هذا المجرى من الصلاة والحج والغزو وغيره ولكن الاقتدا في الصدقة على الطباع اغلب نعم
الغازي اذا هم بالخروج فاستعد وشد الرحل قبل القوم تحريضا لهم على الحركة فذلك افضل له لان الغزو في اصله
من اعمال العلانية لا يمكن اسراره فالمبادرة اليه ليس من الاعلان بل هو تحريض مجرد وكذلك الرجل قد يرفع صوته
في صلاة الليل لينبه جيرانه واهله فيقتدى به فكل عمل لا يمكن اسراره كالحج والجهاد والجمعة فالافضل المبادرة
اليه واظهار الرغبة فيه للتحريض بشرط ان لا يكون فيه شوايب الريا واما ما يمكن اسراره كالصدقة والصلاة
فان كان اظهار الصدقة يؤذي المتصدق عليه ويرغب الناس في الصدقة فالسر افضل لان الايذا حرام وان لم يكن
فيه ايذا فقد اختلف الناس في الافضل فقال قوم السر افضل من العلانية وان كان في العلانية قدوة وقال
قوم السر افضل من علانية لا قدوة فيها اما العلانية للقدوة فافضل من السر ويدل على ذلك ان الله عز وجل
امر الانبيا باظهار العمل للاقتدا وخصهم بمنصب النبوة ولا يجوز ان يظن انهم حرموا افضل العملين ويدل عليه
قوله عليه السلام اجرها واجر من عمل بها وقد روي في بعض الحديث عمل السر يضاعف على عمل العلانية سبعين
ضعفا ويضاعف عمل العلانية اذا استن بعامله على عمل السر سبعين ضعفا وهذا لا وجه للخلاف فيه فانه مهما انفك
القلب عن شوايب الريا وتم الاخلاص على وجه واحد في الحالتين فما يقتدى به افضل لا محالة وانما يخاف من
الظهور الريا ومهما حصل شايبة الريا لم ينفعه اقتدا غيره وهلك به فلا خلاف في ان السر افضل منه ولكن على من
يظهر العمل وظيفتان احدهما ان يظهره حيث يعلم انه يقتدى به او يظن ذلك ظنا ورب رجل يقتدي به اهله دون
جيرانه وربما يقتدي به جيرانه دون اهل السوق وربما يقتدي به اهل محلته
وانما العالم المعروف هو الذي يقتدي به الناس كافة فغير العالم اذا اظهر بعض الطاعات ربما نسب الى الريا
والنفاق وذموه ولم يقتدوا به فليس له الاظهار من غير فايدة وانما يصح الاظهار بنية القدوة ممن هو في محل القدوة
على من هو في محل الاقتدا به والثانية ان يراقب قلبه فانه ربما يكون فيه حب الريا الخفي فيدعوه الى الاظهار
بعذر الاقتدا وانما شهوته التجمل بالعمل وبكونه مقتدى به وهذا حال كل من يظهر اعماله الا الاقويا المخلصين

وقليل ما هم فلا ينبغي ان يخدع الضعيف نفسه بذلك فيهلك وهو لا يشعر فان الضعيف مثاله مثال الغريق الذي
يحسن سباحة ضعيفة فنظر الى جماعة من الغرقى فرحمهم فاقبل عليهم حتى تشبثوا به فهلكوا وهلك فالغرق
بالماء في الدنيا الم ساعة وليت كان الهلاك بالرياء مثله لا بل عذابه دائم مدة مديدة وهذه مزلة اقدام العباد
والعلماء فانهم يتشبهون بالاقوياء في الاظهار ولا تقوى قلوبهم على الاخلاص فتحبط اجورهم بالرياء والتفطن لذلك
غامض ومحك ذلك ان يعرض على نفسه انه لو قيل له اخف العمل حتى يقتدي الناس بعابد اخر من اقرانك ويكون
لك في السر مثل اجر الاعلان فان مال قلبه الى ان يكون هو المقتدى به وهو المظهر للعمل فباعثه الرياء دون
طلب الاجر واقتداء الناس به ورغبتهم في الخير فانهم قد رغبوا في الخير بالنظر الى غيره واجره قد توفر عليه مع اسراره
فما بال قلبه يميل الى الاظهار لولا ملاحظة اعين الخلق ومراءاتهم فليحذر العبد خدع النفس فان النفس خدوعة
والشيطان مترصد وحب الجاه على القلب غالب وقلما تسلم الاعمال الظاهرة عن الافات فلا ينبغي ان يعدل بالسلامة
شيئا والسلامة في الاخفاء وفي الاظهار من الاخطار ما لا يقوى عليه امثالنا فالحذر من الاظهار اولى بنا وبجميع الضعفاء

القسم الثاني ان يتحدث بما فعله بعد الفراغ وحكمه حكم اظهار العمل نفسه والخطر في هذا اشد لان
مؤنة النطق خفيفة على اللسان وقد يجري في الحكاية زيادة ومبالغة وللنفس لذة في اظهار الدعاوي عظيمة الا انه
لو تطرق اليه الرياء لم يؤثر في افساد العبادة الماضية بعد الفراغ منها فهو من هذا الوجه اهون والحكم فيه ان من
قوي قلبه وتم اخلاصه وصغر الناس في عينه واستوى عنده مدحهم وذمهم وذكر ذلك عند من يرجو الاقتداء
به والرغبة في الخير بسببه فهو جائز بل هو مندوب اليه ان صفت النية وسلمت عن جميع الافات لانه ترغيب في الخير و
الترغيب في الخير خير وقد نقل مثل ذلك عن جماعة من السلف الاقوياء قال سعد بن معاذ ما صليت صلاة منذ اسلمت
فحدثت نفسي بغيرها ولا تبعت جنازة فحدثت نفسي بغير ما هي قائلة وما هو مقول لها ولا سمعت النبي صلى الله عليه
وسلم يقول قولا الا علمت انه حق وقال عمر رضي الله عنه ما ابالي اصبحت على عسر او على يسر لاني لا ادري ايهما خير لي
وقال ابن مسعود رضي الله عنه ما اصبحت على حال فتمنيت اني على غيرها وقال عثمان رضي الله عنه ما تغنيت
ولا تمنيت ولا مسست ذكري بيميني منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال شداد بن اوس رضي الله عنه
ما تكلمت بكلمة منذ اسلمت حتى ازمها واخطمها غير هذه وكان قد قال لغلامه ائتنا بالسفرة نعبث بها حتى ندرك
الغداء وقال ابو سفيان لاهله حين حضره الموت لا تبكوا علي فاني ما احدثت ذنبا منذ اسلمت وقال عمر بن عبد العزيز
رحمه الله ما قضى الله تعالى في بقضاء قط فسرني ان يكون قضى لي بغيره وما اصبح لي هوى الا في مواقع قدر الله فهذا
كله اظهار لاحوال شريفة وفيها غاية المراءاة اذا صدرت ممن يرائي بها وفيها غاية الترغيب اذا صدرت
ممن يقتدى به فذلك على قصد الاقتداء جائز للاقوياء بالشروط التي ذكرناها فلا ينبغي ان يسد باب اظهار
الاعمال والطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بل اظهار المرائي للعبادة اذا لم يعلم الناس انه رياء فيه خير كثير
للناس ولكنه شر للمرائي فكم من مخلص كان سبب اخلاصه الاقتداء بمن هو مراء عند الله تعالى وقد روي انه
كان يجتاز الانسان في سكك البصرة عند الصبح فيسمع اصوات المصلين بالقران من البيوت فصنف بعضهم
كتابا في دقائق الرياء فتركوا ذلك وترك الناس الرغبة فكانوا يقولون ليت ذلك الكتاب لم يصنف فاظهار المرائي
فيه خير كثير لغيره اذا لم يعرف رياؤه وان الله عز وجل يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وباقوام لا خلاق لهم
كما ورد في بعض الاخبار وبعض المرائين ممن يقتدى به منهم **بيان الرخصة في كتمان الذنوب
وكراهة** اطلاع الناس عليه وكراهة ذمهم له اعلم ان الاصل في الاخلاص استواء السريرة والعلانية كما قال
عمر رضي الله عنه لرجل عليك بعمل العلانية قال يا امير المؤمنين وما عمل العلانية قال ما اذا اطلع عليك

لم تستحي منه وقال ابو مسلم الخولاني ما عملت عملا ابالي ان يطلع الناس عليه الا اتياني اهلي والبول والغائط
الا ان هذه درجة عظيمة لا ينالها كل احد ولا يخلو الانسان عن ذنوب بقلبه او بجوارحه وهو يخفيها و
يكره اطلاع الناس عليها لا سيما ما يختلج به الخواطر في الشهوات والاماني والله مطلع على جميع ذلك
فارادة العبد لاخفائها عن العبيد ربما يظن انه رياء محظور وليس كذلك بل المحظور ان يستر ذلك
ليرى الناس انه ورع وانه خائف من الله مع انه ليس كذلك فهذا هو ستر المرائي واما الصادق الذي
لا يرائي فله ستر المعاصي ويصح قصده فيه ويصح اغتمامه باطلاع الناس عليه من ثمانية اوجه
الاول هو ان يفرح بستر الله تعالى عليه فاذا افتضح اغتم بهتك الله تعالى ستره وخاف ان
يهتك ستره في القيامة اذ ورد في الخبر ان من ستر عليه في الدنيا ستر عليه في الاخرة وهذا غم ينشا من
قوة الايمان **الثاني** انه قد علم ان الله تعالى يكره ظهور المعاصي ويحب سترها كما قال صلى الله عليه
وسلم من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله فهو وان عصى الله بالذنب فلم يخل قلبه
عن محبة ما احبه الله وهذا ينشا من قوة الايمان بكراهة الله ظهور المعاصي واثر الصدق فيه ان
يكره ظهور الذنب من غيره ايضا ويغتم بسببه **الثالث** ان يكره ذم الناس له به من حيث ان
ذلك يغمه ويشغل قلبه وعقله عن طاعة الله تعالى فان الطبع يتاذى بالذم وينازع العقل و
يشتغل عن الطاعة وبهذه العلة ايضا ينبغي ان يكره الحمد الذي يشغله عن الله ويستغرق
قلبه ويصرفه عن الذكر وهذا ايضا من قوة الايمان اذ صدق الرغبة في فراغ القلب لاجل الطاعة
من الايمان الرابع ان يكون ستره ورغبته فيه لكراهته لذم الناس من حيث يتاذى طبعه فان الذم مؤلم
للقلب كما ان الضرب مؤلم للبدن وتالم القلب بالذم ليس بحرام ولا الانسان به عاص وانما يعصي اذا جزعت
نفسه من ذم الناس ودعته الى ما لا يجوز حذرا من ذمهم وليس يجب على الانسان ان لا يغتم بذم الخلق
ولا يتالم به نعم كمال الصدق في ان يزول عن رؤية الخلق فيستوي عنده ذامه ومادحه لعلمه ان الضار و
النافع هو الله وان العباد كلهم عاجزون وذلك قليل جدا واكثر الطباع تتالم بالذم لما فيه من الشعور
بالنقصان ورب تالم بالذم محمود اذا كان الذام من اهل البصيرة في الدين فانهم شهداء الله وذمهم يدل على
ذم الله تعالى وعلى نقصان في الدين فكيف لا يغتم به نعم الغم المذموم هو ان يغتم لفوات الحمد بالورع
كانه يحب ان يحمد بالورع ولا يجوز ان يحب ان يحمد بطاعة الله فيكون قد طلب بطاعة الله ثوابا من غيره
فان وجد ذلك في نفسه وجب عليه ان يقابله بالكراهة واما كراهية الذم بالمعصية من حيث الطبع
فليس بمذموم فله الستر حذرا من ذلك ويتصور ان يكون العبد بحيث لا يحب الحمد ولكن يكره الذم
وانما مراده ان يتركه الناس حمدا وذما فكم من صابر عن لذة الحمد لا يصبر على الم الذم اذ الحمد يطلب اللذة
وعدم اللذة لا يؤلم واما الذم فانه مؤلم فحب الحمد على الطاعة طلب ثواب عن الطاعة في الحال واما
كراهة الذم على المعصية فلا محذور فيه الا امر واحد وهو ان يشغله غمه باطلاع الخلق على ذنبه عن
اطلاع الله تعالى فان ذلك غاية النقصان في الدين بل ينبغي ان يكون غمه باطلاع الله تعالى وذمه
له اكثر وقد يكره الذم من حيث ان الذام قد عصى الله به وهذا من الايمان وعلامته ان يكره ذمه لغيره
ايضا فهذا التوجع لا يفرق فيه بينه وبين غيره بخلاف التوجع من جهة الطبع السادس ان يستر ذلك كي لا
يقصد بشر اذا عرف ذنبه وهذا وراء الم الذم فان الذم يؤلم من حيث يشعر القلب بنقصانه وخسته و
ان كان ممن يؤمن شره وقد يخاف شر من يطلع على ذنبه بسبب من الاسباب فله ان يستر ذلك حذرا منه

السابع مجرد الحيا فانه يتولد منه نوع الم وهو غير الم الذم والقصد بالشر وهو خلق كريم يحدث في اول الصبا مهما اشرق
عليه نور العقل فيستحيي من القبائح اذ يشاهدها منه وهو وصف محمود اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحيا خير كله وقال الحيا شعبة من الايمان وقال عليه السلام الحيا لا ياتي الا بخير وقال ان الله تعالى يحب
الحيي الحليم والذي يفسق ولا يبالي بان يظهر فسقه للناس جمع الى الفسق التهتك والوقاحة وفقد
الحيا فهو اشد حالا ممن يستر ويستحيي الا ان الحيا ممتزج بالريا ومشتبه به اشتباها عظيما قل من
يتفطن له ويدعي كل مراي انه مستحيي وان سبب تحسينه العبادات هو الحيا من الناس وذلك كذب
بل الحيا خلق ينبعث من الطبع الكريم ويهيج عقيبه داعية الريا وداعية الاخلاص ويتصور ان يخلص معه
ويتصور ان يرائي معه وبيانه ان الرجل يطلب من صديقه قرضا ونفسه لا تسخو باقراضه الا انه يستحيي
من رده وعلم انه لو راسله على لسان غيره لكان لا يستحيي ولا يقرض ريا ولا لطلب الثواب فله عند ذلك
احوال احدها ان يشافهه بالرد الصريح ولا يبالي فينسب الى قلة الحيا وهذا فعل من لا حيا له فان المستحيي
اما ان يتعلل او يقرض فان اعطى فيتصور له ثلاثة احوال احدها ان يمزج الريا بالحيا بان يهيج الحيا فيتقبح
عنده الرد فيهيج خاطر الريا ويقول ينبغي ان تعطي حتى يثني عليك ويحمدك وينشر اسمك بالسخا او ينبغي
ان تعطي حتى لا يذمك ولا ينسبك الى البخل فاذا اعطى فقد اعطى ريا وكان المحرك للريا هو هيجان الحيا الثاني
ان يتعذر عليه الرد بالحيا ويبقى في نفسه البخل فيتعذر الاعطا فيهيج باعث الاخلاص ويقول له ان الصدقة
الواحدة بعشرة والقرض بثمانية عشر ففيه اجر عظيم وادخال سرور على قلب صديق وذلك محمود عند
الله تعالى فتسخو النفس بالاعطا لذلك فهذا مخلص هيج الحيا اخلاصه الثالث ان لا يكون له رغبة
في الثواب ولا خوف من مذمته ولا حب لمحمدته لانه لو طلبه مراسلة لكان لا يعطيه فاعطاه بمحض الحيا وهو
ما يجده في قلبه من الم الحيا ولولا الحيا لرده ولو جاءه من لا يستحيي منه من الاجانب او الاراذل لكان يرده وان كثر
الحمد او الثواب فيه فهذا مجرد الحيا ولا يكون هذا الا في القبائح كالبخل ومقارفة الذنوب والمرائي يستحيي من
المباحات ايضا حتى انه يرى مستعجلا في المشي فيعود الى الهدو او ضاحكا فيرجع الى الانقباض ويزعم ان
ذلك حيا وهو عين الريا فقد قيل ان بعض الحيا ضعف وهو صحيح والمراد به الحيا مما ليس بقبيح كالحيا من وعظ
الناس وامامة الناس في الصلاة وهو في النسا والصبيان محمود وفي العقلا غير محمود وقد تشاهد معصية
من شيخ فيستحيي من شيبته ان ينكر عليه لان من اجلال الله تعالى اكرام ذي الشيبة المسلم وهذا الحيا حسن
واحسن منه ان يستحيي من الله فلا يضيع الامر بالمعروف فالقوي يوثر الحيا من الله تعالى على الحيا من الناس
والضعيف قد لا يقدر عليه فهذه هي الاسباب التي يجوز لاجلها ستر القبائح والذنوب الثامن ان يخاف
من ظهور ذنبه ان يستجري عليه غيره ويقتدي به وهذه العلة الواحدة فقط هي الجارية في اظهار
الطاعة وهي القدوة ويختص ذلك بالائمة او بمن يقتدى به وبهذه العلة ينبغي ان يخفي العاصي ايضا
معصيته من اهله وولده لانهم يتعلمون منه ففي ستر الذنوب هذه الاعذار الثمانية وليس في اظهار الطاعة
عذر الا هذا العذر الواحد ومهما قصد بستر المعصية ان يخيل الى الناس انه ورع كان مرائيا كما اذا قصد
ذلك باظهار الطاعة فان قلت فهل يجوز للعبد ان يحب حمد الناس له بالصلاح وحبهم اياه بسببه وقد
قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم دلني على عمل يحبني الله تعالى عليه ويحبني الناس قال ازهد في الدنيا يحبك
الله تعالى وانبذ اليهم هذا الحطام يحبوك فنقول لحبك حب الناس لك قد يكون مباحا وقد يكون
محمودا وقد يكون مذموما فالمحمود ان تحب ذلك لتعرف به حب الله لك فانه اذا احبه الله تعالى حببه

الى قلوب عباده والمذموم ان تحب حبهم وحمدهم على حجك وغزوك وصلاتك وعلى طاعة بعينها فان
ذلك طلب عوض على طاعة الله تعالى عاجلة سوى ثواب الله تعالى والمباح ان تحب ان يحبوك
لصفات محمودة سوى الطاعات المحمودة المعينة فحب ذلك كحب المال لان ملك القلوب و
سيلة الى الاغراض كملك الاموال

بيان ترك الطاعات خوفا من الريا ودخول الآفات

اعلم ان من الناس من يترك العمل خوفا من ان يكون مرائيا به وذلك غلط وموافقة للشيطان بل الحق فيما
يترك من الاعمال وما لا يترك لخوف الآفات ما نذكره وهو ان الطاعات تنقسم الى ما لا لذة في عينه كالصلاة
والصوم والحج والغزو فانها مقاسات ومجاهدات انما تصير لذيذة من حيث انها توصل الى
حمد الناس وحمد الناس لذيذ وذلك عند اطلاع الناس عليه والى ما هو لذيذ وهو اكثر ما لا
يقتصر على البدن بل يتعلق بالخلق كالخلافة والقضا والولايات والحسبة وامامة الصلاة
والتذكير والتدريس وانفاق المال على الخلق وغير ذلك مما تعظم الآفة فيه لتعلقه بالناس
ولما فيه من اللذة **القسم الاول** الطاعة اللازمة للبدن التي لا تتعلق بالغير ولا لذة في
عينها كالصلاة والصوم والحج والغزو فخطرات الريا فيها ثلاث احداها ما يدخل قبل العمل فيبعث
على الابتدا لروية الناس وليس معه باعث الدين فهذا ينبغي ان يترك لانه معصية لا طاعة فيه
فانه تدرع بصورة الطاعة الى طلب المنزلة فان قدر الانسان على ان يدفع عن نفسه باعث الريا
ويقول لها الا تستحيين من مولاك لا تسخين بالعمل لاجله وتسخين بالعمل لاجل عباده حتى يندفع باعث
الريا وتسخو النفس بالعمل لله عقوبة للنفس على خاطر الريا وكفارة له فليشتغل بالعمل **الثانية**
ان ينبعث لاجل الله ولكن يعترض الريا مع عقد العبادة واولها فلا ينبغي ان يترك العمل لانه وجد
باعثا دينيا فليشرع في العمل وليجاهد نفسه في دفع الريا وتحصيل الاخلاص بالمعالجات التي ذكرناها
من الزام النفس كراهة الريا والابا عن القبول **الثالثة** ان يعقد على الاخلاص بالمعالجة ثم يطرا
الريا ودواعيه فينبغي ان يجاهد في الدفع ولا يترك العمل لكي يرجع الى عقد الاخلاص ويرد نفسه
اليه قهرا حتى يتم العمل لان الشيطان يدعوك اولا الى ترك العمل فاذا لم تجب واشتغلت فيدعوك
الى الريا فاذا لم تجب ودفعت بقي يقول لك هذا العمل ليس بخالص وانت مراء وتعبك ضائع فاي
فائدة لك في عمل لا اخلاص فيه حتى يحملك بذلك على ترك العمل فاذا تركته فقد حصلت غرضه
ومثال من يترك العمل لخوفه ان يكون مرائيا كمن سلم اليه مولاه حنطة فيها زوان وقال خلصها من
الزوان ونقها منه تنقية بالغة فيترك اصل العمل ويقول اخاف ان اشتغلت به لم اخلص خلاصا
صافيا نقيا فترك العمل من اصله وهو ترك الاخلاص مع اصل العمل فلا معنى له ومن هذا القبيل ان
يترك العمل خوفا على الناس ان يقولوا انه مراء فيعصون الله تعالى به فهذا من مكايد الشيطان لانه اولا
اسا الظن بالمسلمين وما كان من حقه ان يظن بهم ذلك ثم ان كان فلا يضره قولهم ويفوته ثواب العبادة
وترك العمل خوفا من قولهم انه مراء هو عين الريا فلولا حبه لمحمدتهم وخوفه من ذمهم فما له ولقولهم
قالوا انه مراء او مخلص واي فرق بين ان يترك العمل خوفا من ان يقال انه مراء وبين ان يحسن العمل خوفا
من ان يقال انه غافل مقصر بل ترك العمل اشد من ذلك فهذه كلها مكايد الشيطان على العباد الجهال
ثم كيف يطمع في ان يتخلص من الشيطان بان يترك العمل والشيطان لا يخليه بل يقول له الآن يقول الناس
انك تركت العمل ليقال انك مخلص لا تشتهي الشهرة فيضطرك بذلك الى ان تهرب فان هربت

ودخلت بها تحت الارض التي في قلبك حلاوة معرفة الناس بزهدك وهربك منهم وتعظيمهم لك في
قلوبهم على ذلك فكيف تتخلص بل لا نجاة منه الا ان تلزم قلبك معرفة آفة الريا وهو انه ضرر في الآخرة
ولا نفع فيه في الدنيا ليلزم الكراهة والابا قلبك وتستمر مع ذلك على العمل ولا تبالي وان نزغ العدو
ونازع الطبع فان ذلك لا ينقطع وترك العمل لاجل ذلك يجر الى البطالة وترك الخيرات فما دمت تجد
باعثا دينيا على العمل فلا تترك العمل وجاهد خاطر الريا والزم قلبك الحيا من الله اذ دعتك نفسك الى
ان تستبدل بحمده حمد المخلوقين وهو مطلع على قلبك ولو اطلع الخلق على قلبك وانك تريد حمدهم
لمقتوك بل ان قدرت على ان تزيد في العمل حيا من ربك وعقوبة لنفسك فافعل فان قال لك الشيطان
انت مراي فاعلم كذبه بما تصادف في قلبك من كراهة الريا وابائه وخوفك منه وحيائك من الله
وان لم تجد في قلبك له كراهية ومنه خوفا ولم يبق باعث ديني بل تجرد باعث الريا فاترك العمل عند
ذلك وهو بعيد ممن شرع في العمل لله فانه لا بد ان يبقى معه اصل قصد الثواب فان قلت فقد نقل عن اقوام من
العمل مخافة الشهرة روي ان ابراهيم النخعي دخل عليه انسان فاطبق المصحف وترك القراءة وقال لا
يرى هذا انا نقرأ كل ساعة وقال ابراهيم التيمي اذا اعجبك الكلام فاسكت واذا اعجبك السكوت
فتكلم وقال الحسن ان كان احدهم ليمر بالاذى ما يمنعه من دفعه الا كراهة الشهرة وكان احدهم يأتيه البكا
فيصرفه الى الضحك مخافة الشهرة وقد ورد في ذلك آثار كثيرة قلنا هذا يعارضه ما ورد من اظهار الطاعات
مما لا يحصى واظهار الحسن البصري هذا الكلام في معرض الوعظ اقرب الى خوف الشهرة من البكا واماطة
الاذى عن الطريق ثم لم يتركه وبالجملة ترك النوافل جائز والكلام في الافضل والافضل انما يقدر عليه
الاقويا دون الضعفا فالافضل ان يتم العمل ويجتهد في الاخلاص ولا يتركه وارباب الاعمال قد يعالجون
انفسهم بخلاف الافضل لشدة الخوف فالاقتدا ينبغي ان يكون بالاقويا واما اطباق ابراهيم النخعي المصحف
يمكن ان يعلم انه سيحتاج الى ترك القراءة عند دخوله واستينافه بعد خروجه للاشتغال بمكالمته فرأى
ان لا يراه في القراءة الا بعدا عن الريا وهو عازم على الترك للاشتغال به حتى يعود اليه بعد ذلك واما
ترك رفع الاذى فذلك مما يخاف على نفسه آفة الشهرة واقبال الناس عليه وشغلهم اياه عن عبادات
واقبال الناس عليه وشغلهم اياه عن عبادات هي اكثر من رفع خشبة الطريق فيكون ترك ذلك
للمحافظة على عبادات اكثر منها لا لمجرد خوف الريا واما قول التيمي اذا اعجبك الكلام فاسكت يجوز ان
يكون قد اراد به مباحات الكلام كالفصاحة في الحكايات وغيرها فان ذلك يورث العجب وكذلك
العجب بالسكوت المباح محذور فهو عدول من مباح الى مباح حذرا من العجب فاما الحق المندوب اليه
فلم ينص عليه على ان الآفة مما تعظم في الكلام فهو واقع في القسم الثاني وانما كلامنا في العبادات الخاصة
ببدن العبد مما لا يتعلق بالناس ولا تعظم فيه الآفات ثم كلام الحسن في تركهم البكا واماطة
الاذى تخوفا من الشهرة ربما كان حكاية احوال الضعفا الذين لا يعرفون الافضل ولا يدركون هذه الدقائق
وانما ذكره تخويفا للناس من آفة الشهرة **القسم الثاني** ما يتعلق بالخلق وتعظم فيه الآفات و
الاخطار واعظمها الخلافة ثم القضا ثم التذكير والتدريس والفتوى ثم انفاق المال اما الخلافة و
الامارة فهي من افضل العبادات اذا كان ذلك مع العدل والاخلاص وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
ليوم من امام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين عاما فاعظم بعبادة يوم يوازي يوم منها عبادة
ستين سنة وقال صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة ثلاثة الامام المقسط احدهم وقال ابو هريرة قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يرد دعوتهم الامام العادل احدهم وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اقرب الناس مني مجلسا يوم القيامة امام عادل رواه ابو سعيد الخدري فالامارة والخلافة من
اعظم العبادات ولم يزل المتقون يتركونها ويحترزون من تقلدها وذلك لما فيها من عظيم الخطر
اذ تتحرك بها الصفات الباطنة ويغلب على النفس حب الجاه ولذة الاستيلا ونفاذ الامر وهو اعظم ملاذ
الدنيا فاذا صارت الولاية محبوبة كان الوالي ساعيا في حظ نفسه ويوشك ان يتبع هواه فيمتنع من كل
ما يقدح في جاهه وولايته وان كان حقا ويقدم على ما يزيد في مكانته وان كان باطلا وعند ذلك
يهلك ويكون يوم من سلطان جائر شرا من فسق ستين سنة بمفهوم الحديث الذي ذكرناه ولهذا الخطر
العظيم كان عمر رضي الله عنه يقول من ياخذها بما فيها وكيف وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من
والي عشرة الا جا يوم القيامة مغلولة يده الى عنقه اطلقه عدله او اوبقه جوره وولاه معقل بن يسار
ولاه عمر ولاية فقال يا امير المؤمنين اشر علي قال اجلس واكتم علي وروي الحسن ان رجلا ولاه النبي
صلى الله عليه وسلم فقال للنبي صلى الله عليه وسلم خر لي قال اجلس وكذلك حديث عبد الرحمن ابن
سمرة اذ قال النبي صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسال الامارة فانك ان اوتيتها عن غير مسالة
اعنت عليها وان اوتيتها عن مسالة وكلت اليها وقال ابو بكر رضي الله عنه لرافع بن عمر لا تامر على اثنين
ثم ولي هو الخلافة فقام بها فقال له رافع الم تقل لي لا تامر على اثنين وانت قد وليت امة محمد
صلى الله عليه وسلم فقال بلى وانا اقول لك ذلك فمن لم يعدل فيها فعليه بهلة الله يعني لعنة الله
ولعل القليل البصيرة يرى ما ورد من فضل الامارة مع ما ورد من النهي عنها متناقضا وليس كذلك بل
الحق فيه ان الخواص الاقويا في الدين لا ينبغي ان يمتنعوا من تقلد الولايات وان الضعفا لا ينبغي ان يدوروا
بها فيهلكوا واعني بالقوي الذي لا تميله الدنيا ولا يستفزه الطمع ولا تاخذه في الله لومة لايم وهم الذين
سقط الخلق من اعينهم وزهدوا في الدنيا وتبرموا بها وبمخالطة الخلق وقهروا انفسهم وملكوها
وقمعوا الشيطان فايس منهم فهولا لا يحركهم الا الحق ولا يسكنهم الا الحق ولو زهقت فيه ارواحهم
فهم اهل نيل الفضل في الامارة والخلافة ومن علم انه ليس بهذه الصفة فيحرم عليه الخوض في الولايات ومن
جرب نفسه فراها صابرة على الحق كافة عن الشهوات في غير الولاية ولكن خاف عليها ان تتغير اذا ذاقت
لذة الولاية وان تستحلي الجاه وتستلذ نفاذ الامر فتكره العزل فيداهن خيفة العزل فهذا قد اختلف
العلما في انه هل يلزمه الهرب من تقلد الولاية فقال قائلون لا يجب لان هذا خوف امر في المستقبل وهو
في الحال لم يعهد نفسه الا قوية في ملازمة الحق وترك لذات النفس والصحيح ان عليه الاحتراز لان
النفس خداعة مدعية للحق واعدة بالخير فلو وعدت بالخير جزما لكان يخاف عليها ان تتغير عند الولاية
فكيف اذا اظهرت التردد والامتناع عن قبول الولاية اهون من العزل بعد الشروع فالعزل مولم وهو كما قيل
العزل طلاق الرجال فاذا شرع لا تسمح نفسه بالعزل وتميل نفسه الى المداهنة واهمال الحق وتهوي به
في قعر جهنم ولا يستطيع النزوع منه الى الموت الا ان يعزل قهرا وكان فيه عذاب عاجل على كل محب للولاية
ومهما مالت النفس الى طلب الولاية وحملت على السوال والطلب فهو امارة الشر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
لا نولي امرنا من سالنا فاذا فهمت اختلاف حكم القوي والضعيف علمت ان نهي ابي بكر لرافع عن الولاية ثم تقلده
لها ليس بمتناقض اما القضا فهو وان كان دون الخلافة والامارة فهو في معناها فان كل ذي ولاية امير اي له
امر نافذ والامارة محبوبة بالطبع والثواب في القضا عظيم مع اتباع الحق والعقاب فيه ايضا عظيم مع العدول

عن الحق وقد قال صلى الله عليه وسلم القضاة ثلاثة واحد في الجنة واثنان في النار وقال من استقضي
فقد ذبح بغير سكين فحكم الامارة ينبغي ان يتركه الضعفا وكل من الدنيا ولذتها وقرت في عينه وليتقلده الاقويا
الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم ومهما كان السلاطين ظلمة ولم يقدر القاضي على القضا الا بمداهنتهم و
اهمال بعض الحقوق لاجلهم ولاجل المتعلقين بهم اذ يعلم انه لو حكم عليهم بالحق لعزلوه او لم يطيعوه فليس له
ان يتقلد القضا وان تقلده فعليه ان يطالبهم بالحقوق ولا يكون خوف العزل عذرا له مرخصا له في الاهمال
اصلا بل اذا عزل سقطت العهدة عنه فينبغي ان يفرح بالعزل ان كان يقضي لله فان لم تسمح نفسه بذلك فهو اذا يقضي
لاتباع الهوى والشيطان فكيف يترقب عليه ثوابا وهو مع الظلمة في الدرك الاسفل من النار واما الوعظ
والفتوى والتدريس ورواية الاحاديث وجمع الاسانيد العالية وكل ما يتسع بسببه الجاه ويعظم به
القدر فآفته ايضا عظيمة مثل آفة الولايات وقد كان الخائفون من السلف يتدافعون الفتوى ما وجدوا
اليه سبيلا وكانوا يقولون حدثنا باب من ابواب الدنيا ومن قال حدثنا فقد قال اوسعوا لي وكان بعضهم قد
كدّس قمطرا من الحديث فقال ما يمنعني ان احدث ولو اشتهيت ان لا احدث لحدثت والواعظ يجد في وعظه
وتأثر قلوب الناس وتلاحق بكائهم وزعقاتهم واقبالهم عليه لذة لا توازيها لذة فاذا غلب ذلك على قلبه مال
طبعه الى كل كلام مزخرف يروج عند العوام وان كان باطلا وينفر عن كل كلام حق يستثقله العوام وان
كان حقا ويصير مصروف الهمة بالكلية الى ما يحرك قلوب العوام ويعظم منزلته في قلوبهم فلا يسمع حديثا
وحكمة الا ويكون فرحه به من حيث انه يصلح لان يذكره على راس المنبر وكان ينبغي ان يكون فرحه به من حيث انه عرف
طريق السعادة وطريق سلوك سبيل الدين ليعمل به اولا ثم يقول اذا انعم الله تعالى علي بهذه النعمة ونفعني
بهذه الحكمة فاقتضيها ليشاركني في نفعها اخواني المسلمين فهذا ايضا مما يعظم فيه الخوف والفتنة فحكمه
حكم الولايات فمن لا باعث له الا طلب الجاه والمنزلة والاكل بالدين والتفاخر والتكاثر فينبغي ان يتركه ويخالف
الهوى فيه الى ان ترتاض نفسه وتقوى في الدين همته ويأمن على نفسه الفتنة فعند ذلك يعود اليه فان
قلت مهما حكم بذلك على اهل العلم تعطلت العلوم واندرست وعم الجهل كافة الخلق فنقول لقد نهى رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن طلب الامارة وتوعد عليها حتى قال انكم تحرصون على الامارة وانها حسرة يوم القيمة وندامة
الا من اخذها بحقها وقال نعمت المرضعة وبئست الفاطمة ومعلوم ان السلطنة والامارة لو تعطلت لبطل
الدين والدنيا جميعا وثار القتال بين الخلق وزال الامن وخربت البلاد وتعطلت المعايش فلم نهى عنها مع ذلك
وضرب عمر رضي الله عنه ابي بن كعب حين راى قوما يتبعونه وهو في ذلك يقول ابي سيد المسلمين وكان
يقرا عليه القران فمنع من ان يتبعوه وقال ذلك فتنة على المتبوع ومذلة على التابع وعمر كان بنفسه
يخطب ويعظ ولا يمتنع منه واستاذن رجل عمر ان يعظ الناس اذا فرغ من صلاة الصبح فمنعه فقال اتمنعني
من نصح الناس فقال اخشى ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا اذ راى فيه مخائل الرغبة في جاه الوعظ وقبول الخلق و
القضا والخلافة مما يحتاج الناس اليه في دينهم كالوعظ والتدريس والفتوى وفي كل واحد منهم
فتنة ولذة ولا فرق بينهما واما قول القائل ان نهيك عن ذلك يؤدي الى اندراس العلم فهو غلط اذ
نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القضا لم يؤد الى تعطل القضا بل الرياسة وحبها يضطر الخلق الى
طلبها وكذلك حب الرياسة لا يترك العلوم تندرس بل لو حبس الناس وقيدوا بالسلاسل والاغلال
عن طلب العلوم التي فيها الرياسة لافلتوا من الحبس وقطعوا السلاسل وطلبوها وقد وعد الله تعالى
ان يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم ولا تشغل قلبك بامر الناس فان الله تعالى لا يضيعهم وانظر لنفسك

ثم انا نقول مع هذا اذا كان في البلد جماعة يقومون بالوعظ مثلا فليس في النهي عنه الا امتناع بعضهم
والا فنعلم ان كلهم لا يمتنعون ولا يتركون لذة الرياسة فان لم يكن في البلد الا واحد وكان وعظه نافعا
للناس من حيث حسن كلامه وحسن سمته في الظاهر وتخيله الى العوام انه انما يريد الله بوعظه وانه تارك
للدنيا ومعرض عنها فلا نمنعه منه ونقول له اشتغل وجاهد نفسك فان قال لست اقدر على نفسي فنقول له
اشتغل وجاهد لانا نعلم انه لو ترك ذلك لهلك الناس كلهم اذ لا قائم به غيره ولو واظب وغرضه الجاه فهو
الهالك وحده وسلامة دين الجميع احب عندنا من سلامة دينه وحده فنجعله فدا للقوم ونقول لعل هذا هو
الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم ثم الواعظ هو الذي
يرغب في الاخرة ويزهد في الدنيا بكلامه وبظاهر سيرته فاما ما احدثه الوعاظ في هذه الاعصار من الكلمات
المزخرفة والالفاظ المسجعة المقرونة بالاشعار وما ليس فيه تعظيم لامر الدين وتخويف للمسلمين بل فيه الترجية
والتجرئة على المعاصي بطيارات النكت فيجب اخلا البلاد منهم فانهم نواب الدجال وخلفا الشيطان وانما كلامنا
في واعظ حسن الوعظ جميل الظاهر يبطن في نفسه حب القبول ولا يقصد غيره وفيما اوردناه في كتاب العلم
من الوعيد الوارد في حق علما السو ما يبين لزوم الحذر من فتن العلم وغوائله ولهذا قال عيسى عليه
السلام يا علما السو تصومون وتصلون وتتصدقون ولا تفعلون ما تامرون وتدرسون ما لا تعملون فيا سو
ما تحكمون تتوبون بالقول والاماني وتعملون بالهوى وما يغني عنكم ان تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق اقول
لكم لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى فيه النخالة كذلك انتم تخرجون الحكمة من افواهكم ويبقى
الغل في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الاخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته
بحق اقول ان قلوبكم تبكي من اعمالكم جعلتم الدنيا تحت السنتكم والعمل تحت اقدامكم بحق اقول لكم افسدتم اخرتكم
فصلاح الدنيا احب اليكم من صلاح الاخرة فاي الناس اخس منكم لو تعلمون ويلكم حتى متى تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون
في محلة المتحيرين كانكم تدعون اهل الدنيا ليتركوها لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم ان يوضع السراج
فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يغني عنكم ان يكون نور العلم بافواهكم واجوافكم منه وحشة معطلة يا
عبيد الدنيا لا كعبيد اتقيا ولا كاحرار كرام توشك الدنيا ان تقلعكم عن اصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم على
مناخركم ثم تاخذ خطاياكم بنواصيكم ثم يدفعكم العلم من خلفكم ثم يسلمكم الى الملك الديان عراة فرادى فيوقفكم على
سواتكم ثم يجزيكم بسو اعمالكم فقد روى الحارث المحاسبي هذا الحديث في بعض كتبه ثم قال هؤلاء
علما السو شياطين الانس وفتنة على الناس رغبوا في عرض الدنيا ورفعتها واثروها على الاخرة واذلوا الدين للدنيا
فهم في العاجل عار وشين وفي الاخرة هم الخاسرون **فان قلت** فهذه الافات ظاهرة ولكن ورد في العلم والوعظ
رغائب كثيرة حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان يهدي الله بك رجلا خير لك من الدنيا وما فيها وقال
صلى الله عليه وسلم ايما داع دعا الى هدى واتبع عليه كان له اجره واجر من اتبعه الى غير ذلك من فضائل العلم فينبغي ان
يقال للعالم اشتغل بالعلم واترك مراياة الخلق كما يقال لمن خطر له الريا في الصلاة لا تترك العمل ولكن اتمم العمل وجاهد
فاعلم ان فضل العلم كثير وخطره عظيم كفضل الخلافة والامارة ولا نقول لاحد من عباد الله تعالى اترك العلم اذ
ليس في نفس العلم افة وانما الافة في اظهاره بالتصدي للوعظ والتدريس ورواية الاحاديث ولا نقول له ايضا اتركه
ما دام يجد في نفسه باعثا دينيا ممزوجا بباعث الريا فاما اذا لم يحركه الا الريا فترك الاظهار انفع له واسلم وكذلك نوافل
الصلوات اذا تجرد فيها باعث الريا وجب تركها اما اذا خطر له وساوس الريا في اثنا الصلاة وهو لها كاره فلا
يترك الصلاة لان افة الريا في العبادات ضعيفة وانما تعظم في الولايات وفي التصدي للمناصب الكبيرة في العلم

وبالجملة فالمراتب ثلاث الاولى الولايات والآفات فيها عظيمة وقد تركها جماعة من السلف خوفا من الآفة **الثانية**
الصلاة والصوم والحج والغزو وقد تعرض لها اقوياء السلف وضعفاؤهم ولم يؤثر عنهم الترك لخوف الآفة
وذلك لضعف الآفات الداخلة والقدرة على نفيها مع اتمام العمل لله بادنى قوة **الرتبة الثالثة**
وهي متوسطة بين الرتبتين وهو التصدي لمنصب الوعظ والفتوى والرواية والتدريس والآفات فيها اقل
مما في الولايات واكثر مما في الصلوات فالصلاة ينبغي ان لا يتركها الضعيف والقوي ولكن يدفع خاطر الرياء والولايات
ينبغي ان يتركها الضعفاء اصلا دون الاقوياء ومناصب العلم بينهما ومن جرب آفات منصب العلم علم انه بالولايات
اشبه وان الحذر منه في حق الضعيف اسلم والله اعلم وههنا رتبة رابعة وهي جمع المال واخذه للتفرقة
على المستحقين فان في الانفاق واظهار السخاء استجلابا للثناء وفي ادخال السرور على قلوب الناس لذة للنفس والآفات
فيها ايضا كثيرة ولذلك سئل الحسن عن رجل طلب القوت ثم امسك وآخر طلب فوق قوته ثم تصدق به فقال
القاعد افضل لما يعرفون من قلة السلامة في الدنيا وان من الزهد تركها قربة الى الله وقال ابو الدرداء
ما يسرني اني اقمت على درج مسجد دمشق اصيب كل يوم خمسين دينارا اتصدق بها اما اني لا احرم البيع والشراء
ولكني اريد ان اكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وقد اختلف العلماء فقال قوم اذا طلب الدنيا
من الحلال وسلم منها وتصدق بها فهو افضل من ان يشتغل بالعبادات والنوافل وقال قوم الجلوس في دوام
ذكر الله افضل والاخذ والاعطاء يشغل عن الله عز وجل وقد قال المسيح عليه السلام يا طالب الدنيا ليبر
بها تركك لها ابر وقال اقل ما فيه ان يشغله اصلاحه عن ذكر الله وذكر الله افضل واكبر وهذا فيمن سلم من الآفات
فاما من يتعرض لآفة الرياء فتركه لها ابر والاشتغال بالذكر لا خلاف في انه افضل وبالجملة ما يتعلق بالخلق وللنفس
فيه لذة فهو مثار الآفات والاحب ان يعمل ويدفع الآفات فان عجز فلينظر وليجتهد وليستفت قلبه و
ليزن ما فيه من الخير بما فيه من الشر وليفعل ما يدل عليه نور العلم دون ما يميل اليه الطبع وبالجملة ما يجده اخف
على قلبه فهو في الاكثر اضر عليه لان النفس لا تشير الا بالشر وقل ما تستلذ الخير وتميل اليه وان كان لا يبعد ذلك
ايضا في بعض الاحوال وهذه امور لا يمكن الحكم على تفاصيلها بنفي ولا اثبات فهو موكول الى اجتهاد القلب لينظر
فيه لدينه ويدع ما يريبه الى ما لا يريبه ثم قد يقع مما ذكرناه غرور للجاهل فيمسك المال ولا ينفقه خيفة من
الآفة وهو عين البخل ولا خلاف في ان تفرقة المال في المباحات فضلا عن الصدقات افضل من امساكه وانما
الخلاف في من يحتاج الى الكسب ان الافضل ترك الكسب والانفاق او التجرد للذكر وذلك لما في الكسب من الآفات
فاما المال الحاصل من الحلال فتفرقته افضل من امساكه بكل حال **فان قلت** وباي علامة يعرف العالم والواعظ
انه صادق مخلص في وعظه غير مريد رياء الناس فاعلم ان لذلك علامات احداها انه لو ظهر من هو احسن منه وعظا
او اغزر منه علما والناس له اشد قبولا فرح به ولم يحسده نعم لا بأس بالغبطة وهو ان يتمنى لنفسه مثل علمه والاخرى
ان الاكابر اذا حضروا مجلسه لم يتغير كلامه بل بقي كما كان عليه فينظر الى الخلق بعين واحدة والاخرى ان لا يحب
اتباع الناس له في الطريق والمشي خلفه في الاسواق ولذلك علامات كثيرة يطول احصاؤها وقد روي عن
سعيد بن ابي مروان قال كنت جالسا الى جنب الحسن اذ دخل علينا الحجاج من بعض ابواب المسجد ومعه الحرس وهو على
برذون اصفر فدخل المسجد على برذونه فجعل يلتفت في المسجد فلم ير حلقة احفل من حلقة الحسن فتوجه نحوها حتى
بلغ قريبا منها ثم ثنى وركه قال سعيد وتجافيت له ايضا عن ناحية مجلسي حتى صار بيني وبين الحسن فرجة ومجلس
للحجاج فجاء الحجاج حتى جلس بيني وبينه والحسن يتكلم بكلام له يتكلم به في كل يوم فما قطع الحسن كلامه قال سعيد فقلت
في نفسي لابلون الحسن اليوم انظر هل يحمل الحسن جلوس الحجاج اليه ان يزيد في كلامه يتقرب اليه او يحمل الحسن

هيبة الحجاج ان ينقص من كلامه فتكلم الحسن كلاما واحدا نحوا مما كان يتكلم به حتى انتهى الى آخر كلامه فلما فرغ
الحسن من كلامه وهو غير مكترث به رفع الحجاج يده فضرب بها على منكب الحسن ثم قال صدق الشيخ وبر فعليكم بهذه
المجالس واشباهها فاتخذوها حلقا وعادة فانه بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مجالس الذكر رياض الجنة
ولولا ما حملناه من امر الناس ما غلبتمونا على هذه المجالس لمعرفتنا بفضلها قال ثم افتر الحجاج فتكلم حتى عجب الحسن
ومن حضر من بلاغته فلما فرغ طفق فقام فجاء رجل من اهل الشام الى مجلس الحسن حيث قام الحجاج فقال عباد الله المسلمين
الا تعجبون اني رجل شيخ كبير واني اغزو فاكلف فرسا وبغلا واكلف فسطاطا وان لي ثلاث مائة درهم من العطاء
وعلي سبع بنات من العيال فشكى من حاله حتى رق له الحسن واصحابه والحسن مكب فلما فرغ الرجل من كلامه
رفع الحسن راسه فقال ما لهم قاتلهم الله اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا وقتلوا الناس على
الدينار والدرهم فاذا غزا عدو الله غزا في الفساطيط الهبابة وعلى البغال السباقة واذا غزا اخاه غزا طاويا
راجلا فما فتر الحسن حتى ذكرهم باقبح العيب واشده فقام رجل من اهل الشام كان جالسا الى الحسن فسعى
به الى الحجاج وحكى له كلامه فلم يلبث الحسن ان اتته رسل الحجاج فقالوا اجب الامير فقام الحسن واشفقنا
عليه من شدة كلامه الذي تكلم به فلم يلبث الحسن ان رجع الى مجلسه وهو يتبسم وقلما رايته فاغرا فاه
يضحك انما كان يتبسم فاقبل حتى قعد في مجلسه فعظم الامانة وقال انما تجالسون بالامانة كانكم تظنون
ان الخيانة ليست الا في الدينار والدرهم ان الخيانة اشد الخيانة ان يجالسنا الرجل فنطمئن الى جانبه
ثم ينطلق فيسعى بنا الى شرارة من نار اني اتيت هذا الرجل فقال اقصر عليك من لسانك وقولك اذا غزا عدو
الله غزا كذا وكذا واذا غزا اخاه غزا كذا لا ابا لك تحرض علينا الناس اما انا على ذلك لا نتهم نصيحتك فاقصر عليك
من لسانك قال فدفعه الله عنه وركب الحسن حمارا يريد المنزل فبينما هو يسير اذ التفت فرأى قوما يتبعونه
فوقف فقال هل لكم من حاجة او تسألون عن شيء والا فارجعوا فما يبقي هذا من قلب العبد فبهذه العلامات
وامثالها يتبين سريرة الباطن ومهما رأيت العلماء يتغايرون ويتحاسدون ولا يتواسون ولا يتعاونون
فاعلم انهم قد اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون **بيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة** بسبب رؤية الخلق وما لا يصح اعلم ان الرجل قد يبيت مع القوم في موضع
فيقوم بعضهم للتهجد او يقوم بعضهم فيصلون الليل كله او بعضه وهو ممن يقوم في بيته ساعة
قريبة فاذا رآهم انبعث نشاطه للموافقة حتى يزيد على ما كان يعتاده او يصلي مع انه كان لا يعتاد الصلاة
بالليل اصلا وكذلك قد يقع في موضع يصوم فيه اهل الموضع فينبعث له نشاط في الصوم ولولاهم
لما انبعث هذا النشاط فهذا ربما يظن انه رياء وان الواجب ترك الموافقة وليس كذلك على الاطلاق بل له
تفصيل لان كل مؤمن راغب في عبادة الله تعالى وفي قيام الليل وصيام النهار ولكن قد تعوقه العوائق
وتمنعه الاشغال ويغلبه التمكن من الشهوات او تستهويه الغفلة فربما تكون مشاهدة الغير
سبب زوال الغفلة او تندفع العوائق والاشغال في بعض المواضع فينبعث النشاط فقد يكون الرجل في
منزله فتقطعه الاسباب عن التهجد مثل تمكنه من النوم على فراش وثير او تمكنه من التمتع بزوجته او المحادثة
مع اهله واقاربه او الاشتغال باولاده او مطالعة حساب له مع معامليه فاذا وقع في منزل غريب اندفعت
هذه الشواغل التي تفتر رغبته في الخير وحصلت له اسباب باعثة على الخير كمشاهدته اياهم قد اقبلوا
على الله واعرضوا عن الدنيا فانه ينظر اليهم فينافسهم ويشق عليه ان يسبقوه بطاعة الله تعالى
فتتحرك داعيته للدين لا للرياء او ربما يفارقه النوم لاستنكاره الموضع او بسبب آخر فيغتنم زوال النوم

وفي منزله ربما يغلبه النوم ويتضاقل عليه الا في صلاته على الدوام والتنفل لا تسمح بالتهجد دايما وتسمح بالتهجد
وقتا قليلا فيكون ذلك بسبب هذا النشاط مع اندفاع سائر العوايق وقد يعجز عليه الصوم في منزله ومعه
اطايب الاطعمة ويشق عليه الصبر عنها فاذا اعوزته تلك الاطعمة لم يشق عليه فينبعث داعية الدين
للصوم فان الشهوات الحاضرة عوايق ودوافع تغلب باعث الدين فاذا اسلم عنها قوي الباعث فهذا وامثاله
من الاسباب يتصور وقوعه ويكون السبب فيه مشاهدة الناس وكونه معهم والشيطان عند ذلك
ربما يصد عن العمل ويقول لا تعمل فانك تكون مرائيا اذ كنت لا تعمل في بيتك ولا تزيد على صلاتك المعتادة وقد
يكون رغبته في الزيادة لاجل رؤيتهم وخوفا من ذمهم ونسبتهم اياه الى الكسل لا سيما اذا كانوا يظنون
به انه يقوم الليل فان نفسه لا تسمح بان يسقط من اعينهم فيريد ان يحفظ منزلته وعند ذلك قد
يقول الشيطان صل فانك مخلص ولست تصلي لاجلهم بل لله تعالى وانما كنت لا تصلي كل ليلة لكثرة
العوايق وانما داعيك لزوال العوايق لا لاطلاعهم وهذا امر مشتبه الا على ذوي البصاير فاذا عرف
ان المحرك هو الريا فلا ينبغي ان يزيد على ما كان يعتاده ولا ركعة واحدة لانه يعصي الله تعالى بطلب محمدة الناس
بطاعة الله تعالى وان كان انبعاثه لدفع العوايق وتحرك الغبطة والمنافسة بسبب عبادتهم فليوافق
وعلامة ذلك ان يعرض على نفسه انه لو راى هولاء يصلون من حيث لا يرونه بل من وراء حجاب وهو في ذلك
الموضع بعينه هل كانت تسخو نفسه بالصلاة وهم لا يرونه فان سخت نفسه فليصل فان باعثه الحق
وان كان يثقل ذلك على نفسه لو غاب عن اعينهم فليترك فان باعثه الريا وكذلك قد يحضر الانسان
يوم الجمعة في الجامع من نشاط الصلاة ما لا يحضره كل يوم ويمكن ان يكون ذلك لحب حمدهم ويمكن ان يكون
ذلك لتحرك نشاطه بسبب نشاطهم وزوال الغفلة بسبب اقبالهم على الله تعالى وقد يتحرك بذلك
باعث الدين ويقارنه نزوع النفس الى حب الحمد فمهما علم ان الغالب على قلبه ارادة الدين فلا ينبغي ان يترك
العمل بما يجده من حب الحمد بل ينبغي ان يرد ذلك على نفسه بالكراهة ويشتغل بالعبادة وكذلك قد
يبكي جماعة فينظر اليهم فيحضره البكا خوفا من الله تعالى لا من الريا ولو سمع ذلك الكلام وحده لما بكى
ولكن بكا الناس يوثر في ترقيق القلب وقد لا يحضره البكا فيتباكى تارة ريا وتارة مع الصدق اذ يخشى
على نفسه قساوة القلب حين يبكون ولا تدمع عينه فيتباكى تكلفا وذلك محمود وعلامة الصدق فيه ان
يعرض على نفسه انه لو سمع بكاءهم من حيث لا يرونه هل كان يخاف على نفسه القساوة فيتباكى ام لا فان لم يجد ذلك
عند تقدير الاختفا عن اعينهم فانما خوفه من ان يقال انه قاسي القلب فينبغي ان يترك التباكي قال
لقمان لابنه لا تري الناس انك تخشى الله ليكرموك وقلبك فاجر وكذلك الصيحة والتنفس والانين عند
القران او الذكر او بعض مجاري الاحوال تارة يكون من الصدق والحزن والخوف والندم والتاسف وتارة يكون
لمشاهدة حزن غيره وقساوة قلبه فيتكلف التنفس والانين ويتحازن وذلك محمود وقد يقترن به
الرغبة فيه لدلالته على انه كثير الحزن ليعرف بذلك فان تجردت هذه الداعية فهي الريا وان اقترنت بباعث
الحزن فان اباها ولم يقبلها وكرهها سلم بكاؤه وتباكيه وان قبل ذلك وركن اليه بقلبه حبط اجره وضاع
سعيه وتعرض لسخط الله به وقد يكون اصل الانين عن الحزن ولكن يمده ويزيد في رفع الصوت فتلك
الزيادة ريا وهو محظور لانها في حكم الابتدا بمجرد الريا فقد يهيج من الخوف ما لا يملك العبد معه نفسه ولكن
يسبق خاطر الريا فيزيد في الصوت او يرفع له او يحفظ الدمعة على الوجه لاجل الريا وكذلك قد يسمع الذكر فيضعف
قواه من الخوف فيسقط ثم يستحيي ان يقال انه سقط من غير زوال العقل وحالة شديدة فيزعق ويتواجد تكلفا ليري

انه سقط لكونه مغشيا عليه وقد كان ابتدا السقطة عن صدق وقد يزول عقله فيسقط ولكن يفيق سريعا
فتجزع نفسه ان يقال حالته غير ثابتة وانما هي كبرق خاطف فيستديم الصعق والانين والرقص ليري
دوام حاله وكذلك قد يفيق بعد الضعف ولكن يزول ضعفه سريعا فيجزع ان يقال لم تكن غشيته صحيحة ولو
كان لدام ضعفه فيستديم اظهار الضعف والانين فيتكي على غيره يري انه يضعف عن القيام ويتمايل في المشي
ويقرب الخطا ليظهر انه ضعيف عن سرعة المشي فهذه كلها مكايد الشيطان ونزغات النفس فاذا خطرت
فعلاجها ان يتذكر ان الناس لو عرفوا نفاقه في الباطن واطلعوا على ضميره لمقتوه وان الله تعالى مطلع على
ضميره وهو له اشد مقتا كما حكي عن ذي النون انه قام وزعق فقام معه شيخ راى فيه اثر التكلف فقال
يا شيخ الذي يراك حين تقوم فجلس الشيخ وكل ذلك من اعمال المنافقين وقد جا في الخبر تعوذوا بالله من خشوع
النفاق وانما خشوع النفاق ان تخشع الجوارح والقلب غير خاشع ومن ذلك الاستغفار والاستعاذة
بالله من عذابه وغضبه فان ذلك قد يكون لخاطر خوف وتذكر ذنب وتندم عليه وقد يكون لخاطر خوف و
تذكر ذنب وتندم عليه وقد يكون للمراياة فهذه خواطر ترد على القلب متضادة متعاقبة متقاربة وهي مع
تقاربها متشابهة فراقب قلبك في كل ما يخطر لك وانظر ما هو ومن اين هو فان كان لله فامضه واحذر مع ذلك
ان يكون قد خفي عليك شي من الريا الذي هو كدبيب النمل وكن على وجل من عبادتك اهي مقبولة ام لا لخوفك على
الاخلاص فيها واحذر ان يتجدد لك خاطر الركون الى حمد الناس بعد الشروع بالاخلاص فان ذلك مما يكثر جدا فاذا
خطر لك فتفكر في اطلاع الله عليك ومقته لك وتذكر ما قاله احد الثلاثة نفر الذين حاجوا ايوب عليه
السلام اذ قال يا ايوب اما علمت ان العبد تضل عنه علانيته التي كان يخادع بها عن نفسه ويجزى بسريرته
وقول بعضهم اعوذ بك ان يرى الناس اني اخشاك وانت تمقتني وكان من دعا علي بن الحسين رضي الله عنه
اللهم اني اعوذ بك ان تحسن في لوامع العيون علانيتي وتقبح لك فيما اخلو سريرتي محافظا على ريا الناس من نفسي
ومضيعا لما انت مطلع عليه مني ابدي للناس احسن امري وافضي اليك باسوا عملي تقربا الى الناس بحسناتي وفرارا
منهم اليك بسيئاتي فيحل بي مقتك ويجب علي غضبك اعذني من ذلك يا رب العالمين وقد قال احد الثلاثة
نفر لايوب عليه السلام يا ايوب الم تعلم ان الذين حفظوا علانيتهم واضاعوا سرايرهم عند طلب الحاجات
الى الرحمن تسود وجوههم فهذه جمل افات الريا فليراقب العبد قلبه ليقف عليها ففي الخبر ان للريا سبعين بابا
وقد عرفت ان بعضه اغمض من بعض حتى ان بعضه مثل دبيب النمل وبعضه اخفى من دبيب النمل وكيف يدرك
ما هو اخفى من دبيب النمل الا بشدة التفقد والمراقبة وليته ادرك بعد بذل المجهود فكيف يطمع في ادراكه
من غير تفقد للقلب وامتحان للنفس وتفتيش عن خدعها

بيان ما ينبغي للمريد ان يلزم نفسه قبل العمل وبعده وفيه

اعلم ان اولى ما يلزم المريد قلبه في سائر اوقاته القناعة بعلم الله تعالى
في جميع طاعاته ولا يقنع بعلم الله الا من لا يخاف الا الله ولا يرجو الا الله فاما من خاف غيره وارتجاه اشتهى اطلاعه
على محاسن احواله فان كان في هذه الرتبة فليلزم قلبه كراهة ذلك من جهة العقل والايمان لما فيه من خطر التعرض
للمقت وليراقب نفسه عند الطاعات العظيمة الشاقة التي لا يقدر عليها غيره فان النفس عند ذلك تكاد تغلي
حرصا على الافشا وتقول مثل هذا العمل العظيم او الخوف العظيم او البكا العظيم لو عرفه الخلق منك لسجدوا لك
فما في الخلق من يقدر على مثله فكيف ترضى باخفايه فيجهل الناس محلك وينكرون قدرك ويحرمون الاقتدا بك
ففي مثل هذا الامر ينبغي ان يثبت قدمه ويتذكر في مقابلة عظم عمله عظم ملك الاخرة ونعيم الجنة ودوامه ابد
الاباد وعظم غضب الله ومقته على من طلب بطاعته ثوابا من عباده ويعلم ان اظهاره لغيره محبب اليه وسقوط

عند الله واحباط العمل العظيم بتقول وكيف يسلم هذا العمل بحمد الخلق وهو عاجز عن لا يقدر على شي
ورزق ولا اجل فيلزم ذلك قلبه ولا ينبغي ان يأنس عنه فيتقي انما يقدر على الاخلاص اذ يا فاما المخالط فليس
ذلك من شانهم فيترك المجاهدة في الاخلاص لان المخالطة الى ذلك احوج من المتقي لان المتقي ان نحن نوافله بقيت
فرايضه كاملة تامة والمخالط لا يخلو فرايضه من النقصان والحاجة الى الجبران بالنوافل فان لم يسلم صار ما
حذوا بالفرايض وهلك به فالمخالط الى الاخلاص احوج وقد روي تميم الداري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
يحاسب العبد يوم القيمة فان نقص فرضه قيل انظروا هل له من تطوع فان كان له تطوع اكمل به فرضه فان لم يكن
له تطوع اخذ بطرفيه فالقي في النار فيا في المخالط يوم القيمة وفرضه ناقص وعليه ذنوب كثيرة واحتياجه في جبر
الفرايض وتكفير السيئات ولا يمكن ذلك الا بخلوص من النوافل واما المتقي فجهده في زيادة الدرجات فان حط تطوعه
بقي من حسناته ما يترجح على السيئات فيدخل الجنة فاذا ينبغي ان يلزم قلبه خوف اطلاع الله تعالى عليه المقع
نوافله ثم يلزم قلبه ذلك بعد الفراغ حتى لا يتحدث به ولا يظهره واذا فعل جميع ذلك فينبغي ان يكون وجلا
من عمله خائفا انه ربما دخله من الريا الخفي ما لم يقف عليه فيكون شاكا في قبوله ورده مجوزا ان يكون مستغنيا لا بدا
ان يخلص ما يريد بعمله الا الله تعالى حتى يجمع عمله فاذا شرع ومضت لحظة يمكن فيها الغفلة والنسيان كان
من الغفلة والنسيان كان لا يخرف من الغفلة عن شائبة خفية احبطت عمله من ريا او عجب الخ بل ولكن يكون
رجاوه اغلب وخوفه لانه استيقن انه دخل بالاخلاص وشك فانه هل افسده بريا فيكون رجا القبول اغلب وبذلك
تعظم لذته في المناجاة والطاعات فالاخلاص يقين والريا شك وخوفه لاجل ذلك الشك جدير بان يكفر خاطر
الريا ان كان قد سبق وهو غافل عنه والذي يتقرب الى الله تعالى بالسعي في قضاء حوايج الناس وافادة العلم
ينبغي ان يلزم نفسه رجا الثواب على دخول السرور على قلب من قضى حاجته فقط ورجا الثواب على عمل المتعلم بعلمه
فقط دون شكر ومكافاة وحمد وثناء من المتعلم والمنعم عليه فان ذلك يحبط الاجر فمهما توقع من المتعلم مساعدة
في شغل وحضور او رافقه في المشي في الطريق ليستكثر باستتباعه او ترددا منه في حاجة فقد اخذ اجره
فلا ثواب له غيره نعم ان لم يتوقع هو ولم يقصد الا الثواب على عمله بعلمه ليكون له مثل اجره ولكن خدمه التلميذ
بنفسه فقبل خدمته فرجا ان لا يحبط ذلك اجره اذا كان لا ينتظره ولا يريده منه ولا يستبعده منه لو
قطعه ومع هذا فقد كان العلما يحذرون ذلك حتى ان بعضهم وقع في بير فجا قوم وادلوا حبلا ليرفعوه فحلف
عليهم الا يقف معهم من قرا عليه اية من القران او سمع منه حديثا خيفة من ان يحبط اجره وقال شقيق البلخي
اهديت لسفيان الثوري ثوبا فرده علي فقلت له يا ابا عبد الله لست انا ممن يسمع الحديث حتى ترده علي
قال قد علمت ذلك ولكن اخوك يسمع مني اني يلين قلبي لاخيك اكثر مما يلين لغيره وجا رجل الى سفيان بالبدرة كيسا
بيده او بدرتين وكان ابوه صديقا لسفيان وكان سفيان ياتيه كثيرا فقال له يا ابا عبد الله تعرف نفسك من ابي
شي فقال رحم الله اباك كان وكان واثنى عليه فقال يا ابا عبد الله قد عرفت كيف صار الي هذا المال فاحب
ان تاخذ هذه تستعين بها على عيالك قال فقبل سفيان ذلك فلما خرج قال لولده يا مبارك الحقه فرده علي
فرجع فقال احب ان تاخذها اللهم بل كذلك حتى رده عليه وكانه كانت اخوته مع ابيه في الله فكره ان ياخذ
ذلك قال فلما خرج لم املك نفسي ان جئت اليه فقلت ويلك اي شي قلبك هذا حجارة عد انه ليس لك
عيال اما ترحمني اما ترحم اخوتك اما ترحم عيالنا فاكثرت عليه فقال لي يا مبارك تاكلها هنيئا مريئا واسال عنها
انا فاذا يجب على العالم ان يلزم قلبه طلب الثواب من الله في اهتدا الناس به فقط ويجب على المتعلم ان يلزم قلبه
طلب حمد الله تعالى وثوابه دون نيل المنزلة عند العالم وعند الخلق فربما يظن انه ان يرى بطاعته

لينال عند العلم رتبة فيتعلم منه وهو خطأ لان ارادته عوضا بطاعته خسران في الحال والعلم ربما يفيد
وربما لا يفيد فكيف يخسر في الحال عملا نقدا على توهم علم وذلك غير جائز بل ينبغي ان يتعلم لله ويعبد الله و
يخدم المعلم لله لا ليكون له في قلبه منزلة ان كان يريد ان يكون تعلمه طاعة فان العباد امروا ان لا يعبدوا
الا الله ولا يريدوا بطاعتهم غيره وكذلك من يخدم ابويه لا ينبغي ان يخدمهم لطلب المنزلة عندهم الا من
حيث ان رضا الله في رضا الوالدين فلا يجوز ان يرائي بطاعته لينال بها منزلة عند الوالدين فان ذلك معصية
في الحال وسيكشف الله تعالى عن ريائه وتسقط منزلته من قلب الوالدين ايضا واما الزاهد المعتزل عن
الناس فينبغي ان يلزم قلبه ذكر الله والقناعة بعلمه ولا يخطر بقلبه معرفة الناس بزهده واستعظامهم
محله فان ذلك يغرس الريا في صدره حتى يتيسر عليه العبادات في خلوته به وانما سلوته معرفة الناس باعتزاله و
استعظامهم لمحله وهو لا يدري انه المخفف للعمل عليه قال ابراهيم بن ادهم تعلمت المعرفة من راهب يقال
له سمعان دخلت عليه في صومعته فقلت يا سمعان منذ كم انت في صومعتك قال منذ سبعين سنة قلت
فما طعامك قال يا حنيفي وما دعاك الى هذا قلت احببت ان اعلم قال في كل ليلة حمصة قلت فما الذي
يهيج من قلبك حتى تكفيك هذه الحمصة قال ترى الدير الذي بحذاك قلت نعم قال انهم ياتوني في كل
سنة يوما فيزينون صومعتي ويطوفون حولها ويعظموني فكلما تثاقلت نفسي عن العبادة ذكرتها عز تلك الساعة
فانا احتمل جهد سنة لعز ساعة فاحتمل يا حنيفي جهد ساعة لعز الابد فوقر في قلبي المعرفة فقال حسبك او ازيدك
قلت بلى قال انزل عن الصومعة فنزلت فادلى لي ركوة فيها عشرون حمصة فقال لي ادخل الدير فقد راوا ما ادليت
اليك فلما دخلت الدير اجتمعت علي النصارى فقالوا يا حنيفي ما الذي ادلى اليك الشيخ قلت من قوته قالوا وما
تصنع به ونحن احق به قالوا ساوم قلت عشرون دينارا فاعطوني عشرين دينارا فرجعت الى الشيخ فقال يا حنيفي
ما الذي صنعت قلت بعته منهم قال بكم قلت بعشرين دينارا قال اخطات لو ساومتهم بعشرين
الف دينار لاعطوك هذا عز من لا تعبده فانظر كيف يكون عز من تعبده يا حنيفي اقبل على ربك ودع الذهاب و
المجيء والمقصود ان استشعار النفس عز العظمة في القلوب يكون باعثا في الخلوة وقد لا يشعر العبد
به فينبغي ان يلزم نفسه الحذر منه وعلامة سلامته ان يكون الخلق عنده والبهائم بمثابة فلو تغيروا
عن اعتقادهم لم يجزع ولم يضق به ذرعا الا كراهة ضعيفة ان وجدها في قلبه ردها في الحال بعقله
وايمانه فانه لو كان في عبادة فاطلع الناس كلهم عليه لم يزده ذلك خشوعا ولم يدخله سرور بسبب
اطلاعهم عليه فان دخل سرور يسير فهو دليل ضعفه ولكن اذا اقدر على رده بكراهة العقل و
الايمان وبادر الى ذلك ولم يقبل السرور بالركون اليه فيرجى له ان لا يخيب سعيه الا ان يزيد عند مشاهدتهم
في الخشوع والانقباض كيلا ينبسطوا اليه فذلك لا باس به ولكن فيه غرور اذ النفس قد تكون
شهوتها الخفية اظهار الخشوع وتتعلل بطلب الانقباض فليطالبها في دعواها قصد الانقباض
بموثق من الله تعالى غليظ وهو انه لو علم ان انقباضهم عنه انما حصل بان يعدو سريعا او ياكل كثيرا
او يضحك فتسخو نفسه بذلك فاذا لم تسخ به وسمحت بالعبادة فيخشى ان يكون مرادها المنزلة عندهم
ولا ينجو عن ذلك الا من تقرر في قلبه انه ليس في الوجود احد سوى الله عز وجل فيعمل عمل من لو كان
على وجه الارض وحده لكان يعمله فلا يلتفت قلبه الى الخلق الا خطرات ضعيفة لا يشق عليه ازالتها
فاذا كان كذلك لم يتغير بمشاهدة الخلق ومن علامة الصدق فيه انه لو كان له صاحبان احدهما
غني والاخر فقير فلا يجد عند اقبال الغني زيادة هزة في نفسه لاكرامه الا اذا كان في الغني زيادة

علم او زيادة ورع فيكون مكرما له بذلك الوصف لا بالغنى فمن كان استرواحه الى مشاهدة الاغنيا اكثر فهو
مراءٍ او طامع والا فالنظر الى الفقرا يزيد في الرغبة في الآخرة ويحبب الى القلب المسكنة والنظر الى
الاغنيا بخلافه فكيف استروح الى الغني اكثر مما استروح الى الفقير وقد حكي انه لم ير الاغنيا في مجلس
اذل منهم في مجلس سفيان الثوري رحمه الله تعالى كان يجلسهم ورا الصف ويقدم الفقرا حتى كانوا
يتمنون انهم فقرا في مجلسه نعم لك زيادة اكرام للغني اذا كان اقرب اليك او كان بينك وبينه حق
او صداقة او سابقة ولكن يكون بحيث لو وجدت تلك العلاقة في فقير لكنت لا تقدم الغني عليه
في اكرام وتوقير البتة فان الفقير اكرم على الله عز وجل من الغني فايثارك له لا يكون الا طمعا في غناه
وريا له ثم اذا سويت بينهما في المجالسة فيخشى عليك ان تظهر الحكمة والخشوع للغني اكثر مما تظهره للفقير
وانما ذلك ريا خفي او طمع خفي كما قال ابن السماك لجارية له ما لي اذا اتيت بغداد فتحت لي الحكمة فقالت
الطمع يسحذ لسانك وقد صدقت فان اللسان ينطلق عند الغني بما لا ينطلق به عند الفقير وكذلك
يحضر من الخشوع عنده ما لا يحضر عند الفقير ومكايد النفس وخباياها في هذا الفن لا تحصر ولا ينجيك منها
الا ان تخرج ما سوى الله تعالى من قلبك وتتجرد للشفقة على نفسك بقية عمرك ولا ترضى لها بالنار بسبب
شهوات منغصة في ايام متقاربة منقضية وتكون في الدنيا كملك من ملوك الدنيا قد امكنته الشهوات
وساعدته اللذات ولكن في بدنه سقم وهو يخاف الهلاك على نفسه في كل ساعة لو اتسع في الشهوات
وعلم انه لو احتمى وجاهد فيه شهوته عاش ودام ملكه فلما عرف ذلك جالس الاطبا وحارف الصيادلة وعود
نفسه شرب الادوية المرة فصبر عليها وعلى بشاعتها وهجر جميع اللذات وصبر على مفارقتها فبدنه
كل يوم يزداد نحولا لقلة اكله ولكن سقمه كل يوم يزداد نقصانا لشدة احتمائه فمهما نازعته نفسه الى
شهوة تفكر في توالي الالام والاوجاع عليه وادى ذلك الى الموت المفرق بينه وبين مملكته الموجب لشماتة
اعدائه ومهما اشتد عليه شرب دوا تفكر فيما يستفيده منه من الشفا الذي هو سبب التمتع بملكه
ونعيمه في عيش هني وبدن صحيح وقلب رخي وامر نافذ فيخف عليه مهاجرة اللذات ومصابرة المكروهات
وكذلك المؤمن المريد لملك الآخرة احتمى عن كل مهلك له في آخرته وهي لذات الدنيا وزهرتها فاجتزى
منها بالقليل واختار النحول والذبول والوحشة والحزن والخوف وترك المؤانسة بالخلق خوفا من ان
يحل عليه غضب الله تعالى فيهلك ورجا ان ينجو من عذابه فخف ذلك كله عليه عند شدة يقينه و
ايمانه بعاقبة امره وبما اعد له من النعيم المقيم في رضوان الله عز وجل ابد الآباد ثم علم ان الله تعالى كريم رحيم
لم يزل لعباده المريدين لمرضاته عونا وبهم رؤوفا وعليهم عطوفا ولو شا لاغناهم عن التعب والنصب و
لكن اراد ان يبلوهم ويعرف صدق ارادتهم حكمة منه وعدلا ثم اذا تحمل التعب في بدايته اقبل الله
عليه بالمعونة والتيسير وحط عنه الاعبا وسهل عليه الصبر وحبب اليه الطاعة ورزقه فيها
من لذة المناجاة ما يلهيه عن سائر اللذات ويقويه على اماتة الشهوات ويتولى سياسته وتقويته
وامده بمعونته فان الكريم لا يضيع سعي الراجي ولا يخيب امل المحب وهو الذي يقول من تقرب الي شبرا تقربت
منه ذراعا ويقول لقد طال شوق الابرار الى لقائي واني الى لقائهم لاشد شوقا فليظهر العبد في البداية
جده وصدقه واخلاصه فلا يعوزه من الله عز وجل على القرب ما هو اللائق بجوده وكرمه ورافته ورحمته
انه رحيم منان ذو الفضل والاحسان وسند العفو والغفران وهو العفو الرحيم نسأله ان يغفر لنا ما سلف
من ذنوبنا ويدخلنا الجنة برحمته ويشفع فينا خير خلقه محمد سيد الاولين والآخرين صلى الله عليه وسلم

صلاة دائمة الى يوم الدين ورضي الله تعالى عن اصحابه الطيبين الطاهرين وآل بيته وذريته
اجمعين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين هذا آخر كتاب ذم الجاه والريا وهو الكتاب
الثامن من ربع المهلكات من كتاب احيا علوم الدين للغزالي يتلوه ان شا الله تعالى الكتاب التاسع
وهو كتاب ذم الكبر والعجب وهو الكتاب التاسع من ربع المهلكات من احيا علوم الدين للغزالي [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الخالق البارئ المصور العزيز الجبار المتكبر العلي الذي لا يضعه عن مجده واضع الجبار الذي
كل جبار له ذليل خاضع وكل متكبر في جناب عزه مسكين متواضع فهو القهار الذي لا يدفعه عن مراده دافع
الغني الذي ليس له في ملكه شريك ولا منازع القادر الذي بهر ابصار الخلائق جلاله وبهاؤه **وقهر العرش**
المجيد استواؤه وحصر السن الانبيا وصفه وثناؤه وارتفع عن حد قدرتهم احصاؤه واستقصاؤه فاعترف بالعجز
عن وصف كنه جلاله ملائكته وانبياؤه وكسر ظهور الاكاسرة عزه وعلاؤه وقصر ايدي القياصرة عظمته وكبرياؤه
فالعظمة ازاره والكبريا رداؤه ومن نازعه فيهما قصمه بدا الموت فاعجزه دواؤه جل جلاله وتقدست اسماؤه
والصلاة على محمد الذي انزل معه النور المنتشر ضياؤه حتى اشرقت بنوره اكناف العالم وارجاؤه وعلى احبابه
الذين هم احبا الله واولياؤه وخيرته واصفياؤه وسلم تسليما كثيرا **اما بعد** فقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى الكبريا ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني فيهما قصمته **وقال** رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه فالكبر والعجب داآن مهلكان
والمتكبر والمعجب سقيمان مريضان وهما عند الله تعالى ممقوتان بغيضان واذا كان القصد في هذا الربع من
كتاب احيا علوم الدين شرح المهلكات وجب ايضاح الكبر والعجب فانهما من قبائح المرديات ونحن نستقصي بيانهما
من الكتاب في شطرين شطر في الكبر وشطر في العجب **الشطر الاول** من الكتاب في الكبر وفيه بيان ذم الكبر وبيان
ذم الاختيال وبيان فضيلة التواضع وبيان حقيقة الكبر وآفته وبيان من يتكبر عليه وبيان اخلاق المتواضعين وما
فيه يظهر التكبر وبيان علاج الكبر وبيان امتحان النفس في خلق الكبر وبيان المحمود من خلق التواضع والمذموم فيه

بيان ذم الكبر قد ذم الله سبحانه الكبر في مواضع من كتابه وذم كل جبار متكبر فقال تعالى سأصرف عن آياتي الذين
يتكبرون في الارض بغير الحق وقال تعالى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار **وقال** تعالى واستفتحوا و
خاب كل جبار عنيد وقال تعالى انه لا يحب المستكبرين **وقال** تعالى لقد استكبروا في انفسهم وعتوا
عتوا كبيرا **وقال** تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وذم الكبر في القرآن كثير وقد
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار من
في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان **وقال** ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الله عز وجل الكبريا ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما القيته في جهنم **وعن** ابي سلمة
بن عبد الرحمن قال التقى عبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو على المروة فتواقفا فمضى ابن عمرو واقام ابن عمر يبكي فقالوا
ما يبكيك يا ابا عبد الرحمن قال هذا يعني عبد الله بن عمرو زعم انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر اكبه الله في النار على وجهه وقال النبي صلى الله عليه وسلم
لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما اصابهم من العذاب وقال سليمان بن داود عليه

السلام بين المتكبرين والجن والانس والبهائم اخرجوا الخبيث يجيئي في ما تحت العرش لا انس وما تحت الفرش الجنة فرفع حتى
سمع زجل الملائكة بالتسبيح في السموات ثم خفض حتى سمعت قدمه البحر فسمع صوت لو كان في قلب صاحبكم
مثقال ذرة من كبر يخسف به ابعد ما رفعته وقال صلى الله عليه وسلم يخرج من النار عنق له اذنان يسمعان وعينان
يبصران ولسان ينطق يقول وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله الها آخر وبالمصورين وقال
عليه السلام لا يدخل الجنة جبار ولا بخيل ولا سيئ الخلق ولا سيئ الملكة وقال صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة
والنار فقالت النار اوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة ما لي لا يدخلني الا ضعفاء الناس وسقاطهم و
عجزتهم فقال الله تعالى للجنة انما انت رحمتي ارحم بك من اشاء من عبادي وقال للنار انما انت عذابي اعذب بك
من اشاء من عبادي ولكل واحدة منكما ملؤها **وقال** صلى الله عليه وسلم بئس العبد عبد تجبر واعتدى و
نسي الجبار الاعلى بئس العبد عبد تجبر واختال ونسي الكبير المتعال بئس العبد عبد سها ولها ونسي المقابر
والبلى بئس العبد عبد عتا وبغى ونسي المبدا والمنتهى **وعن** ثابت قال بلغنا انه قيل يا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما اعظم كبر فلان فقال اليس بعده الموت وقال عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ان نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنيه وقال اني آمركما باثنتين وانهاكما عن
اثنتين انهاكما عن الشرك والكبر وآمركما بلا اله الا الله فان السموات والارض وما فيهن لو وضعت في كفة الميزان
ووضعت لا اله الا الله في الكفة الاخرى كانت ارجح منها ولو ان السموات والارض وما فيهن كانتا حلقة فوضعت
لا اله الا الله عليها لقصمتها وآمركما بسبحان الله وبحمده فانها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء **وقال**
عيسى عليه السلام طوبى لمن علمه الله تعالى كتابه ثم لم يمت جبارا وقال النبي عليه السلام اهل النار كل
جعظري جواظ مستكبر جماع مناع واهل الجنة الضعفاء المقلون **وقال** صلى الله عليه وسلم ان احبكم
الينا واقربكم منا في الآخرة احاسنكم اخلاقا وان ابغضكم الينا وابعدكم منا الثرثارون والمتشدقون المتفيهقون
قالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون قال المتكبرون وقال صلى الله عليه وسلم
يحشر المتكبرون يوم القيامة ذرا في صور الرجال يعلوهم كل شيء من الصغار ثم يساقون الى سجن في جهنم يقال له بولس
يعلوهم نار الانيار يسقون من طينة الخبال عصارة اهل النار **وقال** ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم
يحشر الجبارون المتكبرون يوم القيامة في صور الذر يطؤهم الناس لهوانهم على الله عز وجل **وعن محمد بن واسع** قال
دخلت على بلال بن ابي بردة فقلت له يا بلال ان اباك حدثني عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان في
جهنم واديا يقال له هبهب حق على الله تعالى ان يسكنه كل جبار فاياك يا بلال ان تكون ممن يسكنه وقال
صلى الله عليه وسلم ان في النار قصرا يجعل فيه المتكبرون ويطبق عليهم وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ
بك من نفخة الكبر **وقال** من فارق روحه جسده وهو بريء من ثلاث دخل الجنة الكبر والدين والغلول **الآثار**
قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لا يحقرن احد احدا من المسلمين فان صغير المسلمين عند الله كبير
وقال وهب لما خلق الله تعالى جنة عدن نظر اليها فقال انت حرام على كل متكبر وكان الاحنف بن
قيس يجلس مع مصعب بن الزبير على سريره فجاء يوما ومصعب ماد رجليه فلم يقبضهما وقعد الاحنف فزحمه بعض
الزحمة فرأى اثر ذلك في وجهه فقال عجبا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين **وقال** الحسن العجب لابن
آدم يغسل الخرء بيده كل يوم مرة او مرتين ثم يتكبر يعارض جبار السموات وقد قيل في قوله وفي انفسكم افلا تبصرون
هو سبيل الغائط والبول وقال محمد بن الحسين بن علي ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر قط الا نقص من عقله بقدر
ما دخل من ذلك قل او كثر وسئل سلمان عن السيئة التي لا تنفع معها حسنة فقال الكبر **وقال**

النعمان بن بشير على المنبر ان للشيطان مصالي وفخوخا وان من مصالي الشيطان وفخوخه البطر بانعم الله والفخر
باعطاء الله والكبر على عباد الله واتباع الهوى في غير ذات الله **بيان ذم الاختيال واظهار آثار الكبر**
في المشي وجر الثياب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله تعالى الى رجل يجر ازاره بطرا وقال
صلى الله عليه وسلم بينما رجل يتبختر في بردته اذ اعجبته نفسه خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى
يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من جر ثوبه خيلاء لا ينظر الله اليه يوم القيامة وقال زيد بن اسلم دخلت
على ابن عمر رضي الله عنه فمر به عبد الله بن واقد وعليه ثوب جديد فسمعته يقول اي بني ارفع ازارك فاني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا ينظر الله تعالى الى من جر ازاره خيلاء **وروي** ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال يقول الله تعالى يا ابن آدم اتعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك مشيت
بين بردين وللارض منك وئيد جمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقي قلت اتصدق واني اوان الصدقة وقال
النبي صلى الله عليه وسلم اذا مشت امتي المطيطاء وخدمتهم فارس والروم سلط بعضهم على بعض قال ابن الاعرابي
هي مشية فيها اختيال **وقال** صلى الله عليه وسلم من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه
غضبان **الآثار** عن ابي بكر الهذلي قال بينما نحن جلوس مع الحسن اذ مر علينا ابن الاهتم يريد المقصورة وعليه
جباب خز قد نضد بعضها فوق بعض على ساقه وانفرج عنها قباؤه وهو يمشي يتبختر اذ نظر اليه الحسن نظرة
فقال اف اف شامخ بانفه ثاني عطفه مصعر خده ينظر في عطفيه اي حميق انت تنظر في عطفيك في نعم غير مشكورة
ولا مذكورة غير المأخوذ بامر الله فيها ولا المؤدي حق الله منها والله ان يمشي احدهم طبيعته ان يتخلج تخلج
المجنون في كل عضو من اعضائه لله نعمة وللشيطان به لعنة فسمع ابن الاهتم فرجع يعتذر اليه فقال لا
تعتذر الي وتب الى ربك اما سمعت قول الله تعالى ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال
طولا ومر بالحسن شاب عليه بزة له حسنة فدعاه فقال ابن آدم معجب بشبابه محب لشمائله كان القبر قد وارى بدنك
وكانك قد لاقيت عملك ويحك داو قلبك فان حاجة الله تعالى الى العباد صلاح قلوبهم **وروي** ان عمر بن عبد
العزيز رحمه الله تعالى حج قبل ان يستخلف فنظر اليه طاوس وهو يختال في مشيته فغمز جنبه باصبعه
ثم قال ليست هذه مشية من في بطنه خرء فقال عمر كالمعتذر يا عم لقد ضرب كل عضو مني على هذه المشية
حتى تعلمتها ورأى محمد بن واسع ولده يختال فدعاه فقال تدري من انت اما امك فاشتريتها بمائتي درهم واما
ابوك فلا اكثر الله في المسلمين مثله ورأى ابن عمر رجلا يجر ازاره فقال ان للشيطان اخوانا كررها مرتين او ثلاثا
ويروى ان مطرف بن عبد الله بن الشخير رأى المهلب وهو يتبختر في جبة خز فقال يا عبد الله هذه مشية يبغضها
الله ورسوله فقال له المهلب اما تعرفني فقال بلى اعرفك اولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة
وانت بين ذلك تحمل العذرة فمضى المهلب وترك مشيته تلك وقال مجاهد في قوله تعالى ثم ذهب الى اهله
يتمطى اي يتبختر واذ قد ذكرنا الكبر والاختيال فلنذكر فضيلة التواضع **بيان فضيلة التواضع قال**
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زاد الله تعالى عبدا بعفو الا عزا وما تواضع احد لله الا رفعه الله عز وجل وقال
صلى الله عليه وسلم ما من احد الا ومعه ملكان وعليه حكمة يمسكانه بها فان هو رفع نفسه جبذاها ثم قالا اللهم
ضعه وان وضع نفسه قالا اللهم ارفعه وقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن تواضع في غير مسكنة و
خالط اهل الفقه والحكمة وعن ابي سلمة المديني عن ابيه عن جده قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا
بقبا وكان صائما فاتيناه بقدح من لبن وجعلنا فيه شيئا من عسل فلما رفعه فذاقه وجد حلاوة العسل
فقال ما هذا قلنا يا رسول الله جعلنا فيه شيئا من عسل فوضعه وقال اما اني لا احرمه ومن تواضع لله رفعه

الله ومن تكبر وضعه الله ومن اقتصد أغناه الله ومن بذر أفقره الله ومن أكثر ذكر الله تعالى أحبه الله ويروى أن
النبي صلى الله عليه وسلم كان في نفر من أصحابه في بيته يأكلون فقام سائل على الباب وبه زمانة يتكره منه فأذن له
فلما دخل أجلسه النبي صلى الله عليه وسلم على فخذه ثم قال اطعم فكأن رجلا من قريش اشمأز منه وتكرهه فما مات ذلك
الرجل حتى كانت به زمانة منها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرني ربي بين أمرين أن أكون عبدا رسولا أو
ملكا نبيا فلم أدر أيهما أختار وكان صفيي من الملائكة جبريل عليه السلام فرفعت رأسي فقال تواضع لربك فقلت
عبدا رسولا وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام إنما أتقبل صلاة من تواضع لعظمتي ولم يتعظم على خلقي وألزم
قلبه خوفي وقطع نهاره بذكري وكف نفسه عن الشهوات من أجلي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنى وقال عيسى عليه السلام طوبى للمتواضعين في الدنيا هم الذين
ينظرون إلى الله تعالى يوم القيامة وقال بعضهم بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا هدى الله تعالى
عبدا للإسلام وحسن صورته وجعله في موضع غير شائن له ورزقه الله تعالى مع ذلك تواضعا فذلك من صفوة
الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم أربع لا يعطيهن الله تعالى إلا من يحب الصمت وهو أول العبادة والتوكل على الله
والتواضع والزهد في الدنيا وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تواضع العبد رفعه
الله تعالى إلى السماء السابعة وقال صلى الله عليه وسلم إن التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة فتواضعوا يرحمكم الله
وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم فجاء رجل أسود به جدري قد تقشر فجعل لا يجلس إلى أحد إلا قام
من جنبه فأجلسه النبي صلى الله عليه وسلم إلى جنبه وقال صلى الله عليه وسلم إنه ليعجبني أن يحمل الرجل الشيء في
يده يكون مهنة لأهله يدفع به الكبر عن نفسه وقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه ما لي لا أرى عليكم حلاوة العبادة
قالوا وما حلاوة العبادة قال التواضع وقال صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم المتواضعين من أمتي فتواضعوا لهم
وإذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم فإن ذلك لهم مذلة وصغار الآثار قال عمر رضي الله عنه إن العبد إذا تواضع
لله تعالى رفع الله حكمته وقال انتعش رفعك الله وإذا تكبر وعدا طوره وقصه الله تعالى إلى الأرض وقال
أحد الخلفاء الله فهو في نفسه كبير وفي أعين الناس حقير حتى لهو أهون عندهم من الخنزير وقال جرير بن
عبد الله انتهيت إلى الشجرة تحتها رجل نائم قد استظل بنطع له وقد جاوزت الشمس النطع فسويته عليه ثم
إن الرجل استيقظ فإذا هو سلمان الفارسي فذكرت له ما صنعت فقال يا جرير تواضع لله في الدنيا فإن من
تواضع لله في الدنيا رفعه الله تعالى يوم القيامة يا جرير أتدري ما ظلمة النار يوم القيامة قلت لا قال ظلم الناس
بعضهم بعضا في الدنيا وقالت عائشة رضي الله عنها إنكم لتغفلون أفضل العبادة التواضع وقال يوسف بن
أسباط يجزي قليل الورع من كثير العمل ويجزي قليل التواضع من كثير الاجتهاد وقال الفضيل وقد سئل عن
التواضع فقال هو أن تخضع للحق وتنقاد له ولو سمعته من صبي قبلته منه ولو سمعته من أجهل الناس قبلته وقال
ابن المبارك رأس التواضع أن تضع نفسك عند من هو دونك في نعمة الدنيا حتى تعلمه أنه ليس لك بدنياك عليه فضل
وأن ترفع نفسك عمن هو فوقك في الدنيا حتى تعلمه أنه ليس له بدنياه عليك فضل وقال قتادة من أعطي مالا أو جمالا
أو ثيابا أو علما ثم لم يتواضع فيه كان عليه وبالا يوم القيامة وقيل أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام إذا أنعمت
عليك نعمة فاستقبلها بالاستكانة أتممها عليك وقال كعب ما أنعم الله تعالى على عبد من نعمة في الدنيا فشكرها
لله وتواضع بها إلا أعطاه الله نفعها في الدنيا ورفع له بها درجة في الآخرة وما أنعم الله تعالى على عبد من نعمة في
الدنيا فلم يشكرها لله ولم يتواضع بها لله إلا منعه الله نفعها في الدنيا وفتح له طبقا من النار يعذبه إن شاء أو يتجاوز
عنه وقيل لعبد الملك بن مروان أي الرجال أفضل قال من تواضع عن قدرة وزهد عن رغبة وترك النصرة

عن قوة ودخل ابن السماك على هرون فقال يا أمير المؤمنين إن تواضعك في شرفك أشرف لك من شرفك فقال
ما أحسن ما قلت فقال يا أمير المؤمنين إن امرأ آتاه الله تعالى جمالا في خلقته وموضعا في حسبه وبسط له في
ذات يده فعف في جماله وواسى في ماله وتواضع في حسبه كتب في ديوان الله تعالى من خالص عباد الله فدعا
هرون الرشيد بدواة وقرطاس فكتبه بيده وكان سليمان بن داود إذا أصبح تصفح وجوه الأغنياء والأشراف
حتى يجيء إلى المساكين فيقعد معهم ويقول مسكين مع مساكين وقال بعضهم كما تكره أن يراك الأغنياء في الثياب
الدون فكذلك فاكره أن يراك الفقراء في الثياب المرتفعة ويروى أنه خرج يونس وأيوب والحسن يتذاكرون
التواضع فقال لهم الحسن أتدرون ما التواضع التواضع أن تخرج من منزلك فلا تلقى مسلما إلا رأيت له عليك
فضلا وقال مجاهد إن الله تعالى لما أغرق قوم نوح عليه السلام شمخت الجبال وتطاولت وتواضع الجودي
فرفعه الله فوق الجبال وجعل قرار السفينة عليه وقال أبو سليمان إن الله تعالى عز وجل اطلع على قلوب
الآدميين فلم يجد قلبا أشد تواضعا من قلب موسى عليه السلام فخصه منه بالكلام وقال يونس بن عبيد وقد
انصرف من عرفات لم أشك في الرحمة لولا أني كنت معهم إني أخشى أنهم حرموا بسببي وقيل أرفع ما يكون المؤمن
عند الله أوضع ما يكون عند نفسه وأوضع ما يكون عند نفسه وقال زياد النميري الزاهد بغير تواضع
كالشجرة التي لا تثمر وقال مالك بن دينار لو أن مناديا ينادي بباب المسجد ليخرج شركم رجلا والله ما كان يسبقني
أحد إلى الباب إلا رجل بفضل قوة أو سعي فلما بلغ ابن المبارك قوله قال بهذا صار مالك مالكا وقال الفضيل
من أحب الرياسة لم يفلح أبدا وقال يحيى بن أبي الهيثم كانت عندنا زلزلة وريح حمراء فذهبت إلى محمد بن مقاتل فقلت
يا أبا عبد الله أنت إمامنا فادع الله عز وجل لنا فبكى ثم قال يا ليتني لم أكن سبب هلاككم قال فرأيت النبي صلى
الله عليه وسلم في النوم فقال إن الله عز وجل دفع عنكم بدعاء محمد بن مقاتل وجاء رجل إلى الشبلي فقال له ما
أنت وكان هذا دأبه وعادته فقال أنا النقطة التي تحت الباء فقال له الشبلي أباد الله شاهدك أو تجعل لنفسك
مكانا وقال الشبلي في بعض كلامه ذلي عطل ذل اليهود وقيل من رأى لنفسه قيمة فليس له من التواضع نصيب
وعن الفتح بن شخرف قال رأيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه في النوم فقلت يا أبا الحسن عظني فقال ما أحسن
التواضع بالأغنياء في مجالس الفقراء رغبة منهم في ثواب الله تعالى وأحسن منه تيه الفقراء على الأغنياء ثقة منهم
بالله عز وجل وقال أبو سليمان لا يتواضع العبد حتى يعرف نفسه وقال أبو يزيد ما دام العبد يظن أن
في الخلق من هو شر منه فهو متكبر قيل له فمتى يكون متواضعا قال إذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا وتواضع كل
إنسان على قدر معرفته بربه عز وجل ومعرفته بنفسه وقال أبو سليمان لو اجتمع الخلق على أن يضعوني
كاتضاعي عند نفسي ما قدروا عليه وقال عروة بن الورد التواضع أحد مصائد الشرف وكل نعمة محسود عليها
صاحبها إلا التواضع وقال يحيى بن خالد البرمكي الشريف إذا تنسك تواضع والسفيه إذا تنسك تعاظم
وقال يحيى بن معاذ التكبر على ذي التكبر عليك بماله تواضع ويقال التواضع في الخلق كلهم حسن وفي الأغنياء أحسن
والكبر في الخلق كلهم قبيح وفي الفقراء أقبح ويقال لا عز إلا لمن تذلل لله عز وجل ولا رفعة إلا لمن تواضع لله عز وجل
ولا أمن إلا لمن خاف الله عز وجل ولا ربح إلا لمن ابتاع نفسه من الله عز وجل وقال أبو علي الجوزجاني النفس
معجونة بالكبر والحرص والحسد فمن أراد الله تعالى هلاكه منع منه التواضع والنصيحة والقناعة وإذا أراد الله تعالى
به خيرا لطف به فإذا هاجت في نفسه نار الكبر أدركها التواضع مع نصرة الله تعالى وإذا هاجت نار الحسد في نفسه أدركتها
النصيحة مع توفيق الله عز وجل وإذا هاجت في نفسه نار الحرص أدركتها القناعة مع عون الله عز وجل وعن الجنيد
أنه كان يقول يوم الجمعة في مجلسه لولا أنه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يكون في آخر الزمان زعيم القوم

ارى لهم ما تكلف عليكم وقال الجنيد التواضع عند اهل التوحيد تكبر ولعل مراده ان المتواضع يثبت نفسه ثم يضعها
والموحد لا يثبت نفسه ولا يراها شيئا حتى يضعها او يرفعها وعن عمرو بن شيبة قال كنت بمكة بين الصفا والمروة
فرايت رجلا راكبا بغلة وبين يديه غلمان واذا هم يعنفون الناس قال ثم عدت بعد حين فدخلت بغداد فكنت على
الجسر فاذا انا برجل حاف حاسر طويل الشعر فجعلت انظر اليه واتامله فقال لي ما لك تنظر الي فقلت له
شبهتك برجل رايته بمكة ووصفت له الصفة فقال انا ذلك الرجل فقلت ما فعل الله بك فقال اني ترفعت في
موضع يتواضع فيه الناس فوضعني الله حيث يترفع فيه الناس وقال المغيرة كنا نهاب ابراهيم النخعي هيبة
الامير وكان يقول ان زمانا صرت فيه فقيه الكوفة لزمان سوء وكان عطاء السلمي اذا سمع صوت الرعد قام وقعد
واخذه بطنه كانه امراة ماخض وقال هذا من اجلي يصيبكم لو مات عطاء لاستراح الناس وكان بشر الحافي يقول
سلموا على ابناء الدنيا بترك السلام عليهم **ودعا رجل** لعبد الله بن المبارك فقال اعطاك الله تعالى
ما ترجوه فقال ان الرجا يكون بعد المعرفة فاين المعرفة وتفاخرت قريش عند سلمان رضي الله عنه يوما فقال
سلمان لكني خلقت من نطفة قذرة ثم اعود جيفة منتنة ثم اتي الميزان فان ثقل فانا كريم وان خف فانا اللئيم وقال
ابو بكر رضي الله عنه وجدنا الكرم في التقوى والغنى في اليقين والشرف في التواضع **بيان حقيقة الكبر و**
آفته اعلم ان الكبر ينقسم الى باطن وظاهر فالباطن هو خلق في النفس والظاهر هو اعمال تصدر من الجوارح
واسم الكبر بالخلق الباطن احق واما الاعمال فانها ثمرات لذلك الخلق وخلق الكبر موجب للاعمال ولذلك اذا ظهر على
الجوارح يقال تكبر واذا لم يظهر يقال في نفسه كبر فالاصل هو الخلق الذي في النفس وهو الاسترواح والركون الى
رؤية النفس فوق المتكبر عليه فان الكبر يستدعي متكبرا عليه ومتكبرا به وبه ينفصل الكبر عن العجب كما سياتي فان
العجب لا يستدعي غير المعجب بل لو لم يخلق الانسان الا وحده تصور ان يكون معجبا ولا يتصور ان يكون متكبرا الا ان
يكون مع غيره وهو يرى نفسه فوق ذلك الغير في صفات الكمال فعند ذلك يكون متكبرا ولا يكفي ان يستعظم
نفسه ليكون متكبرا فانه قد يستعظم نفسه ولكن يرى غيره اعظم من نفسه او مثل نفسه فلا يتكبر عليه ولا يكفي
ان يستحقر غيره فانه مع ذلك لو راى نفسه احقر لم يتكبر ولو راى غيره مثل نفسه لم يتكبر بل ينبغي ان يرى لنفسه
مرتبة ولغيره مرتبة ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره فعند هذه الاعتقادات الثلاثة يحصل فيه خلق الكبر لا ان
هذه الرؤية هي الكبر بل هذه الرؤية وهذه العقيدة تنفخ فيه فيحصل في قلبه اعتداد وهزة وفرح وركون الى ما
اعتقده وعز في نفسه بسبب ذلك فتلك العزة والهزة والركون الى العقيدة هو خلق الكبر ولذلك قال النبي صلى الله
عليه وسلم اعوذ بك من نفخة الكبر ولذلك قال عمر رضي الله عنه اخشى ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا للذي استاذنه
ان يعظ بعد صلاة الصبح فكان الانسان مهما راى نفسه بهذه العين وهو الاستعظام كبر وانتفخ وتعزز فالكبر
عبارة عن الحالة الحاصلة في النفس من هذه الاعتقادات وتسمى ايضا عزة وتعظما ولذلك قال ابن عباس في قوله
تعالى ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه قال عظمة لم يبلغوها ففسر الكبر بتلك العظمة ثم هذه العزة تقتضي اعمالا
في الظاهر والباطن هي ثمرات ويسمى ذلك تكبرا فانه مهما عظم عنده قدره بالاضافة الى غيره حقر من دونه وازدراه
واقصاه عن نفسه وابعده وترفع عن مجالسته ومواكلته وراى ان حقه ان يقوم ماثلا بين يديه ان اشتد كبره فان
كان اشد من ذلك استنكف عن استخدامه ولم يجعله اهلا للقيام بين يديه ولا بخدمة عتبته فان كان دون
ذلك فيانف عن مساواته ويتقدم عليه في مضايق الطرق ويرتفع عليه في المحافل وينتظر ان يبداه بالسلام و
استبعد تقصيره في قضاء حوائجه وتعجب منه وان حاج او ناظر انف ان يرد عليه وان وعظ استنكف من القبول
وان وعظ عنف في النصح وان رد عليه شيء من قوله غضب وان علم لم يرفق بالمتعلمين واستذلهم وانتهرهم وامتن

عليهم واستخدمهم وينظر الى العامة كانه ينظر الى الحمير استجهالا لهم واستحقارا والاعمال الصادرة
عن خلق الكبر كثيرة وهي اكثر من ان تحصى فلا حاجة الى تعدادها فانها مشهورة فهذا هو الكبر وآفته
عظيمة وغائلته هائلة وفيه يهلك الخواص من الخلق وقلما ينفك عنه العباد والزهاد
والعلماء فضلا عن عوام الناس وكيف لا تعظم آفته وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من في
قلبه مثقال ذرة من كبر وانما صار حجابا دون الجنة لانه يحول بين العبد وبين اخلاق المؤمنين كلها
وتلك الاخلاق هي ابواب الجنة والكبر وعزة النفس تغلق تلك الابواب كلها لانه لا يقدر على ان يحب
للمؤمنين ما يحب لنفسه وفيه شيء من العز ولا يقدر على التواضع وهو راس اخلاق المتقين وفيه
العز ولا يقدر على ترك الحقد وفيه العز ولا يقدر على الصدق وفيه العز ولا يقدر على ترك الحسد
وفيه العز ولا يقدر على ترك الغضب وفيه العز ولا يقدر على كظم الغيظ وفيه العز ولا يقدر على
النصح اللطيف وفيه العز ولا يقدر على قبول النصح وفيه العز ولا يسلم من الازدراء بالناس ومن اغتيابهم
وفيه العز ولا معنى للتطويل فما من خلق ذميم الا وصاحب العز والكبر مضطر اليه ليحفظ به عزه وما من
خلق محمود الا وهو عاجز عنه خوفا من ان يفوته عزه فمن هذا لم يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة
منه والاخلاق الذميمة متلازمة والبعض منها داع الى البعض لا محالة وشر انواع الكبر ما يمنع من
استفادة العلم وقبول الحق والانقياد له وفيه وردت الآيات التي فيها ذم الكبر والمتكبرين قال الله تعالى
والملائكة باسطوا ايديهم الى قوله تعالى وكنتم عن آياته تستكبرون ثم قال تعالى ادخلوا ابواب جهنم خالدين
فيها فبئس مثوى المتكبرين ثم اخبر ان اشد اهل النار عذابا اشدهم عتيا على الله تعالى فقال تعالى ثم
لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا وقال تعالى فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون
وقال تعالى قال الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين وقال تعالى ان الذين يستكبرون
عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وقال تعالى ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق قيل
في التفسير سارفع فهم القرآن عن قلوبهم وفي بعض التفاسير ساحجب قلوبهم عن الملكوت وقال ابن جريج
ساصرفهم عن ان يتفكروا فيها ويعتبروا بها ولذلك قال المسيح عليه السلام ان الزرع ينبت
في السهل ولا ينبت على الصفا كذلك الحكمة تعمر في القلب المتواضع ولا تعمر في القلب المتكبر الا ترون انه
من شمخ براسه الى السقف شجه ومن طاطا اظله واكنه فهذا مثل ضربه للمتكبرين وانهم كيف يحرمون
الحكمة ولذلك ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حقيقته فقال من سفه الحق وغمص الناس **بيان**
المتكبر عليه واقسامه ودرجاته وثمرات الكبر فيه اعلم ان المتكبر عليه هو الله او رسله او سائر
خلقه وقد خلق الانسان ظلوما جهولا فتارة يتكبر على الخلق وتارة على الخالق فاذا التكبر باعتبار المتكبر
عليه ثلاثة اقسام **القسم الاول** التكبر على الله وذلك هو افحش انواع الكبر ولا مثار له الا الجهل
المحض والطغيان مثل ما كان من نمرود فانه كان يحدث نفسه بان يقاتل رب السماء وكما يحكى عن جماعة
من الجهلة بل ما يحكى عن كل من ادعى الربوبية مثل فرعون وغيره فانه لتكبره قال انا ربكم الاعلى اذ
استنكف ان يكون عبدا لله ولذلك قال تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا
الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر الآية وقال تعالى واذا قيل لهم اسجدوا
للرحمن قالوا وما الرحمن انسجد لما تامرنا وزادهم نفورا **القسم الثاني** التكبر على الرسل وذلك من
حيث تعزز النفس وترفعها عن الانقياد لبشر مثل سائر الناس وذلك تارة يصرف عن الفكر والاستبصار

فيبقى في ظلمة الجهل بكبره فيمتنع عن الانقياد للحق والتواضع للرسول كما حكى الله تعالى عن قولهم انؤمن لبشرين
مثلنا وقومهما لنا عابدون ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون وقالوا لولا انزل عليه ملك وقال فرعون
فيما اخبر الله تعالى عنه او جاء معه الملائكة مقترنين كما قال الله تعالى واستكبر هو وجنوده في الارض بغير
الحق فتكبر هو على الله وعلى رسوله جميعا قال وهب بن منبه قال له موسى عليه السلام آمن ولك ملكك قال حتى
اشاور هامان فشاور هامان فقال هامان بينما انت رب تعبد اذ صرت عبدا تعبد فاستنكف عن عبودية
الله تعالى وعن اتباع موسى عليه السلام وقالت قريش فيما اخبر الله تعالى عنهم لولا نزل هذا القرآن
على رجل من القريتين عظيم قال قتادة الوليد بن المغيرة وابو مسعود الثقفي طلبوا من هو اعظم رياسة
من النبي عليه السلام اذ قالوا غلام يتيم كيف بعثه الله تعالى الينا فقال تعالى اهم يقسمون رحمت ربك
وقال تعالى ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اي استحقارا لهم واستبعادا لتقدمهم وقالت
قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نجلس اليك وعندك هؤلاء اشاروا الى فقراء المسلمين فازدروهم باعينهم
وتكبروا عن مجالستهم فانزل الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا
تعد عيناك عنهم تريد زينة الحيوة الدنيا ثم اخبر الله تعالى عن تعجبهم حين دخلوا جهنم اذ لم يروا الذين
ازدروهم فقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار قيل يعنون عمارا وبلالا وصهيبا والمقداد رضي الله
عنهم ثم كان منهم من منعه الكبر عن الفكر والمعرفة فجهل كونه صلى الله عليه وسلم محقا ومنهم من عرف ومنعه
الكبر عن الاعتراف قال الله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا
وهذا الكبر قريب من التكبر على الله وان كان دونه ولكنه تكبر على قبول امر الله والتواضع لرسوله **القسم
الثالث** التكبر على العباد وذلك بان يستعظم نفسه ويستحقر غيره فتأبى نفسه عن الانقياد لهم وتدعوه
الى الترفع عليهم فيزدريهم ويستصغرهم ويأنف من مساواتهم وهذا وان كان دون الاول والثاني فهو
ايضا عظيم من وجهين احدهما ان الكبر والعز والعظمة والعلاء لا يليق الا بالملك القادر فاما المملوك العبد
الضعيف العاجز الذي لا يقدر على شيء فمن اين يليق به الكبر فمهما تكبر العبد فقد نازع الله تعالى في صفة
لا تليق الا بجلاله ومثاله ان يأخذ الغلام قلنسوة الملك فيضعها على رأسه ويجلس على سريره فما اعظم
استحقاقه للمقت وما اعظم تعرضه للخزي والنكال وما اشد استجراءه على مولاه وما اقبح ما تعاطاه والى
هذا المعنى الاشارة بقوله تعالى العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته اي انه خاص صفتي ولا يليق
الا بي فقد جنى عليه ان الذي يسترذل خواص غلمان الملك ويستخدمهم ويترفع عليهم ويستأثر بما حق الملك
ان يستأثر به منهم فهو منازع له في بعض امره وان لم تبلغ درجته درجة من اراد الجلوس على سريره والاستبداد
بملكه فالخلق كلهم عباد الله وله العظمة والكبرياء عليهم فمن تكبر على عبد من عباده فقد نازع الله تعالى في حقه
نعم الفرق بين هذه المنازعة وبين منازعة نمرود وفرعون ما هو الفرق بين منازعة الملك في استصغار بعض
عبيده واستخدامهم وبين منازعته في اصل الملك **الوجه الثاني** الذي تعظم به رذيلة الكبر
انه يدعو الى مخالفة الله تعالى في اوامره لان المتكبر اذا سمع الحق من عبد من عباد الله استنكف من قبوله
وتشمر لجحده ولذلك ترى المناظرين في مسائل الدين يزعمون انهم يتباحثون عن اسرار الدين ثم انهم يتجاحدون
تجاحد المتكبرين ومهما اتضح الحق على لسان واحد منهم انف الآخر من قبوله وتشمر لجحده واحتال لدفعه بما يقدر
عليه من التلبيس وذلك من اخلاق الكافرين والمنافقين اذ وصفهم الله تعالى فقال وقال الذين كفروا
لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون فكل من يناظر للغلبة والافحام لا ليغتنم الحق اذا ظفر به فقد

شاركهم في هذا الخلق وكذلك يحمل على الانفة من قبول الوعظ كما قال تعالى واذا قيل له اتق الله اخذته العزة
بالاثم **وروي** عن عمر رضي الله عنه انه قرأها فقال انا لله وانا اليه راجعون قام رجل يأمر بالمعروف
فقتل فقام آخر فقال تقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فقتل المتكبر الذي خالفه والذي امره
كبرا وقال ابن مسعود رضي الله عنه كفى بالمرء اثما اذا قيل له اتق الله قال عليك نفسك وقال
صلى الله عليه وسلم لرجل كل بيمينك قال لا استطيع فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا استطعت فما منعه الا
كبره قال فما رفعها بعد ذلك اي اعتلت يده فاذا تكبره على الخلق عظيم لانه سيدعوه الى التكبر على امر الله
وانما ضرب ابليس مثلا لهذا وما حكى من احواله الا ليعتبر به فانه قال انا خير منه وهذا الكبر بالنسب لانه
قال خلقتني من نار وخلقته من طين فحمله ذلك على ان لا يمتنع من السجود الذي امره الله تعالى به وكان
مبدأه التكبر على آدم والحسد له فجره ذلك الى التكبر على امر الله تعالى وكان ذلك سبب هلاكه ابد الآباد
فهذه آفة من آفات الكبر على العباد عظيمة ولذلك شرح رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبر بهاتين الآفتين
اذ سأله ثابت بن قيس بن شماس فقال يا رسول الله اني امرؤ قد حبب الي من الجمال ما ترى افمن الكبر هو فقال
صلى الله عليه وسلم لا ولكن الكبر من بطر الحق وغمص الناس وفي حديث آخر من سفه الحق وقوله وغمص الناس اي
ازدراهم واستحقرهم وهم عباد الله امثاله او خير منه وهذه الآفة الاولى وسفه الحق هو رده وهي الآفة الثانية
فكل من رأى انه خير من اخيه واحتقر اخاه وازدراه ونظر اليه بعين الاستصغار او رد الحق وهو يعرفه فقد
تكبر فيما بينه وبين الخلق ومن انف من ان يخضع لله تعالى ويتواضع لطاعته واتباع رسله فقد تكبر فيما بينه وبين
الله ورسله **بيان ما به التكبر** اعلم انه لا يتكبر الا من استعظم نفسه ولا يستعظمها الا وهو
يعتقد لها صفة من صفات الكمال ومجامع ذلك يرجع الى كمال ديني او دنيوي فالديني هو العلم والعمل والدنيوي
هو النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الانصار فهذه سبعة اسباب **الاول** العلم وما اسرع الكبر
الى العلماء ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم آفة العلم الخيلاء فلا يلبث العالم ان يتعزز بعز العلم ويستشعر
في نفسه كمال العلم وجماله ويستعظم نفسه ويستحقر الناس وينظر اليهم نظره الى البهائم ويستجهلهم
ويتوقع ان يبدؤه بالسلام فان بدأ احدا منهم بالسلام او رد عليه ببشر او قام له او اجاب له دعوة رأى ذلك
صنيعة عنده ويدا عليه يلزمه شكرها واعتقد انه اكرمهم وفعل بهم ما لا يستحقون من مثله وانه
ينبغي ان يرقوا له ويخدموه شكرا له على صنيعه بل الغالب انهم يبرونه فلا يبرهم ويزورونه فلا يزورهم ويعودونه
فلا يعودهم ويستخدم من خالطه منهم ويستسخره في حوائجه فان قصر فيه استنكره كأنهم عبيده او
اجراؤه وكأن تعليمه العلم صنيعة منه لديهم ومعروف اليهم واستحقاق حق عليهم هذا فيما يتعلق بالدنيا
اما في امر الآخرة فتكبره عليهم بانه يرى نفسه عند الله تعالى اعلى وافضل منهم فيخاف عليهم اكثر مما يخاف على نفسه
ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لهم وهذا بان يسمى جاهلا اولى من ان يسمى عالما بل العلم الحقيقي هو الذي يعرف
الانسان به نفسه وربه وخطر الخاتمة وحجة الله على العلماء وعظم خطر العلم فيه كما سيأتي في طريق معالجة
الكبر بالعلم وهذا العلم يزيد خوفا وتواضعا وتخشعا ويقتضي ان يرى ان كل الناس خير منه لعظم حجة الله
عليه بالعلم وتقصيره في القيام بشكر نعمة العلم ولهذا قال ابو الدرداء من ازداد علما ازداد وجعا وهو كما قال
فان قلت فما بال بعض الناس يزداد بالعلم كبرا وامنا فاعلم ان لذلك سببين احدهما ان يكون اشتغاله بما يسمى
علما وليس بعلم حقيقي وانما العلم الحقيقي ما يعرف العبد به نفسه وربه وخطر امره في لقاء الله تعالى والحجاب منه وهذا
يورث الخشية والتواضع دون الكبر والامن قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فاما ما وراء ذلك كعلم

الطب والحساب واللغة والشعر والنحو وفصل الخصومات وطرق المجادلات فاذا تجرد الانسان لها
حتى امتلأ منها امتلأ بها كبرا ونفاقا وهذه العلوم اشبه بالصناعات اولى من ان تسمى علوما بل العلم هو معرفة
العبودية والربوبية وطريق العبادة وهذا يورث التواضع غالبا **السبب الثاني** ان يخوض
العبد في العلم وهو خبيث الدخلة ردي النفس سي الاخلاق فانه لم يشتغل اولا بتهذيب نفسه وتزكية
قلبه بانواع المجاهدات ولم يرض نفسه في عبادة ربه فبقي خبيث الجوهر فاذا خاض في العلم اي علم كان صادف
العلم من قلبه منزلا خبيثا فلم يطب ثمره ولم يظهر في الخير اثره وقد ضرب وهب لهذا مثلا فقال العلم
كالغيث ينزل من السماء حلوا صافيا فتشربه الاشجار بعروقها فتحوله على قدر طعومها فيزداد المر مرارة
والحلو حلاوة فكذلك العلم يحفظه الرجال فتحوله على قدر هممها واهوائها فيزيد المتكبر كبرا والمتواضع
تواضعا وهذا لان من كانت همته الكبر وهو جاهل فاذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به فازداد كبرا
واذا كان الرجل خائفا مع جهله فازداد علما علم ان الحجة تأكدت عليه فيزداد خوفا واشفاقا وذلا
وتواضعا فالعلم من اعظم ما يتكبر به ولاجل ذلك قال الله تعالى لنبيه واخفض جناحك لمن اتبعك
من المؤمنين وقال تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ووصف اولياءه فقال تعالى
اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه العباس يكون
قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن اقرأ منا ومن اعلم منا ثم التفت الى
اصحابه فقال اولئك منكم ايها الامة اولئك هم وقود النار ولذلك قال عمر رضي الله عنه لا تكونوا
جبابرة العلماء فلا يفي علمكم بجهلكم ولذلك استأذن تميم الداري عمر في القصص فابى ان يأذن له وقال
انه الذبح واستأذنه رجل كان امام قوم انه اذا سلم من صلاته ذكرهم فقال اني اخاف ان تنتفخ حتى تبلغ
الثريا وصلى حذيفة بقوم فلما سلم قال لتلتمسن اماما غيري او لتصلن وحدانا اني رأيت في نفسي انه ليس
في القوم افضل مني فاذا كان مثل حذيفة لا يسلم فكيف يسلم الضعفاء من متاخري هذه الامة فما اعز على بسيط
الارض عالما يستحق ان يقال له عالم ثم انه لا يحركه عز العلم والخيلاء فان وجد ذلك فهو صديق زمانه
فلا ينبغي ان يفارق بل يكون النظر اليه عبادة فضلا عن الاستفادة من انفاسه واحواله ولو عرفنا ذلك
ولو في اقصى الصين لسعينا اليه رجاء ان تشملنا بركته وتسري الينا سيرته وسجيته وهيهات فانى
يسمح اخر الزمان بمثلهم فهم ارباب الاقبال واصحاب الدول وقد انقرضوا في القرن الاول ومن يليهم
بل يعز فينا عالم يختلج في نفسه الاسف والحزن على فوات هذه الخصلة فذلك ايضا اما معدوم
واما عزيز ولولا بشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله سيأتي على الناس زمان من تمسك بعشر ما انتم
عليه نجا لكان جديرا بنا ان نقتحم والعياذ بالله ورطة الياس والقنوط مع ما نحن فيه من سوء اعمالنا
ومن لنا ايضا بالتمسك بعشر ما كانوا عليه وليتنا تمسكنا بعشر عشره فنسأل الله تعالى ان يعاملنا
بما هو اهله وان يستر علينا قبائح اعمالنا كما يقتضيه كرمه وفضله **الثالث** العمل والعبادة
وليس يخلو عن رذيلة العز والكبر واستمالة قلوب الناس الزهاد والعباد ويترشح الكبر منهم في
الدين والدنيا اما الدنيا فهو انهم يرون غيرهم بزيارتهم اولى منهم بزيارة غيرهم ويتوقعون قيام
الناس بقضاء حوائجهم وتوقيرهم والتوسع لهم في المجالس وذكرهم بالورع والتقوى وتقديمهم
على سائر الناس في الحظوظ الى جميع ما ذكرناه في حق العلماء وكانهم يرون عبادتهم منة على الخلق واما في
الدين فهو ان يرى الناس هالكين ويرى نفسه ناجيا وهو الهالك تحقيقا مهما رأى ذلك قال النبي صلى

الله عليه وسلم اذا سمعتم الرجل يقول هلك الناس فهو اهلكهم وانما قال ذلك لان هذا القول يدل على
انه مزدري لخلق الله مغتر بالله امن من مكره غير خائف من سطوته وكيف لا يخاف من سطوته ويكفيه شرا احتقاره
لغيره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء شرا ان يحقر اخاه المسلم وكم من الفرق بينه وبين من يحبه لله
تعالى ويعظمه لعبادته ويستعظمه ويرجو له ما لا يرجو لنفسه فالخلق يدركون النجاة بتعظيمهم
اياه لله فهم يتقربون الى الله تعالى بالدنو منه وهو يتمقت الى الله بالتنزه والتباعد منهم كانه
مترفع عن مجالستهم فما اجدرهم اذا احبوه لصلاحه ان ينقلهم الله تعالى الى درجته في العمل وما اجدره
اذا ازدراهم بعينه ان ينقله الله تعالى الى حد الاهمال كما روي ان رجلا في بني اسرائيل يقال له خليع بني
اسرائيل لكثرة فساده مر برجل اخر يقال له عابد بني اسرائيل وكان على راس العابد غمامة تظله فلما مر الخليع
فقال الخليع في نفسه انا خليع بني اسرائيل وهذا عابد بني اسرائيل فلو جلست اليه لعل الله تعالى يرحمني
فجلس اليه فقال العابد انا عابد بني اسرائيل وهذا خليع بني اسرائيل كيف يجلس الي فانف منه وقال له قم
عني فاوحى الله تعالى الى نبي ذلك الزمان مرهما فليستأنفا العمل فقد غفرت للخليع واحبطت عمل
العابد وفي رواية اخرى فتحولت الغمامة الى راس الخليع وهذا يعرفك ان الله تعالى انما يريد من العبيد قلوبهم
فالجاهل والعاصي اذا تواضع وذل هيبة لله تعالى وخوفا منه فقد اطاع الله بقلبه فهو اطوع لله من العالم
المتكبر والعابد المعجب وكذلك روي ان رجلا في بني اسرائيل اتى عابدا من بني اسرائيل فوطئ على رقبته وهو
ساجد فقال ارفع فوالله لا يغفر الله لك فاوحى الله اليه ايها المتألي علي بل انت لا يغفر الله لك وكذلك قال الحسن وحتى
ان صاحب الصوف اشد كبرا من صاحب المطرف الخز اي ان صاحب الخز يذل لصاحب الصوف ويرى الفضل له وصاحب
الصوف يرى الفضل لنفسه وهذه الافة ايضا قلما ينفك عنها كثير من العباد وهو انه لو استخف به مستخف
او اذاه مؤذ استبعد ان يغفر الله لمن فعل به ولا يشك في انه صار ممقوتا عند الله تعالى ولو اذى مسلما اخر
لم يستنكر ذلك الاستنكار وذلك لعظم قدر نفسه عنده وهو جهل وجمع بين العجب والكبر والاغترار
بالله عز وجل وقد ينتهي الحمق والغباوة ببعضهم الى ان يتحدى ويقول سترون ما يجري عليه فاذا اصيب بنكبة
زعم ان ذلك من كراماته وان الله تعالى ما اراد به الا شفاء غليله والانتقام منه مع انه يرى طبقات من الكفار يسبون
الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وعرف جماعة اذوا الانبياء صلوات الله عليهم فمنهم من ضربهم ومنهم من
قتلهم ثم ان الله تعالى امهل اكثرهم ولم يعاقبهم في الدنيا بل ربما اسلم بعضهم فلم يصبه مكروه في الدنيا
ولا الاخرة ثم ان الجاهل المغرور يظن انه اكرم على الله عز وجل من انبيائه وانه قد انتقم له بما لم ينتقم لانبيائه به
ولعله في مقت الله باعجابه وكبره وهو غافل عن هلاك نفسه فهذه عقيدة المغترين واما الاكياس من
العباد فيقولون ما كان يقوله عطاء السلمي حين كانت تهب ريح او تقع صاعقة ما يصيب الناس ما يصيبهم
الا بسببي لو مات عطاء لتخلصوا وما قاله الاخر بعد انصرافه من عرفات كنت ارجو الرحمة لجميعهم
لولا كوني فيهم فانظر الى الفرق بين الرجلين هذا يتقي الله ظاهرا وباطنا وهو وجل على نفسه مزدر لعمله وسعيه
وذلك ربما يضمر من الرياء والكبر والحسد والغل ما هو ضحكة للشيطان ثم انه يمتن على الله تعالى بعمله ومن
اعتقد جزما انه فوق احد من عباد الله عز وجل فقد احبط بجهله جميع عمله فان الجهل افحش المعاصي واعظم
شيء يبعد العبد عن الله وحكمه لنفسه بانه خير من غيره جهل محض وامن من مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم
الخاسرون ولذلك روي ان رجلا ذكر بخير للنبي صلى الله عليه وسلم فاقبل ذات يوم فقالوا يا رسول الله هذا
الذي ذكرناه لك فقال اني ارى في وجهه سفعة من الشيطان فسلم ووقف على النبي صلى الله عليه وسلم

اصحابه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اسألك بالله هل حدثتك نفسك انه ليس في القوم افضل منك قال
اللهم نعم فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنور النبوة ما استكن في قلبه سفعة في وجهه وهذه آفة لا ينفك
عنها احد من العباد الا من عصمه الله تعالى لكن العلماء والعباد في آفة الكبر على ثلاث درجات الدرجة
الاولى ان يكون الكبر مستقرا في قلبه يرى نفسه خيرا من غيره الا انه يجتهد ويتواضع ويفعل فعل من يرى غيره
خيرا من نفسه وهذا قد رسخ في قلبه شجرة الكبر ولكنه قطع اغصانها بالكلية الثانية ان يظهر
ذلك على افعاله بالترفع في المجالس والتقدم على الاقران واظهار الانكار على من يقصر في حقه وادنى ذلك في
العالم ان يصعر خده للناس كأنه معرض عنهم وفي العابد ان يعبس وجهه ويقطب جبينه كأنه متنزه
عن الناس مستقذر لهم او غضبان عليهم وليس يعلم المسكين ان الورع ليس في الجبهة حتى يقطب ولا
في الوجه حتى يعبس ولا في الخد حتى يصعر ولا في الرقبة حتى يطأطأ ولا في الذيل حتى يضم انما الورع في القلوب
قال صلى الله عليه وسلم التقوى ههنا واشار الى صدره فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اكرم الخلق
واتقاهم وكان اوسعهم خلقا واكثرهم بشرا وتبسما وانبساطا وكان الحارث يعجبني من القراء كل طليق
ضحاك كما روي عن الحارث بن جزء الزبيدي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يعجبني من
القراء كل طليق ضحاك فاما الذي تلقاه ببشر ويلقاك بعبوس يمن عليك بعمله فلا اكثر الله تعالى
في المسلمين مثله ولو كان الله تعالى يرضى ذلك لما قال لنبيه صلى الله عليه وسلم واخفض جناحك
للمؤمنين وهؤلاء الذين يظهر اثر الكبر على شمائلهم واحوالهم اخف حالا ممن هو في الرتبة الثالثة
وهو الذي يظهر الكبر على لسانه حتى يدعوه الى الدعوى والمفاخرة والمباهاة وتزكية النفس وحكاية
الاحوال والمقامات والتشمر لغلبة الغير في العلم والعمل اما العابد فانه يقول في معرض التفاخر
لغيره من العباد من هو وما عمله ومن اين زهده فيطول اللسان فيهم بالتنقص ثم يثني على نفسه
ويقول اني لم افطر منذ كذا وكذا ولا انام الليل واختم القرآن في كل يوم وفلان ينام سحرا ولا يكثر القراءة وما
يجري مجراه وقد يزكي نفسه ضمنا فيقول قصدني فلان بسوء فهلك ولده او اخذ ماله او مرض او ما يجري
مجراه يدعي الكرامة لنفسه واما مباهاته فهو انه لو وقع مع قوم يصلون بالليل قام وصلى اكثر مما كان
يصلي وان كانوا يصبرون على الجوع يكلف نفسه الصبر ليغلبهم ويظهر لهم قوته وعجزهم وكذلك
يشتد في القتال والعبادة حرصا ان يقال عنه انه اعبد منه او اقوى منه في دين الله واما العالم فانه
يتفاخر ويقول انا متفنن في العلوم ومطلع على الحقائق ورأيت من الشيوخ فلانا وفلانا ومن انت وما
فضلك ومن لقيت وما الذي سمعت من الحديث كل ذلك ليصغره ويعظم نفسه واما مباهاته فهو انه
يجتهد في المناظرة ان يغلب ولا يغلب ويسهر طول الليل والنهار في تحصيل علوم يتجمل بها في المحافل كالمنا
ظرة والجدل وتحسين العبارة وتسجيع الالفاظ وحفظ العلوم الغريبة ليغرب بها على الاقران ويتعظم
عليهم ويحفظ الاحاديث والفاظها واسانيدها حتى يرد على من اخطأ فيها فيظهر فضله ونقصان
اقرانه ويفرح مهما اخطأ واحد منهم ليرد عليه ويسوءه اذا اصاب واحسن خيفة من ان يرى انه اعظم منه
فهذا كله اخلاق الكبر وآثاره التي يثمرها التعزز بالعلم والعمل واين من يخلو عن جميع ذلك او عن
بعضه فليت شعري من عرف هذه الاخلاق من نفسه وسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل
الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر كيف يستعظم نفسه ويتكبر على غيره وهو يسمع قول رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه من اهل النار وانما العظيم من خلا عن هذا ومن خلا عنه لم يكن فيه تعظم وتكبر و

العالم هو الذي فهم ان الله تعالى قال له ان لك عندنا قدرا ما لم تر لنفسك قدرا فان رأيت لها قدرا
فلا قدر لك عندنا ومن لم يعلم هذا من الدين فاسم العالم عليه كذب ومن علمه لزمه ان لا يتكبر ولا يرى
لنفسه قدرا فهذا هو الكبر بالعلم والعمل الثالث التكبر بالنسب والحسب فالذي له نسب
شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب وان كان ارفع منه عملا وعلما وقد يتكبر بعضهم فيرى ان
الناس لهم موال وعبيد ويأنف من مخالطتهم ومجالستهم وثمرته على اللسان التفاخر فيقول
لغيره يا نبطي ويا هندي ويا ارمني من انت ومن ابوك فانا فلان بن فلان واين لمثلك ان يكلمني او ينظر
الي ومع مثلي تتكلم وما يجري مجراه وذلك عرق دفين في النفس لا ينفك عنه نسيب فان كان صالحا
وعاقلا الا انه قد لا يترشح منه ذلك عند اعتدال الاحوال فان غلبه غضب اطفأ ذلك نور بصيرته وترشح
منه كما روي عن ابي ذر رضي الله عنه قال قاولت رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له يا ابن
السوداء فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابا ذر طف الصاع ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل قال
ابو ذر رضي الله عنه فاضطجعت وقلت للرجل قم فطأ على خدي فانظر كيف نبهه رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه رأى لنفسه فضلا بكونه ابن بيضاء وان ذلك خطأ وجهل وانظر كيف تاب وكيف قلع عن
نفسه شجرة الكبر بأخمص قدم من تكبر عليه اذ عرف ان العز لا يقمعه الا الذل ومن ذلك ما روي ان رجلين
تفاخرا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال احدهما للآخر انا فلان بن فلان فمن انت لا ام لك فقال النبي
صلى الله عليه وسلم افتخر رجلان عند موسى عليه السلام فقال احدهما انا فلان بن فلان حتى عد تسعة فأوحى
الله تعالى الى موسى عليه السلام قل للذي افتخر بل التسعة من اهل النار وانت عاشرهم وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليدعن اقوام الفخر بآبائهم وقد صاروا فحما في جهنم او ليكونن اهون على الله من الجعلان
التي تدوف بآنافها القذر والرابع التفاخر بالجمال وذلك اكثر ما يجري بين النساء ويدعو ذلك الى
التنقص والثلب والغيبة وذكر عيوب الناس ومن ذلك ما روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت
دخلت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت بيدي هكذا اي انها قصيرة فقال النبي صلى الله عليه
وسلم قد اغتبتها وهذا منشؤه خفي الكبر لانها لو كانت ايضا قصيرة لما ذكرتها بالقصر فكأنها اعجبت
بقامتها واستقصرت المرأة في جنب نفسها فقالت ما قالت الخامس الكبر بالمال وذلك يجري
بين الملوك في خزائنهم وبين التجار في بضائعهم وبين الدهاقين في اراضيهم وبين المتجملين في
لباسهم وخيولهم ومراكبهم فيستحقر الغني الفقير ويتكبر عليه ويقولون له انت مكدي ومسكين
وانا لو اردت لاشتريت مثلك واستخدمت من هو فوقك ومن انت وما معك واثاث بيتي يساوي
اكثر من جميع مالك وانا انفق في اليوم ما تأكله في سنة وكل ذلك لاستعظامه الغنى واستحقاره
الفقر وكل ذلك جهل منه بآفة الغنى وفضيلة الفقر واليه الاشارة بقوله تعالى لصاحبه وهو يحاوره
انا اكثر منك مالا واعز نفرا حتى اجابه فقال ان ترن انا اقل منك مالا وولدا فعسى ربي ان يؤتين
خيرا من جنتك الآية وكان ذلك تكبرا منه بالمال والولد ثم بين الله تعالى عاقبته بقوله يا ليتني
لم اشرك بربي احدا ومن ذلك تكبر قارون اذ قال تعالى فخرج على قومه في زينته حتى قال قوم يا ليت
لنا مثل ما اوتي قارون السادس التكبر بالقوة وشدة البطش والتكبر به على اهل الضعف السابع
التكبر بالاتباع والانصار والتلامذة والغلمان وبالعشيرة والاقارب والبنين ويجري ذلك بين
الملوك في المكاثرة بالجنود وبين العلماء بالمكاثرة بالمستفيدين وبالجملة فكل ما هو نعمة وامكن ان

يعتقد كمالا وان لم يكن في نفسه كمالا اذ يمكن ان يتكبر حتى ان المخنث يتكبر على اقرانه بزيادة معرفته وقدرته في
صنعة المخنثين لانه يرى ذلك كمالا فيفتخر به وان لم يكن فعله الا نكالا وكذلك الفاسق قد يفتخر بكثرة
الشرب وكثرة الفجور بالنسوان والغلمان ويتكبر به لظنه ان ذلك كمال وان كان مخطئا فيه فهذه مجامع ما
يتكبر به العباد بعضهم على بعض فيتكبر من يدلي بشيء منه على من لا يدلي به او على من يدلي بما هو دونه
في اعتقاده وربما كان مثله او فوقه عند الله كالعالم الذي يتكبر بعلمه على من هو اعلم منه لظنه انه اعلم و
يحسن اعتقاده في نفسه **بيان البواعث على التكبر واسبابه المهيجة له** اعلم ان الكبر خلق باطن
واما ما يظهر من الاخلاق والافعال فهي ثمرة ونتيجة وينبغي ان تسمى تكبرا ويخص اسم الكبر بالمعنى الباطن
الذي هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير وهذا الباطن له موجب واحد وهو العجب
كما سياتي معناه فانه اذا اعجب بنفسه او بعلمه وعمله او بشيء من اسبابه استعظم نفسه وتكبر واما
التكبر الظاهر فاسبابه ثلاثة سبب الذي في المتكبر فهو العجب والذي يتعلق بغيرهما اما السبب
الذي في المتكبر فهو العجب والذي يتعلق بالمتكبر عليه هو الحقد والحسد والذي يتعلق بغيرهما هو الريا
فتصير الاسباب بهذا الاعتبار اربعة العجب والحقد والحسد والريا اما العجب فقد ذكرنا انه يورث
الكبر الباطن والكبر الباطن يثمر التكبر الظاهر في الاعمال والاقوال والاحوال واما الحقد فانه قد يحمل على التكبر
من غير عجب كالذي يتكبر على من يرى انه مثله او فوقه ولكن قد غضب عليه بسبب سبق منه فاورثه
الغضب حقدا ورسخ في قلبه بغضه فهو لذلك لا تطاوعه نفسه ان يتواضع له وان كان عنده مستحقا
للتواضع فكم من رذل لا تطاوعه النفس على التواضع لواحد من الاكابر لحقده عليه او بغضه له ويحمله
ذلك على رد الحق اذا جاء من جهته وعلى الانفة من قبول نصحه وعلى ان يجتهد في التقدم عليه وان
علم انه لا يستحق ذلك وعلى ان لا يستحله وان ظلمه ولا يعتذر اليه وان جنى عليه ولا يسال عما هو جاهل
به واما الحسد فانه يوجب البغض للمحسود وان لم يكن من جهته ايذاء وسبب يقتضي الغضب والحقد ويدعو
الحسد ايضا الى جحد الحق حتى يمنع من قبول النصح وتعلم العلم فكم من جاهل يشتاق الى العلم وقد بقي
في رذيلة الجهل لاستنكافه ان يستفيد من واحد من اهل بلده او اقاربه حسدا وبغيا عليه فهو يعرض
عنه ويتكبر عليه مع معرفته بانه يستحق التواضع بفضل علمه ولكن الحسد يبعثه على ان يعامله باخلاق
المتكبرين وان كان في باطنه ليس يرى نفسه فوقه واما الريا فهو ايضا يدعو الى اخلاق المتكبرين حتى ان الرجل
ليناظر من يعلم انه افضل منه وليس بينه وبين معرفة ولا محاسدة ولا حقد ولكن يمتنع من قبول الحق منه ولا
يتواضع له في الاستفادة خيفة من ان يقول الناس انه افضل منه فيكون باعثه على التكبر عليه واما الذي
يتكبر بالعجب او الحسد او الحقد فانه يتكبر ايضا عند الخلوة به مهما لم يكن معهما ثالث وكذلك قد ينتمي الى
نسب شريف كاذبا وهو يعلم انه كاذب ثم يتكبر به على من ليس ينتسب الى ذلك النسب ويترفع عليه في
المجالس ويتقدم عليه في الطريق ولا يرضى بمساواته في الكرامة والتوقير وهو عالم باطنا بانه لا يستحق ذلك
ولا كبر في باطنه لمعرفته انه كاذب في دعوى النسب ولكن يحمله الريا على افعال المتكبرين وكان اسم المتكبر انما
يطلق في الاكثر بعين الاحتقار وهو ان يسمى متكبرا فلاجل التشبه بافعال الكبر **بيان اخلاق
المتواضعين** ومجامع ما يظهر فيه اثر التواضع والكبر اعلم ان التكبر يظهر في شمائل الرجل كصعر في وجهه و
نظره شزرا واطراقه راسه وجلوسه متربعا او متكئا وفي اقواله حتى في صوته ونغمته وصيغته في الايراد و
يظهر في مشيته وتبختره وقيامه وجلوسه وحركاته وسكناته وفي تعاطيه لافعاله وفي سائر

تقلباته في احواله واقواله واعماله فمن المتكبرين من يجمع ذلك كله ومنهم من يتكبر في بعض و
يتواضع في بعض **فمنها** التكبر بان يحب قيام الناس له او بين يديه وقد قال علي كرم الله وجهه
من اراد ان ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر الى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام وقال انس لم يكن
شخص احب اليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا راوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته
لذلك **ومنها** ان لا يمشي الا ومعه غيره يمشي خلفه قال ابو الدرداء رضي الله عنه لا يزال العبد يزداد من الله
تعالى بعدا ما مشي خلفه وكان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لا يعرف من عبيده اذ كان
لا يتميز عنهم في صورة ظاهرة ومشى قوم خلف الحسن البصري فقال ما يبقي هذا من قلب العبد وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاوقات يمشي مع الاصحاب فيامرهم بالتقدم ويمشي في الغمار
اما لتعليم غيره واما لينفي عن نفسه وساوس الشيطان بالكبر والعجب كما اخرج الثوب الجديد
في الصلاة وابدله بالخليع لاحد هذين المعنيين **ومنها** ان لا يزور غيره وان كان يحصل من زيارته
خير لغيره في الدين وهو ضد التواضع وروي ان سفيان الثوري قدم الرملة فبعث اليه ابراهيم
ابن ادهم ان تعالى فحدثنا فجاء سفيان فقيل له يا ابا اسحق تبعث اليه بمثل هذا فقال اردت ان
انظر كيف تواضعه **ومنها** ان يستنكف من جلوس غيره بالقرب منه الا ان يجلس بين يديه والتواضع
خلافه قال ابن وهب جلست الى عبد العزيز بن ابي رواد فمس فخذي فخذه فنحيت نفسي عنه فاخذ
ثيابي فجرني الى نفسه وقال لم تفعلون بي ما تفعلون بالجبابرة واني لا اعرف منكم رجلا شرا مني
وقال انس كانت الوليدة من ولائد المدينة تاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينزع يده
منها حتى تذهب به حيث شاءت **ومنها** ان يتوقى مجالسة المرضى والمعلولين ويتحاشى عنهم
وهو من الكبر دخل رجل وعليه جدري قد تقشر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده اصحابه
ياكلون فما جلس الى احد الا قام من جنبه فاجلسه النبي صلى الله عليه وسلم بجنبه وكان عبد الله بن عمر
رضي الله عنهما لا يحبس عن طعامه مجذوما ولا ابرص ولا مبتلى الا اقعدهم على مائدته **ومنها**
ان لا يتعاطى بيده شغلا في بيته والتواضع خلافه روي ان عمر بن عبد العزيز اتاه ليلة ضيف
وكان يكتب فكاد السراج يطفى فقال الضيف اقوم الى المصباح فاصلحه فقال ليس من كرم الرجل ان
يستخدم ضيفه قال فانبه الغلام قال هي اول نومة نامها فقام واخذ البطة وملا المصباح
فقال الضيف قمت انت بنفسك يا امير المؤمنين فقال ذهبت وانا عمر ورجعت وانا عمر وخير
الناس من كان عند الله متواضعا **ومنها** ان لا ياخذ متاعه ويحمله الى بيته وهو خلاف
عادة المتواضعين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك وقال علي رضي الله عنه لا ينقص
الرجل من كماله ما حمل من شيء الى عياله وكان ابو عبيدة بن الجراح وهو امير يحمل سطلا له من خشب الى الحمام
وقال ثابت بن مالك رايت ابا هريرة اقبل من السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة لمروان
فقال اوسع الطريق للامير يا ابن ابي مالك وعن الاصبغ بن نباتة قال كاني انظر الى عمر رضي الله عنه
معلقا لحما في يده اليسرى وفي يده اليمنى الدرة يدور في الاسواق حتى دخل رحله وقال بعضهم
رايت عليا رضي الله عنه اشترى لحما بدرهم فحمله في ملحفته فقلت له احمل عنك يا امير المؤمنين
قال لا ابو العيال احق ان يحمل **ومنها** اللباس اذ يظهر به التكبر والتواضع وقد قال النبي
صلى الله عليه وسلم البذاذة من الايمان قال هرون سالت معنا عن البذاذة فقال هو الدون من

للباس وقال زيد بن وهب رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج الى السوق وبيده الدرة و
عليه ازار فيه اربعة عشر رقعة بعضها من ادم وعوتب علي رضي الله عنه في ازار مرقوع فقال
يقتدي به المؤمن ويخشع له القلب وقال عيسى عليه السلام جودة الثياب خيلاء القلب وقال
طاوس اني لاغسل ثوبي هذين فانكر قلبي ما داما نقيين ويروى ان عمر بن عبد العزيز رحمه
الله عليه كان قبل ان يستخلف تشترى له الحلة بالف دينار فيقول ما اجودها لولا خشونة فيها
فلما استخلف كان يشترى له الثوب بخمسة دراهم فيقول ما اجوده لولا لينه فيه فقيل له اين لباسك
ومركبك وعطرك فقال ان لي نفسا ذواقة تواقة وانها لم تذق من الدنيا طبقة الا تاقت الى الطبقة
التي فوقها حتى اذا ذاقت الخلافة وهي ارفع الطبقات تاقت الى ما عند الله عز وجل وقال سعيد
بن سويد صلى بنا عمر بن عبد العزيز ثم جلس وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه فقال
له رجل يا امير المؤمنين ان الله تعالى قد اعطاك فلو لبست فنكس مليا ثم رفع راسه فقال ان
افضل القصد عند الجدة وان افضل العفو عند القدرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ترك زينة لله ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله وابتغاء مرضاته كان حقا على الله ان يدخر له عبقري
الجنة **فان قلت** فقد قال عيسى عليه السلام جودة الثياب خيلاء القلب وقد سئل نبينا صلى
الله عليه وسلم عن الجمال في الثياب هل هو من الكبر قال لا ولكن من سفه الحق وغمص الناس فكيف طريق
الجمع بينهما فاعلم ان الثوب الجيد ليس من ضرورته ان يكون من التكبر في حق كل احد في كل حال وهو
الذي اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي عرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم من حال ثابت
بن قيس اذ قال اني امرؤ حبب الي من الجمال ما ترى فعرف ان ميله الى النظافة وجودة الثياب لا ليتكبر
على غيره فانه ليس من ضرورته ان يكون من الكبر كما ان الرضى بالثوب الدون قد يكون من التواضع وعلامة
المتكبر ان يطلب التجمل اذا راه الناس ولا يبالي اذا انفرد بنفسه كيف كان وعلامة طالب الجمال ان يحب
الجمال في كل شيء ولو في خلوته وحتى في ستور داره فذلك ليس من الكبر فاذا انقسمت الاحوال نزل قول عيسى
عليه السلام على بعض الاحوال على ان قوله هو خيلاء القلب يعني قد يورث خيلاء في القلب وقول نبينا
صلى الله عليه وسلم انه ليس من الكبر يعني ان الكبر لا يوجبه ويجوز ان لا يوجبه الكبر ثم يكون هو مورثا للكبر
وبالجملة فالاحوال تختلف في مثل هذا والمحبوب الوسط من اللباس الذي لا يوجب شهرة بالجودة ولا
بالرذالة وقد قال صلى الله عليه وسلم كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير سرف ولا مخيلة ان الله
يحب ان يرى اثر نعمته على عبده وقال بكر بن عبد الله المزني البسوا ثياب الملوك واميتوا قلوبكم
بالخشية وانما خاطب بهذا قوما يطلبون التكبر بثياب اهل الصلاح وقد قال عيسى عليه السلام
ما لكم تأتوني وعليكم ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب الذئاب الضواري البسوا ثياب الملوك والينوا قلوبكم
بالخشية **ومنها** ان يتواضع بالاحتمال اذا سب واوذي واخذ حقه فذلك هو الاصل وقد
اوردنا ما نقل عن السلف من احتمال الاذى في كتاب الغضب والحسد وبالجملة فمجامع حسن الاخلاق
والتواضع سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فينبغي ان يقتدى به ومنه ينبغي ان يتعلم وقد
قال ابن ابي سلمة قلت لابي سعيد الخدري ما ترى فيما احدث الناس من الملبس والمشرب والمركب و
المطعم فقال يا ابن اخي كل لله واشرب لله والبس لله وكل شيء من ذلك دخله زهو او مباهاة او ريا
او سمعة فهو معصية وسرف وعالج في بيتك من الخدمة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج

في بيته كان يعلف الناضح ويعقل البعير ويقم البيت ويحلب الشاة ويخصف النعل ويرقع
الثوب ويأكل مع خادمه ويطحن عنه اذا اعيا ويشتري الشيء من السوق ولا يمنعه الحياء ان يعلقه
بيده او يجعله في طرف ثوبه ينقلب الى اهله يصافح الغني والفقير والصغير والكبير ويسلم مبتديا
على كل من استقبله من صغير وكبير اسود واحمر حر وعبد من اهل الصلاة ليست له حلة للمدخل
وحلة للمخرج لا يستحيي من ان يجيب اذا دعي وان كان اشعث اغبر ولا يحقر ما دعي اليه وان لم يجد
الا حشف الدقل لا يرفع غداء لعشاء ولا عشاء لغداء هين المؤنة لين الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة
طلق الوجه بسام من غير ضحك محزون من غير عبوس شديد في غير عنف متواضع في غير مذلة جواد
من غير سرف رحيم لكل ذي قربى قريب من كل مسلم رقيق القلب دائم الاطراق لم يبشم قط من شبع
ولم يمد يده الى طمع قال ابو سلمة فدخلت على عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها فحدثتها بما قال
ابو سعيد فقالت ما اخطا حرفا ولقد قصر اذ ما اخبرك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم
يمتلئ قط شبعا ولم يبث الى احد شكوى وان كانت الفاقة لاحب اليه من اليسار والغنى وان كان
ليظل جائعا يلوي ليلته حتى يصبح فما يمنعه ذلك عن صيام يومه ولو شاء ان يسال ربه فيؤتى
بكنوز الارض وثمارها ورغد عيشها من مشارقها ومغاربها لفعل وربما بكيت رحمة له مما ارى به من
الجوع فامسح بطنه بيدي فاقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من
الجوع فيقول يا عائشة اخواني من اولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم
فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني استحيي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي
دونهم فاصبر اياما يسيرة احب الي من ان ينقص حظي غدا في الآخرة وما من شيء احب الي من اللحوق باخواني
واخلائي قالت عائشة رضي الله عنها فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله عز وجل فما نقل
من احواله صلى الله عليه وسلم يجمع جملة اخلاق المتواضعين فمن طلب التواضع فليقتد به ومن راى نفسه فوق
محمد صلى الله عليه وسلم ولم يرض لنفسه بما رضي هو به فما اشد جهله فلقد كان اعظم خلق الله تعالى منصبا
في الدنيا والدين فلا عز ولا رفعة الا في الاقتداء به ولذلك قال عمر رضي الله عنه انا قوم اعزنا الله تعالى
بالاسلام فلا نطلب العز في غيره لما عوتب في بذاذة هيئته عند دخوله الشام وقال ابو الدرداء ان
لله تعالى عبادا يقال لهم الابدال خلف من الانبياء هم اوتاد الارض فلما انقضت النبوة ابدل الله تعالى مكانهم
قوما من امة محمد صلى الله عليه وسلم لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلاة ولا حسن حلية ولكن بصدق الورع و
حسن النية وسلامة الصدور لجميع المسلمين والنصيحة لهم ابتغاء مرضاة الله بصبر وتخشع وتواضع في غير مذلة
وهم قوم اصطفاهم الله واستخلصهم لنفسه وهم اربعون صديقا منهم ثلاثون رجلا قلوبهم على مثل يقين ابراهيم
خليل الرحمن عليه السلام لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله تعالى قد انشا من يخلفه واعلم انهم لا يلعنون
شيئا ولا يؤذونه ولا يحقرونه ولا يتطاولون عليه ولا يحسدون احدا ولا يحرصون على الدنيا هم اطيب الناس
خيرا والينهم عريكة واسخاهم نفسا علامتهم السخاء وسجيتهم البشاشة وصفتهم السلامة ليسوا اليوم في
خشية وغدا في غفلة ولكن مداومين على حالهم الظاهر وهم فيما بينهم وبين ربهم لا تدركهم الرياح العواصف
ولا الخيل المجراة قلوبهم تصعد ارتياحا الى الله تعالى واشتياقا اليه وقدما في استباق الخيرات اولئك حزب
الله الا ان حزب الله هم المفلحون قال الراوي فقلت يا ابا الدرداء ما سمعت بصفة اشد علي من هذه الصفة وكيف
لي ان ابلغها قال ما بينك وبين ان تكون في اوسعها الا ان تبغض الدنيا فانك اذا ابغضت الدنيا اقبلت على حب الآخرة

وبعد حبك للآخرة تزهد في الدنيا وبعد ذلك تبصر ما ينفعك واذا علم الله تعالى من عبد حسن الطلب
اوزع عليهما السداد وما كنفه بالعصمة واعلم يا اخي ان ذلك في كتاب الله المنزل ان الله مع الذين اتقوا والذين هم
محسنون تكن عجبا ان كنت بمنظرنا في ذلك فما تلذذ المتلذذون بمثل حب الله تعالى وطلب مرضاته **بيان
الطريق في معالجة الكبر واكتساب التواضع** اعلم ان الكبر من المهلكات ولا يخلو احد من الخلق عن شيء منه وازالته
فرض عين ولا يزول بمجرد التمني بل بالمعالجة واستعمال الادوية القامعة له وفي معالجته مقامان احدهما استئصال
اصله من سنخه وقلع شجرته من مغرسها في القلب والثاني دفع العارض منه بالاسباب الخاصة التي بها يتكبر الانسان
على غيره **المقام الاول** في استئصال اصله وعلاجه علمي وعملي ولا يتم الشفاء الا بمجموعهما اما العلمي فهو
ان يعرف نفسه ويعرف ربه ويكفيه ذلك في ازالة الكبر فانه مهما عرف نفسه حق المعرفة علم انه اذل من كل ذليل
واقل من كل قليل وانه لا يليق به الا التواضع والذلة والمهانة واذا عرف ربه علم انه لا تليق العظمة والكبرياء الا
بالله عز وجل اما معرفته ربه وعظمته ومجده فالقول فيه يطول وهو منتهى علم المكاشفة واما معرفته نفسه
فهو ايضا يطول ولكنا نذكر من ذلك ما ينفع في اثارة التواضع والمذلة ويكفيه ان يعرف معنى اية واحدة في كتاب الله
تعالى فان في القرآن علم الاولين والاخرين لمن فتحت بصيرته وقد قال الله تعالى قتل الانسان ما اكفره من اي شيء خلقه
من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره فقد اشارت الاية الى اول خلق الانسان
ودنيا انه لم يكن شيئا مذكورا وقد كان في كتم العدم دهورا بل لم يكن لعدمه فقد اشارت الاية الى اول خلق الانسان
والى اخر امره والى وسطه فلينظر الانسان الى ذلك ليفهم معنى هذه الاية اما اول الانسان فهو انه لم يكن شيئا مذكورا
وقد كان في كتم العدم دهورا بل لم يكن لعدمه شيئا مذكورا وقد كان في الازل واي شيء اخس واقل من المحو و
العدم وقد كان في القدم ثم خلقه الله تعالى من اذل الاشياء ثم من اقذرها اذ خلقه من تراب ثم من نطفة ثم من
علقة ثم من مضغة ثم جعله عظاما ثم كسى العظم لحما فقد كان هذا بداية وجوده حيث صار شيئا مذكورا فما صار
شيئا مذكورا الا وهو على اخس الاوصاف والنعوت اذ لم يخلق في ابتدائه كاملا بل خلقه جمادا ميتا لا يسمع ولا يبصر ولا
يحس ولا يتحرك ولا ينطق ولا يبطش ولا يدرك ولا يعلم فبدأ بموته قبل حياته وبضعفه قبل قوته وبجهله قبل
علمه وبعماه قبل بصره وبصممه قبل سمعه وبكمه قبل نطقه وبضلالته قبل هداه وبفقره قبل غناه وبعجزه قبل
قدرته فهذا معنى قوله من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ومعنى قوله هل اتى على الانسان حين من الدهر
لم يكن شيئا مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج كذلك خلقه اولا ثم امتن عليه فقال ثم السبيل يسره
وهذه اشارة الى ما تيسر له في مدة حياته الى الموت وكذلك قال من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا
انا هديناه السبيل ومعناه انه احياه بعد ان كان جمادا ميتا ترابا اولا ونطفة ثانيا واسمعه بعد ما كان اصم وبصره
بعد ما كان فاقد البصر وقواه بعد الضعف وعلمه بعد الجهل وخلق له الاعضاء بما فيها من العجائب والايات
بعد الفقد لها واغناه بعد الفقر واشبعه بعد الجوع وكساه بعد العري وهداه بعد الضلال فانظر كيف دبره
وصوره والى السبيل كيف يسره والى طغيان الانسان ما اكفره والى جهل الانسان كيف اظهره فقال اولم ير الانسان
انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ومن اياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون فانظر الى نعمة
الله عليه كيف نقله من تلك الذلة والقلة والخسة والقذارة الى هذه الرفعة والكرامة فصار موجودا بعد
العدم وحيا بعد الموت وناطقا بعد البكم ومهتديا بعد الضلال وقادرا بعد العجز وغنيا بعد الفقر فكان
في ذاته لا شيء واي شيء اخس من لا شيء واي قلة اقل من العدم المحض ثم صار بالله شيئا وانما خلقه من التراب الذليل
والنطفة القذرة بعد العدم المحض ليعرفه خسة ذاته فيعرف به نفسه وانما اكمل النعمة عليه ليعرف بها

ربه ويعلم بها عظمته وجلاله وانه لا يليق الكبرياء الا به ولذلك امتن عليه فقال الم نجعل له عينين ولسانا
وشفتين وهديناه النجدين وعرفه خسته اولا فقال الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى
فجعل منه الزوجين الذكر والانثى ليدوم وجوده بالتناسل كما حصل وجوده ابتداء بالاختراع فمن كان هذا بدؤه
وهذه احواله فمن اين له البطر والكبرياء والفخر والخيلاء وهو على التحقيق اخس الاخساء واضعف الضعفاء ولو اكمله
وفوض اليه امره وادام له الوجود باختياره لجاز ان يطغى وينسى المبدا والمنتهى ولكنه سلط عليه في دوام وجوده
الامراض الهائلة والاسقام العظيمة والافات المختلفة والطبائع المتضادة من المرة والسوداء والبلغم والريح
والدم ويهدم البعض من اجزائه البعض شاء ام ابى رضي ام سخط فيجوع كرها ويعطش كرها ويمرض كرها ويموت
كرها لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا خيرا ولا شرا يريد ان يعلم الشيء فيجهله ويريد ان يذكر الشيء فينساه ويريد
ان ينسى الشيء ويغفل عنه فلا يغفل عنه ويريد ان يصرف قلبه الى ما يهمه فيجول في اودية الوساوس والافكار بالاضطرار
فلا يملك قلبه قلبه ولا نفسه نفسه يشتهي الشيء وربما يكون هلاكه فيه ويكره الشيء وربما تكون حياته فيه يستلذ
الاطعمة ويهلكه وترديه ويستبشع الادوية وهي تنفعه وتحييه ولا يامن في لحظة من ليله ونهاره ان يسلب سمعه و
بصره وتفلج اعضاؤه ويختلس عقله ويختطف روحه ويسلب جميع ما يهواه في دنياه فهو مضطر ذليل ان
ترك بقي وان اختطف فني عبد مملوك لا يقدر على شيء من نفسه ولا من غيره فاي شيء اذل منه لو عرف نفسه وانى
يليق الكبر به لولا جهله فهذا وسط احواله فليتامله واما اخره ومورده فهو الموت المشار اليه بقوله تعالى
ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره ومعناه انه يسلب روحه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته وحسه وادراكه
وحركته فيعود جمادا كما كان اول مرة لا يبقى الا شكل اعضائه وصورته لا حس فيه ولا حركة ثم يوضع في التراب
فيصير جيفة قذرة منتنة كما كان في الاول نطفة مذرة ثم تبلى اعضاؤه وتتفتت اجزاؤه وتنخر عظامه
فيصير رفاتا وياكل الدود اجزاءه فيبتدئ بحدقتيه فيقلعهما وبخديه فيقطعهما وبسائر اجزائه فيصير روثا
في اجواف الديدان ويكون جيفة يهرب منه الحيوان ويستقذره كل انسان ويهرب منه لشدة الانتان فاحسن
احواله ان يعود الى ما كان فيصير ترابا يعمل منه الكيزان ويعمر منه البنيان ويصير مفقودا بعد ما كان موجودا
وصار كان لم يغن بالامس حصيدا كما كان في اول امره امدا مديدا وليته بقي كذلك فما احسنه لو ترك ترابا
لا بل يحييه بعد طول البلى ليقاسي شديد البلاء فيخرج من قبره بعد جمع اجزائه المتفرقة ويخرج الى اهوال
القيامة فينظر الى قيامة قائمة وسماء مشققة ممزقة وارض مبدلة وجبال مسيرة ونجوم منكدرة وشمس
منكسفة واحوال مظلمة وملائكة غلاظ شداد وجحيم تزفر وجنة ينظر اليها المجرم فيتحسر ويرى
صحائف منشورة فيقال له اقرأ كتابك فيقول وما هو فيقال كان قد وكل بك في حياتك التي كنت تفرح بها
وتتكبر بنعيمها وتفتخر باسبابها ملكان رقيبان يكتبان عليك ما كنت تنطق به او تعمله من قليل وكثير ونقير
وقطمير واكل وشرب وقيام وقعود وقد نسيت ذلك واحصاه الله تعالى عليك فهلم الى الحساب واستعد
للجواب او تساق الى دار العذاب فينقطع قلبه فزعا من هول هذا الخطاب قبل ان تنتشر الصحيفة ويشاهد
ما فيها من مخازيه فاذا شاهده قال يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها فهذا
اخر امره وهو معنى قوله ثم اذا شاء انشره فما لمن هذا حاله والتكبر بل ما له وللفرح في لحظة فضلا عن البطر
والتجبر فقد ظهر له اول حاله ووسطه ولم يظهر له اخره ولو ظهر اخره والعياذ بالله ربما اختار ان يكون كلبا
او خنزيرا ليصير مع البهائم ترابا ولا يكون انسانا يسمع خطابا او يلقى عذابا وان كان عند الله تعالى مستحقا
للنار فالخنزير اشرف منه واطيب وارفع اذ اوله التراب واخره التراب وبمعزل عن الحساب والعذاب والكلب

فالخنزير لا يهرب منه الخلق ولو رأى أهل الدنيا العبد المذنب في النار لصعقوا من وحشة خلقته وقبح
صورته ولو وجدوا ريحه لماتوا من نتنه ولو وقعت قطرة من شرابه الذي يسقى منه في بحار الدنيا لصارت
انتن من الجيفة فمن هذا حاله في العاقبة الا ان يعفا عنه وهو على شك من العفو فكيف يتكبر وكيف يرى نفسه شيا
حتى يعتقد لنفسه فضلا واي عبد لم يذنب ذنبا استحق به العقوبة الا ان يعفو الكريم بفضله ارايت من
جنى على بعض الملوك بما استحق به ضرب الف سوط فحبس في السجن فهو ينتظر ان يخرج الى العرض ويقام عليه العقوبة
على ملا من الخلق وليس يدري ايعفا عنه ام لا كيف يكون ذله في الحبس افترى انه يتكبر على من معه في السجن
وما من عبد مذنب الا والدنيا سجنه وقد استحق العقوبة من الله تعالى ولا يدري كيف يكون اخر امره فيكفيه ذلك
حزنا وخوفا واشفاقا ومهانة وذلا فهذا هو العلاج العلمي القالع لاصل الكبر واما العلاج العملي فهو التواضع
بالفعل لله ولساير الخلق بالمواظبة على اخلاق المتواضعين كما وصفناه وحكيناه من احوال الصالحين ومن
احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انه كان ياكل على الارض ويقول انما انا عبد اكل كما ياكل العبد وقيل لسلمان
لم لا تلبس ثوبا جيدا فقال انما انا عبد فاذا اعتقت يوما لبست اشار به الى العتق في الاخرة ولا يتم التواضع بعد
المعرفة الا بالعمل وكذلك امر العرب الذين تكبروا على الله ورسوله بالايمان وبالصلاة جميعا وقيل الصلاة
عماد الدين وفي الصلاة اسرار لاجلها كانت عمادا ومن جملتها ما فيها من التواضع بالمثول قائما وبالركوع والسجود
وقد كانت العرب قديما يانفون من الانحنا فكان يسقط من يد الواحد سوطه فلا ينحني لاخذه وينقطع شراك
نعله فلا ينكس راسه لاصلاحه حتى قال حكيم بن حزام بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا اخر الا قائما
فبايعه النبي صلى الله عليه وسلم ثم فقه وكمل ايمانه بعد ذلك فلما كان السجود عندهم هو منتهى الذلة والضعة
امروا به لينكسر بذلك خيلاؤهم ويزول كبرهم ويستقر التواضع في قلوبهم وبه امر ساير الخلق فان الركوع والسجود
والمثول قائما هو العمل الذي يقتضيه التواضع فكذلك من عرف نفسه فلينظر كل ما يتقاضاه الكبر من الافعال
فليواظب على نقيضه حتى يصير التواضع له خلقا فان القلوب لا تتخلق بالاخلاق المحمودة الا بالعلم والعمل جميعا
وذلك لخفي العلاقة بين القلب والجوارح وسر الارتباط الذي بين عالم الملك وعالم الملكوت والقلب من عالم
الملكوت **المقام الثاني** فيما يعرض من الكبر بالاسباب السبعة المذكورة وقد ذكرنا في كتاب ذم الجاه ان
الكمال الحقيقي هو العلم والعمل فاما ما عداه مما يفنى بالموت فكمال وهمي فمن هذا يعسر على العالم ان لا يتكبر ولكنا
نذكر طريق العلاج من العلم والعمل في جميع الاسباب السبعة **الاول** النسب فمن يعتريه الكبر من جهة النسب
فليداو قلبه بمعرفة امرين احدهما ان هذا جهل من حيث انه تعزز بكمال غيره ولذلك قيل **شعر**

لئن فخرت بآباء ذوي شرف ... لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا

فالمتكبر بالنسب ان كان خسيسا في صفات
ذاته فمن اين يجبر خسته بكمال غيره بل لو كان الذي ينسب اليه حيا لكان له ان يقول الفضل لي ومن انت وانما انت
دودة خلقت من بولي افترى ان الدودة التي تخلق من بول الانسان اشرف من الدودة التي من بول الفرس هيهات
بل هما متساويان والشرف للانسان لا للدودة **الثاني** هو ان يعرف نسبه الحقيقي فيعرف اباه وجده فان
اباه القريب نطفة قذرة وجده البعيد تراب ذليل وقد عرفه الله تعالى نسبه فقال الذي احسن كل
شيء خلقه وبدا خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين فمن اصله التراب المهين
الذي يداس بالاقدام ثم خمر طينه حتى صار حماء مسنونا كيف يتكبر واخس الاشيا ما اليه انتسابه اذ يقال يا
اذل من التراب ويا انتن من الحماة ويا اقذر من المضغة فان كان كونه من ابيه اقرب من كونه من التراب
فنقول افتخر بالقريب دون البعيد فالنطفة والمضغة اقرب اليه من الاب فليحتقر نفسه بذلك ثم ان كان

ذلك يوجب رفعة لقربه فالاب الاعلى من التراب مخجل بضعته واذا لم يكن له رفعة فمن اين جاءت
الرفعة لولده فاذا اصله من التراب وفصله من النطفة فلا اصل له ولا فصل وهذه غاية خسة النسب
فالاصل يوطا بالاقدام والفصل يغسل منه الابدان فهذا هو النسب الحقيقي للانسان ومن عرفه لا يتكبر بالنسب
ويكون مثاله بعد هذه المعرفة وانكشاف الغطا له عن حقيقة الاصل كرجل لم يزل عند نفسه من بني
هاشم وقد اخبره بذلك والداه فلم يزل فيه نخوة الشرف فبينما هو كذلك اذ اخبره عدول لا يشك في
قولهم انه ابن هندي حجام يتعاطى القاذورات وكشفوا له عن وجه التلبيس عليه فلم يبق له شك في صدقهم
افترى ان ذلك يبقي شيا من كبره لا بل يصير عند نفسه احقر الناس واذلهم فهو من استشعار الخزي
لخسته في شغل ان يتكبر على غيره فهذا حال البصير اذا تفكر في اصله وعلم انه من النطفة والمضغة و
التراب اذ لو كان ابوه ممن يتعاطى نقل التراب او يتعاطى الدم بالحجامة او غيرها لكان يعلم به خسة نفسه
لمماسة اعضا ابيه للتراب والدم فكيف اذا عرف انه في نفسه من التراب والدم والاشيا القذرة التي
يتنزه عنها هو في نفسه **السبب الثاني** الكبر بالجمال ودواؤه ان ينظر الى باطنه نظر العقلا ولا ينظر
الى الظاهر نظر البهايم ومهما نظر الى باطنه راى من القبايح ما يكدر عليه تعززه بجماله فانه وكل به الاقذار
في جميع اجزايه الرجيع في امعايه والبول في مثانته والمخاط في انفه والبزاق في فيه والوسخ في اذنيه والدم
في عروقه والصديد تحت بشرته والصنان تحت ابطه يغسل الغايط كل يوم دفعة او دفعتين ويتردد الى
الخلا كل يوم مرة او مرتين ليخرج من باطنه ما لو راه بعينه لاستقذره فضلا عن ان يمسه او يشمه كل ذلك
ليعرف قذارته وذله هذا في حاله وفي اول امره خلق من الاقذار الشنيعة الصور من النطفة ودم الحيض
واخرج من مجرى الاقذار اذ خرج من الصلب ثم من الذكر مجرى البول ثم الى الرحم مغيض دم الحيض ثم من مجرى القذر قال
انس رضي الله عنه كان ابو بكر الصديق رضي الله عنه يخطبنا فيقذر الينا انفسنا ويقول خرج احدكم من مجرى
البول مرتين وكذلك قال طاوس لعمر بن عبد العزيز ما هذه مشية من في بطنه خرء فهذا اوله ووسطه وذلك
بل خلافه هذا اوله ووسطه ولو ترك نفسه في حياته يوما لم يتعهدها بالتنظيف والغسل لثارت
منه الانتان والاقذار وصار انتن من الدواب المهملة التي لا تتعهد نفسها قط فاذا نظر انه خلق
من اقذار واسكن في اقذار وسيموت فيصير جيفة اقذر من ساير الاقذار لم يفتخر بجماله
الذي هو كخضرا الدمن وكلون الازهار في البوادي فبينما هو كذلك اذ صار هشيما تذروه الرياح كيف ولو كان
جماله باقيا وعن هذه القبايح خاليا لكان يجب ان لا يتكبر به على القبيح فينفيه ولا كان جمال الجميل اليه حتى
يحمد عليه كيف ولا بقا له بل هو في كل حال بصدد ان يزول بمرض او جدري او قرحة وسبب من الاسباب
فكم من وجوه جميلة قد سمجت بهذه الاسباب فمعرفة هذه الامور تنزع من القلب داء الكبر بالجمال لمن اكثر
تاملها **السبب الثالث** الكبر بالقوة والايد ويمنعه من ذلك ان يعلم ما سلط عليه من العلل
والامراض وانه لو توجع عرق واحد في يده لصار اعجز من كل عاجز واذل من كل ذليل وانه لو سلبه الذباب شيا
لم يستنقذه منه وان بقة لو دخلت انفه او نملة دخلت اذنه لقتلته وان شوكة لو دخلت رجله لاعجزته
وان حمى يوم تحلل من قوته ما لا ينجبر في مدة فمن لا يطيق شوكة ولا يقاوم بقة ولا يقدر ان يدفع عن
نفسه ذبابة فلا ينبغي ان يفتخر بقوته ثم ان قوي الانسان لا يكون اقوى من حمار او بقرة او فيل او جمل واي
افتخار في صفة تسبقك البهايم اليها **السبب الرابع** الغنى وكثرة المال وفي معناه كثرة الاتباع
والانصار والتكبر بولاية السلطان والتمكين من جهتهم وكل ذلك تكبر بمعنى خارج من ذات الانسان

لا كالجمال والقوة والعمل وهذا اقبح انواع التكبر فان المتكبر بماله كانه متكبر بفرسه وداره ولو مات فرسه
وانهدمت داره لعاد ذليلا والمتكبر بتمكين السلطان وولايته لا بصفة في نفسه بنى امره على قلب هو
اشد غليانا من القدر فان تغير عليه كان اذل الخلق وكل متكبر بامر خارج من ذاته فهو ظاهر الجهل كيف والمتكبر
بالغنى لو تامل لرأى في اليهود من يزيد عليه في الغنى والثروة والتجمل فاف لشرف يسبقك به اليهود واف
لشرف ياخذه السارق في لحظة فيعود صاحبه ذليلا مفلسا فهذه اسباب ليست في ذاته وما هو في ذاته ليس
اليه دوام وجوده وهو في الاخرة وبال ونكال فالتفاخر به غاية الجهل وكل ما ليس اليك فليس لك وشيء من
هذه الامور ليس اليك بل الى واهبه ان ابقاه بقي وان استرجعه زال وما انت الا عبد مملوك لا تقدر على
شيء ومن عرف ذلك لابد وان يزول كبره ومثاله ان يفخر الغافل بقوته وجماله وماله وحريته واستقلاله و
سعة منازله وكثرة خيوله وغلمانه اذ شهد عليه شاهدا عدل عند حاكم منصف بانه رقيق لفلان
وان ابويه كانا مملوكين له فعلم ذلك وحكم به الحاكم فجاء مالكه فاخذه واخذ جميع ما في يديه وهو يخشى مع ذلك
ان يعاقبه وينكل به لتفريطه في امواله وتقصيره في طلب مالكه ليعرف ان له مالكا ثم نظر العبد الى
نفسه محبوسا في منزل قد احدقت به الحيات والعقارب والهوام وهو في كل حال على وجل من كل واحدة
منها وقد بقي لا يملك نفسه ولا ماله ولا يعرف طريقا في الخلاص البتة اترى ان من هذا حاله يفتخر بقدرته
وثروته وقوته وكماله ام يذل في نفسه ويخضع وهذا حال كل عاقل بصير فانه يرى نفسه كذلك
فانه لا يملك رقبته وماله وبدنه واعضاءه وهو مع ذلك بين الآفات والشهوات والامراض والاسقام هي
كالعقارب والحيات يخاف منها الهلاك فمن هذا حاله لا يتكبر بقدرته وقوته اذ يعلم ان لا قدرة له ولا
قوة فهذه طريق علاج التكبر بالاسباب الخارجة وهو اهون من علاج التكبر بالعلم والعمل فانهما كمالان في النفس
جديران بان يفرح بهما ولكن في التكبر بهما ايضا نوع من الجهل خفي كما سنذكره

السبب الخامس

التكبر بالعلم وهذا اعظم الآفات واغلب الادواء وابعدها عن قبول العلاج الا بشدة شديدة وجهد جهيد
وذلك لان قدر العلم عظيم عند الله تعالى عظيم عند الناس وهو اعظم من قدر المال والجمال وغيرهما بل لا قدر
لهما اصلا الا اذا كان معهما علم وعمل ولذلك قال كعب ان للعلم طغيانا كطغيان المال ولذلك قال
عمر رضي الله عنه العالم اذا زل زل بزلته عالم فيعجز العالم عن ان لا يستعظم نفسه بالاضافة الى الجاهل
لكثرة ما نطق به الشرع بفضائل العلم ولن يقدر العالم على دفع الكبر الا بمعرفة امرين احدهما ان يعلم ان
حجة الله على اهل العلم اوكد وانه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل عشره من العالم وان من عصى الله عن معرفة
وعلم فجنايته افحش اذ لم يقض حق نعمة الله عليه في العلم ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم يؤتى بالعالم
يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحا فيطيف به اهل النار فيقولون
ما لك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وانهى عن الشر وآتيه وقد مثل الله سبحانه من يعلم ولا
يعمل بالحمار والكلب فقال مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا اراد به علماء اليهود
وقال في بلعام بن باعوراء واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان حتى
بلغ قوله تعالى فمثله كمثل الكلب قال ابن عباس اوتي بلعم كتابا فاخلد الى شهوات الارض ان تحمل عليه
يلهث او تتركه يلهث اي سواء آتيته الحكمة او لم اوته فلا يدع شهوته ويكفي العالم هذا الخطر فاي عالم
لم يتبع شهوته واي عالم لم يامر بالخير الذي لا ياتيه فمهما خطر للعالم عظم قدره بالاضافة الى الجاهل
فليتفكر في الخطر العظيم الذي هو بصدده فان خطره اعظم من خطر غيره كما ان قدره اعظم من قدره

غيره فهذا بذاك وهو كالملك المخاطر بروحه في ملكه لكثرة اعدائه فانه اذا اخذ وقهر اشتهى ان
يكون قد كان فقيرا فكم من عالم يشتهي في الآخرة سلامة الجهال والعياذ بالله منه فهذا الخطر يمنع الكبر
لانه ان كان من اهل النار فالخنزير افضل منه فكيف يتكبر من هذا حاله فلا ينبغي ان يكون العالم اكبر عند
نفسه من الصحابة وقد كان بعضهم يقول يا ليتني لم تلدني امي ويأخذ الآخر تبنة من الارض ويقول
يا ليتني كنت هذه التبنة ويقول الآخر يا ليتني كنت طيرا كل ذلك خوفا من خطر العاقبة وكانوا يرون
انفسهم اسوأ حالا من الطير ومن التراب ومهما اطال الفكر في الخطر الذي هو بصدده زال بالكلية
كبره وراى نفسه كانه شر الخلق **ومثاله** عبد امره سيده باشغال فشرع فيها وترك بعضها وادخل النقصان
في بعضها وشك في بعضها انه هل اداه على ما يرتضيه سيده ام لا فاخبره مخبر بان مولاه يرسل اليه رسولا
يخرجه من كل ما هو فيه عريانا ذليلا ويلقيه على بابه في الشمس والحر زمانا طويلا حتى اذا ضاق عليه
الامر وبلغ به الجهد امر برفع حسابه وفتش عن جميع اعماله قليلها وكثيرها ثم امر به الى سجن ضيق وعذاب
دائم لا يروح عنه ساعة وقد علم ان سيده قد فعل بطوائف من عبيده مثل ذلك وعفا عن بعضهم وهو
لا يدري انه من اي الفريقين فاذا تفكر في ذلك انكسرت نفسه وذل وبطل عزه وكبره وظهر حزنه وخوفه
ولم يتكبر على احد من الخلق بل تواضع رجاء ان يكون هو من شفعائه عند نزول العذاب به فكذلك
العالم اذا تفكر فيما ضيعه من اوامر ربه بجنايات على جوارحه وبذنوب في باطنه من الرياء والحسد و
العجب والنفاق وغيره وعلم ما هو بصدده من الخطر العظيم فارقه كبره لا محالة الامر الثاني ان العالم
يعرف ان الكبر لا يليق الا بالله عز وجل وحده وانه اذا تكبر صار ممقوتا عند الله بغيضا وقد احب الله
تعالى منه ان يتواضع وقال له ان لك عندي قدرا ما لم تر لنفسك قدرا فان رأيت لنفسك قدرا فلا
قدر لك عندي فلابد ان يكلف نفسه ما يحبه مولاه وهذا يزيل التكبر عن قلبه وان كان يستيقن انه لا
ذنب له مثلا او تصور ذلك وبهذا زال الكبر عن الانبياء اذ علموا ان من نازع الله في رداء الكبرياء قصمه وقد
امرهم الله بان يستصغروا انفسهم حتى يعظم عند الله تعالى محلهم فهذا ايضا مما يبعثه على التواضع
لا محالة فان قلت فكيف يتواضع للفاسق الظاهر الفسق وللمبتدع وكيف يرى نفسه دونهم وهو عالم عابد
وكيف يجهل فضل العلم والعبادة عند الله تعالى وكيف يغنيه ان يخطر بباله خطر العلم وهو يعلم
ان خطر الفاسق والمبتدع اكثر فاعلم ان ذلك انما يمكن بالتفكر في خطر الخاتمة بل لو نظر الى كافر لم يمكنه ان
يتكبر عليه اذ يمكن ان يسلم الكافر فيختم له بالايمان ويضل هذا العالم ويختم له بالكفر والكبير من هو
كبير عند الله في الآخرة والكلب والخنزير اعلى رتبة ممن هو عند الله من اهل النار وهو لا يدري ذلك
فكم من مسلم نظر الى عمر رضي الله عنه قبل اسلامه فاستحقره وازدراه وقد رزقه الله تعالى الاسلام
وفاق جميع المسلمين الا ابا بكر وحده والعواقب مطوية عن العباد ولا ينظر العاقل الا الى العاقبة
وجميع الفضائل في الدنيا تراد الى العاقبة فاذا حق العبد ان لا يتكبر على احد بل ان نظر الى جاهل قال
هذا عصى الله تعالى بجهل وانا عصيته بعلم فهو اعذر مني وان نظر الى عالم قال هذا قد علم ما لم اعلم فكيف
اكون مثله وان نظر الى مبتدع او كافر قال ما ادري لعله يختم له بالاسلام ويختم لي بما هو عليه الآن
فليس دوام الهداية الي كما لم يكن ابتداؤها الي فبملاحظة الخاتمة يقدر على ان ينفي الكبر عن نفسه وكل ذلك
بان يعلم ان الكمال في سعادة الآخرة والقرب من الله تعالى لا فيما يظهر في الدنيا مما لا بقاء له ولعمري هذا الخطر
مشترك بين المتكبر والمتكبر عليه ولكن حق على كل واحد ان يكون مصروف الهم الى نفسه مشغول القلب بخوفه

لعاقبته لا ان يشتغل بخوف غيره فان الشفيق بسوء الظن مولع وشفقة كل انسان على نفسه واذا حبس
جماعة في جناية وتوعدوا بان تضرب رقابهم لم يتفرغ للتكبر بعضهم على بعض واذا عمهم الخطر
اذ شغل كل واحد منهم هم نفسه عن الالتفات الى هم غيره حتى كان كل واحد هو وحده في مصيبته و
خطره فان قلت فكيف ابغض المبتدع في الله وابغض الفاسق وقد امرت ببغضهما ثم مع ذلك التواضع
لهما والجمع بينهما متناقض فاعلم ان هذا امر مشتبه يلتبس على اكثر الخلق اذ يمتزج غضبك لله
في انكار البدعة والفسق بكبر النفس والادلال بالعلم والورع فكم من عابد جاهل وعالم مغرور اذا راى
فاسقا جلس بجنبه ازعجه من عنده وتنزه منه بكبر باطن في نفسه وهو ظان انه قد غضب لله تعالى كما
وقع لعابد بني اسرائيل مع خليعهم وذلك لان الكبر على المطيع ظاهر كونه شرا والحذر منه ممكن والتكبر على
الفاسق والمبتدع يشبه الغضب لله وهو خير فان الغضبان ايضا يتكبر على من غضب عليه والمتكبر
يغضب واحدهما يثمر الآخر ويوجبه وهما ممتزجان ملتبسان لا يميز بينهما الا الموفقون والذي يخلصك
عن هذا ان يكون الحاضر على قلبك عند مشاهدة هذا المبتدع او الفاسق او عند امرهما بالمعروف ونهيهما
عن المنكر ثلثة امور احدها التفاتك الى ما سبق من ذنوبك وخطاياك ليصغر عند ذلك قدرك في
عينك والثاني ان تكون ملاحظتك لما انت متميز به من العلم واعتقاد الحق والعمل الصالح من حيث انها
نعمة من الله تعالى عليك فله المنة فيه لا لك فترى ذلك منه حتى لا تعجب بنفسك واذا لم تعجب لم
تتكبر والثالث ملاحظة ابهام عاقبتك وعاقبته انه ربما يختم لك بالسوء ويختم له بالحسنى حتى يشغلك
الخوف عن التكبر عليه فان قلت فكيف اغضب مع هذه الاحوال فاقول تغضب لمولاك وسيدك اذ امرك
بان تغضب له لا لنفسك وانت في غضبك لا ترى نفسك ناجيا وصاحبك هالكا بل يكون خوفك على نفسك
بما علم الله تعالى من خفايا ذنوبك اكثر من خوفك عليه مع الجهل بالخاتمة ولعرفك ذلك مثال لتعلم انه ليس
من ضرورة الغضب لله ان تتكبر على المغضوب عليه وترى قدرك فوق قدره فاقول اذا كان للملك غلام وولد
هو قرة عينه وقد وكل الغلام بالولد ليراقبه وامره بان يضربه مهما اساء ادبه واشتغل بما لا يليق به ويغضب
عليه فان كان الغلام مطيعا محبا لمولاه فلا يجد بدا من ان يغضبه مهما راى ولده قد اساء الادب وانما يغضب
عليه لمولاه ولانه امره به ولانه يريد التقرب بامتثال امره اليه ولانه جرى من ولده ما يكرهه مولاه فيضرب ولده
ويغضب من غير تكبر عليه بل هو متواضع له يرى قدره عند مولاه فوق قدر نفسه لان الولد اعز لا محالة
من الغلام فاذا ليس من ضرورة الغضب التكبر وعدم التواضع فكذلك يمكنك ان تنظر الى المبتدع
والفاسق وتظن انه ربما كان قدرهما عند الله تعالى في الآخرة اعظم لما سبق لهما من الحسنى في الازل
ولما سبق لك من سوء القضاء في الازل وانت غافل عنه ومع ذلك فتغضب بحكم الامر محبة لمولاك اذ جرى
ما يكرهه مع التواضع فمن يجوز ان يكون عنده اقرب منك في الآخرة فهكذا يكون بغض العلماء الاكياس فينضم
اليه الخوف والتواضع واما المغرور فانه يتكبر ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لغيره مع جهله بالعاقبة
وذلك غاية الغرور فهذا سبيل التواضع لمن عصى الله او اعتقد البدعة مع الغضب عليه ومجانبته بحكم
الامر **السبب السابع** التكبر بالورع والعبادة وذلك ايضا فتنة عظيمة على العباد وسبيله ان يلزم
قلبه التواضع لسائر العباد وهو ان يعلم ان من تقدم عليه بالعلم لا ينبغي ان يتكبر عليه كيف كان لما عرفه
من فضيلة العلم وقد قال الله عز وجل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي الى غير ذلك مما ورد في فضل العلم

فان قال العابد ذلك لعالم عمل بعلمه وهذا عالم فاجر فيقال له اما علمت ان الحسنات يذهبن
السيئات وكما ان العلم يمكن ان يكون حجة على العالم فكذلك يمكن ان يكون وسيلة له وكفارة لذنوبه
وكل واحد منهما ممكن وقد وردت الاخبار بما يشهد لذلك واذا كان هذا امرا غائبا عنه لم
يجز له ان يحتقر عالما بل يجب عليه ان يتواضع له فان قلت فان صح هذا فينبغي ان يكون للعالم ان
يرى نفسه فوق العابد لقوله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من
اصحابي فاعلم ان ذلك ممكنا لو علم العالم عاقبة امره وخاتمة الامر مشكوك فيها فيحتمل ان يموت بحيث
يكون حاله عند الله اشد من حال الجاهل الفاسق لذنب واحد كان يحسبه هينا وهو عند الله
عظيم ويمقته به واذا كان هذا ممكنا كان على نفسه خائفا فاذا كل واحد من العالم والعابد خائف
على نفسه وقد كلف امر نفسه لا امر غيره فينبغي ان يكون الغالب عليه في حق نفسه الخوف وفي حق
غيره الرجاء وذلك يمنعه من التكبر بكل حال فهذا حال العابد مع العالم فاما غير العالم فهم ينقسمون
في حقه الى مستورين والى مكشوفين فينبغي ان لا يتكبر على المستور فلعله اقل منه ذنوبا واكثر منه
عبادة واشد منه حبا لله تعالى واما المكشوف حاله فانه لم يظهر لك من الذنوب الا ما يزيد عليه
ذنوبك في طول عمرك فلا ينبغي ان يتكبر عليه ولا يمكن ان يقول هو اكثر مني ذنوبا لان عدد ذنوبك وذنوب
غيرك في طول العمر لا تعد ولا تحصى حتى يعلم الكثرة نعم يمكن ان تعلم ان ذنوبه اشد كالذي رايت
منه القتل والشرب والزنا ومع ذلك فلا ينبغي ان يتكبر اذ ذنوب القلوب من الكبر والحسد والرياء والغل
واعتقاد الباطل والوسوسة في صفات الله عز وجل وتخيل الخطأ في ذلك فكل ذلك شديد عند الله فربما
جرى عليك في باطنك من خفايا الذنوب ما صرت به عند الله ممقوتا وقد جرى للفاسق الظاهر الفسق من
طاعات القلوب من حب الله واخلاص وخوف وتعظيم ما اشتغل عنه وقد كفر ذلك سيئاته فينكشف
الغطاء يوم القيامة فتراه فوق نفسك بدرجات فهذا ممكن والامكان البعيد فيما عليك ينبغي ان يكون
قريبا عندك ان كنت مشفقا على نفسك فلا تتفكر فيما هو ممكن لغيرك بل فيما هو مخوف في حقك فانه
لا تزر وازرة وزر اخرى وعذاب غيرك لا يخفف شيئا من عذابك فاذا تفكرت في هذا الخطر كان عندك
شغل شاغل عن التكبر وعن ان ترى نفسك فوق غيرك وقد قال وهب بن منبه ما تم عقل عبد حتى يكون
فيه عشر خصال فعد تسعة حتى بلغ العاشرة فقال العاشرة وما العاشرة بها ساد مجده وبها علا ذكره
ان يرى الناس كلهم خيرا منه وانما الناس عنده فرقتان فرقة هي افضل منه وارفع وفرقة هي شر منه و
ادنى فهو يتواضع للفرقتين جميعا بقلبه ان راى من هو خير منه كبره وذلك يتمنى ان يلحق به وان راى
من هو شر منه قال لعل هذا ينجو واهلك انا فلا تراه الا خائفا من العاقبة ويقول لعل بر هذا باطن
فذلك خير له ولا ادري لعل فيه خلقا كريما بينه وبين الله تعالى فيرحمه الله ويتوب عليه ويختم له
باحسن الاعمال وبري ظاهر فذلك شر لي فلا يامن فيما اظهر من الطاعة ان يكون دخلها الآفات فاحبطها
ثم قال فحينئذ كمل عقله وساد اهل زمانه فهذا كلامه وبالجملة من جوز ان يكون عند الله شقيا وقد
سبق القضاء الازلي بشقاوته فما له سبيل الى ان يتكبر بحال من الاحوال نعم اذا غلب الخوف راى كل احد خيرا
من نفسه وذلك هو الفضيلة كما روي ان عابدا ادمي الرحيل فقيل له في النوم ائت فلانا الاسكاف فسله
ان يدعو لك فاتاه فساله عن عمله فاخبره انه يصوم النهار ويكتسب فيتصدق ببعضه ويطعم عياله
ببعضه فرجع وهو يقول ان هذا لحسن ولكن ليس كالتفرغ لطاعة الله فاتي في النوم ثانيا فقيل له ائت الاسكاف

فقال له ما هذا الصفار بوجهك فأتاه فسأله فقال ما رأيت احداً من الناس الا وقع لي انه سينجو واهلك انا
فقال العابد بهذه والله والذي يدل على فضيلة هذه الخصلة قوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة
اي يؤتون الطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها وقوله تعالى ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون
وقد وصف الله تعالى الملائكة مع تقدسهم عن الذنوب ومواظبتهم على العبادة على الدءوب بالاشفاق
فقال يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم من خشية ربهم مشفقون فمتى زال الاشفاق والحذر مما سبق
به القضاء في الازل وينكشف عند خاتمة الاجل غلب الامن من مكر الله وذلك يوجب الكبر وهو سبب الهلاك والكبر
دليل الامن والامن مهلك والتواضع دليل الخوف وهو مسعد فاذاً ما يفسده العابد باضمار الكبر واحتقار
الخلق والنظر اليهم بعين الاستصغار اكثر مما يصلحه بظاهر الاعمال فهذه معارف بها يزال داء الكبر عن القلب لا
غير الا ان النفس بعد هذه المعرفة قد تضمر التواضع وتدعي البراءة من الكبر وهي كاذبة فاذا وقعت الواقعة عادت
الى طبعها ونسيت وعدها فعن هذا لا ينبغي ان يكتفى في المداواة بمجرد المعرفة بل ينبغي ان يكمل بالعمل و
يجرب بافعال المتواضعين في مواقع هيجان الكبر من النفس وبيانه ان يمتحن النفس بخمس امتحانات هي ادلة على
استخراج ما في الباطن وان كانت الامتحانات كثيرة **الامتحان الاول** ان يناظر في مسئلة مع واحد من
اقرانه فان ظهر شيء من الحق على لسان صاحبه فثقل عليه قبوله والانقياد له والاعتراف والشكر له على تنبيهه وتعريفه
واخراجه الحق فذلك يدل على ان فيه كبراً دفيناً فليتق الله فيه ويشتغل بعلاجه اما من حيث العلم فبان
يذكر نفسه خسة نفسه وخطر عاقبته وان الكبر لا يليق الا بالله تعالى واما بالعمل فبان يكلف نفسه ما ثقل
عليه من الاعتراف بالحق ويطلق اللسان بالحمد والثناء ويقر على نفسه بالعجز ويشكره على الاستفادة ويقول ما
احسن ما فطنت له وقد كنت غافلا عنه فجزاك الله خيراً كما نبهتني له فالحكمة ضالة المؤمن فاذا وجدها
ينبغي ان يشكر من دله عليها فاذا واظب على ذلك مرات متوالية صار ذلك طبعاً له وسقط ثقل الحق عن قلبه وطاب
له قبوله ومهما ثقل عليه الثناء على اقرانه بما فيهم ففيه كبر فان كان ذلك لا يثقل عليه في الخلوة ويثقل في الملأ
فليس فيه كبر وانما فيه رياء فليعالج الرياء بما ذكرناه من قطع الطمع عن الناس وبتذكير القلب بان منفعته في كماله في
ذاته وعند الله تعالى لا عند الخلق الى غير ذلك من ادوية الرياء وان ثقل في الخلوة والملأ جميعا ففيه الكبر والرياء جميعا
ولا ينفعه الخلاص من احدهما ما لم يتخلص من الثاني فليعالج كلا الداءين فانهما جميعا مهلكان **الامتحان
الثاني** ان يجتمع مع الاقران والامثال في المحافل ويقدمهم على نفسه ويمشي خلفهم ويجلس في الصدور
تحتهم فان ثقل ذلك عليه فهو متكبر فليواظب عليه تكلفا حتى يسقط عنه ثقله فبذلك يزايله الكبر وههنا
للشيطان مكيدة وهو ان يجلس في صف النعال او يجعل بينه وبين الاقران بعض الارذال فيظن ان ذلك تواضع
وهو عين الكبر فان ذلك يخف على نفوس المتكبرين اذ يوهمون انهم تركوا مكانهم بالاستحقاق والتفضل فيكون
قد تكبر وتكبر باظهار التواضع ايضا بل ينبغي ان يقدم اقرانه ويجلس بجنبهم ولا ينحط عنهم الى صف النعال
فذلك هو الذي يخرج خبث الكبر من الباطن **الامتحان الثالث** ان يجيب دعوة الفقير ويمر الى
السوق في حاجة الرفقاء والاقارب فان ثقل عليه ذلك فهو كبر فان هذه الافعال من مكارم الاخلاق والثواب
عليه جزيل فنفور النفس عنها ليس الا لخبث في الباطن فليشتغل بازالته بالمواظبة عليه مع تذكر جميع
ما ذكرناه من المعارف التي تزيل داء الكبر **الامتحان الرابع** ان يحمل حاجة نفسه وحاجة اهله ورفقائه من
السوق الى البيت فان ابت نفسه ذلك فهو كبر او رياء فان كان يثقل عليه ذلك مع خلو الطريق فهو كبر وان كان
لا يثقل الا عند مشاهدة الناس فهو رياء وكل ذلك من امراض القلب وعلله المهلكة ان لم يتدارك وقد اهمل

الناس طب القلوب واشتغلوا بطب الاجساد مع ان الاجساد قد كتب عليها الموت والفناء لا محالة و
القلوب لا تدرك السعادة الا بسلامتها اذ قال تعالى الا من اتى الله بقلب سليم ويروى عن عبد الله
بن سلام انه حمل حزمة حطب فقيل له يا ابا يوسف قد كان في غلمانك وبنيك ما يكفونك قال اجل ولكن
اردت ان اجرب نفسي هل تنكر ذلك فلم يقنع منها بما اعطته من العزم على ترك الانفة حتى جربها اهي صادقة
ام كاذبة وفي الخبر من حمل الفاكهة او الشيء فقد برئ من الكبر **الامتحان الخامس** ان يلبس ثياباً بذلة فان
نفور النفس عن ذلك في الملأ رياء وفي الخلوة كبر وكان عمر بن عبد العزيز له مسح يلبسه بالليل وقد قال
النبي صلى الله عليه وسلم انما انا عبد آكل بالارض والبس الصوف واعتقل البعير والعق اصابعي واجيب دعوة
المملوك فمن رغب عن سنتي فليس مني ويروى ان ابا موسى الاشعري قيل له ان قوما يتخلفون عن الجمعة بسبب
ثيابهم فلبس عباءة فصلى فيها بالناس وهذه مواضع يجتمع فيها الرياء والكبر فما يختص بالملأ فهو الرياء وما يكون
في الخلوة فهو الكبر فاعرف فان من لا يعرف الشر لا يتقيه ومن لا يدرك المرض لا يداويه **بيان غاية الرياضة
في خلق التواضع اعلم** ان هذا الخلق كسائر الاخلاق له طرفان وواسطة فطرفه الذي يميل الى الزيادة
يسمى تكبرا وطرفه الذي يميل الى النقصان يسمى تخاسسا ومذلة والوسط
يسمى تواضعا والمحمود ان يتواضع في غير مذلة ومن غير تخاسس فان كلا طرفي قصد الامور ذميم واحب الامور
الى الله اوساطها فمن يتقدم على امثاله فهو متكبر ومن يتأخر عنهم فهو متواضع اي وضع شيئا من قدره الذي
يستحقه والعالم اذا دخل عليه اسكاف فتنحى له عن مجلسه واجلسه فيه ثم تقدم وسوى له نعله وعدا
الى باب الدار خلفه فقد تخاسس وتذلل وهو ايضا غير محمود بل المحمود عند الله تعالى العدل وهو ان يعطي كل ذي
حق حقه فينبغي ان يتواضع بمثل هذا لامثاله ولمن يقرب منه درجته فاما تواضعه للسوقي فبالقيام والبشر في
الكلام والرفق في السؤال واجابة دعوته والسعي في حاجته وامثال ذلك وان لا يرى نفسه خيراً منه بل يكون
على نفسه اخوف منه على غيره فلا يحتقره ولا يستصغره وهو لا يعرف خاتمة امره وخاتمته فاذاً سبيله في اكتساب
التواضع ان يتواضع للاقران ولمن دونهم حتى يخف عليه ذلك فقد حصل له خلق التواضع وان كان يثقل عليه وهو
يفعل ذلك فهو متكلف لا متواضع بل الخلق ما يصدر عنه الفعل بسهولة من غير ثقل ومن غير روية فان خف
ذلك وصار بحيث يثقل عليه رعاية قدره حتى احب التملق والتخاسس فقد خرج الى طرف النقصان
فليرفع نفسه اذ ليس للمؤمن ان يذل نفسه الى ان يعود الى الوسط الذي هو الصراط المستقيم وذلك غامض
في هذا الخلق وفي سائر الاخلاق والميل عن الوسط الى طرف النقصان وهو التملق اهون من الميل الى طرف
الزيادة بالتكبر كما ان الميل الى طرف التبذير في المال احمد عند الناس من الميل الى طرف البخل فنهاية التبذير
ونهاية البخل مذمومان واحدهما افحش وكذلك نهاية الكبر ونهاية التخسس والتذلل مذمومان واحدهما
اقبح من الآخر والمحمود المطلق هو العدل ووضع الامور مواضعها كما يجب وعلى ما يجب كما يعرف ذلك بالشرع
والعادة ولنقتصر على هذا القدر من بيان اخلاق الكبر والتواضع **الشطر الثاني من كتاب
في العجب** وفيه بيان ذم العجب وآفاته وبيان حقيقة العجب والادلال وحدهما وبيان علاج العجب على
الجملة وبيان اقسام ما به العجب وتفصيل علاجه **بيان ذم العجب وآفاته** اعلم ان العجب مذموم في
كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم ذكر ذلك
في معرض الانكار وقال تعالى وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا
فرد على الكفار في اعجابهم بحصونهم وشوكتهم وقال تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وهذا

ايضا يجع الى العجب بالعمل وقد يعجب الانسان بعمل هو مخطئ فيه كما يعجب بعمل هو فيه مصيب وقال
صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال لابي ثعلبة حيث
ذكر اخر هذه الامة فقال اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي راي برايه فعليك نفسك
وقال ابن مسعود الهلاك في اثنين القنوط والعجب وانما جمع بينهما لان السعادة لا تنال الا بالسعي
والطلب والجد والتشمر والقانط لا يسعى ولا يطلب والمعجب يعتقد انه قد سعد وقد ظفر بمراده فلا
يسعى فالموجود لا يطلب كما ان المحال لا يطلب والسعادة موجودة في اعتقاد المعجب حاصلة له ومستحيلة
في اعتقاد القانط فمن هيهنا جمع بينهما وقد قال تعالى فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى قال
ابن جريج معناه اذا عملت خيرا فلا تقل عملت وقال زيد بن اسلم لا تبروها اي لا تعتقدوا انها بارة
وهو معنى العجب ووقى طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد بنفسه واكب عليه حتى اصيبت كفه
فكانه اعجبه فعله العظيم اذ فداه بروحه حتى جرح فتفرس ذلك فيه عمر فقال ما زال يعرف في طلحة
باو منذ اصيبت اصبعه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والباو هو العجب الا انه لم ينقل فيه انه اظهره ولا
احتقر مسلما ولما كان وقت الشورى قال ابن عباس اين انت من طلحة قال ذلك رجل فيه نخوة فاذا كان لا
يتخلص من العجب امثالهم فكيف يتخلص الضعفاء ان لم ياخذوا حذرهم وقال مطرف لان ابيت نائما واصبح
نادما احب الي من ان ابيت قائما واصبح معجبا وقال النبي صلى الله عليه وسلم لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو
اكبر من ذلك العجب العجب فجعل العجب اكبر الذنوب وكان بشر بن منصور من الذين اذا راوا ذكر الله والدار
الاخرة لمواظبته على العبادة فاطال الصلاة يوما وخلفه رجل ينظر ففطن له بشر فلما انصرف عن الصلاة قال
له لا يعجبنك ما رايت مني فان ابليس لعنه الله قد عبد الله تعالى مع الملائكة مدة طويلة ثم صار الى ما صار
اليه وقيل لعائشة رضي الله عنها متى يكون الرجل مسيئا قالت اذا ظن انه محسن وقد قال تعالى لا تبطلوا
صدقاتكم بالمن والاذى والمن نتيجة استعظام الصدقة واستعظام العمل هو العجب فظهر بهذا ان
العجب مذموم جدا **بيان افة العجب** اعلم ان افات العجب كثيرة فان العجب يدعو الى الكبر لانه
احد اسبابه كما ذكرناه فيتولد من العجب الكبر ومن الكبر الافات الكثيرة التي لا تخفى هذا مع العباد واما مع الله
تعالى فالعجب يدعو الى نسيان الذنوب واهمالها فبعض ذنوبه لا يذكرها ولا يتفقدها لظنه انه مستغني
عن تفقدها فينساها وما يتذكر منها فيستصغره ولا يستعظمه فلا يجتهد في تداركه وتلافيه بل
يظن انه يغفر له واما العبادات والاعمال فانه يستعظمها ويتبجح بها ويمن على الله تعالى بفعلها وينسى
نعمة الله تعالى عليه بالتوفيق والتمكين منها ثم اذا اعجب بها عمي عن افاتها ومن لم يتفقد افات الاعمال
كان اكثر سعيه ضائعا فان الاعمال الظاهرة اذا لم تكن خالصة نقية عن الشوائب قل ما تنفع وانما يتفقد
من يغلب عليه الاشفاق والخوف دون المعجب والمعجب يغتر بنفسه وبربه ويامن مكر الله وعذابه ويظن
انه عند الله بمكان وان له عند الله تعالى منة وحقا باعماله التي هي نعمة وعطية من عطاياه ويخرجه
العجب الى ان يثني على نفسه ويحمدها ويزكيها وان اعجب برايه وعقله وعلمه منع ذلك من الاستفادة ومن
الاستشارة والسؤال فيستبد بنفسه ورايه ويستنكف من سؤال من هو اعلم منه وربما يعجب بالراي
الخطا الذي خطر له فيفرح بكونه من خواطره ولا يفرح بخواطر غيره فيصر عليه ولا يسمع نصح ناصح ولا وعظ واعظ
بل ينظر الى غيره بعين الاستجهال ويصر على خطائه فان كان رايه في امر دنيوي فيحقق فيه وان كان في امر ديني
لا سيما فيما يتعلق باصول العقائد فيهلك به ولو اتهم نفسه ولم يثق برايه واستضاء بنور القران واستعا

بعلماء الدين وواظب على مدارسة العلم وتابع سؤال اهل البصيرة لكان ذلك يوصله الى الحق فهذا
وامثاله من افات العجب فلذلك كان من المهلكات ومن اعظم افاته ان يفتر في السعي لظنه انه قد
فاز وقد استغنى وهو الهلاك الصريح الذي لا شبهة فيه **بيان حقيقة العجب والادلال**
وحدهما اعلم ان العجب انما يكون بوصف هو كمال لا محالة وللعالم بكمال نفسه في علم وعمل ومال وغيره حالتان
احديهما ان يكون خائفا على زواله ومشفقا على تكدره او سلبه من اصله فهذا ليس بمعجب والاخرى ان لا
يكون خائفا من زواله لكن يكون فرحا به من حيث انه نعمة من الله تعالى عليه لا من حيث اضافته الى نفسه
وهذا ايضا ليس بمعجب وله حالة ثالثة هي العجب وهو ان يكون غير خائف عليه بل يكون فرحا به ومطمئنا اليه
ويكون فرحه به من حيث انه كمال ونعمة ورفعة وخير لا من حيث انه عطية من الله تعالى ونعمة منه فيكون
فرحه به من حيث انه صفته ومنسوب اليه بانه له لا من حيث انه منسوب الى الله تعالى بانه منه فمهما غلب على
قلبه انه نعمة من الله مهما شاء سلبها عنه زال العجب بذلك عن نفسه فاذا العجب هو استعظام النعمة والركون
اليها مع نسيان اضافتها الى المنعم فان انضاف الى ذلك ان غلب على نفسه ان له عند الله تعالى حقا وانه
منه بمكان حتى يتوقع بعمله كرامة في الدنيا واستبعد ان يجري عليه مكروه استبعادا يزيد على استبعاده
ما يجري على الفساق سمي هذا ادلالا بالعمل فكانه يرى لنفسه على الله عز وجل دالة وكذلك قد يعطي غيره شيئا
فيستعظمه ويمن عليه فيكون معجبا فان استخدمه او اقترح عليه الاقتراحات واستبعد تخلفه
عن قضاء حقوقه كان مدلا عليه وقال قتادة في قوله تعالى ولا تمنن تستكثر اي لا تدل بعملك وفي الخبر
ان صلاة المدل لا ترفع فوق راسه ولان تضحك وانت معترف بذنبك خير من ان تبكي وانت مدل
بعملك والادلال وراء العجب فلا مدل الا وهو معجب ورب معجب لا يدل اذ العجب يحصل بالاستعظام
ونسيان النعمة دون توقع جزاء عليه والادلال لا يتم الا مع توقع جزاء فان توقع اجابة دعوته واستنكر
ردها بباطنه وتعجب منه كان مدلا بعمله فانه لا يتعجب من رد دعاء الفاسق ويتعجب من رد دعاء نفسه
لذلك فهذا هو العجب والادلال وهو من مقدمات الكبر واسبابه **بيان علاج العجب على الجملة**
اعلم ان علاج كل علة هو مقابلة سببها بضده وعلة العجب الجهل المحض فعلاجه المعرفة المضادة لذلك
الجهل فقط فلنفرض العجب بفعل داخل تحت اختيار العبد كالعبادة والصدقة والغزو وسياسة
الخلق واصلاحهم فان العجب بهذا اغلب من العجب بالجمال والقوة والنسب وما لا يدخل تحت اختياره
ولا يراه من نفسه فنقول الورع والتقوى والعبادة والعمل الذي به يعجب انما يعجب به من حيث انه فيه فهو
محله ومجراه او من حيث انه منه وبسببه وبقدرته وقوته فان كان يعجب به من حيث انه فيه وهو محله
ومجراه يجري فيه وعليه من جهة غيره فهذا جهل لان المحل مسخر ومجرى لا مدخل له في الايجاد والتحصيل فكيف
يعجب به من حيث هو منه واليه وباختياره حصل وبقدرته وقوته تم فينبغي ان يتامل في قدرته وارادته
واعضائه وسائر الاسباب التي بها تم عمله انها من اين كانت له فان كان جميع ذلك نعمة من الله تعالى عليه
من غير حق سبق له ومن غير وسيلة يدلي بها فينبغي ان يكون اعجابه بجود الله تعالى وكرمه وفضله
اذ افاض عليه ما لا يستحقه واثره به على غيره من غير سابقة ووسيلة فمهما برز الملك لغلمانه ونظر
اليهم فخلع من جملتهم على واحد منهم لا لصفة فيه ولا لوسيلة ولا لجمال ولا لخدمة فينبغي ان يتعجب
المنعم عليه من فضل الملك وحكمه وايثاره من غير استحقاق واعجابه بنفسه من اين وما سببه ولم يتعجب
ان يعجب هو بنفسه نعم يجوز ان يعجب العبد فيقول الملك حكيم عدل لا يظلم فلا يتقدم ولا يؤخر الا لسبب

فلولا انه تفطن انك من الصفات المحمودة الباطنة ما استحق الايثار بالخلعة لما آثرك بها فيقال له وتلك
الصفة هي ايضا من خلعة الملك وعطيته التي خصصك بها من غيرك من غير وسيلة او هي عطية
غيره فان كانت من عطية الملك ايضا لم يكن لك ان تعجب بها بل كان كما لو اعطاك فرسا فلم تعجب به
فاعطاك غلاما فصرت تعجب به وتقول انما اعطاني غلاما لاني صاحب فرس واما غيري فلا فرس له
فيقال له وهو الذي اعطاك الفرس فلا فرق بين ان يعطيك الفرس والغلام معا او يعطي احدهما بعد
الاخر فاذا كان الكل منه فينبغي ان تعجب بجوده وفضله لا بنفسك واما ان كانت تلك الصفة
من غيره فلا يبعد ان تعجب بتلك الصفة وهذا يتصور في حق الملوك ولا يتصور في حق الجبار القاهر
ملك الملوك المنفرد باختراع الجميع المنفرد بايجاد الموصوف والصفة فانك ان اعجبت بعبادتك
وقلت وفقني للعبادة لحبي له فيقال لك ومن خلق الحب في قلبك فستقول هو فيقال لك فالحب والعبادة
كلاهما نعمتان من عنده ابتداك بهما من غير استحقاق من جهتك اذ لا وسيلة لك ولا علاقة فيكون الاعجاب
بجوده اذ انعم بوجودك ووجود صفاتك وبوجود اعمالك واسباب اعمالك فاذا لا معنى لعجب العابد
بعبادته وعجب العالم بعلمه وعجب الجميل بجماله وعجب الغني بغناه لان كل ذلك من فضل الله وانما هو محل
لفيضان فضل الله تعالى وجوده والمحل ايضا من جوده وفضله فان قلت لا يمكنني ان اجهل اعمالي واني انا
عملتها فاني انتظر عليها ثوابا ولولا انها عملي لما انتظرت الثواب فان كانت الاعمال مخلوقة لله على سبيل الاختراع
فمن اين لي الثواب وان كانت الاعمال مني وبقدرتي فكيف لا اعجب بها فاعلم ان جوابك من وجهين احدهما
هو صريح الحق والاخر فيه مسامحة اما صريح الحق فهو انك وقدرتك وارادتك وحركتك وجميع
ذلك من خلق الله واختراعه فما عملت اذ عملت وما صليت اذ صليت وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فهذا
هو الحق الذي انكشف لارباب القلوب بمشاهدة هي اوضح من ابصار العين بل خلقك وخلق اعضاءك وخلق
فيها القوة والقدرة والصحة وخلق لك العقل والعلم وخلق لك الارادة ولو اردت ان تنفي شيئا من هذا
عن نفسك لم تقدر عليه ثم خلق الحركات في اعضائك مستبدا باختراعها من غير مشارك من جهتك معه
في الاختراع الا انه خلقه على ترتيب فلم يخلق الحركة ما لم يخلق في العضو قوة وفي القلب ارادة ولم يخلق ارادة
ما لم يخلق علما بالمراد ولم يخلق العلم ما لم يخلق القلب الذي هو محل العلم فتدريجه في الخلق شيئا بعد شيء هو
الذي خيل اليك انك اوجدت عملك وقد احدثته وقد غلطت وايضاح ذلك وكيفية الثواب على عمل هو
من خلق الله تعالى سيأتي تقريره في كتاب الشكر فانه اليق به فارجع اليه ونحن الان نزيل اشكالك
بالجواب الثاني وفيه مسامحة ما وهو ان تحسب ان العمل حصل بقدرتك فمن اين قدرتك ولا يتصور
العمل الا بوجودك ووجود عملك وارادتك وقدرتك وسائر اسباب عملك وكل ذلك من الله عز وجل
لا منك فان كان العمل بالقدرة فالقدرة مفتاحه وهذا المفتاح بيد الله ومهما لم يعطك المفتاح فلا
يمكنك العمل فالعبادات خزائن بها يتوصل الى السعادات ومفاتيحها القدرة والارادة والعلم وهي
بيد الله لا محالة ارايت لو رأيت خزائن الدنيا مجموعة في قلعة حصينة ومفاتيحها بيد خازن ولو جلست
على بابها وحول حيطانها الف سنة لم يمكنك ان تنظر الى دينار مما فيها ولو اعطاك المفتاح لاخذته من
قريب بان تبسط يدك اليه فتاخذه فقط فاذا اعطاك الخازن المفاتيح او مكنك منها فمددت اليد واخذتها
فلا تشك في انك ترى ذلك نعمة من الخازن لان المؤنة في تحريك اليد باخذ المال قريبة وانما الشأن
كله في تسليم المفاتيح فكذلك مهما خلقت القدرة وسلطت الارادة الجازمة وحركت الدواعي والبواعث

وصرفت عنك الموانع والصوارف حتى لم يبق صارف الا دفع ولا باعث الا وكل بك فالعمل هين عليك ومن هيأ
البواعث وصرف العوائق وهيأ الاسباب كلها من الله تعالى ليس شيء منها اليك فمن العجائب ان
تعجب بنفسك ولا تعجب بمن اليه الامر كله فلا تعجب بجوده وفضله وكرمه في ايثاره اياك على الفساق
من عباده اذ سلط دواعي الفساد على الفساق وصرفها عنك وسلط اخدان السوء ودعاة الشر عليهم
وصرفهم عنك ومكنهم من اسباب الشهوات واللذات وزواها عنك وصرف عنهم بواعث الخير
ودواعيه وسلطها عليك حتى تيسر لك الخير وتيسر لهم الشر فعل ذلك كله بك من غير وسيلة
سابقة منك ولا جريمة سابقة من الفاسق العاصي بل آثرك وقدمك واصطفاك بفضله
وابعد العاصي واشقاه بعدله فما اعجب اعجابك بنفسك اذا عرفت ذلك فاذا لا تتصرف قدرتك
الى المقدور الا بتسليط الله عليك داعية لا تجد سبيلا الى مخالفتها فكانه الذي اضطرك الى
الفعل ان كنت فاعلا تحقيقا فله الشكر والمنة لا لك وسيأتي في كتاب التوحيد والتوكل من بيان
تسلسل الاسباب والمسببات ما تستبين به انه لا فاعل الا الله ولا خالق سواه والعجب ممن يتعجب
اذا رزقه الله عقلا وافقره ممن افاض الله عليه المال من غير علم فيقول كيف منعني قوت يومي وانا
العاقل الفاضل وافاض على هذا نعيم الدنيا وهو الجاهل الغافل حتى يكاد يرى هذا ظلما ولا يدري
المغرور انه لو جمع له بين العقل والمال جميعا لكان ذلك بالظلم اشبه في ظاهر الخيال اذ يقول
الجاهل الفقير يا رب لم جمعت له بين العقل والغنى وحرمتني منهما فهلا جمعتهما لي او هلا رزقتني
احدهما والى هذا اشار علي رضي الله عنه حيث قيل له ما بال العقلاء فقراء فقال ان عقل الرجل محسوب
عليه من رزقه والعجب ان العاقل الفقير ربما يرى الجاهل الغني احسن حالا من نفسه ولو قيل له هل
تؤثر جهله وغناه عوضا من عقلك وفقرك لامتنع عنه فاذا ذلك يدل على ان نعمة الله عليه اكبر فلم
يتعجب من ذلك والمرأة الحسناء الفقيرة ترى الحلي والجواهر على الذميمة القبيحة فتتعجب وتقول كيف يحرم
مثل هذا الجمال من الزينة ويخصص بها مثل هذا القبيح ولا تدري المغرورة ان الجمال محسوب عليها من
رزقها وانها لو خيرت بين الجمال والفقر والقبح مع الغنى لآثرت الجمال فاذا نعمة الله عليها اكبر وقول
الحكيم العاقل الفقير بقلبه يا رب لم حرمتني الدنيا واعطيتها الجهال كقول من اعطاه الملك فرسا فيقول
ايها الملك لم لا تعطيني الغلام وانا صاحب فرس فيقول الملك كنت لا تتعجب من هذا لو لم اعطك
الفرس فهب اني ما اعطيتك فرسا اصارت نعمتي عليك وسيلة لك وحجة تطلب بها نعمة اخرى فهذه
اوهام لا تخلو الجهال عنها ومنشأ جميع ذلك الجهل ويزول ذلك بالعلم المحقق بان العبد وعمله
واوصافه كل ذلك من عند الله نعمة ابتداه بها قبل الاستحقاق وهذا ينفي العجب والادلال ويورث
الخضوع والشكر والخوف من زوال النعمة ومن عرف هذا لم يتصور ان يعجب بعلمه وعمله اذ يعلم ان
ذلك من الله تعالى ولذلك قال داود عليه السلام يا رب ما تأتي ليلة الا وانسان من آل داود
قائم ولا يأتي يوم الا وانسان من آل داود صائم وفي رواية ما تمر ساعة من ليل او نهار الا وعابد من آل داود
يعبدك اما يصلي واما يصوم واما يذكرك فاوحى الله تعالى اليه يا داود ومن اين لهم ذلك ان ذلك لم يكن الا بي
ولولا عوني اياك ما قويت وسأكلك الى نفسك قال ابن عباس رضي الله عنهما انما اصاب داود ما اصاب
من الذنب بعجبه بعمله اذ اضافه الى آل داود مدلا به حتى وكل الى نفسه فاذنب ذنبا اورثه
الحزن والندم وقال داود يا رب ان بني اسرائيل يسألونك بابراهيم واسحاق ويعقوب فقال الى

ابتليتهم بضر وافقا يا رب وانا ان ابتليتني صبرت فادل بالعمل قبل وقته فقال تعالى اما اني لم اخبرهم باي شي ابتليهم ولا في اي شهر ولا في اي يوم وانا مخبرك في سنتك هذه وشهرك هذا ابتليك غدا بامراة فاحذر نفسك فوقع فيه وكذلك لما اتكل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين على قوتهم وكثرتهم ونسوا فضل الله عليهم وقالوا لا نغلب اليوم من قلة وكلوا الى انفسهم فقال تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين وروى ابن عيينة ان ايوب عليه السلام قال الهي انك ابتليتني بهذا البلاء وما ورد علي امر الا اثرت هواك على هواي فنودي من غمامة بعشرة الف صوت يا ايوب انى لك ذلك اي من اين لك ذلك قال فاخذ كفا من رماد فوضعه على راسه وقال منك يا رب فرجع عن نسيانه اضافة ذلك الى الله عز وجل ولهذا قال الله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا وقال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه وهم خير الناس ما منكم من احد ينجيه عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته ولقد كان اصحابه من بعده يتمنون ان يكونوا ترابا وتبنا وطيرا مع صفاء اعمالهم وقلوبهم فكيف يكون لذي بصيرة ان يعجب بعمله او يدل به ولا يخاف على نفسه فاذا هذا هو العلاج القامع لمادة العجب من القلب ومهما غلب ذلك على القلب شغله خوف سلب هذه النعمة عن الاعجاب بها بل هو ينظر الى الكفار والفساق وقد سلبوا نعمة الايمان والطاعة بغير ذنب اذنبوه من قبل فيخاف من ذلك فيقول ان من لا يبالي ان يحرم من غير جناية ويعطي من غير وسيلة لا يبالي ان يعود ويسترجع ما وهبه فكم من مؤمن قد ارتد ومطيع قد فسق وختم له بالسوء وهذا لا يبقى معه عجب بحال

بيان اقسام ما به العجب وتفصيل علاجه

اعلم ان العجب بالاسباب التي بها يتكبر كما ذكرناه وقد يعجب بما لا يتكبر به كعجبه بالراي الخطا الذي يزين له بجهله فما به العجب ثمانية اقسام **الاول** ان يعجب ببدنه في جماله وهيئته وصحته وقوته وتناسب اشكاله وحسن صورته وبالجملة تفصيل خلقته فيلتفت الى جمال نفسه وينسى انه نعمة من الله وهو بعرضة الزوال في كل حال وعلاجه ما ذكرناه في الكبر بالجمال وهو التفكر في اقذار باطنه وفي اوائل امره واواخره وفي الوجوه الجميلة والابدان الناعمة انها كيف تمزقت في التراب وانتنت في القبور حتى استقذرتها الطباع

الثاني القوة والبطش كما حكي عن قوم عاد حين قالوا فيما اخبر الله عنهم من اشد منا قوة وكما اتكل عوج على قوته واعجب بها فاقتلع جبلا ليطبقه على عسكر موسى عليه السلام فثقب الله تعالى تلك القطعة حتى صارت في عنقه وقد يتكل المؤمن ايضا على قوته كما روي عن سليمان عليه السلام انه قال لاطوفن الليلة على مائة امراة تلد كل امراة ولدا الحديث ولم يقل ان شاء الله فحرم ما اراد من الولد وكذلك قول داود عليه السلام ان ابتليتني صبرت وكان اعجابا بالقوة ويورث العجب بالقوة الهجوم في الحروب والقاء النفس في التهلكة والمبادرة الى الضرب والقتل لكل من قصده بالسوء وعلاجه ما ذكرناه وهو ان يعلم ان حمى يوم تضعف قوته وانه اذا اعجب بها ربما سلبها الله تعالى بادنى آفة يسلطها عليه

الثالث العجب بالعقل والكياسة والتفطن لدقائق الامور من مصالح الدين والدنيا وثمرته الاستبداد بالراي وترك المشورة واستجهال الناس المخالفين له ولرايه ويخرج الى قلة الاصغاء الى اهل العلم اعراضا عنهم بالاستغناء بالراي والعقل واستحقارا لهم واهانة وعلاجه ان يشكر الله تعالى على ما رزق من العقل ويتفكر انه بادنى مرض يصيب دماغه كيف يوسوس ويجن بحيث يضحك منه فلا يامن ان يسلب عقله ان اعجب به ولم يقم بشكره وليستقصر عقله وعلمه وليعلم انه ما اوتي من العلم الا قليلا وان اتسع علمه وان ما جهله مما عرفه الناس اكثر مما علمه فكيف بما لم يعرفه الناس من علم الله تعالى وان يتهم عقله وينظر الى الحمقى كيف يعجبون بعقولهم ويضحك الناس منهم فيحذر ان يكون منهم وهو لا يدري فان القاصر العقل قط لا يعلم قصور عقله فينبغي ان يعرف مقدار عقله من غيره لا من نفسه ومن اعدائه لا من اصدقائه فان من يداهنه يثني عليه فيزيده عجبا وهو لا يظن بنفسه الا الخير ولا يفطن لجهل نفسه فيزداد به عجبا

الرابع العجب بالنسب الشريف كعجب الهاشمية حتى يظن بعضهم انه ينجو بسبب شرف نسبه ونجاة آبائه وانه مغفور له ويتخيل بعضهم ان جميع الخلق له موال وعبيد وعلاجه ان يعلم انه مهما خالف آباءه في افعالهم واخلاقهم وظن انه ملحق بهم فقد جهل وان اقتدى بآبائه فما كان من اخلاقهم العجب بل الخوف والازراء على النفس واستعظام الخلق ومذمة النفس ولقد شرفوا بالطاعة والعلم والخصال المحمودة لا بالنسب فليتشرف بما شرفوا به وقد ساواهم في النسب وشاركهم في القبائل من لم يؤمن بالله فكانوا عند الله تعالى شرا من الكلاب واخس من الخنازير ولذلك قال الله تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى اي لا تفاوت في انسابكم لاجتماعكم في اصل واحد ثم ذكر فائدة النسب فقال وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ثم بين ان الشرف بالتقوى لا بالنسب فقال ان اكرمكم عند الله اتقاكم ولما قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من اكرم الناس من اكيس الناس لم يقل من ينتمي الي نسبي ولكن قال اكثرهم للموت ذكرا واشدهم له استعدادا وانما نزلت هذه الاية حيث اذن بلال يوم الفتح على الكعبة فقال الحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وخالد بن اسيد هذا العبد الاسود يؤذن فقال ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قد اذهب عنكم عبية الجاهلية اي كبرها كلكم بنو آدم وآدم من تراب وقال صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش لا ياتي الناس بالاعمال يوم القيامة وتاتون بالدنيا تحملونها على رقابكم تقولون يا محمد يا محمد فاقول هكذا اي اعرض عنكم فبين انهم ان مالوا الى الدنيا لم ينفعهم نسب قريش ولما نزل قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين ناداهم بطنا بعد بطن حتى قال يا فاطمة بنت محمد يا صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم اعملا لانفسكما فاني لا اغني عنكما من الله شيئا فمن عرف هذه الامور وعلم ان شرفه بقدر تقواه وقد كان من عادة آبائه التواضع اقتدى بهم في التقوى والتواضع والا كان طاعنا في نسب نفسه بلسان حاله مهما انتمى اليهم ولم يشبههم في التواضع والتقوى والخوف والاشفاق فان قلت فقد كان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قوله لفاطمة وصفية رضي الله عنهما اني لا اغني عنكما من الله شيئا الا ان لكما رحما سابلها ببلالها وقال عليه السلام لترجوا سليم شفاعتي ولا يرجوها بنو عبد المطلب فذلك يدل على انه سيخص قرابته بالشفاعة فاعلم ان كل مسلم فهو منتظر شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والنسب ايضا جدير بان يرجوها ولكن بشرط ان يتقي الله ان يغضب عليه فلا ياذن لاحد في شفاعته والذنوب منقسمة الى ما يوجب المقت فلا يؤذن في الشفاعة فيه والى ما يعفى عنه بسبب الشفاعة كالذنوب عند ملوك الدنيا فان كل ذي مكانة عند الملك لا يقدر على الشفاعة فيما اشتد عليه غضب الملك فمن الذنوب ما لا تنجي منه الشفاعة وعنه العبارة بقوله سبحانه وتعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون وبقوله سبحانه وتعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وبقوله تعالى لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا وبقوله تعالى لا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له وبقوله تعالى فما تنفعهم

شفاعة الشافعين وإذا انقسمت الذنوب إلى ما يشفع فيه وإلى ما لا يشفع رجا الخائف والاشفاق لا محالة
ولو كان كل ذنب يقبل فيه الشفاعة لما أمر قريشا بالطاعة ولما نهى فاطمة عن المعصية ولكان يأذن
لها في اتباع الشهوات لتكمل لذتها في الدنيا ثم يشفع لها في الآخرة لتكمل لذتها في الآخرة فالانهماك في الذنوب
وترك التقوى اعتمادا على رجاء الشفاعة يضاهي انهماك المريض في شهواته اعتمادا على طبيب حاذق
قريب مشفق من أب أو أخ أو غيره وذلك جهل لأن سعي الطبيب وهمته وحذقه ينفع في إزالة بعض
الأمراض لا في كلها فلا يجوز ترك الحمية مطلقا اعتمادا على مجرد الطب بل للطب أثر على الجملة ولكن في
الأمراض الضعيفة وعند غلبة اعتدال المزاج فهكذا ينبغي أن يفهم عناية الشفعاء من الأنبياء صلوات الله
عليهم أجمعين والصلحاء رضوان الله عليهم للأقارب والأجانب فإنه كذلك قطعا وذلك لا يزيل الخوف
والحذر فكيف يزيل وخيار الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرفهم أصحابه رضوان الله عليهم
أجمعين وقد كانوا يتمنون أن يكونوا بهائم من خوف الآخرة مع كمال تقواهم وورعهم وزهدهم وحسن أعمالهم
وصفاء قلوبهم وما سمعوه من وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم بالجنة خاصة وسائر المسلمين بالشفاعة
عامة ولم يتكلوا عليه ولم يفارق الخشوع والخوف قلوبهم فكيف يعجب بنفسه ويتكل على الشفاعة من ليس له
مثل صحبتهم وسابقتهم **الخامس** العجب بنسب السلاطين الظلمة وأعوانهم دون نسب الدين
والعلم وهذا غاية الجهل وعلاجه أن يتفكر في مخازيهم وما جرى لهم من الظلم على عباد الله والفساد في دين
الله تعالى وأنهم ممقوتون عند الله تعالى ولو نظر إلى صورهم في النار وأنتانهم وأقذارهم لاستنكف منهم
ولتبرأ من الانتساب إليهم ولأنكر على من نسبه إليهم استقذارا لهم واستحقارا [illegible] نواصيهم يجرون
على وجوههم إلى جهنم في مظالم العباد لتبرأ إلى الله تعالى منهم ولكان انتسابه إلى الكلب والخنزير أحب
إليه من الانتساب إليهم فحق أولاد الظلمة إن عصمهم الله من ظلمهم أن يشكروا الله على سلامة دينهم
ويستغفروا لآبائهم إن كانوا مسلمين فأما العجب بنسبهم فجهل محض **السادس** العجب بكثرة العدد من
الأولاد والخدم والغلمان والعشيرة والأقارب والأنصار والأتباع كما قال الله تعالى إخبارا عن الكفار
نحن أكثر أموالا وأولادا وكما قال المؤمنون يوم حنين لا نغلب اليوم عن قلة وعلاجه ما ذكرناه في الكبر وهو أن
يتفكر في ضعفه وضعفهم وأن كلهم عبيد عجزة لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا وكم من فئة قليلة
غلبت فئة كثيرة بإذن الله ثم كيف يعجب بهم وأنهم سيتفرقون عنه إذا مات فيدفن في قبره ذليلا مهينا
وحده لا يرافقه أهل ولا قريب ولا ولد ولا حميم ولا عشير فيسلمونه إلى البلى والحيات
والعقارب والديدان ولا يغنون عنه شيئا وهو أحوج أوقاته إليهم وكذلك يهربون منه يوم
القيامة يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه فأي خير فيمن يفارقك في أشد أحوالك
ويهرب منك عند حاجتك إليه وكيف تعجب به ولا ينفعك في القبر والقيامة وعلى الصراط إلا عملك
وفضل الله تعالى فكيف تتكل على من لا ينفعك وتنسى نعم من يملك نفعك وضرك وموتك وحياتك
السابع العجب بالمال كما قال الله تعالى إخبارا عن صاحب الجنتين إذ قال أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا
ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا غنيا جلس بجنبه فقير فانقبض منه وجمع ثيابه فقال عليه
السلام أخشيت أن يعدو إليك فقره وذلك للعجب بالغنى وعلاجه أن يتفكر في آفات المال وكثرة
حقوقه وعظيم غوائله وينظر إلى فضيلة الفقراء وسبقهم إلى الجنة في القيامة وإلى أن المال غاد ورائح
ولا أصل له وإلى أن في اليهود من يزيد عليه في المال وإلى قوله صلى الله عليه وسلم بينما رجل يتبختر في حلة له قد

أعجبته نفسه إذ أمر الله تعالى الأرض فأخذته فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة أشار به إلى عقوبة إعجابه بماله
ونفسه وقال أبو ذر كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فقال لي يا أبا ذر ارفع رأسك فرفعت
رأسي فإذا رجل عليه خلقان فقال يا أبا ذر هذا عند الله خير من قراب الأرض مثل هذا وجميع ما ذكرناه في
كتاب الزهد وكتاب ذم الدنيا وكتاب ذم المال يبين حقارة الأغنياء وشرف الفقراء عند الله تعالى فكيف يتصور
من المؤمن أن يعجب بثروته بل لا يخلو المؤمن عن خوف من تقصيره في القيام بحقوق المال وأخذه من حله ووضعه
في حقه ومن لا يفعل ذلك فمصيره إلى الخزي والبوار فكيف يعجب بماله **الثامن** العجب بالرأي الخطأ قال الله
تعالى أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا وقال تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وقد أخبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم أن ذلك يغلب على آخر هذه الأمة وبذلك هلكت الأمم السالفة إذ افترقت فرقا فكل معجب برأيه وكل
حزب بما لديهم فرحون وجميع أهل البدع والضلال إنما أصروا عليها لعجبهم بآرائهم والعجب بالبدعة هو
استحسان ما يسوق إليه الهوى والشهوة مع ظن كونه حقا وعلاج هذا العجب أشد من علاج غيره لأن صاحب الرأي
الخطأ جاهل بخطائه ولو عرفه لتركه ولا يعالج الداء الذي لا يعرف والجهل [illegible] يزيله عنه إلا إذا كان معجبا برأيه وجهله
فإنه لا يصغي إلى العارف ويتهمه فقد سلط الله عليه بلية تهلكه وهو يظنها نعمة فكيف يمكن علاجه وكيف يطلب
علاجه وكيف يطلب الهرب مما هو سبب سعادته في اعتقاده وإنما علاجه على الجملة أن يكون متهما لرأيه أبدا
لا يغتر به إلا أن يشهد له قاطع من كتاب أو سنة أو دليل عقلي صحيح جامع لشروط الأدلة ولن يعرف الإنسان أدلة الشرع
والعقل وشروطها ومكامن الغلط فيها إلا بقريحة تامة وعقل ثاقب وجد وتشمر في الطلب وممارسة للكتاب والسنة
ومجالسة لأهل العلم طول العمر ومدارسة العلوم ومع ذلك فلا يؤمن عليه الغلط في بعض الأمور والصواب
لمن لا يتفرغ عمره في الاستغراق في العلم أن لا يخوض في المذاهب ولا يصغي إليها ولا يسمعها ولكن يعتقد أن الله
تعالى واحد لا شريك له وأنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وأن رسوله صادق فيما أخبر به ويتبع سنة السلف
ويؤمن بجملة ما جاء به الكتاب والسنة من غير بحث وتنقير وسؤال عن تفصيل بل يقول آمنا وصدقنا ويشتغل
بالتقوى واجتناب المعاصي وأداء الطاعات والشفقة على المسلمين وسائر الأعمال فإن خاض في المذاهب والبدع
والتعصب في العقائد هلك من حيث لا يشعر هذا حق كل من عزم على أن يشتغل في عمره بشيء غير العلم فأما الذي
عزم على التجرد للعلم فأول مهم له معرفة الدليل وشروطه وذلك مما يطول الأمر فيه والوصول إلى اليقين والمعرفة
في أكثر المطالب شديد لا يقدر عليه إلا الأقوياء المؤيدون بنور الله تعالى وهو عزيز الوجود جدا فنسأل الله تعالى
العصمة من الضلال ونعوذ بالله من الاغترار بخيالات الجهال والحمد لله وحده تم كتاب ذم الكبر والعجب بحمد الله
وعونه وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين على كل حال ونعمة
والله الموفق للصواب ويتلوه كتاب ذم الغرور وهو الكتاب العاشر تمام ربع المهلكات من كتاب إحياء علوم الدين للغزالي رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الحمد لله الذي بيده مقاليد الأمور وبقدرته مفاتيح الخيرات والشرور مخرج أوليائه من الظلمات إلى النور
ومورد أعدائه ورطات الغرور والصلاة على محمد مخرج الخلائق من الديجور وعلى آله وأصحابه الذين لم تغرهم الحياة
الدنيا ولم يغرهم بالله الغرور صلاة تتوالى على ممر الدهور ومكر الساعات والشهور **أما بعد** فمفتاح السعادة
التيقظ والفطنة ومنبع الشقاوة الغرور والغفلة فلا نعمة لله على عباده أعظم من الإيمان والمعرفة ولا وسيلة

اليه سوى انشراح الصدر بنور البصيرة ولا نقمة اعظم من الكفر والمعصية ولا داعي اليهما سوى عمى القلب بظلمة
الجهالة فالاكياس وارباب البصائر قلوبهم كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري
يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور والمغترون
قلوبهم كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده
لم يكد يريها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور فالاكياس هم الذين اراد الله ان يهديهم فشرح صدورهم للاسلام والهدى
والمغترون هم الذين اراد الله ان يضلهم فجعل صدورهم ضيقة حرجا كانما يصعد في السماء والمغرور هو الذي لم تنفتح بصيرته
ليكون بهداية نفسه كفيلا وبقي في العمى فاتخذ الهوى قائدا والشيطان دليلا ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة
اعمى واضل سبيلا واذا عرفت ان الغرور هو ام الشقاوات ومنبع المهلكات فلا بد من شرح مداخله ومجاريه وتفصيل
ما يكثر وقوع الغرور فيه ليحذره المريد بعد معرفته فيتقيه فالموفق من العباد من عرف مداخل الافات والفساد فاخذ
منها حذره وبنى على الحزم والبصيرة امره ونحن نشرح اجناس مجاري الغرور واصناف المغترين من القضاة والعلماء
والصالحين الذين اغتروا بمبادئ الامور الجميلة ظواهرها القبيحة سرائرها ونشير الى وجه اغترارهم بها وغفلتهم
عنها فان ذلك وان كان اكثر مما يحصى ولكن يمكن التنبيه على امثلة تغني عن الاستقصاء وفرق المغترين كثيرة
ولكن يجمعهم اربعة اصناف **الصنف الاول** من العلماء **الصنف الثاني** من العباد **الصنف الثالث**
من المتصوفة **الصنف الرابع** من ارباب الاموال والمغترون من كل صنف فرق كثيرة وجهات غرورهم مختلفة فمنهم
من رأى المنكر معروفا كالذي يتخذ المساجد ويزخرفها من المال الحرام ومنهم من لم يميز بين ما يسعى فيه لنفسه وبين ما
يسعى فيه لله عز وجل كالواعظ الذي غرضه القبول والجاه ومنهم من يترك الاهم ويشتغل بغيره ومنهم من
يترك الفرض ويشتغل بالنافلة ومنهم من يترك اللباب ويشتغل بالقشر كالذي يكون همه في الصلاة مقصورا
على تصحيح مخارج الحروف الى غير ذلك من مداخل لا تتضح الا بتفصيل الفرق وضرب الامثلة ولنبدأ اولا بذكر غرور
العلماء ولكن بعد بيان ذم الغرور وبيان حقيقته وحده

بيان ذم الغرور وحقيقته وامثلته

اعلم ان
قوله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقوله تعالى ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم
الاماني حتى جاء امر الله وغركم بالله الغرور وكفى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يغبنون
سهر الحمقى واجتهادهم ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين افضل من ملء الارض من المغترين وقال صلى الله عليه وسلم
الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني وكل ما ورد في
فضل العلم وذم الجهل فهو دليل على ذم الغرور لان الغرور عبارة عن بعض انواع الجهل اذ الجهل هو ان يعتقد الشيء و
يراه على خلاف ما هو به والغرور هو جهل الا ان كل جهل ليس بغرور بل يستدعي الغرور مغرورا فيه مخصوصا ومغرورا به
هو الذي يغره فمهما كان المجهول المعتقد شيئا يوافق الهوى وكان السبب الموجب للجهل الحاصل به غرورا فالغرور
هو سكون النفس الى ما يوافق الهوى ويميل اليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان فمن اعتقد انه على خير اما في
العاجل او في الاجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور واكثر الناس يظنون بانفسهم الخير وهم مخطئون فيه فاكثر الناس
اذا مغرورون وان اختلفت اصناف غرورهم واختلفت درجاتهم حتى كان غرور بعضهم اظهر واشد من بعض واظهرها
واشدها غرور الكفار وغرور العصاة والفساق فنورد لها امثلة لحقيقة الغرور **المثال الاول غرور**
الكفار فمنهم من غرته الحياة الدنيا ومنهم من غره بالله الغرور اما الذين غرتهم الحياة الدنيا فهم الذين قالوا النقد
خير من النسيئة والدنيا نقد والاخرة نسيئة فاذا هي خير فلا بد من ايثارها وقالوا اليقين خير من الشك ولذات
الدنيا يقين ولذات الاخرة شك فلا يترك اليقين بالشك وهذه اقيسة فاسدة تشبه قياس ابليس حيث قال

انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين والى هؤلاء الاشارة بقوله تعالى اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالاخرة
فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وعلاج هذا الغرور اما بتصديق الايمان واما بالبرهان اما التصديق
بمجرد الايمان فهو ان يصدق الله تعالى في قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق وفي قوله تعالى وما عند الله
خير وابقى والاخرة خير وابقى وقوله وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور وقوله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا وقد اخبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك طوائف من الكفار فقلدوه وصدقوه وامنوا به ولم يطالبوه بالبرهان
ومنهم من قال نشدتك الله ابعثك الله رسولا فكان يقول نعم فيصدق وهذا ايمان العامة وهو يخرج
من الغرور وينزل هذا منزلة تصديق الصبي والده في ان حضور المكتب خير من حضور الملعب مع انه لا يدري وجه كونه
خيرا واما المعرفة بالبيان والبرهان فهو ان يعرف وجه فساد هذا القياس الذي نظمه في قلبه الشيطان فان
كل مغرور فلغروره سبب وذلك السبب هو دليل فهو نوع قياس يقع في النفس ويورث السكون اليه وان كان
صاحبه لا يشعر به ولا يقدر على نظمه بالفاظ العلماء فالقياس الذي نظمه الشيطان فيه اصلان احدهما قوله
ان الدنيا نقد والاخرة نسيئة وهذا صحيح والاخر قوله ان النقد خير من النسيئة وهذا محل التلبيس فليس الامر كذلك
بل ان كان النقد مثل النسيئة في المقدار والمقصود فهو خير وان كان اقل منها فالنسيئة خير فان الكافر
المغرور يبذل في تجارته درهما ليأخذ عشرة نسيئة ولا يقول النقد خير من النسيئة فلا اتركه وان كان اقل منه
فاذا حذره الطبيب الفواكه ولذائذ الاطعمة ترك ذلك في الحال خوفا من الم المرض في المستقبل فقد ترك النقد
ورضي بالنسيئة والتجار كلهم يركبون البحار ويتعبون في الاسفار نقدا لاجل الراحة والربح نسيئة فان كان عشرة في
ثاني الحال خيرا من واحد في الحال فانسب لذة الدنيا من حيث مدتها الى مدة الاخرة فان اقصى عمر الانسان مائة
سنة وليس هو عشر عشير جزء من الف الف جزء من الاخرة فكانه ترك واحدا ليأخذ الف الف بل ليأخذ ما لا نهاية
له ولا حد وان نظر من حيث النوع رأى لذات الدنيا مكدرة مشوبة بانواع المنغصات ولذات الاخرة صافية غير
مكدرة مشوبة بانواع فاذا قد غلط في قوله النقد خير من النسيئة وهذا غرور منشاه قبول لفظ عام مشهور اطلق
واريد به خاص فغفل المغرور عن خصوص معناه فان من قال النقد خير من النسيئة اراد به خيرا من نسيئة هو مثله
وان لم يصرح به فعند هذا ينزع الشيطان الى القياس الاخر وهو ان يقول اليقين خير من الشك وهذا القياس
اكثر فسادا من الاول لان كلا اصليه باطل اذ اليقين خير من الشك اذا كان مثله والا فالتاجر في تعبه على يقين
وفي ربحه على شك والمتفقه في اجتهاده على يقين وفي ادراكه رتبة اليقين على شك والصياد في تردده في
المقتنص على يقين وفي الظفر بالصيد على شك وكذلك الحزم دأب العقلاء بالاتفاق وكل ذلك ترك لليقين
بالشك ولكن التاجر يقول ان لم اتجر بقيت جائعا وعظم ضرري وان اتجرت كان تعبي قليلا وربحي كثيرا وكذلك
المريض يشرب الدواء البشع الكريه وهو من الشفاء على شك ومن مرارة الدواء على يقين ولكن يقول ضرر مرارة الدواء قليل
بالاضافة الى ما اخافه من المرض والموت فكذلك من شك في الاخرة فواجب عليه بحكم الحزم ان يقول ايام الصبر
ايام قلائل وهو منتهى العمر قريب بالاضافة الى ما يقال من امر الاخرة فان كان ما قيل فيه كذبا فما يفوتني الا التنعم
ايام حياتي وقد كنت في العدم من الازل الى الان لا اتنعم فاحسب اني بقيت في العدم وان كان ما قيل صدقا فابقى
في النار ابد الاباد وهذا لا يطاق ولهذا قال علي كرم الله وجهه لبعض الملحدين ان كان ما قلته حقا فقد تخلصت
وتخلصنا وان كان ما قلنا حقا فقد تخلصنا وهلكت وما قال هذا عن شك منه في الاخرة ولكن كلم الملحد على قدر
عقله وبين له انه وان لم يكن متيقنا فهو مغرور واما الاصل الثاني من كلامه وهو ان الاخرة شك فهو ايضا خطأ بل
ذلك يقين عند المؤمنين وليقينه مدركان احدهما الايمان والتصديق تقليدا للانبياء والعلماء وذلك ايضا يزيل

الغرور وهو سد يتبين العوام واكثر الخواص ومثالهم مثال مريض لا يعرف دواء علته وقد اتفق الاطباء واهل
الصناعة من عند اخرهم على ان دواءه النبت الفلاني فاطمأن نفس المريض الى تصديقهم ولا يطالبهم بتصحيح
ذلك بالبراهين الطبية بل يثق بقولهم ويعمل به ولو قال سوادي او معتوه يكذبهم في ذلك وهو يعلم بالتواتر
وقرائن الاحوال انهم اكثر منه عددا واغزر منه فضلا واعلم بالطب منه بل لا علم له بالطب فيعلم كذبه بكذبهم
ولا يعتقد كذبهم بقوله ولا يفتر في عمله بسببه ولو اعتمد قوله وترك قول الاطباء كان معتوها مغرورا فكذلك
من نظر الى المقرين بالاخرة والمخبرين عنها والقائلين بان التقوى هو الدواء النافع في الوصول الى سعادتها وجدهم
خير خلق الله واعلاهم رتبة في البصيرة والمعرفة واتبعهم عليه الخلق على اصنافهم وشذ منهم احاد من
البطالين غلبت عليهم الشهوة ومالت نفوسهم الى التمتع فعظم عليهم ترك الشهوات وعظم عليهم الاعتراف
بانهم من اهل النار فجحدوا الاخرة وكذبوا الانبياء فكما ان قول الصبي وقول السوادي لا يزيل طمانينة القلب الى ما
اتفق عليه الاطباء فكذلك قول هذا الغبي الذي استرقته الشهوات لا يشكك في صحة اقوال الانبياء والعلماء
وهذا القدر من الايمان كاف لجملة الخلق وهو يقين جازم يستحث على العمل لا محالة والغرور يزول به واما
المدرك الثاني لمعرفة الاخرة فهو الوحي للانبياء والالهام للاولياء ولا تظنن ان معرفة النبي
لامر الاخرة ولامور الدين تقليد لجبريل بالسماع منه كما ان معرفتك تقليد للنبي حتى تكون معرفتك كمعرفته وانما
تختلف المقلد فقط هيهات فان التقليد ليس بمعرفة بل هو اعتقاد صحيح والانبياء عارفون ومعنى معرفتهم انه
كشف لهم حقيقة الاشياء كما هي عليه فشاهدوها بالبصيرة الباطنة كما تشاهد انت المحسوسات بالبصر الظاهر
فيخبرون عن مشاهدة لا عن سماع وتقليد وذلك بان يكشف لهم عن حقيقة الروح وانه من امر الله تعالى وليس المراد
بكونه من امر الله الامر الذي يقابل النهي لان ذلك الامر كلام والروح ليس بكلام وليس المراد بالامر الشان حتى يكون المراد
به انه من خلق الله تعالى فقط لان ذلك عام في جميع المخلوقات بل العالم عالمان عالم الامر وعالم الخلق ولله الخلق
والامر فالاجسام ذوات الكمية والمقادير من عالم الخلق اذ الخلق عبارة عن التقدير في وضع اللسان وكل موجود منزه
عن الكمية والمقدار فانه من عالم الامر وشرح ذلك سر الروح ولا رخصة في ذكره لاستضرار اكثر الخلق بسماعه
كسر القدر الذي منع من افشائه فمن عرف سر الروح فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه عرف ربه واذا عرف
انه امر رباني بطبعه وفطرته وانه في العالم الجسماني غريب وان هبوطه اليه لم يكن بمقتضى طبعه في ذاته بل بامر
عارض غريب من ذاته وذلك العارض الغريب ورد على آدم عليه السلام وعبر عنه بالمعصية وهي التي حطته عن
الجنة التي هي اليق به بمقتضى ذاته فانها في جوار الرب تعالى وانه امر رباني وحنينه الى جوار الرب تعالى له طبعي ذاتي
الا ان يصرف عن مقتضى طبعه عوارض العالم الغريب من ذاته فينسى عند ذلك نفسه وربه ومهما فعل ذلك فقد ظلم
نفسه اذ قيل له ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون اي الخارجون عن مقتضى
طبعهم ومظنة استحقاقهم يقال فسقت الرطبة عن كمامها اذا خرجت عن معدنها الفطري وهذه اشارة
الى اسرار يهتز لاستنشاق روائحها العارفون ويشمئز من سماع الفاظها القاصرون فانها تضر بهم كما تضر رياح
الورد بالجعل وتبهر اعينهم الضعيفة كما تبهر الشمس ابصار الخفافيش وانفتاح هذا الباب من السر الى عالم
الملكوت يسمى معرفة وولاية ويسمى صاحبه وليا وعارفا وهي مبادي مقامات الانبياء واخر مقامات الاولياء اول
مقامات الانبياء ولنرجع الى الغرض المطلوب فالمقصود ان غرور الشيطان بان الاخرة شك يدفع اما بيقين تقليدي
واما ببصيرة ومشاهدة من جهة الباطن والمؤمنون بالسنتهم وبعقائدهم اذا ضيعوا اوامر الله تعالى و
هجروا الاعمال الصالحة ولابسوا الشهوات والمعاصي فهم مشاركون للكفار في هذا الغرور لانهم اثروا الحياة

الدنيا على الاخرة فغرورهم اخف لان اصل الايمان يعصمهم عن عقاب الابد فيخرجون من النار ولو بعد حين
ولكنهم ايضا من المغرورين فانهم اقروا بان الاخرة خير من الدنيا ولكنهم مالوا الى الدنيا واثروها و
مجرد الايمان لا يكفي للفوز قال الله تعالى واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى وقال تعالى ان رحمت
الله قريب من المحسنين ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم الاحسان ان تعبد الله كانك تراه وقال تعالى والعصر
ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فوعد المغفرة في جميع كتاب الله منوط بالايمان والعمل
الصالح جميعا لا بالايمان وحده فهؤلاء ايضا مغرورون اعني المطمئنين الى الدنيا الفرحين بها المترفين بنعيمها
المحبين لها الكارهين للموت خيفة فوات لذات الدنيا دون الكارهين لخيفة ما بعده فهذا الغرور بالدنيا من الكفار و
المؤمنين جميعا ولنذكر للغرور بالله مثالين من غرور الكافرين والعاصين فاما غرور الكفار بالله فمثاله قول
بعضهم في انفسهم وبالسنتهم انه لو كان لله من معاد فنحن احق به من غيرنا ونحن اوفر حظا فيه واسعد حالا كما
اخبر الله عز وجل عنه من قول الرجلين المتحاورين اذ قال وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن
خيرا منها منقلبا وجملة امرهما كما نقل في التفسير ان الكافر منهما بنى قصرا بالف دينار واشترى بستانا بالف
دينار وفي ذلك كله يعظه المؤمن ويقول اشتريت قصرا يخرب ويفنى الا اشتريت قصرا في الجنة لا يفنى واشتريت
بستانا يخرب ويفنى الا اشتريت بستانا في الجنة لا يفنى وخدما لا يفنون ولا يموتون وزوجة من الحور العين
لا تموت وفي كل ذلك يرد عليه الكافر ويقول ما هناك شيء وما قيل من ذلك فهو اكاذيب وان كان فليكونن لي في
الاخرة خير من هذا وكذلك وصف الله تعالى قول العاص بن وائل اذ يقول لاوتين مالا وولدا فقال تعالى ردا عليه اطلع
الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا كلا وروي عن خباب بن الارت انه قال كان لي على العاص بن وائل دين فجئت
اتقاضاه فلم يقض فقلت اني اخذه في الاخرة فقال لي اذا صرت الى الاخرة فان لي هناك مالا وولدا اقضيك منه
فانزل الله تعالى افرايت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا وقال تعالى ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء
مسته ليقولن هذا لي وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي الاية وهذا كله من الغرور بالله وسببه
قياس من اقيسة ابليس وذلك لانهم ينظرون مرة الى نعم الله عليهم في الدنيا فيقيسون عليه نعمة الاخرة وينظرون
مرة الى تاخير العذاب عنهم فيقيسون عليه عذاب الاخرة كما قال تعالى ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول
حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ومرة ينظرون الى المؤمنين وهم فقراء شعث غبر فيزدرون بهم ويستحقرونهم
فيقولون اهؤلاء من الله عليهم من بيننا ويقولون لو كان خيرا ما سبقونا اليه وترتيب القياس الذي نظمه
الشيطان في قلوبهم انهم يقولون قد احسن الله الينا بنعيم الدنيا وكل محسن فهو محب وكل محب فهو محسن في
المستقبل ايضا كما قال الشاعر **شعر** لقد احسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقي وانما يقيس المستقبل
على الماضي بواسطة الكرامة والحب اذ يقول لولا اني كريم عند الله ومحبوب لما احسن الله الي والتلبيس تحت ظنه
ان كل محسن محب بل تحت ظنه ان انعامه عليه في الدنيا احسان فقد اغتر بالله اذ ظن انه كريم عنده بدليل لا يدل
على الكرامة بل عند ذوي البصائر يدل على الهوان ومثاله ان يكون للرجل عبدان صغيران يبغض احدهما ويحب الاخر
فالذي يحبه يمنعه من اللعب ويلزمه المكتب ويحبسه فيه ليعلمه الادب ويمنعه من الفواكه وملاذ الاطعمة التي
تضره ويسقيه الادوية التي تنفعه والذي يبغضه يهمله ليعيش كيف يريد فيلعب ولا يدخل المكتب وياكل
ما يشتهي فيظن هذا العبد المهمل انه عند سيده محبوب كريم لانه مكنه من شهواته ولذاته وساعده على جميع
اغراضه فلم يمنعه ولم يحجر عليه وذلك محض الغرور وهكذا نعيم الدنيا ولذاتها فانها مهلكات ومبعدات
من الله تعالى فان الله تعالى يحمي عبده الدنيا وهو يحبه كما يحمي احدكم مريضه الطعام والشراب وهو يحبه هكذا ورد

فالخير وكان أرباب البصائر إذا أقبلت عليهم الدنيا حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته ورأوا ذلك أمارة المقت
والإهمال وإذا أقبل الفقر قالوا مرحبا بشعار الصالحين والمغرور إذا أقبلت عليه الدنيا ظن أنها كرامة من الله
وإذا صرفت عنه ظن أنها هوان كما أخبر الله تعالى عنه إذ قال فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي
أكرمن وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن كلا فبين أن ذلك غرور قال الحسن كذبهما جميعا
بقوله كلا يقول ليس هذا بإكرامي ولا هذا بهواني ولكن الكريم من أكرمته بطاعتي غنيا كان أو فقيرا والمهان من
أهنته بمعصيتي غنيا كان أو فقيرا وهذا الغرور علاجه معرفة دلائل الكرامة والهوان إما بالبصيرة وإما بالتقليد
أما البصيرة فبأن يعرف وجه كون الالتفات إلى الشهوات الدنيا مبعدا عن الله ووجه كون التباعد عنها
مقربا إلى الله ويدرك ذلك بالإلهام في منازل العارفين والأولياء وشرحه من جملة علوم المكاشفة ولا يليق بعلم المعاملة
وأما معرفته بطريق التقليد والتصديق فهو أن يؤمن بكتاب الله تعالى ويصدق رسوله وقد قال تعالى أيحسبون
أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون
وقال تعالى فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون وفي تفسير
قوله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون أنهم كلما أحدثوا ذنبا أحدثنا لهم نعمة لنزيد غرورهم وقال تعالى
إنما نملي لهم ليزدادوا إثما وقال تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه
الأبصار إلى غير ذلك مما ورد في كتاب الله تعالى وسنة رسوله فمن آمن به تخلص من هذا الغرور فإن
منشأ هذا الغرور الجهل بالله وبصفاته فإن من عرفه لا يأمن مكره ولا يغتر بأمثال هذه الخيالات وينظر
إلى فرعون وهامان وقارون وإلى ملوك الأرض كيف أحسن إليهم ابتداء ثم دمرهم تدميرا وقد حذر الله تعالى مكره
واستدراجه فقال فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون وقال تعالى ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وقال ومكروا ومكر الله
والله خير الماكرين وقال تعالى إنهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا فمهل الكافرين أمهلهم رويدا فكما لا يجوز
للعبد المهمل أن يستدل بإهمال السيد إياه وتمكينه من النعم على حب السيد بل ينبغي أن يحذر أن يكون ذلك مكرا
به مع أن السيد لم يحذره مكر نفسه فبأن يجب ذلك في حق الله تعالى مع تحذيره استدراجه أولى فإذا من
أمن مكر الله فهو مغتر ومنشأ هذا الغرور أنه استدل بنعيم الدنيا على أنه كريم عند المنعم واحتمل أن يكون ذلك دليل
الهوان ولكن ذلك الاحتمال لا يوافق الهوى فالشيطان بواسطة الهوى يميل بالقلب إلى ما يوافقه وهو التصديق
بدلالته على الكرامة وهذا هو حد الغرور **المثال الثاني** هو غرور العصاة من المؤمنين بالله بقولهم
إن الله كريم وإنا نرجو عفوه واتكالهم على ذلك وإهمالهم الأعمال وتحسين ذلك بتسمية تمنيهم واغترارهم
رجاء وظنهم أن الرجاء مقام محمود في الدين وأن نعمة الله واسعة ورحمته شاملة وكرمه عميم وأين معاصي العباد
في بحار رحمته وإنا موحدون ومؤمنون فنرجوه بوسيلة الإيمان وربما كان مستند رجائهم التمسك بصلاح الآباء
وعلو رتبتهم كاغترار العلوية بنسبهم ومخالفتهم سيرة آبائهم في الخوف والتقوى والورع وظنهم أنهم أكرم
على الله من آبائهم إذ آباؤهم مع غاية الورع والتقوى كانوا خائفين وهم مع غاية الفجور والفسق آمنون
وذلك نهاية الاغترار بالله فقياس الشيطان للعلوية أن من أحب إنسانا أحب أولاده وأن الله تعالى قد أحب آباءكم
فيحبكم فلا تحتاجون إلى الطاعة وينسى المغرور أن نوحا عليه السلام أراد أن يستصحب ولده في السفينة
فقال إن ابني من أهلي فقال تعالى إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح وأن إبراهيم عليه السلام استغفر لأبيه فلم ينفعه
وأن نبينا صلى الله عليه وسلم استأذن ربه في أن يزور قبر أمه ويستغفر لها فأذن له في الزيارة ولم يؤذن له في
الاستغفار فجلس يبكي على قبر أمه لرقته لها بسبب القرابة فهذا أيضا اغترار بالله تعالى وهذا لأن الله تعالى

يحب المطيع ويبغض العاصي فكما أنه لا يبغض الأب المطيع ببغضه للولد العاصي فكذلك لا يحب الولد العاصي بحبه
للأب المطيع ولو كان الحب يسري من الأب إلى الولد لأوشك أن يسري البغض أيضا بل الحق أنه لا تزر وازرة وزر أخرى
ومن ظن أنه ينجو بتقوى أبيه فهو كمن ظن أنه يشبع بأكل أبيه ويروى بشرب أبيه ويصير عالما بتعلم أبيه
ويصل إلى الكعبة ويراها بمشي أبيه فالتقوى فرض عين فلا يجزي فيه والد عن ولده شيئا وكذا العكس وعند الله جزاء التقوى
يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه إلا على سبيل الشفاعة لمن لم يشتد غضب الله عليه فيأذن في الشفاعة له كما سبق
في كتاب الكبر والعجب فإن قلت فأين الغلط في قول العصاة والفجار إن الله كريم وإنا نرجو مغفرته ورحمته فما
هذا الكلام صحيح مقبول في القلوب فاعلم أن الشيطان لا يغوي الإنسان إلا بكلام مقبول الظاهر مردود الباطن
ولولا حسن ظاهره لما انخدعت به القلوب ولكن النبي صلى الله عليه وسلم كشف ذلك فقال الكيس من دان نفسه
وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله وهذا هو التمني على الله غير الشيطان اسمه فسماه
رجاء حتى خدع به الجهال وقد شرح الله الرجاء فقال إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون
رحمت الله يعني أن الرجاء بهم أليق وهذا لأنه ذكر أن ثواب الآخرة أجر وجزاء على الأعمال قال الله تعالى جزاء بما كانوا يعملون
وقال تعالى إنما توفون أجوركم يوم القيامة أفترى أن من استؤجر على إصلاح أوان وشرط له أجرة عليها وكان الشارط
كريما يفي بالوعد مهما وعد ولا يخلف بل يزيد فجاء الأجير وكسر الأواني وأفسد جميعها ثم جلس ينتظر الأجر
ويزعم أن المستأجر كريم أفيراه العقلاء في انتظاره متمنيا مغرورا أو راجيا وهذا للجهل بالفرق بين الرجاء وبين
الغرة وقيل للحسن قوم يقولون نرجو الله ويضيعون العمل فقال هيهات هيهات تلك أمانيهم يترجحون فيها
من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه وقال مسلم بن يسار لقد سجدت البارحة حتى سقطت ثنيتاي
فقال له رجل إنا نرجو الله فقال مسلم هيهات هيهات من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه وكما أن
الذي يرجو في الدنيا ولدا وهو بعد لم ينكح أو نكح ولم يجامع أو جامع ولم ينزل فهو معتوه فكذلك من رجا رحمة
الله وهو لم يؤمن أو آمن ولم يعمل صالحا أو عمل ولم يترك المعاصي فهو مغرور وكما أنه إذا نكح ووطئ وأنزل بقي مترددا
في الولد يخاف ويرجو فضل الله في خلق الولد ودفع الآفات عن الرحم وعن الأم إلى أن يتم فهو كيس فكذلك إذا آمن
وعمل الصالحات وترك السيئات بقي مترددا بين الخوف والرجاء يخاف أن لا يقبل منه وأن لا يدوم عليه وأن
يختم له بالسوء ويرجو من فضل الله تعالى أن يثبته بالقول الثابت ويحفظ دينه من صواعق سكرات الموت
حتى يموت على التوحيد ويحرس قلبه عن الميل إلى الشهوات بقية عمره حتى لا يميل إلى المعاصي فهو كيس ومن عدا
هؤلاء فهم المغرورون بالله وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا ولتعلمن نبأه بعد حين وعند
ذلك يقولون ما أخبر الله تعالى عنهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا أي علمنا أنه كما لا يولد
ولد إلا بوقاع ونكاح ولا ينبت زرع إلا بحراثة وبث بذر فكذلك لا يحصل في الآخرة ثواب وأجر إلا بعمل صالح فارجعنا
نعمل صالحا فقد علمنا الآن صدقك في قولك وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى كلما ألقي فيها
فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير ألم يسمعكم سنة الله في عباده وأنه توفى كل نفس ما كسبت وأن كل نفس بما
كسبت رهينة فما الذي غركم بالله بعد أن سمعتم وعقلتم قالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير
فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير **فإن قلت** فأين مظنة الرجاء وموضعه المحمود فاعلم أنه محمود في موضعين
أحدهما في حق العاصي المنهمك إذا خطرت له التوبة فقال الشيطان وأنى تقبل توبتك فيقنطه من رحمة الله فيجب
عند هذا أن يقمع القنوط بالرجاء ويتذكر أن الله كريم يقبل التوبة عن عباده وأن التوبة طاعة تكفر الذنوب قال
تعالى يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم

وانيبوا الى ربكم امرهم بالانابة وقال واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا فاذا توقع المغفرة مع التوبة فهو راج وان
توقع المغفرة مع الاصرار فهو مغرور كما ان من ضاق عليه وقت الجمعة وهو في السوق فخطر له ان يسعى الى الجمعة فقال له
الشيطان لا تدرك الجمعة فاقم على موضعك فكذب الشيطان ومر يعدو وهو يرجو ان يدرك الجمعة فهو راج وان استمر
على التجارة واخذ يرجو تاخير الامام الصلاة لاجله الى وسط الوقت لاجل غيره او لسبب من الاسباب التي لا يعرفها
فهو مغرور ان تفتر نفسه عن فضايل الاعمال وتقتصر على الفرايض فيرجي نفسه بنعيم الله تعالى وما
وعد به الصالحين حتى ينبعث من الرجا نشاط العبادة فيقبل على الفضايل ويتذكر قوله تعالى قد افلح المومنون الذين هم
في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون الى قوله تعالى اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون
فالرجا الاول يقمع القنوط المانع من التوبة والرجا الثاني يقمع الفتور المانع من النشاط والتشمر فكل توقع حث على
توبة وعلى تشمر في العبادة فهو رجا وكل توقع اوجب فتورا في العبادة وركونا الى البطالة فهو غرة كما اذا خطر له ان يترك
الذنب ويشتغل بالعمل فيقول له الشيطان مالك ولايذاء نفسك وتعذيبها ولك رب كريم غفور رحيم فيفتر بذلك
عن التوبة والعبادة فهي الغرة وعند هذا يجب على العبد ان يستعمل الخوف فيخوف نفسه بغضب الله وعظيم عقابه
ويقول انه مع انه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب وانه مع انه كريم خلد الكفار في النار ابد الاباد مع انه لم يضره كفرهم
بل سلط عليهم العذاب والمحن والامراض والعلل والفقر والجوع على جملة من عباده في الدنيا وهو قادر على ازالتها
فمن هذه سنته في عباده وقد خوفني عقابه فكيف لا اخافه واغتر به فالخوف والرجا قايدان وسايقان يبعثان
على العمل فما لا يبعث على العمل فهو تمني وغرور ورجا كافة الخلق هو سبب فتورهم وسبب اقبالهم على الدنيا وسبب
اعراضهم عن الله واهمالهم السعي للاخرة فذلك غرور فقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم وذكر ان الغرور سيغلب على اخر
هذه الامة وقد كان ما وعد به صلى الله عليه وسلم فقد كان الناس في الاعصار الاول يواظبون على العبادات ويوتون ما اتوا
وقلوبهم وجلة يخافون على انفسهم وهم طول الليل والنهار في طاعة الله يبالغون في التقوى والحذر من الشبهات و
الشهوات ويبكون على انفسهم في الخلوات واما الان فترى الخلق امنين مسرورين مطمئنين غير خايفين مع اكبابهم
على المعاصي وانهماكهم في الدنيا واعراضهم عن الله زاعمين انهم واثقون بكرم الله وفضله ومغفرته وراجون
لعفوه ومغفرته كانهم يزعمون انهم عرفوا من كرم الله وفضله ما لم يعرفه الانبيا والصحابة والسلف الصالحون
فان كان هذا الامر يدرك بالمنى وينال بالهوينا فعلى ماذا كان بكا اوليك وخوفهم وقد ذكرنا تحقيق هذه الامور في
كتاب الخوف والرجا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه معقل بن يسار ياتي على الناس زمان يخلق فيه
القران في قلوب الرجال كما تخلق الثياب على الابدان يكون امرهم كله طمعا لا خوف معه ان احسن احدهم قال يتقبل مني
وان اسا قال يغفر لي فاخبر انهم يضعون الطمع موضع الخوف لجهلهم بتخويفات القران وما فيه وبمثله
اخبر عن النصارى اذ قال تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون
سيغفر لنا ومعناه انهم ورثوا الكتاب اي هم علما وياخذون عرض هذا الادنى اي شهواتهم من الدنيا حلالا كان او حراما
وقد قال تعالى ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد والقران من اوله الى اخره تحذير وتخويف لا يتفكر فيه متفكر
الا ويطول حزنه ويعظم خوفه ان كان مومنا بما فيه وترى الناس يهذونه هذا يخرجون الحروف من مخارجها ويتناظرون
على رفعها وخفضها ونصبها وكانهم يقرون شعرا من اشعار العرب لا يهمهم الالتفات الى معانيه والعمل بما فيه
وهل في العالم غرور يزيد على هذا فهذه امثلة الغرور بالله وبيان الفرق بين الرجا والغرور ويقرب منه غرور طايفة
لهم طاعات ومعاص الا ان معاصيهم اكثر وهم يتوقعون المغفرة ويظنون انهم ترجح كفة حسناتهم مع ان ما في
كفة السيئات اكثر وهذا غاية الجهل فترى الواحد منهم يتصدق بدراهم معدودة من الحلال والحرام

ويكون ما يتناوله من اموال المسلمين والشبهات اضعافه ولعل ما تصدق به هو من مال المسلمين وهو يتكل عليه
ويظن ان اكل الف درهم حرام يقاومه التصدق بعشرة من الحلال او الحرام وما هو الا كمن وضع عشرة دراهم في كفة ميزان
وفي الاخرى الفا واراد ان تشيل الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة وذلك غاية جهله نعم ومنهم من يظن ان طاعاته
اكثر من معاصيه لانه لا يحاسب نفسه ولا يتفقد معاصيه واذا عمل طاعة حفظها واعتد بها كالذي يستغفر الله
تعالى بلسانه او يسبح الله تعالى في اليوم مائة مرة وهو يغتاب المسلمين ويمزق اعراضهم ويتكلم بما لا يرضاه الله طول النهار
من غير حصر وعدد ويكون نظره الى عدد سبحته انه استغفر مائة مرة وغفل عن هذيانه طول نهاره الذي لو كتبه لكان
مثل تسبيحه مائة مرة او الف مرة وقد كتبه الكرام الكاتبون وقد اوعده الله تعالى العقاب على كل كلمة وقال ما يلفظ من
قول الا لديه رقيب عتيد فهذا ابدا يتامل في فضايل التسبيحات والتهليلات ولا يلتفت الى ما ورد في عقوبة المغتابين
والكذابين والنمامين والمنافقين يظهرون من الكلام ما لا يضمرونه الى غير ذلك من افات اللسان وذلك محض الغرور ولعمري
لو كان الكرام الكاتبون يطلبون منه اجرة النسخ لما يكتبونه من هذيانه الذي زاد على تسبيحه لكان عند ذلك يكف
لسانه عن جملة من مهماته وما نطق به في فترته كان يعده ويحسبه ويوازنه بتسبيحاته حتى لا يفضل عليه اجرة
نسخه ولا يحتاط خوفا من فوت الفردوس الاعلى ونعيمه ما هذه الا مصيبة عظيمة لمن تفكر فيها فقد دفعنا الى امر ان
شككنا فيه كنا من الكفرة الجاحدين وان صدقنا به كنا من الحمقى المغرورين فما هذه اعمال من يصدق بما جاء به القران
وانا نتبرا الى الله ان نكون من اهل الكفر فسبحان من صدنا عن التنبه واليقين مع هذا البيان وما اجدر من
يقدر على تسليط مثل هذه الغفلة والغرور على القلوب ان يخشى ويتقى ولا يغتر به اتكالا على اباطيل المنى وتعاليل
الشيطان والهوى

بيان اصناف المغترين واقسام فرق كل صنف وهم اربعة اصناف **الصنف الاول** اهل العلم والمغترون منهم فرق ففرقة منهم احكموا العلوم الشرعية والعقلية وتعمقوا فيها واشتغلوا
بها واهملوا تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصي والزامها الطاعات واغتروا بعلمهم وظنوا انهم عند الله بمكان وانهم
قد بلغوا من العلم مبلغا لا يعذب الله مثلهم بل يقبل في الخلق شفاعتهم وانه لا يطالبهم بذنوبهم وخطاياهم
لكرامتهم على الله وهم مغرورون فانهم لو نظروا بعين البصيرة علموا ان العلم علمان علم معاملة وعلم مكاشفة
وهو العلم بالله وبصفاته المسمى بالعادة علم المعرفة فاما العلم بالمعاملة كمعرفة الحلال والحرام ومعرفة اخلاق
النفس المذمومة والمحمودة وكيفية علاجها والفرار منها فهي علوم لا تراد الا للعمل ولولا الحاجة اليه لم يكن
لهذه العلوم قيمة وكل علم يراد للعمل فلا قيمة له دون العمل فمثال هذا كمريض به علة لا يزيلها الا دوا مركب من
اخلاط كثيرة لا يعرفها الا حذاق الاطبا فسعى في طلب الطبيب بعد ان هاجر عن وطنه حتى عثر على طبيب حاذق
فعلمه الدوا وفصل له الاخلاط وانواعها ومقاديرها ومعادنها التي منها تجتلب وعلمه كيفية دق كل واحد
منها وكيفية خلطه وعجنه فتعلم ذلك منه وكتب منه نسخة حسنة بخط حسن ورجع الى بيته وهو يكررها ويعلمها
المرضى ولم يشتغل بشربها واستعمالها افترى ان ذلك يغني عنه من مرضه شيا هيهات لو كتب منه الف
نسخة وعلمه الف مريض حتى شفي جميعهم وكرره كل ليلة الف مرة لم يغنه ذلك من مرضه شيا الا ان يزن
الذهب ويشتري الدوا ويخلطه كما تعلم ويشربه ويصبر على مرارته ويكون شربه في وقته وبعد تقديم الاحتما
وجميع شروطه واذا فعل جميع ذلك فهو على خطر من شفايه فكيف اذا لم يشربه اصلا فمهما ظن ان ذلك يكفيه
ويشفيه فقد ظهر غروره وهكذا الفقيه الذي احكم علم الطاعات ولم يعملها واحكم علم المعاصي ولم يجتنبها واحكم علم
الاخلاق المذمومة وما زكى نفسه منها واحكم علم الاخلاق المحمودة ولم يتصف بها فهو مغرور اذ قال تعالى قد افلح
من زكاها ولم يقل قد افلح من تعلم كيفية تزكيتها فكتب علم ذلك وعلمه الناس وعند ذلك يقول له الشيطان لا يغرنك

هذا المثال فان العلم بلا عمل لا يزيل المرض وانما المطلب القرب من الله وثوابه والعلم يجلب الثواب ويدل عليه
الاخبار الواردة في فضائل العلم فان كان المسكين معنيها معروفا وما فوق ذلك مراده وهواه فاطمأن اليه واهمل
العمل وان كان كيسا فبئس للشيطان المذكور في فضائل العلم ويتمنى ما ورد في العالم الفاجر الذي لا يعمل بعلمه كقوله
تعالى فمثله كمثل الكلب وقوله تعالى مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا فاي خزي اعظم
من التمثيل بالكلب والحمار وقد قال صلى الله عليه وسلم من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا
وقال في بلوغ العالم في النار فتندلق اقتابه فيدور بها في النار كما يدور الحمار في الرحا وكقوله شر الناس العلماء
السوء وقول ابي الدرداء ويل للذي لا يعلم مرة ولو شاء الله لعلمه وويل للذي يعلم ولا يعمل سبع مرات اي ان
العلم حجة عليه اذ يقال له ماذا عملت فيما علمت وكيف قضيت شكر الله وقال صلى الله عليه وسلم اشد الناس عذابا
يوم القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه فهذا وامثاله مما اوردناه في كتاب العلم في باب علامة علماء الاخرة اكثر من
ان يحصى الا ان هذا مما لا يوافق هوى العالم الفاجر وما ورد في فضل العلم يوافقه فيميل الشيطان قلبه الى
ما يهواه وذلك عين الغرور فانه ان نظر بالبصيرة فمثاله ما ذكرناه وان نظر بعين الايمان فالذي اخبره
بفضيلة العلم هو الذي اخبره بذم العلماء السوء وان حالهم عند الله اشد من حال الجهال فبعد ذلك
اعتقاده انه على خير مع تأكد حجة الله عليه غاية الغرور واما الذي يدعي علوم المكاشفة كالعلم بالله وصفاته
واسمائه وهو مع ذلك يهمل العمل ويضيع امر الله تعالى وحدوده فغروره اشد ومثاله مثال من اراد خدمة
ملك فعرف الملك وعرف اخلاقه واوصافه ولونه وشكله وطوله وعرضه وعادته ومجلسه ولم يتعرف
ما يحب ويكرهه وما يغضب عليه وما يرضى به او عرف ذلك الا انه قصد خدمته وهو ملابس لجميع ما يغضب
به وعاطل عن جميع ما يحبه من زي وهيئة وكلام وحركة وسكون فورد على الملك وهو يريد التقرب منه و
الاختصاص به متلطخا بجميع ما يكرهه الملك عاطلا عن جميع ما يحبه متوسلا اليه بمعرفته له ونسبه
واسمه وبلده وشكله وصورته وعادته في سياسة غلمانه ومعاملته رعيته فهذا مغرور جدا اذ لو ترك
جميع ما عرفه واشتغل بمعرفته فقط ومعرفة ما يحبه ويكرهه لكان ذلك اقرب الى نيل المراد من قربه
والاختصاص به فتقصيره في التقوى واتباعه الشهوات يدل على انه لم ينكشف له من معرفة الله تعالى الا
الاسامي دون المعاني اذ لو عرف الله حق معرفته لخشيه واتقاه فلا يتصور ان يعرف الاسد عاقل ثم لا يتقيه
ولا يخافه وقد اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام خفني كما تخاف السبع الضاري نعم من يعرف
من الاسد لونه وشكله واسمه فقد لا يخافه وكانه ما عرف الاسد فمن عرف الله تعالى عرف من صفاته انه يهلك
العالمين ولا يبالي ويعلم انه مسخر في قدرة من لو اهلك مثله الوفا مؤلفة وابد عليهم العذاب ابد الاباد لم
يؤثر ذلك فيه اثرا ولم يأخذه عليه رقة ولا اعتراه جزع ولهذا قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء
وكفى بالاغترار بالله جهلا واستفتي الحسن عن مسئلة فاجاب فقيل له ان فقهاءنا لا يقولون ذلك فقال
وهل رايت فقيها قط انما الفقيه القائم ليله الصائم نهاره الزاهد في الدنيا وقال مرة الفقيه لا يداري
ولا يماري ينشر حكمة الله فان قبلت منه حمد الله وان ردت حمد الله فاذا الفقيه من فقه عن الله
امره ونهيه وعلم من صفاته ما احبه وما كرهه وهو العالم ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين واذا لم يكن
بهذه الصفة فهو من المغترين وفرقة اخرى احكموا العلم والعمل فواظبوا على الطاعات الظاهرة
وتركوا المعاصي الا انهم لم يتفقدوا قلوبهم ليمحوا عنها الصفات المذمومة عند الله من الكبر والحسد والريا
وطلب الرياسة والعلاء وارادة السوء للاقران والنظراء وطلب الشهرة في البلاد والعباد وربما يعرف

بعضهم ان ذلك مذموم فهو يكب عليها غير محترز منها ولا يلتفت الى قوله صلى الله عليه وسلم ادنى الرياء شرك
والى قوله عليه السلام لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر والى قوله الحسد ياكل الحسنات كما تاكل
النار الحطب والى قوله عليه السلام حب الشرف والمال ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل الى
غير ذلك من الاخبار التي اوردناها في جميع ربع المهلكات في الاخلاق المذمومة فهؤلاء زينوا ظواهرهم
واهملوا بواطنهم ونسوا قوله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لا ينظر الى صوركم ولا الى اموالكم وانما ينظر الى قلوبكم
واعمالكم فتعهدوا الاعمال ولم يتعهدوا القلوب والقلب هو الاصل اذ لا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم ومثال
هؤلاء كبئر الحش ظاهرها جص وباطنها نتن وكقبور الموتى ظاهرها مزين وباطنها جيفة او كبيت
مظلم باطنه وضع السراج على ظهره فاستنار ظاهره وباطنه مظلم او كرجل قصد الملك ضيافته الى داره
فجصص باب داره وترك القمامات في صدر داره ولا يخفى ان ذلك غرور بل اقرب مثال اليه رجل زرع زرعا
فنبت ونبت معه حشيش يفسده فامر بتنقية الزرع من الحشيش بقلعه من اصله فاخذ يجز رؤسه و
اطرافه فلا تزال تقوى اصوله وتنبت لان مغارس المعاصي هي الاخلاق المذمومة في القلب فمن لا يطهر القلب منها
لا تتم له الطاعات الظاهرة الا مع الافات الكثيرة بل هو كمريض ظهر به الجرب وقد امر بالطلاء وشرب الدواء فالطلاء
ليزيل ما على ظاهره والدواء ليقلع مادته من باطنه فقنع بالطلاء وترك الدواء وبقي يتناول ما يزيد في المادة فلا
يزال يطلي الظاهر والجرب كما هو دائم به تتفجر منه المادة التي في الباطن وفرقة اخرى علموا ان هذه الاخلاق
الباطنة مذمومة من جهة الشرع الا انهم لعجبهم بانفسهم يظنون انهم منفكون عنها وانهم ارفع عند
الله من ان يبتليهم بذلك وانما يبتلى به العوام دون من بلغ مبلغهم في العلم فاما هم فاعظم عند الله
ان يبتليهم بمثل ذلك ثم اذا ظهر عليهم مخايل الكبر والرياسة وطلب العلو والشرف قال ما هذا كبر وانما هو طلب
عز الدين واظهار شرف العلم ونصرة دين الله وارغام انف المبتدعين من المخالفين فاني لو لبست الدون من
الثياب وجلست في الدون من المجالس شمت بي اعداء الدين وفرحوا بذلك وكان ذلي ذلا على الاسلام ونسي المغرور
ان عدوه الذي حذره منه مولاه هو الشيطان وانه يفرح بما يفعله ويتخرب به وينسى ان النبي صلى الله عليه وسلم بماذا
نصر الدين وبماذا ارغم الكافرين وينسى ما روي عن الصحابة رضي الله عنهم من التواضع والتبذل و
القناعة بالفقر والمسكنة حتى عوتب عمر رضي الله عنه في بذاذة زيه عند قدومه الشام فقال انا
قوم اعزنا الله بالاسلام فلا نطلب العز في غيره ثم هذا المغرور يطلب عز الدين بالثياب الرقيقة من
القصب والدبيقي والابريسم المحرم والخيول والمراكب ويزعم انه يطلب به عز العلم وشرف الدين وكذلك مهما اطلق
اللسان بالحسد في اقرانه او فيمن رد عليه شيئا من كلامه لم يظن بنفسه ان ذلك حسد ولكن قال انما هذا غضب
للحق ورد على المبطل في عداوته وظلمه ولم يظن بنفسه الحسد حتى يعتقد انه لو طعن في غيره
من اهل العلم او منع غيره من رياسته او زوحم فيها هل كان غضبه وعداوته مثل غضبه الان فيكون غضبه لله
بل ربما غضب فيها لطعن في عالم اخر ومنع بل ربما يفرح به فيكون غضبه لنفسه وحسده لاقرانه من خبث باطنه وهكذا
يرائي باعماله وعلومه واذا خطر له خاطر الرياء قال هيهات انما غرضي من اظهار العلم والعمل اقتداء الخلق بي ليهتدوا
الى دين الله ويتخلصوا من عقاب الله ولا يتأمل المغرور انه ليس يفرح باقتداء الناس بغيره كما يفرح باقتدائهم
به فلو كان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يد من كان كمن له عبيد مرضى يريد معالجتهم فانه لا
يفرق بين ان يحصل شفاؤهم على يده او على يد طبيب اخر وربما يذكر هذا له فلا يخليه الشيطان ايضا ويقول
انما ذلك لانهم اذا اهتدوا بي كان الاجر لي والثواب لي وانما فرحي بثواب الله لا بقبول الخلق هذا ما يظنه

بنيته والله يطلع من سره على انه لو اخبره نبي بان الثواب في الخمول واخفا العلم اكثر من ثوابه في الاظهار وحبس مع ذلك
في سجن وقيد بالسلاسل لاحتال في هدم السجن وحل السلاسل حتى يرجع الى موضعه الذي يستظهر بايناسه
من تدريس او وعظ او غيره وكذلك يدخل على السلطان ويتودد اليه ويثني عليه ويتواضع له واذا خطر له ان
التواضع للسلاطين الظلمة حرام قال له الشيطان هيهات انما ذلك عند الطمع في مالهم فاما انت فغرضك ان
تشفع للمسلمين وتدفع الضرر عنهم وتدفع شر اعدائك عن نفسك والله يعلم من باطنه انه لو ظهر لبعض اقرانه قبول
عند السلطان فصار يشفع في كل مسلم حتى دفع الضرر عن جميع المسلمين ثقل ذلك عليه ولو قدر على ان يقبح
حاله عند السلطان بالطعن فيه والكذب عليه لفعل وكذلك قد ينتهي غرور بعضهم الى ان ياخذ من
مالهم واذا خطر له انه حرام قال له الشيطان هذا مال لا مالك له وهو لمصالح المسلمين وانت امام المسلمين و
عالمهم وبك قوام الدين افلا يحل لك ان تاخذ قدر حاجتك فيغتر بهذا التلبيس في ثلثة امور احدها
في انه مال لا مالك له فانه يعرف انه ياخذ الخراج من المسلمين واهل السواد والذين اخذ منهم احياء واولادهم وورثتهم
احياء وغاية الامر وقوع الخلط في اموالهم ومن غصب مائة دينار من عشرة انفس وخلطها فلا خلاف في انه مال حرام
ولا يقال هو مال لا مالك له ويجب ان يقسم بين العشرة ويرد الى كل واحد عشرة وان كان مال كل واحد قد اختلط بالآخر
الثاني في قوله انك من مصالح المسلمين وبك قوام الدين ولعل الذين فسد دينهم واستحلوا اموال السلاطين
ورغبوا في طلب الدنيا والاقبال على الرياسة والاعراض عن الآخرة بسببه اكثر من الذين زهدوا في الدنيا ورفضوها
واقبلوا على الله فهو على التحقيق دجال الدين وقوام مذهب الشياطين لا امام الدين اذ الامام هو الذي يقتدى
به في الاعراض عن الدنيا والاقبال على الله كالانبياء والصحابة وعلماء السلف والدجال هو الذي يقتدى به في
الاعراض عن الله تعالى والاقبال على الدنيا فلعل موت هذا انفع للمسلمين من حياته وهو يزعم انه قوام الدين ومثله كما قال
عيسى عليه السلام للعالم السوء انه كصخرة وقعت في فم الوادي فلا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخلص الى الزرع
واصناف غرور اهل العلم في هذه الاعصار المتاخرة خارج عن الحصر وفيما ذكرناه تنبيه بالقليل على الكثير وفرقة
اخرى احكموا العلم وطهروا الجوارح وزينوها بالطاعات واجتنبوا ظاهر المعاصي وتفقدوا اخلاق النفس
وصفات القلب من الريا والحسد والكبر والحقد وطلب العلو وجاهدوا انفسهم في التبري منها وقلعوا عن
القلوب منابتها الجلية القوية ولكنهم بعد مغرورون اذ بقيت في زوايا القلب من خفايا مكايد الشيطان
وخبايا خداع النفس ما دق وغمض فلم يفطنوا لها واهملوها وانما مثاله من يريد تنقية الزرع من
الحشيش فدار عليه وفتش عن كل حشيش راه فقلعه الا انه لم يفتش عما لم يخرج راسه بعد من الارض وظن ان الكل
قد ظهر وبرز وكان قد نبت من اصول الحشيش شعب لطاف فانبسطت تحت التراب فاهملها وهو يظن انه قد قلعها
فاذا هو بها في غفلته وقد نبتت وقويت وافسدت اصول الزرع من حيث لا يدري فكذلك العالم قد يفعل جميع
ذلك ويذهل عن المراقبة للخفايا والتفقد للدقائق فتراه يسهر ليله ويتعب نهاره في جميع العلوم وترتيبها و
تحسين الفاظها وجمع التصانيف فيها وهو يرى ان باعثه الحرص على اظهار دين الله ونشر شريعته ولعل باعثه الخفي
هو طلب الذكر وانتشار الصيت في الآفاق وكثرة الرحلة اليه من الآفاق وانطلاق الالسنة عليه بالثناء والمدح بالزهد
والورع والعلم والتقديم له في المهمات وايثاره في الاغراض والاجتماع حوله للاستفادة والتلذذ بحسن الاصغاء
عند حسن اللفظ والايراد والتمتع بتحريك الرؤس الى كلامه والبكا عليه والتعجب منه والفرح بكثرة الاصحاب والمستفيدين
والسرور بالتخصيص بهذه الخاصة من بين سائر الاقران والاشكال بالجمع بين العلم والورع وظاهر الزهد والتمكن به
من اطلاق لسان الطعن في الكافة المقبلين على الدنيا لا عن تفجع بمصيبة الدين ولكن عن الادلال بالتميز والاعتداد

بالتخصيص ولعل هذا المسكين المغرور حياته في الباطن بما انتظم له من الامارة والعز والانقياد والتوقير
وحسن الثنا فلو تغيرت عليه القلوب واعتقدوا فيه خلاف الزهد بما يظهر من اعماله فعساه يتشوش عليه
قلبه ويختلط اوراده ووظائفه وعساه يعتذر بكل حيلة لنفسه وربما يحتاج الى ان يكذب في تغطية عيبه
وعساه يؤثر بالكرامة والمراعاة من اعتقد فيه الزهد والورع وان كان قد اعتقد فيه فوق قدره ويتنبو
قلبه عمن عرف قدره بفضله وورعه وان كان ذلك على وفق حاله وعساه يؤثر بعض اصحابه على بعض وهو يرى انه
يؤثره لتقدمه في الفضل والورع وانما ذلك لانه اطوع له واتبع لمراده واكثر ثناء عليه واشد اصغا اليه و
احرص على خدمته ولعل جماعة يستفيدون منه ويرغبون في العلم وهو يظن ان قبولهم له لاخلاصه وصدقه
ووفائه بحق علمه فيحمد الله تعالى على ما يسره على لسانه من منافع خلقه ويرى ان ذلك مكفر لذنوبه ولم يتفقد مع
نفسه تصحيح النية فيه وعساه لو وعد بمثل ذلك الثواب في ايثار الخمول والعزلة واخفا العلم لم يرغب فيه
لفقده في العزلة والاختفا لذة القبول وعز الرياسة ولعل مثل هذا هو المراد بقول الشيطان من زعم من بني
آدم انه بعلمه استغنى عني فبجهله وقع في حبالي وعساه يصنف ويجتهد فيه ظنا انه يجمع علم الله لينتفع به وانما
يريد به استطارة اسمه بحسن التصنيف فلو ادعى مدع تصنيفه ومحى عنه اسمه ونسبه الى نفسه ثقل عليه
ذلك مع علمه بان ثواب الاستفادة من التصنيف انما يرجع الى المصنف والله اعلم بان المصنف لا اسم له ولعله
في تصنيفه لا يخلو من الثنا على نفسه اما صريحا بالدعاوي الطويلة العريضة واما ضمنا بالطعن في غيره ليستبان
من طعنه في غيره انه افضل ممن طعن فيه واعظم منه علما ولقد كان في غنية عن الطعن فيه ولعله يحكي من الكلام
الزيف ما يريد تزييفه فيعزيه الى قائله وما يستحسنه فلعله لا يعزيه اليه ليظن انه من كلامه فينقله بعينه
كالسارق له او يغيره ادنى تغيير كالذي يسرق قميصا فيتخذه قباء كيلا يعرف انه مسروق ولعله يجتهد
في تزيين اللفظ وتسجيعه وتحسين نظمه كيلا ينسب الى الركاكة ويرى ان غرضه ترويج الحكمة وتحسينها و
تزيينها ليكون اقرب الى نفع الناس وعساه غافلا عما روي ان بعض الحكما وضع ثلثمائة مصحف في الحكمة فاوحى
الله عز وجل الى نبي زمانه قل له قد ملأت الارض نفاقا وان الله لا يقبل من نفاقك شيئا ولعل جماعة من هذا الصنف
من المغترين اذا اجتمعوا ظن كل واحد بنفسه السلامة عن عيوب القلب وخفاياه فلو افترقوا واتبع كل واحد منهم
فرقة من اصحابه نظر كل واحد الى كثرة من يتبعه والى اكثر تبعا غيره فيفرح ان كان اتباعه اكثر وان علم ان غيره
احق بكثرة الاتباع منه ثم اذا تفرقوا واشتغلوا بالافادة تغايروا وتحاسدوا ولعل من يختلف الى احد منهم
اذا انقطع عنه الى غيره ثقل على قلبه ووجد في نفسه نفرة منه فبعد ذلك لا يهتز باطنه لاكرامه ولا يتشمر
لقضاء حوائجه كما كان يتشمر من قبل ولا يحرص على الثنا عليه كما كان يحرص مع علمه بانه مشغول بالاستفادة ولعل التحيز
منه الى فئة اخرى انفع له في دينه لآفة من الآفات كان تلحقه في هذه الفئة وسلامته عنها في تلك الفئة
ومع ذلك فلا يزول النفار عن قلبه ولعل الواحد منهم اذا تحركت فيه مبادي الحسد لم يقدر على اظهاره فيتعلل
بالطعن في دينه وورعه ليحمل غضبه على ذلك ويقول انما غضبت لدين الله لا لنفسي ومهما ذكرت عيوبه بين يديه ربما
فرح به وان اثني عليه ربما ساءه وكرهه وربما قطب وجهه اذا ذكرت عيوبه يظهر انه كاره لغيبة المسلمين وسر قلبه
راض به ومريد له والله مطلع عليه في ذلك فهذا وامثاله من خفايا العيوب لا يتفطن له الا الاكياس ولا يتنزه
منه الا الاقوياء ولا مطمع فيه لامثالنا من الضعفاء الا ان اقل الدرجات ان يعرف الانسان عيوب نفسه و
يسوءه ذلك ويكرهه ويحرص على اصلاحه فاذا اراد الله بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه ومن سرته حسنته وساءته
سيئته فهو مرجو الحال وامره اقرب من المغرور المزكي لنفسه الممتن على الله تعالى بعلمه وعمله الظان انه من

خيار خلقه فنعوذ بالله من الغفلة والاغترار ومن المعرفة بخفايا العيوب مع الاهمال هذا غرور الذين
حصلوا العلوم المهمة ولكن قصروا في العمل بالعلم ولنذكر الآن غرور الذين قنعوا من العلوم بما لا يهمهم و
تركوا المهم وهم مغترون اما لاستغنائهم عن اصل ذلك العلم واما لاقتصارهم عليه فمنهم فرقة
اقتصروا على علم الفتاوي في الحكومات والخصومات وتفاصيل المعاملات الدنياوية الجارية بين الخلق
لمصالح المعايش وخصصوا اسم الفقه بها وعلم المذهب وربما ضيعوا مع ذلك الاعمال الظاهرة والباطنة
فلم يتفقدوا الجوارح ولم يحرسوا اللسان عن الغيبة ولا البطن عن الحرام ولا الرجل عن المشي الى السلاطين و
كذا سائر الجوارح ولم يحرسوا قلوبهم عن الكبر والريا والحسد وسائر المهلكات فهؤلاء المغرورون من
وجهين احدهما من حيث العمل والآخر من حيث العلم اما العمل فقد ذكرنا وجه الغرور فيه وان مثالهم
مثال المريض اذا تعلم نسخة الدوا واشتغل بتكراره وتعليمه لا بل مثالهم مثال من به علة البواسير و
البرسام وهو مشرف على الهلاك محتاج الى تعلم الدوا واستعماله فاشتغل بتعلم دوا الاستحاضة وبتكرار ذلك
ليلا ونهارا مع علمه بانه رجل لا يحيض ولا يستحاض ولكن يقول ربما تظهر علة الاستحاضة لامرأة وتسأل
عن ذلك وذلك غاية الغرور فكذلك المتفقه المسكين قد تسلط عليه حب الدنيا واتباع الشهوات
والحسد والكبر والريا وسائر المهلكات الباطنة وربما يختطفه الموت قبل التوبة والتلافي فيلقى الله وهو
عليه غضبان فترك ذلك كله واشتغل بعلم السلم والاجارة والظهار واللعان والجراحات والديات و
الدعاوي والبينات وبكتاب الحيض ولا يحتاج الى شي من ذلك قط في عمره لنفسه واذا احتاج غيره كان في
المفتين كثرة فيشتغل بذلك ويحرص عليه لما فيه من الجاه والمال والرياسة وقد دهاه الشيطان وما
يشعر اذ يظن المغرور بنفسه انه مشغول بفرض دينه وليس يدري ان الاشتغال بفرض الكفاية قبل الفراغ
من فرض العين معصية هذا لو كانت نيته صحيحة كما قال وكان قصد بالفقه وجه الله تعالى فان كان
قصد وجه الله تعالى فهو باشتغاله به معرض عن فرض عينه في جوارحه وقلبه فهذا غروره من حيث العمل واما
غروره من حيث العلم فحيث اقتصر على علم الفتاوي وظن انه علم الدين وترك علم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله
عليه وسلم وربما طعن على المحدثين وقال انهم نقلة اخبار وحملة اسفار لا يفقهون وترك ايضا علم تهذيب الاخلاق
وترك الفقه عن الله تعالى بادراك جلاله وعظمته وهو العلم الذي يورث الخوف والهيبة والخشوع ويحمل
على التقوى فتراه آمنا من الله مغترا به متكلا على انه لا بد وان يرحمه فانه قوام دينه وانه لو لم يشتغل بالفتاوي
لتعطل الحلال والحرام فقد ترك العلوم التي هي اهم وهو غافل مغرور وسبب غروره ما سمع في الشرع من
تعظيم الفقه ولم يدر ان ذلك الفقه هو الفقه عن الله ومعرفة صفاته المخوفة والمرجوة ليستشعر القلب
الخوف ويلازم التقوى اذ قال تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم
اذا رجعوا اليهم الآية والذي يحصل به الانذار غير هذا العلم فان مقصود هذا العلم حفظ الاموال بشروط المعاملات
وحفظ الابدان بالاموال وبدفع القتل والجراحات والمال في طريق الله آلة والبدن مركب وانما العلم المهم هو معرفة
سلوك الطريق وقطع عقبات القلب التي هي الصفات المذمومة فهي الحجاب بين الله وبين العبد واذا مات ملوثا بتلك
الصفات كان محجوبا عن الله فمثاله في الاقتصار على علم الفقه مثال من اقتصر من سلوك طريق الحج على علم خرز الراوية
والخف ولا شك في انه لو لم يكن لتعطل الحج ولكن المقتصر عليه ليس من الحاج في شي ولا بسبيله وقد ذكرنا شرح ذلك في
كتاب العلم ومن هؤلاء من اقتصر من علم الفقه على الخلافيات ولم يهمه الا تعلم طريق المجادلة والالزام وافحام الخصوم و
دفع الحق لاجل الغلبة والمباهاة فهو طول الليل والنهار في التفتيش عن مناقضات ارباب المذاهب والتفقد

بعيوب الاقران والتلقف لانواع التشنيعات المؤذية وهؤلاء هم سباع الانس طبعهم الايذاء وهمهم السفه
ولا يقصدون العلم الا لضرورة ما يلزمهم لمباهاة الاقران فكل علم لا يحتاجون اليه في المباهاة كعلم القلب وعلم
سلوك الطريق الى الله تعالى بمحو الصفات المذمومة وتبديلها بالمحمودة فانهم يستحقرونه ويسمونه الكلام التزويق
وكلام الوعاظ وانما التحقيق عندهم معرفة تفاصيل العربدة التي تجري بين المتناظرين في الجدل وهؤلاء قد جمعوا
ما جمعه الذين من قبلهم في علم الفتاوي ولكن زادوا اذ اشتغلوا بما ليس من فروض الكفايات ايضا بل جميع
دقائق الجدل في الفقه بدعة لم يعرفها السلف واما ادلة الاحكام التي يشتمل عليها علم المذهب وهو كتاب
الله وسنة رسوله وفهم معانيها واما حيل الجدل من الكسر والقلب وفساد الوضع والتركيب والتعدية
انما ابدع لاظهار الغلبة والافحام واقامة سوق الجدل به فغرور هؤلاء اشد كثيرا واقبح من غرور من قبلهم

وفرقة اخرى اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة في الاهواء والرد على المخالفين وتتبع مناقضاتهم
واستكثروا من معرفة المقالات المختلفة واشتغلوا بتعليم الطرق في مناظرة اولئك وافحامهم وافترقوا في ذلك
فرقا كثيرة واعتقدوا انه لا يكون لعبد عمل الا بايمان ولا يصح الايمان الا بان يتعلم جدلهم وما سموه ادلة عقائدهم وظنوا
ان لا احد اعرف بالله وبصفاته منهم وانه لا ايمان لمن لم يعتقد مذهبهم ولم يتعلم علمهم ودعت
كل فرقة منهم الى نفسها ثم هم فرقتان ضالة ومحقة فالضالة هي التي تدعو الى غير السنة والمحقة هي التي تدعو
الى السنة والغرور شامل لجميعهم اما الضالة فلغفلتها عن ضلالتها وظنها بنفسها النجاة وهم فرق كثيرة
يكفر بعضهم بعضا وانما اتيت من حيث انها لم تتهم رأيها ولم تحكم اولا شروط الادلة ومنهاجها فرأى احدهم
الشبهة دليلا والدليل شبهة واما الفرقة المحقة فانما اغترارها من حيث انها ظنت بالجدل انه اهم الامور
وافضل القربات في دين الله وزعمت انه لا يتم لاحد دينه ما لم يفحص ولم يبحث وان من صدق الله ورسوله من
غير بحث وتحرير دليل فليس بمؤمن او ليس بكامل الايمان ولا مقرب عند الله فلهذا الظن الفاسد قطعت اعمارها
في تعلم الجدل والبحث عن المقالات وهذيانات المبتدعة ومناقضاتهم واهملوا انفسهم وقلوبهم حتى
عميت عليهم ذنوبهم وخطاياهم الظاهرة والباطنة واحدهم يظن ان اشتغاله بالجدل اولى واقرب عند الله
وافضل ولكنه لالتذاذه بالغلبة والافحام ولذة الرياسة وعز الانتماء الى الذب عن دين الله عميت بصيرته
فلم يلتفت الى القرن الاول وان النبي صلى الله عليه وسلم شهد لهم بانهم خير الخلق وانهم قد ادركوا كثيرا من
اهل البدع والاهواء فما جعلوا اعمارهم ودينهم غرضا للخصومات والمجادلات وما اشتغلوا بذلك عن
تفقد قلوبهم وجوارحهم واحوالهم بل لم يتكلموا فيه الا من حيث راوا حاجة وتوسموا مخايل قبول فذكروا بقدر
الحاجة ما يدل الضال على ضلالته واذا راوا مصرا على ضلالته هجروه واعرضوا عنه وابغضوه في الله ولم يلزموا
الملاحاة معه طول العمر بل قالوا ان الحق هو الدعوة الى السنة ومن السنة ترك الجدل في الدعوة الى السنة
اذ روى ابو امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل وخرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوما على اصحابه وهم يتجادلون ويختصمون فغضب عليهم حتى كانه فقئ في وجهه حب الرمان حمرة من
الغضب فقال الهذا بعثتم ابهذا امرتم ان تضربوا كتاب الله بعضه ببعض انظروا الى ما امرتم به فاعملوا وما
نهيتم عنه فانتهوا فقد زجرهم عن ذلك وكانوا اولى خلق الله بالحجاج والجدل ثم انهم راوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقد بعث الى كافة اهل الملل فلم يقعد معهم في مجلس مجادلة لالزام وافحام وتحقيق حجة ودفع سؤال
وايراد الزام فما جادلهم الا بتلاوة القرآن المنزل عليهم ولم يزد في المحاجة عليه لان ذلك يشوش القلوب
ويستخرج منها الاشكالات والشبه ثم لا يقدر على محوها من قلوبهم وما كان يعجز عن مجادلتهم بالتقسيمات

دقائق الاقضية وانه يعلم اصحابه كيفية الجدل للالزام ولكن الاكابر واهل الحزم اريغتنا فاهمنا وقالوا
لو نجا اهل الارض كلهم وهلكنا لم ينفعنا نجاتهم ولو نجونا وهلكوا لم يضرنا هلاكهم وليس علينا في المجادلة اكثر مما كان
على الصحابة مع اليهود والنصارى واهل الملل وما ضيعوا العمر بتصنيف المجادلات فما لنا نضيع العمر
ونصرفه الى ما ينفعنا في يوم فقرنا وفاقتنا ولا نخوض فيما لا نامن على انفسنا الخطا في تفاصيله ثم نرى
ان المبتدع ليس يترك بدعته بجدله بل يزيده التعصب والخصومة تشددا في بدعته فاشتغالي بمخاصمة
نفسي ومجادلتها ومجاهدتها لتترك الدنيا للاخرة اولى هذا لو كنت لم انه عن الجدل والخصومة فكيف وقد
نهيت عنه فكيف ادعو الى السنة بترك السنة فالاولى ان اتفقد نفسي وانظر من صفاتها ما يبغضه الله
تعالى وما يحبه لاتنزه عما يبغضه واتمسك بما يحبه **وفرقة اخرى اشتغلوا بالوعظ** و
اعلاهم رتبة من يتكلم في اخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجاء والصبر والشكر والتوكل والزهد و
اليقين والاخلاص والصدق ونظائره وهم مغرورون يظنون بانفسهم انهم اذا تكلموا بهذه الصفات ودعوا
الخلق اليها فقد صاروا موصوفين بهذه الصفات وهم منفكون عنها عند الله الا عن قدر يسير لا ينفك
عنه عوام المسلمين وغرور هؤلاء اشد الغرور لانهم يعجبون بانفسهم غاية الاعجاب ويظنون انهم ما
تبحروا في علم المحبة الا وهم محبون لله وما قدروا على تحقيق دقائق الاخلاص الا وهم مخلصون وما وقفوا على
خفايا عيوب النفس الا وهم عنها منزهون ولولا انه مقرب عند الله لما عرفه معنى القرب والبعد وعلم
السلوك الى الله وكيفية قطع المنازل في طريق الله فالمسكين يظن بهذه الظنون انه من الخائفين وهو امن
من مكر الله ويرى انه من الراجين وهو من المغترين المضيعين ويرى انه من الراضين بقضاء الله تعالى وهو من
الساخطين ويرى انه من المتوكلين على الله وهو من المتكلين على العز والجاه والمال والاسباب ويرى انه من
المخلصين وهو من المرائين بل يصف الاخلاص فيترك الاخلاص في الوصف ويصف الرياء ويذكره ويرائي بذكره ليعتقد
فيه انه لولا انه مخلص لما اهتدى الى دقائق الرياء ويصف الزهد في الدنيا لشدة حرصه على الدنيا وقوة رغبته فيها
فهو يظهر الدعاء الى الله وهو منه فار ويخوف بالله وهو منه امن ويذكر بالله وهو له ناس ويقرب الى الله وهو منه
متباعد ويحث على الاخلاص وهو غير مخلص ويذم الصفات المذمومة وهو بها متصف ويصرف الناس عن
الخلق وهو على الخلق اشد حرصا لو منع احدهم عن مجلسه الذي يدعو الناس فيه الى الله لضاقت عليه الارض
بما رحبت ويزعم ان غرضه اصلاح الخلق ولو ظهر من اقرانه من اقبل الخلق عليه وصلحوا على يديه لمات غما وحسدا
ولو اثنى احد من المترددين اليه على بعض اقرانه لكان ابغض خلق الله اليه فهؤلاء اعظم الناس غرة وابعدهم
عن التنبه والرجوع الى السداد لان المرغب في الاخلاق المحمودة والمنفر عن المذمومة هو العلم بغوائلها وفوائدها
وهذا قد علم ذلك ولم ينفعه وشغله حب دعوة الخلق عن العمل به فبعد ذلك بماذا يعالج وكيف سبيل تخويفه
وانما المخوف ما يتلوه على عباد الله فيخافون وهو ليس بخائف نعم ان ظن بنفسه انه موصوف بهذه الصفات المحمودة
يمكن ان يدل على طريق الامتحان والتجربة وهو انه ان كان يدعي حب الله فما الذي تركه من محاب الدنيا لاجله ويدعي
الخوف فما الذي امتنع منه بالخوف ويدعي الزهد فما الذي تركه مع القدرة عليه لوجه الله تعالى ويدعي
الانس بالله فمتى طابت له الخلوة ومتى استوحش من مشاهدة الخلق لا بل يرى قلبه يمتلي بالحلاوة اذا احدق به
المريدون ويراه يستوحش اذا خلا بالله تعالى فهل رايت محبا يستوحش من محبوبه ويستروح منه الى غيره
فالاكياس يمتحنون انفسهم بهذه الصفات ويطالبونها بالحقيقة ولا يقنعون منها بالتزويق بل بموثق من
الله غليظ والمغترون يحسنون بانفسهم الظنون واذا كشف الغطاء عنهم في الاخرة يفتضحون بل يهلكون

في النار فتندلق اقتابهم فيدور بها احدهم كما يدور الحمار بالرحا كما ورد في الخبر لانهم يامرون بالخير ولا
ياتونه وينهون عن الشر وياتونه وانما وقع الغرور لهؤلاء من حيث انهم يصادفون في قلوبهم شيئا ضعيفا من اصول
هذه المعاني وهو حب الله والخوف منه والرضا بفعله ثم قدروا مع ذلك على وصف المنازل العالية في هذه
المعاني فظنوا انهم ما قدروا على وصف ذلك وما رزقهم الله علمه وما نفع الناس بكلامهم فيها الا
لاتصافهم بها وذهب عليهم ان القبول للكلام والكلام للمعرفة وجريان اللسان والمعرفة للعلم وان ذلك
غير الاتصاف بالصفة فلا ينفك احد المسلمين عن الاتصاف بصفة الحب والخوف بل في القدرة على الوصف
بل ربما ازداد منه بكل حرفه وظهر الى الخلق ميله ومعظمه في قلبه حب الله تعالى انما مثاله مثال المريض
يصف المرض ويصف دواءه بفصاحة ويصف الصحة والشفاء وغيره من المرضى لا يقدر على وصف الصحة و
الشفاء واسبابه ودرجاته واصنافه فهو لا ينفعه في صفة المرض والاتصاف به انما ينفعه في
الوصف والعلم بالطب فظن عند علمه بتحقيق الصحة انه صحيح غاية الجهل فكذلك العلم بالخوف والحب
والتوكل والزهد وسائر هذه الصفات غير الاتصاف بحقائقها ومن التبس عليه وصف الحقائق بالاتصاف
بالحقائق فهو مغرور وهذه حالة الوعاظ الذين لا عجب في كلامهم بل منهاج وعظهم منهاج وعظ الزهاد
والاخيار ووعظ الحسن البصري واشباهه **وفرقة اخرى منهم** عدلوا عن المنهاج الواجب في الوعظ
وهم وعاظ اهل الزمان كافة الا من عصمه الله على الندور في بعض اطراف البلاد ان كان ولسنا نعرفه فاشتغلوا
بالطامات والشطح وتلفيق كلمات خارجة عن قانون الشرع والعقل طلبا للاغراب وطائفة شغفوا بطيارات
النكت وتسجيع الالفاظ وتلفيقها فاكثر همهم في الاسجاع والاستشهاد باشعار الوصال والفراق
وغرضهم ان يكثر في مجالسهم الزعقات والتواجد ولو على اغراض فاسدة فهؤلاء شياطين الانس ضلوا واضلوا
وضلوا عن سواء السبيل فان الاولين ان لم يصلحوا انفسهم فقد اصلحوا غيرهم وصححوا كلامهم ووعظهم واما
هؤلاء فانهم يصدون عن سبيل الله ويجرون الخلق الى الغرور بالله بلفظ الرجاء فيزيدهم كلامهم جراءة على المعاصي و
رغبة في الدنيا لا سيما اذا كان الواعظ متزينا بالثياب والخيل والمراكب فانه يشهد من راسه الى قدمه
بشدة حرصه على الدنيا فما يفسده هذا المغرور اكثر مما يصلح بل لا يصلح اصلا ويضل خلقا كثيرا فلا يخفى وجه
كونه مغرورا **وفرقة اخرى** منهم قنعوا بحفظ كلام الزهاد واحاديثهم في ذم الدنيا فهم يحفظون الكلمات
على وجهها ويؤدونها من غير احاطة بمعانيها فبعضهم يفعل ذلك على المنابر وبعضهم في المحاريب و
بعضهم في الاسواق مع الجلساء وكل منهم يظن انه اذا تميز بهذا القدر عن السوقية والجندية اذ حفظ كلام
الزهاد واهل الدين دونهم فقد افلح ونال الغرض وصار مغفورا له وامن عقاب الله من غير ان يحفظ ظاهره وباطنه
عن الاثام ولكنه يظن ان حفظه لكلام اهل الدين يكفيه وغرور هؤلاء اظهر من غرور من قبلهم **وفرقة اخرى**
استغرقوا اوقاتهم في علم الحديث اعني في سماعه وجمع الروايات الكثيرة منه وطلب الاسانيد الغريبة
العالية فهمة احدهم ان يدور في البلاد ويرى الشيوخ ليقول انا اروي عن فلان ولقد لقيت فلانا ومعي من
الاسانيد ما ليس مع غيري وغرورهم من وجوه منها انهم كحملة الاسفار فانهم لا يصرفون العناية الى فهم معاني السنة
فعلمهم قاصر وليس معهم الا النقل ويظنون ان ذلك يكفيهم **ومنها** انهم اذا لم يفهموا معانيها
لا يعملون بها وقد يفهمون بعضها ايضا ولا يعملون به **ومنها** انهم يتركون العلم الذي هو فرض عين وهو
معرفة معالجة القلب ويشتغلون بتكثير الاسانيد وطلب العالي منها ولا حاجة بهم الى شيء من ذلك
ومنها وهو الذي غلب على اهل الزمان انهم ايضا لا يقومون بشرط السماع فان السماع بمجرده وان لم يكن له

فايدة ولكنه مهم في نفسه للوصول الى اثبات الحديث اذ التفهم بعد الاثبات والعمل بعد التفهم فالاول
السماع ثم التفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر وهولاء اقتصروا من الجملة على السماع ثم لم يحكموا حقيقة السماع فترى
الصبي يحضر في مجلس الشيخ والحديث يقرا والشيخ ينام والذي يقرا والصبي يلعب ثم يكتب اسم الصبي الذي في
السماع فاذا كبر تصدى ليسمع منه والبالغ الذي يحضر وهما يغفل ولا يسمع ولا يصغي ولا يضبط وربما يشتغل
بحديث وينسخ والشيخ الذي يقرا عليه لو صحف وغير ما يقرا عليه لم يشعر به ولم يعرفه وكل ذلك
جهل وغرور اذ الاصل في الحديث ان تسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فتحفظه كما سمعته وترويه
كما حفظته فيكون الرواية عن الحفظ والحفظ عن السماع فان عجزت عن سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته
من الصحابة او التابعين وصار سماعك عن الراوي كسماع من سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ان
تصغي لتحفظ وتروي كما حفظت وتحفظ كما سمعت بحيث لا تغير منه حرفا ولو غيرت منه حرفا واخطا
حفظك خطاء وتحفظ طريقان احدهما ان تحفظ بالقلب وتستديمه بالذكر والتكرار كما تحفظ ما جرى
على سمعك في مجاري الاحوال والثاني ان تكتب كما تسمع وتصحح المكتوب وتحفظه حتى لا تصل اليه يد من يغيره
ويكون حفظك للكتاب بعدك في خزانتك فانه لو امتدت اليه يد غيرك ربما غيره فاذا لم تحفظه لم تشعر
بتغييره فيكون محفوظا بقلبك او بكتابك فيكون كتابك مذكرا لما سمعته وتامن فيه من التغيير و
التحريف فاذا لم تحفظ لا بالقلب ولا بالكتاب وجرى على سمعك صوت غفل وفارقت المجلس ثم رايت نسخة
لذلك وجوزت ان يكون ما فيه مغيرا او يفارق حرف منه النسخة التي سمعتها لم يجز لك ان تقول سمعت
هذا الكتاب فانك لا تدري لعلك لم تسمع ما فيه بل سمعت شيا يخالف ما فيه ولو في كلمة فاذا لم يكن معك
حفظ بقلبك ولا نسخة صحيحة استوثقت عليها بالتقابل بما فيه فمن اين تعلم انك سمعت ذلك وقد قال تعالى
ولا تقف ما ليس لك به علم وقول الشيوخ كلهم في هذا الزمان انا سمعنا ما في هذا الكتاب اذا لم يوجد الشرط الذي
ذكرناه كذب صريح واقل شرط السماع ان يجري الجميع على السمع مع نوع من الحفظ يشعر بالتغيير ولو جاز ان
يكتب سماع الصبي والغافل والنائم والذي ينسخ لجاز ان يكتب سماع الصبي في المهد وسماع المجنون ثم اذا
بلغ الصبي وافاق المجنون يسمع عليه والخلاف في عدم جوازه ولو جاز ذلك لجاز ان يكتب سماع الجنين في البطن
فان كان لا يكتب سماع الصبي في المهد لانه لا يفهم ولا يحفظ فالصبي الذي يلعب والغافل المشغول
بالنسخ عن السماع ليس يفهم ولا يحفظ وان استجرأ جاهل وقال يكتب سماع الصبي في المهد فليكتب سماع الجنين
في البطن فان فرق بينهما بان الجنين لا يسمع الصوت وهذا يسمع الصوت فماذا ينفع هذا وهو انما ينقل الحديث
دون الصوت فليقتصر اذا صار شيخا على ان يقول سمعت بعد بلوغي اني في صباي حضرت مجلسا يروى فيه حديث
كان يقرع سمعي صوته ولا ادري ما هو ولا خلاف في ان الرواية كذلك لا تصح وما زاد عليه فهو كذب صريح ولو
جاز اثبات سماع التركي الذي لا يفهم العربية لانه سمع صوتا غفلا لجاز اثبات سماع الصبي في المهد وذلك في
غاية الجهل ومن اين يوجد هذا واصل السماع مستنده الا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم نضر الله امرءا سمع مقالتي
فوعاها فاداها كما سمعها وكيف يودي كما سمع من لا يدري ما سمع فهذا افحش انواع الغرور وقد بلي اهل
الزمان ولو احتاط اهل الزمان لم يجدوا شيوخا الا الذين سمعوا في الصبي على هذا الوجه مع الغفلة الا ان
للمحدثين في ذلك جاها وقبولا فخافوا لما كثرين ان يشترطوا ذلك فيقل من يجتمع في حلقهم فينقص جاههم
ويقل ايضا احاديثهم التي قد سمعوها ايضا بهذا الشرط بل ربما عدموا ذلك وانقص افاضلهم على انه
ليس يشترط الا ان يقرع سمعه مرة وان كان لا يدري ما يجري وصحة السماع لا يعرفه من قول المحدثين الا من ليس

من طلبهم بل هو من علم علماء الاصول بالفقه وما ذكرناه فمتطوع به في تولين اصول الفقه فهذا غرور هولاء وربما
على الشرط الا كانوا مغرورين في اقتصارهم على النقل وفي افنائهم اعمارهم في جميع الروايات والاسانيد واعراضهم
عن مهمات الدين ومعرفة معاني الاخبار بل الذي يقصد من الحديث سلوك طريق الاخرة وربما يكفيه الحديث الواحد
عمرا كما روي عن بعض الشيوخ انه حضر مجلس السماع فكان اول حديث روي قوله صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء
تركه ما لا يعنيه فقام وقال يكفيني هذا حتى افرغ منه ثم اسمع غيره فهكذا يكون سماع الاكياس الذين يحذرون
الغرور **وفرقة اخرى اشتغلوا بعلم النحو واللغة والشعر** وغريب اللغة واغتروا به وزعموا انه قد
غفر لهم وانهم من علماء الامة اذ قوام الدين بالكتاب والسنة وقوام الكتاب والسنة بعلم اللغة والنحو فافنوا هؤلاء
اعمارهم في دقايق النحو وفي صناعة الشعر وفي غرايب اللغة ومثالهم كمن يفني جميع العمر في تعلم الخط وتصحيح
الحروف وتحسينها ويزعم ان العلوم لا يمكن حفظها الا بالكتبة فلا بد من تعلمها وتصحيحها ولو عقل لعلم انه يكفيه
ان يتعلم اصل الخط بحيث يمكن ان يقرا كيف ما كان والباقي زيادة على الكفاية وكذلك الاديب لو عقل لعرف ان
لغة العرب كلغة الترك والهند وانما فارقتها لغة العرب لاجل ورود الشريعة بها فيكفي من اللغة علم الغريبين
من الاحاديث والكتاب ومن النحو ما يتعلق بالحديث والكتاب فاما التعمق فيه الى درجات لا تتناهى فهو فضول مستغنى
عنه ثم لو اقتصر عليه واعرض عن معرفة المعاني الشرعية والعمل بها فهو ايضا مغرور بل مثاله مثال من ضيع عمره في
تصحيح مخارج الحروف في القران واقتصر عليه وهو مغرور فلعلمه اذ المقصود من الحروف المعاني وانما الحروف
ظروف وادوات ومن احتاج الى ان يشرب السكنجبين فهو من جملة المغرورين فكذلك غرور اهل النحو واللغة وكذا
والقراات فالشدد في مخارج الحروف بما يحقق فيها او يجردها او حرجا عليها اكثر مما يحتاج اليه في تعلم العلوم
التي هي فرض عين فاللب الاقصى هو العمل والذي فوقه هو معرفة العمل وهو كالقشر للعمل وكاللب بالاضافة الى ما فوقه
وما فوقه هو سماع الالفاظ وحفظها بطريق الرواية وهو قشر بالاضافة الى المعرفة ولب بالاضافة الى ما فوقه وما
فوقه هو العلم باللغة والنحو وفوق ذلك وهو القشر الاعلى العلم بمخارج الحروف والقانعون بهذه الدرجات
كلهم مغترون الا من اتخذ هذه الدرجات منازل فلم يعرج عليها الا بقدر حاجته فيتجاوز الى ما وراء ذلك حتى يصل
الى لباب العلم فطالب بحقيقة العمل قلبه وجوارحه وتجرد عمره في حمل النفس عليه وتصحيح الاعمال وتصفيتها
عن الشوايب والافات فهذا هو المقصود المخدوم من جملة علوم الشرع وساير العلوم خدم له ووسايل اليه
وقشور له ومنازل بالاضافة اليه وكل من لم يبلغ المقصد فقد خاب سواء كان في المنزل القريب او في المنزل
البعيد وهذه العلوم لما كانت متعلقة بعلوم الشرع اغتر بها اربابها فاما علم الطب والحساب والصناعات
وما يعلم انه ليس من علوم الشرع فلا يعتقد اصحابها انهم ينالون المغفرة بها من حيث انها علوم دينية
فكان الغرور فيها اقل من الغرور بعلوم الشرع لان العلوم الشرعية مشتركة في انها محمودة كما يشارك
القشر اللب في كونه محمودا ولكن المحمود منه لعينه هو المنتهى والثاني محمود للوصول به الى المقصود الاقصى
فمن اتخذ القشر مقصودا وعرج عليه فقد اغتر به **وفرقة اخرى عظم غرورهم في فن الفقه** فظنوا
ان حكم العبد بينه وبين الله تعالى يتبع حكمه في مجلس القضاء فوضعوا الحيل في دفع الحقوق واساوا تاويل الالفاظ
المبهمة واغتروا بالظواهر واخطاوا فيها وهذا من قبيل الخطا في الفتوى والغرور فيه والخطا في الفتاوى
مما يكثر ولكن هذا نوع عم الكافة الا الاكياس منهم فلنشر الى امثلة **فمن ذلك** فتواهم بان المراة متى ابرات
عن الصداق برئ الزوج بينه وبين الله تعالى وذلك خطا بل الزوج قد يسيء الى الزوجة بحيث يضيق عليها
الامر بسوء الخلق فتضطر الى طلب الخلاص فتبرئ الزوج لتتخلص منه فما ابراه الا عن طيبة نفس وقد قال تعالى

كان يغنيكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً وطيبة النفس غير طيبة القلب فقد يريد الانسان بقلبه ما لا تطيب به نفسه فانه يريد الحجامة بقلبه ولكن يكرهها بنفسه فانما طيبة النفس ان تسمح نفسها بالابراء عن ضرورة تقابلها حتى اذا ترددت بين ضررين اختارت اهونهما فهذه مصادرة على الحقيقة باكراه الباطن نعم القاضي في الدنيا لا يطلع على القلوب والاغراض فينظر الى الابراء الظاهر وانه لم يكره بسبب ظاهر والاكراه الباطن ليس يطلع الخلق عليه ولكن مهما تصدى القاضي الاكبر في صعيد القيامة للقضاء لم يكن هذا محسوباً ولا مفيداً في تحصيل الابراء فلذلك لا يحل ان ياخذ مال الانسان الا بطيبة نفس منه ولو طلب من انسان مالاً على ملأ من الناس فاستحيا من الناس ان لا يعطيه وكان يود ان يكون سؤاله في خلوة حتى لا يعطيه ولكن خاف الم مذمة الناس وخاف الم تسليم المال وورد نفسه بينهما فاختار اهون الالمين وهو الم التسليم فسلمه فلا فرق بين هذا وبين المصادرة اذ معنى المصادرة ايلام البدن بالسوط حتى يصير ذلك اقوى من الم القلب ببذل المال فيختار اهون الالمين والسؤال في مظنة الحياء والرياء ضرب للقلب بالسوط وضرب الظاهر ولا فرق بين ضرب الباطن وضرب الظاهر عند الله تعالى فان الباطن عند الله ظاهر وانما حاكم الدنيا هو الذي يحكم بالملك بظاهر قوله وهبت لانه لا يمكنه الوقوف على ما في القلب وكذلك كل من يعطي اتقاء لشر لسانه ولشر سعايته فهو حرام عليه وكذلك كل مال يؤخذ على هذا الوجه فهو حرام الا ترى الى ما يحكى في قصة داود عليه السلام حيث قال بعدما غفر له يا رب كيف بخصمي فامره بالاستحلال منه وكان ميتاً فامره ان ينادي في صخرة بيت المقدس فنادى يا اوريا فاجابه لبيك يا نبي الله اخرجتني من الجنة فماذا تريد قال اني اسات اليك في امر فهبه لي قال قد فعلت ذلك يا نبي الله فانصرف وقد ركن الى ذلك فقال له جبريل عليه السلام هل ذكرت له ما فعلت قال لا قال فارجع فبين له فرجع فناداه فقال لبيك يا نبي الله قال اني اذنبت اليك ذنباً قال الم اهبه لك قال الا تسالني ما ذلك الذنب فقال ما هو يا نبي الله قال كذا وكذا وذكر شان المراة فانقطع عنه الجواب فقال يا اوريا الا تجيبني قال يا نبي الله ما هكذا تفعل الانبياء حتى اقف معك بين يدي الله عز وجل فاستقبل داود الصراخ والبكاء من الراس حتى وعده الله تعالى ان يستوهبه منه في القيامة فهذا ينبهك على ان الهبة من غير طيب قلب لا تفيد وان طيبة القلب لا تحصل الا بالمعرفة وكذلك طيبة القلب لا تكون في الابراء والهبة وغيره الا اذا خلا الانسان واختياره حتى ينبعث الداعي من ذات نفسه لا ان تضطره بواعثه الى الحكم بالحيل والالزام **ومن ذلك هبة الرجل** ماله الزكاة في اخر الحول لزوجته واتهابه مالها لاسقاط الزكاة فالفقيه يقول سقطت الزكاة فان اراد به ان مطالبة السلطان والساعي سقطت عنه فقد صدق فان مطمح نظرهما الظاهر والملك وقد زال وان ظن انه يسلم في القيامة ويكون كمن لم يملك المال او كمن باعه لحاجته الى البيع على هذا القصد فما اعظم جهله بفقه الدين وسر الزكاة فان سر الزكاة تطهير القلب عن رذيلة البخل فان البخل مهلك ... مطاعاً بما فعله وقلبه لم يكن مطاعاً فقد تم هلاكه بما يظن ان فيه خلاصه فان الله مطلع على قلبه وحبه للمال وحرصه عليه وانه بلغ من حرصه على المال انه استنبط الحيل حتى يسد على نفسه طريق الخلاص من البخل بالجهل والغرور **ومن ذلك اباحة** **الله** تعالى مال المصالح للفقيه وغيره بقدر الحاجة والفقهاء المغرورون لا يميزون بين الاماني والفضول والشهوات وبين الحاجات بل كل ما لا تتم رعونتهم الا به يرونه حاجة وهو محض الغرور بل الدنيا خلقت لحاجة العباد اليها في العبادة وسلوك طريق الله فكل ما يتناوله العبد للاستعانة على الدين والعبادة فهو حاجته وما عدا ذلك فهو فضوله وشهوته ولو ذهبنا نصف غرور الفقهاء في امثال هذا لملأنا به مجلدات والغرض التنبيه على امثلة تعرف الاجناس دون الاستيعاب فان ذلك يطول **الصنف الثاني في ارباب العبادة والعمل والمغرورون** منهم فرق كثيرة فمنهم من غروره في الصلاة ومنهم في تلاوة القران ومنهم في الحج ومنهم في الغزو ومنهم

في الزهد وكل ذلك مشغول بمنهج من مناهج العمل فليس خالياً عن غرور الا الاكياس وقليل ما هم **وفرقة اخرى** اهملوا الفرائض واشتغلوا بالفضائل والنوافل وربما تعمقوا في الفضائل حتى خرجوا الى العدوان والسرف كالذي تغلب عليه الوسوسة في الوضوء فيبالغ فيه ولا يرتضي الماء المحكوم بطهارته في فتوى الشرع فيقدر الاحتمالات البعيدة قريبة في النجاسة واذا آل الامر الى اكل الحلال قدر الاحتمالات القريبة بعيدة وربما اكل الحرام المحض ولو انقلب هذا الاحتياط من الماء الى الطعام لكان اشبه بسيرة الصحابة اذ توضا عمر رضي الله عنه بماء في جرة نصرانية مع ظهور احتمال النجاسة ومع هذا كان يدع ابواباً من الحلال خوفاً من الوقوع في الحرام ثم في هؤلاء من يخرج الى الاسراف في صب الماء وذلك منهي عنه وقد يطول الامر على نفسه حتى يضيع الصلاة ويخرجها عن وقتها وان لم يخرجها ايضاً عن وقتها فهو مغرور لما فاته من فضيلة اول الوقت وان لم يفته فهو مغرور باسرافه في الماء وان لم يسرف فهو مغرور لتضييعه العمر الذي هو اعز الاشياء فيما له مندوحة عنه الا ان الشيطان يصد الخلق عن الله بطرق ولا يقدر على صد العباد الا بما يخيل اليهم انه عبادة فيبعدهم عن الله بمثل ذلك **وفرقة غلب عليها الوسوسة** في نية الصلاة فلا يدعه الشيطان حتى يعقد نية صحيحة بل يشوش عليه حتى تفوته الجماعة ويخرج الصلاة عن الوقت وان تم تكبيره فيكون في قلبه بعد تردد في صحة نيته وقد يوسوسون في التكبير حتى قد يغيرون صيغة التكبير لشدة الاحتياط فيه يفعلون ذلك في اول الصلاة ثم يغفلون في جميع الصلاة ولا يحضرون قلوبهم ويغترون بذلك ويظنون انهم اذا اتعبوا انفسهم في تصحيح النية في اول الصلاة وتميزوا عن العامة بهذا الجهد والاحتياط فهم على خير عند ربهم **وفرقة اخرى تغلب عليها الوسوسة** في اخراج حروف الفاتحة وسائر الاذكار من مخارجها فلا يزال يحتاط في التشديدات والفرق بين الضاد والظاء وتصحيح مخارج الحروف في جميع صلاته لا يهمه غيره ولا يتفكر فيما سواه ذاهلاً عن معنى القران والاتعاظ به وصرف الفهم الى اسراره وهذا من اقبح انواع الغرور فانه لم يكلف الخلق في تلاوة القران من تحقيق مخارج الحروف الا بما جرت به عادتهم في الكلام ومثال هؤلاء مثال من حمل رسالة الى مجلس السلطان وامر ان يؤديها على وجهها فاخذ يؤدي الرسالة ويتانق في مخارج الحروف ويكررها ويعيدها مرة بعد اخرى وهو في ذلك غافل عن مقصود الرسالة ومراعاة حرمة المجلس فما احراه بان تقام عليه السياسة ويرد الى دار المجانين ويحكم عليه بفقد العقل **وفرقة اخرى** اغتروا بقراءة القران فيهذونه هذاً وربما يختمونه في اليوم والليلة مرة ولسان احدهم يجري به وقلبه يتردد في اودية الاماني اذ لا يتفكر في معاني القران لينزجر بزواجره ويتعظ بمواعظه ويقف عند اوامره ونواهيه ويعتبر بمواضع الاعتبار فيه الى غير ذلك مما ذكرناه في كتاب تلاوة القران من مقاصد التلاوة فهو مغرور يظن ان المقصود من انزال القران الهمهمة به مع الغفلة عنه ومثاله مثال عبد كتب اليه مالكه كتاباً واشار عليه فيه بالاوامر والنواهي فلم يصرف عنايته الى فهمه والعمل به ولكن اقتصر على حفظه فهو مستمر على خلاف ما امره به مولاه الا انه يكرر الكتاب بصوته ونغمته كل يوم مائة مرة فهو مستحق للعقوبة ومهما ظن ان ذلك هو المراد منه فهو مغرور نعم تلاوته انما تراد لكي لا ينسى بل لحفظه وحفظه يراد لمعناه ومعناه يراد للعمل به والانتفاع بمعانيه وقد يكون له صوت طيب فهو يقرؤه ويلتذ به ويغتر باستلذاذه ويظن ان ذلك لذة مناجاة الله وسماع كلامه وانما هي لذته في صوته ولو ردد الحانه بشعر او كلام اخر لالتذ به ذلك الالتذاذ فهو مغرور اذ لم يتفقد قلبه فيعرفه ان لذته بكلام الله من حيث حسن نظمه ومعانيه او بصوته **وفرقة اخرى منهم** اغتروا بالصوم وربما صاموا الدهر او صاموا الايام الشريفة وهم فيها لا يحفظون السنتهم عن الغيبة وخواطرهم عن الرياء وبطونهم عن الحرام عند الافطار والسنتهم عن الهذيان بانواع الفضول طول النهار وهو مع ذلك يظن

بنفسه الحج بسبيل الفرض وبطلب الورع ثم لا يقوم بحقه وذلك غاية الغرور **وفرقة اخرى اغتروا بالحج**
فيخرجون الى الحج من غير خروج عن المظالم وقضا الديون واسترضا الوالدين وطلب الزاد وقد يفعلون ذلك
بعد سقوط حج الاسلام ويضيعون في الطريق الصلاة والفرايض ويعجزون عن طهارة الثوب والبدن و
يتعرضون لمكس الظلمة حتى يوخذ منهم ولا يحذرون في الطريق من الرفث والخصام وربما جمع بعضهم الحرام
فانفقه على الرفقا في الطريق وهو يطلب به السمعة والريا فيعصي الله تعالى في كسب الحرام اولا وفي انفاقه بالريا
ثانيا فلا هو اخذه من حله ولا هو وضعه في حقه ثم يحضر البيت بقلب ملوث برذايل الاخلاق وذميم الصفات
لم يقدم تطهيره على حضوره وهو مع ذلك يظن انه على خير من ربه وهو مغرور **وفرقة اخرى** اخذت في
طريق الحسبة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ينكر على الناس ويامرهم بالخير وينسى نفسه واذا امرهم بالخير
عنف وطلب الرياسة والعزة واذا باشر منكرا ورد عليه غضب وقال انا المحتسب فكيف تنكر علي وقد يجمع
الناس الى مسجده ومن تاخر عنه اغلظ القول عليه وانما غرضه الريا والرياسة ولو قام بتعهد المسجد غيره
لحرد عليه بل منهم من يوذن ويظن انه يوذن لله ولو جا غيره واذن في وقت غيبته قامت عليه القيامة وقال
لم اخذ حقي وزوحمت على مرتبتي وكذلك قد يتقلد امامة مسجد ويظن انه على خير وانما غرضه ان يقال
انه امام المسجد فلو تقدم غيره وان كان اورع منه واعلم ثقل عليه **وفرقة اخرى جاوروا بمكة والمدينة**
واغتروا بذلك ولم يراقبوا قلوبهم ولم يطهروا ظاهرهم وباطنهم فقلوبهم معلقة ببلادهم ملتفتة الى قول
من يعرفهم ان فلانا مجاور بمكة وتراه يتحدث ويقول قد جاورت بمكة كذا كذا سنة فاذا سمع ان ذلك قبيح
ترك صريح التحدث واحب ان يعرفه الناس بذلك ثم انه قد يجاور ويمد عين طمعه الى اوساخ اموال الناس واذا
جمع من ذلك شيا شح عليه وامسكه ولم تسمح نفسه بلقمة يتصدق بها على فقير فيظهر فيه الريا والبخل والطمع
وجملة من المهلكات كان يغنيها بعزلة لو ترك المجاورة ولكن حب المحمدة وان يقال انه من المجاورين الزمه المجاورة مع
التضمخ بهذه الرذايل فهو ايضا مغرور وما من عمل من الاعمال وعبادة من العبادات الا وفيها افات فمن لم يعرف مداخل
افاتها واعتمد عليها فهو مغرور ولا يعرف شرح ذلك الا من جملة كتاب احيا علوم الدين فيعرف مداخل الغرور في
الصلاة من كتاب الصلاة وفي الحج والزكوة والتلاوة وساير القربات من الكتب التي رتبناها وانما الغرض الان
الاشارة الى مجامع ما سبق في الكتب **وفرقة اخرى زهدت في المال** وقنعت من اللباس والطعام بالدون
ومن المسكن بالمساجد وظنت انها ادركت رتبة الزهاد وهو مع ذلك راغب في الرياسة والجاه اما بالعلم
او بالوعظ او بمجرد الزهد فقد ترك اهون الامرين وباء باعظم المهلكين فان الجاه اعظم من المال ولو ترك الجاه واخذ
المال لكان الى السلامة اقرب فهذا مغرور اذ ظن انه من الزهاد في الدنيا وهو لم يفهم معنى الدنيا ولم يدر انه
منتهى لذاتها الرياسة وان الراغب فيها لا بد ان يكون منافقا وحسودا ومتكبرا ومرائيا ومتصفا بجميع
خبايث الاخلاق نعم وقد يترك الرياسة ويوثر الخلوة والعزلة وهو مع ذلك مغرور اذ يتطاول بذلك
على الاغنيا ويخشن معهم الكلام وينظر اليهم بعين الاستحقار ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لهم
ويعجب بعمله ويتصف بجملة من خبايث القلوب وهو لا يدري وربما يعطي المال فلا ياخذه خيفة من ان يقال
بطل زهده ولو قيل له انه حلال فخذه في الظاهر ورده في الخفية لم تسمح به نفسه خوفا من ذم الناس فهو راغب
في حمد الناس وهو من الذ ابواب الدنيا ويرى نفسه انه زاهد في الدنيا فهو مغرور ومع ذلك ربما لا يخلو
عن توقير الاغنيا وتقديمهم على الفقرا والميل الى المريدين له والمثنين عليه والنفرة عن المايلين الى
غيره من الزهاد وكل ذلك خدعة وغرور من الشيطان وفي العباد من يشدد على نفسه في اعمال

الجوارح حتى يصلي في اليوم والليلة مثلا الف ركعة ويختم القران وهو في جميع ذلك لا يخطر له مراعاة القلب
وتفقده وتطهيره من الريا والكبر والعجب وساير المهلكات فلا يدري ان ذلك مهلك وان علم فلا يظن بنفسه
ذلك وتوهم انه معفو عنه لعمله الظاهر وانه غير مواخذ باحوال القلب وان توهم فيظن ان العبادات الظاهرة ترجح
بها كفة حسناته وهيهات فذرة من ذي تقوى وخلق واحد من اخلاق الاكياس افضل من امثال الجبال
عملا بالجوارح ثم لا يخلو هذا المغرور مع سو خلقه مع الناس وخشونته وتلوث باطنه عن الريا وحب الثنا فاذا قيل
له انت من اوتاد الارض واوليا الله واحبابه فرح المغرور بذلك وصدق به وزاده ذلك غرورا وظن ان تزكية الناس
له دليل على كونه مرضيا عند الله ولا يدري ان ذلك لجهل الناس بخبث باطنه **وفرقة اخرى حرصت
على النوافل** ولم يعظم اعتدادها بالفرايض ترى احدهم يفرح بصلاة الضحى وصلاة الليل وامثال هذه
النوافل ولا يجد للفريضة لذة ولا يشتد حرصه على المبادرة بها في اول الوقت وينسى قوله صلى الله عليه وسلم
فيما يرويه عن ربه عز وجل ما تقرب الي المتقربون بمثل ادا ما افترضت عليهم وترك الترتيب بين الخيرات من
جملة الشرور بل قد يتعين على الانسان فرضان احدهما يفوت والاخر لا يفوت او فضلان احدهما يضيق
وقته والاخر يتسع وقته فان لم يحفظ الترتيب فيه كان مغرورا ونظاير ذلك اكثر من ان تحصى فان المعصية
ظاهرة والطاعة ظاهرة وانما الغامض تقديم بعض الطاعات على بعض كتقديم الفرايض كلها على النوافل و
تقديم فروض الاعيان على فروض الكفايات وتقديم فرض كفاية لا قائم به على ما قام به غيره وتقديم الاهم من
فروض الاعيان على ما دونه وتقديم ما يفوت على ما لا يفوت وهذا كما يجب ان يقدم حاجة الوالدة على حاجة
الوالد اذ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابر فقال امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال امك قال ثم من
قال اباك قال ثم من قال ادناك فادناك فينبغي ان يبدا في الصلة بالاقرب فان استويا فبالاحوج فان
استويا فبالاتقى والاورع وكذلك من لا يفي ماله بنفقة الوالدين والحج فربما يحج وهو مغرور بل ينبغي ان يقدم
حقهما على الحج وهذا من تقديم فرض اهم على فرض هو دونه وكذلك اذا كان على العبد ميعاد ودخل وقت
الجمعة فالجمعة تفوت فالاشتغال بالوفا بالوعد حينئذ معصية وان كان هو طاعة في نفسه وكذلك
يصيب ثوبه النجاسة فيغلظ القول على ابويه واهله بسببه فالنجاسة محذورة وايذاوهما محذور و
الحذر من الاذى اهم من الحذر من النجاسة وامثال تقابل المحذورات والطاعات لا تنحصر ومن ترك الترتيب في
جميع ذلك فهو مغرور وهذا غرور في غاية الغموض لان المغرور فيه في طاعة الا انه لا يفطن لمصيرورة
الطاعة معصية حيث ترك بها طاعة واجبة هي اهم منها ومن جملته الاشتغال بالمذاهب والخلاف في
الفقه في حق من بقي عليه شغل من الطاعات والمعاصي الظاهرة والباطنة المتعلقة بالجوارح والمتعلقة
بالقلب لان المقصود من الفقه معرفة ما يحتاج اليه غيره في حوايجه فما يحتاج اليه في قلبه اولى به
الا ان حب الرياسة والجاه ولذة المباهاة وقهر الاقران والتقدم عليهم يعمي عليه حتى يغتر به مع نفسه ويظن
انه مشغول بهم دينه **الصنف الثالث المتصوفة وما اغلب الغرور** عليهم والمغترون منهم
فرق كثيرة ففرقة منهم متصوفة اهل الزمان الا من عصمه الله تعالى اغتروا بالزي والمنطق والهيئة
فساعدوا الصادقين من الصوفية في زيهم وهيئتهم وفي الفاظهم وادابهم وفي رسومهم واصطلاحاتهم و
في احوالهم الظاهرة في السماع والرقص والطهارة والصلاة والجلوس على السجادات مع اطراق الراس وادخاله
في الجيب كالمتفكر وفي تنفس الصعدا وفي خفض الصوت في الحديث الى غير ذلك من الشمايل والهيات فلما تكلفوا
هذه الامور وتشبهوا بهم ظنوا انهم ايضا صوفية مثلهم ولم يتعبوا انفسهم قط في المجاهدة والرياضة

ومراقبة القلب وتطهير الباطن والظاهر من الاثام الجلية والخفية وكل ذلك من اوائل منازل التصوف ولو
فرغوا عن جميعها لما جاز لهم ان يعدوا انفسهم من الصوفية كيف ولم يحوموا قط حولها ولم يسوموا انفسهم
شيئا منها بل تراهم يتكالبون على الحرام والشبهات واموال السلاطين ويتنافسون في الرغيف والفلس
والحبة ويتحاسدون على النقير والقطمير ويمزق بعضهم اعراض بعض مهما خالفه في شيء من غرضه و
هولاء غرورهم ظاهر ومثالهم مثال امراة عجوز سمعت ان الشجعان والابطال من المقاتلين تثبت اسماؤهم
في الديوان ويقطع كل واحد منهم قطرا من اقطار المملكة فتاقت نفسها الى ان يقطع لها مملكة فلبست
درعا ووضعت على راسها مغفرا وتعلمت من رجز الابطال ابياتا وتعودت ايراد تلك الابيات بنغماتهم
حتى تيسرت عليها وتعلمت كيفية تبخترهم في الميدان وكيف تحريكهم الايدي وتلقفت جميع شمائلهم
في الزي والمنطق والحركات والسكنات ثم توجهت الى العسكر لتثبت اسمها في ديوان الشجعان فلما وصلت
الى العسكر انفذت الى الديوان للعرض وامر بان تجرد عن المغفر والدرع وينظر ما تحته ويمتحن بالمبارزة
مع بعض الشجعان ليعرف قدر غنائها في الشجاعة فلما جردت عن المغفر والدرع فاذا هي عجوز ضعيفة
زمنة لا تطيق حمل الدرع والمغفر فقيل لها اجئت للاستهزاء بالملك والاستخفاف باهل حضرته والتلبيس
عليهم خذوها فالقوها الى قدام الفيل لسخفها فالقيت الى الفيل وهكذا يكون حال المدعين للتصوف
في القيامة اذا كشف عنهم الغطاء وعرضوا على القاضي الاكبر الذي لا ينظر الى الزي والمرقع بل الى سر القلب وفرقة
اخرى زادت على هولاء في الغرور اذ شق عليها الاقتداء بهم في بذاذة الثياب والرضى بالدون فارادت
ان تتظاهر بالتصوف ولم تجد بدا من التزيي بهم فتركوا الخز والابريسم وطلبوا المرقعات النفيسة والفوط
الرفيعة والسجادات المصبغة ولبسوا من الثياب ما هو ارفع قيمة من الخز والابريسم ويظن احدهم مع ذلك
انه متصوف بمجرد لون الثياب وكونه مرقعا وينسون انهم انما لونوا الثياب لئلا يطول عليهم غسلها كل
ساعة لازالة الوسخ وانما لبسوا المرقعات اذ كانت ثيابهم مخرقة فكانوا يرقعونها ولا يلبسون الجديد
فاما تقطيع الفوط الرفيعة قطعة قطعة وخياطة المرقعات منها فمن اين يشبه ما اعتادوه فهولاء
اظهر حماقة من كافة المغرورين فانهم يتنعمون بنفيس الثياب ولذيذ الاطعمة ويطلبون رغد العيش
وياكلون اموال السلاطين ولا يجتنبون المعاصي الظاهرة فضلا عن الباطنة وهم مع ذلك يظنون بانفسهم
الخير وشر هولاء مما يتعدى الى الخلق اذ يهلك من يقتدي بهم ومن لا يقتدي بهم تفسد عقيدته في اهل
التصوف كافة ويظن ان جميعهم كانوا من جنسه فيطول اللسان في الصادقين منهم وكل ذلك من شوم
المتشبهين منهم وفرقة اخرى ادعت علم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاوزة المقامات والاحوال
والملازمة في عين الشهود والوصول الى القرب ولا يعرف هذه الامور الا بالاسامي والالفاظ لانه تلقف من
الفاظ الطامات كلمات فهو يرددها ويظن ان ذلك اعلى من علم الاولين والاخرين فهو ينظر الى الفقهاء والمفسرين
والمحدثين واصناف العلماء بعين الازدراء فضلا عن العوام حتى ان الفلاح ليترك فلاحته والحائك يترك حياكته
ويلازمهم اياما معدودة ويتلقف منهم تلك الكلمات المزيفة فهو يرددها كانه يتكلم عن الوحي ويخبر
عن سر الاسرار ويستحقر بذلك جميع العباد والعلماء فيقول في العباد انهم اجراء متعبون ويقول في العلماء انهم
بالحديث عن الله محجوبون ويدعي لنفسه انه الواصل الى الحق وانه من المقربين وهو عند الله من الفجار المنافقين
وعند ارباب القلوب من الحمقاء الجاهلين لم يحكم قط علما ولم يهذب خلقا ولم يرتب عملا ولم يراقب قلبا سوى
اتباع الهوى وتلقف الهذيان وحفظه وفرقة اخرى منهم وقعت في الاباحة وطووا بساط الشرع

ورفضوا الاحكام وسووا بين الحلال والحرام فبعضهم يزعم ان الله مستغن عن عملي فلم اتعب نفسي وبعضهم
يقول قد كلف الناس تطهير القلوب عن الشهوات وعن حب الدنيا وذلك محال فقد كلفوا ما لا يمكن وانما
يغتر به من لم يجرب واما نحن فقد جربنا وادركنا ان ذلك محال ولا يعلم الاحمق ان الناس لم يكلفوا قلع الشهوة والغضب
من اصلهما بل كلفوا تاديبهما وتليينهما بحيث ينقاد كل واحد منهما لحكم العقل والشرع وبعضهم يقول
الاعمال بالجوارح لا وزن لها وانما النظر الى القلوب وقلوبنا والهة بحب الله وواصلة الى معرفة الله وانما نخوض في
الدنيا بابداننا وقلوبنا عاكفة في الحضرة الربوبية فنحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب ويزعمون انهم قد
ترقوا عن رتبة العوام واستغنوا عن تهذيب النفس بالاعمال البدنية وان الشهوات لا تصدهم عن طريق الله تعالى
لقوتهم فيها ويرفعون درجة انفسهم عن درجة الانبياء اذ كانت تصدهم عن طريق الله عز وجل خطيئة واحدة حتى كانوا
يبكون عليها وينوحون سنين متوالية واصناف غرور اهل الاباحة من المتشبهين بالصوفية لا تحصى وكل ذلك
بناء على اغاليط ووساوس خدعهم الشيطان بها لاشتغالهم بالمجاهدة قبل احكام العلم ومن غير اقتداء بشيخ متقن
في الدين والعلم صالح للاقتداء واحصاء اصنافهم يطول وفرقة اخرى جاوزت حد هولاء واجتنبت الاعمال
وطلبت الحلال واشتغلت بتفقد القلب وصار احدهم يدعي المقامات من الزهد والتوكل والرضا والحب من
غير وقوف على حقيقة هذه المقامات وشروطها وعلاماتها وافاتها فمنهم من يدعي الوجد والحب لله تعالى
ويزعم انه واله بالله ولعله قد تخيل في الله خيالات هي بدعة او كفر فيدعي حب الله قبل معرفته ثم انه لا يخلو عن
مقارفة ما يكره الله وعن ايثار هوى نفسه على امر الله وعن ترك بعض الامور حياء من الخلق ولو خلا لما تركها حياء من الله و
ليس يدري ان كل ذلك يناقض الحب وبعضهم ربما يميل الى القناعة والتوكل فيخوض البوادي من غير زاد ليصحح
دعوى التوكل وليس يدري ان ذلك بدعة لم تنقل عن السلف والصحابة وقد كانوا اعرف بالتوكل منه فما فهموا
التوكل المخاطرة بالروح وترك الزاد بل كانوا ياخذون الزاد وهم متوكلون على الله تعالى لا على الزاد وهذا
ربما يترك الزاد وهو متوكل على سبب من الاسباب حتى يثق به وما من مقام من المقامات المنجيات الا وفيه غرور وقد
اغتر به قوم وقد ذكرنا مداخل الافات في ربع المنجيات من الكتاب فلا يمكن اعادته وفرقة اخرى ضيقت على
انفسها في امر القوت حتى طلبت منه الحلال الخالص واهملوا تفقد القلب والجوارح في غير هذه الخصلة الواحدة
ومنهم من اهمل الحلال في مطعمه وملبسه ومكسبه واخذ يتعمق في غير ذلك وليس يدري المسكين ان
الله لم يرض من عبده بطلب الحلال فقط ولا يرضى بسائر الاعمال دون طلب الحلال بل لا يرضيه الا تفقد جميع الطاعات
والمعاصي فمن ظن ان بعض هذه الامور يكفيه وينجيه فهو مغرور وفرقة اخرى منهم ادعوا حسن الخلق
والتواضع والسماحة فتصدوا لخدمة الصوفية فجمعوا قوما وتكلفوا بخدمتهم واتخذوا ذلك شبكة للرياسة
وجمع المال وانما غرضهم التكبر وهم يظهرون الخدمة والتواضع وغرضهم الارتفاق وهم يظهرون ان غرضهم
الارفاق وغرضهم الاستتباع وهم يظهرون ان غرضهم الخدمة والتبعية ثم انهم يجمعون من الحرام والشبهات
وينفقون عليهم لتكثر اتباعهم وينشر بالخدمة اسمهم وبعضهم ياخذ اموال السلاطين وينفق عليهم و
بعضهم ياخذها لينفق في طريق الحج على الصوفية ويزعمون ان غرضهم البر والارفاق وباعث جميعهم الرياء
والسمعة وامارة ذلك اهمالهم لجميع اوامر الله تعالى عليهم ظاهرا وباطنا ورضاهم باخذ الحرام والانفاق منه
ومثال من ينفق الحرام في طريق الحج لارادة الخير كمن يعمر مسجد الله فيطينه بالعذرة ويزعم ان قصده العمارة
وفرقة اخرى منهم اشتغلوا بالمجاهدة وتهذيب الاخلاق وتطهير النفس من عيوبها وصاروا يتعمقون
فيها فاتخذوا البحث عن عيوب النفس مستندا ودقيق الكلام في افاتها فيقولون هذا في النفس عيب والغفلة

عن كونه عجايب والالتفات الى كونه عجايب ويتعمقون فيه بكلمات مسلسلة تضيع الاوقات في تلفيقها
ومن جعل طول عمره في التفتيش عن العيوب وتحرير علم علاجها كان كمن اشتغل بالتفتيش عن عوايق الحج وآفاته
ولم يسلك طريق الحج فذلك لا يغنيه **وفرقة اخرى** جاوزوا هذه الرتبة وابتدوا سلوك الطريق وانفتح لهم
ابواب المعرفة فكلما تشمموا من مبادي المعرفة رايحة تعجبوا منها وفرحوا بها واعجبتهم غرابتها فتقيدت قلوبهم
بالالتفات اليها والتفكر فيها وفي كيفية انفتاح بابها وانسداده على غيرهم فكل ذلك غرور لان عجايب طريق الله
ليس لها نهاية فلو وقف السالك مع كل اعجوبة وتقيد بها قصرت خطاه وحرم عن الوصول الى المقصد وكان
مثاله مثال من قصد ملكا فراى على باب ميدانه روضة فيها ازهار وانوار لم يكن قد راى قبل ذلك مثلها
فوقف ينظر اليها حتى فاته الوقت الذي يمكن فيه لقا الملك **وفرقة اخرى** جاوزوا هؤلاء ولم يلتفتوا الى ما
يفيض عليهم من الانوار في الطريق ولا الى ما تيسر لهم من العطايا الجزيلة ولم يعرجوا على الفرح بها والالتفات اليها
جادين في السير حتى قاربوا فوصلوا الى حد القربة الى الله تعالى فظنوا انهم وصلوا الى الله فوقفوا وغلطوا فان
لله تعالى سبعين حجابا من نور لا يصل السالك الى حجاب من تلك الحجب في الطريق الا ويظن انه قد وصل واليه الاشارة
بقول ابراهيم الخليل عليه السلام اذ قال الله تعالى اخبارا عنه فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربي وليس
المعني به هذه الاجسام المضية فانه كان يراها في الصغر ويعلم انها ليست آلهة وهي كثيرة وليست واحدا والجهال
يعلمون ان الكوكب ليس باله فمثل ابراهيم عليه السلام لا يغره الكوكب الذي لا يغر السوادية ولكن المراد به انه نور من
الانوار التي هي من حجب الله تعالى وهي على طريق السالكين ولا يتصور الوصول الى الله الا بالوصول الى هذه الحجب وهي
حجب من نور بعضها اعظم من بعض واصغر النيرات الكواكب فاستعير له لفظه واعظمها الشمس وبينهما
رتبة القمر فلم يزل ابراهيم عليه السلام لما راى ملكوت السموات حيث قال الله تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات
والارض يصل الى نور بعد نور ويتخايل اليه في اول ما يلقاه انه قد وصل ثم كان يكشف له ان وراءه امرا فيترقى
اليه ويقول قد وصلت فيكشف له ما وراءه حتى وصل الى الحجاب الاقرب الذي لا وصول الا بعده فقال هذا
اكبر فلما ظهر له انه مع عظمته غير خال عن الهوي في حضيض النقص والانحطاط عن ذروة الكمال قال لا احب
الآفلين اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وسالك هذا الطريق قد يغتر في الوقوف
على بعض هذه الحجب وقد يغتر بالحجاب الاول واول الحجب بين الله وبين العبد هو نفسه فانه ايضا امر رباني
وهو نور من انوار الله اعني سر القلب الذي تتجلى فيه حقيقة الحق كله حتى انه ليتسع لجملة العالم ويحيط به
وتتجلى فيه صورة الكل وعند ذلك يشرق نوره اشراقا عظيما اذ يظهر فيه الوجود كله على ما هو عليه وهو
في اول الامر محجوب بمشكاة هي كالساتر له فاذا تجلى نوره وانكشف جمال القلب بعد اشراق نور الله عليه ربما
التفت صاحب القلب الى القلب فيرى من جماله الفايق ما يدهشه فربما يسبق لسانه في هذه الدهشة فيقول
انا الحق فان لم يتضح له ما وراء ذلك اغتر به ووقف عليه وهلك وكان قد اغتر بكوكب صغير من انوار الحضرة
الالهية ولم يصل بعد الى القمر فضلا عن الشمس فهو مغرور وهذا محل الالتباس اذ المتجلي يلتبس بالمتجلى فيه
كما يلتبس لون ما يترايا في المراة فيظن انه لون المراة وكما يلتبس ما في الزجاج بالزجاج كما قيل **شعر** رق الزجاج ورقت الخمر
فتشابها فتشاكل الامر ۞ فكانما خمر ولا قدح ۞ وكانما قدح ولا خمر ۞ وبهذه العين نظر النصارى الى المسيح فراوا
اشراق نور الله قد تلالا فيه فغلطوا فيه كمن راى كوكبا في مراة او في ما فيظن ان الكوكب في المراة او في الما فيمد
اليه يده ليأخذه وهو مغرور وانواع الغرور في طريق السلوك الى الله تعالى لا تحصى في مجلدات ولا
تستقصى الا بعد شرح جميع علوم المكاشفة وذلك مما لا رخصة في ذكره ولعل القدر الذي ذكرناه ايضا

كان الاولى به تركه اذ السالك لهذا الطريق لا يحتاج الى ان يسمعه من غيره والذي لم يسلكه لا ينتفع بسماعه
بل ربما يستضر به اذ يورثه ذلك دهشة من حيث يسمع ما لا يفهمه ولكن فيه فايدة وهو اخراجه من الغرور الذي
هو فيه اذ ربما يصدق بان الامر اعظم مما يظنه ومما يتخيله بذهنه المختصر وخياله القاصر وجدله المزخرف
ويصدق ايضا بما يحكى من المكاشفات التي اخبر عنها اولياء الله ومن عظم غروره ربما اصر مكذبا بما يسمعه
الان كما يكذب بما سمعه من قبل **الصنف الرابع** من ارباب الاموال والمغترون منهم فرق ففرقة منهم
يحرصون على بناء المساجد والمدارس والرباطات والقناطر وما يظهر للناس كافة ويكتبون اساميهم بالاجر عليها
ليتخلد ذكرهم ويبقى بعد الموت اثرهم وهم يظنون انهم قد استحقوا المغفرة بذلك وقد اغتروا فيه من وجهين
احدهما انهم يبنونها من اموال اكتسبوها من الظلم والنهب والرشى والجهات المحظورة فهم قد تعرضوا لسخط الله
في كسبها وتعرضوا لسخطه في انفاقها وكان الواجب عليهم الامتناع عن كسبها فاذا قد عصوا الله بكسبها كان الواجب
عليهم التوبة والرجوع الى الله تعالى وردها الى ملاكها اما باعيانها واما برد بدلها عند العجز فان عجزوا عن
الملاك كان الواجب ردها الى الورثة فان لم يبق للمظلوم وارث فالواجب صرفها الى اهم المصالح وربما يكون
الاهم التفرقة على المساكين وهم لا يفعلون ذلك خيفة من ان لا يظهر ذلك للناس فيبنون الابنية بالاجر وغرضهم
من بنايها الريا وجلب الثنا وحرصهم على بقايها لبقا اسمايهم المكتوبة فيها لا لبقا الخير والوجه الثاني انهم يظنون
بانفسهم الاخلاص وقصد الخير في الانفاق على الابنية ولو كلف واحد منهم ان ينفق دينارا ولا يكتب
اسمه على الموضع الذي انفق عليه لشق عليه ولم تسمح به نفسه والله مطلع عليه كتب اسمه او لم يكتب فلولا
انه يريد به وجه الناس لا وجه الله لما افتقر الى ذلك **وفرقة اخرى** ربما اكتسبت المال من الحلال وانفقت على
المساجد وهي ايضا مغرورة من وجهين احدهما الريا وطلب الثنا فانه ربما يكون في جواره او في بلده فقرا وصرف المال
اليهم اهم من الصرف الى المساجد وتزيينها وانما يخف عليهم الصرف الى المساجد ليظهر ذلك بين الناس والثاني
انه يصرف الى زخرفة المسجد وتزيينه بالنقوش التي هي منهي عنها وشاغلة قلوب المصلين ومختطفة ابصارهم
والمقصود من الصلاة الخشوع وحضور القلب وذلك يفسد قلوب المصلين ويحبط ثوابهم بذلك ووبال ذلك
كله يرجع اليه وهو مع ذلك يغتر به ويرى انه من الخيرات ويعتد ذلك وسيلة الى الله تعالى وهو بذلك قد
تعرض لسخط الله تعالى وهو يظن انه مطيع له وممتثل لامره وقد شوش قلوب عباد الله بما زخرفه من المسجد وربما شوقهم
به الى زخارف الدنيا فيشتهون مثل ذلك في بيوتهم ويشتغلون بطلبه ووبال ذلك كله في رقبته اذ المسجد انما
وضع للتواضع ولحضور القلب مع الله تعالى قال مالك بن دينار اتى رجلان مسجدا فوقف احدهما على الباب وقال
مثلي لا يدخل بيت الله فكتبه الملكان عند الله صديقا فهكذا ينبغي ان تعظم المساجد وهو ان يرى تلويث المسجد
بنفسه جناية على المسجد لا ان يرى تلويث المسجد الحرام او بزخرفة الدنيا جناية على الله وقال الحواريون لعيسى
عليه السلام انظر الى هذا المسجد ما احسنه فقال امتي امتي بحق اقول لكم لا يترك الله من هذا المسجد حجرا قايما
على حجر الا اهلكه بذنوب اهله ان الله لا يعبا بالذهب والفضة ولا بهذه الحجارة التي تعجبكم شيئا وان احب الاشيا
الى الله تعالى القلوب الصالحة بها يعمر الله الارض وبها يخرب اذا كانت على غير ذلك وقال ابو الدردا رضي الله عنه قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم وقال الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما اراد ان يبني مسجد المدينة اتاه جبريل عليه السلام فقال له ابنه سبعة اذرع طولا في السما لا تزخرفه ولا تنقشه
فغرور هذا من حيث انه راى المنكر معروفا واتكل عليه **وفرقة اخرى** ينفقون الاموال في الصدقات وعلى
الفقرا والمساكين ويطلبون به المحافل الجامعة ومن الفقرا من عادته الشكر والافشا للمعروف ويكرهون التصدق

في الحج ويردون ما اخذوا لما اخذتهم جنابة عليهم وكثر المدد بالحرص على انفاق المال في الحج فيحجون
مرة بعد اخرى وربما تركوا جيرانهم جياعا ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه في اخر الزمان يكثر الحاج بلا
سبب يهون عليهم السفر ويبسط لهم الرزق ويرجعون محرومين مسلوبين يهوي باحدهم بعيره بين القفار
والرمال وجاره ماسور الى جنبه لا يواسيه **وروي** ابو نصر التمار ان رجلا جاء يودع بشر بن الحارث وقال
قد عزمت على الحج فتامرني بشيء فقال له كم اعددت للنفقة فقال الفي درهم قال بشر فاي شيء تبتغي بحجك تزهدا او
اشتياقا الى البيت او ابتغاء مرضات الله تعالى قال ابتغاء مرضات الله قال فان اصبت رضا الله وانت في منزلك
وتنفق الفي درهم وتكون على يقين من مرضات الله تعالى اتفعل ذلك قال نعم قال اذهب فاعطها عشرة انفس
مديون يقضي دينه وفقير يرم شعثه ومعيل يغني عياله ومربي يتيم تفرحه وان قوي قلبك تعطيها واحدا
فافعل فان ادخالك السرور على قلب المسلم واغاثة اللهفان وكشف الضر واعانة الضعيف افضل من مائة حجة
بعد حجة الاسلام قم فاخرجها كما امرناك والا فقل لنا ما في قلبك فقال يا ابا نصر سفري اقوى في قلبي فتبسم بشر
رحمه الله واقبل عليه فقال له المال اذا جمع من وسخ التجارات والشبهات اقتضت النفس ان تقضي به
وطرا فاظهرت اعمال الصالحات وقد الى الله تعالى على نفسه ان لا يقبل الا عمل المتقين **وفرقة اخرى**
من ارباب الاموال يحفظون الاموال ويمسكونها بحكم البخل ثم يشتغلون بالعبادات البدنية التي لا يحتاج فيها
الى نفقة كصيام النهار وقيام الليل وختم القران وهم مغرورون لان البخل المهلك قد استولى على باطنهم فهو
يحتاج الى قمعه باخراج المال فقد اشتغل بطلب فضائل هو مستغن عنها ومثاله مثال من دخل في ثوبه حية
وقد اشرف على الهلاك وهو مشغول بطبخ السكنجبين ليسكن به الصفراء ومن قتلته الحية متى يحتاج الى السكنجبين
ولذلك قيل لبشر ان فلانا الغني كثير الصوم والصلاة فقال المسكين ترك حاله ودخل في حال غيره انما حال هذا
اطعام الطعام للجياع والانفاق على المساكين فهذا افضل من تجويعه نفسه ومن صلاته لنفسه مع جمعه
للدنيا ومنعه للفقراء **وفرقة اخرى** غلبهم البخل فلا تسمح نفوسهم الا باداء الزكوة فقط ثم انهم يخرجون من المال
الخبيث الردي الذي يرغبون عنه ويطلبون من الفقراء من يخدمهم ويتردد في حاجاتهم ومن يحتاجون اليه في المستقبل
للاستسخار في خدمة او من لهم فيه على الجملة غرض او يسلمون ذلك الى من يعينه واحد من الاكابر ممن يستظهر
بحشمته لينال بذلك منزلة فيقوم بحاجاته وكل ذلك مفسدات للنية ومحبطات للعمل وصاحبه مغرور
يظن انه مطيع لله وهو فاجر اذ طلب بعبادة الله عوضا من غيره فهذا وامثاله من غرور ارباب الاموال ايضا لا يحصى
وانما ذكرنا هذا القدر للتنبيه على اجناس الغرور **وفرقة اخرى** من عوام الخلق وارباب الاموال والفقراء اغتروا
بحضور مجالس الذكر واعتقدوا ان ذلك يغنيهم ويكفيهم واتخذوا ذلك عادة ويظنون ان لهم على مجرد
سماع الوعظ دون العمل ودون الاتعاظ اجرا وهم مغرورون لان فضل مجلس الذكر لكونه مرغبا في الخير
فان لم يهيج الرغبة فلا خير فيه والرغبة محمودة لانها تبعث على العمل فان ضعفت عن الحمل على العمل فلا خير فيها وما
يراد لغيره فاذا قصر عن الاداء الى ذلك الغير فلا قيمة له وربما يغتر بما يسمعه من الواعظ من فضل حضور المجلس وفضل
البكاء وربما يدخله رقة كرقة النساء فيبكي وربما يسمع كلاما مخوفا فلا يزيد على ان يصفق بيديه ويقول يا سلام
سلم او نعوذ بالله او سبحان الله ويظن انه قد اتى بالخير كله وهو مغرور وانما مثاله مثال المريض الذي يحضر مجالس
الاطباء فيسمع ما يجري او الجائع الذي يحضر عند من يصف له الاطعمة اللذيذة الشهية ثم ينصرف وذلك
لا يغني عنه من جوعه شيئا فكذلك سماع وصف الطاعات دون العمل بها لا يغني من الله شيئا فكل وعظ
لا يغير منك صفة تغييرا يغير افعالك حتى تقبل على الله وتعرض عن الدنيا اقبالا قويا او ضعيفا فان كنت كذا

فذلك الوعظ زيادة حجة عليك فاذا رأيته وسيلة لك كنت مغرورا

من مداخل الغرور وانه لا يتخلص عنه احد ولا يمكن الاحتراز عنه وهذا يوجب الياس اذ لا يقوى احد
من البشر على الحذر من خفايا هذه الافات فاقول الانسان اذا فترت همته في شيء اظهر الياس منه واستعظم
الامر واستوعر الطريق واذا صح منه الهوى اهتدى الى الحيل واستنبط بدقيق النظر خفايا الطرق في الوصول
الى الغرض حتى ان الانسان اذا اراد ان يستنزل الطير المحلق في جو السماء مع بعده منه استنزله واذا اراد
ان يخرج الحوت من اعماق البحر استخرجه واذا اراد ان يستخرج الذهب والفضة من تحت الجبال استخرجه
واذا اراد ان يقتنص الوحوش المطلقة في البراري والصحاري اقتنصها واذا اراد ان يستسخر السباع و
الفيلة وعظيم الحيوانات استسخرها وان اراد ان ياخذ الافاعي والحيات ويعبث بها اخذها واستخرج
الترياق من اجوافها واذا اراد ان يتخذ الديباج الملون المنقوش من ورق التوت فاتخذه واذا اراد ان يعرف مقادير
الكواكب وطولها وعرضها استخرج بدقيق الهندسة ذلك وهو مستقر على الارض وكل ذلك باستنباط الحيل
واعداد الالات فسخر الفرس للركوب والكلب للصيد وسخر البازي لاقتناص الطيور وهيا الشبكة لاصطياد
السمك الى غير ذلك من دقائق حيل الادمي كل ذلك لانه همه امر دنياه وذلك معين له على دنياه فلو اهمه امر
اخرته فليس عليه الا عمل واحد وهو تقويم قلبه فعجز عن تقويم قلبه وتخاذل وقال هذا محال ومن
الذي يقدر عليه وليس [illegible] وهمه هذا الهم الواحد بل هو كما ينال الدرجة من الهوى
الحيل فهذا شيء لا يعجز عنه السلف الصالحون ومن اتبعهم باحسان فلا يعجز عنه ايضا من صدقت ارادته
وقويت همته بل لا يحتاج الى عشر تعب الخلق في استنباط حيل الدنيا ونظم اسبابها فان قلت فقد قربت الامر فيه
بعد ان اكثرت في ذكر مداخل الغرور فبم ينجو العبد من الغرور فاعلم انه ينجو عنه بثلثة امور بالعقل
والعلم والمعرفة فهذه ثلث امور لا بد منها اما العقل فاعني به الفطرة الغريزية والنور الاصلي الذي
به يدرك الانسان حقائق الاشياء فالفطنة والكيس فطرة والحمق والبلادة فطرة والبليد لا يقدر على
التحفظ عن الغرور فصفاء العقل وذكاء الفهم لا بد منه في اصل الفطرة وهذا اذا لم يفطر عليه الانسان
فاكتسابه غير ممكن نعم اذا حصل اصله امكن تقويته بالممارسة فاساس السعادات كلها العقل و
الكياسة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبارك الذي قسم العقل بين عباده اشتاتا ان الرجلين ليستوي
عملهما وبرهما وصومهما وصلاتهما ولكنهما يتفاوتان في العقل كالذرة في جنب احد وما قسم الله تعالى
لخلقه حظا هو افضل من العقل واليقين وعن ابي الدرداء انه قيل يا رسول الله ارايت الرجل يصوم النهار و
يقوم الليل ويحج ويعتمر ويتصدق ويغزو في سبيل الله ويعود المريض ويشيع الجنازة ويعين
الضعيف ما يعلم ما له عند الله يوم القيمة فقال عليه السلام انما يجزى على قدر عقله وقال انس اثني
على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الاخير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف عقله قالوا يا نبي
الله نقول من عبادته وفضله وخلقه فقال كيف عقله فان الاحمق يصيب بحمقه اعظم من فجور الفاجر وانما
يرتفع الناس على قدر عقولهم **وقال** ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن رجل
شدة عبادة سال عن عقله فاذا قالوا حسن قال ارجوه وان قالوا غير ذلك قال لن يبلغ قال وذكر له شدة
عبادة رجل فقال كيف عقله فقالوا ليس بشيء قال لن يبلغ صاحبكم حيث تظنون والذكاء وصحة غريزة العقل
نعمة من الله تعالى في اصل الفطرة فان فاتت ببلادة وحماقة فلا تدارك لها **الثاني** المعرفة واعني بها
ان يعرف اربعة امور يعرف نفسه ويعرف ربه ويعرف الدنيا ويعرف الاخرة فيعرف نفسه بالعبودية والذل وبكونه
غريبا في هذا العالم واجنبيا من هذه الشهوات البهيمية وانما الموافق له طبعا هو معرفة الله تعالى والنظر

الى وجهه فقط ولا يتصور ان يعرف هذا ما لم يعرف نفسه ومن لم يعرف نفسه لم يعرف ربه وليستعين على هذا بما
ذكرناه في كتاب المحبة وكتاب شرح عجايب القلب وكتاب الفكر وكتاب الشكر اذ فيها اشارات الى وصف
النفس والى وصف جلال الله تعالى ويحصل به التنبيه على الجملة وكمال المعرفة وراه فان ذلك من علوم
المكاشفة ولم نطنب في هذا الكتاب الا في علوم المعاملة واما معرفة الدنيا والاخرة فيستعين عليه بما ذكرناه
في كتاب ذم الدنيا وكتاب ذكر الموت ليتبين له ان لا نسبة للدنيا الى الاخرة فاذا عرف نفسه وربه وعرف الدنيا
والاخرة ثار من قلبه بمعرفة الله حب الله وبمعرفة الاخرة شدة الرغبة فيها وبمعرفة الدنيا الرغبة عنها فيصير اهم
اموره ما يوصله الى الله وينفعه في الاخرة واذا غلبت هذه الارادة على قلبه صحت نيته في الامور كلها فان اكل
مثلا او اشتغل بقضاء الحاجة كان قصده منه الاستعانة على سلوك طريق الاخرة وصحت نيته واندفع
عنه كل غرور منشاه تجاذب الاغراض والنزوع الى الدنيا والجاه والمال فان ذلك هو المفسد للنية وما دامت
الدنيا احب اليه من الاخرة وهوى نفسه احب اليه من رضى الله فلا يمكنه الخلاص من الغرور فاذا غلب حب
الله على قلبه بمعرفته بالله وبنفسه الصادرة عن كمال عقله فيحتاج الى المعنى **الثالث** وهو العلم اعني
العلم بكيفية سلوك الطريق الى الله والعلم بما يقربه من الله وما يبعده عنه والعلم بآفات الطريق و
عقباته وغوائله وجميع ذلك قد اودعناه كتب احياء علوم الدين فيعرف من ربع العبادات شروطها
فيراعيها وآفاتها فيتقيها ومن ربع العادات اسرار المعايش وما هو مضطر اليه فياخذه بادب الشرع
وما هو مستغن عنه فيعرض عنه ومن ربع المهلكات يعلم جميع العقبات المانعة من طريق الله فان المانع
من الله الصفات المذمومة في الخلق فيعلم المذموم ويعلم طريق علاجه ويعرف من ربع المنجيات الصفات
المحمودة التي لا بد وان توضع خلفا عن المذمومة بعد محوها فاذا احاط بجميع ذلك امكنه الحذر عن الانواع
التي اشرنا اليها من الغرور واصل ذلك كله ان يغلب حب الله على القلب ويسقط حب الدنيا منه حتى تقوى به
الارادة وتصح به النية ولا يحصل ذلك الا بالمعرفة التي ذكرناها **فان قلت** فاذا فعل جميع ذلك فما الذي
يخاف عليه فاقول يخاف عليه ان يخدعه الشيطان ويدعوه الى نصح الخلق ونشر العلم ودعوة الناس
الى ما عرفه من دين الله فان المريد المخلص اذا فرغ عن تهذيب نفسه واخلاقه وراقب الله وراقب قلبه حتى
صفاه عن جميع الكدورات واستوى على الصراط المستقيم وصغرت الدنيا في عينه فتركها وانقطع طمعه
عن الخلق فلم يلتفت اليهم ولم يبق له الا هم واحد وهو الله تعالى والتلذذ بذكره ومناجاته والشوق
الى لقائه وقد عجز الشيطان عن اغوائه اذ اتاه من جهة الدنيا وشهوات النفس فلا يطيعه فياتيه
من جهة الدين ويدعوه الى الرحمة على خلق الله والشفقة على دينهم بالنصح لهم والدعاء الى الله فينظر
العبد برحمته الى العبيد فيراهم حيارى في امرهم سكارى في دينهم صما عميا قد استولى عليهم المرض
وهم لا يشعرون وقد فقدوا الطبيب واشرفوا على العطب فغلب على قلبه الرحمة لهم وقد كان عنده حقيقة
المعرفة بما يهديهم ويبين لهم ضلالتهم ويرشدهم الى سعادتهم وهو يقدر على ذكرها من غير تعب
ومؤنة ولزوم غرامة فكان مثله كرجل كان به داء عظيم لا يطاق المه وقد كان لذلك يسهر ليله و
يقلق نهاره ولا ياكل ولا يشرب ولا يتحرك ولا يتصرف لشدة ضربانه فلم يجد له دواء فعثر صدفة على دواء من غير ثمن ولا
تعب ولا مرارة في تناوله فاستعمله فبرئ وصح وطاب نومه بالليل بعد طول سهره وهدأ بالنهار بعد
شدة القلق وطاب عيشه بعد نهاية الكدر واصاب لذة العافية بعد طول السقام ثم نظر الى عدد
كثير من المسلمين واذا بهم تلك العلة بعينها وقد طال سهرهم واشتد قلقهم وارتفع الى السما

انينهم فيذكر ان دواءهم هو الذي يعرفه ويقدر على شفائهم باسهل ما يكون من الاوقات وفي اوجز
زمان ويتعذر فاخذته الرحمة والرقة ولم يجد فسحة من نفسه في التراخي عن الاشتغال بعلاجهم فكذلك
العبد المخلص بعد ان اهتدى الى الطريق وشفي من امراض الذنوب والقلوب فيشاهد الخلق وقد مرضت
قلوبهم واعضل داؤهم وقرب هلاكهم وشفاؤهم ويسهل عليه دواؤهم فانبعثت من ذات نفسه عزيمة جازمة
في الاشتغال بنصحهم وحرضه الشيطان على ذلك رجاء ان يجد مجالا للفتنة فاما اشتغل بذلك
وجد الشيطان مجالا للفتنة فدعاه الى الرياسة ودعا خفيا اخفى من دبيب النمل لا يشعر به المريد فلم يزل كذلك
ذلك الدبيب في قلبه حتى دعاه الى التصنع والتزين للخلق بتحسين الالفاظ والنغمات والحركات و
التصنع في الزي والهيئات فاقبل الناس اليه يعظمونه ويبجلونه ويوقرونه توقيرا يزيد على توقير
الملوك اذ رأوه شافيا لادوائهم بمحض الشفقة والرحمة من غير طمع فصار احب اليهم من آبائهم
وامهاتهم واقاربهم فآثروه بابدانهم واموالهم وصاروا له خولا كالخدم والعبيد فخدموه وقدموه في
المحافل وحكموه على الملوك والسلاطين فعند ذلك انتشر الطبع وارتاحت النفس وذاقت لذة يا لها من لذة
واصاب من الدنيا شهوة يستحقر معها كل شهوة فكان قد ترك الدنيا فوقع في اعظم لذاتها فعند ذلك وجد
الشيطان فرصته واستد الى قلبه يده فهو يستعمله في كل ما يحفظ عليه تلك اللذة وامارة انتشار الطبع
وركون النفس الى الشيطان انه لو اخطا فرد عليه بين يدي الخلق غضب فاذا انكر على نفسه
ما يجد من الغضب بادر الشيطان فخيل اليه ان ذلك غضب لله لانه اذا لم يحسن اعتقاد المريدين
فيه انقطعوا عن طريق الله فوقع في الغرور فربما اخرجه ذلك الى الوقيعة فيمن رد عليه فوقع في الغيبة
المحظورة بعد تركه للحلال المحض المتسع ووقع في الكبر الذي هو تمرد عن قبول الحق والشكر عليه بعد ان كان
يحذر من طوارق الخطرات وكذلك اذا سبقه الضحك او فتر عن بعض الاوراد جزعت النفس ان يطلع
عليه فيسقط قبوله فاتبع ذلك باستغفار وتنفس الصعداء وربما زاد في الاعمال والاوراد لاجلهم والشيطان
يخيل اليه انك انما تفعل ذلك لكي لا يفتروا عن طريق الله فيتركون الطريق بتركك وانما ذلك خدعة
وغرور بل هو جزع من النفس خيفة فوت الرياسة ولذلك لا تجزع نفسه من اطلاع الناس على مثل ذلك
من اقرانه بل ربما يحب ذلك ويستبشر به ولو ظهر من اقرانه من مال الخلق عنه والقلوب الى قبوله وزاد
اثر كلامه في القلوب على كلامه شق عليه ذلك ولولا ان النفس قد استبشرت واستلذت الرياسة
لكان يغتنم ذلك اذ مثاله ان يرى الرجل جماعة من اخوانه قد وقعوا في بئر وتغطى راس البئر بحجر
كبير فعجزوا عن الترقي من البئر بسببه فرق قلبه لاخوانه فجاء ليرفع الحجر من راس البئر فشق عليه
فجاء من اعانه على ذلك حتى تيسر عليه او كفاه ذلك بنفسه فيعظم به الفرح لا محالة اذ غرضه خلاص
اخوانه من البير فان كان غرض الناصح خلاص اخوانه المسلمين من النار فاذا ظهر من اعانه او كفاه ذلك
لم يثقل عليه ارايت لو اهتدوا جميعهم بانفسهم ما كان ينبغي ان يثقل عليه ذلك ان كان غرضه
هدايتهم فاذا اهتدوا بغيره فلم يثقل عليه ومهما وجد ذلك في نفسه دعاه الشيطان الى جميع كبائر
القلوب وفواحش الجوارح واهلكه فنعوذ بالله من زيغ القلوب بعد الهدى ومن اعوجاج النفس بعد
الاستواء فان قلت فمتى يصح ان يشتغل بنصح الناس فاقول اذا لم يكن له قصد الا هدايتهم لله تعالى
وكان يود لو وجد من يعينه او لو اهتدوا بانفسهم وانقطع بالكلية طمعه عن ثنائهم وعن اموالهم فاستوى
عنده حمدهم وذمهم فلم يبال بذمهم اذا كان الله يحمده ولم يفرح بحمدهم اذا لم يقترن به حمد الله

تعالى وينظر اليهم كما ينظر الى السادات والى البهائم اما الى السادات فمن حيث لا ينكر عليهم وهكذا منهم خيرا
منه بجهله بالخاتمة واما الى البهائم فمن حيث انقطاع طمعه عن طلب المنزلة في قلوبهم فانه لا يبالي كيف يراه
البهائم فلا يتزين لها ولا يتصنع بل راعي الماشية انما غرضه رعاية الماشية ودفع الذئب عنها دون نظر الماشية
اليه فما لم ير سائر الناس كالماشية التي لا يلتفت الى نظرها ولا يبالي بها لا يسلم من الاشتغال باصلاحهم نعم
ربما يصلحهم ولكن يفسد نفسه باصلاحهم فيكون كالشمع الذي يضيء لغيره ويحترق في نفسه فان قلت
فلو ترك الوعاظ الوعظ الا عند نيل هذه الدرجة لخلت الدنيا عن الوعظ وخربت القلوب فاقول قد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الدنيا راس كل خطيئة ولولا حب الناس الدنيا لهلك العالم وبطلت المعايش
وهلكت القلوب والابدان جميعا الا انه صلى الله عليه وسلم علم ان حب الدنيا مهلك وان ذكر كونه مهلكا لا ينزع
الحب من قلوب الاكثرين الا الاقلين الذين لا تخرب الدنيا بتركهم فلم يترك النصح وذكر ما في حب الدنيا من الخطر
ولم يترك ذكره خوفا من ان يترك نفسه بالشهوات المهلكة التي سلطها الله على عباده ليسوقهم بها الى جهنم تصديقا
لقوله ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين فكذلك لا تزال السنة الوعاظ مطلقة
لحب الرياسة ولا يدعونها بقول من يقول ان الوعظ لحب الرياسة حرام كما لا يدع الخلق الشرب والزنا والسرقة
والظلم والرياء وسائر المعاصي بقول الله تعالى ورسوله ان ذلك حرام فانظر لنفسك وكن فارغ القلب عن حديث
الناس فان الله يصلح خلقا كثيرا بافساد شخص واحد واشخاص ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت
الارض وان الله ليؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم فانما يخشى ان ينسد طريق الاتعاظ فاما ان تخرس السنة الوعاظ
ودواعيهم باعث الرياسة وحب الدنيا فلا يكون ذلك ابدا فان قلت فاذا علم المريد هذه المكيدة من الشيطان
فاشتغل بنفسه وترك النصح او نصح وراعى شرط الصدق والاخلاص فيه فما الذي يخاف عليه وما الذي بقي
بين يديه من الاخطار وحبائل الاغترار فاعلم انه بقي عليه اعظمه وهو ان الشيطان يقول له قد اعجزتني وافلت
مني بذكائك وكمال عقلك وقد قدرت على جملة من الاولياء والكبراء وما قدرت عليك فما اصبرك وما اعظم
عند الله محلك اذ قواك على قهري ومكنك من التفطن لجميع مداخل غروري فيصغي اليه ويصدقه و
يعجب بنفسه في فراره من الغرور كله فيكون اعجابه بنفسه غاية الغرور وهو المهلك الاكبر فالعجب اعظم من كل ذنب
ولذلك قال الشيطان يا ابن آدم اذا ظننت انك بعلمك تخلصت مني فبجهلك قد وقعت في حبائلي فان
قلت فلو لم يعجب بنفسه اذ علم ان ذلك من الله تعالى لا منه وان مثله لا يقوى على دفع الشيطان
الا بتوفيق الله ومعونته ومن عرف ضعف نفسه وعجزه عن اقل القليل فاذا قدر على مثل هذا الامر
العظيم علم انه لم يقو عليه بنفسه بل بالله تعالى فما الذي يخاف عليه بعد نفي العجب فاقول يخاف عليه الغرور
بفضل الله والثقة بكرمه والامن من مكره حتى يظن انه يبقى على هذه الوتيرة في المستقبل فلا يخاف من
الفتور والانقلاب فيكون حاله الاتكال على فضل الله فقط دون ان يقارنه الخوف من مكره ومن امن مكر الله فهو
خاسر جدا بل سبيله ان يكون شاهدا جملة ذلك من فضل الله ثم خائفا على نفسه ان يكون قد سد عنه
صفة من صفات قلبه من حب الدنيا والرياء وسوء الخلق والالتفات الى الغير وهو غافل عنه ويكون خائفا ان يسلب
حاله في كل طرفة عين غير امن من مكر الله ولا غافل عن خطر الخاتمة وهذا خطر لا محيص عنه وخوف لا نجاة منه
الا بعد مجاوزة الصراط ولذلك لما ظهر الشيطان لبعض الاولياء في وقت النزع وكان قد بقي له نفس فقال له افلت
مني يا فلان فقال لا بعد ولذلك قيل الناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون
والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم فاذا المغرور هالك والمخلص الفار من

الغرور على خطر فلذلك لا يفارق الخوف والحذر قلوب اولياء الله ابدا فنسأل الله تعالى حسن الخاتمة
فان الامور بخواتيمها والسلام وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تم كتاب
ذم الغرور وبه تم كتاب ربع المهلكات والحمد لله اولا وآخرا ظاهرا
وباطنا وحسبنا الله ونعم الوكيل ويتلوه ربع
المنجيات ان شاء الله واوله كتاب التوبة و
كان الفراغ من كتابته يوم السبت
من اوايل شهر جمادى الاول
سنة تسع والف
من الهجرة
النبوية
م



بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي بتحميده يستفتح كل كتاب وبذكره يصدر كل خطاب وبحمده يتنعم اهل النعيم في دار الثواب وباسمه يتسلى الاشقياء وان ارخي دونهم الحجاب وضرب بينهم وبين السعداء بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ونتوب اليه توبة من يوقن انه رب الارباب ومسبب الاسباب ونرجوه رجاء من يعلم انه الملك الرحيم الغفور التواب ونمزج رجاءنا بالخوف مزج من لا يرتاب انه مع كونه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ونصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه الاكرمين صلاة تنقذنا من هول المطلع يوم العرض والحساب وتمهد لنا عند الله زلفى وحسن مآب اما بعد فان التوبة بالرجوع الى ستار العيوب وعلام الغيوب مبدأ طريق السالكين ورأس مال الفائزين واول اقدام المريدين ومفتاح استقامة المائلين ومطلع الاصطفاء والاجتباء للمقربين ولابينا آدم صلى الله عليه وعلى سائر الانبياء اجمعين وما اجدر بالاولاد الاقتداء بالآباء والاجداد فلا غرو ان اذنب الآدمي واجترم فهي شنشنة يعرفها من اخزم ومن اشبه اباه فما ظلم ولكن الاب اذا جبر بعدما كسر وعمر بعدما هدم فليكن النزوع اليه في كلا طرفي النفي والاثبات والوجود والعدم ولقد قرع آدم سن الندم وتندم على ما سبق منه وتقدم فمن اتخذه قدوة في الذنب دون التوبة فقد زلت به القدم بل التجرد لمحض الخير دأب الملائكة المقربين والتجرد للشر دون التلافي سجية الشياطين والرجوع الى الخير بعد الوقوع في الشر ضرورة الآدميين فالمتجرد للخير ملك مقرب عند الملك الديان والمتجرد للشر شيطان والمتلافي للشر بالرجوع الى الخير بالحقيقة انسان فقد ازدوج في طينة الانسان شائبتان واصطحب فيه سجيتان وكل عبد مصحح نسبه اما الى الملك او الى آدم او الى الشيطان فالتائب قد اقام البرهان على صحة نسبه الى آدم بملازمة حد الانسان والمصر على الطغيان مسجل على نفسه بنسب الشيطان فاما تصحيح النسب الى الملائكة بالتجرد لمحض الخير فخارج عن حيز الامكان فان الشر معجون مع الخير في طينة آدم عجنا محكما لا يخلصه الا احدى النارين نار الندم او نار جهنم فالاحراق بالنار ضروري في تخليص جوهر الانسان عن خبائث الشيطان واليك الآن اختيار اهون النارين والمبادرة الى اخف الشرين قبل ان يطوى

بساط الاختيار ويساق الى دار الاضطرار اما الى الجنة واما الى النار واذا كانت التوبة موقعها من الدين هذا الموقع وجب تقديمها في صدر ربع المنجيات لشرح حقيقتها وشروطها وسببها وعلامتها وثمرتها والآفات المانعة منها والادوية الميسرة لها ويتضح ذلك بذكر اربعة اركان الركن الاول في نفس التوبة وبيان حدها وحقيقتها وانها واجبة على الفور وعلى جميع الاشخاص وفي جميع الاحوال وانها اذا صحت كانت مقبولة الركن الثاني فيما عنه التوبة وهو الذنوب وبيان انقسامها الى صغائر وكبائر وما يتعلق بالعباد وما يتعلق بحق الله تعالى وبيان كيفية توزع الدرجات والدركات على الحسنات والسيئات وبيان الاسباب التي بها تعظم الصغائر الركن الثالث في بيان شروط التوبة ودوامها وكيفية تدارك ما مضى من المظالم وكيفية تكفير الذنوب وبيان اقسام التائبين في دوام التوبة الركن الرابع في السبب الباعث على التوبة وكيفية العلاج في حل عقدة الاصرار من المذنبين ويتم المقصود بهذه الاركان الاربعة ان شاء الله تعالى

الركن الاول في نفس التوبة بيان حقيقة التوبة وحدها اعلم ان التوبة عبارة عن معنى ينتظم ويلتئم من ثلاثة امور مرتبة علم وحال وفعل فالعلم الاول والحال الثاني والفعل الثالث والاول موجب للثاني والثاني موجب للثالث ايجابا اقتضاه اطراد سنة الله في الملك والملكوت اما العلم فهو معرفة عظم ضرر الذنوب وكونها حجابا بين العبد وبين كل محبوب فاذا عرف ذلك معرفة محققة بيقين غالب على قلبه ثار من هذه المعرفة تألم للقلب بسبب فوات المحبوب فان القلب مهما شعر بفوات محبوبه تألم فان كان فواته بفعله تأسف على الفعل المفوت فيسمى تألمه بسبب فعله المفوت لمحبوبه ندما فاذا غلب هذا الالم على القلب واستولى انبعث من هذا الالم في القلب حالة اخرى تسمى ارادة وقصدا الى فعل له تعلق بالحال وبالماضي وبالاستقبال اما تعلقه بالحال فبالترك للذنب الذي كان ملابسا واما بالاستقبال فبالعزم على ترك الذنب المفوت للمحبوب الى آخر العمر واما بالماضي فبتلافي ما فات بالجبر والقضاء ان كان قابلا للجبر فالعلم هو الاول وهو مطلع هذه الخيرات واعني بهذا العلم الايمان واليقين فان الايمان عبارة عن التصديق بان الذنوب سموم مهلكة واليقين عبارة عن تأكد هذا التصديق وانتفاء الشك عنه واستيلائه على القلب فيثمر نور هذا الايمان مهما اشرق على القلب نار الندم فيتألم بها القلب حيث يبصر باشراق نور الايمان انه صار محجوبا عن محبوبه كمن يشرق عليه نور الشمس وقد كان في ظلمة فيطلع النور عليه بانقشاع سحاب او انحسار حجاب فرأى محبوبه قد اشرف على الهلاك فتشتعل نيران الحب في قلبه وتنبعث بتلك النيران ارادته للانتهاض للتدارك فالعلم والندم والقصد المتعلق بالترك في الحال والاستقبال والتلافي للماضي ثلاثة معان مرتبة في الحصول فيطلق اسم التوبة على مجموعها وكثيرا ما يطلق اسم التوبة على معنى الندم وحده ويجعل العلم كالسابق والمقدمة والترك كالثمرة والتابع المتأخر وبهذا الاعتبار قال صلى الله عليه وسلم الندم توبة اذ لا يخلو الندم عن علم اوجبه واثمره وعن عزم يتبعه ويتلوه فيكون الندم محفوفا بطرفيه اعني ثمرته ومثمره وبهذا الاعتبار قيل في حد التوبة انه ذوبان الحشا لما سبق من الخطا فان هذا يعرض لمجرد الالم ولذلك قيل هو نار في القلب تلتهب وصدع في الكبد لا ينشعب وباعتبار معنى الترك قيل في حد التوبة انه خلع لباس الجفاء ونشر بساط الوفاء وقال سهل بن عبد الله التستري التوبة تبديل الحركات المذمومة بالحركات المحمودة ولا يتم ذلك الا بالخلوة والصمت واكل الحلال وكانه اشار الى المعنى الثالث من التوبة والاقاويل في حدود التوبة لا تنحصر واذا فهمت هذه المعاني الثلاثة وتلازمها وترتيبها عرفت ان جميع ما قيل في حدودها قاصر عن الاحاطة بجميع معانيها وطلب العلم بحقائق الامور اهم من طلب الالفاظ المجردة بيان وجوب التوبة وفضلها

اعلم ان وجوب التوبة ظاهر بالاخبار والايات وهو واضح بنور البصيرة عند من انفتحت بصيرته وشرح الله تعالى
بنور الايمان صدره حتى اقتدر على ان يسعى بنوره الذي بين يديه في ظلمات الجهل مستغنيا عن قايد يقوده
في كل خطوة فالسالك اما اعمى لا يستغني عن القايد في خطوه واما بصير يهدى الى اول الطريق ثم يهتدي
بنفسه وكذلك الناس في طريق الدين ينقسمون هذا الانقسام فمن قاصر لا يقدر على مجاوزة التقليد في خطوة
فيفتقر الى ان يسمع في كل قدم نصا من كتاب الله او سنة رسوله وربما
يعوزه ذلك فيتحير فسير هذا وان طال عمره وعظم جده مختصر وخطاه قاصرة ومن سعيد شرح الله صدره
للاسلام فهو على نور من ربه فيتنبه بادنى اشارة لسلوك طريق معوصة وقطع عقبات متعبة ويشرق في
قلبه نور القران ونور الايمان وهو لشدة نور باطنه يجتزي بادنى بيان وكانه يكاد زيته يضيء ولو لم
تمسسه نار فاذا مسته نار فهو نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء وهذا لا يحتاج الى نص منقول في كل واقعة
فمن هذا حاله اذا اراد ان يعرف وجوب التوبة فينظر اولا بنور البصيرة الى التوبة ما هي ثم الى الوجوب ما
معناه ثم يجمع بين معنى الوجوب والتوبة فلا يشك في ثبوته لها وذلك بان يعلم ان معنى الواجب ما هو واجب
في الوصول الى سعادة الابد والنجاة من هلاك الابد فانه لولا تعلق السعادة والشقاوة بفعل الشي وتركه لم يكن
لوصفه بكونه واجبا معنى وقول القايل صار واجبا بالايجاب حديث محض فان ما لا غرض لنا آجلا وعاجلا
في فعله وتركه فلا معنى لاشتغالنا به اوجبه علينا غيرنا او لم يوجبه فاذا عرف معنى الوجوب وانه الوسيلة الى سعادة
الابد وعلم انه لا سعادة في دار البقا الا في لقا الله عز وجل وان كل محجوب عنه يشقى لا محالة محول بينه وبين ما يشتهيه
محترق بنار الفراق ونار الجحيم وعلم انه لا مبعد عن الله الا اتباع الشهوات والانس بهذا العالم الفاني و
الاكباب على حب ما لا بد من فراقه قطعا وعلم انه لا مقرب من لقا الله الا قطع علاقة القلب عن زخرف هذا العالم
والاقبال بالكلية على الله تعالى طلبا للانس به بدوام ذكره وللمحبة له بمعرفة جلاله وجماله على قدر طاقته
وعلم ان الذنوب التي هي اعراض عن الله تعالى واتباع لمحاب الشيطان اعدا الله المبعدين عن حضرته سبب
كونه محجوبا مبعدا عن الله فلا يشك في ان الانصراف عن طريق البعد واجب للوصول الى القرب وانما يتم الانصراف
بالعلم والندم والعزم فانه ما لم يعلم ان الذنوب اسباب البعد عن المحبوب لم يندم ولم يتوجع بسبب سلوكه
في طريق البعد وما لم يتوجع فلا يرجع ومعنى الرجوع الترك والعزم فلا يشك في ان المعاني الثلاثة ضرورية
في الوصول الى المحبوب وهكذا يكون الايمان الحاصل عن نور البصيرة واما من لم يترشح لمثل هذا المقام المرتفع
ذروته عن حدود اكثر الخلق ففي التقليد والاتباع له مجال رحب يتوصل به الى النجاة من الهلاك فليلاحظ فيه
قول الله وقول رسوله وقول السلف الصالحين فقد قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايه المؤمنون لعلكم
تفلحون وهذا امر على العموم وقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم
سياتكم الاية ومعنى النصوح الخالص لله تعالى خاليا عن الشوايب ماخوذ من النصح ويدل على فضل التوبة قوله تعالى
ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله افرح بتوبة العبد المؤمن
من رجل نزل في ارض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع راسه فنام نومة فاستيقظ و
قد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا اشتد عليه الحر والعطش او ما شا الله قال ارجع الى مكاني الذي كنت فيه
فانام حتى اموت فوضع راسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها طعامه وشرابه فالله اشد
فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وفي بعض الالفاظ قال من شدة فرحه اذا اراد شكره انا ربك وانت
عبدي ويروى عن الحسن قال لما تاب الله عز وجل على ادم عليه السلام هنته الملايكة وهبط عليه جبريل وميكايل

عليهما السلام فقالا يا ادم قرت عينك بتوبة الله عز وجل عليك فقال ادم عليه السلام يا جبريل
فان كان بعد هذه التوبة سوال فاين مقامي فاوحى الله تعالى اليه يا ادم ورثت ذريتك التعب والنصب و
ورثتهم التوبة فمن دعاني منهم لبيته كما لبيتك ومن سالني المغفرة لم ابخل عليه لاني قريب مجيب يا ادم
واحشر التايبين من القبور مستبشرين ضاحكين ودعاوهم مستجاب والاخبار والاثار في ذلك لا تحصى
والاجماع منعقد من الامة على وجوبها اذ معناه العلم بان المعاصي مهلكات ومبعدات من الله وهذا
داخل في وجوب الايمان ولكن قد تدهش الغفلة عنه فمعنى هذا العلم ازالة هذه الغفلة ولا خلاف
في وجوبها ومن معانيها ترك المعاصي في الحال والعزم على تركها في الاستقبال وتدارك ما سبق من التقصير
في سابق الاحوال وذلك لا يشك في وجوبه واما الندم على ما سبق والتحزن عليه فواجب وهو روح التوبة
وبه تمام التلافي فكيف لا يكون واجبا بل هو نوع الم يحصل لا محالة عقيب حقيقة المعرفة بما فات من العمر وضاع
في سخط الله **فان قلت** تالم القلب امر ضروري لا يدخل تحت الاختيار فكيف يوصف بالوجوب فاعلم ان
سببه تحقيق العلم بفوات المحبوب وله سبيل الى تحصيل سببه وبمثل هذا المعنى دخل العلم تحت الوجوب
لا بمعنى ان العلم يخلقه العبد ويحدثه في نفسه فان ذلك محال بل العلم والندم والفعل والارادة
والقدرة والقادر والكل من خلق الله تعالى وفعله والله خلقكم وما تعملون هذا هو الحق عند ذوي البصاير
وما سوى هذا ضلال **فان قلت** افليس للعبد اختيار في الفعل والترك قلنا نعم وذلك لا يناقض
قولنا ان الكل من خلق الله تعالى بل الاختيار ايضا من خلق الله تعالى والعبد مضطر في الاختيار الذي له فان
الله تعالى اذا خلق اليد الصحيحة وخلق الطعام اللذيذ وخلق الشهوة للطعام في المعدة وخلق
العلم في القلب بان هذا الطعام يسكن الشهوة وخلق الخواطر المتعارضة في ان هذا الطعام هل فيه
مضرة مع انه يسكن الشهوة وهل دون تناوله مانع يتعذر معه تناوله ام لا ثم خلق العلم بانه لا مانع ثم عند
اجتماع هذه الاسباب تنجزم الارادة الباعثة على التناول فانجزام الارادة بعد تردد الخواطر المتعارضة
وبعد وقوع الشهوة للطعام يسمى اختيارا ولا بد من حصوله عند تمام اسبابه فاذا حصل انجزام الارادة
بخلق الله اياها تحركت اليد الصحيحة الى جهة الطعام لا محالة اذ بعد تمام الارادة والقدرة يكون
حصول الفعل ضروريا فتحصل الحركة فتكون الحركة بخلق الله بعد حصول القدرة وانجزام الارادة وهما من خلق
الله وانجزام الارادة يحصل بعد صدق الشهوة والعلم بعدم الموانع وهما ايضا من خلق الله تعالى ولكن بعض
هذه المخلوقات يترتب على بعض ترتبا جرت به سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا فلا يخلق الله تعالى
حركة اليد بكتابة منظومة ما لم يخلق فيها صفة تسمى قدرة وما لم يخلق شهوة وميلا في النفس ولا ينبعث هذا الميل
انبعاثا تاما ما لم يخلق الله علما بانه موافق للنفس اما في الحال او في المال ولا يخلق العلم ايضا الا باسباب اخر
ترجع الى حركة وارادة وعلم فالعلم والميل الطبيعي ابدا يستتبع الارادة الجازمة والارادة والقدرة ابدا
يستتبعان الحركة وهكذا الترتيب في كل فعل والكل من اختراع الله تعالى ولكن بعض مخلوقاته شرط لبعض فلذلك يجب
تقدم البعض وتاخر البعض كما لا يخلق الارادة الا بعد العلم ولا يخلق العلم الا بعد الحياة ولا يخلق الحياة الا بعد
الجسم فيكون خلق الجسم شرطا لحدوث الحياة لا ان الحياة تتولد من الجسم ويكون خلق الحياة شرطا لخلق العلم لا ان العلم
يتولد من الحياة ولكن لا يستعد المحل لقبول العلم الا اذا كان حيا ويكون خلق العلم شرطا لجزم الارادة لا ان العلم يولد الارادة
ولكن لا يقبل الارادة الا جسم حي عالم ولا يدخل في الوجود الا ممكن والامكان ترتيب لا يقبل التغيير لان تغييره محال فمهما
وجد شرط الوصف استعد المحل به لقبول الوصف فحصل ذلك الوصف من الجود الالهي والقدرة الازلية عند حصول

الاستعداد ولما كان الاستعداد بسبب الشروط ترتيب كان لحصول الحوادث بفعل الله ترتيب والعبد مجرى هذه
الحوادث المرتبة وهي مرتبة في قضاء الله الذي هو واحد كلمح البصر ترتيبا كليا لا يتغير وظهورها بالتفصيل مقدر بقدر
لا يتعداها وعنه العبارة بقوله تعالى إنا كل شيء خلقناه بقدر وعن القضاء الكلي الأزلي العبارة بقوله تعالى وما
أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر وأما العباد فإنهم مسخرون تحت مجاري القضاء والقدر ومن جملة القدر خلق حركة في يد الكاتب
بعد خلق صفة مخصوصة في يده تسمى القدرة وبعد خلق ميل قوي جازم في نفسه يسمى القصد وبعد علم
بما إليه ميله يسمى الإدراك والمعرفة فإذا ظهرت من باطن الملكوت هذه الأمور الأربعة على جسم عبد مسخر تحت
القدر سبق أهل عالم الملك والشهادة المحجوبون عن عالم الغيب وسرادقات الملكوت وقالوا أيها الرجل قد
تحركت وكتبت ورميت ونودي من وراء حجاب الغيب وسرادقات الملكوت وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى
وما قتلت إذ قتلت ولكن الله قتلهم قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم وعند هذا تتحير عقول القاعدين في بحبوحة عالم
الشهادة فمن قائل إنه جبر محض ومن قائل بل إنه اختراع محض ومن متوسط مائل إلى أنه كسب ولو فتح لهم أبواب
السماء فنظروا إلى عالم الغيب والملكوت لظهر لهم أن كل واحد منهم صادق من وجه وأن القصور شامل
لجميعهم فلم يدرك واحد منهم كنه هذا الأمر ولم يحط علمه بجوانبه وتمام علمه ينال بإشراق النور من كوة
نافذة إلى عالم الغيب وأنه تعالى عالم الغيب والشهادة فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى وقد يطلع على الشهادة
من لم يدخل في حيز الارتضاء ومن حرك سلسلة الأسباب والمسببات وعلم كيفية تسلسلها ووجه ارتباط
مناط السلسلة بمسبب الأسباب انكشف له سر القدر وعلم علما يقينا أن لا خالق إلا الله ولا مبدع سواه
فإن قلت فقد قضيت على كل واحد من القائلين بالجبر والاختراع والكسب أنه صادق من وجه وهو
مع صدقه قاصر وهذا تناقض فكيف يمكن فهم ذلك وهل يمكن إيصال ذلك إلى الأفهام بمثال فاعلم أن جماعة من
العميان سمعوا أنه قد حمل إلى البلدة حيوان عجيب يسمى الفيل وما كانوا قد شاهدوا صورته ولا سمعوا اسمه فقالوا
لا بد لنا من مشاهدته ومعرفته باللمس الذي نقدر عليه فطلبوه فلما وصلوا إليه لمسوه فوقع يد بعض العميان
على رجله ووقع يد بعضهم على نابه ووقع يد بعضهم على أذنه فقالوا قد عرفناه فلما انصرفوا سألهم بقية
العميان فاختلفت أجوبتهم فقال الذي لمس الرجل إن الفيل ما هو إلا مثل أسطوانة خشنة الظاهر إلا أنه
ألين منها وقال الذي لمس الناب ليس كما تقول بل هو صلب لا لين فيه وأملس لا خشونة فيه وليس في غلظ
الأسطوانة أصلا بل هو مثل عمود وقال الذي لمس الأذن لعمري هو لين وفيه خشونة فصدق أحدهما
فيه ولكن قال ما هو مثل عمود ولا هو مثل أسطوانة وإنما هو مثل جلد عريض غليظ فكل واحد من هؤلاء صدق من
وجه إذ أخبر كل واحد عما أصابه من معرفة الفيل ولم يخرج واحد في خبره عن وصف الفيل ولكنهم بجملتهم
قصروا عن الإحاطة بجملة الفيل بكنهه فاستبصر بهذا المثال واعتبر به فإنه مثال أكثر ما اختلف الناس فيه
وإن كان هذا كلاما يناطح علوم المكاشفة ويحرك أمواجها وليس ذلك من غرضنا فلنرجع إلى ما كنا بصدده وهو بيان
أن التوبة واجبة بجميع أجزائها الثلاثة العلم والندم والترك وأن الندم داخل في الوجوب لكونه واقعا
في جملة أفعال الله المحصورة بين علم العبد وإرادته وقدرته المتخللة بينهما وما هذا وصفه فاسم الوجوب يشمله

بيان أن وجوب التوبة على الفور أما وجوبها على الفور فلا يستراب فيه إذ معرفة كون المعاصي
مهلكات من نفس الإيمان وهو واجب على الفور والمتفصي عن وجوبه هو الذي عرفه معرفة زجره ذلك عن الفعل
فإن هذه المعرفة ليست من علوم المكاشفات التي لا تتعلق بعمل بل هي من علوم المعاملة وكل علم يراد ليكون باعثا
على عمل فلا يقع التفصي عن عهدته ما لم يصر باعثا فالعلم بضرر الذنوب إنما أريد ليكون باعثا على تركها فمن لم

يتركها فهو فاقد لهذا الجزء من الإيمان وهو المراد بقوله عليه السلام لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وما
أراد به نفي الإيمان الذي يرجع إلى علوم المكاشفة كالعلم بالله ووحدانيته وصفاته وكتبه ورسله
فإن ذلك لا ينافيه الزنا والمعاصي وإنما أراد به نفي الإيمان بكون الزنا مبعدا عن الله تعالى موجبا للمقت كما
إذا قال الطبيب هذا سم فلا تتناوله فإذا تناوله يقال تناول وهو غير مؤمن لا بمعنى أنه غير مؤمن بوجود الطبيب
وكونه طبيبا وغير مصدق به بل المراد أنه غير مصدق بقوله إنه سم مهلك فإن العالم بالسم لا يتناوله أصلا فالعاصي
بالضرورة ناقص الإيمان وليس الإيمان بابا واحدا بل هو نيف وسبعون بابا أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة
الأذى عن الطريق ومثاله قول القائل الإنسان موجود واحد بل هو نيف وسبعون موجودا أعلاها القلب والروح
وأدناها إماطة الأذى عن البشرة بأن يكون مقصوص الشارب مقلوم الأظفار نقي البشرة عن الخبث حتى يتميز عن
البهائم المرسلة الملوثة بأرواثها المستكرهة الصور بطول مخالبها وأظلافها وهذا مثال مطابق فالإيمان
كالإنسان وفقد شهادة التوحيد يوجب البطلان بالكلية كفقد الروح والذي ليس له إلا شهادة التوحيد و
الرسالة هو كإنسان مقطوع الأطراف مفقوء العينين فاقد لجميع أعضائه الظاهرة والباطنة إلا أصل الروح وكما أن
من هذا حاله قريب من أن يموت فتزايله الروح الضعيفة المنفردة التي تخلفت عنها الأعضاء التي تمدها وتقويها
فكذلك من ليس له إلا أصل الإيمان وهو مقصر في الأعمال قريب من أن تنقلع شجرة إيمانه إذا صدمتها الرياح العاصفة
المحركة للإيمان في مقدمة قدوم ملك الموت ووروده فكل إيمان لم يثبت في اليقين أصله ولم ينتشر في الأعمال فروعه لم
يثبت على عواصف الأهوال عند ظهور ناصية ملك الموت وخيف عليه سوء الخاتمة إلا ما سقي بالطاعات
على توالي الأيام والساعات حتى رسخ وثبت وقول العاصي للمطيع إني مؤمن كما أنك مؤمن كقول شجرة القرع لشجرة
الصنوبر أنا شجرة وأنت شجرة وما أحسن جواب شجرة الصنوبر إذ قالت ستعرفين اغترارك بشمول الاسم إذا عصفت
رياح الخريف فعند ذلك تنقلع أصولك وتتناثر أوراقك وينكشف غرورك بالمشاركة في اسم الشجرة مع
الغفلة عن أسباب ثبات الأشجار وسوف ترى إذا انجلى الغبار أفرس تحتك أم حمار وهذا أمر يظهر عند الخاتمة
وإنما انقطعت نياط قلوب العارفين خوفا من دواهي الموت ومقدماته الهائلة التي لا يثبت عليها إلا الأقلون
فالعاصي إذا كان لا يخاف الخلود في النار بسبب معصيته كالصحيح المنهمك في الشهوات المضرة إذا كان لا يخاف
الموت بسبب صحته وأن الموت غالبا لا يقع فجأة فيقال له الصحيح يخاف المرض ثم إذا مرض خاف الموت وكذلك
العاصي يخاف سوء الخاتمة ثم إذا ختم له بالسوء وجب الخلود في النار فالمعاصي للإيمان كالمأكولات المضرة للأبدان فلا
تزال تجتمع في الباطن حتى تغير مزاج الأخلاط وهو لا يشعر بها إلى أن يفسد المزاج فيمرض دفعة ثم يموت دفعة فكذلك
العاصي فإذا كان الخائف من الهلاك في هذه الدنيا المنقضية يجب عليه ترك السموم وما يضره من المأكولات
في كل حال وعلى الفور فالخائف من هلاك الأبد أولى بأن يجب عليه ذلك وإذا كان متناول السم إذا ندم يجب عليه أن
يتقيأ ويرجع عن تناوله بإبطاله وإخراجه عن المعدة على سبيل الفور والمبادرة تلافيا لبدنه المشرف على الهلاك
الذي لا يفوت عليه إلا هذه الدنيا الفانية فمتناول سموم الدين وهي الذنوب أولى بأن يجب عليه الرجوع عنها بالتدارك
الممكن ما دام يبقى للتدارك مهلة وهو العمر فإن المخوف من هذا السم فوات الآخرة الباقية التي فيها النعيم والملك
العظيم وفي فواتها نار الجحيم والعذاب المقيم الذي تتضاعف أضعاف عمر الدنيا دون عشر عشير مدته إذ ليس لمدته
آخر البتة فالبدار البدار إلى التوبة قبل أن تعمل سموم الذنوب بروح الإيمان عملا يجاوز الأمر فيه اختيار الأطباء
ولا ينفع بعده الاحتماء فلا ينجع بعد ذلك نصح الناصحين ووعظ الواعظين وتحق الكلمة عليه بأنه من
الهالكين ويدخل تحت عموم قوله تعالى إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان فهم مقمحون وجعلنا

من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون
ولا يغرنك لفظ الايمان فتقول المراد به الايمان الكافر اذ بين لك ان الايمان بضع وسبعون بابا وان الزاني لا يزني وهو
هو مؤمن فالمحجوب عن الايمان الذي هو شعب وفروع سيحجب في الخاتمة عن الايمان الذي هو اصل كما ان الشخص الفاقد
لجميع الاطراف التي هي فروع سيساق الى الموت المعدم للروح التي هي اصل فلا بقاء للاصل دون الفرع ولا وجود للفرع
دون الاصل ولا فرق بين الفرع والاصل واما وجود الاصل فلا يستدعي وجود الفرع ولكن بقاؤه يستدعي وجود
الفرع فبقاء الاصل بالفرع ووجود الفرع بالاصل فعلوم المكاشفة وعلوم المعاملة متلازمة كتلازم الاصل
والفرع فلا يستغني احدهما عن الآخر وان كان احدهما في رتبة الاصل والآخر في رتبة التابع وعلوم المعاملة اذا لم
تكن باعثة على العمل فعدمها خير من وجودها فهذا لم تعمل عليها التي ترادله ثم قامت مؤكدة للحجة على صاحبها
ولذلك يزاد في عذاب العالم الفاجر على عذاب الجاهل الفاجر كما اوردناه من الاخبار في كتاب العلم **بيان ان وجوب**
التوبة عام في الاشخاص والاحوال فلا ينفك عنه احد البتة اعلم ان ظاهر الكتاب قد دل على هذا اذ
قال تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون فعمم الخطاب ونور البصيرة ايضا يرشد اليه اذ معنى التوبة الرجوع عن
الطريق المبعد عن الله تعالى المقرب الى الشيطان فلا يتصور ذلك الا من عاقل ولا تكمل غريزة العقل الا بعد كمال
غريزة الشهوة والغضب وسائر الصفات المذمومة التي هي وسائل الشيطان الى اغواء الانسان اذ كمال العقل انما يكون
عند مقاربة الاربعين واصله انما يتم عند مراهقة البلوغ ومباديه تظهر بعد سبع سنين والشهوات جنود
الشيطان والعقول جنود الملائكة فاذا اجتمعا قام القتال بينهما بالضرورة اذ لا يثبت احدهما للآخر لانهما
ضدان فالتطارد بينهما كالتطارد بين الليل والنهار والنور والظلمة ومهما غلب احدهما ازعج الآخر
بالضرورة واذا كانت الشهوات تكمل في الصبا والشباب قبل كمال العقل فقد سبق جند الشيطان واستولى
على المكان ووقع للقلب به انس والف لا محالة لمقتضيات الشهوات بالعادة وغلب ذلك عليه ويعسر عليه
النزوع عنه ثم يلوح العقل الذي هو حزب الله وجنده ومنقذ اوليائه من ايدي اعدائه شيئا فشيئا على التدريج
فان لم يقو ولم يكمل سلمت مملكة القلب للشيطان وانجز اللعين موعده حيث قال لاحتنكن ذريته الا قليلا
وان كمل العقل وقوي كان اول شغله قمع جنود الشيطان بكسر الشهوات ومفارقة العادات ورد الطبع على
سبيل القهر الى العبادات ولا معنى للتوبة الا هذا وهو الرجوع عن طريق دليله الشهوة وخفيره الشيطان الى
طريق الله تعالى وليس في الوجود آدمي الا وشهوته سابقة على عقله وغريزته التي هي عدة الشيطان متقدمة
على غريزته التي هي عدة الملائكة فكان الرجوع عما سبق اليه على مساعدة الشهوات ضروريا في حق كل انسان
نبيا كان او غبيا فلا تظنن ان هذه الضرورة اختصت بآدم صلوات الله عليه **شعر** فلا تحسبا هندا لها الغدر وحدها
سجية نفس كل غانية هند بل هو حكم ازلي مكتوب على جنس الانس لا يمكن فرض خلافه ما لم تتبدل السنة الالهية
التي لا مطمع في تبديلها فاذا كل من بلغ كافرا جاهلا فعليه التوبة من جهله وكفره فان بلغ مسلما تبعا لابويه غافلا
عن حقيقة اسلامه فعليه التوبة عن غفلته بتفهم معنى الاسلام فانه لا يغني عنه اسلام ابويه شيئا ما لم
يسلم بنفسه فان فهم ذلك فعليه الرجوع عن عادته والفه للاسترسال وراء الشهوات من غير صارف بالرجوع
الى قالب حدود الله في المنع والاطلاق والانفكاك والاسترسال وهو من اشق ابواب التوبة وفيه هلك
الاكثرون اذ عجزوا عنه وكل هذا رجوع وتوبة فدل ان التوبة فرض عين في حق كل شخص لا يتصور ان يستغني
عنها احد من البشر كما لم يستغن آدم فخلقة الولد لا تتسع لما لم يتسع له خلقة الوالد اصلا **واما بيان وجوبها**
على الدوام وفي كل حال فهو ان كل بشر فلا يخلو عن معصية بجوارحه اذ لم يخل عنه الانبياء كما ورد في القرآن

والاخبار من خطايا الانبياء وتوبتهم وبكائهم على خطاياهم فان خلا في بعض الاحوال عن معصية الجوارح فلا
يخلو عن الهم بالذنوب بالقلب فان خلا عن الهم فلا يخلو عن وساوس الشيطان بايراد الخواطر المتفرقة المذهلة
عن ذكر الله تعالى فان خلا عنه فلا يخلو عن غفلة وقصور في العلم بالله وبصفاته وافعاله وكل ذلك نقص
وله اسباب وترك اسبابه بالتشاغل باضدادها رجوع عن طريق الى ضده والمراد بالتوبة الرجوع ولا
يتصور الخلو في حق الآدمي عن هذا النقص وانما يتفاوتون في المقادير فاما الاصل فلا بد منه ولهذا قال صلى
الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي فاستغفر الله تعالى في اليوم والليلة سبعين مرة ولذلك اكرمه الله تعالى
بان قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر واذا كان هذا حاله فكيف حال غيره **فان قلت** لا يخفى
ان ما يطرأ على القلب من الهموم والخواطر نقص وان الكمال في الخلو عنه وان القصور عن معرفة كنه جلال
الله نقص وانه كلما ازدادت المعرفة زاد الكمال وان الانتقال الى الكمال من اسباب النقصان رجوع والرجوع
توبة ولكن هذه فضائل لا فرائض وقد اطلقت القول بوجوب التوبة في كل حال والتوبة عن هذه الامور
ليست واجبة اذ ادراك الكمال غير واجب في الشرع فما المراد بقولك التوبة واجبة في كل حال فاعلم انه
قد سبق ان الانسان لا يخلو في مبدأ خلقته عن اتباع الشهوات اصلا وليس معنى التوبة تركها فقط بل
تمام التوبة بتدارك ما مضى وكل شهوة اتبعها الانسان ارتفع منها ظلمة الى قلبه كما يرتفع من نفس الانسان
ظلمة الى وجه المرآة الصقيلة فان تراكمت ظلمة الشهوات صار رينا كما يصير بخار النفس في وجه المرآة عند
تراكمه خبثا كما قال تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فاذا تراكم الرين صار طبعا فيطبع على قلبه كالخبث
على وجه المرآة اذا تراكم وطال زمانه غاص في جرم الحديد وافسده وصار لا يقبل التصقيل بعده وصار
كالمطبوع من الخبث ولا يكفي في تدارك اتباع الشهوات تركها في المستقبل ما لم يشتغل بمحو ما انطبع فيها من آثار
كما يرتفع الى القلب ظلمة من المعاصي والشهوات فيرتفع اليه نور من الطاعات وترك الشهوات فتنمحي ظلمة المعصية
بنور الطاعة واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم اتبع السيئة الحسنة تمحها اذا لا يستغني العبد في حال من
احواله عن محو آثار السيئات عن قلبه بمباشرة حسنات تضاد آثارها آثار تلك السيئات هذا في قلب حصل
اولا صفاؤه وجلاؤه ثم اظلم باسباب عارضة فاما التصقيل الاول ففيه يطول الشغل اذ ليس شغل الصيقل
في ازالة الصدأ عن المرآة كشغله في عمل اصل المرآة فهذه اشغال طويلة لا ينقطع اصلا وكل ذلك يرجع
الى التوبة فاما قولك ان هذا لا يسمى واجبا بل هو فضل وطلب كمال فاعلم ان الواجب له معنيان احدهما ما يدخل
في فتوى الشرع ويشترك فيه كافة الخلق وهو القدر الذي لو اشتغل كافة الخلق به لم يخرب العالم ولو
كلف الناس كلهم ان يتقوا الله حق تقاته لتركوا المعايش ورفضوا الدنيا بالكلية ثم يؤدي ذلك الى بطلان
التقوى بالكلية فانه مهما فسدت المعايش لم يتفرغ احد للتقوى بل شغل الحياكة والحراثة والخبز يستغرق
جميع العمر من كل واحد فيما يحتاج اليه فجميع هذه الدرجات ليست واجبة بهذا الاعتبار والواجب
الثاني هو الذي لا بد منه للوصول الى القرب المطلوب من رب العالمين والمقام المحمود بين الصديقين و
التوبة عن جميع ما ذكرناه واجبة في الوصول اليه كما يقال الطهارة واجبة في صلاة التطوع اي لمن يريدها
فانه لا يصل اليها الا بها فاما من رضي بالنقصان والحرمان عن فضل صلاة التطوع فالطهارة ليست واجبة عليه
لاجلها كما يقال العين والاذن واليد والرجل شرط في وجود الانسان يعني انه شرط لمن يريد ان يكون انسانا كاملا
ينتفع بانسانيته ويتوصل بها الى درجات العلى في الدنيا فاما من قنع باصل الحياة ورضي ان يكون كلحم على وضم
وكخرقة مطرحة فليس يشترط لمثل هذه الحياة عين ويد ورجل فاصل الواجبات الداخلة في فتوى العامة

بل توصل الا الى اصل النجاة واصل النجاة كاصل الحياة وما وراء اصل النجاة من السعادات التي بها تتهنا النجاة
تجري مجرى الاعضاء والآلات التي بها تتهنا الحياة وفيه سعي الانبياء والاولياء والعلماء والامثل فالامثل
وعليه كان حرصهم وحواليه كان تطوافهم ولاجله كان رفضهم لملاذ الدنيا بالكلية حتى انتهى
عيسى صلوات الله عليه الى ان توسد حجرا في منامه فجاء اليه الشيطان وقال اما كنت تركت الدنيا للآخرة
فقال نعم وما الذي حدث فقال توسدك لهذا الحجر تنعم بالدنيا فلم لا تضع رأسك على الارض فرمى عيسى
بالحجر ووضع رأسه على الارض وكان رميه للحجر توبة عن ذلك التنعم افترى ان عيسى عليه السلام لم يعلم ان وضع الرأس على الارض لا يسمى
واجبا في فتاوى العامة افترى ان نبينا صلى الله عليه وسلم لما شغله الثوب الذي كان عليه علم في صلاته حتى نزعه وشغله
شراك نعله الذي جدده حتى اعاد الشراك الخلق ما علم ان ذلك ليس واجبا في شرعه الذي شرعه للخاصة والعامة
فاذا علم ذلك فلم تاب عنه بتركه وهل كان ذلك الا لانه راى ذلك مؤثرا في قلبه اثرا يمنعه عن بلوغ المقام المحمود الذي كان
قد وعد افترى ان الصديق رضوان الله عليه بعد ان شرب اللبن وعرف انه من غير وجهه ادخل اصبعه في
حلقه ليخرجه حتى كاد ان يخرج معه روحه ما علم من الفقه هذا القدر وهو ان ما اكل عن جهل فهو غير اثم به ولا يجب في فتوى
الفقه اخراجه فلم تاب عن اكله باخراجه على حسب امكانه بتخلية المعدة عنه وهل كان ذلك الا لسر وقر في قلبه عرفه ذلك
السر ان فتوى العامة حديث اخر وان خطر طريق الآخرة لا يعرفه الا الصديقون فتأمل احوال هؤلاء الذين هم اعرف خلق الله بالله
وبطريق الله وبمكر الله وبمكامن الغرور بالله واياك مرة واحدة ان تغرك الحياة الدنيا واياك ثم اياك الف مرة ان يغرك
بالله الغرور فهذه اسرار من استنشق مبادي روائحها علم ان لزوم التوبة النصوح لازم للعبد السالك في كل نفس من انفاسه
ولو عمر عمر نوح وان ذلك واجب على الفور من غير مهلة و**لقد صدق ابو سليمان** الداراني حيث قال لو لم يبك العاقل فيما
بقي من عمره الا على فوت ما مضى منه في غير الطاعة لكان خليقا ان يحزنه ذلك الى الممات فكيف من يستقبل ما بقي
من عمره بمثل ما مضى من جهله وانما قال هذا لان العاقل اذا ملك جوهرة نفيسة اذا ضاعت منه بغير
فائدة بكى عليها لا محالة وان ضاعت منه وصار ضياعها سبب هلاكه كان بكاه منه اشد وكل ساعة من العمر
بل كل نفس جوهرة نفيسة لا خلف لها ولا بدل منها وانها صالحة لان توصلك الى سعادة الابد وتنقذك من
شقاوة الابد واي جوهرة انفس من هذا فاذا ضيعته في الغفلة فقد خسرت خسرانا مبينا وان صرفتها الى معصية
فقد هلكت هلاكا فاحشا وانك لا تبكي على هذه المصيبة فذلك لجهلك ومصيبتك بجهلك اعظم
من كل مصيبة لكن الجهل مصيبة لا يعرف المصاب بها انه صاحب مصيبة فان نوم الغفلة يحول بينه
وبين معرفته والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فعند ذلك ينكشف لكل مفلس افلاسه ولكل مصاب
مصيبته وقد رفع الياس عن التدارك **قال** بعض العارفين اذا ظهر ملك الموت عليه السلام
للعبد اعلمه انه قد بقي من عمرك ساعة وانك لا تستاخر عنها طرفة عين فيبدو للعبد من الاسف والحسرة ما لو
كانت له الدنيا بحذافيرها لخرج منها على ان يضم الى تلك الساعة ساعة اخرى ليستعتب فيها
ويتدارك تفريطه فلا يجد اليه سبيلا وهو اول ما يظهر من معاني قوله تعالى وحيل
بينهم وبين ما يشتهون واليه الاشارة بقوله تعالى من قبل ان ياتي احدكم الموت
فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين ولن يؤخر الله
نفسا اذا جاء اجلها فقيل الاجل القريب الذي يطلبه معناه انه يقول عند كشف
الغطاء للعبد يا ملك الموت اخرني يوما اعتذر فيه الى ربي واتوب واتزود صالحا لنفسي
فيقول فنيت الايام فلا يوم فيقول اخرني ساعة فيقول فنيت الساعات فلا ساعة فيغلق عليه

باب التوبة فيغرغر بروحه وتتردد انفاسه في شراسيفه ويتجرع غصة الياس عن التدارك وحسرة
الندامة على تضييع العمر فيضطرب اصل ايمانه في صدمات تلك الاهوال فاذا زهقت نفسه فان
كان ممن سبقت له من الله الحسنى خرجت روحه على التوحيد وذلك حسن الخاتمة وان
سبق له القضاء بالشقوة والعياذ بالله خرجت روحه على الشك والاضطراب وذلك سوء الخاتمة ولمثل
هذا يقال وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن بل التوبة
على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ومعناه عن قرب عهد بالخطيئة بان يتندم عليها ويمحو
اثرها عنه بحسنة يردفها بها قبل ان يتراكم الرين على القلب فلا يقبل المحو ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
اتبع السيئة الحسنة تمحها ولذلك قال لقمان لابنه يا بني لا تؤخر التوبة فان الموت ياتي بغتة ومن
ترك المبادرة الى التوبة بالتسويف كان بين خطرين عظيمين احدهما ان تتراكم الظلمة على قلبه من
المعاصي حتى يصير رينا وطبعا فلا يقبل المحو والثاني ان يعاجله المرض او الموت فلا يجد مهلة للاشتغال
بالمحو ولذلك ورد في الخبر ان اكثر صياح اهل النار من التسويف فما هلك من هلك الا بالتسويف فيكون
تسويده القلب نقدا وجلاؤه بالطاعة نسيئة الى ان يختطفه الموت فياتي الله بقلب غير سليم ولا
ينجو الا من اتى الله بقلب سليم فالقلب امانة الله تعالى عند عبده والعمر امانة الله عنده وكذا سائر اسباب
الطاعة فمن خان في الامانة ولم يتدارك سبيل الالهام احدهما اذا خرج من بطن امه يقول له عبدي
اخرجتك الى الدنيا طاهرا نظيفا واستودعتك عمرك وائتمنتك عليه فانظر كيف تحفظ الامانة وانظر
كيف تلقاني والثاني عند خروج روحه يقول عبدي ماذا صنعت في امانتي عندك هل حفظتها فحفظتها
حتى تلقاني على العهد واللقاء او اضعتها فالقاك بالمطالبة والعقاب واليه الاشارة
بقوله تعالى اوفوا بعهدي اوف بعهدكم وبقوله تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون **بيان**
ان التوبة اذا استجمعت شرائطها فهي مقبولة لا محالة اعلم انك اذا فهمت معنى
القبول لم تشك في ان كل توبة صحيحة فهي مقبولة فالناظرون بنور البصائر والمستمدون
من انوار القرآن علموا ان كل قلب سليم مقبول عند الله ومتنعم في الآخرة ومستعد لان ينظر بعينه
الباقية الى وجه الله وعلموا ان القلب خلق سليما في الاصل فكل مولود يولد على الفطرة وانما تفوته
السلامة بكدورة ترهق وجهه من غبرة الذنوب وظلمتها وعلموا ان نار الندم تحرق تلك
الغبرة وان نور الحسنة يمحو عن وجه القلب ظلمة السيئة وانه لا طاقة لظلام المعاصي مع
نور الحسنات كما لا طاقة لظلام الليل مع نور النهار بل كما لا طاقة لكدورة الوسخ مع بياض
الصابون فكما ان الثوب الوسخ لا يقبله الملك لان يكون لباسه فالقلب المظلم لا يقبله الله تعالى لان
يكون في جواره وكما ان استعمال الثوب في الاعمال الخسيسة يوسخ الثوب وغسله بالصابون والماء
الحار ينظفه لا محالة فاستعمال القلب في الشهوات يوسخ القلب وغسله بماء الدموع وحرقة الندم
ينظفه ويطهره ويزكيه وكل قلب زكي طاهر فهو مقبول كما ان كل ثوب نظيف فهو مقبول فانما عليك
التزكية والتطهير واما القبول فمبذول قد سبق به القضاء الازلي الذي لا مرد له وهو المسمى
فلاحا في قوله تعالى قد افلح المؤمنون وقوله تعالى قد افلح من زكاها ومن لم يعرف على سبيل التحقيق
معرفة اقوى واجلى من المشاهدة بالبصر ان القلب يتأثر بالمعاصي والطاعات تأثرا متضادا ويستعار
لاحدهما لفظ الظلمة كما يستعار للجهل ويستعار للآخر لفظ النور كما يستعار للعلم وان بين النور

والظلمة تضادا ضروريا لا يتصور الجمع بينهما فكان لم يعرف من الدين الا قشوره ولم يعلق به الا اسماؤه
وقلبه في غطاء كثيف عن حقيقة الدين بل عن حقيقة نفسه وصفات نفسه ومن جهل نفسه فهو
بغيره اجهل واعني به قلبه اذ بقلبه يعرف غيره فكيف يعرف غيره وهو لا يعرف نفسه فمن يتوهم
ان التوبة تصح ولا تقبل كمن يتوهم ان الشمس تطلع والظلام لا يزول والثوب يغسل بالصابون والوسخ
لا يزول الا ان يغوص الوسخ لطول تراكمه في تجاويف الثوب وخلله فلا يقوى الصابون على قلعه فمثال
ذلك ان تتراكم الذنوب حتى تصير طبعا ورينا على القلب فمثل هذا القلب لا يرجع ولا يتوب نعم قد
يقول باللسان تبت فيكون ذلك كقول القصار بلسانه قد غسلت الثوب وذلك لا ينظف الثوب
اصلا ما لم يغير صفة الثوب باستعمال ما يضاد الوصف المتمكن منه فهذا حال امتناع اصل التوبة
وهو غير بعيد بل هو الغالب على كافة الخلق المقبلين على الدنيا المعرضين عن الله بالكلية فهذا البيان
كاف عند ذوي البصائر في قبول التوبة ولكنا نعضد جناحه بنقل الآيات والاخبار والآثار فكل
استبصار لا يشهد له الكتاب والسنة لا يوثق به وقد قال الله تعالى وهو الذي يقبل
التوبة عن عباده وقال تعالى غافر الذنب وقابل التوب الى غير ذلك من الآيات وقال صلى الله عليه وسلم
لله افرح بتوبة عبده الحديث والفرح وراء القبول فهو دليل على القبول وزيادة وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يبسط يده بالتوبة لمسيء الليل الى النهار ولمسيء النهار الى الليل حتى تطلع
الشمس من مغربها وبسط اليد كناية عن طلب التوبة والطالب وراء القابل فرب قابل ليس بطالب ولا
طالب الا وهو قابل وقال صلى الله عليه وسلم لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله
عليكم وقال ايضا ان العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة قيل كيف ذلك يا رسول الله قال يكون
نصب عينيه تائبا منه فارا حتى يدخل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم كفارة الذنب الندامة
وقال التائب من الذنب كمن لا ذنب له وروي ان حبشيا قال يا رسول الله صلى الله اني كنت اعمل
الفواحش فهل لي من توبة قال نعم فولى ثم رجع فقال يا رسول الله اكان يراني وانا اعملها قال نعم
فصاح الحبشي صيحة خرجت فيها نفسه وروي ان الله عز وجل لما لعن ابليس سأله النظرة فانظره الى
يوم القيامة فقال وعزتك لا خرجت عن قلب ابن آدم ما دام فيه الروح فقال الله تعالى وعزتي لا حجبت عنه
التوبة ما دام فيه الروح وقال صلى الله عليه وسلم ان الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء
الوسخ والاخبار في هذا لا تحصى واما الآثار فقد قال سعيد بن المسيب انزل قوله تعالى انه كان للاوابين
غفورا في الرجل يذنب الذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقال الفضيل قال الله عز وجل بشر
المذنبين انهم ان تابوا قبلت منهم وحذر الصديقين اني ان وضعت عليهم عدلي عذبتهم وقال
طلق بن حبيب ان حقوق الله تعالى اعظم من ان يقوم بها العبد ولكن اصبحوا تائبين وامسوا تائبين
وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه من ذكر خطيئة الم بها فوجل منها قلبه محيت عنه في ام الكتاب
وروي ان نبيا من انبياء بني اسرائيل اذنب فاوحى الله تعالى اليه لئن عدت لاعذبنك فقال يا رب
انت وانا انا وعزتك لئن لم تعصمني لاعودن فعصمه الله تعالى وقال بعضهم ان العبد ليذنب
الذنب فلا يزال نادما حتى يدخل الجنة فيقول ابليس ليتني لم اوقعه في الذنب وقال حبيب بن ثابت
يعرض على الرجل ذنوبه يوم القيامة فيمر بالذنب فيقول اما اني قد كنت مشفقا منك قال فيغفر له وروي
ان رجلا سأل ابن مسعود رضي الله عنه عن ذنب الم به هل له من توبة فاعرض عنه ابن مسعود ثم التفت اليه

فرأى عينيه تذرفان فقال له ان للجنة ثمانية ابواب كلها تفتح وتغلق الا باب التوبة فان عليه ملكا
موكلا به لا يغلق فاعمل ولا تيأس وقال عبد الرحمن بن ابي القاسم تذاكرنا مع عبد الرحيم توبة الكافر
وقول الله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فقال اني لارجو ان يكون المسلم احسن حالا عند الله
ولقد بلغني ان توبة المسلم كاسلام بعد اسلام وقال عبد الله بن سلام رضي الله عنه لا احدثكم
الا عن نبي مرسل او كتاب منزل ان العبد اذا عمل ذنبا ثم ندم عليه طرفة عين سقط عنه اسرع من طرفة عين
وقال عمر رضي الله عنه اجلسوا الى التوابين فانهم ارق افئدة وقال بعضهم انا اعلم متى يغفر الله
لي قيل ومتى قال اذا تاب الله علي وقال اخر انا من ان احرم التوبة اخوف من ان احرم المغفرة اي
المغفرة من لوازم التوبة وتوابعها لا محالة وروي انه كان في بني اسرائيل شاب عبد الله تعالى عشرين
سنة ثم عصاه عشرين سنة ثم نظر في المرآة فرأى الشيب في لحيته فساءه ذلك فقال الهي اطعتك عشرين
سنة ثم عصيتك عشرين سنة فان رجعت اليك اتقبلني فسمع قائلا يقول ولا يرى شخصا احببتنا فاحببناك
وتركتنا فتركناك وعصيتنا فامهلناك وان رجعت الينا قبلناك وقال ذو النون المصري ان لله تعالى عبادا
نصبوا اشجار الخطايا نصب روامق القلوب وسقوها بماء التوبة فاثمرت ندما وحزنا فجنوا من غير جنون
وتبلدوا من غير عي ولا بكم وانهم هم البلغاء الفصحاء العارفون بالله ورسوله ثم شربوا بكاس الصفاء فورثوا الصبر
على طول البلاء ثم تولهت قلوبهم في الملكوت وجالت افكارهم بين سرايا حجب الجبروت واستظلوا تحت
رواق الندم وقرؤوا صحيفة الخطايا فاورثوا انفسهم الجزع حتى وصلوا الى علو الزهد بسلم الورع
فاستعذبوا مرارة الترك للدنيا واستلانوا خشونة المضجع حتى ظفروا بحبل النجاة وعروة السلامة
وسرحت ارواحهم في العلا حتى اناخوا في رياض النعيم وخاضوا في بحر الحياة وردموا خنادق الجزع وعبروا
جسور الهوى حتى نزلوا بفناء العلم واستقوا من غدير الحكمة وركبوا سفينة الفطنة واقلعوا بريح النجاة
في بحر السلامة حتى وصلوا الى رياض الراحة ومعدن العز والكرامة فهذا القدر كاف في بيان ان كل
توبة صحيحة فمقبولة لا محالة فان قلت اتقول ما قاله المعتزلة من ان قبول التوبة واجب على الله
تعالى فاقول لا اعني بما ذكرته من وجوب قبول التوبة على الله تعالى الا ما يريده القائل بقوله ان الثوب اذا غسل
بالصابون وجب زوال الوسخ وان العطشان اذا شرب وجب زوال العطش وانه اذا منع الماء مدة وجب
العطش وانه اذا دام العطش وجب الموت وليس في شيء من ذلك ما يريده المعتزلة بالايجاب على الله تعالى
بل اقول خلق الله الطاعة مكفرة للمعصية والحسنة ماحية للسيئة كما خلق الماء مزيلا للعطش و
القدرة متسعة لخلافه لو سبقت به المشيئة فلا واجب على الله تعالى ولكن ما سبقت به ارادته
الازلية فواجب كونه لا محالة فان قلت فما من تائب الا وهو شاك في قبول توبته والشارب لا يشك
في زوال العطش فلم يشك فيه فاقول شكه في القبول كشكه في وجود شرائط الصحة فان للتوبة اركانا
وشروطا دقيقة كما سياتي وليس يتحقق وجود جميع شروطها كالذي يشك في دواء شربه للاسهال
انه هل يسهل وذلك لشك في حصول شروط الاسهال في الدواء باعتبار الحال والوقت وكيفية خلط
الدواء وطبخه وجودة عقاقيره وادويته فهذا وامثاله موجب للخوف بعد التوبة وموجب للشك في
قبولها لا محالة على ما سياتي في شروطها ان شاء الله تعالى **الركن الثاني فيما عنه التوبة وهي
الذنوب صغائرها وكبائرها** اعلم ان التوبة ترك الذنب ولا يمكن ترك الشيء الا بعد معرفته واذا
كانت التوبة واجبة كان ما لا يتوصل اليها الا به واجبا فمعرفة الذنوب اذن واجبة والذنب عبارة عن

كل ما هو مخالف لامر الله في ترك او فعل وتفصيل ذلك يستدعي شرح التكليفات من اولها الى اخرها
وليس ذلك من غرضنا ولكنا نشير الى مجامعها وروابط اقسامها **بيان اقسام الذنوب بالاضافة**
الى صفات العبد اعلم ان للانسان اخلاقا واوصافا كثيرة على ما عرف شرحه في كتاب عجائب القلب
وعوائله ولكن تنحصر مثارات الذنوب في اربع صفات صفات ربوبية وصفات شيطانية وصفات
بهيمية وصفات سبعية وذلك لان طينة الانسان عجنت من اخلاط مختلفة فاقتضى كل واحد من
الاخلاط في المعجون منه اثرا من الاثار كما يقتضي السكر والخل والزعفران في السكنجبين اثارا مختلفة فاما
ما يقتضيه النزوع الى الصفات الربوبية مثل الكبر والفخر والجبرية وحب المدح والثناء والعز والغنى
وحب دوام البقاء وطلب الاستعلاء على الكافة حتى كانه يريد ان يقول انا ربكم الاعلى وهذا يتشعب
جملة من كبائر الذنوب غفل عنها الخلق ولم يعدوها ذنوبا وهي المهلكات العظيمة التي هي كالامهات لاكثر
المعاصي كما استقصيناه في ربع المهلكات **الثانية** هي الصفة الشيطانية التي منها يتشعب الحسد
والبغي والحيلة والخداع والامر بالفساد والمكر وفيه يدخل الغش والنفاق والدعوة الى البدع والضلال
الثالثة الصفة البهيمية ومنها يتشعب الشره والكلب والحرص على قضاء الشهوة في البطن والفرج
ومنه يتشعب الزنا واللواط والسرقة واكل مال الايتام وجمع الحطام لاجل الشهوات **الرابعة** الصفة
السبعية ومنها يتشعب الغضب والحقد والتهجم على الناس بالضرب والشتم والقتل واستهلاك
الاموال ويتفرع منها جمل من الذنوب وهذه الصفات لها تدريج في الفطرة فالصفة البهيمية هي التي تغلب
اولا ثم تتلوها الصفة السبعية ثانيا ثم اذا اجتمعا استعملا العقل في الخداع والمكر والحيلة وهي
الصفة الشيطانية ثم بالاخرة تغلب الصفات الربوبية وهي الفخر والعز والعلو وطلب الكبرياء وقصد الاستيلاء
على جميع الخلق فهذه امهات الذنوب ومنابعها ثم تنفجر الذنوب من هذه المنابع الى الجوارح فبعضها في القلب خاصة
كالكفر والبدعة والنفاق واضمار السوء للناس وبعضها على العين والسمع وبعضها على اللسان وبعضها على البطن
والفرج وبعضها على اليدين والرجلين وبعضها على جميع البدن ولا حاجة الى تفصيل ذلك فانه واضح **قسمة ثانية**
اعلم ان الذنوب تنقسم الى ما بين العبد وبين الله تعالى والى ما يتعلق بحقوق العباد فما يتعلق بالعبد خاصة كترك
الصلاة والصوم والواجبات الخاصة به وما يتعلق بحقوق العباد كتركه الزكاة وقتله النفس وغصبه الاموال
وشتمه الاعراض وكل متناول من حق الغير فاما نفس او طرف او مال او عرض او جاه وتناول الدين بالاغواء والدعاء
الى البدعة والترغيب في المعاصي وتهييج اسباب الجراءة على الله كما يفعله بعض الوعاظ بتغليب جانب الرجاء على
جانب الخوف وما يتعلق بالعباد فالامر فيه اغلظ وما بين العبد وبين الله اذا لم يكن شرك فالعفو فيه ارجى واقرب
وقد جاء في الخبر الدواوين ثلاثة ديوان يغفر وديوان لا يغفر وديوان لا يترك فالديوان الذي يغفر ذنوب العباد بينهم
وبين الله تعالى واما الديوان الذي لا يغفر فالشرك واما الديوان الذي لا يترك فمظالم العباد اي لا بد وان
يطالب بها حتى يعفى عنها **قسمة ثالثة** اعلم ان الذنوب تنقسم الى صغائر وكبائر وقد كثر اختلاف الناس
فيها فقال قائلون لا صغيرة ولا كبيرة بل كل مخالفة لله فهي كبيرة وهذا ضعيف اذ قال الله تعالى ان تجتنبوا كبائر
ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم **وقال** تعالى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم **وقال**
صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة تكفر ما بينهن ان اجتنبت الكبائر وفي لفظ اخر كفارات
لما بينهن الا الكبائر **وقد** قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص الكبائر الاشراك
بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس واختلف الصحابة والتابعون في عدد الكبائر من اربع الى سبع

الى تسع الى احدى عشرة فما فوق ذلك **فقال** ابن مسعود هن اربع **وقال** ابن عمر هن سبع **وقال** عبد الله
بن عمرو هن تسع وكان ابن عباس اذا بلغه قول ابن عمر الكبائر سبع يقول هي الى سبعين اقرب منها الى سبع **وقال**
مرة كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة **وقال** غيره كل ما اوعد الله عليه بالنار فهو من الكبائر وقال بعض السلف كل ما اوجب
الحد في الدنيا فهو كبيرة وقيل انها مبهمة لا يعرف عددها كليلة القدر وساعة يوم الجمعة وقال ابن مسعود
لما سئل عنها اقرأ من اول سورة النساء الى ثلاث وثلاثين اية منها عند قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم
سيئاتكم فكل ما نهى الله تعالى عنه في هذه السورة الى هنا فهو كبيرة وقال ابو طالب المكي الكبائر سبع عشرة جمعتها
من جملة الاخبار وجملة ما اجتمع من قول ابن عباس وابن مسعود وابن عمر وغيرهم اربعة في القلب وهي الشرك بالله
والاصرار على معصيته والقنوط من رحمته والامن من مكره واربع في اللسان وهي شهادة الزور وقذف المحصن
واليمين الغموس وهي التي يحق بها باطلا او يبطل بها حقا وقيل هي التي يقتطع بها مال امرئ مسلم باطلا ولو سواكا
من اراك وسميت غموسا لانها تغمس صاحبها في النار والسحر وهو كل كلام يغير الانسان وسائر الاجسام عن موضوعات
الخلقة وثلاث في البطن وهي شرب الخمر والمسكر من كل شراب واكل مال اليتيم ظلما واكل الربا وهو يعلم واثنتان
في الفرج وهما الزنا واللواط واثنتان في اليدين وهما القتل والسرقة وواحدة في الرجلين وهو الفرار من الزحف
الواحد من اثنين والعشرة من عشرين وواحدة في جميع الجسد وهو عقوق الوالدين قال وجملة عقوقهما ان
يقسما عليه في حق فلا يبر قسمهما وان سالاه حاجة فلا يعطيهما وان يسباه فيضربهما ويجوعان فلا يطعمهما هذا
ما قاله وهو قريب ولكن ليس يحصل به تمام الشفاء اذ يمكن الزيادة عليه والنقصان منه فانه جعل اكل الربا ومال
اليتيم من الكبائر وهي جناية على الاموال ولم يذكر في كبائر النفوس الا القتل فاما فقء العين وقطع اليدين وغير
ذلك من تعذيب المسلمين بالضرب وانواع العذاب فلم يتعرض له وضرب اليتيم وتعذيبه وقطع اطرافه لا شك
في انه اكبر من اكل ماله كيف وفي الخبر من الكبائر السبتان بالسبة ومن الكبائر استطالة الرجل في عرض اخيه المسلم
وهذا زائد على قذف المحصن **وقال** ابو سعيد الخدري وغيره من الصحابة انكم لتعملون اعمالا هي ادق في
اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر وقالت طائفة كل عمد كبيرة
وكل ما نهى الله عنه فهو كبيرة وكشف الغطاء عن هذا ان نظر الناظر في السرقة اهي كبيرة ام لا لا يصح ما لم يفهم
معنى الكبيرة والمراد بها كقول القائل السرقة حرام ام لا مطمع في معرفته الا بعد تقرير معنى الحرام اولا ثم
البحث عن وجوده في السرقة فالكبيرة من حيث اللفظ مبهم ليس له موضع خاص في اللغة ولا في الشرع وذلك لان
الكبير والصغير من المضافات وما من ذنب الا وهو كبير بالاضافة الى ما دونه صغير بالاضافة الى ما فوقه
فالمضاجعة مع الاجنبية كبيرة بالاضافة الى النظر صغيرة بالاضافة الى الزنا وقطع يد المسلم كبيرة
بالاضافة الى الضرب صغيرة بالاضافة الى قتله نعم للانسان ان يطلق على ما توعد بالنار على فعله خاصة
اسم الكبيرة ونعني بوصفه بالكبيرة ان العقوبة بالنار عظيمة وله ان يطلق على ما اوجب الحد عليه مصيرا الى
انه ما عجل عليه في الدنيا عقوبة واجبة عظيم وله ان يطلق على ما ورد في نص الكتاب النهي عنه فيقول
تخصيصه بالذكر في القران يدل على عظمه ثم يكون عظيما وكبيرة لا محالة بالاضافة الا ان المصطلحات لا تنضبط
بتفاوت درجاتها فهذه الاطلاقات لا حرج فيها وما نقل من الفاظ الصحابة يتردد بين هذه الجهات ولا
يبعد تنزيلها على شيء من هذه الاحتمالات نعم من المهمات ان يعلم معنى قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون
عنه نكفر عنكم سيئاتكم وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات كفارات لما بينهن الا الكبائر فان هذا اثبات
حكم الكبائر والحق في ذلك ان الذنوب منقسمة في نظر الشرع الى ما يعلم استعظامه اياها والى ما يعلم انها معدودة

في الصغائر وفي ما يشك فيه ولا يدري حكمه فالطمع في معرفة حد حاصر او عدد جامع مانع طلب لما لا يمكن فان
ذلك لا يمكن الا بالسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يقول اني اردت بالكبائر عشرا او خمسا ويفصلها
فاذا لم يرد هذا بل ورد في بعض الالفاظ ثلاث من الكبائر وفي بعضها سبع من الكبائر ثم ورد ان السبتين
بالسبة الواحدة من الكبائر وهو خارج عن السبع والثلاث علم انه لم يقصد به العدد فالحصر فكيف يطمع
في عدد ما لم يعدده الشرع وربما قصد الشرع ابهامه ليكون العباد منه على وجل كما ابهم ليلة القدر ليعظم
جد الناس في طلبها نعم لنا سبيل كلي يمكننا ان نعرف به اجناس الكبائر وانواعها بالتحقيق واما اعيانها فنعرف
بالظن والتقريب ونعرف ايضا اكبر الكبائر فاما اصغر الصغائر فلا سبيل الى معرفته وبيانه انا نعلم بشواهد
الشرع وانوار البصائر جميعا ان مقصود الشرائع كلها سياقة الخلق الى جوار الله وسعادة لقائه وانه
لا وصول لهم الى ذلك الا بمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته ورسله وكتبه واليه الاشارة بقوله تعالى وما
خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي ليكونوا عبيدا لي ولا يكون العبد عبدا ما لم يعرف ربه بالربوبية و
نفسه بالعبودية ولا بد وان يعرف نفسه وربه فهذا هو المقصود الاقصى ببعثة الانبياء ولكن لا يتم هذا الا
في الحياة الدنيا وهو المعنى بقوله عليه السلام الدنيا مزرعة الاخرة فصار حفظ الدنيا ايضا مقصودا تابعا
للدين لانه وسيلة اليه والمتعلق من الدنيا بالاخرة شيئان النفوس والاموال فكل ما يسد باب معرفة الله تعالى
فهو اكبر الكبائر ويليه ما يسد باب حياة النفوس ويلي ذلك ما يسد باب المعايش التي بها حياة النفوس فهذه
ثلاث مراتب فحفظ المعرفة على القلوب والحياة على الابدان والاموال على الاشخاص ضروري في مقصود الشرائع
كلها وهذه ثلاثة امور لا يتصور ان تختلف فيها الملل فلا يجوز ان يبعث الله تعالى نبيا يريد ببعثه اصلاح
الخلق في دينهم ودنياهم ثم يأمرهم بما يمنعهم عن معرفته ومعرفة رسله او يأمرهم باهلاك النفوس واهلاك
الاموال فحصل من هذا ان الكبائر على ثلاث مراتب الاولى ما يمنع من معرفة الله تعالى ومعرفة رسله وهو الكفر فلا
كبيرة فوق الكفر اذ الحجاب بين العبد وبين الله تعالى هو الجهل والوسيلة المقربة اليه هو العلم والمعرفة
وقربه بقدر معرفته وبعده بقدر جهله ويتلو الجهل الذي يسمى كفرا الامن من مكر الله تعالى والقنوط من
رحمته فان هذا ايضا عين الجهل فمن عرف الله تعالى لم يتصور ان يكون امنا ولا ان يكون ايسا ويتلو هذه الرتبة
البدع كلها المتعلقة بذات الله وصفاته وافعاله وبعضها اشد من بعض وتفاوتها على حسب تفاوت الجهل
بها وعلى حسب تعلقها بذات الله سبحانه وبافعاله وشرائعه وباوامره ونواهيه ومراتب ذلك لا تنحصر وهي
تنقسم الى ما يعلم انها داخلة تحت ذكر الكبائر المذكورة في القرآن والى ما يعلم انه لا يدخل والى ما يشك فيه وطلب دفع
الشك في القسم المتوسط طمع في غير مطمع **الرتبة الثانية** النفوس اذ ببقائها وحفظها تدوم الحياة
وتحصل المعرفة بالله تعالى فقتل النفس لا محالة من الكبائر وان كان دون الكفر لان ذلك يصدم عين المقصود
وهذا يصدم وسيلة المقصود اذ حياة الدنيا لا تراد الا للاخرة والتوصل بها الى معرفة الله تعالى ويتلو هذه
الكبيرة قطع الاطراف وكل ما يفضي الى الهلاك حتى الضرب وبعضها اكبر من بعض ويقع في هذه الرتبة تحريم الزنا و
اللواط لانه لو اجتمع الناس على الاكتفاء بالذكور في قضاء الشهوات انقطع النسل ودفع الموجود قريب من قطع الوجود
واما الزنا فانه لا يفوت اصل الوجود ولكن يشوش الانساب ويبطل التوارث والتناصر وجملة من الامور التي لا
ينتظم العيش الا بها بل كيف يتم النظام مع اباحة الزنا ولا ينتظم امور البهائم ما لم يتميز الفحل منها باناث
يختص بها عن سائر الفحول ولذلك لا يتصور ان يكون الزنا مباحا في اصل شرع قصد به الاصلاح وينبغي ان يكون الزنا
في الرتبة دون القتل لانه ليس يفوت دوام الوجود ولا يمنع اصله ولكنه يفوت تمييز الانساب ويحرك من الاسباب ما يكاد يفضي

الى التقاتل وينبغي ان يكون اشد من اللواط لان الشهوة داعية اليه من الجانبين فيكثر وقوعه ويعظم
اثر الضرر بكثرته **الرتبة الثالثة** الاموال فانها معايش الخلق فلا يجوز تسلط الناس على تناولها كيف
شاؤا حتى بالاستيلاء والسرقة وغيرهما بل ينبغي ان تحفظ لتبقى ببقائها النفوس الا ان الاموال اذا اخذت امكن
استردادها وان اكلت امكن تغريمها فليس يعظم الامر فيها نعم اذا جرى تناولها بطريق يعسر التدارك له فينبغي
ان يكون ذلك من الكبائر وذلك باربع طرق **احدها** الخفية وهي السرقة فانه اذا لم يطلع عليه غالبا كيف يتدارك
والثاني اكل مال اليتيم وهذا ايضا من الخفية واعني به في حق الولي والقيم فانه مؤتمن فيه وليس له خصم
سوى اليتيم وهو صغير لا يعرفه فتعظيم الامر فيه واجب بخلاف الغصب فانه ظاهر يعرف وبخلاف الخيانة
في الوديعة فان المودع خصم فيه ينتصف لنفسه **الثالث** تفويتها بشهادة الزور والرابع اخذ الوديعة
وغيرها باليمين الغموس فان هذه طرق لا يمكن فيها التدارك ولا يجوز ان تختلف الشرائع في تحريمها اصلا
وبعضها اشد من بعض وكلها دون الرتبة الثانية المتعلقة بالنفوس وهذه الاربعة جديرة بان يكون
مرادة بالكبائر وان لم يوجب الشرع الحد في بعضها ولكن كثر الوعيد عليها وعظم في مصالح الدنيا تاثيرها
واما اكل الربا فليس فيه الا اكل مال الغير بالتراضي مع الاخلال بشرط وضعه الشرع ولا يبعد ان تختلف
الشرائع في مثله واذا لم يجعل الغصب الذي هو اكل مال الغير بغير رضاه وبغير رضى الشرع من الكبائر
فاكل الربا اكل برضا المالك ولكن بغير رضى الشرع وان عظم الشرع اكل الربا بالزجر عنه فقد عظم ايضا
الظلم بالغصب وغيره وعظم الخيانة والمصير الى ان كل دانق بالخيانة والغصب من الكبائر فيه نظر
وذلك واقع في مظنة الشك واكثر ميل الظن الى انه غير داخل تحت الكبائر بل ينبغي ان تختص الكبيرة بما لا
يجوز اختلاف الشرائع فيه ليكون ضروريا في الدين فيبقى مما ذكره ابو طالب المكي القذف والشرب والسحر
والفرار من الزحف وعقوق الوالدين اما الشرب لما يزيل العقل فهو جدير بان يكون من الكبائر وقد دل عليه
تشديدات الشرع وطريق النظر ايضا لان العقل محفوظ كما ان النفس محفوظة بل لا خير في النفس دون العقل
فازالة العقل من الكبائر ولكن هذا لا يجري في قطرة من الخمر ولا شك في انه لو شرب ماء فيه قطرة من الخمر لم يكن
ذلك كبيرة وانما هو شرب ماء نجس والقطرة وحدها في محل الشك وايجاب الشرع الحد به يدل على تعظيم
امره فيعد ذلك من الكبائر بالشرع وليس في القوة البشرية الوقوف على جميع اسرار الشرع فان ثبت اجماع
ان كبيرة وجب الاتباع والا فللتوقف فيه مجال **واما** القذف فليس فيه الا تناول الاعراض والاعراض دون
الاموال في الرتبة ولتناولها مراتب واعظمها التناول بالاضافة الى فاحشة الزنا وقد عظم الشرع امره
واظن ظنا غالبا ان الصحابة كانوا يعدون كل ما يجب الحد به كبيرة فهو بهذا الاعتبار لا تكفره الصلوات
الخمس وهو الذي نريده بالكبيرة الان ولكن من حيث انه يجوز ان تختلف فيه الشرائع فالقياس بمجرده
لا يدل على كبره وعظمته بل كان يجوز ان يرد الشرع بان العدل الواحد اذا راى انسانا يزني فله ان يشهد
ويجلد المشهود عليه بشهادته فان لم تقبل شهادته فحد القاذف ليس ضروريا في مصالح الدنيا وان كان على
الجملة من المصالح الظاهرة الواقعة في رتبة الحاجات فاذا هذا ايضا يلحق بالكبائر في حق من عرف حكم الشرع
فاما من ظن ان له ان يشهد وحده او ظن انه يساعده على الشهادة غيره فلا ينبغي ان يجعل في حقه من الكبائر واما
السحر فان كان فيه كفر فكبيرة والا فعظمته بحسب الضرر الذي يتولد منه من هلاك نفس او مرض او غيره
واما الفرار من الزحف وعقوق الوالدين فهذا ايضا ينبغي ان يكون من حيث القياس في محل التوقف فاذا
قطع بان سب الناس بكل فحش سوى الزنا وضربهم والظلم لهم بغصب اموالهم واخراجهم من مساكنهم وبلادهم

واعلاهم من اعطائهم ليس من الكبائر اذ نقل ذلك في التسع عشرة كبيرة وهو اكثر ما قيل فيه فالتوقف في هذا ايضا غير بعيد ولكن الحديث يدل على تسميته كبيرة فيلحق بالكبائر فاذا رجع حاصل الامر الى انا نعني بالكبيرة ما لا تكفره الصلوات الخمس بحكم الشرع وذلك مما انقسم الى ما علم انه لا تكفره الصلوات قطعا والى ما ينبغي ان تكفره والى ما يتوقف فيه والمتوقف فيه بعضه مظنون بالنفي والاثبات و بعضه مشكوك فيه وهو شك لا يزيله الا نص كتاب او سنة واذ لا مطمع فيهما فطلب دفع الشك فيه محال فان قلت فهذا اقامة برهان على استحالة معرفة حدها فكيف يرد الشرع بما يستحيل معرفة حده فاعلم ان كل ما لا يتعلق به حكم الدنيا فيجوز ان يتطرق اليه الابهام لان دار التكليف هي دار الدنيا والكبيرة على الخصوص لا حكم لها في الدنيا من حيث انها كبيرة بل موجبات الحدود معلومة باساميها كالسرقة والزنا وغيرها وانما حكم الكبيرة ان الصلوات الخمس لا تكفرها وهذا امر يتعلق بالآخرة والابهام اليق به حتى يكون الناس على وجل فلا يتجرءون على الصغائر اعتمادا على الصلوات الخمس وكذلك اجتناب الكبائر يكفر الصغائر بموجب قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ولكن اجتناب الكبيرة انما يكفر الصغيرة اذا اجتنبها مع القدرة والارادة كمن يتمكن من امرأة ومن مواقعتها فيكف نفسه عن الوقاع ويقتصر على نظر ولمس فان مجاهدته نفسه في الكف عن الوقاع ويقتصر على نظر اشد تأثيرا في تنوير قلبه من اقدامه على النظر في اظلامه فهذا معنى تكفيره فان كان عنينا او لم يكن امتناعه الا بالضرورة للعجز او كان قادرا ولكن امتنع لخوف امر آخر فهذا لا يصلح للتكفير اصلا وكل من لا يشتهي الخمر بطبعه ولو ابيح له لما شربه فاجتنابه لا يكفر عنه الصغائر التي هي من مقدماته كسماع الملاهي والاوتار نعم من يشتهي الخمر وسماع الاوتار فيمسك نفسه بالمجاهدة عن الخمر ويطلقها في السماع فمجاهدته النفس بالكف ربما تمحو عن قلبه الظلمة التي ارتفعت اليه من معصية السماع فكل هذه احكام اخروية ويجوز ان يبقى بعضها في محل الشك ويكون من المتشابهات ولا يعرف تفصيلها الا بالنص ولم يرد النص بعد ولا حد جامع بل ورد بالفاظ مختلفة فقد روى ابو هريرة رضي الله عنه انه عليه السلام قال الصلاة الى الصلاة كفارة ورمضان الى رمضان كفارة الا من ثلاث اشراك بالله وترك السنة ونكث الصفقة قيل ما ترك السنة قال الخروج من الجماعة ونكث الصفقة ان يبايع رجلا ثم يخرج عليه بالسيف فيقاتله فهذا وامثاله من الالفاظ لا يحيط بالعدد كله ولا يدل على حد جامع فيبقى لا محالة مبهما فان قلت الشهادة لا تقبل الا ممن يجتنب الكبائر والورع عن الصغائر ليس شرطا في قبول الشهادة وهذا من احكام الدنيا فاعلم انا لا نخصص رد الشهادة بالكبائر فلا خلاف ان من يسمع الملاهي ويلبس الديباج ويتختم بالذهب ويشرب من اواني الذهب والفضة لا يقبل شهادته ولم يذهب احد الى ان هذه الامور من الكبائر وقال الشافعي رحمه الله اذا شرب الحنفي النبيذ حددته ولم ارد شهادته فقد جعله كبيرة بايجاب الحد ولم يرد بها الشهادة فدل ان الشهادة نفيا واثباتا لا تدور على الصغائر والكبائر بل كل الذنوب تقدح في العدالة الا ما لا يخلو الانسان عنه غالبا بضرورة مجاري العادات كالغيبة والتجسس وسوء الظن والكذب في بعض الاقوال وسماع الغيبة وترك الامر بالمعروف واكل الشبهات وسب الولد والغلام وضربهما بحكم الغضب زائدا على حد المصلحة واكرام السلاطين الظلمة ومصادقة الفجار والتكاسل عن تعليم الاهل والولد جميع ما يحتاجون اليه في امر الدين فهذه ذنوب لا يتصور ان ينفك الشاهد عن قليلها وكثيرها الا بان يعتزل الناس ويتجرد لامور الآخرة ويجاهد نفسه مدة بحيث يبقى على سمته مع المخالطة فبعد ذلك لو لم يقبل الا قول مثله لعز وجوده

وبطلت الاحكام والشهادات وليس لبس الحرير وسماع الملاهي واللعب بالنرد ومجالسة الشراب في وقت الشرب والخلوة بالاجنبيات وامثال هذه الصغائر من هذا القبيل فالى مثل هذا المنهاج ينبغي ان ينظر في قبول الشهادة وردها لا الى الكبيرة والصغيرة ثم آحاد هذه الصغائر التي لا ترد الشهادة بها لو واظب عليها اثر في رد الشهادة كمن اتخذ الغيبة وثلب الناس عادة وكذلك مجالسة الفجار والصغيرة تكبر بالمواظبة كما ان المباح يصير صغيرة بالمواظبة كاللعب بالشطرنج والترنم بالغنا على الدوام وغيره فهذا بيان حكم الصغائر والكبائر

بيان كيفية توزع الدرجات والدركات في الآخرة على الحسنات والسيئات في الدنيا

اعلم ان الدنيا من عالم الملك والشهادة والآخرة من عالم الغيب والملكوت واعني بالدنيا حالتك قبل الموت وبالآخرة حالتك بعد الموت فدنياك وآخرتك صفاتك واحوالك يسمى القريب الداني منها دنيا والمتأخر آخرة ونحن الآن نتكلم من الدنيا في الآخرة فانا الآن في الدنيا وهو عالم الملك وغرضنا شرح الآخرة وهي عالم الملكوت ولا يتصور شرح عالم الملكوت في عالم الملك الا بضرب الامثال ولذلك قال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وهذا لان عالم الملك نوم بالاضافة الى عالم الملكوت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وما سيكون في اليقظة لا يتبين لك في النوم الا بضرب الامثال المحوجة الى التعبير فكذلك ما سيكون في يقظة الآخرة لا يتبين في نوم الدنيا الا في كسوة الامثال واعني بكسوة الامثال ما تعرفه من علم التعبير ويكفيك منه ان كنت فطنا ثلاثة امثلة فقد جاء رجل الى ابن سيرين فقال رأيت كأن في يدي خاتما اختم به افواه الرجال وفروج النساء فقال انك مؤذن تؤذن في رمضان قبل الفجر فقال صدقت وجاء آخر فقال رأيت كأني اصب الزيت في الزيتون فقال ان كان تحتك جارية اشتريتها ففتش حالها فانها امك لان الزيتون اصل الزيت فهو رد الى الاصل فنظر فاذا جاريته كانت امه وقد سبيت في صغره وقال له آخر رأيت كأني اقلد الدر اعناق الخنازير فقال انك تعلم الحكمة غير اهلها فكان كما قال والتعبير من اوله الى آخره امثال تعرفك طريق ضرب الامثال وانما نعني بالمثل اداء المعنى في صورة ان نظر الى معناه وجده صادقا وان نظر الى صورته وجده كاذبا فالمؤذن ان نظر الى صورة الخاتم والختم به على الفروج رآه كاذبا فانه لم يختم به قط وان نظر الى معناه وجده صادقا اذ صدر منه روح الختم ومعناه وهو المنع الذي يراد الختم له وليس للانبياء ان يتكلموا مع الخلق الا بضرب الامثال لانهم كلفوا ان يكلموا الناس على قدر عقولهم وقدر عقولهم انهم في النوم لا ينكشف له عن شيء الا بمثل فاذا ماتوا انتبهوا وعرفوا ان المثل صادق ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن وهو من المثال الذي لا يعقله الا العالمون فاما الجاهل فلا يجاوز قدره ظاهر المثال لجهله بالتفسير الذي يسمى تأويلا كما يسمى تفسير ما يرى من الامثلة في النوم تعبيرا فيثبت لله تعالى يدا واصبعا تعالى الله عن قوله علوا كبيرا وكذلك في قوله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق آدم على صورته فانه لا يفهم من الصورة الا اللون والشكل والهيئة فيثبت لله تعالى مثل ذلك تعالى عن قوله علوا كبيرا ومن ههنا زل من زل في صفات الالهية حتى في الكلام وجعلوه صوتا وحرفا الى غير ذلك من الصفات والقول فيه يطول وكذلك قد يرد في امر الآخرة ضرب امثلة يكذب بها الملحد بجمود نظره على ظاهر المثال وتناقضه عنده كقوله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت يوم القيامة في صورة

كبش املح فيذبح فيشوه الملحد ويكذب به ويستدل به على كذب الانبيا ويقول يا سبحان الله الموت
عرض والكبش جسم فكيف ينقلب العرض جسما وهل هذا الا محال ولكن الله تعالى عزل الحمقى عن
معرفة اسرار الله تعالى فقال وما يعقلها الا العالمون ولا يدري المسكين ان من قال رايت في منامي انه
جي بكبش وقيل هذا هو الوبا الذي في البلد وذبح فقال المعبر صدقت والامر كما رايت وهذا يدل
على ان الوبا ينقطع ولا يعود قط لان المذبوح وقع الياس عنه فاذا المعبر صادق في تصديقه وهو
صادق في رويته ويرجع حقيقته الى ان الملك الموكل بالرويا وهو الذي يطلع الارواح عند النوم على ما في
اللوح المحفوظ عرفه ما في اللوح المحفوظ بمثال ضربه له لان النايم انما يحتمل المثال لكان مثاله صادقا
وكان معناه صحيحا فالرسل ايضا انما يكلمون الناس في الدنيا وهي بالاضافة الى الاخرة نوم فيوصلون المعاني
الى افهامهم بالامثلة حكمة من الله ولطفا بعباده وتيسيرا لادراك ما يعجزون عن دركه دون ضرب
المثل فقوله يوتى بالموت في صورة كبش املح مثال ضربه ليوصل الى الافهام حصول الياس عن الموت وقد
جبلت القلوب على التاثر بالامثلة وثبوت المعاني فيها بواسطتها ولذلك عبر القران بقوله كن فيكون
عن نهاية القدرة وعبر صلى الله عليه وسلم قلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن عن سرعة التقلب
وقد اشرنا الى الحكمة في ذلك في كتاب قواعد العقايد من ربع العبادات فلنرجع الان الى الغرض فالمقصود ان
تعرف تنوع الدرجات والدركات على الحسنات والسيئات ولا يمكن الا بضرب الامثال فليفهم من
المثل الذي يضرب معناه لا صورته فنقول الناس في الاخرة ينقسمون اصنافا وتتفاوت درجاتهم
في السعادة والشقاوة تفاوتا لا يدخل تحت الحصر كما تفاوتوا في سعادة الدنيا وشقاوتها فلا نفارق الدنيا
الاخرة في هذا المعنى اصلا البتة فان مدبر الملك والملكوت واحد لا شريك له وسنته الصادرة عن
ارادته الازلية مطردة لا تبديل لها الا انا ان عجزنا عن احصا احاد الدرجات فلا نعجز عن احصا الاجناس
فنقول الناس في الاخرة ينقسمون بالضرورة الى اربعة اقسام هالكين ومعذبين وناجين وفايزين
ومثاله من الدنيا ان يستولي ملك من الملوك على اقليم فيقتل بعضهم فهم الهالكون ويعذب
بعضهم فهم الفايزون فان كان الملك عادلا لم يقسمهم الا باستحقاق فلا يقتل الا جاحدا
لاستحقاق الملك معاندا له في اصل الدولة ولا يعذب الا من قصر في خدمته مع الاعتراف بملكه
وعلو درجته ولا يخلي الا معترفا له بالملك لكنه لم يقصر ليعذب ولم يخدم ليخلع عليه ولا يخلع الا على
من ابلى عذره في الخدمة والنصرة ثم ينبغي ان يكون خلع الفايزين متفاوتة الدرجات بحسب تفاوت
خدمتهم واهلاك الهالكين اما تحقيقا بحز الرقبة او تنكيلا بالمثلة بحسب درجات معاندتهم
وتعذيب المعذبين في الخفة والشدة وطول المدة وقصرها واتحاد انواعها واختلافها بحسب
درجات تقصيرهم فتنقسم كل رتبة من هذه الرتب الى درجات لا تحصى فكذلك فافهم ان الناس
في الاخرة هكذا يتفاوتون فمنهم هالك ومنهم معذب مدة ومنهم ناج في دار السلامة ومنهم فايز والفايزون
ينقسمون الى من يحلون في جنات عدن او جنات الماوى او جنات الفردوس والمعذبون الى من
يعذب قليلا والى من يعذب الف سنة الى سبعة الف سنة وذلك اخر من يخرج من النار كما
ورد في الخبر وكذلك الهالكون الايسون عن رحمة الله تعالى تتفاوت درجاتهم وهذه الدرجات
بحسب اختلاف الطاعات والمعاصي فلنذكر كيفية توزعها عليها اما الرتبة الاولى وهي
الهلاك ونعني بالهالكين الايسين من رحمة الله اذ الذي قتله الملك في المثال الذي ضربناه ايس

من رضا الملك واكرامه فلا تغفل عن معاني المثال وهذه الدرجة لا تكون الا للجاحدين المعرضين
المتجردين للدنيا المكذبين بالله ورسله وكتبه فان السعادة الاخروية في القرب من الله والنظر الى
وجهه وذلك لا ينال اصلا الا بالمعرفة التي يعبر عنها بالايمان والتصديق والجاحدون المنكرون
المكذبون هم الايسون عن رحمة الله ابد الاباد وهم الذين يكذبون برب العالمين وبانبيائه
المرسلين وهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون لا محالة وكل محجوب عن محبوبه فمحول بينه وبين ما يشتهيه فهو لا
محالة يكون محترقا مع نار جهنم بنار الفراق ولذلك قال العارفون ليس خوفنا من نار جهنم ولا
رجاؤنا الحور العين انما مطلبنا اللقا ومهربنا من الحجاب فقط وقالوا من يعبد الله بعوض
فهو لئيم اذ يعبده لطلب جنته او لخوف ناره بل العارف يعبده لذاته ولا يطلب الا ذاته
فقط فاما الحور والفواكه فقد لا يشتهيها واما النار فقد لا يتقيها اذ نار الفراق نار الله
الموقدة التي تطلع على الافئدة ونار جهنم لا شغل لها الا مع الاجسام والم الاجسام يستحقر مع الم
الفواد ولذلك قيل شعر وفي فواد المحب نار هوى احر نار الجحيم ابردها ولا ينبغي ان
ينكر هذا من عالم الاخرة اذ له نظير مشاهد في عالم الدنيا فقد رؤي من غلب عليه الوجد يعدو على
النار وعلى اصول القصب الجارحة للقدم وهو لا يحس به لفرط غلبة ما في قلبه وترى الغضبان
يستولي عليه الغضب في القتال فيصيبه جراحات وهو لا يشعر بها في الحال لان الغضب نار في القلب
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الغضب قطعة من النار واحتراق الفواد اشد من احتراق
الاجساد والاشد يبطل الاحساس بالاضعف كما تراه فليس الهلاك من النار والسيف الا من حيث انه
يفرق بين جزءين يرتبط احدهما بالاخر برابطة التاليف الممكن في الاجسام فالذي يفرق بين القلب
وبين محبوبه المرتبط به برابطة تاليف اشد احكاما من تاليف الاجسام فهو اشد ايلاما ان كنت
من ارباب البصاير وارباب القلوب ولا يبعد ان لا يدرك من لا قلب له شدة هذا الالم ويستحقره
بالاضافة الى الم الجسم فالصبي لو خير بين الم الحرمان عن الكرة والصولجان وبين الم الحرمان عن رتبة
السلطان لم يحس بالم الحرمان عن رتبة السلطان اصلا ولم يعد ذلك الما وقال العدو في الميدان
مع الصولجان احب الي من سرير الف سلطان مع الجلوس عليه بل من يغلبه شهوة البطن لو خير
بين الهريسة والحلاوى وبين فعل جميل يقهر به الاعدا ويفرح به الاصدقا لاثر الهريسة والحلوا
وهذا كله لفقد المعنى الذي بوجوده يصير الجاه محبوبا ووجود المعنى الذي بوجوده يصير
الطعام لذيذا ولذلك لمن استرقته صفات البهايم والسباع ولم يظهر فيه الصفات الملكية
التي لا يناسبها ولا يلذها الا القرب من رب العالمين ولا يولمها الا البعد والحجاب وكما لا يكون الذوق
الا في اللسان والسمع الا في الاذان فلا تكون هذه الصفة الا في القلب فمن لا قلب له ليس له من هذا
الحس كمن لا سمع له ولا بصر له لذة الالحان وحسن الصور والالوان وليس لكل انسان قلب ولو كان لما صح
قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب فجعل من لم ينتفع بالقران مفلسا من القلب ولست
اعني بالقلب هذا اللحم الذي يكتنفه عظام الصدر بل اعني به السر الذي هو من عالم الامر وهذا اللحم الذي
هو من عالم الخلق عرشه والصدر كرسيه وساير الاعضا عالمه ومملكته ولله الخلق والامر جميعا
ولكن ذلك السر الذي قال الله تعالى فيه قل الروح من امر ربي هو الملك والامير لان بين عالم الامر
وبين عالم الخلق ترتيبا وعالم الامر امير على عالم الخلق وهي اللطيفة التي اذا اصلحت صلح لها ساير الجسد

ومن عرفها فقد عرف نفسه ومن عرف نفسه عرف ربه وعند ذلك تم العبد بادي روائع المعنى المطوي
تحت قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته وتنطوي بمعنى الرحمة الى الحاسدين على ظاهر لفظه والى
المتعسفين في طرق تاويله ولئن كانت رحمة الحاسد على اللفظ اكثر من رحمة المتعسف في التاويل
لان الرحمة على قدر المصيبة ومصيبة اولئك اكثر وان اشتركوا في مصيبة الحرمان عن حقيقة الامر
فالحقيقة فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم والحكمة يختص بها من يشاء ومن يؤت الحكمة
فقد اوتي خيرا كثيرا ولنعد الى الغرض فقد ارخينا الطول وطولنا النفس في امر هو اعلى من علوم المعاملة
التي نقصدها في هذا الكتاب فقد ظهر ان رتبة الهلاك ليست الا للجهال المكذبين وشهادة ذلك
من كتاب الله وسنة رسوله ولا يدخل تحت الحصر فلذلك لم نورده

الرتبة الثانية

رتبة المعذبين
وهذه رتبة من تحلى باصل الايمان ولكن قصر في الوفاء بمقتضاه فان راس الايمان هو التوحيد وهو ان لا يعبد
الا الله ومن اتبع هواه فقد اتخذ الهه هواه فهو موحد بلسانه لا بالحقيقة بل معنى قولك لا اله الا الله معنى قوله
تعالى قل الله ثم ذرهم وهو ان يذر بالكلية غير الله ومعنى قوله الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ولما كان
الصراط المستقيم الذي لا يكمل التوحيد الا بالاستقامة عليه ادق من الشعر واحد من السيف
مثل الصراط الموصوف في الآخرة فلا ينفك بشر عن ميل عن الاستقامة ولو في امر يسير اذ لا يخلو عن اتباع الهوى
ولو في فعل قليل وذلك قادح في كمال التوحيد بقدر ميله عن الصراط المستقيم فذلك يقتضي لا محالة
نقصانا في درجة القرب ومع كل نقصان ناران نار الفراق لذلك الكمال الفائت بالنقصان ونار جهنم كما وصفها
القرآن فيكون كل مائل عن الصراط المستقيم معذبا مرتين من وجهين ولكن شدة ذلك العذاب وخفته وتفاوته
بحسب طول المدة انما يكون بسببين احدهما قوة الايمان وضعفه والثاني كثرة اتباع الهوى وقلته
واذ لا يخلو بشر في غالب الامر عن واحد من الامرين قال الله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي
الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ولذلك قال الخائفون من السلف انما خوفنا لانا تيقنا انا على النار
واردون وشككنا في النجاة ولما روى الحسن الخبر الوارد في انه يخرج من النار بعد الف عام رجل ينادي يا حنان
يا منان قال الحسن يا ليتني كنت ذلك الرجل واعلم انه في الاخبار ما يدل على ان آخر من يخرج من النار بعد سبعة الاف
سنة وان الاختلاف في ذلك بين اللحظة وبين سبعة الاف سنة حتى يتجوز بعضهم على النار كبرق
خاطف ولا يكون له فيها لبث وبين اللحظة وسبعة الاف سنة درجات متفاوتة من اليوم والاسبوع و
الشهر وسائر المدد وان الاختلاف بالشدة لا نهاية لاعلاه وادناه التعذيب بالمناقشة في الحساب كما ان
الملك قد يعذب بعض المقصرين في الاعمال بالمناقشة في الحساب ثم يعفو وقد يضرب بالسياط وقد
يعذب بانواع اخر من العذاب ويتطرق الى العذاب اختلاف ثالث في غير المدة والشدة وهو اختلاف
الانواع اذ ليس من يعذب بمصادرة المال فقط كمن يعذب باخذ المال وقتل الولد واستباحة الحرم وتعذيب
الاقارب بالضرب وقطع اللسان واليد والانف والاذن وغيره فهذه الاختلافات ثابتة في عذاب
الآخرة دل عليها قواطع الشرع وهي بحسب اختلاف قوة الايمان وضعفه وكثرة الطاعات وقلتها وكثرة
السيئات وقلتها اما شدة العذاب فبشدة قبح السيئات وكثرتها واما كثرته فبكثرتها واما اختلاف
انواعه فباختلاف انواع السيئات وقد انكشف هذا لارباب القلوب مع شواهد القرآن بنور الايمان
وهو المعني بقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى وبقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل
مثقال ذرة شرا يره الى غير ذلك مما ورد في الكتاب والسنة من كون العقاب والثواب جزاء على الاعمال

مرتين ع

فكل ذلك بعدل لا ظلم فيه وجانب العفو والرحمة ارجح اذ قال تعالى فيما اخبر عنه نبينا صلى الله عليه
وسلم سبقت رحمتي غضبي وقال تعالى وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما فاذا هذه
الامور الكلية من ارتباط الدرجات والدركات بالحسنات والسيئات معلومة بقواطع الشرع ونور
المعرفة فاما التفصيل فلا يعرف الا ظنا ومستنده ظواهر الاخبار ونوع حدس يستمد من انوار الاستبصار
بعين الاعتبار فنقول كل من احكم اصل الايمان واجتنب جميع الكبائر واحسن جميع الفرائض اعني
الاركان الخمسة ولم يكن منه الا صغائر متفرقة لم يصر عليها فيشبه ان يكون عذابه المناقشة في
الحساب فقط فانه اذا حوسب رجحت حسناته على سيئاته اذ ورد في الاخبار ان الصلوات
الخمس والجمعة وصوم رمضان كفارة لما بينهن وكذلك اجتناب الكبائر بحكم نص القرآن مكفر للصغائر
واقل درجات التكفير ان يدفع العذاب ان لم يدفع الحساب وكل من هذا حاله فقد ثقلت موازينه
فينبغي ان يكون بعد ظهور الرجحان في الميزان وبعد الفراغ من الحساب في عيشة راضية نعم
التحاقه باصحاب اليمين او بالمقربين ونزوله في جنات عدن او في الفردوس الاعلى فذلك يتبع اصناف
الايمان لان الايمان ايمانان تقليدي كايمان العوام يصدقون بما يسمعون ويستمرون عليه وايمان كشفي
يحصل بانشراح الصدر بنور الله تعالى حتى ينكشف فيه الوجود كله على ما هو عليه فيتضح ان الكل الى الله
مرجعه ومصيره اذ ليس في الوجود الا الله وصفاته وافعاله فهذا الصنف هم المقربون النازلون
في الفردوس الاعلى وهم على غاية القرب من الملأ الاعلى وهم ايضا على اصناف فمنهم السابقون ومنهم
من دونهم وتفاوتهم بحسب تفاوت معرفتهم بالله تعالى ودرجات العارفين في المعرفة لا تنحصر اذ
الاحاطة بكنه جلال الله غير ممكن وبحر المعرفة ليس له ساحل وعمق وانما يغوص فيه الغائصون بقدر قواهم
وبقدر ما سبق لهم من الله في الازل فالطريق الى الله لا نهاية لمنازله فالسالكون سبيل الله لا نهاية
لدرجاتهم واما المؤمن ايمانا تقليديا فهو من اصحاب اليمين ودرجته دون درجة المقربين وهم
ايضا على درجات فالاعلى من درجات اصحاب اليمين تقارب رتبته رتبة الادنى من درجات المقربين
هذا حال من اجتنب كل الكبائر وادى الفرائض كلها اعني الاركان الخمسة التي هي النطق بكلمة الشهادة
باللسان والصلاة والصوم والحج فاما من ارتكب كبيرة او كبائر واهمل بعض اركان الاسلام فان تاب توبة
نصوحا قبل قرب الاجل كان كمن لم يرتكب لان التائب من الذنب كمن لا ذنب له والثوب المغسول كالذي لم يتسخ
اصلا وان مات قبل التوبة فهذا امر مخطر عند الموت اذ ربما يكون موته على الاصرار سببا لتزلزل ايمانه
فيختم له بسوء الخاتمة لا سيما اذا كان ايمانه تقليديا فان التقليد وان كان جزما فهو قابل للانحلال بادنى شك
وخيال والعارف البصير ابعد عن ان يخاف عليه سوء الخاتمة وكلاهما ان ماتا على الايمان يعذبان
الا ان يعفو الله عنهما بعذاب يزيد على عذاب المناقشة في الحساب وتكون كثرة العقاب من حيث المدة بحسب
كثرة مدة الاصرار ومن حيث الشدة بحسب قبح الكبائر ومن حيث اختلاف النوع بحسب اختلاف السيئات
وعند انقضاء مدة العقاب ينزل البله المقلدون في درجات اصحاب اليمين والعارفون المستبصرون
في اعلى عليين وفي الخبر ان آخر من يخرج من النار يعطى مثل الدنيا كلها عشر مرات اضعاف ولا يظنن ان المراد به تقديره
بالمساحة لاطراف الاجسام بان يعطى بلادا فرسخ في فرسخ او عشرة فان هذا جهل بطريق ضرب الامثال بل هذا
مثل قول القائل اخذ منه جملا واعطاه عشرة امثاله وكان الجمل يساوي عشرة دنانير فاعطاه مائة دينار
فان لم تفهم من المثل الا المثل في الوزن والثقل فلا يكون مائة دينار لو وضعت في كفة الميزان

والجمل في الكفة الاخرى عشر عشيره بل هو موازنة معاني الاجسام وارواحها دون اشخاصها وهياكلها
فان الجمل لا يقصد لثقله وطوله وعرضه ومساحته بل لماليته فروحه المالية وجسمه اللحم والدم ومائة
دينار عشرة امثاله بالموازنة الروحانية لا بالموازنة الجسمانية وهذا صادق عند من يعرف روح المالية من
الذهب والابل بل لو كان صادقا ولكن لا يدرك صدقه الا الجوهري فان روح الجوهرة لا يدرك بمجرد البصر
بل بفطنة اخرى وراء البصر فلذلك يكذب الصبي بل القروي والبدوي ويقول ما هذه الجوهرة الا
حجر وزنه مثقال ووزن الجمل الف الف مثقال فقد كذب في قوله اني اعطيته عشرة امثاله والكاذب
بالتحقيق هو الصبي ولكن لا سبيل الى تحقيق ذلك عنده الا بان ينتظر به البلوغ والكمال وان يحصل في قلبه
النور الذي به تدرك ارواح الجواهر وسائر الاموال فعند ذلك ينكشف له الصدق والعارف عاجز
عن تفهيم المقلد القاصر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الموازنة اذ يقول الجنة والسموات
كالورق والاحجار والسموات من الدنيا فكيف تكون عشر امثال الدنيا في الدنيا وهذا كما يعجز البالغ عن تفهيم
الصبي تلك الموازنة وكذلك تفهيم البدوي وكما ان الجوهري مرحوم اذ ابتلي بالبدوي والقروي في تفهيم
تلك الموازنة فالعارف مرحوم اذ ابتلي بالبليد الابله في تفهيم هذه الموازنة ولذلك قال صلى الله
عليه وسلم ارحموا ثلاثة عالما بين الجهال وغني قوم افتقر وعزيز قوم ذل والانبياء مرحومون بين الامة بهذا السبب
وما قاسوه من قصور عقول الامة فتنة لهم وامتحانا وابتلاء من الله تعالى والبلاء موكل بهم بسبق [illegible]
الازلي وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم البلاء موكل بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل ولا تظنن ان البلاء بلاء
ايوب عليه السلام وهو الذي يرى بالبدن فان بلاء نوح عليه السلام ايضا من البلاء العظيم اذ بلي بقوم
لا يزيدهم دعاؤه الى الله الا فرارا ولذلك لما اوذي رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلام بعض الناس قال رحم الله
اخي موسى لقد اوذي باكثر من هذا فصبر فاذا لا يخلو الانبياء عن الابتلاء بالجاحدين ولا يخلو الاولياء والعلماء
عن الابتلاء بالجاهلين ولذلك قلما ينفك الاولياء عن ضروب من الايذاء وانواع من البلاء بالاخراج من البلاد و
السعاية بهم الى السلاطين والشهادة عليهم بالكفر والخروج عن الدين وواجب ان يكون اهل المعرفة عند
اهل الجهل من الكافرين كما يجب ان يكون الغواص عن جمل كبير بجوهرة صغيرة عند الجاهلين من المبذرين المضيعين
فاذا عرفت هذه الدقائق فآمن بقوله صلى الله عليه وسلم انه يعطى آخر من يخرج من النار مثل الدنيا عشر مرات و
اياك ان يقتصر تصديقك على ما يدركه البصر والحواس فقط فتكون حمارا برجلين لان الحمار يشاركك في الحواس
الخمس وانما انت مفارق للحمار بسر الهي عرض على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنه واشفقن منه فادرك
ما يخرج عن عالم الحواس الخمس لا تصادفه الا في عالم ذلك السر الذي به فارقت الحمار وسائر البهائم فمن اهمل عن
ذلك وعطله واهمله وقنع بدرجة البهائم ولم يجاوز المحسوسات فهو الذي اهلك نفسه بتعطيلها
ونسيها بالاعراض عنها ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم فكل من لم يعرف الا المدرك بالحواس
فقد نسي الله اذ ليس ذات الله مدركا في هذا العالم بالحواس الخمس وكل من نسي الله انساه الله لا محالة نفسه ونزل
الى رتبة البهائم وترك الترقي الى افق الملأ الاعلى وخان في الامانة التي اودعه الله تعالى وانعم بها عليه فكان كافرا
لنعمته ومتعرضا لنقمته الا انه اسوأ حالا من البهيمة فان البهيمة تتخلص بالموت واما هذا فعنده امانة سترجع
لا محالة الى مودعها فاليه مرجع الامانة ومصيرها وتلك الامانة كالشمس الزاهرة وانما هبطت الى هذا
القالب الفاني وغربت فيه وستطلع هذه الشمس عند خراب القالب من مغربها وتعود الى خالقها وبارئها
اما مظلمة منكسفة واما زاهرة مشرقة والزاهرة غير محجوبة عن حضرة الربوبية والمظلمة ايضا راجعة الى

اعطاه جوهرة وزنها مثقال وقيمتها مائة دينار وقال اعطيته عشرة امثاله خ

الحضرة اذ المرجع والمصير للكل اليه الا انها ناكسة رأسها عن جهة اعلى عليين الى جهة اسفل السافلين ولذلك
قال تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم فبين انهم عند ربهم الا انهم منكوسون
قد انقلبت وجوههم الى اقفيتهم وانتكست رؤوسهم عن جهة فوق الى جهة اسفل وذلك حكم الله تعالى
بمن حرمه توفيقه ولم يهده طريقه فنعوذ بالله من الضلال والنزول الى منازل الجهال فهذا حكم انقسام من يخرج
من النار ويعطى مثل عشرة امثال الدنيا او اكثر ولا يخرج من النار الا موحد ولست اعني بالتوحيد ان يقول بلسانه
لا اله الا الله فان اللسان من عالم الملك والشهادة فلا ينفع الا في عالم الملك فيدفع السيف عن رقبته وايدي الغزاة
عن ماله ومدة الرقبة والمال مدة الحياة فحيث لا يبقى رقبة ولا مال لا ينفع اللسان وانما ينفع الصدق في
التوحيد وكمال التوحيد ان لا يرى الامور كلها الا من الله وعلامته ان لا يغضب على احد من الخلق بما يجري عليه اذ
لا يرى الوسائط وانما يرى مسبب الاسباب كما سياتي تحقيقه في التوكل وهذا التوحيد متفاوت فمن الناس
من له من التوحيد مثل الجبال ومنهم من له مثقال ومنهم من له مقدار خردلة وذرة فمن في قلبه مثقال دينار
فهو اول من يخرج من النار وفي الخبر يقال اخرجوا من النار من في قلبه مثقال ذرة من ايمان وما بين المثقال والذرة
يخرجون على تفاوت درجاتهم يخرجون بين طبقة المثقال وبين طبقة الذرة والموازنة بالمثقال والذرة على سبيل
ضرب المثل كما ذكرناه من الموازنة بين اعيان الاموال وبين النقود واكثر ما يدخل الموحدين النار مظالم العباد
فديوان العباد هو الديوان الذي لا يترك فاما بقية السيئات فيتسارع العفو والتكفير اليها ففي الخبر ان العبد
ليوقف بين يدي الله عز وجل وله من الحسنات امثال الجبال الراسية لو سلمت له لكان من اهل الجنة فيقوم اصحاب المظالم
فيكون قد سب هذا واخذ مال هذا وضرب هذا فيقتص من حسناته حتى لا يبقى له حسنة فتقول الملائكة
ربنا قد فنيت حسناته وبقي طالبون كثير فيقال القوا من سيئاتهم على سيئاته وصكوا له صكا الى النار وكما
يهلك هو بسبب غيره بطريق القصاص فكذلك ينجو المظلوم بحسنة الظالم اذ تنقل اليه عوضا عما ظلم وقد
حكي عن ابن الجلاء ان بعض اخوانه اغتابه ثم ارسل اليه يستحله فقال لا افعل ليس في صحيفتي حسنة افضل منها
فكيف امحوها وقال غيره ذنوب اخواني من حسناتي اريد ان ازين بها صحيفتي فهذا ما اردنا ان نذكره من
اختلاف العباد والعارفين في درجات السعادة والشقاوة وكل ذلك حكم بظاهر الاسباب يضاهي حكم الطبيب
على مريض انه يموت لا محالة ولا يقبل العلاج وعلى مريض آخر بان عارضه خفيف وعلاجه هين فان ذلك ظن
يصيب في اكثر الاحوال ولكن قد يخطئ فقد ينتهي الى المريض الهلاك نفسه من حيث لا يشعر الطبيب وقد يبرأ
ذو العارض الخفيف اجله من حيث لا يطلع عليه وذلك لاسرار الله تعالى الخفية في ارواح الاحياء وغموض الاسباب
التي رتبها مسبب الاسباب بتقدير معلوم اذ ليس في قوة البشر الوقوف على كنهها فكذلك النجاة والفوز في الآخرة
لها اسباب خفية ليس في قوة البشر الاطلاع عليها يعبر عن ذلك السبب الخفي المفضي الى النجاة بالعفو و
الرضا وعما يفضي الى الهلاك بالغضب والانتقام ووراء ذلك سر المشيئة الازلية التي لا يطلع الخلق
عليها فلذلك يجب علينا ان نجوز العفو عن العاصي وان كثرت سيئاته الظاهرة وان الاعتماد على التقوى فان التقوى
في القلب وهو اغمض من ان يطلع عليه صاحبه فكيف غيره ولكن قد انكشف لارباب القلوب انه لا يعفو عن
عبد الا بسبب خفي فيه يقتضي العفو ولا يغضب الا بسبب باطن يقتضي البعد من الله ولولا ذلك لم يكن العفو و
الغضب جزاء على الاعمال والاوصاف ولو لم يكن جزاء لم يكن عدلا ولو لم يكن عدلا لم يصح قوله تعالى وما ربك بظلام
للعبيد ولا قوله ان الله لا يظلم مثقال ذرة وكل ذلك صحيح فليس للانسان الا ما سعى وسعيه هو الذي يرى وكل
نفس بما كسبت رهينة ولما زاغوا ازاغ الله قلوبهم ولما غيروا ما بانفسهم غير الله ما بهم تحقيقا لقوله تعالى ان الله

لا يفي ما يقوم حتى يحققوا ما بأنفسهم وهذا كله قد انكشف لأرباب القلوب انكشافا أوضح من المشاهدة
بالبصر إذ البصر يمكن الغلط فيه إذ قد يرى البعيد قريبا والكبير صغيرا ومشاهدة القلب لا يمكن الغلط
فيها وإنما الشأن في انفتاح بصيرة القلب وإلا فما يرى بعد الانفتاح فلا يتصور فيه الكذب وإليه الإشارة
بقوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى **الرتبة الثالثة** رتبة الناجين وأعني بالنجاة السلامة فقط
دون السعادة والفوز وهم قوم لم يخدموا فيخلع عليهم ولم يقصروا فيعذبوا ويشبه أن يكون هذا حال
المجانين والصبيان من الكفار والمعتوهين والذين لم تبلغهم الدعوة في أطراف البلاد وعاشوا على البله وعدم
المعرفة فلم يكن لهم معرفة ولا جحود ولا طاعة ولا معصية فلا وسيلة تقربهم ولا جناية تبعدهم فما هم من
أهل الجنة ولا من أهل النار بل ينزلون في منزلة بين المنزلتين ومقام بين المقامين عبر الشرع عنه بالأعراف
وحلول طائفة من الخلق فيه معلوم يقينا من الآيات والأخبار ومن أنوار الاعتبار فأما الحكم على التعيين
كالحكم مثلا بأن الصبيان منهم فهذا مظنون وليس بمستيقن والاطلاع عليه تحقيقا في عالم النبوة و
يبعد أن يرقى إليه رتبة الأولياء والعلماء والأخبار في حق الصبيان أيضا متعارضة حتى قالت عائشة رضي الله
عنها لما مات بعض الصبيان طوبى له عصفور من عصافير الجنة فأنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك
وقال ما يدريك فإذا الإشكال غالب والاشتباه في هذا المقام أغلب **الرتبة الرابعة** الفائزين وهم
العارفون دون المقلدين وهم المقربون السابقون فإن المقلد وإن كان له فوز على الجملة بمقام في الجنة فهو من
أصحاب اليمين وهؤلاء هم المقربون وما يلقى هؤلاء يجاوز حد البيان والقدر الممكن ذكره ما فصله القرآن فليس بعد
بيان الله بيان والذي لا يمكن التعبير عنه في هذا العالم فهو الذي أجمله قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم
من قرة أعين وقوله أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والعارفون
مطلبهم تلك الحالة التي لا يتصور أن تخطر على قلب بشر في هذا العالم وأما الحور والقصور والفواكه واللبن والعسل
والخمر والحلي والأساور فإنهم لا يحرصون عليها ولو أعطوها لم يقنعوا بها ولا يطلبون إلا لذة النظر إلى وجه الله الكريم
فهي غاية السعادات ونهاية اللذات ولذلك قيل لرابعة العدوية كيف رغبتك في الجنة فقالت الجار ثم
الدار فهؤلاء قوم شغلهم حب رب الدار عن الدار وزينتها بل عن كل شيء سواه حتى عن النفس ومثالهم مثال العاشق
المستهتر بمعشوقه المستوفي همه بالنظر إلى وجهه والفكر فيه فإنه في حال الاستغراق غافل عن نفسه ولا يحس
بما يصيبه في بدنه ويعبر عن هذه الحالة بأنه فني عن نفسه ومعناه أنه صار مستغرقا بغيره وصارت همومه
هما واحدا وهو محبوبه ولم يبق فيه متسع لغير محبوبه حتى يلتفت إليه لا نفسه ولا غير نفسه وهذه الحالة
هي التي تتصل في الآخرة إلى قرة عين لا يتصور أن تخطر في هذا العالم على قلب بشر كما لا يتصور أن تخطر صورة
الألوان والألحان على قلب الأصم والأكمه إلى أن يرفع الحجاب عن سمعه وبصره فعند ذلك يدرك حاله ويعلم قطعا
أنه لم يتصور أن يخطر بباله قبل ذلك صورته فالدنيا حجاب على التحقيق ورفعه ينكشف الغطاء فعند ذلك يدرك
دون الحياة الطيبة وأن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون فهذا القدر كاف في بيان تفاوت الدرجات
على الحسنات **بيان ما تعظم به الصغائر من الذنوب** اعلم أن الصغيرة تكبر بأسباب منها الإصرار
والمواظبة ولذلك قيل لا صغيرة مع إصرار ولا كبيرة مع استغفار فكبيرة واحدة تنصرم ولا يتبعها مثلها
لو تصور ذلك كان العفو عنها أرجى من صغيرة يواظب العبد عليها ومثال ذلك قطرات من الماء تقع على الحجر
على توال فتؤثر فيه وذلك القدر من الماء لو صب عليه دفعة لم يؤثر ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم خير الأعمال أدومها وإن قل والأشياء تستبان بأضدادها فإن كان النافع من العمل هو الدائم وإن قل

فالكثير المنصرم قليل النفع في تنوير القلب وتطهيره فكذلك القليل من السيئات إذا دام عظم تأثيره في
إظلام القلب إلا أن الكبيرة قلما يتصور الهجوم عليها بغتة من غير سوابق ولواحق من جملة الصغائر فقلما
يزني الزاني بغتة من غير مراودة ومقدمات وقلما يقتل بغتة من غير مشاحنة سابقة ومعاداة فكل كبيرة
تكتنفها صغائر سابقة ولاحقة ولو تصورت كبيرة وحدها بغتة ولم يتفق إليها عود ربما كان العفو فيها
أرجى من صغيرة واظب الإنسان عليها عمره ومنها أن يستصغر الذنب فإن الذنب كلما استعظمه العبد من
نفسه صغر عند الله وكلما استصغره كبر عند الله لأن استعظامه يصدر عن نفور القلب عنه وكراهته
له وذلك النفور يمنع من شدة تأثره به واستصغاره يصدر عن الألف به وذلك يوجب شدة الأثر
في القلب والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات والمحذور تسويده بالسيئات ولذلك لا يؤاخذ بما
يجري عليه في الغفلة فإن القلب لا يتأثر بما يجري في الغفلة وقد جاء في الخبر المؤمن يرى ذنبه كالجبل
فوقه يخاف أن يقع عليه والمنافق يرى ذنبه كذباب مر على أنفه فأطاره وقال بعضهم الذنب الذي
لا يغفر قول العبد ليت كل شيء عملته مثل هذا وإنما يعظم الذنب في قلب المؤمن لعلمه بجلال الله فإذا نظر إلى
عظم من عصى به رأى الصغيرة كبيرة وقد أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه لا تنظر إلى قلة الهدية وانظر
إلى عظم مهديها ولا تنظر إلى صغر الخطيئة وانظر إلى كبرياء من واجهته بها وبهذا الاعتبار قال بعض العارفين
لا صغيرة بل كل مخالفة فهي كبيرة وكذلك قال بعض الصحابة للتابعين إنكم لتعملون أعمالا هي أدق في أعينكم من
الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات إذ كانت معرفة الصحابة بجلال الله أتم
فكانت الصغائر عندهم بالإضافة إلى جلال الله كبائر وبهذا السبب يعظم من العالم ما لا يعظم من الجاهل
ويتجاوز عن العامي في أمور لا يتجاوز في أمثالها عن العارف لأن الذنب والمخالفة يكبر بقدر معرفة المخالف **ومنها**
السرور بالصغيرة والفرح والتبجح بها واعتداد التمكن من ذلك نعمة والغفلة عن كونه سبب الشقاوة فكلما غلبت
حلاوة الصغيرة عند العبد كبرت الصغيرة وعظم أثرها في تسويد قلبه حتى إن من المذنبين من يتمدح بذنبه
ويتبجح به لشدة فرحه بمقارفته إياه كما يقول أما رأيتني كيف مزقت عرضه ويقول المناظر في مناظرته أما رأيتني كيف
فضحته وكيف ذكرت مساويه حتى خجلته وكيف استخففت به وكيف لبست عليه ويقول المعامل في التجارة أما
رأيت كيف روجت عليه الزائف وكيف خدعته وكيف غبنته وكيف استحمقته فهذا وأمثاله تكبر به الصغائر
فإن الذنوب مهلكات وإذا دفع العبد إليها وظفر الشيطان به في الحمل عليها فينبغي أن يكون في مصيبة وتأسف
بسبب غلبة العدو عليه وبسبب بعده من الله تعالى فالمريض الذي يفرح بأن ينكسر إناؤه الذي فيه دواؤه
حتى يتخلص من ألم شربه لا يرجى شفاؤه **ومنها** أن يتهاون بستر الله عليه وحلمه عنه وإمهاله إياه ولا يدري
أنه إنما يمهل مقتا ليزداد بالإمهال إثما فيظن أن تمكنه من المعاصي عناية من الله تعالى به فيكون ذلك لأمنه من
مكر الله وجهله بمكامن الغرور بالله كما قال تعالى ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم
يصلونها فبئس المصير **ومنها** أن يأتي الذنب ويظهره بأن يذكره بعد إتيانه أو يأتيه في مشهد غيره فإن ذلك
منه جناية على ستر الله الذي أسدله عليه وتحريك لرغبة الشر فيمن أسمعه ذنبه أو أشهده فعله فهما
جنايتان انضمتا إلى جنايته فتغلظت بهما فإن انضاف إلى ذلك الترغيب للغير فيه والحمل عليه وتهيئة الأسباب
له صارت جناية رابعة وتفاحش الأمر وفي الخبر كل الناس معافى إلا المجاهرين يبيت أحدهم على ذنب قد ستره
الله عليه فيصبح فيكشف ستر الله ويتحدث بذنبه وهذا لأن من صفات الله ونعمه أنه يظهر الجميل ويستر
القبيح ولا يهتك الستر فالإظهار كفران لهذه النعمة وقال بعضهم لا تذنب فإن كان ولا بد فلا ترغب غيرك

فيه فقد بئس ذنبين ولذلك قال تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف وقال بعض السلف ما انتهك المرء من أخيه حرمة أعظم من أن يساعده على معصيته ثم يهونها عليه **ومنها** أن يكون المذنب عالما يقتدى به فإذا فعله بحيث يرى ذلك منه كبر ذنبه كلبس العالم الإبريسم وركوبه مراكب الذهب وأخذه مال الشبهة من أموال السلاطين ودخوله على السلاطين وتردده إليهم ومساعدته إياهم بترك الإنكار عليهم وإطلاقه اللسان في الأعراض وتعديه باللسان في المناظرة وقصده الاستخفاف واشتغاله من العلوم بما لا يقصد منه إلا الجاه كعلم الجدل والمناظرة فهذه ذنوب يتبع العالم عليها فيموت العالم ويبقى شره مستطيرا في العالم آمادا متطاولة فطوبى لمن إذا مات ماتت معه ذنوبه وفي الخبر من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيء قال تعالى ونكتب ما قدموا وآثارهم والآثار ما يلحق من الأعمال بعد انقضاء العمل والعامل وقال ابن عباس رضي الله عنهما ويل للعالم من الأتباع يزل زلة فيرجع عنها ويحملها الناس فيذهبون في الآفاق وقال بعضهم مثل زلة العالم مثل انكسار السفينة تغرق ويغرق أهلها وفي الإسرائيليات أن عالما كان يضل الناس بالبدعة ثم أدركته توبة فعمل في الإصلاح دهرا فأوحى الله تعالى إلى نبيهم قل له إن ذنبك لو كان فيما بيني وبينك لغفرته لك ولكن كيف بمن أضللت من عبادي فأدخلتهم النار فبهذا يتضح أن أمر العلماء مخطر فعليهم وظيفتان إحداهما ترك الذنب والأخرى إخفاؤه وكما تتضاعف أوزارهم على الذنوب فكذلك يتضاعف ثوابهم على الحسنات إذا اتبعوا فإذا ترك التجمل والميل إلى الدنيا وقنع منها باليسير ومن الطعام بالقوت ومن الكسوة بالخلق فيتبع عليه ويقتدي به العلماء والعوام ويكون له مثل ثوابهم وإن مال إلى التجمل مالت طباع من دونه إلى التشبه به ولا يقدرون على التجمل إلا بخدمة السلاطين وجمع الحطام من الحرام ويكون هو السبب في جميع ذلك فحركات العلماء في طوري الزيادة والنقصان تتضاعف آثارها إما بالربح وإما بالخسران وهذا القدر كاف في تفاصيل الذنوب التي التوبة توبة عنها

الركن الثالث في تمام التوبة وشروطها ودوامها إلى آخر العمر

قد ذكرنا أن التوبة عبارة عن ندم يورث عزما وقصدا وذلك الندم أورثه العلم بكون المعاصي حائلا بينه وبين محبوبه ولكل واحد من العلم والندم والعزم دوام وتمام ولتمامها علامة ولدوامها شرط فلا بد من بيانها أما العلم فالنظر فيه نظر في سبب التوبة وسيأتي وأما الندم فهو توجع القلب عند شعوره بفوات المحبوب وعلامته طول الحسرة والحزن وانسكاب الدمع وطول البكاء فمن استشعر عقوبة نازلة بولده أو ببعض أعزته طال عليه مصيبته وبكاؤه وأي عزيز أعز عليه من نفسه وأي عقوبة أشد من النار وأي شيء أدل على نزول العقوبة من المعاصي وأي مخبر أصدق من الله ورسوله ولو حدثه إنسان واحد يسمى طبيبا أن مرض ولده المريض لا يبرأ وأنه سيموت منه لطال في الحال حزنه فليس ولده أعز من نفسه ولا الطبيب بأعلم ولا أصدق من الله عز وجل ورسوله ولا الموت بأشد من النار ولا المرض بأدل على الموت من المعاصي على سخط الله والتعرض بها للنار فألم الندم كلما كان أشد كان تكفير الذنوب به أرجى فعلامة صحة الندم رقة القلب وغزارة الدمع وفي الخبر جالسوا التوابين فإنهم أرق أفئدة ومن علامته أن تتمكن مرارة تلك الذنوب في قلبه بدلا عن حلاوتها فيستبدل بالميل كراهية وبالرغبة نفرة وفي الإسرائيليات أن الله تعالى قال لبعض أنبيائه وقد سأله قبول توبة عبد بعد أن اجتهد سنين في العبادة ولم ير قبول توبته فقال وعزتي وجلالي لو شفع فيه أهل السموات والأرض ما قبلت توبته وحلاوة ذلك الذنب الذي تاب منه في قلبه **فإن قلت** فالذنوب هي أعمال مشتهاة بالطبع فكيف يجد لها مرارة فأقول من تناول عسلا كان فيه سم ولم يدرك بالذوق واستلذه ثم مرض وطال مرضه وألمه وتناثر شعره وفلجت أعضاؤه فإذا قدم إليه عسل فيه مثل ذلك السم وهو في غاية الجوع والشهوة للحلاوة فهل

ينزع نفسه عن ذلك العسل أم لا فإن قلت لا فهو جحد للمشاهدة والضرورة بل ربما تنفر عن العسل الذي ليس فيه سم أيضا لشبهه به فوجدان التائب مرارة الذنب كذلك يكون وذلك لعلمه بأن كل ذنب فذوقه ذوق العسل وعمله عمل السم ولا تصح التوبة ولا تصدق إلا بمثل هذا الإيمان ولما عز مثل هذا الإيمان عزت التوبة والتائبون فلا ترى إلا معرضا عن الله تعالى متهاونا بالذنوب مصرا عليها فهذا شرط تمام الندم وينبغي أن يدوم إلى الموت وينبغي أن يجد هذه المرارة في جميع الذنوب وإن لم يكن قد ارتكبها من قبل كما يجد متناول السم في العسل النفرة من الماء البارد مهما علم أن فيه مثل ذلك السم إذ لم يكن ضرره من العسل بل مما فيه ولم يكن ضرر التائب من سرقته وزناه من حيث إنه سرقة وزنا بل من حيث إنه مخالفة أمر الله تعالى وذلك جار في كل ذنب وأما القصد الذي ينبعث منه وهو إرادة التدارك فله تعلق بالحال وهو يوجب ترك كل محظور هو ملابس له وأداء كل فرض هو متوجه عليه في الحال وله تعلق بالماضي وهو تدارك ما فرط وبالمستقبل وهو دوام الطاعة ودوام ترك المعصية إلى الموت وشرط صحتها فيما يتعلق بالماضي أن يرد فكره إلى أول يوم بلغ فيه بالسن أو الاحتلام ويفتش عما مضى من عمره سنة سنة وشهرا شهرا ويوما يوما ونفسا نفسا وينظر إلى الطاعات ما الذي قصر فيه منها وإلى المعاصي ما الذي قارفه منها فإن كان قد ترك صلاة أو صلاها مع ثوب نجس أو صلاها بنية غير صحيحة لجهله بشرط النية فيقضيها عن آخرها فإن شك في عدد ما فاته منها حسب من مدة بلوغه وترك القدر الذي يستيقن أنه أداه ويقضي الباقي وله أن يأخذ فيه بغالب الظن ويصل إليه على سبيل التحري والاجتهاد وأما الصوم فإن كان قد تركه في سفر ولم يقضه أو أفطر عمدا أو نسي النية بالليل ولم يقض فيتعرف مجموع ذلك بالتحري والاجتهاد ويشتغل بقضائه وأما الزكاة فيحسب جميع ماله وعدد السنين من أول ملكه لا من زمان البلوغ فإن الزكاة واجبة في مال الصبي فيؤدي ما علم بغالب الظن أنه في ذمته وإن أداه لا على وجه يوافق مذهبه بأن لم يصرف إلى الأصناف الثمانية أو أخرج البدل وهو على مذهب الشافعي رحمه الله فيقضي جميع ذلك فإن ذلك لا يجزيه أصلا وحساب الزكاة ومعرفة ذلك مما يطول ويحتاج فيه إلى تأمل شاف ويلزمه أن يسأل عن كيفية الخروج عنه العلماء وأما الحج فإن كان قد استطاع في بعض السنين ولم يتفق له خروج والآن قد أفلس فعليه الخروج فإن لم يقدر مع الإفلاس فعليه أن يكتسب من الحلال قدر الزاد فإن لم يكن له كسب ولا مال فعليه أن يسأل الناس ليصرفوا إليه من الزكوات والصدقات ما يحج به فإنه إن مات قبل الحج مات عاصيا قال عليه السلام من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا والعجز الطارئ بعد القدرة لا يسقط عنه الحج فهذا طريق تفتيشه عن الطاعات وتداركها وأما المعاصي فينبغي أن يفتش من أول بلوغه عن سمعه وبصره ولسانه وبطنه ويده ورجله وفرجه وسائر جوارحه ثم ينظر في جميع أيامه وساعاته ويفصل عند نفسه ديوان معاصيه حتى يطلع على جميعها صغائرها وكبائرها ثم ينظر فيها فما كان من ذلك بينه وبين الله من حيث لا يتعلق بمظلمة العباد كنظر إلى غير محرم وقعود في المسجد مع الجنابة ومس مصحف بغير وضوء واعتقاد بدعة وشرب خمر وسماع ملاهي وغير ذلك مما لا يتعلق بمظالم العباد فالتوبة عنه بالندم والتحسر عليها وبأن يحسب مقدارها من حيث الكثرة ومن حيث المدة ويطلب لكل معصية منها حسنة تناسبها فيأتي من الحسنات بمقدار تلك السيئات أخذا من قوله صلى الله عليه وسلم اتق الله حيث كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها بل من قوله تعالى إن الحسنات يذهبن السيئات فيكفر سماع الملاهي بسماع القرآن وبمجالس الذكر ويكفر القعود في المسجد جنبا بالاعتكاف فيه مع الاشتغال بالعبادة ويكفر مس المصحف محدثا بإكرام المصحف وكثرة قراءة القرآن منه وكثرة تقبيله

وبأن يكتب مصحفاً ويجعله وقفاً ويكفر شرب الخمر بالتصدق بكل شراب حلال هو أطيب وأحب إليه وعد جميع
المعاصي غير ممكن وإنما المقصود سلوك طريق المضادة فإن المرض يعالج بضده فكل ظلمة ارتفعت إلى القلب
بمعصية فلا يمحوها إلا نور يرتفع إليها بحسنة تضادها والمتضادات هي المتناسبات فلذلك ينبغي
أن يمحو كل سيئة بحسنة من جنسها لكن تضادها فإن البياض يزال بالسواد لا بالحرارة والبرودة وهذا
التدريج والتحقيق من التلطف في طريق المحو فالرجاء فيه أصدق والثقة به أكثر من أن يواظب على نوع واحد
من العبادات وإن كان ذلك أيضاً مؤثراً في المحو فهذا حكم ما بينه وبين الله تعالى ويدل على أن الشيء يكفر بضده
أن حب الدنيا رأس كل خطيئة وأثر اتباع الدنيا في القلب السرور بها والأنس بها والحنين إليها فلا
جرم كان كل أذى يصيب المسلم ينبو بسببه قلبه عن الدنيا يكون كفارة له إذ القلب يتجافى بالغموم و
الهموم عن دار الهموم قال صلى الله عليه وسلم من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهموم وفي لفظ إلا الهم
بطلب المعيشة وفي حديث عائشة رضي الله عنها إذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له أعمال تكفرها
أدخل الله تعالى عليه الغموم فتكون كفارة لذنوبه ويقال إن الهم الذي يدخل على القلب والعبد لا يعرفه
هو ظلمة الذنوب والهم بها وشعور القلب بوقفة الحساب وهول المطلع **فإن قلت** هم الإنسان غالباً
بماله وولده وجاهه وهو خطيئة فكيف يكون كفارة فاعلم أن الحب له خطيئة والحرمان عنه كفارة ولو
تمتع به لتمت الخطيئة فقد روي أن جبريل دخل على يوسف عليه السلام في السجن فقال له كيف تركت
الشيخ الكئيب فقال قد حزن عليك حزن مائة ثكلى قال فما له عند الله قال أجر مائة شهيد فإذاً
الهموم أيضاً مكفرات حقوق الله تعالى فهذا حكم ما بينه وبين الله تعالى وأما مظالم العباد ففيها أيضاً
معصية وجناية على حق الله تعالى فإن الله تعالى نهى عن ظلم العباد أيضاً فما يتعلق منه بحق الله تداركه
بالندم والتحسر وترك مثله في المستقبل والإتيان بالحسنات التي هي أضدادها فيقابل إيذاءه
الناس بالإحسان إليهم ويكفر غصب أموالهم بالتصدق بملكه الحلال ويكفر تناول أعراضهم بالغيبة
والقدح بالثناء على أهل الدين وإظهار ما يعرف من خصال الخير من أقرانه وأمثاله ويكفر قتل النفوس
بإعتاق الرقاب لأن ذلك إحياء إذ العبد مفقود لنفسه موجود لسيده والإعتاق إيجاد لا يقدر
العبد على أكثر منه فيقابل الإعدام بالإيجاد وبهذا تعرف أن ما ذكرناه من سلوك طريق المضادة في
التكفير والمحو مشهود له في الشرع حيث كفر القتل بإعتاق رقبة ثم إذا فعل ذلك كله لم ينجه ولم يكفه
ما لم يخرج عن مظالم العباد ومظالم العباد إما في النفوس أو في الأموال أو الأعراض أو القلوب أعني به الإيذاء
المحض أما النفوس فإن جرى عليه قتل خطأ فتوبته بتسليم الدية ووصولها إلى المستحق إما منه أو من
عاقلته وهو في عهدة ذلك قبل الوصول وإن كان عمداً موجباً للقصاص فبالقصاص فإن لم يعرف فيجب
عليه أن يتعرف عند ولي الدم ويحكمه في روحه فإن شاء عفا عنه وإن شاء قتله ولا يسقط عهدته
إلا بهذا ولا يجوز له الإخفاء وليس هذا كما إذا زنى أو شرب أو سرق أو قطع الطريق أو باشر ما يجب فيه حد الله
فإنه لا يلزمه في التوبة أن يفضح نفسه ويهتك ستره ويلتمس من الوالي استيفاء حق الله بل عليه
أن يستتر بستر الله ويقيم حد الله على نفسه بأنواع المجاهدة والتعذيب فالعفو في محض حقوق
الله قريب من التائبين النادمين فإن رفع أمره إلى الوالي حتى أقام عليه الحد وقع موقعه وتكون توبته
صحيحة مقبولة عند الله تعالى بدليل ما روي أن ماعز بن مالك أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله إني قد ظلمت نفسي وزنيت وإني أريد أن تطهرني فرده فلما كان من الغد أتاه فقال

يا رسول الله إني قد زنيت فرده الثانية فلما كان في الرابعة أمر به فحفر له حفرة ثم أمر به فرجم وكان
الناس فيه فرقتين فقائل يقول لقد هلك لقد أحاطت به خطيئته وقائل يقول ما توبة أفضل من
توبته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم وجاءت الغامدية
فقالت يا رسول الله إني قد زنيت فطهرني فإنه ردها فلما كان الغد قالت يا رسول الله لم تردني لعلك
تريد أن تردني كما رددت ماعزاً فوالله إني لحبلى قال أما لا فاذهبي حتى تضعي فلما ولدته
أتت بالصبي وفي يده كسرة خبز فقالت هذا يا نبي الله قد فطمته وقد أكل الطعام فدفع الصبي
إلى رجل من المسلمين ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها وأمر الناس فرجموها فأقبل خالد بن الوليد بحجر
فرمى رأسها فتنضح الدم على وجه خالد فسبها فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبه إياها فقال
مهلاً يا خالد فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له ثم أمر بها فصلى عليها
ودفنت وأما القصاص والقذف فلا بد من تحكيم المستحق فيه وإن كان المتناول مالاً تناوله بغصب
أو خيانة أو غبن في معاملة بنوع تلبيس كترويج زائف أو ستر عيب من المبيع أو نقص أجرة أجير
أو منع أجرته فكل ذلك يجب أن يفتش عنه لا من حد بلوغه بل من أول مدة وجوده فإن ما يجب
في مال الصبي يجب على الصبي إخراجه بعد البلوغ إن كان الولي قد قصر فيه فإن لم يفعل كان ظالماً
مطالباً به إذ يستوي في الحقوق المالية الصبي والبالغ وليحاسب نفسه على الحبات والذرات
من أول حياته إلى يوم توبته قبل أن يحاسب في القيامة وليناقش قبل أن يناقش فمن لم يحاسب نفسه
في الدنيا طال في الآخرة حسابه فإذا حصل مجموع ما عليه بظن غالب ونوع من الاجتهاد ممكن فليكتبه
وليكتب أسامي أصحاب المظالم واحداً واحداً وليطف في نواحي العالم وليطلبهم وليستحلهم أو ليؤد
حقوقهم وهذه التوبة تشق على الظلمة وعلى التجار فإنهم لا يقدرون على طلب المعاملين كلهم ولا
على طلب ورثتهم ولكن على كل واحد منهم أن يفعل منه ما يقدر عليه فإن عجز فلا يبقى له طريق
إلا أن يكثر من الحسنات حتى تفيض منه يوم القيامة فتؤخذ حسناته وتوضع في موازين أرباب المظالم و
لتكن كثرة حسناته بقدر كثرة مظالمه فإنه إن لم تف بها حسناته حمل من سيئات أرباب المظالم فيهلك
بسيئات غيره فهذا طريق كل تائب في رد المظالم وهذا يوجب استغراق العمر في الحسنات لو طال
العمر بحسب طول مدة الظلم فكيف وذلك مما لا يعرف وربما يكون الأجل قريباً فينبغي أن يكون تشمره
للحسنات والوقت ضيق أشد من تشمره الذي كان في المعاصي في متسع الأوقات هذا حكم المظالم
الثابتة في ذمته أما أمواله الحاضرة فليرد إلى المالك ما يعرف له مالكاً معيناً وما لا يعرف له مالكاً فعليه
أن يتصدق به فإن اختلط الحلال بالحرام فعليه أن يعرف قدر الحرام بالاجتهاد ويتصدق بذلك المقدار كما
سبق تفصيله في كتاب الحلال والحرام وأما الجناية على القلوب بمشافهة الناس بما يسوءهم أو بعيبهم
في الغيبة فليطلب كل من تعرض له بلسانه أو آذى قلبه بفعل من أفعاله وليستحل واحداً واحداً منهم
ومن مات أو غاب فقد فات أمره ولا يتدارك إلا بتكثير الحسنات لتؤخذ منه عوضاً في القيامة وأما من
وجده وأحله بطيبة قلب منه فذلك كفارته وعليه أن يعرفه قدر جنايته وتعرضه له فالاستحلال
المبهم لا يكفي وربما لو عرف ذلك وكثرة تعديه عليه لم تطب نفسه بالإحلال وادخر ذلك في القيامة ذخيرة
يأخذها من حسناته أو يحمله من سيئاته فإن كان في جملة جنايته على الغير ما لو ذكره وعرفه لتأذى
بمعرفته كزناه بجاريته أو أهله أو نسبته باللسان إلى عيب من خفايا عيوبه يعظم أذاه مهما ذكر فقد

السنة عليه طريق الاستحلال فليس له الا ان يستقل بهما ثم يجي لمظلمة فليصرفها بالحسنات كما يجب
مظلمة الميت والغايب فاما الذكر والتعريف فهو سيئة جديدة يجب الاستحلال منها ومهما ذكر جنايته
وعرفه المجني عليه فلم تسمح نفسه بالاستحلال بقيت المظلمة عليه فان هذا حقه فعليه ان يتلطف به
ويسعى في مهماته واغراضه ويظهر من حبه والشفقة عليه ما يستميل به قلبه فان الانسان عبد الاحسان
وكل من نفر بسيئة مال بحسنة فاذا طاب قلبه بكثرة تودده وتلطفه سمحت نفسه بالاحلال فان
ابى الا الاصرار فيكون تلطفه به واعتذاره اليه من جملة حسناته التي يمكن ان يجبر بها في القيامة
جنايته وليكن قدر سعيه في فرحه وسرور قلبه بتودده وتلطفه كقدر سعيه في ايذايه حتى اذا قاوم احدهما
الاخر او زاد عليه اخذ ذلك منه عوضا في القيامة بحكم الله عليه كمن اتلف في الدنيا مالا فجاء بمثله فامتنع
مالكه عن القبول وعن الابراء فان الحاكم يحكم عليه بالقبض عنه شاء ام ابى فكذلك يحكم في صعيد القيامة احكم
الحاكمين واعدل المقسطين وفي المتفق عليه من الصحيحين عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسال عن اعلم اهل الارض فدل
على راهب فاتاه فقال له انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمل به مائة
ثم سال عن اعلم اهل الارض فدل على رجل عالم فاتاه فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال نعم ومن يحول
بينه وبين التوبة انطلق الى ارض كذا وكذا فان بها اناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم
ولا ترجع الى ارضك فانها ارض سوء فانطلق حتى اذا نصف الطريق اتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة
وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله تعالى وقالت ملائكة العذاب انه
لم يعمل خيرا قط فاتاهم ملك في صورة ادمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين فالى ايتهما كان
ادنى فهو له فقاسوا فوجدوه ادنى الى الارض التي اراد فقبضته ملائكة الرحمة وفي رواية فكان الى القرية
الصالحة اقرب منها بشبر فجعل من اهلها وفي رواية فاوحى الله تعالى الى هذه ان تباعدي والى هذه
ان تقربي وقال قيسوا ما بينهما فقاسوا فوجدوه الى هذه اقرب بشبر فغفر له فبهذا تعرف انه لا خلاص
الا برجحان ميزان الحسنات ولو بمثقال فلا بد للتائب من تكثير الحسنات هذا حكم القصد المتعلق بالماضي
فاما العزم المرتبط بالاستقبال فهو ان يعقد مع الله تعالى عقدا مؤكدا ويعاهده بعهد وثيق
ان لا يعود الى تلك الذنوب ولا الى امثالها كالذي يعلم في مرضه ان الفاكهة تضره مثلا فيعزم عزما جزما
ان لا يتناول الفاكهة ما لم يزل مرضه فان هذا العزم تاكد في الحال وان كان يتصور ان تغلبه الشهوة في
ثاني الحال ولكن لا يكون تائبا ما لم يتاكد عزمه في الحال ولا يتصور ان يتم ذلك للتائب في اول امره الا بالعزلة
والصمت وقلة الاكل والنوم واحراز قوت حلال فان كان له مال موروث حلال او كانت له حرفة يكتسب بها
قدر الكفاية فليقتصر عليه فان راس المعاصي اكل الحرام فكيف يكون تائبا مع الاصرار عليه ولا يكتفي بالحلال
وترك الشبهات من لا يقدر على ترك الشهوات في الماكولات والملبوسات وقال بعضهم من صدق في
ترك شهوة وجاهد نفسه لله سبع مرات لم يبتل بها وقال اخر من تاب من ذنب واستقام عليه سبع سنين
لم يعد اليه ابدا ومن مهمات التائب اذا لم يكن عالما ان يتعلم ما يجب عليه في المستقبل وما يحرم عليه حتى يمكنه
الاستقامة وان لم يوثر العزلة لم يتم له الاستقامة المطلقة الا ان يتوب عن بعض الذنوب كالذي يتوب
عن النهب والزنا والغصب مثلا وليست هذه توبة مطلقة وقد قال بعض الناس ان هذه التوبة لا تصح وقال
قايلون تصح ولفظ الصحة في هذا المقام مجمل بل نقول لمن قال لا تصح ان عنيت به ان تركه بعض الذنوب لا يفيد

اصلا بل وجوده كعدمه فما اعظم خطاك فانا نعلم ان كثرة الذنوب سبب لكثرة العذاب وقلتها سبب
لقلته ونقول لمن قال تصح ان اردت به ان التوبة عن بعض الذنوب توجب قبولا يوصل الى النجاة او الفوز فهذا ايضا
خطا بل النجاة والفوز بترك الجميع هذا حكم الظاهر ولسنا نتكلم في خفايا اسرار عفو الله وان قال من ذهب الى انه لا يصح اني
اردت به ان التوبة عبارة عن الندم وانما يندم على السرقة مثلا لكونها معصية لا لكونها سرقة ويستحيل ان يندم
عليها دون الزنا ان كان توجعه لاجل المعصية فان العلة شاملة لهما اذ من يتوجع على قتل ولده بالسيف يتوجع على
قتله بالسكين لان توجعه بفوات محبوبه وذلك بالمعصية سواء عصى بالسرقة او بالزنا فكيف يتوجع على البعض
دون البعض فالندم حالة يوجبها العلم بكون المعصية مفوتة للمحبوب من حيث انها معصية ولا يتصور ان
يكون على بعض المعاصي دون بعض ولو جاز هذا لجاز ان يتوب عن شرب الخمر من احد الدنين دون الاخر فان استحال ذلك
من حيث ان المعصية في الخمرين واحدة وانما الدنان ظروف فكذلك اعيان المعاصي الات للمعصية والمعصية من
حيث مخالفة الامر واحدة فاذا معنى عدم الصحة ان الله وعد التائبين رتبة وتلك الرتبة لا ينال الا بالندم
ولا يتصور الندم على بعض المتماثلات فهو كالملك المرتب على الايجاب والقبول فاذا لم يتم الايجاب والقبول فقال
ان العقد لا يصح اي لا يترتب عليه الثمرة وهو الملك تحقيق هذا ان ثمرة مجرد الترك ان ينقطع عنه عقاب ما تركه
وثمرة الندم تكفير ما سواه فترك السرقة لا يكفر السرقة بل الندم عليها ولا يتصور الندم الا لكونها معصية وذلك
يعم جميع المعاصي وهذا كلام مفهوم واقع يستنطق المصنف بتفصيل ينكشف الغطا فنقول التوبة
عن بعض الذنوب لا يخلو اما ان تكون عن الكباير دون الصغاير او عن الصغاير دون الكباير او عن كبيرة دون كبيرة
اما التوبة عن الكباير دون الصغاير فممكن لانه يعلم ان الكباير اعظم عند الله واجلب لسخط الله ومقته و
الصغاير اقرب الى تطرق العفو اليه فلا يستحيل ان يتوب عن الاعظم ويتندم عليه كالذي يجني على اهل
الملك وحرمه ويجني على دابته فيكون خايفا من الجناية على الاهل مستحقرا الجناية على الدابة والندم بحسب
استعظام الذنب واعتقاد كونه مبعدا عن الله وهذا ممكن وجوده في الشرع فقد كان التائبون في الاعصار
الخالية ولم يكن احد منهم معصوما فلا يستدعي التوبة العصمة والطبيب قد يحذر المريض العسل تحذيرا
شديدا ويحذره السكر تحذيرا اخف منه على وجه يشعره بانه ربما لا يظهر ضرر السكر اصلا فيتوب المريض
بقوله عن العسل دون السكر فهذا غير محال وجوده ان اكلهما جميعا بحكم شهوته ندم على اكل العسل دون السكر
الثاني ان يتوب عن بعض الكباير دون بعض وهذا ايضا ممكن لاعتقاده ان بعض الكباير اشد واغلظ عند الله
كالذي يتوب عن القتل والنهب والظلم ومظالم العباد لعلمه بان ديوان العباد لا يترك وما بينه وبين الله يتسارع
العفو اليه فهذا ايضا ممكن كما في تفاوت الصغاير والكباير لان الكباير ايضا متفاوتة في انفسها وفي اعتقاد مرتكبها
ولذلك قد يتوب عن بعض الكباير التي لا تتعلق بالعباد كما يتوب عن شرب الخمر دون الزنا مثلا اذ يتضح له ان الخمر
مفتاح الشرور وانه اذا زال العقل ارتكب جميع المعاصي وهو لا يدري فيحسبه ترجح شرب الخمر عنده فينبعث منه خوف
يوجب الترك في المستقبل والندم على الماضي **الثالث** ان يتوب عن صغيرة وهو مصر على كبيرة يعلم انها
كبيرة كالذي يتوب عن الغيبة او عن النظر الى غير المحرم وما يجري مجراه وهو مصر على شرب الخمر فهو ايضا ممكن
ووجه امكانه انه ما من مؤمن الا وهو خايف على معاصيه ونادم على فعله ندما اما ضعيفا واما قويا ولكن يكون
لذة نفسه في تلك المعصية اقوى من الم قلبه في الخوف منها لاسباب توجب ضعف الخوف من الجهل والغفلة
ولاسباب توجب قوة الشهوة فيكون الندم موجودا ولكن لا يكون مليا بتحريك العزم ولا قويا عليه وان سلم عن
شهوة اقوى منه بل لا يعارضه الا ما هو اضعف منه فيغلب الخوف الشهوة ويحمله على ترك المعصية فقد يشتهي

الفاسق بالخمر فلا يقدر على الصبر عنه ويكون اضطراره اما بالغيبة وثلب الناس والنظر الى غير المحرم
وخوفه من الله قد بلغ مبلغا يقمع هذه الشهوة الضعيفة دون القوية فيوجب عليه مجرد الخوف
انبعاث العزم للترك بل يقول هذا الفاسق ان قهرني الشيطان بواسطة غلبة الشهوة في بعض المعاصي
فلم ينبغي ان اخلع العذار وارخي العنان بالكلية بل اجاهده في بعض المعاصي فعساني اغلبه فيكون قهري
له في البعض كفارة لبعض ذنوبي ولو لم يتصور هذا لما تصور من الفاسق ان يصلي ويصوم وليقال له ان كانت صلاتك
لغير الله تعالى فلا تصح وان كانت لله فاترك الفسق لله فان امر الله فيه واحد فلا يتصور ان تقصد
بصلاتك التقرب الى الله ما لم تتقرب بترك الفسق وهذا محال بل يقول لله علي امران ولي على المخالفة فيهما
عقوبتان وانا مليء في احدهما بقهر الشيطان عاجز عنه في الاخر فانا اقهره فيما اقدر عليه وارجو بمجاهدتي فيه
ان يكفر عني ما عجزت عنه بفرط شهوتي فكيف لا يتصور هذا وهو حال كل مسلم اذ لا مسلم الا وهو جامع بين طاعة
الله ومعصيته ولا سبب له الا هذا واذا فهم هذا فهم ان غلبة الخوف للشهوة في بعض الذنوب ممكن وجوده
والخوف اذا كان من فعل ماض اورث الندم والندم يورث العزم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الندم توبة
ولم يشترط الندم على كل ذنب وقال عليه السلام التائب من الذنب كمن لا ذنب له ولم يقل التائب من الذنوب
كلها وبهذه المعاني يتبين ان التوبة عن بعض الذنوب غير ممكن لانها متماثلة في حق الشهوة وفي حق التعرض
لسخط الله نعم يجوز ان يتوب عن الخمر دون النبيذ لتفاوتهما في اقتضا شهوة السخط ويتوب عن الكثير
دون القليل لان لكثرة المعصية تاثيرا في كثرة العقوبة فيتساعد الشهوة بالقدر الذي يعجز عنه ويترك بعض
شهوته لله تعالى كالمريض الذي يحذره الطبيب الفاكهة فانه قد يتناول قليلها ولكن لا يستكثر منها فقد حصل
من هذا انه لا يمكن ان يتوب عن شي ولا يتوب عن مثله بل لا بد وان يكون ما تاب عنه مخالفا لما بقي عليه اما في شدة
المعصية واما في غلبة الشهوة واذا حصل هذا التفاوت في اعتقاد التائب تصور اختلاف حاله في الخوف و
الندم فيتصور اختلافه في الترك فيندم على ذلك الذنب ويكون ندمه بعزمه على الترك لحقه بمن لم يذنب وان لم
يكن قد اطاع الله في جميع الاوامر والنواهي **فان قلت** فهل تصح توبة العنين من الزنا الذي قارفه قبل طريان
العنة فاقول لا لان التوبة عبارة عن ندم بعث العزم على الترك فيما يقدر على فعله وما لا يقدر على فعله فقد
انعدم بنفسه لا بتركه اياه ولكني اقول لو طرا عليه بعد العنة كشف ومعرفة تحقق به ضرر الزنا الذي قارفه وثار
منه احتراق وتحسر وندم بحيث لو كانت شهوة الوقاع باقية لكانت حرقة الندم تقمع تلك الشهوة وتغلبها فاني ارجو
ان يكون ذلك مكفرا لذنبه وماحيا عنه سيئته اذ لا خلاف في انه لو تاب قبل طريان العنة ومات عقيبه كان
من التائبين وان لم تطرا عليه حالة تهيج فيها الشهوة وتتيسر اسباب قضا الشهوة ولكنه تائب باعتبار ان
ندمه بلغ مبلغا انصرف قصده عن الزنا لو ظهر قصده فاذا لا يستحيل ان تبلغ قوة الندم في حق العنين هذا
المبلغ الا انه لا يعرفه من نفسه فان كل من لا يشتهي شيا يقدر نفسه قادرا على تركه بادنى خوف والله مطلع على
ضميره وعلى مقدار ندمه فعساه يقبله منه بل الظاهر انه يقبله والحقيقة في هذا ترجع الى ان ظلمة المعصية
تنمحي عن القلب بشيين احدهما حرقة الندم والاخر شدة المجاهدة بالترك في المستقبل وقد امتنعت المجاهدة
بزوال الشهوة ولكن ليس محالا ان يقوى الندم بحيث يقوى على محوها دون المجاهدة ولولا هذا لقلنا ان التوبة
لا تقبل ما لم يعش التائب بعد التوبة عمرا يجاهد نفسه في عين تلك الشهوة مرات كثيرة وذلك مما لا يدل
ظاهر الشرع على اشتراطه اصلا **فان قلت** اذا فرضنا تائبين احدهما سكنت نفسه عن النزوع الى الذنب
والاخر بقي في نفسه نزوع اليه وهو يجاهدها ويمنعها فايهما افضل فاعلم ان هذا مما اختلف العلما فيه فقال الشيخ

ابي الحواري واصحاب ابي سليمان الداراني ان المجاهد افضل لان له مع التوبة فضل الجهاد وقال
علما البصرة ذلك الاخر افضل لانه لو فتر في توبته كان اقرب الى السلامة من المجاهد الذي هو في عرضة
الفتور عن المجاهدة وما قالاه لكل واحد من الفريقين لا يخلوا عن حق وعن قصور عن كمال الحقيقة و
الحق فيه ان الذي انقطع نزوع نفسه لحالتان احدهما ان يكون انقطاع نزوعه اليها بفتور في
نفس الشهوة فقط فالمجاهد افضل من هذا اذ ترك بالمجاهدة قد دل على قوة يقينه واستيلاء دينه
على شهوته فهو دليل قاطع على قوة اليقين وعلى قوة الدين واعني بقوة الدين قوة الارادة التي تنبعث
باشارة اليقين وتقمع الشهوة المنبعثة باشارة الشياطين فهما قوتان يدل المجاهد عليهما قطعا
وقول القايل ان هذا اسلم اذ لو فتر لا يعود الى الذنب فهذا صحيح ولكن استعمال لفظ الافضل فيه خطا و
هو كقول القايل العنين افضل لانه في امن من خطر الشهوة والصبي افضل من البالغ لانه اسلم والمفلس
افضل من الملك القاهر القامع لاعدايه لان المفلس لا عدو له والملك ربما يغلبه عدوه وان غلبه
فهذا كلام رجل سليم الصدر قاصر النظر على الظواهر غير عالم بان العز في الاخطار والعلو بركوب الاخطار
لا بالامن بل هو كقول القايل الصياد الذي ليس له فرس ولا كلب افضل في صناعة الاصطياد واعلى
رتبة من صاحب الكلب والفرس لانه امن من ان يجمح به فرسه فينكسر اعضاه عند السقوط الى الارض وامن من
ان يعضه الكلب ويعتدي عليه وهذا خطا بل صاحب الفرس والكلب اذا كان قويا عالما بطريق تاديبهما
اعلى رتبة واجدر بادراك الصيد **الحالة الثانية** ان يكون بطلان النزوع بسبب قوة النفس
وصدق المجاهدة السابقة اذ بلغ مبلغا قمع هيجان الشهوة حتى تادبت بادب الشرع فلا تهيج الا
باشارة الدين وقد سكنت باستيلا الدين عليه فهذا اعلى رتبة من المجاهد المقاسي لهيجان الشهوة
بالجهاد فان الجهاد ليس مقصودا لعينه بل المقصود دفع ضرارة العدو حتى لا يستجرك الى شهواته وان
عجز عن استجرارك فلا يصدك عن طريق الدين فاذا قهرته وحصلت المقصود فقد ظفرت وما دمت
في المجاهدة فانت بعد في طلب الظفر ومثاله كمثال من قهر العدو واسترقه بالاضافة الى من هو مشغول
بالجهاد في صف القتال ولا يدري كيف يسلم ومثاله ايضا مثال من علم كلب الصيد وبلغ الفرس فيهما تاما
عن تعب تاديب الكلب الضاري والفرس الجامح بالاضافة الى من هو مشغول بمقاساة التاديب بعد
ولقد زل في هذا قوم فظنوا ان الجهاد هو المقصود الاقصى ولم يعلموا ان ذلك طلب الخلاص من عوايق
الطريق وظن اخرون ان قمع الشهوات وماطنها بالكلية مقصود حتى جرب بعضهم فعجز عنه فقال
هذا محال فكذب بالشرع وسلك سبيل الاباحة واسترسل في اتباع الشهوات وكل ذلك جهل وضلال
وقد قررنا ذلك في كتاب رياضة النفس من ربع المهلكات **فان قلت** فما قولك في تائبين احدهما
نسي الذنب ولم يشتغل بالتفكر فيه والاخر جعله نصب عينه ولا يزال يتفكر فيه ويحترق ندما عليه
ايهما افضل فاعلم ان هذا ايضا قد اختلفوا فيه فقال بعضهم حقيقة التوبة ان تنصب ذنبك
بين عينيك وقال الاخر حقيقة التوبة ان تنسى ذنبك وكل واحد من المذهبين عندنا حق ولكن بالاضافة
الى حالين وكلام المتصوفة ابدا يكون قاصرا فان عادة كل واحد ان يخبر عن حال نفسه فقط ولا
يهمه حال غيره فتختلف الاجوبة لاختلاف الاحوال وهذا نقصان بالاضافة الى درجة العلم فان
معرفة الشي على ما هي عليه افضل واعلى ولكنه كمال بالاضافة الى الهمة والارادة والجد حيث يكون صاحبه
مقصور النظر على حال نفسه لا يهمه امر غيره اذ طريقه الى الله نفسه ومنازل احواله وقد يكون طريق

العبد الى الله تعالى العلم والتعليم فالطرق الى الله تعالى كثيرة وان كانت مختلفة في القرب والبعد والله
اعلم بمن هو اهدى سبيلا مع الاشتراك في اصل الهداية فاقول تصور الذنب وذكره والتفجع عليه
كمال في حق المبتدي المريد لانه اذا نسيه لم يكثر احتراقه ولا يقوى ارادته وانبعاثه لسلوك الطريق
ولان ذلك يستخرج منه الحزن والخوف الوازع عن الرجوع الى مثله فهو بالاضافة الى الغافل كمال
ولكنه بالاضافة الى سالك الطريق نقصان فانه شغل مانع من سلوك الطريق بل سالك الطريق
ينبغي ان لا يعرج على غير السلوك فان ظهر له مبادي الوصول وانكشف له انوار المعرفة ولوامع الغيب
استغرقه ذلك ولم يتسع فيه متسع للالتفات الى ما سبق من احواله وهو الكمال بل لو عاق عن الطريق
الى بلد نهر جاحص طال تعب المسافر في عبوره من حيث انه كان قد خرب جسره من قبل فجلس على شاطي النهر
بعد عبوره يبكي متاسفا على تخريب الجسر كان هذا مانعا اخر اشتغل به الفراغ عن ذلك المانع
نعم ان لم يكن الوقت وقت الرحيل بان كان ليلا فتعذر السلوك وكان على طريقه انهار وهو يخاف
على نفسه ان يخربها فليتطلل بالليل بكاؤه وحزنه على تخريب الجسر ليتاكد بطول الحزن حزمه على ان لا يعود
الى مثله فان تحصل له من التنبه ما وثق بنفسه انه لا يعود الى مثله فسلوك الطريق اولى به من الاشتغال
بتخريب الجسر والبكا عليه وهذا لا يعرفه الا من عرف الطريق والمقصد والعائق وطريق السلوك
وقد نبهنا الى تلويحات منه في كتاب العلم وفي ربع المهلكات بل نقول شرط دوام التوبة ان يكون
كثير التفكر في النعيم في الاخرة ليزيد رغبته ولكن ان كان سالكا ولا ينبغي ان يطيل فكره في كل ما له نظير
في الدنيا كالحور والقصور فان ذلك الفكر ربما يحرك رغبته فيطلب العاجلة ولا يرغب بالاجلة بل
ينبغي ان يتفكر في لذة النظر الى وجه الله تعالى فقط فذلك لا نظير له في الدنيا وكذلك تذكر الذنب
قد يكون محركا للشهوة فالمبتدي ايضا قد يستضر به فيكون النسيان افضل له عند ذلك ولا يصدنك
عن التصديق بهذا الحق ما حكي لك من بكاء داود عليه السلام ونياحته فان قياسك نفسك
على الانبياء قياس في غاية الاعوجاج لانهم قد ينزلون في اقوالهم وافعالهم الى الدرجات اللائقة
باممهم فانهم ما بعثوا الا لارشادهم فعليهم التلبس بما ينتفع اممهم بمشاهدته وان كان ذلك
نازلا عن ذروة مقاماتهم فقد كان في الشيوخ من لا يشير على مريده بنوع رياضة الا ويخوض معه
فيها وقد كان مستغنيا عنها لفراغه عن المجاهدة وتادب النفس ولكن تسهيلا للامر على المريد ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم اما اني لا انسى ولكني انسى لاشرع ولا تعجب من هذا فان الامم في كنف شفقة
الانبيا كالصبيان في كنف شفقة الاباء وكالمواشي في كنف الرعاة اما ترى الاب اذا اراد ان ينطق
ولده الصبي كيف ينزل الى درجة نطق الصبي كما قال صلى الله عليه وسلم للحسين كخ كخ لما اخذ تمرة
من الصدقة ووضعها في فيه وما كانت فصاحته تقصر عن ان يقول ارم هذه التمرة فانها حرام ولكنه
اذ علم انه لا يفهم منطقه ترك فصاحته ونزل الى لكنته بل الذي يعلم شاة او طائرا يصوت به
رغا وصفيرا تشبها بالبهيمة والطائر تلطفا في تعليمه فاياك ان تغفل عن امثال هذه الدقائق
فانها مزلة اقدام العارفين فضلا عن الغافلين **بيان اقسام العباد في دوام التوبة** اعلم
ان طبقات التائبين اربع طبقات الاولى ان يتوب العاصي ويستقيم على التوبة الى اخر عمره
فيتدارك ما فرط من امره ولا يحدث نفسه بالعود الى ذنوبه الا الزلات التي لا ينفك البشر عنها في
العادات مهما لم يكن في رتبة النبوة فهذا هو الاستقامة في التوبة وصاحبه هو السابق بالخيرات

المستبدل بالسيئات حسنات واسم هذه التوبة النصوح واسم هذه النفس الساكنة النفس المطمئنة
التي ترجع الى ربها راضية مرضية وهولاء هم الذين اليهم الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم سبق المفردون
المستهترون بذكر الله تعالى وضع الذكر اوزارهم فوردوا القيمة خفافا فان فيه اشارة الى انهم
كانت عليهم اوزار فوضعها الذكر عنهم واهل هذه الطبقة على رتب من حيث النزوع الى الشهوات
فمن تائب سكنت شهوته تحت قهر المعرفة ففتر نزاعها فلم يشغله عن السلوك صراعها والى من
لا ينفك عن مجاهدة ومنازعة النفس ولكنه ملي بمجاهدتها وردها ثم تتفاوت درجات النزاع ايضا
بالكثرة وبالقلة وباختلاف المدة وباختلاف الانواع وكذلك يختلفون من حيث طول العمر فمن
مختطف يموت قريبا من توبته يغبط على ذلك لسلامته وموته قبل الفترة ومن ممهل طال جهاده وصبره
وتمادت استقامته وكثرت حسناته وحال هذا اعلى وافضل اذ كل سيئة فانما تمحوها حسنة
حتى قال بعض العلماء انما يكفر الذنب الذي ارتكبه العاصي عشر مرات ان تمكن منه عشر مرات مع صدق
الشهوة ثم يصبر عنه ويكسر شهوته خوفا من الله تعالى فاشتراط هذا بعيد وان كان لا ينكر عظم
اثره لو فرض ولكن لا ينبغي للمريد الضعيف ان يسلك هذا الطريق فيهيج الشهوة ويحضر الاسباب
حتى يتمكن ثم يطمع في الانكفاف فانه لا يؤمن خروج عنان الشهوة عن اختياره فيقدم على المعصية
وينقض توبته بل طريقه الفرار من ابتداء اسباب الفتنة لتحسم طريقها على نفسه ويسعى مع ذلك
في كسر شهوته بما يقدر عليه فيه تسلم توبته في الابتداء **الطبقة الثانية** تائب سلك
طريق الاستقامة في امهات الطاعات وكبائر الفواحش كلها الا انه ليس ينفك عن ذنوب تعتريه لا عن
عمد وتجريد قصد ولكن يبتلى بها في مجاري احواله من غير ان يقدم عزما على الاقدام عليها
ولكنه كلما اقدم عليها لام نفسه وندم وتاسف وجدد عزمه على ان يتشمر للاحتراز من اسبابها التي
تعرضه لها وهذه النفس جديرة بان تكون هي النفس اللوامة اذ تلوم صاحبها على ما تستهدف له
من الاحوال الذميمة لا عن تصميم عزم وتخمين راي وقصد وهذه ايضا رتبة عالية وان كانت نازلة
عن الطبقة الاولى وهي اغلب احوال التائبين لان الشر معجون بطينة الادمي فقلما ينفك عنه وانما
غاية سعيه ان يغلب خيره شره حتى يثقل ميزانه فترجح كفة الحسنات فاما ان تخلو بالكلية
كفة السيئات فذلك في غاية البعد وهولاء لهم حسن الوعد من الله تعالى اذ قال الذين يجتنبون
كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة فكل المام يقع بصغيرة لا عن توطين نفس عليه فهو
جدير بان يكون من اللمم المعفو عنه وقد قال الله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم
ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم فاثنى عليهم مع ظلمهم انفسهم لتندمهم ولومهم انفسهم عليه
والى مثل هذه الرتبة الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه علي كرم الله وجهه خياركم كل مفتن
تواب وفي خبر اخر المؤمن كالسنبلة يفيء احيانا ويميل احيانا وفي الخبر لا بد للمؤمن من ذنب ياتيه
الغبة بعد الغبة اي الحين بعد الحين فكل ذلك ادلة قاطعة على ان هذا القدر لا ينقض التوبة
ولا يلحق صاحبها بدرجة المصرين ومن يوئس مثل هذا عن درجة التائبين كالطبيب الذي يوئس
الصحيح عن دوام الصحة بما يتناوله من الفواكه والاطعمة الحارة مرة بعد اخرى من غير مداومة
واستمرار وكالفقيه الذي يوئس المتفقه عن نيل درجة الفقها بفتوره عن التكرار والتعليق
في اوقات نادرة غير متطاولة ولا كثيرة وذلك يدل على نقصان الطبيب والفقيه بل الفقيه

الدين هو الذي لا يبدل الخلق عن درجات السعادات بما يتفق لهم من الفترات ومقارفة السيئات المختطفات
فقد قال صلى الله عليه وسلم كل بني آدم خطاؤن وخير الخطائين المستغفرون وقال ايضا المؤمن واهي راقع
اي واهي بالذنب راقع بالتوبة والندم وقال تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون
بالحسنة السيئة فما وصفهم بعدم السيئة اصلا **الطبقة الثالثة** ان يتوب ويستمر
على الاستقامة مدة ثم تغلبه شهوته في بعض الذنوب فيقدم عليها عن صدق وقصد شهوة لعجزه
عن قهر الشهوة الا انه مع ذلك مواظب على الطاعات وتارك جملة من الذنوب مع القدرة والشهوة وانما قهرته
هذه الشهوة الواحدة او الشهوتان وهو يود لو اقدره الله تعالى على قمعها وكفاه شرها هذا امنيته في حال قضاء الشهوة و
عند الفراغ يتندم ويقول ليتني لم افعله وسأتوب عنه واجاهد نفسي في قهرها لكنه تسول نفسه
ويسوف توبته مرة بعد اخرى ويوما بعد يوم فهذه النفس هي التي تسمى النفس المسولة وصاحبها
من الذين قال الله تعالى فيهم وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فامره من حيث
مواظبته على الطاعات وكراهته لما تعاطاه مرجو فعسى الله ان يتوب عليه وعاقبته مخطرة من حيث تسويفه
وتاخيره فربما يختطف قبل التوبة ويقع امره في المشية فان تداركه الله تعالى بفضله وجبر كسره وامتن
عليه بالتوبة التحق بالسابقين وان غلبته شقوته وقهرته شهوته فيخشى ان يحق عليه في
الخاتمة ما سبق عليه من القول في الازل لانه مهما تعذر على المتفقه مثلا الاحتراز عن شواغل التعلم
دل تعذره على انه سبق له في الازل ان يكون من الجاهلين فضعف الرجاء في حقه واذا تيسرت له اسباب المواظبة
على التحصيل دل على انه سبق له في الازل ان يكون من جملة العالمين فكذلك ارتباط سعادات الآخرة
وشقاوتها بالحسنات والسيئات بحكم تقدير مسبب الاسباب كارتباط المرض والصحة بتناول الاغذية
والادوية وارتباط حصول فقه النفس الذي به تستحق المناصب العلية في الدنيا بترك الكسل و
المواظبة على تفقيه النفس فكما لا يصلح لمنصب الرياسة والقضاء والتقدم بالعلم الا نفس صارت
فقيهة بطول التفقيه فلا يصلح لملك الآخرة ونعيمها ولا للقرب من رب العالمين الا قلب سليم صار طاهرا
بطول التزكية والتطهير هكذا سبق في الازل تدبير رب العالمين ولذلك قال تعالى ونفس وما سواها
فالهمها فجورها وتقواها قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها فمهما وقع العبد في ذنب فصار الذنب
نقدا والتوبة نسيئة كان هذا من علامات الخذلان قال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل بعمل اهل
الجنة سبعين سنة حتى يقول الناس انه من اهلها ولا يبقى بينه وبينها الا شبر فيسبق عليه الكتاب
فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها فاذا الخوف من الخاتمة قبل التوبة وكل نفس فهو خاتمة اذ يمكن ان
يكون الموت متصلا به فليراقب الانفاس والا وقع المحذور ودامت الحسرات حين لا ينفع التحسر
الطبقة الرابعة ان يتوب ويجري مدة على الاستقامة ثم يعود الى مقارفة الذنب او الذنوب من غير
ان يحدث نفسه بالتوبة ومن غير ان يتاسف على فعله بل ينهمك انهماك الغافل في اتباع شهوته
فهذا من جملة المصرين وهذه النفس هي النفس الامارة بالسوء الفرارة من الخير ويخاف على هذا سوء الخاتمة
وامره في مشية الله تعالى فان ختم له بالسوء شقي شقاوة لا آخر لها وان ختم له بالحسنى حتى مات على التوحيد
فينتظر له الخلاص من النار ولو بعد حين ولا يستحيل ان يشمله عموم العفو بسبب خفي لا يطلع عليه كما
لا يستحيل ان يدخل الانسان خرابا ليجد كنزا فيتفق ان يجده ولا ان يجلس في البيت فيجعله الله تعالى
عالما بالعلوم من غير تعلم كما كان الانبياء عليهم السلام فطلب المغفرة بالطاعات كطلب العلم بالجهد

والتكرار وطلب المال بالتجارة وركوب البحار وطلبها بمجرد الرجاء مع خراب الاعمال كطلب الكنوز في
المواضع الخربة وطلب العلوم من تعليم الملائكة وليس من اجتهد تعلم وليس من اتجر استغنى وليس
من صام وصلى غفر له فالناس كلهم محرومون الا العالمون والعالمون كلهم محرومون الا العاملون والعاملون
محرومون الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم فكما ان من خرب بيته وضيع ماله وترك نفسه وعياله
جياعا يزعم انه ينتظر فضل الله بان يرزقه كنزا يجده تحت الارض في بيته الخرب يعد عند ذوي
البصائر من الحمقا المغرورين وان كان ما ينتظره غير مستحيل في قدرة الله تعالى وفضله فكذلك
من ينتظر المغفرة من فضل الله تعالى وهو مصر على الذنب غير سالك سبيل المغفرة يعد عند ارباب
القلوب من المعتوهين والعجب من عقل هذا المعتوه وترويجه حماقته في صيغة حسنة اذ يقول
ان الله كريم وجنته ليست تضيق عن مثلي ومعصيتي ليست تضره ثم تراه يركب البحار ويقتحم الاوعار في
طلب الدينار واذا قيل له ان الله كريم ودنانير خزائنه ليست تقصر عن فقرك وكسلك بترك التجارة
ليس يضرك فاجلس في بيتك فعساه يرزقك من حيث لا تحتسب فيستحمق قائل هذا الكلام ويستهزئ
به ويقول ما هذا الهوس السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وانما ينال ذلك بالكسب هكذا قدره رب
الارباب واجرى به سنته ولا تبديل لسنة الله ولا يعلم المغرور ان رب الآخرة ورب الدنيا واحد
وان سنته لا تبديل لها فيهما جميعا وانه قد اخبر اذ قال وان ليس للانسان الا ما سعى فكيف يعتقد
انه كريم في الآخرة وليس بكريم في الدنيا وكيف يقول ليس مقتضى الكرم القعود عن كسب المال ومقتضاه
القعود عن الملك المقيم والنعيم الدائم وان ذلك بحكم الكرم يعطيه من غير جهد وهذا يمنعه مع
شدة الاجتهاد في غالب الامر فنعوذ بالله من العمى والضلال فما هذا الا انتكاس على ام الراس وانغماس
في ظلمات الجهل وصاحبه جدير بان يكون داخلا تحت قوله تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رءوسهم
عند ربهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا اي ابصرنا انك صدقت اذ قلت وان ليس للانسان
الا ما سعى فارجعنا نسعى وعند ذلك لا يمكن من الانقلاب وحق عليه العذاب فنعوذ بالله من دواعي
الجهل والشك والارتياب السائق بالضرورة الى سوء المنقلب والمآب

بيان ما ينبغي ان يبادر التائب اليه ان جرى عليه ذنب اما عن قصد وشهوة غالبة او عن المام بحكم الاتفاق

اعلم ان الواجب عليه التوبة والندم والاشتغال بالتكفير بحسنة تضاده كما ذكرنا طريقه فان لم تساعده النفس
على العزم على الترك لغلبة الشهوة فقد عجز عن احد الواجبين فلا ينبغي ان يترك الواجب الثاني وهو ان يدرأ
السيئة بالحسنة ليمحوها فيكون ممن خلط عملا صالحا وآخر سيئا فالحسنات المكفرة للسيئات اما بالقلب واما
باللسان واما بالجوارح ولتكن الحسنة في محل السيئة وفيما يتعلق باسبابها فاما بالقلب فليكفره بالتضرع الى
الله تعالى في سؤال المغفرة والعفو ويتذلل تذلل العبد الآبق ويكون ذله بحيث يظهر لسائر العباد وذلك
بنقصان كبره فيما بينهم فما للعبد الآبق المذنب وجه للتكبر على العباد وكذلك يضمر بقلبه الخيرات
للمسلمين والعزم على الطاعات واما باللسان فبالاعتراف بالظلم والاستغفار فيقول رب ظلمت نفسي وعملت
سوءا فاغفر لي ذنوبي وكذلك يكثر من ضروب الاستغفار كما اوردناه في كتاب الدعوات والاذكار واما
بالجوارح فبالطاعات والصدقات وانواع العبادات وفي الآثار ما يدل على ان الذنب اذا اتبع بثمانية
اعمال كان العفو عنه مرجوا اربعة من اعمال القلوب وهي التوبة او العزم على التوبة وحب الاقلاع
عن الذنب وخوف العقاب عليه ورجاء المغفرة له واربعة من اعمال الجوارح وهو ان يصلي عقيب الذنب

ركعتين ثم يستغفر الله عز وجل بعدهما سبعين مرة ويقول سبحان الله وبحمده مائة مرة ثم يتصدق بصدقة
ثم يصوم يوما وفي بعض الآثار يسبغ الوضوء ويدخل المسجد ويصلي ركعتين وفي بعض الاخبار يصلي اربع ركعات
وفي الخبر اذا عملت سيئة فاتبعها حسنة تكفرها السر بالسر والعلانية بالعلانية ولذلك قيل صدقة
السر تكفر ذنوب الليل وصدقة الجهر تكفر ذنوب النهار وفي الخبر الصحيح ان رجلا قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم اني عالجت امرأة فاصبت منها كل شيء الا المسيس فاقض علي بحكم الله تعالى فقال صلى
الله عليه وسلم او ما صليت معنا صلاة الغداة فقال بلى فقال ان الحسنات يذهبن السيئات وهذا
يدل على ان ما دون الزنا من معالجة النساء صغيرة اذ جعل الصلاة كفارة له بمقتضى قوله الصلوات
الخمس كفارات لما بينهن الا الكبائر فعلى الاحوال كلها ينبغي ان يحاسب نفسه كل يوم ويجمع سيئاته و
يجتهد في دفعها بالحسنات **فان قلت** فكيف يكون الاستغفار نافعا من غير حل عقدة الاصرار وفي
الخبر المستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزئ بآيات الله وكان بعضهم يقول استغفر الله
من قولي استغفر الله وقيل الاستغفار باللسان توبة الكذابين وقالت رابعة العدوية استغفارنا
هنا يحتاج الى استغفار كثير فاعلم انه قد ورد في فضل الاستغفار اخبار خارجة عن الحصر ذكرناها في
كتاب الاذكار والدعوات حتى قرن الله تعالى الاستغفار ببقاء الرسول فقال وما كان الله ليعذبهم وانت
فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فكان بعض الصحابة يقول كان لنا امانان ذهب احدهما
وهو كون الرسول فينا وبقي الاستغفار فان ذهب هلكنا فنقول الاستغفار الذي هو توبة الكذابين هو
الاستغفار بمجرد اللسان من غير ان يكون للقلب فيه شركة كما يقول الانسان بحكم العادة وعن راس الغفلة
استغفر الله وكما يقول اذا سمع صفة النار نعوذ بالله منها من غير ان يتأثر به قلبه وهذا يرجع الى مجرد
حركة اللسان ولا جدوى له فاما اذا انضاف اليه تضرع القلب الى الله وابتهاله في سؤال المغفرة عن صدق
ارادة وخلوص رغبة فهذه حسنة في نفسها فتصلح لان تدفع بها السيئة وعلى هذا تحمل الاخبار الواردة
في فضل الاستغفار حتى قال صلى الله عليه وسلم ما اصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة وهو عبارة
عن الاستغفار بالقلب وللتوبة والاستغفار درجات واوائلها لا تخلو عن الفائدة فاحسن احواله ان
يرجع اليه في كل شيء فان عصى قال يا رب استر علي فاذا فرغ من المعصية قال يا رب تب علي فاذا تاب
قال يا رب ارزقني العصمة واذا عمل قال يا رب تقبل مني وسئل ايضا عن الاستغفار الذي يكفر الذنوب
فقال اول الاستغفار الاستجابة ثم الانابة ثم التوبة فالاستجابة اعمال الجوارح والانابة اعمال
القلوب والتوبة اقباله على مولاه بان يترك الخلق ثم يستغفر من تقصيره الذي هو فيه ومن الجهل بالنعمة
وترك الشكر فعند ذلك يغفر له ويكون عنده مأواه ثم التنقل الى الانفراد ثم الثبات ثم البيان ثم القرب
ثم المعرفة ثم المناجاة ثم المصافاة ثم الموالاة ثم محادثة السر وهو الخلة ولا يستقر هذا في قلب عبد حتى
يكون العلم غذاءه والذكر قوامه والرضا زاده والتوكل صاحبه ثم ينظر الله تعالى اليه فيرفعه الى العرش
فيكون مقامه مقام حملة العرش وسئل ايضا عن قوله صلى الله عليه وسلم التائب حبيب الله فقال انما يكون
حبيبا اذا كان فيه جميع ما ذكر في قوله تعالى التائبون العابدون الحامدون الآية وقال الحبيب هو الذي
لا يدخل فيما يكرهه حبيبه والمقصود ان للتوبة ثمرتين احداهما تكفير السيئات حتى يصير كمن لا ذنب
له والثاني نيل الدرجات حتى يصير حبيبا وللتكفير ايضا درجات فبعضها محو لاصل الذنب بالكلية و
بعضها تخفيف له ويتفاوت ذلك بتفاوت درجات التوبة فالاستغفار بالقلب والتدارك بالحسنات

وان خلا عن حل عقدة الاصرار من اوائل الدرجات فليس يخلو عن الفائدة اصلا فلا ينبغي ان يظن ان وجودها
كعدمها بل عرف اهل المشاهدة وارباب القلوب معرفة لا ريب فيها ان قول الله تعالى فمن يعمل مثقال
ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره صدق وانه لا يخلو ذرة من الخير عن اثر كما لا يخلو شعيرة
تطرح في الميزان عن اثر ولو خلت الشعيرة الاولى عن اثر لكانت الثانية مثلها ولكان لا يرجح الميزان باحمال
الذر وذلك بالضرورة محال بل ميزان الحسنات يترجح بذرات الخيرات الى ان يثقل فتشيل كفة السيئات
فاياك ان تستصغر ذرات الطاعات فلا تأتيها وذرات المعاصي فلا تتقيها كالمرأة الخرقاء تكسل عن
الغزل تعللا بانها لا تقدر في كل ساعة الا على خيط واحد واي غنى يحصل بخيط وما وقع ذلك في الثياب
ولا تدري المعتوهة ان ثياب الدنيا اجتمعت خيطا خيطا وان اجسام العالم مع اتساع اقطاره اجتمعت
ذرة ذرة فاذا التضرع والاستغفار بالقلب حسنة لا تضيع عند الله اصلا بل اقول الاستغفار باللسان
ايضا حسنة اذ حركة اللسان بها عن غفلة خير من حركة اللسان في تلك الساعة بغيبة مسلم او فضول كلام بل
هو خير من السكوت عنه فيظهر فضله بالاضافة الى السكوت عنه وانما يكون نقصا بالاضافة الى عمل
القلب ولذلك قال بعضهم لشيخه ابي عثمان المغربي ان لساني في بعض الاحوال يجري بالذكر والقرآن
وقلبي غافل فقال اشكر الله اذ استعمل جارحة من جوارحك في الخير وعوده الذكر ولم يستعمله في الشر ولم يعوده
الفضول وما ذكره حق فان تعود الجوارح للخيرات حتى يصير لها ذلك كالطبع يدفع جملة من المعاصي فمن تعود
لسانه الاستغفار اذا سمع من غيره كذبا سبق لسانه الى ما تعود فقال استغفر الله ومن تعود الفضول سبق
لسانه الى قوله ما احمقك وما اقبح كذبك ومن تعود الاستعاذة اذا حدث بظهور مبادي الشر من شرير
قال بحكم سبق اللسان نعوذ بالله فاذا تعود الفضول قال لعنه الله فيعصي في احدى الكلمتين ويسلم في الاخرى
وسلامته اثر اعتياده الخير وهو من جملة معاني قوله تعالى ان الله لا يضيع اجر المحسنين ومعاني قوله
تعالى وان تك حسنة يضاعفها فانظر كيف ضاعفها اذ جعل الاستغفار في الغفلة عادة في اللسان حتى
دفع بتلك العادة شر العصيان بالغيبة واللعن والفضول هذا تضعيف في الدنيا من الطاعات و
تضعيف الآخرة اكثر لو كانوا يعلمون فاياك ان تلمح في الطاعات مجرد الآفات فتفتر رغبتك في العبادات
فان هذه مكيدة روجها الشيطان بلعنته على المغرورين وخيل اليهم انهم ارباب البصائر واهل التفطن
للخفايا والسرائر فاي خير في ذكر اللسان مع غفلة القلب فانقسم الخلق في هذه المكيدة الى ثلاثة اقسام
ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات اما السابق فقال له صدقت يا ملعون ولكن هي كلمة حق اردت
بها باطلا فلا جرم اعذبك مرتين وارغم انفك من وجهين فاضيف الى حركة اللسان حركة القلب فكان
كالذي داوى جرح الشيطان بنثر الملح عليه واما الظالم المغرور فاستشعر في نفسه خيلاء الفطنة
لهذه الدقيقة ثم عجز عن الاخلاص بالقلب فترك مع ذلك تعويد اللسان بالذكر فاسعف الشيطان
وتدلى بحبل غروره فتمت بينهما المشاكلة والموافقة كما قيل وافق شن طبقه وافقه فاعتنقه واما
المقتصد فلم يقدر على ارغامه باشراك القلب في العمل وفطن لنقصان حركة اللسان بالاضافة الى القلب
ولكن اهتدى الى كماله بالاضافة الى السكوت والفضول فاستمر عليه وسأل الله تعالى ان يشرك القلب
مع اللسان في اعتياد الخير فكان السابق كالحائك الذي ذمت صناعته فتركها واصبح كاتبا والظالم المغرور
كالذي ترك الحياكة واصبح كناسا والمقتصد كالذي عجز عن الكتابة فقال لا انكر مذمة الحياكة ولكن
الحائك مذموم بالاضافة الى الكاتب لا بالاضافة الى الكناس فاذا عجزت عن الكتابة فلا اترك الحياكة

ولما قالت رابعة العدوية استغفارنا يحتاج الى استغفار ولا تظن انها تذم حركة اللسان من حيث انه ذكر الله
بل يذم غفلة القلب فهو يحتاج الى الاستغفار من غفلة قلبه لا من حركة لسانه فان سكت عن الاستغفار
ايضا احتاج الى استغفارين لا الى استغفار واحد فهكذا ينبغي ان يفهم ذم ما يذم وحمد ما يحمد والا جهلت
معنى ما قال القائل الصادق حسنات الابرار سيئات المقربين فان هذه امور تثبت بالاضافة فلا
ينبغي ان تؤخذ من غير اضافة بل ينبغي ان لا تستحقر ذرات الطاعات والمعاصي ولذلك قال جعفر الصادق
ان الله تعالى خبأ ثلثا في ثلث رضاه في طاعته فلا تحقروا منها شيئا فلعل رضاه فيه وغضبه في معاصيه
فلا تحقروا منها شيئا فلعل غضبه فيه وخبأ ولايته في عباده فلا تحقروا منهم احدا فلعله وليه **الركن**
الرابع في دواء التوبة وطريق العلاج لحل عقدة الاصرار اعلم ان الناس قسمان شاب لا صبوة
له ناشئ على الخير واجتناب الشر وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجب ربك من الشاب ليست
له صبوة وهذا عزيز نادر والقسم الثاني هو الذي لا يخلو عن مقارفة الذنوب ثم ينقسمون الى مصرين
والى تائبين وغرضنا ان نبين العلاج في حل عقدة الاصرار ونذكر الدواء فيه فاعلم ان شفاء التوبة لا يحصل
الا بالدواء ولا يقف على الدواء من لا يقف على الداء اذ لا معنى للدواء الا مناقضة اسباب الداء فكل داء حصل
من سبب فدواؤه حل ذلك السبب ورفعه وابطاله ولا يبطل الشيء الا بضده ولا سبب للاصرار
الا الغفلة والشهوة ولا يضاد الغفلة الا العلم ولا يضاد الشهوة الا الصبر على قطع الاسباب المحركة للشهوة
والغفلة رأس الخطايا قال الله تعالى اولئك هم الغافلون لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون فلا دواء اذا للتوبة
الا معجون يعجن من حلاوة العلم ومرارة الصبر كما يجمع في السكنجبين بين حلاوة السكر وحموضة الخل
ويقصد بكل واحد منهما غرض اخر في العلاج بمجموعهما يقمع الاسباب المهيجة للصفراء فهكذا ينبغي
ان يفهم علاج القلب عما به من مرض الاصرار فاذا لهذا الدواء اصلان احدهما العلم والاخر الصبر فلا بد
من بيانهما **فان قلت** اينفع كل علم بحل الاصرار ام لا بد من علم مخصوص فاعلم ان كل العلوم بجملتها ادوية
لامراض القلوب ولكن لكل مرض علم يخصه كما ان علم الطب نافع في علاج الامراض بالجملة ولكن يخص كل علة
علم مخصوص فكذلك داء الاصرار فلنذكر خصوص ذلك العلم على موازنة مرض الابدان ليكون اقرب الى الفهم
فنقول يحتاج المريض الى تصديق بامور **الاول** ان يصدق على الجملة بان للمرض والصحة اسبابا يتوصل اليها
بالاختيار على ما رتبه مسبب الاسباب وهذا هو الايمان باصل الطب فان من لا يؤمن به لا يشتغل بالعلاج
ويحق عليه الهلاك وهذا وزانه مما نحن فيه الايمان باصل الشرع وهو ان للسعادة في الاخرة سببا هو الطاعة
وللشقاوة سببا هو المعصية وهو الايمان باصل الشرائع وهذا لا بد من حصوله اما عن تحقيق او تقليد
وكلاهما من جملة الايمان الثاني انه لا بد وان يعتقد المريض في طبيب معين انه عالم بالطب حاذق فيه صادق
فيما يعبر عنه لا يلبس ولا يكذب فان ايمانه باصل الطب لا ينفعه بمجرده فقط هذا الايمان ووزانه
مما نحن فيه العلم بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم والايمان بكل ما يقوله حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف
الثالث انه لا بد ان يصغي الى الطبيب فيما يحذره عنه من تناول الماكل واسباب المضرة على الجملة حتى يغلب عليه
الخوف في ترك الاحتماء فيكون شدة الخوف باعثا له على الاحتماء ووزانه من الدين الاصغاء الى الايات والاخبار
المشتملة على الترغيب في التقوى والتحذير من ارتكاب الذنوب واتباع الهوى والتصديق بجميع ما يلقى الى
سمعه من ذلك من غير شك واسترابة حتى ينبعث به الخوف المقوي على الصبر الذي هو الركن الاخر في
العلاج **الرابع** ان يصغي الى الطبيب فيما يخص مرضه وفيما يلزمه في نفسه الاحتماء عنه ليعرفه اولا تفصيل

ما يضره من افعاله واحواله وماكوله ومشروبه فليس كل مريض يؤمر بالاحتماء عن كل شيء ولا ينفعه كل دواء بل لكل علة
خاصة علم خاص ودواء خاص ووزانه من الدين ان كل عبد فليس يبتلى بكل شهوة وارتكاب كل ذنب بل لكل مؤمن ذنب مخصوص
او ذنوب مخصوصة وانما حاجته في الحال مرهقة الى العلم بانها ذنوب ثم الى العلم بافاتها وقدر ضررها في
الدين ثم الى العلم بكيفية التوصل الى الصبر عنها ثم الى العلم بكيفية تكفير ما سبق منها فهذه علوم
يختص بها اطباء الدين وهم العلماء ورثة الانبياء فالعاصي ان علم عصيانه فعليه طلب العلاج من
الطبيب وهو العالم وان كان لا يدري ان ما يرتكبه ذنب فعلى العالم ان يعرفه وذلك بان يتكفل كل عالم
باقليم او بلد او محلة او مسجد او مشهد فيعلم اهله دينهم ويميز ما يضرهم عما ينفعهم وما
يشقيهم عما يسعدهم ولا ينبغي ان يصبر الى ان يسال عنه بل ينبغي ان يتصدى لدعوة الناس الى
نفسه فانهم ورثة الانبياء والانبياء ما تركوا الناس على جهلهم بل كانوا ينادونهم في مجامعهم ويدورون
على ابواب دورهم في الابتداء ويطلبون واحدا واحدا فيرشدونهم فان مرضى القلوب لا يعرفون مرضهم كما ان
الذي ظهر على وجهه برص ولا مرآة معه لا يعرف برصه ما لم يعرفه غيره وهذا فرض عين على العلماء كافة
وعلى السلاطين كافة ان يرتبوا في كل قرية وفي كل محلة فقيها متدينا يعلم الناس دينهم فان الخلق
لا يولدون الا جهالا فلا بد من تبليغ الدعوة اليهم في الاصل والفرع والدنيا دار المرضى اذ ليس في بطن الارض
الا ميت ولا على ظهرها الا سقيم ومرضى القلوب اكثر من مرضى الابدان والعلماء اطباء والسلاطين قوام دار
المرضى فكل مريض لم يقبل العلاج بمداواة العالم يسلم الى السلطان ليكف شره كما يسلم الطبيب المريض الذي
لا يحتمي او الذي غلب عليه الجنون الى القيم ليقيده بالسلاسل والاغلال ويكف شره عن نفسه وعن سائر الناس وانما
صار مرض القلوب اكثر من مرض الابدان لثلاث علل احداها ان المريض به لا يدري انه مريض والثانية ان
عاقبته غير مشاهدة في هذا العالم بخلاف مرض البدن فان عاقبته موت مشاهد تنفر الطباع منه
وما بعد الموت غير مشاهد فقلت النفرة عن الذنوب وان علمها مرتكبها فلذلك تراه يتكل على فضل الله
في مرض القلب ويجتهد في علاج مرض البدن من غير اتكال والثالثة وهو الداء العضال فقد الطبيب فان
الاطباء العلماء وقد مرضوا في هذه الاعصار مرضا شديدا عجزوا عن علاجه وصارت لهم سلوة في عموم المرض
حتى لا يظهر نقصانهم فاضطروا الى اغواء الخلق والاشارة عليهم بما يزيدهم مرضا لان الداء المهلك هو
حب الدنيا وقد غلب هذا الداء على الاطباء فلم يقدروا على تحذير الخلق منه استنكافا من ان يقال
لهم فما بالكم تامرون بالعلاج وتنسون انفسكم فبهذا السبب عم على الخلق الداء وعظم الوباء وانقطع الدواء
وهلك الخلق لفقد الاطباء بل اشتغل الاطباء بفنون الاغواء فليتهم اذ لم يصلحوا لم يفسدوا وليتهم
سكتوا وما نطقوا فانهم اذا تكلموا لم يهمهم في مواعظهم الا ما يرغب العوام ويستميل قلوبهم ولا يتوصلون
الى ذلك الا بالارجاء وتغليب اسباب الرجاء وذكر دلائل الرحمة لان ذلك الذ في الاسماع واخف على الطباع
فينصرف الخلق عن مجالس الوعظ وقد استفادوا مزيد جراءة على المعاصي ومزيد ثقة بفضل الله ومهما
كان الطبيب جاهلا او خائنا اهلك بالدواء حيث يضعه في غير موضعه فالرجاء والخوف دواءان
ولكن لشخصين متضادي العلة اما الذي غلب عليه الخوف حتى هجر الدنيا بالكلية وكلف نفسه ما لا
يطيق وضيق العيش على نفسه بالكلية فتكسر سورة اسرافه في الخوف بذكر اسباب الرجاء ليعود الى الاعتدال
وكذلك المصر على الذنوب المشتهي للتوبة الممتنع منها بحكم القنوط والياس استعظاما لذنوبه التي سبقت
ايضا باسباب الرجاء حتى يطمع في قبول التوبة فيتوب فاما معالجة المغرور المسترسل في المعاصي

بذكر اسباب الرجا فيصابهي معالجة المحرور بالعسل طلبا للشفا وذلك من داب الجهال والاغبيا فاذا فساد
الاطبا هي المعضلة الزبا التي لا يقبل الدوا اصلا **فان قلت** فاذكر الطريق الذي يسلكه الواعظ
في وعظه مع الخلق فاعلم ان ذلك يطول ولا يمكن استقصاوه نعم نشير الى الانواع النافعة في حل عقدة
الاصرار وحمل الناس على ترك الذنوب وهي اربعة انواع **النوع الاول** ان يذكر ما في القران من الايات
المخوفة للمذنبين والعاصين وكذلك ما ورد من الاخبار والاثار مثل قوله صلى الله عليه وسلم ما من يوم
يطلع فجره ولا ليلة يغيب شفقها الا وملكان يتجاوبان باربعة اصوات يقول احدهما يا ليت هذا الخلق
لم يخلقوا ويقول الاخر يا ليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا فيقول الاخر ويا ليتهم اذ لم يعلموا لماذا خلقوا
عملوا بما علموا وفي بعض الروايات ليتهم جلسوا فتذاكروا ما علموا فيقول الاخر ويا ليتهم اذ لم يعملوا بما علموا تابوا
مما عملوا وقال بعض السلف اذا اذنب العبد امر صاحب اليمين صاحب الشمال وهو امير عليه ان
يرفع القلم عنه ست ساعات فان تاب واستغفر لم يكتبها عليه وان لم يستغفر كتبها **وقال**
بعض السلف ما من عبد يعصي الا استاذن مكانه من الارض ان يخسف به واستاذن سقفه من السما ان
يسقط عليه كسفا فيقول الله تعالى للارض والسما كفا عن عبدي وامهلاه فانكما لم تخلقاه ولو خلقتماه
لرحمتماه لعله يتوب الي فاغفر له لعله يستبدل صالحا فابدله حسنات فذلك معنى قوله تعالى ان
الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده وفي حديث عمر بن الخطاب
رضي الله عنه الطابع معلق بقائمة العرش فاذا انتهكت الحرمات واستحلت المحارم ارسل الله الطابع
فطبع على القلوب بما فيها وفي حديث مجاهد القلب مثل الكف المفتوحة كلما اذنب ذنبا انقبضت اصبع
حتى ينقبض الاصابع كلها فيسد على القلب فذلك هو الطبع وقال الحسن ان بين العبد وبين الله عز وجل
حدا في المعاصي معلوما اذا بلغه العبد طبع الله على قلبه فلم يوفقه بعدها للخير والاخبار والاثار في ذم
المعاصي ومدح التائبين لا تحصى فينبغي ان يستكثر الواعظ منها ان كان وارث رسول الله صلى الله عليه
وسلم فانه ما خلف دينارا ولا درهما انما خلف العلم والحكمة وورثه كل عالم بقدر ما اصاب **النوع**
الثاني حكايات الانبيا عليهم السلام والسلف وما جرى عليهم من المصايب بسبب ذنوبهم فذلك شديد
الوقع ظاهر النفع في قلوب الخلق مثل احوال ادم عليه السلام في عصيانه وما لقيه من الاخراج من الجنة حتى
روي انه لما اكل من الشجرة تطايرت الحلل عن جسده وبدت عورته واستحيا التاج والاكليل من وجهه ان
يرتفعا عنه فجا جبريل عليه السلام فاخذ التاج عن راسه وحل الاكليل عن جبينه ونودي من فوق العرش
اهبطا من جواري فانه لا يجاورني من عصاني فالتفت ادم الى حوا باكيا وقال هذا اول شوم المعصية
اخرجنا من جوار الحبيب **وروي ان** سليمن عليه السلام لما عوقب على خطيته لاجل التمثال الذي عبد
في داره اربعين يوما وقيل ان المراة سالته ان يحكم لابيها فقال نعم ولم يفعل وقيل بل احب بقلبه ان يكون
الحكم لابيها على خصمه لمكانها فسلب ملكه اربعين يوما فهرب تايها على وجهه وكان يسال بكفه فلا يطعم
فاذا قال اطعموني فاني سليمن بن داود شج وضرب وحكي انه استطعم من بيت امراة فطردته وبزقت في وجهه
وفي رواية فاخرجت عجوز جرة فيها بول فصبته على راسه الى ان اخرج له الخاتم من بطن الحوت فلبسه بعد
انقضا الاربعين ايام العقوبة قال فجات الطيور فعكفت على راسه وجات الجن والشياطين والوحوش
فاجتمعت حوله فاعتذر اليه بعض من كان جنى عليه فقال لا الومكم فيما فعلتم من قبل ولا احمدكم في عذركم
الان هذا امر كان من السما ولا بد منه **وروي** في الاسرائيليات ان رجلا تزوج بامراة من بلدة اخرى فارسل

عبده يحملها فراودته نفسه وطالبته بها فجاهدها واستعصم فاستنباه الله تعالى ببركة تقواه وكان
نبيا في بني اسرائيل وفي قصص موسى عليه السلام اذ قال الخضر عليهما السلام بم اطلعك الله على علم
الغيب قال بتركي المعاصي لاجل الله تعالى ويروى ان الريح كانت تسير بسليمن عليه السلام فنظر
الى قميصه نظرة وكان عليه قميص جديد قال فكانه اعجبه قال فوضعته الريح فقال لم تفعلين ولم
امرك قالت انما نطيعك اذا اطعت الله تعالى **ويروى ان** الله تعالى اوحى الى يعقوب عليه السلام
اتدري لم فرقت بينك وبين ولدك يوسف قال لا قال لقولك لاخوته اخاف ان ياكله الذيب وانتم
عنه غافلون لم خفت عليه الذيب ولم ترجني ولم نظرت الى غفلة اخوته ولم تنظر الى حفظي له وكذلك لما قال يوسف عليه السلام
اذكرني عند ربك قال تعالى فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين وامثال
هذه الحكايات لا تنحصر ولم يرد بها القران والاخبار ورود الاسمار بل الغرض بها الاعتبار والاستبصار
لتعلم ان الانبيا عليهم السلام لم يتجاوز عنهم في الذنوب الصغار فكيف يتجاوز عن غيرهم نعم
كانت سعادتهم في ان عوجلوا بالعقوبة ولم تؤخر الى الاخرة والاشقيا يمهلون ليزدادوا اثما ولان عذاب
الاخرة اشد واكبر فهذا ايضا مما ينبغي ان يكثر جنسه على اسماع المصرين فانه نافع في تحريك دواعي التوبة
النوع الثالث ان يقرر عندهم ان تعجيل العقوبة في الدنيا متوقع على الذنب وان كل ما يصيب العبد
من المصايب فهو بسبب جناياته فرب عبد يتساهل في امر الاخرة ويخاف من عقوبة الله تعالى اكثر لفرط جهله
فينبغي ان يخوف به فان الذنوب كلها يتعجل في الدنيا شومها في غالب الامر **كما حكي** في قصة داود عليه
السلام حتى قد يضيق على العبد رزقه بسبب ذنبه وقد تسقط منزلته عن القلوب ويستولي عليه
اعداوه **قال** صلى الله عليه وسلم ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وقال ابن مسعود رضي الله عنه
اني لاحسب ان العبد لينسى العلم بالذنب يصيبه وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم من قارف ذنبا فارقه
عقل لا يعود اليه ابدا **وقال** بعض السلف ليست اللعنة سوادا في الوجه ونقصا في المال انما اللعنة
ان لا تخرج من ذنب الا وقعت في مثله او شر منه وهو كما قال لان اللعنة هي الطرد والابعاد فاذا لم يوفق للخير
ويسر له الشر فقد ابعد والحرمان عن رزق التوفيق اعظم حرمان وكل ذنب فانه يدعو الى ذنب اخر ويتضاعف
فيحرم العبد به عن رزقه النافع من مجالسة العلما المنكرين للذنوب وعن مجالسة الصالحين بل يمقته الله ليمقتوه
وحكي عن بعض العارفين انه كان يمشي في الوحل جامعا ثيابه محترزا حتى زلقت رجله وسقط فقام وهو يمشي
في الوحل ويبكي ويقول هذا مثل العبد لا يزال يتوقى الذنوب حتى يقع في ذنب وذنبين فعندها يخوض في الذنوب
خوضا وهو اشارة الى ان الذنب تتعجل عقوبته بالانجرار الى ذنب اخر ولذلك قال الفضيل ما انكرت من
تغير الزمان وجفا الاخوان فذنوبك ورثتك ذلك **وروي** بعضهم اني لاعرف عقوبة ذنبي في
سو خلق حماري وقال اخر اعرف العقوبة حتى في فار بيتي وقال بعض صوفية الشام نظرت الى غلام نصراني
حسن الوجه فوقفت انظر فمر بي ابن الجلا الدمشقي فاخذ بيدي فاستحييت منه فقلت يا ابا عبد الله
سبحان الله تعجبت من هذه الصورة الحسنة وهذه الصنعة المحكمة كيف خلقت للنار فغمز يدي وقال
لتجدن عقوبتها بعد حين قال فعوقبت بها بعد ثلاثين سنة **وقال** ابو سليمن الداراني الاحتلام عقوبة
وقال لا يفوت احدا صلاة جماعة الا بذنب يذنبه **وفي الخبر** ما انكرتم من زمانكم فبما غيرتم من اعمالكم **وفي**
الخبر يقول الله تعالى ان ادنى ما اصنع بالعبد اذا اثر شهوته على طاعتي ان احرمه لذيذ مناجاتي **و**
حكي عن ابي عمرو بن علوان في قصة يطول ذكرها قال فيها كنت قايما ذات يوم اصلي فخامر قلبي هوى

طارقته فنكري حتى تولد منه شهوة الرجال فوقعت على الارض ما سود جسدي ووجهي كله واستترت في البيت فلم اخرج ثلثة ايام وكنت اعالج غسله في الحمام بالصابون فلم يزداد الا سوادا حتى انكشف بعد ثلث فلقيت الجنيد وكان قد وجه الي فاشخصني من الرقة فلما اتيته قال لي اما استحييت من الله تعالى كنت قائما بين يديه فساهيت نفسك بشهوة حتى استولت عليك فاخرجتك من بين يدي الله فلولا اني دعوت الله بدية فتاب اليه فزال عنك القبح ما استريت بدلك اللون قال فتعجب كيف علم بذلك وهو ببغداد وانا بالرقة واعلم انه لا يذنب العبد ذنبا الا ويسود وجه قلبه فان كان سعيدا ظهر السواد على ظاهره لينزجر وان كان شقيا اخفي عنه حتى يتهمك ويستوجب النار والاخبار كثيرة في افات الذنوب في الدنيا في الفقر والمرض وغيره بل من شوم الذنوب في الدنيا ان يكتسب ما بعده صفته فان ابتلى بشيء كان عقوبة له ويحرم جميل الرزق حتى يتضاعف شقاوه واما طاعته نعمة كان استدراجا ويحرم جميل الشكر حتى يعاقب على كفرانه واما المطيع فمن بركة طاعته ان يكون كل نعمة في حقه جزاء على طاعته ويوفق لشكرها وكل بلية كفارة لذنوبه وزيادة في درجاته **النوع الرابع** ذكر ما ورد من العقوبات على احاد الذنوب كالخمر والزنا والسرقة والقتل والغيبة والكبر والحسد وذلك مما لا يمكن حصره وذكره مع غير اهله وضع للدعا في غير موضعه بل ينبغي ان يكون العالم كالطبيب الحاذق يستدل اولا بالنبض والسحنة ووجوه الحركات على العلل الباطنة ويشتغل بعد بعلاجها فليستدل بقراين الاحوال على خفايا الصفات وليتعرض لما وقف عليه اقتدا برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال له واحد اوصني ولم يزد على قوله لا تغضب وقال له اخر اوصني فقال عليك باليأس مما في ايدي الناس فان ذلك هو الغنى واياك والطمع فانه الفقر الحاضر وصل صلاة مودع واياك وما يعتذر منه **وقال** رجل لمحمد بن واسع اوصني فقال اوصيك ان تكون ملكا في الدنيا والاخرة فقال كيف لي بذلك فقال ازهد في الدنيا فكانه صلى الله عليه وسلم توسم في السائل الاول مخايل الغضب فنهاه عنه وفي السائل الاخر مخايل الطمع في الناس وطول الامل وتخيل محمد بن واسع في السائل مخايل الحرص على الدنيا **وقال** رجل لمعاذ رضي الله عنه اوصني فقال كن رحيما اكن لك بالجنة زعيما فكانه تفرس فيه اثار الفظاظة **وقال** رجل لابراهيم بن ادهم اوصني فقال اياك والناس وعليك بالناس فلا بد من الناس فان الناس هم الناس وليس كل الناس بالناس ذهب الناس وبقي النسناس وما اراهم بالناس بل غمسوا في ماء كانه تفرس فيه افة المخالطة واخبر عما كان هو الغالب على حاله في وقته وكان الغالب اذاء الناس والكلام على حال السائل اولى من ان يكون بحسب حال القائل **وكتب** معاوية الى عائشة رضي الله عنها ان اكتبي الي كتابا توصيني فيه ولا تكثري فكتبت اليه من عائشة الى معاوية سلام عليك اما بعد فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله الى الناس ومن التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس والسلام عليك فانظر الى فقهها كيف تعرضت للافة التي يكون الولاة بصددها وهو مراعاة الناس وطلب مرضاتهم **وكتب** مرة اخرى اما بعد فاتق الله فانك اذا اتقيت الله كفاك الناس واذا اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيئا والسلام فاذا كل ناصح ان يكون عنايته مصروفة الى تفرس الصفات الخفية وتفهم الاحوال اللائقة ليكون اشتغاله بالمهم فان حكاية جميع مواعظ الشرع مع كل واحد غير ممكن والاشتغال بوعظه بما هو مستغن عن الوعظ فيه تضييع زمان فان قلت فلو كان الواعظ يتكلم في جمع اصابه من لا يدري باطن حالهم ان يعظه فكيف يفعل فاعلم انه ينبغي ذلك ان يعظه بما فيه ترك كافة الخلق في الحاجة اليه اما على العموم واما على الاكثر فان في علوم الشرع اغذية

وادوية الاغذية للكافة والادوية لارباب العلل ومثاله ما روي ان رجلا قال لابي سعيد الخدري رضي الله عنه اوصني فقال عليك بتقوى الله عز وجل فانه راس كل خير وعليك بالجهاد فانه رهبانية الاسلام وعليك بالقرآن فانه نور لك في اهل الارض وذكر لك في اهل السما وعليك بالصمت الا من خير فبذلك تغلب الشيطان **وقال** رجل للحسن اوصني فقال اعز امر الله يعززك الله وقال لقمن لابنه يا بني زاحم العلما بركبتيك ولا تجادلهم فيمقتوك وخذ من الدنيا بلاغك وانفق فضول كسبك لاخرتك ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون عيالا وعلى اعناق الرجال كلا وصم صوما يكسر شهوتك ولا تصم صوما يضر بصلاتك فان الصلاة افضل من الصوم ولا تجالس السفيه ولا تخالط ذا الوجهين **وقال** ايضا لابنه يا بني لا تضحك من غير عجب ولا تمش في غير ارب ولا تسال عما لا يعنيك ولا تضيع مالك وتصلح مال غيرك فان مالك ما قدمت ومال غيرك ما تركت يا بني انه من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يقل الخير يغنم ومن يقل الشر ياثم ومن لا يملك لسانه يندم **وقال** رجل لابي حازم اوصني فقال كل ما جاءك الموت عليه رايته غنيمة فالزمه وكل ما جاءك الموت عليه رايته مصيبة فاجتنبه **وقال** موسى للخضر عليه السلام اوصني فقال كن بساما ولا تكن غضابا وكن نفاعا ولا تكن ضرارا وانزع عن اللجاجة ولا تمش في غير حاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تعير الخطائين بخطاياهم وابك على خطيئتك يا ابن عمران **وقال** رجل لمحمد بن كرام اوصني فقال اجتهد في رضا خالقك بقدر ما تجتهد في رضا نفسك وقال رجل لحامد اللفاف اوصني فقال اجعل لدينك غلافا كغلاف المصحف لا تدنسه الافات قال وما غلاف الدين قال ترك طلب الدنيا الا ما لا بد منه وترك كثرة الكلام الا فيما لا بد منه وترك مخالطة الناس الا فيما لا بد منه وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فخف ما خوفك الله واحذر ما حذرك الله وخذ مما في يديك لما بين يديك فعند الموت ياتيك الخبر اليقين والسلام وكتب عمر بن عبد العزيز الى الحسن يساله ان يعظه فكتب اليه اما بعد فان الهول الاعظم والامور المفظعات امامك فلا بد لك من مشاهدة ذلك اما بالنجاة واما بالعطب واعلم ان من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر ومن نظر في العواقب نجا ومن اطاع هواه ضل ومن حلم غنم ومن خاف امن ومن امن اعتبر ومن اعتبر ابصر ومن ابصر فهم ومن فهم علم فاذا زللت فارجع واذا ندمت فاقلع واذا جهلت فسال واذا غضبت فامسك وكتب مطرف بن عبد الله الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فان الدنيا دار عقوبة ولها يجمع من لا عقل له وبها يغتر من لا علم عنده فكن فيها يا امير المؤمنين كالمداوي جرحه يصبر على شدة الدوا لما يخاف من عاقبة الدا **وكتب** عمر بن عبد العزيز الى عدي بن ارطاة اما بعد فان الدنيا عدوة اولياء الله وعدوة اعداء الله اما اولياء الله فغمتهم واما اعداؤه فغرتهم **وكتب** ايضا الى بعض عماله اما بعد فقد امكنك القدرة من ظلم العباد فاذا هممت بظلم احد فاذكر قدرة الله عليك واعلم انك لا تاتي الى الناس شيئا الا كان زائلا عنهم باقيا عليك واعلم ان الله عز وجل اخذ للمظلومين من الظالمين والسلام فهكذا ينبغي ان يكون وعظ العامة ووعظ من لا يدري خصوص واقعته فهذه المواعظ مثل الاغذية التي تشترك الكافة في الانتفاع بها فقد مثل هولاء الوعاظ انحسم باب الاتعاظ وغلبت المعاصي واستشرى الفساد وبلي الخلق بوعاظ يزخرفون اسجاعا وينشدون ابياتا

ويتكلمون ذكرا باللسان في سعة علمهم ويتشبهون بحال غيرهم تسقط عن قلوب العامة وقارهم ولم
يكن كلامهم صادرا من القلب ليصل الى القلب بل القائل متصلف والمستمع متكلف وكل واحد منهما
مدبر ومتخلف اذ كان طلب الطبيب اول علاج المريض فطلب العلما اول علاج العاصين فهذا احد
اركان العلاج واصوله الاصل الثاني الصبر ووجه الحاجة اليه ان المريض انما يطول مرضه لتناوله
ما يضره وانما يتناول ذلك اما لغفلته عن مضرته واما لشدة غلبة شهوته فله سببان فما ذكرناه
علاج الغفلة فيبقى علاج الشهوة وطريق علاجها قد ذكرناه في كتاب رياضة النفس وحاصله ان المريض
اذا اشتدت ضراوته بماكول مضر فطريقه ان يستشعر عظم ضرره ثم يغيب ذلك عن عينه فلا يحضره
ثم يتسلى عنه بما يقرب منه في صورته ولا يكثر ضرره ثم يصبر بقوة الخوف على الالم الذي يناله في تركه فلا
بد على كل حال من مرارة الصبر فكذلك يعالج الشهوة في المعاصي كالشاب مثلا اذا غلبته الشهوة فصار
لا يقدر على حفظ عينه وحفظ قلبه او حفظ جوارحه في السعي ورا شهوته فينبغي ان يستشعر ضرر ذنبه
بان يستقري المخوفات الواردات فيه من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا اشتد خوفه
تباعد عن الاسباب المهيجة لشهوته ومهيج الشهوة من خارج هو حضور المشتهى والنظر اليه وعلاجه
الهرب والعزلة ومن داخل تناول لذائذ الاطعمة وعلاجه الجوع والصوم الدايم وكل ذلك لا يتم الا بصبر
ولا يصبر الا عن خوف ولا يخاف الا عن علم ولا يعلم الا عن بصيرة وافتكار او عن سماع وتقليد فاول الامر حضور
مجالس الذكر ثم الاستماع من قلب مجرد عن ساير الشواغل مصروف الى السماع ثم التفكر فيه لتمام الفهم وينبعث
من تمامه لا محالة خوفه اذا قوي الخوف تيسر بمعونته الصبر وانبعثت الدواعي لطلب العلاج وتوفيق
الله تعالى وتيسيره من ورا ذلك فمن اعطى من قلبه حسن الاصغا واستشعر الخوف فاتقى وانتظر الثواب
فصدق بالحسنى فسنيسره الله تعالى لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره الله للعسرى
ثم لا يغني عنه ما هو فيه من ملاذ الدنيا مهما هلك وتردى وما على الانبيا الا شرح طرق الهدى وانما
لله الاخرة والاولى **فان قلت** فقد رجع الامر كله الى الايمان لان ترك الذنب لا يمكن الا بالصبر عليه والصبر
لا يمكن الا بمعرفة الخوف والخوف لا يحصل الا بالعلم بعظيم ضرر الذنوب والتصديق بعظيم ضرر الذنوب
هو تصديق الله ورسوله وهو الايمان فكان من اصر على الذنب لم يصر عليه الا لانه غير مومن فاعلم ان هذا لا يكون
لفقد الايمان بل يكون لضعف الايمان فكل مومن مصدق بان المعصية سبب البعد من الله وسبب العقاب
في الاخرة ولكن سبب وقوعه في الذنب امور **احدها** ان العقاب الموعود ليس بحاضر والنفس جبلت
متاثرة بالحاضر فتاثرها بالموعود ضعيف بالاضافة الى تاثرها بالحاضر **الثاني** ان الشهوات الباعثة
على الذنوب لذاتها ناجزة وهي في الحال اخذة بالمخنق وقد قوي ذلك واستولى بسبب الاعتياد و
الالف والعادة طبيعة خامسة والنزوع عن العاجل لخوف الاجل شديد على النفس ولذلك قال تعالى
كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة وقال بل تؤثرون الحيوة الدنيا والاخرة خير وابقى وقد عبر عن شدة
الامر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وقوله صلى الله عليه وسلم
ان الله عز وجل خلق النار فقال لجبريل عليه السلام اذهب فانظر اليها فذهب فنظر اليها فقال
وعزتك لقد خشيت انه لا يبقى احد الا دخلها وخلق الجنة فقال لجبريل اذهب فانظر اليها فنظر فقال
وعزتك لا يسمع بها احد الا دخلها فحفها بالمكاره ثم قال اذهب فانظر اليها فقال وعزتك لقد خشيت
ان لا يدخلها احد فاذا كون الشهوة مرهقة في الحال وكون العقاب متاخرا الى المال سببان ظاهران

في الاسترسال مع حصول اصل الايمان فليس كل من يذنب في مرضه لما اشتهى المشتهى مكذبا باصل الطب ولا مكذبا
بان ذلك مضر في حقه ولكن الشهوة تغلبه والم الصبر عنه ناجز فيهون عليه الالم المنتظر **الثالث**
انه ما من مذنب مومن الا وهو في الغالب عازم على التوبة وتكفير السيات وقد وعد بان ذلك يجبره
الا ان طول الامل غالب على الطباع فلا يزال يسوف التوبة والتكفير فمن حيث رجاوه التوفيق للتوبة
ربما يقدم عليه مع الايمان **الرابع** انه ما من مومن موقن الا وهو معتقد ان الذنب لا يوجب العقوبة ايجابا
لا يمكن العفو عنها فهو يذنب وينتظر العفو اتكالا على فضل الله تعالى فهذه اسباب اربعة موجبة للاصرار
على الذنب **مع بقا اصل الايمان** نعم قد يقدم المذنب بسبب خامس يقدح في اصل الايمان وهو
كونه شاكا في صدق الرسل وهذا هو الكفر كالذي يحذره الطبيب تناول ما يضره في المرض فان كان المحذر ممن لا يعتقد انه عالم
بالطب فيكذبه او يشك فيه فلا يبالي به فهذا هو الكفر **فان قلت** فما علاج الاسباب الخمسة فاقول هو الفكر وذلك
بان يقرر على نفسه في السبب الاول وهو تاخر العقاب ان كل ما هو ات ات وان غدا للناظر قريب وان الموت اقرب
الى كل احد من شراك نعله فما يدريه لعل الساعة قريب والمتاخر اذا وقع صار ناجزا ويذكر نفسه انه ابدا في
دنياه يتعب في الحال لخوف امر في الاستقبال اذ يركب البحار ويقاسي الاسفار لاجل الربح الذي يظن انه يحتاج اليه
في ثاني الحال بل لو مرض واخبره نصراني طبيب بان شرب الما البارد يضره ويسوقه الى الموت وكان الما البارد الذ
الاشيا عنده تركه مع ان الموت المخلص او لم يخف ما بعده ومفارقته للدنيا لا بد منها فكم نسبة وجوده في
الدنيا الى عدمه ازلا وابدا فلينظر كيف يبادر الى ترك ملاذه بقول ذمي لم يقم معجزة على طبه فيقول كيف يليق بعقلي
ان يكون قول الانبيا المويدين بالمعجزات عندي دون قول نصراني يدعي الطب لنفسه بلا معجزة على طبه ولا
يشهد له عوام الخلق وكيف يكون عذاب النار اخف عندي من عذاب المرض وكل يوم في الاخرة بمقدار خمسين
الف سنة من ايام الدنيا وبهذا التفكر بعينه يعالج اللذة الغالبة عليه ويكلف نفسه تركها ويقول اذا كنت
لا اقدر على ترك التاذي ايام العمر وهي ايام قلايل فكيف اقدر على ذلك ابد الاباد واذا كنت لا اطيق الم الصبر
فكيف اطيق الم النار واذا كنت لا اصبر على ترك الدنيا مع كدورتها وتنغصها وامتزاج صفوها بكدرها
فكيف اصبر عن نعيم الاخرة واما تسويف التوبة فيعالجه بالفكر في ان اكثر صياح اهل النار من التسويف لان
المسوف يبني الامر على ما ليس اليه وهو البقا فلعله لا يبقى وان بقي فلا يقدر على الترك غدا كما لا يقدر عليه اليوم فليت
شعري هل عجز في الحال الا لغلبة الشهوة والشهوة ليست تفارقه غدا بل تتضاعف اذ تتاكد بالاعتياد فليست
الشهوة التي اكدها الانسان بالعادة كالتي لم يوكدها وعن هذا هلك المسوفون لانهم يظنون الفرق بين
المتماثلين ولا يظنون ان الايام متشابهة في ان ترك الشهوات فيها ابدا شاق وما مثال المسوف الا مثال من
احتاج الى قلع شجرة فراها قوية لا تنقلع الا بمشقة شديدة فقال اوخرها سنة ثم اعود اليها وهو يعلم ان الشجرة
كلما بقيت ازداد رسوخها وهو كلما طال عمره ازداد ضعفه فلا حماقة في الدنيا اعظم من حماقته اذ عجز عن مقاومة
ضعيف فاخذ ينتظر الغلبة عليه اذا ضعف هو في نفسه وقوي الضعيف واما المعنى الرابع وهو انتظار
عفو الله تعالى فعلاجه ما سبق وهو كمن ينفق جميع امواله ويترك نفسه وعياله فقرا منتظرا من فضل الله ان
يرزقه العثور على كنز في ارض خربة فان امكان العفو عن الذنب مثل هذا الامكان وهو مثل من يتوقع النهب من
الظلمة في بلده وترك ذخاير امواله في صحن داره وقدر على دفنها واخفايها فلم يفعل وقال انتظر من فضل الله ان
يسلط غفلة على الظالم الناهب حتى لا يتفرغ الى داري او اذا انتهى الى داري مات على باب الدار فان الموت ممكن
والغفلة ممكنة وقد حكي في الاسمار ان مثل ذلك وقع فانا انتظر من فضل الله مثله فمنتظر هذا منتظر امر ممكن

ولكنه في غاية النكاية وأما الخامس وهو الشك فهذا كفر وعلاجه الأسباب التي تعرفه صدق الرسل
وذلك يطول ولكن يمكن أن يعالج بعلم قريب يليق بحد عقله فيقال له ما قاله الأنبياء المؤيدون بالمعجزات هل
صدقه ممكن أو تقول أعلم أنه محال كما أعلم استحالة كون شخص واحد في مكانين فإن قال أعلم استحالته كذلك
فهو أخرق معتوه وكأنه لا وجود لمثل هذا في العقلاء وإن قال أنا شاك فيه فيقال لو أخبرك شخص واحد مجهول
عند تركك طعامك في البيت لحظة أنه قد ولغت فيه حية وألقت سمها فيه وجوزت صدقه فهل تأكله أم تتركه
وإن كان ألذ الأطعمة فيقول أتركه لا محالة لأني أقول إن كذب فلا يفوتني إلا هذا الطعام والصبر عنه وإن كان
شديدا فهو قريب وإن صدق فيفوتني الحياة والموت بالإضافة إلى ألم الصبر عن الطعام وإضاعته شديد فيقال
يا سبحان الله كيف تؤخر صدق الأنبياء كلهم مع ما ظهر لهم من المعجزات وصدق كافة العلماء والأولياء والحكماء بل جميع
أصناف العقلاء ولست أعني بهم جهال العوام بل ذوي الألباب عن صدق رجل واحد مجهول لعله غرضا فيما
يقول فليس في العقلاء إلا من صدق باليوم الآخر وأثبت ثوابا وعقابا وإن اختلفوا في كيفيته فإن صدقوا فقد
أشرفت على عذاب يبقى أبد الآباد وإن كذبوا فلا يفوتك إلا بعض شهوات هذه الدنيا الفانية المكدرة فلا يبقى له
توقف إن كان عاقلا ومع هذا الفكر لا نسبة لمدة العمر مع أبد الآباد بل لو قدرنا الدنيا مملوءة بالذرة وقدرنا
طائرا يلتقط في كل ألف ألف سنة حبة واحدة منها لفنيت الذرة ولم ينقص أبد الآباد شيئا فكيف يفتر رأي
العاقل في الصبر عن الشهوات مائة سنة مثلا لأجل سعادة تبقى أبد الآباد ودون ذلك لا منتهى له ولذلك قال أبو العلاء
المعري **شعر** قال المنجم والطبيب كلاهما لا تحشر الأموات قلت إليكما إن صح قولكما فلست بخاسر أو صح قولي فالخسار عليكما
ولذلك قال علي كرم الله وجهه لبعض من قصر عقله عن تحقيق الأمور وكان شاكا إن صح ما قلت فقد تخلصنا جميعا
وإلا فقد تخلصنا وهلكت أي العاقل يسلك طريق الأمن في جميع الأحوال **فإن قلت** هذه أمور جلية ولكنها
ليست تنال إلا بالفكر فما بال القلوب هجرت الفكر فيها واستثقلته وما علاج القلوب لردها إلى الفكر لا سيما من آمن
بأصل الشرع فاعلم أن المانع من الفكر أمران أحدهما أن الفكر النافع هو الفكر في عقاب الآخرة وأهوالها وشدائدها
وحسرات العاصين في الحرمان عن النعيم المقيم وهذا فكر لداغ مؤلم للقلب فينفر القلب عنه ويتلذذ بالفكر في أمور الدنيا
على سبيل التفرج والاستراحة **والثاني** أن الفكر شغل في الحال مانع من لذائذ الدنيا وقضاء الشهوات وما من إنسان
إلا وله في كل حالة من أحواله ونفس من أنفاسه شهوة قد تسلطت عليه واسترقته فصار عقله مسخر الشهوة فهو مشغول
بتدبير حيلته وصارت لذته في طلب الحيلة فيه أو في مباشرة قضاء الشهوة والفكر يمنعه من ذلك **وأما علاج**
هذين المانعين فهو أن يقول لقلبه ما أشد غباوتك في الاحتراز من الفكر في الموت وما بعده تألما بذكره مع استحقار
ألم مواقعته فكيف تصبر على مقاساته إذا وقع وأنت عاجز عن الصبر على تقدير الموت وما بعده ومتألم به وأما الثاني
وهو كون الفكر مفوتا للذات الدنيا فهو أن يتحقق أن فوات لذة الآخرة أشد وأعظم فإنها لا آخر لها ولا كدورة فيها
ولذات الدنيا سريعة الدثور وهي مشوبة بالمكدرات فما فيها لذة صافية عن كدورة وكيف وفي التوبة عن المعاصي
والإقبال على الطاعة تلذذ بمناجاة الله تعالى واستراحة بمعرفته وطاعته وطول الأنس به ولو لم يكن للمطيع
جزاء على عمله إلا ما يجده من حلاوة الطاعة وروح الأنس بمناجاة الله لكان ذلك كافيا فكيف بما ينضاف إليه من نعيم
الآخرة نعم هذه اللذة لا تكون في ابتداء التوبة ولكنه يصبر عليه مدة وقد صار الخير ديدنا كما كان الشر
ديدنا فالنفس قابلة ما عودتها تتعود والخير عادة والشر لجاجة فإذا هذه الأفكار هي المهيجة للخوف المهيج لقوة
الصبر عن اللذات ومهيج هذه الأفكار وعظ الوعاظ وتنبيهات تقع للقلب بأسباب تتفق لا يدخل في الحصر
الفكر موافقا للطبع فيميل القلب إليه ويعبر عن السبب الذي أوقع الموافقة بين الطبع وبين الفكر الذي هو سبب

الخير توفيقا إذ التوفيق هو التأليف بين الإرادة وبين المعنى الذي هو طاعة نافعة في الآخرة وقد ورد في حديث طويل
أنه قام عمار بن ياسر فقال لعلي بن أبي طالب عليه السلام يا أمير المؤمنين أخبرنا عن الكفر على ماذا بني فقال علي رضي الله عنه
بني على أربع دعائم على الجفاء والعمى والغفلة والشك فمن جفا احتقر الحق وجهر بالباطل ومقت العلماء ومن عمي
نسي الذكر ومن غفل حاد عن الرشد وغرته الأماني فأخذته الحسرة والندامة وبدا له من الله ما لم يكن يحتسب ومن شك
فقد ضل فما ذكرناه بيان لبعض آفات الغفلة عن التفكر وهذا القدر كاف فإذا كان الصبر ركنا من أركان دوام التوبة
فلا بد من بيان الصبر فنذكره في كتاب مفرد إن شاء الله تعالى والله الموفق للصواب وحسبنا الله ونعم الوكيل
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين تم كتاب التوبة بحمد الله وعونه ومنه وكرمه
وصلواته وسلامه على خير خلقه محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين ورضي الله عن الصحابة أجمعين
يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب الصبر والشكر وهو الكتاب الثاني من ربع المنجيات من كتاب إحياء علوم الدين للغزالي

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وسلم

الحمد لله أهل الحمد والثناء المتفرد برداء الكبرياء المتوحد بصفات المجد والعلاء المؤيد صفوة الأولياء على الصبر على السراء و
الضراء والشكر على البلاء والنعماء والصلاة على محمد سيد الأنبياء وعلى آله وصحبه سادة الأصفياء وعلى آله قادة البررة
والأتقياء صلاة محروسة بالدوام عن الفناء ومصونة بالتعاقب عن التصرم والانقضاء **أما بعد** فإن الإيمان
نصفان نصف صبر ونصف شكر كما وردت به الآثار وشهدت له الأخبار وهما أيضا وصفان من أوصاف الله تعالى
واسمان من أسمائه الحسنى إذ سمى نفسه صبورا وشكورا فالجهل بحقيقة الصبر والشكر جهل بكلا شطري الإيمان
ثم هو غفلة عن وصفين من أوصاف الرحمن ولا سبيل إلى الوصول إلى القرب من الله تعالى إلا بالإيمان وكيف يتصور
سلوك سبيل الإيمان دون معرفة ما به الإيمان ومن به الإيمان والتقاعد عن معرفة الصبر والشكر تقاعد عن معرفة
من به الإيمان وعن إدراك ما به الإيمان فما أحوج كلا الشطرين إلى الإيضاح والبيان ونحن نوضح كلا الشطرين
في كتاب واحد لارتباط أحدهما بالآخر إن شاء الله تعالى **الشطر الأول في الصبر** وفيه بيان فضيلة
الصبر وبيان حده وحقيقته وبيان كونه نصف الإيمان وبيان اختلاف أساميه باختلاف متعلقاته و
بيان أقسامه بحسب اختلاف القوة والضعف وبيان مظان الحاجة إلى الصبر وبيان دواء الصبر وما
يستعان به عليه فهي سبعة فصول يشتمل على جميع مقاصده **بيان فضيلة الصبر** قد وصف
الله سبحانه وتعالى الصابرين بأوصاف وذكر الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعا وأضاف أكثر الخيرات
والدرجات إلى الصبر وجعلها ثمرة له فقال عز من قائل وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وقال تعالى
وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا **وقال** تعالى ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا
يعملون وقال تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا **و**قال تعالى إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب
فما من قربة إلا وأجرها بتقدير وحساب إلا الصبر ولأجل كون الصوم من الصبر وأنه نصف الإيمان قال الله تعالى
الصوم لي وأنا أجزي به فأضافه إلى نفسه من بين سائر العبادات ووعد الصابرين بأنه معهم فقال تعالى واصبروا
إن الله مع الصابرين وعلق النصرة على الصبر **فقال** تعالى بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة
آلاف من الملائكة مسومين وجمع للصابرين بين أمور لم يجمعها لغيرهم **فقال** تعالى أولئك عليهم صلوات من ربهم
ورحمة وأولئك هم المهتدون فالهدى والصلوات والرحمة مجموعة للصابرين واستقصاء جميع الآيات في

تمام الصبر بطول **واما الاخبار** فقد قال صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان على ما سياتي وجه كونه نصفا
وقال صلى الله عليه وسلم من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطي حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام
الليل وصيام النهار ولان تصبروا على مثل ما انتم عليه احب الي من ان يوافيني كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم
ولكني اخاف ان تفتح عليكم الدنيا بعدي فينكر بعضكم بعضا وينكركم اهل السما عند ذلك فمن صبر واحتسب ظفر
بكمال ثوابه ثم قرا قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا الاية **وروى** جابر رضي الله
عنه انه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقال الصبر والسماحة وقال ايضا الصبر كنز من كنوز الجنة وسئل
مرة ما الايمان فقال الصبر وهذا يشبه قوله الحج عرفة وقيل اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام تخلق باخلاقي
وان من اخلاقي اني انا الصبور وفي حديث عطا عن ابن عباس رضي الله عنهما لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
على الانصار فقال امؤمنون انتم فسكتوا فقال عمر نعم يا رسول الله فقال وما علامة ايمانكم فقالوا نشكر
على الرخا ونصبر على البلا ونرضى بالقضا فقال صلى الله عليه وسلم مؤمنون ورب الكعبة وقال صلى الله
عليه وسلم في الصبر على ما تكره خير كثير وقال المسيح عليه السلام انكم لا تدركون ما تحبون الا بصبركم على ما تكرهون
وقال صلى الله عليه وسلم لو كان الصبر رجلا لكان كريما والله يحب الصابرين والاخبار في هذا لا تحصى واما الاثار
فقد وجد في رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى ابي موسى الاشعري عليك بالصبر واعلم ان الصبر صبران احدهما افضل
من الاخر الصبر في المصيبات حسن وافضل منه الصبر عما حرم الله تعالى واعلم ان الصبر ملاك الايمان وذلك بان
التقوى افضل البر والتقوى بالصبر وقال علي كرم الله وجهه بني الايمان على اربع دعائم اليقين والصبر والجهاد و
العدل وقال ايضا الصبر من الايمان بمنزلة الراس من الجسد ولا جسد لمن لا راس له ولا ايمان لمن لا صبر له وكان عمر رضي
الله عنه يقول نعم العدلان ونعمت العلاوة للصابرين يعني بالعدلين الصلاة والرحمة وبالعلاوة الهدى والعلاوة
ما يحمل فوق العدلين على البعير واشار به الى قوله تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة الاية **وكان**
حبيب بن ابي حبيب اذا قرا هذه الاية انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب بكى وقال واعجبا اعطى واثنى
اي هو المعطي للصبر وهو المثني **وقال ابو الدردا** رضي الله عنه ذروة الايمان الصبر للحكم والرضا
بالقدر هذا بيان فضيلة الصبر من حيث النقل فاما من حيث النظر بعين الاعتبار فلا تفهمه الا بعد
فهم حقيقة الصبر ومعناه اذ معرفة الفضيلة والرتبة معرفة صفة فلا تحصل قبل معرفة الموصوف
فلنذكر حقيقته ومعناه **بيان حقيقة الصبر ومعناه اعلم** ان الصبر مقام من مقامات
الدين ومنزل من منازل السالكين وجميع مقامات الدين انما ينتظم من ثلاثة امور معارف واحوال
واعمال فالمعارف هي الاصول وهي تورث الاحوال والاحوال تثمر الاعمال فالمعارف كالاشجار والاحوال كالاغصان
والاعمال كالثمار وهذا مطرد في جميع منازل السالكين الى الله تعالى واسم الايمان تارة يختص بالمعارف
وتارة يطلق على الكل كما ذكرناه في اختلاف اسم الايمان والاسلام في كتاب قواعد العقايد وكذلك
الصبر لا يتم الا بمعرفة سابقة وبحالة قائمة فالصبر على التحقيق عبارة عنها والعمل هو كالثمرة يصدر
عنها ولا يعرف هذا الا بمعرفة كيفية الترتيب بين الملائكة والانس والبهايم اما في البهايم فلنقصانها
واما في الملائكة فلكمالها وبيانه ان البهايم سلطت عليها الشهوات وصارت مسخرة لها فلا باعث
لها على الحركة والسكون الا الشهوة وليس فيها قوة تصادم الشهوة صبرا واما الملائكة فانهم جردوا للشوق
وتردها عن مقتضاها حتى تسمى ثبات تلك القوة في مقابلة مقتضى الشهوة صبرا واما الملائكة فانهم جردوا
للشوق الى الحضرة الربوبية والابتهاج بدرجة القرب منها ولم تسلط عليهم شهوة صارفة صادة عنها

حتى يحتاج الى مصادمة ما يصرفها عن حضرة الجلال بجند اخر يغلب الصوارف واما الانسان فانه خلق
في ابتدا الصبى ناقصا مثل البهيمة لم يخلق فيه الا شهوة الغذا الذي هو محتاج اليه ثم يظهر فيه شهوة
اللعب والزينة ثم شهوة النكاح على الترتيب وليس له قوة الصبر البتة اذ الصبر عبارة عن ثبات
جند في مقابلة جند اخر قام القتال بينهما لتضاد مقتضياتهما وليس في الصبي الا جند الهوى كما في
البهايم ولكن الله بفضله وسعة جوده اكرم بني ادم ورفع درجتهم عن درجة البهايم فوكل به عند كمال
شخصه بمقاربة البلوغ ملكين احدهما يهديه والاخر يقويه فتميز بمعونة الملكين عن البهايم و
اختص بصفتين احديهما معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله ومعرفة المصالح المتعلقة بالعواقب وكل
ذلك حاصل من الملك الذي اليه الهداية والتعريف فالبهيمة لا معرفة لها ولا هداية الى مصلحة العواقب
بل الى مقتضى شهواتها في الحال فقط فلذلك لا تطلب الا اللذيذ فاما الدوا النافع مع كونه مضرا في
الحال فلا يطلبه ولا تعرفه فصار الانسان بنور الهداية يعرف ان اتباع الشهوات له مغبات مكروهة
في العاقبة ولكن لم تكن هذه الهداية كافية ما لم تكن له قدرة على ترك ما هو مضر فكم من مضر يعرفه الانسان
كالمرض النازل به مثلا ولكن لا قدرة له على دفعه فافتقر الى قدرة وقوة يدفع بها في نحر الشهوات ف
يجاهدها بتلك القوة حتى يقطع عداوتها عن نفسه فوكل الله به ملكا اخر يسدده ويؤيده ويقويه بجنود
لم تروها وامر هذا الجند بقتال جنود الشهوة فتارة يضعف هذا الجند وتارة يقوى وذلك بحسب امداد
الله تعالى عبده بالتاييد كما ان نور الهداية ايضا يختلف في الخلق اختلافا لا ينحصر فلنسم هذه الصفة التي
بها فارق الانسان البهايم في قمع الشهوات وقهرها باعثا دينيا ولنسم مطالبة الشهوات بمقتضياتها باعث
الهوى وليفهم ان القتال قايم بين باعث الدين وباعث الهوى والحرب بينهما سجال ومعركة هذا القتال
قلب العبد ومدد باعث الدين من الملائكة الناصرين لحزب الله ومدد باعث الشهوة من الشياطين الناصرين
لاعدا الله فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة فان ثبت حتى قهره واستمر على مخالفة الشهوة فقد
نصر حزب الله والتحق بالصابرين وان تخاذل وضعف حتى غلبته الشهوة ولم يصبر في دفعها التحق باتباع
الشياطين فاذا ترك الافعال المشتهاة عمل يثمرها حال تسمى الصبر وهو ثبات باعث الدين الذي في مقابلة
باعث الشهوة وثبات باعث الدين حال تثمرها المعرفة بعداوة الشهوات ومضادتها لاسباب السعادات
في الدنيا والاخرة فاذا قوي يقينه اعني المعرفة التي تسمى ايمانا وهو اليقين بكون الشهوة عدوا قاطعا
لطريق الله تعالى قوي ثبات باعث الدين واذا قوي ثباته تمت الافعال على خلاف ما تتقاضاه الشهوة
فلا يتم ترك الشهوة الا بقوة باعث الدين المضاد لباعث الشهوة وقوة المعرفة والايمان تقبح مغبة الشهوات
وسوء عاقبتها وهذان الملكان هما المتكفلان بهذين الجندين باذن الله تعالى وتسخيره اياهما وهما
من الكرام الكاتبين وهما الموكلان بكل شخص من الادميين واذ عرفت ان رتبة الملك الهادي اعلى من رتبة
الملك المقوي لم يخف عليك ان جانب اليمين الذي هو اشرف الجانبين من جنبتي الدست ينبغي ان يكون
مسلما له فهو اذا صاحب اليمين والاخر صاحب الشمال وللعبد طوران في الغفلة والفكر وفي الاسترسال
والمجاهدة فهو بالغفلة معرض عن صاحب اليمين ومسي اليه فيكتب اعراضه سيئة وبالفكر مقبل عليه
ليستفيد منه الهداية فهو به محسن فيكتب له حسنة وكذا بالاسترسال هو معرض عن صاحب الشمال تارك
للاستمداد منه فهو به مسي اليه فيثبت عليه سيئة وبالمجاهدة مستمد من جنوده فيثبت له حسنة
وانما ثبتت هذه الحسنات والسيئات باثباتهما فلذلك سميا كراما كاتبين اما الكرام فلانتفاع العبد

بكرهما وان الملائكة كلهم كرام بررة وان الكاتبين للحسنات والسيئات وانما يكتبان
في صحائف مطوية في سر القلب ومطوية عن سر القلب حتى لا يطلع عليه في هذا العالم فانهما وكتبتهما و
خطهما وصحائفهما وجملة ما يتعلق بهما من عالم الغيب والملكوت لا من عالم الشهادة وكل شيء من عالم الملكوت
لا تدركه الابصار في هذا العالم ثم تنشر هذه الصحائف المطوية عنه مرتين مرة في القيامة الصغرى
ومرة في القيامة الكبرى واعني بالصغرى حالة الموت اذ قال صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته
وفي هذه القيامة يكون العبد وحده وعندها يقال ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وفيها يقال
كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اما في القيامة الكبرى الجامعة لكافة الخلق لا يكون وحده بل ربما يحاسب
على ملأ من الخلق وفيها يساق المتقون الى الجنة والمجرمون الى النار زمرا لا فرادى والهول الاول هو هول
القيامة الصغرى ولجميع اهوال القيامة الكبرى نظير في القيامة الصغرى مثل زلزلة الارض مثلا فان ارضك
الخاصة بك تتزلزل في الموت فانك تعلم ان الزلزلة اذا نزلت ببلد صدق ان يقال قد زلزلت ارضهم
وان لم تتزلزل البلاد المحيطة بها بل لو زلزل مسكن الانسان وحده فقد حصلت الزلزلة في حقه لانه انما يتضرر
عند زلزلة جميع الارض بزلزلة مسكنه لا بزلزلة مسكن غيره فحصته من الزلزلة قد توفرت من غير نقصان
واعلم انك ارضي مخلوق من التراب وحظك الخاص من التراب بدنك فقط فاما بدن غيرك فليس بحظك
والارض التي انت جالس عليها بالاضافة الى بدنك ظرف ومكان وانما تخاف من تزلزلها ان يتزلزل بدنك بسببه
والا فالهواء ابدا متزلزل وانت لا تخشاه اذ ليس يتزلزل به بدنك فحظك من زلزلة الارض كلها زلزلة بدنك
فقط فهي ارضك وترابك الخاص بك وعظامك جبال ارضك وراسك سماء ارضك وقلبك شمس ارضك
وسمعك وبصرك وسائر حواسك نجوم سمائك ومفيض العرق من بدنك بحر ارضك وشعورك نبات ارضك
واطرافك اشجار ارضك وهكذا الى جميع اجزاء بدنك فاذا انهدم بالموت اركان بدنك فقد زلزلت الارض
زلزالها فاذا انفصلت العظام من اللحوم فقد حملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فاذا رمت العظام فقد
نسفت الجبال نسفا فاذا اظلم قلبك عند الموت فقد كورت الشمس تكويرا فاذا بطل سمعك وبصرك وسائر
حواسك فقد انكدرت النجوم انكدارا فاذا انشق دماغك فقد انشقت السماء انشقاقا فاذا انفجر من هول
الموت عرق جبينك فقد فجرت البحار تفجيرا فاذا التفت احدى ساقيك بالاخرى وهما مطيتاك فقد
عطلت العشار تعطيلا فاذا فارق الروح الجسد فقد حملت الارض فمدت حتى القت ما فيها وتخلت ولست
اطول بموازنة جميع الاحوال والاهوال ولكني اقول بمجرد الموت تقوم عليك هذه القيامة ولا يفوتك من القيامة
الكبرى شيء مما يخصك بل ما يخص غيرك فان بقاء الكواكب في حق غيرك ماذا ينفعك وقد انتثرت حواسك
التي بها تنتفع بالكواكب والاعمى يستوي عنده الليل والنهار وكسوف الشمس وانجلاؤها لانه قد كسفت في حقه
دفعة واحدة وهو حصته منها فالانجلاء بعد ذلك حصة غيره ومن انشق راسه فقد انشقت سماؤه
اذ السماء عبارة عما يلي جهة الراس فمن لا راس له لا سماء له فمن اين ينفعه بقاء السماء لغيره فهذه هي القيامة الصغرى
والخوف بعد اسفل والهول بعد مدخر وذلك اذا جاءت الطامة الكبرى وارتفع الخصوص وبطلت السماوات
والارض ونسفت الجبال وتمت الاهوال واعلم ان هذه الصغرى وان طولنا في وصفها فانا لم نذكر عشر عشير
اوصافها فهي بالنسبة الى القيامة الكبرى كالولادة الصغرى بالنسبة الى الولادة الكبرى فان للانسان ولادتين
احداهما الخروج من الصلب والترائب الى مستودع الارحام وهو في الرحم في قرار مكين الى قدر معلوم وله في
سلوكه الى الكمال منازل واطوار من نطفة وعلقة ومضغة وغيرها الى ان يخرج من مضيق الرحم الى فضاء العالم

فنسبة عموم القيامة الكبرى الى خصوص القيامة الصغرى كنسبة سعة فضاء العالم الى سعة فضاء الرحم
ونسبة سعة العالم الذي يقدم عليه العبد بالموت الى سعة فضاء الدنيا كنسبة فضاء الدنيا ايضا الى
الرحم بل اوسع واعظم فقس الاخرة بالاولى فما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وما النشاة الثانية الا على
قياس النشاة الاولى بل اعداد النشات ليست محصورة في اثنين واليه الاشارة بقوله تعالى وننشئكم
فيما لا تعلمون فالمقر بالقيامتين مؤمن بعالم الغيب والشهادة وموقن بالملك والملكوت والمقر بالقيامة الصغرى
دون الكبرى ناظر بالعين العوراء الى احد العالمين وذلك هو الجهل والضلال والاقتداء بالاعور الدجال
فما اعظم غفلتك يا مسكين وكلنا ذلك المسكين وبين يديك هذه الاهوال فانك ان كنت لا تؤمن بالقيامة الكبرى
بالجهل والضلال افلا يكفيك القيامة الصغرى اوما سمعت قول سيد الانبياء صلى الله عليه وسلم كفى بالموت
واعظا اوما سمعت بكربه صلى الله عليه وسلم في وقت الموت حتى قال اللهم هون على محمد سكرات الموت اوما تستحيي
من استبطائك هجوم الموت اقتداء برعاع الغافلين الذين لا ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم
يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون فياتيهم المرض نذيرا من الموت فلا ينزجرون
وياتيهم الشيب رسولا منه فما يعتبرون فيا حسرة على العباد ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤون
افيظنون انهم في الدنيا خالدون اولم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون ام يحسبون ان
الموتى سافروا من عندهم فهم معدومون كلا ان كل لما جميع لدينا محضرون ولكن ما تاتيهم من اية
من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين وذلك لانا جعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم
لا يبصرون وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ولنرجع الى الغرض فان هذه تلويحات تشير الى
امور اعلى من علوم المعاملة فنقول قد ظهر ان الصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى
وهذه المقاومة من خاصية الادميين لما وكل بهم من الكرام الكاتبين ولا يكتبان شيئا على الصبيان والمجانين
اذ ذكرنا ان الحسنة في الاقبال على الاستفادة منهما والسيئة في الاعراض عنهما وما للصبيان والمجانين سبيل
الى الاستفادة ولا يتصور منهما اقبال واعراض وهما لا يكتبان الا الاقبال والاعراض من القادرين على الاقبال
والاعراض ولعمري يظهر مبادي اشراق نور الهداية عند سن التمييز وينمو على التدريج الى سن البلوغ كما يبدو
نور الصبح الى ان يطلع قرص الشمس ولكنها هداية قاصرة لا ترشد الى مضار الدنيا فلذلك يضرب على ترك الصلاة
ناجزا ولا يعاقب في الاخرة ولا يكتب عليه من الصحائف ما ينشر في الاخرة بل على القيم العدل والولي البر الشفوق
ان كان من الابرار وكان على سمت الكرام البررة الاخيار ان يكتب على الصبي سيئته على صحيفة قلبه فيكتبه عليه
بالحفظ ثم ينشره عليه بالتعريف ثم يعذبه عليه بالضرب فكل ولي هذا سمته في حق الصبي فقد ورث اخلاق
الملائكة واستعملها في حق الصبي فينال بها درجة القرب من رب العالمين كما نالته الملائكة فيكون
مع النبيين والمقربين من الصديقين واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم كهاتين

بيان كون الصبر نصف الايمان

اعلم ان الايمان تارة يختص في اطلاقه بالتصديقات باصول الدين وتارة
يخص بالاعمال الصادرة منها وتارة يطلق عليهما جميعا وللمعارف ابواب وللاعمال ابواب ولاشتمال لفظ
الايمان على جميعها كان الايمان نيفا وسبعين بابا واختلاف هذه الاطلاقات ذكرناه في كتاب قواعد
العقائد من ربع العبادات ولكن الصبر نصف الايمان باعتبارين وعلى مقتضى اطلاقين احدهما ان يطلق على
التصديقات والاعمال جميعا فيكون للايمان ركنان احدهما اليقين والاخر الصبر والمراد باليقين
المعارف القطعية الحاصلة بهداية الله عبده الى اصول الدين والمراد بالصبر العمل بمقتضى اليقين

ان المعصية ضارة والطاعة نافعة ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة الا بالصبر وهو استعمال باعث الدين في قهر باعث الهوى والكسل فيكون الصبر نصف الايمان بهذا الاعتبار ولهذا جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما فقال من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث الى اخره **الاعتبار** الثاني ان يطلق على الاحوال المثمرة للاعمال لا على المعارف وعند ذلك ينقسم جميع ما يلاقيه العبد الى ما ينفعه في الدنيا والآخرة او يضره فيهما وله بالاضافة الى ما يضره حال الصبر وبالاضافة الى ما ينفعه حال الشكر فيكون الشكر احد شطري الايمان بهذا الاعتبار كما كان اليقين احد الشطرين بالاعتبار الاول وبهذا النظر قال ابن مسعود رضي الله عنه الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وقد يرفع ايضا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما كان الصبر صبرا عن باعث الهوى بثبات باعث الدين وكان باعث الهوى قسمين باعث من جهة الشهوة وباعث من جهة الغضب فالشهوة لطلب اللذيذ والغضب للهرب من المؤلم وكان الصوم صبرا عن مقتضى الشهوة فقط وهي شهوة البطن والفرج دون مقتضى الغضب قال صلى الله عليه وسلم بهذا الاعتبار الصوم نصف الصبر لان كمال الصبر بالصبر عن دواعي الشهوة ودواعي الغضب جميعا فيكون الصوم بهذا الاعتبار ربع الايمان فهكذا ينبغي ان يفهم تقديرات الشرع لحدود الاعمال والاحوال ونسبتها الى الايمان والاصل فيه ان تعرف كثرة ابواب الايمان فان اسم الايمان يطلق على وجوه مختلفة

بيان الاسامي التي تتجدد للصبر بالاضافة الى ما عنه الصبر اعلم ان الصبر ضربان ضرب بدني كتحمل المشاق بالبدن والثبات عليه وهو اما بالفعل كتعاطي الاعمال الشاقة اما من العبادات او من غيرها واما بالاحتمال كالصبر على الضرب الشديد والمرض العظيم والجراحات الهائلة وذلك قد يكون محمودا اذا وافق الشرع ولكن المحمود التام هو الضرب الاخر وهو الصبر النفسي عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى ثم هذا الضرب ان كان صبرا عن شهوة البطن والفرج سمي عفة وان كان على احتمال مكروه اختلفت اساميه عند الناس باختلاف المكروه الذي غلب عليه الصبر فان كان في مصيبة اقتصر على اسم الصبر وتضاده حالة تسمى الجزع والهلع وهو اطلاق داعي الهوى ليسترسل في رفع الصوت وضرب الخدود وشق الجيوب وغيرها وان كان في احتمال الغنى سمي ضبط النفس وتضاده حالة تسمى البطر وان كان في حرب ومقاتلة سمي شجاعة ويضاده الجبن وان كان في كظم الغيظ والغضب سمي حلما ويضاده التذمر وان كان في نائبة من نوائب الزمان مضجرة سمي سعة الصدر ويضاده الضجر والتبرم وضيق الصدر وان كان في اخفاء كلام سمي كتمان السر وسمي صاحبه كتوما وان كان عن فضول العيش سمي زهدا ويضاده الحرص وان كان صبرا على قدر يسير من الحظوظ سمي قناعة ويضاده الشره فاكثر اخلاق الايمان داخل في الصبر ولذلك لما سئل عليه السلام مرة عن الايمان قال هو الصبر لانه اكثر اعماله واعزها كما قال الحج عرفة وقد جمع الله تعالى اقسام ذلك وسمى الكل صبرا فقال تعالى والصابرين في البأساء اي المصيبة والضراء اي الفقر وحين البأس اي المحاربة اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون فاذا هذه اقسام الصبر باختلاف متعلقاتها ومن يأخذ المعاني من الاسامي يظن ان هذه الاحوال مختلفة في ذواتها وحقائقها من حيث راى الاسامي مختلفة والذي يسلك الطريق المستقيم وينظر بنور الله تعالى يلحظ المعاني اولا فيطلع على حقائقها ثم يلاحظ الاسامي فانها وضعت دالة على المعاني فالمعاني هي الاصول والالفاظ هي التوابع ومن يطلب الاصول من التوابع لا بد وان يزل واليه الاشارة بقوله تعالى افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى امن يمشي سويا على صراط مستقيم فان الكفار لم يغلطوا فيما غلطوا فيه الا بمثل هذه الانعكاسات

بيان انقسام الصبر بحسب اختلافه في القوة والضعف اعلم ان باعث الدين بالاضافة الى باعث الهوى له ثلاثة احوال **احدها** ان يقهر داعي الهوى فلا تبقى له قوة المنازعة ويتوصل اليه بدوام الصبر وعند هذا يقال من صبر ظفر والواصلون الى هذه الرتبة هم الاقلون فلا جرم هم الصديقون المقربون الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فهؤلاء لازموا الطريق المستقيم واستووا على الصراط القويم واطمأنت نفوسهم على مقتضى باعث الدين واياهم ينادي المنادي يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية **الحالة الثانية** ان تغلب دواعي الهوى وتسقط بالكلية منازعة باعث الدين فيسلم نفسه الى جند الشياطين ولا يجاهد ليأسه عن المجاهدة وهؤلاء هم الغافلون وهم الاكثرون وهم الذين استرقتهم شهواتهم وغلبت عليهم شقوتهم فحكموا اعداء الله في قلوبهم التي هي سر من اسرار الله تعالى وامر من امور الله واليهم الاشارة بقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وهؤلاء الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فخسرت صفقتهم وقيل لمن قصد ارشادهم فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم وهذه الحالة علامتها اليأس والقنوط والغرور بالاماني وهو غاية الحمق كما قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله تعالى وصاحب هذه الحالة اذا وعظ قال انا مشتاق الى التوبة ولكنها قد تعذرت علي فلست اطمع فيها او لم يكن مشتاقا الى التوبة ولكن قال ان الله غفور رحيم كريم فلا حاجة به الى توبتي وهذا المسكين قد صار عقله رقيقا لشهوته فلا يستعمل عقله الا في استنباط دقائق الحيل التي بها يتوصل الى قضاء شهوته فقد صار عقله في يد شهوته كمسلم اسير في ايدي الكفار فهم يستسخرونه في رعاية الخنازير وحفظ الخمور وحملها ومحله عند الله تعالى محل من يقهر مسلما ويسلمه الى الكفار ويجعله اسيرا عندهم لانه بفاحش جنايته يشبهه اذ كان حقه ان يستخدم ويسلط ما كان من حقه ان يتسلط عليه وانما استحق المسلم ان يكون مسلطا لما فيه من معرفة الدين وباعث الدين وانما استحق الكافر ان يكون مسلطا عليه لما فيه من الجهل بالدين وباعث الشياطين وحق المسلم على نفسه اوجب من حق غيره عليه مهما سخر المعنى الشريف الذي هو من حزب الله وجند الملائكة للمعنى الخسيس الذي هو من حزب الشياطين المبعدين عن الله تعالى كان كمن ارق مسلما لكافر بل هو كمن قصد الملك المنعم عليه فاخذ اعز اولاده وسلمه الى ابغض اعدائه فانظر كيف يكون كفرانه لنعمته واستيجابه لنقمته لان الهوى ابغض اله عبد في الارض عند الله تعالى والعقل اعز موجود خلق في الارض **الحالة الثالثة** ان يكون الحرب سجالا بين الجندين فتارة له اليد عليها وتارة لها عليه وهذا من المجاهدين يعد لا من الظافرين واهل هذه الحالة هم الذين خلطوا عملا صالحا واخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم هذا باعتبار القوة والضعف ويتطرق اليه ايضا ثلاثة احوال باعتبار عدد ما يصبر عنه فانه اما ان يغلب جميع الشهوات او لا يغلب شيئا منها او يغلب بعضها دون بعض وتنزيل قوله تعالى خلطوا عملا صالحا واخر سيئا على من عجز عن بعض الشهوات دون بعض اولى والتاركون للمجاهدة مع الشهوات مطلقا يشبهون بالانعام بل هم اضل اذ البهيمة لم تخلق لها المعرفة والقدرة التي بها تجاهد مقتضى الشهوات وهذا قد خلق له ذلك وعطله فهو الناقص حقا المدبر يقينا ولذلك **قيل شعر** ولم ار في عيوب الناس عيبا كنقص القادرين على التمام

وينقسم الصبر ايضا باعتبار اليسر والعسر الى ما يشق على النفس فلا يمكن الدوام عليه الا بجهد جهيد وتعب شديد ويسمى ذلك تصبرا والى ما يكون من غير شدة تعب بل يحصل بادنى تحامل على النفس ويخص ذلك باسم الصبر واذا دام التقوى وقوي التصديق بما في العاقبة من الحسنى تيسر الصبر ولذلك قال تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ومثال هذه القسمة قدرة المصارع على غيره فان الرجل القوي يقدر على ان يصرع

الضعيف بادنى حملة وايسر بطشه بحيث لا يلقاه في مصارعته اعيا ولا لغوب ولا يضطرب فيه نفسه ولا ينبهر
ولا يقوى عليه الا بعد جهد وعرق جبين فهكذا ينبغي ان تكون المصارعة بين
باعث الدين وباعث الهوى فانه على التحقيق صراع بين جنود الملائكة وجنود الشياطين فمهما اذعنت الشهوات
وانقمعت وتسلط باعث الدين واستولى وتيسر الصبر بطول المواظبة اورث ذلك مقام الرضا كما
سياتي في كتاب الرضى فالرضا اعلى من الصبر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اعبد الله على الرضا فان لم
تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير وقال بعض العارفين اهل الصبر على ثلاث مقامات اولها ترك الشكوى
وهذه درجة التائبين والثانية الرضى بالمقدور وهذه درجة الزاهدين والثالثة المحبة لما يصنع
به وهذه درجة الصديقين وسنبين في كتاب المحبة ان مقام المحبة اعلى من مقام الرضى كما ان مقام الرضى
اعلى من مقام الصبر وكان هذا الانقسام يجري في صبر خاص وهو الصبر على المصائب والبلايا واعلم ان
الصبر ينقسم ايضا باعتبار حكمه الى فرض ونفل ومكروه ومحرم فالصبر عن المحظورات فرض وعن المكاره
نفل والصبر على الاذى المحظور محظور كمن تقطع يده او يد ولده وهو يصبر عليه ساكتا وكمن يقصد حريمه بشهوة
فتهيج غيرته فيصبر عن اظهار الغيرة ويسكت على ما يجري على اهله فهذا الصبر محرم والصبر المكروه
هو الصبر على اذية تناله بجهة مكروهة في الشرع فليكن الشرع محك الصبر فكون الصبر نصف الايمان لا ينبغي
ان يخيل اليك ان جميعه محمود بل المراد به انواع من الصبر مخصوصة **بيان مظان الحاجة الى**
الصبر وان العبد لا يستغني عنه في حال من الاحوال اعلم ان جميع ما يلقى العبد في هذه الحياة لا يخلو
من نوعين احدهما هو الذي يوافق هواه والآخر هو الذي لا يوافقه بل يكرهه وهو محتاج الى الصبر في كل واحد
منهما وهو في جميع الاحوال لا يخلو عن احد هذين النوعين او كليهما فهو اذًا لا يستغني قط عن الصبر **النوع**
الاول ما يوافق الهوى وهو الصحة والسلامة والمال والجاه وكثرة العشيرة واتساع الاسباب وكثرة الاتباع
والانصار وجميع ملاذ الدنيا وما احوج العبد الى الصبر على هذه الامور فانه ان لم يضبط نفسه عن الاسترسال و
الركون اليها والانهماك في ملاذها المباحة منها اخرجه ذلك الى البطر والطغيان فان الانسان ليطغى ان
راه استغنى حتى قال بعض العارفين البلاء يصبر عليه المؤمن والعافية لا يصبر عليها الا صديق وقال
سهل الصبر على العافية اشد من الصبر على البلاء ولما فتحت ابواب الدنيا على الصحابة رضي الله عنهم قالوا
ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر ولذلك حذر الله تعالى عباده من فتنة المال و
الزوج والولد فقال يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله وقال تعالى ان من ازواجكم واولادكم
عدوا لكم فاحذروهم وقال صلى الله عليه وسلم الولد مبخلة محزنة ولما نظر الى ابنه الحسن يتعثر في قميصه
نزل عن المنبر واحتضنه ثم قال صدق الله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة اني لما رايت ابني يتعثر لم املك
نفسي ان اخذته ففي ذلك عبرة لاولي الابصار فالرجل كل الرجل من يصبر على العافية ومعنى الصبر عليها ان لا يركن
اليها ويعلم ان كل ذلك مستودع عنده وعسى ان يسترجع على القرب وانه لا يرسل نفسه في الفرح بها ولا ينهمك في
التنعم واللذة واللهو واللعب وانه يرعى حقوق الله عز وجل في ماله بالانفاق وفي بدنه ببذل المعونة للخلق
وفي لسانه ببذل الصدق وكذلك في سائر ما انعم الله عليه وهذا الصبر متصل بالشكر فلا يتم الا بالقيام بحق
الشكر كما سياتي وانما كان الصبر على السراء اشد لانه مقرون بالقدرة ومن العصمة ان لا تقدر فالصبر على الحجامة
والفصد اذا تولاه غيرك ايسر من الصبر منه اذا احضرته الاطعمة الطيبة اللذيذة وقدر عليها فلهذا عظمت
فتنة السراء **النوع الثاني** ما لا يوافق الهوى والطبع وذلك لا يخلو اما ان يرتبط باختيار العبد كالطاعات

لحيلة و

والمعاصي او لا يرتبط باختياره كالمصائب والنوائب او لا يرتبط اوله باختياره ولكن له اختيار في ازالته كالتشفي من
المؤذي بالانتقام منه فهي ثلاثة اقسام **القسم الاول** ما يرتبط باختياره وهو سائر افعاله التي توصف بكونها
طاعة او معصية وهما ضربان **الضرب الاول** الطاعة والعبد يحتاج الى الصبر عليها فالصبر على الطاعة شديد
لان النفس بطبعها تنفر عن العبودية وتشتهي الربوبية ولذلك قال بعض العارفين ما من نفس الا وهي مضمرة ما
اظهر فرعون من قوله انا ربكم الاعلى ولكن فرعون وجد له مجالا وقبولا فاظهر اذ استخف قومه فاطاعوه وما من احد
الا وهو يدعي ذلك مع عبده وخادمه واتباعه وكل من هو تحت قهره وطاعته وان كان ممتنعا من اظهاره فان
استشاطته وغيظه عند تقصيرهم في خدمته واستبعاده ذلك ليس يصدر الا عن اضمار الكبر ومنازعة الربوبية
في رداء الكبرياء فاذا العبودية شاقة على النفس مطلقا ثم من العبادات ما يكره بسبب الكسل كالصلاة ومنها
ما يكره بسبب البخل كالزكاة ومنها ما يكره بسببهما جميعا كالحج والجهاد فالصبر على الطاعة صبر على الشدائد و
يحتاج المطيع الى الصبر على طاعته في ثلاثة احوال الاولى قبل الطاعة وذلك في تصحيح النية والاخلاص والصبر
عن شوائب الريا ودواعي الآفات وعقد العزم على الاخلاص والوفا وقد نبه عليه صلى الله عليه وسلم اذ قال
انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى **وقال** الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ولهذا
المعنى قدم الله الصبر على العمل **فقال** الا الذين صبروا وعملوا الصالحات **الحالة الثانية** حالة العمل كيلا
يغفل عن الله تعالى في اثناء عمله ولا يتكاسل عن تحقيق ادابه وسننه ويدوم على شرط الادب الى الآخر فيلازم الصبر
عن دواعي الفتور الى الفراغ وهذا ايضا من شدائد الصبر ولعله المراد بقوله تعالى نعم اجر العاملين الذين
صبروا اي صبروا على تمام العمل **الحالة الثالثة** بعد الفراغ عن العمل اذ يحتاج الى الصبر عن افشائه والت
ظاهر به للسمعة والريا والصبر عن النظر اليه بعين العجب وعن كل ما يبطل عمله ويحبط اثره كما قال تعالى
ولا تبطلوا اعمالكم وكما قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فمن لم يصبر بعد الصدقة عن المن والاذى
فقد ابطل عمله والطاعات تنقسم الى فرض ونفل وهو محتاج الى الصبر عليهما جميعا وقد جمعهما الله تعالى في
قوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى هي المروة وصلة الرحم وكل ذلك يحتاج الى الصبر **الضرب**
الثاني المعاصي فما احوج العبد الى الصبر عنها وقد جمع الله تعالى انواع المعاصي في قوله وينهى عن الفحشاء والمنكر
والبغي **وقال** صلى الله عليه وسلم المهاجر من هجر السوء والمجاهد من جاهد هواه والمعاصي مقتضى باعث الهوى
واشد انواع الصبر عن المعاصي التي صارت مالوفة بالعادة فان العادة طبيعة خامسة فاذا انضافت الى
الشهوة تظاهر جندان من جنود الشيطان على جند الله تعالى فلا يقوى باعث الدين على قمعهما ثم ان كان ذلك
الفعل مما يتيسر فعله كان الصبر عنه اثقل على النفس كالصبر عن معاصي اللسان من الغيبة والكذب والمراء والثناء
على النفس تعريضا وتصريحا وانواع المزح المؤذي للقلوب وضروب الكلمات التي يقصد بها الازراء والاستحقار
وذكر الموتى والقدح فيهم وفي علومهم وسيرهم ومناصبهم فان ذلك في الظاهر غيبة وفي الباطن ثناء على النفس
فللنفس فيه شهوتان احداهما نفي الغير والاخرى اثبات نفسه وبها تتم له الربوبية التي هي في طبعه وهي ضد
ما امر به من العبودية ولاجتماع الشهوتين وتيسر تحريك اللسان ومصير ذلك معتادا في المحاورات يعسر
الصبر عنها حتى بطل استنكارها واستقباحها من القلوب لكثرة تكررها وعموم الانس بها فترى الانسان لو لبس حريرا
مثلا فيستبعد غاية الاستبعاد ويطلق لسانه طول النهار في اعراض الناس ولا يستنكر ذلك مع ما ورد في
الخبر من ان الغيبة اشد من الزنا ومن لم يملك لسانه في المحاورات ولم يقدر على الصبر فيجب عليه العزلة
والانفراد فلا ينجيه غيره فالصبر على الانفراد اهون من الصبر على السكوت مع المخالطة ويختلف شدة

الصبر في العادي العاصي باختلاف داعية تلك المعصية في قوتها وضعفها وأيسر من حركة اللسان حركة الخواطر
باختلاج الوساوس فلا جرم يبقى حديث النفس في العزلة ولا يمكن الصبر عنه أصلا إلا بأن يغلب على القلب هم آخر في
الدين يستغرقه كمن أصبح وهمومه هم واحد وإلا فإن لم يستعمل الفكر في شيء معين لم يتصور فتور الوسواس عنه القسم
الثاني ما لا يرتبط هجومه باختياره وله اختيار في دفعه كما لو أوذي بفعل أو قول وجني عليه في نفسه أو ماله فالصبر
على ذلك بترك المكافاة تارة يكون واجبا وتارة يكون فضيلة قال بعض الصحابة رضي الله عنهم ما كنا
نعد إيمان الرجل إيمانا إذا لم يصبر على الأذى وقال تعالى ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون
وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة مالا فقال بعض الأعراب من المسلمين هذه قسمة ما أريد بها وجه الله تعالى
فأخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحمرت وجنتاه ثم قال يرحم الله أخي موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر
وقال تعالى ودع أذاهم وتوكل على الله وقال تعالى واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا وقال تعالى ولقد
نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وقال تعالى ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من
قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور أي تصبروا عن المكافاة ولذلك
مدح الله تعالى العافين عن حقوقهم في القصاص وغيره فقال وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم
به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وقال صلى الله عليه وسلم صل من قطعك وأعط من حرمك واعف عمن ظلمك ورأيت
في الإنجيل قال عيسى ابن مريم عليه السلام لقد قيل لكم من قبل إن السن بالسن والأنف بالأنف وأنا أقول لكم لا تقاوموا
الشر بالشر بل من ضرب خدك الأيمن فحول إليه الخد الأيسر ومن أخذ رداءك فأعطه إزارك ومن سخرك لتسير
معه ميلا فسر معه ميلين وكل ذلك أمر بالصبر على الأذى فالصبر على أذى الناس من أعلى مراتب الصبر لأنه
يتعاون فيه باعث الدين وباعث الشهوة والغضب جميعا القسم الثالث ما لا يدخل تحت الاختيار أوله وآخره
كالمصائب مثل موت الأعزة وهلاك الأموال وزوال الصحة بالمرض وعمى العين وفساد الأعضاء وبالجملة سائر
أنواع البلاء فالصبر على ذلك من أعلى مقامات الصبر قال ابن عباس رضي الله عنه الصبر في القرآن على ثلاث
أوجه صبر على أداء فرائض الله فله ثلاثمائة درجة وصبر عن محارم الله فله ستمائة درجة وصبر على المصيبة
عند الصدمة الأولى فله تسعمائة درجة وإنما فضلت هذه الرتبة مع أنها من الفضائل على ما قبلها وهي من
الفرائض لأن كل مؤمن يقدر على الصبر عن المحارم فأما الصبر على بلاء الله فلا يقدر عليه إلا ببضاعة الصديقين
فإن ذلك شديد على النفس ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أسألك من اليقين ما تهون به علي مصائب الدنيا
فهذا صبر مستنده حسن اليقين وقال أبو سليمان والله ما نصبر على ما نحب فكيف نصبر على ما نكره وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل إذا وجهت إلى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه أو ماله أو ولده ثم
استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزانا أو أنشر له ديوانا وقال صلى الله
عليه وسلم انتظار الفرج بالصبر عبادة وقال عليه السلام ما من عبد مؤمن أصيب بمصيبة فقال كما أمر الله
عز وجل إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي وأعقبني خيرا منها إلا فعل الله ذلك به وقال أنس
رضي الله عنه حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل قال يا جبريل ما جزاء من سلبت كريمتيه قال
سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا قال تعالى جزاؤه الخلود في داري والنظر إلى وجهي وقال عليه السلام يقول الله
عز وجل إذا ابتليت عبدي ببلاء فصبر ولم يشكني إلى عواده أبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه فإذا أبرأته
أبرأته ولا ذنب له وإن توفيته فإلى رحمتي وقال داود عليه السلام يا رب ما جزاء الحزين يصبر على المصائب ابتغاء مرضاتك
قال جزاؤه أن ألبسه لباس الإيمان ولا أنزعه عنه أبدا وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته ما أنعم الله على عبد نعمة

فانتزعها منه وعوضه الصبر إلا كان ما عوضه منها أفضل مما انتزع منه وقرأ إنما يوفى الصابرون أجرهم
بغير حساب وسئل فضيل عن الصبر فقال هو الرضا بقضاء الله قيل وكيف ذلك قال الراضي لا يتمنى فوق
منزلته وقيل حبس الشبلي في المارستان فدخل عليه جماعة فقال من أنتم قالوا أحباؤك جاءوك زائرين فأخذ
يرميهم بالحجارة فأخذوا يهربون فقال لو كنتم أحبائي لصبرتم على بلائي وكان بعض العارفين في جيبه رقعة
يخرجها كل ساعة ويطالعها وكان فيها واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا ويقال إن امرأة فتح الموصلي عثرت
فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها أما تجدين الوجع فقالت إن لذة ثوابه أزالت عن قلبي مرارة وجعه وقال
داود عليه السلام لسليمان يستدل على تقوى المؤمن بثلاث حسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضا فيما قد
نال وحسن الصبر فيما قد فات وقال نبينا صلى الله عليه وسلم من إجلال الله تعالى ومعرفة حقه أن لا تشكو
وجعك ولا تذكر مصيبتك ويروى عن بعض الصالحين أنه خرج يوما وفي كمه صرة فافتقدها فإذا هي قد أخذت
من كمه فقال بارك الله له فيها لعله أحوج إليها مني ويروى عن بعضهم قال مررت على سالم مولى أبي حذيفة
في القتلى وبه رمق فقلت أسقيك ماء فقال جرني قليلا إلى العدو واجعل الماء في الترس فإني صائم فإن عشت إلى الليل شربته فهكذا كان
صبر سالكي طريق الآخرة على بلاء الله تعالى فإن قلت فبماذا تنال درجة الصبر في المصائب وليس الأمر إلى اختياره
فهو مضطر شاء أم أبى فإن كان المراد به أن لا يكون في نفسه كراهية المصيبة فذلك غير داخل في الاختيار
فاعلم أنه إنما يخرج عن مقام الصابرين بالجزع وشق الجيوب وضرب الخدود والمبالغة في الشكوى وإظهار الكآبة
وتغيير العادة في الملبس والمفرش والمطعم وهذه الأمور داخلة تحت اختياره فينبغي أن يجتنب جميعها
ويظهر الرضا بقضاء الله ويبقى مستمرا على عادته ويعتقد أن ذلك كان وديعة فاسترجعت كما روي عن الرميصاء
أم سليم أنها قالت توفي ابن لي وزوجي أبو طلحة غائب فقمت فسجيته في ناحية البيت فقدم أبو طلحة فقمت فهيأت
له إفطاره فجعل يأكل فقال كيف الصبي قلت بأحسن حال بحمد الله ومنه فإنه لم يكن منذ اشتكى بأسكن منه الليلة ثم
تصنعت له أحسن ما كنت أتصنع قبل ذلك حتى أصاب مني حاجته ثم قلت ألا تعجب من جيراننا قال ما لهم قلت أعيروا
عارية فلما طلبت منهم جزعوا فقال بئس ما صنعوا فقلت هذا ابنك كان عارية من الله تعالى وإن قبضه إليه
فحمد الله تعالى واسترجع ثم غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال اللهم بارك لهما في ليلتهما قال الراوي
فلقد رأيت لهم بعد ذلك في المسجد سبعة كلهم قد قرأ القرآن وروى جابر أنه عليه السلام قال رأيتني دخلت الجنة
فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة وقد قيل الصبر الجميل هو أن لا يعرف صاحب المصيبة من غيره ولا يخرجه
عن حد الصابرين توجع القلب ولا فيضان العين بالدمع على الميت وذلك لما مات إبراهيم ولد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاضت عيناه فقيل له أما نهيتنا عن هذا فقال إن هذه رحمة وإنما يرحم الله من عباده الرحماء بل ذلك
أيضا لا يخرج من مقام الرضا فالمقدم على الفصد والحجامة راض به وهو متألم بسببه لا محالة وقد تفيض عينه
إذا عظم ألمه وسيأتي ذلك في كتاب الرضا إن شاء الله تعالى وكتب ابن أبي نجيح يعزي بعض الخلفاء إن
أحق من عرف حق الله تعالى فيما أخذ منه من عظم حق الله تعالى عنده فيما أبقاه واعلم أن الماضي قبلك هو الباقي لك
والباقي بعدك هو المأجور فيك واعلم أن أجر الصابرين فيما يصابون به أعظم من النعمة عليهم فيما يعافون
به فإذا مهما دفع الكراهة بالتفكر في نعمة الله عليه بالثواب نال درجة الصابرين نعم من كمال الصبر كتمان
المرض والفقر وسائر المصائب وقد قيل من كنوز البر كتمان المصائب والأوجاع والصدقة فقد علمت بهذه التقسيمات
أن وجوب الصبر عام في جميع الأحوال والأفعال فإن الذي كفي الشهوات كلها واعتزل وحده فلا يستغني عن
الصبر على العزلة والانفراد ظاهرا وعن الصبر عن وساوس الشيطان باطنا فإن اختلاج الخواطر لا يسكن وأكثر جولان

الخواطر انما يكون في فائت لا تدارك له او في مستقبل لا بد ان يحصل منه ما هو مقدر فهو كيف ما كان تضييع
لزمانه فان آلة العبد قلبه وبضاعته عمره فاذا غفل القلب في نفس واحد عن ذكر يستفيد به انسا بالله
عز وجل او عن فكر يستفيد به معرفة بالله تعالى ليستفيد بالمعرفة محبة الله عز وجل فهو مغبون هذا ان
كان فكره ووسواسه في المباحات مقصورا عليه ولا يكون كذلك غالبا بل يتفكر في وجوه الحيل لقضاء الشهوات
اذ لا يزال ينازع كل من تحرك على خلاف غرضه في جميع عمره او من يتوهم انه ينازعه ويخالف غرضه بظهور
امارة له منه بل يقدر المخالفة من اخلص الناس في حبه حتى في اهله وولده ويتوهم مخالفتهم له ثم يتفكر
في كيفية زجرهم وكيفية قهرهم وجوابهم عما يتعللون به في مخالفته ولا يزال في شغل دائم فللشيطان جندان
جند يطير وجند يسير والوسواس عبارة عن حركة جنده الطيارة والشهوة عبارة عن حركة جنده السيار
وهذا لان الشيطان خلق من النار وخلق الانسان من صلصال كالفخار وقد اجتمع فيه مع النار الطين
طبعه السكون والنار طبعها الحركة فلا يتصور نار مشتعلة لا تتحرك بل لا تزال تتحرك بطبعها وقد كلف الملعون
المخلوق من النار ان يطمئن عن حركته ساجدا لما خلق من الطين فابى واستكبر واستعصى وعبر عن سبب
استعصائه بان قال خلقتني من نار وخلقته من طين فاذا حيث لم يسجد الملعون لابينا آدم عليه
السلام فلا ينبغي ان يطمع في سجوده لاولاده ومهما كف عن القلب وساوسه وطيرانه وجولانه فقد اظهر
اذعانه وانقياده بالاذعان بسجوده منه فهو روح السجود وانما وضع الجبهة على الارض قالبه وعلامته
الدالة بالاصطلاح عليه ولو جعل وضع الجبهة على الارض علامة استخفاف بالاصطلاح لتصور ذلك
كما ان الانبطاح بين يدي المعظم المحترم يرى استخفافا بالعادة فلا ينبغي ان يدهشك صنعة الجوهر
وقالبه عن الروح وقشره عن اللب فتكون ممن يقيده عالم الشهادة بالكلية عن عالم الغيب وتحقق
ان الشيطان من المنظرين فلا يتواضع لك بالكف عن الوسواس الى يوم الدين الا ان تصبح وهمومك هم واحد
فتشغل قلبك بالله وحده فلا يجد الملعون مجالا فيك فعند ذلك تكون من عباد الله الصالحين
الداخلين في الاستثناء عن سلطنة هذا اللعين ولا تظنن انه يخلو عنه قلب فارغ بل هو سيال يجري
من ابن آدم مجرى الدم وسيلانه مثل الهواء في القدح فانك ان اردت ان يخلو القدح عن الهواء من غير
ان تشغله بالماء او بغيره فقد طمعت في غير مطمع بل بقدر ما يخلو من الماء يدخله الهواء لا محالة
فكذلك القلب المشغول بفكر مهم في الدين يخلو عن جولان الشياطين والا فمن غفل عن الله ولو في لحظة فليس
له في تلك اللحظة قرين الا الشيطان ولذلك قال تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له
قرين وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض الشاب الفارغ وهذا لان الشاب اذا تعطل عن عمل يشغل
باطنه بمباح يستعين به على دينه كان ظاهره فارغا ولم يبق قلبه فارغا بل يعشش فيه الشيطان ويبيض
ويفرخ ثم يزدوج افراخه ايضا وتبيض مرة اخرى وتفرخ وهكذا يتوالد نسل الشيطان توالدا اسرع
من توالد سائر الحيوانات لان طبعه من النار واذا وجد الحلفاء اليابسة كثر توالده فلا يزال تتوالد النار
من النار فلا ينقطع البتة بل يسري شيئا فشيئا على الاتصال فالشهوة في نفس الشاب للشيطان كالحلفاء
اليابسة للنار وكما لا تبقى النار اذا لم يبق لها قوت وهو الحطب فلا يبقى للشيطان مجال اذا لم يكن شهوة
فاذا اذا تاملت علمت ان اعدى عدوك شهوتك وهي صفة نفسك ولذلك قال الحسين بن منصور الحلاج
حين كان يصلب وقد سئل عن التصوف ما هو فقال هي نفسك ان لم تشغلها شغلتك فاذا حقيقة الصبر
وكماله الصبر عن كل حركة مذمومة وحركة الباطن اولى بالصبر عن ذلك وهذا صبر دائم لا يقطعه الا الموت

بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه اعلم ان الذي انزل الداء انزل الدواء ووعد الشفاء فالصبر
وان كان شاقا او ممتنعا فتحصيله ممكن بمعجون العلم والعمل فالعلم والعمل هما الاخلاط التي منها تركب
الادوية لامراض القلوب كلها ولكن يحتاج كل مرض الى علم آخر وعمل آخر وكما ان اقسام الصبر مختلفة فاقسام
العلل المانعة منها مختلفة واذا اختلفت العلل اختلف العلاج اذ معنى العلاج مضادة
العلة وقمعها واستيفاء ذلك مما يطول ولكنا نعرف الطريق في بعض الامثلة فنقول اذا افتقر
الى الصبر عن شهوة الوقاع مثلا وقد غلبت عليه بحيث ليس يملك معها فرجه او يملك معها فرجه ولكن
ليس يملك عينه او يملك عينه ولكن ليس يملك قلبه ونفسه اذ لا تزال تحدثه بمقتضيات الشهوة
وتصرفه ذلك عن المواظبة على الذكر والفكر والاعمال الصالحة فنقول قد قدمنا ان الصبر عبارة
عن مصارعة باعث الدين مع باعث الهوى وكل متصارعين اردنا ان يغلب احدهما الآخر فلا طريق لنا
فيه الا تقوية من اردنا ان تكون له اليد العليا وتضعيف الآخر فلا طريق لنا فيه فلزمنا هاهنا تقوية
باعث الدين وتضعيف باعث الشهوة فاما باعث الشهوة فسبيل تضعيفه ثلاثة امور احدها ان
ينظر الى مادة قوتها فهي الاغذية الطيبة المحركة للشهوة من حيث نوعها ومن حيث كثرتها فلا بد من
قطعها بالصوم الدائم مع الاقتصار عند الافطار على طعام قليل في نفسه ضعيف في جنسه فيحترز
عن اللحم والاطعمة المهيجة للشهوة والثاني قطع اسبابه المهيجة في الحال فانه انما يهيج بالنظر
الى مظان الشهوة اذ النظر يحرك القلب والقلب يحرك الشهوة وهذا يحصل بالعزلة والاحتراز عن
مظان وقوع البصر على الصور المشتهاة والفرار منها بالكلية كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
النظرة سهم مسموم من سهام ابليس وهو سهم يسدده الملعون ولا ترس يمنع منه الا تغميض الاجفان
او الهرب من صوب رميه فانه انما يرمي هذا السهم عن قوس الصور فاذا انقلبت عن صوب الصور لم يصبك
سهمه **الثالث** تسلية النفس بالمباح من الجنس الذي تشتهيه وذلك بالنكاح فان كل ما يشتهيه
الطبع ففي المباحات منه ما يغني عن المحظورات منه وهذا هو العلاج الانفع في حق الاكثر فان قطع الغذاء
يضعف عن سائر الاعمال ثم قد لا يقمع الشهوة في حق اكثر الرجال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم بالباءة
فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء فهذه ثلاثة اسباب فالعلاج الاول وهو قطع الطعام
يضاهي قطع العلف عن البهيمة الجموح وعن الكلب الضاري ليضعف فيسقط قوته والثاني يضاهي تغييب
اللحم عن الكلب وتغييب الشعير عن البهيمة حتى لا تتحرك بواطنها بسبب مشاهدتها والثالث يضاهي
تسليتها بشيء قليل مما يميل اليه طبعها حتى يبقى معها من القوة ما تصبر به على التاديب واما تقوية باعث
الدين فانما يكون بطريقين احدهما اطماعه في فوائد المجاهدة وثمراتها في الدين والدنيا وذلك بان
يكثر فكره في الاخبار التي اوردناها في فضل الصبر وفي حسن عواقبه في الدنيا والآخرة وفي الاثر ان ثواب
الصبر على المصيبة اكثر مما فات وانه بسبب ذلك مغبوط بالمصيبة اذ فاته ما لا يبقى معه الا مدة
الحياة وحصل له ما يبقى بعد موته ابد الدهر ومن اسلم خسيسا في نفيس فلا ينبغي ان يحزن لفوات الخسيس
في الحال وهذا من باب المعارف وهو من الايمان فتارة يضعف وتارة يقوى فان قوي قوي باعث الدين
وهيجه قويا شديدا وان ضعف ضعفه وانما قوة الايمان يعبر عنها باليقين وهو المحرك لعزيمة الصبر
واقل ما اوتي الناس اليقين وعزيمة الصبر والثاني ان يعود هذا الباعث مصارعة باعث الهوى
تدريجا قليلا قليلا حتى يدرك لذة الظفر بها فيستجري عليها ويقوى منته في مصارعتها فان الاعتياد

والممارسة للاعمال الشاقة وكذا القوى التي تصدر منها تلك الاعمال الشاقة على قوة الحمالين والعطارين
والفقهاء والصالحين وذلك لان قواهم لم تتأكد بالممارسة والعلاج الاول بعضا هي اطماع المصارع في
الخلعة عند الغلبة ووعده بانواع الكرامة كما وعد فرعون سحرته عند اغرائه اياهم بموسى حيث قال
وانكم اذا لمن المقربين والثاني بعضا هي تعويد الصبي الذي يراد منه المصارعة والمقاتلة مباشرة اسباب
ذلك منذ الصبى حتى يستانس به ويستجري ويقوى عليه منه فيترك بالكلية المجاهدة بالصبر
ضعف فيه باعث الدين ولا يقوى على الشهوة وان ضعفت ومن عود نفسه مخالفة الهوى غلبها مهما
اراد فهذا منهاج العلاج في جميع انواع الصبر ولا يمكن استيفاؤه وانما اشدها كف الباطن عن حديث
النفس وانما يشتد ذلك على من تفرغ له بان قمع الشهوات الظاهرة وآثر العزلة وجلس للمراقبة والذكر والفكر
فان الوساوس لا تزال تجاذبه من جانب الى جانب وهذا لا علاج له البتة الا قطع العلائق كلها ظاهرا وباطنا
بالفرار عن الاهل والولد والمال والجاه والرفقاء والاصدقاء ثم الاعتزال الى زاوية بعد احراز قدر يسير من القوت
وبعد القناعة به ثم كل ذلك لا يكفي ما لم تصر الهموم هما واحدا وهو الله عز وجل ثم اذا غلب ذلك على القلب فلا يكفي
ما لم يكن له مجال في الفكر وسير بالباطن في ملكوت السموات والارض وعجائب صنع الله وسائر ابواب معرفة الله حتى اذا
استولى ذلك على قلبه دفع اشتغاله بذلك مجاذبة الشيطان ووسواسه وان لم يكن سير بالباطن فلا ينجيه
الا الاوراد المتواصلة المترتبة في كل لحظة والقراءة والاذكار والصلوات ويحتاج مع ذلك الى تكليف القلب
الحضور فان الفكر بالباطن هو الذي يستغرق القلب دون الاوراد الظاهرة ثم اذا فعل كل ذلك لم يسلم له من الاوقات
الا بعضها اذ لا يخلو في جميع اوقاته عن حوادث تتجدد فيشغله عن الفكر والذكر من مرض وخوف وايذاء من
انسان وطغيان من يخالطه اذ لا يستغني عن مخالطة من يعينه في بعض اسباب المعيشة فهذا احد الانواع الشاغلة
واما النوع الثاني فهو ضروري اشد ضرورة من الاول وهو اشتغاله بالمطعم والملبس واسباب المعاش فان
تهيئة ذلك ايضا يحوج الى شغل ان تولاه بنفسه وان تولاه غيره فلا يخلو عن شغل قلب بمن يتولاه ولكن بعد
قطع العلائق كلها يسلم له اكثر الاوقات ان لم تهجم به ملمة او واقعة وفي تلك الاوقات يصفو القلب ويتيسر له الفكر
وينكشف فيه من اسرار الله تعالى في ملكوت السموات والارض ما لا يقدر على عشره في زمان طويل لو كان مشغول
القلب بالعلائق والانتهاء الى هذا هو اقصى المقامات التي يمكن ان تنال بالاكتساب والجهد فاما مقادير ما
ينكشف وما يرد من لطف الله في الاحوال والاعمال فذلك يجري مجرى الصيد وهو بحسب الرزق فقد
يقل الجهد ويجل الصيد وقد يطول الجهد ويقل الحظ والمعول وراء هذا الاجتهاد على جذبة من جذبات
الرحمن فانها توازي اعمال الثقلين وليس ذلك باختيار العبد نعم اختيار العبد في ان يتعرض لتلك الجذبة بان
يقطع عن قلبه جواذب الدنيا فان المجذوب الى اسفل سافلين لا ينجذب الى اعلى عليين وكل مهموم بالدنيا
فهو منجذب اليها فقطع العلائق الجاذبة هو المراد بقوله عليه السلام ان لربكم في ايام دهركم نفحات الا
فتعرضوا لها وذلك لان تلك النفحات والجذبات لها اسباب سماوية اذ قال الله تعالى وفي السماء رزقكم
وما توعدون وهذا من اعلى انواع الرزق والامور السماوية غائبة عنا فلا ندري متى ييسر الله تعالى اسباب
الرزق فما علينا الا تفريغ المحل والانتظار لنزول الرحمة وبلوغ الكتاب اجله كالذي يصلح الارض وينقيها
من الحشيش ويبث البذر فيها وكل ذلك لا ينفعه الا بمطر ولا يدري متى يقدر الله اسباب المطر الا انه يثق
بفضل الله انه لا يخلي سنة عن مطر فكذلك قل ما تخلو سنة وشهر ويوم عن جذبة من الجذبات ونفحة
من النفحات فينبغي ان يكون العبد قد طهر القلب عن حشيش الشهوات وبذر فيه بذر الارادة والاخلاص

وعرضه لمهاب رياح الرحمة وكما يقوى انتظار الامطار في اوقات الربيع وعند ظهور الغيم فيقوى انتظار
تلك النفحات في الاوقات الشريفة وعند اجتماع الهمم وتساعد القلوب كما في يوم عرفة ويوم الجمعة وايام
رمضان فان الهمم والانفاس اسباب بحكم تقدير الله تعالى لاستدرار رحمته حتى يستدر بها الامطار في اوقات
الاستسقاء وهي لاستدرار امطار المكاشفات ولطائف المعارف من خزائن الملكوت اشد مناسبة منها
لاستدرار قطرات الماء واستجرار الغيوم من اقطار الجبال والبحار والمكاشفات حاضرة معك في قلبك وانما انت
مشغول عنها بعلائقك وشهواتك فصار ذلك حجابا بينك وبينها فلا يحتاج الا الى ان يكسر الشهوة ويرفع الحجاب فتشرق
انوار المعارف من باطن القلب واظهار ماء الارض بحفر القنى اسهل واقرب من استنزاله من مكان بعيد منخفض
عنها وتكون حاضرا في القلب ومنسيا بالشغل عنه سمى الله تعالى جميع معارف الايمان تذكرا فقال وليتذكر اولوا
الالباب وقال ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر فهذا هو علاج الصبر عن الوساوس والشواغل وهو آخر درجات
الصبر وانما الصبر عن العلائق كلها مقدم على الصبر عن الخواطر قال الجنيد رحمه الله المسير من الدنيا الى الآخرة
سهل على المؤمن وهجران الخلق في حب الحق شديد والمسير من النفس الى الله تعالى صعب شديد والصبر مع الله
اشد فذكر شدة الصبر عن شواغل القلب ثم شدة هجران الخلق واشد العلائق على النفس علاقة الخلق وحب الجاه فان
لذة الرياسة والغلبة والاستعلاء والاستتباع اغلب اللذات في الدنيا على نفوس العقلاء وكيف لا يكون اغلب اللذات
ومطلوبها صفة من صفات الله تعالى وهي الربوبية والربوبية مطلوبة ومحبوبة بالطبع للقلب لما فيه من المناسبة لامور
الربوبية وعنه العبارة بقوله تعالى قل الروح من امر ربي وليس القلب مذموما على حبه ذلك وانما هو مذموم على
غلط وقع له بسبب تغرير الشيطان اللعين المبعد عن عالم الامر حسده على كونه من عالم الامر فاضله واغواه وكيف
يكون مذموما عليه وهو يطلب سعادة الآخرة فليس يطلب الا بقاء لا فناء فيه وعزا لا ذل فيه وامنا لا خوف فيه وغنى لا
فقر فيه وكمالا لا نقصان فيه وهذه كلها من اوصاف الربوبية وليس مذموما على طلب ذلك بل حق كل عبد ان يطلب
ملكا عظيما لا آخر له وطالب الملك طالب للعلو والعز والكمال لا محالة ولكن الملك ملكان ملك مشوب بانواع
الآلام وملك في سرعة الانصرام ولكنه عاجل وهو في الدنيا وملك مخلد دائم لا يشوبه كدر ولا الم ولا يقطعه قاطع ولكنه
آجل وقد خلق الانسان عجولا راغبا في العاجلة فجاء الشيطان وتوسل اليه بواسطة العجلة التي في طبعه فاستغواه
بالعاجلة وزين له الحاضرة وتوسل اليه بواسطة الحمق فوعده بالغرور في الآخرة ومناه مع ملك الدنيا ملك الآخرة
كما قال عليه السلام الاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله فانخدع المخدوع بغروره واشتغل بطلب
عز الدنيا وملكها على قدر امكانه ولم يتدل الموفق بحبل غروره اذ علم مداخل مكره فاعرض عن العاجلة فعبر عن المخدوعين
فقيل كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقال تعالى ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا
وقال تعالى فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ولما استطار مكر الشيطان
في كافة الخلق ارسل الله تعالى الملائكة الى الرسل فاوحوا اليهم بما على الخلق من اهلاك العدو واغوائه فاشتغلوا
بدعوة الخلق الى الملك الحقيقي عن الملك المجازي الذي لا اصل له ان سلم ولا دوام له اصلا فنادوا فيهم يا ايها الذين
آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا
في الآخرة الا قليل فالتوراة والانجيل والزبور والقرآن وصحف موسى وكل كتاب منزل ما انزل الا لدعوة الخلق
الى الملك الدائم المخلد والمراد منهم ان يكونوا ملوكا في الدنيا ملوكا في الآخرة اما ملك الدنيا فالزهد فيها والقناعة
باليسير منها واما ملك الآخرة فالقرب من الله تعالى في درك بقاء لا فناء فيه وعز لا ذل فيه وقرة عين اخفيت في
هذا العالم لا تعلمها نفس من النفوس والشيطان يدعوهم الى ملك الدنيا لعلمه بان ملك الآخرة يفوت به اذ الدنيا

والآخرة ضرتان ولعلمه بان الدنيا لا تسلم له ايضا ولو كانت تسلم لكان يحسده ايضا ولكن ملوك الدنيا لا تخلو عن
المنازعات والمكدرات وطول الهموم في التدبيرات وكذا سائر اسباب الجاه كما يلزم دوام الاسباب ينقضي العمر حتى
اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا
كان لم تغن بالامس فضرب الله تعالى لها مثلا فقال واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به
نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح والزهد في الدنيا لكونه ملكا حاضرا حسده الشيطان عليه فصده عنه
ومعنى الزهد ان يملك العبد شهوته وغضبه فينقادان لباعث الدين واشارة الايمان وهذا ملك بالاستحقاق
اذ به يصير صاحبه حرا وباستيلاء الشهوة عليه يصير عبدا لبطنه وفرجه وسائر اغراضه فيكون مسخرا مثل
البهيمة مملوكا يجره زمام الشهوة آخذا بمخنقه الى حيث يريد ويهوى فما اعظم اغترار الانسان اذ ظن انه
ينال الملك بان يصير مملوكا وينال الربوبية بان يصير عبدا ومثل هذا هل يكون الا معكوسا في الدنيا منكوسا
في الآخرة ولهذا قال بعض الملوك لبعض الزهاد هل من حاجة قال كيف اطلب منك حاجة وملكي اعظم من
ملكك فقال كيف فقال من انت عبده فهو عبد لي فقال كيف ذلك قال انت عبد شهوتك وغضبك و
بطنك وفرجك وقد ملكتهن كلهن فهن عبيد لي فهذا اذا هو الملك في الدنيا وهو الذي يسوق الى الملك
في الآخرة فالمخدوعون بغرور الشيطان قد خسروا الدنيا والآخرة جميعا واذا عرفت الآن معنى الملك والربوبية ومعنى
التسخير والعبودية ومدخل الغلط في ذلك وكيفية تعمية الشيطان وتلبيسه سهل عليك النزوع عن الملك
والجاه والاعراض عنه والصبر عند فوته اذ تصير بتركه ملكا في الحال وترجو به ملكا في الآخرة ومن كوشف بهذه الامور
بعد ان الف الجاه وانس به ورسخ فيه بالعادة مباشرة اسبابه فلا يكفيه في العلاج مجرد العلم والكشف
بل لا بد ان يضيف اليه العمل وعمله في ثلاثة امور احدها ان يهرب عن موضع الجاه كيلا يشاهد اسبابه فيعسر عليه
الصبر مع الاسباب كما يهرب من غلبته الشهوة عن مشاهدة الصور المحركة ومن لم يفعل هذا فقد كفر نعمة سعة
في سعة الارض اذ قال تعالى الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها الثاني ان يكلف نفسه في اعماله افعالا تخالف
ما اعتاده فيبدل التكلف بالتبذل وزي الحشمة بزي التواضع وكذلك كل هيئة وحال وفعل في مسكن وملبس و
مطعم وقيام وقعود كان يعتاده وفاقا لمقتضى جاهه فينبغي ان يبدلها بنقائضها حتى يرسخ باعتياد ذلك الضد
ما رسخ فيه من قبل باعتياد ضده فلا معنى للمعالجة الا المضادة الثالث ان يراعي في ذلك التلطف والتدريج فلا
ينتقل دفعة واحدة الى الطرف الاقصى من التبذل فان الطبع نفور ولا يمكن نقله عن اخلاقه الا بالتدريج فيترك
البعض ويسلي نفسه بالبعض ثم اذا قنعت نفسه بذلك البعض ابتدأ بترك البعض من ذلك البعض الى ان يقنع
بالبقية وهكذا يفعل شيئا فشيئا الى ان يقمع تلك الصفات التي رسخت فيه والى هذا التدريج الاشارة بقوله صلى الله
عليه وسلم ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة الله فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا
ابقى واليه الاشارة بقوله عليه السلام لا تشادوا هذا الدين فانه من يشاده يغلبه فاذا ما ذكرناه في علاج الصبر
عن الوسواس وعن الشهوة وعن الجاه اضفه الى ما ذكرناه من انواع طرق المجاهدة في كتاب رياضة النفس
من ربع المهلكات ولنتخذه دستورا لمعرفة علاج الصبر في جميع الاقسام التي فصلناها من قبل فان
تفصيل الآحاد يطول ومن راعى التدريج ترقى به الصبر الى حالة يشق عليه الصبر عما كان يشق عليه الصبر
معه فتنعكس اموره فيصير ما كان محبوبا عنده ممقوتا وما كان مكروها عنده مشربا هنيئا لا يصبر عنه وهذا
لا يعرف الا بالتجربة والذوق وله نظير في العادات فان الصبي يحمل على التعلم في الابتداء قهرا فيشق عليه الصبر
عن اللعب والصبر على العلم حتى اذا انفتحت بصيرته وانس بالعلم انقلب الامر فصار يشق

عليه الصبر عن العلم والصبر على اللعب والى هذا يشير ما حكي عن بعض العارفين انه سأل الشبلي عن الصبر اشد
فقال الصبر في الله فقال لا فقال الصبر لله فقال لا فقال الصبر مع الله فقال لا قال الصبر عن الله فصرخ الشبلي صرخة كادت روحه
تتلف وقد قيل في معنى قوله تعالى اصبروا وصابروا ورابطوا اصبروا في الله وصابروا بالله ورابطوا مع الله وقيل
الصبر لله غناء والصبر بالله بقاء والصبر مع الله وفاء والصبر عن الله جفاء وقد قيل في معناه والصبر عنك فمذموم
عواقبه والصبر في سائر الاشياء محمود وقيل ايضا الصبر يجمل في المواطن كلها الا عليك فانه لا يجمل هذا آخر
ما اوردناه من علوم الصبر واسراره **الشطر الثاني** من الكتاب في الشكر وفيه ثلاثة اركان الركن الاول
في فضيلة الشكر وحقيقته واقسامه واحكامه الركن الثاني في حقيقة النعمة واقسامها الخاصة والعامة
الركن الثالث في بيان الافضل من الصبر والشكر الركن الاول في نفس الشكر بيان فضيلة الشكر اعلم ان الله
تعالى قرن الشكر بالذكر في كتابه مع انه قال ولذكر الله اكبر فقال تعالى فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا
تكفرون وقال تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وقال تعالى وسنجزي الشاكرين وقال تعالى اخبارا عن
ابليس اللعين لاقعدن لهم صراطك المستقيم قيل هو طريق الشكر ولعلو رتبة الشكر طعن اللعين في الخلق فقال
ولا تجد اكثرهم شاكرين وقال تعالى وقليل من عبادي الشكور وقد قطع الله عز وجل بالمزيد مع الشكر ولم يستثن
فقال لئن شكرتم لازيدنكم واستثنى في خمسة في الاغناء والاجابة والرزق والمغفرة والتوبة فقال تعالى
فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء وقال فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وقال يرزق من يشاء وقال ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء وقال ويتوب الله على من يشاء وهو خلق من اخلاق الربوبية اذ قال تعالى والله شكور حليم وقد جعل
الله الشكر مفتاح كلام اهل الجنة فقال الحمد لله الذي صدقنا وعده وقال وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين
واما الاخبار فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر وروي عن عطاء انه قال
دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت اخبرينا باعجب ما رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت واي شأنه
لم يكن عجبا اتاني في ليلة فدخل معي في فراشي او قالت في لحافي حتى مس جلده جلدي ثم قال يا ابنة ابي بكر ذريني اتعبد
لربي قالت قلت اني احب قربك فاذنت له فقام الى قربة من ماء فتوضأ فلم يكثر صب الماء ثم قام يصلي فبكى حتى سالت دموعه
على صدره ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع راسه فبكى فلم يزل كذلك حتى جاء بلال فآذنه بالصلاة فقلت يا رسول
الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال افلا اكون عبدا شكورا ولم لا افعل وقد انزل الله
علي ان في خلق السموات والارض الآية وهذا يدل على ان البكاء ينبغي ان لا ينقطع ابدا والى هذا السر يشير ما روي انه مر بعض الانبياء
بحجر صغير يخرج منه ماء كثير فتعجب فانطقه الله فقال منذ سمعت قوله تعالى وقودها الناس والحجارة فانا ابكي من خوفه
فسأله ان يجيره من النار فاجاره ثم رآه بعد مدة على مثل ذلك فقال لم تبكي الآن فقال ذاك بكاء الخوف وهذا بكاء الشكر
والسرور وقلب العبد كالحجارة او اشد قسوة ولا تزول قسوته الا بالبكاء في حال الخوف والشكر جميعا وروي عنه صلى الله
عليه وسلم انه قال ينادي يوم القيامة ليقم الحمادون فيقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة قيل ومن الحمادون
قال الذين يشكرون الله تعالى على كل حال وفي لفظ آخر الذين يشكرون الله على السراء والضراء وقال صلى الله عليه وسلم
الحمد رداء الرحمن عز وجل واوحى الله الى ايوب اني رضيت بالشكر مكافاة من اوليائي في كلام طويل واوحى الله اليه ايضا في
صفة الصابرين ان دارهم دار السلام اذا دخلوها الهمتهم الشكر وهو خير الكلام وعند الشكر استزيدهم وبالنظر
الي ازيدهم ولما نزل في الكنوز ما نزل قال عمر رضي الله عنه اي المال نتخذ فقال عليه السلام ليتخذ احدكم
لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وامر باقتناء القلب الشاكر بدلا عن المال وقال ابن مسعود رضي الله عنه الشكر
نصف الايمان بيان حد الشكر وحقيقته اعلم ان الشكر من جملة مقامات السالكين وهو ايضا ينتظم من علم وحال وعمل

فالعلم هو الاصل فيورث الحال والحال يورث العمل اما العلم فهو معرفة النعمة من المنعم والحال هو الفرح الحاصل
بانعامه والعمل هو القيام بمقصود المنعم ومحبوبه ويتعلق ذلك العمل بالقلب وبالجوارح وباللسان ولا بد من بيان
جميع ذلك ليحصل بمجموعه الاحاطة بحقيقة الشكر فان كل ما قيل في حد الشكر قاصر عن الاحاطة بكمال معانيه فالاصل
الاول العلم وهو علم بثلثة امور بعين النعمة ووجه كونها نعمة في حقه وبذات المنعم ووجود صفاته التي بها يتم الانعام
ويصدر الانعام منه عليه فانه لا بد من نعمة ومنعم ومنعم عليه تصل اليه النعمة من المنعم بقصد وارادة فهذه
الامور لا بد من معرفتها هذا في حق غير الله تعالى فاما في حق الله فلا يتم الا بان يعرف ان النعم كلها من الله والوسائط مسخرون من جهته
وهذه المعرفة ورا التقديس والتوحيد اذ دخل التقديس والتوحيد فيها بل الرتبة الاولى في معارف الايمان
التقديس ثم اذا عرف ذاتا مقدسة فيعرف انه لا مقدس الا واحد وما عداه غير مقدس وهو التوحيد ثم يعلم
ان كل ما في العالم فهو موجود من ذلك الواحد فقط فالكل نعمة منه فتقع هذه المعرفة في الرتبة الثالثة اذ ينطوي
فيها مع التقديس والتوحيد كمال القدرة والانفراد بالفعل وعن هذا عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال
من قال سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال لا اله الا الله فله عشرون حسنة ومن قال الحمد لله فله ثلثون حسنة
وقال افضل الذكر لا اله الا الله وافضل الدعا الحمد لله وقال ليس شي من الاذكار يضاعف ما يضاعف الحمد لله ولا تظن
ان هذه الحسنات بازا تحريك اللسان بهذه الكلمات من غير حصول معانيها في القلب فسبحان الله كلمة تدل على
التقديس ولا اله الا الله كلمة تدل على التوحيد والحمد لله تدل على معرفة النعمة من الواحد الحق فالحسنات
بازا هذه المعارف التي هي من ابواب الايمان واليقين **واعلم** ان تمام هذه المعرفة ينفي الشرك في الافعال فمن انعم
عليه ملك من الملوك بشي فان راى لوزيره او وكيله دخلا في ايصال ذلك اليه فهو اشراك به في
النعمة فلا يرى النعمة من الملك من كل وجه بل منه بوجه ومن غيره بوجه فيتوزع فرحه عليهما فلا يكون موحدا
في حق الملك نعم لا ينقص من توحيده في حق الملك وكمال شكره ان يرى النعمة الواصلة اليه بتوقيعه الذي كتبه بقلمه
وبالكاغد الذي كتبه عليه فانه لا يفرح بالقلم والكاغد ولا يشكرهما لانه لا يثبت لهما دخلا من حيث هما موجودان
بانفسهما بل من حيث انهما مسخران تحت قدرة الملك وقد يعلم ان الوكيل الموصل والخازن ايضا مضطران من
جهة الملك في الايصال وانه لو رد الامر اليه ولم يكن من جهة الملك ارهاق واجبار لهم لم يخاف عاقبته لما سلم فاذا
عرف ذلك كان نظره الى الخازن الموصل كنظره الى القلم والكاغد فكذلك من عرف الله تعالى وعرف افعاله علم
ان الشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره وفي نفس اختيارها فان الله هو المسلط للدواعي عليها لتفعل شاءت
ام ابت كالخازن المضطر الذي لا يجد سبيلا الى مخالفة الملك ولو خلي ونفسه لما اعطاك ذرة مما في يده فكل
من وصل اليك نعمة الله على يده فهو مضطر اذ سلط الله عليه الارادة وهيج عليه الدواعي والقى في قلبه
ان خيره في الدنيا والاخرة في ان يعطيك ما اعطاك وان غرضه المقصود عنده في الحال والمال لا يحصل الا به وبعد ان
خلق الله تعالى له هذا الاعتقاد فلا يجد سبيلا الى تركه فهو اذا انما يعطيك لغرض نفسه لا لغرضك ولو لم يكن
غرضه في العطا لما اعطاك ولو لم يعلم ان منفعته في منفعتك لما نفعك فهو اذا انما يطلب نفع نفسه بنفعك
فليس منعما عليك بل اتخذك وسيلة الى نعمة اخرى هو يرجوها وانما الذي انعم عليك هو الذي سخره لك والقى
في قلبه من الاعتقادات والارادات ما صار به مضطرا الى الايصال اليك فان عرفت الامور كذلك فقد عرفت
الله وعرفت فعله وكنت موحدا وقدرت على شكره بل كنت بهذه المعرفة بمجردها شاكرا ولذلك قال موسى في مناجاته
الهي خلقت آدم بيدك وفعلت وفعلت فكيف شكرك فقال علم ان ذلك مني فكانت معرفته شكرا فاذا لا تشكر
الا بان تعرف ان الكل منه فان خالجك ريب في هذا لم تكن عارفا لا بالنعمة ولا بالمنعم وحده بل بغيره فبنقصان

معرفتك ينقص حالك في الفرح وبنقصان فرحك ينقص عملك فهذا بيان هذا الاصل

الاصل الثاني

الحال المستمدة من اصل المعرفة وهو الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع والتواضع وهو في نفسه شكر على تجرده كما ان
المعرفة شكر ولكن انما يكون شكرا اذا كان جامعا شرطه وشرطه ان يكون فرحك بالمنعم لا بالنعمة ولا بالانعام ولعل
هذا يتعذر عليك فهمه فنضرب لك مثالا فنقول الملك الذي يريد الخروج الى سفر فانعم بفرس على انسان
يتصور ان يفرح المنعم عليه بالفرس من ثلثة اوجه **احدها** ان يفرح بالفرس من حيث انه فرس وانه مال ينتفع
به وانه مركوب يوافق غرضه وانه جواد نفيس فهذا فرح من لا حظ له في الملك بل غرضه الفرس فقط ولو وجده في
صحرا فاخذه لكان فرحه مثل ذلك **الوجه الثاني** ان يفرح به لا من حيث انه فرس بل من حيث يستدل به على
عناية الملك به وشفقته عليه واهتمامه بجانبه حتى لو وجد هذا الفرس في صحرا او اعطاه غير الملك لكان
لا يفرح به اصلا لاستغنائه عن الفرس اصلا او استحقاره له بالاضافة الى مطلوبه من نيل المحل في قلب
الملك **الوجه الثالث** ان يفرح به ليركبه فيخرج في خدمة الملك ويحتمل مشقة السفر لينال بخدمته
رتبة القرب منه ويرتقي الى درجة الوزارة من حيث انه ليس يقنع بان يكون محله في قلب الملك ان يعطيه
فرسا ويعتني به هذا القدر من العناية بل هو طالب لان لا ينعم الملك بشي من ماله على احد الا بواسطته ثم انه
ليس يريد من الوزارة الوزارة ايضا بل مشاهدة الملك والقرب منه حتى لو خير بين القرب دون الوزارة
وبين الوزارة دون القرب لاختار القرب فهذه ثلث درجات فالاولى لا يدخل فيها معنى الشكر اصلا لان نظر
صاحبها مقصور على الفرس ففرحه بالفرس لا بالمعطي وهذا حال كل من فرح بنعمة من حيث انها لذيذة وموافقة
لغرضه فهو بعيد عن معنى الشكر والثاني داخل في معنى الشكر من حيث انه فرح بالمنعم ولكن لا من حيث ذاته
بل من حيث معرفة عنايته التي تستحثه على الانعام في المستقبل وهذا حال الصالحين الذين يعبدون الله و
يشكرونه خوفا من عقابه ورجا لثوابه وانما الشكر التام في الفرح **الثالث** وهو ان يكون فرح العبد بنعمة الله من
حيث انه يقدر بها على التوصل الى القرب منه والنزول في جواره والنظر الى وجهه على الدوام فهذا هو
الرتبة العليا وامارته ان لا يفرح من الدنيا الا بما هو مزرعة الاخرة ويعينه عليها ويحزن بكل نعمة تلهيه عن
ذكر الله وتصده عن سبيله لانه ليس يريد النعمة لانها لذيذة كما لم يرد صاحب الفرس الفرس لانه جواد ومهملج بل من حيث
انه يحمله في صحبة الملك حتى تدوم مشاهدته له وقربه منه ولذلك قال الشبلي الشكر رؤية المنعم
لا رؤية النعمة وقال الخواص شكر العامة على المطعم والملبس وشكر الخاصة على واردات القلوب وهذه رتبة
لا يدركها كل من انحصرت عنده اللذات في البطن والفرج ومدركات الحواس من الالوان والاصوات وخلا عن
لذة القلب فان القلب لا يلتذ في حال الصحة الا بذكر الله ومعرفته ولقائه وانما يلتذ بغيره اذا مرض بسوء
العادات كما يلتذ بعض الناس باكل الطين وكما يستبشع بعض المرضى الاشيا الحلوة ويستحلي الاشيا المرة كما
قيل **شعر** ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا فاذا هذا شرط الفرح بنعمة الله تعالى فان لم يكن اهل
فمتزي وان لم يكن هذا فالدرجة الثانية اما الاول فخارج عن حساب الشكر فكم من فرق بين من يريد الملك لاجل الفرس
وبين من يريد الفرس للملك وكم من فرق بين من يريد الله لينعم عليه وبين من يريد نعم الله ليصل بها اليه

الاصل الثالث

العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة المنعم وهذا العمل يتعلق بالقلب وباللسان وبالجوارح اما بالقلب
فقصد الخير واضماره لكافة الخلق واما باللسان فاظهار الشكر لله بالتحميدات الدالة عليه واما بالجوارح
فاستعمال نعم الله في طاعته والتوقي من الاستعانة بها على معصيته حتى ان شكر العينين ان تستر كل عيب تراه
لمسلم وشكر الاذنين ان تستر كل عيب تسمعه فيدخل هذا في جملة شكر نعمة هذه الاعضاء والشكر باللسان لاظهار

الرضا عن الله وهو مأمور به وقد قال صلى الله عليه وسلم لرجل كيف أصبحت فقال بخير فأعاد السؤال فأعاد حتى قال
في الثالثة بخير أحمد الله وأشكره فقال هذا الذي أردت منك وكان السلف يتساءلون ونيتهم استخراج
الشكر لله ليكون الشاكر مطيعاً والمستنطق به مطيعاً وما كان قصدهم الرياء بإظهار الشوق وكل عبد سئل عن حال
فهو بين أن يشكر أو يشكو أو يسكت فالشكر طاعة والشكوى معصية قبيحة من أهل الدين وكيف لا تقبح الشكوى
من ملك الملوك وبيده كل شيء إلى عبد مملوك لا يقدر على شيء فالأحرى بالعبد إن لم يحسن الصبر على البلاء والقضاء
وأفضى به الضعف إلى الشكوى أن يكون شكواه إلى الله تعالى فهو المبلي والقادر على إزالة البلاء وذل العبد لمولاه عز
والشكوى ذل وإظهار الذل للعبد مع كونه عبداً مثله ذل قبيح قال الله تعالى إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون
لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق وقال تعالى إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فالشكر باللسان
من جملة الشكر فقد روي أن وفداً قدموا على عمر بن عبد العزيز فقام شاب ليتكلم فقال عمر الكبر الكبر فقال
يا أمير المؤمنين لو كان الأمر بالسن لكان في المسلمين من هو أسن منك فقال تكلم فقال لسنا وفد الرغبة ولا وفد
الرهبة أما الرغبة فقد أوصلها إلينا فضلك وأما الرهبة فقد أمننا منها عدلك وإنما نحن وفد الشكر
جئناك نشكرك باللسان وننصرف فهذه هي أصول معاني الشكر المحيطة بمجموع حقيقته فأما قول من قال إن
الشكر هو الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع فنظر إلى فعل اللسان مع بعض أحوال القلب وقول من قال
إن الشكر هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه نظر إلى مجرد عمل اللسان وقول القائل إن الشكر هو اعتكاف على
بساط الشهود بإدامة حفظ الحرمة جامع لأكثر معاني الشكر لا يشذ منه إلا عمل اللسان وقول حمدون القصار
شكر النعمة أن ترى نفسك فيه طفيلياً إشارة إلى معنى المعرفة من معاني الشكر فقط وقول الجنيد الشكر أن لا
ترى نفسك أهلاً للنعمة إشارة إلى حال من أحوال القلب على الخصوص وهذه أقاويلهم تعرب عن أحوالهم ولذلك تختلف
أجوبتهم ولا تتفق ثم قد يختلف جواب كل واحد في حالتين لأنهم لا يتكلمون إلا عن حالتهم الراهنة الغالبة
عليهم اشتغالاً بما يهمهم عما لا يهمهم أو يتكلمون بما يرونه لائقاً بحال السائل اقتصاراً على ذكر القدر
الذي يحتاج إليه وإعراضاً عما لا يحتاج إليه ولا ينبغي أن يظن أن ما ذكرناه طعن عليهم وأنه لم يعرض عليهم مجامع
المعاني التي شرحناها كما أنكروها بل لا يظن ذلك بعاقل أصلاً إلا أن نفرض منازعة من حيث اللفظ في أن
اسم الشكر في وضع اللسان هل يشمل جميع المعاني أم يتناول بعضها مقصوداً وبقية المعاني يكون من توابعها
ولوازمها ولسنا نقصد في هذا الكتاب شرح موضوعات اللغات فليس ذلك من علم طريق الآخرة في شيء **بيان**
طريق كشف الغطاء عن الشكر في حق الله تعالى لعله يخطر ببالك أن الشكر إنما يعقل في حق منعم
هو صاحب حظ في الشكر فإنا نشكر الملوك إما بالثناء ليزيد محلهم في القلوب ويظهر كرمهم عند الناس فيزيد به
صيتهم وجاههم أو بالخدمة التي هي إعانة لهم على بعض أغراضهم أو بالمثول بين أيديهم في صورة الخدم وذلك
تكثير لسوادهم وسبب لزيادة جاههم فلا يكون شاكراً لهم إلا بشيء من ذلك وهذا محال في حق الله تعالى من
وجهين أحدهما أن الله عز وجل منزه عن الحظوظ والأغراض مقدس عن الحاجة إلى الخدمة والإعانة وعن نشر الجاه
والحشمة بالثناء والإطراء وعن تكثير سواد الخدم بالمثول بين يديه ركعاً أو سجداً فشكرنا إياه بما لا حظ له فيه يضاهي
شكرنا الملك المنعم علينا بأن ننام في بيوتنا أو نسجد أو نركع إذ لا حظ للملك فيه وهو غائب عنه والله تعالى عن أفعالنا كلها
الوجه الثاني أن جميع ما نتعاطاه باختيارنا فهو نعمة أخرى من نعم الله إذ جوارحنا وقدرتنا وإرادتنا
وداعيتنا وسائر الأمور التي هي أسباب حركتنا ونفس حركتنا من خلق الله ونعمته فكيف نشكر نعمة بنعمة ولو
أعطانا الملك مركوباً فأخذنا مركوباً آخر له وركبناه أو أعطانا مركوباً آخر لم يكن الثاني شكراً للأول بل كان الثاني يحتاج

إلى شكر كما يحتاج الأول ثم لا يمكن شكر الشكر إلا بنعمة أخرى فيؤدي إلى أن يكون الشكر محالاً في حق الله تعالى
من هذين الوجهين ولسنا نشك في الأمرين جميعاً والشرع قد ورد به فكيف السبيل إلى الجمع **واعلم**
أن هذا الخاطر قد خطر لداود عليه السلام وكذلك لموسى عليه السلام فقال يا رب كيف أشكرك وأنا لا
أستطيع أن أشكرك إلا بنعمة ثانية من نعمك وفي لفظ آخر وشكري لك نعمة أخرى منك توجب علي الشكر
لك فأوحى الله تعالى إليه إذا عرفت هذا فقد شكرتني وفي لفظ آخر إذا عرفت أن النعم مني رضيت منك
بذلك شكراً **فإن قلت** فقد فهمت السؤال وفهمي قاصر عن إدراك معنى ما أوحي إليهم فإني أعلم استحالة
الشكر لله فأما كون العلم باستحالة الشكر شكراً فلا أفهمه فإن هذا العلم أيضاً نعمة منه فكيف صار شكراً
وكأن الحاصل يرجع إلى أن من لم يشكر فقد شكر وأن قبول الخلعة الثانية من الملك شكر للخلعة الأولى و
الفهم قاصر عن درك السر فيه فإن أمكن تعريف ذلك بمثال فهو مهم في نفسه **فاعلم** أن هذا قرع باب من
المعارف وهي أعلى من علوم المعاملة ولكنا نشير منها إلى لوامع ونقول ههنا نظران نظر بعين التوحيد
المحض وهذا النظر يعرفك قطعاً أنه الشاكر وأنه المشكور وأنه المحب وأنه المحبوب وهذا نظر من عرف أنه ليس
في الوجود غيره وأن كل شيء هالك إلا وجهه وأن ذلك صدق في كل حال أزلاً وأبداً لأن الغير هو الذي يتصور أن
يكون له بنفسه قوام ومثل هذا الغير لا وجود له بل هو محال أن يوجد إذ الموجود المحقق هو القائم بنفسه
وما ليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه وجود بل هو قائم بغيره فهو موجود بغيره فإن اعتبر ذاته ولم
يلتفت إلى غيره لم يكن له وجود البتة وإنما الموجود هو القائم بنفسه والقائم بنفسه هو الذي لو قدر عدم
غيره بقي موجوداً فإن كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده وجود غيره فهو قيوم ولا قيوم إلا واحد ولا
يتصور أن يكون غير ذلك فإذاً ليس في الوجود غير الحي القيوم وهو الواحد الصمد فإذا نظرت من هذا المقام
عرفت أن الكل منه مصدره وإليه مرجعه فهو الشاكر وهو المشكور وهو المحب وهو المحبوب ومن ههنا نظر
حبيب بن أبي حبيب حيث قرأ قوله تعالى إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب فقال واعجباه أعطى
وأثنى إشارة إلى أنه إذا أثنى على إعطائه فعلى نفسه أثنى فهو المثني وهو المثنى عليه ومن ههنا نظر الشيخ
أبو سعيد الميهني حيث قرئ بين يديه يحبهم ويحبونه **فقال** لعمري يحبهم ودعهم يحبونه
فبحق يحبهم لأنه إنما يحب نفسه وأشار به إلى أنه المحب وأنه المحبوب وهذه رتبة عالية لا تفهمها
إلا بمثال على حد عقلك ولا يخفى عليك أن المصنف إذا أحب تصنيفه فقد أحب نفسه والولد إذا أحب
ولده من حيث إنه ولده فقد أحب نفسه وكل ما في الوجود سوى الله فهو تصنيف الله وصنعته فإن أحبه
فما أحب إلا نفسه وإذا لم يحب إلا نفسه فبحق أحب ما أحب وهذا كله نظر بعين التوحيد وتعبر الصوفية
عن هذه الحالة بفناء النفس أي فني عن نفسه وعن غير الله فلم ير إلا الله فمن لا يفهم هذا ينكر عليهم ويقول كيف
فني وقد بقي طوله أربع أذرع ولعله يأكل في كل يوم أرطالاً من الخبز فيضحك عليهم الجهال لجهلهم بمعاني
كلامهم ومن ضرورة العارفين أن يكون ضحكة للجاهلين وإليه الإشارة بقوله تعالى إن الذين أجرموا كانوا
من الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين وإذا رأوهم
قالوا إن هؤلاء لضالون وما أرسلوا عليهم حافظين ثم بين أن ضحك العارفين عليهم أعظم إذ **قال**
تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون وكذلك قوم نوح كانوا يضحكون
عليه عند اشتغاله بعمل السفينة فقال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون فهذا أحد النظرين
الثاني نظر من لم يبلغ إلى مقام الفناء عن نفسه وهؤلاء قسمان قسم لم يثبتوا إلا وجود أنفسهم وأنكروا أن

يكون لهم رب بعيد وهؤلاء هم العميان المنكوسون وعماهم في كلتي العينين لانهم نفوا ما هو الثابت تحقيقا وهو
القيوم الذي هو قائم بنفسه وقائم على كل نفس بما كسبت وكل قائم فهو قائم به ولم يقتصروا على هذا حتى اثبتوا
انفسهم ولو عرفوا لعلموا انهم من حيث هم لا ثبات لهم ولا وجود لهم وانما وجودهم من حيث اوجدهم لا من حيث
وجدوا وفرق بين الموجود وبين الموجد وليس في الوجود الا موجود واحد وموجد فالموجود حق والموجود
باطل من حيث هو هو والموجود قائم وقيوم والموجود هالك فان واذا كان كل من عليها فان فلا يبقى الا وجه
ربك ذو الجلال والاكرام الفريق الثاني ليس بهم عمى ولكن بهم عور لانهم يبصرون باحدى العينين
وجود الموجود الحق فلا ينكرونه والعين الاخرى ان تم عماها لم يبصر بها فناء غير الموجود الحق فاثبتوا موجودا
اخر مع الله تعالى وهذا مشرك تحقيقا كما كان الذي قبله جاحدا تحقيقا فان تجاوز حد العمى الى العمش
ادرك تفاوتا بين الموجودين فاثبت عبدا وربا فبهذا القدر من اثبات التفاوت والنقص في الموجود
الاخر دخل في حد التوحيد ثم ان اكتحل بصره بما يزيد في انواره فيقل عمشه وبقدر ما يزيد في بصره يظهر له
من نقصان ما اثبته سوى الله فان بقي في سلوكه كذلك فلا يزال يفضي به النقصان الى المحو فينمحي عن
رؤيته ما سوى الله فلا يرى الا الله فيكون قد بلغ كمال التوحيد وحيث ادرك نقصانا في وجود ما سوى
الله دخل في اوائل التوحيد وبينهما درجات لا تحصى فيها تتفاوت درجات الموحدين وكتب الله المنزلة
على السنة رسله هي الكحل الذي يحصل به نور الابصار والانبياء هم الكحالون وقد جاءوا داعين الى التوحيد
المحض وترجمته قول لا اله الا الله ومعناه ان لا يرى الا الواحد الحق والواصلون الى كمال التوحيد هم
الاقلون والجاحدون والمشركون ايضا قليلون وهم على الطرف الاقصى المقابل له اذ عبدة
الاوثان قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فكانوا داخلين في اوائل ابواب التوحيد دخولا ضعيفا والمتوسطون
هم الاكثرون ومنهم من تنفتح بصيرته في بعض الاحوال فيلوح له حقائق التوحيد ولكن كالبرق الخاطف لا يثبت ومنهم
من يلوح له ذلك ويثبت زمانا ولكن لا يدوم والدوام فيه عزيز شعر لكل الى شأو العلى حركات ولكن
عزيز في الرجال ثبات ولما امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بطلب القرب فقال له واسجد واقترب
قال في سجوده اعوذ بعفوك من عقابك واعوذ برضاك من سخطك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك
انت كما اثنيت على نفسك فقوله اعوذ بعفوك من عقابك كلام عن مشاهدة فعل الله فقط فكأنه لم ير
الا الله وافعاله فاستعاذ بفعله من فعله ثم اقترب ففني عن مشاهدة الافعال وترقى الى مصادر الافعال
وهي الصفات فقال اعوذ برضاك من سخطك وهما صفتان ثم رأى ذلك نقصانا في التوحيد فاقترب وترقى
من مقام مشاهدة الصفات الى مشاهدة الذات فقال اعوذ بك منك وهذا فرار منه اليه من غير رؤية
فعل وصفة ولكنه رأى نفسه فارا منه اليه ومستعيذا ومثنيا ففني عن مشاهدة نفسه اذ رأى ذلك
نقصانا واقترب فقال لا احصي ثناء عليك ثم قال انت كما اثنيت على نفسك فقوله لا احصي خبر عن فناء نفسه
وخروجه عن مشاهدتها وقوله انت كما اثنيت على نفسك بيان انه المثني والمثنى عليه وان الكل منه بدأ و
اليه يعود وان كل شيء هالك الا وجهه فكان اول مقامه نهاية مقامات الموحدين وهو ان لا يرى الا الله و
افعاله فيستعيذ بفعل من فعل فانظر الى ماذا انتهت نهايته اذ انتهى الى الواحد الحق حتى ارتفع من
نظره ومشاهدته سوى الذات الحق ولقد كان صلى الله عليه وسلم لا يرتقي من رتبة الى اخرى الا ورأى
الاولى بعدا بالاضافة الى الثانية فكان يستغفر الله من الاولى ويرى ذلك نقصانا في سلوكه وتقصيرا
في مقامه واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي حتى استغفر الله تعالى في اليوم والليلة

سبعين مرة فكان ذلك لترقيه الى سبعين مقاما بعضها بعد البعض اوائلها وان كان مجاوزا اقصى
غايات الخلق ولكن كان نقصانا بالاضافة الى اواخرها فكان استغفاره لذلك ولما قالت عائشة رضي
الله عنها قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فما هذا البكاء في السجود وما هذا الجهد الجهيد قال
افلا اكون عبدا شكورا معناه افلا اكون طالبا للمزيد في المقامات فان الشكر سبب الزيادة حيث قال
تعالى لئن شكرتم لازيدنكم واذ تغلغلنا في بحار المكاشفة فلنقبض العنان ولنرجع الى ما يليق بعلوم المعاملة
فنقول الانبياء بعثوا لدعوة الخلق الى كمال التوحيد الذي وصفناه ولكن بينهم وبين الوصول اليه مسافة
بعيدة وعقبات شديدة وعند ذلك يكون النظر عن مشاهدة اخرى ومقام اخر فيتغير في ذلك المقام
بالاضافة الى تلك المشاهدة الشكر والشاكر والمشكور ولا تعرف ذلك الا بمثال فاقول يمكنك ان تفهم
ان ملكا من الملوك ارسل الى عبد بعد منه مركوبا وملبوسا ونقدا لاجل زاده في الطريق حتى يقطع به مسافة
البعد ويقرب من حضرة الملك ثم يكون له حالتان احداهما ان يكون قصده من وصول العبد الى حضرته
ان يقوم ببعض مهماته ويكون له غناء في خدمته والثانية ان لا يكون للملك في العبد ولا حاجة بل اليه
بل حضوره لا يزيد في ملكه لانه لا يقوى على القيام بخدمة تغني منه غناء وغيبته لا تنقص من ملكه فيكون قصده
من الانعام عليه بالمركوب والزاد ان يحظى العبد بالقرب منه وينال سعادة حضرته لينتفع هو في نفسه
لا لينتفع الملك به وباستنفاعه فمنزلة العباد من الله تعالى في المنزلة الثانية لا في الاولى فان الاولى
محال على الله تعالى والثانية غير محال ثم اعلم ان العبد لا يكون شاكرا في الحالة الاولى بمجرد الركوب والوصول
الى حضرته ما لم يقم بخدمته التي لاجلها اراده الملك منه واما في الحالة الثانية فلا يحتاج الى الخدمة اصلا ومع
ذلك يتصور ان يكون شاكرا او كافرا ويكون شكره بان يستعمل ما انعم عليه مولاه فيما احبه لاجله لا لاجل نفسه
وكفره ان لا يستعمل ذلك فيه بل يعطله او يستعمله فيما يزيد في بعده منه فمهما لبس العبد الثوب وركب
المركوب ولم ينفق الزاد الا في الطريق فقد شكر مولاه اذا استعمل نعمته في محبته اي فيما احبه لعبده لا لنفسه
وان ركبه واستدبر حضرته واخذ يبعد منه فقد كفر نعمته اي استعملها فيما كرهه مولاه لعبده لا لنفسه
وان جلس ولم يركب لا في طلب القرب ولا في طلب البعد فقد كفر ايضا نعمته اذ اهملها وعطلها وان كان هذا دون
ما لو بعد منه وكذلك خلق الله سبحانه الخلق وهم في ابتداء فطرتهم يحتاجون الى استعمال الشهوات ليكمل بها
ابدانهم فيبعدون بها عن حضرته وانما سعادتهم في القرب منها فاعد لهم من النعم ما يقدرون على استعماله
في نيل درجة القرب وعن بعدهم وقربهم عبر تعالى بقوله لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل
سافلين الا الذين امنوا الاية فاذا نعم الله تعالى الات يرقى العبد بها عن اسفل السافلين خلقها الله
تعالى لاجل العبد حتى ينال بها سعادة القرب من الله والله غني عنه قرب او بعد والعبد فيه بين ان يستعملها في
الطاعة فيكون قد شكر لموافقة محبة مولاه وبين ان يستعملها في معصية فقد كفر لاقتضائه ما يكرهه
ولا يرضاه له فان الله لا يرضى لعباده الكفر والمعصية وان عطلها فلم يستعملها في طاعة ولا معصية فهو ايضا
كفران للنعمة بالتضييع وكل ما خلق في الدنيا انما خلق الة للعبد ليتوصل بها الى سعادة الاخرة ونيل القرب
فكل مطيع فهو بقدر طاعته شاكر لانعم الله في الاسباب التي استعملها في الطاعة وكل كسلان ترك
الاستعمال او عاص استعمل في طريق البعد فهو كافر جاحد لنعمة محبة الله فالمعصية والطاعة يشملها المشيئة
ولكن لا تشملها المحبة والكراهة بل رب مراد محبوب ورب مراد مكروه ووراء بيان هذه الدقيقة سر القدر
الذي منع من افشائه وقد انحل بهذا الاشكال الاول وهو انه اذ لم يكن لله حظ فكيف يكون الشكر

ومهما ايضا تجلى الثاني فاذا لم نعن بالشكر الا انصراف نعمة الله فقد حصل المراد و فعلك عطاء من الله فلا وكما
حيث انت محله فقد اثنى عليك وثناؤه نعمة اخرى منه اليك فهو الذي اعطا وهو الذي اثنى وصار احد فعليه
سببا لانصراف فعله الثاني الى جهة محبته فله الشكر على كل حال وانت موصوف بانك شاكر بمعنى انك محل المعنى
الذي الشكر عبارة عنه لا بمعنى انك محل المعنى موجد له كما انك موصوف بانك عارف وعالم لا بمعنى انك خالق
العلم وموجده ولكن بمعنى انك محله وقد وجد بالقدرة الازلية فيك فوصفك بانك شاكر اثبات شيئية
للذات فكان جعلك خالق الاشياء شيئا وانما انت لا شيء اذا كنت انت ناظرا الى نفسك شيئية من ذاتك فاما
اعتبار النظر الى الذي جعل الاشيا اشيا فانت شيء اذ جعلك شيئا فان قطع النظر عن جعله كنت لا شيء
تحقيقا والى هذا اشار صلى الله عليه وسلم حيث قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له لما قيل له ففيم العمل اذ كانت الاشيا
قد فرغ منها من قبل فتبين ان الخلق مجاري قدرة الله تعالى ومحل افعاله وان كانوا هم ايضا من افعاله ولكن بعض
افعاله محل البعض وقوله اعملوا وان كان جاريا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم فهو فعل من افعاله وهو سبب لعلم
الخلق بان العمل نافع وعلمهم فعل من افعال الله والعلم سبب لانبعاث داعية جازمة الى الحركة والطاعة وانبعاث
الداعية ايضا من افعال الله وهو سبب لحركة الاعضاء وهي ايضا من افعال الله ولكن بعض افعاله سبب للبعض اي الاول
شرط للثاني كما كان خلق الجسم سببا لخلق العرض اذ لا يخلق العرض قبله وخلق الحياة شرط لخلق العلم وخلق العلم شرط
لخلق الارادة والكل من افعال الله وبعضها سبب للبعض اي هو شرط ومعنى كونه شرطا انه لا يستعد لقبول فعل الحياة
الا جوهر ولا يستعد لقبول العلم الا ذو حياة ولا لقبول الارادة الا ذو علم فيكون بعض افعاله سببا للبعض بهذا المعنى
لا ان بعض افعاله موجد لغيره بل يمهد شرط الحصول لغيره وهذا اذا حقق ارتقى الى درجة التوحيد الذي ذكرناه فان
قلت فلم قال الله تعالى اعملوا والا فانتم معاقبون ومذمومون على العصيان وما الينا شيء فكيف نذم وانما الكل
الى الله فاعلم ان هذا القول من الله سبب لحصول اعتقاد فينا والاعتقاد سبب لهيجان الخوف وهيجان الخوف
سبب لترك الشهوات والتجافي عن دار الغرور وذلك سبب للوصول الى جوار الله تعالى والله تعالى مسبب الاسباب
ومرتبها فمن سبق له في الازل السعادة يسر له هذه الاسباب حتى يقوده بسلسلتها الى الجنة ويعبر عن مثله بان كلا ميسر
لما خلق له ومن لم يسبق له من الله الحسنى بعد عن سماع كلام الله وكلام رسوله وكلام العلماء فاذا لم يسمع لم يعلم واذا لم
يعلم لم يخف واذا لم يخف لم يترك الركون الى الدنيا واذا لم يترك الركون الى الدنيا بقي في حزب الشيطان وان جهنم
لموعدهم اجمعين فاذا عرفت هذا تعجبت من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل فما من احد الا وهو مقود الى الجنة
بسلاسل الاسباب وهو تسلط العلم والخوف عليه فالمقربون يساقون الى الجنة قهرا والمجرمون يقادون
الى النار قهرا ولا قاهر الا الله الواحد القهار ولا قادر الا الملك الجبار واذا انكشف الغطاء عن اعين الغافلين فشاهدوا
الامر كذلك سمعوا عند ذلك نداء المنادي لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ولقد كان الملك لله الواحد القهار
كل يوم لا ذلك اليوم على الخصوص ولكن الغافلين لا يسمعون النداء الا ذلك اليوم فهو نبأ عما يتجدد للغافلين من
كشف الاحوال حيث لا ينفعهم الكشف فنعوذ بالله من الجهل والعمى فانه اصل اسباب الهلاك

بيان تمييز ما يحبه الله عما يكرهه

اعلم ان فعل الشكر وترك الكفران لا يتم الا بمعرفة ما يحبه الله عز وجل اذ معنى
الشكر استعمال نعمه في محابه ومعنى الكفر نقيض ذلك اما بترك الاستعمال او باستعماله في مكارهه ولتمييز ما يحبه
الله عما يكرهه مدركان احدهما السمع ومستنده الآيات والاخبار والثاني بصيرة القلب وهو النظر بعين
الاعتبار وهذا الاخير عسير وهو لاجل ذلك عزيز فلذلك ارسل الله تعالى الرسل وسهل بهم الطريق على الخلق ومعرفة ذلك
تنبني على معرفة جميع احكام الشرع في افعال العباد فمن لا يطلع على حكم الشرع في جميع افعاله لم يمكنه القيام بحق

الشكر اصلا واما الثاني وهو النظر بعين الاعتبار فهو ادراك حكمة الله تعالى في كل موجود خلقه
اذ ما خلق شيئا في العالم الا وفيه حكمة وتحت الحكمة مقصود وذلك المقصود هو المحبوب وتلك الحكمة
منقسمة الى جلية وخفية اما الجلية فكالعلم بان الحكمة في خلق الشمس ان يحصل بها الفرق بين الليل
والنهار فيكون النهار معاشا والليل لباسا فتتيسر الحركة عند الابصار والسكون عند الاستتار فهذه
من جملة حكم الشمس لا كل الحكم فيها بل فيها حكم اخرى كثيرة دقيقة وكذلك معرفة الحكمة في الغيم و
نزول المطر وذلك لانشقاق الارض بانواع النبات مطعما للخلق ومرعى للانعام وقد انطوى القرآن
على جملة من الحكم الجلية التي تحتملها افهام الخلق دون الدقيق الذي يقصرون عن فهمه اذ قال
الله تعالى انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا واما
الحكمة في سائر الكواكب السيارة منها والثوابت فخفية لا يطلع عليها كافة الخلق والقدر الذي
يحتمله فهم الخلق انها زينة للسما لتستلذ العين بالنظر اليها واشار اليه قوله تعالى ولقد زينا
السماء الدنيا بمصابيح فجميع اجزاء العالم سماؤه وكواكبه ورياحه وبحاره وجباله ومعادنه ونباته
وحيواناته واعضاء حيواناته لا تخلو ذرة من ذراته عن حكم كثيرة من حكمة واحدة الى عشرة الى الف وكذلك
اعضاء الحيوان ينقسم الى ما يعرف حكمها كالعلم بان العين للابصار لا للبطش واليد للبطش لا للمشي و
الرجل للمشي لا للشم فاما الاعضاء الباطنة من الامعاء والمرارة والكلية والكبد وآحاد العروق والاعصاب
والعضلات وما فيها من التجاويف والالتفاف والاشتباك والانحراف والدقة والغلظ وسائر الصفات
فلا يعرف الحكمة فيها كافة الناس والذين يعرفونها لا يعرفون منها الا قدرا يسيرا بالاضافة الى علم الله
تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا فاذا كل من استعمل شيئا في جهة غير الجهة التي خلق لها ولا على الوجه
الذي اريد به فقد كفر نعمة الله فيه فمن ضرب غيره بيده فقد كفر نعمة اليد اذ خلقت له اليد ليدفع بها عن
نفسه ما يهلكه ويأخذ ما ينفعه في دينه ودنياه لا ليهلك بها غيره ومن نظر الى وجه المحرم فقد كفر
نعمة العين ونعمة الشمس اذ الابصار يتم بهما وانما خلقتا ليبصر بهما ما ينفعه في دينه ودنياه ويتقي بهما ما
يضره فيهما فقد استعملهما في غير ما اريدتا به وهذا لان المراد من خلق الخلق وخلق الدنيا واسبابها ان
يستعين الخلق بها على الوصول الى الله تعالى ولا وصول اليه الا بمحبته والانس به في الدنيا والتجافي عن غرور الدنيا
ولا انس الا بدوام الذكر ولا محبة الا بالمعرفة الحاصلة بدوام الفكر ولا يمكن الدوام على الذكر والفكر الا بدوام
البدن ولا يبقى البدن الا بالارض والماء والهواء والغذاء ولا يتم ذلك الا بخلق السماء والارض وخلق سائر الاعضاء
ظاهرا وباطنا فكل ذلك لاجل البدن والبدن مطية النفس والراجع الى الله هي النفس المطمئنة بطول العبادة
والمعرفة ولذلك قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فكل من استعمل شيئا في غير طاعة الله
فقد كفر نعمة الله في جميع الاسباب التي لا بد منها لاقدامه على تلك المعصية ولنذكر مثالا واحدا للحكم
الخفية التي ليست في غاية الخفا حتى تعتبر بها وتعلم طريق الشكر والكفران على النعم فنقول من نعم الله تعالى
خلق الدراهم والدنانير وبهما قوام الدنيا وهما حجران لا منفعة في اعيانهما ولكن يضطر الخلق اليهما من حيث ان
كل انسان محتاج الى اعيان كثيرة في مطعمه وملبسه وسائر حاجاته وقد يعجز عما يحتاج اليه ويملك ما
يستغني عنه كمن يملك الزعفران مثلا وهو محتاج الى الجمل يركبه ولا بد في مقدار العوض من تقدير اذ لا
يبذل صاحب الجمل جمله بكل مقدار من الزعفران ولا مناسبة بين الزعفران والجمل حتى يقال يعطى مثله في الوزن
او الصورة وكذا من يشتري دارا بثياب او عبدا بخف او دقيقا بحمار فهذه اشيا لا تناسب فيها فلا يدرى

ان الجمل كم يسوي بالزعفران فيتعذر المعاملات جدا فافتقرت هذه الاعيان المتنافرة المتباعدة الى متوسط
بينهما يحكم فيهما بحكم عدل فيعرف من كل واحد رتبته ومنزلته حتى اذا تقررت المنازل وترتبت الرتب علم بعد
ذلك المساوي من غير المساوي فخلق الله تعالى الدراهم والدنانير حاكمين ومتوسطين بين ساير الاموال حتى يقدر
الاموال بهما فيقال هذا الجمل يسوي مائة وهذا القدر من الزعفران يسوي مائة فهما من حيث انهما مساويان
لشي واحد اذا متساويان وانما امكن التعديل بالنقدين اذ لا غرض في اعيانهما ولو كان في اعيانهما غرض ربما اقتضى
خصوص ذلك الغرض ترجيحا ولم يقتض ذلك في حق من لا غرض له فلا ينتظم الامر فاذا خلقهما الله تعالى لتتداولهما
الايدي ويكونا حاكمين بين الاموال بالعدل ولحكمة اخرى وهي التوسل بهما الى ساير الاشيا لانهما عزيزان
في انفسهما ولا غرض في اعيانهما ونسبتهما الى ساير الاموال نسبة واحدة فمن ملكهما فكانه ملك كل شي
لا كمن ملك ثوبا فانه لا يملك الا الثوب فلو احتاج الى الطعام ربما لم يرغب صاحب الطعام في الثوب لان
غرضه في دابة مثلا فاحتيج الى شي هو في صورته كانه ليس بشي وهو في معناه كانه كل الاشيا والشي انما تستوي
نسبته الى المختلفات اذا لم تكن له صورة خاصة يفيدها بخصوصها كالمراة لا لون لها وتحكي كل لون فكذلك
النقد لا غرض فيه وهو وسيلة الى كل غرض كالحرف لا معنى له في نفسه وتظهر به المعاني في غيره فهذه هي
الحكمة الثانية وفيهما ايضا حكم يطول ذكرها فكل من عمل فيهما عملا لا يليق بالحكم بل يخالف الغرض المقصود
بالحكم فقد كفر نعمة الله فيهما فاذا من كنزهما فقد ظلمهما وابطل الحكمة فيهما وكان كمن حبس حاكم المسلمين
في سجن يمتنع عليه الحكم بسببه لانه اذا كنز فقد ضيع ولا يحصل الغرض المقصود به وما خلقت الدراهم
لزيد خاصة ولا لعمرو خاصة ولا غرض للاحاد في اعيانهما فانهما حجران وانما خلقتا لتتداولهما الايدي فيكونا
حاكمين بين الناس وعلامة معرفة للمقادير مقومة للمراتب فاخبر الله الذين يعجزون عن قراءة الاسطر الالهية
المكتوبة على صفحات الموجودات بخط الهي لا حرف فيه ولا صوت الذي لا يدرك بعين البصر بل بعين
البصيرة اخبر هؤلاء العاجزين بكلام سمعوه من رسوله حتى وصل اليهم بواسطة الحرف والصوت المعنى الذي
عجزوا عن ادراكه فقال والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب
اليم وكل من اتخذ من الدراهم والدنانير انية من ذهب او فضة فقد كفر النعمة وكان اسوا حالا ممن كنز لان
مثال هذا مثال من استسخر حاكم البلد في الحياكة والكنس والاعمال التي يقوم بها اخساء الناس والحبس
اهون منه وذلك ان الخزف والحديد والرصاص والنحاس تنوب مناب الذهب والفضة في حفظ المائعات
عن ان تتبدد وانما الاواني لحفظ المائعات ولا يكفي الخزف والحديد في المقصود الذي اريد به النقود
فمن لم ينكشف له هذا كشف له بالترجمة الالهية وقيل له من شرب في انية من ذهب او فضة فكانما يجرجر
في بطنه نار جهنم وكل من عامل معاملة الربا على الدراهم والدنانير فقد كفر النعمة وظلم لانهما خلقا لغيرهما
لا لنفسهما اذ لا غرض في عينهما فاذا اتجر في عينهما فقد اتخذهما مقصودا على خلاف وضع الحكمة اذ طلب
النقد لغير ما وضع له ظلم ومن معه ثوب ولا نقد معه فقد لا يقدر على ان يشتري به طعاما ودابة وربما
لا يباع الطعام والدابة بالثوب فهو معذور في بيعه بنقد ليحصل النقد فيتوصل به الى مقصوده فانهما
وسيلتان الى الغير لا غرض في اعيانهما وموقعهما من الاموال كموقع الحرف من الكلام كما قال النحويون ان
الحرف هو الذي جاء لمعنى في غيره وكموقع المراة من الالوان فاما من معه نقد فلو جاز له ان يبيع بالنقد فيتخذ
التعامل على النقد غاية عمله فيبقى النقد متقيدا عنده وينزل منزلة المكنوز وتقييد الحاكم والبريد
الموصل الى الغير ظلم كما ان حبسه ظلم فلا معنى لبيع النقد بالنقد الا اتخاذ النقد مقصودا للادخار وهو ظلم

فان قلت فلم جاز بيع احد النقدين بالاخر ولم جاز بيع الدرهم بمثله فاعلم ان احد النقدين يخالف الاخر
في مقصود التوصل اذ قد يتيسر التوصل باحدهما من حيث كثرته كالدراهم تتفرق في الحاجات قليلا قليلا
ففي المنع منه ما يشوش المقصود الخاص به وهو تيسر التوصل به الى غيره واما بيع الدرهم بدرهم يماثله فجائز من حيث
ان ذلك لا يرغب فيه عاقل مهما تساويا ولا يشتغل به تاجر فانه عبث يجري مجرى وضع الدرهم على الارض واخذه
ونحن لا نخاف على العقلاء ان يصرفوا اوقاتهم الى وضع الدرهم واخذه بعينه فلا نمنع مما لا يتشوف النفوس
اليه الا ان يكون احدهما اجود وذلك ايضا لا يتصور جريانه اذ صاحب الجيد لا يرضى بمثله من الردي ولا ينتظم
العقد وان طلب زيادة في الردي فذلك مما يقصد فلا جرم نمنعه منه ونحكم بان جيدها ورديها سواء لان
الجودة والرداءة ينبغي ان ينظر اليهما فيما يقصد في عينه وما لا غرض في عينه فلا ينبغي ان ينظر الى مصالح
دقيقة في صفاته وانما الذي ظلم هو الذي ضرب النقود مختلفة في الجودة والرداءة حتى صارت مقصودة
في اعيانها وحقها ان لا تقصد واما اذا باع درهما بدرهم مثله نسيئة فانما لم يجز لانه لا يقدم على هذا
الا مسامح قاصد للاحسان في القرض وهو مكرمة مندوحة عنه لتبقى صورة المسامحة فيكون له حمد
واجر والمعاوضة لا حمد فيها ولا اجر فهو ايضا ظلم لانه اضاعة خصوص المسامحة واخراجها في معرض
المعاوضة وكذلك الاطعمة خلقت ليتغذى بها فلا ينبغي ان تصرف عن جهتها فان فتح
باب المعاملة فيها يوجب تقييدها في الايدي ويؤخر عنها الاكل الذي اريدت له فما خلق الطعام الا ليؤكل
والحاجة الى الاطعمة شديدة فينبغي ان تخرج عن المستغني عنها الى المحتاج ولا يتعامل على الاطعمة الا مستغن
عنها اذ من معه الطعام فلم لا ياكله ان كان محتاجا ولم يجعله بضاعة تجارة وان جعله بضاعة تجارة فليبعه
ممن يطلبه بعوض غير الطعام يكون محتاجا اليه فاما من يطلبه بعين ذلك الطعام فهو ايضا مستغن
عنه ولهذا ورد في الشرع لعن المحتكر وورد فيه من التشديدات ما ذكرناه في كتاب اداب الكسب نعم بايع البر
بالتمر معذور اذ احدهما لا يسد مسد الاخر في الغرض وبايع صاع من البر بصاع منه غير معذور ولكنه عابث فلا
يحتاج الى منع لان النفوس لا تسمح به الا عند التفاوت في الجودة ومقابلة الجيد بمثله من الردي لا يرضى به صاحب
الجيد واما جيد بردئين فقد يقصد ولكن لما كانت الاطعمة من الضروريات والجيد يساوي الردي في اصل
الفائدة ويخالفه في وجوه التنعم اسقط الشرع غرض التنعم فيما هو القوام فهذه حكمة الشرع في تحريم الربا وقد
انكشف لنا هذا بعد الاعراض عن فن الفقه فلنلحق هذا بفن الفقهيات فانه اقوى من جميع ما اوردناه في
الخلافيات وبهذا يتضح رجحان مذهب الشافعي في التخصيص بالاطعمة دون المكيلات اذ لو دخل الجص فيه لكان
الثياب والدواب اولى بالدخول ولولا الملح لكان مذهب مالك اقوم المذاهب فيه اذ خصصه بالاقوات ولكن
كل معنى يرعاه الشرع فلا بد ان يضبط بحد وتحديد هذا كان ممكنا بالقوت وكان ممكنا بالمطعوم فراى الشرع
التحديد بجنس المطعوم احرى لكل ما هو ضرورة البقا وتحديدات الشرع قد تحيط باطراف لا يبقى فيها اصل المعنى
الباعث على الحكم ولكن الحد يوضع كذلك بالضرورة ولو لم يحد لتحير الخلق في اتباع جوهر المعنى مع اختلافه
بالاحوال والاشخاص فتعين المعنى بكمال قوته يختلف بالاحوال والاشخاص فيكون الحد ضروريا فلذلك قال الله
تعالى ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ولان اصول هذه المعاني لا تختلف فيها الشرايع وانما تختلف
في وجوه التحديد كما حد شرع عيسى تحريم الخمر بالسكر وقد حده شرعنا بكونه من جنس المسكر لان قليله يدعو الى
كثيره والداخل في الحدود داخل في التحريم بحكم الجنس كما دخل اصل المعنى بحكم الحكمة الاصلية فهذا مثال واحد لحكمة
خفية من حكم النقدين فينبغي ان يعتبر شكر النعمة وكفرانها بهذا المثال فكل ما خلق لحكمة فلا ينبغي ان يصرف عنها

ولا يعرف هذا الامر عن الحكمة ومن اوتي الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ولكن لا تصادف جواهر الحكمة في
قلوب هي مزابل الشهوات وملاعب الشياطين بل لا يذكر الا اولوا الالباب ولذلك **قال** صلى الله عليه وسلم
لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السما واذا عرفت هذا المثال فقس عليه حركتك
وسكونك ونطقك وسكوتك وكل فعل صادر منك فانه اما شكر واما كفر اذ لا يتصور ان ينفك عنهما وبعض
ذلك نصفه في لسان الفقه الذي يطلق به عوام الخلق بالكراهة وبعضه بالحظر وكل ذلك عند ارباب
القلوب موصوف بالحظر فاقول مثلا لو استنجيت باليمين فقد كفرت نعمة اليدين اذ خلق الله تعالى اليدين وجعل
احدهما اقوى من الاخرى فاستحق الاقوى بمزيد رجحانه في الغالب التشريف والتفضيل وتفضيل الناقص عدول
عن العدل والله لا يامر الا بالعدل ثم احوجك الى ان تعمل باليدين الى اعمال بعضها شريفة كاخذ المصحف وبعضها
خسيسة كازالة النجاسة فاذا اخذت المصحف باليسار وازلت النجاسة باليمين فقد خصصت الشريف
بما هو خسيس فغضضت من حقه وظلمته وعدلت عن العدل وكذلك اذا بصقت مثلا في جهة القبلة واستقبلتها
في قضا الحاجة فقد كفرت نعمة الله في خلق الجهات وخلق سعة العالم لانه خلق الجهات لتكون متسعك في حركاتك
وقسم الجهات الى ما لم يشرفها والى ما شرفها بان وضع فيها بيتا اضافه الى نفسه استمالة لقلبك اليه ليتقيد
بتقييده قلبك فيتقيد بسببه بدنك في تلك الجهة على هيئة الثبات والوقار اذا عبدت ربك وكذلك انقسمت
افعالك الى ما هي شريفة كالطاعات والى ما هي خسيسة كقضا الحاجة ورمي البزاق فاذا رميت بزاقك الى
جهة القبلة فقد ظلمتها وكفرت نعمة الله تعالى عليك بوضع القبلة التي بوضعها كمال عبادتك وكذلك اذا
لبست خفك فابتدات باليسرى فقد ظلمت لان الخف وقاية للرجل فللرجل فيه حظ والبداية في الحظوظ ينبغي
ان يكون بالاشرف فهو العدل والوفا بالحكمة ونقيضه ظلم وكفران لنعمة الرجل والخف وهذا عند العارفين كبيرة وان
سماه الفقيه مكروها حتى ان بعضهم جمع اكرارا من الحنطة وكان يتصدق بها فسئل عن سببه فقال لبست المداس
مرة فابتدات بالرجل اليسرى سهوا فاريد ان اكفر بالصدقة نعم الفقيه لا يقدر على تفخيم الامر في هذه الامور
لانه مسكين بلي باصلاح العوام الذين تقرب درجتهم من درجة الانعام وهم منغمسون في ظلمات اطم واعظم من
ان يظهر امثال هذه الظلمات بالاضافة اليها فقبيح ان يقال الذي شرب الخمر واخذ القدح بيساره فقد تعدى
من وجهين احدهما الشرب والاخر الاخذ باليسار ومن باع خمرا في وقت النداء يوم الجمعة فقبيح ان يقال خالف من
وجهين احدهما بيع الخمر والاخر البيع في وقت النداء ومن قضى حاجته في محراب المسجد مستدبرا للقبلة فقبيح ان
يذكر تركه الادب في قضا الحاجة من حيث لم يجعل القبلة عن يمينه فالمعاصي كلها ظلمات وبعضها فوق بعض فينمحي
بعضها في جنب البعض فالسيد قد يعاقب عبده اذا استعمل سكينه بغير اذنه ولكن لو قتل بتلك السكين اعز
اولاده لم يبق لاستعمال السكين بغير اذنه حكم ونكاية في نفسه فكل ما راعاه الانبيا والاوليا من الادب وتساهلنا
به في الفقه مع العوام فسببه الضرورة والا فكل هذه المكاره عدول عن العدل وكفران للنعمة ونقصان عن الدرجة
المبلغة للعبد الى درجات القرب نعم بعضها يؤثر في البعد بنقصان القرب وانحطاط المنزلة وبعضها يخرج
بالكلية عن حدود القرب الى عالم البعد الذي هو مستقر الشياطين وكذلك من كسر غصنا من شجرة من غير حاجة
ناجزة مهمة ومن غير غرض صحيح فقد كفر نعمة الله في خلق الاشجار وخلق اليد اما اليد فانها لم تخلق للعبث
بل للطاعة والاعمال المعينة على الطاعة واما الشجر فانما خلقه الله تعالى وخلق له العروق وساق اليه
الماء وخلق فيه قوة الاغتذاء والنماء ليبلغ منتهى نشوه فينتفع به عباده فكسره قبل منتهى نشوه لا على وجه ينتفع
به عباده مخالفة لمقصود الحكمة وعدول عن العدل فان كان له غرض صحيح فله ذلك اذ الشجر والحيوان جعلا فدا لاغراض

الانسان فانهما جميعا فانيان هالكان فافنا الاخس في بقا الاشرف مدة ما اقرب الى العدل من تضييعهما
جميعا واليه الاشارة بقوله تعالى وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه نعم اذا كسر ذلك من ملك
غيره فهو ظالم ايضا وان كان محتاجا لان كل شجرة بعينها لا تفي بحاجات عباد الله كلهم بل تفي بحاجة واحد ولو
خصص واحد بها من غير رجحان واختصاص كان ظلما وصاحب الاختصاص هو الذي حصل البذر ووضعه في
الارض وساق اليه الماء وقام بالتعهد فهو اولى به من غيره فيترجح جانبه بذلك فان نبت ذلك في موات الارض لا بسعي
آدمي اختص بمنبته او بغرسه فلا بد من طلب اختصاص آخر وهو السبق الى اخذه فللسابق خاصية السبق
فالعدل ان يكون هو اولى به وعبر الفقها عن هذا الترجيح بالملك وهو مجاز محض اذ لا ملك الا لملك الملوك
الذي له ما في السموات والارض وكيف يكون العبد مالكا وهو في نفسه ليس يملك نفسه بل هو ملك غيره
نعم الخلق عباد الله والارض مائدة الله وقد اذن لهم في الاكل من مائدته بقدر حاجتهم كالملك ينصب مائدة
لعبيده فمن اخذ لقمة بيمينه واحتوت عليها براجمه فجا عبد اخر واراد انتزاعها من يده لم يمكن لان اللقمة ما صارت
ملكا له بالاخذ باليد فان اليد وصاحب اليد ايضا مملوك ولكن اذا كانت كل لقمة بعينها لا تفي بحاجة كل العبيد
فالعدل في التخصيص عند حصول نوع من الترجيح والاختصاص والاخذ اختصاص تفرد به العبد فمنع من لا
يدلي بذلك الاختصاص عن مزاحمته فهكذا ينبغي ان تفهم امر الله في عباده ولذلك نقول من اخذ من اموال
الدنيا اكثر من حاجته وكنزه وامسكه وفي عباد الله من يحتاج اليه فهو ظالم وهو من الذين يكنزون الذهب والفضة
ولا ينفقونها في سبيل الله وانما سبيل الله طاعته وزاد الخلق في طاعته اموال الدنيا اذ بها تندفع ضروراتهم
وترتفع درجاتهم نعم هذا لا يدخل في حد فتاوي الفقه لان مقادير الحاجات خفية والنفوس في استشعار
الفقر في الاستقبال مختلفة واواخر الاعمار غير معلومة فتكليف العوام ذلك يجري مجرى تكليف الصبيان الوقار
والتؤدة والسكوت عن كل كلام غير مهم وهم بحكم نقصانهم لا يطيقونه فتركنا الاعتراض عليهم في اللهو واللعب
واباحتنا اياهم ذلك لا يدل على ان اللهو واللعب حق فكذلك اباحتنا للعوام حفظ الاموال والاقتصار في الانفاق
على قدر الزكوات لضرورة ما جبلوا عليه من البخل لا يدل على انه غاية الحق وقد اشار القرآن اليه اذ قال
تعالى ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا بل الحق الذي لا كدورة فيه والعدل الذي لا ظلم فيه ان لا ياخذ احد من عباد الله من مال الله
الا بقدر زاد الراكب وكل عباد الله ركاب لمطايا الابدان الى الحضرة الالهية الديان فمن اخذ زيادة عليه ومنعه عن
راكب اخر محتاج اليه فهو ظالم تارك للعدل وخارج عن مقصود الحكمة وكافر نعمة الله تعالى عليه بالقرآن
والرسول والعقل وسائر الاسباب التي بها عرف ان ما سوى زاد الراكب وبال عليه في الدنيا والاخرة فمن فهم
حكمة الله تعالى في جميع انواع الموجودات قدر على القيام بوظيفة الشكر واستقصاء ذلك يحتاج الى
مجلدات ثم لا يفي الا بالقليل وانما اوردنا هذا القدر لتعلم علة الصدق في قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور
وفرح ابليس لعنه الله بقوله ولا تجد اكثرهم شاكرين فلا يعرف معنى هذه الاية من لم يعرف هذا كله وما اخر
وههنا نقبض الاعنة دون استقصا مباديها فاما تفسير الاية ومعنى لفظها فيعرفه كل من يعرف اللغة و
بهذا يتبين لك الفرق بين اللغو والتفسير **فان قلت** فقد رجع حاصل الكلام الى ان لله تعالى حكمة في كل شي
وانه جعل بعض افعال العباد سببا لتمام تلك الحكمة وبلوغها غاية المراد منها وجعل بعض افعالهم مانعا من تمام
الحكمة فكل فعل وافق مقتضى الحكمة حتى انساقت الحكمة الى غايتها فهو شكر وكل ما خالف ومنع الاسباب
من ان تنساق الى الغاية المرادة بها فهو كفران وهذا كله مفهوم ولكن الاشكال باق وهو ان فعل العبد المنقسم
الى ما يتمم الحكمة والى ما يمنعها هو ايضا من فعل الله فاين العبد في البين حتى يكون شاكرا مرة وكافرا اخرى

فاعلم ان تمام التحقيق في هذا يستمد من بحر عظيم من علوم المكاشفات وقد رمزنا فيما سبق الى لمحات مباديها ونحن الان نعبر بعبارة وجيزة عن اواخرها وغاياتها يفهمها من عرف منطق الطير ويجحدها من عجز عن الايضاع في السير فضلا عن ان يجول في جو الملكوت جولان الطير فنقول ان لله سبحانه في جلاله وكبريائه صفة عنها يصدر الخلق والاختراع وتلك الصفة اعلى واجل من ان يلمحها عين واضع اللغة حتى يعبر عنها بعبارة تدل على كنه جلالها وخصوص حقيقتها فلم يكن لها في العالم عبارة لعلو شانها وانحطاط رتبة واضعي اللغات عن ان يمتد طرف فهمهم الى مبادي اشراقها فانخفضت عن ذروتها ابصارهم كما تنخفض ابصار الخفافيش عن نور الشمس لا لغموض في نور الشمس ولكن لضعف في ابصار الخفافيش فاضطر الذين فتحت ابصارهم لملاحظة جلالها الى ان يستعيروا من حضيض عالم المتناطقين باللغات عبارة تفهم من مبادي حقايقها شيا ضعيفا جدا فاستعاروا لها اسم القدرة فتجاسرنا بسبب استعارتهم على النطق فقلنا ان لله صفة هي القدرة عنها يصدر الخلق والاختراع ثم الخلق ينقسم في الوجود الى اقسام وخصوص صفات ومصدر انقسام هذه الاقسام واختصاصها بخصوص صفاتها صفة اخرى استعير لها بمثل الضرورة التي سبقت عبارة المشية فهي توهم منها امرا مجملا عند المتناطقين باللغات التي هي حروف واصوات المتفاهمين بها وقصور لفظ المشية عن الدلالة على كنه تلك الصفة وحقيقتها كقصور لفظ القدرة ثم انقسمت الافعال الصادرة من القدرة الى ما ينساق الى المنتهى الذي هو غايته حكمها والى ما يقف دون الغاية وكان لكل واحد نسبة الى الصفة المشية لرجوعها الى الاختصاصات التي بها تم القسمة والاختلاف فاستعير لنسبة البالغ غايته عبارة المحبة واستعير لنسبة الواقف دون غايته عبارة الكراهة وقيل انهما جميعا داخلان في وصف المشية ولكن لكل واحد خاصية اخرى في النسبة يوهم لفظ المحبة والكراهة منهما امرا مجملا عند طالبي الفهم من الالفاظ واللغات ثم انقسم عباده الذين هم ايضا من خلقه واختراعه الى من سبقت له في المشية الازلية ان يستعمله لاستيفاء حكمته دون غايته ويكون ذلك قهرا في حقهم بتسليط الدواعي والبواعث عليهم والى من سبقت لهم في الازل ان يستعملهم لسياقة حكمته الى غايتها في بعض الامور فكان لكل واحد من الفريقين نسبة الى المشية خاصة فاستعير لنسبة المستعملين في تمام الحكمة بهم عبارة الرضا واستعير للذين استوقفهم اسباب الحكمة دون غايتها عبارة الغضب وظهر على من غضب عليه في الازل فعل وقفت الحكمة دون غايتها فاستعير له الكفران واردف ذلك بنقمة اللعن والمذمة زيادة في النكال وظهر على من رضي في الازل فعل انساقت بالحكمة الى غايتها فاستعير له عبارة الشكر واردف بخلعة الثناء والاطراء زيادة في الرضا والقبول والاقبال فكان الحاصل انه اعطى الجمال ثم اثنى واعطى النكال ثم قبح وارذى وكان مثاله ان ينظف الملك عبده عن درنه ثم يلبسه من محاسن ثيابه فاذا تم زينته قال يا جميل ما اجملك واجمل ثيابك وانظف وجهك فيكون بالحقيقة هو المجمل وهو المثني على الجمال فهو المثني عليه بكل حال وكانه لم يثن من حيث المعنى الا على نفسه وانما العبد هدف الثناء من حيث الظاهر والصورة فهكذا كانت الامور في ازل الازال وهكذا تسلسل الاسباب والمسببات بتقدير رب الارباب ومسبب الاسباب ولم يكن ذلك عن اتفاق وبخت بل عن ارادة وحكمة وحكم حق وامر جزم استعير له لفظ القضا وقيل انه كلمح البصر ففاضت بحار المقادير بعضها على بعض بحكم ذلك القضا الجزم بما سبق به التقدير فاستعير لترتيب احاد المقدورات بعضها على بعض لفظ القدر فكان لفظ القضا بازاء الامر الواحد الكلي ولفظ القدر بازاء التفصيل على بعض لفظ القدر المتمادي الى غير نهاية وقيل ان شيا من ذلك ليس خارجا عن القضا والقدر فخطر لبعض العباد ان القسمة لماذا اقتضت هذا التفصيل وكيف ينتظم العدل مع هذا التفاوت والتفصيل

وكان بعضهم لقصوره لا يطيق ملاحظة كنه هذا الامر ولا الاحتوا على مجامعه فالجموا عما لم يطيقوا خوض غمرته بلجام المنع وقيل لهم اسكتوا فما لهذا خلقتم لا يسأل عما يفعل وهم يسألون واسلات مشكاة بعضهم نورا مقتبسا من نور الله في السموات والارض وكان زيتهم اولا صافيا يكاد يضي ولو لم تمسسه نار فمسته نار فاشتعل نورا على نور فاشرقت اقطار الملكوت بين ايديهم بنور ربها فادركوا الامور كلها على ما هي عليه فقيل لهم تادبوا باداب الله واسكتوا واذا ذكر القدر فامسكوا فان للحيطان اذانا وحولكم ضعفا الابصار فسيروا بسير اضعفكم ولا تكشفوا حجاب الشمس لابصار الخفافيش فيكون ذلك سبب هلاككم فتخلقوا باخلاق الله وانزلوا الى سما الدنيا من منتهى علوكم لياتنس بكم الضعفا ويقتبسوا من بقايا انواركم المشرقة من ورا حجابكم كما يقتبس الخفافيش من بقايا نور الشمس والكواكب في جنح الليل فيحيا به حياة يحتملها شخصه وحاله وان كان لا يحيا به حياة المتردد في كمال نور الشمس وكونوا كمن قيل فيهم **شعر** شربنا شرابا طيبا عند طيب * كذاك شراب الطيبين يطيب * شربنا واهرقنا على الارض فضله * وللارض من كاس الكرام نصيب * فهكذا كان اول هذا الامر واخره ولا تفهمه الا اذا كنت اهلا له واذا كنت اهلا له فتحت العين وابصرت ولا تحتاج الى قايد يقودك والاعمى يمكن ان يقاد ولكن الى حد ما فاذا ضاق الطريق وصار احد من السيف وادق من الشعر قدر الطاير على ان يطير عليه ولم يقدر على ان يستجر ورا اعمى واذا دق المجال ولطف لطف الما مثلا ولم يكن العبور الا بالسباحة فقد يقدر الماهر بصنعة السباحة ان يعبر بنفسه وربما لم يقدر على ان يستجر ورا اخر فهذه امور نسبة السير عليها الى السير على ما هو مجال جماهير الخلق كنسبة المشي على الما الى المشي على الارض والسباحة يمكن ان يتعلم فاما المشي على الما فلا يكتسب الا بالتعلم بل ينال بقوة اليقين ولذلك قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ان عيسى يقال انه مشى على الما **فقال** لو ازداد يقينا لمشى على الهوا فهذه رموز اشارات الى معنى الكراهة والمحبة والرضا والغضب والشكر والكفر لا يليق بعلم المعاملة اكثر منها وقد ضرب الله تعالى مثلا لذلك تقريبا الى افهام الخلق اذ عرف انه ما خلق الجن والانس الا ليعبدوه فكانت عبادتهم غاية الحكمة في حقهم ثم اخبر ان له عبدين يحب احدهما واسمه جبريل وروح القدس والامين وهو عنده محبوب مطاع مكين ويبغض الاخر واسمه ابليس وهو اللعين المنظر الى يوم الدين ثم احال الارشاد الى جبريل **فقال** قل نزله روح القدس من ربك بالحق **وقال** يلقي الروح من امره على من يشا من عباده واحال الاغوا الى ابليس فقال ليضلهم عن سبيله والاغوا هو استيقاف العباد دون بلوغ غاية الحكمة فانظر كيف نسبه الى العبد الذي غضب عليه والارشاد سياقة لهم الى الغاية فانظر كيف نسبه الى العبد الذي احبه وعندك في العادة له مثال فالملك اذا كان يحتاج الى من يسقيه الشراب والى من يحجمه والى من ينظف فناه عن القاذورات كان له عبدان ولا يخص بالحجامة والتنظيف الا اقبحهما واخسهما ولا يفوض حمل الشراب الطيب اليه الا احسنهما واكملهما واحبهما اليه ولا ينبغي ان تقول هذا فعلي ولم يكن فعله على وفق حكمي فان ذلك اضافة اذا اضفت ذلك الى نفسك بل هو الذي صرف داعيتك لتخصيص الفعل المكروه بالشخص المكروه والفعل المحبوب بالشخص المحبوب اتماما للعدل فان عدله تارة يتم بامور لا مدخل لك فيها وتارة يتم بك فانك ايضا من افعاله فداعيتك وقدرتك وعلمك وعملك وساير اسباب حركاتك في التعيين هو فعله الذي رتبه بالعدل ترتيبا تصدر منه الافعال المعتدلة الا انك لا ترى الا نفسك فتظن ان ما يظهر عليك في عالم الشهادة ليس له سبب من عالم الغيب والملكوت فلذلك تضيفه الى نفسك وانما انت مثل الصبي الذي ينظر ليلا الى لعب المشعوذ الذي يخرج صورا من ورا حجاب ترقص وتزعق وتقوم وتقعد وهي مؤلفة من خرق لا تتحرك

بأنفسها إنما تحركها خيوط شعرية دقيقة لا تظهر في ظلام الليل ورؤوسها في يد المشعوذ وهو محتجب عن أبصار الصبيان فيفرحون ويتعجبون لظنهم أن تلك الخرق ترقص وتلعب وتقوم وتقعد وأما العقلاء فإنهم يعلمون أن ذلك تحريك وليس بتحرك ولكنهم ربما لا يعلمون تفصيله والذي يعلم بعض تفصيله لا يعلمه كما يعلمه المشعوذ الذي الأمر إليه والجاذب بيده فكذلك صبيان أهل الدنيا والخلق كلهم صبيان إلا العلماء ينظرون إلى هذه الأشخاص فيظنون أنها المتحركة فيحيلون عليها والعلماء يعلمون أنهم محركون إلا أنهم لا يعرفون كيفية التحريك وهم الأكثرون إلا العارفون والعلماء الراسخون فإنهم أدركوا بحدة أبصارهم خيوطا دقيقة عنكبوتية بل أدق منها بكثير معلقة من السماء متشبثة الأطراف بأشخاص أهل الأرض لا تدرك تلك الخيوط لدقتها بهذه الأبصار الظاهرة ثم شاهدوا رؤوس تلك الخيوط في مناطات لها هي معلقة بها وشاهدوا لتلك المناطات مقابض هي في أيدي الملائكة المحركين للسموات وشاهدوا أبصار ملائكة السموات مصروفة إلى حملة العرش ينتظرون منهم ما ينزل عليهم من الأمر من حضرة الربوبية كيلا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وعبر عن هذه المكاشفات في القرآن فقال وفي السماء رزقكم وما توعدون وعبر عن انتظار ملائكة السموات لما ينزل عليهم من الأمر بالقدر فقيل خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما وهذه أمور لا يعلم تأويلها إلا الله والراسخون في العلم وعبر ابن عباس رضي الله عنهما عن اختصاص الراسخين في العلم بعلوم لا تحتملها أفهام الخلق حيث قرأ قوله تعالى يتنزل الأمر بينهن **فقال** لو ذكرت ما أعرفه من معنى هذه الآية لرجمتموني وفي لفظ آخر لقلتم إنه كافر ولنقتصر على هذا القدر فقد خرج عنان الكلام عن قبضة الاختيار وامتزج بعلم المعاملة ما ليس منه فلنرجع إلى مقاصد الشكر فنقول إذا رجع حقيقة الشكر إلى كون العبد مستعملا في إتمام حكمة الله تعالى فأشكر العباد أحبهم إلى الله تعالى وأقربهم إليه وأقرب العباد إلى الله الملائكة ولهم أيضا ترتيب وما منهم إلا وله مقام معلوم وأعلاهم في رتبة القرب إسرافيل وإنما علو درجتهم لأنهم في أنفسهم كرام بررة فقد أصلح الله بهم الأنبياء وهم أشرف خلق على وجه الأرض ويلي درجتهم درجة الأنبياء فإنهم في أنفسهم أخيار وقد هدى الله بهم سائر الخلق وتمم بهم حكمته وأعلاهم رتبة نبينا صلى الله عليه وسلم إذ أكمل الله به الدين وختم به النبيين ويليهم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء فإنهم في أنفسهم صالحون وقد أصلح الله تعالى بهم سائر الخلق ودرجة كل واحد بقدر ما أصلح من نفسه ومن غيره ثم يليهم السلاطين بالعدل لأنهم أصلحوا دنيا الخلق كما أصلح العلماء دينهم ولأجل اجتماع الدين والملك والسلطنة لنبينا صلى الله عليه وسلم كان أفضل من سائر الأنبياء ثم يلي العلماء الصالحون الذين أصلحوا نفوسهم فقط فلم تتم حكمة الله بهم إلا فيهم ومن عداهم فلا خير فيه وقد علم أن السلطان به قوام الدين ولا ينبغي أن يستحقر وإن كان ظالما فاسقا **قال** عمرو بن العاص إمام غشوم خير من فتنة تدوم **وقال** النبي صلى الله عليه وسلم سيكون عليكم أمراء يفسدون وما يصلح الله بهم أكثر فإن أحسنوا فلهم الأجر وعليكم الشكر وإن أساؤوا فعليهم الوزر وعليكم الصبر **وقال** سهل من أنكر إمامة السلطان فهو زنديق ومن دعاه السلطان فلم يجب فهو مبتدع ومن أتاه من غير دعوة فهو جاهل **وسئل** أي الناس خير **فقال** السلطان فقيل كنا نرى أن شر الناس السلطان **فقال** مهلا إن لله تعالى كل يوم نظرتين نظرة إلى سلامة أموال المسلمين ونظرة إلى سلامة أبدانهم فيطلع في صحيفته فيغفر له جميع ذنوبه **وكان** يقول الخشبات السود المعلقة على أبوابهم خير من سبعين قاصا يقصون

الركن الثاني من أركان الشكر ما عليه الشكر وهو النعمة

ولنذكر فيه حقيقة النعمة وأقسامها ودرجاتها وأصنافها ومجامعها فيما يخص ويعم فإن إحصاء نعم الله على عباده خارج عن مقدور البشر كما **قال** تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها فنقدم أمورا كلية تجري مجرى القوانين في معرفة النعم ثم نشتغل بذكر الآحاد

بيان حقيقة النعمة وأقسامها

اعلم أن كل خير ولذة وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر فإنه يسمى نعمة ولكن النعمة بالحقيقة هي السعادة الأخروية وتسمية ما عداها نعمة وسعادة إما غلط وإما مجاز كتسمية السعادة الدنيوية التي لا تعين على الآخرة نعمة فإن ذلك غلط محض وقد يكون اسم النعمة للشيء صدقا ولكن يكون إطلاقه على السعادة الأخروية أصدق فكل سبب يوصل إلى السعادة الأخروية ويعين عليها إما بواسطة واحدة أو بوسائط فإن تسميته نعمة صحيح وصدق لأجل أنه يفضي إلى النعمة الحقيقية والأسباب المعينة واللذات المسماة نعمة نشرحها بتقسيمات

القسمة الأولى أن الأمور كلها بالإضافة إلينا تنقسم إلى ما هو نافع في الدنيا والآخرة جميعا كالعلم وحسن الخلق وإلى ما هو ضار فيهما جميعا كالجهل وسوء الخلق وإلى ما ينفع في الحال ويضر في المآل كالتلذذ باتباع الشهوات وإلى ما يضر في الحال ويؤلم ولكن ينفع في المآل كقمع الشهوات ومخالفة النفس فالنافع في الحال والمآل هو النعمة تحقيقا كالعلم وحسن الخلق والضار فيهما هو البلاء تحقيقا وهو ضدهما والنافع في الحال المضر في المآل بلاء محض عند ذوي الأبصار ويظنه الجاهل نعمة **ومثاله** الجائع إذا وجد عسلا فيه سم فإنه يعده نعمة إن كان جاهلا وإذا علمه علم أن ذلك بلاء سيق إليه والضار في الحال النافع في المآل نعمة عند ذوي الألباب بلاء عند الجهال **ومثاله** الدواء البشع في الحال مذاقه إلا أنه شاف من الأمراض والأسقام وجالب للصحة والسلامة فالصبي الجاهل إذا كلف شربه ظنه بلاء والعاقل يعده نعمة ويتقلد المنة ممن يهديه إليه ويقربه منه ويهيئ له أسبابه فلذلك تمنع الأم ولدها من الحجامة والأب يدعوه إليها فإن الأب بكمال عقله يلحظ العاقبة والأم لقصورها وفرط حبها تلحظ الحال والصبي يلحظ الحال فالصبي بجهله يتقلد منه من أمه دون أبيه ويأنس إليها وإلى شفقتها ويقدر الأب عدوا له ولو عقل لعلم أن الأم عدو باطن في صورة صديق لأن منعها إياه من الحجامة يسوقه إلى أمراض وآلام أشد من الحجامة ولكن الصديق الجاهل شر من العدو العاقل وكل إنسان فإنه صديق نفسه ولكنه صديق جاهل فلذلك تعمل به ما لا يعمل به العدو

قسمة ثانية اعلم أن الأسباب الدنيوية مختلطة قد امتزج خيرها بشرها فقل ما يصفو كالمال والأهل والولد والأقارب والجاه وسائر الأسباب ولكن تنقسم إلى ما نفعه أكثر من ضره كقدر الكفاية من المال والجاه وسائر الأسباب وإلى ما ضره أكثر من نفعه في حق أكثر الأشخاص كالمال الكثير والجاه الواسع وإلى ما يكافئ ضره نفعه وهذه أمور تختلف بالأشخاص فرب إنسان صالح ينتفع بالمال الكثير وإن كثر فينفقه في سبيل الله ويصرفه إلى الخيرات فهو مع هذا التوفيق نعمة في حقه ورب إنسان يستضر بالقليل أيضا إذ لا يزال مستصغرا له شاكيا من ربه طالبا للزيادة عليه فيكون ذلك مع هذا الخذلان بلاء في حقه

قسمة ثالثة اعلم أن الخيرات باعتبار آخر تنقسم إلى ما هو مؤثر لذاته وإلى ما هو مؤثر لغيره وإلى ما هو مؤثر لذاته ولغيره **الأول** ما يؤثر لذاته لا لغيره كلذة النظر إلى وجه الله تعالى وسعادة لقائه وبالجملة سعادة الآخرة التي لا انقضاء لها فإنها لا تطلب ليتوصل بها إلى غاية أخرى مقصودة وراءها بل تطلب لذاتها **الثاني** ما يقصد لغيره ولا غرض أصلا في ذاته كالدراهم والدنانير فإن الحاجات لو كانت لا تقضى بها لكانت هي والحصباء بمثابة واحدة ولكن لما كانت وسيلة إلى اللذات سريعة الإيصال إليها صارت عند الجهال محبوبة في نفسها حتى يجمعونها ويكنزونها ويتصارفون عليها بالربا ويظنون أنها مقصودة **ومثال** هؤلاء مثال من يحب شخصا فيحب بسببه رسوله الذي يجمع

يجمع بينه وبينه ثم ينتهي في محبة الرسول لمحبة الاصل فيعرض عنه طول عمره ولا يزال مشغولا بتعهد
الرسول ومراعاته وتفقده وهو غاية الجهل والضلال **الثالث** ما يقصد لذاته ولغيره كالصحة
والسلامة فانها تقصد ليقدر بسببها على الفكر والذكر الموصلين الى لقاء الله تعالى وليتوصل بها
الى استيفاء لذات الدنيا او يقصد ايضا لذاتها فان الانسان وان استغنى عن المشي الذي يراد سلامة
الرجل لاجله فيريد ايضا سلامة الرجل من حيث انها سلامة فاذا المؤثر لذاته فقط هو الخير والنعمة
تحقيقا وما يؤثر لذاته ولغيره ايضا فهو نعمة ولكن دون الاول فاما ما يؤثر لغيره كالنقدين فلا
يوصفان في نفسهما من حيث هما جوهران بانهما نعمة بل من حيث هما وسيلتان فيكونان نعمة في حق من يقصد
امرا ليس يمكنه ان يتوصل اليه الا بهما فلو كان مقصده العلم والعبادة ومعه الكفاية التي هي ضرورة
حياته استوى عنده الذهب والمدر فكان وجودهما وعدمهما عنده بمثابة واحدة بل ربما شغله و
جودهما عن الفكر والعبادة فيكونان بلاء في حقه ولا يكونان نعمة **قسمة رابعة** اعلم ان الخيرات
باعتبار اخر تنقسم الى نافع وجميل ولذيذ فاللذيذ هو الذي تدرك راحته في الحال والنافع هو الذي يفيد
في المآل والجميل هو الذي يدرك راحته في الحال والنافع والجميل هو الذي يستحسن في سائر الاحوال و
الشر ايضا ينقسم الى ضار وقبيح ومؤلم وكل واحد من القسمين ضربان مطلق ومقيد فالمطلق هو الذي
اجتمع فيه الاوصاف الثلاثة اما في الخير فكالعلم والحكمة فانهما نافعة وجميلة ولذيذة عند اهل العلم
والحكمة واما في الشر فكالجهل فانه ضار وقبيح ومؤلم وانما يحس الجاهل بالم جهله اذا عرف انه جاهل بان يرى غيره
عالما ويرى نفسه جاهلا فيدرك الم النقص فتنبعث منه شهوة العلم اللذيذة ثم قد يمنعه الحسد والكبر
والشهوات البدنية عن التعلم فتجاذبه متضادات فيعظم المه فانه ان ترك التعلم تالم بالجهل ودرك النقصان
وان اشتغل بالتعلم تالم بترك الشهوات او ترك الكبر وذل التعلم ومثل هذا الشخص لا يزال في عذاب دائم
لا محالة والضرب الثاني مقيد وهو الذي جمع بعض هذه الاوصاف دون بعض فرب نافع مؤلم كقطع الاصبع
المتآكلة والسلعة الخارجة من البدن ورب نافع قبيح كالحمق فانه بالاضافة الى بعض الاحوال نافع و
قد قيل استراح من لا عقل له فانه لا يهتم بالعاقبة فيستريح في الحال الى ان يحين وقت هلاكه ورب نافع
من وجه ضار من وجه كالقاء المال في البحر عند خوف الغرق فانه ضار بالمال نافع للنفس في نجاتها والنافع
قسمان ضروري كالايمان وحسن الخلق في الايصال الى سعادة الآخرة واعني بهما العلم والعمل اذ لا يقوم مقامهما
البتة غيرهما والى ما لا يكون ضروريا كالسكنجبين مثلا في تسكين الصفراء فانه قد يمكن تسكينها بما يقوم
مقامه **قسمة خامسة** اعلم ان النعمة يعبر بها عن كل لذيذ واللذات بالاضافة الى الانسان
من حيث اختصاصه بها او مشاركته لغيره ثلاثة انواع عقلية وبدنية مشتركة مع بعض الحيوانات و
بدنية مشتركة مع بعض الحيوانات وبدنية مشتركة مع جميع الحيوانات اما العقلية فكلذة العلم
والحكمة اذ ليس يستلذها السمع والبصر والشم ولا البطن ولا الفرج وانما يستلذها القلب لاختصاصه
بصفة يعبر عنها بالعقل وهذه اقل اللذات وجودا وهي اشرفها اما قلتها فلان العلم لا يستلذه
الا عالم والحكمة لا يستلذها الا حكيم وما اقل اهل العلم والحكمة وما اكثر المتسمين باسمهم والمترسمين
برسمهم واما شرفها فلانها لازمة لا تزول ابدا لا في الدنيا ولا في الآخرة ودائمة لا تمل فالطعام يشبع منه
فيمل ومشتهى الوقاع يفرغ منها فيستثقل والعلم والحكمة قط لا يتصور ان يمل ويستثقل ومن قدر على
الشريف الباقي ابد الآباد اذا رضي بالخسيس الفاني في اقرب الآماد فهو مصاب في عقله محروم لشقاوته

وادباره واقل مرتبته ان العلم والعقل لا يحتاج الى اعوان وحفظة بخلاف المال اذ العلم يحرسك و
انت تحرس المال والعلم يزيد بالانفاق والمال ينقص بالانفاق والمال يسرق والولاية يعزل عنها والعلم لا تمتد
اليه ايدي السراق بالاخذ ولا ايدي السلاطين بالعزل فيكون صاحبه في روح الامن ابدا وصاحب المال والجاه
في كرب الخوف ابدا ثم العلم نافع ولذيذ وجميل في كل حال ابدا والمال تارة يجذب الى الهلاك وتارة يجذب
الى النجاة ولذلك ذم الله تعالى المال في القرآن في مواضع وان سماه خيرا في مواضع واما قصور اكثر الخلق
عن ادراك لذة العلم فاما لعدم الذوق فمن لم يذق لم يعلم ولم يشتق اذ الشوق تبع الذوق واما لفساد
امزجتهم ومرض قلوبهم بسبب اتباع الشهوات كالمريض الذي لا يدرك حلاوة العسل ويراه مرا واما لقصور
فطرتهم اذ لم تخلق لهم بعد الصفة التي بها يستلذ العلم كالطفل الرضيع الذي لا يدرك لذة العسل و
الطيور السمان ولا يستلذ الا اللبن وذلك لا يدل على انها ليست لذيذة ولا استطابته اللبن تدل على
انه الاطيب فالقاصرون عن درك لذة العلم والحكمة ثلاثة اما من لم يحي بعد باطنه كالطفل واما من
مات بعد الحياة باتباع الشهوات واما من مرض بسبب اتباع الشهوات وقوله تعالى في قلوبهم مرض اشارة
الى مرض العقول وقوله تعالى لينذر من كان حيا اشارة الى من لم يحي حياة باطنه وكل حي بالبدن ميت القلب
فهو عند الله من الموتى وان كان عند الجهال من الاحياء ولذلك كان الشهداء احياء عند ربهم يرزقون
فرحين وان كانوا موتى بالابدان **الثانية** لذة يشارك الانسان بها بعض الحيوانات كلذة الرياسة
والغلبة والاستيلاء وذلك موجود في الاسد والنمر وبعض الحيوانات **والثالثة** ما يشارك بها سائر
الحيوانات كلذة البطن والفرج وهذه اكثرها وجودا وهي اخسها ولذلك اشترك فيها كل ما دب ودرج حتى
الديدان والحشرات ومن جاوز هذه الرتبة تشبث بلذة الغلبة وهي اشدها التصاقا بالمتغافلين فان
جاوز ذلك ارتقى الى الثالثة فصار اغلب اللذات عليه لذة العلم والحكمة لا سيما لذة معرفة الله تعالى
ومعرفة صفاته وافعاله وهذه رتبة الصديقين ولا ينال تمامها الا بخروج استيلاء حب الرياسة من القلب
واخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرياسة واما شره البطن والفرج فكسره مما يقوى عليه الصالحون
وشهوة الرياسة لا يقوى على قمعها الا الصديقون فاما قمعها بالكلية حتى لا يقع بها الاحساس
على الدوام وفي اختلاف الاحوال فيشبه ان يكون خارجا عن مقدور البشر نعم تغلب لذة معرفة الله في احوال لا
يقع معها الاحساس بلذة الرياسة والغلبة ولكن ذلك لا يدوم طول العمر بل تعتريه الفترات فتعود اليه
الصفات البشرية فتكون موجودة ولكن تكون مقهورة لا تقوى على حمل النفس على العدول عن العدل وعند
هذا تنقسم القلوب الى اربعة اقسام قلب لا يحب الا الله ولا يستريح الا بزيادة المعرفة به والفكر فيه وقلب
لا يدري ما لذة المعرفة وما معنى الانس بالله وانما لذته بالجاه والرياسة والمال وسائر الشهوات البدنية
وقلب اغلب احواله الانس بالله والتلذذ بمعرفته والفكر فيه ولكن قد يعتريه في بعض الاحوال الرجوع الى
اوصاف البشرية ويعتريه في بعض الاحوال تلذذ بالعلم والمعرفة **اما الاول** فان كان ممكنا في الوجود
فهو في غاية البعد **واما الثاني** فالدنيا طافحة به **واما الثالث والرابع** فموجود ولكن على
غاية الندور ولا يتصور ان يكون الا نادرا شاذا وهو مع الندور يتفاوت في القلة والكثرة وانما تكون كثرته
في الاعصار المتقاربة من اعصار الانبياء فلا يزال يزداد العهد طولا ويزداد مثل هذه القلوب قلة الى ان
تقرب الساعة ويقضي الله امرا كان مفعولا وانما وجب ان يكون هذا نادرا لانه مبادي ملك الآخرة
والملك عزيز والملوك لا يكثرون فكما لا يكون الفائق في الملك والجمال الا نادرا واكثر الناس من دونهم

لكن إلى ملك الآخرة فإن الدنيا مرآة الآخرة فإنها عالم الشهادة والآخرة عبارة عن عالم الغيب وعالم الشهادة
تابع لعالم الغيب كما أن الصورة في المرآة تابعة لصورة الناظر في المرآة والصورة في المرآة وإن كانت
هي الثانية في رتبة الوجود فإنها أولى في حق رؤيتك فإنك لا ترى نفسك وترى صورتك في المرآة أولا
فتعرف بها صورتك التي هي قائمة بك ثانيا على سبيل المحاكاة فانقلب التابع في الوجود متبوعا في حق
المعرفة وانقلب المتأخر متقدما وهذا نوع من الانعكاس ولكن الانعكاس ضرورة هذا العالم وكذلك عالم
الملك والشهادة محاك لعالم الغيب والملكوت فمن الناس من تيسر له نظر الاعتبار فلا ينظر في شيء من
عالم الملك إلا ويعبر به إلى عالم الملكوت فيسمى عبوره عبرة وقد أمر الخلق به فقال فاعتبروا يا أولي الأبصار
ومنهم من عميت بصيرته فلم يعتبر فاحتبس في عالم الملك والشهادة وستنفتح إلى حبسه أبواب جهنم
وهذا الحبس مملوء نارا من شأنها أن تطلع على الأفئدة إلا أن بينه وبين إدراك ألمها حجابا فإذا رفع الحجاب بالموت
أدرك وعن هذا أظهر الله الحق على لسان قوم استنطقهم بالحق تعالى فقالوا الجنة والنار مخلوقتان ولكن الجحيم
يدرك مرة بإدراك يسمى علم اليقين ومرة بإدراك آخر يسمى عين اليقين وعين اليقين لا يكون إلا في الآخرة وعلم
اليقين قد يكون في الدنيا ولكن للذين قد وفر حظهم من نور اليقين فلذلك قال الله تعالى كلا لو تعلمون علم اليقين
لترون الجحيم في الدنيا ثم لترونها عين اليقين أي في الآخرة فإذا قد ظهر أن القلب الصالح لا يكون إلا عزيزا كالشخص
الصالح لملك الدنيا **قسمة سادسة** حاوية لمجامع النعم **اعلم** أن النعم تنقسم إلى ما هي غاية
مطلوبة لذاتها وإلى ما هي مطلوبة لأجل الغاية **أما الغاية** فإنها سعادة الآخرة ويرجع حاصلها
إلى أربعة أمور بقاء لا فناء له وسرور لا غم فيه وعلم لا جهل معه وغنى لا فقر بعده وهي النعمة الحقيقية ولذلك
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عيش إلا عيش الآخرة **وقال** ذلك مرة في الشدة تسلية للنفس وذلك
وقت حفر الخندق في شدة الضر **وقال** ذلك مرة في السرور منعا للنفس من الركون إلى سرور الدنيا وذلك
عند إحداق الناس به في حجة الوداع **وقال** رجل اللهم إني أسألك تمام النعمة **فقال** صلى الله عليه وسلم
وهل تدري ما تمام النعمة قال لا قال دخول الجنة **وأما** الوسائل فتنقسم إلى الأقرب الأخص كفضائل
النفس وإلى ما يليه في القرب كفضائل البدن وهو الثاني وإلى ما يليه في القرب ومجاوز إلى غير البدن
كالأسباب المطيفة بالبدن من المال والأهل والعشيرة وإلى ما يجمع بين هذه الأسباب الخارجة
عن النفس وبين الحاصلة للنفس كالتوفيق والهداية فهي إذا أربعة أنواع **النوع الأول** وهو الأخص
الفضائل النفسية ويرجع حاصلها مع انشعاب أطرافها إلى الإيمان وحسن الخلق وينقسم الإيمان إلى علم
المكاشفة وهو العلم بالله وصفاته وملائكته ورسله وإلى علوم المعاملة وحسن الخلق ينقسم إلى
قسمين ترك مقتضى الشهوة والغضب واسمه العفة ومراعاة العدل في الكف عن مقتضى الشهوات
والإقدام حتى لا يمتنع أصلا ولا يقدم كيف شاء بل يكون إقدامه وإحجامه بالميزان العدل الذي أنزله
الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم إذ قال ألا تطغوا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا
تخسروا الميزان فمن خصى نفسه لكسر شهوة النكاح أو ترك النكاح مع القدرة والأمن من الآفات أو ترك
الأكل حتى ضعف عن العبادة والذكر والفكر فقد أخسر الميزان ومن انهمك في شهوة البطن والفرج فقد طغى
في الميزان وإنما العدل أن يخلو وزنه وتقديره عن الطغيان والخسران فيعتدل به كفتا الميزان فإذا
الفضائل الخاصة بالنفس المقربة إلى الله تعالى أربعة علم مكاشفة وعلم معاملة وعفة وعدالة ولا
يتم هذا في غالب الأمر إلا بالنوع الثاني وهو الفضائل البدنية وهي أربعة الصحة والقوة والجمال وطول

العمر ولا تتهيأ هذه الأمور الأربعة إلا بالنوع الثالث وهي النعم الخارجة المطيفة بالبدن وهي أربعة المال
والأهل والجاه وكرم العشيرة ولا ينتفع بشيء من هذه الأسباب الخارجة والبدنية إلا بالنوع الرابع وهي الأسباب
التي تجمع بينها وبين ما يناسب الفضائل النفسية الداخلة وهي أربعة هداية الله ورشده وتسديده
وتأييده فمجموع هذه النعم ستة عشر إذ قسمناها إلى أربعة وقسمنا كل واحد إلى أربعة وهذه الجملة
يحتاج البعض منها إلى البعض إما حاجة ضرورية أو نافعة **أما الحاجة** الضرورية فكحاجة سعادة
الآخرة إلى الإيمان وحسن الخلق إذ لا سبيل إلى الوصول إلى سعادة الآخرة البتة إلا بهما فليس للإنسان إلا
ما سعى وليس لأحد في الآخرة إلا ما تزود من الدنيا وكذلك الحاجة الفضائل النفسية بكسب العلوم
وتهذيب الأخلاق إلى صحة البدن ضروري **وأما الحاجة** النافعة على الجملة فكحاجة هذه النعم
النفسية والبدنية إلى النعم الخارجة **فإن قلت** فما وجه الحاجة لطريق الآخرة إلى النعم الخارجة
من المال والأهل والجاه والعشيرة **فاعلم** أن هذه الأسباب جارية مجرى الجناح المبلغ والآلة المسهلة
للمقصود **أما المال** فالفقير في طلب العلم والكمال وليس معه كفاية كساع إلى الهيجاء بغير سلاح و
كبازي يروم الصيد بلا جناح **ولذلك قال** صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح **وقال**
نعم العون على تقوى الله المال وكيف لا ومن عدم المال صار مستغرق الأوقات في طلب القوت وفي تهيئة
اللباس والمسكن وضرورات المعيشة ثم يتعرض لأنواع من الأذى تشغله عن الذكر والفكر ولا تندفع
إلا بسلاح المال ثم مع ذلك يحرم فضيلة الحج والزكاة والصدقات **وقال** بعض الحكماء وقد قيل
له ما النعم **فقال** الغنى فإني رأيت الفقير لا عيش له قيل زدنا **قال** العافية فإني رأيت المريض لا عيش له
قيل زدنا قال الأمن فإني رأيت الخائف لا عيش له قيل زدنا قال الشباب فإني رأيت الهرم لا عيش له وكأن
ما ذكره إشارة إلى نعيم الدنيا ولكنه من حيث إنه معين على الآخرة فهو نعمة ولذلك **قال** عليه السلام
من أصبح معافى في بدنه آمنا في سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها **وأما الأهل**
والولد الصالح فلا يخفى وجه الحاجة إليهما إذ قال صلى الله عليه وسلم نعم العون على الدين المرأة الصالحة
وقال في الولد الصالح إذا مات العبد المؤمن انقطع عمله إلا من ثلاث ولد صالح يدعو له الحديث **وقد**
ذكرنا فوائد الأهل والولد في كتاب النكاح **وأما الأقارب** فمهما كثر أولاد الرجل وأقاربه كانوا مثل الأعين
والأيدي فيتيسر له بسببهم من الأمور الدنيوية المهمة في دينه ما لو انفرد به لطال شغله وكل ما يفرغ
قلبك عن ضرورات الدنيا فهو معين على الدين فهو إذا نعمة **وأما العز والجاه** فبه يدفع الإنسان عن
نفسه الذل والضيم ولا يستغني عنه مسلم فإنه لا ينفك عن عدو يؤذيه وظالم يشوش عليه علمه وفراغه
ويشغل قلبه وقلبه رأس ماله وإنما تندفع هذه الشواغل بالعز والجاه ولذلك قيل الدين والسلطان
توأمان **وقال** الله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولا معنى للجاه إلا ملك
القلوب كما لا معنى للغنى إلا ملك الدراهم ومن ملك القلوب تسخر له أرباب القلوب لدفع الأذى عنه
فكما يحتاج الإنسان إلى سقف يدفع عنه المطر وجبة تدفع عنه البرد وكلب يدفع الذئب عن ماشيته
فيحتاج أيضا إلى من يدفع الشر به عن نفسه وعلى هذا القصد كان الأنبياء الذين لا ملك لهم ولا سلطنة
يراعون السلاطين ويطلبون عندهم الجاه وكذلك علماء الدين لا على قصد التناول من خزائنهم والاستئثار
والاستكثار في الدنيا بما تعهدهم ولا يظنن أن نعمة الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم حيث نصره
وأكمل دينه وأظهره على جميع أعدائه ومكن له في القلوب حتى اتسع به عزه وجاهه كانت أقل من نعمته

عليه حيث كان يؤذى ويضرب حتى اضطر الى الهرب والهجرة فان قلت كرم العشيرة وشرف الاهل من النعم ام لا
فاقول نعم ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الائمة من قريش ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم من اكرم ارومة في نسب آدم ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تخيروا لنطفكم وقال
اياكم وخضراء الدمن فقيل وما خضراء الدمن فقال المرأة الحسناء في المنبت السوء فهذا ايضا من النعم ولست اعني
به الانتساب الى الظلمة وارباب الدنيا بل الانتساب الى شجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ائمة العلماء
والى الصالحين الابرار المتوسمين بالعلم والعمل فان قلت فما معنى الفضائل البدنية فاقول لا خفاء بشدة
الحاجة الى الصحة والقوة والى طول العمر اذ لا يتم علم ولا عمل الا بها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم افضل السعادة
طول العمر في طاعة الله وانما يستحقر من جملتها امر الجمال فيقال يكفي ان يكون البدن سليما من الامراض الشاغلة
عن تحري الخيرات ولعمري الجمال قليل الغناء ولكنه من الخيرات ايضا اما في الدنيا فلا يخفى نفعه فيها واما في
الآخرة فمن وجهين احدهما ان القبيح مذموم والطباع عنه نافرة وحاجات الجميل الى الاجابة اقرب وجاهه
في الصدور اوسع فكأنه من هذا الوجه جناح مبلغ كالمال والجاه ونوع قدرة اذ يقدر الجميل الوجه على
تنجز حاجات لا يقدر عليها القبيح وكل معين على قضاء حاجات الدنيا فمعين على الآخرة بواسطتها والثاني
ان الجمال في الاكثر يدل على فضيلة النفس لان نور النفس اذا تم اشراقه تأدى الى البدن فالمنظر والمخبر كثيرا ما
يتلازمان ولذلك عول اصحاب الفراسة في معرفة مكارم النفس على هيئات البدن وقالوا الوجه والعين
مرآة الباطن ولذلك يظهر فيه اثر الغضب والسرور والغم ولذلك قيل طلاقة الوجه عنوان ما في النفس
وقيل ما في الارض قبيح الا ووجهه احسن ما فيه واستعرض المأمون جيشا فعرض عليه رجل قبيح فاستنطقه
فاذا هو الكن فاسقط اسمه من الديوان وقال الروح اذا اشرق على الظاهر فصباحة او على الباطن ففصاحة
وهذا ليس له ظاهر ولا باطن وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا الخير عند حسان الوجوه وقال
عمر رضي الله عنه اذا بعثتم رسولا فاطلبوا حسن الوجه حسن الاسم وقال الفقهاء اذا تساوت درجات
المصلين فاحسنهم وجها اولاهم بالامامة وقال تعالى ممتنا بذلك وزاده بسطة في العلم والجسم ولسنا
نعني بالجمال ما يحرك الشهوة فان ذلك انوثة وانما نعني به ارتفاع القامة على الاستقامة مع الاعتدال في اللحم و
تناسب الاعضاء وتناسب خلقة الوجه بحيث لا تنبو الطباع عن النظر اليه فان قلت فقد ادخلت المال
والجاه والنسب والاهل والولد في حيز النعم وقد ذم الله تعالى المال والجاه وكذا رسوله صلى الله عليه وسلم وكذا العلماء
قال الله تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم وقال تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة وقال علي
رضي الله عنه في ذم النسب الناس ابناء ما يحسنون وقيمة كل امرئ ما يحسنه وقيل المرء بنفسه لا بابيه فما معنى
كونها نعمة مع كونها مذمومة شرعا فاعلم ان من يأخذ العلوم من الالفاظ المؤولة والعمومات المخصصة كان
الضلال عليه اغلب ما لم يهتد بنور الله تعالى الى ادراك العلوم على ما هي عليه ثم ينزل النقل على وفق ما
ظهر له منها بالتأويل مرة وبالتخصيص اخرى فهذه نعم معينة على امر الآخرة لا سبيل الى جحدها الا ان
فيها فتنا ومخاوف فمثال المال مثال الحية التي فيها ترياق نافع وسم ناقع فان اصابها المعزم الذي يعرف
وجه الاحتراز عن سمها وطريق استخراج ترياقها النافع كانت نعمة وان اصابها السوادي الغر فهي عليه بلاء
وهلاك وهو مثل البحر الذي تحته اصناف الجواهر واللآلي فمن ظفر بالبحر فان كان عالما بالسباحة
وطريق الغوص وطريق الاحتراز عن مهلكات البحر فقد ظفر بنعمة وان خاضه جاهلا بذلك فقد هلك فلذلك
مدح الله تعالى المال وسماه خيرا ومدحه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال نعم العون على تقوى الله

المال وكذلك مدح الجاه والعز اذ منّ الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم بان اظهره على الدين كله وحببه في
قلوب الخلق وهو المعني بالجاه ولكن المنقول في مدحهما قليل والمنقول في ذم المال والجاه كثير وحيث
ذم الرياء فهو ذم الجاه اذ الرياء مقصوده اجتلاب القلوب ومعنى الجاه ملك القلوب وانما كثر هذا وقل ذاك
لان الناس اكثرهم جهال بطريق الرقية لحية المال وطريق الغوص في بحر الجاه فوجب تحذيرهم فانهم
يهلكون بسم المال قبل العثور على ترياقه ويهلكهم تمساح بحر الجاه قبل العثور على جواهره ولو كانا في
اعيانهما مذمومين بالاضافة الى كل احد لما تصور ان ينضاف الى النبوة الملك كما كان لرسولنا صلى الله عليه
وسلم وكما كان ينضاف اليها الغنى كما كان لسليمان عليه السلام فالناس كلهم صبيان والاموال حيات و
الانبياء والعارفون معزمون وقد يضر الصبي ما لا يضر المعزم لو كان له ولد يريد بقاءه واصلاحه وقد وجد حية
وعلم انه لو اخذها لاجل ترياقها لاقتدى به ولده واخذ الحية اذا رآها ليلعب بها فيهلك فله غرض في حفظ
الولد فواجب عليه ان يزن غرضه في الترياق بغرضه في حفظ الولد فاذا كان يقدر على الصبر عن الترياق
ولا يستضر به ضررا كثيرا ولو اخذها لاخذها الصبي وعظم ضرره بهلاكه فواجب عليه ان يهرب عن
الحية اذا رآها ويقبح صورتها في عين الصبي ويعرفه ان فيها سما قاتلا لا ينجو منه احد
ولا يحدثه اصلا بما فيه من نفع الترياق فان ذلك ربما يغره فيقدم عليه من غير تمام المعرفة وكذلك الغواص
اذا علم انه لو غاص في البحر بمرأى من ولده لاتبعه وهلك فواجب عليه ان يحذر الصبي ساحل البحر و
النهر فان كان لا ينزجر الصبي بمجرد الزجر مهما رأى اباه يحوم حول الساحل فواجب عليه ان يبعد من الساحل
مع الصبي ولا يقرب منه بين يديه فكذلك الامة في حجر الانبياء كالصبيان الاغبياء ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم انما انا لكم مثل الوالد لولده وقال عليه السلام انكم تتهافتون على النار تهافت
الفراش وانا آخذ بحجزكم وحظهم الاوفر في حفظ اولادهم عن المهالك فانهم لم يبعثوا الا لذلك وليس لهم
في المال حظ الا بقدر القوت وما فضل لم يمسكوه بل انفقوه فان الانفاق فيه الترياق وفي الامساك
السم ولو فتح للناس باب كسب المال ورغبوا فيه لمالوا الى سم الامساك ورغبوا عن ترياق الانفاق
فلذلك قبحت الاموال والمعنى به تقبيح امساكها والحرص عليها للاستكثار منها والتوسع في نعيمها بما يوجب
الركون الى الدنيا ولذاتها فاما اخذها بقدر الكفاية وصرف الفاضل الى الخيرات فليس بمذموم وحق
كل مسافر ان لا يحمل الا بقدر زاده في السفر اذا صمم العزم على ان يختص بما يحمله فاما ان سمحت نفسه باطعام
الطعام وتوسيع الزاد على الرفقاء فلا بأس بالاستكثار وقوله صلى الله عليه وسلم ليكن بلاغ احدكم
من الدنيا كزاد الراكب معناه لانفسكم خاصة والا فقد كان ممن يروي هذا الحديث ويعمل به يأخذ
مائة الف درهم في موضع واحد ويفرقها في موضعه ولا يمسك منها حبة ولما ذكر رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الاغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء استأذن عبد الرحمن بن عوف في ان
يخرج من جميع ما يملكه فاذن له فنزل جبريل عليه السلام وقال مره ان يطعم المسكين ويكسو
العاري ويقري الضيف الحديث فاذا النعم الدنيوية مشوبة قد امتزج داؤها بدوائها ومرجو
نفعها بمخوف ضرها فمن وثق ببصيرته وكمال معرفته فله ان يقرب منها متقيا داءها ومستخرجا
دواءها ومن لا فالبعد البعد والفرار الفرار عن مظان الاخطار فلا تعدل بالسلامة شيئا في حق
هؤلاء وهم الخلق كلهم الا من عصمه الله تعالى وهداه لطريقه فان قلت فما معنى النعم التوفيقية
الراجعة والرشد والتأييد والتسديد فاعلم ان التوفيق لا يستغني عنه احد وهو عبارة عن

عن التأليف والتلفيق بين ارادة العبد وبين قضاء الله وقدره وهذا يشمل الشر والخير وما هو سعادة
وما هو شقاوة ولكن جرت العادة بتخصيص اسم التوفيق بما يوافق السعادة من جملة قضاء الله وقدره
كما ان الالحاد عبارة عن الميل فخصص بمن يميل الى الباطل عن الحق وكذا الارتداد ولا خفاء بالحاجة الى التوفيق
ولذلك قيل **شعر** اذا لم يكن عون من الله للفتى ✱ فاكثر ما يجني عليه اجتهاده ✱ فاما الهداية
فلا سبيل لاحد الى طلب السعادة الا بها لان داعية الانسان قد تكون مائلة الى ما فيه صلاح آخرته
ولكن اذا لم يعلم ما فيه صلاح آخرته حتى يظن الفساد صلاحا فمن اين ينفعه مجرد الارادة فلا فائدة
في الارادة والقدرة والاسباب الا بعد الهداية ولذلك قال تعالى ربنا الذي اعطى كل شئ خلقه
ثم هدى وقال تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولكن الله يزكي من يشاء
وقال صلى الله عليه وسلم ما من احد يدخل الجنة الا برحمة الله تعالى اي بهدايته فقيل ولا انت يا
رسول الله قال ولا انا **وللهداية** ثلاث منازل **الاولى** معرفة طريق الخير والشر المشار اليه بقوله
تعالى وهديناه النجدين وقد انعم الله تعالى به على كافة عباده بعضه بالعقل وبعضه على لسان الرسل
ولذلك قال تعالى واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فهي الكتب والرسل وبصائر العقول
وهي مبذولة ولا يمنع منها الا الكبر والحسد وحب الدنيا والاسباب التي تعمي القلوب وان كانت لا
تعمي الابصار ومن جملة العميات الالف والعادة وحب استصحابها وعنه العبارة بقوله تعالى انا
وجدنا اباءنا على امة وعن الكبر والحسد العبارة بقوله تعالى وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من
القريتين عظيم وقوله تعالى فقالوا ابشرا منا واحدا نتبعه فهذه العميات هي التي منعت الاهتداء
والهداية الثانية وراء هذه الهداية العامة وهي التي يمد الله تعالى بها العبد حالا بعد حال
وهي ثمرة المجاهدة حيث قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وهو المراد بقوله تعالى والذين
اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم والهداية الثالثة وراء الثانية وهو النور الذي يشرق في عالم النبوة
والولاية بعد كمال المجاهدة فيهتدي به الى ما لا يهتدي اليه بالعقل الذي يحصل التكليف
وامكان تعلم العلوم وهو الهدى المطلق وما عداه حجاب له ومقدمات وهو الذي شرفه الله تعالى
بتخصيص الاضافة وان كان الكل من جهته فقال تعالى قل ان هدى الله هو الهدى وهو المسمى حياة
في قوله تعالى او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس وبقوله تعالى افمن شرح الله صدره
للاسلام فهو على نور من ربه واما الرشد فنعني به العناية الالهية التي تعين الانسان عند توجهه
الى مقاصده فتقويه على ما فيه صلاحه وتفتره عما فيه فساده ويكون ذلك كما قال تعالى ولقد
آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين فالرشد عبارة عن هداية باعثة الى جهة السعادة محركة
اليها فالصبي اذا بلغ خبيرا بحفظ المال وطرق التجارة والاستنماء ولكنه مع ذلك يبذر ولا يريد الاستنماء
لا يسمى رشيدا لا لعدم هدايته بل لقصور هدايته عن تحريك داعيته فكم من شخص يقدم على ما
يعلم انه يضره فقد اعطي الهداية وميز بها عن الجاهل الذي لا يدري انه يضره ولكن ما اعطي الرشد
فالرشد بهذا الاعتبار اكمل من مجرد الهداية الى وجوه الاعمال وهي نعمة عظيمة واما التسديد
فهو توجيه حركاته الى صوب المطلوب وتيسيرها عليه ليشتد في صوب الصواب في اسرع وقت فان
الهداية بمجردها لا تكفي بل لا بد من تيسير الحركات بمساعدة الاعضاء والالات حتى يتم المراد مما انبعث
الداعية اليه فالهداية محض التعريف والرشد هو تنبيه الداعية لتستيقظ وتتحرك والتسديد

اعانة ونصرة بتحريك الاعضاء في صوب السداد واما التأييد فكانه جامع للكل وهو عبارة عن تقوية
امره بالبصيرة من داخل وبقوة البطش ومساعدة الاسباب من خارج وهو المراد بقوله تعالى اذ ايدتك
بروح القدس ويقرب منه العصمة وهي عبارة عن جود الهي يسبح في الباطن يقوى به الانسان على تحري
الخير وتجنب الشر حتى يصير كمانع من باطنه غير محسوس واياه عنى بقوله تعالى ولقد همت به وهم
بها لولا ان رأى برهان ربه فهذه هي مجامع النعم ولن تثبت الا بما خوله الله تعالى من الفهم الصافي
الثاقب والسمع الواعي والقلب البصير المتواضع المراعي والمعلم الناصح والمال الزائد على ما يقصر عن
المهمات بقلته القاصر عما يشغل عن الدين بكثرته والعز الذي يصونه عن سفه السفهاء وظلم الاعداء ويستدعي
كل واحد من هذه الستة عشر اسبابا وتستدعي تلك الاسباب اسبابا الى ان ينتهي بالاخرة الى دليل المتحيرين
وملجأ المضطرين وذلك رب الارباب ومسبب الاسباب واذا كانت تلك الاسباب طويلة لا يحتمل
مثل هذا الكتاب استقصاؤها فلنذكر منها انموذجا ليعلم به معنى قوله تعالى وان تعدوا نعمت الله لا
تحصوها **بيان وجه الانموذج في كثرة نعم الله وتسلسلها وخروجها عن الحصر والاحصاء**
اعلم انا جمعنا النعم في ستة عشر وجعلنا صحة البدن نعمة من النعم الواقعة في الرتبة المتأخرة
فهذه النعمة الواحدة لو اردنا ان نستقصي الاسباب التي تتم بها هذه النعمة لم نقدر عليها ولكن
الاكل احد اسباب الصحة فلنذكر نبذة من جملة الاسباب التي بها تتم نعمة الاكل ولا يخفى ان الاكل فعل وكل
فعل من هذا النوع فهو حركة وكل حركة فلا بد لها من جسم متحرك هو آلتها ولا بد لها من قدرة على الحركة ولا بد من
ارادة الحركة ولا بد من علم بالمراد وادراك له ولا بد للاكل من مأكول ولا بد للمأكول من اصل منه يحصل ولا بد له
من صانع يصلحه فلنذكر اسباب الادراك ثم اسباب الارادة ثم اسباب القدرة ثم اسباب المأكول على
سبيل التلويح لا على سبيل الاستقصاء **الطرف الاول في نعم الله تعالى في خلق اسباب الادراك**
اعلم ان الله تعالى خلق النبات وهو اكمل وجودا من الحجر والمدر والحديد والنحاس وسائر الجواهر التي لا تنمو
ولا تغتذي فان النبات خلق فيه قوة بها يجتذب الغذاء الى نفسه من جهة اصله وعروقه التي في الارض
وهي الات فيها يجتذب الغذاء وهي العروق الدقيقة التي تراها في كل ورقة تغلظ اصولها ثم تتشعب
ولا تزال تستدق وتتشعب الى عروق شعرية تنبسط في اجزاء الورقة حتى تغيب عن البصر الا ان النبات
مع هذا الكمال ناقص فانه اذا اعوزه غذاء يساق اليه ويماس اصله جف ويبس ولم يمكنه طلب الغذاء من موضع
اخر فان الطلب انما يكون بمعرفة المطلوب وبالانتقال اليه والنبات عاجز عن ذلك فمن نعمة الله
عليك ان خلق لك الات الاحساس والات الحركة في طلب الغذاء فانظر الى ترتيب حكمة الله تعالى في خلق الحواس
الخمس التي هي آلة الادراك فاولها حاسة اللمس وانما خلقت لك حتى اذا مستك نار محرقة او سيف جارح تحس
به فتهرب منه وهذا اول حس يخلق للحيوان ولا يتصور حيوان الا ويكون له هذا الحس لانه ان لم يحس اصلا
فليس بحيوان وانقص درجات الحس ان يحس بما يلاصقه ويماسه فان الاحساس بما يبعد منه احساس اتم لا
محالة وهذا الحس موجود لكل حيوان حتى الدودة التي في الطين فانها اذا غرز فيها ابرة انقبضت للهرب لا كالنبات فان
النبات يقطع ولا ينقبض اذ لا يحس بالقطع الا انك لو لم يخلق لك الا هذا الحس لكنت ناقصا كالدودة لا تقدر على
طلب الغذاء من حيث يبعد عنك بل ما يمس بدنك فتحس به فتجذبه الى نفسك فقط فافتقرت الى حس تدرك
به ما بعد عنك فخلق لك الشم الا انك تدرك به الرائحة ولا تدري انها جاءت من اي ناحية فتحتاج الى ان تطوف
كثيرا من الجوانب فربما تعثر على الغذاء الذي شممت ريحه وربما لم تعثر فتكون في غاية النقصان فربما تعثر على

الغذا الذي تشمه ريحه وربما تغير فيكون لو لم يخلق لك الا هذا لخلق لك البصر لتدرك به ما بعد عنك وتدرك جهته فتقصد تلك الجهة بعينها الا انه لو لم يخلق لك الا هذا لكنت ناقصا اذ لا تدرك بهذا ما وراء الجدران والحجب فتبصر غذا ليس بينك وبينه حجاب وتبصر عدوا لا حجاب بينك وبينه وقد لا ينكشف الحجاب الا بعد قرب العدو فتعجز عن الهرب فخلق لك السمع حتى تدرك به الاصوات من وراء الجدران عند جريان الحركات ولانك لا تدرك بالبصر الا شيئا حاضرا واما الغايب فلا يمكنك معرفته الا بكلام ينتظم من حروف واصوات يدرك بحس السمع فاشتدت اليه حاجتك فخلق لك ذلك وميزت بفهم الكلام عن ساير الحيوانات وكل ذلك ما كان يغنيك لو لم يكن لك حس الذوق اذ يصل الغذا اليك فلا تدري انه موافق لك فتغتذي به او يكون ذلك سببا لهلاكك ثم كل ذلك لا يكفيك لو لم يخلق في مقدمة دماغك الادراك الذي يسمى حسا مشتركا تتادي اليه هذه المحسوسات الخمس وتجتمع فيه ولولاه لطال الامر عليك فانك اذا اكلت شيا اصفر مثلا فوجدته مرا مخالفا لك فتركته فاذا رايته مرة اخرى فلا تعرف انه مر ما لم تذقه ثانيا لولا الحس المشترك اذ العين تبصر الصفرة ولا تدرك المرارة فكيف يمتنع عنه والذوق يدرك المرارة ولا يدرك الصفرة فلا بد من حاكم تجتمع عنده الصفرة والمرارة جميعا حتى اذا ادرك الصفرة حكم بانه مر فيمتنع عن تناوله ثانيا وهذا كله يشاركك فيه الحيوانات اذ للشاة هذه الحواس كلها فلو لم يكن لك الا هذا لكنت ناقصا فان البهيمة يحتال عليها فتوخذ فلا تدري كيف تدفع الحيلة عن نفسها وكيف تتخلص اذا قيدت وقد تلقي نفسها في بير فلا تدري ان ذلك يهلكها ولذلك قد تاكل البهيمة ما يلذها في الحال ويضرها في ثاني الحال فتمرض وتموت اذ ليس لها الا الاحساس بالحاضر فاما ادراك العواقب فلا فميزك الله تعالى واكرمك بصفة اخرى هي اشرف من الكل وهو العقل فبه تدرك مضرة الاطعمة ومنفعتها وبه تدرك كيفية طبخ الاطعمة وتاليفها واعداد اسبابها فتنتفع بعقلك في الاكل الذي هو سبب صحتك وهو اخس فوايد العقل واقل الحكم فيه بل الحكمة الكبرى فيه معرفة الله تعالى ومعرفة افعاله ومعرفة الحكم في عالمه وعند ذلك تنقلب فايدة الحواس الخمس في حقك فتكون الحواس الخمس كالجواسيس واصحاب الاخبار الموكلين بنواحي المملكة وقد وكلت كل واحدة منها باخبار الالوان والاخرى باخبار الاصوات والاخرى باخبار الروايح والاخرى باخبار الطعوم والاخرى باخبار الحر والبرد والخشونة والملاسة واللين والصلابة وغيرها وهذه البرد والجواسيس يقتنصون الاخبار من اقطار المملكة ويسلمونها الى الحس المشترك والحس المشترك قاعد في مقدمة الدماغ مثل صاحب القصص والكتب على باب الملك يجمع القصص والكتب الواردة من نواحي العالم فياخذها وهي مختومة اذ ليس له الا اخذها وحفظها فاما معرفة حقايق ما فيها فلا ولكن اذا صادف القلب العاقل الذي هو الامير والملك سلم الانهاات المختومة اليه فيفتشها الملك ويطلع منها على اسرار المملكة ويحكم فيها باحكام عجيبة لا يمكن استقصاوها في هذا المقام وبحسب ما يلوح له من الاحكام والمصالح يحرك الجنود وهي الاعضاء مرة في الطلب ومرة في الهرب ومرة في اتمام التدبيرات التي تعن له فهذه سياقة نعمة الله عليك في الادراكات ولا تظنن انا استوفيناها فان الحواس الظاهرة هي بعض الادراكات والبصر واحد من جملة الحواس والعين آلة واحدة له وقد ركبت العين من عشر طبقات مختلفة بعضها رطوبات وبعضها اغشية وبعض الاغشية كانها نسج العنكبوت وبعضها كالمشيمة وبعض تلك الرطوبات كانه بياض البيض وبعضها كانه الجمد ولكل واحدة من الطبقات العشر صفة وصورة وشكل وهيئة وعرض وتدوير وتركيب لو اختلت طبقة واحدة من جملة العشر او صفة واحدة من صفات كل طبقة لاختل البصر وعجز عنه الاطبا والكحالون كلهم فهذا في حس واحد فقس به حاسة السمع وساير الحواس بل لا يمكن ان يستوفى حكم الله تعالى وانواع نعمه في جسم البصر وطبقاته في مجلدات كثيرة

مع ان جملته لا تزيد على جوزة صغيرة فكيف ظنك بجميع البدن وساير اعضايه وعجايبه فهذه مرامز الى نعم الله تعالى في خلق الادراكات

الطرف الثاني في اصناف النعم في خلق الارادات

اعلم انه لو خلق لك البصر حتى تدرك به الغذا من بعد ولم يخلق لك ميل في الطبع وشوق اليه وشهوة له تستحثك على الحركة لكان البصر معطلا فكم من مريض يرى الطعام وهو انفع الاشيا له وقد سقطت شهوته فلا يتناوله فيبقى البصر والادراك معطلا في حقه فاضطررت الى ان يكون لك ميل الى ما يوافقك يسمى شهوة ونفرة عما يخالفك تسمى كراهة لتطلب بالشهوة وتهرب بالكراهة فخلق الله تعالى فيك شهوة الطعام وسلطها عليك ووكلها بك كالمتقاضي الذي يضطرك الى التناول حتى تتناول وتغتذي فتبقى بالغذا وهذا مما يشاركك فيه الحيوان دون النبات ثم هذه الشهوة لو لم تسكن اذا اخذت مقدار الحاجة اسرفت واهلكت نفسك فخلق الله تعالى لك الكراهة عند الشبع لتترك الاكل بها لا كالزرع فانه لا يزال يجتذب الما اذا انصب في اسفله حتى يفسد فيحتاج الى آدمي يقدر غذاه بقدر الحاجة فيسقيه مرة ويقطع عنه الما اخرى وكما خلقت لك هذه الشهوة حتى تاكل فيبقى به بدنك خلق لك شهوة الوقاع حتى تجامع فيبقى به نسلك ولو قصصنا عليك عجايب صنع الله تعالى في خلق الرحم وخلق دم الحيض وتاليف الجنين من النطفة والحيض وكيفية خلق الانثيين وكيفية العروق السالكة اليهما من الفقار الذي هو مستقر النطفة وكيفية انصباب ما المراة من الترايب بواسطة العروق وكيفية انقسام مقر الرحم الى تجاويف تقع النطفة في بعضها فتتشكل بشكل الذكور وتقع في بعضها فتتشكل بشكل الاناث وكيفية ادارتها في اطوار خلقتها مضغة وعلقة وعظما ولحما ودما وكيفية قسمة اجزايها الى الراس والرجل والبطن والظهر وساير الاعضا لقضيت من نعم الله تعالى عليك في ذلك العجب فضلا عما تراه الان ولكنا لسنا نريد ان نتعرض الا لنعم الله تعالى في الاكل وحده حتى لا يطول الكلام فاذا شهوة الطعام احد ضروب الارادات وذلك لا يكفيك فانه تاتيك المهلكات من الجوانب فلو لم يخلق لك الغضب الذي به تدفع كل ما يضادك ولا يوافقك لبقيت عرضة للافات ولاخذ منك كل ما حصلته من الغذا فان كل احد يشتهي ما في يديك فتحتاج الى داعية في دفعه ومقاتلته وهي داعية الغضب ثم هذا لا يكفيك اذ الشهوة والغضب لا تدعوان الا الى ما يضر وينفع في الحال اما في المآل فلا يكفي فيه هذه الارادة فخلق الله تعالى لك ارادة اخرى مسخرة تحت اشارة العقل المعرف للعواقب كما خلق الشهوة والغضب مسخرة تحت ادراك الحس المدرك للحالة الحاضرة فتم بها انتفاعك بالعقل اذ كان مجرد المعرفة بان هذه الشهوة مثلا تضرك لا يغنيك في الاحتراز عنها ما لم يكن لك ميل الى العمل بموجب المعرفة وهذه الارادة افردت بها عن البهايم اكراما لبني آدم كما افردت بمعرفة العواقب وقد سمينا هذه الارادة باعثا دينيا وفصلناها في كتاب الصبر تفصيلا اوفى من هذا

الطرف الثالث في نعم الله تعالى في خلق القدرة وآلات الحركة

اعلم ان الحس لا يفيد الا الادراك والارادة لا معنى لها الا الميل الى الطلب والهرب وهذا لا كفاية فيه ما لم تكن آلة الطلب والهرب فكم من مريض مشتاق الى شي بعيد عنه مدرك له لا يمكنه ان يمشي اليه لفقد رجله او لا يمكنه ان يتناوله لفقد يده او لفلج وخدر فيهما فلا بد من آلات للحركة وقدرة في تلك الآلات على الحركة لتكون حركتها بمقتضى الشهوة طلبا وبمقتضى الكراهة هربا فلذلك خلق الله تعالى لك الاعضا التي تنظر الى ظاهرها ولا تعرف اسرارها فمنها ما هو للطلب كالرجل للانسان والجناح للطير والقوايم للدواب ومنها ما هو للدفع كالاسلحة للانسان والقرون للحيوانات وفي هذا تختلف الحيوانات اختلافا كثيرا فمنها ما يكثر اعداوه ويبعد غذاوه فيحتاج الى سرعة الحركة فخلق له الجناح ليطير بسرعة ومنها ما خلق له اربع قوايم ومنها ما له رجلان ومنها ما يدب وذكر ذلك يطول فلنذكر الاعضا التي بها الاكل فقط ليقاس عليها غيرها **فنقول** رويتك الطعام من بعد وحركتك اليه لا يكفي ما لم تاخذه

فانظر الى اليد بالطشة فانعم الله عليك بخلق اليدين وهما طويلتان ممتدتان الى الاشيا ومشتملتان على مفاصل
كثيرة بحركات في الجهات فتمتد وتنثني اليك فلا يكون كخشبة منصوبة ثم جعل راس اليد عريضا فخلق الكف
ثم قسم راس الكف بخمسة اقسام هي الاصابع وجعلها في صفين بحيث يكون الابهام في جانب ويدور على الاربعة الباقية
ولو كانت مجتمعة او متراكمة لم يحصل بها تمام غرضك فوضعها وضعا ان بسطتها كانت لك مجرفة وان ضممتها
كانت لك مغرفة وان جمعتها كانت الة للضرب واذا نشرتها ثم قبضتها كانت لك الة في القبض ثم خلق لها
اظفارا واسند اليها رؤس الاصابع لتاخذها برؤس اظفارك ثم هب انك اخذت الطعام باليد فمن اين يكفيك هذا
ما لم يصل الى المعدة وهي في الباطن فلا بد ان يكون من الظاهر دهليز اليها حتى يدخل الطعام منه فجعل الفم منفذا
الى المعدة مع ما فيه من الحكم الكثيرة سوى كونه منفذا للطعام الى المعدة ثم ان وضعت الطعام في الفم وهو
قطعة واحدة فلا يتيسر ابتلاعه فتحتاج الى طاحونة يطحن بها الطعام فخلق لك اللحيين من عظمين وركب فيهما
الاسنان وطبق الاضراس العليا على السفلى ليطحن بها الطعام طحنا ثم الطعام تارة يحتاج الى الكسر وتارة الى
القطع ثم يحتاج الى الطحن بعد ذلك فقسم الاسنان الى عريضة طواحن كالاضراس والى حادة قواطع كالرباعيات
والى ما يصلح للكسر كالانياب ثم جعل مفصل اللحيين متخلخلا بحيث يتقدم الفك الاسفل ويتاخر حتى يدور
على الفك الاعلى دوران الرحا ولولا ذلك لما تيسر الا ضرب احدهما على الاخر مثل تصفيق اليدين مثلا وبذلك لا يتم
الطحن فجعل اللحى الاسفل متحركا حركة دورية واللحى الاعلى ثابتا لا يتحرك فانظر الى عجيب صنع الله تعالى فان كل
ما صنعه الخلق يثبت منه الحجر الاسفل ويدور الاعلى الا هذه الرحا الذي صنعه الله تعالى اذ يدور منه الاسفل
على الاعلى فسبحانه ما اعظم شانه واتم برهانه واوسع امتنانه ثم هب انك وضعت الطعام في فضاء الفم فكيف
يتحرك الطعام الى ما تحت الاسنان وكيف تستجره الاسنان الى نفسها او كيف يتصرف باليد في داخل الفم فانظر
كيف انعم الله عليك بخلق اللسان فانه يطوف في جوانب الفم ويرد الطعام من الوسط الى الاسنان بحسب
الحاجة كالمجرفة التي ترد الطعام الى الطاحونة مع ما فيه من فايدة الذوق وعجايب قوة النطق التي لسنا نقصد
بذكرها ثم هب انك قطعت الطعام وطحنته وهو يابس فلا تقدر على الابتلاع الا بان تنزلق الى الحلق بنوع
رطوبة فانظر كيف خلق الله تعالى تحت اللسان عينا يفيض اللعاب منها وينصب بقدر الحاجة حتى يعجن به
الطعام فانظر كيف سخرها لهذا الامر فانك ترى الطعام من بعد فتثور الحنكة للخدمة وينصب اللعاب
حتى تحلب اشداقك والطعام بعد بعيد منك ثم هذا الطعام المطحون المعجون من يوصله الى المعدة وهي في
الغور ولا تقدر على ان تدفعه باليد ولا في المعدة يد حتى تمتد فتجذب الطعام فانظر كيف هيا الله تعالى المري
والحنجرة وجعل على راسها طبقات تنفتح لاخذ الطعام ثم تنطبق وتنضغط حتى ينقلب الطعام بضغطه
فيهوي الى المعدة في دهليز المري فاذا ورد الطعام على المعدة فهو خبز وفاكهة مقطعة ولا يصلح لان يصير
لحما وعظما ودما على هذه الهيئة بل لا بد ان يطبخ طبخا تاما تتشابه اجزاؤه فخلق الله تعالى المعدة على هيئة
قدر فيقع فيها الطعام فتحتوي عليه وتغلق عليه الابواب ولا يزال لابثا فيها الا بين الكبد من الايمن والطحال
ومن قدام الترايب ومن خلف لحم الصلب فيتعدى الحرارة اليها من تسخين هذه الاعضا من الجوانب حتى ينطبخ
الطعام ويصير مايعا متشابها يصلح للنفوذ في تجاويف العروق وعند ذلك يشبه ماء الشعير في تشابه
اجزائه ورقته وهو بعد لا يصلح للتغذية فخلق الله تعالى بينها وبين الكبد مجاري من العروق وجعل لها
فوهات كثيرة حتى ينصب الطعام فيها فينتهي الى الكبد والكبد معجون من طينة الدم حتى كانه دم وفيه
عروق كثيرة شعرية منتشرة في اجزاء الكبد فينصب الطعام الرقيق النافذ فيها وينتشر في اجزائها

حتى يستولي عليه قوة الكبد فتصبغه بلون الدم فيستقر فيها ريثما يحصل له نضج اخر ويحصل له هيئة الدم الصافي
الصالح لغذاء الاعضاء الا ان حرارة الكبد هي التي تنضج هذا الدم فيتولد من هذا الدم فضلتان كما يتولد من جميع ما
يطبخ احدهما شبيهة بالدردي والعكر وهو الخلط السوداوي والاخر شبيهة بالرغوة وهي الصفراء ولو لم تفصل
منها الفضلتان لفسد مزاج الاعضاء فخلق الله تعالى المرارة والطحال وجعل لكل واحد منهما عنقا ممدودا الى
الكبد داخلا في تجويفه فتجذب المرارة الفضلة الصفراوية ويجذب الطحال العكر السوداوي فيبقى الدم
صافيا ليس فيه الا زيادة رقة وطوبة لما فيه من المائية ولولاها ما انتشر في تلك العروق الشعرية ولا
خرج منها متصاعدا الى الاعضاء فخلق الله تعالى الكليتين واخرج من كل واحدة عنقا طويلا الى الكبد ومن
عجايب حكمة الله تعالى ان عنقيهما ليس داخلة في تجويف الكبد بل متصل بالعروق الطالعة من حدبة الكبد
حتى يجذب ما فيها بعد الطلوع من العروق الدقيقة التي في الكبد اذ لو جذب قبل ذلك لغلظ ولم يخرج من
العروق فاذا انفصلت منه المائية فقد صار الدم صافيا من الفضلات الثلاث نقيا من كل ما يفسد الغذاء ثم
ان الله تعالى اطلع من الكبد عروقا ثم قسمها بعد الطلوع اقساما وشعب كل قسم بشعب وانتشر ذلك في البدن كله
من الفرق الى القدم ظاهرا وباطنا فيجري الدم الصافي فيها ويصل الى ساير الاعضاء حتى تصير العروق المنقسمة
شعرية كعروق الاوراق والاشجار بحيث لا تدرك بالابصار فيصل منها الغذاء بالرشح الى ساير الاجزاء ولو حلت بالمرارة
آفة لفسد الدم وحصل منه الامراض الصفراوية كاليرقان والسعفة والحمرة وان تخلف الطحال لآفة لم يجذب
الخلط السوداوي حدثت الامراض السوداوية كالبهق والجذام والماليخوليا وغيرها وان لم تندفع المائية نحو
الكلى حدث منه الاستسقاء وغيره ثم انظر الى حكمة الفاطر الحكيم كيف رتب منافع على هذه الفضلات
الخبيثة اما المرارة فانها تجذب باحد عنقيها وتقذف بعنق آخر الى الامعاء ليحصل في ثفل الطعام لزوجة
رطبة ويحدث في الامعاء لذع يحركها للدفع فتنضغط حتى يندفع الثفل وتنزلق ويكون صفرته لذلك
واما الطحال فانه يحيل تلك الفضلة احالة يحصل بها حموضة وقبض ثم يرسل منها في كل يوم شيئا الى فم
المعدة فيحرك الشهوة بحموضته وينبهها ويثيرها ويخرج الباقي مع الثفل واما الكلية فانها تتغذى بما في
تلك المائية من دم ويرسل الباقي الى المثانة ولنقتصر على هذا القدر من بيان نعمة الله تعالى في الاسباب
التي اعدت للاكل ولو ذكرنا كيفية احتياج الكبد الى القلب والدماغ واحتياج كل واحد من هذه الاعضاء
الرئيسة الى صاحبه وكيفية انشعاب العروق الضوارب من القلب الى ساير البدن التي بواسطتها يصل الحس
وكيفية انشعاب العروق السواكن من الكبد الى ساير البدن وبواسطتها يصل الغذاء ثم كيفية تركيب الاعضاء
واعداد عظامها وعضلاتها وعروقها واوتارها ورباطاتها واعضائها ورطوباتها لطال الكلام وكل ذلك
محتاج اليه للاكل ولامور اخر سواه بل في الادمي الوف من العضلات والعروق والاعصاب مختلفة بالصغر و
الكبر والدقة والغلظ وكثرة الانقسام وقلته ولا شيء منها الا وفيه حكمة او اثنتان او ثلاث او اربع
الى عشر وزيادة وكل ذلك نعمة من الله تعالى عليك لو سكن من جملتها عرق متحرك او تحرك عرق ساكن لهلكت
يا مسكين فانظر الى نعمة الله تعالى عليك اولا لتقوى بعدها على الشكر فانك لا تعرف من نعمة الله عز وجل الا الاكل وهي
اخسها ثم لا تعرف منها الا انك تجوع فتاكل والحمار ايضا يعلم انه يجوع فياكل ويتعب فينام ويشتهي فيجامع و
يستوفي فينتهض ويرمح فاذا لم تعرف انت من نفسك الا ما يعرفه الحمار فكيف تقوم بشكر نعمة الله تعالى
وهذا الذي رمزنا اليه على الايجاز قطرة من بحر واحد من بحار نعم الله عليك فقط فقس عليه الاجمال ما اهملنا
من جملة ما عرفنا وحذرنا من التطويل وجملة ما عرفناه وعرفه الخلق كلهم

بالاضافة الى ما لم يعرفوه من نعم الله تعالى اقل من قطرة في بحر الا من علم شيا من هذا ادرك شمة من
معاني قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ثم انظر كيف ربط الله تعالى قوام هذه الاعضا وقوام منافعها
وادراكاتها وقواها ببخار لطيف يتصاعد من الاخلاط الاربعة ومستقره القلب ويسري في جميع البدن
بواسطة العروق الضوارب فلا ينتهي الى جزء من اجزا البدن الا ويحدث عند وصوله في تلك الاجزا ما
يحتاج اليه من قوة حس وادراك وقوة حركة وغيرها كالسراج الذي يدار في اطراف البيت فلا يصل الى جزء الا
ويحصل بسبب وصوله ضوء على اجزا البيت من خلق الله تعالى واختراعه ولكنه جعل السراج سببا بحكمته وهذا
البخار اللطيف هو الذي تسميه الاطبا الروح ومحله القلب ومثاله جرم نار السراج والقلب له كالمسرجة والدم
الاسود الذي في باطن القلب كالفتيلة والغذا له كالزيت والحياة الظاهرة في سائر اعضا البدن بسببه
كالضو للسراج في جملة البيت وكما ان السراج اذا انقطع زيته انطفى فسراج الروح ايضا ينطفي مهما انقطع غذاه
وكما ان الفتيلة قد تحترق وتصير رمادا بحيث لا تقبل الزيت فكذلك الدم الذي تتشبث به هذه النار في
القلب قد يحترق لفرط حرارة القلب فينطفي مع وجود الغذا فانه لا يقبل الغذا الذي تبقى به الروح كما لا
تقبل الرماد الزيت قبولا تتشبث به النار وكما ان السراج تارة ينطفي بسبب من داخله كما ذكرناه وتارة بسبب
من خارج كريح عاصفة فكذلك الروح تارة تنطفي بسبب من داخل وتارة بسبب من خارج وهو القتل وكما ان
انطفا السراج بفنا الزيت او بفساد الفتيلة او بريح عاصف او باطفا انسان لا يكون الا باسباب مقدرة في علم
الله تعالى مرتبة ويكون كل ذلك بقدر فكذلك انطفا الروح وكما ان انطفا السراج هو منتهى وقت وجوده فذلك
ذلك اجله الذي اجل له في ام الكتاب فكذلك انطفا الروح وكما ان السراج اذا انطفى اظلم البيت كله فالروح
اذا انطفى اظلم البدن كله وفارقته انواره التي كان يستفيدها من الروح وهي انوار الاحساسات والقدرة
والارادات وسائرها التي يجمعها معنى لفظ الحياة فهذا ايضا رمز وجيز الى عالم آخر من عوالم نعم الله تعالى وعجائب
صنعه وحكمته ليعلم انه لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي فتعسا لمن كفر بالله تعالى
وسحقا لمن كفر نعمته سحقا **فان قلت** فقد وصفت الروح وهو امر ربي ورسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن
الروح فلم يزد على ان قال الروح من امر ربي فلم لم يصفه على هذا الوجه فاعلم ان هذه غفلة عن اشتراك اسم
الروح فان الروح يطلق لمعان كثيرة لا نطول بذكرها ونحن انما وصفنا من جملتها جسما لطيفا تسميه
الاطبا روحا وقد عرفوا صفته ووجوده وكيفية سريانه في الاعضا وكيفية حصول الاحساس والقوى في الاعضا به
حتى اذا خدر بعض الاعضا علموا ان ذلك لوقوع سدة في مجرى هذا الروح فلا يعالجون موضع الخدر بل
منابت الاعصاب ومواقع السدة فيها ويعالجونها بما يفتح السدة فان هذا الجسم بلطفه ينفذ في مسام
العصب وبواسطته يتادى من القلب الى سائر الاعضا وما يرتقي اليه معرفة الاطبا فامره سهل نازل واما الروح
التي هي الاصل وهي التي اذا فسدت فسد لها سائر البدن فذلك سر من اسرار الله تعالى لم نصفه ولا رخصة
في وصفه الا بان يقال هو امر رباني كما قال تعالى قل الروح من امر ربي والامور الربانية لا تحتمل العقول وصفها
بل تتحير فيها عقول اكثر الخلق واما الاوهام والخيالات فقاصرة عنها بالضرورة قصور البصر عن ادراك الاصوات
وتتزلزل في ذكر مبادي وصفها معاقد العقول المقيدة بالجوهر والعرض المحبوسة في مضيقها فلا يدرك بالعقل
شي من وصفه بل بنور آخر اعلى واشرف من العقل الى الوهم والخيال وقد خلق الله تعالى الخلق اطوارا فكما يدرك الصبي
المحسوسات ولا يدرك ما وراها لان ذلك طور لم يبلغه بعد وانه لمقام شريف ومشرب عذب ورتبة عالية
فيها يلحظ جناب الحق بنور الايمان واليقين وذلك المشرب اعز من ان يكون شريعة لكل وارد بل لا يطلع عليه الا

واحد بعد واحد وبجناب الحق صدر في مقعد الصدق مجال هو ميدان رحب وعلى اول الميدان عتبة هي
مستقر ذلك الامر الرباني فمن لم يكن له على العتبة جواز ولا لحافظ العتبة مشاهدة استحال ان يصل الى
الميدان فكيف بالانتها الى ما وراه من المشاهدات العالية ولذلك قيل من لم يعرف نفسه لم يعرف ربه وانى
يصادف هذا في خزانة الاطبا ومن اين للطبيب ان يلاحظه بل المعنى المسمى روحا عند الطبيب بالاضافة
الى هذا الامر الرباني كالكرة التي يحركها صولجان الملك بالاضافة الى الملك فمن عرف الروح الطبي فظن انه
ادرك الامر الرباني كان كمن رأى الكرة التي يحركها صولجان الملك فظن انه رأى الملك فلا شك في ان
خطاه فاحش وهذا الخطا الفاحش مثله حذر لما كانت العقول التي بها يحصل التكليف وبها يدرك مصالح
الدنيا عقولا قاصرة عن ملاحظة هذا الامر لم ياذن الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ان يتحدث عنه بل
امره ان يكلم الناس على قدر عقولهم ولم يذكر الله تعالى في كتابه من حقيقة هذا الامر شيا لكن ذكر نسبته
وفعله ولم يذكر ذاته اما نسبته ففي قوله تعالى من امر ربي واما فعله فقد ذكر في قوله تعالى يا ايتها النفس
المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ولنرجع الان الى الغرض فان المقصود
نعم الله تعالى في الاكل فقد ذكرنا بعض نعمه في آلات الاكل **الطرف الرابع في نعم الله تعالى**
في الاصول التي منها تحصل الاطعمة وتصير صالحة لان يصلحها الادمي بعد ذلك بصنعته اعلم ان الاطعمة
كثيرة ولله تعالى في خلقها عجائب كثيرة لا تحصى واسباب متناهية لا تتناهى وذكر ذلك لكل طعام مما يطول فان
الاطعمة اما ادوية واما فواكه واما اغذية فلناخذ الاغذية فانها الاصل ولناخذ من جملتها حبة من البر ولندع
سائر الاغذية **فنقول** اذا وجدت حبة او حبات فلو اكلتها فنيت وبقيت جائعا فما احوجك الى ان تنمو الحبة
في نفسها وتزيد وتتضاعف حتى تفي بتمام حاجتك فخلق الله تعالى في حبة الحنطة من القوى ما يغتذى به
كما خلق فيك فان النبات انما يفارقك في الحس والحركة ولا يخالفك في الاغتذا لانه يغتذى بالما ويجذب الى
باطنه بواسطة العروق كما تغتذي انت وتجذب ولسنا نطنب في ذكر آلات النبات في اجتذاب الغذا الى
نفسه ولكن نشير الى غذائه فنقول كما ان الخشب والتراب لا يغذيك بل تحتاج الى طعام مخصوص فكذلك
الحبة لا تغتذي بكل شي بل تحتاج الى شي مخصوص بدليل انك لو تركتها في تراب البيت لم تزد ولو تركتها في ارض
لا ما فيها لم تزد بل لا بد من ارض فيها ما يمتزج ماوها بالارض فيصير طينا واليه الاشارة بقوله تعالى فلينظر
الانسان الى طعامه انا صببنا الما صبا ثم شققنا الارض شقا ثم لا يكفي الما والتراب اذ لو تركته في ارض ندية
صلبة متراكمة لم تنبت لفقد الهوا فيحتاج الى تركها في ارض رخوة متخلخلة يتغلغل الهوا اليها ثم الهوا لا
يتحرك اليها بنفسه فيحتاج الى ريح تحرك الهوا وتضربه بقهر وعنف على الارض حتى ينفذ فيها واليه الاشارة
بقوله تعالى وارسلنا الرياح لواقح وانما القاحها في ايقاع الازدواج بين الهوا والما والارض ثم كل ذلك لا يغنيك
لو كان في برد مفرط وشتا شات فيحتاج الى حرارة الربيع والصيف فقد بان احتياج غذائك الى هذه الاربعة
فانظر الى ما ذا يحتاج كل واحد اذ يحتاج الما لينساق الى ارض الزراعة الى البحار والعيون والانهار والسواقي
فانظر كيف خلق البحار وفجر العيون واجرى منها الانهار ثم الارض ربما تكون مرتفعة والما لا ترتفع اليها
فانظر كيف خلق الغيوم وكيف سلط الرياح عليها لتسوقها باذنه الى اقطار العالم وهي سحب ثقال حوامل بالما
ثم انظر كيف يرسله مدرارا على الارض وقت الربيع والخريف على حسب الحاجة وانظر كيف خلق الجبال حافظة
للما تتفجر منها العيون تدريجا فلو خرجت دفعة لغرقت البلاد وهلك الزرع والمواشي ونعم الله تعالى
في الجبال والسحاب والبحار والامطار لا يمكن احصاوها واما الحرارة فانها لا تحصل بين الما والارض وكلاهما باردان

فانظر كيف سخر الشمس وكيف خلقها مع بعدها عن الأرض مسخنة الأرض في وقت دون وقت ليحصل البرد عند الحاجة
إلى البرد والحر عند الحاجة إلى الحر فهذه إحدى حكم الشمس والحكم فيها أكثر من أن تحصى ثم النبات إذا ارتفع عن
الأرض كان في الفواكه انعقاد وصلابة فافتقرت إلى رطوبة ينضجها فانظر كيف خلق القمر وجعل من خاصيته الترطيب
كما جعل من خاصية الشمس التسخين فهو ينضج الفواكه ويصبغها بتقدير الفاطر الحكيم ولذلك لو كانت الأشجار
في ظل يمنع شروق الشمس والقمر وسائر الكواكب عليها لكانت فاسدة ناقصة حتى إن الشجرة الصغيرة
تفسد إذا أظلتها شجرة كبيرة وتعرف ترطيب القمر بأن تكشف رأسك في الليل فيغلب على رأسك الرطوبة
التي يعبر عنها بالزكام فكما يرطب رأسك يرطب الفواكه أيضا ولا نطول فيما لا مطمع في استقصائه بل نقول
كل كوكب في السماء فقد سخر لنوع فائدة كما سخر الشمس للتسخين والقمر للترطيب فلا يخلو واحد منها عن حكم كثيرة
لا تقوى قوة البشر بإحصائها ولو لم يكن كذلك لكان خلقها عبثا وباطلا ولم يصح قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا
باطلا وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين كما أنه ليس في أعضائك عضو إلا لفائدة فليس في أعضاء
بدن العالم عضو إلا لفائدة والعالم كله كشخص واحد وآحاد أجسامه كالأعضاء له وهي متعاونة تعاون أعضاء بدنك
في جملة بدنك وشرح ذلك يطول ولا ينبغي أن تظن أن الإيمان بالنجوم والشمس والقمر مسخرات بأمر الله تعالى
في أمور جعلت أسبابا لها بحكم الحكمة مخالف للشرع لما ورد فيه من النهي عن تصديق المنجمين وعن علم النجوم بل
المنهي عنه في النجوم أمران أحدهما أن تصدق بأنها فاعلة لآثارها مستقلة بها وأنها ليست مسخرة تحت تدبير
مدبر خلقها وقهرها وهذا كفر والثاني تصديق المنجمين في تفصيل ما يخبرون عنه من الآثار التي لا يشترك
كافة الخلق في دركها لأنهم يقولون ذلك عن جهل فإن علم أحكام النجوم كانت معجزة لبعض الأنبياء ثم اندرس
ذلك العلم فلم يبق إلا ما هو مختلط لا يتميز فيه الصواب عن الخطأ فاعتقاد كون الكواكب أسبابا لآثار تحصل بخلق
الله تعالى في الأرض وفي النبات والحيوان ليس قادحا في الدين بل هو حق ولكن دعوى العلم بتلك الآثار على التفصيل
مع الجهل قادح في الدين ولذلك إذا كان معك ثوب غسلته وتريد تجفيفه فقال لك غيرك أخرج الثوب و
ابسطه فإن الشمس قد طلعت وحمي النهار لا يلزمك تكذيبه ولا يلزمك الإنكار عليه بحمله حمي الهواء على طلوع
الشمس وإذا سألت عن تغير وجه الإنسان فقال لقد قرعتني الشمس في الطريق فاسود وجهي لم يلزمك تكذيبه وقس
بهذا سائر الآثار إلا أن الآثار بعضها معلوم وبعضها مجهول فالمجهول لا يجوز دعوى العلم فيه والمعلوم بعضه
معلوم للناس كافة كحصول الضياء والحرارة بطلوع الشمس وبعضه لبعض الناس كحصول الزكام بشروق القمر
فإذا الكواكب ما خلقت عبثا بل فيها حكم كثيرة لا تحصى ولهذا نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماء ثم
قرأ قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ثم قال ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها
سبلته ثمة في ملكوت السموات والآفاق والأنفس والحيوانات والنبات عجائب يطلب معرفتها المحبون لله
تعالى فإن من أحب عالما فلا يزال مشغوفا بطلب تصانيفه ليزداد بمزيد الوقوف على عجائب علمه حبا له فكذلك
الأمر في عجائب صنع الله تعالى فإن العالم كله من تصنيفه بل تصنيف المصنفين من تصنيفه الذي صنفه بوا[سطة]
قلوب عباده فإن تعجبت من تصنيف فلا تتعجب من المصنف بل من الذي سخر المصنف لتأليفه بما أنعم عليه من
هدايته وتسديده وتعريفه كما إذا رأيت لعب المشعوذ ترقص وتتحرك حركات موزونة فلا تتعجب من اللعب
فإنها خرق محركة لا متحركة ولكن تعجب من حذق المشعوذ المحرك لها بروابط دقيقة خفية عن الأبصار فإذا المقصود
أن غذاء النبات لا يتم إلا بالماء والهواء والشمس والقمر والكواكب ولا يتم ذلك إلا بالأفلاك التي هي مركوزة فيها
ولا تتم الأفلاك إلا بحركاتها ولا تتم حركاتها إلا بملائكة سماوية يحركونها وكذلك يتمادى ذلك إلى أسباب بعيدة تركنا ذكرها

تنبيها بما ذكرناه على ما أهملناه ولنقتصر على هذا من ذكر أسباب غذاء النبات **الطرف الخامس في**
نعم الله تعالى في الأسباب الموصلة الأطعمة إليك اعلم أن هذه الأطعمة كلها لا توجد في كل مكان
بل لها شروط مخصوصة لأجلها توجد في بعض الأماكن دون بعض والناس منتشرون على وجه الأرض وقد
تبعد عنهم الأطعمة ويحول بينهم وبينها البراري فانظر كيف سخر الله تعالى التجار وسلط عليهم حرص
حب الربح مع أنه لا يغنيهم في غالب الأمر شيء بل يجمعون فإما أن تغرق بها السفن أو تنهبها قطاع
الطريق أو يموتون في بعض البلاد فيأخذها السلاطين وأحسن أحوالهم أن تأخذها ورثتهم وهم أشد
أعدائهم لو عرفوا فانظر كيف سلط الله الجهل والغفلة عليهم حتى يقاسون الشدائد في طلب الربح ويركبون
الأخطار ويغررون بالأرواح في ركوب البحار فيحملون الأطعمة وأنواع الحوائج من أقصى الشرق والغرب إليك
وانظر كيف علمهم الله تعالى صناعة السفن وكيفية الركوب فيها وانظر كيف خلق الحيوانات وسخرها
للركوب والحمل في البراري وانظر إلى الإبل كيف خلقت وإلى الفرس كيف أمدت بسرعة الحركة وإلى الحمار كيف جعل
صبورا على التعب وإلى الجمال كيف تقطع البراري وتطوي المراحل تحت الأعباء الثقيلة على الجوع والعطش
وانظر كيف سخر الله تعالى بواسطة السفن والحيوانات التي لها بحرا وبرا يحملون إليك الأطعمة وسائر الحوائج فتأمل
ما يحتاج إليه الحيوانات من أسبابها وأدواتها وعلفها وما يحتاج إليه السفن فقد خلق الله تعالى جميع ذلك
إلى حد الحاجة وفوق الحاجة وإحصاء ذلك غير ممكن ويتمادى هذا إلى أمور خارجة عن الحصر نتركها
طلبا للإيجاز **الطرف السادس في إصلاح الأطعمة** اعلم أن الذي ينبت من الأرض من النبات وما يخلق
من الحيوانات لا يمكن أن يقضم ويؤكل وهو كذلك بل لا بد في كل واحد من إصلاح وطبخ وتركيب وتنظيف بإلقاء
البعض إلى أمور أخر لا تحصى واستقصاء ذلك في كل طعام طويل فلنعين رغيفا واحدا ولننظر ما يحتاج إليه
الرغيف الواحد حتى يستدير ويصلح للأكل من بعد إلقاء البذر في الأرض فأول ما يحتاج إليه الحراث ليزرع
ويصلح الأرض ثم الثور الذي يثير به الأرض والفدان وجميع أسبابه ثم بعد ذلك التعهد بسقي الماء
مدة ثم تنقية الأرض من الحشيش ثم الحصاد ثم الفرك والتنقية ثم الطحن ثم العجن ثم الخبز فتأمل عدد
هذه الأفعال التي ذكرناها وما لم نذكره وعدد الأشخاص القائمين بها وعدد الآلات التي يحتاجون إليها من الحديد
والخشب والحجر وغيره وانظر إلى أعمال الصناع في إصلاح آلات الحراثة والطحن والخبز من نجار وحداد
وغيرهما وانظر إلى أعمال الصناع وإلى حاجة الحداد إلى الحديد والرصاص والنحاس فانظر كيف خلق الله
الجبال والمعادن وكيف جعل الأرض قطعا متجاورات مختلفة فإن فتشت علمت أن رغيفا واحدا
لا يستدير بحيث يصلح لأكلك يا مسكين ما لم يعمل عليه أكثر من ألف صانع فابتدئ من الملك الذي يزجي السحاب
لينزل الماء إلى آخر الأعمال من جهة الملائكة حتى ينتهي النوبة إلى عمل الإنسان فإذا استدار طلبه قريب من
سبعة آلاف صانع كل صانع أصل من أصول الصنائع التي بها تتم مصلحة الخلق ثم تأمل كثرة أعمال الإنسان في
تلك الآلات حتى الإبرة التي هي آلة صغيرة فائدتها خياطة اللباس الذي يمنع البرد عنك لا تكمل صورتها من حديدة
تصلح للإبرة إلا بعد أن تمر على يد الإبري خمسا وعشرين مرة يتعاطى في كل مرة منها عملا فلو لم يجمع الله البلاد
ولم يسخر العباد وافتقرت إلى عمل المنجل الذي تحصد به البر مثلا بعد نباته لنفد عمرك وعجزت عنه
أفلا ترى كيف هدى الله عبده الذي خلقه من نطفة قذرة لأن يعمل هذه الأعمال العجيبة والصنائع الغريبة
فانظر إلى المقراض مثلا وهما جلمان متطابقان ينطبق أحدهما على الآخر فيتناولان الشيء معا ويقطعانه بسرعة
ولو لم يكشف الله تعالى طريق اتخاذه بفضله وكرمه لمن قبلنا وافتقرنا إلى استنباط الطريق فيه بفكرنا ثم إلى

استخرج الحديد من الحجر والى تحصيل الآلات التي بها يعمل المقراض ولو عمر الواحد منا عمر نوح واوتي اكمل العقول
لقصر عمره عن استنباط الطريق في اصلاح هذه الآلة وحدها فضلا عن غيرها فسبحان من الحق ذوي
الابصار بالعيان وسبحان من منع النفس مع هذا البيان فانظر الآن لو خلا بلدك عن الطحان مثلا او عن الحداد
او عن الحجام او عن الذي هو اخس العمال او عن الحائك او عن واحد من جملة الصناع ما يصيبك من الاذى و
كيف تضطرب عليك امورك كلها فسبحان من سخر بعض العباد لبعض حتى نفذت به مشيته وتمت حكمته
ولنوجز القول في هذه الطبقة ايضا فان الغرض التنبيه على النعم دون الاستقصا **الطرف السابع في**
اصلاح المصلحين اعلم انه لو خلق الصناع المصلحين للاطعمة وغيرها لو تفرقت اراؤهم وتنافرت طباعهم
تنافر طباع الوحش لتبددوا وتباعدوا ولم ينتفع بعضهم ببعض بل كانوا كالوحوش لا يجمعهم مكان واحد
ولا يجمعهم غرض واحد فانظر كيف الف الله تعالى بين قلوبهم وسلط الانس عليهم والمحبة ولو انفقت
ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولاجل الالف والمحبة وتعارف الارواح اجتمعوا وائتلفوا وبنوا المدن
والبلاد ورتبوا المساكن والدور متقاربة متجاورة ورتبوا الاسواق والخانات وسائر اصناف البقاع مما
يطول احصاؤها ثم هذه المحبة تزول باغراض يتزاحمون عليها ويتنافسون فيها ففي جبلة الانسان الغيظ و
الحسد والمنافسة وذلك يودي الى التقاتل والتنافر فانظر كيف سلط الله تعالى السلاطين وامدهم
بالقوة والعدة والاسباب والقى رعبهم في قلوب الرعايا حتى اذعنوا لهم طوعا وكرها وكيف هداه الله
تعالى السلاطين الى طريق اصلاح البلاد حتى رتبوا اجزا البلد كانها اجزا شخص واحد يتعاونون على غرض واحد
ينتفع البعض منها بالبعض فرتبوا الرؤسا والقضاة والسجن وزعما الاسواق واضطروا الخلق الى قانون
العدل والزموهم التساعد والتعاون حتى صار الحداد ينتفع بالقصاب والخباز وسائر اهل البلد وكلهم
ينتفعون بالحداد وصار الحجام ينتفع بالحراث والحراث بالحجام وينتفع كل واحد بسبب ترتيبهم واجتماعهم
وانضباطهم تحت ترتيب السلطان وجمعه كما يتعاون جميع اعضا البدن وينتفع بعضها ببعض وانظر كيف
بعث الانبيا حتى اصلحوا السلاطين المصلحين للرعايا وعرفوهم قوانين الشرع في حفظ العدل بين
الخلق وقوانين السياسة في ضبطهم وكشفوا من احكام الامامة والسلطنة واحكام الفقه ما اهتدوا
به الى صلاح الدنيا فضلا عما ارشدوهم اليه من صلاح الدين وانظر كيف اصلح الله تعالى الانبيا بالملائكة و
كيف اصلح الملائكة بعضهم ببعض الى ان ينتهي الى الملك المقرب الذي لا واسطة بينه وبين الله تعالى
فالخباز يصلح العجين بالطبخ والطحان يصلح الطعام بالطحن والحراث يصلحه بالحصاد والحداد يصلح آلات الحراثة
والنجار يصلح آلات الحداد وكذا جميع ارباب الصناعات المصلحين لآلات الاطعمة والسلطان يصلح الصناع
والانبيا يصلحون العلما الذين هم ورثة الانبيا والعلما يصلحون السلاطين والملائكة يصلحون الانبيا الى
ان ينتهي الى الحضرة الربوبية التي هي ينبوع كل نظام ومطلع كل حسن وجمال ومنشا كل ترتيب واليه ينتهي كل ذلك
من نعم رب الارباب ومسبب الاسباب ولولا فضله وكرمه اذ قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا لما اهتدينا الى معرفة هذه النبذة اليسيرة من نعم الله تعالى فلولا عزلنا ان نطمع بعين الطمع الى الاحاطة
بكنه نعم لشرفنا الى الطلب الاحاطة والاستقصا ولكنه عرفنا بحكم القهر والقدرة فقال وان تعدوا
نعمت الله لا تحصوها فان نطقنا فباذنه انبسطنا وان سكتنا فبقهره انقبضنا اذ لا معطي لما منع ولا مانع لما
اعطى لانا في كل لحظة من لحظات العمر نسمع بسمع القلب ينادي لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار فالحمد لله الذي ميزنا عن الكفار فانا سمعنا هذا النداء قبل انقضاء الاعمار **الطرف الثامن** في بيان نعمة

تعالى في خلق الملائكة ليس يخفى عليك ما سبق من نعمة في الملائكة باصلاح الانبيا وهدايتهم وتبليغ الوحي اليهم
ولا تظنن انهم مقتصرون في افعالهم على ذلك القدر بل طبقات الملائكة مع كثرتها وتنوع مراتبها تنحصر بالجملة
في ثلاث طبقات الملائكة الارضية والسماوية وحملة العرش فانظر كيف وكلهم الله بك فيما يرجع الى الاكل و
الغذا الذي ذكرناه دون ما يجاوز ذلك من الهداية والارشاد وغيرهما ان كل جز من اجزا بدنك بل من
اجزا النبات لا يتغذى الا بان يوكل به سبعة من الملائكة هو اقله الى عشرة الى مائة الى ما وراء ذلك و
بيانه ان معنى الغذا ان يقوم جز من الغذا مقام جز وقد تلف وذلك الغذا يصير دما في آخر الامر ثم يصير لحما وعظما فاذا
صار لحما وعظما تم اغتذاؤك والدم واللحم اجسام ليس لها معرفة وقدرة واختيار فهي لا تتحرك بانفسها
ومجرد الطبع لا يكفي في ترددها في اطوارها كما ان البر بنفسه لا يصير طحينا ثم عجينا ثم خبزا مستديرا مطبوخا الا بصناع
فكذلك الدم بنفسه لا يصير لحما وعظما وعرقا وعصبا الا بصناع والصناع في الباطن هم الملائكة كما ان الصناع
في الظاهر هم اهل البلد وقد اسبغ الله عليكم نعمه ظاهرة وباطنة فلا ينبغي ان تغفل عن نعمه الباطنة فاقول لا بد
من ملك يجذب الغذا الى جوار اللحم والعظم فان الغذا لا يتحرك بنفسه ولا بد من ملك آخر يمسك الغذا في جواره
ولا بد من ثالث يخلع عنه صورة الدم ولا بد من رابع يكسوه صورة اللحم او العظم والعروق ولا بد من خامس يدفع
الفضل الفاضل من حاجة الغذا ولا بد من سادس يلصق ما اكتسب صفة العظم بالعظم وما اكتسب صفة اللحم
باللحم حتى لا يكون منفصلا ولا بد من سابع يرعى المقادير في الالصاق فيلحق بالمستدير ما لا يبطل استدارته وبالعريض
ما لا يزيل عرضه وبالمجوف ما لا يبطل تجويفه ويحفظ على كل واحد قدر حاجته فانه لو جمع مثلا من الغذا على انف
الصبي ما يجمع على فخذه لكبر انفه وبطل تجويفه وتشوهت صورته بل ينبغي ان يسوق الى الاجفان مع رقتها والى
الحدقة مع صفائها والى الافخاذ مع غلظها والى العظم مع صلابته ما يليق بكل واحد من حيث القدر والشكل
والا بطلت الصورة وربما نقص المواضع وضعف بعض المواضع بل لو لم يراع هذا الملك العدل في القسمة والتقسيط
فساق الى راس الصبي وساير بدنه من الغذا ما يتوابه الا الى الرجلين مثلا لبقيت الرجل كما كانت في حد الصغر
وكبر جميع البدن فكنت ترى شخصا في ضخامة رجل وعليه رجل واحدة كانها رجل صبي ولا ينتفع بنفسه البتة
فرعاية هذه الهندسة في القسمة مفوض الى ملك من الملائكة ولا تظنن ان الدم بطبعه يهتدي من شكل نفسه فان محل
هذه الامور على الطبع جهل لا يدري ما يقول فهذه هي الملائكة الارضية وقد شغلوا لك وانت في النوم تستريح وفي
الغفلة تتردد وهم يصلحون الغذا في باطنك ولا خبر لك منهم وذلك في كل جز من اجزايك الذي لا يتجزى بل لا يفتقر
بعض الاجزا كالعين والقلب الى اكثر من مائة ملك تركنا تفصيل ذلك للايجاز والملائكة الارضية مددهم من
الملائكة السماوية على ترتيب معلوم لا يحيط بكنهه الا الله ومدد الملائكة السماوية من حملة العرش والمنعم على جملتهم
بالتاييد والهداية والتسديد المهيمن القدوس المتفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت جبار السموات و
الارض مالك الملك ذو الجلال والاكرام والاخبار الواردة في الملائكة الموكلين بالسموات والارض واجزا النبات
والحيوانات حتى كل قطرة من المطر وكل سحاب ينجر من جانب الى جانب اكثر من ان تحصى فكذلك تركنا الاستشهاد بها **فان**
قلت فلم لم يفوض هذه الافعال الى ملك واحد ولم افتقر الى سبعة املاك والحنطة ايضا تحتاج الى من يطحن
اولا ثم الى من يميز عنه النخالة ويدفع الفضلة ثانيا ثم الى من يصب الماء عليه ثالثا ثم الى من يعجن رابعا ثم الى من
يقطعه كرات مدورة خامسا ثم الى من يرقها رغفانا عريضة سادسا ثم الى من يلصقها بالتنور سابعا ولكن قد
يتولى جميع ذلك رجل واحد ويستقل به فهلا كانت اعمال الملائكة باطنا كاعمال الانس ظاهرا **فاعلم** ان خلقة
الملائكة تخالف خلقة الانس وما من واحد منهم الا وفعله واحد واليه الاشارة بقوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم

فكذلك ليس بينهم تنافس وتقاتل بل مثالهم في تعين مرتبة كل واحد وفعله عليه مثال الحواس الخمس فان البصر لا يزاحم السمع في ادراك الاصوات ولا الشم يزاحمهما ولا هما ينازعان الشم وليس كاليد والرجل فانك قد تبطش بالاصابع بطشا ضعيفا فتزاحم به اليد وقد تضرب غيرك براسك فتزاحم به اليد التي هي آلة الضرب ولا كالانسان الواحد الذي يتولى بنفسه الطحن والعجن والخبز فان هذا نوع من الاعوجاج والعدول عن العدل سببه اختلاف صفات الانسان واختلاف دواعيه فانه ليس وحداني الصفة فلم يكن وحداني الفعل ولذلك ترى الانسان يطيع الله مرة ويعصيه اخرى لاختلاف دواعيه وصفاته وذلك غير ممكن في الملائكة بل هم مجبولون على الطاعة لا مجال للمعصية في حقهم فلا جرم لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ويسبحون الليل والنهار لا يفترون والراكع منهم راكع ابدا والساجد منهم ساجد ابدا لا اختلاف في افعالهم ولا فتور ولكل واحد مقام معلوم لا يتعداه وطاعتهم لله تعالى من حيث لا مجال للمخالفة فيهم يمكن ان تشبه بطاعة اطرافك فانك مهما جزمت الارادة بفتح الاجفان لم يكن للجفن الصحيح تردد واختلاف في طاعتك مرة ومعصيتك اخرى بل كانه منتظر لامرك ونهيك ينفتح وينطبق متصلا باشارتك فهذا يشبهه من وجه ولكن يخالفه من وجه اذ الجفن لا علم له بما يصدر منه من الحركة فتحا واطباقا والملائكة احياء عالمون بما يعملون فاذا هذه نعمة الله عليك في الملائكة الارضية والسماوية وحاجتك اليهم في غرض الاكل فقط دون ما عداه من الحركات والحاجات كلها فانا لم نطول بذكرها فهذه طبقة اخرى من طبقات النعم ومجامع الطبقات لا يمكن احصاؤها فكيف لآحاد ما يدخل تحت مجامع الطبقات فاذا قد اسبغ الله نعمه ظاهرة وباطنة ثم قال وذروا ظاهر الاثم وباطنه فترك باطن الاثم مما لا يعرفه الخلق من الحسد وسوء الظن والبدعة واضمار الشر للناس وغير ذلك من آثام القلوب هو الشكر للنعم الباطنة وترك الاثم الظاهر بالجوارح شكر النعمة الظاهرة بل اقول كل من عصى الله ولو في تطريفة واحدة بان فتح جفنه مثلا حيث يجب غض البصر فقد كفر كل نعمة لله تعالى عليه في السموات والارضين وما بينهما فان كل ما خلقه الله تعالى حتى الملائكة والسموات والارض والحيوان والنبات بجملته نعمة على كل واحد من العباد قد تم بها انتفاعه وان انتفع غيره ايضا بها فان لله تعالى في كل تطريفة بالجفن نعمتين في نفس الجفن اذ خلق تحت كل جفن عضلات ولها اوتار ورباطات متصلة باعصاب الدماغ بها يتم انخفاض الجفن الاعلى وارتفاع الجفن الاسفل وعلى كل جفن شعور سود ونعمة الله في سوادها انها تجمع ضوء العين اذ البياض يفرق الضوء والسواد يجمعه ونعمة الله في ترتيبها صفا واحدا ان يكون مانعا للهوام من الدبيب الى داخل العين ومتشبثا للاقذاء التي تتناثر في الهوى وله في كل شعرة منها نعمتان من حيث لين اصلها مع اللين ثم نصبها وله في اشتباك الاهداب نعمة اعظم من الكل وهو ان غبار الهوى قد يمنع من فتح العين ولو اطبق لم يبصر فيجمع الاجفان بمقدار ما يتشابك الاهداب فينظر من وراء شباك الشعر فيكون شباك الشعر مانعا من وصول القذى من خارج وغير مانع من امتداد البصر من داخل ثم ان اصاب الحدقة غبار فقد خلق اطراف الاجفان حادة منطبقة كالمصقلة للمراة فينطبقهما مرة او مرتين وقد انصقلت الحدقة عن الغبار وخرج الاقذاء الى زوايا العين والاجفان والذباب لما لم يكن لحدقته جفن خلق له يدين فتراه على الدوام يمسح بهما حدقتيه ليصقلهما عن الغبار واذ تركنا الاستقصاء لتفاصيل النعم لافتقاره الى التطويل يزيد على اصل هذا الكتاب ولعلنا نستانف له كتابا معقودا فيه ان امهل الزمان وساعد التوفيق سميناه عجائب صنع الله فلنرجع الى غرضنا فنقول لقد كفر نعمة العين بل نعمة الله تعالى في الاجفان ولا تقوم الاجفان ولا تقوم الاجفان الا بعين ولا العين الا براس ولا الراس الا بجميع البدن ولا البدن الا بالغذاء ولا الغذاء الا بالماء والارض والهوى والمطر والغيم والشمس والقمر ولا تقوم شيء من ذلك الا بالسموات ولا السموات

الا بالملائكة فان الكل كالشيء الواحد يرتبط البعض منه بالبعض ارتباط اعضاء البدن بعضها ببعض فاذا قد كفر كل نعمة لله تعالى في الوجود من منتهى الثريا الى منتهى الثرى فلم يبق فلك ولا ملك ولا حيوان ولا نبات ولا جماد الا ويلعنه ولذلك ورد في الاخبار ان البقعة التي يجتمع فيها الناس اما ان تلعنهم اذا تفرقوا او تستغفر لهم وكذلك ورد ان العالم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر وان الملائكة يلعنون العصاة في الفاظ كثيرة لا يمكن احصاؤها وكل ذلك اشارة الى ان العاصي بتطريفة واحدة جنى على جميع ما في الملك والملكوت وقد اهلك نفسه الا ان يتبع السيئة بحسنة تمحوها فتتبدل اللعن بالاستغفار فعسى الله ان يتوب عليه ويتجاوز عنه **واوحى الله تعالى** الى ايوب عليه السلام ما من عبد لي من الادميين الا ومعه ملكان فاذا شكرني على نعمائي قال الملكان اللهم زده نعما على نعم فانك اهل الحمد والشكر وكن من الشاكرين قريبا فكفى بالشاكرين علو رتبة عندي اني اشكر شكرهم وملائكتي يدعون لهم والبقاع تحبهم والاثار تبكي عليهم ولما عرفت انك في كل طرفة عين نعما كثيرة فاعلم ان كل نفس ينبسط وينقبض نعمتين اذ بانبساطه يخرج الدخان المحترق من القلب ولو لم يخرج لهلك وبانقباضه يجمع روح الهوى الى القلب ولو سد متنفسه لاحترق قلبه بانقطاع روح الهوى وبعدمه عنه ولهلك بل اليوم والليلة اربع وعشرون ساعة وفي كل ساعة قريب من عشر لحظات فعليك في كل لحظة الاف الاف نعمة في كل جزء من اجزاء بدنك بل في كل جزء من اجزاء العالم فانظر هل يتصور احصاء ذلك ام لا ولما انكشف لموسى عليه السلام حقيقة قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال الهي كيف اشكرك ولك في كل شعرة من جسدي نعمتان ان لينت اصلها وان طمست راسها وكذلك ورد في الاثر من لم يعرف نعمة الله تعالى الا في مطعمه ومشربه فقد قل علمه وحضر عذابه وجميع ما ذكرناه يرجع الى المطعم والمشرب فاعتبر ما سواه من النعم به فان البصير لا يقع بصره في العالم على شيء ولا يلم خاطره بموجود الا ويتحقق ان لله فيه نعمة عليه فلنترك الاستقصاء والتفصيل فانه طمع في غير مطمع

بيان السبب الصارف للخلق عن الشكر

اعلم انه لم يقصر بالخلق عن شكر النعمة الا الجهل والغفلة فانهم منعوا بالجهل والغفلة عن معرفة النعم ولا يتصور شكر النعمة الا بعد معرفتها ثم انهم ان عرفوا نعمة ظنوا ان الشكر عليها ان يقول بلسانه الحمد لله الشكر لله ولم يعرفوا ان معنى الشكر ان يستعمل النعمة في اتمام الحكمة التي اريدت بها وهي طاعة الله تعالى فلا يمنع من الشكر بعد حصول هاتين المعرفتين الا غلبة الشهوة واستيلاء الشيطان اما الغفلة عن النعم فلها اسباب واحد اسبابها ان الناس بجهلهم لا يعدون ما يعم الخلق ويسلم لهم في جميع احوالهم نعمة فلذلك لا يشكرون على جملة ما ذكرناه من النعم لانها عامة للخلق مبذولة لهم في جميع احوالهم فلا يرى كل واحد لنفسه اختصاصا به فلا يعده نعمة فلا تراهم يشكرون الله على روح الهوى ولو اخذ بمخنقهم لحظة حتى انقطع الهوى عنهم ماتوا ولو حبسوا في بيت فيه حار او في بئر فيه هوى ثقيل برطوبة الماء ماتوا غما فان ابتلي واحد منهم بشيء من ذلك ثم نجا ربما قدر ذلك نعمة وشكر الله عليها وهذا غاية الجهل اذ صار شكرهم موقوفا على ان تسلب عنهم النعمة ثم ترد عليهم في بعض الاحوال والنعمة في جميع الاحوال اولى بان تشكر في بعضها فلا ترى البصير يشكر صحة بصره الا ان تعمى عينه فعند ذلك لو اعيد عليه احس به وشكره وعده نعمة ولما كانت رحمة الله واسعة عمم الخلق وبذلها لهم في جميع الاحوال لم يعده الجاهل نعمة وهذا الجاهل مثل العبد السوء حقه ان يضرب دائما حتى اذا ترك ضربه ساعة تقلد به منة فان ترك ضربه على الدوام غلبه البطر وترك الشكر فصار الناس لا يشكرون الا المال الذي يتطرق الاختصاص اليه من حيث الكثرة والقلة وينسون جميع نعم الله تعالى عليهم كما شكى بعضهم فقره الى بعض ارباب البصائر واظهر شدة اغتمامه به فقال له ايسرك انك اعمى ولك عشرة الاف درهم

فقال لا فقال ايسرك انك اخرس ولك عشرة الاف فقال لا فقال ايسرك انك اقطع اليدين والرجلين ولك
عشرون الفا فقال لا فقال ايسرك انك مجنون ولك عشرة الاف قال لا فقال اما تستحي ان تشكو مولاك وله
عندك عروض بخمسين الفا وحكي ان بعض القرا اشتد به الفقر حتى ضاق به ذرعا فراى في المنام كان قائلا يقول
له تود انا انسيناك سورة الانعام وان لك الف دينار فقال لا قال فسورة هود قال لا قال فسورة يوسف قال
لا قال فمعك قيمة مائة الف دينار وانت تشكو فاصبح وقد سري عنه ودخل ابن السماك على بعض الخلفاء وبيده
كوز ماء يشربه فقال له عظني فقال لو لم تعط هذه الشربة الا ببذل جميع اموالك والا بقيت عطشان فهل كنت تعطيه
قال نعم فقال لو لم تعط الا بملكك كله فهل كنت تتركه قال نعم قال فلا تفرح بملك لا يساوي شربة ماء فهذا يتبين ان
نعمة الله تعالى على العبد في شربة ماء عند العطش اعظم من ملك الارض كلها واذا كانت الطباع مائلة الى اعتداد
النعمة الخاصة دون العامة وقد ذكرنا النعم العامة فلنذكر اشارة وجيزة الى النعم الخاصة فنقول ما من عبد
الا ولو امعن النظر في احواله راى من الله تعالى نعمة او نعما كثيرة تخصه لا يشاركه فيها الناس كافة بل يشاركه
عدد يسير من الناس وربما لا يشاركه فيها احد وذلك يعترف به كل عبد في ثلثة امور في العقل والخلق والعلم
اما العقل فما من عبد لله تعالى الا وهو راض عن الله في عقله يعتقد انه اعقل الناس وقل من يسال الله العقل
وان من شرف العقل ان يفرح به الخالي عنه كما يفرح به المتصف به فاذا كان اعتقاده انه اعقل الناس فواجب
عليه ان يشكره لانه ان كان كذلك فالشكر واجب وان لم يكن ولكنه يعتقد انه كذلك فهو نعمة في حقه فمن وضع
كنزا تحت الارض فهو يفرح به ويشكر عليه فان اخذ الكنز من حيث لا يدري بقي فرحه بحسب اعتقاده ويبقى
شكره لانه في حقه كالباقي واما الخلق فما من عبد الا ويرى في غيره عيوبا يكرهها واخلاقا يذمها وانما يذمها من
حيث يرى نفسه بريئا عنها فاذا لم يشتغل بذم الغير فينبغي ان يشتغل بشكر الله اذ حسن خلقه وابتلى غيره
بالخلق السيء واما العلم فما من احد الا ويعرف من بواطن امور نفسه وخفايا افكاره ما هو منفرد به ولو كشف
الغطاء حتى اطلع عليه احد من الخلق لافتضح فكيف لو اطلع الناس كافة فاذا لكل عبد علم بامر خاص لا يشاركه فيه
احد من عباد الله فلم لا يشكر ستر الله الجميل الذي ارسله على وجه مساويه فاظهر الجميل وستر القبيح واخفى ذلك
عن اعين الخلق وخصص علمه به حتى لا يطلع عليه احد فهذه ثلثة من النعم خاصة يعترف بها كل عبد اما
مطلقا واما في بعض الامور فلننزل عن هذه الطبقة الى طبقة اخرى اعم منها قليلا فنقول ما من عبد الا وقد رزقه
الله تعالى في صورته او شخصه او اخلاقه او صفاته او اهله او ولده او مسكنه او بلده او رفيقه او اقاربه او عزه او
جاهه او في سائر محابه امورا لو سلب ذلك منه واعطي ما خصص به غيره لكان لا يرضى به وذلك مثل ان جعله
مؤمنا لا كافرا وحيا لا جمادا وانسانا لا بهيمة وذكرا لا انثى وصحيحا لا مريضا وسليما لا معيبا فان كل هذه خصائص وان
كان فيها عموم ايضا فان هذه الاحوال لو بدلت باضدادها لم يرض بها بل له امور لا يبدلها باحوال الادميين ايضا
وذلك اما ان يكون بحيث لا يبدله بما خص به احد من الخلق او لا يبدله بما خص به الاكثر فاذا كان لا يبدل حال
نفسه بحال غيره فاذا حاله احسن من حال غيره فان كان لا يعرف شخصا يرتضي لنفسه حاله بدلا عن حال نفسه
اما على الجملة واما في امر خاص فاذا لله تعالى عليه نعم ليست له على احد من عباده سواه وان كان يبدل حال نفسه
بحال بعضهم دون البعض فلينظر الى عدد المغبوطين عنده فانه لا محالة يراهم اقل بالاضافة الى غيرهم فيكون
من دونه في الحال اكثر بكثير ممن فوقه فما باله ينظر الى من فوقه ليزدري نعم الله على نفسه ولا ينظر الى
من دونه ليستعظم نعم الله تعالى عليه وما باله لا يسوي دنياه بدينه اليس اذا لامته نفسه على سيئة يقارفها
يعتذر اليها بان في الفساق كثرة فينظر ابدا في الدين الى من دونه لا الى من فوقه فلم لا ينظر في الدنيا كذلك

فاذا كان حال اكثر الخلق في الدين خيرا من حاله في الدنيا خيرا من حال اكثر الخلق فكيف لا يلزمه الشكر ولهذا قال
صلى الله عليه وسلم من نظر في الدنيا الى من هو دونه ونظر في الدين الى من هو فوقه كتبه الله صابرا شاكرا ومن نظر في الدنيا
الى من هو فوقه وفي الدين الى من هو دونه لم يكتبه الله صابرا ولا شاكرا فاذا كل من اعتبر حال نفسه وفتش عما
خص به وجد لله تعالى على نفسه نعما كثيرة لا سيما من خص بالسنة والايمان والعلم والقران ثم الفراغ والصحة
والامن وغير ذلك ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من لم يستغن بآيات الله فلا اغناه الله وهذا اشارة الى نعم
العلم وقال صلى الله عليه وسلم ان القران هو الغنى الذي لا غنى بعده ولا فقر معه وقال عليه السلام ليس منا
من لم يتغن بالقران وقال عليه السلام من اتاه الله القران فظن ان احدا اغنى منه فقد استهزا بآيات الله وقال
كفى باليقين غنى وقال بعض السلف يقول الله تعالى ان عبدا اغنيته عن ثلاثة لقد اتممت عليه نعمتي عن سلطان
ياتيه وطبيب يداويه وعما في يد اخيه وعبر الشاعر عن هذا فقال شعر اذا القوت ياتي لك والصحة والامن
واصبحت اخا حزن فلا فارقك الحزن بل احسن العبارات وافصح الكلام كلام افصح من نطق بالضاد حيث قال صلى
الله عليه وسلم عن هذا المعنى فقال من اصبح امنا في سربه معافا في بدنه عنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا
بحذافيرها ومهما تاملت الناس كلهم وجدتهم يشكون ويتالمون من امور وراء هذه الثلاث مع انها وبال عليهم في الايمان
الذي به وصولهم الى النعيم المقيم والملك العظيم بل البصير ينبغي ان لا يفرح الا بالمعرفة واليقين والايمان
بل نحن نعلم من العلماء من لو سلم اليه جميع ما دخل تحت قدرة ملوك الارض من المشرق الى المغرب من اموال واتباع
وانصار وقيل له خذ هذا عوضا عن علمك بل عن عشر عشير علمك لم ياخذه وذلك لرجائه ان نعمة العلم تفضي
به الى قرب الله سبحانه وتعالى في الاخرة بل لو قيل له لك في الاخرة ما ترجوه بكماله فخذ هذه اللذات في الدنيا بدلا عن
التذاذك بالعلم في الدنيا وفرحك به لكان لا ياخذه لعلمه بان لذة العلم دائمة لا تنقطع وباقية لا تسرق ولا تغصب
ولا ينافس فيها وانها صافية لا كدورة فيها ولذات الدنيا كلها ناقصة مكدرة ومشوشة ولا يفي مرجوها بمخوفها
ولا لذتها بالمها ولا فرحها بغمها هكذا كانت الى الان وهكذا يكون ما بقي الزمان اذ ما خلقت لذات الدنيا الا ليجلب بها
العقول الناقصة وتخدع حتى اذا انخدعت وتقيدت بها ابت عليها واستعصت كالمراة الجميلة الظاهر فانها
تتزين للشاب الشبق الغني حتى اذا تقيد بها قلبه استعصت عليه واحتجبت عنه ولا يزال معها في عناء دائم و
تعب قائم وكل ذلك باغتراره بلذة النظر اليها في لحظة ولو عقل وغض البصر واستهان بتلك اللذة سلم من جميع
عمره فهكذا وقع ارباب الدنيا في شباك الدنيا وحبائلها ولا ينبغي ان يقال ان المعرض عن الدنيا متالم بالصبر
عليها وحفظها وتحصيلها ودفع المقصود عنها وتالم المعرض يفضي الى لذة في الاخرة وتالم المقبل يفضي الى الالام في الاخرة
فليقرا المعرض عن الدنيا على نفسه قوله تعالى ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون
من الله ما لا يرجون فاذا انسد طريق الشكر على الخلق لجهلهم بضروب النعم الظاهرة والباطنة والخاصة والعامة
فان قلت فما علاج هذه القلوب الغافلة حتى تشعر بنعم الله تعالى فعساها تشكر فاقول اما القلوب
البصيرة فعلاجها التامل فيما رمزنا اليه من اصناف نعم الله تعالى العامة واما القلوب البليدة التي لا تعد
النعمة نعمة الا اذا خصتها او اشعر بالبلاء معها فسبيله ان ينظر ابدا الى من دونه ويفعل ما كان يفعله بعض الصوفية
اذ كان يحضر كل يوم دار المرضى والمقابر والمواضع التي يقام فيها الحدود فكان يحضر دار المرضى ليشاهد انواع بلاء الله
تعالى عليهم ثم يتامل في صحته وسلامته فيشعر قلبه بنعمة الصحة عند شعوره ببلاء الامراض ويشاهد الجناة الذين
يقتلون وتقطع اطرافهم ويعذبون بانواع العذاب ليشكر الله تعالى على عصمته من الجنايات ومن تلك العقوبات
ويشكر الله تعالى على نعمة الامن ويحضر المقابر فيعلم ان احب الاشياء الى الموتى ان يردوا الى الدنيا ولو يوما واحدا اما من

عصى فليبك دمًا وأما من أطاع فليزد في طاعته فإن يوم القيامة يوم التغابن فالمطيع مغبون إذ يرى جزاء طاعته
فيقول كنت أقدر على أكثر من هذه الطاعات فما أعظم غبني إذ ضيعت بعض الأوقات في المباحات وأما العاصي
فغبنه ظاهر فإذا شاهد المقابر وعلم أن أحب الأشياء إليهم أن يكون قد بقي لهم من العمر ما بقي له فيصرف بقية العمر
إلى ما يشتهي أهل القبور العود لأجله ليكون ذلك معرفة لنعمة الله في بقية العمر بل في الإمهال في كل نفس من تلك
الأنفاس وإذا عرف تلك النعمة شكر بأن يصرف العمر إلى ما خلق العمر لأجله وهو التزود من الدنيا للآخرة فهذا علاج هذه
القلوب الغافلة لتشعر بنعم الله تعالى فعساها تشكر ولقد كان الربيع بن خثيم مع تمام استبصاره يستعين
بهذا الطريق تأكيدًا للمعرفة فكان قد حفر في داره قبرًا فكان يضع غلًا في عنقه وينام في لحده ويقول رب ارجعون
لعلي أعمل صالحًا ثم يقوم ويقول يا ربيع قد أعطيت ما سألت فاعمل قبل أن تسأل الرجوع فلا ترد ومما ينبغي أن
تعالج به القلوب البعيدة أن تعرف أن النعمة إذا لم تشكر زالت ولم تعد ولذلك كان الفضيل يقول عليكم بمداومة
الشكر على النعم فقل نعمة زالت عن قوم فعادت إليهم وقال بعض السلف النعم وحشية فقيدوها
بالشكر وفي الخبر ما عظمت نعمة الله على عبد إلا كثرت حوائج الناس إليه فمن تهاون بهم عرض تلك النعمة للزوال
وقال الله سبحانه وتعالى إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فهذا تمام هذا الركن

الركن الثالث من كتاب الصبر والشكر فيما يشترك فيه الصبر والشكر ويرتبط أحدهما بالآخر

بيان وجه اجتماع الصبر والشكر على شيء واحد

لعلك تقول لما ذكرته في النعم إشارة إلى أن لله تعالى
في كل موجود نعمة وهذا يشير إلى أن البلاء لا وجود له أصلًا فما معنى الصبر إذًا وإن كان البلاء موجودًا فما معنى
الشكر على البلاء وقد ادعى مدعون أنا نشكر على البلاء فضلًا عن الشكر على النعمة فكيف يتصور الشكر على
البلاء وكيف يشكر على ما يصبر عليه والصبر على البلاء يستدعي ألمًا والشكر يستدعي فرحًا وهما يتضادان وما معنى
ما ذكرتموه من أن لله تعالى في كل ما أوجده نعمة على عباده فاعلم أن البلاء موجود كما أن النعمة موجودة والقول بإثبات
النعم يوجب القول بإثبات البلاء لأنهما متضادان ففقد البلاء نعمة وفقد النعمة بلاء ولكن قد سبق أن
النعمة تنقسم إلى نعمة مطلقة من كل وجه أما في الآخرة فكسعادة العبد بالنزول في جوار الله وأما في الدنيا
فالإيمان وحسن الخلق وما يعين عليهما وإلى نعمة مقيدة من وجه دون وجه كالمال الذي يصلح الدين من وجه و
يفسده من وجه وكذلك البلاء ينقسم إلى مطلق ومقيد أما المطلق في الآخرة فالبعد من الله تعالى إما مدة وإما
أبدًا وأما في الدنيا فالكفر والمعصية وسوء الخلق وهي التي تفضي إلى البلاء المطلق وأما المقيد فكالفقر والمرض و
الخوف وسائر أنواع البلاء التي لا تكون بلاء في الدين بل في الدنيا فالشكر المطلق للنعمة المطلقة أما البلاء المطلق
في الدنيا فقد لا يؤمر بالصبر عليه لأن الكفر بلاء ولا معنى للصبر عليه وكذا المعصية بل حق الكافر أن يترك كفره وكذا
حق العاصي نعم الكافر قد لا يعلم أنه كافر فيكون كمن به علة وهو لا يتألم بها بسبب غشية أو غيرها فلا صبر عليه
بإزالته الألم وإنما الصبر على ألم ليس إلى العبد إزالته فإذا يرجع الصبر في الدنيا إلى ما ليس بلاء مطلقًا بل يجوز أن
يكون نعمة من وجه فلذلك يتصور أن يجتمع عليه وظيفة الصبر والشكر فإن الغنى مثلًا يجوز أن يصير سبب
هلاك الإنسان حتى يقصد بسبب ماله فيقتل ويقتل أولاده والصحة أيضًا كذلك فما من نعمة من هذه النعم
الدنيوية إلا ويجوز أن تصير بلاء ولكن بالإضافة إلى حاله فرب عبد تكون الخيرة له في الفقر والمرض ولو صح بدنه وكثر
ماله لبطر وطغى قال الله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض وقال تعالى إن الإنسان ليطغى
أن رآه استغنى وقال صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى يحمي عبده الدنيا وهو يحبه كما يحمي أحدكم مريضه وكذلك
الزوجة والولد والقريب وكل ما ذكرناه في الأقسام الستة عشر من النعم سوى الإيمان وحسن الخلق فإنها يتصور أن
يكون بلاء في حق بعض الناس فيكون أضدادها إذًا نعمًا في حقهم إذ قد سبق أن المعرفة كمال ونعمة فإنها صفة من
صفات الله تعالى ولكن قد يكون على العبد في بعض الأمور بلاء ويكون فقدها نعمة مثاله جهل الإنسان بأجله فإنه
نعمة عليه إذ لو عرفه ربما تنغص عليه العيش وطال بذلك غمه وكذلك جهله بما يضمره الناس عليه من معارفه
وأقاربه نعمة عليه إذ لو رفع الستر واطلع عليه لطال ألمه وحقده وحسده واشتغاله بالانتقام وكذلك
جهله بالصفات المذمومة من غيره نعمة عليه إذ لو عرفه أبغضه وآذاه وكان ذلك وبالًا عليه في الدنيا والآخرة
بل جهله بالخصال المحمودة في غيره فقد يكون نعمة عليه فإنه ربما يكون وليًّا لله عز وجل وهو يضطر إلى إيذائه
وإهانته ولو عرف وآذى كان إثمه أعظم لا محالة فليس من آذى نبيًّا أو وليًّا وهو يعرف كمن آذى وهو لا يعرف ومنها
إبهام الله تعالى يوم القيامة وإبهامه ليلة القدر وساعة يوم الجمعة وإبهامه بعض الكبائر فكل ذلك نعمة
لأن هذا الجهل لا يوفر دواعيك على الطلب والاجتهاد فهذه وجوه نعم الله تعالى عليك في الجهل فكيف
في العلم وحيث قلنا إن لله في كل موجود نعمة فهو حق وذلك مطرد في حق كل أحد ولا يستثنى منه إلا الآلام التي يخلقها
في حق بعض الناس فهي أيضًا قد يكون نعمة في المتألم بها فإن لم تكن نعمة في حقه كالألم الحاصل من المعصية كقطع
يده نفسه ووشمه بشرته فإنه يتألم بها وهو عاص به وألم الكفار في النار فهي أيضًا نعمة ولكن في حق غيرهم
من العباد لا في حقهم لأن مصائب قوم عند قوم فوائد ولولا أن الله تعالى خلق العذاب وعذب به طائفة لما عرف
المتنعمون قدر نعمته ولا كثر فرحهم بها ففرح أهل الجنة إنما يتضاعف إذا تفكروا في آلام أهل النار أما ترى أهل
الدنيا ليس يشتد فرحهم بنور الشمس مع حاجتهم إليها من حيث إنها عامة مبذولة ولا يشتد فرحهم بالنظر
إلى زينة السماء وهي أحسن من كل بستان لهم في الأرض يجتهدون في عمارته ولكن زينة السماء لما عمت لم يشعروا بها ولم
يفرحوا بسببها فإذًا قد صح ما ذكرناه من أن الله تعالى لم يخلق شيئًا إلا وفيه حكمة ولا خلق شيئًا إلا وفيه نعمة إما على
جميع عباده أو على بعضهم فإذًا في خلق الله تعالى البلاء أيضًا نعمة إما على المبتلى أو على غير المبتلى فإذًا كل حالة لا
توصف بأنها بلاء مطلق ولا نعمة مطلقة فيجتمع فيها على العبد وظيفتان الصبر والشكر جميعًا فإن
قلت فهما متضادان فكيف يجتمعان إذ لا صبر إلا على غم ولا شكر إلا على فرح فاعلم أن الشيء الواحد قد يغتم
به من وجه ويفرح به من وجه آخر فيكون الصبر من حيث الاغتمام والشكر من حيث الفرح وفي كل فقر ومرض وخوف
وبلاء في الدنيا خمسة أمور ينبغي أن يفرح العاقل بها ويشكر عليها أحدها أن كل مصيبة ومرض فيتصور أن
يكون أكثر منها إذ مقدورات الله تعالى لا تتناهى فلو ضعفها الله تعالى وزادها ماذا كان يرده ويحجبه
فليشكر إذ لم يكن أعظم منها في الدنيا والثاني أنه كان يمكن أن تكون مصيبته في دينه قال رجل لسهل دخل
اللص بيتي وأخذ متاعي فقال اشكر الله لو دخل الشيطان قلبك فأفسد التوحيد ماذا كنت تصنع ولذلك
استعاذ عيسى عليه السلام في دعائه إذ قال اللهم لا تجعل مصيبتي في ديني وقال عمر رضي الله عنه
ما ابتليت ببلاء إلا كان لله تعالى علي فيه أربع نعم إذ لم يكن في ديني وإذ لم يكن أعظم منه وإذ لم أحرم الرضا
به وإذ أرجو الثواب عليه وكان لبعض أرباب القلوب صديق فحبسه السلطان فأرسل إليه فقال له اشكر الله
فضرب فقال اشكر الله فجيء بمجوسي محبوس مبطون فقيد وجعل حلقة من قيده على رجله وحلقة على رجل المجوسي
فأرسل إليه فقال اشكر الله فكان يحتاج المجوسي إلى أن يقوم مرات وهو يحتاج إلى أن يقوم معه ويقف على رأسه حتى
يقضي حاجته فكتب إليه بذلك فقال اشكر الله تعالى فقال إلى متى هذا وأي بلاء أعظم من هذا فقال لو جعل الزنار
الذي في وسطه على وسطك ماذا كنت تصنع فإذًا ما من إنسان قد أصيب ببلاء إلا ولو تأمل حق التأمل في سوء أدبه
ظاهرًا وباطنًا في حق مولاه لكان يرى أنه يستحق أكثر مما أصيب به عاجلًا وآجلًا ومن استحق عليك أن يضربك

مائة سوط فاقتصر على عشرة فهو مستحق للشكر ومن استحق ان تقطع يداه فقطع احدهما فهو مستحق للشكر ولذلك مر بعض الشيوخ في شارع فصب على راسه طست من رماد فسجد لله تعالى سجدة الشكر فقيل له ما هذه السجدة فقال كنت انتظر ان يصب علي النار فالاقتصار على الرماد نعمة وقيل لبعضهم الا تخرج لتستسقي فقد حبست الامطار فقال انتم تستبطئون المطر وانا استبطئ الحجارة **فان قلت** كيف افرح واري جماعة ممن زادت معصيتهم على معصيتي ولم يصابوا بما اصبت به حتى الكفار **فاعلم** ان الكافر قد خبئ له ما هو اكثر وانما امهل حتى يستكثر من الاثم ويطول عليه العقاب كما قال الله تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما واما العاصي فمن اين تعلم ان في العالم من هو اعصى منك ورب خاطر بسوء ادب في حق الله تعالى وفي صفاته اعظم واطم من شرب الخمر والزنا وسائر المعاصي بالجوارح ولذلك قال الله تعالى في مثله وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم فمن اين تعلم ان غيرك اعصى منك ثم لعله قد اخرت عقوبته الى الآخرة وعجل عقوبتك في الدنيا فلم لا تشكر الله تعالى على ذلك وهذا هو الوجه الثالث في الشكر وهو ان ما من عقوبة الا وكان يتصور ان يؤخر الى الآخرة ومصائب الدنيا يتسلى عنها باسباب اخر تهون المصيبة فيخف وقعها ومصيبة الآخرة تدوم وان لم تدم فلا سبيل الى تخفيفها بالتسلي اذ اسباب التسلي مقطوعة بالكلية في الآخرة عن المعذبين ومن عجلت عقوبته في الدنيا فلا يعاقب ثانيا اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا اذنب ذنبا فاصابته شدة او بلاء في الدنيا فالله اكرم من ان يعذبه ثانيا **الرابع** ان هذه المصيبة والبلية كانت مكتوبة عليه في ام الكتاب وكان لا بد من وصولها اليه وقد وصلت ووقع الفراغ واستراح من بعضها او من جميعها فهذه نعمة **الخامس** ان ثوابها اكثر منها فان مصائب الدنيا طرق الى الآخرة من وجهين احدهما الوجه الذي يكون به الدواء الكريه نعمة في حق المريض ويكون المنع من اسباب اللعب نعمة في حق الصبي فانه لو خلي واللعب كان يمنعه ذلك عن العلم والادب وكان يخسر جميع عمره فكذلك المال والاهل والاقارب والاعضاء حتى العينين اللتين هما اعز الاشياء قد يكون سبب هلاك الانسان في بعض الاحوال بل العقل الذي هو اعز الامور قد يكون سبب هلاكه فالملحدة غدا يتمنون لو كانوا مجانين او صبيانا ولم يتصرفوا بعقولهم في دين الله تعالى فما من شيء من هذه الاسباب يوجد من العبد الا ويتصور ان يكون له فيه خيرة دينية فعليه ان يحسن الظن بالله تعالى ويقدر فيه الخيرة ويشكر عليه فان حكمة الله واسعة وهو بمصالح العباد اعلم من العباد وغدا يشكره العباد على البلايا اذا راوا ثواب البلايا كما يشكر الصبي بعد العقل والبلوغ استاذه واباه على ضربه وتاديبه اذ يدرك ثمرة ما استفاده من التاديب والبلاء تاديب من الله تعالى وعنايته بعباده اتم واوفر من عناية الآباء بالاولاد فقد روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصني قال لا تتهم الله في شيء قضاه عليك ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السماء فضحك فسئل فقال عجبت لقضاء الله تعالى للمؤمن ان قضى له بالسراء رضي وكان خيرا له وان قضى له بالضراء رضي وكان خيرا له **والوجه الثاني** ان راس الخطايا المهلكة حب الدنيا وراس اسباب النجاة التجافي بالقلب عن دار الغرور ومواتاة النعم على وفق المراد من غير امتزاج ببلاء ومصيبة تورث طمأنينة القلب الى الدنيا واسبابها حتى تصير كالجنة في حقه فيعظم بلاؤه عند الموت بسبب مفارقته واذا كثرت عليه المصائب انزعج قلبه عن الدنيا ولم يسكن اليها ولم يانس بها وصارت الدنيا سجنا عليه وكانت نجاته منها غاية اللذة كالخلاص من السجن ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر والكافر كل من اعرض عن الله تعالى ولم يرد الا الحياة الدنيا ورضي بها واطمأن اليها والمؤمن كل منقطع بقلبه عن الدنيا شديد الحنين الى الخروج منها والكفر بعضه ظاهر وبعضه خفي وبقدر حب الدنيا في القلب يسري فيه الشرك الخفي بل الموحد المطلق

هو الذي لا يحب الا الواحد الحق فاذا في البلاء نعم من هذا الوجه فيجب الفرح به واما التألم فهو ضروري وذلك يضاهي فرحك عند الحاجة الى الحجامة بمن يتولى حجامتك مجانا او يسقيك دواء نافعا بشعا مجانا فانك تتالم وتفرح فتصبر على الالم وتشكره على سبب الفرح فكل بلاء في الامور الدنيوية مثاله الدواء الذي يولم في الحال وينفع في المآل بل من دخل دار ملك للنظارة وعلم انه يخرج منها لا محالة فرأى وجها حسنا لا يخرج معه من الدار كان ذلك بلاء عليه بعثه الانس بمنزل لا يمكنه المقام فيه ولو كان عليه في المقام خطر من ان يطلع عليه الملك فيعذبه فاصابه ما يكره حتى نفره عن المقام كان ذلك نعمة عليه والدنيا منزل وقد دخلها الناس من باب الرحم وهم خارجون عنها من باب اللحد فكل ما يحقق انسهم بالمنزل فهو بلاء وكل ما يزعج قلوبهم عنها ويقطع انسهم بها فهو نعمة فمن عرف هذا تصور منه ان يشكر على البلاء ومن لم يعرف هذه النعم في البلاء لم يتصور منه الشكر لان الشكر يتبع معرفة النعمة بالضرورة ومن لا يؤمن بان ثواب المصيبة اكبر من المصيبة لم يتصور منه الشكر على المصيبة وحكي ان اعرابيا عزى ابن عباس رضي الله عنهما **فقال شعر** اصبر نكن بك صابرين فانما صبر الرعية عند صبر الراس خير من العباس اجرك بعده والله خير منك للعباس فقال ابن عباس ما عزاني احد احسن من تعزيته والاخبار الواردة في الصبر على المصائب كثيرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى اذا وجهت الى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه او ماله او ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة ان انصب له ميزانا او انشر له ديوانا وقال عليه السلام ما من عبد اصيب بمصيبة فقال كما امر الله عز وجل انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واعقبني خيرا منها الا فعل الله ذلك به وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى من سلبت كريمتيه فجزاؤه الخلود في داري والنظر الى وجهي وروي ان رجلا قال يا رسول الله ذهب مالي وسقم جسمي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا خير في عبد لا يذهب ماله ولا يسقم جسمه ان الله تعالى اذا احب عبدا ابتلاه واذا ابتلاه صبره وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجل لتكون له الدرجة عند الله تعالى لا يبلغها بعمل حتى يبتلى ببلاء في جسمه فيبلغها بذلك وعن خباب بن الارت قال اتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد برداءه في ظل الكعبة فشكونا اليه فقلنا يا رسول الله الا تدعو الله يستنصر لنا فجلس محمرا لونه ثم قال ان من كان قبلكم ليؤتى بالرجل فيحفر له حفيرة ويجاء بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه **وعن علي** كرم الله وجهه انه قال ايما رجل حبسه السلطان ظلما فمات فهو شهيد وان ضربه فمات فهو شهيد وقال ايضا من اجلال الله تعالى ومعرفة حقه ان لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك وقال ابو الدرداء رضي الله عنه تولدون للموت وتعمرون للخراب وتحرصون على ما يفنى وتذرون ما يبقى الا حبذا المكروهات الثلاث الفقر والمرض والموت وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا واراد ان يصافيه صب عليه البلاء صبا وثجه عليه ثجا فاذا دعاه قالت الملائكة صوت معروف فان دعاه ثانيا فقال يا رب قال الله تعالى لبيك عبدي وسعديك لا تسالني شيئا الا اعطيتك او دفعت عنك ما هو خير وادخرت لك عندي ما هو افضل منه فاذا كان يوم القيامة جيء باهل الاعمال فوفوا اعمالهم بالميزان اهل الصلاة والصيام والصدقة والحج ثم يؤتى باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان يصب عليهم الاجر صبا كما كان يصب عليهم البلاء صبا فيود اهل العافية في الدنيا لو انهم كانت تقرض اجسامهم بالمقاريض لما يرون ما يذهب به اهل البلاء من الثواب فذلك قوله تعالى انما

يوم القصاص بعد اجرهم بغير حساب وعن ابن عباس رضي الله عنه قال اشتكى نبي من الانبياء عليهم السلام
الى ربه فقال يا رب العبد المؤمن يطيعك ويجتنب معاصيك تزوي عنه الدنيا وتعرض له البلاء و
يكون العبد الكافر لا يطيعك ويجترئ على معاصيك تزوي عنه البلاء وتبسط له الدنيا فاوحى الله تعالى
اليه ان العباد لي والبلاء لي وكل يسبح بحمدي فيكون المؤمن عليه من الذنوب فازوي عنه الدنيا واعرض
له البلاء فيكون كفارة لذنوبه حتى يلقاني فاجزيه بحسناته في الدنيا حتى يلقاني فاجزيه بسيئاته وروي
انه لما نزل قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه كيف الفرح بعد هذه
الاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك يا ابا بكر الست تمرض اليس يصيبك الاذى اليس تحزن
فهذا ما تجزون به يعني ان جميع ما يصيبك يكون كفارة ذنوبك وعن عقبة ابن عامر عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال اذا رأيت الرجل يعطيه الله ما يحب وهو مقيم على معصيته فاعلم ان ذلك استدراج
ثم قرأ قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء يعني لما تركوا ما امروا فتحنا عليهم ابواب
الخيرات حتى اذا فرحوا بما اوتوا اي بما اعطوا من الخير اخذناهم بغتة وعن الحسن البصري رحمه الله ان
رجلا من الصحابة رأى امرأة كان يعرفها في الجاهلية فكلمها ثم تركها فجعل الرجل يلتفت اليها وهو
يمشي فصدم حائطا فاثر في وجهه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا
اراد الله تعالى بعبد خيرا عجل له عقوبة ذنبه في الدنيا وقال علي كرم الله وجهه الا اخبركم بارجا آية في
كتاب الله عز وجل قالوا بلى فقرأ عليهم وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير فالمصائب
في الدنيا بكسب الاوزار فاذا عاقبه الله في الدنيا فالله اكرم من ان يعذبه ثانيا وان عفا عنه في الدنيا فالله
اكرم من ان يعذبه يوم القيامة وعن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما تجرع عبد قط جرعة
احب الى الله تعالى من جرعة غيظ ردها بحلم وجرعة مصيبة يصبر الرجل لها وما قطرت قطرة احب الى الله من
قطرة دم اهريقت في سبيل الله وقطرة دمع في سواد الليل وهو ساجد ولا يراه الا الله وما خطا عبد خطوتين
احب الى الله تعالى من خطوة الى الصلاة الفريضة وخطوة الى صلة الرحم وعن ابي الدرداء انه قال قعد
سليمان بن داود عليهما السلام فوجد عليه وجدا شديدا فاتاه ملكان فجلسا بين يديه في زي الخصوم
فقال احدهما بذرت بذرا فلما استحصد مر به هذا فافسده فقال للآخر ما تقول فقال الحدث
اخذ الجادة فاتيت على زرع فنظرت يمينا وشمالا فاذا الطريق عليه فقال سليمان ولم بذرت على الطريق اما علمت
ان لابد للناس من الطريق فقال الملك فلم تحزن على ولدك اما علمت ان الموت سبيل الآخرة فتاب سليمان الى ربه ولم
يجزع على ولده بعد ذلك ودخل عمر بن عبد العزيز على ابن له مريض فقال يا بني لان تكون في ميزاني احب الي
من ان اكون في ميزانك فقال يا ابت لان يكون ما تحب احب الي من ان يكون ما احب وعن ابن عباس رضي الله
عنهما انه نعي اليه ابنة له فاسترجع وقال عورة سترها الله ومؤنة كفاها الله واجر قد ساقه الله ثم
نزل فصلى ركعتين ثم قال قد صنعنا ما امر الله تعالى به قال الله عز وجل واستعينوا بالصبر والصلاة الاية
وعن ابن المبارك انه مات ابن له فعزاه مجوسي يعرفه فقال ينبغي للعاقل ان يفعل اليوم ما يفعله الجاهل
بعد خمسة ايام فقال ابن المبارك اكتبوا عنه هذه وقال بعض العلماء ان الله تعالى ليبتلي العبد بالبلاء
بعد البلاء حتى يمشي على الارض وما له ذنب وقال الفضيل ان الله عز وجل يتعاهد عبده المؤمن بالبلاء
كما يتعاهد الرجل اهله بالخير وقال حاتم الاصم ان الله عز وجل يحتج على الخلق يوم القيامة باربعة انفس
على اربعة اجناس على الاغنياء بسليمان وعلى الفقراء بعيسى وعلى العبيد بيوسف وعلى المرضى بايوب وروي

ان زكريا عليه السلام لما هرب من الكفار من بني اسرائيل واختفى في الشجرة فعرفوا ذلك فجيء بالمنشار فنشرت
الشجرة حتى بلغ المنشار الى رأس زكريا فان انة فاوحى الله تعالى اليه يا زكريا لئن صعدت منك انة ثانية
لامحونك من ديوان النبوة فعض زكريا على الصبر حتى قطع شطرين وقال ابن مسعود البلخي من اصيب بمصيبة
فمزق ثوبا او ضرب صدرا فكانما اخذ رمحا يريد ان يقاتل به ربه عز وجل وقال لقمان لابنه يا بني ان الذهب يجرب
بالنار وان العبد الصالح يجرب بالبلاء واذا احب الله قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط
وقال الاحنف بن قيس شكى ابن عمي الشكوى من ضرسه في ليلة واحدة وقد ذهبت عيني منذ ثلثين سنة فقلت
لعمي ما نمت البارحة من وجع الضرس حتى قالها ثلاثا فقال لقد اكثرت من ضرسك في ليلة واحدة وقد ذهبت عيني
منذ ثلثين سنة ما علم بها احد واوحى الله تعالى الى عزير عليه السلام اذا نزلت بك بلية فلا تشكني
الى خلقي كما لا اشكوك الى ملائكتي اذا صعدت مساويك وفضائحك

بيان فضل النعمة على البلية

لعلك تقول هذه الاخبار تدل على ان البلاء في الدنيا خير من النعيم فهل لنا ان نسأل الله البلاء فاقول
لا وجه لذلك لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يستعيذ في دعائه من بلاء الدنيا وبلاء الآخرة
وكان يقول هو والانبياء عليهم السلام ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار
وكانوا يستعيذون من شماتة الاعداء وغيره وقال علي كرم الله وجهه اللهم اني اسألك الصبر فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لقد سألت الله تعالى البلاء فسله العافية وعن الصديق رضي الله عنه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال سلوا الله تعالى العافية فما اعطي عبد افضل من العافية الا اليقين
واشار باليقين الى عافية القلب عن مرض الجهل والشك فعافية القلب اعلى من عافية البدن
وقال الحسن رحمه الله الخير الذي لا شر فيه العافية مع الشكر فكم من منعم عليه غير شاكر وقال مطرف
بن عبد الله لان اعافى فاشكر احب الي من ان ابتلى فاصبر وقال صلى الله عليه وسلم في دعائه وعافيتك احب الي
وهذا اظهر من ان نحتاج فيه الى الاستشهاد وهذا لان البلاء صار نعمة باعتبارين احدهما بالاضافة الى ما هو اكثر
منه اما في الدنيا او في الدين والآخرة بالاضافة الى ما يرجى من الثواب فينبغي ان نسأل الله تعالى تمام العافية في
الدنيا ودفع ما فوقه من البلاء ونسأله الثواب في الآخرة على الشكر على نعمته فانه قادر على ان يعطي على الشكر ما
يعطيه على الصبر فان قلت فقد قال بعضهم اود ان اكون جسرا على النار يعبر علي الخلق كلهم فينجون
واكون انا في النار وقال سمنون وليس لي في سواك حظ فكيفما شئت فاختبرني فهذا منهم سؤال البلاء
فاعلم انه حكي ان سمنون رحمه الله بلي بعد هذا البيت بعلة الحصر فكان بعد ذلك يدور على ابواب المكاتب ويقول
للصبيان ادعوا لعمكم الكذاب واما محبة الانسان ليكون هو في النار دون سائر الخلق فغير ممكن ولكن قد تغلب
المحبة على القلب حتى يظن المحب بنفسه حب مثل ذلك فمن شرب كأس المحبة سكر ومن سكر توسع في الكلام ولو
زايله سكره علم ان ما غلب عليه كان حالة لا حقيقة لها فما تسمعه من هذا الفن فهو كلام العشاق الذين افرط
حبهم وكلام العشاق يستلذ سماعه ولا يعول عليه كما حكي ان فاختة كان يراودها زوجها فتمنعه فقال
ما الذي يمنعك عني ولو شئت ان اقلب ملك سليمان ظهرا لبطن لفعلته لاجلك فسمعه سليمان عليه السلام
فاستدعاه وعاتبه فقال يا نبي الله كلام العشاق لا يحكى وهو كما قال الشاعر شعر اريد وصاله ويريد
هجري فاترك ما اريد لما يريد هو ايضا محال ومعناه اني اريد ما لا يريد لان من اراد الوصال لما اراد الهجر
فكيف اراد الهجر الذي لم يرده فلا يصدق هذا الكلام الا بتأويلين احدهما ان يكون ذلك في بعض الاحوال
حتى يكتسب به رضاه والذي يتوصل به الى مراد الرضا الغالي استقبال فيكون الهجران وسيلة الى الرضا

والرضى وسيلة الوصال المحبوب والوسيلة الى المحبوب فيكون مثاله مثال محب المال اذا اسلم درهما في درهمين
فهو يحب الدرهمين بترك الدرهم في الحال **الثالث** ان يصير رضاه عنده مطلوبا من حيث انه رضا فقط ويكون
له لذة في استشعار رضا محبوبه منه يزيد على لذته في مشاهدته مع كراهته فعند ذلك لا يتصور
ان يريد ما فيه الرضى فلذلك قد انتهى حال بعض المحبين الى ان طابت لذتهم رضي الله عنهم اكثر من لذاتهم
في العافية من غير شعور بالرضا فهو اذا ادرك رضاه في البلاء صار البلاء احب اليهم من العافية وهذه حالة
لا يبعد وقوعها في غلبات الحب ولكنها لا تثبت وان ثبتت مثلا فهل هي حالة صحيحة ام حالة اقتضتها حالة
اخرى وردت على القلب فمالت به عن الاعتدال هذا فيه نظر وذكر تحقيقه لا يليق بما نحن فيه وقد ظهر بما
سبق ان العافية خير من البلاء فنسأل الله العفو والعافية في الدنيا والاخرة **بيان الافضل من
الصبر والشكر** اعلم ان الناس اختلفوا في ذلك فقال قائلون الصبر افضل من الشكر وقال آخرون يختلف
ذلك باختلاف الاحوال واستدل كل فريق بكلام شديد الاضطراب بعيد عن التحصيل فلا معنى
للتطويل بالنقل بل المبادرة الى اظهار الحق اولى فنقول في بيان ذلك مقامان **المقام الاول** البيان على
سبيل التساهل وهو ان ينظر الى ظاهر الامر ولا يطلب بالتفتيش تحقيقه وهو البيان الذي ينبغي ان
يخاطب به عوام الخلق لقصور افهامهم عن درك الحقائق الغامضة وهذا الفن من الكلام هو الذي ينبغي
ان يعتمده الوعاظ اذ مقصود كلامهم مخاطبة العوام اصلاحهم والطير المشفقة لا ينبغي ان يطعم
الصبي بالطيور السمان وضروب الحلاوات باللبن اللطيف وعليها ان تؤخر عنه اطايب الاطعمة الى ان يصير
محتملا لها بقوته ويفارقه الضعف الذي هو عليه في بنيته فنقول هذا المقام في البيان يأبى البحث والتفصيل
ومقتضاه النظر الى الظاهر المفهوم من موارد الشرع وذلك يقتضي تفضيل الصبر فان الشكر وان وردت
اخبار في فضله فاذا اضيف اليه ما ورد في فضيلة الصبر اكثر بل فيه الفاظ صريحة في التفضيل كقوله عليه
السلام من افضل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر وفي الخبر يؤتى باشكر اهل الارض فيجزيه الله تعالى جزاء
الشاكرين ويؤتى باصبر اهل الارض فيقال له اما ترضى ان نجزيك كما جزينا هذا الشاكر فيقول نعم يا رب فيقول الله
تعالى كلا انعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت لاضعفن لك الاجر عليه فيعطى اضعاف جزاء الشاكرين
وقد قال الله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب واما قوله الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر
فهو دليل على ان الفضيلة في الصبر اذ ذكر ذلك في معرض المبالغة لرفع درجة الشكر فالحقه بالصبر فكان
هذا منتهى درجته ولولا انه فهم من الشرع علو درجة الصبر لما كان الحاق الشكر به مبالغة في الشكر
وهو كقوله صلى الله عليه وسلم الجمعة حج المساكين وجهاد المرأة حسن التبعل وكقوله شارب الخمر كعابد الوثن
وابدا المشبه به ينبغي ان يكون اعلى رتبة وكذلك قوله الصبر نصف الايمان لا يدل على ان الشكر مثله
هو كقوله عليه السلام الصوم نصف الصبر فان كل ما ينقسم بقسمين يسمى احدهما نصفا وان كان بينهما
تفاوت كما يقال الايمان هو العلم والعمل فالعمل نصف الايمان فلا يدل ذلك على ان العمل يساوي العلم **وفي
الخبر** عن النبي صلى الله عليه وسلم آخر الانبياء دخولا الجنة سليمان بن داود عليهما السلام لمكان ملكه وآخر اصحابي
دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لمكان غناه وفي خبر آخر يدخل سليمان بعد الانبياء باربعين خريفا وفي الخبر
ابواب الجنة كلها مصراعان الا باب الصبر فانه مصراع واحد واول من يدخله اهل البلاء امامهم ايوب عليه السلام
وكل ما ورد في فضائل الفقر يدل على فضيلة الصبر لان الصبر حال الفقير والشكر حال الغني فهذا هو المقام
الذي يقنع العوام ويكفيهم في الوعظ اللائق بهم والتعريف لما فيه صلاح دينهم **المقام الثاني**

هو البيان الذي يقصد به تعريف اهل العلم والاستبصار بحقائق الامور بطريق الكشف والايضاح فنقول
فيه كل امرين مبهمين لا يمكن الموازنة بينهما مع الابهام ما لم يكشف عن حقيقة كل واحد منهما وكل ما يكون
يشتمل على اقسام لا يمكن الموازنة بين الجملة والجملة بل يجب ان تفرد الآحاد بالموازنة حتى يتبين الرجحان
والصبر والشكر اقسامهما وشعبهما كثيرة فلا يتبين حكمهما في الرجحان والنقصان مع الاجمال فنقول
قد ذكرنا ان هذه المقامات تنتظم من ثلاثة امور علوم واحوال واعمال والشكر والصبر وسائر
المقامات هي كذلك وهذه الثلاثة اذا وزن البعض منها بالبعض لاح للناظرين الى الظواهر ان العلوم
تراد للاحوال والاحوال تراد للاعمال فالاعمال هي الافضل واما ارباب البصائر فالامر عندهم بالعكس
من ذلك فان الاعمال تراد للاحوال والاحوال تراد للعلوم فالافضل العلوم ثم الاحوال ثم الاعمال
لان كل مراد لغيره فذلك الغير لا محالة افضل منه واما آحاد هذه الثلاثة فالاعمال قد تتساوى
وقد تتفاوت اذا اضيف بعضها الى بعض وكذا آحاد الاحوال اذا اضيف بعضها الى بعض وكذا آحاد
المعارف وافضل المعارف علوم المكاشفة وهي ارفع من علوم المعاملة بل علوم المعاملة دون
المعاملة فانما تراد للمعاملة ففائدتها اصلاح العمل وانما فضل العالم بالمعاملة على العابد اذا كان
علمه مما يعم نفعه فيكون بالاضافة الى عمل خاص افضل والا فالعلم القاصر بالعمل ليس بافضل من
العمل التام فنقول فائدة اصلاح العمل اصلاح حال القلب وفائدة اصلاح حال القلب ان ينكشف له
جلال الله تعالى في ذاته وصفاته وافعاله فارفع علوم المكاشفة معرفة الله سبحانه وهي الغاية التي
تطلب لذاتها فان السعادة تنال بها بل هي عين السعادة ولكن قد لا يشعر القلب في الدنيا بانها عين السعادة
وانما يشعر بها في الآخرة فهي المعرفة الحرة التي لا قيد عليها فلا تتقيد بغيرها وكل ما عداها من المعارف
عبيد وخدم بالاضافة اليها فانها انما تراد لاجلها ولما كانت مرادة لاجلها كان تفاوتها بحسب
نفعها في الافضاء الى معرفة الله سبحانه وتعالى فان بعض المعارف يفضي الى بعض اما بواسطة واما
بغير واسطة وكلما كانت الوسائط بينه وبين معرفة الله تعالى اقل فهي افضل واما الاحوال فنعني بها
احوال القلب في تصفيته وتطهيره عن شوائب الدنيا وشواغل الخلق حتى اذا طهر وصفا اتضح له حقيقة الحق
فاذا فضائل الاحوال بقدر تأثيرها في اصلاح القلب وتطهيره واعداده لان تحصل له علوم المكاشفة
وكما ان تصقيل المرآة يحتاج ان يتقدم على تحديد احوال المرآة بعضها اقرب الى الصقالة من بعض فكذلك
احوال القلب فالحالة القريبة او المقربة من صفاء القلب هي افضل مما دونها لا محالة بسبب القرب من
المقصود وهكذا ترتيب الاعمال فانه تأثيرها في تأكيد صفات القلب وجلب الاحوال اليه وكل عمل فاما ان
يجلب اليه حالة مانعة من المكاشفة موجبة ظلمة القلب جاذبة الى زخارف الدنيا واما ان يجلب
اليه حالة مهيئة للمكاشفة موجبة صفاء القلب وقطع علائق الدنيا عنه واسم الاول المعصية واسم
الثاني الطاعة والمعاصي من حيث التأثير في ظلمة القلب وقساوته متفاوتة وكذا الطاعات في
تنوير القلب وتصفيته فدرجاتها بحسب درجات تأثيرها وذلك يختلف باختلاف الاحوال وذلك
انا نقول المطلق ربما قلنا الصلاة النافلة افضل من كل عبادة وان الحج افضل من الصدقة وان
قيام الليل افضل من غيره ولكن التحقيق فيه ان الغني الذي معه مال وقد غلبه البخل وحب المال على
امساكه فاخراج درهم افضل من قيام ليالي وصيام ايام لان الصيام يليق بمن غلبته شهوة البطن فاراد كسرها
او منعه الشبع عن صفاء الفكر في علوم المكاشفة فاراد تصفية القلب بالجوع فاما هذا المدبر اذا لم

يكن حاله هذه الحالة فليس يستضر بشهوة بطنه ولا هو مشتغل بنوع فكر يمنعه الشبع منه فاشتغاله
بالصوم خروج منه عن حاله الى حالة غيره وهو كالمريض الذي يشكو وجع البطن اذا استعمل دواء الصداع
فلا ينتفع به بل حقه ان ينظر في المهلك الذي استولى عليه والشح المطاع من جملة المهلكات ولا يزيل
صيام مائة سنة وقيام الف ليلة منه ذرة بل لا يزيله الا اخراج المال فعليه ان يتصدق بما معه و
تفصيل هذا بما ذكرناه في ربع المهلكات فليرجع اليه فاذا باعتبار هذه الاحوال يختلف وعند ذلك
يعرف البصير ان الجواب المطلق فيه خطأ اذ لو قال قائل الخبز افضل ام الماء لم يكن فيه جواب
حق الا ان الخبز للجائع افضل والماء للعطشان فان اجتمعا نظر الى الاغلب فان كان العطش هو الاغلب فالماء
افضل فان تساويا فهما متساويان وكذا اذا قيل السكنجبين افضل ام شراب اللينوفر لم يصح الجواب عنه
مطلقا نعم لو قيل لنا السكنجبين افضل وعدم الصفرا افضل قلنا عدم الصفرا لان السكنجبين مراد له وما يراد لغيره
فذلك الغير افضل منه لا محالة فاذا في بذل المال العمل هو الانفاق ويحصل منه حال وهو زوال البخل وخروج
حب الدنيا من القلب ويتهيأ القلب بسبب خروج حب الدنيا من القلب لمعرفة الله تعالى وحبه فالافضل
المعرفة ودونها الحال ودونها العمل **فان قلت** فقد حث الشرع على الاعمال وبالغ في ذكر فضلها حتى
طلب الصدقات بقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وقال تعالى ويأخذ الصدقات فكيف لا يكون
الفعل والانفاق هو الافضل **فاعلم** ان الطبيب اذا اثنى على الدواء لم يدل على ان الدواء مراد لعينه او على
انه افضل من الصحة والشفاء الحاصل به ولكن الاعمال علاج لمرض القلوب ومرض القلوب مما لا يشعر به غالبا فهو كبرص
على وجه من لا مرآة معه فانه لا يشعر به ولو ذكر له لا يصدق به فالسبيل معه المبالغة في الثناء على غسل
الوجه بماء الورد مثلا ان كان ماء الورد يزيل البرص حتى يستحثه فرط الثناء على المواظبة عليه فيزول مرض
فانه لو ذكر له ان المقصود زوال البرص عن وجهك ربما ترك العلاج وزعم ان وجهي لا عيب فيه ولنضرب
مثلا اقرب من هذا فنقول من له ولد علمه العلم او القرآن واراد ان تثبت ذلك في حفظه بحيث لا يزول عنه و
علم انه لو امره بالتكرار والدراسة ليبقى محفوظا لقال انه محفوظ ولا حاجة الى تكرار ودراسة لانه يظن
ان ما يحفظه في الحال يبقى كذلك ابدا وكان له عبيد فامر الولد بتعليم العبيد ووعده على ذلك بجميل ليتوفر
داعيته على كثرة التكرار بالتعليم فربما يظن الصبي المسكين ان المقصود تعليم العبيد القرآن ولم قد
استخدم لتعليمهم فيشكل عليه الامر فيقول ما بالي قد استخدمت لاجل العبيد وانا اجل منهم ولم عند
الوالد وهو علم اني لو اردت تعليم العبيد لقدرت عليه دون تكليفي واعلم انه لا نقصان لابي يفتقده هؤلاء العبيد
فضلا عن عدم علمهم بالقرآن فربما يتكاسل هذا المسكين فيترك تعليمهم اعتمادا على استغناء ابيه و
على كرمه في العفو عنه فينسى العلم والقرآن ويبقى مدة محروما من حيث لا يدري وقد انخدع بمثل هذا
الخيال طائفة وسلكوا طريق الاباحة وقالوا ان الله غني عن عبادتنا وعن ان يستقرض منا فاي معنى لقوله
من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ولو شاء الله اطعم المساكين فلا حاجة بنا الى صرف اموالنا اليهم
كما قال تعالى حكاية عن الكفار واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا انطعم
من لو يشاء الله اطعمه وقالوا ايضا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا فانظر كيف كانوا صادقين في كلامهم وكيف
هلكوا بصدقهم فسبحان من اذا شاء اهلك بالصدق واذا شاء اسعد بالجهل يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا
فهؤلاء لما ظنوا انهم مستخدمون لاجل المساكين والفقراء ولاجل الله تعالى ثم قالوا لا حظ لنا في المساكين ولا حظ
لله فينا وفي اموالنا انفقنا او امسكنا هلكوا كما هلك الصبي لما ظن ان مقصود الوالد استخدامه لاجل

العبيد ولم يشعر بانه كان المقصود ثبات صفة العلم في نفسه وتأكده في قلبه حتى يكون ذلك سبب سعادته
في الدنيا فما كان ذلك من الوالد الا تلطفا به في استجراره الى ما فيه سعادته في الدنيا فما كان من الوالد تلطفا
به واستجراره الى ما فيه سعادته فهذا المثال يبين لك ضلال من ضل من هذا الطريق فاذا المسكين
الاخذ لمالك يستوفي بواسطة المال خبث البخل وحب الدنيا من باطنك فانه مهلك لك فهو كالحجام يستخرج
الدم العلة المهلكة من باطنك فالحجام خادم لك لا انت خادم للحجام ولا يخرج الحجام عن كونه خادما بان يكون
له غرض في ان يصنع شيئا بالدم ولما كانت الصدقات مطهرة للبواطن ومزكية لها عن خبائث الصفات
امتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اخذها وانتهى عنها كما نهى عن كسب الحجام وسماها اوساخ اموال
الناس وشرف اهل بيته بالصيانة عنها فالمقصود ان الاعمال مؤثرات في القلب كما سبق في ربع المهلكات
والقلب بحسب تأثيرها يستعد لقبول الهداية ونور المعرفة فهذا هو القول الكلي والقانون
الاصلي الذي ينبغي ان يرجع اليه في معرفة فضائل الاعمال والاحوال والمعارف فلنرجع الان الى خصوص
ما نحن فيه من الشكر والصبر فنقول في كل واحد منهما معرفة وحال وعمل فلا يجوز ان يقابل المعرفة
في احدهما بالحال او العمل في الاخر بل يقابل كل واحد منهما بنظيره حتى يظهر التناسب وبعد التناسب
يظهر الفضل فيهما فمعرفة الشاكر بمعرفة الصابر ربما رجعا الى معرفة واحدة اذ معرفة الشاكر ان
يرى نعمة العينين مثلا من الله ومعرفة الصابر بان يرى العمى من الله وهما معرفتان متلازمتان ومتساويتان
هذا ان اعتبر في البلاء والمصائب وقد بينا ان الصبر قد يكون على الطاعة وعن المعصية وفيهما يتحد
الشكر والصبر لان الصبر على الطاعة هو عين شكر الطاعة لان الشكر يرجع الى صرف نعمة الله تعالى
الى ما هو المقصود منها بالحكمة والصبر يرجع الى ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى فالصبر والشكر
فيهما اسمان لمسمى واحد باعتبارين مختلفين فثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى يسمى صبرا
بالاضافة الى باعث الهوى ويسمى شكرا بالاضافة الى باعث الدين اذ باعث الدين انما خلق لهذه الحكمة فهما
عبارتان عن معنى واحد فكيف يفضل الشيء على نفسه فاذا مجاري الصبر ثلاثة الطاعة والمعصية
والبلاء وقد ظهر حكمهما في الطاعة والمعصية واما البلاء فهو عبارة عن فقد نعمة والنعمة اما ان
يكون نفعا ضروريا كالعينين مثلا واما ان تقع في محل الحاجة كالزيادة على قدر الكفاية من المال
اما العينان فصبر الاعمى عنهما بان لا يظهر الشكوى ويظهر الرضا بقضاء الله تعالى ولا يترخص بسبب العمى
في بعض المعاصي وشكر البصير عليهما من حيث العمل بامرين احدهما ان لا يستعين بهما على معصية والاخر
ان يستعملهما في الطاعة وكل واحد من الامرين لا يخلو عن الطاعة فان الاعمى كفي الصبر عن الصورة
الجميلة لانه لا يراها والبصير اذا وقع بصره على جميل فصبر كان شاكرا لنعمة العينين فقد دخل الصبر
في شكره وكذلك اذا استعان بالعينين على الطاعة فلابد فيه ايضا من صبر على الطاعة ثم قد يشكره
بالنظر الى عجائب صنع الله تعالى ليتوصل به الى معرفة الله ليكون هذا الشكر افضل من الصبر
ولولا هذا لكانت رتبة شعيب مثلا وقد كان ضريرا من الانبياء فوق رتبة موسى عليهما السلام
وغيره لانه صبر على فقد البصر وموسى عليه السلام لم يصبر ولكان الاكمل في الدين ان يسلب الانسان الاطراف
كلها ويترك كلحم على وضم وذلك محال جدا لان كل واحد من هذه الاعضاء آلة في الدين فيفوت بفواتها
ذلك الركن من الدين وشكرها استعمالها فيما هي آلة فيه من الدين وذلك لا يكون الا بصبر واما ما
يقع في محل الحاجة كالزيادة على الكفاية فانه اذا لم يؤت الا قدر الضرورة فهو محتاج الى ما فعله فيجي

الصبر عنه مجاهدة وهو جهاد الفقراء ووجود الزيادة نعمة وشكرها ان يصرف الى الخيرات وان لا يستعمل
في المعصية فان اضيف الصبر الى الشكر الذي هو صرفها الى الطاعة فالشكر افضل لانه يتضمن الصبر ايضا
وفيه فرح بنعمة الله وفيه احتمال الم في صرفه الى الفقراء وترك صرفه الى التنعم المباح وكان الحاصل
يرجع الى شيئين افضل من شيء واحد وان الجملة اعلى رتبة من البعض وهذا فيه خلل اذ لا تتم الموازنة
بين الجملة وبين ابعاضها واما اذا كان شكره بان لا يستعين به على معصيته بل يصرفه الى التنعم المباح
فالصبر هاهنا افضل من الشكر والفقير الصابر افضل من الغني الممسك ماله الصارف له الى المباحات
لا من الغني الصارف ماله الى الخيرات لان الفقير قد جاهد نفسه وكسر نهمتها واحسن الرضا على بلاء
الله تعالى وهذه الحالة تستدعي لا محالة قوة والغني اتبع نهمته واطاع شهوته ولكنه اقتصر على
المباح والمباح مندوحة عن الحرام ولكن لا بد من قوة في الصبر عن الحرام ايضا الا ان القوة التي عنها
يصدر صبر الفقير اعلى واتم من القوة التي يصدر عنها الاقتصار في التنعم على المباح والشرف لتلك القوة التي
يدل العمل عليها فان الاعمال لا تراد الا لاحوال القلب وتلك القوة حالة للقلب تختلف بحسب قوة اليقين
والايمان فما دل على زيادة قوة في الايمان فهو افضل لا محالة وجميع ما ورد من تفضيل اجر الصبر على اجر الشكر
في الآيات والاخبار انما اريد به هذه الرتبة على الخصوص لان السابق الى الافهام السابق من النعمة الاموال
والغنى بها والسابق الى الافهام من الشكر ان يقول الانسان الحمد لله ولا يستعين بالنعمة على المعصية
لا ان يصرفها الى الطاعة فاذا الصبر افضل من الشكر اي الصبر الذي تفهمه العامة افضل من الشكر
الذي يفهمه العامة والى هذا المعنى على الخصوص اشار الجنيد رحمه الله حيث سئل عن الصبر والشكر
ايهما افضل فقال ليس مدح الغني بالوجود ولا مدح الفقير بالعدم وانما المدح في الاثنين قيامهما بشروط
ما عليهما فشرط الغني يصحبه فيما عليه اشياء تلائم صفته وتمتعها وتلذذها والفقير يصحبه فيما عليه
اشياء تؤلم صفته وتقبضها وتزعجها فاذا كان الاثنان قائمين لله عز وجل بشرط ما عليهما كان الذي
آلم صفته وازعجها اتم حالا ممن متع صفته ونعمها والامر على ما قاله وهو صحيح من جملة اقسام الصبر
والشكر في القسم الاخير الذي ذكرناه وهو لم يرد سواه ويقال كان ابو العباس ابن عطاء قد خالفه في ذلك
وقال الغني الشاكر افضل من الفقير الصابر فدعا عليه الجنيد فاصابه ما اصابه من البلاء من قتل
اولاده وتلف ماله وزوال عقله اربع عشرة سنة فكان يقول دعوة الجنيد اصابتني ورجع الى
تفضيل الفقير الصابر على الغني الشاكر ومهما لاحظت المعاني التي ذكرناها علمت ان لكل واحد من
القولين وجها في بعض الاحوال فرب فقير صابر افضل من غني شاكر كما سبق ورب غني شاكر افضل من
فقير صابر وذلك هو الغني الذي يرى نفسه مثل الفقير اذ لا يمسك لنفسه من المال الا قدر الضرورة
والباقي يصرفه الى الخيرات او يمسكه على اعتقاد انه خازن للمحتاجين والمساكين وانما ينتظر حاجة
تنخ حتى يصرف الى المهم اذا صرف لم يصرفه لطلب جاه وصيت ولا تقلد منه بل اداء لحق الله تعالى
في تفقد عباده فهذا افضل من الصابر **فان قلت** فهذا لا يثقل على النفس والفقير يثقل عليه
الفقر لان هذا يستشعر لذة القدرة وذاك يستشعر الم الصبر فان كان هذا يتألم بفراق المال فيتسلى عن
ذلك بلذته في القدرة على الانفاق فاعلم ان الذي يسخو بان ينفق ماله عن طيبة وطيب نفس
اكمل حالا ممن ينفقه وهو بخيل به وانما ينتزعه عن نفسه قهرا وقد ذكرنا تفصيل هذا فيما سبق من كتاب
التوبة فايلام النفس ليس مطلوبا لعينه بل للتأديب بها وذلك يضاهي ضرب كلب الصيد والكلب المتأدب

اكمل من الكلب المحتاج الى الضرب وان كان صابرا على الضرب ولذلك يحتاج الى الايلام والمجاهدة في
البداية ولا يحتاج اليه في النهاية بل النهاية ان يصير ما كان مؤلما في حقه لذيذا عنده كما يصير التعلم
عند الصبي العاقل لذيذا بعد ان كان مؤلما له اولا ولكن لما كان الناس كلهم الا الاقلين في البداية
بل البداية تكتنفهم كالصبيان اطلق الجنيد القول بان الذي يؤلم صفته افضل وهو كما قال صحيح فيما
اراده من عموم الخلق فاذا ادركت لا تفصل الجواب مطلقا لا رادة الاكثر فاطلق القول بان الصبر
افضل من الشكر فانه صحيح بالمعنى السابق الى الافهام فاما اذا اردت التفصيل فتفصيل فان للصبر درجات
اعلاها ترك الشكوى مع الكراهة ووراءها الرضى وهو مقام وراء الصبر ووراءه الشكر على البلاء وهو وراء
الرضى اذ الصبر مع التألم والرضى يمكن بما لا الم فيه ولا فرح والشكر لا يمكن الا على محبوب مفروح به
وكذلك الشكر درجات كثيرة ذكرنا اقصاها ويدخل في جملتها امور دونها كحياء العبد من تتابع نعم
الله عليه شكر ومعرفته بتقصيره عن الشكر شكر والاعتذار من قلة الشكر شكر والمعرفة بعظيم حلم الله
وكنف ستره شكر والاعتراف بان النعم ابتداء من الله من غير استحقاق شكر والعلم بان الشكر ايضا
نعمة من نعم الله وموهبة منه شكر وحسن التواضع بالنعم والتذلل فيها شكر وشكر الوسائط شكر
اذ قال عليه السلام من لم يشكر الناس لم يشكر الله وقد ذكرنا حقيقة ذلك في كتاب اسرار الزكاة و
قلة الاعتراض وحسن الادب بين يدي المنعم شكر وتلقي النعم بحسن القبول واستعظام صغيرها شكر
وما يندرج من الاعمال والاحوال تحت اسم الشكر والصبر لا ينحصر احادها وهي درجات مختلفة فكيف يمكن
اجمال القول بتفضيل احدهما على الآخر الا على سبيل ارادة الخصوص باللفظ العام كما ورد في الاخبار والآثار
وقد روي عن بعضهم انه قال رايت في بعض الاسفار شيخا كبيرا قد طعن في السن فسألته عن حاله
فقال اني كنت في ابتداء عمري اهوى ابنة عم لي وهي كذلك كانت تهواني فاتفق انها زوجت مني فليلة
زفافها قلت تعالي حتى نحيي هذه الليلة شكرا لله على ما جمعنا فصلينا تلك الليلة ولم يتفرغ احدنا لصاحبه فلما
كانت الليلة الثانية قلنا مثل ذلك فصلينا طول الليل فمنذ سبعين او ثمانين سنة نحن على تلك
الحالة كل ليلة اليس كذلك يا فلانة فقالت العجوز هو كما يقول الشيخ فانظر اليهما لو صبرا على بلاء الفرقة
ان لو لم يجمع الله بينهما وانتسب صبرا لفرقة الى الشكر الوصال على هذا الوجه فلا يخفى عليك ان هذا
الشكر افضل فاذا لا وقوف على حقائق الفضائل الا بتفصيل كما سبق والله اعلم تم كتاب الصبر و
الشكر وهو الكتاب الثاني من ربع المنجيات من كتاب احياء علوم الدين للامام ابي حامد الغزالي رضي الله
عنه والحمد لله وحده ويتلوه ان شاء الله تعالى كتاب الرجاء والخوف وهو الكتاب الثالث من ربع
المنجيات من كتاب احياء علوم الدين للامام ابي حامد الغزالي رضي الله عنه ونفع بعلومه المسلمين اجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله المرجو لطفه وثوابه المخوف مكره وعقابه الذي عمر قلوب اوليائه بروح رجائه حتى ساقهم
بلطف آلائه الى النزول بفنائه والعدول عن دار بلائه التي هي مستقر اعدائه وضرب بسياط التخويف
وزجر العنيف وجوه المعرضين عن حضرته الى دار ثوابه وكرامته وصدهم عن التعرض لاثمه والتهدف
لسخطه ونقمته قودا لاصناف الخلق بسلاسل القهر والعنف وازمة الرفق واللطف الى جنته

والصلاة على سيدنا محمد سيد انبيائه وخير خليقته وعلى آله واصحابه وعترته **اما بعد** فان
الرجا والخوف جناحان بهما يطير المقربون الى كل مقام محمود ومطيتان بهما يقطع من طرق الآخرة كل عقبة كؤود
فلا يقود الى قرب الرحمن وروح الجنان مع كونه بعيد الارجا ثقيل الاعبا محفوفا بمكاره القلوب ومشاق
الجوارح والاعضا الا ازمة الرجا ولا يصد عن نار الجحيم والعذاب الاليم مع كونه محفوفا بلطائف الشهوات
وعجائب اللذات الا سياط التخويف وسطوات التعنيف فلا بد اذن من بيان حقيقتهما وفضيلتهما
وسبيل التوصل الى الجمع بينهما مع تضادهما وتعاندهما ونحن نجمع ذكرهما في كتاب واحد يشتمل
على شطرين **الشطر الاول** في الرجا **الشطر الثاني** في الخوف **اما الشطر الاول** فيشتمل على بيان
حقيقة الرجا وبيان فضيلة الرجا وبيان دوا الرجا والطريق الذي به يجتلب الرجا

بيان حقيقة الرجا

اعلم ان الرجا من مقام السالكين واحوال الطالبين وانما يسمى الوصف مقاما اذا ثبت واقام وانما يسمى حالا
اذا كان عارضا سريع الزوال وكما ان الصفرة تنقسم الى ثابتة كصفرة الذهب والى سريع الزوال كصفرة
الوجل والى ما هو بينهما كصفرة المريض فكذلك صفات القلب تنقسم هذه الاقسام فالذي هو غير ثابت
يسمى حالا لانه يحول على القرب وهذا جار في كل وصف من اوصاف القلب وغرضنا الآن حقيقة الرجا فالرجا
ايضا يتم من حال وعلم وعمل فالعلم سبب يثمر الحال والحال يقتضي العمل وكان الرجا اسم الحال من جملة الثلاثة
وبيانه ان كل ما يلاقيك من مكروه ومحبوب فينقسم الى موجود في الحال والى موجود فيما مضى والى منتظر
في الاستقبال فاذا خطر ببالك موجود فيما مضى سمي ذكرا وتذكرا وان كان ما خطر بقلبك موجودا في الحال سمي
وجدا وذوقا وادراكا وانما سمي وجدا لانها حالة تجدها من نفسك وان كان قد خطر ببالك وجود شي
في الاستقبال وغلب ذلك على قلبك سمي انتظارا وتوقعا فان كان المنتظر مكروها حصل منه الم في القلب
يسمى خوفا واشفاقا وان كان محبوبا حصل من انتظاره وتعلق القلب به واخطار وجوده بالبال لذة في القلب
وارتياح يسمى ذلك الارتياح رجا فالرجا هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده ولكن ذلك المحبوب المتوقع
لا بد ان يكون له سبب فان كان انتظاره لاجل حصول اكثر اسبابه فاسم الرجا عليه صادق وان كان ذلك
انتظارا مع انخرام اسبابه واضطرابها فاسم الغرور والحمق عليه اصدق على انتظاره لانه انتظار من غير سبب
وعلى كل حال فلا يطلق اسم الرجا والخوف الا على ما يتردد فيه اما ما يقطع به فلا اذ لا يقال ارجو طلوع الشمس
وقت الطلوع واخاف غروبها وقت الغروب لان ذلك مقطوع به نعم يقال ارجو نزول المطر واخاف انقطاعه
وقد علم ارباب القلوب ان الدنيا مزرعة الآخرة والقلب كالارض والايمان كالبذر فيه والطاعات جارية
مجرى تقليب الارض وتطهيرها ومجرى حفر الانهار وسياقة الما اليها والقلب المستهتر بالدنيا المستغرق
بها كالارض السبخة التي لا ينمو فيها البذر ويوم القيمة يوم الحصاد ولا يحصد احد الا ما زرع ولا ينمو زرع
الا من بذر الايمان وقل ما ينفع ايمان مع خبث القلب وسوء اخلاقه كما لا ينمو بذر في ارض سبخة فينبغي
ان يقاس رجا العبد المغفرة برجا صاحب الزرع فكل من طلب ارضا طيبة والقى فيها بذرا جيدا غير
عفن ولا مسوس ثم امده بما يحتاج اليه وهو سوق الما اليه في اوقاته ثم نقى الارض عن الشوك والحشيش
وكل ما يمنع نبات البذر او يفسده ثم جلس منتظرا من فضل الله دفع الصواعق والآفات المفسدة الى
ان يتم الزرع ويبلغ غايته سمي انتظاره رجا وان بث البذر في ارض صلبة سبخة مرتفعة لا ينصب اليها الما ولم
يشتغل بتعهد البذر اصلا ثم انتظر الحصاد منه سمي انتظاره حمقا وغرورا لا رجا وان بث البذر في ارض
طيبة ولكن لا ما لها واخذ ينتظر مياه الامطار حيث لا تغلب الامطار ولا تمتنع ايضا سمي انتظاره تمنيا لا رجا

فاذا اسم الرجا انما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع اسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق الا
ما ليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات فالعبد اذا بث بذر الايمان
وسقاه بما الطاعات وطهر القلب عن شوك الاخلاق الردية وانتظر من فضل الله تعالى تثبيته على ذلك الى الموت
وحسن الخاتمة المفضية الى المغفرة كان انتظاره رجا حقيقيا محمودا في نفسه باعثا له على المواظبة والقيام بمقتضى
الايمان في اتمام اسباب المغفرة الى الموت وان قطع عن بذر الايمان تعهده بما الطاعات ثم انتظر المغفرة فانتظاره
حمق وغرور قال صلى الله عليه وسلم الاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله **وقال** تعالى فخلف من بعدهم خلف
اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا وقال تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون
عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وذم الله تعالى صاحب البستان اذ دخل جنته وقال ما اظن ان تبيد هذه
ابدا وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا فاذا العبد المجتهد في الطاعات
المجتنب للمعاصي حقيق بان ينتظر من فضل الله تمام النعمة وما تمام النعمة الا بدخول الجنة واما العاصي فاذا تاب
وتدارك جميع ما فرط منه من تقصير فحقيق بان يرجو قبول التوبة واما قبول التوبة اذا كان كارها للمعصية
تسوؤه السيئة وتسره الحسنة وهو يذم نفسه ويلومها ويشتهي التوبة ويشتاق اليها فحقيق بان يرجو
من الله تعالى التوفيق للتوبة لان كراهته للمعصية وحرصه على التوبة يجري مجرى السبب الذي قد يفضي
الى التوبة وانما الرجا بعد تاكد الاسباب ولذلك قال الله تعالى ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا
في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله معناه اولئك يستحقون ان يرجوا وما اراد به تخصيص وجود الرجا لان غيرهم ايضا
قد يرجو ولكن خصص بهم استحقاق الرجا فاما من ينهمك فيما يكرهه الله تعالى ولا يذم نفسه عليه ولا يعزم على التوبة
والرجوع فرجاؤه المغفرة حمق كرجا من بث البذر في ارض سبخة وعزم على ان لا يتعهده بسقي ولا تنقية وقال يحيى بن
معاذ من اعظم الاغترار عندي التمادي في الذنوب على رجا العفو من غير ندامة وتوقع القرب من الله عز وجل
بغير طاعة وانتظار زرع الجنة ببذر النار وطلب دار المطيعين بالمعاصي وانتظار الجزا بغير عمل والتمني
على الله عز وجل مع الافراط **شعر** ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ان السفينة لا تجري على اليبس فاذا عرفت حقيقة
الرجا ومظنته فقد علمت انها حالة اثمرها العلم بجريان اكثر الاسباب وهذه الحالة تثمر الجهد للقيام ببقية الاسباب
على حسب الامكان فان من حسن بذره وطابت ارضه وغزر ماؤه صدق رجاؤه ولا يزال يحمله صدق الرجا على تفقد
الارض وتعهدها وتنحية كل حشيش ينبت فيها فلا يفتر عن تعهدها اصلا الى وقت الحصاد وهذا لان الرجا يضاده
الياس والياس يمنع من التعهد فمن عرف ان الارض سبخة وان الما معوز وان البذر لا ينبت فيترك لا محالة تفقد
الارض والتعب في تعهدها والرجا محمود لانه باعث والياس مذموم وهو ضده لانه صارف عن العمل والخوف
ليس بضد للرجا بل هو رفيق له كما سياتي بيانه بل هو باعث آخر بطريق الرهبة كما ان الرجا باعث بطريق الرغبة
فاذا حال الرجا يورث طول المجاهدة بالاعمال والمواظبة على الطاعات كيف ما تقلبت الاحوال ومن آثاره التلذذ
بدوام الاقبال على الله والتنعم بمناجاته والتلطف في التملق له فان هذه الاحوال لا بد ان يظهر على كل من يرجو
ملكا من الملوك او شخصا من الاشخاص فكيف لا يظهر ذلك في حق الله تعالى فان كان ذلك لا يظهر فليستدل به على
الحرمان عن مقام الرجا والنزول في حضيض الغرور والتمني فهذا هو البيان لحال الرجا ولما اثمره من العلم ولما استثمر
منه من العمل ويدل على اثماره لهذه الاعمال حديث زيد الخيل اذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم جئت لاسالك
عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد **فقال** كيف اصبحت قال اصبحت احب الخير واهله
واذا قدرت على شي منه سارعت اليه وايقنت بثوابه واذا فاتني شي منه حزنت عليه وحننت اليه **فقال** هذه علامة

الله فمن يريد ولا أدري بالأخرى فيأتك الهائم لا يبالي في أي أوديتها هلكت فقد ذكر صلى الله عليه وسلم ولله
من أرسل به الخير فمن ابتغى أن يكون مراده الخير من غير هذه العلامات فهو مغرور **بيان فضيلة الرجا**
والترغيب فيه اعلم أن العمل على الرجا أعلى منه على الخوف لأن أقرب العباد إلى الله تعالى أحبهم له والحب
يغلب بالرجا اعتبر ذلك بملكين يخدم أحدهما خوفا من عقابه والآخر رجاء لثوابه ولذلك ورد في الرجا وحسن
الظن رغائب لا سيما في وقت الموت قال الله تعالى لا تقنطوا من رحمة الله فحرم أصل الياس وفي أخبار يعقوب أن
الله تعالى أوحى إليه أتدري لم فرقت بينك وبين يوسف لقولك أخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون لم خفت
الذئب ولم ترجني ولم نظرت إلى غفلة إخوته ولم تنظر إلى حفظي له **وقوله** صلى الله عليه وسلم لا يموتن
أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله وقوله عليه السلام يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ودخل
صلى الله عليه وسلم على رجل وهو في النزع فقال كيف تجدك فقال أجدني أخاف ذنوبي وأرجو رحمة ربي **فقال**
صلى الله عليه وسلم ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن إلا أعطاه الله ما رجا وأمنه مما يخاف وقال علي
رضي الله عنه لرجل أخرجه الخوف إلى القنوط لكثرة ذنوبه يا هذا إياسك من رحمة الله أعظم من ذنوبك
قال سفيان من أذنب ذنبا فعلم أن الله تعالى قدره عليه ورجا غفرانه غفر الله له ذنبه قال لأن الله عز وجل عير
قوما فقال وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم وقال تعالى وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا وقال صلى الله
عليه وسلم إن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة ما منعك إذ رأيت المنكر أن تنكره فإن لقنه الله حجته قال
يا رب رجوتك وخفت الناس قال فيقول الله عز وجل قد غفرته لك **وفي الخبر** الصحيح أن رجلا كان
يداين الناس فيتسامح ويتجاوز عن المعسر فلقي الله تعالى ولم يعمل خيرا قط فقال الله عز وجل من أحق بذلك منا فعفا
عنه لحسن ظنه ورجائه أنه يعفو عنه مع إفلاسه عن الطاعات وقال الله تعالى إن الذين يتلون كتاب
الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم إلى الصعدات تلدمون صدوركم وتجأرون إلى ربكم فهبط
جبريل فقال إن ربك عز وجل يقول لم تقنط عبادي فخرج عليهم ورجاهم وشوقهم **وفي الخبر** أن الله تعالى
أوحى إلى داود عليه السلام أحبني وأحب من يحبني وحببني إلى خلقي فقال يا رب كيف أحببك إلى خلقك قال اذكرني
بالحسن الجميل واذكر آلائي وإحساني وذكرهم ذلك فإنهم لا يعرفون مني إلا الجميل ورؤي أبان بن أبي عياش في النوم وكان يكثر
ذكر أبواب الرجا فقال أوقفني الله تعالى بين يديه فقال ما الذي حملك على ذلك فقلت أردت أن أحببك إلى خلقك
فقال قد غفرت لك **وروي** يحيى بن أكثم في النوم بعد موته فقيل له ما فعل الله بك فقال أوقفني بين يديه
وقال يا شيخ فعلت وفعلت قال فأخذني من الرعب ما يعلم الله ثم قلت يا رب ما هكذا حدثت عنك قال فما حدثت
عني فقلت حدثني عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن أنس عن نبيك صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام أنك
قلت أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء وكنت أظن بك أنك لا تعذبني فقال الله عز وجل صدق جبريل وصدق نبيي وصدق
أنس وصدق الزهري وصدق معمر وصدق عبد الرزاق وصدقت قال فألبست ومشى بين يدي الولدان إلى الجنة
فقلت يا لها من فرحة **وفي الخبر** أن رجلا من بني إسرائيل كان يقنط الناس ويشدد عليهم قال فيقول الله عز وجل
اليوم أؤيسك من رحمتي كما كنت تقنط عبادي منها وقال النبي صلى الله عليه وسلم إن رجلا يدخل النار فيمكث فيها
ألف سنة ينادي يا حنان يا منان فيقول الله تعالى لجبريل اذهب فأتني بعبدي قال فيجيء به فيوقفه على ربه
فيقول الله تعالى كيف وجدت مكانك فيقول شر مكان فيقول ردوه إلى مكانه قال فيمشي ويلتفت إلى ورائه
فيقول الله عز وجل إلى أي شيء تلتفت فيقول لقد رجوت أن لا تعيدني إليها بعد إذ أخرجتني منها فيقول الله تعالى

اذهبوا به إلى الجنة فدل هذا على أن رجاه كان سبب نجاته **بيان دوا الرجا والسبيل الذي يحصل**
منه حال الرجا ويغلب اعلم أن هذا الدوا يحتاج إليه أحد رجلين إما رجل غلب عليه الياس فترك
العبادة وإما رجل غلب عليه الخوف فأسرف في المواظبة على العبادة حتى أضر بنفسه وأهله وهذان رجلان
مائلان عن الاعتدال إلى طرفي الإفراط والتفريط فيحتاجان إلى علاج يردهما إلى الاعتدال فأما العاصي المغرور
المتمني على الله عز وجل مع الإعراض عن العبادة واقتحام المعاصي فأدوية الرجا تنقلب سموما في حقه وتتنزل
منزلة العسل الذي هو شفاء لمن غلب عليه البرد وهو سم مهلك لمن غلب عليه الحرارة بل المغرور لا يستعمل في
حقه إلا أدوية الخوف والأسباب المهيجة له فلهذا يجب أن يكون واعظ الخلق متلطفا ناظرا إلى مواقع
العلل معالجا لكل علة بما يضادها لا بما يزيد فيها فإن المطلوب هو العدل والقصد في الصفات والأخلاق
كلها وخير الأمور أوساطها فإذا جاوز الوسط إلى أحد الطرفين عولج بما يرده إلى الوسط لا بما يزيد في ميله عن
الوسط وهذا الزمان زمان لا ينبغي أن يستعمل فيه مع الخلق أسباب الرجا بل المبالغة في التخويف أيضا
تكاد أن لا تردهم إلى جادة الحق وسنن الصواب فأما ذكر أسباب الرجا فيهلكهم ويرديهم بالكلية ولكنها
لما كانت أخف على القلوب وألذ عند النفوس ولم يكن غرض الوعاظ إلا استمالة القلوب واستنطاق
الخلق بالثناء كيفما كانوا مالوا إلى الرجا حتى ازداد الفساد فسادا وازداد المنهمكون في طغيانهم تماديا قال
علي كرم الله وجهه إنما العالم الذي لا يقنط الناس من رحمة الله ولا يؤمنهم من مكر الله ونحن نذكر أسباب الرجا
ليستعمل في حق الآيس أو في حق من غلب عليه الخوف اقتداء بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فإنهما
مشتملان على الخوف والرجا جميعا لأنهما جامعان لأسباب الشفا في حق أصناف المرضى ليستعمله العلماء
الذين هم ورثة الأنبيا بحسب الحاجة استعمال الطبيب الحاذق لا استعمال الأخرق الذي يظن أن كل شيء من
الأدوية صالح لكل مريض كيفما كان وحال الرجا يغلب بشيئين أحدهما الاعتبار والآخر استقراء الآيات و
الأخبار والآثار أما الاعتبار فهو أن يتأمل جميع ما ذكرناه في أصناف النعم من كتاب الشكر حتى إذا علم لطائف
نعم الله لعباده في الدنيا وعجائب حكمه التي راعاها في فطرة الإنسان حتى أعد له في الدنيا كل ما هو ضروري
له في دوام الوجود كآلات الغذاء وما هو محتاج إليه كالأصابع والأظفار وما هو زينة كاستقواس الحاجبين
واختلاف ألوان العينين وحمرة الشفتين وغير ذلك مما كان لا ينثلم بفقده غرض مقصود وإنما كان يفوت
به مزية جمال فالعناية الإلهية إذا لم تقصر عن عباده في أمثال هذه الدقائق حتى لم يرض لعباده أن تفوتهم
الزوائد والمزايا في الزينة والحاجة كيف يرضى بسياقتهم إلى الهلاك المؤبد بل إذا نظر الإنسان نظرا
شافيا علم أن أكثر الخلق قد هيئ له أسباب السعادة في الدنيا والآخرة حتى إنه يكره الانتقال من الدنيا بالموت وإن
أخبر بأنه لا يعذب بعد الموت أبدا أو لا يحشر أصلا فليس كراهتهم للعدم إلا لأن أسباب النعم أغلب ولا
محالة فإنما الذي يتمنى الموت نادر ثم لا يتمناه إلا في حالة نادرة وواقعة هائلة غريبة فإذا كان حال أكثر الخلق في
الدنيا الغالب عليه الخير والسلامة وسنة الله تعالى لا تجد لها تبديلا فالغالب أن أمر الآخرة هكذا يكون
لأن مدبر الدنيا والآخرة واحد وهو غفور رحيم لطيف بعباده متعطف عليهم فهذا إذا تؤمل حق التأمل قوي
به أسباب الرجا ومن الاعتبار أيضا النظر في حكمة الشريعة وسننها في مصالح الدنيا ووجه الرحمة للعباد
بها حتى كان بعض العارفين يرى آية المداينة في سورة البقرة من أقوى أسباب الرجا فقيل له وما فيها من الرجا
فقال الدنيا كلها قليل ورزق الإنسان منها قليل والدين قليل من رزقه فانظر كيف أنزل الله تعالى فيه أطول
آية ليهدي عبده إلى طريق الاحتياط في حفظ دينه فكيف لا يحفظ دينه الذي لا عوض له منه **الفن**

الثاني استقراء الآيات والاخبار فما ورد من الرجاء خارج عن الحصر اما الآيات فقد قال الله تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يبالي انه هو الغفور الرحيم وقال تعالى والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض واخبر تعالى ان النار ما اعدها الا لاعدائه وانما خوف بها اولياءه فقال لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده وقال تعالى واتقوا النار التي اعدت للكافرين وقال تعالى فانذرتكم نارا تلظى لا يصليها الا الاشقى الذي كذب وتولى وقال وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل يسأل في امته حتى قيل له وقد انزلت عليك هذه الآية وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وفي تفسير قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال لا يرضى محمد وواحد من امته في النار **وكان** ابو جعفر محمد بن علي يقول انتم اهل العراق تقولون ارجى آية في كتاب الله عز وجل قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ونحن اهل البيت نقول ارجى آية في كتاب الله ولسوف يعطيك ربك فترضى واما الاخبار فقد روى ابو موسى عنه صلى الله عليه وسلم امتي امة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة عجل عقابها في الدنيا الزلازل والفتن فاذا كان يوم القيمة دفع الى كل رجل من امتي رجل من اهل الكتاب فقيل هذا فداؤك من النار وفي لفظ آخر يأتي كل رجل من هذه الامة بيهودي او نصراني الى جهنم فيقول هذا فدائي من النار فيلقى فيها **وقال** صلى الله عليه وسلم الحمى من فيح جهنم وهي حظ المؤمن من النار **وروي** في تفسير قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه ان الله تعالى اوحى الى نبيه عليه السلام اني اجعل حساب امتك اليك فقال لا يا رب انت خير لهم مني فقال اذا لا اخزيك فيهم **وروي** عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه في ذنوب امته فقال يا رب اجعل حسابهم الي لئلا يطلع على مساويهم غيري فاوحى الله تعالى اليه هم امتك وهم عبادي وانا ارحم بهم منك لا اجعل حسابهم الى غيري لئلا تنظر مساويهم انت ولا غيرك **وقال** صلى الله عليه وسلم حياتي خير لكم ومماتي خير لكم اما حياتي فاسن لكم السنن واشرع لكم الشرائع واما موتي فان اعمالكم تعرض علي فما رأيت منها حسنا حمدت الله تعالى وما رأيت منها سيئا استغفرت الله لكم **وقال** صلى الله عليه وسلم يوما يا كريم العفو فقال جبرئيل عليه السلام تدري ما تفسير يا كريم العفو هو ان عفا عن السيئات برحمته ثم بدلها حسنات بكرمه وسمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يقول اللهم اني اسألك تمام النعمة فقال هل تدري ما تمام النعمة قال لا قال دخول الجنة فقال العلماء قد تمت علينا بارضاه الاسلام اذ قال تعالى واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وفي الخبر اذا اذنب العبد فاستغفر يقول الله عز وجل لملائكته انظروا الى عبدي اذنب ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب اشهدكم اني قد غفرت له **وفي الخبر** لو لقيني عبدي بقراب الارض ذنوبا للقيته بقراب الارض مغفرة وفي الحديث ان الملك ليرفع القلم عن العبد ست ساعات فان تاب واستغفر لم يكتبه عليه والا كتبها سيئة وفي لفظ آخر فاذا كتبها وعمل حسنة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال وهو امير عليه الق هذه السيئة حتى القي من حسناته واحدة من تضعيف العشر وارفع له تسع حسنات فتلقى عنه هذه السيئة **وروي** انس في حديث انه عليه السلام قال اذا اذنب العبد ذنبا كتب عليه فقال الاعرابي فان تاب عنه قال محي عنه قال فان عاد قال عليه السلام يكتب عليه فقال الاعرابي فان تاب قال محي من صحيفته قال الى متى قال الى ان يستغفر ويتوب الى الله عز وجل ان الله عز وجل لا يمل من المغفرة حتى يمل العبد من الاستغفار فاذا هم العبد بحسنة كتبها صاحب اليمين حسنة قبل ان يعملها فان عملها كتبت عشر حسنات ويضاعفها الله عز وجل الى سبعمائة ضعف واذا هم بخطيئة لم يكتب عليه فان عملها كتبت خطيئة واحدة ووراءها حسن عفو الله عز وجل وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني لا اصوم الا الشهر لا ازيد ولا اصلي الا الخمس لا ازيد عليها وليس لله في مالي صدقة ولا حج ولا تطوع اين انا اذا مت فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال نعم معي اذا حفظت قلبك من اثنتين الغل والحسد ولسانك من اثنتين الغيبة والكذب وعينيك من اثنتين النظر الى ما حرم الله وان تزدري بهما مسلما دخلت معي الجنة على راحتي هاتين وفي الحديث الطويل لانس ان الاعرابي قال يا رسول الله من يلي حساب الخلق فقال الله تبارك وتعالى قال هو بنفسه قال نعم قال فتبسم الاعرابي فقال صلى الله عليه وسلم مم ضحكت يا اعرابي فقال ان الكريم اذا قدر عفا واذا حاسب سامح فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق الاعرابي لا كريم اكرم من الله تعالى هو اكرم الاكرمين ثم قال فقه الاعرابي وفيه ايضا ان الله تعالى شرف الكعبة وعظمها ولو ان عبدا هدمها حجرا حجرا ثم احرقها ما بلغ جرم من استخف بولي من اولياء الله عز وجل قال الاعرابي ومن اولياء الله قال المؤمنون كلهم اولياء الله اما سمعت قول الله عز وجل الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وفي بعض الاخبار المؤمن افضل من الكعبة والمؤمن طيب طاهر والمؤمن اكرم على الله تعالى من الملائكة وفي الخبر خلق الله تعالى جهنم من فضل رحمته سوطا يسوق الله به عباده الى الجنة وفي خبر آخر يقول الله عز وجل انما خلقت الخلق ليربحوا علي ولم اخلقهم لاربح عليهم وفي حديث ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خلق الله تعالى شيئا الا جعل له ما يغلبه وجعل رحمته تغلب غضبه وفي الخبر المشهور ان الله تعالى كتب على نفسه قبل ان يخلق الخلق ان رحمتي تغلب غضبي **وعن** معاذ بن جبل وانس بن مالك انه صلى الله عليه وسلم قال من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة ومن كان آخر كلامه قول لا اله الا الله لم تمسه النار ومن لقي الله لا يشرك به شيئا حرمت عليه النار ولا يدخلها من في قلبه وزن ذرة من ايمان وفي خبر آخر لو علم الكافر سعة رحمة الله ما ايس من جنته احد ولما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ان زلزلة الساعة شيء عظيم قال اتدرون اي يوم هذا يوم يقال لآدم عليه السلام قم فابعث بعث النار من ذريتك فيقول كم فيقال من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار وواحد الى الجنة قال فابلس القوم وجعلوا يبكون وتعطلوا يومهم عن الاشتغال والعمل فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما لكم لا تعملون فقالوا ومن يشتغل بعمل بعد ما حدثتنا بهذا فقال كم انتم في الامم اين تاويل وتاريس ومنسك وياجوج وماجوج امم لا يحصيها الا الله عز وجل ما انتم في سائر الامم الا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الاسود وكالرقمة في ذراع الدابة فانظر كيف كان يسوق الخلق بسياط الخوف فلما خرج ذلك بهم عن حد الاعتدال الى افراط الياس رد لهم بدواء الرجاء وردهم الى الاعتدال والقصد ولا حصر لكن منا قضا للاول ولكن ذكر في اوله ما رأى سبب الشفاء واقتصر عليه فلما احتاج الى المعالجة بالرجاء ذكر تمام الامر فعلى الواعظ ان يقتدي بسيد الوعاظ ان يتلطف في استعمال اخبار الخوف والرجاء بحسب الحاجة بعد ملاحظة العلل الباطنة وان لم يراع ذلك كان ما يفسد بوعظه اكثر مما يصلح وفي الخبر لو لم تذنبوا لخلق الله تعالى خلقا يذنبون ليغفر لهم وفي لفظ آخر لذهب بكم وجاء بخلق يذنبون فيغفر لهم انه هو الغفور الرحيم وفي الخبر لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو شر من الذنب قيل ما هو قال العجب **وقال** صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لله ارحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها وفي الخبر ليغفرن الله تعالى يوم القيمة مغفرة ما خطرت قط على قلب احد حتى ان ابليس ليتطاول لها رجاء ان تصيبه وفي الخبر ان لله تعالى مائة رحمة ادخر منها عنده تسعة وتسعين رحمة واظهر منها في الدنيا رحمة واحدة فيها يتراحم الخلق فتحن الوالدة الى ولدها وتعطف البهيمة على ولدها فاذا كان يوم القيمة ضم هذه الرحمة الى التسع والتسعين ثم بسطها على جميع خلقه وكل رحمة منها طباق السموات والارض قال فلا يهلك على الله تعالى يوم القيمة الا هالك وفي الخبر ما منكم من احد يدخله عمله الجنة ولا ينجيه من النار قالوا ولا انت قال ولا انا الا ان يتغمدني الله

بحجته وقال عليه السلام اعملوا وابشروا واعلموا ان احدا لن ينجيه عمله وقال صلى الله عليه وسلم اني
اختبأت شفاعتي لاهل الكبائر من امتي اترونها للمطيعين المتقين بل هي للمخلطين المتلوثين وقال عليه السلام
بعثت بالحنيفية السمحة السهلة وقال عليه السلام احب ان يعلم اهل الكتابين ان في ديننا سماحة ويدل على
معنا استجابة الله تعالى للمؤمنين في قولهم ولا تحمل علينا اصرا وقال ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت
عليهم وروى محمد بن الحنفية عن علي كرم الله وجهه قال لما نزل قوله تعالى فاصفح الصفح الجميل قال يا جبريل وما
الصفح الجميل قال اذا عفوت عمن ظلمك فلا تعاتبه فقال يا جبريل فالله اكرم من ان يعاتب من عفا عنه فبكى جبريل
وبكى النبي صلى الله عليه وسلم فبعث الله اليهما ميكائيل وقال ان ربكما يقرئكما السلام ويقول كيف اعاتب من عفوت
عنه هذا ما لا يشبه كرمي والاخبار الواردة في اسباب الرجا اكثر من ان تحصى واما الاثار فقد قال علي كرم الله
وجهه من اذنب ذنبا فستره الله في الدنيا فالله اكرم من ان يكشف ستره في الآخرة ومن اذنب ذنبا فعوقب عليه في
الدنيا فالله تعالى اعدل من ان يثني عقوبته على عبده في الآخرة وقال الثوري ما احب ان يجعل حسابي الى
ابوي لاني اعلم ان الله عز وجل ارحم بي منهما وقال بعض السلف المؤمن اذا عصى الله تعالى ستره الله
عن ابصار الملائكة كيلا تراه فتشهد عليه وكتب محمد بن مصعب الى الاسود بن سالم بخطه ان العبد اذا كان
مسرفا على نفسه فرفع يديه يدعو يقول يا رب حجبت الملائكة صوته وكذلك الثانية والثالثة حتى اذا قال
الرابعة يا رب قال الله تعالى حتى متى تحجبون عني صوت عبدي قد علم عبدي انه ليس له رب يغفر الذنوب
غيري اشهدكم اني قد غفرت له وقال ابراهيم بن ادهم خلا لي الطواف ليلة وكانت ليلة مطيرة مظلمة فوقفت
في الملتزم عند الباب فقلت يا رب اعصمني حتى لا اعصيك ابدا فهتف بي هاتف من البيت يا ابراهيم انت تسألني
العصمة وكل عبادي المؤمنين يطلبون ذلك فاذا عصمتهم فعلى من اتفضل ولمن اغفر وكان الحسن يقول لو لم
يكن المؤمن لكان يطير في الملكوت ولكن الله تعالى قمعه بالذنوب وقال الجنيد ان بدت عين من
الكرم الحقت المسيئين بالمحسنين وذكر مالك بن دينار يوما فقال له الحكم حدثنا ابان فقال يا ابا يحيى
اني لارجو ان ترى من عفو الله تعالى يوم القيامة ما تخرق له كساءك هذا من الفرح وفي حديث ربعي بن حراش عن اخيه
وكان من خيار التابعين وهو ممن تكلم بعد الموت قال لما مات اخي سجي بثوبه والقيناه على نعشه فكشف الثوب
عن وجهه واستوى قاعدا وقال اني لقيت ربي عز وجل فحياني بروح وريحان ورب غير غضبان واني رأيت الامر
ايسر مما تظنون ولا تغتروا وان محمدا صلى الله عليه وسلم ينتظرني واصحابه حتى اخرج اليهم ثم طرح نفسه فكأنها
كانت حصاة وقعت في طست فحملناه ودفناه وفي الحديث ان رجلين من بني اسرائيل تواخيا في الله عز وجل فكان احدهما
يسرف على نفسه وكان الاخر عابدا وكان يعظه ويزجره فكان يقول دعني وربي ابعثت علي رقيبا حتى رآه ذات يوم
على كبيرة فغضب فقال لا يغفر الله لك قال فيقول الله تعالى يوم القيامة ايستطيع احد ان يحظر رحمتي على عبادي
اذهب فقد غفرت لك ثم يقول للعابد وانت فقد اوجبت لك النار قال فوالذي نفسي بيده لقد تكلم بكلمة
اهلكت دنياه وآخرته وروي ان لصا كان يقطع الطريق في بني اسرائيل اربعين سنة فمر عليه عيسى عليه السلام
وخلفه عابد من عباد بني اسرائيل من الحواريين فقال اللص في نفسه هذا نبي الله يمر والى جنبه حواريه لو نزلت فكنت
معهما ثالثا فنزل فجعل يريد ان يدنو من الحواري ويزدري نفسه تعظيما للحواري ويقول في نفسه مثلي
لا يمشي الى جنب هذا العابد واحس الحواري به فقال في نفسه هذا يمشي الى جانبي فضم نفسه وتقدم
الى عيسى فمشى بجنبه وبقي اللص خلفه فاوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام قل لهما ليستأنفا العمل فقد
احبطت ما سلف من اعمالهما اما الحواري فقد احبطت حسناته بعجبه واما الاخر فقد احبطت سيئاته بما ازدرى

على نفسه فاخبرهما بذلك وضمهما اليه في سياحته وجعله من حوارييه وروي عن مسروق ان نبيا من
الانبياء كان ساجدا فوطئ بعض العتاة عنقه حتى الصق الحصا بجبهته فرفع النبي راسه مغضبا فقال اذهب
فلن يغفر الله لك فاوحى الله تعالى اليه تتألى علي في عبادي اني قد غفرت له وقريب من هذا ما روي عن ابن
عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقنت على المشركين ويلعنهم في صلاته فنزل
قوله تعالى ليس لك من الامر شيء الآية فترك الدعاء عليهم وهدى الله تعالى عامة اولئك الى الاسلام وفي الاثر
ان رجلين كانا من العابدين متساويين في العبادة قال فاذا ادخلا الجنة رفع احدهما في الدرجات العلى على
صاحبه فيقول يا رب ما كان هذا في الدنيا اكثر مني عبادة فرفعته في عليين فيقول الله سبحانه انه كان يسألني
في الدنيا الدرجات العلى وانت كنت تسألني النجاة من النار فاعطيت كل عبد سؤله وهذا يدل على ان العبادة
على الرجا افضل لان المحبة اغلب على الراجي منها على الخائف فكم من فرق في الملوك بين من يخدم اتقاء لغضبه و
عقابه وبين من يخدم رجاء لانعامه ولذلك امر الله تعالى بحسن الظن ولذلك قال صلى الله عليه وسلم سلوا
الله الدرجات العلى فانكم تسألون كريما وقال اذا سألتم الله فاعظموا الرغبة وسلوا الفردوس الاعلى فان
الله لا يتعاظمه شيء وقال بكر بن سليم الصواف دخلنا على مالك بن انس في العشية التي قبض فيها
فقلنا يا ابا عبد الله كيف تجدك قال لا ادري ما اقول لكم الا انكم ستعاينون من عفو الله ما لم يكن لكم في حساب
ثم ما برحنا حتى اغمضناه وقال يحيى بن معاذ في مناجاته يكاد رجائي لك مع الذنوب يغلب رجائي لك مع
الاعمال لاني اعتمد في الاعمال على الاخلاص وكيف احرزها وانا بالآفة معروف واجدني في الذنوب اعتمد على عفوك و
كيف لا تغفرها وانت بالجود موصوف وقيل ان مجوسيا استضاف ابراهيم الخليل عليه السلام فقال ان
اسلمت اضفتك فمر المجوسي فاوحى الله عز وجل الى ابراهيم عليه السلام يا ابراهيم لم تطعمه الا بتغيير دينه ونحن
من سبعين سنة نطعمه على كفره فلو اضفته ليلة ماذا كان عليك فمر ابراهيم يسعى خلف المجوسي فرده واضافه
فقال له المجوسي ما السبب فيما بدا لك فذكر له فقال المجوسي اهكذا يعاملني اعرض علي الاسلام فاسلم ورأى
الاستاذ ابو سهل الصعلوكي ابا سهل الزجاجي في المنام وكان يقول بالوعيد فقال له كيف حالك فقال
وجدنا الامر اسهل مما توهمناه ورأى بعضهم ابا سهل الصعلوكي في المنام على هيئة حسنة لا توصف
فقال له يا استاذ بم نلت هذا فقال بحسن ظني بربي وحكي ان ابا العباس بن سريج رأى في مرض موته كان
القيامة قد قامت واذا الجبار سبحانه يقول اين العلماء قال فجاؤوا ثم قال ماذا عملتم فيما علمتم قال فقلنا
يا رب قصرنا واسأنا قال فاعاد السؤال كأنه لم يرض بالجواب واراد جوابا غيره فقلت اما انا فليس في
صحيفتي الشرك وقد وعدت ان تغفر ما دونه فقال اذهبوا فقد غفرت لكم ومات بعد ذلك بثلاث
ليال وقيل كان رجل شريب جمع قوما من ندمائه ودفع الى غلام له اربعة دراهم وامره ان يشتري شيئا
من الفواكه للمجلس فمر الغلام بباب مجلس منصور بن عمار وهو يسأل الفقير شيئا ويقول من دفع اليه
اربعة دراهم دعوت له اربع دعوات قال فدفع الغلام الدراهم اليه فقال منصور ما الذي تريد ان
ادعو لك فقال لي سيد اريد ان اتخلص منه فدعا منصور وقال الاخرى فقال ان يخلف الله علي دراهمي فدعا ثم
قال الاخرى فقال ان يتوب الله على سيدي ثم قال الاخرى فقال ان يغفر الله لي ولسيدي ولك وللقوم فدعا
منصور فرجع الغلام فقال له سيده لم ابطأت فقص عليه القصة فقال بم دعا فقال سألت لنفسي العتق
فقال اذهب فانت حر لوجه الله واي شيء الثاني فقال ان يخلف الله علي الدراهم فقال لك اربعة آلاف درهم
واي شيء الثالث قال ان يتوب الله عليك فقال تبت الى الله تعالى واي شيء الرابع قال ان يغفر الله لي ولك وللقوم

فدعا منصور فرجع الغلام فقال له سيده لم ابطات فقص عليه القصة فقال وبم دعا فقال سالت لنفسي
العتق فقال اذهب فانت حر لوجه الله وايش الثاني فقال والمذكر فقال هذا الواحد ليس لي فلما بات
تلك الليلة راى في المنام كان قائلا يقول له انت فعلت ما كان اليك افترى اني لا افعل ما الي قد غفرت
لك وللغلام ولمنصور بن عمار وللقوم الحاضرين اجمعين **وروي** عن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي
قال رايت جنازة يحملها ثلاثة من الرجال وامراة قال فاخذت مكان المراة وذهبنا الى المقبرة وصلينا
عليها ودفناه فقلت للمراة من كان هذا منك قالت ابني قلت ولم يكن لكم جيران قالت بلى ولكن صغروا
امره فقلت وايش كان قالت مخنثا قال فرحمتها وذهبت بها الى منزلي واعطيتها دراهم وحنطة وثيابا
فنمت فرايت تلك الليلة كانه اتاني ات كانه القمر ليلة البدر وعليه ثياب بيض فجعل يتشكرني فقلت
من انت فقال المخنث الذي دفنتموني اليوم رحمني ربي باحتقار الناس اياي وقال ابرهيم الاطروش
كنا قعودا ببغداد مع معروف الكرخي على دجلة اذ مر قوم احداث في زورق يضربون بالدف ويشربون
ويلعبون فقالوا لمعروف اما تراهم يعصون الله مجاهرين ادع الله عليهم فرفع يديه وقال الهي كما فرحتهم في
الدنيا ففرحهم في الاخرة فقال القوم انما سالناك ان تدعو عليهم فقال اذا فرحهم في الاخرة تاب
عليهم **وكان** بعض السلف يقول في دعائه يا رب واي اهل دهر لم يعصوك ثم كانت نعمتك عليهم سابغة
ورزقك عليهم دارا سبحانك ما احلمك وعزتك انك لتعصى ثم تسبغ النعمة وتدر الرزق حتى كانك
يا ربنا لا تغضب فهذه هي الاسباب التي يجتلب بها روح الرجا الى قلوب الخائفين والايسين فاما الحمقا
المغرورون فلا ينبغي ان يسمعوا شيئا من ذلك بل يسمعون ما سنورده في اسباب الخوف فان اكثر
الناس لا يصلح الا على الخوف كالعبد السو والصبي العرم لا يستقيم الا بالسوط والعصا واظهار الخشونة
في الكلام واما ضد ذلك فيسد عليهم باب الصلاح في الدين والدنيا

الشطر الثاني من الكتاب في الخوف

وفيه بيان حقيقة الخوف وبيان درجات الخوف وبيان اقسام المخاوف وبيان فضيلة الخوف
وبيان الافضل من الخوف والرجا وبيان دوا الخوف وبيان معنى سو الخاتمة وبيان احوال الخائفين من الانبيا
والصالحين

بيان حقيقة الخوف

اعلم ان الخوف عبارة عن تالم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه
في الاستقبال وقد ظهر هذا في بيان حقيقة الرجا ومن انس بالله وملك الحق قلبه وصار ابن وقته مشاهدا
لجمال الحق على الدوام لم يبق له التفات على المستقبل فلم يكن له خوف ولا رجا بل صار حاله اعلى من الخوف والرجا
فانهما زمامان يمنعان النفس عن الخروج الى رعوناتها والى هذا اشار الواسطي حيث قال الخوف حجاب بين
الله وبين العبد وقال ايضا اذا ظهر الحق على السرائر لا يبقى فيها فضلة لرجا ولا خوف وبالجملة فالمحب اذا شغل
قلبه في مشاهدة المحبوب بخوف الفراق كان ذلك نقصانا في الشهود وانما دوام الشهود غاية المقامات ولكنا
الان انما نتكلم في اوائل المقامات فنقول حال الخوف ينتظم ايضا من علم وحال وعمل اما العلم فهو العلم بالسبب
المفضي الى المكروه وذلك كمن جنى على ملك ثم وقع في يده فيخاف القتل مثلا ويجوز العفو والافلات
ولكن يكون تالم قلبه بالخوف بحسب قوة علمه بالاسباب المفضية الى قتله وهو تفاحش جنايته وكون الملك
في نفسه حقودا غضوبا منتقما وكونه محفوفا بمن يحثه على الانتقام خاليا عمن يتشفع اليه في حقه وكان
هذا الخائف عاطلا عن كل وسيلة وحسنة تمحو اثر جنايته عند الملك فالعلم بتظاهر هذه الاسباب سبب لقوة
الخوف وشدة تالم القلب وبحسب ضعف هذه الاسباب يضعف الخوف وقد يكون الخوف لا عن سبب
جناية قارفها الخائف بل عن صفة المخوف كالذي وقع في مخالب سبع فانه يخاف السبع لصفة ذات السبع

وهي سطوته وحرصه على الافتراس غالبا وان كان افتراسه بالاختيار وقد يكون من صفة جبلية للمخوف
كمن وقع في مجرى سيل او جوار حريق فان الما يخاف لانه بطبعه مجبول على السيلان والاغراق
وكذا النار على الاحراق فالعلم باسباب المكروه هو السبب الباعث المثير لاحتراق القلب وتالمه وذلك
الاحتراق هو الخوف فكذلك الخوف من الله تعالى تارة يكون لمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وانه لو اهلك العالمين
لم يبال ولم يمنعه مانع وتارة يكون لكثرة الجناية من العبد بمقارفة المعاصي وتارة يكون بهما جميعا و
بحسب معرفته بعيوب نفسه ومعرفته بجلال الله تعالى واستغنائه وانه لا يسئل عما يفعل تكون
قوة خوفه فاخوف الناس لربه اعرفهم بنفسه وبربه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم انا اخوفكم لله ولذلك
قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلما ثم اذا كملت المعرفة اورثت حال الخوف واحتراق القلب ثم يفيض
اثر الحرقة من القلب على البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات اما في البدن فبالنحول والصفار والغشية والزعقة
والبكا وقد تنشق به المرارة فيفضي الى الموت او يصعد الى الدماغ فيفسد العقل او يقوى فيورث القنوط
واليأس واما في الجوارح فبكفها عن المعاصي وتقييدها بالطاعات تلافيا لما فرط واستعدادا للمستقبل ولذلك
قيل ليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه بل من يترك ما يخاف ان يعاقب عليه **وقال** ابو القسم الحكيم من
خاف شيا هرب منه ومن خاف الله هرب اليه **وقيل** لذي النون متى يكون العبد خائفا **قال** اذا انزل
نفسه منزلة السقيم الذي يحتمي مخافة طول السقام واما في الصفات فبان يقمع الشهوات ويكدر اللذات
فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة كما يصير العسل مكروها عند من يشتهيه اذا عرف ان فيه سما فتحترق
الشهوات بالخوف وتتادب الجوارح ويحصل في القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة ويفارقه الكبر
والحقد والحسد بل يصير مستوعب الهم بخوفه والنظر في خطر عاقبته فلا يتفرغ لغيره ولا يكون له شغل الا المراقبة
والخطوات والكلمات ويكون حاله حال من وقع في مخالب سبع ضاري لا يدري انه يغفل عنه فيفلت او يهجم عليه
فيهلكه فيكون ظاهره وباطنه مشغولا بما هو خائف منه لا متسع فيه لغيره هذا حال من غلبه الخوف واستولى عليه
وهكذا كان حال جماعة من الصحابة والتابعين وقوة المراقبة والمحاسبة بحسب قوة الخوف الذي هو تالم القلب
واحتراقه وقوة الخوف بحسب قوة المعرفة بجلال الله وصفاته وافعاله وبعيوب النفس وما بين يديها من الاخطار
والاهوال واقل درجات الخوف مما يظهر اثره في الاعمال ان يمنع عن المحظورات ويسمى الكف الحاصل عن المحظور ورعا فان
زادت قوته كف عما يتطرق اليه امكان التحريم فكف ايضا عما لا يتيقن تحريمه ويسمى ذلك تقوى اذ التقوى ان
يترك ما يريبه الى ما لا يريبه وقد يحمله على ان يترك ما لا باس به مخافة ما به باس وهو الصدق في التقوى فاذا انضم
اليه التجرد للخدمة فصار لا يبني ما لا يسكنه ولا يجمع ما لا ياكله ولا يلتفت الى دنيا يعلم انها تفارقه ولا يصرف الى
غير الله تعالى نفسا من انفاسه فهو الصدق وصاحبه جدير بان يسمى صديقا ويدخل في الصدق التقوى ويدخل في
التقوى الورع ويدخل في الورع العفة فانها عبارة عن الامتناع عن مقتضى الشهوات خاصة فاذا الخوف يؤثر في الجوارح
بالكف والاقدام ويتجدد له بسبب الكف اسم العفة وهو كف عن مقتضى الشهوة واعلى منه الورع فانه اعم لانه كف عن
كل محظور واعلى منه التقوى فانه اسم للكف عن المحظور والشبهة جميعا ووراءه اسم الصديق والمقرب وتجري
الرتبة الاخيرة مما قبلها مجرى الاخص من الاعم فاذا ذكرت الاخص فقد ذكرت الكل كما انك تقول الانسان اما عربي
او عجمي والعربي اما قرشي او غيره والقرشي اما هاشمي او غيره والهاشمي اما علوي او غيره والعلوي اما حسني او حسيني فاذا
ذكرت انه حسيني مثلا فقد وصفته بالجميع وان وصفته بانه علوي فقد وصفته بما فوقه مما هو اعم منه فكذلك
اذا قلت صديق فقد قلت انه تقي وورع وعفيف فلا ينبغي ان يظن ان كثرة هذه الاسامي تدل على معان كثيرة

مباينة تختلط عليك كما اختلط على كل من طلب المعاني من الالفاظ ولم يتبع الالفاظ المعاني فهذه اشارة الى مجامع معاني الخوف وما يكتنفه من جانب العلو كالمعرفة الموجبة له ومن جانب السفل كالاعمال الصادرة منه كفا واقداما

بيان درجات الخوف واختلافه في القوة والضعف

اعلم ان الخوف محمود وربما يظن ان كل ما هو محمود فكل ما كان اقوى واكثر كان احمد وهو غلط بل الخوف سوط الله تعالى يسوق به عباده الى المواظبة على العلم والعمل لينالوا بهما رتبة القرب من الله تعالى والاصلح للبهيمة ان لا تخلو عن سوط وكذا الصبي ولكن ذلك لا يدل على ان المبالغة في الضرب محمودة فكذلك الخوف له قصور وله افراط وله اعتدال والمحمود هو الاعتدال والوسط فاما القاصر منه فهو الذي يجري مجرى رقة النسا يخطر بالبال عند سماع اية من القران فيورث البكا وتفيض الدموع وكذلك عند مشاهدة سبب هائل فاذا غاب ذلك السبب عن الحس رجع القلب الى الغفلة فهذا خوف قاصر قليل الجدوى ضعيف النفع وهو كالقضيب الضعيف الذي تضرب به دابة قوية لا يولمها الما مبرحا فلا يسوقها الى المقصد ولا يصلح لرياضتها وهكذا خوف الناس كلهم الا العارفين والعلماء اعني بالعلما المترسمين برسوم العلما والمتسمين باسمائهم فانهم ابعد الناس عن الخوف بل اعني به العلما بالله وباياته وافعاله وذلك مما قد عز وجوده الان ولذلك قال الفضيل رحمه الله اذا قيل لك تخاف الله فاسكت فانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم كذبت واشار الى ان الخوف هو الذي يكف الجوارح عن المعاصي ويقيدها بالطاعات وما لم يؤثر في الجوارح فهو حديث نفس وحركة خاطر لا يستحق ان يسمى خوفا واما المفرط فهو الذي يقوى ويجاوز حد الاعتدال حتى يخرج الى الياس والقنوط وهو مذموم ايضا لانه يمنع من العمل والمراد من الخوف ما هو المراد من السوط وهو الحمل على العمل ولولاه لما كان الخوف كمالا لانه بالحقيقة نقصان لان منشاه الجهل والعجز اما الجهل فانه ليس يدري عاقبة امره ولو عرف لم يكن خائفا لان المخوف هو الذي يتردد فيه واما العجز فهو انه متعرض لمحذور لا يقدر على دفعه فاذا هو محمود بالاضافة الى نقص الادمي وانما المحمود في نفسه وذاته هو العلم والقدرة وكل ما يجوز ان يوصف الله تعالى به وما لا يجوز وصف الله تعالى به فليس بكمال في ذاته وانما يصير محمودا بالاضافة الى نقص اعظم منه كما يكون احتمال الم الدوا محمودا لانه اهون من الم المرض والموت فما يخرج الى القنوط فهو مذموم وقد يخرج الخوف ايضا الى المرض والضعف والى الوله والدهشة وزوال العقل وقد يخرج الى الموت وكل ذلك مذموم وهو كالضرب الذي يقتل الصبي والسوط الذي يهلك الدابة او يمرضها او يكسر عضوا من اعضائها وانما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم اسباب الرجا واكثر منها ليعالج بها صدمة الخوف المفرط المفضي الى القنوط او احد هذه الامور فكل ما يراد لامر فالمحمود منه ما يفضي الى المراد المقصود منه وما يقصر عنه او يجاوزه فهو مذموم وفائدة الخوف الحذر والورع والتقوى والمجاهدة والعبادة والذكر والفكر وسائر الاسباب فهو مذموم **فان قلت** من خاف فمات من خوفه فهو شهيد فكيف يكون حاله مذموما فاعلم ان معنى كونه شهيدا ان له رتبة بسبب موته من الخوف كان لا ينالها لو مات في ذلك الوقت لا بسبب الخوف فهو بالاضافة اليه فضيلة فاما بالاضافة الى تقدير بقائه وطول عمره في طاعة الله وسلوك سبيله فليس بفضيلة بل للسالك الى سبيل الله بطريق الفكر والمشاهدة والترقي في درجات المعارف في كل لحظة رتبة شهيد وشهدا ولولا هذا لما كانت رتبة صبي يقتل او مجنون يفترسه سبع اعلى من رتبة ولي او نبي يموت حتف انفه وهو محال فلا ينبغي ان يظن هذا بل افضل السعادات طول العمر في طاعة الله فكل ما ابطل العمر او العقل او الصحة التي يتعطل العمر بتعطلها فهو خسران ونقصان بالاضافة الى امور وان كان بعض اقسامها فضيلة بالاضافة الى امور اخر كما كانت الشهادة فضيلة بالاضافة الى ما دونها لا بالاضافة الى درجة المتقين والصديقين فاذا الخوف ان لم يوثر في العمل فوجوده كعدمه مثل السوط الذي

لا يزيد في حركة الدابة وان اثر فله درجات بحسب ظهور اثره فان لم يحمل الا على العفة وهو الكف عن مقتضى الشهوات فله درجة فاذا اثمر الورع فهو اعلى واقصى درجاته ان يثمر درجات الصديقين وهو ان يسلب الظاهر والباطن عما سوى الله تعالى حتى لا يبقى لغير الله فيه متسع فهذا اقصى ما يحمد منه وذلك مع بقا الصحة والعقل فان جاوز هذا الى ازالة العقل والصحة فهو مرض يجب علاجه ان قدر عليه ولو كان محمودا لما وجب علاجه باسباب الرجا وبغيره حتى يزول ولذلك كان سهل رحمه الله يقول للمريدين الملازمين للجوع اياما كثيرة احفظوا عقولكم فانه لم يكن لله ولي ناقص العقل

بيان اقسام الخوف بالاضافة الى ما يخاف منه

اعلم ان الخوف لا يتحقق الا بانتظار مكروه والمكروه اما ان يكون مكروها في ذاته كالنار واما ان يكون مكروها لانه يفضي الى المكروه كما يكره المعاصي لادائها الى مكروه في الاخرة وكما يكره المريض الفواكه المضرة لادائها الى الموت ولا بد لكل خائف ان يتمثل في نفسه مكروها من احد القسمين ويقوى انتظاره في قلبه حتى يحترق قلبه بسبب استشعاره ذلك المكروه ومقام الخائفين يختلف فيما يغلب على قلوبهم من المكروهات المحذورة فالذين يغلب على قلوبهم ما ليس مكروها لذاته كالذين يغلب عليهم خوف الموت قبل التوبة او خوف نقض التوبة ونكث العهد او خوف ضعف القوة عن الوفا بتمام حقوق الله او خوف زوال رقة القلب وتبدلها بالقساوة او خوف الميل عن الاستقامة او خوف استيلا العادة في اتباع الشهوات المالوفة او خوف ان يكله الله الى حسناته التي اتكل عليها وتعزز بها في عباد الله او خوف البطر بكثرة نعم الله عليه او خوف الاشتغال عن الله بغير الله او خوف الاستدراج بتواتر النعم او خوف انكشاف غوائل طاعته حيث يبدو له من الله ما لم يكن يحتسب او خوف تبعات الناس عنده في الغيبة والخيانة والغش واضمار السوء او خوف ما لا يدري انه يحدث في بقية عمره او خوف تعجيل العقوبة في الدنيا والافتضاح قبل الموت او خوف الاغترار بزخارف الدنيا او خوف اطلاع الله على سريرته في حالة غفلته عنه او خوف الختم له عند الموت بخاتمة السوء او خوف السابقة التي سبقت له في الازل فهذه كلها مخاوف العارفين ولكل واحد خصوص فائدة وهو سلوك سبيل الحذر عما يفضي الى المخوف فمن يخاف استيلا العادة عليه فيواظب على الفطام عن العادة والذي يخاف من اطلاع الله على سريرته يشتغل بتطهير قلبه عن الوساوس وهكذا الى بقية الاقسام واغلب هذه المخاوف على المتقين خوف الخاتمة فان الامر فيه مخطر واعلى الاقسام وادلها على كمال المعرفة خوف السابقة لان الخاتمة تبع السابقة وفرع يتفرع منها بعد تخلل اسباب كثيرة فالخاتمة تظهر ما سبق به القضا في ام الكتاب والخائف من الخاتمة بالاضافة الى الخائف من السابقة كرجلين وقع الملك في حقهما بتوقيع يحتمل ان يكون فيه حز الرقبة ويحتمل ان يكون فيه تسليم الوزارة اليه ولم يصل التوقيع اليهما بعد فارتبط قلب احدهما بحالة وصول التوقيع ونشره وانه عماذا يظهر ثم ارتبط قلب الاخر بتوقيع الملك وكيفيته وانه ما الذي خطر له في حال التوقيع من رحمة او غضب وهذا التفات الى السبب فهو اعلى من الالتفات الى ما هو فرع فكذلك الالتفات الى القضا الازلي الذي جرى بتوقيعه القلم اعلى من الالتفات الى ما يظهر في الابد واليه اشار النبي صلى الله عليه وسلم حيث كان على المنبر فقبض كفه اليمنى وقال هذا كتاب الله كتب فيه اهل الجنة باسمائهم واسماء ابائهم لا يزاد فيهم ولا ينقص ثم قبض كفه اليسرى فقال هذا كتاب الله كتب فيه اهل النار باسمائهم واسماء ابائهم لا يزاد فيهم ولا ينقص وليعملن اهل السعادة بعمل اهل الشقاوة حتى يقال كانهم منهم بل هم هم ثم يستنقذهم الله تعالى قبل الموت ولو بفواق ناقة وليعملن اهل الشقا بعمل اهل السعادة حتى يقال كانهم منهم بل هم هم ثم يستخرجهم الله تعالى قبل الموت ولو بفواق ناقة السعيد من سعد بقضا الله والشقي من شقي بقضا الله والاعمال بالخواتيم وهذا انقسام

انما ينتهي الى من يخاف معصيته وجنايته والى من يخاف الله تعالى نفسه لصفته وجلاله وما هو فيه تعالى
يقتضي الهيبة لا محالة فهذا اعلى رتبة ولذلك لا ينفي خوفه وان كان في طاعة الصديقين ولما الامر فهو
عرضة الغرور وعلا من ان واظب على الطاعات ما يخرج من المعصية خوف الصالحين والخوف من الله تعالى
خوف الموحدين والصديقين وهو ثمرة المعرفة بالله تعالى فكل من عرفه وعرف صفاته علم من صفاته ما هو
جدير بان يخاف من غير جناية بل العاصي لو عرف الله تعالى حق المعرفة لخاف الله تعالى ولم يخف معصيته
ولولا انه يخوف في نفسه لما سخر للمعصية ويسر له سبيلها ومهد اسبابها فان تيسير اسباب المعصية
ابعاد ولم يسبق منه قبل المعصية معصية استحق بها ان يسخر للمعصية ويجري عليه اسبابها ولا سبق قبل
الطاعة وسيلة توسل بها الى ان يسر له الطاعات ويمهد له سبيل القربات فالعاصي قد قضي عليه
بالمعصية شاء ام ابى وكذا المطيع فالذي رفع محمدا صلى الله عليه وسلم الى اعلى عليين من غير وسيلة سبقت
منه قبل وجوده ووضع ابا جهل في اسفل السافلين من غير جناية سبقت منه قبل وجوده جدير بان يخاف
لصفة جلاله فان من اطاع الله اطاع بان سلط عليه ارادة الطاعة واتاه القدرة وبعد خلق الارادة الجازمة
والقدرة التامة يصير الفعل ضروريا والذي عصى عصى لانه سلط عليه ارادة قوية جازمة واتاه الاسباب
والقدرة فكان الفعل بعد الارادة والقدرة ضروريا فليت شعري ما الذي اوجب الاكرام هذا وعصيته بتسليط
دواعي المعصية عليه وكيف يحال ذلك على العبد واذا كانت الحوالة ترجع الى القضاء الازلي من غير جناية ولا
وسيلة فالخوف عن يقضي بما شاء ويحكم بما يريد حزم عند كل عاقل فوراء هذا المعنى سر القدر الذي لا يجوز افشاؤه
ولا يمكن تفهيم الخوف منه في صفات الامثال ولولا ان الشرع لم يستجز على ذكره فقد جاء في الخبر ان الله
تعالى اوحى الى داود عليه السلام يا داود خفني كما تخاف السبع الضاري فهذا المثال يفهمك حاصل المعنى
وان كان لا يتفهم على سببه فان الوقوف على سببه وقوف على سر القدر ولا يكشف ذلك الا لاهله والحاصل
ان السبع يخاف لا لجناية سبقت اليه بل لصفته وبطشه وسطوته وكبره وهيبته ولانه يفعل ما يفعل ولا
يبالي فان قتلك لم يرق قلبه وان خلاك لم يخل شفقة عليك وابقاء على روحك بل انت عنده اخس من ان
يلتفت اليك حيا كنت او ميتا بل اهلاك الف مثلك واهلاك نملة عنده على وتيرة واحدة اذ لا يقدح
ذلك في عالم سبعيته وما هو موصوف به من قدرته وسطوته ولله المثل الاعلى ولكن من عرف الله عرف
بالمشاهدة الباطنة التي هي اقوى واوثق واعلى من المشاهدة الظاهرة انه صادق في قوله تعالى هؤلاء في الجنة
ولا ابالي وهؤلاء في النار ولا ابالي يكفيك موجبات الهيبة والخوف المعرفة بالاستغناء وعدم المبالاة

الطبقة الثانية من الخائفين ان يتمثل في انفسهم ما هو المكروه ككدر العيش وسكرات الموت
وشدتها او سؤال منكر ونكير او عذاب القبر او هول المطلع او هيبة الموقف بين يدي الله عز وجل والحياء من
كشف الستر والسؤال عن النقير والقطمير او الخوف من الصراط وحدته وكيفية العبور عليه او الخوف
من النار واغلالها واهوالها او الخوف من الحرمان عن الجنة دار النعيم والملك المقيم وعن نقصان
الدرجات او الخوف من الحجاب عن الله تعالى وكل هذه الاسباب مكروهة في انفسها فهي لا محالة مخوفة ويختلف
احوال الخائفين فيها واعلاها رتبة هو خوف الفراق والحجاب عن الله تعالى وهو خوف العارفين وما قبل
ذلك خوف العابدين والزاهدين وكافة العاملين ومن لم تكمل معرفته ولم تنفتح بصيرته لم يشعر بلذة
الوصال ولا بالم البعد والفراق واذا ذكر له ان العارف لا يخاف النار وانما يخاف الحجاب وجد ذلك منكرا في
باطنه وتعجب منه في نفسه وربما انكر لذة النظر الى وجه الله الكريم لولا منع الشرع اياه من انكاره فيكون

عن الذنب باللسان عن ضرورة التقليد والا باطنه لا تصدق به لا يعرف الا لذة البطن والفرج والعين بالنظر
الى الالوان والوجوه الحسان وبالجملة كل لذة تشاركه البهائم فيها فاما لذة العارفين فلا يدركها غيرهم وتفصيل
ذلك وشرحه حرام مع من ليس اهلا ومن كان اهلا استبصر بنفسه واستغنى عن ان يشرحه غيره فالى هذه
الاقسام يرجع خوف الخائفين

بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه

اعلم ان فضيلة الخوف تارة
يعرف بالتامل والاعتبار وتارة بالآيات والاخبار اما الاعتبار فسبيله ان فضيلة الشيء بقدر غنائه في الافضاء الى
سعادة لقاء الله اذ لا مقصود سوى السعادة ولا سعادة للعبد الا في لقاء مولاه والقرب منه فكل ما اعان عليه فله
فضيلة وفضيلته بقدر اعانته وقد ظهر انه لا وصول الى سعادة لقاء الله في الآخرة الا بتحصيل محبته والانس به
في الدنيا ولا تحصل المحبة الا بالمعرفة ولا تحصل المعرفة الا بدوام الفكر ولا يحصل الانس الا بالمحبة ودوام الذكر
ولا يتيسر المواظبة على الذكر والفكر الا بانقطاع حب الدنيا من القلب ولا ينقطع ذلك الا بترك لذات الدنيا
وشهواتها ولا يمكن ترك المشتهيات الا بقمع الشهوات ولا تنقمع الشهوة بشيء كما تنقمع بنار الخوف فالخوف هو
النار المحرقة للشهوات فاذا فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوة وبقدر ما يكف عن المعاصي ويحث على الطاعات
ويختلف ذلك باختلاف درجات الخوف كما سبق وكيف لا يكون الخوف ذا فضيلة وبه تحصل العفة والورع
والتقوى والمجاهدة وهي الاعمال الفاضلة المحمودة التي تقرب الى الله زلفى واما بطريق الاقتباس من الآيات والاخبار
فما ورد في فضيلة الخوف خارج عن الحصر وناهيك دلالة على فضيلته جمع الله تعالى للخائفين الهدى والرحمة
والعلم والرضوان وهي مجامع مقامات اهل الجنان قال الله تعالى هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون وقال
تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فوصفهم بالعلم لخشيتهم وقال تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن
خشي ربه وكل ما دل على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف لان الخوف ثمرة العلم ولذلك جاء في خبر موسى عليه
السلام واما الخائفون فان لهم الرفيق الاعلى لا يشاركون فيه فانظر كيف افردهم بمرافقة الرفيق الاعلى وذلك لانهم
العلماء والعلماء لهم رتبة مرافقة الانبياء لانهم ورثة الانبياء ومرافقة الرفيق الاعلى للانبياء ومن الحق بهم ولذلك
لما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض موته بين البقاء في الدنيا وبين القدوم على الله تعالى كان يقول اسالك
الرفيق الاعلى فاذا ان نظر الى مثمره فضل العلم وان نظر الى ثمرته فالورع والتقوى ولا يخفى ما ورد في فضلهما
حتى ان العاقبة صارت موسومة بالتقوى مخصوصة بها كما صار الحمد مخصوصا بالله تعالى والصلاة بمحمد صلى
الله عليه وسلم حتى يقال الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلاة على محمد وآله اجمعين وقد خص
الله التقوى بالاضافة الى نفسه فقال لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وانما التقوى عبارة
عن كف بمقتضى الخوف كما سبق ولذلك قال الله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم ولذلك وصى الله تعالى الاولين
والآخرين بالتقوى فقال تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وقال تعالى وخافون
ان كنتم مؤمنين فامر بالخوف واوجبه وشرطه في الايمان وذلك لا يتصور ان يكون ينفك مؤمن عن خوف وان ضعف
ويكون ضعف خوفه بحسب ضعف معرفته وايمانه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في فضيلة التقوى اذا جمع
الله الاولين والآخرين لميقات يوم معلوم ناداهم بصوت يسمع اقصاهم كما يسمع ادناهم فيقول يا ايها الناس
اني قد انصت لكم منذ خلقتكم الى يومكم هذا فانصتوا الي اليوم انما هي اعمالكم ترد عليكم ايها الناس اني جعلت نسبا
وجعلتم نسبا فوضعتم نسبي ورفعتم نسبكم فاليوم اضع نسبكم وارفع نسبي اين المتقون فينصب للقوم لواء فيتبع
القوم لواءهم الى منازلهم فيدخلون الجنة بغير حساب وقال عليه السلام راس الحكمة مخافة الله عز وجل وقال
عليه السلام لابن مسعود ان اردت ان تلقاني فاكثر من الخوف بعدي وقال الفضيل من خاف الله تعالى دله الخوف

على كل خير وقال الشبلي ما خفت الله تعالى يوما إلا رأيت له بابا من الحكمة والعبرة ما رأيته قط وقال يحيى بن معاذ ما من مؤمن يعمل سيئة إلا ويلحقه حسنتان خوف العقاب ورجاء العفو كثعلبة بين أسدين وفي خبر موسى عليه السلام وأما الورعون فإنه لا يبقى أحد إلا ناقشته الحساب وفتشت عما في يديه إلا الورعين فإني أستحييهم وأجلهم أن أوقفهم للحساب والورع والتقوى أسامي اشتقت من معان شرطها الخوف فإن خلت عن الخوف لم تسم بهذه الأسامي وكذلك ما ورد في فضائل الذكر لا يحصى وقد جعله الله تعالى مخصوصا بالخائفين فقال سيذكر من يخشى وقال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين فإذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة وإذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من خاف الله تعالى خاف منه كل شيء ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شيء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتمكم عقلا أشدكم لله خوفا وأحسنكم فيما أمر الله تعالى به ونهى عنه نظرا وقال يحيى بن معاذ مسكين ابن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة وقال ذو النون ينبغي أن يكون الخوف أغلب من الرجاء فإذا غلب الرجاء تشوش القلب وقال ذو النون من خاف الله تعالى ذاب قلبه واشتد له حبه وصح له لبه وكان أبو الحسين الضرير يقول علامة السعادة خوف الشقاوة لأن الخوف زمام بين الله تعالى وبين عبده فإذا انقطع زمامه هلك مع الهالكين وقيل ليحيى بن معاذ من آمن الخلق غدا فقال أشدهم خوفا اليوم وقال سهل لا تجد الخوف حتى تأكل الحلال وقيل للحسن يا أبا سعيد كيف نصنع بمجالس أقوام يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير فقال إنك والله أن تخالط أقواما يخوفونك حتى يدركك أمن خير لك من أن تصحب أقواما يؤمنونك حتى يدركك الخوف وقال أبو سليمان الداراني ما فارق الخوف قلبا إلا خرب وقالت عائشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة هو الرجل يسرق ويزني قال لا بل الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه والتشديدات الواردة في الأمن من مكر الله وعذابه لا تنحصر وكل ذلك ثناء على الخوف لأن مذمة الشيء ثناء على ضده الذي ينفيه وضد الخوف الأمن كما أن ضد الرجاء اليأس وكما دل مذمة القنوط على فضيلة الرجاء فكذلك تدل مذمة الأمن على فضيلة الخوف المضاد له بل نقول كلما ورد في فضل الرجاء فهو دليل على فضل الخوف لأنهما متلازمان فإن كل من رجا محبوبا فلا بد أن يخاف فوته فإن كان لا يخاف فوته فهو إذا لا يحبه فلا يكون بانتظاره راجيا فالخوف والرجاء متلازمان يستحيل انفكاك أحدهما عن الآخر نعم يجوز أن يغلب أحدهما على الآخر في الحال لاشتغال القلب عنه وهذا لأن من شرط الرجاء والخوف تعلقهما بما هو مشكوك فيه إذ المعلوم لا يرجى ولا يخاف فإذا المحبوب الذي يجوز وجوده يجوز عدمه لا محالة فتقدير وجوده يروح القلب وهو الرجاء وتقدير عدمه يوجع القلب وهو الخوف والتقديران يتقابلان لا محالة إذا كان ذلك الأمر المنتظر مشكوكا فيه نعم أحد طرفي الشك قد يترجح بحضور بعض الأسباب ويسمى ذلك ظنا فيكون ذلك سبب غلبة أحدهما على الآخر فإذا غلب على الظن وجود المحبوب قوي الرجاء وخفي الخوف بالإضافة إليه وكذا بالعكس وعلى كل حال فهما متلازمان ولذلك قال الله تعالى ويدعوننا رغبا ورهبا وقال تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا ولذلك عبر العرب عن الخوف بالرجاء فقال تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا أي لا تخافون وكثيرا ما ورد في القرآن الرجاء بمعنى الخوف وذلك لتلازمهما إذ عادة العرب التعبير عن الشيء بما يلازمه بل أقول كلما ورد في فضل البكاء من خشية الله تعالى فهو إظهار لفضيلة الخشية وقد قال الله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا وقال تعالى ويبكون ويزيدهم خشوعا وقال أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن يخرج من عينيه دمعة وإن كانت مثل رأس الذباب من خشية الله ثم يصيب شيئا من حر وجهه إلا حرمه الله على النار وقال عليه السلام إذا اقشعر قلب المؤمن من خشية الله تعالى تحاتت عنه خطاياه كما تحات من الشجرة ورقها

وقال صلى الله عليه وسلم لا يلج النار أحد بكى من خشية الله تعالى حتى يعود اللبن في الضرع وقال عقبة بن عامر ما النجاة يا رسول الله قال أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وقالت عائشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله يدخل أحد من أمتك الجنة بغير حساب قال نعم من ذكر ذنوبه فبكى وقال صلى الله عليه وسلم ما من قطرة أحب إلى الله تعالى من قطرة دمع من خشية الله أو قطرة دم أهريقت في سبيل الله وقال صلى الله عليه وسلم اللهم ارزقني عينين هطالتين تشفيان بذروف الدمع قبل أن تصير الدموع دما والأضراس جمرا وقال صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله وذكر منهم رجلا ذكر الله في خلوة ففاضت عيناه وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه من استطاع أن يبكي فليبك ومن لم يستطع فليتباك وكان محمد بن المنكدر إذا بكى مسح وجهه ولحيته من دموعه ويقول بلغني أن النار لا تأكل موضعا مسته الدموع وقال عبد الله ابن عمرو بن العاص ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم أحدكم لصرخ حتى ينقطع صوته وصلى حتى ينكسر صلبه وقال أبو سليمان الداراني ما اغرورقت عين بمائها إلا لم يرهق وجه صاحبها قتر ولا ذلة يوم القيامة فإن سالت دموعه أطفأ بأول قطرة منها بحارا من النيران ولو أن رجلا بكى في أمة ما عذبت تلك الأمة وقال أبو سليمان البكاء من الخوف والرجاء والطرب من الشوق وقال كعب الأحبار والذي نفسي بيده لأن أبكي من خشية الله حتى تسيل دموعي على وجنتي أحب إلي من أن أتصدق بجبل من ذهب وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لأن أدمع دمعة من خشية الله أحب إلي من أن أتصدق بألف دينار وروي عن حنظلة قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعظنا موعظة رقت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا أنفسنا فرجعت إلى أهلي فدنت مني المرأة وجرى بيننا من حديث الدنيا فنسيت ما كنا عليه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذنا في الدنيا ثم تذكرت ما كنا فيه فقلت في نفسي قد نافقت حيث تحول عني ما كنت فيه من الخوف والرقة فخرجت وجعلت أنادي نافق حنظلة فاستقبلني أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال كلا لم ينافق حنظلة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول نافق حنظلة فقال صلى الله عليه وسلم كلا لم ينافق فقلت يا رسول الله كنا عندك فوعظتنا موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا أنفسنا فرجعت إلى أهلي فأخذنا في حديث الدنيا ونسيت ما كنا عندك عليه فقال يا حنظلة لو أنكم كنتم أبدا على تلك الحالة لصافحتكم الملائكة في الطرق وعلى فرشكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة فإذا كل ما ورد في فضل الرجاء والبكاء وفضل التقوى والورع وفضل العلم ومذمة الأمن فهو دلالة على فضل الخوف لأن جميع ذلك متعلقة به إما تعلق السبب وإما تعلق المسبب

بيان أن الأفضل هو غلبة الخوف أو غلبة الرجاء أو اعتدالهما

اعلم أن الأخبار في فضل الخوف والرجاء قد كثرت وربما ينظر الناظر إليهما فيعتريه شك في أن الأفضل أيهما وقول القائل الخوف أفضل أم الرجاء سؤال فاسد يضاهي قول القائل الخبز أفضل أم الماء وجوابه أن يقال الخبز أفضل للجائع والماء أفضل للعطشان فإن اجتمعا نظر إلى الأغلب فإن كان الجوع أغلب فالخبز أفضل وإن كان العطش أغلب فالماء أفضل وإن استويا فهما متساويان وهذا لأن كل ما يراد لمقصود ففضله يظهر بالإضافة إلى مقصوده لا إلى نفسه والخوف والرجاء دواءان تداوى بهما القلوب ففضلهما بحسب الداء الموجود فإن كان الغالب على القلب داء الأمن من مكر الله والاغترار به فالخوف أفضل وكذلك إن كان الغالب على العبد المعصية فالخوف أفضل ويجوز أن يقال مطلقا الخوف أفضل على التأويل الذي يقال الخبز أفضل من السكنجبين إذ يعالج بالخبز مرض الجوع وبالسكنجبين مرض الصفراء ومرض الجوع أغلب وأكثر فالحاجة إلى الخبز أكثر فهو أفضل فبهذا الاعتبار الخوف أفضل لأن المعاصي والاغترار على الخلق أغلب وإن نظر إلى مطلع الخوف والرجاء فالرجاء أفضل لأنه مستقى من بحر الرحمة ومستقى الخوف من بحر الغضب ومن لاحظ من صفات الله تعالى ما يقتضي اللطف والرحمة

كانت المحبة عليه اغلب وليس وراء المحبة مقام واما الخوف فمستنده الالتفات الى الصفات التي تقتضي
العنف فلا تمازجه المحبة كما تمازج الرجا وعلى الجملة فما يراد لغيره ينبغي ان يستعمل فيه لفظ الاصلح لا لفظ
الافضل فنقول اكثر الخلق الخوف لهم اصلح من الرجا وذلك لاجل غلبة المعاصي فاما التقي الذي ترك ظاهر الاثم
وباطنه وخفيه وجليه فالاصلح ان يعتدل خوفه ورجاؤه ولذلك قيل لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا
وروي ان عليا رضي الله عنه قال لبعض ولده يا بني خف الله خوفا ترى انك لو اتيته بحسنات اهل الارض لم
يتقبلها منك وارج الله تعالى رجاء ترى انك لو اتيته بسيئات اهل الارض غفرها لك ولذلك قال **عمر** رضي
الله عنه لو نودي ليدخل النار كل الناس الا رجلا واحدا لرجوت ان اكون ذلك الرجل ولو نودي ليدخل الجنة
كل الناس الا رجلا واحدا لخشيت ان اكون انا ذلك الرجل وهذا عبارة عن غاية الخوف والرجا واعتدالهما مع
الغلبة والاستيلاء ولكن على سبيل التقاوم والتساوي فمثل عمر رضي الله عنه ينبغي ان يساوي خوفه
رجاؤه فاما العاصي اذا ظن انه الرجل الذي استثني ممن دخل النار كان ذلك دليلا على اغتراره فان قلت مثل
عمر رضي الله عنه لا ينبغي ان يساوي خوفه رجاؤه بل ينبغي ان يغلب رجاؤه كما سبق في اول كتاب الرجا ان
ينبغي ان يكون بحسب قوة اسبابه كالمثل بالبذر والزرع ومعلوم ان من بث البذر الصحيح في ارض نقية ودأب
على تعهده وجاء بجميع الزراعة غلب على قلبه رجا الادراك ولم يكن خوفه مساويا للرجا فهكذا ينبغي ان
يكون احوال المتقين فاعلم ان من ياخذ المعارف من الالفاظ والامثلة يكثر زلله [illegible] مثالا فليس
يضاهي ما نحن فيه من كل وجه لان سبب غلبة الرجا العلم الحاصل بالتجربة فانه علم بالتجربة صحة الارض ونقاءها
وصحة البذر وصحة الهوا وقلة الصواعق المهلكة في تلك البقاع وغيرها واما مثال مسئلتنا فهو من جرب
جنسه وقد بذر في ارض غريبة لم يعهدها الزارع ولم يختبرها وجرب في بلاد ليس يدري اكثر الصواعق فيها ام
لا فمثل هذا الزارع وان بذل كنه مجهوده وجاء بكل مقدوره فلا يغلب رجاؤه على خوفه والبذر في مسئلتنا هو الايمان
وشروط صحته دقيقة والارض القلب وخفايا خبثه وصفائه من الشرك الخفي والنفاق والريا وخفايا الاخلاق
غامضة والآفات هي الشهوات وزخارف الدنيا والتفات القلب اليها في مستقبل الزمان وان سلم في الحال وذلك
مما لا يتحقق ولا يعرف بالتجربة اذ قد يعرض من الاسباب ما لا يطاق مخالفته ولم يجرب مثله والصواعق هي اهوال
سكرات الموت واضطراب الاعتقاد عنده وذلك مما لم يجرب ثم الحصاد عند الورود على الحق المنصرف من القيامة الى الجنة
وذلك لم يجرب فمن عرف حقائق هذه الامور فان كان ضعيف القلب جبانا في نفسه غلب خوفه على رجائه لا محالة
كما سنحكي من احوال الخائفين من الصحابة والتابعين وان كان قوي القلب ثابت الجاش تام المعرفة استوى خوفه
ورجاؤه فاما ان يغلب رجاؤه فلا ولقد كان **عمر** رضي الله عنه يبالغ في تفتيش قلبه حتى كان يسال حذيفة
رضي الله عنه انه هل يعرف به من آثار النفاق شيئا اذ كان قد خصه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلم المنافقين
فمن ذا الذي يقدر على تطهير قلبه من خفايا النفاق والشرك الخفي وان اعتقد نقاء قلبه من ذلك فمن اين يامن
مكر الله تعالى في تلبيس حاله عليه واخفاء عيبه عنه وان وثق به فمن اين يثق ببقائه على ذلك الى تمام حسن الخاتمة
وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا شبر وفي رواية
الا قدر فواق ناقة فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل اهل النار وقدر فواق الناقة لا يحتمل عملا بالجوارح انما هو
بقدر خاطر يختلج في القلب عند الموت فيقتضي خاتمة السوء فكيف يؤمن ذلك فاذا اقصى غايات المؤمن ان يعتدل خوفه
ورجاؤه واما غلبة الرجا في غالب الناس يكون مستنده الاغترار وقلة المعرفة ولذلك جمع الله بينهما في وصف من
اثنى عليهم فقال يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال ويدعوننا رغبا ورهبا واين مثل عمر فالخلق الموجودون في هذا الزمان

كلهم الاصلح لهم غلبة الخوف بشرط ان لا يخرجهم الى الياس وترك العمل وقطع الطمع من المغفرة فيكون
ذلك سببا للتكاسل عن العمل وداعيا الى الانهماك في المعاصي فان ذلك قنوط وليس بخوف وانما الخوف هو
الذي يحث على العمل ويكدر جميع الشهوات ويزعج القلب عن الركون الى الدنيا ويدعو الى التجافي عن دار
الغرور فهو الخوف المحمود دون حديث النفس الذي لا يؤثر في الكف والحث ودون الياس الموجب للقنوط
وقد قال يحيى بن معاذ من عبد الله بمحض الخوف غرق في بحار الافكار ومن عبده بمحض الرجا تاه في مفازة الاغترار
ومن عبده بالخوف والرجا استقام في محجة الادكار **وقال** مكحول الدمشقي من عبد الله تعالى
بالخوف فهو حروري ومن عبده بالرجا فهو مرجي ومن عبده بالمحبة فهو زنديق ومن عبده بالخوف والرجا
والمحبة فهو موحد فاذا لا بد من الجمع بين هذه الامور وغلبة الخوف هو الاصلح ولكن قبل الاشراف على
الموت فاما عند الموت فالاصلح غلبة الرجا وحسن الظن لان الخوف جار مجرى السوط الباعث على العمل
وقد انقضى وقت العمل فالمشرف على الموت لا يقدر على العمل ثم لا يطيق اسباب الخوف فان ذلك يقطع نياط
قلبه ويعين على تعجيل موته واما روح الرجا فانه يقوي قلبه ويحبب اليه ربه الذي اليه رجاؤه ولا
ينبغي ان يفارق احد الدنيا الا محبا لله تعالى ليكون محبا للقاء الله فان من احب لقاء الله احب الله لقاءه
والرجا تقارنه المحبة فمن ارتجى كرمه فهو محبوب والمقصود من العلوم والاعمال كلها معرفة الله حتى
يثمر المعرفة المحبة فان المصير اليه والقدوم بالموت عليه ومن قدم على محبوبه عظم سروره بقدر
محبته ومن فارق محبوبه اشتدت محنته وعذابه فمهما كان القلب الغالب عليه عند الموت حب
الاهل والولد والمال والمسكن والعقار والرفقاء والاصحاب فهذا رجل محابه كلها في الدنيا فالدنيا
جنته اذ الجنة عبارة عن البقعة الجامعة لجميع المحاب فموته خروج من الجنة وحيلولة بينه وبين ما يشتهيه
ولا يخفى حال من يحال بينه وبين ما يشتهيه فاما اذا لم يكن له محبوب سوى الله وسوى ذكره ومعرفته
والفكر فيه فالدنيا وعلائقها شاغلة له عن المحبوب فالدنيا اذا سجنه لان السجن عبارة عن البقعة المانعة
للمحبوس عن الاسترسال في محابه فموته قدوم على محبوبه وخلاص من السجن ولا يخفى حال من افلت من السجن
وخلي بينه وبين محبوبه بلا مانع ولا مكدر فهذا اول ما يلقاه كل من فارق الدنيا عقيب موته من الثواب و
العقاب فضلا عما اعده الله لعباده الصالحين مما لا ترى عين ولا يخطر على قلب بشر وفضلا عما اعد
للذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ورضوا بها واطمانوا اليها من الانكال والسلاسل والاغلال وضروب
الخزي والنكال فنسأل الله تعالى ان يتوفانا مسلمين ويلحقنا بالصالحين ولا مطمع في اجابة هذا الدعا
الا باكتساب محبة الله ولا سبيل الا باخراج حب غيره من القلب وقطع العلائق عن كل ما سوى الله من جاه ومال
ووطن فالاولى ان ندعو بما دعا به نبينا صلى الله عليه وسلم اذ قال اللهم ارزقني حبك وحب من احبك وحب ما
يقربني الى حبك واجعل حبك احب الي من الماء البارد والغرض ان غلبة الرجا عند الموت اصلح لانه اجلب للمحبة
وغلبة الخوف قبل الموت اصلح لانه احرق لنار الشهوات واقمع لمحبة الدنيا عن القلب ولذلك قال صلى
الله عليه وسلم لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بربه وقال تعالى انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ولما
حضر سليمان التيمي الوفاة قال لابنه يا بني حدثني بالرخص واذكر لي الرجا حتى القى الله تعالى على حسن الظن
به وكذلك لما حضرت الثوري الوفاة واشتد جزعه جمع العلماء حوله يرجونه وقال احمد بن حنبل رحمه الله
لابنه عند الموت اذكر لي الاخبار التي فيها الرجا وحسن الظن والمقصود من ذلك كله ان يحبب الله الى
نفسه ولذلك اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ان حببني الى عبادي فقال بماذا فقال بان تذكرهم

الآتي ويتجافى فإذا غاية السعادة أن يموت العبد محبا لله وإنما تحصل المحبة بالمعرفة وبإخراج حب الدنيا
من القلب حتى يصير الدنيا كالسجن المانع من المحبوب ولذلك رأى بعض الصالحين أبا سليمان الداراني في
المنام وهو يطير فسأله فقال الآن أفلت فلما أصبح سأل عن حاله فقيل إنه مات البارحة

باب الدواء الذي يستجلب حال الخوف

اعلم أن ما ذكرناه في دواء الصبر وشرحناه في كتاب الصبر والشكر
هو كاف في هذا الغرض لأن الصبر لا يمكن إلا بعد حصول الخوف والرجاء لأن أول مقامات الدين اليقين الذي
هو عبارة عن قوة الإيمان بالله واليوم الآخر والجنة والنار وهذا اليقين بالضرورة يهيج الخوف من النار
والرجاء للجنة والخوف والرجاء يقويان على الصبر فإن الجنة قد حفت بالمكاره فلا يصبر على تحملها إلا بقوة
الرجاء والنار قد حفت بالشهوات فلا يصبر على قمعها إلا بقوة الخوف ولذلك قال علي كرم الله وجهه
من اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات ثم يؤدي مقام الصبر المستفاد
من الخوف والرجاء إلى مقام المجاهدة والتجرد لذكر الله والفكر فيه على الدوام ويؤدي دوام الذكر إلى الأنس
ودوام الفكر إلى كمال المعرفة ويؤدي كمال المعرفة والأنس إلى المحبة ويتبعها مقام الرضا والتوكل وسائر
المقامات فهذا هو الترتيب في سلوك منازل الدين فليس بعد أصل اليقين مقام سوى الخوف والرجا
ولا بعدهما مقام سوى الصبر وبه المجاهدة والتجرد لله باطنا وظاهرا ولا مقام بعد المجاهدة لمن فتح له الطريق
إلا الهداية والمعرفة ولا مقام بعد المعرفة إلا المحبة والأنس ومن ضرورة المحبة الرضا بفعل المحبوب والثقة
بعنايته وهو التوكل فإذا فيما ذكرناه في علاج الصبر كفاية ولكنا نفرد الخوف بكلام جملي فنقول الخوف يحصل
بطريقين مختلفين أحدهما أعلى من الآخر ومثاله أن الصبي إذا كان في بيت فدخل عليه سبع أو حية ربما كان
لا يخاف وربما مد اليد إلى الحية ليأخذها ويلعب بها ولكن إذا كان معه أبوه وهو عاقل خاف من الحية
وهرب منها فإذا نظر الصبي إلى أبيه وهو ترتعد فرائصه ويحتال في الهرب قام معه وغلب عليه الخوف
ووافقه في الهرب فخوف الأب عن بصيرة ومعرفة بصفة الحية وسمها وخاصيتها وسطوة السبع وبطشه
وقلة مبالاته وأما خوف الابن فإيمان بمجرد التقليد لأنه يحسن الظن بأبيه ويعلم أنه لا يخاف إلا من سبب مخوف
في نفسه فيعلم أن السبع مخوف ولا يعرف وجهه فإذا عرفت هذا المثال فاعلم أن الخوف من الله تعالى على مقامين
أحدهما الخوف من عذابه والثاني الخوف منه في ذاته فأما الخوف منه فهو خوف العلماء وأرباب القلوب العارفين
من صفاته ما يقتضي الهيبة والخوف المطلعين على سر قوله تعالى ويحذركم الله نفسه وقوله اتقوا الله
حق تقاته فأما الأول فهو خوف عموم الخلق وهو حاصل بأصل الإيمان بالجنة والنار وكونهما جزاءين على
الطاعة والمعصية وضعفه بسبب الغفلة وبسبب ضعف الإيمان وإنما تزول الغفلة بالوعظ والتذكير
وملازمة الفكر في أهوال القيامة وأصناف العذاب في الآخرة ويزيد أيضا بالنظر إلى الخائفين ومجالستهم
ومشاهدة أحوالهم فإن فاتت المشاهدة فالسماع لا يخلو عن تأثير وأما الثاني وهو الأعلى أن يكون الله هو
المخوف أعني أن يخاف البعد والحجاب عنه ويرجو القرب منه قال ذو النون خوف النار عند خوف الفراق
كقطرة قطرت في بحر لجي وهذه خشية العلماء حيث قال تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء ولعموم المؤمنين
أيضا حظ من هذه الخشية ولكن هو بمجرد التقليد يضاهي خوف الصبي من الحية تقليدا لأبيه وذلك
لا يستند إلى بصيرة فلا جرم يضعف ويزول على قرب حتى إن الصبي ربما يرى المعزم يقدم على أخذ الحية فينظر
إليه ويغتر به فيتجرأ على أخذها تقليدا له كما احترز من أخذها تقليدا لأبيه فالمعتقدات التقليدية
ضعيفة في الغالب إلا إذا قويت بمشاهدة أسبابها المؤكدة لها على الدوام وبالمواظبة على مقتضاها في

تكثير الطاعات واجتناب المعاصي مدة طويلة على الاستمرار فإذا من ارتقى إلى ذروة المعرفة وعرف
الله خافه بالضرورة فلا يحتاج إلى علاج لجلب الخوف كما أن من عرف السبع ورأى نفسه واقعا في مخالبه
لا يحتاج إلى علاج لجلب الخوف إلى قلبه بل يخاف بالضرورة شاء أم أبى ولذلك أوحى الله تعالى إلى داود عليه
السلام خفني كما تخاف السبع الضاري ولا حيلة في جلب الخوف من السبع الضاري إلا معرفة السبع ومعرفة
الوقوع في مخالبه فلا يحتاج إلى حيلة سواه فمن عرف الله تعالى أنه يفعل ما يشاء ولا يبالي ويحكم ما يريد ولا
يخاف قرب الملائكة من غير وسيلة سابقة وأبعد إبليس من غير جريمة سالفة بل صفته ما ترجمه قوله تعالى
هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي وإن خطر ببالك أنه لا يعاقب إلا على معصية ولا يثيب
إلا على طاعة فتأمل أنه لم يمد المطيع بأسباب الطاعة حتى يطيع شاء أم أبى ولم يمد العاصي بدواعي المعصية
حتى يعصي شاء أم أبى فإنه مهما خلق الغفلة والشهوة والقدرة على قضاء الشهوة كان الفعل واقعا بالضرورة
فإن كان أبعده لأنه عصاه فلم حمله على المعصية هل لذلك معصية سابقة حتى يتسلسل إلى غير نهاية أو
يقف لا محالة على أول لا علة له من جهة العبد بل قضى عليه في الأزل وعن هذا المعنى عبر النبي صلى الله عليه وسلم
إذ قال احتج آدم وموسى فحج آدم موسى فقال موسى أنت آدم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه
وأسجد لك ملائكته وأسكنك جنته ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض فقال آدم أنت موسى الذي
اصطفاك الله برسالته وبكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجيا فكم وجدت الله تعالى
كتب التوراة قبل أن أخلق قال موسى بأربعين عاما قال آدم فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى
قال نعم قال أفتلومني على أن عملت عملا كتبه الله علي أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة قال صلى الله عليه
وسلم فحج آدم موسى فمن عرف السبب في هذا الأمر معرفة صادرة عن نور الهداية فهو من خصوص العارفين
المطلعين على سر القدر ومن سمع هذا فآمن به وصدق بمجرد السماع فهو من عموم المؤمنين ويحصل لكل واحد
من الفريقين خوف السبع والسبع قد يغفل بالاتفاق فيخليه وقد يهجم عليه فيفترسه وذلك بحسب ما
يتفق ولذلك الاتفاق أسباب مرتبة بقدر معلوم ولكن إذا أضيف إلى من لا يعرفه سمي اتفاقا وإن
أضيف إلى علم الله لم يجز أن يسمى اتفاقا فالواقع في مخالب السبع لو كملت معرفته لكان لا يخاف السبع لأن
السبع لأن السبع مسخر إن سلط عليه الجوع افترس وإن سلط عليه الغفلة خلاه وتركه فإنما يخاف السبع
وخالق صفاته فلست أقول إن شاء الخوف من الله عز وجل الخوف من السبع بل إذا كشف الغطاء علم أن الخوف
من السبع هو عين الخوف من الله تعالى لأن المهلك بواسطة السبع هو الله فاعلم أن سباع الآخرة مثل سباع
الدنيا فإن الله تعالى خلق أسباب العذاب وأسباب الثواب وخلق لكل واحد أهلا يسوقهم المقدر عن
القضاء المحتوم الأزلي إلى ما خلق له فخلق الجنة وخلق لها أهلا سخرهم لأسبابها شاءوا أم أبوا وخلق لها أهلا سخرهم
لأسبابها شاءوا أم أبوا فلا يرى أحد نفسه في ملتطم أمواج القدر إلا غلبه الخوف بالضرورة فهذه مخاوف
العارفين بسر القدر فمن قعد به القصور عن الارتقاء إلى مقام الاستبصار فسبيله أن يعالج نفسه بسماع
الأخبار والآثار فيطالع أحوال الخائفين وأقوالهم وينسب عقولهم ومناصبهم إلى مناصب الراجين المغرورين
فلا يتمارى في أن الاقتداء بهم أولى لأنهم الأنبياء والأولياء والعلماء وأما الآمنون فهم الفراعنة والجهال والأغبياء أما
رسولنا صلى الله عليه وسلم فهو سيد الأولين والآخرين وكان أشد الناس خوفا حتى روي أنه كان يصلي على طفل
فروي أنه سمع في دعائه أنه كان يقول اللهم قه عذاب القبر وعذاب النار وفي رواية ثانية أنه سمع قائلا يقول
هنيئا لك عصفور من عصافير الجنة فغضب وقال ما يدريك أنه كذلك والله إني رسول الله صلى الله عليه وسلم

وما ادري ما يصنع بي ان الله تعالى خلق الجنة وخلق لها اهلا لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم وروي انه قال ذلك
ايضا على جنازة عثمان بن مظعون وكان من المهاجرين الاولين لما قالت ام سلمة هنيئا لك الجنة فكانت تقول ام سلمة بعد
ذلك والله لا ازكي احدا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ابي الذي ولدني وقالت السبعة عليه فاخذ
يذكر من فضائل علي ومناقبه وروي في حديث اخر ان رجلا من اهل الصفة استشهد فقالت امه هنيئا لك عصفور
من عصافير الجنة هاجرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم بما لا ينفعه ويمنع ما لا يضره وفي
حديث اخر انه دخل عليه السلام على بعض اصحابه وهو عليل فسمع امرأة تقول هنيئا لك الجنة فقال صلى الله عليه وسلم من
هذه المتألية على الله عز وجل فقال المريض هي امي يا رسول الله فقال وما يدريك لعل فلانا كان يتكلم بما لا يعنيه
ويبخل بما لا يغنيه وكيف لا يخاف المؤمنون كلهم وهو صلى الله عليه وسلم يقول شيبتني سورة هود واخواتها سورة
الواقعة واذا الشمس كورت وعم يتساءلون فقال العلماء لعل ذلك لما في سورة هود من الابعاد كقوله تعالى الا بعدا
لعاد قوم هود الا بعدا لثمود الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود مع علمه صلى الله عليه وسلم بانه لو شاء الله ما اشركوا اذ لو شاء
لآتى كل نفس هداها وفي الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة اي جف القلم بما هو كائن الى يوم القيامة ودنت السابقة حتى
نزلت الواقعة اما خافضة قوم كانوا مرتفعين في الدنيا واما رافعة قوم كانوا مخفوضين في الدنيا وفي سورة
التكوير اهوال القيامة وانكشاف الخاتمة وهو قوله واذا الجحيم سعرت واذا الجنة ازلفت علمت نفس ما احضرت وفي
عم يتساءلون يوم ينظر المرء ما قدمت يداه وقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا والقران من اوله الى اخره
مخاوف لمن قرأه بتدبر ولو لم يكن فيه الا قوله تعالى واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى لكان كافيا اذ علق
المغفرة على اربعة شروط يعجز العبد عن احادها واشد منه قوله تعالى فاما من تاب وامن وعمل صالحا فعسى ان يكون
من المفلحين وقوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم وقوله سنفرغ لكم ايها الثقلان وقوله افامنوا مكر الله
الاية وقوله وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد وقوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن
وفدا الايتين وقوله وان منكم الا واردها الاية وقوله اعملوا ما شئتم الاية وقوله من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان
يريد حرث الدنيا الاية وقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقوله وقدمنا الى ما عملوا
من عمل فجعلناه هباء منثورا وكذلك قوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا
بالحق وتواصوا بالصبر فهذه اربعة شروط للخلاص من الخسران وانما كان خوف الانبياء مع ما فاض عليهم من النعم لانهم لم
يامنوا مكر الله تعالى فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون حتى روي ان النبي صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام
بكيا خوفا من الله عز وجل فاوحى الله تعالى اليهما لم تبكيان وقد امنتكما فقالا ومن يامن مكرك وكانهما اذ علما ان الله
هو علام الغيوب وانه لا وقوف لهما على غاية الامور لم يامنا ان يكون قوله قد امنتكما ابتلاء وامتحانا ومكرا بهما حتى ان
سكن خوفهما ظهر انهما قد امنا من المكر وما وفيا بقولهما كما ان ابراهيم صلى الله عليه وسلم لما وضع في المنجنيق قال
حسبي الله وكانت هذه من الدعاوى العظيمة فامتحن وعورض بجبريل في الهواء فقال الك حاجة فقال اما اليك
فلا فكان ذلك وفاء بحقيقة قوله حسبي الله فاخبر الله تعالى عنه وقال وابراهيم الذي وفى اي بموجب قوله حسبي
الله وبمثل هذا اخبر عن موسى حيث قالا اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى قال لا تخافا انني معكما اسمع و
ارى ومع هذا لما القى السحرة سحرهم اوجس في نفسه خيفة موسى اذ لم يأمن مكر الله والتبس الامر عليه حتى جدد
عليه الامن وقيل لا تخف انك انت الاعلى ولما ضعفت شوكة المسلمين يوم بدر قال صلى الله عليه وسلم اللهم
ان تهلك هذه العصابة لم يبق على وجه الارض احد يعبدك فقال ابو بكر رضي الله عنه دع مناشدتك ربك فانه واف لك بما
وعدك فكان مقام الصديق رضي الله عنه مقام الثقة بوعد الله وكان مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مقام الخوف

من مكر الله وهو اتم لانه لا يصدر الا عن كمال المعرفة باسرار الله وخفايا افعاله ومعاني صفاته التي يعبر عن بعض ما
يصدر عنها بالمكر وما لاحد من البشر الوقوف على كنه صفات الله ومن عرف حقيقة المعرفة وقصور معرفته عن
الاحاطة بكنه الامور عظم خوفه لا محالة ولذلك قال عيسى عليه السلام لما قيل له أانت قلت للناس اتخذوني
وامي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي
ولا اعلم ما في نفسك وقال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت الاية فوض الامر الى المشيئة واخرج
نفسه بالكلية من البين لعلمه بانه ليس له من الامر شيء وان الامور مرتبطة بالمشيئة ارتباطا يخرج عن حد المعقولات
والمألوفات فلا يمكن الحكم عليها بقياس ولا حدس وحسبان فضلا عن التحقيق والاستيقان وهذا هو الذي
قطع قلوب العارفين اذ الطامة الكبرى هي ارتباط امرك بمشيئة من لا يبالي بك ان اهلكك فقد اهلك امثالك ممن
لا يحصى ولم يزل في الدنيا يعذبهم بانواع الالام والامراض ويمرض مع ذلك قلوبهم بالكفر والنفاق ثم يخلد
العقاب عليهم ابد الاباد ثم يخبر عنه ويقول ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لاملان جهنم الاية
وقال تعالى وتمت كلمة ربك لاملان جهنم الاية فكيف لا يخاف ما حق من القول في الازل ولا يطمع في تداركه ولو كان
الامر انفا لكانت الاطماع تمتد الى حيلة فيه ولكن ليس الا التسليم واستقراء الخط السابقة من جلي الاسباب الظاهرة
على القلب والجوارح فمن يسرت له اسباب الشر وحيل بينه وبين اسباب الخير واحكمت علاقته مع الدنيا فكانه كشف
له على التحقيق سر السابقة التي سبقت له بالشقاوة اذ كل ميسر لما خلق له وان كانت الخيرات كلها ميسرة والقلب
بالكلية عن الدنيا منقطعا وبظاهره وباطنه على الله مقبلا كان هذا يقتضي تخفيف الخوف لو كان الدوام على ذلك
موثوقا به ولكن خطر الخاتمة وعسر الثبات يزيد نيران الخوف اشتعالا ولا يمكنها من الانطفاء وكيف يؤمن
تغير الحال وقلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن وان القلب اشد تقلبا من القدر في غليانها وقد قال مقلب القلوب
ان عذاب ربهم غير مأمون فاجهل الناس من امنه وهو ينادي بالحذر من الامن ولولا ان الله لطف بعباده العارفين
اذ روح قلوبهم بروح الرجاء لاحترقت قلوبهم من نار الخوف فاسباب الرجاء رحمة لخواص الله واسباب الغفلة رحمة على
عوام الخلق من وجه اذ لو انكشف الغطاء لزهقت النفوس وتقطعت القلوب من خوف مقلب القلوب قال
بعض العارفين لو حالت بيني وبين من عرفته بالتوحيد خمسين سنة اسطوانة فمات لم اقطع له بالتوحيد لاني لا ادري
ما ظهر له من التقليب وقال بعضهم لو كانت الشهادة على باب الدار والموت على الاسلام عند باب الحجرة
لاخترت الموت على الاسلام لاني لا ادري ما يعرض لقلبي من الحجرة الى باب الدار وكان ابو الدرداء يحلف بالله ما احد يأمن
على ايمانه ان يسلب عند الموت الا سلبه وكان سهل يقول خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطرة
وعند كل حركة وهم الذين وصفهم الله تعالى اذ قال وقلوبهم وجلة ولما احتضر سفيان جعل يبكي ويجزع فقيل له يا ابا عبد
الله عليك بالرجاء فان عفو الله اعظم من ذنوبك فقال او على ذنوبي ابكي لو علمت اني اموت على التوحيد لم ابال بان القى
الله تعالى بامثال الجبال من الخطايا وحكي عن بعض الخائفين انه اوصى بعض اخوانه فقال اذا حضرتني الوفاة فاقعد عند
راسي فان رايتني مت على التوحيد فخذ جميع ما املكه فاشتر به لوزا وسكرا وانثره على صبيان اهل البلد وقل هذا
عرس المنقلب وان مت على غير التوحيد فاعلم الناس بذلك حتى لا يغتروا بشهود جنازتي ليحضر جنازتي من احب على بصيرة لئلا
يلحقني الرياء بعد الوفاة قال وبم اعلم ذلك فذكر له علامة فرأى علامة التوحيد عند موته فاشترى السكر و
اللوز وفرقه وكان سهل يقول المريد يخاف ان يبتلى بالمعاصي والعارف يخاف ان يبتلى بالكفر وكان ابو يزيد
يقول اذا توجهت الى المسجد كان في وسطي زنارا اخاف ان يذهب بي الى البيعة وبيت النار حتى ادخل المسجد فينقطع عني
الزنار فهذا لي في كل يوم خمس مرات وروي عن عيسى عليه السلام انه قال يا معشر الحواريين انتم تخافون المعاصي

وعن معاصي الانبيا بخلاف الكفر وروي في اخبار الانبيا عليهم السلام ان نبيا شكا الى الله تعالى الجوع والقمل
والعري سنين وكان لباسه الصوف فاوحى الله تعالى اليه عبدي اما رضيت ان عصمت قلبك ان تكفر بي حتى
تسالني الدنيا فاخذ التراب فوضعه على راسه وقال بلى رضيت يا رب فاعصمني من الكفر فاذا كان خوف
العارفين مع رسوخ اقدامهم وقوة ايمانهم من سوء الخاتمة فكيف لا يخاف الضعفا ولسوء الخاتمة اسباب تتقدم
على الموت مثل البدعة والنفاق والكبر وجملة من الصفات المذمومة ولذلك اشتد خوف الصحابة من النفاق
حتى قال الحسن لو اعلم اني بري من النفاق كان احب الي مما طلعت عليه الشمس وما عنوا به النفاق الذي هو ضد
اصل الايمان بل المراد به ما يجتمع مع اصل الايمان فيكون مسلما منافقا وله علامات كثيرة قال صلى الله عليه
وسلم اربع من كن فيه فهو منافق خالص وان صام وصلى وزعم انه مسلم وان كانت فيه خصلة منهن ففيه شعبة
من النفاق حتى يدعها من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان واذا خاصم فجر وفي لفظ اخر واذا
عاهد غدر وقد فسر الصحابة والتابعون النفاق بتفاسير لا يخلو عن شي منها الا صديق اذ قال الحسن
ان من النفاق اختلاف السر والعلانية واختلاف اللسان والقلب والمدخل والمخرج ومن الذي يخلو عن هذه
المعاني بل صارت هذه الامور مالوفة بين الناس معتادة ونسي كونها منكرا بالكلية بل جرى ذلك على قرب
عهد بزمان النبوة فكيف الظن بزماننا حتى قال حذيفة ان كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيصير بها منافقا اني لاسمعها من احدكم في اليوم عشر مرات وكان اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقولون انكم لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم من الكبائر وقال بعضهم علامة النفاق ان يكره من الناس ما ياتي مثله وان يحب على شي من
الجور وان يبغض على شي من الحق وقيل من النفاق انه اذا مدح بشي ليس فيه اعجبه ذلك وقال رجل لابن
عمر رضي الله عنهما انا ندخل على هؤلا الامرا فنصدقهم بما يقولون فاذا خرجنا تكلمنا فيهم فقال كنا نعد هذا نفاقا
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي انه سمع رجلا يذم الحجاج ويقع فيه فقال ارايت لو كان الحجاج
حاضرا اكنت تتكلم بما تكلمت به فقال لا فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم واشد من
ذلك ما روي ان نفرا قعدوا على باب حذيفة ينتظرونه فكانوا يتكلمون في شي من شانه فلما خرج عليهم سكتوا حيا
منه فقال تكلموا فيما كنتم تقولون فسكتوا فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهذا حذيفة قد كان خص بعلم المنافقين واسباب النفاق وكان يقول انه ياتي على القلب ساعة يمتلي
بالنفاق حتى لا يكون للايمان فيه مغرز ابرة وياتي عليه ساعة يمتلي بالايمان حتى لا يكون للنفاق فيه مغرز ابرة
فقد عرفت بهذا ان خوف العارفين من سو الخاتمة وان سببه امور مقدمة منها البدع ومنها المعاصي
ومنها النفاق ومتى يخلو العبد عن شي من ذلك وان ظن انه قد خلا عنه فهو النفاق اذ قيل لو امن النفاق
فهو منافق وقال بعضهم لبعض العارفين اني اخاف على نفسي النفاق فقال لو كنت منافقا لما خفت
النفاق فلا يزال العارف بين الالتفات الى السابقة والخاتمة خائفا منهما ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
العبد المؤمن بين مخافتين بين اجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين اجل قد بقي لا يدري ما الله قاض
فيه فو الذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة والنار بيان معنى سو
الخاتمة فان قلت اكثر هذه لا يرجع معظمها الا الى سو الخاتمة فما معنى سو الخاتمة فاعلم ان سو الخاتمة على
رتبتين احديهما اعظم من الاخرى فاما الرتبة العظيمة الهائلة فان يغلب على القلب عند سكرات الموت و
ظهور اهواله اما الشك واما الجحود فتقبض الروح في حال غلبة الجحود او الشك فيكون ما غلب على القلب من عقدة الجحود

حجابا بينه وبين الله ابدا وذلك يقتضي البعد الدائم والعذاب المخلد والثانية وهي دونها ان يغلب على
قلبه عند الموت حب امر من امور الدنيا وشهوة من شهواتها فيتمثل ذلك في قلبه ويستغرقه حتى لا يبقى في
تلك الحالة متسع لغيره فيتفق قبض روحه في تلك الحالة فيكون استغراق قلبه منكسا راسه الى الدنيا
وصارفا وجهه اليها ومهما انصرف الوجه عن الله تعالى حصل الحجاب ومهما حصل الحجاب نزل العذاب اذ نار الله
الموقدة لا تاخذ الا المحجوبين فاما المؤمن السليم قلبه من حب الدنيا المصروف همه الى الله تعالى فتقول له النار
جز يا مؤمن فان نورك قد اطفا لهبي فمهما اتفق قبض الروح في حالة غلبة حب الدنيا فالامر مخطر لان المرء يموت
على ما عاش عليه ولا يمكن اكتساب صفة اخرى بعد الموت تضاد الصفة الغالبة اذ لا تصرف في القلوب
الا باعمال الجوارح وقد بطلت الجوارح بالموت فبطلت الاعمال فلا مطمع في عمل ولا مطمع في رجوع الى
الدنيا ليتدارك وعند ذلك تعظم الحسرة الا ان اصل الايمان وحب الله تعالى اذا كان قد رسخ في
القلب مدة طويلة وتاكد ذلك بالاعمال الصالحة فانه يمحو عن القلب هذه الحالة التي عرضت له عند الموت
فان كان ايمانه في القوة الى حد مثقال اخرجه من النار في زمان اقرب وان كان اقل من ذلك طال مكثه في
النار ولو لم يكن الا مثقال حبة فلا بد وان يخرجه من النار ولو بعد الاف سنين فان قلت فما ذكرته
يقتضي ان تسرع النار اليه عقيب موته فما باله يؤخر الى القيمة ويمهل طول هذه المدة فاعلم ان من انكر عذاب القبر
فهو مبتدع محجوب عن نور الايمان ونور القران بل الصحيح عند ذوي الابصار ما صحت به الاخبار وهو
ان القبر اما حفرة من حفر النيران او روضة من رياض الجنان وانه قد يفتح الى قبر المعذب سبعون بابا من
الجحيم كما وردت به الاخبار فلا تفارقه روحه الا وقد نزل به البلا ان كان قد شقي بسو الخاتمة وانما تختلف
اصناف العذاب باختلاف الاوقات فيكون سؤال منكر ونكير عند الوضع في القبر والعذاب بعده ثم المناقشة
في الحساب والافتضاح على ملا الاشهاد في القيمة ثم بعد ذلك خطر الصراط وهول الزبانية الى اخر ما وردت به الاخبار
فلا يزال الشقي مترددا في جميع احواله بين اصناف العذاب وهو في جملة الاحوال معذب الا ان يتغمده الله برحمته
ولا تظنن ان محل الايمان ياكله التراب بل التراب ياكل جميع الجوارح ويبددها الى ان يبلغ الكتاب اجله فتجتمع
الاجزا المتفرقة ويعاد اليها الروح الذي هو محل الايمان وقد كانت من وقت الموت الى الاعادة اما في حواصل طير خضر
معلقة تحت العرش ان كانت سعيدة واما على حالة تضاد هذه الحالة ان كانت والعياذ بالله شقية فان قلت
فما السبب الذي يفضي الى سو الخاتمة فاعلم ان اسباب هذه الامور لا يمكن احصاؤها على التفصيل ولكن يمكن
الاشارة الى مجامعها اما الختم على الشك والجحود فينحصر سببه في شيئين احدهما يتصور مع تمام الورع والزهد
وتمام الصلاح في الاعمال كالمبتدع الزاهد فان عاقبته مخطرة جدا وان كانت اعماله صالحة ولست اعني
مذهبا فاقول بدعة فان بيان ذلك يطول القول فيه بل اعني بالبدعة ان يعتقد الرجل في ذات الله وصفاته
وافعاله خلاف الحق فيعتقده على خلاف ما هو عليه اما برايه ومعقوله ونظره الذي به يجادل الخصم وعليه يعول وبه
يغتر واما اخذا بالتقليد ممن هذا حاله فاذا قرب الموت وظهرت له ناصية ملك الموت واضطرب القلب
بما فيه ربما ينكشف له في حال سكرات الموت بطلان ما اعتقده جهلا اذ حال الموت حال كشف الغطا ومبادي
سكراته منه فقد ينكشف به بعض الامور فمهما بطل عنده ما كان اعتقده وقد كان قاطعا به متيقنا له عند
نفسه لم يظن بنفسه انه اخطا في هذا الاعتقاد خاصة لاجل رايه الباطل القاصر وعقله الناقص بل ظن ان كل
ما اعتقده لا اصل له اذ لم يكن عنده فرق بين ايمانه بالله ورسوله وسائر اعتقاداته الصحيحة وبين اعتقاده
الفاسد فيكون انكشاف بعض اعتقاداته عن الجهل سببا لبطلان بقية اعتقاداته او لشكه فيها فان

اتفق زهوق روحه في هذه الخطرة قبل ان يثبت ويعود الى اصل الايمان فقد ختم له بالسوء وخرجت روحه
على الشرك والعياذ بالله منه فهؤلاء هم المرادون بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبقوله
تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا
وكما انه قد ينكشف في النوم ما سيكون في المستقبل وذلك بسبب خفة اشتغال القلب بالدنيا عن القلب
فكذلك ينكشف في سكرات الموت بعض الامور اذ شواغل الدنيا وشهوات البدن هي المانعة للقلب من ان
ينظر الى الملكوت فيطالع ما في اللوح المحفوظ لينكشف له الامور على ما هي عليه فيكون مثل هذه الحالة سبب
الكشف ويكون الكشف سبب الشك في بقية الاعتقادات وكل من اعتقد في الله وفي صفاته وافعاله
شيئا على خلاف ما هو به اما تقليدا واما نظرا بالراي والمعقول فهو في هذا الخطر والزهد والصلاح لا يكفي لرفع
هذا الخطر بل لا ينجي منه الا الاعتقاد الحق والبله بمعزل عن هذا الخطر اعني الذين امنوا بالله ورسوله واليوم الاخر
ايمانا مجملا راسخا كالاعراب والسوادية وسائر العوام الذين لم يخوضوا في البحث والنظر ولم يشرعوا في الكلام
استقلالا ولا اصغوا الى اصناف المتكلمين في تقليد اقاويلهم المختلفة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اكثر
اهل الجنة البله ولذلك منع السلف من البحث والنظر والخوض في الكلام والتفتيش عن هذه الامور وامروا الخلق
ان يقتصروا على الايمان بما انزل الله جميعه وبكل ما جاء من الظواهر مع اعتقاد نفي التشبيه ومنعوهم عن الخوض
في التاويل لان الخطر في البحث عن الصفات عظيم وعقباته كؤودة ومسالكه وعرة والعقول عن درك جلال
الله قاصرة وهداية الله بنور اليقين عن القلوب بما جبلت عليه من حب الدنيا محجوبة وما ذكره الباحثون
ببضاعة عقولهم مضطرب ومتعارض والقلوب لما القي اليها في مبدا الفطرة الفة وبه متعلقة والتعصبات
الثائرة بين الخلق مسامير مؤكدة للعقائد الموروثة او الماخوذة بحسن الظن من المعلمين في اول الامر ثم الطباع
بحب الدنيا مشغوفة وعليها مقبلة وشهوات الدنيا بمخنقها اخذة وعن تمام الفكر صارفة فاذا فتح
باب الكلام في الله وفي صفاته بالراي والمعقول مع تفاوت الناس في قرائحهم واختلافهم في طباعهم وحرص
كل جاهل منهم على ان يدعي الكمال او الاحاطة بكنه الحق انطلقت السنتهم بما يقع لكل واحد منهم وتعلق
ذلك بقلوب المصغين اليهم وتاكد ذلك بطول الالف فيهم وانسد بالكلية طريق الخلاص عليهم
فكانت سلامة الخلق في ان يشتغلوا بالاعمال الصالحة ولا يتعرضوا لما هو خارج عن حد طاقتهم ولكن الان
قد استرخى العنان وفشا الهذيان ونزل كل جاهل على ما وافق طبعه بظن وحسبان وهو يعتقد ان ذلك علم
واستيقان وانه صفو الايمان ويظن ان ما وقع له من حدس وتخمين علم اليقين ولتعلمن نباه بعد حين
وينبغي ان ينشد في هؤلاء عند كشف الغطاء شعر احسنت ظنك بالايام اذ حسنت ولم تخف سوء ما ياتي
به القدر وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر واعلم يقينا ان كل من
فارق الايمان الساذج بالله ورسله وكتبه وخاض في البحث فقد تعرض لهذا الخطر ومثاله من انكسرت سفينته
وهو في ملتطم الامواج يرمي به موج الى موج فربما يتفق ان يلقيه الى الساحل وذلك بعيد والهلاك اغلب
عليه وكل نازل على عقيدة تلقفها من الباحثين ببضاعة عقولهم اما مع الادلة التي حرروها في تعصباتهم
او دون الادلة ان كان شاكا فيه فهو فاسد الدين وان كان واثقا به فهو امن من مكر الله مغتر بعقله
الناقص وكل خائض في البحث فلا ينفك عن هاتين الحالتين الا اذا جاوز حدود المعقول الى نور المكاشفة
الذي يشرق في عالم الولاية والنبوة وذلك هو الكبريت الاحمر واني يتيسر وانما يسلم عن هذا الخطر البله من
العوام او الذين شغلهم خوف النار بطاعة الله فلم يخوضوا في هذا الفضول فهذا احد الاسباب المخطرة

في سوء الخاتمة **واما السبب الثاني** فهو ضعف الايمان في الاصل ثم استيلاء حب الدنيا على القلب
ومهما ضعف الايمان ضعف حب الله وقوي حب الدنيا فيصير بحيث لا يبقى في القلب موضع لحب الله الا من
حيث حديث نفس لا يظهر له اثر في مخالفة النفس والعدول عن طريق الشيطان فيورث ذلك الانهماك في
اتباع الشهوات حتى يظلم القلب ويسود ويتراكم ظلمة الذنوب على القلب ولا يزال يطفي ما فيه من نور الايمان
على ضعفه حتى يصير طبعا ورينا فاذا جاءت سكرات الموت ازداد ذلك الحب اعني حب الله ضعفا لما يبدو
من استشعار فراق الدنيا ويرى ذلك من الله فيختلج ضميره بانكار ما قدر عليه من الموت وكراهة ذلك
من حيث انه من الله فيخشى ان يثور في باطنه بغض الله بدل الحب كما ان الذي يحب ولده حبا ضعيفا اذا اخذ
ولده امواله التي هي احب اليه من ولده واحرقها انقلب ذلك الحب بغضا فان اتفق زهوق روحه في تلك
اللحظة التي خطرت فيها هذه الخطرة فقد ختم له بالسوء وهلك هلاكا مؤبدا والسبب الذي يفضي الى مثل
هذه الخاتمة هو غلبة حب الدنيا والركون اليها والفرح باسبابها مع ضعف الايمان الموجب لضعف حب الله
تعالى فمن وجد في قلبه حب الله تعالى اغلب من حب الدنيا وان كان يحب الدنيا ايضا فهو ابعد عن هذا الخطر
وحب الدنيا راس كل خطيئة وهو الداء العضال وقد عم اصناف الخلق وذلك كله لقلة المعرفة بالله تعالى
اذ لا يحبه الا من عرفه ولهذا قال تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم
واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا
حتى ياتي الله بامره فاذن من فارقته روحه في حالة خطرة الانكار على الله تعالى بباله وظهور بغض فعل الله تعالى
بقلبه في تفرقته بينه وبين اهله وماله وسائر محابه فيكون موته قدوما على ما ابغضه وفراقا لما احبه
فيقدم على الله تعالى قدوم العبد المبغض الابق اذا قدم به على مولاه قهرا فلا يخفى ما يستحقه من الخزي والنكال
واما الذي يتوفى على الحب فانه يقدم على الله قدوم العبد المحسن المشتاق الى مولاه الذي تحمل مشاق الاعمال
ووعثاء الاسفار طمعا في لقائه فلا يخفى ما يلقاه من الفرح والسرور بمجرد القدوم فضلا عما يستحقه من
لطائف الاكرام وبدائع الانعام **واما** الخاتمة الثانية التي هي دون الاولى وليست مقتضية للخلود في
النار فلها ايضا سببان احدهما كثرة المعاصي وان قوي الايمان والاخر ضعف الايمان وان قلت المعاصي وذلك لان
مقارفة المعاصي سببها غلبة الشهوات ورسوخها في القلب بكثرة الالف والعادة وجميع ما الفه الانسان
في عمره يعود ذكره الى قلبه عند موته فان كان ميله الاكثر الى المعاصي غلب ذكرها على قلبه عند الموت فربما تقبض
روحه عند غلبة شهوة من شهوات الدنيا ومعصية من المعاصي فيتقيد بها قلبه ويصير محجوبا عن الله تعالى
فالذي لا يقارف الذنب الا الفينة بعد الفينة فهو ابعد عن هذا الخطر والذي غلبت عليه المعاصي وكانت اكثر
من طاعاته وقلبه بها افرح منه بالطاعات فهذا الخطر عظيم في حقه جدا ونعرف هذا بمثال وهو انه
لا يخفى عليك ان الانسان يرى في منامه جملة من الاحوال التي عهدها طول عمره حتى انه لا يرى الا ما يماثل مشاهدته
في اليقظة وحتى ان المراهق الذي يحتلم لا يرى صورة الوقاع اذا لم يكن قد واقع في اليقظة ولو بقي كذلك مدة
لما رأى عند الاحتلام صورة الوقاع ثم لا يخفى ان الذي قضى عمره في التفقه يرى من الاحوال المتعلقة بالعلم
والعلماء اكثر مما يراه التاجر الذي قضى عمره في التجارة والتاجر يرى من الاحوال المتعلقة باسباب التجارة اكثر مما
يراه الطبيب والفقيه لانه انما يظهر في حالة النوم ما حصل له مناسبة مع القلب بطول الالف او بسبب اخر من
الاسباب والموت شبه النوم ولكنه فوقه ولكن سكرات الموت وما يتقدمه من الغشية قريب من
النوم فيقتضي ذلك تذكر المالوف وعوده الى القلب واحد الاسباب المرجحة لحصول ذكره في القلب طول الالف

فيطول الالف بالمعاصي والطاعات ايضا مزيج ولذلك تختلف ايضا منامات الصالحين ومنامات الفساق
فيكون غلبة الالف سببا لان يتمثل صورة فاحشة في قلبه ويميل اليها نفسه فربما يقبض عليها ويكون
ذلك سوء خاتمته وان كان اصل الايمان باقيا بحيث يرجى له الخلاص منها وكما انما يخطر في اليقظة انما يخطر بسبب
خاص يعلمه الله تعالى فكذلك احاد المنامات لها اسباب عند الله تعرف بعضها ولا تعرف بعضها كما انا نعلم
ان الخاطر ينتقل من الشيء الى ما يناسبه اما بالمشابهة واما بالمضادة واما بالمقارنة بان يكون قد ورد على
الحس منهما اما المشابهة فبان ينظر الى جميل فيتذكر جميلا آخر واما بالمضادة فبان ينظر الى جميل فيتذكر قبيحا
ويتامل في شدة التفاوت بينهما واما بالمقارنة فبان ينظر الى فرس قد رآه قبل مع انسان فيتذكر ذلك الانسان
وقد ينتقل الخاطر من الشيء الى الشيء ولا يدري وجه مناسبته له وانما يكون ذلك بواسطة وواسطتين مثل ان
ينتقل من شيء الى ثان ومنه الى ثالث ثم ينسى الثاني ولا يكون بين الثالث والاول مناسبة ولكن يكون بينه
وبين الثاني مناسبة وبين الثاني والاول مناسبة فكذلك لانتقالات الخواطر في المنام اسباب من هذا الجنس
وكذا عند سكرات الموت ومن ذا الذي يكف خاطره عن الانتقال الى المعاصي والشهوات فلا طريق الا المجاهدة
طول العمر في فطامه نفسه عنها وفي قمع الشهوات من القلب فهذا هو القدر الذي يدخل تحت الاختيار
ويكون طول المواظبة على الخير وتخلية الفكر عن الشر عدة وذخيرة لحالة سكرات الموت فانه كما يموت المرء على ما عاش
عليه يحشر على ما مات عليه ولذلك نقل عن بقال انه كان يلقن عند الموت كلمتي الشهادة وهو يقول خمسة
ستة اربعة فكان مشغول النفس بالحساب الذي طال الفه له قبل الموت قال بعض العارفين من
السلف ان العرش جوهرة يتلألأ نورا فلا يكون العبد على حال الا انطبع مثاله في العرش على الصورة التي كان عليها
فاذا كان في سكرات الموت كشفت له صورته من العرش فربما يرى نفسه على صورة معصية وكذلك يكشف له
يوم القيمة فيرى احوال نفسه فياخذه من الحياء والخوف ما يجل عن الوصف وما ذكره صحيح وسبب الرؤيا
الصادقة قريب منه فان النائم يدرك مما يكون في المستقبل من مطالعة اللوح المحفوظ وهو جزء من اجزاء
النبوة فاذا رجع سوء الخاتمة الى احوال القلب واختلاج الخواطر ومقلب القلوب هو الله والاتفاقات المقتضية
لسوء الخواطر غير داخلة تحت الاختيار دخولا كليا وان كان لطول الالف فيه تاثير فلهذا عظم خوف العارفين
من سوء الخاتمة لانه لو اراد الانسان ان لا يرى في المنام الا احوال الصالحين واحوال الطاعات والعبادات
عسر عليه ذلك وان كانت كثرة الصلاح والمواظبة عليه مما يؤثر فيه ولكن اضطرابات الخيال لا تدخل بالكلية
تحت الضبط وان كان الغالب مناسبة ما يظهر في النوم لما غلب في اليقظة حتى سمعت الشيخ ابا علي الفارمذي
رحمه الله يصف لي وجوب حسن ادب المريد لشيخه وان لا يكون في قلبه انكار لكل ما يقوله ولا في لسانه
مجادلة عليه فقال حكيت لشيخي ابي القسم الكركاني مناما لي وقلت رايتك قلت لي كذا فقلت لم
ذلك فهجرني شهرا ولم يكلمني وقال لولا انه كان في باطنك تجويز المطالبة والانكار لما قلته لما جرى على
لسانك في المنام وهو كما قال فقل ما يرى الانسان في منامه خلاف ما يغلب في اليقظة على قلبه فهذا هو
القدر الذي يسمح بذكره في علم المعاملة من سر الخاتمة بان ترى الاشيا كما هي عليه من غير جهل وتقضي جميع
العمر في طاعة الله من غير معصية فان كنت تعلم ان ذلك محال او عسير فلا بد ان يغلب عليك من الخوف
ما غلب على العارفين حتى يطول بسببه بكاؤك ونياحك ويدوم به حزنك وقلقك كما سنحكيه من احوال الانبيا
والسلف الصالحين ليكون ذلك احد الاسباب المهيجة لنار الخوف من قلبك وقد عرفت بهذا ان
اعمال العمر كلها ضائعة ان لم تسلم في النفس الاخير الذي عليه خروج الروح وان سلامته مع اضطراب

امواج الخواطر مشكل جدا ولذلك كان مطرف بن عبد الله يقول اني لا اعجب ممن هلك كيف هلك
ولكني اعجب ممن نجا كيف نجا ولذلك قال حامد اللفاف اذا صعدت الملائكة بروح المومن وقد مات
على الخير والاسلام تعجبت الملائكة منه وقالوا كيف نجا هذا من دنيا فسد فيها خيارنا وكان الثوري
يوما يبكي فقيل له علام تبكي فقال بكينا على الذنوب زمانا فالان نبكي على الاسلام وبالجملة من وقعت
سفينته في لجة البحر وهجمت عليه الرياح العاصفة واضطربت الامواج كانت النجاة في حقه ابعد
من الهلاك وقلب المومن اشد اضطرابا من السفينة وامواج الخواطر اعظم التطاما من امواج البحر
وانما المخوف عند الموت خاطر سوء يخطر فقط وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل
ليعمل بعمل اهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا فواق ناقة فيختم له بما سبق به
الكتاب ولا يتسع فواق ناقة لاعمال توجب الشقاوة بل هي الخواطر التي تضطرب وتخطر خطور
البرق الخاطف وقال سهل رايت كاني ادخلت الجنة فرايت ثلاثمائة نبي فسالتهم ما اخوف ما
كنتم تخافون في الدنيا قالوا سوء الخاتمة ولاجل هذا الخطر العظيم كانت الشهادة مغبوطا عليها
وكان موت الفجاءة مكروها اما الموت فجاءة فلانه ربما يتفق عند غلبة خاطر سوء واستيلائه على
القلب والقلب لا يخلو عن امثالها الا ان يندفع بالكراهة او بنور المعرفة واما الشهادة فلانها عبارة
عن قبض الروح في حالة لم يبق في القلب سوى حب الله وخروج حب الدنيا والاهل والمال والولد
وجميع الشهوات عن القلب اذ لا يهجم على صف القتال موطنا نفسه على الموت الا حبا لله وطلبا لمرضاته
وبائعا دنياه باخرته وراضيا بالبيع الذي بايعه الله به اذ قال تعالى ان الله اشترى من المومنين
انفسهم واموالهم بان لهم الجنة والبائع راغب عن المبيع لا محالة ومخرج حبه من القلب ومجرد حب العوض
المطلوب في قلبه ومثل هذه الحالة قد يغلب على القلب في بعض الاحوال ولكن لا يتفق زهوق الروح فيها فصف القتال
سبب لزهوق الروح على مثل هذه الحالة هذا فيمن ليس يقصد الغلبة والغنيمة وحسن الصيت بالشجاعة
فان من هذا حاله وان قتل في المعركة فهو بعيد عن مثل هذه الرتبة كما دلت عليه الاخبار واذا بان لك
معنى سوء الخاتمة وما هو مخوف فيها فاشتغل بالاستعداد لها فواظب على ذكر الله واخرج من قلبك حب
الدنيا واحرس عن فعل المعاصي جوارحك وعن الفكر فيها قلبك واحترز عن مشاهدة المعاصي ومشاهدة
اهلها جهدك فان ذلك ايضا يؤثر في قلبك ويصرف اليه فكرك وخواطرك واياك ان تسوف وتقول
سأستعد لها اذا جاءت الخاتمة فان كل نفس من انفاسك خاتمتك اذ يمكن ان تختطف فيه روحك
فراقب قلبك في كل لحظة واياك ان تهمله لحظة فلعل تلك اللحظة خاتمتك اذ يمكن ان تختطف
فيها روحك هذا ما دمت في يقظتك فاما اذا نمت فاياك ان تنام الا على طهارة الظاهر والباطن وان
يغلبك النوم الا بعد غلبة ذكر الله على قلبك لست اقول على لسانك فان حركة اللسان بمجردها ضعيفة
الاثر واعلم قطعا انه لا يغلب عند النوم على قلبك الا ما كان قبل النوم غالبا عليه وانه لا يغلب في النوم
الا ما كان غالبا قبل النوم ولا ينبعث من نومك الا ما غلب على قلبك في نومك والموت والبعث شبيه
النوم واليقظة فكما لا ينام العبد الا على ما غلب عليه في يقظته ولا يستيقظ الا على ما كان عليه في
نومه فكذلك لا يموت المرء الا على ما عاش عليه ولا يحشر الا على ما مات عليه وتيقن ان الموت والبعث
حالتان من احوالك كما ان النوم واليقظة حالتان من احوالك فآمن بهذا تصديقا باعتقاد القلب
ان لم تكن اهلا لمشاهدة ذلك بعين اليقين ونور البصيرة وراقب انفاسك ولحظاتك واياك

ان تغفل عن الله طرفة عين فانك اذا فعلت ذلك كله كنت مع ذلك في خطر عظيم فكيف اذا لم تفعل
فالناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا
المخلصون والمخلصون على خطر عظيم واعلم ان ذلك لا يتيسر لك ما لم تقنع من الدنيا بقدر ضرورتك
وضرورتك مطعم وملبس ومسكن والباقي كله فضول والضرورة من الطعام ما يقيم صلبك و
يسد رمقك فينبغي ان يكون تناولك تناول مضطر كاره ولا ينبغي ان تكون رغبتك فيه اكثر
من رغبتك في قضاء حاجتك اذ لا فرق بين ادخال الطعام في البطن وبين اخراجه فهما ضرورتان في
الجبلة وكما لا يكون قضاء الحاجة من همتك التي يشتغل بها قلبك فلا ينبغي ان يكون تناول الطعام
من همتك واعلم انه ان كان همتك ما يدخل في بطنك فقيمتك ما يخرج من بطنك واذا لم يكن قصدك
من الطعام الا التقوي على عبادة الله تعالى كقصدك من قضاء حاجتك فعلامة ذلك تظهر في
ثلثة امور من ماكولك في وقته وقدره وجنسه اما الوقت فاقله ان يكتفي في اليوم والليلة
بمرة واحدة فتواظب على الصوم واما قدره فان لا تزيد على ثلث البطن واما جنسه فان لا تطلب
اللذيذ من الاطعمة بل تقنع بما يتفق فان قدرت على هذه الثلث وسقط عنك مؤنة الشهوات اللذات
قدرت بعد ذلك على ترك الشبهات وامكنك ان لا تاكل الا من حله فان الحلال يعز ولا يفي بجميع
الشهوات واما ملبسك فليكن غرضك منه دفع الحر والبرد وستر العورة وكل ما دفع البرد عن راسك
ولو قلنسوة بدانق فطلبك غيره فضول منك يضيع زمانك ويلزمك الشغل الدايم والعنا القايم
في تحصيله بالكسب مرة وبالطمع اخرى من الحرام والشبهة وقس بهذا ما يدفع به الحر والبرد عن
بدنك فكل ما حصل مقصود اللباس ان لم تكتف به في خساسة قدره وجنسه لم يكن لك موقف بعده
بل كنت ممن لا يملا بطنه الا التراب وكذلك المسكن ان اكتفيت بمقصوده كفاك السما سقفا والارض مستقرا
فان غلبك حر او برد فعليك بالمساجد فان طلبت مسكنا خاصا طال عليك وانصرف اليه اكثر عمرك
وعمرك هو بضاعتك ثم ان تيسر لك فقصدك من الحائط سوى كونه حائلا بينك وبين الابصار ومن
السقف سوى كونه دافعا للامطار فاخذت ترفع الحيطان وتزين السقوف فقد تورطت في مهواة
بعد رقيك منها وهكذا جميع ضرورات امورك ان اقتصرت عليها تفرغت لله وقدرت على
التزود لاخرتك والاستعداد لخاتمتك وان جاوزت حد الضرورة الى اودية الاماني تشعبت همومك
ولم يبال الله تعالى في اي واد اهلكك فاقبل هذه النصيحة ممن هو احوج الى النصيحة منك واعلم ان
متسع التدبير والتزود والاحتياط هذا العمر القصير فاذا دفعته يوما بيوم في تسويفك وغفلتك
اختطفتك فجاة في غير وقت ارادتك ولم تفارقك حسرتك وندامتك فان كنت لا تقدر على ملازمة
ما ارشدت اليه لضعف خوفك اذ لم يكن فيما وصفناه من امر الخاتمة كفاية في تخويفك فانا سنورد
عليك من احوال الخائفين ما نرجو ان يزيل بعض القساوة عن قلبك فانك تتحقق ان عقل الانبيا و
الاوليا والعلما وعلمهم ومكانهم عند الله تعالى لم يكن دون عقلك وعلمك ومكانتك فتامل مع كلال
بصيرتك وحشو جبن قلبك في احوالهم اشتد بهم الخوف فطال بهم الحزن والبكا حتى كان بعضهم
يصعق وبعضهم يدهش وبعضهم يسقط مغشيا عليه وبعضهم يخر ميتا الى الارض ولا غرو ان كان
ذلك لا يوثر في قلبك فان قلوب الغافلين مثل الحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار
وان منها لما يشقق فيخرج منه الما وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون

بيان احوال الانبيا والانبيا عليهم السلام في الخوف

روت عايشه رضي الله عنها
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا تغير الهوا وهبت ريح عاصفة يتغير وجهه ويقوم
ويتردد في الحجرة ويدخل ويخرج كل ذلك خوفا من عذاب الله عز وجل وقرا رسول الله صلى الله عليه وسلم اية في
سورة الحاقة فصعق وقال الله تعالى وخر موسى صعقا وراى رسول الله صلى الله عليه وسلم صورة جبريل
بالابطح فصعق وروي انه عليه السلام كان اذا دخل في الصلاة يسمع لصدره ازيز كازيز المرجل وقال صلى الله
عليه وسلم ما جاني جبريل قط الا وهو يرعد فرقا من الجبار وقيل لما ظهر على ابليس ما ظهر طفق جبريل وميكايل
عليهما السلام يبكيان فاوحى الله تعالى اليهما ما لكما تبكيان كل هذا البكا فقالا يا رب ما نامن مكرك فقال
الله تعالى هكذا كونا لا تامنا مكري وعن محمد بن المنكدر قال لما خلقت النار طارت افئدة الملايكة من
اماكنها فلما خلق بنو ادم عادت وعن انس انه عليه السلام سال جبريل ما لي لا ارى ميكايل يضحك
فقال جبريل ما ضحك ميكايل منذ خلقت النار وروي ان لله تعالى ملايكة لم يضحك احد منهم منذ خلقت
النار مخافة ان يغضب الله عليهم فيعذبهم وقال ابن عمر رضي الله عنه خرجت مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى دخل بعض حيطان الانصار فجعل يلتقط من التمر وياكل فقال يا ابن عمر ما لك لا تاكل فقلت
يا رسول الله لا اشتهيه فقال لكني اشتهيه وهذا صبح رابعة منذ لم اذق طعاما ولم اجده ولو سالت ربي
لاعطاني ملك كسرى وقيصر فكيف بك يا ابن عمر اذا بقيت في قوم يخبون رزق سنتهم ويضعف اليقين
فوالله ما برحنا ولا قمنا حتى نزلت وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم قال
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يامرني بكنز المال ولا باتباع الشهوات من كنز دنيا
يريد بها حياة فانية فان الحياة بيد الله الا واني لا اكنز دينارا ولا درهما ولا اخبا رزقا لغد وقال
ابو الدردا كان يسمع ازيز قلب ابرهيم خليل الرحمن عليه السلام اذا قام في الصلاة من مسيرة ميل خوفا من ربه
وقال مجاهد بكى داود عليه السلام اربعين يوما ساجدا لا يرفع راسه حتى نبت المرعى من دموعه
حتى غطى راسه فنودي يا داود اجايع انت فتطعم ام ظمان فتسقى ام عار فتكسى فنحب نحبة هاج العود فاحترق
من حر جوفه ثم انزل الله تعالى عليه التوبة والمغفرة فقال يا رب اجعل خطيئتي في كفي فصارت خطيئته
في كفه مكتوبة فكان لا يبسط كفه لطعام ولا لشراب ولا لغيره الا راها فابكته قال وكان يوتى بالقدح
ثلثاه ما فاذا تناوله ابصر خطيئته فما يضعه على شفته حتى يفيض القدح من دموعه ويروى عنه عليه
السلام انه ما رفع راسه الى السما حتى مات حيا من الله عز وجل وكان يقول في مناجاته الهي اذا ذكرت خطيئتي
ضاقت علي الارض برحبها واذا ذكرت رحمتك ارتدت الي روحي سبحانك اتيت اطبا عبادك ليداووا
خطيئتي فكلهم عليك يدلني فبوسا للقانطين من رحمتك وقال الفضيل بلغني ان داود عليه
السلام ذكر ذنبه ذات يوم فوثب صارخا واضعا يده على راسه حتى لحق بالجبال فاجتمعت اليه السباع فقال ارجعوا
لا اريدكم انما اريد كل بكا على خطيئته فلا يستقبلني الا بالبكا ومن لم يكن ذا خطيئة فما يصنع بداود الخطا
وكان يعاتب في كثرة البكا فيقول دعوني ابكي قبل خروج يوم البكا قبل تحريق العظام واشتعال الحشا
وقبل ان يومر بي ملايكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون وقال عبد
العزيز بن عمير لما اصاب داود الخطيئة نقص صوته فقال الهي بح صوتي في صفا اصوات الصديقين وروي
انه عليه السلام لما طال بكاوه ولم ينفعه ذلك فضاق ذرعه واشتد غمه قال يا رب اما ترحم بكاي
فاوحى الله تعالى اليه يا داود نسيت ذنبك وذكرت بكاك فقال الهي وسيدي كيف انسى ذنبي وكنت

اذا تلوت الزبور كففت الماء الجاري عن جريته وسكنت هبوب الريح واظللت الطير على راسي وانست الوحوش
الى محرابي الهي وسيدي فما هذه الوحشة التي بيني وبينك فاوحى الله تعالى اليه يا داود خلق من
خلقي خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي واسجدت له ملائكتي والبسته ثوب كرامتي وتوجته بتاج
وقاري وشكى الي الوحدة فزوجته حواء امتي واسكنته جنتي فعصاني فطردته عن جواري عريانا ذليلا يا
داود اسمع مني والحق اقول اطعتنا فاطعناك وسالتنا فاعطيناك وعصيتنا فامهلناك وان عدت الينا
على ما كان منك قبلناك وقال يحيى بن ابي كثير بلغنا ان داود عليه السلام كان اذا اراد ان ينوح مكث
قبل ذلك سبعا لا ياكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يقرب النساء فاذا كان قبل ذلك بيوم اخرج له المنبر الى البرية فامر
سليمان ان ينادي بصوت يستقري البلاد وما حولها من الغياض والآكام والجبال والبراري والصوامع
والبيع فينادي فيها الا من اراد ان يسمع نوح داود على نفسه فليات قال فتاتي الوحوش من البراري والآكام و
تاتي السباع من الغياض وتاتي الهوام من الجبال وتاتي الطير من الاوكار وتاتي العذارى من خدورهن وتجتمع الناس
لذلك اليوم وياتي داود حتى يرقى على المنبر ويحيط به بنو اسرائيل وكل صنف على حدته محيطون به وسليمان عليه
السلام قائم على راسه فياخذ في الثناء على ربه فيضجون بالبكاء والصراخ ثم ياخذ في ذكر الجنة والنار فتموت الهوام و
طائفة من الوحوش والسباع والناس ثم ياخذ في اهوال القيامة والنياحة على نفسه فيموت من كل نوع طائفة
فاذا راى سليمان كثرة الموتى قال يا ابتاه قد مزقت المستمعين كل ممزق وماتت طوائف من بني اسرائيل ومن
الوحوش والهوام فياخذ في الدعاء فبينا هو كذلك اذ ناداه بعض عباد بني اسرائيل يا داود عجلت بطلب الجزاء على
ربك قال فيخر داود مغشيا عليه فاذا نظر سليمان الى ما اصابه اتى بسرير فحمله عليه ثم امر مناديا ينادي الا من
كان له مع داود حميم او قريب فليات بسرير فليحمله فان الذين كانوا معه قد قتلهم ذكر الجنة والنار فكانت
المراة تاتي بالسرير فتحمل قريبها وتقول يا من قتله ذكر النار يا من قتله خوف الله ثم اذا افاق داود قام ووضع يده
على راسه ودخل بيت عبادته واغلق بابه ويقول يا اله داود اغضبان انت على داود ولا يزال يناجي ربه فياتي سليمان
ويقعد على الباب ويستاذن ثم يدخل ومعه قرص من شعير فيقول يا ابتاه تقو بهذا على ما تريد فياكل من ذلك
القرص ما شاء الله ثم يخرج الى بني اسرائيل فيكون بينهم وقال يزيد الرقاشي خرج داود ذات يوم بالناس
يعظهم ويخوفهم فخرج في اربعين الفا ورجع الا في عشرة آلاف قال وكان له جاريتان اتخذهما حتى اذا جاءه
الخوف وسقط فاضطرب قعدتا على صدره وعلى رجليه مخافة ان تتفرق اعضاؤه ومفاصله فيموت وقال
ابن عمر رضي الله عنه دخل يحيى بن زكريا بيت المقدس وهو ابن ثمان حجج فنظر الى العباد قد لبسوا مدارع الشعر و
الصوف ونظر الى مجتهديهم قد خرقوا التراقي وسلكوا فيها السلاسل وشدوها انفسهم الى اطراف بيت المقدس
فهاله ذلك فرجع الى ابويه فمر بصبيان يلعبون فقالوا يا يحيى هلم بنا نلعب فقال اني لم اخلق للعب قال
فاتى ابويه فسالهما ان يدرعاه الشعر ففعلا فرجع الى بيت المقدس فكان يخدمه نهارا ويصبح فيه ليلا حتى
اتت عليه خمس عشرة سنة فخرج ولزم اطراف الارض وغيران الشعاب فخرج ابواه في طلبه فادركاه على بحيرة
الاردن وقد انقع رجليه في الماء حتى كاد العطش يذبحه وهو يقول وعزتك وجلالك لا اذوق بارد الشراب
حتى اعلم اين مكاني منك فسال ابواه ان يفطر على قرص كان معهما من شعير ويشرب من ذلك الماء ففعل وكفر
عن يمينه فرد بالبر فرده ابواه الى بيت المقدس فكان اذا قام يصلي بكى حتى يبكي معه الشجر والمدر ويبكي زكريا عليه
السلام لبكائه حتى يغمى عليه فلم يزل يبكي حتى اكلت دموعه لحم خديه وبدت اضراسه للناظرين فقالت له امه يا
بني لو اذنت لي ان اتخذ لك شيئا تواري به اضراسك عن الناظرين فاذن لها فعمدت الى قطعتي لبود فالصقتهما على خديه

فكان اذا قام يصلي بكى فاذا استنقعت دموعه في القطعتين اتت اليه امه فعصرتهما فاذا راى دموعه تسيل
على ذراعي امه قال اللهم هذه دموعي وهذه امي وانا عبدك وانت ارحم الراحمين فقال له زكريا يا بني انما
سالت ربي ان يهبك لي لتقر عيناي بك فقال يحيى يا ابت ان جبريل اخبرني ان بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها
الا كل بكاء فقال زكريا فابك يا بني وقال عيسى عليه السلام معاشر الحواريين خشية الله وحب الفردوس يورثان
الصبر على المشقة ويباعدان من الدنيا وحق اقول لكم ان اكل الشعير والنوم على المزابل مع الكلاب في طلب الفردوس
قليل وقيل كان الخليل عليه السلام اذا ذكر خطيئته يغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلا في ميل فياتيه
جبريل فيقول له الجبار يقرئك السلام ويقول هل رايت خليلا يخاف خليله فيقول يا جبريل اذا ذكرت خطيئتي نسيت
خلتي فهذه احوال الانبياء عليهم السلام فدونك والتامل فيها فانهم اعرف خلق الله تعالى بالله وبصفاته

بيان احوال الصحابة والتابعين والسلف الصالحين في شدة الخوف

روي ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه قال لطائر ليتني مثلك يا طائر ولم اخلق بشرا وقال ابو ذر رضي الله عنه وددت اني
شجرة تعضد وكذا قال طلحة وقال عثمان رضي الله عنه وددت اني اذا مت لا ابعث وقالت عائشة رضي الله
عنها وددت اني كنت نسيا منسيا وروي ان عمر رضي الله عنه كان يسقط من الخوف اذا سمع اية من القران مغشيا
عليه فكان يعاد اياما واخذ يوما تبنة من الارض فقال يا ليتني كنت هذه التبنة وكان في وجه عمر رضي الله عنه خطان
اسودان من الدموع وقال عمر رضي الله عنه من خاف الله لم يشف غيظه ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد ولولا يوم القيامة
لكان غير ما ترون ولما قرا عمر رضي الله عنه اذا الشمس كورت فانتهى الى قوله واذا الصحف نشرت خر مغشيا عليه
ومر يوما بدار انسان وهو يصلي ويقرا سورة الطور فوقف يستمع فلما بلغ قوله ان عذاب ربك لواقع نزل عن حماره و
استند الى حائط ومكث زمانا ورجع الى منزله فمرض شهرا يعوده الناس ولا يدرون ما مرضه وقال علي كرم الله
وجهه وقد سلم عن صلاة الفجر وقد علاه كآبة وهو يقلب يده لقد رايت اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فلم ار اليوم
شيئا يشبههم لقد كانوا يصبحون صفرا شعثا غبرا بين اعينهم امثال ركب المعزى قد باتوا سجدا وقياما
يتلون كتاب الله يراوحون بين جباههم واقدامهم فاذا اصبحوا ذكروا الله مادوا كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت
اعينهم الدموع حتى تبل ثيابهم والله لكاني بالقوم باتوا غافلين ثم قام فما رئي بعد ذلك ضاحكا حتى ضربه
ابن ملجم وقال عمران بن الحصين رضي الله عنه لوددت اني رماد تسفيني الرياح في يوم عاصف وقال ابو عبيدة
ابن الجراح رضي الله عنه وددت اني كبش فيذبحني اهلي فياكلون لحمي ويحسون مرقي وكان علي بن الحسين اذا توضا اصفر
لونه فيقول له اهله ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء فيقول اتدرون بين يدي من اريد ان اقوم وقال موسى
ابن مسعود كنا اذا جلسنا الى الثوري كان النار قد احاطت بنا لما نرى من خوفه وجزعه وقرا مضر القارئ يوما هذا
كتابنا ينطق عليكم بالحق الاية فبكى عبد الواحد بن زيد حتى غشي عليه ثم افاق فقال وعزتك لا اعصيك جهدي ابدا
فاعني بتوفيقك على طاعتك وكان المسور بن مخرمة لا يقوى ان يسمع القران من شدة خوفه ولقد كان يقرا عنده
الحرف والاية فيصيح الصيحة فما يعقل اياما حتى اتى عليه رجل من خثعم فقرا عليه يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا
ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فقال انا من المجرمين وليس من المتقين اعد علي القول يا ايها القارئ فاعادها عليه فشهق
شهقة فلحق بالآخرة وقرئ عند يحيى البكاء ولو ترى اذ وقفوا على ربهم فصاح صيحة ومكث منها مريضا اربعة اشهر يعاد
من اطراف البصرة وقال مالك بن دينار بينا انا اطوف بالبيت اذا انا بجويرية متعبدة متعلقة باستار الكعبة
وهي تقول يا رب كم من شهوة ذهبت لذاتها وبقيت تبعاتها يا رب اما كان لك ادب وعقوبة الا النار وتبكي
فما زال ذلك مقامها حتى طلع الفجر قال مالك فلما رايت ذلك وضعت يدي على راسي صارخا اقول ثكلت مالكا امه

وروي ان الفضيل رأى يوم عرفة والناس يدعون وهو يبكي بكاء الثكلى المحترقة حتى اذا كادت الشمس تغرب قبض
على لحيته ثم رفع رأسه الى السماء وقال واسوأتاه منك وان غفرت ثم انقلب مع الناس وسئل ابن عباس
رضي الله عنه عن الخائفين فقال قلوبهم بالخوف قرحة واعينهم باكية يقولون كيف نفرح والموت من ورائنا
والقبر امامنا والقيامة موعدنا وعلى جهنم طريقنا وبين يدي ربنا موقفنا ورأى الحسن شابا وهو مستغرق
في ضحكه وهو جالس مع قوم في مجلس فقال له الحسن يا فتى هل مررت بالصراط قال لا قال فهل تدري الى الجنة
تصير ام الى النار قال لا قال فما هذا الضحك فما رئي ذلك الفتى بعدها ضاحكا وكان حماد بن [illegible]
اذا جلس مجلسا استقرأ اولا [illegible] فيه فيقال الله او اما [illegible] تلك الجنة الامن [illegible] دعيت الله
عز وجل وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله انما جعل الله هذه الغفلة في قلوب العباد رحمة كي لا يموتوا من
خشية الله عز وجل وقال مالك بن دينار لقد هممت اذا انا مت ان امرهم ان يقيدوني ويغلوني ثم
ينطلقوا بي الى ربي كما ينطلق بالعبد الآبق الى سيده وقال حاتم الاصم لا تغتر بموضع صالح فلا مكان اصلح
من الجنة ولقد لقي آدم عليه السلام فيها ما لقي ولا تغتر بكثرة العبادة فان ابليس بعد طول العبادة لقي ما لقي
ولا تغتر بكثرة العلم فان بلعام كان يحسن اسم الله الاعظم فانظر ماذا لقي ولا تغتر برؤية الصالحين فلا شخص
اكبر منزلة عند الله تعالى من المصطفى صلى الله عليه وسلم ولم ينتفع بلقائه اقاربه واعداؤه وقال السري
اني لانظر الى انفي كل يوم مرات مخافة ان يكون قد اسود وجهي وقال ابو حفص منذ اربعين سنة اعتقادي
في نفسي ان الله تعالى ينظر الي نظر السخط واعمالي تدل على ذلك وخرج ابن المبارك يوما على اصحابه فقال اني اجترأت
البارحة على الله سألته الجنة وقالت ام محمد بن كعب القرظي لابنها يا بني لولا اني اعرفك صغيرا طيبا وكبيرا طيبا
لظننت انك احدثت حدثا موبقا لما اراك تصنع في ليلك ونهارك فقال يا اماه ما يؤمنني ان يكون الله عز وجل قد
اطلع علي وانا على بعض ذنوبي فمقتني وقال وعزتي لا غفرت لك وقال الفضيل اني لا اغبط نبيا مرسلا
ولا ملكا مقربا ولا عبدا صالحا اليس هؤلاء يعاينون يوم القيامة انما اغبط من لم يخلق وروي ان فتى من الانصار
دخلته خشية النار فكان يبكي حتى حبسه ذلك في البيت فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فدخل عليه واعتنقه
فخر ميتا فقال النبي صلى الله عليه وسلم جهزوا صاحبكم فان الفرق من النار فتت كبده وروي عن ابي هريرة انه كان
اذا اوى الى فراشه قال بالبكاء [illegible] ان الله تعالى قضى احسن الميتة هذا الاسلام
[illegible] ذكر الله تعالى [illegible] وابد النار ولم يبين لنا انا صادرون عنها وقيل [illegible] عجب
شيء بلغك من بني اسرائيل قال بلغني انه دخل بيت المقدس خمسمائة حبر لباسهم الصوف والمسوح فذكروا
ثواب الله وعقابه فماتوا جميعا في يوم واحد وكان عطاء السلمي من الخائفين ولم يكن يسأل الله تعالى الجنة انما
كان يسأل العفو وقيل له في مرضه الا تشتهي شيئا فقال ان خوف جهنم لم يدع في قلبي موضعا للشهوة ويقال انه
ما رفع رأسه الى السماء ولا ضحك اربعين سنة وانه رفع رأسه يوما فسقط فانفتق في بطنه فتق وكان يمس جسده
في بعض الليل مخافة ان يكون قد مسخ وكان اذا اصابتهم ريح او برق او غلاء طعام قال هذا من اجلي يصيبهم
لو مات عطاء لاستراح الناس وقال عطاء خرجنا مع عتبة الغلام وفينا كهول وشبان يصلون صلاة الفجر بطهور
العشاء قد تورمت اقدامهم من طول القيام وغارت اعينهم في رؤوسهم ولصقت جلودهم على عظامهم و
بقيت العروق كأنها الاوتار يصبحون كأن جلودهم قشور البطيخ وكأنهم قد خرجوا من القبور [illegible] كيف اكرم
الله المطيعين وكيف اهان العاصين فبيناهم يمشون اذ مر [illegible] فخر مغشيا عليه فجلس اصحابه حوله يبكون
في يوم شديد البرد وجبينه يرشح عرقا فجاؤوا بالماء فغسلوا وجهه فافاق وسألوه عن امره فقال لنا اني ذكرت اني كنت

عصيت الله في ذلك المكان وقال صالح المري قرأت على رجل من المتعبدين يوم تقلب وجوههم في النار
يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا فصعق ثم افاق وقال زدني يا صالح فاني اجد غما فقرأت كلما ارادوا
ان يخرجوا منها اعيدوا فيها فخر ميتا وروي ان زرارة بن اوفى صلى بالناس الغداة فلما قرأ فاذا نقر في الناقور
خر مغشيا عليه فحمل ميتا ودخل يزيد الرقاشي على عمر بن عبد العزيز فقال عظني يا يزيد فقال اعلم يا امير المؤمنين
انك لست اول خليفة تموت فبكى ثم قال زدني فقال يا امير المؤمنين ليس بينك وبين آدم اب الا ميت فبكى
ثم قال زدني يا يزيد فقال يا امير المؤمنين ليس بين الجنة والنار منزل فسقط مغشيا عليه وقال
ميمون بن مهران لما نزلت هذه الآية وان جهنم لموعدهم اجمعين صاح سلمان الفارسي ووضع يده على رأسه
ثم خرج هاربا ثلاثة ايام لا يقدر عليه ورأى داود الطائي امرأة تبكي على رأس قبر وهي تقول يا ابتاه ليت
شعري بأي خديك بدأ الدود اولا فصعق داود وسقط مكانه وقيل من سفيان الثوري نزف
دم بوله على طبيب ذمي فقال هذا رجل قطع الخوف كبده ثم جاء وجس عرقه ثم قال ما علمت ان في الحنيفية مثله و
قال احمد بن حنبل رحمه الله سألت الله عز وجل ان يفتح علي بابا من الخوف ففتح فخفت على عقلي فقلت يا رب
على قدر ما اطيق فسكن قلبي وقال عبد الله بن عمرو بن العاص ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فوالذي نفسي بيده لو يعلم
العلم احدكم لصرخ حتى ينقطع صوته وصلى حتى ينكسر صلبه [illegible] وقال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وقال العنبري اجتمع اصحاب الحديث على باب الفضيل بن عياض فاطلع عليهم
من كوة وهو يبكي ولحيته ترجف فقال عليكم بالقرآن عليكم بالصلاة ويحكم ليس هذا زمان حديث انما هذا زمان
بكاء وتضرع واستكانة ودعاء كدعاء الغريق انما هذا زمان احفظ لسانك واخف مكانك وعالج قلبك وخذ
ما تعرف ودع ما تنكر ورأى الفضيل ابنه وهو [illegible] فقال لا ادري وكان [illegible] الخوف وقال
ذر بن عمر لابيه يا ابت ما بال المتكلمين يتكلمون فلا يبكي احد فاذا تكلمت انت سمعت البكاء من كل جانب فقال
يا بني ليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة وحكي ان قوما دخلوا على عابد وهو يبكي فقالوا ما الذي يبكيك رحمك
الله فقال لذعة يجدها الخائفون في قلوبهم قالوا وما هي قال روعة النداء بالعرض على الله عز وجل وكان الخواص
يبكي ويقول في مناجاته قد كبرت وضعف جسمي عن خدمتك فاعتقني وقال صالح المري قدم علينا ابن السماك
مرة فقال لي ارني شيئا من بعض عجائب عبادكم فذهبت به الى رجل في بعض الاحياء في خص له فاستأذنا عليه فاذا رجل
يعمل خوصا فقرأت اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون فشهق الرجل شهقة
وخر مغشيا عليه فخرجنا من عنده وتركناه على حاله وذهبنا الى آخر فدخلنا عليه فقرأت هذه الآية فشهق شهقة
وخر مغشيا عليه فاستأذنا على ثالث فقال ادخلوا ان لم تشغلونا عن ربنا فقال ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد
فشهق شهقة فبدر الدم من منخريه وجعل يتشحط في دمه حتى يبس فتركناه على حاله حتى يبس وخرجنا فادرنا على
ستة انفس كل يخرج من عنده ونتركه مغشيا عليه ثم اتينا السابع فاستأذنا فاذا امرأة من داخل الخص تقول ادخلوا
فاذا شيخ فان جالس في مصلاه فسلمنا عليه فلم يشعر بسلامنا فقلت بصوت عال ان للخلق غدا مقاما فقال الشيخ
بين يدي من ويحك ثم بقي مبهوتا فاتحا فاه شاخصا ببصره يصيح بصوت له ضعيف اوه اوه حتى انقطع ذلك الصوت
فقالت امرأته اخرجوا فانكم لا تنتفعون به الساعة فلما كان بعد ذلك سألت عن القوم فاذا ثلاثة قد افاقوا وثلاثة
قد لحقوا بالله واما الشيخ فانه مكث ثلاثة ايام على حاله مبهوتا متحيرا لا يؤدي فرضا فلما كان بعد ثلاث عقل
وكان يزيد بن الاسود يرى انه من الابدال وكان قد حلف ان لا يضحك ابدا ولا ينام مضطجعا ولا يأكل سمنا ابدا
فما رئي ضاحكا ولا مضطجعا ولا آكلا سمنا حتى مات رحمه الله وقال الحجاج لسعيد بن جبير بلغني انك

لم تضحك قط فقال كيف اضحك وجهنم قد سعرت والاغلال قد نصبت والزبانية قد اعدت وقال
رجل للحسن يا ابا سعيد كيف اصبحت قال بخير قال كيف حالك فتبسم الحسن وقال تسالني عن حالي
ما ظنك بناس ركبوا سفينة حتى توسطوا البحر فانكسرت سفينتهم فتعلق كل انسان منهم بخشبة على
اي حال هو قال الرجل على حال شديدة قال الحسن حالي اشد من حالهم ودخلت مولاة لعمر بن
عبد العزيز على عمر فسلمت عليه ثم قامت الى مسجد في بيته فصلت فيه ركعتين وغلبتها عيناها
فرقدت فاستكت في منامها فقالت يا امير المؤمنين اني رايت والله عجبا قال وما ذاك قالت
رايت النار وهي تزفر على اهلها ثم جيء بالصراط فوضع على متنها فقال هيه قالت فجيء بعبد الملك بن
مروان فحمل عليه فما مضى الا يسيرا حتى انكفا به الصراط فهوى الى جهنم فقال هيه قالت ثم جيء بالوليد
بن عبد الملك فحمل عليه فما مضى الا يسيرا حتى انكفا به الصراط فهوى فقال هيه قالت ثم جيء بسليمان
ابن عبد الملك فما مضى عليه الا يسيرا حتى انكفا به الصراط فهوى فقال عمر هيه قالت ثم جيء بك
والله يا امير المؤمنين فصاح عمر رحمه الله عليه صيحة خر مغشيا عليه فقامت اليه فجعلت تنادي
في اذنه يا امير المؤمنين اني رايتك والله قد نجوت قال وهي تنادي وهو يصيح ويفحص برجليه ويحكى
ان اويس القرني رحمه الله تعالى كان يحضر عند القاص فيبكي من كلامه فاذا ذكر النار صرخ اويس ثم يقوم منطلقا
فيتبعه الناس فيقولون مجنون مجنون وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه ان المؤمن لا يسكن روعه حتى
يخلف جسر جهنم وراءه وكان طاوس يفرش فراشه ثم يضطجع فيتقلى كما تتقلى الحبة في المقلى ثم يثب فيدرجه
ويستقبل القبلة حتى الصباح ويقول طير ذكر جهنم نوم الخائفين وقال الحسن البصري رحمه
الله يخرج رجل من النار بعد الف عام وياليتني كنت ذلك الرجل وانما قال ذلك لخوفه من الخلود وسوء الخاتمة
وروي انه ما ضحك اربعين سنة قال وكنت اذا رايته قاعدا كانه اسير قدم لتضرب عنقه واذا
تكلم كانه يعاين الاخرة فيخبر عن مشاهدتها فاذا سكت كان النار تسعر بين عينيه وعوتب في شدة حزنه
فقال ما يؤمنني ان يكون الله قد اطلع علي في بعض ما يكره فمقتني فقال اذهب فلا غفرت لك فانا اعمل
في غير معتمل وعن ابن السماك قال وعظت يوما في مجلس فقام شاب من القوم فقال يا ابا العباس لقد
وعظت اليوم بكلمة ما كنا نبالي ان لا نسمع غيرها قلت وما هي رحمك الله قال قولك لقد قطع قلوب
الخائفين طول الخلود اما في الجنة او في النار ثم غاب عني فتفقدته في المجلس الاخر فلم اره فسالت عنه فاخبرت
انه مريض يعاد فاتيته اعوده فقلت يا اخي ما الذي ارى بك فقال يا ابا العباس ذلك من قولك لقد
قطع قلوب الخائفين طول الخلود اما في الجنة او في النار ثم مات رحمه الله فرايته في المنام فقلت يا اخي
ما صنع الله بك قال غفر لي ورحمني وادخلني الجنة قلت بماذا قال بالكلمة فهذه مخاوف الانبياء والاولياء
والعلماء والصالحين ونحن اجدر بالخوف منهم لكن ليس الخوف بكثرة الذنوب بل بصفاء القلوب وكمال المعرفة والا فليس
امننا لقلة ذنوبنا وكثرة طاعاتنا بل قادتنا شهوتنا وغلبت علينا شقوتنا وصدتنا عن ملاحظة احوالنا
غفلتنا وقسوتنا فلا قرب الرحيل ينبهنا ولا كثرة الذنوب تحركنا ولا مشاهدة احوال الخائفين تخوفنا
ولا خطر الخاتمة يزعجنا فنسال الله تعالى ان يتدارك بفضله وجوده احوالنا فيصلحنا ان كان تحريك
اللسان بمجرد السؤال دون الاستعداد ينفعنا ومن العجائب انا اذا اردنا المال في الدنيا زرعنا وغرسنا
واتجرنا وركبنا البحار والبراري وخاطرنا وان اردنا طلب رتبة العلم تفقهنا وتعبنا في حفظه وتكراره و
سهرنا ونجتهد في طلب ارزاقنا ولا نثق بضمان الله لنا ولا نجلس في بيوتنا فنقول اللهم ارزقنا ثم

اذا طمعنا في الملك الدائم المقيم قنعنا بان نقول بالسنتنا اللهم اغفر لنا وارحمنا والذي
اليه رجاؤنا ومنه اعتزازنا ينادينا ويقول وان ليس للانسان الا ما سعى ولا يغرنكم بالله الغرور يا ايها الانسان
ما غرك بربك الكريم ثم كل ذلك لا ينبهنا ولا يخرجنا عن اودية غرورنا وامانينا فما هذه الا محنة هائلة
ان لم يتفضل الله عز وجل علينا بتوبة نصوح يتداركنا بها ويجبرنا فنسال الله ان يتوب علينا بل
نساله ان يشوق الى التوبة سرائر قلوبنا وان لا يجعل حركة اللسان بسؤال التوبة غاية حظنا فنكون
ممن يقول ولا يعمل ويسمع ولا يقبل اذا سمعنا الوعظ بكينا واذا جاء وقت العمل بما سمعناه عصينا فلا
علامة للخذلان اعظم من هذا فنسال الله تعالى ان يمن بالتوفيق والرشد علينا بمنه وفضله
ولنقتصر من حكاية احوال الخائفين على ما اوردناه فان القليل من هذا يصادف القلب القابل فيكفي
والكثير منه وان افيض على القلب الغافل فلا يغني ولقد صدق الراهب الذي حكى عنه عيسى
ابن مالك الخولاني وكان من خيار العباد انه راه على باب بيت المقدس واقفا كهيئة المحزون من
شدة الوله ما يكاد يرقا دمعه من كثرة البكاء قال عيسى فلما رايته هالني منظره فقلت ايها الراهب
اوصني بوصية احفظها عنك فقال يا اخي بماذا اوصيك ان استطعت ان تكون بمنزلة رجل قد احتوشته
السباع والهوام فهو خائف حذر يخاف ان يغفل فتفترسه السباع او يسهو فتنهشه الهوام فهو مذعور
القلب وجل فهو في المخافة ليله وان امن المغترون وفي الحزن نهاره وان فرح البطالون ثم
ولى وتركني فقلت لو زدتني شيئا عسى ان ينفعني فقال الظمان يجزيه من الماء ايسره وقد صدق فان
القلب الصافي يحركه ادنى مخافة والقلب الجامد ينبو عنه كل المواعظ وما ذكره من تقدير احتواش
السباع والهوام ولا ينبغي ان يظن انه تقدير بل هو تحقيق فانك لو شاهدت بنور البصيرة
باطنك لرايته مشحونا باصناف السباع وانواع الهوام مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر
والعجب والرياء وغيرها وهي التي لا تزال تفترسك وتنهشك ان سهوت عنها لحظة الا انك محجوب العين
عن مشاهدتها فاذا انكشف الغطاء ووضعت في قبرك عاينتها وقد تمثلت لك بصورها واشكالها
الموافقة لمعانيها فترى بعينك العقارب والحيات قد احدقت بك في قبرك وانما هي صفاتك
الحاضرة الان قد انكشف لك صورها فان اردت ان تقتلها وتقهرها وانت قادر عليها قبل الموت
فافعل والا فوطن نفسك على لدغها ونهشها لصميم قلبك فضلا عن ظاهر بشرتك والسلام
والحمد لله رب العالمين تم كتاب الرجاء والخوف وهو الكتاب الثالث من ربع المنجيات وهو الكتاب
الثالث من ربع المنجيات من كتاب احياء علوم الدين للغزالي رضي الله عنه وارضاه ويتلوه كتاب الفقر والزهد
وهو الكتاب الرابع من ربع المنجيات من كتاب احياء علوم الدين للغزالي رضي الله عنه وارضاه ورضي عنا اجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي يسبح له الرمال ويسجد له الظلال ويتدكدك من هيبته الجبال الذي خلق الانسان
من الطين اللازب والصلصال وزين صورته باحسن تقويم واتم اعتدال وعصم قلبه بنور الهداية عن
ورطات الضلال واذن له في قرع بابه بالغدو والاصال ثم كحل بصيرة المخلصين منهم
بنور العبرة حتى لاحظوا بعين اليقين حضرة الجلال فلاح لهم من البهجة والبهاء والكمال ما استقبحوا دونه

دون مبادي إشراقه كل حسن وجمال فاستثقل ما صرفه عن مشاهدته وملازمته غاية الاستثقال من
سائر المحبوبات من أهل وولد وجاه ومال وتمثل له ظاهر الدنيا في صورة امرأة جميلة تميس بمحاسن
وانكشف له باطنها عن عجوز شوها عجنت من طينة الخزي وضربت في قالب النكال وهي متلفعة تلفعا
لتخفي قبائح أسرارها بلطائف السحر والاحتيال وقد نصبت حبائلها في مدارج الرجال فهي تقتنصهم
بضروب المكر والاغتيال ثم لا تجتزي معهم بالخلف في مواعيد الوصال ثم تقيدهم مع
قطع الوصال بالسلاسل والأغلال وتبليهم بأنواع البلايا والأنكال فلما انكشف للعارفين
منها قبائح الأسرار والأفعال زهدوا فيها زهد المبغض لها فتركوا التفاخر بها والتكاثر بالأموال
وأقبلوا بكنه هممهم على حضرة ذي الجلال وما ابتغوا منها بوصل المبغي دون انفصال ومشاهدة أبدية
لا يعتريها فناء ولا زوال والصلاة على سيد الأنبياء وعلى آله خير آل **أما بعد** فإن
الدنيا عدوة الله عز وجل بغرورها ضل من ضل وبمكرها زل من زل فحبها رأس الخطايا والسيئات و
بغضها أم الطاعات ورأس الحسنات وقد استقصينا ما يتعلق بوصفها وذم الحب لها في كتاب ذم الدنيا
من ربع المهلكات ونحن الآن نذكر فضل البغض لها والزهد فيها فإنه رأس المنجيات فلا مطمع في النجاة
إلا بالانقطاع عن الدنيا والبعد منها ولكن مقاطعتها إما أن تكون بانزوائها عن العبد ويسمى ذلك فقرا
وإما بانزواء العبد عنها ويسمى ذلك زهدا ولكل واحد منهما درجة في نيل السعادات وحظ في الإعانة
على الفوز والنجاة ونحن الآن نذكر حقيقة الفقر والزهد ودرجاتهما وأقسامهما وشروطهما وأحكامهما
ونذكر الفقر في شطر من الكتاب والزهد في شطر آخر منه ونبدأ بذكر الفقر **الشطر الأول من
الكتاب في الفقر** وفيه بيان حقيقة الفقر وبيان فضيلة الفقر مطلقا وبيان فضيلة خصوص
الفقراء وبيان فضيلة خصوص الفقر على الغنى وبيان أدب الفقير في فقره وبيان أدبه في قبول
العطاء وبيان تحريم السؤال بغير ضرورة وبيان مقدار الغنى المحرم للسؤال وبيان أحوال السائلين

بيان حقيقة الفقر واختلاف أحوال الفقير وأساميه اعلم أن الفقر عبارة عن فقد
ما هو محتاج إليه أما فقد ما لا حاجة إليه فلا يسمى فقرا وإن كان المحتاج إليه موجودا مقدورا عليه لم
يكن المحتاج فقيرا وإذا فهمت هذا لم تشك في أن كل موجود سوى الله فإنه فقير لأنه محتاج إلى دوام الوجود
في ثاني الحال ودوام وجوده مستفاد من فضل الله وجوده فإن كان في الوجود موجود ليس وجوده مستفادا
له من غيره فهو الغني المطلق ولا يتصور أن يكون مثل هذا الموجود إلا واحدا فليس في الوجود إلا غني
واحد وكل من عداه فإنهم محتاجون إليه ليمد وجودهم بالدوام وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى
والله الغني وأنتم الفقراء هذا معنى الفقر مطلقا ولكنا لسنا نقصد بيان الفقر المطلق بل الفقر
عن المال على الخصوص وإلا ففقر العبد بالإضافة إلى أصناف حاجاته لا ينحصر لأن حاجته لا حصر لها ومن
جملتها ما يتوصل إليها بالمال وهو الذي نريد الآن بيانه فقط فنقول كل فاقد للمال فإنا نسميه
فقيرا بالإضافة إلى المال الذي فقده إذا كان ذلك المفقود محتاجا إليه في حقه ثم يتصور أن
يكون له خمسة أحوال عند الفقر ونحن نميزها ونخصص كل واحد منها باسم ليتوصل بالتمييز
إلى ذكر أحكامها **الحالة الأولى** وهي العليا أن يكون بحيث لو أتاه المال لكرهه وتأذى به وهرب من
أخذه مبغضا له ومحترزا من شره وشغله وهو الزهد واسم صاحبها الزاهد **الثانية** أن يكون بحيث
لا يرغب فيه رغبة يفرح بحصوله ولا يكرهه كراهة يتأذى به ويزهد فيه لو أتاه وصاحب هذه الحالة
نسميه راضيا **الثالثة** أن يكون وجود المال أحب إليه من عدمه لرغبة له فيه ولكن لم يبلغ من رغبته
أن ينهض لطلبه بل إن أتاه عفوا صفوا أخذه وفرح به وإن افتقر إلى تعب في طلبه لم يشتغل به وصاحب
هذه الحالة نسميه قانعا إذ قنع نفسه بالموجود حتى ترك الطلب مع ما فيه من الرغبة الضعيفة **الرابعة**
أن يكون تركه للطلب لعجزه وإلا فهو راغب فيه رغبة لو وجد سبيلا إلى طلبه ولو بالتعب لطلبه أو هو مشغول
بالطلب وصاحب هذه الحالة نسميه الحريص **الخامسة** أن يكون ما فقده من المال مضطرا إليه كالجائع
الفاقد للخبز والعاري الفاقد للثوب ويسمى صاحب هذه الحالة مضطرا كيفما كانت رغبته في الطلب
إما ضعيفة وإما قوية وقلما تنفك هذه الحالة عن الرغبة فهذه خمسة أحوال أعلاها الزهد و
الاضطرار إن انضم إليه الزهد وتصور ذلك فهو أقصى درجات الزهد كما سيأتي ووراء هذه الأحوال
الخمسة حالة هي أعلى من الزهد وهي أن يستوي عنده وجود المال وفقده وإن وجده لم يفرح به ولم يتأذ
وإن فقده كذلك بل حاله مثل حال عائشة رضي الله عنها إذ أتاها مائة ألف درهم من العطاء فأخذتها
وفرقتها في يومها فقالت لها خادمها لو اشتريت لنا بدرهم لحما نفطر عليه فقالت لو ذكرتني لفعلت فمن
هذا حاله فإن كانت الدنيا بحذافيرها في يديه وخزائنه لم تضره إذ هو يرى الأموال في خزانة الله تعالى
لا في يد نفسه فلا يفرق بين أن تكون في يده أو في يد غيره وينبغي أن يسمى صاحب هذه الحالة المستغني
لأنه غني عن فقد المال ووجوده جميعا ولنفهم من هذا الاسم معنى يفارق اسم الغني المطلق على الله
تعالى وعلى من كثر ماله من العباد فإن من كثر ماله من العباد وهو يفرح به فهو مفتقر إلى بقاء المال في يده
وإنما هو غني عن دخول المال في يده وعن بقائه فهو إذا فقير من وجه غني من وجه وأما هذا الشخص
فهو غني عن دخول المال في يده وعن بقائه في يده وعن خروجه من يده أيضا فإنه ليس يتأذى به ليحتاج
إلى الخروج وليس يفرح به ليحتاج إلى البقاء وليس فاقدا له ليحتاج إلى الدخول في يده فغناه إذا يعم
الأحوال وهو إلى الغنى الذي هو وصف الله أقرب فإنما قرب العبد من الله بقرب الصفات لا بقرب المكان
ولكنا لا نسمي صاحب هذه الحالة غنيا بل مستغنيا ليبقى الغنى اسما لمن له الغنى المطلق عن كل شيء وأما
هذا العبد فإنه استغنى عن المال وجودا وعدما فلم يستغن عن أشياء أخر سواه ولم يستغن عن مدد توفيق
الله تعالى ليبقى استغناؤه الذي زين الله به قلبه فإن القلب المقيد بحب المال رقيق والمستغني
عنه حر والله تعالى هو الذي أعتقه من هذا الرق فهو محتاج إلى دوام هذا العتق والقلوب تتقلب
بين الرق والحرية في أوقات متقاربة لأنها بين إصبعين من أصابع الرحمن فلذلك لم يكن اسم الغنى
مطلقا عليه مع هذا الكمال إلا مجازا **واعلم** أن الزهد درجة هي كمال الأبرار وصاحب هذه الحالة من
المقربين فلا جرم صار الزهد في حقه نقصانا إذ حسنات الأبرار سيئات المقربين وهذا لأن الكاره
للدنيا مشغول بالدنيا كما أن الراغب فيها مشغول بها والشغل بما سوى الله حجاب عن الله تعالى إذ لا بعد
بينك وبين الله حتى يكون البعد حجابا فإنه أقرب إليك من حبل الوريد وليس هو في مكان حتى تكون السموات و
الأرض حجابا بينك وبينه إلا شغلك بغيره وشغلك بنفسك وشهواتك شغل بغيره وأنت لا تزال مشغولا
بنفسك وشهوات نفسك فكذلك لا تزال محجوبا عنه فالمشغول بحب نفسه مشغول عن الله تعالى و
المشغول ببغض نفسه أيضا مشغول عن الله تعالى بل كل ما سوى الله مثاله مثال الرقيب الحاضر في مجلس يجمع
العاشق والمعشوق فإن التفت قلب العاشق إلى الرقيب وإلى بغضه واستثقاله وكراهة حضوره فهو في
حالة اشتغال قلبه ببغضه مصروف عن التلذذ بمشاهدة معشوقه ولو استغرقه العشق لغفل عن غير المعشوق

ولم يلتفت اليه كما ان التفات القلب الى عيوب المعشوق يحجبه عند حضور المعشوق ترك في العشق ونقص فيه وكذلك
التفات القلب الى عيوب البغيض ترك فيه ونقص ولكن احدهما اخف من الآخر بل الكمال في ان لا يلتفت القلب الى غير
المحبوب بغضا وحبا فانه كما لا يجتمع في القلب حبان في حالة واحدة فلا يجتمع ايضا فيه بغض وحب
في حالة واحدة فالمشغول ببغض الدنيا غافل عن الله تعالى كالمشغول بحبها الا ان المشغول بحبها
غافل وهو في غفلته سالك طريق القرب اذ يرجى له ان ينتهي حاله الى ان تزول هذه الغفلة وتتبدل
بالشهود والكمال له مرتقب لان بغض الدنيا مطية توصل الى الله فالمحب والمبغض كرجلين في طريق الحج
مشغولين بركوب الناقة وعلفها وتسييرها ولكن احدهما مستدبر الكعبة والآخر مستقبل لها
فهما سيان في الحال في ان كل واحد منهما محجوب عن الكعبة ومشغول عنها ولكن حال المستقبل
محمود بالاضافة الى المعتكف في الكعبة والملازم لها الذي لا يخرج منها حتى يفتقر الى الاشتغال
بالدابة في الوصول اليها فلا ينبغي ان تظن ان بغض الدنيا مقصود في عينه بل الدنيا عائق عن
الله ولا وصول اليه الا بدفع العائق ولذلك قال ابو سليمان الداراني من زهد في الدنيا واقتصر
عليه فقد استعجل الراحة بل ينبغي ان يشتغل بالآخرة فبين ان سلوك طريق الآخرة وراء الزهد كما
ان سلوك طريق الحج وراء دفع الغريم العائق عن الحج فاذا قد ظهر ان الزهد في الدنيا ان اريد به عدم
الرغبة في وجودها وعدمها فهو غاية الكمال وان اريد به الرغبة في عدمها فهو كمال بالاضافة
الى درجة الراضي والقانع والحريص ونقصان بالاضافة الى درجة المستغني بل الكمال في حق المال
ان يستوي عندك المال والماء وكثرة الماء في جوارك لا يؤذيك بان تكون على شاطئ البحر ولا قلته
تؤذيك الا في وقت الضرورة مع ان الماء محتاج اليه كما ان المال محتاج اليه فلا يكون قلبك مشغولا بالفرار
عن جوار الماء الكثير ولا ببغض الماء الكثير بل تقول اشرب منه بقدر الحاجة واسقي منه عباد الله بقدر الحاجة
ولا ابخل به على احد فهكذا ينبغي ان يكون المال لان الخبز والماء واحد في الحاجة وانما الفرق بينهما
في قلة احدهما وكثرة الآخر واذا عرفت الله وثقت بتدبيره الذي دبر به العالم علمت ان قدر
حاجتك من الخبز يأتيك لا محالة ما دمت حيا كما يأتيك قدر حاجتك من الماء كما سيأتي بيانه في كتاب
التوكل قال احمد بن ابي الحواري قلت لابي سليمان الداراني ان مالك بن دينار قال للمغيرة اذهب الى
البيت فخذ الركوة التي اهديتها لي فان العدو يوسوس الي ان اللص قد اخذها فقال ابو سليمان هذا
من ضعف قلوب الصوفية وقد زهد في الدنيا فما عليه من اخذها يعني انكم اهتم بكون الركوة في
بيته التفات اليها بسبب الضعف والنقصان **فان قلت** فما بال الانبياء والاولياء هربوا من
المال ونفروا عنه كل النفار **فاقول** كما هربوا من الماء على معنى انهم ما شربوا اكثر من حاجتهم ونفروا عما
وراءها ولم يجمعوه في القرب والروايا يديرونها مع انفسهم بل تركوه في الانهار والبوادي للمحتاجين لا
لانهم كانت قلوبهم مشغولة بحبه او بغضه وقد حملت خزائن الارض الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى
ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فاخذوها ووضعوها في مواضعها وما هربوا منها اذ كان يستوي عندهم
الماء والمال والذهب والحجر وما نقل عنهم من امتناع فاما ان ينقل عن من خاف على نفسه ان يخدعه
المال ويقيد قلبه ويدعوه الى الشهوات وهذا حال الضعفاء فلا جرم البغض للمال والهرب منه
في حقهم كمال وهذا حكم جميع الخلق لان كلهم ضعفاء الا الانبياء والاولياء واما ان ينقل عمن
بلغ الكمال ولكن اظهر الفرار والنفار تنزلا الى درجة الضعفاء ليقتدوا به في الترك اذ لو اقتدوا

بهم في الاخذ لهلكوا كما يفر الرجل المعزم بين يدي اولاده من الحية لا لضعفه عن اخذها ولكن لعلمه بانه لو
اخذها لاخذها اولاده اذا راوها وهلكوا فالسير بسير الضعفاء ضرورة الانبياء والاولياء والعلماء فقد
عرفت اذا ان المراتب ستة فاعلاها رتبة المستغني ثم الزاهد ثم الراضي ثم القانع ثم الحريص واما
المضطر فيتصور في حقه ايضا الزهد والرضى والقناعة ودرجته تختلف بحسب اختلاف هذه الاحوال
فاسم الفقير مطلق على هذه الخمسة اما تسمية المستغني فقيرا فلا وجه له بهذا المعنى بل اذا سمي
فقيرا فبمعنى آخر وهو معرفته بكونه محتاجا الى الله تعالى في جميع اموره عامة وفي بقاء استغنائه
عن المال خاصة فيكون اسم الفقير له كاسم العبد لمن عرف نفسه بالعبودية واقر بها فانه احق باسم
العبد من الغافلين وان كان اسم العبد عاما للخلق فكذلك اسم الفقير عام ومن عرف نفسه بالفقر
الى الله تعالى فهو احق باسم الفقير فاسم الفقير مشترك بين هذين المعنيين واذا عرفت هذا
الاشتراك فهمت ان قوله صلى الله عليه وسلم اعوذ بك من الفقر وقوله كاد الفقر ان يكون كفرا لا يناقض
قوله احيني مسكينا وامتني مسكينا اذ فقر المضطر هو الذي استعاذ منه والفقر الذي هو الاعتراف
بالمسكنة والذلة والافتقار الى الله هو الذي سأله في دعائه

بيان فضيلة الفقر مطلقا

اما من الآيات فيدل عليه قوله تعالى للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم
للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف
اخرج سياق الكلام في معرض المدح ثم قدم وصفهم بالفقر على وصفهم بالهجرة والاحصار وفيه دلالة
ظاهرة على مدح الفقر **واما الاخبار** في مدح الفقر فاكثر من ان تحصى فقد روى ابن عمر رضي الله عنهما
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه اي الناس خير فقالوا موسر من المال يعطي حق الله تعالى في
نفسه وماله فقال نعم الرجل هذا وليس به قالوا فمن خير الناس يا رسول الله فقال فقير يعطي جهده
وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الفقير المتعفف ابا العيال وفي الخبر المشهور يدخل فقراء
امتي الجنة قبل اغنيائهم بخمسمائة عام وفي حديث آخر باربعين خريفا اي اربعين سنة فيكون
المراد به تقدم الفقير الحريص على الغني الحريص والتقدير بخمسمائة سنة تقدير تقدم الفقير الزاهد
على الغني الراغب لما ذكرناه من اختلاف درجات الفقير فلذلك بالضرورة تفاوتا بين الفقراء في درجاتهم
فكان الفقير الحريص على درجة من خمس وعشرين درجة من الفقير الزاهد اذ هذه نسبة الاربعين
الى الخمسمائة ولا تظنن ان تقدير رسول الله صلى الله عليه وسلم يجري على لسانه جزافا وبالاتفاق بل لا
ينطق صلى الله عليه وسلم الا بحقيقة الحق فانه لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وهذا كقوله
صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة من الرجل الصالح جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة فانه تقدير
تحقيقي لا محالة ولكن ليس في قوة غيره الا معرفة علة تلك النسبة الا بتخمين واما بالتحقيق فلا اذ يعلم
ان النبوة عبارة عما يختص به النبي صلى الله عليه وسلم ويفارق به غيره وهو يختص بانواع من الخواص
احدها انه يعرف حقائق الامور المتعلقة بالله عز وجل وصفاته وملائكته وكتبه ورسله والدار
الآخرة كما لا يعلمه غيره بل تخالفه بكثرة المعلومات وبزيادة اليقين والتحقيق والكشف **والثاني**
ان له في نفسه صفة بها تتم له الافعال الخارقة للعادات كما ان لنا صفة بها تتم الحركات المقرونة
بارادتنا واختيارنا وهو القدرة وان كانت القدرة والمقدور جميعا من فعل الله تعالى **والثالث**
ان له صفة بها يبصر الملائكة ويشاهدهم كما ان للبصير صفة يفارق بها الاعمى حتى يدرك بها المبصرات

والرابع انه صفة بها يدرك ما سيكون في الغيب اما في اليقظة واما في المنام اذ بها يطالع اللوح
المحفوظ فيرى ما فيه من الغيب فهذه كمالات وصفات يعلم ثبوتها للانبيا ويعلم انقسام كل واحد
الى اقسام وربما يمكننا ان نقسمها الى اربعين والى خمسين والى ستين ويمكننا ايضا ان نتكلف تقسيمها
الى اربعين والى خمسين والى ستين ويمكننا ايضا ان نتكلف تقسيمها الى ست واربعين بحيث يقع
الرؤيا الصحيحة واحدا من جملتها ولكن تعيين طريق واحد من طرق التقسيمات الممكنة لا يمكن
الا بظن وتخمين ولا يدرى تحقيقا انه الذي اراده رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لا نعلم مجامع
الصفات التي بها تتم النبوة واصل انقسامها وذلك لا يرشدنا الى معرفة علة التقدير وكذلك
نعلم ان الفقرا السعدا درجات كما سبق فاما ان كان هذا الفقير الحريص مثلا على نصف سدس درجة الفقير
الزاهد حتى لم يقتض له التقديم باكثر من اربعين سنة الى الجنة واقتضى ذلك التقديم بخمسمائة عام
فليس في قدرة غير الانبيا الوقوف على ذلك الا بنوع من التخمين ولا يوثق به والغرض التنبيه على منهاج
التقدير في امثال هذه الامور فان الضعيف الايمان قد يظن ان ذلك يجري من رسول الله صلى الله عليه وسلم
على سبيل الاتفاق وحاشا منصب النبوة من ذلك ولنرجع الى نقل الاخبار فعند قوله صلى الله عليه وسلم
خير هذه الامة فقراؤها واسرعها تضجعا في الجنة ضعفاؤها وقال صلى الله عليه وسلم ان لي
حرفتين اثنتين فمن احبهما فقد احبني ومن ابغضهما فقد ابغضني الفقر والجهاد وروي ان جبريل عليه
السلام نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله يقرا عليك السلام ويقول لك اتحب ان اجعل
هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيثما كنت فاطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم قال يا جبريل
ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له لها يجمعها من لا عقل له فقال له جبريل عليه السلام يا محمد ثبتك
الله تعالى بالقول الثابت وروي ان عيسى مر في سياحته برجل نائم ملتف في عباءة فايقظه فقال يا نائم قم
فاذكر الله فقال ما تريد مني اني قد تركت الدنيا لاهلها فقال له فنم اذا يا حبيبي ثم مر موسى عليه السلام
برجل نائم على التراب وتحت راسه لبنة ووجهه ولحيته في التراب وهو متزر بعباءة فقال يا رب عبدك
هذا في الدنيا ضائع فاوحى الله تعالى اليه يا موسى اما علمت اني اذا نظرت الى عبد بوجهي كله زويت
عنه الدنيا كلها وعن ابي رافع انه قال ورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عنده ما يصلحه
فارسلني الى رجل من يهود خيبر وقال له يقول لك محمد اسلفني او بعني دقيقا الى هلال رجب قال فاتيته
فقال لا والله الا برهن فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال اما والله اني لامين في اهل السما
امين في اهل الارض ولو باعني او اسلفني لاديت اليه اذهب بدرعي هذه اليه فارهنه فلما خرجت نزلت
هذه الاية ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك
خير وابقى تعزية له عن الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم الفقر ازين للمؤمن من العذار الحسن على خد الفرس وقال
صلى الله عليه وسلم من اصبح منكم امنا في سربه معافى في جسمه عنده طعام يومه فكانما حيزت له الدنيا
وقال كعب الاحبار قال الله تعالى لموسى عليه السلام يا موسى اذا رايت الفقر مقبلا عليك فقل
مرحبا بشعار الصالحين وقال عطا الخراساني مر نبي من الانبيا بساحل فاذا هو برجل يصطاد حيتانا فقال
بسم الله والقى شبكته فلم يخرج فيها حوت واحد ثم مر باخر فقال بسم الشيطان والقى شبكته فخرج فيها من
الحيتان ما كان يتقاعس من كثرتها فقال النبي يا رب ما هذا فقد علمت ان كل ذلك بيدك فقال الله عز وجل
للملائكة اكشفوا لعبدي عن منزلتيهما فلما راى ما اعد الله لهذا من الكرامة ولذلك من الهوان قال

رضيت يا رب وقال نبينا صلى الله عليه وسلم اطلعت في الجنة فرايت اكثر اهلها الفقرا واطلعت في النار
فرايت اكثر اهلها الاغنيا وفي لفظ اخر فقلت اين الاغنيا فقال حبسهم الجد وفي حديث اخر فرايت اكثر
اهلها النسا فقلت ما شانهن فقيل شغلهن الاحمران الذهب والزعفران وقال صلى الله عليه وسلم تحفة
المؤمن في الدنيا الفقر وفي الخبر اخر الانبيا دخولا الجنة سليمان لمكان ملكه واخر اصحابي دخولا الجنة
عبد الرحمن ابن عوف لاجل غناه وفي حديث اخر رايته دخل الجنة زحفا وقال عليه السلام بشدة يدخل
الغني الجنة وفي خبر عن اهل البيت صلى الله عليه وسلم قال اذا احب الله عبدا ابتلاه فاذا احبه الحب
البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال لم يترك له اهلا ولا مالا وفي الخبر اذا رايت الفقر مقبلا
فقل مرحبا بشعار الصالحين واذا رايت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته وقال موسى عليه
السلام يا رب من احباؤك من خلقك حتى احبهم لاجلك فقال كل فقير فقير فيمكن ان يكون الثاني
للتاكيد ويمكن ان يكون المراد به شديد الضر وقال عيسى عليه السلام اني لاحب المسكنة وابغض
النعم وكان احب الاسامي اليه ان يقال يا مسكين ولما قالت سادات العرب واغنياؤها يا رسول الله
اجعل لنا يوما ولهم يوما يجيئون اليك ولا نجيء ونجيء اليك ولا يجيئون يعنون الفقرا مثل بلال وسلمان
وصهيب وابي ذر وخباب بن الارت وعمار بن ياسر وابي هريرة واصحاب الصفة من الفقرا فاجابهم
النبي صلى الله عليه وسلم الى ذلك وذلك انهم شكوا اليه انهم يؤذيهم روائحهم وكان لباس القوم الصوف
في شدة الحر فاذا عرقوا فاحت الروائح من ثيابهم فاشتد ذلك على الاغنيا ذلك منهم الاقرع بن حابس التميمي
وعيينة بن بدر الفزاري وعباس بن مرداس السلمي وغيرهم فاجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان لا يجمعهم
واياهم مجلس فنزل عليه قوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون
وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحيوة الدنيا يعني الفقرا تريد زينة الحيوة الدنيا يعني
الاغنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا يعني الاغنيا وقل الحق من ربكم يعني الفقرا فمن شا فليؤمن ومن شا فليكفر
ولما استاذن ابن ام مكتوم حيث استاذن على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده رجل من اشراف قريش
فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل عبس وتولى ان جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى
او يذكر فتنفعه الذكرى يعني الاعمى ابن ام مكتوم اما من استغنى فانت له تصدى يعني هذا الشريف
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يؤتى بالعبد يوم القيمة فيعتذر الله تعالى اليه كما يعتذر الرجل
في الدنيا فيقول وعزتي وجلالي ما زويت الدنيا عنك لهوانك علي ولكن لما اعددت لك من الكرامة و
الفضيلة اخرج يا عبدي الى هذه الصفوف فمن اطعمك في او كساك في يريد بذلك وجهي فخذ بيده
فهو لك والناس يومئذ قد الجمهم العرق فيتخلل الصفوف وينظر من فعل ذلك به فياخذ بيده ويدخل
الجنة وقال عليه السلام اكثروا من معرفة الفقرا واتخذوا عندهم الايادي فان لهم دولة فقالوا يا
رسول الله وما دولتهم قال اذا كان يوم القيمة قيل لهم انظروا من اطعمكم كسرة وسقاكم شربة وكساكم ثوبا
فخذوا بيده ثم امضوا به الى الجنة وقال صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فسمعت حركة امامي فنظرت
فاذا بلال فنظرت في اعلاها فاذا فقرا امتي واولادهم ونظرت في اسفلها فاذا فيها من الاغنيا والنسا قليل
فقلت يا رب ما شانهم قال اما النسا فاضر بهن الاحمران الذهب والحرير واما الاغنيا فاشتغلوا بطول
الحساب وتفقدت اصحابي فلم ار عبد الرحمن بن عوف ثم جاءني بعد ذلك وهو يبكي فقلت له ما خلفك
عني قال اما والله يا رسول الله ما خلصت اليك حتى لقيت المشيبات وظننت اني لا اراك فقلت لم قال

احاسب عليه فانظر الى هذا وعبد الرحمن صاحب السابقة العظيمة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من
العشرة المخصوصين بانهم من اهل الجنة وهو من الاغنيا الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا من
قال بالمال هكذا وهكذا ومع هذا فقد استضر بالغنا الى هذا الحد ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
على رجل فقير ولم ير له شيئا فقال لو قسم نور هذا على اهل الارض لوسعهم وقال صلى الله عليه وسلم الا
اخبركم بملوك اهل الجنة قالوا بلى يا رسول الله قال كل ضعيف مستضعف اغبر اشعث ذي طمرين لا يوبه به لو اقسم
على الله لابره وقال عمران بن حصين كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاه فقال
يا عمران ان لك عندنا منزلة وجاها فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت نعم بابي انت وامي يا رسول الله فقام وقمت معه حتى وقف بباب فاطمة فقرع الباب وقال
السلام عليكم اادخل قالت ادخل يا رسول الله قال انا ومن معي قالت ومن معك يا رسول الله قال
عمران بن حصين فقالت فاطمة والذي بعثك بالحق نبيا ما علي الا عباءة قال اصنعي بها كذا وكذا
واشار بيده فقالت هذا جسدي فقد واريته فكيف براسي فالقى اليها ملاءة كانت معه خلقة
فقال شدي بها على راسك ثم اذنت له فدخل فقال السلام عليكم يا بنتاه كيف اصبحت قالت اصبحت
والله وجعة وزادني وجعا على ما بي اني لست اقدر على طعام اكله فقد اضر بي الجوع فبكى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال لا تجزعي يا بنتاه فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلاث واني لاكرم على الله
منك ولو سالت ربي لاطعمني ولكن اثرت الاخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها ابشري
فوالله انك لسيدة نساء اهل الجنة فقالت واين آسية امراة فرعون ومريم بنت عمران قال
آسية سيدة نساء عالمها انكن في بيوت من قصب لا اذى فيه ولا صخب ثم قال لها اقنعي بابن عمك
فوالله لقد زوجتك سيدا في الدنيا والاخرة **واما الاثار** فقد قال ابو الدردا ذو الدرهمين
اشد حبسا او قال اشد حسابا من ذي الدرهم وارسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى سعيد بن عامر
بالف دينار فجا الى منزله كئيبا حزينا فقالت امراته احدث شي قال اشد من ذلك ثم قال ارني
درعك الخلق فشقه وجعله صررا وفرقه ثم قام يصلي ويبكي الى الغداة ثم قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول يدخل فقرا المسلمين الجنة قبل الاغنيا بخمسماية عام حتى ان الرجل من
الاغنيا يدخل في غمارهم فيوخذ بيده فيستخرج وقال ابو هريرة ثلثة يدخلون الجنة بغير حساب
رجل يريد ان يغسل ثوبه فلم يكن له خلق يلبسه ورجل لم ينصب على مستوقد قدران ورجل دعي
بشراب فلا يقال له ايهما تريد ويقال جا فقير الى مجلس الثوري فقال له تخط لو كنت غنيا ما قربتك
وكان الاغنيا من اصحابه يودون انهم فقرا لكثرة تقريبه الفقرا واعراضه عن الاغنيا وقال
المومل ما رايت الغني اذل منه في مجلس الثوري ولا رايت الفقير اعز منه في مجلس الثوري وقال
بعض الحكما مسكين ابن آدم لو يخاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعا ولو رغب في الجنة
كما رغب في الغنا لفاز بهما جميعا ولو خاف الله تعالى في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر لسعد
في الدارين جميعا وقال لقمن لابنه لا تحقرن احدا لخلقان ثيابه فان ربك وربه واحد وقال
يحيى بن معاذ حبك للفقرا من اخلاق المرسلين وايثارك مجالستهم من علامات الصالحين وفي
الاخبار عن الكتب السالفة ان الله جل جلاله اوحى الى بعض اوليائه احذر ان امقتك فتسقط
من عيني فاصب عليك الدنيا صبا وكانت عايشة رضي الله عنها تفرق مائة الف درهم في يومها

يوجههما اليها معاوية وابن عامر وغيرهما وان درعها لمرقوع فقالت لها الجارية لو اشتريت
لنا بدرهم لحما تفطرين عليه وكانت صائمة فقالت لو ذكرتني لفعلت وكان قد اوصاها رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال ان اردت اللحاق بي فعليك بعيش الفقرا واياك ومجالسة الاغنيا ولا
تنزعي درعك حتى ترقعيه وجا رجل الى ابرهيم بن ادهم بعشرة الاف درهم فابى عليه وطلب اليه
الرجل بقبولها فقال ابرهيم تريد ان امحو اسمي من ديوان الفقرا بعشرة الاف لا افعل

باب فضل خصوص الفقرا من الراضين والقانعين والصادقين

قال صلى الله
عليه وسلم طوبى لمن هدي الى الاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال عليه السلام يا
معشر الفقرا اعطوا الله تعالى الرضى من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا فالاول للقانع وهذا
للراضي ويكاد يشعر مفهومه بان الحريص لا ثواب له على فقره ولكن العمومات الواردة في فضل الفقر تدل
على ان له ثوابا كما سياتي تحقيقه ولعل المراد بعدم الرضى هو الكراهة لفعل الله تعالى في حبس
الدنيا عنه فان رب راغب في المال لا يخطر بقلبه انكار على الله عز وجل ولا كراهة في فعله فتلك
الكراهة هي التي تحبط ثواب الفقر **وروى عمر** رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ان لكل شي مفتاحا ومفتاح الجنة حب المساكين والفقرا الصبر هم جلسا الله تعالى يوم القيمة **وروى**
علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال احب العباد الى الله تعالى الفقير القانع برزقه
الراضي عن ربه **وقال** صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا وقال ما من احد
غني ولا فقير الا ود يوم القيمة انه كان اوتي قوتا في الدنيا واوحى الله تعالى الى اسماعيل عليه السلام اطلبني
عند المنكسرة قلوبهم قال ومن هم قال الفقرا الصادقون وقال صلى الله عليه وسلم لا احد افضل من
الفقير اذا كان راضيا وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يوم القيمة اين صفوتي من خلقي فتقول
الملائكة من هم يا ربنا فيقول فقرا المسلمين القانعين بعطائي الراضين بقدري ادخلوهم الجنة فيدخلونها
وياكلون ويشربون والناس في الحساب يترددون فهذا في القانع والراضي واما الزاهد فسنذكر فضله
في الشطر الثاني من الكتاب واما الاثار في القناعة والرضى فكثيرة ولا يخفى ان القناعة تضاد الطمع
وقد قال عمر رضي الله عنه ان الطمع فقر واليأس غنى وانه من ييأس عما في ايدي الناس وقنع استغنى
عنهم **وقال** ابن مسعود ما من يوم الا وملك ينادي من تحت العرش يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير
يطغيك وقال ابو الدردا ما من احد الا وفي عقله نقص وذلك انه اذا اتته الدنيا بالزيادة ظل فرحا
مسرورا والليل والنهار دائبان في هدم عمره لا يحزنه ذلك ويح ابن آدم ما ينفع مال يزيد وعمر ينقص
وقيل لبعض الحكما ما الغنى قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك وقيل كان ابرهيم بن ادهم من
اهل النعيم بخراسان فبينما هو يشرف من قصره ذات يوم اذ نظر الى رجل في فنا القصر وبيده رغيف ياكله
فلما اكل نام فقال لبعض غلمانه اذا قام فجئني به فلما قام جا به اليه فقال ابرهيم ايها الرجل اكلت
الرغيف وانت جائع قال نعم قال فشبعت قال نعم قال ثم نمت طيبا قال نعم فقال ابرهيم في نفسه
فما اصنع انا بالدنيا والنفس تقنع بهذا القدر ومر رجل بعامر بن عبد قيس وهو ياكل ملحا وبقلا فقال له
يا عبد الله ارضيت من الدنيا بهذا فقال الا ادلك على من رضي بشر من هذا قال بلى قال من رضي بالدنيا
عوضا من الاخرة وكان محمد بن واسع يخرج خبزا يابسا فيبله بالما وياكله بالملح ويقول من رضي من الدنيا
بهذا لم يحتج الى احد **وقال** الحسن لعن الله تعالى اقواما اقسم الله عز وجل لهم ثم لم يصدقوه ثم قرا

وفي السماء رزقكم وما توعدون فذهبت السماء والارض الابد وكان ابو ذر يوما جالسا في الناس فاتته امراته فقالت
له اتجلس بين هولاء والله ما في البيت هنة ولا سفة فقال يا هذه ان بين ايدينا عقبة كؤودا لا ينجو منها
الا كل مخف فرجعت وهي راضية وقال ذو النون ادنى الناس الى الكفر ذو فاقة لا صبر له وقيل لبعض
الحكما ما مالك فقال التجمل في الظاهر والقصد في الباطن والياس مما في ايدي الناس **ويروى**
ان الله تعالى يقول في بعض الكتب المنزلة يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فاذا
انا اعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فانا اليك محسن **وقيل** في القناعة اضرع الى الله لا
تضرع الى الناس واقنع بياس فان العز في الياس واستغن عن كل ذي قربى وذي رحم ان الغني من استغنى
عن الناس **وقيل** يا جامعا مانعا والدهر يرمقه مقدرا اي باب منه يغلقه مفكرا كيف تاتيه منيته
اغاديا ام بها يسري فتطرقه جمعت مالا فقل هل جمعت له يا جامع المال اياما تفرقه المال عندك
مخزون لوارثه ما المال مالك الا يوم تنفقه ارفه ببال فتى يغدو على ثقة ان الذي قسم
الارزاق يرزقه فالعرض منه مصون لا يدنسه والوجه منه جديد ليس يخلقه ان القناعة من يحلل
بساحتها لم يلق في ظلها هما يورقه

بيان فضيلة الفقر على الغنا

اعلم ان الناس قد
اختلفوا في هذا فذهب الجنيد والخواص والاكثرون الى تفضيل الفقر **وقال** ابن عطا الغني الشاكر
القايم بحقه افضل من الفقير الصابر ويقال دعا الجنيد على ابن عطا لمخالفته اياه فيه فاصابته محنة
وقد ذكرنا هذا في كتاب الصبر وجه التفاوت بين الصبر والشكر وبينا سبيل طلب الفضيلة في
الاعمال والاحوال وان ذلك لا يمكن الا بتفصيل واما الفقر والغنا اذا اخذ مطلقا لم يسترب من قرا الاخبار
والاثار في تفضيل الفقر ولا بد فيه من تفصيل فنقول انما يتصور الشك في مقامين احدهما فقير صابر
ليس بحريص على الطلب بل هو قانع او راض بالاضافة الى غني منفق ماله في الخيرات ليس حريصا على امساك
المال والثاني فقير حريص مع غني حريص اذ لا يخفى ان الفقير القانع افضل من الغني الحريص الممسك وان
الغني المنفق ماله في الخيرات افضل من الفقير الحريص اما الاول فربما يظن ان الغني افضل من الفقير
لانهما تساويا في ضعف الحرص على المال والغني متقرب بالخيرات والصدقات والفقير عاجز عنه وهذا هو
الذي ظنه ابن عطا فيما نحسبه فاما الغني المتمتع بالمال وان كان في مباح فلا يتصور ان يفضل على الفقير
القانع وقد يشهد له ما روي في الخبر ان الفقرا شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق الاغنيا
بالخيرات والصدقات والحج والجهاد فعلمهم كلمات في التسبيح وذكر لهم انهم ينالون بها فوق
ما ناله الاغنيا فتعلم الاغنيا ذلك وكانوا يقولون مثل ما يقولون فعادوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ذلك فضل الله يوتيه من يشا وقد استشهد ابن عطا ايضا لما سئل عنه فقال الغنا افضل
لانه وصف من اوصاف الحق اما دليله الاول ففيه نظر لان الخبر قد روي مفصلا تفصيلا يدل على
خلاف ذلك وهو ان ثواب الفقر في التسبيح يزيد على ثواب الغني وان فوزهم بذلك الثواب فضل الله
يوتيه من يشا فقد روى زيد بن اسلم عن انس بن مالك قال بعث الفقرا رسولا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال اني رسول الفقرا اليك فقال مرحبا بك وبمن جئت من عندهم جئت من عند قوم احبهم
قال قالوا يا رسول الله ان الاغنيا ذهبوا بالجنة يحجون ولا نقدر ويعتمرون ولا نقدر عليه واذا
مرضوا بعثوا بفضل اموالهم ذخيرة لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم بلغ عني الفقرا ان لمن صبر واحتسب
منهم ثلاث خصال ليست للاغنيا **اما خصلة واحدة** فان في الجنة غرفا ينظر اليها اهل

الجنة كما ينظر اهل الارض الى نجوم السما لا يدخلها الا نبي فقير او شهيد فقير او مومن فقير والثانية يدخل
الفقرا الجنة قبل الاغنيا بنصف يوم وهو خمسمائة عام والثالثة اذا قال الغني سبحان الله والحمد
لله ولا اله الا الله والله اكبر وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الغني بالفقير وان انفق فيها عشرة الاف درهم
وكذلك اعمال البر كلها فرجع اليهم فقالوا رضينا رضينا فهذا يدل على ان قوله ذلك فضل الله يوتيه
من يشا يرجع الى مزيد ثواب الفقرا على الذكر واما قوله ان الغنى وصف الحق فقد اجابه بعض الشيوخ فقال ارى
ان الحق غني بالاسباب والاعراض فانقطع ولم يجب واجاب اخرون فقالوا التكبر من صفات الحق فينبغي
ان يكون افضل من التواضع ثم قالوا بل هذا يدل على ان الفقر افضل لان صفات العبودية افضل للعبد
كالخوف والرجا وصفات الربوبية لا ينبغي ان ينازع فيها ولذلك قال تعالى العظمة ازاري والكبريا
ردائي فمن نازعني فيهما قصمته **وقال** سهل حب العز والبقا شرك في الربوبية ومنازعة فيها لانهما من
صفات الرب تعالى فمن هذا الجنس تكلموا في تفضيل الغني والفقير وحاصله يتعلق بعمومات تقبل التاويل
وبكلمات قاصرة لا يبعد مناقضتها اذ كما يناقض قول من ذم الغنا بانه صفة الحق بالتكبر فكذلك يناقض
قول من ذم الغنا بانه وصف العبد بالجهل والغفلة لان العلم والمعرفة وصف الرب والجهل والغفلة
وصف العبد وليس لاحد ان يفضل الغفلة على العلم فكشف الغطا في هذا هو ما ذكرناه في كتاب الصبر وهو
ان ما لا يراد لعينه بل يراد لغيره فينبغي ان يضاف الى مقصوده اذ به يظهر فضيلته والدنيا ليست محذورة
لعينها ولكن لكونها عايقة عن الوصول الى الله تعالى والفقر ليس مطلوبا لعينه ولكن لان فيه فقد العايق عن
الله تعالى وعدم التشاغل عنه وكم من غني لم يشغله الغنى عن الله مثل سليمن عليه السلام وعثمان
وعبد الرحمن ابن عوف وكم من فقير شغله الفقر وصرفه عن المقصد وغاية المقصد في الدنيا هو حب الله
تعالى والانس به ولا يكون ذلك الا بعد معرفته وسلوك سبيل المعرفة مع الشواغل غير ممكن والفقر قد يكون
من الشواغل كما ان الغنا قد يكون من الشواغل وانما الشاغل على التحقيق حب الدنيا اذ لا يجتمع معه حب الله
في القلب والمحب للشي مشغول به سوا كان في فراقه او في وصاله وربما يكون شغله في الفراق اكثر وربما
يكون في الوصال اكثر والدنيا معشوقة للغافلين المحروم عنها مشغول بها وبطلبها والقادر عليها مشغول
بحفظها وبالتمتع بها فاذا ان فرضت فارغين عن حب المال بحيث صار المال في حقهما كالما استوى القادر
والواجد اذ كل واحد غير متمتع الا بقدر الحاجة ووجود قدر الحاجة افضل من فقده اذ الجايع يسلك
سبيل الموت لا سبيل المعرفة وان اخذت الامر باعتبار الاكثر فالفقير عن الخطر ابعد اذ فتنة السرا اشد من فتنة
الضرا ومن العصمة ان لا تقدر ولذلك قالت الصحابة بلينا بفتنة الضرا فصبرنا وبلينا بفتنة السرا فلم نصبر
وهذه جبلة الادميين كلهم الا الشاذ الفذ الذي لا يوجد في الاعصار الكثيرة الا نادرا ولما كان خطاب
الشرع مع الكل لا مع ذلك النادر والضرا اصلح للكل دون ذلك النادر زجر الشرع عن الغنى وذمه وفضل
الفقر ومدحه حتى قال المسيح عليه السلام لا تنظروا الى اموال اهل الدنيا فان بريق اموالهم يذهب بنور ايمانكم
وقال بعض العلما تقليب الاموال يمص حلاوة الايمان وفي الخبر ان لكل امة عجلا وعجل هذه الامة الدينار والدرهم
وكان اصل عجل قوم موسى عليه السلام من حلية الذهب والفضة ايضا فاستوا المال والما والحجر والذهب
انما يتصور للانبيا والاوليا ثم يتم لهم ذلك بعد فضل الله بطول المجاهدة اذ كان صلى الله عليه وسلم يقول للدنيا
اليك عني اذ كانت الدنيا تتمثل بزينتها وكان علي رضي الله عنه يقول يا صفرا غري غيري ويا بيضا غري غيري
وذلك لاستشعاره في نفسه ظهور مبادي الاغترار بها لولا انه راى سبحانه وذلك هو الغنى المطلق اذ ك

صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس وإذا كان ذلك بعيداً فإذن الأصلح لكافة الخلق
فقد المال وإن تصدقوا به وصرفوه إلى الخيرات لأنهم لا ينفكون في القدرة على المال عن أنس به بالدنيا وتمتع بالقدرة
عليه واستشعار راحة في بذله وكل ذلك يورث الأنس بهذا العالم وبقدر ما يأنس العبد بالدنيا يستوحش
من الآخرة وبقدر ما يأنس بصفة من صفاته سوى صفة المعرفة لله يستوحش من الله ومن حبه ومهما انقطعت
أسباب الأنس بالدنيا تجافى القلب عن الدنيا وزهرتها والقلب إذا تجافى عما سوى الله وكان مؤمناً بالله انصرف بطبعه
إلى الله إذ لا يتصور قلب فارغ وليس في الوجود إلا الله وغيره فمن أقبل على غيره فقد تجافى عنه ومن تجافى
عن غيره ومن أقبل عليه تجافى عن غيره ويكون إقباله على أحدهما بقدر تجافيه عن الآخر وقربه من أحدهما بقدر
بعده من الآخر ومثالهما مثل المشرق والمغرب فإنهما جهتان فالمتردد بينهما بقدر ما يقرب من أحدهما
يبعد من الآخر فإن عين القرب من أحدهما هو عين البعد من الآخر فعين حب الدنيا هو عين بغض حب الله عز وجل
فينبغي أن يكون مطمح نظر العارف بقلبه فراغه عن الدنيا وأنسه بها فإذا فضل الفقير على الغني بحسب
تعلق قلبهما بالمال فقط فإن تساويا فيه تساوت درجتهما إلا أن هذا مزلة القدم وموضع الغرور فإن
الغني ربما يظن أنه منقطع القلب عن المال ويكون حبه دفيناً في باطنه وهو لا يشعر به وإنما يشعر به إذا فقده
فليجرب نفسه بتفريقه أو إذا سرق فإن وجد لقلبه إليه التفاتاً فليعلم أنه كان مغروراً فكم من رجل باع سرية
لظنه أنه منقطع القلب عنها فبعد لزوم البيع وتسليم الجارية اشتعلت من قلبه النار التي كانت مستكنة
فيه فتحقق به أنه كان مغروراً وأن العشق كان مستكناً في الفؤاد استكنان النار تحت الرماد وهذا حال
كل الأغنياء إلا الأنبياء والأولياء وإذا كان ذلك محالاً أو بعيداً فلنطلق القول بأن الفقر أصلح لكافة الخلق وأفضل
لأن علاقة الفقير وأنسه بالدنيا أضعف وبقدر ضعف علاقته يتضاعف ثواب تسبيحاته وعباداته فإن
حركات اللسان ليست مرادة لأعيانها بل ليتأكد بها الأنس بالمذكور ولا يكون تأثيرها في إثارة الأنس في قلب
فارغ من غير المذكور كتأثيره في قلب مشغول ولذلك قال بعض السلف من تعبد وهو في طلب الدنيا
مثل من يطفئ النار بالحلفاء ومثل من يغسل يده من الغمر بسمك وقال أبو سليمان الداراني تنفس فقير دون
شهوة لا يقدر عليها أفضل من عبادة غني ألف عام وقال رجل لبشر بن الحارث ادع الله لي فقد أضر بي العيال
فقال إذا قال لك عيالك ليس عندنا دقيق ولا خبز فادع الله لي في ذلك الوقت فإن دعاءك أفضل
من دعائي وكان يقول مثل الغني المتعبد مثل روضة على مزبلة ومثل الفقير المتعبد مثل عقد الجوهر في جيد
الحسناء وكانوا يكرهون سماع علم المعرفة من الأغنياء وقال الصديق رضي الله عنه اللهم إني أسألك
الذل عند النصف من نفسي والزهد فيما جاوز الكفاف فإذا كان مثله في كماله يحذر من الدنيا ووجودها
فكيف يشك في أن فقد المال أصلح من وجوده هذا مع أحسن أحوال الغني أن يأخذ حلالاً وينفق طيباً ومع ذلك
فيطول حسابه في عرصات القيامة ويطول انتظاره ومن نوقش الحساب عذب ولهذا تأخر عبد الرحمن بن عوف عن
الجنة إذ كان مشغولاً بالحساب كما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال أبو الدرداء ما أحب أن لي حانوتاً
على باب المسجد لا تخطئني فيه صلاة وذكر وأربح كل يوم أربعين ديناراً وأتصدق بها في سبيل الله قيل وما
تكره قال سوء الحساب ولذلك قال سفيان اختار الفقراء ثلاثة أشياء واختار الأغنياء ثلاثة أشياء اختار الفقراء
راحة النفس وفراغ القلب وخفة الحساب واختار الأغنياء تعب النفس وشغل القلب وشدة الحساب وما
ذكره ابن عطاء من أن الغنى وصف الحق فهو أفضل صحيح ولكن إذا كان العبد غنياً عن وجود المال وعدمه
جميعاً بأن يستوي عنده كلاهما فأما إذا كان غنياً عن وجود المال بوجوده ومفتقراً إلى بقائه فلا يضاهي

غناه غنى الله عز وجل لأن الله تعالى غني بذاته لا بما يتصور زواله والمال يتصور زواله بأن يسرق وما ذكر في الرد عليه من
أن الله تعالى ليس غنياً بالأعراض والأسباب صحيح فذم غنى يريد بقاء المال وما ذكروه من أن صفات الحق لا
تليق بالعبد غير صحيح بل العلم من صفاته وهو أفضل شيء للعبد بل منتهى العبد أن يتخلق بأخلاق الله تعالى
وقد سمعت بعض المشايخ يقول إن سالك الطريق إلى الله تعالى قبل أن يقطع الطريق تصير الأسماء التسعة
والتسعون أوصافاً له أي يكون له من كل واحد نصيب وأما التكبر فلا يليق بالعبد فإن التكبر على من لا يستحق
التكبر عليه ليس من صفات الله تعالى وأما التكبر على من يستحقه كتكبر المؤمن على الكافر وتكبر العالم
على الجاهل والمطيع على العاصي فيليق به نعم قد يراد بالتكبر الزهو والصلف والإيذاء وليس ذلك من وصف
الله تعالى وإنما وصف الله تعالى أنه أكبر من كل شيء وأنه يعلم أنه كذلك فالعبد مأمور بأن يطلب أعلى المراتب
إن قدر عليها ولكن بالاستحقاق كما هو حقه لا بالباطل والتلبيس فعلى العبد أن يعلم أن المؤمن أكبر
من الكافر والمطيع أكبر من العاصي والعالم أكبر من الجاهل والإنسان أكبر من البهيمة والجماد والنبات وأقرب
إلى الله تعالى منها فلو رأى نفسه بهذه الصفة رؤية محققة لا يشك فيها لكانت صفة العلم
حاصلة له لائقة به وفضيلة في حقه إلا أنه لا سبيل له إلى معرفته فإن ذلك موقوف على الخاتمة فكيف
يتفق له الجهل بما وجب أن لا يعتقد لنفسه رتبة الكافر إذ ربما يختم للكافر بالإيمان ويختم له بالكفر فلم يكن
ذلك لائقاً به لقصور علمه عن معرفة العاقبة ولما تصور أن يعلم الشيء على ما هو به كان العلم كمالاً في
حقه لأنه من صفات الله تعالى ولما كانت معرفته بعض الأشياء قد تضره صار ذلك العلم نقصاناً في حقه إذ ليس
من أوصاف الله تعالى علم يضره فمعرفة الأمور التي لا ضرر فيها هي التي تتصور في العبد من صفات الله تعالى فهو
منتهى الفضيلة وبه فضل الأنبياء والأولياء والعلماء فإذا استوى عنده وجود المال وعدمه فهذا نوع من
الغنى يضاهي غنى الله بوجه من الوجوه والغنى الذي يوصف به الله عز وجل فهو فضيلة أما الغنى بوجود المال
فلا فضيلة فيه أصلاً فهذا بيان نسبة حال الفقير القانع إلى حال الغني الشاكر **المقام الثاني** في نسبة حال
الفقير الحريص إلى الغني الحريص ولنفرض ذلك في شخص واحد هو طالب المال وساع فيه وفاقد له ثم وجده فله حالة
الفقد وحالة الوجود فأي حالتيه أفضل فنقول ننظر فإن كان مطلوبه ما لا بد منه في المعيشة وكان قصده
أن يسلك سبيل الدين ويستعين به عليه فحال الوجود أفضل لأن الفقد يشغله بالطلب والطالب للقوت
لا يقدر معه على الفكر والذكر إلا قدرة مشوبة بشغل والمكفي هو القادر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
اللهم اجعل قوت آل محمد كفافاً وقال كاد الفقر أن يكون كفراً أي الفقر مع الاضطرار فيما لا بد منه وإن كان
المطلوب فوق الحاجة أو كان المطلوب قدر الحاجة ولكن لم يكن المقصود به الاستعانة على سلوك سبيل
الدين فحالة الفقر أصلح وأفضل لأنهما استويا في الحرص وحب المال واستويا في أن كل واحد ليس يقصد
به الاستعانة على طريق الدين فاستويا في أن كل واحد ليس يتعرض لمعصية بسبب الفقر والغنى ولكن
افترقا في أن الواجد يأنس بما وجده فيتأكد حبه في قلبه ويطمئن إلى الدنيا والفاقد المضطر يتجافى
قلبه عن الدنيا وتكون الدنيا عنده مثل السجن الذي يبغي الخلاص منه ومهما استوت الأمور كلها وخرج
من الدنيا رجلان وكان أحدهما أشد ركوناً إلى الدنيا فحاله أشد لا محالة إذ يلتفت قلبه إلى الدنيا ويستوحش
من الآخرة بقدر تأكد أنسه بالدنيا وقد قال صلى الله عليه وسلم إن روح القدس نفث في روعي أحبب ما
أحببت فإنك مفارقه وهذا تنبيه على أن فراق المحبوب شديد فينبغي أن تحب ما لا يفارقك وهو الله تعالى
ولا تحب ما يفارقك وهو الدنيا فإنك إذا أحببت الدنيا كرهت لقاء الله فيكون قدومك بالموت على ما

تكرهه وقد ألفت العتبة وكل من فارق محبوبا فيكون تأذيه في فراقه بقدر حبه وقدر أنسه به وأنس الواجد
للدنيا بالدنيا أكثر من أنس الفاقد لها وإن كان حريصا عليها فإذا قد انكشف بهذا التحقيق أن الفقر هو
الأشرف والأفضل والأصلح لكافة الخلق إلا في موضعين أحدهما غنى مثل غنى عائشة رضي الله عنها يستوي
عنده الوجد والعدم فيكون الوجود مزيدا له إذ يستفيد به أدعية الفقراء والمساكين وهمتهم
والثاني الفقر عن مقدار الضرورة فإن ذلك يكاد أن يكون كفرا ولا خير فيه بوجه من الوجوه إلا إذا كان
وجوده يبقي حياته ثم يستعين بقوته وحياته على الكفر والمعاصي ولو مات جوعا لكانت معاصيه أقل
فالأصلح له أن يموت جوعا ولا يجد ما يضطر إليه أيضا فهذا تفصيل القول في الغنى والفقر ويبقى النظر
في فقير حريص متكالب على طلب المال ليس له هم سواه وفي غني هو دونه في الحرص على حفظ المال ولم يكن تفجعه
لفقد المال لو فقده كتفجع الفقير بفقره فهذا في محل النظر والأظهر أن بعدهما عن الله تعالى بقدر قوة
تفجعهما لفقد المال وقربهما بقدر ضعف تفجعهما بفقده والعلم عند الله فيه **بيان آداب
الفقير في فقره** اعلم أن للفقير آدابا في ظاهره وباطنه وفي مخالطته وأفعاله ينبغي أن يراعيها أما أدبه في باطنه فأن
لا يكون فيه كراهة لما ابتلاه الله تعالى به من الفقر أعني أنه لا يكون كارها لما فعل الله به من حيث إنه فعله
وإن كان كارها للفقر كالمحجوم يكون كارها للحجامة لتألمه بها ولا يكون كارها لفعل الحجام ولا كارها له في نفسه
بل ربما يتقلد منه منة فهذا أقل درجاته وهو واجب ونقيضه حرام ومحبط ثواب الفقر وهو معنى
قوله صلى الله عليه وسلم يا معشر الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم وإلا فلا وأرفع من هذا
أن يكون لا كارها للفقر بل يكون راضيا به وأرفع منه أن يكون طالبا له وفرحا به لعلمه بغوائل
الغنى ويكون متوكلا في باطنه على الله وأنه آتيه في قدر ضرورته لا محالة ويكون كارها للزيادة
على الكفاف وقد نعت صلى الله عليه وسلم يا معشر الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم وإلا فلا
وقد وقف على رضي الله عنه أن لله تعالى عقوبات بالفقر ومثوبات بالفقر فمن علامة الفقر إذا كان
مثوبة أن يحسن عليه خلقه ويطيع به ربه ولا يشكو حاله ويشكر الله عز وجل على فقره ومن علامته إذا كان
عقوبة أن يسوء عليه خلقه ويعصي ربه ويكثر الشكاية ويتسخط القضاء وهذا يدل على أن كل فقير ليس
بمحمود بل المحمود الذي لا يتسخط ويرضى أو يفرح بالفقر لعلمه بثمرته إذ قيل ما أعطي عبد شيئا من الدنيا إلا قيل له
خذه على ثلاثة أثلاث شغل وهم وطول حساب **وأما أدبه في ظاهره** فأن يظهر التعفف والتجمل ولا
يظهر الشكوى والفقر بل يستر فقره ويستر أنه يستره ففي الحديث إن الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال
وقال تعالى يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف **وقال** سفيان أفضل الأعمال التجمل عند المحنة وقال
بعضهم ستر الفقر من كنوز البر **وأما في أعماله** فأدبه أن لا يتواضع لغني لأجل غناه بل يتكبر عليه قال
علي رضي الله عنه ما أحسن تواضع الغني للفقير رغبة في ثواب الله وأحسن منه تيه الفقير على الغني
ثقة بالله تعالى فهذه رتبة وأقل منها أن لا يخالط الأغنياء ولا يرغب في مجالستهم لأن ذلك من مبادئ الطمع
قال الثوري إذا خالط الفقير الأغنياء فاعلم أنه مرائي وإذا خالط السلاطين فاعلم أنه لص **وقال** بعض
العارفين إذا مال الفقير إلى الأغنياء انحلت عروته فإذا طمع فيهم انقطعت عصمته فإذا سكن إليهم ضل
وينبغي أن لا يسكت عن ذكر الحق مداهنة للأغنياء وطمعا في العطاء **وأما أدبه في أفعاله** فأن لا يفتر
بسبب الفقر عن عبادة ولا يمنع بذل قليل ما يفضل عنه فإن ذلك جهد المقل وفضله أكثر من أموال كثيرة تبذل
عن ظهر غنى **وعن** زيد بن أسلم أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم درهم من الصدقة أفضل عند الله

تعالى من مائة ألف درهم قيل وكيف ذلك يا رسول الله قال أخرج رجل من عرض ماله مائة ألف فتصدق بها وأخرج
رجل درهما من درهمين لا يملك غيرهما طيبة به نفسه فصار صاحب الدرهم أفضل من صاحب المائة ألف
وينبغي أن لا يدخر بل يأخذ قدر الحاجة ويخرج الباقي وفي الادخار ثلاث درجات إحداها أن لا يدخر
إلا ليومه وليلته وهي درجة الصديقين والثانية أن يدخر لأربعين يوما فإن ما زاد عليه داخل في طول
الأمل وقد فهم العلماء ذلك من ميعاد الله تعالى لموسى عليه السلام ففهم منه الرخصة في أمل
الحياة أربعين يوما وهي درجة المتقين والثالثة أن يدخر لسنة وهي أقصى المراتب وهي رتبة الصالحين ومن
زاد على ذلك فهو واقع في غمار العموم
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلها تعليما للأمة ومن زاد على الادخار فهذا فهو واقع في غمار العموم
خارج عن حيز الخصوص بالكلية فغنى الفقير الصالح المتعفف في طمأنينة قلبه في قوت سنة وغنى
الخصوص في أربعين يوما وغنى خصوص الخصوص في يوم وليلة **بيان آداب الفقير في قبول العطا
إذا جاءه بغير سؤال** ينبغي أن يلاحظ الفقير فيما جاءه ثلاثة أمور نفس المال وغرض المعطي وغرضه في
الأخذ **أما نفس المال** فينبغي أن يكون حلالا خاليا عن الشبهات كلها فإن كان فيه شبهة فليحترز
من أخذه وقد ذكرنا في كتاب الحلال والحرام درجات الشبهة وما يجب اجتنابه وما يستحب **وأما
غرض المعطي** فلا يخلو إما أن يكون بطيبة قلبه وطلب محبته وهي الهدية أو الثواب وهو الصدقة
والزكاة أو الذكر والرياء والسمعة إما على التجرد وإما ممزوجا ببقية الأغراض **أما الأول وهو الهدية**
فلا بأس بقبولها فإن قبولها من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن ينبغي أن لا يكون فيها منة فإن
كانت فيها منة فالأولى تركها فإن علم أن بعضها مما يعظم فيه المنة فليرد البعض دون البعض فقد أهدي
إلى النبي صلى الله عليه وسلم سمن وأقط وكبش فقبل السمن والأقط ورد الكبش وكان صلى الله عليه وسلم يقبل من
بعض الناس ويرد على بعض وقال لقد هممت أن لا أتهب إلا من قرشي أو ثقفي أو دوسي وفعل ذلك جماعة من التابعين وجاء
إلى فتح الموصلي بصرة فيها خمسون درهما فقال حدثنا عطاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من أتاه رزق بغير
مسألة فرده فإنما يرده على الله ثم فتح الصرة فأخذ منها درهما ورد سائرها وكان الحسن يروي هذا الحديث
أيضا ولكن حمل إليه رجل كيسا ورزمة من رقيق ثياب خراسان فرد ذلك وقال من جلس مجلسي هذا وقبل من
الناس مثل هذا لقي الله عز وجل يوم القيامة وليس له خلاق وهذا يدل على أن أمر العالم والواعظ أشد في
قبول العطايا وقد كان الحسن يقبل من أصحابه وكان إبراهيم التيمي يسأل أصحابه الدرهم والدرهمين ونحوهما
ويعرض عليه غيرهم المئين فلا يأخذه وكان بعضهم إذا أعطاه صديقه شيئا يقول له اتركه عندك
وانظر إن كنت بعد قبوله في قلبك أفضل منك قبل القبول فأخبرني حتى آخذه وإلا فلا وأمارة هذا
أن يشق عليه الرد لو رده ويفرح بالقبول ويرى المنة على نفسه في قبول صديقه هديته فإن علم أنه يمازجه
منة فأخذه مباح ولكنه مكروه عند الفقراء الصادقين وقال بشر ما سألت أحدا قط شيئا إلا
سريا السقطي لأنه قد صح عندي زهده في الدنيا فهو يفرح بخروج الشيء من يده ويتبرم ببقائه
عنده فأكون عونا له على ما يحب وجاء خراساني إلى الجنيد بمال وسأله أن يأكله فقال أفرقه على الفقراء فقال ما
أريد هذا فقال ومتى أعيش حتى آكل هذا فقال ما أريد أن تنفقه في الخل والبقل بل في الحلاوات و
الطيبات فقبل ذلك منه فقال الخراساني ما أجد ببغداد أمن علي منك فقال الجنيد ولا ينبغي أن يقبل إلا من
مثلك **الثاني أن يكون للثواب المجرد** وذلك صدقة أو زكاة فعليه أن ينظر في صفات نفسه أنه هل
هو مستحق للزكاة فإن اشتبه عليه فهو محل شبهة وقد ذكرنا تفصيل ذلك في كتاب أسرار الزكاة وإن كان

صدقة. ومن كان يعطيه لدينه فلينظر إلى باطنه فإن كان مقارفا لمعصية في السر يعلم أن المعطي لو علم ذلك لنفر طبعه
ولما تقرب إلى الله تعالى بالتصدق عليه فهو حرام أخذه كما لو أعطاه لظنه أنه عالم أو علوي ولم يكن فإن
أخذه حرام محض لا شبهة فيه **الثالث أن يكون غرضه الشهرة والريا والسمعة** فينبغي أن يرد عليه
قصده الفاسد ولا يقبله إذ يكون معينا له على غرضه الفاسد وكان سفيان الثوري يرد ما يعطى ويقول
لو علمت أنهم لا يذكرون ذلك افتخارا به لأخذت وعوتب بعضهم في رد ما كان يأتيه من صلة فقال إنما
أرد عليهم إشفاقا ونصحا لهم لأنهم يذكرون ذلك ويحبون أن يعلم به فتذهب أموالهم وتحبط أجورهم
وأما غرضه في الأخذ فينبغي أن ينظر أهو محتاج إليه فيما لا بد منه أو هو مستغن عنه فإن كان محتاجا
إليه وقد سلم من الشبهة والآفات التي ذكرناها في المعطي فالأفضل له الأخذ قال النبي صلى الله عليه
وسلم ما المعطي من سعة بأعظم أجرا من الآخذ إذا كان محتاجا وقال النبي صلى الله عليه وسلم من أتاه
شيء من هذا المال من غير مسألة ولا استشراف فإنما هو رزق ساقه الله تعالى إليه وفي لفظ آخر فلا يرده
وقال بعض العلماء من أعطي ولم يأخذ سأل ولم يعط وقد كان سري السقطي يوصل إلى أحمد بن حنبل شيئا فرده
فقال له السري يا أحمد أعد علي ما قلت فأعاده فقال أحمد ما رددت عليك إلا لأن عندي قوت شهر فاحبسه
لي عندك فإذا كان بعد شهر فأنفذه إلي وقد قال بعض العلماء يخاف في الرد مع الحاجة عقوبة من ابتلاء بطمع أو
دخول في شبهة أو غيره فأما إذا كان ما أتاه فاضلا عن حاجته فلا يخلو إما أن يكون حاله الاشتغال
بنفسه أو التكفل بأمور الفقراء والإنفاق عليهم لما في طبعه من الرفق والسخاء فإن كان مشغولا بنفسه فلا وجه
لأخذه وإمساكه إن كان طالبا طريق الآخرة فإن ذلك محض اتباع الهوى وكل عمل ليس لله فهو من سبيل الشيطان
أو داع إليه ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ثم له مقامان أحدهما أن يأخذ في العلانية ويرد في السر
أو يأخذ في العلانية ويفرق في السر وهذا مقام الصادقين وهو شاق على النفس لا يطيقه إلا من اطمأنت
نفسه بالرياضة والثاني أن يترك ولا يأخذ ليصرفه صاحبه إلى من هو أحوج منه فيفعل كلاهما في السر وكلاهما
في العلانية وقد ذكرنا أن الأفضل إظهار الأخذ وأعدناه في كتاب أسرار الزكاة مع جملة من أحكام الفقر فليطلب
منه وأما امتناع أحمد عن قبول عطاء السري السقطي فإنما كان لاستغنائه عنه إذ كان عنده قوت شهر ولم يرض لنفسه
أن يشتغل بأخذه وصرفه إلى غيره فإن في ذلك آفات وأخطارا والورع يكون حذرا من مظان الآفات إذ لا يأمن
من مكيدة الشيطان على نفسه **وقال** بعض المجاورين بمكة كانت عندي دراهم أعددتها للإنفاق في سبيل الله
فسمعت فقيرا قد فرغ من طوافه وهو يقول بصوت خفي جائع كما ترى عريان كما ترى فما ترى يا من يرى ولا يرى فنظرت
فإذا عليه خلقان لا تكاد تواريه فقلت في نفسي لا أجد لدراهمي موضعا أحسن من هذا فحملتها إليه فنظر إليها
ثم أخذ منها خمسة دراهم فقال أربعة ثمن مئزرين ودرهم أنفقه ثلاثا فلا حاجة لي إلى الباقي فرددته فرأيته
في الليلة الثانية وعليه مئزران جديدان فهجس في نفسي منه شيء فالتفت إلي فأخذ بيدي فأطافني معه
أسبوعا كل شوط منها على جوهر من معادن الأرض يتخشخش تحت أقدامنا إلى الكعبين منها ذهب وفضة و
ياقوت ولؤلؤ وجوهر ولم يظهر ذلك للناس فقال هذا كله أعطانيه فزهدت فيه وآخذ من أيدي الخلق لأن
هذه أثقال وفتنة وذلك للعباد فيه رحمة ونعمة والمقصود أن الزيادة على قدر الحاجة إنما يأتيك ابتلاء
وفتنة لينظر الله تعالى إليك ماذا تعمل فيه وقدر الحاجة يأتيك رفقا بك فلا تغفل عن الفرق بين الرفق
والابتلاء **قال الله** تعالى إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وقال صلى الله
عليه وسلم لا حق لابن آدم إلا في ثلاث طعام يقيم صلبه وثوب يواري عورته وبيت يكنه فما زاد فهو حساب

فإذا أنت في حد الحاجة من هذه الثلاث مثاب وما زاد عليه إن لم يعص الله تعالى به تعرض للحساب وإن
عصيت الله تعالى متعرض للعذاب ومن الاختبار أيضا أن تعزم على ترك شهوة من اللذات تقربا إلى الله تعالى
وكسرا لصفة النفس فيأتيك عفوا صفو الشيء الذي تشتهيه فيقع عندك فالأولى الامتناع عنها فإن النفس إذا رخص
لها في نقض العزم ألفت نقض العهد وعادت لعادتها ولا يمكن قهرها فرد ذلك منهم وهو الزهد فإن أخذت
وصرفته إلى المحتاج فهو غاية الزهد ولا يقدر عليه إلا الصديقون فأما إذا كان حالك السخاء والبذل
والتكفل بحقوق الفقراء وتعهد جماعة من الصلحاء فخذ ما زاد على حاجتك فإنه غير زائد على حاجة الفقراء
وبادر به إلى الصرف إليهم ولا تدخر فإن إمساكه ولو ليلة واحدة فيه فتنة واختبار فربما يحلو في
قلبك فتمسكه فيكون فتنة عليك فقد تصدى لخدمة الفقراء جماعة اتخذوها وسيلة إلى التوسع
في المال والتنعم في المطعم والمشرب وذلك هو الهلاك ومن كان غرضه الرفق وطلب الثواب به فله
أن يستقرض على حسن الظن بالله لا على اعتماد السلاطين الظلمة فإن رزقه الله من حلال قضاه وإن
مات قبل القضاء قضاه الله تعالى عنه وأرضى غرماءه وذلك بشرط أن يكون مكشوف الحال عند من يقرضه
فلا يغر المقرض ولا يخدعه بالمواعيد بل يكشف الحال عنده ليقدم على إقراضه على بصيرة ودين مثل
هذا الرجل واجب أن يقضى من مال بيت المال ومن الزكوات وقد قال تعالى ومن قدر عليه رزقه فلينفق
مما آتاه الله قيل معناه ليبع أحد ثوبيه وقيل معناه فليستقرض بجاهه فذلك مما آتاه الله وقال
بعضهم إن لله عبادا ينفقون على قدر بضاعتهم ولله عباد ينفقون على قدر حسن الظن بالله تعالى ومات
بعضهم فأوصى بماله لثلاث طوائف للأقوياء والأسخياء والأغنياء فقيل من هؤلاء فقال أما الأقوياء فهم
أهل التوكل على الله وأما الأسخياء فهم أهل حسن الظن بالله وأما الأغنياء فهم أهل الانقطاع إلى الله فإذا مهما
وجدت هذه الشرائط فيه وفي المال وفي المعطي فليأخذه وينبغي أن يرى ما يأخذه من الله تعالى لا من ذات
المعطي لأن المعطي واسطة قد سخر للعطاء وهو مضطر إليه بما سلط عليه من الدواعي والإرادات والاعتقادات
وقد حكي أن بعض الناس دعا شقيقا البلخي في خمسين من أصحابه فوضع الرجل مائدة حسنة فلما قعد قال
لأصحابه إن هذا الرجل يقول لكم من لم ير أني صنعت هذا الطعام وقدمته إليه فطعامي عليه حرام فقاموا كلهم
وخرجوا إلا شابا كان دونهم في الدرجة فقال لصاحب المنزل الشقيق ماذا قصدت بهذا فقال أردت أن
أختبر توحيد أصحابي كلهم **وقال** موسى عليه السلام يا رب جعلت رزقي هكذا على أيدي بني إسرائيل
يغديني هذا يوما ويعشيني هذا ليلة فأوحى الله تعالى إليه هكذا أصنع بأوليائي أجري أرزاقهم على أيدي
البطالين من عبادي ليؤجروا فيهم فلا ينبغي أن يرى المعطي إلا من حيث إنه مسخر مأجور **بيان
تحريم السؤال من غير ضرورة وآداب الفقير المضطر فيه** اعلم أنه قد وردت مناه في
السؤال وتشديدات وورد فيه أيضا ما يدل على الرخصة إذ قال صلى الله عليه وسلم للسائل
حق ولو جاء على فرس وفي الحديث ردوا السائل ولو بظلف محرق ولو كان السؤال حراما مطلقا لما جاز
إعانة المعتدي على عدوانه والإعطاء إعانة فالكاشف للغطاء فيه أن السؤال حرام في الأصل وإنما يباح
لضرورة أو حاجة مهمة قريبة من الضرورة فإن كان عنها بد فهو حرام وإنما قلنا إن الأصل فيه التحريم
لأنه لا ينفك عن ثلاثة أمور محرمة **الأول** إظهار الشكوى من الله تعالى إذ السؤال إظهار
للفقر وذكر لقصور نعمة الله تعالى عنه وهو عين الشكوى وكما أن العبد المملوك لو سأل لكان
سؤاله تشنيعا على سيده فكذا سؤال العبد تشنيع على الله تعالى وهذا ينبغي أن يحرم ولا يحل إلا لضرورة

كالمجل البتة **والثاني** أن فيه إذلال السائل نفسه لغير الله تعالى وليس للمؤمن أن يذل نفسه بل عليه أن
يذل نفسه لمولاه فإن فيه عزه فأما سائر الخلق فإنهم عباد أمثاله فلا ينبغي أن يذل لهم إلا لضرورة وفي السؤال
ذل للسائل بالإضافة إلى المسؤول **والثالث** أنه لا ينفك عن إيذاء المسؤول غالبا لأنه ربما لا تسمح نفسه بالبذل
عن طيبة قلبه فإن بذل حياء من السائل أو رياء فهو حرام على الآخذ وإن منع ربما استحيا وتأذى في نفسه بالمنع
إذ يرى نفسه في صورة البخلاء ففي البذل نقصان ماله وفي المنع نقصان جاهه وكلاهما مؤذيان والسائل
هو السبب في الإيذاء والإيذاء حرام إلا بضرورة ومهما فهمت هذه المحذورات الثلاثة فهمت قوله صلى الله عليه
وسلم حيث قال مسألة الناس من الفواحش ما أحل من الفواحش غيرها فانظر كيف سماها فاحشة ولا يخفى
أن الفاحشة إنما تباح لضرورة كما يباح شرب الخمر لمن غص بلقمة وهو لا يجد غيرها وقال صلى الله عليه
وسلم من سأل عن غنى فإنما يستكثر من جمر جهنم ومن سأل وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ووجهه عظم يتقعقع
ليس عليه لحم وفي لفظ آخر كانت مسألته خدوشا وكدوحا في وجهه وهذه الألفاظ صريحة في التحريم والتشديد
وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما على الإسلام فاشترط عليهم السمع والطاعة ثم قال كلمة خفية ولا
تسألوا الناس شيئا وكان يأمر كثيرا بالتعفف عن السؤال ويقول من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله عز وجل
ومن لم يسألنا فهو أحب إلينا وقال استغنوا عن الناس وما قل من السؤال فهو خير قالوا ومنك يا رسول
الله قال ومني وسمع عمر رضي الله عنه سائلا يسأل بعد المغرب فقال لواحد من قومه عش الرجل فعشاه
ثم سمعه ثانيا يسأل فقال ألم أقل لك عش الرجل قال قد عشيته فنظر عمر فإذا تحت يده مخلاة مملوءة خبزا
فقال لست سائلا ولكنك تاجر ثم أخذ المخلاة ونثرها بين يدي إبل الصدقة وضربه بالدرة وقال
لا تعد ولولا أن سؤاله كان حراما لما ضربه ولا أخذ مخلاته ولعل الفقيه الضعيف المنة الضيق الحوصلة
يستبعد هذا من فعل عمر ويقول أما ضربه فهو تأديب وقد ورد الشرع بالتعزير وأما أخذ ماله فهو مصادرة
والشرع لم يرد بالعقوبة في المال فكيف استجازه وهذا استبعاد مصدره القصور في الفقه فأين يظهر فقه الفقهاء
كلهم في حوصلة عمر بن الخطاب رضي الله عنه واطلاعه على أسرار دين الله ومصالح عباده أفترى أنه لم يعلم
أن المصادرة بالمال غير جائزة أو علم ذلك ولكن أقدم عليه غضبا في معصية الله وحاشاه أو أراد الزجر بالمصلحة
بغير طريق شرعها نبي الله صلى الله عليه وسلم وهيهات فإن ذلك أيضا معصية بل الفقه الذي لاح له فيه أنه
رآه مستغنيا عن السؤال وعلم أن من أعطاه شيئا فإنما أعطاه على اعتقاد أنه محتاج وقد كان كاذبا فلم يدخل
في ملكه بأخذه مع التلبيس وعسر تمييز ذلك ورده إلى أصحابه إذ لا يعرف أصحابه بأعيانهم فبقي مالا لا مالك
له فوجب صرفه إلى المصالح وإبل الصدقة وعلفها من المصالح ويتنزل أخذ السائل مع إظهار الحاجة كذبا كأخذ
العلوي بقوله إني علوي وهو كاذب فإنه لا يملك ما يأخذه وكأخذ الصوفي الصالح الذي يعطى لصلاحه
وهو في الباطن مقارف لمعصية لو عرفها المعطي لما أعطاه وقد ذكرنا في مواضع أن ما أخذوه لا يملكونه
وهو حرام عليهم ويجب عليهم الرد على المالك فاستدل بفعل عمر رضي الله عنه على صحة هذا الفقه
الذي يغفل عنه كثير من الفقهاء وقد قررناه في مواضع ولا تستدل بغفلتك عن هذا الفقه على بطلان
فعل عمر رضي الله عنه فإذا عرفت أن السؤال يباح لضرورة فاعلم أن الشيء إما أن يكون مضطرا إليه أو محتاجا
إليه حاجة مهمة أو حاجة خفيفة أو مستغنى عنه فهذه أربعة أحوال **فأما المضطر إليه** فهو
سؤال الجائع عند خوفه على نفسه موتا أو مرضا وسؤال العاري وبدنه مكشوف وليس معه ما يواريه
وهو مباح مهما وجدت بقية الشروط في السؤال بكونه مباحا والمسؤول منه بكونه راضيا في الباطن

والسائل بكونه عاجزا عن الكسب فإن القادر على الكسب وهو بطال ليس له السؤال إلا إذا استغرق طلب
العلم أوقاته وكل من له خط فهو قادر على الكسب بالوراقة وأما المستغني فهو الذي يطلب شيئا وعنده مثله
وأمثاله فسؤاله حرام قطعا وهذان طرفان واضحان **وأما المحتاج حاجة مهمة** فكالمريض الذي يحتاج إلى
دواء ليس يظهر خوفه لو لم يستعمله ولكن لا يخلو عن خوف وكمن له جبة ولا قميص تحتها في الشتاء وهو يتأذى
بالبرد تأذيا لا ينتهي إلى حد الضرورة وكذلك من يسأل لأجل الكراء وهو قادر على المشي بمشقة فهذا أيضا ينبغي
أن تسترسل عليه الإباحة لأنها أيضا حاجة محققة ولكن الصبر عنها أولى وهو بالسؤال تارك للأولى
ولا يسمى سؤاله مكروها مهما صدق في السؤال وقال ليس تحت جبتي قميص والبرد يؤذيني أذى أطيقه ولكن
يشق علي فإذا صدق فصدقه يكون كفارة لسؤاله إن شاء الله تعالى **وأما الحاجة الخفيفة**
فمثل سؤاله قميصا ليلبسه فوق ثيابه عند خروجه ليستر الخروق من ثيابه عن أعين الناس وكمن
يسأل لأجل الأدم وهو واجد للخبز وكمن يسأل الكراء لفرس في الطريق وهو واجد كراء الحمار أو يسأل كراء المحمل
وهو قادر على الراحلة فهذا ونحوه إن كان فيه تلبيس حال بإظهار حاجة غير هذه فهو حرام وإن لم يكن وكان فيه
شيء من المحذورات الثلاث من الشكوى أو الذل أو إيذاء المسؤول فهو حرام لأن مثل هذه الحاجة لا تصلح
أن تبيح هذه المحذورات وإن لم يكن فيه شيء من ذلك فهو مباح مع الكراهة **فإن قلت** فكيف يمكن
إخلاء السؤال عن هذه المحذورات فاعلم أن الشكوى تندفع بأن يظهر الشكر لله تعالى والاستغناء
عن الخلق ولا يسأل سؤال المحتاج ولكن يقول أنا مستغن بما أملكه ولكن تطالبني رعونة النفس بثوب فوق ثيابي
وهي فضلة عن الحاجة وفضول من النفس فيخرج به عن حد الشكوى **وأما الذل** فبأن يسأل أباه أو قريبه
أو صديقه الذي يعلم أنه لا ينقصه ذلك في عينه ولا يزدريه بسبب سؤاله أو الرجل السخي الذي قد أعد ماله
لمثل هذه المكارم فيفرح بوجود مثله ويتقلد منه منة بقبوله فيسقط عنه الذل بذلك فإن
الذل لازم للمنة لا محالة **وأما الإيذاء** فسبيل الخلاص منه أن لا يعين شخصا بالسؤال بعينه بل يلقي
الكلام عرضا بحيث لا يقدم على البذل إلا متبرع بصدق الرغبة وإن كان في القوم شخص موسر لو لم يبذل
لكان يلام فيؤذيه ذلك فإنه ربما يبذل كرها خوفا من الملامة ويكون الأحب إليه في الباطن الخلاص لو قدر
عليه من غير ملامة وأما إذا كان يسأل شخصا معينا فينبغي أن لا يصرح بل يعرض تعريضا يبقى له سبيل
إلى التغافل إن أراد فإذا لم يتغافل مع القدرة عليه فذلك لرغبته وأنه غير متأذ به وينبغي أن يسأل من لا
يستحيي منه لو رده أو تغافل عنه فإن الحياء من السائل يؤذي كما أن الرياء مع غير السائل يؤذي **فإن قلت**
فإذا أخذ مع العلم بأن باعث المعطي هو الحياء منه أو من الحاضرين ولولاه لما ابتدأه به فهل هو حلال أو شبهة فأقول
ذلك حرام محض لا خلاف فيه بين الأمة وحكمه حكم أخذ مال الغير بالضرب والمصادرة إذ لا فرق بين أن يضرب
ظاهر جلده بسياط الخشب أو يضرب باطن قلبه بسوط الحياء وخوف الملام وسوط الباطن أشد نكاية
في قلوب العقلاء ولا يجوز أن يقال هو في الظاهر قد رضي به وقد قال صلى الله عليه وسلم إنما أحكم بالظاهر
والله يتولى السرائر فإن هذه ضرورة القضاة في فصل الخصومات إذ لا يمكن ردهم إلى البواطن وقرائن الأحوال فاضطروا
إلى الحكم بظاهر القول باللسان مع أنه ترجمان كثيرا ما يكذب ولكن الضرورة دعت إليه وهذا سؤال عما بين العبد وبين الله والحاكم
فيه أحكم الحاكمين والقلوب عنده كالألسنة عند سائر الحكام فلا تنظر في مثل هذا إلا إلى قلبك وإن أفتوك
المفتون فإن المفتي معلم القاضي والسلطان ليحكموا في عالم الشهادة ومفتي القلوب هم علماء الآخرة وبفتواهم
النجاة عن سطوة سلطان الآخرة كما أن بفتوى الفقيه النجاة عن سطوة سلطان الدنيا فإذا ما أخذه مع الكراهة

لا يمكنه منعه من الله تعالى ويجب عليه الرد على صاحبه فلذلك كان يستحيي من الفريضة ومن السنة وفعله
ان ينبه على ذلك بما يساوي حيثيته في معرض الهدية او المقابلة ليتفصى عن عهدته فان لم تقبل هديته
فعليه ان يرد ذلك المال الى ربه فان تلف في يده فهو مضمون عليه بينه وبين الله تعالى وهو عاص لله
فيه وبالسؤال الذي حصل به الاذى **فان قلت** فهذا امر باطن يعسر الاطلاع عليه فكيف السبيل
فيه فربما يظن السائل انه راض ولا يكون في الباطن راضيا فاقول لهذا ترك المتقون السؤال راسا فما
كانوا ياخذون من احد شيئا اصلا فكان بشر لا ياخذ من احد شيئا اصلا الا من السري السقطي وقال
لاني علمت انه يفرح بخروج المال من يده فانا اعينه على ما يحبه وانما عظم النكير في السؤال والامر
بالتعفف لهذا لان هذا الاذى انما يحل للضرورة وهو ان يكون مشرفا على الهلاك ولم يبق له سبيل الى
الخلاص ولم يجد من يعطيه من غير كراهة فاذا فيباح له ذلك كما يباح له لحم الخنزير واكل الميتة وكان
الامتناع طريق الورعين ومن ارباب القلوب من كان واثقا ببصيرته في الاطلاع على قرائن الاحوال فكانوا
ياخذون من بعض الناس دون البعض ومنهم من كان لا ياخذ الا من اصدقائه ومنهم من كان ياخذ
ما يعطى بعضا ويرد بعضا كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكبش والاقط وكان هذا فيما ياتيهم
من غير سؤال فان ذلك لا يكون الا عن رغبة ولكن قد يكون رغبته طمعا في جاه او طلبا للرياء والسمعة فكانوا
يحترزون من ذلك فاما السؤال فقد امتنعوا عنه راسا الا في موضعين احدهما الضرورة فقد
سال ثلاثة من الانبياء في مقام الضرورة سليمان وموسى والخضر صلوات الله عليهم ولا شك في انهم ما سالوا
الا من علموا انه يرغب في اعطائهم والثاني السؤال من الاصدقاء والاخوان فقد كانوا ياخذون مالهم بغير
سؤال واستيذان لان ارباب القلوب علموا ان المطلوب رضا القلب لا نطق اللسان وكانوا قد وثقوا
باخوانهم انهم كانوا يفرحون بمباسطتهم فاذا كانوا يسالون الاخوان عند شكهم في اقتدار اخوانهم
على ما يريدونه والا فكانوا يستغنون عن السؤال وحد اباحة السؤال ان يعلم ان المسؤول بصفة
لو علم ما بك من الحاجة لابتدأك دون السؤال فلا يكون لسؤالك تاثير الا في تعريف حاجتك فاما في
تحريكه بالحياء واثارة داعيته بالحيل فلا ويتصدى للسائل حالة لا يشك فيها في الرضا الباطن وحالة يشك
فيها في الكراهة ويعلم ذلك بقرينة الاحوال والاخذ في الحالة الاولى حلال طلق وفي الثانية في حرام
سحت ويتردد بين الحالتين احوال يشك فيها فليستفت فيها قلبه وليترك حزاز القلب فانه الاثم
وليدع ما يريبه الى ما لا يريبه وادراك ذلك بقرائن الاحوال سهل على من قويت فطنته وضعف حرصه و
شهوته فان قوي الحرص وضعفت الفطنة تراءى له ما يوافق غرضه فلا يتفطن للقرائن الدالة على الكراهة
وبهذه الدقائق يطلع على سر قوله صلى الله عليه وسلم حيث قال ان اطيب ما اكل الرجل من كسبه وقد
اوتيه الله جوامع الكلم لان من لا كسب له ولا كسب لمورثه فلا ياكل الا من ايدي الناس فان اعطي بغير سؤال
فانما يعطى لدينه ومتى يكون باطنه بحيث لو انكشف لا يعطى بدينه فيكون ما ياخذه حراما وان اعطي بالسؤال
فاين من يطيب قلبه اذا سئل واين من يقتصر في السؤال على حد الضرورة فاذا فتشت احوال من ياكل من
ايدي الناس علمت ان جميع ما ياكلونه او اكثره سحت وان الطيب هو الكسب الذي اكتسبه الشاوين
فاذا ابعد ما ان يجتمع الورع مع الاكل من ايدي الناس فنسأل الله تعالى ان يقطع طمعنا عن غيره وان يغنينا بحلاله
عن حرامه بمنه وسعة جوده **بيان مقدار الغنا المحرم للسؤال** اعلم ان قوله صلى الله عليه
وسلم من سال عن غنا فانما يسال جمرا فليستقل منه او ليستكثر فانما يستكثر من جمر جهنم صريح في

التحريم ولكن حد الغنى مشكل وتقديره عسير وليس الينا وضع المقادير بل يدرك ذلك بالتوقيف وقد
ورد في الحديث استغنوا بغنى الله تعالى قالوا وما هو قال غداء يوم وعشاء ليلة وفي حديث اخر من سال وله خمسة
دراهم او عدلها من الذهب فقد سال الحافا وورد في لفظ آخر اربعون درهما ومهما اختلفت التقديرات وصحت
الاخبار فينبغي ان يقطع بورودها على احوال مختلفة فان الحق في نفسه لا يكون الا واحدا والتقدير ممتنع
وغاية الممكن فيه تقريب ولا يمكن ذلك الا بتقسيم محيط باحوال المحتاجين فنقول قال صلى الله عليه وسلم
لاحق لابن آدم الا في ثلاث طعام يقيم به صلبه وثوب يواري عورته وبيت يكنه فما زاد فهو حساب فلنجعل هذه
الثلاث اصلا في الحاجات لبيان اجناسها والنظر في الاجناس والاقدار والاوقات فاما الاجناس فهي هذه
الثلاث ويلحق بها ما في معناها حتى يلحق بها الكراء للمسافر اذا كان لا يقدر على المشي وكذلك ما يجري مجراه من
المهمات ويلحق بنفسه عياله وولده وكل من تحت كفالته وكذا الدابة واما الاقدار فالثوب يراعى فيه ما يليق بذوي
الدين وهو ثوب واحد وقميص ومنديل وسراويل ومداس واما الثاني من كل جنس فهو مستغنى عنه وليقس
على هذا اثاث البيت جميعه ولا ينبغي ان يطلب رقة الثياب وكون الاواني من النحاس والصفر فيما يكفي فيه
الخزف فان ذلك مستغنى عنه فيقتصر من العدد على واحد ومن النوع على اخس اجناسه ما لم يكن في غاية البعد
من العادة والطعام مقداره في اليوم مد وهو ما قدره الشرع ونوعه ما يقتات ولو كان من الشعير فالادم على
الدوام فضلة وقطعه بالكلية اضرار فيجوز طلبه في بعض الاحوال رخصة واما المسكن فاقله ما يجزي من حيث
المقدار وذلك من غير زينة فاما السؤال للزينة والتوسع فهو سؤال عن ظهر غنى واما بالاضافة الى الاوقات
فما يحتاج اليه في الحال من طعام يوم وليلة وثوب يلبسه ومأوى يكنه فلا شك فيه فاما سؤاله للمستقبل فهذا
له ثلاث درجات احداها ما يحتاج اليه في غد والثانية ما يحتاج اليه بعد اربعين يوما او خمسين يوما
والثالثة ما يحتاج اليه في السنة ولنقطع بان من معه ما يكفيه له ولعياله ان كان له عيال للسنة فسؤاله
حرام فان ذلك غاية الغنى وعليه ينزل التقدير بخمسين درهما في الحديث فان خمسة دنانير تكفي للمنفرد في السنة
اذا اقتصد واما المعيل فربما لا يكفيه وان كان يحتاج اليه قبل السنة فان كان قادرا على السؤال ولا يفوته
زمنه فلا يحل له السؤال لانه مستغن في الحال وربما لا يعيش الى الغد فيكون قد سال ما لا يحتاج اليه
فيكفيه غداء يوم وعشاء ليلة وعليه ينزل الخبر الذي ورد في التقدير بهذا القدر وان كان يفوته فرصة
السؤال ولا يجد من يعطيه لو اخر فيباح له السؤال لان اصل التاملة عن بعيد فهو باخير السؤال خائف ان
يبقى مضطرا عاجزا عن ما يعينه فان كان خوف العجز عن السؤال في المستقبل ضعيفا وكان ما لاجله السؤال خارج
عن محل الضرورة لم تخل سؤاله عن كراهة وتكون كراهته بحسب درجات ضعف الاضطرار وخوف الفوت وتراخي
المدة التي يحتاج فيها الى السؤال وكل ذلك لا يقبل الضبط وهو منوط باجتهاد العبد ونظره لنفسه بينه وبين
الله تعالى فيستفتي فيه قلبه ويعمل به ان كان سالكا طريق الاخرة وكلما كان يقينه اقوى وثقته بمجيء الرزق
في المستقبل اتم وقناعته بقوت الوقت اظهر فدرجته عند الله تعالى اعلى فلا يكون خوف الاستقبال وقد
آتاك الله قوت يومك لك ولعيالك الا عن ضعف اليقين والاصغاء الى تخويف الشيطان وقد قال الله
تعالى فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين وقال الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والسؤال من
الفحشاء الذي ابيح بالضرورة وحال من يسال لحاجة متراخية عن يومه وان كان مما يحتاج اليه في السنة اشد من حال
من ملك مالا موروثا وادخره لحاجة وراء السنة وكلاهما مباحان في الفتوى الظاهرة ولكنهما صادران
عن حب الدنيا وطول الامل وعدم الثقة بفضل الله وهذه امهات المهلكات **بيان احوال السائلين**

كان بشر يقول الفقراء ثلاثة فقير لا يسأل وان اعطى لم ياخذ فهذا مع الروحانيين في عليين وفقير لا يسأل
وان اعطى اخذ فهذا مع المقربين في جنات الفردوس وفقير يسأل عند الفاقة فهذا مع الصادقين من اصحاب
اليمين فاذا قد اتفق كلهم على ذم السؤال وعلى انه مع الفاقة يحط المرتبة والدرجة وقال ابراهيم بن
ادهم لشقيق بن ابراهيم حين قدم عليه من خراسان كيف تركت الفقراء من اصحابك قال تركتهم ان اعطوا شكروا
وان منعوا صبروا وظن انه لما وصفهم بترك السؤال فقد اثنى عليهم غاية الثنا فقال ابراهيم هكذا تركت
كلاب بلخ عندنا فقال له شقيق فكيف الفقراء عندك يا ابا اسحق فقال الفقرا عندنا ان منعوا شكروا وان اعطوا
اثروا فقبل راسه وقال صدقت يا استاد فاذا درجات ارباب الاحوال في الرضا والصبر والشكر والسؤال
كثيرة فلا بد لسالك طريق الاخرة من معرفتها ومعرفة انقسامها واختلاف درجاتها فانه اذا لم يعلم لم يقدر
على الترقي من حضيضها الى يفاعها ومن اسفل سافلين الى اعلى عليين وقد خلق الانسان في احسن تقويم
ثم رد الى اسفل سافلين ثم امر ان يترقى الى اعلى عليين ومن لا يميز بين السفل والعلو لا يقدر على الترقي
قطعا وانما الشك في ان من عرف ذلك فانه ربما يتعسر عليه وارباب الاحوال قد تغلبهم حالة تقتضي ان يكون
السؤال ازيد لهم في درجاتهم ولكن بالاضافة الى حالهم فان مثل هذه الاعمال بالنيات وذلك كما روي
ان بعضهم راى ابا الحسن النوري يمد يده ويسأل الناس في بعض المواطن قال فاستعظمت ذلك واستقبحته
له فاتيت الجنيد فاخبرته فقال لا يعظم هذا عليك فان النوري لم يسأل الناس الا ليعطيهم ليثيبهم
فيوجرون من حيث لا يضرهم وكانه اشار الى قوله صلى الله عليه وسلم يد المعطي هي العليا فقال بعضهم يد
المعطي هي يد الاخذ للمال لانه يعطي الثواب والقدر له لا بما ياخذه ثم قال الجنيد هات الميزان
فوزن مائة درهم ثم قبض قبضة فالقاها على المائة ثم قال احملها اليه فقلت في نفسي انما يوزن الشي
ليعرف مقداره فكيف خلط به مجهولا وهو رجل حكيم واستحييت ان اساله فذهبت بالصرة الى النوري فقال
هات الميزان فوزن مائة وقال ردها عليه وقل له انا لا اقبل منك انت شيئا واخذ ما زاد على المائة قال
فزاد تعجبي فسالته فقال الجنيد رجل حكيم يريد ان ياخذ الحبل بطرفيه وزن المائة لنفسه طلبا للثواب
في الاخرة وطرح عليها قبضة بلا وزن لله فاخذت ما كان لله ورددت ما جعله لنفسه قال فرددتها الى الجنيد
فبكى وقال اخذ ماله ورد مالنا الله المستعان فانظر الان كيف صفت قلوبهم واحوالهم وكيف خلصت لله
اعمالهم حتى كان يشاهد كل واحد منهما قلب صاحبه من غير مناطقة باللسان ولكن بتشاهد القلوب وتناجي
الاسرار وذلك ثمرة اكل الحلال وخلو القلب عن حب الدنيا والاقبال بالكلية على الله عز وجل فمن انكر
ذلك قبل تجربة طريقه فهو جاهل كمن ينكر مثلا كون الدوا مسهلا قبل شربه ومن انكره بعد ان طال اجتهاده
حتى بلغ كنه مجهوده ولم يصل فانكر ذلك لغيره كان كمن شرب المسهل فلم يوثر في خاصة لعلة في باطنه
واخذ ينكر كون الدوا مسهلا وان كان ذلك في الجهل دون الاول ولكنه ليس خاليا عن حظ وافر من الجهل بل البصير
احد رجلين اما رجل سلك الطريق فظهر له مثل ما ظهر لهم فهو صاحب الذوق والمعرفة وقد وصل الى عين
اليقين واما رجل لم يسلك الطريق او سلك ولم يصل ولكنه امن بذلك وصدق به فهو صاحب علم اليقين وان
لم يكن واصلا الى عين اليقين ولعلم اليقين ايضا رتبة وان كان دون عين اليقين ومن خلا عن علم اليقين
وعين اليقين فهو خارج عن زمرة المومنين ويحشرهم يوم القيمة في زمرة الجاحدين المستكبرين الذين هم قتلى
العقول الضعيفة واتباع الشياطين فنسال الله تعالى ان يجعلنا من الراسخين في العلم القائلين امنا به كل من
عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب **الشطر الثاني من الكتاب في الزهد** وفيه بيان

حقيقة الزهد وبيان فضيلة الزهد وبيان درجة الزهد واقسامه وبيان تفصيل الزهد في المطعم
والملبس والمسكن والاثاث وضرورات المعيشة وبيان علامة الزهد **بيان حقيقة الزهد**
اعلم ان الزهد في الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين وينتظم هذا المقام من علم وحال وعمل كسائر المقامات
لان ابواب الايمان كلها كما قال السلف ترجع الى عقد وقول وعمل وكان القول لظهوره اقيم مقام الحال اذ به
يظهر الحال الباطن والا فليس القول مرادا لعينه وان لم يكن صادرا عن حال سمي اسلاما ولم يسم ايمانا والعلم
هو السبب في الحال يجري مجرى المثمر والعمل يجري من الحال مجرى الثمرة فلنذكر الحال مع كلا طرفيه من العلم والعمل
اما الحال فنعني بها ما يسمى زهدا وهو عبارة عن انصراف الرغبة عن الشي الى ما هو خير منه فكل من عدل
عن شي الى غيره بمعاوضة وبيع او غيره فانما عدل عنه لرغبته عنه وانما عدل الى غيره لرغبته في غيره فحاله
بالاضافة الى المعدول عنه يسمى زهدا وبالاضافة الى المعدول اليه يسمى رغبة وحبا فاذا يستدعي
حال الزهد مرغوبا عنه ومرغوبا اليه هو خير من المرغوب عنه وشرط المرغوب عنه ان يكون ايضا مرغوبا
فيه بوجه من الوجوه فمن رغب عن شي ليس مطلوبا في نفسه لا يسمى زاهدا كتارك التراب والحجر والحشرات
لا يسمى زاهدا وانما يسمى تارك الدنانير والدراهم زاهدا لا تارك التراب والحجر ليسا في مظنة الرغبة وشرط
المرغوب اليه ان يكون عنده خيرا من المرغوب عنه حتى تغلب هذه الرغبة فالبائع لا يقدم على البيع زهدا
فيه وبالاضافة الى العوض رغبة وحبا ولذلك قال الله تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه
من الزاهدين معناه باعوه وقد يطلق الشرا بمعنى البيع ووصف اخوة يوسف بالزهد فيه اذ طمعوا في ان
يخلو لهم وجه ابيهم وكان ذلك عندهم احب اليهم من وجه يوسف فباعوه طمعا في العوض فاذا كل من باع الدنيا
بالاخرة فهو زاهد في الدنيا وكل من باع الاخرة بالدنيا فهو ايضا زاهد ولكن في الاخرة ولكن العادة جارية بتخصيص
اسم الزهد بمن زهد في الدنيا كما خصص اسم الالحاد بمن يميل الى الباطل خاصة وان كان في الوضع للميل
الى الشي ولما كان الزهد رغبة عن محبوب بالجملة لم يتصور الا بالعدول الى شي هو احب اليه منه والا فترك
المحبوب لغير الاحب محال والذي يرغب عن كل ما سوى الله تعالى حتى الفراديس ولا يحب الا الله فهو الزاهد المطلق
والذي يرغب عن كل حظ ينال في الدنيا ولم يزهد في مثل تلك الحظوظ في الاخرة بل طمع في الحور والقصور والفواكه
والانهار فهو ايضا زاهد ولكنه دون الاول والذي يترك من حظوظ الدنيا البعض دون البعض كالذي يترك
المال دون الجاه او يترك التوسع في الاكل ولا يترك التجمل في الزينة فلا يستحق اسم الزاهد مطلقا ودرجته
في الزهاد درجة من يتوب عن بعض المعاصي في التائبين فهي صحيحة وهو زهد صحيح كما ان التوبة عن بعض
المعاصي صحيحة فان التوبة عبارة عن ترك المحظورات والزهد عبارة عن ترك المباحات التي هي حظ
النفس ولا يبعد ان يقدر على ترك المباحات بعض دون بعض كما لا يبعد ذلك في المحظورات والمقتصر على ترك
المحظورات لا يسمى زاهدا وان كان قد زهد في المحظور وانصرف عنه ولكن العادة تخصص هذا الاسم بترك
المباحات فاذا الزهد عبارة عن رغبته عن الدنيا عدولا الى الاخرة او عن غير الله تعالى عدولا الى الله
تعالى وهي الدرجة العليا وكما يشترط في المرغوب اليه ان يكون خيرا عنده فيشترط في المرغوب عنه ان
يكون مقدورا عليه فان ترك ما لا يقدر عليه لا يسمى زاهدا وبالترك يتبين زوال الرغبة ولذلك قيل
لابن المبارك يا زاهد قال الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها اما انا ففيم زهدت
واما العلم الذي هو المثمر لهذا الحال فهو العلم بان العوض خير من المبيع فيرغب فيه وما لم يتحقق
هذا العلم لا يتصور ان يزول الرغبة عن المبيع فكذلك من عرف ان ما عند الله باق وان الاخرة خير وابقى

اي لما شاهد في نفسها واقوى كما يكون الجوهر خيرا من الثلج مثلا وهي ابقى لكونه اجمعها ابقى من الثلج ولا يعسر
على مالك الثلج بيعه بالجواهر واللالي فهكذا مثال الدنيا والاخرة فالدنيا كالثلج الموضوع في الشمس لا يزال
في الذوبان الي الانقراض والاخرة كالجواهر التي لا فنا لها فبقدر قوة اليقين والمعرفة بالتفاوت بين
الدنيا والاخرة يقوى الرغبة في البيع والمعاملة حتى ان من قوي يقينه يبيع نفسه وماله كما قال
الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الاية ثم بين ان صفقتهم
رابحة فقال فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فليس يحتاج من العلم في الزهد الا الي هذا القدر وهو ان
الاخرة خير وابقى وقد يعلم ذلك من لا يقدر على ترك الدنيا اما لضعف علمه ويقينه واما لاستيلا الدنيا
والشهوة في الحال عليه وكونه مقهورا في يد الشيطان واما لاغتراره بمواعيد الشيطان في التسويف
يوما فيوما الي ان يختطفه الموت ولا يبقى معه الا الحسرة بعد الموت والي تعريف خساسة الدنيا
الاشارة بقوله تعالى وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن امن فنبه على ان العلم بنفاسة الجوهر
هو المرغب عن عوضه ولما لم يتصور الزهد الا بمعاوضة ورغبة عن محبوب في احب منه قال رجل في دعائه
اللهم ارني الدنيا كما تراها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تقل هكذا ولكن قل اللهم ارني الدنيا كما اريتها
الصالحين من عبادك وهذا لان الله تعالى يراها حقيرة كما هي وكل مخلوق فهو بالاضافة الي جلاله حقير
والعبد يراها حقيرة كما هي وكل مخلوق فهو بالاضافة الي جلاله حقير والعبد يراها حقيرة في حق نفسه
بالاضافة الي ما هو خير له ولا يتصور ان يرى بايع الفرس الفرس وان رغب عن فرسه كما يرى حشرات الارض
لانه مستغن عن الحشرات اصلا وليس مستغنيا عن الفرس والله تعالى غني بذاته عن كل ما سواه فيرى
الكل في درجة واحدة بالاضافة الي جلاله ويراها متفاوتة بالاضافة الي غيره والزاهد هو الذي يرى
تفاوتها بالاضافة الي نفسه لا الي غيره **واما العمل** الصادر عن حال الزهد فهو ترك بالكلية لانه بيع و
معاملة واستبدال الذي هو خير بالذي هو ادنى فكما ان العمل الصادر من عقد البيع هو ترك المبيع واخراجه
من اليد واخذ العوض فكذلك الزهد يوجب ترك المزهود فيه بالكلية وهي الدنيا باسرها مع اسبابها
ومقدماتها وعلائقها فيخرج من القلب حبها ويدخل حب الطاعات ويخرج من اليد والعين ما اخرجه
من القلب حبها ويدخل حب الطاعات ويخرج من اليد والعين ما اخرجه من القلب ويوظف على اليد و
العين وسائر الجوارح وظائف الطاعات والا كان كمن سلم المبيع ولم ياخذ الثمن واذا وفى بشرط الجانبين
في الاخذ والترك فليستبشر ببيعه الذي بايع به فان الذي بايعه بهذا البيع وفى بالعهد فمن سلم حاضرا في
غايب وسلم الحاضر واخذ يسعى في طلب الغايب سلم اليه الغايب حين فراغه من سعيه ان كان العاقد ممن
يوثق بصدقه وقدرته ووفايه بالعهد وما دام ممسكا للدنيا لا يصح زهده اصلا ولذلك لم يصف الله تعالى
اخوة يوسف بالزهد في بنيامين وان كانوا قد قالوا ليوسف واخوه احب الي ابينا منا وعزموا على ابعاده كعزمهم
على ابعاد يوسف حتى تشفع فيه احدهم فترك ولا وصفهم ايضا بالزهد في يوسف عند العزم على اخراجه بل عند
التسليم والبيع فعلامة الرغبة الامساك وعلامة الزهد الاخراج فاذا اخرج عن اليد بعض الدنيا دون
البعض فانت زاهد فيما اخرجت فقط ولست زاهدا مطلقا وان لم يكن لك مال ولم تساعدك الدنيا
لم يتصور منك الزهد لان ما لا يقدر عليه لا يقدر على تركه وربما يستهويك الشيطان بغروره ويخيل
اليك ان الدنيا وان لم تاتك فانت زاهد فيها فلا ينبغي ان تتدلى بحبل الغرور دون ان تستظهر بموثق
غليظ من الله فانك اذا جربت حال القدرة فلا تثق بالقدرة على الترك عندها فكم من ظان بنفسه كراهة

المعاصي عند تعذرها فلما انكشفت له اسبابها من غير مكدر ولا خوف من الخلق وقع فيها واذا كان
هذا غرور النفس في المحظورات فاياك ان تثق بوعدها في المباحات والموثق الغليظ الذي تاخذه
عليها ان تجربها تارة بعد تارة في حال القدرة فاذا وفت بما وعدت على الدوام مع انتفاء الصوارف و
الاعذار ظاهرة وباطنة فلا باس ان تثق بها وثوقا ما ولكن تكون من تغيرها ايضا على حذر فانها سريعة
النقض للعهد قريبة الرجوع الي مقتضى الطبع وبالجملة فلا امان منها الا عند الترك بالاضافة الي ما
ترك فقط وذلك عند القدرة قال ابن ابي ليلى لابن شبرمة الا ترى الي هذا ابن الحايك لا يفتي في مسالة الا رد
علينا يعني ابا حنيفة فقال ابن شبرمة لا ادري اهو ابن الحايك ام ما هو ولكن اعلم ان الدنيا صبت عليه
فهرب منها وهربت منا فطلبناها وكذلك قال جميع المسلمين انما نحب ربنا ولو علمنا في اي شي محبته
لفعلنا حتى نزل قوله تعالى ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل
منهم قال ابن مسعود قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انت منهم اي من القليل وقال ما عرفت
ان فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخرة وليس من الزهد ترك المال
على سبيل السخا والفتوة وعلى سبيل استمالة القلوب ولا على سبيل الطمع فذلك كله من محاسن العادات
ولكن لا مدخل لها في العبادات انما الزهد ان تترك الدنيا لعلمك بحقارتها بالاضافة الي نفاسة الاخرة فاما
كل نوع من الترك فيتصور ممن لا يؤمن بالاخرة فذلك قد يكون مروة وفتوة وسخا وحسن خلق ولكن لا
يكون زهدا اذ حسن الذكر وميل القلوب من حظوظ العاجلة وهي الذ واشهى من المال وكما ان ترك المال
على سبيل السلم طمعا في العوض ليس من الزهد فكذلك تركه طمعا في الذكر بالثنا والاشتهار بالفتوة والسخا
واستثقالا لما في حفظ الاموال من المشقة والعنا والحاجة الي التذلل الي السلاطين والاغنيا ليس من الزهد
اصلا بل هو استعجال حظ اخر للنفس بل الزاهد من اتته الدنيا راغمة عفوا صفوا وهو قادر على التنعم بها من
غير نقصان جاه وقبح اسم ولا فوات حظ للنفس فتركها خوفا من ان ياذن بها فيكون انسا بغير الله ومحبا لما سوى الله
ويكون مشركا في حب الله غير الله او تركها طمعا في ثواب الله في الاخرة فترك التمتع باشربة الدنيا طمعا في اشربة الاخرة
وترك التمتع بالسراري والنسوان طمعا في الحور العين وترك التفرج في البساتين طمعا في بساتين الجنة و
اشجارها وترك التزين والتجمل بزينة الدنيا طمعا في زينة الجنة وترك المطاعم اللذيذة طمعا في فواكه
الجنة وخوفا من ان يقال له اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واثر في جميع ذلك ما وعد به في الجنة على ما
تيسر له في الدنيا عفوا صفوا لعلمه بان ما في الاخرة خير وابقى وما سوى هذا فمعاملات دنيوية لا جدوى
لها في الاخرة اصلا **بيان فضيلة الزهد** قال الله تعالى فخرج على قومه في زينته الي قوله
وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير فنسب الزهد الي العلما ووصف اهله بالعلم وهو غاية الثنا
وقال تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا جا في التفسير على الزهد في الدنيا وقال انا جعلنا
ما على الارض زينة لها الاية قيل معناه ايهم ازهد في الدنيا فوصف الزهد بانه من احسن الاعمال **وقال**
من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه الاية وقال ولا تمدن عينيك الي ما متعنا به ازواجا منهم الي قوله تعالى
ورزق ربك خير وابقى وقال الذين يستحبون الحياة الدنيا على الاخرة فوصف الكفار بذلك فمفهومه ان المؤمن
هو الذي يتصف بنقيضه وهو ان يستحب الاخرة على الدنيا **واما الاخبار** فما ورد منها في ذم الدنيا كثير
وقد اوردنا بعضها في كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات اذ حب الدنيا من المهلكات ونحن الان نقتصر على
فضيلة بغض الدنيا فانه من المنجيات وهو المعني بالزهد وقد قال صلى الله عليه وسلم من اصبح وهمه الدنيا

شتت الله عليه امره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما كتب له ومن
اصبح وهمه الآخرة جمع الله تعالى له همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا
وهي راغمة وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم العبد قد اعطي صمتا وزهدا في الدنيا فاقربوا منه
فانه يلقى الحكمة وقد قال تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ولذلك قيل من زهد في الدنيا
اربعين يوما اجرى الله تعالى ينابيع الحكمة من قلبه وانطق بها لسانه وعن بعض الصحابة انه قال
قلنا يا رسول الله اي الناس خير فقال كل مخموم القلب صدوق اللسان قلنا يا رسول الله وما مخموم
القلب قال التقي النقي الذي لا غل فيه ولا غش ولا بغي ولا حسد قيل يا رسول الله فمن على اثره قال
الذي يشنأ الدنيا ويحب الآخرة ومفهومه ان شر الناس الذي يحب الدنيا متعرض لبغض الله تعالى وقال
صلى الله عليه وسلم ان اردت ان يحبك الله فازهد في الدنيا فجعل الزهد سببا للمحبة فمن احبه الله
تعالى فهو في اعلا الدرجات فينبغي ان يكون الزهد من افضل المقامات ومفهومه ايضا ان محب الدنيا
متعرض لبغض الله وفي خبر من طريق اهل البيت الزهد والورع يجولان في القلب كل ليلة فان صادفا قلبا
فيه الايمان والحيا اقاما فيه والا ارتحلا ولما قال حارثة لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا مؤمن حقا قال
وما حقيقة ايمانك قال عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي حجرها وذهبها وكاني بالجنة والنار
وكاني بعرش ربي بارزا فقال النبي صلى الله عليه وسلم عرفت فالزم عبد نور الله تعالى قلبه فانظر
كيف بدا في اظهار حقيقة الايمان بعزوف النفس عن الدنيا وقرنه باليقين وكيف زكاه رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذ قال عبد نور الله قلبه ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى الشرح في قوله تعالى
فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وقيل له ما هذا الشرح قال ان النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر
وانفسح قيل يا رسول الله وهل لذلك من علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد
للموت قبل نزوله فانظر كيف جعل الزهد شرطا للاسلام وهو التجافي عن دار الغرور وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم استحيوا من الله تعالى حق الحيا قالوا انا نستحيي قال تبنون ما لا تسكنون وتجمعون
ما لا تأكلون فبين ان ذلك ينافي الحيا من الله عز وجل ولما قدم عليه وفد فقالوا انا مؤمنون قال وما علامة
ايمانكم فذكروا الصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء والرضى بمواقع القضاء وترك الشماتة بالمصيبة اذا
نزلت بالاعداء فقال ان كنتم كذلك فلا تجمعوا ما لا تأكلون ولا تبنوا ما لا تسكنون ولا تنافسوا فيما عنه ترحلون
فجعل الزهد تكملة ايمانهم وقال جابر خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من جاء بلا اله الا الله لا
يخلط معها غيرها وجبت له الجنة فقام اليه علي فقال بابي انت وامي يا رسول الله ما معنى لا يخلط بها غيرها
صفه لنا فسره لنا فقال حب الدنيا طلبا لها واتباعا لها وقوم يقولون قول الانبياء ويعملون عمل الجبابرة فمن
جاء بلا اله الا الله ليس فيها شيء من هذا وجبت له الجنة وفي الخبر السخاء من اليقين ولا يدخل النار موقن و
البخل من الشك ولا يدخل الجنة من شك وقال ايضا السخي قريب من الله تعالى قريب من الناس قريب من
الجنة والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار والبخل ثمرة الرغبة في الدنيا والسخاء ثمرة الزهد
والثناء على الثمرة ثناء على المثمر لا محالة وروي ابن المسيب عن ابي ذر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال من زهد في الدنيا ادخل الله الحكمة قلبه فانطق بها لسانه وعرفه داء الدنيا ودواءها واخرجه منها
سالما الى دار السلام وروي انه صلى الله عليه وسلم مر في اصحابه بالعشار من النوق حفل وهي الحوامل وكانت من
احب اموالهم وانفسها عندهم لانها تجمع اللحم والظهر واللبن والوبر ولعظمها في قلوبهم قال الله تعالى واذا العشار

عطلت قال فاعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغض بصره فقيل له يا رسول الله هذه انفس اموالنا
لم لا تنظر اليها فقال قد نهاني الله عز وجل عن ذلك ثم تلا قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا
منهم الآية وروي مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله الا تستطعم الله تعالى فيطعمك قالت
وبكيت لما رايت بك من الجوع فقال يا عائشة والذي نفسي بيده لو سالت ربي ان يجري معي جبال الدنيا ذهبا
وفضة لاجراها حيث شئت من الارض ولكني اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقر الدنيا على غناها وحزن الدنيا
على فرحها يا عائشة ان الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة ان الله تعالى لم يرض من اولي العزم الا بالصبر على
مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها ثم لم يرض لي الا ان يكلفني مثل ما كلفهم فقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من
الرسل والله ما لي بد من طاعته واني والله لاصبرن كما صبروا بجهدي ولا قوة الا بالله وروي عن عمر رضي الله
عنه انه قالت له ابنته حفصة حين فتح الفتوحات البس الين الثياب اذا قدمت عليك الوفود من الآفاق ومر
بطعام حسن تطعمه ومن حضرك فقال عمر رضي الله عنه يا حفصة الست تعلمين ان اعلم الناس بحال الرجل
اهل بيته قالت نعم قال نشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث في النبوة كذا وكذا سنة
لم يشبع هو ولا اهله غدوة الا جاعوا عشية ولا شبعوا عشية الا جاعوا غدوة ونشدتك الله هل
تعلمين ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشبع من التمر هو واهله حتى فتح الله عز وجل عليه خيبر نشدتك الله
هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قربتم اليه يوما طعاما على دون ذلك او وضع بالارض نشدتك الله هل
تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينام على عباءة مثنية باثنين فثنيتموها ليلة باربعة اثناء فنام عليها
فلما استيقظ قال منعتموني قيام الليلة بهذه العباءة اثنوها باثنين كما كنتم تثنونها ونشدتك الله
هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يضع ثيابه فيخرج فيها الى الصلاة ونشدتك الله هل تعلمين ان
امرأة من بني ظفر صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كساءين ازارا ورداء وبعثت اليه باحدهما قبل ان يبلغ الآخر
فخرج الى الصلاة وهو مشتمل به ليس عليه غيره قد عقد طرفيه الى عنقه فصلى كذلك فما زال حتى ابكاها وبكى
عمر رضي الله عنهما وانتحب حتى ظننا ان نفسه ستخرج وفي بعض الروايات زيادة من قول عمر رضي الله عنه
وهو انه قال كان لي صاحبان سلكا طريقا فان سلكت غير طريقهما سلك بي غير طريقهما واني والله سأصبر على عيشهما
لعلي ادرك معهما عيشهما الرغيد وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
لقد كان الانبياء قبلي يبتلى احدهم بالفقر فلا يجد الا العباءة وان كان احدهم ليبتلى بالقمل حتى يقتله القمل وكان
ذلك احب اليهم من العطاء اليكم وعن ابن عباس قال لما ورد موسى عليه السلام ماء مدين قال رب اني لما
انزلت الي من خير فقير وان خضرة البقل كانت ترى في بطنه من الهزال فهذا ما اختاره انبياء الله والمرسلين وهم
اعرف خلق الله بالله وبطريق الفوز في الآخرة وفي حديث عمر رضي الله عنه انه لما نزل قوله تعالى والذين يكنزون
الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم تبا للدنيا تبا للدينار والدرهم فقلنا
نهانا الله عز وجل عن كنز الذهب والفضة فاي شيء ندخر فقال صلى الله عليه وسلم ليتخذ احدكم لسانا ذاكرا وقلبا
شاكرا وزوجة صالحة تعينه على الآخرة وفي حديث حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من آثر الدنيا على
الآخرة ابتلاه الله تعالى بثلاث هما لا يفارق قلبه ابدا وفقرا لا يستغني ابدا وحرصا لا يشبع ابدا وقال
النبي صلى الله عليه وسلم لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون ان لا يعرف احب اليه من ان يعرف وحتى يكون قلة
الشيء احب اليه من كثرته وقال عيسى عليه السلام الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها وقيل له يا نبي
الله لو امرتنا ان نبني لك بيتا فقال اذهبوا فابنوا بيتا على الماء فقالوا كيف يستقيم بنيان على الماء فقال كيف

[illegible]

بسفينه عاداه على حب الدنيا. وقال صلى الله عليه وسلم إن ربي عرض علي أن يجعل لي بطحاء مكة ذهباً فقلت
لا يا رب ولكن أجوع يوماً وأشبع يوماً فأما اليوم الذي أجوع فيه فأتضرع إليك وأدعوك وأما اليوم الذي أشبع
فيه فأحمدك وأثني عليك. وقال ابن عباس رضي الله عنهما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات
يوم وجبريل معه فصعد على الصفا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق ما أمسى لآل محمد كف
سويق ولا سفة دقيق فلم يكن كلامه بأسرع من أن سمع هدة من السماء أفزعته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أمر الله القيامة أن تقوم فقال لا ولكن هذا إسرافيل قد نزل إليك فقال إن الله تعالى قد سمع ما ذكرت
فبعثني بمفاتيح الأرض وأمرني أن أعرض عليك أن أسير معك جبال تهامة زمرداً وياقوتاً وذهباً
وفضة فعلت فإن شئت نبياً ملكاً وإن شئت نبياً عبداً فأومأ إليه جبريل أن تواضع لله فقال بل نبياً عبداً ثلاثاً. وقال
صلى الله عليه وسلم إذا أراد الله بعبد خيراً زهده في الدنيا ورغبه في الآخرة وبصره بعيوب نفسه. وقال
صلى الله عليه وسلم لرجل ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس. وقال
صلى الله عليه وسلم من أراد أن يؤتيه الله تعالى علماً بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا. وقال
صلى الله عليه وسلم من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات ومن خاف من النار لهى عن الشهوات ومن ترقب الموت
ترك اللذات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات. وعن عيسى عليه السلام وعن نبينا صلى الله عليه وسلم
أربع لا يدركن إلا بعجب الصمت وهو أول العبادة والتواضع وكثرة الذكر وقلة الشيء. وجميع الأخبار الواردة في
مدح بغض الدنيا وذم حبها لا يمكن حصرها فإن الأنبياء ما بعثوا إلا لصرف الناس عن الدنيا فإليه يرجع أكثر كلامهم
مع الخلق وفيما أوردناه كفاية. وأما الآثار فقد جاء في الأثر لا تزال لا إله إلا الله تدفع عن العباد سخط الله
ما لم يبالوا ما انتقص من دنياهم وفي لفظ آخر ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على دينهم فإذا فعلوا ذلك وقالوا لا إله إلا
الله قال الله تعالى كذبتم لستم بها صادقين. وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم قال تتبعنا الأعمال كلها
فلم نر في أمر الآخرة أبلغ من زهد في الدنيا. وقال بعض الصحابة لصدر التابعين أنتم أكثر أعمالاً واجتهاداً من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم كانوا خيراً منكم قالوا ولم ذلك قال كانوا أزهد منكم في الدنيا. وقال عمر رضي الله عنه
الزهد في الدنيا راحة القلب والجسد. وقال بلال بن سعد كفى به ذنباً أن الله تعالى يزهدنا في الدنيا ونحن نرغب
فيها. وقال رجل لسفيان أشتهي أن أرى عالماً زاهداً فقال ويحك تلك ضالة لا توجد. وقال
وهب بن منبه إن الجنة ثمانية أبواب فإذا صار أهل الجنة إليها جعل البوابون يقولون وعزة ربنا لا يدخلها
أحد قبل الزاهدين في الدنيا العاشقين في الجنة. وقال يوسف بن أسباط إني لأشتهي من الله تعالى
ثلاث خصال أن أموت حين أموت وليس في ملكي درهم ولا يكون علي دين ولا على عظمي لحم فأعطي ذلك كله. ويروى
أن بعض الخلفاء أرسل إلى الفقهاء بجوائز فقبلوها وأرسل إلى الفضيل بعشرة آلاف فلم يقبلها فقال له بنوه قد
قبل الفقهاء وأنت ترد على حالتك هذه فبكى الفضيل وقال أتدرون ما مثلي ومثلكم كمثل قوم كانت لهم بقرة
يحرثون عليها فلما هرمت ذبحوها لأن ينتفعوا بجلدها وكذلك أنتم أردتم ذبحي على كبر سني موتوا يا أهلي
جوعاً خير لكم من أن تذبحوا فضيلاً. وقال عبيد بن عمير رحمه الله تعالى كان عيسى عليه السلام يلبس الشعر
ويأكل الشجر وليس له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا يخبأ لغد أينما أدركه المساء نام. وقالت امرأة أبي حازم
لأبي حازم هذا الشتاء قد هجم علينا ولا بد لنا من الطعام والثياب والحطب قال أبو حازم من هذا كله بد
ولكن لا بد لنا من الموت ثم البعث ثم الوقوف بين يدي الله عز وجل ثم الجنة أو النار. وقيل للحسن لم لا تغسل
قميصك قال الأمر أعجل من ذلك. وقال إبراهيم بن أدهم قد حجبت قلوبنا بثلاثة أغطية فلن يكشف الله

تعالى للعبد اليقين حتى ترفع هذه الحجب الفرح بالموجود والحزن على المفقود والسرور بالمدح فإذا فرحت بالموجود
فأنت حريص وإذا حزنت على المفقود فأنت ساخط والساخط معذب وإذا سررت بالمدح فأنت معجب والعجب
يحبط العمل. وقال ابن مسعود ركعتان من زاهد قلبه خير وأحب إلى الله تعالى من عبادة المتعبدين المجتهدين
إلى آخر الدهر أبداً سرمداً. وقال بعض السلف نعمة الله علينا فيما زوى عنا أكثر من نعمته فيما صرف إلينا
وكأنه التفت إلى معنى قوله صلى الله عليه وسلم إن الله يحمي عبده الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب
تخافون عليه. وإذا فهم هذا علم أن النعمة في المنع المؤدي إلى الصحة أكبر منه في الإعطاء المؤدي إلى السقم.
وكان الثوري يقول الدنيا دار التواء لا دار استواء ودار ترح لا دار فرح من عرفها لم يفرح برخاء ولم يحزن على شقاء.
وقال سهل لا يخلص العمل للعبد حتى لا يفزع من أربعة أشياء الجوع والعري والفقر والذل. وقال
الحسن أدركت أقواماً وصحبت طوائف ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا أقبل ولا يأسفون على شيء منها أدبر
ولهي كانت في أعينهم أهون من التراب كان أحدهم يعيش خمسين سنة وستين سنة لم يطو له ثوب ولم
ينصب له قدر ولم يجعل بينه وبين الأرض شيئاً ولا أمر في بيته بصنعة طعام فإذا كان الليل فقيام على أطرافهم
يفترشون وجوههم تجري دموعهم على خدودهم يناجون ربهم في فكاك رقابهم كانوا إذا عملوا الحسنة دأبوا
في شكرها وسألوا الله تعالى أن يتقبلها وإذا عملوا سيئة أحزنتهم وسألوا الله تعالى أن يغفرها لهم فلم يزالوا
على ذلك ووالله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا إلا بالمغفرة.

بيان درجات الزهد وأقسامه بالإضافة إلى نفسه وإلى المرغوب عنه وإلى المرغوب فيه

اعلم أن الزهد في نفسه يتفاوت بحسب تفاوت
قوته على ثلاث درجات. **الدرجة السفلى** منها أن يزهد في الدنيا وهو لها مشته وقلبه إليها مائل
ونفسه إليها ملتفتة ولكنه يجاهدها ويكفها وهذا يسمى المتزهد وهو مبدأ الزهد في حق من يصل
إلى درجة الزهد بالكسب والاجتهاد والمتزهد يذيب أولاً نفسه ثم كيسه والزاهد
يذيب أولاً كيسه ثم يذيب نفسه في الطاعات لا في الصبر على ما فارقه والمتزهد على خطر فإنه ربما تغلبه
نفسه وتجذبه شهوته فيعود إلى الدنيا وإلى الاستراحة إليها في قليل أو كثير. **الدرجة الثانية**
أن يترك الدنيا طوعاً لاستحقاره إياها بالإضافة إلى ما طمع فيه كالذي يترك درهماً
لأجل درهمين فإنه لا يشق عليه ذلك وإن كان يحتاج إلى انتظار قليل ولكن هذا الزاهد يرى لا محالة زهده
ويلتفت إليه كما يرى البائع المبيع ويلتفت إليه فيكاد يكون معجباً بنفسه وبزهده ويظن بنفسه أنه ترك
شيئاً له قدر لما هو أعظم قدراً منه وهذا أيضاً نقصان. **الدرجة الثالثة** وهي العليا أن يزهد
طوعاً ويزهد في زهده فلا يرى زهده إذ لا يرى أنه ترك شيئاً إذ عرف أن الدنيا لا شيء فيكون كمن ترك خزفة
وأخذ جوهرة فلا يرى ذلك معاوضة ولا يرى نفسه تاركاً شيئاً والدنيا بالإضافة إلى الله تعالى ونعيم الآخرة أخس
من خزفة بالإضافة إلى جوهرة فهذا هو الكمال في الزهد وسببه كمال المعرفة ومثل هذا الزاهد آمن من خطر الالتفات
إلى الدنيا كما أن تارك الخزفة بالجوهرة آمن من طلب الإقالة في البيع. قال أبو يزيد لأبي موسى عبد الرحيم
في أي شيء تتكلم قال في الزهد قال في أي شيء قال في الدنيا فنفض يده وقال ظننت أنه يتكلم
في شيء الدنيا لا شيء أي شيء تزهد فيه. ومثل من ترك الدنيا للآخرة عند أهل المعرفة وأرباب القلوب المعمورة
بالمشاهدات والمكاشفات مثل من منعه من باب الملك كلب على بابه فألقى إليه لقمة من خبز فشغله عن نفسه
ودخل الباب ونال القرب عند الملك حتى نفذ أمره في جميع مملكته أفترى أنه يرى لنفسه يداً عند الملك بلقمة
خبز ألقاها إلى كلبه في مقابلة ما قد ناله فالشيطان كلب على باب الله تعالى يمنع الناس من الدخول مع أن الباب

مفتوح والحاجب من ورائه والدنيا كلقمة خبيص ان اكلت فلذتها في حال المضغ وتنقضي على القرب بالابتلاع ثم
يبقى ثقلها في المعدة ثم تنتهي الى النتن والقذر ثم يحتاج الى اخراج الثقل فمن تركها لينال عز الملك كيف
يلتفت اليها ونسبة الدنيا كلها اعني ما يسلم لكل شخص منها وان عمر مائة سنة اولا نسبة للمتناهي الى ما لا
نهاية له والدنيا متناهية على القرب ولو كانت تتمادى الف الف سنة صافية عن كل كدورة لكان لا نسبة لها
الى الابد وسنة العمر قصيرة ولذات الدنيا مكدرة غير صافية فاي نسبة لها الى نعيم الابد فاذا لا يلتفت
الزاهد الى زهده الا اذا التفت الى ما زهد فيه ولا يلتفت الى ما زهد فيه الا اذا رآه شيئا معتدا به ولا يراه شيئا
معتدا به الا لنقصان معرفته فسبب نقصان الزهد نقصان المعرفة فهذا تفاوت درجات الزاهد
يختلف ويتفاوت ايضا باختلاف قدر المشقة في الصبر وكذلك درجة المعجب بزهده في قدر التفاته
الى زهده واما انقسام الزهد بالاضافة الى المرغوب فيه فهو ايضا على ثلاث درجات **الدرجة
السفلى** ان يكون المرغوب فيه النجاة من النار ومن سائر الالام كعذاب القبر ومناقشة الحساب وخطر الصراط
وسائر ما بين يدي العبد من الاهوال كما وردت به الاخبار ففي الخبر ان الرجل ليوقف على الحساب ما لو وردت مائة
بعير عطاش على عرقه لصدرت رواء فهذا زهد الخائفين وكانهم رضوا بالعدم لو اعدموا فان الخلاص
من الالم يحصل بمجرد العدم **الدرجة الثانية** ان يزهد رغبة في ثواب الله ونعيمه واللذات
الموعودة في جنته من الحور العين والقصور وغيرها وهذا زهد الراجين فانهم ما تركوا الدنيا قناعة
بالعدم والخلاص من الالم بل طمعا في وجود دائم ونعيم قائم لا آخر له **الدرجة الثالثة**
وهي العليا ان لا يكون له رغبة الا في الله تعالى وفي لقائه فلا يلتفت قلبه الى الالام ليقصد الخلاص منها ولا
الى اللذات ليقصد نيلها والظفر بها بل هو مستغرق الهم بالله تعالى وهو الذي اصبح وهمومه هم واحد وهو
الموحد الحقيقي الذي لا يطلب غير الله تعالى لان من طلب غير الله فقد عبده وكل مطلوب معبود وكل طالب عبد
بالاضافة الى مطلبه وطلب غير الله من الشرك الخفي وهذا زهد المحبين وهم العارفون لانه لا يحب الله تعالى
خاصة الا من عرفه وكما ان من عرف الدينار والدرهم وعلم انه لا يقدر على الجمع بينهما
لم يحب الا الدينار فكذلك من عرف الله وعرف لذة النظر الى وجهه الكريم وعرف ان الجمع بين تلك اللذة وبين
لذة التنعم بالحور العين والنظر الى نقش القصور وخضرة الاشجار غير ممكن فلا يحب الا لذة النظر ولا يؤثر غيره
ولا تظنن ان اهل الجنة عند النظر الى وجه الله تعالى يبقى للذة الحور العين والقصور متسع في قلوبهم بل تلك
اللذة بالاضافة الى لذة نعيم الجنة كلذة ملك الدنيا والاستيلاء على اطراف الارض ورقاب الخلق
بالاضافة الى لذة الاستيلاء على عصفور واللعب به **والطالبون لنعيم الجنة** عند اهل المعرفة
وارباب القلوب كالصبي الطالب اللعب بالعصفور التارك للذة الملك وذلك لقصوره عن ادراك اللذة و
الملك لا لان اللعب بالعصفور في نفسه اعلى والذ من الاستيلاء بطريق الملك على كافة الخلق **واما انقسامه
بالاضافة الى المرغوب عنه** فقد كثرت فيه الاقاويل ولعل المذكور فيه يزيد على مائة قول فلا
نشتغل بنقل الاقاويل ولكن نشير الى كلام محيط بالتفاصيل حتى يتضح ان اكثر ما ذكر فيه قاصر عن الاحاطة
بالكل **فنقول** المرغوب عنه بالزهد له اجمال وتفصيل وللتفصيل مراتب بعضها اشرح لآحاد الاقسام و
بعضها اجمل للجمل اما الاجمال في الدرجة الاولى فهو كل ما سوى الله فينبغي ان يزهد فيه حتى يزهد في نفسه ايضا و
الاجمال في الدرجة الثانية ان يزهد في كل صفة للنفس فيها متعة وهذا يتناول جميع مقتضيات الطبع
من الشهوة والغضب والكبر والرياسة والرياء والمال والجاه وغيرها وفي الدرجة الثالثة ان يزهد

في المال والجاه واسبابهما اذ اليهما يرجع جميع حظوظ النفس وفي الدرجة الرابعة ان يزهد في العلم و
القدرة والدينار والدرهم والجاه اذ الاموال وان كثرت اصنافها فيجمعها الدينار والدرهم والجاه وان كثرت اسبابه فيرجع
الى العلم والقدرة واعني به كل علم وقدرة مقصود ما ملك القلوب اذ معنى الجاه هو ملك القلوب والقدرة
عليها كما ان معنى المال ملك الاعيان والقدرة عليها فان جاوزت هذا التفصيل الى شرح وتفصيل ابلغ من
هذا فيكاد يخرج ما فيه الزهد عن الحصر وقد ذكر الله تعالى في اية واحدة سبعة منها فقال زين للناس
حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام
والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا ثم ردها في اية اخرى الى خمسة فقال اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة
وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد ثم رده في موضع اخر الى اثنين فقال وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو ثم
رد الكل الى واحد في موضع اخر فقال ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى فالهوى لفظ يجمع جميع
حظوظ النفس في الدنيا فينبغي ان يكون الزهد فيه واذا فهمت طريق الاجمال والتفصيل عرفت ان البعض من هذه
لا يخالف البعض وانما يفارقه في الشرح تارة والاجمال اخرى والحاصل ان الزهد عبارة عن الرغبة عن حظوظ
النفس كلها ومهما رغب عن حظوظ النفس رغب عن البقاء في الدنيا فقصر امله لا محالة لانه انما يريد البقاء ليتمتع
ويريد التمتع الدائم بارادة البقاء فان من اراد شيئا اراد دوامه ولا معنى لحب الحياة الا حب دوام ما هو موجود
او ممكن في هذه الحياة فاذا رغب عنها لم يردها ولذلك لما كتب عليهم القتال قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال
لولا اخرتنا الى اجل قريب فقال تعالى قل متاع الدنيا قليل اي لستم تريدون البقاء الا لمتاع الدنيا فظهر
عند ذلك الزاهدون وانكشف حال المنافقين اما الزاهدون فقاتلوا في سبيل الله كانهم
بنيان مرصوص وانتظروا احدى الحسنيين وكانوا اذا دعوا الى القتال يستنشقون رائحة الجنة ويبادرون
اليه مبادرة الظمآن الى الماء البارد حرصا على نصرة دين الله عز وجل او نيل رتبة الشهادة وكان من مات منهم على فراشه
يتحسر على فوت الشهادة حتى ان خالد بن الوليد رضي الله عنه لما احتضر كان يقول لقد غررت بروحي وهجمت على
الصفوف طمعا في الشهادة وانا اليوم اموت موت العجائز فلما مات عد على جسده ثمانمائة ثقب من
الجراحات واما المنافقون فنفروا من الزحف حذرا من الموت فقيل لهم ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم فايثارهم
البقاء على الشهادة استبدال الذي هو ادنى بالذي هو خير فاولئك هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالاخرة
فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين واما المخلصون فان الله اشترى منهم انفسهم واموالهم بان لهم الجنة
فلما راوا انهم تركوا تمتع عشرين سنة او ثلاثين سنة بتمتع الابد استبشروا ببيعهم الذي بايعوا به فهذا بيان
المزهود فيه واذا فهمت هذا علمت ان ما ذكره المتكلمون في حد الزهد لم يشيروا به الا الى بعض اقسامه فذكر
كل واحد منهم ما راه غالبا على نفسه او على من كان يخاطبه فقال بشر الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس وهذا
اشارة الى الزهد في الجاه خاصة وقال قاسم الجوعي الزهد في الدنيا هو الزهد في الجوف فبقدر ما تملك من
بطنك كذلك تملك من الزهد وهذا اشارة الى الزهد في شهوة واحدة ولعمري هي اغلب الشهوات على
الاكثر وهي المهيجة لاكثر الشهوات **وقال** الفضيل الزهد في الدنيا هو القناعة وهو اشارة الى المال
خاصة **وقال** الثوري الزهد هو قصر الامل وهو جامع لجميع الشهوات فان من يميل الى الشهوات يحدث
نفسه بالبقاء فيطول امله ومن قصر امله فكانه رغب عن الشهوات كلها **وقال** اويس القرني اذا خرج
الزاهد يطلب ذهب الزهد وما قصد بهذا حد الزهد ولكن جعل التوكل شرطا في الزهد وقال اويس
ايضا الزهد هو ترك الطلب للمضمون وهو اشارة الى الرزق **وقال** اهل الحديث الزهد في الدنيا هو

العمل بالرأي والمعقول والزهد انما هو اتباع العلم ولزوم السنة وهذا ان اريد به الرأي الفاسد والمعقول
الذي يطلب به الجاه في الدنيا فهو صحيح كله ولكنه اشارة الى بعض اسباب الجاه خاصة او الى بعض ما هو من
فضول الشهوات فان من العلوم ما لا فائدة فيها في الآخرة وقد طولوها حتى ينقضي عمر الانسان فيها فاذاً لا شرط
بواحد منها فرط الزاهد ان يكون الفضول اوله من يبتغيه عنه **وقال** الحسن الزاهد الذي اذا رأى
احداً قال هو افضل مني فذهب الى ان الزهد هو التواضع وهذا اشارة الى نفي الجاه والعجب وهو بعض اقسام
الزهد وقال بعضهم الزهد هو طلب الحلال وانى هذا ممن يقول الزهد هو ترك الطلب كما قاله اويس ولا شك
في ان المراد طلب الحلال **وكان** يوسف بن اسباط يقول من صبر على الاذى وترك الشهوات واكل الخبز من الحلال فقد
اخذ باصل الزهد وفي الزهد اقاويل وراء ما نقلناه فلم نر في نقلها فائدة فان من طلب كشف حقائق الامور من
اقاويل الناس رآها مختلفة فلا يستفيد الا الحيرة واما من انكشف له الحق في نفسه وادركه بمشاهدة من قلبه
فلا يلتفت من سمعه وثق بالحق واطلع على قصور من قصر لقصور بصيرته وعلى اقتصار من اقتصر مع كمال المعرفة
مع كمال المعرفة لاقتصار حاجته وهؤلاء كلهم اقتصروا لا لقصور في البصيرة ولكنهم ذكروا ما ذكروه عند
الحاجة فلا جرم ذكروه بقدر الحاجة والحاجات تختلف فلا جرم الكلمات تختلف وقد يكون سبب الاقتصار
الاخبار عن الحالة الراهنة التي هي مقام العبد في نفسه والاحوال تختلف فلا جرم الاقوال المخبرة عنها تختلف
واما الحق في نفسه فلا يكون الا واحداً ولا يتصور ان يختلف واما الجامع من جملة الاقوال والكامل في نفسه
وان لم يكن فيه تفصيل ما قاله ابو سليمن الداراني اذ قال قد سمعنا في الزهد كلاماً كثيراً والزهد عندنا
ترك كل شيء يشغلك عن الله عز وجل وقد فصله مرة وقال من تزوج او سافر في طلب المعيشة او كتب الحديث
فقد ركن الى الدنيا فجعل جميع ذلك ضد الزهد وقرأ ابو سليمن قوله تعالى الا من اتى الله بقلب سليم فقال هو
القلب الذي ليس فيه غير الله **وقال** انما زهدوا في الدنيا ليفرغوا قلوبهم من همومها للآخرة فهذا بيان
اقسام الزهد بالاضافة الى اصناف المزهود فيه واما بالاضافة الى الحكاية فينقسم الى فرض ونفل وسلامة
كما قاله ابراهيم بن ادهم فالفرض هو الزهد في الحرام والنفل هو الزهد في الحلال والسلامة هو الزهد
في الشبهات وقد ذكرنا تفاصيل درجات الورع في كتاب الحلال والحرام وذلك من الزهد وقيل لمالك بن
انس ما الزهد فقال التقوى واما بالاضافة الى خفايا ما يترك فلا نهاية للزهد اذ لا نهاية لما يتمتع
به النفس في الخطرات واللحظات وسائر الحالات لا سيما خفايا الرياء فان ذلك لا يطلع عليه الا سماسرة العلماء
بل الاموال الظاهرة ايضاً درجات الزهد فيها لا تتناهى فمن اقصى درجاتها زهد عيسى عليه السلام اذ توسد
حجراً في نومه فقال له الشيطان اما كنت تركت الدنيا فما الذي بدا لك فقال وما الذي تجدد لك
قال توسدك الحجر اي تنعمت برفع راسك عن الارض في النوم فرمى الحجر وقال خذه مع ما تركته لك **وروي** عن
يحيى بن زكريا عليهما السلام انه لبس المسوح حتى ثقبت جلده تركاً للتنعم بلين اللباس واستراحة الحس
فسألته امه ان يلبس مكانه جبة من صوف ففعل فاوحى الله تعالى اليه يا يحيى آثرت علي الدنيا فبكى ونزع
الصوف وعاد الى ما كان عليه **وقال** احمد الزهد زهد اويس بلغ من العري ان جلس في قوصرة و
جلس عيسى عليه السلام في ظل حائط انسان فاقامه صاحبه فقال ما اقمتني انت انما اقامني الذي لم يرض
لي ان اتنعم بظل الحائط فاذاً درجات الزهد ظاهراً وباطناً لا حصر لها واقل درجاته الزهد في كل شبهة ومحظور
وقال قوم الزهد هو الزهد في الحلال لا في الشبهة والمحظور فليس ذلك من درجاته في شيء ثم راوا انه
لم يبق حلال في اموال الدنيا فلا يتصور الزهد الآن **فان** قلت مهما كان الصحيح هو ان الزهد ترك ما سوى الله

تعالى فكيف يتصور مع الاكل والشرب والملبس ومخالطة الناس وتكليمهم فكل ذلك اشتغال
بما سوى الله فاعلم ان معنى الانصراف عن الدنيا الى الله تعالى هو الاقبال بكل القلب على الله ذكراً وفكراً ولا يتصور ذلك
الا مع البقاء ولا بقاء الا بضروريات النفس فمهما اقتصرت من الدنيا على دفع المهلكات عن البدن وكان غرضك الاستعانة
بالبدن على العبادة لم تكن مشتغلاً بغير الله فان ما لا يتوصل الى الشيء الا به فهو منه فالمشتغل بعلف
الناقة وسقيها في طريق الحج ليس معرضاً عن الحج ولكن ينبغي ان يكون بدنك في طريق الله تعالى مثل ناقتك في
طريق الحج ولا غرض لك في تنعم ناقتك باللذات بل غرضك مقصور على دفع المهلكات حتى تسير بك الى
مقصدك فكذلك ينبغي ان يكون في صيانة بدنك عن الجوع والعطش المهلك بالاكل والشرب وعن
الحر والبرد المهلك باللباس والمسكن فيقتصر على قدر الضرورة ولا يقصد التلذذ بل التقوي على طاعة
الله وذلك لا يناقض الزهد بل هو شرط الزهد فان قلت لا بد وان اتلذذ بالاكل عند الجوع فاعلم ان ذلك
لا يضرك اذ لم يكن قصدك التلذذ فان شارب الماء البارد قد يستلذ الشرب ويرجع حاصله الى زوال
الم العطش ومن يقضي حاجته قد يستريح به ولكن لا يكون ذلك مقصوداً عنده ومطلوباً بالقصد فلا
يكون القلب منصرفاً اليه فالانسان قد يستريح في قيام الليل بتنسم الاسحار وصوت الطيور ولكن اذا لم
يقصد طلب موضع لهذه الاستراحة فما يصيبه من ذلك بغير قصده لا يضره ولقد كان في الخائفين
من طلب موضعاً لا يصيبه فيه نسيم الاسحار خيفة من الاستراحة به وانس القلب معه فيكون فيه انس
الى الدنيا ونقصان في الانس بالله بقدر وقوع الانس بغير الله ولذلك كان داود الطائي له حب مكسور
فيه ماء وكان لا يرفعه من الشمس ويشرب الماء الحار ويقول من وجد لذة الماء البارد شق عليه مفارقة
الدنيا فهذه مخاوف المحتاطين والحزم في جميع ذلك الاحتياط فانه وان كان شاقاً فمدته قريبة والاحتما
سنة للتنعم على التأبيد ولا يثقل على اهل المعرفة العالمين انفسهم بسلسلة الشرع المعتصمين
بعروة اليقين في معرفة المضادة التي بين الدنيا والدين

بيان تفصيل الزهد فيما هو من ضروريات الحياة

اعلم ان ما الناس منهمكون فيه ينقسم الى فضول والى مهم فالفضول كالخيل المسومة والانعام
مثلاً اذ يقتنيها الانسان ليركب وهو قادر على المشي والمهم كالاكل والشرب ولسنا نقدر على تفصيل اصناف
الفضول فان ذلك لا ينحصر وانما ينحصر المهم الضروري والمهم ايضاً يتطرق اليه فضول في مقداره وجنسه
واوقاته فلا بد من بيان وجه الزهد فيه والمهمات ستة المطعم والملبس والمسكن واثاثه و
المنكح والمال والجاه يطلب لاغراض وهذه الستة من جملتها وقد ذكرنا معنى الجاه وسبب حب الخلق
له وكيفية الاحتراز منه في كتاب ذم الرياء من ربع المهلكات ونحن الآن نقتصر على بيان هذه المهمات الستة

المهم الاول المطعم فلا بد للانسان من قوت حلال يقيم صلبه ولكن له طول وعرض فلا بد من قبض طوله
وعرضه حتى يتم به الزهد فاما طوله فبالاضافة الى جملة العمر فان من يملك طعام يومه فلا يقنع به واما
عرضه ففي مقدار الطعام وجنسه ووقت تناوله اما طوله فلا يقصر الا بقصر الامل واقل درجات
الزهد فيه الاقتصار على قدر دفع الجوع عند شدة الجوع وخوف المرض ومن هذا حاله فاذا استقل بما يتناوله لم يدخر
من غدائه لعشائه وهذه هي الدرجة العليا **الدرجة الثانية** ان يدخر لشهر او لاربعين يوماً **الثالثة**
ان يدخر لسنة فقط وهذه رتبة ضعفاء الزهاد ومن ادخر لاكثر من ذلك فتسميته زاهداً محال لان من امل
بقاء اكثر من سنة فهو طويل الامل جداً فلا يتم منه الزهد الا اذا لم يكن له كسب ولم يرض لنفسه الاخذ من
الايدي كداود الطائي فانه ورث عشرين ديناراً فامسكها وانفقها في عشرين سنة فهذا لا يضاد اصل الزهد

لا عند من جعل التوكل شرطا في الزهد واما درجته بالاضافة الى المقدار فاقل درجاته في اليوم والليلة نصف
رطل واوسطه رطل واعلاه مد واحد وهو ما فرضه الله تعالى في اطعام المسكين في الكفارة وما وراء ذلك
فهو اتساع البطن والاشتغال به ومن لم يقدر على الاقتصار على مد لم يكن له من الزهد في البطن نصيب واما
بالاضافة الى الجنس فاقله كل ما يقوت ولو الخبز من النخالة واوسطه خبز الشعير والذرة واعلاه خبز
البر غير منخول فاذا ميز من النخالة او صار حوارى فقد دخل في التنعم وخرج من اخر ابواب الزهد فضلا عن
اوائله واما الادم فاقله الملح او البقل او الخل واوسطه الزيت ويسير من الادهان اي دهن كان واعلاه
اللحم اي لحم كان وذلك في الاسبوع مرة او مرتين فان صار دائما او اكثر من مرتين في الاسبوع خرج من اخر ابواب
الزهد فلم يكن صاحبه زاهدا في البطن اصلا واما بالاضافة الى الوقت فاقله في اليوم والليلة مرة
وهو ان يكون صائما واوسطه ان يصوم ويشرب ليلة ولا ياكل وياكل ليلة ولا يشرب واعلاه ان ينتهي الى
ان يطوي ثلاثة ايام او اسبوعا وما زاد عليه وقد ذكرنا طريق تقليل الطعام وكسر شرهه في ربع المهلكات
ولتنظر الى احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة وكيفية زهدهم في المطاعم وتركهم الادم قالت
عائشة رضي الله عنها كانت تاتي علينا اربعون ليلة وما يوقد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مصباح
ولا نار قيل لها فبم كنتم تعيشون قالت بالاسودين التمر والماء وهذا ترك اللحم والمرقة والادم وقال الحسن
كان عليه السلام يركب الحمار ويلبس الصوف وينتعل المخصوف ويلعق اصابعه وياكل على الارض ويقول انما
انا عبد اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد وقال عيسى عليه السلام بحق اقول لكم من طلب الفردوس
فخبز الشعير والنوم في المزابل مع الكلاب كثير وقال الفضيل ما شبع رسول الله صلى الله عليه
وسلم منذ قدم المدينة ثلاثة ايام من خبز البر وكان عيسى عليه السلام يقول يا بني اسرائيل عليكم بالماء القراح
والبقل البري وخبز الشعير واياكم وخبز البر فانكم لن تقوموا بشكره وقد ذكرنا سيرة الانبياء والسلف
في المطعم في ربع المهلكات فلا نعيده ولما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل قباء بشربة من لبن مشوبة
بعسل وضع القدح من يده وقال اما اني لست احرمه ولكني اتركه تواضعا لله تعالى واتي عمر رضي الله
عنه بشربة من ماء بارد وعسل في يوم صائف فقال اعزلوا عني حسابها وقال يحيى بن معاذ الرازي
الزاهد الصادق قوته ما وجد ولباسه ما ستر ومسكنه حيث ادرك الدنيا سجنه والقبر مضجعه
والخلوة مجلسه والاعتبار فكرته والقران حديثه والرب انيسه والذكر رفيقه والزهد قرينه والحزن
شانه والحياء شعاره والجوع اداماه والحكمة كلامه والتراب فراشه والتقوى زاده والصمت غنيمته
والصبر معتمده والتوكل حسبه والعقل دليله والعبادة حرفته والجنة مبلغه ان شاء الله تعالى

المهم الثاني الملبس واقل درجاته ما يدفع الحر والبرد ويستر العورة وهو كساء يتغطى به
واوسطه قميص وقلنسوة ونعلان واعلاه ان يكون معه منديل وسراويل وما جاوز هذا من حيث
المقدار فهو مجاوز حد الزهد وشرط الزاهد ان لا يكون له ثوب يلبسه اذا غسل ثوبه بل يلزمه
القعود في البيت واذا صار صاحب قميصين وسراويلين ومنديلين فقد خرج من جميع ابواب الزهد هذا
من حيث القدر اما الجنس فاقله المسوح الخشنة واوسطه الصوف الخشن واعلاه القطن الغليظ
واما من حيث الوقت فاقصاه ما يستر سنة واقله ما يبقى يوما حتى رقع بعضهم ثوبه بورق النخيل
وان كان يتسارع الجفاف اليه واوسطه ما يتماسك عليه شهرا او ما يقاربه فطلب ما يبقى اكثر من سنة خروج
الى طول الامل وهو مضاد للزهد الا اذا كان المطلوب خشونته ثم قد يتبع ذلك شهوته ودوام من
وجد زيادة من ذلك فينبغي ان يتصدق به فان امسكه لم يكن زاهدا بل كان محبا للدنيا ولينظر فيه الى
احوال الانبياء والصحابة كيف تركوا الملابس قال ابو بردة اخرجت الينا عائشة رضي الله عنها كساء
ملبدا وازارا غليظا فقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين وقال صلى الله عليه وسلم ان الله
تعالى يحب المتبذل الذي لا يبالي ما لبس وقال عمرو بن الاسود العنسي لا البس مشهورا ابدا ولا انام بليل
ولا اركب على ماثور ابدا ولا املا جوفي من طعام ابدا فقال عمر رضي الله عنه من سره ان ينظر الى هدي رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلينظر الى عمرو بن الاسود وفي الخبر ما من عبد لبس ثوب شهرة الا اعرض الله تعالى عنه حتى
ينزعه وان كان عنده حبيبا واشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا باربعة دراهم وكان قيمة ثوبيه
عشرة دراهم وكان ازاره اربعة اذرع ونصفا واشترى سراويل بثلاثة دراهم وكان يلبس شملتين بيضاوين
من صوف وكانت تسمى حلة لانهما ثوبان من جنس واحد وربما لبس بردين يمانيين او سحوليين من هذه
الغلاظ وفي الخبر كان قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم كانه قميص زيات ولبس رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوما واحدا ثوبا سيراء من سندس قيمته مائتا درهم وكان اصحابه يلمسونه ويقولون يا رسول الله
انزل هذا عليك من الجنة تعجبا وقد كان اهداه اليه المقوقس ملك الاسكندرية فاراد ان يكرمه بلبسه
ثم نزعه وارسل به الى رجل من المشركين وصله به ثم حرم لبس الحرير والديباج وكانه لبسه اولا تاكيدا للتحريم
كما لبس يوما خاتما من ذهب ثم نزعه فحرم لبسه على الرجال وكما قال لعائشة رضي الله عنها في شان
بريرة اشترطي لاهلها الولاء فلما اشترطته صعد المنبر فحرمه وكما اباح المتعة ثلاثة ايام ثم حرمها لتاكيد
امر النكاح وقد صلى صلى الله عليه وسلم في خميصة لها علم فلما سلم قال شغلني النظر الى هذه اذهبوا بها الى
ابي جهم واتوني بانبجانيته يعني كساءه فاختار لبس الكساء على الثوب الناعم وكان شراك نعله قد اخلق
فابدل بشراك جديد فصلى فيه فلما سلم قال اعيدوا الشراك الخلق وانزعوا هذا الجديد فاني نظرت اليه في
الصلاة ولبس خاتما فنظر اليه على المنبر نظرة ورمى به وقال شغلني هذا عنكم نظرة اليه ونظرة اليكم
وكان صلى الله عليه وسلم قد احتذى نعلين جديدين فاعجبه حسنهما فخر ساجدا وقال اعجبني
حسنهما فتواضعت لربي خشية ان يمقتني ثم خرج بهما فدفعهما الى اول مسكين لقيه وعنه صلى الله عليه
وسلم انه حيكت له جبة من صوف وجعلت حاشيتها سوداء فلما لبسها قال انظروا ما احسنها وما الينها
فقام اليه اعرابي فقال يا رسول الله هبها لي قال وكان عليه السلام اذا سئل شيئا لم يبخل به قالت
فدفعها اليه وامر ان تحاك له جبة اخرى فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي في الحائك وعن
جابر قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على فاطمة وهي تطحن بالرحا وعليها كساء من اجلة الابل فلما
نظر اليها بكى وقال تجرعي مرارة الدنيا لنعيم الابد فانزل عليه ولسوف يعطيك ربك فترضى وقال
صلى الله عليه وسلم ان من خيار امتي فيما انباني الملا الاعلى قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة ربهم ويبكون
سرا من خوف عذابه مؤنتهم على الله تعالى خفيفة وعلى انفسهم ثقيلة يلبسون الخلقان ويتبعون
الرهبان اجسامهم في الارض وافئدتهم عند العرش فهذه سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الملابس
وقد اوصى امته عامة باتباعه اذ قال من احبني فليستن بسنتي وقال عليكم بسنتي وسنة
الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وقال تعالى قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله واوصى عائشة رضي الله عنها خاصة وقال ان اردت اللحوق بي فاياك و
مجالسة الاغنياء ولا تنزعي ثوبا حتى ترقعيه وعد على قميص عمر رضي الله عنه اثنتا عشرة رقعة

بعضها من ادم واشترى علي رضي الله عنه ثوبا بثلاثة دراهم ولبسه وهو في الخلافة وقطع كميه من
الرسغين وقال الحمد لله الذي هذا من رياشه وقال الثوري وغيره البس من الثياب ما لا يشهرك
عند العلما ولا يحقرك عند الجهال وكان يقول ان الفقير ليمر بي وانا اصلي فادعه يجوز ويمر بي واحد من
ابنا الدنيا وعليه هذه البزة فامقته فلا ادعه يجوز وقال بعضهم قومت ثوبي سفيان و
نعليه بدرهم واربعة دوانيق وقال ابن شبرمة خير ثيابي ما خدمني وشرها ما خدمته وقال
بعض السلف البس من الثياب ما يخالطك بالسوقة ولا تلبس منها ما يشهرك فينظر اليك وكان ابو سليمن
الداراني يقول الثياب ثلاثة ثوب لله وهو ما يستر العورة وثوب للنفس وهو ما يطلب لينه وثوب
للناس وهو ما يطلب جوهره وحسنه وقال بعضهم من رق ثوبه رق دينه وكان جمهور العلما من
التابعين قيمة ثيابهم ما بين العشرين الى الثلاثين وكان الخواص رضي الله عنه لا يلبس اكثر من قطعتين
قميص ومنديل يعطفه ويعطف ذيل قميصه على راسه وقال بعض السلف اول النسك الزي وفي
الخبر البذاذة من الايمان وفي الخبر من ترك ثوب جمال وهو يقدر عليه تواضعا لله وابتغاء لوجهه
كان حقا على الله عز وجل ان يدخره له من عبقري الجنة في تخوت الياقوت واوحى الله تعالى الى بعض انبيائه
قل لاوليائي لا يلبسوا ملابس اعدائي ولا يدخلوا مداخل اعدائي فيكونوا اعدائي كما هم اعدائي ونظر رافع بن
خديج الى بشر بن مروان على منبر الكوفة وهو يعظ فقال انظروا الى اميركم يعظ الناس وعليه ثياب
الفساق وكان عليه ثياب رقاق وجاء عبد الله بن عامر بن ربيعة الى ابي ذر في بزة فجعل يتكلم في الزهد
فجعل ابو ذر راحته على فيه وجعل يضرط به فغضب ابن عامر فشكاه الى ابن عمر فقال انت صنعت
هذا بنفسك تتكلم في الزهد في مثل هذه البزة وقال علي رضي الله عنه ان الله تعالى اخذ
على ائمة الهدى ان يكونوا في مثل ادنى احوال الناس ليقتدي بهم الغني ولا يزري بالفقير فقره ولما عوتب في
خشونة لباسه قال هو ادنى الى التواضع واجدر ان يقتدي به المسلم ونهى صلى الله عليه وسلم عن التنعم
وقال ان لله عبادا ليسوا بالمتنعمين وروي ان فضالة بن عبيد وهو والي مصر رئي شعثا حافيا فقيل له انت
الامير وتفعل هذا فقال نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الارفاه وامرنا ان نحتفي احيانا وقال
علي لعمر رضي الله عنهما ان اردت ان تلحق بصاحبيك فارقع القميص ونكس الازار واخصف النعل وكل دون
الشبع وقال عمر رضي الله عنه اخلولقوا واخشوشنوا واياكم وزي العجم كسرى وقيصر وقال
علي رضي الله عنه من تزيا بزي قوم فهو منهم وقال صلى الله عليه وسلم ازرة المؤمن الى انصاف
ساقيه ولا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين وما اسفل من ذلك ففي النار ولا ينظر الله تعالى يوم
القيمة الى من جر ازاره بطرا وقال ابو سليمن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلبس الشعر من امتي
الا مراي واحمق وقال الاوزاعي لباس الصوف في السفر سنة وفي الحضر بدعة ودخل محمد بن
واسع على قتيبة بن مسلم وعليه جبة صوف فقال له قتيبة ما دعاك الى مدرعة الصوف فسكت
فقال اكلمك ولا تجيبني فقال اكره ان اقول زهدا فازكي نفسي واقول فقرا فاشكو ربي وقال
ابو سليمن لما اتخذ الله تعالى ابرهيم الخليل عليه السلام خليلا اوحى اليه وار عورتك من الارض وكان
لا يتخذ من كل شي الا واحدا سوى السراويل فانه كان يتخذ سراويلين فاذا غسل احدهما لبس الاخر
حتى لا ياتي عليه حال الا وعورته مستورة وقيل لسلمان الفارسي ما لك لا تلبس الجيد من الثياب
فقال وما للعبد والثوب الحسن فاذا اعتق فله والله ثياب لا تبلى ابدا ويروى عن عمر بن عبد العزيز

رضي الله عنه انه كان له جبة شعر وكسا شعر يلبسهما في الليل اذا قام يصلي وقال الحسن لفرقد السبخي
تحسب ان لك فضلا على الناس بكسائك بلغني ان اكثر اصحاب النار اصحاب الاكسية وقال يحيى بن
معين رايت ابا معاوية الاسود وهو يلتقط الخرق من المزابل ويغسلها ويلفقها ويلبسها فقلت انك
تكسى خيرا من هذا فقال ما ضرهم ما اصابهم في الدنيا جبر الله لهم بالجنة كل مصيبة فجعل يحيى بن معين
يحدث بهذا ويبكي المهم الثالث المسكن وللزهد فيه ايضا ثلاث درجات اعلاها ان لا يطلب
موضعا خاصا لنفسه فيقنع بزوايا المساجد كاصحاب الصفة واوسطها ان يطلب موضعا خاصا مثل
كوخ مبني من سعف او خص او ما يشبهه وادناها ان يطلب حجرة مبنية اما بشرا او اجارة فان كان قدر
سعته على قدر حاجته من غير زيادة ولم يكن فيه زينة لم يخرجه هذا القدر عن اخر درجات الزهد فان
طلب التشييد والتجصيص والسعة وارتفاع السقف اكثر من ستة اذرع فقد جاوز بالكلية
حد الزهد في المسكن واختلاف جنس البنا بان يكون بالجص او القصب او بالطين او بالاجر واختلاف
قدره بالسعة والضيق واختلاف طوله بالاضافة الى الاوقات بان يكون مملوكا او مستاجرا او
مستعارا وللزهد مدخل في جميع ذلك وبالجملة كل ما يراد للضرورة فلا ينبغي ان يجاوز حد الضرورة
وقدر الضرورة من الدنيا الة الدين ووسيلته وما جاوز ذلك فهو مضاد للدين والغرض من المسكن
دفع المطر والبرد ودفع الاعين والاذى واقل الدرجات فيه معلوم وما زاد عليه فهو من الفضول
والفضول كله من الدنيا وطالب الفضول والساعي له بعيد من الزهد جدا وقد قيل اول شي ظهر من
طول الامل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم التدريز والتشييد يعني بالتدريز كف دروز الثياب فانها كانت
تشل شلا والبنيان بالجص والاجر هو التشييد وانما كانوا يبنون بالسعف والجريد وقد جاء في الخبر
ياتي على الناس زمان يوشون بنيانهم كما يوشى به البرود اليمانية وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس
ان يهدم علية كان قد علاها ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبة معلاة فقال لمن هذه فقالوا لفلان
فلما جاء الرجل اعرض عنه فلم يكن يقبل عليه كما كان فسال الرجل اصحابه عن تغير وجه رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاخبر فذهب فهدمها فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالموضع فلم يرها فاخبر بانه هدمها
فدعا له بخير وقال الحسن رضي الله عنه مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يضع لبنة
على لبنة ولا قصبة على قصبة وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله تعالى بعبد شرا
اهلك ماله في الما والطين وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مر علينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ونحن نعالج خصا فقال ما هذا فقلنا خص لنا قد وهى فقال ارى الامر اعجل من ذلك واتخذ
نوح عليه السلام بيتا من قصب فقيل له لو بنيت فقال هذا كثير لمن يموت وقال الحسن
دخلنا على صفوان بن محرز وهو في بيت من قصب قد مال عليه فقيل له لو اصلحته فقال كم من رجل قد
مات وهذا قائم على حاله وقال صلى الله عليه وسلم من بنى فوق ما يكفيه كلف ان يحمله يوم القيمة
وفي الخبر كل نفقة يوجر عليها العبد الا ما انفقه في الما والطين وفي قوله تعالى تلك الدار نجعلها
للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا انه الامارة والرياسة والتطاول في البنيان وقال صلى الله
عليه وسلم كل بنا وبال على صاحبه الا ما اكن من حر وبرد وقال صلى الله عليه وسلم للرجل الذي
شكى اليه ضيق منزله اتسع في السما اي في الجنة ونظر عمر رضي الله عنه في طريق الشام الى صرح قد
بني بجص فكبر وقال ما كنت اظن ان يكون في هذه الامة من يبني بنيان هامان لفرعون يعني قوله فاوقد

او قد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا الآية يعني بالآجر ويقال ان فرعون هو اول من بنى بالجص والآجر
واول من عمله هامان ثم تبعهما الجبابرة وهذا هو الزخرف وذكر بعض السلف جامعا في بعض الامصار
فقال ادركت هذا المسجد مبنيا من الجريد والسعف ثم رايته مبنيا من رهص ثم رايته الآن مبنيا
باللبن فكان اصحاب السعف خيرا من اصحاب الرهص وكان اصحاب الرهص خيرا من اصحاب اللبن
وكان في السلف من يبني داره مرارا في مدة عمره لضعف بنائه وقصر امله وزهده في احكام البنيان وكان
منهم من اذا حج او غزا ينزع بيته او يهبه لجيرانه فاذا رجع اعاده وكانت بيوتهم من الحشيش والجلود
وهي عادة العرب الآن ببلاد اليمن وكان ارتفاع بناء السقف قامة وبسطة قامة وقال الحسن
كنت اذا دخلت بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربت بيدي الى السقف وقال عمرو بن دينار
اذا اعلا العبد البناء فوق ستة اذرع ناداه ملك الى اين يا افسق الفاسقين ونهى سفيان عن
النظر الى بناء مشيد وقال لولا نظر الناس اليه لما شيدوه فالناظر معين له عليه وقال الفضيل اني لا اعجب
ممن بنى وترك ولكني اعجب ممن نظر اليه ولم يعتبر وقال ابن مسعود رضي الله عنه يأتي قوم يرفعون
الطين ويضعون الدين ويستعملون البراذين يصلون الى قبلتكم ويموتون على غير دينكم **المهم**
الرابع اثاث البيت وللزهد فيه ايضا درجات فاعلاها حال عيسى عليه السلام اذ كان لا
يصحبه الا مشط وكوز فراى انسانا يمشط لحيته باصابعه فرمى المشط وراى آخر يشرب من النهر بكفيه
فرمى الكوز وهذا حكم كل اثاث فانه يراد لمقصود فاذا استغني عنه فهو وبال في الدنيا والآخرة وما لا يستغنى
عنه فيقتصر فيه على اقل الدرجات وهو الخزف في كل ما يكفي فيه الخزف ولا يبالي بان يكون مكسور
الطرف اذا حصل به المقصود واوسطها ان يكون له اثاث بقدر الحاجة صحيح في نفسه لكن يستعمل الآلة
الواحدة في مقاصد كالذي معه قصعة يشرب فيها ويأكل الثريد فيها ويحفظ المتاع فيها وكان السلف
يستحبون استعمال آلة واحدة في اشياء للتخفيف واعلاها ان يكون له بعدد كل حاجة آلة من الجنس النازل الخسيس
فان زاد في العدد او في نفاسة الجنس خرج عن جميع ابواب الزهد وركن الى طلب الفضول ولينظر الى سيرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرة الصحابة رضي الله عنهم فقد قالت عائشة رضي الله عنها كان ضجاع
رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه وسادة من ادم حشوها ليف وقال الفضيل ما كان فراش
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا عباءة مثنية ووسادة من ادم حشوها ليف **وروي** ان عمر بن الخطاب رضي الله
عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نائم على سرير مرمول بشريط فجلس فراى اثر الشريط في جنبه
صلى الله عليه وسلم فدمعت عيناه فقال له صلى الله عليه وسلم ما الذي ابكاك يا ابن الخطاب فقال ذكرت كسرى
وقيصر وما هم فيه من الملك وذكرتك وانت رسول الله وصفيه نائم على سرير مرمول بالشريط فقال
صلى الله عليه وسلم اما ترضى يا عمر ان تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة قال بلى يا رسول الله قال فذلك كذلك و
دخل رجل على ابي ذر فجعل يقلب بصره في بيته فقال يا ابا ذر ما ارى في بيتك متاعا ولا غير ذلك من الاثاث
فقال ان لنا بيتا نوجه اليه صالح متاعنا فقال انه لا بد لك من متاع ما دمت ههنا فقال ان صاحب المنزل
لا يدعنا فيه ولما قدم عمير بن سعد امير حمص على عمر رضي الله عنه قال له ما معك من الدنيا فقال معي عصاي
اتوكأ عليها واقتل بها حية ان لقيتها ومعي جرابي احمل فيه طعامي ومعي قصعتي آكل فيها واغسل
فيها راسي وثوبي ومعي مطهرتي احمل فيها شرابي وطهوري للصلاة فما كان بعد هذا من الدنيا فهو تبع لما
معي وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر فدخل على فاطمة رضي الله عنها فراى على بابها سترا وفي

يديها قلبين من فضة فرجع فدخل عليها ابو رافع وهي تبكي فاخبرته برجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسأله فقال من اجل الستر والسوارين فارسلت بهما بلالا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قد تصدقت
بهما فضعهما حيث ترى فقال اذهب فبعهما وادفع ثمنهما الى اهل الصفة فباع القلبين بدرهمين ونصف وتصدق
بهما عليهم فدخل عليها فقال بابي انت قد احسنت وراى رسول الله صلى الله عليه وسلم على باب عائشة سترا
فهتكه فقال كلما رايته ذكرت الدنيا ارسلي به الى آل فلان وفرشت له عائشة رضي الله عنها ذات ليلة فراشا
جديدا وقد كان صلى الله عليه وسلم ينام على عباءة مثنية فما زال يتقلب ليلته فلما اصبح قال لها اعيدي العباءة
الخلقة ونحي هذا الفراش عني فقد اسهرني الليلة وكذلك اتته دنانير خمسة او ستة عشاء فما نام جنبه
حتى سمعت غطيطه ثم قال ما ظن محمد بربه لو لقي الله وهذه عنده **وقال** الحسن ادركت سبعين من الاخيار
ما لاحدهم الا ثوبه وما وضع احدهم بينه وبين الارض ثوبا قط كان اذا اراد النوم باشر الارض بجسمه وجعل
ثوبه فوقه **المهم الخامس** النكاح وقد قال قائلون لا معنى للزهد في اصله ولا في كثرته واليه ذهب
سهل بن عبد الله وقال قد حبب الى سيد الزاهدين النساء فكيف نزهد فيهن ووافقه ابن عيينة وقال
كان ازهد الصحابة علي بن ابي طالب رضي الله عنه وكان له اربع نسوة وبضع عشرة سرية والصحيح ما قاله
ابو سليمان اذ قال كلما شغلك عن الله من اهل ومال وولد فهو عليك مشؤوم والمرأة قد تكون شاغلة
عن الله وكشف الحق فيه انه قد تكون العزوبة افضل في بعض الاحوال كما سبق في كتاب النكاح فيكون ترك
النكاح من الزهد وحيث يكون النكاح افضل لدفع الشهوة الغالبة فهو واجب فكيف يكون من الزهد تركه وان لم
يكن عليه آفة في تركه ولا في فعله ولكن ترك النكاح احترازا من ميل القلب اليهن والانس بهن بحيث يشتغل
عن ذكر الله فترك ذلك من الزهد وان علم ان المرأة لا تشغله عن ذكر الله ولكن ترك ذلك احترازا من لذة النظر
والمضاجعة والمواقعة فليس هذا من الزهد اصلا فان الولد مقصود لبقاء نسله وتكثير امة رسول الله صلى الله
عليه وسلم من القربات واللذات التي تلحق الانسان فيما هو من ضرورة الوجود لا تضره اذا لم يكن هي المطلب والمقصد وهو كمن
يترك اكل الخبز وشرب الماء احترازا من لذة الاكل والشرب وليس ذلك من الزهد في شيء لان في تركهما فوات بدنه وفي ترك
النكاح انقطاع نسله فلا يجوز ان يترك النكاح زهدا في لذته من غير خوف آفة اخرى وهذا ما عناه سهل لا محالة ولاجله
نكح رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا ثبت هذا فمن حاله كحال رسول الله صلى الله عليه وسلم في انه لا يشغله كثرة النسوة
ولا اشتغال القلب باصلاحهن والانفاق عليهن فلا معنى لزهده فيهن حذرا من مجرد لذة الوقاع والنظر ولكن من يتصور
ذلك الا للانبياء والاولياء فاكثر الناس يشغلهم كثرة النسوان فينبغي ان يترك الاصل ان كان يشغله وان لم
يشغله وكان يخاف ان يشغله الكثرة منهن او جمال المرأة فلينكح واحدة غير جميلة وليراع قلبه في ذلك **قال**
ابو سليمان الزهد في النساء ان يختار المرأة العجوز او اليتيمة على المرأة الجميلة والشريفة **وقال** الجنيد احب
للمريد المبتدي ان لا يشغل قلبه بثلاث والا تغير حاله التكسب وطلب الحديث والتزوج **وقال**
احب للصوفي ان لا يقرأ ولا يكتب لانه اجمع لهمه فاذا قد ظهر ان لذة النكاح كلذة الاكل فما شغل عن الله فهو محذور
فيهما جميعا **المهم السادس** ما يكون وسيلة الى هذه الخمسة وهو المال والجاه اما الجاه فمعناه ملك
القلوب بطلب محل فيها ليتوصل به الى الاستعانة في الاغراض والاعمال وكل من لا يقدر على القيام بنفسه في جميع
حاجاته وافتقر الى من يخدمه افتقر الى جاه لا محالة في قلب خادمه لانه ان لم يكن له عنده محل وقدر لم يخدمه و
قيام القدر والمحل في القلوب هو الجاه وهذا له اول قريب ولكن يتمادى به الى هاوية لا عمق لها ومن حام حول الحمى يوشك
ان يقع فيه وانما يحتاج الى المحل في القلوب اما لجلب نفع او لدفع ضر او لخلاص من ظلم فاما النفع فيغني عنه المال

كان من يخدم باجرة يخدم وان لم يكن للمستاجر عنده قدر وانما يحتاج الى الجاه فى قلب من يخدمه بغير اجرة واما دفع
الضرر فيحتاج لاجله الى الجاه فى بلد لا يكمل العدل فيها او يكون بين جيران يظلمونه فلا يقدر على دفع شرهم
الا بمحل له فى القلوب او محل له عند السلطان وقدر الحاجة فيه لا ينضبط لا سيما اذا انضم اليه الخوف وسوء
الظن بالعواقب والخائض فى طلب الجاه سالك طريق الهلاك بل حق الزاهد ان لا يسعى لطلب المحل فى القلوب اصلا
فان اشتغاله بالدين والعبادة يمهد له من المحل فى القلوب ما يدفع عنه الاذى ولو كان بين الكفار فكيف بين
المسلمين واما التوهمات والتقديرات التى تحوج الى زيادة فى الجاه على الحاصل بغير كسب فهى اوهام كاذبة اذ من
طلب الجاه ايضا لم يخل عن اذى فى بعض الاحوال فعلاج ذلك بالاحتمال والصبر اولى من علاجه بطلب الجاه
فاذا طلب المحل فى القلوب لا رخصة فيه اصلا واليسير منه داع الى الكثير وضراوته اشد من ضراوة
الخمر فليحترز من قليله وكثيره واما المال فهو ضرورى فى المعيشة اعنى القليل منه فان كان كسوبا
فاذا اكتسب حاجة يومه فينبغى ان يترك الكسب كان بعضهم اذا اكتسب حبتين رفع سفطه هذا شرط
الزهد فان جاوز ذلك الى ما يكفيه اكثر من سنة فقد خرج عن حد ضعفاء الزهاد واقويائهم جميعا وان كانت
له ضيعة ولم يكن له قوة يقين فى التوكل فامسك منها مقدار ما يكون ريعه لسنة واحدة فلا يخرج بهذا
القدر من الزهد بشرط ان يتصدق بكل ما يفضل عن كفاية سنته ولكن يكون من ضعفاء الزهاد فان
شرط التوكل فى الزهد كما شرطه اويس القرنى فلا يكون هذا من الزهاد وقولنا انه خرج من حد الزهاد
نعنى به ان ما وعد للزاهدين فى الدار الاخرة من المقامات المحمودة لا يناله والا فاسم الزهد قد لا يفارقه
بالاضافة الى ما زهد فيه من الفضول والكثرة وامر المنفرد فى جميع ذلك اخف من امر المعيل وقد قال
ابو سليمان لا ينبغى ان يرهق الرجل اهله الى الزهد بل يدعوهم اليه فان اجابوا والا تركهم وفعل بنفسه ما شاء
معناه ان التضييق المشروط على الزاهد يخصه ولا يلزمه كل ذلك فى عياله نعم لا ينبغى ان يجيبهم ايضا
فيما يخرج عن حد الاعتدال وليتعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انصرف من بيت فاطمة بسبب ستر وقلبين
لان ذلك من الزينة لا من الحاجة فاذا ما يضطر الانسان اليه من جاه ومال ليس بمحظور بل الزائد على الحاجة
سم قاتل والاقتصار على قدر الضرورة دواء نافع وما بينهما درجات متشابهة فما يقرب من الزيادة وان
لم يكن سما قاتلا فهو مضر وما يقرب من الضرورة فهو وان لم يكن دواء نافعا ولكنه قليل الضرر والسم محظور
شربه والدواء فرض تناوله وما بينهما مشتبه امره فمن احتاط فانما يحتاط لنفسه ومن تساهل فانما يتساهل
على نفسه ومن استبرأ لدينه وترك ما يريبه الى ما لا يريبه ورد نفسه الى مضيق الضرورة فهو الاخذ بالحزم
وهو من الفرقة الناجية لا محالة فالمقتصر على الضرورة والمهم لا يجوز ان ينسب الى الدنيا بل ذلك القدر
من الدنيا هو عين الدين لانه شرط الدين والشرط من جملة المشروط ويدل عليه ما روى ان ابراهيم الخليل عليه السلام
اصابته حاجة فذهب الى صديق له يستقرضه شيئا فلم يقرضه فرجع مهموما فاوحى الله تعالى اليه لو
سالت خليلك لاعطاك فقال يا رب عرفت مقتك للدنيا فخفت ان اسالك منها شيئا فاوحى الله تعالى اليه
ليس الحاجة من الدنيا فاذا قدر الحاجة من الدين وما وراء ذلك وبال فى الاخرة وهو فى الدنيا ايضا كذلك يعرفه من
يخبر احوال الاغنياء وما عليهم من المحنة فى كسب المال وجمعه وحفظه واحتمال الذل فيه وغاية
سعادته ان يسلم لورثته فياكلوه وهم اعداء له ويستعينون به على المعصية فيكون معينا لهم عليها ولذلك
شبه جامع الدنيا ومتبع الشهوات بدود القز لا يزال ينسج على نفسه حتى يقتلها ثم يروم الخروج فلا يجد مخلصا
فيموت ويهلك بسبب عمله بنفسه فكذا المكب على اتباع شهوات الدنيا فانما يحكم على قلبه بسلاسل

نفسه بقيودها بما يشتهيه حتى يتظاهر عليه السلاسل فيقيده المال والجاه والاهل والولد وشماتة
الاعداء ومراياة الاصدقاء وسائر حظوظ الدنيا فلو خطر له انه قد اخطأ فيه وقصد الخروج من الدنيا لم يقدر
عليه وراى قلبه مقيدا بسلاسل واغلال لا يقدر على قطعها ولو ترك محبوبا من محابه باختياره كاد ان يكون
قاتلا لنفسه وساعيا فى هلاكها الى ان يفرق الموت بينه وبين جميعها دفعة فتبقى السلاسل من قلبه معلقة
بالدنيا التى فاتته وخلفها فهى تجاذبه الى الدنيا ومخالب ملك الموت قد تعلقت بعروق قلبه الى الاخرة فيكون
اهون احواله عند الموت ان يكون مثل شخص ينشر بالمنشار ويفصل احد جانبيه عن الاخر بالمجاذبة من الجانبين
والذى ينشر بالمنشار انما ينزل الالم ببدنه ويتألم من حيث يسرى اثره الى قلبه فكيف الالم بما يتمكن فى صميم
القلب محضا لا بطريق السراية اليه من غيره فهذا اول عذاب يلقاه قبل ما يراه من حسرة فوت الرتبة فى اعلى
عليين وجوار رب العالمين فالنزوع الى الدنيا يحجب عن لقاء الله وعند الحجب يتسلط عليه نار جهنم اذ النار
لا سلطة لها الا على محجوب قال الله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم الاية فرتب العذاب بالنار
فكيف اذا اضيفت العلاقة اليه فنسأل الله تعالى ان يرزقنا اسماعا ما انفث فى روع رسول الله صلى الله عليه
وسلم حيث قيل له احبب ما احببت فانك مفارقه ولذلك قال الشاعر **شعر** وددوا كدود القز ينسج دائما
ويهلك غما وسط ما هو ناسجه ولما انكشف لاولياء الله تعالى ان العبد مهلك لنفسه باعماله واتباعه
هوى نفسه اهلاك دود القز رفضوا الدنيا بالكلية حتى قال الحسن رضى الله عنه رأيت سبعين بدريا
كانوا فيما احل الله لهم ازهد منكم فيما حرم الله عليكم وفى لفظ اخر كانوا بالبلاء اشد فرحا منكم بالخصب
والرخاء لو رايتموهم قلتم مجانين ولو راوا خياركم لقالوا ما لهؤلاء من خلاق ولو راوا شراركم قالوا ما يؤمن هؤلاء بيوم
الحساب وكان احدهم يعرض له المال الحلال فلا ياخذه ويقول اخاف ان يفسد على قلبى فمن كان له قلب فهو لا
محالة يخاف من افساده والذين امات حب الدنيا قلوبهم فقد اخبر الله تعالى عنهم اذ قال ورضوا بالحياة الدنيا
واطمأنوا بها الاية **وقال** تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا **وقال** تعالى
فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم احال ذلك كله على الغفلة وعدم
العلم ولذلك قال رجل لعيسى عليه السلام احملنى معك فى سياحتك فقال اخرج مالك والحقنى فقال
لا استطيع فقال عيسى عليه السلام بعجب يدخل الغنى الجنة او قال بشدة **وقال** بعضهم ما من يوم
ذر شارقه الا واربعة املاك فى الافاق باربعة اصوات ملكان بالمشرق وملكان بالمغرب يقول احد اللذين
بالمشرق يا باغى الخير هلم ويا باغى الشر اقصر ويقول الاخر اللهم اعط منفقا خلفا واعط ممسكا تلفا ويقول
الاخران اللذان فى المغرب لدوا للموت وابنوا للخراب ويقول الاخر كلوا وتمتعوا اليوم لطول الحساب

بيان علامات الزهد اعلم انه قد يظن ان تارك المال زاهد وليس كذلك فان ترك المال واظهار الخشونة
سهل على من احب المدح بالزهد فكم من الرهبان ردوا انفسهم كل يوم الى قدر يسير من الطعام ولازموا
ديرا لا باب له فانما سرورهم معرفة الناس حالهم ونظرهم اليهم ومدحهم لهم فذلك لا يدل على الزهد
دلالة قاطعة بل لا بد من الزهد فى المال والجاه جميعا حتى يكمل الزهد فى جميع حظوظ النفس من الدنيا
وقد يدعى جماعة الزهد مع لبس الصوف الرفيع والثياب الفاخرة كما قال الخواص فى وصف المدعين
اذ قال وقوم ادعوا الزهد ولبسوا الفاخر من اللباس يموهون بذلك على الناس ليهدى اليهم مثل لباسهم
لئلا ينظر اليهم بالعين التى ينظر بها الى الفقراء فيحتقروا فيعطوا كما يعطى المساكين ويحتجون لانفسهم باتباع
العلم وانهم على السنة وان الاشياء داخلة عليهم وهم خارجون منها وانما ياخذون بعلة غيرهم هذا اذا طولبوا

بالحقائق والجوا الى المضايق فكل هولا اكلة الدنيا بالدين لم يعنوا بتصفية اسرارهم ولا بتهذيب اخلاق نفوسهم
فظهرت عليهم صفاتهم فغلبتهم فادعوها حالا لهم لانهم مايلون الى الدنيا متبعون الهوى فهذا كلام الخواص فاذا
معرفة الزهد امر مشكل بل حال الزاهد على الزاهد مشكل وينبغي ان يعول في باطنه على ثلاث علامات
الاولى وهو ان لا يفرح بموجود ولا يحزن على مفقود كما قال تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم بل ينبغي
ان يكون بالضد من ذلك وهو ان يحزن بوجود المال ويفرح بفقده **والثانية** ان يستوي عنده ذامه
ومادحه فالاولى علامة الزهد في المال والثانية علامة الزهد في الجاه **والثالثة** ان يكون انسه
بالله تعالى والغالب على قلبه حلاوة الطاعة اذ لا يخلو القلب عن حلاوة المحبة اما محبة الدنيا واما محبة
الله تعالى وهما في القلب كالما والهوى في القدح فالما اذا دخل خرج الهوى ولا يجتمعان وكل من انس بالله اشتغل
به ولم يشتغل بغيره ولذلك قيل لبعضهم الى ماذا افضى بهم الزهد فقال الى الانس بالله فاما الانس بالدنيا
وبالله جميعا فلا يجتمعان وقد قال اهل المعرفة اذا تعلق الايمان بظاهر القلب احب الدنيا والاخرة جميعا وعمل
لهما واذا بطن الايمان في سويدا القلب وباشره ابغض القلب الدنيا فلم ينظر اليها ولم يعمل لها ولهذا ورد في دعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اسالك ايمانا يباشر قلبي **وقال** ابو سليمان من شغل بنفسه شغل
عن الناس وهذا مقام العاملين ومن شغل بربه شغل عن نفسه وهذا مقام العارفين والزاهد لا بد وان يكون في احد هذين المقامين ومقامه الاول ان يشتغل
بنفسه وعند ذلك يستوي عنده الذم والمدح والوجود والعدم ولا يستدل بامساكه قليلا من المال
على فقد زهده اصلا قال احمد بن ابي الحواري قلت لابي سليمان اكان داود الطائي زاهدا قال نعم قلت بلغني
انه ورث عن ابيه عشرين دينارا فانفقها في عشرين سنة فكيف كان زاهدا وهو يمسك الدنانير فقال اردت
منه ان يبلغ حقيقة الزهد واراد بالحقيقة الغاية فان الزهد ليس له غاية لكثرة صفات النفس ولا
يتم الزهد الا بالزهد في جميعها فكل من ترك من الدنيا شيا مع القدرة عليه خوفا على قلبه وعلى دينه فله مدخل
في الزهد بقدر ما تركه واخره ان يترك كل ما سوى الله حتى لا يتوسد حجرا كما فعله عيسى عليه السلام فنسال الله
تعالى ان يرزقنا من مباديه نصيبا وان قل فان امثالنا لا يستجري على الطمع في غايته وان كان قطع الرجا
عن فضل الله عز وجل غير ماذون فيه واذا لاحظنا عجايب نعم الله تعالى علمنا ان الله تعالى لا يتعاظمه امر فلا
بعد في ان يعظم السوال اعتمادا على الجود المجاوز كل كمال فاذا علامة الزهد استوا الغنا والفقر والعز
والذل والمدح والذم لاجل غلبة الانس بالله تعالى ويتفرع عن هذه العلامات علامات اخر مثل ان
يترك الدنيا ولا يبالي من اخذها وقيل علامته ان يترك الدنيا كما هي لا يقول ابني رباطا او اعمر مسجدا
وقال يحيى بن معاذ علامة الزهد السخا بالموجود **وقال** ابن خفيف علامته وجود الراحة
في الخروج من الملك **وقال** ايضا الزهد هو عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف **وقال** ابو سليمان رحمه الله عليه
الصوف من اعلام الزهد فلا ينبغي ان يلبس صوفا بثلاثة دراهم وفي قلبه رغبة خمسة دراهم **وقال**
احمد بن حنبل وسفيان علامة الزهد قصر الامل وقال سري السقطي رحمه الله تعالى عليه لا يطيب عيش
الزاهد اذا اشتغل عن نفسه ولا يطيب عيش العارف اذا اشتغل بنفسه وقال النصراباذي رحمه
الله تعالى الزاهد غريب في الدنيا والعارف غريب في الاخرة وقال يحيى بن معاذ رضي الله عنه علامة الزهد
ثلاثة عمل بلا علاقة وقول بلا طمع وعز بلا رياسة وقال ايضا رضي الله عنه الزاهد يسعطك الخل
والخردل والعارف يشمك المسك والعنبر وقال له رجل متى ادخل حانوت التوكل والبس ردا الزهد
واقعد مع الزاهدين فقال اذا صرت من رياضتك لنفسك في السر الى حد لو قطع الله عنك الرزق ثلاثة ايام
لم تضعف في نفسك واما ما لم تبلغ هذه الدرجة فجلوسك على بساط الزاهدين جهل ثم لا امن عليك ان تفتضح
وقال ايضا رحمه الله عليه الدنيا مثل العروس الراغب يطلبها والزاهد فيها يسخم وجهها وينتف
شعرها ويخرق ثوبها والعارف يشتغل بالله ولا يلتفت اليها وقال السري رحمه الله عليه مارست كل شي
من امر الزهد فنلت منه ما اريد الا الزهد في الناس فاني لم ابلغه ولم اطقه وقال الفضيل رحمه الله عليه
جعل الله عز وجل الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد
في الدنيا فهذا ما اردنا ان نذكره من حقيقة الزهد واحكامه واذا كان الزهد لا يتم الا بالتوكل فلنشرع
في بيانه ان شا الله تعالى وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم والحمد لله
رب العالمين تم كتاب الفقر والزهد بحمد الله وعونه وهو الكتاب الرابع من ربع المنجيات من كتاب احيا
علوم الدين للامام ابي حامد الغزالي رضي الله عنه ويتلوه الكتاب الخامس في التوحيد والتوكل وهو الكتاب
الخامس من ربع المنجيات من كتاب ابي حامد الغزالي من كتاب احيا علوم الدين والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله مدبر الملك والملكوت المتفرد بالعزة والجبروت الرافع السما بلا عماد المقدر فيها
ارزاق العباد الذي صرف اعين ذوي القلوب والالباب عن ملاحظة الوسايط والاسباب الى مسبب الاسباب
ورفع هممهم عن الالتفات الى ما عداه والاعتماد على مدبر سواه فلم يعبدوا الا اياه علما بانه الواحد الصمد
الاله وتحقيقا بان جميع اصناف الخلق عباد امثالهم لا يبتغى عندهم الرزق فانه ما من ذرة الا الى الله خلقها
وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فلما تحققوا انه رزاق عباده وانه ضامن به توكلوا عليه وقالوا حسبنا
الله ونعم الوكيل والصلاة على محمد قامع الاباطيل الهادي الى سوا السبيل وعلى اله واصحابه وسلم تسليما كثيرا
اما بعد فان التوكل منزل من منازل الدين ومقام من مقامات الموقنين بل هو من معالي درجات
المقربين وهو في نفسه غامض من حيث العلم ثم هو شاق من حيث العمل ووجه غموضه من حيث الفهم ان ملاحظة
الاسباب والاعتماد عليها شرك في التوحيد والتثاقل عنها بالكلية طعن في السنة وقدح في الشرع و
الاعتماد على الاسباب من غير ان ترى اسبابا تغير في وجه العقل وانغماس في غمرة الجهل وتحقيق معنى التوكل على
وجه يتوافق فيه مقتضى التوحيد والعقل والشرع في غاية الغموض والعسر ولا يقوى على كشف هذا الغطا
مع شدة هذا الخفا الا سماسرة العلما الذين اكتحلوا من فضل الله تعالى بانوار الحقايق فابصروا وتحققوا
ثم نطقوا بالاعراب عما شاهدوه من حيث استنطقوا ونحن الان نبتدي بذكر فضيلة التوكل على سبيل
التقدمة ثم نردفه بالتوحيد في الشطر الاول من الكتاب ثم نذكر حال التوكل وعمله في الشطر الثاني ان شا
الله تعالى **بيان فضيلة التوكل** اما من الايات فقد قال الله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مومنين
وقال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال تعالى ان الله يحب المتوكلين واعظم بمقام موسوم بمحبة الله
تعالى صاحبه ومضمون كفاية الله ملابسه فمن الله تعالى حسبه وكافيه ومحبه ومراعيه فقد فاز الفوز
العظيم فان المحبوب لا يعذب ولا يبعد ولا يحجب وقد قال الله تعالى اليس الله بكاف عبده فطالب الكفاية
في غيره هو التارك للتوكل وهو المكذب بهذه الاية فانه سوال في معرض استنطاق بالحق كقوله هل اتى على الانسان
حين من الدهر لم يكن شيا مذكورا وقال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم

اي عزيز لا يذل من استجار به ولا يضيع من لاذ بجنابه والتجأ الى ذمامه وحماه وحكيم لا يقصر عن تدبير من توكل على تدبيره
وقال تعالى ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فادعوهم بين ان كل ما سوى الله تعالى عبد مسخر
حاجته مثل حاجتك فكيف يتكل عليه وقال تعالى ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا
الاية وقال تعالى ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون وقال تعالى يدبر الامر ما
من شفيع الا من بعد اذنه وكل ما ذكر في القران من التوحيد فهو تنبيه على قطع الملاحظة عن الاغيار و
التوكل على الله الواحد القهار واما الاخبار فقد قال نبينا عليه الصلاة والسلام فيما رواه
ابن مسعود رضي الله عنه اريت الامم بالموسم فرايت امتي قد ملؤا السهل والجبل فاعجبتني كثرتهم وهيئتهم
فقيل لي ارضيت قلت نعم قيل ومع هؤلاء سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب قيل من هم يا رسول
الله قال هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة وقال
يا رسول الله ادع الله تعالى ان يجعلني منهم فقال اللهم اجعله منهم فقام اخر فقال ادع الله تعالى
ان يجعلني منهم فقال صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة وقال صلى الله عليه وسلم لو انكم تتوكلون
على الله حق توكله لرزقتم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وقال صلى الله عليه وسلم
من انقطع الى الله تعالى كفاه الله تعالى كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله
الله تعالى اليها وقال عليه الصلاة والسلام من سره ان يكون اغنى الناس فليكن بما عند الله
تعالى اوثق منه بما في يديه ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا اصابت اهله
خصاصة قال قوموا الى الصلاة ويقول بهذا امرني ربي قال الله عز وجل وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها
وقال صلى الله عليه وسلم لم يتوكل من استرقى واكتوى ويروى انه لما قال جبريل عليه السلام لابرهيم
الخليل عليه السلام وقد رمي الى النار من المنجنيق الك حاجة قال اما اليك فلا وفاء بقوله حسبي الله و
نعم الوكيل اذ قال ذلك حين اخذ ليرمى به وقال واوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ما من
عبد يعتصم بي دون خلقي فتكيده السموات والارض الا جعلت له مخرجا واما الاثار فقد قال
سعيد بن جبير لدغتني عقرب فاقسمت على امي لتسترقين فناولت الراقي يدي التي لم تلدغ وتلا
الخواص قوله تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت الى اخرها فقال ما ينبغي للعبد بعد هذه ان يلجا الى احد
غير الله وقيل لبعض العلماء في منامه من وثق بالله فقد احرز قوته وقال بعض العلماء لا يشغلك
المضمون لك من الرزق عن المفروض من العمل فتضيع امر اخرتك ولا تنال من الدنيا الا ما قد كتبه الله لك
وقال يحيى بن معاذ في وجود العبد الرزق من غير طلب دلالة على ان الرزق مامور بطلب العبد
وقال ابرهيم بن ادهم سالت بعض الرهبان من اين تاكل فقال ليس هذا العلم عندي ولكن سل
ربي من اين يطعمني وقال هرم بن حيان لاويس القرني اين تامرني ان اكون فاوما بيده الى الشام فقال
هرم كيف المعيشة بها قال اويس اف لهذه القلوب قد خالطها الشك فما تنفعها الموعظة
وقال بعضهم متى رضيت بالله وكيلا وجدت الى كل خير سبيلا

بيان حقيقة التوحيد الذي هو اصل التوكل

اعلم ان التوكل من ابواب الايمان وجميع ابواب الايمان لا تنتظم الا بعلم
وحال وعمل والتوكل كذلك ينتظم من علم هو الاصل وعمل هو الثمرة وحال هو المراد باسم التوكل فلنبدا
ببيان العلم الذي هو الاصل وهو المسمى ايمانا في اصل اللسان اذ الايمان هو التصديق وكل
تصديق بالقلب فهو علم واذا قوي سمي يقينا ولكن ابواب اليقين كثيرة ونحن انما نحتاج منها الى ما

يبنى عليه التوكل وهو التوحيد الذي يترجمه قولك لا اله الا الله وحده لا شريك له والايمان بالقدرة
التي يترجم عنها قولك له الملك والايمان بالجود والحكمة الذي يدل عليه قولك وله الحمد فمن قال لا اله
الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير تم له الايمان الذي هو اصل التوكل اعني
ان يصير معنى هذا القول وصفا لازما لقلبه غالبا عليه فاما التوحيد فهو الاصل
والقول فيه طويل وهو من علم المكاشفة ولكن بعض علوم المكاشفات يتعلق بالاعمال بواسطة
الاحوال ولا يتم علم المعاملة الا بها فاذا لا نتعرض الا للقدر الذي يتعلق بالمعاملة والا فالتوحيد
هو البحر الخضم الذي لا ساحل له فنقول التوحيد اربع مراتب وهو ينقسم الى لب ولب اللب والى
قشر وقشر القشر ولنمثل ذلك تقريبا الى الافهام الضعيفة بالجوز في قشرته العليا فان له قشرتين
وله لب وللب دهن هو لب اللب فالمرتبة الاولى من التوحيد ان يقول الانسان بلسانه لا اله
الا الله وقلبه غافل عنه او منكر له كتوحيد المنافق والثانية ان يصدق
بمعنى اللفظ قلبه كما صدق به عموم المسلمين وهو اعتقاده والثالثة ان يشاهد ذلك بواسطة
نور الحق وهو مقام المقربين وذلك بان يرى اشياء كثيرة ولكن يراها على كثرتها صادرة من الواحد
القهار والرابعة ان لا يرى في الوجود الا واحدا وهي مشاهدة الصديقين وتسميه الصوفية
الفناء في التوحيد لانه من حيث لا يرى الا واحدا فلا يرى نفسه ايضا واذا لم ير نفسه مستغرقا
بالتوحيد كان فانيا عن نفسه في توحيده بمعنى انه فني عن رؤية نفسه فالاول موحد بمجرد اللسان
ويعصم ذلك صاحبه في الدنيا عن السيف والسنان والثاني موحد بمعنى انه معتقد بقلبه مفهوم
لفظه وقلبه خال عن التكذيب بما انعقد عليه قلبه وهو عقدة على القلب ليس فيه انشراح وانفتاح
ولكنه يحفظ صاحبه عن العذاب في الاخرة ان توفي عليها ولم تضعف بالمعاصي عقدتها ولهذا العقد
حيل يقصد بها تضعيفه وتحليله تسمى بدعة وله حيل يقصد بها دفع حيلة التحليل والتضعيف عنه
ويقصد بها ايضا احكام هذه العقدة وشدها على القلب وتسمى كلاما والعارف به يسمى متكلما وهو في
مقابلة المبتدع ومقصده دفع المبتدع عن تحليل هذه العقدة عن قلوب العوام وقد يخص المتكلم باسم
الموحد من حيث انه يحمي بكلامه مفهوم لفظ التوحيد على قلوب العوام حتى لا تنحل عقدته والثالث
موحد بمعنى انه لم يشاهد الا فاعلا واحدا اذ انكشف له الحق كما هو عليه ولا فاعل بالحقيقة الا واحد
وقد انكشفت له الحقيقة كما هي عليه لا انه كلف قلبه ان يعقد على مفهوم لفظ الحقيقة فان تلك رتبة
العوام والمتكلمين اذ لم يفارق المتكلم العامي في الاعتقاد بل في صنعته تلفيق الكلام الذي به يدفع حيل
المبتدع في تحليل هذه العقدة والرابع موحد بمعنى انه لم يحضر في شهوده غير الواحد فلا يرى الكل
من حيث انه كثير بل من حيث انه واحد وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد فالاول كالقشرة العليا
من الجوز والثاني كالقشرة السفلى والثالث كاللب والرابع كالدهن المستخرج من اللب وكما ان القشرة
العليا لا خير فيها بل ان اكل فهو مر المذاق وان نظر الى باطنه فهو كريه المنظر وان اتخذ حطبا اطفا
النار واكثر الدخان وان ترك في البيت ضيق المكان فلا يصلح الا ان يترك مدة على الجوز للصوان ثم يرمى
به عنه فكذلك التوحيد بمجرد اللسان دون التصديق بالقلب عديم الجدوى كثير الضرر مذموم
الظاهر والباطن لكنه ينفع مدة في حفظ القشرة السفلى الى وقت الموت والقشرة السفلى هي القلب
والبدن وتوحيد المنافق يصون بدنه عن سيف الغزاة فانهم لم يؤمروا بشق القلوب والسيف انما

يصيب جسم البدن وهو القشر فانما يتجرد عنه بالموت فلا يبقى لتوحيده فائدة بعده وكان القشرة
السفلى ظاهرة النفع بالاضافة الى القشرة العليا فانها تصون اللب وتحرسه من الفساد عند الادخار
واذا انفصلت امكن ان ينتفع بها لكنها نازلة القدر بالاضافة الى اللب وكذلك مجرد الاعتقاد من
غير كشف كثير النفع بالاضافة الى مجرد نطق اللسان ناقص القدر بالاضافة الى الكشف والمشاهدة
التي تحصل بانشراح الصدر وانفساحه واشراق نور الحق فيه اذ ذلك الشرح هو المراد بقوله تعالى
افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه كما ان اللب نفيس في نفسه بالاضافة الى القشر وكله
المقصود ولكنه لا يخلو عن شوب عصارة بالاضافة الى الدهن المستخرج منه فكذلك توحيد الفعل مقصد
عال للسالكين ولكنه لا يخلو عن شوب ملاحظة الغير والالتفات الى الكثرة بالاضافة الى من لا
يشاهد سوى الواحد الحق فان قلت كيف يتصور ان لا يشاهد الا واحدا وهو يشاهد السماء و
الارض وسائر الاجسام المحسوسة وهي كثيرة فكيف يكون الكثير واحدا فاعلم ان هذه غاية علوم المكاشفات
واسرار هذا العلم لا يجوز ان يسطر في كتاب فقد قال العارفون افشاء سر الربوبية كفر ثم هو غير متعلق بعلم
المعاملة نعم ذكر ما يكسر سورة استبعادك ممكن وهو ان الشيء قد يكون كثيرا بنوع مشاهدة واعتبار
ويكون واحدا بنوع اخر من المشاهدة والاعتبار وهذا كما ان الانسان كثير ان التفت الى روحه وجسده
واطرافه وعروقه وعظامه واحشائه وهو باعتبار اخر ومشاهدة اخرى واحد اذ نقول انه انسان
واحد فهو بالاضافة الى الانسانية واحد وكم من شخص يشاهد انسانا ولا يخطر بباله كثرة امعائه
وعروقه واطرافه وتفصيل روحه وجسده والفرق بينهما فهو في حالة الاستغراق والاستهتار
به مستغرق بواحد ليس فيه تفريق وكانه في عين الجمع والملتفت الى الكثرة في تفرقة وكذلك كل ما في
الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة فهو باعتبار واحد من الاعتبارات
واحد وباعتبارات اخر سواها كثير وبعضها اشد كثرة من بعض ومثال الانسان وان كان لا يطابق
الغرض ولكنه ينبه بالجملة على كيفية مصير الكثرة في حكم المشاهدة واحدا ويستفيد بهذا الكلام
ترك الانكار والجحود لمقام لم تبلغه وتؤمن به ايمان تصديق فيكون لك من حيث انك مؤمن بهذا التوحيد
نصيب وان لم يكن ما امنت به صفتك كما انك اذا امنت بالنبوة وان لم تكن نبيا كان لك نصيب منه
بقدر قوة ايمانك وهذه المشاهدة التي لا يظهر فيها الا الواحد الحق تدوم وتارة تطرأ كالبرق الخاطف
وهو الاكثر والدوام نادر عزيز والى هذا اشار الحسين بن منصور الحلاج حيث راى الخواص يدور في الاسفار
فقال فيم انت فقال ادور في الاسفار لاصحح حالي في التوكل وقد كان من المتوكلين فقال له
الحسين قد افنيت عمرك في عمران باطنك فاين الفناء في التوحيد فكان الخواص كان في تصحيح المقام
الثالث في التوحيد فطالبه بالمقام الرابع فهذه مقامات الموحدين في التوحيد على سبيل الاجمال
فان قلت فلا بد لها من شرح بمقدار ما يفهم به كيفية ابتناء التوكل عليه فاقول اما الرابع فلا يجوز
الخوض في بيانه وليس التوكل ايضا مبنيا عليه بل يحصل حال التوكل بالتوحيد الثالث واما الاول
وهو النفاق فهو واضح واما الثاني وهو الاعتقاد فهو موجود في عموم المسلمين وطريق تأكيده بالكلام
ودفع حيل المبتدعة فيه مذكور في علم الكلام وقد ذكرنا في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد القدر المهم
منه واما الثالث فهو الذي ينبني التوكل عليه اذ مجرد التوحيد بالاعتقاد لا يورث حال التوكل فلنذكر
منه القدر الذي يرتبط التوكل به دون تفصيله الذي لا يحتمله امثال هذا الكتاب وحاصله

ان ينكشف لك ان لا فاعل الا الله تعالى وان كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع وحياة وموت وغنى
وفقر الى غير ذلك مما ينطلق عليه اسم الحادث فالمنفرد بابداعه واختراعه هو الله تعالى لا شريك له فيه واذا
انكشف لك هذا لم تنظر الى غيره بل كان منه خوفك واليه رجاؤك وبه ثقتك وعليه اتكالك فانه الفاعل
على الانفراد دون غيره وما سواه مسخرون لا استقلال لهم بتحريك ذرة في ملكوت السموات والارض واذا انفتحت
لك ابواب المكاشفة اتضح لك هذا اتضاحا اتم من المشاهدة بالبصر وانما يصدك الشيطان عن هذا
التوحيد في مقامين يبتغي به ان يطرق الى قلبك شائبة الشرك احدهما الالتفات الى الجمادات اما
الالتفات الى الجمادات كاعتمادك على المطر في خروج الزرع ونباته وعلى الغيم في نزول المطر وعلى البرد في
اجتماع الغيم وعلى الريح في استواء السفينة وسيرها وهذا كله شرك في التوحيد وجهل بحقائق الامور و
كذلك قال تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجيهم الى البر اذا هم يشركون
قيل معناه انهم يقولون لولا استواء الريح لما نجونا ومن انكشف له امر العالم كما هو عليه علم ان الريح هو الهواء والهواء
لا يتحرك بنفسه ما لم يحركه محرك وكذلك محركه حتى ينتهي الى المحرك الاول الذي لا محرك له ولا هو متحرك في نفسه
والتفات العبد في النجاة الى الريح يضاهي التفات من اخذ لتحز رقبته فكتب الملك توقيعا بالعفو عنه
وتخليته فاخذ يشتغل بذكر الحبر والكاغد والقلم الذي كتب به التوقيع ويقول لولا القلم لما تخلصت فيرى
نجاته من القلم لا من محرك القلم وهو غاية الجهل ومن علم ان القلم لا حكم له في نفسه وانما هو مسخر في يد
الكاتب لم يلتفت اليه ولم يشكر الا الكاتب بل ربما يدهشه فرح النجاة وشكر الملك الكاتب عن ان يخطر بباله
القلم والحبر والدواة والشمس والقمر والنجوم والمطر والغيم والارض وكل حيوان وجماد مسخرات في
قبضة القدرة كتسخير القلم في يد الكاتب بل هو تمثيل في حقك لاعتقادك ان الملك الموقع هو الكاتب
للتوقيع والحق فيه ان الله تعالى هو الكاتب كما قال تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فاذا انكشف
لك ان جميع ما في السموات والارض مسخرات على هذا الوجه انصرف عنك الشيطان خائبا وايس من مزج توحيدك
بهذا الشرك فاتاك من المهلكة الثانية وهي الالتفات الى اختيار الحيوانات في الافعال الاختيارية ويقول
كيف ترى الكل من الله وهذا الانسان يعطيك رزقك باختياره وان شاء قطع عنك وهذا الشخص هو
الذي يحز رقبتك بسيفه وهو قادر عليك ان شاء حز رقبتك وان شاء عفا عنك فكيف لا تخافه وكيف
لا ترجوه وامرك بيده وانت تشاهد ذلك ولا تشك فيه ويقول له ايضا ان كنت لا ترى القلم لانه مسخر فكيف لا
ترى الكاتب بالقلم وهو المسخر له وعند هذا زلت اقدام الاكثرين الا عباد الله المخلصين الذين لا سلطان
عليهم للشيطان فشاهدوا بنور البصائر كون الكاتب بالقلم مسخرا مضطرا كما شاهد جميع الضعفاء كون
القلم مسخرا وعرفوا ان غلط الضعفاء في ذلك كغلط النملة مثلا لو كانت تدب على الكاغد فترى راس
القلم يسود الكاغد ولم يمتد بصرها الى اليد والاصابع فضلا عن صاحب اليد فغلطت وظنت ان القلم
هو المسود للبياض وذلك لقصور بصرها عن مجاوزة راس القلم لضيق حدقتها وكذلك من لم يشرح
بنور الله تعالى صدره قصرت بصيرته عن ملاحظة جبار السموات والارض ومشاهدة كونه قاهرا وراء
الكل فوقف في الطريق على الكاتب وهو جهل بل ارباب القلوب والمشاهدات قد انطق الله تعالى في حقهم
كل ذرة في السموات والارض بقدرته التي انطق بها كل شيء حتى سمعوا تقديسها وتسبيحها لله وشهادتها
على نفسها بالعجز بلسان ذلق تتكلم بلا صوت ولا حرف ولا يسمعه الذين هم عن السمع لمعزولون ولست اعني
به السمع الظاهر الذي لا يجاوز الاصوات فان الحمار شريك فيه ولا قدر لما يشارك فيه البهائم وانما

اريد بسمعا يعدك بكلام ليس بحرف ولا صوت ولا هو عربي ولا عجمي فان قلت هذه اعجوبة لا يقبلها العقل
فصف لي كيفية نطقها وانها كيف نطقت وبماذا نطقت وكيف سبحت وقدست وكيف شهدت على
نفسها بالعجز فاعلم ان كل ذرة في السموات والارض مع ارباب القلوب مناجات في السر وذلك مما لا ينحصر ولا
يتناهى فانها كلمات تستمد من بحر كلام الله الذي لا نهاية له قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان
تنفد كلمات ربي الاية ثم انها تتناجى باسرار الملك والملكوت وافشاء السر لؤم بل صدور الاحرار قبور الاسرار وهل رايت
قط امينا على اسرار الملك قد نوجي بخفاياه فنادى به على ملا من الخلق ولو جاز افشاء كل سر لما قال صلى الله
عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا بل كان يذكر ذلك لهم حتى يبكوا ولا يضحكون ولما
نهى عن افشاء سر القدر ولما قال اذا ذكرت النجوم فامسكوا واذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكر اصحابي فامسكوا
ولما خص حذيفة ببعض الاسرار فاذن ذلك عن حكايات مناجات ذرات الملك والملكوت لقلوب ارباب
المشاهدات مانعان احدهما استحالة افشاء السر والثاني خروج كلماتها عن الحصر والنهاية ولكنا في
المثال الذي كنا فيه وهي حركة القلم نحكي من مناجاتها قدرا يسيرا يفهم به على الاجمال كيفية ابتنائها
التوكل عليه ونرد كلماتها الى الحروف والاصوات وان لم تكن هي حروفا ولا اصواتا ولكن هذه ضرورة التفهيم فنقول
قال بعض الناظرين عن مشكاة نور الله تعالى للكاغد وقد راه اسود وجهه بالحبر ما بال وجهك كان ابيض
مشرقا فالان قد ظهر عليه السواد فلم سودت وجهك وما السبب فيه فقال الكاغد ما انصفتني في هذه
المطالبة فاني ما سودت وجهي بنفسي لكن سل الحبر فانه كان مجموعا في المحبرة التي هي مستقره ووطنه فسافر
عن الوطن ونزل بساحة وجهي ظلما وعدوانا فقال صدقت فسال الحبر عن ذلك فقال ما انصفتني فاني كنت
في المحبرة وادعا ساكنا عازما على ان لا ابرح منها فاعتدى علي القلم بطمعه الفاسد واختطفني من وطني واجلاني
من بلادي وفرق جمعي وبددني كما تراه على ساحة بيضاء فالسؤال عليه لا علي فقال صدقت ثم سال القلم عن السبب
في ظلمه وعدوانه واخراج الحبر عن اوطانه فقال سل اليد والاصابع فاني كنت قصبا نابتا على شط الانهار متنزها
بين خضرة الاشجار فجاءتني اليد بسكين فنحت عني قشري ومزقت عني ثيابي وقلعتني من اصلي وفصلت بين انابيبي ثم
برتني وشقت راسي وغمستني في سواد الحبر ومرارته وهي تستخدمني وتمشيني على قمة راسي فلقد نثرت الملح على
جرحي بسؤالك وعتابك فتنح عني وسل من قهرني فقال صدقت ثم سال اليد عن ظلمها للقلم
وتعديها عليه واستخدامها له فقالت اليد ما انا الا لحم وعظم ودم وهل رايت لحما يظلم او جسما يتحرك بنفسه وانما انا
مركب مسخر ركبني فارس يقال له القدرة والعزة فهي التي تردني وتجول بي في نواحي الارض اما ترى المدر والحجر
لا يتعدى شيء منها مكانه ولا يتحرك بنفسه اذا لم يركبها مثل هذا الفارس القوي القاهر اما ترى ايدي
الموتى تساويني في صورة اللحم والعظم والدم ثم لا معاملة بينها وبين القلم فانا ايضا من حيث انا لا معاملة
بيني وبين القلم فسل القدرة عن شاني فاني مركب ازعجني من ركبني فقال صدقت ثم سال القدرة عن شانها
في استعمالها اليد واستخدامها وكثرة ترديدها فقالت دع عنك لومي ومعاتبتي فكم من لائم ملوم وكم من ملوم لا
ذنب له وكيف خفي عليك امري او كيف ظننت اني ظلمت اليد لما ركبتها ولقد كنت راكبها قبل التحريك وما كنت
احركها ولا استسخرها بل كنت نائمة ساكنة حتى ظن الظانون اني ميتة او معدومة لاني ما كنت اتحرك ولا احرك
حتى جاءني موكل ازعجني وارهقني الى ما تراه مني فكانت لي قوة على مساعدته ولم يكن لي قوة على مخالفته وهذا
الموكل يسمى الارادة ولا اعرفه الا باسمه وهجومه وصياله اذ ازعجني من غمرة النوم وارهقني الى ما كان لي مندوحة
عنه لو خلاني ورايي فقال صدقت ثم سال الارادة ما الذي جراك على هذه القدرة الساكنة المطمئنة حتى

صرفتها الى التحريك وارهقتها اليه ارهاقا لم تجد عنه مخلصا ومناصا فقالت الارادة لا تعجل علي فلعل لنا
عذرا وانت تلوم فاني ما انتهضت بنفسي ولكني انهضت وما انبعثت ولكني بعثت بحكم قاهر وامر جازم وقد
كنت ساكنة قبل مجيئه ولكن ورد علي من حضرة القلب رسول العلم على لسان العقل بالاشخاص للقدرة فاشخصتها
باضطرار فاني مسكينة مسخرة تحت قهر العلم والعقل ولا ادري باي جرم وقفت عليه وسخرت له والزمت طاعته
لكني ادري اني في دعة وسكون ما لم يرد علي هذا الوارد القاهر وهذا الحاكم العادل والظالم وقد وقفت عليه
وقفا والزمت طاعته الزاما بل لا يبقى لي معه مهما جزم حكمه طاقة على المخالفة لعمري ما دام هو في
التردد على نفسه والتحير في حكمه فانا ساكنة لكن مع استشعار وانتظار لحكمه فاذا انجزم حكمه ازعجت بطبع
وقهر تحت طاعته واشخصت القدرة لتقوم بموجب حكمه فاسل العلم عن شاني ودع عني عتابك فاني
كما قيل شعر اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ... الا تفارقهم فالراحلون هم ... فقال صدقت واقبل
على العقل والعلم والقلب مطالبا لهم ومعاتبا اياهم على استنهاض الارادة وتسخيرها لاشخاص القدرة فقال
العقل اما انا فسراج ما اشتعلت بنفسي ولكني اشعلت وقال القلب اما انا فلوح ما انبسطت بنفسي
ولكني بسطت وقال العلم اما انا فنقش نقشت في بياض لوح القلب لما اشرق سراج العقل وما انتقشت
بنفسي فكم كان هذا اللوح قبلي خاليا عني فاسل القلم عني فان الخط لا يكون الا بالقلم فعند هذا تتعتع السائل
ولم يقنعه جوابه وقال قد طال تعبي في هذا الطريق وكثرت منازلي ولا يزال يحيلني من طمعت في معرفة
هذا الامر منه على غيره ولكني كنت اطيب نفسا بكثرة الترداد لما كنت اسمع كلاما مقبولا في الفؤاد وعذرا
ظاهرا في دفع السؤال فاما قولك اني خط ونقش وانما خطني قلم فلست افهمه فاني لا اعلم قلما الا من القصب ولا لوحا
الا من الحديد او الخشب ولا خطا الا بالحبر ولا سراجا الا من النار واني لاسمع في هذا المنزل حديث اللوح والسراج
والخط والقلم ولا اشاهد منه شيئا اسمع جعجعة ولا ارى طحنا فقال له القلم ان صدقت فيما قلت فبضاعتك
مزجاة وزادك قليل ومركبك ضعيف والمهالك في الطريق الذي توجهت اليه كثيرة فالصواب لك ان
تنصرف وتدع ما انت فيه فما هذا بعشك فادرجي وكل ميسر لما خلق له فان كنت راغبا في استتمام الطريق
الى المقصد فالق سمعك وانت شهيد واعلم ان العوالم في طريقك هذا ثلثة عالم الملك والشهادة اولها ولقد
كان الكاغد والحبر والقلم واليد من هذا العالم وقد جاوزت تلك المنازل على سهولة والثاني عالم الملكوت
وهو ورائي فاذا جاوزتني انتهيت الى منازله وفيها المهامه الفيح والجبال الشاهقة والبحار المغرقة ولا ادري
كيف تسلم فيها والثالث عالم الجبروت وهو بين عالمي الملك وعالم الملكوت ولقد قطعت منه ثلثة منازل
اذ في اوائلها منازل القدرة والارادة والعلم وهو واسطة بين عالم الملك وعالم الملكوت لان عالم الملك اسهل منه
طريقا وعالم الملكوت اوعر منه منهجا وانما عالم الجبروت بين عالم الملك وعالم الملكوت يشبه السفينة التي
هي في الحركة بين الارض والماء فلا هي في حد اضطراب الماء ولا هي في حد سكون الارض وثباتها وكل من يمشي على الارض
يمشي في عالم الملك والشهادة فان جاوزت قوته الى ان يقوى على ركوب السفينة كان كمن يمشي في عالم الجبروت
فان انتهى الى ان يمشي على الماء من غير سفينة مشى في عالم الملكوت من غير تتعتع فان كنت لا تقدر على المشي
على الماء فانصرف فقد جاوزت الارض وخلفت السفينة ولم يبق بين يديك الا الماء الصافي واول عالم الملكوت
مشاهدة القلم الذي يكتب به العلم وحصول اليقين الذي يمشي به على الماء اما سمعت قول النبي صلى الله عليه
وسلم في عيسى عليه السلام لو ازداد يقينا لمشى على الهواء لما قيل له انه كان يمشي على الماء فقال السالك السائل
قد تحيرت في امري واستشعر قلبي خوفا مما وصفته من خطر الطريق ولست ادري اطيق قطع هذه المهامه التي

وصفتها ام لا الذلك من علامة فقال نعم انظر بطرفك واجمع ضوء عينيك وحدقه نحوي فان ظهر لك القلم
الذي به الكتبة في لوح القلب فيشبه ان تكون اهلاً لهذا الطريق عن شأنه فما قرأ اليه ذلك ما لا يخفى
على الدوام في القلوب من العلوم ما تبعث به الارادات الى اشخاص القدر وصرفها الى المقدورات فقال السالك
نسيت ما رأيت في عالم الملك والشهادة وسمعت من جواب القلم اذ سألته فاحالني على اليد قال لا أدري
لا انه يجيبني بمثل جوابه قال فكيف وانت لا تشبهه قال القلم اما سمعت ان الله تعالى خلق آدم على
صورته قال نعم قال فسل عن شأني الملقب بيمين الملك فاني في قبضته هو الذي يرددني وانا مقهور
مسخر ولا فرق بين القلم الالهي والقلم الآدمي في معنى التسخير وانما الفرق في ظاهر الصورة فقال السائل
ومن يمين الملك فقال القلم اما سمعت قوله تعالى والسموات مطويات بيمينه قال نعم قال والاقلام
ايضاً في قبضة يمينه هو الذي يرددها فسار السالك من عنده الى اليمين حتى شاهده ورأى من عجائبه
ما يزيد على عجائب القلم ولا يجوز وصف شيء من ذلك ولا شرحه بل تحوي مجلدات كثيرة عشر عشير وصفه
والجملة فيه انه يمين لا كالايمان ويد لا كالايدي واصبع لا كالاصابع فرأى القلم محركاً في قبضته فظهر له عذر
القلم فسأل اليمين عن شأنه وتحريكه القلم فقال جوابي ما سمعته من اليمين التي رأيتها في عالم الشهادة
وهو الحوالة على القدرة اذ اليد لا حكم لها في نفسها وانما محركها القدرة لا محالة فسافر الى عالم القدرة
ورأى فيها من العجائب ما استحقر فيها ما قبله وسألها عن تحريك اليمين فقالت انما انا صفة فاسأل
القادر اذ العهدة على الموصوفات لا على الصفات وعند هذا كاد ان يزيغ وينطلق بالجرأة لسان السؤال
فثبت بالقول الثابت ونودي من وراء حجاب سرادقات الحضرة لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فغشيته
هيبة الحضرة فخر صعقاً يضطرب في غشيته مدة فلما افاق قال سبحانك ما اعظم شأنك تبت اليك و
توكلت عليك وآمنت بانك الملك الجبار الواحد القهار فلا اخاف غيرك ولا ارجو سواك ولا اعوذ
الا بعفوك من عقابك وبرضاك من سخطك وما لي الا ان اسألك واتضرع اليك وابتهل بين يديك فاقول اشرح لي صدري
واعرفك واحلل عقدة من لساني لأثني عليك فنودي من وراء الحجاب اياك ان تطمع في الثناء وتزيد
على سيد الانبياء بل ارجع اليه فما آتاك فخذه وما نهاك عنه فانته عنه وما قاله فقله فانه ما زاد في هذه
الحضرة على ان قال سبحانك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك فقال الهي ان لم يكن للسان جرأة على
الثناء عليك فهل للقلب مطمع في معرفتك فنودي اياك ان تتخطى رقاب الصديقين فارجع الى الصديق
الاكبر واقتد به فان اصحاب سيد الانبياء كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم اما سمعته يقول العجز عن درك
الادراك ادراك فيكفيك نصيباً من حضرتنا ان تعرف انك محروم عن حضرتنا عاجز عن ملاحظة جمالنا وجلالنا
فعند هذا رجع السالك واعتذر عن اسولته ومعاتباته وقال لليمين والقلم والعلم والارادة والقدرة
وما بعدها اقبلوا عذري فاني كنت غريباً حديث العهد بالدخول في هذه البلاد ولكل داخل دهشة
فما كان انكاري عليكم الا عن قصور وجهل والآن قد صح عندي عذركم وانكشف لي ان المنفرد بالملك و
الملكوت والعزة والجبروت هو الواحد القهار فما انتم الا مسخرون تحت قهره وقدرته مرددون في قبضته
وهو الاول والآخر وهو الظاهر والباطن فلما ذكر ذلك في عالم الشهادة استبعد منه ذلك وقيل له كيف
يكون هو الاول والآخر وهما وصفان متناقضان وكيف يكون هو الظاهر والباطن والاول ليس بآخر والظاهر
ليس بباطن فقال هو الاول بالاضافة الى الوجود اذ صدر منه الكل على ترتيبه واحداً بعد واحد وهو الآخر
بالاضافة الى سير السالكين اليه فانهم لا يزالون مترقين من منزل الى منزل الى ان يقع الانتهاء الى تلك الحضرة فيكون

ذلك آخر السفر فهو آخر في المشاهدة اول في الوجود وهو باطن بالاضافة الى العاكفين في عالم الشهادة
الطالبين لادراكه بالحواس الخمس ظاهر بالاضافة الى من يطلبه بالسراج الذي اشتعل في قلبه بالبصيرة الباطنة
النافذة في عالم الملكوت فهذا كان توحيد السالكين لطريق التوحيد في الفعل اعني من انكشف له ان الفاعل
واحد فان قلت فقد انبنى هذا التوحيد على الايمان بعالم الملكوت فمن لا يفهم ذلك او يجحده فما طريقه
فاقول اما الجاحد فلا علاج له الا ان يقال انكارك لعالم الملكوت كانكار السمنية لعالم الجبروت وهم
الذين حصروا العلم في الحواس الخمس ولازموا حضيض عالم الشهادة فان قالوا انا لم نهتد الا الى عالم الشهادة
بالحواس الخمس ولا نعلم شيئاً سواه فيقال له انكارك لما شاهدناه من وراء الحواس الخمس كانكار السوفسطائية للحواس
الخمس فانهم قالوا ما نراه لا نثق به فلعلنا نراه في المنام فان كان من جملتهم قد شك ايضاً في
المحسوسات فيقال له هذا شخص فسد مزاجه وامتنع علاجه فيترك اياماً فما كل مرض يقوى على علاجه الاطباء
هذا حكم الجاحد واما الذي لا يجحد ولكن لا يفهم فطريق السالكين فيه ان ينظروا الى عينه التي بها يشاهد
عالم الملكوت فان وجدوها صحيحة في الاصل وقد نزل فيها ماء اسود يقبل الازالة والتنقية اشتغلوا بتنقيتها اشتغال
الكحال بالابصار الظاهرة فاذا استوى جهروا ارشاده الى الطريق ليسلكه كما فعل رسول الله صلى الله عليه
وسلم بخواص اصحابه وان كان غير قابل للعلاج ولم يمكنه ان يسلك السبيل الذي ذكرناه في التوحيد ولم
يمكنه ان يسمع كلام درك الملك والملكوت بشهادات التوحيد كلموه بحرف وصوت ونزلوا له من التوحيد
الى حضيض فهمه فان في عالم الشهادة ايضاً توحيداً اذ يعلم كل احد ان المنزل يفسد بصاحبين والبلد
يفسد باميرين فيقال له على حد عقله ان العالم واحد والمدبر واحد اذ لو كان فيهما آلهة الا الله
لفسدتا فيكون ذلك على ذوق ما رآه في عالم الشهادة فينغرس اعتقاد التوحيد في قلبه بهذا الطريق اللائق
بقدر عقله وقد كلف الانبياء ان يكلموا الناس على قدر عقولهم ولذلك نزل القرآن بلسان العرب وعلى
حد عاداتهم في المحاورة فان قلت فمثل هذا التوحيد الاعتقادي هل يصلح ان يكون عماد التوكل واصلاً
فيه فاقول نعم فان الاعتقاد اذا قوي عمل عمل الكشف في اثارة الاحوال الا انه في الغالب يضعف و
يتسارع اليه الاضطراب والتزلزل غالباً ولذلك يحتاج صاحبه الى متكلم يحرسه بكلامه او الى ان يتعلم هو الكلام
ليحرس به العقيدة التي تلقفها من استاذه او من ابيه او من اهل بلده واما الذي شاهد الطريق وسلكه
بنفسه فلا يخاف عليه شيء من ذلك بل لو كشف الغطاء لما ازداد يقيناً وان كان يزداد وضوحاً كما ان الذي
يرى انساناً في وقت الاسفار لا يزداد يقيناً عند طلوع الشمس بانه انسان ولكن يزداد وضوحاً في تفصيل خلقته
وما حال المكاشفين والمعتقدين الا كحال سحرة فرعون مع اصحاب السامري فان سحرة فرعون لما كانوا مطلعين
على منتهى تأثير السحر لطول مشاهدتهم وتجربتهم رأوا من موسى ما جاوز حدود السحر وانكشف لهم حقيقة الامر
فلم يكترثوا بقول فرعون لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف بل قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي
فطرنا فاقض ما انت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا فان البيان والكشف يمنع التغيير واما اصحاب
السامري لما كان ايمانهم عن النظر الى ظاهر الثعبان فلما نظروا الى عجل السامري وسمعوا خواره تغيروا و
سمعوا قوله هذا الهكم واله موسى ونسوا انه لا يرجع اليهم قولاً ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً فكل من آمن بالنظر
الى ثعبان فيكفر لا محالة اذا نظر الى عجل لان كليهما من عالم الشهادة والاختلاف والتضاد في عالم الشهادة
كثير واما عالم الملكوت فهو من عند الله فلذلك لا تجد فيه اختلافاً وتناقضاً اصلاً **فان قلت** ما
ذكرته من التوحيد ظاهر مهما ثبت ان الوسائط والاسباب مسخرات وكل ذلك ظاهر الا في حركات الانسان

فلم يتحرك ان شاء ويمكن ان يشاء ولا يتحرك ولا يمكن ان لا يشاء فكيف يكون مسخرا فاعلم انه لو كان معه ان يشاء ان
شاء ولا يشاء ان لم يرد ان يشاء لكان هذا مزلة القدم وموضع الغلط ولكن علمت انه يفعل اذا شاء ويفعل
شاء ام ابى فليست المشية اليه اذ لو كانت اليه لافتقرت الى مشية اخرى وتسلسل الى غير نهاية واذا لم
تكن المشية اليه فمهما وجدت المشية التي تصرف القدرة الى مقدورها انصرفت القدرة لا محالة ولم
يكن لها سبيل الى المخالفة فالحركة لازمة ضرورة بالقدرة والقدرة محركة ضرورة عند انجزام المشية و
المشية تحدث ضرورة في القلب فهذه ضرورات ترتب بعضها على بعض وليس للعبد ان يدفع وجود المشية
ولا انصراف القدرة الى المقدور بعدها ولا وجود الحركة بعد بعث المشية للقدرة فهو مضطر في الجميع
فان قلت فهذا جبر محض والجبر يناقض الاختيار وانت لا تنكر الاختيار فكيف يكون مجبورا مختارا فاقول
لو انكشف الغطاء لعرفت انه في عين الاختيار مجبور فهو اذا مجبور على الاختيار فكيف يفهم هذا
من لا يفهم الاختيار فلنشرح الاختيار بلسان المتكلمين شرحا وجيزا يليق بما ذكرناه مستطردا وتابعا
فان هذا الكتاب لم يقصد به الا علم المعاملة ولكني اقول لفظ الفعل في الانسان يطلق على ثلثة اوجه اذ
يقال الانسان يكتب بالاصبع ويتنفس بالرية والحنجرة ويخرق الماء اذا وقف عليه بجسمه فينسب اليه
الخرق في الماء والتنفس والكتابة وهذه الثلاثة في حقيقة الاضطرار والجبر واحد ولكنها تختلف وراء
ذلك في امور فاعرب لك عنها بثلث عبارات فنسمي خرقه للماء عند وقوعه على وجهه فعلا طبيعيا ونسمي
تنفسه فعلا اراديا ونسمي كتابته فعلا اختياريا والجبر ظاهر في الفعل الطبيعي لانه مهما وقف على وجه
الماء او تخطى من السطح الى الهواء انخرق الهواء لا محالة فيكون الخرق بعد التخطي ضروريا والتنفس في معناه فان
نسبة حركة الحنجرة الى ارادة التنفس كنسبة انخراق الماء الى ثقل البدن فمهما كان الثقل موجودا وجد
الانخراق بعده وليس الثقل اليه فكذلك الارادة ليست اليه ولذلك لو قصد عين الانسان بابرة طبق الاجفان
اضطرارا ولو اراد ان يتركها مفتوحة لم يقدر مع ان تغميض الاجفان فعل ارادي ولكنه اذا تمثل صورة الابرة
في مشاهدته بالادراك حدثت الارادة للتغميض ضرورة وحدثت الحركة بها ولو اراد ان يترك ذلك لم يقدر عليه مع
انه فعل بالقدرة والارادة فقد التحق هذا بالفعل الطبيعي في كونه ضروريا واما الثالث وهو الاختياري
فهو مظنة الالتباس كالكتابة والنطق وهو الذي يقال فيه ان شاء فعل وان شاء لم يفعل وتارة يشاء وتارة
لا يشاء فيظن من هذا ان الامر اليه وهو للجهل بمعنى الاختيار فلنكشف عنه وبيانه ان الارادة تبع العلم الذي
يحكم بان الشيء موافق لك والاشياء تنقسم الى ما تحكم مشاهدتك الظاهرة او الباطنة بانه موافقك من غير تحير
وتردد والى ما قد يتردد العقل فيه فالذي تقطع به من غير تردد ان يقصد عينك مثلا بابرة او بدنك بسيف
فلا يكون في علمك تردد في ان دفع ذلك خير لك وموافق فلا جرم تنبعث الارادة بالعلم والقدرة بالارادة
وتحصيل حركة الاجفان بالدفع وحركة اليد بدفع السيف وذلك من غير روية وفكرة ويكون ذلك بالارادة
ومن الاشياء ما يتوقف التمييز والعقل فيه فلا يدري انه موافق ام لا فيحتاج الى روية وفكر حتى
يتبين ان الخير في الفعل او الترك فاذا حصل بالفكر والروية العلم بان احدهما خير التحق ذلك بالذي
يقطع به من غير روية وفكرة وانبعثت الارادة هاهنا كما تنبعث لدفع السيف والسنان فاذا انبعث
لفعل ما ظهر للعقل انه خير سميت هذه الارادة اختيارا مشتقا من الخير اي هو انبعاث الى ما ظهر
للعقل انه خير وهو عين تلك الارادة وهو ظهور خيرية الفعل في حقه الا ان الحاجة في دفع السيف ظهرت
من غير روية بل على البديهة وهذا افتقر الى الروية فالاختيار عبارة عن ارادة خاصة وهي التي انبعثت

باشارة العقل بنيله في ادراكه نعت وعن هذا قيل العقل يحتاج اليه للتمييز بين خير الخيرين وشر الشرين
ولا يتصور ان تنبعث الارادة الا بحكم الحس والتخييل او بحكم جزم من العقل ولذلك لو اراد الانسان ان
يحز رقبة نفسه مثلا لم يمكنه لا لعدم القدرة في اليد ولا لعدم السكين ولكن لفقد الارادة الداعية
المشخصة للقدرة وانما فقدت الارادة لانها تنبعث بحكم العقل والحس بكون الفعل موافقا وقتله
نفسه ليس موافقا له فلا يمكنه مع قوة الاعضاء ان يقتل نفسه الا اذا كان في عقوبة مؤلمة لا تطاق فان
العقل هاهنا يتوقف في الحكم ويتردد لانه تردد بين الشرين فان ترجح له بعد الروية ان ترك القتل اقل شرا لم
يمكنه قتل نفسه وان حكم بان القتل اقل شرا وكان حكمه جزما لا ميل فيه ولا صارف عنه انبعثت الارادة
والقدرة واهلك نفسه كالذي يتبع بالسيف للقتل فانه يرمي نفسه من السطح مثلا وان كان
مهلكا ولا يبالي ولا يمكنه ان لا يرمي نفسه وان كان يتبع بضرب خفيف فانه انتهى الى طرف السطح حكم العقل
بان الضرب اهون من الرمي فوقفت اعضاؤه فلا يمكنه ان يرمي نفسه ولا تنبعث له داعية البتة لان
داعية الارادة مسخرة لحكم العقل والحس والقدرة مسخرة للداعية والحركة مسخرة للقدرة والكل مقدر
بالضرورة فيه من حيث لا يدري فانما هو محل ومجرى لهذه الامور فاما ان يكون منه فكلا ولا فاذا معنى كونه
مجبورا ان جميع ذلك حاصل فيه من غيره لا منه ومعنى كونه مختارا انه محل لارادة حدثت فيه جبرا بعد حكم
العقل بكون الفعل خيرا وحدث الحكم ايضا جبرا فاذا هو مجبور على الاختيار ففعل النار في الاحراق مثلا جبر
محض وفعل الله تعالى اختيار محض وفعل الانسان على منزلة بين منزلتين فانه جبر على الاختيار فطلب اهل
الحق لهذا عبارة ثالثة لانه كان فنا ثالثا فاتبعوا فيه كتاب الله تعالى فسموه كسبا وليس مناقضا للجبر
ولا للاختيار بل هو جامع بينهما عند من فهمه وفعل الله سبحانه يسمى اختيارا بشرط ان لا يفهم
من الاختيار ارادة بعد تحير وتردد فان ذلك في حقه محال وجميع الالفاظ المذكورة في اللغات لا
يمكن ان تستعمل في حق الله تعالى الا على نوع من الاستعارة والتجوز وذكر ذلك لا يليق بهذا العلم ويطول
القول فيه **فان قلت** فهل تقول ان العلم ولد الارادة والارادة ولدت القدرة والقدرة ولدت الحركة
وان كل متاخر حدث من المتقدم فان قلت ذلك فقد حكمت بحدوث شيء لا من قدرة الله وان ابيت ذلك
فما معنى ترتب البعض من هذا على البعض فاعلم ان القول بان بعض ذلك حدث عن بعض جهل محض سواء
عبر عنه بالتولد او بغيره بل احالة جميع ذلك على المعنى الذي يعبر عنه بالقدرة الازلية وهو الاصل
الذي لم يقف كافة الخلق الا الراسخون في العلم عليه معناه بل على مجرد لفظه مع نوع تشبيه بقدرتنا
وهو بعيد عن الحق وبيان ذلك يطول ولكن بعض المقدورات مترتبة على البعض في الحدوث ترتب
المشروط على الشرط فلا تصدر من القدرة الازلية ارادة الا بعد علم ولا علم الا بعد حياة ولا حياة الا
بعد محل الحياة وكما لا يجوز ان يقول الحياة حصلت من الجسم الذي هو شرط الحياة فكذلك في سائر
درجات الترتيب ولكن بعض الشروط مما ظهر للعامة وبعضها لم يظهر الا للخواص المكاشفين بنور الحق والا
فلا يتقدم متقدم ولا يتاخر متاخر الا بالحق واللزوم وكذلك جميع افعال الله تعالى ولولا ذلك
لكان التقدم والتاخر عبثا يضاهي فعل المجانين تعالى الله عن قول الجاهلين علوا كبيرا والى هذا
اشار قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق فكل ما بين
السماء والارض حادث على ترتيب واجب وحق لازم ولا يتصور ان يكون الا كما حدث وعلى الترتيب الذي
وجد فما تاخر متاخر الا لانتظار شرطه والمشروط قبل الشرط محال والمحال لا يوصف بكونه مقدورا فلا يتاخر

العلم عن النطفة الا بعد شرط الحياة ولا ينتظر عنها الارادة بعد العلم الا بعد شرط العلم وكل ذلك على
منهاج الواجب وترتيب الحق ليس في شيء من ذلك لعب واتفاق بل كل ذلك بحكمة وتدبير وتفهيم
ذلك عسير ولكنا نضرب لتوقف المقدور مع وجود القدرة على وجود الشرط مثالا يقرب مبادي
الحق من الافهام الضعيفة وذلك بان نقدر انسانا محدثا قد انغمس في ماء الى رقبته فالحدث
لا يرتفع عن اعضائه وان كان الماء هو الرافع وهو ملاق له فتقدر القدرة الازلية حاضرة ملاقية
للمقدورات معلقة بها ملاقاة الماء للاعضاء ولكن لا يحصل بها المقدور كما لا يحصل رفع الحدث بالماء
انتظارا للشرط وهو غسل الوجه فاذا وضع الذي في الماء وجهه على الماء عمل الماء في سائر الاعضاء
وارتفع الحدث فربما يظن الجاهل ان الحدث ارتفع عن اليدين برفعه عن الوجه لانه حدث عقيبه
اذ يقول كان الماء ملاقيا ولم يكن رافعا والماء لم يتغير عما كان فكيف حصل منه ما لم يحصل من قبل
بل حصل ارتفاع الحدث من اليدين عند غسل الوجه فاذا غسل الوجه هو الرافع للحدث عن اليدين
وهو جهل يضاهي ظن من يظن ان الحركة تحصل بالقدرة والقدرة بالارادة والارادة بالعلم وكل ذلك خطا
بل عند ارتفاع الحدث عن الوجه ارتفع الحدث عن اليدين بالماء الملاقي له لا بغسل الوجه والماء لم يتغير
واليدان لم يتغيرا ولم يحدث فيهما شيء ولكن حدث وجود الشرط فظهر اثر العلة فهكذا ينبغي ان تفهم
صدور المقدورات من القدرة الازلية مع ان القدرة قديمة والمقدورات حادثة وهذا
قرع باب اخر من علوم المكاشفات فلنترك جميع ذلك فان مقصودنا التنبيه على طريق التوحيد
في الفعل فان الفاعل بالحقيقة واحد فهو المخوف وهو المرجو وعليه التوكل والاعتماد ولم نقدر على
ان نذكر من بحار التوحيد الا قطرة من بحر المقام الثالث من مقامات التوحيد واستيفاء ذلك في عمر
نوح عليه السلام محال كاستيفاء ماء البحر باخذ القطرات منه وكل ذلك ينطوي تحت قول لا اله
الا الله وما اخف مؤنته على اللسان وما اسهل اعتقاد مفهومه على القلب وما اعز حقيقته ولبه عند العلماء
الراسخين فكيف عند غيرهم **فان قلت** فكيف الجمع بين التوحيد والشرع ومعنى التوحيد ان لا فاعل
الا الله ومعنى الشرع اثبات الافعال للعباد فان كان العبد فاعلا فكيف يكون الله فاعلا وان كان الله
فاعلا فكيف يكون العبد فاعلا ومفعول بين فاعلين غير مفهوم فاقول نعم ذلك غير مفهوم اذا كان للفاعل
معنى واحد وان كان له معنيان ويكون الاسم مجملا مرددا بينهما لم يتناقض كما يقال قتل الامير فلانا
ويقال قتله الجلاد ولكن الامير قاتل بمعنى والجلاد بمعنى اخر فمعنى كون الله فاعلا انه المخترع الموجد ومعنى
كون العبد فاعلا انه المحل الذي خلق فيه القدرة بعد ان خلق فيه الارادة وبعد ان خلق فيه العلم
فارتبطت القدرة بالارادة والحركة بالقدرة ارتباط الشرط بالمشروط وارتبطت قدرة العبد بقدرته
ارتباط المعلول بالعلة وارتباط المخترع بالمخترع وكل ما له ارتباط بقدرة فان محل القدرة
يسمى فاعلا له كيفما كان الارتباط كما يسمى الجلاد قاتلا والامير قاتلا لان القتل ارتبط بقدرتهما
ولكن على وجهين مختلفين فلذلك سمي فعلا لهما فكذلك ارتباط المقدورات بالقدرتين ولاجل
توافق ذلك وتطابقه نسب الله تعالى الافعال في القران مرة الى الملائكة ومرة الى العباد ونسبها
بعينها مرة اخرى الى نفسه فقال تعالى قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم قال الله يتوفى الانفس حين
موتها وقال افرايتم ما تحرثون اضاف الحرث الينا ثم قال انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا
فانبتنا فيها حبا وعنبا وقال فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ثم قال فنفخنا فيها من روحنا

وكان النافخ جبريل عليه السلام وكما قال فاذا قراناه فاتبع قرانه قيل معناه اذا قراه عليك
جبريل وقال تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم فاضاف القتل اليهم والتعذيب الى نفسه والتعذيب
هو عين القتل بل صرح وقال فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وهو جمع
بين النفي والاثبات ظاهرا ولكن معناه وما رميت بالمعنى الذي يكون العبد به راميا اذ رميت بالمعنى
الذي يكون الرب به راميا اذ هما معنيان مختلفان وقال تعالى الذي علم بالقلم ثم قال الرحمن علم
القران وقال علمه البيان وقال ان علينا بيانه وقال افرايتم ما تمنون ءانتم تخلقونه ام نحن الخالقون
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصف ملك الارحام انه يدخل الرحم فياخذ النطفة في يده
ثم يصورها جسدا فيقول يا رب اذكر ام انثى اسوي ام معوج فيقول الله ما شاء ويخلق الملك وفي لفظ اخر
ويصور الملك ثم ينفخ فيها الروح بالسعادة او بالشقاوة وقد قال بعض السلف ان الملك الذي
يقال له الروح هو الذي يولج الارواح في الاجسام وانه يتنفس بوصفه فيكون كل نفس من انفاسه روحا
يلج في جسم ولذلك سمي روحا وما ذكره من مثل هذا الملك وصفته فهو حق شاهده ارباب القلوب ببصائرهم
واما كون الروح عبارة عنه فلا يمكن ان يعلم الا بالنقل والحكم دون النقل به تخمين مجرد وكذلك ذكر
الله تعالى في القران الادلة والايات في الارض والسموات ثم قال اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد
ثم قال شهد الله انه لا اله الا هو فبين انه الدليل على نفسه وذلك ليس متناقضا بل طرق الاستدلال
مختلفة فكم من طالب عرف الله بالنظر الى الموجودات وكم من طالب عرف كل الموجودات بالله تعالى كما قال
بعضهم **شعر** عرفت ربي بربي ۞ ولولا ربي لما عرفت ربي ۞ وهو معنى قوله تعالى اولم يكف
بربك انه على كل شيء شهيد وقد وصف الله عز وجل نفسه بانه المحيي والمميت ثم فوض الموت والحيوة الى
ملكين ففي الخبر ان ملك الموت وملك الحيوة تناظرا فقال ملك الموت انا اميت الاحياء وقال ملك
الحيوة انا احيي الاموات فاوحى الله تعالى اليهما كونا على عملكما وما سخرتكما له من الصنع وانا المميت والمحيي
لا مميت ولا محيي سواي فاذا الفعل يستعمل على وجوه مختلفة فلا تتناقض هذه المعاني اذا فهمت و
لذلك قال صلى الله عليه وسلم للذي ناوله التمرة خذها لو لم تاتها لاتتك اضاف الاتيان اليه
والى التمرة ومعلوم ان التمرة تاتي على الوجه الذي ياتي الانسان اليها ولذلك لما قال التائب اتوب
الى الله ولا اتوب الى محمد فقال عليه السلام عرف الحق لاهله فكل من اضاف الكل الى الله فهو المحق الذي
عرف الحق والحقيقة لاهلها ومن اضاف الى غيره فهو المتجوز والمستعير في كلامه وللتجوز وجه
كما ان للحقيقة وجها واسم الفاعل وضعه واضع اللغة للمخترع ولكن ظن ان الانسان مخترع بقدرته
فسماه فاعلا بحركته وظن انه تحقيق وتوهم ان نسبته الى الله تعالى على سبيل المجاز مثل نسبة القتل
الى الامير فانه مجاز بالاضافة الى نسبته الى الجلاد فلما انكشف الحق لاهله عرفوا ان الامر بالعكس وقالوا ان
كان الفاعل قد وضعته انت ايها اللغوي للمخترع فلا فاعل الا الله فالاسم له بالحقيقة ولغيره بالمجاز اي
يتجوز عما وضعه اللغوي له ولما جرى حقيقة المعنى على لسان بعض الاعراب قصدا او اتفاقا صدقه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم اصدق بيت قاله الشاعر قول لبيد **شعر**
الا كل شيء ما خلا الله باطل اي كل ما لا قوام له بنفسه فاذا لا حق بالحقيقة الا الحي القيوم الذي ليس كمثله شيء فانه
قائم بذاته وكل ما سواه قائم بقدرته فهو الحق وما سواه باطل ولذلك قال سهل يا مسكين كان ولم تكن
ويكون ولا تكون فلما كنت اليوم صرت تقول انا وانا كن الان كما لم تكن فانه الان كما كان فان قلت فقد ظهرت

الكل حتى فهم معنى الثواب والعقاب والغضب والرضى وكيف غضبه على فعل نفسه فاعلم ان معنى ذلك
قد اشرنا اليه في كتاب الشكر فلا نطول باعادته فهذا هو القدر الذي رأينا الرمز اليه من التوحيد الذي
يورث حال التوكل ولا يتم هذا الا بالايمان بالرحمة والحكمة فان التوحيد يورث النظر الى مسبب الاسباب
والايمان بالرحمة وسعتها هو الذي يورث الثقة بمسبب الاسباب ولا يتم حال التوكل كما سيأتي
الا بالثقة بالوكيل وطمأنينة القلب الى حسن نظر الكفيل وهذا الايمان ايضا باب عظيم من ابواب الايمان
وحكاية طريق المكاشفين فيه تطويل فلنذكر حاصله ليعتقده الطالب لمقام التوكل اعتقادا قاطعا
لا يستريب فيه وهو ان يصدق تصديقا يقينيا لا ضعف فيه ولا ريب ان الله عز وجل لو خلق الخلائق
كلهم على عقل اعقلهم وعلم اعلمهم وخلق لهم من العلم ما تحتمله نفوسهم وافاض عليهم من الحكمة
ما لا منتهى لوصفها ثم زاد مثل ذلك عدد جميعهم علما وحكمة وعقلا ثم كشف لهم عن عواقب الامور
واطلعهم على اسرار الملكوت وعرفهم دقائق اللطف وخفايا العقوبات حتى اطلعوا على الخير والشر
والنفع والضر ثم امرهم ان يدبروا الملك والملكوت بما اعطوا من العلم والحكم لما اقتضى تدبير جميعهم
مع التعاون والتظاهر عليه ان يزاد فيما دبر الله سبحانه الخلق به في الدنيا والاخرة جناح بعوضة
ولا ان ينقص منه جناح بعوضة ولا ان يرفع منه ذرة او يخفض منه ذرة ولا ان يدفع مرض او عيب
او نقص او فقر او ضر عمن بلي به ولا ان يزال صحة او كمال او غنى او نفع عمن انعم الله به عليه بل كل ما خلقه الله
تعالى في السموات والارض ان رجعوا فيها البصر وطولوا فيها النظر ما راوا فيها من تفاوت ولا فطور وكل ما قسم
الله تعالى بين عباده من رزق واجل وسرور وفرح وعجز وقدرة وايمان وكفر وطاعة ومعصية
فكله عدل محض لا جور فيه وحق صرف لا ظلم فيه بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغي وكما ينبغي وبالقدر
الذي ينبغي وليس في الامكان اصلا احسن منه ولا اتم ولا اكمل ولو كان وادخره مع القدرة ولم يتفضل لكان
بخلا يناقض الجود وظلما يناقض العدل ولو لم يكن قادرا لكان عجزا يناقض الالهية بل كل فقر وضر في الدنيا
فهو نقصان من الدنيا وزيادة في الاخرة وكل نقص في الاخرة بالاضافة الى شخص فهو نعيم بالاضافة الى غيره
اذ لولا الليل لما عرف قدر النهار ولولا المرض لم يتنعم الاصحاء بالصحة ولولا النار لم يعرف اهل الجنة قدر
النعمة وكان فداء ارواح الانس بارواح البهائم على ذبحها ليس بظلم بل تقديم الكامل على الناقص عين العدل
فكذلك تفخيم النعم على سكان الجنان بتعظيم العقوبة على اهل النيران وفداء اهل الايمان باهل الكفر
ان عين العدل وما لم يخلق الناقص لا يعرف الكامل ولولا خلق البهائم لما ظهر شرف الانس فان الكمال و
النقص يظهر بالاضافة فمقتضى الجود والحكمة خلق الكامل والناقص جميعا وكما ان قطع اليد اذا تآكلت
ابقاء على الروح عدل لانه فداء كامل بناقص فكذلك الامر في التفاوت الذي بين الخلق في القسمة في
الدنيا والاخرة فكل ذلك عدل لا جور فيه وحق لا لعب فيه وهذا الان بحر آخر عظيم واسع الاطراف مضطرب الامواج
قريب في السعة من بحر التوحيد فيه غرق طوائف من القاصرين ولم يعلموا ان ذلك غامض ولا يعقلها الا
العالمون ووراء هذا البحر سر القدر الذي تحير فيه الاكثرون ومنع من افشاء سره المكاشفون والحاصل
ان الخير والشر مقضي به وقد صار ما قضي به واجب الحصول بعد سبق المشية فلا راد لحكمه ولا معقب
لقضائه بل كل صغير وكبير مستطر وحصوله بقدر معلوم منتظر وما اصابك لم يكن ليخطئك وما
اخطاك لم يكن ليصيبك ولنقتصر على هذه المرامز من علوم المكاشفة التي هي اصول مقامات التوكل ولنرجع
الى علم المعاملة

الشطر الثاني من الكتاب

في حال التوكل واعماله وفيه بيان حال التوكل
وبيان ما قاله الشيوخ في حد التوكل وبيان التوكل في الكسب للمنفرد والمعيل وبيان التوكل بترك الادخار
وبيان التوكل في ترك الصاد وبيان التوكل في ازالة الضر بالتداوي وغيره

بيان حال التوكل

قد ذكرنا ان مقام التوكل ينتظم من علم وحال وعمل وذكرنا العلم فاما الحال فالتوكل بالتحقيق عبارة عنه
وانما العلم اصله والعمل ثمرته وقد اكثر الخائضون في بيان حد التوكل واختلفت عباراتهم وتكلم كل
واحد منهم عن مقام نفسه واخبر عن حده كما جرت العادة عادة اهل التصوف به ولا فائدة في
النقل والاكثار فلنكشف الغطاء عنه ونقول التوكل مشتق من الوكالة يقال وكل امره الى فلان
اي فوضه اليه واعتمد عليه ويسمى الموكول اليه وكيلا ويسمى المفوض اليه متكلا عليه ومتوكلا
عليه مهما اطمأنت اليه نفسه ووثق به ولم يتهمه بتقصير ولم يعتقد فيه عجزا او قصورا فالتوكل
عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده ولنضرب الوكيل في الخصومة مثلا فمن ادعي عليه دعوى
باطلة بتلبيس فوكل للخصومة من يكشف ذلك التلبيس لم يكن متوكلا عليه ولا واثق القلب مطمئن
النفس بوكيله الا اذا اعتقد فيه اربعة امور منتهى الهداية ومنتهى القوة ومنتهى الفصاحة
ومنتهى الشفقة **اما الهداية** فليعرف بها مواقع التلبيس حتى لا يخفى عليه من غوامض الحيل
شيء **واما القدرة والقوة** فليستجرئ على التصريح بالحق فلا يداهن ولا يخاف ولا يستحيي ولا
يجبن فانه ربما يطلع على وجه تلبيس خصمه فيمنعه الخوف او الجبن او الحياء او صارف آخر من الصوارف
المضعفة للقلب عن التصريح به **واما الفصاحة** فهي ايضا من القدرة الا انها قدرة في اللسان
على الافصاح عن كل ما استجرأ القلب عليه واشار اليه فلا كل عالم بمواقع التلبيس قادر بذلاقة لسانه
على حل عقدته **واما منتهى الشفقة** فيكون باعثا له على بذل كل ما يقدر عليه في حقه فان قدرته
لا تغني دون العناية به اذا كان لا يهمه امره ولا يبالي به ظفر خصمه او لم يظفر هلك به حقه او لم يهلك فان
كان شاكا في هذه الاربعة او في واحد منها او جوز ان يكون خصمه اكمل في هذه الاربعة منه لم تطمئن
نفسه الى وكيله بل بقي منزعج القلب مستغرق الهم بالحيلة والتدبير ليدفع ما يحذره من
قصور وكيله وسطوة خصمه ويكون تفاوت احواله في شدة الثقة والطمأنينة بحسب تفاوت قوة
اعتقاده لهذه الخصال فيه والاعتقادات والظنون في القوة والضعف تتفاوت تفاوتا لا ينحصر فلا
جرم تتفاوت احوال المتوكل في قوة الطمأنينة والثقة تفاوتا لا ينحصر الى ان ينتهي الى اليقين الذي
لا ضعف فيه كما لو كان الوكيل والد الموكل وهو الذي يسعى في الحلال والحرام لاجله فانه يحصل له يقين
بمنتهى الشفقة والعناية فيصير خصلة واحدة من الخصال الاربع قطعيا فيه وكذلك يطول
الممارسة والتجربة وتواتر الاخبار بانه افصح الناس لسانا واقواهم بيانا واقدرهم على نصرة الحق بالباطل
والباطل بالحق فاذا عرفت التوكل في هذا المثال فقس التوكل على الله تعالى عليه فان ثبت في نفسك
بكشف او باعتقاد جازم انه لا فاعل الا الله كما سبق واعتقدت مع ذلك تمام العلم والقدرة على كفاية
العباد ثم تمام العطف والعناية والرحمة بجملة العباد والآحاد وانه ليس وراء منتهى قدرته قدرة
ولا وراء منتهى علمه علم ولا منتهى عنايته بك ورحمته لك عناية ورحمة اتكل لا محالة قلبك عليه وحده
ولم يلتفت الى غيره بوجه ولا الى نفسك وحولك وقوتك فانه لا حول ولا قوة الا بالله كما سبق في التوحيد
عند ذكر الحركة والقدرة فان الحول عبارة عن الحركة والقوة عبارة عن القدرة فان كنت لا تجد هذه الحالة من
نفسك فسببه احد امرين اما ضعف اليقين باحدى هذه الخصال الاربعة واما ضعف القلب ومرضه

باستيلاء الجبن عليه وانه عاجز بسبب الاوهام الغالبة عليه فان القلب قد ينزعج تبعا للوهم وطاعة له من غير نقصان في اليقين فان من يتناول عسلا فشبه بين يديه بالعذرة ربما نفر عنه طبعه و يتعذر عليه تناوله ولو كلف العاقل ان يبيت مع الميت في قبر او فراش او بيت نفر طبعه وان كان متيقنا لكونه ميتا وانه جماد في الحال وان سنة الله تعالى مطردة بانه لا يحشره الان ولا يحييه وان كان قادرا عليه كما انها مطردة بان لا يقلب القلم الذي في يده حية ولا يقلب السنور اسدا وان كان قادرا عليه ومع انه لا يشك في هذا اليقين ينفر طبعه عن مضاجعة الميت في البيت ولا ينفر عن سائر الجمادات وذلك جبن في القلب وهو نوع ضعف قلما يخلو الانسان عن شيء منه وان قل وقد يقوى فيصير مرضا حتى يخاف ان يبيت في البيت وحده مع اغلاق الباب واحكامه فاذا لا يتم التوكل الا بقوة القلب وقوة اليقين جميعا اذ بهما يحصل سكون القلب وطمانينته فالسكون في القلب شيء واليقين اخر فكم من يقين لا طمانينة معه كما قال الله تعالى اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي فالتمس ان يشاهد احياء الميت بعينه ليثبت في خياله فان النفس تتبع الخيال وتطمئن به ولا تطمئن باليقين في ابتداء الامر الى ان تبلغ بالاخرة الى درجة النفس المطمئنة وذلك لا يكون في البداية اصلا وكم من مطمئن لا يقين له كسائر ارباب الملل والمذاهب فان اليهودي مطمئن القلب الى تهوده وكذلك النصراني ولا يقين لهم اصلا وانما يتبعون الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى وهو سبب اليقين الا انهم معرضون عنه فاذا الجبن والجراة غرائز ولا ينفع اليقين معها فهي احدى الاسباب التي تضاد حال التوكل كما ان ضعف النفس بالخصال الاربع احد الاسباب فاذا اجتمعت هذه الاسباب حصلت الثقة بالله عز وجل وقد قيل مكتوب في التوراة ملعون من ثقته انسان مثله وقد قال صلى الله عليه وسلم من اعتز بالعبيد اذله الله تعالى فاذا انكشف معنى التوكل وعلمت الحالة التي سميت توكلا فاعلم ان تلك الحالة لها في القوة والضعف ثلاث درجات **الدرجة الاولى** ما ذكرناه وهو ان يكون حاله في حق الله تعالى والثقة بكفالته وعنايته كحاله في الثقة بالوكيل **الثانية** وهي اقوى ان يكون حاله مع الله تعالى كحال الطفل في حق امه فانه لا يعرف غيرها ولا يفزع الى سواها ولا يعتمد الا اياها فان راها تعلق في كل حال بذيلها ولم يخلها وان نابه امر في غيبتها كان اول سابق الى لسانه يا اماه واول خاطر يخطر على قلبه امه فانها مفزعه فانه قد وثق بكفالتها وكفايتها وشفقتها ثقة ليس خاليا عن نوع ادراك بالتمييز الذي له ويظن انه طبع من حيث ان الصبي لو طولب بتفصيل هذه الخصال لم يقدر على تحقيق لفظه ولا على احضاره مفصلا في ذهنه ولكن كل ذلك وراء الادراك فمن كان باله الى الله تعالى واعتماده عليه كلف به كما يكلف الصبي بامه فيكون متوكلا حقا فان الطفل متوكل على امه و الفرق بين هذا وبين الاول ان هذا متوكل وقد فني في توكله عن توكله اذ ليس يلتفت قلبه الى التوكل و حقيقته بل الى المتوكل عليه فقط فلا مجال في قلبه لغير المتوكل عليه واما الاول فيتوكل بالتكلف والكسب وليس فانيا عن توكله لان له التفاتا الى توكله وشعورا به وذلك شغل صارف عن ملاحظة المتوكل عليه وحده والى هذه الدرجة اشار سهل حيث سئل عن التوكل ما ادناه قال ترك الاماني قيل واوسطه قال ترك الاختيار وهو اشارة الى الدرجة الثانية وسئل عن اعلاه فلم يذكره وقال لا يعرفه الا من بلغ اوسطه والله اعلم **الثالثة** وهي اعلاها ان يكون بين يدي الله تعالى في حركاته وسكناته مثل الميت بين يدي الغاسل لا يفارقه الا في انه يرى نفسه ميتا تحركه القدرة الازلية كما تحرك يد الغاسل الميت وهو الذي قوي

يقينه بانه مجرى للحركة والقدرة والارادة والعلم وسائر الصفات وان الكل يحدث جبرا فيكون بائنا عن الانتظار لما يجري عليه ويفارق الصبي فان الصبي يفزع الى امه ويصيح ويتعلق بذيلها ويعدو خلفها بل هو مثل صبي علم انه وان لم يفزع الى امه فالام تطلبه وانه ان لم يتعلق بذيل امه فالام تحمله وانه ان لم يسالها اللبن فالام تفاتحه وتسقيه وهذا المقام في التوكل يثمر ترك الدعاء والسؤال منه ثقة بكرمه وعنايته وانه يعطي ابتداء افضل مما يسال فكم من نعمة ابتداها قبل الدعاء وقبل الاستحقاق والمقام الثاني لا يقتضي ترك الدعاء والسؤال منه وانما يقتضي ترك السؤال من غيره فقط **فان قلت** فهذه الاحوال هل يتصور وجودها فاعلم ان ذلك ليس بمحال ولكنه عزيز نادر والمقام الثاني والثالث اعزها والاول اقرب الى الامكان ثم اذا وجد الثالث والثاني فدوامه ابعد منه بل يكاد لا يكون المقام الثالث في دوامه الا كصفرة الوجل فان انبساط القلب الى ملاحظة الحول والقوة والاسباب طبع وانقباضه عارض كما ان انبساط الدم عن ظاهر البشرة الى الباطن حتى يختفي عن ظاهر البشرة الحمرة كما ان انبساط الدم الى جميع الاطراف طبع وانقباضه عارض والوجل عبارة عن انقباض الدم عن ظاهر البشرة الى الباطن حتى يختفي عن ظاهر البشرة الحمرة التي كانت تتراءى من وراء الرقيق من ستر البشرة فان البشرة ستر رقيق تتراءى من ورائه حمرة الدم وانقباضه يوجب الصفرة وذلك لا يدوم وكذلك انقباض القلب بالكلية عن ملاحظة الحول والقوة وسائر الاسباب الظاهرة لا يدوم والمقام الثاني يشبه صفرة المحموم فانه قد يدوم يوما ويومين والثالث يشبه صفرة مريض استحكم مرضه فلا يبعد ان يدوم ولا يبعد ان يزول فان قلت فهل يبقى مع العبد تدبير وتعلق بالاسباب في هذه الاحوال فاعلم ان المقام الثالث ينفي التدبير راسا ما دامت الحالة باقية بل يكون صاحبها كالمبهوت كتدبير الطفل في التعلق بامه فقط و المقام الاول لا ينفي اصل التدبير والاختيار ولكن ينفي بعض التدبيرات كالمتوكل على وكيله في الخصومة فانه يترك تدبيره من جهة غير الوكيل ولكن لا يترك التدبير الذي اشار عليه وكيله به والتدبير الذي عرفه من عادته وسنته دون صريح اشارته فاما الذي يعرفه باشارته فان يقول لست اتكلم الا في حضرتك فيشتغل لا محالة بالتدبير للحضور ولا يكون هذا مناقضا توكله عليه اذ ليس هو فزعا منه الى حول نفسه وقوته في اظهار الحجة ودفع الخصم بل من تمام توكله عليه ولا معتمد له عليه في قوله الحاضر لقوله واما العلم من عادته واطراد سنته فهو ان يعلم من عادته انه لا يحاج الخصم الا من السجل فمن تمام توكله ان كان متوكلا عليه ان يكون معولا على سنته وعادته ووفيا بمقتضاها وهو ان يحمل السجل مع نفسه اليه عند مخاصمته فاذا لا يستغني عن التدبير في الحضور وعن التدبير في احضار السجل ولو ترك شيئا من ذلك كان نقصانا في توكله فكيف يكون فعله نقصانا فيه نعم بعد ان حضر وفقا باشارته واحضر السجل وفقا بسنته وعادته وقعد ناظرا الى محاجته فقد ينتهي الى المقام الثاني والثالث في حضوره حتى يبقى كالمبهوت المستغرق لا يفزع الى حوله وقوته وفي الحضور واحضار السجل باشارة الوكيل وسنته وقد استرسل هو بنهاية طمانينة النفس والثقة بالوكيل والانتظار لما يجري فاذا تاملت هذا اندفع عنك كل اشكال في التوكل وفهمت انه ليس من شرط التوكل ترك كل تدبير وعمل فان كان تدبير وعمل لا يجوز اتباعا للتوكل بل هو على اقسام وسياتي تفصيله في الاعمال فاذا فزع الموكل الى حوله وقوته في الحضور والاحضار لا يناقض التوكل لانه يعلم انه لولا الوكيل لكان حضوره واحضاره باطلا وتعبا محضا بلا جدوى فاذا لم يره مفيدا من حيث انه حوله وقوته بل من حيث ان الوكيل جعله معتمدا لمحاجته وعرف ذلك باشارته وسنته فاذا لا حول ولا قوة الا بالوكيل الا ان هذه الكلمة لا يكمل معناها في حق الوكيل لانه ليس خالق حوله وقوته بل هو جاعلها مفيدين في انفسهما لم يكونا مفيدين الا بفعلها وخلقه الافادة

فيهما وانما يصدق ذلك في حق الوكيل الحق وهو الله تعالى اذ هو خالق الحول والقوة كما سبق في التوحيد وهو
الذي جعلهما متيقنين اذ جعلهما شرطين لما يستخلفه بعدهما من الفوائد والمقاصد فاذاً لا حول ولا قوة
الا بالله حقا صدقا فمن شاهد هذا كذلك كان له الثواب العظيم الذي وردت به الاخبار فيمن يقول لا حول
ولا قوة الا بالله وذلك قد يستبعد فيقال كيف يعطى هذا الثواب كله بهذه الكلمة مع سهولتها على اللسان
وسهولة اعتقاد القلب لمفهوم لفظها وهيهات فانما ذلك جزاء على هذه المشاهدة التي ذكرناها في التوحيد
ونسبة هذه الكلمة وثوابها الى كلمة لا اله الا الله وثوابها كنسبة معنى احداهما الى الاخرى اذ في هذه الكلمة
اضافة شيئين الى الله تعالى فقط وهو الحول والقوة واما كلمة لا اله الا الله فهي نسبة الكل اليه فانظر الى
التفاوت بين الكل وبين شيئين لتعرف به ثواب لا اله الا الله وبالاضافة الى هذا وكما ذكرنا من تفاوت
التوحيد قشران ولبان فكذلك في هذه الكلمة وسائر الكلمات واكثر الخلق قيدوا بالقشرين وما نظروا
الى اللبين والى اللبين الاشارة بقوله عليه السلام من قال لا اله الا الله صادقا مخلصا وجبت له الجنة وحيث
اطلق من غير ذكر الصدق والاخلاص اراد بالمطلق المقيد كما اضاف المغفرة الى الايمان والعمل الصالح في
بعض المواضع واضاف الى مجرد الايمان في بعض المواضع والمراد به المقيد بالعمل الصالح فلذلك لا ينال بالحديث
وحركة اللسان حديث وعقد القلب ايضا حديث ولكنه حديث نفسي وانما الصدق والاخلاص وراءهما
ولا ينصب سرادق الملك الا للمقربين وهم المخلصون نعم لمن يقرب منهم في الرتبة من اصحاب اليمين ايضا درجات
عند الله ولكن لا ينتهي الى الملك اما ترى ان الله تبارك وتعالى لما ذكر في سورة الواقعة المقربين السابقين
نعتهم بنعت الملك فقال على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين ولما انتهى الى ذكر اصحاب اليمين ما زاد
على ذكر السدر والطلح والفواكه والاشجار والحور العين وكل ذلك لذة المنظور والمشروب والماكول والمنكوح
ويتصور ذلك للبهائم على الدوام واين لذة البهائم من لذة الملك والنزول في اعلى عليين في جوار رب العالمين ولو كان
لهذه اللذات قدر لما وسع على البهائم ولما رفع عنها درجة الملائكة افترى ان حال البهائم وهي مسيبة في الرياض
متنعمة بالماء والاشجار واصناف الماكولات متمتعة بالتزاوج والسفاد اعلى وانفس واجدر بان
يكون غبطة عند ذوي الكمال من احوال الملائكة في سرورهم بالقرب من جوار الله تعالى في اعلى عليين هيهات
هيهات ما للعبد بين يكون عن التفصيل من اذا خير بين ان يكون حمارا او ان يكون في درجة جبريل عليه السلام فيختار
درجة الحمار على درجة جبريل ولسنا نخفي ان شبه كل شيء منجذب اليه وان النفس التي تدعوها الى صنعة الاساكفة
اكثر من تدعوها الى صنعة الكتابة فهو بالاساكفة اشبه في جوهره منه بالكتابة فكذلك من تدعوه نفسه الى
نيل لذات البهائم اكثر من تدعوه الى نيل لذات الملائكة فهو بالبهائم اشبه منه بالملائكة لا محالة وهؤلاء هم
الذين يقال فيهم اولئك كالانعام بل هم اضل وانما كانوا اضل لان البهائم ليس في قوتها طلب درجة الملائكة
وتركها الطلب العجز عنها واما الانسان ففي قوته ذلك والقادر على نيل درجة الكمال اولى بالذم واجدر بالنسبة
الى الضلال مهما امتنع عن طلب الكمال واذا كان هذا كلاما معترضا فلنرجع الى المقصود فقد بينا معنى قول
لا اله الا الله ومعنى قول لا حول ولا قوة الا بالله ومن ليس قائلا لهما عن مشاهدة فلا يتصور منه حال التوكل
فان قلت ليس في قولك لا حول ولا قوة الا بالله نسبة شيء الى الله فلو قال افعال السموات والارض
خلق الله فهل يكون ثوابه مثل ثوابه قلنا لا لان الثواب على قدر درجة الثناء ولا مساواة بين الدرجتين
ولا تنظر الى عظم السماء والارض وصغر الحول والقوة اذ كلاهما وصفهما بالصغر جنون فليست الامور
بعظم الاشخاص بل كل عامي يفهم ان السموات والارض ليست من جهة الادميين فهي من الله فاما الحول والقوة

فقد اشكل امرهما على المعتزلة والفلاسفة وطوائف كثيرة ممن يدعي انه يدقق في الرأي والمعقول حتى
يكاد يشق الشعر بحدة نظره فهي مهلكة مخطرة ومزلة عظيمة هلك فيها الغافلون اذ ابقوا لانفسهم
اثرا وهو شرك في التوحيد واثبات خالق غير الله تعالى الله عن قولهم فمن جاوز هذه العقبة بتوفيق
الله اياه فقد عظمت رتبته وعظمت درجته فهو الذي يصدق بقوله لا حول ولا قوة الا بالله وقد
ذكرنا انه ليس في التوحيد الا عقبات اثنتان **احدهما** النظر الى السماء والارض والشمس والقمر
والنجوم والمطر وسائر الجمادات **والثانية** النظر الى اختيار الحيوانات وهي اعظم العقبتين
واخطرهما وكانه كمال سر التوحيد فلذلك عظم ثواب هذه الكلمة اعني ثواب المشاهدة التي
هذه الكلمة ترجمتها فاذا رجع حال التوكل الى التبري من الحول والقوة والتوكل على الواحد الحق
وسيتضح ذلك ان شاء الله تعالى عند ذكرنا تفصيل اعمال التوكل **بيان ما قاله الشيوخ في
احوال التوكل** لتتبين انها لا تخرج عما ذكرناه ولكن كل واحد منهم قد اشار الى بعض الاحوال
فقد سأل ابو موسى الديلي قال قلت لابي يزيد ما التوكل فقال ما تقول انت قلت ان اصحابنا يقولون
لو ان السباع والافاعي عن يمينك ويسارك ما تحرك لذلك سرك فقال ابو يزيد نعم هذا قريب
ولكن لو ان اهل الجنة في الجنة يتنعمون واهل النار في النار يعذبون ثم وقع لك تمييز بينهما خرجت
من جملة التوكل فما ذكره ابو موسى فهو خبر عن اعلى احوال التوكل وهو المقام الثالث وما ذكره ابو يزيد
عبارة عن عز انواع العلم الذي هو من اصول التوكل وهو العلم بالحكمة وانه ما فعله الله فانما فعله
بالواجب فلا يتميز من اهل النار واهل الجنة بالاضافة الى اصل العدل والحكمة وهذا اغمض انواع العلم
وغداه سر القدر وابو يزيد قل ما كان يتكلم الا عن اعلى المقامات واقصى الدرجات وليس من شرط التوكل الاحتراز
عن الحيات شرطا في المقام الاول من التوكل فقد احترز ابو بكر الصديق رضي الله عنه في الغار اذ سد
منافذ الحيات الا ان يقال فعل ذلك بيده ولم يتغير بسببه سره او يقال فعل ذلك في حق رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا في حق نفسه وانما يزول التوكل بركوب سره وتغيره لامر يرجع الى نفسه والنظر في هذا
مجال وذلك سيأتي ان شاء الله ذلك وذكر منه لا يناقض التوكل فان حركة السر من الحيات هو الخوف وحق التوكل
ان يخاف مسلط الحيات اذ لا حول للحيات ولا قوة لها الا بالله وان احترز لم يكن توكله على تدبيره وحوله
وقوته في الاحتراز بل على خالق الحول والقوة والتدبير وسئل ذو النون المصري عن التوكل فقال
خلع الارباب وقطع الاسباب وخلع الارباب اشارة الى علم التوحيد وقطع الاسباب اشارة الى
الاعمال وليس فيه تعرض بصريح الحال وان كان اللفظ يتضمنه فقيل له زدنا فقال القاء النفس في
التوحيد في العبودية واخراجها من الربوبية وهذا اشارة الى التبري من الحول والقوة فقط وسئل
حمدون عن التوكل فقال ان كان لك عشرة آلاف درهم وعليك دانق دين لم تأمن ان تموت ويبقى ذلك
في عنقك ولو كان عليك عشرة آلاف درهم دين من غير ان تترك لها وفاء لا تيأس من الله عز وجل ان يقضيها
عنك وهذا اشارة الى مجرد الايمان بسعة القدرة وان في التقدير اسبابا خفية سوى هذه الاسباب
الظاهرة وسئل ابو عبد الله القرشي عن التوكل فقال التعلق بالله في كل حال فقال السائل زدني فقال
ترك كل سبب يوصل الى سبب حتى يكون الحق هو المتولي لذلك فالاول عام للمقامات الثلاث والثاني
اشارة الى المقام الثالث خاصة وهو مثل توكل ابراهيم صلى الله عليه وسلم اذ قال له جبريل عليه السلام
ألك حاجة فقال اما اليك فلا اذ كان سؤاله سببا يفضي الى سبب وهو حفظ جبريل له فترك

نفسه بان الله تعالى اذا اراد سخر جبريل لذلك فيكون هو المتولي لذلك وهذه حال يتصور ان يغيب عن
نفسه بالله فلم يبق معه غيره وهو حال عزيز في نفسه ودوامه ان وجد ابعد منه واعز وقال
ابو سعيد الخراز التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب ولعله اشار الى المقام الثاني فسكونه
بلا اضطراب اشارة الى سكون القلب الى الوكيل وثقته به واضطرابه بلا سكون اشارة الى فزعه اليه
وابتهاله وتضرعه بين يديه كاضطراب الطفل بيديه الى امه وسكون قلبه وحضوره الى تمام شفقتها
وقال ابو علي الدقاق التوكل ثلاث درجات التوكل ثم التسليم ثم التفويض فالمتوكل يسكن الى وعده
والمسلم يكتفي بعلمه وصاحب التفويض يرضى بحكمه وهذه اشارة الى تفاوت درجات نظره بالاضافة
الى المنظور اليه فان العلم هو الاصل والوعد يتبعه والحكم يتبع الوعد ولا يبعد ان يكون الغالب
على قلب المتوكل ملاحظة شيء من ذلك والشيوخ في التوكل اقاويل سوى ما ذكرناه فلا نطول بنقلها فان
الكشف انفع من الرواية والنقل فهذا ما ينبغي ان يتعلق بحال التوكل

بيان اعمال المتوكلين

اعلم ان العلم يورث الحال والحال يثمر الاعمال وقد يظن ان معنى التوكل ترك الكسب بالبدن وترك
التدبير بالقلب والسقوط على الارض كالخرقة الملقاة وكاللحم على الوضم وهذا ظن الجهال فان
ذلك حرام في الشرع والشرع قد اثنى على المتوكلين فكيف ينال مقام من مقامات الدين بمحظورات الدين بل
نكشف الغطاء عنه ونقول انما يظهر تاثير التوكل في حركة العبد وسعيه بعمله الى مقاصده وسعي
العبد باختياره اما ان يكون لاجل جلب نافع هو مفقود عنده كالكسب او لحفظ نافع هو موجود عنده
كالادخار او لدفع ضار لم ينزل به كدفع الصائل والسارق والسباع او لازالة ضار قد نزل به كالتداوي
من المرض فمقصود حركات العبد لا تعدو هذه الفنون الاربعة وهو جلب نافع او حفظه او دفع الضار
او قطعه فلنذكر شروط التوكل ودرجاته في كل واحدة منها مقرونا بشواهد الشرع

الفن الاول

في جلب النافع فنقول فيه الاسباب التي بها يجلب النافع على ثلاث درجات مقطوع به ومظنون ظنا
يوثق به وموهوم وهما لا تثق النفس به ثقة تامة ولا تطمئن اليه

الدرجة الاولى

المقطوع به وذلك مثل الاسباب التي ارتبطت المسببات بها بتقدير الله تعالى ومشيئته ارتباطا
مطردا لا يختلف كما اذا كان الطعام موضوعا بين يديك وانت جائع محتاج ولكنك لست تمد اليد
اليه وتقول انا متوكل وشرط التوكل ترك السعي ومد اليد اليه سعي وحركة وكذلك مضغه بالاسنان
وابتلاعه باطباق اعالي الحنك على اسافله فهذا جنون محض وليس من التوكل في شيء فانك ان انتظرت ان
يخلق الله فيك شبعا دون الخبز او يخلق في الخبز حركة اليك او يسخر ملكا ليمضغه ويوصله
الى معدتك فقد جهلت سنة الله تعالى وكذلك لو لم تزرع الارض وطمعت في ان يخلق الله نباتا
من غير بذر او تلد زوجتك من غير وقاع كما ولدت مريم فكل ذلك جنون وامثال هذا مما يكثر ولا يمكن
احصاؤه فليس التوكل في هذا المقام بالعمل بل بالعلم والحال اما العلم فهو ان تعلم ان الله خالق الطعام
واليد والاسنان وقوة الحركة وانه الذي يطعمك ويسقيك واما الحال فهو ان يكون سكون القلب
واعتماده على فضل الله تعالى لا على اليد والطعام وكيف تعتمد على صحة يدك وربما تجف في الحال
وكيف تعول على قدرتك وربما يطرأ عليك في الحال ما يزيل عقلك ويبطل قوة حركتك
وكيف تعول على حضور الطعام وربما يسلط الله عليك من يغلبك عليه او يبعث حية تزعجك
عن مكانك وتفرق بينك وبين طعامك فاذا احتمل امثال ذلك ولم يكن لها علاج الا بفضل الله

فبذلك فليفرح المتوكل فاذا كان هذا حاله وعلمه فليمد اليد فانه متوكل

الدرجة الثانية

الاسباب التي ليست متيقنة لكن الغالب ان المسببات لا تحصل دونها وكان احتمال حصولها دونها بعيدا كالذي
يفارق الامصار والقوافل ويسافر في البوادي فهذا ليس من شرط التوكل بل استصحاب الزاد في البوادي سنة
الاولين ولا يزول التوكل به بعد ان يكون الاعتماد على فضل الله لا على الزاد كما سبق ولكن فعل ذلك جائز وهو من
اعلى مقامات التوكل ولذلك كان يفعله الخواص فان قلت فهذا سعي في الهلاك والقاء النفس في التهلكة فاعلم ان
ذلك يخرج عن كونه حراما بشرطين احدهما ان يكون الرجل قد راض نفسه وجاهدها وسواها على الصبر عن
الطعام اسبوعا او ما يقاربه بحيث يصبر عنه من غير ضيق قلب وتشوش خاطر وتعذر في ذكر الله تعالى
والثاني ان يكون بحيث يقوى على التقوت بالحشيش وما يتفق من الاشياء الخسيسة فبعد هذين الشرطين
لا يخلو في غالب الامر في البوادي في كل اسبوع من ان يلقاه آدمي او ينتهي الى محلة او قرية او الى حشيش يزجي
به وقته فيحيى به مجاهدا لنفسه والمجاهدة عماد التوكل وعلى هذا كان يعول الخواص ونظراؤه من المتوكلين والدليل
على ان الخواص كان لا يفارقه الابرة والمقراض والحبل والركوة ويقول هذا لا ينقص من التوكل وسببه انه علم ان
البوادي لا يكون الماء فيها على وجه الارض وما جرت سنة الله بصعود الماء اليه بغير دلو وحبل ولا يغلب وجود
الحبل والدلو في البوادي كما يغلب وجود الحشيش بها والماء يحتاج اليه لوضوئه كل يوم مرات ولعطشه كل يوم او
يومين فان المسافر مع حرارة الحر لا يصبر عن الماء وان صبر عن الطعام ويكون له ثوب واحد وربما يتخرق فتنكشف
عورته ولا يوجد المقراض والابرة في البوادي غالبا عند كل صلاة ولا يقوم مقامهما في الخياطة والقطع شيء مما يوجد في
البوادي وكل ما في معنى هذه الاربعة ايضا يلتحق بالدرجة الاولى لانه مظنون ظنا ليس مقطوعا به لانه يحتمل ان لا
يتخرق الثوب او يعطيه انسان ثوبا او يجد على البئر من يسقيه ولا يحتمل ان يتحرك الطعام ممضوغا الى فيه
فبين الدرجتين فرق ولكن الثاني في معنى الاول وهذا يقول لو انحاز الى شعب من شعاب الجبال حيث لا ماء
ولا حشيش ولا يطرقه طارق فيه وجلس متوكلا فهو آثم به ساع في اهلاك نفسه كما روي ان زاهدا من الزهاد
فارق الامصار واقام في سفح جبل سبعا وقال لا اسال احدا شيئا حتى ياتيني ربي برزقي فقعد سبعا وكاد يموت
ولم ياته رزق فقال يا رب ان احييتني فأتني برزقي الذي قسمت لي والا فاقبضني اليك فاوحى الله اليه وعزتي
لا ارزقنك حتى تدخل الامصار وتقعد بين الناس فدخل المصر واقام فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب فاكل و
شرب فاوجس في نفسه من ذلك فاوحى اليه اردت ان تذهب حكمتي بزهدك في الدنيا اما علمت اني ان ارزق
عبدي بايدي عبادي احب الي من ان ارزقه بيد قدرتي فاذا التباعد عن الاسباب كلها مراغمة للحكمة
وجهل بسنة الله تعالى والعمل بموجب سنة الله تعالى مع الاتكال على الله دون الاسباب لا يناقض التوكل
كما ضربناه مثلا في الوكيل بالخصومة من قبل ولكن الاسباب تنقسم الى ظاهرة والى خفية فمعنى التوكل في
الاكتفاء بالاسباب الخفية عن الاسباب الظاهرة مع سكون النفس الى مسبب الاسباب لا الى السبب
فان قلت فما قولك في القاعد في البلد بغير كسب اهو حرام ام مباح او مندوب اليه فاعلم ان ذلك ليس بحرام
لان صاحب البادية اذا لم يكن مهلكا نفسه فهذا كيف كان مهلكا نفسه حتى يكون فعله حراما بل لا يبعد
ان ياتيه الرزق من حيث لا يحتسب ولكن قد يتاخر عنه والصبر ممكن الى ان يتفق ولكن لو اغلق باب
البيت على نفسه بحيث لا طريق لاحد عليه ففعله ذلك حرام وان فتح باب البيت وهو بطال غير
مشتغل بعبادة فالكسب والخروج له اولى ولكن ليس فعله حراما الا ان يشرف على الموت فعند ذلك يلزمه
الخروج والسؤال والكسب وان كان مشغول القلب بالله تعالى غير مستشرف الى الناس ولا متطلع الى من يدخل

من الباب عليه ويأتيه برزق بل يطلعه الى فضل الله تعالى واشتغاله بالله فهو افضل وهو من مقامات
التوكل وهو ان يشتغل بالله ولا يهتم برزقه فان الرزق يأتيه لا محالة وعند هذا يصح ما قاله بعض
العلماء وهو ان العبد لو هرب من رزقه لطلبه كما لو هرب من الموت لادركه وانه لو سأل الله تعالى ان لا يرزقه
لما استجاب له وكان عاصيا ولقال له يا جاهل كيف اخلقك ولا ارزقك ولهذا قال ابن عباس رضي
الله عنهما اختلف الناس في كل شيء الا في الرزق والاجل فانهم اجمعوا ان لا رازق ولا مميت الا الله تعالى وقال صلى الله
عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ولزالت بدعائكم الجبال
وقال عيسى عليه السلام انظروا الى الطير لا تزرع ولا تحصد ولا تدخر والله تعالى يرزقها يوما بيوم فان
قلتم نحن اكبر بطونا فانظروا الى الانعام كيف قيض الله لها هذا الخلق وقال ابو يعقوب السوسي المتوكلون
تجري ارزاقهم على ايدي العباد بلا تعب منهم وغيرهم مشغولون مكدودون وقال بعضهم العبيد
كلهم في رزق الله ولكن بعضهم يأكل بذل كالسؤال وبعضهم بتعب وانتظار كالتجار وبعضهم
بامتهان كالصناع وبعضهم بعز كالصوفية يشهدون العزيز فيأخذون رزقهم من يده ولا يرون
الواسطة **الدرجة الثالثة** ملابسة الاسباب التي يتوهم افضاؤها الى المسببات من غير
ثقة ظاهرة كالذي يستقصي في التدبيرات الدقيقة في تفصيل الاكتساب ووجوهه وذلك يخرج بالكلية عن
درجات التوكل كلها وهو الذي الناس فيه كلهم اعني من يكتسب بالحيل الدقيقة اكتسابا مباحا لمال مباح
فاما اخذ الشبهة او اكتساب بطريق فيه شبهة فذلك غاية الحرص على الدنيا والاتكال على الاسباب
ولا يخفى ان ذلك يبطل التوكل وهي مثل الاسباب التي نسبتها الى جلب المنافع مثل الرقية والطيرة
والكي بالاضافة الى ازالة المضار فان النبي صلى الله عليه وسلم وصف المتوكلين بذلك ولم يصفهم بانهم
لا يكتسبون ولا يسكنون الامصار ولا يأخذون من احد شيئا بل وصفهم بذلك واشباه هذه الاسباب التي
لا يوثق بها في المسببات مما يكثر فلا يمكن احصاؤها وقال سهل في التوكل انه ترك التدبير وقال ان الله
تعالى خلق الخلق ولم يحجبهم عن نفسه وانما حجابهم تدبيرهم ولعله اراد به استنباط الحيل البعيدة بالفكر
فهي التي تحتاج الى التدبير دون الاسباب الجلية فاذا ظهر ان الاسباب منقسمة الى ما يخرج التعلق
بها من التوكل والى ما لا يخرج وان الذي لا يخرج ينقسم الى المقطوع به والى المظنون وان المقطوع لا يخرج عن التوكل
عند وجود حال التوكل وعلمه وهو الاتكال على مسبب الاسباب فالتوكل فيها بالحال والعلم لا بالعمل فاما
المظنونات فالتوكل فيها بالحال والعلم والعمل جميعا والمتوكلون في ملابسة هذه الاسباب على ثلاث
مقامات **الاول** مقام الخواص ونظرائه وهو الذي يدور في البوادي بغير زاد ثقة بفضل الله عليه في
تقويته على الصبر اسبوعا فما فوقه او تيسير حشيش له او قوت او تثبيته على الرضا بالموت ان لم يتيسر شيء من ذلك
فان الذي يحمل الزاد قد يفقد زاده او يضل بعيره ويموت جوعا فذلك ممكن مع الزاد كما انه ممكن مع
فقده **المقام الثاني** ان يقعد في بيته او مسجده ولكنه في القرى والامصار وهذا اضعف من الاول
ولكنه ايضا متوكل لانه تارك للكسب والاسباب الظاهرة معول على فضل الله في تدبير امره من جهة الاسباب
الخفية ولكنه بالقعود في الامصار متعرض لاسباب الرزق فان ذلك من الاسباب الجلية الا ان ذلك لا يبطل
توكله اذ كان نظره الى الذي يسخر له سكان البلد لايصال رزقه اليه الا ان سكان البلد لو تصدوا ان يغفلوا
جميعهم عنه ويضيعوه لولا فضل الله بتعريفهم وتحريك دواعيهم **المقام الثالث**
ان يخرج ويكتسب اكتسابا على الوجه الذي ذكرناه في الباب الثالث والرابع من كتاب اداب الكسب وهذا

السعي ايضا لا يخرجه عن مقامات التوكل اذا لم تكن طمأنينة نفسه الى كفايته وقوته وجاهه وبضاعته
فان ذلك ربما يهلكه الله جميعا في لحظة بل يكون نظره الى الكفيل الحق بحفظ جميع ذلك وتيسير
اسبابه له بل يرى كسبه وبضاعته وكفايته بالاضافة الى قدرة الله تعالى كما يرى القلم في يد الملك
الموقع فلا يكون نظره الى القلم بل الى قلب الملك انه بماذا يتحرك والى ماذا يميل وبم يحكم ثم ان كان هذا
المكتسب مكتسبا لعياله او ليفرق على المساكين فهو ببدنه مكتسب وبقلبه عنه منقطع فحال هذا ارفع
من حال القاعد في بيته والدليل على ان المكتسب لا ينافي حال التوكل اذا روعيت فيه الشروط وانضاف
اليه الحال والمعرفة كما سبق ان الصديق رضي الله عنه لما بويع بالخلافة اصبح واخذ الاثواب تحت
حضنه ودخل السوق ينادي حتى كرهه المسلمون وقالوا كيف تفعل ذلك وقد اقمت لخلافة النبوة
فقال لا تشغلوني عن عيالي فاني ان اضعتهم كنت لما سواهم اضيع حتى فرضوا له قوت اهل بيته
من مال المسلمين فلما رضوا بذلك رأى مساعدتهم وتطييب قلوبهم واستغراق الوقت بمصالح المسلمين
فلما رضوا بذلك اولى به ويستحيل ان يقال لم يكن الصديق رضي الله عنه في مقام التوكل فمن اولى بهذا
المقام منه فدل انه كان متوكلا لا باعتبار ترك الكسب والسعي بل باعتبار قطع الالتفات الى قوته
وكفايته والعلم بان الله تعالى ميسر الاسباب ومدبرها وبشروط الاسباب كان يراعيها في
طريق الكسب من الاكتفاء بقدر الحاجة من غير استكثار وتفاخر وادخار ومن غير ان يكون درهمه
احب اليه من درهم غيره فمن دخل السوق ودرهمه احب اليه من درهم غيره فهو حريص على الدنيا ومحب لها
ولا يصح التوكل الا مع الزهد في الدنيا نعم يصح الزهد دون التوكل فان التوكل مقام وراء الزهد وقال ابو جعفر
الحداد وهو شيخ الجنيد وكان من المتوكلين اخفيت التوكل عشرين سنة وما فارقت السوق كنت اكتسب
في كل يوم دينارا ولا ابيت منه دانقا ولا استريح منه الى قيراط ادخل به الحمام بل اخرجه كله قبل الليل وكان
الجنيد لا يتكلم في التوكل بحضرته وكان يقول استحي ان اتكلم في مقامه وهو حاضر عندي واعلم ان الجلوس
في الربطات والصوامع مع المعلوم بعيد من التوكل وان لم يكن معلوم ووقف وامر الخادم بالخروج لم يصح
معه التوكل الا على ضعف ولكن يقوى بالحال والعلم كتوكل المكتسب وان لم يسأل بل قنع بما يحمل
اليهم فهذا اقوى في توكلهم ولكن بعدما اشتهر القوم بذلك فقد صار سوقا فهو كدخول السوق
ولا يكون داخل السوق متوكلا الا بشروط كثيرة كما سبق **فان قلت** فما الافضل ان يقعد
في بيته او يخرج ويكتسب فاعلم انه ان كان يتفرغ بترك الكسب لفكر وذكر واخلاص واستغراق وقت
بالعبادة وكان الكسب يشوش عليه ذلك وهو مع هذا لا يتشوف ولا تتشوف نفسه الى الناس في
انتظار من يدخل عليه فيحمل اليه شيئا بل يكون قوي القلب في الصبر والاتكال على الله تعالى فالقعود
له اولى وان كان يضطرب قلبه في البيت ويستشرف الى الناس فالكسب اولى لان استشراف
القلب الى الناس سؤال بالقلب وتركه اهم من ترك الكسب وما كان المتوكلون يأخذون ما تستشرف اليه
نفوسهم وكان احمد بن حنبل امر ابا بكر المروزي ان يعطي بعض الفقراء شيئا فضلا عما كان استأجره عليه
فرده فلما ولى قال له احمد الحقه واعطه فانه يقبل فلحقه واعطاه فاخذه فسأل احمد بن حنبل عن ذلك
فقال كان قد استشرفت نفسه فرد فلما خرج انقطع طمعه وايس فاخذ وكان الخواص اذا نظر
الى عبد في العطاء يخاف اعتياد النفس ذلك لم يقبل منه شيئا وقال الخواص بعد ان سئل عن اعجب
ما رآه في اسفاره فقال رأيت الخضر وهو يصحبني ولكنه فارقته خشية ان تسكن نفسي اليه فيكون

نتصاني متوكلي فاذا المكتسب راعي اداب الكسب وشروط نيته كما سبق في كتاب الكسب ولم يقصد الاستكثار
ولم يكن اعتماده على بضاعته وكفايته كان متوكلا فان قلت فما علامة عدم اتكاله على البضاعة و
الكفاية فاقول علامته ان سرقت بضاعته او خسرت تجارته او تعوق امر من اموره كان راضيا به ولم يبطل
طمانينته ولم يضطرب قلبه بل كان حال قلبه في السكون قبله وبعده واحدا فان من لم يركن الى شيء
لم يضطرب لفقده ومن اضطرب لفقده فقد سكن اليه وكان بشر يعمل المغازل فتركها وذلك ان السري
البغلسي كاتبه يقول بلغني انك استغنيت على رزقك بالمغازل ارايت ان اخذ الله سمعك وبصرك الرزق
على من فوقع ذلك في قلبه فاخرج آلة المغازل عن يده وقيل تركها لما نهيت باسمه وقصد لاجلها وقيل
فعل ذلك لما مات عياله فرتها فان قلت كيف يتصور ان يكون له بضاعة ولا يسكن اليها وهو يعلم ان
الكسب بغير بضاعة فيهم كثيرة فان الذين كثرت بضاعتهم خسرت او هلكت فيهم كثرة وان يكلف
نفسه على ان الله تعالى لا يفعل به الا ما فيه صلاحه فان اهلك بضاعته فهو خير له فلعله لو تركها
كان سببا لفساد دينه وقد لطف الله تعالى به وعليه ان يموت جوعا ينبغي ان يعتقد ان الموت
جوعا خير له في الاخرة مهما قضى الله عليه بذلك من غير تقصير من جهته فاذا كان اعتقد جميع ذلك
استوى عنده وجود البضاعة وعدمها ففي الخبر ان العبد ليهم من الليل بامر من امور التجارة مما لو فعله
لكان فيه هلاكه فينظر الله تعالى اليه من فوق عرشه فيصرفه عنه فيصبح كئيبا حزينا يتطير بجاره
وابن عمه من سبقني من دهاني وما هي الا رحمة رحمه الله بها ولذلك قال عمر رضي الله عنه لا ابالي
اصبحت غنيا او فقيرا فاني لا ادري ايهما خير لي ومن لم تتكامل ثقته بهذه الامور لم يتصور منه التوكل
ولذلك قال ابو سليمان الداراني لاحمد بن ابي الحواري لي من كل مقام نصيب الا من هذا التوكل المبارك
فاني ما شممت منه رائحة هذا كلامه مع علو قدره ولم ينكر كونه من المقامات الممكنة ولكن قال ما ادركته
ولعله اراد ادراك اقصاه وما لم يكمل الايمان بان لا فاعل الا الله ولا رازق سواه وان كل ما يقدره على
العبد من فقر وغنا وموت وحياة فهو خير له مما يتمناه العبد فلم يكمل حال التوكل فبنا التوكل
على قوة الايمان بهذه الامور كما سبق وكذلك سائر مقامات الدين من الاحوال والاعمال تنبني على اصولها
من الايمان وبالجملة التوكل مقام مفهوم ولكن يستدعي قوة القلب وقوة اليقين ولذلك قال سهل
من طعن على التكسب فقد طعن على السنة ومن طعن على ترك الكسب فقد طعن على التوحيد فان قلت
فهل من دواء ينتفع به في صرف القلب عن الركون الى الاسباب الظاهرة وحسن الظن بالله تعالى في تيسير
الاسباب الخفية فاقول نعم هو ان تعرف ان سوء الظن تلقين الشيطان وحسن الظن تلقين الله عز وجل
قال الله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا فان الانسان
بطبعه مشغوف بسماع تخويف الشيطان ولذلك قال الشفيق بسوء الظن مولع واذا انضم الى سوء
الظن الجبن وضعف القلب ومشاهدة المتكلين على الاسباب الظاهرة والباعثين عليها غلب
سوء الظن وبطل التوكل بالكلية بل رؤية الرزق من الاسباب الخفية ايضا يبطل التوكل وقد حكي عن
عابد انه عكف في مسجد ولم يكن له معلوم فقال له الامام لو اكتسبت كان افضل لك فلم يجبه حتى اعاد ثلاث
مرات فقال في الرابعة يهودي في جوار المسجد قد ضمن لي كل يوم رغيفين فقال له الامام ان كان صادقا فيما
ضمن فعكوفك في المسجد خير لك فقال يا هذا لو لم تكن اماما تقف بين يدي الله تعالى وبين العباد
مع هذا النقص في التوحيد كان خيرا لك اذ فضلت وعد يهودي على ضمان الله تعالى في الرزق وقال امام

مسجد لبعض المصلين من اين تاكل فقال يا شيخ اصبر حتى اعيد الصلاة التي صليتها خلفك واجيبك
ثم تتبع حسن الظن بمجيء الرزق من فضل الله بواسطة الاسباب الخفية بان تسمع الحكايات التي فيها
عجائب صنع الله تعالى في وصول الرزق الى صاحبه وفيها العجائب فهو الله عز وجل في اهلاك اموال التجار
والاغنياء وقتلهم جوعا كما روي عن حذيفة المرعشي وكان قد خدم ابراهيم بن ادهم فقيل له ما اعجب ما رايته
منه فقال بقينا في طريق مكة اياما لم نجد طعاما ثم دخلنا الكوفة فاوينا الى مسجد خراب فنظر الي ابراهيم
وقال يا حذيفة ارى بك الجوع فقلت هو ما راى الشيخ فقال علي بدواة وقرطاس فجئت بهما فكتب بسم الله
الرحمن الرحيم انت المقصود اليه بكل حال والمشار اليه بكل معنى انا حامد انا شاكر انا ذاكر انا جائع
انا ضائع انا عاري هي ستة وانا الضمين لنصفها فكن الضمين لنصفها يا باري مدحي لغيرك لهب نار خضتها
فاجر عبدك من دخول النار ثم دفع الي الرقعة وقال اخرج ولا تعلق قلبك بغير الله تعالى وادفع الرقعة
الى اول من يلقاك فخرجت فاول من لقيني كان رجلا على بغلة فناولته الرقعة فاخذها فلما قراها بكى وقال
ما فعل صاحب هذه الرقعة فقلت هو في مسجد كذا فدفع الي صرة فيها ستمائة دينار ثم لقيت رجلا
اخر فسالته عن راكب البغلة فقال هذا نصراني فجئت الى ابراهيم واخبرته بالقصة فقال لا تمسها فانه يجيء الساعة
فلما كان بعد ساعة دخل النصراني واكب على راس ابراهيم واسلم وقال ابو يعقوب الاقطع البصري جعت
مرة بالحرم عشرة ايام فوجدت ضعفا فحدثتني نفسي بالخروج فخرجت الى الوادي لعلي اجد شيئا يسكن
ضعفي فرايت سلجمة مطروحة فاخذتها فوجدت في قلبي منها وحشة وكان قائلا يقول لي جعت عشرة ايام فاخر
يكون حظك سلجمة متغيرة فرميت بها ودخلت المسجد فقعدت فاذا انا برجل اعجمي قد اقبل حتى
جلس بين يدي ووضع قمطرة وقال هذه لك فقلت كيف خصصتني بها فقال اعلم انا كنا في البحر منذ عشرة ايام
فاشرفت السفينة على الغرق فنذرت ان خلصني الله ان اتصدق بهذه على اول من يقع عليه بصري
من المجاورين وانت اول من لقيته فقلت افتحها ففتحها فاذا فيها سميد مصري ولوز مقشر وسكر كعاب
فقبضت قبضة من ذا وقبضة من ذا وقلت رد الباقي الى صبيانك هدية مني اليهم وقد قبلتها ثم قلت في نفسي
رزقك يسير اليك منذ عشرة ايام وانت تطلبه من الوادي وقال ممشاد الدينوري كان علي دين فاشتغل قلبي
بسببه فرايت في النوم كان قائلا يقول يا بخيل اخذت علينا هذا المقدار من الدين خذ عليك الاخذ
وعلينا العطاء فما حاسبت بعد ذلك بقالا ولا قصابا ولا غيرهم وحكي عن بنان الحمال قال كنت في طريق مكة اجيء
من مصر ومعي زاد فجاءتني امراة وقالت لي يا بنان انت حمال تحمل على ظهرك الزاد وتتوهم انه لا يرزقك قال فرميت
بزادي ثم اتى علي ثلاث ايام لم اكل فيها فوجدت خلخالا في الطريق فقلت في نفسي احمله حتى يجيء صاحبه فربما اعطاني
شيئا فارده عليه فاذا انا بتلك المراة فقالت لي انت تاجر تقول حتى يجيء صاحبه فاخذ منه شيئا ثم رمت الي
شيئا من الدراهم وقالت انفقها فاكتفيت بها الى قريب من مصر وحكي ان بنانا احتاج الى جارية تخدمه فانبسط
الى اخوانه فجمعوا له ثمنها وقالوا هو ذا يجيء النفر فنشتري ما يوافق فلما ورد النفر اجتمع رايهم على واحدة وقالوا
انها تصلح له فقالوا لصاحبها بكم هذه فقال انها ليست للبيع فالحوا عليه فقال انها لبنان الحمال اهدتها اليه
امراة من سمرقند فحملت الى بنان وذكرت له القصة وقيل كان في الزمن الاول رجل في سفر ومعه قرص فقال
ان اكلت منه يبرع فاموت فوكل الله به ملكا وقال ان اكله فارزقه وان لم ياكله فلا تعطه غيره فلم يزل القرص
معه حتى مات ولم ياكله وبقي عنده القرص وقال ابو سعيد الخراز دخلت البادية بغير زاد فاصابتني فاقة
فرايت المرحلة من بعيد فسررت باني وصلت ثم فكرت في نفسي اني سكنت الى غيره فاليت ان لا ادخل

الرحلة الا ان احمل اليها المحزن لتغنيني حبزة في الرمل ووارت حبزتي فيها ابن صدي ضعفا اصوتا في نصف
الليل عاليا يا اهل الرحلة انا لله وليا حسبي نفسه في هذا الرمل فاعينوني فجاءت جماعة فاخرجوني وحملوني الى القرية
وروي ان رجلا لازم باب عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال عمر يا هذا اهاجرت الى عمر ام الى الله اذهب
فتعلم القران فانه سيغنيك عن باب عمر فذهب الرجل وغاب حتى افتقده عمر فاذا هو قد اعتزل واشتغل
بالعبادة فجاءه عمر فقال له اني قد اشتقت اليك فما الذي شغلك عنا فقال اني قرات القران فاغناني
عن عمر وال عمر فقال عمر رحمك الله فما وجدت فيه فقال وجدت فيه وفي السماء رزقكم وما توعدون فقلت
رزقي في السماء وانا اطلبه في الارض فبكى عمر رضي الله عنه وقال صدقت فكان عمر بعد ذلك ياتيه و
يجلس عنده وقال ابو حمزة الخراساني حججت سنة من السنين فبينا انا امشي في الطريق اذ وقعت في بير
فنازعتني نفسي ان استغيث فقلت لا والله لا استغيث فما استتممت هذا الخاطر حتى مر براس البير رجلان
فقال احدهما للاخر تعال حتى نسد راس البير لئلا يقع فيه احد فاتوا بقصب وبارية وطموا راس
البير فهممت ان اصيح ثم قلت في نفسي الى من هو اقرب منهما وسكت فبينا انا بعد ساعة اذا انا بشيء جاء وكشف
عن راس البير وادلى رجله وكانه يقول تعلق بي في همهمة له كنت اعرف ذلك فتعلقت به فاخرجني من البير
فاذا هو سبع فمر وهتف بي هاتف يا ابا حمزة اليس هذا احسن نجيناك من التلف بالتلف فمشيت وانا اقول هذه
الابيات ؛ نهاني حيائي منك ان اكتم الهوى ؛ فاغنيتني بالفهم منك عن الكشف ؛ تلطفت في امري فابديت
شاهدي ؛ الى غائبي واللطف يدرك باللطف ؛ تراءيت لي بالغيب حتى كانما ؛ تبشرني بالغيب انك في الكف ؛ اراني وبي من
هيبتي لك وحشة ؛ فتؤنسني باللطف منك وبالعطف ؛ وتحيي محبا انت في الحب حتفه ؛ وذا عجب كون الحياة مع الحتف
وامثال هذه الوقائع مما يكثر واذا قوي الايمان به وانضم اليه القدرة على الجوع قدر اسبوع من غير ضيق صدر وقوي
الايمان بانه ان لم يسق اليه رزقه في اسبوع فالموت خير له عند الله ولذلك حبسه عنه تم التوكل بهذه الاحوال و
المشاهدات والا فلا يتم اصلا **بيان توكل المعيل** اعلم ان من له عيال فحكمه يفارق حكم المنفرد لانه لا يصح توكله
الا بامرين **احدهما** قدرته على الجوع اسبوعا من غير استشراف وضيق نفس والاخر ابواب من الايمان ذكرناها
من جملتها ان يطيب نفسا بالموت ان لم ياته رزقه علما بان رزقه الموت والجوع وهو وان كان نقصانا في الدنيا
فهو زيادة في الاخرة فيرى انه سيق اليه خير الرزقين وهو رزق الاخرة فبهذا يتم للمنفرد التوكل ولا يجوز تكليف
العيال الصبر على الجوع ولا يمكن ان يقرر عندهم الايمان بالتوحيد وبان الموت على الجوع رزق مغبوط عليه في
نفسه ان اتفق ذلك نادرا وكذلك سائر ابواب الايمان فاذا لا يمكنه في حقهم الا توكل المكتسب وهو المقام الثالث
كتوكل ابي بكر الصديق رضي الله عنه اذ خرج للكسب فاما سلوك البوادي وترك العيال توكلا في حقهم والقعود
عن الاهتمام بامرهم توكلا في حقهم فهذا حرام وقد يفضي الى هلاكهم ويكون هو مواخذا بهم بل التحقيق انه لا فرق
بينه وبين عياله فانه ان ساعده العيال على الصبر على الجوع مدة وعلى الاعتداد بالموت على الجوع رزقا وغنيمة
في الاخرة فله ان يتوكل في حقهم ونفسه ايضا عيال عنده ولا يجوز له ان يضيعها الا ان تساعده على الصبر على الجوع
مدة فان كان لا يطيقه ويضطرب عليه قلبه ويتشوش عليه عبادته لم يجز له التوكل ولذلك روي ان ابا تراب النخشبي
نظر الى صوفي مد يده الى قشر بطيخ ليأكله بعد ثلاثة ايام فقال له لا يصلح لك التوكل الزم السوق اي لا تصوف الا مع
التوكل ولا يصح التوكل الا لمن يصبر عن الطعام ثلاثة ايام او اكثر وقال ابو علي الروذباري اذا قال الفقير
بعد خمسة ايام انا جائع فالزموه السوق ومروه بالعمل والكسب فاذا بدنه عياله وتوكله فيما يضر ببدنه كتوكله
في عياله وانما يفارقه في شيء وهو ان له تكليف نفسه الصبر على الجوع وليس له ذلك في عياله وقد انكشف لك من

هذا ان التوكل ليس انقطاعا عن الاسباب بل الاعتماد على الصبر على الجوع مدة والرضا بالموت ان تاخر الرزق
نادرا وملازمة البلاد والامصار او ملازمة البوادي التي لا تخلو عن حشيش وما يجري مجراه فهذه كلها
اسباب البقاء ولكن مع نوع من الاذى اذ لا يمكن الاستمرار عليه الا بالصبر والتوكل في الامصار اقرب
الى الاسباب من التوكل في البوادي وكل ذلك من الاسباب الا ان الناس عدلوا الى اسباب اظهر منها فلم
يعدوا تلك اسبابا وذلك لضعف ايمانهم وشدة حرصهم وقلة صبرهم على الاذى في الدنيا لاجل
الاخرة واستيلاء الجبن على قلوبهم باساءة الظن وطول الامل ومن نظر في ملكوت السموات والارض انكشف له
تحقيقا ان الله تبارك وتعالى دبر الملك والملكوت تدبيرا لا يجاوز العبد رزقه وان ترك الاضطراب فان
العاجز عن الاضطراب لم يجاوزه رزقه اما ترى الجنين في بطن امه لما ان كان عاجزا عن الاضطراب كيف
وصل سرته بالام حتى ينتهي اليه فضلات غذاء الام بواسطة السرة ولم يكن ذلك بحيلة الجنين ثم لما انفصل
سلط الحب والشفقة على الام لتتكفل به شاءت ام ابت اضطرارا من الله لها بما اشتعل في قلبها من نار الحب
ثم لما لم يكن له سن يمضغ به الطعام جعل رزقه من اللبن الذي لا يحتاج الى المضغ ولانه لرخاوة مزاجه كان
لا يحتمل الغذاء الكثيف فادر له اللبن اللطيف في ثدي امه عند انفصاله على حسب حاجته افكان هذا بحيلة
الطفل او بحيلة الام فاذا صار بحيث يوافقه الغذاء الكثيف انبت له اسنانا قواطع وطواحن لاجل المضغ فاذا
كبر واستقل يسر له اسباب التعلم وسلوك سبيل الاخرة فجبنه بعد البلوغ جهل محض اذ ما نقصت اسباب
معيشته ببلوغه بل زادت فانه لم يكن قادرا على الاكتساب والان قد قدر فزادت قدرته نعم كان
المشفق عليه شخصا واحدا وكان يشفقه ويطعمه في اليوم مرة او مرتين وكان اطعامه بتسليط الله تعالى
الشفقة والمحبة على قلبه فكذلك قد سلط الله الشفقة والمودة والرحمة على قلوب المسلمين من
اهل البلد كافة حتى ان كل واحد منهم اذا احس بمحتاج تالم قلبه ورق عليه وانبعثت له داعية الى ازالة
حاجته فقد كان المشفق عليه واحدا والان المشفق عليه الف ونيف ولو كانوا لا يشفقون لانهم راوه في
كفالة الام وهو مشفق خاص فما راوه محتاجا ولو راوه يتيما لسلط الله داعية الرحمة على واحد من المسلمين او على
جماعة حتى ياخذوه ويكفلوه فما رئي الى الان في سني الخصب يتيم قد مات جوعا مع انه عاجز عن الاضطراب وليس
له كافل خاص والله تعالى كافله بواسطة الشفقة التي خلقها في قلوب عباده فلماذا ينبغي ان يشتغل قلبه
برزقه بعد البلوغ ولم يكن يشتغل في الصبا وقد كان المشفق عليه واحدا والان المشفق عليه الالف
نعم كانت شفقة الام اقوى واخص ولكنها واحدة وشفقة احاد الناس وان ضعفت فيخرج من
مجموعها ما يفيد الغرض فكم من يتيم قد يسر الله حاله احسن من حال من مات ابوه فينجبر ضعف شفقة الاحاد
بكثرة المشفقين وبترك التنعم والاقتصار على قدر الضرورة ولقد احسن الشاعر حيث يقول **شعر**
جرى قلم القضاء بما يكون ؛ فسيان التحرك والسكون ؛ جنون منك ان تسعى لرزق ؛ ويرزق في غشاوته الجنين
فان قلت فالناس يكفلون اليتيم لانهم يرونه عاجزا لصباه واما هذا فبالغ قادر على الكسب فلا يلتفتون
اليه ويقولون هذا مثلنا فليجتهد لنفسه فاقول ان كان هذا القادر بطالا فقد صدقوا فليلزمه الكسب
ولا معنى للتوكل في حقه فان التوكل مقام من مقامات الدين يستعان به على التفرغ لله تعالى فما للبطال والتوكل
وان كان مشتغلا بالله ملازما لمسجد او بيت وهو مواظب على العلم والعبادة فالناس لا يلومونه في ترك
الكسب ولا يكلفونه ذلك بل اشتغاله بالله يقرر حبه في قلوب الناس حتى يحملون اليه فوق كفايته وانما عليه
ان لا يغلق الباب ولا يهرب الى الجبل من بين الناس وما رئي الى الان عالم او عابد استغرق الاوقات بالله وكان في

الا مطاولة فمات جوعا ولا يرى وقيل له اراد ان يطعم جماعة من الناس بقوله لقدر عليه فان من كان لله
كان الله له ومن اشتغل بالله القى الله حبه في قلوب الناس وسخر له القلوب كما سخر قلب الام لولدها
فقد دبر الله الملك والملكوت تدبيرا كافيا لاهل الملك والملكوت فمن شاهد هذا التدبير وثق بالمدبر
واشتغل به وآمن ونظر الى مسبب الاسباب لا الى الاسباب نعم ربما دبره تدبيرا يوصل اليه ما يشتغل به
الحلاوي والطيور السمان والثياب الرفيعة والخيول النفيسة على الدوام لا محالة وقد يتفق ايضا
ذلك في بعض الاحوال لكن دبره تدبيرا يوصل الى كل مشتغل بعبادة الله تعالى في كل اسبوع قرصا
من شعير او حشيشا يتناوله لا محالة والغالب انه يصل اكثر منه بل يصل ما يزيد على الحاجة والكفاية
فلا سبيل لترك التوكل الا رغبة النفس في التنعم على الدوام ولبس الثياب الناعمة وتناول
الاطعمة اللطيفة وليس ذلك من طريق الآخرة وذلك قد لا يحصل من غير اضطراب وهو في الغالب ايضا
لا يحصل مع الاضطراب وانما يحصل نادرا وفي الغالب ايضا قد يحصل بغير اضطراب فاذا الاضطراب ضعيف
عند من انفتحت بصيرته فذلك لا يفضي الى الاضطراب بل الى سنة الملك تدبيرا لا يجاوز وعيد من
عباده رزقه وان سكن الا نادرا حدوثا عظيما يقص مثله في حق المضطرب فاذا انكشفت هذه
الامور وكان معها قوة في القلب وشجاعة في النفس اثرت ما قاله الحسن البصري رضي الله عنه اذ قال
وددت ان اهل البصرة في عيالي وان حبة بدينار وقال وهيب بن الورد لو كانت السماء نحاسا والارض رصاصا
واهتممت برزقي لظننت اني مشرك فاذا فهمت هذه الامور فهمت ان التوكل مقام في نفسه مفهوم ويمكن
الوصول اليه لمن قوي نفسه وعلمت ان من انكر اصل التوكل وامكانه انكره عن جهل فاياك ان تجمع بين
افلاسين الافلاس عن وجود المقام ذوقا والافلاس عن الايمان به علما فاذا عليك بالقناعة بالنزر
القليل والرضا بالقوت فانه ياتيك لا محالة وان فررت منه وعند ذلك على الله تعالى ان يبعث
اليك رزقك على يد من لا يحتسب فان اشتغلت بالتقوى والتوكل شاهدت بالتجربة مصداق قوله
تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا الآية الا انه لم يتكفل ان يرزقه لحم الطير ولذائذ الاطعمة فما ضمن
الا الرزق الذي يدوم به حياته وهذا المضمون مبذول لكل من اشتغل بالضامن واطمأن الى ضمانه فان
الذي يجلب به تدبير الله تعالى من الاسباب الخفية للرزق اعظم مما ظهر للخلق بل مداخل الرزق
لا تحصى ومجاريه لا يهتدى اليها وذلك لان ظهوره على الارض وسببه في السماء قال الله تعالى
وفي السماء رزقكم وما توعدون واسرار السماء لا يطلع عليها ولهذا دخل جماعة على الجنيد فقالوا نطلب
الرزق فقال ان علمتم اي موضع هو فاطلبوه قالوا فنسأل الله ذلك قال ان علمتم انه ينساكم فذكروه
فقالوا ندخل البيت ونتوكل وننتظر ما يكون فقال التوكل على التجربة شك فقالوا فما الحيلة قال
ترك الحيلة وقال احمد بن عيسى الخراز كنت في البادية فنالني جوع شديد فغلبتني نفسي ان اسال الله
عز وجل صبرا فلما هممت بذلك سمعت هاتفا يهتف ويقول ويزعم انه منا قريب وانا لا نضيع من اتانا
ويسألنا القوى اجهادا وصبرا كانا لا نراه ولا يرانا فقد فهمت ان من انكرت نفسه وقوي قلبه ولم
يضعف بالجبن وقوي ايمانه بتدبير الله تعالى كان مطمئن النفس ابدا واثقا بالله فان اسوأ احواله ان يموت
ولا بد وان ياتيه الموت كما ياتي من ليس متوكلا فاذا تمام التوكل بقناعة من طرف والاتكال من جانب ووفاء
بالمضمون من جانب الله المحض بتقدير الله للقانعين بهذه الاسباب الذي دبرها صادق فاقنع وجرب
صادق شاهد صدق الوعد تحقيقا بما يرد عليك من الارزاق العجيبة التي لم تكن في ظنك وحسابك

ولا تكن في توكلك منتظرا للاسباب بل للمسبب الاسباب كما لا يكون منتظر القلم الكاتب بل القلب
الكاتب فانه اصل حركة القلم والمحرك الاول واحد فلا ينبغي ان يكون النظر الا اليه وهذا شرط
توكل من يخوض في البوادي بلا زاد ويقعد في الامصار وهو خامل واما الذي ذكر بالعبادة والعلم
فاذا قنع في اليوم والليلة بالطعام مرة واحدة كيف كان ولو لم يكن من اللذائذ وبثوب خشن يليق
باهل الدين فهذا ياتيه من حيث يحتسب ومن حيث لا يحتسب على الدوام بل ياتيه اضعافه فتركه
التوكل والاهتمام بالرزق غاية الضعف والقصور فانه مشهور بسبب ظاهر يجلب الرزق اليه
اقوى من دخول الامصار في حق الخامل مع الاكتساب فالاهتمام بالرزق قبيح بذوي الدين وهو بالعلماء
اقبح لان شرطهم القناعة والعالم القانع ياتيه رزقه ورزق جماعة كثيرة وان كانوا معه
الا اذا اراد ان لا ياخذ من ايدي الناس ويأكل من كسبه فذلك لدرجة لائق بالعالم العامل الذي
سلوكه بظاهر العلم والعمل ولم يكن له سير بالباطن فان الكسب يمنع من السير بالفكر الباطن فاشتغاله
بالسلوك مع الاخذ من يد من يتقرب الى الله بما يعطيه اولى لانه تفرغ لله واعانة للمعطي على
نيل الثواب ومن نظر الى مجاري سنة الله علم ان الرزق ليس على قدر الاكتساب ولذلك سأل بعض
الاكاسرة حكيما عن الاحمق المرزوق والعاقل المحروم فقال اراد الصانع ان يدل على نفسه اذ لو رزق كل
عاقل وحرم كل احمق لظن ان العقل رزق صاحبه فلما راوا خلافه علموا ان الرازق غيرهم ولا ثقة بالاسباب
الظاهرة لهم

بيان احوال المتوكلين في التعلق بالاسباب

بضرب مثال اعلم ان مثال
الخلق مع الله تعالى مثال طائفة من السؤال وقفوا في ميدان على باب قصر الملك وهم محتاجون الى الطعام
فاخرج اليهم غلمانا كثيرة ومعهم ارغفة وامرهم ان يعطوا بعضهم رغيفين رغيفين وبعضهم
رغيفا رغيفا ويجتهدوا في ان لا يغفلوا عن واحد منهم وامر مناديا حتى نادى فيهم ان اسكنوا ولا تتعلقوا
بغلماني اذا خرجوا اليكم بل ينبغي ان يطمئن كل واحد في موضعه فان الغلمان مسخرون وهم مامورون بان
يوصلوا اليكم طعامكم فمن تعلق بالغلمان وآذاهم واخذ رغيفين فاذا فتح باب الميدان وخرج اتبعته بغلام
يكون موكلا به الى ان يتقدم بعقوبته في ميعاد معلوم عندي ولكن اخفيه ومن لم يؤذ الغلمان وقنع
برغيف واحد اتاه من يد الغلام وهو ساكن فاني اخصه بخلعة سنية في الميعاد المذكور لعقوبة
الاخرين ومن ثبت في مكانه ولكنه اخذ رغيفين فلا عقوبة عليه ولا خلعة ومن تخطاه الغلمان فما
اوصلوا اليه شيئا فبات جائعا في هذه الليلة غير ساخط على الغلمان ولا قائل ليته اوصل الي رغيفا فاني غدا
استوزره وافوض ملكي اليه فانقسم السؤال الى اربعة اقسام قسم غلبت عليهم بطونهم فلم يلتفتوا
الى العقوبة الموعودة وقالوا من اليوم الى غد فرج ونحن الآن جائعون وبادروا الى الغلمان وآذوهم
واخذوا الرغيفين فسبقت العقوبة اليهم في الميعاد المذكور فتندموا ولم ينفعهم الندم وقسم
تركوا التعلق بالغلمان خوف العقوبة ولكن اخذوا رغيفين لغلبة الجوع فسلموا من العقوبة وما فازوا
بالخلعة وقسم قالوا انا نجلس بمرأى من الغلمان حتى لا يتخطونا ولكن لا ناخذ اذا اعطينا الا رغيفا واحدا و
نقنع به فلعلنا نفوز بالخلعة فنالوا الخلعة وقسم رابع اختفوا في زوايا الميدان وانحرفوا عن مرأى
اعين الغلمان وقالوا ان تبعونا واعطونا قنعنا برغيف وان اخطأنا قاسينا شدة الجوع الليلة فلعلنا
نقوى على ترك السخط فننال رتبة الوزارة ودرجة القرب عند الملك فما نفعهم ذلك اذ تبعهم
الغلمان في كل زاوية واعطوا كل واحد رغيفا واحدا وجرى مثل ذلك اياما حتى اتفق على الندور

ان اختفى ثلثة في زاوية ولم يطلع عليهم ابصار الغلمان وشغلهم شغل صارف عن طول التفتيش فباتوا
في جوع شديد فقال الاثنان منهم ليتنا تعرضنا للغلمان واخذنا طعامًا فلسنا نطيق الصبر و
سكت الثالث الى الصباح فنال الدرجة القرب والوزارة فهذا مثال الخلق مع الله والميدان هو الدنيا
وباب الميدان الموت والميعاد المجهول يوم القيمة والوعد بالوزارة هو الوعد بالشهادة للمتوكل اذا
مات جايعًا راضيًا من غير ما حين وذلك الى ميعاد يوم القيمة لان الشهدا احيا عند ربهم يرزقون
فالمتعلق بالغلمان هو المتعدي في الاسباب والغلمان المسخرون في الاسباب والجالس في ظاهر الميدان
بمراى الغلمان هم المتمكنون في الامصار في الرباطات والمساجد على هيبة السكون والمختفون في الزوايا
هم السايحون في البوادي على هيئة التوكل والاسباب تتبعهم والرزق يأتيهم الا على سبيل الندور فان
مات واحد منهم جايعًا راضيًا فله الشهادة والقرب من الله تعالى وقد انقسم الخلق الى هذه الاقسام
الاربعة ولعل من كل مائة تعلق بالاسباب تسعون واقام سبعة من العشرة الباقية في الامصار متعرضين
للسبب بمجرد حضورهم واستشهادهم وساح في البوادي ثلثة وسخط منهم اثنان وفاز بالقرب واحد
ولعله كذلك كان في الاعصار السالفة واما الان فالتارك للاسباب لا ينتهي الى واحد من العشرة الآف

الفن الثاني في التعرض لاسباب الادخار فمن حصل له مال بارث او كسب او سوال او
بسبب من الاسباب فله في الادخار ثلثة احوال **الاولى** ان ياخذ قدر حاجته في الوقت فيأكل ان
كان جايعًا ويلبس ان كان عاريًا ويشتري مسكنًا مختصرًا ان كان محتاجًا ويفرق الباقي في الحال ولا ياخذه
ولا يدخره الا قدر الذي يدخر به من يستحقه ويحتاج اليه فيدخر على هذه النية فهذا هو
الوفي بموجب التوكل تحقيقًا وهي الدرجة العليا **الحالة الثانية** المقابلة لهذا المخرجة
له عن حد التوكل ان يدخر لسنة فما فوقها فهذا ليس من المتوكلين اصلًا وقد قيل لا يدخر من
الحيوانات الا ثلاثة الفارة والنملة وابن آدم **الحالة الثالثة** ان يدخر لاربعين يومًا فما دونها
فهذا هل يوجب حرمانه عن المقام المحمود الموعود في الاخرة للمتوكلين ام لا اختلفوا فيه فذهب سهل الى
انه يخرج عن حد التوكل وذهب الخواص الى انه لا يخرج باربعين يومًا ويخرج بما يزيد على الاربعين وقال
ابو طالب المكي لا يخرج عن حد التوكل بالزيادة على الاربعين ايضا وهذا اختلاف لا معنى له بعد
تجويز اصل الادخار نعم يجوز ان يظن ظان ان اصل الادخار يناقض التوكل فاما التقدير بعد ذلك
فلا معنى له وكل ثواب موعود على رتبة فانه يتوزع على تلك الرتبة ولتلك الرتبة بداية ونهاية
ويسمى اصحاب النهايات السابقين واصحاب البدايات اصحاب اليمين ثم اصحاب اليمين ايضا
على درجات وكذلك السابقون واعالي درجات اصحاب اليمين تلاصق اسافل درجات السابقين
فلا معنى للتقدير في مثل هذا بل التحقيق ان التوكل بترك الادخار لا يتم الا بقصر الامل واما عدم اصل
البقا فبعيد اشتراطه ولو في نفس فان ذلك كالممتنع وجوده واما الناس فيتفاوتون في طول الامل
وقصره واقله درجات الامل يوم وليلة فما دونه من الساعات واقصاه ما يتصور ان يكون عمر الانسان وبينهما
درجات لا حصر لها فمن لا يامل اكثر من شهر اقرب الى المقصود ممن يامل سنة وتقدير باربعين
لاجل ميعاد موسى صلى الله عليه وسلم بعيد فان تلك الواقعة ما قصد بها بيان تعديد ما يرخص الامل
فيه ولكن استحقاق موسى الموعود كان لا يتم الا بعد اربعين يومًا لسر جرت به وباشاله سنة
الله تعالى في التدريج للامور كما تخمر طينة آدم بيده اربعين يومًا لان استحقاق تلك الطينة

الضعيف كان موقعها موقعًا على سدة مبلغها ما ذكرناه اما وراء السنة لا يدخر لها الا بحكم ضعف القلب
والركون الى ظاهر الاسباب فهو خارج عن مقام التوكل غير واثق بلطايف التدبير الخفي الذي يجريها
الاسباب فان اسباب الرجل في الارتفاقات تتكرر بتكرر السنين غالبا ومن ادخر لاقل من
سنة فله درجة بحسب قصر امله ومن كان امله شهرين لم تكن درجته درجة من امله شهر ولا درجة
من امله ثلثة ايام وقيل ثلاثة اشهر بل هو بينهما في الرتبة ولا يمنع من الادخار الا قصر الامل فالافضل
ان لا يدخر اصلًا وان ضعف قلبه فكلما قل ادخاره كان فضله اكثر وقد روي في الصفة الذي
امر عليه السلام عليا واسامة فغسلاه وكفناه ببردة فلما دفنه قال لاصحابه انه يبعث يوم القيمة
ووجهه كالقمر ليلة البدر ولولا خصلة كانت فيه لبعث ووجهه كالشمس الضاحية قلنا وما هي
يا رسول الله قال كان صوامًا قوامًا كثير الذكر لله تعالى غير انه كان اذا جاء الشتا ادخر حلة الصيف
لصيفه واذا جاء الشتا ادخر حلة الشتا لشتايه ثم قال من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر
الحديث وليس الكوز والسفرة وما يحتاج اليه على الدوام من معنى ذلك فادخاره لا ينقص الدرجة
وثوب الشتا لا يحتاج اليه في الصيف وهذا في حق من لا ينزعج قلبه بترك الادخار ولا تستشرف
نفسه الى ايدي الخلق بل لا يلتفت قلبه الا الى الوكيل الحق فان كان يستشعر في نفسه اضطرابًا
يشغل قلبه عن العبادة والذكر والفكر فالادخار له اولى بل لو امسك ضيعة يكون دخلها وافيًا
بقدر كفايته وكان لا يتفرغ قلبه الا به فذلك له اولى لان المقصود اصلاح القلوب لتتجرد لذكر
الله ورب شخص يشغله وجود المال ورب شخص يشغله عدمه والمحذور ما يشغل عن الله والا فالدنيا
في عينها غير محذورة لا وجودها ولا عدمها ولذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اصناف
الخلق وفيهم التجار والمحترفون واهل الحرف والصناعات فلم يامر التاجر بترك تجارته ولا المحترف
بترك حرفته ولا امر التارك لهما بالاشتغال بهما بل دعا الكل الى الله تعالى وارشدهم الى ان فوزهم
ونجاتهم في انصراف قلوبهم عن الدنيا الى الله تعالى وعمدة الاشتغال باتصال القلب فلصاحب القلب الضعيف ادخار
قدر حاجته كما ان لصاحب القلب القوي ترك الادخار وهذا كله حكم المنفرد واما المعيل فلا يخرج عن حد
التوكل بادخار قوت سنة لعياله جبرًا لضعفهم وتسكينًا لقلوبهم وادخار اكثر من ذلك مبطل للتوكل
لان الاسباب تتكرر عند تكرر السنين فادخاره ما يزيد عليه منشؤه ضعف قلبه وذلك كما ينقض قوة
التوكل فالمتوكل عبارة عن موحد قوي القلب مطمئن النفس الى فضل الله تعالى واثق بتدبيره دون وجود
الاسباب الظاهرة وقد ادخر رسول الله صلى الله عليه وسلم لعياله قوت سنة ونهى ام ايمن وغيرها ان تدخر
له شيئًا لغد ونهى بلالًا عن الادخار في كسرة خبز ادخرها ليفطر عليها فقال انفق يا بلال ولا تخش من
ذي العرش اقلالًا وقال اذا سئلت فلا تمنع واذا اعطيت فلا تخبا فالاقتدا برسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو سيد المتوكلين صلى الله عليه وسلم وقد كان قصر امله بحيث كان اذا بال تيمم مع قرب الما ويقول
لا ادري لعلي لا ابلغه ولو ادخر لعياله لم ينقص ذلك من توكله اذ كان لا يثق بما يدخره
ولكنه تركه تعليمًا للاقويا من امته فان اقويا امته ضعفا بالاضافة الى قوته وادخر لعياله سنة لا لضعف
قلب فيه وفي عياله ولكن ليسن ذلك للضعفا من امته ثم اخبر ان الله تعالى يحب ان توتى رخصه كما يحب
ان توتى عزايمه تطييبًا لقلوب الضعفا حتى لا ينتهي بهم الضعف الى الياس والقنوط فيتركوا الميسور من
الخير عليهم لعجزهم عن منتهى الدرجات فما ارسل صلى الله عليه وسلم الا رحمة للعالمين كلهم على

اخلاف فيما اضافهم ودرجاتهم فاذا فهمت هذا علمت ان الادخار قد يضر ببعض الناس وقد لا يضر ويدل عليه
ما روي ابو امامة الباهلي ان بعض اصحاب الصفة توفي فما وجد له كفن فقال صلى الله عليه وسلم فتشوا
ثوبه فوجد دينارين في داخل ازاره فقال صلى الله عليه وسلم كيتان وقد كان غيره يموت من المسلمين
يموت ويخلف اموالا ولا يقول ذلك في حقه وهذا يحتمل وجهين لانه حاله يحتمل حالين **احدهما**
انه اراد كيتان من النار كما قال تعالى فتكوى بها جباههم وجنوبهم وذلك اذا كان حاله ظاهرا
للزهد والفقر والتوكل مع الافلاس عنه فهو نوع تلبيس **والثاني** ان لا يكون ذلك عن تلبيس فيكون
المعني به النقصان عن درجة كماله كما ينقص عن جمال الوجه اثر كيتين في الوجه وذلك انه لا يكون
عن تلبيس فان كل ما يخلفه الرجل فهو نقصان عن درجته في الاخرة اذ لا يوتى احد من الدنيا شيئا الا نقص
بقدره من الاخرة **واما بيان ان الادخار مع فراغ القلب عن المدخر ليس من ضرورة بطلان**
التوكل فيشهد له ما روي عن بشر قال الحسين المغازلي وكان من اصحابه كنت عنده ضحوة من النهار
فدخل عليه كهل اسمر خفيف العارضين فقام اليه بشر قال وما رايته قام لاحد غيره قال ودفع
الي كفا من دراهم فقال اشتر لنا من اطيب ما تقدر عليه من الطعام الطيب وما قال لي قط مثل ذلك قال
فجئت بالطعام فوضعته فاكل معه وما رايته اكل مع غيره قال فاكلنا حاجتنا وبقي من الطعام شيء كثير فاخذه
الرجل فجمعه في ثوبه وحمله وانصرف فتعجبت من ذلك وكرهته له فقال لي بشر لعلك انكرت فعله قلت
نعم اخذ بقية الطعام من غير اذن فقال ذاك اخونا فتح الموصلي زارنا اليوم من الموصل فانما اراد ان يعلمنا
ان التوكل اذا صح لم يضر معه الادخار **الفن الثالث في مباشرة الاسباب الدافعة**
للضرر المعرض للخوف اعلم ان الضرر قد يعرض للخوف في نفس او مال وليس من شرط المتوكل ترك الاسباب
الدافعة اصلا اما في النفس فكالنوم في الارض المسبعة او في مجرى السيل من الوادي او تحت
الحائط المائل والسقف المنكسر فان ذلك كله منهي عنه وصاحبه قد عرض نفسه للهلاك بغير
فائدة نعم تنقسم هذه الاسباب الى مقطوع بها والى مظنونة والى موهومة فترك الموهوم منها من
شرط التوكل وهي التي نسبتها الى دفع الضرر نسبة الكي والرقية فان الكي والرقية قد
يتقدم بهما على المحذور دفعا لما يتوقع وقد يستعمل بعد نزول المحذور للازالة ورسول الله صلى الله
عليه وسلم لم يصف المتوكلين الا بترك الكي والرقية والطيرة ولم يصفهم بانهم اذا خرجوا الى موضع بارد
لم يلبسوا جبة والجبة تلبس لدفع البرد المتوقع وكذلك كل ما في معناها من الاسباب نعم الاستظهار
باكل الثوم مثلا عند الخروج الى السفر في الشتاء تهييجا للقوة الحرارة من الباطن ربما يكون من قبيل التعمق في
الاسباب والتعويل عليها فيكاد يقرب من الكي بخلاف الجبة وترك الاسباب الدافعة وان كانت
مقطوعا بها جائزة كما اذا نال الضرر من انسان فانه اذا امكنه الصبر وامكنه الدفع والتشفي فشرط التوكل
الاحتمال والصبر قال الله تعالى فاتخذه وكيلا واصبر على ما يقولون وقال تعالى ولنصبرن على ما
اذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال تعالى ودع اذاهم وتوكل على الله وقال تعالى فاصبر كما صبر اولو العزم
من الرسل وقال نعم اجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وهذا في اذى الناس واما الصبر
على اذى السباع والحيات والعقارب وترك دفعها فليس من التوكل في شيء اذ لا فائدة فيه ولا يراد السعي
ولا ترك السعي لعينه بل لاعانته على الدين وترتب الاسباب فيها كترتبها في الكسب وجلب النافع فلا
نطول بالاعادة وكذلك في الاسباب الدافعة عن المال ولا ينقص التوكل باغلاق الباب عند الخروج

ولا بان يعقل البعير لان هذه اسباب عرفت من سنة الله تعالى اما قطعا واما ظنا ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم للاعرابي لما اهمل البعير وقال توكلت على الله اعقلها وتوكل وقال تعالى خذوا
حذركم وقال في كيفية صلاة الخوف وليأخذوا اسلحتهم وقال تعالى واعدوا لهم
ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وقال لموسى صلى الله عليه وسلم فاسر بعبادي ليلا والتحصن بالليل
اختفاء عن اعين الاعداء ونوع تسبب واختفى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار اختفاء عن اعين
الاعداء دفعا للضرر واخذ السلاح في الصلاة ليس دافعا قطعا كقتل الحية والعقرب فانه دافع
قطعا ولكن اخذ السلاح سبب مظنون وقد بينا ان المظنون كالمقطوع واما الموهوم فهو
الذي يقتضي التوكل تركه فان قلت فقد حكي عن جماعة انه منهم من وضع الاسد يده على كتفه ولم يتحرك
فاقول وقد حكي عن جماعة انهم ركبوا الاسد وسخروه ولا ينبغي ان يغرك ذلك المقام فانه وان كان صحيحا في نفسه فلا
يصلح للاقتداء بطريق التعلم بل ذلك مقام رفيع في الكرامات وليس ذلك شرطا في التوكل وفيه اسرار
لا يقف عليها من لم ينته اليها فان قلت فهل من علامة اعلم بها اني قد وصلت اليه فاقول الواصل لا
يحتاج الى طلب العلامات ولكن من العلامات السابقة عليه ان يسخر لك كلب هو معك في اهابك
يسمى الغضب فلا يزال يعضك ويعض غيرك فان سخر لك هذا الكلب بحيث اذا هيج واشلي لم يسترسل
الا باشارتك وكان مسخرا لك فربما ترتفع درجتك الى ان يسخر لك الاسد الذي هو ملك السباع و
كلب دارك اولى بان يكون مسخرا لك من كلب البوادي وكلب اهابك اولى بان يسخر لك من كلب دارك
فاذا لم يسخر لك الكلب الباطن فلا تطمع في ان يستسخر لك الكلب الظاهر فان قلت فاذا اخذ المتوكل سلاحه
حذرا من العدو واغلق بابه حذرا من اللص وعقل بعيره حذرا من ان ينطلق فباي اعتبار يكون
متوكلا فاقول يكون متوكلا بالعلم والحال فاما العلم فهو ان يعلم ان اللص ان اندفع لم يندفع بكفايته
في اغلاق الباب بل بدفع الله تعالى اياه فكم من باب مغلق ولا ينفع وكم من بعير معقول يموت او يغلب
وكم من اخذ سلاحه يقتل فلا يتكل على هذه الاسباب اصلا بل على مسبب الاسباب كما ضربنا
المثل في الوكيل بالخصومة فانه وان حضر واحضر السجل فلا يتكل على نفسه وعلى سجله بل على كفاية الوكيل
وقوته واما الحال فهو ان يكون راضيا بما يقضي الله تعالى في بيته ونفسه ويقول اللهم ان سلطت
على ما في البيت من ياخذه فهو في سبيلك وانا راض بحكمك فاني لا ادري ان ما اعطيتني هبة
او عارية او وديعة فيسترده ولا ادري انه رزق او سبقت مشيئتك في الازل انه رزق غيري
وكيف ما قضيت فانا راض به وما اغلقت الباب تحصنا من قضائك ولا تسخطا بل جريا على مقتضى
سنتك في ترتيب الاسباب فلا ثقة الا بك يا مسبب الاسباب فاذا كان هذا حاله وقال الذي
ذكرناه لم يخرج عن حد التوكل بعقل البعير واخذ السلاح واغلاق الباب ثم اذا عاد فوجده
في البيت فينبغي ان يكون ذلك عنده نعمة من الله جديدة وان لم يجده بل وجده مسروقا نظر الى قلبه
فان وجده راضيا او فرحا بذلك عالما بانه ما اخذه الله تعالى الا ليزيد في رزقه في الاخرة
فقد صح مقامه في التوكل وظهر له صدقه وان تالم قلبه به ووجد قوة الصبر فقد بان له انه
كان كاذبا في دعواه التوكل لان التوكل مقام بعد الزهد ولا يصح الزهد الا ممن لا ياسف على ما فات
من الدنيا ولا يفرح بما ياتي بل قد يكون على العكس منه فكيف يصح له التوكل نعم قد يصح له مقام الصبر
ان اخفاه ولم يظهر شكواه ولم يكثر سعيه في الطلب والتجسس وان لم يقدر على ذلك حتى تاذى

بقلبه واظهر الشكوى بلسانه واستقصى الطلب بيديه فقد كانت السرقة من بلائه في دينه من حيث
انها اظهرت له قصوره عن جميع المقامات وكذبه في جميع الدعاوي فبعد هذا ينبغي ان يجتهد
حتى لا يصدق نفسه في دعواها ولا يتدلى بحبل غرورها فانها خداعة غرارة امارة بالسوء مدعية للخير
فان قلت فكيف يكون للمتوكل مال حتى يوخذ فاقول المتوكل لا يخلو بيته من متاع كقصعة ياكل فيها
وكوز يشرب منه واناء يتوضأ منه وجراب يحفظ به زاده وعصا يدفع بها عدوه وغير ذلك من ضرورات
المعيشة من اثاث البيت وقد يدخل في يده مال فيمسكه ليجد محتاجا فيصرفه اليه فلا يكون ادخاره
على هذه النية مبطلا لتوكله وليس من شرط التوكل اخراج الكوز الذي يشرب منه والجراب الذي فيه زاده
وانما ذلك في الماكول وفي كل مال زائد على قدر الضرورة لان سنة الله تعالى بوصول الخبز الى الفقراء المتوكلين
في زوايا المساجد وما جرت السنة بتفرقة الكيزان والامتعة في كل يوم ولا في كل اسبوع والخروج
عن سنة الله تعالى ليس شرطا في التوكل ولذلك كان الخواص ياخذ في السفر الحبل والركوة والمقراض والابرة
دون الزاد لان سنة الله تعالى جارية بالفرق بين الامرين فان قلت فكيف يتصور ان لا يحزن اذا اخذ
متاعه الذي هو محتاج اليه ولا يأسف عليه فان كان لا يشتهيه ولا يريده فلم امسكه واغلق الباب
عليه وان امسكه لانه يشتهيه لحاجته فكيف لا يتاذى ولا يحزن وقد حيل بينه وبين ما يشتهيه فاقول
انما كان يحفظه ليستعين به على دينه اذ كان يظن ان الخيرة له في ان يكون له ذلك المتاع ولولا ان الخيرة
له فيه لما رزقه الله ولما اعطاه اياه فاستدل على ذلك بتيسير الله عز وجل وحسن الظن بالله مع ظنه ان
ذلك يعين له على اسباب دينه ولم يكن ذلك عنده مقطوعا به اذ يحتمل ان يكون خيرته في ان يبتلى
بفقده حتى يتعب في تحصيل غيره فيكون ثوابه في التعب والنصب اكثر فلما اخذه الله تعالى منه
بتسليط اللص ولم يتغير ظنه بالله لانه في جميع الاحوال واثق بالله حسن الظن به فيقول لولا ان الله
عز وجل علم ان الخيرة لي كانت في وجودها الى الان والخيرة الان لي في عدمها لما اخذها مني فبمثل هذا الظن
يتصور ان يندفع عنه الحزن اذ به يخرج عن ان يكون فرحه بالاسباب من حيث انها اسباب بل من حيث
ان يسرها مسبب الاسباب عناية به ولطفا وهو كالمريض بين يدي الطبيب الشفيق يرضى بما
يفعله فان قدم اليه الغذاء فرح وقال لولا انه عرف ان الغذاء ينفعني وقد قويت على احتماله لما
قربه الي فان اخر عنه الغذاء بعد ذلك ايضا فرح وقال لولا ان الغذاء يضرني ويسوقني الى الموت
لما حال بيني وبينه وكل من لا يعتقد في لطف الله تعالى ما يعتقده المريض في الوالد الشفيق الحاذق بعلم
الطب فلا يصح منه التوكل اصلا ومن عرف الله تعالى وعرف افعاله وعرف سنته في اصلاح عباده
لم يكن فرحه بالاسباب فانه لا يدري اي الاسباب خير له كما قال عمر رضي الله عنه لا ابالي اصبحت
غنيا او فقيرا فاني لا ادري ايهما خير لي فكذلك ينبغي ان لا يبالي المتوكل بسرقة متاعه او لم يسرق
فانه لا يدري ايهما خير له في الدنيا ولا في الاخرة فكم من متاع في الدنيا يكون سببا لهلاك الانسان
وكم من غني يبتلى بواقعة لاجل غناه حتى يقول يا ليتني كنت فقيرا **بيان اداب المتوكلين**
اذ للمتوكل اداب في متاع بيته اذا خرج عنه **الاول** ان يغلق الباب ولا يستقصي في اسباب
الحفظ كالتماسه من الجيران الحفظ مع الغلق وكجمعه اغلاقا كثيرة فقد كان مالك بن دينار لا يغلق
بابه ولكن يشده بشريط ويقول لولا الكلاب لما شددته ايضا **الثاني** ان لا يترك في البيت متاعا
يحرص عليه السارق فيكون هو سبب معصيتهم او امساكه يكون سبب هيجان رغبتهم ولذلك

لما اهدي المغيرة الى مالك بن دينار ركوة قال خذها فلا حاجة لي اليها قال لم قال يوسوس الي
العدو ان اللص قد اخذها فكانه احترز من ان يعصي السارق ومن ان يشغل قلبه بوسواس الشيطان
بسرقته ولذلك قال ابو سليمان الداراني هذا من ضعف قلوب الصوفية هو قد زهد في الدنيا فما عليه
من اخذها **الثالث** انما يضطر الى تركه في البيت ينبغي ان ينوي عند خروجه الرضى بما يقضي الله
فيه من تسليط سارق عليه ويقول ما ياخذه السارق فهو منه في حل او في سبيل الله وان كان فقيرا
فهو عليه صدقة وان لم يشترط الفقير فهو اولى ويكون له نيتان لو اخذه غني او فقير احداهما ان يكون مانعا
من المعصية فانه ربما يستغني به فيتوانى عن السرقة بعده وقد زال عصيانه باكل الحرام لما
انه جعله في حل والثانية ان لا يظلم مسلما اخر فيكون ماله فدا لمال مسلم اخر ومهما نوى حراسة مال غيره
بمال نفسه او نوى دفع المعصية عن السارق او تخفيفها عليه فقد نصح للمسلمين وامتثل قوله صلى
الله عليه وسلم انصر اخاك ظالما او مظلوما ونصرة الظالم ان يمنعه من الظلم وعفوه عنه اعدام
للظلم ومنع له وليتحقق ان هذه النية لا تضره بوجه من الوجوه اذ ليس فيها ما يسلط السارق
ويغير القضاء الازلي ولكنه يتحقق بالزهد بنيته فان اخذ ماله كان له بكل درهم سبعمائة درهم
لانه نواه وقصده وان لم يوخذ حصل له الاجر ايضا كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في من ترك
العزل واقر النطفة قرارها فان له اجر غلام ولد له من ذلك الجماع وعاش فقتل في سبيل الله وان كان
لم يولد له لانه ليس اليه في امر الولد الا الوقاع واما الخلق والحياة والرزق والبقاء فليس اليه فلو خلق لكان
ثوابه على فعله وفعله لم يتعد فكذلك امر السرقة **الرابع** انه اذا وجد المال مسروقا فينبغي ان لا
يحزن بل يفرح ان امكنه ويقول لولا ان الخيرة كانت فيه لما سلبه الله تعالى ثم ان لم يكن قد جعله في
سبيل الله فلا يبالغ في طلبه واساءة الظن بالمسلمين وان كان قد جعله في سبيل الله فيترك طلبه
واساءة الظن فانه قد قدمه ذخيرة لنفسه الى الاخرة فان اعيد عليه فالاولى ان لا يقبله بعد ان كان
قد جعله في سبيل الله وان قبله فهو ملكه في ظاهر العلم لان الملك لا يزول بمجرد تلك النية ولكنه غير
محبوب عند المتوكلين وقد روي ان ابن عمر رضي الله عنهما سرقت ناقته فطلبها حتى اعيا ثم قال
في سبيل الله تعالى فدخل المسجد فصلى ركعتين فقال له رجل يا ابا عبد الرحمن ان ناقتك في مكان كذا وكذا
فلبس نعليه وقام ثم قال استغفر الله وجلس فقيل له الا تذهب فتاخذها فقال اني كنت قد قلت في سبيل
الله وقال بعض الشيوخ رايت بعض اخواني في النوم بعد موته فقلت ما فعل الله بك قال غفر لي و
ادخلني الجنة وعرض علي منازلي فيها فرايتها ومع ذلك كئيب حزين فقلت قد غفر لك ودخلت الجنة وغير ذلك
وانت حزين فتنفس صعداء ثم قال نعم اني لا ازال حزينا الى يوم القيامة قلت ولم ذلك قال اني لما رايت منازلي
من الجنة رفعت لي مقامات في عليين ما رايت مثلها فلما انتهيت بها فرحت بها فلما هممت بدخولها فاذا مناد من
فوقها اصرفوه عنها فليست هذه له انما هي لمن امضى السبيل فقلت وما امضاء السبيل فقيل لي
كنت تقول للشيء انه في سبيل الله ثم ترجع فيه فلو كنت امضيت السبيل لامضينا لك وحكى عن
بعض العباد بمكة انه كان نائما بجنب رجل معه هميان وهو نائم فانتبه الرجل ففقد هميانه فاتهمه به
فقال كم كان في هميانك فذكره فحمله الى البيت ووزن من عنده ثم بعد ذلك اعلمه اصحابه انهم كانوا اخذوا
الهميان منه مزاحا معه فجاء هو واصحابه ورد الذهب الى العابد فابى وقال خذه حلالا طيبا فما كنت
لاعود في مال اخرجته في سبيل الله فلم يقبل والحوا عليه فدعا ابنا له وجعل يصره صررا ويبعث الى الفقراء

بها حتى لا يبقى منها شيء فهكذا كانت اخلاق السلف وكذلك من اخذ رغيفا ليعطيه فقيرا فغاب
عنه كان يكره رده الى البيت بعد اخراجه فيعطيه فقيرا اخر وكذلك يفعل في الدراهم وساير الصدقات
الخامس وهو اعلى الدرجات ان لا يدعو على السارق الذي ظلمه بالاخذ فان فعل بطل توكله ودل
على كراهيته وتاسفه على ما فات وبطل زهده بالاخذ وان بالغ في الدعا عليه بطل ايضا اجره فيما
اصيب به ففي الخبر من دعا على من ظلمه فقد انتصر وحكي ان الربيع بن خثيم سرق فرسه وكان ثمنه
عشرين الفا وكان قايما يصلي فلم يقطع صلاته ولم ينزعج لطلبه فجاء قوم يعزونه فقال اما اني قد كنت
رايته وهو يحله فقيل وما منعك ان تزجره قال كنت فيما هو احب الي من ذلك يعني الصلاة فقال
فجعلوا يدعون عليه فقال لا تفعلوا وقولوا خيرا فاني قد جعلتها صدقة عليه وقيل لبعضهم
في شيء كان قد سرق منه الا تدعو على ظالمك قال ما احب ان اكون عونا للشيطان عليه قيل ارايت
لو رده عليك قال لا اخذه ولا انظر اليه لاني قد كنت احللته له وقيل لاخر ادع الله تعالى
على ظالمك فقال ما ظلمني احد ثم قال انما ظلم نفسه الا يكفيه المسكين ظلمه لنفسه حتى ازيده
شرا واكثر بعضهم شتم الحجاج عند بعض السلف في ظلمه فقال لا تغرق في شتمه فان الله تعالى
ينتصف للحجاج ممن انتهك عرضه كما ينتصف منه لمن اخذ ماله وفي الخبر ان العبد ليظلم المظلمة فلا
يزال يشتم ظالمه ويسبه حتى يكون بمقدار ما ظلمه ثم يبقى للظالم عليه مطالبة بما زاد عليه
يقتص له من المظلوم **السادس** ان يغتم لاجل السارق وعصيانه وتعرضه لعقاب الله و
شكر الله تعالى اذ جعله مظلوما ولم يجعله ظالما وجعل ذلك نقصانا في دنياه لا نقصانا في اخرته
ودينه فقد شكا بعض الناس الى عالم انه قطع عليه الطريق واخذ ماله فقال ان لم يكن غمك انه قد صار
في المسلمين من يستحل هذا اكثر من غمك بمالك فما نصحت للمسلمين وسرق من علي بن الفضيل
دنانير وهو يطوف بالبيت فراه ابوه وهو يبكي ويحزن فقال اعلى الدنانير تبكي فقال لا والله ولكن على
المسكين ان يسال يوم القيمة ولا تكون له حجة وقيل لبعضهم ادع على من ظلمك فقال اني مشغول
بالحزن عليه من الدعا عليه

الفن الرابع السعي في ازالة الضرر كمداواة المرض وامثاله

اعلم ان الاسباب المزيلة للضرر ايضا تنقسم الى مقطوع به كالماء المزيل لضرر العطش والخبز
المزيل لضرر الجوع والى مظنون كالفصد والحجامة وشرب الدوا المسهل وساير ابواب الطب
اعني معالجة الحرارة بالبرودة والبرودة بالحرارة وهي الاسباب الظاهرة في الطب والى موهوم
كالكي والرقية اما المقطوع به فليس من التوكل تركه بل تركه حرام عند خوف الموت واما الموهوم
فشرط التوكل تركه اذ به وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المتوكلين واقواها الكي ويليه الرقية
والطيرة اخر درجاتها والاعتماد عليها والاتكال اليها غاية التعمق في ملاحظة الاسباب **واما
الدرجة المتوسطة** وهي المظنونة كالمداواة بالاسباب الظاهرة عند الاطبا ففعله ليس
مناقضا للتوكل بخلاف الموهوم وتركه ليس محظورا بخلاف المقطوع به بل قد يكون افضل من
فعله في بعض الاحوال وفي حق بعض الاشخاص فهي على درجة بين الدرجتين ويدل على ان التداوي
غير مناقض للتوكل فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله وامره به اما قوله فقوله صلى الله
عليه وسلم ما من داء الا وله دوا عرفه من عرفه وجهله من جهله الا السام يعني الموت وقال تداووا
عباد الله وسيل عن الدوا والرقا هل يرد من قدر الله تعالى شيا فقال هي من قدر الله تعالى ففي الخبر

المشهور ما مررت بملا من الملائكة الا قالوا مر امتك بالحجامة وفي الحديث امر بها وقال احتجموا لسبع عشرة
وتسع عشرة واحدى وعشرين لا يتبيغ بكم الدم فيقتلكم فذكر ان التبيغ سبب الموت وانه قاتل باذن
الله وبين ان اخراج الدم العقرب من تحت الثياب واخراج الحية من البيت وليس من شرط التوكل ترك
ذلك بل هو كصب الما على النار لاطفائه ودفع ضرره عند وقوعه في البيت وليس من التوكل الخروج
عن سنة التوكل اصلا وفي خبر مقطوع من احتجم يوم الثلثا لسبعة عشر من الشهر كان له دوا
من داء سنة واما امره فقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم غير واحد من الصحابة بالتداوي والحمية و
قطع لسعد بن معاذ عرقا اي فصده وكوى سعد ابن زرارة وقال لعلي رضي الله عنه وكان رمد العين
لا تاكل من هذا يعني الرطب وكل من هذا فانه اوفق لك يعني سلقا قد طبخ بدقيق شعير وقال
لصهيب وقد راه ياكل التمر وهو وجع العين اتاكل التمر وانت رمد فقال اني اكل من الجانب الاخر
فتبسم صلى الله عليه وسلم واما فعله فقد روي في حديث من طريق اهل البيت انه كان يكتحل كل ليلة
ويحتجم كل شهر ويشرب الدوا كل سنة وتداوى صلى الله عليه وسلم غير مرة من العقرب وغيرها وروي
انه كان اذا نزل عليه الوحي صدع راسه فكان يغلفه بالحنا وفي خبر انه كان اذا خرجت به قرحة
جعل عليها حنا وقد جعل على قرحة خرجت به ترابا وما روي في تداويه وامره به كثير خارج عن الحصر
وقد صنف في ذلك كتاب وسمي طب النبي صلى الله عليه وسلم وذكر بعض العلما ان في الاسرائيليات ان موسى
صلى الله عليه وسلم اعتل بعلة فدخل عليه بنو اسرائيل فعرفوا علته فقالوا له لو تداويت بكذا لبريت فقال
لا اتداوى حتى يعافيني هو من غير دوا فطالت علته فقالوا ان دوا هذه العلة معروف مجرب وانا
نتداوى به فنبرا فقال لا اتداوى فاقامت علته فاوحى الله تعالى اليه وعزتي لا ابراتك حتى
تتداوى بما ذكروه فقال لهم داووني بما ذكرتم فداووه
فبرا فاوجس في نفسه من ذلك فاوحى الله تعالى اليه اردت ان تبطل حكمتي بتوكلك علي فمن اودع
العقاقير منافع الاشيا غيري وفي خبر اخر ان نبيا من الانبيا شكا علة يجدها فاوحى الله عز وجل
اليه كل البيض وشكى نبي اخر الضعف فاوحى الله تعالى اليه كل اللحم باللبن فان فيهما القوة قيل
هو الضعف عن الجماع وقيل ان قوما شكوا الى نبيهم قبح اولادهم فاوحى الله تعالى اليه مرهم
ان يطعموا نساءهم الحبالى السفرجل فانه يحسن الولد ويفعل ذلك في الشهر الثالث والرابع اذ فيه
يصور الله عز وجل الولد وقد كانوا يطعمون الحبالى السفرجل والنفسا الرطب فبهذا يتبين ان
مسبب الاسباب اجرى سنته بربط المسببات بالاسباب اظهارا للحكمة والادوية اسباب مسخرة
بحكم الله تعالى كساير الاسباب فكما ان الخبز دوا الجوع والما دوا العطش فالسكنجبين دوا الصفرا
والسقمونية دوا الاسهال لا يفارقه الا في امرين احدهما ان معالجة الجوع والعطش بالما والخبز
واضح جلي يدركه كافة الناس ومعالجة الصفرا بالسكنجبين يدركه بعض الخواص فمن ادركه بالتجربة التحق
في حقه بالاول الثاني ان الدوا يسهل والسكنجبين يسكن الصفرا بشروط اخر في الباطن واسباب في
المزاج ربما يتعذر الوقوف على جميع شروطها وربما يفوت بعض الشروط فيتقاعد الدوا عن الاسهال
وقد يتفق من العوارض ما يوجب دوام العطش مع كثرة شرب الما ولكنه نادر واختلاف الاسباب
ابدا ينحصر في هذين الشيئين والا فالمسبب يتلو السبب لا محالة مهما تمت شروط القسمين وكل ذلك
بتدبير مسبب الاسباب وتسخيره وترتيبه بحكم حكمته وكمال قدرته فلا يضر المتوكل استعماله

مع النظر الى مسبب الاسباب دون الطبيب والدوا فقد روي عن موسى عليه السلام انه قال يا رب ممن
الدوا والشفا قال تعالى مني قال فما يصنع الاطباء قال ياكلون ارزاقهم ويطيبون نفوس عبادي
حتى ياتي شفاي او قضاي فاذا معنى التوكل مع التداوي التوكل بالعلم والحال كما سبق في فنون الاعمال
الدافعة للضرر والجالبة للنفع واما ترك التداوي راسا فليس شرطا فيه فان قلت فالكي ايضا من
الاسباب الظاهرة النفع فاقول ليس كذلك اذ الاسباب الظاهرة مثل الفصد والحجامة وشرب المسهل
وسقي المبردات للمحرور واما الكي فلو كان مثلها في الظهور لما خلت البلاد الكثيرة عنه وقل ما يعتاد
الكي في اكثر البلاد وانما ذلك عادة بعض الاتراك والاعراب فهي من الاسباب الموهومة كالرقى الا انه
يتميز عنها بامر وهو انه احراق بالنار في الحال مع الاستغناء عنه فانه ما من وجع يعالج بالكي الا وله دوا
يغني عنه ليس فيه احراق فالاحراق بالنار جرح مخرب للبنية محذور السراية مع الاستغناء عنه بخلاف الفصد
والحجامة فان سرايتهما بعيد ولا يسد مسدهما غيرهما ولذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الكي دون الرقى وكل واحد منهما بعيد عن التوكل وروي ان عمران بن الحصين اعتل فاشاروا عليه بالكي
فامتنع فلم يزالوا به وعزم عليه الامير حتى اكتوى وكان يقول كنت ارى نورا واسمع صوتا وتسلم علي
الملائكة فلما اكتويت انقطع ذلك عني وكان يقول اكتوينا كيات فوالله ما افلحن ولا انجحن ثم تاب من
ذلك واناب الى الله تعالى فرد الله عليه ما كان يجد من امر الملائكة وقال لمطرف بن عبد الله الا ترى
الى الكرامة التي كان اكرمني الله تعالى بها فقد ردها علي بعد ان كان اخذها بفقدها فاذا الكي وما يجري
مجراه هو الذي لا يليق بالتوكل لانه يحتاج في استنباطه الى تدبير ثم هو مذموم فيدل ذلك على شدة
ملاحظته للاسباب وعلى التعمق فيها فقد يجري في بعض الاحوال ويدل على قوة المتوكل فان ذلك لا ينافي
فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم ان الذين تداووا من السلف لا ينحصرون ولكن قد ترك التداوي
ايضا جماعة من الاكابر فربما يظن ان ذلك نقصان لانه لو كان كمالا لتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ
لا يكون حال غيره في التوكل اكمل من حاله وقد روي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قيل له لو دعونا
طبيبا فقال الطبيب قد نظر الي وقال اني فعال لما اريد وقيل لابي الدردا في مرضه ما تشتكي قال
ذنوبي قيل فما تشتهي قال مغفرة ربي قالوا الا ندعو لك طبيبا قال الطبيب امرضني وقيل لابي ذر وقد
رمدت عيناه لو داويتهما قال اني عنهما مشغول فقيل لو سالت الله تعالى ان يعافيك فقال
اساله فيما هو اهم علي منهما وكان اصاب الربيع بن خثيم فالج فقيل له لو تداويت فقال لقد هممت ثم ذكرت
عادا وثمود وقرونا بين ذلك كثيرا وكان فيهم الاطبا فهلك المداوي والمداوى ولم تغن الرقى شيا
وكان احمد بن حنبل يقول احب لمن اعتقد التوكل وسلك هذا الطريق ترك التداوي من شرب الدوا
وغيره وكان به علل فلا يخبر المتطبب بها اذا ساله وقيل لسهل متى يصح للعبد التوكل قال اذا
دخل عليه الضرر في جسمه والنقص في ماله فلم يلتفت اليه شغلا بحاله وينظر الى قيام الله تعالى عليه
فاذا من ترك التداوي وراه قوم فهم كثرة ولا ينفع وجه الجمع بين فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفعلهم الا بحصر الصوارف عن التداوي فنقول ان لترك التداوي اسبابا الاول ان يكون المريض
من المكاشفين وقد كوشف بانه انتهى اجله وان الدوا لا ينفعه ويكون ذلك معلوما عنده تارة برؤيا
صادقة وتارة بحدس وتخمين وتارة بكشف محقق ويشبه ان يكون ترك الصديق التداوي من هذا
السبب فانه كان من المكاشفين فانه قال لعايشة في امر الميراث انما هن اخواتك وانما كانت لها

لا اخت واحدة ولكن كانت امراته حاملا فولدت انثى فعلم انه كان قد كوشف بانها حامل بانثى فلا يبعد
ان يكون قد كوشف ايضا بانتها اجله وان تداويه لا ينجع كما كوشف ايضا بانها انثى والا فلا يظن به انكار
التداوي وقد شاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تداوى وامر به **السبب الثاني** ان يكون المريض
مشغولا بحاله وبخوف عاقبته واطلاع الله عز وجل عليه فينسيه ذلك الم المرض فلا يتفرغ قلبه للتداوي
شغلا بحاله وعليه يدل كلام ابي ذر اذ قال اني عنهما مشغول وكلام ابي الدردا اذ قال انما اشتكي ذنوبي
وكان تالم قلبه خوفا من ذنوبه اكثر من تالم بدنه بالمرض ويكون هذا كالمصاب بموت عزيز من اعزته وكالخايف
يحمل الى ملك من الملوك ليقتل اذا قيل له الا تاكل وانت جايع فيقول انا مشغول عن الم الجوع فلا يكون ذلك
انكارا لكون الخبز نافعا من الجوع ولا طعنا على من اكل ويقرب من هذا اشتغال سهل حيث قيل له ما القوت
فقال هو الحي الذي لا يموت فقيل له انما سالناك عن القوام فقال القوام هو العلم فقيل له سالناك عن الغذا
فقال الغذا هو الذكر فقيل له سالناك عن طعمة الجسد فقال ما لك وللجسد دع من تولاه اولا يتولاه اخرا
اذا دخل عليه علة فرده الى صانعه اما رايت الصنعة اذا عابت ردوها الى صانعها حتى يصلحها **السبب
الثالث** ان تكون العلة مزمنة والدوا الذي يومر به بالاضافة الى علته موهوم النفع جار مجرى
الكي والرقية فيتركه المتوكل واليه يشير قول الربيع والمداوي اي ان الدوا غير موثوق به وهذا قد
يكون كذلك في نفسه وقد يكون عند المريض كذلك لقلة ممارسته الطب وقلة تجربته فلا يغلب
على ظنه كونه نافعا ولا شك في ان الطبيب المجرب اشد اعتقادا في الادوية من غيره فيكون الثقة و
الظن بحسب الاعتقاد والاعتقاد بحسب التجربة واكثر من ترك التداوي من العباد والزهاد هذا
مستندهم لان نفع الدوا عندهم شي موهوم لا اصل له وذلك صحيح في بعض الادوية عند من عرف صناعة
الطب غير صحيح في البعض ولكن غير الطبيب قد ينظر الى الكل نظرا واحدا فيرى التداوي تعمقا في الاسباب
كالكي والرقى فيتركه توكلا **السبب الرابع** ان يقصد العبد بترك التداوي استبقا المرض لينال
ثواب المرض بحسن الصبر على بلا الله تعالى او ليجرب نفسه في القدرة على الصبر فقد ورد في ثواب
المرض ما يكثر ذكره فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبيا اشد الناس بلا ثم الامثل
فالامثل يبتلى العبد على قدر ايمانه فان كان صلب الايمان شدد عليه البلا وان كان في ايمانه ضعف
خفف عليه البلا وفي الخبر ان الله تعالى ليجرب عبده بالبلا كما يجرب احدكم ذهبه بالنار فمنهم من يخرج
كالذهب الابريز ومنهم دون ذلك ومنهم من يخرج اسود محترقا وفي حديث من طريق اهل البيت في اسمائه
اذا احب عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه وقال عليه السلام تحبون ان تكونوا كالحمر الصيالة
لا تمرضون ولا تسقمون وقال ابن مسعود رضي الله عنه تجد المومن اصح شي قلبا وامرضه جسما وتجد
المنافق اصح شي جسما وامرضه قلبا فلما عظم الثنا على المرض والبلا احب قوم المرض واغتنموه لينالوا
ثواب الصبر عليه وكان فيهم من به علة يخفيها ولا يذكرها للطبيب ويقاسي العلة ويرضى بحكم الله تعالى
ويعلم ان الحق اغلب على قلبه من ان يشغله المرض عنه وانما يمنع المرض جوارحه وعلموا ان صلاتهم قاعدين
شاكرين على الصبر على قضا الله افضل من الصلاة قياما مع العافية والصحة ففي الخبر ان الله تعالى يقول
للملائكة اكتبوا لعبدي صالح ما كان يعمل فانه في وثاقي ان اطلقته ابدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من
دمه وان توفيته توفيته الى رحمتي وقد قال صلى الله عليه وسلم افضل الاعمال ما اكرهت عليه النفوس
فقيل معناه ما دخل عليها من الامراض والمصايب واليه الاشارة بقوله تعالى وعسى ان تكرهوا شيا وهو خير لكم وقوله

تعالى فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وكان سهل يقول ترك التداوي وان ضعف عن
الطاعات وقصر عن الفرائض افضل من التداوي لاجل الطاعات وكانت به علة عظيمة فلم يكن يتداوى منها
وكان يداوي الناس منها وكان اذا راى العبد يصلي من قعود ولا يستطيع اعمال البر من الامراض فيتداوى للقيام
الى الصلاة والنهوض الى الطاعات يعجب من ذلك ويقول صلاته من قعود مع الرضى بحاله افضل من التداوي
فانما هو سعة من الله تعالى لاهل الضعف ومن لم يدخل في شي منه فهو افضل لانه ان اخذ شيئا من الدوا
ولو كان الما البارد سئل عنه لم اخذه ومن لم ياخذه فلا سوال عليه وكان مذهبه ومذهب البصريين
تضعيف النفس بالجوع وكسر الشهوات لعلمهم بان ذرة من اعمال القلوب مثل الصبر والرضى والتوكل افضل
من امثال الجبال من اعمال الجوارح والمرض لا يمنع من اعمال القلوب الا اذا كان المه غالبا قال
سهل علل الاجسام رحمة وعلل القلوب عقوبة **السبب الخامس** ان يكون العبد قد سبقت له ذنوب
وهو خائف منها عاجز عن تكفيرها فيرى المرض اذا طال تكفيرا فيترك التداوي خوفا من ان يسرع زوال المرض
فقد قال صلى الله عليه وسلم لا تزال الحمى والمليلة بالعبد حتى يمشي على الارض كالبردة ما عليه خطيئة وفي
الخبر حمى يوم كفارة سنة لانها تهدم قوة سنة وقيل للانسان ثلثمائة وستون مفصلا فتدخل الحمى
جميعها ويجد من كل واحد الما فيكون كل الم كفارة يوم ولما ذكر صلى الله عليه وسلم كفارة الذنوب بالحمى سال زيد
ابن ثابت ربه ان لا يزال محموما فلم تكن الحمى تفارقه حتى مات رحمه الله تعالى وسال ذلك طائفة من
الانصار فكانت الحمى لا تفارقهم ولما قال صلى الله عليه وسلم من اذهب الله تعالى كريمتيه لم يرض له
ثوابا دون الجنة قال فلقد كان في الانصار من يتمنى العمى وقال عيسى عليه السلام لا يكون عالما من لم يفرح
بدخول المصائب والامراض على جسده وماله وروي ان موسى عليه السلام نظر الى عبد عظيم البلا فقال يا رب
ارحمه فقال كيف ارحمه فيما به ارحمه اي اكفر ذنوبه وازيد في درجاته **السبب السادس** ان يستشعر
العبد من نفسه مبادي البطر والطغيان بطول مدة الصحة فيترك التداوي خوفا من ان يعاجله زوال المرض
فتعاوده الغفلة والبطر والطغيان او طول الامل والتسويف في تدارك الفائت وتاخير الخيرات فان
الصحة عبارة عن قوة الصفات وبها ينبعث الهوى وتتحرك الشهوات وتدعو الى المعاصي واقلها ان تدعو
الى التنعم في المباحات وهو تضييع الاوقات واهمال الربح العظيم في مخالفة النفس وملازمة الطاعات
واذا اراد الله تعالى بعبد خيرا لم يخله عن التنبه بالامراض والمصائب ولذلك قيل لا يخلو المومن من قلة او علة
او ذلة وقد روي ان الله تعالى يقول الفقر سجني والمرض قيدي احبس بهما من احب من خلقي فاذا كان
في المرض حبس عن الطغيان وركوب المعاصي فاي خير يزيد عليه ولم ينبغ ان يشتغل بعلاجه من يخاف
ذلك على نفسه فالعافية في ترك المعاصي فقد قال بعض العارفين لانسان كيف كنت بعدي قال في
عافية قال ان كنت لم تعص الله فانت في عافية وان كنت قد عصيته فاي دا ادوى من المعصية ما عوفي
من عصى الله وقال علي رضي الله عنه لما راى زينة النبط بالعراق في يوم عيدهم ما هذا الذي اظهروه قالوا
يا امير المومنين هذا يوم عيدهم فقال كل يوم لا يعصى الله فيه فهو لنا عيد وقال تعالى من بعد ما اراكم
ما تحبون قيل العوافي وقال ان الانسان ليطغى ان راه استغنى بالعافية وقال بعضهم انما قال فرعون
انا ربكم الاعلى لطول العافية لانه لبث اربعمائة سنة لم يصدع له راس ولم يحم له جسم ولم يضرب عليه عرق
فادعى الربوبية ولو اخذته الشقيقة كل يوم لشغلته عن الفضول فضلا عن دعوى الربوبية وقد قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اكثروا من ذكر هاذم اللذات وقد قيل الحمى رائد الموت فهو مذكر له ودافع للتسويف

تعالى اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون قيل يفتنون بالامراض
يختبرون بها ويقال ان العبد اذا مرض مرضين ثم لم يتب قال ملك الموت يا غافل جاءك مني رسول بعد
رسول فلم تجب وقد كان السلف يستوحشون اذا خرج عام ولم يصابوا فيه بنقص من نفس او مال وقال
لا يخلو المومن في كل اربعين يوما ان يروع روعة او يصاب ببلية حتى روي ان عمار بن ياسر تزوج امراة فلم
تكن تمرض فطلقها وان النبي صلى الله عليه وسلم عرضت عليه امراة فذكر من وصفها حتى هم ان يتزوجها فقيل
وانها ما مرضت قط فقال لا حاجة لي فيها وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الامراض والاوجاع كالصداع و
غيره فقال رجل وما الصداع ما اعرفه فقال صلى الله عليه وسلم اليك عني من اراد ان ينظر الى رجل من اهل
النار فلينظر الى هذا وهذا لانه ورد في الخبر الحمى حظ كل مومن من النار وفي حديث انس وعائشة قيل
يا رسول الله هل يكون احد مع الشهدا يوم القيمة فقال نعم من ذكر الموت في كل يوم عشرين مرة وفي
لفظ اخر الذي يذكر ذنوبه فتحزنه ولا شك في ان ذكر الموت على المريض اغلب فلما ان كثرت فوائد
المرض راى جماعة ترك الحيلة في زوالها اذ راوا لانفسهم مزيدا فيها لا من حيث راوا التداوي نقصانا وكيف
يكون نقصانا وقد فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم **بيان الرد على من قال ان ترك التداوي
افضل بكل حال** فلو قال قائل انما فعله صلى الله عليه وسلم ليسن لغيره والا فهو حال الضعفا ودرجة الاقويا
توجب التوكل بترك الدوا فيقال فينبغي ان يكون من شرط التوكل ترك الحجامة والفصد عند تبيغ الدم
وان قيل ذلك ايضا شرط فليكن من شرطه ان تلدغه العقرب والحية فلا ينحيها عن نفسه الا ان الدم يلدغ الباطن
والعقرب تلدغ الظاهر فاي فرق بينهما فان قال وذلك ايضا شرط التوكل فيقال فينبغي ان لا يزيل
لدغ العطش بالما ولدغ الجوع بالخبز ولدغ البرد بالجبة وهذا لا قائل به ولا فرق بين هذه الدرجات فان
جميع ذلك اسباب رتبها مسبب الاسباب فاجرى بها سنته ويدل على ان ذلك ليس من شرط التوكل ما روي
عن عمر رضي الله عنه وعن الصحابة في قصة الطاعون فانهم لما قصدوا الشام وانتهوا الى الجابية
بلغهم الخبر ان بها موتا ذريعا ووبا عظيما فافترق الناس فرقتين فقال بعضهم لا ندخل على الوبا فنلقي
بايدينا الى التهلكة وقالت الطايفة الاخرى بل ندخل ونتوكل ولا نهرب من قدر الله تعالى ولا نفر من الموت
فنكون كمن قال تعالى فيهم الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا فرجعوا
الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فسالوه عن رايه فقال نرجع ولا ندخل على الوبا فقال له المخالفون في رايه انفر من
قدر الله قال عمر نعم نفر من قدر الله تعالى الى قدر الله تعالى ثم ضرب لهم مثلا فقال ارايتم لو كان
لاحدكم غنم نزل بها واديا له عدوتان احداهما مخصبة والاخرى مجدبة اليس ان رعى المخصبة رعاها
بقدر الله تعالى وان رعى المجدبة رعاها بقدر الله تعالى فقالوا نعم ثم طلب عبد الرحمن بن عوف فساله
عن ذلك فقال عندي فيه يا امير المومنين شي سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر
الله اكبر فقال عبد الرحمن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم الوبا في ارض فلا تقدموا
عليه وان وقع في ارض وانتم بها فلا تخرجوا فرارا منه ففرح عمر بذلك اذ وافق رايه ورجع بالناس من
الجابية فاذا كيف اتفق الصحابة كلهم على ترك التوكل وهو من اعلى المقامات ان كان امثال هذا
من شرط التوكل فان قلت فلم نهى عن الخروج عن البلد الذي فيه الوبا وسبب الوبا في الطب الهوا واظهر طرق
التداوي الفرار من المضر والهوا هو المضر فلم يرخص فيه فاعلم انه لا خلاف في ان الفرار عن المضر غير منهي عنه
اذ الحجامة فرار من المضر وترك التوكل في امثال هذا مباح فهذا لا يدل على الفصد ولكن الذي يتقدح فيه

والعلم عند الله ان الهوى لا يضر من حيث ملاقاة ظاهر البدن بل من حيث دوام الاستنشاق له فانه اذا كانت
فيه عفونة وتصل الى الرئة والقلب وباطن الاحشاء اثر فيها بطول الاستنشاق فلا يظهر الوباء على الظاهر
الا بعد طول التأثير في الباطن فالخروج من البلد لا يخلص غالبا من الاثر الذي استحكم من قبل ولكنه يتوهم
الخلاص فيصير هذا من جنس الموهومات كالرقى والطيرة وغيرهما ولو تجرد هذا المعنى لكان مناقضا للتوكل
ولم يكن منهيا عنه ولكن صار منهيا عنه لانه انضاف اليه امر اخر وهو انه لو رخص للاصحاء في الخروج لما بقي في
البلد الا المرضى الذين اقعدهم الطاعون وانكسرت قلوبهم وفقدوا المتعهدين ولم يبق في البلد من
يسقيهم الماء ويطعمهم الطعام وهم يعجزون عن مباشرتهم بانفسهم فيكون ذلك سعيا في اهلاكهم
تحقيقا وخلاصهم منتظر كما ان خلاص الاصحاء منتظر فلو اقاموا لم تكن الاقامة قاطعة بالموت ولو خرجوا
لم يكن الخروج قاطعا بالخلاص وهو قاطع في اهلاك الباقين والمسلمون كالبنيان يشد بعضهم بعضا
والمؤمنون كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى سائر اعضائه فهذا هو الذي ينقدح عندنا
في تعليل النهي وينعكس هذا في من لم يقدم بعد على البلد فانه لم يؤثر الهواء في باطنهم ولا باهل البلد
حاجة اليهم نعم لو لم يبق في البلد الا مطعونون وافتقروا الى المتعهدين وقدم عليهم قوم ربما كان
ينقدح استحباب الدخول ههنا لاجل الاعانة ولا ينهى عن الدخول لانه تعرض لضرر موهوم على رجاء دفع
ضرر عن بقية المسلمين ولهذا شبه الفرار من الطاعون في بعض الاخبار بالفرار من الزحف لان فيه كسر
قلوب بقية المسلمين وسعيا في اهلاكهم فهذه امور دقيقة فمن لا يلاحظها وينظر الى ظاهر الاخبار و
الاثار يتناقض عنده اكثر ما يسمعه وغلط الزهاد والعباد في مثل هذا كثير وانما شرف العلم وفضيلته
لاجل ذلك فان قلت فان كان في ترك التداوي فضل كما ذكرتموه فلم لم يترك رسول الله صلى الله عليه وسلم
التداوي لينال الفضل فنقول فيه فضل بالاضافة الى من كثرت ذنوبه ليكفرها او خاف على
نفسه طغيان العافية وغلبة الشهوات او احتاج الى ما يذكره الموت لغلبة الغفلة او احتاج
الى نيل ثواب الصابرين لقصوره عن مقامات الراضين والمتوكلين او قصرت بصيرته عن الاطلاع
على ما اودع الله الادوية من لطائف المنافع حتى صار في حقه موهوما كالرقى وكان شغله بحاله يمنعه
عن التداوي وكان التداوي يشغله عن حاله لضعفه عن الجمع فالى هذه المعاني رجع الصوارف في ترك
التداوي وكل ذلك كمالات بالاضافة الى بعض الخلق ونقصان بالاضافة الى درجة رسول الله صلى الله
عليه وسلم بل كان مقامه اعلى من هذه المقامات كلها اذ كان حاله يقتضي ان تكون مشاهدته على وتيرة
واحدة عند وجود الاسباب وفقدها فانه لم يكن له نظر في الاحوال الا الى مسبب الاسباب ومن كان هذا
مقامه لم يضره الاسباب كما ذكرنا ان الرغبة في المال نقص والرغبة عن المال لكراهته وان كان كمالا فهو ايضا
نقص بالاضافة الى من يستوي عنده وجود المال وعدمه فاستواء الحجر والذهب اكمل من الهرب من الذهب
دون الحجر وكان حاله صلى الله عليه وسلم استواء المدر والذهب عنده وكانه لا يمسكه ليعلم الخلق مقام الزهد
لانه منتهى قوتهم لا لخوفه على نفسه من امساكه فانه اعلى رتبة من ان تغره الدنيا وقد عرضت عليه خزائن
الارض فابى ان يقبلها فكذلك يستوي عنده مباشرة الاسباب وتركها بمثل هذا المشاهدة وانما
لم يزل استعمال العلاج جريا على سنة الله تعالى وترخيصا لامته فيما تمس اليه حاجتهم مع انه لا ضرر
فيه بخلاف ادخار الاموال فان ذلك يعظم ضرره نعم التداوي لا يضر الا من حيث رؤية الدوا نافعا
دون خالق الدوا وهذا قد نهي عنه من حيث انه قد يقصد به الصحة ليستعان بها على المعاصي وذلك

منهي عنه والمؤمن في غالب الامر لا يقصد ذلك واحد من المؤمنين لا يرى الدوا نافعا بنفسه
بل من حيث جعله الله تعالى سببا للنفع كما لا يرى الماء مرويا ولا الخبز مشبعا فحكم التداوي في مقصوده حكم
الكسب فانه ان كسب للاستعانة على الطاعة او المعصية كان له حكمها وان اكتسب للتنعم المباح فله
حكمه فقد ظهر بالمعاني التي اوردناها ان ترك التداوي قد يكون افضل في بعض الاحوال وان التداوي
قد يكون افضل في بعض وان ذلك يختلف باختلاف الاحوال والاشخاص والنيات وان واحدا من الفعل
والترك ليس شرطا في التوكل الا ترك الموهومات بالكي والرقى فان ذلك تعمق في التدبيرات لا يليق
بالمتوكلين **بيان حكم التوكل في اظهار المرض وكتمانه** اعلم ان كتمان المرض واخفاء الفقر
وانواع البلاء من كنوز البر وهو من اعلى المقامات لان الرضا بحكم الله والصبر على بلائه معاملة بين
العبد وبين الله تعالى فكتمانه اسلم عن الافات ومع هذا فالاظهار لا باس به اذا صحت فيه النية
والمقصد ومقاصد الاظهار ثلاثة **الاول** ان يكون غرضه التداوي فيحتاج الى ذكره للطبيب
فيذكره لا في معرض الشكاية بل في معرض الحكاية لما ظهر عليه من قدرة الله تعالى فقد كان بشر يصف
لعبد الرحمن المتطبب اوجاعه وكان احمد بن حنبل يخبر بامراض يجدها ويقول انما اصف
قدرة الله تعالى في **الثاني** ان يصف لغير الطبيب وكان ممن يقتدى به وكان مكينا في المعرفة
فاراد من ذكره ان يتعلم منه حسن الصبر في المرض بل حسن الشكر بان يظهر ان يرى المرض نعمة فيشكر
عليها فيتحدث به كما يتحدث بالنعم قال الحسن البصري اذا حمد المريض الله تعالى وشكره ثم ذكر اوجاعه
لم يكن ذلك شكوى **الثالث** ان يظهر بذلك عجزه وافتقاره الى الله تعالى وذلك يحسن
ممن يليق به القوة والشجاعة ويستبعد منه العجز كما روي انه قيل لعلي رضي الله عنه في مرضه
كيف انت قال بشر فنظر بعضهم الى بعض كانهم كرهوا ذلك وظنوا انه شكاية فقال اتجلد على الله
فاحب ان يظهر عجزه وافتقاره مع ما علم به من القوة والضراسة وتادب فيه بادب النبي صلى الله عليه وسلم
اذ مرض فسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول اللهم صبرني على البلاء فقال لقد سالت
الله تعالى البلاء فاسال الله العافية فهذه النيات تحسن في ذكر المرض وانما يشترط ذلك لان ذكره
شكاية والشكوى من الله حرام كما ذكرناه في تحريم السؤال على الفقراء الا بضرورة ويصير الاظهار شكاية
بقرينة السخط واظهار الكراهية لفعل الله تعالى فان خلا عن قرينة السخط وعن النيات التي
ذكرناها فلا يوصف بالتحريم ولكن يحكم فيه بان الاولى تركه لانه ربما يوهم الشكاية ولانه ربما يكون فيه
تصنع فيزيد في الوصف على الموجود من العلة ومن ترك التداوي توكلا فلا وجه في حقه للاظهار
لان الاستراحة الى الدوا احسن من الاستراحة الى الافشا وقد قال بعضهم من بث لم يصبر وقيل
في معنى قوله تعالى فصبر جميل لا شكوى فيه وقيل ليعقوب عليه السلام ما اذهب بصرك قال مر الزمان
وطول الاحزان فاوحى الله تعالى اليه تفرغت لشكواي الى عبادي فقال يا رب اتوب اليك وروي عن
طاوس ومجاهد انهما قالا يكتب على المريض انينه في مرضه وكانوا يكرهون انين المريض لانه اظهار معنى
يقتضي الشكوى حتى قيل ان ما اصاب ابليس من ايوب عليه السلام الا انينه فجعل الانين حظه منه وفي
الخبر اذا مرض العبد اوحى الله تعالى الى الملكين انظرا ما يقول لعواده فان حمد الله تعالى واثنى عليه بخير
دعوا له وان شكى وذكر شرا قالا له كذلك تكون وانما كره بعض العباد العيادة خشية الشكاية وخوف
الزيادة في الكلام فكان بعضهم اذا مرض اغلق بابه فلم يدخل عليه احد حتى يبرا فيخرج اليهم منهم

فضيل ووهيب وبشر وكان يقول فضيل اشتهي ان امرض بلا عواد وقال ما اكره العلة الا لاجل العواد
والله سبحانه وتعالى اعلم وهو الموفق للصواب كمل كتاب التوحيد والتوكل من كتاب احيا علوم الدين
للامام الغزالي رحمة الله عليه ويتلوه كتاب المحبة والانس والشوق والرضى وهو السادس من ربع المنجيات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي نزه قلوب اوليائه عن الالتفات الى متاع الدنيا ونضرتها وصفى اسرارهم عن ملاحظة
غير حضرته ثم استخلصها للعكوف على بساط عزته ثم تجلى لها باسمائه وصفاته حتى اشرقت بانوار معرفته
ثم كشف لها عن سبحات وجهه حتى احترقت بنار محبته ثم احتجب عنها بكنه جلاله حتى تاهت في بيداء
كبريائه وعظمته فكلما اهتزت لملاحظة كنه الجلال غشيها من الدهش ما اغبر في وجه العقل وبصيرته وكلما
همت بالانصراف ايسة نوديت من سرادقات الجمال صبرا ايها الايس عن نيل الحق بجهله وعجلته فبقيت بين
الرد والقبول والصد والوصول غرقى في بحر معرفته ومحترقة بنار محبته والصلاة على محمد خاتم الانبيا
بكمال نبوته وعلى اله واصحابه سادة الخلق وائمته وقادة الحق وازمته **اما بعد** فان
المحبة لله هي الغاية القصوى من المقامات والذروة العليا من الدرجات فما بعد ادراك المحبة
مقام الا وهو ثمرة من ثمارها وتابع من توابعها كالشوق والانس والرضى واخواتها ولا قبل المحبة مقام
الا وهو مقدمة من مقدماتها كالصبر والتوبة والزهد وغيرها وساير المقامات ان عز وجودها
فلم تخل القلوب عن الايمان بامكانها واما محبة الله تعالى فقد عز الايمان بها حتى انكر بعض العلما امكانها
وقال لا معنى لها الا المواظبة على طاعة الله تعالى واما حقيقة المحبة فمحال الا مع الجنس والمثل ولما
انكروا المحبة انكروا الانس والشوق ولذة المناجات وساير لوازم الحب وتوابعه ولا بد من كشف الغطا
عن هذا الامر ونحن نذكر في هذا الكتاب بيان شواهد الشرع في المحبة ثم بيان حقيقتها و
اسبابها ثم بيان ان لا مستحق للمحبة الا الله عز وجل ثم بيان ان اعظم اللذات لذة النظر في الاخرة
على المعرفة في الدنيا ثم بيان الاسباب المقوية لحب الله تعالى ثم بيان السبب في تفاوت الناس في الحب
ثم بيان السبب في قصور الافهام عن معرفة الله تعالى ثم بيان معنى الشوق ثم بيان محبة الله تعالى للعبد
ثم القول في علامات محبة العبد لله تعالى ثم بيان معنى الانبساط في الانس ثم القول في معنى الرضى
وبيان فضيلته ثم بيان حقيقته ثم بيان ان الدعا وكراهة المعاصي لا يناقضه وكذا الفرار من المعاصي
ثم بيان حكايات وكلمات للمحبين متفرقة **بيان شواهد الشرع في حب العبد لله تعالى**
اعلم ان الامة مجمعة على ان الحب لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم فرض وكيف يفرض ما لا وجود له
وكيف يفسر الحب بالطاعة والطاعة تبع الحب وثمرته فلا بد ان يتقدم الحب ثم بعد ذلك يطيع من
احب ويدل على اثبات الحب لله تعالى قوله تعالى يحبهم ويحبونه وقوله تعالى والذين امنوا اشد
حبا لله وهو دليل على اثبات الحب لله تعالى واثبات التفاوت فيها وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحب لله تعالى من شرط الايمان في اخبار كثيرة اذ قال ابو رزين العقيلي يا رسول الله ما الايمان
قال ان يكون الله ورسوله احب اليك مما سواهما وفي حديث اخر لا يؤمن احدكم حتى يكون
الله ورسوله احب اليه مما سواهما وفي حديث اخر لا يؤمن العبد حتى اكون احب اليه من اهله وماله

والناس اجمعين وفي رواية ومن نفسه كيف وقد قال تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم الى
قوله تعالى احب اليكم من الله ورسوله الاية فان ذلك جرى في معرض التهديد والانكار وقد امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالمحبة فقال احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه واحبوني لحب الله وروي ان
رجلا قال يا رسول الله اني احبك قال استعد للفقر فقال اني احب الله فقال استعد للبلا
وعن عبد الله بن عمر قال نظر النبي صلى الله عليه وسلم الى مصعب بن عمير مقبلا وعليه اهاب
كبش قد تنطق به فقال عليه السلام انظروا الى هذا الرجل الذي نور الله قلبه وقد رايته
بين ابوين يغذيانه باطيب الطعام والشراب فدعاه حب الله ورسوله الى ما ترون وفي الخبر المشهور
ان ابرهيم عليه السلام قال لملك الموت اذ جاءه يقبض روحه هل رايت خليلا يميت خليله فاوحى
الله تعالى اليه هل رايت محبا يكره لقا حبيبه فقال يا ملك الموت الان فاقبض وهذا لا يجده الا عبد
يحب الله بكل قلبه فاذا علم ان الموت سبب اللقا انزعج قلبه ولم يكن له محبوب غيره حتى يلتفت
اليه وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم ارزقني حبك وحب من احبك وحب ما يقربني
الى حبك واجعل حبك احب الي من الما البارد وجا اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا
رسول الله متى الساعة فقال ما اعددت لها قال ما اعددت لها كثير صلاة ولا صيام الا اني
احب الله ورسوله فقال له صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب قال انس فما رايت المسلمين فرحوا بشي
بعد الاسلام فرحهم بذلك وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه من ذاق من خالص محبة
الله عز وجل شغله ذلك عن طلب الدنيا واوحشه عن جميع البشر وقال الحسن من عرف ربه احبه
ومن عرف الدنيا زهد فيها والمؤمن لا يلهو حتى يغفل فاذا تفكر حزن وقال ابو سليمان الداراني ان من
خلق الله خلقا لا يشغلهم الجنان وما فيها من النعيم عنه فكيف يشتغلون عنه بالدنيا ويروى ان
عيسى صلى الله عليه وسلم مر بثلثة نفر قد نحلت ابدانهم وتغيرت الوانهم فقال لهم ما الذي بلغ بكم ما ارى
قالوا الخوف من النار فقال حق على الله ان يؤمن الخايف ثم جاوزهم الى ثلثة اخرين فاذا هم اشد
نحولا وتغيرا فقال لهم ما الذي بلغ بكم ما ارى فقالوا الشوق الى الجنة فقال حق على الله ان يعطيكم
ما ترجون ثم جاوزهم الى ثلثة فاذا هم اشد نحولا وتغيرا كان على وجوههم المرايا من النور فقال
ما الذي بلغ بكم ما ارى قالوا نحب الله ورسوله فقال انتم المقربون انتم المقربون وقال عبد الواحد
ابن زيد مررت برجل قايم في الثلج فقلت له اما تجد البرد فقال من شغله حب الله تعالى لم يجد البرد
وعن سري السقطي قال تدعى الامم يوم القيمة بانبيائهم عليهم السلام فيقال يا امة موسى ويا امة
عيسى ويا امة محمد غير المحبين لله تعالى فانهم ينادون يا اوليا الله هلموا الى الله سبحانه فتكاد قلوبهم
تنخلع فرحا وقال هرم بن حيان المؤمن اذا عرف ربه احبه واذا احبه اقبل عليه واذا وصل اليه
وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر الى الاخرة بعين الفترة وهي تحسره
في الدنيا وتروحه في الاخرة وقال يحيى بن معاذ عفو الله يستغرق الذنوب فكيف رضوانه ورضوانه
يستغرق الامال فكيف حبه وحبه يدهش العقول فكيف وده ووده ينسي ما دونه فكيف لطفه وفي
بعض الكتب عبدي انا وحقك لك محب فبحقي عليك كن لي محبا وقال يحيى بن معاذ الهي اني مقيم بفنائك
مشغول بثنائك صغيرا اخذتني اليك وسربلتني بمعرفتك وامكنتني من لطفك ونقلتني في الاحوال
وقلبتني في الاعمال سترا وتوبة وزهدا وشوقا ورضا وحبا تسقيني من حياضك وتهملني في رياضك

ملازمًا لامرك ومشغوفًا بقولك وللطرف شاربي ولاح طائري فكيف انصرف اليوم عنك كبيرًا وقد
اعتدت هذا منك صغيرًا فلي ما بقيت حولك عنك كبيرة دمدمة وبالضراعة اليك همهمة
لاني احببتك وكل محب بحبيبه مشغوف وعن غير حبيبه مصروف وقد ورد في حب الله تعالى من الاخبار
والآثار ما لا يدخل في حصر حاصر وذلك امر ظاهر وانما الغرض في تحقيق معناه فلنشتغل **ببيان حقيقة**
المحبة واسبابها وتحقيق معنى محبة العبد لله تعالى اعلم ان المطلب من هذا الفصل لا ينكشف
الا بمعرفة حقيقة المحبة في نفسها ثم معرفة شروطها واسبابها ثم النظر بعد ذلك في تحقيق معناها
في حق الله تعالى فاول ما ينبغي ان يتحقق انه لا يتصور محبة الله الا بعد معرفة وادراك اذ لا يحب الانسان
ما لا يعرفه ولذلك لم يتصور ان يتصف بالحب جماد بل هو من خاصية الحي المدرك ثم المدركات في
انقسامها تنقسم الى ما يوافق طبع المدرك ويلائمه ويلذه والى ما ينافيه وينافره ويؤلمه والى ما لا يؤثر فيه
بايلام والتذاذ فكل ما في ادراكه لذة وراحة فهو محبوب عند المدرك وما في ادراكه الم فهو مبغوض عند
المدرك وما يخلو عن استعقاب الم ولذة فلا يوصف بكونه محبوبا ولا مكروها فاذن كل لذيذ محبوب عند الملتذ
به ومعنى كونه محبوبا ان في الطبع ميلا اليه ومعنى كونه مبغوضا ان في الطبع نفرة عنه فالحب عبارة عن ميل
الطبع الى الشيء الملذ فان تأكد ذلك الميل وقوي سمي عشقا والبغض عبارة عن نفرة الطبع عن المؤلم المتعب فاذا قوي
سمي مقتا فهذا اصل في حقيقة معنى الحب لا بد من معرفته **الاصل الثاني** ان الحب لما كان تابعا للادراك
ادراك والمعرفة انقسم لا محالة بحسب انقسام المدركات والحواس فلكل حاسة ادراك لنوع من المدركات
ولكل واحد منها لذة في بعض المدركات وللطبع بسبب تلك اللذة ميل اليها فكانت محبوبات
عند الطبع السليم فلذة العين في الابصار وادراك المبصرات الجميلة والصور المليحة الحسنة
المستلذة ولذة الاذن في النغمات الطيبة الموزونة ولذة الشم في الروائح الطيبة ولذة الذوق
في الطعم ولذة اللمس في اللين والنعومة ولما كانت هذه المدركات بالحواس ملذة كانت محبوبة اي كان
للطبع السليم ميل اليها حتى قال صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء
وجعلت قرة عيني في الصلاة فسمى الطيب محبوبا ومعلوم انه لا حظ للعين والسمع فيه بل للشم فقط
وسمى النساء محبوبات ولا حظ فيهن الا للبصر واللمس فقط دون الشم والذوق والسمع وسمى
الصلاة قرة عين وجعلها ابلغ المحبوبات ومعلوم انه ليس يحظى بها الحواس الخمس بل حس سادس
مظنته القلب لا يدركه الا من كان له قلب ولذات الحواس الخمس تشارك فيها البهائم الانسان
فان كان الحب مقصورا على مدركات الحواس الخمس حتى يقال ان الله تعالى لا يدرك بالحواس ولا يتمثل
في الخيال فلا يحب فاذن قد بطلت خاصية الانسان وما تميز به من الحس السادس الذي يعبر عنه اما
بالعقل واما بالنور واما بالقلب او ما شئت من العبارات فلا مشاحة فيها وهيهات فالبصيرة الباطنة
اقوى من البصر الظاهر والقلب اشد ادراكا من العين وجمال المعاني المدركة بالعقل اعظم من جمال
الصور الظاهرة للابصار فتكون لا محالة لذة القلب بما يدركه من الامور الشريفة الالهية التي تجل عن
ان تدركها الحواس اتم وابلغ فيكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح اليه اقوى ولا معنى للحب الا الميل
الى ما في ادراكه لذة كما سيأتي تفصيله فلا ينكر اذا حب الله الا من قعد به القصور في درجة البهائم
فلم يجاوز ادراك الحواس اصلا **الاصل الثالث** ان الانسان لا يخفى انه يحب نفسه ولا يخفى
انه قد يحب غيره لاجل نفسه وهل يتصور ان يحب غيره لذاته لا لاجل نفسه هذا مما قد يشكل على

الضعفاء حتى يظنون انه لا يتصور ان يحب الانسان غيره لذاته ما لم يرجع منه حظ الى المحب سوى ادراك
ذاته والحق ان ذلك متصور وموجود فلنبين اقسام المحبة واسبابها وبيانه ان المحبوب الاول
عند كل حي ذاته ونفسه ومعنى حبه لنفسه ان في طبعه ميلا الى دوام وجوده ونفرة عن عدمه
وهلاكه لان المحبوب بالطبع هو الملائم للمحب واي شيء اتم ملاءمة له من نفسه ودوام وجوده
واي شيء اعظم مضادة ومنافرة له من عدمه وهلاكه فلذلك يحب الانسان دوام الوجود ويكره
الموت والقتل لا لمجرد ما يخافه بعد الموت ولا لمجرد الحذر من سكرات الموت بل لو اختطف
من غير الم واميت من غير ثواب وعقاب لم يرض به وكان كارها لذلك ولا يحب الموت والعدم
المحض الا لمقاساة الم في الحياة ومهما كان مبتلى ببلاء فمحبوبه زوال البلاء فان احب العدم لم يحب
لانه عدم بل لان فيه زوال البلاء فالهلاك والعدم ممقوت ودوام الوجود محبوب وكما ان
دوام الوجود محبوب فكمال الوجود ايضا محبوب لان الناقص فاقد للكمال والنقص عدم بالاضافة الى
القدر المفقود وهو هلاك بالنسبة اليه والهلاك والعدم ممقوت في الصفات وكمال الوجود كما انه
ممقوت في اصل الذات ووجود صفات الكمال محبوب كما ان دوام الوجود محبوب وهذه غريزة
في الطباع بحكم سنة الله تعالى ولن تجد لسنة الله تبديلا فاذا المحبوب الاول للانسان
ذاته ثم سلامة اعضائه ثم ماله وولده وعشيرته واصدقائه فالاعضاء محبوبة وسلامتها مطلوبة
لان كمال الوجود ودوام الوجود موقوف عليها والمال محبوب لانه ايضا آلة الدوام في الوجود وكماله
وكذا سائر الاسباب فالانسان يحب هذه الاشياء لا لاعيانها بل لارتباط حظه في دوام الوجود وكماله
بها حتى انه ليحب ولده وان كان لا يناله منه حظ بل يتحمل المشاق لاجله لانه يخلفه في الوجود بعد
عدمه فيكون في بقاء نسله نوع بقاء له فلفرط حبه لبقاء نفسه يحب بقاء من هو قائم مقامه
وكانه جزء منه لما عجز ان يطمع في بقاء نفسه ابدا نعم لو خير بين قتله وقتل ولده لان بقاء ولده يشبه بقاء
نفسه من وجه وليس هو بقاءه المحقق وكذلك حبه لاقاربه وعشيرته يرجع الى حبه لكمال نفسه
فانه يرى نفسه كثيرا بهم قويا بسببهم متجملا بكمالهم فان العشيرة والمال والاسباب الخارجة كالجناح
المكمل للانسان وكمال الوجود ودوامه محبوب بالطبع لا محالة فاذا المحبوب الاول عند كل حي ذاته
وكمال ذاته ودوام ذلك كله والمكروه عنده ضد ذلك فهذا هو اول الاسباب **السبب الثاني**
الاحسان فان الانسان عبد الاحسان وقد جبلت القلوب على حب من احسن اليها وبغض من اساء اليها
حتى قال صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل لفاجر عندي يدا فيحبه قلبي اشار الى ان حب القلب
للمحسن اضطرار لا يستطاع دفعه وهو جبلة وفطرة لا سبيل الى تغييرها وبهذا السبب
محبة الانسان الاجنبي الذي لا قرابة بينه وبينه ولا علاقة وهذا اذا حقق رجع الى السبب الاول
فان المحسن من امد بالمال والمعونة وسائر الاسباب الموصلة الى دوام الوجود وكمال الوجود وحصول
الحظوظ التي بها يتهيأ الوجود الا ان الفرق ان اعضاء الانسان محبوبة لان بها كمال وجوده وهي عين
الكمال المطلوب ولكن قد يكون سببا له كالطبيب الذي يكون سببا في دوام صحة الاعضاء ففرق بين حب
الصحة وبين حب الطبيب الذي هو سبب الصحة اذ الصحة مطلوبة لذاتها والطبيب محبوب
لا لذاته بل لانه سبب للصحة وكذلك العلم محبوب والاستاذ محبوب ولكن العلم محبوب لذاته
والاستاذ محبوب لكونه سبب العلم المحبوب وكذلك الطعام والشراب محبوب والدنانير محبوبة

لكن الطعام محبوب لذاته والدنانير محبوبة لانها وسيلة الى الطعام فاذا يرجع الفرق الى تفاوت الرتبة
والا فكل واحد يرجع الى محبة الانسان نفسه فكان من احب المحسن لاحسانه ما احب ذاته تحقيقا بل احب
احسانه وهو فعل من افعاله لو زال زال الحب مع بقاء ذاته ولو نقص نقص الحب ولو زاد زاد ويتطرق
اليه الزيادة والنقصان بحسب زيادة الاحسان ونقصانه **السبب الثالث** ان يحب الشيء لذاته
لا لحظ ينال منه وراء ذاته بل يكون ذاته عين حظه وهذا هو الحب الحقيقي البالغ الذي يوثق بدوامه وذلك
كحب الجمال والحسن فان كل جمال محبوب عند مدرك الجمال وذلك لعين الجمال لان ادراك الجمال فيه عين
اللذة واللذة محبوبة لذاتها لا لغيرها ولا يظنن ان حب الصور الجميلة لا يتصور الا لاجل قضاء الشهوة
فان قضاء الشهوة لذة اخرى قد تحب الصور الجميلة لاجلها وادراك نفس الجمال ايضا لذيذ فيجوز
ان يكون محبوبا لذاته وكيف ينكر ذلك والخضرة والماء الجاري محبوبة لا ليشرب الماء وتؤكل الخضرة
او ينال منهما حظ سوى نفس الرؤية وكان صلى الله عليه وسلم تعجبه الخضرة والماء الجاري والطباع
السليمة قاضية باستلذاذ النظر الى الانوار والازهار والاطيار المليحة الالوان الحسنة النقش المتناسبة
الشكل حتى ان الانسان لتنفرج عنه الغموم بالنظر اليها لا لطلب حظ وراء النظر فهذه الاسباب ملذة
وكل لذيذ محبوب وكل حسن وجمال فلا يخلو ادراكه عن لذة ولا احد ينكر كون الجمال محبوبا بالطبع فان
ثبت ان الله تعالى جميل كان لا محالة محبوبا عند من انكشف له جماله وجلاله كما قال صلى الله عليه
وسلم ان الله جميل يحب الجمال **الاصل الرابع** في بيان معنى الحسن والجمال اعلم ان المحبوس في مضيق
الخيالات والمحسوسات ربما يظن انه لا معنى للحسن والجمال الا تناسب الخلقة والشكل وحسن اللون
وكون البياض مشربا بالحمرة وامتداد القامة الى غير ذلك مما يوصف من جمال شخص الانسان فان الحسن
الاغلب على الخلق حسن الابصار واكثر التفاتهم الى صور الاشخاص فيظن ان ما ليس مبصرا ولا متخيلا ولا متشكلا
ولا ملونا ولا متقدرا فلا يتصور حسنه واذا لم يتصور حسنه لم يكن في ادراكه لذة فلم يكن محبوبا وهذا
خطا ظاهر فان الحسن ليس مقصورا على مدركات البصر ولا على تناسب الخلقة وامتزاج البياض
بالحمرة فانا نقول هذا خط حسن وهذا صوت حسن وهذا فرس حسن بل نقول هذا ثوب حسن وهذا كوز
حسن فاي معنى لحسن الصوت والخط وسائر الاشياء ان لم يكن الحسن الا في الصورة ومعلوم ان العين
تستلذ بالنظر الى الخط الحسن والاذن تستلذ استماع النغمات الحسنة الطيبة وما من شيء من
المدركات الا وهو منقسم الى حسن وقبيح فما معنى الحسن الذي تشترك فيه هذه الاشياء فلا بد
من البحث عنه وهذا بحث يطول ولا يليق بعلم المعاملة الاطناب فيه فنصرح بالحق ونقول كل شيء فجماله
وحسنه في ان يحضر كماله الممكن له اللائق به فاذا كانت جميع كمالاته الممكنة حاضرة فهو في غاية
الجمال وان كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر فالفرس الحسن هو الذي جمع كل ما يليق
به من هيئة وشكل ولون وحسن عدو وتيسر كر وفر عليه والخط الحسن كل ما جمع ما يليق
بالخط من تناسب الحروف وتوازيها واستقامة ترتيبها وحسن انتظامها ولكل شيء كمال يليق به وقد يليق
بغيره ضده فحسن كل شيء في كماله الذي يليق به فلا يحسن الانسان بما يحسن به الفرس ولا يحسن الخط
بما يحسن به الصوت ولا تحسن الاواني بما تحسن به الثياب وكذلك سائر الاشياء فان قلت فهذه
الاشياء وان لم تدرك جميعها بحس البصر مثل الاصوات والطعوم فانها لا تنفك عن ادراك الحواس لها فهي
محسوسات وليس ينكر الحسن والجمال للمحسوسات ولا ينكر حصول اللذة بادراك حسنها وانما ينكر ذلك

في غير المدرك بالحواس فاعلم ان الحسن والجمال موجود في غير المحسوسات اذ يقال هذا خلق حسن وهذا
علم حسن وهذه سيرة حسنة وهذه اخلاق جميلة وانما الاخلاق الجميلة يراد بها العلم والعقل والعفة
والشجاعة والتقوى والكرم والمروة وسائر خلال الخير وشيء من هذه الصفات لا تدرك بالحواس الخمس بل
تدرك بنور البصيرة الباطنة وكل هذه الخلال الجميلة محبوبة والموصوف بها محبوب بالطبع عند
من عرف صفاته وآية ان الامر كذلك ان الطباع مجبولة على حب الانبياء وعلى حب الصحابة مع انهم لم
يشاهدوا بل على حب ارباب المذاهب مثل الشافعي وابي حنيفة ومالك وغيرهم حتى ان الرجل قد
يجاوز بحبه لصاحب مذهبه حد العشق فيحمله ذلك على ان ينفق جميع امواله في نصرة مذهبه والذب
عنه ويخاطر بروحه في قتال من يطعن في امامه ومتبوعه فكم من دم اريق في نصرة ارباب المذاهب وليت
شعري من يحب الشافعي مثلا فلم يحبه ولم يشاهد قط صورته ولو شاهده ربما لم يستحسن صورته
فاستحسانه الذي حمله على افراط الحب هو لصورته الباطنة لا لصورته الظاهرة فان صورته الظاهرة قد انقلبت
ترابا مع التراب وانما يحبه لصفاته الباطنة من الدين والتقوى وغزارة العلم والاحاطة بمدارك الدين
والتقوى وانتهاضه لافاضة علم الشرع ونشره هذه الخيرات في العالم وهذه امور جميلة لا يدرك جمالها
الا بنور البصيرة فاما الحواس فقاصرة عنها وكذلك من يحب ابا بكر الصديق رضي الله عنه ويفضله
على غيره او يحب عليا رضي الله عنه ويفضله على غيره ويتعصب له فلا يحبهم الا لاستحسان صورتهم
الباطنة من العلم والدين والتقوى والشجاعة والكرم وغيره فمعلوم ان من يحب الصديق مثلا ليس
يحب لحمه وعظمه وجلده واطرافه وشكله اذ كل ذلك قد زال وتبدل وانعدم ولكن بقي ما كان
الصديق به صديقا وهي الصفات المحمودة التي هي مصادر السير الجميلة فكان الحب باقيا ببقاء تلك الصفات
مع زوال جميع الصورة وتلك الصفات ترجع جملتها الى العلم والقدرة اذ علم حقائق الامور وقدر على حمل
نفسه عليها بقهر شهوات نفسه فجميع خلال الخير تتشعب من هذين الوصفين وهما غير مدركين بالحس ومحلهما
من جملة البدن جزء لا يتجزأ فهو المحبوب بالحقيقة وليس للجزء الذي لا يتجزأ صورة وشكل ولون يظهر للبصر حتى
يكون محبوبا لاجله فاذا الجمال محبوب موجود في السير ولو صدرت السير الجميلة من غير علم وبصيرة
لم يوجب ذلك الحب فالمحبوب مصدر السير الجميلة وهي الاخلاق الحميدة والفضائل الشريفة وترجع
جملتها الى كمال العلم والقدرة وهو محبوب بالطبع وغير مدرك بالحواس حتى ان الصبي المخلى و
طبعه اذا اردنا ان نحبب اليه غائبا او حاضرا حيا او ميتا لم يكن لنا سبيل الا بالاطناب في وصفه بالشجاعة و
الكرم والعلم وسائر الخصال الحميدة فمهما اعتقد ذلك لم يتمالك في نفسه ولم يقدر الا ان يحبه فهل من حب
الصحابة رضي الله عنهم وبغض ابي جهل وبغض ابليس لعنه الله الا بالاطناب في وصف المحاسن
والمقابح التي لا تدرك بالحواس بل لما وصف حاتما بالشجاعة والسخاوة ووصف عليا رضي الله عنه بالشجاعة
احبتهم القلوب حبا ضروريا وليس ذلك عن صورة محسوسة ولا عن حظ ينال المحب منهم بل اذا حكي عن
سيرة بعض الملوك في بعض اقطار الارض العدل والاحسان وافاضة الخير غلب حبه على القلوب مع اليأس
من انتشار احسانه الى المحبين لبعد المزار ونائي الديار فاذا ليس حب الانسان مقصورا على من احسن اليه
بل المحسن في نفسه محبوب وان كان لا ينتهي قط احسانه الى المحب لان كل جمال وحسن فهو محبوب والصورة
ظاهرة وباطنة والحسن والجمال يشملهما وتدرك الصور الظاهرة بالبصر الظاهر والصور الباطنة
بالبصيرة الباطنة فمن حرم البصيرة الباطنة لا يدركها ولا يلتذ بها ولا يحبها ولا يميل اليها ومن كانت

البصيرة الباطنة أغلب عليه من الحواس الظاهرة كان حبه للمعاني الباطنة أكثر من حبه للمعاني الظاهرة
فشتان بين من يحب نقشاً مصوراً على الحائط لجمال صورته الظاهرة وبين من يحب نبياً من الأنبياء لجمال
صورته الظاهرة والباطنة **السبب الخامس** المناسبة الخفية بين المحب والمحبوب إذ رب
شخصين تتأكد المحبة بينهما لا بسبب جمال أو حظ ولكن بمجرد تناسب الأرواح كما قال صلى الله
عليه وسلم الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وقد حققنا ذلك
في كتاب آداب الصحبة عند ذكر الحب في الله فليطلب منه لأنه أيضاً من عجائب أسباب الحب فإذاً
رجعت أقسام الحب إلى خمسة أسباب وهو حب الإنسان وجود نفسه وكماله وبقائه وحبه من
أحسن إليه فيما يرجع إلى دوام وجوده ويعين على بقائه ودفع المهلكات عنه وحبه من كان
محسناً في نفسه إلى الناس وإن لم يكن محسناً إليه وحبه لكل ما هو جميل في ذاته سواء كان من الصور
الظاهرة أو الباطنة وحبه لمن بينه وبينه مناسبة خفية في الباطن فلو اجتمعت هذه الأسباب
في شخص واحد تضاعف الحب لا محالة كما لو كان للإنسان ولد جميل الصورة حسن الخلق كامل العلم
حسن التدبير محسن إلى الخلق ومحسن إلى الوالد كان محبوباً لا محالة غاية الحب وتكون قوة الحب بعد
اجتماع هذه الخصال بحسب قوة هذه الخلال في نفسها فإن كانت هذه الخصال والصفات في
أقصى درجة الكمال كان الحب لا محالة في أعلى الدرجات فلنبين الآن أن هذه الأسباب كلها لا يتصور
كمالها واجتماعها إلا في حق الله تعالى فلا يستحق المحبة بالحقيقة إلا الله **بيان أن المستحق
للمحبة هو الله وحده** فإن من أحب غير الله لا من حيث نسبته إلى الله فذلك لجهله وقصوره
في معرفة الله تعالى وحب الرسول محمود لأنه عين حب الله تعالى وكذلك حب العلماء والأتقياء لأن محبوب المحبوب محبوب
وكل ذلك يرجع إلى حب الأصل ولا يجاوزه إلى غيره فلا محبوب بالحقيقة عند ذوي البصائر إلا الله تعالى
ولا مستحق للمحبة سواه وإيضاحه بأن نرجع إلى الأسباب الخمسة التي ذكرناها ونبين أنها مجتمعة في حق الله
تعالى بجملتها ولا يوجد في غيره إلا آحادها وأنها حقيقة في حق الله تعالى ووجودها في حق غيره وهم
وتخيل وهو مجاز محض لا حقيقة له ومهما ثبت ذلك انكشف لكل ذي بصيرة ضد ما تخيله ضعفاء العقول
من استحالة حب الله تعالى تحقيقاً وبان أن التحقيق يقتضي أن لا يحب أحد غير الله تعالى **فأما
السبب الأول** وهو حب الإنسان نفسه وبقاءه وكماله ودوام وجوده وبغضه لهلاكه وعدمه و
نقصانه وقواطع كماله فهذه جبلة كل حي ولا يتصور أن ينفك عنها وهذا يقتضي غاية المحبة لله تعالى
فإن من عرف نفسه وعرف ربه عرف قطعاً أنه لا وجود له من ذاته وإنما وجود ذاته ودوام وجوده وكمال وجوده من
الله وبالله وإلى الله فهو المخترع الموجد له وهو المبقي له وهو المكمل لوجوده بخلق صفات الكمال وخلق الأسباب
الموصلة إليه وخلق الهداية إلى استعمال الأسباب وإلا فالعبد من حيث ذاته لا وجود له من ذاته
بل هو محو محض وعدم صرف لولا فضل الله عليه بالإبقاء وهو ناقص بعد الوجود لولا فضل الله عليه
بالتكميل لخلقته وبالجملة وليس في الوجود شيء له بنفسه قوام إلا القيوم الحي الذي هو قائم بذاته وكل ما سواه
قائم به فإن أحب العارف ذاته وذات وجود ذاته مستفاد من غيره فبالضرورة يحب المفيد لوجوده والمديم له إن
عرفه خالقاً موجداً ومخترعاً ومبقياً وقيوماً بنفسه ومقوماً لغيره فإن كان لا يحبه فهو لجهله
بنفسه وبربه والمحبة ثمرة المعرفة تنعدم بانعدامها وتضعف بضعفها وتقوى بقوتها ولذلك قال
الحسن البصري من عرف ربه أحبه ومن عرف الدنيا زهد فيها وكيف يتصور أن يحب الإنسان نفسه

ولا يحب ربه الذي به قوام نفسه ومعلوم أن المبتلى بحر الشمس لما كان يحب الظل فيحب بالضرورة الأشجار
التي بها قوام الظل وكل ما في الوجود بالإضافة إلى قدرة الله تعالى فهو كالظل بالإضافة إلى الشجر
والنور بالإضافة إلى الشمس فإن الكل من آثار قدرته ووجود الأشياء تابع لوجود الشمس ووجود
الظل تابع للشخص بل هذا المثال صحيح بالإضافة إلى أوهام العوام إذ يتخيلون أن النور أثر الشمس
وفائض منها وموجود بها وهو خطأ محض إذ انكشف لأرباب القلوب انكشافاً أظهر من
مشاهدة الأبصار أن النور حاصل من قدرة الله تعالى اختراعاً عند وقوع المقابلة بين الشمس
وبين الأجسام الكثيفة كما أن نور الشمس وعينها وشكلها وصورتها أيضاً حاصل من قدرة الله تعالى
ولكن الغرض من الأمثلة التفهيم فلا يطلب فيها الحقائق فإذاً إن كان حب الإنسان نفسه ضرورياً فحبه
لمن به قوامه أولاً ودوامه ثانياً في أصله وصفاته ظاهره وباطنه وجواهره وأعراضه أيضاً ضروري
إن عرف ذلك كذلك ومن خلا عن هذا الحب فلأنه اشتغل بنفسه وشهواته وذهل عن ربه وخالقه
فلم يعرفه حق معرفته وقصر نظره على شهواته ومحسوساته وهو عالم الشهادة الذي يشاركه فيها
البهائم في التنعم به والاتساع فيه دون عالم الملكوت الذي لا يطأ أرضه إلا من يقترب إلى شبه من
الملائكة فينظر فيه بقدر قربه في الصفات من الملائكة ويقصر عنه بقدر انحطاطه إلى حضيض
عالم البهائم **وأما السبب الثاني** وهو حبه من أحسن إليه فواساه بماله ولاطفه بكلامه
وأمده بمعونته وانتدب لنصرته وقمع أعداءه وقام بدفع شر الأشرار عنه وانتهض وسيلة إلى
جميع حظوظه وأغراضه في نفسه وأولاده وأقاربه فإنه محبوب عنده لا محالة وهذا بعينه
يقتضي أن لا يحب إلا الله فإنه لو عرف حق المعرفة لعلم أن المحسن إليه هو الله تعالى فقط وأما أنواع
إحسانه إلى كل عبيده فلست أعدها إذ ليس يحيط بها حصر حاصر كما قال تعالى وإن تعدوا نعمة الله
لا تحصوها وقد أشرنا إلى طرف منه في كتاب الشكر ولكنا نقتصر الآن على بيان أن الإحسان من الناس غير
متصور إلا بالمجاز وإنما المحسن هو الله ولنفرض في أن من أنعم عليك بجميع خزائنه ومكنك منها
لتتصرف فيها كيف تشاء فإنك تظن أن هذا الإحسان منه وهو غلط فإنه إنما تم إحسانه به وبماله وقدرته
على المال وبداعيته الباعثة له على صرف المال إليك فمن الذي أنعم بخلقه وخلق ماله وخلق
قدرته وخلق إرادته وداعيته ومن الذي حببك إليه وصرف وجهه إليك وألقى في نفسه أن صلاح
دينه ودنياه في الإحسان إليك ولولا كل ذلك لما أعطاك حبة من ماله ومهما سلط الله عليه الدواعي
وقرر في نفسه أن صلاح دينه ودنياه في أن يسلم إليه ماله كان مقهوراً مضطراً في التسليم لا يستطيع
مخالفته فالمحسن إليك هو الذي اضطره لك وسخره لك وسلط عليه الدواعي الباعثة المرهقة
إلى الفعل وأما يده فواسطة تصل بها إحسان الله إليك وصاحب اليد مضطر في ذلك اضطرار
مجرى الماء في جريان الماء فيه فإن اعتقدته محسناً أو شكرته من حيث هو بنفسه محسن لا من حيث هو واسطة
كنت جاهلاً بحقيقة الأمر فإنه لا يتصور الإحسان من الإنسان إلا إلى نفسه أما الإحسان إلى غيره فمحال
من المخلوقين لأنه لا يبذل ماله إلا لغرض له في البذل إما آجل وهو الثواب وإما عاجل وهو المنة و
الاستسخار والثناء والصيت والاشتهار بالسخاء والكرم أو جذب قلوب الخلق إلى الطاعة و
المحبة وكما أن الإنسان لا يلقي ماله في البحر إذ لا غرض له فيه فلا يلقيه في يد إنسان إلا لغرض له فيه وذلك
الغرض هو مطلوبه ومقصده وأما أنت فلست مقصوداً بل يدك آلة في القبض حتى يحصل بها غرضه من

الذكر والثنا والشكر والثواب بسبب تبذل المال لغرضا ستعرف في البعض المتوصل الي غرض نفسه فهو
الا محسن الي نفسه ومعتاض عما بذله من ماله عوضا هو ارجح عنده من ماله ولولا رجا ذلك الحظ عنده لما
نزل عن ماله لاجلك اصلا البته فاذا هو غير مستحق للشكر والحمد من وجهين احدهما انه مضطر بتسليط
الله الدواعي عليه فلا قدرة له علي المخالفة فهو جار مجري خازن الامير فانه لا يري محسنا لتسليم خلعة
الامير الي من خلع عليه لانه من جهة الامير مضطر الي الطاعة والامتثال لما يرسمه ولا يقدر علي
مخالفته ولو خلاه الامير ونفسه لما سلمه فكذلك كل محسن لو خلاه ونفسه لم يبذل حبة من ماله حتي
سلط الله الدواعي عليه والقي في نفسه ان حظه في دينه ودنياه في بذله فبذله لذلك والثاني
انه معتاض عما بذله حظا هو اوفي عنده واحب مما بذله فكما لا يعد البايع محسنا لانه بذل بعوض هو
احب عنده من بذله فكذلك الواهب اعتاض الثواب او الحمد والثنا او عوضا اخر وليس من شرط العوض ان
يكون عينا متمولا بل الحظوظ كلها اعواض تستحقر الاموال والاعيان بالاضافة اليها فالاحسان في الجود
والجود هو بذل المال من غير عوض وحظ يرجع الي الباذل وذلك محال من غير الله تعالي فهو الذي انعم علي
العالمين احسانا اليهم ولاجلهم لا لحظ وغرض يرجع اليه لانه متعالي عن الاغراض فلفظ الجود و
الاحسان في حق غيره كذب او مجاز ومعناه في حق غيره محال وممتنع امتناع الجمع بين السواد والبياض
فهو المنفرد بالجود والاحسان والطول والامتنان فان كان في الطبع حب المحسن فينبغي ان لا يحب العارف
الا الله تعالي اذ الاحسان من غيره محال فهو المستحق لهذه المحبة وحده واما غيره فيستحق المحبة علي
الاحسان بشرط الجهل بمعني الاحسان وحقيقته السبب الثالث وهو حبك المحسن في نفسه وان لم
يصل اليك احسانه وهذا ايضا موجود في الطباع فانه اذا بلغك خبر ملك عالم عابد عادل رفيق بالناس
متلطف بهم متواضع لهم وهو في قطر من اقطار الارض بعيد عنك وبلغك خبر ملك اخر ظالم متكبر فاسق
متهتك شرير وهو ايضا بعيد عنك فانك تجد في قلبك تفرقة بينهما اذ تجد في القلب ميلا الي
الاول وهو الحب ونفرة عن الثاني وهو البغض مع انك ايس من خير الاول وامن من شر الثاني لانقطاع طمعك
عن التوصل الي بلادهما فهذا حب المحسن من حيث انه محسن فقط لا من حيث انه محسن اليك وهو
ايضا مما يقتضي حب الله تعالي بل يقتضي ان لا يحب غيره اصلا الا من حيث له تعلق منه بسبب
فان الله تعالي هو المحسن الي الكافة المتفضل الي اصناف جميع الخلايق اولا بايجادهم وثانيا بتكميلهم
بالاعضا والاسباب التي هي من ضروراتهم وثالثا بترفيههم وتنعيمهم بخلق الاسباب التي هي مظان
حاجاتهم وان لم تكن في مظان الضرورة ورابعا بالتجمل بالمزايا والزوايد التي هي في مظنة زينتهم
وهي خارجة عن ضروراتهم وحاجاتهم ومثال الضروري من الاعضا الراس والقلب والكبد ومثال
المحتاج اليه العين واليد والرجل ومثال الزينة استقواس الحاجبين وحمرة الشفتين وتلون
العينين الي غير ذلك مما لو فات لم ينخرم به حاجة ولا ضرورة ومثال الذي من الضرورة من
النعم الخارجة عن بدن الانسان الما والغذا ومثال الحاجة الدوا واللحم والفواكه ومثال المزايا
والزوايد خضرة الاشجار وحسن اشكال الانوار والازهار ولذايذ الفواكه والاطعمة التي لا ينخرم
بعدمها حاجة ولا ضرورة وهذه الاقسام الثلثة موجودة لكل حيوان بل لكل نبات بل لكل صنف
من اصناف الخلق من ذروة العرش الي منتهي الفرش فاذا هو المحسن وكيف يكون غيره محسنا وذلك
المحسن حسنة من حسنات قدرته فانه خالق الحسن وخالق الاحسان وخالق اسباب الاحسان

فالحب لهذه العلة ايضا لغيره جهل محض ومن عرف ذلك لم يحب بهذه العلة الا الله تعالي واما
السبب الرابع وهو حب كل جميل لذات الجمال لا لحظ ينال منه وراء ادراك الجمال فقد بينا ان ذلك
مجبول في الطباع وان الجمال ينقسم الي جمال الصورة الظاهرة المدركة بعين الراس والي جمال
الصورة الباطنة المدركة بعين القلب ونور البصيرة والاول يدركه الصبيان والبهايم والثاني
يختص بدركه ارباب القلوب ولا يشاركهم فيه من لا يعلم الا ظاهرا من الحيوة الدنيا وكل جمال فهو محبوب
عند مدرك الجمال فان كان مدركا بالقلب فهو محبوب في القلب ومثال هذا في المشاهدة
حب الانبيا والعلما وذوي المكارم السنية والاخلاق المرضية فان ذلك متصور مع تشوش
صورة الوجه وساير الاعضا وهو المراد بحسن الصورة الباطنة والحسن لا يدرك نعم يدرك الحس
اثاره الظاهرة الصادرة منه الدالة عليه حتي اذا دل القلب عليه مال القلب اليه فاحبه
فمن يحب رسول الله صلي الله عليه وسلم او الصديق رضي الله عنه او الشافعي رضي الله عنه فلا يحبهم
الا لحسن ما ظهر له منهم وليس ذلك لحسن صورهم ولا لحسن افعالهم بل دل حسن افعالهم علي
حسن الصفات التي هي مصدر الافعال اذ الافعال اثار صادرة عنها ودالة عليها فمن راي حسن تصنيف المصنف
وحسن شعر الشاعر بل حسن نقش النقاش وبنا البنا انكشف له من هذه الافعال صفاتهم الجميلة
الباطنة التي يرجع حاصلها عند البحث الي العلم والقدرة وكلما كان المعلوم اشرف واتم عظمة
كان العالم اشرف واجمل وكذا المقدور فكلما كان اعظم منه رتبة رتبة واجل منزلة كانت
القدرة عليه اجل رتبة واشرف قدرا واجل المعلومات هو الله فلا جرم احسن العلوم واشرفها
معرفة الله وكذلك ما يقاربه ويختص به فشرفه علي قدر تعلقه به فاذا الجمال الصفات الصديقين
الذين يحبهم الله وتحبهم القلوب طبعا يرجع الي ثلاثة امور احدها علمهم بالله وملائكته
ورسله وشرايع انبيايه والثاني قدرتهم علي اصلاح انفسهم واصلاح عباد الله بالرشد والارشاد
والسياسة والثالث تنزههم عن الرذايل والخبايث والشهوات الغالبة الصارفة عن
سنن الخير الجاذبة الي طريق الشر وبمثل هذا يحب الانبيا والخلفا والعلما والملوك الذين هم اهل
العدل والكرم فانسب هذه الصفات الي صفات الله تعالي اما العلم فاين علم الاولين والاخرين
من علم الله الذي يحيط بالكل احاطة خارجة عن النهاية حتي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات
ولا في الارض وقد خاطب الخلق كلهم فقال وما اوتيتم من العلم الا قليلا بل لو اجتمع اهل الارض
والسما علي ان يحيطوا بعلمه وحكمته في تفصيل خلق نملة او بعوضة لم يطلعوا علي عشر عشيره ولا
يحيطون بشي من علمه الا بما شا والقدر اليسير الذي علمه الخلايق كلهم فبتعليمه علموه كما قال
تعالي خلق الانسان علمه البيان فان كان جمال العلم وشرفه امرا محبوبا وكان هو في نفسه زينة وكمالا
للموصوف به فلا ينبغي ان يحب بهذا السبب الا الله تعالي فعلوم العلما جهل بالاضافة الي علمه بل
من عرف اعلم اهل زمانه واجهل اهل زمانه استحال ان يحب بسبب العلم الاجهل ويترك الاعلم وان
كان الاجهل لا يخلو عن علم ما يتقاضاه معيشته والتفاوت بين علم الله تعالي وبين علم الخلايق اكثر
من التفاوت بين علم اعلم الخلق واجهلهم لان الاعلم لا يفضل الاجهل الا بعلوم معدودة متناهية
يتصور في الامكان ان ينالها الاجهل بالكسب والاجتهاد وفضل علم الله سبحانه علي علوم
الخلايق كلهم خارج عن النهاية اذ معلوماته لا نهاية لها ومعلومات الخلق متناهية واما صفة

القدرة فهي ايضا كمال والعجز نقص فكل كمال وبهاء وعظمة ومجد واستيلاء فانه محبوب وادراكه
لذيذ حتى ان الانسان ليسمع في الحكاية شجاعة علي وخالد رضي الله عنهما وغيرهما من الشجعان و
قدرتهما واستيلائهما على الاقران فيصادف في قلبه اهتزازا وفرحا وارتياحا ضروريا بمجرد لذة السماع
فضلا عن المشاهدة ويورث حبا في القلب ضروريا للمتصف به فانه نوع كمال فانسب الآن
قدرة الخلق كلهم الى قدرة الله تعالى فاعظم الاشخاص قوة واوسعهم ملكا واقواهم بطشا و
اقهرهم للشهوات واقمعهم لخبائث النفس واجمعهم للقدرة على سياسة نفسه وسياسة غيره
ما منتهى قدرته وانما غايته ان يقدر على بعض صفات نفسه وعلى بعض اشخاص الانس في بعض الامور
وهو مع ذلك لا يملك لنفسه موتا ولا حياة ولا نشورا ولا نفعا ولا ضرا بل لا يقدر على حفظ عينه من
العمى ولسانه من الخرس واذنه من الصمم وبدنه من المرض ولا يحتاج الى عد ما يعجز عنه في نفسه وغيره
مما هو على الجملة متعلق قدرته فضلا عما لا يتعلق به قدرته من ملكوت السموات وافلاكها
وكواكبها والارض وجبالها وبحارها ورياحها وصواعقها ومعادنها ونباتها وحيواناتها وجميع اجزائها
فلا قدرة له على ذرة منه وما هو قادر عليه من نفسه وغيره فليست قدرته من نفسه وبنفسه
بل الله خالقه وخالق قدرته وخالق اسبابه والممكن له من ذلك ولو سلط بعوضا على اعظم ملك واقوى
شخص من الحيوان لاهلكه فليس للعبد قدرة الا بتمكين مولاه كما قال في اعظم ملوك الارض ذي القرنين انا
مكنا له في الارض واتيناه من كل شيء سببا فلم يكن جميع ملكه وسلطنته الا بتمكين الله في جزء من الارض والارض
كلها مدرة بالاضافة الى اجسام العالم وجميع الولايات التي يحظى بها الناس من الارض غبرة من تلك
المدرة ثم تلك الغبرة ايضا من فضل الله وتمكينه فيستحيل ان يحب عبدا من عباد الله لقدرته وسياسته
وتمكينه واستيلائه وكمال قوته ولا يحب الله تعالى لذلك ولا حول ولا قوة لاحد الا بالله العلي
العظيم فهو الجبار القهار العليم القادر والسموات مطويات بيمينه والارض وما عليها في قبضته
وناصية جميع المخلوقات في قبضة قدرته ان اهلكهم من عند آخرهم لم ينقص من سلطانه وملكه ذرة و
ان خلق امثالهم الف مرة لم يعي بخلقهم ولا يمسه لغوب ولا فتور في اختراعه فلا قدرة ولا قادر
الا وهو اثر من آثار قدرته فله الجمال والبهاء والعظمة والكبرياء والقهر والاستيلاء فان كان يتصور
ان يحب قادر لكمال قدرته فلا يستحق الحب بكمال القدرة سواه اصلا واما صفة التنزه عن
العيوب والنقائص والتقدس عن الرذائل والخبائث فهو احد موجبات الحب ومقتضيات
الحسن والجمال في الصور الباطنة والانبياء والصديقون وان كانوا منزهين عن العيوب و
الخبائث فلا يتصور كمال التقدس والتنزه الا للواحد الحق الملك القدوس ذي الجلال والاكرام
واما كل مخلوق فلا يخلو عن نقص وعن نقائص بل كونه عاجزا مخلوقا مسخرا مضطرا عين العيب والنقص
والكمال لله وحده وليس لغيره كمال الا بقدر ما اعطاه وليس في المقدور ان ينعم بمنتهى الكمال على غيره
فان منتهى الكمال اقل درجاته ان لا يكون عبدا مسخرا لغيره وقائما بغيره وذلك محال في حق غيره
فهو المنفرد بالكمال المنزه عن النقص والمقدس عن العيوب وشرح وجوه التقديس والتنزيه في حقه
عن النقائص يطول وهو من اسرار علوم المكاشفة فلا نطول بذكره فهذا الوصف ايضا ان كان كمالا و
محبوبا فلا تتم حقيقته الا له وكمال غيره وتنزهه لا يكون مطلقا بل بالاضافة الى ما هو اشد منه نقصا
كما ان للفرس كمالا بالاضافة الى الحمار وللانسان كمالا بالاضافة الى الفرس واصل النقص شامل للكل

وانما يتفاوتون في درجات النقصان فاذا الجميل محبوب والجميل المطلق هو الواحد الذي لا ند له الفرد
الذي لا ضد له الصمد الذي لا منازع له الغني الذي لا حاجة له القادر الذي يفعل ما يشاء ويحكم
ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه العالم الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات
ولا في الارض القاهر الذي لا يخرج عن قبضة قدرته اعناق الجبابرة ولا ينفلت من سطوته وبطشه
رقاب القياصرة الازلي الذي لا اول لوجوده الابدي الذي لا آخر لبقائه الضروري الوجود الذي لا
يحوم امكان العدم حول حضرته القيوم الذي يقوم بنفسه ويقوم كل موجود به جبار السموات و
الارض خالق الجماد والحيوان والنبات المتفرد بالعزة والجبروت المتوحد بالملك والملكوت ذو الفضل
والجلال والبهاء والجمال والقدرة والكمال الذي يتحير في معرفة جلاله العقول وتخرس في وصفه
الالسن الذي كمال معرفة العارفين الاعتراف بالعجز عن معرفته ومنتهى نبوة الانبياء الاقرار بالقصور
عن وصفه كما قال سيد الانبياء صلى الله عليه وسلم انت كما اثنيت على نفسك لا احصي ثناء عليك وقال
سيد الصديقين سبحان من لم يجعل للخلق طريقا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته فالعجز عن درك الادراك
ادراك فليت شعري من ينكر امكان حب الله تعالى تحقيقا ويجعله مجازا اينكر ان هذه
الاوصاف هي من اوصاف الجمال والمحامد ونعوت الكمال والمحاسن او ينكر كون الله تعالى موصوفا بها او
ينكر كون الجمال والكمال والبهاء والعظمة محبوبا بالطبع عند من ادركه فسبحان من احتجب عن ابصار
العميان غيرة على جماله وجلاله ان يطلع عليه الا من سبقت له منه الحسنى الذين هم عن نار الحجاب
مبعدون وترك الخاسرين في ظلمات العمى يتيهون وفي مسارح المحسوسات وشهوات البهائم
يترددون يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون والحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون فالحب
بهذا السبب اقوى من الحب بالاحسان لان الاحسان يزيد وينقص ولذلك اوحى الله تعالى الى داود
عليه السلام ان اود الاوداء الي من عبدني بغير نوال لكن ليعطي الربوبية حقها وفي الزبور من اظلم
ممن عبدني لجنة او نار لو لم اخلق جنة ولا نارا الم اكن اهلا ان اطاع ومر عيسى عليه السلام على
طائفة من العباد قد نحلوا وقالوا نخاف النار ونرجو الجنة فقال لهم مخلوقا خفتم ومخلوقا
رجوتم ومر بقوم آخرين كذلك فقالوا نعبده حبا له وتعظيما لجلاله فقال انتم اولياء الله حقا
معكم امرت ان اقيم وقال ابو حازم اني لاستحيي ان اعبده للعقاب والثواب فاكون كالعبد السوء
ان لم يخف لم يعمل وكالاجير السوء ان لم يعط لم يعمل وفي الخبر لا يكونن احدكم كالاجير السوء ان لم يعط
اجره لم يعمل ولا كالعبد السوء ان لم يخف لم يعمل **واما السبب الخامس** للحب فهو المناسبة
والمشاكلة اذ شبه الشيء منجذب اليه والشكل الى الشكل اميل ولذلك ترى الصبي يألف الصبي
والكبير يألف الكبير والطير يألف نوعه وينفر عن خلاف نوعه وانس العالم بالعالم اكثر منه بالمحترف
وانس النجار بالنجار اكثر من انسه بالفلاح وهذا امر تشهد به التجربة وتشهد له الاخبار والآثار
كما استقصيناه في كتاب الاخوة في الله من كتاب آداب الصحبة فليطلب منه واذا كان التناسب سبب
التجاذب فالمناسبة قد تكون في معنى ظاهر كمناسبة الصبي للصبي في معنى الصبا وقد يكون خفيا لا
يطلع عليه كما ترى من الاتحاد الذي يتفق بين شخصين من غير ملاحظة جمال وطمع في مال كما اشار
صلى الله عليه وسلم اذ قال الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف
فالتعارف هو التناسب والتناكر هو التباين وهذا السبب ايضا يقتضي حب الله تعالى

بمناسبة باطنة لا ترجع إلى المناسبة في الصور والأشكال بل إلى معان باطنة يجوز أن نذكر بعضها في الكتب
وبعضها لا يجوز أن يسطر بل يترك تحت غطاء الغيرة حتى يعثر عليها السالكون للطريق إذا استكملوا شرط
السلوك فالذي يذكر هو قرب العبد من الله بالصفات التي أمرنا فيها بالاقتداء والتخلق بأخلاق الربوبية
حتى قيل تخلقوا بأخلاق الله وذلك في اكتساب محامد الصفات التي هي من صفات الإلهية من العلم
والبر والإحسان واللطف وإفاضة الخير والرحمة على الخلق والنصيحة لهم وإرشادهم إلى الحق ومنعهم
من الباطل إلى غير ذلك من مكارم الشريعة فكل ذلك يقرب إلى الله سبحانه لا بمعنى طلب القرب بالمكان
بل بالصفات وأما ما لا يجوز أن يسطر في الكتب من المناسبة الخاصة التي اختص بها الآدمي فهي التي
يومئ إليها قوله تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي إذ بين أنه أمر رباني خارج عن حد
عقول الخلق ويشير إليه قوله يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق إذ لم يستحق
داود خلافة الله تعالى إلا بتلك المناسبة وإليه يرمز قوله صلى الله عليه وسلم إن الله خلق آدم على صورته
حتى ظن القاصرون أن لا صورة إلا الصورة الظاهرة المدركة بالحواس فشبهوا وجسموا وصوروا تعالى رب
العالمين عما يقول الجاهلون علوا كبيرا وإليه الإشارة بقوله تعالى لموسى عليه السلام مرضت فلم
تعدني فقال وكيف ذلك قال مرض عبدي فلان فلم تعده ولو عدته لوجدتني عنده وهذه المناسبة لا
تظهر إلا بالمواظبة على النوافل بعد إحكام الفرائض كما قال الله تعالى لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل
حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به وهذا
موضع يجب قبض عنان القلم فيه فقد تحزب الناس فيه إلى قاصرين مالوا إلى التشبيه الظاهر وإلى
غالين مسرفين جاوزوا حد المناسبة إلى الاتحاد وقالوا بالحلول حتى قال بعضهم أنا الحق وضل النصارى
في عيسى صلى الله عليه وسلم فقالوا هو الإله وقال آخرون منهم تدرع الناسوت باللاهوت وقال
آخرون اتحد به وأما الذين انكشف لهم استحالة التشبيه والتمثيل واستحالة الاتحاد والحلول
واتضح لهم مع ذلك حقيقة السر فهم الأقلون ولعل أبا الحسين النوري عن هذا المقام كان ينظر
إذ غلبه الوجد في قول القائل شعر لا زلت أنزل في ودادك منزلا تتحير الألباب عند نزوله فلم يزل
يعدو في وجده على أجمة قصب قد قطعت وبقي أصولها حتى تقطعت قدماه وتورمت ومات
فيه منه وهذا هو أعظم الأسباب في الحب وأقواها وهو أعزها وأبعدها وأقلها وجودا فهذه
هي المعلومة من أسباب الحب وجملتها متظاهرة في حق الله تعالى تحقيقا لا مجازا وفي أعلى الدرجات لا في
أدناها فكان المعقول المقبول الممكن عند ذوي البصائر حب الله تعالى فقط كما كان المعقول الممكن عند
العميان حب غير الله تعالى فقط ثم كل من يحب من الخلق لسبب من هذه الأسباب يتصور أن يحب غيره
لمشاركته إياه في السبب والشركة نقصان في الحب وغض من كماله ولا ينفرد أحد بوصف محبوب إلا وقد
يوجد له شريك فيه فإن لم يوجد فيمكن أن يوجد إلا الله تعالى فإنه موصوف بهذه الأوصاف التي
هي غاية الجلال والكمال ولا شريك له فيه وجودا ولا يتصور أن يكون ذلك إمكانا فلا جرم لا يكون في حبه شركة فلا
يتطرق النقصان إلى حبه كما لا يتطرق الشركة إلى صفاته فهو المستحق إذا لأصل المحبة ولكمال المحبة
استحقاقا لا يساهم فيه أصلا

بيان أن أجل اللذات وأعلاها معرفة الله تعالى والنظر
إلى وجهه الكريم وأنه لا يتصور أن يؤثر عليها لذة أخرى إلا من حرم هذه اللذة اعلم أن اللذات تابعة
للإدراكات والإنسان جامع لجملة من القوى والغرائز ولكل قوة وغريزة لذة ولذتها في نيلها بمقتضى طبعها
الذي خلقت له فإن هذه الغرائز ما ركبت في الإنسان عبثا بل ركبت كل قوة وغريزة لأمر من
الأمور هو مقتضاها بالطبع فغريزة الغضب خلقت للتشفي والانتقام فلا جرم لذتها في الغلبة و
الانتقام الذي هو مقتضى طبعها وكذلك لذة السمع والبصر والشم في الإبصار وغريزة شهوة
الطعام مثلا خلقت لتحصيل الغذاء الذي به القوام فلا جرم لذتها في نيل الغذاء الذي هو مقتضى
طبعها وكذلك لذة السمع والبصر والشم في الإبصار والاستماع فلا تخلو غريزة من هذه الغرائز
عن ألم ولذة بالإضافة إلى مدركاتها فكذلك في القلب غريزة تسمى النور الإلهي لقوله تعالى أفمن شرح
الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه وقد تسمى العقل وقد تسمى البصيرة الباطنة وقد تسمى
نور الإيمان واليقين ولا معنى للاشتغال بالأسامي فإن الاصطلاحات مختلفة والضعيف يظن
أن الاختلافات واقع في المعاني لأن الضعيف يطلب المعاني من الألفاظ وهو عكس الواجب فالقلب
مفارق لسائر أجزاء البدن بصفة بها يدرك المعاني التي ليست متخيلة ولا محسوسة كإدراك خلق
العالم وافتقاره إلى خالق قديم حكيم موصوف بصفات الإلهية ولنسم تلك الغريزة عقلا بشرط أن
لا يفهم من لفظ العقل ما تدرك به طرق المجادلة والمناظرة فقد اشتهر اسم العقل بهذا ولهذا ذمه
بعض الصوفية وإلا فالصفة التي فارق الإنسان بها البهائم وبها يدرك معرفة الله تعالى أعز الصفات
فلا ينبغي أن يذم وهذه صفة الغريزة خلقت ليعلم بها حقائق الأمور كلها فمقتضى طبعها المعرفة والعلم
وهي لذتها كما أن مقتضى طبع سائر الغرائز هي لذتها وليس يخفى أن في العلم والمعرفة لذة حتى أن الذي ينسب
إلى العلم ولو في شيء خسيس يفرح به والذي ينسب إلى الجهل ولو في شيء حقير يغتم به وحتى أن الإنسان
لا يكاد يصبر عن التحدي بالعلم والتمدح به في الأشياء الحقيرة فالعالم باللعب بالشطرنج على خسته
لا يطيق السكوت عن التعليم به وينطلق لسانه بذكر ما يعلمه وكل ذلك لفرط لذة العلم وما يستشعر من
كمال ذاته به فإن العلم من أخص الصفات الربوبية وهو منتهى الكمال ولذلك يرتاح الطبع إذا أثني عليه
بالذكاء وغزارة العلم لأنه يستشعر عند سماع الثناء كمال ذاته وكمال علمه فيعجب بنفسه ويلتذ به ثم ليست لذة العلم
بالحراثة والخياطة كلذة العلم بسياسة الملك وتدبير أمر الخلق ولا لذة العلم بالنحو والشعر كلذة العلم
بالله تعالى وصفاته وملائكته وملكوت السماوات والأرض بل لذة العلم بقدر شرف العلم وشرف العلم
بقدر شرف المعلوم منه حتى أن الذي يعرف بواطن أحوال الناس ويخبر بها يجد لذة وإن جهله يتقاضاه
طبعه أن يفحص عنه فإن علم بواطن أحوال رئيس البلد وأسرار تدبيره في رياسته كان ذلك ألذ عنده
وأطيب من علمه بباطن حال فلاح أو حائك فإن اطلع على أسرار الوزير وتدبيره وما هو عازم عليه في أمر الوزارة
فهو أشهى عنده وألذ من علمه بأسرار الرئيس فإن كان خبيرا بباطن أسرار الملك والسلطان الذي هو
مستول على الوزير كان ذلك أطيب عنده وألذ من علمه بباطن علم الوزير وكان تمدحه بذلك وحرصه
على البحث عنه أشد وحبه له أكثر لأن لذته فيه أعظم فبهذا استبان أن ألذ المعارف أشرفها
وشرفها بحسب شرف المعلوم فإن كان في المعلومات ما هو الأجل والأكمل والأشرف والأعظم فالعلم به ألذ
العلوم لا محالة وأشرفها وأطيبها وليت شعري هل في الوجود شيء أجل وأعلى وأشرف وأكمل وأعظم من
خالق الأشياء كلها ومكملها ومزينها ومبديها ومعيدها ومدبرها ومرتبها وهل يتصور أن يكون حضرة
في الملك والكمال والجمال والبهاء والجلال أعظم من الحضرة الربوبية التي لا يحيط بمبادي جلالها
وعجائب أحوالها وصف الواصفين فإن كنت لا تشك في ذلك فلا ينبغي أن تشك في أن

الاطلاع على اسرار الربوبية والعلم بترتيب الامور الالهية المحيطة بكل الموجودات فهو اعلى انواع المعارف
والاطلاعات والذها واطيبها واشهاها واحرى بما تستشعر النفوس عند الاتصاف بها كمالها وجمالها
واجدر بما يعظم به الفرح والارتياح والاستبشار وبهذا تبين ان العلم لذيذ وان الذ العلوم العلم
بالله تعالى وصفاته وافعاله وتدبيره في مملكته من منتهى عرشه الى تخوم الارضين فينبغي ان
يعلم ان لذة المعرفة اقوى من سائر اللذات اعني لذة الشهوة والغضب ولذة سائر الحواس الخمس فان
اللذات مختلفة بالنوع اولا كمخالفة لذة الوقاع للذة السماع ولذة المعرفة ولذة الرياسة وهي مختلفة بالضعف
والقوة كمخالفة لذة الشبق المغتلم الى الجماع بالاضافة الى لذة الفاتر الشهوة وكمخالفة لذة الوجه الجميل
البالغ الجمال بالاضافة الى لذة ما دونه في الجمال وانما يعرف اقوى اللذات بان تكون مؤثرة على غيرها فان المخير
بين النظر الى صورة جميلة والتمتع بمشاهدتها وبين استنشاق روائح طيبة اذا اختار النظر الى الملاح
علم به ان الصورة الجميلة عنده الذ من الروائح الطيبة وكذلك اذا احضر الطعام وقت الاكل واستمر
اللاعب بالشطرنج على اللعب وترك الاكل فيعلم به ان لذة الغلبة في الشطرنج اقوى عنده من لذة الاكل
فهذا معيار صادق في الكشف عن ترجيح اللذات فنعود ونقول اللذات تنقسم الى ظاهرة كلذات
الحواس الخمس والى باطنة كلذة الرياسة والغلبة والكرامة والعلم وغيره اذ ليست هذه اللذة للعين
ولا للانف ولا للاذن ولا للمس ولا للذوق والمعاني الباطنة اغلب على ذوي الكمال من اللذات الظاهرة
فلو خير الرجل بين لذة الهريسة والدجاج السمين واللوزينج وبين لذة الرياسة وقهر الاعداء ونيل الدرجة
للاستيلاء فان كان المخير خسيس الهمة ميت القلب شديد البهيمية اختار الهريسة والحلاوة
وان كان عالي الهمة كامل العقل اختار الرياسة ويدل على انها الذ عنده من الهريسة والمطعومات نعم الناقص
الذي لم تكمل معانيه الباطنة بعد كالصبي او الذي ماتت قواه الباطنة كالمعتوه لا يبعد ان يؤثر لذة
المطعومات على لذة الرياسة وكما ان لذة الرياسة والكرامة اغلب اللذات على من جاوز نقصان الصبا والعته
فلذة معرفة الله تعالى ومطالعة جمال الحضرة الربوبية والنظر الى اسرار الامور الالهية الذ من الرياسة
التي هي اعلى اللذات الغالبة على الخلق وغاية العبارة عنه ان يقال فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين
وانه اعد لهم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهذا الان لا يعرفه الا من ذاق اللذتين
جميعا فانه لا محالة يؤثر التبتل والتفكر والتفرد والذكر وينغمس في بحار المعرفة ويترك الرياسة و
يستحقر الخلق الذين يرأسهم لعلمه بفناء رياسته وفناء من عليه رياسته وكونه مشوبا بالكدورات التي لا يتصور
الخلو عنها وكونه مقطوعا بالموت الذي لا بد منه ومن اتيانه مهما اخذت الارض زخرفها وازينت وظن
اهلها انهم قادرون عليها فيستعظم بالاضافة اليها لذة معرفة الله تعالى ومطالعة صفاته
وافعاله ونظام مملكته من اعلى عليين الى اسفل السافلين فانها خالية عن المزاحمات والمكدرات
متسعة للمتواردين عليها لا تضيق عنهم لكثرتهم وانما عرضها من حيث التقدير السموات والارض واذا
خرج النظر عن المقدرات فلا نهاية لعرضها فلا يزال العارف بمطالعتها في جنة عرضها السموات و
الارض يرتع في رياضها ويقطف من ثمارها ويكرع من حياضها وهو امن من انقطاعها اذ ثمارها من الجنة غير مقطوعة ولا
ممنوعة ثم هي ابدية سرمدية لا يقطعها الموت اذ الموت لا يهدم محل معرفة الله تعالى اذ محلها الروح الذي
هو امر رباني سماوي وانما الموت يغير احوالها ويقطع شواغلها وعوائقها ويخليها من حبسها فاما ان
يعدمها فلا ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء الاية ولا تظنن ان هذا مخصوص بالمقتول

في المعركة فان للعارف بكل نفس درجة الف شهيد وفي الخبر ان الشهيد ليتمنى في الاخرة ان يرد الى
الدنيا فيقتل مرة اخرى لعظم ما يراه من ثواب الشهادة وان الشهداء يتمنون لو كانوا علماء لما يرونه
من علو درجة العلماء فاذا جميع اقطار ملكوت السموات ميدان العارف يتبوأ منها حيث يشاء من غير
حاجة الى ان يتحرك اليها بجسمه وشخصه فهو من مطالعة جمال الملكوت في جنة عرضها السموات والارض
وكل عارف فله مثلها من غير ان يضيق بعضهم على بعض اصلا الا انهم يتفاوتون في سعة متنزهاتهم
بقدر تفاوتهم في اتساع نظرهم وسعة معارفهم وهم درجات عند الله ولا يدخل في الحصر تفاوت درجاتهم
فقد ظهر ان لذة الرياسة وهي باطنة اقوى عند ذوي الكمال من لذة الحواس كلها وان هذه اللذة لا تكون
لبهيمة ولا لصبي ولا معتوه وان لذة المحسوسات والشهوات تكون لذوي الكمال مع لذة الرياسة و
لكن يؤثرون الرياسة فاما كون معرفة الله تعالى وصفاته وافعاله وملكوت سماواته واسرار ملكه اعظم
لذة من الرياسة فهذا يختص بمعرفته من نال رتبة المعرفة وذاقها ولا يمكن اثبات ذلك عند من لا قلب له
لان القلب انما هو معدن هذه القوة كما انه لا يمكن اثبات ذلك عند من لا قلب له لان القلب انما هو معدن
هذه القوة اثبات رجحان لذة الوقاع على لذة اللعب بالصولجان عند الصبيان ولا رجحانه على لذة شم البنفسج
عند العنين لانه فقد الصفة التي بها يدرك هذه اللذات ولكن من سلم من آفة العنة وسلمت حاسة شمه
ادرك التفاوت بين اللذتين وعند هذا لا يبقى الا ان يقال من ذاق عرف ولعمري طلاب العلوم وان لم يشتغلوا
بطلب الامور الالهية فقد استنشقوا رائحة هذه اللذة عند انكشاف المشكلات وانحلال الشبهات التي
قوي حرصهم على طلبها فانها ايضا معارف وعلوم وان كانت معلوماتها غير شريفة شرف المعلومات الالهية
فاما من طال فكره في معرفة الله تعالى وقد انكشف له من اسرار ملك الله ولو الشيء اليسير فانه يصادف في قلبه
عند حصول الكشف من الفرح ما يكاد يطير به ويتعجب من نفسه في ثباته واحتماله لقوة فرحه وسروره وهذا مما
لا يدرك الا بالذوق والحكاية فيه قليلة الجدوى فهذا القدر ينبهك على ان معرفة الله سبحانه وتعالى
الذ الاشياء وانه لا لذة فوقها ولهذا قال ابو سليمان الداراني ان لله عبادا ليس يشغلهم عن الله تعالى
خوف النار ولا رجاء الجنة فكيف تشغلهم الدنيا عن الله تعالى ولذلك قال بعض اخوان معروف له اخبرني
يا ابا محفوظ اي شيء اهاجك الى العبادة والانقطاع عن الخلق فسكت فقال ذكر الموت فقال واي شيء الموت
فقال ذكر القبر والبرزخ فقال واي شيء القبر فقال خوف النار ورجاء الجنة فقال واي شيء هذا ان ملكا بيده
هذا كله ان احببته انساك جميع ذلك وان كانت بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا وفي اخبار عيسى
عليه السلام اذا رايت الفتى مشغوفا في طلب الرب تعالى فقد الهاه ذلك عن ما سواه ورأى بعض الشيوخ
بشر بن الحارث في النوم فقال ما فعل ابو نصر التمار وعبد الوهاب الوراق فقال تركتهما الساعة بين
يدي الله تعالى ياكلان ويشربان قلت فانت قال علم الله تعالى قلة رغبتي في الاكل والشرب فاعطاني النظر
اليه وعن علي بن الموفق قال رايت في النوم كاني ادخلت الجنة فرأيت رجلا قاعدا على مائدة وملكان عن
يمينه وشماله يلقمانه من جميع الطيبات وهو ياكل ورايت رجلا قائما على باب الجنة يتصفح وجوه قوم
فيدخل بعضا ويرد بعضا قال ثم جاوزتهم الى حظيرة القدس فرايت في سرادق العرش رجلا قد شخص ببصره ينظر
الى الله تعالى لا يطرف فقلت لرضوان من هذا فقال معروف الكرخي رحمة الله عليه عبد الله تعالى لا خوفا من ناره ولا
شوقا الى جنته بل حبا له فاباحه النظر اليه الى يوم القيامة وذكر ان الاخرين بشر بن الحارث واحمد بن حنبل
ولذلك قال ابو سليمان الداراني من كان اليوم مشغولا بنفسه فهو غدا مشغول بنفسه ومن كان اليوم مشغولا

ربه فقيل لها كيف حبك للنبي صلى الله عليه وسلم فقالت ما عبدته خوفا من ناره ولا حبا لجنته
فأكون كالأجير السوء بل عبدته حبا له وشوقا اليه وقالت في معنى المحبة نظما شعر احبك حبين حب الهوى وحبا لانك
اهل لذاكا ❊ فاما الذي هو حب الهوى ❊ فشغلي بذكرك عمن سواكا ❊ واما الذي انت اهل له ❊ فكشفك لي الحجب حتى اراكا
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ❊ ولكن لك الحمد في ذا وذاكا ❊ ولعلها ارادت بحب الهوى حب الله لاحسانه اليها وانعامه
عليها بحظوظها العاجلة وبحبه لما هو اهله الحب لجماله وجلاله الذي انكشف لها وهو اعلى الحبين واقواهما
ولذة مطالعة جمال الربوبية هي التي عبر عنها صلى الله عليه وسلم حيث قال حاكيا عن الله عز وجل اعددت لعبادي
الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقد يتعجل بعض هذه اللذات في الدنيا لمن انتهى
صفاء قلبه الى الغاية ولذلك قال بعضهم اني اقول يا رب يا الله فاجد ذلك اثقل على قلبي من الجبال لان النداء
يكون من وراء حجاب وهل رأيت جليسا ينادي جليسه وقال اذا بلغ الرجل في هذا العلم الغاية رماه الخلق بالحجارة
اي يخرج كلامه عن حد عقولهم فيرون ما يقوله جنونا او كفرا فمقصد العارفين كلهم وصله ولقاؤه فقط فهي
قرة العين التي لا تعلم نفس ما اخفي لهم منها واذا حصلت انمحقت الهموم والشهوات كلها وصار القلب مستغرقا بنعيمها
فلو القي في النار لم يحس بها لاستغراقه ولو عرض عليه نعيم الجنة لم يلتفت اليها لكمال النعيم وبلوغه الغاية التي
ليس فوقها غاية وليت شعري من لا يفهم الا حب المحسوسات كيف يؤمن بلذة النظر الى وجه الله تعالى وما له صورة
وشكل واي معنى لوعد الله تعالى عباده به وذكره انه اعظم النعيم بل من عرف الله عرف ان اللذات المفرقة في
الشهوات المختلفة كلها تنطوي تحت هذه اللذة كما قال بعضهم شعر كانت لقلبي اهواء مفرقة ❊ فاستجمعت
اذ رأتك العين اهوائي ❊ فصار يحسدني من كنت احسده ❊ وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي ❊ تركت للناس دنياهم ودينهم
شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي ❊ ولذلك قال بعضهم ❊ وهجره اعظم من ناره ❊ ووصله اطيب من جنته ❊ وما ارادوا بهذا الا ايثار
لذة القلب في معرفة الله تعالى على لذة الاكل والشرب والنكاح فان الجنة معدن تمتع الحواس ومثال اطوار الخلق في لذاتهم
مثال ما ذكرناه وهو ان الصبي في حركته وتمييزه يظهر فيه غريزة بها يستلذ اللعب واللهو حتى يكون ذلك عنده الذ من
سائر الاشياء ثم يظهر بعده لذة الزينة ولبس الثياب وركوب الدواب فيستحقر معها اللعب ثم يظهر بعده لذة الوقاع
وشهوة النساء فيترك بها جميع ما قبلها في الوصول اليها ثم تظهر لذة الرياسة والعلو والتكاثر وهي آخر لذات الدنيا
واعلاها كما قال الله تعالى اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر الآية ثم بعد هذا تظهر
غريزة اخرى يدرك بها معرفة الله تعالى ومعرفة افعاله فيستحقر معها جميع ما قبلها وكل متأخر فهو اقوى وهذا
هو الآخر اذ يظهر حب اللعب في سن التمييز وحب النساء والزينة في سن البلوغ وحب الرياسة بعد العشرين وحب
العلوم بقرب الاربعين وهي الغاية العليا وكما ان الصبي يضحك على من يترك اللعب ويشتغل بملاعبة النساء
وطلب الرياسة فكذلك الرؤساء يضحكون على من يترك الرياسة ويشتغل بمعرفة الله تعالى والعارفون يقولون
ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون

بيان السبب في زيادة النظر في الآخرة

اعلم ان المدركات تنقسم
الى ما يدخل في الخيال كالصور المتخيلة والاجسام المتلونة المتشكلة من اشخاص الحيوانات والنبات والى ما لا يدخل
في الخيال كذات الله تعالى وكل ما ليس بجسم كالعلم والقدرة والارادة وغيرها ومن رأى انسانا ثم غمض بصره وجد
صورته حاضرة في خياله كأنه ينظر اليها ثم اذا فتح العين وابصر ادرك التفرقة بينهما ولا ترجع التفرقة الى اختلاف
بين الصورتين لان الصورة المرئية تكون موافقة للمتخيلة وانما الافتراق بمزيد الوضوح والكشف فان صورة المرئي
صارت بالرؤية اتم انكشافا ووضوحا وهو كشخص يرى في وقت الاسفار قبل انتشار الضوء ثم يرى عند تمام
الضوء فانه لا يفارق احدى الحالتين الاخرى الا في مزيد الانكشاف فاذن الخيال هو اول الادراك والرؤية هو الاستكمال

لادراك الخيال وهو غاية الكشف ويسمى ذلك رؤية لانه غاية الكشف لا لانه في العين بل لو خلق هذا
الادراك الكامل المكشوف في الجبهة او الصدر مثلا لاستحق ان يسمى رؤية واذا فهمت هذا في
المتخيلات فاعلم ان المعلومات التي لا تتشكل في الخيال ايضا لمعرفتها وادراكها درجتان احداهما اولى
والثانية استكمال لها وبين الثانية والاولى من التفاوت في مزيد الكشف والايضاح ما بين المتخيل و
المرئي فيسمى الثاني ايضا بالاضافة الى الاول مشاهدة ولقاء ورؤية وهذه التسمية حق لان
الرؤية سميت رؤية لانها غاية الكشف وكما ان سنة الله تعالى جارية بان تطبيق الاجفان يمنع من
تمام الكشف بالرؤية ويكون حجابا بين البصر والمرئي ولا بد من ارتفاع الحجاب لحصول الرؤية وما لم يرتفع
كان الادراك الحاصل مجرد التخيل فكذلك مقتضى سنة الله تعالى ان النفس ما دامت محجوبة بعوارض
البدن ومقتضى الشهوات وما غلب عليها من الصفات البشرية فانها لا تنتهي الى المشاهدة واللقاء
في المعلومات الخارجة عن الخيال بل هذه الحياة حجاب عنها بالضرورة كحجاب الاجفان عن رؤية الابصار
والقول في سبب كونها حجابا يطول ولا يليق بهذا العلم ولذلك قال الله تعالى لموسى عليه السلام
لن تراني وقال لا تدركه الابصار اي في الدنيا والصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى الله تعالى
ليلة المعراج فاذا ارتفع الحجاب بالموت بقيت النفس ملوثة بكدورات الدنيا غير منفكة عنها
بالكلية وان كانت متفاوتة فمنها ما تراكم عليها الخبث والصدأ فكانت كالمرآة التي فسد
بطول تراكم الخبث جوهرها فلا تقبل الاصلاح والتصقيل وهؤلاء هم المحجوبون عن ربهم ابد الآباد نعوذ
بالله من ذلك ومنها ما لم ينته الى حد الرين والطبع ولم يخرج عن قبول التزكية والتصقيل فيعرض
على النار عرضا يقلع منه الخبث الذي هو متدنس به ويكون العرض على النار بقدر الحاجة الى
التزكية واقلها لحظة خفيفة واقصاها في حق المؤمنين كما وردت به الاخبار سبعة آلاف
سنة ولن تخلو نفس في هذا العالم الا وتصحبها غبرة وكدورة وان قلت ولذلك قال الله تعالى
وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فكل نفس
مستيقنة للورود على النار وغير مستيقنة للصدور عنها فاذا اكمل الله تعالى تطهيرها وتزكيتها
وبلغ الكتاب اجله ووقع الفراغ عن جملة ما وعد به الشرع من العرض والحساب وغيره ووافى
استحقاق الجنة وذلك وقت مبهم لم يطلع عليه احدا من خلقه فانه واقع بعد القيامة ووقت
القيامة مجهول فعند ذلك يشتغل بصفائه ونقائه عن الكدورات حيث لا يرهق وجهه قتر ولا
ذلة لان يتجلى له الحق سبحانه وتعالى فيتجلى له تجليا يكون انكشاف تجليه بالاضافة الى
ما علمه كانكشاف تجلي المرئيات بالاضافة الى ما تخيله وهذه المشاهدة والتجلي هي التي تسمى رؤية
فاذن الرؤية حق بشرط ان لا يفهم من الرؤية استكمال الخيال في متخيل متصور مخصوص بجهة
ومكان فان ذلك مما يتعالى عنه رب الارباب علوا كبيرا بل كما عرفته في الدنيا معرفة حقيقية
تامة من غير تخيل وتصور وتقدير شكل وصورة فتراه في الآخرة كذلك بل اقول المعرفة الحاصلة
في الدنيا بعينها هي التي تستكمل فتبلغ كمال الكشف والوضوح فتنقلب مشاهدة ولا يكون بين
المشاهدة في الآخرة والمعلوم في الدنيا اختلاف الا من حيث زيادة الكشف والوضوح كما ضربنا المثال
في استكمال الخيال بالرؤية فاذا لم يكن في معرفة الله تعالى اثبات صورة وجهة فلا يكون في استكمال
تلك المعرفة بعينها وترقيها في الوضوح الى غاية الكشف ايضا جهة وصورة لانها هي بعينها لا تفترق الا في زيادة

الكشف كان الصورة المرئية هي المرئية بعينها الا في زيادة الكشف واليه الاشارة بقوله تعالى يسعى
نورهم بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا اذ تمام النور لا يؤثر الا في زيادة الكشف
ولهذا لا يفوز بدرجة النظر والرؤية الا العارفون في الدنيا لان المعرفة هي البذر الذي ينقلب في
الآخرة مشاهدة كما تنقلب النواة شجرة والبذر زرعا ومن لا نواة له فكيف يحصل له نخل ومن لم يزرع البذر
فكيف يحصد الزرع فكذلك من لم يعرف الله تعالى فكيف يراه ولما كانت المعرفة على درجات متفاوتة
كان التجلي ايضا على درجات متفاوتة فاختلاف التجلي بالاضافة الى اختلاف المعارف كاختلاف
النبات بالاضافة الى اختلاف البذور اذ يختلف لا محالة بقلتها وكثرتها وحسنها وضعفها ولذلك
قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يتجلى للناس عامة ولابي بكر خاصة فلا ينبغي ان يظن ان غير ابي
بكر ممن هو دونه يجد لذة النظر والمشاهدة ما يجده ابو بكر بل لا يجد الا عشر عشيره ولما فضل الناس
وقر في صدره فضل لا محالة بتجلي انفرد به وكما انك ترى في الدنيا من يؤثر لذة الرياسة على المنكوح
والمطعوم وترى من يؤثر لذة العلم وانكشاف مشكلات ملكوت السموات والارض وسائر الامور
الالهية على الرياسة وعلى المنكوح والماكول والمشروب جميعا فكذلك يكون في الآخرة قوم يؤثرون
لذة النظر الى وجه الله تعالى على نعيم الجنة اذ يرجع نعيمها الى المنكوح والمطعوم وهؤلاء بعينهم
هم الذين حالهم في الدنيا ما وصفناه من ايثار لذة العلم والمعرفة والاطلاع على اسرار الربوبية على
المنكوح والمشروب وسائر الخلق مشغولون به ولذلك لما قيل لرابعة ما تقولين في الجنة فقالت
الجار ثم الدار فبينت انه ليس في قلبها التفات الى الجنة بل الى رب الجنة فكل من لم يعرف الله عز وجل
في الدنيا فلا يراه في الآخرة وكل من لم يجد لذة المعرفة في الدنيا فلا يجد لذة النظر في الآخرة اذ ليس يستأنف
احد في الآخرة ما لم يصحبه من الدنيا ولا يحصد احد الا ما زرع ولا يحشر المرء الا على ما مات عليه ولا يموت
الا على ما عاش عليه فما صحبه من المعرفة هي التي يتنعم بها بعينها فقط الا انها تنقلب مشاهدة
بكشف الغطاء كما يتضاعف لذة العاشق اذا استبدل بخيال صورة المعشوق رؤية صورته فان ذلك
هو منتهى لذته فانما طيب الجنة ان لكل احد فيها ما اشتهى فمن لا يشتهي الا لقاء الله تعالى فلا
لذة له في غيره بل ربما يتأذى به فاذا نعيم الجنة بقدر حب الله تعالى وحب الله تعالى بقدر معرفته
فاصل السعادات هي المعرفة التي عبر الشرع عنها بالايمان فان قلت فلذة الرؤية ان كانت لها نسبة الى
لذة المعرفة فهي قليلة وان كان اضعافها لان لذة المعرفة في الدنيا ضعيفة فتضاعفها الى حد
قريب لا ينتهي في القوة الى ان يستحقر سائر لذات الجنة فيها فاعلم ان هذا الاستحقار للذة المعرفة
صادر من الخلو عن المعرفة فمن خلا عن المعرفة كيف يدرك لذتها وان انطوى على معرفة ضعيفة وقلبه
مشحون بعلائق الدنيا فكيف يدرك لذتها فللعارفين في معرفتهم وفكرتهم ومناجاتهم لله تعالى
لذات لو عرضت عليهم الجنة في الدنيا بدلا عنها لم يستبدلوا بها ثم هذه اللذة مع كمالها لا نسبة لها
اصلا الى لذة اللقاء والمشاهدة كما لا نسبة للذة خيال المعشوق الى رؤيته ولا للذة استنشاق
روائح الاطعمة الشهية الى ذوقها ولا للذة اللمس باليد الى لذة الوقاع واظهار عظم التفاوت بينهما
لا يمكن الا بضرب مثال فنقول لذة النظر الى وجه المعشوق في الدنيا تتفاوت باسباب احدها
كمال جمال المعشوق ونقصانه فان اللذة في النظر الى الاجمل اكمل لا محالة والثاني كمال قوة الحب والشهوة
والعشق فليس التذاذ من اشتد عشقه كالتذاذ من ضعفت شهوته وحبه والثالث كمال الادراك

فليس التذاذ برؤية المعشوق في ظلمة او من وراء ستر رقيق او من بعد كالتذاذه بادراكه على قرب من
غير ستر وعند كمال الضوء ولا ادراك لذة المضاجعة مع ثوب حائل كادراكها مع التجرد والرابع اندفاع
العوائق المشوشة والالام الشاغلة للقلب فليس التذاذ الصحيح الفارغ كالتذاذ الخائف المذعور
او المريض او المتألم او المشغول قلبه بهم من المهمات فقدر عاشقا ضعيف العشق ينظر الى وجه
معشوقه من وراء ستر رقيق على بعد بحيث يمنع انكشاف كنه صورته في حالة اجتمع عليه عقارب
وزنابير تؤذيه وتلدغه وتشغل قلبه فهو في هذه الحالة لا يخلو عن لذة ما من مشاهدة معشوقه
فلو طرأت على الفجأة حالة انهتك بها الستر واشرق بها الضوء واندفعت عنه المؤذيات وبقي سليما
فارغا وهجمت عليه الشهوة القوية والعشق المفرط حتى بلغ اقصى الغايات فانظر كيف تتضاعف اللذة
حتى لا يبقى للاولى اليها نسبة يعتد بها فكذلك فافهم نسبة لذة النظر الى لذة المعرفة فالستر
الرقيق مثال البدن والاشتغال به والعقارب والزنابير مثال الشهوات المتسلطة على
الانسان من الجوع والعطش والغضب والغم والحزن وضعف الشهوة والحب مثال القصور النفس في
الدنيا ونقصانها عن الشوق الى الملأ الاعلى والتفاتها الى اسفل السافلين وهي مثل قصور الصبي
عن ملاحظة لذة الرياسة والتفاته الى اللعب بالعصفور والعارف وان قوي في الدنيا معرفته
فلا يخلو عن هذه المشوشات ولا يتصور ان يخلو عنها البتة نعم قد تضعف هذه العوائق في بعض
الاحوال ولا تدوم فلا جرم يلوح من جمال المعرفة ما يبهت العقل وتعظم لذته بحيث يكاد القلب
يتفطر لعظمته ولكن يكون ذلك كالبرق الخاطف وقل ما يدوم بل يعرض من الشواغل والافكار و
الخواطر ما يشوشه وينغصه وهذه ضرورة كائنة في هذه الحياة الفانية فلا تزال هذه اللذة منغصة
الى الموت وانما الحياة الطيبة بعد الموت وانما العيش عيش الآخرة وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا
يعلمون وكل من انتهى الى هذه الرتبة فانه يحب لقاء الله تعالى فيحب الموت ولا
يكرهه الا من حيث ينتظر زيادة استكمال في المعرفة فان المعرفة كالبذر وبحر المعرفة لا ساحل له
فالاحاطة بكنه جلال الله تعالى محال وكلما كثرت المعرفة بالله وصفاته وافعاله واسرار مملكته
وكثرت كثر النعيم في الآخرة وعظم كما انه كلما كثر البذر وحسن كثر الزرع وحسن ولا يمكن تحصيل
هذا البذر الا في الدنيا ولا يزرع الا في صعيد القلب ولا حصاد الا في الآخرة ولهذا قال النبي صلى الله عليه
وسلم افضل السعادات طول العمر في طاعة الله تعالى لان المعرفة انما تكمل وتكثر وتتسع في العمر الطويل
بمداومة الفكر والمواظبة على المجاهدة والانقطاع عن علائق الدنيا والتجرد للطلب ويستدعي
ذلك لا محالة زمانا فمن احب الموت احبه لانه رأى نفسه واقفا في المعرفة بالغا الى منتهى ما تيسر له
ومن كره الموت كرهه لانه كان يؤمل مزيد معرفة تحصل له بطول العمر ورأى نفسه مقصرا عما
يحتمله قوته لو عمر فهذا سبب كراهة الموت وحبه عند اهل المعرفة واما سائر الخلق فنظرهم
مقصور على شهوات الدنيا ان اتسعت احبوا البقاء وان ضاقت تمنوا الموت وكل ذلك حرمان وخسران
مصدره الجهل والغفلة فالجهل والغفلة مغرس كل شقاوة والعلم والمعرفة اساس كل سعادة فقد
عرفت بما ذكرناه معنى المحبة ومعنى العشق فانه المحبة المفرطة القوية ومعنى لذة المعرفة ومعنى
الرؤية ومعنى لذة الرؤية ومعنى كونها الذ من سائر اللذات عند ذوي الكمال وان لم يكن كذلك عند
اهل النقصان كما لم تكن الرياسة الذ من المطعومات عند الصبيان فان قلت فهذه الرؤية محلها

القلب او العين في الاخرة فاعلم ان الناس اختلفوا فيه وارباب البصائر لا يلتفتون الى ذلك ولا ينظرون
فيه بل العاقل ياكل البقل ولا يسال عن المبقلة ومن يشتهي رؤية معشوقه فيشغله عشقه عن ان
يلتفت الى ان رؤيته هل تخلق في عينه او في جبهته بل يقصد الرؤية ولذتها سواء كان بالعين او غيرها فان العين
محل وظرف ولا نظر اليه ولا حكم له والحق فيه ان القدرة الازلية واسعة فلا يجوز ان نحكم عليها بالقصور
على احد الامرين فلا يدرك الا بالسمع والحق ما ظهر لاهل السنة والجماعة من شواهد الشرع ان ذلك يخلق
في العين ليكون لفظ الرؤية والنظر وسائر الالفاظ الواردة في الشرع مجرى على ظاهرها اذ لا يجوز
ازالة الظواهر الا لضرورة **بيان الاسباب المقوية لحب الله تعالى** اعلم ان اسعد الخلق حالا في
الاخرة اقواهم حبا لله تعالى فان الاخرة معناها القدوم على الله ودرك سعادة لقائه وما اعظم نعيم المحب
اذا قدم على محبوبه بعد طول شوقه وتمكن من دوام مشاهدته ابد الاباد من غير منغص ومكدر
ومن غير رقيب ومزاحم ومن غير خوف انقطاع الا ان هذا النعيم على قدر قوة الحب فكلما ازداد الحب
ازدادت اللذة وانما يكتسب العبد حب الله تعالى في الدنيا واصل الحب لا ينفك عنه مؤمن لانه لا ينفك عن
اصل المعرفة واما قوة الحب واستيلاؤه حتى ينتهي الى الاستهتار الذي يسمى عشقا فذلك ينفك
عنه الاكثرون وانما يحصل ذلك بسببين احدهما قطع علائق الدنيا واخراج حب غير الله تعالى من القلب
فان القلب مثل الاناء الذي لا يتسع للخل مثلا ما لم يخرج منه الماء وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه
وكمال الحب في ان يحب الله تعالى بكل قلبه وما دام يلتفت الى غيره فزاوية من قلبه مشغولة بغيره
فبقدر ما يشتغل بغير الله ينقص منه حب الله وبقدر ما يبقى من الماء في الاناء ينقص من الخل المصبوب
فيه والى هذا التفريد والتجريد الاشارة بقوله تعالى قل الله ثم ذرهم وبقوله الذين قالوا ربنا الله
ثم استقاموا بل هو معنى قولك لا اله الا الله اي لا معبود ولا محبوب سواه وكل محبوب فانه معبود فان العبد
هو المقيد والمعبود هو المقيد به وكل محب فهو مقيد بما يحبه ولذلك قال تعالى افرأيت من اتخذ الهه
هواه وقال صلى الله عليه وسلم ابغض اله عبد في الارض الهوى وقال صلى الله عليه وسلم من قال
لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة ومعنى الاخلاص ان يخلص قلبه لله فلا يبقى فيه شرك لغير الله فيكون
الله تعالى محبوب قلبه ومعبود قلبه ومقصود قلبه فقط ومن هذا حاله فالدنيا سجنه لانها مانعة
له عن مشاهدة محبوبه وموته خلاص من السجن وقدوم على المحبوب فما حال من ليس له الا محبوب واحد
وقد طال اليه شوقه وتمادى عنه حبسه فخلي من السجن ومكن من المحبوب وروح بالامن ابد الاباد
فاحد اسباب ضعف حب الله في القلوب قوة حب الدنيا ومنه حب الاهل
والمال والولد والاقارب والعقار والدواب والبساتين والمتنزهات حتى ان المتفرج بطيب اصوات
الطيور وروح نسيم الاسحار ملتفت الى نعيم الدنيا ومتعرض لنقصان حب الله بسببه فبقدر ما انس
من الدنيا فينقص انسه بالله ولا يؤتى احد من الدنيا شيئا الا وينقص بقدره من الاخرة بالضرورة كما انه
لا يقرب الانسان من المشرق الا ويبعد بالضرورة من المغرب بقدره ولا يطيب قلب امراة الا ويضيق قلب
ضرتها فالدنيا والاخرة ضرتان وهما كالمشرق والمغرب وقد انكشف ذلك لذوي القلوب انكشافا اوضح
من الابصار بالعين وسبيل قلع حب الدنيا من القلب سلوك طريق الزهد وملازمة الصبر والانقياد
اليهما بزمام الخوف والرجا كما ذكرناه من المقامات كالتوبة والصبر والزهد والخوف والرجا هي
مقدمات يكتسب بها احد ركني المحبة وهو تخلية القلب عن غير الله تعالى واوله الايمان بالله و

اليوم الاخر والجنة والنار ثم يتشعب منه الخوف والرجا ويتشعب منهما التوبة والصبر عليهما ثم يجر
ذلك الى الزهد في الدنيا وفي المال والجاه وكل حظوظ الدنيا حتى يحصل من جميعه طهارة القلب عن غير
الله فقط حتى يتسع بعده لنزول معرفة الله تعالى وحبه فيه فكل ذلك مقدمات تطهير القلب وهو احد
ركني المحبة واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم الطهور شطر الايمان كما ذكرناه في اول كتاب الطهارة **السبب
الثاني لقوة المحبة** قوة معرفة الله تعالى واتساعها واستيلاؤها على القلب وذلك بعد تطهير
القلب من جميع شواغل الدنيا وعلائقها يجري مجرى وضع البذر في الارض بعد تنقيتها من الحشيش و
هو الشطر الثاني ثم يتولد من هذا البذر شجرة المحبة والمعرفة والمعرفة هي الكلمة الطيبة التي ضرب
الله بها مثلا حيث قال ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء واليه الاشارة بقوله
تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فهي المعرفة ثم العمل الصالح يرفعه والعمل الصالح
كالحمال لهذه المعرفة وكالخادم وانما العمل الصالح كله في تطهير القلب اولا من الدنيا ثم ادامة طهارته فلا
يراد العمل الا لهذه المعرفة واما العلم بكيفية العمل فانه يراد للعمل فالعلم هو الاول وهو الاخر وانما الاول
علم المعاملة وغرضها العمل وغرض المعاملة صفاء القلب وطهارته ليتضح فيه جلية الحق ويتزين بعلم
المعرفة وهو علم المكاشفة ومهما حصلت هذه المعرفة تبعتها المحبة بالضرورة كما ان من كان معتدل المزاج
اذا ابصر الجميل وادركه بالعين الظاهرة احبه ومال اليه ومهما احبه حصلت اللذة واللذة تتبع المحبة
بالضرورة والمحبة تتبع المعرفة بالضرورة ولا يوصل الى هذه المعرفة بعد انقطاع شواغل الدنيا من القلب
الا بالفكر الصافي والذكر الدائم والجد البالغ في الطلب والنظر المستمر في الله تعالى وفي صفاته وملكوت
سماواته وسائر مخلوقاته والواصلون الى هذه الرتبة ينقسمون الى الاقوياء ويكون اول معرفتهم بالله تعالى
ثم به يعرفون غيره والى الضعفاء فيكون اول معرفتهم بالافعال ثم يترقون منها الى الفاعل والى الاول الاشارة
بقوله تعالى اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد وبقوله شهد الله انه لا اله الا هو ومنه نظر بعضهم حيث
قيل له بم عرفت ربك فقال عرفت ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي والى الثاني الاشارة بقوله تعالى سنريهم
اياتنا في الافاق وفي انفسهم الاية وبقوله اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وبقوله قل انظروا ماذا
في السموات والارض وبقوله الذي خلق سبع سموات طباقا الاية وهذا الطريق هو الاسهل على الاكثرين وهو
الاوسع على السالكين واليه اكثر دعوة القران عند الامر بالتدبر والتفكر والاعتبار والنظر في ايات خارجة
عن الحصر فان قلت كلا الطريقين مشكل فاوضح منهما ما يستعان به على تحصيل المعرفة والتوصل بها الى
المحبة فاعلم ان الطريق الاعلى وهو الاستشهاد بالحق على سائر الخلق فهو غامض والكلام فيه خارج عن حد
فهم اكثر الخلق فلا فائدة في ايراده في الكتب واما الطريق الاسهل الادنى فاكثره غير خارج عن حد الافهام
وانما قصرت الافهام عنه لاعراضها عن التدبر واشتغالها بشهوات الدنيا وحظوظ النفس والمانع من ذكر
هذا اتساعه وكثرته وانشعاب ابوابه الخارجة عن الحصر والنهاية اذ ما من ذرة من اعلى السموات الى
تخوم الارضين الا وفيها عجائب وايات تدل على كمال قدرة الله وكمال علمه وحكمته ومنتهى جلاله وعظمته
وذلك مما لا يتناهى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي الاية فالخوض
فيه اغتراف من بحر علم المكاشفة فلا يمكن ان يتطفل به على علوم المعاملة ولكن يمكن الرمز الى مثال واحد
على الايجاز ليقع التنبيه لجنسه فنقول اسهل الطريقين النظر الى الافعال فلنتكلم فيها ولنترك الاعلى
ثم الافعال الالهية كثيرة فلنطلب اقلها واحقرها واصغرها ولننظر في عجائبها فاقل المخلوقات

وما عليها اعني بالاضافة الى الملائكة وملكوت السموات فانك ان نظرت فيها من حيث الجسم والعظم في
الشخص فالشمس على ما ترى من صغر حجمها هي مثل الارض مائة ونيفا وستين مرة فانظر الى صغر الارض بالاضافة
اليها ثم انظر الى صغر الشمس بالاضافة الى فلكها الذي هي مركوزة فيه فانه لا نسبة لها اليه وهي في السماء الرابعة
وهي صغيرة بالاضافة الى ما فوقها من السموات ثم السموات السبع في الكرسي كحلقة في فلاة والكرسي في العرش
كذلك فهذا نظر الى ظاهر الاشخاص من حيث المقادير وما احقر الارض كلها بالاضافة اليها بل ما احقر الارض بالاضافة
الى البحار فقد قال صلى الله عليه وسلم الارض في البحر كالاصطبل في الارض ومصداق هذا عرف بالمشاهدة
والتجربة وعلم ان المكشوف من الارض عن الماء كجزيرة صغيرة بالاضافة الى كل الارض ثم انظر الى الادمي المخلوق
من التراب الذي هو جزء من الارض والى سائر الحيوانات والى صغرها بالاضافة الى الارض ودع عنك جميع ذلك
فاصغر ما نعرفه من الحيوانات البعوض والنمل وما يجري مجراهما فانظر الى البعوض على قدر صغر قدره وتامله بعقل
حاضر وفكر صاف وانظر كيف خلقه الله تعالى على شكل الفيل الذي هو اعظم الحيوانات اذ خلق له خرطوما
مثل خرطومه وخلق له على شكله الصغير سائر الاعضاء كما خلقه للفيل بزيادة جناحين فانظر كيف قسم
اعضاءه الظاهرة فانبت جناحيه واخرج يديه ورجليه وشق سمعه وبصره ودبر في باطنه من اعضاء الغذاء
والاته ما دبره في سائر الحيوانات وركب فيه من القوى الغاذية والجاذبة والدافعة والماسكة والهاضمة ما ركب
في سائر الحيوانات هذا في شكله وصفاته ثم انظر الى هدايته كيف هداه الله تعالى الى غذائه وعرفه ان غذاءه
دم الانسان ثم انظر كيف انبت له الة الطيران الى الانسان وكيف خلق له الخرطوم الطويل وهو محدد
الراس وكيف هداه الى مسام بشرة الانسان حتى يضع خرطومه في واحد منها ثم كيف قواه حتى يغرز فيه الخرطوم
وكيف علمه المص والتجرع للدم وكيف خلق الخرطوم مع دقته مجوفا حتى يجري فيه الدم الرقيق وينتهي الى باطنه
وينتشر في سائر اجزائه ويغذيه ثم انظر كيف عرفه ان الانسان يقصده بيده فعلمه حيلة الهرب واستعمال الة
وخلق له السمع الذي يسمع به خفيف حركة اليد وهي بعد بعيدة منه فيترك المص ويهرب ثم اذا سكنت
اليد يعود ثم انظر كيف خلق له حدقتين حتى يبصر موضع غذائه فيقصده مع صغر حجم وجهه وانظر الى حدقة كل
حيوان صغير لما لم يحتمل حدقته الاجفان لصغرها وكانت الاجفان مصقلة لمراة الحدقة عن القذى والغبار
خلق للبعوض والذباب يدين فينظر الى الذباب فتراه على الدوام يمسح حدقتيه بيديه واما الانسان والحيوانات
الكبار فخلق لحدقتيه الاجفان حتى ينطبق احدهما على الاخر واطرافهما حادة فيجمع الغبار الذي يلحق الحدقة
ويرميه الى اطراف الاهداب وخلق الاهداب السود لتجمع ضوء العين وتعين على الابصار وتحسن صورة
العين وتشبكها عند هيجان الغبار فينظر من وراء شباك الاهداب واشتباكها يمنع دخول الغبار ولا يمنع
الابصار واما البعوض فخلق لها حدقتين مصقلتين من غير اجفان وعلمها كيفية التصقيل باليدين ولاجل
ضعف ابصارها تراها تتهافت على السراج بالليل لظنها انها في بيت مظلم وان السراج كوة في البيت المظلم فتجري
الى الموضع المضيء فلا تزال تطلب الضوء وترمي نفسها الى الكوة فاذا جاوزته ورات الظلام ظنت انها لم تصب الكوة
ولم تقصدها على السداد فتعود اليها مرة اخرى الى ان تحترق ولعلك تظن ان هذا لنقصانها وجهلها فاعلم
ان جهل الانسان اعظم من جهلها بل صورة الادمي في الانكباب على شهوات الدنيا صورة الفراش في التهافت
على النار اذ يلوح للادمي انوار الشهوات من حيث ظاهر صورتها ولا يدري ان تحتها السم القاتل فلا
يزال يرمي نفسه عليها الى ان ينغمس فيها ويتقيد بها ويهلك هلاكا مؤبدا فليت كان جهل الادمي كجهل الفراش
فانها باغترارها بظاهر الضوء ان احترقت تخلصت في الحال والادمي يبقى في النار ابد الاباد او مدة مديدة ولذلك

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انكم تتهافتون على النار تهافت الفراش وانا اخذ بحجزكم فهذه لمعة من
عجائب صنع الله في اصغر الحيوان وفيها من العجائب ما لو اجتمع الاولون والاخرون على الاحاطة بكنهها عجزوا عن
حقيقتها ولم يطلعوا على امور جلية من ظاهر صورتها فاما خفايا معانيها فلا يطلع عليها الا الله ففي كل حيوان ونبات
اعجوبة وعجائب تخصها لا يشاركه فيها غيره فانظر الى النحل وعجائبه وكيف اوحى الله تعالى اليها حتى اتخذت
من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون وكيف استخرج من لعابها الشمع والعسل وجعل احدهما ضياء والاخر شفاء
ثم لو تاملت عجائب امرها في تناولها الازهار والانوار واحترازها عن النجاسات والاقذار وطاعتها لواحد من
جملتها وهو اكبرها شخصا وهو اميرها ثم ما سخر الله تعالى له اميرها من العدل والانصاف بينها حتى انه ليقتل
على باب المنفذ كل ما وقع منها على نجاسة لقضيت منها العجب ان كنت بصيرا في نفسك وفارغا من هم
بطنك وفرجك وشهوات نفسك في معاداة اقرانك وموالاة اخوانك ثم دع جميع ذلك وانظر الى بنائها
بيوتها من الشمع واختيارها من جملة الاشكال الشكل المسدس فلا تبني بيتا مستديرا ولا مربعا ولا مخمسا
بل مسدسا لخاصية في الشكل المسدس يقصر فهم المهندسين عن دركها وهو ان اوسع الاشكال واحواها
المستدير وما يقرب منه فان المربع يخرج منه زوايا ضائعة وشكل النحل مستدير مستطيل فترك
المربع حتى لا تضيع الزوايا فتبقى فارغة ثم لو بناها مستديرة لبقيت خارج البيوت فرج ضائعة فان
الاشكال المستديرة اذا جمعت لم تجتمع متراصة ولا شكل في الاشكال ذوات الزوايا يقرب في الاحتواء من
المستدير ثم تتراص الجملة منه بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجة الا المسدس وهذه خاصية هذا الشكل فانظر
كيف الهمه الله تعالى النحل على صغر جرمه لطفا به وعناية بوجوده الى ما هو محتاج اليه ليتهنا عيشه
فسبحانه ما اعظم شانه واوسع لطفه وامتنانه فاعتبر بهذه اللمعة اليسيرة من محقرات الحيوانات
ودع عنك عجائب ملكوت الارض والسموات فان القدر الذي بلغه فهمنا القاصر منه ينقضي الاعمار دون
ايضاحه ولا نسبة لما احطنا به علما الى ما احاط به العلماء والانبياء ولا نسبة لما احاط به علم الخلائق
كلهم الى ما استاثر الله تعالى به بالاضافة اليه بل كل ما عرفه الخلائق لا يستحق ان يسمى علما في جنب
علم الله تعالى فبالنظر في هذا وامثاله تزداد المعرفة الحاصلة باسهل الطريقين وبزيادة المعرفة تزداد
المحبة فان كنت طالبا سعادة لقاء الله فانبذ الدنيا وراء ظهرك واستغرق العمر في الذكر الدائم والفكر اللازم
فعساك تحظى بقدر يسير ولكن تنال بذلك اليسير ملكا عظيما لا اخر له

بيان السبب في تفاوت الناس في المحبة

اعلم ان المؤمنين مشتركون في اصل الحب لاشتراكهم في اصل الايمان ولكنهم متفاوتون
لتفاوتهم في المعرفة وفي حب الدنيا اذ الاشياء انما تتفاوت بتفاوت اسبابها واكثر الناس ليس لهم من
معرفة الله تعالى الا الصفات والاسماء التي قرعت سمعهم فتلقفوها وحفظوها وربما تخيلوا لها معاني
فاسدة يتعالى عنها رب الارباب وربما لم يطلعوا على حقيقتها ولا تخيلوا لها معنى فاسدا بل امنوا بها ايمان
تسليم وتصديق واشتغلوا بالعمل وتركوا البحث وهؤلاء هم اهل السلامة من اصحاب اليمين والمتخلقون ه
م الصالحون والعارفون بالحقائق هم المقربون وقد ذكر الله حال جملة الاصناف الثلاثة في قوله
تعالى فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنت نعيم واذا كنت لا تفهم الامور الا بالامثلة فلنضرب
لتفاوت الحب مثالا فنقول اصحاب الشافعي مثلا يشتركون في حب الشافعي العوام والفقهاء لانهم
يشتركون في معرفة فضله ودينه وحسن سيرته ومحامد خصاله ولكن العامي يعرف علمه مجملا و
الفقيه يعرفه مفصلا فتكون معرفة الفقيه به اتم واعجابه به وحبه له اشد فمن راى تصنيف مصنف

فاستحسنه وعرف به فضله أحبه لا محالة ومال إليه قلبه فإن رأى تصنيفاً آخر أحسن منه وأعجب تضاعف
لا محالة حبه لأنه تضاعفت معرفته بعلمه وكذلك يعتقد الرجل في الشاعر أنه حسن الشعر فيحبه فإذا سمع
من غرائب شعره ما عظم فيه حذقه وصنعته ازداد به معرفة وازداد له حباً وكذا سائر الصناعات و
الفضائل والعامي قد يسمع أن فلاناً مصنف وأنه حسن التصنيف ولكن لا يدري ما في التصنيف فيكون
له معرفة مجملة ويكون له بحسبه ميل مجمل والبصير إذا فتش عن التصانيف واطلع على ما فيها من العجائب
تضاعف حبه لا محالة لأن عجائب الصنعة والشعر والتصنيف يدل على كمال صفات الفاعل والمصنف
والعالم بجملته صنع الله وتصنيفه والعامي يعلم ذلك ويعتقده وأما البصير فإنه يطالع صنع الله
تعالى حتى يرى في البعوض مثلاً من عجائب صنعه ما ينبهر به عقله ويتحير فيه لبه ويزداد بسببه لا
محالة عظمة الله تعالى وجلاله وكمال صفاته في قلبه فيزداد له حباً وكلما ازداد على عجائب صنع الله
اطلاعاً استدل به على عظمة الصانع وجلاله وازداد به معرفة وله حباً وبحر هذه المعرفة أعني معرفة عجائب
صنع الله لا ساحل له فلا جرم تفاوت أهل المعرفة في الحب لا حصر له ومما يتفاوت بسببه الحب اختلاف
الأسباب الخمسة التي ذكرناها للحب فإن من يحب الله تعالى مثلاً لكونه محسناً إليه منعماً عليه ولم
يحبه لذاته ضعفت محبته إذ تتغير بتغير الإحسان فلا يكون حبه في حالة البلاء كحبه في حالة الرضا
والنعماء وأما من يحبه لذاته ولأنه مستحق الحب بسبب كماله وجماله ومجده وعظمته فإنه لا يتفاوت حبه
بتفاوت الإحسان إليه فهذا وأمثاله هو سبب تفاوت الناس في المحبة والتفاوت في المحبة هو سبب
التفاوت في سعادة الآخرة ولذلك قال الله تعالى وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا

بيان السبب في قصور أفهام الخلق عن معرفة الله تعالى

اعلم أن أظهر الموجودات وأجلاها هو الله تعالى وكان
هذا يقتضي أن تكون معرفته أول المعارف وأسبقها إلى الأفهام وأسهلها على العقول ونرى الأمر بالضد
من ذلك فلا بد من بيان السبب فيه وإنما قلنا إنه أظهر الموجودات وأجلاها بمعنى لا تفهمه إلا بمثال وهو
أنا إذا رأينا إنساناً يكتب أو يخيط كان كونه حياً عندنا من أظهر الموجودات فحياته وعلمه وقدرته وإرادته للخياطة
أجلى عندنا من سائر صفاته الظاهرة والباطنة إذ صفاته الباطنة كشهوته وغضبه وخلقه
وصحته ومرضه وكل ذلك لا نعرفه وصفاته الظاهرة لا نعرف بعضها وبعضها نشك فيه كمقدار طوله
واختلاف لون بشرته وغير ذلك من صفاته أما حياته وقدرته وإرادته وعلمه وكونه حيواناً
فإنه جلي عندنا من غير أن يتعلق حس البصر بحياته وقدرته وإرادته فإن هذه الصفات لا تحس بشيء من
الحواس الخمس ثم لا يمكن أن نعرف حياته وقدرته وإرادته إلا بخياطته وحركته فلو نظرنا إلى كل ما في العالم
سواه لم نعرف به صفته فما عليه إلا دليل واحد وهو مع ذلك جلي واضح ووجود الله تعالى وعلمه
وقدرته وسائر صفاته يشهد له بالضرورة كل ما نشاهده وندركه بالحواس الظاهرة والباطنة من حجر
ومدر ونبات وشجر وحيوان وسماء وأرض وكوكب وبر وبحر ونار وهواء وجوهر وعرض بل أول شاهد عليه
أنفسنا وأجسامنا وأوصافنا وتقلب أحوالنا وتغير قلوبنا وجميع أطوارنا في حركاتنا وسكناتنا وأظهر الأشياء
في علمنا أنفسنا ثم محسوساتنا بالحواس الخمس ثم مدركاتنا بالعقل والبصيرة وكل واحد من هذه المدركات
له مدرك واحد وشاهد واحد ودليل واحد وجميع ما في العالم سوى هذا ناطقة وأدلة شاهدة
بوجود خالقها ومدبرها ومصرفها ومحركها ودالة على علمه وقدرته ولطفه وحكمته والموجودات المدركة
لا حصر لها فإن كانت حياة الكاتب ظاهرة عندنا وليس يشهد له إلا شاهد واحد وهو ما أحسسنا من حركة

يده فكيف لا يظهر عندنا ما لا يتصور في الوجود شيء داخل نفوسنا وخارجها إلا وهو شاهد عليه وعلى
عظمته وجلاله إذ كل ذرة من ذرات العالم فإنها تنادي بلسان حالها أنه ليس وجودها بنفسها ولا
حركتها بذاتها وإنما تحتاج إلى موجد ومحرك لها تشهد بذلك أولاً تركيب أعضائنا وائتلاف عظامنا
ولحومنا وأعصابنا ومنابت شعورنا وتشكل أطرافنا وسائر أجزائنا الظاهرة والباطنة فإنا نعلم أنها لم
تأتلف بنفسها كما نعلم أن يد الكاتب لم تتحرك بنفسها ولكن لما لم يبق في الوجود مدرك ومحسوس
ومعقول وحاضر وغائب إلا وهو شاهد ومعرف عظم ظهوره فانبهرت العقول ودهشت عن إدراكه فإن ما
تقصر عن فهمه عقولنا فله سببان أحدهما خفاؤه في نفسه وغموضه وذلك لا يخفى مثاله والآخر
ما يتناهى وضوحه وهذا كما أن الخفاش يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار لا لخفاء النهار واستتاره ولكن لشدة
ظهوره فإن بصر الخفاش ضعيف يبهره نور الشمس إذا أشرق فتكون قوة ظهوره مع ضعف بصره سبباً
لامتناع إبصاره فلا يرى شيئاً إلا إذا امتزج الظلام بالضوء وضعف ظهوره وكذلك عقولنا ضعيفة وجمال الحضرة
الإلهية في نهاية الإشراق والاستنارة وفي غاية الاستغراق والشمول حتى صار ظهوره سبب خفائه
فسبحان من احتجب بإشراق نوره واختفى عن البصائر والأبصار بظهوره ولا يتعجب من اختفاء ذلك
بسبب الظهور فإن الأشياء تستبان بأضدادها وما عم وجوده حتى إنه لا ضد له عسر إدراكه فلو اختلفت
الأشياء فدل بعضها دون البعض أدركت التفرقة على قرب ولما اشتركت في الدلالة على نسق واحد أشكل
الأمر ومثاله نور الشمس المشرق على الأرض فإنا نعلم أنه عرض من الأعراض يحدث في الأرض ويزول عند غيبة
الشمس فلو كانت الشمس دائمة الإشراق لا غروب لها لكنا نظن أنه لا هيئة في الأجسام إلا ألوانها وهي السواد
والبياض وغيرهما فإنا لا نشاهد في الأسود إلا السواد وفي الأبيض إلا البياض فأما الضوء فلا ندركه وحده
ولكن لما غابت الشمس وأظلمت المواضع أدركنا تفرقة بين الحالتين فعلمنا أن الأجسام كانت قد استضاءت
بضوء واتصفت بصفة فارقتها عند الغروب فعرفنا وجود النور بعدمه وما كنا نطلع عليه لولا عدمه
إلا بعسر شديد وذلك لمشاهدتنا الأجسام متشابهة غير مختلفة في الظلام والنور هذا مع
أن النور أظهر المحسوسات إذ به تدرك سائر المحسوسات فما هو ظاهر في نفسه وهو مظهر لغيره انظر كيف
تصور استبهام أمره بسبب ظهوره لولا طريان ضده فالله تعالى هو أظهر الأمور وبه ظهرت الأشياء كلها
فلو كان له عدم أو غيبة أو تغير لانهدت السموات والأرض وبطل الملك والملكوت ولأدركت به
التفرقة بين الحالتين ولو كان بعض الأشياء موجوداً به وبعضها موجوداً بغيره لأدركت التفرقة
بين الشيئين في الدلالة ولكن دلالته عامة في الأشياء على نسق واحد ووجوده دائم في الأحوال يستحيل
خلافه فلا جرم أورثت شدة الظهور خفاء فهذا هو السبب في قصور الأفهام وأما من قويت بصيرته
ولم تضعف منته فإنه في حال اعتدال أمره لا يرى إلا الله تعالى وأفعاله وأفعاله أثر من آثار قدرته فهي تابعة له
فلا وجود لها بالحقيقة وإنما الوجود للواحد الحق الذي به وجود الأفعال كلها ومن هذا حاله فلا
ينظر في شيء من الأفعال إلا ويرى فيه الفاعل ويذهل عن الفعل من حيث إنه سماء وأرض وحيوان وشجر
بل ينظر فيه من حيث إنه صنع الصانع فلا يكون نظره مجاوزاً له إلى غيره كمن نظر في شعر إنسان أو خطه أو تصنيفه و
رأى فيه الشاعر والمصنف ورأى آثاره من حيث إنها آثاره لا من حيث إنه حبر وعفص وزاج مرقوم على بياض
وكل العالم تصنيف الله تعالى فمن نظر إليه من حيث إنه فعل الله لم يكن ناظراً إلا في الله ولا عارفاً إلا بالله
ولا محباً إلا لله وكان هو الموحد الحق الذي لا يرى إلا الله بل لا ينظر إلى نفسه من حيث نفسه بل من حيث إنه

عبد الله فهذا هو الذي يقال فيه انه فني في التوحيد وانه فني عن نفسه واليه الاشارة بقول من قال كنا بنا
ففنينا عنا فبقينا بلا نحن فهذه امور معلومة عند ذوي الابصار اشكلت لضعف الافهام عن دركها وقصور
قدرة العلماء بها عن ايضاحها وبيانها بعبارة مفهمة موصلة الغرض الى الافهام او باشتغالهم بانفسهم و
اعتقادهم ان بيان ذلك لغيرهم مما لا يعنيهم فهذا هو السبب في قصور الافهام عن معرفة الله تعالى و
انضم اليه ان المدركات كلها التي هي شاهدة على الله تعالى انما يدركها الانسان في الصبى عند فقد
العقل ثم تبدو فيه غريزة العقل قليلا قليلا وهو مستغرق الهم بشهواته وقد انس بمدركاته ومحسوساته
والفها فسقط وقعها عن قلبه لطول الانس ولذلك اذا رأى على سبيل الفجأة حيوانا غريبا او نباتا
غريبا او فعلا من افعال الله خارقا للعادة عجيبا انطلق لسانه بالمعرفة طبعا فقال سبحان الله وهو يرى
طول النهار نفسه واعضاءه وسائر الحيوانات المألوفة وكلها شواهد قاطعة ولا يحس بشهادتها
لطول الانس بها ولو فرض اكمه بلغ عاقلا ثم انقشعت غشاوة عن عينه وامتد بصره الى السماء والارض و
النبات والحيوان دفعة واحدة على سبيل الفجأة يخاف على عقله ان ينبهر لعظم تعجبه من شهادة هذه
العجائب لخالقها فهذا واشباهه من الاسباب مع الانهماك في الشهوات هو الذي سدت على الخلق سبيل
الاستضاءة بانوار المعرفة والسباحة في بحارها الواسعة فالناس في طلبهم معرفة الله تعالى كالمدهوش
الذي يضرب به المثل اذا كان راكبا حماره وهو يطلب حماره والجليات اذا صارت مطلوبة صارت معتاصة
فهذا سر هذا الامر فليحقق ولذلك قيل **شعر** لقد ظهرت فما تخفى على احد الا على اكمه لا يعرف القمرا
لكن بطنت بما اظهرت محتجبا فكيف يعرف من بالعرف استترا **بيان معنى الشوق الى الله عز وجل** اعلم
ان من انكر حقيقة المحبة لله تعالى فلا بد وان ينكر حقيقة الشوق اذ لا يتصور الشوق الا الى محبوب ونحن
نثبت وجود الشوق الى الله تعالى وكون العارف مضطرا اليه بطريق الاعتبار والنظر بانوار البصائر وبطريق
الاخبار والآثار **اما الاعتبار** فيكفي في اثباته ما سبق في اثبات الحب فكل محبوب فهو مشتاق اليه في
غيبته لا محالة فان الحاصل الحاضر لا يشتاق اليه فان الشوق طلب وتشوق الى امر والموجود لا يطلب
ولكن بيانه ان الشوق لا يتصور الا الى شيء ادرك من وجه ولم يدرك من وجه فاما ما لا يدرك اصلا فلا يشتاق
اليه فان من لم ير شخصا ولم يسمع وصفه لا يتصور ان يشتاق اليه وما ادرك بكماله لا يشتاق اليه وكمال
الادراك بالرؤية فمن كان في مشاهدة محبوبه مداوما النظر اليه لا يتصور ان يكون له شوق ولكن الشوق
انما يتعلق بما ادرك من وجه ولم يدرك من وجه وهو من وجهين لا ينكشف الا بمثال من المشاهدات
فمن غاب عنه معشوقه وبقي في قلبه خياله فيشتاق الى استكمال خياله بالرؤية فلو انمحى عن قلبه ذكره
وخياله ومعرفته حتى نسيه لم يتصور ان يشتاق اليه ولو رآه لم يتصور ان يشتاق في وقت الرؤية فمعنى
شوقه تشوق نفسه الى استكمال خياله وكذلك قد يراه في ظلمة بحيث لا ينكشف له حقيقة صورته
فيشتاق الى استكمال رؤيته وتمام الانكشاف في صورته باشراق الضوء عليه والثاني ان يرى محبوبه
ولا يرى شعره مثلا ولا سائر اعضائه فيشتاق الى رؤيته وان لم يرها قط ولم يثبت في نفسه خيال
صادر عن الرؤية ولكنه يعلم ان له عضوا واعضاء جميلة ولم يدرك تفصيل جمالها بالرؤية فيشتاق
الى ان ينكشف له ما لم يره قط والوجهان جميعا متصوران في حق الله تعالى بل هما لازمان بالضرورة
لكل العارفين فان ما اتضح للعارفين من الامور الالهية وان كانت في غاية الوضوح فكأنه من وراء ستر
رقيق فلا يكون متضحا غاية الاتضاح بل يكون مشوبا بشوائب التخييلات فان الخيال لا يفتر في هذا

العالم عن التمثيل والمحاكاة لجميع المعلومات وهي مكدرات للمعارف ومنغصات وكذلك ينضاف
اليها شواغل الدنيا فانما كمال الوضوح بالمشاهدة وكمال اشراق التجلي ولا يكون ذلك الا في الآخرة وذلك
بالضرورة يوجب الشوق فانه منتهى محبوب العارفين فهذا هو احد نوعي الشوق وهو استكمال الوضوح
فيما اتضح اتضاحا ما الثاني ان الامور الالهية لا نهاية لها وانما ينكشف لكل عبد من العباد بعضها وتبقى امور
لا نهاية لها غامضة والعارف يعلم وجودها وكونها معلومة لله ويعلم ان ما غاب عن علمه من المعلومات
اكثر مما حضر فلا يزال متشوقا الى ان يحصل له اصل المعرفة فيما لم يحصل مما بقي من المعلومات
التي لم يعرفها اصلا لا معرفة واضحة ولا معرفة غامضة والشوق الاول ينتهي في الدار الآخرة
بالمعنى الذي يسمى رؤية ولقاء ومشاهدة ولا يتصور ان يسكن في الدنيا وقد كان ابرهيم بن ادهم
من المشتاقين فقال قلت ذات يوم يا رب ان اعطيت احدا من المحبين لك ما يسكن به قلبه
قبل لقائك فاعطني ذلك فقد اضر بي القلق قال فرأيت في النوم انه اوقفني بين يديه وقال يا ابرهيم
اما استحييت مني ان تسألني ان اعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقائي وهل يسكن المشتاق قبل لقاء
حبيبه فقلت يا رب تهت في حبك فلم ادر ما اقول فاغفر لي وعلمني ما اقول فقال قل اللهم رضني بقضائك
وصبرني على بلائك واوزعني شكر نعمائك فاذا هذا الشوق يسكن في الآخرة واما الشوق الثاني فيشبه
ان لا يكون له نهاية لا في الدنيا ولا في الآخرة اذ نهايته ان ينكشف للعبد في الآخرة من جلال الله وصفاته وحكمته
وافعاله ما هو معلوم لله وهو محال لان ذلك لا نهاية له ولا يزال العبد عالما بانه بقي من الجمال والجلال
ما لم يتضح له فلا يسكن قط شوقه لا سيما من يرى فوق درجته درجات كثيرة الا انه شوق الى استكمال
الوصال مع حصول اصل الوصال فهو يجد لذلك شوقا لذيذا لا يظهر فيه الم ولا يبعد ان تكون الطاف الكشف
والنظر متوالية الى غير نهاية فلا يزال النعيم واللذة متزايدا ابد الآباد فتكون لذة ما يتجدد من
لطائف النعيم شاغلا عن الاحساس بالشوق الى ما لم يحصل وهذا بشرط ان يمكن حصول الكشف فيما لم
يحصل فيه كشف في الدنيا اصلا فان كان ذلك غير مبذول فيكون النعيم واقفا على حد لا يتضاعف
ولكن يكون مستمرا على الدوام وقوله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا
نورنا محتمل لهذا المعنى وهو ان ينعم عليه باتمام النور مهما تزود من الدنيا اصل النور ويحتمل
ان يكون المراد اتمام النور في غير ما استنار في الدنيا استنارة محتاجة الى مزيد الاشراق فلا [اشكال]
فيكون هو المراد بتمامه وقوله تعالى انظرونا نقتبس من نوركم الآية يدل على ان الانوار لا بد وان يتزود اصلها
في الدنيا ثم يزداد في الآخرة اشراقا فاما ان يتجدد نور فلا والحكم في هذا برجم الظنون مخطر ولم يكشف لنا
بعد فيه ما نثق به فنسأل الله تعالى ان يزيدنا علما ورشدا ويرينا الحق حقا فهذا القدر من انوار
البصائر كاشفة لحقائق الشوق ومعانيه **واما شواهد الاخبار** والآثار فاكثر من ان تحصى
فمما اشتهر من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اللهم اني اسألك الرضا بعد القضا
وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك الكريم وشوقا الى لقائك وقال ابو الدرداء لكعب
اخبرني عن اخص آية يعني في التوراة فقال يقول الله عز وجل طال شوق الابرار الى لقائي واني الى لقائهم
لاشد شوقا قال ومكتوب الى جانبها من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فقال ابو الدرداء اشهد
اني سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله وفي اخبار داود عليه السلام ان الله تعالى
قال يا داود ابلغ اهل الارض اني حبيب لمن احبني وجليس لمن جالسني ومؤنس لمن انس بذكري وصاحب لمن

صاحبني ومحبا لمن اختارني ومطيع لمن اطاعني ما احبني عبد اعلم ذلك يقينا من قلبه الا قبلته لنفسي و
احببته حبا لا يتقدمه عليه احد من خلقي من طلبني بالحق وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فارفضوا يا
اهل الدنيا ما انتم عليه من غرورها وهلموا الى كرامتي ومصاحبتي ومجالستي وانسوا بي اونسكم واسارع
الى محبتكم فاني خلقت طينة احبابي من طينة ابرهيم خليلي وموسى نجيي ومحمد صفيي اني خلقت قلوب
المشتاقين من نوري ونعمتها بجلالي **وروي** عن بعض السلف ان الله تعالى اوحى الى بعض الصديقين
ان لي عبادا من عبادي يحبوني واحبهم ويشتاقون الي واشتاق اليهم ويذكروني واذكرهم وينظرون
الي وانظر اليهم فان حذوت طريقهم احببتك وان عدلت عنهم مقتك قال يا رب وما علامتهم
قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي الشفيق غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما تحن الطير
الى اوكارها عند الغروب فاذا جنهم الليل واختلط الظلام وفرشت الفرش ونصبت الاسرة وخلا
كل حبيب بحبيبه نصبوا الي اقدامهم وافترشوا الي جباههم وناجوني بكلامي وتملقوا الي
بانعامي فبين صارخ وباك وبين متاوه وشاك وبين قائم وقاعد وبين راكع وساجد بعيني ما يتحملون
من اجلي وبسمعي ما يشتكون من حبي اقل ما اعطيهم ثلاثا لو كانت السموات والارض وما فيها
في موازينهم لاستقللتها لهم والثانية اقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر عنهم
والثالثة اقبل بوجهي عليهم افترى من اقبلت بوجهي عليه يعلم احد ما اريد اعطيه وفي
اخبار داود عليه السلام ان الله تعالى اوحى اليه يا داود الى كم تذكر الجنة ولا تسألني الشوق الي قال يا
رب من المشتاقون اليك قال ان المشتاقين الي صفيتهم من كل كدر ونبهتهم بالحذر وخرقت
من قلوبهم الي خرقا ينظرون الي واني لاحمل قلوبهم بيدي فاضعها على سمائي ثم ادعو نجباء ملائكتي فاذا
اجتمعوا سجدوا الي فاقول لم ادعكم لتسجدوا الي ولكني دعوتكم لاعرض عليكم قلوب المشتاقين الي
واباهي بكم اهل الشوق الي فان قلوبهم لتضيء في سمائي لملائكتي كما يضيء الشمس لاهل الارض يا داود اني
خلقت قلوب المشتاقين من رضواني ونعمتها بنور وجهي فاتخذتهم لنفسي محدثين وجعلت ابدانهم موضع
نظري من الارض وقطعت من قلوبهم طريقا ينظرون به الي يزدادون كل يوم شوقا قال داود يا رب
ارني اهل محبتك فقال يا داود ائت جبل لبنان فان فيه اربعة عشر نفسا فيهم شباب وفيهم كهول
وفيهم شيوخ فاذا اتيتهم فاقرئهم مني السلام وقل لهم ان ربكم يقرئكم السلام ويقول لكم الا تسألوني
حاجة فانكم احبائي واصفيائي واوليائي افرح لفرحكم واسارع الى محبتكم فاتاهم داود عليه السلام فوجدهم
عند عين من العيون يتفكرون في عظمة الله عز وجل فلما نظروا الى داود عليه السلام نهضوا ليتفرقوا
عنه فقال داود اني رسول الله اليكم جئتكم لابلغكم رسالة ربكم فاقبلوا نحوه والقوا اسماعهم نحو قوله
والقوا ابصارهم الى الارض فقال داود اني رسول الله اليكم يقرئكم السلام ويقول لكم الا تسألوني حاجة الا
تنادوني اسمع صوتكم وكلامكم فانكم احبائي واصفيائي واوليائي افرح لفرحكم واسارع الى محبتكم وانظر
اليكم في كل ساعة نظر الوالدة الشفيقة الرفيقة قال فجرت الدموع على خدودهم فقال شيخهم
سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فاغفر لنا ما قطع قلوبنا عن ذكرك فيما مضى من عمرنا
وقال الاخر سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فامنن علينا بحسن النظر فيما بيننا وبينك
وقال الاخر سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك انجترئ على الدعاء وقد علمت انه لا حاجة لنا
في شيء من امورنا فادم لنا لزوم الطريق اليك واتمم بذلك المنة علينا وقال الاخر نحن مقصرون في طلب

رضاك فاعنا عليه بجودك وقال الاخر من نطفة خلقتنا ومننت علينا بالتفكر في عظمتك افيجترئ
على الكلام من هو مشتغل بعظمتك متفكر في جلالك وطلبتنا الدنو من نورك وقال الاخر كلت السنتنا
عن دعائك لعظيم شانك وقربك من اوليائك وكثرة منتك على اهل محبتك وقال الاخر
انت هديت قلوبنا لذكرك وفرغتنا للاشتغال بك فاغفر لنا تقصيرنا في شكرك وقال الاخر
قد عرفت حاجتنا انما هي النظر الى وجهك وقال الاخر كيف يجترئ العبد على سيده اذ امرتنا بالدعاء
بجودك فهب لنا نورا نهتدي به في الظلمات من اطباق السموات وقال الاخر ندعوك ان تقبل
علينا وتديمه عندنا وقال الاخر نسألك تمام نعمتك فيما وهبت لنا وتفضلت به علينا وقال
الاخر اسألك من بينهم ان تعمي عيني عن النظر الى الدنيا واهلها وقلبي عن الاشتغال بالاخرة
وقال الاخر لا حاجة لنا في شيء من خلقك فامنن علينا بالنظر الى جمال وجهك وقال الاخر قد عرفت
تباركت وتعاليت انك تحب اولياءك فامنن علينا باشتغال القلب بك عن كل شيء دونك فاوحى
الله تعالى الى داود عليه السلام قل لهم قد سمعت كلامكم واجبتكم الى ما احببتم فليفارق كل واحد
منكم صاحبه وليتخذ لنفسه سربا فاني كاشف الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا الى عظمتي وجلالي
فقال داود يا رب بم نالوا هذا منك قال بحسن الظن والكف عن الدنيا واهلها والخلوات بي
ومناجاتهم اياي وان هذا منزل لا يناله الا من رفض الدنيا واهلها ولم يشتغل بشيء من ذكرها وفرغ
قلبه لي واختارني على جميع خلقي فعند ذلك اعطف عليه وافرغ نفسه واكشف الحجاب فيما بيني
وبينه حتى ينظر الي نظر الناظر بعينه الى الشيء واريه كرامتي في كل ساعة واقربه من نور وجهي
ان مرض مرضته كما تمرض الوالدة المشفقة ولدها وان عطش ارويته واذيقه طعم ذكري فاذا فعلت ذلك
به يا داود عميت نفسه عن الدنيا واهلها ولم احببها اليه لا يفتر عن الاشتغال بي يستعجلني القدوم
وانا اكره ان اميته لانه موضع نظري من بين خلقي لا يرى غيري ولا ارى غيره فلو رايته يا داود وقد
ذابت نفسه ونحل جسمه وتهشمت اعضاؤه وانخلع قلبه اذا سمع بذكري اباهي به ملائكتي واهل
سمواتي يزداد خوفا وعبادة وعزتي وجلالي يا داود لاقعدنه في الفردوس ولاشفين صدره من
النظر الي حتى يرضى وفوق الرضى **وفي اخبار داود عليه السلام** ايضا قل لعبادي المتوجهين
الى محبتي ما ضركم اذا احتجبت عن خلقي ورفعت الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا الي بعيون
قلوبكم وما ضركم ما زويت عنكم من الدنيا اذا بسطت لكم ديني وما ضركم مسخطة الخلق اذا التمستم
رضاي **وفي اخبار داود عليه السلام** ايضا ان الله تعالى اوحى اليه تزعم انك تحبني
فان كنت تحبني فاخرج حب الدنيا من قلبك فان حبي وحبها لا يجتمعان في قلب يا داود خالص
حبيبي مخالصة وخالط اهل الدنيا مخالطة ودينك فقلدنيه ولا تقلد دينك الرجال اما ما
استبان لك مما وافق محبتي فتمسك به واما ما اشكل عليك فقلدنيه حقا علي ان ابادر الى سياستك
وتقويمك واعينك على الشدائد فاني قد جعلت على نفسي ان لا اثيب عبدا الا عبدا قد عرفت
من طلبه وارادته القاء كنفه بين يدي وانه لا غنى به عني واذا كنت كذلك نزعت الذلة
والوحشة عنك واسكنت الغنى في قلبك فاني قد جعلت على نفسي انه لا يطمئن عبد الى نفسه
ينظر الى فعالها الا وكلته اليها اضف الاشياء الي ولا تنازعني فتكون منغصا ولا ينتفع
بك من يصحبك ولا تجد لمعرفتي حدا فليس لها غاية ومتى طلبت مني الزيادة اعطيتك ولا

ولا تجد لزيادة في حد أتم أعلم بني اسرائيل انه ليس بيني وبين أحد من خلقي نسب يعظم رغبتهم وإرادتهم عندي أبيح لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ضعني بين عينيك وانظر إلي ببصر قلبك ولا تنظر بعينك التي في رأسك إلى الذين احتجبت عقولهم عني فأزجوها وسخت بانقطاع ثوابي عنها فإني حلفت بعزتي وجلالي لا أفتح ثوابي لعبد دخل في طاعتي للتجربة والتسويف تواضع لمن تعلمه ولا تطاول على المريدين فلو علم أهل محبتي منزلة المريدين عندي لكانوا لهم أرضا يمشون عليها يا داود لأن تخرج مريدا من سكرة هو فيها تستنقذه فأكتبك عندي جهبذا ومن كتبته جهبذا لا يكون عليه وحشة ولا فاقة إلى المخلوقين يا داود تمسك بكلامي وخذ من نفسك لنفسك لا تؤتين منها فأحجب محبتي عنك لا تؤيس عبادي من رحمتي اقطع شهوتك لي فإنما أبحت الشهوات لضعفة خلقي ما بال الأقوياء أن ينالوا الشهوات فإنها تنقص حلاوة مناجاتي فإنما عقوبة الأقوياء عندي في موضع التناول أدنى ما يصل إليهم أن أحجب عقولهم عني فإني لم أرض الدنيا لحبيبي ونزهته عنها يا داود لا تجعل بيني وبينك عالما محجوبا بسكره عن محبتي أولئك قطاع الطريق على عبادي المريدين استعن على قطع الشهوات بإدمان الصوم وإياك والتجربة في الإفطار فإن محبتي من الصوم إدامته يا داود تحبب إلي بمعاداة نفسك امنعها الشهوات انظر إليك وترى الحجب بيني وبينك مرفوعة إنما أداريك مداراة لتقوى بها على ثوابي إذا امتننت به عليك وإني أحبسه عنك وأنت متمسك بطاعتي فهذه الأخبار ونظائرها مما لا يحصى يدل على إثبات المحبة والشوق والأنس وإنما تحقيق معناها فينكشف بما سبق

بيان محبة الله تعالى للعبد ومعناها اعلم أن شواهد القرآن متظاهرة على أن الله تعالى يحب عبده فلا بد من معرفة معنى ذلك ولنقدم الشواهد على محبته فقد قال الله تعالى يحبهم ويحبونه وقال تعالى إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وقال تعالى إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ولذلك رد على من ادعى أنه حبيب الله فقال قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر وقد روى أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا أحب الله تعالى عبدا لم يضره ذنب والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ثم تلا إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ومعناه أنه إذا أحبه تاب عليه قبل الموت فلم تضره الذنوب الماضية وقد اشترط الله تعالى للمحبة غفران الذنب فقال قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الإيمان إلا من يحب وقال صلى الله عليه وسلم من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن أكثر ذكر الله أحبه الله وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به الحديث وقال زيد بن أسلم إن الله تعالى ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له أن يقول اعمل ما شئت فقد غفرت لك وما ورد من ألفاظ المحبة خارج عن الحصر وقد ذكرنا أن محبة العبد لله تعالى حقيقة وليست بمجاز إذ المحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس إلى الشيء الموافق والعشق عبارة عن الميل الغالب المفرط وقد بينا أن الإحسان موافق للنفس والجمال موافق أيضا وأن الجمال والإحسان تارة يدرك بالبصر وتارة بالبصيرة والحب يتبع كل واحد منهما فلا يختص بالبصر فأما حب الله تعالى للعبد فلا يمكن أن يكون بهذا المعنى أصلا بل الأسامي كلها إذا أطلقت على الله تعالى وعلى غير الله لم ينطلق عليهما بمعنى واحد أصلا حتى إن اسم الوجود الذي هو أعم الأسماء اشتراكا لا يشمل الخالق والخلق على وجه واحد بل كل ما سوى الله فوجوده مستفاد

من وجود الله فالوجود التابع لا يكون مساويا للوجود المتبوع وإنما الاستواء في إطلاق الاسم نظيره اشتراك الفرس والشجر في اسم الجسم إذ معنى الجسمية وحقيقتها متشابهة فيهما من غير استحقاق أحدهما لأن يكون فيه أصلا فليست الجسمية لأحدهما مستفادا من الآخر وليس كذلك اسم الوجود لله تعالى ولخلقه وهذا التباعد في سائر الأسامي أظهر كالعلم والقدرة والإرادة وغيرها فكل ذلك لا يشبه فيه الخالق الخلق وواضع اللغة إنما وضع هذه الأسامي أولا للخلق فإن الخلق أسبق إلى العقول والأفهام من الخالق فكان استعمالها في حق الخالق بطريق الاستعارة والتجوز والنقل والمحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس إلى موافق ملائم وهذا إنما يتصور في نفس ناقصة فاتها ما يوافقها فتستفيد بنيله كمالا فتلتذ بنيله وهذا محال على الله تعالى فإن كل كمال وجمال وبهاء وجلال ممكن في حق الإلهية فهو حاضر وحاصل وواجب الحصول أبدا وأزلا ولا يتصور تجدده ولا زواله فلا يكون له إلى غيره نظر من حيث إنه غيره بل نظره إلى ذاته وإلى أفعاله فقط وليس في الوجود إلا ذاته وأفعاله ولذلك قال الشيخ أبو سعيد الميهني رحمه الله تعالى لما قرئ عليه قوله تعالى يحبهم ويحبونه فقال بحق يحبهم فإنه ليس يحب إلا نفسه على معنى أنه الكل وأن ليس في الوجود غيره فمن لا يحب إلا نفسه وأفعال نفسه وتصانيف نفسه فلا يجاوز حبه ذاته وتوابع ذاته من حيث هي متعلقة بذاته فهو إذا لا يحب إلا نفسه وما ورد من الألفاظ في حبه لعباده فهو مؤول ويرجع معناه إلى كشف الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه وإلى تمكينه إياه من القرب منه وإلى إرادته ذلك به في الأزل فحبه لمن أحبه أزلي مهما أضيف إلى الإرادة الأزلية التي اقتضت تمكين هذا العبد من سلوك طرق هذا القرب وإذا أضيف إلى فعله الذي يكشف الحجاب عن قلب عبده فهو حادث يحدث بحدوث السبب المقتضي له كما قال تعالى لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فيكون تقربه بالنوافل سببا لصفاء باطنه وارتفاع الحجاب عن قلبه وحصوله في درجة القرب من ربه فكل ذلك فعل الله تعالى ولطفه به فهو معنى حبه ولا يفهم هذا إلا بمثال وهو أن الملك قد يقرب عبده من نفسه ويأذن له في كل وقت في حضور بساطه لميل الملك إليه إما لينصره بقوته أو ليستريح بمشاهدته أو ليستشيره في رأيه أو ليهيئ أسباب طعامه وشرابه فيقال إن الملك يحبه ويكون معناه ميله إليه لما فيه من المعنى الموافق الملائم له وقد يقرب عبدا ولا يمنعه من الدخول عليه لا للانتفاع به ولا للاستنجاد به لكن لكون العبد في نفسه موصوفا من الأخلاق المرضية والخصال الحميدة بما يليق به أن يكون قريبا من حضرة الملك وافر الحظ من قربه مع أن الملك لا غرض له فيه أصلا فإذا رفع الملك الحجاب بينه وبينه يقال قد أحبه وإذا اكتسب من الخصال الحميدة ما اقتضى رفع الحجاب يقال قد توسل وحبب نفسه إلى الملك فحب الله تعالى للعبد إنما يكون بالمعنى الثاني لا بالمعنى الأول وإنما يصح تمثيله بالمعنى الثاني بشرط أن لا يسبق إلى فهمك دخول تغير عليه عند تجدد القرب فإن الحبيب هو القريب من الله تعالى والقرب من الله في البعد من صفات البهائم والسباع والشياطين والتخلق بمكارم الأخلاق التي هي الأخلاق الإلهية فهو قرب بالصفة لا بالمكان ومن لم يكن قريبا فصار قريبا فقد تغير فربما يظن بهذا أن القرب لما تجدد فقد تغير وصف العبد والرب جميعا إذ صار قريبا بعد أن لم يكن وهو محال في حق الله تعالى إذ التغير عليه محال بل لا يزال نعوت الكمال والجمال على ما كان عليه في أزل الآزال ولا ينكشف هذا إلا بمثال القرب بين الأشخاص فإن الشخصين قد يتقاربان بتحرك كليهما

جميعا وقد يكون احدهما ثابتا فيتحرك الآخر فيحصل القرب بتغير في احدهما من غير تغير في الآخر بل القرب
ايضا في الصفات كذلك فان التلميذ يطلب القرب من درجة استاذه في كمال العلم وجماله والاستاذ واقف
في كمال علمه غير متحرك بالنزول الى درجة تلميذه والتلميذ متحرك مترق من حضيض الجهل الى يفاع العلم
فلا يزال دائبا في التغير والترقي الى ان يقرب من استاذه والاستاذ ثابت غير متغير فكذلك ينبغي
ان يفهم ترقي العبد في درجات القرب فكلما صار اكمل صفة واتم علما واحاطة بحقائق الامور واثبت قوة
في قهر الشيطان وقمع الشهوات واظهر نزاهة عن الرذائل صار اقرب من درجة الكمال ومنتهى الكمال
لله وقرب كل واحد من الكمال بقدر كماله نعم قد يقدر التلميذ على القرب من الاستاذ وعلى مساواته وعلى
مجاوزته وذلك في حق الله تعالى محال فانه لا نهاية لكماله وسلوك العبد في درجات الكمال غير متناه
ولا ينتهي الا الى حد محدود فلا مطمع له في المساواة ثم درجات القرب تتفاوت تفاوتا لا نهاية له
لاجل انتفاء النهاية عن ذلك الكمال فاذا محبة الله تعالى للعبد تقريبه من نفسه بدفع الشواغل
والمعاصي عنه وتطهير باطنه عن كدورات الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كانه يراه بقلبه
واما محبة العبد لله فهو ميله الى درك هذا الكمال الذي هو مفلس عنه فاقد له فلا جرم يشتاق الى
ما فاته واذا ادرك منه شيئا يلتذ به والشوق والمحبة بهذا المعنى محال على الله تعالى فان قلت
محبة الله للعبد امر ملتبس فبم يعرف العبد انه حبيب الله فاقول يستدل عليه بعلاماته فقد قال
صلى الله عليه وسلم اذا احب الله تعالى عبدا ابتلاه فان احبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال لم يترك
له مالا ولا اهلا فعلامة محبة الله تعالى للعبد ان يوحشه من غيره ويحول بينه وبين غيره قيل
لعيسى عليه السلام لم لا تشتري حمارا تركبه قال انا اعز على الله تعالى من ان يشغلني عن نفسه بحمار وفي
الخبر اذا احب الله تعالى عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه وقال بعض العلماء اذا رايت انك تحبه
ورايته يبتليك فاعلم انه يريد ان يصافيك وقال بعض المريدين لاستاذه قد طولعت بشيء من
المحبة فقال يا بني هل ابتلاك بمحبوب سواه فآثرت عليه اياه فقال لا قال فلا تطمع في المحبة فانه
لا يعطيها عبدا حتى يبلوه وقال صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا جعل له واعظا من نفسه وزاجرا من
قلبه يامره وينهاه وقال اذا اراد الله بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فاخص علاماته حبه لله فان
ذلك يدل على حب الله واما الفعل الدال على كونه محبوبا فهو ان يتولى الله تعالى امره ظاهره وباطنه سره و
جهره فيكون هو المشير عليه والمدبر لامره والمزين لاخلاقه والمستعمل لجوارحه والمسدد لظاهره
وباطنه والجاعل همومه هما واحدا والمبغض للدنيا في قلبه والموحش له من غيره والمونس له بلذة
المناجاة في خلواته والكاشف له عن الحجب بينه وبين معرفته فهذا وامثاله هو علامات حب الله تعالى
للعبد فلنذكر الان علامات محبة العبد لله فانها ايضا علامات حب الله للعبد القول في علامات
محبة العبد لله تعالى اعلم ان المحبة يدعيها كل احد وما اسهل الدعوى وما اعز المعنى فلا ينبغي
ان يغتر الانسان بتلبيس الشيطان وخداع النفس مهما ادعت محبة الله تعالى ما لم يمتحنها بالعلامات
ولم يطالبها بالبراهين والادلة والمحبة شجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء وثمارها تظهر في
القلب واللسان والجوارح وتدل تلك الآثار الفائضة منها على القلب والجوارح على المحبة دلالة الدخان
على النار ودلالة الثمار على الاشجار وهي كثيرة فمنها حب لقاء الحبيب بطريق الكشف والمشاهدة
في دار السلام فلا يتصور ان يحب القلب محبوبا الا ويحب مشاهدته ولقاءه واذا علم انه لا وصول الا بالارتحال

من الدنيا ومفارقتها بالموت فينبغي ان يكون محبا للموت غير فار منه فان المحب لا يثقل عليه السفر عن وطنه
الى مستقر محبوبه ليتنعم بمشاهدته والموت مفتاح اللقاء وباب الدخول الى المشاهدة قال صلى الله
عليه وسلم من احب لقاء الله احب الله لقاءه وقال حذيفة عند الموت حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم
وقال بعض السلف ما من خصلة احب الى الله ان تكون في العبد بعد حب لقائه من كثرة السجود فقدم
حب لقاء الله على السجود وقد شرط الله تعالى لحقيقة الصدق في الحب القتل في سبيل الله حيث قالوا
انا نحب الله فجعل القتل في سبيل الله وطلب الشهادة علامته فقال تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون
في سبيله صفا وقال تعالى يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وفي وصية ابي بكر لعمر رضي
الله عنهما الحق ثقيل وهو مع ثقله مري والباطل خفيف وهو مع خفته وبي فان حفظت وصيتي
لم يكن غائب احب اليك من الموت وهو مدركك وان ضيعت وصيتي لم يكن غائب ابغض اليك من الموت
ولن تعجزه وروي عن اسحق بن سعد بن ابي وقاص قال حدثني ابي ان عبد الله بن جحش قال له يوم احد
الا ندعو الله فخلوا في ناحية فدعا عبد الله بن جحش فقال يا رب اني اقسم عليك اذا لقيت العدو غدا
فلقني رجلا شديدا باسه شديدا حرده اقاتله فيك ويقاتلني ثم ياخذني فيجدع انفي واذني ويبقر
بطني فاذا لقيتك غدا قلت يا عبد الله من جدع انفك واذنك فاقول فيك وفي رسولك فتقول
صدقت قال سعد فلقد رايته آخر النهار وان انفه واذنه لمعلقان في خيط وقال سعيد بن المسيب ارجو
ان يبر الله آخر قسمه كما بر اوله وقد كان الثوري وبشر بن الحارث الحافي يقولان لا يكره الموت الا مريب لان الحبيب على
كل حال لا يكره لقاء الحبيب وقال البويطي لبعض الزهاد اتحب الموت فكانه توقف فقال لو كنت
صادقا لاحببته وتلا قوله تعالى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فقال الرجل فقد قال صلى الله عليه وسلم
لا يتمنين احدكم الموت فقال انما قاله لضر نزل به لان الرضا بقضاء الله افضل من طلب الفرار منه فان قلت
من لا يحب الموت فهل يتصور ان يكون محبا لله فاقول كراهة الموت قد تكون لحب الدنيا والتاسف على فراق
الاهل والمال والولد وهذا ينافي كمال حب الله تعالى لان الحب الكامل هو الذي يستغرق كل القلب ولكن لا
يبعد ان يكون له مع حب الاهل والولد شائبة من حب الله تعالى ضعيفة فان الناس متفاوتون في الحب ويدل
على التفاوت ما روي ان ابا حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس لما زوج اخته فاطمة من سالم مولاه عاتبته
قريش في ذلك وقالوا انكحت عقيلة من عقائل قريش لمولى فقال والله لقد انكحته اياها واني لاعلم انه خير منها
فكان قوله ذلك اشد عليهم من فعله فقالوا وكيف وهي اختك وهو مولاك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول من اراد ان ينظر الى رجل يحب الله بكل قلبه فلينظر الى سالم فهذا يدل على ان من الناس من لا يحب
الله بكل قلبه فيحب معه ايضا غيره فلا جرم يكون تنعمه بلقاء الله عز وجل عند القدوم عليه على قدر حبه
وعذابه بفراق الدنيا عند الموت على قدر حبه لها واما السبب الثاني للكراهة ان يكون العبد في
ابتداء مقام المحبة وليس يكره الموت وانما يكره عجلته قبل ان يستعد للقاء الله فذلك لا يدل على
ضعف الحب وهو كالمحب الذي وصله الخبر بقدوم حبيبه عليه فاحب ان يتاخر قدومه ساعة ليهيئ
له داره ويعد له اسبابه فيلقاه كما يهواه فارغ القلب عن الشواغل خفيف الظهر عن العوائق فالكراهة
بهذا السبب لا تنافي كمال الحب اصلا وعلامته الدؤوب في العمل واستغراق الهم في الاستعداد ومنها
ان يكون مؤثرا ما احبه الله تعالى على ما يحبه في ظاهره وباطنه فيجتنب اتباع الهوى ويعرض عن دعة
الكسل ولا يزال مواظبا على طاعة الله عز وجل ومتقربا اليه بالنوافل وطالبا عنده مزايا الدرجات كما

بطلب المزيد من القرب في قلب محبوبه وقد وصف الله تعالى المحبين بالإيثار فقال يحبون من هاجر
إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ومن بقي مستمرا على متابعة الهوى
فمحبوبه ما يهواه بل يترك المحب هوى نفسه لهوى محبوبه كما قيل شعر أريد وصاله ويريد هجري
فأترك ما أريد لما يريد . بل الحب إذا غلب قمع الهوى فلم يبق له تنعم بغير المحبوب كما روي أن زليخا لما آمنت
وتزوج بها يوسف عليه السلام انفردت عنه وتخلت للعبادة وانقطعت إلى الله عز وجل فكان يدعوها
إلى فراشه نهارا فتدافعه إلى الليل فإذا دعاها ليلا سوفت إلى النهار فقالت يا يوسف إنما كنت أحبك
قبل أن أعرفه فأما إذا عرفته فما أبقت محبته محبة لسواه وما أريد به بدلا حتى قال لها إن الله عز وجل
أمرني بذلك وأخبرني أنه مخرج منك ولدين وجاعلهما نبيين فقالت أما إذا كان الله تعالى أمرك بذلك
وجعلني طريقا إليه فطاعة لأمر الله تعالى فعندها سكنت إليه فإذا من أحب الله تعالى لا يعصيه ولذلك
قال ابن المبارك شعر تعصي الإله وأنت تظهر حبه ÷ هذا لعمري في الفعال بديع ÷ لو كان حبك
صادقا لأطعته ÷ إن المحب لمن يحب مطيع ÷ وقيل في هذا المعنى ÷ وأترك ما أهوى لما قد هويته ÷ وأرضى
بما ترضى وإن سخطت نفسي . وقال سهل علامة الحب إيثاره على نفسك وليس كل من عمل بطاعة الله صار حبيبا
وإنما الحبيب من اجتنب المناهي وهو كما قال لأن محبته الله سبب محبة الله له كما قال يحبهم ويحبونه
وإذا أحبه الله تعالى تولاه ونصره على أعدائه وإنما عدوه نفسه وشهواتها فلا يخذله الله ولا يكله إلى
هواه وشهواته ولذلك قال تعالى والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا فإن قلت فالعصيان
هل يضاد أصل المحبة فأقول إنه يضاد كمالها ولا يضاد أصلها فكم من إنسان يحب نفسه وهو مريض ويحب
الصحة ويأكل ما يضره مع العلم بأنه يضره وذلك لا يدل على عدم حبه لنفسه ولكن المعرفة قد تضعف
والشهوة قد تغلب فيعجز عن القيام بحق المحبة ويدل عليه ما روي أن نعيمان كان يؤتى به رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله فلم يخرج بالمعصية عن
المحبة نعم تخرجه المعصية عن كمال المحبة وقد قال بعض العارفين إذا كان الإيمان في ظاهر القلب أحب
الله عز وجل حبا متوسطا فإذا دخل سويداء القلب أحبه الحب البالغ وترك المعاصي وعلى الجملة ففي دعوى المحبة
خطر ولذلك قال الفضيل إذا قيل لك أتحب الله فاسكت فإنك إن قلت لا كفرت وإن قلت نعم فليس وصفك
وصف المحبين فاحذر المقت ولقد قال بعض العلماء ليس في الجنة نعيم أعلى من نعيم أهل المعرفة والمحبة
ولا تحقق لشيء من ذلك ومنها أن يكون مستهترا بذكر الله تعالى لا يفتر عنه لسانه ولا يخلو عنه قلبه
فمن أحب شيئا أكثر بالضرورة من ذكره وذكر ما يتعلق به فعلامة حب الله تعالى حب ذكره وحب القرآن الذي
هو كلامه وحب رسوله صلى الله عليه وسلم وحب كل ما ينسب إليه فإن من أحب إنسانا يحب كلب محلته فالمحبة
إذا قويت تعدت من المحبوب إلى كل ما يكتنف المحبوب ويحيط به ويتعلق بأسبابه وذلك ليس شركة في الحب
فإن من أحب رسول المحبوب لأنه رسوله وكلامه لأنه كلامه فلم يجاوز حبه إلى غيره بل هو دليل كمال حبه
ومن غلب حب الله تعالى على قلبه أحب جميع ما خلق الله لأنهم خلقه فكيف لا يحب القرآن والرسول وعباد
الله الصالحين وقد ذكرنا تحقيق هذا في كتاب آداب الصحبة والأخوة ولذلك قال الله تعالى قل إن
كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبوا الله لما يغذوكم به من
نعمه وأحبوني لحب الله تعالى وقال سفيان من أحب من يحب الله فإنما أحب الله ومن أكرم من يكرم الله
فإنما يكرم الله تعالى وحكي عن بعض المريدين قال كنت قد وجدت حلاوة المناجاة في سن الإرادة فأدمنت
على قراءة القرآن ليلا ونهارا ثم لحقتني فترة فانقطعت عن التلاوة قال فسمعت قائلا يقول في المنام
إن كنت تزعم أنك تحبني فلم جفوت كتابي أما تدبرت ما فيه من لطيف عتابي قال فانتبهت وقد أشرب
في قلبي محبة القرآن فعدت إلى حالي وقال ابن مسعود لا ينبغي أن يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن
فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله عز وجل وإن لم يكن يحب القرآن فليس يحب الله وقال سهل علامة حب الله
تعالى حب القرآن وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة حب النبي صلى الله عليه
وسلم حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا أن لا يأخذ
منها إلا زادا يبلغه إلى الآخرة ومنها أن يكون أنسه بالخلوة ومناجاة الله تعالى وتلاوة كتابه فيواظب
على التهجد ويغتنم هدوء الليل وصفاء الوقت لانقطاع العوائق فأقل درجات الحب التلذذ بالخلوة
بالحبيب والتنعم بمناجاته فمن كان النوم والاشتغال بالحديث ألذ عنده وأطيب من مناجاة
الله تعالى فكيف تصح محبته قيل لإبراهيم بن أدهم وقد نزل من الجبل من أين أقبلت فقال من الأنس بالله وفي
أخبار داود عليه السلام لا تستأنس إلى أحد من خلقي فإني إنما أقطع عني رجلين رجلا استبطأ
ثوابي ورجلا نسيني ورضي بحاله وعلامة ذلك أن أكله إلى نفسه وأن أدعه في الدنيا حيران ومهما
أنس بغير الله كان بقدر أنسه بغير الله مستوحشا من الله ساقطا عن درجة محبته وفي قصة برخ
وهو العبد الأسود الذي استسقى به موسى عليه السلام أن الله تعالى قال لموسى إن برخا نعم العبد
هو لي إلا أن فيه عيبا قال يا رب وما عيبه قال يعجبه نسيم الأسحار فيسكن إليه ومن أحبني لم يسكن إلى شيء
وروي أن عابدا عبد الله تعالى في غيضة دهرا طويلا فنظر إلى طائر وقد عشش في شجرة يأوي
إليها ويصفر عندها فقال لو حولت مسجدي إلى تلك الشجرة فكنت أنس بصوت هذا الطائر قال ففعل
فأوحى الله تعالى إلى نبي ذلك الزمان صلى الله عليه وسلم قل لفلان العابد استأنست بمخلوق لأحطنك درجة لا تنالها
بشيء من عملك أبدا فإذا علامة المحبة كمال الأنس بمناجاة المحبوب وكمال التنعم بالخلوة به وكمال الاستيحاش
من كل ما ينغص عليه الخلوة ويعوق عن لذة المناجاة وعلامة الأنس أن يصير العقل والهم كله مستغرقا
بلذة المناجاة كالذي يخاطب معشوقه ويناجيه وقد انتهت هذه اللذة ببعضهم حتى كان في
صلاته ووقع الحريق في داره فلم يشعر به وقطع رجل بعضهم بسبب علة أصابته وهو في الصلاة فلم يشعر
به ومهما غلب الحب والأنس صارت الخلوة والمناجاة قرة عين تدفع جميع الهموم بل يستغرق الأنس والحب
قلبه حتى لا يفهم أمور الدنيا ما لم يكرر على سمعه مرارا مثل العاشق الولهان فإنه يكلم الناس بلسانه وأنسه
في الباطن بذكر حبيبه فالمحب من لا يطمئن إلا إلى محبوبه وقال قتادة في قوله تعالى الذين آمنوا وتطمئن
قلوبهم بذكر الله الآية قال هشت إليه واستأنست به وقال الصديق رضي الله عنه من ذاق خالص
محبة الله تعالى شغله ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه من جميع البشر وقال مطرف ابن أبي بكر المحب
لا يسأم من ذكر حبيبه وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام قد كذب من ادعى محبتي إذا جنه الليل
نام عني أليس كل محب يحب لقاء حبيبه فها أنا موجود لمن طلبني وقال موسى عليه السلام يا رب أين أنت
فأقصدك قال إذا قصدت فقد وصلت وقال يحيى ابن معاذ من أحب الله تعالى أبغض نفسه
وقال أيضا من لم يكن فيه ثلاث خصال فليس بمحب يؤثر كلام الله تعالى على كلام خلقه ولقاء الله تعالى
على لقاء الخلق والعبادة على خدمة الخلق ومنها أن لا يتأسف على ما يفوته مما سوى الله تعالى
ويعظم تأسفه على فوت كل ساعة خلت عن ذكر الله وطاعته فيكثر رجوعه عند الغفلات بالاستعطاف

والاستغفار والتوبة وقال بعض العارفين ان لله تعالى عبادا احبوه واطمأنوا اليه فذهب عنهم
التأسف على ما فات فلم يتشاغلوا بحظ انفسهم اذ كان ملك مليكهم تاما وما شاء كان فما كان لهم فهو واصل
اليهم وما فاتهم فبحسن تدبيره لهم وحق المحب اذا رجع عن غفلته في لحظته ان يقبل على محبوبه ويشتغل
بالاستعتاب ويسأله ويقول يا رب باي ذنب قطعت برك عني وابعدتني عن حضرتك وشغلتني بنفسي
وبمتابعة الشيطان فيستخرج ذلك منه صفاء ذكر ورقة قلب تكفر عنه ما سبق من الغفلة ويكون
هفوته سببا لتجدد ذكره وصفاء قلبه ومهما لم ير المحب الا المحبوب ولم ير شيئا الا منه لم يتأسف ولم
يتلفت واستقبل الكل بالرضى وعلم ان المحبوب لم يقدر له الا ما فيه خيرته ويذكر قوله تعالى وعسى ان تكرهوا
شيئا وهو خير لكم ومنها ان يتنعم بالطاعة ولا يستثقلها ويسقط عنه تعبها كما قال بعضهم
كابدت الليل عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة وقال الجنيد علامة المحبة دوام النشاط والدؤوب
بشهوة تفتر بدنه ولا تفتر قلبه وقال بعضهم العمل على المحبة لا يدخله الفتور وقال بعض
العلماء والله ما اشتفى محب لله من طاعته ولو حل بعظيم الوسائل فكل هذا وامثاله موجود في المشاهدات
فان العاشق لا يستثقل السعي في هوى معشوقه ويستلذ خدمته بقلبه وان كان ذلك شاقا على بدنه
ومهما عجز بدنه كان احب الاشياء اليه ان تعاوده القدرة وان يفارقه العجز حتى يشتغل به فهكذا يكون
حب الله تعالى فان كل حب صار غالبا قهر لا محالة ما دونه فمن كان محبوبه احب اليه من الكسل ترك
الكسل في خدمته وان كان احب اليه من المال ترك المال في حبه ومنها قيل لبعض العارفين من المحبين
وقد كان بذل ماله ونفسه حتى لم يبق له شيء ما كان سبب حالك هذه في المحبة فقال سمعت يوما محبا وقد
خلا بمحبوبه وهو يقول انا والله احبك بقلبي كله وانت معرض عني بوجهك كله فقال له المحبوب ان كنت
صادقا فايش تنفق علي فقال يا سيدي املكك كل ما املك ثم انفق عليك روحي حتى تهلك فقلت هذا
خلق لخلق وعبد لعبد فكيف بعبد لمعبود فكان هذا سببه ومنها ان يكون مشفقا على جميع عباد الله
رحيما بهم شديدا على جميع اعداء الله وعلى كل من يقارف شيئا مما يكرهه الله كما قال تعالى اشداء على
الكفار رحماء بينهم ولا تأخذه في الله لومة لائم ولا يصرفه عن الغضب لله صارف وبه وصف الله
اولياءه اذ قال الذين يكلفون بحبي كما يكلف الصبي بالشيء ويأوون الى ذكري كما يأوي النسر الى وكره ويغضبون
لمحارمي كما يغضب النمر اذا حرد فانه لا يبالي قل الناس او كثروا فانظر الى هذا المثال فان الصبي اذا كلف
بالشيء لم يفارقه اصلا فان اخذ منه لم يكن له شغل الا البكاء والصياح حتى يرد اليه فان نام اخذه معه
في ثيابه فاذا انتبه عاد وتمسك به ومهما فارقه بكى ومهما وجده ضحك ومن نازعه فيه ابغضه ومن
اعطاه اياه احبه واما النمر فانه لا يملك نفسه عند الغضب حتى يبلغ من شدة غضبه ان يهلك نفسه
فهذه علامات المحبة فمن تمت فيه هذه العلامات فقد تمت محبته وخلص حبه فصفا في الآخرة شرابه وعذب
مشربه ومن امتزج بحبه حب غير الله تنعم في الآخرة بقدر حبه اذ يمزج شرابه بقدر من شراب المقربين
كما قال تعالى يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون فانما طاب شراب
الابرار لشوب الشراب الصرف الذي للمقربين والشراب عبارة عن جملة نعيم الجنان كما ان الكتاب عبر به
عن جميع الاعمال فقال ان كتاب الابرار لفي عليين ثم قال يشهده المقربون فكان امارة علو كتابهم
انها ارتفعت الى حيث يشهدها المقربون وكما ان الابرار يجدون المزيد في حالهم ومعرفتهم بقربهم
من المقربين ومشاهدتهم لهم فكذلك يكون حالهم في الآخرة وما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة

وكما بدأنا اول خلق نعيده وقال تعالى جزاء وفاقا اي وافق الجزاء اعمالهم فقوبل الخالص بالصرف من
الشراب وقوبل المشوب بالمشوب وشوب كل شراب على قدر ما سبق من الشوب في حبه واعماله فمن يعمل
مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها
وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين فمن كان حبه في الدنيا رجاء لنعيم
الجنة والحور والقصور مكن من الجنة يتبوأ منها حيث يشاء فيلعب مع الولدان ويتمتع بالنسوان ومن
كان مقصده رب الدار ومالك الملك ولم يغلب عليه الا حبه بالاخلاص والصدق انزل في مقعد صدق
عند مليك مقتدر فالابرار يرتعون في البساتين ويتنعمون في الجنان مع الحور والولدان والمقربون
ملازمون للحضرة عاكفون بطرفهم عليها يستحقرون نعيم الجنان بالاضافة الى ذرة منها فاقوام لنيل
شهوة البطن والفرج مشغولون وللمجالسة اقوام آخرون ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اكثر اهل
الجنة البله وعليون لذوي الالباب ولما قصرت الافهام عن درك معنى عليين عظم امره فقال وما
ادراك ما عليون كما قال القارعة ما القارعة وما ادراك ما القارعة ومنها ان يكون في حبه خائفا
متضائلا تحت الهيبة والتعظيم وقد يظن ان الخوف مضاد الحب وليس كذلك بل ادراك العظمة
يوجب الهيبة كما ان ادراك الجمال يوجب الحب ولخصوص المحبين مخاوف في مقام المحبة ليست لغيرهم
وبعض مخاوفهم اشد من بعض فاولها خوف الاعراض واشد منه خوف الحجاب واشد منه خوف
الابعاد وهذا المعنى من سورة هود هو الذي شيب سيد المحبين اذ سمع قوله عز وجل الا بعدا لثمود الا
بعدا لمدين كما بعدت ثمود وانما تعظم هيبة البعد وخوفه في قلب من الف القرب وذاقه وتنعم
به فحديث البعد في حق المبعدين هو الذي شيب سماعه اهل القرب في القرب ولا يحن الى القرب من البعد
ولا يبكي لخوف البعد من لم يمكن من بساط القرب ثم خوف الوقوف وسلب المزيد فانا قدمنا ان درجات
القرب لا نهاية لها وحق العبد ان يجتهد في كل نفس حتى يزداد فيه قربا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من امسه فهو ملعون وكذلك قال انه ليغان على قلبي
فاتوب الى الله في اليوم والليلة سبعين مرة واستغفر الله وانما كان استغفاره من القدم الاول فانه كان
بعدا بالاضافة الى القدم الثاني ويكون ذلك عقوبة لهم على الفتور في الطريق والالتفات الى
غير المحبوب كما روي عنه تعالى في بعض كتبه المنزلة انه قال ان ادنى ما اصنع بالعالم اذا آثر شهوات
الدنيا على طاعتي ان اسلبه لذيذ مناجاتي فسلب المزيد بسبب الشهوات عقوبة العموم فاما الخصوص
فيحجبهم عن المزيد مجرد الدعوى والعجب والركون الى ما ظهر من مبادي اللطف وذلك هو المكر الخفي الذي
لا يقدر على الاحتراز منه الا ذوو الاقدام الراسخة ثم خوف فوات ما لا يدرك بعد فوته سمع ابراهيم
ابن ادهم قائلا يقول في سياحته على جبل شعر

كل شيء لك مغفور سوى الاعراض عنا
قد وهبنا لك ما فات بقي ما فات منا

قال فاضطرب وغشي عليه فلم يفق يوما وليلة وطرأت عليه احوال ثم
قال سمعت النداء من الجبل يا ابراهيم كن عبدا فكنت عبدا فاسترحت ثم خوف السلو عنه فان المحب
يلازمه الشوق والطلب الحثيث فلا يفتر عن طلب المزيد ولا يتسلى الا بلطف جديد فان تسلى عن ذلك
كان سبب وقفته او سبب رجعته والسلو يدخل عليه من حيث لا يشعر كما قد يدخل الحب عليه من حيث لا
يشعر فان هذه التقلبات في القلب لها اسباب خفية سماوية ليس في قوة البشر الاطلاع عليها فاذا
اراد الله تعالى المكر به واستدراجه اخفى عنه ما اورد عليه من السلو فيقف مع الرجاء ويغتر بحسن

الظن أو بغلبة الغفلة والهوى والنسيان وكل ذلك من جنود الشيطان التي تغلب جنود الملائكة من
العلم والعقل والذكر والبيان فكان من لطف الله تعالى ما يظهر من مقتضى هيجان الحب وهي أيضا من اللطف
والرحمة والحكمة فمن أصنافها ما يلوح في حديث السلوك كالرضا بالقرب والعزة والاستغناء وذلك من مقدمة
المكر والشقاء والحرمان ثم خوف الاستبدال به بانتقال القلب من حبه إلى حب غيره وذلك هو المقت والسلو
عنه مقدمته هذا المقام والإعراض والحجاب مقدمته وضيق الصدر وانقباضه عن دوام الذكر وملالته
لوظائف الأوراد سبب هذه المخاوف ومقدماتها فظهور هذه الأسباب دليل على النقل من مقام الحب
إلى مقام المقت نعوذ بالله منه وملازمة الخوف لهذه الأمور وشدة الحذر منها بصفاء المراقبة دليل
صدق الحب فإن من أحب شيئا خاف لا محالة فوته فلا يخلو المحب عن خوف إذا كان المحبوب مما يمكن فواته
وقد قال بعض العارفين من عبد الله بمحض المحبة من غير خوف هلك بالبسط والإدلال ومن عبده من طريق
المحبة والخوف أحبه الله تعالى وقربه ومكنه وعلمه فالمحب لا يخلو عن خوف والخائف لا يخلو عن محبة ولكن
الذي غلب عليه المحبة حتى اتسع فيها ولم يكن له من الخوف إلا يسير يقال هو في مقام المحبة ويعد من المحبين
وكان شوب الخوف يسكن قليلا من سكر الحب فلو غلب الحب واستولت المعرفة لم تثبت لذلك طاقة البشر
فإنما الخوف يعدله ويخفف وقعه على القلب فقد روي في بعض الأخبار أن بعض الصديقين سأله بعض
الأبدال أن يسأل الله تعالى أن يرزقه ذرة من معرفته ففعل ذلك فهام في الجبال وحار عقله ووله قلبه
وبقي شاخصا سبعة أيام لا ينتفع بشيء ولا ينتفع به شيء فسأل له الصديق ربه فقال يا رب انقصه من
الذرة بعضها فأوحى الله تعالى إليه إنا أعطيناه جزءا من مائة ألف جزء من ذرة من المعرفة وذلك أن مائة
ألف عبد سألوني شيئا من المحبة في الوقت الذي سألني هذا فأخرت إجابتهم إلى أن شفعت أنت لهذا فلما
أجبتك فيما سألت أعطيتهم كما أعطيته فقسمت ذرة من المعرفة بين مائة ألف عبد فهذا ما أصابه
من ذلك فقال سبحانك يا أحكم الحاكمين انقصه مما أعطيته فأذهب الله عنه جملة الجزء وبقي معه عشر
معشاره وهو جزء من ألف ألف جزء من ذرة فاعتدل خوفه وحبه ورجاؤه وسكن وصار كسائر العارفين وقد
قيل في حال العارف: قريب الوجد ذو مرمى بعيد * عن الأحرار منهم والعبيد * غريب الوصف ذو علم غريب * كأن
فؤاده زبر الحديد * لقد عزت معانيه فغابت * عن الأبصار إلا للشهيد * يرى الأعمال في الأوقات تجري * له في كل يوم
الوعيد * ولا الأحباب أراهم بعيد * ولا يجد الزهد بعيد * وقد كان الجنيد ينشد أبياتا يشير بها إلى أسرار أحوال
العارفين وإن كان ذلك لا يجوز إظهاره وهي: شعر: سرت بأناس في الغيوب قلوبهم * فحلوا بقرب الماجد المتفضل
عراص بقرب الله في ظل قدسه * تجول بها أرواحهم وتنقل * مواردهم فيها على العز والنهى * ومصدرهم عنها لما هو أكمل
تروح بعز مفرد من صفاته * وفي حلل التوحيد تمشي وترفل * ومن بعد هذا ما تدق صفاته * وما كتمه أحظى لديه وأعدل * سأكتم من علمي به ما يصونه * وأبذل منه ما أرى الحق يبذل
وأعطي عباد الله منه حقوقهم * وأمنع منه ما أرى المنع أفضل * على أن للرحمن سرا يصونه * إلى أهله في السر والصون أجمل
وأمثال هذه المعارف التي إليها الإشارة لا يجوز أن يشترك الناس فيها ولا يجوز أن يظهرها من انكشف له شيء منها
لمن لم ينكشف له بل لو اشترك الناس فيها لخربت الدنيا فالحكمة تقتضي شمول الغفلة لعمارة الدنيا بل لو أكل الناس كلهم
الحلال أربعين يوما لخربت الدنيا لزهدهم فيها وبطلت الأسواق والمعايش بل لو أكل العلماء الحلال لاشتغلوا بأنفسهم
ولوقفت الألسنة والأقلام عن كثير مما انتشر من العلوم ولكن لله تعالى فيما هو شر في الظاهر أسرار وحكم كما أن له
في الخير أسرارا وحكما ولا منتهى لحكمته كما لا غاية لقدرته ومنها كتمان الحب واجتناب الدعوى والتوقي من
إظهار الوجد والمحبة تعظيما للمحبوب وإجلالا وهيبة منه وغيرة على سره فإن الحب سر من أسرار الحبيب

ولأنه قد يدخل في الدعوى ما يجاوز حد المعنى ويزيد عليه والركون إلى ذلك من الافتراء ويعظم العقوبة عليه
في العقبى ويتعجل عليه البلوى في الدنيا نعم قد يكون للمحب سكرة في حبه حتى يدهش فيه ويضطرب أحواله
فيظهر عليه حبه فإن وقع ذلك من غير تمحل واكتساب فهو معذور لأنه مقهور وربما اشتعلت من الحب نيرانه
فلا يطاق سلطانه وقد يفيض القلب به فلا يندفع فيضانه فالقادر على الكتمان يقول: شعر: وقالوا قريب
قلت ما أنا صانع * بقرب شعاع الشمس لو كان في حجري * فما لي منه غير ذكر بخاطري * يهيج نار الحب والشوق في
صدري * والعاجز عنه يقول: شعر: ويخفى فيبدي الدمع أسراره * ويظهر منه وجده والتندم * ومن قلبه
مع غيره كيف حاله * ومن سره في جفنه كيف يكتم * وقد قال بعض العارفين أكثر الناس من الله بعدا أكثرهم
إشارة إليه كأنه أراد من يكثر التعريض به في كل شيء ويظهر التصنع بذكره عند كل أحد فهو ممقوت عند المحبين والعلماء
بالله عز وجل ودخل ذو النون المصري على بعض إخوانه ممن كان يذكر المحبة فرآه مبتلى ببلاء فقال لا يحبه
من وجد ألم ضره فقال الرجل لكني أقول لا يحبه من لم يتنعم بضره فقال ذو النون ولكني أقول لا يحبه
من شهر نفسه بحبه فقال الرجل أستغفر الله وأتوب إليه فإن قلت المحبة منتهى المقامات وإظهارها
إظهار للخير فلماذا تستنكر فاعلم أن المحبة محمودة وظهورها محمود وإنما المذموم التظاهر بها لما يدخل فيه
من الدعوى والاستكبار وحق المحب أن يتم على حبه الخفي أفعاله وأحواله دون أقواله وأفعاله وينبغي أن يظهر حبه
من غير قصد منه إلى إظهار الحب ولا إلى إظهار الفعل الدال على الحب بل ينبغي أن يكون قصد المحب اطلاع
الحبيب فقط وأما إرادة اطلاع غيره فشرك في الحب وقادح فيه كما ورد في الإنجيل إذا تصدقت فتصدق
بحيث لا تعلم شمالك ما صنعت يمينك فالذي يرى الخفيات يجزيك علانية وإذا صمت فاغسل وجهك
وادهن رأسك لئلا يعلم بذلك غير ربك فإظهار القول والفعل كله مذموم إلا إذا غلب سكر الحب فانطلق اللسان
واضطربت الأعضاء فلا يلام فيه صاحبه حكي أن رجلا رأى من بعض المجانين ما استجهله فيه فأخبر بذلك
معروفا الكرخي فتبسم ثم قال يا أخي له محبون صغار وكبار وعقلاء ومجانين فهذا الذي رأيته من مجانينهم ومما
يكره التظاهر بالحب بسببه أن المحب إن كان عارفا وعرف أحوال الملائكة في حبهم الدائم وشوقهم اللازم الذي
به يسبحون الليل والنهار لا يفترون ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون لاستنكف من نفسه ومن
إظهار حبه وعلم قطعا أنه أخس المحبين في مملكته وأن حبه أنقص من حب كل محب لله تعالى
قال بعض المكاشفين من المحبين عبدت الله تعالى ثلاثين سنة بأعمال القلوب والجوارح على بذل المجهود و
استفراغ الطاقة حتى ظننت أن لي عند الله تعالى شيئا فذكر أشياء من مكاشفات آيات السماوات في قصة
طويلة قال في آخرها فبلغت صفا من الملائكة بعدد جميع ما خلق الله من شيء فقلت ما أنتم فقالوا نحن
المحبون لله عز وجل نعبده ههنا منذ ثلاثمائة ألف سنة ما خطر على قلوبنا قط سواه ولا ذكرنا غيره قال
فاستحييت من أعمالي فوهبتها لمن حق عليه الوعيد تخفيفا عنهم في جهنم فإذا من عرف نفسه وعرف ربه
واستحيا منه حق الحياء خرس لسانه عن التظاهر بالدعوى نعم يشهد على حبه حركاته وسكناته وإقدامه
وإحجامه وتردداته كما حكي عن الجنيد أنه قال مرض أستاذنا السري رحمه الله فلم نعرف لعلته دواء ولا عرفنا
لها سببا فوصف لنا طبيب حاذق فأخذنا قارورة مائه فنظر إليه الطبيب وجعل ينظر إليه مليا ثم قال لي أراه
بول عاشق قال الجنيد فصعقت وغشي علي ووقعت القارورة من يدي ثم رجعت إلى السري فأخبرته
فتبسم ثم قال قاتله الله ما أبصره قلت يا أستاذ وتتبين المحبة في البول قال نعم وقد قال السري
مرة لو شئت أن أقول ما أيبس جلدي على عظمي ولا نحل جسمي إلا حبه ثم غشي عليه ودلت الغشية على

اذا انضم الى خيفة الوجد ومقدمات الغشية فهذه مجامع علامات الحب لله تعالى وثمراته ومنها الانس والرضا
كما سياتي وبالجملة جميع محاسن الدين ومكارم الاخلاق ثمرة الحب وما لا يثمره الحب فهو اتباع الهوى وهو من
رذايل الاخلاق نعم قد يحب الله تعالى لاحسانه اليه وقد يحبه لجلاله وجماله وان لم يحسن اليه والمحبون لا يخرجون
عن هذين القسمين ولذلك قال الجنيد الناس في محبة الله تعالى عام وخاص والعوام نالوا ذلك بمعرفتهم في
بدوام احسانه وكثرة نعمه فلم يتمالكوا ان احبوه الا انهم تقل محبتهم وتكثر على قدر النعم والاحسان واما
الخاصة فنالوا المحبة بعظم القدر والقدرة والعلم والحكمة والتفرد بالملك فلما عرفوا صفاته الكاملة
واسمائه الحسنى لم يمتنعوا ان احبوه اذا استحق عندهم المحبة لذلك لانه اهل لها ولو ازال عنهم جميع
النعم نعم من الناس من يحب هواه وعدو الله ابليس وهو مع ذلك يلبس على نفسه بحكم الغرور والجهل ويظن انه محب
لله وهو الذي فقدت فيه هذه العلامات او يلبس بها نفاقا ورياء وسمعة وغرضه عاجل حظ الدنيا
وهو يظهر من نفسه خلاف ذلك كعلماء السوء وقراء السوء اولئك بغضاء الله في ارضه وكان سهل اذا تكلم مع
انسان قال يا دوست اي يا حبيب فقيل له قد لا يكون حبيبا فكيف تقول هذا فقال في اذن القايل سرا لا يخلو
اما ان يكون مومنا او منافقا فان كان مومنا فهو حبيب الله وان كان منافقا فهو حبيب ابليس وقد قال
ابو تراب النخشبي في علامات المحبة ابياتا وهي هذه الابيات شعر لا تخدعن فللحبيب دلايل ⁂ ولديه من تحف الحبيب وسايل
منها تنعمه بمر بلائه ⁂ وسروره في كل ما هو فاعل ⁂ فالمنع منه عطية مقبولة ⁂ والفقر اكرام ولطف عاجل
ومن الدلايل ان يرى في عزمه ⁂ طوع الحبيب وان الح العاذل ⁂ ومن الدلايل ان يرى متبسما ⁂ والقلب فيه من الحبيب بلابل
ومن الدلايل ان يرى متفهما ⁂ لكلام من يحظى لديه السايل ⁂ ومن الدلايل ان يرى متقشفا ⁂ متحفظا في كل ما هو قايل
وقال يحيى بن معاذ الرازي ومن الدلايل ان تراه مشمرا ⁂ في خرقتين على شطوط الساحل ⁂ ومن الدلايل حزنه
ونحيبه ⁂ جوف الظلام فما له من عاذل ⁂ ومن الدلايل ان تراه مسافرا ⁂ نحو الجهاد وكل فعل فاضل ⁂ ومن الدلايل زهده فيما يرى
من دار ذل والنعيم الزايل ⁂ ومن الدلايل ان تراه باكيا ⁂ ان قد رآه على قبيح فعايل ⁂ ومن الدلايل ان تراه مسلما
كل الامور الى المليك العادل ⁂ ومن الدلايل ان تراه راضيا ⁂ بمليكه في كل حكم نازل ⁂ ومن الدلايل ضحكه بين الورى
والقلب محزون كقلب الثاكل

بيان معنى الانس بالله تعالى

قد ذكرنا ان الانس والخوف والشوق من آثار
المحبة الا ان هذه آثار مختلفة تختلف على المحب بحسب نظره وما يغلب عليه في وقته فاذا غلب عليه
التطلع من وراء حجاب الغيب الى منتهى الجمال واستشعر قصوره عن الاطلاع على كنه الجلال انبعث القلب
الى الطلب وانزعج له وهاج اليه فتسمى هذه الحالة في الانزعاج شوقا وهو بالاضافة الى امر غايب واذا
غلب عليه الفرح بالقرب ومشاهدة الحضور بما هو حاصل من الكشف وكان نظره مقصورا على مطالعة
الجمال الحاضر المكشوف غير ملتفت الى ما لم يدركه بعد استبشر القلب بما يلاحظه فيسمى استبشاره انسا
وان كان نظره الى صفات العز والاستغنا وعدم المبالاة وخطر امكان الزوال والبعد تالم قلبه بهذا
الاستشعار فيسمى تالمه خوفا وهذه الاحوال تابعة لهذه الملاحظات والملاحظات تابعة لاسباب
تقتضيها لا يمكن حصرها فالانس معناه استبشار القلب وفرحه بمطالعة الجمال حتى انه اذا غلب وتجرد عن
ملاحظة ما غاب عنه وما يتطرق اليه من خطر الزوال عظم نعيمه ولذته ومن هنا نظر بعضهم حيث
قيل له انت مشتاق فقال لا انما الشوق الى غايب فاذا كان الغايب حاضرا فالى من يشتاق وهذا كلام مستغرق
بالفرح بما ناله غير ملتفت الى ما بقي في الامكان من مزايا الالطاف ومن غلب عليه حال الانس لم تكن شهوته الا في
الانفراد والخلوة كما حكي ان ابرهيم ابن ادهم نزل من الجبل فقيل له من اين اقبلت فقال من الانس بالله وذلك

لان الانس بالله ملازمه التوحش من غير الله بل كل ما يعوق عن الخلوة فيكون من اثقل الاشيا على القلب كما
روي ان موسى عليه السلام لما كلمه ربه مكث دهرا لا يسمع كلام احد من الناس الا اخذه الغشيان لان الحب
يوجب عذوبة كلام المحبوب وعذوبة ذكره فيخرج من القلب عذوبة ما سواه ولذلك قال بعض الحكما في دعايه
يا من انسني بذكره واوحشني من خلقه وقال الله عز وجل لداود عليه السلام كن لي مشتاقا وبي مستانسا ومن سواي
مستوحشا وقيل لرابعة بم نلت هذه المنزلة قالت بتركي ما لا يعنيني وانسي بمن لم يزل وقال عبد الواحد
بن زيد مررت براهب فقلت له يا راهب لقد اعجبتك الوحدة يا اخي العبادة فقال يا هذا لو ذقت حلاوة
الوحدة لاستوحشت من نفسك اليها الوحدة راس العبادة قلت يا راهب ما اقل ما تجده في الوحدة قال
الراحة من مداراة الناس والسلامة من شرهم قلت يا راهب متى يذوق العبد حلاوة الانس بالله قال اذا
صفا الود وخلصت المعاملة قلت متى يصفو الود قال اذا اجتمع الهم فصار هما واحدا في الطاعة
وقال بعض الحكما عجبا للخلايق كيف ارادوا بك بدلا عجبا للقلوب كيف استانست بسواك عنك فان
قلت فما علامة الانس فاعلم ان علامته الخاصة ضيق الصدر من معاشرة الخلق والتبرم بهم واستهتاره
بعذوبة الذكر فان خالط فهو كمنفرد في جماعة ومجتمع في خلوة وغريب في حضر وحاضر في سفر وشاهد في
غيبة وغايب في حضور مخالط بالبدن منفرد بالقلب المستغرق في عذوبة الذكر كما قال علي
رضي الله عنه في وصفهم هم قوم هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين واستلانوا ما
استوعره المترفون وانسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى
اولئك خلفا الله في ارضه والدعاة الى دينه فهذا معنى الانس وهذه علامته وهذه شواهده وقد
ذهب بعض المتكلمين الى انكار الانس والشوق والحب لظنه ان ذلك يدل على التشبيه وجهله بان جمال
المدركات بالبصاير اكمل من جمال المبصرات ولذة معرفتها اغلب على ذوي القلوب ومنهم احمد بن غالب يعرف
بغلام الخليل انكر على الجنيد وعلى ابي الحسن النوري والجماعة حديث الحب والشوق والعشق حتى
انكر بعضهم مقام الرضا وقال ليس الا الصبر فاما الرضا فغير متصور وهذا كله كلام ناقص قاصر
لم يطلع من مقامات الدين الا على القشور فظن انه لا وجود الا للقشر فان المحسوسات وكل ما يدخل في الخيال
في طريق النظر قشر مجرد ووراءها اللب المطلوب فمن لم يصل من الجوز الا الى قشره يظن ان الجوز خشب
كله واستحالة خروج الدهن منه لا محالة وهو معذور ولكن عذره غير مقبول ولذلك قيل
شعر الانس بالله لا يحويه بطال ⁂ وليس يدركه بالحول محتال ⁂ والآنسون رجال كلهم نجب ⁂ وكلهم صفوة لله عمال

بيان معنى الانبساط

والادلال الذي تثمره غلبة الانس اعلم ان الانس اذا دام وغلب واستحكم ولم
يشوشه قلق الشوق ولم ينغصه خوف التغير والحجاب فانه يثمر نوعا من الانبساط في الاقوال والافعال
والمناجاة مع الله تعالى وقد يكون منكر الصورة لما فيه من الجراة وقلة الهيبة ولكنه محتمل ممن اقيم
في مقام الانس ومن لم يقم في ذلك المقام ويتشبه بهم في الفعل والكلام هلك به واشرف على الكفر و
مثاله مناجاة برخ الاسود الذي امر الله تعالى كليمه موسى عليه السلام ان يساله ليستسقي لبني اسرائيل بعد
ان قحطوا سبع سنين وخرج موسى عليه السلام ليستسقي لهم في سبعين الفا فاوحى الله عز وجل اليه كيف
استجيب لهم وقد اظلمت عليهم ذنوبهم سرايرهم خبيثة يدعونني على غير يقين ويامنون مكري ارجع الى
عبد من عبادي يقال له برخ فقل له يخرج حتى استجيب له فسال عنه موسى عليه السلام فلم يعرف فبينما
موسى عليه السلام ذات يوم يمشي في طريق اذا بعبد اسود قد استقبله بين عينيه تراب من اثر السجود

في سلة قد عقدها على عنقه فعرفه موسى عليه السلام بنور الله عز وجل فسلم عليه وسأله ما اسمك فقال
اسمي برخ فقال انت طلبتنا منذ حين اخرج فاستسق لنا فخرج فقال في كلامه ما هذا من فعالك وما هذا
من حلمك وما الذي بدا لك انقضت عليك عيونك ام عاندت الرياح عن طاعتك ام نفد ما عندك ام
اشتد غضبك على المذنبين الست كنت غفارا قبل خلق الخطائين خلقت الرحمة وامرت بالعطف ام
ترينا انك ممتنع ام تخشى الفوت فتعجل بالعقوبة قال فما برح حتى اخضلت بنو اسرائيل بالقطر وانبت الله
تعالى العشب في نصف يوم حتى بلغ الركب قال فرجع برخ فاستقبله موسى عليه السلام فقال كيف رأيتني
خاصمت ربي كيف انصفني فهم به موسى عليه السلام فاوحى الله تعالى اليه ان برخا يضحكني كلامه كل يوم
ثلاث مرات فهذا وامثاله يجري للذين لهم الانس وليس لغيرهم ان يتشبه بهم قال الجنيد اهل الانس
يقولون في كلامهم ومناجاتهم في خلواتهم اشياء هي كفر عند العامة وقال مرة لو سمعها العوام لكفروهم وهم
يجدون المزيد في احوالهم لذلك وذلك يحتمل منهم ويليق واليه اشار القايل شعر

قوم تخالجهم زهو بسيدهم ❊ والعبد يزهو على مقدار مولاه ❊ تاهوا برؤيته عما سواه به ❊ يا حسن رؤيتهم في عز ما تاهوا

ولا تستبعدن رضا عن العبد بما يغضب به على غيره مهما اختلف مقامهما ففي القرآن تنبيهات على هذه المعاني
لو فطنت وفهمت فجميع قصص القرآن تنبيهات لاولي البصائر والابصار حتى ينظروا اليها بعين الاعتبار وانما
هي عند ذوي الاعتبار من الاسمار فاول القصص قصة آدم وابليس الا تراهما كيف اشتركا في اسم المعصية والمخالفة
ثم تباينا في الاجتباء والعصمة اما ابليس فابلس عن رحمته وقيل انه من المبعدين واما آدم فقيل فيه وعصى
آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى وقد عاتب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم في الاعراض
عن عبدين والاقبال على عبد وهما في العبودية سيان ولكن في الحال مختلفان فقال اما من جاءك يسعى وهو يخشى
فانت عنه تلهى وقال في الاخر اما من استغنى فانت له تصدى وكذلك امره بالقعود مع طايفة فقال واذا
جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة وامره بالاعراض عن غيرهم فقال واذا
رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره واما ينسينك الشيطان فلا تقعد
بعد الذكرى مع القوم الظالمين واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه فكذلك
الانبساط والادلال يحتمل من بعض العباد دون بعض فمن انبساط الانس قول موسى عليه السلام ان هي الا فتنتك
تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء وقوله في التعلل والاعتذار لما قيل له اذهب الى فرعون قال ولهم علي ذنب
فاخاف ان يقتلون وقوله اخاف ان يكذبون ويضيق صدري وقوله انا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى وهذا
من غير موسى عليه السلام من سوء الادب لان الذي اقيم مقام الانس يلاطف ويحتمل ويونس عليه السلام لما اقيم
اقيم مقام القبض والهيبة فعوقب بالسجن في ظلمات بطن الحوت ثلاثا ونودي عليه الى يوم الحشر لولا ان
تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم قال الحسن العراء هي القيمة ونهي نبينا عليه السلام ان يقتدي
به فقال واصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم وهذه الاختلافات بعضها لاختلاف الاحوال
والمقامات وبعضها لما سبق في الازل من التفاضل والتفاوت في القسمة بين العباد وقد قال تعالى ولقد
فضلنا بعض النبيين على بعض وقال منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات فكان عيسى عليه
السلام من المفضلين ولادلاله سلم على نفسه فقال والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا وهذا
انبساط منه لما شاهد من اللطف في مقام الانس واما يحيى بن زكريا عليه السلام اقيم مقام الهيبة والحيا فلم
ينطق حتى اثنى عليه خالقه فقال وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا وانظر كيف احتمل اخوة

يوسف ما فعلوا بيوسف عليه السلام وقد قال بعض العلما قد عددت من اول قوله تعالى ليوسف واخوه احب الى
ابينا منا الى راس العشرين من اخباره تعالى عن زهدهم فيه نيفا واربعين خطيئة بعضها اكبر من بعض وقد يجتمع
في الكلمة الواحدة الثلاث والاربع فغفر لهم وعفا عنهم ولم يحتمل العزير مسئلة واحدة سأل عنها في
القدر حتى قيل محي من ديوان النبوة وكذلك كان بلعام بن باعورا من اكابر العلما فاكل الدنيا بالدين فلم يحتمل
له ذلك وكان اصف من المسرفين وكانت معصيته في الجوارح فعفي عنه فقد روي ان الله سبحانه اوحى الى
سليمان عليه السلام يا راس العابدين ويا ابن محجة الزاهدين الى كم يعصيني ابن خالتك اصف وانا احلم عنه مرة
بعد مرة فوعزتي وجلالي لئن اخذته عصفة من عصفاتي عليه لاتركنه مثلة لمن معه ونكالا لمن بعده
فلما دخل اصف على سليمان اخبره بما اوحى الله تعالى اليه فخرج حتى علا كثيبا من رمل ثم رفع راسه ويديه نحو السماء وقال
الهي وسيدي انت انت وانا انا فكيف اتوب ان لم تتب علي وكيف استعصم ان لم تعصمني لاعودن فاوحى
الله تعالى اليه صدقت يا اصف انت انت وانا انا استقبل التوبة فقد تبت عليك وانا التواب الرحيم
وهذا كلام مدل به عليه وهارب منه اليه وناظر اليه به وفي الخبر ان الله تعالى اوحى الى عبد تداركه بعد
ان كان اشفى على الهلكة كم من ذنب واجهتني به غفرته لك قد اهلكت بدونه امة من الامم فهذه سنة
الله تعالى في عباده بالتفضيل والتقديم والتأخير على ما سبقت به مشيته الازلية وهذه القصص
اوردت في القرآن ليعرف بها سنة الله تعالى في عباده الذين خلوا من قبل فما في القرآن شي الا وهو هدى
ونور وتعرف من الله تعالى الى الخلق فتارة يتعرف اليهم بالتقديس فيقول قل هو الله احد الله الصمد
الى اخرها وتارة يتعرف اليهم بصفات جلاله فيقول الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار
المتكبر وتارة يتعرف اليهم بافعاله المخوفة والمرجوة فيتلو عليهم سنته في اعدائه وانبيائه عليهم السلام فيقول
فيقول الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل ولا يعدو القرآن
هذه الاقسام الثلاث وهي الارشاد الى معرفة ذات الله تعالى وتقديسه او معرفة صفاته واسمائه او معرفة
افعاله وسنته مع عباده ولما اشتملت سورة الاخلاص على احد هذه الاقسام الثلاث وهو التقديس وازنها
رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلث القرآن فقال من قرأ سورة الاخلاص فقد قرأ ثلث القرآن لان منتهى التقديس
ان يكون واحدا في ثلاثة امور لا يكون حاصلا منه من هو من نوعه وشبهه ودل عليه قوله لم يلد ولا يكون
هو حاصلا ممن هو نظيره وشبهه ودل عليه قوله ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ويجمع ذلك قوله قل هو الله احد وجملته
تفصيل قولك لا اله الا الله فهذه اسرار القرآن ولا تتناهى امثال هذه الاسرار في القرآن ولا رطب ولا يابس الا
في كتاب مبين ولذلك قال ابن مسعود ثوروا القرآن والتمسوا غرائبه ففيه علم الاولين والاخرين وهو كما قال
لا يعرفه الا من طال في احاد كلماته فكره وصفا له فهمه حتى تشهد له كل كلمة منها بانه كلام جبار قاهر مليك مقتدر
وانه خارج عن حد استطاعة البشر واكثر اسرار القرآن معباه في طي القصص والاخبار فكن حريصا على استنباطها
لينكشف لك ما فيها من العجائب ما تستحقر معها العلوم المزخرفة الخارجة عنها فهذا ما اردنا ذكره في معنى
الانس والانبساط الذي هو ثمرته وتفاوت عباد الله فيه

القول في معنى الرضا بقضاء الله

وحقيقته وما ورد في فضيلته اعلم ان الرضا ثمرة من ثمرات المحبة وهو من اعلى مقامات المقربين وحقيقته غامضة
على الاكثرين وما يدخل عليه من التشابه والايهام غير منكشف الا لمن علمه الله التاويل وفقهه في الدين فقد انكر منكرون
تصور الرضا بما يخالف الهوى ثم قالوا ان امكن الرضا بكل شي لانه فعل الله تعالى فينبغي ان يرضى بالكفر و
المعاصي وانخدع بذلك قوم فراوا الرضا بالفجور والفسوق وترك الاعتراض والانكار من باب التسليم لقضاء الله تعالى

ولما انكشف هذه الاسرار لمن اقتصر على ظواهر الشرع لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس حيث قال اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل فلنبدأ ببيان فضيلة الرضى ثم بحكايات احوال الراضين ثم نذكر حقيقة الرضى وكيفية تصوره فيما يخالف الهوى ثم نذكر ما يظن انه من تمام الرضى وليس منه كترك الدعاء والسكوت على المعاصي

بيان فضيلة الرضى

اما الآيات فقوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه وقد قال تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان ومنتهى الاحسان رضى الله عن عبده وهو ثواب رضى العبد عنه وقال تعالى ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر فقد رفع الله تعالى الرضى فوق جنات عدن كما رفع ذكره فوق الصلاة حيث قال ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر فكما ان مشاهدة المذكور في الصلاة اكبر من الصلاة فرضوان رب الجنة اعلى من الجنة بل هو غاية مطالب سكان الجنة وفي الحديث ان الله تعالى يتجلى للمؤمنين فيقول سلوني فيقولون رضاك فسؤالهم الرضى بعد النظر نهاية التفضيل واما رضى العبد فسنذكر حقيقته واما رضوان الله تعالى عن العبد فهو بمعنى آخر يقرب مما ذكرناه في حب الله تعالى للعبد ولا يجوز ان يكشف عن حقيقته اذ تقصر افهام الخلق عن دركه ومن يقوى عليه فليستقل بادراكه من نفسه وعلى الجملة فلا رتبة فوق النظر اليه فانما سالوا الرضى لانه سبب دوام النظر فكانهم رأوه غاية الغايات واقصى الاماني لما ظفروا بنعيم النظر فلما امروا بالسؤال لم يسألوا الا دوامه وعلموا ان الرضى هو سبب دوام رفع الحجاب وقال الله تعالى ولدينا مزيد قال بعض المفسرين فيه يأتي اهل الجنة في وقت المزيد ثلاث تحف من عند رب العالمين **احدها** هدية من عند الله تعالى ليس عندهم في الجنان مثلها فذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين **والثانية** السلام عليهم من ربهم فيزيد ذلك على الهدية وهو قوله سلام قولا من رب رحيم **والثالثة** يقول الله تعالى اني عنكم راض فيكون ذلك افضل من الهدية والسلام فذلك قوله تعالى ورضوان من الله اكبر اي من النعيم الذي هم فيه فهذا فضل رضى الله تعالى وهو ثمرة رضى العبد

واما الاخبار فقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سأل طائفة من اصحابه ما انتم فقالوا مؤمنون فقال ما علامة ايمانكم فقالوا نصبر عند البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء فقال مؤمنون ورب الكعبة **وفي** خبر آخر انه قال حكماء علماء كادوا من فقههم ان يكونوا انبياء **وفي** الخبر طوبى لمن هدي الى الاسلام وكان رزقه كفافا ورضي به وقال صلى الله عليه وسلم من رضي من الله تعالى بالقليل من الرزق رضي الله تعالى منه بالقليل من العمل وقال ايضا اذا احب الله تعالى عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه وقال ايضا اذا كان يوم القيامة انبت الله تعالى لطائفة من امتي اجنحة فيطيرون من قبورهم الى الجنان يسرحون فيها ويتنعمون كيف شاؤا فتقول لهم الملائكة هل رأيتم الحساب فيقولون ما رأينا حسابا فيقولون هل جزتم الصراط فيقولون ما رأينا صراطا فيقولون هل رأيتم جهنم فيقولون ما رأينا شيئا فتقول لهم الملائكة من امة من انتم فيقولون من امة محمد صلى الله عليه وسلم فيقولون ناشدناكم الله حدثونا ما كانت اعمالكم في الدنيا فيقولون خصلتان كانتا فينا فبلغنا الله تعالى هذه المنزلة بفضل رحمته فيقولون وما هما فيقولون كنا اذا خلونا نستحيي ان نعصيه ونرضى باليسير مما قسم لنا فتقول الملائكة يحق لكم هذا وقال صلى الله عليه وسلم اعطوا الله تعالى الرضى من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا **وفي اخبار موسى عليه السلام** ان بني اسرائيل قالوا له سل لنا ربك امرا اذا نحن فعلناه يرضى به عنا فقال موسى عليه السلام الهي قد سمعت ما قالوا فقال يا موسى قل لهم يرضون عني حتى ارضى عنهم ويشهد لهذا ما روي عن نبينا صلى الله عليه وسلم انه قال من احب ان يعلم ما له عند الله فلينظر ما لله تعالى عنده فان الله تعالى ينزل العبد منه حيث انزله العبد من نفسه **وفي اخبار** داود عليه السلام ما لاوليائي والهم بالدنيا ان الهم يذهب حلاوة مناجاتي من قلوبهم يا داود ان محبتي من اوليائي ان يكونوا روحانيين لا يغتمون **وروي** ان موسى عليه السلام قال يا رب دلني على امر فيه رضاك حتى اعمله فاوحى الله تعالى اليه ان رضاي في كرهك وانت لا تصبر على ما تكره فقال يا رب دلني عليه قال فان رضاي في رضاك بقضائي وفي مناجاة موسى عليه السلام اي رب اي خلقك احب اليك قال من اذا اخذت منه المحبوب سالمني قال فاي خلقك انت عليه ساخط قال من يستخيرني في الامر فاذا قضيت له سخط قضائي وقد روي ما هو اشد من هذا وذلك ان الله عز وجل قال انا الله الذي لا اله الا انا من لم يصبر على بلائي ولم يرض بقضائي فليتخذ ربا سوائي ومثله في الشدة قوله تعالى فيما حكى عنه نبينا صلى الله عليه وسلم قدرت المقادير ودبرت التدبير واحكمت الصنع فمن رضي فله الرضى مني حتى يلقاني ومن سخط فله السخط مني حتى يلقاني وفي الخبر المشهور يقول الله تعالى خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير واجريت الخير على يديه وويل لمن خلقته للشر واجريت الشر على يديه وويل ثم ويل لمن قال لم وكيف وفي الاخبار السالفة ان نبيا من الانبياء شكى الى الله عز وجل الجوع والفقر والقمل عشر سنين فما اجيب الى ما اراد ثم اوحى الله تعالى اليه كم تشكو هكذا كان بدؤك عندي في ام الكتاب قبل ان اخلق السموات والارض وهكذا سبق لك مني وهكذا قضيت عليك قبل ان اخلق الدنيا افتريد ان اعيد خلق الدنيا من اجلك ام تريد ان ابدل ما قدرت عليك فيكون ما تحب فوق ما احب ويكون ما تريد فوق ما اريد وعزتي وجلالي لئن تلجلج هذا في صدرك مرة اخرى لامحونك من ديوان النبوة **وروي** ان آدم عليه السلام كان بعض اولاده الصغار يصعدون على بدنه وينزلون يجعل احدهم رجله على اضلاعه كهيئة الدرج فيصعد الى راسه ثم ينزل على اضلاعه كذلك وهو مطرق الى الارض لا ينطق ولا يرفع راسه الى السماء فقال له بعض ولده يا ابت اما ترى ما يصنع هذا بك لو نهيته عن هذا فقال يا بني اني رأيت ما لم تروا وعلمت ما لم تعلموا اني تحركت حركة واحدة فاهبطت من دار الكرامة الى دار الهوان ومن دار النعيم الى دار الشقاء فاخاف ان اتحرك حركة اخرى فيصيبني ما لا اعلم وقال انس بن مالك رضي الله عنه خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي في شيء كان ليته لم يكن ولا في شيء لم يكن ليته كان ويروى ان الله عز وجل اوحى الى داود عليه السلام تريد واريد وانما يكون ما اريد فان سلمت لما اريد كفيتك ما تريد وان لم تسلم لما اريد اتعبتك فيما تريد ثم لا يكون الا ما اريد **واما الآثار** فقد قال ابن عباس رضي الله عنه اول من يدعى الى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله تعالى على كل حال وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ما بقي لي سرور الا في مواقع القدر وقيل له ما تشتهي فقال ما يقضي الله وقال ميمون بن مهران من لم يرض بالقضاء فليس لحمقه دواء وقال الفضيل ان لم تصبر على تقدير الله لم تصبر على تقدير نفسك وقال عبد العزيز بن ابي رواد ليس الشان في اكل خبز الشعير والخل ولا في لبس الصوف والشعر ولكن الشان في الرضى عن الله عز وجل وقال عبد الله بن مسعود لان الحس جمرة احرقت ما احرقت وابقت ما ابقت احب الي من ان اقول لشيء كان ليته لم يكن او لشيء لم يكن ليته كان ونظر رجل الى قرحة في رجل محمد بن واسع فقال اني لارحمك من هذه القرحة فقال اني لاشكرها منذ خرجت اذ لم تخرج في عيني **وروي** في الاسرائيليات ان عابدا عبد الله دهرا طويلا فاري في المنام ان فلانة الراعية رفيقتك في الجنة فسال عنها الى ان وجدها فاستضافها ثلاثا لينظر الى عملها فكان يبيت قائما وتبيت نائمة ويظل صائما وتظل مفطرة فقال اما لك عمل غير ما رأيت فقالت ما هو والله الا ما رأيت لا اعرف غيره فلم يزل يقول تذكري حتى قالت خصيلة واحدة هي في اني ان كنت في شدة لم اتمن ان اكون في رخاء وان كنت في مرض لم اتمن ان اكون في صحة وان كنت في الشمس لم اتمن ان اكون في الظل فوضع

العابدين على رأسه فقال أمه حصلة هذه لو تحصلة عظيمة يعجز عنها العباد **وعن بعض السلف** لن اتقى الله
تعالى اذا اتقوى من الشكا فضا احب من اهل الرضا ان يرضى بقضائه وقال ابو الدرداء ذروة الايمان الصبر للحكم
والرضا بالقدر وقال عمر رضي الله عنه ما ابالي على اي حال اصبحت وامسيت من شدة او رخاء وقال
الثوري يوما عند رابعة العدوية اللهم ارض عنا فقالت اما تستحيي ان تسأله الرضا وانت عنه غير
راض فقال استغفر الله فقال جعفر بن سليمان الضبعي فمتى يكون العبد راضيا عن الله فقالت اذا كان سروره بالمصيبة مثل
سروره بالنعمة وكان الفضيل يقول اذا استوى عنده المنع والعطاء فقد رضي عن الله تعالى وقال احمد
ابن ابي الحواري قال ابو سليمان الداراني ان الله تعالى من كرمه قد رضي من عبيده بما رضي العبيد من مواليهم
قلت وكيف ذلك قال اليس مراد العبد من الخلق ان يرضى عنه مولاه قلت نعم قال فان محبة الله من
عبيده ان يرضوا عنه وقال سهل حظ العبيد من اليقين على قدر حظهم من الرضا وحظهم من
الرضا على قدر عيشهم مع الله وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله بحكمته وعدله جعل الروح والفرح
في الرضا وجعل الهم والحزن في الشك والسخط **بيان حقيقة الرضا** وتصوره فيما يخالف
الهوى اعلم ان من قال ليس فيما يخالف الهوى وانواع البلاء الا الصبر فاما الرضا فلا يتصور فانما اتي من
ناحية انكار المحبة فاما اذا ثبت تصور الحب لله واستغراق الهم به فلا يخفى ان الحب يورث الرضا بافعال الحبيب
ويكون ذلك من وجهين احدهما ان يبطل الاحساس بالالم حتى يجري عليه المؤلم ولا يحس به وتصيبه
جراحة ولا يدرك المه ومثاله الرجل المحارب فانه في حال غضبه او حال خوفه قد تصيبه جراحة وهو لا
يحس بها حتى اذا رأى الدم استدل به على الجراحة بل الذي يغدو في شغل قد تصيبه شوكة في
قدمه ولا يحس بالمها بل الذي يحجم او يحلق رأسه بحديدة كالة يتألم به فان كان مشغول القلب بمهم من
مهماته فرغ المزين والحجام وهو لا يشعر به وكل ذلك لان القلب اذا صار مستغرقا بامر من الامور
مستوفى به لم يدرك ما عداه وكذلك العاشق المستغرق الهم بمشاهدة معشوقه او بحبه قد
يصيبه ما كان يتألم به او يغتم له لولا عشقه ثم لا يدرك غمه والمه لفرط استيلاء الحب على قلبه
هذا اذا اصابه من غير حبيبه فكيف اذا اصابه من حبيبه وشغل القلب بالحب والعشق من اعظم الشواغل
واذا تصور هذا في الم يسير بسبب حب خفيف تصور في الالم العظيم بالحب العظيم وان الحب ايضا
يتصور تضاعفه في القوة كما يتصور تضاعف الالم وكما يقوى حب الصور الجميلة المدركة بحاسة البصر
فكذلك يقوى حب الصور الجميلة الباطنة المدركة بنور البصيرة وجمال الحضرة الربوبية وجلالها
لا يقاس بها جلال ولا جمال فمن ينكشف له شيء منه فقد يبهره بحيث يدهش ويغشى عليه فلا يحس
بما يجري عليه فقد روي ان امرأة فتح الموصلي عثرت فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها اما تجدين الوجع
فقالت ان لذة ثوابه ازالت عن قلبي مرارة وجعه وكان سهل به علة يعالج غيره منها ولا يعالج نفسه
فقيل له في ذلك فقال يا دوست ضرب الحبيب لا يوجع معناه يا حبيب فلا يتألم واما الوجه الثاني فهو ان
يحس به ويدرك المه ولكن يكون راضيا به بل راغبا فيه مريدا له اعني بعقله وان كان كارها بطبعه
كالذي يلتمس من الفصاد الفصد والحجامة فانه يدرك الم ذلك الا انه راض به وراغب فيه ومتقلد
من الفصاد منه بفعله فهذا حالة حال الراضي بما يجري عليه من الالم وكذلك كل من يسافر في طلب الربح
يدرك مشقة السفر وجعله راضيا بها ومهما اصابته بلية من الله تعالى وكان له يقين بان ثوابه الذي
ادخر له فوق ما فاته رضي به ورغب فيه واحبه وشكر الله عليه هذا اذا كان يلاحظ الثواب ف

الاحسان الذي يجازاه عليه ويجوز ان يغلب الحب بحيث يكون حظ المحب في مراد حبيبه ورضاه لا لمعنى
آخر وراءه فيكون مراد حبيبه ورضاه محبوبا عنده ومطلوبا وكل ذلك موجود في المشاهدات في حب الخلق
وقد تواصفها المتواصفون في نظمهم ونثرهم ولا معنى له الا ملاحظة جمال الصورة الظاهرة بالبصر
فان نظر الى الجمال فما هو الا جلد على لحم ودم مشحون بالاقذار والاخباث بدايته من نطفة مذرة ونهايته
جيفة قذرة وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة وان نظر الى المدرك للجمال فهي العين الخسيسة التي
تغلط فيما ترى كثيرا فترى الصغير كبيرا والكبير صغيرا والبعيد قريبا والقبيح جميلا فاذا تصور استيلاء
هذا الحب فمن اين يستحيل ذلك في حب الجمال الازلي الابدي الذي لا منتهى لكماله المدرك بعين
البصيرة التي لا يعتريها الغلط ولا يدور بها الموت بل تبقى بعد الموت حية عند الله فرحة برزق الله
مستفيدة بالموت مزيد تنبيه واستكشاف فهذا امر واضح من حيث النظر بعين الاعتبار ويشهد لذلك
الوجود وحكايات احوال المحبين واقوالهم فقد قال شقيق البلخي من يرى ثواب الشدة لا يشتهي المخرج
منها وقال الجنيد سألت سريا السقطي هل يجد المحب الم البلاء قال لا قلت وان ضرب بالسيف
قال نعم وان ضرب بالسيف سبعين مرة ضربة على ضربة وقال بعضهم احببت كل شيء يحبه حتى لو
احب النار احببت دخول النار وقال بشر بن الحارث مررت برجل وقد ضرب الف سوط في شرقية بغداد
ولم يتكلم ثم حمل الى الحبس فتبعته فقلت له لم ضربت فقال لاني عاشق قلت فلو نظر اليك المعشوق الاكبر
قال فزعق زعقة خر ميتا وقال يحيى بن معاذ الرازي اذا نظر اهل الجنة الى الله جل جلاله ذهبت
عيونهم في قلوبهم من لذة النظر الى الله تعالى ثمانمائة سنة لا ترجع اليهم فما ظنك بقلوب
وقعت بين جماله وجلاله اذا لاحظت جلاله هابت واذا لاحظت جماله تاهت وقال بشر قصدت عبادان
في بدايتي فاذا انا برجل اعمى مجذوم مجنون قد صرع والنمل تأكل لحمه فرفعت رأسه فوضعته في حجري وانا
اردد الكلام فلما افاق قال من هذا الفضولي الذي يدخل بيني وبين ربي لو قطعني اربا اربا ما ازددت
له الا حبا قال بشر فما رأيت بعد ذلك نقمة بين عبد وبين ربه فانكرتها وقال ابو عمرو محمد بن الاشعث
ان اهل مصر مكثوا اربعة اشهر لم يكن لهم غذاء الا النظر الى وجه يوسف الصديق عليه السلام كانوا
اذا جاعوا نظروا الى وجهه فشغلهم جماله عن الاحساس بالم الجوع بل في القرآن ما هو ابلغ من ذلك وهو قطع
النسوة ايديهن لاستهتارهن بملاحظة جماله حتى ما احسسن بذلك وقال سعيد بن يحيى رأيت بالبصرة
في خان عطاء بن مسلم شابا في يده مدية وهو ينادي باعلى صوته والناس حوله وهو يقول **شعر**

يوم الفراق من القيامة اطول ... والموت من الم التفرق اجمل
قالوا الرحيل فقلت لست براحل ... لكن مهجتي هي التي ترحل

ثم بقر بها بطنه وخر ميتا فسألت عنه وعن امره فقيل لي انه كان يهوى فتى لبعض الملوك حجب عنه
يوما واحدا **ويروى** ان يونس عليه السلام قال لجبريل عليه السلام دلني على اعبد اهل الارض
فدله على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه وذهب ببصره وسمعه وهو يقول الهي متعتني بهما ما شئت
انت وسلبتني ما شئت وابقيت لي فيك الامل يا بر يا وصول **وروي** عن عبد الله بن عمر رضي الله
عنهما انه اشتكى له ابن فاشتد وجده عليه حتى قال بعض القوم لقد خشينا على هذا الشيخ ان حدث
بهذا الغلام حدث فمات الغلام فخرج ابن عمر في جنازته وما رجل ابدى سرورا منه فقيل له في ذلك فقال
انما كان حزني رحمة له فلما وقع امر الله رضينا به وقال مسروق كان رجل بالبادية له كلب وحمار وديك
فكان الديك يوقظهم للصلاة والحمار ينقلون عليه الماء ويحمل لهم خباءهم والكلب يحرسهم فجاء الثعلب

ولقد الديك فحزن له فقال عسى أن يكون خيرا ثم جاء ذيب فخرق بطن الحمار وكان الرجل صالحا فحزن له فقال عسى
أن يكون خيرا ثم أصيب الكلب بعد ذلك فقال عسى أن يكون خيرا ثم أصبحوا فنظروا فإذا قد سبي من حولهم
وبقوا هم قال وإنما أخذ أولئك بما كان عندهم من أصوات الكلاب والحمير والديك وكانت الخيرة في هلاك
الحيوانات كما قدره الله تعالى فمن عرف خفي لطف الله تعالى رضي بفعله على كل حال **ويروي** أن
عيسى عليه السلام مر برجل أعمى أبرص مقعد مضروب الجنبين بفالج وقد تناثر لحمه من الجذام وهو يقول الحمد
لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيرا من خلقه فقال له عيسى عليه السلام يا هذا أي شيء من البلاء أراه مصروفا
عنك فقال يا روح الله أنا خير ممن لم يجعل الله في قلبه ما جعل في قلبي من معرفته فقال له صدقت هات
يدك فناوله يده فإذا هو أحسن الناس وجها وأفضلهم هيئة وقد أذهب الله عنه ما كان به فصحب عيسى عليه
السلام وتعبد معه وقطع عروة بن الزبير رجله من ركبته من أكلة خرجت بها ثم قال الحمد لله الذي أخذ
مني واحدة وايم الله لئن كنت أخذت لقد أبقيت ولئن كنت ابتليت لقد عافيت ثم لم يدع
ورده تلك الليلة وكان ابن مسعود يقول الفقر والغنى مطيتان ما أبالي أيهما ركبت وقال أبو سليمان
الداراني قد نلت من كل مقام حالا إلا الرضى فما لي منه إلا مشام الريح وعلى ذلك لو أدخل الخلائق كلهم الجنة و
أدخلني النار كنت بذلك راضيا وقيل لعارف آخر هل نلت غاية الرضى عنه فقال أما الغاية فلا ولكن
مقاما من الرضى قد نلته لو جعلني جسرا على جهنم يعبر الخلائق علي إلى الجنة ثم ملأ بي جهنم تحلة لقسمه و
بدلا من خليقته لأحببت ذلك من حكمه ورضيت به من قسمه وهذا كلام من علم أن الحب قد استغرق همه حتى
منعه الإحساس بألم النار فإن بقي إحساس فيغمره ما يحصل من لذته في استشعاره حصول رضى محبوبه بإلقائه
إياه في النار واستيلاء هذه الحالة غير محال في نفسه وإن كان بعيدا من أحوالنا الضعيفة ولكن لا ينبغي
أن يستنكر الضعيف المحروم أحوال الأقوياء ويظن أن ما هو عاجز عنه يعجز عنه الأولياء وقال الروذباري قلت لأبي
عبد الله بن الجلاء الدمشقي قول فلان وددت أن جسدي قرض بالمقاريض وأن هذا الخلق أطاعوه ما معناه
فقال يا هذا إن كان هذا من طريق الإشفاق فأعرف وإن كان من طريق التعظيم والإشفاق والنصح للخلق وإن
كان من طريق التعظيم والإجلال فلا أعرف ثم غشي عليه وقد كان عمران بن حصين قد استسقى بطنه فبقي
ملقى على ظهره ثلثين سنة لا يقوم ولا يقعد قد نقب له في سرير من جريد كان عليه موضع لقضاء حاجته فدخل
عليه مطرف وأخوه العلاء فجعل يبكي لما يراه من حاله فقال لم تبكي قال لأني أراك على هذه الحالة العظيمة
قال لا تبك فإن أحبه إلي أحبه إليه ثم قال أحدثك شيئا لعل الله أن ينفعك به واكتم
علي حتى أموت إن الملائكة تزورني فآنس بها وتسلم علي فأسمع تسليمها فأعلم بذلك أن هذا البلاء ليس بعقوبة
إذ هو سبب هذه النعمة الجسيمة فمن يشاهد هذا في بلائه كيف لا يكون راضيا به قال ودخلنا على سويد
بن متعبة نعوده فرأينا ثوبا ملقى فما ظننا أن تحته أحدا حتى كشف فقالت له امرأته أهلي فداؤك ما
نطعمك ما نسقيك فقال طالت الضجعة ودبرت الحراقيف وأصبحت نضوا لا أطعم طعاما ولا أسيغ شرابا
منذ كذا وكذا فذكر أياما وما يسرني أني نقصت من هذا قلامة ظفر ولما قدم سعد
بن أبي وقاص إلى مكة وقد كان كف بصره جاءه الناس يهرعون كل واحد يسأله أن يدعو له فيدعو لهذا
ولهذا وكان مجاب الدعوة قال عبد الله بن السائب فأتيته وأنا غلام فتعرفت إليه فعرفني وقال أنت
قارئ أهل مكة قلت نعم فذكر قصة قال في آخرها فقلت له يا عم أنت تدعو للناس فلو دعوت لنفسك
فرد الله عليك بصرك فتبسم وقال يا بني قضاء الله عندي أحسن من بصري وضاع لبعض الصوفية ولد صغير

ثلثة أيام لم يعرف له خبر فقيل له لو سألت الله تعالى أن يرده عليك فقال اعتراضي عليه فيما قضى أشد
علي من ذهاب ولدي وعن بعض العباد أنه قال إني أذنبت ذنبا عظيما فأنا أبكي عليه منذ ستين سنة وكان
قد اجتهد في العبادة لأجل التوبة من ذلك الذنب فقيل له وما هو قال قلت مرة لشيء كان ليته
لم يكن وقال بعض السلف لو قرض جسمي بالمقاريض كان أحب إلي من أن أقول لشيء قضاه الله ليته لم يقضه
وقيل لعبد الواحد بن زيد ههنا رجل قد تعبد خمسين سنة فقصده فقال له حبيبي أخبرني عنك
هل قنعت به قال لا قال فهل أنست به قال لا قال فهل رضيت عنه قال لا قال فإنما مزيدك منه الصوم و
الصلاة قال نعم قال لولا أني أستحيي منك لأخبرتك بأن معاملتك خمسين سنة مدخولة ومعناه أنك لم يفتح
لك باب القلب فترقى إلى درجات القرب بأعمال القلوب وإنما أنت تعد في طبقة أصحاب اليمين لأن مزيدك
منه في أعمال الجوارح التي هي مزيد أهل العموم ودخل جماعة من الناس على الشبلي في مارستان قد حبس
فيه وقد جمع بين يديه حجارة فقال من أنتم فقالوا محبوك فأقبل عليهم يرميهم بالحجارة فتهاربوا فقال ما بالكم ادعيتم محبتي
إن صدقتم فاصبروا على بلائي وللشبلي رحمه الله **شعر** إن المحبة للرحمن أسكرني وهل رأيت محبا
غير سكران وقال بعض العباد من أهل الشام كلكم يلقى الله عز وجل مصدقا ولعله قد كذبه وذلك أن أحدكم لو كان له إصبع من
ذهب ظل يشير بها ولو كان بها شلل ظل يواريها يعني بذلك أن الذهب مذموم عند الله والناس يتفاخرون به والبلاء
زينة أهل الآخرة وهم يستنكفون منه واحترق السوق فقيل للسري احترق السوق وما احترق دكانك
فقال الحمد لله ثم قال كيف قلت الحمد لله على سلامتي دون المسلمين فتاب من التجارة وترك الحانوت بقية
عمره توبة واستغفارا من قوله الحمد لله فإذا تأملت هذه الحكايات علمت أن الرضى بما يخالف الهوى ليس
مستحيلا بل هو مقام عظيم من مقامات أهل الدين ومهما كان ذلك ممكنا في حب الخلق وحظوظهم كان في حب
الخالق وحظوظ الآخرة قطعا وإمكانه من وجهين أحدهما الرضى بالألم لما يتوقع من الثواب الموعود كالرضى بالحجامة
وشرب الدواء انتظارا للشفاء والثاني الرضى به لا لحظ وراءه بل لكونه مراد المحبوب ورضا له فقد يغلب الحب بحيث
ينغمر مراد المحب في مراد المحبوب فيكون ألذ الأشياء عنده سرور قلب محبوبه ورضاه ونفوذ إرادته ولو في هلاك
روحه كما قيل فما لجرح إذا أرضاكم ألم وهذا ممكن مع الإحساس بالألم وقد يستولي الحب بحيث يدهش عن إدراك الألم
فالقياس والتجربة والمشاهدة دالة على وجوده فلا ينبغي أن ينكره من فقده من نفسه لأنه إنما فقده لفقد سببه
وهو فرط حبه ومن لم يذق طعم الحب لم يعرف عجائبه فللمحبين عجائب أعظم مما وصفناه وقد روي عن عمرو
بن الحارث الرافقي قال كنت في مجلس بالرقة عند صديق لي وكان معنا فتى يتعشق جارية مغنية وكانت معنا
في المجلس فضربت بالقضيب وغنت **شعر** علامة ذل الهوى على العاشقين البكا ولا سيما عاشق إذا لم يجد
مشتكى فقال لها الفتى أحسنت والله يا سيدتي أفتأذنين لي أن أموت فقالت مت راشدا قال فوضع رأسه
على الوسادة وأطبق فمه وغمض عينيه فإذا هو ميت وقال الجنيد رأيت رجلا متعلقا بكم صبي وهو يتضرع إليه
ويظهر له المحبة فالتفت إليه الصبي وقال له إلى متى ذا النفاق الذي تظهر لي فقال قد علم الله أني صادق فيما أورده
حتى لو قلت لي مت لمت فقال إن كنت صادقا فمت قال فتنحى الرجل وغمض عينيه فوجد ميتا وقال
سمنون المحب كان في جيراننا رجل وله جارية يحبها غاية الحب فاعتلت الجارية فجلس الرجل ليصلح لها حيسا فبينا
هو يحرك القدر إذ قالت الجارية آه قال فدهش الرجل وسقطت الملعقة من يده وجعل الرجل يحرك ما في القدر
بيده حتى سقطت أصابعه فقالت الجارية ما هذا فقال الرجل هذا موضع قولك آه وحكي عن محمد بن عبد الله
البغدادي قال رأيت بالبصرة شابا على سطح مرتفع وقد أشرف على الناس وهو يقول من مات عشقا فليمت هكذا

لا خير في عشق بلا موت ثم رمى بنفسه إلى الأرض فحملوه ميتا فهذا وأمثاله قد يصدق به في حب المخلوق و
التصديق به في حب الخالق أولى لأن البصيرة الباطنة أصدق من البصيرة الظاهرة وجمال الحضرة الربوبية
أوفى من كل جمال بل كل جمال في العالم فهو حسنة من حسنات ذلك الجمال نعم الذي فقد البصر ينكر جمال الصور والذي
فقد السمع ينكر لذة الألحان والنغمات الموزونة فالذي فقد القلب لا بد وأن ينكر أيضا هذه اللذات التي لا
مظنة لها سوى القلب

بيان أن الدعاء

غير مناقض للرضا ولا يخرج صاحبه عن مقام الرضا وكذلك كراهة
المعاصي ومقت أهلها ومقت أسبابها والسعي في إزالتها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يناقضه أيضا
وقد غلط في ذلك بعض البطالين والمغترين وزعم أن المعاصي والفجور والكفر من قضاء الله وقدره فيجب
الرضا به وهذا جهل بالتأويل وغفلة عن أسرار الشرع فأما الدعاء فقد تعبدنا به وكثرة دعوات رسول الله
صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء على ما نقلناه في كتاب الدعوات ولقد كان صلى الله عليه وسلم في أعلى مقامات
الرضا وقد أثنى الله تعالى على بعض عباده بقوله تعالى ويدعوننا رغبا ورهبا وأما إنكار المعاصي وكراهتها وعدم
الرضا بها فقد تعبد الله بها عباده وذمهم على الرضا به فقال ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها وقال رضوا بأن
يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم الآية وفي الخبر المشهور من شهد منكرا فرضي به فكأنه قد فعله وفي
الحديث الدال على الشر كفاعله وعن ابن مسعود إن العبد ليغيب عن المنكر ويكون عليه مثل وزر صاحبه قيل وكيف
ذلك قال يبلغه فيرضى به وفي الخبر لو أن عبدا قتل بالمشرق ورضي بقتله آخر بالمغرب كان شريكا في قتله
وقد أمر الله تعالى بالحسد والمنافسة في الخيرات وتوقي الشرور فقال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون
وقال صلى الله عليه وسلم لا حسد إلا في اثنين رجل آتاه الله تعالى حكمة فهو يبثها في الناس ويعلمها ورجل آتاه الله
تعالى مالا فسلطه على هلكته في الحق وفي لفظ آخر ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار فيقول
الرجل لو آتاني الله تعالى مثل ما آتى هذا لفعلت مثل ما فعل وأما بغض الكفار والفجار والإنكار عليهم ومقتهم
فما ورد فيه من شواهد القرآن والأخبار لا يحصى مثل قوله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين
وقال وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا وفي الخبر إن الله تعالى أخذ الميثاق على كل مؤمن أن يبغض كل مومن
وقال أيضا المرء مع من أحب وقال من أحب قوما ووالاهم حشر معهم يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم
أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله وشواهد هذا قد ذكرناها في كتاب الحب والبغض في الله في كتاب
آداب الصحبة وفي كتاب الأمر بالمعروف فلا نعيده فإن قلت فقد وردت الآيات والأخبار بالرضا بقضاء الله تعالى
فإن كانت المعاصي بغير قضاء الله فهو محال وهو قادح في التوحيد وإن كانت بقضاء الله فكراهتها وبغضها
كراهة لقضاء الله فكيف السبيل إلى الجمع وهو متناقض على هذا الوجه فكيف يمكن الجمع بين الرضا والكراهة
في شيء واحد فاعلم أن هذا مما يلتبس على الضعفاء القاصرين عن الوقوف على أسرار العلوم وقد التبس ذلك
على قوم حتى رأوا السكوت على المنكرات مقاما من مقامات الرضا وسموه حسن الخلق وهو جهل محض بل نقول الرضا
والكراهة يتضادان إذا تواردا على شيء واحد من جهة واحدة على وجه واحد فليس من التضاد في شيء واحد
أن يكره من وجه ويرضى به من وجه إذ قد يموت عدوك الذي هو أيضا عدو بعض أعدائك وساع في إهلاكه
فتكره موته من حيث إنه مات عدو عدوك وترضى به من حيث إنه مات عدوك وكذلك
المعصية لها وجهان وجه إلى الله تعالى من حيث إنه فعله واختياره وإرادته فيرضى به من هذا الوجه تسليما للملك
إلى مالك الملك ورضا بما يفعله فيه ووجه إلى العبد من حيث إنه كسبه ووصفه وعلامة كونه ممقوتا عند
الله وبغيضا عنده حيث سلط عليه أسباب البعد والمقت فهو من هذا الوجه منكر مذموم ولا ينكشف

إلا بمثال فلنفرض محبوبا من الخلق قال بين يدي محبيه إني أريد أن أميز بين من يحبني ويبغضني و
أنصب فيه معيارا صادقا وميزانا ناطقا وهو أني أقصد إلى فلان فأؤذيه وأضربه ضربا يضطره إلى الشتم
حتى إذا شتمني أبغضه واتخذته عدوا لي فكل من أحبه فأعلم أيضا أنه عدوي وكل من أبغضه فأعلم أنه صديقي
ومحبي ثم فعل ذلك وحصل مراده من الشتم الذي هو سبب البغض وحصل البغض الذي هو سبب العداوة
فحق على كل من هو صادق في محبته وعالم بشروط المحبة أن يقول أما تدبيرك في إيذاء هذا الشخص وضربه وإبعاده
وتعرضك إياه للبغض والعداوة فأنا محب له وراض به فإنه رأيك وتدبيرك وفعلك وإرادتك وأما
شتمه إياك فإنه عدوان من جهته إذ كان حقه أن يصبر ولا يشتم ولكنه كان مرادك منه فإنك
قصدت بضربه استنطاقه بالشتم الموجب للمقت فهو من حيث إنه حصل على وفق مرادك وتدبيرك الذي
دبرته فأنا راض به ولو لم يحصل لكان ذلك نقصانا في تدبيرك وتعويقا في مرادك وأنا كاره لفوات مرادك
ولكنه من حيث إنه وصف لهذا الشخص وكسب له وعدوان وتهجم منه عليك على خلاف ما يقتضيه جمالك
إذ كان ذلك يقتضي أن يحتمل منك الضرب ولا يقابل بالشتم فأنا كاره له من حيث نسبته إليه ومن حيث
هو وصف له لا من حيث هو مرادك ومقتضى تدبيرك وأما بغضك له بسبب شتمك فأنا راض به ومحب
له لأنه مرادك وأنا على موافقتك أيضا مبغض له لأن من شرط المحب أن يكون حبيب المحبوب حبيبا وعدوه
عدوا وأما بغضه لك فإني أرضاه من حيث إنك أردت أن يبغضك إذ أبعدته عن نفسك وسلطت
عليه دواعي البغض ولكني أبغضه من حيث إنه وصف ذلك المبغض وكسبه وفعله وأمقته لذلك
فهو ممقوت عندي لمقته إياك وبغضه ومقته لك أيضا مكروه عندي من حيث إنه وصفه وكل ذلك
من حيث إنه مرادك فهو مرضي فأما التناقض أن يقول هو من حيث إنه مرادك مرضي ومن حيث إنه مرادك مكروه
فأما إذا كان مكروها لا من حيث إنه فعله ومراده بل من حيث إنه وصف غيره وكسبه فهذا لا تناقض فيه
ويشهد لذلك كل ما يكره من وجه ويرضى من وجه ونظائر ذلك لا تحصى فإذا تسليط الله دواعي الشهوة والمعصية
حتى يجره ذلك إلى حب المعصية ويجره الحب إلى فعل المعصية أيضا يضاهي ضرب المحبوب الشخص الذي ضربناه مثلا
ليجره الضرب إلى الغضب والغضب إلى الشتم ومقت الله لمن عصاه وإن كانت معصيته بتدبيره تضاهي بغض
المشتوم لمن شتمه وإن كان شتمه أيضا حصل بتدبيره واختياره لأسبابه وفعل الله ذلك بكل عبد من عبيده
أعني تسليط دواعي المعصية عليه يدل على أنه سبقت مشيئته بإبعاده ومقته فواجب على كل عبد محب لله
تعالى أن يبغض من أبغضه الله تعالى ويمقت من مقته ويعادي من أبعده عن حضرته وإن اضطره بقهره وقدرته
إلى معاداته ومخالفته فإنه بعيد مطرود ملعون عن الحضرة وإن كان بعيدا بإبعاده قهرا ومطرودا بطرده واضطراره
والمبعد عن جميع درجات القرب ينبغي أن يكون مقيتا بغيضا إلى جميع المحبين موافقة للمحبوب بإظهار
الغضب على من أظهر المحبوب الغضب عليه بإبعاده وبهذا يتقرر جميع ما وردت به الأخبار من البغض
في الله والحب في الله والتشديد على الكفار والتغليظ عليهم والمبالغة في مقتهم مع الرضا بقضاء الله
من حيث إنه قضاء الله وهذا كله يستمد من سر القدر الذي لا رخصة في إفشائه وهو أن الخير والشر كلاهما داخلان
في المشيئة والإرادة ولكن الشر مراد مكروه والخير مراد مرضي به فمن قال ليس الشر من الله فهو جاهل وكذا من قال إنهما
جميعا منه من غير افتراق في الرضا والكراهة فهو أيضا مقصر وكشف الغطاء عنه غير مأذون فيه فالأولى السكوت
والتأدب بأدب الشرع فقد قال صلى الله عليه وسلم القدر سر الله فلا تفشوه وذلك يتعلق بعلم المكاشفة وغرضنا
الآن بيان الإمكان فيما تعبد به الخلق من الجمع بين الرضا بقضاء الله ومقت المعاصي مع أنها من قضاء الله تعالى

ظهر الغرض من غير حاجة الى كشف الترتيب وبهذا تعرف ايضا ان الدعا بالمغفرة والعصمة من المعاصي
وساير الاسباب المعينة على الدين غير مناقض للرضى بقضا الله فان الله تعالى تعبد العباد بالدعا ليستخرج
الدعا منهم صفا الذكر وخشوع القلب ورقة التضرع ويكون ذلك جلاء للقلب ومفتاحا للكشف وسببا
لتواتر مزايا اللطف كما ان حمل الكوز وشرب الما ليس مناقضا للرضى بقضا الله في العطش وشرب الما طلبا لازالة
العطش مباشرة سبب رتبه مسبب الاسباب فكذلك الدعا سبب رتبه الله تعالى وامر به وقد ذكرنا
ان التمسك بالاسباب جريا على سنة الله تعالى لا يناقض التوكل واستقصيناه في كتاب التوكل فهو ايضا لا
يناقض الرضى لان الرضى مقام ملاصق للتوكل ويتصل به نعم اظهار البلا في معرض الشكوى وانكاره بالقلب
على الله تعالى مناقض الرضى واظهار البلا على سبيل الشكر والكشف عن قدرة الله تعالى لا يناقض وقد
قال بعض السلف من حسن الرضى بقضا الله تعالى ان لا يقول هذا يوم حار اي في معرض الشكاية وذلك في
الصيف فاما في الشتا فهو شكر والشكوى مناقض للرضى بكل حال وذم الاطعمة وعيبها يناقض الرضى لان
مذمة الصنعة مذمة الصانع والكل من صنع الله تعالى وقول القايل الفقر بلا ومحنة والعيال هم وتعب
والاحتراف كد ومشقة اذا كان تعرض بحاله في معرض التضجر والتبرم والشكاية كل ذلك قادح في الرضى بل ينبغي
ان يسلم التدبير لمدبره والمملكة لمالكها ويقول ما قاله عمر رضي الله عنه لا ابالي اصبحت غنيا او فقيرا فاني لا ادري
ايهما خير لي **بيان ان الفرار** من البلاد التي هي مظان المعاصي ومذمتها لا يقدح في الرضى اعلم ان الضعيف قد
يظن ان نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخروج عن بلد ظهر فيها الطاعون يدل على النهي عن الخروج عن بلد فيه المعاصي
لان كل واحد منهما فرار من قضا الله وذلك محال بل العلة في النهي عن مفارقة البلد بعد ظهور الطاعون
انه لو فتح هذا الباب لارتحل عنه الاصحا وبقي فيها المطعونون مهملين لا متعهد لهم فيهلكون هزلا ولذلك شبه
رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاخبار الفرار من الطاعون بالفرار من الزحف ولو كان ذلك للفرار من القضا
لما اذن لمن قارب البلدة في الانصراف وقد ذكرنا حكم ذلك في كتاب التوكل واذا عرف المعنى ظهر ان الفرار من
البلاد التي هي مظان المعاصي ليس فرارا من القضا بل من القضا الفرار مما لا بد من الفرار منه وكذلك مذمة
المواضع التي تدعو الى المعاصي والاسباب التي تدعو اليها لاجل التنفير عن المعصية ليس مذموما فما زال
السلف الصالحون يعتادون ذم ذلك حتى اتفق جماعة على ذم بغداد واظهارهم ذلك وطلب الفرار منها
فقال ابن المبارك قد طفت الشرق والغرب فما رايت بلدا شرا من بغداد قيل وكيف قال هو بلد يزدرى
فيه نعمة الله وتستصغر فيه معصية الله ولما قدم خراسان قيل له كيف رايت بغداد قال ما رايت بها
الا شرطيا غضبانا او تاجرا لهفان او قاريا حيران ولا ينبغي ان يظن ان ذلك من الغيبة لانه لم يتعرض لشخص
بعينه حتى يستضر ذلك الشخص وانما قصد بذلك تحذير الناس وكان يخرج الى مكة وكان مقامه ببغداد يتربص
استعدادا للقافلة ستة عشر يوما او نحوها وكان يتصدق بستة عشر دينارا لكل يوم دينار كفارة لمقامه
وقد ذم العراق جماعة كعمر بن عبد العزيز وكعب الاحبار وقال ابن عمر لمولى له اين تسكن فقال العراق فقال
فما تصنع به بلغني انه ما من احد يسكن العراق الا قيض له قرين من البلا وذكر كعب الاحبار يوما العراق فقال
فيه تسعة اعشار الشر وفيه الدا العضال وقيل قسم الخير عشرة اعشار فتسعة اعشاره بالشام وعشر بالعراق وقسم الشر
بالعكس منه وقال بعض اصحاب الحديث كنا عند الفضيل بن عياض فجاءه صوفي متدرع بعباءة فاجلسه الى
جانبه واقبل عليه ثم قال اين تسكن فقال بغداد فاعرض عنه ثم قال ياتينا احدهم في زي الرهبان فاذا
سالناه اين تسكن قال في عش الظلمة وكان بشر بن الحارث يقول مثل المتعبد ببغداد مثل المتعبد في الحش

وكان يقول لا تقتدوا بي في المقام بها من اراد ان يخرج فليخرج وكان احمد بن حنبل يقول لولا تعلق هولاء الصبيان
بنا كان الخروج من هذا البلد اعجب الي قيل واين تختار السكنى قال بالثغور فهذا يدل على ان البلد الذي
يكثر فيها المعاصي ويقل فيها الخير فلا عذر له في المقام بها بل ينبغي ان يهاجر عنها الى غيرها من البلاد قال الله تعالى
الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فان منعه عن ذلك عيال او علاقة فلا ينبغي ان يكون راضيا بحاله
مطمئن النفس اليه بل ينبغي ان يكون منزعج القلب عنها قائلا على الدوام ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم
اهلها وذلك ان الظلم اذا عم نزل البلا ودمر الجميع وشمل المطيعين قال الله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن
الذين ظلموا منكم خاصة فاذا ليس في شي من اسباب نقصان الدين البتة رضا مطلق الا من حيث اضافتها الى
الله تعالى فاما هي في انفسها فلا وجه للرضى بها بحال وقد اختلف العلما في الافضل من اهل مقامات
ثلاث رجل يحب الموت شوقا الى الله تعالى ورجل يحب البقا لخدمة المولى ورجل قال لا اختار شيئا بل ارضى
بما اختاره الله تعالى ورفعت هذه المسئلة الى بعض العارفين فقال صاحب الرضى افضلهم لانه اقلهم
فضولا واجتمع ذات يوم وهيب بن الورد وسفيان الثوري ويوسف بن اسباط فقال الثوري كنت اكره
موت الفجاة قبل اليوم واليوم وددت اني ميت فقال له يوسف ولم قال لما اتخوف من الفتنة فقال يوسف
لكني لا اكره طول البقا فقال له سفيان ولم قال لعلي اصادف يوما اتوب فيه واعمل صالحا فقيل لوهيب اي شي تقول
انت فقال انا لا اختار شيئا احب ذلك الي احبه الى الله تعالى فقبل الثوري بين عينيه وقال روحانية
ورب الكعبة **بيان جملة من حكايات** المحبين واقوالهم ومكاشفاتهم قيل لبعض العارفين انك محب فقال لست
محبا انما انا محبوب والمحب متعوب وقيل له ايضا الناس يقولون انك واحد من السبعة فقال انا كل السبعة
وكان يقول اذا رايتموني فقد رايتم اربعين بدلا قيل وكيف وانت شخص واحد قال لاني رايت اربعين بدلا واخذت
من كل واحد خلقا من اخلاقه وقيل له بلغنا انك ترى الخضر عليه السلام فتبسم ثم قال ليس العجب ممن يرى
الخضر ولكن العجب ممن يريد الخضر ان يراه فيحتجب عنه ويحكى عن الخضر عليه السلام انه قال ما حدثت نفسي قط
انه لم يبق ولي لله تعالى الا عرفته الا ورايت في ذلك اليوم وليا لم اعرفه وقيل لابي يزيد البسطامي حدثنا عن
مشاهدتك من الله فصاح ثم قال ويلكم لا يصلح لكم ان تعلموا ذلك قيل فحدثنا باشد مجاهدتك لنفسك في الله تعالى
فقال وهذا ايضا لا يجوز ان اطلعكم عليه قيل فحدثنا عن رياضة نفسك في بدايتك فقال نعم دعوت
نفسي الى الله تعالى فجمحت علي فعزمت عليها ان لا اشرب الما سنة ولا اذوق النوم سنة فوفت لي بذلك
ويحكى عن يحيى بن معاذ انه راى ابا يزيد في بعض مشاهداته من بعد صلاة العشا الى طلوع الفجر مستوفزا على صدور
قدميه رافعا اخمصيهما مع عقبيه عن الارض ضاربا بذقنه على صدره شاخصا بعينيه لا يطرف قال ثم سجد
عند السحر فاطال ثم قعد فقال اللهم ان قوما طلبوك فاعطيتهم المشي على الما والمشي في الهوا فرضوا بذلك
واني اعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فاعطيتهم طي الارض فرضوا بذلك واني اعوذ بك من ذلك وان قوما
طلبوك فاعطيتهم كنوز الارض فرضوا بذلك واني اعوذ بك من ذلك حتى عد نيفا وعشرين مقاما من كرامات
الاوليا ثم التفت فراني فقال يحيى قلت نعم يا سيدي فقال مذ متى انت هاهنا فقلت منذ حين فسكت فقلت
يا سيدي حدثني بشي فقال احدثك بما يصلح لك ادخلني في الفلك الاسفل فدورني في الملكوت السفلي و
اراني الارضين وما تحتها الى الثرى ثم ادخلني في الفلك العلوي فطوف بي في السموات واراني ما فيها من الجنان
الى العرش ثم اوقفني بين يديه فقال سلني اي شي رايت حتى اهبه لك فقلت يا سيدي ما رايت شيئا
استحسنته فاسالك اياه فقال انت عبدي حقا تعبدني لاجلي صدقا لافعلن بك ولافعلن فذكر اشيا

كان يجي فهالني ذلك وامتلأت به رعبا وعجبت منه فقلت يا سيدي لم لا تسأله المعرفة به وتعتقد كذلك
انك ملك الملوك سلني ما شئت فصاح صيحة ثم قال اسكت ويلك عبد علمه من الحيات يعرف سواه

ويروي ان ابا تراب النخشبي كان معجبا ببعض المريدين فكان يدنيه ويقوم بمصالحه والمريد مشغول بعبادته
ومواجيده فقال له ابو تراب يوما لو رايت ابا يزيد فقال المريد اني مشغول عنه فلما اكثر عليه ابو تراب من قوله
لو رايت ابا يزيد هاج وجد المريد وقال ويحك ما اصنع بابي يزيد قد رايت الله تعالى فاغناني عن
ابي يزيد قال ابو تراب فهاج طبعي ولم املك نفسي فقلت ويلك تغتر بالله عز وجل لو رايت ابا يزيد مرة واحدة
كان انفع لك من ان ترى الله سبعين مرة قال فبهت الفتى من قولي وانكره فقال وكيف ذلك قال له ويلك
اما ترى الله عندك فيظهر لك على مقدارك وترى ابا يزيد عند الله قد ظهر له على مقداره فعرف ما قلت قال
احملني اليه فذكر قصة قال في اخرها فوقفنا على تل ننتظره ليخرج علينا من الغيضة وكان ياوي الى غيضة
فيها سباع قال فمر بنا وقد قلب فروة على ظهره فقلت للفتى هذا ابو يزيد فانظر اليه فنظر اليه الفتى فصعق
فحركناه فاذا هو ميت فتعاونا على دفنه فقلت لابي يزيد يا سيدي نظره اليك قتله قال لا ولكن صاحبكم صادقا
واستكن في قلبه سر لم ينكشف له بوصفه فلما رآنا انكشف له سر قلبه فضاق عن حمله لانه في مقام الضعفاء المريدين
فقتله ذلك ولما دخل الزنج البصرة فقتلوا الانفس ونهبوا الاموال اجتمع الى سهل اخوانه فقالوا لو سالت
الله تعالى دفعهم فسكت ثم قال ان لله عبادا في هذه البلدة لو دعوا على الظالمين لم يصبح على وجه الارض
ظالم الا مات في ليلة ولكن لا يفعلون قيل لم قال لانهم لا يحبون ما لا يحبه ثم ذكر من اجابة الله تعالى اشياء لا
يستطاع ذكرها حتى قال ولو سالوه ان لا يقيم الساعة لم يقمها وهذه امور ممكنة في نفسها فمن لم يحظ
بشيء منها فلا ينبغي ان يخلو عن التصديق والايمان بامكانها فان القدرة واسعة والفضل عظيم وعجائب
الملك والملكوت كثيرة ومقدورات الله عز وجل لا نهاية لها وفضله على عباده الذين اصطفى لا غاية له ولذلك
كان ابو يزيد يقول ان اعطاك مناجاة موسى وروحانية عيسى وخلة ابرهيم عليهم السلام فاطلب ما وراء ذلك فان
عنده فوق ذلك اضعافا مضاعفة فان سكنت الى ذلك حجبك به وهذا بلاء مثلهم ومن هو في
مثل حالهم لانهم الامثل فالامثل وقد قال بعض العارفين كوشفت باربعين حوراء رايتهن يتساعين في
الهوى عليهن ثياب من ذهب وفضة وجوهر يتخشخش ويتثنى معهن فنظرت اليهن نظرة فعوقبت اربعين
يوما ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين حوراء فوقهن في الحسن والجمال وقيل لي انظر اليهن قال فسجدت و
غمضت عيني في السجود لئلا انظر وقلت اعوذ بك مما سواك لا حاجة لي بهذا فلم ازل اتضرع حتى صرفهن
الله عني فامثال هذه المكاشفات لا ينبغي ان ينكرها المؤمن لافلاسه عن مثلها فلو لم يؤمن كل واحد الا بما يشاهده
من نفسه المظلمة وقلبه القاسي لضاق مجال الايمان عليه بل هذه احوال تظهر بعد مجاوزة عقبات ونيل
مقامات كثيرة ادناها الاخلاص واخراج حظوظ النفس وملاحظة الخلق عن جميع الاعمال ظاهرا وباطنا
ثم مكاتمة ذلك عن الخلق بستر الحال حتى يبقى متحصنا بحصن الخمول فهي اوائل سلوكهم واقل مقاماتهم
وهي اعز موجود في الاتقياء من الناس وبعد تصفية القلب عن كدورات الالتفات الى الخلق يفيض عليه نور
اليقين وينكشف له مبادي الحق وانكار ذلك دون التجربة وسلوك الطريق يجري مجرى انكار من انكر
امكان انكشاف الصورة في المراة الحديدية اذا شكلت ونقيت وصقلت وصورت صورة المراة كنظر
المنكر الى ما في يده من زبرة حديد مظلمة قد استولى عليها الصدا والخبث وهو لا يحكي صورة من الصور
فانكر انكشاف المرئي عند ظهور جوهرها وانكار ذلك غاية الجهل والضلال فهذا حكم كل من انكر كرامات الاولياء

اذ لا مستند له الا قصوره عنه وقصور من راه وبئس المستند ذلك في انكار قدرة الله بل انما يشم روائح
المكاشفة من شم شيئا ولو من مبادي الطريق كما قيل لبشر باي شيء بلغت هذه المنزلة فقال كنت اكاتم الله
حالي معناه اساله ان يكتم علي ويخفي امري ويروي انه راى الخضر فقال له ادع الله تعالى لي فقال يسر الله عليك طاعته
فقلت زدني فقال وسترها عليك فقيل معناه سترها عن الخلق وقيل سترها عنك حتى لا تلتفت اليها
وعن بعضهم انه قال اقلقني الشوق الى الخضر عليه السلام فسالت الله تعالى مرة ان يريني اياه ليعلمني
شيئا كان اهم الاشياء علي قال فرايته فما غلب على همي ولا همتي الا ان قلت له يا ابا العباس علمني شيئا اذا قلته
حجبت في قلوب الخليقة فلم يكن لي فيها قدر ولا يعرفني احد بصلاح ولا ديانة فقال قل اللهم اسبل
علي كثيف سترك وحط علي سرادقات حجبك واجعلني في مكنون غيبك واحجبني في قلوب خلقك قال
ثم غاب فلم اره ولم اشتق اليه بعد ذلك فما زلت اقول هذه الكلمات في كل يوم فحكي انه صار بحيث كان
يستذل ويمتهن حتى كان اهل الذمة يسخرون به ويستسخرونه في الطريق يحمل الاشياء لهم لسقوطه عندهم
وكان الصبيان يلعبون به وكانت راحته ركود قلبه واستقامة حاله في ذله وخموله فهكذا حال اولياء
الله ففي امثال هؤلاء ينبغي ان يطلبوا والمغرورون انما يطلبونهم تحت المرقعات والطيالسة وفي المشهورين
بين الخلق بالعلم والورع والرياسة وغيرة الله تعالى على اوليائه تابى الا اخفاءهم كما قال تعالى اوليائي تحت
قبابي لا يعرفهم غيري وقال صلى الله عليه وسلم رب اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله تعالى
لابره وبالجملة فابعد القلوب من مشام هذه المعاني القلوب المتكبرة المعجبة بانفسها المستبشرة
بعلمها وعملها واقرب القلوب اليه القلوب المنكسرة المستشعرة ذل نفسها استشعارا اذا ذل واهتضم
واهتضم لا يحس بالذل كما لا يحس العبد بالذل مهما ترفع عليه مولاه فاذا لم يحس بالذل ولم يشعر ايضا بعدم
التفاته الى الذل بل كان عند نفسه اخس منزلة من ان يرى جميع انواع الذلة لا في حقه بل يرى نفسه
دون ذلك حتى صار التواضع بالطبع له صفة ذاتية فمثل هذا القلب يرجى له ان يستنشق مبادي هذه
الروائح فان فقدنا مثل هذا القلب وحرمنا مثل هذا الروح فلا ينبغي ان نطرح الايمان بامكان ذلك لاهله
فمن لا يقدر ان يكون من اولياء الله مؤمنا بهم فعسى ان يحشر مع من احب ويشهد لهذا ما روي ان عيسى عليه
السلام قال لبني اسرائيل اين ينبت الزرع قالوا في التراب قال بحق اقول لكم لا تنبت الحكمة الا في قلب مثل
التراب ولقد انتهى المريدون لولاية الله تعالى في طلبها باذلال النفس الى منتهى الضعة والخسة
حتى روي عن استاذ الجنيد وهو ابن الكريني انه دعاه رجل الى طعامه ثلاث مرات ثم كان يرده ثم يستدعيه
فيرجع اليه بعد ثلاث مرات حتى ادخله في المرة الرابعة فساله عن ذلك فقال قد رضت نفسي على الذل
عشرين سنة حتى صارت بمنزلة الكلب يطرد فينطرد ثم يدعى فيرمى له العظم فيعود ولو رددتني
خمسين مرة ثم دعوتني بعد ذلك لاجبت وعنه ايضا انه قال نزلت في محلة فعرفت بالصلاح فتشتت
قلبي فدخلت الحمام وعدلت على ثياب فاخرة فسرقتها ولبستها ثم لبست مرقعتي فوقها وخرجت وجعلت امشي
قليلا قليلا فلحقوني فنزعوا مرقعتي واخذوا الثياب وصفعوني واوجعوني ضربا فصرت بعد ذلك اعرف
بلص الحمام فسكنت نفسي فهكذا كانوا يروضون انفسهم حتى يخلصهم الله تعالى من النظر الى الخلق ثم من
النظر الى النفس فان الملتفت الى نفسه محجوب عن الله تعالى وشغله بنفسه حجاب له فليس بين العبد وبين
الله حجاب بعد ولا حائل وانما بعد القلوب شغلها بغيره او بنفسها واعظم الحجب شغل النفس
ولذلك حكي ان شاهدا عظيم القدر من اعيان اهل البسطام كان لا يفارق مجلس ابي يزيد فقال له يوما

يا ابا يزيد انا منذ ثلثين سنة اصوم الدهر لا افطر واقوم الليل لا انام ولا اجد في قلبي من هذا العلم الذي
تذكر شيئا وانا اصدق به واحبه فقال له ابو يزيد ولو صمت ثلثمائة سنة وقمت ليلها ما وجدت من
هذا ذرة قال ولم قال لانك محجوب بنفسك قال فلهذا دواء قال نعم قال قل لي حتى اعمله قال لا تقبله
قال فاذكره لي حتى اعمل قال اذهب الساعة الى المزين فاحلق راسك ولحيتك وانزع هذا اللباس واتزر بعباءة
وعلق في عنقك مخلاة مملوءة جوزا واجمع الصبيان حولك وقل كل من صفعني صفعة اعطيته جوزة وادخل
الاسواق كلها وطف على الشهود وعند من يعرفك وانت على ذلك الحال فقال الرجل يا سبحان الله تقول لي
مثل هذا فقال ابو يزيد قولك سبحان الله شرك قال وكيف قال لانك عظمت نفسك فسبحتها وما
سبحت ربك فقال هذا لا افعله ولكن دلني على غيره فقال ابتدي بهذا قبل كل شيء فقال لا اطيقه فقال
قد قلت لك انك لا تقبل فهذا الذي ذكره ابو يزيد هو دواء من اعتل بنظره الى نفسه ومرض بنظر
الناس اليه ولا ينجي من هذا المرض دواء سوى هذا وامثاله فمن لا يطيق الدواء فلا ينبغي ان ينكر امكان الشفا
في حق من داوى نفسه بعد المرض او لم يمرض بمثل هذا المرض اصلا فاقل درجات الصحة الايمان بامكانها
فويل لمن حرم هذا القدر القليل ايضا وهذه امور جلية في الشرع واضحة وهي مع ذلك مستبعدة
عند من يعد نفسه من علماء الشرع فقد قال صلى الله عليه وسلم لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون قلة الشيء
احب اليه من كثرته وحتى يكون ان لا يعرف احب اليه من ان يعرف وقال ايضا ثلاث من كن فيه استكمل
ايمانه لا يخاف في الله لومة لائم ولا يرائي بشيء من عمله واذا عرض عليه امران احدهما للدنيا والاخر للاخرة اثر امر الاخرة
على امر الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم لا يكمل ايمان العبد حتى يكون فيه ثلاث خصال اذا غضب لم يخرجه
غضبه عن حق واذا رضي لم يدخله رضاه في باطل واذا قدر لم يتناول ما ليس له وفي حديث اخر ثلاث من
اوتيهن فقد اوتي مثل ما اوتي ال داود العدل في الرضا والغضب والقصد في الغنا والفقر وخشية
الله في السر والعلانية فهذه شروط ذكرها صلى الله عليه وسلم لاهل الايمان فالعجب ممن يدعي علم الدين ولا يصادف
في نفسه ذرة من هذه الشروط ثم يكون نصيبه من علمه وعقله ان يجحد ما لا يكون الا بعد مجاوزة مقامات
عظيمة وراء الايمان **وفي الاخبار** ان الله تعالى اوحى الى بعض انبيائه انما اتخذ لخلتي من لا يفتر عن ذكري
ولا يكون له هم غيري ولا يؤثر علي شيئا من خلقي وان حرق بالنار لم يجد لحرق النار وجعا وان قطع بالمناشير
لم يجد لمس الحديد الما فمن لم يبلغ الى ان يغلبه الحب الى هذا الحد فمن اين يعرف ما وراء الحب من الكرامات والمكاشفات
وكل ذلك وراء الحب والحب وراء كمال الايمان ومقامات الايمان متفاوتة في الزيادة والنقصان لا
حصر لها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للصديق رضي الله عنه ان الله تعالى قد اعطاك مثل ايمان كل من
امن بي من امتي واعطاني مثل ايمان كل من امن به من ولد ادم وفي حديث اخر ان لله تعالى ثلثمائة خلق
من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة فقال ابو بكر يا رسول الله هل في منها خلق قال كلها
فيك يا ابا بكر واحبها الى الله تعالى السخا وقال صلى الله عليه وسلم رايت ميزانا دلي من السماء فوضعت
في كفة ووضعت امتي في كفة فرجحت بهم ووضع ابو بكر في كفة وجيء بامتي فوضعت في كفة فرجح بهم
ابو بكر ومع هذا كله فقد كان استغراق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالله تعالى بحيث لم يتسع
قلبه للخلة مع غيره فقال لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله تعالى
يعني نفسه **خاتمة الكتاب** بكلمات متفرقة تتعلق بالمحبة ينتفع بها قال سفيان المحبة
اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غيره دوام الذكر وقال غيره ايثار المحبوب وقال بعضهم كراهية

البقاء في الدنيا وهذا كله اشارة الى ثمرات المحبة فاما نفس المحبة فلم يتعرضوا لها وقال بعضهم المحبة
معنى من المحبوب قاهر للقلوب تعجز القلوب عن ادراكه وتمتنع الالسن عن عبارته وقال الجنيد رحمه الله تعالى
المحبة على صاحبها العلاقة وقال كل محبة تكون بعوض فاذا زال العوض زالت المحبة وقال ذو النون
قل لمن اظهر حب الله احذر ان تذل لغير الله وقيل للشبلي صف لنا العارف والمحب قال العارف ان تكلم
هلك والمحب ان سكت هلك وقال الشبلي رحمة الله عليه **شعر** يا ايها السيد الكريم ... حبك بين
الحشا مقيم ... يا رافع النوم عن جفوني ... انت بما حل بي عليم **ولغيره** عجبت لمن يقول ذكرت ربي
وهل انسى فاذكر ما نسيت ... اموت اذا ذكرتك ثم احيا ... ولولا حسن ظني ما حييت
فاحيا بالمنى واموت شوقا ... فكم احيا عليك وكم اموت ... شربت الحب كاسا بعد كاس
فما نفد الشراب ولا رويت ... فليت خياله نصب لعيني ... فان قصرت في نظري عميت
وقالت رابعة يوما من يدلنا على حبيبنا فقالت لجاريتها حبيبنا معنا ولكن الدنيا قطعتنا وقال ابن الجلاء اوحى
الله تعالى الى عيسى عليه السلام اني اذا اطلعت على قلب عبد فلم اجد فيه حب الدنيا والاخرة ملاته من حبي وتوليته
بحفظي وقيل تكلم سمنون يوما في المحبة فاذا بطائر نزل بين يديه فلم يزل ينقر بمنقاره الارض حتى سال منه الدم
فمات وقال ابراهيم بن ادهم الهي انك تعلم ان الجنة لا تزن عندي جناح بعوضة في جنب ما اكرمتني
من محبتك وانستني بذكرك وفرغتني للتفكر في عظمتك وقال السري السقطي من احب الله عاش ومن مال الى
الدنيا طاش والاحمق يغدو ويروح في لاش **وقيل** لرابعة كيف حبك للرسول صلى الله عليه وسلم فقالت والله
اني لاحبه حبا شديدا ولكن حب الخالق شغلني عن حب المخلوقين وسئل عيسى صلى الله عليه وسلم عن افضل
الاعمال فقال الرضا عن الله والحب له وقال ابو يزيد المحب لا يحب الدنيا ولا الاخرة انما يحب من مولاه مولاه وقال
الشبلي الحب دهش في لذة وحيرة في تعظيم وقيل المحبة ان تمحو اثرك عنك حتى لا يبقى فيك شيء راجع منك اليك
وقيل المحبة قرب القلب من المحبوب بالاستبشار والفرح وقال الخواص المحبة محو الارادات واحتراق جميع الصفات
والحاجات وسئل سهل عن المحبة فقال عطف الله بقلب عبده لمشاهدته بعد الفهم للمراد منه وقيل لبعض
المحب علي ليعتمد انك على المحبة والهيبة والحيا والتعظيم وافضلها التعظيم والمحبة لانهما تبقيان
يبقيان في الجنة مع اهل الجنة ويرفع عنهم غيرهما وقال هرم بن حيان المؤمن اذا عرف ربه عز وجل احبه و
اذا احبه اقبل اليه واذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر الى الاخرة بعين
الفترة وهي تحسره في الدنيا وتروحه في الاخرة وقال عبد الله بن محمد سمعت امراة من المتعبدات تقول وهي
باكية والدموع على خدها جارية والله لقد سئمت من الحياة حتى لو وجدت الموت يباع لاشتريته شوقا الى الله
تعالى وحبا للقائه قال فقلت لها فعلى ثقة انت من عملك قالت لا ولكن لحبي اياه وحسن ظني به افتراه يعذبني
وانا احبه **واوحى** الله تعالى الى داود عليه السلام لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي
الى ترك معاصيهم لماتوا شوقا الي وتقطعت اوصالهم من محبتي يا داود هذه ارادتي في المدبرين
عني فكيف ارادتي في المقبلين علي يا داود احوج ما يكون العبد الي اذا استغنى عني وارحم ما اكون بعبدي
اذا ادبر عني واجل ما يكون عندي اذا رجع وقال ابو خالد الصفار لقي نبي من الانبياء عابدا فقال انكم معاشر
العباد تعملون على امر لسنا معاشر الانبياء نعمل عليه انتم تعملون على الخوف والرجاء ونحن نعمل على المحبة والشوق
وقال الشبلي رحمه الله اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود ذكري للذاكرين وجنتي للمطيعين وزيارتي للمشتاقين
وانا خاصة للمحبين واوحى الله تعالى الى ادم عليه السلام يا ادم من احب حبيبا صدق قوله ومن انس بحبيبه رضي

فعله ومن اشتاق اليه حن اليه وكان الخواص يضرب على صدره ويقول واشوقاه الى من يراني ولا اراه وقال
الجنيد بكى يونس عليه السلام حتى عمي وقام حتى انحنى وصلى حتى اقعد وقال وعزتك وجلالك لو كان بيني
وبينك بحر من نار لخضته اليك شوقا مني اليك وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال سالت رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة راس مالي والعقل اصل ديني والحب اساسي والشوق مركبي وذكر
الله عز وجل انيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضا غنيمتي والعجز
فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلاة
وقال ذو النون سبحان من جعل الارواح جنودا مجندة فارواح العارفين جلالية قدسية فلذلك اشتاقوا
الى الله تعالى وارواح المؤمنين روحانية فلذلك حنوا الى الجنة وارواح الغافلين هوائية فلذلك مالوا الى
الدنيا **وقال** بعض المشايخ رايت في جبل اللكام رجلا اسمر اللون ضعيف البدن وهو يقفز من حجر الى
حجر ويقول الشوق والهوى صيراني كما ترى ويقال الشوق نار الله تعالى اشعلها في قلوب اوليائه حتى
يحرق بها ما في قلوبهم من الخواطر والارادات والعوارض والحاجات فهذا القدر كاف في شرح المحبة والانس
والشوق فلنقتصر عليه وحسبنا الله وحده ونعم الوكيل تم كتاب المحبة والانس والشوق والرضا وهو الكتاب
السادس من ربع المنجيات من كتاب احياء علوم الدين للامام حجة الاسلام الغزالي رحمه الله عليه **ويتلوه**
كتاب النية والاخلاص والصدق وهو الكتاب السابع من ربع المنجيات للغزالي رحمه الله عليه

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

نحمد الله حمد الشاكرين ونؤمن به ايمان الموقنين ونقر بوحدانيته اقرار الصادقين ونشهد ان لا اله
الا الله رب العالمين وخالق السموات والارضين ومكلف الانس والجن والملائكة المقربين ان يعبدوه عبادة
المخلصين فقال وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين فما لله الا الدين الخالص المتين فانه اغنى الاغنياء عن شركة
المشاركين والصلاة على نبيه محمد سيد المرسلين وعلى جميع النبيين وعلى اله واصحابه الطاهرين **اما بعد**
فقد انكشف لارباب القلوب ببصيرة الايمان وانوار القران ان لا وصول الى السعادة الا بالعلم والعبادة فالناس كلهم
هلكى الا العالمين والعالمون كلهم هلكى الا العاملين والعاملون كلهم هلكى الا المخلصين والمخلصون على خطر عظيم
فالعمل بغير نية عناء والنية بغير اخلاص رياء وهو للنفاق كفاء ومع العصيان سواء والاخلاص من غير صدق وتحقيق
هباء وقد **قال** الله تعالى في كل عمل كان بارادة غير الله مشوبا مغمورا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا
وليت شعري كيف يصحح نيته من لا يعرف حقيقة النية او كيف يخلص من صحح النية اذا لم يعرف حقيقة الاخلاص او كيف
يطالب المخلص نفسه بالصدق اذا لم يتحقق معناه فالوظيفة الاولى على كل عبد اراد طاعة
الله تعالى ان يتعلم النية اولا لتحصل المعرفة ثم يصححها بالعمل بعد فهم حقيقة الصدق والاخلاص اللذين هما
وسيلتان العبد الى النجاة والخلاص ونحن نذكر معاني الصدق والاخلاص في ثلاثة ابواب **الباب الاول**
في حقيقة النية ومعناها **الباب الثاني** في الاخلاص وحقائقه **الباب الثالث** في الصدق وحقيقته

الباب الاول في النية وفيه بيان فضيلة النية وبيان حقيقة النية وبيان كون النية خيرا من العمل
وبيان تفصيل الاعمال المتعلقة بالنية وبيان خروج النية عن الاختيار **بيان فضيلة النية** قال
الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه والمراد بتلك الارادة النية **وقال**

صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله
ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او الى امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه **وقال**
رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر شهداء امتي اصحاب الفرش ورب قتيل بين الصفين الله اعلم بنيته
وقال الله تعالى ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فجعل النية سبب التوفيق **وقال** صلى الله
عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم واموالكم وانما ينظر الى قلوبكم واعمالكم وانما نظر الى القلوب لانها مظنة
النية **وقال** صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل اعمالا حسنة فتصعد بها الملائكة في صحف مختمة فتلقى
بين يدي الله تعالى فيقول القوا هذه الصحيفة فانه لم يرد بما فيها وجهي ثم ينادي الملائكة اكتبوا له كذا
واكتبوا له كذا فيقولون يا ربنا انه لم يعمل شيئا من ذلك فيقول انه نواه **وقال** صلى الله عليه وسلم
الناس اربعة رجل اعطاه الله تعالى علما ومالا فهو يعمل بعلمه في ماله فيقول رجل لو اتاني الله مثل ما اتاه لعملت
كما يعمل فهما في الاجر سواء ورجل اتاه الله تعالى مالا ولم يؤته علما فهو يتخبط بجهله في ماله فيقول رجل لو اتاني
الله مثل ما اتاه لعملت كما يعمل فهما في الوزر سواء الا ترى كيف شركه في النية في محاسن عمله ومساويه وكذا
في حديث انس بن مالك لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قال ان بالمدينة اقواما ما قطعنا
واديا ولا وطئنا موطئا يغيظ الكفار ولا انفقنا نفقة ولا اصابتنا مخمصة الا شاركونا في ذلك وهم بالمدينة قالوا
وكيف ذلك يا رسول الله وليسوا معنا قال حبسهم العذر فشركوا بحسن النية وفي حديث ابن مسعود من
هاجر يبتغي شيئا فهو له فهاجر رجل فتزوج امراة منا فكان يسمى مهاجر ام قيس وكذلك جاء في الخبر ان رجلا قتل
في سبيل الله فكان يدعى قتيل الحمار لانه قاتل رجلا ليأخذ سلبه وحماره فقتل على ذلك فاضيف الى نيته وفي
حديث عبادة عن النبي صلى الله عليه وسلم من غزا وهو لا ينوي الا عقالا فله ما نوى **وقال** ابي استعنت
رجلا يغزو معي فقال لا حتى تجعل لي جعلا فجعلت له فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم
ليس له من دنياه ولا من اخرته الا ما جعلت له **وروي** في الاسرائيليات ان رجلا مر بكثبان من رمل في مجاعة فقال في
نفسه لو كان هذا الرمل طعاما لقسمته بين الناس فاوحى الله تعالى الى نبيهم ان قل له ان الله تعالى قد
قبل صدقتك وقد شكر حسن نيتك واعطاك ثواب ما لو كان طعاما فتصدقت به **وقد ورد** في اخبار كثيرة
من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة **وفي حديث** عبد الله ابن عمر من كانت الدنيا نيته جعل الله تعالى
فقره بين عينيه وفارقها ارغب ما يكون فيها ومن تكن الاخرة نيته جعل الله تعالى غناه في قلبه وجمع عليه ضيعته
وفارقها ازهد ما يكون فيها **وفي حديث** ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر جيشا يخسف بهم بالبيداء
فقلت يا رسول الله يكون فيهم المكره والاجير فقال يحشرون على نياتهم وقال عمر سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول انما يقتتل المقتتلون على النيات **وقال** صلى الله عليه وسلم اذا التقى الصفان نزلت
الملائكة تكتب الخلق على مراتبهم فلان يقاتل للدنيا فلان يقاتل حمية فلان يقاتل عصبية الا فلا تقولوا قتل
فلان في سبيل الله فمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله **وعن** جابر عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال يبعث كل عبد على ما مات عليه وفي حديث الاحنف عن ابي بكرة اذا التقى المسلمان بسيفيهما
فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه اراد قتل صاحبه **وفي**
حديث ابي هريرة من تزوج امراة على صداق وهو لا ينوي اداءه فهو زان ومن ادان دينا وهو لا ينوي قضاءه فهو سارق
وقال صلى الله عليه وسلم من تطيب لله جاء يوم القيامة وريحه اطيب من المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة
وريحه انتن من الجيفة **واما الاثار** فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه افضل الاعمال اداء ما افترض

الله والورع عمادهم الله فصدق النية ينال عند الله وكتب سالم بن عبد الله الى عمر بن عبد العزيز اعلم ان عون الله تعالى للعبد على قدر النية فمن تمت نيته تم عون الله له وان نقصت نقص بقدره وقال بعض السلف رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره النية وقال داود الطائي البر همته التقوى فلو تعلقت جميع جوارحه بالدنيا لردته نيته يوما الى نية صالحة وكذا الجاهل بعكس ذلك وقال الثوري كانوا يتعلمون النية للعمل كما يتعلمون العمل وقال بعض العلماء اطلب النية للعمل قبل العمل وما دمت تنوي الخير فانت بخير وكان بعض المريدين يطوف على العلماء يقول من يدلني على عمل لا ازال فيه عاملا لله تعالى فاني احب ان لا تاتي علي ساعة من ليل او نهار الا وانا عامل من عمال الله فقيل له قد وجدت حاجتك فاعمل الخير ما استطعت فاذا فترت او تركته فهم بعمله فان الهام بعمل الخير كعامله وكذلك قال بعض السلف ان نعمة الله عليكم اكثر من ان تحصوها وان ذنوبكم اخفى من ان تعلموها ولكن اصبحوا توابين وامسوا توابين يغفر لكم ما بين ذلك وقال عيسى عليه السلام طوبى لعين نامت ولم تهم بمعصية وانتبهت الى غير اثم وقال ابو هريرة يبعثون يوم القيامة على قدر نياتهم وكان الفضيل بن عياض اذا قرا ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم يبكي ويرددها ويقول انك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا وقال الحسن انما خلد اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار بالنيات وقال ابو هريرة رضي الله عنه يقول الله عز وجل المكتوب في التوراة يقول الله عز وجل ما اريد به وجهي فقليله كثير وما اريد به غير وجهي فكثيره قليل وقال بلال بن سعد ان العبد ليقول قول مؤمن فلا يدعه وقوله حتى ينظر في عمله فان عمل لم يدعه حتى ينظر في ورعه فان تورع لم يدعه الله بقوله حتى ينظر في عمله فان عمل فلم يدعه حتى ينظر في ورعه فان تورع فلم يدعه حتى ينظر ماذا نوى فان صلحت النية فبالحري ان يصلح ما دون ذلك فاذا عماد الاعمال النيات فالعمل مفتقر الى النية ليصير بها خيرا والنية في نفسها خير وان تعذر العمل بعائق

بيان حقيقة النية

اعلم ان النية والارادة والقصد عبارات متواردة على معنى واحد وهو حالة وصفة للقلب يكتنفها امران علم وعمل العلم يقدمه لانه اصله وشرطه والعمل يتبعه لانه ثمرته وفرعه وذلك لان كل عمل اعني كل حركة وسكون اختياري فانه لا يتم الا بثلاثة امور علم وارادة وقدرة لانه لا يريد الانسان ما لا يعلمه فلا بد ان يعلم ولا يعمل ما لم يرد فلا بد من ارادة ومعنى الارادة انبعاث القلب الى ما يراه موافقا للغرض اما في الحال او في المآل فقد خلق الانسان بحيث يوافقه بعض الامور ويلائم غرضه ويخالفه بعض الامور فيحتاج الى جلب الموافق الملائم الى نفسه ودفع الضار المنافي عن نفسه فافتقر بالضرورة الى معرفة وادراك للشيء المضر والنافع حتى يجلب هذا ويهرب من هذا فان من لا يبصر الغذاء ولا يعرفه لا يمكنه ان يتناوله ومن لا يبصر النار لا يمكنه ان يهرب منها فخلق الله تعالى الهداية والمعرفة وجعل لها اسبابا وهي الحواس الظاهرة والباطنة وليس ذلك من غرضنا ثم لو ابصر الغذاء وعرف انه موافق له فلا يكفيه ذلك للتناول ما لم يكن فيه ميل اليه ورغبة فيه وشهوة له باعثة عليه اذ المريض يرى الغذاء ويعلم انه موافق ولا يمكنه التناول لعدم الرغبة والميل ولفقد الداعية المحركة اليه فخلق له الميل والرغبة والارادة واعني به نزوعا في نفسه وتوجها بقلبه اليه ثم ذلك لا يكفيه فكم من مشاهد طعاما راغب فيه مريد تناوله عاجز عنه لكونه زمنا فخلقت له القدرة والاعضاء المتحركة حتى يتم له التناول والعضو لا يتحرك الا بالقدرة والقدرة تنتظر الداعية الباعثة والداعية تنتظر العلم والمعرفة او الظن والاعتقاد وهو ان يقوى في نفسه كون الشيء موافقا له فاذا جزمت المعرفة بان الشيء موافق ولا بد ان يفعل وسلمت عن معارضة باعث آخر صارف عنه انبعثت الارادة وتحقق الميل فاذا انبعثت انتهضت القدرة لتحريك الاعضاء فالقدرة خادمة للارادة والارادة تابعة لحكم الاعتقاد والمعرفة فالنية عبارة عن الصفة المتوسطة وهي الارادة وانبعاث النفس بحكم الرغبة والميل الى ما هو موافق للغرض اما في الحال واما في المآل فالمحرك الاول هو الغرض المطلوب وهو الباعث والغرض الباعث هو المقصد المنوي والانبعاث هو القصد والنية وانتهاض القدرة لخدمة الارادة بتحريك الاعضاء هو العمل الا ان انتهاض القدرة للعمل قد يكون بباعث واحد وقد يكون بباعثين اجتمعا في فعل واحد واذا كان بباعثين فقد يكون كل واحد منهما بحيث لو انفرد لكان مليا بانهاض القدرة وقد يكون كل واحد قاصرا عنه الا بالاجتماع وقد يكون احدهما كافيا دون الآخر لكن الآخر انتهض عاضدا له ومعاونا فيخرج من هذا التقسيم اربعة اقسام فلنذكر لكل واحد مثالا واسما اما الاول فهو ان ينفرد الباعث الواحد ويتجرد كما اذا هجم على الانسان سبع فكلما رآه قام من موضعه ولا مزعج له الا غرض الهرب من السبع فانه راى السبع وعرفه ضارا فانبعثت نفسه الى الهرب ورغبت فيه فانتهضت القدرة عاملة بمقتضى الانبعاث فيقال نيته الفرار من السبع لا نية له في القيام غيره وهذه النية تسمى خالصة ويسمى العمل بموجبها اخلاصا بالاضافة الى الغرض الباعث ومعناه انه خلص عن مشاركة غيره وممازجته واما الثاني فهو ان يجتمع باعثان كل واحد مستقل بالانهاض لو انفرد ومثاله في غرضنا ان يساله قريبه الفقير حاجة فيقضيها لفقره ولقرابته وعلم انه لولا فقره لكان يقضيها بمجرد القرابة وانه لولا قرابته لكان يقضيها بمجرد الفقر وعلم ذلك من نفسه بانه يحضره قريب غني فيرغب في قضاء حاجته وفقير اجنبي فيرغب ايضا فيه وكذلك من امره الطبيب بترك الطعام ودخل عليه يوم عرفة فصام وهو يعلم انه لولا يوم عرفة لكان يترك الطعام حمية ولولا الحمية لكان يتركه لاجل انه يوم عرفة وقد اجتمعا جميعا فاقدم على الفعل فالباعث الثاني رفيق الاول فلنسم هذا موافقة البواعث واما الثالث بان لا يستقل كل واحد لو انفرد ولكن قوي مجموعهما على انهاض القدرة ومثاله في المحسوس ان يتعاون ضعيفان على حمل ما لا ينفرد به احدهما فيه ومثاله من غرضنا ان يقصده قريبه الغني فيطلب درهما فلا يعطيه ويقصده الاجنبي الفقير فيطلب درهما فلا يعطيه ثم يقصده الفقير القريب فيعطيه فيكون انبعاث داعيته بمجموع الباعثين وهما القرابة والفقر وكذلك الرجل يتصدق بين يدي الناس لغرض الثواب ولغرض الثناء ويكون بحيث لو كان منفردا لكان لا يبعثه مجرد الرياء على العطاء ولو كان الطالب فاسقا لا ثواب في التصدق عليه لكان لا يبعثه مجرد الرياء على العطاء ولما اجتمعا اورثا بمجموعهما تحريك القلب ولنسم هذا الجنس مشاركة واما الرابع بان يكون احد الباعثين مستقلا لو انفرد بنفسه والثاني لا يستقل ولكن لما انضاف اليه لم ينفك عن تاثير بالاعانة والتسهيل ومثاله ان يكون للانسان ورد في الصلوات وعادة في الصدقات في مواضع الخلوات فاتفق ان حضر في وقتهما جماعة من الناس فصار الفعل اخف عليه بسبب مشاهدتهم وعلم من نفسه انه لو كان منفردا خاليا لم يفتر عن عمله وعلم ان عمله لو لم يكن طاعة لم يكن مجرد الرياء يحمله عليه فهو شوب تطرق الى النية ولنسم هذا الجنس المعاونة فالباعث الثاني اما ان يكون رفيقا او شريكا او معينا وسنذكر حكمها في باب الاخلاص والغرض الآن بيان اقسام النيات فان العمل تابع للباعث فيكتسب الحكم منه ولذلك قيل انما الاعمال بالنيات لانها تابعة لا حكم لها في نفسها وانما الحكم للمتبوع

بيان سر قوله صلى الله عليه وسلم نية المؤمن خير من عمله

اعلم انه قد يظن ان سبب هذا الترجيح ان النية سر لا يطلع عليه الا الله والعمل ظاهر ولعمل السر فضل وهذا صحيح وليس هو المراد لانه لو نوى ان يذكر الله بقلبه او يتفكر في مصالح المسلمين فيقتضي عموم الحديث ان يكون نية التفكر خيرا من التفكر وقد يظن ان سبب الترجيح ان النية تدوم الى آخر العمل والاعمال لا تدوم وهذا ضعيف

لأن ذلك يرجع معناه إلى أن النية والعمل والأعمال الكثيرة خير من القليل بل ليس كذلك فإن نية أعمال الصلاة قد لا تدوم
إلا في لحظات معدودة والأعمال تدوم والعموم يقتضي أن تكون نيته خيرا من عمله وقد يقال إن معناه أن
النية بمجردها خير من العمل بمجرده دون النية وهو كذلك ولكنه بعيد أن يكون هو المراد إذ العمل بلا نية بل على
الغفلة لا خير فيه أصلا والنية بمجردها خير وظاهر الترجيح للمشتركين في أصل الخير بل المعني به أن كل طاعة
تنتظم بنية وعمل وكانت النية من جملة الخيرات وكان العمل من جملة الخيرات ولكن النية من جملة الطاعات
خير من العمل أي لكل واحد منهما أثر في المقصود وأثر النية أكثر من أثر العمل فمعناه نية المؤمن من جملة طاعته
خير من عمله الذي هو من جملة طاعته والغرض أن للعبد اختيارا في النية وفي العمل فهما عملان والنية من
الجملة خيرهما فهذا معناه. **وأما سبب كونه خيرا** ومترجحا على العمل فلا يفهمه إلا من فهم مقصد الدين
وطريقه ومبلغ أثر الطريق في الإيصال إلى المقصد وقاس بعض الآثار بالبعض حتى يظهر له بعد ذلك الأرجح
بالإضافة إلى المقصود فمن قال الخبز خير من الفاكهة فإنما يعني به أنه خير بالإضافة إلى مقصود القوت والغذاء
ولا يفهم ذلك إلا من فهم أن للغذاء مقصدا وهو الصحة والبقاء وأن الأغذية مختلفة الآثار فيها وفهم
أثر كل واحد وقاس بعضها إلى بعض فالطاعات غذاء للقلوب والمقصود شفاؤها وبقاؤها وسلامتها في
الآخرة وسعادتها وتنعمها بلقاء الله تعالى فالمقصد لذة السعادة بلقاء الله فقط ولن يتنعم بلقاء الله تعالى إلا
من مات محبا لله عارفا بالله ولن يحبه إلا من عرفه ولن يأنس به إلا من طال ذكره له فالأنس يحصل بدوام الذكر والمعرفة
بدوام الفكر والمحبة تتبع المعرفة بالضرورة ولن يتفرغ القلب لدوام الفكر والذكر إلا إذا فرغ من شواغل الدنيا
ولن يتفرغ من شواغلها إلا إذا انقطعت عنها شهواتها حتى يصير مائلا إلى الخير مريدا له نافرا عن
الشر مبغضا له وإنما يميل إلى الخيرات والطاعات إذا علم أن سعادته في الآخرة منوطة بها كما يميل العاقل إلى
الفصد والحجامة لعلمه بأن سلامته فيهما وإذا حصل أصل الميل بالمعرفة فإنما يقوى العمل بمقتضى الميل والمواظبة
عليها فإن المواظبة على مقتضى صفات القلب وإرادتها بالعمل تجري مجرى الغذاء والقوت لتلك الصفة حتى تترشح
الصفة وتقوى بسببها فالمائل إلى طلب العلم أو طلب الرياسة لا يكون ميله في الابتداء إلا ضعيفا فإن اتبع
مقتضى الميل واشتغل بالعلم وتربية الرياسة والأعمال المطلوبة لها تأكد ميله ورسخ وعسر عليه النزوع وإن
خالف مقتضى ميله ضعف ميله وانكسر وربما زال وانمحق بل الذي ينظر إلى وجه حسن مثلا فيميل إليه طبعه ميلا
ضعيفا لو اتبعه وعمل بمقتضاه بدوام على النظر والمجالسة والمخالطة والمحاورة تأكد ميله حتى يخرج أمره عن
اختياره فلا يقدر على النزوع عنه ولو فطم نفسه ابتداء وخالف مقتضى ميله لكان ذلك كقطع القوت
والغذاء عن صفة الميل ويكون ذلك زجرا ودفعا في وجهه حتى يضعف وينكسر بسببه أو ينقمع وينمحي
وهكذا جميع الصفات والخيرات والطاعات كلها التي يراد بها الآخرة والشرور كلها هي التي يراد بها الدنيا
لا للآخرة وميل النفس إلى الخيرات الأخروية وانصرافها عن الدنيوية هو الذي يفرغها للذكر والفكر
ولن يتأكد ذلك إلا بالمواظبة على أعمال الطاعات وترك المعاصي بالجوارح لأن بين الجوارح وبين القلب علاقة
حتى إنه يتأثر كل واحد منهما بالآخر فترى العضو إذا أصابته جراحة تألم القلب وترى القلب إذا تألم بعلمه بموت
عزيز من أعزته أو بهجوم أمر مخوف تأثرت به الأعضاء وارتعدت الفرائص وتغير اللون إلا أن القلب هو الأصل المتبوع
فكأنه الأمير والراعي والجوارح كالخدم والرعايا والأتباع فالجوارح خادمة للقلب بتأكيد صفاتها فيه فالقلب
هو المقصود والأعضاء آلات موصلة إلى المقصود ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم إن في الجسد مضغة
إذا صلحت صلح لها سائر الجسد وقال اللهم أصلح الراعي والرعية وأراد بالراعي القلب وقال تعالى لن ينال الله

لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وهي صفة القلب فمن هذا الوجه يجب لا محالة أن تكون النية
من جملتها أفضل لأنها إجابة عن ميل القلب إلى الخير وإرادته له وغرضنا من الأعمال بالجوارح أن نعوّد القلب
إرادة الخير ونؤكد فيه الميل إليه ليتفرغ من شهوات الدنيا ويكب على الذكر والفكر فبالضرورة يكون خيرا
بالإضافة إلى الغرض لأنه متمكن من نفس المقصود وهذا كما أن المعدة إذا تألمت فقد تداوى بأن يوضع الطلاء
على الصدر لأن طلاء الصدر أيضا إنما يراد به أن يسري منه الأثر إلى المعدة فما يلاقي عين المعدة فهو خير
وأنفع فهكذا ينبغي أن تفهم تأثير الطاعات كلها إذ المطلوب منها تغيير القلوب وتبديل صفاتها فقط
دون الجوارح فلا تظنن أن في وضع الجبهة على الأرض غرضا من حيث إنه جمع بين الجبهة والأرض بل من حيث
إنه بحكم العادة يؤكد صفة التواضع في القلب فإن من يجد في نفسه تواضعا فإذا استعان بأعضائه
وصوّرها بصورة التواضع تأكد تواضعه ومن وجد في قلبه رقة على يتيم فإذا مسح رأسه وقبّله تأكد
الرقة في قلبه ولهذا لم يكن العمل بغير نية مفيدا أصلا لأن من يمسح رأس يتيم وهو غافل بقلبه أو ظان
أنه يمسح ثوبا لم ينتشر من أعضائه أثر إلى قلبه بتأكيد الرقة وكذلك من يسجد غافلا وهو مشغول الهم بأغراض
الدنيا لم ينتشر من جبهته ووضعها أثر إلى قلبه بتأكيد التواضع فكان وجودها كعدمها وما ساوى وجوده
عدمه بالإضافة إلى الغرض المطلوب منه يسمى باطلا فيقال العبادة بغير نية باطلة وهذا معناه إذا
فعل عن غفلة فإن قصد به رياء أو تعظيم شخص آخر لم يكن وجوده كعدمه بل زاده شرا فإنه لم يؤكد الصفة
المطلوب تأكيدها حتى أكد الصفة المطلوب قمعها وهي صفة الرياء التي هي من الميل إلى الدنيا فهذا وجه كون
النية خيرا من العمل وبهذا أيضا يعرف معنى قوله صلى الله عليه وسلم من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له
حسنة لأن هم القلب هو ميله إلى الخير وانصرافه عن الهوى وحب الدنيا وهي غاية الحسنات وإنما الإتمام
بالعمل يزيدها تأكيدا فليس المقصود من إراقة دم القربان اللحم والدم بل ميل القلب عن حب الدنيا وبذلها إيثارا
لوجه الله تعالى وهذه الصفة قد حصلت عند جزم الهمة والنية وإن عاق عن العمل عائق فلن ينال الله لحومها
ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم والتقوى هاهنا صفة على القلب ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم
إن قوما بالمدينة قد شركونا في جهادنا كما رويناه لأن قلوبهم في صدق إرادة الخير وبذل المال والنفس والرغبة
في طلب الشهادة وإعلاء كلمة الله كقلوب الخارجين في الجهاد وإنما فارقوهم بالأبدان لعوائق تخص الأسباب الخارجة
عن القلب وذلك غير مطلوب إلا لتأكيد هذه الصفات وبهذه المعاني تفهم جميع الأحاديث التي أوردناها
في فضيلة النية فاعرضها عليها لينكشف لك أسرارها فلا نطول بالإعادة. **بيان تفصيل الأعمال المتعلقة
بالنية** اعلم أن الأعمال وإن انقسمت أقساما كثيرة من فعل وقول وحركة وسكون وجلب ودفع وفكر وذكر وغير
ذلك مما لا يتصور إحصاؤه واستقصاؤه فهي ثلاثة أقسام طاعات ومعاص ومباحات. **القسم الأول**
المعاصي وهي لا تتغير عن موضوعها بالنية فلا ينبغي أن يفهم الجاهل ذلك من عموم قوله صلى الله عليه وسلم
إنما الأعمال بالنيات فيظن أن المعصية تنقلب طاعة بالنية كالذي يغتاب إنسانا مراعاة لقلب غيره أو يطعم
فقيرا من مال غيره أو يبني مدرسة أو مسجدا أو رباطا بالمال الحرام وقصده الخير فهذا كله جهل والنية لا تؤثر في إخراجه
عن كونه ظلما وعدوانا ومعصية بل قصده الخير بالشر على خلاف مقتضى الشرع شر آخر فإن عرفه فهو
معاند للشرع وإن جهله فهو عاص بجهله إذ طلب العلم فريضة على كل مسلم والخيرات إنما يعرف كونها خيرات بالشرع
فكيف يمكن أن يكون الشر خيرا هيهات بل المروج لذلك على القلب خفي الشهوة وباطن الهوى فإن القلب إذا كان
مائلا إلى طلب الجاه واستمالة قلوب الناس وسائر حظوظ النفس توسل الشيطان به إلى التلبيس على الجاهل

ولذلك قال سهل ما عصي الله تعالى بمعصية اعظم من الجهل قيل يا ابا محمد هل تعرف شيئا اشد من الجهل
قال نعم الجهل بالجهل وهو كما قال لان الجهل بالجهل يسد باب التعلم بالكلية فمن يظن بنفسه انه عالم فكيف
يتعلم وكذلك افضل ما اطيع الله تعالى به العلم ورأس العلم العلم بالعلم كما ان رأس الجهل الجهل بالجهل
فان من لا يعلم العلم النافع من العلم الضار اشتغل بما اكب الناس عليه من العلوم المزخرفة التي هي
وسائلهم الى الدنيا وذلك هو مادة الجهل ومنبع فساد العالم والمقصود ان من قصد الخير بمعصية عن
جهل فهو غير معذور الا اذا كان قريب العهد بالاسلام ولم يجد بعد مهلة للتعلم وقد قال سبحانه فاسألوا
اهل الذكر الاية وقال عليه السلام لا يعذر الجاهل على الجهل ومثله تقرب السلاطين ببناء المساجد بالمال
الحرام وتقرب العلماء السوء بتعليم العلم للسفهاء والاشرار المشغولين بالفسق والفجور القاصرين هممهم على
مماراة العلماء ومباهاة السفهاء واستمالة وجوه الناس وجمع حطام الدنيا واخذ اموال السلاطين و
المساكين واليتامى فان هؤلاء اذا تعلموا كانوا قطاع طريق الله وانتهض كل واحد في بلدة نائبا عن الدجال
يتكالب على الدنيا ويتبع الهوى ويتباعد عن التقوى ويستجري الناس بسبب مشاهدته على معاصي الله عز وجل
ثم قد ينتشر ذلك العلم الى مثله وامثاله ويتخذونه ايضا آلة ووسيلة في الشر واتباع الهوى ويتسلسل
ذلك ووبال الكل راجع الى المعلم الذي علمه العلم مع علمه بفساد نيته وقصده ومشاهدته انواع المعصية
من اقواله وافعاله وفي مطعمه وملبسه ومسكنه فيموت هذا المعلم وتبقى آثاره منتشرة في العالم الف
سنة والفي سنة وطوبى لمن اذا مات ماتت معه ذنوبه ثم العجب من جهله حيث يقول انما الاعمال بالنيات وقد
قصدت بذلك نشر العلم الدين فان استعمله هو في الفساد فالمعصية منه لا مني وما قصدت به الا ان
يستعين به على الخير وانما قصد حب الرياسة والاستتباع والتفاخر بعلو العلم يحسن ذلك في قلبه و
الشيطان بواسطة حب الرياسة ملبسا عليه وليت شعري ما جوابه فيمن وهب سيفا من قاطع طريق واعد خيله
واسبابا ويقول انما اردت البذل والسخاء والتخلق باخلاق الله عز وجل وقصدت به ان يغزو بهذا السيف
والخيل فان اعداد الخيل والرباط والقوة للغزاة من افضل القربات فان هو صرفه الى قطع الطريق فهو
العاصي وقد اجمع الفقهاء على ان ذلك حرام مع ان السخاء احب الاخلاق الى الله تعالى حتى قال صلى الله عليه
وسلم ان لله تعالى ثلثمائة خلق من تقرب الى الله تعالى بواحد منها دخل الجنة واحبها اليه السخاء فليت
شعري لم حرم هذا السخاء ولم وجب عليه ان ينظر الى قرينة الحال فاذا لاح له من عادته انه يستعين بالسلاح
على الشر فينبغي ان يسعى في سلب سلاحه لا في ان يمده بغيره والعلم سلاح يقاتل به الشيطان واعداء
الله تعالى وقد يعاون به اعداء الله وهو الهوى فمن لا يزال مؤثرا للدنيا على دينه وللهوى على الآخرة وهو عاجز عنها
لقلة فضله فكيف يجوز امداده بنوع علم يتمكن به من الوصول الى شهواته بل لم يزل علماء السلف يتفقدون
احوال من يتردد اليهم فلو رأوا منهم تقصيرا في نفل من النوافل انكروه وتركوا اكرامه واذا رأوا منه فجورا
واستحلالا لحرام هجروه ونفوه عن مجالستهم وتركوا تكليمه فضلا عن تعليمه لعلمهم بان من تعلم مسئلة و
لم يعمل بها وجاوزها الى غيرها فليس يطلب الا آلة الشر وقد تعوذ جميع السلف بالله من الفاجر العليم بالسنة
وما تعوذوا من الفاجر الجاهل **حكي** عن بعض اصحاب احمد بن حنبل انه كان يتردد اليه سنين ثم اتفق ان اعرض
عنه احمد وهجره وصار لا يكلمه فلم يزل يسأله عن تغيره وهو لا يذكره حتى قال له بلغني عنك انك طينت حائط
دارك من جانب الشارع فقد اخذت قدر سمك الطين من شارع المسلمين وهو انملة فلا تصلح لنقل
العلم فهكذا كانت مراقبة السلف لاحوال الطلبة العلم فهذا وامثاله مما يلتبس على الاغبياء واتباع الشيطان وان كانوا

ارباب الطيالسة والاكمام الواسعة واصحاب الالسنة الطويلة والفضل الكثير اعني الفضل من العلوم
التي لا تشتمل على التحذير من الدنيا والزجر عنها والترغيب في الآخرة والدعاء اليها بل هي العلوم التي تتعلق
بالخلق ويتوصل بها الى جمع الحطام واستتباع الناس والتقدم على الاقران فاذا قوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال
بالنيات يختص من الاقسام الثلاثة بالطاعات والمباحات دون المعاصي اذ الطاعات تنقلب معصية بالقصد
والمباح ينقلب معصية وطاعة بالقصد فاما المعصية فلا تنقلب طاعة بالقصد اصلا نعم للنية
دخل فيها وهو انه اذا انضاف اليها قصود خبيثة تضاعف وزرها وعظم وبالها كما ذكرنا ذلك في كتاب التوبة
القسم الثاني الطاعات وهي مرتبطة بالنيات في الصحة وفي تضاعيف الفضل اما الاصل فهو
ان ينوي بها عبادة الله تعالى لا غير فان نوى الرياء صارت معصية واما تضاعف الفضل فبكثرة النية
فان الطاعة الواحدة يمكن ان ينوي بها خيرات كثيرة فيكون له بكل نية ثواب اذ كل واحدة منها حسنة
ثم تضاعف كل حسنة عشر امثالها كما ورد في الخبر ومثاله القعود في المسجد فانه طاعة ويمكن ان ينوي فيها
نيات كثيرة حتى يصير من فضائل اعمال المتقين ويبلغ به درجات المقربين اولها ان يعتقد انه بيت الله
تعالى وان داخله زائر الله فيقصد به زيارة مولاه رجاء لما وعده به رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال من قعد
في المسجد فقد زار الله تعالى وحق على المزور اكرام زائره وثانيها ان ينتظر الصلاة بعد الصلاة فيكون في جملة انتظاره
في صلاة وهو معنى قوله تعالى ورابطوا **وثالثها** الترهب بكف السمع والبصر والاعضاء عن الحركات والترددات
فان الاعتكاف كف وهو في معنى الصوم وهو نوع ترهب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رهبانية امتي القعود
في المساجد **ورابعها** عكوف الهم على الله تعالى ولزوم السر للفكر في الآخرة ودفع الشواغل الصارفة عنه بالاعتزال
الى المساجد **وخامسها** التجرد لذكر الله او لاستماع ذكره او للتذكر به كما روي من غدا الى المسجد ليذكر
الله تعالى او يذكر به كان كالمجاهد في سبيل الله تعالى **وسادسها** ان يقصد افادة علم بامر بمعروف
ونهي عن منكر اذ المسجد لا يخلو عمن يسيء في صلاته او يتعاطى ما لا يحل له فيامره بالمعروف ويرشده الى الدين
فيكون شريكا معه في خيره الذي يعلم منه فيتضاعف خيراته **وسابعها** ان يستفيد اخا في الله
تعالى فان ذلك غنيمة وذخيرة للدار الآخرة والمسجد معشش اهل الدين المحبين لله تعالى **وثامنها**
ان يترك الذنوب حياء من الله تعالى وخشية من ان يتعاطى في بيت الله تعالى ما يقتضي هتك الحرمة وقد
قال الحسن بن علي رضي الله عنهما من ادمن الاختلاف الى المسجد رزقه الله تعالى احدى سبع خصال
اخا مستفادا في الله او رحمة مستنزلة او علما مستطرفا او كلمة تدله على هدى او تصرفه عن ردى
او يترك الذنوب خشية او حياء فهذا طريق تكثير النيات وقس به سائر الطاعات والمباحات اذ ما
من طاعة الا وتحتمل نيات كثيرة وانما تحضر في قلب العبد بقدر جده في طلب الخير وتشمره له
وتفكره فيه فبهذا تزكو الاعمال وتتضاعف الحسنات **القسم الثالث المباحات** وما من
شيء من المباحات الا ويحتمل نية او نيات يصير بها من محاسن القربات وينال بها معالي الدرجات فما
اعظم خسران من يغفل عنها ويتعاطاها تعاطي البهائم المهملة عن سهو وغفلة ولا ينبغي ان يستحقر
العبد شيئا من الخطرات والخطوات واللحظات فكل ذلك يسأل عنه يوم القيامة انه لم فعله وما الذي قصد
به هذا في مباح محض لا تشوبه كراهة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حلالها حساب و
حرامها عذاب **وفي حديث** معاذ بن جبل رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان العبد ليسأل
يوم القيامة عن كحل عينيه وعن فتات الطينة باصبعه وعن لمسه ثوب اخيه وفي خبر آخر من تطيب

لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه أنتن من
الجيفة فاستعمال الطيب مباح ولكن لا بد فيه من نية **فإن قلت** فما الذي يمكن أن ينوي بالطيب
وهو حظ من حظوظ النفس وكيف يتطيب لله تعالى فاعلم أن من يتطيب مثلا يوم الجمعة وفي سائر الأوقات
يتصور أن يقصد التنعم بلذات الدنيا أو يقصد به إظهار التفاخر بكثرة المال ليحسده الأقران
أو يقصد به رياء الخلق ليقوم له الجاه في قلوبهم ويذكر بطيب الرائحة أو ليتودد به إلى قلوب النساء الأجنبيات
إذا كان مستحلا للنظر إليهن ولأمور أخر تعصى وكان هذا يجعل التطيب معصية فبه يكون أنتن
من الجيفة يوم القيامة إلا القصد الأول وهو التلذذ والتنعم فإن ذلك ليس بمعصية إلا أنه يسأل
عنه ومن نوقش الحساب عذب ومن أوتي شيئا من مباح الدنيا لم يعذب عليه في الآخرة ولكن ينقص له
من نعيم الآخرة بقدره وناهيك خسرانا بأن يستعجل ما يفنى ويخسر زيادة نعيم يبقى وأما النيات
الحسنة فأن ينوي به تعظيم المسجد وبيت الله فلا يرى أن يدخله زائرا لله إلا طيب الرائحة وأن يقصد
به ترويح جيرانه ليستريحوا في المسجد عند مجاورته بروائحه وأن يقصد به دفع الروائح الكريهة عن
نفسه التي تؤدي إلى إيذاء مخالطيه وأن يقصد حسم باب الغيبة عن المغتابين إذا اغتابوا بالروائح
الكريهة فيعصون الله تعالى بسببه فمن تعرض للغيبة وهو قادر على الاحتراز منها فهو شريك في
تلك المعصية كما قيل **شعر** إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ... أن لا تفارقهم فالراحلون هم
وقال تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم أشار به إلى أن التسبب
إلى الشر شر وأن يقصد به معالجة دماغه لتزيد به فطنته وذكاؤه ويسهل عليه درك مهمات
دينه بالفكر فقد **قال** الشافعي رضي الله عنه من طاب ريحه زاد عقله فهذا وأمثاله من النيات لا
يعجز الفقيه عنها إذا كانت تجارته الآخرة وطلب الخير غالبا على قلبه وإذا لم يغلب على قلبه إلا نعيم
الدنيا لم تحضره هذه النيات وإن ذكرت له لم ينبعث لها قلبه فلا يكون معه منها إلا حديث النفس و
ليس ذلك من النية في شيء والمباحات كثيرة ولا يمكن إحصاء النيات فيها فقس بهذا الواحد غيرها
ولهذا **قال** بعض السلف إني لأستحب أن يكون لي في كل شيء نية حتى في أكلي وشربي ونومي ودخولي الخلاء
وكل ذلك مما يمكن أن يقصد به وجه الله تعالى لأن كل ما هو سبب لبقاء البدن وفراغ القلب من مهمات
البدن فهو معين على الدين فمن قصده من الأكل التقوي على العبادة ومن الوقاع تحصين دينه وتطييب
قلب أهله والتوصل به إلى ولد يعبد الله تعالى بعده فتكثر به أمة محمد صلى الله عليه وسلم كان مطيعا بأكله
ونكاحه وأغلب حظوظ النفس الأكل والوقاع وقصد الخير بهما غير ممتنع لمن غلب على قلبه هم الآخرة
وكذلك ينبغي أن يحسن نيته مهما ضاع له مال ويقول هو في سبيل الله وإذا بلغه اغتياب غيره فليطيب
قلبه بأنه سيحمل سيئاته وسينقل إلى ديوانه حسناته ولينو ذلك بسكوته عن الجواب **ففي الخبر**
أن العبد ليحاسب فتبطل أعماله لدخول الآفة فيها حتى يستوجب النار ثم ينشر له من الأعمال الحسنة
ما يستوجب به الجنة فيتعجب ويقول يا رب هذه أعمال ما عملتها قط فيقال هذه أعمال الذين اغتابوك
وآذوك وظلموك **وفي الخبر** أن العبد ليوافي يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال لو خلصت له لدخل
الجنة فيأتي وقد ظلم هذا وشتم هذا وضرب هذا فيقتص لهذا من حسناته ولهذا من حسناته حتى لا
يبقى له حسنة واحدة فتقول الملائكة قد فنيت حسناته وبقي طالبون فيقول الله تعالى ألقوا عليه
من سيئاتهم ثم صكوا له صكا إلى النار وبالجملة فإياك أن تستحقر شيئا من حركاتك فلا تحترز من غرورها

وشرورها ولا تعد جوابها يوم القيامة فإن الله تعالى مطلع عليك وشهيد ما يلفظ من قول إلا لديه
رقيب عتيد **وقال** بعض السلف كتبت كتابا وأردت أن أتربه من جدار جاري
فتحرجت ثم قلت تراب وما تراب فتربته فهتف بي هاتف سيعلم من استخف بالتراب ما يلقى غدا
من سوء الحساب وصلى رجل مع الثوري فرآه مقلوب الثوب فعرفه فمد يده ليصلحه ثم قبضه فلم
يسوه فسأله عن ذلك فقال إني لبسته لله تعالى ولا أريد أن أسويه لغير الله **وقال** الحسن
إن الرجل ليتعلق بالرجل يوم القيامة فيقول بيني وبينك الله فيقول والله ما أعرفك فيقول بلى
أنت أخذت لبنة من حائطي وأخذت خيطا من ثوبي فهذا وأمثاله من الأخبار قطع قلوب الخائفين
فإن كنت من أولي العزم والنهى ولم تكن من المغترين فانظر لنفسك الآن ودقق الحساب قبل أن يدقق
عليك وراقب أحوالك ولا تسكن ولا تتحرك ما لم تتأمل أولا أنك لماذا تتحرك وماذا تقصد وما الذي
تنال به من الدنيا وما الذي يفوتك من الآخرة وبماذا ترجح الدنيا على الآخرة فإذا علمت أنه لا باعث إلا الدين
فأمض عزمك وما خطر ببالك وإلا فأمسك ثم راقب أيضا قلبك في إمساكك وامتناعك فإن ترك
الفعل فعل ولا بد له من نية صحيحة فلا ينبغي أن يكون لداعي هوى خفي لا تطلع عليه ولا تغرنك ظواهر
الأمور ومشهورات ولتفطن للأغوار والأسرار تخرج من حيز أهل الاغترار فقد حكي عن زكريا عليه السلام
أنه كان يعمل في حائط بالطين وكان أجيرا لقوم فقدموا له رغيفا إذ كان لا يأكل إلا من كسب يده فدخل
عليه قوم فلم يدعهم إلى الطعام حتى فرغ فتعجبوا منه لما علموا من سخائه وزهده وظنوا أن الخير في
طلب المساعدة في الطعام فقال إني أعمل لقوم بأجرة وقدموا إلي الرغيف لأتقوى على عملهم
فلو أكلتم معي لم يكفكم ولم يكفني وضعفت عن عملهم فالبصير هكذا ينظر إلى البواطن بنور الله تعالى
فإن ضعفه عن العمل نقص في فرض وترك الدعوة نقص في فضل فلا حكم لأحوال الفضائل مع نقصان
الفرائض **وقال** بعضهم دخلت على سفيان وهو يأكل فما كلمني حتى لعق أصابعه ثم قال لولا أني
أخذته بدين لأحببت أن تأكل منه **وقال** سفيان من دعا رجلا إلى طعامه وليس له رغبة في أن
يأكل فإن أجابه فأكل فعليه وزران وإن لم يأكل فعليه وزر واحد وأراد بأحد الوزرين النفاق وبالثاني
أنه يعرض أخاه لما يكره لو علمه فهكذا ينبغي أن يتفقد العبد نيته في سائر الأعمال فلا يقدم ولا يحجم
إلا بنية فإن لم تحضره النية توقف فإن النية لا تدخل تحت الاختيار **بيان أن النية لا تدخل**
تحت الاختيار اعلم أن الجاهل يسمع ما ذكرناه من الوصية بتحسين النية وتكثيرها مع قوله صلى
الله عليه وسلم الأعمال بالنيات فيقول في نفسه عند تدريسه أو تجارته أو أكله نويت أن أدرس
لله أو أتجر لله أو آكل لله ويظن أن ذلك نية وهيهات فذلك حديث نفس أو حديث لسان أو فكر
أو انتقال من خاطر إلى خاطر والنية بمعزل عن جميع ذلك وإنما النية انبعاث النفس وتوجهها و
ميلها إلى ما ظهر لها أن فيه غرضها إما عاجلا وإما آجلا والميل إذا لم يكن لا يمكن اختراعه و
اكتسابه بمجرد الإرادة بل ذلك كقول الشبعان نويت أن أشتهي الطعام وأميل إليه أو قول الفارغ
نويت أن أعشق فلانا وأحبه وأعظمه بقلبي فذلك محال بل لا طريق إلى اكتساب صرف القلب إلى
الشيء وميله إليه وتوجهه نحوه إلا باكتساب أسبابه وذلك مما قد يقدر عليه وقد لا يقدر و
إنما ينبعث النفس إلى الفعل إجابة للغرض الباعث الموافق للنفس الملائم لها وما لم يعتقد الإنسان
أن غرضه منوط بفعل من الأفعال فلا يتوجه نحوه قصده وذلك مما لا يقدر على اعتقاده في كل حين

واذا اعتقد فانما يتوجه القلب اذا كان فارغا من غرض صارف عنه بغرض شاغل اقوى منه وذلك لا يمكن في كل وقت والدواعي والصوارف لها اسباب كثيرة بها تجتمع ويختلف ذلك بالاشخاص وبالاحوال وبالاعمال فاذا غلبت شهوة النكاح ولم يعتقد غرضا صحيحا في النكاح دينا ولا دنيا لا يمكنه ان يواقع على نية الولد بل لا يمكن الا على نية قضاء الشهوة اذ النية هي اجابة الباعث ولا باعث الا الشهوة فكيف ينوي الولد واذا لم يغلب على قلبه ان اقامة سنة النكاح اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعظم فضله لا يمكن ان ينوي بالنكاح اتباع السنة الا ان يقول ذلك بلسانه وقلبه وهو حديث نفس وليس بنية بعظم ثواب من سعى في تكثير امة محمد صلى الله عليه وسلم ويدفع عن نفسه جميع المنفرات عن الولد من ثقل المؤنة وطول التعب وغيره فاذا فعل ذلك ربما انبعث من قلبه رغبة الى تحصيل الولد للثواب فتحركه تلك الرغبة وتحرك اعضاءه لمباشرة العقد فاذا انتهضت القدرة المحركة للسان بقبول العقد ... في قلبه من قصد الولد وسواس وهذيان ولهذا امتنع جماعة من السلف من جملة من الطاعات اذا لم تحضرهم النية فكانوا يقولون ليس تحضرنا فيه نية حتى ان ابن سيرين لم يصل على جنازة الحسن البصري وقال ليس تحضرني نية ونادى بعضهم امرأته وكان يسرح شعره ان هاتي المدهن فقالت اتي بالمرآة فسكت ساعة ثم قال نعم فقيل له في ذلك فقال كان قد جرى على لساني المدهن بغير نية ولم تحضرني في المرآة نية فتوقفت حتى هيأها الله تعالى ومات حماد بن ابي سليمان وكان احد علماء اهل الكوفة فقيل للثوري الا تشهد جنازته فقال لو كانت لي نية لفعلت وكانوا اذا سئلوا عملا من اعمال البر قالوا ان رزقنا الله تعالى نية فعلنا وكان طاوس لا يحدث الا بنية وكان يسأل ان يحدث فلا يحدث ولا يسأل فيبتدي فقيل له في ذلك فقال اتحبون ان احدث بغير نية اذا حضرتني نية فعلت **وحكي** ان داود بن المحبر لما صنف كتاب العقل جاءه احمد بن حنبل فطلبه منه فنظر فيه احمد صفحا ورده فقال ما لك قال فيه اسانيد ضعاف فقال له داود انا لم اخرجه على الاسانيد فانظر فيه بعين الخبر انما نظرت فيه بعين العمل فانتفعت به قال احمد فرده علي حتى انظر فيه بالعين التي نظرت فاخذه ومكث عنده طويلا ثم قال جزاك الله خيرا فقد انتفعت به وقيل لطاوس ادع لنا فقال حتى اجد له نية **وقال** بعضهم انا في طلب نية لعيادة رجل منذ شهر فما صحت لي بعد **وقال** عيسى بن كثير مشيت مع ميمون بن مهران فلما انتهى الى باب داره انصرف فقال ابنه الا تعرض عليه العشاء قال ليس من نيتي وهذا لان النية تتبع النظر فاذا تغير النظر تغيرت النية وكانوا لا يرون ان يعملوا عملا الا بالنية وهو سبب مقت لا سبب قرب وعلموا ان النية ليس هو قول القائل بقلبه نويت بل هو انبعاث القلب يجري مجرى الفتوح من الله تعالى فقد يتيسر في بعض الاوقات وقد يتعذر نعم من كان الغالب على قلبه امر الدين تيسر عليه في اكثر الاحوال احضار النية للخيرات فان قلبه مائل بالجملة الى اصل الخير فينبعث الى التفاصيل غالبا ومن مال قلبه الى الدنيا وغلبت عليه لم يتيسر له ذلك بل لا يتيسر له في الفرائض الا بجهد جهيد وغايته ان يتذكر النار ويحذر نفسه عقابها او نعيم الجنة ويرغب نفسه فيها فربما تنبعث له داعية ضعيفة فيكون ثوابه بقدر رغبته ونيته واما الطاعة على نية اجلال الله لاستحقاقه الطاعة والعبودية فلا تتيسر للراغب في الدنيا وهذه اعز النيات واعلاها ويعز من يفهمها فضلا عمن يتعاطاها **ونيات الناس** في الطاعات اقسام اذ منهم من يكون عمله اجابة لباعث الخوف فانه يتقي النار ومنهم من يعمل اجابة لباعث الرجاء وهو الرغبة في الجنة وهذا وان كان نازلا بالاضافة الى قصد طاعة الله وتعظيمه لذاته ولجلاله لا لامر سواه فهو من جملة النيات الصحيحة لانه ميل الى الموعود في الآخرة وان كان من جنس المألوفات في الدنيا واغلب البواعث باعث الفرج والبطن وموضع قضاء

الوطر منها فالعامل لاجل الجنة عامل لبطنه وفرجه كالاجير السوء ودرجته درجة البله وانه لينالها بعمله اذ اكثر اهل الجنة البله واما عبادة ذوي الالباب فلا تجاوز ذكر الله تعالى والفكر فيه حبا لجماله وجلاله وسائر الاعمال تكون مؤكدات وروادف وهو الارفع درجة من الالتفات الى المنكوح والمطعوم في الجنة فانهم لم يقصدوها بل هم الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه فقط وثواب الناس بقدر نياتهم فلا جرم يتنعمون بالنظر الى وجهه الكريم ويسخرون ممن يلتفت الى وجه الحور العين كما يسخر المتنعم بالنظر الى الحور العين ممن يتنعم بالنظر الى وجه الصور المصنوعة من الطين بل اشد فان التفاوت من جمال الحور العين والصور المصنوعة من الطين بل استعظام النفوس البهيمية الشهوانية لقضاء الوطر من مخالطة الحسان واعراضها عن جمال وجه الله الكريم يضاهي استعظام الخنفساء لصاحبتها والفها لها واعراضها عن النظر الى جمال وجوه النساء فعمى اكثر القلوب عن ابصار جمال الجلال لله وجلاله يضاهي عمى الخنفساء عن ادراك جمال النساء فانها لا تشعر به اصلا ولا تلتفت اليه ولو كان لها عقل وذكرتا لاستحسنت عقل من يلتفت اليهن فلا يزالون مختلفين كل حزب بما لديهم فرحون ولذلك خلقهم فقد رأى احمد بن خضرويه ربه في المنام فقال كل الناس يطلبون مني الجنة الا ابا يزيد فانه يطلبني ورأى ابو يزيد ربه في المنام فقال يا رب كيف الطريق اليك فقال اترك نفسك وتعال ورؤي الشبلي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال لم يطالبني على الدعاوي بالبرهان الا على قول واحد قلت يوما اي خسارة اعظم من خسران الجنة فقال اي خسارة اعظم من خسران لقائي والغرض ان هذه النيات متفاوتة الدرجات ومن غلب على قلبه واحد منها ربما لم يتيسر له العدول الى غيره ومعرفة هذه الحقائق تورث اعمالا وافعالا يستنكرها الظاهريون من الفقهاء فانا نقول من حضرت له نية في مباح ولم تحضر في فضيلة فالمباح اولى وانتقلت الفضيلة اليه وصارت الفضيلة في حقه نقيصة لان الاعمال بالنيات وذلك مثل العفو فانه افضل من الانتصار في الظلم وربما تحضره نية في الانتصار دون العفو فيكون ذلك افضل ومثل ان يكون له نية في الاكل والشرب والنوم ليريح نفسه ويتقوى على العبادة في المستقبل وليس تنبعث نية في الحال للصوم والصلاة فالنوم والاكل هو الافضل له بل لو مل العبادة لمواظبته عليها وسكن نشاطه وضعفت رغبته وعلم انه لو رفه نفسه ساعة باللهو وحديث عاد نشاطه فاللهو افضل له من الصلاة **قال** ابو الدرداء اني لاستجم نفسي باللهو فيكون ذلك عونا لها على الحق **وقال** علي رضي الله عنه روحوا القلوب فانها اذا اكرهت عميت وهذه دقائق لا يدركها سماسرة العلماء دون الحذاق منهم بل الحاذق بالطب قد يعالج المحرور باللحم مع حرارته ويستبعده القاصر في الطب وانما يبتغي به ان يعيد اولا قوته ليحتمل المعالجة بالضد والحاذق في الشطرنج قد ينزل عن الرخ والفرس مجانا ليتوصل به الى الغلبة والضعيف البصيرة قد يضحك به ويتعجب منه والخبير بالقتال قد يستعمل الهزيمة ويولي الخصم دبره ليستجره الى مضيق فيكر عليه وكذلك سلوك طريق الله تعالى كله قتال مع الشيطان ومعالجة للقلب والبصير الموفق يقف فيها على لطائف من الحيل يستبعدها الضعفاء فلا ينبغي للمريد ان يضمر انكارا على ما يراه من شيخه ولا للمتعلم ان يعترض على استاذه بل ينبغي ان يقف عند حد بصيرته وما لا يفهمه من احوالهما يسلمه لهما الى ان ينكشف له اسرارهما بان يبلغ رتبتهما وينال درجتهما ان شاء الله تعالى

الباب الثاني في الاخلاص وحقيقته ودرجاته

فضيلة الاخلاص

قال الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين **وقال** تعالى الا لله الدين الخالص **وقال** الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم

لله وقال فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا نزل فيمن يعمل لله ويحب
ان يحمد عليه وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث لا يغل عليهن قلب رجل مسلم اخلاص العمل لله الحديث وقال
صلى الله عليه وسلم وعن مصعب بن سعد قال ظن ابي ان له فضلا على من دونه من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما نصر الله هذه الامة بضعفائها ودعوتهم واخلاصهم وصلاتهم
وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى الاخلاص سر من سري استودعته قلب
من احببته من عبادي وقال علي رضي الله عنه لا تهتموا بقلة العمل واهتموا للقبول فان النبي صلى
الله عليه وسلم قال لمعاذ اخلص العمل يجزك منه القليل وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد يخلص
العمل لله اربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وقال صلى الله عليه وسلم ان اول
من يسال يوم القيمة ثلاثة رجل آتاه الله العلم فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت بل اردت
ان يقال فلان عالم الا فقد قيل ذلك ورجل آتاه الله مالا فيقول الله قد انعمت عليك فماذا صنعت
فيقول يا رب كنت اتصدق آناء الليل والنهار فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت بل اردت ان
يقال فلان جواد الا فقد قيل ذلك ورجل قتل في سبيل الله فيقول الله ماذا صنعت فيقول يا رب
امرت بالجهاد فقاتلت حتى قتلت فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت بل اردت
ان يقال فلان شجاع الا فقد قيل ذلك قال ابو هريرة ثم خط رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي
وقال يا ابا هريرة اولئك اول خلق تسعر بهم نار جهنم فدخل راوي الحديث على معاوية وروى له الحديث
فبكى حتى كادت نفسه تخرج ثم قال صدق الله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم
اعمالهم فيها الاية وفي الاسرائيليات ان عابدا كان يعبد الله عز وجل دهرا طويلا فجاءه قوم فقالوا ان ههنا
قوما يعبدون شجرة من دون الله فغضب لذلك فاخذ فاسه على عاتقه وقصد الشجرة ليقطعها
فاستقبله ابليس في صورة شيخ فقال اين تريد رحمك الله قال اريد ان اقطع هذه الشجرة قال وما انت
وذاك تركت عبادتك واشتغالك بنفسك وتفرغت لغير ذلك فقال ان هذا من عبادتي فقال اني لا اتركك
ان تقطعها فقاتله فاخذه العابد فطرحه على وجه الارض فقعد على صدره فقال له ابليس اطلقني حتى
اكلمك فقام عنه فقال له ابليس يا هذا ان الله تعالى قد اسقط عنك هذا ولم يفرضه عليك وما تعبدها انت
وما عليك من غيرك ولله تعالى انبياء في اقاليم الارض ولو شاء لبعثهم الى اهلها وامرهم بقطعها فقال العابد لا بد لي من
قطعها فنابذه للقتال فغلبه العابد وصرعه وقعد على صدره فعجز ابليس فقال له هل لك في امر فصل بيني وبينك
وهو خير لك وانفع قال وما هو قال اطلقني حتى اقوله لك فاطلقه فقال ابليس انت رجل فقير لا شي لك
انما انت كل على الناس يعولونك ولعلك تحب ان تتفضل على اخوانك وتواسي جيرانك وتشبع وتستغني
عن الناس قال نعم قال فارجع عن هذا الامر ولك علي ان اجعل عند راسك كل ليلة دينارين اذا اصبحت
اخذتهما فانفقت على نفسك وعيالك وتصدقت على اخوانك المؤمنين فيكون ذلك انفع لك وللمسلمين
من قطع هذه الشجرة التي يغرس مكانها ولا يضرهم قطعها شيئا ولا ينفع اخوانك المؤمنين قطعك اياها فتفكر العابد
فيما قال وقال صدق الشيخ لست بنبي فيلزمني قطع هذه الشجرة ولا امرني الله ان اقطعها فاكون عاصيا بتركها
وما ذكره اكثر منفعة فعاهده على الوفاء بذلك وحلف له فرجع العابد الى متعبده فبات فلما اصبح راى دينارين
عند راسه فاخذهما وكذلك الغد ثم اصبح اليوم الثالث وما بعده فلم ير شيئا فغضب واخذ فاسه على
عاتقه فاستقبله ابليس في صورة الشيخ فقال له الى اين قال اقطع تلك الشجرة فقال كذبت والله ما انت بقادر

على ذلك ولا سبيل لك اليها قال فتناوله العابد لياخذه كما فعل اول مرة فقال هيهات فاخذه
ابليس وصرعه فاذا هو كالعصفور بين رجليه وقعد ابليس على صدره وقال لتنتهين عن هذا الامر
او لاذبحنك فنظر العابد فاذا لا طاقة له به فقال يا هذا غلبتني فخل عني واخبرني كيف غلبتك اولا
وغلبتني الان فقال لانك غضبت اول مرة لله وكانت نيتك الاخرة فسخرني الله لك وهذه المرة غضبت
لنفسك وللدنيا فصرعتك وهذه الحكاية يصدقها قوله الا عبادك منهم المخلصين اذ لا يتخلص
العبد من الشيطان الا بالاخلاص ولذلك كان معروف الكرخي يضرب نفسه ويقول يا نفس اخلصي تتخلصي
وقال يعقوب المكفوف المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته وقال ابو سليمان طوبى
لمن صحت له خطوة واحدة لا يريد بها الا الله تعالى وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى ابي موسى
الاشعري من خلصت نيته كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس وكتب بعض الاولياء الى اخ له اخلص
العمل في اعمالك يكفك القليل من العمل وقال ايوب السختياني تخليص النيات على العمال اشد
عليهم من جميع الاعمال وكان مطرف يقول من صفا صفي له ومن خلط خلط عليه وروي عن بعضهم
قيل له كيف وجدت اعمالك فقال كل شي عملته لله عز وجل وجدته حتى حبة رمان التقطتها من
طريق وهرة ماتت لنا رايتها في كفة الحسنات وكان في قلنسوتي خيط من حرير فرايته في كفة السيئات
وكان نفق حمار لي قيمته مائة دينار فما رايت له ثوابا فقلت موت سنور في كفة الحسنات وموت حمار
ليس فيها فقيل له انه توجه حيث بعثته لما قيل لك قد نفق قلت في لعنة الله فبطل اجرك ولو قلت
في سبيل الله لوجدته في حسناتك وفي رواية وتصدقت بصدقة بين الناس فاعجبني نظرهم الي فوجدته
لا علي ولا لي قال سفيان لما سمع هذا ما احسن حاله اذ لم يكن عليه فقد احسن اليه وقال يحيى بن
معاذ الاخلاص يميز العمل من العيوب كتمييز اللبن من الفرث والدم وقيل كان رجل يخرج في زي النساء ويحضر
مواضع فيه عرس او مأتم فيه النسا فاتفق ان حضر يوما موضعا فيه مجتمع النسا فسرقت درة حتى بلغت النوبة
اليه والى المراة فدعا الله تعالى بالاخلاص وكانوا يفتشون واحدة واحدة حتى بلغت النوبة اليه والى المراة فدعا
الله بالاخلاص فقال ان نجوت من هذه الفضيحة لا اعود الى مثلها فوجدوا الدرة مع تلك المراة فصاحوا ان
اطلقوا الحرة فقد وجدنا الدرة وقال بعض الصوفية كنت نائما مع ابي عبيد التستري وهو يحرث
ارضه بعد العصر من يوم عرفة فمر به بعض اخوانه من الابدال فساره بشي فقال ابو عبيد لا فمر كالسحاب
يمسح الارض حتى غاب عن عيني فقلت لابي عبيد ما قال لك فقال سالني ان احج معه فقلت لا فقلت
فهلا فعلت قال ليس لي في الحج نية وقد نويت ان اتم هذه الارض العشية فاخاف ان حججت معه لاجله
تعرضت لمقت الله لاني ادخل في عمل الله تعالى شيئا غيره فيكون ما انا فيه اعظم عندي من
سبعين حجة وروي عن بعضهم قال غزوت في البحر فعرض بعضنا مخلاة فقلت اشتريها انتفع
بها في غزوي فاذا دخلت مدينة كذا بعتها فربحت فيها فاشتريتها فرايت تلك الليلة في المنام
كان شخصين نزلا من السما فقال احدهما لصاحبه اكتب الغزاة فاملى عليه خرج فلان متنزها وفلان
مرائيا وفلان تاجرا وفلان في سبيل الله ثم نظر الي فقال اكتب خرج فلان تاجرا فقلت الله الله في
امري ما خرجت اتجر وما معي تجارة اتجر فيها ما خرجت الا للغزو فقال له يا شيخ قد اشتريت امس مخلاة
تريد ان تربح فيها فبكيت وقلت لا تكتبوني تاجرا فنظر الى صاحبه وقال ما ترى قال اكتب خرج فلان
غازيا الا انه اشترى في طريقه مخلاة ليربح فيها حتى يحكم الله فيه بما يرى وقال سري السقطي لان تصلي

ركعتين في خلوة تخلصهما احب الي من ان اكتب سبعين حديثا او سبع مائة بعلو **وقال** بعضهم في
اخلاص ساعة نجاة الابد ولكن الاخلاص عزيز ويقال العلم بذر والعمل زرع وماؤه الاخلاص **وقال**
بعضهم اذا ابغض الله عبدا اعطاه ثلاثا ومنعه ثلاثا اعطاه صحبة الصالحين ومنعه القبول منهم
واعطاه الاعمال الصالحة ومنعه الاخلاص فيها واعطاه الحكمة ومنعه الصدق فيها **وقال** السوسي
مراد الله تعالى من عمل الخلق الاخلاص فقط **وقال** الجنيد ان لله عبادا عقلوا فلما عقلوا عملوا فلما عملوا اخلصوا
فاستدعاهم الاخلاص الى ابواب البر اجمع **وقال** محمد بن سعيد المروزي الامر كله يرجع الى اصلين فعل منه
بك وفعل منك له فترضى ما فعل وتخلص فيما تعمل فاذا انت قد سعدت بهذين وفزت في الدارين **بيان**
حقيقة الاخلاص اعلم ان كل شيء يتصور ان يشوبه غيره فاذا صفا عن شوبه وخلص عنه سمي خالصا
ويسمى الفعل المصفى المخلص اخلاصا **قال** الله تعالى من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين
فانما خلوص اللبن ان لا يكون فيه شوب من الدم والفرث ومن كل ما يمكن ان يمتزج به والاخلاص يضاده الاشراك
فمن ليس مخلصا فهو مشرك الا ان الشرك درجات فالاخلاص في التوحيد يضاده الاشراك في الالهية
والشرك منه خفي ومنه جلي وكذلك الاخلاص والاخلاص وضده يتواردان على القلب فمحله القلب
وانما يكون ذلك في القصود والنيات وقد ذكرنا حقيقة النية وانها ترجع الى اجابة البواعث فمهما
كان الباعث واحدا على التجرد سمي الفعل الصادر عنه اخلاصا بالاضافة الى المنوي فمن تصدق
وغرضه محض الرياء فهو مخلص ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الاخلاص بتجريد قصد التقرب الى
الله تعالى عن جميع الشوائب كما ان الالحاد عبارة عن الميل ولكن خصصته العادة بالميل عن الحق ومن
كان باعثه مجرد الرياء فهو معرض للهلاك ولسنا نتكلم فيه اذ ذكرنا ما يتعلق به في كتاب الرياء من ربع المهلكات
واقل امره ما ورد في الخبر من ان المرائي يدعى يوم القيامة باربعة اسامي يا مرائي يا مخادع يا مشرك يا كافر
وانما نتكلم الان فيمن انبعث لقصد التقرب ولكن امتزج بهذا الباعث باعث اخر اما من الرياء او من غيره
من حظوظ النفس ومثال ذلك ان يصوم لينتفع بالحمية الحاصلة بالصوم مع قصد التقرب الى الله تعالى
او يعتق عبدا ليتخلص من مؤنته وسوء خلقه او يحج ليصح مزاجه بحركة السفر او ليتخلص من شر يعرض
له في بلده او ليهرب من عدو له في منزله او يتبرم باهله او بشغل هو فيه فاراد ان يستريح عنه اياما
او يغزو ليمارس الحرب ويتعلم اسبابه ويقتدر به على تهيئة العساكر وجرها او يصلي بالليل وله غرض في
دفع النعاس عن نفسه ليراقب رحله واهله او يتعلم العلم ليسهل عليه طلب ما يكفيه من المال او ليكون
عزيزا بين العشيرة او ليكون عقاره وماله محروسة بعز العلم عن الاطماع او اشتغل بالدرس والوعظ
ليتخلص عن كرب الصمت ويتفرج بلذة الحديث او تكفل بخدمة العلماء او الصوفية لتكون حرمته وافرة
عندهم وعند الناس او لينال رفقا في الدنيا او كتب مصحفا ليجود بالمواظبة على الكتبة خطه او حج ماشيا
ليخفف عن نفسه الكراء او توضا ليتنظف او يتبرد او اغتسل ليطيب رائحته او روى الحديث ليعرف بعلو
الاسناد او اعتكف في المسجد ليخف عليه كراء المسكن او صام ليخفف على نفسه التردد في طبخ الطعام
او ليتفرغ لاشتغاله فلا يشغله الاكل عنها او تصدق على السائل ليقطع ابرامه في السؤال عن نفسه
او يعود مريضا او يشيع جنازة ليعاد او يشيع جنائز اهله او يفعل شيئا من ذلك ليعرف بالخير
ويذكر به وينظر اليه بعين الصلاح والوقار فمهما كان باعثه هو التقرب الى الله تعالى ولكن انضاف اليه
خطرة من هذه الخطرات حتى صار العمل اخف عليه بسبب هذه الامور فقد خرج عمله عن حد الاخلاص وخرج

عن ان يكون خالصا لوجه الله وتطرق اليه الشرك وقد قال الله تعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك وبالجملة
كل حظ من حظوظ الدنيا تستريح اليه النفس ويميل اليه القلب قل ام كثر اذا تطرق الى العمل تكدر به
صفوه وزال به اخلاصه والانسان مرتبط في حظوظه منغمس في شهواته قلما ينفك فعل من افعاله و
عبادة من عباداته عن حظوظ واغراض عاجلة من هذه الاجناس فلذلك قيل من سلم له في عمره خطرة
واحدة خالصة لوجه الله تعالى نجا وذلك لعزة الاخلاص وعسر تنقية القلب عن هذه الشوائب بل
الخالص هو الذي لا باعث عليه الا طلب القرب من الله تعالى وهذه الحظوظ ان كانت هي الباعثة وحدها
فلا يخفى شدة الامر على صاحبه فيها وانما نظرنا فيها اذا كان القصد الاصل هو التقرب الى الله
وانضافت هذه الامور اليه ثم هذه الشوائب اما ان تكون في رتبة الموافقة او في رتبة المشاركة
او في رتبة المعاونة كما سبق في النية وبالجملة فاما ان يكون الباعث النفسي مثل الباعث
الديني او اقوى منه او اضعف ولكل واحد حكم اخر كما سنذكره وانما الاخلاص تخليص العمل عن هذه
الشوائب كلها قليلها وكثيرها حتى يتجرد فيه قصد التقرب فلا يكون فيه باعث سواه وهذا لا
يتصور الا من محب لله مستهتر بالله مستغرق الهم بالاخرة بحيث لم يبق لحب الدنيا في قلبه قرار حتى لا يحب
الاكل والشرب ايضا بل تكون رغبته فيه كرغبته في قضاء الحاجة من حيث انه ضرورة الجبلة فلا يشتهي
الطعام لانه طعام بل لانه يقويه على عبادة الله تعالى ويتمنى لو كفي شر الجوع حتى لا يحتاج الى الاكل
فلا يبقى في قلبه حظ من الفضول الزائد على الضرورة ويكون قدر الضرورة مطلوبا عنده لانه ضرورة دينه
فلا يكون همه الا الله تعالى فمثل هذا الشخص لو اكل او شرب او قضى حاجته كان خالص العمل صحيح النية
في جميع حركاته وسكناته فلو نام مثلا ليريح نفسه ليتقوى على العبادة بعده كان نومه عبادة وكان
له درجة المخلصين ومن ليس كذلك فباب الاخلاص في الاعمال كالمسدود عليه الا على سبيل الندور
كما ان من غلب عليه حب الله تبارك وتعالى وحب الاخرة فاكتسبت حركاته الاعتيادية صفة همه
وصارت اخلاصا فالذي يغلب على قلبه حب الدنيا والعلو والرياسة وبالجملة حب غير الله عز وجل اكتسب
جميع حركاته تلك الصفة فلا تسلم له عباداته وصومه وصلاته الا نادرا فعلاج الاخلاص كسر حظوظ
النفس وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد للاخرة بحيث يغلب ذلك على القلب فان ذلك يسر الاخلاص وكم
من اعمال يتعب الانسان فيها ويظن انها خالصة لوجه الله عز وجل ويكون فيها مغرورا لانه لا يدري وجه
الافة فيه كما حكي عن بعضهم انه قال قضيت صلاة ثلاثين سنة كنت صليتها في المسجد في الصف
الاول لاني تاخرت يوما لعذر فصليت في الصف الثاني فاعترتني خجلة من الناس حيث راوني في
الصف الثاني فعرفت ان نظر الناس الي في الصف الاول كان مسرتي وسبب استراحة قلبي من حيث
لا اشعر وهذا دقيق غامض وقلما تسلم الاعمال عن امثاله وقل من يتنبه له والغافلون عنه يرون
حسناتهم في الاخرة كلها سيئات وهم المرادون بقوله عز وجل وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون
وبدا لهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون وقوله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين
اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا واشد الخلق تعرضا لهذه
الفتنة العلماء فان الباعث للاكثرين على نشر العلم لذة الاستيلاء والفرح بالاستتباع والاستبشار بالحمد
والثناء والشيطان يلبس عليهم ذلك ويقول غرضكم نشر دين الله عز وجل والنضال عن الشرع الذي شرعه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وترى الواعظ يمن على الله عز وجل بنصيحة الخلق ووعظه للسلاطين ويفرح بقبول

الناس قوله وانقيادهم عليه وهو يدعي انه يفرح بما يسر له من نصرة الدين ولو ظهر من اقرانه من هو احسن منه وانصرف
الناس عنه ساءه ذلك وغمه ولو كان باعثه الدين لشكر الله عز وجل اذ كفاه الله تعالى هذا المهم بغيره ثم الشيطان
مع ذلك لا يخليه ويقول انما غمك لانقطاع الثواب عنك لا لانصراف وجوه الناس عنك ولو اتعظوا
بقولك لكنت انت المثاب واغتمامك بفوت الثواب محمود ولا يدري المسكين ان انقياده للحق وتسليمه
الامر للافضل اجزل ثوابا واعود عليه في الآخرة من انفراده وليت شعري لو اغتم عمر رضي الله عنه بتصدي
ابي بكر للامامة اكان غمه محمودا او مذموما فلا يستريب ذو دين ان لو كان ذلك لكان مذموما لان انقياده للحق و
تسليم الامر الى من هو اصلح منه اعود عليه في الدين من تكفله بمصالح الخلق مع ما فيه من الثواب الجزيل بل فرح عمر
رضي الله عنه باستقلال من هو اولى منه بالامر فما بال العلماء لا يفرحون بذلك وقد ينخدع بعض اهل
العلم بغرور الشيطان فيحدث نفسه بانه لو ظهر من هو اولى منه لفرح به واخباره بذلك عن نفسه قبل
التجربة والامتحان محض الجهل والغرور فان النفس سهلة القياد في الوعد بامثال ذلك قبل نزول
الامر ثم اذا دهاه الامر تغير ورجع ولم يف بالوعد بامثال ذلك قبل نزول الامر ثم اذا دهاها الامر تغير
ورجع ولم يف بالوعد وذلك لا يعرفه الا من عرف مكايد النفس وطال اشتغاله بامتحانها فمعرفة حقيقة
الاخلاص والعمل به بحر عميق تغرق فيه الجميع الا الشاذ النادر والفرد الفذ وهو المستثنى في قوله تبارك
وتعالى الا عبادك منهم المخلصين فليكن العبد شديد التفقد والمراقبة لهذه الدقائق والا التحق
باتباع الشيطان وهو لا يشعر

بيان اقاويل الشيوخ في الاخلاص

ه قال السوسي الاخلاص فقد رؤية
الاخلاص لان من شاهد في اخلاصه الاخلاص فقد احتاج اخلاصه الى اخلاص وما ذكره اشارة الى تصفية
العمل عن العجب بالفعل فان الالتفات الى الاخلاص والنظر اليه عجب وهو من جملة الآفات والخالص ما صفا
عن جميع الآفات فهذا تعرض لآفة واحدة وقال سهل رحمه الله الاخلاص ان يكون سكون العبد وحركاته
لله عز وجل خاصة وهذه كلمة جامعة محيطة بالغرض وفي معناه قول ابرهيم ابن ادهم رضي الله عنه الاخلاص
صدق النية مع الله تعالى وقيل لسهل اي شيء اشد على النفس فقال الاخلاص اذ ليس لها فيه نصيب
وقال رويم الاخلاص في العمل هو الذي لا يريد به صاحبه عوضا في الدارين وهذه اشارة الى ان حظوظ النفس
آفة عاجلا وآجلا والعابد لاجل تنعم النفس بالشهوات في الجنة معلول بل الحقيقة ان لا يراد
بالعمل الا وجه الله تعالى وهو اشارة الى اخلاص الصديقين وهو الاخلاص المطلق فاما من يعمل برجاء الجنة
وخوف النار فهو مخلص بالاضافة الى الحظوظ العاجلة والا فهو طالب حظ البطن والفرج وانما
المطلوب الحق لذوي الالباب وجه الله عز وجل فقط وقول القائل لا يتحرك الانسان الا لحظ والبراءة من
الحظوظ صفة الالهية من ادعاه فهو كافر فقد قضى القاضي ابو بكر الباقلاني بتكفير من يدعي البراءة من الحظوظ
وقال هذا من صفات الالهية وما ذكره حق ولكن القوم انما ارادوا به البراءة عما يسميه الناس حظوظا وهو الشهوات
الموصوفة في الجنة فقط فاما التلذذ بمجرد المعرفة والمناجاة والنظر الى وجه الله تعالى فهذا حظ
هؤلاء وهذا لا يعده الناس حظا بل يتعجبون منه وهؤلاء لو عوضوا عما هم فيه من لذة الطاعة والمناجاة
وملازمة الشهود للحضرة الالهية سرا وجهرا جميع نعيم الجنة لاستحقروها ولم يلتفتوا اليها فحركتهم
لحظ وطاعتهم لحظ ولكن حظهم معبودهم فقط دون غيره وقال ابو عثمان الاخلاص نسيان رؤية الخلق
بدوام النظر الى الخالق وهذا اشارة الى آفة الرياء فقط ولذلك قال بعضهم الاخلاص ان لا يطلع عليه
شيطان فيفسده ولا ملك فيكتبه فانه اشارة الى مجرد الاخفاء وقد قيل الاخلاص ما استتر عن الخلائق

وصفا عن العلائق وهذا اجمع المقاصد وقال المحاسبي هو اخراج الخلق من معاملة الرب وهو اشارة
الى مجرد الرياء وكذلك قول الخواص من شرب من كاس الرياسة فقد خرج عن اخلاص العبودية وقال
الحواريون لعيسى عليه السلام ما الخالص من الاعمال قال الذي يعمل لله لا يحب ان يحمد عليه احد وهذا ايضا تعرض
الرياء وانما خصه بالذكر لانه اقوى الاسباب المشوشة للاخلاص وقال الجنيد الاخلاص تصفية الاعمال
من الكدورات وقال الفضيل ترك العمل من اجل الناس رياء والعمل من اجل الناس شرك والاخلاص ان يعافيك
الله تعالى عنهما وقيل الاخلاص دوام المراقبة ونسيان الحظوظ كلها وهذا هو البيان الكامل والاقاويل
في هذا اكثر من ان تحصى فلا فائدة في تكثير النقل بعد انكشاف الحقيقة وانما البيان الشافي بيان سيد
الاولين والآخرين اذ سئل عن الاخلاص ان تقول ربي الله ثم تستقيم كما امرت اي لا تعبد هواك ونفسك
ولا تعبد الا ربك وتستقيم في عبادته كما امرت وهذه اشارة الى قطع كل ما سوى الله عز وجل عن مجرى
النظر وهو الاخلاص حقا

بيان درجات الشوائب والآفات المكدرة للاخلاص

اعلم ان
الآفات المشوشة للاخلاص بعضها جلية وبعضها خفية وبعضها ضعيفة مع الجلاء وبعضها قوية مع
الخفاء ولا يفهم اختلاف درجاتها في الخفاء والجلاء الا بمثال واظهر مشوشات الاخلاص الرياء فلنذكر منه مثالا
فنقول الشيطان يدخل الآفة على المصلي مهما كان مخلصا في صلاته ثم نظر اليه جماعة او دخل عليه داخل
فيقول له حسن صلاتك حتى ينظر اليك هذا الحاضر بعين الوقار والصلاح ولا يزدريك ولا يغتابك فتخشع
جوارحه وتسكن اطرافه وتحسن صلاته فهذا هو الرياء الظاهر ولا يخفى ذلك على المبتدئين من المريدين

الدرجة الثانية ان يكون المريد قد فهم هذه الآفة واخذ منها حذره فصار لا يطيع الشيطان
فيه ولا يلتفت ويستمر في صلاته كما كان فيأتيه في معرض الخير ويقول انت متبوع ومقتدى بك ومنظور
اليك وما تفعله يؤثر عنك ويتأسى بك غيرك فيكون لك ثواب اعمالهم ان احسنت وعليك الوزر ان
اسأت فاحسن عملك بين يديه فعساه يقتدي بك في الخشوع وتحسين العبادة وهذا اغمض
من الاول وقد ينخدع به من لا ينخدع بالاول وهو ايضا عين الرياء ومبطل للاخلاص فانه ان كان يرى
الخشوع وحسن العبادة خيرا لا يرضى لغيره تركه فلم لم يرتضه لنفسه في الخلوة ولا يمكن ان تكون
نفس غيره اعز عليه من نفسه فهذا محض التلبيس بل المقتدى به هو الذي استقام في نفسه
واستنار قلبه فانتشر نوره الى غيره فيكون له ثواب عليه فاما هذا فمحض النفاق والتلبيس فمن
اقتدى به اثيب عليه واما هو فيطالب بتلبيسه ويعاقب على اظهاره من نفسه ما ليس متصفا به

الدرجة الثالثة وهي الطف مما قبلها ان يجرب العبد نفسه في ذلك ويتنبه لكيد
الشيطان ويعلم ان مخالفته بين الخلوة والمشاهدة للغير محض الرياء ويعلم ان الاخلاص في ان تكون
صلاته في الخلوة مثل صلاته في الملا ويستحيي من نفسه ومن ربه ان يتخشع لمشاهدة خلقه تخشعا
زائدا على عادته فيقبل على نفسه في الخلوة ويحسن صلاته على الوجه الذي يرتضيه في الملا ويصلي
في الملا ايضا كذلك فهذا ايضا من الرياء الغامض لانه حسن صلاته في الخلوة لتحسن في الملا فلا يكون
قد فرق بينهما بالتفاته في الخلوة والملا الى الخلق بل الاخلاص ان تكون مشاهدة الخلق واحد
فكان نفس هذا المسكين متبرم باساءة الصلاة بين اظهر الناس ثم يستحيي من نفسه ان يكون في صورة
المرائين ويظن ان ذلك يزول بان تستوي صلاته في الخلا والملا وهيهات بل زوال ذلك بان لا يلتفت
الى الخلق كما لا يلتفت الى الجمادات في الخلا والملا جميعا وهذا شخص مشغول الهم بالخلق في الخلا

والملائكة جميعاً وهي من المكايد الخفية للشيطان **الدرجة الرابعة** وهي ادق واخفى ان ينظر اليه
الناس وهو في صلاته فيعجز الشيطان عن ان يقول اخشع لاجلهم فانه قد عرف انه يفطن لذلك
فيقول له الشيطان تفكر في عظمة الله وجلاله ومن انت واقف بين يديه واستحي من ان ينظر الله الى
قلبك وهو غافل عنه فيحضر بذلك قلبه وتخشع جوارحه ويظن ان ذلك عين الاخلاص وهو عين المكر
والخداع فان خشوعه لو كان لنظره الى جلاله لكانت هذه الخطرة تلازمه في الخلوة ولكان لا يختص حضورها
بحالة حضور غيره وعلامة الامن من هذه الآفة ان يكون هذا الخاطر مما يألفه في الخلوة كما يألفه في الملأ ولا
يكون حضور الغير هو السبب في حضور الخاطر كما لا يكون حضور البهيمة سببا فما دام يفرق في احواله بين
مشاهدة الناس ومشاهدة بهيمة فهو بعد خارج عن صفو الاخلاص مدنس الباطن بالشرك الخفي من
الرياء وهذا الشرك اخفى في قلب ابن آدم من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء كما
ورد في الخبر ولا يسلم من الشيطان الا من دق نظره وسعد بعصمة الله تعالى وتوفيقه وهدايته والا فالشيطان
ملازم للمتشمرين لعبادة الله عز وجل لا يغفل عنهم لحظة حتى يحملهم على الرياء في كل حركة من الحركات حتى في كحل
العين وقص الشارب وطيب يوم الجمعة ولبس الثياب فان هذه سنن مخصوصة وللنفس فيها حظ خفي
لارتباط نظر الخلق بها ولاستئناس الطبع بها فيدعوا الشيطان الى فعل ذلك ويقول هذه سنة لا ينبغي
ان تتركها ويكون انبعاث القلب باطنا لها لاجل تلك الشهوات الخفية او مشوبة بها شوبا يخرج من
حد الاخلاص بسببه وما لا يسلم عن هذه الآفات كلها فليس بخالص بل من يعتكف في مسجد معمور نظيف حسن
العمارة يأنس الطبع به فالشيطان يرغبه فيه ويكثر عليه من فضائل الاعتكاف وقد يكون المحرك الخفي
في سره هو الانس بحسن صورة المسجد واستراحة الطبع اليه ويتبين ذلك في ميله الى احد المسجدين او احد
الموضعين اذا كان احسن من الآخر وكل ذلك امتزاج بشوائب الطبع وكدورات النفس ومبطل حقيقة الاخلاص
لعمري الغش الذي يمزج خالص الذهب له درجات متفاوتة منها ما يغلب ومنها ما يقل ولكن
يسهل دركه ومنها ما يدق بحيث لا يدركه الا الناقد البصير وغش القلب ودغل الشيطان وخبث
النفس اغمض من ذلك وادق كثيرا ولهذا قيل ركعتان من عالم افضل من عبادة سنة من جاهل واريد به
العالم البصير بدقائق آفات الاعمال حتى يخلص منها فان الجاهل نظره الى ظاهر العبادة واغتراره
بها كنظر السوادي الى حمرة الدينار المموه واستدارته وهو زائف في نفسه وقيراط من الخالص الذي يرتضيه
الناقد خير من دينار يرتضيه الغر الغبي فهكذا يتفاوت امر العبادات بل اشد واعظم ومداخل الآفات
المتطرقة الى فنون الاعمال لا يمكن حصرها واحصاؤها فلينتفع بما ذكرناه مثالا والفطن يغنيه القليل عن
الكثير والبليد لا يغنيه التطويل ايضا فلا فائدة في التفصيل **بيان حكم العمل المشوب واستحقاق
الثواب عليه** العمل اذا لم يكن خالصا لوجه الله تعالى بل امتزج به شوب من الرياء او حظوظ الدنيا و
النفس فقد اختلف في ان ذلك هل يقتضي ثوابا ام يقتضي عقابا ام لا يقتضي شيئا اصلا فيكون لا له ولا
عليه اما الذي لم يرد به الا الرياء فهو عليه قطعا وهو سبب المقت والعقاب واما الخالص لوجه الله تعالى
فهو سبب الثواب وانما النظر في المشوب وظاهر الاخبار تدل على انه لا ثواب له وليس تخلو الاخبار عن تعارض
فيه والذي ينقدح لنا فيه والعلم عند الله ان ينظر الى قدر قوة الباعث فان كان الباعث الديني
مساويا للباعث النفسي تقاوما وتساقطا وصار العمل لا له ولا عليه وان كان باعث الرياء اغلب واقوى
فهو ليس بنافع وهو مع ذلك مضر ومقتض للعقاب نعم العقاب الذي فيه اخف من عقاب العمل

الذي تجرد للرياء ولم يمتزج به شائبة التقرب وان كان قصد التقرب اغلب بالاضافة الى الباعث الآخر
فله ثواب بقدر ما فضل من قوة الباعث الديني وهذا لقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ولقوله تعالى
ان الله لا يظلم مثقال ذرة فلا ينبغي ان يضيع قصد الخير بل ان كان غالبا على قصد الرياء حبط منه بالقدر
الذي يساويه وبقيت زيادة وان كان مغلوبا سقط بسببه شيء من عقوبة القصد الفاسد وكشف
الغطاء عن هذا ان الاعمال تأثيرها في القلوب بتأكيد صفاتها فداعية الرياء من المهلكات وانما غذاء هذا
المهلك وقوته العمل على وفقه وداعية الخير من المنجيات وانما قوتها بالعمل على وفقها فاذا اجتمعت الصفتان
في القلب فهما متضادتان فاذا عمل على وفق مقتضى الرياء فقد قوى تلك الصفة واذا كان ذلك العمل
على وفق مقتضى التقرب الى الله فقد قوى ايضا تلك الصفة واذا كان ذلك العمل على وفق مقتضى التقرب
فقد قوى ايضا تلك الصفة واحدهما مهلك والآخر منج فان كان تقوية هذا بقدر تقوية الآخر فقد
تقاوما فكان كالمستضر بالحرارة اذا تناول ما يضره ثم تناول من المبردات ما يقاوم قدر قوته فيكون
بعد تناولهما كانه لم يتناولهما وان كان احدهما غالبا لم يخل الغالب عن اثر فكما لا يضيع مثقال ذرة من
الطعام والشراب والادوية عن اثر في الجسم في انارة القلب او تسويده في تقريبه من الله او ابعاده فاذا
جاء بما يقربه شبرا مع ما يبعده شبرا فقد عاد الى ما كان فلم يكن له ولا عليه وان كان الفعل مما يقربه
شبرين والآخر يبعده شبرا واحدا فضل له لا محالة شبر وقد قال صلى الله عليه وسلم اتبع الحسنة السيئة
تمحها فاذا كان الرياء المحض يمحوه الاخلاص المحض عقيبه فاذا اجتمعا جميعا فلا بد ان يتدافعا بالضرورة
ويشهد لهذا اجماع الامة على ان من خرج حاجا ومعه تجارة صح حجه واثيب عليه وقد امتزج به حظ من
حظوظ النفس نعم يمكن ان يقال انما يثاب على اعمال الحج عند انتهائه الى مكة وتجارته غير موقوفة عليه فهو خالص
وانما المشترك طول المسافة ولا ثواب فيه مهما قصد التجارة ولكن الصواب ان يقال مهما كان الحج هو المحرك الاصلي
وكان غرض التجارة كالمعين والتابع فلا ينفك نفس السفر عن ثواب وما عندي ان الغزاة لا يدركون
تفرقة بين غزو الكفار في جهة تكثر فيها الغنائم وبين جهة لا غنيمة فيها ويبعد ان يقال ادراك هذه
التفرقة يحبط بالكلية ثواب جهادهم بل العدل ان يقال اذا كان الباعث الاصلي والمزعج القوي هو اعلاء كلمة الله
وانما الرغبة في الغنيمة على سبيل التبعية فلا يحبط به الثواب نعم لا يساوي ثوابه ثواب من لا يلتفت
قلبه الى الغنيمة اصلا فان هذا الالتفات نقصان لا محالة **فان قلت** فالآيات والاخبار تدل على ان
شوب الرياء محبط للثواب وفي معناه شوب طلب الغنيمة والتجارة وسائر الحظوظ فقد روى طاوس وغيره
من التابعين ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن يصطنع المعروف او قال يتصدق ويحب ان
يحمد ويؤجر فلم يدر ما يقول له حتى نزل قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا الآية وقد قصد
الاجر والحمد جميعا **وروى** معاذ انه صلى الله عليه وسلم قال ادنى الرياء شرك **وقال** ابو هريرة قال النبي
صلى الله عليه وسلم يقال لمن اشرك في عمله خذ اجرك ممن عملت له **وعن** عبادة ان الله تعالى يقول انا اغنى الاغنياء
عن الشركة من عمل لي عملا فاشرك معي غيري ودعت نصيبي لشريكي **وروى** ابو موسى ان اعرابيا اتاه فقال يا رسول
الله صلى الله عليه وسلم الرجل يقاتل حمية والرجل يقاتل شجاعة والرجل يقاتل ليرى مكانه في سبيل
الله فقال صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله **وقال** عمر تقولون
فلان شهيد ولعله ان يكون قد ملأ دفتي راحلته ورقا **وقال** ابن مسعود قال صلى الله عليه وسلم من هاجر
يبتغي شيئا من الدنيا فهو له **فنقول** هذه الاحاديث لا تناقض ما ذكرناه بل المراد بها من لم يرد به الا الدنيا

لقول من هاجر يبتغي شيئا من الدنيا وكان ذلك هو الاغلب على همه وقد ذكرنا ان ذلك عصيان وعدوان لا لان
طلب الدنيا حرام ولكن طلبها باعمال الدين حرام لما فيه من الريا وتغيير العبادة عن وضعها فاما القدر الراكد
حيث وجد فتطلبه التساوي وقد بيناه اذا تساوى القصدان تقاوما لم يكن له ولا عليه فلا ينبغي ان
يرجى عليه ثواب ثم الانسان عند الشركة ايضا ابدا في خطر فانه لا يدري اي الامرين اغلب على قصده
فربما يكون عليه وبالا ولذلك قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا اي لا يرجوا اللقا مع
الشركة التي احسن احوالها التساقط ويجوز ان يقال ايضا منصب الشهادة لا ينال الا بالاخلاص في الغزو و
بعيد ان يقال من كانت داعيته الدينية بحيث تزعجه الى مجرد الغزو وان لم يكن غنيمة وقدر على غزو
طائفتين من الكفار احديهما اغنيا والاخرى فقرا فمال الى جهة الاغنيا لاعلا كلمة الله تعالى وللغنيمة
انه لا ثواب له على غزوه البتة ونعوذ بالله ان يكون الامر كذلك فان هذا حرج في الدين ومدخل الياس على المسلمين
لان امثال هذه الشوائب التابعة قط لا ينفك الانسان عنها الا على الندور فيكون تاثير هذه في نقصان
الثواب فاما ان يكون مفوتا له فلا نعم للانسان فيه خطر عظيم لانه ربما يظن ان الباعث الاقوى هو
قصد التقرب ويكون الاغلب على سره الحظ النفسي وذلك مما يخفى غاية الخفا فلا يحصل الاجر الا بالاخلاص
والاخلاص قل ما يستيقنه العبد من نفسه وان بالغ في الاحتياط فلذلك ينبغي ان يكون ابدا بعد كمال
الاجتهاد مترددا بين الرد والقبول خائفا ان يكون في عبادته آفة يكون وبالها اكثر من ثوابها وهكذا كان
الخائفون من ذوي البصائر وهكذا ينبغي ان يكون كل ذي بصيرة ولذلك قال سفيان لا اعتد بما ظهر
من عملي وقال عبد العزيز بن ابي رواد جاورت هذا البيت ستين سنة وحججت ستين حجة فما
دخلت في شيء من اعمال الله الا وحاسبت نفسي فوجدت نصيب الشيطان اوفى من نصيب الله ليته
لا لي ولا علي ومع هذا فلا ينبغي ان يترك العمل عند خوف الآفة والريا فان ذلك منتهى بغية الشيطان
منه اذ المقصود ان لا يفوت الاخلاص ومهما ترك العمل فقد ضيع العمل والاخلاص جميعا وقد حكي ان
بعض الفقرا كان يخدم ابا سعيد الخراز ويخف في اعماله فتكلم ابو سعيد يوما في الاخلاص في الحركات فاخذ
الفقير يتفقد قلبه عند كل حركة ويطالب نفسه بالاخلاص فتعذر عليه قضا الحوائج واستضر الشيخ به
فساله عن ذلك فاخبره بمطالبته نفسه بحقيقة الاخلاص وانه يعجز عنها في اكثر اعماله فيتركها فقال
ابو سعيد لا تفعل ان الاخلاص لا يقطع المعاملة فواظب على العمل واجتهد في تحصيل الاخلاص فما قلت لك
اترك العمل انما قلت اخلص العمل وقال الفضيل ترك العمل بسبب الخلق ريا وفعله لاجل الخلق شرك

الباب الثالث في الصدق وحقيقته وفضيلته

فضيلة الصدق قال الله تعالى رجال
صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الصدق يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة
وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وان الكذب يهدي الى الفجور والفجور يهدي الى النار
وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا ويكفي في فضيلة الصدق ان الصديق مشتق منه والله تعالى
وصف به الانبيا في معرض المدح والثنا فقال تعالى واذكر في الكتاب ابرهيم انه كان صديقا نبيا وقال
ابن عباس رضي الله عنهما اربع من كن فيه فقد ربح الصدق والحيا وحسن الخلق والشكر وقال بشر
بن الحارث من عامل الله تعالى بالصدق استوحش من الناس وقال ابو عبد الله الرملي رايت منصور الدينوري
في المنام فقلت له ما فعل الله بك قال غفر لي ورحمني واعطاني ما لم امل فقلت له احسن ما توجه العبد به الى الله
ماذا قال الصدق واقبح ما توجه به الكذب وقال ابو سليمان اجعل الصدق مطيتك والحق سيفك والله
تعالى غاية طلبتك وقال رجل لحكيم ما رايت صادقا فقال لو كنت صادقا لرايت الصادقين وقال محمد
علي الكتاني وجدنا دين الله تعالى مبنيا على ثلاثة اركان على الحق والصدق والعدل فالحق على
الجوارح والعدل على القلب والصدق على العقل وقال الثوري في قوله تعالى ويوم القيمة ترى الذين كذبوا
على الله وجوههم مسودة قال هم الذين ادعوا محبة الله ولم يكونوا بها صادقين واوحى الله تعالى الى
داود عليه السلام يا داود من صدقني في سريرته صدقته عند المخلوقين في علانيته وصاح رجل في
مجلس الشبلي ورمى بنفسه في الدجلة فقال الشبلي ان كان صادقا فالله ينجيه كما نجى موسى عليه السلام وان
كان كاذبا فالله يغرقه كما اغرق فرعون وقال بعضهم اجمع الفقها والعلما على ثلاث خصال انها اذا
صحت ففيها النجاة ولا يتم بعضها الا ببعض الاسلام الخالص عن البدعة والهوى والصدق لله تعالى في
الاعمال وطيب المطعم وقال وهب بن منبه وجدت على حاشية التورية اثنين وعشرين حرفا
كان صلحا بني اسرائيل يجتمعون فيقرؤنها لا كنز انفع من العلم ولا مال اربح من الحلم ولا حسب اوضع من الغضب
ولا قرين ازين من العمل ولا رفيق اشين من الجهل ولا عمل افضل من الفكر ولا حسنة اعلى من الصبر ولا سيئة
اخزى من الكبر ولا دوا الين من الرفق ولا دا اوجع من الخرق ولا رسول اعدل من الحق ولا دليل انصح من
الصدق ولا فقر اذل من الطمع ولا غنى اشقى من الجمع ولا حياة اطيب من الصحة ولا معيشة اهنا من
العفة ولا عبادة احسن من الخشوع ولا زهد خير من القنوع ولا حارس احفظ من الصمت ولا غائب اقرب
من الموت وقال محمد بن سعيد المروزي اذا طلبت الله بالصدق اتاك الله تعالى مرآة بيدك حتى
تبصر كل شيء من عجائب الدنيا والآخرة وقال ابو بكر الوراق احفظ الصدق فيما بينك وبين الله والرفق فيما
بينك وبين خلق الله وقيل لذي النون المصري هل للعبد الى صلاح امره سبيل فقال **شعر**

قد بقينا مذبذبين حيارى ه نطلب الصدق ما اليه سبيل ه فدعاوى الهوى تخف علينا ه وخلاف الهوى علينا ثقيل

وقيل لسفيان ما اصل هذا الامر الذي نحن فيه فقال الصدق فيما بينك وبين الله عز وجل والسخا والشجاعة
فقيل نعدنا فقال التقى والحيا وطيب الغدا وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الكمال فقال
قول الحق والعمل بالصدق وعن الجنيد في قوله تعالى ليسال الصادقين عن صدقهم قال يسال الصادقين عند انفسهم عن
صدقهم عند ربهم وهذا امر على خطر

بيان حقيقة الصدق ومعناه ومراتبه

اعلم ان لفظ
الصدق يستعمل في ستة معان صدق في القول وصدق في النية والارادة وصدق في العزم وصدق
في الوفا بالعزم وصدق في العمل وصدق في تحقيق مقامات الدين كلها فمن اتصف بالصدق في جميع ذلك
فهو صديق لانه مبالغة من الصدق ثم هم ايضا على درجات فمن كان له حظ من الصدق في شيء من الجملة فهو
صادق بالاضافة الى ما فيه صدقه الصدق الاول صدق اللسان وذلك لا يكون الا في الاخبار او فيما يتضمن
الاخبار وينبه عليه والخبر اما ان يتعلق بالماضي او بالمستقبل وفيه يدخل الوفا بالوعد والخلف فيه وحق
على كل عبد ان يحفظ الفاظه فلا يتكلم الا بالصدق وهذا اشهر انواع الصدق واظهرها فمن حفظ لسانه
عن الاخبار عن الاشيا على خلاف ما هي عليه فهو صادق ولكن لهذا الصدق كمالان احدهما الاحتراز عن
المعاريض فقد قيل في المعاريض مندوحة عن الكذب وذلك لانها تقوم مقام الكذب اذ المحذور من
الكذب تفهيم الشيء على خلاف ما هو عليه في نفسه الا ان ذلك مما تمس اليه الحاجة وتقتضيه المصلحة في
بعض الاحوال وفي تاديب الصبيان والنسوان ومن يجري مجراهم وفي الحذر من الظلمة وفي قتال الاعدا والاحتراز
عن اطلاعهم على اسرار الملك فمن اضطر الى شيء من ذلك فصدقه ان يكون نطقه فيه لله تعالى فيما

يأمر الحق به فهو صادق وان كان كلامه مفهما غير ما هو عليه لان الصدق ما اريد لذاته بل للدلالة على
الحق والدعاء اليه فلا ينظر الى صورته بل الى معناه نعم في مثل هذا الموضع ينبغي ان يعدل الى المعاريض ما وجد
اليه سبيلا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا توجه الى سفر ورى بغيره وذلك كي لا ينتهي الخبر الى الاعداء فيقصد
وليس هذا من الكذب في شيء **قال** رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بكذاب من اصلح بين اثنين ومن
كانت له زوجتان ومن كان في مصالح الحرب فالصدق ههنا يتحول الى النية فلا يراعى فيه الا صدق النية
وارادة الخير فمهما صح قصده وصدقت نيته وتجردت للخير ارادته كان صادقا وصديقا كيفما كان لفظه
ثم التعريض فيه اولى وطريقه ما حكي عن بعضهم انه كان يطلبه بعض الظلمة وهو في داره فقال لزوجته خطي
باصبعك دائرة وضعي الاصبع عليها وقولي ليس هو ههنا واحترز بذلك من الكذب ودفع الظالم عن نفسه فكان
قوله صدقا وافهم الظالم انه ليس في الدار فالكمال الاول في اللفظ ان يحترز عن صريح اللفظ وعن المعاريض ايضا الا عند
الضرورة والكمال الثاني ان يراعي معنى الصدق في الفاظه التي يناجي بها ربه عز وجل كقوله وجهت وجهي
للذي فطر السموات والارض فان قلبه ان كان منصرفا عن الله عز وجل مشغولا بامانى الدنيا وشهواتها فهو كاذب
وكقوله اياك نعبد واياك نستعين وكقوله انا عبد الله فانه ان لم يتصف بحقيقة العبودية وكان له مطلب
سوى الله تعالى لم يكن كلامه صدقا ولو طولب يوم القيامة بالصدق في قوله انا عبد الله لعجز عن تحقيقه فانه
ان كان عبدا لنفسه او عبدا للدنيا او عبدا لشهواته لم يكن صادقا في قوله انا عبد الله وكل ما تقيد العبد به
فهو عبد له كما قال عيسى عليه السلام يا عبيد الدنيا وقال النبي صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد
الحلة وعبد الخميصة سمى كل من تقيد قلبه بشيء عبدا له فانما العبد الحق لله تعالى من اعتق اولا عن غير الله
تعالى قلبه فصار حرا مطلقا فاذا تقدمت هذه الحرية صار القلب فارغا فحلت فيه العبودية لله تعالى
فتشغله بالله تعالى وبمحبته وتقيد ظاهره وباطنه بطاعته فلا يكون له مراد الا الله تعالى ثم قد يتجاوز هذا
الى مقام اسنى منه يسمى الحرية وهو ان يعتق ايضا عن ارادته لله تعالى من حيث هو بل يقنع بما يريد الله
من تقريب او ابعاد فتفنى ارادته في ارادة الله تعالى فهذا عبد عتق عن غير الله فصار حرا ثم عاد وعتق عن نفسه
فصار حرا مفقودا لنفسه موجودا لسيده ومولاه ان حركه تحرك وان سكنه سكن وان ابتلاه رضي لم يبق له متسع
لطلب والتماس واعتراض بل هو بين يدي الله تعالى كالميت بين يدي الغاسل وهذا منتهى الصدق
في العبودية فالعبد الحق هو الذي وجوده لمولاه لا لنفسه وهذه درجات الصديقين واما الحرية عن غير
الله تعالى فمن درجات الصادقين وبعدها تتحقق العبودية لله تعالى فهذا هو معنى الصدق في القول **الصدق
الثاني في النية** والارادة ويرجع ذلك الى الاخلاص وهو ان لا يكون له باعث في الحركات والسكنات
الا الله تعالى فان مازجه شوب من حظوظ النفس بطل صدق النية وصاحبه يجوز ان يسمى كاذبا كما روي
في فضيلة الاخلاص من حديث الثلاثة حين يسأل العالم ما ذا عملت فيما علمت فقال فعلت كذا وكذا فقال
الله تعالى كذبت اردت ان يقال فلان عالم فانه لم يكذبه بانه قال لم تعمل ولكن كذبه في ارادته ونيته
وقد قال بعضهم الصدق صحة التوحيد في القصد وكذلك قوله تعالى والله يشهد ان المنافقين
لكاذبون وقد قالوا انك لرسول الله وهذا صدق ولكن كذبهم لا من حيث نطق اللسان بل من حيث ضمير القلب وكان
التكذيب يتطرق الى الخبر وهذا القول يتضمن اخبارا بقرينة الحال اذ صاحبه يظهر من نفسه انه يعتقد ما
يقوله فكذب في دلالته بقرينة الحال على قلبه فانه كذب في ذلك وان لم يكذب فيما يلفظ به فيرجع احد
معاني الصدق الى خلوص النية وهو الاخلاص فكل صادق فلا بد من ان يكون مخلصا **الصدق الثالث**

صدق العزم فان الانسان قد يقدم العزم على العمل فيقول في نفسه ان رزقني الله تعالى مالا تصدقت
بجميعه او بشطره او لقيت عدوا في سبيل الله قاتلت ولم ابال وان قتلت وان اعطاني الله ولاية عدلت
فيها ولم اعص الله تعالى بظلم وميل الى الخلق فهذه العزيمة قد يصادفها من نفسه وهي عزيمة جازمة
صادقة وقد يكون في عزمه نوع ميل وتردد وضعف يضاد الصدق في العزيمة وكان الصدق ههنا عبارة
عن التمام والقوة كما يقال لفلان شهوة كاذبة مهما لم تكن شهوته عن سبب ثابت قوي او كانت ضعيفة
فقد يطلق الصدق ويراد به هذا المعنى فالصادق هو الذي تصادف عزيمته في الخيرات كلها قوة تامة
ليس فيها ميل ولا ضعف ولا تردد بل تسخو نفسه ابدا بالعزم المصمم الجازم على الخيرات وهو كما قال
عمر لان اقدم فتضرب عنقي احب الي من ان اتأمر على قوم فيهم ابو بكر فانه قد وجد من
نفسه العزم الجازم والمحبة الصادقة بانه لا يتأمر مع وجود ابي بكر واكد ذلك بما ذكره من القتل ومراتب
الصديقين في العزائم تختلف فقد يصادف العزم ولا ينتهي به الى ان يرضى بالقتل فيه ولكن اذا خلي
ورأيه لم يقدم ولو ذكر له حديث القتل لم ينقض عزمه بل في الصادقين والمؤمنين من لو خير بين
ان يقتل هو او ابو بكر كانت حياته احب اليه من حياة ابي بكر رضي الله عنه **الصدق الرابع في
الوفاء بالعزم** فان النفس قد تسخو بالعزم في الحال اذ لا مشقة في الوعد والعزم والمؤنة فيه
خفيفة فاذا حقت الحقائق وحصل التمكن وهاجت الشهوات انحلت العزيمة وغلبت الشهوات ولم يتفق
الوفاء بالعزم وهذا يضاد الصدق فيه ولذلك قال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فقد
وعن انس ان عمه انس بن النضر لم يشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق ذلك على قلبه وقال
اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه اما والله لئن اراني الله مشهدا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما اصنع فشهد احدا في العام القابل فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا ابا عمرو
الى اين فقال واها لريح الجنة اني اجدها دون احد فقاتل حتى قتل فوجد في جسده بضع وثمانون
من رمية وضربة وطعنة فقالت اخته بنت النضر ما عرفت اخي الا ببنانه فنزلت هذه الآية رجال
صدقوا ما عاهدوا الله عليه ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مصعب بن عمير وقد سقط على
وجهه يوم احد شهيدا وكان صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر **وقال** فضالة بن عبيد
سمعت عمر بن الخطاب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الشهداء اربعة رجل مؤمن جيد الايمان
لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك الذي يرفع الناس اليه اعينهم يوم القيامة هكذا ورفع رأسه
حتى وقعت قلنسوته **قال** الراوي فلا ادري قلنسوة عمر اراد ام قلنسوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورجل مؤمن جيد الايمان اذا لقي العدو فكأنما يضرب وجهه بشوك الطلح اتاه سهم غرب فقتله فهو
في الدرجة الثانية ورجل مؤمن خلط عملا صالحا وآخر سيئا لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك
في الدرجة الثالثة ورجل مؤمن اسرف على نفسه لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة
الرابعة **وقال** مجاهد رجلان خرجا على ملأ من الناس قعود فقالا ان رزقنا الله تعالى مالا
لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم الله بخلوا به فنزلت ومنهم من عاهد الله لئن آتانا
من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين الآية **وقال** بعضهم انما هو شيء نووه في انفسهم
لم يتكلموا به **وقال** ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين

فلما اتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون الى قوله بما كانوا يكذبون فجعل العزم عهدا وجعل الخلف فيه
كذبا والوفا به صدقا وهذا الصدق اشد من الصدق الثالث فان النفس قد تسخوا بالعزم ثم تكع عند
الوفا لشدته عليها ولهيجان الشهوات عند التمكن وحصول الاسباب ولذلك استثنى عمر فقال
لان اقدم فتضرب عنقي احب الي من ان اتامر على قوم فيهم ابو بكر اللهم الا ان تسول لي نفسي عند القتل
شيا لا اجده الان لاني لا امن ان يثقل عليها ذلك فتتغير عن عزمها اشارة بذلك الى شدة الوفا بالعزم
وق ابو سعيد الخراز رايت في المنام كان ملكين نزلا من السما فقالا لي ما الصدق قلت الوفا بالعهد
فقالا لي صدقت وعرجا الى السما **الصدق الخامس** في الاعمال وهو ان يجتهد حتى لا تدل اعماله
الظاهرة على امر في باطنه لا يتصف هو به لا بان يترك الاعمال ولكن بان يستجر الباطن الى تصديق الظاهر وهذا
يخالف ما ذكرناه من ترك الريا لان المرائي هو الذي يقصد ذلك ورب واقف على هيئة الخشوع
في صلاته ليس يقصد به مشاهدة غيره ولكن قلبه غافل عن الصلاة فمن ينظر اليه يراه قائما بين يدي
الله تعالى وهو بالباطن قايم بالسوق بين يدي شهوة من شهواته فهذه اعمال تعرب بلسان الحال عن
الباطن اعرابا هو فيه كاذب وهو مطالب بالصدق في الاعمال وكذلك قد يمشي الرجل على هيئة السكون
والوقار وليس باطنه موصوفا بذلك الوقار فهذا غير صادق في عمله وان لم يكن ملتفتا الى الخلق ولا مرائيا
اياهم ولا ينجي من هذا الا باستوا السريرة والعلانية بان يكون باطنه مثل ظاهره ومن خيفة ذلك اختار
بعضهم تشويش الظاهر ولبس ثياب الاشرار لكيلا يظن به الخير بسبب ظاهره فيكون كاذبا في دلالة
الظاهر على الباطن فاذا المخالفة الظاهر للباطن ان كان عن قصد سمي ريا ويفوت به الاخلاص وان كان
عن غير قصد فيفوت به الصدق ولذلك ق صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل سريرتي خيرا من علانيتي
واجعل علانيتي صالحة ق يزيد بن الحرث اذا استوت سريرة العبد وعلانيته فذلك النصف
وان كانت سريرته افضل من علانيته فذلك الفضل وان كانت علانيته افضل من سريرته فذلك الجور
وانشدوا **شعر** اذا السر والاعلان في المؤمن استوى   فقد عز في الدارين واستوجب الثنا
فان خالف الاعلان سرا فما له   على سعيه اجر سوى الكد والعنا   كما خالص الدينار في السوق نافق   ومغشوشه
المردود لا يقتضي الثنا وق عطية بن عبد الغافر اذا وافقت سريرة المؤمن علانيته باهى الله تعالى
به ملائكته يقول هذا عبدي حقا وق معاوية بن قرة من يدلني على بكا بالليل بسام بالنهار
وق عبد الواحد كان الحسن اذا امر بشي كان من اعمل الناس به واذا نهى عن شي كان من اترك الناس
له ولم ار احدا اشبه سريرة بعلانية منه وكان ابو عبد الرحمن الزاهد يقول الهي عاملت الناس
فيما بيني وبينهم بالامانة وعاملتك فيما بيني وبينك بالخيانة ويبكي وق ابو يعقوب
النهرجوري الصدق موافقة الحق في السر والعلانية فاذا مساواة السريرة للعلانية احد انواع الصدق
الصدق السادس وهو اعلى الدرجات واعزها الصدق في مقامات الدين كالصدق
في الخوف والرجا والتعظيم والزهد والرضا والحب والتوكل وسائر هذه الامور فان هذه الامور لها
مبادي ينطلق فيها الاسم بظهورها ثم لها غايات وحقائق والصادق المحقق من نال حقيقتها
فاذا غلب الشي وتمت حقيقته سمي صاحبها صادقا فيها كما يقال فلان صدق القتال ويقال هذا
هو الخوف الصادق وهذه هي الشهوة الصادقة وق تعالى انما المؤمنون الذين امنوا بالله
ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون وق

تعالى ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر الى قوله اولئك الذين صدقوا وسئل ابو ذر عن الايمان فقرا هذه
الاية فقيل له سالناك عن الايمان فقال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقرا هذه الاية ولنضرب
للخوف مثلا فما من عبد يؤمن بالله واليوم الاخر الا وهو خائف من الله تعالى خوفا ينطلق عليه الاسم ولكنه
خوف غير صادق اي غير بالغ درجة الحقيقة اما تراه اذا خاف سلطانا او قاطع طريق في سفره كيف يصفر
لونه وترتعد فرائصه ويتنغص عليه عيشه ويتعذر عليه اكله ونومه وينقسم عليه فكره حتى لا
ينتفع به اهله وولده وقد ينزعج عن الوطن فيستبدل بالانس الوحشة وبالراحة التعب والمشقة
والتعرض للاخطار كل ذلك خوفا من درك المحذور ثم انه يخاف النار ولا يظهر عليه شي من ذلك عند جريان
معصية عليه ولذلك ق صلى الله عليه وسلم لم ار مثل النار نام هاربها ولم ار مثل الجنة نام طالبها
فالتحقيق في هذه الامور عزيز جدا ولا غاية لهذه المقامات حتى ينال تمامها ولكن لكل عبد منه
حظ بحسب حاله اما ضعيف واما قوي فاذا قوي سمي صادقا فيه فمعرفة الله تعالى وتعظيمه والخوف
منه لا نهاية له ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لجبريل احب ان اراك في صورتك التي هي صورتك فقال
لا تطيق ذلك قال بلى ارني فواعده بالبقيع في ليلة مقمرة فاتاه فنظر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا
هو به قد سد الافق يعني جوانب السما فوقع النبي صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فافاق وقد
عاد جبريل عليه السلام لصورته الاولى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما ظننت ان احدا من خلق الله
هكذا قال وكيف لو رايت اسرافيل ان العرش لعلى كاهله وان رجليه قد مرقتا تخوم الارضين السفلى
وانه ليتصاغر من العظمة لله تعالى حتى يصير كالوصع يعني كالعصفور الصغير فانظر ما
الذي يغشاه من العظمة والهيبة حتى يرجع الى ذلك الحد وسائر الملائكة ليسوا كذلك لتفاوتهم
في المعرفة فهذا هو الصدق في التعظيم وق جابر ق صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسري
بي وجبريل بالملا الاعلى كالحلس البالي من خشية الله تعالى يعني الكسا الذي يلقى على ظهر البعير
وكذلك الصحابة كانوا خائفين وما بلغوا خوف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك ق
ابن عمر ما يبلغ المؤمن حقيقة الايمان حتى ينظر الى الناس كلهم حمقى في دين الله تعالى وق
مطرف ما من الناس احد الا وهو احمق فيما بينه وبين الله تعالى الا ان بعض الحمق اهون من بعض وق
صلى الله عليه وسلم لا يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى ينظر الى الناس كالاباعر في جنب الله تعالى ثم يرجع
الى نفسه فيجدها احقر حاقر فالصادق اذا في جميع هذه المقامات عزيز ثم درجات الصدق
لا نهاية لها وقد يكون العبد صدق في بعض الامور دون بعض فان كان صادقا في الجميع فهو الصادق
حقا ق سعد بن معاذ ثلاثة انا فيهن قوي وفيما سواهن ضعيف ما صليت صلاة قط منذ
اسلمت فحدثت نفسي فيها حتى افرغ منها ولا تبعت جنازة فحدثت نفسي بغير ما هي قائلة وما
يقول لها حتى يفرغ من دفنها وما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قولا الا علمت انه حق فقال
ابن المسيب ما ظننت ان هذه الخصال تجتمع الا في النبي صلى الله عليه وسلم فهذا صدق في هذه
الامور وكم من جلة الصحابة قد ادوا الصلاة واتبعوا الجنائز ولم يبلغوا هذا المبلغ فهذه هي
درجات الصدق ومعانيه والكلمات المأثورة عن المشايخ في حقيقة الصدق في الاغلب لا تتعرض
الا لاحاد هذه المعاني نعم قد قال ابو بكر الوراق الصدق ثلاث صدق التوحيد وصدق
الطاعة وصدق المعرفة فصدق التوحيد لعامة المؤمنين ق الله تعالى والذين امنوا بالله

ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء الآية فصدق الطاعة لأهل العلم والورع وصدق المعرفة لأهل الولاية الذين هم أوتاد الأرض وكل هذا يدور على ما ذكرناه في الصدق السادس ولكن ذكر أقسام ما فيه الصدق وهو أيضا غير محيط بجميع الأقسام وقال جعفر الصادق رضي الله عنه الصدق هو المجاهدة وأن لا تختار على الله غيره كما لم يختر عليك غيره قال تعالى هو اجتباكم وقيل أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام إني إذا أحببت عبدا ابتليته ببلايا لا تقوم لها الجبال لأنظر كيف صدقه فإن وجدته صابرا اتخذته وليا وحبيبا وإن وجدته جزوعا يشكوني إلى خلقي خذلته ولا أبالي فإذا من علامات الصدق كتمان المصائب والطاعات جميعا وكراهة اطلاع الخلق عليه والله سبحانه وتعالى أعلم وهو حسبنا ونعم الوكيل تم كتاب النية والإخلاص بحمد الله وعونه وحسن توفيقه والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب المحاسبة والمراقبة من كتاب إحياء علوم الدين للغزالي رضي الله عنه وأرضاه

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت الرقيب على كل جارحة بما اجترحت المطلع على ضمائر القلوب إذا هجست الحسيب على خواطر عباده إذا اختلجت الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات والأرض تحركت أو سكنت المحاسب على النقير والقطمير والقليل والكثير من الأعمال وإن خفيت المتفضل بقبول طاعات العباد وإن صغرت المتطول بالعفو عن معاصيهم وإن كثرت وإنما يحاسبهم لتعلم كل نفس ما أحضرت وتنظر فيما قدمت وأخرت فتعلم أنه لولا لزومها المراقبة والمحاسبة في الدنيا لشقيت في صعيد القيامة وهلكت وبعد المجاهدة والمحاسبة والمراقبة فلولا فضل الله تعالى بقبول بضاعتها المزجاة لخابت وخسرت فسبحان من عمت نعمته كافة العباد وشملت واستغرقت رحمته الخلائق في الدنيا والآخرة وغمرت فبنفحات فضله انشرحت القلوب للإيمان وانشرحت وبيمن توفيقه تقيدت الجوارح بالعبادات وتأدبت وبحسن هدايته انجلت عن القلوب ظلمات الجهل وانقشعت وبتأييده ونصرته انقطعت مكايد الشيطان واندفعت وبلطف عنايته ترجح كفة الحسنات إذا ثقلت وبتيسيره تيسر من الطاعات ما تيسرت فمنه العطاء والجزاء والإبعاد والإدناء والإسعاد والإشقاء وكل ذلك قسمة عدل لا يتخللها الشك ولا ستر دون كشف الغطاء والصلاة على محمد سيد الأنبياء وعلى آله سادات الأصفياء وعلى أصحابه قادة الأتقياء وسلم كثيرا. أما بعد فقد قال الله تبارك وتعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا الآية وقال تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه الآية وقال تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه وقال تعالى يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم إلى آخر السورة وقال تعالى ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون وقال تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الآية وقال تعالى واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه فعرف أرباب البصائر من جملة العباد أن الله تعالى لهم بالمرصاد وأنهم سيناقشون في الحساب ويطالبون بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات وتحققوا أنهم لا ينجيهم من هذه الأخطار إلا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة ومطالبة النفس في الأنفاس والحركات ومحاسبتها في الخطرات واللحظات فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب خف في القيامة حسابه وحضر عند السؤال جوابه وحسن منقلبه ومآبه وإن لم يحاسب نفسه دامت حسراته وطالت في عرصات القيامة وقفاته وقادته إلى الخزي والمقت سيئاته فلما انكشف لهم ذلك علموا أنه لا ينجيهم منه إلا طاعة الله تبارك وتعالى وقد أمرهم بالصبر والمرابطة فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون فرابطوا أنفسهم أولا بالمشارطة ثم بالمراقبة ثم بالمحاسبة ثم بالمعاقبة ثم بالمجاهدة ثم بالمعاتبة فكانت لهم في المرابطة ست مقامات ولا بد من شرحها وبيان حقيقتها وفضيلتها وتفصيل الأعمال فيها وأصلها المحاسبة ولكن كل حساب فبعد مشارطة ومراقبة ويتبعه عند الخسران معاتبة ومعاقبة فلنذكر شرح هذه المقامات

المقام الأول من المرابطة المشارطة

اعلم أن مطلب المتعاملين في التجارات المشتركين في البضائع عند المحاسبة سلامة الربح وكما أن التاجر يستعين بشريكه فيسلم إليه المال حتى يتجر فيه ثم يحاسبه فكذلك العقل هو التاجر في طريق الآخرة وإنما مطلبه وربحه تزكية النفس إذ بذلك فلاحها قال الله تعالى قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها وإنما فلاحها بالأعمال الصالحة والعقل يستعين بالنفس في هذه التجارة إذ يستعملها ويستسخرها فيما يزكيها كما يستعين التاجر بشريكه وغلامه الذي يتجر في ماله وكما أن الشريك يصير خصما منازعا يجاذبه في الربح فيحتاج إلى أن يشارطه أولا ويراقبه ثانيا ويحاسبه ثالثا ويعاتبه رابعا أو يعاقبه رابعا فكذلك العقل يحتاج إلى مشارطة النفس أولا فيوظف عليها الوظائف ويشرط عليها الشروط ويرشدها إلى طريق الفلاح ويجزم عليها الأمر بسلوك تلك الطرق ثم لا يغفل عن مراقبتها لحظة فإنه لو أهملها لم ير منها إلا الخيانة وتضييع رأس المال كالعبد الخائن إذا خلا له الجو انفرد بالمال ثم بعد الفراغ ينبغي أن يحاسبها ويطالبها بالوفاء بما شرط عليها فإن هذه تجارة ربحها الفردوس الأعلى وبلوغ سدرة المنتهى مع الأنبياء والشهداء فتدقيق الحساب في هذا مع النفس أهم كثيرا من تدقيقه في أرباح الدنيا مع أنها محتقرة بالإضافة إلى نعيم العقبى ثم كيف ما كانت فمصيرها إلى التصرم والانقطاع ولا خير في خير لا يدوم بل شر لا يدوم خير من خير لا يدوم لأن الشر الذي لا يدوم إذا انقطع بقي الفرح بانقطاعه دائما وقد انقضى الشر والخير الذي لا يدوم يبقى الأسف على انقطاعه دائما وقد انقضى الخير ولذلك قيل شعر

أشد الغم عندي في سرور … تيقن عنه صاحبه انتقالا

فحتم على كل ذي حزم آمن بالله واليوم الآخر أن لا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها في حركاتها وسكناتها وخطراتها وخطواتها ولحظاتها فإن كل نفس من أنفاس العمر جوهرة نفيسة لا عوض لها يمكن أن يشترى بها كنز من الكنوز لا يتناهى نعيمه أبد الآباد فانقضاء هذه الأنفاس ضائعة أو صرفها إلى ما يجلب الهلاك خسران عظيم هائل لا تسمح به نفس عاقل فإذا أصبح العبد وفرغ من فريضة الصبح ينبغي أن يفرغ قلبه ساعة لمشارطة النفس كما أن التاجر عند تسليم البضاعة إلى الشريك العامل يفرغ المجلس لمشارطته فيقول للنفس ما لي بضاعة إلا العمر ومهما فني فقد فني رأس المال ووقع اليأس عن التجارة وطلب الربح وهذا اليوم الجديد قد أمهلني الله تعالى فيه وأنسأ في أجلي فيه وأنعم علي به ولو توفاني لكنت أتمنى أن يرجعني إلى الدنيا يوما واحدا حتى أعمل فيه صالحا فاحسبي أنك قد توفيت ثم رددت فإياك ثم إياك أن تضيعي هذا اليوم واعلمي أن اليوم والليلة أربع وعشرون ساعة وقد ورد في الخبر

ان يخرج للعبد كل يوم وليلة اربع وعشرون خزانة مصففة فيفتح له خزانة فيراها مملوءة نورا من حسناته
التي عملها في تلك الساعة فيناله من الفرح والسرور والاستبشار بمشاهدة تلك الانوار التي هي وسيلة
عند الملك الجبار ما لو وزع على اهل النار لادهشهم ذلك الفرح عن الاحساس بالم النار ويفتح له خزانة
اخرى سوداء مظلمة يفوح نتنها ويغشاه ظلامها وهي الساعة التي عصى الله فيها فيناله من الهول
والفزع ما لو قسم على اهل الجنة لتنغص عليهم نعيمها ويفتح له خزانة اخرى فارغة ليس فيها ما يسره ولا
ما يسوؤه وهي الساعة التي نام فيها او غفل او اشتغل بشيء من مباحات الدنيا فيتحسر على خلوها ويناله من
غبن ذلك ما ينال القادر على الربح الكثير والملك الكبير اذا اهمله وتساهل فيه حتى فاته وناهيك به
حسرة وغبنا وهكذا تعرض عليه خزائن اوقاته طول عمره فيقول لنفسه اجتهدي اليوم ان تعمري خزانتك
ولا تدعيها فارغة عن كنوزك التي هي اسباب ملكك ولا تميلي الى الكسل والدعة والاستراحة فيفوتك
من درجات عليين ما يدركه غيرك وتبقى عندك حسرة لا تفارقك وان دخلت الجنة فالم الغبن وحسرته لا يطاق
وان كان دون الم النار **وقال** بعضهم هب ان المسيء قد عفي عنه اليس قد فاته ثواب المحسنين اشار
به الى الغبن والحسرة وقد **قال** تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن فهذه وصيته لنفسه في
اوقاته ثم ليستانف لها وصية في اعضائه السبعة العين والاذن واللسان والبطن والفرج واليد و
الرجل ويسلمها اليها فانها رعايا خادمة لها في التجارة وبها تتم اعمال هذه التجارة فان لجهنم سبعة ابواب
لكل باب منهم جزء مقسوم وانما تتعين تلك الابواب لمن عصى الله تعالى بهذه الاعضاء فيوصيها بحفظها
عن معاصيها **اما العين** فيحفظها عن النظر الى عورة مسلم او وجه من ليس بمحرم او النظر بعين احتقار
بل عن كل فضول مستغنى عنه فان الله تعالى يسال عبده يوم القيامة عن فضول النظر كما يساله عن فضول
الكلام ثم اذا صرفها عن هذا لم تقنع به حتى يشغلها بما فيه تجارتها وربحها وهو الذي خلقت له من النظر
الى عجائب صنع الله تعالى بعين الاعتبار والنظر الى اعمال الخير للاقتداء ومن النظر في كتاب الله وسنة
رسوله ومطالعة كتب الحكمة للاتعاظ والاستفادة وهكذا ينبغي ان يفصل عليها الامر في عضو عضو
لا سيما اللسان والبطن **واما اللسان** فانه منطلق بالطبع ولا مؤونة عليه في الحركة وجنايته عظيمة بالغيبة
والنميمة والكذب وتزكية النفس ومذمة الخلق والاطعمة واللعن والدعاء على الاعداء والمماراة في الكلام وغير
ذلك مما ذكرناه في افات اللسان فهي بصدد ذلك كله مع انها خلقت للذكر والتذكير وتكرار العلم والتعليم
وارشاد عباد الله تعالى الى طريق الله تعالى واصلاح ذات البين وسائر خيراتها فليشترط على نفسه ان لا يحرك
اللسان طول النهار الا في الذكر فمنطق المؤمن ذكر ونظره عبرة وصمته فكرة وما يلفظ من قول الا لديه رقيب
عتيد **واما البطن** فيكلفه ترك الشره وتقليل الاكل من الحلال واجتناب الشبهات ويقتصر على
قدر الضرورة ويشترط عليها انها ان خالفت شيئا من ذلك عاقبها بالمنع من شهواتها ليفوتها اكثر مما
نالته بشهواتها وهكذا يشترط عليها في جميع الاعضاء واستقصاء ذلك يطول ولا تخفى معاصي الاعضاء
وطاعاتها ثم يستانف وصيتها في وظائف الطاعات التي تتكرر عليها في اليوم والليلة ثم في النوافل التي
يقدر عليها ويقدر على الاستكثار منها ويرتب لها تفصيلها وكيفيتها وكيفية الاستعداد لها باسبابها وهذه
شروط يفتقر اليها في كل يوم ولكن اذا تعود الانسان شرط ذلك على نفسه اياما وطاوعته نفسه في الوفا
بجميعها استغنى عن المشارطة فيها فان اطاعت في بعضها بقيت الحاجة في تجديد المشارطة فيها
كان الطاعة في بعضها بقيت الحاجة في تجديد المشارطة فيما بقي ولكن لا تخلو كل يوم عن مهم جديد

وواقعة حادثة لها حكم وحق عليه فيها ويكثر هذا على من يشتغل بشيء من اعمال الدنيا من ولاية او تجارة
او تدريس اذ قلما يخلو يوم عن واقعة جديدة يحتاج الى ان يقضي حق الله فيها فعليه ان يشترط
على نفسه الاستقامة فيها والانقياد للحق في مجاريها ويحذرها مغبة الاهمال ويعظها كما يوعظ العبد
المتمرد الآبق فان النفس بالطبع متمردة عن الطاعات مستعصية عن العبودية ولكن الوعظ والتاديب
يؤثر فيها وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين فهذا وما يجري مجراه هو اول مقام المرابطة مع النفس وهي
محاسبة قبل العمل والمحاسبة تارة تكون بعد العمل وتارة قبله للتحذير **قال** الله تعالى واعلموا ان
الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه وهذا للمستقبل وكل نظر في كثرة ومقدار لمعرفة زيادة ونقصان فانه
يسمى محاسبة فالنظر فيما بين يدي العبد في نهاره ليعرف زيادته من نقصانه من المحاسبة وقد **قال**
تعالى واذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا **وقال** يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا **وقال**
ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ذكر ذلك للتحذير وتنبيها للاحتراز منه في المستقبل
وروى عبادة بن الصامت ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل ساله ان يوصيه ويعظه اذا اردت
امرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان غيا فانته عنه **وقال** بعض الحكماء اذا اردت ان يكون
العقل غالبا على الهوى فلا تعمل بقضاء الشهوة حتى تنظر العاقبة فان مكث الندامة في القلب اكثر من
مكث لذة الشهوة **وقال** لقمان ان المؤمن اذا ابصر العاقبة امن الندامة **وروى** شداد بن اوس
عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها
وتمنى على الله دان نفسه اي حاسب نفسه ويوم الدين هو يوم الحساب وقوله انا لمدينون اي لمحاسبون
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا وتهيؤوا
للعرض الاكبر وكتب الى ابي موسى الاشعري حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة **وقال**
عمر لكعب كيف تجدها في كتاب الله تعالى قال ويل لديان الارض من ديان السماء فعلاه بالدرة وقال
الا من حاسب نفسه فقال كعب والله يا امير المؤمنين انها الى جنبها في التوراة ما
بينهما حرف الا من حاسب نفسه وهذا كله اشارة الى المحاسبة للمستقبل اذ قال من دان نفسه وعمل
لما بعد الموت ومعناه وزن الامور اولا وقدرها ونظر فيها وتدبرها ثم اقدم عليها فباشرها **المرابطة**
الثانية المراقبة فاذا اوصى الانسان نفسه وشرط عليها ما ذكرناه فلا يبقى الا المراقبة لها عند
الخوض في الاعمال وملاحظتها بالعين الكالئة فانها ان تركت طغت وفسدت ولنذكر فضيلة المراقبة
ودرجاتها اما الفضيلة فقد سال جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم عن الاحسان فقال ان
تعبد الله كانك تراه وقال ايضا اعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك **وقال** تعالى افمن
هو قائم على كل نفس بما كسبت **وقال** تعالى الم يعلم بان الله يرى **وقال** ان الله كان عليكم رقيبا **وقال** والذين
هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون **وقال** ابن المبارك لرجل راقب الله تعالى
فساله عن تفسيره فقال كن ابدا كانك ترى الله عز وجل **وقال** عبد الله ابن زيد اذا كان سيدي رقيبا
علي فما ابالي بغيره **وقال** ابو عثمان المغربي افضل ما يلزم الانسان نفسه في هذه الطريقة المحاسبة و
المراقبة وسياسة عمله بالعلم **وقال** عطا افضل الطاعات مراقبة الحق على الدوام في الاوقات
وقال الجريري امرنا هذا مبني على اصلين ان تلزم نفسك المراقبة لله تعالى ويكون العلم على ظاهرك
قائما **وقال** ابو عثمان قال لي ابو حفص اذا جلست للناس فكن واعظا لنفسك وقلبك ولا يغرنك اجتماعهم عليك

عليك فانهم راقبوا ظاهرك والله رقيب على باطنك وحكي انه كان لبعض مشايخ هذه الطائفة تلميذ شاب
وكان يكرمه فقال له بعض اصحابه كيف تكرم هذا وهو شاب ونحن شيوخ فدعا بعدة طيور وناول كل واحد منهم
طائرا وسكينا وقال ليذبح كل واحد منكم طائره في موضع لا يراه احد ودفع الى الشاب مثل ذلك وقال له يجب
حيث لا يراك احد فرجع كل واحد بطائره مذبوحا ورجع الشاب والطائر حي بيده فقال ما لك لم تذبح
وقد ذبح اصحابك فقال لم اجد موضعا لا يراني فيه احد اذ الله مطلع علي في كل مكان فاستحسنوا مراقبته
وقالوا حق لك ان تكرم **وحكي** ان زليخا لما خلت بيوسف عليه السلام قامت فغطت وجه صنمها فقال
يوسف ما لك اتستحيين من مراقبة جماد ولا استحي من مراقبة الملك الجبار **وحكي** عن بعض الاحداث انه
راود جارية عن نفسها فقالت الا تستحي فقال ممن استحي وما يرانا الا الكواكب فقالت واين مكوكبها
وقال رجل للجنيد بم استعين على غض البصر فقال بعلمك ان نظر الناظر اليك اسبق من نظرك الى المنظور
اليه وقال الجنيد انما يتحقق بالمراقبة من يخاف على فوت حظه من ربه عز وجل **وعن** مالك بن دينار قال
جنات عدن من جنات الفردوس وفيها حور خلقن من ورد الجنة قيل له ومن يسكنها قال يقول الله عز وجل انما
يسكن جنات عدن الذين اذا هموا بالمعاصي ذكروا عظمتي فراقبوني والذين انثنت اصلابهم من خشيتي وعزتي
وجلالي اني لاهم بعذاب اهل الارض فاذا نظرت الى اهل الجوع والعطش من مخافتي صرفت عنهم العذاب **و**
سئل المحاسبي عن المراقبة فقال اولها علم القلب بقرب الرب تعالى **وقال** المرتعش المراقبة مراعاة السر لملاحظة
الغيب مع كل لحظة ولفظة **ويروى** ان الله تعالى قال لملائكته انتم موكلون بالظاهر وانا رقيب على الباطن
وقال محمد بن علي الترمذي اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره اليك واجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمه عنك
واجعل طاعتك لمن لا تستغني عنه واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه **وقال** سهل لم يتزين
القلب بشيء افضل ولا اشرف من علم العبد بان الله تعالى شاهده في كل مكان حيث كان **وسئل** بعضهم عن
قوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه فقال معناه ذلك لمن راقب ربه عز وجل وحاسب نفسه
وتزود لمعاده وسئل ذو النون بم ينال العبد الجنة فقال بخمس استقامة ليس فيها روغان واجتهاد ليس معه
سهو ومراقبة الله تعالى في السر والعلانية وانتظار الموت بالتاهب ومحاسبة نفسك قبل ان تحاسب **وقيل**
اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل * خلوت ولكن قل علي رقيب * ولا تحسبن الله يغفل ساعة * ولا ان ما يخفى عليك يغيب
الم تر ان اليوم اسرع ذاهب * وان غدا للناظرين قريب * **وقال** حميد الطويل لسليمان بن علي عظني فقال لئن كنت اذا عصيت
الله خاليا ظننت انه يراك لقد اجترأت على امر عظيم ولئن كنت تظن انه لا يراك فلقد كفرت **وقال** سفيان الثوري
عليك بالمراقبة ممن لا تخفى عليه خافية وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء وعليك بالحذر ممن يملك العقوبة **وقال**
فرقد السبخي ان المنافق ينظر فاذا لم ير احدا دخل مدخل السوء وانما يراقب الناس ولا يراقب الله **وقال** عبد الله
ابن دينار خرجت مع عمر بن الخطاب الى مكة فعرسنا ببعض الطريق فانحدر علينا راع من الجبل فقال له يا راعي بعنا شاة من
الغنم فقال اني مملوك فقال قل لسيدك اكلها الذئب قال فاين الله فبكى عمر ثم غدا الى المملوك فاشتراه
من مولاه واعتقه وقال اعتقتك في الدنيا هذه الكلمة وارجو ان تعتقك في الاخرة

بيان حقيقة المراقبة ودرجاتها

اعلم ان حقيقة المراقبة هي ملاحظة الرقيب وانصراف الهم اليه فمن احترز من امر من الامور بسبب
غيره يقال انه يراقب فلانا ويراعي جانبه ونعني بهذه المراقبة حالة للقلب يثمرها نوع من المعرفة وتثمر تلك
الحالة اعمالا في الجوارح وفي القلب اما الحالة فهي مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به والتفاته اليه و
ملاحظته اياه وانصرافه اليه واما المعرفة التي تثمر هذه الحالة فهو العلم بان الله تعالى مطلع على الضمائر
عالم بالسرائر رقيب على اعمال العباد وان سر القلب في حقه مكشوف كما ان ظاهر البشرة للخلق مكشوف بل اشد من ذلك فهذه المعرفة اذا صارت
يقينا اعني خلت عن الشكوك ثم استولت بعد ذلك على القلب وقهرته فرب علم لا شك فيه لا يغلب على
القلب كالعلم بالموت فاذا استولت على القلب استجرت القلب الى مراعاة جانب الرقيب وصرفت همه اليه و
الموقنون بهذه المعرفة هم المقربون وينقسمون الى الصديقين والى اصحاب اليمين فمراقبتهم على درجتين

الدرجة الاولى مراقبة المقربين من الصديقين وهي مراقبة التعظيم والاجلال وهو ان يصير
القلب مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال ومنكسرا تحت الهيبة فلا يبقى فيه متسع للالتفات الى الغير اصلا
وهذه مراقبة لا نطول النظر في تفصيل اعمالها فانها مقصورة على القلب اما الجوارح فانها تتعطل عن التلفت
الى المباحات فضلا عن المحظورات واذا تحركت بالطاعات كانت كالمستعمل بها فلا تحتاج الى تدبير وتثبت
في حفظها على سنن السداد بل يسدد الرعية من ملك كليته الراعي والقلب هو الراعي واذا صار مستغرقا بالمعبود
صارت الجوارح مستعملة جارية على السداد والاستقامة من غير تكلف وهذا هو الذي صار همه هما واحدا
كفاه الله تعالى سائر الهموم ومن نال هذه الدرجة فقد يغفل عن الخلق حتى لا يبصر من يحضر عنده وهو فاتح عينيه
ولا يسمع ما يقال له مع انه لا صمم به وقد يمر على ابنه مثلا فلا يكلمه حتى كان بعضهم يجري عليه ذلك فقال
لمن عاتبه اذا مررت بي فحركني ولا تستبعد هذا فانك تجد نظير هذا في القلوب المعظمة لملوك الارض
حتى ان خدم الملوك قد لا يحسون بما يجري عليهم في مجالس الملوك لشدة استغراقهم بهم بل قد يشتغل القلب
بمهم حقير من مهمات الدنيا فيغوص الرجل في الفكر فيه ويمشي فربما يتجاوز الموضع الذي قصده وينسى الشغل
الذي نهض له وقد قيل لعبد الواحد بن زيد هل تعرف في زمانك هذا رجلا قد اشتغل بحاله عن الخلق فقال
ما اعرفه الا رجلا سيدخل عليكم الساعة فما كان الا سريعا حتى دخل عتبة الغلام فقال عبد الواحد بن زيد من
اين جئت يا عتبة قال من موضع كذا وكذا وكان طريقه على السوق فقال من لقيت في الطريق قال ما رأيت احدا
ويروى عن يحيى بن زكريا انه مر بامراة فدفعها فسقطت على وجهها فقيل له لم فعلت هذا قال ما ظننتها الا جدارا
وحكي عن بعضهم انه قال مررت بجماعة يترامون وواحد جالس بعيدا منهم فتقدمت اليه فاردت ان
اكلمه فقال ذكر الله تعالى اشهى فقلت انت وحدك فقال معي ربي وملكاي فقلت اين الطريق فاشار نحو السماء فقلت
من سبق من هؤلاء فقال من غفر الله له فقلت اين الطريق فاشار نحو السماء وقام ومشى وقال اكثر خلقك شاغل عنك
فهذا كلام مستغرق بمشاهدة الله تعالى لا يتكلم الا منه ولا يسمع الا منه فهذا لا يحتاج الى مراقبة لسانه وجوارحه
فانها لا تتحرك الا بما هو فيه ودخل الشبلي على ابي الحسين النوري وهو معتكف فوجده ساكنا حسن الاجتماع لا يتحرك
من ظاهره شيء فقال له ممن اخذت هذه المراقبة والسكون فقال من سنور كانت لنا اذا ارادت ان تصيد كانت
راس الجحر لا تتحرك لها شعرة **وقال** ابو عبد الله بن خفيف خرجت من مصر اريد الرملة للقاء ابي علي الروذباري
فقال لي عيسى بن يونس المصري المعروف بالزاهد ان في صور شابا وكهلا قد اجتمعا على حال المراقبة فلو نظرت اليهما
نظرة لعلك تستفيد منهما فدخلت صور وانا جائع عطشان وفي وسطي خرقة وليس على كتفي شيء فدخلت
المسجد فاذا شخصان قاعدان مستقبلي القبلة فسلمت عليهما فما اجاباني فسلمت ثانية وثالثة فلم اسمع الجواب
فقلت نشدتكما بالله الا رددتما علي السلام فرفع الشاب راسه من مرقعته ونظر الي وقال يا ابن خفيف الدنيا
قليل وما بقي من القليل الا القليل فخذ من القليل الكثير يا ابن خفيف ما اقل شغلك حتى تتفرغ الى لقائنا
عليّ شيء نظر الي وطاطا راسه فبقيت عندهما حتى صلينا الظهر والعصر فذهب جوعي وعطشي وعنائي
فلما كان وقت العصر قلت عظني فرفع راسه الي وقال يا ابن خفيف نحن اصحاب المصائب ليس لنا لسان العظة

ثلاثة ايام لا آكل ولا اشرب ولا انام ولا انبههما كلاما ولا تأثما فلما كان في اليوم الثالث قلت في نفسي
احلفهما ان يعظاني لعلي انتفع بعظتهما فرفع الشاب راسه فقال يا ابن خفيف عليك بصحبة من
يذكرك الله رؤيته وتقع هيبته في قلبك يعظك بلسان فعله ولا يعظك بلسان قوله والسلام قم
عنا فهذه درجة المراقبين الذين غلب على قلوبهم الاجلال والتعظيم فلم يبق فيهم متسع لغير ذلك
الدرجة الثانية مراقبة الورعين من اصحاب اليمين وهم قوم غلب يقين اطلاع الله
تعالى عليهم على ظاهرهم وباطنهم وعلى قلوبهم ولكن لم تدهشهم ملاحظة الجلال بل بقيت قلوبهم
على حد الاعتدال متسعة للتلفت الى الاحوال والاعمال الا انها مع ممارسة الاعمال لا تخلو عن
المراقبة نعم غلب عليهم الحياء من الله تعالى فلا يقدمون ولا يحجمون الا بعد التثبت فيه ويمتنعون
عن كل ما يفتضحون به يوم القيامة فانهم يرون الله تعالى مطلعا عليهم في الدنيا فلا يحتاجون
الى انتظار القيامة وتعرف اختلاف الدرجتين بالمشاهدات فانك في خلوتك قد تتعاطى اعمالا
فيحضرك صبي او امراة فتستحيي منه فتحسن جلوسك وتراعي احوالك لا عن اجلال وتعظيم بل
عن حياء فان مشاهدته وان كانت لا تدهشك ولا تستغرقك فانه يهيج الحياء وقد يدخل
عليك ملك من الملوك او كبير من الاكابر فيستغرقك التعظيم حتى تترك كل ما انت فيه شغلا به
لا حياء منه فهكذا تختلف مراتب العباد في مراقبة الله تعالى ومن كان في هذه الدرجة فيحتاج الى ان
يراقب جميع حركاته وسكناته ولحظاته وخطراته وبالجملة جميع اختياراته وله فيها نظران
نظر قبل العمل ونظر في العمل اما قبل العمل فلينظر الى همه وحركته خاطره اهو لله تعالى
خاصة او هو في هوى النفس ومتابعة الشيطان فليتوقف فيه وليتثبت حتى ينكشف له ذلك بنور
الحق فان كان لله امضاه وان كان لغير الله استحيى من الله وانكف عنه ثم لام نفسه على رغبتها فيه
وميلها اليه وعرفها سوء فعلها وسعيها في فضيحتها وانها عدوة نفسها ان لم يتداركها الله تعالى
بعصمته وهذا التوقف في بداية الامور الى حد البيان واجب محتوم ولا محيص لاحد عنه ففي
الخبر ينشر للعبد في كل حركة من حركاته وان صغرت ثلاثة دواوين الديوان الاول لم والثاني كيف
والثالث لمن ومعنى لم اي لم فعلت هذا اكان عليك ان تفعله لمولاك او ملت اليه بشهوتك وهواك
فان سلم منه بان كان عليه ان يعمل ذلك لمولاه سئل عن الديوان الثاني فقيل كيف فعلت فان لله تعالى في
كل عمل شرطا وحكما لا يدرك قدره ووقته وصفته الا بعلم فيقال كيف فعلت ابعلم محقق او بجهل وظن
فان سلم من هذا نشر الديوان الثالث وهو المطالبة بالاخلاص فيقال لمن عملت الوجه الله تعالى خالصا
وفاء بقول لا اله الا الله فيكون اجرك على الله او رايت مثلك فخذ اجرك منه ام عملت لتنال عاجل دنياك
فقد وفيناك نصيبك من الدنيا ام عملت لسهو وغفلة فقد سقط اجرك وحبط عملك وخاب سعيك و
ان عملت لغيري فقد استوجبت مقتي وعقابي اذ كنت عبدي تأكل رزقي وتترفه بنعمتي ثم تعمل
لغيري اما سمعتني اقول ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون
لكم رزقا الآية ويحك اما سمعتني اقول الا لله الدين الخالص فاذا عرف العبد انه بصدد هذه المطالبات و
التوبيخات طالب نفسه قبل ان يطالب واعد للسؤال جوابا فلا يبتدي ولا يعيد الا بعد التثبت ولا
يحرك جفنا ولا انملة الا بعد التأمل قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ ان الرجل ليسأل عن كحل عينيه
وعن فتات الطين باصبعه وعن لمسه ثوب اخيه وقال الحسن كان احدهم اذا اراد ان يتصدق بصدقة

نظر وتثبت فان كان لله امضاه وقال الحسن رحم الله عبدا وقف عند همه فان كان لله مضى وان كان لغيره
كان عليه تأخر وقال في حديث سعد حين اوصاه سلمان اتق الله عند همك اذا هممت وقال
محمد بن علي المؤمن وقاف متأن يقف عند همه ليس كحاطب ليل فهذا هو النظر الاول في المراقبة ولا
يخلص من هذا الا العلم المتين والمعرفة الحقيقية باسرار الاعمال واغوار النفس ومكايد الشيطان
فمن لم يعرف نفسه وربه وعدوه الشيطان ولم يعرف ما يوافق هواه ولم يميز بينه وبين ما يحبه الله
ويرضاه في نيته وهمه وفكره وسكونه وحركته فلا يسلم من هذه المراقبة بل الاكثرون يرتكبون
الجهل فيما يكرهه الله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ولا تظنن ان الجاهل بما يقدر
على التوصل اليه بالتعلم يعذر هيهات بل طلب العلم فريضة على كل مسلم ولهذا كانت ركعتان
من عالم افضل من الف ركعة من غير عالم لانه يعلم آفات النفوس ومكايد الشيطان ومواضع الغرور فيتقيه
والجاهل لا يعرفه فكيف يحترز منه فلا يزال الجاهل في تعب والشيطان منه في فرح وشماتة فنعوذ بالله من
الجهل والغفلة فهو راس كل شقاوة واساس كل خسران فحكم الله على كل عبد ان يراقب نفسه عند همه
بالفعل وسعيه بالجارحة فيتوقف عن الهم والسعي حتى ينكشف له بنور العلم انه لله فيمضيه او هو لهوى
النفس فيتقيه ويزجر القلب عن الفكر فيه وعن الهم به فان الخطرة الاولى في الباطل اذا لم تدفع اورثت
الرغبة والرغبة تورث الهم والهم يورث جزم القصد والقصد يورث الفعل والفعل يورث
البوار والمقت فينبغي ان يحسم مادة الشر من منبعه الاول وهو الخاطر فان جميع ما وراءه يتبعه ومهما
اشكل على العبد ذلك واظلم الامر فلم ينكشف له فيتفكر فيه بنور العلم ويستعيذ بالله من
مكر الشيطان بواسطة الهوى فان عجز عن الاجتهاد والفكر بنفسه فيستضيء بنور علماء الدين وليفر من
العلماء المقبلين على الدنيا فراره من الشيطان بل اشد فقد اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام
لا تسأل عني عالما اسكره حب الدنيا فيقطعك عن محبتي اولئك قطاع الطريق على عبادي فالقلوب المظلمة
بحب الدنيا وشدة الشره والتكالب عليها محجوبة عن نور الله تعالى فان مستقى انوار القلوب حضرة
الربوبية فكيف يستضيء بها من استدبرها واقبل على عدوها وعشق ضدها وهي شهوات الدنيا
فليكن همة المريد اولا في احكام العلم او في طلبه من عالم معرض عن الدنيا او ضعيف الرغبة فيها ان لم يجد
من هو عديم الرغبة فيها قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يحب البصر الناقد عند ورود
الشبهات والعقل الكامل عند هجوم الشهوات فجمع بين الامرين وهما متلازمان فمن ليس له
عقل وازع عن الشهوات فليس له بصر ناقد في الشبهات ولذلك قال عليه السلام من قارف ذنبا فارقه
عقل لا يعود اليه ابدا وما فائدة العقل الضعيف الذي يعده الا ويحتاج الى المحو ومحقه بفارق
الذنب ومعرفة آفات الاعمال قد اندرست في هذه الاعصار لان الناس كلهم هجروا هذه العلوم
واشتغلوا بالتوسط للخلق في الخصومات الثائرة من اتباع اصحاب الشهوات وقالوا هذا هو الفقه و
اخرجوا هذا العلم الذي هو فقه الدين عن جملة العلوم وتجردوا لفقه الدنيا الذي ما قصد به الا دفع
الشواغل عن القلوب ليتفرغ لفقه الدين فكان فقه الدنيا الدين بواسطة هذا الفقه وفي الخبر انكم
اليوم في زمان خيركم فيه المسارع وسياتي عليكم زمان خيركم فيه المتثبت ولهذا توقف طائفة
من الصحابة عن القتال مع اهل العراق واهل الشام لما اشكل عليهم كسعد وابن عمر واسامة ومحمد
بن مسلمة وغيرهم فمن لم يتوقف عند الاشتباه كان متبعا لهواه معجبا برايه وكان ممن وصف رسول الله

صلى الله عليه وسلم اذ قال فاذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة
نفسك وكل من خاض في شبهة بغير تحقيق فقد خالف قوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم وقوله عليه السلام
واياك والظن فان الظن اكذب الحديث واراد به الظن بغير دليل كما يستفتي به بعض العوام قلبه فيما اشكل
عليه ويتبع ظنه ولصعوبة هذا الامر وعظمه كان دعاء الصديق رضي الله عنه اللهم ارني الحق حقا
وارزقني اتباعه وارني الباطل باطلا وارزقني اجتنابه ولا تجعله علي متشابها فاتبع الهوى **وقال**
عيسى عليه السلام الامور ثلثة امر استبان رشده فاتبعه وامر استبان غيه فاجتنبه وامر اشتبه عليك فكله
الى عالمه وقد كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ بك ان اقول في العلم بغير علم واعظم
نعمة عند الله عز وجل على عباده هو العلم وكشف الحق والايمان عبارة عن نوع كشف وعلم ولذلك قال
تعالى امتنانا على عبده وكان فضل الله عليك عظيما واراد به العلم وقال فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون
وقال ان علينا للهدى **وقال** ثم ان علينا بيانه وقال وعلى الله قصد السبيل **وقال** علي رضي الله عنه
الهوى شريك العمى ومن التوفيق التوقف عند الحيرة ونعم طارد الهم اليقين وعاقبة الكذب الندم وفي الصدق
السلامة رب بعيد اقرب من قريب وغريب من لم يكن له حبيب والصديق من صدق غيبه ولا يعدمك
من حبيب سوء ظن ونعم الخلق التكرم والحياء سبب الى كل جميل واوثق العرى التقوى واوثق سبب اخذت
به سبب بينك وبين الله تعالى وانما لك من دنياك ما اصلحت به مثواك والرزق رزقان رزق تطلبه ورزق
يطلبك فان لم تأته اتاك وان كنت جازعا على ما افلت من يديك فاجزع على ما لم يصل اليك واستدل
على ما لم يكن بما كان فانما الامور اشباه وانما المرء يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه فما نالك
من دنياك فلا تكثرن به فرحا وما فاتك منها فلا تتبعه نفسك اسفا وليكن همك بما قدمت واسفك على
ما خلفت وسعيك لآخرتك وهمك فيما بعد الموت وغرضنا من نقل هذه الكلمة قوله من التوفيق الوقف عند
الحيرة فاذا النظر الاول للمراقب نظره في الهم والحركة اهي لله ام للهوى وقد قال صلى الله عليه وسلم ثلاث من
كن فيه استكمل الايمان لا يخاف في الله لومة لائم ولا يرائي بشيء من عمله واذا عرض له امران احدهما للدنيا
والآخر للآخرة آثر الآخرة على الدنيا فاكثرها ينكشف له وهم كان ما انبغى ان يكون مباحا ولكن لا يعنيه فيتركه لقوله
صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه **النظر الثاني المراقبة عند الشروع
في العمل** وذلك بتفقد كيفية العمل ليقضي حق الله عز وجل فيه ويحسن النية في اتمامه ويكمل صورته
ويتعاطاه على اكمل ما يمكنه وهذا ملازم له في جميع احواله فانه لا يخلو في جميع احواله عن حركة وسكون
فاذا راقب الله تعالى في جميع ذلك قدر على عبادة الله تعالى فيها بالنية ومراعاة الادب وحسن
الفعل فان كان قاعدا مثلا فينبغي ان يقعد مستقبل القبلة لقوله عليه السلام خير المجالس ما استقبل
به القبلة ولا يجلس متربعا اذ لا يجالس الملوك كذلك وملك الملوك مطلع عليه **قال** ابراهيم
ابن ادهم جلست مرة متربعا اذ لا يجالس الملوك كذلك انه ملك الملوك فسمعت هاتفا يقول اهكذا تجالس
الملوك فلم اجلس بعد ذلك وان كان ينام فينام على اليد اليمنى مستقبل القبلة مع سائر الآداب التي ذكرناها
في موضعها فكل ذلك داخل في المراقبة بل لو كان في قضاء الحاجة فمراعاته لآدابها وفاء بالمراقبة اذ لا يخلو
العبد اما ان يكون في طاعة او معصية او مباح فمراقبته في الطاعة بالاخلاص والاكمال ومراعاة الادب وحراسته
من الآفات وان كان في معصية فمراقبته بالتوبة والندم والاقلاع والحياء والاشتغال بالتفكر وان كان في
مباح فمراقبته بمراعاة الادب ثم بشهود المنعم في النعمة وبالشكر عليها ولا يخلو العبد في جملة من احواله عن بلية

لا بد له من الصبر عليها ونعمة لا بد له من الشكر عليها وكل ذلك من المراقبة بل لا ينفك العبد في كل حال من فرض
لله عليه اما فعل يلزمه مباشرته او محظور يلزمه تركه او ندب حث عليه ليسارع به الى مغفرة الله ويسابق به عباد الله
او مباح فيه صلاح جسمه وقلبه وفيه عون على طاعته ولكل واحد من ذلك حدود لا بد من مراعاتها بدوام
المراقبة ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه فينبغي ان يتفقد العبد نفسه في جميع اوقاته في هذه
الاقسام الثلاثة فاذا كان فارغا من الفرائض وقدر على الفضائل فينبغي ان يلتمس افضل الاعمال ليشتغل
بها فان من فاته مزيد ربح وهو قادر عليه بكرة فهو مغبون والارباح تنال بمزايا الفضائل فبذلك ياخذ العبد
من دنياه لآخرته كما قال تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا وكل ذلك انما يمكن بصبر ساعة واحدة فان
الساعات ثلاثة ساعة مضت لا تعب فيها على العبد كيفما انقضت في مشقة او رفاهية وساعة
مستقبلة لم تات بعد لا يدري العبد ايعيش اليها ام لا ولا يدري ما يقضي الله فيها وساعة راهنة
ينبغي ان يجاهد الانسان فيها نفسه ويراقب فيها ربه فان لم تاته الساعة الثانية لم يتحسر على فوات
هذه الساعة وان اتته الساعة الثانية استوفى حقه منها كما استوفى من الاولى ولا يطول امله خمسين سنة فيطول
عليه العزم على المراقبة فيها بل يكون ابن وقته كانه في آخر انفاسه فلعله آخر انفاسه وهو لا يدري واذا
امكن ان يكون آخر انفاسه فينبغي ان يكون على وجه لا يكره ان يدركه الموت وهو على تلك الحالة وتكون جميع احواله
مقصورة على ما رسمه ابو ذر لا يكون المؤمن ظاعنا الا في ثلاث تزود لمعاد او مرمة لمعاش او لذة في غير محرم
ويروى عنه ايضا على العاقل ان يكون له اربع ساعات ساعة يناجي فيها ربه عز وجل وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة
يتفكر في صنع الله تعالى وساعة يخلو فيها للمطعم والمشرب فان في هذه الساعة عونا له على تلك الساعات
ثم هذه الساعات التي هو فيها مشغول الجوارح بالمطعم والمشرب لا ينبغي ان يخلو عن عمل هو افضل الاعمال وهو
الذكر والفكر فان الطعام الذي يتناوله مثلا فيه من العجائب ما لو تفكر فيه وفطن له كان ذلك افضل
من كثير من اعمال الجوارح والناس فيه اقسام قسم ينظرون اليه بعين التبصرة والاعتبار فينظرون في عجائب
صنعها وكيفية ارتباط قوام الحيوانات بها وكيفية تقدير الله تعالى لاسبابها وخلق الشهوة الباعثة عليها
وخلق الآلات المسخرة للشهوة فيها كما فصلنا بعضه في كتاب الشكر وهذا مقام ذوي الالباب وقسم ينظرون فيه بعين
المقت والكراهة ويلاحظون وجه الاضطرار اليه ويودون لو استغنوا عنه ولكن يرون انفسهم مقهورين
فيه مسخرين لشهواته وهذا مقام الزاهدين وقسم يرون في الصنعة الصانع ويترقون منها الى صفات الخالق
فيكون ذلك سببا لتذكر ابواب من الفكر تنفتح عليهم بسببه وهو اعلى المقامات وهو من مقامات العارفين
وعلامات المحبين اذ المحب اذا رأى صنعة حبيبه وكتابه وتصنيفه نسي الصنعة واشتغل قلبه بالصانع
وكل ما يتردد العبد فيه صنع الله تعالى فله في النظر منه الى الصانع مجال رحب ان فتحت له ابواب الملكوت
وذلك عزيز جدا وقسم رابع ينظرون اليها بعين الرغبة والحرص فيتاسفون على ما فات منها ويفرحون بما
حضرهم من جملتها ويذمون منها ما لا يوافق هواهم ويعيبونها ويذمون فاعلها فيذمون الطبيخ والطباخ ولا
يعلمون ان الفاعل للطبيخ والطباخ ولقدرته ولعلمه هو الله وان من ذم شيئا من خلق الله بغير اذن الله فقد
ذم الله ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر فهذه هي المرابطة الثانية بمراقبة
الاعمال على الدوام ولا نطول وشرح ذلك يطول وفيما ذكرناه تنبيه على المنهاج لمن احكم الاصول **المرابطة
الثالثة محاسبة النفس بعد العمل** ولنذكر فضيلة المحاسبة ثم حقيقتها اما الفضيلة
فقد قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد وهذه اشارة الى المحاسبة

على ما مضى من الأعمال ولذلك قال عمر حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وفي
الخبر أنه عليه السلام جاء رجل وقال يا رسول الله أوصني فقال استوصيت قال نعم قال إذا
هممت بأمر فتدبر عاقبته فإن كان رشدا فامضه وإن كان غيا فانته عنه وفي الخبر ينبغي أن يكون للعاقل
أربع ساعات ساعة يحاسب فيها نفسه وقال الله تعالى وتوبوا إلى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم
تفلحون والتوبة نظر في الفعل بعد الفراغ منه بالندم عليه وقال صلى الله عليه وسلم إني لأستغفر الله
تعالى وأتوب إليه في اليوم مائة مرة وقال تعالى إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان
تذكروا فإذا هم مبصرون وعن عمر رضي الله عنه أنه كان يضرب قدميه بالدرة إذا جنه الليل ويقول لنفسه
ماذا عملت اليوم وعن ميمون بن مهران أنه قال لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة
شريكه والشريكان يتحاسبان بعد العمل وروي عن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر رضي الله عنه قال لها عند
الموت ما أحد من الناس أحب إلي من عمر فقال لا أحد أعز علي من عمر فانظر كيف نظر بعد الفراغ من الكلمة
فتدبرها فأبدلها بكلمة غيرها وحديث أبي طلحة حين شغله الطائر في صلاته فتدبر شغله فجعل حائطه
لله عز وجل صدقة ندما ورجاء للعوض مما فاته وفي حديث ابن سلام أنه حمل حزمة من حطب فقيل له يا أبا
يوسف قد كان في بنيك وغلمانك من يكفيك فقال أردت أن أجرب نفسي هل تنكره وقال الحسن المؤمن
قوام على نفسه يحاسبها لله وإنما خف الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا وإنما شق الحساب يوم
القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة فقال إن المؤمن يفجأه الشيء يعجبه فيقول والله إنك
لتعجبني وإنك لمن حاجتي ولكن هيهات حيل بيني وبينك وهذا حساب قبل العمل ثم قال ويفرط منه الشيء
فيرجع إلى نفسه فيقول ما أردت بهذا والله لا أعذر بهذا والله لا أعود لهذا أبدا إن شاء الله وقال
أنس بن مالك سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوما وقد خرجت معه حتى دخل حائطا فسمعته يقول وبيني
وبينه جدار وهو في الحائط عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بخ بخ والله لتتقين الله أو ليعذبنك وقال
الحسن في قوله ولا أقسم بالنفس اللوامة قال لا تلقى المؤمن إلا يعاتب نفسه ماذا أردت بكلمتي ماذا أردت بشربتي
ماذا أردت بأكلتي والفاجر يمضي قدما لا يعاتب نفسه وقال مالك بن دينار رحم الله عبدا قال لنفسه
ألست صاحبة كذا ألست صاحبة كذا ثم ذمها ثم خطمها ثم ألزمها كتاب الله فكان له قائدا وهذا من معاتبة النفس
كما سيأتي وقال ميمون بن مهران التقي أشد محاسبة لنفسه من سلطان غاشم ومن شريك شحيح وقال
إبراهيم التيمي مثلت نفسي في الجنة آكل من ثمارها وأشرب من أنهارها وأعانق أبكارها ثم مثلت نفسي في النار آكل من
زقومها وأشرب من صديدها وأعالج سلاسلها وأغلالها فقلت لنفسي يا نفس أي شيء تريدين فقالت أريد
أن أرد إلى الدنيا أعمل صالحا قلت فأنت في الأمنية فاعملي وقال مالك بن دينار سمعت الحجاج يخطب وهو يقول
رحم الله امرأ حاسب نفسه قبل أن يصير الحساب إلى غيره رحم الله امرأ نظر في ميزانه فما زال يقول
رحم الله امرأ رحم الله امرأ حتى أبكاني وحكي صاحب الأحنف بن قيس قال كنت أصحبه فكان عامة
صلاته بالليل الدعاء وكان يجيء إلى المصباح فيضع أصبعه فيه حتى يحس بالنار ثم يقول يا أحنف ما حملك على
ما صنعت يوم كذا ما حملك على ما صنعت يوم كذا

بيان حقيقة المحاسبة بعد العمل

اعلم أن العبد كما يكون له وقت في أول النهار يشارط فيه نفسه على سبيل التوصية بالحق ينبغي أن يكون له في آخر النهار
ساعة يطالب فيها النفس ويحاسبها على جميع حركاتها وسكناتها كما يفعل التجار في الدنيا مع الشركاء في آخر
كل سنة حرصا على الدنيا وخوفا من أن يفوتهم منها ما لو فاتهم لكانت الخيرة في فواته ولو حصل لهم لكان لا يبقى

إلا أياما قلائل فكيف لا يحاسب العاقل نفسه فيما يتعلق به خطر الشقاوة والسعادة أبد الآباد ما هذه المساهلة
إلا عن الغفلة والخذلان وقلة التوفيق نعوذ بالله منها ومعنى المحاسبة مع الشريك أن ينظر في رأس المال
وفي الربح والخسران لتتبين له الزيادة من النقصان فما كان من فضل حاصل استوفاه وشكره وما كان من خسران
طالبه بضمانه وكلفه تداركه في المستقبل فكذلك رأس مال العبد في دينه الفرائض وربحه النوافل والفضائل
وخسرانه المعاصي وموسم هذه التجارة جملة النهار ومعاملة نفسه الأمارة بالسوء فليحاسبها على الفرائض
أولا فإن أداها على وجهها شكر الله تعالى عليه ورغبها في مثلها وإن فوتها من أصلها طالبها بالقضاء فإن أداها
ناقصة كلفها الجبران بالنوافل وإن ارتكب معصية اشتغل بعقابها وتعذيبها ومعاتبتها ليستوفي
منها ما يتدارك به ما فرط كما يصنع التاجر بشريكه وكما أنه يفتش في حساب الدنيا عن الحبة والقيراط فيحفظ
مداخل الزيادة والنقصان حتى لا يغبن في شيء منها فينبغي أن يتقي غبينة النفس ومكرها فإنها خداعة
ملبسة مكارة فليطالبها أولا بتصحيح الجواب عن جميع ما تكلم به طول نهاره وليتكفل بنفسه من الحساب
ما سيتولاه غيره في صعيد القيامة وهكذا عن نظره بل عن خواطره وأفكاره وقيامه وقعوده وأكله وشربه
ونومه حتى عن سكوته أنه لم سكت وعن سكونه لم سكن فإذا عرف مجموع الواجب على النفس وصح عنده قدر أداء
الحق فيه كان ذلك القدر محسوبا له فيظهر له الباقي على نفسه فليثبته عليها وليكتبه على صحيفة قلبه كما يكتب الباقي
الذي على شريكه على قلبه وفي جريدة حسابه ثم النفس غريم يمكن أن يستوفى منه الديون أما بعضها فبالغرامة والضمان
وبعضها برد عينها وبعضها بالعقوبة لها على ذلك ولا يمكن شيء من ذلك إلا بعد تحقيق الحساب وتمييز الباقي
من الحق الواجب عليه فإذا حصل ذلك اشتغل بعده بالمطالبة والاستيفاء وينبغي أن يحاسب النفس على
جميع العمر يوما يوما وساعة ساعة في جميع الأعضاء الظاهرة والباطنة كما نقل عن توبة بن الصمة وكان
بالرقة وكان محاسبا لنفسه فحسب يوما فإذا هو ابن ستين سنة فحسب أيامها فإذا هي أحد وعشرون
ألف يوم وخمسمائة يوم فصرخ وقال يا ويلتي ألقى المليك بأحد وعشرين ألف ذنب كيف وفي كل يوم عشرة آلاف
ذنب ثم خر مغشيا عليه فإذا هو ميت فسمعوا قائلا يقول يا لك ركضة إلى الفردوس الأعلى فهكذا ينبغي
أن يحاسب نفسه على الأنفاس وعلى معصيته بالقلب والجوارح في كل ساعة ولو رمى العبد بكل معصية حجرا
في داره لامتلأت داره في مدة قريبة من عمره ولكنه يتساهل في حفظها والملكان يحفظان عليه أحصاه الله ونسوه

المرابطة الرابعة في معاقبة النفس على تقصيرها

مهما حاسب نفسه فلم تسلم عن مقارفة
معصية وارتكاب تقصير في حق الله تعالى فلا ينبغي أن يهملها فإنه إن أهملها سهل عليه مقارفة المعاصي
وأنست بها نفسه وعسر عليه فطامها وكان ذلك سبب هلاكها بل ينبغي أن يعاقبها فإذا أكل لقمة شبهة بشهوة
نفس ينبغي أن يعاقب البطن بالجوع وإذا نظر إلى غير محرم ينبغي أن يعاقب العين بمنع النظر وكذلك يعاقب
كل طرف من أطراف بدنه بمنعها عن شهواتها هكذا كانت عادة سالكي طريق الآخرة فقد روي عن منصور بن إبراهيم أن
رجلا من العباد كلم امرأة فلم يزل حتى وضع يده على فخذها فندم فوضع يده في النار حتى نشت وروي
أنه كان في بني إسرائيل رجل يتعبد في صومعته فمكث بذلك زمانا طويلا فأشرف ذات يوم فإذا هو بامرأة فافتتن
بها وهم بالنزول إليها فأخرج رجله لينزل إليها فأدركه الله تعالى بسابقة فقال ما هذا الذي أريد أن أصنع
رجعت إلي نفسه وعصمه الله تعالى فلما أراد أن يعيد رجله إلى الصومعة قال هيهات هيهات رجل خرجت
تريد أن تعصي الله تعود معي في صومعتي لا يكون والله ذلك أبدا فتركها معلقة من الصومعة تصيبها الأمطار
والرياح والثلج والشمس حتى تقطعت فسقطت فشكر الله تعالى له ذلك وأنزل في بعض كتبه ذكره وحكي

عن الجنيد انه سمع ابن الكريني يقول اصابتني ليلة جنابة فاحتجت ان اغتسل وكانت ليلة باردة فوجدت
في نفسي تأخرا وتقصيرا وحدثتني نفسي بالتأخر حتى اصبح ويسخن الماء او ادخل الحمام ولا اعني على نفسي فقلت
واعجبا انا اعامل الله في طول عمري يجب له علي حق فلا اجد المسارعة واجد الوقوف والتأخر فآليت لا اغتسل
الا في مرقعتي هذه وآليت لا انزعها ولا اعصرها ولا اجففها في الشمس **ويحكى** ان غزوان وابا موسى كانا في بعض
مغازيهما فتكشفت جارية فنظر اليها غزوان فرفع يده فلطم عينه حتى نفرت وقال انك للحاظة الى ما
يضرك **ونظر** بعضهم نظرة واحدة الى امرأة فجعل على نفسه ان لا يشرب الماء البارد طول حياته فكان يشرب
الماء الحار لينغص على نفسه العيش **ويحكى** ان حسان بن ابي سنان مر بغرفة فقال متى بنيت هذه ثم اقبل على
نفسه فقال تسألين عما لا يعنيك لاعاقبنك بصوم سنة فصامها **وقال** مالك بن ضيغم جاء رباح القيسي
يسأل عن ابي بعد العصر فقلنا انه نائم فقال انوم هذه الساعة ما هذا وقت نوم ثم ولى منصرفا فاتبعناه رسولا
فقلنا الا نوقظه لك فجاء الرسول فقال هو اشغل من ان يفهم ادركته وهو يدخل المقابر وهو يعاتب نفسه
ويقول افلت نوم هذه الساعة أكان هذا عليك ينام الرجل متى شاء وما يدريك ان هذا ليس وقت نوم تتكلمين
بما لا تعلمين اما ان لله عز وجل علي عهدا لا انقضه ابدا لا اوسدك لارض لنوم حولا الا لمرض حائل او لعقل زائل
سوأة لك اما تستحيين كم توبخين وعن غيك لا تنتهين قال وجعل يبكي وهو لا يشعر بمكاني فلما رأيت ذلك
انصرفت وتركته **ويحكى** ان تميما الداري نام ليلة لم يقم يتهجد فقام سنة لم ينم فيها عقوبة للذي صنع
وعن طلحة رضي الله عنه قال انطلق رجل ذات يوم فنزع ثيابه وتمرغ في الرمضاء وكان يقول لنفسه ذوقي نار جهنم
اشد حرا أجيفة بالليل بطالة بالنهار قال فبينا هو كذلك اذ بصر بالنبي صلى الله عليه وسلم في ظل شجرة فأتاه فقال
غلبتني نفسي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ألم يكن لك بد من الذي صنعت اما لقد فتحت لك ابواب السماء ولقد باهى
الله بك الملائكة ثم قال لاصحابه تزودوا من اخيكم فجعل الرجل يقول يا فلان ادع لي يا فلان ادع لي فقال النبي صلى الله
عليه وسلم عمهم فقال اللهم اجعل التقوى زادهم واجمع على الهدى امرهم فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول
اللهم سدده فقال الرجل اللهم اجعل الجنة مآبهم **وقال** حذيفة بن قتادة قيل لرجل كيف تصنع بنفسك
في شهواتها فقال ما في الارض نفس ابغض الي منها فكيف اعطيها شهواتها **ودخل** ابن السماك على داود الطائي يوم مات
وهو في بيته على التراب فقال يا داود سجنت نفسك قبل ان تسجن وعذبت نفسك قبل ان تعذب فاليوم ترى ثواب
من كنت له تعمل **وعن** وهب بن منبه رضي الله عنه ان رجلا تعبد زمانا ثم بدت له الى الله تعالى حاجة فقام
سبعين سبتا يأكل في كل سبت احدى عشرة تمرة ثم سأل الحاجة فلم يعطها فرجع الى نفسه وقال منك اتيت لو
كان فيك خير لاعطيت حاجتك فنزل اليه ملك **وقال** يا ابن آدم ساعتك هذه خير من عبادتك التي مضت وقد
قضى الله حاجتك **وقال** عبد الله بن قيس كنا في غزاة لنا فحضر العدو فصيح في الناس فقاموا الى المصاف في يوم شديد
الريح واذا رجل امامي وهو يخاطب نفسه ويقول اي نفس الم اشهد مشهد كذا وكذا فقلت لي والله لاعرضنك اهلك
وعيالك اليوم على الله فيأخذك او يتركك فقلت لارمقنه اليوم فرمقته فحمل الناس على عدوهم فكان في اوائلهم ثم ان
العدو حمل على الناس فانكشفوا فكان في موضعه حتى انكشفوا مرات وهو ثابت يقاتل فوالله ما زال ذلك دأبه حتى
رأيته صريعا فعددت به وبدابته ستين او اكثر من ستين طعنة وقد ذكرنا حديث طلحة ولما شغله
قلبه في الصلاة طائر في حائطه فتصدق بالحائط كفارة له وكان عمر يضرب قدميه بالليل ويقول ماذا عملت اليوم **وعن**
مجمع انه رفع رأسه الى السطح فوقع بصره على امرأة فجعل على نفسه ان لا يرفع رأسه الى السماء ما دام في الدنيا وكان الاحنف
بن قيس لا يفارقه المصباح في الليل فكان يضع اصبعه عليه ويقول لنفسه يا حنيف ما حملك على ان صنعت

يوم كذا وكذا او يكره ذلك وانكر وهيب بن الورد شيئا على نفسه فنتف شعرات على صدره حتى عظم المه ثم
جعل يقول لنفسه ويحك انما اريد بك الخير ورأى محمد بن بشر داود الطائي وهو يأكل عند افطاره خبزا بغير
ملح فقال لو اكلت بملح فقال ان نفسي لتدعوني الى الملح منذ سنة ولا ذاق ملحا ما دام في الدنيا فهكذا كانت عقوبة
اولي الحزم لانفسهم والعجب انك تعاقب عبدك وامتك وولدك به واهلك على ما يصدر منهم من سوء
خلق وتقصير في امر وتخاف انك لو تجاوزت عنهم خرج امرهم من الاختيار وبغوا عليك ثم تهمل نفسك و
هي اعظم عداوة لك واشد طغيانا عليك وضررك من طغيانها اعظم من ضررك بطغيان اهلك فان
غايتهم ان يشوشوا عليك معيشة الدنيا ولو عقلت لعلمت ان العيش عيش الآخرة وان فيها النعيم المقيم
الذي لا آخر له ونفسك هي التي تنغص عليك الآخرة فهي بالمعاقبة اولى من غيرها **المرابطة الخامسة**
المجاهدة وهو انه اذا حاسب نفسه فرآها قد قارفت معصية فينبغي ان يعاقبها بالعقوبات
التي مضت وان رآها تتوانى بحكم الكسل في شيء من الفضائل او ورد من الاوراد فينبغي ان يؤدبها بتثقيل
الاوراد عليها ويلزمها فنونا من الطاعات جبرا لما فات منه وتداركا لما فرط فهكذا كان يعمل عمال الله تعالى
فقد عاقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه نفسه حين فاتته صلاة العصر في جماعة بان تصدق بارض له
قيمتها مائتا الف درهم وكان ابن عمر رضي الله عنه اذا فاتته صلاة جماعة احيا تلك الليلة واخر ليلة صلاة
المغرب حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين وفات ابن ابي ربيعة ركعتا الفجر فاعتق رقبة وكان بعضهم يجعل
على نفسه صوم سنة او الحج ماشيا او التصدق بجميع ماله كل ذلك مرابطة للنفس ومؤاخذة بما فيه نجاتها
فان قلت ان كانت لا تطاوعني نفسي على الاجتهاد والمرابطة على الاوراد فما سبيل معالجتها **فاقول**
علاجها ان تسمعها ما ورد من الاخبار من فضل المجتهدين ومن انفع اسباب العلاج ان تطلب صحبة عبد من
عباد الله مجتهد في العبادة فتلاحظ احواله وتقتدي به وكان بعضهم يقول كنت اذا اعترتني فترة في
العبادة نظرت الى محمد بن واسع والى اجتهاده نظرة فعملت عليه اسبوعا الا ان هذا علاج قد تعذر اذ فقد في
عصرنا من يجتهد في العبادة اجتهاد الاولين فينبغي ان يعدل من المشاهدة الى السماع فلا شيء انفع من
سماع احوالهم ومطالعة اخبارهم وما كانوا فيه من الجهد الجهيد وقد انقضى تعبهم وبقي ثوابهم
ونعيمهم ابد الآباد لا ينقطع فما اعظم ملكهم وما اشد حسرة من لا يقتدي بهم فيمتع نفسه اياما قلائل
بشهوات مكدرة ثم يأتيه الموت ويحال بينه وبين كل ما يشتهيه ابد الآباد نعوذ بالله منه ولنذكر
من اوصاف المجتهدين والعاملين وفضائلهم ما يحرك رغبة المريد في الاجتهاد اقتداء بهم فقد قال
صلى الله عليه وسلم رحم الله اقواما يحسبهم الناس مرضى وما هم بمرضى **وقال** الحسن اجهدتهم العبادة
وقال الله عز وجل والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة **قال** الحسن يعملون ما عملوا من اعمال البر ويخافون
ان لا ينجيهم ذلك من عذاب الله عز وجل **وقال** صلى الله عليه وسلم طوبى لمن طال عمره وحسن عمله **ويروى**
ان الله تعالى يقول لملائكته ما بال عبادي مجتهدين فيقولون الهنا خوفتهم شيئا فخافوه وشوقتهم الى
شيء فاشتاقوا اليه فيقول تبارك وتعالى فكيف لو رأوني عبادي لكانوا اشد اجتهادا **وقال** الحسن ادركت
قوما وصحبت طوائف منهم ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا اقبل ولا يأسفون على شيء منها ادبر ولهي كانت
اهون في اعينهم من هذا التراب الذي تطؤونه ان كان احدهم ليعيش عمره كله ما طوي له ثوب ولا
امر اهله بصنعة طعام قط ولا جعل بينه وبين الارض شيئا قط وادركتهم عاملين بكتاب ربهم وسنة نبيهم اذا
جنهم الليل فقيام على اطرافهم يفترشون وجوههم تجري دموعهم على خدودهم يناجون ربهم في فكاك

رقابهم اذا عملوا الحسنة رجاها ووابوا في شكرها وسئلوا الله تعالى ان يتقبلها واذا عملوا السيئة افزعتهم
وسئلوا الله تعالى ان يغفرها لهم وعد الله ما ان الا كذلك وعلى ذلك وعدنا الله ما سئلوا من الذنوب لا يجتنبا بالمعنوية
ويحكى ان قوما دخلوا على عمر بن عبد العزيز يعودونه في مرضه واذا فيهم شاب ناحل الجسم فقال له عمر
يا فتى ما الذي بلغ بك ما ارى فقال يا امير المؤمنين امراض واسقام وقال سألتك بالله الا اصدقتني
قال يا امير المؤمنين ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها مرارة وصغر عندي زهرتها وحلاوتها واستوى عندي
ذهبها وحجرها وكاني انظر الى عرش ربي والناس يساقون الى الجنة وانا الى النار فاظمأت لذلك نهاري واسهرت
ليلي وقليل حقير كلما انا فيه في جنب ثواب الله تعالى وعقابه وقال ابو نعيم كان داود الطائي
يشرب الفتيت ولا ياكل الخبز فقيل له في ذلك فقال بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين اية ودخل
عليه رجل يوما فقال ان في سقف بيتك جذعا مكسورا فقال يا ابن اخي اني في البيت منذ عشرين سنة ما نظرت
الى السقف وكانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام وقال محمد بن عبد العزيز جلسنا الى احمد
بن رزين من غدوة الى العصر فما التفت يمنة ولا يسرة فقيل له في ذلك فقال ان الله عز وجل خلق العينين لينظر بهما
العبد الى عظمة الله عز وجل فكل من نظر بغير اعتبار كتبت عليه خطيئة وقالت امراة مسروق ما كان
يوجد مسروق الا وساقاه منتفختان من طول الصلاة وقالت والله ان كنت اجلس خلفه فابكي رحمة له
ابو الدرداء لولا ثلاث ما احببت العيش يوما واحدا الظما لله بالهواجر والسجود في جوف الليل ومجالسة
اقوام ينتقون اطايب الكلام كما ينتقى اطايب الثمر وكان الاسود بن يزيد يجتهد في العبادة ويصوم في الحر
حتى يخضر جسده ويصفر وكان علقمة بن قيس يقول له لم تعذب نفسك فيقول كرامتها اريد وكان يصوم حتى
يخضر جسده ويقوم ويصلي حتى يسقط فدخل عليه انس بن مالك والحسن فقالا له ان الله تعالى لم يامرك بكل
هذا فقال انا عبد مملوك لا ادع من الاستكانة شيئا الا جئت به وكان بعض المجتهدين يصلي كل يوم الف ركعة
حتى اقعد من رجليه فكان يصلي جالسا الف ركعة فاذا صلى العصر احتبى ثم قال عجبت للخليقة كيف استانست
قلوبها بذكر سواك بل عجبت للخليقة كيف ارادت بك بدلا عجبت للخليقة كيف انست بسواك بل عجبت
للخليقة كيف استنارت قلوبها بذكر سواك وكان ثابت البناني قد حبب اليه الصلاة وكان يقول اللهم
ان كنت اذنت لاحد ان يصلي لك في قبره فاذن لي ان اصلي في قبري وقال الجنيد ما رايت اعبد من السري
اتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رئي مضطجعا الا في علة الموت وقال الحارث بن سعد كان قوم ياتون الى
راهب يصنع بنفسه من شدة اجتهاده فكلموه في ذلك فقال وما هذا عند ما يراد بالخلق من ملاقاة الاهوال
وهم غافلون قد عكفوا على حظوظ انفسهم ونسوا حظهم الاكبر من ربهم فبكى القوم عن آخرهم وعن
ابي محمد المغازلي قال جاور ابو محمد الحريري بمكة سنة فلم ينم ولم يتكلم ولم يستند الى عمود ولا الى حائط ولم يمد
رجله فعبر عليه ابو بكر الكتاني فسلم عليه وقال له يا ابا محمد بم قدرت على اعتكافك فقال علم صدق باطني
فاعانني على ظاهري فاطرق الكتاني ومشى متفكرا وعن بعضهم قال دخلت على فتح الموصلي فرايته وقد مد
كفيه يبكي حتى رايت الدموع تنحدر من بين اصابعه فدنوت منه فاذا دموعه قد خالطها صفرة فقلت له بالله يا
فتح بكيت الدم فقال لولا انك احلفتني بالله ما اخبرتك نعم بكيت الدموع وبكيت الدم على الدموع لئلا
تكون لم تصح لي الدموع فرايته بعد موته في المنام فقلت ما صنع الله بك قال غفر لي قلت فما صنع
بدموعك قال قربني ربي عز وجل وقال يا فتح الدموع على ماذا قلت يا رب على تخلفي عن واجب حقك فقال
والدم على ماذا قلت على دموعي لا تصح فقال يا فتح ما اردت بهذا كله وعزتي لقد صعد الي حافظاك اربعين

سنة بصحيفتك ما فيها خطيئة واحدة وقيل ان قوما ارادوا سفرا فحادوا عن الطريق فانتهوا الى راهب منفرد عن
الناس فنادوه فاشرف عليهم من صومعته فقالوا يا راهب انا قد اخطانا الطريق فكيف هو فاشار بيده
نحو السماء اي ها هنا الطريق فقالوا يا راهب انا سائلوك فهل انت مجيبنا فقال سلوا ولا تكثروا فان النهار لا
يرجع والعمر لا يعود والطالب حثيث فعجب القوم من كلامه فقالوا يا راهب على ماذا يقدم الخلق غدا عند مليكهم
فقال على نياتهم فقالوا اوصنا فقال تزودوا على قدر سفركم فان خير الزاد ما بلغ البغية ثم ارشدهم الى الطريق
وادخل راسه في صومعته وقال عبد الواحد بن زيد مررت بصومعة راهب من رهبان الصين فناديته
يا راهب فلم يجبني فناديته الثانية فلم يجبني فناديته الثالثة فاشرف علي وقال يا هذا ما انا براهب
انما الراهب من رهب الله تعالى في سمائه وعظمه في كبريائه وصبر على بلائه ورضي بقضائه وحمده على الائه وشكره
على نعمائه وتواضع لعظمته وذل لعزته واستسلم لقدرته وخضع لمهابته وتفكر في حسابه وعقابه فنهاره
صائم وليله قائم قد اسهره ذكر النار ومسئلة الجبار فذلك هو الراهب واما انا فكلب عقور حبست نفسي
في هذه الصومعة عن الناس لئلا اعقرهم قلت يا راهب فما الذي قطع الخلق عن الله بعد ان عرفوه فقال يا اخي لم
يقطع الخلق عن الله الا حب الدنيا وزينتها لانها محل الذنوب والمعاصي والعاقل من رمى بها عن قلبه وتاب الى
الله تعالى من ذنبه واقبل على ما يقربه من ربه وقيل لداود الطائي لو رجلت لحيتك فقال اني
اذا لفارغ وكان اويس القرني يقول هذه الليلة للركوع فيحيي الليل كلها في ركعة واحدة وهذه الليلة للسجود
فيحيي الليل كله في سجدة واحدة وقيل لما تاب عتبة الغلام كان لا يتهنا بالطعام والشراب فقالت له امه
لو رفقت بنفسك فقال الرفق اطلب دعيني اتعب قليلا وانعم كثيرا وقيل حج مسروق فما نام قط الا ساجدا
على وجهه وقال سفيان الثوري رحمه الله عند الصباح يحمد القوم السرى وعند الممات يحمد القوم التقى
وقال عبد الله بن داود كان بعضهم اذا بلغ اربعين طوى فراشه اي كان لا ينام طول الليل وكان كهمس بن
الحسن يصلي كل يوم الف ركعة ثم يقول لنفسه قومي يا ماوى كل شر فلما ضعف اقتصر على خمسمائة ثم كان يبكي ويقول ذهب
نصف عملي وكانت ابنة الربيع بن خثيم تقول يا ابت ما لي ارى الناس ينامون واراك لا تنام فيقول يا بنتاه ان
اباك يخاف البيات ولما رات ام الربيع ما يلقى الربيع من البكاء والسهر نادته يا بني لعلك قتلت قتيلا قال
نعم يا والدتي فقالت من هو حتى نطلب الى اهله فيعفوا عنك فوالله لو يعلمون ما انت فيه لرحموك وعفوا عنك
فقال يا والدتي هي نفسي وقال الربيع اتيت اويسا فوجدته جالسا قد صلى الفجر فجلست فقلت لا اشغله عن
التسبيح فمكث مكانه حتى صلى الظهر ثم قام الى الصلاة حتى صلى العصر ثم جلس موضعه حتى صلى المغرب ثم ثبت مكانه
حتى صلى العشاء ثم ثبت مكانه حتى صلى الصبح ثم جلس فغلبته عيناه فقال اللهم اني اعوذ بك من عين نوامة ومن بطن
لا يشبع فقلت حسبي هذا منه ثم رجعت ونظر رجل الى اويس فقال يا ابا عبد الله ما لي اراك كانك مريض فقال
اويس لا يكون مريضا يطعم المريض واويس غير طاعم وينام المريض واويس غير نائم وقال احمد بن حرب يا عجبا لمن
يعرف ان الجنة تزين فوقه وان النار تسعر تحته كيف ينام بينهما وقال رجل من النساك اتيت ابراهيم بن
ادهم فوجدته قد صلى العشاء فقعدت ارقبه فلف نفسه بعباءة ثم رمى بنفسه فلم يتقلب من جنب الى جنب الليل
كله حتى طلع الفجر واذن المؤذن فوثب الى الصلاة ولم يجدد الوضوء فحاك ذلك في صدري فقلت له رحمك الله قد نمت
الليل كله مضطجعا ثم لم تجدد الوضوء قال كنت الليل كله جائلا في رياض الجنة احيانا وفي اودية النار احيانا فهل في
ذلك نوم وقال ثابت البناني ادركت رجالا كان احدهم يصلي فيعجز عن ان ياتي فراشه الا حبوا وقيل لعامر
بن عبد الله كيف صبرك على سهر الليل وظما الهواجر فقال هل هو الا اني صرفت طعام النهار الى الليل ونوم النهار الى

الليل ولبس في ذلك خطيراً وكان يقول لم أر مثل الجنة نام طالبها ولم أر مثل النار نام هاربها وكان إذا جن الليل قال أذهب حر النار النوم فما ينام حتى يصبح وإذا جاء النهار قال أذهب حر النار النوم فما ينام حتى يمسي فإذا جاء الليل قال من خاف أدلج وعند الصباح يحمد القوم السرى وقال بعضهم صحبت عامر بن عبد قيس أربعة أشهر فما رأيته نام بليل ولا نهار وروي عن رجل من أصحاب علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال صليت خلف علي الفجر فلما سلم انفتل عن يمينه وعليه كآبة فمكث حتى طلعت الشمس ثم قلب يده وقال والله لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وما أرى اليوم شيئاً يشبههم كانوا يصبحون شعثاً غبراً صفراً قد باتوا لله سجداً وقياماً يتلون كتاب الله يراوحون بين أقدامهم وجباههم وكانوا إذا ذكروا الله مادوا كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت أعينهم حتى تبل ثيابهم وكأن القوم باتوا غافلين يعني من كان حوله وكان أبو مسلم الخولاني قد علق سوطاً في مسجد بيته يخوف به نفسه وكان يقول لنفسه قومي فوالله لأزحفن بك زحفاً حتى يكون الكلل منك لا مني فإذا دخلته الفترة تناول سوطه وضرب به ساقه ويقول أنت أولى بالضرب من دابتي وكان يقول أيظن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن يستأثروا به دوننا كلا والله لنزاحمنهم عليه زحاماً حتى يعلموا أنهم قد خلفوا وراءهم رجالاً وكان صفوان بن سليم قد تعقدت ساقاه من طول القيام وبلغ من الاجتهاد ما لو قيل له القيامة غداً ما وجد مزيداً وكان إذا جاء الشتاء اضطجع على السطح ليضربه البرد وإذا كان الصيف اضطجع داخل البيوت ليجد الحر والغم فلا ينام ومات ساجداً وكان يقول اللهم إني أحب لقاءك فأحبب لقائي وقال القاسم بن محمد غدوت يوماً وكنت إذا غدوت بدأت بعائشة رضي الله عنها أسلم عليها فغدوت يوماً إليها فإذا هي تصلي صلاة الضحى وهي تقرأ فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وتبكي وتدعو وتردد الآية حتى مللت القيام وهي كما هي فلما رأيت ذلك ذهبت إلى السوق فقلت أفرغ من حاجتي ثم أرجع ففرغت من حاجتي ورجعت وهي كما هي تردد الآية وتبكي وتدعو وقال محمد بن إسحاق لما ورد علينا عبد الرحمن بن الأسود حاجاً اعتلت إحدى قدميه فقام يصلي على قدم واحدة حتى صلى الصبح بوضوء العشاء وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه سيما الصالحين صفرة الألوان من السهر وعمش العيون من البكاء وذبول الشفاه من الصوم عليهم غبرة الخاشعين وقيل للحسن ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوهاً فقال لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نوراً من نوره وكان عامر بن عبد قيس يقول إلهي خلقتني ولم تؤامرني وتميتني ولا تعلمني وخلقت معي عدواً وجعلته يجري مني مجرى الدم وجعلته يراني ولا أراه ثم قلت لي استمسك إلهي كيف أستمسك إن لم تمسكني إلهي في الدنيا الهموم والأحزان وفي الآخرة العقاب والحساب فأين الراحة والفرج وقال جعفر بن محمد كان عتبة الغلام يقطع الليل بثلاث صيحات كان إذا صلى العتمة وضع رأسه بين ركبتيه يتفكر فإذا مضى ثلث الليل صاح صيحة ثم وضع رأسه بين ركبتيه يتفكر فإذا كان السحر صاح صيحة قال جعفر بن محمد فحدثت به بعض البصريين فقال لا تنظر إلى صيحته انظر إلى ما كان فيه بين الصيحتين حتى صاح وعن القاسم بن راشد الشيباني قال كان زمعة نازلاً عندنا بالمحصب وكان له أهل وبنات فكان يقوم فيصلي ليلاً طويلاً فإذا كان السحر نادى بأعلى صوته أيها الركب المعرسون أكل هذا الليل ترقدون فلا تقومون فترحلون فيتواثبون فيسمع من هنا باك ومن هنا داع ومن هنا قارئ ومن هنا متوضئ فإذا طلع الفجر نادى بأعلى صوته عند الصباح يحمد القوم السرى وقال بعض العلماء إن لله عباداً أنعم الله عليهم فعرفوه وشرح صدورهم فأطاعوه وتوكلوا عليه فسلموا الخلق والأمر إليه فصارت قلوبهم معادن لصفاء اليقين وبيوتاً للحكمة وتوابيت للعظمة وخزائن للقدرة فهم بين الخلق مقبلون ومدبرون وقلوبهم تجول في الملكوت وتلوذ بمحجوب الغيوب ثم ترجع ومعها طرائف من لطيف الفوائد ما لا يمكن واصف أن يصفه فهم في باطن أمورهم كالديباج حسناً وهم في الظاهر مناديل مبتذلة لمن أرادهم تواضعاً

وهذه طريقة لا يبلغ إليها وإنما هو فضل الله يؤتيه من يشاء وقال بعض الصالحين بينا أنا أسير في بعض جبال بيت المقدس إذ هبطت إلى واد هناك فإذا أنا بصوت قد علا وإذا لتلك الجبال دوي يجيبه لها دوي عال فاتبعت الصوت فإذا أنا بروضة عليها شجر ملتف وإذا أنا برجل قائم فيها يردد هذه الآية يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً إلى قوله ويحذركم الله نفسه قال فجلست خلفه أسمع كلامه وهو يردد هذه الآية إذ صاح صيحة خر مغشياً عليه فقلت واأسفاه هذا لشقائي ثم انتظرت إفاقته فأفاق بعد ساعة فسمعته وهو يقول أعوذ بك من مقام الكذابين أعوذ بك من أعمال البطالين أعوذ بك من إعراض الغافلين لك خشعت قلوب العارفين ثم نفض يديه وقال ما لي وللدنيا وما للدنيا ولي عليك يا دنيا بأبناء جنسك وألاف نعيمك إلى محبيك فاذهبي إليهم فاخدعيهم ثم قال أين القرون الماضية وأهل الدهور السالفة في التراب يبلون وعلى الزمان يفنون فناديته يا عبد الله أنا منذ اليوم خلفك أنتظر فراغك فقال وكيف يفرغ من يبادر الأوقات وتبادره يخاف سبقها بالموت إلى نفسه أم كيف يفرغ من ذهبت أيامه وبقيت آثامه ثم قال أنت لها ولكل شدة أتوقع نزولها ثم لهى عني ساعة وقرأ وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ثم صاح صيحة أخرى أشد منها وخر مغشياً عليه فقلت قد خرجت نفسه فدنوت منه فإذا هو يضطرب ثم أفاق وهو يقول من أنا ما خطري هب لي إساءتي بفضلك وجللني بسترك واعف عن ذنوبي بكرم وجهك إذا وقفت بين يديك فقلت له بالذي ترجو لنفسك وتثق به إلا كلمتني فقال عليك بكلام من ينفعك كلامه ودع كلام من أوبقته ذنوبه إني لفي هذا الموضع منذ ما شاء الله أجاهد إبليس ويجاهدني فلم يجد عوناً علي ليخرجني مما أنا فيه غيرك فإليك عني يا مخدوع فقد عطلت علي لساني وملت إلى حديثك شعبة من قلبي فأنا أعوذ بالله من شرك ثم أرجو أن يعيذني من سخطه ويتفضل علي برحمته قال فقلت هذا ولي الله أخاف أن أشغله فأعاقب من موضعي هذا فانصرفت وتركته وقال بعض الصالحين بينا أنا أسير في سبيل إلى تلك الشجرة لأستريح تحتها فإذا أنا بشيخ قد أشرف علي فقال يا هذا قم فإن الموت لم يمت ثم هام على وجهه فأتبعته فسمعته وهو يقول كل نفس ذائقة الموت اللهم بارك لي في الموت فقلت وفيما بعد الموت فقال من أيقن بما بعد الموت شمر مئزر الحذر ولم يكن له في الدنيا مستقر ثم قال يا من لوجهه عنت الوجوه بيض وجهي بالنظر إليك واملأ قلبي من المحبة لك وأجرني من ذل التوبيخ غداً عندك فقد آن لي الحياء منك وحان لي الرجوع عن الإعراض عنك ثم قال لولا حلمك لم يسعني أجلي ولولا عفوك لم يبسط فيما عندك أملي ثم مضى وتركني وقد أنشد بعضهم

شعر

نحيل الجسم مكتئب الفؤاد * تراه بقنة أو بطن وادي

ينوح على معاص فاضحات * يكدر ثقلها صفو الرقاد

فإن هاجت مخافته وزادت * فدعوته أغثني يا عمادي

فأنت بما ألاقيه عليم * كثير الصفح عن زلل العباد

وقيل الذين التذاذ بالعز في * إذا أقبل وخل حسان

سنيبه من أهل ومال * يسيح إلى مكان من مكان

ليخفي ذكره ويعيش فرداً * ويظفر في العبادة بالأماني

تلذذه التلاوة أين ولى * وذكر بالضمير وباللسان

وعند الموت يأتيه بشير * يبشره بالنجاة من الهوان

فيدرك ما أراد وما تمنى * من الرحمات في غرف الجنان

وكان كرز بن وبرة يختم القرآن كل يوم ثلاث مرات وجاهد نفسه في العبادات غاية المجاهدة فقيل له قد أجهدت نفسك فقال كم عمر الدنيا فقيل سبعة آلاف سنة فقال كم مقدار يوم القيامة فقيل خمسون ألف سنة فقال كيف يعجز أحدكم أن يعمل سبع يوم حتى يأمن ذلك اليوم يعني أنك لو عشت عمر الدنيا واجتهدت سبعة آلاف سنة وتخلصت من يوم واحد كان مقداره خمسين ألف سنة لكان ربحك كثيراً وكنت بالرغبة فيه جديراً فكيف وعمرك قصير والآخرة لا غاية لها فهكذا كانت سيرة السلف الصالحين في مرابطة النفس ومراقبتها فمهما تمردت نفسك عليك

ما استشعفت من الرغبة على العبادة فطالع احوال هولاء فقد عز الان وجود مثلهم ولو قدرت على مشاهدة من تقتدي
بهم فهو انجع في القلب وابعث على الاقتدا فليس الخبر كالمعاينة واذا عجزت عن هذا فلا تغفل عن سماع احوالهم ولا
فان لم تكن ابل فمعزى وخير نفسك بين الاقتدا بهم وان تكون في غمارهم من العقلا والحكما وقدوة النجبا في الدين وبين
الاقتدا بالجهلة الغافلين من اهل عصرك ولا ترض لها ان تنخرط في سلك الحمقا وتقنع بالتشبه بالاغبيا وتوثر مخالفة
العقلا فان تحدثك نفسك بان هولا رجال اقويا لا يطاق الاقتدا بهم فطالع احوال النسا المجتهدات وقل لها لا
تستنكفين يا نفسي ان تكوني اقل من امراة فاخسس برجل يقصر حاله عن حال امراة في امر دينها ودنياها ولنذكر الان
نبذة من احوال المجتهدات فقد روي عن حبيبة العدوية انها كانت اذا صلت العتمة قامت على سطح
لها وشدت عليها درعها وخمارها ثم قالت الهي قد غارت النجوم ونامت العيون وغلقت الملوك ابوابها وخلا
كل حبيب بحبيبه وهذا مقامي بين يديك ثم تقبل على صلاتها فاذا كان السحر وطلع الفجر قالت الهي هذا الليل قد
ادبر وهذا النهار قد اسفر فليت شعري اقبلت مني ليلتي فاهنا ام رددتها علي فاعزي وعزتك لهذا دابي و
دابك ما ابقيتني وعزتك لو انتهرتني من بابك ما برحت لما وقع في نفسي من جودك وكرمك وروي عن عجردة
انها كانت تحيي الليل كله وكانت مكفوفة فاذا كان في السحر نادت بصوت لها محزون اليك قطع العابدون دجا
الليالي يستبقون الى رحمتك وفضل مغفرتك فبك يا الهي اسالك لا بغيرك ان تجعلني في اول زمرة السابقين
وان ترفعني لديك في درجة المقربين وان تلحقني بعبادك الصالحين فانت ارحم الرحما واعظم العظما واكرم
الكرما يا كريم ثم تخر ساجدة فيسمع لها وجبة ثم لا تزال تدعو وتبكي الى الفجر وقال يحيى ابن بسطام كنت
اشهد مجلس شعوانة فكنت ارى ما تصنع من النياحة والبكا فقلت لصاحب لي لو اتيناها اذا خلت فامرناها بالرفق
بنفسها قال فاتيناها فقلت لها لو رفقت بنفسك واقصرت عن هذا البكا شيا فكان اقوى لك على
ما تريدين قال فبكت ثم قالت والله لوددت اني ابكي حتى تنفد دموعي ثم ابكي دما حتى لا تبقى قطرة من دم في جارحة من
جوارحي واني لي بالبكا واني لي بالبكا فلم تزل تردد واني لي بالبكا حتى غشي عليها وقال محمد بن معاذ
حدثتني امراة من المتعبدات قالت رايت في منامي كاني ادخلت الجنة فاذا اهل الجنة قيام على ابوابهم فقلت ما شان
اهل الجنة قيام فقال قائل خرجوا ينظرون الى هذه المراة التي زينت الجنان لقدومها فقلت ومن هذه المراة فقال امة
سودا من اهل الابلة يقال لها شعوانة قالت فقلت اختي والله قالت فبينا انا كذلك اذ اقبل بها على نجيبة تطير
بها في الهوى فلما رايتها ناديت يا اختي اما ترين مكاني من مكانك فلو دعوت الله مولاك فالحقني بك فتبسمت
الي وقالت لم يات لقدومك وقت ولكن احفظي عني اثنتين الزمي الحزن قلبك وقدمي محبة الله على هواك ولا يضرك
متى مت وقال عبد الله ابن الحسن كانت لي جارية رومية وكنت بها معجبا فكانت في بعض الليالي نائمة
الى جنبي فانتبهت فالتمستها فلم اجدها فقمت اطلبها فاذا هي ساجدة وهي تقول بحبك لي الا ما غفرت لي ذنوبي
فقلت لها لا تقولي بحبك لي ولكن قولي بحبي لك فقالت يا مولاي بحبه لي اخرجني من الشرك الى الاسلام وبحبه
لي ايقظ عيني واكثر خلقه نيام وقال ابو هاشم القرشي قدمت علينا امراة من اهل اليمن يقال لها سرية
فنزلت في بعض دورنا فكنت اسمع لها من الليل انينا وشهيقا فقلت يوما لخادمي اشرف على هذه المراة فانظر
ماذا تصنع فاشرف عليها فما رآها تصنع شيا غير انها لا ترفع طرفها عن السما وهي مستقبلة
القبلة تقول خلقت سرية ثم غذيتها بنعمك من حال الى حال وكل احوالك لها حسنة وكل بلائك عندها جميل وهي
مع ذلك متعرضة لسخطك بالتوثب على معاصيك فلعله بعد ذلك افتراها تظن انك لا ترى سو فعلها
وانت عليم خبير وانت على كل شي قدير وقال ذو النون المصري خرجت ليلة من وادي كنعان فلما علوت

الوادي اذا سواد مقبل علي وهو يقول وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ويبكي فلما قرب مني السواد اذا هي
امراة عليها جبة صوف وبيدها ركوة فقالت لي من انت غير فازعة فقلت رجل غريب قالت يا هذا وهل يوجد
مع الله غربة قال فبكيت لقولها فقالت ما الذي ابكاك فقلت وقع الدوا على دا قد قرح فاسرع في نجاحه قالت فان كنت
صادقا فلم بكيت قلت يرحمك الله والصادق لا يبكي قالت لا قلت ولم ذلك قالت لان البكا راحة القلب فبقيت
متعجبا من قولها وقال احمد بن علي استاذنا على عفيرة فحجبتنا فلازمنا الباب فلما علمت ذلك قامت لتفتح
لنا فسمعتها وهي تقول اللهم اني اعوذ بك ممن جا يشغلني عن ذكرك ثم فتحت الباب ودخلنا عليها وقلنا يا امة
الله ادعي لنا فقالت جعل الله قراكم في بيتي المغفرة ثم قالت لنا مكث عطا اربعين سنة لا ينظر الى السما فحانت
منه نظرة فخر مغشيا عليه فاصابه فتق في بطنه فياليت عفيرة اذا رفعت راسها الى السما لم تعص ثم
ويا ليتها اذا عصت لم تعد وقال بعض الصالحين خرجت يوما الى السوق ومعي جارية حبشية فا
في موضع بناحية السوق فذهبت في بعض حوائجي فقلت لا تبرحي حتى انصرف اليك قال فانصرفت فلم اجدها في
الموضع فانصرفت الى منزلي وانا شديد الغضب عليها فلما راتني عرفت الغضب في وجهي فقالت يا مولاي لا تعجل
علي انك اجلستني في موضع لم ار فيه ذاكرا لله تعالى فخفت ان يخسف بذلك الموضع فعجبت من قولها وقلت لها
حرة فقالت بئس ما صنعت كنت اخدمك فيكون لي اجران واما الان فقد ذهب احدهما وقال ابن
العلا السعدي كانت لي ابنة عم يقال لها بريرة تعبدت وكانت تكثر القراة في المصحف فكلما اتت على اية فيها ذكر
النار بكت فلم تزل تبكي حتى ذهبت عيناها من البكا فقال بنو عمها انطلقوا بنا الى هذه المراة حتى نعذلها في كثرة
البكا قال فدخلنا عليها فقلنا لها يا بريرة كيف اصبحت فقالت اصبحنا اضيافا منيخين بارض غربة ننتظر
متى ندعى فنجيب فقلنا لها الى كم هذا البكا فقد ذهبت عيناك منه فقالت ان يكن لعيني عند الله خير فما يضرهما
ما اصابهما وما ذهب منهما في الدنيا وان كان لهما عند الله شر فسيزيدهما بكا اطول من هذا واعرضت عنا فقال
القوم قوموا بنا فهي والله في شي غير ما نحن فيه وكانت معاذة العدوية اذا جا النهار تقول هذا يومي الذي
اموت فيه فما تطعم حتى تمسي فاذا جا الليل تقول هذه الليلة التي اموت فيها فتصلي حتى تصبح وقال
ابو سليمان الداراني بت ليلة عند رابعة العدوية فقامت الى محراب لها وقمت انا الى ناحية من البيت
فلم تزل قائمة الى السحر فلما كان السحر قلت ما جزا من قوانا على قيام هذه الليلة قالت جزاؤه ان نصوم له غدا
وكانت شعوانة تقول في دعائها الهي ما اشوقني الى لقائك واعظم رجائي في جزائك وانت الكريم الذي لا يخيب لديك
امل الاملين ولا يبطل عندك شوق المشتاقين الهي ان كان دنا اجلي ولم يقربني منك عملي فقد جعلت الاعتراف بالذنب
وسائل علتي فان عفوت فمن اولى منك بذلك وان عدلت فمن اعدل منك هنالك الهي قد جرت على نفسي في النظر
لها وبقي لها حسن نظرك فالويل لها ان لم تسعدها الهي انك لم تزل بي برا ايام حياتي فلا تقطع عني برك بعد مماتي
ولقد رجوت ممن تولاني في حياتي باحسانه ان يشفع لي عند مماتي بغفرانه الهي كيف اياس من حسن نظرك
بعد مماتي ولم تولني الا الجميل في حياتي الهي ان كانت ذنوبي قد اخافتني فان محبتي لك قد اجارتني فتول
من امري ما انت اهله وعد بفضلك على من غره جهله الهي لو اردت اهانتي لما هديتني ولو اردت فضيحتي لما سترتني
فمتعني بما له هديتني وادم لي ما به سترتني الهي ما اظنك تردني في حاجة افنيت فيها عمري الهي لولا ما قارفت
من الذنوب ما خفت عقابك ولولا ما عرفت من كرمك ما رجوت ثوابك وقال الخواص دخلنا
على رحلة العابدة وكانت قد صامت حتى اسودت وبكت حتى عميت وصلت حتى اقعدت وكانت تصلي قاعدة فسلمنا
عليها ثم ذكرناها شيا من العفو ليهون عليها الامر فشهقت ثم قالت علمي بنفسي قرح فوادي وكلم كبدي والله لوددت

ان اقدم الحلقي به الى شيئا مذكورا ثم اقبلت على صلاتها فعليك ان تكون من المرابطين المراقبين لنفسك فتطالع
احوال الرجال والنساء من المجتهدين لينبعث نشاطك ويزيد حرصك واياك ان تنظر الى اهل عصرك فانك ان تطع
اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله وحكايات المجتهدين غير محصورة وفيما ذكرناه كفاية للمعتبر وان اردت
مزيدا فعليك بالمواظبة على مطالعة كتاب حلية الاولياء فهو مشتمل على شرح احوال الصحابة والتابعين ومن
بعدهم وبالوقوف عليه يتبين لك بعدك وبعد اهل عصرك من اهل الدين فان حدثتك نفسك بالنظر
الى اهل زمانك وقالت انما يتيسر الخير في ذلك الزمان لكثرة الاعوان والان ان خالفت اهل زمانك رأوك مجنونا
وسخروا منك فوافقهم فيما هم عليه فلا يجري عليك الا ما يجري عليهم والمصيبة اذا عمت طابت فاياك
ان تنخدع بخبل غرورها وتخدع بتزويرها وقل لها ارايت لو هجم سيل جارف يغرق اهل البلد وثبتوا على
مواضعهم ولم ياخذوا حذرهم لجهلهم بحقيقة الحال وقدرت انت على ان تفارقهم وتركب سفينة تنجو
بها من الغرق فهل يختلج في نفسك ان المصيبة اذا عمت طابت ام تترك موافقتهم وتستجهلهم
في صنيعهم وتاخذ حذرك مما دهاك فاذا كنت تترك موافقتهم خوفا من الغرق وعذاب الغرق لا يتمادى
الا ساعة فكيف لا تهرب من عذاب الابد وانت متعرض له في كل حال ومن اين تطيب المصيبة اذا عمت ولا
ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون ولاهل النار شغل شاغل عن الالتفات الى العموم و
الخصوص ولم تهلك الكفار الا بموافقة اهل زمانهم حيث قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون
فعليك اذا اشتغلت بمعاتبة نفسك وحملها على الاجتهاد فاستعصت عليك ان لا تترك معاقبتها وتوبيخها
وتقريعها وتعريفها سوء نظرها لنفسها لعلها تنزجر عن طغيانها

المرابطة السادسة في توبيخ النفس ومعاتبتها

اعلم ان اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وقد خلقت امارة بالسوء ميالة
الى الشر فرارة من الخير وامرت بتزكيتها وتقويمها وقودها بسلاسل القهر الى عبادة ربها وخالقها ومنعها
عن شهواتها وفطامها عن لذاتها فان اهملتها جمحت وشردت ولم تظفر بها بعد ذلك وان لازمتها بالتوبيخ
والمعاتبة والعذل والملامة كانت نفسك هي النفس اللوامة التي اقسم الله سبحانه وتعالى بها في كتابه
العزيز ورجوت ان تصير النفس المطمئنة المدعوة الى ان تدخل في زمرة عباد الله عز وجل راضية مرضية
فلا تغفلن ساعة عن تذكيرها ومعاتبتها ولا تشتغلن بوعظ غيرك ما لم تشتغل اولا بوعظ نفسك اوحى
الله سبحانه وتعالى الى عيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني وقال
تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وسبيلك ان تقبل عليها فتقرر عندها جهلها وحماقتها فانها ابدا
تتعزز بفطنتها وهدايتها ويشتد انفتها واستنكافها اذا نسبت الى الحمق فتقول لها ما اعظم
جهلك تدعين الحكمة والذكاء والفطنة وانت اشد الناس غباوة وحمقا اما تعرفين ما بين يديك من الجنة
والنار وانك صائرة الى احداهما على القرب فما لك تفرحين وتضحكين وتشتغلين باللهو وانت مطلوبة لهذا الخطب
الجسيم وعساك اليوم تختطفين او غدا فاراك ترين الموت بعيدا ويراه الله قريبا اما تعلمين ان كل ما هو
ات قريب وان البعيد ما ليس بات اما تعلمين ان الموت ياتي بغتة من غير تقديم رسول ومن غير مواعدة ومواطاة
وانه لا ياتي في شتاء دون صيف ولا في صيف دون شتاء ولا في نهار دون ليل ولا في ليل دون نهار ولا في الشباب
دون الشيخ وفي الشيخ دون الصبا بل كل نفس من الانفاس يمكن ان يكون فيه الاجل فجاة فان لم يكن فجاة فيكون
المرض فجاة ثم يفضي الى الموت فما لك لا تستعدين للموت وهو اقرب اليك من كل قريب اما تتدبرين قوله تعالى
اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون

لا هيبة قلوبهم ويحك جراءتك على معصية الله تعالى ان كان لاعتقادك ان الله تعالى لا يراك فما اعظم كفرك وان
كان مع علمك باطلاعه عليك فما اشد وقاحتك واقل حياءك ويحك لو واجهك عبد من عبيدك بل اخ
من اخوانك بما تكرهينه كيف كان غضبك عليه ومقتك له فباي جسارة تتعرضين لمقت الله وغضبه وشديد
عقابه افتظنين انك تطيقين عذابه هيهات هيهات جربي نفسك ان الهاك البطر عن اليم عذابه
فاحتبسي ساعة في الشمس او في بيت الحمام او قربي اصبعك من النار ليتبين لك قدر طاقتك ام تغترين
بكرم الله تعالى وفضله واستغنائه عن طاعتك وعبادتك فما لك لا تعولين على كرم الله تعالى في مهمات
دنياك فاذا قصدك عدو فلم تستنبطين الحيل في دفعه ولا تكلينه الى كرم الله تعالى واذا رهقتك
شهوة من شهوات الدنيا مما لا تنقضي الا بالدنانير والدراهم فما لك تنزعين الروح في طلبه وتحصيله وتوجه
الحيل ثم لا تعولين على كرم الله تعالى حتى يعثر بك على كنز او يسلط عبدا من عبيده فيحمل اليك حاجتك من
غير سعي منك وطلب افتحسبين ان الله كريم في الاخرة لا في الدنيا وقد عرفت ان سنة الله لا تبديل لها وان
رب الدنيا والاخرة واحد وان ليس للانسان الا ما سعى ويحك ما اعجب نفاقك ودعاويك الباطلة فانك تدعين
الايمان بلسانك واثر النفاق ظاهر عليك الم يقل لك سيدك ومولاك وما من دابة في الارض الا على الله
رزقها وقال في امر الاخرة وان ليس للانسان الا ما سعى فقد تكفل لك بامر الدنيا وصرفك عن السعي فيها
وكذبته بافعالك واصبحت تتكالبين على طلبها تكالب المدهوش المستهتر ووكل امر الاخرة الى سعيك فاعرضت
عنها اعراض المغرور المستحقر ما هذا من علامات الايمان لو كان الايمان باللسان فلم اذا كان المنافقون
في الدرك الاسفل من النار ويحك كانك لا تؤمنين بيوم الحساب وتظنين انك اذا مت انفلت وتخلصت
وهيهات اتحسبين ان تتركي سدى الم تكوني نطفة من مني يمنى ثم كنت علقة فخلق فسوى اليس ذلك
بقادر على ان يحيي الموتى فان كان هذا من اضمارك فما اكفرك واجهلك اما تتفكرين انه من ماذا خلقك
من نطفة خلقك فقدرك ثم السبيل يسرك ثم اماتك فاقبرك افتكذبينه في قوله ثم اذا شاء
انشرك فان لم تكوني مكذبة فما لك لا تاخذين حذرك ولو ان يهوديا اخبرك في الذ اطعمتك بانه
يضرك في مرضك لصبرت عنه وتركته وجاهدت نفسك فيه افكان قول الانبياء المؤيدين بالمعجزات
وقول الله تعالى في كتبه المنزلة اقل تاثيرا من قول يهودي يخبرك عن حدس وظن مع نقصان عقل وقصور
علم وقلة دين العجب انه لو اخبرك طفل انه في ثوبك عقرب لرميت ثوبك في الحال من غير مطالبة له ببرهان
ودليل افكان قول الانبياء والعلماء والحكماء وكافة العقلاء اقل عندك من قول صبي من جملة الاغبياء او
صار الم جهنم وحرها ونكالها وزقومها ومقامعها وصديدها وسمومها وافاعيها وعقاربها
احقر عندك من عقرب لا تحسين بالمه الا يوما او اقل منه ما هذا افعال العقلاء بل لو انكشف
للبهائم ذلك لضحكت منك وسخرت من عقلك فان كنت قد عرفت جميع ذلك وامنت به فما لك تسوفين
العمل والموت لك بالمرصاد ولعله يختطفك من غير مهل فبماذا امنت استعجال الاجل وهبك انك وعدت
بالامهال مائة سنة فتؤخرين العمل الى اخرها افتظنين ان من يطعم الدابة في حضيض العقبة يفلح ويقدر
على قطع العقبة بها ان ظننت ذلك فما اعظم جهلك ارايت لو سافر رجل ليتفقه في الغربة فاقام
فيها سنين متعطلا بطالا يعد نفسه بالتفقه في السنة الاخيرة من رجوعه الى وطنه هل كنت
تضحكين من عقله وظنه ان تفقيه النفس مما يطمع فيه بمدة قريبة ام حسبت ان مناصب الفقهاء ينالها
من غير تفقه اعتمادا على كرم الله سبحانه ثم هب ان الجهد في اخر العمر نافع الى الدرجات العلى فلعل

اليوم امر عرض فلم لا تشتغلين به فان دعى الجنب باهمال فما المانع لك من المبادرة وما الباعث لك على
التسويف هل له سبب الا عجزك عن مخالفة شهوتك لما فيه من التعب والمشقة افتنتظرين يوما
يأتيك لا تعسر فيه مخالفة الشهوات هذا يوم لم يخلقه الله قط ولا يخلقه فلا تكون الجنة قط الا
محفوفة بالمكاره ولا تكون المكاره قط خفيفة على النفوس وهذا محال وجوده اما تتاملين منذ كم تعدين
نفسك وتقولين غدا وغدا فقد جاء الغد وصار يوما فكيف وجدتيه اوما علمت ان الغد الذي جاء وصار
يوما كان له حكم الامس لا بل ما تعجزين عنه اليوم فانت غدا عنه اعجز واعجز لان الشهوة كالشجرة الراسخة
التي يريد العبد ان يقلعها فاذا عجز عن قلعها للضعف واخرها كمن عجز عن قلع شجرة وهو شاب قوي
فاخرها الى سنة اخرى مع العلم بان طول المدة يزيد الشجرة قوة ورسوخا ويزيد القالع لها ضعفا ووهنا
فما لا يقدر عليه في الشباب فلا يقدر عليه قط في المشيب بل من العناء رياضة الهرم ومن التعذيب
تهذيب الذيب والقضيب الرطب يقبل الانحناء فاذا جف وطال عليه الزمان لم يقبله فاذا كنت لا تفهمين هذه
الامور الجلية فما ركونك الى التسويف فما لك تدعين الحكمة واي حماقة تزيد على هذه الحماقة ولعلك تقولين
انما يمنعني من الاستقامة الحرص على لذة الشهوات وقلة صبري على الالام والمشقات فما احمقك واقبح
اعتذارك ان كنت صادقة في ذلك فاطلبي التنعم بالشهوات الصافية عن الكدورات الدائمة
ابد الاباد ولا مطمع في ذلك الا في الجنة فان كنت ناظرة لشهوتك فالنظر لها في مخالفتها فرب اكلة تمنع اكلات
وما قولك في عقل مريض اشار عليه الطبيب بترك الماء البارد ثلثة ايام ليصح ويتهنا بشربه طول
العمر واخبره ان شربه يمرضه مرضا مزمنا ويمتنع عليه شربه طول العمر فما مقتضى العقل في قضاء حق
الشهوة ثلثة ايام ليتنعم طول العمر ام يقضي شهوته في الحال خوفا من الم المخالفة ثلثة ايام
حتى تلزمه المخالفة ثلاث مائة وثلاثة الاف وجميع عمرك بالاضافة الى الابد الذي هو مدة نعيم
اهل الجنة وعذاب اهل النار اقل من ثلثة ايام بالاضافة الى جميع العمر وان طال وليت شعري
الم الصبر عن الشهوات اعظم شدة واطول مدة ام الم النار في دركات جهنم فمن لا يطيق الصبر
على الم المجاهدة فكيف يطيق الم عذاب الله ما اراك تتوانين عن النظر لنفسك الا لكفر خفي او لحمق جلي اما الكفر الخفي فهو ضعف
ايمانك بيوم الحساب وعظم قدر الثواب والعقاب واما الحمق الجلي فاعتمادك على كرم الله تعالى
وعفوه واستغنائه عن عبادتك مع انك لا تعتمدين على كرمه في لقمة من الخبز وحبة من المال وكلمة واحدة
تسمعينها من الخلق بل تتوصلين الى غرضك فيها بجميع الحيل وبهذا الجهل تستحقين لقب الحماقة من
رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه
هواها وتمنى على الله ويحك لا ينبغي ان تغرك الحياة الدنيا ولا يغرنك بالله الغرور فانظري لنفسك فما
امرك بمهم لغيرك ولا تضيعي اوقاتك فالانفاس معدودة فاذا مضى نفس من انفاسك فقد ذهب بعضك
فاغتنمي الصحة قبل السقم والفراغ قبل الشغل والغنا قبل الفقر والشباب قبل الهرم و
الحياة قبل الموت واستعدي للاخرة على قدر بقائك فيها اما تستعدين للشتاء بقدر طول مدته
فتجمعين له الحطب واللبد وتعدين الجبة ولا تتكلين على فضل الله وكرمه حتى يدفع عنك البرد من غير جبة
ولبد وحطب فانه قادر على ذلك افتظنين ان زمهرير جهنم اخف بردا واقصر مدة من زمهرير الشتاء ام
تظنين ان العبد يتخلص منها بغير سعي هيهات كما لا يندفع برد الشتاء الا بالجبة والنار وسائر الاسباب
فلا يندفع حر النار وبردها الا بحصن التوحيد والطاعات فانما كرم الله تعالى في ان عرفك طريق التحصن ويسر لك

اسبابه لا في ان يندفع عنك العذاب دون حصنه كما انما كرم الله تعالى في دفع برد الشتاء ان خلق النار و
هداك الى طريق استخراجها من حديد وحجر حتى تدفع برد الشتاء عن نفسك وكما ان شراء الحطب والجبة
مما يستغني عنه خالقك ومولاك وانما تشترينه لنفسك اذ خلقه سببا لاستراحتك فطاعتك و
مجاهدتك ايضا هو مستغن عنها وانما هي طريقك الى النجاة فمن احسن فلنفسه ومن اساء فعليها والله
غني عن العالمين ويحك اقلعي عن جهلك وقيسي اخرتك بدنياك فما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وكما
بدأكم تعودون وسنة الله لن تجد لها تبديلا ولا تحويلا ويحك ما اراك الا الفت الدنيا وانست بها
فعسر عليك مفارقتها وانت مقبلة على مقاربتها وتوكدين في نفسك مودتها فاحسبي انك غافلة عن
عقاب الله عز وجل وثوابه وعن اهوال القيامة واحوالها فما انت مؤمنة بالموت المفرق بينك وبين
محابك افترى ان من يدخل دار ملك ليخرج من الجانب الاخر فمد بصره الى وجه مليح يعلم انه يستغرق ذلك
قلبه ثم يضطر لا محالة الى مفارقته اهو معدود من العقلاء ام من الحمقى اما تعلمين ان الدنيا دار الملك
الملوك وما لك فيها الا مجاز وكل ما فيها لا يصحب المجتاز بها بعد الموت ولذلك قال سيد البشر صلى
الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي احبب ما احببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك
ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به اما تعلمين ان كل من يلتفت الى ملاذ الدنيا ويانس بها مع ان الموت من
ورائه فانما يستكثر من الحسرة عند المفارقة وانما يتزود من السم المهلك وهو لا يدري اوما تنظرين الى
الذين مضوا كيف بنوا وعلوا ثم ذهبوا وخلوا وكيف اورث الله ارضهم وديارهم اعداءهم اما ترينهم كيف يجمعون
ما لا ياكلون ويبنون ما لا يسكنون ويؤملون ما لا يدركون يبني كل واحد قصرا مرفوعا الى جهة السماء ومقره
قبر محفور تحت الارض فهل في الدنيا حمق وانتكاس اعظم من هذا يعمر الواحد دنياه وهو مرتحل عنها يقينا
ويخرب اخرته وهو صائر اليها قطعا اما تستحين من مساعدة هؤلاء على حماقتهم واحسبي انك لست ذات
بصيرة تهتدين الى هذه الامور وانما تميلين بالطبع الى التشبه والاقتداء فقيسي عقل الانبياء والحكماء و
العلماء بعقل هؤلاء المكبين على الدنيا واقتدي من الفريقين بمن هو اعقل عندك ان كنت تعتقدين في نفسك
العقل والذكاء فما اعجب امرك واشد جهلك واظهر طغيانك عجبا لك كيف تعمين عن هذه الامور الواضحة
الجلية ولعلك اسكرك حب الجاه وادهشك عن فهمها اوما تتفكرين ان الجاه لا معنى له الا ميل قلوب بعض
الناس اليك فاحسبي ان كل من على وجه الارض سجدوا لك واطاعوك اما تعرفين انه بعد خمسين سنة
لا تبقين انت ولا احد ممن على وجه الارض ممن عبدك وسجد لك وسياتي زمان لا يبقى ذكرك ولا ذكر من ذكرك
كما اتى على الملوك الذين من قبلك فهل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا فكيف تبيعين ما يبقى ابد الاباد
بما لا يبقى اكثر من خمسين سنة ان بقي هذا ان كنت ملكا من ملوك الارض سلم لك الشرق والغرب حتى اذعنت
لك الرقاب وانتظمت لك الاسباب كيف وقد ادبرت دنياك وشقيت ولم يسلم لك امر محلتك بل امر
دارك فضلا عن محلتك فان كنت لا تتركين الدنيا رغبة في الاخرة لجهلك وعمى بصيرتك فما لك لا
تتركينها ترفعا عن خسة شركائها وتنزها عن كثرة عنائها وتوقيا عن سرعة فنائها ام ما لك لا تزهدين
في قليلها بعد ان زهد فيك كثيرها وما لك تفرحين بدنيا ان ساعدتك فلا تخلو بلدتك عن جماعة
من اليهود والمجوس يسبقونك بها ويزيدون عليك في نعيمها وزينتها فاف لدنيا يسبقك اليها هؤلاء
الاخساء فما اجهلك واخس همتك واسفه رايك اذا رغبت عن ان تكوني في زمرة المقربين من الصديقين
والنبيين في جوار رب العالمين ابد الابدين لتكوني في صف النعال من غاد الحمقى الجاهلين اياما قلائل بل ولعمري

عليك ازخرفت الدنيا والبين ببادري ويحك فقد اشرفت على الهلاك واقترب الموت وورود التدبير فمن ذا يعطي
عنك بعد الموت من ذا يصوم عنك بعد الموت ومن ذا الترضى عنك بعد الموت ما لك الا اعمالك معه
هي بضاعتك التي تتجرين فيها وقد ضيعت اكثرها فلو بكيت بالدم عمرك على ما ضيعت منها لكنت مقصرا في حق نفسك
فكيف اذا ضيعت البقية واصررت على عادتك اما تعلمين ان الموت موعدك والقبر بيتك والتراب فراشك
والدود انيسك والفزع الاكبر بين يديك اما علمت ان عسكر الموتى على باب البلد ينتظرونك فقد الوا الكلم
على انفسهم بالايمان المغلظة انهم لا يبرحون من مكانهم ما لم ياخذوك الى انفسهم اما تعلمين انهم يتمنون
الرجعة الى الدنيا يوما ليشتغلوا بتدارك ما فرط منهم وانت في امنيتهم ويوم من عمرك لو بيع منهم
بالدنيا بحذافيرها لاشتروه لو قدروا عليه وانت تضيعين ايامك ويحك اما تستحيين تزينين ظاهرك
للخلق وتبارزين الله تعالى في السر بالعظائم فتستحيين من الخلق ولا تستحيين من الخالق ويحك اهو اهون
الناظرين عليك تامرين الناس بالخير وانت متلطخة بالرذائل اما تعلمين ان المذنب انتن من العذرة والعذرة
لا تطهر غيرها فلم تطمعين في تطييب غيرك وانت غير طيبة في نفسك لو عرفت نفسك حق المعرفة لظننت ان
الناس ما يصيبهم بلاء الا بشؤمك ويحك قد جعلت نفسك حمار الا ابليس يقودك حيث يريد ويسخر منك ومع هذا
تعجبين بعملك وفيه من الآفات ما لو نجوت منها راسا براس لكان ربحا وكيف تعجبين بعملك مع كثرة خطاياك
وقد لعن الله تعالى ابليس بخطيئة واحدة بعد ان عبده مائتي الف سنة واخرج آدم من الجنة بخطيئة واحدة
مع كونه نبيه وصفيه ويحك انت تشتغلين مع هذه الخطايا بمخانه وكان الله غير محتاج عنها ثم انتظري
الى اهل القبور كانوا قد جمعوا كثيرا وبنوا شيدا واملوا بعيدا فاصبح جمعهم بورا وبنيانهم قبورا واملهم
غرورا اما لك بهم عبرة اما لك اليهم نظر اتظنين انهم دعوا الى الآخرة وانت من الخالدين هيهات هيهات ما
انت الا في هدم عمرك منذ سقطت من بطن امك فابني على ظهر الارض قصرك فان بطنها عن قليل قبرك اما تخافين
اذا بلغت النفس منك التراقي ان يبدو رسل ربك منحدرة اليك سود الالوان كلح الوجوه تبشرك بالعذاب فهل ينفعك
حينئذ الندم او يقبل منك الحزن او يرحم منك البكا فالعجب كل العجب منك انك تدعين البراءة ثم عند ربه
وتذكرين بالله وانت له ناسية وتعظين لله وانت بعيدة عن البصيرة والفطنة ومن فطنتك انك تفرحين كل يوم بزيادة
مالك ولا تحزنين بنقصان عمرك وما ينفع مال يزيد وعمر ينقص تعرضين عن الآخرة وهي مقبلة عليك وتقبلين على
الدنيا وهي معرضة عنك فكم من مستقبل يوما لم يستكمله ومؤمل غدا لم يبلغه وانت تشاهدين ذلك في اخوانك
واقاربك وجيرانك فترين تحسرهم عند الموت ثم لا ترجعين عن جهالتك فاحذري يا مسكينة يوما آلى الله فيه
على نفسه ان لا يترك فيه عبدا امره في الدنيا ونهاه حتى يسأله عن عمله دقيقه وجليله سره وعلانيته فانظري باي
بدن تقفين بين يديه وباي لسان تجيبين واعدي للسؤال جوابا وللجواب صوابا واعملي بقية عمرك في ايام قصار
لايام طوال وفي دار زوال لدار مقام وفي دار حزن ونصب لدار نعيم وخلود واعملي قبل ان لا تعملي اخرجي من الدنيا
اختيارا خروج الاحرار قبل ان تخرجي منها على الاضطرار ولا تفرحي بما يساعدك من زهرات الدنيا فرب مسرور مغبون
ورب مغبون لا يشعر فويل لمن له الويل ثم لا يشعر يضحك وياكل ويشرب ويلهو وقد حق له في كتاب الله تعالى انه من وقود النار فليكن
نظرك الى الدنيا اعتبارا وسعيك لها اضطرارا ورفضك لها اختيارا وطلبك للآخرة ابتدارا ولا تكوني ممن
يعجز عن شكر ما اوتي ويبتغي الزيادة فيما بقي وينهى الناس ولا ينتهي واعلمي انه ليس للدين عوض ولا للايمان بدل
ولا للجسد خلف ومن كانت مطيته الليل والنهار فانه يسار به وان لم يسر فاتعظي يا نفسي بهذه الموعظة واقبلي هذه
النصيحة فانه من اعرض عن الموعظة فقد رضي بالنار وما اراك بها راضية ولهذه الموعظة واعية فان كانت القساوة

تمنعك عن قبول الموعظة فاستعيني عليها بدوام التهجد والقيام فان لم تزل فبالمواظبة على الصيام فان لم تزل
فبقلة المخالطة والكلام واعلمي ان الله تعالى قد طبع على قلبك واقفل عليه وانه قد تراكمت ظلمة الذنوب
على ظاهره وباطنه فوطني نفسك على النار فقد خلق الله الجنة وخلق لها اهلا وخلق النار وخلق لها اهلا وكل ميسر
لما خلق له فان لم يبق فيك مجال للوعظ فاقنطي من نفسك والقنوط كبيرة من الكبائر نعوذ بالله منها فلا سبيل الى
الرجا انسد طريق الخير عليك فان ذلك امر لا ... وليس برجاء فانظري الان هل يحدث عن نفسك هذه المصيبة
التي ابتليت بها وهل تسمح عينك بدمعة رحمة منك على نفسك فان سمحت فمستقى الدمع من بحر الرحمة فقد
بقي فيك موضع الرجا فواظبي على النياحة والبكا واستغيثي بارحم الراحمين واشتكي الى اكرم الاكرمين وادمني
الاستغاثة ولا تملي طول الشكاية لعله ان يرحم ضعفك ويعينك فان مصيبتك قد عظمت وبليتك قد
تفاقمت وتماديك قد طال وقد انقطعت منك الحيل وراحت عنك العلل فلا مذهب ولا مطلب ولا
مستغاث ولا مهرب ولا ملجا ولا منجا الا الى مولاك فافزعي اليه بالتضرع واخشعي في تضرعك على قدر عظم
جهلك وكثرة ذنوبك لانه يرحم المتضرع الذليل ويغيث الطالب الملهوف وقد اصبحت وانت مضطرة
الى رحمته محتاجة وقد ضاقت بك السبل وانسدت عليك الطرق وانقطعت منك الحيل ولم ينجع فيك
العظة ولم يكن لك التوبيخ فالمطلوب منه كريم والمسؤول جواد والمستغاث به رؤوف والرحمة واسعة والكرم
فائض والعفو شامل وقولي يا ارحم الراحمين يا حليم يا عظيم يا كريم انا المذنب المصر انا الجري الذي لا اقلع انا
المتمادي الذي لا استحي هذا مقام المتضرع المسكين والبائس الفقير والضعيف الحقير والهالك الغريق
فعجل اغاثتي وفرجي واريني آثار رحمتك واذقني برد عفوك ومغفرتك وارزقني قوة عصمتك يا ارحم الراحمين
اقتدي بابيك آدم عليه السلام فقد قال وهب بن منبه لما اهبط الله آدم الى الارض من الجنة مكث حولا لا يرقى
له دمعة فاطلع الله تعالى عليه في اليوم السابع وهو محزون كظيم منكس راسه فاوحى الله اليه يا آدم ما هذا الجهد الذي ارى
بك قال يا رب عظمت مصيبتي واحاطت بي خطيئتي واخرجت من ملكوت ربي فصرت في دار الهوان بعد الكرامة وفي
دار الشقاء بعد السعادة وفي دار النصب بعد الراحة وفي دار البلاء بعد العافية وفي دار الزوال بعد القرار وفي دار
الموت والفناء بعد الخلود والبقاء فكيف لا ابكي على خطيئتي فاوحى الله تعالى يا آدم الم اصطفيك لنفسي واحللتك
داري وخصصتك بكرامتي وحذرتك سخطي الم اخلقك بيدي ونفخت فيك من روحي واسجدت لك ملائكتي
فعصيت امري ونسيت عهدي وتعرضت لسخطي وعزتي وجلالي لو ملأت الارض رجالا كلهم مثلك يعبدوني
ويسبحوني ثم عصوني لانزلتهم منازل العاصين فبكى آدم عند ذلك ثلاثمائة عام وكان جبرائيل يحكي
كيفية البكا ويقول في بكائه طول البلية الهي انا الذي كلما طال عمري ازدادت ذنوبي انا الذي كلما هممت بترك
خطيئة عرضت لي شهوة اخرى واعبداه خطيئة ازل صاحبها في طلب اخرى واعبداه ان كانت النار
مقيلك ومأواي واعبداه ان كانت المقامع ... واعبداه نفيت حاجة الطالبين وعملها
لا ينقضي وقال منصور بن عمار سمعت في بعض الليالي بالكوفة عابدا يناجي ربه وهو يقول يا رب وعزتك
ما اردت بمعصيتك مخالفتك ولا عصيتك اذ عصيتك وانا بمكانك جاهل ولا لعقوبتك متعرض ولا بنظرك مستخف
ولكن سولت لي نفسي واعانني على ذلك شقوتي وغرني سترك المرخى علي فعصيتك بجهلي وخالفتك بفعلي
فمن عذابك الآن من يستنقذني وبحبل من اعتصم ان قطعت حبلك عني واسوأتاه من الوقوف بين يديك غدا
اذا قيل للمخفين جوزوا وللمثقلين حطوا امع المخفين اجوز ام مع المثقلين احط ويلي كلما كبرت سني كثرت
ذنوبي ويلي كلما طال عمري كثرت معاصي فكم اتوب وكم اعود اما آن لي ان استحي من ربي ... [illegible]

مناجاة مولاهم وفي معاتبة نفوسهم وإنما مطلبهم من المناجاة الاسترضاء ومقصدهم من المعاتبة التنبيه
والاسترعاء فمن أهمل المعاتبة والمناجاة لم يكن لنفسه راعيا ويوشك أن لا يكون الله عنه راضيا والسلام
والحمد لله رب العالمين تم كتاب المراقبة والمحاسبة بحمد الله وعونه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
يتلوه إن شاء الله كتاب التفكر وهو الكتاب الثالث من ربع المنجيات من كتاب إحياء علوم الدين للإمام

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي لم يقدر لانتهاء عزته حدا ولا قطرا ولم يجعل لمراقي أقدام الأوهام ومرامي سهام
الأفهام على حمى عظمته مجرى بل ترك قلوب الطالبين في بيداء كبريائه والهة حيرى كلما اهتزت لنيل مطلوبها
ردتها سبحات الجلال قسرا وإذا همت بالانصراف آيسة نوديت من سرادقات الجمال صبرا صبرا ثم قيل لها أجيلي في
ذل العبودية فكرك لأنك لو تفكرت في جلال الربوبية لم تقدري له قدرا وإن طلبت وراء الفكر في صفاتك أمرا
فانظري في نعم الله كيف توالت عليك تترى وجددي لكل نعمة منها ذكرا وشكرا وتأملي في
بحار المقادير كيف فاضت على العالمين خيرا وشرا ونفعا وضرا وعسرا ويسرا وفوزا وخسرا وجبرا وكسرا وطيا ونشرا
وإيمانا وكفرا وعرفانا ونكرا وإن جاوزت النظر في الأفعال إلى النظر في الذات فقد حاولت أمرا إمرا وخاطرت بنفسك مجاوزة
حد طاقة البشر ظلما وجورا فقد انبهرت العقول دون مبادي إشراقه وانتكصت على أعقابها اضطرارا وقهرا
والصلاة على محمد سيد ولد آدم ولم يعد سيادته فخرا صلاة تبقى لنا في عرصات القيامة عدة وذخرا وعلى آله وأصحابه
الذين أصبح كل واحد منهم في سماء الدين بدرا ولطوائف المسلمين صدرا **أما بعد** فقد وردت السنة
بأن تفكر ساعة وكثر الحث في كتاب الله عز وجل على التدبر والاعتبار والنظر والافتكار ولا يخفى أن الفكر هو
مفتاح الأنوار ومبدأ الاستبصار وهو شبكة العلوم ومصيدة المعارف والفهوم وأكثر الناس قد عرفوا فضله
ورتبته لكن جهلوا حقيقته وثمرته ومصدره ومورده ومجراه ومسرحه وطريقه وكيفيته ولم يعلموا كيف
يتفكرون وفيماذا يتفكرون ولماذا يتفكرون وما الذي يطلب به أهو مراد لعينه أو لثمرة تستفاد منه وإن كان لثمرة فما تلك
الثمرة أهي من العلوم أم من الأحوال أم منهما جميعا وكشف جميع ذلك مهم ونحن نذكر أولا فضيلة التفكر ثم
حقيقة التفكر ثم ثمرته ثم مجاري الفكر ومسارحه إن شاء الله تعالى

فضيلة التفكر

قد أمر الله تبارك وتعالى بالتفكر والتدبر في كتابه العزيز في مواضع لا تحصى وأثنى على المتفكرين **فقال** الذين
يتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار وقد **قال** ابن عباس
رضي الله عنهما إن قوما تفكروا في الله عز وجل **فقال** لهم النبي صلى الله عليه وسلم تفكروا في خلق الله تعالى ولا
تفكروا في الله فإنكم لن تقدروا قدره **وعن** النبي صلى الله عليه وسلم أنه خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال
ما لكم لا تتكلمون فقالوا نتفكر في خلق الله تعالى قال فكذلك فافعلوا تفكروا في خلقه ولا تتفكروا فيه فإن في هذا
المغرب أرضا بيضاء نورها بياضها وبياضها نورها مسيرة الشمس فيها أربعين يوما فيها خلق من خلق الله تعالى لم
يعصوا الله تعالى طرفة عين قالوا يا رسول الله فأين الشيطان عنهم قال ما يدرون أخلق الشيطان أم لا
قالوا من ولد آدم قال لا يدرون أخلق آدم أم لا **وعن** عطاء قال انطلقت أنا وعبيد بن عمير إلى عائشة رضي الله
عنها وبيننا وبينها حجاب فقالت يا عبيد ما يمنعك من زيارتنا قال قول النبي صلى الله عليه وسلم زر غبا تزدد
حبا **وعن** ابن عمير أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت كل أمره كان عجبا

أتاني في ليلتي حتى مس جلده جلدي ثم قال ذريني أتعبد لربي فقام إلى القربة فتوضأ منها ثم قام يصلي فبكى
حتى بل لحيته ثم سجد حتى بل الأرض ثم اضطجع على جنبه حتى أتى بلال يؤذنه لصلاة الصبح **فقال**
يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال ويحك يا بلال وما يمنعني أن أبكي
وقد أنزل الله تعالى علي في هذه الليلة إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب
ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها فقيل للأوزاعي ما غاية التفكر فيهن قال يقرؤهن وهو يعقلهن **وعن**
محمد بن واسع أن رجلا من أهل البصرة ركب إلى أم ذر بعد موت أبي ذر فسألها عن عبادة أبي ذر فقالت كان
نهاره أجمع في ناحية يتفكر **وعن** الحسن رضي الله عنه **قال** تفكر ساعة خير من قيام ليلة **وعن**
الفضيل رضي الله عنه **قال** الفكر مرآة تريك حسناتك من سيئاتك وقيل لإبراهيم إنك تطيل الفكرة
فقال الفكرة مخ العبادة وكان سفيان بن عيينة كثيرا ما يتمثل ويقول **شعر** إذا المرء كانت له فكرة ففي كل شيء
له عبرة **وعن** طاوس **قال** قال الحواريون لعيسى ابن مريم عليه السلام يا روح الله هل على الأرض اليوم مثلك
قال نعم من كان منطقه ذكرا وصمته فكرا ونظره عبرة فإنه مثلي **وقال** الحسن من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو ومن
لم يكن سكوته تفكرا فهو سهو ومن لم يكن نظره اعتبارا فهو لهو وفي قوله عز وجل سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون
في الأرض بغير الحق **قال** أمنع قلوبهم التفكر في أمري **وقال** أبو سعيد الخدري **قال** رسول
الله صلى الله عليه وسلم أعطوا أعينكم حظها من العبادة قالوا يا رسول الله وما حظها من العبادة قال النظر في المصحف
والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه **وعن** امرأة كانت تسكن البادية قريبا من مكة أنها قالت لو تطالعت
قلوب المتقين بفكرها إلى ما قد ادخر لها في حجب الغيوب من خير الآخرة لم يصف لهم في الدنيا عيش ولم تقر لهم عين وكان
لقمان الحكيم يطيل الجلوس وحده فكان يمر به مولاه فيقول يا لقمان إنك تطيل الجلوس وحدك فلو جلست مع الناس
كان آنس لك فيقول لقمان إن طول الوحدة أفهم للفكر وطول الفكر دليل على طريق الجنة **وقال** وهب بن منبه
ما طالت فكرة امرئ قط إلا فهم ولا فهم إلا علم ولا علم إلا عمل **وقال** عمر بن عبد العزيز الفكرة في نعم الله عز وجل
أفضل من العبادة **وقال** عبد الله بن المبارك يوما لسهل بن علي ورآه ساكتا متفكرا أين بلغت قال الصراط وقال
بشر لو تفكر الناس في عظمة الله عز وجل ما عصوا الله تعالى **وعن** ابن عباس ركعتان مقتصدتان في تفكر خير
من قيام ليلة بلا قلب وبينا أبو شريح يمشي إذ جلس فتقنع بكسائه فجعل يبكي فقيل له ما يبكيك قال تفكرت في ذهاب
عمري وقلة عملي واقتراب أجلي **وقال** أبو سليمان عودوا أعينكم البكاء وقلوبكم التفكر **وقال** أبو سليمان الفكر
في الدنيا حجاب عن الآخرة وعقوبة لأهل الولاية والفكر في الآخرة يورث الحكمة ويحيي القلوب **وقال** حاتم من
العبرة يزيد العلم ومن الذكر يزيد الحب ومن التفكر يزيد الخوف **وقال** ابن عباس التفكر في الخير
يدعو إلى العمل به والندم على الشر يدعو إلى تركه **ويروى** أن الله تعالى قال في بعض الكتب إني لست أقبل
كلام كل حكيم ولكن أنظر إلى همه وهواه فإذا كان همه وهواه لي جعلت صمته تفكرا وكلامه حمدا وإن لم يتكلم **وقال**
الحسن إن أهل العقل لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر وبالفكر على الذكر حتى استنطقوا قلوبهم فنطقت بالحكمة **وقال**
إسحاق بن خلف كان داود الطائي رحمه الله تعالى عليه على سطح في ليلة قمراء فتفكر في ملكوت السموات والأرض
وهو ينظر إلى السماء ويبكي حتى وقع في دار جار له قال فوثب صاحب الدار من فراشه عريانا وبيده سيف فظن أنه
لص فلما نظر إلى داود رجع ووضع السيف وقال من ذا الذي طرحك من السطح قال ما شعرت بذلك **وقال**
الجنيد أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد والتنسم بنسيم المعرفة والشرب بكأس
المحبة من بحر الوداد والنظر بحسن الظن بالله عز وجل ثم قال يا لها من مجالس ما أجلها ومن شراب ما ألذه طوبى لمن

مدته وقال الشافعي استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكرة وقال ايضا صحة النظر
في الامور نجاة من الغرور والعزم في الرأي سلامة من التفريط والندم والروية والفكر يكشفان عن
الحزم والفطنة ومشاورة الحكماء ثبات في النفس وقوة في البصيرة ففكر قبل ان تعزم وتدبر قبل ان تهجم وشاور
قبل ان تتقدم وقال ايضا الفضائل اربعة احدها الحكمة وقوامها في الفكرة والثانية العفة وقوامها في
الشهوة والثالثة القوة وقوامها في الغضب والرابعة العدل وقوامه في اعتدال قوى النفس فهذه اقاويل
العلماء في الفكرة وما شرع احد في ذكر حقيقتها وبيان مجاريها

بيان حقيقة الفكر وثمرته

اعلم ان
معنى الفكر هو احضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة ومثاله ان من مال الى العاجلة وآثر الحياة
الدنيا واراد ان يعرف ان الآخرة اولى بالايثار من العاجلة فله طريقان احدهما ان يسمع من غيره ان الآخرة اولى
بالايثار فيقلده ويصدقه من غير بصيرة بحقيقة الامر فيميل بعمله الى ايثار الآخرة اعتمادا على مجرد قوله وهذا
يسمى تقليدا ولا يسمى معرفة والطريق الثانية ان يعرف ان الابقى اولى بالايثار ثم يعرف ان الآخرة ابقى فيحصل
له من هاتين المعرفتين معرفة ثالثة وهو ان الآخرة اولى بالايثار ولا يمكن تحقق المعرفة بان الآخرة اولى بالايثار
الا بالمعرفتين السابقتين فاحضار المعرفتين السابقتين في القلب ليتوصل به الى المعرفة الثالثة يسمى تفكرا
واعتبارا وتذكرا ونظرا وتأملا وتدبرا اما التدبر والتأمل والتفكر فعبارات مترادفة على معنى واحد ليس
تحتها معان مختلفة واما اسم التذكر والاعتبار والنظر فهي مختلفة المعاني وان كان اصل المسمى واحدا كما ان
اسم الصارم والمهند والسيف يتوارد على شيء واحد ولكن باعتبارات مختلفة فالصارم يدل على السيف من
حيث هو قاطع والمهند يدل عليه من حيث نسبته الى موضعه والسيف يدل دلالة مطلقة من غير اشعار بهذه
الزوائد فكذلك الاعتبار ينطلق على احضار المعرفتين من حيث انه يعبر منهما الى معرفة ثالثة فان لم يقع العبور
ولم يمكن الا الوقوف على المعرفتين فينطلق عليه اسم التذكر لا اسم الاعتبار واما النظر فيقع عليه من حيث ان فيه
طلب معرفة ثالثة وهو الثالث فمن ليس يطلب المعرفة الثالثة لا يسمى ناظرا فكل متفكر متذكر وليس كل متذكر متفكرا
وفائدة التذكار تكرار المعارف على القلب لترسخ وتثبت ولا تنمحي عن القلب وفائدة التفكر تكثير العلم واستجلاب
معرفة ليست حاصلة فهذا هو الفرق بين التذكر والتفكر والمعارف اذا اجتمعت في القلب وازدوجت
على ترتيب مخصوص اثمرت معرفة اخرى فالمعرفة نتاج المعرفة فاذا حصلت معرفة اخرى وازدوجت مع معرفة
اخرى حصل منها نتاج آخر وهكذا يتمادى النتاج وتتمادى العلوم ويتمادى الفكر الى غير نهاية وانما تنسد طريق
زيادة المعارف بالموت او بالعوائق هذا لمن يقدر على استثمار العلوم ويهتدي الى طريق التفكر واما اكثر الناس
فانما منعوا الزيادة في العلوم لفقدهم رأس المال وهو المعارف التي بها تستثمر العلوم كالذي لا بضاعة له فانه
لا يقدر على الربح وقد يملك البضاعة ولكن لا يحسن صنعة التجارة فلا يربح فكذلك قد يكون معه من المعارف
ما هو رأس مال العلوم ولكنه ليس يحسن استعمالها وتأليفها وايقاع الازدواج المفضي الى النتاج فيها ومعرفة طريق الاستعمال
والاستثمار تارة تكون بنور الهي يحصل بالفطرة كما كان للانبياء صلى الله عليهم اجمعين وذلك عزيز جدا وقد يكون بالتعلم
والممارسة وهو الاكثر ثم المتفكر قد تحضره هذه المعارف وتحصل له الثمرة وهو لا يشعر بكيفية حصولها ولا يقدر على
التعبير عنها لقلة ممارسته لصناعة التعبير في الايراد فكم من انسان يعلم ان الآخرة اولى بالايثار علما حقيقيا و
لو سئل عن سبب معرفته لم يقدر على ايراده والتعبير عنه مع انه لم تحصل معرفته الا عن المعرفتين السابقتين
وهو ان الابقى اولى بالايثار وان الآخرة ابقى من الدنيا فتحصل له معرفة ثالثة وهو ان الآخرة اولى بالايثار فرجع
حاصل حقيقة الفكر الى احضار معرفتين ليتوصل بهما الى معرفة ثالثة واما ثمرة الفكر فهي العلوم والاحوال والاعمال

ولكن ثمرتها الخاصة العلم لا غير نعم اذا حصل العلم في القلب تغير حال القلب واذا تغير حال القلب
تغيرت اعمال الجوارح فالعمل تابع للحال والحال تابع للعلم والعلم تابع للفكر فالفكر اذا هو المبدأ
والمفتاح للخيرات كلها وهذا هو الذي يكشف لك عن فضيلة التفكر وانه خير من الذكر والتذكر لان
الفكر ذكر وزيادة وذكر القلب خير من اعمال الجوارح بل شرف العلم لما فيه من الذكر فاذا التفكر افضل من
جملة الاعمال ولذلك قيل تفكر ساعة خير من عبادة سنة فقيل هو الذي ينقل من المكاره الى المحاب و
من الرغبة والحرص الى الزهد والقناعة وقيل هو الذي يحدث مشاهدة وتقوى ولذلك قال
تعالى لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا وان اردت ان تفهم كيفية تغير الحال بالفكر فمثاله ما ذكرناه
من امر الآخرة فان الفكر فيه يعرفنا ان الآخرة اولى بالايثار فاذا رسخت هذه المعرفة يقينا في قلوبنا تغيرت
القلوب الى الرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا وهذا ما عنيناه بالحال اذ كان حال القلب قبل هذه
المعرفة حب العاجلة والميل اليها والنفرة عن الآخرة وقلة الرغبة فيها وبهذه المعرفة تغير حال
القلب وتبدلت ارادته ورغبته ثم اثمر تغير الارادة اعمال الجوارح في اطراح الدنيا والاقبال على اعمال
الآخرة فههنا خمس درجات اولها التذكر وهو احضار المعرفتين في القلب وثانيها التفكر وهو طلب
المعرفة المقصودة منهما والثالثة حصول المعرفة المطلوبة واستنارة القلب بها والرابعة تغير
حال القلب عما كان بسبب حصول نور المعرفة والخامسة خدمة الجوارح للقلب بحسب ما تجدد
له من الحال فكما يضرب بالحجر على الحديد فيخرج منه نار يستضيء بها الموضع فتصير العين مبصرة
بعد ان لم تكن مبصرة وتنتهض الاعضاء للعمل فكذلك زناد نور المعرفة هو الفكر الذي يجمع بين
المعرفتين كما يجمع بين الحجر والحديد ويؤلف بينهما تأليفا مخصوصا كما يضرب الحجر على الحديد ضربا
مخصوصا فينبعث نور المعرفة كما ينبعث النار من الحديد ويتغير القلب بسبب هذا النور حتى
يميل الى ما لم يكن يميل اليه كما يتغير البصر بنور النار فيرى ما لم يكن يراه ثم تنتهض الاعضاء للعمل
بمقتضى حال القلب كما ينتهض العاجز عن العمل بسبب الظلمة للعمل عند ادراك البصر ما لم يكن
يبصره فاذا ثمرة الفكر العلوم والاحوال والعلوم لا نهاية لها والاحوال التي يتصور ان تتقلب على القلب لا يمكن
حصرها فلهذا لو اراد مريد ان يحصر فنون الفكر ومجاريه وانه فيماذا يتفكر لم يقدر عليه لان مجاري الفكر
غير محصورة وثمراته غير محصورة نعم نحن نجتهد في ضبط مجاريه بالاضافة الى مهمات العلوم الدينية
وبالاضافة الى الاحوال التي هي مقامات السالكين ويكون ذلك ضبطا جمليا فان تفصيل ذلك يستدعي
شرح العلوم كلها وجملة هذه الكتب كالشرح لبعضها فانها مشتملة على علوم تلك العلوم مستفادة من
افكار مخصوصة فلنشر الى الضبط الجامع فيها ليحصل الوقوف على مجاري الفكر

بيان مجاري الفكر

اعلم ان الفكر قد يجري في امر يتعلق بالدين وقد يجري فيما يتعلق بغير الدين وانما غرضنا ما يتعلق بالدين
فلنترك القسم الآخر ونعني بالدين المعاملة التي بين العبد وبين الرب تعالى فجميع افكار العبد اما ان
تتعلق بالعبد وصفاته واحواله واما ان تتعلق بالمعبود وصفاته وافعاله ولا يمكن ان يخرج عن هذين
القسمين وما يتعلق بالعبد اما ان يكون نظرا فيما هو محبوب عند الرب تعالى او فيما هو مكروه ولا حاجة الى
الفكر في غير هذين القسمين وما يتعلق بالرب تعالى اما ان يكون نظرا في ذاته وصفاته واسمائه الحسنى واما
ان يكون نظرا في افعاله وملكه وملكوته وجميع ما في السموات والارض وما بينهما وينكشف انحصار
الفكر في هذه الاقسام بمثال وهو ان حال السائرين الى الله تعالى والمشتاقين الى لقائه يضاهي حال العشاق

فليتخذ العاشق المستهتر مثالا فيقال العاشق المستغرق الهم بعشقه لا يعدو فكره من أن
يتعلق بمعشوقه أو يتعلق بنفسه فإن تفكر في معشوقه فإما أن يتفكر في جماله وحسن صورته في ذاته لينعم
بالفكر فيه ومشاهدته وإما أن يتفكر في أفعاله اللطيفة الحسنة الدالة على أخلاقه وصفاته لتكون
ذلك مضعفا للذته ومقويا لمحبته وإن تفكر في نفسه فيكون فكره في صفاته التي تسقطه من عين محبوبه
حتى يتنزه عنها أو في الصفات التي تقربه منه وتحببه إليه حتى يتصف بها فإن تفكر في شيء خارج من
هذه الأقسام فذلك خارج عن حد العشق وهو نقصان فيه لأن العشق التام الكامل ما يستغرق العاشق
ويستوفي القلب حتى لا يترك فيه متسعا لغيره فمحب الله تعالى ينبغي أن يكون كذلك فلا يعدو نظره
وتفكره محبوبه ومهما كان تفكره محصورا في هذه الأقسام الأربعة لم يكن خارجا عن مقتضى المحبة أصلا فلنبدأ
بالقسم الأول وهو تفكره في صفات نفسه وأفعاله ليميز المحبوب منها عن المكروه فإن هذا الفكر هو الذي
يتعلق بعلم المعاملة الذي هو مقصود هذا الكتاب وأما القسم الآخر فيتعلق بعلم المكاشفة ثم كل واحد
مما هو مكروه عند الله أو محبوب ينقسم إلى ظاهر كالطاعات والمعاصي وإلى باطن كالصفات المنجيات والمهلكات
التي محلها القلب وذكرنا تفصيلها في ربع المهلكات والمنجيات والطاعات والمعاصي تنقسم إلى ما يتعلق
بالأعضاء السبعة وإلى ما ينسب إلى البدن كالفرار من صف القتال وعقوق الوالدين والسكون في المسكن
الحرام ويجب في كل واحد من المكاره التفكر في ثلاثة أمور **الأول** التفكر في أنه هل هو مكروه عند الله تعالى
أم لا فرب شيء لا يظهر كونه مكروها بل يدرك بدقيق النظر **والثاني** التفكر أنه إن كان مكروها فما طريق الاحتراز
عنه **والثالث** أن هذا المكروه هل هو متصف به في الحال فيتركه أو هو متعرض له في الاستقبال فيحترز
عنه أو قارفه فيما مضى من الأحوال فيحتاج إلى تداركه وكذلك كل واحد من المحبوبات ينقسم هذه الانقسامات
فإذا جمعت هذه الأقسام زادت مجاري الفكر في هذه الأقسام على مائة والعبد مدفوع إلى التفكر إما في جميعها
أو في أكثرها وشرح آحاد هذه الأقسام يطول ولكن نحصر هذه الأقسام في أربعة أنواع الطاعات والمعاصي و
الصفات المهلكات والصفات المنجيات فلنذكر في كل نوع منها مثالا ليقيس به المريد سائرها وينفتح
له باب الفكر ويتسع عليه طريقه **النوع الأول** المعاصي ينبغي أن يفتش الإنسان صبيحة كل يوم جميع أعضائه
السبعة تفصيلا ثم بدنه على الجملة هل هو في الحال ملابس لمعصية بها فيتركها أو لابسها بالأمس فيتداركها
بالترك والندم أو هو متعرض لها في نهاره فيستعد للاحتراز والتباعد منها فينظر في اللسان فيقول إنه
متعرض للغيبة والكذب وتزكية النفس والاستهزاء بالغير والمماراة والممازحة والخوض فيما لا يعني إلى غير ذلك من
المكاره فيقرر أولا في نفسه أنها مكروهة عند الله تعالى ويتفكر في شواهد القرآن والسنة على شدة العذاب
فيهما ثم يتفكر في أحواله أنه كيف يتعرض لها من حيث لا يشعر ثم يتفكر كيف يحترز منها ويعلم أنه لا يتم له ذلك إلا
بالعزلة والانفراد وأن لا يجالس إلا الصالحين الأتقياء الذين ينكرون عليه مهما تكلم بما لا يرضاه الله تعالى وإلا فيضع حجرا في فيه إذا
جالس غيره حتى يكون ذلك مذكرا له فهكذا يكون الفكر في حيلة الاحتراز ويتفكر في سمعه أنه يستمع به إلى الغيبة
والكذب وفضول الكلام وإلى اللهو والبدعة وأن ذلك إنما يسمعه من زيد وعمرو وأنه كيف ينبغي أن يحترز
عنه بالاعتزال أو بالنهي عن المنكر مهما سمع ذلك ويتفكر في بطنه إنما يعصي الله تعالى فيه بالأكل والشرب
إما بكثرة الأكل من الحلال فإن ذلك مكروه عند الله ومقو للشهوة التي هي سلاح الشيطان عدو الله وإما بأكل
الحرام والشبهة فينظر من أين مطعمه وملبسه ومسكنه ومكسبه ويتفكر في طرق الحلال ومداخله ثم يتفكر في
وجوه الحيلة في الاكتساب منه والاحتراز من الحرام ويقرر على نفسه أن العبادات كلها ضائعة مع أكل الحرام وأن أكل

الحلال هو أساس العبادات كلها وأن الله لا يقبل صلاة عبد في ثمن ثوبه درهم من حرام كما ورد الخبر فهكذا
يتفكر في أعضائه ففي هذا القدر كفاية فمهما حصل بالفكر حقيقة المعرفة بهذه الأحوال اشتغل بالمراقبة
طول النهار حتى يحفظ الأعضاء عنها **النوع الثاني وهو الطاعات** فينظر أولا في الفرائض المكتوبة
عليه أنه كيف يؤديها وكيف يحرسها عن النقصان والتقصير أو كيف يجبر نقصانها بكثرة النوافل ثم
يرجع إلى عضو عضو فيتفكر في الأفعال التي تتعلق بذلك العضو مما يحبه الله تعالى فيقول مثلا إن العين
خلقت للنظر في ملكوت السموات والأرض وعبرة ذلك من آيات الله عز وجل وتستعمل في طاعة الله عز
وجل وينظر في كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا قادر على أن أشغل العين بمطالعة
القرآن والسنة فلم لا أفعله وأنا قادر على أن أنظر إلى فلان المطيع بعين التعظيم فأدخل السرور على قلبه
وأنظر إلى فلان الفاسق بعين الازدراء فأزجره بذلك عن معصيته فلم لا أفعله وكذلك يقول في
سمعه إني قادر على استماع كلام ملهوف أو استماع قراءة وذكر فما لي أعطله وقد أنعم الله تعالى به علي وأودعنيه
لأشكره فما لي أكفر نعمة الله تعالى بتضييعه وتعطيله وكذلك يتفكر في اللسان ويقول إني قادر على
أن أتقرب إلى الله عز وجل بالتعليم والوعظ والتودد إلى أهل الصلاح وبالسؤال عن أحوال الفقراء وإدخال
السرور على قلب زيد الصالح وعمرو العالم بكلمة طيبة وكل كلمة طيبة فإنها صدقة وكذلك يتفكر في ماله
فيقول أنا قادر على أن أتصدق بالمال الفلاني فإني مستغن عنه ومهما احتجت إليه رزقني الله تعالى مثله وإن
كنت محتاجا الآن فأنا إلى ثواب الإيثار أحوج مني إلى ذلك المال وهكذا يفتش عن أعضائه وجملة بدنه
وأمواله بل عن دوابه وغلمانه وأولاده فإن كل ذلك أدواته وأسبابه ويقدر على أن يطيع الله بها فيستنبط
بدقيق الفكر وجوه الطاعات الممكنة بها ويتفكر فيما يرغبه في البدار إلى تلك الطاعات ويتفكر في إخلاص
النية فيها ويطلب لها مظان الاستحقاق حتى يزكو بها عمله وقس على هذا سائر الطاعات **النوع الثالث**
وهو الصفات المهلكات التي محلها القلب فيعرفها بما ذكرناه في ربع المهلكات وهي استيلاء
الشهوة والغضب والبخل والكبر والعجب والرياء والحسد وسوء الظن والغفلة والغرور وغير ذلك ويتفقد
من قلبه هذه الصفات فإن ظن أن القلب منزه عنها فيتفكر في كيفية امتحانه نفسه والاستشهاد بالعلامات
على ذلك فإن النفس أبدا تعد بالخير من نفسها وتخلف فإن ادعت التواضع والبراءة من الكبر فينبغي أن
يجربها بحمل حزمة من حطب أو نحوها في السوق كما كان الأولون يجربون به أنفسهم وإن ادعت الحلم
تعرض لغضب ينال من غيره ثم يجربها في كظم الغيظ وكذلك في سائر الصفات وهذا تفكر في أنه هل
هو موصوف بالصفة المكروهة أم لا ولذلك علامات ذكرناها في ربع المهلكات فإذا دلت العلامات على وجودها
يتفكر في الأسباب التي تقبح تلك الصفات عنده ويتبين أن منشأها من الجهل والغفلة وخبث الدخلة
كما إذا رأى في نفسه عجبا بالعمل فيتفكر ويقول إنما عملي ببدني وجارحتي وبقدرتي وإرادتي وكل ذلك ليس
مني ولا إلي وإنما هو من خلق الله عز وجل وفضله علي فهو الذي خلقني وخلق جارحتي وخلق قدرتي وإرادتي
وهو الذي حرك أعضائي بقدرته فكيف أعجب بنفسي وبعملي ولا أقوم لنفسي وإذا أحس
في نفسه بالكبر يقرر على نفسه ما فيه من الحماقة ويقول لها لم ترين نفسك أكبر والكبير من هو عند الله
وذلك ينكشف بعد الموت وكم من كافر في الحال يموت مقربا إلى الله تعالى بنزوعه عن الكفر وكم من مسلم
يموت شقيا بتغير حاله عند سوء الخاتمة فإذا عرف أن الكبر مهلك وأن أصله الحماقة فيتفكر في علاج
إزالته بأن يتعاطى أفعال المتواضعين وإذا وجد في نفسه شهوة الطعام وشرهه تفكر في أن هذه صفة

البهائم ولو كان في شهوة الطعام والوقاع كمال لكان من صفات الله تعالى ومن صفات الملائكة كالعلم والقدرة
ولما اتصف به البهائم ومهما كانت الشرة عليه اغلب كان بالبهائم اشبه وعن الملائكة المقربين ابعد وكذلك يقرر
على نفسه في الغضب ثم يتفكر في طريق العلاج وكل ما ذكرناه في هذه الكتب فكل من اراد ان يتسع له طريق الفكر فلا بد له
من تحصيل ما في هذا الكتاب **واما النوع الرابع وهو المنجيات** فهو التوبة والندم على الذنوب
والصبر على البلاء والشكر على النعماء والخوف والرجاء والزهد في الدنيا والاخلاص والصدق في الطاعات
ومحبة الله عز وجل وتعظيمه والرضا بافعاله والشوق اليه والخشوع والتواضع اليه وكل ذلك ذكرناه في
هذا الربع وذكرنا اسبابه وعلاماته فليتفكر العبد كل يوم في قلبه ما الذي يعوزه من هذه الصفات التي
هي المقربة الى الله تعالى فاذا افتقر الى شيء منها فليعلم انها احوال لا يثمرها الا علوم وان العلوم لا يثمرها الا
الافكار فاذا اراد ان يكتسب لنفسه حال التوبة والندم فليفتش عن ذنوبه اولا وليجمعها على نفسه
وليعظمها في قلبه ثم ينظر في الوعيد والتهديد الذي ورد في الشرع في ذلك وليحقق عند نفسه انه متعرض
لمقت الله تعالى حتى ينبعث له حال الندم واذا اراد ان يستثير من قلبه حال الشكر فلينظر في احسان
الله تعالى اليه واياديه لديه وفي ارساله جميل ستره عليه على ما شرحنا بعضه في كتاب الشكر فليطالع
ذلك واذا اراد حال المحبة والشوق فليتفكر في جلال الله وجماله وعظمته وكبريائه وذلك بالنظر في عجائب
حكمه وبدائع صنعه كما سنشير الى طرف منه في القسم الثاني من الفكر واذا اراد حال الخوف فلينظر
اولا في ذنوبه الظاهرة والباطنة ثم لينظر في الموت وسكراته ثم فيما بعده من سؤال منكر ونكير وعذاب القبر
وحياته وعقاربه وديدانه ثم في هول النداء عند نفخة الصور ثم في هول المحشر عند جمع الخلائق على صعيد
واحد ثم المناقشة في الحساب والمضايقة في النقير والقطمير ثم في الصراط ودقته وحدته ثم في خطر
الامر عنده انه يصرف الى الشمال فيكون من اهل النار او الى اليمين فينزل دار القرار ثم ليحضر بعد
اهوال القيامة في قلبه صورة جهنم ودركاتها ومقامعها واهوالها وسلاسلها واغلالها وزقومها وصديدها و
انواع العذاب فيها وقبح صور الزبانية الموكلين بها وانهم كلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها وانهم كلما ارادوا
ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وانهم اذا راوها من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وهلم جرا الى جميع
ما ورد في القرآن من شرحها واذا اراد ان يستجلب حال الرجاء فلينظر في الجنة ونعيمها واشجارها وانهارها
وحورها وولدانها ونعيمها المقيم وملكها الدائم فهكذا طريق الفكر الذي يطلب به العلوم التي تثمر اجتلاب احوال
محبوبة او التنزه عن صفات مذمومة وقد ذكرنا في كل واحد من هذه الاحوال كتابا مفردا يستعان به على تفصيل
الفكر واما ذكر مجامعه فلا يوجد انفع من قراءة القرآن بالتفكر فانه جامع لجميع المقامات والاحوال وفيه
شفاء للعالمين وان فيه آيات فيه ما يورث الخوف والرجاء والصبر والشكر والمحبة والشوق وسائر الاحوال
وفيه ما يزجر عن سائر الصفات المذمومة فينبغي ان يقرأه العبد ويردد الآية التي هو محتاج الى التفكر فيها
مرة بعد اخرى ولو مائة مرة فقراءة آية بتفكر وفهم خير من ختمة بغير تدبر وفهم وليتوقف في
التامل فيها ولو ليلة واحدة فان تحت كل كلمة من القرآن اسرارا لا تنحصر ولا يوقف عليها الا بدقيق الفكر عن صفاء القلب
بعد صدق المعاملة وكذلك مطالعة اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه قد اوتي جوامع الكلم وكل كلمة من
كلماته بحر من بحور الحكمة ولو تأملها العالم حق تاملها لم ينقطع نظره فيها طول عمره وشرح احاد الآيات والاخبار يطول فانظر
الى قوله صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي احبب من احببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك
ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به فان هذه الكلمات جامعة حكم الاولين والآخرين وهي كافية للمتاملين

فيها طول العمر ولو وقفوا على معانيها وغلبت على قلوبهم غلبة يقين لاستغرقتهم وحالت بينهم وبين
الالتفات الى الدنيا بالكلية فهذا هو طريق التفكر في علوم المعاملة وصفات العبد من حيث هي محبوبة عند الله تعالى
او مكروهة والمبتدي ينبغي ان يكون مستغرق الوقت في هذه الافكار حتى يعمر قلبه بالاخلاق المحمودة والمقامات
الشريفة وينزه ظاهره وباطنه عن المكاره وليعلم مع هذا انه افضل من سائر العبادات فليس هو غاية المطلب بل المشغول
به محجوب عن مطلب الصديقين وهو التنعم بالفكر في جلال الله تعالى وجماله واستغراق القلب بحيث يفنى عن نفسه
اي يغيب عن نفسه واحواله ومقاماته وصفاته فيكون مستغرق الهم بالمحبوب كالعاشق المستهتر عند لقاء
الحبيب فانه لا يتفرغ للنظر في احوال نفسه واوصافه بل يبقى كالمبهوت الغافل عن نفسه وهو منتهى لذة
العشاق فاما ما ذكرناه فهو تفكر في عمارة الباطن ليصلح للقرب والوصال فاذا ضيع جميع عمره في اصلاح نفسه فمتى
يتنعم بالقرب ولذلك كان الخواص يدور في البوادي فلقيه الحسين بن منصور وقال فيم انت قال ادور في
البوادي لاصحح حالتي في التوكل فقال قد افنيت عمرك في عمران باطنك فاين الفناء في التوحيد فالفناء في الواحد الحق
هو غاية مقصد الطالبين ومنتهى نعيم الصديقين واما التنزه عن الصفات المهلكات فيجري مجرى
الخروج عن العدة في النكاح واما الاتصاف بالصفات المنجيات وسائر الطاعات فيجري مجرى تهيئة المرأة
جهازها وتنظيفها وجهها ومشطها شعرها لتصلح بذلك للقاء زوجها فان استغرقت جميع عمرها في تبرئة
الرحم وتزيين الوجه كان ذلك حجابا لها عن لقاء المحبوب فهكذا ينبغي ان تفهم طريق الدين ان كنت من اهل
المجالسة وان كنت كالعبد السوء لا يتحرك الا خوفا من الضرب وطمعا في الاجرة فدونك واتعاب البدن بالاعمال
الظاهرة فان بينك وبين القلب حجابا كثيفا فاذا قضيت حق الاعمال كنت من اهل الجنة ولكن للمجالسة اقوام آخرون
وهو مقعد صدق عند مليك مقتدر واذا عرفت مجال الفكر في علم المعاملة التي بين العبد وبين ربه
فينبغي ان تتخذ ذلك عادتك ووردك صباحا ومساء فلا تغفل عن نفسك وعن صفاتك المبعدة من الله
تعالى واحوالك المقربة اليه بل كل مريد فينبغي ان يكون له جريدة يثبت فيها جملة الصفات المهلكات
وجملة الصفات المنجيات وجملة المعاصي والطاعات ويعرض نفسه عليها كل يوم ويكفيه من المهلكات عشرة
فانه ان سلم منها سلم من غيرها وهي البخل والكبر والعجب والرياء والحسد وشدة الغضب وشره الطعام وشره الوقاع
وحب المال وحب الجاه ويكفيه من المنجيات عشرة الندم على الذنوب والصبر على البلاء والرضا بالقضاء والشكر
على النعماء واعتدال الخوف والرجاء والزهد في الدنيا والاخلاص في الاعمال وحسن الخلق مع الخلق وحب الله تعالى والخشوع
له فهذه عشرون خصلة عشرة مذمومة وعشرة محمودة فمهما كفي من المذمومات واحدة فيخط عليها من جريدته
ويدع الفكر فيها ويشكر الله تعالى على كفايته اياها وتنزيهه وتبرئة قلبه منها ويعلم ان ذلك لم يتم الا بتوفيق
الله وعونه ولو وكله الى نفسه لم يقدر على محو اقل الرذائل عن نفسه فيقبل على التسعة الباقية وهكذا
يفعل حتى يخط على الجميع وكذلك يطالب نفسه بالاتصاف بالمنجيات فاذا اتصف بواحدة منها كالتوبة
والندم خط عليها واشتغل بالباقي وهذا يحتاج اليه المريد المشمر واما اكثر الناس من المعدودين
من الصالحين فينبغي ان يثبتوا في جرائدهم المعاصي الظاهرة كاكل الشبهة واطلاق اللسان بالغيبة والنميمة
والمراء والثناء على النفس والافراط في معاداة الاعداء وموالاة الاولياء والمداهنة مع الخلق في ترك الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر فان اكثر من يعد نفسه من جملة الصالحين لا ينفك عن جملة من هذه المعاصي في جوارحه وما لم يطهر
الجوارح عن الآثام فلا يمكن الاشتغال بعمارة القلب وتطهيره بل كل فريق من الناس يغلب عليهم نوع من المعاصي
فينبغي ان يكون تفقدهم لها وتفكرهم فيها لا في معاص هم في معزل عنها مثاله العالم الورع فانه لا يخلو في غالب الامر

عن اظهار نفسه بالعلم وطلب الشهرة وانتشار الصيت اما بالتدريس او بالوعظ ومن فعل ذلك فقد تصدى
لفتنة عظيمة لا ينجو منها الا الصديقون فانه ان كان كلامه مقبولا حسن الوقع في القلوب لا ينفك عن الاعجاب
والخيلاء والتزين والتصنع وذلك من المهلكات وان رد كلامه لم يخل عن انفة وغيظ وحقد على من يرده
وهو اكثر من غيظه على من يرد كلام غيره وقد يلبس الشيطان عليه ويقول ان غيظك من حيث انه رد الحق
وانكره فان وجد تفرقة بين ان يرد عليه كلامه او يرد على عالم آخر فهو مغرور وضحكة للشيطان ثم مهما
كان له ارتياح بالقبول او فرح بالثنا واستنكاف عن الرد والاعراض لم يخل عن تكلف وتصنع لتحسين اللفظ
والايراد حرصا على استجلاب الثنا والله لا يحب المتكلفين والشيطان قد يلبس عليه ويقول انما حرصك على
تحسين الالفاظ والتكلف فيه لنشر الحق وتحسين موقعه في القلوب اعلاء لدين الله تعالى فان كان فرحه
بحسن الفاظه وثنا الناس عليه اكثر من فرحه بثنا الناس على واحد من اقرانه فهو مخدوع وانما يدور
حول طلب الجاه وهو يظن انه طلب الاخرة ومهما اختلج ضميره بهذه الصفات ظهر على ظاهره حتى يكون الموقر له
والمعترف بفضله اكثر احتراما ويكون بلقائه اشد استبشارا مما يغلو في موالاة غيره وان كان ذلك
الغير مستحقا للموالاة وربما ينتهي الامر باهل العلم الى ان يتغايروا تغاير النسا فيشق على احدهم ان
يختلف بعض تلامذته الى غيره وان كان يعلم انه منتفع بغيره ومستفيد منه في دينه وكل ذلك رشح
الصفات المهلكات المستكنة في سر القلب التي قد يظن العالم النجاة منها وهو مغرور فيها وانما ينكشف
ذلك بهذه العلامات ففتنة العالم عظيمة وهو اما مالك واما هالك ولا مطمع له في سلامة العوام فمن
احس في نفسه شيئا من هذه الصفات فالواجب عليه الانفراد والعزلة وطلب الخمول والمدافعة للفتاوى
مهما سئل فقد كان مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحوي جمعا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
مفتون وكانوا يتدافعون الفتوى وكانوا اذا افتى كل من كان يفتي كان يود ان يكفيه غيره وعند هذا ينبغي ان
يتقي شياطين الانس اذا قالوا لا تفعل هذا فان هذا الباب لو فتح لاندرست العلوم من بين الخلق وليقل لهم ان
دين الاسلام مستغن عني فقد كان معمورا قبلي وكذلك يكون بعدي ولو مت لم تنهدم اركان الاسلام
والدين مستغن عني واما انا فلست مستغنيا عن اصلاح قلبي واما اداء ذلك الى اندراس العلم فخيال يدل على
غاية الجهل فان الناس لو حبسوا في السجون وقيدوا بالقيود وتوعدوا بالنار على طلب العلم لكان حب العلو
والرياسة يحملهم على كسر القيود وهدم حيطان السجون والخروج منها والاشتغال بطلب العلم فالعلم
لا يندرس ما دام الشيطان يحبب الى الخلق الرياسة به والشيطان لا يفتر عن عمله الى يوم القيامة بل ينتهض
لنشره اقوام لا نصيب لهم في الاخرة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين
باقوام لا خلاق لهم وان الله تعالى ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر فلا ينبغي ان يغتر العالم بهذه التلبيسات
فيشتغل بمخالطة الخلق حتى يتربى في قلبه حب الجاه والثنا والتعظيم فان ذلك بذر النفاق قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الجاه والمال ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل وقال
عليه السلام ما ذئبان ضاريان في زريبة غنم باكثر فسادا فيها من حب الجاه والمال في دين الرجل المسلم ولا
ينقلع حب الجاه والمال من القلب الا بالاعتزال عن الناس والهرب من مخالطتهم وترك كل ما يزيد جاهه في قلوبهم
فليكن فكر العالم في التفطن لخفايا هذه الصفات من قلبه وفي استنباط طريق الخلاص منها فهذه وظيفة
العالم المتقي فاما امثالنا فينبغي ان يكون تفكرنا فيما يقوي ايماننا بيوم الحساب اذ لو رآنا السلف الصالحون
لقالوا قطعا ان هؤلاء لا يؤمنون بيوم الحساب فما اعمالنا اعمال من يؤمن بالجنة والنار فان من خاف شيئا هرب

ومن رجا شيئا طلبه وقد علمنا ان الهرب من النار بترك الشهوات والحرام وبترك المعاصي ونحن منهمكون
فيها وان طلب الجنة بتكثير نوافل الطاعات ونحن مقصرون في الفرائض منها فلم يحصل لنا من ثمرة العلم الا انا
نقتدي في الحرص على الدنيا والتكالب عليها ويقال لو كان هذا مذموما لكان العلماء اولى باجتنابه منا فليتنا
كنا كالعوام اذا متنا ماتت معنا ذنوبنا فما اعظم الفتنة التي تعرضنا لها لو تفكرنا فنسأل الله ان يصلحنا ويصلح
بنا ويوفقنا للتوبة قبل ان يتوفانا انه الكريم اللطيف بنا المنعم علينا فهذه مجاري افكار العلماء الصالحين
في علم المعاملة فان فرغوا منها انقطع التفاتهم عن انفسهم وارتقوا منها الى التفكر في جلال الله تعالى
وعظمته والتنعم بمشاهدته بعين القلب ولا يتم ذلك الا بعد الانفكاك عن جميع المهلكات والاتصاف
بجميع المنجيات وان ظهر شي منه قبل ذلك كان مدخولا معلولا مكدرا مقطوعا وكان ضعيفا كالبرق
الخاطف لا يثبت ولا يدوم ويكون كالعاشق الذي خلا بمعشوقه ولكن تحت ثيابه عقارب وحيات
وهي تلدغه مرة بعد اخرى فتنغص عليه لذة المشاهدة ولا طريق له في كمال التنعم
الا باخراج العقارب من ثيابه وهذه الصفات المذمومة عقارب وحيات وهي مؤذيات ومشوشات
وفي القبر يزيد الم لدغها على الم لدغ العقارب والحيات فهذا القدر كاف من التنبيه على مجاري فكر العبد
في صفات نفسه المحبوبة والمكروهة عند ربه **القسم الثاني** الفكر في جلال الله تعالى
وعظمته وكبريائه وفيه مقامان المقام الاول الاعلى الفكر في ذاته وصفاته ومعاني اسمائه وهذا مما منع منه
حيث قيل تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله وذلك لان العقول تتحير فيه فلا يطيق مد البصر اليه الا
الصديقون ثم لا يطيقون دوام النظر بل سائر الخلق احوال ابصارهم بالاضافة الى جلال الله سبحانه كحال
بصر الخفاش بالاضافة الى الشمس فانه لا يطيقه البتة بل يختفي نهارا وانما يتردد ليلا لينظر في بقية نور
الشمس وانه لا يقدر على النظر اليها اذا وقع على الارض واحوال الصديقين كحال الانسان في النظر الى الشمس فانه
يقدر على النظر اليها ولكنه لا يطيق دوام النظر ويخشى على بصره لو ادام النظر ونظر المختطف يورث
العمش ويفرق البصر وكذلك النظر الى ذات الله تعالى يورث الحيرة والدهش واضطراب العقل فالصواب
اذن ان لا يتعرض لمجاري الفكر في ذات الله تعالى وصفاته فان اكثر العقول لا تحتمله بل القدر اليسير الذي صرح به
بعض العلماء وهو ان الله تعالى مقدس عن المكان ومنزه عن الاقطار والجهات وانه ليس هو داخل
العالم ولا خارجه ولا هو متصل بالعالم ولا هو منفصل عنه قد حير عقول اقوام حتى انكروه اذ لم يطيقوا
سماعه ومعرفته بل ضعفت طائفة عن احتمال اقل من هذا اذ قيل لهم انه سبحانه يتعالى ان يكون له راس
ويد ورجل وعين وعضو وان يكون جسما مشخصا له مقدار وحجم فانكروا هذا وظنوا انه قدح في عظمة
الله تعالى وجلاله حتى قال بعض الحمقى من العوام ان هذا وصف بطيخ هندي لا وصف الاله لظن المسكين ان الجلالة
والعظمة في هذه الاعضاء وهذا لان الانسان لا يعرف الا نفسه ولا يستعظم الا نفسه فكل ما لا يساويه في صفاته
لا يفهم العظمة فيه نعم غايته ان يقدر نفسه جميل الصورة جالسا على سرير وبين يديه غلمان يمتثلون
امره فلا جرم غايته ان يقدر ذلك في حق الله سبحانه حتى يفهم العظمة بل لو كان للذباب عقل وقيل له ليس
لخالقك جناحان ولا يد ولا رجل ولا له طيران لانكر ذلك وقال كيف يكون خالقي انقص مني افيكون مقصوص الجناح
او يكون زمنا لا يقدر على الطيران او يكون لي آلة وقدرة فان الانسان جهول ظلوم كفار ولذلك اوحى
الله تعالى الى بعض انبيائه لا تخبر عبادي بصفاتي فينكروني ولكن اخبرهم عني بما يفهمون فلما كان
النظر في ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته خطرا من هذا الوجه اقتضى ادب الشرع وصلاح الخلق ان لا يتعرضوا

بمجاري الفكر فيه سبحانه جل جلاله وتقدست اسماؤه لكنا نعدل الى المقام الثاني وهو النظر الى افعاله
وعجايب صنعه وبدايع امره في خلقه فانها تدل على جلاله وكبريائه وتقدسه وتعاليه وتدل على كمال
علمه وحكمته وعلى نفاذ مشيته وقدرته فينظر الى صفاته من اثار صفاته فانها لا نطيق النظر الى صفاته كما انا
نطيق النظر الى الارض مهما استنارت بنور الشمس ونستدل به على عظم نور الشمس بالاضافة الى نور القمر
وساير الكواكب لان نور الارض من اثار نور الشمس والنظر في الاثار يدل على المؤثر دلالة ما وان كان لا يقوم مقام
النظر في نفس المؤثر وجميع موجودات الدنيا اثر من اثار قدرة الله تعالى ونور من انوار ذاته بل لا ظلمة اشد من
العدم ولا نور اظهر من الوجود ووجود الاشيا كلها نور من انوار ذاته تعالى وتقدس اذ قوام وجود
الاشيا بذاته القيوم بنفسه كما ان قوام نور الاجسام بنور الشمس المضية بنفسها ومهما انكسف بعض الشمس
جرت العادة بان يوضع طست ماء حتى ترى الشمس فيه ويمكن النظر اليها فيكون الماء واسطة يغض قليلا
من نور الشمس حتى يطاق النظر اليها فكذلك الافعال واسطة نشاهد فيها صفات الفاعل ولا يبهرنا
نور الذات بعد ان تباعدنا عنها بواسطة الافعال فهذا سر قوله صلى الله عليه وسلم تفكروا في خلق الله ولا
تتفكروا في ذات الله **بيان التفكر في خلق الله عز وجل** اعلم ان كل ما في الوجود مما سوى
الله فهو فعل الله تعالى وخلقه وكل ذرة من الذرات من جوهر وعرض وصفة وموصوف ففيها عجايب وغرايب تظهر
بها حكمة الله وقدرته وجلاله وعظمته واحصا ذلك غير ممكن لانه لو كان البحر مدادا لذلك لنفد البحر قبل ان
ينفد عشر عشيره ولكنا نشير الى جمل منها ليكون ذلك كالمثال لما عداه فنقول الموجودات
المخلوقة منقسمة الى ما لا يعرف اصلها فلا يمكننا التفكر فيها وكم من الموجودات التي لا نعلمها كما قال سبحانه
سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون وقال تعالى وننشئكم فيما لا
تعلمون والى ما يعرف اصلها وجملتها ولا يعرف تفصيلها فيمكننا ان نتفكر في تفصيلها وهي منقسمة الى ما ادركناه
بحس البصر والى ما لا ندركه بالبصر اما الذي لا ندركه كالملائكة والجن والشياطين والعرش والكرسي وغيرها
ومجال التفكر فيها مما يضيق ويغمض فلنعدل الى الاقرب الى الافهام وهي المدركات بحس البصر وذلك هي السموات السبع
والارض وما بينهما فالسموات مشاهدة بكواكبها وشمسها وقمرها وحركتها ودورانها في طلوعها وغروبها
والارض مشاهدة بما فيها من جبالها ومعادنها وانهارها وبحارها وحيوانها ونباتها وما بين السماء والارض
وهو الجو مدرك بغيومها وامطارها وثلوجها ورعدها وبروقها وصواعقها وشهبها وعواصف رياحها فهذه
الاجناس المشاهدة من السموات والارض وما بينهما وكل جنس منها ينقسم الى انواع وكل نوع ينقسم الى اقسام
ويتشعب كل قسم الى اصناف ولا نهاية لانشعاب ذلك وانقسامها في اختلاف صفاتها وهيئاتها ومعانيها الظاهرة
والباطنة وجميع ذلك مجال الفكر فلا تتحرك ذرة في السموات والارض من جماد ونبات وحيوان وفلك وكوكب
الا وهو المحرك لها وفيها حكمة او حكمتان او عشرة او الف حكمة كل ذلك شاهد لله بالوحدانية
ودالة على جلاله وكبريائه وهي الايات الدالة عليه وقد ورد القران بالحث على التفكر في هذه الايات
كما قال تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات وكما قال تعالى ومن اياته من اول القران
الى اخره فلنذكر كيفية التفكر في بعض الايات فمن اياته الانسان المخلوق من النطفة واقرب شي اليك نفسك
وفيك من العجايب الدالة على عظمة الله تعالى ما تنقضي الاعمار في الوقوف على عشر عشيره وانت غافل عنه فيا من
هو غافل عن نفسه وجاهل بها كيف تطمع في معرفة غيرك وقد امرك الله تعالى بالتدبر في نفسك في
كتابه العزيز فقال وفي انفسكم افلا تبصرون وذكر انك مخلوق من نطفة مذرة فقال قتل الانسان ما اكفره

من اي شي خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره وقال ومن
اياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون وقال الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى
وقال الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين وقال اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا
هو خصيم مبين وقال انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه ثم ذكر كيف جعل النطفة علقة و
العلقة مضغة والمضغة عظاما وقال تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه
نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فتكرير ذكر النطفة في الكتاب العزيز ليس ليسمع لفظه
ويترك التفكر في معناه فانظر الان الى النطفة وهي قطرة من الما قذرة لو تركت ساعة ليضربها الهوا فسدت
وانتنت كيف اخرجها رب الارباب من بين الصلب والترايب وكيف جمع بين الذكر والانثى والقى الحبة في
قلوبهم وكيف قادهم بسلسلة المحبة والشهوة الى الاجتماع وكيف استخرج النطفة من الرجل بحركة الوقاع و
كيف استجلب دم الحيض من اعماق العروق وجمعه في الرحم ثم كيف خلق المولود من النطفة وسقاه بما
الحيض وغذاه حتى نما وربا وكبر وكيف جعل النطفة وهي بيضا مشرقة علقة حمرا ثم كيف جعلها مضغة
ثم كيف قسم اجزا النطفة وهي متشابهة متساوية الى العظام والاعصاب والعروق والاعضا الظاهرة
فدور الراس وشق السمع والبصر والانف والفم وساير المنافذ ثم مد اليد والرجل وقسم روسها
بالاصابع وقسم الاصابع بالانامل ثم كيف ركب الاعضا الباطنة من القلب والمعدة والكبد والطحال
والرية والرحم والمثانة والامعا كل واحد على شكل مخصوص ومقدار مخصوص لعمل مخصوص ثم كيف قسم كل عضو
من هذه الاعضا باقسام اخر فركب العين من سبع طبقات لكل طبقة وصف مخصوص وهيئة مخصوصة
لو فقدت طبقة منها او زالت صفة من صفاتها لتعطلت العين عن الابصار فلو ذهبنا الى نصف
ما في احاد هذه الاعضا من العجايب والايات لانقضى فيه الاعمار فانظر الان الى العظام وهي اجسام
قوية كيف خلقها من نطفة سخيفة رقيقة ثم جعلها قواما للبدن وعمادا له ثم قدرها بمقادير
مختلفة واشكال مختلفة فمنها صغير وكبير وطويل ومستدير ومجوف ومصمت وعريض ودقيق
ولما كان الانسان محتاجا الى الحركة بجملة بدنه وببعض اعضايه لتردده في حاجاته لم يجعل عظمه
عظما واحدا بل عظاما كثيرة بينها مفاصل حتى تتيسر بها الحركة وقدر شكل كل واحد
منها على قدر وفق الحركة المطلوبة بها ثم وصل مفاصلها وربط بعضها ببعض باوتار انبتها في احد
طرفي العظم والصق بالطرف الاخر كالرباط ثم خلق في احد طرفي العظم زوايد خارجة منه وفي الاخر
نقرا غايصة فيها موافقة لشكل الزوايد لتدخل فيها وتنطبق عليها فصار العبد ان اراد تحريك جز من
اجزايه لم يمتنع عليه ولولا المفاصل لتعذر عليه ذلك ثم انظر كيف خلق عظام الراس وكيف جمعها وركبها
وقد ركبها من خمسة وخمسين عظما مختلفة الاشكال والصور فالف بعضها الى بعض بحيث استوت
بها كرة الراس كما تراه فمنها ستة تخص القحف واربعة عشر للحي الاعلى واثنان للحي الاسفل والبقية
هي الاسنان بعضها عريضة تصلح للطحن وبعضها حادة تصلح للقطع والاضراس والثنايا ثم جعل الرقبة
مركبا للراس وركبها من سبع خرزات مجوفات مستديرات فيها تحريفات وزيادات ونقصانات لينطبق
بعضها على بعض ويطول **ذكر وجه الحكمة فيها** ثم ركب الرقبة على الظهر من اسفل الرقبة
الى منتهى عظم العجز من اربع وعشرين خرزة وركب عظم العجز من ثلثة اجزا مختلفة ثم يتصل به من
اسفله عظم العصعص وهو ايضا مولف من ثلاثة اجزا ثم وصل عظام الظهر بعظام الصدر وعظام

الكف بعظام اليدين وعظام العانة وعظام العجز ثم ركب عظام الفخذين والساقين واصابع الرجلين
فلا نطول بذكر عددها ومجموع عدد العظام في بدن الانسان مائتا عظم وثمانية واربعون عظما سوى
العظام الصغيرة التي حشي بها خلل المفاصل فانظر كيف خلق ذلك من نطفة سخيفة رقيقة وليس
المقصود من ذكر اعداد العظام ان يعرف عددها فان هذا علم قريب يعرفه الاطبا والمشرحون وانما
الغرض ان ينظر منها في مدبرها وخالقها انه كيف دبرها وقدرها وخالف بين اشكالها واقدارها وخصصها
بهذا العدد المخصوص لانه لو زاد عليها واحدا لكان وبالا على الانسان يحتاج الى قلعه ولو نقص منها واحدا
لكان نقصانا يحتاج الى جبره فالطبيب ينظر فيها ليعرف وجه العلاج في جبرها واهل البصائر ينظرون
فيها ليستدلوا بها على جلالة خالقها ومصورها فشتان بين النظرين ثم انظر كيف خلق الله الات
لتحريك العظام وهي العضلات فخلق في بدن الانسان خمسمائة عضلة وتسعا وعشرين عضلة والعضلة
مركبة من لحم وعصب ورباط واغشية وهي مختلفة الاشكال والمقادير بحسب اختلاف مواضعها
وحاجاتها فاربعة وعشرون عضلة منها هي لتحريك حدقة العين واجفانها لو نقصت واحدة من
جملتها اختل امر العين وهكذا لكل عضو عضلات بعدد مخصوص وقدر مخصوص وامر الاعصاب والعروق
والاوردة والشرايين وعددها ومنابتها وانشعاباتها اعجب من هذا كله وشرحه يطول فللتفكر مجال
في احاد هذه الاجزاء ثم في احاد الاعضاء ثم في جملة البدن وكل ذلك نظر الى عجائب اجسام البدن وعجائب المعاني
والصفات التي لا تدرك بالحواس اعظم فانظر الان الى ظاهر الانسان وباطنه والى بدنه وصفاته لترى فيها
من الصنعة ما يقضي منه العجب وكل ذلك صنع الله في قطرة ماء قذرة افترى من هذا صنعه في قطرة ماء
فما صنعه في ملكوت السموات وكواكبها وما حكمته في اوضاعها واشكالها ومقاديرها واعدادها واجتماع
بعضها وتفرق بعضها واختلاف صورها وتفاوت مشارقها ومغاربها فلا تظنن ان ذرة من ملكوت
السموات تنفك عن حكمة وحكم بل هي احكم خلقا واتقن صنعا واجمع للعجائب من بدن الانسان بل لا نسبة
لجميع ما في الارض الى عجائب السموات ولذلك قال تعالى انتم اشد خلقا ام السماء بناها فارجع الان
الى النطفة وتامل حالها اولا وما صارت اليه ثانيا وتامل انه لو اجتمع الانس والجن على ان يخلقوا للنطفة
سمعا او بصرا او عقلا او قدرة او علما او روحا او يخلقوا فيها عظما او عرقا او عصبا او جلدا او شعرا
هل يقدرون على شيء من ذلك بل لو ارادوا ان يعرفوا كنه حقيقته وكيفية خلقته بعد ان خلق الله
ذلك لعجزوا عنه فالعجب منك لو نظرت الى صورة انسان مصور على حائط تانق النقاش في تصويرها حتى قربها
من صورة الانسان وقال الناظر اليها كانها انسان لعظم تعجبك من صنعة النقاش وحذقه وخفة يده
وتمام فطنته ولعظم في قلبك محله مع انك تعلم ان تلك الصورة انما تمت بالصبغ والقلم وبالحائط
وباليد وبالقدرة وبالعلم والارادة وشيء من ذلك ليس من فعل النقاش ولا خلقه بل هو من خلق غيره وانما
منتهى فعله الجمع بين الصبغ والحائط على ترتيب مخصوص فيكثر تعجبك منه وتستعظمه وانت ترى النطفة
القذرة كانت معدومة فخلقها خالقها في الاصلاب والترائب ثم اخرجها منها وشكلها فاحسن تشكيلها
وقدرها فاحسن تقديرها وصورها فاحسن تصويرها وقسم اجزاءها المتشابهة الى اجزاء مختلفة
فاحكم العظام في ارجائها وحسن اشكال اعضائها وزين ظاهرها وباطنها ورتب عروقها واعصابها
وجعلها مجرى لغذائها ليكون ذلك سبب بقائها وجعلها سميعة بصيرة عالمة ناطقة
فخلق لها الظهر اساسا لبدنها والبطن حاويا لالات غذائها والراس جامعا لحواسها ففتح العينين ورتب طبقاتها

واحسن شكلها ولونها وهيئتها ثم حماها بالاجفان لتسترها وتحفظها وتصقلها وتدفع الاقذاء عنها ثم اظهر
في مقدار عدسة منها صورة السموات مع اتساع اكنافها وتباعد اقطارها فهو ينظر اليها ثم شق اذنيه
واودعهما ماء مرا ليحفظ سمعها ويدفع الهوام عنها وحوطها بصدفة الاذن لتجمع الصوت فترده الى
صماخها ولتحس بدبيب الهوام اليها وجعل فيها تحريفات واعوجاجات لتكثر حركة ما يدب فيها ويطول
طريقه فيتنبه عن النوم صاحبها اذا قصدتها الدابة في حال النوم ثم رفع الانف من وسط الوجه واحسن
شكله وفتح منخريه واودع فيهما حاسة الشم ليستدل باستنشاق الروائح على مطاعمه واغذيته
وليستنشق بمنفذ المنخرين روح الهوا غذاء لقلبه وترويحا لحرارة باطنه وفتح الفم واودعه
اللسان ناطقا وترجمانا ومعربا عما في القلب وزين الفم بالاسنان لتكون الة الطحن والكسر
والقطع فاحكم اصولها وحدد رؤوسها وبيض لونها ورتب صفوفها متساوية الرؤوس متناسقة
الترتيب كانها الدر المنظوم وخلق الشفتين وحسن لونهما وشكلهما لتنطبقا على الفم وتسد منفذه
وليتم بهما حروف الكلام ثم خلق الحنجرة وهياها لخروج الاصوات وخلق للسان قدرة في الحركات والتقطيعات
ليقطع الصوت في مخارج مختلفة تختلف بها الحروف ليتسع بها طريق النطق بكثرتها ثم خلق الحناجر مختلفة
الاشكال في الضيق والسعة والخشونة والملاسة وصلابة الجوهر ورخاوته والطول والقصر
حتى اختلفت بسببها الاصوات فلم يتشابه صوتان بل يظهر بين كل صوتين فرق حتى يميز السامع
بعض الناس عن بعض بمجرد الصوت في الظلمة ثم زين الراس بالشعر والاصداغ وزين الوجه
باللحية والحاجبين وزين الحاجب برقة الشعر وتقويس الشكل وزين العينين بالاهداب ثم خلق
الاعضاء الباطنة وسخر كل واحد منها لفعل مخصوص فسخر المعدة لنضج الغذاء والكبد لاحالة الغذاء الى
الدم والطحال والمرارة والكلية لخدمة الكبد والطحال يخدمه بجذب السوداء عنه والمرارة تخدمه
بجذب المائية عنه والمثانة تخدم الكلية بقبول الماء عنه ثم تخرجه في طريق الاحليل والعروق
تخدم الكبد في ايصال الدم الى سائر اطراف البدن ثم خلق اليدين وطولهما لتمتد الى المقاصد
وعرض الكف وقسم الاصابع الخمس وقسم كل اصبع بثلاث انامل ووضع الاربع في جانب والابهام في جانب
لتدور الابهام على الجميع ولو اجتمع الاولون والاخرون على ان يستنبطوا بدقيق الفكر وجها اخر في
وضع الاصابع سوى ما وضعت عليه من بعد الابهام عن الاربعة وتفاوت الاربعة في الطول و
ترتيبها في صف واحد لم يقدروا عليه اذ بهذا صلح للقبض والاعطاء فان بسطها كانت له طبقا يضع
عليها ما يريد وان جمعها كانت الة للضرب وان ضمها ضما غير تام كانت مغرفة له وان بسطها
وضم اصابعها كانت مجرفة له ثم خلق الاظفار على رؤوسها زينة للانامل وعمادا لها من ورائها حتى لا
تنقطع وليلتقط بها الاشياء الدقيقة التي لا تتناولها الانامل وليحك بها بدنه عند الحاجة فالظفر
الذي هو اخس الاعضاء لو عدمه الانسان وظهرت به حكة لكان اعجز الخلق واضعفهم ولم يقم احد
مقامه في حك بدنه ثم هدى اليد الى موضع الحك حتى تمتد اليه ولو في النوم والغفلة من غير حاجة
الى طلب ولو استعان بغيره لم يعثر على موضع الحك الا بعد تعب طويل ثم خلق هذا كله في النطفة وهي
في جوف الرحم في ظلمات ثلاث ولو كشف الغطاء وامتد البصر اليه لكان يرى التخطيط والتصوير
يظهر عليها شيئا فشيئا ولا يرى المصور ولا آلته فهل رأيت مصورا وفاعلا لا يمس آلته ولا يلاقيه وهو
يتصرف فيها فسبحانه ما اعظم شانه واظهر برهانه ثم انظر مع كمال قدرته الى تمام رحمته فانه

لما ضاق الرحم على الجنين لما كبر كيف هداه السبيل حتى تنكس وتحرك وخرج من ذلك المضيق وطلب
المنفذ كأنه عاقل بصير بما يحتاج اليه ثم انه لما خرج واحتاج الى الغذاء كيف هداه الى التقام الثدي ثم
لما كان بدنه سخيفا لا يحتمل الاغذية الكثيفة كيف دبر له خلق اللبن اللطيف واستخرجه من بين الفرث و
الدم سائغا خالصا وكيف خلق الثديين وجمع فيهما اللبن وانبت فيهما الحلمة على قدر ما
ينطبق عليه فم الصبي ثم فتح في حلمة الثدي ثقبا ضيقا جدا حتى لا يخرج اللبن الا بعد المص تدريجا فان الطفل
لا يطيق منه الا القليل ثم كيف هداه الى الامتصاص حتى يستخرج من المضيق اللبن الكثير عند
شدة الجوع ثم انظر الى عطفه ورأفته كيف اخر خلق الاسنان الى تمام الحولين لانه في الحولين لا يتغذى
الا باللبن فيستغني عن السن واذا كبر لم يوافقه اللبن السخيف ويحتاج الى طعام غليظ ويحتاج الطعام
الى المضغ والطحن فانبت له الاسنان عند الحاجة لا قبلها ولا بعدها فسبحانه كيف اخرج تلك
العظام الصلبة من تلك اللثات اللينة ثم حنن قلوب الوالدين عليه للقيام بتدبيره في الوقت الذي
كان عاجزا عن تدبير نفسه فلو لم يسلط الله تعالى الرحمة على قلوبهما لكان الطفل اعجز الخلق عن تدبير
نفسه ثم انظر كيف رزقه القدرة والتمييز والعقل والهداية تدريجا حتى بلغ وتكامل فصار مراهقا
ثم شابا ثم كهلا ثم شيخا اما كفورا واما شكورا مطيعا او عاصيا مؤمنا او كافرا تصديقا لقوله تعالى
هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه
سميعا بصيرا انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا فانظر الى اللطف ثم الى الكرم ثم الى القدرة والحكمة
تبهرك عجائب الحضرة الربوبية فالعجب كل العجب لمن يرى خطا حسنا او نقشا حسنا على حائط فيستحسنه
فيصرف جميع همه الى التفكر في النقاش والخطاط وانه كيف نقشه وخطه وكيف اقتدر عليه ولا يزال
يستعظمه ويقول ما احذقه وما اتم صنعته واحسن قدرته ثم ينظر الى هذه العجائب في نفسه وفي غيره
ثم يغفل عن صانعه ومصوره فلا تدهشه عظمته ولا يحيره جلاله وحكمته فهذه نبذة من عجائب بدنك
التي لا يمكن استقصاؤها وهو اقرب مجال لفكرك واجلى شاهد على عظمة خالقك وانت غافل عنها
مشغول ببطنك وفرجك لا تعرف من نفسك الا ان تجوع فتأكل وتشبع فتنام وتشتهي فتجامع وتغضب
فتقاتل وتشاركك في معرفة ذلك البهائم والسباع كلها وانما خاصية الانسان التي حجب البهائم عنها
معرفة الله تعالى بالنظر في ملكوت السموات والارض وعجائب الآفاق والانفس اذ بذلك يدخل العبد في
زمرة الملائكة المقربين ويحشر في زمرة النبيين والصديقين مقربا من حضرة رب العالمين وليست هذه
الرتبة للبهائم ولا لانسان رضي من الدنيا بشهوات البهائم فانه شر من البهائم بكثير اذ لا قدرة للبهيمة على
ذلك واما هو فقد خلق الله تعالى له القدرة ثم عطلها وكفر النعمة فيها فاولئك كالانعام بل هم اضل سبيلا
واذا عرفت طريق الفكر في نفسك فتفكر في الارض التي هي مقرك ثم في انهارها وبحارها وجبالها ومعادنها
ثم ارتفع منها الى ملكوت السموات **اما الارض** فمن آياته ان خلق الارض فراشا ومهادا وسلك فيها سبلا
فجاجا وجعلها ذلولا لتمشوا في مناكبها وجعلها قارة لا تتحرك وارسى فيها الجبال اوتادا لها تمنعها من ان تميد
ثم وسع اكنافها حتى عجز الآدميون عن بلوغ جميع جوانبها وان طالت اعمارهم وكثر تطوافهم فقال تعالى والسماء
بنيناها بأيد وانا لموسعون والارض فرشناها فنعم الماهدون وقال تعالى هو الذي جعل لكم الارض ذلولا
واكثر في كتابه ذكر الارض ليتفكر في عجائبها فظهرها مقر للاحياء وبطنها موطن للاموات ولذلك قال تعالى الم
نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا فانظر الى الارض وهي ميتة فاذا انزل عليها الماء اهتزت وربت واخضرت

وانبتت عجائب النبات وخرجت منها اصناف الحيوانات ثم انظر كيف احكم جوانب الارض بالجبال الراسيات
الشوامخ الصم الصلاب وكيف اودع المياه تحتها ففجر العيون واسال الانهار تجري على وجهها واخرج
من الحجارة اليابسة ومن التراب الكدر ماء رقيقا عذبا صافيا زلالا وجعل به كل شيء حيا فاخرج به فنون
الاشجار والنبات من حب وعنب وقضب وزيتون ونخل ورمان وفواكه كثيرة لا تحصى مختلفة الاشكال
والالوان والطعوم والصفات والروائح يفضل بعضها على بعض في الاكل تسقى بماء واحد وتخرج من ارض
واحدة **فان قلت** ان اختلافها لاختلاف بذورها واصولها فمتى كان في النواة نخلة مطوقة بعناقيد
الرطب ومتى كانت في حبة واحدة سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ثم انظر الى ارض البوادي وتفتش ظاهرها
وباطنها فلا ترى فيها الا ترابا متشابها فاذا انزل عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج
بهيج الوانا مختلفة ونباتا متشابها وغير متشابه لكل واحد طعم وريح ولون وشكل يخالف الآخر فانظر
الى كثرتها واختلاف اصنافها وكثرة اشكالها ثم اختلاف طبائع النبات وكثرة منافعها وكيف اودع العقاقير
المنافع الغريبة فهذا النبات يغذي وهذا يقوي وهذا يحيي وهذا يقتل وهذا يبرد وهذا يسخن
وهذا اذا حصل في المعدة قمع الصفراء من اعماق العروق وهذا يستحيل الى الصفراء وهذا يقمع البلغم
والسوداء وهذا يستحيل اليهما وهذا يستحيل دما وهذا يصفي الدم وهذا ينوم وهذا يفرح وهذا
يقيء وهذا يضعف فلم ينبت من الارض ورقة ولا تبنة الا وفيها منافع لا يقوى البشر على الوقوف
على كنهها وكل واحد منها يحتاج الفلاح في تربيته الى عمل مخصوص فالنخل يؤبر والكرم يزبر والزرع
ينقى منه الحشيش والدغل وبعضها يستنبت ببث البذر في الارض وبعضها بغرز الاغصان وبعضها يركب
في الاشجار ولو اردنا ان نذكر اختلاف اجناس النبات ومنافعه واحواله وعجائبه لانقضت الايام في وصفه فيكفيك
من كل جنس نبذة يسيرة تدلك على طريق الفكر فهذه عجائب النبات في وصفه فيكفيك من كل جنس نبذة
يسيرة تدلك **ومن آياته الجواهر** المودعة تحت الجبال والمعادن الحاصلة من الارض ففي الارض قطع
متجاورات مختلفة فانظر الى الجبال كيف يخرج منها الجواهر النفيسة من الذهب والفضة والفيروزج
وغيرها بعضها منطبعة تحت الارض كالذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد وبعضها لا
ينطبع كالفيروزج وغيره وكيف هدى الله الناس الى استخراجها وتنقيتها واتخاذ الاواني والآلات
والنقود والحلي منها ثم انظر الى معادن الارض من النفط والكبريت والقار وغيرها واقلها الملح ولا
يحتاج اليه الا لتطييب الطعام ولو خلت عنه بلدة لتسارع الهلاك اليها فانظر الى رحمة الله كيف خلق
بعض الاراضي سبخة بجوهرها بحيث يجتمع فيها الماء الصافي من المطر فيستحيل ملحا مالحا محرقا لا يمكن تناول
وزن مثقال منه ليكون ذلك تطييبا لطعامك اذا اكلته فيتهنأ عيشك وما من جماد وحيوان ونبات
الا وفيه حكمة وحكم من هذا الجنس ما خلق شيء منها عبثا ولا لعبا ولا هزلا بل خلق الكل بالحق كما ينبغي وعلى ما
ينبغي وكما يليق بجلاله وكرمه ولطفه ولذلك قال تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين
الا بالحق **ومن آياته** اصناف الحيوانات وانقسامها الى ما يطير والى ما يمشي وانقسام ما يمشي على رجلين
والى ما يمشي على اربع وعلى عشر وعلى مائة كما يشاهد في بعض الديدان ثم انقسامها في المنافع والصور والاشكال
والاخلاق والطباع فانظر الى طيور الجو والى وحوش البر والى البهائم الاهلية ترى فيها من العجائب ما لا
تشك معه في عظمة خالقها وقدرة مقدرها وحكمة مصورها وكيف يمكن ان نستقصي ذلك بل
لو اردنا ان نذكر عجائب البقة او النملة او النحلة وهي من صغار الحيوانات في بنائها وجمعها غذاءها

ولي هدايتها الى حاجاتها لا يتعدد فترى العنكبوت تبني بيتا على طرف نهر فتطلب موضعين متقاربين
بينهما فرجة بمقدار ذراع فما دونه حتى يمكنه ان يصل بالخيط بين طرفيه ثم يبتدي فيلقي اللعاب الذي
هو خيطه على جانب فيلصق به ثم يعدو الى الجانب الآخر فيحكم الطرف الآخر من الخيط ثم يحكم كذلك ثانيا
وثالثا ويجعل بعد ما بينهما متناسبا تناسبا هندسيا حتى اذا احكم معاقد القمط ورتب الخيوط كالسداة
اشتغل باللحمة فيضيف اللحمة الى السداة ويحكم العقد على موضع التقاء اللحمة بالسداة ويراعي في جميع
ذلك تناسب الهندسة ويجعل ذلك شبكة يقع فيها البق والذباب ويقعد في زاوية مترصدا لوقوع
الصيد في الشبكة فاذا وقع فيها بادر الى اخذه واكله فان عجز عن الصيد كذلك طلب لنفسه زاوية من حائط ووصل
بين طرفي الزاوية بخيط ثم علق نفسه فيها بخيط آخر وبقي منتكسا في الهوى ينتظر ذبابة تطير فاذا طار الذباب
رمى بنفسه اليه فاخذه ولف خيطه على رجليه واحكمه ثم اكله وما من حيوان صغير ولا كبير الا وفيه من هذه العجائب
ما لا يحصى افترى انه تعلم هذه الصنعة او تكون بنفسه او كونه آدمي او علمه او لا هادي له ولا معلم افيشك
ذو بصيرة في انه مسكين عاجز بل الفيل العظيم شخصه الظاهر قوته عاجز عن امر نفسه فكيف هذا الحيوان
الضعيف افلا يشهد هو بشكله وصورته وحركته وهدايته وعجائب صنعته لفاطره الحكيم وخالقه القادر
العليم فالبصير يرى في هذا الحيوان الصغير من عظمة الخالق المدبر وجلاله وكمال قدرته وحكمته ما تتحير
فيه الالباب والعقول فضلا عن سائر الحيوانات وهذا الباب ايضا لا حصر له فان الحيوانات واشكالها
واخلاقها وطباعها غير محصورة وانما سقط تعجب القلوب منها لانسها بكثرة المشاهدة نعم اذا رأت حيوانا
غريبا ولو دودا تجدد تعجبها وقالت سبحان الله ما اعجبه والانسان اعجب الحيوانات وليس يتعجب
من نفسه بل لو نظر الى الانعام التي الفها ونظر الى اشكالها وصورها ثم الى منافعها وفوائدها من جلودها واصوافها
واوبارها واشعارها التي جعلها الله لباسا لخلقه واكنانا لهم في ظعنهم واقامتهم وآنية لاشربتهم
واوعية لاغذيتهم وصوانا لاقدامهم وجعل البانها ولحومها اغذية لهم ثم جعل بعضها زينة للركوب
وبعضها حاملة للاثقال قاطعة للبوادي والمفازات البعيدة لاكثر الناظر التعجب من حكمة خالقها ومصورها فانه
ما خلقها الا بعلم محيط بجميع منافعها سابق على خلقه اياها فسبحان من الامور مكشوفة في علمه من غير
تفكر ومن غير تامل وتدبر ومن غير استعانة بوزير او مشير فهو العليم الخبير الحكيم القدير فلقد استخرج
باقل القليل مما خلق صدق الشهادة من قلوب العارفين بتوحيده فما للخلق الا الاذعان لقهره وقدرته والاعتراف
بربوبيته والاقرار بالعجز عن معرفة جلاله وعظمته فمن الذي يحصي ثناء عليه بل هو كما اثنى على نفسه وانما غاية
معرفتنا الاعتراف بالعجز عن معرفته فنسال الله ان يكرمنا بهدايته بمنه ورافته ومن آياته البحار العميقة
المكتنفة لاقطار الارض التي هي قطع من البحر الاعظم المحيط بجميع الارض حتى ان جميع المكشوف من البراري
والجبال بالاضافة الى الماء كجزيرة صغيرة في بحر عظيم وبقية الارض مستورة بالماء كما قال رسول الله صلى
الله عليه الارض في البحر كالاصطبل في الارض فانسب اصطبلا الى جميع الارض واعلم ان الارض بالاضافة الى
البحر مثله وقد شاهدت عجائب الارض التي فيها مكشوف فتامل عجائب البحار فان عجائب ما فيه من الحيوان والجواهر
اضعاف عجائب ما تشاهده على وجه الارض كما ان سعتها اضعاف سعة الارض ولعظم البحر كان فيه من
الحيوانات العظام ما ترى ظهورها فتظن انها جزيرة فينزل الركاب عليها وربما تحس بالنيران اذا اشتعلت
فتتحرك فيعلم انها حيوان وما من صنف من اصناف حيوان البر من فرس او طير او بقر او انسان الا وفي البحر امثالها
واضعافها وفيها اجناس لا تعهد لها نظير في البر قد ذكر اوصافها في مجلدات وجمعها اقوام عنوا بركوب البحر

وجمع عجائبه ثم انظر كيف خلق الله سبحانه اللؤلؤ ودوره في صدفه تحت الماء وانظر كيف انبت المرجان من صم
الصخر تحت الماء وانما هو نبات على هيئة الشجر ينبت من الحجارة ثم تامل ما عداه من العنبر واصناف النفائس
التي يقذفها البحر ويستخرج منه ثم انظر الى عجائب السفن كيف امسكها الله تعالى على وجه الماء وسير فيها
التجار وطلاب الاموال وسخر لهم الفلك لتحمل اثقالهم ثم ارسل الرياح لتسوق السفن ثم عرف الملاحين موارد الرياح
ومهابها ومواقيتها ولا يستقصى على الجملة عجائب صنع الله في البحر في مجلدات واعجب من ذلك كله ما هو اظهر من كل
ظاهر وهو كيفية قطرة الماء وهو جسم رقيق لطيف سيال مشف متصل الاجزاء كانه شيء واحد لطيف التركيب سريع
القبول للتقطيع كانه منفصل مسخر للتصرف قابل للانفصال والاتصال به حياة كل ما على وجه الارض من حيوان
ونبات فلو احتاج العبد الى شربة ماء ومنع منها لبذل جميع خزائن الدنيا في تحصيلها لو ملكها ولو ملك ثم منع شربه
فيبذل جميع خزائن الارض في اخراجها فالعجب من الآدمي يستعظم الدينار والدرهم ونفائس الجواهر ويغفل
عن نعمة الله في شربة ماء اذا احتاج الى شربها او الاستفراغ منها بذل جميع الدنيا فيها فتامل في عجائب المياه
والانهار والآبار والبحار ففيها متسع للفكر ومجال وكل ذلك شواهد متظاهرة وآيات متناصرة ناطقة بلسان
حالها مفصحة عن جلال بارئها معربة عن كمال حكمته فيها منادية ارباب القلوب بنغماتها قائلة اوما ترى
اوما ترى صورتي وتركيبي وصفاتي ومنافعي واختلاف حالاتي وكثرة فوائدي اتظن اني تكونت بنفسي او
خلقني احد من جنسي اوما تستحي تنظر في كلمة مرقومة من ثلاثة احرف فتقطع بانها صنعة آدمي عالم
قادر مريد متكلم ثم تنظر الى عجائب الخطوط الالهية المرقومة على صفحات وجهي بالقلم الالهي الذي لا تدرك الابصار
ذاته ولا حركته ولا اتصاله بمحل الخط ثم ينكر قلبك عن جلالة صانعه وتقول النطفة لارباب السمع والقلب
لا للذين هم عن السمع معزولون تفكر هي في ظلمة الاحشاء مغموسة في دم الحيض في الوقت الذي يظهر التخطيط و
التصوير على وجهي ينقش النقاش حدقتي واجفاني وجبهتي وخدي وشفتي فترى التنقيش يظهر شيئا
شيئا على التدريج ولا ترى داخل النطفة نقاشا ولا خارجها ولا داخل الرحم ولا خارجها ولا خبر منها للام ولا
للاب ولا للنطفة ولا للرحم افما هذا النقاش اعجب مما تشاهده ينقش بالقلم صورة عجيبة لو نظرت اليها
مرة لتعلمتها افهل تقصد ان تتعلم هذا الجنس من النقش الذي يعم ظاهر النطفة وباطنها وجميع اجزائها
من غير ملامسة للنطفة ومن آياته الهواء اللطيف المحبوس بين مقعر السماء ومحدب الارض يدرك بحس اللمس
عند هبوب الرياح جسمه ولا يرى بالعين شخصه وجملته مثل البحر الواحد والطيور محلقة في جو الهواء ومشيها
سباحة فيه باجنحتها كما تسبح حيوانات البحر في الماء وتضطرب جوانبه وامواجه عند هبوب الرياح كما تضطرب
امواج البحر فاذا حرك الله الهواء وجعله ريحا هابة فان شاء جعلها نشرا بين يدي رحمته كما قال وارسلنا الرياح لواقح
فيصل بحركته روح الهواء الى الحيوانات والنبات فيستعد للنماء وان شاء جعله عذابا على العصاة من خليقته كما قال
تعالى انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر تنزع الناس كانهم اعجاز نخل منقعر ثم انظر الى
لطف الهواء ثم شدته وقوته مهما ضغط في الماء فالزق المنفوخ يتحامل عليه الرجل القوي ليغمسه في الماء فيعجز
عنه والحديد الصلب تضعه على وجه الماء فيرسب فيه فانظر كيف ينقبض الهواء عن الماء بقوته مع لطافته و
بهذه الحكمة امسك الله تعالى السفن على وجه الماء وكذلك كل مجوف فيه هواء لا يغوص في الماء لان الهواء ينقبض
عن الغوص في الماء فلا ينفصل عن السطح الداخل من السفينة فتبقى السفينة الثقيلة مع قوتها وصلابتها معلقة
في الهواء اللطيف كالذي يقع في بئر فيتعلق بذيل رجل قوي يمتنع عن الهوي في البئر فالسفينة بمقعرها تتشبث
باذيال الهواء القوي حتى تمتنع من الهوي والغوص في الماء فسبحان من علق المركب الثقيل في هواء لطيف من غير

علاقة تشاهد ولا عماد تريد ثم انظر الى عجائب الجو وما يظهر فيه من الغيوم والرعود والبروق والامطار
والثلوج والشهب والصواعق فهي عجائب ما بين السماء والارض وقد اشار القرآن الى جملتها في قوله تعالى وما
خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين وهذا هو الذي بينهما واشار الى تفصيله في مواضع شتى حيث قال
عز من قائل والسحاب المسخر بين السماء والارض وحيث تعرض للرعد والبرق والسحاب والمطر فاذا لم يكن لك حظ من
هذه الحكمة الا ان ترى المطر بعينك وتسمع الرعد باذنك فالبهيمة تشاركك في هذه المعرفة فارتفع من حضيض
عالم البهائم الى العالم الملأ الاعلى فقد فتحت عينيك فادركت ظاهرها فغمض عينك الظاهرة وانظر ببصيرتك الباطنة
لترى عجائب باطنها وغرائب اسرارها وهذا ايضا باب يطول الفكر فيه ولا مطمع في استقصائه فتأمل السحاب
الكثيف المظلم كيف تراه يجتمع في جو صاف لا كدورة فيه وكيف يخلقه الله تبارك وتعالى اذا شاء ومتى شاء وهو مع
رخاوته حامل للماء الثقيل وممسك له في جو السماء الى ان ياذن الله تعالى في ارسال الماء وتقطيع القطرات كل
قطرة بالقدر الذي اراده الله تعالى وعلى الشكل الذي شاءه فترى السحاب يرش الماء على الارض ويرسله
قطرات متفاصلة لا تدرك قطرة منها قطرة ولا تتصل واحدة باخرى بل تنزل كل واحدة في الطريق الذي
رسم لها لا تعدل عنها فلا يتقدم المتاخر ولا يتاخر المتقدم حتى يصيب الارض قطرة قطرة فلو اجتمع الاولون
والاخرون على ان يخلقوا منها قطرة او يعرفوا عدد ما ينزل منها في بلدة واحدة او قرية واحدة لعجز حساب
الانس والجن عنه فلا يعلم عددها الا الذي اوجدها ثم كل قطرة منها عينت لكل جزء من الارض ولكل حيوان فيها
مخصوص من طير ووحش ودود مكتوب على تلك القطرة بخط الهي لا يدرك بالبصر الظاهر انها رزق الدودة الفلانية
التي هي في ناحية الجبل الفلاني يصل اليه عند عطشه في الوقت الفلاني هذا مع ما في انعقاد البرد الصلب
من الماء اللطيف وفي تناثر الثلوج كالقطن المندوف من العجائب التي لا تحصى كل ذلك فضل من الجبار القادر وقهر
من الخلاق القاهر وما لاحد من الخلق فيه شرك ومدخل بل ليس للمؤمنين من خلقه الا الاستكانة والخضوع تحت
جلاله وعظمته ولا للعميان الجاحدين الا جهل بكيفيته ورجم الظنون بذكر سببه وعلته فيقول الجاهل المغرور انما ينزل
الماء لانه ثقيل بطبعه هذا سبب نزوله ويظن انه معرفة انكشفت له ويفرح بها ولو قيل له ما معنى
الطبع وما الذي خلقه وما الذي خلق الماء الذي طبعه الثقل وما الذي رقى الماء المصبوب في اسفل الاشجار الى اعلى
الاغصان وهو ثقيل بطبعه فكيف هوى الى اسفل ثم ارتفع الى فوق في داخل تجاويف الاشجار شيئا فشيئا بحيث
لا يرى ولا يشاهد حتى ينتشر في جميع اطراف الاوراق فيغذي كل جزء من كل ورقة ويجري اليه في تجاويف عروق
شعرية صغار يرى منه العرق الذي في اصل الورقة ثم ينتشر من ذلك العرق الممدود في طول الورقة عروق صغار
فكان الكبير نهر وما ينشعب عنه جداول ثم ينشعب من الجداول سواق اصغر منها ثم ينتشر منها خيوط
عنكبوتية دقيقة تخرج عن ادراك البصر حتى تنبسط في جميع عرض الورقة فيصل الماء في اجوافها الى سائر اجزاء الورقة
ليغذيها وينميها ويزينها ويبقي طراوتها ونضارتها وكذلك الى سائر اجزاء الفواكه فان كان الماء يتحرك بطبعه الى اسفل
فكيف تحرك الى فوق فان كان ذلك بجذب جاذب فما الذي سخر ذلك الجاذب فان كان ذلك ينتهي بالآخرة الى
خالق السموات والارض وجبار الملك والملكوت فلم لا يحال عليه من اول الامر فنهاية الجاهل بداية العاقل ومن
ايات ملكوت السموات وما فيها من الكواكب وهو الامر كله ومن ادرك الكل وفاته عجائب السموات فقد فاته
الكل تحقيقا فالارض والبحار والهواء وكل جسم سوى السموات بالاضافة الى السموات كقطرة في بحر واصغر و
انظر كيف عظم الله امر السماء والنجوم في كتابه فما من سورة الا وتشتمل على تفخيمها في مواضع وكم من قسم في القرآن
بها كقوله عز وجل والسماء ذات البروج والسماء والطارق وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب وكقوله والشمس

وضحاها وكقوله فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس وكقوله والنجم اذا هوى وقوله فلا اقسم بمواقع النجوم
وانه لقسم لو تعلمون عظيم فقد علمت ان عجائب النطفة القذرة عجز عنها الاولون والاخرون وما اقسم
الله تعالى بها فكيف ظنك بما اقسم الله عز وجل به واحال الارزاق عليه فقال وفي السماء رزقكم وما توعدون
واثنى على المتفكرين فيه فقال تعالى ويتفكرون في خلق السموات والارض وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل
لمن قرأ هذه الاية ثم مسح بها سبلته اي تجاوزها من غير تفكر وذم المعرضين عنه فقال وجعلنا السماء سقفا محفوظا
وهم عن اياتها معرضون فاي نسبة لجميع البحار والارض الى السماء وهذه متغيرات على القرب والسموات صلاب
شداد محفوظات عن التغير الى ان يبلغ الكتاب اجله ولذلك سماه الله تعالى محفوظا فقال تعالى و
جعلنا السماء سقفا محفوظا وقال وبنينا فوقكم سبعا شدادا وقال أأنتم اشد خلقا ام السماء بناها
رفع سمكها فسواها فانظر الى الملكوت لترى عجائب العز والجبروت ولا تظنن ان معنى النظر الى الملكوت بان
تمد البصر اليه فترى زرقة السماء وضوء الكواكب وتفرقها فان البهائم تشاركك في هذا النظر فان كان هذا هو
المراد فلم مدح الله تعالى ابراهيم عليه السلام بقوله وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض لا بل كل ما
يدرك بحاسة البصر فالقرآن يعبر عنه بالملك والشهادة وما غاب عن الابصار يعبر عنه بالغيب والملكوت
والله تعالى عالم الغيب والشهادة وجبار الملك والملكوت ولا يحيط احد بشيء من علمه الا بما شاء وهو عالم
الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فاطل ايها العاقل فكرك في الملكوت فعسى ان تفتح لك
ابواب السماء فتجول بقلبك في اقطارها الى ان يقوم قلبك بين يدي عرش الرحمن فعند ذلك ربما يرجى لك ان
تبلغ رتبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث قال رأى قلبي ربي وهذا لان بلوغ الاقصى لا يكون الا
بعد مجاوزة الادنى وادنى شيء اليك نفسك ثم الارض التي هي مقرك ثم الهواء المكتنف لك ثم النبات والحيوان
وما على وجه الارض ثم عجائب الجو وهو ما بين السماء والارض ثم السموات السبع بكواكبها ثم الكرسي ثم العرش ثم
الملائكة الذين هم حملة العرش وخزان السموات ثم منه تجاوز الى النظر الى رب العرش والكرسي والسموات
والارض وما بينهما فبينك وبين هذه المفاوز العظيمة والمسافات الشاسعة والعقبات الشاهقة وانت بعد
لم تتخلص عن العقبة القريبة النازلة وهي معرفة ظاهر نفسك ثم صرت تطلق لسانك بوقاحتك وتدعي معرفة
ربك وتقول قد عرفته وعرفت خلقه ففيماذا اتفكر والى ماذا اتطلع فارفع الان راسك الى السماء وانظر فيها وفي
كواكبها وفي دورانها وطلوعها وغروبها وشمسها وقمرها واختلاف مشارقها ومغاربها ودؤوبها في الحركة على
الدوام من غير فتور في حركتها ومن غير تغير في سيرها بل تجري جميعها في منازل مرتبة بحساب مقدر لا يزيد
ولا ينقص الى ان يطويها الله تعالى طي السجل للكتاب وتدبر كواكبها وكثرتها واختلاف الوانها فبعضها يميل الى
الحمرة وبعضها الى البياض وبعضها الى اللون الرصاصي وانظر كيفية اشكالها فبعضها على صورة العقرب وبعضها
على صورة الحمل والثور والاسد والانسان وما من صورة في الارض الا ولها مثال في السماء ثم انظر الى مسير الشمس في فلكها في مدة
سنة ثم هي تطلع في كل يوم وتغرب بسير اخر سخرها له خالقها ولولا طلوعها وغروبها لما اختلف الليل والنهار ولم تعرف
المواقيت واطبق الظلام على الدوام او الضياء على الدوام وكان لا يتميز وقت المعاش عن وقت الاستراحة فانظر كيف
جعل الله تعالى الليل لباسا والنوم سباتا والنهار معاشا وانظر الى ايلاجه الليل في النهار والنهار في الليل
وادخاله الزيادة والنقصان عليهما على ترتيب مخصوص وانظر الى امالته سير الشمس عن وسط السماء حتى اختلف بسببه
الصيف والشتاء والربيع والخريف فاذا انخفضت من وسط السماء في مسيرها برد الهواء وظهر الشتاء واذا استوت في
وسط السماء اشتد القيظ واذا كانت فيما بينهما اعتدل الزمان وعجائب السموات لا مطمع في احصاء عشر عشير من

اجزا ثم ان تعرف فاما ما هو تنبيه على طريق الفكر فاعتقد على الجملة انه ما من كوكب من الكواكب الا ولله تعالى فيه حكم كثيرة في خلقه ثم في مقداره ثم في شكله ثم في لونه ثم في وضعه من السما بالموضع الذي هو به وقربه من وسط السما وبعده وقربه من الكواكب التي بجنبه وبعده منها فقس ذلك على ما ذكرناه من اعضا بدنك اذ ما من جزء الا وفيه حكمة بل حكم كثيرة وامر السما اعظم بل لا نسبة لعالم الارض الى عالم السما لا في كبر جسمه ولا في كثرة معانيه وقس التفاوت الذي بينهما من كثرة معانيها بما بينهما من التفاوت في كبر الارض فانت تعرف من كبر الارض واتساع اطرافها انه لا يقدر ادمي على ان يدور بجوانبها وقد اتفق النظار على ان الشمس مثل الارض مائة ونيفا وستين مرة وفي الاخبار ما يدل على عظمها والكوكب الذي تراه اصغرها هو مثل الارض ثماني مرات واكبرها ينتهي الى قريب من مائة وعشرين مرة مثل الارض وبهذا تعرف ارتفاعها وبعدها اذ للبعد صارت ترى صغيرة ولذلك اشار الله تعالى الى بعدها فقال رفع سمكها فسويها وفي الاخبار ان بين كل سما الى الاخرى مسيرة خمسمائة عام فاذا كان مقدار كوكب واحد مثل الارض فانظر الى كثرة الكواكب ثم انظر الى السما التي الكواكب مركوزة فيها والى عظمها ثم انظر الى سرعة حركتها وانت لا تحس بحركتها فضلا عن ان تدرك سرعتها لكن لا تشك في انها في لحظة تسير مقدار عرض كوكب لان الزمان من طلوع اول جز من كوكب الى تمامه يسير وذلك الكوكب هو مثل الارض مائة مرة وزيادة فقد دار الفلك في هذه اللحظة مائة مرة وزيادة وهكذا يدور على الدوام وانت غافل عنه وانظر كيف اخبر جبريل عليه السلام عن سرعة حركتها اذ سأله النبي صلى الله عليه وسلم هل زالت الشمس فقال لا نعم فقال كيف تقول لا نعم فقال من حين قلت الى ان قلت نعم سارت الشمس مسيرة خمسمائة عام فانظر الى عظم شخصها ثم الى خفة حركتها ثم انظر الى قدرة الفاطر الحكيم كيف اثبت صورتها مع اتساع اكنافها في حدقة العين مع صغرها حتى تجلس على الارض وتفتح عينيك نحوها فترى جميعها فهذه السما بعظمها وكثرة كواكبها لا تنظر اليها ولكن انظر الى بانيها كيف بناها ثم امسكها من غير عمد ترونها ومن غير علاقة تتدلى بها فكل العالم كبيت واحد والسما سقفه فالعجب منك انك تدخل بيت غني فتراه مزوقا بالصبغ مموها بالذهب فلا ينقطع تعجبك منه ولا تزال تذكره وتصف حسنه طول عمرك وانت ابدا تنظر الى هذا البيت العظيم والى ارضه والى سقفه والى هوائه والى عجائب امتعته وغرائب حيواناته وبدائع نقوشه ثم لا تتحدث به ولا تلتفت بقلبك اليه فما هذا البيت دون البيت الذي تصفه بل ذلك البيت هو ايضا جز من الارض التي هي اخس اجزا هذا البيت ومع هذا فلا تنظر اليه وليس لهذه الغفلة سبب الا انه بيت ربك الذي انفرد ببنائه وترتيبه وانت قد نسيت نفسك وربك وبيت ربك واشتغلت ببطنك وفرجك ليس لك هم الا شهوتك وحشمتك وغاية شهوتك ان تملا بطنك ولا تقدر على ان تاكل عشر ما تاكله بهيمة فتكون البهيمة فوقك بعشر درجات وغاية حشمتك ان يقبل عليك عشرة او مائة من معارفك فينافقون بالسنتهم بين يديك ويضمرون خبائث الاعتقادات فيك وان صدقوك في مودتهم اياك فلا يملكون لك ولا لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حيوة ولا نشورا وقد يكون في بلدك من اغنيا اليهود والنصارى من يزيد جاهه على جاهك وقد اشتغلت بهذا الغرور وغفلت عن النظر في جمال ملكوت السموات والارض ثم عن التنعم بالنظر الى جلال مالك الملك والملكوت وما مثالك ومثال عقلك الا مثل النملة تخرج من جحرها الذي حفرته في قصر مشيد من قصور الملك رفيع البنيان حصين الاركان مزين بالجواري والغلمان وانواع الذخاير والنفايس فانها اذا خرجت من جحرها ولقيت صاحبتها لم تتحدث لو قدرت على النطق الا عن بيتها وغذائها وكيفية ادخارها فاما حال القصر والملك الذي في القصر فهي بمعزل عنها وعن التفكر فيه بل لا قدرة لها على المجاوزة بالنظر عن نفسها وغذائها وبيتها الى غيرها وكما غفلت النملة عن القصر وعن ارضه وسقفه وحيطانه وساير بنيانه وغفلت ايضا عن سكانه فانت غافل عن بيت الله تعالى وعن ملائكته الذين هم

سكان سمواته فلا تعرف من السما الا ما تعرفه النملة منك ومن سكان بيتك نعم ليس للنملة طريق الى ان تعرفك وتعرف عجائب قصرك وبدائع صنعة الصانع فيه واما انت فلك قدرة على ان تجول في الملكوت وتعرف من عجائبه ما الخلق غافلون عنه ولنقبض عنان الكلام عن هذا النمط فانه مجال لا اخر له ولو استقصينا اعمارا طويلة لم نقدر على شرح ما تفضل الله علينا بمعرفته منه وكل ما عرفناه قليل نزر حقير بالاضافة الى ما عرفه جملة العلما والاوليا وما عرفوه قليل بالاضافة الى ما عرفه الانبيا وجملة ما عرفوه قليل بالاضافة الى ما عرفه الملائكة المقربون كاسرافيل وجبريل وغيرهما ثم جميع علوم الملائكة والجن والانس اذا اضيف الى علم الله سبحانه وتعالى لم يستحق ان يسمى علما بل هو بان يسمى دهشا وحيرة وقصورا وعجزا اقرب فسبحان من عرف عباده ما عرفهم ثم خاطب جميعهم فقال وما اوتيتم من العلم الا قليلا فهذا بيان معاقد الجمل التي تجول فيها فكر المتفكرين في خلق الله تعالى وليس فيها فكرة في ذات الله ولكن يستفاد من الفكر في الخلق لا محالة معرفة الخالق عز وجل وعظمته وجلاله وقدرته وكلما استكثرت من معرفة عجيب صنع الله كانت معرفتك بجلاله وعظمته اتم وهذا كما انك تعظم عالما بسبب معرفتك بعلمه فلا تزال تطلع على غريبة من تصنيفه او شعره فتزداد به معرفة وتزداد بحسب ذلك له توقيرا وتعظيما واحتراما حتى ان كل كلمة من كلماته وكل بيت عجيب من ابيات شعره يزيده محلا في قلبك ويستدعي التعظيم له من نفسك فهكذا تامل في خلق الله تعالى وتصنيفه والنظر والفكر فيه لا نهاية له ابدا وانما لكل عبد منها ما رزق ولنقتصر على ما ذكرناه ولنضف اليه ما فصلناه في كتاب الشكر فانا نظرنا في ذلك الكتاب في فعل الله تعالى من حيث هو احسان الينا وانعام علينا وفي هذا الكتاب نظرنا فيه من حيث انه فعل الله فقط وكل ما نظرنا فيه فان الطبيعي ينظر فيه ويكون له سببا لضلاله وشقاوته والموفق ينظر فيه فيكون سببا لهدايته وسعادته وما من ذرة في السموات والارض الا والله تعالى يضل بها من يشا ويهدي بها من يشا فمن نظر في هذه الامور من حيث انها فعل الله تعالى وصنعه استفاد منها المعرفة بجلال الله تعالى وعظمته واهتدى بها ومن نظر فيها قاصرا النظر عليها من حيث تاثير بعضها في بعض لا من حيث ارتباطها بمسبب الاسباب فقد شقي وارتدى فنعوذ بالله من الضلال ونسأله ان يجنبنا مزلة اقدام الجهال بمنه وفضله والحمد لله حق حمده والصلاة على محمد رسوله وعبده وسلم تسليما كثيرا وحسبنا الله ونعم الوكيل تم كتاب التفكر من كتاب ربع المهلكات **ويتلوه كتاب البعث والنشور** من كتاب احيا علوم الدين للغزالي رح

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي قصم بالموت رقاب الجبابرة وكسر به ظهور الاكاسرة وقصر به امال القياصرة الذين لم تزل قلوبهم عن ذكر الموت نافرة حتى جاءهم الوعد الحق فارداهم في الحافرة فنقلوا من القصور الى القبور ومن ضيا المهود الى ظلمة اللحود ومن ملاعبة الجواري والغلمان الى مصاحبة الهوام والديدان ومن التنعم بالطعام والشراب الى التمرغ في التراب ومن انس العشرة الى وحشة الوحدة ومن المضجع الوثير الى المصرع الوبيل فانظر هل وجدوا من الموت حصنا وعزا او اتخذوا من دونه حجابا وحرزا وانظر هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا فسبحان من انفرد بالقهر والاستيلا واستاثر باستحقاق البقا واذل اصناف الخلق بما كتب عليهم من الفنا ثم جعل الموت مخلصا للاتقيا وموعدا في حقهم للقا وجعل القبر سجنا للاشقيا وحبسا ضيقا عليهم الى يوم الفصل والقضا فله الانعام بالنعم المتظاهرة وله الانتقام بالنقم القاهرة وله ما سكن في السموات والارض وله ما سكن في الليل والنهار وله الحمد في الاولى والاخرة

والصلاة على محمد ذي المعجزات الظاهرة والآيات الباهرة وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً **أما بعد** فجدير بمن الموت مصرعه والتراب مضجعه والدود أنيسه ومنكر ونكير جليسه والقبر مقره وبطن الأرض مستقره والقيامة موعده والجنة أو النار مورده ألا يكون له فكر إلا في الموت ولا ذكر إلا له ولا استعداد إلا لأجله ولا تدبير إلا فيه ولا تطلع إلا إليه ولا تعريج إلا عليه ولا اهتمام إلا به ولا حوم إلا حوله ولا انتظار وتربص إلا له والبعيد ما ليس بآت وقد قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ولن يتيسر الاستعداد للشيء إلا عند تجدد ذكره على القلب ولا يتجدد ذكره إلا عند التذكر بالإصغاء إلى المذكرات له والنظر في المنبهات عليه ونحن نذكر أمر الموت ومقدماته ولواحقه وأحوال الآخرة والقيامة والجنة والنار مما لا بد للعبد من تذكاره على التكرار وملازمته بالافتكار والاستبصار ليكون ذلك مستحثاً على الاستعداد فقد قرب الرحيل وما بقي من العمر إلا القليل والخلق عنه غافلون اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ونحن نذكر ما يتعلق بالموت في شطرين الشطر الأول في مقدماته وتوابعه إلى نفخة الصور وفيه ثمانية أبواب **الباب الأول في فضل** ذكر الموت والترغيب فيه **الباب الثاني** في طول الأمل وقصره **الباب الثالث** في سكرات الموت وشدته وما يستحب من الأحوال عند الموت **الباب الرابع** في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين وما يستحب من الأحوال عند الموت **الباب الخامس** في كلام المحتضرين من الخلفاء والأمراء والصالحين **الباب السادس** في أقاويل العارفين على الجنائز وحكم زيارة القبور **الباب السابع** في حقيقة الموت وما يلقاه الميت في القبر إلى النفخة في الصور **الباب الثامن** فيما عرف من أحوال الموتى بالمكاشفة في المنام

الباب الأول في فضل ذكر الموت والترغيب فيه

اعلم أن المنهمك في الدنيا المكب على غرورها المحب لشهواتها يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت فلا يذكره وإذا ذكر به كرهه ونفر منه أولئك هم الذين قال الله تعالى فيهم قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون والناس إما منهمك وإما تائب مبتدئ وإما عارف منته أما المنهمك فلا يذكر الموت فإن ذكره فإنما يذكره للتأسف على دنياه ويشتغل بمذمته وهذا يزيده ذكر الموت من الله تعالى بعداً وأما التائب فإنه يكثر من ذكر الموت لينبعث له من قلبه الخوف والخشية فيفي بتمام التوبة وربما يكره الموت خيفة من أن يختطفه قبل تمام التوبة وقبل إصلاح الزاد وهو معذور في كراهية الموت ولا يدخل هذا تحت قوله صلى الله عليه وسلم من كره لقاء الله كره الله لقاءه فإن هذا ليس يكره الموت ولقاء الله وإنما يخاف فوت لقاء الله لقصوره وتقصيره وهو كالذي يتأخر عن لقاء الحبيب مشتغلاً بالاستعداد للقائه على وجه يرضاه فلا يعد كارهاً للقائه وعلامة صدقه في هذا أن يكون دائم الاشتغال بالاستعداد له لا شغل له سواه وإلا التحق بالمنهمك في الدنيا وأما العارف فإنه يذكر الموت دائماً لأنه موعد لقائه لحبيبه والمحب لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب وهذا في غالب الأمر يستبطئ مجيء الموت ويحب مجيئه ليتخلص من دار العاصين وينتقل إلى جوار رب العالمين كما روي عن حذيفة أنه لما حضرته الوفاة قال حبيب جاء على فاقة لا أفلح اليوم من ندم اللهم إن كنت تعلم أن الفقر أحب إلي من الغنى والسقم أحب إلي من الصحة والموت أحب إلي من الحياة فسهل علي الموت حتى ألقاك فإذاً التائب معذور في كراهية الموت وهذا معذور في حب الموت وتمنيه وأعلى منهما رتبة من فوض أمره إلى الله تعالى فصار لا يختار لنفسه موتاً ولا حياة بل يكون أحب الأشياء إليه أحبها إلى مولاه فهذا قد انتهى بفرط الحب والولاء إلى مقام التسليم والرضا وهو الغاية والمنتهى وعلى كل حال ففي ذكر الموت ثواب وفضل فإن المنهمك في الدنيا أيضاً يستفيد بذكر الموت التجافي عن الدنيا إذ ينغص عليه نعيمه ويكدر عليه صفو لذته وكل ما يكدر على الإنسان اللذات والشهوات فهو من أسباب النجاة **بيان فضل ذكر الموت كيفما كان**

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكر الموت هادم اللذات أي نغصوا به اللذات حتى ينقطع ركونكم إليها فتقبلوا على الله تعالى وقد قال صلى الله عليه وسلم لو أن البهائم تعلم من الموت ما تعلمون ما أكلتم منها سميناً **وقالت عائشة** رضي الله عنها يا رسول الله هل يحشر مع الشهداء أحد قال نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة وإنما سبب هذه الفضيلة كلها أن ذكر الموت يوجب التجافي عن دار الغرور ويتقاضى الاستعداد للآخرة والغفلة عن الموت تدعو إلى الانهماك في شهوات الدنيا **وقال** صلى الله عليه وسلم تحفة المؤمن الموت وإنما قال هذا لأن الدنيا سجن المؤمن إذ لا يزال فيها في عناء من مقاساة نفسه ورياضة شهواته ومدافعة شيطانه فالموت إطلاقه من هذا العذاب والإطلاق تحفة في حقه وقد قال صلى الله عليه وسلم الموت كفارة لكل مسلم وأراد بهذا المسلم حقاً الذي سلم الناس من لسانه ويده ويتحقق فيه أخلاق المؤمنين ولم يتدنس من المعاصي إلا باللمم والصغائر فالموت يطهره ويكفر ذلك عنه بعد اجتنابه الكبائر وإقامته الفرائض وقال عطاء الخراساني مر النبي صلى الله عليه وسلم بمجلس قد استعلاه الضحك فقال شوبوا مجالسكم بذكر مكدر اللذات قالوا وما مكدر اللذات قال الموت وقال أنس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكر الموت فإنه يمحص الذنوب ويزهد في الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم كفى بالموت مفرقاً وكفى بالموت واعظاً وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد فإذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال اذكروا الموت أما والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً وذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فأحسنوا الثناء عليه فقال كيف كان ذكر صاحبكم للموت قالوا ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت قال فإن صاحبكم ليس هنالك وقال ابن عمر أتيت النبي صلى الله عليه وسلم عاشر عشرة فقال رجل من الأنصار من أكيس الناس وأكرم الناس يا رسول الله قال أكثرهم ذكراً للموت وأشدهم استعداداً له أولئك هم الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة **وأما الآثار** فقد قال الحسن رحمه الله فضح الموت الدنيا فلم يترك لذي لب فرحاً وقال الربيع بن خثيم ما غائب ينتظره المؤمن خير له من الموت وكان يقول لا تشعروا بي أحداً وسلوني إلى ربي سلاً **وكتب** بعض الحكماء إلى رجل من إخوانه يا أخي احذر الموت في هذه الدار قبل أن تصير إلى دار تتمنى فيها الموت فلا تجده وكان ابن سيرين إذا ذكر عنده الموت مات كل عضو منه وكان عمر بن عبد العزيز يجمع كل ليلة الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة ثم يبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة وقال إبراهيم التيمي شيئان قطعا عني لذات الدنيا ذكر الموت والوقوف بين يدي الله عز وجل وقال كعب من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها وقال مطرف رأيت فيما يرى النائم كأن قائلاً يقول في وسط مسجد البصرة قطع ذكر الموت قلوب الخائفين فوالله ما تراهم إلا والهين وقال أشعث كنا ندخل على الحسن فإنما هو النار وأمر الآخرة وذكر الموت وقالت صفية إن امرأة شكت إلى عائشة رضي الله عنها قساوة قلبها فقالت أكثري ذكر الموت يرق قلبك ففعلت فرق قلبها فجاءت تشكر عائشة وكان عيسى عليه السلام إذا ذكر عنده الموت يقطر جلده دماً وكان داود صلى الله عليه وسلم إذا ذكر الموت والقيامة يبكي حتى تنخلع أوصاله فإذا ذكر الرحمة رجعت إليه نفسه **وقال** الحسن ما رأيت عاقلاً قط إلا أصبته من الموت حذراً وعليه حزيناً وقال عمر بن عبد العزيز لبعض العلماء عظني فقال أنت أول خليفة يموت قال زدني قال ليس بينك وبين آدم أب إلا ذاق الموت وقد جاء دورك فبكى عمر لذلك وكان الربيع بن خثيم قد حفر قبراً في داره فكان ينام في اللحد كل يوم مرات ليستديم بذلك ذكر الموت وكان يقول لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة واحدة لفسد وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير إن هذا الموت قد نغص على أهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيماً لا موت فيه وقال عمر بن عبد العزيز لعنبسة أكثر ذكر الموت فإن كنت واسع العيش ضيقه عليك وإن كنت ضيق العيش وسعه عليك وقال أبو سليمان الداراني قلت لأم

هونت عليك الموت قالت لا فقلت لم قالت لو عصيت عبدا ما اشتهيت لقاءه فكيف احب لقاءه وقد عصيته

بيان الطريق في تحقيق ذكر الموت في القلب

اعلم ان الموت هائل وخطره عظيم وغفلة الناس عنه لقلة فكرهم فيه وذكرهم له ومن يذكره ليس يذكره بقلب فارغ بل بقلب مشغول بشهوات الدنيا فلا ينجع ذكر الموت في قلبه فالطريق ان يفرغ العبد قلبه عن كل شيء الا عن ذكر الموت الذي هو بين يديه كالمسافر الذي يريد ان يسافر الى مفازة مخطرة او يركب البحر فانه لا يتفكر الا فيه فاذا باشر ذكر الموت قلبه فيوشك ان يؤثر فيه وعند ذلك يقل فرحه وسروره بالدنيا وينكسر قلبه وانجع طريق فيه ان يكثر ذكر اشكاله واقرانه الذين مضوا قبله فيتذكر موتهم ومصارعهم تحت التراب ويتذكر صورهم في مناصبهم واحوالهم ويتأمل كيف محا التراب الآن حسن صورهم وكيف تبددت اجزاؤهم في قبورهم وكيف ارملوا نساءهم وايتموا اولادهم وضيعوا اموالهم وخلت منهم مجالسهم ومساجدهم وانقطعت آثارهم فمهما تذكر رجلا رجلا وفصل في قلبه حاله وكيفية موته وتوهم صورته وتذكر نشاطه وتردده وامله للعيش والبقاء ونسيانه للموت وانخداعه بمواتاة الاسباب وركونه الى القوة والشباب وميله الى الضحك واللهو وغفلته عما بين يديه من الموت الذريع والهلاك السريع وانه كيف كان يتردد وقد تهدمت رجلاه ومفاصله وكيف كان ينطق وقد اكل الدود لسانه وكيف كان يضحك وقد اكل التراب اسنانه وكيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج اليه الى عشر سنين في وقت لم يكن بينه وبين الموت الا شهر وهو غافل عما يراد به حتى جاءه الموت في وقت لم يحتسبه فانكشف له صورة الموت وقرع سمعه النداء اما بالجنة او بالنار فعند ذلك ينظر في نفسه انه مثلهم وغفلته كغفلتهم وستكون عاقبته كعاقبتهم قال ابو الدرداء اذا ذكرت الموتى فعد نفسك كاحدهم وقال ابن مسعود السعيد من وعظ بغيره وقال عمر بن عبد العزيز الا ترون انكم تجهزون في كل يوم غاديا او رائحا الى الله عز وجل تضعونه في صدع من الارض قد توسد التراب وخلف الاحباب وقطع الاسباب فملازمة هذه الافكار وامثالها مع دخول المقابر ومشاهدة المرضى هو الذي يجدد ذكر الموت في القلب حتى يغلب عليه بحيث يصير نصب عينيه فعند ذلك يوشك ان يستعد له ويتجافى عن دار الغرور والا فالذكر بظاهر القلب وعذبة اللسان قليل الجدوى في التحذير والتنبيه ومهما طاب قلبه بشيء من الدنيا ينبغي ان يتذكر في الحال انه لا بد من مفارقته نظر ابن مطيع يوما الى داره فاعجبه حسنها فبكى ثم قال والله لولا الموت لكنت بك مسرورا ولولا ما نصير اليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا اعيننا ثم بكى حتى ارتفع صوته

الباب الثاني في طول الامل وفضيلة قصر الامل وسبب طوله وكيفية معالجته

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر اذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من حياتك لموتك ومن صحتك لسقمك فانك يا عبد الله لا تدري ما اسمك غدا وروى علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال ان اشد ما اخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى وطول الامل فاما اتباع الهوى فيصد عن الحق واما طول الامل فانه الحب للدنيا ثم قال الا ان الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ويبغض واذا احب الله تعالى عبدا اعطاه الايمان الا ان للدين ابناء وللدنيا ابناء فكونوا من ابناء الدين ولا تكونوا من ابناء الدنيا الا ان الدنيا قد ارتحلت مولية الا ان الآخرة قد ارتحلت مقبلة الا وانكم في يوم عمل ليس فيه حساب الا وانكم توشكون ان تكونوا في يوم حساب ليس فيه عمل وقالت ام المنذر اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات عشية الى الناس فقال ايها الناس اما تستحيون من الله فقالوا وما ذاك يا رسول الله قال تجمعون ما لا تأكلون وتأملون ما لا تدركون وتبنون ما لا تسكنون وقال ابو سعيد الخدري اشترى اسامة بن زيد من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار الى شهر فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا تعجبون من اسامة المشتري الى شهر ان اسامة لطويل الامل والذي نفسي بيده ما طرفت عيناي الا ظننت ان شفري لا يلتقيان حتى يقبض الله روحي ولا رفعت طرفي فظننت اني واضعه حتى اقبض ولا لقمت لقمة الا ظننت اني لا اسيغها حتى اغص بها من الموت ثم قال يا بني آدم ان كنتم تعقلون فعدوا انفسكم من الموتى والذي نفسي بيده انما توعدون لآت وما انتم بمعجزين وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج يهريق الماء فيتمسح بالتراب فاقول له يا رسول الله ان الماء منك قريب فيقول ما يدريني لعلي لا ابلغه وروي انه صلى الله عليه وسلم اخذ ثلاثة اعواد فغرز عودا بين يديه والآخر الى جنبه واما الثالث فابعده فقال هل تدرون ما هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا الانسان وهذا اجله وهذا الامل يتعاطاه ابن آدم ويختلجه الاجل دون الامل وقال صلى الله عليه وسلم مثل ابن آدم والى جنبه تسع وتسعون منية ان اخطأته المنايا وقع في الهرم وقال ابن مسعود هذا المرء وهذه الحتوف حوله شوارع اليه والهرم وراء الحتوف والامل وراء الهرم فهو يؤمل وهذه الحتوف شوارع اليه فايها امر به اخذه فان اخطأته الحتوف قتله الهرم وهو ينظر الى الامل وقال عبد الله خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا مربعا وخط في وسطه خطا وخط خطوطا الى جنب الخط وخط خطا خارجا فقال اتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله اعلم قال هذا الانسان للخط الذي في الوسط وهذا الاجل محيط به وهذه الاعراض للخطوط التي حوله تنهشه ان اخطأه هذا نهشه هذا وذاك الامل للخط الخارج وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنتان الحرص والامل **وفي رواية** وتشب معه اثنتان الحرص على المال والحرص على العمر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نجا اول هذه الامة باليقين والزهد ويهلك آخر هذه الامة بالبخل والامل وقيل بينما عيسى عليه السلام جالس وشيخ يعمل بمسحاة يثير بها الارض فقال عيسى اللهم انزع منه الامل فوضع الشيخ المسحاة واضطجع فلبث ساعة فقال عيسى اللهم اردد اليه الامل فقام فجعل يعمل فسأله عيسى عن ذلك فقال بينما انا اعمل اذ قالت لي نفسي الى متى تعمل وانت شيخ كبير فالقيت المسحاة واضطجعت ثم قالت لي نفسي والله لا بد لك من عيش ما بقيت فقمت الى مسحاتي **وقال** الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم اكلكم يحب ان يدخل الجنة قالوا نعم يا رسول الله قال قصروا من الامل وثبتوا آجالكم بين ابصاركم واستحيوا من الله حق الحياء وكان صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهم اني اعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة واعوذ بك من حياة تمنع خير الممات واعوذ بك من امل يمنع خير العمل

الآثار

قال مطرف بن عبد الله لو علمت متى اجلي لخشيت على ذهاب عقلي ولكن الله من على عباده بالغفلة عن الموت ولولا الغفلة ما تهنوا بعيش ولا قامت بينهم الاسواق وقال الحسن السهو والامل نعمتان عظيمتان على بني آدم ولولاهما ما مشى المسلمون في الطرق وقال الثوري بلغني ان الانسان خلق احمق ولولا ذلك لم يهنه العيش **وقال** سعيد بن عبد الرحمن انما عمرت الدنيا بقلة عقول اهلها وقال سلمان الفارسي ثلاث اعجبتني حتى اضحكتني مؤمل الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه وضاحك ملء فيه لا يدري اساخط رب العالمين عليه ام راض وثلاث احزنتني حتى ابكتني فراق الاحبة محمد صلى الله عليه وسلم وحزبه وهول المطلع والوقوف بين يدي الله تعالى ولا ادري الى الجنة يؤمر بي او الى النار **وقال** بعضهم رأيت زرارة بن اوفى بعد موته في المنام فقلت له اي الاعمال ابلغ عندكم قال التوكل وقصر الامل **وقال** الثوري الزهد في الدنيا قصر الامل ليس باكل الغليظ ولا لبس العباء وسأل المفضل بن فضالة ربه عز وجل ان يرفع عنه الامل فرفع عنه شهوة الطعام والشراب ثم دعا ربه عز وجل ان يرد عليه

بالاسل فرجع الى الطعام والشراب وقيل للحسن يا ابا سعيد الا تغسل قميصك فقال الامر اعجل من ذلك وقال
الحسن الموت معقود بنواصيكم والدنيا تطوى من ورائكم وقال بعضهم انا كرجل ماد عنقه والسيف
عليه ينتظر متى تضرب عنقه وقال داود الطائي لو املت ان اعيش شهرا لرايتني قد اتيت عظيما وكيف
اومل ذلك وارى الفجائع تغشى الخلائق في ساعات الليل والنهار وحكي ان شقيقا البلخي جاء الى
استاذ له يقال له ابو هاشم الرماني وفي طرف كسائه شيء مصرور فقال له استاذه ايش هذا معك
فقال لوزات دفعها الي اخ لي وقال احب ان تفطر عليها فقال يا شقيق وانت تحدث نفسك انك تبقى
الى الليل لا كلمتك ابدا قال فاغلق في وجهي الباب ودخل وقال عمر بن عبد العزيز في خطبة
ان لكل سفر زادا لا محالة فتزودوا لسفركم من الدنيا الى الآخرة التقوى وكونوا كمن عاين ما اعد الله من ثوابه
وعقابه ترغبوا وترهبوا ولا يطولن عليكم الامد فتقسو قلوبكم وتنقادوا لعدوكم فانه والله ما بسط امل من
لا يدري لعله لا يصبح بعد مسائه ولا يمسي بعد صباحه وربما كانت بين ذلك خطفات المنايا وكم
رايتم من كان بالدنيا مغترا وانما تقر عين من وثق بالنجاة من عذاب الله تعالى وانما يفرح من امن اهوال
القيامة فاما من لا يداوي كلما الا اصابه جارح من ناحية اخرى فكيف يفرح اعوذ بالله ان امركم بما
لا انهى نفسي عنه فتخسر صفقتي وتظهر عيلتي وتبدو مسكنتي في يوم يبدو فيه الغنى والفقر والموازين
منصوبة لقد عنيتم بامر لو عنيت به النجوم لانكدرت ولو عنيت به الجبال لذابت ولو عنيت
به الارض لتشققت اما تعلمون انه ليس بين الجنة والنار منزلة وانكم صائرون الى احداهما وكتب رجل
الى اخ له اما بعد فان الدنيا حلم والآخرة يقظة والمتوسط بينهما الموت ونحن في اضغاث احلام والسلام
وكتب آخر الى اخ له ان الحزن على الدنيا طويل والموت من الانسان قريب وللنقص في كل يوم نصيب وللبلى
في جسمه دبيب فبادر قبل ان تنادي بالرحيل والسلام وقال الحسن كان آدم صلى الله عليه وسلم
قبل ان يخطئ امله خلف ظهره واجله بين عينيه فلما اصاب الخطيئة حول فجعل امله بين عينيه واجله
خلف ظهره وقال عبد الله بن سميط سمعت ابي يقول ايها المغتر بطول صحته اما رايت ميتا قط من
غير علة ايها المغتر بطول المهلة اما رايت ماخوذا قط من غير عدة انك لو فكرت في طول عمرك لنسيت ما قد
تقدم من لذاتك ابالصحة تغترون ام بطول العافية تمرحون ام الموت تامنون ام على ملك الموت
تجترئون ان ملك الموت اذا جاء لا يمنعه منك ثروة مالك ولا كثرة احتشادك اما علمت ان ساعة الموت ذات
كرب وغصص وندامة على التفريط ثم يقول رحم الله عبدا عمل لما بعد الموت رحم الله عبدا نظر
لنفسه قبل نزول الموت وقال ابو زكريا التيمي بينا سليمان بن عبد الملك في المسجد الحرام اذ اتي
بحجر منقوش فطلب من يقرؤه فاتي بوهب بن منبه فقرأه فاذا فيه ابن آدم انك لو رايت قرب ما بقي من
اجلك لزهدت في طول املك ولرغبت في الزيادة من عملك ولقصرت من حرصك وحيلك وانما يلقاك
غدا ندمك لو قد زلت بك قدمك واسلمك اهلك وحشمك وفارقك الولد القريب ورفضك الوالد
والنسيب فلا انت الى دنياك عائد ولا في حسناتك زائد فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة فبكى
سليمان بكاء شديدا وقال بعضهم رايت كتابا من محمد بن يوسف الى عبد الرحمن بن يوسف سلام عليك
فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد فاني احذرك متحولك من دار مهلتك الى دار اقامتك
وجزاء اعمالك فتصير في قرار باطن الارض بعد ظاهرها فياتيك منكر ونكير فيقعدانك وينتهرانك فان يكن الله
معك فلا باس ولا وحشة ولا فاقة وان يكن غير ذلك فاعاذني الله واياك من سوء مصرع وضيق

مضجع ثم تبلغك صيحة الحشر ونفخ الصور وقيام الجبار لفصل القضاء بين الخلائق وخلاء الارض من اهلها و
السموات من سكانها فباحت الاسرار وسعرت النيران ووضعت الموازين وجيء بالنبيين والشهداء
وقضي بينهم بالحق فكم من مفتضح ومستور وكم من هالك وناج وكم من معذب ومرحوم فيا ليت شعري
ما حالي وحالك يومئذ ففي هذا ما هدم اللذات واسلا عن الشهوات وقصر الامل واستيقظ النائمين
وحذر الغافلين اعاننا الله واياك على هذا الخطر العظيم واوقع الدنيا والآخرة من قلبي وقلبك موقعهما
من قلوب المتقين فانما نحن به وله والسلام وخطب عمر بن عبد العزيز فحمد الله واثنى عليه وقال
ايها الناس انكم لم تخلقوا عبثا ولن تتركوا سدى وان لكم معادا يجمعكم الله فيه للحكم والفصل
فيما بينكم فخاب وشقي عبد اخرجه الله من رحمته التي وسعت كل شيء وجنته التي عرضها السموات والارض
انما يكون الامان غدا لمن خاف واتقى وباع قليلا بكثير وفانيا بباق وشقوة بسعادة الا ترون انكم في
اسلاب الهالكين وسيخلفها بعدكم الباقون الا ترون انكم في كل يوم تشيعون غاديا ورائحا الى الله عز
وجل قد قضى نحبه وانقطع امله فتضعونه في بطن صدع من الارض غير موسد ولا ممهد قد خلع الاسباب
وفارق الاحباب وواجه الحساب وايم الله اني لاقول لكم مقالتي هذه ولا اعلم عند احد منكم من الذنوب
اكثر مما اعلم عند نفسي ولكنها سنن من الله عادلة امر فيها بطاعته ونهى فيها عن معصيته واستغفر
الله ووضع كمه على وجهه وجعل يبكي حتى بلت دموعه لحيته وما عاد الى مجلسه حتى مات رحمه الله وقال
القعقاع بن حكيم قد استعددت للموت منذ ثلاثين سنة فلو اتاني ما احببت تاخير شيء عن شيء وقال
الثوري رايت شيخا في مسجد الكوفة يقول انا في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة انتظر الموت ان ينزل بي
لو اتاني ما امرته بشيء ولا نهيته عن شيء ولا لي على احد شيء ولا لاحد عندي شيء وقال عبد الله بن ثعلبة تضحكون
ولعل اكفانك قد خرجت من عند القصار وقال ابو محمد بن علي الزاهد خرجنا في جنازة بالكوفة وخرج فيها داود
الطائي فانتبذ فقعد ناحية وهي تدفن فجئت فقعدت قريبا منه فتكلم فقال من خاف الوعيد قصر عليه
البعيد ومن طال امله ضعف عمله وكل ما هو آت قريب واعلم يا اخي ان كل شيء يشغلك عن ربك فهو عليك مشؤم
واعلم ان اهل الدنيا جميعهم انما يندمون على ما يخلفون ويفرحون بما يقدمون فما ندم عليه اهل القبور اهل
الدنيا عليه يقتتلون وفيه يتنافسون وعليه عند القضاة يختصمون وروي ان معروفا الكرخي
اقام الصلاة ثم قال لمحمد بن ابي توبة تقدم فقلت اني ان صليت بكم هذه
الصلاة لم اصل بكم غيرها فقال معروف وانت تحدث نفسك ان تصلي صلاة اخرى نعوذ بالله من طول
الامل فانه يمنع من خير العمل وقال عمر بن عبد العزيز في خطبة ان الدنيا ليست بدار قراركم دار كتب الله
تعالى عليها الفناء وكتب على اهلها الظعن منها فكم من عامر موثق عما قليل يخرب وكم من مقيم مغتبط عما قليل
يظعن فاحسنوا رحمكم الله منها الرحلة باحسن ما بحضرتكم من النقلة وتزودوا فان خير الزاد التقوى
انما الدنيا كفيء ظلال قلص فذهب بينا ابن آدم في الدنيا ينافس وهو بها قرير عين اذ دعاه الله تعالى بقدره
ورماه بيوم حتفه فسلبه آثاره ودنياه وصير لقوم آخرين مصانعه ومغناه ان الدنيا لا تسر بقدر ما تضر انها
تسر قليلا وتحزن طويلا وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه كان يقول في خطبته اين الوضاءة الحسنة
وجوههم المعجبون بشبابهم اين الملوك الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحيطان اين الذين كانوا يعطون
الغلبة في مواطن الحرب قد تضعضع بهم الدهر فاصبحوا في ظلمات القبور الوحا الوحا النجا النجا

بيان السبب في طول الامل وعلاجه

اعلم ان طول الامل له سببان احدهما الجهل والآخر حب الدنيا

اما حب الدنيا فهو اذا انس بها وبشهواتها ولذاتها وعلائقها ثقل على قلبه مفارقتها فامتنع قلبه من
التفكر في الموت الذي هو سبب مفارقتها وكل من كره شيئا دفعه عن نفسه والانسان مشغوف بالاماني
الباطلة فيمني نفسه ابدا بما يوافق مراده وانما يوافق مراده البقاء في الدنيا فلا يزال يتوهمه ويقدره في نفسه
ويقدر توابع البقاء وما يحتاج اليه من اهل ومال ودار واصدقاء ودواب وسائر اسباب الدنيا فيصير قلبه
عاكفا على هذا الفكر موقوفا عليه فيلهو عن ذكر الموت ولا يقدر قربه فان خطر له في بعض الاحوال امر الموت و
الحاجة الى الاستعداد له سوف ووعد نفسه وقال الايام بين يديك الى ان تكبر ثم تتوب واذا كبر فيقول
الى ان تصير شيخا فاذا صار شيخا قال الى ان تفرغ من بناء هذه الدار او عمارة هذه الضيعة او ترجع من
هذه السفرة او تفرغ من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبير مسكن له او تفرغ من قهر هذا العدو الذي يشمت بك
فلا يزال يسوف ويؤخر ولا يخوض في شغل الا ويتعلق باتمام ذلك الشغل عشرة اشغال اخر وهكذا على التدريج يؤخر
يوما بعد يوم ويفضي به شغل الى شغل بل الى اشغال الى ان تختطفه المنية في وقت لا يحتسبه فتطول عند
ذلك حسرته واكثر اهل النار صياحهم من سوف يقولون واحزناه من سوف والمسوف المسكين لا يدري ان الذي
يدعوه الى التسويف اليوم هو معه غدا وبعد غد وانما يزداد بطول المدة قوة ورسوخا ويظن انه يتصور ان يكون
للخائض في الدنيا والحافظ لها فراغ قط وهيهات ما فرغ منها الا من اطرحها فما قضى احد منها لبانته وما انتهى ارب
الا الى ارب واصل هذه الاماني كلها حب الدنيا والانس بها والغفلة عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم احبب
ما احببت فانك مفارقه واما الجهل فهو ان الانسان قد يعول على شبابه فيستبعد قرب الموت مع الشباب
وليس يتفكر المسكين ان مشايخ بلده لو عدوا لكانوا اقل من عشر رجال البلد وانما قلوا لان الموت في الشباب اكثر
فالى ان يموت شيخ يموت الف صبي وشاب وقد يستبعد الموت لصحته ويستبعد الموت فجاءة ولا يدري
ان ذلك بعيدا فالمرض فجاءة غير بعيد وكل مرض فانما يقع فجاءة واذا مرض لم يكن الموت بعيدا منه ولو تفكر هذا
الغافل وعلم ان الموت ليس له وقت مخصوص من شباب وشيب وكهولة ومن صيف وشتاء وخريف وربيع و
ليل ونهار لعظم استشعاره واشتغل بالاستعداد له ولكن الجهل بهذه الامور وحب الدنيا دعواه الى طول الامل والى
الغفلة عن تقدير الموت القريب فهو ابدا يظن ان الموت يكون بين يديه ولا يقدر نزوله به ووقوعه
فيه وهو ابدا يظن انه يشيع الجنائز ولا يقدر ان تشيع جنازته لان هذا قد تكرر عليه والفه وهو مشاهدة موت
غيره فاما موت نفسه فلم يألفه ولا يتصور ان يألفه فانه لم يقع واذا وقع مرة لم يقع مرة اخرى فهو الاول وهو
الاخر وسبيله ان يقيس نفسه بغيره ويعلم انه لا بد وان تحمل جنازته ويدفن في قبره ولعل اللبن الذي يغطى به
قبره قد ضرب وفرغ منه وهو لا يدري فتسويفه جهل محض واذا عرفت ان سببه الجهل وحب الدنيا فعلاجه دفع
سببه اما الجهل فيدفع بالفكر الصافي من القلب الحاضر وبسماع الحكمة البالغة من القلوب الطاهرة واما حب
الدنيا فالعلاج في اخراجه من القلب شديد وهو الداء العضال الذي اعيا الاولين والاخرين علاجه ولا علاج له
الا الايمان بالله واليوم الاخر وبما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب ومهما حصل له اليقين بذلك
ارتحل عن قلبه حب الدنيا فان حب الخطير هو الذي يمحو عن القلب حب الحقير فاذا راى حقارة الدنيا ونفاسة
الاخرة استنكف ان يلتفت الى الدنيا كلها وان اعطي ملك الارض من المشرق الى المغرب فكيف يفرح بها او
يترسخ حبها مع الايمان بالاخرة فنسال الله تعالى ان يرينا الدنيا كما اراها الصالحين من عباده ولا علاج في تقرير
الموت في القلب مثل النظر الى من مات من الاقران والاشكال وانهم كيف جاءهم الموت في وقت لم يحتسبوه
اما من كان مستعدا فقد فاز فوزا عظيما واما من كان مغرورا بطول الامل فقد خسر خسرانا مبينا ولينظر

الانسان كل ساعة في اطرافه واعضائه وليتفكر كيف تأكلها الديدان لا محالة وكيف تتفتت عظامها
وليتفكر ان الدود يبتدئ بالحدقة اليمنى اولا فيأكلها ثم بسائر جسده وليس يبقى منه شيء الا وطعمة الدود وماله من نفسه
الا العلم والعمل الصالح الخالص لوجه الله تعالى وكذلك يتفكر فيما سنورده من عذاب القبر وسؤال منكر ونكير
ومن الحشر والنشر واهوال القيامة وقرع النداء يوم العرض الاكبر فامثال هذه الافكار هي التي تجدد ذكر الموت على
قلبه وتدعوه الى الاستعداد له **بيان مراتب الناس في طول الامل وقصره** اعلم ان الخلق في ذلك
يتفاوتون فمنهم من يأمل البقاء ويشتهي ذلك ابدا قال الله تعالى يود احدهم لو يعمر الف سنة ومنهم
من يأمل البقاء الى الهرم وهو اقصى العمر الذي شاهده وراه وهو الذي يحب الدنيا حبا شديدا **قال**
رسول الله صلى الله عليه وسلم الشيخ شاب في طلب الدنيا وان التفت ترقوتاه من الكبر الا الذين اتقوا وقليل ما هم
ومنهم من يأمل الى سنة فلا يشتغل بتدبير ما وراءه فلا يقدر لنفسه وجودا في عام قابل ويكون هذا يستعد
في الصيف ثياب الشتاء وفي الشتاء ثياب الصيف ومنهم من يرجع امله الى يوم وليلة فلا يستعد
الا لنهاره واما للغد فلا قال عيسى عليه السلام لا تهتموا برزق غد فان يكن غد من آجالكم فستاتي فيه ارزاقكم
مع آجالكم وان لم يكن من آجالكم فلا تهتموا لآجال غيركم ومنهم من لا يجاوز امله ساعة كما قال نبينا صلى الله عليه
وسلم يا عبد الله اذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالبقاء الى الصباح ومنهم
من لا يقدر البقاء ايضا ساعة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتيمم مع القدرة على الماء قبل مضي ساعة ويقول
لعلي لا ابلغه ومنهم من يكون الموت نصب عينيه كانه واقع به فهو ينتظره وهذا الانسان هو الذي يصلي
صلاة مودع وفيه ورد ما نقل عن معاذ رضي الله عنه لما ساله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حقيقة ايمانه
فقال ما خطوت خطوة الا ظننت اني لا اتبعها اخرى وكما نقل عن الاسود وهو الحبشي انه كان يصلي ليلة ويلتفت
يمينا وشمالا فقال له قائل ما هذا قال انتظر ملك الموت من اي جهة ياتيني فهذه مراتب الناس ولكل درجات عند
الله وليس من امله مقصور على شهر كمن امله شهر ويوم بل بينهما تفاوت في الدرجة عند الله فان الله لا يظلم مثقال
ذرة ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ثم يظهر اثر قصر الامل في المبادرة الى العمل وكل انسان
يدعي انه قصير الامل وهو كاذب وانما يظهر ذلك باعماله فانه ربما يعتني باسباب ربما لا يحتاج اليها في سنة فيدل
ذلك على طول امله وانما علامة التوفيق ان يكون الموت نصب العين لا يغفل عنه ساعة فيستعد للموت
الذي يرد عليه في الوقت فان عاش الى المساء شكر الله تعالى على طاعته وفرح بانه لم يضيع نهاره بل استوفى منه
حظه وادخره لنفسه ثم يستانف مثله الى الصباح وهكذا اذا اصبح ولا يتيسر هذا الا لمن فرغ القلب عن الغد
وما يكون فيه فمثل هذا اذا مات سعد وغنم وان عاش سر بحسن الاستعداد ولذة المناجاة فالموت له سعادة
والحياة له مزيد فليكن الموت على بالك يا مسكين فان السير حاث بك وانت غافل عن نفسك ولعلك قد قاربت
المنزل وقطعت المسافة ولا يكون كذلك الا بمبادرة العمل اغتناما لكل نفس امهلت فيه **بيان المبادرة
الى العمل وحذر آفة التاخير** اعلم ان من له اخوان غائبان ينتظر قدوم احدهما في غد وينتظر
الاخر بعد شهر او سنة فلا يستعد للذي يقدم الى شهر وسنة وانما يستعد للذي ينتظر قدومه غدا
فالاستعداد نتيجة قرب الانتظار فمن انتظر مجيء الموت بعد سنة اشتغل قلبه بالمدة ونسي ما وراء المدة
ثم يصبح كل يوم وهو منتظر للسنة بكمالها لا ينقص منها اليوم الذي مضى وذلك يمنعه من مبادرة العمل كما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينتظر احدكم من الدنيا الا غنى مطغيا او فقرا منسيا او مرضا مفسدا او هرما مفندا
او موتا مجهزا او الدجال فالدجال شر غائب ينتظر او الساعة فالساعة ادهى وامر وقال ابن عباس رضي الله عنهما

رجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك
قبل شغلك وحياتك قبل موتك وقال صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة و
الفراغ اي انه لا يغتنمهما ثم يعرف قدرهما عند زوالهما وقال صلى الله عليه وسلم من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل
الا ان سلعة الله غالية الا ان سلعة الله الجنة وقال صلى الله عليه وسلم جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت
بما فيه وكان صلى الله عليه وسلم اذا انس من اصحابه غفلة او غرة نادى فيهم بصوت رفيع اتتكم المنية راتبة
لازمة اما بشقاوة واما بسعادة وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا النذير والموت المغير
والساعة الموعد وقال ابن عمر خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس على اطراف السعف فقال ما بقي
من الدنيا الا مثل ما بقي من يومنا هذا في مثل ما مضى منه وقال صلى الله عليه وسلم مثل الدنيا مثل ثوب شق من اوله
الى اخره فبقي متعلقا بخيط في اخره فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع وقال جابر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا خطب فذكر الساعة رفع صوته واحمرت وجنتاه كانه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم بعثت انا والساعة كهاتين
ويقرن بين اصبعيه وقال ابن مسعود تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النور اذا دخل الصدر انفسح فقيل يا رسول الله هل لذلك من علامة
قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله وقال السدي
في قوله تعالى الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا اي ايكم للموت اكثر ذكرا واحسن له استعدادا واشد
خوفا وحذرا وقال حذيفة ما من صباح ولا مساء الا ومناد ينادي ايها الناس الرحيل الرحيل وتصديق ذلك قوله تعالى
انها لاحدى الكبر نذيرا للبشر لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر في الموت وقال سعيم مولى بني تميم جلست الى
عامر بن عبد الله وهو يصلي فاوجز في صلاته ثم اقبل علي فقال ارحني بحاجتك فاني ابادر قلت وما تبادر قال
ملك الموت رحمك الله قال فقمت عنه وقام الى صلاته ومر داود الطائي فسأله رجل عن حديث فقال
دعني انما ابادر خروج نفسي وقال عمر رضي الله عنه التؤدة في كل شيء خير الا في اعمال الاخرة وقال المنذر سمعت
مالك بن دينار رحمه الله يقول لنفسه ويحك بادري قبل ان ياتيك الامر ويحك بادري قبل ذلك ستين مرة اسمعه ولا
يراني وكان الحسن يقول في موعظته المبادرة فانما هي الانفاس لو حبست انقطعت عنكم اعمالكم التي تتقربون بها الى
الله تعالى رحم الله امرا نظر لنفسه وبكى على ذنوبه ثم قرا هذه الاية انما نعد لهم عدا يعني الانفاس آخر العدد
خروج نفسك آخر العدد فراق اهلك آخر العدد دخولك في قبرك واجتهد ابو موسى الاشعري قبل موته
اجتهادا شديدا فقيل له لو امسكت او رفقت بنفسك بعض الرفق فقال ان الخيل اذا ارسلت فقاربت راس
مجراها اخرجت جميع ما عندها والذي بقي من اجلي اقل من ذلك قال فلم يزل على ذلك حتى مات قال وكان
يقول لامراته شدي رحلك فليس على جهنم معبر وقال بعض الخلفاء على منبره عباد الله اتقوا الله ما استطعتم
وكونوا قوما صيح بهم فانتبهوا وعلموا ان الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا واستعدوا للموت فقد اظلكم وترحلوا
فقد جد بكم وان غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بقصر المدة وان غائبا يحدوه الجديدان
الليل والنهار لحري بسرعة الاوبة وان قادما يحل بالفوز او بالشقوة لمستحق لافضل العدة فاتقى عبد ربه
ونصح نفسه وقدم توبته وغلب شهوته فان اجله مستور عنه وامله خادع له والشيطان موكل به يمنيه التوبة ليسوفها
ويزين له المعصية ليركبها حتى تهجم عليه منيته اغفل ما يكون عنها وانه ما بين احدكم وبين الجنة والنار
الا الموت ان ينزل به فيا لها حسرة على ذي غفلة ان يكون عمره عليه حجة وان تؤديه ايامه الى الشقوة جعلنا الله
واياكم ممن لا تبطره نعمة ولا تقصر به عن طاعة الله معصية ولا يحل به بعد الموت حسرة انه سميع الدعاء انه بيده

الخير وانما فعال المال بنا وقال بعض المفسرين في قوله تعالى فتنتم انفسكم قال بالشهوات واللذات وتربصتم
قال بالتوبة وارتبتم قال شككتم حتى جاء امر الله قال الموت وغركم بالله الغرور الشيطان وقال الحسن
نصحه وافسدوا فانما هي ايام قلائل وانما انتم ركب وقوف يوشك ان يدعى الرجل منكم فيجيب ولا يلتفت فانتقلوا
بصالح ما بحضرتكم وقال ابن مسعود ما منكم من احد يصبح الا وهو ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية
مؤداة وقال ابو عبيدة الناجي دخلنا على الحسن في مرضه الذي مات فيه فقال مرحبا بكم واهلا وحياكم الله بالسلام
واحلنا واياكم دار المقامة هذه علانية حسنة ان صبرتم وصدقتم واتقيتم فلا يكن حظكم من هذا الخير رحمكم
الله ان تسمعوه بهذه الاذن وتخرجوه من هذه الاذن فان من راى محمدا صلى الله عليه وسلم فقد راه غاديا ورائحا
لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولكن رفع له علم فشمر اليه الوحا الوحا النجا النجا علام تعرجون انتم
ورب الكعبة كانكم والامر معا رحم الله عبدا جعل العيش عيشا واحدا فاكل كسرة ولبس خلقا ولزق
بالارض واجتهد في العبادة وبكى على الخطيئة وهرب من العقوبة وابتغى الرحمة حتى ياتيه اجله وهو على
ذلك وقال حاتم الاصم قال لي فضيل الرقاشي وانا اسائله يا هذا لا يشغلنك كثرة الناس عن نفسك
فان الامر يخلص اليك دونهم ولا تقل اذهب ههنا وههنا فينقطع عنك النهار بلا شيء فان الامر محفوظ عليك
ولم تر شيئا قط احسن طلبا ولا اسرع ادراكا من حسنة حديثة لذنب قديم

الباب الثالث في سكرات الموت وشدته وما يستحب من الاحوال عند الموت

اعلم انه لو لم يكن بين يدي العبد
المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجردها لكان جديرا بان يتنغص عليه عيشه ويتكدر عليه
سروره ويفارقه سهوه وغفلته وحقيقا بان يطول فيه فكره ويعظم له استعداده لا سيما وهو في كل نفس
بصدده كما قال بعض الحكماء كرب بيد سواك لا تدري متى يغشاك وقال لقمن لابنه يا بني امر لا تدري متى
يلقاك استعد له قبل ان يفجاك والعجب ان الانسان لو كان في اعظم اللذات واطيب مجالس اللهو فانتظر
ان يدخل عليه جندي فيضربه خمس خشبات لتكدرت عليه لذته وفسد عليه عيشه وهو في كل نفس بصدد
ان يدخل عليه ملك الموت بسكرات النزع وهو عنه غافل فما لهذا سبب الا الجهل والغرور واعلم ان شدة
الالم في سكرات الموت لا يعرفها بالحقيقة الا من ذاقها ومن لم يذقها فانما يعرفها اما بالقياس على الالام التي
ادركها واما بالاستدلال باحوال الناس في النزع على شدة ما هم فيه فاما القياس الذي يشهد له فهو ان
كل عضو لا روح فيه فلا يحس بالالم فاذا كان فيه الروح فالمدرك للالم هو الروح فمهما اصاب العضو جرح او
حريق سرى الاثر الى الروح فبقدر ما يسري الى الروح يتالم والمؤلم يتفرق على اللحم والدم وسائر الاجزاء فلا
يصيب الروح الا بعض الالم فان كان في الالام ما يباشر نفس الروح ولا يلاقي غيره فما اعظم ذلك الالم وما اشده
والنزع عبارة عن مؤلم نزل بنفس الروح فاستغرق جميع اجزائه حتى لم يبق جزء من اجزاء الروح المنتشر في اعماق
البدن الا وقد حل به الالم فلو اصابته شوكة فالالم الذي يجده انما يجري في جزء من الروح يلاقي ذلك الموضع
الذي اصابته الشوكة وانما يعظم اثر الاحتراق لان اجزاء النار تغوص في سائر اجزاء البدن فلا يبقى جزء من العضو
المحترق ظاهرا وباطنا الا وتصيبه النار فتحسه الاجزاء الروحانية المنتشرة في سائر اجزاء اللحم واما الجراحات فانما
تصيب الموضع الذي مسه الحديد فقط فكان لذلك الم الجرح دون الم النار فالم النزع يهجم على نفس الروح ويستغرق
جميع اجزائه فانه المنزوع المجذوب من كل عرق من العروق وعصب من الاعصاب وجزء من الاجزاء ومفصل من
المفاصل ومن اصل كل شعرة وبشرة من الفرق الى القدم فلا تسال عن كربه والمه حتى قالوا ان الموت لاشد من
ضرب بالسيف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض لان قطع البدن بالسيف انما يؤلم لتعلقه بالروح فكيف اذا كان

المتناول الناشر نفس الروح وانما يستغيث المضروب ويصيح لبقاء قوته في قلبه وفي لسانه وانما انقطع صوت الميت وصياحه مع شدة المه لان الكرب قد بالغ فيه وتصاعد على قلبه وغلب على كل موضع فيه فهد كل قوة وضعف كل جارحة فلم يترك له قوة للاستغاثة اما العقل فقد غشيه وشوشه واما اللسان فقد ابكمه واما الاطراف فقد ضعفها ويود لو قدر على الاستراحة بالانين والصياح والاستغاثة ولكنه لا يقدر على ذلك فان بقيت فيه قوة سمعت له عند نزع الروح وجذبها خوارا وغرغرة من حلقه وصدره وقد تغير لونه وازبد حتى كانه ظهر منه التراب الذي هو اصل فطرته وخلقته وقد جذب منه كل عرق فالالم منتشر في داخله وخارجه حتى ترتفع الحدقتان الى اعالي اجفانه وتتقلص الشفتان الى الاصل وترتفع الانثيان الى اعالي موضعهما وتخضر الانامل فلا تسال عن بدن يجذب منه كل عرق من عروقه ولو كان المجذوب عرقا واحدا لكان المه عظيما فكيف والمجذوب نفس الروح المتالم لا من عرق واحد بل من جميع العروق ثم يموت كل عضو من اعضائه تدريجا فتبرد اولا قدماه ثم ساقاه ثم فخذاه ولكل عضو سكرة بعد سكرة وكربة بعد كربة حتى يبلغ بها الى الحلقوم فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا واهلها ويغلق دونه باب التوبة وتحيط به الحسرة والندامة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقبل توبة العبد ما لم يغرغر وقال مجاهد في قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين قال اذا عاين الرسل فعند ذلك تبدو له صفحة وجه ملك الموت فلا تسال عن طعم مرارة الموت وكربه عند ترادف سكراته ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم هون على محمد سكرات الموت والناس انما لا يستعيذون منه ولا يستعظمونه لجهلهم به فان الاشياء قبل وقوعها انما تدرك بنور النبوة والولاية ولذلك عظم خوف الانبياء والاولياء من الموت حتى قال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين ادعوا الله تعالى ان يهون علي هذه السكرة يعني الموت فقد خفت الموت مخافة اوقفني خوفي من الموت على الموت وروي ان نفرا من بني اسرائيل مروا بمقبرة فقال بعضهم لبعض لو دعوتم الله تعالى ان يخرج لكم من هذه المقبرة ميتا تسالونه فدعوا الله فاذا هم برجل قد قام وبين عينيه اثر السجود قد خرج من قبر من تلك القبور فقال يا قوم ما اردتم مني لقد ذقت الموت منذ خمسين سنة ما سكنت مرارة الموت من قلبي وقالت عائشة رضي الله عنها لا اغبط احدا يهون عليه الموت بعد الذي رايت من شدة موت رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي انه كان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انك تاخذ الروح من بين العصب والقصب والانامل اللهم فاعني على الموت وهونه علي وعن الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الموت وغصته والمه فقال هو قدر ثلاثمائة ضربة بالسيف وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الموت وشدته فقال ان اهون الموت بمنزلة حسكة في صوف فهل تخرج الحسكة من الصوف الا ومعها صوف ودخل صلى الله عليه وسلم على مريض فقال اني لاعلم ما يلقى ما منه عرق الا ويالم للموت على حدته وكان علي رضي الله عنه يحض على القتال ويقول ان لم تقتلوا تموتوا والذي نفسي بيده لالف ضربة بالسيف اهون من الموت على فراش وقال شداد بن اوس الموت افظع هول في الدنيا والآخرة على المؤمن وهو اشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وغلي في القدور ولو ان الميت نشر فاخبر اهل الدنيا بالموت ما انتفعوا بعيش ولا لذوا بنوم وعن زيد بن اسلم عن ابيه قال اذا بقي على المؤمن من درجاته شيء لم يبلغها بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وكربه درجته في الجنة وان كان للكافر معروف لم يجز به هون عليه الموت ليستكمل ثواب معروفه فيصير الى النار وعن بعضهم انه كان يسال كثيرا عن المحتضرين كيف تجدون الموت فلما مرض قيل له فانت كيف تجده فقال كان السماء مطبقة على الارض وكان نفسي يخرج من ثقب ابرة وقال صلى الله عليه وسلم موت الفجاءة راحة للمؤمن واسف

على الكافر وروي مكحول عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان شعرة من شعر الميت وضعت على اهل السماوات والارض لماتوا باذن الله لان في كل شعرة الموت ولا يقع الموت بشيء الا مات وروي لو ان قطرة من الم الموت وضعت على جبال الدنيا كلها لذابت وروي ان ابراهيم عليه السلام لما مات قال الله تعالى له كيف وجدت الموت يا خليلي قال كسفود جعل في صوف رطب ثم جذب فقال اما انا قد هونا عليك الموت وروي عن موسى عليه السلام لما صارت روحه الى الله عز وجل قال له ربه يا موسى كيف وجدت الموت قال وجدت نفسي كالعصفور حين يقلى على المقلى لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير وروي عنه انه قال وجدت نفسي كشاة تسلخ حية وهي بيد القصاب وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان عنده قدح من ماء عند الموت فجعل يدخل يده في الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول اللهم هون علي سكرات الموت وفاطمة رضي الله عنها تقول واكرباه لكربك يا ابتاه وهو يقول لا كرب على ابيك بعد اليوم وقال عمر رضي الله عنه لكعب الاحبار يا كعب حدثنا عن الموت فقال نعم يا امير المؤمنين الموت كغصن كثير الشوك ادخل جوف رجل فاخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب فاخذ ما اخذ وابقى ما ابقى وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وان مفاصله ليسلم بعضها على بعض تقول عليك السلام تفارقني وافارقك الى يوم القيامة فهذه سكرات الموت على اولياء الله واحبابه فما حالنا ونحن المنهمكون في المعاصي وتتوالى علينا مع سكرات الموت الدواهي فان دواهي الموت ثلاث الاولى شدة النزع كما ذكرنا الداهية الثانية مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروع والخوف منه على القلب فلو راى الصورة التي يقبض عليها روح العبد المذنب اعظم الرجال قوة لم يطق رؤيته فقد روي عن ابراهيم الخليل عليه السلام انه قال لملك الموت هل تستطيع ان تريني صورتك التي تقبض فيها روح الفاجر قال لا تطيق ذلك قال بلى قال فاعرض عني فاعرض عنه ثم التفت فاذا هو برجل اسود قائم الشعر منتن الريح اسود الثياب يخرج من فيه ومناخره لهيب النار والدخان فغشي على ابراهيم صلى الله عليه وسلم ثم افاق وقد عاد ملك الموت الى صورته الاولى فقال يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر عند موته الا صورة وجهك لكان حسبه وروى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان داود عليه السلام كان رجلا غيورا وكان اذا خرج اغلقت الابواب فاغلق ذات يوم وخرج فاشرفت امراته فاذا هي برجل في الدار فقالت من ادخل هذا الرجل لئن جاء داود ليلقين منه عنتا فجاء داود عليه السلام فراه فقال من انت قال انا الذي لا اهاب الملوك ولا يمنع مني الحجاب فقال فانت اذا والله ملك الموت وزمل داود عليه السلام مكانه باذن الله تعالى وروي ان عيسى عليه السلام مر بجمجمة فضربها برجله وقال تكلمي باذن الله تعالى فقالت يا روح الله انا ملك زمان كذا وكذا بينا انا جالس في ملكي على تاجي وحولي جنودي وحشمي وانا على سرير ملكي اذ بدا لي ملك الموت فزال مني كل عضو على حياله ثم خرجت نفسي اليه فيا ليت ما كان من تلك الجموع كان فرقة ويا ليت ما كان من ذلك الانس كان وحشة فهذه داهية يلقاها العصاة ويكفاها المطيعون فقد حكى الانبياء صلوات الله عليهم مجرد سكرة النزع دون الروعة التي يدركها من يشاهد صورة ملك الموت في تلك الحال واما المطيع فانه يراه في احسن صورة واجملها فقد روى عكرمة عن ابن عباس ان ابراهيم عليه السلام كان رجلا غيورا وكان له بيت يتعبد فيه فاذا خرج اغلقه فرجع ذات يوم فاذا برجل في جوف البيت فقال من ادخلك داري فقال ادخلنيها ربها فقال انا ربها فقال ادخلنيها من هو املك بها مني ومنك فقال فمن انت من الملائكة قال انا ملك الموت قال هل تستطيع ان تريني الصورة التي تقبض فيها روح المؤمن قال نعم فاعرض عني فاعرض

ثم التفت فاذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه وثيابه وطيب ريحه فقال يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن
عند الموت الا صورتك كان حسبه ومنها مشاهدة الملكين الحافظين قال وهيب بلغنا انه ما من ميت يموت
حتى يتراءى له ملكاه الكاتبان عمله فان كان مطيعا قالا له جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس صدق اجلستنا
وعمل صالح قد احضرتنا وان كان فاجرا قالا لا جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس سوء قد اجلستنا وكلام قبيح
قد اسمعتنا وعمل غير صالح قد احضرتنا فلا جزاك الله عنا خيرا فذلك الذي يرمى به شخوص بصر المحتضر اليهما
ولا يرجع الى الدنيا ابدا **الداهية الثالثة مشاهدة العصاة مواضعهم من النار** وخوفهم من المشاهدة فانهم في حال السكرات وقد تخاذلت قواهم واستسلمت للخروج ارواحهم
ولن تخرج ارواحهم ما لم يسمعوا نغمة ملك الموت باحدى البشريين اما ابشر يا عدو الله بالنار او ابشر
يا ولي الله بالجنة ومن هذا كان خوف ارباب القلوب والالباب والاولياء وقد قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لن يخرج احدكم من الدنيا حتى يعلم اين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة او النار **وقد قال**
النبي صلى الله عليه وسلم من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقالوا كلنا نكره الموت
قال ليس ذلك بذاك ان المؤمن اذا فرج له عما هو قادم عليه احب لقاء الله فاحب الله لقاءه **وروي**
ان حذيفة بن اليمان قال لابن مسعود رضي الله عنه وهو لما به من آخر الليل قم فانظر اي ساعة هي فقام ابن مسعود
رضي الله عنه ثم جاء فقال قد طلعت الحمراء فقال حذيفة اعوذ بالله من صباح الى النار **ودخل** مروان على ابي
هريرة فقال مروان اللهم خفف عنه فقال ابو هريرة اللهم شدد ثم بكى ابو هريرة وقال والله ما ابكي حزنا
على الدنيا ولا جزعا من فراقكم ولكن انتظر احدى البشريين من ربي بالجنة او بالنار **وروي** في الحديث
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى اذا رضي عن عبد قال يا ملك الموت اذهب الى فلان فائتني
بروحه لاريحه حسبي من عمله قد بلوته فوجدته حيث احب فينزل ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة
معهم قضبان الريحان واصول الزعفران كل واحد منهم يبشره ببشارة سوى بشارة صاحبه وتقوم الملائكة
صفين لخروج روحه معهم الريحان فاذا نظر اليهم ابليس وضع يده على راسه ثم صرخ قال فيقول
جنوده ما لك يا سيدنا فيقول اما ترون ما اعطي هذا العبد من الكرامة اين كنتم عن هذا قالوا قد جهدنا به
فكان معصوما **وقال** الحسن لا راحة للمؤمن الا في لقاء الله عز وجل ومن كانت راحته في لقاء الله عز وجل فيوم
الموت يوم سروره وفرحه وامنه وعزه وشرفه وقيل لجابر بن زيد عند الموت ما تشتهي قال نظرة الى الحسن
فلما دخل الحسن قيل له هذا الحسن فرفع طرفه اليه ثم قال يا اخواناه الساعة والله افارقكم الى النار او
بعفو الله تعالى او الى الجنة **وقال** محمد بن واسع عند الموت يا اخواناه عليكم السلام الى النار
او يعفو الله تعالى وتمنى بعضهم ان يبقى في النزع ابدا ولا يبعث لثواب ولا عقاب فخوف سوء الخاتمة بخوف
سوء الخاتمة قد قطع قلوب العارفين وهي من الدواهي العظيمة عند الموت وقد ذكرنا معنى سوء الخاتمة
وشدة خوف العارفين في كتاب الخوف والرجاء وهو لائق بهذا الموضع ولكنا لا نطول بذكره واعادته **بيان**
ما يستحب من احوال المحتضر عند الموت اعلم ان المحبوب عند الموت من صورة المحتضر هو الهدوء
والسكون ومن لسانه ان يكون ناطقا بالشهادة ومن قلبه ان يكون حسن الظن بالله عز وجل اما الصورة
في الهدوء والسكون فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ارقبوا الميت عند ثلاث اذا رشح جبينه
وذرفت عيناه ويبست شفتاه فهي من رحمة الله تعالى قد نزلت به واذا غط غطيط المخنوق واحمر
لونه واربدت شفتاه فهو من عذاب الله تعالى قد نزل به واما انطلاق لسانه بكلمة الشهادة فهي علامة

الخير **وقال** ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقنوا موتاكم لا اله الا الله وفي رواية
حذيفة فانها تهدم ما قبلها من الخطايا **وقال** عثمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
مات وهو يعلم ان لا اله الا الله دخل الجنة **وقال** عبيد الله وهو يشهد **وقال** عثمان اذا احتضر الميت
فلقنوه لا اله الا الله فانه ما من عبد يختم له بها عند موته الا كانت زاده الى الجنة **وقال** عمر رضي الله
عنه احضروا موتاكم وذكروهم فانهم يرون ما لا ترون ولقنوهم لا اله الا الله **وقال** ابو هريرة رضي الله
عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حضر ملك الموت رجلا يموت فنظر في قلبه فلم يجد فيه
شيئا ففك لحييه فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول لا اله الا الله فغفر له بكلمة الاخلاص وينبغي
للملقن ان لا يلح في التلقين ولكن يتلطف فربما لا ينطق لسان المريض فيشق ذلك عليه ويؤدي
الى استثقاله بالتلقين وكراهية الكلمة ويخشى ان يكون ذلك سبب سوء الخاتمة وانما معنى هذه الكلمة
ان يموت العبد وليس في قلبه غير الله عز وجل فاذا لم يبق له مطلوب سوى الواحد الحق كان قدومه
بالموت على محبوبه غاية النعيم في حقه وان كان القلب مشغوفا بالدنيا ملتفتا اليها متاسفا
على لذاتها وكانت الكلمة على طرف اللسان ولم ينطبق القلب على تحقيقها وقع الامر في خطر المشيئة فان
مجرد حركة اللسان قليل الجدوى الا ان يتفضل الله سبحانه بالقبول واما حسن الظن فانه مستحب في
هذا الوقت وقد ذكرنا ذلك في كتاب الرجاء وقد وردت الاخبار بفضل حسن الظن ودخل واثلة بن
الاسقع على مريض فقال اخبرني كيف ظنك بالله قال اغرقتني ذنوب لي واشفيت على هلكة ولكني ارجو
رحمة ربي فكبر واثلة وكبر اهل البيت بتكبيره وقال الله اكبر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول يقول الله تعالى انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ودخل النبي صلى الله عليه وسلم على شاب وهو
يموت فقال كيف تجدك فقال ارجو الله واخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمعا في
قلب عبد في مثل هذا الموطن الا اعطاه الله ما يرجو وآمنه من الذي يخاف وقال ثابت البناني
كان شاب به حدة وكانت له ام وكانت تعظه كثيرا وتقول له يا بني ان لك يوما فاذكر يومك فلما نزل به
امر الله عز وجل اكبت عليه امه فجعلت تقول له يا بني قد كنت احذرك مصرعك هذا واقول ان لك يوما
فقال يا اماه ان لي ربا كثير المعروف واني لارجو الا يعدمني اليوم بعض معروفه قال ثابت فرحمه
الله بحسن ظنه بربه وقال جابر بن وداعة كان شاب به رهق فاحتضر فقالت له امه يا بني توصي بشيء
فقال نعم خاتمي لا تسلبينه فان فيه ذكر الله تعالى فلعل الله ان يرحمني فلما دفن رئي في المنام فقال
اخبروا امي ان الكلمة قد نفعتني وان الله عز وجل قد غفر لي ومرض اعرابي فقيل له انك تموت فقال
اين يذهب بي فقالوا الى الله عز وجل قال فما كراهتي ان اذهب الى من لا ارى الخير الا منه وقال
المعتمر بن سليمان قال لي ابي حين حضرته الوفاة يا معتمر حدثني بالرخص لعلي القى الله تعالى وانا حسن
الظن به وكانوا يستحبون ان يذكر للعبد محاسن عمله عند موته لكي يحسن ظنه بربه **بيان الحسرة عند**
لقاء ملك الموت بحكايات يعرب بلسان الحال عنها قال اشعث بن اسلم سال ابراهيم
عليه السلام ملك الموت واسمه عزرائيل وله عينان عين في وجهه وعين في قفاه فقال يا ملك الموت
ما تصنع اذا كانت نفس بالمشرق ونفس بالمغرب ووقع الوباء بارض والتقى الزحفان كيف تصنع قال
ادعو الارواح باذن الله تعالى فتكون بين اصبعي هاتين قال وقد دحيت له الارض فجعلت مثل الطست
بين يديه يتناول منها حيث يشاء قال وهو الذي بشره بانه خليل الله تعالى وقال سليمان بن داود

لملك الموت ما لي لا اراك تعدل بين الناس تاخذ هذا وتدع هذا قال انا بذلك باعلم منك انما هي
صحف او كتب يلقى فيها اسما **وقال** وهب ابن منبه كان ملك من الملوك اراد ان يركب الى ارض فدعا
بثياب ليلبسها فلم تعجبه فطلب غيرها حتى لبس ما اعجبه بعد مرات وكذلك طلب دابة فلم تعجبه فطلب
حتى اتى بدواب فركب احسنها فجاء ابليس فنفخ في منخره نفخة فملاه كبرا ثم سار وسارت معه الخيول
وهو لا ينظر الى الناس كبرا فجاءه رجل رث الهيئة فسلم عليه فلم يرد عليه السلام فاخذ بلجام دابته فقال
ارسل اللجام فقد تعاطيت امرا عظيما قال ان لي اليك حاجة قال اصبر حتى انزل قال لا الآن
فقهره على لجام دابته فقال اذكرها قال هو سر فادنى اليه راسه فساره فقال انا ملك الموت فتغير
لون الملك واضطرب لسانه ثم قال دعني حتى ارجع الى اهلي واقضي حاجتي واودعهم قال لا والله ما
ترى اهلك وثقلك ابدا فقبض روحه فخر كانه خشبة ثم مضى فلقي عبدا مؤمنا في تلك الحال
فسلم عليه فرد عليه السلام فقال ان لي اليك حاجة اذكرها في اذنك فقال هات فساره فقال انا ملك الموت
فقال اهلا ومرحبا بمن طالت غيبته عني فوالله ما كان في الارض غائب احب الي ان القاه منك فقال
ملك الموت اقض حاجتك التي خرجت اليها فقال ما لي حاجة اكبر عندي ولا احب من لقاء الله تعالى
قال فاختر على اي حالة شئت ان اقبض روحك فقال تقدر على ذلك فقال نعم اني امرت بذلك قال
دعني حتى اتوضأ واصلي فاقبض روحي وانا ساجد فقبض روحه وهو ساجد **وقال** بكر ابن عبد الله
المزني جمع رجل من بني اسرائيل مالا فلما اشرف على الموت قال لبنيه اروني اصناف اموالي فاتي بشيء كثير
من الخيل والرقيق والابل وغيرها فلما نظر اليها بكى تحسرا عليها فرآه ملك الموت وهو يبكي فقال له ما
يبكيك فوالذي خولك ما انا بخارج من منزلك حتى افرق بين روحك وجسدك قال فالمهلة
حتى افرقه قال هيهات انقطعت عنك المهلة فهلا كان ذلك قبل حضور اجلك فقبض روحه **و**
روي ان رجلا جمع مالا فاوعى ولم يدع صنفا من المال الا اتخذه وابتنى قصرا وجعل عليه بابين
وثيقين وجمع عليه حرسا من غلمانه ثم جمع اهله وصنع لهم طعاما وقعد على سريره ورفع احدى
رجليه على الاخرى وهم ياكلون فلما فرغ قال يا نفسي انعمي لسنين فقد جمعت لك ما يكفيك فلم يفرغ من كلامه
حتى نزل عليه ملك الموت في هيئة رجل عليه خلقان من الثياب في عنقه مخلاة يتشبه بالمساكين
فقرع الباب قرعة عظيمة قرعا افزعه وهو على فراشه فوثب اليه الغلمان فقالوا ما شانك فقال
ادعوا الي مولاكم قالوا واليك يخرج مولانا قال نعم فاخبروه بذلك فقال هلا فعلتم به وفعلتم
فقرع الباب قرعا شديدا اشد من الاول فوثب اليه الحرس فقال اخبروه اني ملك الموت فلما سمعوا
القى عليهم الرعب ووقع على مولاهم الذل والتخشع فقال قولوا له قولا لينا وقولوا له هل تاخذ معه
احدا فدخل عليه وقال اصنع في مالك ما انت صانع فاني لست بخارج منها حتى اخرج نفسك فامر
بماله فوضع بين يديه فقال حين رآه لعنك الله من مال انت شغلتني عن عبادة ربي ومنعتني ان
اتخلى لربي فانطق الله المال فقال لم تسبني وقد كنت تدخل على السلاطين بي ويرد المتقي عن بابه
كنت تنكح المتنعمات بي وتجالس مجالس الملوك بي وترد المعروف وتنفق في سبيل الشر ولا امتنع منك
لو انفقتني في سبيل الخير لنفعتك خلقت وابن ادم من تراب فمنطلق ببر ومنطلق باثم ثم قبض ملك
الموت روحه فسقط **وقال** وهب ابن منبه قبض ملك الموت روح جبار من الجبابرة ما في الارض
مثله ثم عرج الى السماء فقالت الملائكة لمن كنت اشد رحمة ممن قبضت روحه قال امرت بقبض نفس امراة

في فلاة من الارض فاتيتها وقد ولدت مولودا فرحمتها لغربتها ورحمة لمولودها الصغير وكونه في فلاة
لا متعهد لها فقالت الملائكة الجبار الذي قبضت روحه اليوم هو ذلك المولود الذي رحمته فقال
ملك الموت سبحان اللطيف لما يشاء **وقال** عطاء ابن يسار اذا كان في ليلة النصف من شعبان دفع الى
ملك الموت صحيفة فيقال اقبض في هذه السنة من في هذه الصحيفة فان العبد ليغرس الغراس
وينكح الازواج ويبني البنيان وان اسمه في تلك الصحيفة وهو لا يدري **وقال** الحسن ما من
يوم الا وملك الموت يتصفح كل بيت ثلاث مرات فمن وجده منهم قد استوفى رزقه وانقضى
اجله قبض روحه فاذا قبض روحه اقبل اهله برنة وبكاء فياخذ ملك الموت بعضادتي الباب فيقول
والله ما اكلت له رزقا ولا افنيت له عمرا ولا انقصت له اجلا وان لي فيكم لعودة ثم عودة حتى لا ابقي منكم
احدا **قال** الحسن فوالله لو رأوا مقامه وسمعوا كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على انفسهم
وقال يزيد الرقاشي بينما جبار من الجبابرة من بني اسرائيل جالس في مجلسه قد خلا باهله اذ نظر الى
شخص قد دخل من باب بيته فثار اليه فزعا وغضبا فقال من انت ومن ادخلك على داري فقال اما الذي ادخلني
الدار فربها واما انا فالذي لا يمنع مني الحجاب ولا استاذن على الملوك ولا اخاف صولة المتسلطين ولا يمتنع مني
كل جبار عنيد ولا شيطان مريد قال فسقط في يد الجبار وارتعد حتى سقط منكبا لوجهه ثم رفع اليه
راسه مستعطفا متذللا له فقال له انت اذا ملك الموت قال انا هو فقال هل انت ممهلي حتى احدث عهدا
قال هيهات هيهات انقطعت مدتك وانقضت انفاسك ونفدت ساعاتك فليس الى تاخيرك سبيل
قال الى اين تذهب بي قال الى عملك الذي قدمته والى بيتك الذي مهدته قال فاني لم اقدم عملا صالحا
ولم امهد بيتا حسنا قال فالى لظى نزاعة للشوى ثم قبض روحه فسقط بين اهله فمن بين صارخ وباك
قال يزيد الرقاشي لو يعلمون سوء المنقلب كان العويل على ذلك اكثر **وعن** الاعمش عن خيثمة قال
دخل ملك الموت على سليمان ابن داود عليهما السلام فجعل ينظر الى رجل من جلسائه ويديم النظر اليه فلما
خرج قال الرجل لسليمان من هذا قال هذا ملك الموت قال لقد رايته ينظر الي كانه يريدني قال فما
الذي تريد قال اريد ان تخلصني منه فتامر الريح تحملني الى اقصى الهند ففعلت الريح ذلك ثم قال سليمن
لملك الموت بعد ان اتاه ثانيا رايتك تديم النظر الى احد جلسائي قال نعم كنت اتعجب منه لاني كنت امرت
ان اقبض روحه باقصى الهند في ساعة قريبة وكان عندك فعجبت من ذلك **الباب الرابع في وفاة
رسول الله والخلفاء الراشدين اعلم** ان في رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة حيا
وميتا وفعلا وقولا وجميع احواله عبرة للناظرين وبصيرة للمستبصرين اذ لم يكن احد اكرم على الله
عز وجل منه اذ كان خليل الله وحبيبه ونجيه وكان صفيه ورسوله ونبيه فانظر هل امهله ساعة عند
انقضاء مدته وهل اخره لحظة بعد حضور منيته لا بل ارسل اليه الملائكة الكرام الموكلين بقبض ارواح
الانام فجدوا بروحه الزكية الكريمة لينقلوها وعالجوها ليرحلوها عن جسده الطاهر الى رحمة ورضوان
وخيرات حسان بل الى مقعد صدق في جوار الرحمن فاشتد مع ذلك في النزع كربه وظهر انينه وترادف قلقه
وارتفع حنينه وتغير لونه وعرق جبينه واضطرب في الانقباض والانبساط شماله ويمينه حتى بكى
لمصرعه من حضره وانتحب لشدة حاله من شاهد منظره فهل رايت منصب النبوة دافعا عنه مقدورا وهل
راقب فيه اهلا وعشيرا وهل سامحه اذ كان الحق نصيرا وللخلق بشيرا ونذيرا هيهات بل امتثل ما كان
به مامورا واتبع ما وجد في اللوح مسطورا فهذا كان حاله وهو عند الله ذو المقام المحمود والحوض المورود

وهو اول من تنشق عنه الارض وهو صاحب الشفاعة يوم العرض فالعجب انا لا نعتبر به ولسنا على ثقة مما
نلقاه بل نحن اسرى الشهوات وقرناء المعاصي والسيئات فما بالنا لا نتعظ بمصرع محمد سيد المرسلين وامام
المتقين وحبيب رب العالمين لعلنا نظن انا مخلدون او نتوهم انا مع سوء افعالنا عند الله مكرمون هيهات
هيهات بل نتيقن انا جميعا على النار واردون ثم لا ينجو منها الا المتقون فنحن للورود مستيقنون وللصدور
عنها متوهمون بل ظلمنا انفسنا ان كنا كذلك لغير الغالب مستظهرين فما نحن والله من المتقين وقد قال الله
رب العالمين وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا
فلينظر كل عبد الى نفسه انه الى الظالمين اقرب ام الى المتقين وانظر الى نفسك بعد ان تنظر الى سيرة السلف
الصالحين فلقد كانوا مع ما وفقوا له من الخائفين ثم انظر الى سيد المرسلين فانه كان من امره على يقين اذ كان
سيد المرسلين وقائد المتقين واعتبر كيف كان كربه عند فراق الدنيا وكيف اشتد امره عند الانقلاب
الى جنة المأوى قال ابن مسعود دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت امنا عائشة رضي
الله عنها حين دنا الفراق فنظر الينا فدمعت عيناه صلى الله عليه وسلم ثم قال مرحبا بكم حياكم الله آواكم الله نصركم الله
اوصيكم بتقوى الله واوصي بكم الله اني لكم منه نذير مبين ان لا تعلوا على الله في عباده وبلاده وقد دنا الاجل والمنقلب الى الله
والى سدرة المنتهى والى جنة المأوى والكاس الاوفى فاقرؤا على انفسكم وعلى من دخل في دينكم بعدي مني السلام ورحمة
الله وروي انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عند موته من لامتي بعدي فاوحى الله تعالى الى جبريل عليه السلام
ان بشر حبيبي اني لا اخذله في امته وبشره بانه اسرع الناس خروجا من الارض اذا بعثوا وسيدهم اذا جمعوا وان
الجنة محرمة على الامم حتى تدخلها امته فهبط جبريل فاخبره بذلك فقال الان قرت عيني وقالت عائشة
رضي الله عنها امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نغسله بسبع قرب من سبع ابار ففعلنا ذلك فوجد راحة فخرج
فصلى بالناس واستغفر لاهل احد ودعا لهم واوصى بالانصار فقال اما بعد يا معشر المهاجرين فانكم تزيدون
واصبحت الانصار لا تزيد على هيئتها التي هي عليها اليوم وان الانصار عيبتي التي اويت اليها فاكرموا كريمهم
يعني محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ثم قال ان عبدا خير بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله
فبكى ابو بكر رضي الله عنه وظن انه يريد نفسه فقال على رسلك يا ابا بكر ثم قال سدوا هذه
الابواب الشوارع في المسجد الا باب ابي بكر فاني لا اعلم امرا افضل عندي في الصحبة من ابي بكر قالت عائشة
رضي الله عنها فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري وجمع الله بين ريقي
وريقه عند الموت فدخل علي اخي عبد الرحمن وبيده سواك فجعل ينظر اليه فعرفت انه يعجبه ذلك فقلت آخذه
لك فاومى براسه اي نعم فناولته اياه فادخله في فيه فاشتد عليه فقلت الينه لك فاومى براسه اي نعم فلينته
وكانت بين يديه ركوة فجعل يدخل يده فيها ويقول لا اله الا الله ان للموت لسكرات ثم نصب يده يقول
الرفيق الاعلى فقلت اذا والله لا يختارنا وروي سعيد بن عبد الله عن ابيه قال لما رات الانصار ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثقل اطافوا بالمسجد فدخل العباس فاعلمه بمكانهم واشفاقهم ثم دخل عليه الفضل فاخبره بمثل ذلك ثم دخل عليه علي رضي الله عنه
بمثله فمد يده وقال ها فتناولوه فقال ما يقولون فقال يقولون نخشى ان تموت وتصايح نساؤهم لاجتماع رجالهم
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج متوكئا على علي والفضل والعباس امامه ورسول الله صلى الله عليه وسلم معصوب
الراس يخط برجليه حتى جلس على اسفل مرقاة من المنبر وثاب الناس اليه فحمد الله واثنى عليه وقال ايها الناس
بلغني انكم تخافون علي الموت كانه استنكار منكم للموت وما تنكرون من موت نبيكم الم انع اليكم وتنعى اليكم انفسكم
هل خلد نبي قبلي فيمن بعث فاخلد فيكم الا اني لاحق بربي وانتم لاحقون به واني اوصيكم بالمهاجرين الاولين خيرا واوصي

المهاجرين فيما بينهم فان الله عز وجل قال والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا
بالحق وتواصوا بالصبر وان الامور تجري باذن الله فلا يحملنكم استبطاء امر على استعجاله فان الله عز وجل لا يعجل
لعجلة احد ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله عز وجل خدعه فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض
وتقطعوا ارحامكم واوصيكم بالانصار خيرا فانهم الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلكم ان تحسنوا اليهم الم
يشاطروكم الثمار الم يوسعوا عليكم في الديار الم يؤثروكم على انفسهم وبهم الخصاصة الا فمن ولي ان يحكم بين رجلين
فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم الا ولا تستاثروا عليهم الا واني فرط لكم وانتم لاحقون بي الا وان
موعدكم الحوض حوضي اعرض مما بين بصرى الشام وصنعاء اليمن يصب فيه ميزاب الكوثر ماء اشد بياضا من اللبن والين
من الزبد واحلى من الشهد من شرب منه لم يظما ابدا حصباؤه اللؤلؤ وبطحاؤه من مسك من حرمه غدا في الموقف حرم
الخير كله الا فمن احب ان يرده علي غدا فليكفف لسانه ويده الا مما ينبغي فقال العباس يا نبي الله اوص بقريش فقال
انما اوصي بهذا الامر قريشا والناس تبع لقريش برهم لبرهم وفاجرهم لفاجرهم فاستوصوا آل قريش بالناس خيرا يا ايها
الناس ان الذنوب تغير النعم وتبدل القسم فاذا بر الناس برهم ائمتهم واذا فجر الناس عقوهم قال الله
عز وجل وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وروي ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي
بكر رضي الله عنه سل يا ابا بكر فقال يا رسول الله دنا الاجل فقال قد دنا الاجل وتدلى فقال ليهنك يا نبي الله ما عند الله فليت شعري
عن منقلبنا فقال الى الله عز وجل والى سدرة المنتهى ثم الى جنة المأوى والفردوس الاعلى والكاس الاوفى والرفيق
الاعلى والحظ والعيش المهنى فقال يا نبي الله من يلي غسلك قال رجال من اهل بيتي الادنى فالادنى قال ففيم نكفنك
فقال في ثيابي هذه وفي حلة يمانية وفي بياض مصر فقال كيف الصلاة عليك منا وبكينا وبكى ثم قال مهلا غفر الله
لكم وجزاكم عن نبيكم خيرا اذا غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري ثم اخرجوا
عني ساعة فان اول من يصلي علي الله عز وجل هو الذي يصلي عليكم وملائكته ثم ياذن للملائكة في الصلاة علي فاول من
يدخل علي من خلق الله ويصلي علي جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ملك الموت مع جنود كثيرة ثم الملائكة باجمعها صلى
الله عليهم اجمعين ثم انتم فادخلوا علي افواجا فصلوا علي افواجا زمرة زمرة وسلموا تسليما ولا تؤذوني بتزكية
ولا صيحة ولا رنة وليبدأ منكم الامام واهل بيتي الادنى فالادنى ثم زمر النساء ثم زمر الصبيان قال فمن يدخلك القبر
قال زمر من اهل بيتي الادنى فالادنى مع ملائكة كثيرة لا ترونهم وهم يرونكم قوموا فادوا عني الى من بعدي وقال
عبد الله بن زمعة جاء بلال في اول ربيع الاول فاذن بالصلاة فقال مروا ابا بكر يصلي بالناس فخرجت
فلم ار بحضرة الباب الا عمر في رجال ليس فيهم ابو بكر فقلت قم يا عمر فصل بالناس فقام عمر فلما كبر وكان رجلا صيتا سمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم صوته بالتكبير فقال اين ابو بكر يابى الله ذلك والمسلمون قالها ثلاث مرات مروا ابا بكر فليصل
بالناس فقالت عائشة يا رسول الله ان ابا بكر رجل اسيف رقيق القلب اذا قام في مقامك غلبه البكاء فقال
انكن صواحبات يوسف مروا ابا بكر فليصل بالناس فصلى ابو بكر بعد الصلاة التي صلى عمر فكان عمر يقول لعبد
الله بن زمعة ويحك ماذا صنعت بي والله لولا اني ظننت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امرك ما فعلت فيقول
عبد الله اني لم ار احدا اولى بذلك منك قالت عائشة وما قلت ذلك ولا صرفته عن ابي بكر الا رغبة به
عن الدنيا ولما في الولاية من المخاطرة والهلكة الا ما سلم الله وخشيت ايضا ان لا يكون الناس يحبون رجلا صلى في
مقام النبي صلى الله عليه وسلم وهو حي ابدا الا ان يشاء الله فيحسدونه ويبغون عليه ويتشاءمون به فاذا الامر امر الله
والقضاء قضاؤه وعصمه الله من كل ما تخوفت عليه من امر الدنيا والدين وقالت عائشة رضي الله عنها فلما كان
اليوم الذي مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم راوا منه خفة في اول النهار فتفرق عنه الرجال الى منازلهم

وجوههم مستبشرين واخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنسا فبينا نحن كذلك لم يكن باسرع من حالنا في الرجا
والفرح قبل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجن عني هذا الملك يستاذن علي فخرج من في البيت غيري
وراسه في حجري فجلس وتنحيت في ناحية البيت فناجى الملك طويلا ثم انه دعاني فاعاد راسه في حجري وقال
للنسوة ادخلن فقلت ما هذا بحس جبريل عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجل يا عايشة هذا ملك
الموت جاءني فقال ان الله عز وجل ارسلني اليك وامرني ان لا ادخل عليك الا باذنك فان لم تاذن لي ارجع وان اذنت لي دخلت
وامرني ان لا اقبضك حتى تامرني فماذا امرك فقلت اكفف عني حتى ياتي جبريل عليه السلام فهذه ساعة جبريل قالت
عايشة رضي الله عنها فاستقبلنا بامر لم يكن له عندنا جواب ولا راي فوجمنا وكانما ضرب علينا بصاعقة ما
يحير اليه شيئا وما يتكلم من اهل البيت احد اعظاما لذلك الامر وهيبة ملات اجوافنا قالت وجاء جبريل عليه
السلام في ساعته فسلم فعرفت حسه وخرج اهل البيت فدخل فقال ان الله عز وجل يقرا عليك السلام ويقول
لك كيف تجدك وهو اعلم بالذي تجد منك ولكن اراد ان يزيدك كرامة وشرفا وان يتم كرامتك وشرفك على
الخلق وان يكون سنة في امتك فقال عليه السلام اجدني وجعا فقال ابشر فان الله عز وجل اراد ان يبلغك ما اعد
لك فقال يا جبريل ان ملك الموت استاذن علي واخبره الخبر فقال جبريل يا محمد ان ربك اليك مشتاق الم اعلمك
الذي يريد بك لا والله ما استاذن ملك الموت على احد قط ولا يستاذن ابدا الا ان ربك متم شرفك وهو مشتاق
اليك قال فلا تبرح اذا حتى يجيء واذن للنسا فقال ادني ابنتي فاطمة فاكبت عليه فناجاها فرفعت راسها
وعيناها تدمع وما تطيق الكلام ثم قال ادني مني راسك فاكبت عليه فناجاها فرفعت راسها وهي تضحك وما
تطيق الكلام وكان الذي راينا منها عجبا فسالناها بعد ذلك فقالت اخبرني وقال اني ميت اليوم فبكيت
ثم قال اني دعوت الله ان يلحقك بي اول اهلي وان يجعلك معي فضحكت وادنت ابنيها منه فشمهما وجاء ملك
الموت فسلم واستاذن فاذن له فقال الملك ما تامرني يا محمد قال الحقني بربي الان فقال بلى من يومك هذا
اما ان ربك اليك مشتاق ولم يتردد عن احد تردده عنك ولم ينهني عن الدخول على احد الا باذنه ولكن
ساعتك امامك وخرج قالت وجاء جبريل عليه السلام فقال وعليك السلام يا رسول الله هذا اخر ما انزل فيه
الى الارض ابدا طوي الوحي وطويت الدنيا وما كان لي في الارض حاجة غيرك وما لي فيها حاجة الا حضورك ثم لزوم
موقفي ولا والذي بعث محمدا بالحق ما في البيت احد يستطيع ان يحير اليه في ذلك كلمة ولا يبعث الى احد من
رجاله لعظم ما سمع من حديثه ووجدنا واشفاقنا قالت فقمت الى النبي صلى الله عليه وسلم حتى اضع راسه
بين يدي وامسكت بصدره وجعل يغشى عليه حتى يغلب وجبهه ترشح رشحا ما رايته من انسان قط فجعلت اسلت
ذلك العرق وما وجدت رائحة شيء قط اطيب منه فكنت اقول له اذا افاق بابي وامي ونفسي واهلي ما تلقى جبهتك
من الرشح فقال يا عايشة ان نفس المومن تخرج بالرشح ونفس الكافر تخرج من شدقيه كنفس الحمار فعند ذلك ارتعنا
وبعثنا الى اهالينا فكان اول رجل جاءنا ولم يشهده اخي بعثه الي ابي فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان
يجي احد وانما صدهم الله عنه لانه ولاه جبريل وميكائيل وجعل اذا اغمي عليه قال الرفيق الاعلى كان الخيرة
تعاد عليه فاذا اطاق الكلام قال الصلاة الصلاة انكم لا تزالون متماسكين ما صليتم جميعا الصلاة الصلاة
كان يوصي بها حتى مات وهو يقول الصلاة الصلاة **قالت عايشة** رضي الله عنها مات رسول الله صلى الله عليه
وسلم بين ارتفاع الضحى وانتصاف النهار يوم الاثنين قالت فاطمة ما لقيت من يوم الاثنين والله لا تزال الامة
تصاب فيه بعظيمة وقالت ام كلثوم يوم اصيب علي رضي الله عنه بالكوفة ما لقيت من يوم الاثنين مات فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل فيه علي رضي الله عنه وقتل فيه ابي فما لقيت من يوم الاثنين وقالت عايشة لما

رسول الله صلى الله عليه وسلم انقع الناس حين ارتفعت الرنة وسجي رسول الله صلى الله عليه وسلم الملائكة بثوبه
فاختلفوا فكذب بعضهم بموته واخرس بعضهم فما تكلم الا بعد البعد وخلط اخرون فلاثوا الكلام بغير بيان
وبقي اخرون معهم عقولهم واقعد اخرون فكان عمر رضي الله عنه فيمن كذب بموته وعلي فيمن اقعد وعثمان
فيمن اخرس فخرج عمر على الناس فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمت وليرجعنه الله وليقطعن ايدي و
ارجل من المنافقين يتمنون لرسول الله صلى الله عليه وسلم الموت انما واعده ربه كما واعد موسى وهو آتيكم وفي
رواية قال يا ايها الناس كفوا السنتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لم يمت والله لا اسمع احدا يذكر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم مات الا علوته بسيفي هذا واما علي فانه اقعد فلم يبرح البيت واما عثمان فجعل
لا يكلم احدا يوخذ بيده فيجاء به ويذهب ولم يكن احد من المسلمين في مثل حال ابي بكر والعباس فان الله عز وجل
عزم لهما على التوفيق والسداد وان كان الناس لم يرعووا الا بقول ابي بكر حتى جاء العباس فقال والله الذي لا اله الا هو
لقد ذاق رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت ولقد قال وهو بين اظهركم انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة
عند ربكم تختصمون وبلغ ابا بكر الخبر وهو في بني الحارث بن الخزرج فجاء فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر
اليه ثم اكب عليه فقبله ثم قال بابي انت وامي ما كان الله ليذيقك الموت مرتين فقد والله توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم خرج الى الناس فقال يا ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله تعالى حي لا
يموت قال الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم الاية فكانت
الناس لم يسمعوا هذه الاية الا يومئذ وفي رواية ان ابا بكر لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم و
عيناه تهملان وغصصه ترتفع كقطع الجرة وهو في ذلك جلد العقل والمقال فاكب عليه فكشف عن وجهه و
قبل جبينه وخديه ومسح وجهه وجعل يبكي ويقول بابي انت وامي ونفسي واهلي طبت حيا وميتا انقطع لموتك ما لم ينقطع
لموت احد من الانبيا وهو النبوة فعظمت عن الصفة وجللت عن البكا وخصصت حتى صرت مسلاة وعممت حتى
صرنا فيك سوا ولولا ان موتك كان اختيارا منك لجدنا لحزنك بالنفوس ولولا انك نهيت عن البكا لانفدنا عليك
ماء الشؤون فاما ما لا نستطيع نفيه عنا فكمد وادكار محالفان لا يبرحان اللهم فابلغه عنا واذكرنا يا محمد عند
ربك ولنكن من بالك فلولا ما خلفت من السكينة لم يقم احد منا لما خلفت من الوحشة اللهم ابلغ نبيك عنا واحفظه
فينا وعن ابن عمر لما دخل ابو بكر البيت وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم رنا اهل البيت ضجيجا سمعه اهل
المصلى كلما ذكر شيئا ازدادوا فما سكن ضجيجهم الا تسليم رجل على الباب صيت جلد قال السلام عليكم يا اهل البيت
كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيامة الاية ان في الله خلفا من كل احد ودركا لكل رغبة ونجاة
من كل مخافة فالله فارجوا وبه فثقوا فاستمعوا له وانكروه وقطعوا البكا فلما انقطع البكا فقدوا الصوت فاطلع
احدهم فلم ير احدا ثم عادوا فبكوا فناداهم مناد اخر لا يعرفون صوته يا اهل البيت اذكروا الله واحمدوه على كل حال
تكونوا من المخلصين ان في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل رغبة فالله فاطيعوا وبامره فاعملوا فقال ابو بكر رضي
الله عنه هذا الخضر واليسع حضرا النبي صلى الله عليه وسلم واستوفى القعقاع ابن عمرو حكاية خطبة ابي بكر فقال
قام ابو بكر رضي الله عنه في الناس خطيبا حيث قضى الناس عبراتهم بخطبة جلها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
فحمد الله على كل حال وقال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وغلب الاحزاب وحده فلله الحمد
وحده واشهد ان محمدا عبده ورسوله وخاتم انبيائه واشهد ان الكتاب كما نزل وان الدين كما شرع وان الحديث كما
حدث وان القول كما قال وان الله هو الحق المبين اللهم فصل على محمد عبدك ورسولك ونبيك وحبيبك وامينك
وخيرتك وصفوتك بافضل ما صليت به على احد من خلقك واجعل صلواتك ومعافاتك ورحمتك وبركاتك على سيد

> فكشف عن وجهه وقبل جبينه وخديه ومسح وجهه وجعل يبكي

المرسلين وخاتم النبيين وامام المتقين محمد قايد الخير وامام الخير ورسول الرحمة اللهم قرب زلفته وعظم
برهانه وكرم مقامه وابعثه مقاما محمودا يغبطه به الاولون والاخرون وانفعنا بمقامه المحمود يوم القيمة و
اخلفه فينا في الدنيا والاخرة وبلغه الدرجة والوسيلة من الجنة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت
على ابرهيم وعلى آل ابرهيم في العالمين انك حميد مجيد ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن
كان يعبد الله فان الله حي لا يموت وان الله تعالى قد تقدم اليكم في امره فلا تدعوه جزعا فان الله عز وجل قد
اختار لنبيه صلى الله عليه وسلم ما عنده على ما عندكم وقبضه الى ثوابه وخلف فيكم كتابه وسنة نبيه
صلى الله عليه وسلم فمن اخذ بهما عرف ومن فرق بينهما انكر يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله و
لا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم ولا يفتننكم عن دينكم وعاجلوا الشيطان بالخير تعجزوه ولا تستنظروه فيلحق
بكم ويفتنكم **وقال** ابن عباس رضي الله عنهما لما فرغ ابو بكر رضي الله عنه من خطبته قال يا عمر انت الذي
بلغني انك تقول ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم كذا وكذا وقد قال الله تعالى في محكم كتابه انك ميت وانهم
ميتون فقال عمر والله لكاني لم اسمع بها في كتاب الله قبل الان لما نزل بنا ثم قال اشهد ان الكتاب كما نزل وان
الحديث كما حدثت وان الله حي لا يموت انا لله وانا اليه راجعون وصلوات الله على رسوله صلى الله عليه وسلم و
عند الله نحتسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جلس عند ابي بكر رضي الله عنهما **وقالت** عائشة لما اجتمعوا لغسله
قالوا والله لا ندري كيف نغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم انجرده عن ثيابه كما نصنع بموتانا او نغسله في
ثيابه قالت فارسل الله عليهم النوم حتى ما بقي منهم رجل الا واضع لحيته في صدره نائما ثم قال قايل لا ندري من
هو اغسلوا النبي صلى الله عليه وسلم في قميصه حتى اذا فرغ من غسله كفن **وقال** علي رضي الله عنه
اردنا خلع قميصه كما نغسل موتانا فنودينا لا تخلعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثيابه فاقررناه فغسلناه
في قميصه كما نغسل موتانا مستلقيا ما نشا ان نقلب منه عضوا لما نبالغ فيه الا قلب لنا حتى نفرغ منه
وان معنا لحفيفا في البيت كالريح الهادي وصوت يقول ارفقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فانكم ستكفون فهكذا
كانت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل مسجى الى الليل الا ادنى معه **وقال** ابو جعفر فرشت
تحته ثوبه وقطيفته وفرشت ثيابه صلى الله عليه وسلم عليها التي كان يلبس يقظان على القطيفة والفرش
ثم وضع عليها في اكفانه صلى الله عليه وسلم فلم يترك بعد وفاته مالا ولا بنا في حياته لبنة على لبنة ولا قصبة على
قصبة ففي وفاته عبرة تامة للمسلمين وبه اسوة حسنة صلى الله عليه وسلم تسليما

وفاة ابي بكر الصديق رضي الله عنه

لما احتضر ابو بكر رضي الله عنه جاءت عائشة رضي الله عنها فتمثلت بهذا البيت **شعر**

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى ... اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

فكشف عن وجهه فقال ليس كذلك ولكن قولي وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما وكفنوني فيهما فانما الحي
احوج الى الجديد من الميت **وقالت** عائشة رضي الله عنها عند موته هذا البيت **شعر**

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ... ربيع اليتامى عصمة للارامل

فقال ابو بكر رضي الله عنه ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلوا عليه فقالوا الا
ندعو لك طبيبا ينظر اليك فقال قد نظر الي وقال اني فعال لما اريد **ودخل** سلمان الفارسي عليه رضي الله عنهما
يعوده فقال يا ابا بكر اوصنا فقال ان الله تعالى فاتح عليكم الدنيا فلا تاخذن منها الا بلاغك واعلم ان من صلى صلاة
الصبح فهو في ذمة الله تعالى فلا تخفرن الله تعالى في ذمته فيكبك في النار على وجهك **ولما ثقل** ابو بكر واراد
الناس منه ان يستخلف فاستخلف عمر فقال الناس استخلفت علينا فظا غليظا فما تقول لربك فقال
اقول لربي استخلفت على خلقك خير خلقك وارسل الى عمر فجاء فقال اني اوصيك بوصية اعلم ان لله تعالى حقا
في النهار لا يقبله في الليل وان له حقا بالليل لا يقبله بالنهار وانه لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة وانما ثقلت
موازين من ثقلت موازينه يوم القيمة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحق
ان يثقل وانما خفت موازين من خفت موازينهم يوم القيمة باتباعهم الباطل وخفته عليهم وحق لميزان
لا يوضع فيه الا الباطل ان يخف وان الله ذكر اهل الجنة باحسن اعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم فيقول القايل
انا دون هؤلاء ولا ابلغ مبلغ هؤلاء وان الله تعالى ذكر اهل النار باسوا اعمالهم ورد عليهم صالح الذي عملوا
فيقول القايل انا افضل من هؤلاء وان الله تعالى ذكر اية الرحمة واية العذاب ليكون المؤمن راغبا راهبا
ولا يلقي بيده الى التهلكة ولا يتمنى على الله غير الحق فان حفظت وصيتي فلا يكون غايب احب اليك من الموت
ولا بد لك منه وان ضيعت وصيتي فلا يكون غايب ابغض اليك من الموت ولست بمعجزه **وقال**
سعيد ابن المسيب لما احتضر ابو بكر اتاه ناس من اصحابه فقالوا يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم زودنا فانا
نراك لما بك فقال ابو بكر من قال هؤلاء الكلمات ثم مات جعل الله تعالى روحه في الافق المبين قالوا وما الافق المبين
قال قاع بين يدي العرش فيه رياض وانهار واشجار يغشاه كل يوم مائة رحمة فمن قال هذا القول جعل
الله تعالى روحه في ذلك المكان اللهم انك ابتدات الخلق من غير حاجة بك اليهم ثم جعلتهم فريقين فريق
للنعيم وفريق للسعير فاجعلني للنعيم ولا تجعلني للسعير اللهم انك خلقت الخلق فجعلتهم شيعا وميزتهم
قبل ان تخلقهم فجعلت منهم شقيا وسعيدا وغويا ورشيدا فلا تشقني بمعاصيك اللهم انك علمت ما تكسب كل نفس قبل ان تخلقها فلا محيص لهم مما علمت
فاجعلني ممن يستعمله بطاعتك اللهم ان احدا لا يشاء حتى تشاء فاجعل مشيتك ان اشاء ما يقربني اليك
اللهم انك قد قدرت حركات العباد فلا يتحرك شيء الا باذنك فاجعل حركاتي في تقواك اللهم انك خلقت
الخير والشر وجعلت لكل واحد منهما عاملا يعمل به فاجعلني من خير القسمين اللهم انك خلقت الجنة والنار
وجعلت لكل واحد منهما اهلا فاجعلني من سكان جنتك اللهم انك اردت بقوم الضلال وضيقت به
صدورهم فاشرح صدري للايمان وزينه في قلبي اللهم انك تدبر الامور فتجعل مصيرها اليك فاحيني
بعد الموت حياة طيبة وقربني اليك زلفى اللهم من اصبح وامسى ثقته ورجاؤه غيرك فانت ثقتي ورجائي
ولا حول ولا قوة الا بالله قال ابو بكر هذا كله في كتاب الله عز وجل

وفاة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه

قال عمرو ابن ميمون كنت قايما غداة اصيب عمر رضي الله عنه ما بيني وبينه الا عبد الله ابن عباس وكان اذا مر بين
الصفين قام بينهما فاذا راى خللا قال استووا حتى اذا لم ير فيهم خللا تقدم فكبر قال وربما قرا سورة يوسف
عليه السلام او النحل او نحو ذلك في الركعة الاولى حتى يجتمع الناس فما هو الا ان كبر فسمعته يقول قتلني او اكلني الكلب
حين طعنه ابو لؤلؤة فطار العلج بسكين ذات طرفين لا يمر على احد يمينا ولا شمالا الا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر
رجلا فمات منهم تسعة وفي رواية سبعة فلما راى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسا فلما ظن العلج
انه ماخوذ نحر نفسه وتناول عمر رضي الله عنه عبد الرحمن ابن عوف فقدمه فاما من كان يلي عمر فقد راى ما
رايت واما نواحي المسجد فلا يدرون الا انهم فقدوا صوت عمر وهم يقولون سبحان الله سبحان الله فصلى
بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة فلما انصرفوا قال يا ابن عباس انظر من قتلني قال فجال ساعة ثم جاء فقال غلام المغيرة
بن شعبة قال قاتله الله لقد كنت امرت به معروفا ثم قال الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل مسلم قد كنت
انت وابوك تحبان ان يكثر العلوج بالمدينة وكان العباس اكثرهم رقيقا فقال ابن عباس ان شئت فعلنا اي ان شئت
قتلناهم قال كذبت بعد ما تكلموا بلسانكم وصلوا قبلتكم وحجوا حجكم فاحتمل الى بيته فانطلقنا معه قال وكان الناس
لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ فقايل يقول نخاف عليه وقايل يقول لا باس به فاتي بنبيذ فشرب منه فخرج

من جوفه ثم اتي بلبن فشربه فخرج من جرحه فعرفوا انه ميت قال فدخلنا عليه وجاء الناس يثنون عليه وجاء رجل
شاب فقال ابشر يا امير المؤمنين ببشرى من الله عز وجل قد كان لك من صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم
في الاسلام ما قد علمت ثم وليت فعدلت ثم شهادة قال وددت ان ذلك كان كفافا لا علي ولا لي فلما ادبر الرجل
اذا ازاره يمس الارض فقال ردوا علي الغلام فقال يا ابن اخي ارفع ثوبك فانه انقى لثوبك واتقى لربك ثم قال
يا عبد الله انظر ما علي من الدين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين الفا او نحوه فقال ان وفى به مال آل عمر فاده
من اموالهم والا فاسأل في بني عدي بن كعب فان لم تف اموالهم فاسأل في قريش ولا تعدهم الى غيرهم واد عني
هذا المال انطلق الى ام المؤمنين عائشة فقل عمر يقرأ عليك السلام ولا تقل امير المؤمنين فاني لست اليوم للمؤمنين
اميرا وقل يستأذن عمر بن الخطاب ان يدفن مع صاحبيه فذهب عبد الله فسلم واستأذن ثم دخل عليها فوجدها
قاعدة تبكي فقال يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستأذن ان يدفن مع صاحبيه فقالت كنت اريده
لنفسي ولأوثرنه اليوم على نفسي فلما اقبل قيل هذا عبد الله بن عمر قد جاء فقال ارفعوني فاسنده رجل اليه
قال ما لديك قال الذي تحب يا امير المؤمنين اذنت فقال الحمد لله رب العالمين ما كان شيء اهم الي من ذلك فاذا
انا قبضت فاحملوني ثم سلم وقل يستأذن عمر فان اذنت لي فادخلوني وان ردتني فردوني الى مقابر المسلمين و
جاءت ام المؤمنين حفصة والنساء تسير معها فلما رأيناها قمنا فولجت عليه فبكت عنده ساعة فاستأذن الرجال
فولجت داخلا فسمعنا بكاءها من الداخل فقالوا اوص يا امير المؤمنين استخلف فقال ما ارى احدا احق بهذا الامر من هؤلاء
النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فسمى عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعدا وعبد
الرحمن بن عوف وقال يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الامر شيء كهيئة التعزية له فان اصابت الامرة سعدا فهو
ذاك والا فليستعن به ايكم ما امر فاني لم اعزله عن عجز ولا خيانة وقال اوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الاولين ان
يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم حرمتهم واوصيه بالانصار خيرا الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم ان يقبل من
محسنهم وان يعفو عن مسيئهم واوصيه باهل الامصار خيرا فانهم ردء الاسلام وجباة المال وغيظ العدو
وان لا يؤخذ منهم الا فضلهم عن رضى منهم واوصيه بالاعراب خيرا فانهم اصل العرب ومادة الاسلام ان
وان
يؤخذ من حواشي اموالهم ويرد على فقرائهم واوصيه بذمة الله وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يوفي لهم
بعهدهم وان يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا الا طاقتهم قال فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشي فسلم عبد الله بن عمر
وقال يستأذن عمر بن الخطاب فقالت ادخلوه فادخل فوضع هنالك مع صاحبيه الحديث **وعن** ابي بن كعب عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال لي جبريل عليه السلام ليبك الاسلام على موت عمر **وعن** ابن عباس رضي الله عنهما قال
وضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل ان يرفع وانا فيهم فلم يرعني الا رجل قد اخذ بمنكبي
فالتفت فاذا هو علي بن ابي طالب فترحم على عمر وقال ما خلفت احدا احب الي ان القى الله عز وجل بمثل عمله منك
وايم الله ان كنت لاظن ان يجعلك الله مع صاحبيك وذلك اني كنت كثيرا اسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ذهبت
انا وابو بكر وعمر ودخلت انا وابو بكر وعمر وخرجت انا وابو بكر وعمر فان كنت لارجو او لاظن ان يجعلك الله عز وجل
معهما **وفاة عثمان رضي الله عنه الحديث** في قتله مشهور **وقال** عبد الله بن سلام اتيت اخي
عثمان رضي الله عنه لاسلم عليه وهو محصور فدخلت عليه فقال مرحبا باخي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
في هذه الخوخة وخوخة في البيت فقال يا عثمان حصروك فقلت نعم قال عطشوك فقلت نعم قال فادلى دلوا فيه ماء
فشربت حتى رويت حتى اني لاجد برده بين ثديي وبين كتفي وقال ان شئت نصرت عليهم وان شئت افطرت عندنا
فاخترت ان افطر عنده فقتل ذلك اليوم رحمه الله تعالى **وقال** عبد الله بن سلام لمن حضر تشحط عثمان في الثوب

حين جرح ماذا قال عثمان وهو يتشحط قالوا سمعناه يقول اللهم اجمع امة محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثا والذي
نفسي بيده لو دعا الله تعالى ان لا يجتمعوا ابدا ما اجتمعوا الى يوم القيامة **وعن** ثمامة بن حزن القشيري قال
شهدت الدار حين اشرف عليهم عثمان رضي الله عنه فقال ائتوني بصاحبيكم اللذين البآكم علي قال فجيء بهما كانهما
جملان او حماران فاشرف عليهم عثمان رضي الله عنه فقال انشدكم الله والاسلام هل تعلمون ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال من يشتري بئر رومة فيجعل دلوه
فيها مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي وانتم اليوم تمنعوني ان اشرب منها حتى
اشرب من ماء البحر قالوا اللهم نعم قال انشدكم الله والاسلام هل تعلمون ان المسجد ضاق باهله فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي
وانتم اليوم تمنعوني ان اصلي فيها ركعتين قالوا اللهم نعم قال انشدكم الله والاسلام هل تعلمون ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان على ثبير مكة ومعه ابو بكر وعمر وانا فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض
قال فركضه برجله وقال اسكن ثبير فانما عليك نبي وصديق وشهيدان قالوا اللهم نعم قال الله اكبر شهدوا لي
ورب الكعبة اني شهيد **وروي** عن شيخ من ضبة ان عثمان حين ضرب والدماء تسيل على لحيته جعل
يقول لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين اللهم اني استعديك عليهم واستعينك على جميع اموري
واسألك الصبر على ما ابتليتني **وفاة علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه** قال الاصبغ
الحنظلي لما كانت الليلة التي اصيب فيها علي رضي الله عنه اتاه ابن النباح حين طلع الفجر يؤذنه بالصلاة و
هو مضطجع متثاقل فعاد الثانية وهو كذلك ثم عاد الثالثة فقام علي رضي الله عنه يمشي وهو يقول **شعر**
اشدد حيازيمك للموت ۞ فان الموت لاقيك ۞ ولا تجزع من الموت ۞ اذا حل بواديك ۞ فلما بلغ الباب الصغير
شد عليه ابن ملجم فضربه فخرجت ام كلثوم ابنة علي رضي الله عنها فجعلت تقول ما لي ولصلاة الغداة قتل
زوجي امير المؤمنين صلاة الغداة وقتل ابي صلاة الغداة **وعن** شيخ من قريش ان عليا رضي الله عنه لما ضربه
الا الله
ابن ملجم قال فزت ورب الكعبة **وعن** محمد بن علي انه لما ضرب اوصى بنيه ثم لم ينطق الا بلا اله الا الله حتى قبض **ولما**
ثقل الحسن بن علي رضي الله عنهما دخل عليه الحسين رضي الله عنهما فقال يا اخي لم تجزع تقدم على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعلى علي بن ابي طالب رضي الله عنهما وهما ابواك وعلى خديجة بنت خويلد وعلى فاطمة بنت محمد صلى
الله عليه وسلم وهما امّاك وعلى حمزة وجعفر وهما عماك قال يا اخي اقدم على امر لم اقدم على مثله **وعن** محمد بن الحسن
قال لما نزل القوم بالحسين وايقن انهم قاتلوه قام في اصحابه خطيبا فحمد الله واثنى عليه ثم قال قد نزل بنا الامر ما ترون
وان الدنيا قد تغيرت وتنكرت وادبر معروفها واستمرت حتى لم يبق منها الا صبابة كصبابة الاناء الا عيش كالمرعى
الوبيل الا ترون الحق لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله عز وجل واني لا ارى الموت الا سعادة
والحياة مع الظالمين الا برما **الباب الخامس في كلام المحتضرين من الخلفاء والامراء الصالحين**
لما حضرت معاوية بن ابي سفيان الوفاة قال اقعدوني فجلس يسبح الله تعالى ويذكره ثم بكى فقال تذكر ربك
يا معاوية بعد الهرم والانحطاط هلا كان هذا وغصن الشباب نضير ريان وبكى حتى علا بكاؤه وقال يا رب
ارحم الشيخ العاصي ذا القلب القاسي اللهم اقل العثرة واغفر الزلة وعد بحلمك على من لم يرج غيرك ولم يثق باحد
سواك **وروي** عن شيخ من قريش انه دخل مع جماعة عليه في مرضه فرأوا في جلده غضونا فحمد الله واثنى
عليه ثم قال اما بعد فهل الدنيا اجمع الا ما جربنا ورأينا اما والله لقد استقبلنا زهرتها بجدتنا باستلذاذنا
بعيشنا فما لبثت بنا الدنيا ان نقضت منا ذلك حالا بعد حال وعروة بعد عروة فاصبحت الدنيا

قد بلوتنا وأخلقتنا واستلذت الينا فالدنيا من جادم أف لها من دار ويروي أن آخر خطبة خطبها
معاوية أن قال يا أيها الناس إن من زرع قد استحصد وإني قد وليتكم ولا يليكم أحد من بعدي إلا وهو شر مني
كما كان من قبلي خيراً مني ويا يزيد إذا وفى أجلي فول غسلي رجلاً لبيباً فإن اللبيب من الله بمكان فلينعم الغسل
وليجهر بالتكبير ثم اعمد إلى منديل في الخزانة فيه ثوب من ثياب النبي صلى الله عليه وسلم وقراضة من شعره و
أظفاره فاستودع القراضة أنفي وفمي وأذني وعيني واجعل الثوب على جلدي دون أكفاني ويا يزيد احفظ
وصية الله في الوالدين فإذا أدرجتموني في جديدي ووضعتموني في حفرتي فخلوا معاوية وأرحم الراحمين
وقال محمد بن عقبة لما نزل بمعاوية الموت قال يا ليتني كنت رجلاً من قريش بذي طوى ولم أل من هذا الأمر
شيئاً ولما حضرت عبد الملك بن مروان الوفاة نظر إلى غسال بجانب دمشق يلوي ثوباً بيده ثم يضرب به
المغسلة فقال عبد الملك والله يا ليتني كنت غسالاً آكل من كسب يدي يوماً بيوم ولم أل من أمور الناس شيئاً فبلغ
ذلك أبا حازم فقال الحمد لله الذي جعلهم إذا حضرهم الموت يتمنون ما نحن فيه وإذا حضرنا الموت لم نتمن ما هم
فيه وقيل لعبد الملك بن مروان في مرضه كيف تجدك يا أمير المؤمنين قال أجدني كما قال الله عز وجل ولقد
جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم الآية وقالت فاطمة بنت عبد الملك امرأة
عمر بن عبد العزيز كنت أسمع عمر بن عبد العزيز في مرضه الذي مات فيه يقول اللهم أخف عليهم موتي ولو ساعة
من نهار فلما كان اليوم الذي قبض فيه خرجت من عنده فجلست في بيت آخر بيني وبينه باب وهو في قبة له فسمعته
يقول تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين ثم هدأ فجعلت لا
أسمع له حركة ولا كلاماً فقلت لوصيف له انظر أنائم هو فلما دخل صاح فوثبت فإذا هو ميت وقيل له لما حضرته
الوفاة اعهد يا أمير المؤمنين قال أحذركم مثل مصرعي هذا فإنه لا بد لكم منه وروي أنه لما ثقل عمر بن عبد العزيز
دعي له طبيب فلما رآه قال أرى الرجل قد سقي السم ولا آمن عليه الموت فرفع عمر إليه بصره فقال ولا تأمن
الموت أيضاً على من لم يسق السم فقال الطبيب هل أحسست بذلك يا أمير المؤمنين قال نعم قد عرفت ذلك
حين وقع في بطني قال فتعالج يا أمير المؤمنين فإني أخاف أن تذهب نفسك قال ربي خير مذهوب
إليه والله لو علمت أن شفائي عند شحمة أذني ما رفعت يدي إلى أذني فتناولته ثم قال اللهم خر لعمر في
لقائك فلم يلبث إلا أياماً حتى مات وقيل لما حضرته الوفاة بكى فقيل ما يبكيك يا أمير المؤمنين أبشر فقد
أحيا الله تعالى بك سنناً وأظهر بك عدلاً فبكى ثم قال أليس أوقف فأسأل عن أمر هذا الخلق فوالله
لو عدلت فيهم لخفت على نفسي أن لا تقوم بحجتها بين يدي الله عز وجل إلا أن يلقنها حجتها فكيف بكثير مما
ضيعنا وفاضت عيناه فلم يلبث إلا يسيراً حتى مات فلما قرب وقت موته قال أجلسوني فأجلسوه فقال أنا
الذي أمرتني فقصرت ونهيتني فعصيت ثلاث مرات ولكن لا إله إلا الله ثم رفع رأسه فأحد النظر فقيل له في ذلك
فقال إني لأرى حضرة ما هم بإنس ولا جان ثم قبض وحكي عن هارون الرشيد أنه انتقى أكفانه عند الموت بيده وكان
ينظر إليها ويقول ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه وفرش المأمون رماداً واضطجع عليه وكان يقول يا من لا يزول
ملكه ارحم من قد زال ملكه وكان المعتصم يقول عند موته لو علمت أن عمري هكذا قصير ما فعلت ما فعلت وكان
المنتصر يضطرب على نفسه عند موته فقيل له لا بأس عليك يا أمير المؤمنين فقال ليس إلا هذا لقد ذهبت الدنيا والآخرة
وقال عمرو بن العاص في الوفاة وقد نظر إلى الصناديق لنفسه من يأخذها بما فيها ليته كان بعراً وقال
الحجاج عند موته اللهم اغفر لي فإن الناس يقولون إنك لا تغفر لي وكان عمر بن عبد العزيز يعجبه هذه الكلمة منه و
يغبطه عليها ولما حكي ذلك للحسن قال أقالها قالوا نعم قال عسى **بيان أقاويل جماعة من خواص الصالحين**

من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل التصوف لما حضرت معاذاً رحمه الله الوفاة
قال اللهم إني قد كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها
لجري الأنهار ولا لغرس الأشجار ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر
ولما اشتد به النزع ونزع نزعاً لم ينزعه أحد فكان كلما أفاق من غمرة فتح طرفه ثم قال يا رب اخنقني خنقك
فوعزتك إنك لتعلم أن قلبي يحبك ولما حضرت سلمان الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك قال ما أبكي جزعاً على
الدنيا ولكن عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تكون بلغة أحدنا من الدنيا كزاد الراكب
فلما مات سلمان نظر في جميع ما ترك فإذا قيمته بضعة عشر درهماً ولما حضرت بلالاً الوفاة قالت
امرأته واحزناه فقال بل واطرباه غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه وقيل فتح عبد الله بن المبارك
عينيه عند الوفاة وضحك وقال لمثل هذا فليعمل العاملون ولما حضرت إبراهيم النخعي الوفاة بكى فقيل
له ما يبكيك قال أنتظر من الله رسولاً يبشرني بالجنة أو النار ولما حضرت ابن المنكدر الوفاة بكى فقيل له ما
يبكيك فقال والله ما أبكي لذنب أعلم أني أتيته ولكن أخاف أني أتيت شيئاً حسبته هيناً وهو عند الله عظيم
ولما حضرت عامر بن قيس الوفاة بكى فقيل ما يبكيك فقال ما أبكي جزعاً من الموت ولا حرصاً على الدنيا و
لكن أبكي على ما يفوتني من ظمأ الهواجر وعلى قيام الليل في الشتاء ولما حضرت فضيلاً الوفاة غشي عليه ثم فتح
عينيه وقال وا بعد سفراه وقلة زاداه ولما حضرت ابن المبارك الوفاة قال لنصر مولاه اجعل رأسي
على التراب فبكى نصر فقال له ما يبكيك قال ذكرت ما كنت فيه من النعيم وأنت هو ذا تموت فقيراً غريباً
قال اسكت فإني سألت الله تعالى أن يحييني حياة الأغنياء ويميتني ميتة الفقراء ثم قال لقني ولا تعد
علي ما لم أتكلم بكلام وقال عطاء بن يسار تبدى إبليس لرجل عند الموت فقال له نجوت فقال ما أمنتك
بعد وبكى بعضهم عند الموت فقيل له ما يبكيك فقال آية من كتاب الله عز وجل قوله تعالى إنما يتقبل
الله من المتقين ودخل الحسن على رجل يجود بنفسه فقال إن أمراً هذا أوله لجدير أن يتقى آخره وإن أمراً هذا
آخره لجدير أن يزهد في أوله وقال الجريري كنت عند الجنيد في حال نزعه وكان يوم الجمعة ويوم
النيروز وهو يقرأ القرآن فختم فقلت في هذه الحالة يا أبا القاسم فقال ومن أولى بذلك مني وهو ذا تطوى
صحيفتي وقال رويم حضرت وفاة أبي سعيد الخراز وهو يقول شعر حنين قلوب العارفين
إلى الذكر * وتذكارهم وقت المناجاة للسر * أديرت كؤوس للمنايا عليهم * فأغفوا عن الدنيا كإغفاء ذي الشكر
همومهم جوالة بمعسكر * به أهل ود الله كالأنجم الزهر * فأجسامهم في الأرض قتلى بحبه * وأرواحهم في
الحجب نحو العلا تسري * فما عرسوا إلا بقرب حبيبهم * وما عرجوا من مس بؤس ولا ضر وقيل
للجنيد إن أبا سعيد الخراز كان كثير التواجد عند الموت فقال لم يكن بعجب أن تطير روحه اشتياقاً وقيل
لذي النون عند موته ما تشتهي قال أن أعرفه قبل موتي بلحظة وقيل لبعضهم وهو في النزع قل الله فقال
إلى متى تقولون الله وأنا محترق بالله وقال بعضهم كنت عند ممشاد الدينوري فقدم فقير فقال
السلام عليكم هل ههنا موضع نظيف يمكن الإنسان أن يموت فيه قال فأشاروا إليه بمكان وكان ثم عين
ماء فجدد الفقير الوضوء وركع ما شاء الله ومضى إلى ذلك المكان ومد رجليه ومات وكان أبو العباس
الدينوري يتكلم في مجلسه فصاحت امرأة تواجداً فقال لها موتي فقامت المرأة فلما بلغت باب الدار التفتت
إليه فقالت قد مت ووقعت ميتة ويحكى عن فاطمة أخت أبي علي الروذباري قالت لما قرب أجل أبي علي
الروذباري وكان رأسه في حجري فتح عينيه وقال هذه أبواب السماء قد فتحت وهذه الجنان قد زينت وهذا

قايل يقول يا ابا علي قد بلغنا انك الرتبة القصوى وانك تردها ثم انه انشا يقول **شعر** وحقك لا نظرت الى سواكا * بعين مودة حتى اراكا * اراك معذبي بفتور لحظ * وبالخد المورد من جناكا * **وقيل** للجنيد قل لا اله الا الله فقال ما نسيته فاذكره وسال جعفر بن نصير بكران الدينوري خادم الشبلي ما الذي رايت منه فقال قال علي درهم مظلمة وقد تصدقت عن صاحبه بالوف فما على قلبي شغل اعظم منه ثم قال وضئني للصلاة ففعلت فنسيت تخليل اللحية وقد امسك على لسانه فقبض على يدي وادخلها في لحيته ثم مات فبكى جعفر وقال ما تقولون في رجل لم يفته في اخر عمره ادب من اداب الشريعة وقيل لبشر بن الحارث لما احتضر وكان يشق عليه كانك تحب الحياة فقال القدوم على الله شديد وقيل لصالح بن مسمار الا توصي بابنك وعيالك فقال اني لاستحيي من الله ان اوصي بهم الى غيره ولما احتضر ابو سليمان الداراني اتاه اصحابه فقالوا ابشر فانك تقدم على رب غفور رحيم فقال لهم الا تقولون احذر فانك تقدم على رب يحاسب بالصغيرة ويعاقب على الكبيرة ولما احتضر الواسطي قيل له اوصنا قال احفظوا مراد الحق فيكم واحتضر بعضهم فبكت امراته فقال لها ما يبكيك فقالت عليك ابكي فقال لها ان كنت باكية فابكي على نفسك فلقد بكيت على هذا اليوم اربعين سنة وقال الجنيد دخلت على سري السقطي اعوده في مرضه فقلت كيف تجدك فانشا يقول **شعر** كيف اشكو الى طبيبي ما بي * والذي قد اصابني من طبيبي * فاخذت المروحة لاروح عليه فقال كيف يجد ريح المروحة من جوفه يحترق ثم انشا يقول **شعر** القلب محترق والدمع مستبق * والكرب مجتمع والصبر مفترق * كيف القرار على من لا قرار له * مما جناه الهوى والشوق والقلق * يا رب ان يك شيء فيه لي فرج * فامنن علي به ما دام بي رمق * وحكي ان قوما من اصحاب الشبلي دخلوا عليه وهو في الموت فقالوا له قل لا اله الا الله فانشا يقول **شعر** ان بيتا انت ساكنه * غير محتاج الى السرج * وجهك المامول حجتنا * يوم ياتي الناس بالحجج * لا اتاح الله لي فرجا * يوم ادعو منك بالفرج * **وحكي** ان ابا العباس بن عطاء دخل على الجنيد في النزع فسلم عليه فلم يجبه ثم اجابه بعد ساعة وقال اعذرني فاني كنت في وردي ثم ولى وجهه الى القبلة وكبر ومات وقيل للكتاني لما حضرته الوفاة ما كان عملك فقال لو لم يقترب اجلي ما اخبرتكم به وقفت على باب قلبي اربعين سنة فكلما مر فيه غير الله حجبته عنه وحكي عن المعتمر قال كنت فيمن حضر الحكم بن عبد الله حين جاءه الموت فقلت اللهم هون عليه سكرات الموت فانه كان وكان فذكرت محاسنه فلما افاق قال من المتكلم فقلت انا فقال ان ملك الموت عليه السلام يقول اني بكل سخي رفيق ثم طفي ولما حضرت يوسف بن اسباط الوفاة شهده حذيفة فوجده قلقا فقال يا ابا محمد هذا اوان القلق والجزع فقال يا ابا عبد الله وكيف لا اقلق ولا اجزع ولا اعلم اني صدقت الله تعالى في شيء من عملي فقال حذيفة واعجبا لهذا الرجل الصالح يحلف عند موته انه لا يعلم انه صدق الله عز وجل في شيء من عمله **وحكي** المغازلي قال دخلت على شيخ من اصحاب هذه القصة وهو عليل وهو يقول بمكانك ان تفعل ما تريد فاغفر لي ودخل بعض المشايخ على ممشاد الدينوري في مرضه فقال فعل الله تعالى بك فقال منذ ثلاثين سنة تعرض علي الجنة بما فيها فما اعرتها طرفي **وقيل** لرويم عند الموت قل لا اله الا الله فقال لا احسن غيرها ولما حضرت النوري قيل له قل لا اله الا الله فقال اليس ثم امر ودخل المزني على الشافعي رحمه الله في مرضه الذي توفي فيه فقال له كيف اصبحت يا ابا عبد الله فقال اصبحت من الدنيا راحلا وللاخوان مفارقا ولسوء عملي ملاقيا ولكاس المنية شاربا وعلى الله تعالى واردا ولا ادري اروحي تصير الى الجنة فاهنيها او الى النار فاعزيها ثم انشا يقول **شعر** فلما قسا قلبي وضاقت مذاهبي * جعلت رجائي نحو عفوك سلما * تعاظمني ذنبي فلما قرنته * بعفوك ربي كان عفوك اعظما * فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل * تجود وتعفو منة وتكرما * فان تعف عني تعف عن ظالم مذنب * ظلوم غشوم لا يزايل ماثما * وان تنتقم مني فلست بايس

تغفر رحيم فقال لهم الا تقولون احذر فانك تقدم على رب

ونفعنا به

ولو دخلت نفسي بجرمي جهنما * فلولاك لم يغوى بابليس عابد * فكيف وقد اغوى صفيك ادما * فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل * تجود وتعفو منة وتكرما * ولولاك لم يجا من ابليس عابد * وكيف وقد اغوى صفيك ادما * **ولما حضرت** احمد بن خضرويه الوفاة سئل عن مسئلة فدمعت عيناه وقال يا بني باب كنت ادقه خمسا وتسعين سنة هو ذا يفتح الساعة لا ادري ايفتح بالسعادة او بالشقاوة فانى لي اوان الجواب فهذه اقاويلهم وانما اختلفت بحسب اختلاف احوالهم فغلب على بعضهم الخوف وغلب على بعضهم الرجاء وعلى بعضهم الشوق والحب فتكلم كل واحد على مقتضى حاله والكل صحيح بالاضافة الى احوالهم

الباب السادس في اقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور

اعلم ان الجنائز عبرة للبصير وفيها تنبيه وتذكير الا لاهل الغفلة فانها لا تزيدهم مشاهدتها الا قساوة لانهم يظنون ابدا انهم الى جنازة غيرهم ينظرون ولا يحسبون انهم لا محالة على الجنائز يحملون او يحسبون ذلك ولكنهم على القرب لا يقدرونه ولا يتفكرون ان المحمولين على الجنائز هكذا كانوا يحسبون فبطل حسبانهم وانقرض على القرب زمانهم فلا ينظر عبد الى جنازة الا ويقدر نفسه محمولا عليها فانه محمول عليها على القرب فيروى عن ابي هريرة رضي الله عنه انه كان اذا راى جنازة قال امضوا فانا على الاثر وكان مكحول الدمشقي اذا راى جنازة قال اغدوا فانا رائحون موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الاول والاخر لا عقل له **وقال** اسيد بن حضير ما شهدت جنازة فحدثتني نفسي بشيء سوى ما هو مفعول به وما هو صائر اليه ولما مات اخو مالك بن دينار خرج مالك في جنازته يبكي ويقول والله لا تقر عيني حتى اعلم الى ماذا صرت ولا اعلم ذلك ما دمت حيا **وقال** الاعمش كنا نشهد الجنائز فلا ندري من نعزي لحزن الجميع **وقال** ثابت البناني كنا نشهد الجنائز فلا نرى الا متقنعا باكيا فهكذا كان خوفهم من الموت والان لا ننظر الى جماعة يحضرون جنازة الا واكثرهم يضحكون ويلهون ولا يتكلمون الا في ميراثه وما خلفه لورثته ولا يتفكر اقرانه واقاربه الا في الحيلة في تناول بعض ما خلفه ولا يتفكر احد منهم الا ما شاء الله في جنازة نفسه وفي حاله اذا حمل عليها ولا سبب لهذه الغفلة الا قسوة القلوب بكثرة المعاصي والذنوب حتى نسينا الله تبارك وتعالى واليوم الاخر والاهوال التي بين ايدينا فصرنا نلهو ونغفل ونشتغل بما لا يعنينا فنسال الله تعالى اليقظة من هذه الغفلة فان احسن احوال الحاضرين على الجنائز بكاؤهم على الميت ولو عقلوا لبكوا على انفسهم لا على الميت نظر ابراهيم الزيات الى اناس يترحمون على ميت فقال لو ترحمون انفسكم لكان خيرا لكم انه نجا من اهوال ثلاثة وجه ملك الموت قد راه ومرارة الموت قد ذاقها وخوف الخاتمة قد امن **وقال** ابو عمرو بن العلاء جلست الى جرير وهو يملي على كاتبه شعرا فاطلعت جنازة فامسك وقال شيبتني والله هذه الجنائز وانشا يقول **شعر** تروعنا الجنائز مقبلات * ونلهو حين تذهب مدبرات * كروعة ثلة لمغار ذيب * فلما غاب عادت راتعات * **فمن اداب حضور الجنائز التفكر والتنبه والاستعداد** والمشي امامها على هيئة التواضع كما ذكرنا ادابها وسننها في فن الفقه ومن ادابه حسن الظن بالميت وان كان فاسقا واساءة الظن بالنفس وان كان ظاهرها الصلاح فان الخاتمة مخطرة لا تدرى حقيقتها ولذلك روي عن عمر بن ذر انه مات واحد من جيرانه وكان مسرفا على نفسه فتجافى كثير من الناس عن جنازته فحضرها هو وصلى عليها فلما دلي في قبره وقف على قبره وقال يرحمك الله يا فلان فلقد صحبت عمرك بالتوحيد وعفرت وجهك بالسجود وان قالوا مذنب وذو خطايا فمن منا غير مذنب وغير ذي خطايا ويحكى ان رجلا من المنهمكين في الفساد مات في بعض نواحي البصرة فلم تجد امراته من يعينها على حمل جنازته اذ لم يدر بها احد من جيرانه لكثرة فسقه فاستاجرت حمالين وحملتها الى المصلى فما صلى عليها احد فحملتها الى الصحراء للدفن فكان على جبل قريب من الموضع رجل زاهد من الزهاد الكبار فراوه كالمنتظر للجنازة فقصد ان يصلي عليها فانتشر الخبر في

وكان بعد ايضا في عقد او بعد عقد

البلد بأن الزاهد يريد أن يصلي على فلان فخرج أهل البلد فصلى الزاهد عليه وصلوا معه فتعجب الناس فقال
قيل لي في المنام انزل إلى الموضع الفلاني ترى فيه جنازة ليس معها إلا امرأة فصل عليه فإنه مغفور له فازداد تعجب الناس
فدعا الزاهد امرأته وسألها عن حاله وأنه كيف كانت سيرته قالت كما عرفتم كان طول نهاره في الماخور مشغولا بشرب
الخمر فقال انظري هل تعرفين له شيئا من أعمال الخير قالت ثلاثة كان كل يوم يفيق من سكره وقت الصبح فيبدل ثيابه
ويتوضأ ويصلي الصبح في جماعة ثم يعودوا إلى الخمور ويشتغل بالفسق والفجور والثاني أنه كان أبدا لا يخلو بيته عن يتيم ويتيمين وكان إحسانه إليهم أكثر من إحسانه إلى أولاده وكان شديد التفقد
لهم والثالث أنه كان يفيق في أثناء سكره في ظلام الليل فيبكي ويقول يا رب أي زاوية من زوايا جهنم تريد أن
تملأها بهذا الخبيث يعني بذلك نفسه فانصرف الزاهد وقد ارتفع إشكاله في أمره **وعن** صلة بن أشيم وقد
دفن أخا له فقال على قبره **شعر** فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة وإلا فإني لا إخالك ناجيا

بيان حال القبر وأقاويلهم على القبور

قال الضحاك قال رجل يا رسول الله من أزهد الناس قال من لم ينس القبر والبلى
وترك فضل زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من أيامه وعد نفسه من أهل القبور وقيل لعلي كرم
الله وجهه ما شأنك جاورت المقبرة قال إني أجدهم جيران صدق يكفون الألسنة ويذكرون الآخرة **وقال**
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيت منظرا إلا والقبر أفظع منه **وقال** عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرجنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقابر فجلس إلى قبر وكنت أدنى القوم منه فبكى وبكيت وبكوا فقال ما يبكيكم قالوا
بكينا لبكائك قال هذا قبر أمي آمنة بنت وهب استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي فاستأذنته في أن
أستغفر لها فأبى علي فأدركني ما يدرك الولد من الرقة **وكان** عثمان بن عفان رضي الله عنه إذا وقف على
قبر بكى حتى يبل لحيته فسئل عن ذلك وقيل له تذكر الجنة والنار ولا تبكي وتبكي إذا وقفت على قبر فقال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول إن القبر أول منزل من منازل الآخرة فإن نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه وإن لم
ينج منه فما بعده أشد **وقيل** إن عمرو بن العاص رضي الله عنه نظر إلى المقبرة فنزل وصلى ركعتين فقيل له هذا
شيء لم تكن تصنعه فقال ذكرت أهل القبور وما حيل بينهم وبينه فأحببت أن أتقرب إلى الله تعالى بهما **وقال**
مجاهد أول ما يكلم ابن آدم حفرته فيقول أنا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الوحشة وبيت
الظلمة هذا ما أعددت لك فما أعددت لي **وقال** أبو ذر ألا أخبركم بيوم فقري يوم أوضع في قبري وكان
أبو الدرداء يقعد إلى القبور فقيل له في ذلك فقال أجلس إلى قوم يذكروني معادي وإن قمت لم يغتابوني وكان
جعفر بن محمد يأتي القبور ليلا ويقول يا أهل القبور ما لي إذا دعوتكم لا تجيبوني ثم يقول حيل والله بينهم وبين
جوابي وكأني أكون مثلهم ثم يستقبل الصلاة إلى طلوع الفجر **وقال** عمر بن عبد العزيز لبعض جلسائه يا فلان
لقد أرقت الليلة أتفكر في القبور وساكنيها إنك لو رأيت الميت بعد ثلاث في قبره لاستوحشت من قربه بعد
طول الأنس منك به ولرأيت بيتا تجول فيه الهوام ويجري فيه الصديد وتخترقه الديدان مع تغير الريح وبلى الأكفان
بعد حسن الهيئة وطيب الريح ونقاء الثوب قال ثم شهق شهقة خر مغشيا عليه وكان يزيد الرقاشي يقول أيها
المقبور في حفرته والمتخلي في القبر بوحدته المستأنس في بطن الأرض بأعماله ليت شعري بأي أعمالك استبشرت
وبأي إخوانك اغتبطت ثم يبكي حتى يبل عمامته ثم يقول استبشر والله بأعماله الصالحة واغتبط والله بإخوانه المتعاونين
له على طاعة الله عز وجل وكان إذا نظر إلى القبور خار كما يخور الثور **وقال** حاتم الأصم من مر بالمقابر فلم يتفكر
لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم وكان بكر العابد يقول يا أماه ليتك كنت بي عقيما إن لابنك في القبر
حبسا طويلا ومن بعد ذلك منه رحيلا **وقال** يحيى بن معاذ يا ابن آدم دعاك ربك إلى دار السلام فانظر من
أين تجيبه إن أجبته من دنياك واشتغلت بالرحلة إليه دخلتها وإن أجبته من قبرك منعتها وكان الحسن بن صالح
إذا أشرف على المقابر يقول ما أحسن ظواهرك إنما الدواهي في بواطنك وكان عطاء السلمي إذا جن عليه الليل خرج
إلى المقبرة فوقف ثم يقول يا أهل القبور متم فواموتاه وعاينتم أعمالكم فواعملاه ثم يقول غدا عطاء في القبر فلا
يزال ذلك دأبه حتى يصبح **وقال** سفيان من أكثر ذكر القبور وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عنه وجده
حفرة من حفر النار وكان الربيع بن خثيم قد حفر في داره قبرا فكان إذا وجد في قلبه قسوة دخل فيه واضطجع ومكث
ما شاء الله ثم يقول رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا يرددها ثم يرد على نفسه يا ربيع قد رجعتك
فاعمل **وقال** أحمد بن حرب تتعجب الأرض من رجل يمهد مضجعه ويسوي فراشه للنوم فتقول يا ابن
آدم لم لا تذكر طول بلاك وما بيني وبينك شيء وقال ميمون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقبرة
فلما نظر إلى القبور بكى ثم أقبل علي فقال يا ميمون هذه قبور آبائي بني أمية كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا في
لذاتهم وعيشهم أما تراهم صرعى قد حلت بهم المثلات واستحكم فيهم البلى وأصابت الهوام مقيلا
في أبدانهم ثم بكى وقال والله ما أعلم أحدا أنعم ممن صار إلى هذه القبور وقد أمن من عذاب الله **وقال**
ثابت البناني دخلت المقابر فلما أردت الخروج منها فإذا بصوت قائل يقول لا يغرنك صموت أهلها فكم من نفس
مغمومة فيها **وقيل** إن فاطمة بنت الحسين نظرت إلى جنازة زوجها الحسن فغطت وجهها
وقالت **شعر** وكانوا رجاء ثم أمسوا رزية لقد عظمت تلك الرزايا وجلت وقيل إنها ضربت على قبره فسطاطا
واعتكفت عليه سنة فلما مضت السنة قلعوا الفسطاط ودخلت المدينة فسمعوا صوتا من جانب البقيع
هل وجدوا ما فقدوا فسمعوا صوتا من الجانب الآخر بل يئسوا فانقلبوا **وقال** أبو موسى التميمي توفيت
امرأة الفرزدق فخرج في جنازتها وجوه أهل البصرة وفيهم الحسن فقال له الحسن يا أبا فراس ما أعددت لهذا
اليوم فقال شهادة أن لا إله إلا الله منذ ستين سنة فلما دفنت قام الفرزدق فقال **شعر** أخاف
وراء القبر إن لم يعافني أشد من القبر التهابا وأضيقا إذا جاءني يوم القيامة قائد عنيف وسواق يسوق
الفرزدقا لقد خاب من أولاد آدم من مشى إلى النار مغلول القلادة أزرقا **وأنشدوا في أهل القبور**
قف وقل على ساحاتها من منكم المغمور في ظلماتها ومن المكرم منكم في قعرها قد ذاق برد الأمن من روعاتها
أما السكون لذي العيون فواحد لا يستبين الفضل في درجاتها لو جاوبوك لأخبروك بألسن تصف الحقائق بعد
من حالاتها أما المطيع فنازل في روضة يفضي إلى ما شاء من دوحاتها والمجرم الطاغي بها متقلب
في حفرة يأوي إلى حياتها وعقارب تسعى إليه فروحه في شدة التعذيب من لدغاتها **ومر داود**
الطائي على امرأة تبكي على قبر وهي تقول **شعر** عدمت الحياة فلا نلتها إذا كنت في القبر قد ألحدوكا
فكيف أذوق لذيذ الكرى وأنت بيمناك قد وسدوكا ثم قالت يا ابناه ليت شعري بأي خديك بدأ الدود
فصعق داود مكانه وخر مغشيا عليه وقال مالك بن دينار مررت بمقبرة فأنشأت أقول **شعر**
أتيت القبور فناديتها فأين المعظم والمحتقر وأين المدل بسلطانه وأين المزكي إذا ما افتخر قال فنوديت
من بينهم أسمع صوتا ولا أرى شخصا وهو يقول **شعر** تفانوا جميعا فلا مخبر وماتوا جميعا
ومات الخبر فيا سائلي عن أناس مضوا أما لك فيما ترى معتبر تروح وتغدو بنات الثرى وتمحو محاسن
تلك الصور قال فرجعت وأنا باك أبيات وجدت مكتوبة على القبور وجد على قبر مكتوب **شعر**
تناديك أجداث وهن سكوت وسكانها تحت التراب خفوت أيا جامع الدنيا لغير بلاغه لمن تجمع الدنيا وأنت
تموت **ووجد على قبر مكتوب** أيا غانم أما ذراك فواسع وقبرك معمور الجوانب محكم وما ينفع المقبور
تشييد قبره إذا كان فيه جسمه يتهدم وقال ابن السماك مررت بالمقابر فإذا على قبر مكتوب

بمر اقاربي جنبات قبري كأن اقاربي لم يعرفوني ذوو الميراث يقتسمون مالي وما بالوا ان جحدوا ديوني وقد اخذوا سهامهم وعاشوا فيا لله اسرع ما نسوني **ووجد على قبر مكتوب** ايا جبل الاحباب في مجلس لا يمنع الموت بواب ولا حرس وكيف يفرح بالدنيا ولذتها يا من يعد عليه اللفظ والنفس اصبحت يا غافلا في النقص منغمسا وانت دهرك في اللذات منغمس لا يرحم الموت ذا جهل لغرته ولا الذي كان منه العلم يقتبس كم اخرس الموت في قبر وقفت به عن الجواب لسانا ما به خرس قد كان قصرك معمورا له شرف فقبرك اليوم في الاجداث مندرس **ووجد على قبر مكتوب** ناجوا رميما في التراب وعطلت مجالس منهم اقفرت ومقاصر وحلوا بدار لا تزاور بينهم وكيف لسكان القبور تزاور فما ان ترى احداثهم قد ثووا بها مسطحة تسفي عليها الاعاصر فهم في بطون الارض بعد ظهورها محاسنهم فيها بوال دواثر **ووجد على قبر مكتوب** وقفت على الاحبة حين صفت قبورهم كافراس الرهان فلما ان بكيت وفاض دمعي رات عيناي بينهم مكاني فقلت لما الحية نبل تدصان نعمان الجرسه كان يا بصير من نطبه وحدتي في الامام حسه هيهات لا يمنع عن غيبي من كان لا يدفع عن نفسه **ووجد على قبر مكتوب** يا ايها الناس كان لي امل قصر بي عن بلوغه الاجل فليتق الله ربه رجل امكنه في حياته العمل ما انا وحدي نقلت حيث ترى كل الى مثله سينتقل

فهذه ابيات كتبت على القبور لتقصير سكانها عن الاعتبار قبل الموت والبصير هو الذي ينظر الى قبر غيره فيرى مكانه بين اظهرهم فيستعد للحوق بهم ويعلم انهم لا يبرحون من مكانهم ما لم يلحق بهم وليتحقق انه لو عرض عليهم يوم واحد من ايام عمره الذي هو مضيع له لكان ذلك احب اليهم من الدنيا بحذافيرها لانهم عرفوا قدر الاعمال وانكشفت لهم حقائق الامور فانما حسرتهم على يوم من العمر ليتدارك المقصر به تقصيره فيتخلص من العقاب وليستزيد الموفق به في رتبته فيتضاعف له الثواب فانهم انما عرفوا قدر العمر بعد انقطاعه فحسرتهم على ساعة من الحياة وانت قادر على تلك الساعة ولعلك تقدر على امثالها ثم انت مضيع لها فوطن نفسك على التحسر على تضييعها عند خروج الامر من الاختيار اذ لم تاخذ من ساعتك نصيبك على سبيل الابتدار وقد قال بعض الصالحين رايت اخا لي في الله فيما يرى النائم فقلت يا فلان عشت الحمد لله رب العالمين فقال لان اقدر على ان اقول الحمد لله رب العالمين احب الي من الدنيا وما فيها ثم قال الم تر حيث كانوا يدفنوني فان فلانا قد قام فصلى ركعتين لان اكون اقدر على ان اصليهما احب الي من الدنيا وما فيها

بيان اقاويلهم عند موت الولد

حق على من مات ولده او قريب من اقاربه ان ينزله في تقدمه عليه في الموت منزلة ما لو كان في سفر فسبقه ولده الى البلد الذي هو مستقره ووطنه فانه لا يعظم عليه تاسفه لعلمه بانه لاحق به على القرب وليس بينهما الا تقدم وتاخر وهكذا الموت فان معناه السبق الى الوطن الى ان يلحق المتاخر واذا اعتقد هذا قل جزعه وحزنه لا سيما وقد ورد في موت الولد من الثواب ما يعزى به كل مصاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان اقدم سقطا احب الي من ان اخلف مائة فارس كلهم يقاتل في سبيل الله وانما ذكر السقط ليستدل بالادنى على الاعلى والا فالثواب على قدر محل الولد من القلب **وقال** زيد بن اسلم توفي ابن لداود عليه السلام فحزن عليه حزنا شديدا فقيل له ما كان عدله عندك قال ملء الارض ذهبا قيل له فان لك من الاجر مثل ذلك **وقال** رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم الا كانوا له جنة من النار فقالت امراة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم او اثنان قال او اثنان وليخلص الوالد الدعاء لولده عند

الموت فانه ارجى دعا واقربه الى الاجابة ووقف محمد بن سليمن على قبر ولده فقال اللهم اني اصبحت ارجوك له واخافك عليه فحقق رجائي وامن خوفي ووقف ابو سنان على قبر ابنه فقال اللهم اني قد غفرت له ما وجب لي عليه فاغفر له ما وجب لك عليه فانك اجود واكرم ووقف اعرابي على قبر ابنه فقال اللهم اني قد وهبت له ما قصر فيه من بري فهب له ما قصر فيه من طاعتك ولما مات ذر بن عمر قام ابوه عمر بعد ما وضع في لحده فقال يا ذر انه قد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك فليت شعري ماذا قلت وماذا قيل لك ثم قال اللهم ان هذا ذر متعتني به ما متعتني ووفيته اجله ورزقه ولم تظلمه اللهم وقد كنت الزمته طاعتك وطاعتي اللهم فما وعدتني عليه من الاجر في مصيبتي فقد وهبت لك ذلك فهب لي عذابه ولا تعذبه فابكى الناس ثم قال عند انصرافه ما علينا بعدك من خصاصة يا ذر وما بنا الى انسان مع الله حاجة ولقد مضينا وتركناك ولو اقمنا ما نفعناك ونظر رجل الى امراة بالبصرة فقال ما رايت مثل هذه النضارة وما ذاك الا من قلة الحزن فقالت يا عبد الله اني لفي حزن ما يشركني فيه احد قال فكيف قالت ان زوجي ذبح شاة في يوم اضحى وكان لي صبيان مليحان يلعبان فقال اكبرهما للاخر اتريد ان اريك كيف ذبح ابي الشاة قال نعم فاخذه وذبحه فما شعرنا به الا متشحطا في دمه فلما ارتفع الصراخ هرب الغلام فلجا الى جبل فرهقه ذئب فاكله وخرج ابوه يطلبه فمات عطشا من شدة الحر قالت فافردني الدهر كما ترى فامثال هذه المصائب ينبغي ان تتذكر عند موت الاولاد ليتسلى بها عن شدة الجزع فما من مصيبة الا ويتصور ما هو اعظم منها وما يدفعه الله عز وجل في كل حال فهو الاكثر

بيان زيارة القبور والدعاء للميت وما يتعلق به

زيارة القبور مستحبة على الجملة للتذكر والاعتبار وزيارة قبور الصالحين مستحبة لاجل التبرك مع الاعتبار وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن زيارة القبور ثم اذن في ذلك بعد **وروي** عن علي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكركم الاخرة غير ان لا تقولوا هجرا وزار رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر امه بالبقيع فلم ير باكيا اكثر من يومئذ وفي ذلك اليوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن لي في الزيارة دون الاستغفار كما رويناه من قبل **وقال** ابن ابي مليكة اقبلت عائشة رضي الله عنها يوما من المقابر فقلت يا ام المؤمنين من اين اقبلت قالت من قبر اخي عبد الرحمن فقلت اليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنها قالت نعم ثم امر بها ولا ينبغي ان يتمسك بهذا فياذن للنساء في الخروج الى المقابر فانهن يكثرن الهجر على رؤوس المقابر فلا يفي خير زيارتهن بشرها ولا يخلون في الطريق عن تكشف وتبرج وهذه عظائم والزيارة سنة فكيف يحتمل ذلك لاجلها نعم لا باس بخروج المراة في ثياب بذلة ترد اعين الرجال عنها وذلك بشرط الاقتصار على الدعاء وترك الحديث على راس القبر **وقال** ابو ذر قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم زر القبور تذكر بها الاخرة واغسل الموتى فان معالجة جسد خاو موعظة بليغة وصل على الجنائز لعل ذلك ان يحزنك فان الحزين في ظل الله عز وجل **وقال** ابن ابي مليكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زوروا موتاكم وسلموا عليهم وصلوا عليهم فان لكم فيهم عبرة **وعن** نافع ان ابن عمر كان لا يمر بقبر احد الا وقف عليه وسلم عليه **وعن** جعفر بن محمد عن ابيه ان فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم كانت تزور قبر عمها حمزة في الايام فتصلي وتبكي عنده **وقال** النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبر ابويه او احدهما في كل جمعة غفر له وكتب برا **وعن** ابن سيرين رحمه الله عليه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليموت والداه وهو عاق لهما فيدعو الله عز وجل لهما من بعدهما فيكتبه الله تعالى من البارين **وقال** رسول الله صلى الله عليه وسلم من زار قبري فقد وجبت له شفاعتي **وقال** صلى الله عليه وسلم من زارني بالمدينة محتسبا كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة **وقال**

فقالوا قتل محمد صلى الله عليه وسلم حتى كثر الصياح في ناحية المدينة

ما شعبني به

وعن انس رضي الله عنه قال لما كان يوم احد حاص اهل المدينة فخرجت امراة من الانصار متحزمة فاستقبلت بابنها وابيها وزوجها واخيها لا ادري ايهم استقبلت به فلما مرت على اخرهم قالت من هذا قالوا ابوك اخوك زوجك ابنك وهي تقول ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون امامك حتى رفعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذت بناحية ثوبه ثم جعلت تقول بابي انت وامي يا رسول الله لا ابالي اذا سلمت من عطب كما ترى فامثال هذه المصائب ينبغي ان تتذكر عند موت الاولاد ليتسلى بها عن شدة الجزع فما من مصيبة الا ويتصور اعظم منها وما يدفعه الله في كل حال فهو الاكبر منه

كعب ما من فجر يطلع الا نزل سبعون الفا من الملائكة حتى يحفوا بالقبر يضربون باجنحتهم ويصلون
على النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا امسوا عرجوا وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك حتى اذا انشقت الارض خرج صلى
الله عليه وسلم في سبعين الفا من الملائكة يوقرونه **والمستحب في زيارة القبور** ان يقف مستدبر القبلة
مستقبلا بوجهه الميت وان يسلم ولا يمسح القبر ولا يقبله ولا يمسه فان ذلك من عادة النصارى **وقال** نافع رضي
الله عنه كان ابن عمر رايته مائة مرة يجيء فيقول السلام على النبي صلى الله عليه وسلم السلام على ابي بكر السلام على ابي وينصرف
وعن ابي امامة قال رايت انس بن مالك اتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح
الصلاة فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف وقالت **عايشة** رضي الله عنها قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل يزور قبر اخيه ويجلس عنده الا استانس به ورد عليه حتى يقوم **وقال**
سليمان بن سحيم رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله صلى الله عليك هؤلاء الذين ياتونك
ويسلمون عليك اتفقه سلامهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم وارد عليهم **وقال** ابو هريرة
رضي الله عنه اذا مر الرجل بقبر الرجل يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام وعرفه واذا مر بقبر لا يعرفه فسلم عليه رد
عليه السلام **وقال** رجل من
آل عاصم الجحدري رايت عاصما في منامي بعد موته بسنتين فقلت اليس قد مت قال بلى قلت فاين انت فقال انا
والله في روضة من رياض الجنة انا ونفر من اصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها الى بكر بن عبد الله المزني فنتلاقى
اخباركم قلت اجسامكم او ارواحكم قال هيهات بليت الاجسام وانما تتلاقى الارواح قال قلت فهل تعلمون بزيارتنا
اياكم قال نعم نعلم بها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله ويوم السبت الى طلوع الشمس قلت وكيف ذلك دون
الايام كلها قال لفضل يوم الجمعة وعظمه وكان محمد بن واسع يزور يوم الجمعة فقيل له لو اخرت الى يوم الاثنين
فقال بلغني ان الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده **وقال** الضحاك من زار قبرا
يوم السبت قبل طلوع الشمس علم الميت بزيارته قيل وكيف ذلك قال لمكان يوم الجمعة **وقال**
بشر بن منصور لما كان زمن الطاعون كان رجل يختلف الى الجبانة فيشهد الصلاة على الجنائز فاذا امسى وقف
على باب المقابر فقال انس الله وحشتكم ورحم الله غربتكم وتجاوز عن سيئاتكم وقبل حسناتكم لا يزيد على هذه الكلمة
قال الرجل فامسيت ذات ليلة فانصرفت الى اهلي ولم ات المقابر فادعو كما كنت ادعو فبينا انا نائم اذا بخلق
كثير قد جاءوني فقلت ما انتم وما حاجتكم قالوا نحن اهل المقابر قلت ما جاء بكم قالوا انك كنت عودتنا منك هدية
عند انصرافك الى اهلك قلت وما هي قالوا الدعوات التي كنت تدعو بها قلت فاني اعود لذلك فما تركتها بعد
ذلك **وقال** بشار بن غالب النجراني رايت رابعة العدوية العابدة في منامي وكنت كثير الدعاء لها فقالت
لي يا بشار بن غالب هداياك تاتينا على اطباق من نور مخمرة بمناديل الحرير قلت وكيف ذاك قالت وهكذا دعا
المؤمنين الاحياء اذا دعوا للموتى فاستجيب لهم جعل ذلك الدعاء على اطباق النور وخمر بمناديل الحرير ثم اتي به
الميت فقيل له هذه هدية فلان اليك **وقال** رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الميت في قبره الا كالغريق المتغوث
ينتظر دعوة تلحقه من ابيه او اخيه او صديق له فاذا لحقته كان احب اليه من الدنيا وما فيها وان هدايا الاحياء
للاموات الدعاء والاستغفار **وقال** بعضهم مات اخ لي فرايته في المنام فقلت له ما كان حالك حين وضعت
في قبرك قال اتاني آت بشهاب من نار فلولا ان داعيا دعا لي لرايت انه سيضربني به وعن هذا يستحب تلقين
الميت بعد الدفن بالدعاء **وقال** سعيد بن عبد الله الاودي شهدت ابا امامة الباهلي وهو في النزع فقال
يا ابا سعيد اذا انا مت فاصنعوا بي كما امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اذا مات احدكم على راس قبره

ثم ليقل يا فلان ابن فلانة فانه يسمع ولا يجيب ثم ليقل يا فلان ابن فلانة الثانية فانه يستوي قاعدا ثم ليقل يا فلان
ابن فلانة فانه يقول ارشدنا يرحمك الله ولكن لا تسمعون فيقول له اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وانك رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا
وبالقرآن اماما فان منكرا ونكيرا يتاخر كل واحد منهما فيقول انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا وقد لقن
حجته ويكون الله تعالى حجيجه دونهما فقال رجل يا رسول الله فان لم يعرف اسم امه قال لا باس بقراءة
القران على القبور **وروي** عن علي بن موسى الحداد قال كنت مع احمد بن حنبل في جنازة ومحمد بن قدامة
الجوهري معنا فلما دفن الميت جاء رجل ضرير يقرا عند القبر فقال له احمد يا هذا ان القراءة على القبر بدعة فلما
خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لاحمد يا ابا عبد الله ما تقول في مبشر بن اسماعيل الحلبي فقال ثقة قال
هل كتبت عنه شيئا قال نعم قال اخبرني مبشر بن اسماعيل عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج عن
ابيه انه اوصى اذا دفن ان يقرا عند راسه بفاتحة البقرة وخاتمتها وقال سمعت ابن عمر يوصي بذلك
فقال احمد فارجع الى الرجل فقل له يقرا **وقال** محمد بن احمد المروزي سمعت احمد يقول اذا دخلتم المقابر
فاقرؤوا بفاتحة الكتاب والمعوذتين وقل هو الله احد واجعلوا ثواب ذلك لاهل المقابر فانه يصل اليهم
وقال ابو قلابة اقبلت من الشام الى البصرة فنزلت الخندق فتطهرت وصليت ركعتين بليل ثم وضعت
راسي على قبر فنمت ثم انتبهت فاذا صاحب القبر يشتكيني يقول لقد اذيتني منذ الليلة ثم قال انكم لا
تعلمون ونحن نعلم ولا نقدر على العمل ثم قال للركعتان اللتان ركعتهما خير من الدنيا
وما فيها ثم قال جزى الله اهل الدنيا خيرا اقرئهم السلام فانه قد يدخل علينا من دعائهم نور مثل الجبال
فالمقصود من زيارة القبور للزائر الاعتبار بها وللمزور الانتفاع بدعائه فلا ينبغي ان يغفل الزائر عن الدعاء لنفسه
وللميت ولا عن الاعتبار بالموتى وانما يحصل له الاعتبار بان يصور في قلبه الميت كيف تفرقت اجزاؤه و
كيف يبعث من قبره وانه على القرب سيلحق به كما روي عن مطرف بن ابي بكر الهذلي قال كانت عجوز في عبد
القيس متعبدة فكان اذا جاء الليل تحزمت ثم قامت الى المحراب واذا جاء النهار خرجت الى القبور فبلغني
انها عوتبت في كثرة اتيانها المقابر فقالت ان القلب القاسي اذا جفا لم يلينه الا رسوم البلى واني
لآتي القبور فكاني انظر وقد خرجوا من بين اطباقها وكاني انظر الى تلك الوجوه المتعفرة والى تلك الاجسام
المتغيرة والى تلك الاكفان الدسمة فيا لها من نظرة لو اشربها العباد قلوبهم ما انكل مرارتها للانفس و
اشد تلفها للابدان بل ينبغي ان يحضر من صورة الميت ما ذكر عن عمر بن عبد العزيز حيث دخل عليه بعض
الفقهاء فتعجب من تغير صورته لكثرة الجهد والعبادة فقال له يا فلان لو رايتني بعد ثلاث وقد ادخلت
قبري وقد خرجت الحدقتان فسالتا على الخدين وتقلصت الشفتان عن الاسنان وخرج الصديد من
فمي لكنت لرؤيتي اعجب مما تراه الآن ويستحب الثناء على الميت ولا يذكر الا بالجميل فقد قالت عايشة
رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات صاحبكم فدعوه لا تقعوا فيه **وقال**
صلى الله عليه وسلم اذا مات صاحبكم فدعوه لا تقعوا فيه **وقال** صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الاموات فانهم
قد افضوا الى ما قدموا **وقال** رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تذكروا هلكاكم الا بخير فانهم ان يكونوا من
اهل الجنة تاثموا وان يكونوا من اهل النار فحسبهم ما هم فيه **وقال** انس مرت جنازة على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاثنوا عليها شرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت ومر باخرى فاثنوا عليها خيرا فقال وجبت
فساله عمر عن ذلك فقال ان هذا اثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة وهذا اثنيتم عليه شرا فوجبت له النار

انهم شهدا الله في الارض **وقال** ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد ليموت فيثني القوم عليه
الثنا يعلم الله منه غيره فيقول الله تعالى لملائكته اشهدكم اني قد قبلت شهادة عبيدي على عبدي
وتجاوزت عن علمي في عبدي

الباب السابع في حقيقة الموت وما يلقاه الميت في القبر الى نفخة الصور

بيان حقيقة الموت اعلم ان للناس في حقيقة الموت ظنونا كاذبة قد اخطاوا فيها فظن بعضهم
ان الموت هو العدم وانه لا حشر ولا نشر ولا عاقبة للخير والشر وان موت الانسان كموت الحيوانات وجفاف
النبات وهذا راي الملحدة وكل من لا يؤمن بالله واليوم الاخر وظن قوم انه ينعدم بالموت ولا يتالم بعقاب
ولا يتنعم بثواب ما دام في القبر الى ان يعاد في وقت الحشر **وقال** اخرون ان الروح باقية لا تنعدم و
انما المثاب والمعاقب هي الارواح دون الاجساد وان الاجساد لا تبعث ولا تحشر اصلا وكل هذه الظنون فاسدة
مائلة عن الحق بل الذي تشهد له طرق الاعتبار وتنطق به الايات والاخبار ان الموت معناه تغير
حال فقط وان الروح باقية بعد مفارقة الجسم اما معذبة واما منعمة ومعنى مفارقتها للجسد انقطاع
تصرفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها فان الاعضا الات للروح تستعملها حتى انها لتبطش باليد
وتسمع بالاذن وتبصر بالعين وتعلم حقيقة الاشيا بالقلب والقلب هاهنا عبارة عن الروح والروح تعلم
الاشيا بنفسها من غير الة ولذلك قد يتالم بنفسها بانواع الحزن والغم والكمد وتتنعم بانواع
الفرح والسرور وكل ذلك لا يتعلق بالاعضا فكل ما هو وصف للروح بنفسها يبقى معها بعد مفارقة الجسد وما هو
لها بواسطة الاعضا فيتعطل بموت الجسد الى ان تعاد الروح الى الجسد ولا يبعد ان تعاد الى الجسد في القبر
ولا يبعد ان يوخر الى يوم البعث والله اعلم بما حكم به على كل عبد من عباده وانما تعطل الجسد بالموت يضاهي
تعطل اعضا الزمن بفساد مزاج يقع فيه وبشدة تقع في الاعصاب تمنع نفوذ الروح فيها فتكون الروح العا
العاقلة المدركة باقية مستعملة لبعض الاعضا وقد استعصى عليها بعضها والموت عبارة عن استعصا
الاعضا كلها وكل الاعضا الات والروح هي المستعملة لها واعني بالروح المعنى الذي يدرك من الانسان العلوم و
الادراكات ولم يتعطل منها الافراح والغموم ولا يبطل منها ادراكها للالام واللذات والانسان بالحقيقة هو
المعنى المدرك للعلوم والالام واللذات وذلك لا يموت اي لا ينعدم اصلا ومعنى الموت انقطاع تصرفه
عن البدن وخروج البدن عن ان تكون الة مستعملة فالموت زمانة مطلقة في الاعضا كلها وحقيقة الانسان
نفسه وروحه وهي باقية نعم تغير حاله من جهتين احدهما انه سلب منه عينه واذنه ولسانه ويده
ورجله وجميع اعضائه وسلب منه اهله وولده واقاربه وساير معارفه وسلب منه خيله و
دوابه وغلمانه ودوره وساير املاكه ولا فرق بين ان تسلب هذه الاشيا من الانسان او يسلب الانسان
من هذه الاشيا فان الموجع هو الفراق والفراق يحصل تارة بان ينهب مال الرجل وتارة ان يسبى الرجل عن المال
والالم واحد في الحالين وانما معنى الموت سلب الانسان عن امواله بازعاجه الى عالم اخر لا يناسب هذا
العالم فان كان له في الدنيا شي يستريح اليه ويانس به ويعتد بوجوده فيعظم تحسره عليه بعد الموت
ويعظم شقاوه في مفارقته بل يلتفت قلبه الى الواحد واحد من ماله وجاهه وعقاره حتى الى قميص
كان يلبسه مثلا ويفرح به وان لم يكن يفرح الا بذكر الله ولم يكن يانس الا به عظم نعيمه وتمت سعادته اذ خلي
بينه وبين محبوبه وقطعت عنه العوايق والشواغل اذ جميع اسباب الدنيا شاغلة عن ذكر الله فهذا
احد وجهي المخالفة بين حال الموت وحال الحياة **والثاني انه ينكشف بالموت** ما لم يكن مكشوفا
في الحياة كما ينكشف للمستيقظ ما لم يكن مكشوفا في النوم والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا واول ما ينكشف له ما

ما يضره وما ينفعه من حسناته وسيئاته وقد كان ذلك مسطورا في كتاب مطوي في سر قلبه وقد كان
يشغله عن الاطلاع عليه شواغل الدنيا فاذا انقطعت الشواغل انكشف جميع اعماله فلا ينظر الى سيئة
الا ويتحسر عليها تحسرا يود ان يخوض غمرة النار للخلاص من تلك الحسرة وعند ذلك يقال له كفى بنفسك اليوم
عليك حسيبا وينكشف كل ذلك عند انقطاع النفس قبل الدفن وتشتعل فيه نيران الفراق اعني فراق
ما كان يطمئن اليه من هذه الدنيا الفانية دون ما اراد منها لاجل الزاد والبلغة فان من طلب الزاد
للبلغة فاذا بلغ المقصد فرح بمفارقة بقية الزاد اذ لم يكن يريد الزاد لعينه وهذا حال من لم ياخذ
من الدنيا الا بقدر الضرورة وكان يود ان ينقطع ضرورته ليستغني عنه فقد حصل ما كان يوده واستغنى
عنه وهذه انواع من العذاب والالام عظيمة تهجم عليه قبل الدفن ثم عند الدفن قد ترد روحه الى
الجسد لنوع اخر من العذاب وقد يعفى عنه ويكون حال المتنعم بالدنيا المطمئن اليها كحال من تنعم
عند غيبة ملك من الملوك في داره وملكه وحريمه اعتمادا على ان الملك يتساهل في امره او على ان الملك ليس
يدري بما يتعاطاه من قبيح افعاله فاخذه الملك بغتة وعرض عليه جريدة قد دونت فيها جميع فواحشه
وجناياته ذرة ذرة وخطوة خطوة والملك قاهر متسلط وغيور على حرمه ومنتقم من الجناة على ملكه
وغير ملتفت الى من يتشفع اليه في العصاة عليه فانظر الى حال هذا الماخوذ كيف يكون حاله قبل نزول
عذاب الملك به من الخوف والخجلة والحيا والتحسر والندم فهذه حال الميت الفاجر المغتر بالدنيا المطمئن
اليها قبل نزول عذاب القبر بل عند موته نعوذ بالله من ذلك فان الخزي والافتضاح وهتك الستر اعظم
من كل عذاب يحل بالجسد من الضرب والقطع وغيرهما فهذه اشارة الى حال الميت عند الموت شاهدها
اولو البصائر بمشاهدة باطنة اقوى من مشاهدة العين وشهد لذلك شواهد الكتاب والسنة
نعم لا يمكن كشف الغطا عن كنه حقيقة الموت اذ لا يعرف الموت من لا يعرف الحياة ومعرفة الحياة بمعرفة
حقيقة الروح في نفسها وادراك ماهية ذاتها ولم يوذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتكلم فيها ولا
ان يزيد على ان يقول الروح من امر ربي فليس لاحد من علما الدين ان يكشف عن سر الروح وان اطلع عليه وانما
الماذون فيه ذكر حال الروح بعد الموت ويدل على ان الموت ليس عبارة عن انعدام الروح وانعدام ادراكها
ايات واخبار كثيرة **واما الايات** فقد قال الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا
بل احيا عند ربهم يرزقون واما ورد الشرع فلما قتلت صناديد العرب ناداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا فلان يا فلان قد وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقيل يا رسول الله اتناديهم
وهم اموات فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انهم لاسمع لهذا الكلام منكم الا انهم لا يقدرون على
الجواب فهذا نص في بقاء روح الشقي وبقاء ادراكها ومعرفتها والاية نص في ارواح الشهدا ولا يخلو الميت عن
سعادة او شقاوة **وقال** صلى الله عليه وسلم القبر اما حفرة من حفر النار او روضة من رياض الجنة و
هذا نص صريح في ان الموت معناه تغير حال فقط وان ما سيكون من شقاوة الميت وسعادته يتعجل عند الموت من غير
تاخير وانما يتاخر بعض انواع العذاب والثواب دون اصله **وروى** انس عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال الموت القيامة فمن مات فقد قامت قيامته **وقال** صلى الله عليه وسلم اذا مات احدكم عرض
عليه مقعده غدوة وعشية ان كان من اهل الجنة فمن الجنة وان كان من اهل النار فمن النار ويقال هذا
مقعدك حتى يبعثك الله عز وجل اليه يوم القيامة وليس يخفى ما في مشاهدة المقعدين من عذاب ونعيم في
الحال **وعن** ابي قيس قال كنا مع علقمة في جنازة فقال اما هذا فقد قامت قيامته **وقال** علي رضي الله

عنه حرام على كل نفس ان تخرج من الدنيا حتى تعلم امن اهل الجنة هي ام من اهل النار **وقال** ابو هريرة رضي الله عنه نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات غريبا مات شهيدا ووقي فتنة القبر وغدي وريح عليه برزقه من الجنة **وقال** مسروق ما غبطت مؤمنا في اللحد قد استراح من نصب الدنيا وامن من عذاب الله عز وجل **وقال** يعلى ابن الوليد كنت امشي يوما مع ابي الدرداء فقلت له ما تحب قال الموت قلت فان لم يمت قال يقل ماله وولده وانا احب الموت لانه لا يحبه الا المؤمن والموت اطلاق المؤمن من السجن وانا احب قلة المال والولد لانهما فتنة وسبب الانس بالدنيا والانس بمن لا بد من فراقه غاية الشقاء وكل ما سوى الله تعالى وذكره والانس به فلا بد من فراقه عند الموت لا محالة ولهذا قال عبد الله بن عمر انما مثل المؤمن حين تخرج نفسه او روحه مثل رجل كان في سجن فاخرج منه فهو يتفسح في الارض ويتقلب فيها وهذا الذي ذكره حال من تجافى عن الدنيا وتبرم بها ولم يكن له انس الا بذكر الله وكانت شواغل الدنيا تحبسه عن محبوبه ومقاساة الشهوات تؤذيه فكان في الموت خلاصه من جميع المؤذيات وانفراده بمحبوبه الذي كان به انسه من غير عائق ولا دافع وما احد بذلك بان يكون منتهى النعيم واللذات واكمل اللذات الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله لانهم ما اقدموا على القتال الا قاطعين التفاتهم عن علائق الدنيا مشتاقين الى لقاء الله راضين بالقتل في طلب مرضاته فان نظر الى الدنيا فقد باعها طوعا بالاخرة والبايع لا يلتفت قلبه الى المبيع وان نظر الى الاخرة فقد اشتراها وتشوق اليها فما اعظم فرحه بما اشتراه اذا رآه وما اقل التفاته الى ما باعه اذا فارقه وتجرد القلب بحب الله قد يتفق في بعض الاحوال ولكن لا يدركه الموت عليه فلذلك نزل بمعنى عنه والقتال سبب الموت فكان سببا لادراك الموت على مثل هذه الحالة فلهذا عظم النعيم اذ معنى النعيم ان ينال الانسان ما يريده قال الله تعالى ولهم ما يشتهون فكان هذا اجمع عبارات عن جميع معاني النعيم واعظم العذاب ان يمنع الانسان عن مراده كما قال الله تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون فكان هذا اجمع عبارة لعقوبة اهل النار عند انقطاعهم من الدنيا وهذا النعيم يدركه الشهيد عند انقطاعه من الدنيا من غير تاخير وهذا امر يكشف لارباب القلوب بنور اليقين وان اردت عليه شاهدا من جهة السمع فجميع احاديث الشهداء تدل عليه وكل حديث يشتمل على النعيم من منتهى نعيمهم بعبارة تعبدي **عن عائشة** رضي الله عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر الا ابشرك يا جابر وكان قد استشهد ابوه قال بلى بشرك الله بالخير قال ان الله احيا اباك فاقعده بين يديه وقال له تمن على عبدي ما شئت اعطيكه فقال يا رب ما عبدتك حق عبادتك اتمنى ان تردني الى الدنيا فاقاتل مع نبيك فاقتل فيك مرة اخرى قال انه قد سبق مني انك اليها لا ترجع **وقال** كعب يوجد رجل في الجنة يبكي فيقال له لم تبكي وانت في الجنة قال ابكي لاني لم اقتل في الله الا قتلة واحدة وكنت اشتهي ان اردد فاقتل فيه قتلات واعلم ان المؤمن ينكشف له عقيب الموت من سعة جلال الله ما تكون الدنيا بالاضافة اليه كالسجن والمضيق ويكون مثاله كالمحبوس في بيت مظلم فتح له باب الى بستان واسع الاكناف لا يبلغ طرفه اقصاه فيه انواع الاشجار والانهار والطيور وكان لا يشتهي العود الى السجن المظلم وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك مثلا فقال لرجل مات اصبح هذا قد ارتحل من الدنيا وتركها لاهلها فان كان قد رضي فلا يسره ان يرجع الى الدنيا كما لا يسر احدكم ان يرجع الى بطن امه فعرفك بهذا ان نسبة سعة الاخرة الى الدنيا كنسبة سعة الدنيا الى ظلمة الرحم **وقال** صلى الله عليه وسلم ان مثل المؤمن في الدنيا كمثل الجنين في بطن امه اذا خرج من بطنها بكى على مخرجه حتى اذا راى الضوء لم يحب ان يرجع الى مكانه وكذلك المؤمن يجزع من الموت فاذا افضى الى ربه لم يحب ان يرجع الى الدنيا كما لا يحب الجنين ان يرجع الى بطن

امه وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا قد مات فقال مستريح او مستراح منه اشار بالمستريح الى المؤمن وبالمستراح منه الى الفاجر اذ يستريح اهل الدنيا منه **وقال** ابو عمر صاحب السقيا خرجنا مع ابن عمر نحو جبانة ننظر الى قبر فاذا جمجمة بادية فامر رجلا فواراها ثم قال ان هذه الابدان ليس يضرها هذا الثرى شيئا وانما الارواح هي التي تعاقب وتثاب الى يوم القيامة وعن عمرو بن دينار قال ما من ميت يموت الا وهو يعلم ما يكون في اهله بعده وانهم يغسلونه ويكفنونه وانه لينظر اليهم **وقال** مالك بن انس بلغني ان ارواح المؤمنين مرسلة تسرح حيث شاءت **وقال** النعمان بن بشير سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول الا انه لم يبق من الدنيا الا مثل الذباب تمور في جوها فالله الله في اخوانكم من اهل القبور فان اعمالكم تعرض عليهم **وقال** ابو هريرة **قال** النبي صلى الله عليه وسلم لا تفضحوا موتاكم بسيئات اعمالكم فانها تعرض على اوليائكم من اهل القبور ولذلك قال ابو الدرداء اللهم اني اعوذ بك ان اعمل عملا سيئا اخزى به عند عبد الله بن رواحة وكان ابن خالته وسئل عبد الله بن عمرو بن العاص عن ارواح المؤمنين اذا ماتوا اين هي فقال في صور طير بيض في ظل العرش وارواح الكافرين في الارض السابعة **وقال** ابو سعيد الخدري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الميت يعرف من يغسله ومن يحمله ومن يدليه في قبره **وقال** صالح المري بلغني ان الارواح تتلاقى عند الموت فتقول ارواح الموتى للروح التي تخرج اليهم كيف كان ماواك وفي اي الجسدين كنت في طيب او في خبيث **وقال** عبيد الله بن عمير اهل القبور يتوكفون الاخبار فاذا اتاهم الميت قالوا ما فعل فلان فيقول الم ياتكم او ما قدم عليكم فيقولون انا لله وانا اليه راجعون سلك به غير سبيلنا **وعن** جعفر بن سعيد قال اذا مات الرجل استقبله ولده كما يستقبل الغائب **وقال** مجاهد ان الرجل ليبشر بصلاح ولده في قبره **وروى** ابو ايوب الانصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان نفس المؤمن اذا قبضت تلقاها اهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشير في الدنيا فيقولون انظروا اخاكم حتى يستريح فانه كان في كرب شديد فيسالونه ماذا فعل فلان وماذا فعلت فلانة هل تزوجت فاذا سالوه عن رجل مات قبله فقال مات قبلي قالوا انا لله وانا اليه راجعون ذهب به الى امه الهاوية

بيان كلام القبر للميت وكلام الموتى اما بلسان المقال او بلسان الحال

التي هي افصح في تفهيم الموتى من لسان المقال في تفهيم الاحياء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول القبر للميت حين يوضع فيه ويحك يا ابن آدم ما غرك بي الم تعلم اني بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود ما غرك بي اذ كنت تمر بي فذاذا فان كان مصلحا اجاب عنه مجيب القبر فيقول ارايت ان كان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر فيقول القبر اني اذا اتحول عليه روضة خضرا ويعود جسده نورا وتصعد روحه الى الله والفذاذ هو الذي يقدم رجلا ويؤخر اخرى كذا فسره الراوي **وقال** **عبيد الله** بن عمير الليثي ليس من ميت يموت الا نادته حفرته التي يدفن فيها انا بيت الظلمة والوحدة والانفراد فان كنت في حياتك لله مطيعا كنت اليوم رحمة عليك وان كنت عاصيا فانا اليوم نقمة عليك انا الذي من دخلني مطيعا خرج مسرورا ومن دخلني عاصيا خرج مثبورا **وقال** محمد بن صبيح بلغنا ان الرجل اذا وضع في قبره فعذب او اصابه بعض ما يكره ناداه جيرانه من الموتى ايها المتخلف في الدنيا بعد اخوانه وجيرانه اما كان لك فينا معتبر اما كان لك في تقدمنا اياك فكرة اما رايت انقطاع اعمالنا عنا وانت في المهلة فهلا استدركت ما فات اخوانك وتناديه بقاع الارض ايها المغتر بظاهر الدنيا هلا اعتبرت بمن غيب من اهلك في بطن الارض ممن غرته الدنيا قبلك ثم سبق به اجله الى القبور وانت تراه محمولا تهاداه احبته الى المنزل الذي لا بد له منه **وقال** يزيد الرقاشي بلغنا ان الميت اذا وضع في قبره احتوشته اعماله ثم انطقها الله تعالى فقالت ايها العبد المنفرد في حفرته انقطع عنك الاخلاء والاهلون فلا انيس لك اليوم عندنا **وقال** كعب اذا وضع العبد الصالح في القبر احتوشته اعماله

ثم ينطقها الله تعالى فقالت أيها العبد المنفرد في حفرته انقطع الأخلاء والأهلون فلا أنس لك اليوم إلا الصالحات الصلاة والقيام والحج والجهاد والصدقة قال فيجيء ملائكة العذاب من قبل رجليه فيقول الصلاة إليكم عنه فلا سبيل لكم عليه فقد طال ما قام بي لله عليهما فيأتونه من قبل رأسه فيقول الصيام لا سبيل لكم عليه فقد طال ما ظمئ لله تعالى في الدنيا فلا سبيل لكم عليه فيأتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد إليكم عنه فقد أنصب نفسه وأتعب بدنه وحج وجاهد فلا سبيل لكم عليه فيأتونه من قبل يديه فتقول الصدقة كفوا عن صاحبي فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت في يد الله تعالى ابتغاء وجهه فلا سبيل لكم عليه قال فيقال له هنيئاً طبت حياً وطبت ميتاً قال وتأتيه ملائكة الرحمة فتفرش له فراشاً من الجنة ودثاراً من الجنة ويفسح له في قبره مد بصره ويؤتى بقنديل من الجنة فيستضيء بنوره إلى يوم يبعثه الله تعالى من قبره **وقال** عبد الله بن عبيد في جنازة بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الميت يقعد وهو يسمع خطو مشيعيه فلا يكلمه شيء إلا قبره يقول ويحك يا ابن آدم أليس قد حذرتني وحذرت ضيقي ونتني وهولي ودودي فما أعددت لي

بيان عذاب القبر وسؤال منكر ونكير

وقال البراء بن عازب خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة رجل من الأنصار فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره منكساً رأسه ثم قال اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ثلاثاً ثم قال إن المؤمن إذا كان في قبل من الآخرة بعث الله عز وجل إليه ملائكة كأن وجوههم الشمس معهم حنوطه وكفنه فيجلسون مد بصره فإذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء وفتحت أبواب السماء فليس منها باب إلا يحب أن يدخل بروحه منه فإذا صعد بروحه قالوا أي رب عبدك فلان فيقول ارجعوه فأروه ما أعددت له من الكرامة فإني وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى وإنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين حتى يقال يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم قال فينتهرانه انتهاراً شديداً وهي آخر فتنة تعرض على الميت فإذا قال ذلك نادى مناد أن قد صدقت وهي معنى قوله عز وجل يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ثم يأتيه آت حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول أبشر برحمة من ربك وجنات فيها نعيم مقيم فيقول وأنت فبشرك الله بخير من أنت فيقول أنا عملك الصالح والله ما علمت إن كنت لسريعاً في طاعة الله بطيئاً عن معصية الله فجزاك الله خيراً قال ثم ينادي مناد أن افرشوا له من فرش الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة فيفرش له من فرش الجنة ويفتح له باب إلى الجنة فيقول اللهم عجل قيام الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي قال وأما الكافر فإنه إذا كان في قبل من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزلت إليه ملائكة غلاظ شداد معهم ثياب من نار وسرابيل من قطران فيحتوشونه فإذا خرجت نفسه لعنه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء وغلقت أبواب السماء فليس منها باب إلا يكره أن يدخل بروحه منه فإذا صعد بروحه نبذ وقيل أي رب عبدك فلان لم تقبله سماء ولا أرض فيقول ارجعوه فأروه ما أعددت له من الشر إني وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى وإنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين حتى يقال يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول لا أدري [هامش: فيقال له لا دريت ولا علمت] ثم يأتيه آت قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب فيقول أبشر بسخط من الله وبعذاب أليم مقيم فيقول بشرك الله بشر من أنت فيقول أنا عملك الخبيث والله ما علمت إن كنت لسريعاً في معصية الله بطيئاً عن طاعة الله فجزاك الله شراً ثم يقيض له أصم أبكم أعمى معه مرزبة من حديد لو اجتمع عليها الثقلان على أن يقلوها لم يستطيعوا لو ضرب بها جبل صار تراباً فيضربه بها ضربة فيصير تراباً ثم تعاد فيه الروح فيضربه بها بين عينيه ضربة يسمعها من على الأرض ليس الثقلين ثم ينادي مناد أن افرشوا له لوحين من نار وافتحوا له باباً إلى النار فيفرش له لوحان من نار ويفتح له باب إلى النار **وقال** محمد بن علي ما من ميت يموت إلا مثل له عند الموت أعماله الحسنة وأعماله السيئة

قال فيشخص إلى حسناته ويطرق عن سيئاته **وقال** أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم إن المؤمن إذا احتضر أتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر الريحان فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين ويقال أيتها النفس المطمئنة اخرجي راضية مرضية عنك إلى روح الله وكرامته فإذا أخرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان وطويت عليها الحريرة وبعث بها إلى عليين وإن الكافر إذا احتضر أتته الملائكة بمسح فيه جمر فتنزع روحه انتزاعاً شديداً ويقال أيتها النفس الخبيثة اخرجي ساخطة ومسخوطاً عليك إلى هوان الله وعذابه فإذا أخرجت روحه وضعت على تلك الجمرة فإن لها نشيشاً ويطوى عليها المسح ويذهب بها إلى سجين **وعن** محمد بن كعب القرظي أنه كان يقرأ حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت قال أي شيء تريد أي شيء ترغب أتريد أن ترجع لتجمع المال وتغرس الغراس وتبني البنيان وتشق الأنهار قال لعلي أعمل صالحاً فيما تركت قال فيقول الجبار كلا إنها كلمة هو قائلها أي ليقولها عند الموت **وقال** أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن في قبره في روضة خضراء ويرحب له في قبره سبعون ذراعاً ويضيء حتى يكون كالقمر ليلة البدر هل تدرون فيما أنزلت فإن له معيشة ضنكاً قالوا الله ورسوله أعلم قال عذاب الكافر في قبره يسلط عليه تسعة وتسعون حية لكل حية سبعة أرؤس يخدشونه ويلحسونه وينفخون في جسمه إلى يوم يبعثون ولا ينبغي أن يتعجب من هذا العدد على الخصوص فإن أعداد هذه الحيات والعقارب بعدد الأخلاق المذمومة من الكبر والرياء والحسد والغل والحقد وسائر الصفات فإن لها أصولاً معدودة ثم تتشعب منها فروع معدودة ثم تنقسم فروعها إلى أقسام وتلك الصفات بأعيانها هي المهلكات وهي بأعيانها تنقلب حيات وعقارب فالقوي منها يلدغ لدغ التنين والضعيف منها يلدغ لدغ العقرب وما بينهما يؤذي إيذاء الحية وأرباب القلوب والبصائر يشاهدون بنور البصيرة هذه المهلكات وتشعب فروعها إلا أن مقدار عددها لا يوقف عليه إلا بنور النبوة فأمثال هذه الأخبار لها ظواهر صحيحة وأسرار خفية ولكنها عند أرباب البصائر واضحة فمن لم تنكشف له حقائقها فلا ينبغي أن ينكر ظواهرها بل أقل درجات الإيمان التسليم والتصديق **فإن قلت فنحن نشاهد الكافر في قبره مدة** ونراقبه ولا نشاهد شيئاً من ذلك فما وجه التصديق على خلاف المشاهدة فاعلم أن لك ثلاث مقامات في التصديق بأمثال هذه أحدها وهو الأظهر والأصح والأسلم أن تصدق بأنها موجودة وهي تلدغ الميت ولكنك لا تشاهد ذلك فإن هذه العين لا تصلح لمشاهدة الأمور الملكوتية وكل ما يتعلق بالآخرة فهو من عالم الملكوت أما ترى الصحابة رضي الله عنهم كيف كانوا يؤمنون بنزول جبريل عليه السلام وما كانوا يشاهدونه ويؤمنون بأن النبي صلى الله عليه وسلم يشاهده فإن كنت لا تؤمن بهذا فتصحيح أصل الإيمان بالملائكة والوحي أهم عليك وإن آمنت به وجوزت أن يشاهد النبي صلى الله عليه وسلم ما لا تشاهده الأمة فكيف لا تجوز هذا في الميت وكما أن الملك لا يشبه الآدميين والحيوانات فالحيات والعقارب التي تلدغ في القبر ليست من جنس حيات عالمنا بل هي جنس آخر وتدرك بحاسة أخرى **المقام الثاني** أن تتذكر أمر النائم فإنه قد يرى في نومه حية تلدغه وهو يتألم بذلك حتى تراه في نومه يصيح ويعرق جبينه وقد ينزعج من مكانه كل ذلك يدركه من نفسه ويتأذى به كما يتأذى اليقظان وهو يشاهده وأنت ترى ظاهره ساكناً ولا ترى حواليه حية والحية موجودة في حقه والعذاب حاصل ولكنه في حقك غير مشاهد وإذا كان العذاب في ألم اللدغ فلا فرق بين حية تتخيل أو تشاهد **المقام الثالث** أنك تعلم أن الحية بنفسها لا تؤلم بل الذي يلقاك منها وهو السم ثم السم ليس هو الألم بل عذابك في الأثر الذي يحصل فيك من السم فإذا حصل مثل ذلك الأثر من غير سم لكان

العذاب تدريجي فكان لا يمكن تعريف ذلك النوع من العذاب الا ان يضاف الى السبب الذي هو المعتاد في
عالم الخلق في الانسان لذة الوقاع مثلا من غير مباشرة صورة الوقاع لم يمكن تعريفه الا بالاضافة اليه ليكون ذلك مثالا
للتعريف بالسبب فتكون ثمرة السبب حاصلة وان لم تحصل صورة السبب والسبب يراد لثمرته لا لذاته وهذه
الصفات المهلكات تنقلب موذيات ومولمات في النفس عند الموت فيكون آلامها كآلام لدغ الحيات من غير
وجود حيات وانقلاب الصفة موذية يضاهي انقلاب العشق موذيا عند موت المعشوق فانه كان
لذيذا فطرأت حالة صار اللذيذ في نفسه مولما حتى يحل بالقلب من انواع العذاب ما يتمنى معه انه لم يكن تنعم
بالعشق والوصال بل هذا بعينه هو احد انواع عذاب الميت فانه قد سلط العشق في الدنيا على
نفسه فصار يعشق ماله وعقاره وجاهه وولده واقاربه ومعارفه ولو اخذ جميع ذلك من لا يرجو
استرجاعه منه فما ترى تكون حالته أليس يعظم شقاؤه ويشتد عذابه ويتمنى ويقول ليته لم يكن لي
قط مال ولا جاه فكنت لا اتأذى بفراقه فالموت عبارة عن مفارقة المحبوبات الدنيوية كلها دفعة واحدة
ولذلك قيل **شعر** ما حال من كان له واحد • غيب عنه ذلك الواحد • فما حال من لا يفرح الا بالدنيا
فتؤخذ منه وتسلم الى العدا ثم ينضاف الى هذا العذاب تحسره على ما فاته من نعيم الآخرة والحجاب عن الله
تعالى فان حب غير الله تعالى يحجبه عن لقاء الله تعالى والتنعم به فيتوالى عليه الم فراق جميع محبوباته وحسرة
ما فاته من نعيم الآخرة ابد الآباد وذل الرد والحجاب عن الله تعالى هو الذي يعذب به اذ لا يتبع نار الفراق
الا نار جهنم كما قال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم واما من لم يانس بالدنيا ولم يحب
الا الله تعالى وكان مشتاقا الى لقاء الله تعالى فقد تخلص من سجن الدنيا ومقاساة الشهوات فيها وقدم على محبوبه
وانقطعت عنه العوائق والصوارف وتوفر عليه النعيم مع الامن من الزوال ابد الآباد ولمثل ذلك فليعمل العاملون
والمقصود ان الرجل قد يحب فرسه مثلا بحيث لو خير بين ان يؤخذ منه وبين ان يلدغه عقرب لآثر الصبر على لدغ
العقرب فاذا الم فراق الفرس عنده اعظم من لدغ العقرب وحبه الفرس هو الذي يلدغه اذا اخذ منه فرسه
فليستعد لهذه اللدغات فان الموت ياخذ منه فرسه ومركبه وداره وعقاره واهله وولده واحبابه ومعارفه
وياخذ منه جاهه وقبوله بل ياخذ منه سمعه وبصره واعضاءه وييأس من رجوع جميع ذلك اليه فاذا لم
يحب سوى ذلك فقد اخذ جميع ذلك منه فذلك اعظم عليه من لدغ العقارب والحيات وكل ما اخذ منه
ذلك وهو يحبه لعظم المه وعقابه فكذلك اذا فات ولانا قد بينا ان المعنى الذي هو المدرك للآلام واللذات
لا يموت بل عذابه بعد الموت اشد لانه في الحياة يتسلى باسباب تشتغل بها حواسه من مجالسة ومحادثة
ويتسلى ايضا برجاء العودة اليه ويتسلى برجاء العوض منه ولا يسلى بعد الموت اذ قد انسدت عليه طرق
التسلي وحصل الياس فاذا كل قميص ومنديل قد احبه بحيث كان يشق عليه لو اخذ منه فانه يبقى متأسفا
عليه ومعذبا به فان كان مخفا من الدنيا سلم وهذا المعنى بقوله نجا المخفون وان كان مثقلا عظم عذابه
وكما ان حال من يسرق منه عشرة دنانير فكذلك اصحاب الدرهم اخف حسابا من ذي الدرهمين وما من شي لك
من الدنيا يتخلف عنك عند الموت الا وهو حسرة عليك بعد الموت فان شئت فاستكثر وان شئت فاستقلل فان
استكثرت فلست مستكثرا الا من الحسرة وان استقللت فلست تخفف الا عن ظهرك وانما تكثر الحيات
والعقارب في قبور الاغنيا الذين استحبوا الحيوة الدنيا وفرحوا بها واطمانوا اليها فهذه مقامات الايمان في حيات القبر
وعقاربه وفي سائر انواع عذابه **رأى** ابو سعيد الخدري ابنا له قد مات في المنام فقال له يا بني عظني فقال
لا تخالف الله تعالى فيما يريد ثم قال زدني قال يا ابت لا تطيق قال قل قال لا تجعل بينك وبين الله قميصا فما لبس

قميصا ثلاثين سنة **فان قلت** فما الصحيح من هذه المقامات الثلاث فاعلم ان في الناس من لم يثبت
الا الاول وانكر ما بعده ومنهم من انكر الاول واثبت الثاني ومنهم من لم يثبت الا الثالث وانما
الحق الذي انكشف لنا بطريق الاستبصار ان كل ذلك في حيز الامكان وان من انكر بعض ذلك فانما ينكره
لضيق حوصلته وجهله باتساع قدرة الله تعالى وعجائب تدبيره فينكر من افعال الله تعالى ما لم يانس به ويالفه
وذلك جهل وقصور بل هذه الطرق الثلاثة في التعذيب ممكنة والتصديق بها واجب ورب عبد
يعاقب بنوع واحد من هذه الانواع ورب عبد تجتمع عليه الانواع الثلاثة نعوذ بالله تعالى من عذاب
الله قليله وكثيره هذا هو الحق فصدق به تقليدا فيعز على بسيط الارض من يعرف ذلك تحقيقا والذي
اوصيك به ان لا تكثر نظرك في تفصيل ذلك ولا تشتغل بمعرفته بل اشتغل بالتدبير في
دفع العذاب عنك كيفما كان فان اهملت العمل والعبادة واشتغلت بالبحث عن ذلك كنت كمن
اخذه سلطان وحبسه ليقطع يده ويجدع انفه فاخذ طول الليل يتفكر في انه هل يقطعه بسكين او
بسيف او بموسى واهمل طريق الحيلة في دفع اصل العذاب عن نفسه فهذه غاية الجهل فقد علم على
القطع ان العبد بعد الموت لا يخلو عن عقاب عظيم او نعيم مقيم فينبغي ان يكون الاستعداد له
فاما البحث عن تفصيل العقاب والثواب ففضول وتضييع زمان **بيان سؤال منكر ونكير وصورتهما
وضغطة القبر** وبقية القول في عذاب القبر قال ابو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله
عليه وسلم اذا مات العبد اتاه ملكان اسودان ازرقان يقال لاحدهما منكر وللاخر نكير فيقولان له
ما كنت تقول في النبي صلى الله عليه وسلم فان كان مؤمنا قال هو عبد الله ورسوله واشهد ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله فيقولان له ان كنا لنعلم انك تقول ذلك ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين
ذراعا وينور له في قبره ثم يقال له نم فيقول دعوني ارجع الى اهلي فاخبرهم فيقال له نم فينام كنومة العروس الذي
لا يوقظه الا احب اهله حتى يبعثه الله تعالى من مضجعه ذلك وان كان منافقا قال لا ادري كنت اسمعهم
يقولون شيئا وكنت اقوله فيقولان ان كنا لنعلم انك تقول ذلك ثم يقال للارض التئمي عليه فتلتئم عليه
حتى تختلف اضلاعه فلا يزال معذبا حتى يبعثه الله عز وجل من مضجعه ذلك **وعن عطاء** بن يسار
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه يا عمر كيف بك اذا انت مت فانطلق بك
قومك فقاسوا لك ثلاثة اذرع في ذراع وشبر ثم رجعوا اليك فغسلوك وكفنوك وحنطوك ثم
احتملوك حتى يضعوك فيه ثم يهيلون عليك التراب ويدفنونك فاذا انصرفوا عنك اتاك فتانا القبر
منكر ونكير اصواتهما كالرعد القاصف وابصارهما كالبرق الخاطف يجران اشعارهما ويبحثان القبر بانيابهما
فتلتلاك وترتراك كيف بك عند ذلك يا عمر فقال عمر ويكون معي مثل عقلي الان قال نعم قال اذا اكفيكهما
وهذا نص صريح في ان العقل لا يتغير بالموت انما يتغير البدن والاعضاء فيكون الميت عاقلا مدركا
عالما بالآلام واللذات كما كان لا يتغير من عقله شيء وليس العقل المدرك هذه الاعضاء بل هو شيء
باطن ليس له طول ولا عرض بل لا ينقسم في نفسه هو المدرك للاشيا ولو تناثرت اعضاء الانسان كلها و
لم يبق الا الجزء المدرك الذي لا يتجزا ولا ينقسم لكان الانسان العاقل بكماله قائما باقيا وهو كذلك بعد
الموت فان الجزء لا يحله الموت ولا يطرأ عليه العدم وقال محمد بن المنكدر بلغني ان الكافر يسلط عليه
في قبره دابة صماء عمياء في يدها سوط من حديد في راسه مثل غرب الجمل تضربه به الى يوم القيامة لا تراه فتتقيه ولا
تسمع صوته فترحمه **وقال** ابو هريرة اذا وضع المؤمن في قبره جاءت اعماله الصالحة فاحتوشته

فإن أتاه من قبل رأسه جاءت قراءة القرآن وإن أتاه من قبل رجليه جاء قيامه وإن أتي من قبل يديه قالت اليدان والله لقد كان يبسطني للصدقة والدعاء لا سبيل لكم عليه فإن جاء من قبل فيه جاء ذكره وصيامه وكذلك الصلاة والصبر ناحية يقول أما إني لو رأيت خللا لكنت أنا صاحبه **قال** سفيان يحاج عنه أعماله الصالحة كما يحاج الرجل عن أخيه وأهله وولده ثم يقال له عند ذلك بارك الله لك في مضجعك فنعم الأخلاء أخلاؤك ونعم الأصحاب أصحابك **وعن** حذيفة قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فجلس على رأس القبر ثم جعل ينظر فيه ثم قال يضغط المؤمن في هذا ضغطة تزول منها حمائله **وقالت** عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن للقبر ضغطة ولو سلم أو نجا منها أحد لنجا سعد بن معاذ **وعن** أنس بن مالك قال توفيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة مسقامة فتبعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فساءنا حاله فلما انتهينا إلى القبر فدخله التمع وجهه صفرة فلما خرج أسفر وجهه فقلنا يا رسول الله رأينا منك شيئا فمم ذلك قال ذكرت ضغطة ابنتي وشدة عذاب القبر فأتيت فأخبرت أن الله تعالى قد خفف عنها ولقد ضغطت ضغطة سمع صوتها ما بين الخافقين

الباب الثامن فيما عرف من أحوال الموتى بالمكاشفة في المنام

اعلم أن أنوار البصائر المستفادة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ومن مناهج الاعتبار يعرفنا أحوال الموتى على الجملة وانقسامهم إلى سعداء وأشقياء ولكن حال زيد وعمرو بعينه فلا ينكشف أصلا فإنا إن عولنا على إيمان زيد فلا ندري على ماذا مات وكيف ختم له وإن عولنا على صلاحه الظاهر فالتقوى محلها القلوب وهو غامض يخفى على صاحب التقوى فكيف على غيره فلا حكم بظاهر الصلاح دون التقوى قال الله عز وجل إنما يتقبل الله من المتقين فلا يمكن معرفة حكم زيد وعمرو إلا بمشاهدته ومشاهدة ما يجري عليه فإذا مات تحول من عالم الملك والشهادة إلى عالم الغيب والملكوت فلا يرى بالعين الظاهرة وإنما يرى بعين أخرى خلقت تلك العين في قلب كل إنسان ولكن الإنسان قد جعل عليها غشاوة كثيفة من شهواته وأشغاله الدنيوية فصار لا يبصر بها ولا يتصور أن يبصر بها شيئا من عالم الملكوت ما لم تنقشع تلك الغشاوة عن عين قلبه ولما كانت الغشاوة منقشعة عن أعين الأنبياء عليهم السلام فلا جرم نظروا إلى الملكوت وشاهدوا عجائبه والموتى في عالم الملكوت فشاهدوهم وأخبروا عنهم ولذلك رأى رسول الله صلى الله عليه [وسلم] ضغطة القبر في حق سعد بن معاذ وفي حق زينب بنته وكذلك في حال أبي جابر لما استشهد إذ أخبر أن الله تعالى أقعده بين يديه ليس بينهما ستر ومثل هذه المشاهدة لا مطمع فيها لغير الأنبياء والأولياء الذين تقرب درجتهم منهم وإنما الممكن لأمثالنا مشاهدة أخرى ضعيفة إلا أنها أيضا مشاهدة نبوية وأعني بها المشاهدة في المنام وهي من أنوار النبوة قال صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة وهو أيضا انكشاف لا يحصل إلا بانقشاع الغشاوة عن القلب فلذلك لا يوثق إلا برؤيا الرجل الصالح الصادق ومن كثر كذبه لم تصدق رؤياه ومن كثر فساده ومعاصيه أظلم قلبه فكان ما يراه أضغاث أحلام ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطهارة عند النوم لينام طاهرا وذلك إشارة إلى طهارة الباطن أيضا فهو الأصل وطهارة الظاهر بمنزلة التتمة والتكملة ومهما صفا الباطن انكشف في حدقة القلب ما سيكون في المستقبل كما انكشف دخول مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم حين نزل قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقلما يخلو الإنسان عن منامات دالة على أمور صدقت صحيحة والرؤيا ومعرفة الغيب في النوم من عجائب صنع الله تعالى وبدائع فطرة الآدمي وهو من أوضح الأدلة على عالم الملكوت والخلق غافلون عنه لغفلتهم عن سائر العجائب وعجائب

العالم والقول في حقيقة الرؤيا من دقائق علوم المكاشفة فلا يمكن ذكره ههنا **مثال يفهمك المقصود** وهو أن تعلم أن القلب مثاله مثال مرآة تتراءى فيها صور حقائق الأمور وأن كل ما قدره الله تعالى من ابتداء خلق العالم إلى آخره مسطور ومثبت في خلق خلقه الله تعالى يعبر عنه تارة باللوح وتارة بالكتاب وتارة بإمام مبين كما ورد في القرآن فجميع ما جرى في العالم وما سيجري مكتوب فيه ومنقوش عليه نقشا لا يشاهد بهذه العين ولا تظن أن ذلك اللوح من خشب أو حديد أو عظم وأن الكتاب من كاغد أو رق بل ينبغي أن تفهم قطعا أن لوح الله تعالى لا يشبه لوح الخلق وكتاب الله تعالى لا يشبه كتاب الخلق كما أن ذاته وصفاته لا تشبه ذات الخلق وصفاتهم بل إن كنت تطلب له مثالا يقربه إلى فهمك فاعلم أن ثبوت المقادير في اللوح يضاهي ثبوت كلمات القرآن وحروفه في دماغ حافظ القرآن وقلبه فإنه مسطور فيه حتى كأنه حين يقرؤه ينظر إليه ولو فتشت دماغه جزءا جزءا لم تشاهد من ذلك الخط حرفا فمن هذا النمط ينبغي أن تفهم كون اللوح منقوشا بجميع ما قدره الله تعالى وقضاه واللوح في المثال كمرآة تظهر فيها الصور فلو وضع في مقابلة المرآة مرآة أخرى لكانت صورة تلك المرآة تتراءى في هذه إلا أن يكون بينهما حجاب والقلب مرآة تقبل رسوم العلم واللوح مرآة رسوم العلوم كلها موجودة فيه واشتغال القلب بشهواته ومقتضى حواسه حجاب مسدل بينه وبين مطالعة اللوح الذي هو من عالم الملكوت فإن هبت ريح حركت هذا الحجاب ورفعته تلألأ في مرآة القلب شيء من عالم الملكوت كالبرق الخاطف وقد يثبت ويدوم وقد لا يدوم وهو الأغلب وما دام مستيقظا فهو مشغول بما تورده الحواس عليه من عالم الملك والشهادة وهو حجاب عن عالم الملكوت ومعنى النوم ركود الحواس ولا تورد على القلب ما يشغله فإذا تخلص من ذلك ومن الخيال وكان صافيا في جوهره ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ فوقع في قلبه شيء مما في اللوح كما تقع الصورة من مرآة في مرآة إذا ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ فوقع في قلبه شيء مما في اللوح كما تقع الصورة من مرآة في مرآة بينهما إلا أن النوم مانع سائر الحواس عن العمل وليس مانعا للخيال عن عمله وعن تحركه فما يقع في القلب يبتدره الخيال فيحاكيه بمثال يقاربه وتكون المتخيلات أثبت في الحفظ من غيرها فيبقى الخيال في الحفظ فإذا انتبه لم يتذكر إلا الخيال فيحتاج المعبر أن ينظر أن هذا الخيال حكاية أي معنى من المعاني فيرجع إلى المعنى بالمناسبة التي بين المتخيل والمعاني وأمثلة ذلك ظاهرة عند من نظر في علم التعبير ويكفيك منه مثال واحد وهو أن رجلا قال لابن سيرين رأيت كأن بيدي خاتما أختم به أفواه الرجال وفروج النساء فقال إنك مؤذن تؤذن قبل الصبح في رمضان فقال صدقت فانظر أن روح الختم هو المنع ولأجله يراد الختم وإنما ينكشف للقلب حال الشخص من اللوح المحفوظ كما هو عليه وهو كونه مانعا للناس من الأكل والشرب والجماع ولكن الخيال ألف المنع عند الختم فتمثله بالصورة الخيالية التي تتضمن روح المعنى ولا يبقى في الحفظ إلا الصورة الخيالية فهذه نبذة يسيرة من بحر علم الرؤيا التي لا تنحصر عجائبه وكيف لا والنوم أخو الموت والموت هو عجيب من العجائب وهذا الأمر يشبهه من وجه ضعيف إذ يكشف الغطاء عن عالم الغيب حتى صار النائم يعرف ما سيكون في المستقبل فماذا ترى في الموت الذي يخرق الحجاب ويكشف الغطاء بالكلية حتى يرى الإنسان عند انقطاع النفس من غير تأخر نفسه إما محفوفة بالأنكال والمخازي والفضائح نعوذ بالله من ذلك وإما مكنوفة بنعيم مقيم وملك عظيم لا آخر له وعند هذا يقال له أشقيا أو سعيدا وقد كشف الغطاء الذي كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ويقال أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون وإليهم الإشارة بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فأعلم العلماء وأحكم الحكماء ينكشف له عقيب الموت

من العجائب والآيات ما لم يخطر قط بباله ولا اختلج بضميره فلو لم يكن للعاقل هم ولا غم إلا الفكر في خطر تلك الحال وأن الحجاب عماذا يرتفع وما الذي ينكشف عنه الغطاء من شقاوة لازمة وسعادة دائمة لكان ذلك كافيا في استغراق جميع العمر والعجب من غفلتنا وهذه العظائم بين أيدينا وأعجب من ذلك فرحنا بأموالنا وأهلينا وأسبابنا وأولادنا بل بأعضائنا وأسماعنا وأبصارنا مع أنا نعلم مفارقة جميع ذلك يقينا ولكن أين من نفث روح القدس في روعه فيقول له ما قال لسيد البشر أحبب ما أحببت فإنك مفارقه وعش ما عشت فإنك ميت واعمل ما شئت فإنك مجزي به فلا جرم لما كان ذلك مكشوفا له بعين اليقين كان في الدنيا كعابر سبيل لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولم يخلف دينارا ولا درهما ولم يتخذ حبيبا ولا خليلا نعم قال صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا أحدا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الرحمن يعني أن خلة الرحمن تخللت باطن قلبه وتمكن من حبه قلبه فلم يترك فيه متسعا للخليل ولا لحبيب وقد قال لأمته قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وإنما أمته من اتبعه وما اتبعه إلا من أعرض عن الدنيا وأقبل على الآخرة فإنه ما دعا إلا إلى الله واليوم الآخر وما صرف إلا عن الدنيا والحظوظ العاجلة فبقدر ما تعرض عن الدنيا وتقبل على الآخرة تسلك سبيله الذي سلكه وبقدر ما سلكت سبيله فقد اتبعته وبقدر ما اتبعته صرت من أمته وبقدر ما أقبلت على الدنيا عدلت عن سبيله ورغبت عن متابعته والتحقت بالذين قال الله تعالى فيهم فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى فلو خرجت من مكمن الغرور وأنصفت نفسك يا رجل وكلنا ذلك الرجل لعلمت أنك من حين تصبح إلى حين تمسي لا تسعى إلا في الحظوظ العاجلة ولا تتحرك إلا لأجل العاجلة الدنيا ثم تطمع في أن تكون غدا من أمته وأتباعه ما أبعد ظنك وما أبرد طمعك أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون فلنرجع إلى ما كنا فيه وبصدده فقد استعنان الكلام إلى غير مقصده ولنذكر الآن من المنامات المكاشفة لأحوال الموتى ما يعظم الانتفاع به إذ ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وليس ذلك إلا المنامات

بيان منامات تكشف عن أحوال الموتى والأعمال النافعة في الآخرة فمن ذلك رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله عليه السلام من رآني في المنام فقد رآني حقا فإن الشيطان لا يتمثل بي وقد رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله ما شأني فما تنظر إلي وقال ألست المقبل وأنت صائم فقال والذي نفسي بيده لا أقبل امرأة وأنا صائم أبدا **وقال** العباس كنت ودا لعمر فاشتهيت أن أراه في المنام فما رأيته إلا عند قرب الحول فرأيته يمسح العرق عن جبينه وهو يقول هذا أوان فراغي إن كاد عرشي ليهد لولا أني لقيت رؤوفا رحيما **وقال** الحسن بن علي قال لي علي رضي الله عنهما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سنح لي الليلة في منامي فقلت يا رسول الله ما لقيت من أمتك قال ادع عليهم فقلت اللهم أبدلني بهم من هو خير لي منهم وأبدلهم بي من هو شر لهم مني فخرج فضربه ابن ملجم **وقال** بعض الشيوخ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله استغفر لي فأعرض عني فقلت يا رسول الله إن سفيان بن عيينة حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله أنك لم تسأل قط شيئا فقلت لا فأقبل علي فقال غفر الله لك **وروي** عن العباس بن عبد المطلب قال كنت مواخيا لأبي لهب مصاحبا له فلما مات وأخبر الله تعالى عنه بما أخبر حزنت عليه وأهمني أمره فسألت الله حولا أن يريني إياه في المنام فرأيته يلتهب نارا فسألته عن حاله فقال صرت إلى النار في العذاب لا يخفف عني ولا يروح إلا ليلة الاثنين في كل الليالي والأيام فقلت كيف ذلك فقال ولد في تلك الليلة محمد صلى الله عليه وسلم فجاءتني أميمة فبشرتني بولادة آمنة إياه ففرحت به وأعتقت وليدة فرحا به فأثابني الله بذلك أن رفع عني العذاب في كل ليلة اثنين **وقال** عبد الواحد بن زيد خرجت حاجا فصحبني رجل كان لا يقوم ولا يقعد ولا يتحرك ولا يصلي إلا على محمد صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فقال أخبرك عن ذلك خرجت أول حجة إلى مكة ومعي أبي فلما انصرفنا نمت في بعض المنازل فبينا أنا نائم إذ أتاني آت فقال لي قم فقد أمات الله أباك وسود وجهه فقمت مذعورا فكشفت الثوب عن وجهه وإذا هو ميت أسود الوجه فداخلني من ذلك رعب فبينا أنا في ذلك الغم إذ غلبتني عيني فإذا على رأس أبي أربعة سودان معهم أعمدة حديد إذ أقبل رجل حسن الوجه بين ثوبين أخضرين فقال لهم تنحوا فمسح وجهه بيده ثم أتاني فقال لي قم فقد بيض الله وجه أبيك فقلت من أنت بأبي أنت وأمي فقال أنا محمد صلى الله عليه وسلم قال فقمت فكشفت الثوب عن وجه أبي فإذا هو أبيض فما تركت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم **وعن عمر** بن عبد العزيز قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وأبا بكر وعمر جالسان عنده فسلمت وجلست فبينا أنا جالس إذ أتي بعلي ومعاوية فأدخلا بيتا وأجيف عليهما الباب وأنا أنظر فما كان بأسرع أن خرج علي رضي الله عنه وهو يقول قضي لي ورب الكعبة وما كان بأسرع أن خرج معاوية على أثره وهو يقول غفر لي ورب الكعبة واستيقظ ابن عباس من نومه مرة فاسترجع فقال قتل الحسين والله وكان ذلك قبل قتله فأنكره أصحابه فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه زجاجة من دم فقال ألا تعلم ما صنعت أمتي من بعدي قتلوا الحسين وهذا دمه ودم أصحابه أرفعها إلى الله فجاء الخبر بعد أربعة وعشرين يوما بقتله في اليوم الذي رآه ورئي الصديق رضي الله عنه فقيل له إنك كنت تقول أبدا في لسانك هذا أوردني الموارد فما فعل الله بك فقال قلت به لا إله إلا الله فأوردني الجنة

بيان منامات المشايخ رضي الله عنهم قال بعض المشايخ رأيت ممشاد الدينوري في المنام فقلت يا سيد ما فعل الله بك فقال درجني في الجنان فقيل لي يا ممشاد هل استحسنت فيها شيئا قلت لا يا سيدي فقال لو استحسنت منها شيئا لوكلتك إليه ولم أوصلك إلي ورئي يوسف بن الحسين في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي فقيل بماذا قال ما خلطت جدا بهزل ورئي منصور بن إسماعيل قال رأيت عبد الله البزاز في النوم فقلت له ما فعل الله بك فقال أوقفني بين يديه فغفر لي كل ذنب أقررت به إلا ذنبا واحدا فإني استحييت أن أقر به فوقفني في العرق حتى سقط لحم وجهي فقلت ما كان ذلك فقال نظرت إلى غلام جميل فاستحسنته فاستحييت من الله تعالى أن أذكره **وقال** أبو جعفر الصيدلاني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وحوله جماعة من الفقراء فبينا هو كذلك إذا انفتحت السماء ونزل ملكان أحدهما بيده طست والآخر إبريق ثم وضع الطست بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فغسل يده ثم أمر حتى غسلوا ثم وضع الطست بين يدي فقال أحدهما للآخر لا تصب على يديه فإنه ليس منهم فقلت يا رسول الله أليس قد روي عنك أنك قلت المرء مع من أحب فقال صب على يديه فإنه منهم وقال الجنيد رأيت في النوم كأني أتكلم على الناس فوقف علي ملك فقال أقرب ما تقرب به المتقربون إلى الله ماذا فقلت عمل خفي بميزان وفي فولى الملك وهو يقول كلام موفق والله ورئي مجمع في النوم فقيل له كيف رأيت الأمر فقال رأيت الزهاد في الدنيا ذهبوا بخير الدنيا والآخرة **وقال** رجل من أهل الشام للعلاء بن زياد رأيتك في المنام كأنك في الجنة فنزل عن مجلسه وأقبل عليه فقال لعل الشيطان أراد أمرا عصمت منه فأشخص رجلا يتبعه **وقال** محمد بن واسع الدنيا إقرأ المؤمن ولا تغره وقال صالح بن بشير رأيت عطاء السلمي في النوم فقلت رحمك الله لقد كنت طويل الحزن في الدنيا فقال أما والله لقد أعقبني ذلك راحة طويلة وفرحا دائما فقلت في أي الدرجات أنت فقال مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين الآية وسئل زرارة ابن أوفى في المنام أي الأعمال أفضل عندكم فقال الرضا وقصر الأمل **وقال** يزيد بن مذعور رأيت الأوزاعي

في المنام فقلت يا ابا عاصم دلني على عمل اتقرب به الى الله عز وجل فقال ما رأيت هنا للحمد درجة ارفع من درجة العلما
ثم درجة المحزونين ولها فكان يزيد شيخا كبيرا فلم يزل يبكي حتى اظلمت عيناه وقال ابن عيينة رأيت اخي
في المنام فقلت يا اخي ما فعل الله بك فقال كل ذنب استغفرت منه غفر لي وما لم استغفر منه لم يغفر لي وقال
علي الطلحي رأيت في المنام امرأة لا تشبه النسا فقلت من انت فقالت حورا فقلت زوجيني نفسك فقالت اخطبني
الى سيدي وامهرني قلت وما مهرك قالت حبس نفسك عن آفاتها وقال ابرهيم ابن اسحق الحربي رأيت زبيدة
في المنام فقلت ما فعل الله بك فقالت غفر لي فقلت لها بما انفقت في طريق مكة قالت اما النفقات التي
انفقتها رجعت اجورها الى اربابها وغفر لي بنيتي ولما مات سفيان الثوري رضي الله عنه رئي في المنام فقيل
له ما فعل الله بك فقال وضعت اول قدمي على الصراط والثاني في الجنة وقال احمد ابن ابي الحواري رأيت
في المنام جارية ما رأيت احسن منها وكان وجهها يتلألأ نورا فقلت لها مما ضوء وجهك فقالت تذكر تلك
الليلة التي بكيت فيها قلت نعم قالت اخذت دمعك فمسحت به وجهي فمن ثم ضوء وجهي كما ترى وقال
الكتاني رأيت الجنيد في النوم فقلت ما فعل الله بك فقال طاحت تلك الاشارات وذهبت العبارات وما
حصلنا الا على ركعتين كنا نصليهما في الليل ورئيت زبيدة في المنام فقيل لها ما فعل الله بك قالت غفر لي
بهذه الكلمات الاربع لا اله الا الله افني بها عمري لا اله الا الله ادخل بها قبري لا اله الا الله اخلو بها وحدي لا
اله الا الله القى بها ربي ورئي بشر في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال رحمني ربي وقال يا بشر اما استحييت مني
كنت تخافني كل ذلك الخوف ورئي ابو سليمان في النوم فقيل له ما فعل الله بك فقال رحمني ربي وما كان شيء اضر
علي من اشارة القوم الي وقال ابو بكر الكتاني رأيت في المنام شابا لم ار احسن منه فقلت من انت فقال التقوى
قلت فاين تسكن قال كل قلب حزين ثم التفت فاذا امرأة سودا كاوحش ما يكون فقلت من انت فقالت انا
السقم قلت فاين تسكن قالت كل قلب فرح مرح قال فانتبهت واعتقدت الا اضحك الا غلبة وقال
ابو سعيد الخراز رأيت في المنام كان ابليس قد وثب علي فاخذت العصا لاضربه فلم يفزع منها فهتف بي هاتف فقال
ان هذا لا يخاف من هذه وانما يخاف من نور يكون في القلب وقال المسوحي رحمه الله رأيت ابليس في النوم
عريانا فقلت الا تستحيي من الناس فقال بالله هؤلاء ناس لو كانوا من الناس ما كنت العب بهم طرفي النهار كما يتلاعب
الصبيان بالكرة بل الناس قوم غير هؤلاء قد اسقموا جسمي واشار بيده الى الصوفية وقال ابو سعيد الخراز
كنت في دمشق فرأيت في المنام كان النبي صلى الله عليه وسلم جاءني متكئا على ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فجا فوقف
علي وانا اقول شيئا من الاصوات وادق على صدري فقال شر هذا اكثر من خيره وعن ابن عيينة قال رأيت
سفيان الثوري رحمه الله عليه في النوم كانه في الجنة يطير من شجرة الى شجرة يقول لمثل هذا فليعمل العاملون
فقلت له اوصني فقال اقلل من معرفة الناس وروى ابو حاتم الرازي عن قبيصة بن عقبة قال رأيت
سفيان الثوري في المنام فقلت له ما فعل الله بك فقال شعر نظرت الى ربي كفاحا فقال لي * هنيا
رضائي عنك يا ابن سعيد * فقد كنت قواما اذا اظلم الدجى * بعبرة مشتاق وقلب عميد * فدونك فاختر اي قصر تريد
وزرني فاني منك غير بعيد * ورئي الشبلي بعد موته في المنام بثلاثة ايام فقيل له ما فعل الله بك قال ناقشني
حتى يئست فلما رأى يأسي تغمدني برحمته ورئي مجنون بني عامر بعد موته في المنام فقيل له ما فعل الله بك
قال رحمني فقيل ما حال عبد الله ابن المبارك فقال هو ممن يلج على ربه في كل يوم مرتين ورئي بعضهم فسئل
عن حاله فقال شعر حاسبونا فدققوا * ثم منوا فاعتقوا * ورئي مالك بن انس في النوم فقيل له ما فعل الله بك
فقال غفر لي بكلمة كان يقولها عثمان بن عفان رضي الله عنه عند رؤية الجنازة سبحان الحي الذي لا يموت ورئي في البلد

فقال غفر لي وجعلني حجة على المحبين
ورئي الثوري في المنام فقيل له
ما فعل الله بك فقال

وكنت اقولها

التي مات فيها الحسن البصري كان ابواب السما مفتحة وكان مناديا ينادي الا ان الحسن البصري قدم على الله عز وجل
وهو عنه راض ورئي الجاحظ فقيل له ما فعل الله بك فقال شعر ولا تكتب بخطك غير شيء * يسرك في القيامة
ان تراه * ورئي الجنيد ابليس في المنام عريانا فقال الا تستحيي من الناس فقال هؤلاء ناس الناس اقوام في مسجد الشونيزية
قد اضنوا جسدي واحرقوا كبدي فلما انتبهت غدوت الى المسجد فرأيت جماعة قد وضعوا رؤوسهم
على ركبهم يتفكرون فلما رأوني قالوا لا يغرنك حديث الخبيث ورئي النصراباذي بمكة بعد وفاته
في النوم فقيل له ما فعل الله بك فقال عوتبت عتاب الاشراف ثم نوديت يا ابا القاسم ابعد الاتصال انفصال
فقلت لا يا ذا الجلال فما وضعت في اللحد حتى لحقت بالاحد ورئي عتبة الغلام حورا في المنام على صورة
حسنة فقالت يا عتبة انا لك عاشقة فانظر لا تعمل من الاعمال شيئا يحال بيني وبينك فقال عتبة
طلقت الدنيا ثلاثا لا رجعة لي اليها حتى القاك وقيل رأى ايوب السختياني جنازة عاص فدخل
الدهليز لئلا يصلي عليها فرآه بعضهم الميت في المنام فقال له ما فعل الله بك فقال غفر لي وقال قل
لايوب قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق وقال بعضهم رأيت الليلة
التي مات فيها داود الطائي رحمه الله تعالى نورا وملائكة نزولا وملائكة صعودا فقلت اي ليلة
هذه فقالوا ليلة مات فيها داود الطائي وقد زخرفت الجنة لقدوم روحه وقال ابو سعيد
الشحام رأيت سهلا الصعلوكي فقلت ايها الشيخ فقال دع التشييخ فقلت تلك الاحوال التي شاهدتها
فقال لم تغن عنا فقلت ما فعل الله بك فقال غفر لي بمسائل كان يسأل عنها العجز وقال ابو بكر الرشيدي
رأيت محمدا الطوسي المعلم في النوم فقال لي قل لابي سعيد الصفار المؤدب شعر وكنا على ان لا نحول عن الهوى
فقد وحياة الحب حلتم وما حلنا قال فانتبهت وذكرت ذلك له فقال كنت ازور قبره كل جمعة فلم ازره هذه
الجمعة وقال ابن راشد رأيت ابن المبارك رحمه الله عليه في المنام بعد موته فقلت اليس قد مت
قال بلى قلت فما صنع الله بك قال غفر لي مغفرة احاطت بكل ذنب قلت فسفيان الثوري قال
بخ بخ ذاك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين الاية وقال
الربيع ابن سليمان رحمه الله رأيت الشافعي رضي الله عنه بعد وفاته في المنام فقلت يا ابا عبد الله ما
فعل الله بك فقال اجلسني على كرسي من ذهب ونثر علي اللؤلؤ الرطب وروى رجل من اصحاب الحسن البصري
ليلة مات الحسن ابن ابي الحسن كان مناديا ينادي ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابرهيم وآل عمران على العالمين
واصطفى الحسن ابن ابي الحسن على اهل زمانه وقال يعقوب القاري الدقي رأيت في منامي رجلا آدم
طوالا والناس يتبعونه فقلت من هذا فقال اويس القرني فاتبعته فقلت اوصني رحمك الله فكلح في وجهي
فقلت مسترشد فارشدني فاقبل علي فقال ابتغ رحمة ربك عند محبته فقلت اوصني رحمك الله فقال
ابتغ رحمة ربك عند محبته واحذر نقمته عند معصيته ولا تقطع رجاءك منه في خلال ذلك ثم ولى وتركني
وقال ابو بكر ابن ابي مريم رأيت ورقاء ابن بشر الحضرمي فقلت ما فعلت يا ورقاء فقال نجوت بعد كل جهد قلت
فاي الاعمال وجدتموها افضل قال البكا من خشية الله تعالى وقال يزيد بن نعامة هلكت جارية في الطاعون
فرآها ابوها في المنام فقال لها يا بنية اخبريني عن الآخرة قالت يا ابت قدمنا على امر عظيم نعلم ولا
نعمل وتعملون ولا تعلمون والله لتسبيحة او تسبيحتان او ركعة او ركعتان في صحيفة عملي احب الي من
الدنيا وما فيها وقال بعض اصحاب عتبة الغلام رأيت عتبة في المنام فقلت ما صنع الله بك قال دخلت
الجنة بتلك الدعوات المكتوبة في بيتك فلما اصبحت جئت البيت فاذا خط عتبة في حائط البيت مكتوب

بنا يا هادي المضلين ويا راحم المذنبين ويا مقيل عثرة العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم اجمعين
واجعلنا من الاحيا المرزوقين الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين امين رب العالمين
وقال موسى ابن حماد رايت سفيان الثوري في الجنة يطير من نخلة الى نخلة ومن شجرة الى شجرة فقلت يا ابا عبد الله
بم نلت هذا فقال بالورع قلت فما بال علي بن عاصم قال ذلك لا يكاد يرى الا كما يرى الكوكب الدري وراى رجل
من التابعين النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال يا رسول الله عظني فقال نعم من لم يتفقد النقصان فهو في نقصان
ومن كان في نقصان فالموت خير له وقال الشافعي رضي الله عنه دهشت في هذه الايام امرا رضي والمني
ولم يطلع عليها الله عز وجل فلما كان البارحة اتاني ات في منامي فقال لي يا محمد ابن ادريس قل اللهم
اني لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ولا استطيع ان اخذ الا ما اعطيتني ولا اتقي الا ما وقيتني
اللهم فوفقني لما تحبه وترضاه من القول والعمل في عافية فلما اصبحت اعدت ذلك فلم يترحل النهار حتى اعطاني
الله عز وجل طلبتي وسهل لي الخلاص مما كنت فيه فعليكم بهذه الدعوات لا تغفلوا عنها فهذه جملة من المكاشفات
تدل على احوال الموتى وعلى الاعمال المقربة الى الله عز وجل زلفى فلنذكر بعدها ما بين يدي الموتى من ابتدا نفخة
الصور الى اخر القرار اما في الجنة واما في النار

الشطر الثاني من كتاب ذكر الموت في احوال الميت

من وقت نفخة الصور الى اخر الاستقرار في الجنة او النار وتفصيل ما بين يديه من الاهوال والاخطار وفيه بيان
صفة نفخ الصور وصفة ارض المحشر واهله وصفة عرق اهل المحشر وصفة طول يوم القيمة وصفة يوم القيمة و
دواهيها واساميها وصفة المسالة عن الذنوب وصفة الميزان وصفة الخصما ورد المظالم وصفة الصراط
وصفة الشفاعة وصفة الحوض وصفة جهنم واهوالها وانكالها وحياتها وعقاربها وصفة الجنة واصناف
نعيمها وعدد الجنان وابوابها وغرفها وحيطانها وانهارها واشجارها ولباس اهلها وفرشهم وسررهم و
طعامهم وصفة الحور العين والولدان وصفة النظر الى وجه الله تعالى وباب في سعة رحمة الله عز وجل وبه
ختم الكتاب ان شا الله تعالى

صفة النفخ في الصور

قد عرفت بما سبق شدة احوال الميت في سكرات الموت
وخطره في خوف الخاتمة ثم مقاساته لظلمة القبر وديدانه ثم لمنكر ونكير وسوالهما ثم لعذاب القبر وخطره ان
كان مغضوبا عليه واعظم من ذلك كله الاخطار التي بين يديه من نفخ الصور وبعث النشور والعرض على
الجبار والسوال عن القليل والكثير ونصب الميزان لمعرفة المقادير ثم مجاوزة الصراط مع دقته وحدته ثم
انتظار النداء عند فصل القضا اما بالاسعاد واما بالاشقا فهذه احوال واهوال لا بد لك من معرفتها ثم الايمان
على سبيل الجزم والتصديق ثم تطويل الفكر فيها لينبعث من قلبك دواعي الاستعداد لها واكثر الناس لم يدخل الايمان
باليوم الاخر صميم قلوبهم ولم يتمكن من سويدا افيدتهم ويدل على ذلك شدة تشمرهم واستعدادهم لحر الصيف وبرد الشتا
وتهاونهم بحر جهنم وزمهريرها مع ما تكتنفه من المصاعب والاهوال بل اذا سيلوا عن اليوم الاخر نطقت به
السنتهم ثم غفلت عنه قلوبهم ومن اخبر بان ما بين يديه من الطعام مسموم فقال لمن اخبره صدقت ومد يده لتناوله
كان مصدقا بلسانه ومكذبا بعمله وتكذيب العمل ابلغ من تكذيب اللسان وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم قال
الله تعالى يشتمني ابن ادم وما ينبغي له ان يشتمني ويكذبني وما ينبغي له ان يكذبني اما شتمه اياي فيقول ان لي
ولدا واما تكذيبه فقوله لن يعيدني كما بداني وانما قصرت البواطن عن قوة اليقين والتصديق بالبعث والنشور
لقلة المشاهدة في هذا العالم لامثال تلك الامور ولو لم يشاهد الانسان توالد الحيوانات وقيل له ان صانعا
يصنع من النطفة القذرة مثل هذا الادمي المصور العاقل المتكلم المتصرف لاشتد نفور باطنه عن التصديق
بذلك ولذلك قال الله تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وقال تعالى

ايحسب الانسان ان يترك سدى الم يك نطفة من مني يمنى ففي خلق الادمي مع كثرة عجايبه واختلاف تركيب
اعضايه اعاجيب تزيد على الاعاجيب في بعثه واعادته فكيف ينكر ذلك من قدرة الله عز وجل وحكمته من يشاهد
ذلك من صنعته وقدرته فان كان في ايمانك ضعف فقو الايمان بالنظر في النشاة الاولى فان الثانية مثلها
واسهل منها وان كنت قوي الايمان فاشعر قلبك تلك المخاوف والاخطار واكثر فيها التفكر والاعتبار لتسلب
عن قلبك الراحة والقرار فتشتغل بالتشمر للعرض على الجبار وتفكر اولا فيما يقرع سمع سكان القبور من شدة
نفخة الصور فانها صيحة واحدة تنفرج بها القبور عن رءوس الموتى فيثورون دفعة واحدة فتوهم نفسك
وقد وثبت متغيرا وجهك مغبرا بدنك من قرنك الى قدمك من تراب قبرك مبهوتا من شدة الصعقة
شاخص البصر نحو النداء وقد ثار الخلق ثورة واحدة من القبور التي طال فيها بلاهم وقد ازعجهم الفزع والرعب
مضافا الى ما كان بهم من الهموم والغموم وشدة الانتظار لعاقبة الامر كما قال تعالى ونفخ في الصور فصعق
من في السموات ومن في الارض الا من شا الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وقال تعالى فاذا نقر في الناقور
فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير وقال تعالى ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ما
ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون ونفخ في الصور
فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون فلو لم
يكن بين يدي الموتى الا هول تلك النفخة لكان جديرا بان يتقى فانها نفخة وصيحة يصعق بها من في السموات ومن
في الارض يعني يموتون بها الا من شا الله وهو بعض الملايكة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف انعم وصاحب
الصور قد التقم القرن وحنى الجبهة واصغى بالاذن متى يومر فينفخ قال مقاتل الصور هو القرن وذلك ان اسرافيل
عليه السلام واضع فاه على القرن كهيئة البوق ودايرة راس القرن كعرض السموات والارض وهو شاخص ببصره
نحو العرش ينتظر متى يومر فينفخ النفخة الاولى فاذا نفخ صعق من في السموات ومن في الارض اي مات كل حيوان من شدة
الفزع الا من شا الله وهو جبريل وميكاييل واسرافيل ثم [illegible] الموت فيموت ثم يلبث الخلق بعد النفخة الاولى
في البرزخ اربعين سنة ثم يحيي الله تعالى اسرافيل فيامره ان ينفخ النفخة الثانية فذلك قوله عز وجل ثم نفخ فيه
اخرى فاذا هم قيام ينظرون اي ينظرون الى البعث وقد قال صلى الله عليه وسلم حين بعثت الى صاحب الصور فاذا هو به الى فيه وقدم
رجلا واخر اخرى ينتظر متى يومر بالنفخ الا فاتقوا النفخة فتفكر في الخلايق وذلهم وانكسارهم عند
الانبعاث خوفا من هذه الصعقة وانتظارا لما يقضى عليهم من سعادة او شقاوة وانت فيما بينهم منكسر كانكسارهم
ومتحير كتحيرهم بل ان كنت في الدنيا من المترفين والاغنيا المتنعمين فملوك الارض في ذلك اليوم اذل الجميع
واصغرهم واحقرهم يوطيون بالاقدام مثل الذر وعند ذلك يقبل الوحش من البراري والجبال منكسة رءوسها
مختلطة بالخلايق بعد توحشها ذليلة ليوم النشور من غير خطيية تدنست بها ولكن حشرهم شدة الصعقة
وهول النفخة وشغلهم عن الهرب من الخلق والوحش ذليلة ليوم النشور من غير خطيية تدنست بها ولكن
حشرهم شدة الصعقة وهول النفخة وشغلهم عن الهرب التوحش منهم وذلك قوله تعالى واذا الوحوش
حشرت ثم اقبلت الشياطين المردة بعد تمردها وعتوها واذعنت خاشعة من هيبة العرض على الله عز وجل تصديقا
لقول الله تبارك وتعالى فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ثم لنحن اعلم بالذين هم
اولى بها صليا فتفكر ايها العاقل في حالك وحال قلبك هنالك

صفة الحشر واهله

ثم انظر كيف
يساقون بعد البعث والنشور حفاة عراة الى ارض المحشر ارض بيضا قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا
ولا امتا ولا ترى فيها ربوة يختفي الانسان وراها ولا وهدة ينخفض عن الاعين فيها بل هو صعيد واحد بسيط لا

تفاوت اليه نظرا فسبحان من جمع الخلايق على اختلاف اصنافهم من اقطار الارض اد ساقهم بالراجفة تتبعها
الرادفة فالراجفة هي النفخة الاولى والرادفة هي الثانية وحقيق لتلك القلوب ان تكون يومئذ واجفة
ولتلك الابصار ان تكون خاشعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة على ارض بيضا
عفرا كقرصة النقي قال الراوي ليس فيها معلم لاحد والعفرة بياض ليس بالناصع والنقي هو المنقى عن
القشر والنخالة ولا تعلو الى رابية ولا تنخفض ولا تفاوت بيد البصر فلا تظنن ان تلك الارض مثل ارض الدنيا لا تساويها
الا في الاسم قال الله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات قال ابن عباس يزاد فيها وينقص
وتذهب اشجارها وجبالها واوديتها وما فيها وتمد مد الاديم العكاظي ارض بيضا مثل الفضة لم يسفك عليها
دم ولم تعمل عليها خطيئة والسموات تذهب شمسها وقمرها ونجومها فانظر يا مسكين في هول ذلك اليوم وشدته
فانه اذا اجتمع الخلايق على هذا الصعيد تناثرت من فوقهم نجوم السما وطمست الشمس والقمر واظلمت
الارض بخمود سراجها فبينما انت كذلك اذ دارت السما من فوق رؤسهم وانشقت مع غلظها وشدتها خمسمائة
عام وللملائكة قيام على حافاتها وارجائها فيا هول انشقاقها في سمعك ويا هيبته وناهيك بيوم تنشق
فيه السما مع صلابتها وشدتها ثم تنهار ثم تسيل كالفضة المذابة تخالطها صفرة فصارت وردة كالدهان
وصارت السما كالمهل وصارت الجبال كالعهن المنفوش واشتبك الناس كالفراش المبثوث وهم عراة
حفاة مشاة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد الجمهم العرق
وبلغ شحوم الاذان قالت سودة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وهي راوية الحديث قلت يا رسول الله واسوأتاه
ينظر بعضنا الى بعض فقال شغل الناس عن ذلك لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه فاعظم بيوم تنكشف فيه
العورات ويؤمنون فيه مع ذلك عن النظر والالتفات كيف وبعضهم يمشون على بطونهم ووجوههم ولا قدرة
لهم على الالتفات الى غيرهم قال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس
يوم القيمة ثلثة اصناف ركبانا ومشاة وعلى وجوههم فقال رجل يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم قال
الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم وفي طبع ابن آدم انكار كل ما لم يانس به ولو لم
يشاهد الانسان الحية وهي تمشي على بطنها كالبرق الخاطف لانكر تصور المشي من غير رجل والمشي بالرجل ايضا
مستبعد عند من لم يشاهد ذلك فاياك ان تنكر شيا من عجايب يوم القيمة لمخالفتها قياس الدنيا فانك لو لم تكن
قد شاهدت عجايب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت اشد انكارا لها فاحضر في قلبك صورتك
وانت واقف عاريا مكشوفا ذليلا مدحورا متحيرا مبهوتا منتظرا لما يجري عليك من القضا بالسعادة
او الشقاوة واعظم بهذه الحالة فانها عظيمة

صفة العرق

ثم تفكر في ازدحام الخلايق واجتماعهم حتى
ازدحم على الموقف اهل السموات السبع والارضين السبع من ملك وجن وانس وشيطان ووحش وسبع وطير
فاشرقت عليهم الشمس وقد تضاعف حرها وتبدلت عما كانت عليه من خفة امرها ثم ادنيت الشمس من رؤس
العالمين كقاب قوسين فلم يبق على الارض ظل الا ظل عرش رب العالمين ولم يمكن من الاستظلال به الا المقربون
فمن بين مستظل بالعرش وبين مضح بحر الشمس قد صهرته بحرها واشتد كربه وغمه من وهجها ثم تدافعت
الخلايق ودفع بعضهم بعضا لشدة الزحام واختلاف الاقدام وانضاف اليه شدة الخجلة والحياء من
الافتضاح والاختزاء عند العرض على جبار السما فاجتمع وهج الشمس وحر الانفاس واحتراق القلوب بنار الحيا والخوف
ففاض العرق من اصل كل شعرة حتى سال على صعيد القيمة ثم ارتفع الى ابدانهم على قدر منازلهم عند الله عز وجل
فبعضهم بلغ العرق ركبتيه وبعضهم بلغ الحقويه وبعضهم الى شحمة اذنيه وبعضهم كاد يغيب فيه وقال

ابن عمر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم يقوم الناس لرب العالمين يقوم احدهم في رشحه حتى
يغيب الى انصاف اذنيه وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرق الناس يوم القيمة
حتى يذهب عرقهم في الارض سبعين باعا ويلجمهم ويبلغ اذانهم كذا رواه البخاري ومسلم في الصحيح وفي حديث
اخر قياما شاخصة ابصارهم اربعين سنة الى السما فيلجمهم العرق من شدة الكرب قال عقبة ابن عامر
رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تدنو الشمس يوم القيمة من الارض فيعرق الناس فمنهم من
يبلغ العرق عقبه ومنهم من يبلغ نصف ساقه ومنهم من يبلغ ركبتيه ومنهم من يبلغ فخذه
ومنهم من يبلغ خاصرته ومنهم من يبلغ فاه واشار بيده صلى الله عليه وسلم فالجمها ومنهم من يغطيه عرقه
وضرب بيده على راسه هكذا فتامل يا مسكين في عرق اهل المحشر وشدة كربهم وان فيهم من ينادي فيقول
يا رب ارحني من هذا الكرب والانتظار ولو الى النار وكل ذلك ولم يلقوا بعد حسابا ولا عقابا فانك احدهم
ولا تدري الى اين يبلغ منك العرق واعلم ان كل عرق لم يخرجه التعب في سبيل الله عز وجل من حج وجهاد وصيام وقيام
وتردد في قضاء حاجة مسلم وتحمل مشقة في امر بمعروف ونهي عن منكر فسيخرجه الحيا والخوف في صعيد القيامة ويطول
فيه الكرب ولو سلم ابن آدم من الجهل والغرور لعلم ان تعب العرق في تحمل مصاعب الطاعات اهون امرا واقصر
زمانا من عرق الكرب والانتظار في القيامة فانه يوم عظيم شديد طويل مدته

صفة طول يوم القيمة

يقف الخلايق
يوم القيمة شاخصة ابصارهم منفطرة قلوبهم لا يكلمون ولا ينظر في امرهم يقفون ثلثمائة عام لا ياكلون
فيها اكلة ولا يشربون شربة ولا يلج وجوههم روح نسيم قال كعب وقتادة رضي الله عنهما يوم يقوم
الناس لرب العالمين قال يقومون مقدار ثلثمائة عام قال عبد الله بن عمر تلا رسول الله صلى الله عليه
وسلم هذه الاية ثم قال كيف بكم اذا جمعكم الله تبارك وتعالى كما يجمع النبل في الكنانة خمسين الف سنة لا ينظر
اليكم وقال الحسن ما ظنك بيوم قاموا على اقدامهم مقدار خمسين الف سنة لم ياكلوا فيها اكلة ولم يشربوا فيها
شربة حتى اذا انقطعت اعناقهم عطشا واحترقت اجوافهم جوعا انصرف بهم الى النار فسقوا من عين انية قد انى
حرها واشتد لفحها فلما بلغ الجهد منهم ما لا طاقة لهم به كلم بعضهم بعضا في طلب من يكرم على الله عز
وجل ليشفع في حقهم فلم يتعلقوا بنبي الا دفعهم وقال نفسي نفسي شغلني امري عن امر غيري واعتذر كل واحد
منهم بشدة غضب الله عز وجل وقال ان ربنا اليوم غضب غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده
مثله حتى يشفع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لمن يؤذن له في الشفاعة فيه لمن اذن له الرحمن ورضي له قولا فتامل
في طول هذا المقام وشدة الانتظار فيه حتى يخف عليك الصبر عن المعاصي في عمرك المختصر واعلم ان من طال
انتظاره في الدنيا للموت لشدته فانا نابه للصبر عن الشهوات فانه يقصر انتظاره في ذلك اليوم خاصة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن طول ذلك اليوم والذي نفسي بيده انه ليخفف على المؤمن
حتى يكون اهون عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا فاجتهد ان تكون من اولئك المؤمنين فما
دام يبقى لك نفس من عمرك فالامر بيدك والاستعداد بيدك فاعمل في ايام قصار لايام طوال تربح ربحا لا منتهى
لسروره واستحقر عمرك بل عمر الدنيا وهو سبعة الاف سنة فانك لو صبرت سبعة الاف سنة لتخلص من يوم مقداره خمسين الف سنة
فلم تعمل الا الخلاص من ذلك اليوم دون رجا الجنة وخوف من النار لكان ربحك كثيرا وربحك جسيما

صفة يوم القيمة ودواهيها واساميها

فاستعد يا مسكين لهذا اليوم العظيم شانه المديد زمانه القاهر سلطانه
القريب اوانه يوم ترى السما فيه قد انفطرت والكواكب من هوله انتثرت والنجوم الزواهر انكدرت والشمس فيه
كورت واذا الجبال فيه سيرت والعشار فيه عطلت والوحوش فيه حشرت والبحار فيه سجرت والنفوس

فيه الابدان وحب والجحيم فيه سعرت والجنة ازلفت والجبال نسفت والارض مدت يوم زلزلت فيه
الارض زلزالها واخرجت فيه الارض اثقالها يوم يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم يوم حملت فيه الارض و
الجبال فدكتا دكة واحدة يوم وقعت فيه الواقعة وانشقت فيه السما فهي يومئذ واهية والملك
على ارجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية يوم تسير الجبال
وترى الارض بارزة يوم رجت فيه الارض رجا وبست الجبال فيه بسا فكانت هبا منبثا يوم يكون
الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش يوم تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات
حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد يوم تبدل الارض غير الارض والسموات
وبرزوا لله الواحد القهار يوم تنسف فيه الجبال نسفا فتترك قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا
يوم ترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب يوم انشقت السما فكانت وردة كالدهان فيومئذ لا
يسال عن ذنبه انس ولا جان يوم يمنع فيه العاصي من الكلام ولا يسال عن الاجرام بل يوخذ بالنواصي و
الاقدام يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا يوم تعلم
فيه كل نفس ما احضرت وتشهد بما قدمت واخرت يوم تخرس فيه الالسن وتنطق الجوارح يوم شيب ذكره
سيد المرسلين اذ قال له الصديق اراك قد شبت يا رسول الله فقال شيبتني هود والواقعة والمرسلات
وعم يتسالون واذا الشمس كورت فيا ايها القاري العاجز حظك من هذه قراتك وان تحرك القران و
تخفض به اللسان لو كنت متفكرا فيما تقراه لكنت جديرا بان تشق مرارتك فيما شاب به شعرات سيد
المرسلين صلى الله عليه وسلم واذا اقنعت بحركة اللسان فقد حرمت ثمرة القران والقيامة احد ما ذكر فيها وقد
وصف الله عز وجل بعض دواهيها لنعرف بكثرة اساميها على كثرة معانيها فليس المقصود بكثرة الاسامي تكرار الالقاب
بل الغرض تنبيه اولي الالباب فتحت كل اسم من اسما القيامة سر وفي كل نعت من نعوتها معنى فاحرص على ان تعرف معانيها
ونحن الان نجمع لك اساميها وهي يوم القيامة و يوم الحسرة و يوم الندامة و يوم المحاسبة و يوم المسالة
و يوم المسابقة و يوم المناقشة و يوم المنافسة و يوم الزلزلة و يوم الدمدمة و يوم الصاعقة
و يوم الواقعة و يوم القارعة و يوم الراجفة و يوم الرادفة و يوم الغاشية و يوم الداهية
و يوم الازفة و يوم الحاقة و يوم الطامة و يوم الصاخة و يوم التلاق و يوم الفراق
و يوم المساق و يوم القصاص و يوم التناد و يوم الحساب و يوم المآب و يوم العقاب
و يوم الفرار و يوم القرار و يوم اللقا و يوم البقا و يوم القضا و يوم الجزا
و يوم البلا و يوم البكا و يوم الحشر و يوم الوعد و يوم العرض و يوم الوزن
و يوم الحق و يوم الحكم و يوم الفصل و يوم الجمع و يوم البعث و يوم الفتح
و يوم الخزي و يوم عظيم و يوم عقيم و يوم عسير و يوم الدين و يوم اليقين
و يوم النشور و يوم المصير و يوم النفخة و يوم الصيحة و يوم الرجفة و يوم الرجة
و يوم السكرة و يوم الكرب و يوم الفزع و يوم الجزع و يوم المنتهى و يوم الماوى
و يوم الميقات و يوم الميعاد و يوم المرصاد و يوم القلق و يوم العرق و يوم الافتقار
و يوم الانكدار و يوم الانتشار و يوم الانشقاق و يوم الوقوف و يوم الخروج و يوم الخلود
و يوم الوعيد و يوم التغابن و يوم عبوس و يوم معلوم و يوم موعود و يوم مشهود
و يوم لا ريب فيه و يوم تبلى السرائر و يوم لا تجزي نفس عن نفس شيا و يوم تشخص فيه الابصار و يوم لا يغني مولى عن مولى شيا و يوم لا تملك نفس لنفس شيا

و يوم يدعون الى نار جهنم دعا و يوم يسحبون في النار و يوم تقلب وجوههم في النار و يوم لا يجزي والد عن ولده و يوم يفر المرء من اخيه
و يوم لا ينطقون و يوم لا يوذن لهم فيعتذرون و يوم لا مرد له من الله و يوم هم بارزون و يوم هم على النار يفتنون
و يوم لا ينفع مال ولا بنون و يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سو الدار و يوم ترد فيه المعاذير و تبلى فيه السرائر
و ظهرت الضماير و كشفت الاستار و خشعت الابصار و سكنت الاصوات و قل الالتفات و برزت الخفيات
و ظهرت الخطيات و سيق العباد و معهم الاشهاد و شاب الصغير و سكر الكبير و وضعت الموازين
و نشرت الدواوين و برزت الجحيم و اغلي الحميم و زفرت النار و يئس الكفار و سعرت النيران و تغيرت الالوان
و نطقت جوارح الانسان فيا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم حيث اغلقت الابواب وارخيت الستور
واستترت عن الخلائق وقارفت الفجور فماذا تفعل وقد شهدت عليك جوارحك هنا لك فالويل ثم الويل
كل الويل لنا معشر الغافلين يرسل الله الينا سيد المرسلين وينزل علينا الكتاب المبين ويخبرنا بهذه الصفات
من نعوت يوم الدين ثم يعرفنا غفلتنا ويقول اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما ياتيهم من ذكر من
ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم ثم يعرفنا قرب القيامة فيقول اقتربت الساعة وانشق
القمر انهم يرونه بعيدا ونريه قريبا وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا ثم يكون احسن احوالنا ان نتخذ
دراسة هذا القران عملا فلا نتدبر معانيه ولا ننظر في كثرة اوصاف هذا اليوم واساميه ولا نستعد
للتزود من دواهيه فنعوذ بالله من هذه الغفلة ان لم يتداركنا الله تعالى بواسع الرحمة صفة المسالة

ثم تفكر يا مسكين بعد هذه الاهوال فيما يتوجه عليك من السوال شفاها من غير ترجمان فتسال عن القليل والكثير
والنقير والقطمير فبينا انت في كرب القيامة وعرقها وشدة عظائمها اذ نزلت ملائكة من ارجا السما باجسام
عظام واشخاص ضخام غلاظ شداد امروا ان ياخذوا بنواصي المجرمين الى موقف العرض على الجبار ٥ ف
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عز وجل ملكا ما بين شفري عينيه مسيرة خمسمائة عام فما ظنك بنفسك
اذا شاهدت مثل هولا الملائكة ارسلوا اليك لياخذوك ويسوقوك الى مقام العرض على عظيم اشخاصهم
منكرين لشدة اليوم مستشعرين ما يرون من غضب الجبار على عباده وعند نزولهم لا يبقى نبي ولا صديق
ولا صالح الا ويخرون لاذقانهم خوفا ان يكونوا هم الماخوذين فهذا حال المقربين فما ظنك بالعصاة المجرمين
وعند ذلك يبادر اقوام من شدة الفزع فيقولون للملائكة افيكم ربنا وذلك لعظم موكبهم وشدة
هيبتهم فتفزع الملائكة من سوالهم اجلالا لخالقهم عن ان يكون فيهم فينادون باصواتهم منزهين
لمليكهم عما توهمه اهل الارض وقالوا سبحان ربنا ما هو فينا ولكنه ات من بعد وعند ذلك تقوم الملائكة
صفا محدقين بالخلائق من جميع الجوانب وعلى جميعهم شعار الذل والخضوع وهيئة الخوف والمهابة
لشدة ذلك اليوم وعند ذلك تصديق لقوله تعالى فلنسالن الذين ارسل اليهم ولنسالن المرسلين
فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين وقوله فوربك لنسالنهم اجمعين عما كانوا يعملون فيبدا بالانبيا صلوات
الله عليهم وهو قوله يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا فيا لشدة يوم تذهل فيه عقول
الانبيا وتمحى علومهم من شدة الهيبة اذ يقال لهم ماذا اجبتم وقد ارسلتم الى الخلائق وكانوا قد علموا فتدهش
عقولهم فلا يدرون بماذا يجيبون فيقولون من شدة الهيبة لا علم لنا انك انت علام الغيوب وهم في ذلك
الوقت صادقون اذ طارت عنهم العقول وانمحت العلوم الى ان يقويهم الله عز وجل فيدعى نوح عليه
السلام فيقال له هل بلغت فيقول نعم فيقال لامته هل بلغكم فيقولون ما اتانا من نذير ولا من بشير
ويدعى بعيسى عليه السلام فيقول له الرب تعالى انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فيبقى

ينشطر تحت هيبة هذا السؤال سيمر بالعظم يوم تقام فيه المسايلة على الانبيا فبل هذا السؤال ثم
قبل الملائكة فينادون واحدا واحدا باسمائهم من خلفهم الى موقف العرض فعند ذلك ترتعد الفرايص
وتضطرب الجوارح وتبهت العقول ويتمنى اقوام ان يذهب بهم الى النار ولا تعرض قبايح اعمالهم على الجبار ولا يكشف
استارهم على ملأ الخلق وقبل الابتدا بالسؤال يظهر نور العرش قال الله تعالى واشرقت الارض بنور ربها واين
كل عبد ايقان الجبار لمسايلة العباد وظن كل واحد منهم انه المراد دون من سواه وانه المقصود بالاخذ والسؤال
دون من عداه فيقول الجبار جل جلاله عند ذلك يا جبريل ايتني بالنار فيجيء بها جبريل عليه السلام فيقول لها
يا جهنم اجيبي خالقك ومليكك فيصادفها جبريل على غيظها وغضبها فلا يلبث بعد ندائه ان تثور وتفور
وترنو الى الخلايق وتشهق الشهيق ويسمع الخلايق تغيظها وزفيرها وتستنهض خزانها متوثبة الى
الخلايق غضبا على من عصى الله عز وجل وخالف امره فاخطر ببالك واحضر في قلبك قلوب العباد وقد
امتلات فزعا ورعبا فتساقطوا على ركبهم وولوا مدبرين يوم ترى كل امة جاثية وسقط بعضهم
على الوجه منكبين وينادي الظالمون والعصاة بالويل والثبور وينادي كل واحد من الصديقين نفسي نفسي فبينما
كذلك اذ زفرت النار الزفرة الثانية فتضاعف خوفهم وتعاد لشوامهم وظنوا انهم ماخوذين ثم زفرت الثالثة
فتساقط الخلايق لوجوههم وتخصوا الابصار ينظرون من طرف خاشع خفي وانقضت عند القلوب
الظالمين فبلغت لدى الحناجر كاظمين وذهلت العقول من السعدا والاشقيا اجمعين وبعده اي السايل اتى الله
عز وجل على الرسل وقيل ماذا اجبتم فاذا الخلايق ماذا لقيم من السياسة على الانبيا اشتد الفزع على
العصاة فتر الوالد من ولده والاخ من اخيه والزوج من زوجه وبقي كل واحد منتظر الامر ثم يوخذ واحد واحد
ويسئله الله تعالى شفاها عن قليل عمله وكثيره وعن سره وعلانيته وعن جميع جوارحه واعضائه
قال ابو هريرة قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيمة فقال هل تضارون في روية الشمس في الظهيرة ليست
في سحابة قالوا لا قال فهل تضارون في روية القمر ليلة البدر ليس في سحابة
قالوا لا قال فوالذي نفسي بيده لا تضارون في روية ربكم فيلقى العبد فيقول له الم اكرمك الم اسودك الم
ازوجك واسخر لك الخيل والابل واذرك ترأس وتربع فيقول العبد نعم فيقول اظننت انك ملاقي فيقول لا
فيقول اني انساك كما نسيتني فتوهم نفسك يا مسكين وقد اخذت الملائكة بعضديك واقف
بين يدي الله عز وجل يسالك شفاها فيقول لك الم انعم عليك بالشباب ففيما ذا ابليته الم امهل لك في
العمر ففيما ذا افنيته الم ارزقك المال فمن اين اكتسبته وفيما ذا انفقته الم اكرمك بالعلم فماذا عملت فيما
علمت فكيف ترى حياك وخجلك وهو يعد عليك انعامه ومعاصيك واياديه ومساويك فان انكرت
شهدت عليك جوارحك **قال** انس كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك ثم قال اتدرون
مما اضحك قلنا الله ورسوله اعلم قال من مخاطبة العبد ربه فيقول يا رب الم تجرني من الظلم قال فيقول
بلى قال فاني لا اجيز على نفسي الا شاهدا مني فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين عليك
شهودا قال فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا
لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل ونعوذ بالله من الافتضاح على ملأ الخلق بشهادة الاعضا الا ان الله تعالى
وعد المومنين ان يستر عليهم ولا يطلع عليهم غيره سال ابن عمر رجل فقال له كيف سمعت النجوى من
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدنو احدكم من ربه عز وجل حتى
يضع عليه كنفه فيقول عملت كذا وكذا فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم فيقول اني سترتها عليك في الدنيا

وانا اغفرها لك اليوم **وقال** رسول الله صلى الله عليه وسلم من ستر على مؤمن عورته ستر الله تعالى عورته يوم القيمة
فهذا انما يرجى لعبد مؤمن ستر على الناس عيوبهم واحتمل في حق نفسه تقصيرهم ولم يحرك لسانه بذكر مساوي
الناس ولم يذكرهم في غيبتهم بما يكرهون لو سمعوه فهذا جدير بان يجازى بمثله في القيامة وهب انه قد ستر
عن غيرك مساويك اليس قد قرع سمعك النداء الى العرض فيكفيك تلك الروعة جزاء عن ذنوبك اذ تؤخذ
بناصيتك وتقاد وفوادك مضطرب ولبك طاير وفرايصك ترتعد وجوارحك مضطربة ولونك متغير
والعالم عليك من شدة الهول مظلم فقدر نفسك وانت بهذه الصفة تتخطى الرقاب وتخرق الصفوف
وتقاد كما يقاد الفرس المجنوب وقد رفع الخلايق اليك ابصارهم فتوهم نفسك في ايدي الموكلين بك على هذه
الصفة حتى انتهى بك الى عرش الرحمن فرموك من ايديهم وناداك الله عز وجل بعظيم كلامه يا ابن ادم
ادن مني فدنوت منه بقلب خافق محزون وطرف خاشع ذليل وفواد منكسر واعطيت كتابك الذي لا يغادر
صغيرة ولا كبيرة الا احصيها فكم من فاحشة نسيتها فتذكرتها وكم من طاعة غفلت عنها فلما كشفت لك عن
مساويها فكم لك من خجل وكم لك من حصر وعجز فليت شعري باي قدم تقوم بين يديه وباي لسان تجيب وباي قلب
تعقل ما تقول ثم تفكر في عتابك اذا ذكرك ذنوبك شفاها اذ يقول يا عبدي اما استحييت مني بارزتني بالقبيح
واستحييت من خلقي واظهرت لهم الجميل اكنت اهون عليك من عبادي استخففت بنظري اليك فلم تكترث و
استعظمت نظر غيري اليك الم انعم اليك فما ذا غرك بي اظننت اني لا اراك وانك لا تلقاني **قال**
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وسياله رب العالمين ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان **وقال** صلى
الله عليه وسلم ليقفن احدكم بين يدي الله تعالى ليس بينه وبينه حجاب فيقول الم انعم عليك مالا فيقول بلى فيقول الم
ارسل اليك رسولا فيقول بلى ثم ينظر عن يمينه فلا يرى الا النار وينظر عن شماله فلا يرى الا النار فليتق احدكم النار
ولو بشق تمرة فان لم يجد فبكلمة طيبة **وقال** ابن مسعود ما منكم من احد الا سيخلو الله عز وجل به كما يخلو احدكم
بالقمر ليلة البدر فيقول يا ابن ادم ما غرك بي يا ابن ادم ما عملت فيما علمت يا ابن ادم ماذا اجبت المرسلين يا ابن ادم الم
اكن رقيبا على عينيك وانت تنظر بهما الى ما لا يحل لك الم اكن رقيبا على اذنيك وهكذا حتى سائر الاعمال **وقال**
ابن مجاهد لا تزول قدما عبد يوم القيمة من بين يدي الله عز وجل حتى يسئله عن اربع خصال عن عمره فيما افناه و
عن ما عمل فيه وعن جسده فيما ابلاه وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه فاعظم يا مسكين بحيايك عند
ذلك وعظم [illegible] وانت انما يقال للنعمة سترتها في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم في الاخرة فعند ذلك يعظم سرور
[illegible] ويغبطك الاولون والاخرون واما ان يقال للملائكة خذوا هذا العبد السو فغلوه ثم الجحيم صلوه فعند
ذلك لو بكت عليك السموات والارض لكان جديرا بعظم مصيبتك وشدة حزنك على ما فرطت في جنب طاعة
الله عز وجل وعلى ما بعت به آخرتك من دنيا دنية **ذكر صفة الميزان** ثم لا تغفل عن التفكر في
الميزان وتطاير الكتب الى الشمايل والايمان فان الناس بعد السوال ثلاث فرق فرقة ليس لهم حسنة فيخرج من
النار عنق اسود فيلتقطهم لقط الطير الحب فينطوي عليهم ويلقيهم في النار وينادي عليهم
شقاوة لا سعادة بعدها وقسم لا سيئة لهم فينادي مناد ليقم الحمادون لله على كل حال فيقومون ويسرحون
الى الجنة ثم يفعل ذلك باهل قيام الليل ثم بمن لم تشغله تجارة الدنيا ولا بيعها عن ذكر الله تعالى وينادي عليهم
سعادة لا شقاوة بعدها ويبقى قسم ثالث وهم الاكثرون خلطوا عملا صالحا واخر سيئا وقد يخفى عليهم ولا يخفى على
الله تعالى ان الغالب حسناتهم او سيئاتهم ولكن يابى الله الا ان يعرفهم ذلك ليبين فضله عند
العفو وعدله عند العقاب فتتطاير الصحف والكتب منطوية على الحسنات والسيئات ويتضب

الميزان وتشخص الابصار الى الكتب اتقع في اليمين او في الشمال ثم الى جانب لسان الميزان ايميل الى جانب الحسنات او السيئات وهذه حالة هايلة تطيش منها عقول الخلايق **روي** الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان راسه في حجر عايشة رضي الله عنها فنعس فذكرت الاخرة فبكت حتى سالت دموعها على خد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتبه فقال ما يبكيك يا عايشة قالت ذكرت الاخرة هل تذكرون اهليكم يوم القيمة قال والذي نفسي بيده في ثلاثة مواطن فان احدا لا يذكر الا نفسه اذا وضعت الموازين ووزنت الاعمال حتى ينظر ابن ادم ايخف ميزانه ام يثقل وعند الصحف حتى ينظر ابيمينه ياخذها ام بشماله وعند الصراط **وعن انس** رضي الله عنه قال يوتى بابن ادم يوم القيمة حتى يوقف بين كفتي الميزان ويوكل به ملك فان ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلايق سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها ابدا وان خف ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلايق شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها ابدا وعند خفة الحسنات اقبلت الزبانية وبايديهم مقامع من حديد وعليهم ثياب من نار فياخذون نصيب النار الى النار **قال** رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم القيمة نادى الله عز وجل نبيه ادم عليه السلام فيقول قم يا ادم فابعث بعث النار فيقول وكم بعث النار فيقول من كل الف تسعماية وتسعة وتسعون في النار وواحد في الجنة فلما سمع الصحابة بذلك اشتد عليهم حتى ما اوضحوا بضاحكة فلما راى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك منهم قال اعملوا وابشروا فوالذي نفس محمد بيده ان معكم لخليقتين ما كانتا مع احد الا كثرتاه من هالك بني ادم وبني ابليس قالوا وما هما يا رسول الله قال ياجوج وماجوج قال فسري عن القوم فقال اعملوا وابشروا فوالذي نفس محمد بيده ما انتم في الناس يوم القيمة الا كالشامة في جنب البعير او كالرقمة في ذراع الدابة

صفة الخصماء ورد المظالم فقد عرفت هول الميزان وخطره وان الاعين شاخصة الى لسان الميزان فمن ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية ومن خفت موازينه فامه هاوية وما ادراك ما هيه نار حامية واعلم انه لا ينجو من خطر الحساب والميزان الا من حاسب في الدنيا نفسه ووزن فيها بميزان الشرع اعماله واقواله وخطراته ولحظاته كما **قال** عمر رضي الله عنه حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا وانما حسابه لنفسه ان يتوب عن كل معصية قبل الموت توبة نصوحا ويتدارك ما فرط من تقصيره في فرايض الله عز وجل ويرد المظالم حبة بعد حبة ويستحل كل من تعرض له بلسانه ويده وسوء ظنه ويطيب قلوبهم حتى يموت ولم يبق عليه فريضة ولا مظلمة فهذا يدخل الجنة بغير حساب ان شاء الله تعالى وان مات قبل رد المظالم احاط به خصماؤه فهذا ياخذ بيده وهذا يقبض على ناصيته وهذا يتعلق بلببه وهذا يقول ظلمتني وهذا يقول شتمتني وهذا يقول استهزات بي وهذا يقول ذكرتني في الغيبة بما يسوءني وهذا يقول جاورتني فاسات جواري وهذا يقول عاملتني فغششتني وهذا يقول بايعتني فغبنتني واخفيت عني عيب سلعتك وهذا يقول كذبت في سعر متاعك وهذا يقول رايتني محتاجا وكنت غنيا فما اطعمتني وهذا يقول وجدتني مظلوما فما نصرتني وكنت قادرا على دفع الظلم فداهنت الظالم وما راعيتني فبينا انت كذلك وقد انشب الخصماء فيك مخالبهم واحكموا في تلابيبك ايديهم وانت مبهوت متحير من كثرتهم حتى لم يبق في عمرك احد عاملته على درهم او جالسته في مجلس الا وقد استحق عليك مظلمة بغيبة او خيانة او نظر بعين استحقار وقد ضعفت عن مقاومتهم ومددت عنق الرجاء الى سيدك ومولاك لعله يخلصك من ايديهم اذ قرع سمعك نداء الجبار جل جلاله اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم الا تعتقد ذلك فيتخلع قلبك من الهيبة وتوقن نفسك بالبوار وتتذكر ما انذرك به على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم حيث قال ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يوخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعي رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء فما اشد فرحك اليوم بتمضمضك باعراض الناس وتناولك اموالهم وما اشد حسراتك في ذلك اليوم اذا وقف بك على بساط العدل وشوفهت بخطاب السياسة وانت مفلس فقير عاجز مهين لا تقدر على ان ترد حقا او تظهر عذرا فعند ذلك توخذ حسناتك التي انفقت فيها عمرك وتنقل الى خصمائك عوضا عن حقوقهم **وقال** ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون من المفلس قلنا المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع فقال المفلس من امتي من ياتي يوم القيمة بصيام وصلاة وزكاة وياتي وقد شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضى ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار فانظر الى مصيبتك في مثل هذا اليوم اذ ليس تسلم لك حسنة من افات الريا ومكايد الشيطان فان سلمت واحدة في كل مدة طويلة ابتدرها خصماؤك واخذوها ولعلك لو حاسبت نفسك وانت مواظب على صيام النهار وقيام الليل لعلمت انه لا ينقضي عليك يوم الا ويجري على لسانك من غيبة المسلمين ما يستوفي جميع حسناتك فكيف ببقية السيئات من اكل الحرام والشبهات والتقصير في الطاعات وكيف ترجو الخلاص من المظالم في يوم يقتص فيه للجماء من القرناء **وروي** ابو ذر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى شاتين تنتطحان فقال يا ابا ذر اتدري فيما ينتطحان قلت لا قال ولكن ربك يدري وسيقضي بينهما يوم القيمة **وقال** ابو هريرة رضي الله عنه في قوله عز وجل وما من دابة في الارض ولا طاير يطير بجناحيه الا امم امثالكم انه يحشر الخلق كلهم يوم القيمة البهايم والدواب والطير وكل شي فيبلغ من عدل الله عز وجل ان ياخذ للجماء من القرناء ثم يقول كوني ترابا فذلك حين يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا فكيف انت يا مسكين في يوم ترى صحيفتك خالية عن حسنات طال فيها تعبك فتقول اين حسناتي فيقال نقلت الى صحايف خصمائك وترى صحيفتك مشحونة بسيئات طال في الصبر عنها نصبك واشتد بسبب الكف عنها عناؤك فتقول يا رب هذه سيئات ما قارفتها قط فيقال هذه سيئات الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم في المعاملة والمبايعة والمجاورة والمخاطبة والمناظرة والمذاكرة وساير اصناف المعاملة **وقال** ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قد يئس ان تعبد الاصنام بارض العرب ولكن سيرضى منكم بما هو دون ذلك بالمحقرات وهي الموبقات فاتقوا الظلم ما استطعتم فان العبد ليجي يوم القيمة بامثال الجبال من الطاعات فيرى انهن سينجينه فما يزال عبد يجي فيقول يا رب ان فلانا ظلمني بمظلمة فيقول امح من حسناته فما يزال كذلك حتى لا يبقى من حسناته شي وان مثل ذلك مثل سفر نزلوا بفلاة من الارض ليس معهم حطب فتفرق القوم فحطبوا فلم يلبثوا ان اعظموا نارهم وصنعوا ما ارادوا وكذلك الذنوب ولما نزل قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون قال الزبير يا رسول الله ايكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب قال نعم ليكررن عليكم حتى تودوا الى كل ذي حق حقه **قال** الزبير والله ان الامر لشديد فاعظم بشدة يوم لا يسامح فيه بخطوة ولا يتجاوز عنه عن لطمة ولا عن كلمة حتى ينتقم للمظلوم من الظالم **قال** انس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله عز وجل العباد عراة حفاة غرلا بهما قلنا يا رسول الله ما بهما قال ليس معهم شي ثم يناديهم ربهم

بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب انا الملك انا الديان لا ينبغي لاحد من اهل الجنة ان يدخل الجنة ولاحد
من اهل النار عنده مظلمة ولا لاحد من اهل النار ان يدخل النار ولاحد من اهل الجنة عنده مظلمة حتى
اقصه منه حتى اللطمة قلنا وكيف ذلك وانما نأتي الله عز وجل عراة غرلا بهما فقال بالحسنات والسيئات
فاتقوا عباد الله مظالم العباد باخذ اموالهم والتعرض لاعراضهم وتضييق قلوبهم واساءة الخلق في
معاشرتهم فان ما بين العبد وبين الله عز وجل خاصة فالمغفرة اليه اسرع ومن اجتمعت عليه مظالم العباد وقد
تاب عنها وعسر عليه استحلال اربابها فليكثر من حسناته ليوم القصاص وليسر ببعض الحسنات بينه وبين
الله عز وجل بكمال الاخلاص بحيث لا يطلع عليه الا الله عز وجل فعسى ان يقربه ذلك الى الله عز وجل فينال به
لطفه الذي ادخره لاحبابه المؤمنين في دفع مظالم العباد عنهم كما روي عن انس رضي الله عنه قال بينما
رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اذ رايناه يضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر ما يضحكك يا رسول الله بابي
انت وامي قال رجلان جثيا من امتي بين يدي رب العزة فقال احدهما يا رب خذ لي مظلمتي من اخي فقال الله
عز وجل اعط اخاك مظلمته فيقول يا رب لم يبق من حسناتي شيء فقال الله عز وجل للطالب كيف تصنع باخيك
ولم يبق من حسناته شيء فقال يا رب فليحمل عني من اوزاري قال وفاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكا
ثم قال ان ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس الى ان يحمل عنهم من اوزارهم قال فقال الله عز وجل للطالب ارفع
راسك فانظر في الجنان فرفع راسه فقال يا رب ارى مداين من فضة مرتفعة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ
لاي نبي هذا او لاي صديق او لاي شهيد هذا قال لمن اعطى الثمن قال يا رب ومن يملك الثمن قال
انت تملكه قال ماذا قال عفوك عن اخيك قال يا رب قد عفوت عنه قال الله عز وجل خذ بيد اخيك
فادخله الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فان الله تعالى يصلح بين المؤمنين وهذا تنبيه على ان ذلك انما ينال بالتخلق باخلاق الله سبحانه
وهو اصلاح ذات البين وسائر الاخلاق المحمودة فتفكر الان في نفسك ان خلت صحيفتك عن المظالم او تلطف
الله عز وجل لك حتى عفا عنك وايقنت بسعادة الابد كيف يكون سرورك في منصرفك من مفصل القضاء وقد خلع
عليك خلعة الرضا وسعدت بسعادة ليس بعدها شقاء وبنعيم لا يدور بحواشيه الفناء وعند ذلك طار قلبك
سرورا وفرحا وابيض وجهك واستنار واشرق كما يشرق القمر ليلة البدر فتوهم تبخترك بين الخلائق رافعا راسك
خاليا عن الاوزار ظهرك ونضرة نسيم النعيم وبرد الرضا يتلالا من جبينك وخلق من الاولين والاخرين ينظرون
اليك والى حالك ويغبطونك على حسنك وجمالك والملائكة يمشون بين يديك ومن خلفك وينادون على
رؤس الاشهاد هذا فلان بن فلان رضي الله عنه وارضاه وقد سعد سعادة لا يشقى بعدها ابدا افترى ان هذا
المنصب ليس اعظم من المكانة التي تنالها في قلوب الخلق في الدنيا بريائك ومداهنتك وتصنعك وتزينك
فان كنت تعلم انه خير منه بل لا نسبة له اليه فتوسل الى ادراك هذه الرتبة بالاخلاص الصافي والنية الصادقة
في معاملتك مع الله عز وجل فلن تدرك ذلك الا به وان تكن الاخرى والعياذ بالله وخرج من صحيفتك جريمة
كنت تحسبها هينة وهي عند الله عظيمة فمقتك لاجلها فقال عليك لعنتي يا عبد السوء لا اتقبل منك
عبادتك فلا تسمع هذا النداء الا ويسود وجهك ثم تغضب الملائكة لغضب الله عز وجل فيقولون وعليك
لعنتنا ولعنة الخلائق اجمعين وعند ذلك تتسارع اليك الزبانية وقد غضبت لغضب خالقها فاقدمت
عليك بفظاظتها وزعارتها وصورها المنكرة فاخذوا بناصيتك يسحبونك على وجهك على ملا من الخلق
وهم ينظرون الى سواد وجهك والى ظهور خزيك وانت تنادي بالويل والثبور وهم يقولون لك لا تدعوا
اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا وتنادي الملائكة ويقولون هذا فلان كشف الله تعالى عن فضائحه

ومخازيه ولعنه بقبائح مساويه فشقي شقاوة لا يسعد بعدها ابدا وربما يكون ذلك بذنب واحد
اذنبته خيفة من عباد الله او طلبا للمكانة في قلوبهم او خوفا من الافتضاح عندهم فما اعظم جهلك
اذ تحترز من الافتضاح عند طائفة يسيرة من عباد الله في الدنيا المنقرضة ثم لا تخشى من
الافتضاح العظيم في ذلك الملا العظيم مع التعرض لسخط الله عز وجل وعقابه الاليم والسياق
بايدي الزبانية الى سواء الجحيم فهذه احوالك وانت بعد لم تشعر بالخطر الاعظم وهو خطر الصراط

صفة الصراط

ثم تفكر بعد هذه الاهوال في قول الله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا
ونسوق المجرمين الى جهنم وردا وفي قوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسئولون والناس
بعد هذه الاهوال يساقون الى الصراط وهو جسر ممدود على متن النار احد من السيف وادق من الشعر
فمن استقام في هذا العالم على الصراط المستقيم خف على صراط الاخرة ونجا ومن عدل عن الاستقامة في الدنيا
واثقل الظهر بالاوزار وعصى تعثر على اول قدم من الصراط وتردى فتفكر الان فيما يحل بك من الفزع بفؤادك
اذا رايت الصراط ودقته ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته ثم قرع سمعك شهيق النار وتغيظها
وقد كلفت ان تمشي على الصراط مع ضعف حالك واضطراب قلبك وتزلزل قدمك وثقل ظهرك
بالاوزار المانعة لك عن المشي على بساط الارض فضلا عن حدة الصراط فكيف بك اذا وضعت عليه
احدى رجليك فاحسست بحدته واضطررت الى ان ترفع القدم الثانية والخلائق بين يديك
يزلون ويتعثرون وتتناولهم زبانية النار بالخطاطيف والكلاليب وانت تنظر اليهم كيف ينكسون
فتتسفل الى جهة النار رؤسهم وتعلو ارجلهم فيا له من منظر ما افظعه ومرتقى ما اصعبه
فانظر الى حالك وانت تزحف عليه وتصعد اليه وانت مثقل الظهر باوزارك تلتفت يمينا و
شمالا الى الخلق وهم يتهافتون والرسول عليه السلام يقول يا رب سلم سلم والزعقات بالويل
والثبور قد ارتفعت اليك من قعر جهنم لكثرة من زل عن الصراط من الخلائق فكيف بك لو زلت
قدمك ولم ينفعك ندمك وقلت يا ويلاه هذا ما كنت اخافه فيا ليتني قدمت لحياتي يا ليتني
اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يا ليتني كنت ترابا يا ليتني لم تلدني امي وعند
ذلك تختطفك النيران والعياذ بالله وينادي المنادي اخسئوا فيها ولا تكلمون فلا يبقى سبيل الى
الصياح والانين والتنفس والاستغاثة فكيف ترى الان عقلك وهذه الاخطار بين يديك فان
كنت غير مؤمن بها فما اطول مقامك مع الكفار في دركات جهنم وان كنت بها مؤمنا وعنها غافلا
وبها مستهينا اذ لها مستهينا فما اعظم خسرانك وطغيانك وماذا ينفعك ايمانك اذ لم يبعثك
الى السعي في طلب رضا الله عز وجل بطاعته وماذا ينفعك ايمانك اذ لم يبعثك الى السعي في طلب رضى الله
تعالى بطاعته وترك معاصيه فلو لم يكن بين يديك الا هول الصراط وارتياع قلبك من خطر
الجواز فان سلمت فناهيك به هولا وفزعا ورعبا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يضرب الصراط بين
ظهري جهنم فاكون اول من يجيز بامتي من الرسل ولا يتكلم يومئذ الا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم
سلم اللهم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان غير انه لا يعلم قدر عظمها الا الله عز وجل تختطف
الناس باعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو وقال ابو سعيد
الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب وخطاطيف
تختطف الناس يمينا وشمالا وعلى جنبتيه ملائكة يقولون اللهم سلم سلم فمن الناس من يمر عليه

واهواله
في النار
يا ليتني كنت نسيا منسيا
جهلك

مثل البرق الخاطف ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالفرس الجري ومنهم من يسعى سعيا ومنهم من
يمشي مشيا ومنهم من يحبو حبوا ومنهم من يزحف زحفا فاما اهل النار الذين هم اهلها فلا يموتون
ولا يحيون واما ناس يؤخذون بذنوب وخطايا فيحترقون فيكونون فحما ثم يؤذن في الشفاعة الحديث
ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجمع الله الاولين والآخرين لميقات يوم معلوم قياما اربعين سنة شاخصة
ابصارهم الى السماء ينتظرون فصل القضاء وذكر الحديث الى ذكر سجود المؤمنين قال ثم يقول ارفعوا رؤسكم فيرفعون
رؤسهم فيعطيهم نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين يديه ومنهم
من يعطى نورا اصغر من ذلك ومنهم من يعطى نورا مثل النخلة بيمينه ومنهم من يعطى اصغر من ذلك
حتى يكون آخرهم يعطى نوره على ابهام قدميه فيضيء مرة ويطفأ اخرى فاذا اضاء قدم قدمه ومشى واذا طفئ قام ثم
ذكر مرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم
من يمر كانقضاض الكوكب ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كشد الفرس ومنهم من يمر كشد الرجل حتى يمر
الذي اعطي نوره على ابهام قدميه يحبو على وجهه ويديه ورجليه ويعلق يدا ويحط رجلا ويعلق رجلا
وتصيب جوانبه النار قال فلا يزال كذلك حتى يخلص فاذا خلص وقف عليها ثم قال الحمد لله الذي
اعطاني ما لم يعط احدا اذ نجاني منها بعد اذ رأيتها فينطلق به الى غدير عند باب الجنة فيغتسل وقال
انس بن مالك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الصراط كحد السيف او كحد الشعر وان الملائكة
ينجون المؤمنين والمؤمنات وان جبريل عليه السلام لآخذ بحجزتي واني لاقول يا رب سلم سلم فالزالون والزالات
يومئذ كثير فهذه اهوال الصراط وعظائمه فطول فكرك فيه فان اسلم الناس يوم القيمة من طال فكره فيها
في الدنيا فان الله تعالى لا يجمع على عبد خوفين فمن خاف هذه الاهوال في الدنيا امنها في الآخرة ولست اعني
بالخوف رقة كرقة النساء تدمع عينك ويرق قلبك في حال السماع ثم تنساه على القرب وتعود الى لهوك
ولعبك فما ذلك من الخوف في شيء بل من خاف من شيء هرب منه ومن رجا شيئا طلبه فلا ينجيك الا خوف
يمنعك عن معاصي الله ويحثك على طاعة الله وابعد من رقة النساء خوف الحمقى اذا سمعوا الاهوال سبق الى السنتهم
الاستعاذة فقالوا استعنا بالله نعوذ بالله اللهم سلم سلم وهم مع ذلك مصرون على المعاصي التي هي سبب هلاكهم
فالشيطان يضحك من استعاذتهم كما يضحك على من يقصده سبع ضار في صحراء ووراءه حصن فاذا رأى انياب السبع
وصولته من بعد قال بلسانه اعوذ بهذا الحصن الحصين واستعين بشدة بنيانه واحكام اركانه فيقول ذلك
بلسانه وهو قاعد في مكانه فاني يغني ذلك عنه من السبع وكذلك اهوال القيامة ليس لها حصن الا قول لا اله
الا الله صادقا ومعنى صدقها الا يكون له مقصود سوى الله تعالى ولا معبود سواه ومن اتخذ الهه هواه فهو بعيد
من الصدق في توحيده وامره مخطر في نفسه فان عجزت عن ذلك كله فكن محبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حريصا على
تعظيم سنته متشوقا الى مراعاة قلوب الصالحين من امته ومتبركا بادعيتهم فعساك تنال من
شفاعته او شفاعتهم شيئا فتنجو بالشفاعة ان كنت قليل البضاعة

صفة الشفاعة

اعلم انه اذا حقت
النار على طوائف من المؤمنين فان الله تعالى بفضله يقبل فيهم شفاعة الانبياء والصديقين بل شفاعة
العلماء والصالحين وكل من له عند الله تعالى جاه وحسن معاملة فان له شفاعة في اهله
وقرابته واصدقائه ومعارفه فكن حريصا على ان تكتسب لنفسك عندهم رتبة الشفاعة وذلك بان لا تحقر آدميا اصلا
فان الله تعالى خبأ ولايته في عباده فلعل الذي تزدريه عينك هو ولي الله ولا تستصغر معصية اصلا فان
الله خبأ غضبه وسخطه في معاصيه فلعل مقت الله فيها ولا تستحقر طاعة اصلا فان الله خبأ رضاه في طاعته

فلعل رضى الله فيها ولو الكلمة الطيبة او اللقمة او النية الحسنة او ما يجري مجراها وشواهد الشفاعة في
القرآن والاخبار كثيرة قال الله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وقال عمرو بن العاص ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم تلا قول ابراهيم عليه السلام رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني
فانك غفور رحيم وقول عيسى عليه السلام ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم
ثم رفع يديه وقال امتي امتي ثم بكى فقال الله تعالى يا جبريل اذهب الى محمد فسله ما يبكيك فاتاه فسأله
فاخبره والله اعلم به فقال يا جبريل اذهب الى محمد وقل له انا سنرضيك في امتك ولا نسوءك فيهم وقال
صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي
وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل واعطيت الشفاعة وكل نبي بعث الى
امته خاصة وبعثت الى الناس كافة وقال صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة كنت امام النبيين وخطيبهم
وصاحب شفاعتهم من غير فخر وقال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر وانا اول من تنشق عنه
الارض وانا اول شفيع ومشفع بيدي لواء الحمد تحته آدم فمن دونه وقال صلى الله عليه وسلم لكل نبي دعوة واني اريد ان
اختبئ دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم للانبياء منابر من ذهب يجلسون
عليها ويبقى منبري لا اجلس عليه قائما بين يدي ربي منتصبا مخافة ان يبعث بي الى الجنة ويبقى امتي بعدي
فاقول يا رب امتي فيقول الله تعالى يا محمد وما تريد ان اصنع بامتك فاقول يا رب عجل حسابهم فما ازال اشفع حتى
اعطى صكاكا برجال قد بعث بهم الى النار وحكي ان مالكا خازن النار يقول يا محمد ما تركت النار لغضب ربك في
امتك من بقية وقال صلى الله عليه وسلم اني لاشفع يوم القيمة لاكثر مما على وجه الارض من حجر ومدر وقال
ابو هريرة اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع اليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة ثم قال انا سيد
الناس يوم القيمة وهل تدرون لم ذلك يجمع الله الاولين والآخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم
البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس بعضهم لبعض
الا ترون ما قد بلغكم عليكم بآدم عليه السلام فيأتون آدم فيقولون له انت ابو البشر خلقك الله تعالى بيده ونفخ
فيك من روحه وامر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه الا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم
آدم ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وانه قد نهاني عن الشجرة فعصيت نفسي
نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح فيأتون نوحا فيقولون يا نوح انت اول الرسل الى اهل الارض وقد سماك الله
عبدا شكورا اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب
بعده مثله وانه كانت لي دعوة دعوت بها على قومي نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابراهيم خليل الرحمن فيأتون
ابراهيم عليه السلام فيقولون انت نبي الله وخليله من اهل الارض اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول لهم
ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله واني كنت كذبت ثلاث كذبات ويذكرها نفسي
نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى موسى فيأتون موسى عليه السلام فيقولون يا موسى انت رسول الله فضلك الله برسالته
وبكلامه على الناس اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن
يغضب بعده مثله واني قد قتلت نفسا لم اؤمر بقتلها نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى عيسى فيأتون عيسى
عليه السلام فيقولون يا عيسى انت رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد اشفع
لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول عيسى ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله
ولم يذكر ذنبا نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى محمد صلى الله عليه وسلم فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيقولون

يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما
نحن فيه فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجدا لربي ثم يفتح الله من محامده وحسن الثناء عليه لم يفتحه على أحد قبلي
ثم يقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول أمتي أمتي يا رب فيقول يا محمد أدخل من
أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ثم قال والذي نفسي
بيده إن بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى وفي حديث آخر هذا السياق مع ذكر
خطايا إبراهيم وهو قوله في الكوكب هذا ربي وقوله لآلهتهم بل فعله كبيرهم هذا وقوله إني سقيم فهذه شفاعة رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولآحاد أمته من العلماء والصالحين شفاعة أيضا حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل
الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من ربيعة ومضر وقال صلى الله عليه وسلم يقال للرجل قم يا فلان فاشفع فيقوم
الرجل فيشفع للقبيلة ولأهل البيت وللرجل والرجلين على قدر عمله وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إن رجلا من أهل الجنة ليشرف يوم القيامة على أهل النار فيناديه رجل من أهل النار فيقول له يا فلان هل تعرفني فيقول لا والله
ما أعرفك من أنت فيقول أنا الذي مررت بي في الدنيا فاستسقيتني شربة ماء فسقيتك قال قد عرفت قال فاشفع
لي بها عند ربك فيسأل الله تعالى فيقول إني أشرفت على أهل النار فناداني رجل من أهلها فقال لي هل تعرفني فقلت
لا من أنت فقال أنا الذي استسقيتني في الدنيا فسقيتك فاشفع لي بها فشفعني فيه فيشفعه الله تعالى فيه فيؤمر به
فيخرج من النار وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا
وفدوا وأنا مبشرهم إذا أيسوا لواء الحمد يومئذ بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري وقال ابن عباس جلس ناس
من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه فخرج حتى إذا دنا منهم فسمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال
بعضهم لبعض عجبا إن الله عز وجل اتخذ من خلقه خليلا اتخذ إبراهيم خليلا وقال آخر ماذا بأعجب من كلام الله تعالى موسى كلمه
تكليما وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه وقال آخر وآدم اصطفاه الله فخرج عليهم وسلم وقال قد سمعت كلامكم وتعجبكم
إن إبراهيم خليل الله وهو كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك وعيسى روح الله وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك
ألا وأنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر وأنا أول
من يحرك حلق الجنة فيفتح لي فأدخلها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر

صفة الحوض

اعلم أن الحوض مكرمة عظيمة خص الله تعالى بها نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم وقد اشتملت الأخبار على وصفه ونحن نرجو أن
يرزقنا الله تعالى في الدنيا علمه وفي الآخرة ذوقه فإن من صفاته أن من شرب منه لم يظمأ أبدا قال أنس أغفى رسول الله
صلى الله عليه وسلم إغفاءة فرفع رأسه متبسما فقالوا يا رسول الله لم ضحكت فقال آية أنزلت علي آنفا وقرأ بسم الله الرحمن الرحيم
إنا أعطيناك الكوثر حتى ختمها ثم قال هل تدرون ما الكوثر قالوا الله ورسوله أعلم قال إنه نهر وعدنيه ربي تعالى في الجنة
عليه خير كثير عليه حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد الكواكب وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بينا أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف قلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي أعطاك ربك
فضرب الملك بيده فإذا طينه مسك أذفر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين لابتي حوضي مثل ما بين صنعاء والمدينة
أو مثل ما بين المدينة وعمان وروى ابن عمر أنه لما نزل قوله تعالى إنا أعطيناك الكوثر قال النبي صلى الله عليه وسلم هو نهر في
الجنة حافتاه من ذهب ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأطيب ريحا من المسك يجري على جنادل اللؤلؤ والمرجان
وقال ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن حوضي ما بين عدن إلى عمان
البلقاء ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل أكوابه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا أول

الناس ورودا عليه فقراء المهاجرين فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومن هم يا رسول الله قال هم الشعث رؤوسا
الدنس ثيابا الذين لا ينكحون المتنعمات ولا تفتح لهم أبواب السدد فقال عمر بن عبد العزيز والله لقد نكحت
المتنعمات فاطمة بنت عبد الملك وفتحت لي أبواب السدد إلا أن يرحمني الله لا جرم لا أدهن رأسي حتى يشعث ولا
أغسل ثوبي الذي على جسدي حتى يتسخ وقال أبو ذر قلت يا رسول الله ما آنية الحوض قال والذي نفسي بيده
لآنيته أكثر من نجوم السماء وكواكبها في الليلة المظلمة المصحية من شرب منه لم يظمأ آخر ما عليه يشخب فيه
ميزابان من الجنة عرضه مثل طوله ما بين عمان وأيلة ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وعن سمرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لكل نبي حوضا وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة وإني لأرجو أن أكون أكثرهم
واردة فهذا رجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فليرج كل عبد أن يكون في جملة الواردين وليحذر أن لا يكون في جملة المردودين
وليحذر أن يكون متمنيا ومغترا وهو يظن أنه راج فإن الراجي للحصاد من بث البذر ونقى الأرض وسقاها ثم جلس
يرجو فضل الله تعالى بالإنبات ودفع الصواعق إلى وقت الحصاد فأما من ترك الحراثة والزراعة وتنقية الأرض
وسقيها وأخذ يرجو من فضل الله تعالى أن ينبت له الحب والفاكهة فهذا مغتر ومتمن وليس من الراجين في شيء
وهكذا رجاء أكثر الخلق وهو غرور الحمقى نعوذ بالله من الغرور والغفلة فإن الاغترار بالله أعظم من الاغترار بالدنيا
قال الله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور

القول في صفة جهنم وأهوالها وأنكالها

أيها الغافل عن نفسه المغرور بما هو فيه من شواغل هذه الدنيا المشرفة على الانقضاء دع التفكر فيما أنت
مرتحل عنه واصرف الفكر إلى موردك فإنك أخبرت أن النار مورد للجميع إذ قال تعالى وإن منكم إلا واردها كان
على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا فأنت من الورود على يقين ومن النجاة على شك فاستشعر في قلبك هول
ذلك المورد وأهوال جهنم فعساك تستعد للنجاة بالتشمير لعملك وتأمل في أحوال الخلائق وقد قاسوا من دواهي
القيامة ما قاسوا فبينما هم في كربها وأهوالها واقفين ينتظرون حقيقة أنبائها وتشفيع شفعائها إذ أحاطت بالمجرمين
ظلمات ذات شعب وأظلت عليهم نار ذات لهب وسمعوا لها زفيرا وجرجرة تفصح عن شدة الغيظ والغضب
فأيقن المجرمون عند ذلك بالعطب وجثت الأمم على الركب حتى أشفق البرآء من سوء المنقلب وخرج المنادي من الزبانية
قائلا أين فلان بن فلان المسوف نفسه في الدنيا بطول الأمل المضيع عمره في سوء العمل فيبادرونه بمقامع من حديد و
يستقبلونه بعظائم التهديد ويسوقونه إلى العذاب الشديد وينكسونه في قعر الجحيم ويقولون له ذق
إنك أنت العزيز الكريم فأسكنوه دارا ضيقة الأرجاء مظلمة المسالك مبهمة المهالك يخلد فيها الأسير ويوقد
فيها السعير شرابهم فيها الحميم ومستقرهم الجحيم الزبانية تقمعهم والهاوية تجمعهم أمانيهم فيها الهلاك
وما لهم منها فكاك قد شدت أقدامهم إلى النواصي واسودت وجوههم من ظلمة المعاصي ينادون من أكنافها
ويصيحون في أطرافها يا مالك قد حق علينا الوعيد يا مالك قد أثقلنا الحديد يا مالك قد نضجت منا الجلود يا مالك
أخرجنا منها فإنا لا نعود فتقول الزبانية هيهات لات حين أمان ولا خروج لكم من دار الهوان فاخسئوا فيها ولا تكلمون
ولو أخرجتم منها لكنتم إلى ما نهيتم عنه عائدون فعند ذلك يقنطون وعلى ما فرطوا في جنب الله يتأسفون فلا
ينجيهم الندم ولا يغنيهم الأسف بل يكبون على وجوههم مغلولين النار من فوقهم والنار من تحتهم
والنار عن أيمانهم والنار عن شمائلهم فهم غرقى في النار طعامهم نار وشرابهم نار ولباسهم نار ومهادهم نار
فهم بين مقطعات النيران وسرابيل القطران وضرب المقامع وثقل السلاسل فهم يتجلجلون في مضايقها
ويتحطمون في دركاتها ويضطربون بين غواشيها تغلي بهم النار كغلي القدور ويهتفون بالويل والعويل ومهما
دعوا بالثبور صب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود وتهشم بالمقامع جباههم فيتفجر الصديد من

من افواههم وتتقطع من العطش اكبادهم وتسيل على الخدود احداقهم وتسقط من الوجنات لحومها ويتمعط من
الاطراف شعورها بل جلودها وكلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها وتعرت من اللحم عظامهم فتبقى الارواح
منوطة بالعروق وعلائق العصب وهي تنش في لهب تلك النيران وهم مع ذلك يتمنون الموت فلا يموتون فكيف بك
لو نظرت اليهم وقد اسودت وجوههم اشد سوادا من الحممة واعميت ابصارهم وابكمت السنتهم وقصمت
ظهورهم وكسرت عظامهم وجدعت اذانهم ومزقت جلودهم وغلت ايديهم الى اعناقهم وجمع بين نواصيهم
واقدامهم وهم يمشون في النار بوجوههم ويطؤن حسك الحديد باحداقهم فلهيب النار سار في بواطن
احداقهم وحيات الهاوية وعقاربها متشبثة بظواهر اعضائهم هذه احوالهم فانظر الان في تفصيل اهوالهم وتفكر
ايضا في اودية جهنم وشعابها فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان في جهنم سبعين الف واد في كل واد سبعون
الف شعب في كل شعب سبعون الف ثعبان وسبعون الف عقرب لا ينتهي الكافر والمنافق حتى يواقع ذلك كله
وقال علي رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله من جب الحزن او وادي الحزن قيل يا رسول الله
وما جب الحزن او وادي الحزن قال واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة اعده الله تعالى للقراء
المرائين فهذه سعة جهنم وشعابها واوديتها وهي بحسب اودية الدنيا وشهواتها وعدد ابوابها بعدد الاعضاء
السبعة التي بها يعصي العبد بعضها فوق بعض الاعلى جهنم ثم سقر ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم الجحيم
ثم الهاوية فانظر الان في عمق الهاوية فانه لا حد لعمقها كما انه لا حد لعمق شهوات الدنيا فكما لا ينتهي ارب
من الدنيا الا الى ارب اعظم منه فكذلك لا تنتهي هاوية من جهنم الا الى هاوية اعمق منها وقال
ابو هريرة كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ سمعنا وجبة فقال النبي صلى الله عليه وسلم اتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله
اعلم قال هذا حجر ارسل في جهنم منذ سبعين عاما الان حين انتهى الى قعرها ثم انظر الى تفاوت الدركات فان الاخرة
اكبر درجات واكبر تفضيلا فكما ان اكباب الناس على الدنيا متفاوت فمن منهمك مستكثر كالغريق فيها ومن خائض فيها الى حد
محدود فكذلك تناول النار لهم متفاوت فان الله لا يظلم مثقال ذرة فلا تترادف انواع العذاب على كل من في النار كيف كان
بل لكل واحد حد معلوم بقدر عصيانه وذنبه الا ان اقلهم عذابا لو عرضت له الدنيا بحذافيرها لافتدى بها من
شدة ما هو فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادنى اهل النار عذابا من ينتعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه
فانظر الى من خفف عليه واعتبر به من شدد عليه ومهما تشككت في شدة عذاب النار فقرب اصبعك من النار وقس ذلك
به ثم اعلم انك اخطات في القياس فان نار الدنيا لا تناسب نار جهنم ولكن لما كان اشد عذابا في الدنيا عذاب هذه النار
عرف عذاب جهنم بها وهيهات لو وجد اهل الجحيم مثل هذه النار لخاضوها طائعين هربا مما هم فيه وعن هذا
عبر في بعض الاخبار حيث قال ان نار الدنيا غسلت بسبعين ماء من مياه الرحمة حتى اطاقها اهل الدنيا بل صرح
رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفة نار جهنم فقال اوقدت على النار الف سنة حتى احمرت ثم اوقد عليها الف
سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتكت
النار الى ربها فقالت يا رب اكل بعضي بعضا فاذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف اشار الى انه
الشمس وبرد الشتاء من نفسها وقال انس بن مالك يؤتى بانعم الناس عيشا في الدنيا من الكفار فيقال اغمسوه
في النار غمسة فيقال له هل رايت نعيما قط فيقول لا ويؤتى باشد الناس ضرا في الدنيا فيقال اغمسوه في الجنة غمسة
ثم يقال له هل رايت ضرا قط فيقول لا وقال ابو هريرة لو كان في المسجد مائة الف او يزيدون ثم تنفس رجل من
اهل النار لماتوا وقال بعض العلماء في قوله تعالى تلفح وجوههم النار انها لفحتهم لفحة واحدة فما ابقت لحما على عظم
الا القته عند اعقابهم ثم انظر بعد هذا في نتن الصديد الذي يسيل من ابدانهم حتى يغرقوا فيه وهو الغساق وقال

ابو سعيد

ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان دلوا من غساق جهنم القي في الدنيا لانتن اهل الارض
فهذا شرابهم وهذا يسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه وياتيه الموت من كل مكان وما هو بميت و
ان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ثم انظر الى طعامهم وهو الزقوم
كما قال تعالى ثم انكم ايها الضالون المكذبون لاكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه
من الحميم فشاربون شرب الهيم وقال تعالى انها شجرة تخرج في اصل الجحيم طلعها كانه رؤس الشياطين ثم ان
لهم عليها لشوبا من حميم ثم ان مرجعهم لالى الجحيم وقال تعالى تصلى نارا حامية تسقى من عين انية وقال ان
لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لو ان قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا لافسدت على اهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه
ذلك وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارغبوا فيما رغبكم الله واحذروا وخافوا ما خوفكم الله من
عذابه وعقابه ومن جهنم فانها لو كانت قطرة من الجنة معكم في دنياكم التي انتم فيها لطيبتها لكم ولو كانت قطرة
من النار معكم في دنياكم التي انتم فيها لخبثتها وقال ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى على
اهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن
ولا يغني من جوع ويستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون انهم كانوا يجيزون
الغصص في الدنيا بالماء الشراب فيستغيثون بالشراب فيرفع اليهم الحميم بكلاليب الحديد فاذا دنت من وجوههم
شوت وجوههم فاذا دخل بطونهم فيقولون ادعوا خزنة جهنم فيدعون خزنة جهنم ان ادعوا ربكم يخفف عنا
يوما من العذاب فيقولون اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال
قال فيقولون ادعوا مالكا فيدعون فيقولون يا مالك ليقض علينا ربك قال فيجيبهم انكم ماكثون قال
الاعمش انبئت ان بين دعائهم واجابة مالك اياهم الف عام قال فيقولون ادعوا ربكم فلا احد خير من ربكم
فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال
فيجيبهم اخسؤا فيها ولا تكلمون قال فعند ذلك يئسوا من كل خير وعند ذلك اخذوا في الزفير والحسرة و
الويل وقال ابو امامة الباهلي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ويسقى من ماء صديد
يتجرعه ولا يكاد يسيغه قال يقرب اليه فيكرهه فاذا ادني منه شوى وجهه ووقعت فروة راسه فاذا شربه
قطع امعاءه حتى تخرج من دبره يقول الله عز وجل وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم وقال تعالى وان يستغيثوا يغاثوا
بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا فهذا طعامهم وشرابهم عند جوعهم وعطشهم فانظر
الان الى حيات جهنم وعقاربها والى شدة سمومها وعظم اشخاصها وفظاعة منظرها وقد سلطت
على اهلها واغريت بهم فهي لا تفتر عن النهش واللدغ ساعة واحدة قال ابو هريرة رضي الله عنه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتاه الله تعالى مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيمة شجاعا اقرع له زبيبتان
يطوقه ثم ياخذ بلهزمتيه يعني شدقيه يقول انا مالك انا كنزك ثم تلا قوله تعالى ولا يحسبن الذين
يبخلون بما اتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان في النار لحيات مثل اعناق البخت يلسعن اللسعة فيجد حموتها اربعين خريفا وان فيها
لعقارب كالبغال الموكفة يلسعن اللسعة فيجد حموتها اربعين خريفا وهذه الحيات والعقارب انما
تسلط على من سلطه عليه في الدنيا البخل وسوء الخلق وايذاء الناس ومن وقي ذلك وقي هذه الحيات والعقارب
ثم تفكر بعد هذا كله في تعظيم اجسام اهل النار فان الله تعالى يزيد في اجسامهم طولا وعرضا حتى يزيد

قطع ما في بطونهم ح

عقابهم بسبب ذلك فيغشون بلفح النار ولدغ العقارب والحيات من جميع اجزائهم دفعة واحدة على الدوام
قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر في النار مثل احد وغلظ جلده مسيرة ثلث ليال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شفته السفلى ساقطة على صدره والعليا قالصة قد غطت وجهه وقال
صلى الله عليه وسلم ان الكافر ليجر لسانه في سجين يوم القيمة يتواطاه الناس ومع عظم الاجسام كل ذلك تحرقهم
النار مرات فتجدد جلودهم ولحومهم وقال الحسن كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها قال تأكلهم
النار في كل يوم سبعين الف مرة كلما اكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا ثم تذكر الان بكاء اهل النار قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بجهنم يوم القيمة لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك وقال
انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل على اهل النار البكاء فيبكون حتى ينقطع البكاء ثم يبكون الدم حتى يرى
في وجوههم كهيئة الاخدود لو ارسلت فيها السفن لجرت وما دام يؤذن لهم في البكاء والشهيق والزفير
والدعوة بالويل والثبور فلهم فيها مستروح ولكنهم يمنعون ايضا من ذلك قال محمد بن كعب لاهل النار
خمس دعوات يجيبهم الله تعالى في اربع فاذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها ابدا يقولون ربنا امتنا
اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل فيقول الله تعالى مجيبا لهم ذلكم بانه اذا دعي
الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير ثم يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا
انا موقنون فيجيبهم الله تعالى اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال ويقولون ربنا اخرجنا نعمل صالحا
غير الذي كنا نعمل فيجيبهم الله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير
ثم يقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فيجيبهم
الله تعالى اخسؤا فيها ولا تكلمون فلا يتكلمون بعدها ابدا وذلك غاية شدة العذاب قال مالك
ابن انس قال زيد بن اسلم في قوله تعالى سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقال صلى الله عليه وسلم
يؤتى بالموت يوم القيمة كانه كبش املح فيذبح فيقال يا اهل الجنة خلود لا موت فيها ويا اهل النار خلود لا موت فيها
وعن الحسن قال يخرج من النار رجل بعد الف عام وليتني ذلك الرجل ورئي الحسن جالسا في زاوية وهو يبكي
فقيل له لم تبكي فقال اخشى ان يطرحني في النار ولا يبالي فهذه اصناف عذاب جهنم على الجملة وتفصيل غمومها
وعذابها ومحنها وحسراتها لا نهاية له فاعظم الامور عليهم مع ما يلاقونه من شدة العذاب حسرة
فوت نعيم الجنة وفوت لقاء الله سبحانه وفوت رضاه مع علمهم بانهم باعوا كل ذلك لا بثمن بل بخس دراهم
معدودة اذ لم يبيعوا ذلك الا بشهوات حقيرة في الدنيا اياما قصيرة وكانت غير صافية بل كانت مكدرة
منغصة فيقولون في انفسهم واحسرتاه كيف اهلكنا انفسنا بعصيان ربنا وكيف لم نكلف انفسنا الصبر
اياما قلائل ولو صبرنا لكانت قد انقضت عنا ايامنا وبقينا الان في جوار رب العالمين متنعمين بالرضا والرضوان
فيالحسرة هؤلاء وقد فاتهم ما فاتهم وبلوا بما بلوا ولم يبق معهم شيء من نعيم الدنيا ولذاتها ثم انهم لو لم يشاهدوا
نعيم الجنة لم تعظم حسرتهم لكنها تعرض عليهم فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى يوم القيمة
بناس من النار الى الجنة حتى اذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها ونظروا الى قصورها والى ما
اعد الله تعالى لاهلها فيها نودوا ان اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة ما رجع الاولون والاخرون
بمثلها فيقولون ربنا لو ادخلتنا النار قبل ان ترينا ما اريتنا من ثوابك وما اعددت فيها لاوليائك كان
اهون علينا قال الله تعالى ذلك اردت بكم كنتم اذا خلوتم بارزتموني بالعظائم واذا لقيتم الناس لقيتموهم
مخبتين تراءون الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني واجللتم الناس ولم تجلوني

وتركتم للناس ولم تتركوا لي فاليوم اذيقكم العذاب الاليم مع ما حرمتكم من الثواب وقال احمد بن حرب
ان احدنا يؤثر الظل على الشمس ولا يؤثر الجنة على النار وقال عيسى عليه السلام كم من جسد صحيح ولسان
فصيح غدا بين اطباق النار يصيح وقال داود الهي لا صبر لي على حر شمسك فكيف صبري على حر نارك ولا صبر لي
على صوت رحمتك فكيف على صوت عذابك فانظر يا مسكين في هذه الاهوال واعلم ان الله تعالى خلق النار
باهوالها وخلق لها اهلا لا يزيدون ولا ينقصون وان هذا امر قد قضي وفرغ منه وهم في غفلة وهم لا يؤمنون
ولعمري لا اشارة الى يوم القيمة ما سبق به القضاء فالعجب منك كيف تضحك وتلهو وتشتغل بمحقرات
الدنيا ولست تدري ان القضاء بماذا سبق في حقك فان قلت فليت شعري الى ماذا مرجعي والى ما
مآلي وما الذي سبق به القضاء في حقي فلك علامة تستأنس بها وتصدق رجاءك بسببها وهو
ان تنظر الى احوالك واعمالك فان كلا ميسر لما خلق له فان كان قد يسر لك سبيل الخير فابشر فانك مبعد عن
النار وان كنت لا تقصد خيرا الا وتحيط بك العوائق فتدفعه ولا تقصد شرا الا ويتيسر لك اسبابه فاعلم
انك مقضي عليك بالنار فان دلالة هذا على العاقبة كدلالة المطر على النبات ودلالة الدخان على النار
فقد قال الله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم فاعرض نفسك على الايتين وقد عرفت مستقرك
من الدارين

القول في صفة الجنة واصناف نعيمها

هذه الدار التي عرفت غمومها وهمومها تقابلها
دار اخرى فتامل نعيمها وسرورها فان من بعد من احدهما استقر لا محالة في الاخرى فاستثر الخوف
من قلبك بطول الفكر في اهوال الجحيم واستثر الرجاء بطول الفكر في النعيم المقيم الموعود لاهل الجنان وسق
نفسك بسوط الخوف وقدها بزمام الرجاء الى الصراط المستقيم فبذلك تنال الملك العظيم وتسلم من العذاب
الاليم فتفكر في اهل الجنة وفي وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك جالسين على منابر
من الياقوت الاحمر في خيام من اللؤلؤ الرطب الابيض فيها بسط من العبقري الاخضر متكئين على ارائك منصوبة على
اطراف انهار مطردة بالخمر والعسل محفوفة بالغلمان والولدان مزينة بالحور العين من الخيرات الحسان كانهن الياقوت
والمرجان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان يمشين في درجات الجنان اذا اختالت احداهن في مشيها حمل اعطافها
سبعون الفا من الولدان عليها من طرائف الحرير الابيض ما تتحير فيه الابصار مكللات بالتيجان المرصعة باللؤلؤ والمرجان
شكلات غنجات عطرات امنات من الهرم والبؤس مقصورات في الخيام في قصور من الياقوت بنيت في وسط روضات
الجنان قاصرات الطرف عين ثم يطاف عليهم وعليهن باكواب واباريق وكاس من معين ويطوف عليهم خدام وولدان
كامثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون في مقام امين في جنات وعيون في جنات ونهر في مقعد صدق
عند مليك مقتدر ينظرون فيها الى وجه الملك الكريم وقد اشرقت في وجوههم نضرة النعيم لا يرهق
وجوههم قتر ولا ذلة بل عباد مكرمون وبانواع التحف من ربهم يتعاهدون فهم فيما اشتهت انفسهم
خالدون لا يخافون فيها ولا يحزنون وهم من ريب المنون آمنون فهم فيها يتنعمون ويأكلون من اطعمتها ويشربون
من انهارها لبنا وخمرا وعسلا في انهار اراضيها من فضة وحصباؤها مرجان وعلى ارض ترابها مسك اذفر ونباتها زعفران
ويمطرون من سحاب فيها من ماء النسرين على كثبان الكافور ويؤتون باكواب واي اكواب اكواب من فضة مرصعة بالدر
والياقوت والمرجان كوب فيه من الرحيق المختوم ممزوج به السلسبيل العذب كوب يشرق نوره من صفاء جوهره
يبدو الشراب من ورائه برقته وحمرته لم يصنعه ادمي فيقصر في تسوية صنعته وتحسين صناعته في كف
خادم يحكي ضياء وجهه الشمس في اشراقها ولكن اين للشمس مثل حلاوة صورته وحسن اصداغه وملاحة احداقه فيا عجبا
لمن يؤمن بدار هذه صفتها ويوقن انه لا يموت اهلها ولا تحل الفجائع بمن نزل فنائها ولا تنظر الاحداث بعين التغيير

اهلها كيف لا وهي دار اذن الله لاهلها ... ولم يكن فيها الا سلامة الابد من الموت والجوع والعطش وسائر اصناف الحدثان لكان جديرا بان يهجر الدنيا بسببها وان لا يؤثر عليها ما التصرم والتنغص من ضرورته فكيف واهلها ملوك امنون في انواع السرور ممتعون لهم فيها كل ما يشتهون وهم في كل يوم بفناء العرش يحضرون والى وجه الله الكريم ينظرون وينالون بالنظر منه من اللذة ما لا ينظرون معه الى سائر نعيم الجنان ولا يلتفتون وهم على الدوام بين اصناف هذه النعم يترددون وهم من زوالها امنون وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي مناد يا اهل الجنة ان لكم ان تصحوا فلا تسقموا ابدا وان لكم ان تحيوا فلا تموتوا ابدا وان لكم ان تشبوا فلا تهرموا ابدا وان لكم ان تنعموا فلا تباسوا ابدا فذلك قوله تعالى ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون ومهما اردت ان تعرف صفة الجنة فاقرأ القران فليس بعد بيان الله بيان واقرأ من قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان الى اخر السورة واقرأ سورة الواقعة وغيرهما من السور وان اردت ان تعرف تفصيل صفاتها من الاخبار فتأمل الان تفصيلها بعد ان اطلعت على جملتها وتأمل اولا عدد الجنان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله عز وجل ولمن خاف مقام ربه جنتان قال جنتان من فضة انيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب انيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن ثم انظر الى ابواب الجنة فانها كثيرة بحسب اصول الطاعات كما ان ابواب النار بحسب اصول المعاصي وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفق زوجين من ماله في سبيل الله دعي من ابواب الجنة وللجنة ابواب فمن كان من اهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من اهل الصيام دعي من باب الريان ومن كان من اهل الصدقة ... ومن كان من اهل الجهاد دعي من باب الجهاد فقال ابو بكر والله ما على احد من ضرورة من ايها دعي فهل يدعى احد منها كلها قال نعم وارجو ان تكون منهم وعن عاصم بن ضمرة عن علي رضي الله عنه انه ذكر النار فعظم امرها ذكرا لا احفظه ثم تلا وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا انتهوا الى باب من ابوابها وجدوا عنده شجرة يخرج من تحت ساقها عينان تجريان فعمدوا الى احداهما كانما امروا به فشربوا منها فاذهب ما في بطونهم من اذى او باس ثم عمدوا الى الاخرى فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلم تغير اشعارهم ابدا ولم تشعث رؤوسهم كانما دهنوا بالدهان ثم انتهوا الى الجنة فقالوا سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ثم تلقاهم الولدان يطيفون بهم كما يطيف ولدان اهل الدنيا بالحميم يقدم عليهم من غيبة يقولون له ابشر بما اعد الله لك من الكرامة ثم ينطلق غلام من اولئك الولدان الى بعض ازواجه من الحور العين فيقولون قد جاء فلان باسمه الذي كان يدعى به في الدنيا فتقول انت رأيته فيقول انا رأيته وهو باثري فيستخف احداهن الفرح حتى تقوم على اسكفة بابها فاذا انتهى الى منزله نظر الى اساس بنيانه فاذا جندل اللؤلؤ فوقه صرح اخضر واحمر واصفر من كل لون ثم رفع راسه فنظر الى سقفه فاذا مثل البرق ولولا ان الله تعالى قدره لالم ان يذهب بصره ثم طأطأ راسه فاذا ازواجه واكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة ثم اتكأ فقال الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله ثم ينادي مناد تحيون فلا تموتون ابدا وتقيمون فلا تظعنون ابدا وتصحون فلا تمرضون ابدا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي يوم القيامة باب الجنة فاستفتح فيقول الخازن من انت فاقول محمد فيقول بك امرت ان لا افتح لاحد قبلك وتأمل الان في درج الجنة واختلاف العلو فيها فان الاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا فكما ان بين الناس في الطاعات الظاهرة والاخلاق الباطنة المحمودة تفاوتا ظاهرا فكذلك فيما يجازون به تفاوت ظاهر فان كنت تطلب اعلى الدرجات فاجتهد ان لا يسبقك احد بطاعة الله تعالى فقد امرك الله تعالى بالمسابقة والمنافسة فقال تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم وقال وفي ذلك فليتنافس المتنافسون والعجب انه لو تقدم عليك اقرانك او جيرانك بزيادة درهم او بعلو بناء ثقل ذلك عليك وضاق به صدرك وتنغص بسبب الحسد عيشك واحسن احوالك ان تستقر في الجنة وانت لا

تسلم فيها من اقوام يسبقونك بلطائف لا توازيها الدنيا بحذافيرها فقد قال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة ليتراءون اهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الغابر في الافق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال امنوا بالله وصدقوا المرسلين وقال ايضا ان اهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترى النجم الطالع في افق من افاق السماء وان ابا بكر وعمر منهم وانعما وقال جابر قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا احدثكم بغرف الجنة قال قلت بلى يا رسول الله صلى الله عليك بابينا وامنا قال ان في الجنة غرفا من اصناف الجوهر كله يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها وفيها من النعيم واللذات والسرور ما لا عين رأت ولا اذن سمعت قال قلت يا رسول الله ولمن هذه الغرف قال لمن افشى السلام واطعم الطعام وادام الصيام وصلى بالليل والناس نيام قال قلنا يا رسول الله ومن يطيق ذلك قال امتي تطيق ذلك وساخبركم عن ذلك من لقي اخاه فسلم عليه او رد عليه فقد افشى السلام ومن اطعم اهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد اطعم الطعام ومن صام شهر رمضان ومن كل شهر ثلاثة ايام فقد ادام الصيام ومن صلى العشاء الاخرة وصلى الغداة في جماعة فقد صلى بالليل والناس نيام اليهود والنصارى والمجوس وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى ومساكن طيبة في جنات عدن قال قصور من لؤلؤ في كل قصر سبعون دارا من ياقوت احمر في كل دار سبعون بيتا من زمرد اخضر في كل بيت سرير على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام في كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المؤمن في كل غداة من القوة ما ياتي على ذلك اجمع

صفة حائط الجنة وارضها واشجارها وثمارها وانهارها

تأمل في صورة الجنة وتفكر في غبطة سكانها وفي حسرة من حرمها لقناعته بالدنيا عوضا عنها فقد قال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وترابها زعفران وطينها مسك خالص وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تربة الجنة فقال درمكة بيضاء مسك خالص وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يسقيه الله الخمر في الاخرة فليتركها في الدنيا ومن سره ان يكسوه الله تعالى الحرير في الاخرة فليتركه في الدنيا انهار الجنة تفجر من تحت تلال او تحت جبال المسك ولو كان ادنى اهل الجنة حلية عدلت حليته بحلية اهل الدنيا جميعا لكان ما يحليه الله عز وجل به في الاخرة افضل من حلية اهل الدنيا جميعا وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها اقرءوا ان شئتم وظل ممدود وقال ابو امامة كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون ان الله عز وجل ينفعنا بالاعراب ومسائلهم اقبل اعرابي فقال يا رسول الله قد ذكر الله تعالى في الجنة شجرة مؤذية وما كنت ارى ان في الجنة شجرة تؤذي صاحبها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليس الله يقول في سدر مخضود يخضد الله تعالى شوكه فيجعل مكان كل شوكة ثمرة ثم انفتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لونا من طعام ما منها لون يشبه الاخر وقال جرير بن عبد الله نزلنا الصفاح فاذا رجل نائم تحت شجرة قد كادت الشمس ان تبلغه فقلت للغلام انطلق بهذا النطع فاظله فانطلق فاظله فلما استيقظ فاذا هو سلمان فاتيته اسلم عليه فقال يا جرير تواضع لله فان من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة هل تدري ما الظلمات يوم القيامة قلت لا ادري قال ظلم الناس بينهم ثم اخذ عويدا لا اكاد اراه من صغره فقال يا جرير لو طلبت في الجنة مثل هذا لم تجده قلت يا ابا عبد الله فاين النخل والشجر قال اصولها اللؤلؤ والذهب واعلاها الثمر

صفة لباس اهل الجنة وفرشهم وسررهم وارائكهم وخيامهم

قال الله تعالى يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير والايات في تفصيل ذلك كثيرة واما التفصيل في الاخبار فقد روى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من يدخل الجنة ينعم لا يباس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه وفي الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال رجل يا رسول الله اخبرنا عن ثياب

اهل الجنة اخلق بخلق ابيهم بنبيع فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك بعض القوم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم مم تضحكون من جاهل سال عالما ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل تنشق عنهما الجنة مرتين
وقال ابو هريرة اول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون
فيها آنيتهم وامشاطهم من الذهب والفضة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم
من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشيا وفي رواية ان على كل زوجة
سبعون حلة وقال صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى يحلون فيها من اساور من ذهب قال ان عليهم التيجان ان ادنى
لؤلؤة فيها لتضيء ما بين المشرق والمغرب وقال صلى الله عليه وسلم الخيمة درة مجوفة طولها في السماء ستون ميلا
في كل زاوية منها اهل للمؤمن لا يراهم الاخرون رواه البخاري في الصحيح وقال ابن عباس الخيمة درة مجوفة فرسخ في
فرسخ لها اربعة الاف مصراع من ذهب وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله
تعالى وفرش مرفوعة قال ما بين الفراشين كما بين السماء والارض **صفة طعام اهل الجنة** بيان طعام اهل الجنة
مذكور في القرآن من الفواكه والطيور والمن والسلوى والعسل واللبن واصناف كثيرة لا تحصى قال الله عز
وجل كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل واتوا به متشابها وذكر الله تعالى شراب اهل الجنة في مواضع كثيرة
وعن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت قاعدا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء حبر من احبار اليهود
يا رسول الله [illegible] قال فمن اول الناس اجازة قال فقراء المهاجرين قال اليهودي فما تحفتهم حين
يدخلون الجنة قال زيادة كبد النون قال فما غذاؤهم على اثرها قال ينحر لهم ثور الجنة الذي كان ياكل من اطرافها قال
فما شرابهم عليه قال من عين فيها تسمى سلسبيلا قال صدقت وقال زيد بن ارقم جاء رجل من اليهود الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال يا ابا القاسم الست تزعم ان اهل الجنة ياكلون فيها ويشربون فقال لاصحابه ان اقر بها خصمته فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى والذي نفسي بيده ان احدهم ليعطى قوة مائة رجل في المطعم والمشرب والجماع فقال اليهودي
فان الذي ياكل ويشرب تكون له الحاجة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل المسك
فاذا البطن قد ضمر وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتنظر الى الطير في الجنة فتشتهيه
فيخر بين يديك مشويا وقال حذيفة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة طيرا امثال البخاتي قال ابو بكر
انها لناعمة يا رسول الله قال انعم منها الذي ياكلها وانت ممن ياكلها يا ابا بكر وقال ابن عمر في قوله تعالى يطاف عليهم
بصحاف من ذهب قال يطاف عليهم بسبعين الف صحفة من ذهب كل صحفة فيها لون ليس في الاخرى وقال عبد الله
ابن مسعود ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون قال يمزج لاهل اليمين ويشربها المقربون صرفا وقال
ابو الدرداء في قوله تعالى ختامه مسك قال هو شراب ابيض مثل الفضة يختمون به اخر شرابهم لو ان رجلا من اهل
الدنيا ادخل يده فيه ثم اخرجها لم يبق ذو روح الا وجد ريح طيبها **صفة الحور العين والولدان**
مذكورة في القرآن اوصافهم وقد وردت الاخبار بزيادة شرح فيهم روى انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
غدوة في سبيل الله او روحة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس احدكم او موضع قدمه من الجنة خير من الدنيا وما فيها
ولو ان امراة من نساء اهل الجنة اطلعت الى اهل الارض لاضاءت ولملأت ما بينهما ريحا ولنصيفها على راسها خير من
الدنيا وما فيها يعني الخمار وقال ابو سعيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى كانهن الياقوت
والمرجان قال ينظر الى وجهه في خدها اصفى من المراة وان ادنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب
وانه يكون عليها سبعون ثوبا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك وقال انس قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لما اسري بي دخلت في الجنة موضعا يسمى البيدخ عليه خيام اللؤلؤ والزبرجد الاخضر والياقوت الاحمر

يقلن السلام عليك يا رسول الله فقلت يا جبريل ما هذا النداء فقال هؤلاء المقصورات في الخيام استاذن
ربهن في السلام عليك فاذن لهن فطفقن يقلن نحن الراضيات فلا نسخط ابدا ونحن الخالدات فلا نظعن
ابدا وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى حور مقصورات في الخيام وقال مجاهد في قوله تعالى
ازواج مطهرة قال من الحيض والبول والغائط والبصاق والنخامة والمني والولد وقال الاوزاعي
في شغل فاكهون اي شغلهم افتضاض الابكار وقال جبريل يا رسول الله ايما صنع اهل الجنة قال
يعطى الرجل منهم من القوة في اليوم الواحد افضل من سبعين منكم وقال عبد الله بن عمر ان ادنى اهل
الجنة منزلة من يسعى معه الف خادم على عمل ليس عليه صاحبه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الرجل من اهل الجنة ليزوج خمسمائة حوراء واربعة الاف بكر وثمانية الاف ثيب يعانق كل واحدة
منهن مقدار عمره في الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ان في الجنة سوقا ما فيها بيع ولا شراء الا الصور من
الرجال فاذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها وان فيها لمجتمع الحور العين يرفعن باصوات لم يسمع الخلائق
مثلها يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط فطوبى لمن كان لنا
وكنا له وقال يحيى بن كثير في قوله تعالى فهم في روضة يحبرون قال السماع في الجنة وقال انس
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحور في الجنة يتغنين يقلن نحن الحور الحسان خبئنا لازواج كرام وقال
ابو امامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد يدخل الجنة الا يجلس عند راسه وعند رجليه ثنتان
من الحور العين يغنيانه باحسن صوت يسمعه الانس والجن وليس بمزامير الشيطان ولكن بتحميد الله تعالى وتقديسه
بيان جمل متفرقة من اوصاف الجنة وردت الاخبار بها روى اسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لاصحابه الا هل مشمر للجنة ان الجنة لا خطر لها هي ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز
وقصر مشيد ونهر مطرد وفاكهة كثيرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة في مقام ابدا ونضرة في
دار عالية بهية سليمة قالوا نحن المشمرون لها يا رسول الله قال قولوا ان شاء الله تعالى ثم ذكر الجهاد وحض
عليه وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل في الجنة خيل فانها تعجبني قال ان احببت
ذلك اتيت بفرس من ياقوتة حمراء فتطير بك في الجنة حيث شئت فقال له رجل فان الابل تعجبني فهل في
الجنة من ابل فقال يا عبد الله ان دخلت الجنة فلك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك وعن ابي سعيد
الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل من اهل الجنة ليولد له الولد كما يشتهي ويكون حمله وفصاله
وشبابه في ساعة واحدة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استقر اهل الجنة في الجنة اشتاق الاخوان
فيسير سرير ذا الى سرير ذا فيلتقيان فيتحدثان ما كان بينهما في دار الدنيا فيقول يا اخي تذكر يوم كذا في مجلس كذا
فدعونا الله عز وجل فغفر لنا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الجنة جرد مرد بيض جعاد مكحولون ابناء ثلاث
وثلاثين على خلق آدم طولهم ستون ذراعا في عرض سبعة اذرع وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادنى اهل الجنة
الذي له ثمانون الف خادم واثنتان وسبعون زوجة وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية
الى صنعاء وان عليهم التيجان وان ادنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب وقال صلى الله عليه وسلم نظرت الى
الجنة واذا الرمان من خلفها كالجلد البعير المقتب واذا طيرها كالبخت واذا فيها جارية فقلت يا جارية لمن انت
فقالت لزيد بن حارثة واذا في الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال كعب خلق الله آدم بيده وكتب
التوراة بيده وغرس الجنة بيده وقال لها تكلمي فقالت قد افلح المؤمنون فهذه صفات الجنة ذكرناها جملة ثم
نقلناها تفصيلا وقد ذكر الحسن البصري جملتها فقال ان رمانها مثل الدلاء وان انهارها لمن ماء غير آسن وانهار

من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى لم يصفه الرجال وانهار من خمر لذة للشاربين
لا تسفه منه الاحلام ولا تصدع منه الرؤوس وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام وانهم فيها الخلد و
الا هفانة طالها والاشهاد درجها من ياقوت يمن او زمرد فيها وان ازواجهم من الحور العين كانهن بيض مكنون
وان المرأة لتأخذ بين اصبعيها سبعين حلة فتلبسها فيرى مخ ساقها من السبعين حلة حلة قد طهر الله
الاخلاق من السوء والاجساد من الموت لا يتمخطون فيها ولا يبولون ولا يتغوطون وانما هو جشاء ورشح مسك لهم
رزقهم فيها بكرة وعشيا اما انه ليس ليل يكر الغدو على الرواح والرواح على الغدو وان آخر من يدخل وادناهم
منزلة ليمد له في بصره وملكه مسيرة مائة عام في قصور الذهب والفضة وخيام اللؤلؤ ويفسح له في بصره حتى
ينظر الى اقصاه كما ينظر الى ادناه يغدى عليه بسبعين الف صحفة من ذهب ويراح عليهم بمثلها في كل صحفة
لون ليس في الاخرى يجد طعم آخره كما يجد طعم اوله وان في الجنة لياقوتة فيها سبعون الف دار في كل دار سبعون
الف بيت ليس فيها صدع ولا ثقب وقال مجاهد ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن يسير في ملكه الف سنة
يرى اقصاه كما يرى ادناه وارفعهم الذي ينظر الى ربه بالغداة والعشي وقال سعيد بن المسيب ليس
احد من اهل الجنة الا في يده ثلاثة اسورة سوار من ذهب وسوار من لؤلؤ وسوار من فضة وقال ابو هريرة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة حوراء يقال لها العيناء اذا مشت مشى حول يمينها ويسارها سبعون الف
وصيفة وهي تقول اين الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وقال يحيى ابن معاذ ترك الدنيا شديد وفوت
الجنة اشد وترك الدنيا مهر الآخرة وقال ايضا في طلب الدنيا ذل النفوس وفي طلب الآخرة عز النفوس فيا عجبا لمن يختار
المذلة في طلب ما يفنى ويترك العزة في طلب ما يبقى

صفة الرؤية والنظر الى وجه الله تعالى

قال الله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وهذه الزيادة هي النظر الى وجه الله تعالى وهي اللذة الكبرى التي
ينسى فيها نعيم الجنة وقد ذكرنا حقيقتها في كتاب المحبة وقد شهد لذلك الكتاب والسنة على خلاف
ما يعتقده اهل البدعة قال جرير بن عبد الله البجلي كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر
ليلة البدر فقال انكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضارون في رؤيته فان استطعتم الا تغلبوا على صلاة قبل
طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب وروى مسلم في الصحيح
قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل
النار النار نادى مناد يا اهل الجنة ان لكم عند الله تعالى موعدا يريد ان ينجزكموه قالوا وما الموعد الم يثقل
موازيننا ولم يبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجنبنا النار قال فيرفع الحجاب فينظرون الى وجه الله عز وجل
فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر اليه وقد روى حديث الرؤية جماعة من الصحابة وهذه غاية الحسنى
ونهاية النعيم وكل ما فصلناه من التنعم عنده ينسى وليس لسرور اهل الجنة عند سعادة اللقاء منتهى بل لا نسبة
لشيء من لذات الجنة الى لقاء الله تعالى وقد اخرجنا الكلام ههنا لما فصلناه في كتاب المحبة والشوق والرضا
فلا ينبغي ان تكون همة العبد من الجنة شيئا سوى لقاء المولى فاما سائر نعيم الجنة فانه يشارك فيه البهيمة
المرسلة في المرعى

باب في سعة الرحمة ختم بها الكتاب على سبيل التفاؤل به

فقد كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحب الفأل وليس لنا من الاعمال ما نرجو به المغفرة فنقتدي برسول الله صلى الله عليه وسلم في
التفاؤل ونرجو ان يختم عاقبتنا في الدنيا والآخرة كما ختمنا الكتاب بذكر رحمة الله فقد قال الله تعالى ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من
رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وقال ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله

وان فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ملوكا في سن واحد طولهم ستون ذراعا في السماء كحلا جردا مردا قد امنوا العذاب واطمأنت
بهم الدار وان انهارها لتجري على رضراض من ياقوت وزبرجد وان عروقها ونخلها وكرمها اللؤلؤ وثمارها لا يعلم علمها الا الله تعالى

الحمد لله عفوّا رحيما ونحن نستغفر الله من كل ما زلت به القدم او طغى به القلم في كتابنا هذا وفي سائر
كتبنا ونستغفره من اقوالنا التي لا توافقها اعمالنا ونستغفره مما ادعيناه واظهرناه من العلم والبصيرة
بدين الله تعالى مع التقصير فيه ونستغفره من كل علم وعمل قصدنا به وجهه الكريم ثم خالطه غيره ونستغفره
من كل وعد وعدناه من انفسنا ثم قصرنا عن الوفاء به ونستغفره من كل تصريح وتعريض بنقصان ناقص وتقصير
مقصر كنا مستغنين عنه ونستغفره من كل خطرة دعتنا الى تصنع وتكلف تزينا للناس في كتاب سطرناه
او كلام نظمناه او علم افدناه او استفدناه ونرجو بعد الاستغفار من جميع ذلك كله لنا
ولمن طالع كتابنا او سمعه ان يكرم بالمغفرة والرحمة والتجاوز عن جميع السيئات ظاهرا وباطنا فان الكرم
عميم والرحمة واسعة والجود على اصناف الخلائق فائض ونحن خلق من خلق الله تعالى لا وسيلة لنا الا
فضله وكرمه فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى مائة رحمة انزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس
والبهائم بها يتعاطفون وبها يتراحمون واخر تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة ويروى انه اذا كان
يوم القيامة اخرج الله تعالى كتابا من تحت العرش ان رحمتي سبقت غضبي وانا ارحم الراحمين فيخرج من النار
مثل اهل الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجلى الله تعالى لنا يوم القيامة ضاحكا فيقول ابشروا يا
معشر المسلمين فانه ليس منكم احد الا وقد جعلت مكانه في النار يهوديا او نصرانيا وقال صلى الله عليه وسلم
يشفع الله تعالى آدم يوم القيامة من جميع ذريته في مائة الف الف وعشرة آلاف الف وقال صلى الله عليه وسلم
ان الله عز وجل يقول يوم القيامة للمؤمنين هل احببتم لقائي فيقولون نعم يا ربنا فيقول لم فيقولون رجونا عفوك
ومغفرتك فيقول قد اوجبت لكم مغفرتي وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اخرجوا من النار من ذكرني
يوما او خافني في مقام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجتمع اهل النار في النار ومن شاء الله تعالى معهم
من اهل القبلة قال الكفار للمسلمين الم تكونوا مسلمين قالوا بلى قالوا فما اغنى عنكم اسلامكم اذ انتم معنا
في النار فيقولون كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فيسمع الله عز وجل ما قالوا فيأمر باخراج من كان في النار من اهل
القبلة فيخرجون فلما رأى ذلك الكفار قالوا يا ليتنا كنا مسلمين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله ارحم
بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها وقال جابر بن عبد الله من زادت حسناته على سيئاته يوم
القيامة فذلك الذي يدخل الجنة بغير حساب ومن استوت حسناته وسيئاته يوم القيامة فذلك يحاسب حسابا
يسيرا ثم يدخل الجنة وانما شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن اوبق نفسه واثقل ظهره ويروى ان الله
عز وجل قال لموسى عليه السلام يا موسى ان قارون استغاث بك فلم تغثه وعزتي وجلالي لو استغاث بي لاغثته
وعفوت عنه وقال سعد بن بلال يأمر يوم القيامة باخراج رجلين من النار فيقول الله تبارك وتعالى ذلك
بما قدمت ايديكما وما انا بظلام للعبيد ويأمر بردهما الى النار فيعدو احدهما حتى يقتحمها ويتلكأ الآخر
فيؤمر بردهما ويسألهما عن فعلهما فيقول الذي عدا الى النار قد حذرت من وبال المعصية ما لم اكن اتعرض لسخطك
ثانية ويقول الذي تلكأ حسن ظني بك كان يشعرني ان لا تردني اليها بعدما اخرجتني منها فيأمر بهما الى
الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي مناد من تحت العرش يوم القيامة يا امة محمد اما ما كان لي قبلكم
فقد وهبته لكم وبقيت التبعات فتواهبوها وادخلوا الجنة برحمتي ويروى ان اعرابيا سمع ابن عباس رضي الله عنه
يقرأ وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها فقال الاعرابي والله ما انقذكم منها وهو يريد ان يوقعكم فيها
فقال ابن عباس رضي الله عنه خذوها من غير فقيه وقال الصنابحي دخلت على عبادة ابن الصامت وهو في الموت
فبكيت فقال مهلا لم تبكي فوالله ما من حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم فيه خير الا حدثتكموه

وسوف اهنئكم اليوم وقد احيط بنفسي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من شهد ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله حرم الله عليه النار وقال عبد الله ابن عمرو ابن العاص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله عز وجل سيخلص رجلا من امتي على رؤوس الخلائق فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم
يقول اتنكر من هذا شيئا اظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب فيقول افلك عذر قال لا يا رب فيقول
بلى ان لك عندنا حسنة وانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا
رسول الله فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات قال انك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة
والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع الله تعالى شيء وقد ورد عنه صلى
الله عليه وسلم في حديث طويل يصف فيه الجنة والنار ان الله تعالى يقول للملائكة من وجدتم في
قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه من النار فيخرجون خلقا كثيرا فيقولون ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا
باخراجه ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه نصف دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون
ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا فيقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا
كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا فكان ابو سعيد يقول ان لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤوا ان
شئتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما فيقول الله
تعالى شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة
من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر في افواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون
كما تخرج الحبة في حميل السيل الا ترونها تكون الى الحجر او الى الشجر ما يكون الى الشمس اصيفر واخيضر وما يكون منها الى الظل
اصفر فقالوا يا رسول الله كانك كنت ترعى بالبادية قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم اهل
الجنة يقولون هؤلاء عتقاء الله ادخلهم الله الجنة بغير عمل ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رايتم
فهو لكم فيقولون ربنا اعطيتنا ما لم تعط احدا من العالمين فيقول الله تعالى لكم عندي افضل من هذا
فيقولون يا ربنا اي شيء افضل من هذا فيقول رضاي فلا اسخط عليكم بعده ابدا رواه البخاري ومسلم في
صحيحيهما وروى البخاري ايضا عن ابن عباس قال خرج الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال
عرضت علي الامم فجعل يمر النبي ومعه الرجل والنبي ومعه الرجلان والنبي ليس معه احد والنبي ومعه الرهط فرايت
سوادا كثيرا فرجوت ان تكون امتي فقيل لي هذا موسى عليه السلام وقومه ثم قيل انظر فرايت سوادا كثيرا
قد سد الافق فقيل انظر هكذا وهكذا فرايت سوادا كثيرا فقيل لي هؤلاء امتك ومع هؤلاء سبعون الفا
يدخلون الجنة بغير حساب فتفرق الناس ولم يبين لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكر ذلك اصحابه فقالوا
اما نحن فولدنا في الشرك ولكنا امنا بالله ورسوله هؤلاء ابناؤنا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة فقال انا منهم يا رسول
الله فقال نعم ثم قام اخر فقال انا منهم يا رسول الله فقال سبقك بها عكاشة وعن عمرو بن حزم
الانصاري قال تغيب عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا لا يخرج الينا الا للصلاة المكتوبة ثم يرجع فلما كان
اليوم الرابع خرج الينا فقلنا يا رسول الله احتبست عنا حتى ظننا انه قد حدث حدث قال لم يحدث الا خير
ان ربي عز وجل وعدني ان يدخل من امتي الجنة سبعين الفا لا حساب عليهم واني سالت ربي في هذه الثلاثة
الايام المزيد فوجدت ربي ماجدا واجدا كريما فاعطاني مع كل واحد من السبعين الفا سبعين الفا قال
قلت يا رب وتبلغ امتي هذا قال اكمل العدد من الاعراب وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

عرض لي جبريل عليه السلام في جانب الحرة فقال بشر امتك انه من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة فقلت يا جبريل
وان سرق وان زنى قال نعم قلت وان سرق وان زنى قال نعم وان شرب الخمر قال ابو ذر
قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنى وان سرق يا رسول الله فقال وان
زنى وان سرق وان رغم انف ابي ذر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة دفع الى كل مؤمن
رجل من اهل الملل فيقال له هذا فداؤك من النار وروى مسلم في الصحيح عن ابي بردة انه حدث عمر ابن عبد
العزيز عن ابيه عن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يموت رجل من المسلمين الا ادخل الله عز وجل مكانه النار
يهوديا او نصرانيا فاستحلفه عمر بن عبد العزيز بالله الذي لا اله الا هو ثلاث مرات ان اباه حدثه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم فحلف له وروي انه وقع صبي في بعض المغازي فصيح عليه فيمن يزيد في يوم صائف
شديد الحر فبصرت به امراة في خباء القوم فاقبلت تشتد واقبل اصحابها خلفها حتى اخذت الصبي
والصقته الى بطنها ثم القت ظهرها على حر البطحاء وجعلته على بطنها تقيه الحر وقالت ابني ابني فبكى الناس
وتركوا ما هم فيه فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وقف عليهم فاخبروه الخبر فسر برحمتها ثم بشرهم فقال
اعجبتم من رحمة هذه لابنها قالوا نعم قال فان الله تبارك وتعالى ارحم بكم جميعا من هذه بابنها فتفرق
المسلمون على افضل السرور واعظم البشارة فهذه الاحاديث وما اوردناه في كتاب الرجاء فيها
سعة رحمة الله فنرجو الله تعالى الا يعاملنا بما نستحقه ويتفضل علينا بما هو
اهله بمنه وكرمه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين
قد وقع الفراغ بحمد الله وعونه ومنه وكرمه وصلى الله
على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم على يد
الفقير الحقير الفاني الشيخ جمال
الدين حافظ ابن شيخ عبد الملك
الحنفي مذهبا [illegible]
القادري طريقا حامدا
مصليا عفي عنهما
في سنة [illegible] الف

٢

ويليه تسمية كتب الامام ابو حامد الغزالي رضي الله عنه وارضاه

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

كتاب احيا علوم الدين كتاب بداية الهداية كتاب المبادي والغايات كتاب الماخذ والهادي
وهو النهاية في البحث كتاب التحصين كتاب المنخول في الاصول كتاب المنتحل في الجدل كتاب
شفا الغليل في اصول الفقه كتاب الاقتصاد في اصول الدين كتاب معيار العلم كتاب محك النظر
كتاب نكتة النظر كتاب ميزان العمل كتاب المستظهر في الرد على الباطنية كتاب حجة الحق و
قواصم الباطنية كتاب لباب النظر كتاب المعراج كتاب القسطاس كتاب مشكاة الانوار كتاب
جواهر القران كتاب المنقذ من الضلال كتاب كيميا السعادة مقاصد الفلاسفة تهافت الفلاسفة
كتاب مفصل الخلاف كتاب المنهاج المرسوم كتاب التفرقة بين الايمان والزندقة كتاب رسالة الاقطاب
كتاب منهاج العابدين كتاب القربة الى الله تعالى كتاب الغاية القصوى كتاب اخلاق الابرار
والنجاة من الاشرار كتاب تلبيس ابليس كتاب اسرار معاملات الدين كتاب تنبيه الغافلين كتاب عجايب
صنع الله كتاب المقصد الاسنى كتاب مراقي الزلفى كتاب الجام العوام عن علم الكلام كتاب الملاذ والخلا
كتاب الاربعين في اصول الدين كتاب المضنون به على غير اهله كتاب في صفة الذين استووا على الصالحات
كتاب في صفة الهياكل كتاب في صفة المعاني والدقايق الجزئية كتاب وسايل الوصول الى مسايل الاصول كتاب
البسيط كتاب الوسيط كتاب الوجيز كتاب المختصر كتاب الغاية في المذهب كتاب ماخذ الخلاف كتاب تحصين
الماخذ كتاب غاية الغور في مسايل الدور كتاب عناصر الادلة كتاب المستصفى كتاب خزاين الدين في اسرار العالمين
كتاب مراسم الاسولة كتاب الاجابة المسكتة على الاسولة المبهمة كتاب قانون التاويل كتاب رسالة المنطق
كتاب خلاصة المذهب كتاب التسبية كتاب العوارف العقلية كتاب النفخ والتسوية كتاب
الحكمة الالهية كتاب وسايل الحاجات وادب المناجات كتاب المناهج للعابدين تم ذلك والحمد لله وحده

ويليه قصيدة له

قل لاقوام راوني ميتا ؞ فبكوني اذ راوني حزنا ؞ لا تظنون باني ميتكم ؞ ليس ذا الميت والله انا
انا في الصور وهذا جسدي ؞ كان بيتي وقميصي زمنا ؞ انا كنز وحجابي طلسم ؞ من تراب وتخلى للفنا
انا در قد حواني صدف ؞ طرت عنه فتخلى رهنا ؞ انا عصفور وهذا قفصي ؞ كان سجني فالفت السجنا
فاشكر الله الذي خلصني ؞ وبنا لي في المعالي ركنا ؞ كنت قبل اليوم ميتا بينكم ؞ فحييت وخلعت الكفنا
فانا اليوم اناجي ملا ؞ وارى الله جهارا علنا ؞ عاكف في اللوح اقرا وارى ؞ كلما كان ويأتي او دنا
فطعامي وشرابي واحد ؞ هو رمز فافهموه حسنا ؞ ليس خمرا سايغا او عسلا ؞ لا ولا ما ولكن لبنا
هو مشروب رسول الله اذ ؞ كان يسري فطره فطرتنا ؞ فافهموا السر ففيه نبا ؞ اي معنى تحت لفظي كمنا
فاهدموا بيتي ورضوا قفصي ؞ ودعوا الطلسم يبلى عفنا ؞ وقميصي مزقوه ربما ؞ ودعوا الكل دفينا بيننا
قد ترحلت وخلفتكم ؞ ليس رضي ان اكون وطنا ؞ حق ذا الدار بعيش نكدا ؞ فاذا مات اطال الوسنا
لا تظنوا الموت موتا انه ؞ لحياة هي غايات المنى ؞ لا ترعكم هجمة الموت فما ؞ هي الا انتقال من هنا
فاطلبوا الاحباب عن نفسكم ؞ تبصروا الحق جهارا علنا ؞ واحسنوا الظن برب راحم ؞ تشكروا السعي وتاتوا امنا
وخذوا في الزاد جهدا لا تنوا ؞ ليس بالعاقل منا من ونا ؞ ما ارى نفسي الا انتم ؞ واعتقادي انكم انتم انا
عنصر الانفس الا واحد ؞ وكذا الاجسام جسم عمنا ؞ فمتى ما كان خيرا فلنا ؞ ومتى ما كان شرا فبنا

فارحموني ترحموا انفسكم ؞ واعلموا انكم في اثرنا ؞ فاسالوا الله لنفسي رحمة ؞ رحم الله صديقا امنا
وعليكم من سلامي طيب ؞ وسلام الله بدوا وثنا

قال الامام الزاهد ابو العباس احمد بن سعد بن علي بن دكيل النجيبي الاقليشي رضي الله عنه

يمدح الامام ابا حامد ويثني على كتاب احيا علوم الدين الذي لم يرد على ما نقل احمد بن عمر في كتيبه

ابا حامد انت المخصص بالحمد ؞ وانت الذي علمتنا سنن الرشد ؞ ومنه فنون نحن نخذ منهما
علوم تخل العبد في ذروة المجد ؞ فمنها علاج للجوارح ظاهر ؞ ومنها علاج للقلوب من البعد
فربع عبادات وعادات النبي ؞ نعانيها كالدر نظم في العقد ؞ وثالثها في المهلكات وانه
لينجي من الهلك المريح بلا بعد ؞ ورابعها في المنجيات وانه ؞ ليسرح بالارواح في جنة الخلد
اقام براهينا وساق ادلة ؞ على كل دائم جاء بما يجدي ؞ وعرك اسرار الغوامض لم يدت
للالباب ارباب المقاييس والجد ؞ فلاح لهم نور الخفا من جهة ؞ يجودهم منهم ما يجود بالصد
فتلك اسرار ... لاهلها ؞ تبادرت كالورد في ورق الورد ؞ فمن كان ترحا سبقني شعله
ويوقد مصباحا ويجري في العقد ؞ كساها من اللفظ الفصيح عبارة ؞ وعجب معانيها كالنار في الزند
ومن لم يكن من ذلك النور قابسا ؞ فذلك لا يهدى لرشد ولا يهدي ؞ ومنها الهدي الى الخلق من يهدي
يفوز به المهدي اليه مع المهدي ؞ اشاع علوما في العوالم جمة ؞ تسير بها الركبان في الرعد والنجد
فلاحت له في الارض كتب غريبة ؞ عقود بجيد الدهر محكمة العقد ؞ فهات نفوس في سنا ...
وصحت عيون تشتكي الم الرمد ؞ فقد نعقت منها بعض ايتية ؞ فقد كرعت في مايها السلسل العذب
ولم تلههم عنها حلاوة مثلها ؞ ومن شم عرف المسك استغنى بالند ؞ فلا غرو ان يجفو القوم ضيادها
فليس تلوح الشمس لاعين الرمد ؞ وقد دام اقوام احاله حقها ؞ بباطلهم بالجهل والنفس والحقد
فلما راوا ان ليس يطفا نورها ؞ باقوال زور من اللعب والورد ؞ احالوا على احرازها النار سطوة
وفي عزمهم حرق لشمس به الدنيا ؞ واصبح ذو البغيا يسعى من بعد ؞ فارتقت الا في الحشر في السعد
ونادهم ان كان المحال ودودها ؞ فغادرت هبا لا تبيد ولا تبدي ؞ ابا الله الا ان يتم نوره
وما ندري التخييل خاسه الرد ؞ ارى الدين حقا بابن حمد رشده ؞ ابو حامد المهدي الى الرشد
فبانت له الاسرار بالكشف والهدى ؞ فبان عن الدنيا وحن الى الزهد ؞ وعبد في نهج العبادة جسمه
وخاطره حق غدا اي عابد ؞ فاولاه مولاه امورا نفيسة ؞ فغاد سنين القلب الجيد الجهد
صفا قلبه علما فضفو جوارحا ؞ فما ابتهجت كفاه سوا على عهد ؞ اذا صلح الملك استقامت جنوده
عن القلب ... الجوارح كالجند ؞ فلن يصلح ... دون يعد الى الحد ؞ من الشيخ الصالح ابو حامد صفا
فاصبح صوفي البطانة والجلد ؞ فلاحت له الاسرار في لوح قلبه ؞ وقدس عن جهل الخيال الذي يردي
فقام اذا ... الخيال ودوده ؞ فمن اجل هذا قابل الحق بالضد ؞ لتشكل ما بين الكواكب ...
وكم بين رقي الشهب والارض من بعد ؞ الى ان علموا ان العلوم تفيدت ؞ الى الظاهر المحدود في ظاهر العبد
ومن براهين ... ؞ ثبات ابيها بالتيار والحد ؞ ومن نوح ... الله سره
لمن فؤاده قد نفذه بالرقي ؞ فذلك ... قد وفقه ربه ؞ فرابه النور المقدس في المهد
فقابلت نور العلم بالوهم والهوى ؞ فعارضت ذاك النور بالجحد والصلد ؞ ومن شك ان الغزالي عالم المهتدي
لتنالاح في الاحلام كالعلم الفرد ؞ فلو حضنت رايت ... لوصفه ؞ لصح انتساب الغزالي بالحمد

تنبّهت للشيء اصدق نسبة ∴ ولو كان ما يبدو فوق الذي يبدو ∴ الا انما الطوسي طاود سرقه

رأت له الغربان في مغرب الحقد ∴ فدارت عقاب للعقاب عليهم ∴ فصالت عليهم صولة الاسد الورد

فنادت شبل الليث تنقد فعله ∴ ستعلم ما تلقاه منه لدى النقد ∴ وما نقموا منه سوى ان علمه

يروج عن الدنيا الى منزل السعد ∴ وقد حاز اشتات العلوم جميعها ∴ والبس منها في الدنا خير ما يجد

له في فروع الفقه باع مديدة ∴ هو البحر فيه طالع العود والمد ∴ وقد نال في علم الاصول حقايقا

واصبح في علم الكلام من الاسد ∴ فما كان منقوصا من العلم زاده ∴ وما كان معقولا نقاه بالجهد

فصفاه من شوب الخيال لفكره ∴ وميز منه خالص المحض والزبد ∴ فحصل منه ما صفا في وعائه

فشاهده بالذوق احلى من الشهد ∴ فلله حمدي عن ابي حامد لقد ∴ تغذى بماء العلم في لبن النهد

هو العالم الطوسي الذي كان ناشيا ∴ بطوس وفيها قد ترعرع في المهد ∴ وقد حل في بغداد والشرق بعدها

وشاد بنيانه بالشوق والوجد ∴ وزار ضريح المصطفى وصحبه ∴ وكان اسمه من قبل للاب والجد

ونال الصفا في المقام من ساطعا ∴ هو الله يعطي ما يشاء من المجد ∴ اباحامد حمدي تقطع عنه

بعلى ان التالف في منزل الحمد ∴ فانت امامي في الحقايق والهدى ∴ وانت امامي في الفضايل والمجد

تبعدت عن ادراك دينك الي ∴ احن اليها كالعطاش الى الورد ∴ عسى الله ان يهدي الى هداية

فلا نهدا العيش لطيبة عن حد ∴ فاسمع بحبل العلم في معلم التقى ∴ واسلك اعلاما سلكت على قصد

عليك سلامي يا امامي وسلمي ∴ فمن عندك الا انسب الى محتدي ∴ مرادي ان ابدنا مرادي في الغد

لذلك المراد ارغب في الجد والجد ∴ فاجني ثمار العلم في جنة السنا ∴ كما يجتني فضلا من الصادق الوعد

فمن رأى ان بالشرف وصلته العلى ∴ لقد سعدت نفسي يا نفس ما ابتد ∴ فقد تم عن الاخلاق من اول خلقه

وقد صح لا تمام في سالف العهد

والحمد لله رب العالمين امين

امين امين

مم